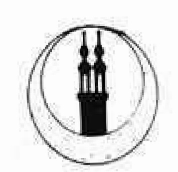


# الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
فى مطلع كل شهر عربى
تأسست عام ١٣٤٩ هـ / ١٩٣١ م
وصدر العدد الأول فى المحرم / ١٣٤٩ هجرية

رئيس التحرير
د/ على أحمد الخطيب

مدير التحرير
على حامد عبد الرحيم

المراسلات : باسم مدير التحرير
إدارة الأزهر بالقاهرة
ت/ ٩٠٥٤٧٣-٢٦٣٨٥٩٩

الاشتراكات
قسم الاشتراكات بالأهرام
شارع الجلاء - القاهرة




بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة العالمين ، وعلى آله وصحبه وتابعيه إلى يوم الدين

# هجرة الأنبياء

قصَّ علينا المولى - عز وجل - فى كتابه العزيز أكثر من هجرة لأكثر من رسول من رُسُلِهِ - عليهم الصلاة والسلام - ففى القرآن الكريم حديث واضح عن نجاة الأنبياء المرسلين : نوح ، وهود ، وصالح ، وإبراهيم ، ولوط ، وشعيب ، وموسى ، وهارون ، ثم محمد خاتم الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام - وتلك النجاة تكون بهجرتهم إذ يُؤْذِنُهم الله - تعالى - بعذابٍ يَلْحَقُ أقوامهم الضالين ، ومواطنها يسهل الرجوع إليها فى القرآن الكريم .

وهجرة الأنبياء تضع لنا معالم بارزة تحدد : سبب الهجرة ، ومتى تكون .. وما يَعْقُبُها فى القوم الضالين ، ثم علاقة هؤلاء المرسلين - بأرض الرسالة التى بُعِثُوا - إلى أقوامهم - فيها .



وابتداء نقول :

لم يُهاجِرْ رسولٌ من هؤلاء الرسل الكرام ؛ فيترك وطنه خوفا من أذى قومه ، أو طلبا للنجاة من شرهم ؛ فقد كان على كل رسول أن يصبر على هذا الأذى ، ويَتَحَمَّلُهُ في جَلَدٍ وصبر وصَفْح ، ويستمر – في دعوته – لقومه كي يؤمنوا ، ويتركوا ما هم عليه من شرك وكفر ووثنية مهما كانت النتيجة ، ولو لم يُؤْمِنْ برسالته إلا رجل واحد من قومه ، بل ولو لم يُؤْمن به أحد ، ولقد أَرَى اللهُ – تبارك وتعالى – نَبِيَّهُ محمداً – عليه الصلاة والسلام – أنبياء : منهم النبى قد آمن به جماعة ، والنبى لم يؤمن به إلا رَهْطٌ من قومه – أى جَمْع لا يزيد على عشرة ، والنبى لم يؤمن به أحد من قومه[1] .

ليس لهجرة الأنبياء – عليهم السلام – إلا سبب واحد ، وُجُودُه يَعْنِى إِذْنَ الله – تعالى – للنبى بالهجرة ؛ فإذا وقع هذا السببُ أوحى الله لنبيه بها ، وذلك السببُ هو رفض مَنْ لم يُؤْمِنْ للإيمان ؛ فإذا تَوَقَّفَ الإقبالُ على الإيمان ، وأَصَرَّ القوم على الضلال فلم يَزِدْ عددُ المؤمنين رجلا ولا امرأة – كان ذلك نذير نهاية الرسالة فيهم ، فإِذْنُ الله – تعالى – لنبيه بالهجرة ، وإعلامه إياه بحلول عذاب يُهلكهم فى أرضهم إن لم تَكُنْ حَرَماً لله – عز وجل – أو فى أرض غيرها يستدركهم الله – سبحانه – إليها لِيَلْقَوْا سوء المصير .

وقد تحدث الهجرة – هجرة النبى بالمؤمنين – والعذاب يَحِلُّ بقومه ؛ بل قد يكون عذابهم تحت قدميه ، وفى الكتاب العزيز شاهد ذلك .. كانت سفينة نوح – عليه السلام – تطفو على سطح الماء وكان الماء نَفْسُهُ هلاكَ الضالين .

لقد عَلِمَ نوحٌ من ربه – تَقَدَّسَ اسْمُهُ – رَفْضَ قومه للإيمان ، فقد أخبره – عز وجل – بقوله : « لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ »[2] ... لقد انتهى الأَمْرُ ، وعَقِمَتِ الأرضُ فلن تخرج بعد ذلك مؤمنا ، فإذا هى لا خيرَ فيها ، وَأَوْلَى بها عذابٌ يجعلها عبرة .

(١) انظر الحديث بالجامع الصحيح للترمذى ٤/٦٣١ ط مصطفى الحلبى .
(٢) سورة هود ٣٦

وفى الكتاب العزيز : « حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ »( يوسف ١١٠ ) .

● ● ●

إنَ الإِذْنَ بالهجرة يعنى ـ فى مضمونه ـ أمرين :

( أ ) بشارة للنبى والمؤمنين بالنجاة والنصر على الضالين .

(ب) وإعلاما بحلول العذاب الذى لا حيلة لأحدٍ فى دفعه ، إنه بَأْسُ اللهِ ـ أى عذابُه الذى لا يُرَدُّ عن القوم المجرمين .

قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما :

لما أُخرِجَ النبى ـ ﷺ ـ من مكة قال أبو بكر :

« أَخرَجوا نَبِيَّهُمْ !؟. لَيَهْلِكُنَّ » فأنزل الله ـ تبارك وتعالى : « أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ » الحج ٣٩ .

قال رسول الله ـ ﷺ :

إن الله ـ عز وجل ـ إذا أراد رحمة أمة من عباده قبض نبيها قبلها ؛ فجعله لها فرطاً[٢] وسلفاً بين يديها ، وإذا أراد هلكة أمة عذبها ونَبِيُّها حيٌّ فأهلكها ـ وهو ينظر ـ فأقر عينه بهلكتها حين كذبوه وعصوا أمره[٣] .

● ● ●

وتأتى الهجرة ؛ فيهاجر النبى والمؤمنون ، وأكثر الهجرات جَمَعَ النبىَّ ومن آمن به فهاجروا جميعا دفعة واحدة ، ونَدَرَ أن تتفرق هجرة النبى وقومه إلى جماعات تتعاقب هجرتُها ، وهذا الوضع الأخير من الهجرات المتتابعة كان لخاتم النبيين محمد ـ ﷺ ـ وصحابته ؛ فقد بدأت

(٢) فرطاً وسلفاً ـ هنا ـ بمعنى واحد والمراد : أن يسبق بلقاء الرفيق الأعلى ، وهو بين ظهرانى المؤمنين فيكون لهم شفيعاً .
(٣) صحيح مسلم ٦٥/٧ ط الشعب .

هجرتهم ـ رضى الله عنهم ـ جماعة بعد جماعة إلى الحبشة ، وجماعة بعد جماعة إلى المدينة المنورة ، ثم هاجر ـ عليه الصلاة والسلام ـ صحبة الصديق ـ رضى الله عنه ـ إلى المدينة نفسها .

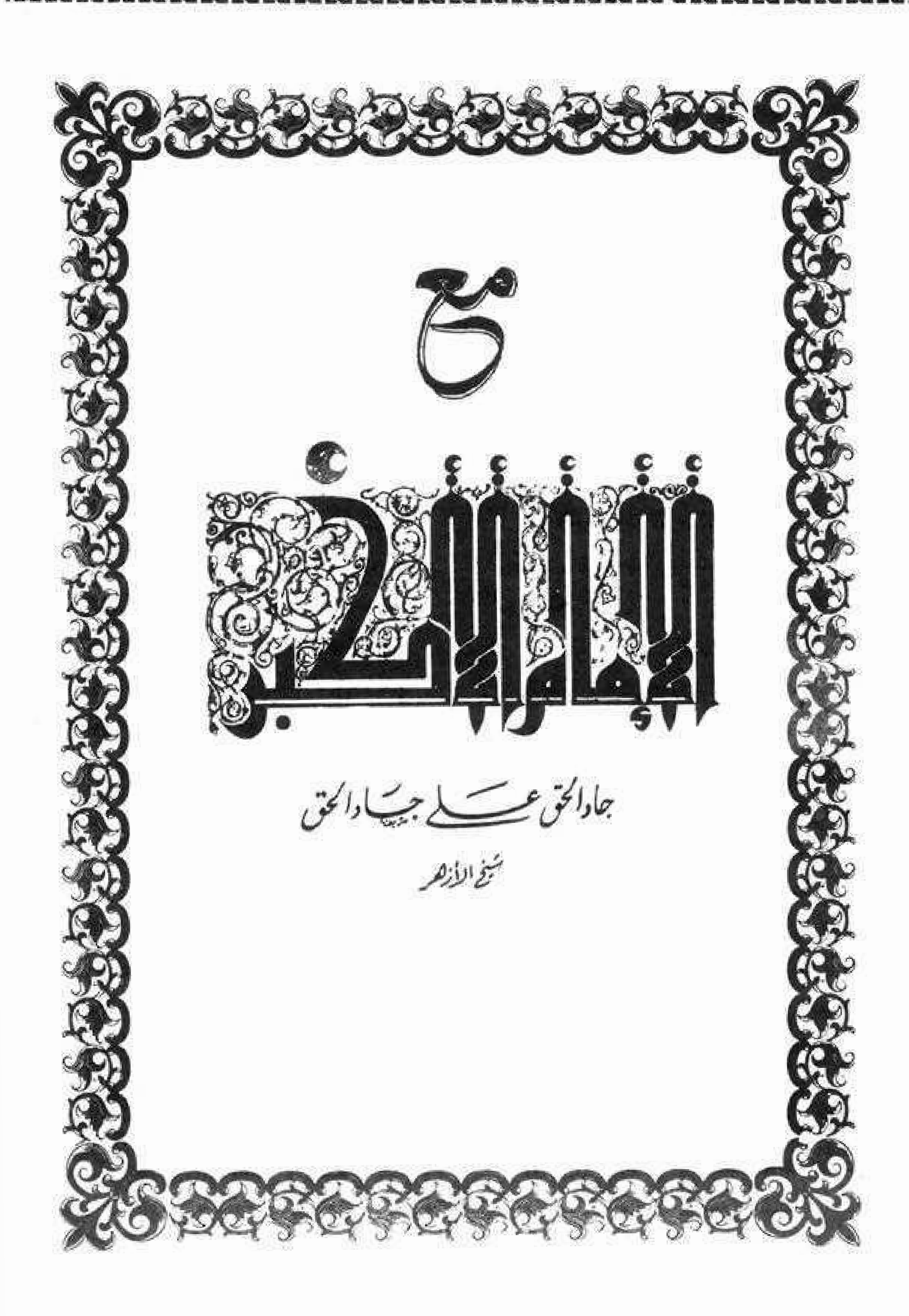
● ● ●

ومهما اختلفت صُوَرُ الهجرة ، سواء كانت دفعة أم دفعات ، فإنها ـ عموما ـ تتَّسمُ بالخروج من الوطن فى دَعَةٍ وسكون يصحبهما حِرْصٌ شديد على ترك قومهم دون أدنى تلاحم أو اشتباك ، ولو كلفهم ذلك ضياع دُورهم وأموالهم ، وبذلك قطعوا الطريق على أقوامهم فلا يستطيعون أن يتهموهم بعُدْوَان ، ذلك أنها هجرات لله ـ عز وجل ـ وفى سبيل الله يهون كل شيء من زُخْرُف الحياة الدنيا وزينتها .

ويهاجر النبى والمؤمنون ؛ فيَحْرُمُ عليهم استيطان هذه الأرض التى خرجوا منها .. ذلك أنهم تركوا ـ هذا الوطن ـ كما تركوا دُورَهم وأموالهم ـ تقربا لله .. لا بأس أن يمر بها المهاجر ، أو يقيم فيها يوما أو أكثر . أما أن يستوطنها فلا ... عامرة كانت أو دارسة .

وعنده ـ سبحانه ـ العوض والملاذ .




مع
الإمام الأكبر
جاد الحق علي جاد الحق
شيخ الأزهر

# دروس فى ذكــــــرى الهجــــرة

بقلم: فضيلة الإمام الأكبر جاد الحق على جاد الحق
شـيـخ الأزهــــر

**اليوم مطلع العام الهجرى الجديد ، نأمل أن يكون موقظا للشعور بثقل الأعباء التى تنوء بها كواهل الشعوب الإسلامية ، وحافزا للهمم وهاديا إلى شرف الغاية .**

**أسأل الله سبحانه أن يجعل هلال شهر المحرم «سنة ١٤١٤ هـ» بشيرا لأمة الإسلام بالوفاق فيما بينها ، شعوبا ، وحكومات ، وملوكا ورؤساء ، وأمراء ، وبالنصر على أعدائها (إن ربى لسميع الدعاء) وأهنىء الأمة حكاما ومحكومين بهذا العام الجديد الذى يستقبله كل مسلم وكل مسلمة ، فتعاوده ذكرى هجرة رسول الله محمد ـ ﷺ ـ من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة فى سبيل نشر هذا الدين ، تلك الهجرة التى استمدت روحها وخطها من وحى الله ، ونسجها من خلق رسول الله ـ ﷺ ـ واستقرت أحداثها ومقاصدها فى قلـــوب ومسامع الأجيال مثلا مضروبا لقواد الإنسانية عامة ، وقادة المسلمين خاصة ، يستلهمون منها الصبر على المكاره ، والاستمساك فى مزالق الفتن ، والاستبسال فى مواطـــن المحن ، والاستشهاد فى سبيل المبدأ الحق والاعتقاد الصادق .**

لقد بَلّغ الرسول ـ ﷺ ـ رسالة ربه ، حين أمره فى قوله سبحانه : « وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأقربين » . ثم جهر بدعوته ، وصدع بالحق الذى جاء به حين نزل عليه قول ربه فى القرآن : «فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ» ولقد تألبت ضده حماقات الشرك والعصبية وعداوات الحسد والمنافسة وحرمان الفقر فما وهن عزمه ، وما استكانت عزيمته ، حين أبت قفار مكة أن ينبت بها هذا الدين ، هذا الغرس الإلهى ، وبعد صبر ومصابرة ومثابرة ، وإعداد واستعداد ، وتكوين للعصبة أولى القوة بالإسلام وبالإيمان ، وبصدق العزم على بيعهم أنفسهم وأموالهم لله نصرة لدينه ، هاجر الرسول ـ ﷺ ـ تحرسه وتحميه عين الله ورعايته .

(لاتحزن إن الله معنا) .. قالها الرسول ـ ﷺ ـ لصاحبه فى الغار إخبارا بوعد الله وحفظه ..

وهنالك فى دار الهجرة ـ بالصدق وبالإيمان وبالصبر ، وبالرجولة وثباتها وإقدامها ، أثمر غرس الدعوة الإسلامية ، وانتشر نور الله وصارت القلة المؤمنة من المهاجرين والأنصار ملة ، وصارت القرى الثلاث التى شرفت بخطى رسول الله ـ ﷺ ـ (مكة ـ الطائف ـ المدينة المنورة) بمثابة قارات ثلاث ، فقد امتد الإسلام ـ فى مدة وجيزة ـ إلى آسيا وأفريقيا وأروبا) .

هذا هو العام الهجرى الجديد يهل ، فهل راجعنا السجل ، سجل الألف ومابعدها من أعوام الهجرة منذ كانت ، لنقرأ ماخطه التاريخ من أمجاد أمة ..

إن فعلنا عثرنا على مجد العرب والمصريين ، بل والمسلمين أجمعين ، وسمعنا صوت الأجداد ، يهيب بنا أن نستلهم الدين ، ونستحث القادة ، ونجمع الشمل ، بدلا من مجرد قرع الطبول بالويل والثبور ، وقتل الزمن فى تأييد رأى وتفنيد رأى ،

أو فى زفاف البشرى ، لو فعلنا لخجلنا من هذا الموقف السلبى ضد الأحداث ، وفقط تصور الخطط بالخطب وبالكلام ، ونطلب النصر فى الأحلام .

انطوت صفحة عام هجرى ، ولم تسجل فى أوطان المسلمين ـ غير الأسى والألم ، فهذه الأهواء المتصارعة ، والأقلام المتنازعة المتدافعة ، فى غير قضية ، وإنما فى أطماع متعارضة وفردية طاغية ، وأثرة تسف وخصومة تكيد ولاتكف ، وشعوب تكابد داء الغرور فى زعمائها ، وتكاد تستجير بعدوها من أوليائها ، تنظر هذه الشعوب ، فترى فى يدها العتاد ، وفى طبعها الاستعداد ، ومع هذا فما تزال وضيعة الشأن فى الحياة لا يثقل بها الميزان لأنها تفرقت سدى ، واستثمر عدوها هذا التمزق فأشعل الفتيل نارا ، وما أن تطفأ حتى تندلع هنا وهناك .

هذه فلسطين البائسة ـ أول كارثة للمسلمين فى هذا القرن الذى أوشك على الرحيل ـ من دماء أبنائها كان المداد ، ومن نشيج بكائها كان هذا الكم ، بيعت فى سوق السياسة منذ وقعت فريسة ، تزايد فى هذا السوق أهلها العرب بالحق وقالوا إن الحق رأى واجتهاد . وبالقانون ، وما كان القانون إلا كلمات ومدادا من صنع الإنسان الذى تتغلب عليه الأهواء والمطامع دون إلتزام بحقوق الإنسان التى جاءت بها شريعة الإسلام .

وهذه كشمير ، والحرب فى الهند ضد المسلمين ، وهدم مساجدهم ومطاردتهم ، وهذه بعض بلاد المسلمين التى انحلت عصبتها ، وعمتها الفوضى ، فلم تعد بها دولة ، وتلك الأقليات المسلمة التى تطارد فى كل مكان مهيضة الجناح ، لاتجد من إخوتها فى الدين ـ وهم كثرة كاثرة ـ من يعاونها فى الدفاع عن أرضها وعرضها ، ولا من بنى الإنسان فى جوارها من يحمى ظهرها أويمد لها يد الغوث ، بل تكالبت ضدها الأنياب تنهش لحومها الإنسانية ، وتنتهك عرضها ، وتهدم دورها ، وتقتل النساء والأطفال والشيوخ .

والإنسانية فى كل العالم تهزل وتلهو ، ولايؤرقها هذا الهول ولايوقظ إنسانيتها ذلك الظلم ، ولو سمعوا عواء كلب أو مواء قط لغدوا إليه بالطائرات وربما بالمركبات الفضائية رحمة وحنانا ، ولكنهم بالإنسان المسلم أشد قسوة وظلما ، ثم مع هذا يتنادون إلى السلم والسلام وهم يتغنون بنداءاتهم الاستسلام ، فإلى متى هذا التجاهل للمواثيق الدولية وحقوق الإنسان وإلى متى يقف مجلس الأمن وكافة المنظمات الدولية ، متفرجة وربما حارسة حتى : تجهز الذئاب على الفريسة ، التى لم ترتكب جرما إلا أن ـ تقول : « اشهدوا بأنا مسلمون » .

ثم هؤلاء القادة الأفغان لم يجدوا بدا بعد إذ نصرهم الله على عدوهم وامتلكوا زمام وقيادة وطنهم إلا أن يشعلوا حربا فيما بينهم مهدرين كل المواثيق التى تعاقدوا عليها ، ولحساب مَنْ ، ومَنْ المستفيد أيها المجاهدون وفيمن تجاهدون الآن !!!

ثم فى كل مكان على أرض المسلمين فتن وحروب وتخريب وتدمير وانتهاك لحرمات الناس ولما حرم الله ، والمسلمون من حول هؤلاء وأولئك ينظرون نظر العُوَّاد إلى المريض ، يؤنسونه بالبكاء ، والبكاء لايدفع الموت ويسعفونه بالدعاء ، والدعاء وحده لايرفع الواقع الذى تكابده الأمة الإسلامية .

فهلا انتفعنا بذكريات الهجرة واستفدنا من دورسها حتى لانبدد الجهود فى التجارب ، ونفسد أمورنا بالتردد ، ذلك أن لنا تاريخا ..

إنسانيا حافلا فيه لكل عظيمة موقف ، ولكل ملمة تجربة،وأن لنا دستورا كاملا فيه لكل قضية دليل ومخرج ، فإذا التمسنا دليلنا من وحى الله ، واقتبسنا استدلالنا مما أثر عن السلف الصالح من خبرة وتجربة واستقمنا كما استقام سلفنا على الطريقة التى سنها الله وانتهجها الرسول ـ ﷺ ـ لاتجهنا إلى الغاية وانتهينا عندها إلى القوة والوحدة .

إن من سمة الإسلام أنه دين يقوم على التوحيد ، وعموم الرسالة للناس أجمعين ، قال الله لنبيه ـ ﷺ ـ : «وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا» وقال : «قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا» .

فجاءت أحكام هذه الرسالة هادية للأبيض والأسود والأحمر ، تقرر المساواة بين البشر ، والإخاء بين المؤمنين ، والعدل بين الناس أجمعين ، وجاءت عباداتها نقية خالصة لله رب العالمين .

وكانت الهجرة إيذانا بمجتمع مسلم ، ينتظم جميع الأجناس والأقوام بألوانهم ولغاتهم ، ويحتوى خصائص البشر وكفاياتها ، وينسق بين جماعتها ويخلصها للإسلام ، ويعقد الإخاء بينها على اختلاف ألوانها ، وألسنتها ، ويربط بينها بروابط الحب ، ومشاعر الرحم والقرابة ، ووحدة الغاية وسمو الأهداف (إنما المؤمنون إخوة) .

ومن ثم ظهرت بالهجرة أمة إسلامية نبيلة السمات ، تنتصر للحق ابتغاء وجه الله ، فكانت حضارتها ظاهرة ، سامقة بين حضارات التاريخ .

وتفرد مجتمع الهجرة فى الحياة العملية بمنهج رفيع ، يعلى خصائص الإنسان العليا ، وينميها ، ويتسامى بها ، ويبث مشاعر الإخاء بين المسلمين ، ويؤكد روابط الحب والألفة بينهم ،

« وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ سورة الأنفال

بهذه السمات والمشاعر كان مجتمع الهجرة مجتمع الرضوان « أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ سورة المجادلة

لقد بارك الله هذا المجتمع وصلى عليه ، قال : « هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾

سورة الأحزاب

فكان المجتمع الذى طهره الله وأتم عليه نعمته ، وخاطبه بقوله : « مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ » وبقوله « وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا » . سورة المائدة / ٣

وجماع ذلك أن الهجرة أنبتت خير المجتمعات ، فقد قال الله فى ذلك « كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ » . سورة آل عمران / ١١٠

فهو المجتمع الذى استمسك بالمثل ، والمبادىء ، التى جاء بها الوحى ، واعتصم بأحكام الإسلام ، وتحلى بأخلاق القرآن ، ورعى أواصر الإخاء والوحدة بين المؤمنين التى أمر الله برعايتها .

فكانت هجرة إلى النصر ، وإلى السمو

الإنسانى ، وإلى الحضارة ولن يصلح حاضر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها ، اعتصام بالدين وعمل جاد للمعاش والحياة ، ورعاية لما أمر الله به ، ووثقه من أواصر الوحدة والإخاء بين المسلمين .

وما أحوج المسلمين اليوم وقد أظلتهم هذه الذكرى أن يهاجروا إلى الله بالعمل ، فيهجروا مانهى الله عنه من الخلاف والفرقة ، والشقاق والنفاق ، وسوء الأخلاق ، والتهجم على الإسلام ، والتخلى عن آدابه ، وأن يعودوا إلى دعائم الإيمان من التراحم ، والتواصل والإخاء الوثيق ، والتعاون على البر والتقوى .

وهذه من عهد الإيمان « وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا » سورة الفتح (١٠)

إن المتغيرات التى حدثت فى العالم المعاصر تنبىء عن أحداث .. جسام تقتضى الحذر واليقظة والإعداد والاستعداد ، واستشعار الأخطار المحدقة ببلاد العرب خاصة ، وبالمسلمين عامة ، فقد سقطت الأقنعة وانخذلت الصداقة ، واختفى الصدق ، وانشكف المستور الذى يراد بهذه الأمة .

وها قد تعالت أصوات الحادثات والنوازل التى أطبقت على أمة المسلمين فى العام الهجرى الذى انصرم من عمر هذه الأمة ، وهذه الانفجارات التى تحدث على أرض المسلمين فى كل مكان حتى صار بأس المسلمين بينهم شديد ، وأصبحت قلوبهم شتى ، وكلما تقاربت القلوب أوقد الأعداء نيران الخلافات ، وأشعلوا الحروب بين الشعوب الإسلامية وحكامها ، وانساق هؤلاء وأولئك حتى صاروا وقوداً للحرب وإمعات للفتن ، وكل يدعى أنه يعمل للإسلام وبالإسلام وما هم فى هذا وذاك من هدى الإسلام فى شىء .

ألا فليكف أولئك المتنازعون فى كل مكان من بلاد الإسلام عما وقعوا فيه ، وليذكروا قول الرسول - ﷺ - صاحب الهجرة .

«... لاترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض» .

احذروا أيها المسلمون ما يراد بأمتكم وشعوبكم من فرقة وإفساد واعلموا ان ماحدث ويحدث على أرضكم كان وسيظل امتهانا لأمة عريقة الحضارة قدمت للإنسانية أسمى الأخلاق وأرقى العادات والأعراف ، وعلمت الجاهل ، وهدت الضال ..

وشتان بين الهجرة الخيرة المثمرة الهادية التى تمر بنا ذكراها فنأخذ منها الهدى والرشاد ، وبين هجرة آثمة معتدية ، ومهجرين مستأجرين للعدوان على أهل الديار وأصحابها ، جاءوا مفسدين مخربين للعامر ، يهلكون الحرث والنسل ، ولامناص من أن تتجسد الأمة الإسلامية كافة جسدا واحدا كما وصفها رسول الله - ﷺ - صاحب هذه الذكرى فى الحديث الذى وراه مسلم عن النعمان بن بشير رضى الله عنه أن النبى - ﷺ - قال :

« مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » .

احذروا - أيها المسلمون - دعاة الفكر الفاسد ، الذين دأبوا على خلط الأوراق ، وتزوير العناوين ، ليوهموا الناس أنهم دعاة فكر مصلح ، والذين يفترون على الله الكذب ، ويقولون فى دين الإسلام مالا يعلمون عدوانا وظلما .. « وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أُوْلَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ

رَبِّهِمْۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٩﴾
سورة هود

هؤلاء الذين ذهبوا يحرفون الكلم عن مواضعه بدعوى أن من حقهم الاجتهاد كما اجتهد غيرهم ، مع أنهم لم يستجمعوا أدوات الاجتهاد فى دين الله ، شأن كل علم له أركانه وقواعده ، فكانوا ممن اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا وممن يصدق فيهم قول الله سبحانه « وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ » . سورة لقمان

ولعل من أخطر ما فى عصرنا ـ هذه المشابهة والمشاكلة التى يقلد فيها أهل الإسلام غيرهم ، فإنها وان كانت ظاهرية لكنها تجر إلى مشابهة ومشاكلة فى أمور أخرى تصرف عن حقائق الإسلام إلى أباطيل خصومه ، وتستتبع تآلفا وتنسيقا بل واندماجا فى الفعال والخصال ، وفى ذلك إضعاف لشخصية المسلم ، بل إزهاق لميزاته ومميزاته .

فمن الهجرة المطلوبة فى عصرنا وبحكم الإسلام أن نهجر تقاليد غيرنا وأن نتحفظ فى متابعتهم حذرا من الوقوع فيما يخالف أحكام الإسلام .

وأخص بالذكر هؤلاء الذين فتنوا من المسلمين وافتتنوا بمحاكاة الأمم غير المسلمة فى عاداتهم وأزيائهم وسلوكهم ، حتى فيما ينافى المروءة والغيرة ﴿ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴾ ، وباب خطر داهم ، ليس فى أمر الإسلام عقيدته وشريعته فحسب ، بل وفى أمر هذه الحياة إذ أن هذه المتابعة ـ دون حذر وترو ـ طريق انحلال الأمم وفنائها وتسلط غيرها عليها بعيد ذوبان مقوماتها .

وفى ذكرى الهجرة النبوية يلزمنا هجر السوء وتركه أيا كان نوعه أو وصفه ونسفه ، وأن نهاجر إلى الله بعبادته كما فرض وأمر ، وبإحسان معاملة الخلق ، كما أرشدنا رسول الله ـ ﷺ ـ فى الكثير من أقواله ، بل وفى سلوكه ومودته ، ومحبته للناس وإيثاره إياهم بكل خير ، والوقوف معهم فى كل محنة والنزوع بهم إلى كل سلوك حميد أو محمود .

اهجروا الخيانة ماظهر منها ومابطن فى الأقوال والأفعال ، واصدقوا مع الله ومع رسوله تنعموا فى دنياكم ويوم لقائكم ربكم ، وليصدق القول العمل .

ولنكن من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، ونبتعد عن المراء والجدل لتتوثق صلاتنا ، وتزداد مودتنا ، وتعود أمتنا إلى متانة بنيانها وحسن أخلاقها وصدق تعاونها ، وليدرس أهل الإسلام سيرة الهجرة ومسيرها درس استنباط ليأخذوا منها الهدى والحل لأزماتهم المتلاحقة التى حاقت بالمسلمين فأوهنت البنيان وزلزلت الأقدام ، وتقلصت الأواصر التى كانت للأمة رباطا .

**لقد أسست الهجرة مجتمع المدينة ، تقوده عقيدته وأخلاقه . مجتمعا تطهر من نزوات الطيش والبطش والاستغلال واستقرت فيه الفضائل ، حتى أشربت بها عقول المسلمين وقلوبهم ، فكانوا هداة صالحين ، قادة بهم تم البناء وفيهم كمل الدين ، وأصبحت بهم المدينة قاعدة لأمة فاضلة لم تلبث أن عبرت هدايتها إلى الآفاق فى كل اتجاه .**

إن على المسلمين أن يتذكروا ماضيهم ليصلحوا به حاضرهم ويؤمنوا طريق مستقبلهم ، ملتزمين بأوامر الله فى القرآن وبسنة رسول الله :

إنهم إن فعلوا ذلك ارتفعوا فوق الأحداث ، وهانت تحت أقدامهم الخطوب وانجابت عنهم الكروب ، واجتمع شملهم وتوحدت كلمتهم .

ولا يفت فى عضدكم ، ولا يوهن من عزيمتكم نكوص الآخرين عن الوقوف معكم فالله كفيل بنصر من استعان به .

إن الأزهر الشريف وهو يُذَكِّر فى هذه الكلمة ببعض الدروس من هجرة الرسول محمد ﷺ ليرفع إلى أصحاب الجلالة والفخامة والسمو الملوك والرؤساء والأمراء آمال الشعوب الإسلامية فى عمل جاد تأخذ به الأمة الإسلامية زمام المبادأة فى الدفاع عن الشعوب الإسلامية المستضعفة فى فلسطين والبوسنة والهرسك وكشمير وغيرها .

هذا العمل يتمثل ـ فى استخدام النفوذ والصلات السياسية التى لو وُجِّهَتْ إلى دعم هؤلاء المستضعفين لشدت من أزرهم ، والناس يتحدثون لماذا تظل سفارات الصرب مفتوحة فى البلاد الإسلامية ؟ ولماذا تظل سفارات المسلمين فى بلغراد ؟ ولماذا يُمْنع السلاح عن المسلمين فحسب ؟ !!!

إن شعوب المسلمين تأمل من حكامها وقفة مع النفس وعملا جادا مع الهيئات الدولية التى أهملت حماية المسلمين فى البوسنه والهرسك بل وضيقت عليهم ..

إن المسلمين يأملون أن يروا قرارا جادا تتحمل الدول الإسلامية أعباءه المالية توقف به هذه المجازر والتخريب فى بلاد الإسلام .

ان الناس يتحدثون عن أن دول أوربا المتحضرة ـ التى تُسَيِّر أمر العالم اليوم ـ تتفرج على مأساة البوسنه والهرسك وتجتمع وتنفض وتقرر وتلغى ما قررت ، ولا تصدر قرارا حاسما كقرار الكويت ، أو قرار الصومال ويزيد الأسى والأسف أنها لا تعطى للمُعْتَدى عليه الضحية وهم المسلمون حق الدفاع عن النفس ، والدول الإسلامية راضية أو راغمة لماذا ؟ !!!

إن مبدأ الإسلام واضح وصريح فى نصرة المظلوم ففى القرآن الكريم ..

﴿ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ .. ﴾ .
سورة الحجرات / ٩

إن الأمل أن تبادر منظمة المؤتمر الإسلامى وجامعة الدول العربية ومنظمة الدول الإفريقية إلى استصدار قرار حاسم من منظمة الأمم المتحدة وليباشر هذا عدد من الملوك والرؤساء والأمراء حتى تتوقف هذه المذابح ويعود المشردون إلى ديارهم ..

إن الأزهر الشريف ليذكر الأمة الإسلامية وحكامها بأن التاريخ سيكون شاهدا على هذا الجيل ، والزعماء الذين عاصروا هذا الحدث الجلل فى البوسنه والهرسك مسجلا موقف التردد والنكوص لدى أمة عرفت بالحمية والشجاعة والجرأة والنجدة ، وما تزال كتب التاريخ تنطق بما كان من أن امرأة من المسلمين اعْتُدِىَ عليهافنادت : وامعتصماه ...

فكان لها مارَدَّ روعتها وصان عرضها فأمنت بعد فزع وخوف ..

نسأل الله ألا يتكرر ما حدث للمسلمين فى الأندلس منذ أكثر من خمسمائة عام ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ..

**شيخ الأزهر الشريف**
**( جاد الحق على جاد الحق )**




## يوم بر وعطاء ووفاء

بقلم : صاحب الفضيلة الإمام الأكبر
الشيخ جاد الحق على جاد الحق
شيخ الأزهـــر

هذا يوم العيد الذى فيه تتسامى المشاعر ، وهو من أجلّ الأعياد خطراً وأبلغها أثراً فى حياة المسلمين ، حيث تجلت فيه مبادىء الإسلام وغاياته .

لقد وفد هذا العيد ـ على أمة المسلمين ـ هذا العام ـ وكأنه موجة من النور الهادى فى خضم هذا الزمان المظلم المضطرب ، وكأنه ـ كذلك ـ فترة من السلام الإلهى بين هذه الخطوب التى تموج فى جنبات ديار المسلمين ، فتضطرم بها الشواغل والأحاسيس نحو ما هو واقع وما كان مأمولاً ومرغوباً فيه .

هذا العيد : نفحة علوية من نعيم الله ، تندى لها القلوب اليابسة بالود الخالص وبالبر المحض وهو سبب يصل ـ بالإحسان ـ بين الغنى والفقير ، وبين القريب والبعيد بالمودة ، وبين القوى والضعيف بالمرحمة ، وبين الإنسان وربه بالصلاة ، وبين ضيوف الرحمن ـ فى الحج ـ بالحمد والشكر لله الذى أتم نعمته .

هذه الأعياد الإسلامية ما أحوجنا ـ نحن المسلمين ـ إلى أن نفهم غاياتها فهماً سديداً جديداً ، ونتلقاها ، لنجدد ـ بها ـ فى نفوسنا معانيها السامية ، ولتدفعنا إلى التفكير فى صدق القول السائر : « دوام الحال من المحال » .

فتعمل على تغيير ما وقر فى النفوس من كساد وما استقر فيها من فراغ حتى صار أكبر الهموم « تجديد الثياب واتساع ابتسامات النفاق » .

إن العيد فى الإسلام هو المعنى الذى ينبغى أن يكون فى يومه ، وليس اليوم نفسه .

ذلك : أن معنى العيد انبعاث وجود الأمة وحضورها الروحانى فى أجمل المعانى وإثبات ذاتيتها بدلا من إثبات الوجود الحيوانى فحسب فى أبرز معانيه .

إن العيد إشعار للأمة بأن فيها قوة التغيير لما ران عليها من خمود واستكانة ، بدلا من ركونها إلى ترديد القول بأن الأيام قد تغيرت ، وأن المسيرة قد تعثرت ، حتى صارت حياة الأمة الإسلامية ، وكأنها فرق متناحرة وعصبيات متشاجرة وربما متقاتلة .

كنا نرقب أن يجىء يوم عيد الأضحى وأيام مثله تعرض أمة الإسلام فيها جمال نظامها الاجتماعى الذى صاغه الرحمن فى القرآن ، وأصل قواعد تكافلها فى المهمات والملمات ، فيكون الشعور الواحد فى قمة الوجود ، فى نفوس كافة الشعوب المسلمة ، تتعاطف وتتعاون على دفع الكروب التى أحاطت بها من كل جانب ، وتواجه الخطوب التى خطت إلى أرضها ففرقت شعوبها وبددت وحدتها وانفرط عقدها بعد أن كانت معتزة بجمعها الذى صنعه الإسلام وأقام أسسه .

إن العيد يكون يوم أن تتحد كلمة الأمة تجاه النوازل المتوالية ، فتشعر بالقدرة على وقفها ، وتغيير مسارها إلى صالحها ، لا القدرة على تغيير الثياب فحسب .

هذا العيد قد وفد والأرض تنتقص من تحت أقدام شعوب المسلمين ويطردون من ديارهم ، أو تهدم فوق رءوسهم وتغتصب نساؤهم ويقتل أطفالهم وتنتهب ثرواتهم ، وتهدم مساجدهم ويستذلون فى أوطانهم .

كل هذا والعالم المتحضر من حول المسلمين ـ فى البوسنة والهرسك ـ مثلا قد وقف حارساً أميناً للبغى والعدوان حتى يصل إلى منتهاه ، ويحقق غاياته ، بحصار المسلمين وتجويعهم وقتلهم ، وخطط السلام التى لاتتجه إلى السلام بمعناه المشروع وإنما تؤكد سلوك الطغاة وتمدهم بالسلاح والمال ، والمسلمون هناك لا يجدون عوناً من أحد حتى أهل ملتهم وحتى السلاح ليدافعوا عن أرضهم وعرضهم وأطفالهم . قد حجب عنهم بقرارات من ممثلى المجتمع الدولى ( مجلس الأمن ) بئست هذه الحضارة وليتها ما كانت تلك المدنية الحيوانية التى تأوى الكلاب وتقيم لها المآدب والمساكن وتقتل بنى الإنسان لاختلاف الدين والعرق ( ألاساء مايزرون ) . ( ألاساء مايحكمون ) .

( قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر ) لقد تحالفت على المسلمين فى تلك البلاد وغيرها النوائب من كل جانب وتألب ضدهم طغاة العصر وبغاة الشر ، يعطون من طرف اللسان حلاوة ويروغون كالثعالب لا وفاء بوعد ، ولا نجدة لبائس أو مشرد ، إنهم يحاصرون الضحايا من المسلمين ليفترسهم أولئك

الطغاة البغاة الذين تخلت عنهم كل القيم الإنسانية ، هذا فى أطراف بلاد الإسلام وشأن الأقليات منهم .

فأين الأمة الإسلامية بشعوبها وحكوماتها وزعمائها وأين أصحاب هذه المفرقعات فى وادينا ، وباقى البلاد الإسلامية لِمَ لَمْ يذهب أربابها إن كانوا – جادين حقا – إلى هذا الميدان بأسلحتهم وشبابهم فقد وجب إعمال قول رسول الله ﷺ : ( أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً ) ، ( قيل كيف أنصره ظالماً ؟ قال تحجزه عن الظلم فإن ذلك نصره ) .

فهل نصرنا إخواننا المظلومين المقهورين فى بلادهم ؟

نعم أين الأمة الإسلامية مما يحدث لشعب من شعوبها يقتل ويشرد ؟!!

ألا فليتجه هؤلاء الذين يبتغون نصرة الإسلام والمسلمين إلى حيث يحتاجهم الموقع ، والموقف ولا يوهنوا صفوف الأمة من خلف أولئك المقهورين ولتتفرغ الأمة بكافة شعوبها لنجدة أولئك وهؤلاء ؛ ففى كل ركن من شعوب الأمة ظلم وظلمات ( ليس لها من دون الله كاشفة ) .

أما فى بلاد المسلمين فقد برزت الألسنة من الأفواه ، وامتشقت الأقلام شامتة مجهزة على جراح المسلمين وكأن هؤلاء ينفخون فى نار الفتن بما يقولون ، وبما يكتبون ، والصحف لهم مبسوطة ، والمساحات مكفولة تعاند الناس فى عقيدتهم وتغمزهم فى شريعتهم ، وتنشر الإفك والتضليل تحت عناوين التنوير .. ( والله من ورائهم محيط ) .

ومن قبل كان لأمثالهم مواقف حكاها القرآن فى سورة فصلت فقال الله سبحانه :

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ . سورة فصلت

إن محنة الإسلام تشتد ، ولكن الله غالب على أمره ، وإن على المسلمين أن يستعيدوا قيم هذا الدين حتى يعلو قدرها ، استمساكاً بها وإظهاراً لها ، وحتى يكون الدين كله لله ويبوء أولئك بالخسران المبين .

إن عيد الأضحى هو عيد للأسرة وللأمة وللملّة يُفيض المودة والألفة ، سفير التعارف والتآلف بين ضيوف الرحمن فى عرفات ، وكافة مناسك الحج .

ينبغى أن نستمع لصوت هذا العيد الذى يهتف بقوة منادياً أمة الإسلام : أن اخرجى من أتراحك ، وخذى العدة ليوم النصر ، يوم التخلص من الأوزار والأوضاع بالتضحية فيه بالأهواء ، وبهجر الانطواء والقطيعة ، واللدد فى الخصومة حتى يتم التوافق على ما ينفع الأمة ويكشف الغمة ، تلك التى طمت وعمت ساحات المسلمين حتى لا نكاد نجد وطناً ومسلماً قد سلم من العدوان .

ليت أولئك الذين يثيرون الحقد والبغضاء فى الشعوب الإسلامية ، أو ينشرون الهوان والاستهانة بمقدراتها ، ليتهم يراجعون أنفسهم ويعلمون أنهم – بصنيعهم هذا – يفرقون صفوف الأمة ويجعلونها عرضة لفقد هويتها ، وذهاب ريحها لفرط ما بذلوا من بذور الفرقة والخلاف ( وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ) .

الأنفال ٤٦

آن الأوان لأصحاب القلم واللسان أن يقولوا للناس حسناً ، وأن يكفوا عما يفسد على الناس دينهم وحياتهم ، وعن التهجم على دين الأمة ، وأن يفحصوا المشكلات من جذورها ، ويصفوا لها الدواء الذى به - بإذن الله - يكون الشفاء. ذلك الذى وصفه الله ودعا إليه فى القرآن :

﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ . سورة الأنعام

لتأخذ الأمة من عيد الأضحى وشعاراته كيف توجه وتقود نفسها بقوتها وبكلمتها ، وبوحدة حركة الحياة إلى معنى واحد - كلما شاءت - تتغياه ، حيث ضرب الإسلام لها فى مصادره الأمثال ، ووضع لها قواعد النجاة .

ليت هذا العيد يجمع قادة وزعماء هذه الأمة فى لقاء نقى وعهد وفىّ أن ينحوا فرقتهم وينهوا غربتهم عن وحدة صفهم ويتدارسوا كيف يقودون هذه الأمة إلى حياة عزيزة رشيدة تخلو من ذل السؤال ، ومن وصمة الاستذلال التى حلت بها ، حتى تتساند فى الضراء وفى البأساء ، وتتعاون على البر والتقوى ؛ فهذا هو طوق النجاة من تلك الأوحال التى غاصت فيها الأمة فثقلت أقدامها عن مسيرة الحياة كأنه لا مجدها وتاريخها ، وتثاقلت فى السباق حتى استُبِقَتْ ، وأنَّى للكسول أن يكون مقداماً ، وللخوار أن يكون شجاعاً ؟

وما كان العهد بها على هذه الحال ، فقد قادها الإسلام إلى عز العلوم والمعارف وأمدها بأسباب القوة وأساليب الحياة الشريفة .

إن الأزهر الشريف وهو يوجه هذه الكلمة مهنئاً الأمة الإسلامية بكافة شعوبها ولغاتها وأوطانها بعيد الأضحى المبارك ليتوجه إلى هذه الشعوب - وعلى رأسها أصحاب الجلالة والفخامة والسمو ، الملوك والرؤساء والأمــراء وإلى معاونيهم من الزعماء والقادة - ناصحاً أن يضحوا فى هذا العيد بكل العوامل التى فرقت كلمتهم وزرعت البغضاء فيما بينهم ، وأن يجعلوا ليل هذه الأمة الدامس نهاراً وضيئاً مليئاً بالأمل وبصالح العمل .

وعندئذ تنجاب عن الأمة هذه الغمة ويعلو قدرها وتنكف من أرضها وعن عرضها هذه الذئاب العاوية .

إن الشعوب الإسلامية ترقب بأمل يوم عيد الأضحى لترى هذا الأمل عملًا مرئياً بالأبصار ، بدلًا من مجرد برقيات التهانى ( البروتوكولية ) التى احتجبت بها تقاليد الإسلام ، وانقطعت الأواصر وحجبت سبل المصارحة .

وإذا كان من أغلى وصايا نبى الإسلام ﷺ : ( الدين النصيحة ) فإن الأزهر الشريف ليعلن مع تهنئة المسلمين وأولياء الأمور فيهم نصحه هذا بأن يوحدوا كلمتهم وصفهم ؛ لتأخذ الأمة دورها فى الحياة ، ويتقدموا بخطوات عملية لنصرة المغلوبين والمضطهدين من المسلمين ( والله معكم ولن يتركم أعمالكم ) .

وكل عام وأنتم بخير .

وبالله التوفيق ..

**شيخ الأزهر الشريف**

جاد الحق على جاد الحق




الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله

وبعد

فقد ورد إلى مكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر خطاب من رئيس حلقة الدراسات الإسلامية ـ بحيدر آباد ـ السيد غوسى خاموشى وفيه يعرض اقتراحا يأمل دراسته على ضوء الكتاب والسنة وملخصه :

النساء المسلمات اللاتى اغتصبن فى معسكرات الاغتصاب بالبوسنه وحملن نتيجة لذلك لكنهن يرفضن أطفالهن مما جعل الإرساليات المسيحية تستقبل هؤلاء الأطفال لتربيتهم وسوف ينشأون على كراهية مجتمع الإسلام والمسلمين الذين رفضوهم ، ومن ثم يكونون أعداء للإسلام الذى رفض أن يأويهم ..

وعلى عكس ذلك إذا ما وجدت منظمات أو جمعيات إسلامية تعطى الحماية والرعاية لهؤلاء الأطفال ولا ذنب لهم ، ولا لأمهاتهم فإنهم سيكونون قوة للإسلام للانتقام مستقبلا من وحوش الصرب .

**والسؤال** : هل هؤلاء الأطفال يطلق عليهم أطفال غير شرعيين رغم أنهم ضحايا عدوان ووحشية ؟

وفى أوربا يطلقون على هؤلاء الأطفال وأمثالهم أنهم طبيعيون رغم أنهم غير شرعيين .

ثم يقول : وفى رأيى لو لم تعتبرهم الشريعة أطفالا مولودين بطريقة شرعية أو طبيعية فإنهم لابد أن يربوا بواسطة منظمات أو جمعيات إسلامية لنسترد لهم جزء من احترامهم ولأمهاتهم اللاتى لم يرتكبن أخطاء من أنفسهن ولكنهن وقعن فى براثن القوة الغاشمة ، ورأيكم الموقر يكون له عظيم التقدير ..

**والجواب** :

**أولا** : اغتصاب نساء البوسنه والهرسك وعدوان الصرب عليهن وحملهن نتيجة هذا العدوان جريمة نكراء تأباها الإنسانية ، وقد جرّمها الإسلام ، وعدّها من الفواحش التى حرّمها الله عز وجل ، وأكدت السنة النبوية تحريمها . قال الله تعالى فى سورة الإسراء :

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾[1] .

وقال تعالى فى سورة النور :

﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِى فَاجْلِدُوا كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ﴾[2]

وفى الحديث الشريف عن ابن عباس[3] – رضى الله عنهما – عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه – قال : ( الرجم فى كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء إذا قامت البينة أو كان الحبل أو الاعتراف ) .

**ثانيا** : أجمع فقهاء المذاهب على أن المرأة إذا استُكرهت على الزنا وغُلِبَتْ على أمرها كما حدث لنساء البوسنه والهرسك المعتدى عليهن فإنه لا يقام عليهن حد الزنا لأنهن مستكرهات مغلوبات على أمرهن[4] .

وقد روى عن ابن عباس – رضى الله عنهما – عن النبى – ﷺ – قال : ( إن الله وضع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه )[5] .

**ثالثا** : حكم حمل المرأة المغتصبة والمكرهة على الزنا هو أن الحمل حملها تحمله حتى تضعه وترضعه حتى يستغنى عن إرضاعها بالغذاء ، وهو منسوب إليها يحمل اسمها واسم أسرتها ولا تنسبه لأب جبرا لأنه ولد نتيجة علاقة غير الزواج ، وبوسيلة محرمة قطعا .

وقوة القرائن المصاحبة لما وقع لنساء البوسنه والهرسك من اعتداء الصرب عليهن بعد أسرهن ،

---

(١) الآية رقم ٣٢ .

(٢) من الآية رقم ٢ .

(٣) متفق عليه ونصه ( إن الله بعث محمدا – ﷺ – بالحق ، وأنزل عليه الكتاب فكان مما أنزل الله آية الرجم فقرأناها وعقلناها ووعيناها ، رجم رسول الله – ﷺ – ورجمنا بعده فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل : والله ما نجد آية الرجم من كتاب الله فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله والرجم فى كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء إذا قامت البينة أو كان الحبل أو الاعتراف ) اللؤلؤ والمرجان فيما أتفق عليه الشيخان – باب رجم الثيب فى الزنى حديث رقم ١١٠١ جـ ٢ ص ١٨٦ ط دار الحديث ورواه الترمذى بألفاظ متقاربة وقال هذا حديث حسن صحيح وروى من غير وجه عن عمر رضى الله عنه . الجامع الصحيح ( سنن الترمذى ) جـ ٤ ص ٣٠ ط دار الكتب العلمية بيروت .

(٤) الفقه على المذاهب الأربعة كتاب الحدود جـ ٥ ص ٩٥ .

(٥) أخرجه ابن ماجة والبيهقى واللفظ لابن ماجه جـ ١ رقم ٢٠٤٥ .

واحتجازهن فى معسكرات الاغتصاب تؤثر على فراش الزوجية لمن كان لها منهن زوج ، ويكون الفراش من حقها كالمعدوم حكما ، لأن المراد بالفراش أن تحمل الزوجة من زوجها فى ظل عقد زواج صحيح ، فيكون ابنها ولدا لهذا الزوج ، لكن إذا ولد الطفل أثرا لصلة رجل بامرأة بغير عقد زواج « أى زنا » كحمل نساء البوسنه من الصرب فإن هذا الطفل - كما سبق - ينسب لأمه ، ترثه ويرثها ويتبعها فى الدين ، وله عليها كل الحقوق من حضانة ، ونفقة ورعاية نفاذا لقول الله تعالى : ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ﴾[1] وعليها كذلك أن تحسن تربيته وتصلح من شأنه ، حماية له من الإهمال وخوفا عليه من التشرد وارتقابا لخيره ، واتقاء لشره حتى لا يكون وسيلة إفساد فى المجتمع ، وعسى أن يكون نافعا لنفسه ولغيره .

هـذا :

ومن كانت من نساء البوسنه والهرسك حاملا من زوجها الشرعى ، فى ظل عقد الزواج الصحيح ، ثم اغتصبت واعتدى عليها من جنود الصرب فإن فراش زوجيتها قائم وينسب طفلها إلى زوجها لا إلى نفسها ولا إلى من زنا بها بعد اغتصابها ، لأن فراش الزوجية قائم فعلا ، والطفل نبت فى ظله وما حدث بعد ذلك من الاعتداء يعتبر عارضا لا يؤثر على فراش الزوجية أو يفقده .

ويؤيد هذا ما ورد عن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال : ( الولد للفراش وللعاهر الحجر )[2] والعاهر الزانى وله الرجم ...

**رابعا** : من فقه الشريعة الإسلامية أنها اعتبرت المحافظة على نسب الطفل أحد الضرورات الخمس التى وجب الحفاظ عليها وهى ( الدين ، والعقل ، والنفس ، والمال ، والنسل ) .

ونظرا لأن النسب للنسل حق من حقوق الله تعالى لا ينفسخ ولا يرد ولا يحول ، فقد حرم رسول الله - ﷺ - على المرأة المتزوجة أن تدخل طفلا زورا وبهتانا - على قوم زوجها ، وتلحقه بهم ، وهى متحققة أنه ليس طفل زوجها ، لما يترتب على ذلك من اختلاط الأنساب ، واضطراب الحياة فى حل النكاح وحرمته ، وفى استحقاق الميراث ، وعدم استحقاقه ، الأمر الذى اقتضى صيانة الأنساب وإحاطتها بسياج منيع ، حتى حرم الله التبنى بقوله :

﴿ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ﴾[1]

كما حرم الجنة على المرأة التى تدخل على قوم زوجها من ليس منهم فعن أبى هريرة - رضى الله عنه - أنه سمع رسول الله - ﷺ - يقول حين نزلت آية المتلاعنين : ( أيما امرأة أدخلت على قوم من ليس منهم فليست من الله فى شىء ، ولم يدخلها الله جنته ، وأيما رجل جحد ولده وهو ينظر إليه - أى يعلم أنه ولده - احتجب الله عنه وفضحه على رؤوس الأولين والآخرين )[2] .

---

(١) من الآية رقم ٢٣٣ من سورة البقرة .

(٢) رواه الجماعة إلا أبا داود وفى لفظ للبخارى : لصاحب الفراش - نيل الأوطار للشوكانى جـ٦ ص ٢٧٩ ط دار الحديث .

(١) من الآية رقم ٥ من سورة الأحزاب .

(٢) بلوغ المرام شرح سبل السلام جـ٣ ص ٢٤٦ باب اللعان .

**خامسا** : إذا حملت المرأة بطريقة شرعية ( زواج صحيح ) أو بطريقة غير شرعية ( أى زنا ) فإن الشريعة الإسلامية ـ تحظر عليها ، وعلى غيرها أن يتعرض للحمل باسقاط أو قتل ، دون عذر أو ضرورة ، بعد نفخ الروح فيه بمضى أربعة أشهر ، لأن الحمل ـ والحالة هذه ـ أصبح نفسا يجب احياؤها ، قال الله تعالى : ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾[1] .

وتدل أقوال الفقهاء جميعا على الحظر ، فقد نصوا على أنه يجب فى اسقاط الجنين عقوبة جنائية ، فمن أسقطت جنينها ، وخرج منها ميتا ، بعد أن كانت الروح قد سرت فيه ، وجب عليها ما أطلق عليه الفقهاء اصطلاح « الغرّة »[2] وكذلك الحكم إذا اسقطه غيرها وانفصل عنها ميتا ولو كان أبوه هو الذى أسقطه وجبت عليه الغرّة أيضا .

وبعض الفقهاء أوجب مع ذلك كفارة ومقتضى هذا أن هناك إثما وجريمة فى اسقاط الجنين بعد نفخ الروح فيه ، وهذا حق لأنه قتل انسان وجدت فيه الروح الانسانية فكان هذا الجزاء الدينى بالاثم وفيه الكفارة ، والجزاء الجنائى بالتغريم وهو الغرة . أما : إذا قامت ضرورة تحتم الإجهاض ( الإسقاط ) كما إذا كانت المرأة عسرة الولادة ، ورأى الأطباء المختصون أن بقاء الحمل فى بطنها ضار بها فعندئذ يجوز الإجهاض ، بل يجب إذا كان يتوقف عليه حياة الأم عملا بقاعدة ( ارتكاب أخف الضررين ، وأهون الشرين ) .

وإذا كان الاسقاط قبل نفخ الروح فى الجنين أى قبل مضى أربعة أشهر فان الفقهاء اختلفوا فى حكم هذا الاجهاض فمنهم من أباح مطلقا ، ومنهم من حرمه مطلقا ، ومنهم من كرهه مطلقا ، ومنهم من أباح لوجود العذر وكرهه عند انعدام العذر[1] .

ومن ثم فانه يحرم على من حملت سفاحا ، اغتصابا من هؤلاء النسوة أن تسقط حملها إلا بسبب شرعى على نحو ما تقدم .

**سادسا** : الشريعة الإسلامية تعتبر الفرد المسلم قواما للجماعة ، وعضوا من أعضائها تحفظ له حريته وكرامته وتصون له حقوقه منذ أن استقر فى بطن أمه جنينا فلا تبيح اعتداء عليه ولا ترضى عن أمه إن رفضته أو قصّرت فى حقه ، حتى وإن كان هذا الحمل أثرا لاغتصاب وعدوان .

وحين ترفض الأم طفلها غير الشرعى ، وتلفظه لظروف الحياة القاسية وتتركه ملقى على الأرض فى مهب الريح ، وتولى مدبرة منصرفة عنه ، فانها تكون قد ارتكبت اثما كبيرا وعليها

---

(١) من الآية رقم ٣٢ من سورة المائدة .

(٢) والغرّة نصف عشر الدية عند جمهور الفقهاء أنظر ( المغنى ) لابن قدامة جـ ٩ ص ٥٤٢ وما بعدها مع الشرح الكبير ط المنار ١٣٤٨ هـ و ( بداية المجتهد ) لابن رشد جـ ٢ ص ٣٤٧ ط أولى الخانجى ١٣٢٩ هـ و ( حاشية ابن عابدين ) جـ ٥ على الدر المختار ص ٥١٦ ط بولاق الاميرية ١٢٩٩ هـ و ( أسنى المطالب شرح روض الطالب ) لزكريا الأنصارى جـ ٤ مع حاشية الرملى ط الميمنية ١٣١٣ هـ .

والدية على ما حققه مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف ـ ألف دينار ذهبا تقابل بالوزن المعاصر ٤٢٥٠ جرام ـ أربعة آلاف ومائتين وخمسين جراما من الذهب الخالص ويقوّم جرام الذهب بالسعر المحدد بالعملة السارية وقت ارتكاب الجريمة ( جلسة اللجنة الفقهية بالمجمع بتاريخ ٢٣ من شوال ١٣٩٦ هـ ـ ١٧ أكتوبر ١٩٧٦ م ) ولما كانت الغرّة باتفاق نصف عشر الدية فإنها تحتسب على أساس الذهب على هذا الوجه وقت الحادث .

(١) تراجع فتاوى الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر جـ ٩ من الفتاوى الإسلامية ص ٣٠٩٨ ، ٣٠٩٩ ، ٣٢١٦ ، ٣٢١٧ ، ٣٢٢٥ .

مسئولية ما صنعت ، وعلى المجتمع الإنسانى حينئذ رعاية هذا الطفل وأمثاله فلا يُتركـون عرضة للموت ، بل فى التقاط هؤلاء الأطفال والإبقاء على حياتهم ، حياة للمجتمع كله ، وقد سبق تلاوة قول الله تعالى :

﴿ ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا﴾ .

ذلك لأن الإسلام يوجب رعاية الأطفال ولو كانوا من غير الشرعيين بواسطة أفراد أو جماعات أو منظمات ، تحمى طفولتهم حتى يكونوا نافعين وتسترهم ولا تفضحهم ولا تشهر بهم ولا تذكرهم بنشأتهم من زنا وهم أجنة فى بطون أمهاتهم ، ولا تطلق عليهم ( أطفالا طبيعيين ) لمخالفة ذلك لواقعهم ، ولمجافاته لقول الله تعالى فى سورة الأحزاب[٢] :

﴿ ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ سورة الأحزاب

ولقد حرص فقهاء الإسلام على بيان حكم الأطفال حديثى الولادة المتروكين على أبواب المساجد أو الكنائس والبيع أو على جوانب الطرق لأى سبب من الأسباب وقرروا أحكاما بشأنهم فى كتب الفقه ومما قالوا : ( اللقيط حر وهو لمن التقطه مسلما أو غير مسلم والملتقط متبرع عليه واللقيط مسلم ان التقط فى دار إسلام ، وغير مسلم ان التقط من بيعة أو كنيسة ) . وقد جاء فى كتب فقه الأحناف[١] أن أحد المسلمين وجد طفلا منبوذا أمام داره فالتقطه وذهب به إلى الخليفة عمر ابن الخطاب فقال : هو مسلم وعلينا نفقته .

وبتطبيق أحكام الشريعة المبينة فيما سبق تحفظ لهؤلاء الأطفال ـ موضوع السؤال ـ آدميتهم وتصان حريتهم ، لأنهم ضحايا أناس معتدين آثمين وأمهات قست منهن القلوب فطرحن فلذات أكبادهن خلف ظهورهن ، ورفضن رعايتهم بالرضاع والحضانة مخالفات بذلك توجيه الإسلام فى قصة المرأة التى عرضت نفسها على رسول الله ـ ﷺ ـ ليقيم عليها حد الزنا : فقد روى عن عمران بن حصين أن امرأة من جهينة أتت رسول الله ـ ﷺ ـ وهى حبلى من الزنا فقالت يا رسول الله أصبت حدا فأقمه على فدعا نبى الله ـ ﷺ ـ وليها فقال أحسن إليها فإذا وضعت فأتنى ففعل فأمر بها رسول الله ـ ﷺ ـ فشدت عليها ثيابها ثم أمر بها فرجمت ثم صلى عليها فقال له عمر نصلى عليها يا رسول الله وقد زنت ؟ قال لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم وهل وجدت أفضل ممن جادت بنفسها لله )[٢] .

ويستفاد من أمر ولى المرأة بالإحسان إليها ؛ أن ذلك من أجل الإحسان للجنين لأنه فى ذاته لم تصدر منه جناية أو معصية ورجاء ما يؤمل من خيره ودفع ما يخشى من شره وعسى أن يكون نافعا فى الدين والدنيا وتصلح به وله الحياة .

ومما سبق يعلم الجواب على السؤال والله أعلم .

شيخ الأزهر الشريف

جاد الحق على جاد الحق

---

(٢) الآية رقم ٥ .

(١) كتاب الاختيار لتعليل المختار جـ٣ ص ٤٢ .

(٢) رواه الجماعة إلا البخارى وابن ماجه نيل الأوطار للشوكانى جـ٧ ص ١١٢ .

# بين
# فضيلة الإمام الأكبر ورئيس مجلس إدارة دار التحرير

السيد الأستاذ/ سمير رجب
رئيس مجلس إدارة دار التحرير للطبع والنشر
ورئيس تحرير مجلة (عقيدتى)
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
وبعد ...

فقد طالعت كلمة (بالحق .. أقول) المنشورة فى صدر عدد هذه المجلة برقم ٢٤ الصادر فى يوم الثلاثاء ١٩ من ذى القعدة ١٤١٣ هـ / ١١/٥/١٩٩٣ م بما دار بين سيادتك وبين السيد/ عبدالعزيز الرواس وزير الإعلام العمانى بمسقط عاصمة سلطنة عمان الشقيقة ، ولقد سرتنى هذه الآمال الكبار والمهام العظام التى استعاد ذكرها السيد الوزير العمانى عن ماضى الأزهر الشريف ، وأنه كان يتمنى ألا

❁ رد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف على السيد الأستاذ سمير رجب رئيس مجلس إدارة دار التحرير للطبع والنشر ورئيس تحرير مجلة عقيدتى بشأن ما كتبه فى جريدة عقيدتى فى ٢٦ من ذى القعدة ١٤١٣ هـ ـ الموافق ١٨ مايو ١٩٩٣م تحت عنوان بالحق أقول والذى يفيد أن الأزهر الشريف قد انشغل عن وظيفته الأساسية بفروع العلم التى قلصت مهمته الدينية .

إن للأزهر ـ فى عمره المديد ـ اسهاماته الفعالة ، ولم يتخل عن تدريس العلم ـ بمدلوله العام ـ ومؤلفات علمائه فى الطب والصيدلة والرياضيات والفلك وغيرها من مستحدثات العلوم شاهدة على ذلك لأن العلم بصنوفه المختلفة فى تقدير الأزهر (رواق) واحد وإن الطبيب الذى تؤهله ثقافته الأزهرية إلى نصح الناس فى أمور دينهم انفع ممن لا يحسن إلا الطب فقط .

بل الأزهر قد استعاد سهامه حيث يدرس سائر العلوم الإنسانية ، وشتى المعارف . وبهذا يكون لدى عالم الأزهر أدوات علمية يبلغ بها رسالة الله ، وثقافة شاملة ينفع بها المجتمع الذى يعايشه .

عمر البسطويسى على

يخرج الأزهر عن (رواقه) فانشغاله بفروع العلم قلص مهمته الدينية ، ولا أعتقد أن مصر بجامعاتها وكلياتها المتعددة والكثيرة كانت فى حاجة إلى ذلك !!

وقد بدا أن ـ سيادتك ـ معه إذا أخذنا بمبدأ : السكوت رضا ، وأيضا لهذا الذى تردد ـ منذ وقت ـ فى صحفنا بمناسبة حالات الشغب التى وقعت وقيل : أين الأزهر ..؟

أقول للناس جميعا إن الأزهر فى ميدان العلم والتعليم والدعوة قائم بواجباته المتنوعة فى مصر وخارج مصر بين شعوب الأمة الإسلامية على اختلاف ألوانها وألسنتها ومواقعها على أرض الله ، وعلماؤه يعملون فى سلطنة عمان بطلبها ، وغيبة الإعلام بقنواته ووسائله المتنوعة قد حجبت عن الناس جميعا جهده المبذول ، وكان المأمول أن يكون الجميع على علم بهذا الجهد ، وهذا الحضور الدائم لعلماء الأزهر بين أبناء الشعوب الإسلامية على اختلاف ألسنتهم .

ثم إن من يظن أن الأزهر الشريف بتنظيمه لجامعته وتقنين نوعيات دراستها لتستوعب علوم اللغة العربية وعلوم القرآن والسنة وما تفرع عليهما ، وعلوم الطب والصيدلة والهندسة والزراعة وغير هذا من العلوم الإنسانية النظرية والعملية ـ من يظن ـ أن الأزهر ـ بهذا ـ قد خرج عن (رواقه) يكون غير متابع لماضى الأزهر العلمى وإسهامته فى دراسة العلوم المتنوعة فهو فى عمره المديد ـ الذى فاق الألف من السنين ـ لم يختلف ولم يتخل عن تدريس العلم ـ بمدلوله العام ـ فى مراحل هذا العمر ومؤلفات علمائه فى الطب والصيدلة ، والفلك والرياضيات شاهدة على ذلك ، ومن يزور مكتبة الأزهر يطالع الكثير الوفير فى هذه الفنون وغيرها من مستحدثات العلوم .

فالأزهر مواكب فى دراسته للعلم مواكب للعصور التى مرت به وفى مقدمة مدارسها تحصيلا للعلم وابتكاره لصُنوفه ، أصوله وفروعه وتجاربه العلمية ، دون أن يتخلى عن (رواقه) أو يخرج منه ، لأن العلم بصنوفه فى تقدير الأزهر (رواق) واحد ، يغذى بعضه بعضا ، أليس الطب بفروعه المتنوعة يستظهر قول الله سبحانه : (وفى أنفسكم أفلا تبصرون) وكذلك العلوم الأخرى من فلك ورياضيات وكيمياء وفيزياء وكل ما اصطلح أهل العلم على تصنيفه وتدريسه فى المدارس والجامعات ، ومع هذا الواقع الذى كان فى ماضى الأزهر ، جاء تنظيمة الآن وتقنينه فى الأقسام العلمية فى المعاهد الأزهرية وفى الكليات العلمية بجامعة الأزهر امتدادا لهذا الماضى الذى يفاخر به والذى له آثاره التى قد تغيب عن بعض الناس لغيبة دور الإعلام الثقافى .

ثم إن الأزهر الشريف حين جمع فى (رواقه) بين مهمته فى علوم الإسلام واللغة العربية والعلوم المعاصرة على جدتها وحداثتها وتطورها المستمر ، قد استعاد كامل مهامه ، حيث يدرس سائر العلوم لطلابه من البنين والبنات لينشأ جيل ، بل أجيال لا تنفصم عن ملاحقة العلوم الإنسانية وشتى المعارف فى هذا الكون ، وبهذا يكون لدى عالم الأزهر أدوات علمية يبلغ بها رسالة الله وثقافة شاملة ينفع بها مجتمعه الذى يعايشه .

فهذا الطبيب الذى تؤهله ثقافته الأزهرية إلى نصح الناس فى أمور دينهم أنفع ممن لايحسن سوى أمور الطب .

ولعلى لا أعيد ماسبق أن نشر ويعرفه المتتبعون للأزهر الشريف المعاصر ولعلمائه فى كل مكان ، وفى مصر بالذات آلاف العلماء فى المساجد والمدارس والجامعات والمصانع ، والقوات المسلحة ، والسجون ودور الرعاية الاجتماعية وغير هذا من جهوده ، المبذولة فى الداخل والخارج .

ومن المهم أن يعرف أن الأزهر الشريف صاحب الكلمة الطيبة التى ضرب الله مثلها :

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾

من سورة إبراهيم

وهو القائم على أمر الدعوة بمنهاج الله فى القرآن :

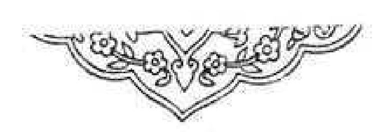
﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ النحل (١٢٥) .

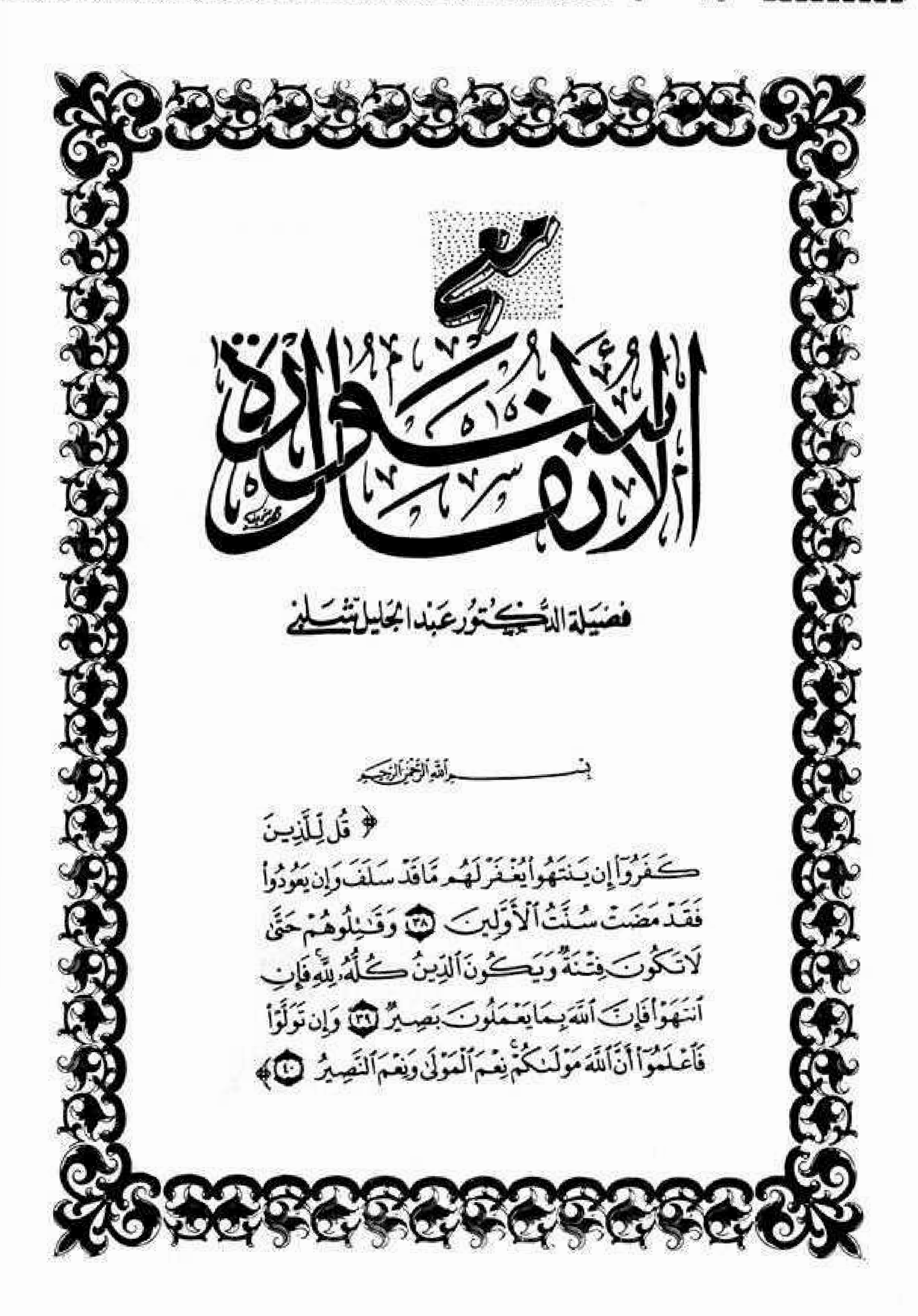
وحين تبرز الجرائم وتشرع الأسنة ويدوى الرصاص ، لايكون للكلمة أثرها ومن المأثورات (إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن) .

(بالحق .. أقول) إن الأزهر الشريف يعمل الآن بين أنواء الحياة وأعاصيرها التى دونها الإمكانات المتاحة له ، وأنه يبنى ، وجهات أخرى ـ أتيحت لها كل الإمكانات تهدم وبعنف وإصرار ـ وكل فى واد ، حتى ارتفع صوت الباطل ، وتاه صوت الحق فى هذا الضجيج المتعالى .

إن الأمر جد وفى حاجة إلى فحص العلل وأسبابها وصولا إلى تحديد الداء ووصف الدواء ، الذى يتمثل فى التنسيق التام بين جهات عديدة ، واقعها أنها تتصارع ولا تتعاون ، بل جهة تبنى أوتنصح ، وجهات أخرى عديدة تهدم وتتحدث عن قضايا فرعية تشغل بها المجتمع وتشعل بها نار الفتن لاسيما وأقوالهم منشورة وربما مأثورة ومقدمة على غيرها والله قد قال :

﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾ ﴾
سورة المائدة




مع الأنفال
فضيلة الدكتور عبد الجليل شلبي
بسم الله الرحمن الرحيم
﴿ قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وإن يعودوا فقد مضت سنت الأولين (٣٨) وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير (٣٩) وإن تولوا فاعلموا أن الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير (٤٠) ﴾

بينت الآيات السابقة حال الكفار المصرين على الكفر وحرب المسلمين ، وما نالهم من الهوان يوم بدر ، وهذه الآية ان باب التوبة مفتوح لمن يريدون الرجوع إلى الله ، فإذا هم انتهوا عما هم عليه من عناد الرسول ـ ﷺ ـ وحرب المسلمين عفت هذه الرجعة على كل ماقدموا من سيئات ، لأن الإسلام يجب ماقبله ، وقد جاء في حديث عمرو بن العاص : «فلما جعل الله الإسلام في قلبي ، أتيت النبي ـ ﷺ ـ فقلت : ابسط يدك أبايعك ، فبسط يمينه فقبضت يدى ، قال : مابك ؟ قلت أردت أن اشترط ، قال : تشترط بماذا ؟ قلت : أن يغفر لى ، قال : أما علمت ياعمرو أن الإسلام يهدم ما كان قبله ، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها ، وأن الحج يهدم ما كان قبله ؟» .

وغفران ما قد سلف يشمل الغفران في الدنيا وفي الآخرة ، يغفر الرسول ـ ﷺ ـ والمؤمنون للتائبين الراجعين إلى الإسلام بعد كفرهم ، فلا يطالبون بدم سفكوه ولا بدية لقتيل ، ولا بسلب أوغنم اكتسبوه في حرب المسلمين .. ويغفر الله لهم في الآخرة ، فلا يعاقبهم على شيء منه .

وفرق بعض الفقهاء بين الحربي الذى يدخل الإسلام وبين الذمي ، فقالوا إلى الحربي إذا أسلم لاتبقى عليه تبعة قط ، لامادية ولاغير مادية ، فلا يلزم برد ما سلب ولايكلف بإعادة صلاة فائتة ولا قضاء صيام أوزكاة ، وأما الذمي فتسقط عنه حقوق الله فقط ، وتبقى عليه حقوق الآدميين ، .

وهذه الأحكام تجرى على المرتد عن الإسلام ثم يعود إليه ، فعودته إليه إسلام جديد وانتهاء عن الردة وهي كفر ، وقال الإمام أبو حنيفة : إن المرتد إذا أسلم لايلزمه قضاء العبادات المتروكة في حال الردة ، واعتبر «وإن يعودوا» تعبيرا عن الردة .

والآية على كل حال لاتعنى أن يلقنهم النبي ـ ﷺ ـ هذه العبارات ولكنها تعنى ان يعلن إليهم هذا الحكم ، وهو يندرج على أبي سفيان وصحبه ومن يأتون من بعدهم ، وقرأ ابن مسعود «إن تنتهوا بالخطاب ويغفر لكم» بالخطاب أيضاً ، وعلى هذه القراءة يكون الأمر يخاطبهم بهذه الجملة ، ومثله : «وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا إليه» إذ لم يقل ماسبقتمونا إليه ـ فوجه الخطاب إلى غيرهم ليسمعوهم .

والفعل «يغفر» مبنى للمجهول ، أى تغفر لهم ذنوبهم تلقائيا ، وقرىء يغفر لهم بالبناء للفاعل ، أى يغفر الله لهم .

وجواب في «وإن يعودوا» محذوف مفهوم من الجملة المذكورة «فقد مضت» والتقدير ، وإن يرجعوا إلى الكفر فسيلقون عاقبة عملهم كما لقيه السابقون منهم يوم بدر ومن الأمم السابقة التى تمردت على أنبيائها .

ومصداق هذه الأشياء كلها حدثت في حياة الرسول ـ ﷺ ـ فهو في حجة الوداع أعلن أن دماء الجاهلية موضوعة لاقصاص عليها ولادية ، وربا الجاهلية موضوع أيضا ، وبدأ بوضع دم ابن عمه وربا عمه .

وهناك أشخاص دخلوا الإسلام واستشهدوا ولم يصلوا ركعة واحدة ولكنهم استحقوا الجنة والتمتع بنعيمها ، من هؤلاء الأصيرم الأشهلى من بنى عبد الأشهل ، وكان من أعداء الإسلام الصادين عنه المثبطين قومهم عن اتباعه ، وقد جاء يوم أحد إلى المدينة فوجد قومه قد خرجوا مع النبي ـ ﷺ ـ للقتال ، ووقع في قلبه الإسلام

فأسلم ثم أخذ عدة حربه وذهب إلى المعركة ، فقاتل حتى اثبتته الجراح ، وجاء قومه يلتمسون قتلاهم فوجدوه بآخر رمق ، فسألوه عن السبب فى خوض الحرب ، فقال : آمنت بالله ورسوله ، ولما ذكروه لرسول الله ـ ﷺ ـ قال : «إنه لمن أهل الجنة» .

ومن هؤلاء الاسود الراعى ، وهو حبشى كان يسمى «أسلم» وكان أجيرا لبعض يهود خيبر يرعى الغنم ، وجاء الى رسول الله فقال : اعرض على الإسلام فعرضه عليه فأسلم ، وساق الأغنام التى كانت بيده نحو الحصن ، فاندفعت إليه ثم حارب مع المسلمين فأصابه سهم من شخص مجهول فمات ، وقال النبى : «إن معه زوجتيه من الحور تنفضان التراب عن وجهه» .

وسنة الأولين من قبـــل هؤلاء المشركين المكيين ، أن الله سبحانه عاجلهم بالعقوبة حين كذبوا أنبياءه ، وقال جل جلاله :

﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾

سورة العنكبوت/٤٠

وعذاب الآخرة هو الأشق والأبقى ، ولكن سنة الله أن يعاجل بعض العصاة خصوصا مكذبى الأنبياء بالعقوبة ، ليكون ذلك ردعا للآخرين وتسلية وتشجيعا للأنبياء ، اللاحقين ، ونجد مثلا هودا عليه السلام يذكر قومه بما حدث لقوم نوح ، فيقول : واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح .

وصالح يذكر قومه بما حدث لقوم عاد «واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد» ، ويتكرر فى القرآن مثل «أولم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم» ، «قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل» .

وتقدير الكلام فى آيتنا : «وان يعودوا إلى الكفر والعناد فسينالهم ما نال المكذبين من قبلهم ، وقد جرت سنة الله وطريقته بهذا ، وكان ينبغى أن يكفيهم ما أصابهم يوم بدر» .

«وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة» أى إلى ألا تكون فتنة ، أوكيلا تكون فتنة ، و«تكون» على كلا التقدير تامة بمعنى تحدث فتنة ، والأمر بالقتال فوق الأمر بالحرب .

والفتنة تصدق على الشرك الذى كانوا فيه وهو رد عن طريق الحق ، كما تصدق على ما كان يفعله المشركون بالمسلمين أوبمن يميلون إلى الإسلام ، وقد عذب كثير من هؤلاء الضعفاء وأوذوا حتى بعد الهجرة ، وقد أوذى المسلمون الأولون ، وكان رسول الله ـ ﷺ ـ يمر بآل ياسر بن عمار وهم يعذبون فيقول لهم : صبرا آل ياسر فإن موعدكم الجنة ، ـ فالمسلمون مأمورون بالقتال ـ قتال المشركين كى ينقطع هذا التعذيب .

والشرك فتنة أكبر من كل فتنة ، فتنة للعقل وفتنة للقلب ، لأنه لفت عن عبادة الحق الخالق ، فالمعنى إذن قاتلوا حتى لايبقى شرك ولا كفر .

«ويكون الدين كله لله» لايستطيع أحد أن يفتن أحدا ويرده عن دينه ، هذا إذا كان دينا كديانة أهل الكتاب ، أما الشرك من عبادة الأوثان فليس إلا سفها للعقل وإهدار للكرامة الإنسانية ، والمسلمون لايكرهون كتابيا على ترك دينه

ودخول الإسلام ، وكان جماعة من أولاد الأنصار تنصروا وتهودوا منذ صغرهم ، وأراد أهلوهم أن يكرهوهم على الإسلام فنزل قول الله تعالى : لا إكراه فى الدين ، وأمر النبى - ﷺ - أن يخيروا - فمعنى كون الدين لله أن يكون خالصا له لا شرك معه .

فإن انتهو .. إى إذا انتهى المشركون عن الكفر وعن قتال المسلمين فلهم جزاؤهم من الله . فإنه سبحانه بصير عليم بأعمالهم وبنياتهم ، ويجازيهم عليها جزاء خيرا مما يطمحون إليه من أموال الدنيا وماديانها .

والتعبير بهذا أقوى من نحو فلهم ثوابهم فيثيبهم ، لأنه يحمل الدليل على المثوبة .

وقرىء « بما تعملون » بتاء الخطاب ، وهو إما خطاب للمشركين تنبيها على أن أجرهم ثابت غير ضائع ، وإما خطاب للنبى - ﷺ - وصحبه ، أى أن الله سيثيبكم بما بذلتم من جهد فى هدايتهم وإرشادهم إلى الحق .

وفى سورة البقرة :

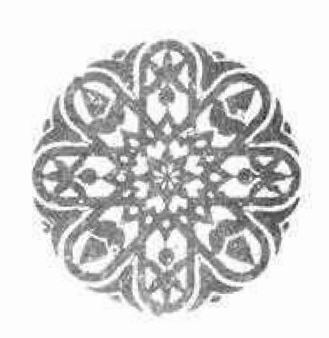
﴿ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ (١٩٣) ﴾ ، بمعنى سالموهم إذا فاءوا للحق ، لأنهم حينئذ غير ظلمة .

« وان تولوا فاعلموا أن الله مولاكم » أى إذا أعرضوا عن سماع دعوتكم وأصروا على كفرهم ، فلا تيأسوا ولاتحزنوا ، وكونوا على ذكر أن الله معكم ، وهو ناصر دينه ، فلا يحزنكم أعراضهم ولاتحزنوا ، كما قال تعالى :

﴿ لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٣) ﴾ سورة الشعراء

﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا (٦) ﴾ سورة الكهف

فالآية إذن تقوية وشد لعزائم المسلمين ، وتذكير بأن الله - سبحانه - متولى أمرهم ، وهو لا يضيع من تولاه ، بل ينصره على أعدائه ، إنه « نعم المولى ، ونعم النصير » فلا مولى مثله ولا نصير يشابهه .



# الرحمن على العرش استوى[1]

## وآراء العلماء في المتشابه

لفضيلة الشيخ ابراهيم الدسوقي

من صفات الله تعالى التى يجب الإيمان بها مخالفته تعالى للحوادث :

وفى هذا يقول الحق تبارك وتعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[2]

وجاء فى جوهرة التوحيد :

وكل نص أوهم التشبيها ... أوله أو فوض ورم تنزيها

وقال الشاعر :

كل ما ترتقى إليه بوهم ... من جلال ورفعة وسناء

فالذى أبدع البرية أعلا ... منه سبحانه مبدع الأشياء

وبين يدى ذلك وما يقرره من مبدأ نفى المماثلة بينه سبحانه وبين كل شىء . وبين بعض الآيات والأحاديث التى جاء فيها ما يحصل به الشبه من الأعضاء والجهة مثل قوله تعالى : ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾[3] ، وقوله : ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾[4] ، وقوله : ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾[5] ، وقوله : ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾[6] ، وقوله : ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ﴾[7] ، وقوله : ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾[8] ، وقوله : ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾[9] .

وفى الحديث الشريف : ﴿إن قلوب بنى آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث شاء﴾[10] . كما جاء فى الحديث أيضاً : ﴿إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيىء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيىء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها﴾[11]. رواهما مسلم .

---

(*) الكاتب : وزير الأوقاف المصرية الأسبق وعضو مجمع البحوث الإسلامية .

(١) الآية ٥ من سورة طه .

(٢) الآية ١١ الشورى .

(٣) من الآية ٢٧ الرحمن .

(٤) من الآية ٨٨ القصص .

(٥) من الآية ٣٩ من سورة طه .

(٦) من الآية ٤٨ الطور .

(٧) من الآية ٤٧ الذاريات .

(٨) من الآية ٦٤ المائدة .

(٩) من الآية ٦٧ الزمر .

(١٠) رواه ابن عمر رضى الله عنهما ـ جامع الأحاديث جـ ٢ ص ٤٣٥ .

(١١) عن أبى موسى رضى الله عنه جامع الأحاديث جـ ٢ ص ٣٤٠ .

وفى التنزيل : ﴿ الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴾ ، ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾[١٢] ،

﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ﴾[١٣] .

وقد أجمع العلماء – السلف منهم والخلف – على تنزيهه تعالى عن الظاهر المفضى إلى التشبيه كما أجمعوا على الإيمان بما ثبت من ذلك وأنه من عند الله ، واختلفوا فى تعيين محمل له معنى صحيح وعدم تعيينه ، فذهب السلف إلى التفويض فى المعنى الذى أراده الله تعالى بعد الإيمان به والتنزيه عن الظاهر المستحيل ، قال ابن حجر فى فتح البارى – وهو قول مالك والثورى وابن عيينة والأوزاعى وأبى حنيفة والشافعى وابن حنبل . وهو قول أهل القرون الثلاثة ، وقال محمد بن الحسن : اتفق الفقهاء من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالقرآن والأحاديث الثابتة عن النبى ﷺ فى صفة الرب من غير تشبيه ولا تفسير ، وقال إمام الحرمين فى النظامية : اختلفت مسالك العلماء فى هذه الظواهر فرأى بعضهم تأويلها وذهب السلف إلى عدم التأويل والتفويض إلى الله تعالى . وقال : والذى نرتضيه رأياً وندين الله به عقيدة اتباع السلف للدليل القاطع على أن إجماع الأمة حجة فلو كان تأويل هذه الظواهر حتماً لكان اهتمامهم به فوق اهتمامهم بفروع الشريعة ، وإذا انصرم عصر الصحابة والتابعين على الإضراب عن التأويل كان هو الوجه وإلى التفويض ذهب الصوفية أيضاً .

وذهب الخلف إلى التأويل وعليه الجمهور من المتكلمين وهو الواجب فى حق العوام لئلا تسبق عقولهم إلى المحال . قال الشعرانى : إذا خفنا على إنسان وقوعه فى محظور تعين التأويل . كما فتح لنا الحق تعالى باب التأويل بقوله فى حديث مسلم وغيره : «مرضت فلم تعدنى» فإن العبد لما توقف فى ذلك «قال يارب كيف أعودك وأنت رب العالمين . قال أما علمت أن عبدى فلاناً مرض فلم تعده أما علمت أنك لو عدته لوجدتنى عنده»[١٤] الحديث .

ثم ما كان له محمل واحد كهذا الحديث فإن السلف القائلين بالتفويض ليس أمامهم إلا العمل به قالوا وذلك قليل .

وقال الفخر فى تفسيره «لابد من التأويل ، قال : إزالة اللبس ، وفيه نظر» . فإن التأويل بمعنى صرف اللفظ عن المعنى الموهم متفق عليه بين السلف والخلف وإنما الخلاف بينهم فى التأويل بمعنى تعيين المراد . فالسلف فوضوا وأحالوا على علم الله تعالى ، والخلف عينوه فقوله تعالى : ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾. فيه تأويلان :

الأول : أنه ليس بالمكان والحيز والجهة وهذا مجمع عليه .

---

(١٢) من الآية ٤ الحديد .

(١٣) الآيتان ١٦ ، ١٧ من سورة الملك .

(١٤) عن أبى هريرة رضى الله عنه – الترغيب والترهيب جـ٤ ص٣١٧ .

والثانى : أن معناها بالعلم دون الذات . وهذا محل الخلاف . قال ابن المبارك : «إن تأويل المعية بمعنى العلم دون الذات قول مشهور ، بل حكى بعضهم الإجماع عليه وهو ما ذهب إليه ابن عطية فى تفسيره حيث قال : ﴿**وهو معكم**﴾ معنا بقدرته وعلمه واحاطته ، والمقصود بالإجماع المذكور الإشارة إلى أن هذا الرأى من أقوال أهل السنة وأما الاستواء على العرش فى قوله تعالى : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ فقد وردت كلمة الاستواء على العرش فى ست آيات من القرآن الكريم . قوله تعالى :
إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف : ٥٤] .

وقوله تعالى :
إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [يونس : ٣] .

ومنه قوله تعالى : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه : ٥] وقوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾ [الفرقان : ٥٩] ، وقوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ [الرعد : ٢] ، وقوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [السجدة : ٤] ، وقوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ . [الحديد : ٤] .

وفى معنى الاستواء يقول ابن جرير الطبرى فى قوله تعالى فى سورة البقرة ﴿**ثم استوى إلى السماء**﴾ وأحال عليه بعد ذلك تفسير الإستواء على العرش . الإستواء فى كلام العرب منصرف على وجوه ، منها انتهاء شباب الرجل وقوته ومنها استقامة ما كان فيه من أَوَدٍ من الأمور والأسباب فيقال استوى لفلان أمره إذا استقام له بعد أَوَدٍ ، والأَوَدُ الإعوجاج ، ومنها الإقبال على الشىء بالفعل ، ومنها استوى فلان على فلان بما يكرهه بعد الإحسان إليه ، ومنها الاحتياز ، والاستيلاء كقولهم : استوى فلان على المملكة بمعنى احتوى عليها وحازها ومنها العلو والارتفاع كقول القائل : استوى فلان على سريره يعنى علوه عليه وأولى المعانى بقول الله عز وجل : ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ ﴾[١٥] يعنى علا عليهن وارتفع ، كما فسر العلو فى قوله تعالى فى آية الكرسى : ﴿**وهو العلى العظيم**﴾ فإنه يعنى والله العلى من قولك علا يعلو علوًّا إذا ارتفع فهو عال وعلى ، والعلى ذو العلو والارتفاع على خلقه بقدرته وكذلك قوله العظيم : أى ذو العظمة الذى كل شىء دونه فلا شىء أعظم منه .

أ.هـ (النشر الطيب على شرح الشيخ الطيب جـ١ ص٤٣٨ ـ ٤٤٨ بتصرف) .

وقال فى تأويل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴾[١٦] . أى ذو علو على كل شىء فلا

---

(١٥) من الآية : ٢٩ سورة البقرة .

(١٦) من الآية ٣٤ النساء .

تبغوا أيها الناس على أزواجكم إذا أطعنكم فيما ألزمهن الله لكم من حق سبيلًا لعلو أيديكم على أيديهن فإن الله أعلى منكم ومن كل شيء وأعلى منكم عليهن وأكبر منكم ومن كل شيء وأنتم في قبضته فاتقوا الله أن تظلموهن وتبغوا عليهن سبيلًا وهن لكم مطيعات فينتصر لهن منكم ربكم الذى هو أعلى منكم ومن كل شيء وأكبر منكم ومن كل شيء . «فرقان القرآن بين صفات الخالق وصفات الأقوام» .

والعرب تقول وهم الذين نزل القرآن بلغتهم إن العرش سرير الملك الذى يجلس عليه للحكم ، والإستواء عليه هو العلو عليه ثم كنوا به عن علو الملك والسلطان حتى صار يستعمل فى هذا المعنى بحيث يكون هو المقصود بالإثبات . فإذا قيل لم يستو فلان على العرش كان هذا المعنى هو المقصود بالنص ومن تتبع القرآن الكريم هداه إلى ذلك فقد أقام القرآن القرينة اللفظية فى كل موضع ذكر فيه الإستواء على أنه لم يرد ظاهره هذا ، والعلو المعنوى منتشر فى القرآن مستفيض فى لغة العرب فى وصف الخالق والمخلوق على ما يليق بكل .

يقول تعالى : ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ ﴾(١٧) ويقول : ﴿أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾(١٨). ويقول : ﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ﴾(١٩) . والظهور هنا هو العلو ولما ذاق المشركون حلاوة النصر المؤقت فى أحد قال قائلهم (أعل هبل) فأجابهم المسلمون عن قول رسول الله ﷺ :«الله أعلى وأجل» .

وفى شعر العرب :

ولما علونا واستوينا عليهم
تركناهم مرعى لنسر وكاسر

كل ذلك وما جاء فى القرآن وفى كلام العرب يفيد أن العلو منه حسى ومعنوى وللإشارة إلى أن علو المكان من علو السلطان فليس العلو المكانى إلا علو جسمانى أما العلو المعنوى فهو العلو الذاتى الأصلى . نفس المرجع ص ٩٩ ــ ١٠٢ .

وجاء فى كتاب الأسماء والصفات للبيهقى ص ٤٠٧ قال :

فأما الإستواء فالمتقدمون من أصحابنا رضى الله عنهم كانوا لا يفسرونه ولا يتكلمون فيه أى فى الإستواء لنحو مذهبهم ، أى تفويضاً وتهيباً وأما من فسر الإستواء بالعلو الحسى والإستقرار والقعود والجلوس فهو قد جسم معبوده فى المعنى وإن لم ينطق بلفظ الجسم تعالى الله عن ذلك وقال ابن حزم : ذهبت طائفة إلى القول بأن الله جسم وحجتهم أنه لا يقوم فى المعقول إلا جسم أو عرض «فلما بطل أن يكون هذا عرضا ثبت أنه جسم . وقالوا : إن الفعل لا يصح إلا من جسم والبارى تعالى فاعل فوجب أنه جسم . أما قولهم : إنه لا يقوم فى المعقول إلا جسم أو عرض فإنها قسمة ناقصة ، والصواب أنه لا يوجد فى العالم إلا جسم أو عرض وكلاهما يقتضى وجود محدث له . فلو كان محدثهما جسماً أو عرضاً لكان يقتضى فَاعِلًا فَعَلَهُ ولابد فوجب بالضرورة أن يكون فاعل الجسم والعرض ليس جسماً ولا عرضاً .

---

(١٧) من الآية ١٣٩ آل عمران .

(١٨) الآية ٣١ النمل .

(١٩) من الآية ٢٠ الكهف .

يقول الأوزاعى : كنا والتابعون متوافرون نقول : إن الله تعالى ذكره فوق عرشه ونؤمن بما وردت السنة به من صفاته جل وعلا ، وقال عبدالله بن وهب كنا عند مالك بن أنس فدخل رجل فقال : يا أبا عبدالله ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ . كيف استواؤه ؟ فأطرق مالك وأخذته الرحضاء[٢٠] ثم رفع رأسه فقال : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ كما وصف نفسه ولا يقال كيف وكيف عنه مرفوع وأنت رجل سوء صاحب بدعة أخرجوه وفى رواية أنه قال : الإستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وما أراك إلا مبتدعاً فأمر به أن يخرج .

والآثار عن السلف فى مثل هذا كثيرة ، وعلى هذه الطريقة يدل مذهب الشافعى وإليها ذهب أحمد بن حنبل والحسين بن الفضل البجلى ومن المتأخرين أبو سليمان الخطابى هذا رأى السلف .

وذهب أبو الحسن على بن إسماعيل الأشعرى إلى أن الله جل ثناؤه فعل فى العرش فعلاً سماه استواء كما فعل فى غيره فعلاً سماه رزقاً ونعمة أو غيرهما من أفعاله ثم لم يكيف الاستواء إلا أنه جعله من صفات الفعل لقوله : ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ . وثم للتراخى والتراخى إنما يكون فى الأفعال وأفعال الله تعالى توجد بلا مباشرة منه إياها ولا حركة .

كما ذهب كثير من المتأخرين إلى أن الاستواء هو القهر والغلبة وفائدته الإخبار عن قهره مملوكاته . وإنما خص العرش بالذكر لأنه أعظم المخلوقات فنبه بالأعلى على الأدنى ، والاستواء بمعنى القهر والغلبة شائع فى اللغة كما يقال : استوى فلان على الناحية بمعنى غلب أهلها قال الشاعر :

قد استوى بشر على العراق
من غير سيف ودم مهراق

أى غلب أهله من غير محاربة وليس ذلك فى الآية بمعنى الاستيلاء لأن الاستيلاء غلبة مع توقع ضعيف . ومما يؤيد ذلك قوله تعالى : « ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ » . والاستواء إلى السماء هو القصد إلى خلق السماء فلما جاز أن يكون القصد إلى السماء استواء جاز أن تكون القدرة على العرش استواء ، ومن حمله على معنى الاستيلاء حمله عليه بتجريده من معنى المغالبة ، الأسماء والصفات للبيهقى ص ٤١ .

ولقد كان قول الله تعالى[٢١] :

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾

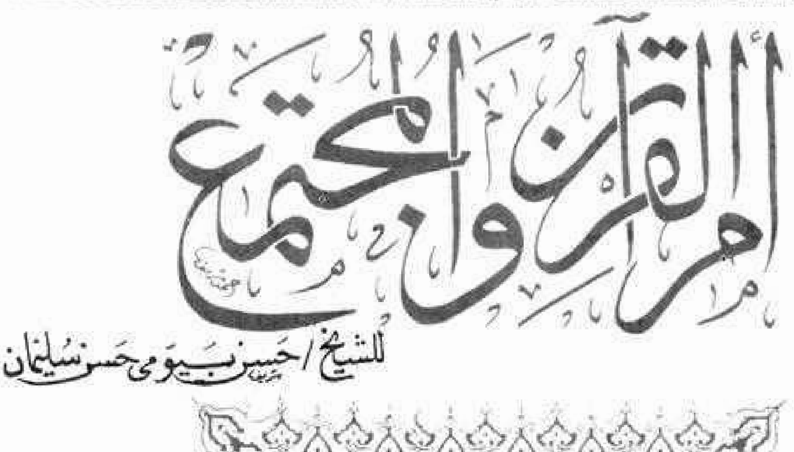
مثار الاختلاف بين المفسرين فى معنى قوله الله ـ عز وجل ـ : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾

**وفى المقالة القادمة بمشيئة الله ـ تعالى ـ نعرض لبعض أقوال المفسرين فى هذا الصدد .**

« يتبع »

(٢٠) الرُّحضاء : العرق الكثير .

(٢١) الآية ٧ آل عمران .




للشيخ / حسين بسيوني حسن سليمان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾

• روى البخارى فى أول كتاب التفسير فى الصحيح . عن أبى سعيد . رافع ابن المُعَلَّى — رضى الله عنه — قال : قال لى رسول الله ﷺ — لأعلمنك سورة هى أعظم السور فى القرآن قبل أن تخرج من المسجد ثم أخذ بيدى ، فلما أراد أن يخرج قلت : ألم تقل لأعلمنك سورة هى أعظم سورة فى القرآن ؟ قال : « الحمد لله رب العالمين . هى السبع المثانى والقران العظيم الذى أوتيته » .

روى مسلم فى صحيحه عن ابن عباس — رضى الله عنهما — قال :

• بينما جبريل ( عليه السلام ) قاعد عند النبى ﷺ إذ سمع نقيضا-صوتا — من فوقه فرفع رأسه فقال :

هذا باب من السماء فتح اليوم — ولم يفتح قط — فى زمن مضى — إلا اليوم ، فنزل منه ملك فقال :

هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل إلا اليوم ، فسلم وقال :

« أبشر بنورين أوتيتهما ، ولم يؤتهما نبى قبلك : فاتحة الكتاب ، وخواتيم سورة البقرة ، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته .

مقدمـــــة :

خلق الله الثقلين لغاية محدودة ، وهيأهم للقيام بها على بصيرة ربانية وقوة ذاتية باختصار ودون تقييد واجبار منه على أن يعرف كل نهاية سعيه وثمرة جهده « وان ليس للانسان إلا ما سعى وان سعيـــه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى » النجم/٣٩ ــ ٤١ وتعهد لمن استقام على الطريق السوى وسلك سبل الاستقامة بالهداية والتوفيق والقبول ما دام العهد باقيا ، وعلى الطاعة مستمرا .

ومن تنكب الطريق ، وعصى الرحمن ، وأطاع الشيطان ، وأسرته الشهوات ، وتملكت غرائزه النفس الأمارة بالسوء تركه لمن باع نفسه اليهم وتخلى عن هدايته حتى يتوب ويعود اليه طالبا منه ــ جلت قدرته أن يشمله برعايته وان يتجاوز عن خطاياه ، فهو الغفار ، التواب الرحمن ، الرحيم .

الصـــــلاة :

كانت الصلاة وهى الركن الثانى من أركان الاسلام هى التنفيذ العملى للمسلم بعد أن يدخل إلى حظيرة الإسلام ، ونور الايمان وكانت الصلاة قبل أن تبلغ الى الرسول الكريم ــ ﷺ ــ مباشرة ليلة المعراج ــ ركعتان بالغداة وركعتان بالعشى ــ وقد أنزل الله أعظم سورة فى القرآن وفسرها سيد الأنام فى حديث سعيد بن رافع بأنها « هى السبع المثانى والقرآن العظيم الذى أوتيته » البخارى .

ورد فى السبع المثانى روايات كثيرة منها :

١ ــ تثنى فى الصلاة فى كل ركعة ، كما جاء عن ابن عمر بسند صحيح قال :

٢ ــ فاتحة الكتاب أى « السبع المثانى » .

٣ ــ تثنى بسورة أخرى فى كل ركعة .

٤ ــ نزلت بمكة ، ونزلت بالمدينة ، ومثلها قوله تعالى :

« وأقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل »

ومثلها فى ذلك :ــ

« خواتيم سورة النحل ، وأول سورة الروم ، وآية الروح .

« اشتمالها على ثناء ودعاء ........ الخ .

قال الحسن البصرى :

« إن الله أودع علوم الكتب السابقة فى القرآن ، ثم أودع علومه فى الفاتحة ، فمن علم تفسيرها كان كمن علم تفسيره » .

وورد عن على ــ رضى الله عنه ــ « لو شئت أن أوقر على الفاتحة سبعين وقرا ، لأمكننى ذلك » وهو صحيح لحملها سائر ما يتعلق بالموجودات دنيا وأخرى ، وأحكاما ، وعقائد وتفسير ذلك يستغرق العمر كله وزيادة * . أ. هـ دليل الفالحين فى معنى « المثانى » ٣/٥٠٤ الحلبى ٧٧ .

ان الصلاة هى معراج الصالحين وربط صلة العابد بربه ــ عز وجل ــ وقد جعل لهذه الصلة أوقاتا مفروضة فرضا عينيا ، حتى تكون الصلة به موثقة بالزمان ، وترك له حرية الاتصال فيما بعد ، وعصم المؤمن فى كيفية الاتصال به بما شرع له من صنيع الحمد والثناء والطلب والرجاء على الهداية الربانية والعناية الآلهية .

ولأن الناس فى الحياه مختلفون فى طباعهم ومشاربهم وأهوائهم حدد الخالق البارىء جل جلاله طوائفهم الأساسية ، والتى منها يتفرعون وإليها ينتمون كانت نهاية المطاف توجيه عهده

الذى أحبه وهداه وكتب على نفسه ــ تفضلا وتكرما ــ رحمته له أن يطلب اليه ، هدايته الى طريق عباد له هدوا الى الحق والى طريق مستقيم وأن يجنبه طريق قوم لُعنوا من الله وحلت بهم النقمة ، وآخرون ضلوا سواء السبيل . فهم ثلاثة فى جملتهم كما هو واضح فى أم القرآن والتى تليها

## غاية الغـــايات

إن فاتحة الكتاب قد اشتملت على معانى القرآن الكريم لقوله ــ ﷺ ــ « الحمد لله رب العالمين . هى السبع المثانى والقرآن العظيم الذى أوتيتُه » البخارى ــ كتاب التفسير ــ .

ولقول الحسن البصرى :

« إن الله أودع علوم الكتب السابقة فى القرآن ثم أودع علومه فى الفاتحة ، فمن علم تفسيرها ، كان كمن علم تفسيره » .

فهى مبتدأه بكلمات الثناء بما أحب الله تعالى ورضى أن يثنى عليه بها ، ثناء بأسمائه الحسنى وصفاته العليا .

وفى سنن ابن ماجه عن ابن عمر أن رسول الله ــ ﷺ ــ حدثهم أن عبدا من عباد الله قال :

« يارب لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك وعظيم سلطانك » فعضلت بالملكين فلم يدريا كيف يكتبانها فصعدا الى الله فقالا :

يا ربنا إن عبدا قال مقالة لا ندرى كيف نكتبها قال الله ــ تعالى وهو أعلم بما قال عبده ماذا قال عبدى ؟

قالا : يارب إنه قال : لك الحمد يارب كما ينبغى لجلال وجهك وعظيم سلطانك فقال الله لهما : اكتباها كما قال عبدى حتى يلقانى ، فأجزيه بها أ. هـ ابن كثير تفسير فاتحة الكتاب

إن فضائل فاتحة الكتاب أم القرآن الجامعة لكتاب الله تعالى ، المشتملة على الثناء الجميل والدعاء المعصوم لرب الوجود بالاقرار له بالعبودية التامة والألوهية المتناهية أن يصحح للعباد المخلصين طريق الحياة الدنيا ليسلموا فى الحياة الباقية وهذا نهاية المطلوب وغاية الغايات من الثناء والدعاء والإخبات ، وما قصدت فى هذا التصنيف أن يكون المقصود هو بيان الله تعالى لفئات المجتمع الانسانى فى الحياة الدنيا توضيحا علميا من خلال توجيهات الحق جل جلاله وهو ما ختم الله به هذه السورة فى أجمل بيان وأوضح غاية كما قال تعالى موجها عباده أن يتجهوا اليه به عباده خالصة له » .

« اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم ، غير المغضوب عليهم ، ولا الضالين » لقد ورد فى الحديث القدسى :ــ

« يا عبادى كلكم ضال إلا من هديته ، فاستهدونى أهـــدكم » ريـــاض الصالحين باب المجاهده » على معنى هذا الحديث يكون المطلوب من العباد ان يطلبوا الهداية وأن يضرعوا اليه كى يجنبهم الغواية فالناس على فئات ثلاث :ــ

( أ ) مهتدون : وهم أهل الاستقامة والطاعة لله ولرسله ، امتثالا للأوامــر ، وتــركا للنواهى .

(ب) مغضوب عليهم : قد فسدت إرادتهم فعلموا الحق وعدلوا عنه ولا صراط لهم عليه يسيرون .

(جـ) ضالون : قد فقدوا العلم وفسدوا العمل ، فهم ضالون لا يهتدون الى الحق » وأكد الكلام بلا ليدل على أن ثم مسلكين

قاصدين ، وهما طريقة اليهود والنصارى .
ا. هـ « تفسير ابن كثير » بتصرف

## بيـــان
## أقسام المجتمع الانسانى
## خاتمة لســورة الفاتحة

**اقال تعالى :**

« اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم ، غير المغضوب عليهم ، ولا الضالين » .

( ا ) المنعم عليهم بالهداية السالكون طريق الاستقامة .

(ب) المغضوب عليهم ، المطرودون من رحمته المستحقون لنقمته .

(جـ) الضالون : السالكون لطريق الغواية ظانين أنهم على الهداية .

**الفريق الأول :**

أهل الهداية والرضا والقبول فلا نعمة أجل من الهداية ، ولا فضل أعظم من توفيق الله عباده إلى طريق الايمان قال تعالى : وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾
الحجرات/٧ ، ٨

لقد أوضح الله أهل الصراط المستقيم بأنهم المنعم عليهم بأجل النعم أعظمها ، فهم أهل طاعة الله ورسوله ففى سورة النساء قال تعالى :

وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ » النساء/٦٩ ، ٧٠ .

« قال العلماء هم أهل الاسلام الحق حيث لا يقبل غيره قال تعالى :
وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ال عمران/٨٥ .

« روى الامام احمد ، والترمذى وغيرهما باسناد صحيح عن النواس بن سمعان عن رسول الله ــ ﷺ ــ قال :

« ضرب الله مثلا صراطا مستقيما وعلى جَنْبَتَىْ الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة وعلى الأبواب ستور مرخاة ، وعلى باب الصراط داع يقول :

يا أيها الناس ادخلوا الصراط جميعا ولا تعوجوا ، وداع يدعوا من فوق الصراط فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئا من تلك الأبواب قال : ويحك لا تفتحه ، فإنك إن تفتحه تلجه .

فالصراط الاسلام ، والسوران حدود الله ، والأبواب المفتحة : محارم الله ، وذلك الداعى على رأس الصراط : كتاب الله ، والداعى من فوق الصراط واعظ الله فى قلب كل مسلم .

ا. هـ تفسير ابن كثير لفاتحة الكتاب

ولما كانت الفاتحة جامعة لما اشتمل عليه التنزيل الحكيم من الاجمال البيانى من غير إخلال بالمعانى أَوْرَدَ الله صفات الفريق الأول فى المجتمع الانسانى بما سبق بيانه ، والسورة التالية سنام القرآن وذروته .

قال ابن عَلان صاحب دليل الفالحين : سميت البقرة بقسطاط ــ القرآن ، لأنها : فصلت فيها

الأحكام ، وضُربت فيها الأمثال ، وأقيمت فيها الحجج ولعظم فهمها أقام عمر – كما فى الموطأ – ثمان سنين على تعلمها . أ. هـ دليل الفالحين ٥٣/٣٠ ط الحلبى .

جاء وصف الفريق الأول فى سورة البقرة بالتقوى « ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين » فى آيات خمس ختمها الله تعالى بقوله :

« أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون » .

ولا تضارب فى المعانى وإنما ايضاحٌ بَعْد إيضاح والله الموفق للصواب .

## الفريق الثانى
## من المجتمع الانسانى

**قال تعالى :**

« غير المغضوب عليهم » من هم المغضوب عليهم ؟

أجمع أهل العلم لما ورد فى الأحاديث بأن المغضوب عليهم هم اليهود ولا اختلاف بينهم أى أصحاب رسول الله – ﷺ – فى هذا لتوارد الأحاديث ولما جاء فى القرآن الكريم فى شأن اليهود قال تعالى :

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ . البقرة/٨٧ – ٩٠

قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ المائدة/٦٠

وعلى ما سبق بيانه أن المغضوب عليهم هم اليهود كما هو وارد فى الأحاديث وفى الآيات السابقة ، وهذا فى أم القرآن إجمالا للصفات وإحكاما للبيان فهم بذلك الصنف الثانى من المجتمع الإنسانى ، مع أن هؤلاء جاءت صفاتهم فى السورة التالية بأنهم الكافرون وختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ، فلعل هذا البيان عام ، وخاصة أنه ورد فى شأن المشركين والمنافقين مثل ما ورد فى شأن اليهود . قال تعالى :–

وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾

وفى شأن قتل المؤمن عمدا قال تعالى :–

وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾

النساء ٩٣

إذاً فالمغضوب عليهم هم أهل اللعنة سواء أكانوا من اليهود خاصة ، كما جاء فى الأحاديث والقران أم من الكافرين والمشركين والمنافقين فهم المبعدون من رحمة الله — تعالى — وقد طلب من عباده المؤمنين أن يسألوه دائما وأبدا الهداية إلى طريق الحق ، والإسلام طريق أهل الطاعة والإنعام والبعد بهم عن طريق الفجور والطغيان ، فهو المستعان على كل حال يهدى الى الحق ، والى صراط مستقيم .

## الفريق الثالث والأخير من المجتمع الانسانى

قال تعالى : ولا الضالين .

من هم الضالون الذين أكد الله الكلام بلافيهم كما قال ابن كثير فى نفسيره : ليدل على أن ثم طريقين ومسلكينَ قاصدين لا طريق واحد طريق اليهود وهم المغضوب عليهم ، وطريق آخر وهم الضالون » ابن كثير بتصرف » .

فالمغضوب عليهم هم اليهود كما أجمع أهل الحديث ، وما أشار اليه القرآن الكريم والضالون : هم النصارى عند أهل الحديث إجماعا .

ويقول الله تعالى :

قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٧٧﴾

المائدة/٧٧

فإن أخص أوصافهم الضلال ، فهذه الآية السابقة جاءت خاتمة لآيات غاية فى بيان الضلال المبين للنصارى خاصة قوله تعالى :

لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ

وقوله :

« لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ » .

الآيات المائدة/٧٢ — ٧٦

هذا التقسيم للمجتمع الانسانى فى أم القرآن الكريم له إجماله خلافا لقول المفسرين حيث أنه عام شامل لكل من وصفهم الله تعالى ، وأوضح هذا التقسيم فى سِنام القرآن وفسطاطه فى سورة البقرة ثم أسهب البيان فى عموم القرآن .

وحيث إن الضلال واضح فى المنافقين فمنهم المنافق الخالص ، ومنهم المنافق المتردد بين الكفر والايمان كما سيأتى بيانه فى سورة البقرة وما يليها .

هذه خلاصة لما قصدنا ابرازه لمجتمع ارسل الله له محمدا — ﷺ — شاهدا على كل المكلفين فهو رسول الانسانية جمعاء أبيضهم وأحمرهم إنسهم وجنهم ، هو البشير النذير المبعوث رحمة للعالمين أوجز الله وظيفته فقال : يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾

الاحزاب/٤٥ — ٤٨

فالمؤمنون المقيمون للصلاة المتجهون الى الله بما شرع لهم ، المقتدون برسول الله لهم عند الله الفضل الكبير ، والأجر العظيم ، فقد أنعم عليهم

بالهداية ووفقهم للطاعة فكانوا على هدى من ربهم ، وكيف لا وقد وعدهم الله كما وعد رسولهم الكريم فى حديث جبريل ونزول ملك من السماء مبشرا لرسول الله — ﷺ — « ابشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبى قبلك ، فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة — لن تقرأ بحرف منها إلا أعطيته » رياض الصالحين — باب الحث على سور وآيات مخصوصة .

## أم القرآن وعطاء الله للطائعين المنعم عليهم

**قال تعالى :**

« إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا » . النساء/١٠٣

وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ هود/١١٤

وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ

الشورى ٢٥ — ٢٦

الصراط المستقيم :

لقد علمنا مما سبق أن الصراط المستقيم هو طريق الاسلام بما تعنى الكلمة من اخلاق سامية بها بلغ خليل الرحمن مكانة عظيمة حيث قال له ربه :

« إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا » .. البقرة/١٢٤ .

وقال للناس من بعده « وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ »

البقرة ١٣١/١٣٠

هذا الطريق الذى طالب الله من عباده المتقين أن يسألوه « اهدنا الصراط المستقيم » .

**صراط الذين أنعمت عليهم :**

فمن هم المنعم عليهم ؟

انهم الصفوة المنحازة الى جانب الله تعالى ، راجعين اليه فى كل أمورهم بالخيرات شاكرين أنعمه مما أصابهم من عثرات ، سائلين الله عفوه ومغفرته ، لعلمهم به خائفين أن ينزلقوا بالذنوب ويضلوا بالخطايا صراط الاستقامة ( غير المغضوب عليهم ولا الضالين » هذا مضمون خلقهم وفى التنزيل الحكيم ما ينير لهم الطريق ويوصلهم الى درب السلامة حيث قال :

وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ

الشورى/٢٥

إن اعظم نعمة ينعم الله بها على عباده ، أن يعهد إلى الحق ، ويرزقهم سلوك الطريق القويم وأن يبصرهم بذنوبهم ويلهمهم التوبة والاستغفار والرجوع الى الله دائما وأبدا وعلى كل حال وبهذا أرشد المختار — صلوات الله وسلامه عليه — الأمة فى أضوائه .

لقد روى البخارى عن شداد بن أوس — رضى الله عنه — عن النبى — ﷺ — قال :

سيد الاستغفار أن يقول العبد : اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على وعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء ــ أقر وأعترف ــ لك بنعمتك على وأبوء بذنبى ، فاغفر لى ، فإنه لا يغفر الذنوب الا انت ، من قالها فى النهار موقنا بها فمات من يومه قبل أن يمسى فهو من أهل الجنة ، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة » . رواه البخارى ( رياض الصالحين كتاب الاستغفار )

**وسائل إنعام الله :**

لقد جعل الله لكل عطاء سببا يعطى به المؤمن ما تفضل به عليه وهو ذو الفضل العظيم ، ويضع الاختبارات أمام طلاب العلا ، ليعطى كل مجتهد درجة اجتهاده على قاعدتى الثواب والعقاب فاذا أثاب فبفضل واذا عاقب فبعدل قال تعالى :

« إن الله لا يظلم مثقال ذرة ، وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما » .

وفى الحديث القدسى الذى رواه ابن عباس وعن النبى ــ ﷺ ــ فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى قال :

« إن الله كتب الحسنات والسيئات ، ثم بين ذلك ، فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله تبارك وتعالى عنده حسنة كاملة ، وان هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله تعالى عنده حسنة كاملة وإن هم بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة » متفق عليه ــ رياض الصالحين ــ باب الاخلاص ) .

هذه طريقة المعاملة أعلمها الله تعالى عباده عن طريق الكتاب المحفوظ والنبى المختار ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ ليعلم كل ما ينتهى إليه الطريق الذى يسلكه .

فالمتقون كما عبرت عنهم سورة البقرة ، والمنعم عليهم كما عبرت عنهم سورة فاتحة الكتاب يسلكون طريق النجاة ، طريق الله المستقيم سائلين الله باللسان ومُتبرهنين بالأعمال أنه هو الهادى والموفق والمعين : أن يهديهم صراطه المستقيم ، ويوفقهم الى خير الأعمال وأن يتقبل عنهم أعمالهم فهم على علم بالله ، وإدارك لما يقدمون من أعمال ، وقد جعل الله تبارك وتعالى من هؤلاء مثلا عليا جعلهم سببا بأخلاقهم لبيان ما ينزل من قرآن كريم .

قال تعالى :

وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ

. التوبة/١٢٤

إن أحداث إرساء القواعد الأخلاقية لهذه الأمة تتجمع فى دائرة الضوء الإيمانى لتنير للسالكين طراطه المستقيم ، طريق من أنعم عليهم بفضله ، وكرمه وعطائه الكريم / روى الامام مسلم عن أبى هريرة ــ رضى الله عنه قال :

« لما نزلت على رسول الله ــ ﷺ ــ لله ما فى السموات وما فى الارض وإن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله « الآية » اشتد ذلك على أصحاب ــ رسول الله ــ ﷺ ــ فأتوا رسول الله ــ ﷺ ــ ثم بركوا على الرُكب فقالوا : أى رسول الله كلفنا من الأعمال ما نطيق ( الصلاة والجهاد والصيام والصدقة ) وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها ، فقال رسول الله ــ ﷺ ــ :

أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم : سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا واطعنا

غفرانك ربنا واليك المصير ، فلما اقترأها القوم وذلت بها السنتهم أنزل الله تعالى فى إثرها : « ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ » فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى : وانزل الله عز وجل « لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ » قال نعم : « رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ » من ، قال نعم . « رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ » قال نعم . « وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ » قال نعم

هذا المنهج الايمانى ، والنور الربانى ، والتربية الاخلاقية فى أسمى ما يرقى اليه ، بل هذا التوفيق من الله والاستجابة من عباده ، والطاعة والانقياد لحكم الله ــ تعالى يوشحها الله ــ تبارك وتعالى فى وعده المحقق لطلاب الصراط المستقيم قال تعالى :

وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ﴿٧٠﴾ سورة النساء

العطاء الجزيل والمدد المستمر :

كما كان هذا العطاء ، بتوفيق العباد الى الاهتداء بالسير على طريق الفلاح كان لابد من الزاد حتى يبلغ المسافر وطنه الدائم ومستقره الأبدى فأنزل الله على رسوله ما أخبرنا به وسجلناه فى صدر الصفحة الأولى بنزول ملك من السماء بعطاء الله لمحمد وامته نورا مستمرا الى يوم الدين قائلا له :

« أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبىّ من قبلك : فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ بحرف منهما الا أعطيته » .

إنه قرآن يعطى القارىء بكل حرف حسنة والحسنة بعشر أمثالها كما جاء فى حديث ابن مسعود قال : قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، ولا أقول « ألم » حرف ، بل « ألـــف » حرف ، « ولام » حرف ، « وميم » حرف . ( رياض الصالحين : كتاب الفضائل )

وهذا عطاء آخر إنه إجابة الداعى إذا دعى وعدا من الله تعالى كما مر فى حديث أبى هريرة ، وقال نعم « عند كل طلب ، وما شرع الله بأن تقرأ أم القرآن فى كل ركعة من الصلاة فى أجل القربات إلا ليحقق بفضل منه ومنه على الطائعين ما وعد ومن أوفى بعهده من الله فإنه لا يخلف الميعاد .

وما كان عطاء ربك محظورا :

عن أبى مسعود البدرى ــ رضى الله عنه ــ عن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال : « من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة فى ليلة كفتاه »

والمعنى كفتاه المكروه تلك الليلة ، وقيل كفتاه من قيام الليل ( رياض الصالحين ) .

هذا وعند الله المزيد من التوفيق ومن العطاء ومن الرضا والقرب فمن تقرب إليه شبراً تقرب إليه ذراعا .. إلخ .

فاللهم اهدنا صراطك المستقيم ، وجنبنا طريق الغاوين إنك نعم المولى ونعم النصير . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، فهو يقول الحق وهو يهدى السبيل ، والله أجل وأعلم .

# وحدة الرسالات الإلهية

## منزلة الإنسان فى القرآن

بقلم: فضيلة الشيخ محمد حافظ سليمان
مدير عام الوعظ سابقاً

- ٢ -

وليت الإنسان يدرك أن الله تعالى قد كرمه فى القرآن: فيقابل الإحسان بالإحسان والله يقول: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ۝٧٠﴾ سورة الإسراء

وإن المؤمن ليدرك ذلك ويعرف قيمة نفسه وفضل ربه عليه، وآلاءه التى بين يديه ولكن المنافق يأبى إلا أن يكون ظلوما جهولا، أفيجهل مسلم نعم الله عليه التى لا تحصى ولا تعد ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ (سورة إبراهيم - ٣٤ -)

«أجمل صورة»

إن الله قد خلق الإنسان فى أحسن تقويم. وأجمل صورة. بخلاف الحيوان الذى ينكب على وجهه ليتناول طعامه وشرابه بفمه ثم هو مسخر لخدمة الإنسان والله يقول ﴿وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾ (سورة يس - ٧٢ -) تلك هى الأنعام التى جعلها الله مملوكة للإنسان الذى فضله ربه بالعقل والتمييز والمنطق والعلم وبالمعارف كلها وقال ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ۝١٠﴾ (سورة البلد)

والإنسان حين يقرأ قول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا...﴾ (سورة البقرة ٢٩) يرى عناية الله بعباده فقد خلقها كلها لمصلحة الإنسان ولإسعاده: وكلمة «جميعا» تشمل الماء والهواء والبحار والفضاء والثمار والأشجار وكذلك الله خلق الشمس والقمر والليل والنهار، وأنبت من الأرض نبات كل شىء وجعل من الماء كل شى حى، والقرآن زاخر بتعداد النعم فى آيات بينات تهز المشاعر وتأخذ بالألباب والله يقول:

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ الثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ﴾

(سورة ابراهيم عليه السلام ـ ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤) ، والله آياته كثيرة ونعمه وفيرة لا حصر لها أفلا يستحق كل ذلك شكر الله بطاعته ومراقبته وخشيته ؟

## «وحفظ الأنساب تكريم للإنسان»

ومن نعم الله فى شرائع الله أن نسب الأبناء للآباء فشرع الزواج وجعله آية : فهو سنة المرسلين وشريعة الله للمسلمين ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ (سورة الروم ـ ٢١ ـ)

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً ﴾ (سورة الرعد ـ ٣٨ ـ)

وهكذا يبين لنا الله تبارك وتعالى فضله على عباده ليعرف الفضل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، ولينجهوا إلى ربهم وحده مخلصين له الدين ليمنحهم رضاه ويدخلهم جنات النعيم إنجازا لوعده : ولن يخلف الله وعده : وهو القائل

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ الصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴾ (سورة مريم ـ ٩٦ ) لأن التقوى تصلح البال وتنفع الذرية

﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ الصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ﴾ (سورة محمد)

﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ الصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ الشورى ٢٢

وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَٰنَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ الصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِالصَّبْرِ ﴾ (سورة العصر)

ومجالات العمل الصالح كثيرة وأبواب الخير وفيرة ﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا۟ هُدًى وَالْبَٰقِيَٰتُ الصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾ (سورة مريم

ولا ريب أن التقوى تنفع صاحبها فى الدنيا والاخرة ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَاتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ الأعراف ـ ٩٩

## الفوز والنجاة فى العودة إلى منهج الله

يقول الله عز وجل :

﴿ وَيَقُولُ الْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ الظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ ﴾ سورة مريم

وفى قوله تعالى ﴿ ثم ننجى الذين اتقوا﴾ تأكيد بين العدل الإلهى ، لأن الله لا يظلم مثقال ذرة ولكن الناس يظلمون أنفسهم بابتعادهم عن ربهم الذى أقام الإسلام على أساس متين ، وهو الإيمان بالله الواحد القهار ليلتزم الناس به فى كل وقت وحين ، وبالإيمان السليم والخلق القويم تطهر المجتمعات من كل رجس وخبث فلابد من الأخذ بالفضائل ، وتجنب الرذائل التى تجر إلى المحن المزعجة المقلقة وتدفع الى الفسوق والعصيان ، ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾ (١١٧ سورة هود) ولابد من دين الله لدنيا الناس :

## ولا يصلح آخر هذه الأمة

## إلا بما صلح به أولها

لا ريب أن رسل الله عليهم السلام بذلوا فى سبيل الله جهودا غير عادية قد قصها الله علينا للعبرة منها ؛ فقد كانوا أبطال التضحية المخلصة المجردة : ولكنهم جعلوا أجرهم عند رب العالمين ، وأما خاتمهم سيدنا محمد عليه السلام فقد قص الله عليه ما حدث لهم ليثبت بهذا القصص فؤاده : ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾ (سورة هود ـ ١٢٠) والأمة المحمدية ـ اليوم تشعر بالحنين إلى ماضيها المشرق المضىء يوم كانت أمتهم أمة واحدة ، ولكن هذا الشعور لا يكون بقول يحكى ولا بتاريخ يتلى : ولكن بنفوس قوية مطمئنة وأخلاق كريمة تبنى كما جاء بها الإسلام ولا تهدم ما بناه الإسلام لكى يبقى مدى الحياة : أفيعجز كل مسلم عن بناء بيته على العزة والعفة والصدق والوفـاء ، ويـؤسسه على المودة والـرحمة والنقاء ؟ ، ولو سئلت ما هو أقرب طريق لبناء الأمة بناءً سليما قويا قويما لما ترددت فى أن أقول إنه البيت فهو الأساس ، ثم المدرسة لتكون تربية وتقوية وتزكية وتثقيفا : وهذا يحتاج لصدق العزيمة وعلوا الهمة وحسن النية والانتماء المخلص ، وأما أمة القرآن والعلم فعليها الاقتداء بهداية السماء ورسالة الأنبياء ، وليتأسّوا ـ أى أهل العلم والقرآن بصاحب الخلق العظيم عليه السلام الذى كان ولا يزال الأسوة الحسنة لأتباعه جميعا أينما حلوا وأنى وجدوا وان إختلفت أوطانهم وألوانهم فليوحدوا كلمتهم ، لأن الله قال لهم ﴿ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ (سورة الأنفال ـ ٤٦ ـ)

إن الإصلاح يحتاج للصبر والله تعالى قد قال لرسوله الكريم ـ ﷺ ـ ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ (سورة الأحقاف ـ ٣٥ ـ) وأولوا العزم هم : نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم السلام ، وكُلّ كان هدفه الهداية وإصلاح المجتمع وفى ارتباط الرسول بالأنبياء المرسلين السابقين يقول تبارك وتعالى : ﴿ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴾(سورة القلم

وكان هذا الارتباط عن طريق القصص القرانى (أحسن القصص) وهذا أحسن أثر وأصدق خير لمعرفة العظة والعبرة من القصة القرآنية الخالدة ، لأن القرآن جعله الله خالدا محفوظا ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ (سورة الحجر )

وأما إمام المرسلين وخاتم النبيين فهو أسوة حسنة للمسلمين فى شتى بلاد العالمين قولا وفعلا وأمرا ونهيا وتقريرا وصفة ومنهجا ومسلكا : لأنه لا كتاب بعد القرآن وليس بعد رسول الله رسول ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ (سورة سبأ - ٢٨ - ) والله يقول ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ (سورة الإسراء )

## منزلة رسل الله عليهم السلام

إن مكانة رسل الله عليهم الصلاة والسلام فى تاريخ الإنسانية مقدسة لا يصل إليها أحد من الأبطال العباقرة : ولا يرتقى إليها ذو جاه أو صاحب سلطان مهما كان شأنه وذلك لأن الله إصطفاهم على العالمين ورباهم واجتباهم ورعاهم بعنايته واصطنعهم لنفسه ، ولن يدرك لله حد مرتبتهم مهما نال من النبوغ والذكاء لأن الله أعلم حيث يجعل رسالته : ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ (سورة الحج - ٧٥ - ) وبعد أن ذكر الله أسماء عدد من أعلام الأنبياء فى سورة الأنعام مبينا أقدارهم ومنازلهم يقول جل جلالــه : ﴿ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ﴾ ويقول : ﴿ وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ ۖ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ۚ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۖ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ۗ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ (سورة الأنعــام )
هذا مكانهم من الله وموضعهم فى التاريخ الإنسانى فهم أئمة الهداية وقـادة الـرشد والإصلاح ، والنبوة منحة وهبة من الله تعالى لبعض الخاصة من اصفيائه المخلصين ليهتدوا بهديه وليبلغوا رسالاته والله «يختص برحمته من يشاء» .

## الرسالة المحمدية خالدة

ولو قدمت الرسالة المحمدية اليوم صافية نقية لهؤلاء الحيارى الذين لا يعرفون حقيقتها وأهدافها لأنقذتهم من هذا التخبط فى المتاهات والجهالات والمذاهب التى لا يهتدى بها ضال ، وذلك لأن هذا العالم الحائر القلق فى حاجة الى هداية الله التى جاء بها خاتم رسل الله من عند الله ، وهى التى تهدى للتى هى أقوم ، وإن الدعوة المحمدية قادرة على قيادة الناس الى الخير ، فهى تشتمل على أعظم منهاج وأضخم نظام يحقق العدل ويصلح المجتمعات وينشر الفضائل ، لأن الباطل زاهق فلا يتحرك إلا فى غفلة الحق القوى الذى يطارده ويمحقه ويزهقه (إن الباطل كان زهوقا) ، وما

بعث الله رسلا مبشرين ومنذرين إلا لهداية من انطمست بصائرهم ليردوهم الى رشدهم ومعرفة ربهم ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾ (سورة الحديد ـ ٢٥ ـ ) وتلك هى عقيدتهم ورسالتهم وهى رسالة خاتم الرسل التى جاءت شاملة كاملة خالدة تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ونظام الاسلام يلازم المسلمين فى حركاتهم وسكناتهم وأقوالهم وأفعالهم ، وفى سرهم وعلانيتهم ، فى صداقتهم وعداوتهم ، فى سلمهم وحربهم ، فى قيامهم وقعودهم ، فى قوتهم وضعفهم ، لأن الله يعلم السر وأخفى ولا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء ، ولهذا فإن الأخلاق الاسلامية لا تفارق المسلم فى معاملاته وعبادته وسلوكه كله ، ليكون راسخ الإيمان ثابت العقيدة عزيز النفس قوى البأس ومن اعتز بالله فلن يذل لأحد سواه ، فلا يعبد إلا إياه ، فلا ملجأ من الله إلا إليه ولا توكل إلا عليه ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ ﴾ (سورة الانعـــام )

## وحدة الضمير والمصير

ولقد آن للمسلمين أن يكونوا ـ كما أرادهم الله ـ أمة واحدة : قوية البنيان تعتصم بحبل الله ، فقد قدمت رسالات الله تعالى للبشرية القدوة فى شتى العصور ، ثم جاء الاسلام لهداية البشرية كلها فاكتملت به الملة وتمت به النعمة ، وارتضاه الله لنا دينا فأشرقت الأرض بنور ربها بنزول القرآن ، وسطعت شمس الهداية برسالة سيدنا محمد بن عبدالله عليه السلام ، وهى التى جاءت لتحقيق العدالة وحماية الأمن وإنقاذ خلق الله من ظلم الطغاة الشاردين من هداية الله تعالى .. ونحن نعرف أن الوحدة والقوة لابد منهما لتأمين العقيدة وحماية الملة ورعاية مصالح الأمة فنحن كثيرون بالوحدة قليلون بالفرقة التى نهانا عنها ربنا فقال ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴾ (سورة آل عمـــران ـ ١٠٥ ـ ) فإن لم يتيسر توحيد الأمة الواحدة فيمكنهم أن يعرفوا أنهم أخوة وأن ملتهم واحدة وقبلتهم واحدة وإلههم واحد فهو يقول للمسلمين ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ ويقول لهم ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (سورة الحجرات ـ ١٠ وسورة الفتح ـ ٢٨ ـ ) .

## «الأمة المحمدية باقية»
## (ببقاء القرآن الكريم)

ولقد أكرم الله الأمة الإسلامية بسيد البشرية خاتم الرسل عليه الصلاة والسلام ، وأكرمها بنزول القرآن وجعله محفوظا لا يتبدل ولا يتغير لأن دعوة القرآن لأمة القرآن جميعا : ولأن الرسول سيدنا محمد خاتم المرسلين ورحمة الله للعالمين وشريعة الله ليس بعدها شريعة ؛ فهى ملائمة للحياة فى شتى العصور والدهور ، لأنها جمعت أشتات الأمم فى أمة واحدة ، نظامها واحد مهما حاول البعض أن يشكك حقدا على هذا

الدين أو غباء أو غير ذلك ، ومن القرآن الكريم الخالد نأخذ التوجيهات الإلهية فى شتى نواحى الحياة فهو يهدى للتى هى أقوم وهو يهدى أقواما رضوا لأنفسهم الهداية ، وأقبلوا عليها باختيارهم ، لأن الدعوة الحسنة مبدأ قرره الإسلام ، فلا إكراه فى الدين ، ولكنه جعل باب التفاهم مفتوحا ، لأن الله وهب العقل لعباده للانتفاع به والله جعل الإسلام لنا دينا خالدا فهو لا يقبل تعطيلا فهو دين يتمشى ويتسع لكل شئون الفرد والجماعة لينالوا حظىْ الدنيا والآخرة . ولا أقول كلمة (إنه صالح لكل زمان ومكان) فهى محدودة المعنى !! ، إنه الدين القيم والإسلام هو الدين الذى تصلح به الدنيا ويستقر به الأمر ويستتب به الأمن ويطمئن إليه العقل ولقد خاطب الله الناس جميعا فقال ﴿ **يا أيها الناس**﴾ ليدخل فى الخطاب جميع الناس وهذا هو مظهر الرحمة بالعالمين ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ (سورة الأنبياء ـ ١٠٧ ـ ) وهذا يشير إلى أن الإسلام عام عالمى : ولقد وضع لنا الإسلام أسس الخلق والفضيلة وأعلن للدنيا حقوق الإنسان كاملة ، ومنها حق المرأة فى حدود الفضيلة الحقة التى تحمى لها كرامتها ، لذلك كانت الإنسانية كلها مدينة للإسلام فى كل ما وصلت إليه من خير وهدى ورشاد ، ولا يغض من هذا الفضل عدم اعتراف الجاحدين والجاهلين والمنحلين من أولئك القوم الشاردين من هداية الله ، فهم لا يشعرون بقيمة الحضارة الإسلامية التى صنعت الرجال وكونت الأبطال ممن هداهم الله ، ومن هؤلاء الأبطال الذين لم ير التاريخ مثلهم ـ عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ الذى قال له رجل اتق الله ياعمر ، فقال بعض الجالسين أتقول لأمير المؤمنين اتق الله ، فغضب عمر وقال : (ألا فلتقولوها والله لا خير فيكم إذا لم تقولوها ولا خير فينا إذا لم نسمعها) ، فلقد كان عمر رضى الله نموذجا إنسانيا مثاليا يعجز الزمان عن الإتيان بمثله ، ومن الناس من ينصح فيغضب ، ومن الناس من ينصح فينفر ، ومنهم من ينصح فيقرب بالكلمة الطيبة والموعظة الحسنة

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ (سورة إبراهيم

إن الكلمة الطيبة لها تأثيرها الكبير فى نفوس الناس ، ولكن أهل الأهواء لا يتقبلون إلا ما يرضى أهواءهم ، والله تعالى يقول :

﴿ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ (سورة النور )

ولقد قامت الحجة على الناس بإرسال رسل مبشرين ومنذرين فلا يعيشون فى ضلالة وجهالة والله يقول : ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾ (سورة النساء ـ ١٦٥ ـ ) والمؤمن يعيش طيب النفس قوى الإرادة ثابت العقيدة حسن السيرة نقى السريرة ومن هؤلاء المؤمنين يتكون المجتمع السليم المتماسك المتراحم يتعاون على البر والخير والإخلاص فى العمل ، لأن العاملين الأقوياء فى الاسلام خير من الضعفاء ولو تظاهروا بأنهم أتقياء

لأن الإيمان «الحق» ما وقر فى القلب وصدقه العمل .

## وللإسلام أعداء

وللإسلام فى شتى العصور أعداء يتربصون ويكيدون ويتآمرون لإرضاء أحقادهم المقنعة التى لا تريد بالمسلمين خيرا فقد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر : وهم اليوم - يعملون بأساليبهم وألاعيبهم - على تفتيت وحدة المسلمين وتمزيق قوتهم بمؤامرات خبيثة تهدم الروابط بين أقطار المسلمين فاتخذوا لهم بطانة من المسلمين بغير إسلام يمدونهم بالأسرار والأخبار بالتجسس الرخيص والعمل الخبيث ولكن «لا ينفع الأصل من هاشم اذا كان النفس من باهلة»

وبأس خلق الله فى الناس أمة
تضام ومنها للذى ضامها جند

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الْإِسْلَامِ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ ﴾ سورة الصف

## وكيف نحمى الشباب من المكائد ؟

دين الإسلام القيم لا يسمح لأتباعه باعتناق المذاهب الضالة والأفكار الضارة التى تضع السم فى الدسم بخدائع شيطانية ذكية فهو يحذر المسلمين من شر الدخلاء الأعداء الألداد الذين لا يريدون بدينهم خيرا وليعلموا أن هذه المذاهب لا يتقبلها منهم إلا من سفه نفسه وأضله الله على علم فنسى الله فأنساه نفسه فتخلت عنه عناية ربه فتعقدت أموره والتوى سلوكه ، ولا عجب فلا يرتبط بدين الله وعقيدته وأخلاقه فى جميع أحواله إلا من علم أن الإسلام جاء لبناء المكارم بالعقل والعدل ورقة المشاعر ويقظة الضمائر واستقامة السلوك بأداء الأعمال التى تحقق الآمال ، وللدين القيم (الإسلام) قدسية ومكانته فى قلوب المتقين من شبابنا وشيبنا من أبناء الأمة المحمدية وشبابنا من خيرة الشباب فلا يغريهم إغراء جذاب من الذين يفسدون فى الأرض ، ومنهم من يتحرك لغزو العقول والأخلاق لاستهواء الضعفاء الذين لم يتعلموا الدين فى الدار منذ نعومة الأظفار ، فلم يرتبطوا بمبادئه ولم يجلسوا على موائده فللبيت أثره فى صيانة الأبناء من عبث الأشرار من الاخلاء بتحذيرهم من صحبة الأشرار فمن صاحب العلماء وقر ومن صاحب السفهاء حقّر ، والسفاء هم المستهترون بدينهم وابتعدوا عن الفضائل والشمائل واتخذوا هذا القرآن مهجورا ، فلم يكن يهديهم للتى هى أقوم ولكن المسلم إذا تسامى بأخلاقه وترفع عن الخضوع المذل للنزوات والشهوات من غير الطيبات فقد سلم دينه وقوى يقينه وهدى إلى صراط مستقيم .

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾

سورة آل عمران

# ارتباط الهجرة بالجهاد

للشيخ / محمد صابر البرديسى

عن مُجَاشِع بن مَسْعُود السُّلَمِىّ قال : « أتَيْتُ النَّبِىّ (ﷺ) أبايِعُه على الهجرة ، فقال : إنَّ الهجْرةَ قَدْ مَضَتْ لِأَهْلِهَا ، ولكنْ على الإسْلام والجِهَادِ والخيْرِ » «رواه مسلم» .

اللغة : قد مضت : أى كانت قبل الفتح .

**ما يشتمل عليه الحديث :**

١ ـ احتفال المسلمين بهجرة النبى .

٢ ـ ارتباط الهجرة بالجهاد .

٣ ـ المؤمن مهاجر إلى الله فى كل ميادين الحياة .

**البيان**

**١ ـ احتفال المسلمين بهجرة النبى :**

يحتل المسلمون فى مطلع كل عام قمرى بهجرة النبى ـ ﷺ ـ من مكة إلى المدينة ، وحق للمسلمين أن يحتفلوا بها ، فقد كانت حادثا عظيما فى الإسلام ، وموطنا لكثير من العبر والذكريات التى ينبغى أن يحرص المسلمون عليها .

لقد حولت هذه الهجرة حال المسلمين ، فبعد أن كان المسلمون فى قلة وضعف ، وكانت قريش تضيق عليهم وتقعد لهم كل مرصد ، أصبح المسلمون فى قوة ومنعة ، وعزة وطمأنينة ، وصارت لهم دولة .

لقد تآمرت قريش بالدعوة ، وأرادت أن تتخلص منها فى مهدها ، فى شخص صاحبها «محمد» ﷺ فأطلعه الله على ما تآمرت به . وأوحى إليه بالهجرة ، فخرج مع صاحبه أبى بكر ، بلا جيش ولا عُدَّة ، والأعداء من كل جانب يتربَّصُون به ، ويترقبونه .

كانت القوة المادية والطغيان الغاشم فى جانب ، والرسول ـ ﷺ ـ ومعه الحق فى

جانب ، فآزره الله ، وأعزه ونصره وجعل كلمة الذين كفروا هى السفلى ، وكلمة الله هى العليا والعبرة فى هذه الهجرة أن المسلم متى آمن بالحق عن بصيرة واقتناع ، كان النصر حليفه ، وفاز بسعادة الدنيا والآخرة .

﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ سورة الروم آية : ٤٧ .

٢ ـ ارتباط الهجرة بالجهاد :

لقد ارتبطت الهجرة بالجهاد ارتباطا وثيقا ، فالذين هاجروا من مكة إلى المدينة تركوا ديارهم وأموالهم ، وبقيت ديارهم بمكة خالية تضربها الرياح ، ثم جاهدوا مع رسول الله وعرضوا أنفسهم للهلاك .

﴿ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾ سورة الأحزاب آية : ٢٣ .

ورسول الله ـ ﷺ ـ لم يهاجر هربا ولاضعفا ، وإنما هو أمر الله الذى قضى أن تكون الهجرة بداية مرحلة جهاد ومواجهة ، وإن كان الإيذاء سببا من أسبابها .

قال تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ ﴾ البقرة آية : ٢١٨ .

وقال تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ سورة الأنفال ٧٤

وإنما وصل المهاجرون إلى هذه المنزلة لأنهم هاجروا وجاهدوا ، كما أن الأنصار بلغوا درجة عظيمة لأنهم آووا ونصروا .

إن الهجرة الممدوحة الفاضلة ، تلك الهجرة المهمة المطلوبة التى امتاز بها أهلها امتيازا ظاهرا قد انقطعت بفتح مكة ، ومضت لأهلها الذين هاجروا قبل فتح مكة ، لأن الإسلام قد قوى وعزّ بعد فتح مكة عزًّا ظاهرا .

وإذا كان تحصيل الجهاد بسبب الهجرة قد انقطع بفتح مكة ، فإن هناك مايقارب هذه الهجرة وهو ما ذكره الحديث الشريف فى قوله : « ولكن على الإسلام والجهاد والخير » فمعناه أبايعه على أن تفعَلَ هذه الأمور .

ولهذا نجد أن الإيمان والهجرة والجهاد غالبا ما تقترن ثلاثتها وتأتى مجتمعة فى القرآن الكريم ، مثل قوله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ البقرة آية : ٢١٨

وقوله تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾

سورة الأنفال آية : ٧٤

وحين جعل سيدنا عمر (رضى الله عنه) الهجرة بداية تاريخ فإنه يكون بذلك قد ربط بين الهجرة والجهاد فى سبيل الله ، لأن الهجرة كانت بداية للجهاد ، والتحريض على القتال فى سبيل الله ، وكانت النقلة من مكة إلى المدينة هى الحركة التى تغير بها مجرى التاريخ ، وأحداث الزمن .

والجهاد قد يكون فرض عين وذلك إذا نزل الكفار ببلد من بلاد المسلمين وانتهكوا حرماتهم .

وعلى المسلم أن يكون مثلا أعلى فى التضحية والجهاد قال تعالى :

﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ ، سورة العنكبوت آية : ٦٩ .

٣ ـ المؤمن مهاجر إلى الله

إن الهجرة المحمدية ، ستظل مَنْبعَ لايجف لأصفى المبادىء ، فهى معجزة للإسلام كحركة جديدة أبرز ما تشير إليه ، أنها كانت نقطة تحول فى تاريخ الأمة الإسلامية كلها وكانت الثقة الكبرى فى الله ـ عز وجل ـ ولئن كانت الهجرة قد فاز بها الأولون ، ولم يعد بعد الفتح هجرة إلى المدينة ، فإن هناك نوعا آخر من الهجرة لم يغلق بابه ، وهى أساس كل هجرة وروحها هى هجرة المعاصى والتخلص من شوائبها ومقاومة الرغبة فيها .. هجرة ينطلق بها المسلم خالصا إلى الإسلام كله ، ليمارس أمْرَهُ وَيَهْجُرَ نهيه ، هى الفرار إلى الله تعالى قال تعالى :

﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴾ الذاريات آية : ٥٠ .

والفرار إلى الله انتصار على أى حال قال تعالى :

﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوۡ مَاتُواْ لَيَرۡزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ۝٥٨ ﴾ سورة الحج آية : ٥٨ .

وليس الجهاد مقصوراً على ميادين الحرب ، فميادين الجهاد كثيرة ومتنوعة ، فإن كرم المبادىء وسموها ليس هو الذى ينصرها ـ وحده بل لابد من جهاد كى تنتصر ، والمسلمون اليوم فى حاجة إلى الجهاد فى شتى ميادين الحياة من العمل الجاد ، والإخلاص لله ، والتضحية فى سبيل الله وحيث إنه لاهجرة ـ بعد الفتح ـ فإن تحصيل الخير بسبب الفتح قد انقطع بفتح مكة ولكن علينا ـ نحن المسلمين ـ أن نحصل الخير بالعمل الصالح والنية الحسنة ، قال ـ ﷺ ـ فيما رواه العباس أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال يوم الفتح ـ فتح مكة : « لاهجرة بعد الفتح ، ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا » رواه مسلم .

ففى الحديث حث على نية الخير مطلقا ، وأن المَرْءَ يُثَابُ على النيَّةَ لقوله ـ ﷺ : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرى ما نوى »

قال تعالى :

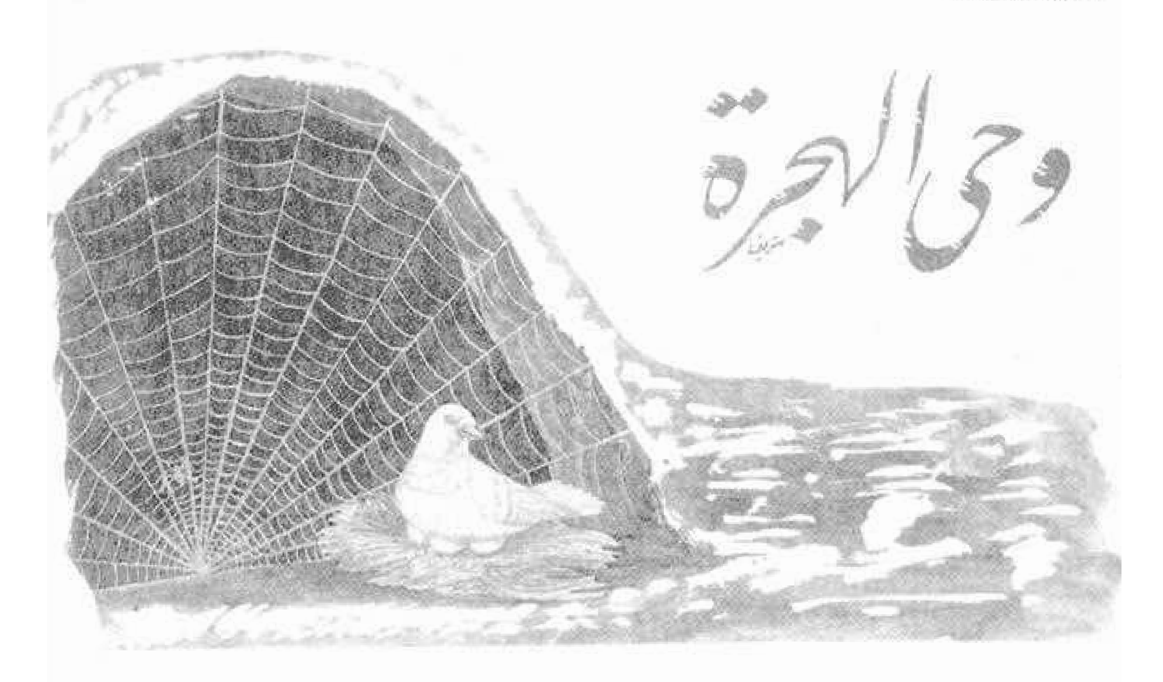
﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ﴾ الكهف آية : ٣٠ .

حَدَّثَ أبوسعيد ( رضى الله عنه ) قال : جاء أعرابى إلى النبىِّ ـ ﷺ ـ فسأله عن الهجرة فقال : « ويحك إن الهجرة شأنها شديد ، فهل لك من إبل ؟ قال نعم ، قال : فتُعْطِ صدقتها ؟ قال : نعم ، قال : فهل تمنح منها ؟ قال : نعم ، قال : فتحلبها يوم ورودها ؟ قال نعم ، قال : فاعمل من وراء البحار ، فإن الله لن يترك من عملك شيئاً » رواه البخارى .

والله الموفق

---

(١) يترك = ينقصك .




للأستاذ/ مصطفى صادق الرافعي رحمه الله

نشأ النبي – ﷺ – في مكة ، واستُنْبِئ على رأس الأربعين من سنِّه ، وغَبَر ثلاث عشرة سنة يدعو إلى الله قبل أن يهاجر إلى المدينة ، فلم يكن في الإسلام أول بدأته إلا رجل وامرأة وغلام : أما الرجل فهو هو – ﷺ – ، وأما المرأة فزوجه خديجة ، وأما الغلام فعلى ابن عمه أبي طالب .

ثم كان أول النمو في الإسلام بحر وعبد : أما الحر فأبو بكر ، وأما العبد فبلال ، ثم اتسق النمو قليلا قليلا ببطء الهموم في سيرها ، وصبر الحر في تجلده ، وكأن التاريخ واقف لايتزحزح ، ضيق لايتسع ، جامد لاينمو ،

وكأن النبي – ﷺ – أخو الشمس : يطلع كلاهما وحده كل يوم . حتى إذا كانت الهجرة من بعد فانتقل الرسول إلى المدينة ، بدأت الدنيا تتقلقل ، كأنما مر بقدمه على مركزها فحركها ، وكانت خطواته في هجرته تخط في

هو الاديب الإسلامي المعروف ، والقطعة من كتابه «وحي القلم» ٢/٢ .

الأرض ، ومعانيها تخط فى التاريخ ، وكانت المسافة بين مكة والمدينة ، ومعناها بين المشرق والمغرب .

لقد كان فى مكة يعرض الإسلام على العرب كما يعرض الذهب على المتوحشين : يرونه بريقا وشعاعا ثم لا قيمة له ، ومابهم حاجة إليه ، وهو حاجة بنى آدم إلا المتوحشين ، وكانوا فى المحادة والمخالفة الحمقاء ، والبلوغ بدعوته مبلغ الأوهام والأساطير ـ كما يكون المريض بذات صدره مع الذى يدعوه فى لية قارة الى مداواة جسمه بأشاعة الكواكب ، وكانت مكة هذه صخراً جغرافياً يتحطم ولا يلين ، وكأن الشيطان نفسه وضع هذا الصخر فى مجرى الزمن ليصد به التاريخ الإسلامى عن الدنيا وأهلها .

وأوذى رسول الله ـ ﷺ ، وكـــذب وأهين ، ورجف به الوادى يخطو فيه على زلازل تتقلب ، ونابذه قومه وتذامروا فيه ، وحض بعضهم بعضا عليه ، وانصفق عنه عامة الناس وتركوه إلا من حفظ الله منهم ، فأصيب كبيراً باليتم من قومه ، كما أصيب صغيراً باليتم من أبويه .

وكان لايسمع بقادم يقدم من العرب له اسم وشرف ، إلا تصدى له فدعاه إلى الله وعرض نفسه عليه ، ومع ذلك بقيت الدعوة تلوح وتختفى ، كما يشق البرق من سحابـــة على السماء : ليس إلى أن يرى ثم لاشىء بعد أن يُرى !

* * *

فهذا تاريخ ماقبل الهجرة فى جملة معناه ، غير أنى لم أقرأه تاريخاً ، بل قرأت فيه فصلا رائعا من حكمة إلهية ، وضعه الله كالمقدمة لتاريخ الإسلام فى الأرض ...

فلو أنت حققت النظر لرأيت تاريخ الإسلام يتأله فى هذه الحقبة ، بحيث لاتقرؤه النفس المؤمنة إلا خاشعة كأنها تصلى ، ولاتتدبره إلا خاضعة كأنها تتعبد .

بدأ الإسلام فى رجل وامرأة وغلام ، ثم زاد حرا وعبدا ، أليست هذه الخمس هى كل أطوار البشرية فى وجودها ، مخلوقة فى الإنسانية والطبيعة ، ومصنوعة فى السياسة والاجتماع ؟ فهاهنا مطلع القصيدة ، وأول الرمز فى شعر التاريخ .

ولبث النبى ـ ﷺ ـ ثلاث عشرة سنة لا يبغيه قومه إلا شرا ، على أنه دائب يطلب ثم لايجد ، ويعرض ثم لايقبل منه ، ويخفق ثم لا يعتريه اليأس ، ويجهد ثم لا يتخونه الملل ، ويستمر ماضيـــاً لايتحـــرف ، ومعتزمـــاً لايتحول ، أليست هذه هى أسمى معانى التربية الانسانية أظهرها الله كلها فى نبيه ، فعلم بها وثبت عليها ، وكانت ثلاث عشرة سنة فى هذا المعنى كعمر طفل ولد ونشأ وأحكم تهذيبه بالحوادث ، حتى تسلمته الرجولة الكاملة بمعانيها من الطفولة الكاملة بوسائلها ؟

أفليس هذا فصلا فلسفيا دقيقا يعلم المسلمين كيف يجب أن ينشأ المسلم : غناه فى قلبه ، وقوته فى إيمانه ، وموضعه فى الحياة موضع النافع قبل المتنفع ، والمصلح قبل المقلد ، وفى نفسه من قوة الحياة مايموت به فى هذه النفس أكثر مافى الأرض والنـــاس من شهـــوات ومطامع ؟

ثم أليست تلك العوامل الأخلاقية هي التي ألقيت في منبع التاريخ الإسلامي ليعب منها تياره فتدفعه في مجراه بين الأمم ، وتجعل من أخص الخصائص الإسلامية في هذه الدنيا ـ الثبات على الخطوة المتقدمة وإن لم تتقدم ، وعلى الحق وإن لم يتحقق ، والتبرؤ من الأثرة وإن شحت عليها النفس ، واحتقار الضعف وإن حكم وتسلط ، ومقاومة الباطل وإن ساد وغلب ، وحمل الناس على محض الخير وإن ردوا بالشر ، والعمل للعمل وإن لم يأت بشيء ، والواجب للواجب وإن لم يكن فيه كبير فائدة ، وبقاء الرجل رجلا وإن حطمه كل ماحوله ؟

ثم هي هي البرهانات القائمة للدهر قيام المنارات في الساحل ـ على نبوة محمد ـ ﷺ ـ: تثبت ببرهان الفلسفة وعلوم النفس أنه روح وغاياتها المحتومة بالقدر ، لاجسم ووسائله المتغلبة بالطبيعة ، ولو كان رجلا ابتعثته نفسه لتحمل الحيل لسياسته ، ولأحدث طمعاً من كل مطمع ، ولركد مع الحوادث وهب ، ولما استمر طوال هذه المدة لايتجه وهو فرد إلا اتجاه الإنسانية كلها كأنما هو هي .

ولو هو كان رجل الملك أو رجل السياسة ، لاستقام والتوى ، ولأدرك مايبتغي في سنوات قليلة : ولأوجد الحوادث يتعلق عليها ، ولما أفلت ماكان موجوداً منه يتعلق به ، ولما انتزع نفسه من محلة في قومه وكان واسطة فيهم ، ولاترك عوامل الزمن تبعده وهي كانت تدنيه .

قالوا : إن عمه أبا طالب بعث إليه حين كلمته قريش فقال له : يا ابن أخي ، إن قومك قد جاءوني فقالوا لي كذا وكذا ، فأبق عليَّ وعلى نفسك ، ولا تحملني من الأمر مالا أطيق . فظن رسول ـ ﷺ ـ أنه قد بدا لعمه فيه بَدَاء(*) وأنه خاذله ومسلمه ، وأنه قد ضعف عن نصرته والقيام معه ، فقال : ياعماه ، لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا لأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ماتركته . ثم استعبر ـ ﷺ ـ فبكى ! .

يادموع النبوة ! لقد أثبت أن النفس العظيمة لن تتعزى عن شيء منها بشيء من غيرها كائنا ما كان ، لامن ذهب الأرض وفضتها ، ولا من ذهب السماء وفضتها إذا وضعت الشمس في يد والقمر في الأخرى .

وكل حوادث المدة قبل الهجرة على طولها ليست إلا دليل ذلك الزمن على أنه زمن نبي ، لازمن ملك أو سياسي أو زعيم ، ودليل الحقيقة على أن هذا اليقين الثابت ليس يقين الإنسان الاجتماعي من جهة قوته ، بل يقين الإنسان الإلهي من جهة قلبه ، ودليل الحكمة على أن هذا الدين ليس من العقائد الموضوعة التي تنشرها عدوى النفس للنفس ، فهاهو ذا لايبلغ أهله في ثلاث عشرة سنة أكثر مما تبلغ أسرة تتوالد في هذه الحقبة ، ودليل الانسانية على أنه وحي الله بإيجاد الإخاء العالمي والوحدة الإنسانية . أفلم يكن خروجه عن موطنه هو تحققه في العالم ؟

ثلاث عشرة سنة ، كانت ثلاثة عشر دليلا تثبت أن النبي ـ ﷺ ـ ليس رجل ملك ، ولا سياسة ، ولا زعامة ، ولو كان واحداً من هؤلاء

(*) أي نشأ له رأي جديد فيه ، وهذا كما يقولون : رجع عن رأيه .

لأدرك فى قليل ، وليس مبتدع شريعة من نفسه ، وإلا لما غبر فى قومه وكأنه لم يجدهم وهم حوله ، وليس صاحب فكرة تعمل أساليب النفس فى انتشارها ، ولو كانه لحملهم على محضها وممزوجها ، وليس رجلا متعلقاً بالمصادفات الاجتماعية ، ولو هو كان لجعل إيمان يوم كفر يوم ، وليس مصلح عشيرة يهذب منها على قدر ما تقبل منه سياسة ومخادعة ، ولا رجل وطنه تكون غايته أن يشمخ فى أرضه شموخ جبل فيها دون أن يحاول مابلغ إليه من إطلاله على الدنيا إطلال السماء على الأرض ، ولا رجل حاضره ، إذ كان واثقاً دائماً أن معه الغد وآتيه وإن أدبر عنه اليوم وذاهبه ، ولا رجل طبيعته البشرية يلتمس لها ما يلتمس الجائع لبطنه ، ولا رجل شخصيته يستهوى بها ويسحر ، ولا رجل بطشه يغلب به ويتسلط ، ولا رجل الأرض فى الأرض ، ولكن رجل السماء فى الأرض هذه هى حكمة الله فى تدبيره لنبيه قبل الهجرة : قبض عنه أطراف الزمن ، وحصره من ثلاث عشرة سنة فى مثل سنة واحدة ، لاتصدر به الأمور مصادرها كى تثبت أنها لاتصدر به ، ولا تستحق به الحقيقة لتدل على أنها ليست من قوته وعمله .

وكان ـ ﷺ ـ على ذلك ـ وهو فى حدود نفسه وضيق مكانه ـ يتسع فى الزمن من حيث لايرى ذلك أحد ولايعلمه ، وكأنما كانت شمس اليوم الذى سينتصر فيه ـ قبل أن تشرق على الدنيا بثلاث عشرة سنة ـ مشرقة فى قلبه ـ ﷺ .

والفصل من السنة لا يقدمه الناس ولا يؤخرونه ، لأنه من سير الكون كله ، والسحابة لايشعلون برقها بالمصابيح ، ومع النبى من مثل ذلك برهان الله على رسالته ، إلى أن نزل قوله تعالى :

﴿ وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾[1]

فحل الفصل ، وانطلقت الصاعقة ، وكانت الهجرة .

تلك هى المقدمة الإلهية للتاريخ ، وكان طبيعيا أن يطرد التاريخ بعدها ، حتى قال الرشيد للسحابة وقد مرت به : أمطرى حيث شئت فسيأتينى خراجك !

قرأت بالأمس تاريخ الهجرة النبوية فى كتاب أبى جعفر الطبرى لأكتب هذه الكلمة ، فلم أكن ـ علم الله ـ فى كتاب ولا فى حكاية ، بل فى عالم انبثق فى نفسى مخلوقاً تاماً بأهله ، وحوادث أهله ، وأسرار أهله جميعا ، كما يرى المحب حبيبه : لايكون الجميل فى محل إلا امتلأ مكانه بعاشقه ، فهو مكان من النفس والدنيا ، لا من الدنيا وحدها ، وفيه الحياة كما هى فى الوجود بمظهر المادة ، وكما هى فى الحب بمظهر الروح .

وتلك حالة من القراءة بالروح والكتابة بالروح ، متى أنت سموت إليها رأيت فيها غير المعنى يخرج معنى ، ومن لاشىء تخلق أشياء ، لأنك منها اتصلت بأسرار نفسك ، ومن نفسك اتصلت بأسرار فوقها ، فيصبح التاريخ معك فن الوجود الإنسانى على الوجه الذى أفضت به الحكمة إلى الحياة لتستمر بالنفس الإنسانية ، لا فن علم الناس على الوجه الذى أفضت به الحوادث مما بين الحياة والموت .

---

(١) سورة الأنفال الآية : ٣٩ .

# مولودون في ظلال الهجرة

بقلم الأستاذ عبد الحفيظ فرغلي على القرني

**تمس ذكرى الهجرة إلى المدينة المنورة وجدان المسلمين ، وتثير مشاعرهم ، لما يتمثل فيها من جوانب عظمة الرسول - ﷺ - وأصحابه الكرام الذين تحدوا المخاطر ، وتخطوا الصعاب ، ووضعوا أرواحهم على أكفهم فى سبيل الله ونشر دينه فى الآفاق .**

**ولكن يكاد حديث الناس ينحصر فى هذه المناسبة الجليلة فى الهجرة إلى المدينة المنورة ، ولا يكادون يتحدثون عن هجرة الحبشة التى سبقت الهجرة إلى المدينة ، حيث هاجر كثير من المسلمين إلى الحبشة فى دفعتين بلغ عدد رجالهما ثلاثة وثمانون رجلا عدا من اصطحبوه من نسائهم وأطفالهم . وقد ولد لكثير منهم فى الهجرة من أصبحوا فى أفق الإسلام شموساً مشرقة وكواكب مزهرة .**

الهجرة من علامات الإيمان :

كانت الهجرة فى بدء الإسلام الدليل العملى على قوة الإيمان ، فعن طريقها يثبت المسلم إن كان الله ورسوله أحب إليه من أهله ونفسه ووطنه ، أم لا ؟

وقد كان ذلك فى وقت اشتد فيه الأذى على المسلمين ، حيث غلظت أكباد المشركين ، فأقبلوا على من أسلم يذيقونه أشد العذاب الذى تُحدِّثنا كتب السيرة والتاريخ عن مدى بشاعته وفظاعته .

ولم يكن هناك طريق للإفلات من هذا التعذيب الوحشى إلا بالهجرة إلى الحبشة ، حيث قال النبى ﷺ لأصحابه المستضعفين : « لو خرجتم إلى أرض الحبشة - فإن بها ملكا لايظلم عنده أحد ، وهى أرض صدق - يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه » - سيرة ابن هشام .

وشعر المسلمون فى الحبشة بالأمن والأمان - كما أخبر النبى ﷺ .

غيظ قريش :

وأغاظ ذلك قريشاً ففكرت فى إعادة هؤلاء المهاجرين إلى مكة لتعذيبهم ، وأرسلت لهذا الغرض عمرو بن العاص وعبدالله بن أبى ربيعة ، ولكنهما فشلا فى مهمتهما ، فقد وجدا - على الرغم من الهدايا التى حملاها معهما ليرشُوَا بها النجاشى وحاشيته ، بالرغم من تزييف الكلام وتنميقه ليوغرا به صدر النجاشى على من عنده من المسلمين ليطردهم - وجدا من النجاشى أذنا صماء عن الغيبة ، ويداً ضنينة بالتفريط فى الحق ، وقلبا واسعاً للمناقشة والمحاورة ، فأعلن عن مناظـرة تبين من خلالها وجــه الحق والصواب ، وأدرك أن المسلمين على الجادة ،

وأن مايقوله نبيهم - ﷺ - هو الصواب الذى جاء به قبله عيسى بن مريم - عليه السلام - فعاد رسولا قريش إلى مكة مخذولين مدحورين ، مردودة عليهما هداياهما المشبوهة ، فقد قال النجاشى - لبطارقته وحاشيته : ردوا عليهما هداياهما ، فلا حاجة لى بها ، فو الله ما أخذ الله منى الرشوة حين رد علىَّ ملكى فآخذ الرشوة فيه ، وما أطاع الناس فىَّ فأطيعهم فيه .

وأقام المسلمون عند النجاشى فى خير دار وأفضل جوار ، لم يعد أكثرهم من عنده إلا مع فتح خيبر فى العام السابع من الهجرة - فى المحرم منه .

### من المولودين فى الحبشة

لقد كفل الله للمهاجرين فى الحبشة فى ظل النجاشى حياة سعيدة آمنة ، وولد فى ظلها بعض الأبناء الذين نجبوا وعظم شأنهم فيما بعد ، ونحن نذكر بعض هؤلاء .

#### ١ - عبدالله بن عثمان بن عفان

وهو ابنهُ من زوجته السيدة رقية بنت رسول الله - ﷺ - وُلدَ عبدالله لأبويه فى الحبشة ، قال مصعب الزبيرى - فيما يرويه ابن الأثير فى أسد الغابة : لما هاجر عثمان بن عفان ومعه زوجته رقية بنت رسول الله - ﷺ - ولدت له هناك غلاماً سماه عبدالله ، وبه كان يُكْنى .

وكبر عبدالله حتى بلغ ست سنوات ، فاختاره الله إلى جواره ، ويقال - فى سبب موته : أن ديكا نقره فى عينه ، فتورم وجهه ، فمرض ومات سنة أربع من الهجرة ودفنه النبى - ﷺ - ونزل فى قبره - أسد الغابة ٣٣٥/٣ .

وقد هاجر عثمان بن عفان مع زوجته رقية إلى الحبشة الهجرتين . ولكنه قطع هجرته الثانية إليها ، وعاد إلى مكة ليهاجر الهجرة الثالثة إلى المدينة المنورة بعد ذلك .

#### ٢ - عبدالله بن جعفر بن أبى طالب

ومن الذين ولدوا بالحبشة عبدالله بن جعفر بن أبى طالب ، وأمه هى أسماء بنت عُميس ، كان جعفر وأسماء من السابقين إلى الإسلام ، وأسلم جعفر بعد واحد وثلاثين مسلما ، يقال فى سبب إسلامه : إن أبا طالب رأى النبى - ﷺ - يصلى وعن يمينه على بن أبى طالب ، فقال لابنه جعفر : صِلْ جناح ابن عمك وصَلِّ عن يساره . واستشهد جعفر فى موقعة مؤتة .

وكان ابنه عبدالله بن جعفر أول مولود فى الإسلام بأرض الحبشة ، وقدم مع أبويه إلى المدينة أيام خيبر .

وهو أخو محمد بن أبى بكر الصديق ، ويحيى بن على بن أبى طالب - رضى الله عنهما لأمهما .

وتوفى رسول الله - ﷺ - ولعبدالله بن جعفر عشر سنين ، وبلغ عبدالله القمة فى الكرم والسخاء ومكارم الأخلاق ، وكان النبى - ﷺ - يحبه . أخرج الإمام أحمد فى مسنده من حديث عبدالله بن جعفر قال : «أردفنى النبى - ﷺ - وراءه ذات يوم ، فأسَرَّ إلى حديثا لا أحدث به أحداً من الناس ، وكان أحب مااستتر به رسول الله - ﷺ - لحاجته هدف أو حائش نخل - يعنى حائطا - فدخل حائطا لرجل من الأنصار ، فإذا فيه جمل ، فلما رأى النبى - ﷺ - جَرْجَر - الجرجرة صوت البعير - وذرفت عيناه ، فأتاه النبى - ﷺ - فمسح رأسه إلى سنامه وذِفْرَيه - موضع رأسه وهو الموضع الذى يعرق من قفاه - فسكن ، فقال : من رب هذا الجمل ؟ فجاء فتى من الأنصار فقال : هو لى يارسول الله . فقال : ألا تتقى الله

فى هذه البهيمة التى ملّكك الله إياها ، فإنه شكا إلى أنك تجيعه وتدئبه ؟» المسند ٢٠٤/١

ولعبد الله بن جعفر أخبار فى الكرم والسخاء والحلم والوفاء لاتحصى ، تزوج من السيدة زينب بنت الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ وله منها : على ، وعون الأكبر ، وعباس ، ومحمد ، وأم كلثوم ، وقد استشهد بعضهم مع خالهم الحسين ـ رضى الله عنه ـ فى كربلاء سنة ٦١ هـ .

وتزوجت أم كلثوم ابن عمها القاسم بن محمد ابن جعفر ، فولدت له بنتا اسمها فاطمة ، وبعد وفاة القاسم أراد الحجاج بن يوسف الثقفى التزوج منها ـ وهو يومئذ أمير مكة والمدينة ـ ولكن عبد الملك بن مروان أمره أن يفارقها ، ففارقها . فتزوجها أبان بن عثمان بن عفان ـ «السيدة زينب» للشيخ موسى محمد على ص ١١٥ ـ توفى عبدالله بن جعفر سنة ثمانين من الهجرة ، ودفن بالبقيع ـ رضى الله عنه ـ أسد الغابة ٢٠٠/٣ .

٣ ـ محمد بن أبى حذيفة

ومن الذين ولدوا فى الحبشة محمد بن أبى حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس وكنيته أبو القاسم ، وهو أحد الذين تسموا باسم النبى ـ ﷺ ـ واكتنوا بكنيته ـ أسد الغابة ٨٧/٥ .

وكان أبوه من السابقين إلى الإسلام ، الذين أبلوا فيه بلاء حسنا . هاجر إلى الحبشة ، ثم إلى المدينة ، وكانت معه فى الهجرتين زوجته سهلة بنت سهيل بن عمرو ، وولدت له فى الحبشة محمد بن أبى حذيفة .

وقد جمع الله لأبى حذيفة بين الفضل والشرف ، وعاد من هجرته من الحبشة مبكرا إلى مكة ، وأقام مع النبى ـ ﷺ ـ حتى هاجر إلى المدينة .

واستشهد أبو حذيفة فى معركة اليمامة فى عهد أبى بكر ، بعد أن كان قد شهد مشاهد الرسول ـ ﷺ ـ كلها معه . ولما قتل أبو حذيفة ضم عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ إليه ابنه محمداً فكفله إلى أن كبر ، وسار محمد إلى مصر . وفى مصر كان من بين المؤلبين على عثمان . وقتل فى أيام معاوية بن أبى سفيان ـ اسد الغابة ٨٧/٥ .

**٤ ـ سعيد بن خالد بن سعيد ، وأخته**

وولد فى الحبشة سعيد بن خالد بن سعيد وأخته أمة بنت سعيد بن خالد . أبوهما خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف . أسلم قديما ، يقال : إنه أسلم بعد أبى بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ قالت ابنته أم خالد : كان أبى خامسا فى الإسلام ، تقدمه على ابن أبى طالب وأبو بكر وزيد بن حارثة وسعد بن أبى وقاص.

قصة فى سبب اسلامه : وكان سبب إسلامه إنه رأى فى نومه أنه وقف على شفير النار ، فذكر من سعتها ما الله أعلم به ، وكأنَّ أباه يدفعه إليها ، ورأى رسول الله ـ ﷺ ـ آخذاً بحقويه ـ الحقو : معقد الإزار من الخاصرة إلى الضلع ـ حتى لايقع فيها ، ففزع وقال : أحلف إنها لرؤيا حق ، ولقى أبا بكر ـ رضى الله عنه ـ فذكر ذلك له ، فقال له أبو بكر : أُرِيدَ بك الخيرُ ، هذا رسول الله ـ ﷺ ـ فاتبعه ، فإنك ستتبعه على الإسلام الذى يحجزك من أن تقع فى النار ، وأبوك واقع فيها . فلقى رسول الله ـ ﷺ ـ وهو بأجياد ، فقال له : يا محمد ، إلى من تدعو ؟ فقال : أدعو إلى الله وحده لاشريك له ، وأن

محمداً عبده ورسوله ، وتخلع ما أنت عليه من عبادة حجر لايسمع ولايبصر ، ولايضر ولاينفع ، ولايدرى من عبده ممن لم يعبده .

قال خالد : فإنى أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أنك رسول الله . ـ أسد الغابة ٩٨/٢ وهاجر خالد إلى الحبشة ، ومعه زوجته أميمة ـ وقيل : همينة ـ بنت خالد ـ وقيل : بنت خلف ـ الخزاعية . وفى الحبشة ولد لهما ابنهما سعيد ، وابنتهما أمة التى كنيت بأم خالد ، وبها اشتهرت .

وعاد خالد بن سعيد ومعه زوجته وولداه مع جعفر بن أبى طالب إلى المدينة ، والنبى ـ ﷺ ـ فى غزوة خيبر ، فأسهم للعائدين جميعا من خيبر مع من حضر الموقعة .

ولم تتحدث الأخبار كثيرا عن سعيد بن خالد ، ولكنها تحدثت عن أم خالد : أمة بنت خالد .

قال ابن الأثير : كبرت أمة بنت خالد ، فتزوجها الزبير بن العوام فولدت له عمرو بن الزبير ، وخالد بن الزبير ، وبه كانت تكنى .

وحين عادت مع أبويها إلى المدينة ـ وكانت طفلة ذات سنوات ـ كان النبى ـ ﷺ ـ يدللها ويقول لها : «سناه سناه يا أم خالد» أى حسن حسن بلغة الحبشة .

وفى تكنية النبى ـ ﷺ ـ لها بأم خالد إلهام نبوى ، فقد كان اسمها أمة ، ولم تُكنَّ بأم خالد إلا بعد أن تزوجت وولد لها خالد بن الزبير ، فكانت تكنية النبى ـ ﷺ ـ لها وهى طفلة بهذه الكنية من إشراقات النبوة .

وكساها النبى ـ ﷺ ـ وهى صغيرة . حكى ذلك السهيلى فى الروض الأنف ج ٢ ص ٨٠ .

وروى ابن المبارك عن خالد بن سعيد عن أبيه عن أمة أم خالد قالت : اتيت النبى ـ ﷺ ـ مع أبى ، وعلى قميص أصفر ، فقال النبى ـ ﷺ : «سنه سنه ـ قال عبدالله : وهى بالحبشية حسنة ـ فذهبت ألعب بخاتم النبوة ، فزبرنى ـ دفعنى ـ أبى ، فقال رسول الله ـ ﷺ : «دعها» .

أخرجه البخارى فى كتاب الجهاد ـ باب من تكلم بالفارسية والرطانة ج ٤ ص ٩٠ وكتاب الأدب ـ باب من ترك صبية غيره تلعب ٨/٨ .

وفى كسوة النبى ـ ﷺ ـ لها حدث البخارى قال : عن أم خالد بنت خالد قالت : أتى النبى ـ ﷺ ـ بثياب فيها خميصة سوداء صغيرة ، فقال : «من ترون أكسو هذه ؟» فسكت القوم ، فقال : «آتونى بأم خالد» فأتى بها تحمل ، فأخذ الخميصة بيده فألبسها ، وقال : «أبلى وأخلقى» وكان فيها علم أخضر أو أصفر ، وقال : «يا أم خالد ، هذا سناه» ـ أخرجه البخارى فى كتاب اللباس ـ باب الخميصة السوداء ١٩١/٧ .

## ٥ ـ عبدالله بن المطلب بن أزهر بن عون الزهرى

أسلم المطلب بن أزهر الزهرى ، وهو ابن عم عبدالرحمن بن عوف أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وأخو طليب بن أزهر . وهاجر هو وأخوه طليب إلى الحبشة .

وولد للمطلب فى الحبشة ابن عبدالله وأمه هى رملة بنت أبى عوف بن صبيرة ـ ولم يلبث أن توفى المطلب فى الحبشة فورثه ابنه عبدالله فكان أول من ورث أباه فى الإسلام ـ أسد الغابة ٣٩٢/٣ .

٦ ـ زينب بنت أبى سلمة

ومن المولودات فى أرض الحبشة زينب بنت أبى سلمة بن عبد الأسد القرشية المخزومية . وأمها أم المؤمنين هند بنت أبى أمية بن المغيرة المخزومية ، وتكنى أم سلمة ـ رضى الله عنها ـ تزوجها النبى ـ ﷺ ـ بعد وفاة زوجها المجاهد أبو سلمة متأثرا بجرح أصابه فى أحد ، وكان قد أندمل هذا الجرح ، ثم انتقض عليه فمات فى جمادى الآخرة سنة ثلاث من الهجرة .

وحين تزوج النبى ـ ﷺ ـ أمها كانت صغيرة ، ولذلك يطلق عليها ربيبة رسول الله ـ ﷺ .

قال ابن الأثير : ولدتها أمها بأرض الحبشة وقدمت بها معها ، وروى ما أسنده إليها ، قالت : كانت أمى إذا دخل رسول الله ـ ﷺ ـ يغتسل تقول لى : ادخلى عليه ، فإذا دخلت نضح فى وجهى من الماء ، ويقول : « ارجعى » قال عطّاف بن خالد المخزومى : قالت أمى : ورأيت زينب وهى عجوز كبيرة مانقص من وجهها شىء [ أسد الغابة ١٣٢/٧ ] وما ذلك إلا ببركة رسول الله ـ ﷺ ـ والماء الذى كان ينضح به وجهها .

وكبرت زينب فتزوجها عبدالله بن زمعة بن الأسود الأسدى ، فولدت له ، وكانت أفقه نساء زمانها ، وقتل لها يوم الحرة سنة ٦٢ هـ ولدان .

قال ابن عبدالبر : لما كان يوم الحرة قُتل أهل المدينة ، فكان فيمن قتل أبناء زينب ربيبة رسول الله ـ ﷺ ـ فحملا فوضعا بين يديها مقتولين ، فقالت : إنا لله وإن إليه راجعون ، والله إن المصيبة فيهما على لكبيرة ، وهى علىَّ فى هذا أكبر منها فى هذا ، لأنه جلس فى بيته . فدُخل عليه فقتل مظلوما ، أما الآخر فإنه بسط يده فقاتل فلا أدرى علام هو من ذلك ـ الاستيعـــاب فى الأصحاب ١٨٥٥/٤ .

٧ ـ أول مولود للمهاجرين فى المدينة

أما أول مولود للمهاجرين فى المدينة ، فهو عبدالله بن الزبير بن العوام ، وأمه ذات النطاقين أسماء بنت أبى بكر الصديق ـ رضى الله عنهما .

وحين ولد حمل إلى النبى ـ ﷺ ـ فحنكه بتمرة لاكها فى ( فيه ) ثم حنكه بها ، فكان ريق رسول الله ـ ﷺ ـ أول شىء دخل جوفه ، وسماه عبدالله ، وكناه : أبا بكر بجده أبى بكر .

وكان ابن الزبير صاحب مناقب عظيمة وجهاد فى الإسلام ، وهو أحد الذين لقبوا بأمير المؤمنين ، حين أخذ البيعة لنفسه بعد وفاة معاوية وابنه يزيد ، ودانت له بالطاعة معظم البلاد ماعدا الشام . وقتل ـ رضى الله عنه ـ وهو محاصر بالكعبة سنة ثلاث وسبعين من الهجرة النبوية .

وحين قتل كبَّر أهل الشام ، فقال عبدالله ابن عمر ـ رضى الله عنهما : المكبرون عليه يوم ولد خير من المكبرين عليه يوم قتل .. أسد الغابة ٢٤٤/٣ .

وبعد ، فهذه شذرات من سيرة بعض من ولدوا فى دار الهجرة التى اضطر آباؤهم إليها ، فرارا بدينهم إلى الله ، وضنا بعقيدتهم التى هان فى سبيلها المال والوطن والأهل والعشيرة ، وصدق الله اذ يقول ـ فى حق المهاجرين : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ ﴾

الحشر .

# الصحابى الجليل والخليفة الراشد
## عثمان بن عفان رضى الله عنه

للمستشار / محمد عزت الطهطاوى

**أحد المبشرين بالجنة ، شب على كريم الخصال وحسن السيرة ، عفيفاً حَيِيًّا محبباً فى قومه مأموناً عندهم أثيراً لديهم ، أجاب إلى الإسلام على يد أبى بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ ولقوة صلته بالنبى ﷺ زوجه من ابنته (رقية) فلما توفيت زوَّجه بابنته الثانية (أم كلثوم) فكانت معه حتى توفيت فى السنة التاسعة للهجرة ولهذا سمى ذا النورين ، كما كان ـ رضى الله عنه ـ من كتاب الوحى .**

**ذلك هو عثمان ابن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى رضى الله عنه ، يجمع مع رسول الله ﷺ فى عبد مناف[1] .**

### كيف كانت هجرته الأولى إلى الحبشة ؟

قال محمد بن اسحق : (لما رأى رسول الله ﷺ ما يصيب أصحابه من البلاء والعذاب من قبل كفار قريش قال لهم : «لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد وهى أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه» فخرج من المسلمين فى مكة أحد عشر رجلًا وأربع نسوة كان منهم عثمان بن عفان وامرأته رقية بنت رسول الله ﷺ ، وكان ذلك لخمس سنين من البعثة[2] ، وفى هذه الهجرة قال رسول الله ﷺ : صحبهما الله ، إن عثمان لأول من هاجر بأهله بعد لوط[3]

يشير ﷺ إلى قول الله ـ جل وعلا : ﴿ فَآمَنَ لَهُۥ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ﴾[4].

وفى أرض الحبشة يقول قائلهم : (فجاورنا بها خير جار ، أمناً على ديننا ، وعبدنا الله تعالى لا نؤذى ولا نسمع شيئاً نكرهه)[5].

### هجرته الثانية إلى أرض الحبشة :

وكان عدة من خرج فى هذه الهجرة من الرجال ثلاثة وثمانين ، ومن النساء إحدى

---

(1) (الخلفاء الراشدون) تأليف الشيخ عبدالوهاب النجار صفحة ٢٦٣ ـ الطبعة الثانية سنة ١٩٦٠.

(2) فقه السيرة تأليف الشيخ محمد الغزالى صفحة ١١٥ الطبعة الثالثة سنة ١٩٦٠.

(3) (الخلفاء الراشدون) المرجع السابق صفحة ٢٦٤ .

(4) سورة العنكبوت الآية ٢٦ .

(5) نهاية فى الأرب فى فنون الأدب لشهاب الدين النويرى صفحة ٢٣٣ بالسفر السادس عشر طبعة دار الكتب المصرية ١٣٧٤هـ ـ ١٩٥٥م.

عشرة ، منهم : عثمان بن عفان وزوجه رقية بنت رسول الله ﷺ فقال عثمان : (يا رسول الله ، فهجرتنا الأولى وهذه الآخرة إلى النجاشي ولست معنا فقال ﷺ : أنتم مهاجرون إلى الله وإلىّ ، لكم هاتان الهجرتان جميعاً : قال عثمان فحسبنا يا رسول الله[7].

وكانت هذه الهجرة الثانية إلى الحبشة أشق من سابقتها فقد تيقظ لها المشركون من قريش وقرروا إحباطها ، بيد أن المسلمين كانوا أسرع فيسر الله لهم السفـــر قبـــل أن يصل إليهم أعداؤهـــم المشركـون ، وانحازوا إلى أرض الحبشة حيث وجدوا عند حاكمها ما يبغون من أمان وطيب جوار وكرم وفادة[8].

تآمر المشركين بمكة على المسلمين بالحبشة لتسليمهم إليهم :

عن أم سلمة ــ رضى الله عنها ــ قالت : (لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خير جار ، أمنا على ديننا ، وعبدنا الله لا نؤذى ولا نسمع شيئاً نكرهه ، فلما بلغ ذلك قريشاً ائتمروا بينهم أن يبعثوا إلى النجاشي فينا رجلين جلدين هما : عمرو بن العاص وعبدالله ابن أبي ربيعة ــ وذلك قبل إسلامهمـا ــ وأن يهدوا للنجاشي هدايـــا مما يستطرف من متاع مكة وكان من أعجب ما يأتيه منها الأدم فجمعوا له أدماً كثيراً ولم يتركوا من بطارقته بطريقاً إلا دفعوا إليه هديته قبل أن يكلما النجاشي فيهم ، وقالا لكل بطريق منهم أنه قد لجأ إلى بلد الملك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا فى دينكم ، وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنتم وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشراف قومهم لردهم إليهم ، فإذا كلمنـا الملك فيهم فأشيروا عليه أن يسلمهم إلينا ولا يكلمهم .

فقال البطارقة : نعم) .

ثم إنهما قدما هداياهما إلى النجاشي فقبلهـا وعندئذ كلماه ليرد المسلمين المهاجرين بالحبشة إليها فقالت بطارقته : صدقا أيها الملك ، وطلبوا منه أن يسلمهم إليهم ؛ فغضب النجاشي ورفض تسليمهم حتى يدعوهم فيسألهم ويسمع منهم فإن كانوا كما يقول رسولا المشركين بمكة أسلمهم إليهم وردهم إلى قومهم ، وإن كانوا على غير ذلك منعهم منهم وأحسن جوارهم ما جاوروه[9] .

ثم أرسل النجـاشي إلى هؤلاء المهاجريـــن المسلمين فدعاهم فحضروا وقد أجمعوا على صدقة كل ما يسألهم ، وكان المتكلم عنهم جعفر بن أبي طالب فقال لهم النجاشي : (ما هذا الدين الذى فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا فى دينى ولا فى دين أحد من الناس ؟) .

فقال له جعفر : (أيها الملك كنا أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميته ونأتى الفواحش ونقطع الأرحـام ونسيىء الجوار ويـأكل القـوى منـا الضعيف حتى بعث الله إلينا رسولًا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه فدعانا لتوحيد الله وأن لا نشرك به شيئا ، ونخلع ما كنا نعبد من الأصنام ، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة ، وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقـذف المحصنة ، وأمرنـا بالصلاة والصيام والزكاة .. وعدد عليه أمور الإسلام .

قال جعفر : فآمنا به وصدقناه وحرمنا ما حرم علينا ، وحللنا ما أحل لنا ، فتعدى علينا قومنا

(٧) نهاية الأرب فى فنون الأدب المرجع السابق صفحة ٢٤١ .
(٨) فقه السيرة المرجع السابق صفحة ١١٩ .
(٩) نهاية الأرب فى فنون الأدب المرجع السابق صفحة ٢٤٨ .

فعذبونا وفتنونا عن ديننا ؛ ليردونا إلى عبادة الأوثان ، فلما قهرونا وظلمونا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك ، واخترناك على من سواك ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك ) .

فقال النجاشي : (هل معك مما جاء به عن الله شيء ؟ قال نعم ، فقرأ عليه صدراً من (كهيعص) فبكى النجاشي وأساقفته ، وقال النجاشي : إن هذا والذى جاء به المسيح يخرج من مشكاة واحدة ، وخاطب عمرو بن العاص وصاحبه بقوله : إنطلقا ، والله لا أسلمهم إليكما أبداً) .

ولما كان عمرو بن العاص صاحب حيلة ودهاء دبر فى نفسه أمراً وقال لصاحبه عبدالله بن أبى ربيعة (والله لآتينه غداً بما يبيد خضراءهم) فلما كان الغد قال للنجاشي : (إن هؤلاء يقولون فى المسيح ابن مريم قولًا عظيماً : فأرسل النجاشي يسألهم عن قولهم هذا ؟ فقال جعفر : نقول فيه الذى جاءنا به نبينا ، هو عبدالله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول ؛ فأخذ النجاشي عوداً من الأرض وقال : ماعدا المسيح ما قلت قدر هذا العود .

فنخرت[10] بطارقته فقال : وإن نخرتم ، وقال للمسلمين المهاجرين : اذهبوا فأنتم آمنون ما أحب أن لى جبلًا من ذهب وأنى آذيت رجلًا منكم ، ورد هدية قريش ، وقال : ما أخذ الله الرشوة منى حتى آخذها منكم ، ولا أطاع الناس فى حتى أطيعهم فيه ، وأقام المسلمون عنده بخير دار وأخفقت حيلة عمرو بن العاص ، وعاد هو وصاحبه إلى مكة يجرر أذيال الخيبة ، وعرفت قريش أنها لن تشبع ضغينتها على الإسلام وأهله إلا فى حدود سلطانها[11] .

**عودة عثمان بن عفان من الحبشة ثم هجرته إلى المدينة :**

بلغ أصحاب رسول الله ﷺ الذين خرجوا إلى أرض الحبشة خبرا عن إسلام أهل مكة فأقبل بعضهم على العودة إلى وطنهم حتى إذا دنوا من مكة تبين أن ما كانوا سمعوه عن إسلامهم كان باطلًا ، فلم يدخلها أحد منهم إلا بجوار أو مستخفياً وكان من هؤلاء العائدين عثمان بن عفان وزوجه رقية بنت رسول الله ﷺ .

ولما أيد الله نبيه ﷺ بالأنصار فى المدينة وبايعوه على النصرة والجهاد فى سبيل الله ، ونشر الإسلام أمر المسلمين فى مكة بالخروج إلى المدينة واللحوق بإخوانهم من المسلمين فيها وكان ممن خرج وهاجر عثمان بن عفان وزوجه رقية بنت رسول الله[12] .

فى المدينة شهد مع رسول الله ﷺ جميع مشاهده وغزواته إلا بدراً إذ كان يقوم بتمريض زوجه رقية بنت رسول الله ﷺ والتى توفيت فى اليوم الذى أظفر الله المسلمين على مشركى قريش ببدر وقد أسهم له النبى ﷺ مع الغانمين فعد بذلك بدرياً[13] .

**من مآثر عثمان بن عفان فى المدينة :**

كان ـ رضى الله عنه ـ ممن أدَرَّ الله تعالى عليه أخلاف الخير فقد كان واسع الثروة كثير المال لم

---

(١٠) فنخرت : تعنى تكلمت بلغتهم كما جاء فى كتاب نهاية الأرب المرجع السابق .

(١١) أخرج هذه القصة ابن اسحق فى المغازى وأحمد من طريق ابن اسحق بسند صحيح من حديث أم سلمة زوج النبى ﷺ جاء ذلك فى كتاب فقه السيرة المرجع السابق .

(١٢) نهاية الأرب المرجع السابق صفحة ٢٦٢ .

(١٣) الخلفاء الراشدون المرجع السابق صفحة ٢٦٤ .

يضن به فى فعل الخير إذ كان كريم النفس جواداً سخى اليد فى طاعة الله وإعلاء دينه ونفع المسلمين .

١ ـ فمن مسارعته إلى البذل ابتغاء وجه الله تعالى قيامه بشراء (بئر رومة) من مالكها اليهودى وجعلها سبيلاً للمسلمين يستقون منها تنفيذاً لتوجيه رسول الله ﷺ فى قوله : «من يشترى بئر رومه فيجعلها للمسلمين يضرب بدلوه فى دلائلهم وله بها مشرب فى الجنة» .

٢ ـ ومن هذا القبيل أن رسول الله ﷺ قال من «يزيد فى مسجدنا» فاشترى عثمان موضع خمس سوار فزاده فى المسجد .

٣ ـ ولقد بذل فى تجهيز جيش العسرة من ماله ما لم يبذله أحد ، فقد جهز ذلك الجيش بألف بعير وخمسين فرساً ، وقد أخرج الترمذى عن أنس والحاكم وصححه عن عبدالرحمن بن سمرة قال : جاء عثمان إلى النبى ﷺ بألف دينار حين جهز جيش العسرة فنثرها فى حجره فجعل رسول الله يقبلها ويقول (ما ضر عثمان ما صنع بعد اليوم) مرتين[(١٤)] .

الحديبية وعثمان بن عفان :

لما أهل يوم الإثنين الأول من ذى القعدة سنة ٦ للهجرة استنفر رسول الله ﷺ أصحابه إلى العمرة فأسرعوا وتهيئوا لها وركب عليه الصلاة والسلام راحلته وخرجوا من المدينة متوجهين إلى مكة المكرمة فى عدد يصل إلى ألف وخمسمائة وخمسة وعشرين رجلاً وليس معهم من السلاح إلا سلاح المسافر ، السيوف فى القرب وساق هو وأصحابه البدن حتى وصل إلى الحديبية وهى قرية قريبة من مكة ، ولما بلغ المشركين خروجه أجمعوا على صده عن المسجد الحرام وأرسلوا إليه مكرز ابن حفص بن الأخنف أخا بنى عامر ثم عروة بن مسعود الثقفى ليثنوه عن دخول مكة .

فرأى رسول الله ﷺ أن يبعث عثمان بن عفان إلى أبى سفيان بن حرب وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب وإنما جاء زائراً لبيت الله ومعظماً لحرمته لكن قريشاً احتبست عثمان عندها وبلغ المسلمين ما أشيع عن غدر قريش وأنها قتلت عثمان ، فدعا الرسول أصحابه إلى البيعة وقال لا نبرح حتى نناجز القوم فكانت بيعة الرضوان وتمت تحت الشجرة ، ثم علم حينذاك أن عثمان حى فقال عليه الصلاة والسلام : (إن عثمان فى حاجة الله وحاجة رسوله) ثم ضرب بإحدى يديه على الأخرى وقال بيده اليمنى : هذه يد عثمان . فكانت يد رسول الله لعثمان خيراً من أيديهم لأنفسهم[(١٥)] .

ثم أخبر الله تعالى نبيه برضاه عن أهل بيعة الرضوان فى القرآن الكريم وذلك فى قوله جلَّ وعلا : ﴿لَقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾[(١٦)] .

وقد انتهى أمر الحديبية بصلح بين قريش وبين المسلمين ولأن الرسول ﷺ كان على استعداد للتفاهم على أساس عادل سليم ؛ لأنه يؤمن بأن السلم هو أجدى وأنفع لدعوة الإسلام من الحرب ومن أجل ذلك فرح ، واستبشر حينما أرسلت قريش رسولها الأخير سهيل بن عمرو وتيمن باسمه وقال لأصحابه : (قد سهل الله لكم من أمركم) وكان من شروط الصلح أن يرجع النبى والمسلمون من غير عمرة هذا العام ثم يأتى العام المقبل فيدخلها

---

(١٤) المرجع السابق صفحة ٢٦٤ ، ٢٦٥.

(١٥) نهاية الأدب السفر السابع عشر صفحة ٢١٧ـ ٢١٨

(١٦) سورة الفتح الآية ١٨ .

بأصحابه بعد أن تخرج منها قريش فيقيمون بها ثلاثة أيام ليس معهم إلا القوس والسيف فى القراب وأن توقف الحرب بينهم عشر أعوام .

ولما استدار العام بعد الحديبية وأهل شهر ذى القعدة توجه الرسول ﷺ ومن معه من المسلمين إلى مكة لأداء العمرة وفق صلح الحديبية والسيوف فى قربها وساقوا الهدى أمامهم حيث مكثوا بها ثلاثة أيام قبل عودتهم إلى المدينة وقد سميت هذه العمرة بعمرة القضاء لأنها قضاء لعمرة الحديبية التى لم تتم وقتئذ[17] .

### كيف تولى عثمان بن عفان الخلافة وخطة عمله فيها :

لما طعن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ بفعل المجوسى أبى لؤلؤة فيروز وتيقن بدنو أجله ذكر للمسلمين ستة نفر من الصحابة كان منهم عثمان بن عفان وقال فيهم عمر : إن رسول الله ﷺ مات وهو عنهم راض ، وأنهم رؤساء الناس ، والناس لهم تبع ، وكانت استشارة عبدالرحمن بن عوف للناس فى شأن من يلى الخلافة تتجلى فى الغالب إلى عثمان فبويع بالخلافة ، وتم له ذلك فى السنة الرابعة والعشرين للهجرة .

وقد استفتح ـ رضى الله عنه ـ بكتب أربعة .

١ ـ فأرسل إلى أمراء الأمصار كتاباً يوصيهم فيه بأن يكونوا رعاة لا جباة ، وأنَّ أعدل السيرة أن ينظروا فى أمور المسلمين وفيما عليهم فيعطوهم مالهم ويأخذوهم بما عليهم ، وأن يعتنوا بالذمة فيعطوهم الذى لهم ويأخذوهم بالذى عليهم ، وأما عن الأعداء فعليهم أن يستفتحوا عليهم بالوفاء .

٢ ـ وأرسل إلى أمراء الأجناد بالثغور وهم حماة الإسلام وزادتهم ألا يبلغه عن أحد منهم تغيير ولا تبديل فيغير الله به ويستبدل بهم غيرهم .

٣ ـ وبعث إلى عمال الخراج أن يأخذوا الحق ويعطوا الحق وأن يحافظوا على أماناتهم ويوفون بها ولا يظلموا اليتيم ولا المعاهد فإن الله خصم لمن ظلمهم .

٤ ـ وكتب إلى العامة من المسلمين بالأمصار يوصيهم بالاقتداء والاتباع ويحذرهم من الابتداع[18] وجمع الناس بعد ذلك على مصحف واحد بالقراءات الثابتة بطريق التواتر عن رسول الله ﷺ .

### فتوحات المسلمين فى عهد عثمان بن عفان :

استأنفت دولة الخلافة حركة الفتوح فى عهده فتم فتح بلاد : أمنية والقوقاز وكانت أذربيجان قد سبق فتحها فى عهد عمر ـ رضى الله عنه ـ كما تم للمسلمين فتح باقى بلاد الفرس والتى كانت تضم بلاد بلوخستان وبلاد الأفغان وكردستان ، وقضى على بيت الملك فى دولة الفرس الساسانية بمقتل يزدجرد آخر ملوكهم .

أما فى بلاد الروم ، فقد تم فتح عمورية على حدود غلاطية وأيضاً تم فتح جزيرة قبرص بواسطة أساطيل المسلمين التى تم بناؤها فصارت محطة حربية ومستودعاً للمسلمين فى البحر ونقطة اتصال بحرية بين أهل الشام وبين أساطيلهم التى كانت تمخر البحر الأبيض المتوسط وتلجأ إلى تلك الجزيرة عند الحاجة .

---

(١٧) سيرة الرسول تأليف الدكتور محمد الطيب النجار صفحة ٢٦١ ـ ٢٦٨ .

(١٨) الخلفاء الراشدون صفحة ٢٦٨ ـ ٢٦٩ .

(١٨) مجلة الأزهر عدد ذى القعدة سنة ١٣٩٠ هـ مقال عن القراءات للأستاذ عبدالفتاح القاضى بتصرف واختصار .

ومن تاريخ فتح هذه الجزيرة سنة ٢٨ هجرية صارت دولة الإسلام دولة بحرية كما هي دولة برية وقد أفادها ذلك بسبب طول شواطئها في الشام ومصر .. وبرقة وتونس[١٩] .

**الفتنة التي أشعلها اليهودي ابن سبأ وكيف انتهت بمقتل عثمان ظلماً :**

كانت دولة الإسلام في عهد خلافة عثمان قد بدأت في تثبيت حضارتها الربانية لكي تحقق الغاية العليا من الوجود الإنساني في عبادة الله وحده وإسعاد خلقه ، وأجمع الرواة وأهل الأخبار على أنه – رضي الله عنه – قضى الشطر الأكبر من خلافته وهو أحب الناس إلى الرعية .

ولكن كيف تستقيم الأمور وهناك من يتربص بالدولة الناشئة من اليهود بعد أن أكل الحقد قلبه بسبب شموخ دولـــة الإسلام وصلاح حال المسلمين ؟! فعمل عبدالله بن سبأ اليهودي – بعد أن أظهر إسلامه – على إشعال الفتنة وإثارة المسلمين على خليفتهم ، فأخذ ينتقل من إقليم إلى إقليم حتى ألف في كل مكان جماعة ناقمة ساخطة على الخليفة ، ثم اتفقوا سنة ٣٥ للهجرة على أن يتوافدوا إلى المدينة ، فقدمت تلك الوفود من مصر والكوفة والبصرة كل منها في أربع فرق ..

فلما جاءت الجمعة التي تلي دخولهم المدينة خرج عثمان فصلى بالناس ، وقام جدال بينه وبين تلك الوفود فثاروا عليه وحصبوه حتى خر مغشياً عليه ، فأدخل داره وقد دافع عنه جماعة من أهل المدينة منهم : سعد بن أبي وقاص ، وزيد بن ثابت ، والحسن بن علي بن أبي طالب ، فأرسل إليهم عثمان أن ينصرفوا حقناً للدماء فانصرفوا وقد صلى – رضي الله عنه – بالناس ثلاثين يوماً ثم منعه الثوار من الصلاة وحاصروه في داره ومنعوه الماء ، ولزم أهل المدينة بيوتهم خوفاً منهم ، ودام ذلك خمسين يوماً ، ثم ازداد حنقهم عليه وجَدُّوا في قتاله ، فبعث الإمام علي بن أبي طالب ابنيه الحسن والحسين يذبان عنه وكذلك فعل الزبير بن العوام ، وطلحة ابن عبيد الله وغيرهم فوقفوا على باب عثمان يذبون عنه .

فلما رأى الثائرون ذلك تسوروا داره من منزل مجاور لها ، ونزل عليه منهم رجلان فقتلاه وهربا ، ولم يكن معه إلا امرأته نائلة بنت القرافصة فصرخت وقالت : قد قتل أمير المؤمنين ودخل الحسن والحسين ومن كان معهما من بني أمية فوجدوه قد فاضت نفسه ولم يمكنهم أن يسألوا عمن قتله[٢٠] وكان ذلك لثماني عشرة ليلة من ذي الحجة سنة ٣٥ هجرية التي توافق ٢٠ من مايو سنة ٦٥٦ ميلادية[٢١].

وبوفاته – رضي الله عنه – طويت صفحة ناصعة مجيدة من صفحات الخلفاء الراشدين المهديين بعد رسول الله ﷺ لكن يبقى دليل الاتهام والجريمة أبد الدهر يشير بشدة بأن الخزي والعار على ذلك اليهودي ابن سبأ الذي دس الفتنة وأهاج الناس بحقده الأسود ففرق جماعة المسلمين وجعلها شيعاً وأحزاباً وهل هناك شاهد على عداوتهم أصدق من القرآن . قال الله تعالى : ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ﴾[٢٢].

---

(١٩) الخلفاء الراشدون المرجع السابق صفحة ٢٧٠ – ٢٩٢.

(٢٠) القضايا الكبرى في الإسلام تأليف الشيخ عبدالمتعال الصعيدي الأستاذ السابق بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر صفحة ١٥٩ – ١٦٠ الطبعة الثانية .

(٢١) (الخلفاء الراشدون) المرجع السابق صفحة ٣٤٢.

(٢٢) جزء من الآية ٨٢ من سورة المائدة .



**الإجابة من لجنة الفتوى بالأزهر** **إعداد الأستاذ عبدالمنعم فوده**

**السؤال من السيد/أ . س . ى**

**من هو الخضر ، وهل هوى نبى أو رسول ، وهل هو حى أو ميت ؟**

**الجـــواب**

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرق المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد فإن الخضر رضى الله عنه عبد صالح من عباد الله الصالحين وقيل : إنه نبى من أنبياء الله عز وجل وقد كان موجوداً فى عهد سيدنا موسى ـ عليه السلام ـ وهو الرجل الصالح الذى تقابل معه فى عرض البحر واتبعه وكان من أمره ماكان مع موسى : فى قصة السفينة التى حرقها والطفل الذى قتله والجدار الذى أقامه كما ذكر ذلك فى سورة الكهف .

وليس معنى هذا أنه أفضل من موسى ـ عليه السلام ـ أو من نبى لكن الله علمه علما لم يعلمه لموسى عليه السلام وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

أما عن حياته أو موته فالله أعلم بأنه مات بعد انقضاء أجله وما يتردد بين الناس بأنه حيٌ للآن لم يقم عليه دليل قاطع والحق أنه مات بعد انقضاء أجله .

**السؤال من السيد/ز . ص . ب**

**فى شهر رمضان من كل عام يلقى فى بلدنا قبل صلاة العشاء درس علم ، وفى يوم من الأيام طال وقت الدرس حتى ميعاد آذان العشاء ، فاستمر شيخ المسجد فى آداء الدرس حتى تأخر لأكثر من ساعتين بعد ميعاد وقت الصلاة ، وقد نبهنا عليه بهذا أكثر من مرة وما**

**أن انتهى من الدرس حتى صاح غاضبا بأننا جهلاء لانعرف شيئا ، وأن الدرس أهم من الأذان . أفيدونا أفادكم الله هل كلام الشيخ على صواب أم خطأ .**

الجـــواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد .

فإن الآذان للإعلام بدخول الوقت ويستحب المحافظة عليه فى أول الوقت لآداء الصلاة فى وقتها المشروع والصلاة فى أول الوقت رضوان لله فإذا كان هناك درس دينى وسط جمهور داخل المسجد فلا مانع من أن يقف العالم بمقدار الآذان ويردد الجميع وراء المؤذن الآذان ويصلون على النبى ـ ﷺ ـ ولا يجوز تأخير الآذان لآخر الوقت أوحتى ينتهى المحاضر من محاضرته ـ بل لابد من الإعلام بدخول الوقت فى حينه والله أعلم .

**السؤال من السيدة/ر . م . هـ**

**هل التعويض الذى يدفعه المالك مقابل التنازل عن العين المؤجرة حق لمن يقيم بالعين وينتفع بها ؟ أم يقسم المبلغ على الورثة باعتبار أن عقد الإيجار باسم أبيهم ، وتعامل معاملة التركة ؟**

الجـــواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

التعويض الذى يدفعه المالك فى سبيل التنازل عن العين للمالك إن كان يرضى نفسه وطيب خاطره فى نظير تنازل الورثة الذين لهم حق فى العين لا يأس به ولايعتبر خلواً عرماً ، لأنه هو الذى يعرض التنازل فى سبيل إخلاء العين .

ويكون المبلغ المدفوع من المالك من حق الورثة لهم أن يقتسموا فيه شرعا كما أوجبه الله لأصحاب الأنصبـــاء من التركـــة للذكـــر مثـــل حظ الانثيين ....الخ .

هو حَقٌ للجميع ولا يشترط أن يكون الجميع ساكنا فى العين لأنه تركة موروثة يجرى عليها مايجرى على التركة الشرعية ... والله أعلم .

**توفى شاب أعزب وترك والدته وأختين وأخ أشقاء وأخ غير شقيق من جهة الأم .**

**فهل يرث الأخ غير الشقيق . وما نصيب من يرث ؟**

**الأزهر لجنة الفتوى**

الجـــواب

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبى بعده .. وبعد .

فنفيد بأن للأم السدس فرضاً لوجود العدد من الاخوة وللأخ لأم السدس فرضاً لعدم من يحجبه والباق للأخ والأختين الأشقاء تعصيباً يقسم بينهم بينهم للذكر ضعف الأنثى هذا والله تعالى أعلم .

**توفى رجل بعد عام ١٩٤٦ م عن أربعة أبناء ، بنت أبن فمن يرث وما نصيبه ؟**

**الجـــواب**

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد فنفيد بأن فى تركة هذا المتوفى وصية واجبة لبنت الابن المتوفى قبل والده بمقدار ما كان يستحقه الابن لو كان على قيد الحياة فى حدود

الثلث طبقا لقانون الوصية الواجبة المعمول به من أول أغسطس لسنة ١٩٤٦ م وبشرط ألا يكون الجد قد أعطاها شيئا حال حياته بدون عوض يساوى نصيب أصلها فتقسم التركة خمسة أجزاء جزء منها وصية واجبة لبنت الابن دون أن يشاركها أحد والباقى وهو أربعة أجزاء هو الميراث للأبناء الأربعة الأحياء تعصيبا يقسم بينهم بالتساوى والله تعالى أعلم .

**من/ن . ع . ف :**
**ما حكم صيام يوم عاشوراء .**
**وما هو الصيام المجزىء المتفق عليه .**

الجـــواب

صيام يوم عاشوراء مندوب شرعا لأن النبى - ﷺ - صامه وأمر بصيامه والصيام المجزىء المتفق عليه هو يوم العاشر من محرم وإن صام التاسع فلا مانع لأن النبى - ﷺ - قال:لو عشت إلى العام القادم لأصومن التاسع والعاشر .

**السؤال من السيد/أشرف محمود بدر الدين :**
**هل الزوج ملزم بشراء شقة ملك لإقامة الزوجة فيها ؟**
**وما حقوق الزوجة المطلقة بعد الدخول بها .**
**وهل للزوجة حق فى مال زوجها ؟**
**وما حكم منزل الزوجية بعد طلاق الزوجة ولم يكن معها حاضن . علما بأن المسكن باسم الزوج ؟**

الجـــواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد فنفيد عن السؤال الأول بأن الزوج ليس لزاما عليه شراء شقة للزواج بها ولكنه يمكن ايجاد شقة بالإيجار للإقامة بها هو وزوجته .

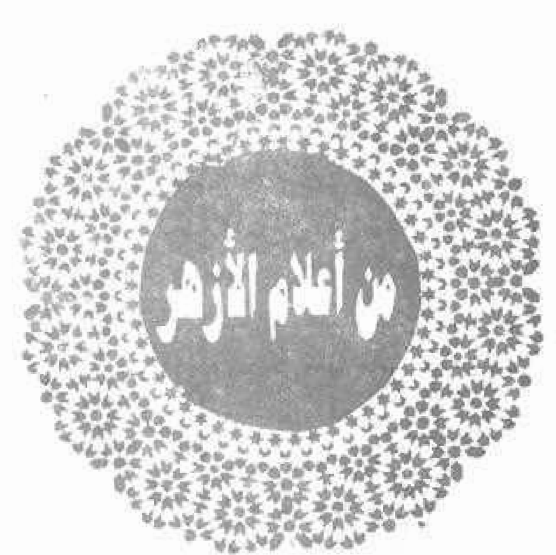
وعن الثانى بطلاق الزوجة تستحق مؤخر صداقها ، ونفقة عدتها ؛ فإذا كانت من ذوات الحيض فعدتها حينئذ ثلاثة حيضات ، وإن كانت يائسة فعدتها ثلاثة أشهر ، وإن كانت حاملا فعدتها بوضع الحمل . وليس للزوجة بعد ذلك حق فى مال زوجها .

وعن الثالث إذا كان المسكن باسم الزوج وطلق زوجته ولم يكن معها حاضن فعدتها تنتهى كما بيّنا فى السؤال السابق ؛ فبعد انتهاء العدة عليها أن تغادر مسكن الزوجية . أما إذا كان معها حاضن إن كان ذكراً لها أن تقيم فى منزل الزوجية حتى تنتهى سن الحضانة ، والحضانة بالنسبة للذكر عشر سنوات ، وللأنثى اثنا عشر عاما طبقا لقانون الأحوال الشخصية المعمول به فى مصر . وعلى كل الأحوال فالمسكن باسم الزوج والله تعالى أعلم .

**السؤال من السيد/عصام حسن فريد :**
**حلفت على زوجتى بقولى لها أنت طالق طالق طالق فى مجلس واحد وهذا أول طلاق فما الحكم ؟**

الجـــواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد فنفيد بأنه بقولك لزوجتك أنت طالق طالق طالق فى مجلس واحد يقع به طلقة واحدة رجعية فلك مراجعة زوجتك مادامت فى العدة فإذا انقضت عدتها منك حلت لك بعقد ومهر جديدين وبرضاها وتبقى معك على طلقتين هذا إذا كان الحال كما ذكر فى السؤال والله تعالى أعلم .






المؤرخ الحجة

# أبو حامد المراغي الجرجاوي

للدكتور / أحمد حسين النمكي

هو العالم والمؤرخ الحجة والفقيه النبيه محمد بن محمد بن حامد بن محمد بن أحمد بن حجازى بن أحمد الشريف ، الحسنى من جهة أبيه وأمه ، المالكى المذهب .

ولد الشيخ أبو حامد المراغى فى مدينة جرجا ، ليلة السبت الموافق ستة عشر من شهر شوال ١٢٨٢ هـ ، ١٨٦٥ م . وقد نشأ بين أحضان أسرة عرفت بعراقة النسب ، وإقبالها على العلم ، وكان لها صيت عريق فى الناحيتين الدينيـة والعلمية ، حيث ساهم جل أفرادها مساهمة فعالة فى الدفاع عن الدين الحنيف ونشر تعاليمه السمحة فى كافة ربوع مصر ، وكان لهذا الشيخ المراغى

الدور الأكبر[1] فقد كان ابنه العالم الفقيه الشيخ محمد آخر من بقى من أبناء الشيخ المراغى ، الذين حملوا راية الدين والعلم بعد أبيه[2] .

حفظ المراغى القرآن الكريم على يد الشيخ الفاضل أحمد المشهور بالعجماوى ، ثم أتم حفظ القرآن على يد عم والده الشيخ أحمد بن حامد المراغى ، وكذا جَوَّدَه صغيراً[3] ثم أخذ فى إعداد نفسه ليكون مؤرخاً كبيراً ، وفقيهاً قديراً ، وناظماً وشاعراً مجيداً ، فأخذ العلم على يد كثير من علماء صعيد مصر وغيرهم ، وكانت ( جرجا ) آنذاك ومنذ وجهت إليها الدولة العثمانية الأنظار ــ كعبة القصاد والعلماء ، إذ كان بها الأزهر الثانى الذى كان دوره لا يقل خطورة ولا إجلالًا عن دور الأزهر الشريف بالقاهرة ، وفى كل المجالات[4] .

فى هذا الأزهر تخرج الشيخ المراغى ، كما تخرج الكثير ، وأخذ يتردد على جوامع ومدارس جرجا التى بلغت فى القرن الثالث عشر الهجرى مكانة ملاحظة فى صعيد مصر[5] فاشتغل الشيخ بالعلم على يد أفاضل علماء جرجا الذين قال عنهم الشيخ الإبراشى شيخ الإسلام : « تغيب الفتوى فى كل مكان وتكون فى جرجا » ، وكان الشيخ عبد الله بن محمد بن محمد بن على المالكى السيوطى[6] آخر من تلقى على أيديهم العلم شيخنا المراغى ، ويذكر المراغى نفسه فى إحدى مخطوطاته أنه تلقى العلم على يد الكثير من العلماء ، مثل الشيخ عبد المتعال بن عمر الشهير بالبسطاوى وهو ممن أرخ له المراغى فى ( تعطير النواحى والأرجاء )[7] .

وأخذ عن الشيخ حجازى بن محمد بن عبد الله عنانى ، والشيخ نصر مفتى جرجا آنذاك[8] وقال المراغى نفسه : إنه تلقى العلم على يد جده لأمه العلامة الشيخ أبى بكر السيوطى من سنة ١٢٩٠ هـ إلى سنة ١٣٢٦ هـ الذى كان يلقى دروس العلم فى ( زاوية الكردى ) ، كما قال : « تلقيت فيها ــ أى زاوية الكردى ــ حاشية المصطفى وبعضاً من شرح الزرقانى وبعضاً من شرح الكفراوى على متن الآجرومية »[9] ، وكان ذلك على يد الشيخ السيد عبد العزيز بن عبد الخالق

---

(١) لقد ذهبنا إلى منزل الشيخ والمؤرخ المراغى بجرجا ، وعرفت من حفيدته السيدة الفاضلة فاطمة المراغى أن جدها المؤرخ أنجب ولدين .
الأول محمد ، وقد اشتغل بالعلم والإمامة خلفاً لوالده .
والثانى أبو الفضل .

(٢) كان الناس يُفرِّقون ــ فى مدينة جرجا ــ بين الشيخ الكبير محمد المراغى ، والابن الشيخ الصغير محمد المراغى ابن الأول ، فيطلقون على الشيخ المؤرخ أبى حامد المراغى لقب : « الشيخ أبو سنة » وهذا قد عرفناه عن أسرة المؤرخ نفسها . ولا ندرى تفسيراً لهذا اللقب .

(٣) محمد عبده الحجاجى : من أعلام الصعيد ، العارف بالله أحمد بن شرقاوى والخلفى ص ١١٥ طبعة دار التضامن ١٩٦٩ م .

(٤) أحمد حسين النمكى : الأزهر الثانى ، تاريخه وحضارته . مخطوط . ص ١٤/١٩ .

(٥) محمد عبده الحجاجى : المرجع السابق ، ص ١١٥ .

(٦) أحمد حسين النمكى : المرجع السابق ، ص ١٩ . مخطوط .

(٧) كان من شيوخ المراغى الذين عنوا بالبحث والتنقيب ، ولكنه لم يعن بالتأليف مثل تلميذه الذى كتب عنه فى ( تعطير النواحى والأرجاء ) الموجود فى دار المخطوطات المصرية . تحت رقم ١٠٦٤٩ ، ٣٥٠٩٦ ، ٤٧٩١٢ .

(٨) محمد بن محمد بن حامد المراغى : ( سلافة الشراب الصافى ) البكرى فى ترجمة عالم جرجا بل علامة الصعيد الشيخ عبد المنعم أبى بكرى . ص ٦ مخطوط بمكتبة الباحث .

(٩) المراغى : نفس المخطوط . ص ٢٠/١٩ .

الأنصارى المالكـــى المتـــوفى بمصر سنـــــة ١٣٣٦هـ[١٠] . وكان هذا العالم الفـــاضل من شيوخه العلامة الشيخ محمد المهدى الحنفى شيخ ومفتى الديار المصرية المتوفى سنة ١٣١٥هـ[١١] .

والجدير بالذكر أننا نجد الشيخ المراغى قد نشأ بين أحضان الأزهر الثانى وعلمائه ، ولاسيما أن له أسرة كان لها فى العلم باع طويل ، فقد كان جده لأمه عالماً[١٢] ، وكان جده لأبيه العالم الفاضل الشيخ محمد بن أحمد بن حجازى المالكى المراغى الجرجاوى أحد شيوخ الأزهر الجرجـاوى[١٣] ، ومن ثم تفرغ المترجم له تفرغاً كاملًا لجمع آثار العلماء الفضلاء ، منكباً على كتب التاريخ والأدب منهمكـاً فى جمع الدواويـن الأخباريـة فى كل أرب[١٤] ، ثم قرر الرحيل إلى القاهرة ليتلقى على علماء الأزهر الشريف بالقاهرة ، فأخذ العلم على يد الشيخ يوسف بن على الحواتكى الصعيدى ، والشيخ مصطفى حبيب المالكى والعلامة الشيخ أحمد المنصورى ، والشيخ محمد البسيونى وشيخ الجامع الأزهر العلامة سليم البشرى ، وشيـخ الإسلام محمد أبى الفضل الجيزاوى الـوراق ، وشيخ الأزهر محمد الامبابى[١٥] .

وبعد رحلته إلى القاهرة عاد إلى أهله ، وبلده والتقى بالشيخ الأستاذ الإمام أحمد بن شرقاوى[١٦] الذى تشرف على يديه بأخـذ تعاليم الطريقـة الخلوتية ، وكان الشيـخ ابـن شرقـاوى يعتز بتلميذه ، على الرغم من أنه كان أصغر المريدين سناً ، لكنه أوفرهم ذكاء ، وصار ملازماً له فى حله وترحاله ، ومؤرخاً له ، ومقيداً عنه أخباره وأحواله .

كتب المراغى رحلة أستاذه أحمد بن شرقاوى . واستطاع أن يربى ملكاته الروحية ، وفى الجانب العلمى يقول المراغى عن نفسه : « أعلـم أنى أخذت صحيح البخارى بطريقة الإجـازة عن علامة الدنيا المرشد العارف بالله ـ تعالى ـ الشيخ أحمد بن شرقاوى الخلفى ـ بخاء معجمة وفتح اللام ، نسبة لقرية يقال لها : الخلافية ، بلصق جرجا ، وهو عن علامة الصعيد الحبر الوحيد الشيخ محمد بن حسن المصرى الجرجاوى عن شيخ الإسلام محمد بن أحمد المصرى عن العلامة عبد المنعم الخياط المكنى بأبى بكرى عن والده العلامـة الشيـخ عبد الرحمن بن عبـد المنعـم الخياط »[١٧] وأخذ الشيخ يسند إلى أن وصل إلى شيخ الإسلام ابن حجر العسقلانى ، وأثبت أن سند ابـن حجـر واضح المعـالم ، ويطـلـب من مواضعه .

وعلى أية حال ، فإن الشيخ المراغى ، كان قد بلغ مكانة سامية فى صعيد مصر ، فى أواخر النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجرى ، وانتزع احترام أهل الصعيد ، ولاسيما أبناء جرجا موطنـه الأصلى[١٨] ، وطبقت شهرتـه آفـــاق

---

(١٠) المراغى : نفس المخطوط . ص ٤٤ .

(١١) المراغى : نفس المخطوط . ص ٢٠/١٩ .

(١٢) المراغى : نفس المخطوط . ص ٢٠/١٩ .

(١٣) المراغى : نفس المخطوط . ص ٥٩ .

(١٤) راجع محمد عبده الحجاجى : أبو العارف أحمد بن شرقاوى الخلفى . ص ١١٦ .

(١٥) المراغى : تعطير النواحى والأرجاء : حـ ١ ص ٣ ( المقدمة ) دار المخطوطات المصرية . تحت رقم ١٠٦٤٩ .

(١٦) قطن ابن شرقاوى فى مدينة جرجا بقرية تسمى الخلافية ، وقد ضبطها الأستاذ محمد رمزى ، حـ ٤ ص ١١٥ من القاموس الجغرافى ، كما ضبطها الأستاذ المراغى المترجم عنه ، فهى بفتح اللام الأولى ، قرية تبعد عن جرجا بمقدار اثنين كيلو متر .

(١٧) المراغى : سلافة الشراب الصافى . ص ٦٤ . مخطوط بمكتبة الباحث .

(١٨) محمد عبده الحجاجى : العارف بالله أحمد بن شرقاوى الخلفى . ص ١٢٠ .

الصعيد ، ومصر ، فضلًا عن أنه نال إعجاب أحمد باشا أبو الفتوح مدير إقليم جرجا ، الذى أسند إليه منصب الوعظ والارشاد بهذا الإقليم ، فاندفع الشيخ فى حمية بالغة ينتقل من مكان إلى آخر ، ومن محفل إلى سواه ، ملقياً للدروس فى مساجد جرجا وفى هذه المحافل ، ساعياً فى نشر العلم وتعاليم الإسلام ، وناشراً تعاليم أستاذه الشيخ أحمد بن شرقاوى[١٩] .

## أصدقاؤه وتلاميذه من العلماء :

كان أصدقاؤه من العلماء والتلاميذ كثير ، فقد كانت جرجا مجمعاً علمياً ، وكان يفد إليها العلماء والطلاب من كل مكان ، بل كان هناك من الطلاب من يفد إلى جرجا ثم يقيم بها ولا ينزح عنها ، مثل الشيخ إبراهيم نوفل ، والشيخ عبدالرحيم السيوطى والشيخ عبدالمجيد المغربى والشيخ محمد إبراهيم المصرى ، والشيخ عبدالرحمن أحمد الأنصارى[٢٠] وكذا الشيخ أبو الحجاج يوسف الأقصرى ، والشيخ أحمد بن عوض الملقب بالطاهر الحامدى والشيخ الفاضل ومفتى الديار المصرية سابقاً محمد حسنين مخلوف فهو واحد من تلاميذ المعهد الجرجاوى الثانى ، ووكيل الأزهر سابقاً[٢١] وكان من أبرز تلاميذ الشيخ المراغى المقربين إليه ابنه الشيخ محمد ، والشيخ عبدالمجيد المصرى ، والشيخ أحمد شحاته أستاذ علم القراءات ومن أكابر الشعراء فى جرجا وكان الاخير له باع طويل فى علم القراءات وعلم التوحيد والتصوف الإسلامى ، والتفسير والحديث وكان ملازماً للشيخ المراغى ملازمة الظل ، وسكنا معاً فترة .

## آثاره العلمية :

ترك الشيخ المراغى مؤلفات علمية كثيرة فى مختلف العلوم والفنون لازالت خطية ولو أنها حققت لساهمت كثيراً فى جلاء الغموض الذى أسدل على الحضارة الإسلامية فى صعيد مصر ، ودور الأزهر الثانى الجرجاوى فى ترسيخ هذه الحضارة[٢٢] كما تجلى مؤلفات المراغى الغموض عن الآثار الإسلامية كالمساجد وغيرها التى تناولها الشيخ المراغى بالوصف وكأنه رجل من الآثاريين فقط ، وعنى بذكر الخطط والآثار على نظام المقريزى فى خططه ، وعنى بالجوانب الفقهية ، وذكر ، بعض الألفاظ وتطورها اللغوى التاريخى ، وأحياناً أخرى يذكر نواح تخص النحو والصرف ، وغير ذلك مما لايتسع له المقام . ومؤلفات المراغى لم تزل فى دار المخطوطات . ومنها ما لايوجد فى الدار المصرية ، وكذا لايوجد فى منزله ، ولقد تحققنا من ذلك ، إذ وجدنا بعض أسماء كتب ليس لها ذكر فى دار الكتب المصرية وكذا ليس لها ذكر ولا يوجد لها نسخة فى منزله ، بيد أنه ذكر اسم هذه الكتب فى ثنايا مخطوطاته ، إذ كان كثير الإشارة إليها ، من خلال مؤلفاته . ومن هذه المؤلفات :

---

(١٩) محمد عبده الحجاجى : نفس المرجع .
(٢٠) الشيخ محمود نوفل : مناقب الشيخ إبراهيم نوفل . ص ٧٠ .
(٢١) مجلة الأزهر ــ نوفمبر ــ ديسمبر ١٩٩٠م .
(٢٢) أحمد حسين المكى : أحمد شحاته . بحث بمجلة الأزهر . أعلام الأزهر . عدد نوفمبر ١٩٩١م .
(٢٣) أحمد حسين المكى : الأزهر الثانى . تاريخه وحضارته . مخطوط .

١ ـ الأجوبة السديدة فى الأسئلة العديدة .

وهى منظومة تتعلق بأمور الدين والدنيا ، وقد فرغ منها فى سنة ١٣٢٦هـ وهى مخطوطة بدار الكتب المصرية[٢٤] .

٢ ـ أحسن النكات فى نظم أسئلة تتعلق بسورة العاديات .

تكلم فيها على ما اشتملت عليه هذه السورة من الحقائق والمجازات والنكات والتشبيهات وما شابه ذلك من المحسنات البديعية ، وهى تعد لوناً من التفسير البيانى للقرآن الكريم .

فرغ من كتابتها فى سنة ١٣١٤هـ . مخطوط بدار الكتب المصرية[٢٥] .

٣ ـ البدر السافر فى تحقيق أن الوداع يكون من المقيم كما يكون من المسافر .

وهى رسالة فى الرد على ما ورد على البيتين الذين انشدهما العارف بالله ـ تعالى ـ أحمد بن شرقاوى الخلفى ، وهما :

أتـــانى وارد يدعـــو حثيثـــا
ولا أدرى إلى أيـــــن انتهائى
أعـــزائى أودعكـــم بروحـــى
وأوصيكـــم بتقـــوى ذى العطـــاء

فرغ من تأليفها يوم الخميس الثانى عشر من شهر رجب سنة ١٣١٧هـ . وهى نسخة مجلدة بخط عبد الرحيم محمد العجمى ، فرغ من كتابتها فى شهر ربيع الثانى سنة ١٣٢٠هـ . وهى مخطوطة بدار الكتب المصرية[٢٦] .

٤ ـ « بغية المقتدين ومنحة المجدين على تحفة المهتدين فى بيان أسماء المجددين » .

وهى شرح على المنظومة المسماة تحفة المهتدين فى أسماء المجددين ، للحافـظ جلال الديـن عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى[٢٧] .

٥ ـ « تعطير النواحى والأرجاء بذكر من اشتهر من العلماء وبعض أعيان مدينة جرجا » ويسمى أيضاً « أضواء الطالع السعيد فى ذكر من اشتهر من علماء وأعيان جرجا من مدينـة الصعيد » .

وهذا المؤلف ، مما هو واضح أنه سار فيه على نمط الشيخ العلامـة أبى جعفـر الأدفـوى ت ٧٤٨هـ . بيد أن المراغى قد كان أشمل فى تناوله للتراجم من كافة النواحى ، وفى هذا المؤلف ذكر المراغى الضبط لاسم مدينة جرجا وموقعها وما اشتملت عليه من المبانى ، ثم ذكر من بها من المشاهير والأعلام فى مختلف العصور ، ومن لم يقف على ترجمته وتاريخ حياته اكتفى بذكر اسمه وعصره ، الذى كان موجوداً فيه .

هذا الكتاب مكون من ثلاث مجلدات . ورتبه صاحبه على نسق حروف المعجم ، وهو حافل بذكر حياتنا الدينية ، والأدبية والاجتماعية التى لا غناء لأحد من الباحثين عن الوقوف عليها . وقد انتهى من هذا الكتاب فى يوم السبت لثلاث عشر ليلة مضت من ربيع الثانى سنة ١٣٢٢هـ . وهو بخط المؤلف أما الجزء الثانى . فقد انتهى من تأليفه سنة ١٣٤٠هـ وهو بخط أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد اللطيف بن محمد بن حجازى .

وهناك نسخة لهذا المؤلف فى مجلدين اثنين ولكنها نفس النسخـة الموجـودة فى ثلاث مجلدات[٢٨] .

---

(٢٤) انظر فهرس دار الكتب المصرية . جـ ٦ ص ٥١ .

(٢٥) فهرس دار الكتب المصرية . جـ٢ ص ١٧٥ .

(٢٦) فهرس دار المخطوطات المصرية . جـ ٧ ص ٩٩ .

(٢٧) فهرس دار المخطوطات المصرية . جـ ٥ ص ١٤٢ .

(٢٨) فهرس دار المخطوطات المصرية . جـ ٥ ص ١٤٢ .

٦ ـ « خلاصة تعطير النواحى والأرجاء »

وهو اختصار لكتابه السابق ذكره ، ضمنه تاريخ مدينة جرجا ومساجدها ، وكنائسها ، وما حدث فيها وتراجم من كان بها من العلماء والأمراء ومذاهبهم وألقابهم ، ومواليدهم ، ووفياتهم وما تركوه من مؤلفات ، وآثار تشهد لهم بالفضل والمنة ، ورتبه كالأصل على حروف المعجم . وفرغ من هذا الاختصار فى يوم التاسع عشر من شهر جمادى الأولى سنة ١٣٣٢هـ وهو بخط محمد بن فراج بن على الشهير بالروبى المالكى الجرجاوى الشرقاوى ، فرغ من كتابته يوم الأحد التاسع عشر من شهر جمادى الآخرة ١٣٣٢هـ محفوظ بدار الكتب المصرية[٢٩] .

٧ ـ « خلاصة وسيلة المجدين فى ذكر تراجم المجددين »

وهو مختصر لكتابه المسمى « وسيلة المجدين » مخطوط بدار الكتب المصرية ويقع فى جزءين[٣٠] .

٨ ـ « الدرر الذهبية فى شرح القصيدة الدالية فى مدح خير البرية »

وهو شرح للقصيدة الدالية فى مدح خير البرية للعلامة عبد الرحيم السيوطى ، فرغ من تأليفه يوم الخميس الرابع من شهر جمادى الأولى ١٣٠٣هـ وهو مخطوط بيد المؤلف[٣١] .

٩ ـ « مناقب أحمد بن شرقاوى . ويسمى بأسماء مختلفة »

وهو نسخة مجلدة بخط المؤلف فرغ من كتابتها يوم الأحد الرابع عشر من ذى القعدة سنة ١٣٣٧هـ مخطوط بدار الكتب المصرية[٣٢] .

١٠ ـ موارد الصفا على مولد المصطفى مخطوط . فرغ من تأليفه سنة ١٣١٠هـ نسخة مجلدة بخط المؤلف ، بدار الكتب المصرية[٣٣] .

١١ ـ عقد الدرر فى الجيد فى نظم أسماء ذوى التجديد أوله :

يقول راجى حفظه من باغى
الحسنى عبده المراغى

وهى منظومة سلك فيها المراغى أسماء المجددين للدين والذين بعثهم الله على رأس كل مائة سنة لإصلاح أحوال الناس وإرشادهم إلى ما فيه صلاحهم فى الدنيا والآخرة . مخطوط بدار الكتب المصرية[٣٤] .

١٢ ـ قطع الوهم الخبيث بحسن الرد الحثيث فى بيان وضبط قوله ﷺ ، « تطلع الآجال من شعبان إلى شعبان » .

مخطوط بدار الكتب المصرية[٣٥]

١٣ ـ وسيلة المجدين وهو مختصر من شرح الحديث المشهور المتداول وهو قوله ﷺ « إن الله يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد لهذه الأمة أمر دينها » وقد ذكر فيه المؤلف أسماء المجددين وقد سار فى ترتيبهم على حروف المعجم . ويقع فى جزءين . وهو مخطوط بدار الكتب المصرية وقد كتب بخط الشيخ أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد اللطيف بن حجازى الشهير بالدمنهورى الشافعى الجرجاوى . الذى فرغ من كتابته يوم الثلاثاء ٢١ من صفر ١٣٣٩هـ الموافق ٢٠ من نوفمبر ١٩٢٠م . وكانت آخر ترجمة فى هذا

---

(٢٩) فهرس دار الكتب المصرية . جـ ٥ ص ١٤٢ . تاريخ .
(٣٠) فهرس دار الكتب المصرية . جـ ٥ ص ١٧٠ . تاريخ .
(٣١) فهرس دار الكتب المصرية . جـ ٥ ص ١٧٣ . تاريخ .
(٣٢) فهرس دار الكتب المصرية . جـ ٧ ص ١٢٦ . أدب .
(٣٣) فهرس دار الكتب المصرية . جـ ٨ ص ١٠٠ . تاريخ .
(٣٤) فهرس دار الكتب المصرية . جـ ٨ ص ٢٥٨ . تاريخ .
(٣٥) فهرس الكتبخانة الخديوية . جـ ١ ص ٢٨٠ .

المؤلف لصديقه الشيخ يوسف الحجاجي الأقصرى[٣٦] .

١٤ ـ سلافة الشراب[٣٧] الصافى ـ البكرى فى ترجمة عالم جرجا بل علامة الصعيد الشيخ عبدالمنعم أبو بكرى .

بخط الفقير لربه . حسن محمود نوفل ،

وهذه المخطوطة وجدناها فى منزل أسرة العارف بالله ـ تعالى ـ عبدالمنعم أبى بكرى المعروف بالخياط ، وصاحب الزعامة ، والمعروف بمقاومته للحملة الفرنسية على جرجا ، التى اتخذ منها مراد بك مقراً له ، وهرباً من وجه نابليون وقواده[٣٨] وهذه المخطوطة لم نجد لها صورة أو أصلًا فى دار المخطوطات ، ولا فى منزل المؤرخ نفسه[٣٩] وإنما ذكر لى أحد أفراد عائلة المراغى نفسها أن مؤلفات ومكتبة الشيخ قد قسمت بين أفراد عائلته وهناك محاولة تبذل من أجل ضم هذه المكتبة إلى الأزهر الشريف ، وذلك تحقيقاً لرغبة الشيخ المراغى ، وحتى لا تضيع هذه المكتبة أدراج الرياح ، والجدير بالذكر أن الشيخ المراغى قد قضى نحبه يوم الثلاثاء صباحاً ، بعد أن أدى الفريضة ، ثم ودع هذا العالم إلى عالم علوى ، ودفن رحمه الله ـ تعالى ـ بعد صلاة العصر ، الموافق ١٠ من شوال ١٣٦١ هـ ٢٠ من أكتوبر ١٩٤٢ م ، وكان الدفن بجوار العارف بالله ـ تعالى ـ الشيخ أبى عمرة[٤٠] ، ورثاه تلميذه الشيخ أحمد بن شحاته فقال :

هات ياعين دمعك المدرارا
واسبقى فى مسيلك الأنهارا
وإذا جفت الدموع فهات
من مآقيك كالعقيق احمرارا

والقصيدة من واحد وثلاثين بيتا جاء فيها هذا البيت الذى يفيض بعلم المراغى :

نمقت راحتاه خمسين سفراً
كل سفر يطوى هدى واعتبارا

وفى ختامها يقول :

ياحديث الرسول فابكى[٤١] إماما
كان يوليك همة واقتدارا
ياحديث الرسول فابكى هماما
كان يهوى لبحثك الأسحارا
ياحديث الرسول مات حبيب
لك فاملأ ضريحه أنوارا
رضى الله عنه حيا وميتا
وحباه إلى النبى جوارا

وإذا كنا قد أحصينا للشيخ من مؤلفاته مايزيد على خمسة عشر مؤلفاً ، فإن الشيخ أحمد شحاته لم يبالغ فى ذكر هذا الرقم ، ذلك أنه لم يفارق شيخه ، وكان الشيخ المراغى يطلعه على مذكراته التى كان يضعها فى ( جيب ) داخل ( جبته ) ، ويقول له : اقرأ ياأحمد .

هذا ، وقد قدمنا فى البحث مايشير إلى ضياع كتب له . رحمه الله رحمة واسعة .

---

(٣٦) فهرس دار الكتب المصرية . الملحق لقسم التاريخ . ص ٢٧٧/٢٨٨ .

(٣٧) السُّلاف ما سال من عصير العنب قبل أن تعصر وتسمى الخمر سلافاً ، وسلافة كل شىء عصْرته أوله . قاموس مختار الصحاح . مادة سلف ص ٣١٠ .

(٣٨) أحمد حسين الحمكى : الأزهر الثانى . تاريخه وحضارته . مخطوط . ص ١٥ .

(٣٩) نقوم الآن بتحقيق هذه المخطوطة ، وكل ماترجوه أن نلقى معاونة أمناء دار المخطوطات .

(٤٠) هذا التاريخ أخذناه من واقع شهادة وفاة الشيخ المراغى ، من منزل حفيدته السيدة فاطمة المراغى ، وهى قاطعة بصحة الوفاة فى هذا اليوم عكس ماذكره الأستاذ محمد عبده الحجاجى .

(٤١) .... كذا .




# الأمانة الثقيلة


للأستاذ/ محب الدين الخطيب

إعداد وتقديم الأستاذ/ عبد الفتاح حسين الزيات


**هذه دعوة صادقة ، جاءت فى وقتها ، فأصابت المحز . فالواقع يهتف بنا أن هلم إلى احياء سنن الإسلام الدارسة التى يكاد أن يطويها النسيان ويسدل عليها الستار .**

**يا قومنا إن تراثنا العلمى أغنى وأضخم من تراث أى أمة ، فينبغى ألا نقصر فى دراسته وتنظيمه حتى تظل لنا الميزة الفريدة التى ساقها ـ عز وجل ـ لنا فى قوله : ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ ( آل عمران : ١١٠ )**

قال الأستاذ ـ رحمه الله ـ هى هذا التراث العلمى العظيم الجسيم الذى ملأ خزائن كتب الأمم من كنوز شريعتنا ، وجهود أعلامنا وأئمتنا وعلمائنا وحكمائنا وخطبائنا فى أربعة عشر قرناً .

هى هذا النهب المقسَّم بين أيدى الدهر ، وأهواء الملل ، وحسد الأقوياء ، وشهوات العلماء والجهلاء ، وآفات الأرض والسماء .

ومن قبل هذا التراث الإسلامى الأعظم ، كانت ألسنة أسلافنا وعقولهم مؤتمنة من الله على هذه اللغة العريقة فى القدم ، البالغة فى أوديتها وجبالها أقصى غايات الكمال والجمال ، حتى اضطر عدو العروبة والإسلام العلامة الفرنسى الكبير ارنست رينان لأن يقف ـ فى كتابه تاريخ اللغات السامية ـ أمام عظمة العربية وجلال روعتها ، وخصب مادتها ، ودقة الأحاسيس التى تعرب عنها بكل حرف من حروفها ، وبكل صيغة من صيغها ، وبكل لحن موسيقى ساحر من ألحان نبراتها وجمال منطقها ، وبما فى ظلال هذه الحروف والصيغ والألحان من باهر الدلائل على رجاحة أحلام قدماء الناطقين بها ، وسعة مداركهم ، وبعد أغوار إنسانيتهم ، فأنساه ذلك كله ما انطوت عليه نفسه من إحنة للعروبة والإسلام ، فلم يلبث أن رأى صوته يهتف بكلمته الخالدة يوم قال :

« إن هذه اللغة قد بلغت حد الكمال فى قلب الصحراء عند أمة من الرحل ، ففاقت اللغات بكثرة مفرداتها ، ودقة معانيها ، وحسن نظام مبانيها . وكانت مجهولة من الأمم ، لكنها من يوم علمت ظهرت للناس فى حلل الكمال ، ولم يعرف لها فى كل أطوار حياتها لا طفولة ولا شيخوخة . ولا نعلم شبيهاً لهذه اللغة التى ظهرت للباحثين كاملة من غير تدريج ، وبقيت حافظة كيانها ، خالصة من كل شائبة » .

إن أمة ائتمنها الله على هذه اللغة المحسودة ، وعلى هذه الشريعة الحكيمة التى هى رجاء الإنسانية فى مبادئها المثالية العليا لو قيض لها رجال يتقنون تنظيمها ويحسنون عرضها ويتعاملون

بأحكامها وأخلاقها حتى يراها الناس بأبصارهم لا بأسماعهم ، ثم ائتمنها الله على جهود قادة الفكر وأئمة العلم فى الدنيا منذ كان الفكر معطلاً من نشاطه إلا فى أوطاننا ، ومنذ كان العلم غريباً عن الناس إلا فى معاهدنا ومساجدنا وحلقات دروسنا ..

هذه الأمة التي ائتمنها الله على تراث للعقول والفهوم والعلوم لا نظير له فى ماضى أمة أخرى من الأمم ، ما أدرى بماذا يحكم عليها قضاء الله العادل جزاء إعراضها عن هذه الثروة الفخمة الضخمة ، وإهمالها هذه التركة الغنية بأثمن مواريث الفكر البشرى والترف العلمى والمتاع الثقافى والأدبى .

أليس من العجيب أن يتسع وقت موظف واحد من موظفى الحكومة المصرية فى القرن السابع الهجرى لتأليف معجز لسان العرب فى عشرين مجلداً بلغ بها فى زمانه حد الإتقان ، ثم نعجز نحن وجامعاتنا ومجمعنا اللغوى عن أن نؤلف لزماننا معجماً للعربية يكون - فى إتقانه وشموله وسهولة استعماله وحسن التسلسل الإشتقاقى والتاريخى فى مواده - مضارعاً للمعاجم الممتازة فى اللغات الأخرى ، ثم نختصر منه لجمهور المثقفين معجماً متوسطاً ، ونختار من الوسيط لصغار الطلبة معجماً وجيزاً ، فنسد بهذه المعاجم الثلاثة الواقية حاجة العصر إلى مراجع فى اللغة يرتاح الناس إليها ويقضون وطرهم منها .

أليس من العجيب أن يحدث الله هذا الإنقلاب السريع فى إتجاه الطلبة الجامعيين ، فبعد أن كانوا قبل عشرين سنة طابوراً خامساً يتنكر للتراث الإسلامى ، صار لنا منهم الآن مئات ومئات يهتفون من أعماق قلوبهم : القرآن دستورنا ، لكنهم يبحثون آناء الليل وأطراف النهار عن مراجع جيدة يتعرفون منها إلى تفاصيل أحكام هذا الدستور القرآنى فلا يجدون بين أيديهم ما يشبعون به نهمتهم الفكرية ، ومايسهل به عليهم النفقة بسنن الإسلام فى تكوين المجتمع الصالح ، والأمة المفلحة ، والدولة الإسلامية المثالية .

إن فقهاء القانون الفرنسى - على قرب عهده - قد أصدروا معاجم لفقه قانونهم حافلة بكل معنى من معانيه وكل غرض من أغراضه ، مؤيدة بنصوص القوانين المعمول بها ، ومقارنة بأمثالها فى مختلف البلاد اللاتينية الأخرى ، ومشفوعة بأحكام المحاكم العليا فى فرنسا وبلجيكا وسويسرا وغيرهن ، ومرتبة موادها على حروف المعجم ، فيستطيع القاضى أو المحامى أو طالب الحقوق أن يراجع كل معنى يريده فى دقائق ليجد نصوص القانون وآراء علمائه فى تفسيرها وأحكام المحاكم وحيثياتها فى تطبيقها . أما فقهنا السابق على فقه القانون الفرنسى بأكثر من ألف سنة ، والذى ملأ علماؤنا وأئمتنا خزائن الأرض بأجود المؤلفات فى تأصيله وتفريعه ، وفى شرحه وبيان حكمته ، وقد حكم به مئات الألوف من قضاتنا فى أوروبا (الأندلس وغيرها) وفى آسيا وإفريقيا بأحكام أصابت كبد العدل المجرد عن كل غاية وهوى ، وأفتى بدقائق وقائعه ومختلف مذاهبه ألوف الألوف من أعلام الفتيا فى جميع أمصار الإسلام من عصر الصحابة إلى الآن ، فإنه - ويا للأسف - لا يزال مبعثراً فى المخطوط والمطبوع من كتبه التى لم يتمرس بمراجعتها ولم يأنس بالإفادة منها حتى طلبة كلية الشريعة بالأزهر ، فما بالك بطلبة كليات الحقوق فى الجامعات المدنية ! بل إن أنفس كتب الفقه وأثمنها لا تزال مخطوطة وموزعة فى آفاق الشرق والغرب ، والمطبوع منها أصبحت طبعاته نادرة وفى حكم المخطوطة . وحتى غير النادر منها كيف يتوصل طلبة العلم إلى مراجعتها

بوقت سريع وهى لم تنظم تنظيماً مقارناً يقوم عليه فقهاء ضلعيون أمناء على هذه الشريعة ويعتبرون عملهم هذا عبادة كما كان فقهاؤنا الأقدمون يتعبدون بهذا الضرب من ضروب القربة إلى الله عز وجل ؟

وأعلام هذه الأمة من الصحابة والتابعين والفاتحين والدعاة والحاكمين والعلماء والأدباء والساسة والمؤرخين والشعراء والمؤلفين وقادة الرأى ، لماذا لا يكون فى الأيدى كتاب واحد يجمع تراجمهم جميعاً من قدمائهم الأولين إلى زماننا هذا ، ليجد شباب الجيل فى سيرتهم الأسوة والقدوة ، وليعرفوا طريقهم إلى أهدافهم سائرين فيه على آثار من تقدمهم .

والمذاهب والنحل التى نجمت فى الإسلام ، لماذا تبقى إلى الآن عالة فى معرفتها على كتابى الشهرستانى وابن حزم ، ولماذا لا يقوم فى علمائنا من يدرس ما جد بعد الشهرستانى وابن حزم من مذاهب وطوائف ونحل آخرها البابية والبهائية والشيخية والبكتاشية والتجانية والقاديانية والأحمدية ؟ أليس من الفقر العلمى أن لا يكون فى أيدى الناس معجم عصرى جامع لكل فرقة ونحلة وطائفة وطريقة ومذهب نجم فى تاريخ الإسلام ، ولكل داعية من دعاة الفتنة والفساد الذين حاولوا أن يحدثوا فى الإسلام بدعة لم تكن منه ، وانحرافاً عن كتاب الله وسنة رسوله بالدس أو التأويل أو التضليل أو غير ذلك من أساليب الشيطان ، فيكون هذا المعجم قائماً على دراسة كل فرقة ، والتعريف بها من نصوص كتبها وصميم دعوتها ، وكيف تطورت ، وما هى مقاطع أطوارها ، ومن هم الذين مثلوا هذه الأدوار ، وما هى مقاصدهم ، ولحساب من كانوا يعملون ؟

وهذا الوطن الإسلامى والعربى ، هل فى أيدينا معجم واحد شامل لكل ما فيه من أمكنة وبقاع كما هى اليوم وكما كانت من قبل ؟ إننا لانزال نعيش فى ذلك على مجهود أبى عبيد البكرى يوم كنا نحن أصحاب البلاد الإسبانية ، وعلى مجهود ياقوت الحموى قبل مئات كثيرة من السنين . وقد قامت بعدهما معالم للعمران تغيرت بها الأرض غير الأرض ، وجدت لأبناء العروبة والإسلام ذكريات تاريخية ومفاخر أو كوارث ملية وقومية فى جبال وطن المسلمين والعرب وأوديته ومرابعه لم يكن يعرفها أبو عبيد البكرى ولا ياقوت ، فهل تحركت فى قلب عالم من علمائنا المشتغلين بالجغرافيا أمنية التفرغ لتأليف معجم جديد للبلدان الإسلامية والعربية يبنى فيه على ما أسسه البكرى وياقوت ، ويستقصى أسماء الأمكنة والبقاع إلى زماننا ، وكما هى فى زماننا ، فتحيى به مواطن الذكريات لنشأة عظمائنا وأحداث تاريخنا وميادين جهادنا الحربى والعمرانى والعلمى .

وحديث نبينا أيضاً كدنا نصير فيه عالة على الأجانب عنا فى ديننا ولغتنا وعلومنا ! أليس من المخجل أن يسهر فى بلاد هولندا رجال من علمائها على دراسة السنة المحمدية فى دواوينها الكبرى دراسة شمول واستقصاء فيتتبعوا كل لفظة وردت فى أى حديث نبوى ، ويثبتوها فى مكانها من معجم عظيم يشتغلون الآن بتأليفه ، ويضعون إلى جانب تلك اللفظة كل حديث وردت فيه ، ومكان ذلك الحديث فى كتبه المعتبرة مع تعيين أجزائها وصفحاتها من تلك الكتب . ونحن كان لنا من القرن السادس الهجرى كتاب النهاية فى غريب الحديث ، وهو معجم لألفاظ السنة ألفه ابن الأثير الجزرى بعد مؤلفات كثيرة تقدمته فى هذا الموضوع ، وجدت بعده كتب اخرى على

هذا النمط ، غير أن هؤلاء الهولنديين لم يريدوا من معجمهم تفسير غريب الحديث ، بل أرادوا استيفاء ألفاظه واستقصاء الأحاديث التى إستعملت فيها هذه الألفاظ والدلالة على مواضعها من كتب السنة ليتمكن طالب كل حديث من معرفة مواضعه فى الكتب المشهورة بسرعة ويسر ، ومع أن المؤلف الأول لهذا المعجم قد مات ، فإنه قد خلفه على الاستمرار فيه عالم من مريديه وأصدقائه ، ثم مات هذا المؤلف الثانى ، فتكفلت مؤسسة ( اليونسكو ) بالإنفاق على إتمامه والإستعانة بأهل العلم للمضى فيه ، وقد صدر منه إلى الآن ثمانية عشر جزءاً ، ومن الإنصاف الإعتراف للعاملين الأولين فى هذا الكتاب بأنهم لم يخطر على بالهم فيه أى كسب مادى ، وإنما قاموا به ليملأوا فراغاً علمياً شعروا ـ قبلنا ـ بوجوده ، فأعدوا أنفسهم لسد ثغرة قدر العلم من هذه الناحية ، ومضوا فى عملهم بجد وصبر ومثابرة لا يعرف قدرها إلا من يعرف قدر العلم ، ويشعر بالسعادة فى السهر عليه دون أن يخامره خاطر من خواطر الكسب المادى من وراء ذلك .

وتاريخ العروبة والإسلام ، وهو من حاجياتنا الأساسية فى مدارسنا ودراستنا ، لايزال إلى اليوم مهملاً بحيث لا نستطيع أن نزعم أنا لنا كتاباً واحداً فيه يعطى صورة صادقة لأبناء الجيل عن عظمة أسلافهم وما قاموا به للإنسانية وأمجادها من جهاد لم تبلغ أمة من أمم الأرض عشر معشاره . وإن أسلافنا البررة المخلصين ، والمعاصرين لهم فى كل أدوار التاريخ من علماء الطابور الخامس فى الإسلام ، قد سجل هؤلاء وهؤلاء وقائع التاريخ ، فجاء فيه الصدق والحق من طريق أهل الحق الصادقين ، وجاء فيه الإفك والزور من طريق ذوى الأهواء والمغرضين ، وقد يختلط هذا بهذا على الطلبة وأنصاف المتعلمين إن لم يبادر أهل الألمعية من علمائنا العارفين بأقدار أسلافنا فيمحصوا هذه الروايات ويجردوها من آفاتها ويردوها إلى أصلها الصحيح ، ثم يحسنوا عرضها فى كتب وجيزة ومتوسطة ومطولة ، فيتم البعث بذلك لجهاد مجيد قام به عظماء كانوا بشهادة الله لهم ﴿**خير أمة أخرجت للناس**﴾ ، وسار فيه على قدمهم مجاهدون من التابعين لهم بإحسان ففتحوا الممالك ونشروا دعوة الله إلى الهدى ، فنبغ فى ظلال نظامهم رجال من أبناء البلاد التى دخلت فى الإسلام على أيديهم كانوا أئمة الدنيا ومفخرة العلم والعدل ، وكانوا هم الناس فى زمانهم . بينما كتب التاريخ التى تلقن الآن فى مدارسنا ومعاهدنا لا يجد فيها شباب الجيل الصورة الصحيحة لتلك العصور ، وكل ما فيها قشور عن اختلافات زيد فيها وحرفت عن حقيقتها حتى صار فيها العظيم صغيراً ، وذو اليد الكريمة على أمته ذميماً لئيماً . أنا لا أدعو إلى محاباة الأسلاف ، ووصفهم بغير ما كانوا عليه ، وإنما أدعو إلى تجريد سيرتهم من أكاذيب الطابور الخامس التى دسوها فى كتبهم وأصابت فيما مضى رواجاً بتشجيع أهل الأهواء من ذوى السلطان ، وقد آن أوان تطهير التاريخ الإسلامى من هذه الطوارىء عليه والدخائل فيه .

نعم لقد آن أوان هذا التطهير والتنقيح فى كتب المناهج ، ومن الواجب على معاهد الأزهر وعلى وزارة التعليم أن يعيدا النظر فى كتب الدراسة ، وأن تكتب من جديد بالأساليب التى تلائم تكوين الأمة تكويناً جديداً سليماً تتبوأ به مكانها بين الأمم .

يزعمون أننا فى عصر تقدم وارتقاء ، ومن الناس من يريد أن يوهمنا بأن عصور أسلافنا كانت

دون عصرنا هذا فى نهضته العلمية وتقدمه الثقاف . ويكفى لإدحاض هذه الأكذوبة دليلان قائمان لا يستطيع أن يمارى فيهما أحد : أولهما أن الأقدمين كفوا أزمانهم ما كانت تحتاج إليه من المؤلفات والمعاجم الكبرى التى لانزال عالة عليهم فيها ، والآخر أنهم كانوا يعملون لله معتبرين العلم وخدمته عبادة لا يشوبونها بشىء من شهوات الكسب المادى أو أنانية الاستعلاء .

ولو أننا من خمسين سنة إلى الآن أخلصنا للعلم كما أخلص له ابن منظور فى تأليف لسان العرب ، والنورى فى تأليف ما خلفه لنا من مصنفات نفيسة ، وابن حجر العسقلانى فى هذه العشرات الكثيرة من المجلدات التى خدم بها السنة ورجالها والشريعة وعلومها والتاريخ وأعلامه ، وابن تيمية الذى أحدث فى علوم الإسلام بعثاً جديداً بمؤلفات مبتكرة لو تفرغ أربعة رجال من بدء حياتهم إلى نهايتها ليبيضوا مسوداتها لما أتوا على آخرها — وهكذا كان علماؤنا من زمن الإمامين الشافعى وأحمد إلى زمن السيوطى وأضرابه يتعبدون بخدمة العلم وتمحيصه وتدوينه لوجه الله وحده — فلو سار علماؤنا من خمسين سنة فى طريقهم وخدموا العلم بالنية التى كانت يخدمه بها الأسلاف ، لوجدت فى الأيدى حتى الآن أمهات الكتب التى نحن محتاجون إليها ، لأحكن تتويج هذه الجهود بتأليف دائرة لمعارفنا كما ألفت الأمم — وآخرها اليهود — دوائر لمعارفهم .

وأعظم ما إئتمن الله علماءنا عليه من أمانات العلم فى التراث الإسلامى (سنن الإسلام) التى يجب على كل مسلم إحياؤها والعمل بها فى الأخلاق الشخصية ، والتقاليد المنزلية ، والمعاملات فى السوق ، والآداب فى المجتمع ، والأحكام فى المحاكم ، والأهداف فى سياسة الحكم . وكيف يستطيع المسلم أن يحيى هذه السنن إن لم يعرفها ، وكيف يعرفها المسلمون إن لم يقم العلماء بأعباء هذه الأمانة الإسلامية بجد وحزم وعناية واستقصاء ، وأول مراحل القيام ببعث سنن الإسلام بعد العلم بها والعمل بها ، وأول من يترتب عليه العمل به العالمون بها . فإحياء سنن الإسلام أول جهاد العلماء ورأس واجباتهم ، وإثم انحراف الأمة عن هذه السنن وتعطيلها فى جميع المرافق — بعد تعطيلها فى النفوس والبيوت — واقع بلاشك على المقصرين فى تعريف المسلمين بها ، ودلالتهم عليها بالبيان العلمى ، وحسن عرضهم لها بالسيرة والتعامل والأخلاق .

وبعد فإن تراثنا العلمى القديم أغنى وأضخم من تراث أى أمة أخرى ، ولكن تقصيرنا فى دراسته وتنظيمه والإفادة منه قد تجاوز كل حد ، حتى كاد يحكم علينا المستشرقون بأننا لسنا من أهله ، ولو أننا نحن أصحابه لكان لنا فيه شأن آخر .

ترى هل آن الأوان لتغيير موقفنا من أمانة العلم ، وهل يحاسب كل منا نفسه على ما قام به فى حركة البعث والإحياء ، لنصل حاضرنا بماضينا ، ونكوّن أمتنا فى عصرنا تكويناً عربياً إسلامياً نعيد به ما مضى من جمال كياننا ، مع ما نحن قائمون به من تجهيزه بأحدث معارف العصر وصناعاته وأسباب قوة الأقوياء فيه ؟

إن التفكير فى ذلك ، والتماس الأسباب لتحقيقه ، من تمام ما نحن فيه من تجديد ، فى هذا العهد الجديد ،



للأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

## سلطان العلم

قال يحيى ابن أكثم : قال الرشيد ما أنبل المراتب ؟

قلت : ما أنت فيه يا أمير المؤمنين .

قال : فتعرف من أجلّ منى ؟

قلت : لا ، قال : لكنى أعرفه ، رجل فى حلقة يقول : حدثنا فلان عن فلان عن فلان عن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : قلت يا أمير المؤمنين ؛ أهذا خير منك وأنت ابن عم رسول الله ـ ﷺ ـ وولى عهد المؤمنين ؟

قال : نعمْ ، ويلك هذا خير منى ، لأن اسمه مقترن باسم رسول الله ـ ﷺ ـ لا يموت أبداً ، ونحن نموت ونفنى ، والعلماء باقون ما بقى الدهر .

## ذكر الناس داء

عن الأعمش ، قال : قال سيدنا عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ عليكم بذكر الله فإنه شفاء ، وإيّاكم وذكر الناس فإنه داء .

## صدق أهلك

أكل أعرابى مع أبى الأسود الدؤلى ؛ فرأى له لقماً منكراً ؛ وهاله مايصنع فقال له : ما اسمك ؟ قال : لقمان قال : صدق أهلك ، أنت لقمان .

## اجتنب

اجتنب سبع خصال يستريح جسمك وقلبك ويسلم لك دينك وعرضك .

لا تحزن على ما فاتك ، ولا تحمل هم مالم ينزل بك ، ولا تلم الناس على ما فيك مثله ، ولا تطلب الجزاء على مالم تعمل ، ولا تنظر بشهوة إلى مالم تملك ، ولا تغضب على من لا يضره غضبك ، ولا تمدح من لم يعلم من نفسه خلاف ذلك .

## إلى كل صاحب رسالة

جعل الله لك العلم نورا فى الطاعة ، وسببا إلى النجاة ، وزلفة عند الله .

نفع الله بعلمك المستفيدين ، وقضى بك حوائج المنحرمين ، وأوضح بك سنن الدين وشرائع المسلمين .

أدام الله لك التطول بإسعاف الراغب ، وأنجح بك حاجة الطالب ، وأمنك مكروه العواقب .

## جواب فى هزل

كان للمغيرة بن عبد الله الثقفى وهو والى الكوفة « جدى » يوضع على مائدته ، فحضره أعرابى فمد يده إلى الجدى ، وجعل يسرع فيه .

فقال له المغيرة : إنك لتأكله بحرد كأن أمه نطحتك .

قال : وإنك لمشفق عليه كأن أمه أرضعتك .

## نصائح حانية

للشاعر الأديب الأستاذ محمد عبد الرحمن صان الدين :

● إن كنت عاقلا جادا :

تعلم الحرفة من أربابها ، وخذ العلم من فقهائه ، واحفظ لكل حرمته .

● للشباب سكرة تورث الحرة ، فتبصر كى لا تخسر .

● حكمك على الناس حكم الناس عليك ، هذا صدى لذاك .

● من أشاد بغثائك فقد مكر بك ، وجرعك السم فى العسل .

● من أفنى شبابه لاهيا ، قضى مشيبه باكيا ، ورحل غير مأسوف عليه .

● استمع لمجرب ، وإن أغلظ فعضال الداء يُسيغ مر الدواء .

## أبيات محببة

ذكر عن الإمام أحمد ــ رضى الله عنه ــ إنشاده لهذين البيتين كثيرا :

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل
خلوت ولكن قل على رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة
ولا أن ما يخفى عليه يغيب

## الأعرابى والناقة المفقودة

ضلت ناقة لأعرابى فى ليلة مظلمة ؛ فأكثر فى طلبها فلم يجدها ، فلما طلع القمر وانبسط نوره وجدها إلى جانبه ببعض الأودية ، وقد كان اجتاز بموضعها مرارا فلم يرها لشدة الظلام فرفع رأسه إلى القمر وقال :

ماذا أقول وقولى فيك ذو حصر
وقد كفيتنى التفصيل والجملا
إن قلت لازلت مرفوعا فأنت كذا
أو قلت زانك ربى فهو قد فعلا

**دعـــاء**

**اللهم اعصمنا بحبلك ، وثبتنا على أمرك .**

العلوم الكونية

# من مآثر المسلمين فى العلوم الهندسية

ا . د . أحمد فؤاد باشا
أستاذ الفيزياء بكلية العلوم جامعة القاهرة

انتزع علماء المسلمين من مؤرخى العلم والحضارة شهادتهم الصريحة بما ابتكروا وأسهموا فى مجال علوم الرياضيات والهندسة والارتقاء بها نظريا وعمليا . ولقد ساعد تقدم العلوم الهندسية بخاصة على تقدم تقنية الهندسة المعمارية متمثلة فى المبانى والقصور والمساجد التى نهضت فى الشرق والغرب ، ولا تزال خطوطها وزخارفها ودقة أشكالها وتنسيقها محل إعجاب حتى اليوم . كذلك تقدمت تقنية هندسة الرى ، لأن أعمال الرى وتوزيع المياه تتطلب معرفة دقيقة بمستوى الأرض وانحدارها وبكمية المياه وسرعتها ومجراها ، وبمواد البناء وخصائصها واختيار الأنسب منها لبناء السدود والتحكم فى التوزيع .

وسوف نقتصر فى هذا المقال على عرض التطور التاريخى لعلم الهندسة ودور علماء المسلمين فى تقدمه .

مقدمة تاريخية :

يمكن القول أن الهندسة التطبيقية المستخدمة فى الحياة العملية لتعيين مساحات الأراضى وحدودها لتقدير الخراج ، وتحديد مساقط الخطوط على الأرض لضبط عمليات البناء ، كانت معروفة لدى المسلمين قبل اطلاعهم على تراث الحضارات القديمة بصورة عامة ، وحضارة الاغريق على وجه الخصوص . بل إن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ أمر ببناء عواصم جديدة فى الأقاليم التى شرفت بالفتح الاسلامى حسب خطط معينة ، مثل الكوفه فى العراق ، والفسطاط فى مصر ، كما أمر بمسح أراضى السواد ( جنوب العراق ) وغيرها مما فتح على المسلمين لتحديد خراجه . وهندسة الزخرفة كانت معروفة أيضا ويشهد عليها بهاء القصور الأموية وزخرفة مساجد القدس والمدينة المنورة وعلى هذا فإن علم الهندسة عند المسلمين كانت له أصول وتطبيقات فى حياة الناس .

لكن عندما نتحدث عن الهندسة النظرية بما فيها من بنية منطقية وأنساق منهجية تعتمد على بديهيات ومسلمات ومبرهنات ، فإننا نعود الى نقطة البدء من هندسة « إقليدس » فى كتابه « للأصول » .

وكان الحجاج بن يوسف بن مطر الذى عاش فى أيام الرشيد والمأمون قد قام بالترجمة والتعليق على كتاب « الأصول الهندسية » لاقليدس مرتين : الأولى أطلق عليها اسم : « الترجمة الهارونية » والثانية عرفت باسم : « الترجمة المأمونية » كذلك ترجم هذا الكتاب إلى العربية كل من : حنين بن اسحق ، وأبى الريحان البيرونى الذى كتب رسالة فى حل شبهة عرضت فى المقالة

الثالثة عشرة . وقد أتاحت هذه الترجمات الفرصة للتعرف على أحد فروع الرياضيات الذى يتعامل مع النقطة والخط والسطح والفراغ ويعنى بدراسة الأشكال من حيث الحجم والمساحة .

ويضم كتاب « الأصول » جل ما نعرفه اليوم عن الهندسة الإقليدية ويدرسه طلاب المرحلتين الإعدادية والثانوية من التعليم العام ، ويقع فى خمس عشرة مقاله : منها أربع مقالات فى السطوح الهندسية ، ومقالة فى المقادير المتناسبة ، وأخرى فى نسب السطوح بعضها إلى بعض ، وثلاث مقالات فى العدد والتمثيل الهندسى ، ومقالة فى المنطق ، وخمس مقالات فى المجسمات .

## العلوم الهندسية فى التراث الإسلامى :

حظى كتاب اقليدس فى الهندسة باهتمام علماء المسلمين ، فمنهم من قام بدراسته دراسة وافية شاملة ، ومنهم من اختصره وزاد على نظرياته وتفنن فى البراهين وطرق حل المسائل ، ومنهم من ألف على نسقه وابتكر مسائل هندسية جديدة لا زال بعضها يعرف حتى الآن باسم أصحابها ، مثل مسألة ابن الهيثم التى اكتشفها عندما بحث انعكاس الضوء بطرق هندسية[1] .

وكان إقليدس قد اعتبر فى كتابه أن المسلمات أو المصادرات **POSTULATES** الخمس التى تنطلق منها سائر العلوم الهندسية هى :

١ ـ يمكن أن نخط خطا مستقيما بين أى نقطتين .

٢ ـ يمكن ان نمد خطا مستقيما على استقامته .

٣ ـ يمكن ان نرسم دائرة على أى نقطة وبأى بعد .

٤ ـ الزوايا القائمة كلها متساوية .

٥ ـ اذا قطع خط مستقيم خطين مستقيمين آخرين فصيَّر الزاويتين الداخلتين على جهة بعينها أنقص من قائمتين فإن المستقيمين يلتقيان فى تلك الجهة إذا مُدَّا على استقامتيهما .

ونلاحظ أن المسلمات الثلاث الأولى ما هى إلا رسوم هندسية للخط المستقيم والدائرة ، والمسلمة الرابعة تقرر حقيقة تساوى الزوايا القائمة وجعلها مقياسا تقاس الزاوية به وتنسب إليه . أما المسلمة الخامسة فهى نظرية يتحقق فيها التقاء مستقيمين مرسومين على سطح واحد إذا تحقق شرط محدد . وإذا كان المقصود بالمسلمة هو أنها قول أو حكم أو فرصة يمكن قبوله والتسليم بصحته بدون حاجة إلى برهان ، فإن هذا المفهوم يمكن أن ينطبق على المسلمات الأربعة الأول ، ولكنه يحاط بالغموض والشك فيما يتعلق بالمسلمة الخامسة التى كانت هدفا لنقد علماء الرياضيات منذ ظهورها ، ورفضوا اعتبارها من القضايا التى يجوز التسليم بها دون برهان ، فقد يسلم المرء بأن فى إنقاص الزاويتين الداخلتين عن قائمتين ما يستلزم

---

(١) تنص مسألة ابن الهيثم على أنه : « إذا فرضت نقطتان حينما اتفق أمام سطح عاكس ، فكيف تعين على هذا السطح نقطة بحيث يكون الواصل منها إلى احدى النقطتين المفروضتين بمثابة شعاع ساقط والواصل منها إلى الأخرى بمثابة شعاع منعكس » . وحلول هذه المسألة كثيرة متنوعة ، وهى تتراوح بين اليسر والسهولة فى الأحوال العامة وحينا يكون السطح العاكس مستويا ، وبين الصعوبة والتعقيد إذا كان السطح العاكس كريا أو اسطوانيا أو مخروطيا أو حينا تعتبر حالات خاصة . وتؤدى هذه المسألة إلى معادلة من الدرجة الرابعة ، حلها ابن الهيثم بواسطة تقاطع دائرة مع قطع زائد . راجع فى ذلك مؤلفنا « التراث العلمى للحضارة الاسلامية » القاهرة ١٩٨٤ ، ص ٨٦ وما بعدها .

بالضرورة تقـــارب الخطين من جهـــة هاتين الزاويتين ، ولكن هذا وحده لا يكفى للجزم بأن الخطين لابد ملتقيان فى نقطة ما . إذ من المعلوم أن هناك خطوطا هندسية يقترب الواحد منها نحو الآخر باستمرار دون أن يلتقيا أبدا مثل القطع الزائد والخطين المقاربين له .

إذن فالمسلمة الخامسة لإقليدس ما هى إلا فرض راجح الصدق ، ولما كان رجحان الصدق لا يكفى للاقناع فى الرياضيات والهندسة فلا مفر من البرهنة عليها . وبعد ترجمة كتاب إقليدس إلى العربيـة تصدى لشرح هذه المسلمـة وبرهـانها كثيرون مثل البيرونى ، وثابت بن قرة ، والحسن ابن الهيثم ، وعمـر الخيام ، ونصر الديـــن الطوسى ، والجوهرى ، وغيرهم .

منهج المسلمين فى شرح المصادرة الخامسة :

إن تناول علماء المسلمين لنظريـة الخطـوط المتوازية ، أو المسلمة الخامسة لإقليدس ، يعكس طريقتهم العلمية فى البحث العلمى . فقد عنى ابن الهيثم ، على سبيل المثـال ، بشرح مصادرات ( مسلمات ) إقليدس ، ويعتبر كتابة « حل شكوك إقليدس فى الأصول وشرح معانيه » من أهم المؤلفات التراثية التى أثـارت العديـد من المجادلات والمناقشات العلمية وفتحت الباب لمزيد من التأليف فى هذا المجال الخصب من المعرفة ويوضح ابن الهيثم منهجه العلمى فى مقدمة كتابه هذا بقوله : « كل معنى تغمض حقيقته ، وتخفى بالبديهة خواصه ، ويشك به فى بعض أحواله فالشك متسلط عليه ، وللمعاند والمشكك طريق مقنع إلى معاندته والطعن عليه ، وخاصة العلوم العقلية والمعانى البرهانية ، إذ العقل والتمييز مشترك لجميع الناس ، وليس جميعهم متساوى الرتبة فيها ، وليس يذعن واحد من الناس لغيره فيما يدعى صحته بالقياس ، ولا تصح دعواه فى نفسه إلا بعد أن يصح له ذلك المعنى بقياسه وتمييزه الذى استأنفه هو وتشكك صحته فى عقله .. والمصادرات ( أى المسلمات والبديهيات ) تنقسم الى ثلاثة أقسام : المسلم به ، والمبين بالقياس ، والمحدود ، فكل مسلم به يحتمل التشكك ، أما المبين بالقيـاس فيمكـن أن يتشكك بمقدمات قياسه ، وأما المحدود فيمكن التشكك والطعن فى حدوده .. وإن كتاب إقليدس فى الأصول هو الغاية التى يشار إليها فى صحة البراهين والمقاييس ومع ذلك لم يزل الناس قديما وحديثا يتشككون فى كثير من معـــانى هذا الكتـــاب وكـــثير من مقاييسه » .

وهنا تجدر الاشارة إلى سمة هامة من سمات الشخصية العلمية الحقيقية التى يتمتع بها ابن الهيثم ، وتتمثل فى إدراكه الواعى لأهمية ما يسمى « بالشك المنهجى » عند البدء فى تناول موضوع علمى بالبحث والدراسة ، فهذا الأسلوب يمكن أن يستخدمه الباحث الناضج بإرادته ، رغبة منه فى اختبار معرفته وعدم تأثر تفكيره بالأخطاء المألوفة التى تشوب الثقافة السائدة فى مجتمعه أو التى يقرأها فى الكتب . وهذا النوع من الشك يعتبر فى حقيقة الأمر أحد عناصر اليقين فى تحصيل الحقيقة العلمية وترجيح صحتها ، وهو يختلف عما يعرف بالشك الحقيقى أو المطلق الذى يزاول لذاته وبغير إرادة من صاحبه ، فيعيش فى حالة ريب متكاسل يبدأ فيها وينتهى بالشك وعدم الثقة فى بلوغ أعلى درجة من الصدق واليقين . وهناك من الباحثين من يرى فى الشك المنهجى القوة

الموقظة فى تاريخ النشاط العقلى ، ويرجع إليه كل نزوع الى النقد الصحيح وحرية البحث وعبقرية الاكتشاف فى ماضى المعرفة وحاضرها . فمثل هذا الشك العلمى منهج يتبع عند اختبار المعرفة أو امتحانها أو عند العمل على كسبها ، وقد عرفته الدراسات العقلية الحديثة وأيده التحليل « السيكولوجى » الحديث . ذلك أن الاعتقاد والانكار فى رأى الكثير من علماء النفس مظهران لحالة نفسية واحدة . فالضد الصحيح للاعتقاد هو الشك والبحث وليس الانكار ، وإذا صح هذا كان الشك بهذا المعنى ضروريا لكل معرفة علمية صحيحة فى مجال السلوك أو البحث التجريبى أو النظرى ،بل إن اكتساب المعرفة وتحصيل المعلومات الصحيحة يقوم على اتجاه عقلى يعبر عنه بالشك فى بادىء الأمر .

ولعل هذه السمة المنهجية فى تفكير ابن الهيثم هى التى جعلت عالما رياضيا معاصرا مثل الدكتور على مصطفى مشرفة يقول عن كتاب « حل شكوك إقليدس » الذى نحن بصدد الحديث عنه : « إن المطلع على كتاب ابن الهيثم فى حل شكوك إقليدس يلمس دقة المؤلف فى التفكير وتعمقه فى البحث واستقلاله فى الحكم ، كما يتضح له صحة إدراك ابن الهيثم لمكان الهندسة الإقليدية من العلوم الرياضية على أنها دراسة منظمة للعلاقات والمقادير المكانية من ناحية كونها علاقات أو مقادير دون النظر الى ما يمكن أن تدل عليه من موجودات .. فابن الهيثم فى هذا الكتاب رياضى بحت بأدق ما يدل عليه هذا الوصف من معنى وأبلغ ما يصل اليه من حدود[٢] .

وكان طبيعيا أن يؤلف ابن الهيثم بعد ذلك رسالة خاصة بدراسة نظرية الخطوط المتوازية ضمنها محاولته لبرهان المسلمة الخامسة لإقليدس بمفاهيم جديدة تتناول الحركة والحس والتمييز ، وصاغها فى منطوق جديد مؤداه « أن الخطين المتقاطعين لا يوازيان خطا واحدا » . وتفهم عمر الخيام مفاهيم ابن الهيثم وانطلق منها الى برهان جديد مستنتجا أن مجموع زوايا أى شكل رباعى تساوى ٣٦٠° وأن مجموع زوايا أى مثلث تساوى قائمتين . ثم جاء بعد ذلك نصير الدين الطوسى فى أوائل القرن الثالث عشر الميلادى وأظهر براعة فائقة فى معالجة المسلمة الخامسة من مسلمات إقليدس وقدم برهانا جديدا على أن مجموع زوايا المثلث تساوى زاويتين قائمتين فتداولته كتب الهندسة التى تدرس فى جامعات العالم وقال عنه المؤرخون أنه بداية عصر جديد فى علم الرياضيات الحديثة[٣] .

ويعترف المؤرخون للعلوم الرياضية بأن برهان نصير الدين الطوسى يعتبر نقطة التحول فى تطور علم الهندسة وظهور الهندسات اللاإقليدية الجديدة التى تلعب الآن دورا عظيما فى دراسة الفضاء الكونى وتفسيرات النظرية النسبية بعد أن تطورت على أيدى « لوباشوفسكى » الروسى و « ريمان » الألمانى ، وغيرهما . ولا يزال هناك الكثير من النظريات والأفكار الهندسية التى تم الكشف عنها فى ثنايا الكتب والمخطوطات التى تم تحقيقها أو التى تنتظر جهود المخلصين من أهل الاختصاص للبحث عنها وتعريف الأجيال برواد العلم وصناعه الحقيقيين من نوابغ العرب والمسلمين .

---

٢ ــ راجع مؤلفنا : التراث العلمى للحضارة الاسلامية مرجع سابق ، ص ٦٠ .

٣ ــ نفس المرجع ، ص ٥٩ .

## حول مقالى

# المعجزة القرآنية فى حساب السرعة الضوئية
## أمر الله لا تحده سرعة الضوء

للدكتور/ عبد الرحمن أحمد السمان (*)

- ٢ -

وخلاصة القول فيما قدمناه بعدد ذى الحجة :

١ ـ المكان : مكان التدبير (موضع التدبير) هو العرش ومادون العرش موضع التفضيل ، وما دون السموات موضع التصريف (القرطبى) .

٢ ـ المُنفذ : جبريل عليه السلام (يحيى بن سلام ، الزمخشرى) الملك الذى يدبر الأمر ، حملة الأخبار من الملائكة (ابن عباس ، قتادة ، ابن شجرة ، النقاش) أو جبريل والملائكة (مجاهد والضحاك) .

مدة التدبير : ألف سنة من سنى الدنيا (مجاهد) أى يقضى أمر كل شىء لألف سنة فى يوم واحد ثم يلقيه إلى ملائكته .

سرعة التنفيذ : يرى الزمخشرى أن جبريل لسرعة سيره يقطع مسيرة ألف سنة فى يوم من أيامكم .

ويرى ابن عباس أن الملك يصعد فى يوم مسيرة ألف سنة (النزول ألف سنة والصعود ألف سنة) .

ويرى قتادة أن نزوله فى خمسمائة سنة وصعود فى مثلها .

الأمور التى يتم تدبيرها : القضاء والقدر (ابن عباس) أو أمر الرياح والجنود بواسطة (جبريل عليه السلام) ، القطر والماء بواسطة (ميكائيل) ، الموت بواسطة (عزرائيل) ، وينزل بالأمر عليهم (إسرافيل) ـ القرطبى .

---

(*) الكاتب : مدرس بكلية العلوم قسم الرياضيات جامعة الأزهر

أو أمر الشمس فى طلوعها وغروبها ورجوعها إلى موضعها من الطلوع فى يوم كان مقداره فى المسافة ألف سنة ـ القرطبى .

المكان الذى يعود إليه الأمر بعد التدبير : مكان غيبى ( المكان الذى أمرهم الله تعالى أن يرجعوا إليه ) مجاهد والضحاك .

تفسير آية سورة الحج : ﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ .

المصدر الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ١٩٥٧ دار الكاتب العربى للطباعة والنشر وزارة الثقافة ج.م.ع جـ ١٢ ص ٧٧ .

قال ابن عباس ومجاهد : يعنى من الأيام التى خلق الله فيها السموات والأرض .

وقال عكرمة : يعنى من أيام الآخرة وأعلمهم الله إذ استعجلوه بالعذاب فى أيام قصيرة أنه يأتيهم فى أيام طويلة .

الفراء : هذا وعيد لهم بامتداد عذابهم فى الآخرة . أى يوم من أيام عذابهم فى الآخرة ألف سنة .

وقيل : المعنى وأن يوماً فى الخوف والشدة فى الآخرة كألف سنة من سنى الدنيا فيها خوف وشدة وكذلك يوم النعيم قياساً .

تفسير فى ظلال القرآن : سيد قطب ١٩٨٢ الطبعة العاشرة دار الشروق المجلد الرابع ص ٢٤٣٠

﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ ﴾ .

وذلك دأب الظالمين فى كل حين ، يرون مصارع الظالمين ، ويقرأون أخبارهم ويعلمون مصائرهم ، ثم إذا هم يسلكون طريقهم غير ناظرين إلى نهاية الطريق !! فإذا ذكروا بما نال أسلافهم استبعدوا أن يصيبهم ما أصابهم . ثم يطغى بهم الغرور والاستهتار إذا أملى لهم الله على سبيل الاختبار فإذا هم يسخرون ممن يخوفهم ذلك المصير وإذا هم من السخرية ـ يستعجلون ما يوعدون !!

﴿ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ ﴾ فهو آت موعده الذى أراده الله وقدره وفق حكمته واستعجال الناس به لا يعجله كى لا تبطل الحكمة المقصودة من تأجيله وتقدير الزمن فى حساب الله غيره من حساب البشر ﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ .

ص ٢٤٠٧ والشوط الثالث يتضمن عرض نماذج من تكذيب المكذبين من قبل ، ومن مصارع المكذبين ومشاهد القرى المدمرة من الظالمين ، وذلك لبيان سنة الله فى الدعوات وتسلية الرسول ـ ﷺ ـ عما يلقاه من صد وإعراض وتطمين المسلمين بالعاقبة التى لابد أن تكون كذلك .

تفسير الجلالين ص ٤٤٠ : ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ ﴾ ـ بإنزال العذاب كإنزاله يوم بدر ﴿ وَإِنَّ يَوْمًا .. ﴾ من أيام الآخرة بسبب العذاب ( كَأَلْفِ سَنَةٍ ) فى الدنيا .

المصحف المفسر : ص ٤٤٠ : ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ ﴾ . ولكن

الله حكيم لا تستفزه عجلة المتعجلين ولا تثيره أهواء الطائشين وإن يوما عنده كألف سنة مما تعدون وكم من قرية أمهلتها وهى ظالمة لترجع إلى الصواب ثم أخذتها بعد اليأس من صلاحها وإلىّ المصير .

صفوة التفاسير جـ ٢ ص ٢٩٣ دار القلم بيروت ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ ﴾ .أى : ويستعجلك يا محمد هؤلاء المشركون بالعذاب استهزاء وإن ذلك واقع لا محالة ، لكن لوقوعه أجل لا يتعداه لأنه تعالى لا يخلف الميعاد .

﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ . أى هو تعالى حليم لا يعجل فإن مقدار ألف سنة عند خلقه كيوم واحد عنده بالنسبة إلى حلمه فلماذا يستبعدونه ويستعجلون العذاب ؟

ولهذا قال بعد ذلك ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ .

يتضح من مجموع هذه الآراء والتفاسير أن :

١ - كيفية تدبير الله لأمور الخلائق كلها أمر غيبى جملة وتفصيلا .

٢ - افتراض أن هناك يوماً إلهيا ﴿ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ﴾ يقابله اليوم الدنيوى وبالتالى يمكن عقد مقارنة بين طوليهما قول متكلف لأن الله يخاطب البشر بما يمكنهم فهمه وليس بما يمكنه صنعه جل وعلا ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ الآية ١١ الشورى .

٣ - الاجتهاد مع القرآن يتطلب استحضار القرآن كاملا وليس اقتطاف آيات متفرقات والوقوف عند مفردات متشابهات لأن ذلك يهدر مبدأ رئيسياً من مبادىء التفسير وهو مراعاة سبب النزول والهدف من الآيات .

٤ - وضع حد أعلى لسرعة تنفيذ الأمور الإلهية لا يزيد على مقدار سرعة الضوء معناه مباشرة أن الله جل علاه - لا يقدر - وحاشا لله ألا يقدر - على ما هو أسرع وأكبر تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

ومن ناحية أخرى فإن تدابير الإنسان لشئون حياته تقوم على العناصر الآتية :

١ - استقبال الأمر فى الخاطر (بمجرد التفكير فيه فسبحان من سخر لنا كل شىء) .

٢ - النظر فى امكانية تنفيذه من حيث توفر الأسباب وملاءمة الظروف المحيطة .

٣ - اصدار أمر التنفيذ (أو الهم بالتنفيذ) .

٤ - تحديد وسيلة وكيفية التنفيذ .

٥ - متابعة تحقيق التنفيذ واستقرار العمل فيه إذا كان العمل ممتداً لفترة زمنية .

٦ - معالجة الآثار الجانبية فى الوسط المحيط بتنفيذ الأمر .

ويحتاج كل عنصر مهما كان الأمر المنفذ بسيطاً إلى زمن حتى ولو كان لمح بصر .

أما فى جانب الخالق جل جلاله فإنه يأمر فيخلق من عدم فلا معنى إذاً للزمن أو السرعة وغيرها من المصطلحات البشرية .

يقول المؤلف (ص ٩١٠ يسار) (جـ) قوله تعالى : ﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ تدل ـ كما فهم معظم المفسرين ـ على حد السرعة فى السماء .

تعليق : من أقوال المفسرين السابقة يتضح أن أحداً منهم لم يقل بأن هناك حداً أعلى لسرعة تدبير الأوامر الإلهية .

ص ٩١١ (يمين) سطر ١١ (من الآخر) يقول المؤلف وبالرجوع إلى الآية القرآنية التالية فإن الضوء ـ معبراً عنه كلمح البصر هو أحد الأوامر الإلهية كما فى قوله تعالى :

﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِٱلْبَصَرِ ﴾ [ سورة القمر ٤٩ ـ ٥٠ ] .

تعليق : يقول الشيخ الصابونى فى صفوة التفاسير جـ ٣ ص ٢٩٠ .

أى وما شأننا فى الخلق والإيجاد إلا مرة واحدة لا تحتاج إلى تأكيد بثانية فيكون ذلك موجوداً كلمح البصر لا يتأخر طرفة عين (المختصر ٣/٤١٤) .

وفى قصة سيدنا سليمان عندما سأل جلساءه قائلاً ( كما يحكى القرآن ) .

﴿ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴾ [ الآية ٣٨ سورة النمل ] .

﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ [ الآية ﴿٤٠﴾ سورة النمل ] . يعنى أسرع من لمح البصر .

وقد تحقق ذلك فعلاً : ﴿ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ﴾ [ الآية ﴿٤٠﴾ سورة النمل ] فإذا كان من عنده علم من الكتاب وهو مخلوق لا محالة يستطيع أن ينجز أمراً أسرع من لمح البصر فإن هناك سرعة أكبر من سرعة الضوء .

ص ٩١١ : يمين سطر ٢ (من الآخر) : يقول المؤلف ولقد أجمع المفسرون على أن الأمر فى آية السجدة شىء كونى بالغ السرعة وليس أمراً تحمله الملائكة ، لأن الله هو المدبر للأمر فى آية السجدة .

تعليق : ﴿ ... قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ﴾ [ الآية ١٥٤ سورة آل عمران ] . يفرق المؤلف بين أمر الله ينفذه سبحانه وأمر يوكله إلى الملائكة فيتم حسب قدرة الملك المكلف بذلك وهذا ينطوى على تحايل لأن الملائكة مسخرون لا يعصون الله ماأ مرهم ويفعلون ما يؤمرون فليس للملك قدرات ذاتية يتصرف بها إذا أمره الله بشىء .

أما قوله شىء كونى بالغ السرعة يرمى بذلك إلى أن سرعة الأمر الإلهى هى سرعة الضوء ـ يتناقض مع مايدعيه من أن سرعة الملائكة خمسين مثلاً من سرعة الضوء ، فهل سرعة الأمر الإلهى أقل من سرعة الملك ؟!!(٥)

ص ٩١٢ سطر ١٠ يسار : يقول المؤلف (جـ) أن آية السجدة (٥) والحج (٤٧) تسمحان لنا عملياً بحساب الحد الأقصى للسرعة الكونية المطلقة (يقصد سرعة الأمر الإلهى) كما سبق استنتاجه من حديثه طبقاً للمعادلة القرآنية التالية والمستنتجة من النص الشريف للآيتين .

تعليق : السرعة الكونية حتى الآن حسب قوله مجهولة ويرغب سيادته فى استنتاج قيمتها حسابياً ويقول « المسافة التى يقطعها الأمر الكونى بالسرعة القصوى فى السماء فى زمن قدره يوم أرضى واحد تساوى تمام المسافة التى يقطعها القمر فى فلكه الخاص حول الأرض فى زمن قدره ألف سنة قمرية » .

المقالة الثانية : عدد رجب ١٤١٣ هـ ص ١٠٨٣ ـ ص ١٠٩٠ :

يقول المؤلف ص ١٧٣ (ثالثاً) المعجزة القرآنية فى حساب السرعة الضوئية كحد أقصى للسرعة الكونية .

١ ـ معادلة جديدة فى نظام الأرض والقمر .

المسافة التى يقطعها الأمر الكونى بالسرعة القصوى فى يوم أرضى واحد = المسافة التى يقطعها القمر فى مداره الخاص حول الأرض فى ألف سنة قمرية .

تعليق : **ليس هناك مبرر لتحديد سرعة الأمر الكونى (بالسرعة القصوى) هى سرعة ما ع كم/ساعة مثلاً .**

**فى ص ١٠٨٤ سطر (٤ ، ٥ ، ٦) .**

يقول المؤلف : **وبهذا يمكن كتابة المعادلة السابقة كما يلى باعتبار أن أية مسافة تساوى حاصل ضرب السرعة × الزمن إذا كانت السرعة منتظمة .**

تعليق : **طالما أن سرعة الأمر الكونى مجهولة لنا فهى مجهولة لنا مقداراً واتجاهاً يصبح افتراض ثبوتها (سرعة منتظمة) مجرد فرض يحتمل الصواب والخطأ ولا يصلح للقطع به يقيناً .**

يقول المؤلف :

الحد الأقصى للسرعة الكونية × زمن اليوم الأرضى = ١٢٠٠٠ × طول المدار القمرى .

معادلة (٢)

ويقول :

$$\text{الحد الأقصى للسرعة الكونية} = \frac{\text{١٢٠٠٠} \times \text{طول القمر حول الأرض}}{\text{زمن اليوم الأرضى}}$$

معادلة (٣)

والتعويض عن طول المدار القمرى حول الأرض فى المعادلة الأخيرة : بحاصل ضرب متوسط السرعة المدارية للقمر × زمن الشهر القمرى :

$$\text{الحد الأقصى للسرعة الكونية} = \frac{\text{١٢٠٠٠} \times \text{متوسط السرعة المدارية للقمر} \times \text{الشهر القمرى}}{\text{زمن اليوم الأرضى}}$$

معادلة (٤)

تعليق :استخدام متوسط السرعة المدارية للقمر هو نوع من التقريب للسرعة الحقيقية للقمر التى تختلف من نقطة إلى أخرى على المدار القمرى حول الأرض كما أن سرعة القمر مقاسة عن مسطح الأرض وهى متحركة فى مسار بيضاوى بسرعة غير منتظمة هى سرعة نسبية (ظاهرية ) وطالما أننا نبحث عن ثابت كونى من خلال القرآن الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد فيجب عدم التدخل بأى تقريب وحساب الكميات بطريقة مضبوطة تماماً ويكفى الخطأ القائم فى أجهزة القياس مهما دقت .

وقد جرت عادة العلماء أن يربطوا الأجرام السماوية المتحركة بجرم سماوى بعيد جدا يطلقون عليه النجم الثابت حتى يتسنى لهم حساب السرعات وغيرها بما يتفق ومبادىء الميكانيكا التقليدية النسبية وغير النسبية . وقد أشار المؤلف إلى ذلك ثم أهمل استخدامه فى الحسابات .

فقد ذكر فى ص ١٠٨٥ سطر (٦) من الآخر «لهذا تسمى الفترة من الهلال إلى الهلال بالشهر الاقترانى وهى فى المتوسط ٢٩,٥٣٠٥٩٠ يوماً بينما يدور القمر دورة كاملة (٣٦٠°) حول الأرض بالنسبة إلى النجوم البعيدة كمرجع ساكن نسبياً فى شهر نجمى قدره مقاساً بالساعات الذرية ...» .

ويقول ص١٠٨٦ (سطر ٨ من الآخر) ويتميز النظام النجمى فى أنه يتخلص من تأثير دوران الأرض حول الشمس فيعطى الأزمنة الفعلية المناسبة للحساب فى المعادلة القرآنية السابقة .

وفى سطر (٤) من الآخر يقول : ومعنى هذا أنه عند التعويض عن زمن اليوم الأرضى نستخدم اليوم النجمى كمدة دوران الأرض فى فلكها الخاص حول نفسها دون تأثير دوران الأرض وفلكها حول الشمس وكذلك عند التعويض عن زمن الشهرى القمرى نستخدم الشهر النجمى كمدة دوران القمر فى فلكه الخاص حول الأرض دون تأثير دوران الأرض ومعها القمر حول الشمس .

وفى ص ١٠٨٧ سطر (١) يقول :

وبالمثل فإننا عند حساب طول المدار القمرى فى فلكه الخاص حول الأرض فلابد أن يكون هذا الفلك مستقلا عن الأفلاك الأخرى المتداخلة معه وهذا سوف يضطرنا إلى اجراء التصحيح التالى للسرعة المدارية المرصودة للقمر حول الأرض .

تعليق : يتضح من أقواله أنه أدخل التقريبات الآتية :

١ ــ سرعة القمر = متوسط سرعته المدارية .

٢ ــ مدار القمر هو دائرة نصف قطرها ٣٨٤٠٠٠ كم بينما المسار بيضاوى طول نصف المحور الأصغر = ٣٥٦٠٠٠ كم ، طول نصف النظر الأكبر = ٤٠٦٦٠٠ كم تقريباً .

٣ ــ سرعة القمر = $\frac{\text{٢ ط} \times \text{متوسط النصف قطر المدار}}{\text{زمن الشهر النجمى}}$

٤ ــ اعتبار الزاوية التى تدورها الأرض حول مركز الشمس وليس حول النجم البعيد الثابت فى زمن قدره شهر قمرى وأخذ القيمة ٢٦,٩٢٨٤٨° شهرياً (ص ١٠٨٨ ، ١٠٨٩) .

وبالتالى اعتبار هذه الزاوية نفس زاوية دوران القمر حول الشمس خلال شهر . (سطر ٣ من أسفل ص ١٠٨٨) .

وهذا اهمال للنظام النجمى الذى اعتبره المؤلف أدق فى الحساب من غيره واعتماد النظام النجمى يعنى أن الزاوية هـ= صفر .

ثالثاً ـ حساب السرعة ع (التى سماها المؤلف السرعة القصوى) :

فى النظام النجمى يكون :

هـ = صفر

متوسط السرعة المدارية للقمر = ٣٦٨٢,٠٧ كم/ساعة

زمن الشهر النجمى = ٦٥٥,٧١٩٨٦ ساعة من الجداول المنشورة بالمقالات

اليوم النجمى = ٨٦١٦٤,٠٩٠٦ ثانية

فتكون ع = (١٢٠٠٠ × ٣٦٨٢,٠٧ × ٦٥٥,٧١٩٨٦) / ٨٦١٦٤,٠٩٠٦ = ٣٣٦٢٥٢,٣٤٠١ كم/ث

وإذا اعتمدنا على النظام الشمى نجد أن :

ع ٣٢٣٠٧١,١٦٠٩ كم/ث

يتضح من ذلك أن ما يسمى بالسرعة القصوى للأمر الكونى (الإلهى) لا تقوم على أساس علمى سليم مما يستدعى مراجعة المؤلف فيما ذكره من خواطر وحسابات .

**أما المقالة الثالثة :**

فلا تحتاج إلى تعليق تفصيلى . ويسترعى الإنتباه ذكر المؤلف فى ص ٢١٢ سطر ١٤ العنوان ٧ ـ سرعة عروج الملائكة والروح :

**والتعليق :** هو تذكير الباحث بقول الله تعالى : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الآية ٨٥ الإسراء] .

كما أن الروح يطلق على سيدنا جبريل عليه السلام ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾ [الآية ١٩٣ الشعراء] .

**شكر :**

أتقدم بخالص الشكر للأستاذ الدكتور عبدالشافى فهمى عبادة أستاذ ورئيس قسم الرياضة بكلية العلوم جامعة الأزهر على تفضله بقراءة هذا التعليق وتوجيهاته الإيمانية والعلمية القيمة وأسأل الله ـ تعالى ـ أن يتقبل منا جميعاً صالح الأعمال وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

---

(٭) راجع المقالة الثالثة ص ١٢١٣ سطر ١٩ ، ٢٠ .

# الجديد فى العلم والتقنية

اعـــداد : د. نجوى السيد أحمد.

● استخدام الضوء لعلاج الاكتئاب .

لجأ أطباء نفسانيون فى إحدى المدن الألمانية إلى استخدام نوع غير تقليدى من العلاج هو العلاج بالضوء لمكافحة الاكتئاب بدلا من استخدام الأدوية المضادة للاكتئاب . وتتكون أجهزة العلاج من ( ٧ ) لمبات فلورسنت تعطى الوان الطيف العادى التى يعطيها ضوء النهار وتشبه المجموعة كلها الشمس فى منتصف النهار . يجلس المرضى مرتين فى اليوم أمام الضوء من ساعة إلى ساعتين لامتصاص الأشعة الضوئية التى تعمل على تنشيط إنتاج الجسم من هرمون « السيروتونين » ووظيفته مكافحة الكآبة والهبوط .

● انتاج مواد لتحسين التربة الزراعية :

أدت نتائج الأبحاث التى تجرى بالمركز القومى للبحوث إلى إمكانية الحصول على مواد تمتص الماء بنسبة ٥٠٠٪ من وزنها ، وذلك لانتاج مواد محسنة للتربة تقوم بامتصاص الماء وتخزينه . وهذه المواد يمكن تصنيعها من مخلفات الحيوان بعد معالجتها كيميائيا بحيث تزداد درجة امتصاصها للماء ، وكذلك عن طريق مواد كيميائية فى صورة بودرة أو مواد جلاتينية . وتصلح هذه المواد فى مصر خاصة فى زراعة الصحراء حيث يمكن توفير كميات المياه التى قد تتسرب إلى الرمال .

● استخدام المخلفات الصناعية لانتاج العلف :

توصل فريق بحثى بالمركز القومى للبحوث إلى مصادر جديدة لانتاج بروتينات وحيدة الخلية عن طريق تنمية سلالات من الخميرة على مخلفات المصانع الغذائية مثل عصائر المانجو والجوافة كمصدر كربونى لنمو هذه الخمائر ومن فوائد هذه الدراسة : الإقلال من التلوث البيئى الذى تسببه هذه المخلفـــات ، والحصول على بروتين غير تقليدى قليل التكلفة يمكن استخدامه كعلف للحيوانات .

● بلاط للحماية من غاز الرادون :

ابتكر مهندس بناء بريطانى نوعا من البلاط يمنع تسرب غاز الرادون المشع الذى ينطلق من صخور اليورانيوم إلى داخل البيوت المبنية فوق هذه الصخور ويسبب الكثير من الأمراض السرطانية والبلاط الجديد لا يختلف عن البلاط العادى سوى أن سطحه السفلى فيه تعرجات متوازية ، وعندما يوضع بشكل منتظم تتكون من هذه التعرجات قنوات متوازية وتنتهى عند الجدران الخارجية للمنازل المبنية من الطوب المفرغ فيدخل الغاز

* باحثة بالمركز القومى للبحوث .

المنطلق من أرض المنزل خلال القنوات فى الطوب ويتبدد فى الجو الخارجى ، والبلاط الجديد مصنوع من أسمنت بلاستيكى يطلى بعد مزجه فوق الأرض بطبقة من مادة بلاستيكية تمنع تسرب غاز الرادون من الشقوق بين البلاط .

● عربة أطفال لحمايتهم من تلوث الهواء :

ابتكرت احدى الشركات الأمريكية جهازا جديدا يعد بمثابة سكرتيرة إلكترونية حيث يمكن الاحتفاظ بعشرة آلاف حرف ورقم ، أى ما يعادل مئات الأسماء والأرقام التليفونية ، كما يقوم الجهاز بإجراء العديد من الحسابات ، ويذكر بالمواعيد الهامة وذلك على مدى اسبوعين قادمين .

● ثورة جديدة فى عالم صناعة « الكمبيوتر » :

يشهد العالم ثورة جديدة فى عالم صناعة أجهزة الكمبيوتر حيث سيتوصل « الكمبيوتر » إلى فهم كل حرف وقوس ومسألة مكتوبة بالقلم على شاشته ، ونظام التشغيل لديه قدرة على فك رموز خط اليد مهما كان شكلها ، ويتوقع المحللون حركة رواج كبيرة فى مجال صناعة « الكمبيوتر » وذلك لسهولة استخدام هذه الأجهزة للأقلام .

● أجهزة الليزر للكشف عن مخالفات السيارات :

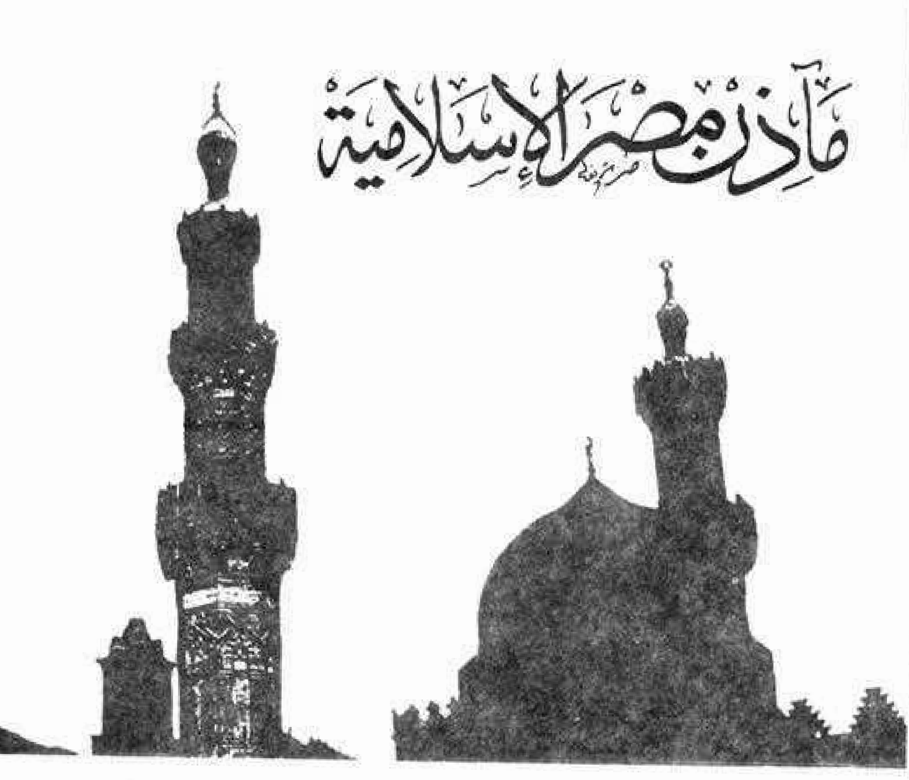
أنتجت إحدى الشركات الأمريكية أجهزة ليزر حديثة لتكشف بسرعة وبدقة السيارات المخالفة للسرعات المسموح بها . يصدر الجهاز الجديد سلسلة من النبضات الخفيفة تحت الحمراء ، وتحدد وحدات الليزر السرعة عن طريق قياس مدى السرعة التى تعكسه السيارة المنطلقة .

● جهاز إلكترونى يعمل كسكرتيرة :

ابتكرت احدى الشركات الألمانية عربة خاصة للأطفال تستوعب ٦ أطفال من ٣ الى ٥ سنوات ، وهى مزودة بغطاء من مادة خاصة تغلف الهواء المحيط بالأطفال بدخان عازل لحمايتهم من تلوث الهواء وعوادم السيارات أو العدوى بالأمراض ، وهذه المادة لا تحتوى على أية سموم ، فهى آمنة تماما حتى لو أمسك الطفل بغطاء عربته التى تجوب الشوارع ، كما أن العربة مزودة بأزرار خاصة يمكن عن طريقها زيادة أو انقاص هذه المادة .

● الفضلات المنزلية كوقود للسيارات :

انتجت إحدى الشركات الفرنسية المتخصصة فى معالجة الفضلات المنزلية أول سيارة تسير بوقود غاز الميثان الذى يتم الحصول عليه من معالجة الفضلات المنزلية ، حيث تعطى الفضلات العضوية عند تحللها غاز الميثان الذى يعتبر من أنظف أنواع الوقود المعروفة حتى الأن حيث لا لون له ولا طعم ولا رائحة وأخف من الهواء وهو مكون رئيسى للغاز الطبيعى .



# مآذن مصر الإسلامية

للأستاذ / أحمد رجب محمد على

مقدمة :

من فوق مئات المآذن الممتدة فى أنحاء مصر يرتفع صوت المؤذن فيعبق الأرجاء بنور الإيمان،ويعلن شموخ الإسلام على مر الزمان ، وتدوى صيحة : « الله أكبر » « لا إله إلا الله » فى كل مكان .

هذه المآذن تشابهت هاماتها وأختلفت عماراتها ... وفى هذا البحث نتناول جزءاً هاماً من أجزاء المئذنة وهو (تاج المئذنة) الذى يعرف بـ (خوذة المئذنة) فى محاولة للوقوف على أشكال الخوذات ، وتعليل وجودها بهذه الأشكال .

# أشكال خوذات مآذن

تنوعت أشكال هذه الخوذات فكانت هناك مآذن ذات خوذات على هيئة القبة وأخرى على هيئة المبخرة وثالثة على هيئة (القلة) ، ثم المآذن ذات الخوذات المخروطية الشكل .

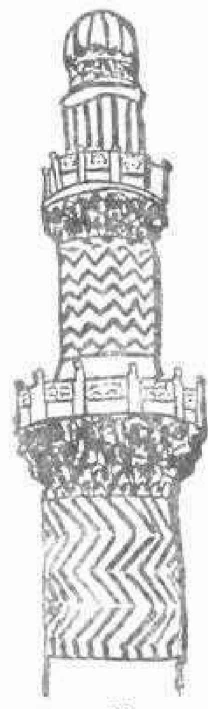
١ ـ مآذن القبة :

وتعد القباب من أقدم أنواع الخوذات التى توجت مآذن مصر الإسلامية ومن أشهر المآذن التى توجت بقباب (مئذنة الجيوشى) بجبل المقطم ٤٨٧ هـ ـ ١٠٨٥ م ، و(مئذنة أسنا) ٤٧٤ هـ (١٠٨١ ـ ١٠٨٢ م) ومئذنتا جامع الناصر محمد بن قلاوون بالقلعة (٧٣٥ هـ ـ ١٣٣٥ م) (شكل ١) .

ويعد العصر الفاطمى أكثر العصور التى انتشرت فيها المآذن المتوجه بقباب .

٢ ـ مآذن المبخرة :

وتعد الخوذات التى على شكل المبخرة ثانى أشكال خوذات المآذن فى مصر من حيث الترتيب



شكل (١)
أحدى مئذنتى جامع الناصر محمد بن قلاوون بالقلعة (٧٣٥ هـ ـ ١٣٣٥ م) وهى ذات خوذة على هيئة القبة .

الزمنى وقد انتشر هذا النوع من خوذات المآذن فى مصر اعتبارا من نهاية العصر الفاطمى ، ثم العصر الأيوبى وعصر المماليك البحرية ، ويعد العصر الأيوبى هو العصر الذهبى لانتشار هذا النوع من الخوذات ، ومن أشهر للمآذن التى اتخذت خوذاتها شكل المبخرة مئذنة أبى الغضنفر (٥٥٢ هـ ـ ١١٥٧ م) وهى الوحيدة من النوع المعروف بالمبخرة فى القرن الثانى عشر الميلادى (١) . ومئذنة المدرسة الصالحية بالناحسين (٦٤١ هـ ـ ١٢٤٣ م) شكل رقم (٢) ومئذنة زاوية الهنود (٦٤٨ هـ ـ ١٢٥٠ م) ـ ومئذنة خانقاه بيبرس الجاشنكير (٧٠٦ هـ ـ ٧٠٩) (١٣٠٦ ـ ١٣١٠ م) .



شكل (٢)
مئذنة المدرسة الصالحية بالنحاسين ( ٦٤١هـ - ١٢٤٣ م ) وهى ذات خوذة على هيئة المبخرة .

وفى اعتقادى أن اتخاذ خوذات للمآذن على شكل المبخرة يعتبر من تأثير الفنون المنقولة على العمارة الإسلامية فقد استعار المعمار شكل (المبخرة) كى يتوج بها مئذنته بعد أن لاحظ التشابه المعنوى فى الوظيفة بين المبخرة والمئذنة فالمبخرة تعطر الجو بالروائح الطيبة وتضفى طابع الروحانية على المكان ، وكذلك المئذنة تعطر الجو بعبير الأذان ، وتطرد الشياطين وتضفى طابع الروحانية أيضا على المكان .. ومن الأشياء التى ساعدت على لفت نظر المعمارى المسلم إلى المبخرة أنها استخدمت داخل المساجد لتعطير جوها .. ومن ثم فلاغرابة فى اتخاذها (خوذة) للمآذنة ، لأنها من الأشياء وثيقة الصلة بالمساجد .

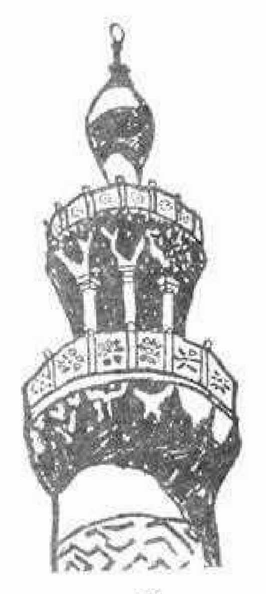
**المبخرة فوق المئذنة انعكاس نمط تفكير المجتمع الأيوبى :**

وإضافة إلى التعليل السابق يمكننا أن نعلل وجود المبخرة فوق المئذنة بتعليل آخر مرتبط بالمجتمع الأيوبى وبالفكر السائد بين أفراده . إذ أنه بدراسة الحياة الاجتماعية والفكرية للعصر الأيوبى - الذى يعد العصر الذهبى لانتشار المباخر فوق المآذن . نجد أن المجتمع الأيوبى يغلب على أفراده الاعتقاد فى الرقية ومايدفع اليها من أسباب شعبية .. ولعل ذلك يؤيده أن أغلب ما عثر عليه من قطع معدنية تنتمى إلى العصر الأيوبى عبارة عن مباخر و(طاسات الخضة)[١] وهى أوانى تستخدم فى تلك الأغراض الشعبية ويحتفظ متحف الفن الإسلامى بعدد كبير منها .. وهى تعكس إلى حد بعيد سيطرة هذه الأفكار على عقول أفراد المجتمع الأيوبى ، ومن ثم فلا عجب أن نجد المبخرة أبرز الأدوات التى استخدمها الأيوبيون تتوج كل مآذن العصر الأيوبى .

٣ - مآذن القلة :

ويعد هذا الشكل من أكثر أشكال خوذات المآذن انتشارا ، ولعل ذلك راجع إلى كون هذا الشكل قد انتشر فى العصر المملوكى الذى بنيت فيه أغلب مساجد ومدارس مصر الإسلامية .. ومن أبرز المآذن التى اتخذت خوذاتها شكل القلة (مدرسة الجادى اليوسفى) المعروفة بجامع السايس بشارع سوق السلاح (٤٧٤ هـ ١٣٧٣ م) ومآذن (مدرسة السلطان حسن) ٧٥٧ - ٧٦٤ هـ (١٣٥٦ - ١٣٦٢ م) ومئذنة (مدرسة الأمير أزبك اليوسفى) ٩٠٠ هـ - ١٤٩٤ - ١٤٩٥ م (شكل ٣) .

(١) الطاسة : إناء ، وهو - هنا - إناء بشكل مخصوص ، وكلمة (الخضة) فى لسان العوام ، تعنى (الذعر) لأمر مفاجىء .

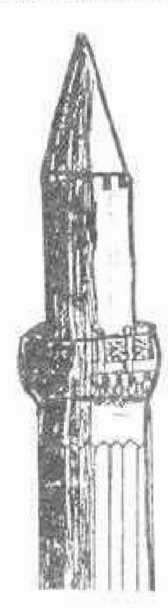


شكل (٣)
مئذنة مدرسة الأمير أزبك اليوسفى ( ٩٠٠ هـ ـ ١٤٩٤ ـ ١٤٩٥ م ) وهى ذات خوذة على هيئة القلة .

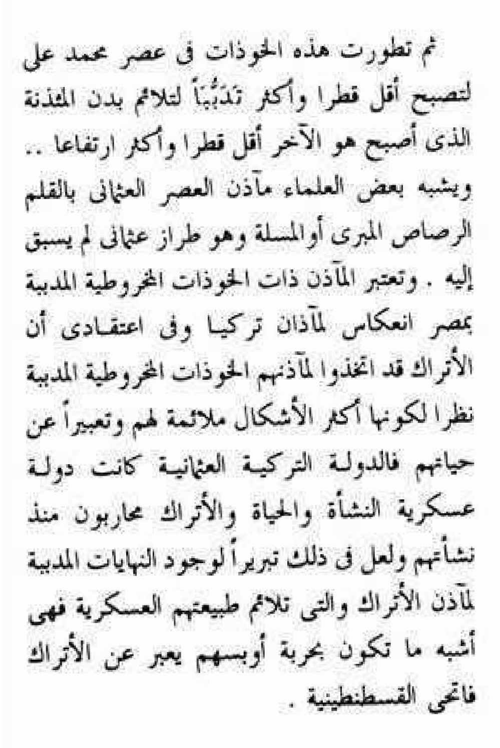
وفى اعتقادى أن اتخاذ خوذات للمآذن على شكل القلة هو من تأثير الفنون المنقولة على العمارة الإسلامية شأنها شأن المبخرة . فلقد استعار المعمار شكل القلة كى يتوج بها مئذنته بعد أن لاحظ التشابه المعنوى فى الوظيفة بين المئذنة والقلة ـ فالقلة تروى ظمأ العطشى ـ وكذا المئذنة يرتفع منها الأذان ـ لدعوة الناس للصلاة فيروى أرواحهم بالعبادة .

٤ ـ المآذن ذات الخوذات المخروطية الشكل :

ومع نهاية حكم المماليك فى مصر وبداية حكم الأتراك العثمانيين بدأ يظهر نوع جديد من خوذات المآذن وهو خوذات المآذن المخروطية الشكل ، ومن أشهر أمثلة المآذن ذات الخوذات المخروطية مئذنة (جامع المحمودية) ٩٧٥ هـ ـ ١٥٦٨ م و(مئذنة جامع سنان باشا) ٩٧٩ هـ ـ ١٥٧١ م (شكل رقم ٤) .



شكل (٤)
مئذنة جامع سنان باشا ( ٩٧٩ هـ ـ ١٥٧١ م ) وهى ذات خوذة مخروطية الشكل .



ثم تطورت هذه الخوذات فى عصر محمد على لتصبح أقل قطرا وأكثر تَدَبُّباً لتلائم بدن المئذنة الذى أصبح هو الآخر أقل قطرا وأكثر ارتفاعا .. ويشبه بعض العلماء مآذن العصر العثمانى بالقلم الرصاص المبرى أوالمسلة وهو طراز عثمانى لم يسبق إليه . وتعتبر المآذن ذات الخوذات المخروطية المدببة بمصر انعكاس لمآذان تركيا وفى اعتقادى أن الأتراك قد اتخذوا لمآذنهم الخوذات المخروطية المدببة نظرا لكونها أكثر الأشكال ملائمة لهم وتعبيراً عن حياتهم فالدولة التركية العثمانية كانت دولة عسكرية النشأة والحياة والأتراك محاربون منذ نشأتهم ولعل فى ذلك تبريراً لوجود النهايات المدببة لمآذن الأتراك والتى تلائم طبيعتهم العسكرية فهى أشبه ما تكون بحربة أوبسهم يعبر عن الأتراك فاتحى القسطنطينية .

من الملاحظ أن بعض مآذن مصر الإسلامية قد اشتمل على أكثر من خوذة فبعضها كان له خوذتان (خوذة مزدوجة) وبعضها كان له خوذة ذات خمس رءوس .

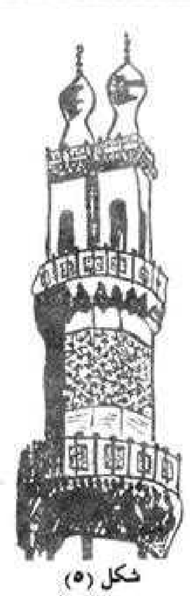
**( أ ) المآذن ذات الرءوس المزدوجة :**

وظاهرة احتواء المئذنة على رأسين بدأت فى مصر منذ النصف الثانى من القرن الثامن الهجرى فقد ذكر ابن كثير أن المئذنة المزدوجة الرأس وجدت فى (مدرسة السلطان حسن) التى سقطت سنة ٧٦٢ هـ ، ثم شاع هذا النوع من المآذن فى القرن التاسع للهجرة ، وحتى نهاية العصر المملوكى (٣) .

وتعد مئذنة مدرسة (قانى باى الرماح) بالناصرية (حى السيدة زينب) أثر رقم (٢٥٤) أقدم مئذنة ماتزال قائمة تحتوى على رأس مزدوج وهى ترجع إلى سنة ٩١١ هـ (٤) . أما (مدرسة قانى باى أمير خور) بالقلعة فعلى الرغم من كونها كانت تشتمل على مئذنة ذات رأس مزدوجة ترجع إلى عهد أقدم من (مئذنة قانى باى الرماح) بالناصرية حيث إنها ترجع إلى سنة ٩٠٨ هـ إلا أنها سقطت سنة ١٨٧٠ م .

والمئذنة الموجودة حاليا ترجع إلى تجديدات لجنة حفظ الآثار العربية سنة ١٩٣٩ م .

مع مراعاة أن تكون مطابقة تماما لما كانت عليه وقت إنشائها . ومن أشهر المآذن المزدوجة الرأس بمصر تلك المئذنة التى بناها السلطان قنصوه الغورى بالجامع الأزهر سنة ٩١٥ هـ - ١٥٠٩ (شكل ٥) .



شكل (٥)

مئذنة السلطان قنصوة الغورى بالجامع الأزهر ( ٩١٥ هـ - ١٥٠٩ م ) وهى خوذة مزدوجة رأس مزدوجة .

وفى اعتقادى أن سبب بناء أول مئذنة مزدوجة الرأس بمصر - وهى مئذنة السلطان حسن - هو الإشارة إلى المدخل الرئيسى للمدرسة بتمييزها عن باقى مآذن المدرسة .

كذلك أعتقد - أيضا - أن هذه المئذنة المزدوجة الرأس والتى كانت تعلو مدخل المدرسة كان رأسها المزدوج ضخما وأن المعمارى قد حاول مد (زيادة قطر) الجزء العلوى للمئذنة حتى يتمكن من وضع خوذتين ، الأمر الذى أدى فى النهاية إلى التعجيل بسقوطها بعد فترة وجيزة من تشييدها ، ولاعجب فى ذلك إذ أن هذه المئذنة تعد طبقا لما ذكره ابن كثير أول عهد المعمارى المصرى المسلم بالمآذن المزدوجة الرأس ، ومع مرور الزمن استقامت يد المعمارى المسلم فى بناء المآذن ذات الرأسين ، وهو مايبدو لنا من المآذن البديعة الباقية (كمئذنة قانى باى الرماح) بالناصرية و(مئذنة الغورى بالجامع الأزهر) .

(ب)المآذن ذات الخمسة رءوس :

ويتمثل هذا النوع من نموذجات المآذن فى (مئذنة مدرسة السلطان الغورى) بالغورية ٩٠٨ هـ حيث اشتملت هذه المئذنة على خمسة رءوس رأس كبيرة فى الوسط يحف بها أربع رءوس ، وكأنها مقتبسة من نظام تخطيط المدرسة (صحن كبير فى الوسط يحف به أربع إيوانات) .

وقد ظهرت المئذنة ذات الرءوس الخمسة مرة أخرى فى (مسجد محمد بك أبى الذهب) بميدان الأزهر ١١٨٨ هـ تلك المدرسة التى تقع بالقرب من مدرسة الغورى ، وهى - أغلب الظن - مقتبسة منها ، ولكن مع الاختلاف فى الشكل اذ أن هذه الرءوس الخمسة فى (مئذنة أبى الذهب) على شكل «زلع» مما دفع العامة إلى الاعتقاد بأنها مليئة بالذهب وتحرسها أفعى كبيرة (٥) .

## الهلال فوق المئذنة

من الظواهر الملفتة للنظر أن معظم المآذن فى مصر يعلوها هلال صغير ، ولعل هذا راجع إلى أن الهلال يمثل أهمية خاصة لدى المسلمين حيث ان الهلال هو المعول عليه فى إثبات الشهـــور الشرعية ، إذ أنها تعتمد على الحساب القمرى ، ثم هناك - أيضاً - ارتباط بمناسبتين هامتين عند المسلمين وهما شهر رمضان ويليه عيد الفطر وشهر ذى الحجة وقد جرت العادة فى العصور الإسلامية المتعاقبة بأقامة الاحتفالات وأحيانا المواكب لاستطلاع الهلال . أما عن سبب ارتباطه بالمآذن فربما كانت المآذن هى الأماكـن التى يستطلع من فوقها الهلال نظرا لكونها فى مستوى مرتفع ، ولذا وضع الهلال فوقها - والله أعلم .

## سفينة النجاة فوق مئذنة الجامع الطولونى

يذكر المقريزى وابن دقماق أن منارة جامع بن طولون كان يعلوها عشارى أى «سفينة صغيرة» من البرونز ، وقد بقيت حتى سقطت سنة ١١٠٥ هـ - ١٦٩٣ م (٦) وهذه السفينة ترجع إلى تجديدات (السلطان لاجين) وقد ذهب البعض إلى اعتبار المئذنة كلها من تشييده أمثال «هو تكير» بينما ذهب البعض الآخر إلى اعتبار أن أعمال (السلطان لاجين) لاتعدو إصلاح ما بقى من المئذنة وإضافة الطابقين العلويين (٧) .

على أية حال فالجميع متفق على أن الجزء العلوى الذى تعلوه السفينة يرجع إلى عصر (السلطان لاجين) ٦٩٦ هـ والذى كان قد اختفى فى الجامع الطولونى حيث ذكر المقريزى أن (الأمير لاجين) كان قد اتفق مع (الأمير بيدار) على قتل (السلطان الأشرف خليل بن قلاوون) . فلما قتل الأمير بيدار أثناء محاربته المماليك الأشرف خليل فر لاجين من المعركة واختبأ بالجامع الطولونى ، وهو حينئذ خراب لاساكن فيه ، وأعطى الله عهداً إن سلمه الله من هذه المحنة ومكنه فى الأرض أن يجدد عمارة هذا الجامع ويجعل له مايقوم به ، فلما استولى لاجين على (دست السلطنة)[٢] سنة ٦٩٦ هـ جعل إلى (الأمير علم الدين سنجر) شراء الأوقاف على الجامع الطولونى وصرف له كل ما تحتاجه إليه عمارته (٨) . فلعل سبب وجود السفينة فوق

(١) الزلعة أشبه بقلة كبيرة الحجم

(٢) أى عرش السلطنة .

مئذنة ابن طولون أنها تعبر عن سفينة النجاة التى عبرت بالسلطان لاجين بحر الخطر والذى بدأ بقتل الأمير بيدار على يد مماليك الأشرف خليل ، وانتهى بوصول السلطان لاجين إلى بر الأمان وتوليه دست السلطنة .

### زخارف خوذات المآذن :

فى الواقع أن زخارف خوذات المآذن قليلة ، إذ أن جمال الخوذات كان فى أشكالها المتنوعة ما بين القبة والمبخرة والقلة والمخروط .. وفى الواقع أن جمال الشكل والهيكل قد يفوق فى بعض الأحيان جمال الزخرفة ، ولعل ذلك يذكرنا بـ (أوانى البورسلين الصينى) البيضاء والتى تبدو بأشكالها الانسيابية المتنوعة أجمل فى بعض الأحيان من مثيلاتها المزخرفة ولكن مع جمال الشكل والهيكل لجأ الفنان[٣] إلى استخدام (التفصيص) التضليع فى زخرفة بعض خوذات مآذنه ، مثل مئذنة المدرسة الصالحية ومئذنة مدرسة سلاروسنجر الجاولى ومئذنة مدرسة خانقاه بيبرس الجاشنكير .. وفى بعض الأحيان كانت تكسى خوذة المئذنة بـ (بلاطات القشانى) مثل خوذتى مئذنتى (جامع الناصر محمد بن قلاوون) بالقلعة حيث كسيت خوذتاه ببلاطات القاشانى الأخضر ، وكسيت رقبتهما ببلاطات القاشانى الأزرق الذى يشتمل على بعض الكتابات القرآنية باللون الأبيض .

### مواد بناء الخوذات :

تنوعت مواد بناء خوذات المآذن ـ وبصفة عامة ـ خوذات المآذن التى على شكل القباب ، والتى على شكل المباخر فقد بنيت من الآجُرّ ، بينما بنيت بعض خوذات المآذن المملوكية بالحجارة ، وأخرى صنعت من الخشب مثل (خوذة مئذنة جامع اق سنقر) المعروف بجامع النور بشارع باب الوزير (٧٤٨ هـ) والتى صنعت من الأخشاب المصفحة بالرصاص والرءوس الخمسة لمئذنة قنصوه الغورى بالغورية .

أما الهلال الذى يعلو المآذن فعادة ما كان من النحاس .

### المراجع


١ ـ د. كمال الدين سامح ـ العمارة الإسلامية فى مصر ـ الطبعة الثالثة ـ القاهرة ١٩٨٧ ـ ص ٨٩ .

٢ ـ د. سعاد ماهر ـ مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ـ الجزء الخامس ـ القاهرة ١٩٨٣ ص ٤٧ .

٣ ـ د. سعاد ماهر ـ المرجع السابق ـ الجزء الرابع ـ ص ٣٢٠ ـ وانظر سامى حليم آثار قانى باى الرماح بالقاهرة ص ١٥٩ .

٤ ـ د. سعاد ماهر ـ نفس المرجع ج ٤ ص ٣٢٨

٥ ـ د. سعاد ماهر ـ نفس المرجع ج ٥ ص ٢٧٠ .

٦ ـ د. كمال الدين سامح ـ المرجع السابق ـ ص ٢١ .

٧ ـ د. السيد عبدالعزيز سالم ـ المآذن المصرية ـ القاهرة ـ ١٩٥٩ ص ١٧ .

٨ ـ د. سعاد ماهر ـ المرجع السابق ـ الجزء الأولى ص ١٤٧ .


---

(٣) الأولى الـمِفَنّ ، إذ أن الفنان هو حمار الوحش .

# مدى تلازم الوحدة الموضوعية مع القصيدة العربية

## - ٣ -

بقلم الأستاذ/أحمد مصطفى حافظ

**يتعين أن نعود إلى الحديث عن مقتل كليب بن ربيعة التغلبى ، وهو الشاعر : شيخ قبيلته .**

**وقد اقتصرنا ـ فى مقالنا الأول ـ عن الوحدة الموضوعية فى الأدب الجاهلى ـ على مرثية زَوْجِهِ : جليلة بنت مرة ، أخت جَسَّاسٍ قاتله .. وهى قصيدة لا تحتاج إلى إعمال الحيلة لإثبات وحدتها الموضوعية ، فضلا عن شدة ترابطها ، وحرارته الوجدانية ، وتركُّزها المتين . كذلك ؛ فإن « المهلهل ـ عدى بن ربيعة التغلبى » أخا كليب ـ قد وُتِرَ فى شقيقه رأس القبيلة وعِزِّها ، وهو بدوره ـ كالمهلهل ـ شاعر [١] ، وإن كان المهلهل يفوقه فنا ومذهبا ، فهو الذى نقل الشعر الجاهلى من ( المقطعات ) إلى ( المطولات [٢] ) ، وتبعه فى ذلك مَنْ بعده ، ولك أن تحكم ـ مطمئنا ـ على هذه المقطعات بأنها قصائد لم تفتها الوحدة الموضوعية .**

ثم هو ـ خالٌ لامرىء القيس ، رائد الشعر الجاهلى ، ولا يمكن أن يفوته ( القولُ ) فى هذا المقام ، فهناك العديد من الأسباب التى تدفعه إلى القريض ، يتقدَّمها ـ جميعا ـ مأساته فى أخيه ، أضِفْ إلى ذلك ( أعْراف ) بيئته ، وما تستنْبته تلك الأعراف من شتى المشاعر ومختلف الأحاسيس ، التى ينزوى العقل أمامها ، ويتخلف عنانه .. ليترك القيادة لجاهلية الدماء ، وبطش الثأر ، ونَزَق الغضب والانتقام .

ومرثية المهلهل فى أخيه كليب لا تقلُّ ـ فى عناصرها وتشقُّق القول فيها ـ عن مرثية جليلة بنت مُرة .

● ● ●

---

(١) من شعر كليب حين رأى ( ربيعة الزهراء ) أخته وقد صفعها زوجها ( لبيد بن عنبسة ) فأثر فى وجهها ، فشكته لأخيها قائلة :

ما كنت أحسب والحوادث جمة ... أنَّا عبيد الحىّ من قحطان

حتى أتتنى من لبيد لطمةٌ ... فعَشِيتُ لها من وقعها العينان

فأسرع كليب فقتله ، وقال شعرا منه البيت :

إن يكن قتلُنا الملوك خطاءً ... أو صوابا فقد قتلنا لبيدا

(٢) ويعتبر من شعراء الطبقة الأولى ، ذكره عمرو بن كلثوم مفتخرا :

ورثْتُ مهلهلا والخير منه ... زهيراً ، نعم ذخر الذّاخرينا

كانت صرخة « البسوس بنت منقذ التيمية » وقت فجعت في ناقتها ( سراب ) إذ أصابها كليب بسهمه ، وقد رآها ترعى في حماه فأنكرها فرماها فقتلها ـ كانت تلك الصرخة سببا في مقتل كليب فيما بعد ..

رأت البسوس ـ وهي خالة جسّاس قاتل كليب ـ ناقتها تنزف دَماً ولبنا إذ أصابها السهم في ضرعها ، فذُهلت ، وأخذت تضرب بيدها على رأسها ، ونادت : « واذُلّاه » ثم قالت :

لعمـرك لو أصبـحت في دار منقـذ ... لقـام بنصري عنـد ذاك ساداتي
ولكننـي أصبـحت في دار غربـة ... متى يَعْدُ فيها الذئبُ يَعْـدُ على شاتي
فيـا نفسُ قد آن الرحيـلُ عن الأذى ... لأنك في قوم عن الجار أمـوات

وأدركها جساس ابنُ أختها ، وعلم ما حدث ـ فكَبُرَ عليه أن ينال خالته هذا الأذى ، وهي ضَيْفَةٌ نازلة عليه ، فقتل كليبا ، وقامت الحربِ المريرة ـ حرب البسوس ـ التي استغرقت أربعين عاما حتى أطفأ نارها عمرو بن هند بمسعاه ..

وها هي إحدى مراثي المهلهل في أخيه ،

اهـاج قذاء عينـيَ الادِكار(*) ... هُدُوًّا فالدمـوع لها انحِـدَارُ
وصار الليـل مشتمـلًا علينـا ... كأن الليـل ليس له نهار
وبت أراقب الجـوزاء حتـى ... تقـارب من أوائلهـا انحـدار
أُصرِّف مقلتـي في إثـر قوْم ... تبايـنت البـلاد بهم فغـاروا
وأبكـي والنجـوم مطلّعـات ... كأنْ لم تحوهـا عنـي البحـار
على من لو نعـيت وكان حيـا ... لقـاد الخيـل يحجبهـا الغبـار
دعـوتك يا كليـب فلـم تجبنـي ... وكيـف يجيبنـي البلـد القفـار
أجِبْنِـي يا كلـيب خلاك ذمّ ... ضنينـات النفـوس لها مزار
أجِبْنِـي يا كلـيب خـلاك ذمّ ... لقـد فجـعت بفارسـهـا نزار
سقـاك الغـيث إنك كنت غيثـاً ... ويُسْـراً حين يلتـمس اليسـار
أبت عينـاي بعـدك أن تكفـا ... كأنَّ غضـا القتـاد لها شـفـار
وأنك كنت تحلـم عن رجـال ... وتعفـو عنهـم ولك اقتـدار
وتمنـع أن يمسـهـم لسـان ... مخافـة من يجـير ولا يجـار
وكنت أعـد قـربي منـك ربحـاً ... إذا ما عـدَّتِ الرِّبْـحَ التجـار
فلا تبْعـدَ فكـل سـوف يلقـى ... شـعوبـاً يستديـر بهـا المـدار
يعـيش المـرء عنـد بنـي أبيـه ... ويوشـك أن يصـير بحيث صـاروا
أرى طـول الحيـاة وقـد تـولى ... كما قـد يسـلب الشيء المعـار
كأني إذ نعـى الناعـي كليبـاً ... تطايـر بين جَنبـيَّ الشـرار
فدرت وقـد عشي بصـري عليـه ... كما دارت بشـاربها العقـار
سـألت الحي أيـن دفنتمـوه ... فقالـوا لي : بسفـح الحي دار

(*) الادكارُ : تُقرأ بكسر اللام وإسقاط ألفي الوصل .

فســرت إليــه من بلــدى حثيثـــا ... وطـــار النـــوم وامتنـــع القـــرار
وجـــادت ناقتـــــى عن ظل قبر ... ثـــوى فيـــه المكـــارم والفخـــار
اتغـــدو يا كلـــيب معــــى إذا ما ... جبـــان القـــوم أنجـــاه الفـــرار
اتغـــدوا يا كلـــيب معـــى إذا ما ... حلـــوق القـــوم يشحذهـــا الشفـــار
اقـــول لتغـــلب والعـــزّ فيها ... أثيروهـــا لِذُلِكـــم انتصـــار
تتابـع إخـــوتى ومضـــوا لأمـــر ... عليـــه تتابـــع القـــوم الجســـار
خُـذِ العهـدَ الأكيـدَ علـىّ عُمْـرى ... بِتَرْكِـــى كُلَّ مَا حَوَتِ الديـــارُ
وهجـــرى الغانيـــاتِ وشرب كأسٍ ... وَمَلْـــبَسَ جُبَّـــةٍ لا تُسْتَعَـــارُ
وَلَسْتُ بِخَالِـعٍ دِرْعِـى وَسَيْفِـى ... إلى أن يَخْلَـــعَ الليــــلَ النهارُ
وإلّا أن تَبِيـــدَ سَـــرَاةُ بَكْـــرٍ ... فلا يَبْقَـــى لَهَـــا أَبـَدًا أَثَـــارُ

وبعد :

فإذا علمنا أن كليبا قد قتل نحو عام ٤٩٤ م فيما يذكرون ، أى قبل ترجمة كتاب الشعر لأرسطو بقرون عدة ، وما جاء به من حديث عن الوحدة العضوية التى يجب أن يتوخاها الشاعر فى الشعر المسرحى ، وليس فى الشعر الغنائى .. بل وقبل حصاد النقد الأدبى عند العرب وتقعيد قواعده التى بدأ البحث فيها منذ القرن الثالث الهجرى .. لو علمنا ذلك كله ، لأدركنا مدى مَا وُفِّق إليه المهلهل فى مرثيته ، وهو ـ فيما يقال : الشاعر الأول الذى طَبَعَ شعر العصر الجاهلى بطابعه ، ومضَى على أثره امرؤ القيس ـ ابن شقيقته ـ فزاد وشاد وأجاد .. وحرارة رثاء المهلهل ، بمعانيها الوجدانية الداخلية ، تدحض ما شاع عن سطحية وخارجية المعانى فى الشعر الجاهلى وافتقادها للوحدة الموضوعية من جهة ، ومن جهة أخرى ما ردده المستشرقون وتابعهم فيه بعض نُقادنا فى ذلك [٣] وهم يدعون إلى التجديد فى الأخيلة والأساليب ، ومراعاة الصدق الفنى والوحدة العضوية ، والتجربة الشعورية ، وغير ذلك من المصطلحات النقدية الغربية [٤] .

وأبيات مرثية المهلهل ، قد انبثقت بالتداعى الحر ، والانفعال الصادق ، للتنفيس عن لظى الحزن الذى شمل كيانه كله ، فمضى يسير صُعُدا فى مرثيته ، خطوة بعد خطوة ، نحو بلوغ ما يتوخاه ـ دون قصد أو تخطيط مُسبَّق ـ من بكاء لفقيده ، وإشادة بسجاياه ، والتأمل فى وقع الموت ، وطلب الثأر من الجُناة ...... الخ

( الحديث موصـول )

---

(٣) ومنهم الناقد النابه الدكتور محمد غنيمى هلال ، الذى نفى أن يكون للقصيدة الجاهلية وحدة عضوية « فى شكل من الأشكال ، لأنه لا صلة فكرية بين أجزائها ، فالوحدة فيها خارجية لا رباط فيها » أنظر كتابه النقد الأدبى الجديد ص ٣٣٦ .

(٤) وقد كان أرسطو يعنى الشعر المسرحى فى حديثه عن الوحدة العضوية ، أما الشعر الغنائى ـ كما يقول الدكتور محمد السعدى فرهود رئيس جامعة الأزهر السابق ـ « فما كان أرسطو يقيده بمثل هذا القيد ، لأن الشاعر فيه لا ينسى ذاته بازاء الموضوع ، ولا يقبل أن تغله أغلال الزمان أو المكان أو الحدث ، والمنطق الوحيد الذى يخضع له ، إنما هو منطق نفسه ، وهو عامل انطلاق وحرية ، لا عامل حَجْر وتعويق » أنظر كتابه قضايا النقد الأدبى الحديث ص ٨٨ .

# الشعر والشعراء

إشراف الأستاذ/ رشاد يوسف

أسمَى البشر مَنطِقاً وصدقاً رسول الله ﷺ .
أبيات للشاعر أحمد محرم ـ رحمه الله .

مِنْ هَيْبَةٍ يُغضِي القريضُ ويُطرِقُ
وَيَميلُ ـ فيك إلى السكوتِ ـ المنطقُ
ما في النوابغ من لبيب حاذق
إلا وأنت أَلَبُّ منه ـ وأحْذَقُ
إيذن يَفِضْ هذا البيان ؛ فإنَّهُ
مما يَفِيضُ بيانك المتدفق

# نفحة الذكرى العاطرة

للشاعر الأستاذ:

محمد عبد الرحمن صان الدين

ردد على الأجيال ذكرى الهجرةِ وانفح بريَّاها شجِيَّ المهجةِ[1]

هي للمغنَّى نسمة فواحة هي في قفار العيش أينع روضة

تتفيَّأ الألباب ظلا وارفا فيها، وتقطف من زهور الحكمة

وتَعُبُّ من ينبوعها الأرواح عذ با سلسلا يشفى لهيب الغلة[2]

ياليتنا بالفكر نرصد رحلة كانت على الأزمان أعظم رحلة

قد جاء من رب الوجود محمد يُهدى إلى الإنسان أوفى ملة

لتحطم الأغلال من أعناقه وتقيم صرح العدل فوق القمة

لو جال فيها الحائرون لأدركوا وانجاب عن وعي حجاب الغفلة

ولأبصروا النهج المعَبَّد واتقوا في رحلة الدنيا شرور الفتنة[3]

قل للذى عنها تنكَّب. وارتضى في العيش سيرا في طريق الظلمة

أغراك يا مفتون فيها بارق مثل السراب، جناه شوك الحسرة

إن الذى يحيا بلا دين حقيقيٌّ تردى في غياهب شِقوة

ومباهج الدنيا - وإن فاضت على أهل الغواية - متعة في لحظة

قولوا لمن قد راح يسأل في أسىً وهواجس، متقلبا في حيرة:

أيحارب الإسلام وهْوَ على طريق الحب للإنسان خير شريعة؟

هل فيه إلا العدل يبسط ظله ويقيم معوجا سقيم الفطنة

---

المفردات اللغوية:

(١) رياها: ريحها الطيبة، شجى: حزين.

(٢) سلسلا: سائغا سهلا، الغلة: العطش.

(٣) المعبد: الممهد المذلل.

والأمن بين ربوعه ، سيَّان تابع مسجد فيها ، وتابع بيعة[٤]
كل ينام بظله في مأمن      من كل عادية ، ونزعة قسوة
ما خاصم الإسلام طول عهوده      دينا يخالفه بغير جريرة
بل إنه في رقة ، وسماحة      يدعو إلى الحسنى ، وكل فضيلة
فلِمَ السهام تنوشه من داخل      أو خارج مشحونة بالإخنة[٥]
الحق يجحَدُهُ ضليل مُبْطل      والعدل يمقته غَوِيُّ الذمة
فيشن حربا ليس تخبو نارها      ويكيد في خَتْق بكل وسيلة
والجُعَل ينشد في المعَاطِن مرتعا      والنور عند البوم أقسى محنة[٦]
ولذا فإن الشر فوق الأرض صَبَّ على مَعِين الخير جَامَ النقمة
لكن صوت الحق ـ وهو مُحَارَب      يبقى على طول المدى في صحوة

● ● ●

يأيها الإنسان إنك خاسر      إن ضل وَغيك عن جليل العبرة
فاعمد إلى التاريخ في أسْفَاره      وانظر ملامحها بكل رَوِيَّة
إن رُمْتَها في همة تظفرْ بها      مكنونة في ذكريات الهجرة
إني جعلتُ الحقَّ فيما دَبَّجْتُه      يَرَاعتي في كل حال قبلتي

---

(٤) بيعة : كنيسة .

(٥) تنوشه : تناله ، الإحنة : الحقد .

(٦) الجعل : الجعران ، المعاطن : مبارك الإبل ومرابض الغنم .




الشاعر محمد محمود الماحى

الليل سهران الجفون بظلمة الكون اكتحلْ
ومعالم الصحراء قد مُدَّت كأطراف الأزل
وكتائب الصمت الرهيب تدب فى سفح الجبل
والبيد فى فرح تهدهده تباريح الوَجَل
والبدر فى وجه السماء رأى المهاجر فاكتملْ
وأنامل التاريخ أمسكت اليراع على عجل
لتخط أروع قصة فى خُلْدِها أوفى مثل
والكون حين تحمل السر استعز بما حمل
ضمت جوانبه بآمال المنى أحلى أمل
والوحى بين يديه قيثار تغنى وارتحل
وعلى أديم الأرض أقدام تسير على مهل
خطواتها فوق الرمال كأنها لمس القبل
ما ذلك السر الذى يمشى ، ومن هذا البطل .. ؟
هذا رسول الله . هَاجَرَ للمدينة وارتحل

---

وتسير قافلة النبى على هدى نور النبىّ
سارت بوحى الوحى للمختار من أمر العلىّ
هى حكمة أذن الرسول بها بمعناها الخفى
فمضى بسرٍّ يقينه يمضى فلا يُثنيه شىّ
بل هاجر الرجل الأبى بدينه السمح الأبى
ببطولة كالخلد ، كالأقدار ، كالنور الجلى
تسرى معانيها إلى معنى الشجاعة فى «على»
ضحىً لينعم بالمبيت بمضجع الطُهر النقى
وينام ملء عيونه والموت حول الدارحىّ
وسرت بمعناها الوفى إلى «أبى بكر» الوفى
هذا الصِّديقُ الصادق الصِّدِّيقُ ذو القلب الرضى
وسرت إلى «أسماء» وهى كبرعم الزهر الندى
فتحملت ما ناله منها «أبو الجهل» العتىّ
كم راح يضربها فما لانت ولا باحت بشىّ
لتسير قافلة النبى على هدى نور النبى

م. الوعى الإسلامى سـ ٧٥

# مع ذكرى الهجرة

الشاعر/ محمد محمد مسعود الزلقينى

جوبى مسافات السنين وجددى عهد الفدا فى عمر كل مُوحّد
يا هجرة العزم المصمم طاويا وجه الظلام الغر يبحث عن غد
يا هجرة النفس الأبية من نقائصها إلى قمم الكمال الأحمدى
يا هجرة الإنسان من سنح الهوان إلى ذُرا العلياء لم يتردد
يا هجرة الإيمان والإخلاص والإصرار فى أبهى وأروع مشهد
يا هجرة المختار من أم القرى من كيد كل مهرج متوعد
وتألقى فوق الزمان منارةً تهدى الحيارى من شعوب محمد
فى ليلة أرقت وفزّع قلبها سفه تجرأ سيفه لم يغمد
لبس البغاة الليل ثوب خيانة تودى بعمر الناسك المتعبد
خرج الرسول تحوطه عين العناية والرعاية فى حجاب سرمدى
خرج الحبيب فلم يروا أثراً له ومضى قوى العزم غلّاب اليد
أعمى بصائرهم وأخرس حمقهم نور النبى وهيبةُ المتهجد
يا غار ثَوْرٍ تِهْ على كل البقاع وفز بذكر فى الكتاب مخلد
حصن من الإعجاز أعلى ركنه الجبار ما أعلته كف مشيد
الصدق والصديق فيه . وربنا سبحان ربى الواحد المتفرد
هيهات أن يصل النبىَّ وصحبَه فى الغار كيدُ الهاجم المتمرد
جاءوه شاكين السلاح وأدبروا بددا كذرات الثرى المتبدد
من ذلك السارى وفى عينيه أحلام الحياة ترف كالزهر الندى ؟
من ذلك الساعى تبارك سعيه آماله الكبرى ونيل المقصدُ ؟
من ذلك السارى وفوق جبينه ضاء الوجود العبقرى المهتدى ؟
هذا النبى مهاجرا لله عُدَّتُهُ بغير الحق لم يتزود
وهناك فى يوم تنفس فجره عطرا كساه المجد حلة سؤدد
طلع النبى فكان شمس هداية يا أرض «طيبة» عَظِّمِيهِ ومجدى
صونى به صونى به شرف الحياة المستباح ، بيومه الغالى اسعدى
اليوم موعدنا مع التاريخ يا دنيا لباريك المهيمن فاسجدى

# الهجرة

للشاعر/ محمود سامى البارودى

وجـاءه الوحـى إيذانـا بهجرتـه ... فيمم الغـار بالصـديق فى الغسـم[1]

فما استقر به حتى تبـوأه ... من الحمائم زوج بارع الرَّنم[2]

بنى به عشه واختلـه سكنـا ... يأوى إليه غداة الريح والرِّهَم[3]

إلفان ما جمع المقدار بينهما ... إلا لسر بصَدْرِ الغار مكتتم

كلاهما «ديدبان» فوق مَرْبَأَة ... يرعى المسالك من بعد ولم ينم[4]

وَسَجَّفَ العنكبوتُ الغار محتفيا ... بخيمة حاكها من أبدع الخيم

وارت فم الغار عن عين تلم به ... فصار يحكى خفاءً وجه ملتثم

فظل فيه رسول الله معتكفاً ... كالدرّ فى البحر أو كالشمس فى الغُسَم

وسار بعد ثلاث من مباءته ... يؤم طيبة مأوى كلّ معتصم[5]

أعظم بمقدمه فخرا ومنقبة ... لمعشر الأوس والأحياء من جشم[6]

فخر يدوم لهم فضل بذكرته ... ما سارت العيس بالزوار للحرم

يوم به أرخ الإسلام غرته ... وأدرك الدين فيه ذروة النجم

ثم ابتنى سيّد الكونين مسجده ... بنيان عز فأضحى قائم الدعم

واختص فيه بلالا بالأذان وما ... يُلْفَى نظير له فى نبرة النغم

حتى إذا تمّ أمر الله واجتمعت ... له القبائل من بعد ومن زَمَم[7]

قام النبى خطيبا فيهم فأرى ... نهج الهدى ونَهَى عن كلّ مجترم

وعمهم بكتاب حَضٌّ فيه على ... محاسن الفضل والآداب والشيم

«من قصيدة كشف الغمة فى مدح سيد الأمة وليس له من قصيد فى الموضوع سواها ، وجدير بالذكر أنها ، ليست بالديوان بجزأيه» .

المحرر

---

(١) الغسم : السواد واختلاط الظلمة .

(٢) الرنم : الصوت .

(٣) الرهم : جمع رهمة وهى المطر الضعيف الدائم .

(٤) المربأة : المرقبة وهى الموضع المشرف يرتفع عليه الرقيب .

(٥) المباءة : المنزل أو الدار ويقصد الغار .

(٦) جشم : أراد بهم الخزرج .

(٧) الزمم : القرب .

# على عتبات الغار

شعر

رشاد محمد يوسف

رَكَضَتْ فى البيد أشواقُ الحيارى تَتَوَدَّدْ
وسرى همس بأسماع الليالى يتجدد
وحروف النور من قلب «حراءٍ» تَتَمَدَّد
يا محمد !

● ● ●

أشرق الغار وفى أعماقه شع الضياءْ
وخيوط النور قد طارت به نحو السماء
ما الذى يحدث فى الغار ؟ وما هذا الرواء ؟
ما الذى يجرى لضيف الغار ؟ ماذا يا محمد ؟

● ● ●

كل حرف أشرقت فيه أغاريد الحياة
كل حرف أزهرت فيه أمانىّ النجاه
كل حرف فيه ومض من تسابيح الإله
قم فصافح مسمع الدنيا وبلغ ـ يا محمد !

● ● ●

قم فأنذر ـ يا رسول الله ـ أنصار الضلالةْ
قم فبشر بانطلاق النور فى أجلى مقالةْ
قم فوطد فى ربوع الكون أركان العدالةْ
قم فكبّر ، فطهّر ، وعلى اسم الله ردد
يا محمد !

● ● ●

أول الغيث قراءات وعلم وحضارةْ
وارتقاء بضمير الكون للكون منارةْ
تَهَبُ الإنسان إيماناً وعزًّا وطهارةْ
وتزيح الغيم عن أحداقه كى يتعبد...
يا محمد !

● ● ●

كَحَّلَ الشوق عيـون العابديـن الناســكين
فسعوا فى الأرض عبّـادا لأنـــوار اليـقين
يرقبـون الغـار والمختـار والـروح الأميــن
وبـذورُ الضـوء قـرآن على قلـــب محمـــدْ

● ● ●

أسـكر اللحن حشاشـات الحيارى الصابريـن
فتناجــوا باسمـه الغــالى على مر الســنين
إنــه نــور الحيـــارى وشـفـــاء العالميـــن
إنــه الرحمــة والنعمــة والخيــر تأكـــد ..
فى محمـــد ..

● ● ●

عُدْ إلينا يا رســول اللــه يا نـــور الوجــودْ
يا أمـانَ العــالم المقهــور من أســر القيـود
يا هـدى الحيران فى تيه التـردى والشـــرود
عـد إلينـا خذ بأيدينـا ... تقـدم يا محمـــد

فى «ســراييفو» وفى الصـومال والقـدس جـراحْ
فى «سريلانكا» و«بورمـا» أطفأوا نـور الصباح
وَبَنُـو الإسـلام فى الأرض قطيــع مسـتباح
مـاتت النخـوة فيهـم فاسـتكانوا يا محمـــد

● ● ●

من يجيـر الأم داسـوا عرضــها فى همجيــة ؟
من يجيـر الطفـل شَـقُّوا بطنـه فى عصـبية ؟
من يجيـر الشيـخ ما أبقـوا لدى الشـيخ بقيـة ؟
من يجيـر الديـن من بطـش الأعادى يا محمـــد .

● ● ●

كم ديـار آمنـات أسـقطوا فيهــا المــآذنْ
كم ربـوع ناضــرات أحرقـوا فيهـا المـدائن
كم ، وكم فى كل أرض أشعلوا نـار الضـغائن
وحكايات الغـدر والعـدوان عـادت تتجـدد .
يا محمـــد ..!

● ● ●

نحن . من نحن ؟ نسـينا أننـا من خيــر أمـة
ونسـينا الوحـى والقـرآن فى أحلـك ظلمـة
ونسـينا الله ، فانهالـت علينـا ألــف نقمـة
عد إلينـا بلـواء النصــر يجلـو كلَّ غمـة ..
يا محمـــد ..!

● ● ●

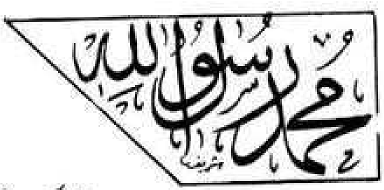
يــوم أن كنــا مع الرحمــن نسـتهدى كتابهْ
ونـرى سـنتك الغــراء تجلوهـا الصحابـه
أســوةٌ مُثلَــى وأنـــوار طريـــق ومثابـــه
دانـت الدنيـا لنــا علمـــا وفتحـــا ومهابـه
وتـرانــا الآن أشــلاءً وعـــزاً يتبــــدد
يا محمـــد ...!

● ● ●

عُـد صـفاءً وضـيــاء لنفـــوس ظامئـــاتِ
عـد حنــانا وأمـانا لقلــوب راجفـــاتِ
أنقـذ الغــرق ـ حنانيـك ـ بأطـواق النجـاهِ
بالهــدى بالنـــور بالتقــوى بكـل المكرمـــات
ليثـــوب النـــاسُ من هــذا التـــردى ..
يا محمـــد ..!

● ● ●

يا رســولا عطــر الدنيــا بأنـــوار الإلــهْ
يا رســولا أنبت الإيمـان فى عمـق الحيـاه
يا رؤوفـا يا رحيمــا يا إمامــا .. للدعـــاه
حسـبنا أنا على دربــك بالتوحيــد نشـهد
ونناجى بعد ذكــر اللــه نـــورا يتجـــدد
لا تغـب عنـا ولا تقطـع رجـانا يا محمـــد ..




للشاعر على الجارم .

محمد أنقذت الخلائق بعدما ... تنكبت الدنيا بهم وتنكبوا
وأطلقت عقلا كان بالأمس مصفدا ـ فدان له سر الوجود المحجب
وأرسلتها من صيحة نبوية ... يمور لها قلب الجبال ويُرعب
إذا كان صوت الله فى صيحة الفتى ... فأىَّ عباد الله يخشى ويرهب ؟
وَبلَّغتَ آيات روائعُ لفظها ... من الصبح أهدى ، أو من النجم أثقب
( كأن ) وما تعنى كأن ؟ فخلها ... فإن من التشبيه ما يُتصعَّبُ
وماذا يقول الشعر فى آى رحمة ... لها الله يُملِى والملائك تكتب ؟
خطبت لنا يوم الوداع مُشرِّعًا ... وهل لك ند فى الورى حين تخطب ؟
فكشفت أسرار السياسة موجزا ... وجئت بما يعيا به اليوم مسهب
وأمليت « دستورا » شقينا بتركه ... فثُرنا على الأيام نشكو ونعتب

إليك ـ رسول الله ـ طار بنا الهوى ... وحلو الأمانى والرجاء المحبب
أفِضْهَا علينا نفحة هاشمية ... تلم شتات المسلمين وترأب
وتُرجع فيهم مثل « سعد » و « خالد » ... وترفع من راياتهم حين تنصب
سنصحو فقد ملَّ الطريح وِسَادَهُ ... وفى نورك القدسى نسعى وندأب
عليك سلام الله مَاحَنَّ واجد ... وفاخرت الدنيا بقبرك يثرب

من ديوان على الجارم

ملاحظة : ليس فى ديوان الجارم بقسميه إلا هذه القصيدة فى الأغراض الدينية

المحرر

# أسمى الحب

لمصطفى صادق الرافعي - رحمه الله

مَنْ لِلْمُحِبِّ ، ومَنْ يُعِينُهْ ... والحبُّ أهْنَـــؤُهُ حزينُـــهْ
أنا ما عرفتُ سِوَى قَسَـا ... وَتِهِ .. فقولوا : كيف لِينُهْ
إنْ يَقْضِ دَيْنَ ذوى الهوى ... فأنا الذى بقِيَتْ ديونُـهْ
قلبى هو (الألماسُ) يُعْـ ... ـرَفُ من أشِعَّتِـهِ ثمينُـــهْ
قلبى هو الذهبُ الكريـ ... ـمُ ، فلا يُفارِقُـهُ رَنِينُـهْ
قلبى يُحـب ... وإنَّمـــا ... أخلاقُـهُ فيـــه ودِينُـــهْ

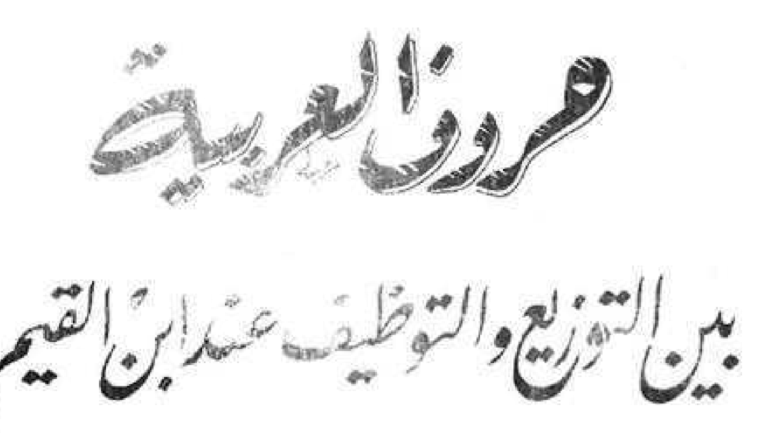
• • •

يا مَنْ يُحِـبُّ حَبيبَـــهُ ... وبظنـــه أمســـى يُهِينُـــه
إن تَنْقَلِـبْ لِصَّ العَفَـا ... فِ لمن تُحِبُّ ... فَمَنْ أمِينُهْ ؟
كالقبـر غطَّتْـهُ الزهـو ... ر ، وتحته عفِنٌ دفينُـــهْ

• • •

وَيْلـى علـى مُتَدَلِّـلٍ ... لا تنقضـى عنى فتونـه
كيفَ السُّلُـوُّ ، وفى فؤا ... دى لا تفارقنـى عيونـه

# اللغة والنقد والأدب



# حروف العربية بين التوزيع والتوظيف عند ابن القيم

دكتور/ توفيق محمد شاهين

هذه نظرات أخرى فى أصول اللغة عند إمامنا الجليل ابن قيم الجوزية ، رحمه الله رحمة واسعة .

وهى تؤكد ما سقناه من سعة مدارك الإمام ، وعلمه الوفير ، وإلمامه وهضمه لمعارف وفنون العربية والإسلام .

يحدثنا عن نعمة الصوت ، وماهيته ، وكيفية حدوثه وتكونه ، ووظيفته فى الأداء والبيان وإتيان اللفظ والمعنى فى اتساق وحسن تعبير عن المطلوب بدقته فى اللغة العربية .

ثم يحدثنا عن سر الحروف المقطعة ، التى ابتدأت بها بعض سور القرآن الكريم مع دراسة تطبيقية لبعضها .

وهى دراسة جيدة ، حبذا لو اقتفى أثرها ، لبيان روعة القرآن الكريم فى معانيه ومبانيه .

الصوت نعمة حين يتم التعارف به ، ويؤدى المطلوب ، وتلاشى الصوت نعمة ؛ حتى لايمتلىء العالم به ، ومنشأ الصوت : أثر الاصطكاك لا الاصطكاك نفسه .

يحدثنا عن هذا العلامة ابن القيم فيقول :

( الصوت أثر يحدث عند اصطكاك الأجرام ، وليس نفس الاصطكاك ، كما قال ذلك من قاله ، ولكنه موجب الاصطكاك وقرع الجسم للجسم ، أو قلعه عنه ، فسببه : قرع أو قلع فيحدث الصوت ، فيحمله الهواء ، ويؤديه إلى مسامع الناس ، فينتفعون به فى حوائجهم ومعاملاتهم بالليل والنهار ، وتحدث الأصوات العظيمة من حركاتهم ... )[1]

فيلاحظ أنه ـ رحمه الله ـ ينبه إلى أن الصوت من موجبات الاصطكاك وأثره ، وكثير من علماء أصول اللغة لما ينتبهوا لذلك من قبل .

ويقول عن الشق الثانى ـ تلاشى الكلام ـ وإن كان العلم الحديث يقول اليوم بأن الهواء يحتفظ بالأصوات ، ولو أمكن جمع الذبذبات الصوتية ومواصفات الصوت كلها لأمكن التقاط أصوات بعينها مازالت تدور فى فلك الأثير .

يقول ابن القيم رحمه الله :

( فلو كان أثر هذه الحركات والأصوات يبقى فى الهواء ، كما يبقى الكتاب فى القرطاس لامتلأت العالم منه ، ولعظم الضرر به ، واشتدت مؤنته ، واحتاج الناس إلى محوه من الكلام فى الهواء والاستبدال به أعظم من حاجتهم إلى استبدال الكتاب المملوء كتابة فإن ما يلقى من الكلام فى الهواء قرطاسا خفيا ، يحمل الكلام بقدر ما يبلغ الحاجة ، ثم يمحى بإذن ربه ، فيعود جديدا نقيا لا شيء فيه ، فيحمل ما حمل كل وقت[2] .

وفى دقة العالم ، ويقين المسلم ، وتفكير المؤمن ، يحدثنا العلامة ابن القيم عن كيفية حدوث الصوت اللغوى ، وتكون الحرف ، ومقاطع الكلام ، يقول :

( ... تأمل فى هذا الصوت الخارج من الحلق ، وتهيئة آلاته ، والكلام وانتظامه ، والحروف ومخارجها ، وأدواتها ومقاطعها وأجراسها .. تجد الحكمة الباهرة فى : هواء ساذج يخرج من الجوف فيستهلك فى أنبوبة الحنجرة ، حتى ينتهى إلى الحلق واللسان والشفتين والأسنان ، فيحدث له هناك مقاطع ، ونهايات وأجراس ، يسمع له عند كل مقطع ونهاية منفصل عن الآخر ، يحدث بسببه الحرف .

فهو صوت واحد ساذج يجرى فى قضية واحدة ، حتى ينتهى إلى مقاطع وحدود تسمع له منها تسعة وعشرين حرفاً ، يدور الكلام عليها كله :

أمره ونهيه ، وخبرة واستخباره ، ونظمه ونثره ، وخطبه ومواعظه وفضوله ....... فسبحان من أنشأ ذلك كله من هواء ساذج ، يخرج من الصدر ، لا يدرى ما يراد به ، ولا أين ينتهى ، ولا أين مستقره .

هذا إلى ما فى ذلك من اختلاف الألسنة واللغات ، التى لا يحصيها إلا الله ....

---

(١) مفتاح دار السعادة ، لابن القيم ص٢٨٩ .

(٢) السابق ٢٨٩ .

واللسان الذى هو الجارحة واحد فى الشكل والمنظر ، وكذلك الحلق والأضراس والشفتان ، والكلام مختلف متفاوت أعظم تفاوت[3] .

إلى أن يقول :

ثم تأمل اختلاف هذه النغمات ، وتباين هذه الأصوات ، مع تشابه الحناجر والحلوق ، والألسنة ، والشفاه ، والأسنان ..

فمن الذى ميز بينها أتم تمييز - مع تشابه محالها - سوى الخلاق العليم .

ومن الحروف تتألف الكلمات ، ومن الكلمات تعبير وبيان لمن رق طبعه ولطف حسه ومن البيان سرٌّ وروعة[4] .

والمعنى واللفظ عنده متناغمان ، ويأتى المعنى على سمت اللفظ ، ويخدم اللفظ المعنى فى اتساق وتناسب . ويضرب لذلك مثلا بأن الاسم من ( هذا ) هو الذال وحدها على أصح القولين ، بدليل سقوط الألف فى التثنية والمؤنث ، وخصت الذال بذلك لأنها من طرف اللسان ، والمشار إليه مبهم ، يشار إليه بلفظه أوبيد ، ويشير مع ذلك بلسانه فإن الجوارح خدم القلب فإذا ذهب القلب إلى شىء ذهاباً معقولا ذهبت الجوارح نحوه ذهاباً محسوساً .

والعمدة فى الإشارة فى مواطن التخاطب على اللسان ، ولا يمكن اشارته إلا بحرف يكون مخرجه من عذبة اللسان ، التى هى آلة الاشارة دون سائر أجزائه ، ( وهى ) إما الذال ، أو التاء :

« فالتاء » مهموسة رخوة ، فالمجهور أو الشديد من الحروف أولى منها بالبيان « والذال » مهجورة ، فخصت بالإشارة إلى المذكر .

وخصت « التاء » بالإشارة إلى المؤنث ، لأجل الفرق .

وكانت « التاء » به أولى لهمسها ، وضعف المؤنث ، ولأنها قد ثبتت علامته للتأنيث فى غير هذا الباب[5] .

فقد بين أن « الذال » من ( هذا ) ، عليها مدار الكلام وحدها ، وعلل لذلك للاقناع .

وخص الذال بالاشارة ، لكونها من طرف اللسان . وبالتالى وظف اللسان فى الاشارة كاليد وغيرها ، فهو مشير ، والذال من طرفه لتكون أوضح فى الإشارة وأبين .

ولتقواه ، يحاول جعل الجوارح خدمــاً للقلب .. وجعل إرادته معقولة ، بينما ارادة الحواس وفعلها محسوسا ، ليكون منطقيا فى حكمته وتعبيراته .

والمشار إليه مبهم ، ولابد من الإشارة إليه ، مامن شأنه أن تتأتى منه الاشارة ويفاضل بين « الذال » فى هذا ، و« التاء» فى هذه ، لتوضيح المقام بقوة حين الاشارة ، وفضلت « الذال » الشديدة بالجهر ، على « التاء » الرخوة بالهمس .

واختصت الذال المجهورة بالاشارة للمذكر ، القوى فى جنسه . وخصت التاء الرخوة بالمؤنث تفرقة للجنس الضعيف فى عموميته .

---

(٣) مفتاح دار السعادة ٤٩٠ .
(٤) السابق ٣٠٠ .
(٥) بدائع الفوائد ١/ ١٨٠ .

ومن هذا الباب ما ينقله عن ابن فورك ، عن مخارج لفظ الجلالة ( الله ) حين قال :

الحكمة فى وجود ( الألف ) فى أوله ، أنها من أقصى مخارج الصوت ، قريبا من القلب ، الذى هو محل المعرفة .

ثم الهاء فى آخره ، مخرجها من هناك أيضاً ، لأن المبتدأ منه والمعاد إليه . والاعادة أهون من الابتداء .

وكذلك لفظ « الهاء » أهون من لفظ « الهمزة »[6] .

وهذا توظيف للحروف فى مخارجها جميل ، من امام جليل .

ويقول رحمه الله تعالى ( عن سر الحروف المقطعة فى أوائل بعض السور ) : ( تأمل سر « ألم » ، كيف اشتملت على هذه الحروف الثلاثة :

« فالألف » إذ بدىء بها أولا كانت همزة ، وهى أول المخارج من أقصا الصدر .

« واللام » ، من وسط مخارج الحروف ، وهى أشد الحروف اعتمادا على اللسان .

« والميم » ، آخر الحروف ، ومخرجها من الفم .

وهذه الثلاثة هى أصول مخارج الحروف ، أعنى : الحلق ، واللسان ، والشفتين وترتيب فى التنزيل : من البداية ، إلى الوسط ، إلى النهاية .

فهذه الحروف معتمد المخارج الثلاثة ، التى تتفرع منها ستة عشر مخرجاً ، فيصير منها تسعة وعشرون حرفاً ، عليها مدار كلام الأمم الأولين والآخرين ، مع تضمنها سراً عجيباً ..

وهو أن « للألف » البداية ، و « اللام » التوسط ، و « الميم » النهاية فاشتملت الأحرف الثلاثة على البداية والنهاية والواسطة بينهما .

وكل سورة استفتحت بهذه الأحرف الثلاثة ، فهى مشتملة على بدء الخلق ، ونهايته وتوسطه ، فمشتمله على تخليق العالم وغايته ، وعلى التوسط بين البداية والنهاية من التشريع والأوامر ..

فتأمل ذلك فى البقرة ، وآل عمران ، وتنزيل السجدة ، وسورة الروم .

وتأمل اقتران الطاء بالسين **والهاء** فى القرآن :

فإن « الطاء » جمعت من صفات الحروف خمس صفات لم يجمعها غيرها ، وهى الجهر ، والشدة ، والاستعلاء ، والإطباق .

و « السين » مهموس ، رخو ، مستعل ، صفيرى ، منفتح ، فلا يمكن أن يجمع إلى « الطاء » حرف يقابلها « كالسين » ، « والهاء » فذكر الحرفين اللذين جمعا صفات الحروف .

وتأمل السور التى اشتملت على الحروف المفردة ، تجد السورة مبنية على كلمة ذلك الحرف :

فمن ذلك (ق) والسورة مبنية على الكلمات « القافية » من ذكر القرآن ، وذكر الخلق ، وتكرير القول ، ومراجعته مراراً ، والقرب من ابن آدم ، وتلقى الملكين قول العبد وذكر الرقيب ، وذكر السائق والقرين : والالقاء فى جهنم ، والتقديم بالوعيد ، وذكر المتقين ، وذكر القلب ، والقرون ، والتنقيب فى البلاد .

وذكر القيل مرتين ، وتشقق الأرض ، والقاء الرواسى فيها ، وبسوق النخل والرزق وذكر القوم وحقوق الوعيد ، ولو لم يكن إلا تكرير القول والمحاورة .

---

(٦) بدائع الفوائد ١/١٨٠ .

وسر آخر ، وهو : أن كل معانى هذه السورة مناسبة لما فى حرف ( القاف ) من : الشدة ، والجهر ، والعلو ، والانفتاح .

وإذا أردت زيادة إيضاح هذا ، فتأمـــل ما اشتملت عليه سورة (ص) من الخصومات المتعددة :

فأولها : خصومة الكفار مع النبى ، ﷺ وقـولهم : «اجعـــل الآلهة الها واحـــدا»[٧] الخ كلامهم .

ثم اختصام الخصمين عند داود عليه السلام .

ثم تخاصم أهل النار .

ثم اختصام الملأ الأعلى فى العلـم ، وهـو الدرجات والكفارات .

**ثم مخاصمة ابليس واعتراضه على ربه فى أمره بالسجود لآدم .**

ثم خصامة ( ابليس لعنه الله ) فى شأن بنى ( آدم ) وحلفه ليغوينهم أجمعين إلا أهل الإخلاص منهم .

فليتأمل اللبيب الفطن ، هل يليق بهذه السورة غير (ص) ، وبسورة (ق) غير حروفها ؟

وهذه قطرة من بحر من بعض أسرار هذه الحروف ، والله أعلم[٨] . أ.هـ

فقد نبهنا إلى أن الألف إذا بدىء بها أولا كانت همزة ، كما قال المحققون اليوم .

وأشار إلى أن أول مخارج الحروف ما يخرج من أقصى الصدر ، أو ما يسمى بالحروف الحلقية ، وهى :

همز فهاء ثم عين حاء   مهملتان ثم عين خاء

ويتنقل من أقصى الحلق أو الصدر إلى الشفتين أو الفم كما أشار ، ومثل بالميم قسيمة الباء فى هذا المخرج .

ثم أشار إلى الوسط بين الطرفين وهو اللسان ، الذى تعتمد عليه أشد الحروف وهى اللام .

فذكـر الحلـق ، ومـر بالـــلسان ، وانتهى بالشفتين أو العكس ، فى الأماكن الثلاثة .

ومن هذه المخارج الثلاثة تتحرك الحروف على مدرجها ، لترينا ستة عشر مخرجا تنتج تسعة وعشرين حرفاً ، عليها مدار الكلام كله .

وجعل الحروف الثلاثة فى ( أ.ل.م ) المتضمنة للبداية والتوسط والنهاية ، **ممثلة لبداية الخلق ونهايته وتوسطه ، أو على تخليق العالم فى بدايته ، ونهايته فى غايته ، والتوسط فى التشريع والتكليف والأوامر والعمل .**

ونبه على أننا لو راجعنا سورة البقرة ، وآل عمران ، وتنزيل السجدة ، وسورة الروم ، وكلها ابتدأت بقوله تعالى : ﴿ الٓمٓ ﴾ ، لوجدنا معانى هذه السور تتحدث عن البداية ، والنهاية والغاية ، ثم توسط التشريع فى الأوامر والنواهى .

وذكر أن لاقتران الحروف المقطعة فى أول السور سر فى الجمع يجمع بين صفات الحروف فى تناسق لطيف يتطابق فيه ما تتصف به الحروف من ضعف أو قوة فى توازن هندسى ، يقول :

تأمل اقتران الطاء بالسين والهاء فى القرآن الكريم :

فإن الطاء جمعت من صفات الحروف خمس صفات ، لم يجمعها غيرها وهى : الجهـر ، والشدة ، والاستعلاء ، والإطباق .

---

(٧) ص : ٥ .

(٨) بدائع الفوائد ١٧٣/٣ ، ١٧٤ .

بينما السين حرف مهموس رخو مستقل صفيرى منفتح .

فلا يمكن أن يجمع إلى الطاء حرف يقابلها كالسين والهاء .

فذكر الحرفين اللذين جمعا صفات الحروف ، من قوة وضعف ..

وعنى بالتطبيق فذكر دراسة مقتضية عما تضمنته سورة (ق) وسر البدء بهذا الحرف .

وكل المعانى التى ذكرها تدور حول ما يتناسب مع صفات حرف ( القاف ) وكلها أو جلها معانى تتطلب القوة والشدة :

من إلقاء الرواسى فى الأرض ، وشموخ النخل وبسوقه ، وسوق الرزق للعباد ، وتنقص الأرض منهم ، وفوقية السماء ، ودأب الأقوام الجفاة فى تكذيب الرسل ، وحق الوعيد ، والقدرة على البعث ، كما كانت فى خلق الانسان من لاشىء والحديث عن سكرة الموت ، وتمكن القرين ، وقهر كل جبار عنيد ، وإلقائه فى العذاب الشديد وحوار جهنم .

وإحكام القول ، وتنقيب الأشداء فى البلاد ، والاستعداد لإطلاق الصيحة وتشقيق الأرض ، وزوال العمران ، والتذكير بالقرآن فى المبدأ ونهاية السورة .. الخ .

فلا عجب أن يتكرر حرف «القاف» الذى بدئت به السورة الشريفة قرابة الستين مرة .

وذكر نماذج لمثل هذه الدراسة عن سورة (ص) ، والمعانى التى تتضمنها السورة والتى طابقت صفات حرف الصاد ..

وحبذا لو احتذى محتذ لمثل هذه الدراسات فى القرآن الكريم ، فى السورة التى افتتحت بالحروف ، لتضيف إلى علمنا ببلاغة القرآن معانى جديدة ، وآفاقا واسعة تثرى الدراسات القرآنية ، وتجلى عبقرية اللغة العربية وحكمتها وفصاحتها فى دنياها الثرة والعجيبة ..

وابن القيم ، ينبه على شرف هذه الحروف ، وعظم قدرتها وجلالتها ؛ إذ هى مبانى كلامه وكتبه .

وقال : إنها ما ذكرت قط فى أول سورة إلا وعقبها بذكر القرآن ، إما مقسما به ، وإما مخبرا عنه ، ماعدا سورتى «مريم» ، و«ن»[9] .

وكذلك استثنى الزركشى سورتى «العنكبوت» و«الروم»[10] .

**ويذكر ابن كثير أن ( كل سورة افتتحت بالحروف فلابد أن يذكر فيها الانتصار للقرآن وبيان إعجازه وعظمته ) .**

ويعقب الدكتور محمد بدرى عبد الجليل ، فى كتابه القيم ؛ بأن هذه الخصيصة ليست للسور التى افتتحت بالحروف المقطعة ، وإنما جاء ذكر القرآن والتنبيه على شرفه فى سور أخرى لم تفتتح بذلك كسورة «الكهف» وسورة «الزمر» وكذلك فى تضاعيف القرآن الكريم مرات عديدة تفوق عدد السور المفتتحة بالحروف المقطعة[11] .

ونقول : بأن الأمر لبيان مزية ، وترجيح رأى ، واستشهاد بموجود ، لا أن الأمر على سبيل الحصر والقصر .

ونفس السبب نرد به على اعتراض المعترضين على ابن القيم فى ( اتخاذه من صفات الحروف منطلقا ليكشف عن ارتباط بين بعض الحروف

---

(٩) التبيان فى أقسام القرآن ، لابن القيم ٢٠٣ .

(١٠) دراسات فى النصوص القرآنية د. محمد بدرى ص ١٠٠ .

(١١) السابق ١٠١ .

وبعضها تارة ) كما ذكرنا فى اقتران الطاء بالسين والهاء فى القرآن ، كما ألمحنا إلى ذلك فى هذا البحث إذا ما اعترض بإمكانية وجود الياء مع السين ومع غير السين[١٢] .

وابن القيم إنما ذكــر تمثيــلا لا حصراً ولا استقصاء ، وإلا لأفرغ جهده فى ذلك ، أو أشار إلى أن الأمر يحتاج إلى مجلدات - إن أراد حصر - كما عودنا فى مقالاته العميقة والتى يستفرغ فيها جهده .

وليس ابن القيم وحده فى هذا الصدد ، وإنما يشاركه فى ذلك الزركشى ، فى اشارات تشير إلى ذلك ، حين يقول : انما زيدت «صاد» ( المص ) فى أول الأعراف ، لأجل قوله تعالى : ﴿فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ﴾[١٣] . وشرح قصص آدم بعد ذلك ومن بعده من الأنبياء[١٤] .

ولا نحاسب ابن القيم على ما وصف به حرف «ق» من صفات وصفه بها الأقدمون وخالفها المحدثون ، كما ذكر الدكتور محمد بدرى عبد الجليل ، فما جدَّ من جديد فى دنيا علوم الصوتيات اليوم ماكان ابن القيم يحلم به ، ولا يتوقعه .

وكذلك لا نوافق على نقض كلام ابن القيم ؛ لأن من الكلمات العربية ماهو ضعيف وإن اشتمل على حرف «ق» ؛ لأن الأمر مبناه التمثيل ، والإشارة إلى الإشعاعات التى عليها صفات الحرف ، أى حرف ، منتزعا من المعانى التى تضمنتها السورة المفتتحة بحروف مقطعة .

وماذكره الدكتور من أمثلة تخرج عما ذكر ابن القيم ، وتمثل صفات ضعف ، ليست نصا على ضعف مادى أو معنوى ؛ لأن الأمر نسبى ، كالجلل للأمر الهين والعظيم ، فالقليل من كل شىء لا يدل على ضعف والرجل القتين ( قليل الطعم واللحم ) ليس ضعيفاً ، بل لعله أقوى من السمين ، وقرسم الرجل سكت ، لعل قوته فى سكوته[١٥] ... الخ ومتى اضطردت كل القوانين اللغوية على وتيرة بلا شذوذ فى لغة من اللغات ؟!

ولم يجزم ابن القيم بأن العلاقة مطردة ووطيدة بين المبنى والمعنى وما قال هكذا .. وحسبه أنه عاشق للقرآن ومبانيه ، وظهرت أمامه إشعاعات معانيه ، ولعل تقدم الأبحاث يرينا المفيد والجليل والجديــد فى صفــات الحروف ومخارجهــا وأسرارها ، وفى بلاغة القرآن الكريم وأسرار إعجازه ..

وحسب علمائنا القدامى - رحمهم الله - أنهم رواد بلا إمكانات ، وقادة بلا غاية سوى وجه الله تعالى ، وخدمة العربية والإسلام ، وباحثون فيما يرجون أن يلقوا به ربهم ، وأن يكون فى موازين أعمالهم يوم يلقون الله ، فخلفوا علما كثيرا .. وصنفوا كتبا قيمة ، كانت للمسلمين الأول مشاعل نهضة ، ولغيرهم فيما بعد وسائل تقدم ورقى .

وإن جنحوا فما قصدوا ، وإن قصدوا فمن ضعف الوسائل ، ولعل ما كتبوه يثير شاكلة انتباه لدى المحدثين من علمائنا ، فيضيفوا جديداً ، ويكملوا نقصا ، ويلقوا مزيدا من الضوء على غامض أو مبهم .. ﴿**والله يقول الحق وهو يهدى السبيل**﴾ .

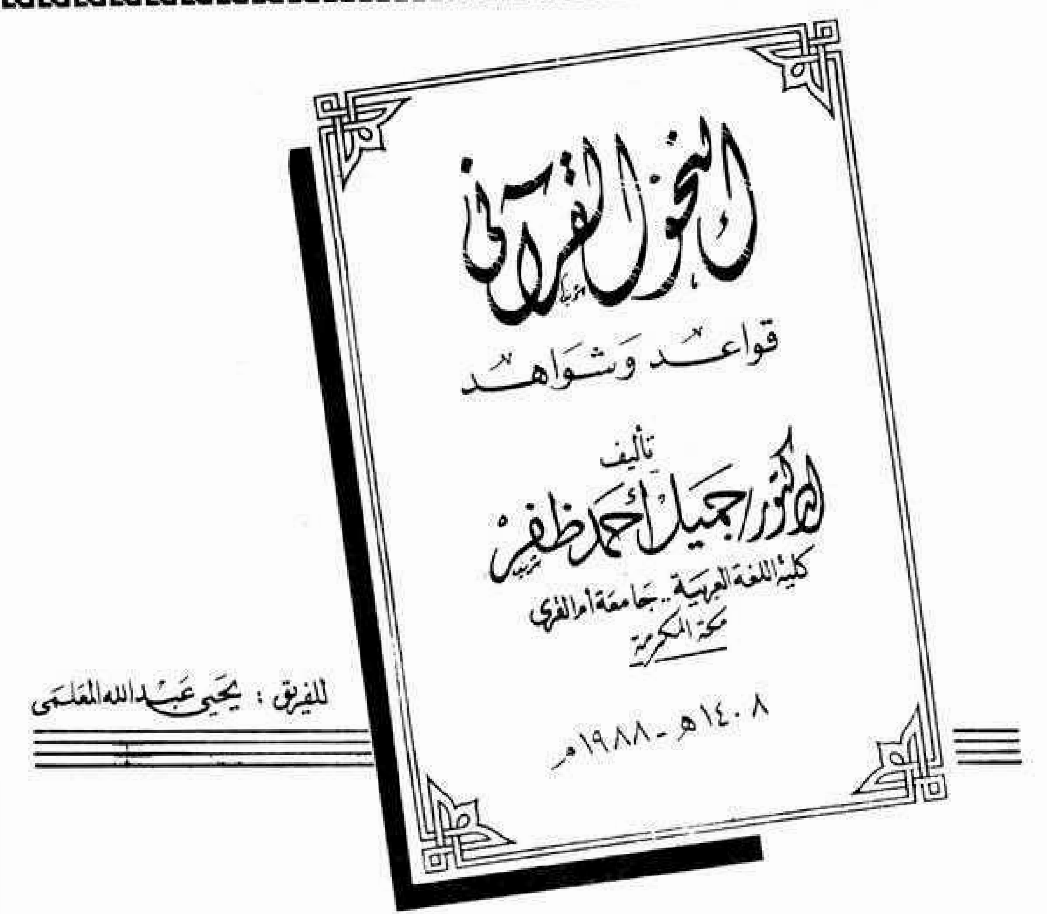
---

(١٢) السابق ١٠٢ .

(١٣) الأعراف ٢ .

(١٤) البرهان فى علوم القرآن للزركشى ١/ ١٧٠ .

(١٥) دراسات فى نصوص القرآن ١٠٨ وما بعدها .




للفريق : يحيى عبد الله المعلمي

قواعد وشواهد :

أفضَّلَ أخي العزيز الدكتور/ جميل أحمد ظفر عليَّ[1] فأهدى إليَّ نسخة من كتابه « النحو القرآني : قواعد وشواهد » .

ولا أذكر أني قد سعدت بلقاء الأخ الدكتور ظفر ، ولكنى مع ذلك أحمل له فى نفسى مودة كبيرة ، واحتراماً عظيماً وإعجاباً شديداً بما يكتبه وما يذيعه .

فقد كنت أستمع إليه وهو يذيع فصولًا من كتابه هذا فى أحاديث عبر المذياع فأنصت إليه باهتمام ، وأعجب بما يورده من معلومات وشواهد ، ويعجبنى صوته وطريقة حديثه ، فهو محدث إذاعى ممتاز فى نبرة صوته ، وفى فصاحة لسانه ، وفى صحة تعبيره ، وفى ضبطه مخارج الحروف وإتقانه طريقة الأداء السليم .

(١) أستاذ الأدب العربى بجامعة ( أم القرى ) بمكة المكرمة .

وقد (هاتفته)[٢] مرة وأعربت له عن إعجابى بمادة أحاديثه وبأسلوبه وبطريقة إلقائه ، كما عبرت له عن سرورى بأن أجد بينى وبينه علاقة روحية تتمثل فى إعجاب كل منا ببلاغة القرآن الكريم وفصاحته ، وباستمداده من بحور العلم التى يشتمل عليها هذا الكتاب الكريم ، فقد شرفت باصدار مجموعة من الكتب استَمِدَتْ مادتها من القرآن الكريم منها :

الأمن فى القرآن الكريم ، مكارم الأخلاق فى القرآن الكريم ، الأمثال والشواهد فى القرآن الكريم ، آيات قرآنية ، المرأة فى القرآن الكريم .

بالإضافة إلى استشهادى دائماً بآيات القرآن الكريم فى أحاديثى ومحاضراتى ومقالاتى .

ورأيت أنى أشترك أيضاً مع الأخ الكريم الدكتور ظفر فى التعلق باللغة العربية الفصيحة ، والحرص على سلامة ألفاظها وتراكيبها من اللحن والهجنة ، وفى هضم قواعد النحو العربى ، والاهتمام بشواردها وشواذها وتتبع دقائقها ، وإن كنت أقر بتقصيرى فى كل ذلك وبقلة حصيلتى منه ، وبضعف استيعابى له ، ولكنى أحاول ما استطعت ، وأرجو من الله مزيداً من التوفيق والفتح .

وزاد يقينى فى اشتراكى مع الأخ الدكتور ظفر فيما أشرت إليه ـ وإن كان له الفضل الأوفر والنصيب الأوفى من كل خير ـ ما قرأته فى مقدمة الكتاب الذى أتحدث عنه فقد قال :

النحو القرآنى .. قواعد وشواهد .. بحث قمت به إسهاما منى فى خدمة القرآن الكريم وعلومه تقرباً إلى الله تعالى وطلباً لمرضاته ولينتفع به الدارسون والباحثون فى هذه اللغة الخالدة : لغة القرآن الكريم والدين الحنيف .

ويعتمد هذا البحث على شواعد كتاب الله ـ عز وجل ـ فى قضايا النحو المتشعبة المتفرعة بدلًا من الاعتماد على النصوص الشعرية التى عول عليها ، واستند إليها كثير من النحاة ، على الرغم مما يعترى نماذج غير قليلة منها من قصور وضعف كتعدد الرواية فى النص ، أو جهل القارىء أو تعدد النسبة لأكثر من شاعر ونحو ذلك .

ويهدف هذا البحث إلى تقريب المسائل النحوية لأذهان طلاب العلم ، وترغيبهم فى دراستها ، وتمكينهم من الأداء السليم لنصوص هذه اللغة ، وتنمية قدراتهم اللغوية والتعبيرية باستظهار هذه الشواهد القرآنية ، وفهمها ، والإفادة منها بالدرس والبحث .

وقد سلكت هذا المسلك أو مايقرب منه فى مقدمة كتابى «الأمثال والشواهد فى القرآن الكريم» الذى أرجو أن يخرج إلى النور قريباً إن شاء الله فقلت :

«إن هذا الكتاب ... اختيار لبعض الآيات والعبارات القرآنية التى تجرى مجرى الأمثال ، ويمكن الاستشهاد بها فى الحديث العادى بين الناس .. والذى دفعنى إلى تتبع هذه العبارات القرآنية البليغة .. إنما هو شغفى بالقرآن الكريم بصفته كتاباً عربياً مبيناً يقع من البلاغة فى قمتها ، ومن الفصاحة فى أوجها ، ومن الحكمة فى ذروة سنامها ، ورغبتى فى أن يرطب المؤمن لسانه

(٢) تحدث إليه عبر الهاتف .

بذكر الله وترديد اياته فى كل وقت وآن ، وفى كل ظرف ومناسبة ، واستحسان أن يجمل الإنسان كلملاه بالعبارات القرآنية الجميلة لفظاً ، العظيمة معنى .. وأعتقد أن هذه ... أهداف نبيلة يدفع إليها الإيمان بكتاب الله والرغبة فى استظهاره وتدبره واستحضاره والتلذذ بترديد عباراته تعبداً وتبركاً واستمتاعاً بالجمال المعنوى الرفيع » .

وكتاب « النحو القرآنى » يقع فى نحو ستمائة صفحة ( ٦٠٦ صفحة بما فيه من مقدمة وخاتمة وقائمة مراجع وفهارس ) وقد طبع طباعة جيدة فى مكة المكرمة .

وقد رتبت مواضيع الكتاب ( أو موضوعاته ) على نمط من أنماط ترتيب أبواب النحو ، وتضمن ستة فصول :

- **الفصل الأول** : عن الأفعال المعربة والمبنية .
- **الفصل الثانى** : عن الأسماء المبنية والنكرة والمعرفة والمعربة .
- **الفصل الثالث** : عن التوابع ( النعت والعطف والتوكيد والبدل ) .
- **الفصل الرابع** : عن الجمل التى لها ـ والتى ليس لها ـ محل من الإعراب .
- **الفصل الخامس** : عن حروف غير عاملة .
- **الفصل السادس** : عن موضوعات أخرى .

وقد قسم كل فصل إلى تقسيمات فرعية حسب الاقتضاء .

ولقد قرأت الكتاب بإمعان ودونت عليه بعض الملاحظات ، ولا أرى أن نطاق المجلة يتسع لذكر الملاحظات جميعها ولكنى سأشير إلى بعضها بإجمال :

- **أولاً** : أن المؤلف قد ألّف كتابه للخاصة فلذلك جاءت بعض عباراته موجزة إلى درجة غمض معها معناها على القارىء غير الضليع فى النحو .

- **ثانياً** : أن المؤلف يورد بعض القراءات الشاذة وما قاله النحاة فى إعرابها ، وفى هذه الأقوال تكلف كبير ، وقد يؤدى بعضها إلى تحريف بعض كلمات القرآن عن مواضعها ، ولعل المؤلف وهو يقدم كتابه إلى الخاصة قد حرص على إيراد كل الأقوال فى إعراب الشواهد التى استشهد بها من القرآن الكريم سواء ما كان من هذه الأقوال راجحاً أو مرجوحاً .

- **ثالثاً** : أن المؤلف يورد شواهد من آيات قد يلتبس على القارىء الشاهد فيها .

فمثلاً يستشهد على رفع الفعل المضارع بالضمة بقوله تعالى : ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ (سورة لقمان الآية ١٢) .

ويستشهد على نصب الفعل المضارع بالفتحة بقوله تعالى : ﴿لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾ سورة الحج الآية ٣٧

وكان فى إمكانه أن يستشهد بآيات أخرى لا يلتبس فيها الشاهد بغيره . لأن بعض ما أتى به من آيات يتكرر فيها لفظ (الشاهد) .

وعلى وجه العموم ، فإن هذا الكتاب يعد من الذخائر النفيسة التى تضم إلى المكتبة العربية وسأحاول تسجيل ملاحظاتى على هذا الكتاب ونشرها إذا وجدت مجالاً لذلك .. فيما بعد .

والله ولى التوفيق ،،،،،

# النظرية الأدبية فى ضوء القرآن الكريم

بقلم دكتور / السيد تقى الدين السيد

**إن هذا الكتاب العزيز ( لا تنقضى عجائبه )[1] كما قال رسول الله ﷺ :**

**ومن هنا نجد كل جيل يقول فيه كلمة ليست الأولى وليست الأخيرة وإنا لنرجو مخلصين أن تحظى الدراسات الأدبية للقرآن بمزيد من جهود العلماء والباحثين مع ملاحظة أن أحدا لم يختلف فى أدبية القرآن سواء منهم من آمن بالقرآن ومن كفر ، فإذا تحدثنا عن أصول النظرية الأدبية المستنبطة من القرآن الكريم فنحن بذلك لا نخرج على إجماع الناس حول هذه الظاهرة الأدبية الفريدة فى تاريخ البشر .**

**ولكن هل القرآن معجزة أدبية قبل كل شىء ؟**

فى تصورى أن القرآن ليس معجزة أدبية قبل كل شىء ، هكذا بهذا الاطلاق والتعميم والحسم ، وإن كان القرآن قد جمع إلى إعجازاته المتعددة إعجازاً أدبياً إلا أن القول بأن القرآن معجزة أدبية أولا وقبل كل شىء يجرد القرآن من أبلغ إعجازاته التى دلت عليها مقاصد الرسالة والنبوة ، وهى إعجازات التشريع الحكيم الصالح لكل زمان ومكان ، والأخبار الصوادق والغيوب العجيبة عن الماضى والمستقبل ، والقول كذلك بأن القرآن معجزة أدبية قبل كل شىء يجعل القرآن كتاب أدب ولغة وبلاغة فى حين أنه كتاب تشريع وتعليم وتنظيم ومن الطبيعى والبدهى أن يكون ـ وهو كلام خالق البشر وآدابهم ولغاتهم وبلاغتهم ـ معجزاً فى أسلوبه وصياغة تراكيبه وتعابيره وفوق كل التعابير والتراكيب ، إن القرآن قد أعجز ولا يزال يعجز بمعانيه وألفاظه بمعانيه التى جاءت مناسبة لفطرة الناس فيما حدثتهم به من عقيدة سهلة وشريعة سمحة وفيما استوفته من حقائق الوجود ورب الوجود .

إن اللغة والابداع الأدبى فى القرآن غلاف جميل لِلُبَابٍ أجمل ، وإطار جليل لصورة أجمل تعبر عن التجربة الدينية الإسلامية .

---

(١) سنن الترمذى ٤/٣٤٥ رقم الحديث ٣٠٧٠ ط بيروت .

إن القرآن قد حوى صفات الأدب الخالد ومميزاته ، وهذا ما جعل المتأخرين من العرب ومن تعلموا العربية يدركون إعجازه ، ويتذوقون جماله وهذا ماجعله لا يخلق على التكرار ، ولا يسرع الملل إلى قارئه مهما أعاده إذا لم يكن معارضا متحيزا أو متحاملا .

هذه المميزات التى تجعل منه أدبا خالدا تظهر فى الفكرة العامة السامية التى يقول بها القرآن والتى تجعل فيه :

وحدة موضوعية غائية تسعى للمثل الأعلى وتحقيق خير الإنسانية .

وتظهر فى العاطفة الصادقة القوية العميقة التى تنبعث فيه ويستشفها القارىء له من ثنايا آيِهِ وسُوَرِهِ وتثيرها التلاوة فى نفسه فيشعر أن روحا قويا خفيا يحمله من عالم الأرض ليحلق به فى عالم السماء ، ويدرك أن القرآن يفتح عينيه ليرى المثل العليا جلية بهية قريبة المنال إذا صمم العزم على سلوك طريقها .

وتظهر هذه المميزات فى تعاليمه الرفيعة التى تسعى لتنظيم الكون فى يسر وسماح ، وفى هذا اليسر سر من أسرار جمالها .

وتظهر فى الخيال الخصب الذى يصور الندم وعذاب الضمير وآلام النفس وأفراحها وتعاطف البشر ويصور الجنة والنار ، وسير من مضى وقضى من الأمم .

وتظهر فى أسلوبه العظيم الذى أدى ما يراد إبلاغه إلى الناس بأجمل موسيقى وخير أداء فنرى المعنى ينساب إلى النفس مع انسياب الألفاظ إلى السمع فكأن الكلام يقع فى القلب لا فى الأذن ، وترى الروح فيه يخاطب الروح وتدرك معرفة منزله بالنفس البشرية ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ الملك ١٤ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ﴾ ق ١٦ كما تدرك حسن التأنى فى مخاطبة النفس مما حمل بعض الباحثين على القول بالإعجاز النفسى للقرآن[٢] .

هذه الصفات التى تجعل من القرآن أدباً خالداً هى التى أذهلت عقول الجاهليين فحاروا فيما يقولون فيه : أشعر هو أم سحر ؟ أكلام بشر هو أم كلام فوق طاقة البشر ؟ وهذه الصفات نفسها هى التى ساقت بعض علماء المسلمين لأن يقولوا[٣] إن القرآن معجز لأن الله يحيط بالألفاظ والمعانى فيقدر الألفاظ على أقدار المعانى فينتظم منها ما يسحر اللب ويأخذ القلب وهى التى ميزت فن القرآن عن غيره من فنون الأدب .

وهكذا نصل فى النهاية إلى أن هذا الكتاب العزيز خير ما عرفه الأدب الإنسانى ، وأن صياغة هذا الكتاب ليست مما من شأنه أن يخضع للطاقة البشرية ، وأن معانيه ليست مما يأتى بمثله الفكر الإنسانى ، وأننا **فى دراستنا الأدبية للقرآن الكريم نستطيع أن نستنبط أصول نظرية أدبية متكاملة تقوم على الخصائص التالية :**

١ ــ أن القرآن ليس على أعاريض الشعر فى رجزه ولا فى قصيدة وليس على سنن النثر المعروف فى إرساله ولا فى تسجيعه ، ولكنك مع ذلك تقرأ بضع آيات منه فتشعر بتوقيع موزون من تتابع آياته ؛ بل يسرى فى صياغته وتآلف كلماته ، وتجد فى تركيب حروفه تناسقاً عجيباً بين الرخو

(٢) أمين الخولى فى مجلة كلية الآداب المجلد الرابع جـ٢ ديسمبر ١٩٣٦ .

(٣) البيان فى إعجاز القرآن للخطابى .

منها والشديد والمجهور والمهموس والممدود والمقطوع بحيث يؤلف اجتماعها بعضها إلى بعض لحنا مطرباً يفرض نفسه على صوت القارىء العربى كيفما قرأ إذا كانت قراءته صحيحة .

٢ ـ من أجل مظاهر الإبداع الأدبى فى القرآن أن التعبير القرآنى يظل جارياً على نسق رفيع واحد من السمو فى جمال اللفظ ورقة الصياغة وروعة التعبير برغم تنقله بين موضوعات مختلفة من التشريع والقصص والمواعظ والحجاج والوعد والوعيد والإلهيات وذلك ما يعجز عنه جميع من عرفنا من فحول العربية والبيان .

٣ ـ أن معانيه مصوغة بحيث يصلح أن يخاطب بها الناس كلهم على اختلاف مداركهم وثقافتهم ، وعلى تباعد أزمنتهم وبلدانهم ، ومع تطور علومهم واكتشافاتهم ؛ فالآية تعطى كل منهم من معناها بقدر مايفهم ، وما يفهم المتأخرون من معاينة زيادة كان مطويا عن السابقين لعدم وجود ما ينبههم إليه إذ ذاك .

٤ ـ التكرار ، وهذه الخاصية ماتزال موضع البحث ، والتكرار فى القرآن نوعان :

( أ ) تكرار بعض الألفاظ والجمل .

(ب) تكرار بعض المعانى كالأقـــاصيص والأخبار .

فالنوع الأول يأتى للتأكيد وينطوى على نكت بلاغية كالتهويل والإنذار والتجسيم والتصوير ، وللتكرار أثر بالغ فى تحقيق هذه الوجوه البلاغية فى الكلام ، وكل ماقى القرآن من تكرار الكلمة أو الجملة من هذا القبيل وعلى مثل هذا الإشراق .

وأما النوع الثانى منه وهو تكرار المعنى كتكرار بعض الأقاصيص والأخبار فإن من أغراضه غرضان مهمان هما :

( أ ) تثبيت هذا المعنى فى الأذهان بأشكال متعددة وهذه طريقة تربوية ناجحة .

(ب) التفنن فى القول ليتجلى إبداع القرآن وقصور الطاقة البشرية عن تقليده . ومن هنا لانعثر فى القرآن على معنى يتكرر بأسلوب واحد ، ويلاحظ مع تغير الأسلوب اللفظى تغير الطريقة فى التصوير والعرض ـ وسبب ذلك أن القرآن جاء خطابا للناس كلهم فمنهم من لا يكفيه الموجز والخلاصة ، ولا يفيده إلا الأطناب .

٥ ـ تداخل الأبحاث والموضوعات فى معظم الأحيان وهو مظهر انفرد به القرآن واستقل عن كل مألوف ومعروف من طرائف البحث والتأليف . نسق غير معهود فى منهجه وأسلوبه وتعبيره ، ومن الخطأ أن نلزم القرآن بمعايير عصرنا فى التأليف ونقده وهو عرف وليس مثلا أعلى إلزامياً ؛ ثم إن المناهج تتناسخ والأساليب تتطور .

ثم إن هذه الخاصة نابعة لحكمة عليا هى أن القرآن جميعه يدور على معنى كلى واحد هو دعوة الناس أن يكونوا عبيد الله بالفكر والاختيار كما خلقهم عبيدا له بالجبر والاضطرار ، وأن أمامهم حياة ثانية تضؤل أمامها الحياة الحاضرة والقرآن يبث هذا المعنى الكلى الخطير فى جميع موضوعاته من تشريع ووعد ووعيد وقصة وأمثلة ووصف وإنما يتحقق ذلك بهذا النسق من التداخل والتماذج فى المعانى وذلك ليتنبه الفكر ويظل مستيقظاً للحقيقة الكلية الكبرى التى تطوف بها جميع المعانى والأبحاث . ثم للقرآن ـ بعد ـ وحدته الفنية الرائعة .

٦ ـ الكلمة القرآنية تمتاز بجمال الإيقاع فى السمع والاتساق مع المعنى فتشم رائحة المعنى أو تلمسه فيها ، وباتساع دلالتها بطريق الإيحاء

والشمول فتنوب كلمة عن كلمات أو جمل وقد توجد فى بعض تعابير الأدباء هذه الخواص ولكن اجتماعها كلها لا يتوافر إلا فى القرآن .

٧ ـ من خصائص الجملة القرآنية أن القارىء لا يشعر بالملل حين يتلوها مهما أكثر وكرر .

٨ ـ ومن خصائصها إخراج المعنى المجرد فى مظهر الأمر المحس الملموس وبث الروح والحركة فى هذا المظهر نفسه بحيث تتحرك فى الخيال كأنها قصة تمر أحداثها على مسرح يفيض بالحياة والحركة المشاهدة الملموسة ويستقبل القارىء والسامع معانى الآيات بكل عقله وخياله معاً وكلام غير الله يتفاعل فيه العقل وحده مع الكلام والمعانى إلا فى الموضوعات التى تقوم فى جوهرها على التخيل والتصوير والتجسيم .

٩ ـ يتكون منهج القصة فى القرآن من المظاهر التالية :

( أ ) التكرار ولكن القرآن يتناول فى كل مرة جانباً تستدعيه المناسبة .

(ب) الاقتصاد من حوادث القصة على ما يتعلق به الغرض .

(١٠) الخصائص الفنية للقصة فى القرآن يمكن ارجاعها إلى ما يلى :

( أ ) الغرض التصويرى .

(ب) التنويع فى استهلاك القصة ووضع المدخل إليها وهى تبدأ فى أكثر الأحيان بأغرب مشهد يلفت النظر إليها ولو كان متأخراً فى سياق القصة .

(جـ) العرض التمثيلى الذى يبرز المشاهد حية مشرقة أمام الناظر .

(١١) النزعة الإنسانية فى القرآن :

فالقرآن كتاب عربى نزل بلغة عربية ولهجة أوسط القبائل العربية ولكنه ليس فيه إلا السمة الإنسانية المطلقة ولم يتأثر فى مبادئه وأفكاره بالبيئة أو الإقليم أو القوم الذين ظهر بينهم فهو إنسانى النزعة ، وكان فيما يخص العقيدة للعاملين طرا ولم يكن لقوم دون آخرين ، والقرآن من هذه الزاوية يقدم المثل الأعلى للأدب .

وتتمثل النزعة الإنسانية أيضاً فى أسلوب القرآن فهو يتجه بالخطاب إلى الناس أو بنى آدم أو المؤمنين وبرغم أن القرآن نزل منجما بحسب الوقائع والمشكلات ولكنه لم يسجل أى اسم من أسماء أولئك الذين نزلت فى حقهم آيات وأحكام وإنما نزلت الآيات موضوعية عامة كى يبقى القرآن إنسانيا يضع المبادىء والمناهج للبشر جميعهم . وهناك آيات نزلت مدحاً أو ذماً لأشخاص بأعينهم ولكنها جاءت بصيغة العموم .

١٢ ـ حكمة القرآن فيما يخص الإنسان والكون والحياة تقوم على أسس حضارية شاملة بحيث تتفاعل فيها هذه العناصر الثلاثة الإنسان والكون والحياة . فى تناسق وانسجام .

ففيما يتعلق بالكون يبصر القرآن الإنسان به على أنه من إبداع الله لغرضين اثنين :

( أ ) أن يتأمل الإنسان فيه ليؤمن بالخالق وأنه عبد له ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾(٤) .

(ب) أن هذه المظاهر الكونية مسخرة لخدمة الإنسان ومصلحته وحاجاته ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾(٥) .

---

(٤) البقرة آية ١٦٤ وآل عمران ١٩٠ ـ ١٩١ .

(٥) البقرة ٢٩ .

وفيما يتعلق بالإنسان وصفه القرآن بأنه مخلوق يحمل أخطر المميزات والصفات من عقل وإدراك وقدرة على تحليل الأشياء وأثرة وحب تملك وقوة وحب عظمة ونزوع إلى السيطرة والكبرياء ، وهى أسلحة ذات حدين يمكن أن تستغل فى الخير والشر ، ولذلك كانت أمانة .

والإنسان فى القرآن خليفة الله فى الأرض ؛ فشاءت قدرته أن يكون مظهراً لعدالته وتطبيق أوامره ونواهيه ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾[٦] « وقوله » أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ[٧] .

ويصف القرآن الإنسان بعد هذا بصفتين :

( أ ) أنه خلقه ﴿ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴾ أى من نطفة ومن تراب : ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴾[٨] .

(ب) أنه كرمه وفضله ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَـٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَـٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَفَضَّلْنَـٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾[٩]

والإنسان فى القرآن أولا وأخيراً عبد الله ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴾[١٠] .

وفيما يتعلق بنظرة الإنسان إلى الحياة :

يتحدث القرآن عن الحياة الدنيا من جانبين :

( أ ) جانب قيمتها الحقيقية وعلاقتها بما وراءها وبالوجود بأسْرِهِ والحياة كلها وما يجب أن تكون عليه حالة الإنسان تجاهها فقيمتها الحقيقية أنها فانية ومتاع الغرور .

والجانب الآخر من الحياة الذى يتحدث عنه القرآن أنها وسيلة إلى تقديم معاشه ومعاده وإسعاد نفسه وبنى جنسه وعلى ذلك يأمر القرآن الإنسان بالإستفادة من الحياة على أن لا تكون همه الأول ـ وعلى أن تكون وسيلة للغاية الكبرى التى خلق من أجلها ، وسبيلا إلى سعادة الآخرة ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ﴾[١١] .

ويقول القرآن فى معارضة الانقطاع وعن متعة الحياة الدنيا وطيباتها : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَـٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَـٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾[١٢]

ويتبين من هذا أن محور المخلوقات كلها فى الرتبة والأهمية إنما هو الإنسان وأن الغاية التى خلق من أجلها أن يكون مظهراً لحكمة الله تعالى وعظمته وعدالته فى الأرض بما يلتزمه من منهج العبودية لله تعالى وأن محور الوجود كله هو الدار الآخرة وأن الدنيا مزرعة لها .

وتلك هى أسس الحضارة الإنسانية التى جاء بها القرآن وجعلها للإنسانية دستوراً ومنهجاً فى هذه الحياة وتلك أيضاً هى الفلسفة العليا للأدب الخالد والمثل الأعلى لذلك الأدب يقدمه الله تبارك وتعالى فى كتابه العزيز .

---

(٦) البقرة ٣٠ .

(٧) النمل ٦٢ .

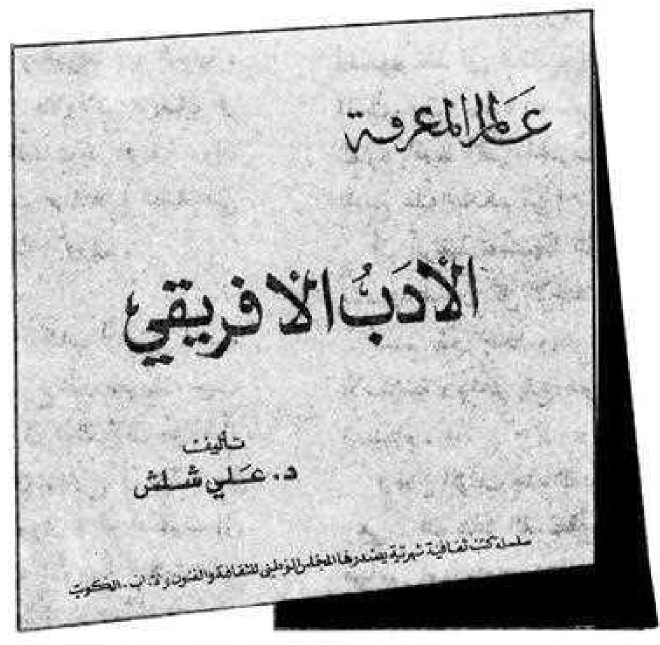
(٨) الطارق ٥ ـ ٧ .

(٩) الإسراء ٧٠ .

(١٠) الذاريات ٥٦ ـ ٥٧ .

(١١) القصص ٧٧ .

(١٢) المائدة




**عرض : عبير عبد الواحد**

**هذا الكتاب « الأدب الأفريقي » للأستاذ « على شلش» صدر بسلسلة « عالم المعرفة » التى يصدرها المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب بالكويت الشقيقة .**

**والكتاب هو الحادى والسبعون بعد المائة من هذه السلسلة ، من القطع المتوسط يقع فى سبع وخمسين ومائتى صفحة .**

**فى لمحة سريعة عُنى المؤلف بإبراز النقاط الهامة التالية :**

( ا ) صلته هو بالأدب الأفريقى وقد بدأت بقراءة لعدد من مجلة « اتلانتيك » الأمريكية عام ١٩٥٧ م

(ب) إعجابه بهذا الأدب الذى يحمل روح الكتابات العربية .

(جـ) الانفجار الكمى والكيفى لهذا الأدب الذى شمل القارة فى السنوات الثلاثين الأخيرة .

( د ) اهتمامه — وهو اهتمام طبيعى — بهذا الانفجار الأدبى لافريقيا غير الناطقة بالعربية .

(هـ) ايضاحه الشديد لموقفه من هذه الدراسة فقد رأى بحق ان كتابا واحدا فى هذا الحجم لا يمكن أن يغطى دراسة أدبية أصيلة لقارة .

( و )عَمْدُهُ إلى أنسب طريقة للدراسة فى هذه الحالة وهى العرض والتعريف مع ما يحتمله العرض من المقارنة والتحليل والاهتمام بالتطور التاريخى لأدب هذه المساحة الشاسعة .

( ز ) إشارته إلى أهم المؤثرات الخارجية والداخلية التى قادت حركة هذا الأدب .

( ح ) تناوله لخمسة أجناس أدبية من هذا الأدب

هى على الترتيب التالى حسب عراقتها : الشعر ، المسرحية ( الدراما ) ، الرواية ، القصة ، السيرة : فالاولان عريقان فى افريقيا لم ينقلا عن ثقافات غير افريقية ، وإن انتفعا بهذه الثقافات ثم الثلاثة التالية التى استمدت من التراث الأوربى .

يحاول المؤلف فى هذا الكتاب أن يلقى الضوء على « الأدب الأفريقى خارج مجال العربية » حيث كتب بغير العربية سواء فى ذلك شمال القارة أو جنوبها هذا الأدب الذى يتدرج فى مجاله من الأدب الشعبى ( الفولكلورى ) غير المكتوب إلى الأدب المكتوب باللغات الأوربية الثلاث التى دخلت فى ركاب السيطرة الاستعمارية وهى بترتيب ظهورها فى أفريقيا — البرتغالية والانجليزية والفرنسية ثم يشمل أدب اللغات الأفريقية المكتوبة مثل السواحلية والزولو والهوسا .. يناقش المؤلف هذا الأدب متناولا إياه من خلال الخمسة الأجناس الأدبية التى أشرنا إليها .

يتناول المؤلف دراسته فى هذا الضوء « الأدب الافريقى خارج مجال العربية » وهو مصطلح اختاره لنفسه بعد دراسة تحليلية لعدة مصطلحات غير موفقة صدرت عن مآرب استعمارية غير علمية وغير أمينة مثل : الأدب جنوب الصحراء ، أو أدب أفريقيا غير الأسلامية ، أو أفريقيا الزنجية ، أو هذا المصطلح الغامض « أجيسيمبا AGISYMBA » هذا المصطلح البطليموسى الغامض الحدود انظر ص ١٦ .

وانصافا للنقد نبين توفيق الله — تعالى — للكاتب فى اختياره لمصطلحه هذا ، وردِه لمصطلح « الأدب الإفريقى الذى نبت نباتا استعماريا أخذ به جمهور المستفرقين AFRICANISTS ورضى به بعض أدباء افريقيا أنفسهم فقد بين الكاتب أن هذا المصطلح يعنى المناطق التالية جنوبا للصحراء الكبرى حتى التقاء القارة بالمحيط أقصى الجنوب : ونشأ هذا التفسير المجمع عليه عندهم من إجماع لهم سابق يرى :

أن أفريقيا تقسمها الصحراء الكبرى إلى قسمين مختلفين كل الاختلاف .

قسم يقع شمالها ويسمونه « أفريقيا العربية الاسلامية » وآخر يقع جنوبها ويسمونه « أفريقيا السوداء .. » .

يرفض المؤلف هذه القسمة لعدة اعتبارات ألا وهى : **أن هذه القسمة وضعت فى ظل إطار سياسى استعمارى هدفه تشطير القارة وتدعيم تجزئتها فلم تكن الصحراء الكبرى هذه فاصلا حقيقيا بين الشمال والجنوب قبل السيطرة الاستعمارية ولا كانت حائلا دون دخول « أفريقيا السوداء » فى الإسلام إبان العصور الوسطى .**

**كما أن انتشار الثقافة العربية والإسلامية جنوب الصحراء الكبرى ، وتغلغلها فى ثقافات الشعوب الزنجية هناك قد شكلا مؤثرا مهما من المؤثرات فى الثقافة والأدب بل قد نشأت جنوب الصحراء ممالك وأمبراطوريات إسلامية كان حصيلتها — فى النهاية — أن الإسلام أصبح دين الأغلبية بين شعوبها حتى اليوم ص ١٥ فانتشرت الثقافة الإسلامية جنوب الصحراء انتشارا سلميا — .**

هذا وخارج مجال العربية ذكر المؤلف عدة خصائص للأدب الافريقى من بينها : أنه حديث النشأة ، محدود الكم ، وإن كان متزايد الظهور .

أما عن الخصائص المتعلقة بالكتابة والكتاب فمن بينها :

ضآلة الحصيلة النهائية للكتاب والكتب بالقياس إلى عدد السكان .

وضآلة حجم اللغات المستخدمة فى التعبير الأدبى المكتوب ، سواء كانت لغات محلية أو أجنبية بالقياس الى مجموعة اللغات المتاحة للتعبير ويعنى ذلك أن فرص ازدياد حجم التعبير الأدبى كبيرة ، وأن تدوين اللغات غير المدونة واجب قومى ووطنى .

كذلك نلاحظ أيضا انقراض عدد من اللغات الأوربية الوافدة كأداة للتعبير الأدبى ، مثل اللاتينية والأسبانية والألمانية والهولندية ، وسيادة ثلاث لغات أوروبية معينة هى : الانجليزية والفرنسية والبرتغالية على التوالى .

ولقد تعرض الكـاتب لمشكـلات الأديب ومشكلات الدارس .

## مشكلات الأديب :

رأى المؤلف ان تجربة الكتابة الأدبية خارج مجال اللغة العربية اكتنفها منذ البدء جو من الشعور المزدوج بالغربة ، الغربة داخل الوطن نتيجة لاستئثار المستعمر بكل شىء والغربة داخل اللغة نتيجة لاضطرار الكاتب إلى التفكير بلغة أمه والكتابة بلغة مستعمرة كما أن الكاتب يشعر بالقلق لضآلة جمهوره إذا كان يكتب بلغة إفريقية مدونة وفى كلتا الحالتين يعانى الكاتب من ضيق رقعة القراء الناتجة عن ارتفاع نسبة الأمية .. كذلك فلقد ارتبطت تجربة الكتابة الأدبية هنا بفكرة الالتزام السياسى والاجتماعى سواء إبان السيطرة الاستعمارية ، أو فى ظل الحرية والاستقلال .

ونلاحظ أن هذا الالتزام هو التزام تقليدى أو فطرى وأنه امتداد لالتزام الكاتب بقومه أو بقبيلته فالكاتب التقليدى والمعاصر مشغولان بقيم قومهما ومجتمعهما قبل أى شىء آخر .

كذلك من أهم المشكلات مشكلة « أدب التلمذة » وهو الأدب الذى يحتذى فى أسلوبه النماذج الأوروبية ، ويتخذ فى مضمونه « أيديولوجية » الاستعمار وأشكاله الاجتماعية وعلى هذا النحو يصبح كل ما هو أوروبى ممتازا وتقدميا وأفضل من التقاليد الأفريقية التى تصور – بشكل مباشر أو غير مباشر – على أنها رديئة وبدائية ووثنية .

## مشكلات الدارس :

أما عن المشكلات التى تواجه الدارس فمن بينها : مشكلة الأدب الشفهى الذى لا يعرف مؤلفا محددا وتتناقله الشفاه من مكان الى آخر ومن جيل الى آخر ، والذى لم يُجمع حتى اليوم بطريقة شاملة ومنظمة .

ومن بين مشكلاته أيضا مشكلة المراجع حيث نلاحظ أن جانبا هاما من الأدب المكتوب بلغات أفريقية ما زال بعيدا عن متناول الدارس غير المتخصص فى هذه اللغات .

## مع فصول الكتاب :

فى الفصل الأول يقدم الكاتب الشعر الافريقى خارج مجال العربية حيث للشعر بوجه عام سبق فى آداب الأمم وهو هنا كذلك ، بل إن له مكانة بارزة فى الآداب المكتوبة وغير المكتوبة على السواء وهنا يميز بين أربعة أنماط من الشعر هى بترتيب ظهورها :

١ – النمط الفولكولورى الغير معروف المؤلف الذى يتداول عن طريق الشفاه بلغة محلية غير مدونة .

٢ ـ النمط الشعبى ، المعروف المؤلف الذى يتداول عن طريق الشفاه أو التدوين منسوبا لمؤلفه ، بلغة محلية أيضا مدونة أو غير مدونة .

٣ ـ النمط المدون بلغة إفريقية منسوبا لمؤلفه .

٤ ـ النمط المدون بلغة أوروبية : البرتغالية والانجليزية والفرنسية ، وهى أبرز اللغات الأوروبية التى ظهر بها كثير من أدب القارة :ــ

فالنمط الأول ( الفولكلورى ) عريق غزير لا يمكن تحديد بدايته أو كميته .. ويشمل الكثير من الأنواع وتختلف كل جماعة أو قبيلة عن الأخرى فى حجم أنواعه فعند ( اليوروبا ) ـ فى جنوب غرب نيجيريا ـ نجد مدائح الآلهة والبشر والحيوان والنبات ، كما نجد شعر الأنساب وأغانى الصيد وشعر الحفلات التنكرية وشعر الرُّق والتعاويذ والأغانى العادية وشعر السحر المستخدم فى إلحاق الخير أو الأذى ولكل نوع من هذه الأنواع قواعده وشروطه وأوزانه .

وعند ( الزولو ) فى أقصى جنوب القارة يوجد الكثير من هذه الانواع الى جانب اهتمام خاص بشعر الحرب والقتال والبطولات .

أما النمط الشعبى ـــ وهو الثانى من أنواع الشعر ـــ فمن الصعب أيضا تحديد بدايته أو كميته ومن السهل العثور على شعرائه بين القبائل والجماعات ، فللشاعر وظيفة اجتماعية ، إذ أنه يعبر عن قيم الجماعة وثقافتها ، ويرفه عنها ويعلمها حين تكون مهمته رواية سيرة أو ملحمة ، وعندئذ يتحول إلى التشخيص والتمثيل أثناء إلقائها حتى يوصل رسالتها إلى جمهوره ، فالشاعر الشعبى ـــ على الصعيد العام ـــ أشبه بالصحاف والمؤرخ والمغنى للجماعة فى آن واحد بل أصبح فى عهد السيطرة الاستعمارية مناضلا وطنيا يستخدم شعره فى تذكية نار النضال إلى جانب إبداعه السير والملاحم البطولية ، ويعد الشعر الملحمى أبرز تراث اللغة السواحلية وقد تأثر فى موضوعاته وأشكاله بالعربية والفارسية والأردية التى دخلت إلى الساحل الشرق الإفريقى منذ القرن الثانى عشر . وبعضه ترجمة للقصائد والمطولات العربية ولا سيما فى السيرة النبوية والمغازى الإسلامية ويؤلف فى مقطوعات رباعية ويتكون كل بيت من ثمانية مقاطع ، وأهم ملاحمه وأطولها « الملحمة المحمدية » وهى تسجيل منظوم للسيرة النبوية ، يبلغ عدد مقطوعاتها ( ٦٢٨ ) مقطوعة أى ( ٢٥١٢٠ ) بيت ، وبذلك تعد أطول ملحمة فى أفريقيا .

وتواترت الملاحم فى « السواحلية » وتنوعت فى أغراضها ، فشملت :

السيرة النبوية والحروب والغزوات الاسلامية وغزوة على بن أبى طالب لليمن وسيرة الحسين بن على ـــ رضى الله عنهم « فضلا عن سير آل البيت ونسائه والأنبياء ـــ عليهم الصلاة والسلام ـــ كما شملت حروب المقاومة للسيطرة الألمانية فى أواخر القرن الماضى وبلغ ما جمع من هذه الملاحم عام ١٩٧٢ أكثر من ( ٧٠ ) سبعين ملحمة معظمها حفظته المخطوطات .. وهكذا الحال فى لغة الإيجوية فى غرب نيجيريا . ومن أطول ملاحمها ملحمة « أوزيدى » التى تدور حول بطل شعبى بهذا الاسم قاوم الطغيان فى قومه حتى مات وهو يقاتله ، فخلفه ابنه ـــ الذى حمل اسمه ـــ ثم اخذ بثأره .. ونلمس ذلك أيضا عند ( الزولو ) فى الجنوب ، حيث تكثر ملاحمهم بسبب كثرة الحروب بينهم وبين جيرانهم ، أو بينهم وبين الغزاة الطامعين من الأوروبيين .

لقد استلهم أدباء أفريقيا « تشاكا » وهو ملك وبطل قومى جمع ما تفرق من قومه ووحدهم .

لقد استلهم أدباء أفريقيا المحدثين والمعاصرين من

هذا التراث الشعبى والفولكلورى الكثير من الأشعار والقصص والروايات والمسرحيات **حتى أصبح التراث الفولكولورى والشعبى يؤدى للأدب الحديث المدون ما سبق أن أداه التراث الاغريقى والرومانى للأدب الأوروبى عند نهضته** . أى حين أصبح من أهم ركائز هذه النهضة .

وأما النمط المدون بلغة[1] أفريقية فهو محدود ، لان عدد اللغات ذات الأبجدية المدونة قليل بالقياس إلى مجموعة اللغات الأفريقية السابقة وأقدم ما وصلنا من هذا الشعر تضمه ( اللغة الأمهرية ) فى إثيوبيا ويرجع الى القرن الرابع عشر ويليه ( لغة الهوسا ) فى شمال نيجيريا وغربها . ويرجع الى القرن السابع عشر . ثم يليه ما تضمه ( اللغة السواحلية ) فى شرق أفريقيا ( كينيا وتنزانيا ) ويرج الى القرن الثامن عشر وأخيرا يأتى الشعر الذى تضمه ( لغات اليوروبا ) جنوب غرب نيجيريا والصومالية والزولو والزوسا والسوتو بجنوب أفريقيا ، ويرجع الى القرن التاسع عشر .

بدأ الشعر فى هذه اللغات بالأغانى والأهازيج ثم تطرق الى الأغراض الدينية والتعليمية . ولم يعبر عن قائليه إلا فى فترات متأخرة ، أى أنه سار فى خط تطور الشعر فى اللغات الأخرى العريقة ولكنه سبق الشعر المكتوب باللغات الأوروبية الثلاث المذكورة .. ولم يلق هذا الشعر أى تشجيع من السلطات الاستعمارية حين سقطت القارة فريسة لها ، وظل حبيس المخطوطات أو الطبعات المحدودة حتى نال أصحابه استقلالهم ابتداء من أوائل الستينات وبعدها بدأ الاهتمام الرسمى والشعبى به ..

هذا ولقد دخل الشعر فى لغات اليوروبا والزوسا والزولو والسوتو فى عنق زجاجة منذ عام ١٨٧٠ م تقريبا **فقد سيطر عليه الفرار من الواقع واليأس والتحليق فى الخيال مع شىء من الاحتجاج على ما يسود هذا الواقع من بؤس واضطهاد دون ابتعاد عن النغمة الدينية التى رافقت مولده .. وبهذه النغمة الاحتجاجية المشوبة بإيمانهم الدينى يقول الشاعر** ( س . مقايى — MGHAYI ) ص ٤٥ بلغة الزوسا فى مناسبة تكريم أمير ويلز عند زيارته لجنوب أفريقيا عام ١٩٢٥ .

انت يا بريطانيا ! يا بريطانيا العظمى !
بريطانيا العظمى التى لا تغرب عنها الشمس الساطعة !
لقد قهرت المحيطات وأفرغتها
وافرغت الأنهار الصغيرة وجففتها
وهى الآن تتطلع إلى السموات المفتوحة
أرسلت لنا الواعظ ، أرسلت لنا الزجاجة
أرسلت لنا الإنجيل ، وبراميل البراندى .

إلى أن يقول .. ها نحن نجلس فى الظلام .
نرتجف فى عتمة وجهل ، تحت شمس الظهيرة الساطعة ..

وكتب الشعر أيضا بـ ( اللغة الأفريكانية المشتقة من الهولاندية ) فى جنوب أفريقيا ومع أن هذه اللغة وقف على البيض من المستوطنين فكثير من الملونين من غير الأهالى الأصليين يستخدمونها ويوجد فى شعر هؤلاء المستوطنين أصوات إنسانية تشارك السود بعض أشواقهم ، وتتعاطف معهم فى محنتهم ومن أبرز شعراء هذه اللغة ( يوجين ماريز ) و ( لويس لايبولت ) و ( شيلا كاسونز ) و ( انجريد يونكر ) وغيرهم ص ٤٩ غير أن شعر اللغات المحلية المدونة هذه لم يكتسب حتى اليوم شيئا من لمعان شعر اللغات الأوروبية الوافدة ، لأنه لم يتهيأ له من المواهب والنشر والتيرس ما تهيأ للشعر المكتوب بلغات أوروبا الثلاث .

أما النمط الرابع ، وهو الشعر المكتوب باللغات الأوروبية فيرى المؤلف أن ظهوره يعود الى مجموعة من العوامل التاريخية والتربوية أهمها السيطرة

الاستعمارية والدعوة إلى النصرانية وشروعها فى فرض لغاتها ونظمهما التربوية منذ وقت مبكر ومحاربتها اللغات المحلية المكتوبة وغير المكتوبة على السواء .. **ومع التعليم الأوروبى الدينى والمدنى خرجت أجيال بعد أجيال من الشعراء والأدباء الذين تسللت إليهم عن طريقة الثقافة والتراث الأدبى الأوروبى ولم يجد معظمهم لغة محلية ذات أبجدية مدونة تقاوم ذلك الزحف الأوروبى المنظم**

قال المؤلف ص ٥١ ومن التعليم الأوربى الدينى والمدنى ـــ على السواء ـــ خرجت أجيال بعد أجيال من الشعراء والأدباء ثم عرج الكاتب لعرض تطور هذا الشعر مع التوقف عند شاعر فى كل من اللغات البرتغالية والانجليزية والفرنسية .

**نماذج المؤلف :**

اختار المؤلف من شعراء البرتغالية الأفريقى « أجوستينونيتو ١٩٢٢ ـــ ١٩٧٩ » شعراء ما بعد ( الرومانتيكية ) وعرض لحياته حتى صار أول رئيس لبلاده ( أنجولا ) وقد تأثر شعره بنضالة ضد الاستبداد وطلبا للحرية وأورد آخر قصائده ( يجب أن نعود ) التى كتبها فى سجنه عام ١٩٦٠ وأورد القصيدة ص ٥٤ :

« إلى بيوتنا .. إلى اعمالنا .. إلى الشواطىء .. إلى حقولنا يجب أن نعود » .

وفيها يذكر ـــ بحرارة ـــ العودة إلى البحث عن مصادر الثروة فى بلاده ، وإلى التنعم بخيراتها فى ظل أمن وسرور وسلام ثم ينتهى إلى القول :

يجب أن نعود
إلى الريف الأنجولى الجميل .. إلى أرضنا .. أمنا
يجب أن نعود
يجب أن نعود
إلى أنجولا المحررة .. أنجولا المستقلة .

ومع الانجليز برز الشاعر « كريستوفر أوكيجبو ١٩٣٢ ـــ ١٩٦٧ » من نيجيريا وغيره كثير وتأثر شعرهم بنظيره الانجليزى دون أن يفقد أصالته الوطنية كما تأثر بالتراث الشعرى العالمى ، وكان يندد بما أسموه الأدب الافريقى ويقول : لا يوجد أدب إفريقى ، وانما يوجد أدب جيد وأدب ردىء ، ولا شىء غير ذلك وفى إحدى قصائده يقول ص ٦٢

إذا لم أتعلم كيف أغلق فمى
سأمضى سريعا إلى جهنم
أنا أوكيجبو منادى المدينة
ومعى جرسى المصنوع من الحديد

وقدم المؤلف دراسة مستوعبة لهذا الشاعر الذى رفض أخذ الجائزة الأولى عن شعره فى مهرجان داكار عام ١٩٦٦ .

وأهتم بالشاعر ( سنجور ) « أهم شاعر أفريقى كتب بالفرنسية » فشعره من الموهبة والأصالة والغزارة بحيث يشكل عالما بذاته ، كان سنجور كثير الاحتجاج على التفرقة العنصرية والاجتماعية ، عميق الوعى بعذاب الانسان على أخيه دون أن تنسيه هذه المشاعر الإحساس المتأصل بالرنين والإيقاع والرمز ودقة التعبير ، وهذه قطعة من قصيدته « نيويورك » حين زارها فى أعقاب الحرب ص ٧٠ .

نيويورك اسمعينى يانيويورك
دعى الدم الأسود يجرى فى دمك
عساه يزيل الصدأ عن مفاصلك الصلبة
كأنه زيت الحياة
فيكسب جسورك استدارة التلال
ومرونة النباتات المتسلقة

وعاد إلى الأوطان الجديدة عدد كبير من الشعراء المشردين والمنفيين والدارسين فى أوروبا بصفة خاصة .. ومع توالى السنين لم تعد السنجال مركز

الشعر الأفريقى خارج مجال العربية ، بل شاركتها نيجيريا والكونغو وأوغندا وكينيا وأنجولا وجنوب أفريقيا ، فتعددت مراكز الشعر ، وظهرت مواهب جديدة ولم يعد للقصيدة تلك الرسالة الاجتماعية والسياسية الصارخة التى كانت لها فى العهد المباد ، فقد شاعت القصيدة الغنائية ، ودخل سوق الشعر الشكل الدرامى ، واتخذ التعبير الشعرى بعدا جديدا هو الارتباط بقضايا الإنسان الأفريقى فى إطار مضمون العهد الجديد .. مضمون إعادة البناء ، وسيادة الحرية ووصل ما انقطع من التاريخ .

يقول المؤلف : إن هذا الشعر كله بعهديه تربى فى كنف الواقع الأفريقى المتغير ، وأنه تربى أيضا من حيث الشكل إلى حد كبير — فى كنف الشعر الأوروبى بمختلف مذاهبه وتياراته ولكنه لم ينشىء أنماطا واضحة محددة من هذه المذاهب والتيارات . فما أكثر ما نجد فيه التداخل والاختلاط بين الرومانتيكية ، والكلاسيكية ، والواقعية والرمزية والسريالية ، حتى عند الشاعر الواحد ولكننا لا نجد أثرا لما يسمى فى أوروبا باسم « المصطلح الشعرى » فكل الالفاظ تصلح للشعر حتى فى لغة الحياة اليومية والعبرة بالموقف والمناسبة بل إن اللهجات الشعبية وجدت أنصارا لها يكتبون بها ..

ويتساءل المؤلف : أين تكمن الخصوصية فى هذا الشعر ؟ .

ويجيب قائلا : بأن خصوصيته تكمن فى ارتباطه الشديد الواضح بالأرض التى تنتجه من خلال ارتباط الشعراء أنفسهم بهذه الأرض ، والتزامهم بالتعبير عن آلام أهلها وآمالهم ، ولابد أن نأخذ الأرض هنا بالمعنى الواسع للكلمة الذى يجعلها مهدا لثقافة معينة بالمعنى ( الأنثروبولوجى ) أى من حيث كونها حصيلة طرق الانتاج والتقاليد والقيم ، ورؤية الكون ، وأساليب التعامل والتفاهم ..

ويقول المؤلف : إن الشعر المكتوب بالفرنسية قاد حركة الشعر الأفريقى فى اللغات الأوروبية الثلاث طوال عقدين من الزمان . وفى أوائل الستينات عندما هبت رياح الحرية والاستقلال انتقلت القيادة إلى الإنجليزية . أما البرتغالية فلم يحن دورها بعد ، فيما يبدو .

**وبعـــد :**

فإن هذا العرض الميسر لأحد أركان هذا الكتاب الخمسة ، لا يعكس ما فى هذا السفر من عمق لدراسة أصيلة لموضوعية فى حدود ما عرف من ميادين تناوله ، وإشاراته الصريحة إلى أن كثيرا من أبواب هذا الأدب لا يمكن لهذا الكتاب أن يتناولها ، وقد وضع بين يدى قارئه أسباب ذلك ص ١٦ وغيرها من الكتاب .

فى هذا الكتاب يلتقى العربى بكثير من مواقع المشابهة لهذا الأدب مع فجر الأدب العربى حتى لتكاد أن تكون الثمار واحدة .

ومع ذلك حمل الكتاب عنوانا لم يرض عنه الكاتب . كما أن اختياره لعنوان يحدد — الى قدر ما — ميدان دراسته لم يكن مقنعا تماما ، فإن عبارته « الأدب الافريقى خارج مجال العربية » أفقدنا أدباء أفارقة من أبناء نيجيريا وغيرهم تكلموا الشعر بلغة عربية بليغة ، عُرِض بعضها على مجلة الأزهر ، ولا زال من أبناء إفريقيا خارج البلاد العربية من يستهويه الأدب العربى فيصدر عنه — بلغتنا — بحرارة وحب يثير الإعجاب .. فأين دورهؤلاء من دراسة الدكتور على شلش ..

وهذه الملاحظة — على أية حال — لاتنال من سفر غُنى صاحبه أن يقدم دراسة منهجية رائعة لأدب حضارى متقدم استطاع أن يهز امبراطوريات كما استطاع أن يلمس بإنسانيته مواطن الاعجاب .




## جـــريمتهم الإســلام!!

بهذا العنوان تلقت المجلة كلمة القارىء/محمد أبو اليسر ـ الطالب بكلية التربية النوعية شعبة الإعلام بمنية النصر ـ وفيها يرثى لحال المسلمين والأقليات المسلمة فى العالم ، فمنهم من شاعت بين صفوفهم روح الفرقة والانقسام ، ومنهم من فقدوا النصير وذاقوا الهوان والقهر والحرمان من أبسط حقوق الإنسان ، وعلى مرأى ومسمع من المجتمع الدولى ، فماذا فعل لهم ؟ لا هو الذى وافق على مساعدة المسلمين فى تسليحهم ليدافعوا عن أنفسهم ، ولا هو الذى أخذ على عاتقه حمايتهم ورد اعتبارهم ، فما ذنبهم غير انهم اتخذوا الإسلام دينا .

# المصالحات العربية ضرورة حتمية

ليس من شك أن المصالحات العربية أصبحت ضرورة حتمية يحتمها علينا الواقع الذى نعيشه ، ففى الوقت الذى أصبح فيه العالم يرتكز أساسا على التحالفات والتكتلات نجد التحالف العربى ضعيفا واهنا إذا ما قورن بحجم التحالفات والتكتلات العالمية .

وها هى الأحداث من حولنا تحث ـ يوما بعد يوم ـ على التعجيل بالمصالحات العربية وتجاوز الخلافات من أجل إيقاف التردى العربى والحفاظ على ما تبقى للمسلمين من موارد ، وصياغة التضامن العربى بالشكل الذى يُمكنُ من مواجهة التحديات والأخطار المحدقة بمجتمعاتنا حول هذا المعنى يشير القارىء/يحيى السيد النجار ـ دمياط شارع الحزاوى . ج.م.ع ـ إلى قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ الأنعام : ١٥٣ ، وإلى قوله تعالى : ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾ العمران : ١٠٣ ، ويقول : إن موقف الإسلام واضح إذن ، ولكن أين نحن من العمل الجاد وحمل الأمانة ؟!

# محاسبة النفس مبدأ إيمانى

كما وصلتنا رسالة القارىء/يحيى عبدالغنى إبراهيم ـ ليسانس الشريعة والقانون من جامعة الأزهر :

وفيها يؤكد على ضرورة محاسبة النفس فى الدنيا قبل أن تحاسب فى الآخرة ، على أن ذلك لا يتم الا إذا وزن العبد أعماله بميزان الشرع ، فيعرض نفسه على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ليعرف أين هو ؟! ومما جاء فى رسالته قوله : « محاسبة النفس هى أولى مراتب الاصلاح وغـــايتها فى نفس الوقت ؛ فبها يتجنب الإنسان الزلل وينجو من المهالك ، وبدونها يفتقد الإنسان وسيلة كان من الممكن أن يزيد بها إيمانه ويقوى بها ضميره بما يسعده فى الدنيا والآخرة .

ومحاسبة النفس تتطلب ضميرا يقظا يدرك به صاحبه أنه قد يفلت من عقاب الدنيا بالتحايل وإظهار التقوى والصلاح ، لكنه لن يستطيع أبدا أن ينجو من عقاب الآخرة .

ويستطرد الكاتب فى تطبيق مبدأ « المحاسبة » على النفس بحيث لا تكون هناك حركة أو هفوة دون أن يحاسب العبد نفسه عليها ، فإن كانت صائبة حمد الله وان كانت غير ذلك استغفر الله وتاب إليه .

# الحجاب فريضة شرعية

فرض الإسلام حجاب المرأة حماية للأخلاق ، وقد أوجب على المجتمع الحرص على شرف المرأة وكرامتها ، وعدم التعرض لها بالمعاكسة أو الإيذاء بالقول أو بالفعل ، كما بدا فى كثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ النور : ٣٠ ، وقد تلقت المجلة نداء القارىء/يحيى إبراهيم ـ بكلية الشريعة والقانون ـ جامعة الأزهر ـ والذى يتوجه به إلى الأخت المسلمة حيث تقع المسئولية على عاقتها فى المقام الأول يقول فى ذلك : « إن الحجاب تكريم من الله ـ تعالى ـ للمرأة المسلمة ، فهو صيانة لها وحماية ممن فى قلوبهم مرض ، وحتى لا تتعـــرض لمعاكسات الشباب فعليها أن تلتزم بالحشمة والوقار فى مظهرها وسلوكها وأن تتجنب ارتداء الملابس القصيرة والشفافة التى تبرز مفاتنها وتكشف عن عوراتها ، فتلفت بذلك أنظار الشباب وتكون عرضة لمعاكساتهم .

ولاشك أن المرأة التى لا تلتزم بشرع الله فى مظهرها أمرأة متبرجة تبرج الجاهلية .. وهذا ما نهى الله ـ تعالى ـ عنه النساء فقال تعالى : ﴿ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ الأحزاب : ٣٣

# ردود وتعليقات

● القارىء/ربيع علوانى عبدالله ـ من الفيوم ـ اطسا ـ المختلطة ـ ج. م. ع :

نشكركم على تقديركم لأسرة تحرير مجلة الأزهر ، وبعون الله ـ تعالى ـ تكون دائما عند حسن ظن القراء فى أداء رسالتها ، ومرحبا بك صديقا للمجلة ، وفى انتظار ما يعن لك من أفكار ومقترحات .

● القارىء/أسامة شفيق عطا بسيونى ـ قرية سجين ـ مركز قطور ـ محافظة الغربية ـ ج. م. ع :

شعورك بأن مجلة الأزهر « جامعة دينية وعلمية » ـ بما تقدمه من زاد ثقافى رفيع المستوى ـ شعور طيب وله وجاهته ، وقد أعجبنا من أفكارك ما نقلته عن الحكماء فى « فوائد الصمت » من أنه يمنح صاحبه هيبة من غير سلطان ، ويغنيه عن الاعتذار ، ويزينه من غير حُلّى ، فضلا عن أنه يستر العيوب ويريح الكرام الكاتبين .

● القارىء/بوعنان عبدالباق ـ بدائرة جامعة ولاية الوادى ـ الجمهورية الجزائرية :
ليس فى الإمكان ـ حالياً ـ تزويدك بأعداد لاحقة من المجلة .

● القارىء/خيرى محمد ابراهيم أبو الروس ـ الجرايدة ـ بيلا ـ كفر الشيخ ـ ج. م. ع :
نتفق معك فى أنه لن يصْلح حال هذه الأمة إلا بما صلح به أولها ، وإن الذى صلح به أولها هو « الاتباع الكامل » لكتاب الله ـ عز وجل ـ وسنة رسوله ﷺ وعسى الله أن يعيننا حكومة وشعبا على هذا الاتباع ، أما كلمتك عن « الجرأة فى الحق » فعسى أن نتمكن من عرضها فى عدد لاحق .

● القارىء/جومدى يوسف ـ بلدية الرتيبة ـ ولاية الوادى ـ الجزائر :
للاشتراك بمجلة الأزهر عليك الاتصال بمؤسسة الأهرام ـ قسم الاشتراكات ـ شارع الجلاء ـ القاهرة ـ ج. م. ع .

● القارىء/محمد حسن قنديل ـ الجدية ـ رشيد ـ بحيرة ـ ج. م. ع :
إن باب « بين المجلة والقارىء » لا يحدد شروطا لمن يكتب فيه ، إنما يستقبل ما يصله من أفكار القراء واقتراحاتهم ، فنعرض لمحتوى بعضها ـ كما تلمس ـ ونخص البعض الآخر بالتعليق وفقا لما تقتضيه طبيعة الرسالة ومساحة النشر .

أما اقتراحك بأن يصدر الأزهر تفسيرا ـ نصف شهرى ـ باسم « تفسير الأزهر » فلا مبرر له حيث والى إصدار « التفسير الوسيط » على أعداد حتى اكتملت أجزاؤه ، وفيما يتعلق بانشاء باب فى المجلة عن « المكتبة الإسلامية » للتعريف بالانتاج الفكرى فى مجال الثقافة الإسلامية فسوف تدرسه إدارة المجلة ، وقد تفسح له فى صفحاتها مستقبلا .

● القارىء/يسّ فرج جلال ـ مدير تعليم سابق بتفتيش إدفينا مركز رشيد بالبحيرة :
يمكن البحث عن الأعداد القديمة من مجلة الأزهر فى ( مرتجعات ) المجلة بإدارة مشتريات الأزهر خلف مدينة البعوث الإسلامية بالقاهرة .

● القارىء/رجب سيد عياد البرديسى ـ باحث تربوى ببنى سويف ـ الواسطى ـ صفط الشرقية :
مرحبا بتعليقاتك ، وفى النية تخصيص ركن فى هذا الباب تحت عنوان « وصلت رسائلكم » كما اقترحت ، لكن عندما يستدعى حجم الرسائل هذا ، كما نشكركم على إعدادكم الجيد لصحيفة استطلاع الرأى العام فى تدريس الثقافة الإسلامية بجميع الجامعات ، غير أن المساحة لا تفى بنشره .

● القارىء/عبدالنور محمد ـ حى ديار الحلوة ـ الجزائر :
مرحبا بك صديقا دائما للمجلة وفى انتظار مراسلاتك .

● بمشيئة الله تعالى ـ سيوالى الباب اهتمامه بعرض الرسائل التى تلقاها تباعا .

# ردود خاصة بمشتركات المجلة

■ إلى الاخوة والأخوات طالبى تزويدهم بالمجلة (مجانا) نرجو أن تتاح لنا فرصة الإعداد لهذا العمل بافتتاح قسم خاص لإجابة هذه الطلبات ، فأما (حاليا) فإن القدر المطبوع لا يفى بهذه المطالب .

■ وأما بالنسبة لطالبى الاشتراك بالمجلة ، فإن الاشتراك فيها يعد بحساب سنة كاملة ومن الأفضل أن تكون هجرية ، والاشتراك على التوالى ــ بنسخة واحدة شهرية ــ على مدى العام .

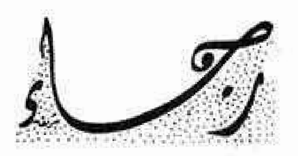
(أ) داخل جمهورية مصر العربية هو ثمن النسخة الواحدة مضروبا فى اثنتى عشرة نسخة

(ب) وفى منطقة البريد العربى (٥٠) خمسون (دولار) فى السنة .

(جـ) خارج منطقة البريد العربى (١٠٠) مائة (دولار) فى السنة .

ونفيد الأخوة طالبى الاشتراك أن عليهم أن يتصلوا بمؤسسة الأهرام ـ قسم الاشتراكات ــ شارع الجلاء ــ القاهرة ــ ج.م.ع .

وعليهم الكتابة إلى هذا العنوان ، ذلك لأن إدارة المجلة لا شأن لها بالاشتراكات إطلاقا .



ترجو مجلة الأزهر من السادة الكتاب أن يكتبوا أسماءهم الثلاثية ومحل أعمالهم على المقالات التى يوافوا الإدارة بها . وأن تكون كتابتها على الماكينة أو بخط واضح ، وأن يرسلوا إلينا الأصل فى الحالتين ويحتفظوا بصورة منه لأن المجلة ليست ملزمة برده .

كما نرجو مراعاة حداثة الانتاج وألا يكون قد سبق نشره فى صحيفة أو كتاب ، وكلما كان الانتاج مسندا إسنادا علميا كان ذلك أدعى لصلاحية نشره ، والله تعالى من وراء القصد .




إعداد : الأستاذ مصطفى عبد المجيد

**الامام الأكبر يترأس اجتماع هيئة الرياسة للمجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة**

من المقرر أن يترأس فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر ورئيس المجلس الاسلامى العالمى للدعوة والاغاثة اجتماع هيئة الرياسة الثامن عشر المزمع عقده بالقاهرة بمشيئة الله ـ تعالى ـ صباح يوم الخميس ٢ من صفر ١٤١٤ الموافق ٢٢/٧/١٩٩٣م .

**لقاءات إسلامية**

**مع الشباب خلال الصيف**

من المقرر أن يشارك فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر فى بعض اللقاءات التى تقرر اقامتها وفق خطة متكاملة سوف يتم تنفيذها خلال اشهر الصيف القادم بالتنسيق بين الأزهر الشريف ووزارة الأوقاف وذلك بمراكز الشباب والتجمعات الشبابية .

**الإمام الأكبر يشهد الحفل الختامى للأنشطة**

**الطلابية بالمعاهد الأزهرية**

شهد فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الحفل الختامى السنوى



للانشطة الطلابية لتوزيع جوائز مشروع الجائزة الكبرى على المناطق الازهرية المتميزة والفائزة فى مسابقات الانشطة الطلابية الدينية والثقافية والاجتماعية . وقد دعا فضيلة الامام الأكبر كافة طلاب مصر وطلاب المعاهد الأزهرية على وجه الخصوص أن يستغلوا أجازاتهم الصيفية فى مشروعات خدمة المجتمع والمشاركة فى مشروعات الحفاظ على البيئة وتحسينها .

كما دعا فضيلته الطلاب فى مصر إلى أن يقدموا لآبائهم من أفراد الشعب المصرى واجبا عليهم من خلال مساهمة الطلاب فى مشروع محو الأمية لتعليم الكبار والصغار .

اقيم الحفل بالمجمع النموذجى للمعاهد الازهرية بمدينة نصر وحضره فضيلة الشيخ محمد بشير عبد الظاهر وكيل الإدارة المركزية للمعاهد الأزهرية لشئون المناطق وقيادات التعليم بالأزهر الشريف .

## الإمام الأكبر يلتقى وفد المشاريع الخيرية فى لبنان

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق وفد جمعية المشاريع الخيرية الإسلامية فى لبنان ، وذلك بمكتب فضيلته بالأزهر .

تم خلال اللقاء بحث سبل التعاون بين الأزهر الشريف وتلك الجمعية ، كما تم بحث نشاط الجمعية فى لبنان ودول أوروبا وأمريكا والدول العربية وقد أشاد الوفد بدور الأزهر الشريف الريادى والتاريخى فى نشر الدعوة الإسلامية وتعاليم الدين الإسلامى الحنيف بعيدا عن الغلو والتطرف .

## بدء امتحانات الشهادات الأزهرية وتعديل موعد امتحانات الدور الثانى لسنوات النقل

بدأت فى الثانى عشر من يونيه الجارى ١٩ ذى الحجة ١٤١٣ هـ امتحانات الدور الأول للشهادات الثانوية والاعدادية والمعلمين والقراءات بالأزهر .

واشار فضيلة الشيخ محمد يوسف وكيل الإدارة المركزية للمعاهد الأزهرية إلى أن عدد الطلاب الذين تقدموا لامتحانات الشهادات هذا العام بلغ حوالى مائتى ألف طالب وطالبة .

من ناحية أخرى أعلن فضيلته أنه تقرر تعديل امتحانات الدور الثانى لسنوات النقل بالمعاهد الأزهرية لتكون على النحو التالى :ـ

والسبت الموافق ٢٠ من المحرم ١٤١٤ هـ ١٠ من يوليو ١٩٩٣ م لامتحانات النقل الاعدادى .

مالسبت الموافق ٢٧ من المحرم ١٤١٤ هـ ١٧ من يوليو ١٩٩٣ م لامتحانات النقل الثانوى .




إعداد الأستاذ/ مجدى عبد الحميد بشير

## الأزهر الشريف

قرر الأزهر الشريف زيادة المنح المقررة للوافدين من دول العالم الإسلامى إلى ألف منحة للعام القادم تقسم حسب احتياجات كل دولة ، وكذا زيادة عدد المنح لطلاب الجمهوريات الإسلامية المستقلة حديثا عن الاتحاد السوفيتى سابقا كما قرر صرف مكتبة دينية تحوى أمهات الكتب لكل وافد من العلماء فى الدورات التدريبية التى تنظمها الأمانة العامة للدعوة الإسلامية بالأزهر لأئمة العالم الإسلامى وذلك يتيح الفرصة تمكين العالم من جمع مادته ، كما أنها تقضى على أزمة الكتاب فى تلك المناطق ، وقد تم — حتى الآن — توزيع ٨٠٠ مكتبة تكلفة الواحدة ألف جنيه مصرى .

## تركيا

صرح الشيخ صالح أوسجان رئيس مجلس إدارة بنك فيصل الإسلامى فى استامبول لوكالة الأنباء الإسلامية الدولية أن ( المصرف ) قام باستقدام ١٤٠ طالبا من مختلف جمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية للدراسة فى المعاهد والكليات الشرعية فى تركيا ، ويقوم البنك بتوفير كل احتياجاتهم .

## بريطانيا

تفتح الجامعة الإسلامية فى نوتنجهام ببريطانيا أبوابها للدراسة قريبا حيث تستقبل الدفعة الأولى من الطلبة ، وجاء فى تصريح للشيخ محمد كمال رئيس الجامعة نشرته جريدة المدينة السعودية أن الدراسة الأولية ستقتصر على مرحلتى الثانوية الانجليزية ومرحلة الاعداد للجامعة ، كما ستنظم الجامعة دورات مكثفة لتعليم الانجليزية الى جانب المواد المقررة من الحكومة الانجليزية ، وكذا اللغة العربية والقرآن وعلوم الحديث والتوحيد والتفسير والعقيدة .

## أندونيسيا

وقعت الحكومة الأندونيسية قانون النظام الأساسى للاتحاد الإسلامى لمالكى البواخر . كما اتخذت الإجراءات اللازمة لدخول شركة ( جاكارتا ليود ) المملوكة للدولة فى هذا الاتحاد . وقد تم ذلك بحضور الأمين العام لمنظمة الاتحاد الإسلامى لمالكى البواخر الذى عبر عن بالغ تقديره للحكومة الأندونيسية ، ودعا جميع

الشركات الملاحية هناك للانضمام إلى الاتحاد المذكور .

## أيرلندا

افتتحت رئيسة ( جمهورية ايرلندا ) السيدة ميرى روبنسون المدرسة الاسلامية فى ( دبلن ) رسميا وذلك فى احتفال حضره وزير مالية دولة الإمارات وعمدة العاصمة الإيرلندية وسفراء الدول الإسلامية بها وبعض الوزراء ونواب البرلمان الايرلندى ووكيل وزارة التربية والتعليم وممثلو بعض المنظمات الاسلامية فى المملكة المتحدة وايرلندة .

وكانت المدرسة قد افتتحت فى سبتمبر ١٩٩٢ ميلادية فى مبنى مؤقت بالمركز الاسلامى بدبلن وقد قام وزير المالية الاماراتى بشراء المبنى الجديد للمدرسة حيث انتقلت إليه المدرسة فى مطلع هذا العام ، والمعروف أن ( جمعية اقرأ ) الخيرية فى جدة ووزارة الأوقاف والشئون الاسلاميـــة بالكويت ورابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة وصندوق التضامن الاسلامى بأبى ظبى وجمعية الفرقان الإسلامية ب ( دبى ) كل هؤلاء قد ساهموا فى هذا المشروع الكبير .

والقت رئيسة أيرلندا كلمة قالت فيها : إن عدد المسلمين فى إيرلندا يتزايد بصورة مطردة ونظرا لتمسك المسلمين بعقيدتهم وتشبثهم بدينهم وتعطشهم للعلم والمعرفة وتصميمهم على الحفاظ على هويتهم الثقافية وتقاليدهم العريقة فقد كان طبيعيا ان يحسوا بالحاجة الى منهج تعليمى يعكس قيمة الدين الاسلامى وبالتعاون والتشجيع من وزارة التعليم الإيرلندية تحقق هذا الهدف المنشود .

ورد الشيخ يحى محمد الحسينى إمام ورئيس المركز الإسلامى فى دبلن بكلمة جاء فيها .

إن قضية تعليم أطفال المسلمين قضية هامة نشعر أنه من الضرورى أن تتخذ الخطوات اللازمة للحفاظ على ثقافتهم الاسلامية بين الاطفال والشبان غير المسلمين ( بايرلندا ) وتلبية لذلك أقيمت المدرسة الإسلامية لتعليم النشء أمور دينهم .

## تركيا

قدم وزير التعليم بتركيا اقتراحا الى البرلمان التركى باعتمادات شهادات المدارس القرآنية المنتشرة فى تركيا بحيث يصبح من حق حاملى هذه الشهادات مواصلة دراستهم فى المدارس والجامعة الحكومية ، وأن تكون هذه الشهادات معترف بها ، وقد دافع الوزير عن مشروعه قائلا : إن المدارس القرآنية مفخرة للشعب التركى الى الدين الحنيف .

## سرايفو

تسلم الصحفى البوسنى المسلم ( كمال كروس باهيتش ) رئيس تحرير جريدة التحرير الصادرة فى البوسنه والهرسك جائزة التحدى الصحفى تقديرا لاستمرار جريدته فى الصدور منذ عام .

ونظرا لضراوة القتال الصاروخى والقصف المدفعى المستمر تصدر الصحيفة من أقبية المنازل ويوزعها محرروها على السكان ، وقد بلغت نسخها ٢٥ ألف نسخة وقد استشهد ثلاثة من محرريها .

# Les Conditions de Validité de l'Invocation

Par Hoda Hassan Abdel Hamid

Pour que l'invocation soit exaucée il faut :

— Purifier le coeur de tout péché par le repentir.

— Rendre aux opprimés leurs droits usurpés.

— S'adresser corps et âme à Allah le Bienfaiteur et le Tout Puissant, avec une intention sincère et une foi inébranlable.

C'est pourquoi les invocations des Messagers et des Prophètes furent plus rapidement exaucées que celles des autres. Et cela car ils sont à l'abri des péchés; ils sont aussi d'une fidélité absolue envers Allah le Bienfaiteur et le tout Puissant.

En fait, l'invocation est semblable au médicament qui, pour atteindre le but requis, doit répondre à certaines conditions, conjointement à une certitude préalable que toute chose est soumise à la volonté d'Allah.

Or, pour qu'un médicament amène la guérison il faut :

1. que le médecin soit habile.
2. que le médicament soit efficace.
3. que le corps réagisse favorablement au médicament.

Si le médecin n'est pas habile, il prescrira un médicament inadéquat, et il se peut que le médecin soit bien compétent mais qu'il ne sache pas prescrire le médicament convenable.

De même, il se peut que le médecin soit habile, que le médicament soit efficace mais que l'état du malade l'empêche d'en profiter.

Ainsi, si les trois conditions sont remplies la guérison saccomplit avec lapprobation d'Allah et Sa volonté toute-puissante.

Allah nous a recommandé d'appliquer à toute chose notre raison, tout en nous remettant à lui pour obtenir nos demandes.

Il en est de même pour l'invocation qui est une des raisons les plus efficaces pour repousser un mal, aussi pour atteindre la chose requise, et cela, si les conditions de l'invocation sont remplies :

1. l'invocateur ; (le médecin).
2. l'invocation : (le médicament).
3. les raisons pour lesquelles l'invocation serait exaucée.

Il se peut que lorsque l'invocateur invoque Allah, il ne s'en remette pas entièrement à lui; il serait donc semblable au médecin qui n'est pas habile ou à l'arc lâche qui lance faiblement la flèche.

Il se peut que l'invocation soit elle-même faible, car Allah la désapprouve à cause du mal et de l'animosité qu'elle contient : comme celui qui demande une rupture des liens de sang ou une demande logiquement impossible ou une chose illicite.

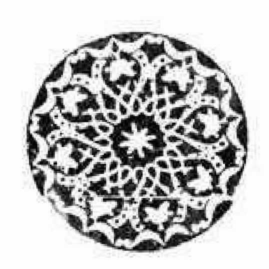
Quant au refus de l'invocation, il peut être dû au gain illicite et à l'excés de péchés et de fautes. commises par l'invocateur.

HODA HASSAN ABDEL HAMID

Ainsi lorsque un bien est accordé à l'homme qu'il dise : ceci est un bienfait d'Allah, mais si un mal l'atteint, il doit en tirer une leçon agir avec prudence et ne point s'exclamer : "Ô Seigneur, pourquoi ce mal m'atteint-il?", car c'est là une protestation contre la volonté divine, par contre, il doit dire : "Nous appartenons à Allah et c'est vers Lui que nous retournerons. Le Révérend Cheikh Char'raoui ajoute : "Nous devons bien réf-féchir sur cette mention importante et délicate qui se trouve dans la parole divine du sens du verset de la Sourate "La Famille d'Imran" et où Allah - Gloire à Lui dit : "Dis Ô Allah! Souverain du Royaume, Tu donnes la royauté à qui Tu veux et Tu enlèves la royauté à qui Tu veux. Tu honores qui Tu veux et Tu abaisses qui Tu veux. Le bien est entre Tes mains. Tu es, en vérité, Puissant sur toute chose."

Observons avec soin la fin de ce verset qui souligne que c'est Allah seul qui détient entre Ses mains la source du bonheur, sans mentionner son contraire : le mal (à suivre).

Dr. Rokeya MAHMOUD GABR



# "L'honneur du poste est un épreuve" "d'après un article du Révérend Cheikh Cha'raoui"

**Dr. Rokeya Mahmoud Gabr**

Il ne faut pas croire que le fait de prendre son mal en patience est une faiblesse, mais au contraire, c'est une force et un pouvoir de contrôle sur soi-même. Le vrai croyant a la certitude que tout revient à Allah qui ne veut pour Son serviteur que ce qu'Il soit être un bien pour lui, c'est pour cela qu'Allah, qu'Il soit exalté, répond à celui qui se réjouit du malheur du musulman en disant : (Dis, Rien ne nous atteindra, en dehors de ce qu'Allah nous a destiné).

Lorsque l'homme subit un malheur dont il n'est responsable, s'il est un vrai croyant, il voit en ce malheur un profit pour lui et non pas un mal, ce qui donne au fait une justification. Mais si ce malheur résulte d'une négligence de sa part, le bien à tirer de cela consiste à éviter les erreurs responsables de ce mal.

Le Cheikh Mohamed Metwally Al Cha'raoui a commencé par ces mots, ses réflexions sur les sens des versets 155 à 157 de la Sourate "La Vache": (Nous vous éprouvons par un peu de crainte, de faim; par des pertes légères de biens, d'honneurs ou de récoltes. Annonce la bonne nouvelle à ceux qui sont patients, à ceux qui disent, lorsqu'un malheur les atteint: nous appartenons à Allah et nous retournons à lui. Sur ceux-là descendent les bénédictions et la miséricorde de leur Seigneur; ceux-là sont ceux qui sont bien guidés)".

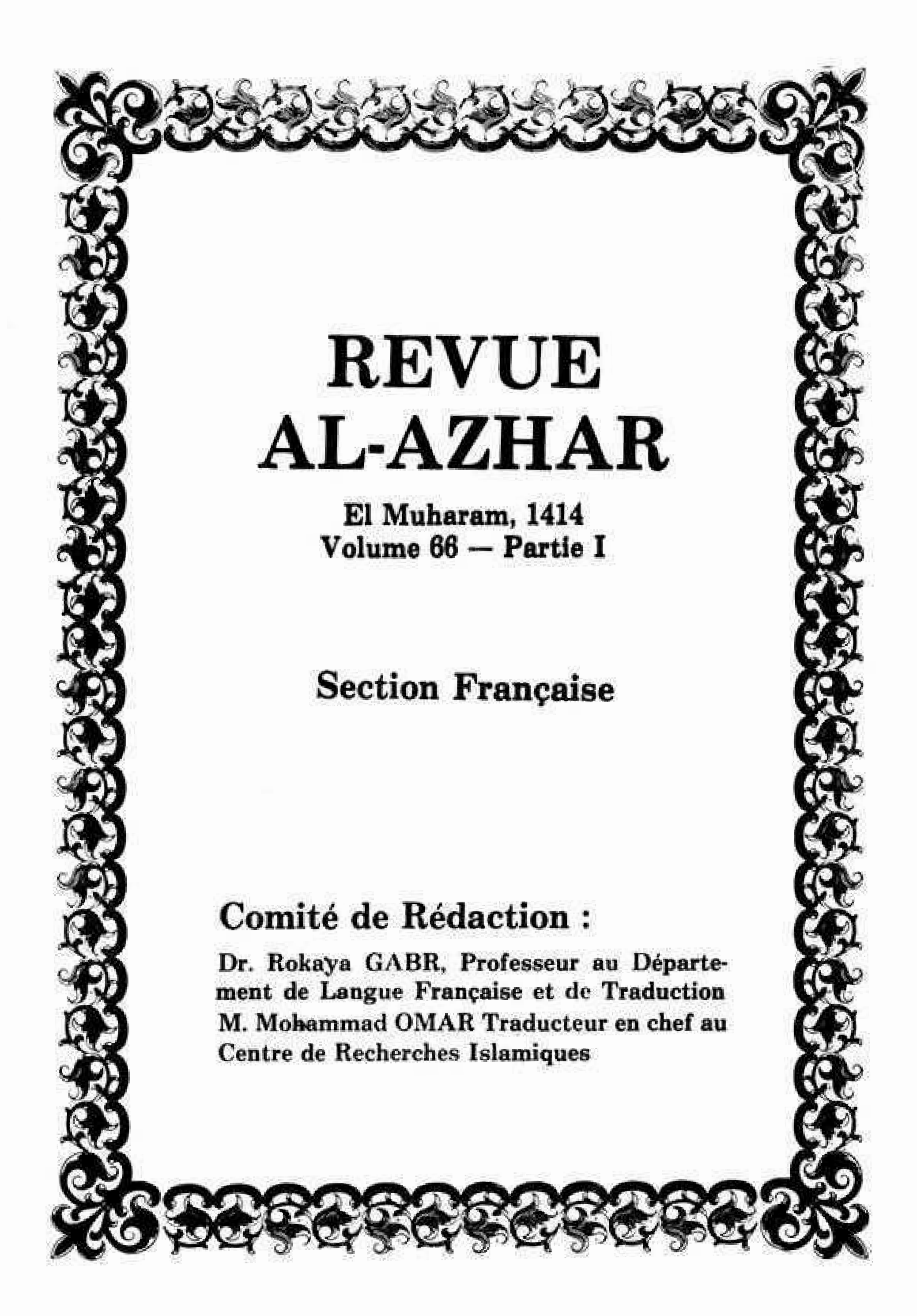
Le Révérend Cheikh ajoute: dans la vie il y a des choses que l'homme doit admettre et auxquelles il ne doit pas s'opposer mais qu'il doit attribuer à Allah : qu'il soit touché par le bien ou par le mal et cela en fonction de ce qu'il connait. En effet, ce qu'il considère comme un mal selon ses critères peut n'être en fait qu'un bien selon Allah qui l'a voulu.

Observons bien la Parole Divine dans le sens du verset 19 de la Sourate "Les Femmes" où il est dit : (Il se peut que vous éprouviez de l'aversion contre une chose en laquelle Allah a placé un grand bien).

Alors, si un bien touche l'homme, il ne doit pas prétendre que ceci est le fruit de son oeuvre, de son intelligence et de ses dispositions, car il y a ceux qui travaillent, mais leur travail ne donne point de fruit; ou bien n'aboutit qu'à un résultat insignifiant.

Il y a également ceux qui sont doués d'intelligence et de sagacité et pourtant le rendement de leur qualités reste toujours vain.

Mais cela ne signifie pas que nous abandonions tout travail et que nous cessions d'avoir recours à l'intelligence et à la sagacité car ces dernières sont nécessairement indispensables dans la vie. Pourtant lorsque nous commençons à les mettre en pratiques dans notre vie, il faut que nous nous rappelions du Donnateur de ces grâces qui sont: le pouvoir, la sagesse, l'intelligence et la sagacité.



# REVUE AL-AZHAR

El Muharam, 1414
Volume 66 — Partie I

## Section Française

that she may find inconvenient and difficult to cover. However, when the face and hands are uncovered they should not be beautified. Scholars, concerning the question of whether the woman should cover the face, are divided in opinion into two groups:- The first group interpreted the words "what appears of it) in the verse 24:31, as the face and hands, as they may find difficulty in covering them all the time. They are the parts which a woman reveals in Prayer and Pilgrimage. However, this group of commentators (Melikis, Hanafiz and Shafiis)[4] stipulated that if the face is uncoverd, it should not be made attractive by the use of ornaments or cosmatics. Moreover, a woman should not let herself appear in front of non-mahram men who might gaze at her which is an act forbidden by Allah.

The second group interpreted "what appears of it", in the verse as the ornaments such as clothes, rings and the like. Thus, the face and the hands are not exempted from the rule of covering. Therefore, a woman should not cover her face in front of anybody other than those stated in the above mentioned verse[5].

Advocates of this interpretation (Al Hanabelah, some Shafiis) use the following evidence to support their viewpoint :

**(1) The Hadith narrated by Umm Salameh (may Allah be pleased with her): "When the verse of hijab was revealed, the women of Ansaar went outdoors with their heads like crows".[6] The 'Simile' compares the woman of Ansaar as crows indicates that they were covering their faces with their flowing clothes.**

**(2) What is quoted by El-Bukhari, narrated by 'Aisha (may Allah be pleased with her) under the heading "what a Muhrim (the pilgrim) Should Wear. Under this heading it is stipulated that she should uncover her face during pilgrimage and this shows that she must be covering her face at any other time.**

**Having discussed the above issues of 'hijab' based on the Qur'an and Hadith, it thus noteworthy to mention that there is no statement of the type or form of the Islamic dress for women in the Qur'an or the sayings the prophet. However, it has been agreed by Fuqahaa that the woman should cover the whole body without showing its form or beauty. They also agreed that the ideal length of the dress should reach the ankles. It is not acceptable that should be any shorter than the ankles even if the legs are to be covered by heavy socks.**

**Accordingly, let every woman reconsider her attitude towards her dress as a muslim. It goes, without saying that whoever pronounce the 'Shahada' that "there is no God but Allah and Muhamed is his Messenger" should have complete submission to Allah and his orders. This includes what is stated about 'hijab', despite the fact that some women would consider it an important matter. It is quite clear from the above discussion that 'hijab' is part and parcel of the belief in Islam and faith in Allah, and whatever suffering this may incur, if any, one should remember Allah's promise for the Obedients as in the translation of the meanings of verse (4:13):**

**And whoever obeys God and his messenger, he shall admit him to Gardens beneath which rivers flow, abiding therein forever; that is the great triumph. (4:13).**

---

(4) Dr. el-Bauty refers the reader to the books: Ahkamul Qur'an by Ibn al-Araby, Vol 3, p. 1357, to Ahkamul Qur'an by al-Gasas, Vol 3, p. 289 and to al-Durul Mukhtar in the chapter dealing with permissibility and in permissibility Vol 5, P. 244 in the explanation by Ibn Abdin.

(5) Dr. El-Bouty refers the reader to the commentary of El-Beidawi on verse 24:31 and the book Al-Mughnie by Ibn Kudamah, Vol. 7, p. 23, as well as the book Mughnil Muhtaj Fi Menhaj et — Talebeen, Vol. 3, p. 128.

(6) Ibn Kathiir, Tafsiir al Qur'an Alhakiim, Vol. 3, p. 518 Cairo. Dar Ihaya'ul Kutabul Arabeyyah, nid.)

In the Pre-Islamic period known as (Jaheleyya), women were keen on showing their beauty (to men). The neck, the bosom and the foretock were especially cared for and displayed in front of men. After the advent of Islam, its legislative rules were revealed gradually. As regards women's dress, the following verses were revealed :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن
يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٥٩﴾ ( سورة الأحزاب )

The following is a translation of the meanings of the above verse :

O prophet, say to your wives and daughters and the wives of the believers to draw close round them their flowing outer garments. That is better so they may (not) (3) be known and they may not be hurt and God is Forgiving, merciful. (33: 59)

وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ وَيَحۡفَظۡنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ
وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوۡ ءَابَآئِهِنَّ أَوۡ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ
أَوۡ أَبۡنَآئِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوۡ نِسَآئِهِنَّ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ
أَيۡمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيۡرِ أُوْلِي ٱلۡإِرۡبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفۡلِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يَظۡهَرُواْ عَلَىٰ عَوۡرَٰتِ ٱلنِّسَآءِۖ
وَلَا يَضۡرِبۡنَ بِأَرۡجُلِهِنَّ لِيُعۡلَمَ مَا يُخۡفِينَ مِن زِينَتِهِنَّۚ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٣١﴾

The following is a translation of the meanings of the above verse :

And say to believing women to restrain their eyes, and guard their private parts, and show not their adornment except what appears of it'. And let them cast veils over their bosoms and not display their adornment save to their husbands, or their fathers, or their husband's fathers, or their sons, or the sons of their husbands, or their brother, or their brothers' sons or their sisters' sons, or their women, or what their right hands possess, or male attendants of no sexual desires, or children who have seen nothing of womens hidden parts. And let them not shake their legs to let it be known what they conceal of their ornaments. And repent you all to God, O you believers, so that perhaps you may prosper. (24:31)

The verses clearly state that revealing some parts of the woman's body (i.e. 'tabarruj'), which the Arab women had been doing in 'Al-Jahiliya', is prohibited; except for what normally appears of her, i.e. that which is too difficult and inconvenient to cover. Moreover, a woman should not use any ornaments and appear in front of non-mahram meh.

Hence, Muslim imams (religious leaders), without exception, have agreed that a woman should cover her body except for the face and the hands which are the parts

---

(3)The negative 'not' has been added here to Khatib's translation in order to make the meaning clearer. It would also be preferrable to use instead of the word close in his translation (to draw close round) the expression to 'cast down their outer garnments' as in Yusuf Ali's translation.

# Hijab

## "The Islamic Dress for Women" 1
## By Mrs. Iman Muhammad Hassan

Islam is a unified system which sets rules to organize the life affairs of believers and guarantees happiness for them in both this life and the Hereafter. Allah, the Almighty is One, He is the affectionate, who loves His worshippers and his legislation is to attain the welfare of people. Islam means submission and surrender to Allah, the Almighty, whose guidance we should follow blindly thus, the true believer who has faith in his Lord is not liable to place his preference over Allah's decree. He is to obey his God exclusively in compliance with the following verse :

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ
وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ (سورة الأحزاب)

It does not befit a believing man and woman, when God and his Messenger have decreed a matter, that they should have the choice in their affair. And whoever disobeys God and His Messenger, he then shall stray into a manifest aberration. (33:36) 2.

Thus, for a Muslim woman complying with Allah's orders should have a priority over satisfaction of her own desires. Therefore, the Islamic dress for women is not to be tampered with. Yet, women differ in their opinions and attitudes towards this dress: some conform to it while others are not; some conform to it whereas others hesitate.

The aim of this paper is to present some verses from the Qur'an, some of the sayings of the prophet Mohamed (i.e. Hadith) as well as views of 'Fuqaha' concerning this issue for those who refuse to wear the Islamic dress. The 'ulama (Muslim scholars) have written a lot on the subject, discussing the juristic rule of 'hijab' (i.e. Muslim dress) and its on the subject, discussing the juristic rule of 'hijab' and its requirements. They give special a attention to what is agreed upon by the 'Fuqaha' (Muslim jurists) and what is controversial, such as the issue of covering the Muslim woman's face. The following is a translation of a summary of Dr. El Bouty's book Ila Kull Fatah Tu'men Bellah (To Every Believing women), which is considered one of the most comprehensive discussions of hijab.

---

(1) This article is based on Dr. Muhammed Said Ramadan el-Bouty's book Ila Kull Fatah Tu'men Bellah (To Every Believing Lady), 2nd ed., (Cairo: Darul Sahwah, n.d). This book is the fourth in a series named Sawtul Azharul Sharif (The Voice of the Honourable Azhar). It discusses heavily the topic of "Hijab' documented by books of Tafsir, "Figh' and 'Hadith'. Dr. el-Bouty is a Syrian Muslim scholar who was awarded a prize in 1992 by Al-Azhar for his contribution to propagating Islam through his books.

(2) The translation of the Qur'anic verses quoted in this article is taken from M. M. Khatib's translation authorized by al-Azhar. (London : Macmillan, 1984).

Rodwell is definitely mistaken, here, as it is well known and documented that the Qur'an during the life of the Prophet Mohamed (MPBUH) was dictated and written under the supervision of Mohamed himself as Khalifa (1983 : 38) says (3):

«Islamic history bears ample witness to the fact that Qur'anic revelations were recorded in writing under the Prophet's personal supervision. His scribes who were often with him and to Whom he dictated the heavenly message, were well known to their fellow Muslims».

Khalifa also adds on page (42):

«It so happens that there is ample evidence proving the Prophet had set a textual order for the Surah's, both in the form of the instructions to his companion and in his recitations of successive Surahs.»

However, Rodwell carries on saying:

«and convey no idea whatever of the development and growth of any plan in the mind of the founder of Islam, or of the circumstances by which he was surrounded anu influenced».

In the above quotation he doubts the prophethood of Mohamed (MPBUH), and consider him the «founder of Islam» this main idea prevails as he carries on saying on page 8:

«The sources whence Mohamed derived the materials of his Koran are, over and above the more poetical parts, which are his own creation, the legends of his time and country, Jewish tradition based upon Talmud, or perverted to suit his own purposes, and the floating christian traditions of Arabia and S. Syria.»

Then on page 10 of his preface he contradicts himself by saying:

"We have no evidence that Muhammad had access to the Chrisitan Scripture».

He carries on saying:

«There is but one direct quotation (Sura XX 105) in the whole Koran from the Scriptures; and though there are a few passages, as where «alms» are said to be given to be seen of men, and as, none forgiveth sins but God only, which might seem to be identical with texts of the New Testament, yet this similarity is probably merely accidental.»

From the above quotations, it is clear that Rodwell is all the time contradicting himself. He first states that Mohamed has said the words of the Qur'an in a poetic version of his own or it could have been taken from either old or New Testament. Then, later, he said that there is no evidence that he could have access to these texts, but he adds saying it might seem to be identical with the text of the New Testament. The use of this expression means that he is not sure and could not confirm the similarity.

To Be Continued

---

(3) For further discussions on the matter of gathering the Qur'an and when it was first written, the reader is advised to read The Sublime Qur'an and Orientalism (1983) by Mohamed Khalifa.

is presented by M.M. Khatib entitled The Bounteous Koran, and authorized by Al-Azhar in 1984 and first published 1986. Khatib, is an Egyptian Muslim who has good command of both languages and acquired a good deal of knowledge about Islamic culture.

The aim of this paper is to discuss some of the pitfals of these translators of the Qur'an, namely Revernd J. Rodwell, Arthur J. Arbery and M.M. Khatib. However, as this is merely a short paper, therefore, I'll select two or three examples from each slator, who was a priest and one of the leading church members, started with an introduction which was entitled 'Refutation of the Qur'an'.

It was in 1734, that George Sale presented an English translation of the Qur'an from Latin which was then considered the original English source for the translation of the Qur'an and was republished several times in Europe. From then onwords, there followed many English and other European translation of the Qur'an through which the translators expressed what they believed about Islam. This was sometimes done within the core of the translated text or in the form of footnotes or comments. This has led some Muslims such as Yusif Ali & Pickthall to translate the meanings of the Qur'an into English in an attempt to give the reader, as far as possible, the most adequate rendering of the Qur'an into English. The first Muslim who tried to translate the Qur'an into English was Dr. Mohamed Abdel Hakeem Khan in 1905. However, the first published English translation was that presented in 1861 by Revernd J. M. Rodwell and reprinted several times entitled The Koran translation from the Arabic.

In 1930, there appeared another translation by Mohamed Marmaduke Pickthall entitled The Meanings of the Glorious Qur'an. He was a Christian Englishman, who converted to Islam. In his view, the Qur'an cannot be translated and that his work is merely an attempt to present the meanings of the Qur'an into English. This translation was then followed in 1934 by that presented by Yusif Ali, which is most commonly used now, entitled The Holy Qur'an. Yusif Ali was a Muslim scholar who has had good command of both Arabic and English languages. His translation is in a way free from grave misinterpretations found in other translations like those presented by Qadyani sect. translation. The reason for choosing these translations lies in the fact that Rodwells was the first translation done from the Arabic text and being a member of church was affected by the Christian teachings and was against Islam. His aim was to falsify Islam as a revealed religion. On the other hand, Arbery had moderate views about Islam. He disagreed with Rodwell on many of his views, especially the belief that Qur'an is not the «word of God» revealed to Mohamed (MPBUH). The third translator, «Khatib», is a Muslim whose translation is the most recent and authorized by Al — Azhar.

In the preface to his book entitled The Koran Translation from the Arabic, Rodwell commented on the gathering of Qur'an and arrangement of the Suras, during the time of both Caliphs Abou Bakr El Sideeq and Othman Ibn Affaan, He mentioned that the Suras revealed in Medina were placed in the book preceding those Suras revealed in Mecca and that some Ayyahs revealed in Medina were placed in the middle of Suras revealed in Mecca and vice versa. Thus, to him (2) the Qur'an is «almost unreadable and incongruous patchwork».

---

(2) This quotation is taken from The Koran translated from the Arabic (1961 : 2) by Rev. J. M. Rodwell (First published 1861).

# An Approach to the Translations of the Meaning so of The Qur'an into English

By Doctor Trandil H. El Rakhway. PHD

The miracle of the Qur'an lies in its language, its beauty and eloquency of its style. It was revealed to Mohamed (MPBUH) in the 7th century for all worlds, peoples and races. Therefore, there has always been the need for translating its meanings into other languages. In this paper, I'll present a brief review of some English translations fo the Qur'an that exist up till the present day.

The first translation to be carried out by Robertus Rotensis and Hermannus Dalmata in 1143 was into Latin done in the interest of the convents during the time of the Crusades. This Latin translation was then translated into German, Italian and Hindo languages. In 1647, it was translated into French by the French Consul in Egypt André du Ryer. The first English translation to be carried out was from the French version in 1688 by Alexander Ross, which was described, «as despicable by Savory and a very bad one and no better than its French origin by Sale». (1)

In 1689 another Latin translation was presented by Maracci including the Arabic text as well as extracts from the different commentaries of the Qur'an. These commentaries according to Mehana (1978) were chosen in such a way so as to give bad impression about Islam to Europeans. The trans-Yusif Ali has also added some comments at the bottom of each page, helping the reader to comprehend the text correctly.

In 1956, another translation into English appeared entitled The Koran A New Translation, presented by N. J. Dawood, which was published within the series of «The Penguin Classics». In his introduction, he says that the reason he presented this work was to supply the reader with a version of the Qur'an translated into modern English.

The translation presented by Arthur J. Arbery, in 1955, entitled The Koran Interpreted was published by Oxford University Press. Arbery was a Christian professor in a British University who died recently. He agress that the Qur'an being a great work should not be translated. Hence the title he chose for his translation. Despite the fact that Arbery was a non — Arab, non — Muslim, yet he had moderate views about Islam and the Qur'an.

Then, there were the three translations of the Qur'an presented by «Qadyani» sect. These three translations are done by the followers of Maraza Ghulam Ahmed El Qadyani who is known to this sect as the «Expected Christ» to come. The members of this sect have beliefs of their own and are so proud that they declare and admit it. These translations are The Holy Qur'an by Mawlana Mohamed Ali, first published 1918: The Holy Qur'an by Malik Ghulam Fareid, first published in 1969; The Qur'an by Muhamed Zafrulla Khan, first published in 1971. The last and most recent translation

(1) Quoted by Khalifa (1983 : 65).

# AL AZHAR MAGAZINE

## ENGLISH SECTION

Vol. 66, Part I
Muharam, 1414, Hijrah

EDITOR : Dr. TRANDIL HUSSEIN EL RAKHAWY. PHD

## CONTENTS

1. An approach to the Translations of the meanings of the Qur'an into English Part I
   *By : Dr. Trandil Hussein El Rakhawy*

2. "Hijab", the Islamic Dress for women
   *By : Mrs. Iman Muhammad Hassan*

"Nothing would be of greater benefit to Muslims and to Humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

## فهرس العدد


- الافتتاحية (هجرة الأنبياء)
  للدكتور علي أحمد الخطيب ........................ ١
- مع الإمام الأكبر شيخ الأزهر
- دروس في ذكرى الهجرة
  للإمام الأكبر ........................ ٦
- عيد الأضحى يوم بر وعطاء ووفاء
  للإمام الأكبر ........................ ١٢
- فتوى في شأن أطفال النساء المغتصبات في البوسنة والهرسك
  للإمام الأكبر ........................ ١٦
- بين الإمام الأكبر ورئيس مجلس إدارة دار التحرير ........................ ٢١
- مع سورة الأنفال
  للدكتور عبدالجليل شلبي ........................ ٢٤
- الرحمن على العرش استوى
  للشيخ إبراهيم الدسوقي ........................ ٢٨
- أم القرآن والمجتمع
  للشيخ حسن بيومي حسن سليمان ........................ ٣٣
- ارتباط الهجرة بالجهاد
  للشيخ محمد صابر البرديسي ........................ ٤٩
- وحي الهجرة
  للأستاذ مصطفى صادق الرافعي ........................ ٥٢
- مولودون في ظلال الهجرة
  للأستاذ عبدالحفيظ فرغلي علي القرني ........................ ٥٦
- صاحب الهجرات الثلاث
  للمستشار محمد عزت الطهطاوي ........................ ٦١
- الفتـــاوى
  إعداد الأستاذ عبدالمنعم فودة ........................ ٦٧
- من اعلام الأزهر
  بقلم د. أحمد حسين الحكي ........................ ٧٠
- من روائع الماضي (الأمانة الثانية)
  إعداد الأستاذ عبدالفتاح حسين الزيات ........................ ٧٧
- طرائف ومواقف
  للأستاذ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ........................ ٨٢


### العلوم الكونية


- من مآثر المسلمين في العلوم الهندسية
  أ. د أحمد فؤاد باشا ........................ ٨٤
- المعجزة القرآنية في حساب السرعة الضوئية (٢)
  للدكتور عبدالرحمن أحمد السمان ........................ ٨٨
- الجديد في العلم والتقنية
  إعداد د. نجوى السيد أحمد ........................ ٩٥
- مآذن مصر الإسلامية
  للأستاذ أحمد رجب محمد علي ........................ ٩٧
- مدى تلازم الوحدة الموضوعية مع القصيدة العربية (٣)
  للأستاذ أحمد مصطفى حافظ ........................ ١٠٤


### الشعر والشعراء


- نفحة الذكرى العاطرة
  للشاعر محمد عبدالرحمن صان الدين ........................ ١٠٨
- هجرة المصطفى - ﷺ -
  للشاعر محمد محمود الماحي ........................ ١١٠
- مع ذكريات الهجرة
  للشاعر محمد محمد مسعود الزلبني ........................ ١١١
- الهجـــرة
  للشاعر محمود سامي البارودي ........................ ١١٢
- على عتبات الغار
  للشاعر رشاد محمد يوسف ........................ ١١٣
- محمد رسول الله
  للشاعر علي الجارم ........................ ١١٥
- أسمى الحب
  لمصطفى صادق الرافعي ........................ ١١٦


### اللغة والنقد والأدب

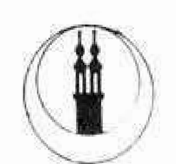

- حروف العربية بين التوزيع والتوظيف عند ابن القيم
  الدكتور توفيق محمد شاهين ........................ ١١٨
- النحو القرآني (قواعد وشواهد)
  للفريق يحيى عبدالله المعلمي ........................ ١٢٥
- الطرية الأدبية في ضوء القرآن الكريم
  للأستاذ الدكتور السيد تقي الدين السيد ........................ ١٢٨
- الأدب الأفريقي
  عرض عبير عبدالواحد ........................ ١٣٣
- بين المجلة والقارىء
  إعداد الدكتور محمد عبدالحكيم محمد ........................ ١٤٠
- أنباء مكتب الإمام الأكبر
  إعداد الأستاذ مصطفى عبدالمجيد ........................ ١٤٥
- أنباء العالم الإسلامي
  إعداد الأستاذ مجدى عبدالحميد بشير ........................ ١٤٧


### Section Française


**Article 2 :- Par : Hoda Hassan Abdel Hamid .......... 149**
**Article 1 :- Par : Dr. Rokeya Mahmoud Gabr ............ 151**


### English Section


**Article 2 :- By : Mrs. Iman Muhammad Hassan ....... 155**
**Article 1 :- By : Dr. Trandil Hussein El Rakhawy .... 158**



# الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
فى مطلع كل شهر عربى
تأسست عام ١٣٤٩ هـ / ١٩٣١ م
وصدر العدد الأول فى المحرم ١٣٤٩ هجرية



رئيس التحرير
د/ على أحمد الخطيب
مدير التحرير
على حامد عبد الرحيم
المراسلات : باسم مدير التحرير
إدارة الأزهر بالقاهرة
ت/ ٢٦٣٨٥٩٩ - ٩٠٥٤٧٣



الاشتراكات
قسم الاشتراكات بالأهرام
شارع الجلاء - القاهرة


بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة العالمين ، وعلى آله وصحبه وتابعيه إلى يوم الدين



## هجرة النبى محمد ﷺ

استلزم الإعداد لهجرة رسول الله ﷺ الاهتمام بخاصيتين لم تكونا فى الرسالات السابقة ، هما :

( أ ) عموم رسالته ﷺ الأمر الذى يعنى استئناف بَثّ الدعوة بالأرض الجديدة إلى الناس جميعاً .

(ب) وقيام أتباعه - ﷺ - بنشرها كذلك إلى يوم الدين ؛ فرسالته - ﷺ - يلتزم بها الأتباع - ممارسة وبلاغا - للناس أجمعين ، ولو كانت رسالته - ﷺ - خاصة لارتحل بأتباعه ، فجاور قبيلة عربية ما ، وعكف على ممارسة الشريعة بين الأتباع حتى يَلْقى ، ويَلْقَوْن الرفيق الأعلى ؛ لكن الرسالة عامة



لِذَا ظل البحث عن هذه الأرض مستمراً ثلاث سنين :

تأتى القبائل إلى مكة ـ حاجة أو معتمرة ـ من كافة أنحاء الجزيرة ، وتضرب خيامها بين مكة ومنىً فيسير بينها رسول الله ـ ﷺ ـ باسطا دعوته :

( أ ) فمنهم من رد رسول الله ـ ﷺ ـ ردا قبيحا ، وكان أقْبَحَهُم رداً بنو حنيفة ، ومن هؤلاء فريق من بنى عبدالله من قبيلة كلب ، وتصدى لرسول الله ـ ﷺ ـ بَيْحَرَةُ بن فراس القُشَيْرى ـ من بنى عامر بن صعصعة ـ شَرُّ تصدٍ ، وقال له : قم فالحق بقومك ، ثم غمز هذا الخبيث ناقة رسول الله ـ ﷺ ـ بعد أن ركبها ـ فاهتزت من قسوة غمزها وألقت برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم .

(ب ) ومنهم من أراد أن يستقبل رسول الله ﷺ والمؤمنين ، شريطة أن يكون الأمر مُلكا يرثونه بعد رسول الله ﷺ وكانوا فريقا من بنى عامر من كِنْدَةَ بوسط الجزيرة ، قالوا لرسول الله ﷺ : إن ظفرت تجعل لنا الملك من بعدك ؟

فقال ﷺ : (إن الملك لله يجعله حيث يشاء) .

فقالوا : أجئتنا لتصدنا عن آلهة العرب ، ونتابذ العرب ، الحق بقومك فلا حاجة لنا بك ؛ فانصرف صلى الله عليه وسلم .

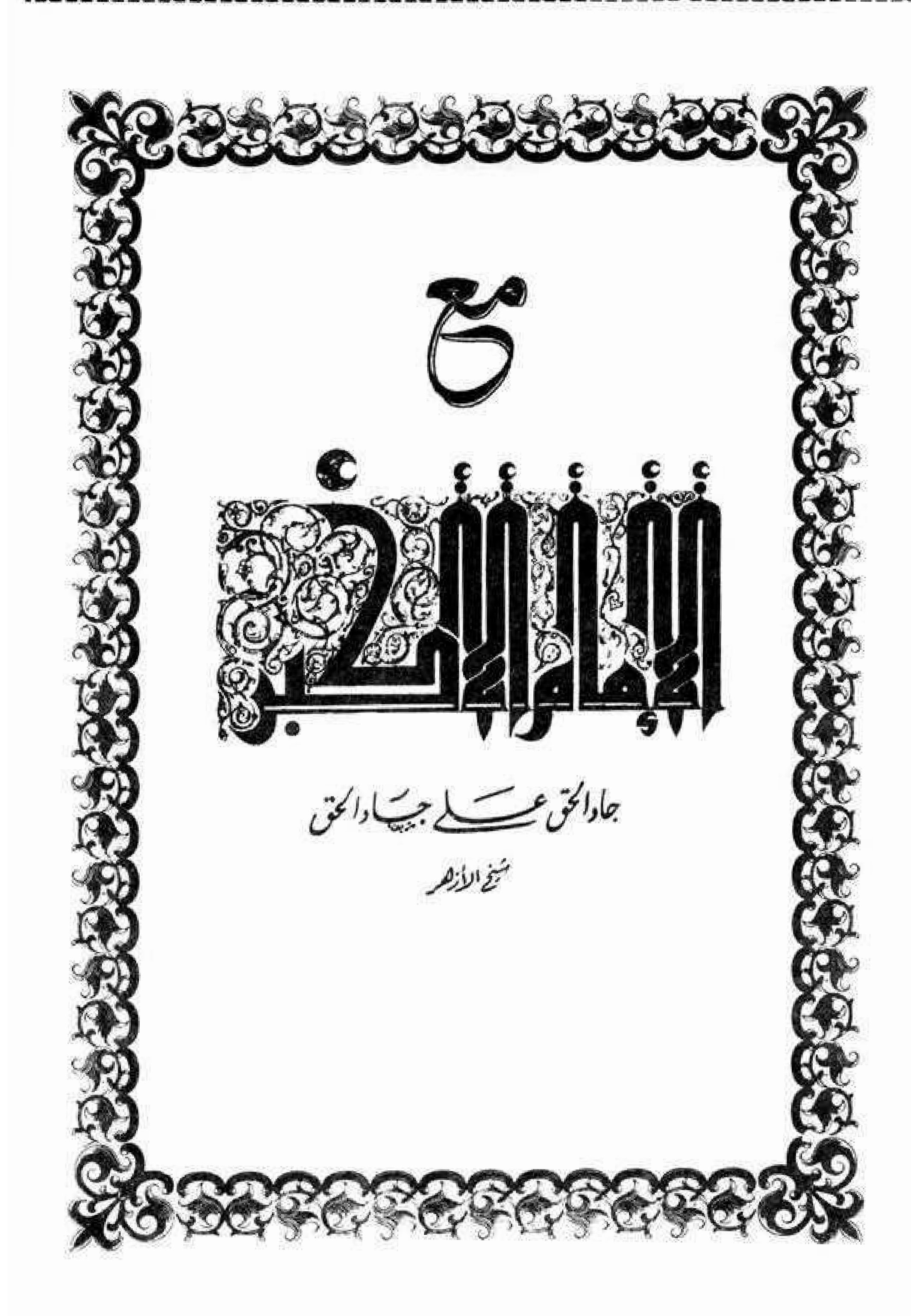
( جـ ) ومنهم من منعه من حماية رسول الله ﷺ سلطانُ الفرس عليهم ، فقد كانت أرض بنى شيبان بن ثعلبة متاخمة لأرض فارس ، ورجال هذه القبيلة مدحوا رسول الله ﷺ ودعوته ، ولكنهم بينوا لرسول الله ﷺ أنهم على عَهْدٍ مع كسرى يمنعهم أن يجيروا أحدا ذا دعوة يكرهها حكام فارس ، وقالوا لرسول الله ﷺ : إنهم يستطيعون أن يجيروه فى أرضهم فى جانبها العربى المجاور للأراضى العربية ؛ فتركهم رسول الله ﷺ ومدحهم لصدق حديثهم وأمانته ، ولم يقبل شرطهم ؛ لأنه شرط لا يتيح للدعوة الإسلامية عالميتها ، تلك العالمية التى هى طابعها .

فكان طبيعيا ـ إذ قالوا : إن أردت أن ننصرك ونمنعك مما يلى العرب فعلنا ! ـ أن يقول ﷺ : «ما أسأتم الرد إذ أفصحتم بالصدق» ، إنه لايقوم بدين الله إلا من حاطه من جميع جوانبه .

دارت هذه الأحداث فى السنوات الثلاث الأخيرة من بقائه ـ ﷺ ـ بمكة ، وهى بالتحديد السنوات : الحادية عشرة ، والثانية عشرة ، والثالثة عشرة من بداية البعثة .. وفى البداية من هذه السنوات الثلاث أسلم من أهل المدينة ستة نفرٍ من ( الخزرج ) إحدى أكبر قبيلتين بـ ( يثرب ) التى سميت بعد : «المدينة المنورة» ، وفى العام التالى أسلم منهم اثنا عشر رجلاً ، وفى العام الثالث والأخير أسلم على يديه ﷺ ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان ، وبايعوا رسول الله ﷺ على السمع الطاعة وحماية الدين ، وَجَمَعَ الإسلام فى المدينة بين الأوس والخزرج على خير صُحْبة ، فانطلق إليها رسول الله ﷺ آمنا ينشر دعوة ربه على خير مايريده الله ـ عز وجل .

د. على أحمد الخطيب

* راجع فى هذه الحوادث « السيرة النبوية » لابن كثير ـ الجزء الثانى .


مع
الإمام الأكبر
جاد الحق علي جاد الحق
شيخ الأزهر







بدأ فضيلة الإمام الأكبر الحديث بالترحيب بالمحرر فى الأزهر الشريف ، وتقدم المحرر بالشكر الجزيل لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على حسن اللقاء والتفضل بالموافقة على هذا الحوار ، ثم بدأ بالسؤال الآتى :

● المحرر : أين الأزهر مما يحدث الآن فى مصر ؟

فضيلـــة الإمـــام الأكبر : ماذا يحدث ـ أرجـــو أن تحدد ماذا تقصد بما يحدث فى مصر لأن كلامى دائماً محدد ؟

● المحرر : أقصد أن هناك موجات من العنف ، والعنف المضاد ، وهناك محاولات لإصلاح ذات البين

ـ فضيلة الإمام الأكبر :

بسم الله الرحمن الرحيم ـ يبـدو أن الحديث موجـــه إلى ما تنشره وسائل الإعـــلام من حوادث الصدام بين بعض الفئات وبين الشرطـــة تحت عنـــوان (الإرهاب ومقاومة الإرهاب) ، وأود أن أقول أولا وبوضوح : إن عنوان الإرهاب بالنسبة لما يحدث فى مصر ليس هو الواقع ، فأكثر الحوادث أو التعديات من بعض الفئات على رجال الشرطة ، إنما هو رد فعـــل ، والحوادث فى أصلها إما حوادث إجرامية مخالفة للقانون ، وإما حوادث ثأر ، والثأر أمره معروف فى منطقة الصعيـــد ، فإذا اتخذت هذه الحوادث وبأسبابها التى ذكرتها على أنها إرهاب يكون خطأ . (أظن ذلك واضحا) .

● المحرر : نعم . وهو كذلك ـ ولكنها تنسب إلى الدين على أية حال .

فضيلة الإمام الأكبر : هذا أمر آخر ، فالسارق إذا سرق وقال : (بسم الله الرحمن الرحيم) ماذا نصنـع له ؟ لا شىء ـ أما أن نطلق عليه أن هذا إسلام ، أو جماعات إسلامية ، ولا نسميه باسمه ، فنقـــول : هذا سارق وهذاقاتل . يكون الخطأ ، فلابد

أجرى الحوار ... أيمن الصياد

وأعده لمجلة الأزهر - عبدالكريم محمد عبدالرحمن

## الأزهر لم يغب يوماً عن الساحة، لا في الماضي ولا في الحاضر

## وسائل الإعلام لا تتابع جهود الأزهر ولا تنقل خطواته

أن توصف كل حادثة بمضمون الواقع الفعلي لها ، وليس كل شيء ينسب إلى جماعة إسلامية ، لأن الإسلام بريء من كل هذه الأعمال .

الإسلام لم يأذن لأحد أن يقتص لنفسه .

لم يأذن لأحد أن يسرق أو يقتل أو يخيف الناس .

فكيف ننسب من يفعل ذلك إلى الإسلام ونقول : هذه جماعات إسلامية .. ؟ هذا خطأ .

● المحرر : ولكن لعلكم توافقونني على أن هناك أفكارا معينة اقتنع بها البعض ، ومن واقع هذه الأفكار كانت ممارساتهم .

**فضيلة الإمام الأكبر :**

**قد يكون ذلك وإن كان الأزهر قد دعا هؤلاء إلى أن يرجعوا إلى العلماء فيما يشتبه عليهم ، وإذا كان هؤلاء لم يرجعوا إلى العلماء ، ولم يعرضوا أفكارهم على العلماء فكيف يُتعرف عليهم ؟**

**فليُقدَّموا بوصف الإجرام الذى ارتكبوه إلى المحاكمة ، وعندئذ تبرز أفكارهم ويستطيع العلماء أن يناقشوهم .**

● المحرر : تذكرون فضيلتكم أن المحكمة العسكرية التى حاكمت قتلة الشيخ الذهبى عام ١٩٧٧ نسبت إلى الأزهر ، ورجاله تقصيراً فى أداء دورهم ، وقالت : إن غيابهم عن الساحة كان سببا فى الفراغ الدينى ، واعتبرته مسئولا عن ظهور وتعاظم ظاهرة التطرف ، وتلك المقولة تتردد كثيرا هذه الأيام كما ترددت كثيرا على مدى الأعوام الماضية .

**فضيلة الإمام الأكبر :**

**دون تعرض للحكم الذى أشرت إليه ، فتلك وجهة نظر قضائية لكنها تجافى الواقع ، والذين يأخذون معلوماتهم عن وسائل الإعلام مقصرون فى مهمتهم ، فالأزهر لا يتابعه الإعلام ، والإعلام لا ينقل خطوات الأزهر ولا ما يعمله الأزهر ، إن رجال الوعظ يملئون البلاد ، وعلماء المعاهد يملئون القرى وكافة البلاد ، وكل يؤدى واجبه فى الدعوة فأين التقصير ؟**

**إن الأزهر مهمته النصح ، وليس من مهمته أن يحمل السلاح ، ولا أن .. يتعقب الخارجين على القانون ، وإنما هذه**

مهمة الجهات الأخرى ، وإذا غاب جهد الأزهر عن هؤلاء ، الذين يأخذون معلوماتهم من وسائل الإعلام فقد قصروا فى حق علمهم وأنفسهم ، أما الأزهر فلم يغب يوما عن الساحة لا فى الحاضر ولا فى الماضى .

● المحرر : معنى ذلك أنكم لا توافقون على القول بأن هناك فراغا دينيا ؟

**فضيلة الإمام الأكبر :**

**الفراغ الدينى موجود فى مناهج التعليم ، وليس فى واقع الحياة بإطلاق**

**واقع الحياة : أن العلماء يقومون بواجبهم فى كل مكان ، لكن الفراغ الموجود فعلا هو فى مناهج التعليم من الحضانة إلى الجامعة .**

● المحرر : انتقادات الأزهر فى السنوات الأخيرة لاتأتى من خارجه فقط بل تأتى أحيانا من عدد ، من علمائه .

**فضيلة الإمام الأكبر :**

**لكل وجهة ـ لم يُخلق الناس على رأى واحد ـ وهؤلاء العلماء الذين يصفون الأزهر بالتقصير ، لعلهم يراجعون ماذا هم يقدمون ؟**

● المحرر : لا نستطيع أن نتجاهل حقيقة أن التنظيم المتطرف الرئيسى يجلس على قمته عالم أزهرى ـ هو الشيخ عمر عبدالرحمن .

**فضيلة الإمام الأكبر :**

إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓ

● المحرر : (الله أكبر لبستقل شيخ الأزهر) كتاب تعرفونه على وجه اليقين .

**فضيلة الإمام الأكبر :**

**نعـــم .**

● المحرر : وتعلمـون أن الشيـخ عمـر عبدالرحمن ، يتهمكم بانحيازكم ضد التيار الإسلامى ، معتبرا أنكم تحولتم إلى أدوات من أجل إخماد صوت الإسلام الحق .

**فضيلة الإمام الأكبر :**

**الله أعلم بأن الأزهر يقوم بدوره من شيخه إلى أصغر طالب فيه ، لكن لكل وجهة هو موليها ، ولكل أسلوبه الذى يؤدى واجبه به ، والشيخ عمر عبدالرحمن مع تقديرى لشخصه له وجهته وله أسلوبه الذى لايقره الإسلام .**

● المحرر : ما تعليقكم على هذا الأسلوب ؟

**فضيلة الإمام الأكبر :**

**لا شىء إلا ما أجبت به ، لقد قُلتَ إن الشيـخ عمـر عبدالرحمن ينتقد الأزهر ، وهو أزهرى ، فقلتُ لك ﴿ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓ ﴾**

● المحرر : فى مواجهـة اتهامـات الدولـة والجماعات على حد سواء ، اضطر الإمام الأكبر الدكتور/ عبدالحليم محمود فى عام ١٩٧٧ ـ إلى إصدار بيان لم يُسمح بنشره فى حينه يدافع فيه عن الأزهر فى مواجهة الطرفين ـ هل تعتقدون أنكم فى حاجة إلى مثل هذا البيان ؟

**فضيلة الإمام الأكبر :**

**لا ـ لسنا فى حاجة لأننا ندعو ، ولا ندافع عن أحد ، وإننا ننصح الناس جميعا ، وقد صدرت بيانات الأزهر فى حينها ، وكما قلت : لكل أسلوبه فى العمل .**

● المحرر : ولكن تظل الدولة ، ويظل المجتمع يطالبونكم بدور ما فى مواجهة تصاعد حدة العنف الإسلامى ، هل تتصورون لكم دورا ؟

**فضيلة الإمام الأكبر :**

**دور الأزهر أو دور الدعوة دائما النصح ، فإذا لم يستجب من يوجه إليهم النصح فليس لدى الأزهر قوة مادية يفرض بها النظام ولكن هذا مهمة الجهات الأخرى .**

● المحرر : إذن أنتم تقومون بهذا الدور .

**فضيلة الإمام الأكبر :**

**نعم نقوم بدورنا .**

● المحرر : أم أن عدم توافر الإمكانات يحول دون ذلك ؟

**فضيلة الإمام الأكبر :**

**لا إطلاقا ـ كل الإمكانات والحمد لله متوفرة ، والعلماء يقومون بواجبهم ، لكن كيف تعلم أنت ـ وأنت رجل الإعلام وكيف يعلم غيرك ؟**

**هذا شأنكم وليس شأن الأزهر .**

● المحرر : لوحظ أنكم غبتم عن محاولات الوساطة التى يحاول البعض القيام بها الآن ، لماذا ؟

**فضيلة الإمام الأكبر :**

**ليس كل أمر يفكر فيه الناس يتدخل فيه الأزهر ، فمن الخير دائما أن تتاح الفرصة لجهات غير الأزهر تقوم على الدعوة كالجمعيات المرخص لها بذلك ، فهذا أمر لا يضر إطلاقا أن يتدخل فيه أناس ، أو أن يعرض أناس أن يتدخلوا للوساطة ، هذا أمر لا علم لى بتفاصيله ، وهؤلاء عرضوا هذا الأمر أكثر من مرة ولا أدرى حتى الآن ماذا تم .**

● المحرر : لكن تتصورون أن يكون للأزهر دور فى إصلاح ذات البين ، أو فى كسر حدة العنف .

**فضيلة الإمام الأكبر :**

**إذا عرفنا البين عرفنا إصلاحه**

**(واضح الكلام أم هناك تفسير ؟)**

**بمعنى أن الأزهر لا يعرف من طرفى الخصومة سوى الحكومة**

الظاهرة ، أما هؤلاء الآخرون فلايعرفهم الأزهر ، فإذا برزوا للساحة وعُرفـوا أمكـــن أن تدخـل ، إنما نحن لا نعرفهـم بأشخاصهم ولا بمبادئهم ، لأننا نقرأ عنهم فقط عند الحوادث في الصحف .

● المحرر : لكن ألم تُحل إليكم كتابات ( كتب وكتيبات ) لهم ؟

فضيلة الإمام الأكبر :

نعم : تُحال بعض الأفكار وبعض الكتب وندرسها دراسة علمية ، لكن هذه الكتب ليس عليها اسماء مؤلفيها ، وليس عليها عناوين ، وليس عليها أماكن ، فهي عبارة عن كتب تضبطها الشرطـــة ثم تسأل : هل هذه الأفكار صحيحة أم لا ؟ ويُرد عليها حسب واقع الأمر .

● المحرر : ألا تعتقدون أن مناقشة هذه الأفكار في وسائل الإعلام من شأنه أن يكون له عائد طيب ؟

فضيلة الإمام الأكبر :

لو أن الإعـلام التفت إلى ذلك ، وحجب نفسه عن إشاعة الحوادث التي تقع والتضخيم فيها ، كان أولى ، ولكنـــه لم يفعل ، أي إعلام سواء في مصر أو في الخارج ، بل ربما يتأثر الإعلام في مصر بما يأتي من الخارج بكل أسف .

● المحرر : هل تتصورون أن منـــاقشة هذه الأفكار في وسائل الإعلام مفيدة ؟

فضيلة الإمام الأكبر :

نعم : مفـيدة ، على الأقل تكون توعية للناس يعرفون مدى صحة هذه الأفكار من وجهة نظر الإسلام .

● المحرر : ألا يمكـن أن يؤدي ذلك إلى الافتتان بها ؟

فضيلة الإمام الأكبر :

لا إطلاقا ـ هل حين تحذر من الكذب تشيع الكذب ؟ وحين تحذر من الخيانة تشيع الخيانة ، المهم : أسلوب البيان فمثلا ، كان رسول الله ـ ﷺ ـ عندما ينصح الناس : «عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر والبر يهدي إلى الجنـــة ، وإيـــاكم والكـذب ..» لم يأت بالكـذب أولا ، إنما أتى بالدعوة الفاضلة أولا . إذن أسلـــوب الإيضاح والتفسير ينبغي أن يكون مفيدا .

● المحرر : كنتم فى بداية الثمانينات من المشرفين على الحوار مع الشباب الذى يوصف بالتطرف ، اليوم بعد عشر سنوات ــ هل ترون أن الحوار يمثل الأسلوب الأمثل ؟

**فضيلة الإمام الأكبر :**

**لاشك أن الأنبياء عندما بعثوا إلى الناس ، لم يبعثوا بالمدفع ولكن بالكلمة الداعية إلى الإصلاح والصلاح ، وبالدعــوة إلى الحوار ، والقرآن كله حوارات بين الأنبياء وأقوامهم ، وبين رسول الله ــ ﷺ ــ وبين قومه فالحوار أولا .**

● المحرر : معنى ذلك أنكم مازلتم تقتنعون بأنه يمكن حوار هؤلاء ؟

**فضيلة الإمام الأكبر :**

**إذا تيسر هذا ، ولكن أين هم ؟**

**الحوار يمكن أن يتم**

● المحرر : لكن ــ هل يمكن حوارهم ؟

**فضيلة الإمام الأكبر :**

**يمكن : إذا وجدوا وكان اللقاء ، فيمكن أن يتم الحوار .**

● المحرر : البعض ينادى بتوحيد خطبة الجمعة ، وإغلاق المساجد الصغيرة ، وأن تكون الجمعة فى المسجد الجامع ، وإغلاق المساجد الكبيرة فى غير أوقات الصلاة ، ويرون فى ذلك ما يساعد على مواجهة الأفكار المتطرفة .

**فضيلة الإمام الأكبر :**

**جملة هذه الأفكار غير دقيقة وغير مفيدة ، فما كانت الخطبة نموذجا يُتلى ، وإلا عدنا إلى عصر (ديوان ابن نباته المشهور) ، وهذا لا يفيد الناس فى عصرنا هذا ، إن خطبة الجمعـــة فى مضمونها ذكر ونصح ، والنصح لابد أن يكون فى الحاضر ، لا فى الحوادث الماضيـــة ، أو لمجرد التخويف بالنار والوعد بالجنة دون أن يبين ما الذى يوصل إلى النار ، والذى يذهب بصاحبه إلى الجنة .**

**نحن نريد فى خطبة الجمعة أن تكون نصحا للناس ليقبلوا على العمل الصالح ويعرضوا عن العمل السيء ، هذا ما يجب أن يكون ، فالخطبة تذكير بما فى العصر من حوادث وأخــلاق وفتن .**

● المحرر : البعض يأخذ عليكم أنكم بدلا من الاهتمام بمواجهة المتطرفين فإنكم تُعنون أكثر بمحاربة الآخرين فتصادرون كتبهم على سبيل المثال .

**فضيلة الإمام الأكبر :**

**الأزهــر لا يصادر فكــرا ولا كتبا وإنما يحجب المعتدى على الدين .**

# الأزهر لا يأخذ فرصته كاملة فى وسائل إعلامنا

ومظلمومة هذه الحرية : حرية التعبير ، وحرية الرأى فى عصرنا وفى بلدنا ـ وكـــأنها تهدر ما اصطلح على أنه نظام عام ـ ونحن الأزهريين نقول : حق الله لابد أن يراعى ، واحترام قيم الإسلام وأصوله الثابتة التى لاخلاف عليها أمـــر يجب أن يلقـــى العنايـــة والحماية ، الأزهر لايصادر فكرا إطلاقا ، ولا يصادر ما فيـــه قولان اطلاقا ـ مادام هناك إجازة شرعية لأى رأى ـ الأزهر يتدخل عندما تهدر الأمور المجمع عليها ، الأمور الثابتة قطعا ـ هذا هو ما يتدخل فيه الأزهر .

● المحرر : هل يأخذ الأزهر فرصته كاملة فى الرد فى وسائل الإعلام المختلفة ؟

فضيلة الإمام الأكبر :

لا إطلاقا ـ الأزهر له نطاق محدد لايدخل فى مسمى الرقابة ، هو فقط يرخص بطبع المصحف الشريف ، ومتون الأحاديث ، هذا الذى لايجوز طبعه إلا بعد الرجوع إلى الأزهر ، ويراجع الأزهر بنفسه نص القرآن ، ونص الحديث ، ويعطى الموافقة على الطبع ـ ما عدا هذا لادخـــل للأزهـــر إلا فيمـــا يرد إليـــه للفحص ، سواء من الأفراد ، أو من الجماعات ، أو من الدولة .

إذن حين يعرض على الأزهر باختيار صاحبه أو باختيار جهة رسمية لابد أن يبدى رأيه كخبير وليس كرقيب .

● المحرر : ولكن لماذا لم توضحوا للرأى العام رأيكم فى هذا الكتاب أو ذاك ؟

فضيلة الإمام الأكبر :

هذا كأننا ننشر مارأينا حجبه حين نقول للناس فى وسائـــل الإعلام هذا غير صحيح اطلاقا ، كأن كل مايحجب كتاب لعلة ما نقول لماذا حجب ، هو يذهب إلى المحكمة أو الجهة التى تصادر ـ نحن لا نصادر ـ نحن نبدى رأينا للجهة التى أرسلت وهو عليه أن يذهب إلى المحكمة أو النيابـة ، يكتب فى الصحافة ، كل هذا لاشأن لنا به .

● المحرر : تاريخ الأزهر شهد فترات من القوة وفترات من الضعف ، والملاحظ أن هناك علاقة مابين قوة الأزهر وضعفه ، وبين ظهور وتنامى الأفكار المتطرفة ـ هل توافقوننا على هذا الرأى ؟

فضيلة الإمام الأكبر :

لاشك أن معيار القوة والضعف يختلف من وقت إلى وقت ولاشك أن ظهور الأفكار الضالة والمحرفة لقيم الإسلام تجعل مهمة الأزهر مهمة ثقيلة وعليه أن يواجهها وهذا مايحدث .

● المحرر : البعض يعتقد أن أزهراً مستقلاً عن الدولة سيكون أكثر قدرة على الأداء .

فضيلة الإمام الأكبر :

ما مدى هذا الاستقلال ، هل توجد جهة أو هيئة ما على أرض دولة ما مستقلة عنها ، أو أن الاستقلال أمر نسبى ـ لاشك أن التفسير الصحيح لاستقلال أى جهة على أرض دولة ، هو استقلال نسبى ـ بمعنى أن لها حرية الحركة فى مهامها ، فى نطاق النظام العام وهذا مايتمتع به الأزهر .

● المحرر : هل آن الأوان لإعادة النظر فى القانون الخاص بتنظيم الأزهر ، والذى يعتبره البعض مسئولاً عن ضعف المؤسسة الدينية العريقة ؟

فضيلة الإمام الأكبر :

الذين يتحدثون عن ضعف الأزهر واهمون ، لأنهم فى الأغلب لايعرفون ماذا فى الأزهر ؟ ولا أين الأزهر ؟

الأزهر فى شباب وعافية متجددة دائما ، يتجدد شبابه بأبنائه ـ وهو كأى كائن حى يتعرض فى مهامه للفتور ، ولكنه سرعان ماينشط إلى مهامه وهذا ما عليه الأزهر .

● المحرر : كتابات كثيرة بل وآراء رسمية فى الغرب وخاصة فى الولايات المتحدة الأمريكية بدأت تتحدث عن العالم الإسلامى باعتباره العدو الجديد والبديل للشيوعية ما تعليقكم على هذا ؟

فضيلة الإمام الأكبر :

هذا أمر واضح ، مايتحدثون عنه يريدونه ويقصدونه وهذا واضح من موقف أمريكا وأووبا فى حملتها ضد المسلمين وضد قاضاياهم ـ فأين البؤرة الساكنة فى العالم الإسلامى التى تقوم بواجباتها الإنسانية وبتنمية موردادها وبلادها .

إن كل مناطق العالم الإسلامى فيها مايكفيها مما يلهيها عن أن تنشط إلى التنمية الذاتية والمادية والاقتصادية .

إنهم يزرعون الشوك فى العالم الإسلامى .

● المحرر : فضيلة الإمام الأكبر نشكر لفضيلتكم حسن لقائكم .

ـ فضيلة الإمام الأكبر :

شكرا لكم وآمل أن اطلع على ما يكتب إن شاء الله .

# فتوى



## في جناية قتل

لا يجوز لأحد من أولياء القتيل ولو كان ابنه القصاص من القاتل الذى حكم عليه بالسجن فى هذه الجناية بعد الإفراج عنه

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله

وبعـــد

فقد ورد إلى مكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر خطاب من السيد/التمراوى أحمد التمراوى ــ كلية الشريعة والقانون بأسيوط ، يفيد بما ملخصه أن عم أبيه قتل أباه عمداً مع سبق الإصرار والترصد بطعنة نافذة أردته قتيلا ، وقبض على القاتل وهو مدرس خريج كلية أصول الدين ، وانتهى القضاء فى جريمة القتل المذكورة إلى الحكم بخمس عشرة سنة سجنا للجانى الذى خرج من السجن بعد سبع سنوات ، ووجود هذا الجانى أمامه فى صحة جيدة يحرك فى نفسه الأخذ بحق القصاص من قاتل أبيه لأنه ولى الدم ، والقصاص حق يرثه الإبن ، وهو أى السائل دارس ــ قانون وشريعة ــ وسوف يحدد مصير هذا الموضوع فى حدود خمسة عشر يوما ويريد إفادته بالحق وبالعدل ، وأنه يقسم بالله سأفعل ما تقول .

الجـــواب

أولا : قتل النفس عمدا بغير حق جريمة منكرة؛ لا يقرها شرع ولا يتقبلهـا وضع

ولا يستسيغها مجتمع ، لذلك عنيت الشريعة الإسلامية بالمحافظة على دماء الناس عناية تامة ، فنهت عنها ، وشددت فى التنفير منها والنكير عليها وبينت أحكامها الدنيوية والأخروية تحذيرا للنفوس من ارتكابها : صيانة للأرواح وقطعا لعوامل الشر ، وعملا على استقرار الأمن فى المجتمع بكل ممكن من الوسائل .

وقد ورد فى نصوص القرآن الكريم ، والسنة النبوية النهى الصريح عن القتل ففى القرآن الكريم :
يقول الله تعالى :
﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (1) .

ويقول سبحانه :
﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا﴾ (2) .

ويقول ـ عز من قائل ـ :
﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ (3) .

وفى الحديث : عن عبد الله ـ رضى الله عنه عن النبى ـ ﷺ ـ قال :

لا تقتل نفس ظلما إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه كان أول من سن القتل (4) .

وعنه عن النبى ـ ﷺ ـ قال :

( أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة فى الدماء ) (5) .

وعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ـ ﷺ ـ قال :

( اجتنبوا السبع الموبقات ؛ قالوا : يا رسول الله وما هن ؟

قال : الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولى يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات ) (6) .

**ثانيا** : شرع الله القصاص من القاتل ، عقوبة دنيوية له حقنا للدماء ، وكفا عن العدوان على الأرواح ، وحياة للناس ، ورفعا للأحقاد من النفوس ، وقد جعل الله لأولياء الدم سلطانا على القاتل الذى يثبت عليه القتل ، ومع ذلك حبب إلى نفوسهم العفو عنه ، وذكرهم بعاطفة منبع التراحم والتسامح ، وحذرهم من نقض العفو نفاذا لقول الله ـ تعالى ـ :
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١٧٨ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (7) .

وروى البيهقى وغيره عن أنس ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ـ ﷺ ـ كان ما رفع إليه قصاص قط إلا أمر فيه بالعفو (8) .

**ثالثا** : لا خلاف بين الأئمة فى أن القصاص فى

---

(1) من الآية رقم ١٥١ من سورة الأنعام .
(2) سورة الاسراء الآية ٣٣ .
(3) سورة النساء الآية ٩٣ .
(4 ، 5) روى الحديثين البخارى ، ومسلم ، والنسائى ، والترمذى ، « التاج الجامع » للأصول ج٣ ص٣ .
(6) رواه البخارى ، ومسلم ، وأبو داود ، والنسائى والترمذى « التاج الجامع » للأصول ج٣ ص٥
(7) الآيتان رقم ١٧٨ ، ١٧٩ من سورة البقرة .
(8) كتاب « الفقه على المذاهب الأربعة » ج٥ ص ٢٥٩ .

القتل لا يقيمه إلا أولو[9] الأمر الذين فرض عليهم النهوض بالقصاص وإقامة الحدود وغير ذلك .

لأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ خاطب جميع المؤمنين بالقصاص[10] ، ولما كان لا يتهيأ للمؤمنين جميعا أن يجتمعوا على القصاص ، فأقاموا السلطان مقام أنفسهم فى إقامة القصاص وغيره من الحدود[11] .

ولذلك يرى الفقهاء أن السياسة الشرعية لها تأثير عظيم فى تنظيم الأحكام وتركيز الحقوق .

وتخريجا على ذلك فلا يجوز لأحد أن يقتص من أحد حقه دون السلطان الذى أعطاه الله هذه السلطة ، وليس للناس أن يقتص بعضهم من بعض ؛ وإنما يكون ذلك للسلطان أو من نصبه السلطان لذلك ؛ ولهذا جعل الله السلطان ليقبض أيدى الناس بعضهم عن بعض[12] .

---

(9) يراجع فى هذا كتاب «نصب الراية لأحاديث الهداية» للزيلعى الحنفى جـ3 ص326 ط / أولى مطبعة دار المأمون شبرا 1357 هـ 1938 م الحديث السادس عشر :
قال عليه السلام : ( أربع إلى الولاة وذكر منها الحدود ).
قلت : غريب .
وروى ابن أبى شيبه فى ( مصنفه ) حدثنا عبده عن عاصم عن الحسن قال : (أربعة الى السلطان ، الصلاة ، والزكاة ، والحدود ، والقصاص أ هـ
حدثنا إبن مهدى عن حماد بن سلمة عن جبلة بن عطيه عن عبد الله بن محيريز قال : (الجمعة والحدود والزكاة والفىء إلى السلطان . أ هـ.
حدثنا عمر بن أيوب عن مغيرة بن زياد عن عطاء الخراسانى قال : (إلى السلطان الزكاة والجمعة والحدود). أهـ.
وهل القصاص من الحدود أولا ؟ : فى الفقه الحنفى والمالكى أن القصاص لا يدخل فى الحدود ، ولا يأخذ كل أحكامها ــ وفى الفقه الشافعى فى قول : إن القصاص يدخل فى أحكام الحدود ، حيث قالوا : إن الحدود ثمان ( يراجع فى هذا حاشية ابن عابدين ج3 ص140 والطحاوى جـ2 ص388 ، والشرح الصغير جـ4 ص425 والتاج والإكليل على مواهب الجليل ج 6 ص 276 ، 319 ، والمنثور فى القواعد ج2 ص39 وكشاف القناع ج6 ص77 ، 89 ، 104 ، 116 ، 128 ، 149 والمغنى ج8 ص156 ، وتبصرة الحكام ج2 ص135 ، والقليــــوبى ج4 ص201 ) ، وفى فتح البارى لابن حجر العسقلانى الشافعى ( شرح صحيح البخارى ) ج12 ص132 ط أولى المطبعة الخيرية 1325 هـ اختلف السلف فيمن يقيم الحدود على الأرقاء : فقالت طائفة لا يقيمها إلا الإمام أو من يأذن له وهو قول الحنفية ، وعن الأوزاعى والثورى لا يقيم السيد إلا حد الزنا ، واحتج الطحاوى بما أورده من طريق مسلم بن يسار قال : كان أبو عبد الله رجل من الصحابة يقول : الزكاة والحدود والفىء والجمعة إلى السلطان .
قال الطحاوى : لا نعلم له مخالفا من الصحابة .
وقد تحدث الشوكانى فى ( نيل الأوطار ) عن هذا فى الجزء السابع فى ( باب السيد يقيم الحد على رقيقه ) بعد أن أورد عدة أحاديث قال ــ ص295 وأحاديث الباب فيها دليل على أن السيد يقيم الحد على مملوكه وإلى ذلك ذهب جماعة من السلف والشافعى وذهبت العترة إلى أن أحد المماليك إلى الإمام إن كان ثم إمام ؛ وإلا كان إلى سيده .
وروى عن الثورى والأوزاعى : أنه لا يقيم السيد إلا حد الزنا .
وذهبت الحنفية إلى أنه : لا يقيم الحدود على المماليك إلا الإمام مطلقا ثم نقل أن أهل المدينة كانوا يقولون : لا ينبغى لأحد أن يقيم شيئا من الحدود دون السلطان إلا أن للرجل أن يقيم حد الزنا على عبده أو أمته .
وجاء فى ( المحلى ) لابن حزم ج 11 ص165 ــ بعد أن نقل الآثار فى هذا وخلاف الفقهاء قال : فلما اختلفوا نظرنا فى ذلك لنعلم الحق فنتبعه عن الله ـ تعالى ـ فوجدنا أبا حنيفة وأصحابه يحتجون بما روى عن مسلم بن يسار عن أبى عبد الله ــ رجل من أصحاب رسول الله ــ ﷺ ــ قال : كان ابن عمر يأمرنا أن نأخذ عنه ، قال : هو عالم فخذوا عنه فسمعته يقول : الزكاة ، والحدود ، والفىء ، والجمعة إلى السلطان . وعن الحسن البصرى أنه ضمن من هؤلاء أربعا : الجمعة والصدقة والحدود والحكم .
وعن ابن محيريز أنه قال : الحدود والفىء والزكاة والجمعة إلى السلطان .
قال ابن حزم ص166 : ما نعلم لهم شبهة غير هذا ، وكل هذا لا حجة لهم فيه لأنه ليس فى شىء مما ذكروا أن لا يقيم الحدود على المماليك ساداتهم ، وإنما فيه ذكر الحدود عموما إلى السلطان ، هكذا نقول لكن يخص من ذلك حدود المماليك إلى ساداتهم بدليل أن وجد ومما تقدم يتضح : أن إسناد إقامة الحدود إلى السلطان أو من يأذن له بوجه عام لا خلاف عليه وفقط جرى الخلاف فيمن يقيم الحد على الرقيق ، وليست بنا حاجة إليه فى هذا العصر فالعموم فى الحديث المرقوم قائم لا مناقض له ، ويدخل فى هذا القصاص فى العمد حيث لا يتولاه إلا أولو الأمر .

(10) سبق الخطاب فى الآية 178 من سورة البقرة .

(11) «الجامع لأحكام القرآن الكريم» للقرطبى عند تفسير الآية 178 من سورة البقرة ج2 ص245 ، 246 ط1987 الهيئة العامة للكتاب .

(12) المغنى ج 10 ص146 وما بعدها ، وشرح فتح القدير ، ج 4 ص129 ، والمهذب ج2 ص287 ــ وأسنى المطالب ج 4 ص132 ، وشرح الزرقانى. ج8 ص84 ، والفقه على المذاهب الأربعة ج5 ص249 ، وتفسير القرطبى ج2 ص256 سالف الذكر وحاشية قليوبى وعميرة على شرح الجلال المحلى ج3 ص123 فقه شافعى .

والسلطان الذى جعل لولى الدم ليس هو الاستيفاء الفعلى ، وإنما هو حق الطلب وهو المقرر فى الشريعة ، الثابت بالنصوص .

وقد جاء فى «تبصرة الحكام» لابن فرحون المالكى فى بيان ما يفتقر لحكم الحاكم وما لايفتقر ما يأتى : إن كل ما يحتاج إلى نظر وتحرير وبذل جهد فى تحرير سببه ومقدار سببه لابد فيه من حكم الحاكم ثم عد من جزئيات ذلك الحدود ، وقال فيها : ( إنها تفتقر إلى حكم الحاكم وإن كانت مقاديرها معلومة لأن تفويضها لجميع الناس يؤدى إلى الفتن والشحناء والقتل ، وفساد الأنفس والأموال .. ثم قال : وكذلك ما جرى هذا المجرى كاستيفاء القصاص )[١٣].

هــــذا :

وقد قرر فقهاء المالكية أن ولى الدم إذا باشر قتل الجانى بغير تفويض من الإمام أو نائبه فإنه يؤدب لافتئاته على الإمام فى حقه .

وجاء مثل ذلك فى كتب الشافعية وبهذا يعرف أن حكم الحاكم أمر لابد منه فى استيفاء القود ، وأن الاستيفاء حق للحاكم له أن يفوضه لولى الجناية فى النفس فقط ، وأن يفوضه ولغيره ممن يختار فى النفس ، وفيما دونها[١٤] .

رابعا : القضية موضوع السؤال ، نظرت أمام القضاء ، ومثل الجانى بين أيدى هيئة المحكمة ثم قضت بما جاء فى كتاب السائل من الحكم بسجن القاتل خمس عشرة سنة ، استوفى بعضها ، ومن المعلوم قضاء أن حكم القضاء عنوان الحقيقة ظاهرا ، فليس لابن المجنى عليه أن يُقدم على إرتكاب جريمة قتل قصاصا لدم أبيه بعدما قضت المحكمة بما قضت به ، ويفوض الأمر لله ــ سبحانه ــ فهو الحكم العدل .

وعلى السائل أن يقدم على العفو الذى ندب الله إليه بقوله ــ تعالى ــ:

« فمن عفى له من أخيه شىء[١٥] الآية .

وحين يقدم السائل ، ويقبل العفو مختارا يكون قد أسهم فى رأب الصدع الذى حدث فى عائلته نتيجة قتل ابن عم أبيه لأبيه ، وأصلح بذلك بين قومه وعشيرته ، ويصبح قدوة صالحة فى قريته ، والقرى المجاورة ، تقتدى به القبائل والعشائر ، وينال الخير الموعود به فى قول النبى ــ ﷺ ــ : (« لأن يهدى الله بك رجلا واحداً خير لك من حمر النعم )[١٦] .

نقول ذلك وبخاصة أن السائل ذكر فى كتابه أنه دارس قانون وشريعة فى كلية الشريعة والقانون بأسيوط .

ومن ثم فعليه ألا يتخلى عن العمل بالشريعة والقانون ، وأن يرضى بالحكم القضائى الذى صدر فهو عنوان الحقيقة ظاهرا ، وعليه أن يجاهد نفسه ولا يتبع غير سبيل المؤمنين ، بل يعفو ويصلح ..

﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ ســـورة الشورى

وفيما تقدم جواب عن السؤال وبيان الحكم للسائل .

والله أعلم .

---

(١٣) تبصرة الحكام فى أصول الأقضية ومناهج الأحكام لابن فرحون المالكى بهامش فتح العلى المالك فى الفتوى على مذهب الإمام مالك للشيخ محمد عليش ، ج١ ص٨٣ ، ٨٤ ط أولى ١٣١٩ هـ مطبعة التقدم العلمية بمصر .

(١٤) شرح الجلال المحلى الشافعى على منهاج الطالبين ج ٣ ص ١٢٣ مع حاشيتى قليوبى وعميرة مرجع سالف الذكر .

(١٥) سبق ذكرها فى هذا الجواب من هذه الفتوى .

(١٦) الجزء الأول من كتاب التاج الجامع للأصول ص ٦٣ وقد خرج الحديث البخارى ومسلم وأبو داود .

# فتوى
## في ملاحظات سلوكيات فئة تتصدى للدعوة إلى الله

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﷺ

وبعد :

**فقد ورد إلى مكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر خطاب من / أبو محمد عبدالعظيم العبادى ـ عنوانه أم درمان ـ السودان .**

**وقد تضمن أنه لاحظ الآتى :**

١ ـ مرور جماعات من شباب وشيوخ بلدانهم متنوعة (السودان ، مصر ، باكستان ، عرب آخرون ) يسمون أنفسهم بأسماء مختلفة مثل : (جماعة البلاغ) ، ملابسهم متشابهة ، أصحاب لحى ، بعضهم تصل لحيته إلى سرته يقولون :

إنهم خارجون فى سبيل الله ..
هل للإسلام فى ذلك رأى ؟

٢ ـ لوحظ أن بعضهم لا يقول لمن بجواره من المصلين (يتقبل الله) حسب ماتعودنا ـ وأيضاً ـ إذا رفع الإمام يديه بالدعاء عقب الصلاة لايشاركونه بل ، يقومون دفعة واحدة ، وقد يسارع أحدهم إلى مكبر الصوت ليتكلم ، وربما لم يكن أتم تسبيح الصلاة ، وقد يستأذن ليتحدث ، وقد لا يستأذن .

٣ ـ لا يراعون أصحاب الأعذار من المرضى ، وذوى الحاجات بأن يعلنوا قبل الصلاة أن أحدهم سوف يتحدث عقب الصلاة ، فيبقى من يريد الاستماع ، ويخرج صاحب العذر قبل بدء الحديث بلاحرج .

٤ - بعض المسلمين لايرتاحون إليهم - وبخاصة - عند الهرولة داخل المسجد للتحدث مع ما يظهر أن المتحدث ليس بفقيه ، ولا بالمتعلم ؛ لذا نجد الواحد منهم يفتقر للأسلوب اللبق ، فما يلبث أن يقرأ آية ، وحديثا ثم ينطلق فجأة لينكر على الصوفية ، ويهاجمهم وينعتهم بأنهم (كهّان) وأن أتباعهم مشركون ، ولو أنه التزم بالآية والحديث لاستمع الناس إليه بدل أن يتفلتوا واحداً بعد الآخر ، والمتحدث يلتفت يمينا وشمالا كأنما يقول لهم : (أنتم صوفية) وهؤلاء لم يراعوا قول الله تعالى : «أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة» وقول الرسول ﷺ : (يسروا ولا تعسروا ، وبشروا ولاتنفروا ..) .

٥ - هذه الشعب هى فى نظرى دسائس ينتظر منها شرور كثيرة ولا أقول شطارات وعبقريات لازمة لتصحيح ما بعقول الجهلاء من أمتنا ، وتذكير الغافلين بل هى فى نظرى تعوق انطلاق الإسلام إلى مايجب أن يبلغه .

وفى الختام : أرجو تنوير الأمة من خلال هذه الملاحظات ، واستغفر الله لى ولكم إنه كان غفارا .

**وأجاب فضيلته :**

أولا :

أمر الله رسوله محمداً - ﷺ - بتبليغ رسالة ربه للناس جميعا ، فبلغ استجابة لقوله تعالى :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾(١)

وفى بلاغه - ﷺ - للناس قال لهم :

﴿ وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾(٢) .

وقال :

﴿ قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾(٣) .

وكان فى ذلك متبعاً قول الله تعالى :

﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ﴾(٤) .

فكان بذلك المثل الأعلى والقدوة الحسنة والأسوة الطيبة .

اتخذ أسلوب الحكمة والموعظة الحسنة سبيلا لإخراج الناس من الظلمات إلى النور وهدايتهم إلى الصراط المستقيم فى ضوء المنهج الإسلامى الصحيح :

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾(٥)

---

(١) من الآية رقم ٦٧ من سورة المائدة .
(٢) الآية ١٥٣ من سورة الأنعام .
(٣) الآية رقم ١٠٨ من سورة يوسف .
(٤) من الآية رقم ١٥ من سورة الشورى .
(٥) من الآية رقم ١٢٥ من سورة النحل .

ثانيا :

خاطب الله الأمة الإسلامية بأنها خير أمة أخرجت للناس لقيامها بمهمة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . فقال تعالى :

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾(٦) .

وأكد فلاح الأمة الداعية للخير ، والآمرة بالمعروف والناهية عن المنكر فقال :

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾(٧) .

وقد وجه رسول الله - ﷺ - أمته إلى تحصيل فضيلتين عظيمتين :

الأولى :

التفقه فى دين الله ؛ لينال الفقيه الخيرية التى أرادها الله :

فقد روى معاوية عن النبى - ﷺ - قال : (من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين)(٨) .

الثانية :

فضيلة تبليغ القرآن الكريم والسنة النبوية :

فعن عبدالله بن عمرو عن النبى - ﷺ - قال : (بلغوا عنى ولو آية ..)(٩) .

وعن ابن مسعود عن النبى - ﷺ - قال : (نضر الله امرأ سمع منا شيئا فبلغه كما سمعه ؛ فرب مُبلَّغ أوعى من سامع)(١٠) .

وكما وجه النبى - ﷺ - أمته - فيما سبق - بشرها ، وحذرها : فبشرها بأن هداية رجل واحد خير للداعى من الإبل المحببة للنفس :

فعن سهل بن سعد - رضى الله عنه - أن النبى - ﷺ - قال لعلى - رضى الله عنه : (فوالله لأن يهدى الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم)(١١) .

وحذرها من تعلم العلم لغير الله ، خشية دخول النار : فعن ابن عمر عن النبى - ﷺ - قال :

(من تعلم علما لغير الله أو أراد به غير الله فليتبوأ مقعده من النار)(١٢) .

---

(٦) من الآية رقم ١١٠ من سورة آل عمران .

(٧) الآية رقم ١٠٤ من سورة آل عمران .

(٨) متفق عليه - رياض الصالحين للنووى - كتاب العلم صـ ٥٧٧ ط النهضة الحديثة بمكة المكرمة .

(٩) من حديث رواه البخارى ونصه : (بلغوا عنى ولو آية وحدثوا عن بنى إسرائيل ، ولا حرج ومن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار) فتح البارى بشرح صحيح البخارى - كتاب الأنبياء - باب ماذكر عن بنى إسرائيل جـ ٦/ صـ ٤٩٦ ط مؤسسة مناهل العرفان - بيروت ومكتبة الغزالى دمشق ، ورواه الترمذى - بنفس اللفظ وقال : حديث حسن صحيح - الجامع الصحيح (سنن الترمذى) كتاب العلم باب ما جاء فى الحديث عن بنى إسرائيل جـ ٥ صـ ٣٩ - ط دار الكتب العلمية - بيروت .

(١٠) رواه أبو داود والترمذى وابن حبان فى صحيحه إلا أنه قال : (رحم الله امرأ) . وقال الترمذى : حديث حسن صحيح ، الترغيب والترهيب للمنذرى جـ ١ صـ ١٠٨ ط قطر الوطنية .

(١١) متفق عليه - رياض الصالحين للنووى كتاب العلم صـ ٥٧٨ ط النهضة الحديثة مكة .

(١٢) رواه الترمذى وابن ماجه كلاهما عن خالد بن دريك عن ابن عمر ولم يسمع منه ، ورجال إسنادهما ثقات ، الترغيب والترهيب للمنذرى جـ ١ صـ ١١٦ ، ١١٧ ط قطر الوطنية .

وعن كعب بن مالك عن النبى - ﷺ - قال :

« من طلب العلم ليجارى به العلماء ، أو يمارى به السفهاء ويصرف به وجوه الناس إليه ، أدخله الله النار »[13] .

ثالثا :

من هدى رسول الله - ﷺ - فى الدعوة إلى الله أنه كان رفيقا بالناس يكرر القول حتى يُفهَم عنه ويُحفظ ؛ ييسر لهم ولايعسر عليهم ويبشرهم ولاينفرهم ، ويخفف عنهم ولايثقل عليهم ، لايمل السامع له موعظة ، لأنه - ﷺ - ما كان ليسئم الناس بطول حديث أو بكثرة كلام .

روى أنس عن النبى - ﷺ - قال : (يسروا ولاتعسروا وبشروا ولاتنفروا)[14] .

وعن أبى وائل قال : كان عبدالله بن مسعود يذكرنا فى كل خميس مرة ، فقال له رجل ياأبا عبدالرحمن لوددت أنك ذكرتنا كل يوم فقال : أما إنه يمنعنى من ذلك أنى أكره أن أملكم ، وإنى أتخولكم (أتعهدكم) بالموعظة كما كان النبى - ﷺ - يتخولنا بها مخافة السآمة علينا)[15] .

هذا هدى رسول الله ﷺ وأى بشر أحسن منه هديا أو أصدق منه قولا أو أعجب منه سمتا ووقارا ؛ فلقد أثر عنه - ﷺ : أنه كانت له عمامة ولحية يُعْنَى بتنظيفها ، وتخليلها وتمشيطها وتهذيبها ؛ لتكون متناسبة مع تقاسيم الوجه والهيئة العامة ، وتابعه فى ذلك الصحابة - رضى الله عنهم - .

ومن هديه القصد والتواضع ، فقد روى البخارى فى صحيحه أن النبى - ﷺ - قال : (كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا فى غير سرف ولا مخيلة)[16] .

وفى هذا يقول الله تعالى :

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾[17]

رابعا :

الإسلام يحبب فى الدعوة إلى الله بواسطة علمائه المتخصصين أو جماعة صالحة تقتفى هدى رسول الله - ﷺ - فى تبليغ دعوة ربه وتُعرِّف الناس بنفسها ، ولاتدعى أنها المؤهلة للدعوة دون غيرها ، وتدعو الناس بالحكمة والموعظة الحسنة ، وتراعى أحوالهم ، وما يناسب ظروفهم وتجمعهم ولاتفرقهم ، ولاتتصرف بما يعوق مهمتها ، وتعالج ما يخالف الدين بالدين ، ولا تصف من أعلنوا شهادة الإسلام وأقاموا أركانه بكفر أو شرك ، والداعى المصلح من يُقَوِّم ما أعوج ويصلح مافسد ، ويلفت أنظار الناس إلى شرائع الإسلام

---

(١٣) رواه الترمذى واللفظ له وابن ابى الدنيا فى كتاب الصمت وغيره والحاكم شاهدا والبيهقى ، وقال الترمذى حديث غريب - المرجع السابق جـ ١ ص ١١٦

(١٤) رواه البخارى ومسلم - الترغيب والترهيب للمنذرى جـ ٣ صـ ٤١٧ ط قطر الوطنية .

(١٥) متفق عليه - رياض الصالحين للنووى صـ ٣٦٠ باب الوعظ والاقتصاد فيه .

(١٦) فتح البارى بشرح صحيح البخارى جـ ١٠ صـ ٢٥٢ كتاب اللباس - ط مؤسسة مناهل العرفان - بيروت .

(١٧) الآية رقم ٣١ من سورة الأعراف .

ومحاسنه ، ويوجههم إلى مايحفظ عليهم عقيدة الإيمان دون أن يشعرهم بحرج يجعلهم ينفضون من حوله ، وبذلك ينال الخير الموعود :

**( لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم )**(١٨) .

وبهذا الأسلوب الدقيق المتزن تُبلَّغ دعوة الإسلام إلى كل أطراف الدنيا ؛ لأنه دين عالمى ، والنشاط فى الدعوة إليه يجب أن يُدْعم ويَستمر مع وجوب الإخلاص للدعوة بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية ، وعلى المسلمين أن يوفدوا بعض أبنائهم إلى المؤسسات الدينية وفى قمتها الأزهر الشريف ليتعلموا حقائق الدين ، ويتفقهوا فى علومه ويرجعوا حاملين رسالة الإسلام يبشرون بها أقوامهم وينذرونهم وفى هذا يقول الله تعالى :

﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾(١٩)

وفى نشر الوعى الدينى الصحيح حماية للمسلمين فى داخل أوطانهم من غزو الأفكار الأجنبية وتنوير للجاليات الإسلامية خارج بلاد الإسلام بمفاهيم دينهم وحقيقة إسلامهم ؛ لرد الشبهات التى يثيرها أعداؤهم ، ويجب أن يعتبر كل مسلم نفسه داعيا إلى الله بما يحسنه من العلم ويتقنه من المعارف الإسلامية وبما يتحلى به من خلق كريم ، وأدب رفيع ؛ لأن للقدوة الحسنة أثرها الطيب فى نشر الإسلام ، وغرس قيمه فى قلوب الجماهير .

وعلى شعوب الأمة الإسلامية أن تتحصن بالدين الخالص ، وأن تكون متيقظة دائماً وتأخذ العلم عمن اختصهم الله به ، ولاتغفل عمن يريدون بها الشر أو يدسون لها السم فى العسل .

هــــذا :

ولقد أُثر عن رسول الله ـ ﷺ ـ حسن المقال فى النهى عن سيىء الأفعال ، وفاحش الأقوال ، فلم يصرح ـ ﷺ ـ باسم إنسان بذاته أو فئة بوصفها وإنما كان يقول :

( مابال أقوام قالوا كذا وكذا .. )(٢٠) .

وهذا مايشير إليه قول الله ـ سبحانه ـ فى سورة البقرة .

﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾(٢١) .

فهؤلاء الذين أشار إليهم السائل فى خطابه : عليهم ـ إذا كانوا جادين فى تبليغ الدعوة الإسلامية أن يتخلقوا بأخلاق رسول الله ـ ﷺ ـ وبطريقته فى الخطاب والبلاغ ، وألا يذكروا أحداً بشخصه أو بوصفه أو فئة محددة بالمثالب أو بما يشعر بانحرافها عن جادة الصواب ، وإنما يذكرون الفعل أو القول غير الجائز أو غير

---

(١٨) سبق تخريجه .

(١٩) الآية رقم ١٢٢ من سورة التوبة .

(٢٠) من حديث رواه مسلم فى صحيحه ونصه : عن أنس أن نفرا من أصحاب النبى ـ ﷺ ـ سألوا أزواج النبى ـ ﷺ ـ عن عمله فى السر فقال بعضهم : لا أتزوج النساء وقال بعضهم : لا آكل اللحم وقال بعضهم لا أنام على فراش ، فحمد الله وأثنى عليه فقال : ( ما بال أقوام قالو كذا وكذا لكنى أصلى وأنام وأصوم وأفطر واتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى ) صحيح مسلم بشرح النووى جـ ٩ صـ ١٧٥ ، ١٧٦ ـ كتاب النكاح ط دار الكتب العلمية بيروت ورواه البخارى أيضا عن أنس بألفاظ متقاربة ـ فتح البارى بشرح صحيح البخارى كتاب النكاح جـ ٩ صـ ١٠٤ ط مكتبة الغزالى بدمشق ومناهل العرفان ـ بيروت .

(٢١) من الآية رقم ٨٣ .

الصحيح ويعقبون بالجائز أو بالصحيح بيانا لوجه الحق الموافق لحكم الإسلام على حد قول الرسول ـ ﷺ ـ سالف الذكر : (مابال أقوام قالوا كذا وكذا..) .

وهذه نصيحة يقدمها الأزهر الشريف إلى كل من يتصدى للعمل بالدعوة الإسلامية وإبلاغها إلى الناس أن يلتزم بدستورها وآدابها التى وردت فى القرآن ، وجملة ذلك قول الله ـ سبحانه ـ فى سورة النحل :

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾[٢٢]

وثناء الله على رسوله ـ ﷺ ـ ووصفه بأحسن الأوصاف ، دعوة للناس للاقتداء به حيث قال فى سورة آل عمران :

﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾[٢٣]

وفى سورة الأحزاب :

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾[٢٤]

ومتى أساء القول أو الفعل أحد ممن يتصدى للدعوة وإبلاغها فقدَ القدوة والتأثير فى سامعيه ، وعلى هؤلاء وأمثالهم أن يقرأوا سيرة رسول الله ـ ﷺ ـ وأصحابه ليروا ويعلموا ، كيف علّموا الناس وكيف بلغوا رسالة الله .

هـــذا :

وترك هؤلاء بعض ما اعتاده الناس ـ فى مصر أو السودان وغيرهما من المصافحة بعد الصلاة ، وتبادل الدعوات بعبارة : (يتقبل الله) أو (حرما) تلك التى يعنون بها الدعاء بالصلاة معا فى حرم الله بمكة أو ترديد بعض الدعوات جماعة هو من باب الخلاف فى العادت لا فى العبادات المسنونة أو المأثورة .

إذ أن المأثور من قول الرسول ـ ﷺ : (تسبحون وتحمدون وتكبرون خلف كل صلاة ثلاثا وثلاثين)[٢٥] .

وفعل هذا جماعة غير مأثور ويجوز إذا أريد منه تعليم الناس هذه السنة ، وكذلك القنوت جهراً بعد هذا التسبيح هو من العادات الحسنة فى بعض البلاد للتعليم ، وفى كل حال لايعد فعله أو تركه محل لوم أو عتاب .

ومما سبق يُعلم الجواب عن تلك الملاحظات الواردة بذلك الكتاب .

وهذا إذا كان الحال كما جاء به .

والله سبحانه وتعالى أعلم .

---

(٢٢) من الآية رقم ١٢٥ .

(٢٣) من الآية رقم ١٥٩ .

(٢٤) من الآية رقم ٢١ .

(٢٥) من حديث متفق عليه ونصه : (عن أبى هريرة) رضى الله عنه ـ قال : جاء الفقراء إلى النبى ـ ﷺ ـ فقالوا : ذهب أهل الدثور من الأموال بالدرجات العلا والنعيم المقيم يصلون كما نصلى ويصومون كما نصوم ، ولهم فضل من أموال يحجون بها ويعتمرون ويجاهدون ويتصدقون . قال : (ألا أحدثكم بما إن أخذتم به أدركتم من سبقكم ولم يدرككم أحد بعدكم وكنتم خير من أنتم بين ظهرانيهم إلا من عمل مثله ؟ تسبحون وتحمدون وتكبرون خلف كل صلاة ثلاثا وثلاثين) . فاختلفنا بيننا فقال بعضنا : نسبح ثلاثا وثلاثين ونحمد ثلاثا وثلاثين ونكبر أربعا وثلاثين . فرجعت إليه فقال : (تقول سبحان الله ، والحمد لله ، والله أكبر حتى يكون منهن كلهن ثلاثا وثلاثين) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان كتاب المساجد ، ومواضع الصلاة باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته حديث رقم ٣٤٨ جـ ١ صـ ١١٨ ط دار الحديث .

# رسالة الإمام الأكبر إلى رئيس مجلس الشعب

# ما سمي بكتب التنوير لم تعرض على الأزهر

## كتب فضيلة الإمام الأكبر الخطاب التالي إلى رئيس مجلس الشعب

د. الأستاذ الدكتور/أحمد فتحي سرور

رئيس مجلس الشعب

....السلام عليكم ورحمة الله وبركـــاته ... وبعـــد :

فبمناسبة ما نشرته الصحف صباح يوم ١٩٩٣/٥/٢٠ م عما أثير بالمجلس الموقر فى استجواب السيد وزير الثقافة فى شأن بعض المطبوعات ، وما نسب إلى سيادته من قوله : ( هذه الكتب والمجلات تعرض على الأزهر قبل إصدارها ) .

أبعث مع هذا بيان الإدارة العامة للبحوث والتأليف والترجمة بمجمع البحوث الإسلامية المختصة تعقيبا على ما نشر منسوبا للسيد الوزير .

رجـاء التفضل بتوثيق هذا التعقيب ....

مع خالص التقـدير .....

والسلام عليكم ورحمة الله وبركـــاته ....

شيخ الأزهـــر

( جاد الحق على جاد الحق )

بسم الله الرحمن الرحيم .

| AL-AZHAR<br>ISLAMIC RESEARCH ACADEMY<br>GENERAL DEPARTMENT<br>For Research, Writting & Translation | الأزهـــر<br>مجمع البحوث الاسلامية<br>الادارة العامة<br>للبحوث والتأليف والترجمة |
|---|---|

## بيـــان وتوضيـــح

من الإدارة العامة للبحوث والتأليف والترجمة بمجمع البحوث الاسلامية بالأزهر الشريف

---

نشرت بعض الصحف اليومية و المجلات الأسبوعية اعلانا تحت عنوان :

وزارة الثقافـــة ... هيئة الكتـــاب

تواجه الارهاب بالتنوير ...

( تعلن فيه عن وجود سلسلة من الكتب المباعة و فى مكتبات الهيئة بسعر رمزى )

ونسبت الصحف تصريحات الى بعض المسئولين أن هذه الكتب والمجـــلات التى تصدرها الهيئة تعرض على الأزهر قبل إصدارها .

ولما كان ما جاء بهذا التصريح على هذا الوجه يغاير الحقيقة فإن تلك الكتب المعلن عنها لم تعرض على الأزهر الشريف من قبل إصدارها بمعرفة الهيئـــة سوى كتاب واحد وهو : موقف الاسلام من العنف للاستاذ حسن محمود خليل المحامى حيث عرضه مؤلفه بنفسه على الإدارة و روجع وأجيز نشره قبل الاصدار ..

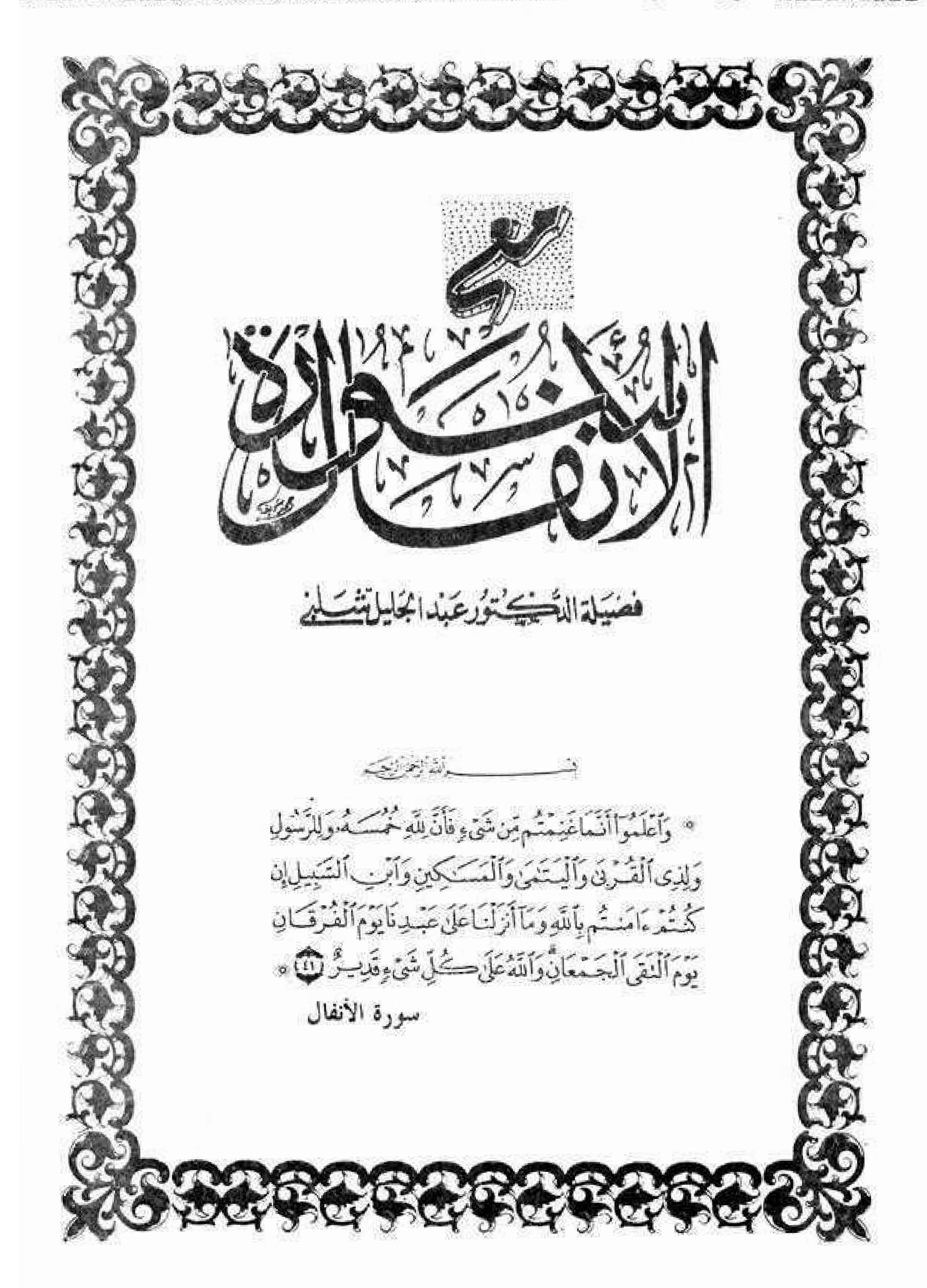
رجاء التفضل بالنشر ..

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

تحريرا فى ١٤١٣/١٢/٢ هـ
١٩٩٣/٥/٢٣ م

مدير عام
الادارة العامة للبحوث والتأليف والترجمة
" ( فتح الله يس جزر ) "

يُنشر بجميع وسائل الإعلام (الصحف)
١٩٩٣/٥/٢٤



# سورة الأنفال

فضيلة الدكتور عبد الجليل شلبي

بسم الله الرحمن الرحيم

« وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٤١) »

سورة الأنفال

**الغنيمة ، والغنم - بضم الغين - والمَغْنَم ما يناله الإنسان من غير مشقة ، ويقال : غنيمة باردة ، أى جاءت بدون تعب ومشقة ، وما يؤخذ من الأعداء يسمى غُنْماً وغنيمة ومغنماً أيضاً ، سواء أخذ بمشقة وحرب أو بدون ذلك .**

**وما أخذ من الكفار قهرا بحرب أو إيجاف هو من الغنيمة أيضا ، ولكنه لايخمس إلا إذا كان بإذن وتوجيه من الحاكم العام ، وما أخذ اختلاسا وبدون توجيه لايسمى فى الإسلام غنيمة ولايخمس ، ولكنه من حيث اللغة غنم لانه جاء بدون مقابل ، فهو ربح ، ويقابل الغنم الغُرْم - أى الخسارة ويقال غرم الشخص الدية وغرم الدين بمعنى أداه ، كما يقال غنم بمعنى حصل على الشىء . قال الحطيئة :**

وباتوا كراما قد قضوا حق ضيفهم
وما غرموا غُرْماً ، وقد غنموا غُنْماً

ويقال : غرَّم خصمه وأغرمه .

وهناك الفىء ، وهو كل ماصار للمسلمين من أموال خصومهم المشركين ، بأى وجه ، فإذا وضعت الحرب أوزارها وصارت الدار دار سلام ، صار المال المأخوذ لبيت المال ، فهو مال المسلمين جميعاً ولايخمس ، وجاء فى القرآن الكريم :

﴿مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ﴾(1) ..

وجاء أيضاً : ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾(2) .. فهو على أى حال أعم من الغنيمة ، وقيل أيضاً : إن الفىء ما كان عن صلح بغير قتال ، والغنيمة : ما كانت عنوة بقتال - فهما إذن متقابلان .

والغنيمة - على ما قلنا فى تعريفها - أعم من النفل ، لأن النفل ما جاء منحة من الله ومن غير مشقة ، وما يعطى لبعض الناس قبل قسمة الغنيمة . وقد قال رسول الله - ﷺ - لأصحابه وهو يدعوهم لمقابلة العير يوم بدر : (لعل الله أن ينفلكموها) .. ويرى الفقهاء أن كل ما حل أخذه من مال المشركين المحاربين فىء .

وقد قتل المغيرة بن شعبة رفاقاً له وهم عائدون من مصر واستولى على ما كان معهم ، وكان لايزال مشركاً ثم أعلن إسلامه وجاء بغنيمته إلى رسول الله - ﷺ - فأبى أن يأخذ منها شيئاً ، ولم يعاقب لأن الإسلام يجب ما قبله .

والسَّلَبُ : ما يسلب من المقتول فى المعركة من سلاح وثياب ودابة .. وهذا يعطى للقاتل إذا جعل الإمام له ذلك - وقد قال النبى - ﷺ - يوم بدر أول المعركة : (من قتل قتيلا فله سلبه) ، أما إذا لم يقل ذلك فمتاع القتيل من الغنيمة وكان لدى العرب المرباع والصفايا ، وهو ما يصطفيه سيد القوم لنفسه ، وكان رسول الله - ﷺ - يصطفى لنفسه شيئاً من الغنيمة سبياً أو أسلحة ، ويفىء منه على من يراه مستحقاً من أصحابه .

---

(1) سورة الحشر الآية ٧

(2) سورة الحشر الآية ٦

والآية : ﴿وأعلموا أنما غنمتم ..﴾ جاءت عقب الأمر بقتال المشركين ، «وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة» ، والقتال عادة يتبعه غنم ، فذكرت الآية تخميسه ، و«ما» فى أنما موصولة ، وكان حقها أن تكتب منفصلة هكذا ، واعلموا أن ماغنمتم ، والعائد محذوف ، والتقدير وأعلموا أن ماغنمتموه ، وكلمة «من شىء» عامة ، تشمل كل شىء صغيراً كان أو كبيراً قليلاً أو كثيراً . ويوم حنين قال ـ ﷺ ـ : (مالى من فيئكم .. إلا الخمس والخمس مردود عليكم ، فأدوا الخيط والمخيط ، فإن الغلول يكون على أهله عاراً وشناراً وناراً يوم القيامة) . وكان عقيل بن أبى طالب أخذ من الغنيمة إبرة ، وأعطاها امرأته تخيط بها ثيابها ، فسمع المنادى ينادى : من أخذ شيئاً فليرده حتى الخيط والمخيط فرجع بها وألقاها فى الغنيمة ، وجاء رجل من الأنصار بكبة شعر كان قد أخذها ليصلح بها بردعة بعيره فسأل رسول الله ـ فقال : (أما نصيبى منها فلك) ، فقال الأنصارى : أما إذا بلغت هذا فلا حاجة لى بها ، وألقاها .

وإذا كان الجمهور على أن الآية نزلت فى غزوة بدر ، فإن أصحاب السير والفقهاء لم يتفقوا على هذا الرأى ، ولهم أقوال مختلفة ، قيل شرع التخميس فى غزوة بنى قينقاع ، وقيل يوم قريظة ، وقيل يوم حنين .. وكل هذا لا ينافى أن التخميس كان معروفاً ومعمولاً به من قبل ، وإنما الخلاف فى يوم فرضه ، وفى سرية عبدالله بن جحش ، وكانت قبل غزوة بدر ـ قال عبدالله لأصحابه : إن لرسول الله مما غنمنا الخمس ، وعزله له ، وقسم باقى الغنيمة بين أصحابه .

وقد جاء فى أول السورة أن الأنفال لله ولرسوله ، وقال بعض المفسرين : إن الآية نزلت بعد تقسيم غنائم بدر لتفيد بيان مصرف الخمس ، لا أصل مشروعيته .

قال الزمخشرى : «فأن لله خمسه» مبتدأ خبره محذوف ، تقديره فحق أو واجب أن لله خمسه ، ويمكن إعرابه على أنه خبر مبتدؤه محذوف ، تقديره فحكمه أو فالحكم أن لله خمسه ، وعلى كلا الوجهين فتح أن ظاهر ، ورويت الآية فى بعض القراءات بكسر إن على أنها جملة مستقلة ، وقرأ النخعى «فلله خمسه» فالآية خالية على قراءته من التوكيد ، والقراءة لهذا مرجوحة .

وقرىء فأن لله خُمْسه (بسكون الميم) ، وذلك مستعمل فى اللغة ـ يقال خُمُس وخُمْسٌ

وذكر الله ـ سبحانه ـ لتعظيم الرسول ـ ﷺ ـ لأن الله لا يأخذ شيئاً ، وذلك كما فى قوله تعالى : يسألونك عن الأنفال ، قل الأنفال لله والرسول . وبذا يكون التخميس واضحا وعلى أن الآية جاءت لتقسيم الخمس الذى يختص به النبى ـ ﷺ ـ فالأربعة الأخماس للمحاربين . وهذا هو الأشهر والمعمول به ، ومنطوق الآية .

ويراد بذوى القربى بنو هاشم وبنو المطلب ـ دون بنى أخيهما الشقيق عبدشمس ، وأخيهما لأبيهما نوفل ، وذلك لأنه ـ ﷺ ـ اختص هؤلاء دون أولئك ، وقد قال له عثمان بن عفان وجبير بن مطعم : هؤلاء إخوتك بنو هاشم لاينكر فضلهم لمكانك الذى جعلك الله تعالى منهم ، أعطيتهم وحرمتنا وإنما نحن وهم بمنزلة ، نحن وبنو المطلب شىء واحد أو بمنزلة واحدة ،

فقال - عليه السلام - : إنهم لم يفارقونا فى جاهلية ولا إسلام ، إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد ، وشبك بين أصابعه ، ومعروف أن قريشا لما حصرت بنـــى هاشم فى الشعب وقاطعوهم كان معهم فيه بنو المطلب ، ولم يدخله بنو عبد شمس ، ومنهم عثمان ، ولابنو نوفل ، ومنهم جبير بن مطعم فهم من ذوى القربى ولكن لا نصرة لهم للنبى ولاللإسلام ، بل كانـــوا محاربيه .

وهكذا كانت القسمة على عهد الرسالة ، سهم لرسول الله - عليه الصلاة والسلام - وهو المعنى بكلمة «فـلله والرسول» ، وسهم لذوى القربى المذكورين ، والأسهم الثلاثة الباقية ، للأصناف الثلاثة المذكورة .

وبعد موت النبى - ﷺ - سقط سهمه لأنه كان يستحقه برسالة ، وسقط أيضا سهم ذوى القربى ، ويعطى الفقير منهم كما يعطى الفقراء الآخرون ، ولكنهم يقدمون على غيرهم ، وقد منع الخليفة الأول أبو بكر - رضى الله عنه - بنى هاشم الخمس وقال : لكم أن يعطى فقيركم ، ويزوج أيمكم ، ويخدم مالا خادم له منكم ، فأما الغنى منكم فهو بمنزلة ابن السبيل ..

وقال أبو العالية : إن خمس الغنيمة يقسم على ستة أقسام ، واحد منها لله ، وقال ومن تبعه إن السهم الذى لله يصرف لعمارة الكعبة .

وقالوا كان النبى يفعل ذلك سهم لله - سبحانه - ينفق فى المصالح العامة كشعائر الدين ، وعدة الغزاة من السلاح والكراع - أى الخيول والإبل التى تشترى للحرب ، وسهم لرسول الله - ﷺ - بوصفه رئيس الأمة وحاكمها ، والسهم الثالث لذوى القربى ، والثلاثة الأسهم الباقية لليتامى الفقراء والمساكين وأبناء السبيل .

وقال بعض منهم : إن رسول الله - عليه السلام - كان يضرب يده فى هذا الخمس ، فما قبض عليه من شيء جعله للكعبة - فهذا سهم الله .

وقول أبى العالية ومن تبعه مرجوح بدليل أن النبى - ﷺ - قال يوم خيبر ويوم حنين : مالى مما أفاء الله عليكم إلا الخمس ، والخمس مردود عليكم ، ولم يقل : إلا السدس .

وفى أيامنا تجرى الأرزاق على المحاربين فى أوقات السلم وأوقات الحرب ، ويمنحون الجوائز المشجعة ، ولكن الغنائم كلها لبيت المال الذى تؤخذ منه نفقات الدولة للشئون المختلفة ، وقد تقسمت المصالح إلى فروع على كل فرع قيم ، ينفق مما تحت يده فى المصالح التى يراها ، وكل ذلك يندرج تحت عبارة فى سبيل الله - حتى المآدب الكبرى التى تقام لكبار الزوار والمدعوين ، فينبغى أن يكون للدولة أمامهم مظهر ملائم لمكانتها وحضارتها حتى تكون لها هيبة لديهم ، وقد أقر عمر معاوية على موكبه الفخم الذى قابله به ، وقال : نحن أمام دولة لها كذا وكذا فإذا لم يكن لنا مثلهم استهانوا بنا .

فقال عمر : لا آمرك ولا أنهاك .

والدول الراقية الكبيرة تعنى بما يسمى الخدمة الاجتماعية ؛ ومنها مصالح الشعب من العلاج والمواصلات وبناء المدارس والمستشفيات ورعاية المحتاجين أيا كانوا .. فهذا كله عمل فى سبيل الله ، وهو أيضا مصرف من مصارف الزكاة .

ويدخل فى ذلك الأراضى التى تستصلح للزراعة ، والآبار التى تحفر لاستخراج المياه أو البترول أو المعادن ، وللحاكم أن يمنح منها من يراه أهلا للعمل فيها ، وأن يقطع من يستحق الإقطاع . وقد أقطع رسول الله ـ ﷺ ـ وأقطع عمر ولا يغيب عنا ما أقطعه ابن سندر فى مصر .

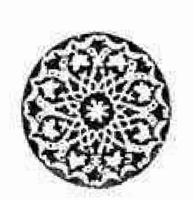
وأما قوله تعالى : ﴿إن كنتم آمنتم بالله ... ﴾ فهو شرط جزاؤه محذوف يدل عليه ما تقدم ، أى إن كنتم آمنتم بالله وما أنزل فاعلموا أن القسمة على ما ذكر ، فاجروا على هذا التقسيم واعملوا به ، فليس المراد من «واعلموا» مجرد العلم .

**﴿وما أنزلنا على عبدنا .. يوم الفرقان ..﴾**

ما اسم موصول أيضا عائده محذوف ، والتقدير إن كنتم آمنتم بالله وآمنتم بالذى أنزلناه على عبدنا ـ وهو رسول الله ـ ﷺ ـ والتعبير عنه بعبدنا مضافا إلى ضمير التعظيم ، يؤذن بتشريفه غاية التشريف . ويوم الفرقان هو يوم بدر ، فقد فرق الله فيه بين الحق والباطل ، حين التقى الجمعان من المسلمين والكافرين ، وقد أنزل الله ـ سبحانه ـ عليه الملائكة كما أنزل النصر والبشرى .

وتقدير الكلام إن كنتم آمنتم بالله وما أنزله على عبده ونبيه فى ذلكم اليوم ، فليكن تقسيمكم الغنائم على ما ذكر ، وقرن الإيمان بما أنزل على النبى يوم بدر بالإيمان بالله يؤذن بتشريف هذا اليوم ، وبأن جحد ما أنزل فيه كفر .

«والله على شىء قدير» ومن مظاهر قدرته ما حدث فى هذا اليوم من نصر فئة قليلة العدد غير مستكملة العدة ، ولا مستعدة للحرب على فئة كثيرة ذات قوة وبأس ، ولم يكن ذلك النصر إلا بتهيئة من الله سبحانه .





## وآراء العلماء فى المتشابه

## - ٢ -

بقلم فضيلة الشيخ / إبراهيم الدسوقى

التأويل يكون بمعنى التفسير ، ويكون بمعنى ما يؤول إليه الأمر :

وقد حدده بعض الفقهاء فقال : ( هو إبداء احتمال فى اللفظ مقصود بدليل خارج عنه ) ، فالتفسير : بيان اللفظ مثل « لا ريب فيه » أى لاشك فيه

والتأويل : بيان المعنى كقوله : لاشك فيه عند المؤمنين أو لأنه حق فى نفسه .

« وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ » قيل : هو ابتداء كلام مقطوع عما قبله أو هو معطوف على ما قبله فتكون الواو للجمع فالذى عليه الأكثر أنه مقطوع عما قبله ، وأن الكلام تم عند قوله : « إلا الله » وهذا قول ابن عمر وابن عباس وعائشة وعروة وعمر بن عبد العزيز وحكى الطبرى نحوه عن أشهب عن مالك بن أنس « ويقولون » على هذا خبر الراسخين .

وروى عن مجاهد أنه نسق « الراسخين » على ماقبله ، وزعم أنهم يعلمونه ، واحتج له بعض أهل اللغة ، فقال معناه : والراسخون فى العلم يعلمونه قائلين « آمنا به » ورجح ابن فورك أن الراسخين يعلمون التأويل ، وفى قول النبى - عليه السلام - لابن عباس : ( اللهم علمه التأويل )[1] ما يبين ذلك أى علمه معانى كتابك كما قال ابن عباس : (أنا ممن يعلم تأويله) ، والوقف على هذا يكون عند قوله « والراسخون فى العلم » .

قال شيخنا أبو العباس أحمد بن عمر وهو الصحيح فإن تسميتهم راسخين يقتضى أنهم يعلمون أكثر من المحكم الذى يستوى فى علمه جميع من يفهم كلام العرب ، وفى أى شىء هو رسوخهم إذا لم يعلموا إلا ما يعلمه الجميع .

● لكن المتشابه يتنوع فمنه مالا يعلم البتة ، كأمر الروح ، والساعة مما استأثر الله بعلمه وهذا لا يتعاطى علمه أحد لا ابن عباس

---

(١) رواه ابن عباس - رضى الله عنهما - فى كتاب « جامع الأحاديث » جـ٢ ص١٠٧ برواية أخرى وهى قول النبى ﷺ : « اللهم اعط ابن عباس الحكمة وعلمه التأويل - مسند الإمام أحمد والطبرانى » .

**ولاغيره ، فمن قال من العلماء الحذاق أن الراسخين لايعلمون علم المتشابه فإنما أراد هذا النوع ، والحكمة فى أن الله لم يجعل القرآن كله واضحاً أن يظهر ـ والله أعلم ـ فضل العلماء وإلا لم يظهر فضل بعضهم على بعض ، والله أعلم . أهـ قرطبى .**

● **ويقول ابن كثير فى قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ .**

قال : اختلف القراء فى الوقف هنا فقيل على الجلالـة ، ومنهم من يقـف على قولـه : ﴿ **والراسخون فى العلم** ﴾ وتبعهم كثير من المفسرين وأهل الأصول ، وقالوا الخطاب بما لايفهم بعيد ، وقد روى ابن نجيح عن مجاهد عن ابن عباس أنه قال : ( أنا من الراسخين الذين يعلمون تأويله ) .

وفى الحديث أن ـ رسول الله ـ ﷺ ـ دعا لابن عباس فقال : ( اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل ) .

ومن العلماء من فصل هذا المقام وقال : التأويل يطلق ويراد به فى القرآن معنيان :

أحدهما التأويل بمعنى حقيقة الشىء ، وما يؤول أمره إليه ومنه قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ ﴾[2] وقوله : ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ ﴾[3] .. الآية .. أى حقيقة ما أخبروا به من أمر المعاد فإن أريد بالتأويل هذا فالوقف على الجلالة ، لأن حقائق الأمور وكنهها لايعلمـه على الجليـة إلا الله ـ عز وجل ـ ، «والراسخون فى العلم» مبتـدأ «ويقولون آمنا به» «خبره» وأما إن أريد بالتأويل التفسير والبيان والتعبير عن الشىء كقوله : ﴿ **نبئنا بتأويله** ﴾ أى بتفسيره فالوقف على «والراسخون فى العلم» لأنهم يعلمون ويفهمون ما خوطبوا به بهذا الاعتبار وإن لم يحيطوا علماً بحقائق الأشياء على كنه ماهى عليه ، وعلى هذا فيكون قوله : ﴿ **آمنا به** ﴾ حالا منهم وساغ هذا ، وأن يكون من المعطوف دون المعطوف عليه كقوله : ﴿ لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ ﴾[4] ـ إلى قوله ﴿ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ﴾[5] ..

الآية وقوله تعالى : ﴿ **وجاء ربك والملك صفاً صفاً** ﴾ أى وجاء الملائكة صفوفاً صفوفاً ، وقوله : إخباراً عنهم أنهم ﴿ **يقولون آمنا به** ﴾ أى المتشابه «كل من عند ربنا» أى الجميع من المحكم والمتشابه حق وصدق وكل واحد منهما يصدق الآخر ويشهد له لأن الجميع من عند الله وليس شىء من عند الله بمختلف ولا متضاد .أهـ

وجاء فى تحفة المريد «على الجوهرة» .

وكـل نـص أوهـم التشبيهـا
أوّلـه أو فوض ورمْ تنزيهـا

المراد بالنص : ماقابل القياس والاستنباط والإجماع ، وهو الدليل من الكتاب أو السنة سواء كان صريحاً أو ظاهراً ، وقوله : «أوهم التشبيها» أى أوقع فى الوهم صحة القول به بحسب ظاهره ، وقوله : «أوله» أى احمله على خلاف ظاهره مع بيان المعنى المراد أى تأويلا تفصيليا فيه بيان المعنى المراد ، وهو مذهب الخلف وهم من كانوا بعد الخمسمائة ، وقيل: بعد القرون الثلاثة ،

---

(٢) من الآية ١٠٠ سورة يوسف .
(٣) من الآية ٥٣ سورة الأعراف .
(٤) من الآية ٨ سورة الحشر .
(٥) من الآية ١٠ سورة الحشر .

وقوله : «أو فوض» أى بعد التأويل الإجمالى الذى هو صرف النظر عن ظاهره ، فبعد هذا التأويل فوض المراد من النص الموهم إليه تعالى على طريقة السلف ، وهم من كانوا قبل الخمسمائة وقبل القرون الثلاثة . الصحابة والتابعون ، وأتباع التابعين .

وطريقة السلف أسلم لما فيها من السلامة من تعيين معنى قد يكون غير مراد لله تعالى وتنزيهه تعالى عما لا يليق به مع تفويض علم المعنى المراد إليه .

فظهر من ذلك اتفاق السلف والخلف على التأويل الإجمالى لأنهم يصرفون النص الموهم عن ظاهره المحال عليه تعالى ، لكنهم اختلفوا بعد ذلك فى تعيين المراد من ذلك النص وعدم التعيين . وكان سبب ذلك اختلافهم فى قوله تعالى : ﴿والراسخون فى العلم﴾ من قوله تعالى : ﴿وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم﴾ .. الخ هل هو معطوف على لفظ الجلالة وعلى هذا يكون نظم الآية ﴿وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم﴾ ، وجملة ﴿يقولون آمنا به﴾ مستأنفة لبيان سبب التماس التأويل ، إذ الوقف على قوله : ﴿إلا الله﴾ يقتضى أن قوله : ﴿والراسخون فى العلم﴾ استئناف[6] .

● **ثم قال والحاصل أنه إذا ورد فى القرآن أو السنة ما يشعر بإثبات الجهة أو الجسمية أو الصورة أو الجوارح اتفق أهل الحق وغيرهم على تأويل ذلك لوجوب تنزيهه ـ تعالى ـ عما دل عليه ما ذكر بحسب ظاهره فمما يوهم الجهة قوله** تعالى : ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾[7] . فالسلف يقولون : فوقية لا نعلمها ، والخلف يقولون : المراد بالفوقية التعالى فى العظمة ، فالمعنى : يخافون أى الملائكة ربهم من أجل تعاليه فى العظمة أى ارتفاعه فيها ، ومنه قوله ـ تعالى ـ : ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ .

فالسلف يقولون : استواء لا نعلمه ، والخلف يقولون : المراد به الاستيلاء والملك كما قال الشاعر

قد استوى بشر على العراق ..
من غير سيف ودم مهراق .

وسأل رجل الإمام مالكاً عن هذه الآية أجابه بنحو ما قدمنا .

وسأل الزمخشرى الغزالى عن هذه الآية فأجاب بقوله : «إذا استحال أن تعرف نفسك بكيفية أو أينية فكيف يليق بعبوديتك أن تصفه ـ تعالى ـ بأين ، أو كيف ، وهو مقدس عن ذلك» .

● **ومما يوهم الجسمية قوله ـ تعالى ـ : ﴿وجاء ربك﴾** .. الآية ، وحديث الصحيحين : (ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير ويقول : من يدعونى فأستجيب له ؟ من يسألنى فأعطيه ؟ من يستغفرنى فأغفر له ) ؟[8] .

فالسلف يقولون : مجىء ونزول لا نعلمهما ، والخلف يقولون : المراد وجاء عذاب ربك ، أو أمر ربك الشامل للعذاب ، والمراد ينزل ملك ربنا فيقول عن الله ... الخ .

● **ومما يوهم الصورة ما رواه أحمد والشيخان «أن رجلا ضرب عبده فنهاه النبى ﷺ وقال :**

---

(٦) يراجع «شرح الجوهرة» ص١٠٨ .
(٧) من الآية ٥٠ سورة النحل .
(٨) رواه أبو هريرة ـ رضى الله عنه ـ أخرجه البخارى ـ «اللؤلؤ والمرجان» ص١٤٤ .

(إن الله خلق آدم على صورته) . **فالسلف يقولون : صورة لانعلمها ، والخلف يقولون : المراد بالصورة من سمع وبصر وعلم وحياة فهو على صفته فى الجملة ، وإن كانت صفته ـ تعالى ـ قديمة وصفة الإنسان حادثة ، وهذا بناء على أن الضمير فى صورته عائد على الله ـ تعالى ـ كما يقتضيه ماورد فى بعض الطرق بلفظ (فإن الله خلق آدم على صورة الرحمن) ، وبعضهم جعل الضمير عائداً على الأخ المصرح به فى الطريق التى رواها مسلم بلفظ: (فإذا قاتل أحدكم أخاه فليجتنب الوجه فإن الله خلق آدم على صورته)[٩] ، أى وإذا كان كذلك فينبغى احترامه باتقاء الوجه ، وإذا اتبعنا قاعدة عودة الضمير إلى أقرب مذكور كان الضمير فى (صورته) عائداً على آدم لاعلى لفظ الجلالة ، وفائدة هذا الوجه نفى ماقيل عن أن أصل الإنسان قرد ، ومما يوهم الجوارح قوله تعالى : ﴿ويبقى وجه ربك﴾ ، ﴿يد الله فوق أيديهم﴾** وحديث : (إن قلوب بنى آدم كلها كقلب واحد بين أصبعين من أصابع الرحمن)[١٠] ، فالسلف يقولون : لله وجه ويد وأصابع لانعلمها ، والخلف يقولون : المراد من الوجه الذات ، ومن اليد القدرة ، ومن قوله : (بين أصبعين من أصابع الرحمن) ، بين صفتين من صفاته ، وهاتان الصفتان : هما القدرة والإرادة .

يقول صاحب المنار : والمقصود هنا أنه لايجوز أن يكون الله أنزل كلاماً لامعنى له ، ولايجوز أن يكون الرسول وجميع الأمة لايعلمون معناه ، كما يقول ذلك من يقوله من المتأخرين ، وهذا القول يجب القطع بأنه خطأ سواء كان مع هذا تأويل القرآن لايعلمه الراسخون ، أو كان للتأويل معنيان يعلمون أحدهما ولايعلمون الآخر ، وإذا دار الأمر بين القول بأن الرسول كان لايعلم معنى المتشابه من القرآن ، وبين أن يقال الراسخون فى العلم يعلمون كان هذا الإثبات خيراً من النفى . فإن معنى الدلائل الكثيرة من الكتاب والسنة وأقوال السلف على أن جميع القرآن مما يمكن علمه وتدبره وفهمه وهذا مما يجب القطع به ، فإن السلف قد قال كثير منهم أنهم يعلمون تأويله منهم :مجاهد ، والربيع بن أنس ، ومحمد بن جعفر بن الزبير ونقلوا ذلك عن ابن عباس أنه قال : (أنا من الراسخين الذين يعلمون تأويله) وهو قول أحمد فيما كتبه فى الرد على الزنادقة والجهمية ؛ وهذا يقتضى أن الراسخين فى العلم يعلمون التأويل الصحيح للمتشابه عنده أى عند أحمد ؛ وهو التفسير فى لغة السلف .

لهذا لم يقل أحمد ولاغيره من السلف أن فى القرآن آيات لايعرف الرسول ولاغيره معناها . وهذا القول اختيار كثير من أهل السنة منهم : ابن قتيبة وأبو سليمان الدمشقى وغيرهما .

تفسير المنار جـ٣ ص١٧٥ .

هذا : وقد وضح مما تقدم رأى السلف ورأى الخلف فى التشابه مأخوذاً من المراجع الموثقة لكل منهما ، ومستمداً من كتاب الله ـ عز وجل ـ فى قوله تعالى : **﴿ومايعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به﴾** .

ثم نلقى نظرة على النصوص التى جاءت فى هذا المقام على النحو الآتى :

---

(٩) رواه أبو هريرة ـ رضى الله عنه ـ لابن ماجة ـ «جامع الأحاديث» جـ١ ص٤٦٥ .

(١٠) رواه ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ «جامع الأحاديث» جـ٢ ص٤٣٥ .

## آراء العلماء

### نحو قوله تعالى :

﴿ الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾

(سورة طه)

**فقد نقل عن أبي حنيفة ـ رضى الله عنه ـ أنه أجاب حين سئل عن (حصر الله تعالى فى الجهة الفوقية أو التحتية) . على مايفهم من قوله تعالى : ﴿الرحمن على العرش استوى﴾**[11] بقوله : من حصر الله فى الجهة الفوقية أو التحتية فقد كفر .

ومقالة مالك : (الاستواء معلوم ، والكيف مجهول والسؤال عن ذلك بدعة) .

وما قاله الشافعي : (آمنت بلا تشبيه وصدقت بلا تمثيل) .

وقول أحمد بن حنبل : (استوى كما قال لا كما يخطر بالبال) .

وقول الشبلي : (الرحمن لم يزل والعرش محدث وهو بالرحمن استوى) .

وقول ذى النون المصرى : (أثبت ذاته ونفى مكانه ومهما تصور فى نفسك فالله بخلاف ذلك) .

وقول جعفر الصادق : (من زعم أن الله فى شيء أو من شيء أو على شيء فقد أشرك به فلو كان على شيء لكان محمولا ، ولو كان من شيء لكان محدثاً ، ولو كان فى شيء لكان محصوراً ـ تعالى ـ الله عن ذلك علواً كبيراً) .

والنصوص التى ذكرت جميعها تمثل رأى السلف :

وقول أبى حنيفة : ( من حصر الله فى الجهة الفوقية أو التحتية فقد كفر ) يفسره قول جعفر الصادق : ( من زعم أن الله تعالى فى شيء أو من شيء أو على شيء فقد أشرك به إذ لو كان على شيء لكان محمولا ، ولو كان من شيء لكان محدثاً ، ولو كان فى شيء لكان محصوراً ـ تعالى الله ـ عن ذلك علواً كبيراً ( ومثل ذلك التحتية ) .

وقول الشافعى وابن حنبل وذى النون تعنى رأى السلف وهو التأويل الإجمالى مع التفويض فى المعنى المراد لله تعالى .

وقول الشبلى الرحمن : ( لم يزل والعرش محدث وهو بالرحمن استوى ) يعنى : إثبات القدم والبقاء لله ـ عز وجل ـ وأن العرش محدث ومخلوق لله سبحانه ـ ومعنى قوله : (وهو بالرحمن استوى) قال إمام الحرمين : لا يبعد حمل الاستواء على قصد الإله إلى أمر فى العرش ، وهو تأويل الإمام الثورى واستشهد عليه بقوله تعالى :

**﴿ثم استوى إلى السماء وهى دخان﴾** معناها قصد إليها .

وقال ابن حزم : (أن معنى قوله تعالى : **﴿على العرش استوى﴾** . أنه فعل فعله فى العرش وهو انتهاء خلقه إليه فليس بعد العرش شيء ، والعرش نهاية جرم المخلوقات[12] الذى ليس خلقه خلاء ولا ملاء ، ومن أنكر أن يكون للعالم نهاية من المساحة والزمان والمكان فقد لحق بقول الدهرية وفارق الإسلام ، ثم رد على القائلين بالمكان ثم ختم كلامه بقوله : فإنه لا يكون فى مكان إلا

---

(١١) من الآية ٥ من سورة طه .

(١٢) «الأسماء والصفات» ص٤٠٦ ، ص٤٠٩ .

ماكان جسماً أو عرضاً فى جسم هذا الذى لا يجوز سواه ولا يتشكل فى العقل والوهم غيره البتة ، وإذا انتفى أن يكون الله ـ عز وجل ـ جسماً أو عرضاً فقد انتفى أن يكون فى مكان أصلا وبالله تتأيد .

وقال الإمام الغزالى فى كتابه « الجام العوام عن علم الكلام »[١٣] ـ إذا ورد قوله تعالى : ﴿ **استوى على العرش** ﴾ فلا ينبغى أن يقال مستو ويستوى لأن دلالة قوله مستو على العرش على الاستقرار أظهر من قوله : ﴿ **رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش** ﴾ بل هو كقوله ﴿ **خلق لكم مافى الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء** ﴾ . فإن هذا يدل على استواء قد انقضى من إقبـال على خلقـه[١٤] أو على تدبير المملكـة بواسطته .أه .

وقـول أبى منصور البغـدادى : ( ذهب الأكثرون إلى أن معنى « الاستواء » هو القهر والغلبة ، أى الرحمن غلب العرش وقهره وخصه بالذكر لأنه أعظم المخلوقات ) ، وهذا القول يمثل رأى الخلف : قال إمام الحرمين فى « الإرشاد » ولم يمتنع منا حمل الاستواء على القهر والغلبة وذلك سائغ فى اللغة ، كما تقول استوى فلان على الملك والممالك ، إذا احتوى على مقاليد الملك واستعلى على الرقاب ، كما قال ، وفائدة تخصيص العرش بالذكر أنه أعظم المخلوقات فى نظر البرية .. أهـ .

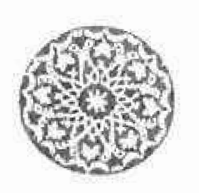
ثم جاء فى الأسماء والصفات[١٥] .

وفيما كتب إلى الأستاذ أبو منصور بن أبى أيوب أن كثيراً من متأخرى أصحابنا ذهبوا إلى أن الاستواء هو : القهر والغلبة ومعناه أن الرحمن غلب العرش وقهره ، وفائدته الإخبار عن قهره مملوكاته وأنها لم تقهره ، وإنما خص العرش بالذكر لأنه أعظم المملوكات فنبه بالأعلى على الأدنى قال والاستواء بمعنى القهر والغلبة شائع فى اللغة ، كما يقال ، استوى فلان على الناحية إذا غلب أهلها . قال الشاعر فى بشر بن مروان :

قد استوى بشر على العراق

بغير سيف ودم مهراق

والله أعلم .



(١٣) « المنار ٦ ص٢٢٢ حـ٣ .

(١٤) إيجاده .

(١٥) ص٤١٢ مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر فى ٢١ من شهر ربيع الأول سنة ١٣٥٨هـ .

# فليغضب جاك بيرك !

بقلم: دكتورة / زينب عبد العزيز

**نعم ، فليغضب جاك بيرك كما يحلو له ، فالقرآن ليس لعبة يلهو بها هو أو غيره من المغرضين .. إننى لاأناقش مكانة جاك بيرك كمستشرق ، أو حتى كصديق للعرب والمسلمين ـ وإن كان ذلك على مدى كتاباته بأسرها ـ لكن ما اقترفه فى حق القرآن والإسلام تضامنا مع تلك الهجمة التى يقودها الغرب ، بحاجة إلى وقفة أمينة وليس إلى تملق طائش !**

فلقد ظهرت عدة مقالات فى الاسابيع الماضية تدافع عن جاك بيرك وترجمته المغلوطة لمعانى القرآن .. وتتضافر فى الغضب لغضبه ، وتبالغ فى الترحيب به . وكان آخرها ماكتبه د. محمود عزب ، المدرس بكلية اللغات والترجمة وجاء فى مقاله : «والتقينا فى أحد مؤتمرات الجمعية الفلسفية فى الصيف الماضى ١٩٩٢ بالأستاذة التى فجرت هذه المشكلة ، وهى أستاذه للغة الفرنسية ، ورددنا عليها أمام الجمهور دفاعاً عن الحقيقة .. ثم دفاعا عن جاك بيرلد .. وأبرزنا لها كيـف خالفهـا الصواب فى فهـم بعض التفاصيل» ..

وأول ماأبدأ به هو أن السيد المذكور قد انبرى فعلا معقبا على إشارتى إلى الترجمة المغلوطة التى قام بها جاك بيرك ، لكنه قال عبارة مختلفة تماما ، أرجو ألا يتنصل منها ، وهى : «إن جاك بيرك يأسف لما صدر عنه سهواً من أخطاء فى هذه الترجمة ، وهو على أتم استعداد لتصويبها» !!

والفرق شاسع بين ما قيل فى العام الماضى أمام الجمهور ، وبين ماكتبه اليوم (بالأهـرام ٩٣/٦/٢٥) فى محاولة واضحة لطمس فداحة ما اقترفه بيرك .

وعلى الرغم من أن الدكتور صاحب المقال قد

(١) كذا الأصل

أشار ضمنا إلى استعداد بيرك «للمراجعة والتدارك والتصحيح» إلا أنه صاغها في صورة تكبير وإجلال لاتتفق وما اقترفه المستشرق الفرنسي المحنك .. ولا يسعنا إلا أن نتساءل :

ما معنى أن يأسف السيد بيرك بعد ثلاثة أعوام من صدور ترجمته ، وآلاف المسلمين القائمين في فرنسا ، وهم نحو الأربعة ملايين نسمة ومثلهم الذين لايجيدون سوى الفرنسية ، يقرءون ما قدمه لهم من فريات ؟

كما لا يجب أن نغفل أن هذه الملايين المسلمة ، هي من يطاردها بعض الساسة الفرنسيين بعد أن تم اعتصار كيانهم ، ويضيّقون عليهم الخناق ما بين الطرد ، أو الامتزاج الكامل في المجتمع الفرنسي بعقيدته !

وليست القضية هي الاختلاف «في بعض التفاصيل الواردة في التفاسير القرآنية ، وفي تسمية بعض السور باسمين» كما حاول صاحب المقال التهوين من أهمية الموضوع وفداحته ، وإنما اعتراضي كان منصباً على ما يطرحه جاك بيرك في تلك الدراسة المشحونة التي ألحقها بترجمته ، وكل ما تتضمنه من محاور لاتكشف إلا عن موقف مغرض متعمد ، وليس من قبيل «السهو» كما يزعمون .

ومن هذه المحاور على سبيل المثال لا الحصر :

ـ التشكيك في نزول وترتيب وتجميع القرآن .

ـ تأثر القرآن بالشعر الجاهلي وبالفكر اليوناني (مؤكدا ذلك في أكثر من موضع) .

ـ تأثر القرآن بمزامير داود .

ـ احتواء القرآن لخط أسطوري (ميثولوجي) لفلسفة كوارثية النزعة للتاريخ .

ـ فظاعة الحديث عن الله كما هو وارد في القرآن !

وذلك بالإضافة إلى انتقاده لمعيارية القرآن ، وأنها أبعد ما تكون عن التقنين .

ـ وغموض تعبير الأحكام ، مما سمح للمفسرين القدماء بحريات من التصرف غير مقبولة من مذاهب أخرى .

ـ وتناقض الشريعة ، ومنها يخرج بالهجوم على الصحوة الإسلامية وعدم فصل الدين عن السياسة .

ـ وإثارة قضية فتنة خلق القرآن من جديد ؛ وتحريف القرآن للأساطير « في شكل حوار مشبوب بعلم النفس الفارق وبالطرافة» .

ـ واتهام بعض المفسرين بإلغاء بعض الآيات إن كانت تخرج عن قبضتهم ؛ أو «تحريفهم لمعناها» .

ـ وأن «الإسلام قد أخذ على عاتقه جزءاً من الميراث الجاهلي بأن تقلد جزءاً من ميراث اليونانيين ، بعد أن فرض على كل منهما تعديلات استعلائية صارمة» .

ـ وان «مشكلة الإسلام اليوم ـ إذن ذلك الانفصال الذي يمكن أن يتفاقم بين مواقف العقيدة ومسيرة العالم الفعلية ؛ بل عن مسيرة العالم الإسلامي نفسه» ..

ـ كما انتقد اتجاه الإسلام إلى أصوله

وتوكيده على ضرورة تناول القرآن بدمج العصرية أو الحداثة بالأصالة ليتمشى مع متطلبات العصر !

وكلنا نعلم وندرك معنى ومغزى ذلك المطلب الذى يصر عليه الغرب حالياً ، والذى عبر عنه «جان ــ كلود بارو» فى كتابه عن «الإسلام والعصر الحديث» الذى صدر عام ١٩٩١ ، إذ قالها ــ بصراحة ــ أكثر وضوحاً : «لابد من إعادة صياغة القرآن والسنة بمفاهيم عصرية جديدة وإلا على الإسلام أن يختفى» ! وهو نفس المطلب الذى دارت حوله العديد من البحوث فى (مؤتمر كولورادو) لتنصير المسلمين ، الذى انعقد عام ١٩٧٨ ، والذى تأتى ترجمة جاك بيرك مواكبة لمطلبة .. وهو ما يدرج أيضا ضمن تلك العمليات التبشيرية التى تشير إليها الصحف باقتضاب ، وإلى المصاحف المحرفة التى يروجونها ..

أما فيما يتعلق بأسلوب جاك بيرك وبمستوى ترجمته ، فلا يسع المجال هنا لتناولها بالتفصيل ، وان كان ما يتضمنه من أخطاء لايمكن أن يصدر عن من فى مثل مكانته المخضرمة أن يقع فيها الا لمرض فى نفسه .. وتكفـــــى الإشارة إلى الاستخفاف الذى تناول به نص القرآن ، وتكفى الإشارة إلى تلاعبه بالألفاظ ، كأن يقول ــ على سبيل المثال لا الحصر : «إن الله يمحو ويبدل ويؤكد النبوءات وفقا لهواه» ؛ أو أن يضع على لسان أبى بكر أنه قال عن القرآن : «لكل كتاب أجل» ! بل يكفيه أنه أبى استخدام كلمة «نبى» للإشارة إلى سيدنا محمد ﷺ ، مستخدما كلمة رسول فحسب ، وكأنه عز عليه الاعتراف بنبوته !

وذلك بالإضافة إلى استبعاده لكلمات أساسية فى الإسلام كالمسجد ليضع بدلا منها مسميات كنسية ، علما بأن الكلمة الفرنسية مشتقة عن العربية وإصراره على ترجمة كلمة «النصر» بكلمة «النجدة» وكأنه يأبى كتابة النصر للإسلام أو أن الإسلام قد انتصر ! أو أن يترجم سورة «الروم» باسم العاصمة الإيطالية روما.. ودرءاً لإحساسه بما يقترفه من مغالطة يبادر بوضع هامش يقول فيه : «نقول روما لأسباب ترخيم الصوت أو التطريب **(Euphonic)** حيث كان لابد من وضع كلمة (البيزنطيون) بالطبع» (صفحة ٤٣١) ! وياللمغالطة السافرة ! فمتى كانت الترجمة ، أو اختيار الكلمات يتم من باب الترخيم أو التطريب بعيداً عن معنى الكلمة الا أن تكون تحريفاً للمعنى ؟!

إن أبجدية الترجمة تعنى الأمانة فى نقل المعنى بأوضح ما يمكن . غير أنه لو كان قد كتب كلمة «البيزنطيون» لنقل ذهن القارىء إلى عصر الفتوحات الإسلامية ، وهو ما يحاول تحاشيه أو التضليل عليه طيلة الوقت ؟!

بل لقد وصل بالسيد بيرك الاستهزاء فى الترجمة بأن ترجم آية «إن الله لايخلف الميعاد» بأن الله لايخلف «الرانديفو» **(Rendez-vous)** !! بغض الطرف عن معناها الشعبى السائد .. فمن البديهى أن الميعاد هنا يعنى الوعد ، وكان لزاما عليه أن يضع كلمة **(Promesse)** ومن الغريب أنه فى الست مرات التى ترد فيها كلمة الميعاد فى القرآن ــ ولا أتحدث عن تنويعاتها ــ ترجمها أربع

مرات بكلمة (Rendez-vous) ومرة بكلمة Pacte أى اتفاق ، ومرة واحدة بمعناها الصحيح ، وذلك فى سورة الزمر ـ علما بأن معناها ومضمونها فى النص القرآنى واحد لم يتغير !

فهل ذلك هو ما يطلق عليه الزميل الشاب أنها أراء صدرت «عن قراءة واعية للتفاسير ولعلوم القرآن الكريم بدرجة قد لايصل إليها كثير من المسلمين» ؟!

ولا يسعنى إلا أن أقول : تبت يد أى مسلم يتناول نص القرآن بمثل الاستخفاف والامتهان الذى تناوله به جاك بيرك !

إن المرحلة المصيرية التى يعيشها الإسلام والمسلمون حاليا تحتم علينا جميعا أن نتضافر للدفاع عن القرآن ونصه المنزّل ، ضد الهجمة الضارية التى يكيلها الغرب للإسلام حاليا على الصعيد العالمى .. فإصراره على فرض الحداثة والعصرية لدراسة القرآن ، ومطالبته بفصل شئون الدين عن الدنيا لايتناف مع العقيدة الإسلامية فحسب ، وإنما يخالف ماقامت به الكنيسة الكاثوليكية لضرب الحداثة ـ وهو العلم الذى وُجد أساساً لدراسة النصوص الإنجيلية ، وتطبيق العلوم التاريخية والنقدية عليها ، لعدم توافق معطياتها والاكتشافات العلمية .. فكيف يفرضون على نص القرآن المنزل مارفضوا تطبيقه على نصوص ثبت نسخها على مر الزمان ؟!

وفى النهاية ، لايسعنى إلا أن أقول ـ للزميل الشاب ، دارس العبرية ، و«المسئول عن مراجعة الترجمات الفرنسية والعبرية لمعانى القرآن .. الحريص على تحرى الدقة ، وعلى القراءة الواعية للترجمة كلمة ، كلمة» ـ كما قال عن نفسه ـ والذى أوضح لى كيف «خالفنى الصواب» فى فهم ما انساق إليه جاك بيرك ، أن يقرأ نص الدراسة التى تقع فى اثنتين وثمانين صفحة ، والملحقة بالترجمة المغلوطة لمعانى القرآن ، وأن يعاود قراءاتها «باهتمام شديد وبحرص أشد» على حد قوله عن نفسه أيضا ، عله يدرك كل ماورد بها من فريات ومغالطات وتحريف لم أشر إلا إلى بعض منها ..

ولعله لايجهل ـ كقارىء ـ أن المقدمة هى أول ما يبدأ به أى قارىء لأى كتاب ، حتى وإن لم يتم قراءته ، فما بالنا والكتاب هنا هو القرآن والمقدمة تغص بما أشرنا إلى شذرات منها .. فما بالنا والقراء ليس بوسعهم أن يقرءوا سوى تلك الفريات اعتماداً على سمعة رنانة سابقة ؟!

وبعد :

فكيف يسمح لمتخصص فى العبرية بالقيام بمهمة مراجعة ترجمة : جاك بيرك الفرنسية المغرضة وكان الأجدر أن يقوم بالفحص متخصص فى الفرنسية يعلم ضروب استعمال كلماتها ؛ حينئذ كان سيكشف مااقترفه جاك بيرك فى حق القرآن والإسلام .

إن موقف جاك بيرك مواكب ـ كما أوضحنا ـ لتلك الهجمة الضارية التى يكيلها الغرب للإسلام والمسلمين حاليا ، فلا يجب أن نغفر له بزعم موافقة الاعلامية وأحاديثه السيارة ، أو خضوعا لاية ضغوط أيا كانت ..

وليغضب جاك بيرك كما يحلو له ، فالقرآن ليس لعبة يلهو بها هو أو غيره من المغرضين .




# أين نحن من القرآن ؟

لفضيلة الشيخ / على حامد عبد الرحيم

عن عبد الله بن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال :

سأل رجل رسول الله ﷺ أى الأعمال أحب إلى الله ؟

فقال : « الحال المرتحل . قال : يا رسول الله ، ما الحال المرتحل ؟.

قال : صاحب القرآن يضرب فى أوله حتى يبلغ آخره ، وفى آخره حتى يبلغ أوله » .

رواه الطبرانى

وفى رواية أخرى أنه عليه الصلاة والسلام سئل : « أى الأعمال أفضل ؟.

فقال : الحال المرتحل . قيل : وما ذاك ؟.

قال : الخاتمُ المفتتح » أى : الذى يختم القرآن بتلاوته ، ثم يفتتح التلاوة من أوله ، شبهه بالمسافر ، يبلغ المنزل فيحل فيه ، ثم يفتتح سيره ويبتدئه .

القرآن الكريم هو كتاب الإسلام الخالد ، ومعجزته الكبرى ، ومنهجه القويم ، يهتدى به الإنسان .

« يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ » ( سورة المائدة / ١٦ )

هذا هو القرآن الذى أنزله الله على رسوله ﷺ فيه أغلى الدرر ، وسعادة البشر : مَنْ قال به صدق ، ومَنْ عمل به أجر ، ومَنْ حكم به عدل ، ومَنْ دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم .

يقوِّم السلوك ، وينظِّم شئون الحياة ، مَنْ تركه من جبار قصمه الله ، ومَنْ ابتغى الهدى فى غيره أضله الله .

تلاوته أفضل العبادات ، وأفضل الذكر . من شغله القرآن أعطاه الله أفضل ما أعطى السائلين .

عن أبي سعيد ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ : يقول الرب تبارك وتعالى : من شغله القرآن عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه » رواه الترمذى .

والقرآن مأدبة الله لعباده ، ومائدته لأحبابه المتقين ، وأصفيائه المخلصين ، وعن عبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ﷺ قال : إن هذا القرآن مأدبة الله فاقبلوا مأدبته ما استطعتم ، إن هذا القرآن حبل الله ، والنور المبين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ، ونجاة لمن اتبعه ، لا يزيغ فيستعتب ولا يعوج فيقوم ، ولا تنقضى عجائبه ، ولا يخلق (يبلى ويفنى) على كثرة الرد اتلوه فإن الله يأجركم على تلاوته كل حرف عشر حسنات ، أما إنى لا أقول ألم حرف ، ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف » رواه الحاكم .

وأهل القرآن هم الذين ـ رضى الله عنهم ـ وأعلى درجاتهم فى الجنة . تمسكهم بهديه فهم أهل الله وخاصته . روى النسائى وابن ماجه والحاكم عن أنس ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : إن لله أهلين من الناس ، قالوا : من هم يا رسول الله قال : أهل القرآن هم أهل الله وخاصته .

ومن اجاد حفظ القرآن ، وأحل حلاله ، وطبق أحكامه ، وحرم حرامه ، أدخله الجنة وأذن له أن يرجو ربه العفو عن عشرة من أهل بيته .

عن على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ قال : ـ فيما رواه ابن ماجه والترمذى ـ وقال حديث غريب ـ قال رسول الله ﷺ : من قرأ القرآن فاستظهره ( أجاد حفظه واتقن أحكامه ) فأحل حلاله ، وحرم حرامه أدخله الله به الجنة ، وشفعه فى عشرة من أهل بيته كلهم قد وجبت لهم النار » .

وعلى مائدة القرآن ، وفى ساحة الفضل والرضوان ، يحلو للأحباب أهل الإيمان أن يجتمعوا فى أى مكان ليحظوا بالفوز والغفران . كما قال ـ عليه الصلاة والسلام : ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله تعالى يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم ، إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده » .

رواه مسلم وأبو داود . عن أبى هريرة .

ومن هنا رغبنا رسول الله ﷺ فى تلاوته وتعليمه وتعلمه فقال ـ فيما رواه البخارى ومسلم : « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » وقال رسول الله ﷺ : يا أبا ذر لأن تغدو فتعلم[1] آية من كتاب الله خير لك من أن تصلى مائة ركعة .. » رواه ابن ماجه .

أبان ﷺ منزلة الماهر فى القرآن ، ورفع من قدر من يشق عليه فقال ـ عليه الصلاة والسلام : « الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة والذى يقرأ القرآن ويتعتع فيه ـ وهو عليه شاق ـ له أجران » البخارى ومسلم .

وحذر من تركه والغفلة عنه . فقال ﷺ فيما رواه الترمذى والحاكم : إن الذى ليس فى جوفه شىء من القرآن كالبيت الخرب » .

---

(١) يبدو أن فى الفعل حذف إحدى التاءين .

كما ينبغى لصاحب القرآن أن يأخذ نفسه بقراءة القرآن فى ليله ونهاره فى الصلاة أو فى غيرها لئلا ينساه ، فقد أوصى النبى أمته ودعاها إلى العناية بقراءة القرآن وتعاهده بالمواظبة عليه حتى لا يكون عرضة للنسيان .

روى مسلم عن أبى موسى الأشعرى ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ﷺ قال : « تعاهدوا القرآن فوالذى نفس محمد بيده لهو أشد تفلتا من الإبل فى عقلها » .

ولقد حرص المسلمون فى كل زمان ومكان على تلاوة كتاب الله ، وطول النظر فيه كما جاء عن عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه : « عبد جاءه كتاب من سيده ومن واجب العبد أن يطيل النظر فى كتاب سيده » .

وورد فى التوراة .

« ياعبدى أما تستحى منى ؟ يأتيك كتاب من بعض إخوانك وأنت فى الطريق تمشى فتعدل عن الطريق لأجله وتقرؤه وتتدبره حرفا حرفا حتى لا يفوتك منه شىء .. وهذا كتابى أنزلته إليك ، انظر كيف فصلت لك فيه من القول وكم كررت عليك فيه لتتأمل طوله وعرضه ، ثم أنت تعرض عنه أفكنت أهون عليك من بعض إخوانك ؟

ياعبدى يقص عليك بعض إخوانك حديثا فتقبل عليه بكل وجهك ، وتصغى إلى حديثه بكل قلبك ، فإن كلمك متكلم أو شغلك شاغل عن حديثه أو أومأت إليه أن كف .

وهأنا مقبل عليك ومحدث لك وأنت معرض عنى بقلبك افجعلتنى أهون عندك من بعض إخوانك ؟ تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا »(٢)

فما بالك بالقرآن خاتم كتب السماء ، إن العتب أشد وبعد :

فهل يقبل الآباء والأمهات والذرية على كتاب الله فنجعل منه وردا يوميا نعيش معه تلاوة وحفظا ، وهل نستمر على ذلك . ونديم النظر فيه .

لقد جاء فى السنة أنه يستحب للإنسان أن يختم القرآن كل شهر فإن وجد فى نفسه قوة أكثر ختمه فى أسبوع . والأفضل الوقوف عند هذه المدة حتى يكون هناك تمهل وتدبر ، وبعد عن المشقة على النفس بما قد تعجز عن المداومة عليه . قال عبد الله بن عمرو لقد شددت على نفسى فشدد الله على فهلموا إلى القرآن نجعل وردا نداوم عليه . ولنأخذ من رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة ، وأثر عنه ﷺ أنه إذا ختم يقرأ من أول القرآن خمس آيات إلى قوله تعالى : أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون . وهذا معنى الحال المرتحل .

روى عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال :

« يجىء صاحب القرآن يوم القيامة ، فيقول القرآن : يارب حَلِّه ، فيلبس تاج الكرامة ثم يقول : يارب زده ، فيلبس حلة الكرامة ثم يقول : يارب ارض عنه فيرضى عنه فيقال له : اقرأ وارْقَ ويزاد بكل آية حسنة » رواه الترمذى والحاكم .

اللهم أجعل القرآن الكريم ربيع قلوبنا . ونور أبصارنا . وجلاء همومنا وأحزاننا . وألزم قلوبنا حفظه وتلاوته آناء الليل وأطراف النهار . إنك على كل شىء قدير . وبالإجابة جدير .

---

(٢) عن الإحياء جـ ٣ ص/٤٩٩ ط الشعب

# الحسد في الأحاديث النبوية

بقلم : د/ محمد شامة

يكاد يكون الاعتقاد في تأثير العين الشريرة على المعيون تأثيراً مباشراً ، عاما وشاملاً لجميع المجتمعات الإنسانية ، إذ لا يخلو تراث من قصص وأساطير تتحدث عن ضحايا الحاسدين ، وعن مآسي المحسودين من جراء ما لحق بهم من ضرر ، نتيجة وقوعهم تحت لحظة من عين حسود ، أو نظرة خاطفة من عين شريرة ، بل إن من النادر — وخاصة في المجتمعات النامية — أن يتخلص فرد من هذا الموروث الاعتقادي ، مهما كانت درجة ثقافته وعلمه ، وعلى أي شكل حضاري كانت حياته ومعيشته ، إذ يقع العالم والجاهل ،والمثقف وغير المثقف ، والبدائي والحضاري تحت تأثير هذا الاتجاه ، حيث يرى نفسه أمام الظواهر التي لايستطيع لها تفسيراً ، أسيرا لهذا الاعتقاد ، وخاصة عندما تعجز قدرته عن معرفة أسباب ما يصيبه ، أو يصيب أحدا من أقاربه ، أو ممن يتصلون به ، ويحتك بهم في حياته ، ولذلك نراه يميل إلى تصديق ما يروى له من قصص الحسد ، تبرر اعتقاده في هذا المجهول ، وتؤكد له وقوع مثل هذه الظواهر في قديم الزمان وحديثه ، فترتاح نفسه ، ويستقر في قلبه ما يطمئنه على أن ما يعتقده في هذا المجال ليس بعيدا عن الواقع ، بل هو حقيقة مؤكدة ، وإن لم يتوصل الإنسان بعد إلى سبب مادي يؤكدها .

وكأن تلك المرويات الخرافية هي الدليل الذى لا ينقض ــ على الأقل فى وجدانه ــ على صحة ما يعتقده معظم الناس ــ إن لم يكن كلهم ــ فى تأثير عين العائن على المعيون ، فيطمئن قلبه ، وترتاح نفسه ، بل تراه ينبرى للدفاع ، إذا ووجه بما يشكك فى صحته ، أو يزعزع الإيمان به ، فيظل يردد ما سمعه من العصور الماضية حول هذا الموضوع بأسلوب يوحى للسامع بأنه قد عاشها ، ورأى هذه الأحداث بأم عينه . وهذا يؤكد ما ذهب إليه بعض الباحثين من أن أساطير المجتمعات البدائية لم تختف كلية من المجتمعات المعاصرة ، وخاصة إذا كانت أسباب ما تدور حوله لا زالت مجهولة ، لم يكتشفها العلم بعد ، كتأثير عين العائن على المعيون .

ولم تسلم النصوص الدينية فى الأديان السماوية من تأثير هذا الاتجاه ، إذ نرى المفسرين يؤولونها بما يفيد تأكيد صحة هذا الاعتقاد ، فقد جاء فى التوراة هذا النص .

« يوسف غُصن شجرة مثمرة ، غصن شجرة مثمرة على عين »[1] ومعنى العين هنا : عين الماء ..

ولكن بعض المفسرين أولوها تأويلا آخر ، فذهبوا إلى أن المقصود من العين هنا هو : عين الحسود ، واستنتجوا من هذا أن عين الحسود لا تصيب أحداً من نسل يوسف ، لأنه كان غصن شجرة متسلط على العيون الشريرة ، فهى لا تصيب أحدا من نسله ، ورووا أسطورة فى التلمود تؤكد هذا التفسير ، وهى :

أن « رابى » حذر رجلا من ضرر عين الحسود ، فنصحه بأن يبتعد عنه ، كى لا تقع عينه عليه ، فيصيبه ضرر ، فرد عليه الرجل قائلا : أنا من نسل يوسف ، لا تستطيع العين الشريرة أن تصيبنى بضرر[2] .

كذلك فسر بعض علماء النصرانية نصوصا فى التوراة والإنجيل بما يفيد أنها تؤكد صحة ما يعتقده الناس فى تأثير العين الشريرة ، فما ورد فى تلك النصوص من أحاديث عن التطير والتفاؤل ، فسرها العلماء باحتمال أن يكون المقصود بها ــ أى التطير والتفاؤل ــ أولئك الذين لديهم عين شريرة ، أى العائنين الذين يصيبون من يرونهم إصابات قاتلة[3] .

● وتأثر الفكر الإسلامى ــ أيضاً ــ بهذه الظاهرة ، فرأينا علماء لهم قدم راسخة فى فهم النصوص وتأويلها ، يتأثرون بهذا الاتجاه ، فيميلون كل الميل إلى الاعتقاد فى قوة العين وتأثيرها على المعيون ، لدرجة أنهم يهاجمون المعارضين هجوما عنيفا ، فيصفونهم بقلة العقل والسمع ، وينعتونهم بالغفلة والجهل ، ويرون أنهم ــ أى المنكرين لتأثير عين الحسود على الحاسد ــ من أغلظ الناس حجابا وأكثرهم طباعا ، وأبعدهم عن معرفة ذلك الأثر الروحانى « اللامرئى » يقول ابن القيم :

« أبطلت طائفة ممن قل نصيبهم من السمع والعقل أمر العين ، وقالوا : إنما ذلك أوهام لا حقيقة لها ، وهؤلاء من أجهل الناس بالسمع والعقل ، ومن أغلظهم حجابا ، وأكثفهم طباعا ، وأبعدهم معرفة عن الأرواح والنفوس ، وصفاتها ، وأفعالها ، وتأثيراتها[4] .

● وليس من المستغرب ، ولا من

---

١ ــ سفر التكوين ٤٩ : ٢٢

٢ ــ SELIGMANN BD.I.S.1 .

٣ ــ قارن المصدر السابق ج ١ ، ص ١٢ وما بعدها .

٤ ــ زاد المعاد : ج ٤ ص ١٦٥ .

غير أنهم لم يتناولوا استدلال المؤيدين بالقرآن الكريم على صحة اعتقادهم فى إلحاق الضرر بالمحسود بمجرد النظر إليه ، إذا كان المقام يقتضى منهم أن يفسروا ما ورد فى القرآن الكريم عن الحسد على نحو يضعف الاستدلال بهذه الآيات على صحة ما يحاك حول هذه الظاهرة ، ويوجهها إلى ما يقضى على هذه الخرافات ، لأن السهم الذى يبدو قاتلا للمعارض فى معرض المناقشات حول هذا الموضوع هو ما يردده المؤيدون دائماً :

« كيف تنكر الحسد وقد ورد فى القرآن الكريم » ؟

وكأنهم يريدون بذلك التلميح بأن من ينكر هذا يكون قد أنكر نصا من نصوص القرآن الكريم ، ومن يصل الى هذا الحد فلا تسل عن نظرة الناس إليه ، وحكمهم على عقيدته .

● كذلك لم يبين المنكرون لنا رأيهم فيما ورد من أحاديث تثبت صحة رأى المؤيدين ، وخاصة أن من بينها أحاديث ، جاء الإخبار فيها بضرر المحسود من جراء نظرة الحاسد واضحا لا لبس فيه ، ومن أشهر تلك الأحاديث ما حكاه الرواة من : أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : « العين تدخل الرجل القبر والجمل القدر »[9] . بل إن الإمام الغزالى ذكر حديثا قريبا من هذا المعنى فى معرض الاستدلال على وقوع الحسد وهو : كاد الفقر أن يكون كفرا ، وكاد الحسد أن يغلب القدر[10] .

ولهذا سوف نتناول بالدراسة : الآيات التى تحدثت أو أشارت إلى الحسد ، وكذلك ما ورد فى هذا الصدد من أحاديث ، لنلقى الضوء على هذا الموضوع ، وسنبدأ باستعراض الأحاديث التى ورد فيها ذكر الحسد ، ثم نختم بحثنا بتوضيح معنى الحسد الذى جاء ذكره فى القرآن الكريم ليكون الحديث عن موقف القرآن الكريم عن الحسد هو البيان الأخير والختام المسك ، فهو القول الفصل ، ولا قول بعده :

« إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ۝ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ »[11] .

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾[12]

● عندما يتحـــدث المرء عن الحسد فى الأحاديث النبوية ، فإن منهج البحث يحتم عليه أن يحدد مفهوم ما يريد إثباته فى هذا المجال ، لأن زوايا البحث متعددة ، وصوره متنوعة ، فلو اختلط الأمر بينها ضاعت معالم الطريق التى تفصل بين المؤيدين والمعارضين . ولو لم يحدد الباحث كل جزئية من جزئيات البحث ، ويلقى الضوء عليها من حيث إمكانية ثبوتها ونـــفيها ، لصارت الأحكام عامة ، يمتزج فيها الثابت بالمنفى ، فتضيع الفواصل التى تميز الحقائق من الأساطير ، وتختفى المنارات التى تكشف الخط الفاصل بين النصوص الدينيـــة ، وأباطيـــل الأحـــاديث الموضوعة ، وتوضح الفرق بين مفهوم التعاليم السماوية ، وبين ما توحى به مرويات الذين غُيِّبَت عقولهم ، فاستكانوا إلى أحاديث القرون الوسطى ، وتخاريف الوثنيات الأولى .

ومن هنا نفتح صفحة الأحاديث النبوية ،

---

٩ ـ الأصفهانى : حلية الأولياء .. ج ٧ ص ٩٠ .

١٠ ـ الغزالى : إحياء علوم الدين ج ٣ ص ١٨٧ .

١١ ـ الطارق : ١٣ و ١٤ .

١٢ ـ الاسراء ٩ .

المستبعد ــ عقلا وواقعا ــ أن يظهر هذا الاتجاه فى الفكر الإسلامى ، لأنه من الظواهر التى عمت جميع مناطق الكرة الأرضية ، فقد سيطر هذا الاتجاه على الفكر الإنسانى كله فى العصور القديمة والمتوسطة ، بل ظلت له السيادة على سلوكيات كثير من الناس فى العصر الحديث على الرغم من القفزة الهائلة فى المجالات المتعددة لعلم النفس ، وعلـــوم الاجتماع ، حيث كشفت الأبحاث والتجارب كثيرا مما كان غامضا على الإنسان قبل عصر النهضة .

● كان من الطبيعى أن ينتشر هذا الاعتقاد بين المسلمين ، لأن الإنسان بحكم تكوينه يميل الى تصديق كل ما من شأنه أن يفسر له الغموض الذى يحيط به ، وخاصة إذا كان مرتبطا بما يصيبه من ضرر وآلام ، وما يتصل به من نتائج لا يعرف مصدرها ، ولا يدرك أسبابها ، فدور الأساطير فى هذا المجال : هو التخفيف النفسى الذى يسبغ على الإنسان نوعا من الهدوء والاطمئنان ، فهو يحس فى روايتها والاطمئنان اليها بأنه قد انتشل من دوامة الحيرة والارتباك . فهى أشبه ما تكون بإحساس شارب الخمر ، ومتعاطى المخدرات : إحساس بالراحة الزائفة ، مع عدم الوصول إلى أسلوب نافع ، لمواجهة هذه الظاهرة مواجهة جادة ومؤثرة ، ولهذا نرى أن هذه الأساطير تزداد انتشارا فى عهود الانحطاط والانحدار الفكرى ، فيصدقها الناس ويدافعون عنها بكل ما أوتوا ، حتى ولو كان ذلك عن طريق تأويل النصوص الدينية ، وترويج المرويات التى أقحمت على التراث الدينى تحت الضغط النـــفسى لهذه الظاهرة ، وانتشارها الواسع بين الناس ، لتأكيد صحتها ، وبيان أن مصادر الدين أقرتها فأعطتها جواز المرور إلى نفوس المتدينين ، فتكتسب بذلك قوة يصعب على المفكريـــن الجاديـــن إضعافها ، لأنهم لن يقفوا أمام ظاهرة اجتماعية فحسب ، بل سيواجهون مبدأ لبس مسوح الدين المدعم بالنصوص المقدسة .

وعلى الرغم من الصعوبة البالغة فى مواجهة ظاهرة هذا شأنها ، إلا أننا وجدنا من علماء المسلمين من يتصدون لهذا الاعتقاد فينكرون تأثير العين على المعيون بمجرد النظر ، يقول الحارث المحاسبى :

« ولو كان يضر المحسود حسد الحاسد له ، فيزيل عنه بحسده له النعم ، لدخل عليك أعظم الضرر ، لأنك لا تَعْرَى[5] أن يحسدك غيرك ، فلو كان الحسد يضر المحسود ، لما بقيت عليك نعمة ، إذ كنت لا تَعْرَى أن يحسدك حاسد ، فيحب زوال النعمة عنك[6] .

● ويقول الإمام الغزالى :

فلو كانت النعمة تزول بالحسد ، لم يبق الله تعالى عليك نعمة ، ولا على أحد من الخلق ، ولا نعمة الإيمان أيضا ، لأن الكفار يحسدون المؤمنين على الإيمان ، قال تعالى :

﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم ﴾[7] إذ ما يريد المحسود لا يكون .. وإن اشتهيت أن تزول النعمة عن الخلق بحسدك ، ولا تزول عنك بحسدك غيرك ، فهذا غاية الجهل والغباوة[8] .

---

٥ ــ عرى ، يعرى : غشىَ ــ وألم .

٦ ــ المحاسبى : الرعاية ص ٤٠٤ .

٧ ــ البقرة : ١٠٩ .

٨ ــ الغزالى : إحياء علوم الدين ج٣ ص ١٩٧ .

لنبحث فيها عن خمس نقاط محددة تتعلق بالحسد ، وهى :ـ

١ ـ إمكانية وجود الحسد ..
٢ ـ ضرر عين العائن للمعيون .
٣ ـ التمائم .
٤ ـ التعاويذ والرق ..
٥ ـ أساليب علاج المحسود .

## ١ ـ إمكانية وجود الحسد

تتحكم فى الإنسان ـ بحكم وجوده داخل مجموعة من أمثاله ـ مجموعة من الغرائز تدفعه إلى الاصطدام مع أقرانه ، إذ عندما يستجيب لغرائزه ، فيسلك من الطرق ما يرى أنها تحقق له إشباعها ، يصطدم برغبات الآخرين فى حالة فقدان التوازن بين العرض والطلب ، فإن وجدت الوفرة التى تشبع رغبات جميع الساعين إلى التملك والاستيلاء على ما يشبع رغباتهم ، فلن تهدأ النزعة الإنسانية أيضا ، قناعة بما تحقق لها ولن تطمئن النفوس بما حصلت عليه من متع الحياة وزينتها ، لأن طبيعة الإنسان مفطورة ـ فى الغالب الأعم ـ على طلب المزيد ، حتى وإن لم تدع الحاجة الطبيعية إليه ، فالنفوس مشرئبة دائما إلى طلب الاستحواذ على ما فى يد الغير ، والقلوب متلهفة إلى اللحظة التى يحس المرء فيها أنه مميز على جميع أقرانه ، ومتفوق على من حوله ، فإذا عجزت نفسه عن الوصول إلى هذا المبتغى ، فلم تسعفه قدرته على امتلاك ما يتمتع به غيره من مال أو جاه أو غير ذلك من النعم ، نقم عليه ، وتمنى زوال هذه النعمة عنه ، وذلك هو الحسد .

فوجوده فى المجتمع الإنسانى نتيجة لازمة لحياة الإنسان مع بنى جنسه ، سواء كانت تلك الحياة بدائية ، أم بلغت من الحضارة شأوا بعيدا ، إذ لا تخلو تلك الحياة من وجود قدرات متفاوتة بين أفراد المجتمع ، وإمكانات لبعض الأشخاص دون بعض ، الأمر الذى يحتم ظهور تفاوت فى إمكانية الحصول على معطيات الحياة : من مال وجاه ، وعلم ومعرفة .. وغير ذلك مما يرفع شأن الفرد بين بنى جنسه ، ويضفى عليه هالة من الجاه والسلطان ، وبالتالى يحس بالحسرة والألم من لم تهبه الحياة هذه القدرة ، فكان نصيبه منها شذرات قليلة ، تمسك عليه حياته ، أو مكنته قدرته المحدودة من الوصول إلى درجة أعلى من ذلك ، ولكنها لم تساعده على الوصول إلى ما يراه عند الآخرين من مظاهر يرى أنه محروم منها ، فيعتصر الحزن قلبه ، ويكسر الألم نفسه ، فيتمنى زوال تلك النعمة بقلبه ؛ لأن وجودها لدى الآخرين مصدر ألمه ، وسبب بلائه وشقائه ، وذلك هو الحسد .

ومن هنا كان وجود الحسد ظاهرة حتمية لحياة المجتمعات البشرية ، وضرورة لازمة لطبيعة الإنسان المفطور على حب الفَوْق على الأقران والنظراء ، فطبيعته تدفعه إلى الحسد ، وظروفه الاجتماعية تساعده على ذلك ، والمناخ العام للحياة الإنسانية تربة خصبة نمائه ، تمده بما يحتاج إليه للتمكن من نفوس الناس ، وتغذيه ليصبح ظاهرة عامة ، منتشرة بين أفراد المجتمعات الإنسانية ، لا فرق فى ذلك بين بدائيها ومتحضرها .. ولهذا لا ينكر أحد وجوده إلا إذا تجاهل طبيعة النفس الإنسانية ، وتجاهل معطيات الحياة الاجتماعية ، وغفل عن المردود المادى والمعنوى للتفوق والتميز على الإنسان فى أنظمة الحياة كلها ، سواء كانت سياسية ، أو اقتصادية ، دينية أو اجتماعية ، ثقافية أو علمية .

فإذا تصفحنا الأحاديث النبوية بحثا عن هذا الجانب من الحسد ـ وهو وجوده بين البشر ـ

لوجدنا العديد منها يخبر بوجوده بين الناس ، أو يحذر منه بطريق مباشر ، أو يبين أنه يأكل الحسنات ، فمما يخبر بوجوده قول رسول الله ﷺ : « لا حسد إلا فى اثنتين : رجل آتاه الله — عز وجل — مالا ، فسلطه على هلكته فى الحق ، ورجل آتاه الله — عز وجل — علما ، فهو يعمل به ويعلمه للناس[13] .

وقوله :

« دب إليكم داء الأمم : الحسد والبغضاء »[14] .

وقوله :

« ثلاثة لا ينجو منهن أحد : الظن ، والطيرة ، والحسد »[15] .

فهذه الأحاديث — وأمثالها — تثبت وجود الحسد بين الناس ، وهو ما بيناه : من أنه ظاهرة لازمة لطبيعة الإنسان أو حتميته فى المجتمعات البشرية .

أما التحذير منه ، فقد جاء فى قوله ﷺ :

« ستة يدخلون النار قبل الحساب بسنة » .. قيل : يارسول الله من هم ؟

قال :

— « الأمراء بالجور .

— والعرب بالعصبية .

— والدهاقين بالتكبر .

— والتجار بالخيانة .

— وأهل الرستاق(*) بالجهالة .

— والعلماء بالحسد »[16] .

وقوله :

« أخوف ما أخاف على أمتى : أن يكثر فيهم المال فيتحاسدون ويقتتلون »[17] .

وقوله :

« لا تقاطعوا ، ولا تدابروا ، ولا تباغضوا ، ولا تحاسدوا ، وكونوا عباد الله إخوانا »[18] .

وجاء الإخبار بأنه كان يأكل حسنات الحاسد ، ويرزؤه فى دينه ونفسه فى قوله — ﷺ — : « الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب[19] .

وقوله :

« دب إليكم داء الأمم : الحسد والبغضاء . والبغضاء هى : الحالقة لا أقول حالقة الشعر ، ولكن حالقة الدين »[20] .

هذه الأحاديث تخبر عن ظاهرة بشرية ، لا ينكرها أحد .

يتبع

---

١٣ — صحيح البخارى — كتاب العلم .

١٤ — سنن الترمذى .

١٥ — اخرجه ابن أبى الدنيا فى ( كتاب ذم الحسد ) من حديث أبى هريرة ، وفيه يعقوب بن محمد الزمرى ، وموسى بن يعقوب الزمعى ، ضعفهما الجمهور ، والرواية الثانية رواها ابن أبى الدنيا أيضا ، من رواية عبد الرحمن بن معاوية ، وهو مرسل ضعيف . وللطبرانى من حديث حارثة بن النعمان نحوه ( انظر : الغزالى : إحياء علوم الدين ج ٣ هامش ص ١٨٧ ) .

* رستق : اللحيانى : الرزتاق والرستاق واحد فارسىّ معرّب ، الحقوه بقرطاس ويقال : رزداق ورستاق والجمع الرساتيق وهى السواد . وسواد القوم : معظمهم ، والسواد جماعة النخل والشجر ، وسواد كل شىء كورة ما حول القرى والرساتيق ، والسَّواد : ما حوالى الكوفة من القرى والرساتيق ( لسان العرب مادة : رستق وسود ) .

١٦ — أخرجه أبو منصور الديلمى من حديث ابن عمر وأنس بسندين ضعيفين ( المصدر السابق ج ٣ ص ١٧٨ ) ط . دار الصابونى .

١٧ — اخرجه البخارى ومسلم والطبرانى .

١٨ — مسند احمد ١/٥ ط ( الميمنية ) .

١٩ — رواه الترمذى وأحمد .

٢٠ — رواه ابن ماجة .

# خذوا الأولاد بمنهج الإسلام

لفضيلة الشيخ / معوض عوض ابراهيم

إن الشباب من الجنسين ذكورا وإناثا لابد من التخطيط ليومهم وغدهم ، وكبر مقتا عند الله أن نفرح بالفتيان حين يولدون ، ونغتبط بغدوهم ورواحهم .

والفتيات حين يولدن ويدرجن على طريق الحياة في حياء والتزام للحشمة والوقار الذى يريده رب العالمين من شقائق الرجال .

وجلت منة الله علينا بالذكور والإناث وهو يقول : ( وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ) النجم - ٤٥ ولحكمة جليلة قدم الله - عز وجل - فى بيان خلقه ومخلوقاته الاناث على الذكور فهو يقول :

( يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ) .

الشورى - آية : ٤٩

ومن المستفيض المأثور أن رسول الله - ﷺ - قد رزق البنات والبنين فكانت له زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة ، وكان له ثلاثة ذكور وكلهم من أم المؤمنين خديجة إلا ابراهيم فإنه من مارية القبطية ، واستأثرت رحمة الله بذكور مصطفاه وإناثه فى حياته إلا فاطمة رضى الله عنها فقد اقتضت حكمته - تبارك وتعالى - أن تموت بعد أبيها بأشهر ستة - رضى الله عنها - ومنها كان ابناه الحسن والحسين ابنا على ، وأولادهم من بعدهم رضى الله عنهم أجمعين .



ولقد بقى فى المجتمع المسلم رواسب وآثار من الجاهلية الأولى ، وقص القرآن الكريم من أخبار القوم فى القديم ما يكاد يكون واقعا فى دنيا الناس اليوم ، برغم ما يستفيض به الحديث الشريف ، وتذخر به السنة المطهرة من حفاوة النبى ﷺ بالبنات ، ويبرز ذلك من سيرته هو — صلوات الله وسلامه عليه — فترى حظا كافيا فى إسكات أولئك الذين ينظرون إلى الأنثى شزرا ولا يُولُونها من الاهتمام ما يولونه أخاها ، فعن ابن عباس — رضى الله عنهما — أن رسول الله — ﷺ — قال :

( ما من أحد يدرك ابنتين أحسن إليهما ما صحبتاه إلا أدخلتاه الجنة ) — أخرجه ابن ماجة والحاكم ، وقال : صحيح الإسناد ، كما قال الإمام العراقى .

وروى الترمذى من حديث أنس أن رسول الله — ﷺ — قال : ( من عال جاريتين حتى تدركا كنت أنا وهو فى الجنة كهاتين ) والنبى عليه الصلاة والسلام كان دائمـا يشير بالسبابـة والوسطى ، توكيدا للقرب التام .

ومع ذلك ، بقى من لم ينتفع بأدب الدين على شيء من الجاهلية فى شأن البنات ، فهذا ( أبو حمزة )[1] وقد توالى وضع زوجته البنات — قال لزوجه — وقد حملت : إن ولدت أنثى فهذا فراق بينى وبينك ، وولدت أنثى وترك الرجل بيته ، وكان يغدو ويروح على بيت آخر له ويقدم لزوجه وبناته ما يلزم الآباء ، وفى يوم من الأيام سمع امرأته تغنى لطفلتها الأخيرة وتقول :

ما لأبى حمزة لا يأتينـــا
يبيت فى البيت الــذى يلينـا
غضبـان ألا نلــد البنينـــا
تا لله ماذلك فى أيدينـــا
فنحـــن كا لأرض لزارعينـــا
ننبت مـــا قد غرســوه فينا

وذلك كلــه من الحق لاريب ، وبلغت كلمات المرأة قلب زوجها فاذا به يعود إلى بيته واذا به يجد بعد قليل أن الذى رزقه الإناث قد رزقه الذكور .

على أنه فى بعض المجتمعات تتسع جوانب الإهمال فتشمل الذكور والإناث على سواء حين يحيا الرجل لنفسه ولا يعرف بيته إلا حين تصرخ بطنه أو يلح عليه نوم قاهر ، وكم يسكتون صراخ بطونهم بما يأخذونه من طعام كاف أو غلالة إلى حين .

وفى الأمهات من تشغلهن الأسواق وتتبع آخر ما يقذفنا به الغرب من أزياء وأدوات تجميل .

إن النبى ﷺ وهو — بكل أحواله — القدوة الحسنة والأسوة الطيبة كان يعطى « أمامة بنت زينب » ابنته مثل ما يعطى الحسن والحسين — رضوان الله على الجميـــع — من هشاشة وبشاشة واهتمام ورعاية .

وهذا شداد بن الهاد يروى أنهم — صلوا وراء رسول الله ﷺ صلاة أطال فيها السجود حتى ظن الصحابة أن الرسول ﷺ قد أصابه أمرا أو نزل عليه وحى ، فلما انتهى الرسول — عليه الصلاة

١ — ممن روى الحادثة أبو على القالى فى الأمالى .

والسلام ـــ من صلاته صارحوه بما خامرهم ، ووقع فى خواطرهم ، فقال ﷺ : "كل ذلك لم يكن لكن ابنى هذا ارتحلنى ، فكرهت أن أعجله حتى يقضى حاجته" وهو[2] ﷺ "يحمل فى صلاة الفريضة أمامة بنت زينب ابنته فإذا ركع أو سجد وضعها ، وإذا قام رفعها[3]" وكان ـــ صلوات الله عليه ـــ أندى الناس عاطفة مع أولاد أصحابه ، وكتب السنة حافلة بفيض من شواهد ذلك ، وقد كان ـــ صلوات الله عليه ـــ "يغسل بيديه الشريفتين وجه أسامة بن زيد بن حارثة فى صباه ، ويسميه الحِبّ بن الحِبّ ويداعب صغار أصحابه إذا حضروا ويسأل عنهم إذا غابوا ، ويوم ذهبت بنت أحد أصحابه تلعب بخاتم النبوة بين كتفى النبى ﷺ وزجرها أبوها إعزازا لقدر المصطفى ـــ صلوات الله عليه ـــ أمر الرؤوف الرحيم الرجل أن يدع ابنته وما تفعل ، ودعا لها وبَرَّك عليها ـــ صلوات الله وسلامه عليه ـــ فكانت ميمونة الغدوات والروحات .

نعم : إن السنة زاخرة بالآداب وبكثير من صنوف الرعاية النبوية بأولئك الشباب منذ ولادتهم"[4] وفى السنة اختيار الزوجة الصالحة وجمالها وحسبها ودينها ، ولكـــن المصطفـــى ـــ صلوات الله وسلامه عليه ـــ بعد أن قرر هذه الحقيقة يقول : "فاظفر بذات الديـــن تربت يداك[5]" .

والنبى ـــ صلوات الله وسلامه عليه ـــ يأمر بأن نتخير لنطفنا[6] ، وهو بذلك يرعى الوراثة الخلقية والخلقية فهى من توجيهات النبوة .

ولا يزال يتجاوب فى خاطرى حوار ذلك العربى القديم الذى جمع إليه أبناءه يوما وقال لهم « لقد أحسنت إليكم صغارا ، وأحسنت إليكم كبارا ، وأحسنت اليكم قبل أن تولدوا فقالوا : إن احسانك إلينا صغارا ، وإحسانك إلينا كبارا ، مما لا نمارى فيه ، فكيف أحسنت إلينا قبل أن نولد ؟ فأنشد :

وأول إحسانى إليكـــــــم تخيرى
لما جدة الأعراق بادٍ عفافهـــا .

وما أسعد الذين يخططون للشباب وهم يراجعون القرآن والسنة ليعرفوا من هم الشباب وما هى حقوقهم على الآباء والأمهات والمربين والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

---

٢ ـ النسائى وأحمد .

٣ ـ مسلم والنسائى وأحمد .

٤ ـ تحفة المودود لابن قيم الجوزية .

٥ ـ متفق عليه عن ابى هريرة برفعه .

٦ ـ عن أم المؤمنين عائشة مرفوعا عن ابن ماجة والدار قطنى والحاكم والبيهقى بزيادة على ما ورد هنا « وانكحوا الأكفاء وأنكحوا إليهم » .

« كشف الخفا » للعجلونى .

# الله أكبر خير من الدنيا وما فيها وسبحان رب كل شيء ومليكه

لفضيلة الشيخ: أحمد بن محمد طاحون

**سبحان المحيط علما بكلّ شيء ، والمحصى عددا لكلّ شيء ، القادر على كلّ شيء ، لا يغلبه غالب ، ولا يُعجزُه هارب .**

**سبحان سامع النداء ، ومجيبِ الدعاء ، ومفرِّج الكربات ، القريب المجيب الفعّال لما يُريد ، لا يشاركه فى إرادته ولا يُنازعه فيها أحد من خلقه .**

**سبحانه وتعالى جلّ شأنه .. يحب أولياءه الصالحين ويَرْضَى عنهم ، ويرحمهم ، ويمنحهم مثوبته ورضاه .**

**سبحان وليّ المؤمنين وناصرهم وكافيهم ، وعليه المتكل ، وإليه اللّجأ ، كابت المعاندين ومُهينهم لسوء أعمالهم واجترائهم على معاصيه فيما يعملون ويتركون .**

**سبحان الرحمن الرحيم الغفّار التوّاب .**

يا أهل العقل والحكمة :

يا أحباب الله .. استحضروا عظمة الله فى قلوبكم ، وتدبَّروا متأمِّلين فى ملكوته وانظروا بنور الفكر فى آلائه وفيما أفاض على الخلْق من إنعامه ، والتفتوا ببصائركم إلى براهين قدرته سبحانه ، ووحدانيته ، وحكمته كما وضحت فى كلّ ذرة وجِرْم ، وفى كلّ نبضة فى الجسم ، وفى كل لوْن فى الثّمار والزروع .. التفتوا إلى دلائل القدرة فيما يشمّه الأنف ، وتقعُ عليه العين ، وتلمسه اليد ، ويذوقه اللّسان ، وتسمعه الأذنان ممّا ائتلف واختلف ، وانسجم وتنافر ، وصمت ونطق ، وفيما تحرك وسكن ، وأضاء وأظلم وبكى وضحك ، ومات ووُلد ، وحضر وغاب ، وجف واخضَرّ ، وحلا وملح .

ينبغى لنا أن نُنعم الفكر ونطيله متدبِّرين فى هذا مع حضور القلب ، إذ فى التأمُّل عبادة ، وبه يزداد الإيمان ، ويقوى اليقين بوجود الملك القدّوس المالك لجميع الأشياء ، المتصرف فيها بإرادته وقدرته وحكمته ذى العظمة والسلطان ، والغنى ، المستغنى بذاته سبحانه وبصفاته وأفعاله

عن كلّ ما سواه . «هو الله الذى لا إلهَ إلّا هو الملك القدُّوس».

**التضادُ من البراهين الشاهدة بوجود المدبِّر الحكيم :**

إن التفاوت بين الخلـــق ، والتقابـــل فى الكائنات ، والتضاد الذى نراه ونشمُّه ونلمسه ونذوقه ونسمعه لمن البراهين الناطقة بوحدانية الخالق ، وبكمال قدرته وتدبيره فى خلقه .. فهو سبحانه مالك الملك .. يعطى ويمنع ، ويبْسط الرزق ويقدر ، ويعزُّ من يشاء ويذلُّ من يشاء ، «يسأله من فى السموات والأرض كل يوم هو فى شأن» ومن شأنه سبحانه أن يغفر ذنبا ، ويفرِّج كربا ، ويرفع قوما ، ويضع آخرين ، ويحيى ويميت ، من شأنه سبحانه أن يولج الليل فى النهار ، ويولج النهار فى الليل ، ويخرج الحىَّ من الميت ، ويخرج الميت من الحىَّ ، ويشفى سقيما ، ويسقم سليما ، ويبتلى معافىً ، ويعافى مُبتلىً .

فسبحان من يقر فى الارحام ما يشاء ، ويميت الحىَّ ، ويعزُّ الذليل ، ويذل العزيز ، ويجيب الداعى ، ويسوق المقادير إلى المواقيت ، ويمهل العاصى حتى إذا أخذه لم يفلته « **وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ** » الأعراف : ١٨٣ .

**نعمة العقل :**

إن الانسان له عقل يعى ، وفكر يجول يقطع المسافات والأزمنة وصاحبه جالس فى مكانه ، وخير الناس من ينظر فى العبر ، وتهزُّ فكره الحوادث ، وتلفت عقله الايات ، فيقبل على نفسه يصلح حالها ، ويهيئها لمعاده .. ألا ترى ــ ياذا اللبِّ ــ الدنيا كسوق يجمع الناس ثم ينفض !. أرأيت شمل أسرة اجتمع أبدا لا ينقصُ منهم أحد ؟ .. أسمعت عن سعادة لم تشبها المتاعبُ والالام ؟ أفكرت ياذا اللب فى القبور ووحشتها ؟ وفيمن تطويهم فى أحشائها وهم ألوف كيف كانوا ، ثم إلى أين صاروا ؟ أفكرت فيمن كان قويا ثم صار ضعيفا ، وفيمن كان شابا ثم تقوَّس ظهره ، وشاب شعره ؟ أما فكرت فى سخافة تفكير الإنسان حين يشعل فتيل الحروب لا يتدبر العواقب ولا يبنى الأمر على أسباب تكون فى الحقيقة أعزّ على الإنسان من نفسه كدفاعه عن عقيدته الصحيحة ومقدساته ، وليذود عن شرف أمته ، ويردَّ عنهم الفتن ؟ أما مرت بك الرياح والعواصف ، والزلازل والبراكين ، والسيول؟ أما رأيت عجز الإنسان وضعفه أمامها ؟ أما امتد فكرك إلى الحيوانات الضعيفة ، والحشرات الصغيرة والطيور المحلقة تخرج فى الصباح خماصا بطونها خالية ثم تعود بطانا مسبحة بحمد ربها ؟ جُل بفكرك ــ ياذا اللب ــ وقل من قلبك :

**﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴾** (١١١)

الاسراء

وقد جاء فى الخبر أن هذه آية العزّ ، وكانت خاتمة التوراة ، وقد خُتمت بها سورة الإسراء ، وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم : كان إذا أفصح الغلام من بنى عبدالمطلب علَّمه : «وقل الحمدلله الذى لم يتَّخذْ ولدا ..» الاية .

تدبَّروا ، وتفكَّروا دوما ــ يا أولى الألباب ــ فى عظمة الله وسلطانه ، واحذروا مسالك اليهود والنصارى والمشركين وأشباههم الذين لم يُنَزِّهُوا ذا العزَّة والكبرياء ، المتفرِّد بالعظمة والجلال ، فنسبوا إليه الابن والبنت ، وقالوا:الملائكة ذرِّية الله ، وعزيرٌ ابن الله ، والمسيح ابن الله .. سبحانه جل جلاله ، وعظم سلطانه ، تعالى الله عن

أقوالهم .. احذروا — يا أهل الحكمة والبصيرة — أن تظنوا أن لله شريكا فى ملكه ، أو أن تشركوا فى عبادته أحداً من خلقه كالاستغاثة بالأولياء والأنبياء ، أو التمسح بقبورهم ، أو تقديم النذور لهم أو دعاء الأموات والأضرحة أو غير ذلك من صنوف الشرك وألوانه .

**الله واحد فى ألوهيته وربوبيته :**

نزهوا ربكم — يا أهل العقل السليم — عن مشابهة المخلوقين وعن النّد والولد والصاحبة ، فهو وحده المنعم الوهاب المتفرد بالإلهية والربوبية ، هو وحده المستحق لجميع المحامد لا إله إلا هو ، ولا ربَّ سواه ، ولا معبود بحق إلا هو .. هو وحده الغنى المستغنى عن كل ما سواه ، وكل المخلوقين محتاجون إليه .. سبحانه لا يحتاج إلى ولىّ ولا ناصر لعزّته وكبريائه ، فكبِّروا ربَّكم تكبيرا ، وعظموه عظمة تامة ، وقولوا دوما : "الله أكبر" فهى كما قيل: أبلغ لفظة للعرب فى معنى التعظيم والإجلال ، أى أنه سبحانه وتعالى أكبر من كل شىء وفى الحكمة قديما :

رأيت الله أكبر كل شىء .. محاولة وأكثرهم جنودا

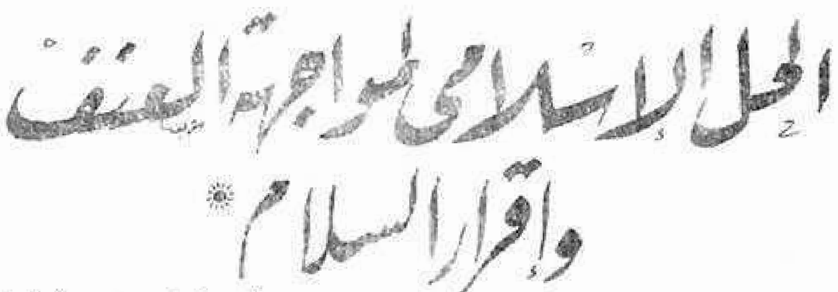
ولذا علّمنا النبى صلى الله عليه وسلم أن نقول : «الله أكبر» عند الدخول فى الصلاة كما علّمه رُبه .. قال عمر بن الخطاب : قول العبد : الله أكبر خير من الدنيا وما فيها .. ولو أن العبد فهم ووعى معنى الله أكبر لعاش مطمئن القلب ، شجاعا فى الحق ، صبورا فى الشدائد ، جلدا فى مواجهة الخطوب ، ولتهاوت من نفسه كل أصنام الوهم التى يقيمها الهوىٰ ، والشيطان ، وضعف النفس ..

فسبحان الواحد الأحد الفرد الصمد المقصود فى الحوائج على الدوام لعظم قدرته وكمالها ، الذى يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد ، لا معقب لحكمه ، ولا رادّ لقضائه ، وهو الكبير الذى ليس فوقه أحد — سبحانه — وهو الحىُّ قبل كل شىء والباقى بعد كل شىء ، والعليم بكل شىء .

وهو ـ سبحانه ـ القدُّوس المنزَّة عن سمات النقص والعيوب ، تقدست عن الحاجات ذاته ، وتنزهت عن الآفات صفاته ، هو الواحد الذى ليس كمثله شىء ، البديع الذى لا مثيل له ولا نظير فى ذاته وصفاته وأفعاله ، الذى أظهر عجائب صنعته ، وأظهر غرائب حكمته المبدع للأشياء بلا احتذاء ولا اقتداء : ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾﴾ الأنعام

وممّن خلقهم عبده ورسوله عيسى ـ عليه السلام ـ فالجميع خلقه ، والكل عبيده وتحت قهره وسلطانه ، فهو سبحانه أكبر من كل شىء ، وفوق كل شىء : « ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ﴾ » طه ﴿١١١﴾ ، أى خضعت وذلت للقائم على كل نفس بما كسبت ، المدبر لأمور خلقه ، الدائم الذى لا يزول فهو الباقى أزلا وأبدا : «**وقد خاب من حمل ظلما**» أى: الخسران والهلاك والشقاء الدائم لمن حمل شركا ، ولم يخلص التوحيد .

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾﴾ **الانعام**



# الحل الإسلامى لمواجهة العنف وإقرار السلام (*)

لفضيلة الشيخ السيد عبد المقصود عسكر

**الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على جميع الأنبياء والمرسلين**

**« وبعد » : فإن الإسلام دين السلام ؛ اسمه مشتق من نفس المادة التى اشتقت منها كلمة السلام . وهو من الأسماء الجليلة التى سمى الله بها نفسه فى القرآن الكريم .**

إن المسلم ينتهى من مناجاة ربه فى الصلاة مقبلا على الناس بالسلام يلقيه عن يمينه وعن شماله ، ومن أسماء الجنة التى يشتاق إليها المؤمنون ويجتهدون فى الأعمال الصالحة أملا فى دخولها : ( دار السلام ) .

وتحية الإسلام التى علمها لأتباعه لكى يتبادلوا بها التحية هى : ( السلام عليكم ورحمة الله وبركاته )

وهى كذلك تحية أهل الجنة بعضهم لبعض كما أخبرنا القرآن الكريم ﴿ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَـٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَـٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾(١)

وعندما تحدث رسول الله ﷺ معرفاً بالمسلم قال : ( المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمهاجر من هجر مانهى الله عنه .. )(٢) .

أى أن المسلم هو الذى لايؤذى أحداً بيده ولا بلسانه .

لماذا قاتل المسلمون ؟

**قد يقول قائل : ولماذا قاتل المسلمون ودخلوا فى معارك كثيرة ضد الجميع تقريباً .**

والجواب يعرفه كل من درس التاريخ بجيدة ونزاهة .

وملخص ذلك أن رسول الله ﷺ قام بتنفيذ أمر ربه فدعا الناس إلى عبادة الله وحده وترْكِ عبادة الأصنام التى لاتضر ولاتنفع ، وأقام الحجة عليهم ولكنهم لم يستجيبوا بالرغم من أنه كان يدعوهم بالحكمة والموعظة الحسنة ويجادلهم بالتى هى أحسن وكان يقول لهم :

﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴾(٣)

إلا أنهم أبوا أن يتركوه وشأنه يبلغ الناس رسالة ربه فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ، وأصروا على إلحاق الأذى به وبمن آمن معه واتبعه ، وقد

---

(*) محاضرة عامة ألقيت فى «صالة ماردينى ٣٢٢ بجامعة تكساس فى مدينة أوستن عاصمة ولاية تكساس الأمريكية» يوم الجمعة ٣٠ من شهر رمضان سنة ١٤١٢هـ الموافق ٣ من شهر إبريل سنة ١٩٩٢م ؛ بدعوة من الدكتور «لاستر كارتر» أستاذ علم الاجتماع .

(١) يونس : ١٠ .

(٢) متفق عليه .

(٣) الكافرون : ٦ .

تحمل الرسول الأذى هو وأصحابه صابرين محتسبين على أمل أن يهدى الله القوم الكافرين فيؤمنوا أو يكفوا أذاهم ، لكن شيئا من ذلك لم يحدث . واضطر الرسول ومن معه إلى الهجرة من مكة إلى المدينة وقد اختارها : لأن مجموعة من أهلها دخلوا فى الإسلام وتكونت بذلك قاعدة الدولة الإسلامية التى ولدت فى المدينة عقب الهجرة .

**وهنا نسأل : أليس من حق محمد ﷺ والمؤمنين معه أن يقاتلوا أهل مكة الذين عذبوهم وأخرجوهم من ديارهم بغير حق ؟**

إن أى منصف سيقول : بلى هذا من حقهم ، ولهذا فقد فرض الله على المسلمين قتال أعدائهم فقال ـ سبحانه ـ :

﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ﴾ (٤)

هذا شأن المسلمين مع أهل مكة استمرت المعارك بين الفريقين عدة سنوات ، وعندما دعى رسول الله إلى الصلح معهم على شروط مقبولة رضى بذلك رسول الله ﷺ ووفى بالعهد ؛ لكنه قبل مرور سنتين نقض أهل مكة هذا الصلح وغدروا ؛ وكان لابد من تأديب الغادرين ، فتم فتح مكة ، وهذا الفتح يعنى أن المسلمين الذين طردوا من مكة بالقهر والقوة عادوا إلى مكة بالقوة .

وعندما تمكن رسول الله من أعدائه من زعماء مكة ووقفوا بين يديه صاغرين ، ما الذى فعله بهم ؟ لقد عفا عنهم وهو قادر على الانتقام منهم . وقال لهم : (ما تظنون أنى فاعل بكم ؟) ، قالوا : خيراً أخ كريم وابن أخ كريم ، عندئذ قال لهم : ( اذهبوا فأنتم الطلقاء ) .

أما شأن رسول الله مع اليهود الذين كانوا فى المدينة المنورة فقد سالمهم وأبرم معهم معاهدة تضمن لهم كافة الحقوق كمواطنين على قدم المساواة مع المسلمين إلا أنهم نقضوا العهد وغدروا وأعانوا أهل مكة ضد المسلمين ، وحاول بعضهم قتل رسول الله ﷺ لكن الله نجاه منهم .

من أجل هذا كله وقع القتال بين المسلمين واليهود .

ولو فرضنا أن اليهود كانوا قد حافظوا على العهد ولم يغدروا لبقوا مقيمين مع المسلمين ينعمون معا بالسلام إلى يوم القيامة ؛ لكن ماذا تفعل مع من غدر بك ؟

أما القتال مع الفرس والروم فإن حدودهم المتاخمة لأراضى المسلمين جعلوا منها مسرح فتنة ، وتحريض لبعض القبائل المقيمة فى أطراف الدولة الإسلامية لكى يعتدوا على المسلمين ، بل قام بعضهم بقتل السفير الذى بعثه إليهم محمد ﷺ برسالة يدعوهم فيها إلى الإسلام ؛ ومعلوم أن قتل الرسل محرّم ، ويعتبر إعلاناً للحرب من جانب القاتل .

وهناك أسباب أخرى لا يتسع المجال لتفصيلها ولعلكم تعجبون إذا قلت لكم : إن محمداً ﷺ مع كثرة المعارك التى خاضها ، ومع أنه كان دائماً فى مقدمة الصفوف لم يقتل بنفسه إلا رجلًا واحداً فى غزوة «أحد» ، جاءه مهاجماً على فرسه يريد

---

(٤) الحج : ٣٩ ، ٤٠ .

قتله – عليه الصلاة والسلام – وهو يصيح : أين محمد ؟ ، لانجوت إن نجا ، فأخذ رسول الله حربة كانت بجواره وقذف بها ذلك الرجل فوقع قتيلا .

إن المسلمين مسالمون لايرغبون فى قتال أحد ، وكل مايريدونه هو أن يعيشوا بالطريقة التى يأمرهم بها دينهم أن يعبدوا الله الواحد الأحد ، وأن يطبقوا شريعتهم ، وأن يبلغوا رسالة الله إلى كل خلق الله فى كل الأرض كما أمرهم الله . فلو تركهم الناس ، ولم يتعرضوا لهم ولم يعتدوا عليهم ولم يحولوا بينهم وبين أن يعيشوا الحياة التى يمليها عليهم الإسلام ولم يمنعوهم من تبليغ رسالة الله فلن يقع قتال بين المسلمين وبين أحد من خلق الله .

إن بعض التقارير الرسمية الواردة من السجون الأمريكية تفيد أن المسجونين من المجرمين يتغير سلوكهم تماماً إذا مادخلوا فى الإسلام عن طريق الدعوة التى يمارسها بعض الدعاة الذين يقومون بزيارة السجون ، وتؤكد إدارات السجون أن هؤلاء الذين أسلموا صاروا بعد إسلامهم وادعين مسالمين وأنهم قد تخلوا عن الشغب والعنف ، وهذا دليل من الواقع يؤكد طبيعة الإسلام السمحة وأثره الواضح فى أهله .

**هل العالم يسير نحو السلام ؟**

**وقد يسأل سائل : والآن هل الظروف التى يعيشها العالم اليوم تشير إلى أن السلام قادم ، أم أن الأمر بخلاف ذلك وأن السلام بعيد المنال ؟**

إننى أصارحكم القول بأنه لامجال لتحقيق السلام فى العالم مادامت القوة فى يد من لايحسن استعمالها ، ومن يسخرها لخدمة أهدافه الخاصة بعيداً عن الحق والعدل .

إن من العجيب فى هذا العصر الذى نعيشه أن كثيراً من الكلمات حرفت معانيها وأصبحت تستعمل فى عكس مدلولها أحياناً .

هذه كلمة إرهابى مثلا تطلق على :الفلسطينى الذى يجاهد لاسترداد وطنه المسلوب ، ولاتطلق على اليهودى الذى يقتله ، ويستمر فى اغتصاب أرضه ووطنه ، أى أن المعتدى صار مناضلًا يلقى الدعم والمساندة ، والمدافع عن حقه صار إرهابياً مطارداً .

وإذا تحدث اليهودى بطريقة عفا عليها الزمن وهو يحاول إعادة الناس إلى الوراء أربعة آلاف عام عندما كان لليهود فى جزء من فلسطين دولة لم تستمر أكثر من ثلاثة وسبعين عاما لايوصف بأنه متطرف أو رجعى .

وحتى كلمة الشرعية الدولية التى ظهرت حديثاً ، هانحن نرى أن هذه الشرعية الدولية تبصر بعين واحدة .. عين مصالح القوى الكبرى بصرف النظر عن الحق والعدل ، والدليل على ذلك ممارسات هذه الشرعية الدولية فى أزمة الخليج ، ومايدبر الآن باسمها ضد ليبيا مع أن هذه الشرعية غائبة تماماً عن فلسطين وعن غيرها من قضايا المسلمين بل إنها متواطئة مع الظالمين ضد المظلومين .

إن ذلك يعنى بوضوح أن العالم لن يعرف السلام مادام هذا الوضع موجوداً ومادام تحريف الكلم عن مواضعه شائعاً .

**الحل الإسلامى :**

**وعلى كل فهاهى خطة تحقيق السلام – باختصار – كما يطرحها الإسلام وإن كانت**

ظروف تنفيذها غير متاحة بسبب الخلل الموجود فى كل مكان من العالم .

١ ـ السلام النفسى :

إن الخطوة الأولى على طريق تحقيق السلام هى أن ينجح المعنيون بأمر السلام العالمى فى تحقيق سلامهم النفسى أولا قبل أن يتصدوا لتحقيقه فى الأرض ، والسلام النفسى لا يتحقق للإنسان إلا بالمصالحة مع الله ـ عز وجل ـ ، فإن من عادى الله وخالف تعاليمه ، وعصى أوامره ، وارتكب معاصيه لن يذوق طعم السلام . والعاجز عن تحقيق السلام لنفسه يكون عن تحقيق السلام لغيره أشد عجزاً .

٢ ـ السلام الاجتماعى :

والخطوة الثانية هى : العمل على تحقيق السلام الاجتماعى ، وذلك بإشاعة المحبة والتراحم بين جميع أفراد المجتمع وفئاته وطبقاته بلا تمييز ، بحيث لا يكون الغنى جشعاً ، ولا يكون الفقير حاسداً أو حاقداً ، وأن تسود روح الإيثار بين الجميع ، وأن يقضى على كل صور الفساد فى المجتمع بواسطة التربية والقدوة وبدعم من القانون الصالح المنصف كى يكون هذا المجتمع قادراً على قيادة البشرية على طريق السلام العالمى الحق ؛ بعد أن يكون قد تحقق فيه أولاً .

٣ ـ السلام العالمى :

أما السلام العالمى فإن دوره يأتى بعد ما ذكر وليس قبله وهو يقوم على الدعائم الآتية :

**أولاً : الناس جميعًا إخوة** أبوهم جميعًا واحد وأمهم جميعًا واحدة فهم أشقاء ، والقرآن الكريم ينادى الناس جميعًا قائلاً :

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[٥] .

ومادام الأمر كذلك فإنه لا مبرر لأن يتكبر أحد على أحد بسبب جنسه أو لونه أو دينه . ولا معنى للتفرقة بين الناس على أساس أبوة عُلْياً وأخرى سفلى[٦] ، لأن مثل هذا الزعم يشعل نار العصبية ، ويزرع بذور العداوة والبغضاء ويؤدى إلى الحروب العدوانية التى قد يزج ببعض الأديان ليؤيدها بالباطل خروجاً على سماحته .

وهل إذا دخل فى الإسلام أمريكى أو فرنسى أو ألمانى يتحول بمجرد إسلامه ليصبح من تلك الطبقة السفلى ؟

إن غالبية المسلمين ليسوا من العرب ، فهل هؤلاء جميعًا من أبناء الطبقة السفلى ؟

إن من حق المسلمين أن يجأروا بالشكوى قائلين : إن الناس فى العالم المعاصر الذى يوصف بالتقدمية والتحضر متعصبون ضدنا ، لأننا مسلمون .

**ثانياً : العدل لا يتجزأ** بمعنى أنه مادام الناس جميعًا إخوة فلا يجوز أن يظلم أخ أخاه ، ولا أن يهضم حقه لأى سبب من الأسباب .

وعلى هذا فقد حرم الإسلام الظلم بكل صوره ، وحرم الجشع ، والربا والغش ،

(٥) النساء : ١ .

(٦) أشير هنا إلى ما جاء فى «سفر التكوين» الفصل الحادى والعشرون فقرة ١١ .

والاحتكار . ولا يحل مال أحد أو دمه بغير حق ، يستوى فى ذلك القريب والبعيد ، والعدو والصديق

يقول الله ـ تعالى ـ :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾(٧) .

وإهمال هذا المبدأ هو من أهم أسباب المنازعات والمشاكل فى عالمنا المعاصر .

والمشاهد الآن أن الأقوياء يريدون أن يحكموا العالم بالقوة لا بالعدل ، متوهمين أن القوة ستدوم لهم ، ومتجاهلين عبرة التاريخ : (لو دامت لغيرهم ما آلت إليهم) .

ثالثاً : **لا إكراه فى الدين** مبدأ يعلنه الإسلام ويطبقه بكل دقة ، وهذا المبدأ يعنى إعلان حرية الاعتقاد حقيقة بلا تلاعب فيما تعتنقه من دين ؛ وأن لا يُحَوَّل أحد عن دينه بالقوة أو بالحيلة والمكر والخديعة .

وقد التزم المسلمون بهذا المبدأ التزاماً تاماً ، ولم يعرف التاريخ حالة واحدة أكره فيها أحد الناس على الدخول فى الإسلام بغير طريق الحجة والإقناع .

رابعاً : يعرض الإسلام على الناس جميعاً ـ وبخاصة أهل الكتاب ـ أن يتجه الكل إلى الله الخالق وحده ، وأن يكونوا معا عبيداً خاضعين لسلطانه وحده ، وأن لا يخضع بعض الناس لبعض ، فليس مقبولاً أن يؤله بعض المخلوقين نفسه ليتسلط على خلق الله ، كما أنه ليس مقبولاً أن يؤله بعض الناس أحداً أو شيئاً من خلق الله يخضعون له من دون الله ، أو ويعبدونه مع الله .

وإذا رفض البعض قبول هذا المبدأ الأخير فليس معنى هذا أن الإسلام سيتخلى عن دعوته للأخوة الإنسانية والعدل والسلام ، وإنما ـ فقط ـ سيطلب من هؤلاء الرافضين أن يتركوا المسلمين وما اختاروه من الاستسلام لأمر الله وحده ومن الخضوع لسلطانه وحده ، وأن يسلموا بحق المسلمين فى أن يكونوا مسلمين كما اختاروا .

يقول الله تعالى :

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾(٨) .

هذا هو الحل الإسلامى المتكامل الذى سبق تطبيقه بنجاح منقطع النظير ، يحول دون تطبيقه اليوم القوى المعادية للسلام عملياً وسلوكياً .

لكننى واثق أن هذا الحل سيطبق فى المستقبل لإيمانى الكامل بأن المستقبل بيد الله وحده ؛ وليس بيد أحد من خلقه ، ولإيمانى الكامل بأن الأوضاع القائمة فى العالم اليوم لا ترضى الله ، وأى شىء لا يرضى عنه الله يوشك أن يغيره بعد أن يهىء الأسباب لذلك ، والله على كل شىء قدير .

وهو الذى لا يعجزه شىء فى الأرض ولا فى السماء .

أخيراً أسأل الله لى ولكم الهداية والتوفيق .

---

(٧) المائدة : ٨ .

(٨) آل عمران : ٦٤ .

# إنبعاث الحياة الإسلامية

# في جمهوريات آسيا الوسطى

د. عبد الله نجيب محمد

سقوط الحضارات والأمم سنة من سنن التاريخ المعروفة ، بل هي عبرة التاريخ من قديم الزمان ، فكما أن للإنسان عمرا لايتعداه ، كذلك الحضارات البشرية ، تطول أو تقصر ، ولكن مآلها إلى الضعف والانحلال .

وصراع الحضارات فيما بينها ظاهرة أخرى ملازمة لصعودها وهبوطها . وهي تمثل السباق البشري في ميدان العطاء الفكري والعلمي في كل جوانبه ، كما تمثل التراجع أو السقوط الأخلاق والسلوكي في جوانبه السلبية .



**وسقوط الشيوعية ماهو الا أحد مصاديق الحياة الحضارية التى تستحق الدراسة العميقة ؛ لما فيها من انعكـــــاسات كبرى على تاريخ الإنسانية ، وكان من أسبابها ـ وليست كلها ـ تصاعد المد الإسلامى على المستوى الدولى ، وبدء فترة جديدة ، يطرح فيها البديل الفكرى الإسلامى وهذا البديل ، وان كان من منظور القوى الكبرى فى عالم اليوم مهددا لمصالحها إلا أنه فى حقيقته البديل الصادق والعادل للوضع العالمى المتردى بما فيه من توتر وصراع ومادية طاغية ، واستغراق فى التوهم والتفوق العنصرى البغيض ، والذى لايؤدى إلا إلى مظالم تنعكس على كل الشعوب والأفراد .**

إن المسلمين قد طرحوا ومازالوا يطرحـون الإسلام بديلًا حضارياً للنظام الغربى الليبرالى والشيوعى ، ويركز المفكرون المسلمـون على صلاحية الإسلام لكل زمان ومكان ، وإن كان بعضهم يكتفى بترديد هذه القناعة دون ارتباط عملى بقضايا الحكم والسياسة والعلاقـــات البشرية ، إلا أن المشروع الإسلامى فى جوهره ومقاصده يحقق الكثير للبشرية وعلى رأس ذلك بالطبع : المساواة والعدالة بين الأفراد والشعوب والتأكيد على نموذج حياتى ليس مادياً صرفا بهذه الصورة فى عالم اليوم .

وقد نتج عن انهيار الشيوعية . قيام عدد من الجمهوريات الإسلامية الجديدة التى عاصرت أيديولوجيتها ، وعاشت مشكلاتها كما عانت من صراعها مع الليبرالية الغربية أجيالا ، وهـم لم يتخلوا عن هويتهم وجذورهم الثقافية . بل لعلهم صقلوا صقلا جديداً ، وامتحنوا امتحانا قاسيا ، والسؤال المطروح الآن هو : ماذا ننتظر من هؤلاء المسلمين وماذا نتوقع لهم ؟ هذا هو السؤال الذى نحاول الاجابة عليه ، وسوف نلقى نظرة على التقارير السياسية والصحفية لنرى ماذا يقولون ؟ وماذا يتوقعون ؟

اتجهت أنظار العالم نحو الجمهوريات الإسلامية المستقلة عن الاتحاد السوفيتى امنهار فى الفترة الأخيرة ، وتحولت أنظار الدوائر السياسيـــة والثقافية تجول هنا وهناك ، فى محاولة جادة نشطة للبحث عن أحوال المسلمين واتجاهاتهم ، ونظرتهم الجديدة إلى المستقبل ، وفى هذا المقال نتابع بعض مانشرته هذه الدوائر محاولين استخلاص النتائج التى توصلوا إليها .

تقول صحيفة « دى ولت » الألمانية : « حينما يتهاوى المنجل والمطرقة فى أنحاء الاتحاد السوفيتى ، يرتفع بدلا منها الهلال رمز المسلمين .. ويتنادى المسلمـون فى الجمهوريات الإسلاميـة الست بالعـودة إلى جذورهـم وأصولهم المؤسسة على الثقافة الإسلامية ، وتزدهر اللغة العربية ، ويقرأ القرآن من جديد فى المساجد ، ويرتفع الأذان من فوق المآذن : أن لاإله إلا الله محمد رسول الله .

والجمهوريات الست هى :

١ ـ أذربيجان وعاصمتها « باكو » ورئيسها « إياز مطلبوف » وهـذه الجمهورية كانت قد انفصلت عن العالم الإسلامى وضمت إلى الاتحاد السوفيتى عام ١٩٢٢ م وأصبحت إحــدى جمهورياته عام ١٩٣٦ ، ويقدر عدد سكـانها بنحـــو ٧ ملايين أكثر من ٨٠٪ منهم من الآذربيجانيين ، وهى غنية بالنفط ، وتحاول هذه الجمهورية المستقلة أن تشق طريقها نحو العالم الإسلامى ، فتمد يدها من جهة إلى إيران ويدها

الأخرى إلى تركيا ، ويعمل أهلها بكل سبيل على استعادة هويتهم وثقافتهم ، ودعم علاقاتهم بكل دول العالم الإسلامى .

٢ ــ والجمهورية الثانية هى « كازاخستان » أو (قازاقستان) وعاصمتها « ألما آتا » ، وهى أكبر الجمهوريات الست مساحة وسكانا ، ويرأسها « نور سلطان نزار بايف » وهى من أوائل الجمهوريات التى ضمت للاتحاد السوفيتى وأعلنت استقلالها عام ١٩٩٠ ويمثل القوزاق نحو ٤٠٪ من السكان ، البالغ عددهم ١٧ مليون نسمة ، وهذه الجمهورية مشهورة بانتاج القطن ولها علاقات قوية بجيرانها من الدول الإسلامية .

٣ ــ تركمانستان (تركستان أو تركمانيا) : وقد ضمت إلى الاتحاد السوفيتى عام ١٩٢٤ وأصبحت إحدى جمهورياته عام ١٩٢٥ ، وعاصمتها « عشق آباد » وهى فى جملتها صحراوية ورئيسها « سيبار مراد نيازوف » وقد أعلنت استقلالها فى أغسطس ١٩٩٠ وهى غنية بالغاز الطبيعى والقطن ، ويقدر عدد سكانها بنحو ٣,٦ مليون نسمة ، ومنهم ٧٢٪ من التركمان .

وهذه الجمهورية تتبع سياسة هادئة متأنية فى علاقاتها بجيرانها من الدول الإسلامية .

٤ ــ أوزبكستان : وعاصمتها طشقند ، وهى إحدى البلاد ذات التاريخ الإسلامى العريق ، ورئيسها « إسماعيل كريموف » ويمثل الأوزبك نحو ٧١٪ من سكانها البالغ عددهم ٢٠ مليون نسمة . وكانت قد ضمت إلى الاتحاد السوفيتى عام ١٩٢٤ ، وأصبحت أحدى جمهورياته عام ١٩٢٥ ، واستقلت حديثاً ، والاوزبك عموماً كان لهم دور مهم فى تاريخ المسلمين الحديث ، وقد أدى الصراع بينهم وبين الشاه إسماعيل الصفوى حاكم إيران فى القرن السادس عشر إلى اضعافهم ، مما مكن الروس من الاستيلاء على بلادهم .

٥ ــ تاجيكستان : وعاصمتها « دوشنبه » وهى جمهورية جبلية ، ويرأسها « قهار محاكموف » وهذه البلاد كانت قد خضعت فترة من الزمان لإيران ، وفترة أخرى لأفغانستان ، وضمها الشيوعيون عام ١٩٢٩ ، ويبلغ عدد سكانها نحوا من خمسة ملايين نسمة يمثل التاجيك ٦٢٪ منهم . وأعلنت استقلالها فى أغسطس ١٩٩٠ وسكانها تختلط فيهم الدماء العربية بالفارسية والتركية ، وعلاقتها قوية بايران .

٦ ــ قرغيزستان : (أوقيرغيريا) وعاصمتها « بيشيك » (فروتزه) ويرأسها « عسكر أكايف » ويقدر عدد سكانها بنحو ٤,٤ مليون نسمة ، يمثل القيرغيز ٥٢٪ من عددها ، ضمت للاتحاد السوفيتى عام ١٩٣٦ وأعلنت استقلالها مؤخرا .

كذلك ، فعلاوة على هذه الجمهوريات ، فإن أهالى « تشينشينيا انيغوش » يطالبون بالحكم الذاتى والاستقلال عن موسكو ويصرون على حماية ثرواتهم المنجمية ومنها النفط من أى استغلال خارجى ، كما يطالب التتار والباشكير فى قلب روسيا ذاتها ، وعلى ساحل نهر الفولجا بالاستقلال ، بينما يطالب أهالى استارخان الذين يقطنون شمال بحر الخزر بالاعتراف بحقوقهم الخاصة ، مما جعل الأقليات الروسية والسلافية تهم بالنزوح عن هذه المناطق .

ويتضح من التقارير الصحفية التى تتابع أحوال المسلمين فى وسط آسيا أن انتفاضة الشعب فى « تشينشينيا اينغوش لن تتوقف حتى يحصل على الحكم الذاتى ، كذلك تشتد الثورة فى منطقة

داغستان وتنفجر حركة استقلالية كذلك فى أوستباى الجنوبية وهى ذات أغلبية مسلمة ، وتتبع الآن «جورجيا» وهى تطالب متضامنة مع اوستياى الشمالية بتشكيل مقاطعة مستقلة ، ويحاول «جمسيا خورديا» باستخدام القوة أن يحول دون تحقيق هذه الغاية كما يواجه فى نفس الوقت ثورة أهالى مدينة «أبخازى» التى كان ستالين قد أهداها إلى جورجيا مسقط رأسه ، مما يعتبره الأبخازيون مهيناً لكرامتهم ، ويمثل الأذربيجانيون نحو ٦٪ من مجموع سكان جورجيا البالغ عددهم نحوا من ٥,٥ مليون نسمة .

وتقول «دى ولت» : إن اتصال روسيا بالبحر الأسود قد أنقطع تماما ، ولن يطول الوقت حتى ينقطع اتصالها كذلك ببحر الخزر ، وذلك كنتيجة مباشرة لاستقلال «أوكرانيا» وكان خروشوف ـ رغبة منه فى تأكيد هيمنة الروس على البحر الأسود ـ قد أضاف جزيرة كريمة المسلمة إلى أوكرانيا عام ١٩٥٦ م .

اضافة إلى ما ذكر ، فإن المسلمين يمثلون نحو ٣٪ من سكان أرمينيا ، البالغ عددهم نحوا من ٣,٥ مليون نسمة ، كما أن عددا آخر من المسلمين ينتشر فى باقى الجمهوريات المنفكة عن الاتحاد السوفيتى ، حتى فى قلب أوروبا ، وأن هؤلاء لهم صلاتهم الوثيقة بمسلمى يوغسلافيا وبلغاريا .

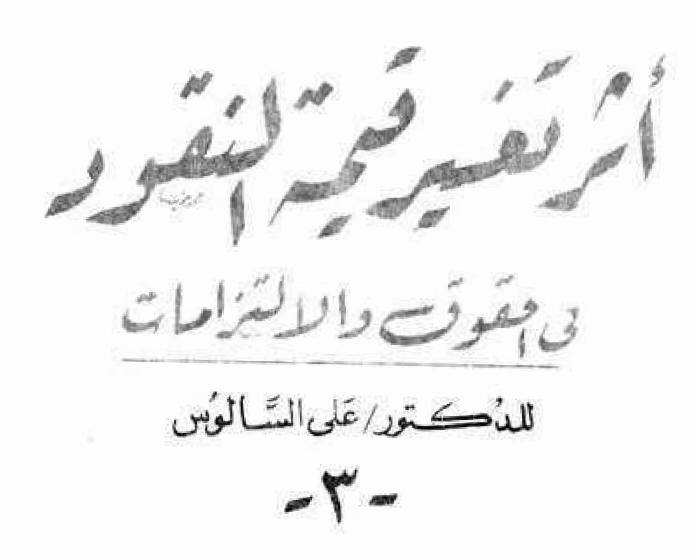
هذه فكرة عامة عن أحوال المسلمين السياسية ، أما التحول إلى الإسلام والجذور الثقافية الإسلامية ، فقد كتبت عنه «اللوموند الفرنسية» متحدثة عن الأوضاع فى الجمهوريات الآسيوية قائلة : «إن الأغلبية الساحقة فى الجمهوريات الإسلامية الآسيوية ترى فى الاستقلال عودة إلى الهوية الإسلامية ، وأضافت أن الموجة الإسلامية ، وبعث الحياة الدينية من جديد هما الطاقة الأصيلة للقدرة السياسية فى هذه المناطق فقد أستأنفت المساجد مرة أخرى نشاطها ، حيث تنتظم صفوف دراسة القرآن الكريم واللغة العربية بصورة مكثفة» .

وتبحث جماهير هذه الجمهوريات عن معالم هويتها المستقلة فى الدين الإسلامى واللغة العربية واللغات القومية التى يعيدون كتابتها بالحروف العربية ، وكذلك فى العادات والتقاليد الإسلامية الأصيلة ، وتتعامل مع تراثها الإسلامى على أنه ينبوع تاريخها الحقيقى المتأصل فى تربتها الثقافية . وهى ترى إن إقامة حكومة إسلامية أصبح من المسلمات المنطقية التى يجب ألا تعوقها العوائق ، مهما كانت .

أما صحيفة «ديلى كورانتى» السوفيتية الناطقة بلسان المجلس الليبرالى لمدينة «موسكو» فقد قالت : «إن قادة الجمهوريات الآسيوية يصغون باهتمام بالغ لكل مايصدر عن الجمهوريات الإسلامية فى إيران ، وكل ماتبثه اذاعة باكستان ، وأضافت أن عامل الإسلام مهم للغاية ، وسوف تحسسه قريباً» .

وتجمع الصحف الغربية والشرقية سواء بسواء على أن استقلال الجمهوريات الإسلامية ، وانبعاث الإسلام فيها من جديد بهذه الصورة .

يعد إضافة جديدة وهامة للإسلام والمسلمين ، ويتوقع كثير من الخبراء السياسيين أن يتزايد دور المسلمين فى عالم المستقبل ويدعو بعضهم إلى اعادة النظر فى التعامل مع المسلمين ، واتباع أسلوب جديد ، ومنطق جديد ، يأخذ فى حسبانه أن الإسلام سوف يزدهر وأن الحضارة الإسلامية سوف تحتل مكانتها فى عالم المستقبل .



# أثر تغير قيمة النقود في الحقوق والالتزامات

للدكتور/ علي السالوس

- ٣ -

(المطلب الرابع أقوال الحنفية)

قال المرغيانى فى الهداية :

**ولو استقرض فلوساً فكسدت عند أبى حنيفة - رحمه الله - يجب عليه مثلها لأنه إعارة ، وموجبة رد العين : معنى ، والثمنية فضل فيه ، إذ القرض لا يختص به . وعندهما تجب قيمتها ، لأنه لما بطل وصف الثمنية تعذر ردها كما قبض فيجب رد قيمتها ، كما إذا استقرض مثلياً فانقطع . لكن عند أبى يوسف رحمه الله يوم القبض ، وعند محمد رحمه الله يوم الكساد على ما مر من قبل . وأصل الاختلاف فيمن غصب مثلياً فانقطع . وقول محمد رحمه الله أنظر للجانبين ، وقول أبى يوسف أيسر[1] .**

وقال ابن الهمام فى فتح القدير شارحاً ما سبق[2] .

(قوله ولو استقرض فلوساً فكسدت عند أبى حنيفة - رحمه الله - يرد مثلها) عدداً ، اتفقت الروايات عنه بذلك ، وأما إذا استقرض دارهم غالبة الغش فقال أبو يوسف فى قياس قول أبى حنيفة عليه مثلها ، ولست أروى ذلك عنه ، ولكن الرواية فى الفلوس إذا أقرضها ثم كسدت . وقال أبو يوسف : عليه قيمتها من الذهب يوم القرض فى الفلوس والدراهم . وقال محمد : عليه قيمتها فى آخر وقت إنفاقها . وجاء قوله (لأنه) أى القرض (إعارة وموجبة) أى موجب عقد الإعارة (رد العين) إذ لو كان استبدالًا حقيقة موجباً لرد المثل استلزم الربا للنسيئة ، فكان موجباً

---

(١) انظر الهداية (٦/ ٢٧٨- ٢٧٩) مع شروحه : العناية وفتح القدير والكفاة .

(٢) الكتاب المذكور ٦/ ٢٧٨ : ٢٨٠ .

رد العين ، إلا أن ما تضمنه هذا العقد لما كان تمليك المنفعة بالاستهلاك مع بقاء العين لزم تضمنه تمليك العين ، فالبضرورة اكتفى برد العين معنى وذلك برد المثل ، ولذا يجبر المغصوب منه على قبول المثل إذا أتى به الغاصب فى غصب المثلى بلا انقطاع ، مع أن موجب الغصب رد العين ، وذلك حاصل بالكاسد (والثمنيـــة فضل فى القرض) غير لازم فيه ، ولذا يجوز استقراضها بعد الكساد ، وكذا يجوز استقراض كل مثلى وعددى متقارب ولا ثمنية . (ولهما أنه لما بطل وصف الثمنية تعذر ردها كما قبضها فيجب رد قيمتها) وهذا لأن القرض وإن لم يقتض وصف الثمنية لا يقتضى سقوط اعتبارها إذا كان المقبوض قرضاً موصوفاً بها ، لأن الأوصاف معتبرة فى الديون ، لأنها تعرف بها بخلاف الأعيان المشار إليها وصفها لغو لأنها تعرف بذواتها . وتأخير دليلهما بحسب عادة (المصنف) ظاهر فى اختياره قولهما . (ثم أصل الاختلاف) فى وقت الضمان اختلافهما (فيمن غصب مثلياً فانقطع وجبت القيمة عند أبى يوسف يوم الغصب وعند محمد يوم القضاء) وقولهما أنظر للمقرض من قول أبى حنيفة ، لأن فى رد المثل إضراراً به ، ثم قول أبى يوسف أنظر له أيضاً من قول محمد ، لأن قيمته يوم القرض أكثر من قيمته يوم الانقطاع (فكان قول محمد أنظر) للمستقرض من قول أبى يوسف (وقول أبى يوسف أيسر) لأن القيمة يوم القبض معلومة ظاهرة لا يختلف فيها ، بخلاف ضبط وقت الانقطاع فإنه عسر ، فكان قول أبى يوسف أيسر فى ذلك .

وقال صاحب الكفاية (٦/٢٧٩ ـ ٢٨٠) :

قولــه : (وأصل الاختـــلاف) أى أصل الاختلاف بين أبى يوسف ومحمد رحمهما الله ، وإنما قيدنا به لأنه بنى هذا الاختلاف على الاختلاف فى غصب المثلى كالرطب مثلا ، وفيه كان الاختلاف بينهما نظير الاختلاف الذى نحن فيه ، كذا فى النهاية . وفى فوائد الخبازى : وأصل الاختلاف فيمن غصب مثلياً فانقطع ، إلا أن هناك تعتبر القيمة يوم الخصومة عند أبى حنيفة ـ رحمه الله ـ وهنا لا يقول به ، لأن إيجاب قيمتها من الفضة يوم الخصومة لا يفسد ، لأن قيمتها كاسدة وعينها سواء ، بل إيجاب العين كاسدة أعدل من قيمتها كاسدة ، فأوجب مثلها كاسدة . وعندهما لما وجب اعتبار قيمتها رائجة إما يوم القبض أو آخر يوم كانت رائجة فيه فكسدت ، كان إيجاب قيمتها من الفضة أولى من إيجاب عينها كاسدة كما فى المبسوط . وقول محمد رحمه الله أنظر فى حق المقرض بالنظر إلى قول أبى حنيفة ـ رحمه الله ـ وكذا فى حق المستقرض بالنسبة إلى قول أبى يوسف ـ رحمه الله ـ وفى فتاوى قاضيخان ـ رحمه الله ـ قال محمد ـ رحمة الله عليه ـ: قيمتها فى آخر يوم كانت رائجة ، وعليه الفتوى . وقول أبى يوسف ـ رحمه الله ـ أيسر ، أى للمفتى أو القاضى ، لأن قيمته يوم القبض معلومة ، ويوم الانقطاع لا يعرف إلا بحرج .

وقال صاحب العناية (٦/٢٧٩ـ ٢٨٠) :

ولاشك أن قيمة يوم القبض أكثر من قيمة يوم الانقطاع ، وهو ضرر بالمستقرض ، فكان قول محمد أنظر للجانبين (وقول أبى يوسف أيسر) لأن قيمته يوم القبض معلومة للمقرض والمستقرض وسائر الناس ، وقيمة يوم الانقطاع تشتبه على الناس ويختلفون فيها فكان قوله أيسر .

هذا ما جاء فى الهداية ، وشروحه الثلاثة .

وهو يتعلق بحالة الكساد والانقطاع . غير أن العلامة ابن عابدين أغنانا عن الرجوع إلى كثير من كتب الحنفية ببحثه القيم «تنبيه الرقود على مسائل النقود» . قال فى البداية : هذه الرسالة سميتها تنبيه الرقود على مسائل النقود ، من رخص وغلاء وكساد وانقطاع . جمعت فيها ما وقفت عليه من كلام أئمتنا ذوى الارتقاء والارتفاع ، ضاماً إلى ذلك مايستحسنه ذوو الإصغاء والاستماع .. إلخ . ورسالة ابن عابدين تقع فى عشر صفحات ، والكتب التى جمع منها فيها المتفق عليه والمختلف فيه ، وفى بعضها ما يعارض بعضها الآخر . ورأينا من ينقل بعض ما ذكره ابن عابدين منسوباً لأصحابه دون النظر إلى ما ذكره فى موضع آخر معارضاً الرأى الأول ، بل أخذ أحد الرأيين على أنه المذهب الحنفى .

لذلك رأيت أن أبين خلاصة ما جاء فى الرسالة كلها .

بعد أن انتهى ابن عابدين من التعريف برسالته بدأها بما يأتى : قال فى (الولواجية) فى الفصل الخامس من كتاب (البيوع) :

رجل اشترى ثوباً بدراهم نقد البلدة ، فلم ينقدها حتى تغيرت فهذا على وجهين : إن كانت تلك الدراهم لا تروج اليوم فى السوق أصلاً فسد البيع ، لأنه هلك الثمن ، وإن كانت تروج لكن انتقصت قيمتها لا يفسد لأنه لم يهلك ، وليس إلا ذلك ، وإن انقطع بحيث لا يقدر عليها فعليه قيمتها فى آخر يوم انقطع من الذهب والفضة هو المختار . ونظير هذا ما نص فى كتاب (الصرف) : إذا اشترى شيئاً بالفلوس ، ثم كسدت قبل القبض بطل الشراء يعنى فسد ، ولو رجعت لا يفسد . ا.هـ.

وفى جواهر الفتاوى قال القاضى الإمام الزاهدى أبو نصر الحسين بن على : إذا باع شيئاً بنقد معلوم ثم كسد النقد قبل قبض الثمن فإنه يفسد البيع ، ثم ينتظر إن كان المبيع قائماً فى يد المشترى يجب رده عليه ، وإن كان خرج من ملكه بوجه من الوجوه أو اتصل بزيادة بصنع من المشترى ، أو أحدث فيه صنعة متقومة مثل إن كان ثوباً فخاطه ، أو دخل فى حيز الاستهلاك وتبدل الجنس مثل إن كان حنطة فطحنها ، أو سمسماً فعصره ، أو وسمة[3] فضربها نيلاً[4] . فإنه يجب عليه رد مثله إن كان من ذوات الأمثال كالمكيل ، والموزون ، والعددى الذى لايتفاوت كالجوز ، والبيض ، وإن كان من ذوات القيم كالثوب والحيوان فإنه يجب قيمة المبيع يوم القبض من نقد كان موجوداً وقت البيع لم يكسد . ولو كان مكان البيع إجازة فإنه تبطل الإجازة ويجب على المستأجر أجر المثل ، وإن كان قرضاً أو مهراً يجب رد مثله . هذا كله قول أبى حنيفة . وقال أبو يوسف : يجب عليه قيمة النقد الذى وقع عليه العقد من النقد الآخر يوم التعامل . وقال محمد : يجب آخر ما انقطع من أيدى الناس . قال القاضى : الفتوى فى المهر والقرض على قول أبى يوسف ، وفيما سوى ذلك على قول أبى حنيفة . (ا.هـ) انتهى .

وفى الفصل الخامس من (التتارخانية) : إذا اشترى شيئاً بدراهم هى نقد البلد ولم ينقد الدراهم حتى تغيرت فإن كانت تلك الدراهم لاتروج اليوم فى السوق فسد البيع ، وإن كانت

(٣) الوسمة : نبات عشبى زراعى للصباغ .

(٤) النيل : مادة للصباغ مستخرجة من النبات .. والصباغ نفسه .

تروج لكن انتقصت قيمتها لا يفسد البيع . وقال فى (الخانية) : لم يكن له إلا ذلك . وعن أبى يوسف : إن له أن يفسخ البيع فى نقصان القيمة أيضاً ، وإن انقطعت تلك الدراهم اليوم كان عليه قيمة الدراهم قبل الانقطاع عند محمد ، وعليه الفتوى . وفى عيون المسائل عدم الرواج إنما يوجب الفساد إذا كان لا يروج فى جميع البلدان ، لأنه حينئذ يصير هالكاً ويبقى المبيع بلا ثمن ، فأما إذا كان لا يروج فى هذه البلدة فقط فلا يفسد البيع ، لأنه لا يهلك ولكنه تعيب ، وكان للبائع الخيار إن شاء قال أعطنى مثل الذى وقع عليه البيع ، وإن شاء أخذ قيمة ذلك دنانير . انتهى .

وكذا فى الفصل الرابع من الذخيرة البرهانية ، والحاصل إما أن لا تروج ، وإما أن تنقطع ، وإما أن تزيد قيمتها أو تنقص : فإذا كانت كاسدة لا تروج يفسد البيع ، وإن انقطعت فعليه قيمتها قبل الانقطاع ، وإن زادت فالبيع عن حاله ولا يتخير المشترى — كما سيأتى — ، وكذا إن انتقصت لا يفسد البيع وليس للبائع غيرها . وما ذكرناه من التفرقة بين الكساد والانقطاع هو المفهوم مما قدمناه .

وذكر العلامة شيخ الإسلام (محمد بن عبدالله الغزى التمرتاشى) فى رسالة سماها بذل المجهود فى مسألة تغير النقود : اعلم أنه إذا اشترى بالدراهم التى غلب غشها أو بالفلوس وكان كل منهما نافقاً حتى جاز البيع لقيام الاصطلاح على الثمنية ولعدم الحاجة إلى الإشارة لالتحاقها بالثمن ، ولم يسلمها المشترى للبائع ثم كسدت بطل البيع ، والانقطاع عن أيدى الناس كالكساد ، وحكم الدراهم كذلك ، فإذا اشترى بالدراهم ثم كسدت ، أو انقطعت بطل البيع ، ويجب على المشترى رد المبيع إن كان قائماً ، ومثله إن كان هالكاً وكان مثلياً ، وإلا فقيمته ، وإن لم يكن مقبوضاً فلا حكم لهذا البيع أصلاً ، وهذا عند الإمام الأعظم . وقالا : لا يبطل البيع ، لأن المتعذر إنما هو التسليم بعد الكساد ، وذلك لا يوجب الفساد لاحتمال الزوال بالرواج كما لو اشترى شيئاً بالرطبة ثم انقطع . وإذا لم يبطل وتعذر تسليمه وجبت قيمته ، لكن عند أبى يوسف يوم البيع وعند محمد يوم الكساد وهو آخر ما تعامل الناس بها . وفى الذخيرة الفتوى على قول أبى يوسف ، وفى المحيط والتتمة والحقائق (على قول) محمد يفتى رفقاً بالناس (٥٨ — ٥٩).

وبعد هذا الجزء من رسالته ذكر المراد بالكساد والانقطاع فقال :

<u>الكساد لغة</u> — كما فى المصباح — من كسد الشىء ، يكسد ، من باب قتل : لم ينفق لقلة الرغبات ، فهو كاسد وكسيد ، يتعدى بالهمزة فيقال : أكسده الله وكسدت السوق فهى كاسدة بغير هاء فى الصحاح وبالهاء فى التهذيب . ويقال أصل الكساد الفساد .

وعند الفقهاء : أن تترك المعاملة بها فى جميع البلاد ، وإن كانت تروج فى بعض البلاد لا يبطل ، لكنه يتعيب إذا لم يرج فى بلدهم ، فيتخير البائع إن شاء أخذه وإن شاء أخذ قيمته ، وحد الانقطاع أن لا يوجد فى السوق وإن كان يوجد فى يد الصيارفة وفى البيوت ، وهكذا فى الهداية . والانقطاع كالكساد كما فى كثير من الكتب ، لكن قال فى المضمرات : فإن انقطع ذلك فعليه من الذهب والفضة قيمته فى آخر يوم انقطع هو المختار . ثم قال فى الذخيرة : الانقطاع أن لا يوجد فى السوق وإن كان يوجد فى يد

الصيارفة وفى البيوت ، وقيل : إذا كان يوجد فى أيدى الصيارفة فليس بمنقطع ، والأول أصح . انتهى . هذه عبارة الغزى فى رسالته (ص ٥٩ - ٦٠).

وقال بعد هذا :

«وفى الذخيرة البرهانية بعد كلام طويل : هذا إذا كسدت الدراهم أو الفلوس قبل القبض ، فإما إذا غلت فإن ازدادت قيمتها فالبيع على حاله ولا يتخير المشترى ، وإذا انتقصت قيمتها ورخصت فالبيع على حاله ، ويطالبه بالدراهم بذلك العيار الذى كان وقت البيع .

وفى المنتقى : إذا غلت الفلوس قبل القبض أو رخصت قال أبو يوسف : قولى وقول أبى حنيفة فى ذلك سواء ، وليس له غيرها ، ثم رجع أبو يوسف وقال عليه قيمتها من الدراهم يوم وقع البيع ويوم وقع القبض ، والذى ذكرناه من الجواب فى الكساد فهو الجواب فى الانقطاع . انتهى . (وقوله) يوم وقع البيع أى فى صورة البيع (وقوله) ويوم وقع القبض أى فى صورة القبض كما نبه عليه فى النهر . وبه علم أن فى الانقطاع قولين : الأول فساد البيع كما فى صورة الكساد ، والثانى أنه يجب قيمة المنقطع فى آخر يوم انقطع وهو المختار كما مر عن المضمرات ، وكذا فى الرخص والغلاء قولان أيضاً : الأول ليس له غيرها ، والثانى له قيمتها يوم البيع وعليه الفتوى كما يأتى . وقال العلامة الغزى عقب ما قدمناه : عند هذا إذا كسدت أو انقطعت . أما إذا غلت قيمتها أو انقطعت فالبيع على حاله ، ولا يتخير المشترى ، ويطالب بالنقد بذلك العيار الذى كان وقت البيع . كذا فى فتح القدير . وفى البزازية معزياً إلى المنتقى : غلت الفلوس أو رخصت ، فعند الإمام الأول والثانى أولا : ليس عليه غيرها ، وقال الثانى ثانياً : عليه قيمتها من الدراهم يوم البيع والقبض ، وعليه الفتوى ، وهكذا فى الذخيرة والخلاصة بالعزو إلى المنتقى» (ص ٦٠).

والدراهم التى ورد ذكرها جاء الحديث عنها بعد ذلك حيث قال : «لم تختلف الرواية عن أبى حنيفة فى قرض الفلوس إذا كسدت أن عليه مثلها . قال أبو يوسف : عليه قيمتها من الذهب يوم وقع القرض فى الدراهم التى ذكرت لك أصنافها ، يعنى البخارية والطبرية واليزيدية . وقال محمد : قيمتها فى آخر نفاقها . قال القدورى : وإذا ثبت من قول أبى حنيفة فى قرض الفلوس ما ذكرنا ، فالدراهم البخارية فلوس على صفة مخصوصة ، والطبرية واليزيدية هى التى غلب الغش عليها فتجرى مجرى الفلوس ، فلذلك قاسها أبو يوسف على الفلوس» (ص ٦٢) .

وما ذكره ابن عابدين من أن الرخص والغلاء فيه قولان جاء ما يعارضه ، حيث نقل عن مجمع الفتاوى قوله : «لو غلت أو رخصت فعليه رد المثل بالاتفاق» (ص ٦١) .

وقال : قال الإمام الأسبيجابى فى شرح الطحاوى : «وأجمعوا أن الفلوس إذا لم تكسد ولكن غلت قيمتها أو رخصت ، فعليه مثل ما قبض من العدد» (ص ٦٢) .

وأشار إلى مثل هذا فى فتاوى قاضيخان . (انظر ص ٦٠) . وحاول ابن عابدين أن يزيل هذا التعارض فقال :

«(فإن قلت) يشكل على هذا ما ذكر فى مجمع الفتاوى من قوله ولو غلت أو رخصت فعليه رد المثل بالاتفاق . انتهى . (قلت) لا يشكل ، لأن أبا يوسف كان يقول أولا بمقالة الإمام ، ثم رجع

عنها ، وقال ثانياً الواجب عليه قيمتها كما نقلناه فيما سبق عن البزازية ، وصاحب الخلاصة والذخيرة ، فحكاية الاتفاق بناء على موافقته للإمام أولًا كما لا يخفى والله تعالى أعلم» (ص ٦١) .

وقال فى موضع آخر (ص ٦٣ - ٦٤) .

بقى الكلام فيما إذا نقصت قيمتها فهل للمستقرض رد مثلها وكذا المشترى أو قيمتها ؟

لا شك أن عند أبى حنيفة يجب رد مثلها ، وأما على قولهما فقياس ما ذكروا فى الفلوس أنه يجب قيمتها من الذهب يوم القبض عند أبى يوسف ويوم الكساد عند محمد ، والمحل محتاج إلى (التحرير) . ا.هـ (وفى) حمله الدراهم - فى كلام البحر - على التى لم يغلب غشها نظر ظاهر ، إذ ليس المراد إلا الغالبية الغش كما قدمناه وصرح به شراح الهداية وغيرهم (والذى) يغلب على الظن ويميل إليه القلب أن الدراهم المغلوبة الغش أو الخالصة إذا غلت أو رخصت لايفسد البيع قطعاً ، ولا يجب إلا ما وقع عليه العقد من النوع المذكور فيه ، فإنهما أثمان عرفا وخلقة ، والغش المغلوب كالعدم ، ولايجرى فى ذلك خلاف أبى يوسف . على أنه ذكر بعض الفضلاء أن خلاف أبى يوسف فى مسألة ما إذا غلت أو رخصت إنما هو فى الفلوس فقط ، وأما الدراهم التى غلب غشها فلا خلاف له فيها (وبهذا) يحصل التوفيق بين حكاية الخلاف تارة والإجماع تارة أخرى ، وهذا أحسن مما قدمناه عن الغزى ، ويدل عليه عبارتهم بحيث كان الواجب ما وقع عليه العقد فى الدراهم التى غلب غشها إجماعاً فما فى الخلاصة ونحوها أولى ، وهذا ما نقله السيد محمد أبو السعود فى حاشية (منلا مسكين) عن شيخه ، ونص عبارته : قيد بالكساد لأنها لو نقصت قيمتها قبل القبض فالبيع على حاله بالإجماع ، ولا يتخير البائع وكذا لو غلت وازدادت ولا يتخير المشترى .

وفى الخلاصة والبزازية : غلت الفلوس أو رخصت فعند الإمام الأول والثانى أولًا : ليس عليه غيرها وقال الثانى ثانياً : عليه قيمتها يوم البيع والقبض وعليه الفتوى انتهى . أى يوم البيع فى البيع ويوم القبض فى القرض كذا فى النهر (واعلم) أن الضمير فى قوله قيد بالكساد ، يعود على الدراهم التى غلب غشها ، وحينئذ فما ذكره مما يقتضى لزوم المثل بالإجماع بعد الغلاء والرخص حيث قال فالبيع على حاله بالإجماع ؛ ولا يتخير البائع إلخ لا ينافى حكاية الخلاف عن الخلاصة والبزازية فيما إذا غلت الفلوس أو رخصت هل يلزمه القيمة أو ليس عليه غيرها . هذا حاصل ما أشار إليه شيخنا من التوفيق . قال شيخنا : وإذا علم الحكم فى الثمن الذى غلب غشه إذا نقصت قيمته قبل القبض كان الحكم معلوماً بالأولى فى الثمن الذى غلب جيده على غشه إذا نقصت قيمته لا يتخير البائع بالإجماع ، فلا يكون له سواه ، وكذا لو غلت قيمته لا يتخير المشترى بالإجماع قال : وإياك أن تفهم أن خلاف أبى يوسف جار حتى فى الذهب والفضة كالشريفى البندق والمحمدى والكلب والريال ، فإنه لايلزم لمن وجب له نوع منها سواه بالإجماع ، فإن ذلك الفهم خطأ صريح ناشىء عن عدم التفرقة بين الفلوس والنقود . انتهى . ما فى الحاشية ، وهو كلام حسن وجيه لا يخفى على فقيه نبيه» . ا.هـ

وبعد هذا أشار ابن عابدين إلى الأخذ بالفتوى عند الاختلاف فى الكساد والانقطاع فقال «وفى الذخيرة الفتوى : على قول أبى يوسف وفى التتمة والمختار والحقائق : بقول محمد يفتى رفقاً بالناس .. إلخ» (انظر ص ٦٤) . ثم ذكر

تنبيها يتعلق بالشراء بنوع مطلق من الأثمان غير مسمى ، ثم ختم رسالته مما يلى :

« ثم اعلم أنه تعدد فى زماننا ورود الأمر السلطانى بتغيير سعر بعض من النقود الرائجة بالنقص ، واختلف الإفتاء فيه ، والذى استقر عليه الحال الآن دفع النوع الذى وقع عليه العقد لو كان معيناً ، كما إذا اشترى سلعة بمائة ريال افرنجى أو مائة ذهب عتيق ، أو دفع أى نوع كان بالقيمة التى كانت وقت العقد إذا لم يعين المتبايعان نوعاً والخيار فيه للدافع كما كان الخيار له وقت العقد ، ولكن الأول ظاهر سواء كان بيعاً أو قرضاً بناء على ما قدمناه ، وأما الثانى فقد حصل بسببه ضرر ظاهر للبائعين ، فإن ما ورد الأمر برخصه متفاوت : فبعض الأنواع جعله أرخص من بعض فيختار المشترى ما هو أكثر رخصاً وأضر للبائع فيدفعه له ، بل تارة يدفع له ما هو أقل رخصاً على حساب ما هو أكثر رخصاً ، فقد ينقص نوع من النقود قرشاً ، ونوع آخر قرشين ، فلا يدفع إلا ما نقص قرشين ، وإذا دفع ما نقص قرشاً للبائع يحسب عليه قرشاً آخر نظراً إلى نقص النوع الآخر ، وهذا مما لاشك فى عدم جوازه . وقد كنت تكلمت مع شيخى الذى هو أعلم أهل زمانه وأفقههم وأورعهم فجزم بعدم تخيير المشترى فى مثل هذا لما علمت من الضرر ، وأنه يفتى بالصلح حيث كان المتعاقدان مطلقى التصرف يصح اصطلاحهما بحيث لا يكون الضرر على شخص واحد ، فإنه وإن كان الخيار للمشترى فى دفع ما شاء وقت العقد وإن امتنع البائع ، لكنه إنما ساغ ذلك لعدم تفاوت الأنواع ، فإذا امتنع البائع عما أراده المشترى يظهر تعنته ، أما فى هذه الصورة فلا ، لأنه ظهر أنه يمتنع عن قصد إضراره .

ولا سيما إذا كان المال مال أيتام أو وقف ، فعدم النظر له بالكلية (مخالف) لما أمر به من اختيار الأنفع له ، فالصلح حينئذ أحوط خصوصاً والمسألة غير منصوص عليها بخصوصها ، فإن المنصوص عليه إنما هو الفلوس والدراهم الغالبة الغش كما علمته مما قدمناه ، فينبغى أن ينظر فى تلك النقود التى رخصت ويدفع من أوسطها نقصاً لا الأقل ولا الأكثر كيلا يتناهى الضرر على البائع أو على المشترى . وقد بلغنى أن بعض المفتين فى زماننا أفتى بأن تعطى بالسعر الدارج وقت الدفع ، ولم ينظر إلى ما كان وقت العقد أصلاً ، ولا يخفى أن فيه تخصيص الضرر بالمشترى . لا يقال ما ذكرته من أن الأولى للصلح فى مثل هذه الحالة مخالف لما قدمته من حاشية أبى السعود من لزوم ما كان وقت العقد بدون تخيير بالإجماع إذا كانت فضة خالصة أو غالبة لأنا نقول ذاك فيما إذا وقع العقد على نوع مخصوص كالريال مثلاً وهذا ظاهر كما قدمناه ولا كلام لنا فيه . وإنما الشبهة فيما تعارفه الناس من الشراء بالقروش ودفع غيرها بالقيمة ، فليس هنا شيء معين حتى تلزمه به سواء غلا أو رخص . ووجه ما أفتى به بعض المفتين كما قدمناه آنفا أن القروش فى زماننا بيان لمقدار الثمن لا لبيان نوعه ولا جنسه ، فإذا باع شخص سلعة بمائة قرش مثلاً ودفع له المشترى بعد الرخص ما صارت قيمته تسعين قرشاً من الريال أو الذهب مثلاً لم يحصل البائع ذلك المقدار الذى قدره ورضى به ثمناً لسلعته ، لكن قد يقال لما كان راضياً وقت العقد بأخذ غير القروش بالقيمة من أى نوع كان ، صار كأن العقد وقع على الأنواع كلها ، فإذا رخصت كان عليه أن يأخذ بذلك العيار الذى كان راضياً به ، وإنما اخترنا الصلح لتفاوت

رخصها وقصد الإضرار كما قلنا ، وفى الحديث : لا ضرر ولا ضرار ، ولو تساوى رخصها لما قلنا إلا بلزوم العيار الذى كان وقت العقد كأن صار مثلاً ما كان قيمته مائة قرش من الريال يساوى تسعين ، وكذا سائر الأنواع ، أما إذا صار ما كان قيمته مائة من نوع يساوى تسعين ومن نوع آخر خمسة وتسعين ومن آخر ثمانية وتسعين فإن ألزمنا البائع بأخذ ما يساوى التسعين بمائة فقد اختص الضرر به . وإن ألزمنا المشترى بدفعه بتسعين اختص الضرر به ، فينبغى وقوع الصلح على الأوسط ، والله تعالى أعلم » .

من أقوال الحنفية السابقة نرى ما يأتى :

١ ـ إجماع أئمتهم على أن ما ثبت فى الذمة من النقود الذهبية أو الفضية يؤدى بمثله دون نظر إلى تغير القيمة .

٢ ـ الخلاف حول الفلوس والدراهم غالبة الغش لا المغلوبة ، والخلاف فيما يجب أداؤه فى ثلاث حالات هى : الكساد والانقطاع وتغير القيمة :

(أ) فيرى الإمام وجوب المثل فى جميع الحالات .

(ب) ويرى أبو يوسف وجوب القيمة يوم ثبوت الحق فى جميع الحالات أيضاً بعد أن كان موافقاً لرأى الإمام فى حالة تغير القيمة .

(جـ) ويرى محمد رأى الإمام عند تغير القيمة ، وفى الحالتين الأخريين يرى وجوب القيمة لكن يوم الكساد أو الانقطاع .

٣ ـ اختلف الحنفية فى الإفتاء .

(أ) فمنهم من ذكر رأى الإمام على أنه إجماع المذهب .

(ب) ومنهم من أفتى برأى أحد الصاحبين .

(جـ) ومنهم من فرق بين الكساد والانقطاع

(د) ومنهم من أخذ برأى الإمام فى بعض الحقوق ، وبرأى غيره فى بعضها الآخر .

٤ ـ ما حدث فى زمان ابن عابدين ـ المتوفى سنة ١٢٥٢ هـ ـ يبين أن اختلاف الإفتاء كان نتيجة لتفاوت الرخص عند ورود الأمر السلطانى بتغيير سعر بعض من النقود الرائجة بالنقص ، ولذا قيل بالصلح لمنع الضرر عن كل من المتبايعين ، ويرى ألا مبرر للخلاف لو تساوى الرخص ، ولذلك قال : «وإنما اخترنا الصلح لتفاوت رخصها وقصد الإضرار كما قلنا ، وفى الحديث «لا ضرر ولا ضرار» ، ولو تساوى رخصها لما قلنا إلا بلزوم العيار الذى كان وقت العقد .. الخ» .

## المطلب الخامس
## رأى أهل الظاهر

ذكر بعض الباحثين أن أهل الظاهر يرون رد القرض بقيمته لا بمثله ، ونسبة هذا الرأى لأهل الظاهر فيه نظر .

قال ابن حزم فى المحلى (٤٦٢/٨) .

«ولا يجوز فى القرض إلا رد مثل ما اقترض ، لا من سوى نوعه أصلاً» .

وقال فى موضع آخر (٥٠٩/٩) .

«والربا لا يجوز فى البيع ، والسلم ، إلا فى ستة أشياء فقط : فى التمر ، والقمح ، والشعير ، والملح ، والذهب ، والفضة . هو فى القرض فى كل شىء ، فلا يحل إقراض شىء ليرد إليك أقل ولا أكثر ، ولا من نوع آخر أصلاً ، لكن مثل ما أقرضت فى نوعه ومقداره على ما ذكرنا فى كتاب القرض من ديواننا هذا ، فأغنى عن إعادته ، وهذا إجماع مقطوع به» .

من الأدب الإسلامي الرفيع

# حق الجار على جاره

للأستاذ / محمد زين العابدين العزازي

**قال رسول الله – ﷺ – : ( الجيران ثلاثة : جار له حق واحد ، وجار له حقان وجار له ثلاثة حقوق ، فالجار الذى له ثلاثة حقوق : الجار المسلم ذو الرحم ، فله حق الجوار وحق الإسلام ، وحق الرحم ، وأما الذى له حقان : فالجار المسلم له حق الجوار ، وحق الإسلام ، وأما الذى له حق واحد ، فالجار : المشرك )**

**رواه أبو نعيم فى «الحلية» من حديث جابر وابن عدى من حديث عبد الله بن عمر ، الحسن بن سفيان والبزار فى مسنديهما .**

قال الله تعالى :

﴿ * وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ ﴾

آية ٣٦ – سورة النساء

قال الإمام الحافظ إسماعيل بن كثير فى تفسير هذه الآية « الجار ذى القربى الذى بينك وبينه قرابة ، والجار الجنب الذى ليس بينك وبينه قرابة .

وقال أبو اسحق فى قوله : « والجار ذى القربى يعنى الجار المسلم والجار الجنب يعنى اليهودى والنصرانى » .

رواه ابن جرير وابن أبى حاتم

قال الإمام أحمد : حدثنا يزيد حدثنا هشام عن حفصة عن أبى العالية عن رجل من الأنصار قال : خرجت من أهلى أريد النبى – ﷺ – فإذا به قائم ورجل معه مقبل عليه فظننت أن لهما حاجة .

قال الأنصارى لقد قام رسول الله – ﷺ – حتى جعلت أرثى لرسول الله – ﷺ – من طول القيام ، فلما انصرف قلت : يا رسول الله ، لقد قام بك هذا الرجل حتى جعلت أرثى لك من طول القيام قال : (وقد رأيته) قلت نعم ، قال : (أتدرى من هو ؟) قلت : لا ، قال : (ذاك جبريل ما زال يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه ) ، ثم قال : (أما أنك لو سلمت عليه لرد عليك السلام) .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : (خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه ، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره) .

رواه الترمذى عن أحمد بن محمد عن عبد الله ابن المبارك .

يقول الإمام القرطبى : أما الجار فقد أمر الله تعالى بحفظه والقيام بحقه والوصاة برعى ذمته فى كتابه وعلى لسان نبيه ، ألا تراه – سبحانه وتعالى – أكد ذلك فقد ذكره بعد الوالدين والأقربين ، قال تعالى :

﴿ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾

أى القريب ، والجار الجنب : أى الغريب . قاله ابن عباس .

وعلى هذا فالوصية بالجار مأمور بها مندوب إليها مسلما كان أو كافراً ، والإحسان قد يكون بمعنى المواساة وقد يكون بمعنى حسن العشرة وكف الأذى والمحاماة دونه .

وقد روى عن أبى شريح أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : (والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن قيل : يا رسول الله ، ومن ؟ قال : الذى لا يأمن جاره بوائقه[1]) .

أكد النبى ـ ﷺ ـ ترك إذَايَتَهُ بقسمه ثلاث مرات ، وأنه لا يؤمن الإيمان الكامل من آذى جاره ، فينبغى للمؤمن أن يحذر أذى جاره ، وينتهى عما نهى الله ورسوله عنه ، ويرغب فيما رضيه الله ورسوله وحض ـ تعالى ـ عليه ورسوله ـصلى الله عليه وسلمـ ليكون من أهل الجنة .

فقد ورد عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رجل : يا رسول الله ، إن فلانة تذكر من كثرة صلاتها وصدقتها وصيامها غير أنها تؤذى جيرانها بلسانها قال : (هى فى النار) ، قال : يا رسول الله ، إن فلانة تذكر من قلة صيامها وصلاتها ، غير أنها تتصدق بالأثوار من الأقط[2] ولا تؤذى جيرانها قال : (هى فى الجنة) رواه الإمام أحمد .

واختلف الناس فى حد الجيرة . فكان الأوزاعى يقول : « أربعون دارا من كل ناحية » .

وروى أن رجلا جاء إلى النبى ـ ﷺ ـ فقال : (إنى نزلت محلة قوم ، وإن أقربهم إلى جوارا أشدهم إلى أذى ، فبعث النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أبا بكر وعمر وعلياً يصيحون على أبواب المساجد ألا إن أربعين داراً جار ، ولا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه) .

فالواجب على المسلم أن يرعى حقوق جيرانه فى الحدود التى رسمها رسولنا الكريم ـ ﷺ ـ فقد جاء رجل إلى النبى ـعليه السلامـ يشكو جاره فقال له النبى ﷺ : (أصبر) ، ثم قال له فى الثالثة أو الرابعة : (اطرح متاعك فى الطريق) قال : فجعل الناس يمرون به ، ويقولون : مالك ؟ فيقال : آذاه جاره ، قال: فجعلوا يقولون : لعنه الله ، فجاء جاره فقال له : (رد متاعك فوالله لا أعود) .

رواه أبو داود وابن حبان والحاكم .

وقد روى البخارى عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : يا رسول الله ، إن لى جارين ، فإلى أيهما أهدى قال : (إلى أقربهما منك بابا) فذهب جماعة من العلماء إلى أن هذا الحديث يفسر المراد من قوله تعالى : ﴿ **والجار ذى القربى** ﴾ .

ومن إكرام الجار ما رواه أبو هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه) .

رواه البخارى ومسلم .

والمراد من ذلك كمال الإيمان أو المبالغة .

وما رواه مسلم عن أبى ذر قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (يا أبا ذر إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها وتعاهد جيرانك) فحث ـعليه السلامـ على مكارم الأخلاق لما يترتب عليها من المحبة وحسن العشرة ودفع الحاجة

---

(١) بوائق : شرور وأذاه .

(٢) الثوار الأقط : القطعة من مخيض اللبن .

والمفسدة ، فإن الجار قد يتأذى بقُتَارِ[٣] قدر جاره ، وربما تكون له ذرية فتهيج من ضعفائهم الشهوة ، ويعظم على القائم عليهم الألم والكلفة وهذا يندفع بتشريكهم فى شىء من الطبيخ يدفع إليهم ، ولهذا المعنى خص - عليه السلام - الجار القريب بالهدية ، لأنه ينظر إلى ما يدخل دار جاره وما يخرج منها ، فإذا رأى ذلك أحب أن يشارك فيه ، وأيضاً فإنه أسرع إجابة لجاره عندما ينوبه من حاجة .

**وما أحسن قول القائل :**

**قِدرى وقِــدْرُ الجار واحــدةٌ**

**وإليــه قبلى ترفــع القــدر**

ولا يهدى النزر اليسير المحتقر لقوله - عليه السلام -: (ثم انظر أهل بيت من جيرانك ؛ فأصبهم منها بمعروف) ، أى بشىء يهدى منها عُرْفًا ، فإن القليل - وإن كان يهدى - فقد لا يقع ذلك الموقع ، فلو لم يتيسر إلا القليل . فلْيُهده ولا يحتقره ، على المُهدى إليه قبوله .

لقوله ﷺ: (يانساء المؤمنات ، لاتحقرن إحداكن لجارتها ولو كراع شاه محرقا) أخرجه الإمام مالك فى الموطأ .

واعلم أن حق الجوار ليس كف الأذى فقط بل احتمال الاذى فإذا كفَّ الجار أذاه ؛ فليس فى ذلك قضاء حق ، ولايكفى احتمال الأذى بل لابد من الرفق به ، وإسداء الخير إليه إذْ يقال : إن الجار الفقير يتعلق بجاره الغنى يوم القيامة . فيقول : يارب سل هذا لم منعنى معروفه وسد بابه دونى ؟ وبلغ ابن المقفع أن جارا له يبيع داره فى دين ركبه ، وكان يجلس فى ظل داره فقال : ماقمتُ إذا بحرمة ظل داره إن باعها مُعْدِماً ، فدفع إليه ثمن الدار ، وقال : لاتبعها .

وقد ورد حديث جمع النبى - ﷺ - فيه مرافق الجار وهو حديث معاذ بن جبل : قلنا يارسول الله ، ماحق الجار ؟

قال :

إن استقرضك أقرضته ، وإن استعانك أعنته ، وإن احتاج أعطيته ، وإن مرض عدته ، وإن مات تبعت جنازته ، وإن أصابه خير سرك وهنأته ، وإن اصابته مصيبة ساءك وعزيته ، ولاتؤذه بقتار قدرك إلا أن تغرف له منها ، ولاتستطل عليه بالبناء لتشرف عليه وتسد عليه الريح إلا بإذنه ، وإن اشتريت فاكهة فاهدِ له منها ، وإلا فأدخلها سرا لايخرج ولدك بشىء منها يغيظون به ولده ، وهل تفقهون ماأقول لكم ، لن يؤدى حق الجار إلا القليل ممن رحم الله ) » رواه الخرائطى عن عمر ابن شعيب عن أبيه عن جده » .

وجملة القول فى حق الجار أن يبدأه بالسلام ولايطيل معه الكلام ، ويعوده فى المرض ويعزيه فى المصيبة ، ويقوم معه فى العزاء ، ويهنئه فى الفرح ، ويصفح عن زلاته ، ولايتطلع من السطح إلى عوراته ، ولايضايقه فى وضع الجذع على جداره ، ولايضيق طريقه إلى الدار ، ولايتبعه النظر فيما يحمله إلى داره ، ويستر ماينكشف من عوراته ، ولا يغفل عن ملاحظة داره عند غيبته ، ويغض بصره عن حرمته ، ويتلطف بولده ، ويرشده إلى مايجهله من أمر دينه ودنياه .

وفقنا الله وإياكم إلى مافيه رضاه ، والعمل بكتاب الله ، وسنة رسول الله لنكون من الذين هداهم الله .

---

(٣) القُتار : ريح القدر والشواء نحوها .




الإجابة من لجنة الفتوى بالأزهر

إعداد الأستاذ عبدالمنعم فوده

**السؤال من السيدة/ زينب م. غ :**

**تقول فيه :**

**سافرت وتركت توكيلا لشخص ذى ثقة فى إيداع وسحب أموالى من إحدى الشركات ، ثم أرسلت له بسحب جميع أموالى منها ، فامتنع عن التنفيذ وهلكت الشركة المودع فيها الأموال ، فهل يضمن المال الذى هلك والذى كان سببا فى هلاكه ؟ وهل يحق لى أخذ القدر الذى تسبب فى هلاكه من مال هذا الشخص بناءً على التوكيل الذى أعطاه لى بإيداع وسحب أمواله فى أحد البنوك وما الحكم ؟**

**الجواب**

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ..

أما بعد : فنفيد بأنه مادام الوكيل قد خالف أمر موكله وحصلت خسارة بسبب المخالفة كان الوكيل ضامنا لهذه الخسارة ، ولو امتنع عن الدفع كان للوكيل الأخذ من ماله بقدر هذه الخسارة ، هذا إذا كان الحال كما ذكر فى السؤال ، والله تعالى أعلم .

**السؤال من السيد/ حسن حسين حسن ( مأذون شرعى )**

**١ - سيدة فوضها زوجها فى تطليق نفسها منه متى شاءت ، وكيفما شاءت ، وبأى عدد شاءت ، هكذا نص فى عقد الزواج على هذا الشرط والسؤال هو : هل يجوز لها أن تطلق نفسها منه طلقة بائنة وهو غائب عن مجلس العقد ؟**

**٢ - رجل توفيت زوجته ، وقبل انتهاء عدتها أراد أن يتزوج من أختها فهل هذا جائز شرعا ؟**

**٣ - رجل طلق زوجته وأراد أن يتزوج من بنت أختها فهل يجوز له ذلك ؟**

الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين

أما بعد .. فنفيد عن الأول بأنه مادام الزوج قد فوض زوجته فى تطليق نفسها متى شاءت ، وكيفما شاءت ، وبأى عدد شاءت ونص على هذا الشرط فى عقد الزواج ، فيجوز لها أن تطلق نفسها طلقة بائنة وهى أن تقول : «أبرأتك يازوجى فلان من مؤخر صداق ، ونفقة عدتى منك وطلقت نفسى منك على ذلك»

فإذا قالت هذا أمام المأذون وجب على المأذون تسجيل ماتقوله وبهذا يقع طلاقها طلقة بائنة بينونة صغرى لاتحل لزوجها إلا بعقد ومهر جديدين ، وبرضاها .

وعن الثانى مادامت الزوجة توفيت وأراد الزوج أن يتزوج من أختها فلا مانع شرعا من زواجه من أختها وليس عليه عدة .

وعن الثالث : نعم يجوز له أن يتزوج من بنت أخت زوجته ، وذلك بعد انتهاء عدة خالتها المطلقة ولايجوز له الجمع بين زوجته وبنت أختها لحديث النبى ﷺ : (لاتنكح المرأة على عمتها ولا خالتها) إلى آخر الحديث

والله تعالى أعلم .

**السؤال من السيد/ ح. ع. فوزى**

**يقول فيه : هل يقع طلاق المكره ؟**

الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

أما بعد : فنفيد بأنه إذا صح ما يدعيه المستفتى أنه أكره على الطلاق ، فإذا ثبت ذلك فلا يقع طلاق المكره ، لحديث النبى ﷺ : (رفع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه)

على المذاهب الشافعى والمالكى وأحمد بن حنبل

والله تعالى أعلم

**السؤال من س. س. من جيبوتى**

**هل يسقط توزيع الميراث على الورثة الشرعيين بالتقادم ؟**

**أفيدونا أفادكم الله .**

الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

أما بعد فنفيد :

بأن الميراث لايبطل بالتقادم ، فالوارث يستحق نصيبه بعد موت المورث سواء أخذه فى الحال أم بعد مدة ، ولا يضر طول المدة بين الوفاة وأخذ النصيب ، ولا يسقط الميراث بالتقادم مهما طالت المدة ، فللورثة الحق فى تركة مورثهم ويقتسمونه بينهم بعد ترك ثلث التركة وصية من الميت إذا ثبت وجودها ، وتنفيذ الميراث واجب محتم ، ومنعه ذنب كبير يعاقب من فعله بالنار لأن الله تعالى قال فى ختام آيات المواريث .. (تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ، ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين) النساء ١٣ ، ١٤ .

فليتق الله من منع هذا الميراث ولن ينجيه من عذاب الله قوله : «إن الحق يسقط بالتقادم» فهذا قول باطل .

والله تعالى أعلم .

**السؤال من السيد / ح. ب. المسلم الديانة والإسرائيلى الجنسية**

**ما حكم الشرع فى انفراد زوجين شرعين فى غرفة .. هل تعتبر هذه خلوة شرعية ؟**

**اتخذ حكمان من أهل الزوجة قراراً بالتفريق دون الجلوس مع الزوج لمناقشة حل الخلاف بينه وبين زوجته ، فحكما بطلاق الزوجة طلقة بائنة صغرى وإلزامها بإرجاع ما حصلت عليه من مهر ومصاغ للزوج .**

**هل يجوز فى هذه الحالة إعطاء الزوجة شهادة بالطلاق تملك بها نفسها دون أن تعيد ماأخذته منه ؟**

**الجواب**

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد : فنفيد بأن انفراد رجل وأمرأة فى حجرة وليس معهما أخر ، وقد أغلق الباب عليهما يعتبر هذا خلوة شرعية تثبت للمرأة المهر كاملا بإجماع الصحابة على أنه من أرخى ستر أمرأة فقد وجب المهر لها كاملا .

وعن الثانى أن الحكمين إذا كانا من ناحية الزوجة فقط يعتبر حكمهما باطلا لايعتد به وحكمهما لاينفذ لأن الله تعالى يقول :

(وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا) النساء

واتخاذ قريبا الزوجة حكماً بطلاق هذه الزوجة من زوجها دون الجلوس مع الزوج ومناقشته فى أسباب الخلاف والعمل على إزالته من بين الزوجين يعتبر عملا غير شرعى ، فلا يترتب عليه أثار قضائية ، وكون الحكمين يقولان للزوجة : أرجعى ما أخذته من مهر ومصاغ للزوج وأنك بائنة منه كلام باطل لايعتد به .

فلا يجوز أن تعطى هذه المرأة شهادة طلاق ولا تملك نفسها ولا تستطيع أن تتزوج بغيره سواء أعادت ما أخذته أو لم تعده ..

والله تعالى أعلم ،

# بيان من لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

لقد حرم الإسلام على المسلم أن يرتد عن دينه ، وجاء فى ذلك قوله تعالى :
﴿ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ ﴾ سورة البقرة ..

وتحصل الردة بإنكار ما علم من الدين بالضرورة كالعقائد وأركان الإسلام الأساسية أو بالاستهزاء بها والطعن فى صلاحيتها لتقويم الفكر والسلوك ..

وقرر العلماء أن يستتاب المرتد لمدة فيها آراء متعددة .. فاذا رجع وتاب فيها ، وإلا وجبت عقوبته ، وجاء فى تحديد العقوبة قوله ﷺ «من بدل دينه فاقتلوه» ولا يمكن لأية عقوبة أن تتم إلا بأمرين ،

أولهما : التأكد من ثبوت الجريمة ، واستقصاء كل ملابساتها والاطمئنان إلى أنه لا توجد أية شبهة فيها ، وذلك بناء على قول النبى ﷺ «ادرءوا الحدود بالشبهات» .

ولا يكون هذا التأكد إلا بمعرفة المسئولين المختصين .. الذين يملكون من الوسائل ما يمكنهم ان يحققوا أركان الجريمة وينفوا الشبهات عنها .

وثانى الأمرين : أن العقوبة إذا وجبت لا يجوز تنفيذها إلا بمعرفة من قاموا بتحقيق أسبابها وهم المسئولون .

ومن هنا لا يجوز لأحد من الناس أن يتهم إنسانا بالردة بدون علم حقيقى بثبوتها ،وحتى لو حصل العلم بثبوتها لا يجوز له أن يوقع العقوبة عليه . فالحدود بالذات لا توكل لأحد من الناس . بل يقوم ولى الأمر بتنفيذها بعد استقصاء كل الاجراءات المطلوبة ، ومن اتهم أحدا بالكفر أو الردة دون علم حقيقى صدق عليه قول الرسول ﷺ : « من قال لأخيه يا كافر باء بها أحدهما فان كان كما قال وإلا رجعت عليه» .

ومن وقع عقوبة حدية بدون إذن من ولى الأمر فقد ارتكب إثما عظيما ، له عقوبته الشديدة فى الآخرة . ويجوز لولى الأمر أن يعاقبه عقوبة تعزيرية ، وذلك منعا للفوضى وإقرارا للأمن ، والنظام والأمن من أهم الأسباب التى تحقق للفرد والمجتمع تمتعه بحقوقه الإنسانية ، وتساعد على رخائه وتقدمه ..

وإن لجنة الفتوى بالأزهر ترى من الواجب عليها أن توضح الحكم الشرعى فيما يجد من مسائل ؛ وضعا للأمور فى نصابها ، وتلافيا لما يحدث من أضرار ، نتيجة الجهل بالأحكام الشرعية ..

وبالله التوفيق .....




إشراف الأستاذ/ رشـاد يوسف



# يا إلهي

للشاعر البسيوني قنعان سليمان

إذا هجع الخلق والكون نام ... وعانق طيف السكون الظلام
هنالك بين ضلوع الدجى ... فؤاد بحبك ـ يارب ـ هام
وإن باح بالسر ديك أمين ... ولاح من الصبح بعض الجبين
أسرّ الندى لزهور الربُا ... فهبت تسبح فوق الغصون
وإن أدبرت خطوات المساء ... وبان مع الفجر ثغر الضياء
تكحل من نوره بلبل ... فغرد يشكر رب السماء
وإن داعب الطلّ ثغر الورود ... ورفّ على الغصن سحر النشيد
سمعت الفراشة قد سبحت ... تباركت أنت جمال الوجود
وإن زانت الشمس وجه النهار ... وأصبح لاشيء تحت الستار
رأيت بعيني سجود الربا ... لبارئها وركوع القفار
وإن مدّ بعد الغروب الهلال ... حبالا من الضوء تمحو الظلال

رأيــتك فى الضوء ياخالقــى ... تهز بنــورك جنــح الليــالى
إلهى وفى كل شىء أراك ... خلقت الوجود وفيــه ضيــاك
وكل الشذا ذرة من شذاك ... وكل السنا ومضة من سنــاك
إلهى وكل اعتمادى علــيك ... فإن كان شرّ هرعت إلــيك
وإن كان خير بسطت يدىَّ ... وأحنــيت رأسى لشكــر يديك
وإن حطم اليأس كلَّ القلاع ... ومــزق عصف الريــاح الشراع
رأيــتك بين دموعــى سنــاً ... فعدت وقد ضاع عنى الضياع
وإن عانق القلب زهر الربيع ... وأضحت أمــانى عطــرا يضوع
رأيت شعــاعك بين المنــى ... فعجت ، وقد زان قلبى الخشوع
وإن حف دربى كريم الــدرر ... أو اضحــى فراشــى حــدَّ الإبــر
سجــدت لفضلك فى حالتــىَّ ... فمــنك المزيــد وكشف الضرر
عجبت لمن صار مثل الغريق ... وأنكــر نورك وهــو الشروق
فيــاويحه ، أتّساع الطريــق ... يكون لدى البعض يارب ضيق ؟
وأمسى يسائــل عنك الزمــان ... ويسأل عنك خفايــا المكــان ؟
ولــو نظــر الغِــرُّ فى كفــه ... أسوى سواك دقيــق البنــان ؟
رأيت المصابيــح بين السمــاء ... تطل على الكون عبر الفضاء
فمــن أودع الضوء فى جوفها ... ومن أشعل الضوء حتى أضاء
وقــلت لشمس النهار تسير ... من المشرق حينا ، وحينا تحور
تأخرت يوما ؟ فقالت : أفــق ... فإن مدبــر أمــرى الخبير
سألت الحديقــة عن سرهــا ... وقــد حارَ عقلى فى أمرهــا
فقــالت : ونــفسك ياصاحبــى ... عرفت ــ بربك ــ ماكنههــا ؟
فقلت : فمــا بــال شــوك القتــاد ... يشارك فى الغصن زهر الوداد
فقالت : ولــلشر من نفسكــم ... مهــاد ، وللــخير منها مهــاد
فقلت : فما بال أم الطيــور ... تجوع لتشبــع جوع الصغير
فقالت : تباركت رب الحنان ، ... لولا الحنــان لبــاد الكــثير
فقلت : فما بال هذا الغدير ... يسوق الرحيــق ليحيــى الصغير
فقــالت : تراه سوى منحــة ... ومن السحب ، أو من محيــط كبيــر ؟
فيــارب نفسى وعت مايقــال ... ونحىَّ التأمــل عنها الضلال
فمــن لم يجد للسؤال صدى ... فإنى وجــدت جواب السؤال



# الخداع والحرية

للشاعر: رشاد يوسف

قالــوا أمريكــا قد أضحت في الأرض «ملاك» الحريــة
تتزعــم أحــرارَ الدنيــا وتقــدس حَقَّ البشريــه
تتلقــى القــادم بالترحــاب وبــالأشواق الوُدِّيــه
وعلى شاطئهــا تمثــالٌ بالشعلــة هادٍ وهديــه
وسألت الواقــع من حولي ومعــارك حَقّ دوليــه
وقضايــا النــاس ودنياهــم كم ضاعتْ للحَــقِّ قضيــه
كم حُرٍ كُبِّـلَ بالأغــلالِ وديســت قِيَــمٌ خُلقيَّــة
وضميــرٍ شوَّهَــهُ الــدولار وضاعَتْ ذِمَــمٌ مَرْعِيّــه

يامن أغرتهم أمريكا
هذى ألوانُ الحريه

حُرِّيَــــــةُ زنجي فيها تتبرأ منــــه القَوْمِيَّــــة
إنسانٌ فكــرٌ وجــدانٌ ومشاعــرُ قَلْبٍ أخويــه
حَرَمُــوهُ العَــيْشَ أذلــوه نَبَــذُوه وراءَ المدنيــه
أو ليست مأساةُ حَرِّى تلك التفرقــةُ اللَّوْنِيَّــه ؟
أو ليســت عنــوَانَ هــوانٍ تلك الأفكــارُ الحجريــه ؟

***

حُرِّيَــةُ لصٍ «بشيكاغــو» باقٍ من عهــد الهمجيــه
قرصــانٌ يَسْــرِقُ مــن يلقــاهُ بكــلِّ غــرور العصبيــة

ويُقَـــالُ سلــــوكٌ مشروعٌ ووسيلـــةُ كَسْبٍ عَلَنِيَّـــه
ويصدر للعـــالم رمـــزاً لحضارة بلـــدٍ عصريـــه

***

حريـــــةُ ماذا هل ننسَى صفحـــاتِ الأمس المطويـــه ؟
هل ننسَى العـــالم مافعـــلتْ تلك القنبلـــةُ الذريـــه ؟
ويـــلاتُ الحرب تذكرنـــا وسطـــورُ الحرب الدمويـــه
«هيروشيمـــا» وجـحيم الـنيران يُشَوِّهُ وَجْـــهَ البشريـــه
ومآتـــــمُ قامتْ للإنسانِ لَيَنْعِـــى فيها الحريـــه

***

حريـــةُ طفـــلٍ فى «فيتـــام» يَمُـــوتُ بَرِيئـــاً وضَحِيَّـــهْ
يُلقـى الـطيرانُ له الحلـــوى مِلْءَ الأكيـــاس الورديـــه
ليُحـــرك فيـــه طفولتـــه ليثيـــرَ لُعَابـــاً وشهيـــه
فإذا الحلـــوى سُمٌّ يُودى بَبَـــرَاءَةِ طفـــلٍ عُذْرِيَّـــه
وتموت البسمـــات الخضراء وتبقـــى الـــرُّوحُ الثأريـــه

***

حريـــة ماذا و«الصُومَـــالُ» بجفـــن الـــعَصْرْ بكائيـــه
أطفـــال ونساء جَوْعَـــى يَئِـــنَ الأكـــواخ الخشبيـــه
حشدت أمريكـــا حولهمـــو ترسانـــةَ حَرْبٍ نوويـــه
تغتـــال ملايين الجوعـــى مابين صبـــاح وعشيـــه
حتـــى الأطفـــال لأمريكـــا أضحـــوا أغـــراضاً حربيـــه

***

«بغـــدادُ» أمانـــاً يابغـــدادُ من الهجمـــات الوحشيـــه
كم هتكـــوا ستـــرك يابغـــداد وعَاثُـــوا باسم الحريـــه
قتـــلٌ ودمـــارٌ وخـــرابٌ ثم الأسبـــاب الوهميـــه
هذى أمريكـــا قد نقضت كل الأعـــراف الدوليـــه
لتحـــطِّمَ صَرْحَ عروبتنـــا وتـــدكُّ بنـــاءَ القوميـــه

***

يامن أغرتهم أمريكا    بلد الاحلام الورديه
يامن سلبتهم خير الدار    وخير الأرض العربيه
أو بعد ضياع الحريات    نصادقُ لِصَّ الحريه
أتموت النخوة فى الأعماق    ونرضى ذلّ التبعيه ؟
أننام وملء نواظرنا    مليون بلاء وبليه ؟
والأرض تئن بما تلقى    والعرض مباحٌ وسبيّه

***

ياحفنة رمل من سينا    ياواحة نخل سوريه
ياقرية شط بالأردُنْ    نِ تَضُمُّ جراحاً طبرية
يامَزجاً فيه قضيتنا    تصرخ من قلب البريه
ياترب القدس ويايافا    ياكلَّ الأرض العربيه
ياصرخةَ شيخ فى الأطْلالِ    ودمعة طفل فضيه
إن طال العهد فلا كنا    أو كانت قيم محميه
فالثأر يؤرق نجوانا    ونزيف الأرض الدمويه
سنعود بكل جلال الحق    بكل قوانا الثوريه
سنعود نطهر أرض الله    بغَضْبَة رُوح عُمَريَّة
وغداً وبرغمك أمريكا    سنشيد قلاع الحريه
ونُجمِّعُ شَمْلَ عروبتنا    فى أشرف ساحٍ وقضيه

***

مَنْ أغْرَقَ «إيلات» لتهوى    فى القَاعِ حُطاماً ملقيه
مَنْ حَطَّمَ «باريلف» شظايا    ما أبقى للخطِّ بَقِيَّة
مَنْ كَبَّر ظُهراً وتخطى    كلَّ الأسْوَارِ المبنيه
مازالت جعبته ملأى    ببطولة بذلٍ مصريه

# يوم فلسطين

للشاعر علي محمود طه

فلسطين لا راعتك صيحة مغتال ... سلمت لأجيال وعشت لأبطال
ولا عزك الجيل المفدى ولا خبت ... لقومك نار فى ذوائب أجبال
صحت باديات الشرق تحت غبارهم ... على خلجات الروح من تربك الغالى
فوارس يستهدى أعنة خيلهم ... دم العرب الفادين والسؤدد العالى
بكل طريق منه صخر منضر ... وكل سماء جمرة ذات إشعال
هو الشرق لم يهدأ بصبح ولم يطب ... رقادا على ليل رماك بزلزال
غداة أذاعوا أنك اليوم قسمة ... لكل غريب دائم التيه جوال
محا الله وعدا خطه الظلم لم يكن ... سوى حلم من عالم الوهم ختال
حمته القنا كيما يكون حقيقة ... فكان نذيرا من خطوب وأهوال
وفتح بين القوم أبواب فتنة ... تطل بأحداث وتومى بأوحال
أراد يمحو آية الله مثلما ... أراد يمحو الليل نور الضحى العالى

***

فيا شمس كُفّى من مدارك واهتدى ... ويا شهب غورى فى دياجير آجال
ويا أرض شقى من أديمك وارجعى ... كما كنت قبل الرسل فى ليلك الخالى
ضلالا رأوا أن يسلو الشرق مجده ... وما هو بالغافى وما هو بالسالى
ألا يا ابنة الفتح الذى نور الثرى ... وطهر دنيا من طغاة وضلال
وأكرم قوما فيك كانوا أذلة ... فحررهم من بعد رق وإذلال
لك الشرق يا مهد القداسة والهدى ... قلوبا تلبى فى خشوع وإجلال
لك الشرق يا أرض العروبة والعُلا ... شعوبا تفدى فيك ميراث أجيال
هو الشرق ألقى عن يديه قيوده ... فلا تحسبيه فى قيود وأغلال
سليه نهج ما بين عينيك أرضه ... مخالب نسر أو براثن رئبال
سليه يمج ما بين سمعيك أفقه ... زئير أسود أو زماجر أشبال
سليه الدم المهراق يبذله غالبا ... ويضرب به فى الحق أروع أمثال

***

ألا أيها الشادى الذى أطرب الورى ... بحلو حديث عن حقوق وآمال
سمعنا ، خدعنا ، وانتبهنا ، فحسبنا ... لقد ملت الأسماع قيثارك البالى
ويا أيها الغرب المواعد لاتزد ... كفى الشرق زادا من وعود وأقوال
شبعنا وجعنا من خيال منمق ... ومنه اكتسينا ، ثم عدنا بأسمال
فلا تندب الضعفى وتغصب حقوقهم ... فتلك إذاً كانت شريعة أدغال

# حكاية والٍ

للشاعر: عبدالحليم المصري

قَالُوا شَكَتْ حمص «عبد الله» وَاليهَا ... شَكَتْ ثَلاثَ عَظِيمَاتٍ يُعَانِيهَا

شكتْ إلى «عُمَرَ» مِنْهُ الخُرُوج ضُحى ... وأنـه لمْ يُجبْ في الليلِ دَاعِيهَا

وأنـه يَختَفي يَوْمًا بمنزلـه ... في كُلّ شَهْـر فما يَبْـدو لرائيهَا

وإنَّما «عمـر» نارٌ مُؤججـة ... ولـيْسَ مِنْ لَفحِها وَاقٍ لصَالِيهَا

***

فَقال: هَاتوه واشكُوا وَهْوَ يَسمعكم ... فالنَّفس تزجُرُهَا أقْـوَالُ شَاكيهَا

وَلَا تَهَابُوه إنِّـي منـهُ مُنصِفكـمْ ... حُكْـمُ الرَّعيَّـة يَسْرى فَوْقَ رَاعِيهَا

حتـىَّ إذا عَرَضَتْ «حمصٌ» قضيَّتَهَا ... أقَامَ يأخـذُ للمظلُـومِ قاضِيهَا

فقال: وَيْحَكَ عبدَ الله هَلْ صَدَقُوا؟ ... لَآخُذنَّك أخـذ النَّـار غاشِيهَا

---

**الشاعر**: هو عبد الحليم حلمى المصرى ولد عام ١٨٨٧ وفاضت روحه إلى بارئها عام ١٩٢٢ ـ وقد عاصر كبار الشعراء كشوقى وحافظ وكان يعتبر البارودى مثله الأعلى ، حيث سلك طريقه ودخل الجيش متأسيا به وكان من شيوخه الذين دان لهم بالفضل الشاعر الكبير أو شيخ الشعراء إسماعيل صبرى باشا وكذلك شيخ العروبة أحمد زكى باشا ، كما توثقت صلته بالكاتب المبدع محمد المويلحى ، وأقر بالأستاذية والامارة للشاعر الكبير أحمد شوقى ، وبنى عليه آمالا كبارا ـ وله عدة وقفات وطنية حوكم من أجلها ودافع عنه العديد من كبار المحامين .

وهو شاعر مجيد طوف فى آفاق الشعر وصفا وغزلا ووطنية وعقيدة وكان من أصدق الشعراء .

**القصيدة**: هذه واحدة من أربع عشرة قصة جرت وقائعها فى عهد بعض الخلفاء والأمراء نظمها الشاعر وأخرجها فى كتاب أسماه « ديوان الأدب فى نوادر العرب » تناول فيها المواقف النموذجية المضيئة ليقدمها للمسلمين قدوة ومثلا .

والقصيدة كما ترى تبرز حقيقة العلاقة بين الحاكم والمحكومين وحرص الرعية على حقها وصدق الوالى فى القيام بواجبه ومحاسبة ولى الأمر له فى غير مجاملة أو رأفة .

ثم توضح القصيدة كيف ينفق الوالى وقته ليلا أو نهارا وكيف يقضى ليله عابدا متهجدا قائما لله ، ويقضى نهاره فى خدمة رعيته والأبيات نوع من الشعر نحن فى أمس الحاجة إليه لنلقى الضوء على تاريخنا وعظمة تراثنا ، ونقدمه أسوة وقدوة وأنموذجا ، وواضح أن القصيدة تعارض « عمرية » حافظ إبراهيم وزنا وقافية تلك العمرية التى تناول فيها شاعر النيل سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، والتى يقول فيها :

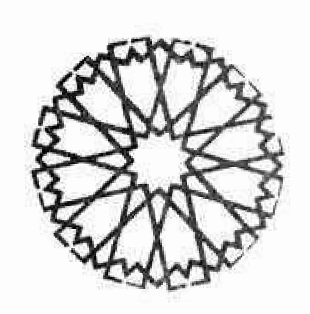
حسب القـوافى وحسبى حين ألـقيها

أنى إلى ساحـة الفـاروق أهـديها

فقـــال : مَهْـلًا أمير المؤمـــنين ، ولا تَعْجَلْ بمن زَهَدَ الدُنيـا وَمـا فيهَـا
القومُ لمْ يكذبوُا أمَّا الخروج ضُحى فإنّمــــا لى أسرَار سأبْديهَـــــا
إنّـا وُلَاةٌ ، ولا عَبْـدٌ ، وَلَا أَمَـةٌ إذَا طَلَبْنــا لُقَيْمــات نُهَيّيهَـــا
بَلْ إنْ أقَمْنَا صَلَاةَ الفَجـرْ نَعْجِنُهـا حتـىَّ إذا خَمـرَتْ قمنـا نُسَوّيهَـا
قَالُوا : صَدَقت فكَمْ جِئْناكِ قَبْلَ ضُحى والـدارُ يَسْمـوُ دُخَـانٌ فى أعَالِيهَـا
أمَا احْتِجَـابى لَيْـلًا فالحَيَـاةُ لَهُـمْ مِنهـا النَهـارُ ، وللتقْـوىَ لَيَالِيهَـا
قَالُوا : صَدَقتَ فكمْ جِئنَاكَ فى سَحَرٍ والـدارُ يُسْمَـعُ صَوْتٌ فى دَيَاجِيهَـا
أمَا احْتِجابى يَوْما مِثْـلَ مَا زَعَمـُوا ففيــه أغْسِلُ أثْـــوَابى وألْقِيهَـــا
قَالُوا صَدَقْتَ فَذِى الأثْوابُ نعْرفُهَـا إنْ غِبْتَ فى الدَار بَاتَتْ فى نواحيهَـا
فَضَمَّـهُ «عُمَـر» ضَمـًّا وقَبَّلَـهُ وقَــالَ تِلْكَ ثَلَاثٌ فُزْتَــا فِيهَـا

***

يَاقَوْم عُودُا لِوَالِيكُـمْ فَلَـيْسَ لكَـمْ مِنه بَدِيلٌ ، وَيهْنـى حِمْصَ وَاليهَـا
مَادَامَ مِنكُـمْ رِجَـالٌ فى صَرَاحَتِكُـمْ فَقَـدْ تنـزَهَتْ الأحكَـامُ تَنْزيهَـا
إنْ تَسْمَـنْ الشاةُ فَاعلَـمْ أنَّ رَاعيها إذَا رَأىَ مَوْردًا يَظْمَـى وَيَرْوِيهَـا
أوْ تَهْـزَلْ الشاةُ فاعلَـم أنَّ رِاعيها إذَا رأىَ مَوْرِدًا يَرْوىَ ويُظْمِيهَـا
أوْ تختفِى الشاةُ فانظرْ جِسْمَ صَاحِبِهَا فإنَّمـا هُوَ طىَ الـجِسْمِ يُخفِيهَـا




العلوم الكونية

# الهندسة الوراثية والأخلاق (*)

عرض وتحليل أ. د. أحمد فؤاد باشا

لقد حث الإسلام على تحصيل العلم النافع وتوجيهه ليكون أداة نافعة تتيح للإنسان أن يفهم العالم المحيط به على نحو أفضل يحقق الخير والسعادة لكل البشر ، لكن تاريخ العلم فى جانبه الأخلاق لم يخل من بعض الأسماء التى خانت أمانة البحث العلمى وتجردت من صفات الحياد والنزاهة والموضوعية ، وأدى هذا بطبيعة الحال إلى تضليل العلماء الحقيقيين وتبديد الكثير من وقتهم للتأكد من نتائج مزيفة .

من ناحية أخرى ، شهدت مسيرة البحث العلمى خلال العقود الأخيرة ثورات علمية وتقنية خطيرة جعلت العلماء أنفسهم يحذرون من آثارها الوخيمة على مختلف جوانب الحياة البشرية .

والكتاب الذى نعرض له هنا بالتحليل والمناقشة يقدم دراسة مفصلة عن القضايا الدينية والاجتماعية والأخلاقية التى تثيرها التطورات والثورات العلمية والتقنية بعامة ، والتطورات الطبية البيولوجية الحديثة بخاصة .

يستعرض الكتاب هذه الدراسة فى خمسة أبواب تشتمل على أحد عشر فصلا ، توضح ضرورة أن يكون هناك ضوابط وقوانين وأحكام دينية وأخلاقية تحكم استخدامات هذه التقنية بما يحفظ للبشرية تطورها الطبيعى الذى فيه صلاحها وتقدمها .

يتناول الباب الأول من هذا الكتاب تطور العلاقة بين الأخلاق والطب ، وهو عرض تاريخى

(*) ناهدة البقصمى ، « الهندسة الوراثية والأخلاق » ، تقديم د. مختار الظواهرى سلسلة عالم المعرفة (رقم ١٧٤) ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ذو الحجة ١٤١٣ هـ / يونيو – حزيران ١٩٩٣ م .

للمواثيق والعهود الطبية التى كانت تهتم بسلوكيات الطبيب وعلاقته بالمرضى وذلك فى عصور الحضارات القديمة ، ثم فى الديانات السماوية فالعصور الحديثة حتى القرن العشرين . **وقد أغفل الكتاب فى هذا الباب ذكر أية إشارة إلى الأخلاق الطبية فى الحضارة المصرية القديمة ، كما عرض بشكل مختصر لأخلاقيات الطب فى الإسلام** ، وكان بالإمكان تفصيل القواعد الإسلامية التى يقوم عليها علم الطب دراسة وبحثا وتطبيقا فى إطار إنسانية الإنسان الذى استخلفه الله ــ سبحانه وتعالى ــ فى هذه الأرض ليعمرها ويرتقى بالحياة عليها[1] .

وينتهى هذا الباب إلى نتيجة هامة مؤداها : أن المواثيق الطبية التى يضعها البشر لأنفسهم فى إطار الفلسفات الوضعية لتنظيم علاقة الطبيب بالمريض لايكتب لها الاستمرار لأنها لاتجارى التطورات الطبية فى كل عصر . فعندما ظهرت تطورات جديدة فى مجال « البيولوجيا » الطبية خلال العقدين الأخيرين من هذا القرن ، مثل « أطفال الأنابيب » و« الهندسة الوراثية » و« استخدام الأجهزة المتطورة فى مجال الطب » ، وغير ذلك ، أصبحت اللوائح غير قادرة على تتبع هذه التطورات وملاحقة نموها السريع . ومن هنا فإن الكتاب يتبنى وجهة نظر « روبرت فيتش » **R.Veatch** الداعية إلى وضع نظرية شاملة فى الأخلاق الطبية تنقذ كلا من الطبيب والمريض من مثل تلك المواقف الدقيقة . وبدلاً من أن تفطن المؤلفة إلى ما أحرزته « النظرية الإسلامية » فى هذا المجال من خلال مؤلفات علماء المسلمين ، وأعمال مؤتمرات الطب الإسلامى ، نجدها ــ ربما بحكم تخصصها ــ تدعو المشتغلين بالفلسفة لكى يدلوا بدلوهم فى تنظيم الأفكار الفلسفية للوصول إلى شبه بناء فكرى منظم للأخلاق الطبية و« البيولوجية » ، ويبلغ بها التأمل الفلسفى حدًّا يجعلها ترى ، القرن القادم قرن « الأخلاق العملية » ، لأن كل مشكلة تواجه الإنسان تثير تساؤلات أخلاقية تجعله يبحث عن الرد فلا يجده ــ بحسب زعمها ــ إلا من خلال الفكر الفلسفى .

● ● ●

ويستعرض الباب الثانى من الكتاب « تطور البيولوجيا فى القرنين التاسع عشر والعشرين » مع التركيز على مجالى علم الأجنة والهندسة الوراثية . وبرغم أن هذا الجزء من الكتاب يبدو فى ظاهره سرداً لتاريخ العلم إلا أنه يلفت الانتباه إلى خطورة التطورات الطبية والبيولوجية التى حدثت منذ فتح « تشارلز داروين » المجال أمام العلماء لكى يضعوا الإنسان تحت المجهر ، ويحولوه إلى مجرد أنسجة وخلايا وشرايين » .

ومن أحدث الإبتكارات التى حدثت فى هذا المجال ابتكار مايسمى « طريقة الإخصاب الصناعى » **Artificial Insemination** للتغلب على إصابة أحد الزوجين بالعقم أو ضعف يمنع إتمام الحمل ، أو خوفاً من انتقال مرض وراثى إلى الأطفال ، وتتم هذه العملية بواسطة جمع السائل المنوى من الزوج أو من متطوع أو منهما معاً

---

(١) يرجع فى ذلك ، على سبيل المثال :
د. إبراهيم عبد الحميد الصياد ، المدخل الإسلامى للطب ، مجمع البحوث الإسلامية ، القاهرة ١٩٨٧ م .

باستخدام وسائل طبية معينة ، ثم تلقح به الأنثى[٢] . وإذا كانت الزوجة غير قادرة على الحمل يستعان بامرأة أخرى بدلا منها يطلق عليها اسم « الأم البديلة » **Surrogate Mother** وكلتا الطريقتين تثيران الكثير من القضايا والمشكلات الأخلاقية والاجتماعية والدينية التي تمس حقوق الإنسان وكرامته ، فضلا عن انها تلغى أهمية حياة الإنسان وتدنس قدسيتها .

وتطورت عملية الإخصاب الصناعي بعد ذلك إلى تجارة عن طريق إنشاء « بنوك » للحيوانات المنوية بهدف تحسين الجنس البشرى والحصول على جيل من العباقرة ، وذلك بأخذ السائل المنوى من أشخاص يتصفون بالذكاء الحاد أو غيره من الصفات المرغوبة ، ثم يتم تلقيح نساء يتصفن أيضا بالصفات المرغوبة أملاً في الحصول على جيل كامل من العباقرة والأصحاء **لكن هذه التجارة باءت بالفشل لاعتراض الكثير من العلماء ومن الرأى العام على أساس أنه يمكن عن طريق التلقيح الصناعي أن تنتشر « جينات » غير معروفة ومتنحية وضارة بالجنس البشرى . هذا بالإضافة إلى أنه لا يوجد ما يضمن أن المولود سوف يحمل صفات الوالدين نفسيهما** . وبحث تجارة هذه « البنوك » عن هدف آخر ، حسبوه إنسانيا ، غير تحسين النسل ، فوجدوا ضالتهم في الأسر المحرومة من الأطفال ، حيث تقوم هذه « البنوك » في الوقت الحاضر بتوفير السائل المطلوب لحل مشكلة العقم عند أحد الزوجين أو كليهما . وفي أغلب الأحيان يكون المتطوع غير معروف حتى لايكون للزوجان علاقة إنسانية معه ، ولكى لا يطالب بالطفل فيما بعد !!

نجم عن هذا السلوك قضايا أخلاقية وقانونية واجتماعية ودينية ، بالإضافة إلى تفاقم المشكلة الصحية . فالمتطوع - كما سبق القول - مجهول الهوية ، وفي الغالب لايعرفه حتى الطبيب ، وكل مايمكن الحصول عليه من معلومات هو الصفات الخارجية التي تساعد في عملية الاختيار ، أما الأمور المرتبطة بالأمراض فمن الصعب التعرف عليها حتى لوطلب الطبيب سيرة حياة المتطوع . وإن أقصى ما يمكن معرفته هو أنوع الدم ، وخلوه من الأمراض التناسلية ، أما الأمراض الوراثية غير الظاهرة فمن الصعب معرفتها . ولهذا يقوم الأطباء عادة بجمع « السائل » من طلاب كلية الطب لضمان التاريخ الصحى لكل منهم من واقع « الملفات » الصحية الخاصة بهم . ويفضل الأطباء أن تلقح الزوجة « بسائل » شخص يحمل صفات « فسيولوجية » قريبة الشبه من صفات الزوج حتى يكون الطفل شبيها بقدر الإمكان بالزوجين . من ناحية أخرى ، يخشى البعض أن تكون هناك صلة قربى بين المتطوع والأم ، كأن يكون أباها أو أخاها وهو أمر وارد وممكن الحدوث ، خاصة وأن « السائل المنوى » للشخص الواحد يستخدم التلقيح أكثر من امرأة ( من ست إلى سبع نساء ) . وهكذا ثار جدل عام حول هذه القضايا وانعكاساتها على الحياة البشرية .

**وفي غمرة الانغماس في هذا الجدل حول منع أو إجازة تطبيق وسائل الإخصاب الصناعي في الإنسان** ، فوجىء العالم سنة ١٩٧٨ بولادة أول

(٢) أصدر الإمام الأكبر شيخ الأزهر ، كما أصدرت المجامع العلمية الإسلامية بياناً بما يحل ويحرم من هذه الأوضاع .. مجلة الأزهر .

«طفلة أنابيب» فى انجلترا (لويز براون) على يد الدكتور «باتريك ستبتو» **P. Steptoe** وعالم الفسيولوجيا «روبرت إدواردز» **R. Edwards** ، وأطلق على هذه العملية اسم «تقنية طفل الأنابيب» أو «الإخصاب الصناعي خارج الرحم» **In- Vitro Fertilization**[٣] وسرعان مادوّت أنباء هذا الحدث الطبى الهام فى جميع أنحاء المعمورة ، وجذبت اهتمام الكثير من نساء العالم ـ وخاصة اللواتى كن يعانين من انسداد فى أنابيب البويضات المعروف باسم «قناة فالوب» **Follopian Tube** ، لأن العملية تمت فى البداية لعلاج هذا النوع من العقم . ورغم بعض الاعتراضات التى وجهت إلى هذه الطريقة ، فإنها استمرت حتى وقتنا الحالى ، ولا يزال الآلاف من النساء فى مختلف دول العالم يلجأن إليها حين يكتشفن أنهن غير قادرات على الإنجاب .

ويلقى الدكتور مختار الظواهرى ، فى تقديمه للكتاب ، مزيدا من الضوء حول الجوانب الأخلاقية لهذه التقنية والحدود الشرعية لتطبيقاتها فى الحالات البسيطة التى تعانى فيها الزوجة من انسداد فى «قناة فالوب» ، أو من عدم توافق ذاتى ، أو خلل فى الحركة العكسية لأنابيب البويضات ، أو وجود وسط مهبلى يقتل الحيوانات المنوية ، أو أسباب أخرى مثل قلة عدد الحيوانات المنوية أو قلة حيويتها . وقد وضعت الهيئات الدينية والأخلاقية والاجتماعية فى معظم دول العالم ، وبينها دول إسلامية عديدة شروطا واضحة ومحددة لكل ذلك ، وهى أن تكون الحيوانات المنوية من الزوج نفسه وان تكون البويضات من الزوجة وان يكون استنبات البويضة المخصبة فى رحم الزوجة نفسها . وبالرغم من هذه الحدود والشروط فلا زالت هناك اعتراضات على استخدام التقنية ذاتها من حيث المبدأ ، لأنها طريقة غير طبيعية ، وانحراف عما درج الله الإنسان عليه ، وقد ينتج عنها حمل خارج الرحم ، أو أطفال مشوهون .

وكان لزماً على المجتمع البشرى أن يتحرك ويتساءل عن المعنى المقصود من الإنجاب ، وعن جدوى تطبيقات هذه التقنية ومدى الاحتياج إليها . فبالرغم من فوائد التطبيقات البسيطة لتقنية طفل الأنابيب الظاهرة على السطح ، إلا أنها استأثرت بلباب الإنسان ليجد نفسه مندفعا إلى تخطى التمييز بين ما يتقبله الحس الإنسانى وما تلفظه الفطرة الآدمية ، وبدأ يبحث فيما بعد الحالات البسيطة ، ويتساءل متحديا : ماذا لو كان الحيوان المنوى من واهب خلاف الزوج العقيم ؟ وماذا لو كانت البويضة من واهبة خلاف الزوجة العقيمة ؟ ثم ماذا لو كان الجنين نفسه كله موهوباً من أبوين خلاف الزوجين ؟ وسار فريق من الباحثين فى غيه ، ضاربا عرض الحائط بكل أسس النَّسب المستقرة ، والأنظمة الأخلاقية والاجتماعية والدينية التى يقوم عليها المجتمع . وقد أعلن فعلاً عن أول طفل أنابيب من جنين موهوب بواسطة فريق «كارل وود» عام ١٩٨٣ م ،

---

(٣) المعنى الحرفى للكلمة الأجنبية **In-Vitro** هو «فى الزجاجة» ، ويقصد بالتعبير ككل **In-Vitro Fertilzation** عملية الإخصاب التى تتم بين البويضة والحيوان المنوى خارج الرحم ، فى زجاجة أو انبوبة الاختبار ، وتترك البويضة المخصبة لفترة معينة كى تنمو ، ثم يتم غرسها ( أو زراعتها ) فى رحم الانثى لاتمام مراحل الحمل .

ووصل التحدى إلى استجار حاضنة لاستنبات الجنين ، وهى ما تسمى بالأم البديلة ــ كما أشرنا من قبل ــ وامتلأت الصحف الأجنبية بالإعلان عن :

«أم للإيجار» .

و«مطلوب رحم للإيجار» .

و«رحم خال للإيجار» .

وشهد العالم لأول مرة فى التاريخ «الجدَّة البديلة» وهى أول جدة وأم بديلة فى آن واحد تلد ثلاثة توائم ، وذلك حينما أنجبت «بات أنتونى» من جنوب أفريقيا أول ثلاثة أحفاد لها ، وهم أطفال ابنتها بعد جراحة قيصرية فى عام ١٩٨٨ م .

وتبع هذه العملية أحداث أخرى أكثر غرابة لم تكن فى الحسبان ، فهذه أم بديلة تبتز الزوجين مقابل إيجار رحمها وتطلب منهما أن يدفعا لها أكثر وإلا ستنهى حمل طفلهما .

وتلك أم أخرى بديلة تهدد حياة وسلامة الطفل الذى يستأجر رحمها باستخدام أدوية ممنوعة خلسة بعيدا عن أعين الأبوين .

وثالثة لاتقوى عاطفتها على التنازل عن الطفل بعد ولادته وتسليمه لأبويه .

وقد شهدت محاكم الولايات المتحدة أكثر القضايا إثارة فى تاريخها ، فلم تدع الأم البديلة «مارى بيت» محكمة إلا طرقت أبوابها للاحتفاظ بالطفلة التى أنجبتها من رحمها المؤجر ، لكن القانون وقف ضدها وقضى بمنح الطفلة للأم التى لم تنجب ، والتى دفعت الثمن بموجب عقد قانونى .

وأغرب من هذا أنه قد حدث عكس هذا تماما حينما استغنى الأبوان فى بعض الحالات عن تسلم طفلهما من الأم البديلة بعد ولادته ، وذلك بسبب إصابته بتشوه أو مرض وراثى خطير ، أو لأن الأبوين قد انفصلا ، أو طلقا قبل ولادته ، وهكذا أدى التمادى فى تطبيق ما بعد الحالات البسيطة إلى ظهور آثار بعيدة لم تخطر على البال .

**ولم تستطع كل هذه الآثار والمحاذير أن تكبح جماح الباحثين فى تطوير هذه التقنية الطبية الخطيرة ، فقد تمادوا فى غيهم وشرعوا فى تجميد الأجنة والحيوانات المنوية لعشرات السنين لاستخدامها فى أى وقت حسب الرغبة والطلب . وهنا تعالت تساؤلات من نوع آخر :**

**ماذا عن تجميد الأجنة كوسيلة لحفظ الفائض منه لتلاشى قتلها ؟**

**ما الموقف من جنين تم تجميده ثم أذيب قبل الغرس فى الرحم ؟**

**وماذا عن الجنين الذى مات أبواه بينما هو مازال مجمدًا ؟**

**ثم ماذا لو فكرت أم بديلة فى أن تحمل فى عمها أو عمتها ، أو خالها أو خالتها ، أو فى فرد من جيل أجدادها كان مجمدًا لعشرات السنين ؟**

**وهكذا تزداد المشكلات القانونية والشرعية والأخلاقية تفاقما بسبب غياب الضوابط والقوانين الصارمة التى تحكم مسيرة البحث العلمى وتوجهه لما فيه صلاح المجتمع الإنسانى وتقدمه .**

**ولازال للموضوع بقية فى العدد القادم بإذن الله .**

# السقوط المهبلي وسقوط الرحم

للدكتور/ أحمد تجاني عبد الحميد

الرحم مثبت داخل الحوض بأربطة وعضلات للمحافظة على وضعه الطبيعي ولكن هناك بعض الأسباب التى قد تؤدى إلى نزول الرحم إلى أسفل مستواه . وهذا السقوط ينقسم إلى درجات :

**الدرجة الأولى** : ينزل الرحم عن مستواه ولكن يبقى داخل المهبل .

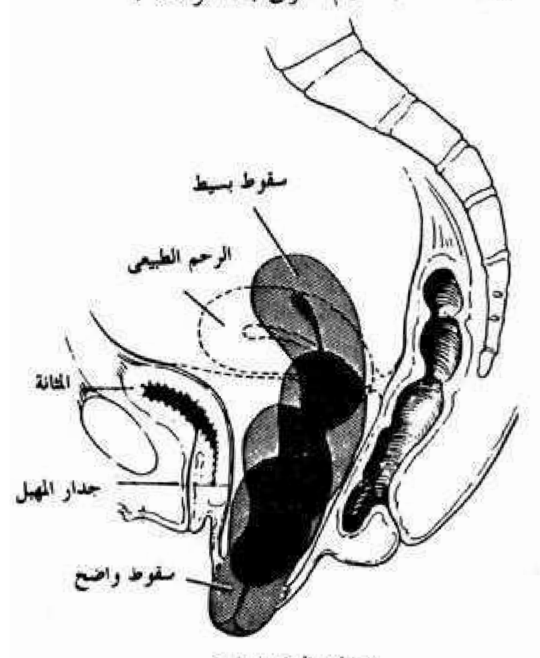
**الدرجة الثانية** : يظهر عنق الرحم على مدخل المهبل .

**الدرجة الثالثة** : « أو السقوط الكامل » : يخرج الرحم بالكامل إلى خارج المهبل .

**أسبابه** :

– عيوب خلقية مثل : الضعف الخِلْقى فى أربطة الرحم .

– تكرار الولادة وعدم ترك فترات كافية بين ولادة وأخرى ، (والحزق STRAINING) خلال الدور الأول من الولادة ، والقيام بالأعباء المنزلية خلال الأيام الأولى بعد الولادة .




درجات السقوط الرحمى

ـ والولادات العسرة وبخاصة التى يستعمل فيها الالآت مثل ( الجفت ) وشفـــاط الجنين ـــ VENTOSE

الأعراض :

قد لا يكون هناك أعراض ولكن تكتشف الحالة أثناء الفحص المهبلى ، وقد تشعر السيدة بآلام فى الظهر ، وثقل فى الحوض ، وإفرازات مهبلية ، أو رغبة فى التبول المستمر واللاإرادى وإمساك مزمن ، وإذا خرج الرحم بالكامل فإنه يتعرض للالتهاب الشديد والقرح والنزف .

طرق الوقاية :

عدم ( الحزق ) فى أثناء البدور الأول من الولادة .

عدم بذل مجهود والراحة بعد كل ولادة حوالى ٦ اسابيع حيث يكون الرحم ثقيلا والأنسجة ضعيفة .

وجود فترات راحة بين ولادة وأخرى مدة كافية للجسم لكى يعود إلى حالته الطبيعية .

الالتزام بإتمام الولادة بطريقة سليمة ، وتجنب حدوث الالتهابات بعد الولادة .

الاهتمام بالصحة العامة .

العــلاج :

حسب الحالة وشدتها ، فقد يكون بتحسين صحة المريض العامة والعلاج الطبيعى لتقوية عضلات الحوض فى الحالات البسيطة جدا وقد تكون الجراحة لشد الأربطة ، ورفع الرحم والمثانة فى الحالات البسيطة والمتوسطة ، وقد يكون باستئصال الرحم فى الحالات الشديدة وبخاصة بعد سن الأربعين ، وغالبا تجرى هذه العملية من المهبل .

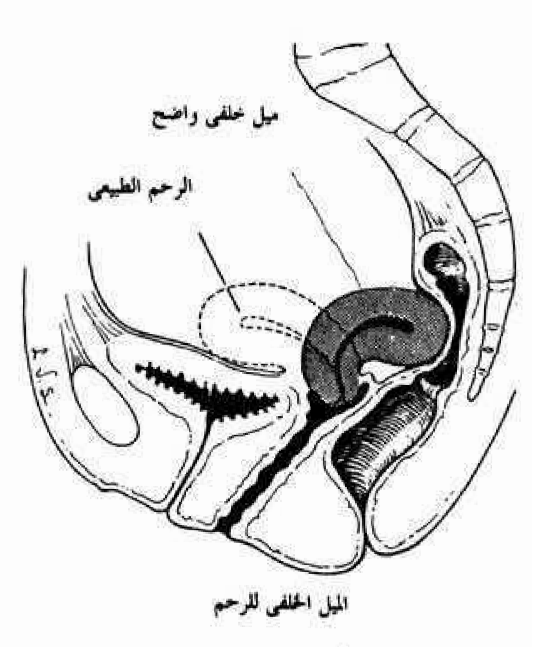
## الميل الخلفى للرحم

الوضع الطبيعى للرحم هو أن يكون مائلا ومنثنيا الى الأمام ولكن فى نحو ( ٢٠ ) إلى ( ٣٥٪ ) من الحالات يكون هذا الميل إلى الخلف وهذا الميل له درجات : إما ميل بسيط أو ميل متوسط أو ميل كامل .

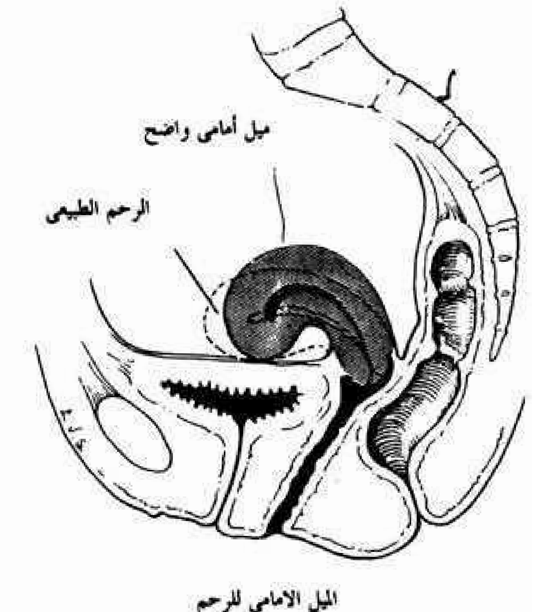
ومن أسبابه : العيوب الخلقية ، أو وجود ضعف فى الأربطة الماسكة للرحم ، أو بسبب التهاب مزمن فى المثانة ، أو يكون هناك التصاقات تشد الرحم الى الخلف ويتم التشخيص بواسطة الفحص المهبلى ، وفى حالة عدم وجود أعراض أو شكوى فلا أهمية مطلقا لهذه الحالة ، ولكن هناك بعض السيدات اللاتى يشكون فيها من بعض الأعراض ، وذلك فى حالات الميل المكتسب ( أى غير الخلقى ) مثل : آلام الظهر أو الضيق بالجماع ، أو إفرازات مهبلية وأعراض احتقان الحوض ، وأغلب هذه الأعراض لا تكون بسبب ميل الرحم ، ولكن قد يكون سببها هو المسبب لميل الرحم .

وإذا تم تشخيص هذه الحالة فلا يجب التسرع فى إجراء جراحة إلا فى بعض الحالات النادرة ، وبخاصة فى حالة إجراء جراحة لازالة سبب هذا الميل ، ويمكن بطريقة بسيطة استخدام منظار البطن لوضع حلقات بلاستيكية على أربطة الرحم الدائرية لتقصيرها ، مما يؤدى إلى تصحيح وضع الرحم ، ومن قبل كانت توضع عجلة فى المهبل لاصلاح هذا الميل ، ولــكنها لا تستعمـــل

ـ حاليا ـ إلا فى حالات نادرة ، وفى حالات تأخر الحمل الناتج عن ميل الرحم يكون الحل هو تغيير وضع الجماع بأن تؤتى الزوجة ـ من خلف ـ فى قبلها .




الميل الخلفى للرحم




الميل الامامى للرحم

## الأورام

تحدث أغلب الأورام قبل أو بعد سن اليأس وقد تحدث فى أى سن ، فقد وقع بعضها فى أطفال صغار . والأورام منها :

الحميد مثل : الأورام الليفية وهى تكون فى الأغلب فى السيدات اللاتى لم ينجبن لفترة طويلة ، ومن أهم أعراضها النزف ، ويبدأ بزيادة فى كمية الدورة الشهرية ، ويكون الدم فاتح اللون ، وقد يكون مصحوبا بقطع متجلطة وقد تطول مدة نزول دماء الدورة الشهرية وتقصر المدة بين دورتين ، وهذا يؤدى إلى ضعف عام وأنيميا .

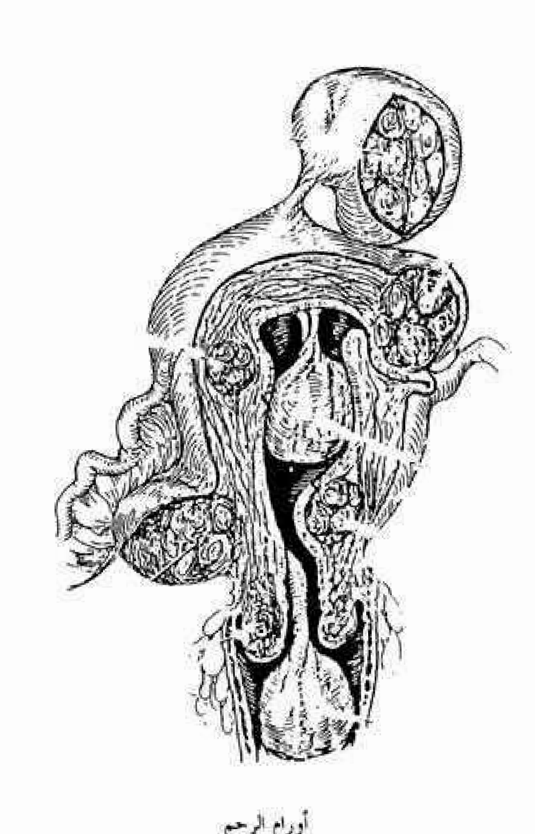
كذلك توجد أورام حميدة بالمبيض ( أكياس على المبيض ) وهى غير تكيس المبيض الذى يسبب عدم التبييض .

والخبيث مثل :

سرطان عنق الرحم : وهو بطىء النمو ويمكن اكتشافه مبكرا بأخذ مسحة دورية من عنق الرحم ، والاكتشاف المبكر يفيد فى سهولة العلاج ، وزيادة فرص الشفاء ، ومما يساعد على ظهور سرطان عنق الرحم :

- الحمل أكثر من خمس مرات .
- بدء الحياة الجنسية فى سن مبكرة .
- وجود أكثر من شريك جنسى للمرأة سواء كان بزواج مبكرة ، أم غيره .
- الاصابة بالأمراض التناسلية .

وفى هذه الحال يكون النزف مختلفا عن حالة الأورام الليفية ؛ فيكون فى غير أوقات الدورة الشهرية ، وقد يحدث بعد جماع ، كما يصحبه إفرازات كريهة الرائحة .



أورام الرحم

سرطان جسم الرحم

وهو سرطان نادر الحدوث ، ولكنه يحدث غالبا فى السن المتقدمة بين الخمسين والستين بخلاف سرطان عنق الرحم الذى يحدث فى سن مبكرة ، وهذه الحالات قد تكون مصحوبة :

- بسن اليأس .
- أو بعدم سبق الإنجاب .
- أو بتاريخ مرضى فى العائلة لسرطان مماثل .
- أو بمرض السكر وضغط الدم المرتفع والسمنة .

سرطان المبيض :

وهو أخطر السرطانات التى تصيب المرأة حيث إن اكتشافه غالبا لا يتم إلا بعد أن يكون قد وصل إلى درجة متقدمة .

سرطان المهبل والفرج :

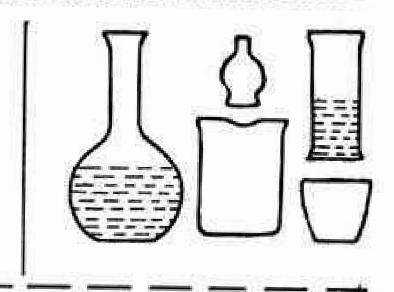
وهو سرطان نادر الحدوث ، ويقع للسيدات كبيرات السن ، وفى أحوال نادرة جدا يحدث للشابات .

طرق التشخيص :

نتيجة الفحص المهبلى قد تكون أول إشارة للمرض ولذلك لابد من إجراء الفحص الدورى للسيدات فى سن الخصوبة ، وذلك من خلال :

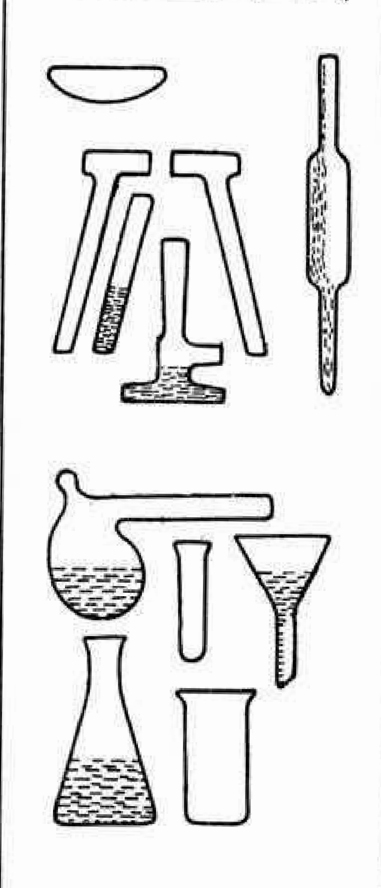
- المسحة من المهبل وعنق الرحم دوريا .
- الموجات فوق الصوتية .
- ( الكحت CURRETTAGF ) والعينة من باطن وعنق الرحم فى حالة وجود نزيف ، ودم غير طبيعى وبخاصة حول سن اليأس .
- الفحص بالرنين المغناطيسى .

العلاج : حسب الحالة ، لكن المبدأ العام هو إزالة الورم والمنطقة المحيطة به ( كحاجز أمن ) مع إزالة الغدد الليمفاوية لهذه المنطقة . وكذلك العلاج بالنظائر المشعة والعلاج الكيميائى .



# الجديد فى العلم والتقنية

إعداد/ د. نجوى السيد أحمد



## جهاز جديد
## لتدمير الأورام السرطانية

توصلت إحدى الشركات الفرنسية المتخصصة فى استخدام جهاز جديد له قدرة لا مثيل لها على تدمير الأورام السرطانية . وكان هذا الجهاز حتى وقت قريب يستخدم فى البحث الأساسى فى المادة النووية ، والجديد فيه أنه سيطلق أحد أشكال الإشعاعات المسماة بالعلاج الكهربائى الإيجابى ، ويتكون من حزمة كهربية دقيقة قدرتها مائتا مليون ( الكترون فولت ) توجه إلى الورم فتدمره بقوة تصل إلى أكثر من عشر مرات مما تستطيعه الإشعاعات الكهربية المعتادة كأشعة « إكس » وأشعة « جاما » ، وبذلك أصبح فى الإمكان علاج أورام العيون وسرطان قاع الجمجمة والقناة النخاعية دون الإضرار بالمخ أو النخاع الشوكى .

**الهندسة الوراثية**

**لإنتاج أشجار تضىء الطريق**

استطاع بعض العلماء إنتاج نباتات تبغ تتوهج فى الظلام ، وذلك عن طريق نقل « الجنية الوراثية » التى تسبب توهج المواد الكيميائية فى داخل الذباب النارى إلى المادة الوراثية الموجودة فى نبتة التبغ . وسوف يتمكنون بواسطة هذه الطريقة من صنع شجيرات صغيرة تضىء فى الظلام وزرعها على طول الطرق العامة التى تستخدمها السيارات بكثرة مما يقلل من تكاليف الإضاءة العادية .

**« كمبيوتر »**

**يعمل بالطاقة الضوئية**

أنتج الباحثون الأمريكيون أول كمبيوتر بصرى فى العالم وهو « كمبيوتر » يستخدم الضوء فى تخزين ونقل المعلومات بنفس الأسلوب الذى يستخدم به الكمبيوتر التقليدى الكهرباء ، فبدلا من استخدام ذبذبات كهربائية لنقل المعلومات من خلال الأسلاك يستخدم ذبذبات ضوئية من خلال ألياف بصرية ، وذاكرته أيضا ضوئية .

**جهاز لتنقية**

**هواء الحجرات**

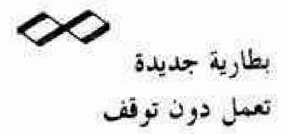
اخترعت إحدى شركات الإلكترونيات الفرنسية جهازاً لامتصاص وتنقية الهواء فى الحجرات المنزلية ، حيث يلتقط الغبار والكائنات الحية الدقيقة والشوائب التى لاترى بالعين المجردة وتنتشر فى الجو . وللجهاز مرشح وورق مكون من طبقتين يمكن فصلهما عن بعضهما إحداهما لدخول الهواء بقوة حول المحرك والأخرى لخروج الهواء النقى .



**استخدام البلاستيك**

**لرصف الطرق**

نجحت مجموعة من الشركات اليابانية فى مجال الإنشاء ورصف الطرق فى استخدام « البلاستيك » لرصف الطرق . اكتشف العلماء أن خلط « البلاستيك » مع « الأسفلت » يعطى سطحاً للطريق أقوى عشر مرات من استخدام « الأسفلت » بمفرده ، وأن الرصف بهذه الطريقة يمنع التآكل الذى تسببه الشاحنات الثقيلة للطريق . وأكد العلماء أنه لاينتج من هذا الاستخدام أبخرة سامة . وأمكن بالتجارب صنع حبيبات من نفايات البلاستيك ، وخلطها مع باقى المكونات بنسبة ٥٪ .



**بطارية جديدة**

**تعمل دون توقف**

ابتكر العلماء الإستراليون بطاريـــة من « الفانديوم » تتميز بأنها أكثر بطاريات العالم كفاءة ، حيث إن خلايا « الفانديوم » المقاومة للأكسدة تختزن الطاقة لوقت غير محدود لأنها تتجدد بطول الاستعمال ، كما أن قوتها تزيد ٥٠٪ وتكلفتها أقل من النصف بالمقارنة مع أنواع البطاريات الأخرى . واكتشف فريق العلماء المخترع لهذه البطارية أن مرور تيار من (سائل كهربائى) فى أكسيد (الفانديوم) يولد كهرباء تتجدد كلما أضيف السائل إلى البطارية .

### تصوير نشاط بركانى على كوكب الزهرة

التقط مكوك الفضاء الأمريكى « ماجلان » مجموعة صورة حديثة لكوكب الزهرة تؤكد وجود حفرة بركانية ملتهبة ونشطة على عكس ماتوقع بعض العلماء من أنه كوكب خامل فى طريقه للاندثار .

### إنتاج بروتين لتغذية الحيوانات من النفط

اتجهت بعض الدول إلى استخراج المواد البروتينية من النفط حيث إنها فتحت آفاقاً جديدة فى تغذية الحيوانات والدواجن . وتتم هذه العملية عن طريق استخدام سلالة معينة لفطر الخميرة تتغذى على المواد الهيدروكربونية المستمدة من النفط وتحولها إلى مواد بروتينية يمكن استخلاصها من الخميرة .

### آلة تصوير تكشف تزوير الأوراق المالية

أنتجت إحدى الشركات اليابانية لصناعة معدات المكاتب آلة جديدة لتصوير المستندات بالألوان تكشف تزوير الأوراق المالية . تزود هذه الآلة بنظام يسجل صور أوراق النقد الخاصة بالدول الكبرى ، وسيكون بالآلة شفرة خاصة بكل نسخة تصورها مما يسهل الوصول للآلة التى صورت عليها النسخة فى حالة تزوير الأوراق المالية ، أو طوابع البريد ، أو الشيكات السياحية .



### صناعة مواد عازلة من ألياف القطن

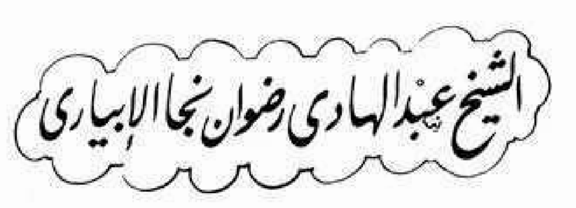
بدأ العلماء فى استخدام ألياف القطن لعزل المنازل والتجهيزات المختلفة . ويتم تصنيع ألياف القطن العازلة باستخدام آلة عادية لغزل النسيج ونوع جديد من الأفران . وتحتوى ألياف القطن الجديدة العازلة على قطن قصير التيلة مخلوط مع مادة « البوليستر » ، وهى تعادل قوة عزل الألياف الزجاجية كما أن أسعارها معقولة ، ووزنها أخف بمقدار ٥٪ من الألياف الزجاجية العازلة .



### أشعة « الليزر » لتبادل المعلومات بين الأقمار الصناعية

تستعد الوكالة اليابانية لعلوم الفضاء بالاشتراك مع وكالة الفضاء الأوربية لإجراء تجربة للاتصال الضوئى بين الأقمار الصناعية باستخدام (أشعة الليزر) التى يمكنها أن تحمل كميات مضاعفة من المعلومات عن تلك التى تحملها (تكنولوجيا الإرسال الحالية) ، مما يجعلها فى المستقبل وسيطاً يبشر بنظام اتصالات واسع المدى وبسرعة كبيرة جداً . كما سيساعد صغر حجم الهوائيات ، وأجهزة الاستقبال لهذا النظام على جعل الأقمار الصناعية أصغر حجماً وأقل وزناً .




# ١٢٣٦هـ - ١٣٠٦هـ
# ١٨٢١م - ١٨٨٨م

للمستشار / محمد عزت الطهطاوى

**عالم أزهرى كبير نبغ فى سائر العلوم الإسلامية من دينية ولسانية ولغوية ، وكان دائم الجد موصول الاطلاع ، لا يشغله عن التوفر على العلم شاغل مع عقلية حباه الله بها ذات قوة خارقة فى الحفظ والرواية .**

**ذلك هو : الشيخ عبد الهادى نجا الإبيارى الذى ذاع صيته ، وعلا شأنه ، وتحدث الناس بعلمه وأدبه وفضله ، ووصل ذلك إلى سمع الخديوى إسماعيل والى مصر وقتئذ فاستقدمه وأثنى عليه ، وعهد إليه فى تعليم أنجاله ؛ فثقفهم وسقاهم ما شاء له من الآداب والعلوم العربية .**

يقول عنه على باشا مبارك فى كتابه بالجزء الثامن من «الخطط التوفيقية» : ( فخر العلماء الأعلام ، الإمام الأريب واللوزعى الأديب ، الشاعر ، الحافظ الماهر العلامة : الشيخ عبد الهادى نجا الإبيارى ) .

أما صحيفة ( روضة المدارس )[1] فقد كتبت عنه فى عددها الثالث عشر من سنتها الأولى تقول - لما أرسل إليها أحد مقالاته : ( ورد بقلم هذه الصحيفة وريقات هى على ما يفهم كتاب أدبى موشاة العبارة واضحة الإشارة بلسان عربى أبدت منه فضل الكتاب ظواهر برهانه ، وكل كتاب يستدل عليه بعنوانه ، كيف لا وهى من تأليف أديب عصره ، ورافع منار الأدب فى عهده ، ذى الفضل والأدب السارى ، حضرة الشيخ عبد الهادى نجا الإبيارى ) .

ولد الشيخ عبد الهادى نجا الإبيارى فى ( قرية أبيار ) من أعمال محافظة الغربية عام ١٢٣٦ هـ التى توافق عام ١٨٢١ م ، ولما شب عن الطوق تلقى علوم القراءة والكتابة وحفظ القرآن على

---

(١) هى مجلة أدبية أمر بإنشائها الخديوى إسماعيل سنة ١٨٧٠ م وعهد على باشا مبارك وكان ناظراً للمعارف إلى الشيخ رفاعة رافع الطهطاوى بنظارتها فعهد إلى ابنه الأستاذ على فهمى رفاعة برياسة تحريرها .

علماء قريته خصوصاً والده الذى كان أيضاً من علماء الأزهر وفضلائه .

وقد دفعه هواه للعلم إلى كثرة المطالعة والدرس ، وإذ تنسم والده ذلك الميل فيه شرع يلقنه علوم العربية ، ويعبد له طريق الأدب فبلغ منها فى الزمن اليسير حظاً موفوراً وقد حدث عن نفسه وذكر أنه حضر على والده فى العلوم الآتية :

١ ـ فى الحديث : الجامع الصغير والبخارى والمواهب .

٢ ـ وفى التفسير : الجلالين ( السيوطى والمحلى ) .

٣ ـ وفى الفقه إلى ـ المنهج .

٤ ـ وفى النحو إلى ـ الأشمونى .

٥ ـ وفى الفرائض والتوحيد وغيرها من العلوم الإسلامية .

التحاقه بالأزهر الشريف :

بعد مدارسته للعلوم السابق الإشارة إليها على والده ، سافر بعد ذلك إلى القاهرة ، لاستكمال علومه فى الأزهر ، وفى رحاب ذلك الجامع العتيد تلقى العلم على الأساتذة الفحول أمثال : الشيخ محمد الباجورى ، والشيخ محمد عليش شيخ المذهب المالكى ، والشيخ الدمنهورى .

ولما تخرج من الأزهر كلف بالتدريس فيه وذلك للإفادة من علمه وفضله .

مثابرته على التدريس فى الأزهر :

لم يكن قيامه بتعليم أنجال والى البلاد ليصرفه عن التدريس فى الأزهر لما عرف عنه من غزارة العلم ، وسعة المادة ، والتبحر فى اللغة العربية وعلومها حتى كان ثقة يرجع إليه فى حل المشكلات العلمية .

وكانت مجالس العلم والأدب يعقدها فى بيته حيث يأوى إليها النابهون ممن كان لهم به شأن يذكر كالشيخ : حسن الطويل ، والشيخ محمد البسيونى البياتى .

**شهرته فى العالم العربى :**

طارت شهرة الشيخ عبد الهادى نجا الإبيارى فى العالم العربى كله فدارت المكاتبات والمراسلات بينه وبين العلماء والأدباء والشعراء من أمثال : الشيخ إبراهيم الأحدب ، والشيخ أحمد فارس الشدياق ، والشيخ ناصف اليازجى وهم من بلاد الشام كما كانت تدعى قبل أن يقسمها الاستعمار الأوروبى بعد الحرب العالمية الأولى فى عشرينات هذا القرن إلى : دولة سوريا ، ودولة لبنان ، وإقليم فلسطين الذى طمعت فيه الصهيونية العالمية لتقيم عليه دولة إسرائيل .

وقد حدث أن احتدمت المناقشات والخلافات بين الكونت رشيد الدحداح صاحب «مجلة البرجيس» التى كان يصدرها الكونت رشيد فى باريس ، وبين الشيخ أحمد فارس الشدياق صاحب ( مجلة الجوائب ) التى كان يصدرها فى استامبول حول بعض المسائل اللغوية ، ودام الجدل العنيف بين الطرفين زمناً طويلاً إلى أن تدخل الشيخ عبد الهادى نجا الإبيارى فألف كتاباً للفصل بين الطرفين المتشاحنين عنوانه : ( النجم الثاقب فى المحاكمة بين البرجيس والجوائب ) .

وكان هذا الكتاب هو الفيصل فى إنهاء هذه المعركة اللغوية التى شهدها القرن التاسع عشر فى عقده السابع حيث تم ذلك عام ١٨٦٣ م .

**نموذج من نثره :**

جاء فيما كتبه إلى الشيخ إبراهيم الأحدب ـ عن ( رسالة ) : فما هذه الرسالة البديعة المنال ، البعيدة المنال إلا لآلىء فى نحور حور ، أم كواكب مشرقة فى ديجور ، وحدائق أزهار ، أم رقائق أشعار ، ومعانى كواعب أتراب ، أم معانى فرائد

آداب ، وثغور باسمة عن جمان ، أم زهور بديع فى رياض بيان ؟..

**رأى نقاد الأدب فى نثره :**

يرى نقاد الأدب أنه كان ــ رحمه الله ــ مولع بالصنعة مفتون بزخرف الألفاظ والطلاء حريص على السجع مترصد له ، يجتهد فى حشد المحسنات البديعة ، وقد تلتمس له الأعذار نظراً لما كانت عليه عادة عصره من الإلتزام بمثل هذه المحسنات ، لكنه لو ارتضى لنفسه السهولة والوضوح وآثر البعد عن ذلك التكلف أو مسه برفق لكان له من غزارة مادته ، ومن كرم موهبته ما يسمو به إلى مصاف الكتاب البارزين العظام الذين ترتاح النفوس إلى أدبهم ، ولكنه أغرق فى مجاراة العصر وغالى فى متابعته .

**شـــعره :**

كان الشيخ عبد الهادى نجا الإبيارى ــ فى شعره ــ يتبارى أيضاً بحشد الزخرف اللفظى والمحسن البديعى حيث أفرط فيما كان يتناوله من المجاز والاستعارة ومن أمثلة ذلك قوله :

اقطف ورود خدود الغيـد بالقبـل
وقـل وفـــاء بحق للهـــوى قبلى

واخلـع عذارك فى خال العـذار ولا
تبال فالعـذر عنـد الخال منـــه خلى

وكن على حذر من أسهـــم عرضت
لمن تعــــرض للألحاظ والمقـــــل

من أعين ما رنت إلا رمت مهجـــا
تبـيت فى وهـج منها وفى وهــل

**آثاره العلمية :**

كتب على باشا مبارك فى « خططه » عن هذه الآثار العلمية أنها تزيد على أربعين مؤلفاً نذكر منها الكتب الآتية :

**١ ــ سعود المطالع :**

وهو كتاب قيم دل على قدرة مؤلفه ووقوفه على شواذ اللغة وأسرارها ، ويقع فى سفرين كبيرين ومطبوع فى مطبعة بولاق عام ١٢٣٨ هـ .

**٢ ــ النجم الثاقب :**

وهو كتاب وضعه فى الفصل بين صحيفة ( البرجيس ) التى كان يحررها بالعربية فى باريس سليمان الحريرى التونسى ــ وكما قدمنا سابقاً كان صاحبها الكونت رشيد الدحداح ــ وبين صحيفة (الجوائب) التى أنشأها الشيخ أحمد فارس الشدياق فى استامبول ، وذلك فى مؤاخذات لغوية وانتصارات فى فنون إنشائية حكم الشيخ عبد الهادى نجا الإبيارى فيها بالتبريـــر لمنشى (الجوائب)، على محرر صحيفة ( البرجيس ) وقد طبع هذا الكتاب على الحجر عام ١٣٧٩ هـ .

**٣ ــ الوسائل الأدبية فى الرسائل الأحدبية :**

ويضم هذا الكتاب طائفة من مراسلاته الأدبية ، وما وقع بينه وبين الأدباء المعاصرين له من مراسلات ومكاتبات ، ولا سيما الشيخ إبراهيم الأحدب والسيد الحلوانى ، وكان يسمى الشيخ إبراهيم الأحدب فى مكاتباته بـ(أديب الشام) وقد طبع هذا الكتاب عام ١٣٠١هـ .

**٤ ــ نفحة الأكمام فى مثلث الكلام :**

وهو نظم رقيق يشتمل على الكلمات العربية المستعملة بفتح أولها وكسره وضمه ويقول فى مقدمته :

قد نظمت منـــه ما وجدتـــه
مثلثـــا من بعـــد أن هذبتـــه

وهو يبدأ بذكر المفتوح ثم المكسور ثم المضموم كما قال :

أبـــدأ بالمفتـــوح فيها أولاً
وبعده ذو الــكسر فالضم ولا

وهذا النظم واقع فى تسع عشرة ومائة صفحة ، وتم طبعه فى السادس عشر من جمادى الأولى عام ١٢٧٦ هـ .

**٥ ـ متن ( الكواكب الدرية فى نظم الضوابط العلمية ) :**

وهو عن علوم وفنون مختلفة بذل فيه من التدقيق ما يستحق العجب إذ ضبط مسائل فى الفقه ، والنحو ، والصرف ، واللغة ، والسيرة ، والتاريخ ، والفلك ، وغيرها ، وذلك كله فى نظم دقيق بارع دل على قدرة ناظمه وتبحره فى شتى العلوم ، وقد انتهى من كتابته فى يوم الجمعة الحادى والعشرين من شعبان عام ١٣٩٩هـ .

**٦ ـ كتاب المواكب العلية فى توضيح الكواكب الدرية فى الضوابط العلمية :**

وقد شرح فى هذا الكتاب المتن السابق شرحاً دقيقاً مستفيضاً دالاً على قدرته فى علوم شتى والمتن والشرح مطبوعان فى سفر واحد .

**٧ ـ باب الفتوح لمعرفة أحوال الروح :**

وهو كتاب يبحث فى أمر الروح وحكمة خلقها قبل الأجساد ( وفى هذا كلام ) وهو مطبوع فى المطبعة الخيرية عام ١٣٠٤ هـ ويقع فى ستة وتسعين ومائة صفحة من القطع المتوسط .

**٨ ـ دروق[1] الأنداد فى أسماء الأضداد .**

وقد جمع فى هذا الكتاب أسماء الأضداد فى نظم بسيط بديع .

**٩ ـ نيل الأمانى فى توضيح مقدمة القسطلانى .**

**١٠ ـ القصر المبنى على حواشى المغنى .**

**١١ ـ ترويح النفوس على حواشى القاموس .**

**١٢ ـ صحيح المعانى فى شرح منظومة البيبا .**

**١٣ ـ رشف الرغاب فى المصطلح أيضاً .**

**١٤ ـ الحديقة فى البيان .**

**١٥ ـ شرح كشف النقاب .**

**١٦ ـ زهرة الروابى .**

**١٧ ـ الفواكه الجنوية فى الفوائد النحوية .**

**١٨ ـ الثغر الباسم فى مختصر حاشية البجورى على ابن قاسم .**

**١٩ ـ زكاة الصيام فى إرشاد العوام .**

**٢٠ ـ فاكهة الإخوان فى مجالس رمضان .**

ومن الأسف فإن كثيراً من هذه الكتب لا يزال مخطوطاً رهن مكتبة المؤلف صاحب هذه الترجمة .

**آخر وظائفه ووفاته :**

لما تولى الخديوى توفيق عرش مصر بعد عزل الخديوى إسماعيل لم ينس فضل أستاذه عليه فأدناه منه ، وقربه إليه وأجله وأحله رفيع المكانة وأقامه لمعيته مفتياً وإماماً فظل كذلك حتى قبضه الله سنة ١٣٠٦ هـ التى كانت توافق سنة ١٨٨٨ م .

## المراجع


● كتاب الأزهر وأثره فى النهضة الأدبية الحديثة ـ الجزء الثانى للدكتور محمد كامل الفقى .

● مذكرة عن حياة صاحب الترجمة بتاريخ أول أكتوبر سنة ١٩٩٢ م حررها اللواء محمد حسان عبد الرحمن نجا ( أحد أفراد عائلة الشيخ عبد الهادى نجا الإبيارى )


---

(١) كذا فى المرجع ، ولم نجده بلسان العرب ، ولعله خطأ والصحيح دورق .




# خصب العقول وجدبها

لصاحب الفضيلة الشيخ محمد عرفه

إعداد وتقديم الأستاذ / عبد الفتاح الزيات

**هذه دعوة الى إعمال العقل وتوظيفه فيما أراد الله له ، وآيات القرآن وأحاديث الرسول ـ ﷺ ـ تنطق شاهدة على أهمية العقل لبنى الإنسان فبه يسعد وبدونه يشقى :**

**قال تعالى :**

﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ .

**سورة الملك : آية ١٠**

**فإذا حكم الناس عقولهم فى كثير من أمورهم لصلحت أحوالهم ولسار بهم مركب الحياة فلا تناله العواصف ولا تثنيه الأعاصير .**

**قال الأستاذ ـ رحمه الله ـ .**

لا أعرف شيئا فى الوجود أسنى قيمة ، وأعظم مقدارا من العقل فهو الذى ميز الإنسان عن سائر الحيوان ولولاه لكان من الحيوان ما هو خير منه . لم يتميز عنه بالقوة البدنية فإن من الحيوان ما هو أقوى بدنا منه كالثور والجمل ، ولم يتميز عنه بحدة الأنياب والأظفار فإن من الحيوان ما هو أحد منه أنيابا وأظافر ، وإنما تميز عنه بهذه اللطيفة الربانية التى هى العقل .

به استحق خلافة الله فى الأرض ودانت له أحجارها ونباتها وحيوانها ، ولو أعطى النمل العقل وزاد على الإنسان بمقدار خردلة منه لكانت له الخلافــة فى الأرض ، ولاستعبـــد الإنسان واستخدمه فى مصالحه كما يستخدم الإنسان سائر الحيوان . والأمة التى تسمو عقول أبنائها على عقول أمة أخرى تسخرها فى مصالحها كما تسخر هى الحيوانات التى هى أقل منها عقلا وأنقص إدراكا . لقد خلق الله الإنسان ولا صوف له ولا شعر ولا وبر يتقى بها الحر والبرد ، ولا أنياب له ولا أظفار تحميه من افتراس جوارح الطير وسباع الحيوان وليس له من قوة الجسم ما للجمل والحصان والثور ولكن وهبه الله العقل فكان سدادا من عوز وعوضا عن الجميع .

ولو سئلت بماذا تشير على أمتك بعد طول ما جربت ؛ وكثرة ما قرأت من كتب الحكمة والفلسفة والاجتماع لقلت إن أول ما أشير به أن تعنى بعقولها وأن تنميها وتزكيها وتبلغ بها أقصى ما قدر لها من قوة ونماء .

وإنى لأعجب للأمم التى تعنى بقوة أجسامها ولا تعنى بتقوية عقولها ، لو خيرت بين أن تخصب الصحارى المحيطة بمصر حتى تصير جنات وارفة الظلال ، وتجدب عقول أبنائها أو تخصب العقول وتجدب الصحارى لاخترت خصب العقول ولو أجدبت الأرض والبلاد .

إن خصب العقـــول يخصب الجدب من الأرض ، وإن جدب العقول يجدب الخصب منها وإذا بقيت على خصبها لم يحتفظ بها وغلبه عليها المخصبون عقولا والأقوياء بعقولهم .

قال الأصمعى لصبى من الأعراب أيسرك أن يكون لك مائة ألف وأنك أحمق ؟ فقال لا : إنى أخاف أن يجنى على حمقى جناية تذهب بمالى ويبقى علىَّ حمقى .

وقال النبى — ﷺ —: (ما اكتسب المرء مثل عقل يهدى صاحبه إلى هدى ويرده عن ردى) .

وقال الحسن البصرى : ما استودع الله أحدا عقلا إلا استنقذه به يوما ما ، واعترف أهل جهنم بأنه ما جنى عليهم إلا ضعف عقولهم «وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير» ، وقالوا العقل أفضل مرجو ، والجهل أنكى عدو ، وإن الجاهل ليبلغ من نفسه ما لا يبلغه أعداؤه منه .

ما يبلغ الأعداء من جاهل ما يبلغ الجاهل من نفسه

ولكل قوة فى الجسد طريق لتربيتها ، فإذا مرنت بلغت كمالها ، وإذا أهملت بقيت كامنة مستورة ناقصة .

والعقل من قوى النفس له طرق لتنميته وإكماله قد عرفها اليونان فى القديم ، فأنتجوا العلوم والمعارف ، وهذه ثروتهم باقية على الدهر ، وقد عرفها علماء الإسلام فى قرونه الزاهية فشغفوا بالعلم والفلسفة وأنتجوا فيهما ، وقد هدى إليها علماء أوربة فى عصر النهضة فأنتجوا هذه المخترعات وغيروا وجه الأرض بمبتكراتهم .

ومن الطرق لتنمية العقل تكليفه بأعمال عقلية يستخرج بها المجهولات من المعلومات كمسائل الحساب والهندسة ، ومسائل العلوم الصعبة كمسائل التوحيد والأصول ، ودراسة المنطق الذى يبحث فى قوانين الفكر التى توصل إلى المجهول وكيف يحترز عن الخطأ فيها ، ومما لا شك فيه أن علماء المسلمين كانوا يعرفون هذه السبل لتنمية العقل ويستعملونها .

قال ابن خلدون : وكان شيوخنا يقولون : إن الهندسة للذهن كالصابون للثوب تغسل وسخه ، وتزيل أدرانه .

وقد بدأت النهضة فى أوربا عندما بدأوا يبحثون عن المنطق وطرق ابتكار المجهول من المعلوم ويناقشون المنطق القديم ويريدون أن ينقدوه ويزيدوا عليه ، وإنى أريد من الأمم الإسلامية أن يجعلوا العقل قوة من قواهم يعملون على تربيته وإنمائه كما يتمرنون على المصارعة وحمل الأثقال والرياضة البدنية فليست حاجتهم إلى تنمية عقولهم بأقل من حاجتهم إلى المصارعة وحمل الأثقال بل يجب أن يعلموا أن حاجتهم إلى عقولهم أشد حاجة .

وليست مصائبنا الاقتصادية والسياسية والأخلاقية إلا من عدم نمو ملكة الابتكار والاستنتاج فينا بالقدر اللازم لهذه الحياة المشتبكة .

إن منا من يدرسون علم الاقتصاد والاجتماع والتربية ، ولكن ليس منا من يتنبأ بالأزمات قبل وقوعها ويهدى أمته إلى طريق الخلاص منها ، بل إننا نخلق الأزمات بأيدينا ونضر أنفسنا بأكثر مما يضرنا به أعداؤنا .

ولعل القارىء يعجب من ذلك وسأضرب أمثالا له :

نحن الآن فى أزمة اقتصادية شديدة يتخوف منها ولاة الأمور ، وقد غلت الأسعار وبلغت خمسة أمثال أو عشرة أمثال ما كانت عليه قبل الحرب الأخيرة وهذا من صنع أيدينا ومن أنه ليس عندنا ملكة الابتكار بالقدر الذى ينجينا فى هذه الحياة المشتبكة المرتبكة .

كنا نعيش بميزانية قدرها أربعون مليونا قبل الحرب الأخيرة وكانت تكفينا وتسد حاجة الدولة فزادت بعدها إلى مائتى مليون بالتدريج ، وهذه الزيادة أكثرها من دخل غير ثابت كرسوم الجمارك ، وكان ينبغى ألا نرتب عليها نفقات ثابتة خوف أن ترجع الأمور إلى حالها ويذهب الإيراد غير الثابت ، ويبقى المصروف الثابت لا نجد له دخلا إلا الاحتياطى أو الاستدانة .

كان ينبغى أن نعلم أن هذه الحالة شاذة وطارئة والشاذ لا يجعل مقياسا ، وإنما تبنى الأمور على الأصول المطردة وعلى الأعم الأغلب .

ولكن وقعنا فى الخطأ وذهبنا نستكثر من الموظفين والمصلحة الواحدة اشتقت منها مصالح عدة ، وجعل لكل منها إدارة وكتاب ومستشارون إلخ ، وزيدت رواتب الموظفين وبذلك ألقيت هذه الزيادة فى المرتبات فى السوق وهى أموال استهلاكية وقلت السلع المطلوبة عنها فغلت الأسعار وتضخم النقد ؛ ولو أننا عشنا بميزانيتنا القديمة وزدنا زيادة يسيرة فى مصاريف الاستهلاك وضممنا الزيادة الكثيرة فى الميزانية إلى مدخر الحكومة أى الاحتياطى وأنفقنا منه فى مشاريع منتجة لكانت فرصة انتهزناها وكنا الآن من أغنى الأمم ، وكنا بذلك نجنب الأمة غلاء الأسعار وتضخم النقد الناتج من طرح مال فى الاستهلاك لا يجد السلع التى يريدها ولا تقينا تلك الأزمة المقبلة الناشئة من انخفاض فى الدخل غير الثابت الذى وظف عليه نفقات ثابتة .

كنا نزيد فى الموظفين وفى مرتباتهم وكلما زدنا كلما اندفعوا إلى السوق يستهلكونها فيها ، وكلما فعلوا ذلك زاد التجار أثمان سلعهم وكلما زادوها شكا الموظفون وكلما شكا الموظفون زدنا فى المرتبات ، وهكذا وقعنا فى هذه الحلقة المفرغة أو فى هذا الدور الذى يزيد الأول فى الثانى ويزيد الثانى فى الأول حتى يصل إلى أن يرهقنا .

وقد وقعنا فى دور آخر وهو أن الدولة تزيد فى رسوم الجمارك لتدبر المال لزيادات الموظفين وكلما زادتها زادت السلع وكلما زادت السلع شكا الموظفون فتعمد الدولة إلى زيادة رسوم الجمارك وهكذا .

أرأيتم كيف نصنع قيودنا بأيدينا أرأيتم كيف تخلق الأزمات وها نحن أولاء ، ندعو الأمة إلى التقشف وكيف تستجيب لصوت العقل وفيها هذا المال الكثير المطروح للاستهلاك ، إنه لا منقذ لنا إلا أن نعود بميزانيتنا إلى مثل ما قبل الحرب أو قريب منها فى المصروفات ، ونحذف كل زيادة جدت عليها ، إنى أعلم أن هذا فطام والفطام شديد ، ولكنه هو الدواء الوحيد .

أتدرون ماذا فعلت أمم أخرى أكثر منا تجربة وأوسع عقلا وأبعد نظرا ، خرجت إنجلترا من الحرب الثانية مدينة للدول الأخرى بالبلايين من الجنيهات لأنها كانت تنفق فى كل شروق شمس من أيام الحرب اثنى عشر مليونا من الجنيهات ، وكان يظن الناس أنها لا تجد وفاء ، وأنها عاجزة عن السداد فماذا فعلت حتى خرجت من هذه الضائقة ، لقد فرضت على نفسها التقشف وأبقت القيود على الاستهلاك التى كانت فى زمن الحرب كما هى ولم ترحم نفسها بعد أن كابدت سبع سنين شدادا ذاقت فيها الحرمان بل مدت هذا الحرمان طواعية إلى أيام السلم ، وانتهزت غلاء منتجاتها فى البلاد الأخرى وأرسلت بها إليها وحرمتها على نفسها ، وهل تجد فرصة ذهبية كهذه وتضيعها ) ، إن متر الصوف الذى كان يباع بنصف جنيه أصبح يباع بأربعة جنيهات فلم لا تحرمه على نفسها وتبيعه فى أسواق العالم ، إنها أبقت نظام البطاقات فلا تأكل ولا تلبس إلا بقدر معلوم ونظام محدود .

وكانت العاقبة أن وفت كثيرا من ديونها وتخلصت من عون أمريكا واجتازت هذه الأزمة بسلام .

هاتان أمتان إحداهما خرجت من الحرب دائنة للأخرى بأربعمائة مليون جنيه ، والثانية خرجت مدينة لها ولأمم أخرى بآلاف الملايين ولكن العقل بدل الحال ، وغير المآل .

وقبل ذلك ارتكبت غلطة كبيرة فى أيام الحرب وذلك أن عند البنك الأهلى تصريحا من الحكومة المصرية بأن يصدر أوراقا نقدية بضمان الخزانة البريطانية ، فلما كثرت جيوش الحلفاء بمصر فى أيام الحرب واحتاجت إلى المئونة والكسوة ، كلفت البنك الأهلى بإصدار أوراق مصرية نقدية ، وأخذت هذه الأوراق ونزلت بها إلى الأسواق مشترية : إلى سوق اللحم والخضر والفاكهة ، وكان همها أن تحصل على حاجتها ولا تبالى بما تدفع من ثمن فأدى ذلك إلى ارتفاع الأسعار ارتفاعا فاحشا ، ولقى المصريون من جرائه عسرا وعنتا ، وكان يجب على الحكومة المصرية أن تدرك هذه النتيجة فتطلب من القيادة أن يكون تموين الجيوش عن طريقها ، فتشترى هى بمالا يؤدى إلى رفع الأثمان وتوزع توزيعا عادلا بين الأمة والجيوش .

وهناك مثل آخر :

ارتفع ثمن القطن عقب الحرب العالمية الأولى فى سنة ١٩١٩ حتى بلغ خمسين جنيها للقنطار الواحد ، وقد حسد مصر بعض النواب البريطانيين فى مجلس العموم ورأى أنها قد جنت من قطنها ما يسدد ديونها ، ولم يدر أن هذه الثروة الضخمة لم تلبث حتى تسربت إلى أيد أخرى كانت أحزم وأعقل وأعلم بالعواقب ، لأن المصريين جعلوا الأثمان فى هذا العام الشاذ قاعدة

وقاسوا عليها ولم يعلموا أنها نتيجة إقفار المغازل طول الحرب ، فقاسوا عليها ما يأتى من أعوام واندفعوا فى شراء الأرض التى تنتج لهم القطن الذى يبيعون قنطاره بخمسين جنيها فغلت أثمانها لكثرة الطلب ، ورأت شركات الأراضى فى ذلك فرصة فباعت ما تحت أيديها من أرض وقبضت بعض الثمن وأجلت باقية ، فلما جاءت السنة التالية هبطت أثمانه إلى خمسة جنيهات فأصبحوا مدينين بدين لا يجدون له وفاء ، فرجعت إلى الشركات أراضيها وفازت بما عجل من ثمنه ، وربما نزعت ما لهم من عقار تليد ، ثروة لم تمكث بأيدى المصريين إلا ريثما دخلت خزائنهم ثم خرجت كأنما قد عنوا بقول الشاعر :

لا يألف الدرهم المضروب صرتنا
لكن يمر عليها وهو منطلق

لهذا كله أهيب بأمتى أن تعرف للعقل قيمته التى لا تعلوها قيمة لشىء آخر فتسعى لاستكماله فيها سعى من يعلم أنه إن حرمه هلك ، ولا تطمئن إلى شىء حتى تبلغ بعقولها مبلغ أرقى أمة فى العالم .

لم يحرص الإسلام على شىء كما حرص على أن يستعمل المسلمون عقولهم وينموها ويعيشوا بضياء عقولهم فى ظلمات هذا الوجود .

وماذا كان يفعل فى التنفير من الجهل والحمق أكثر من قوله :

﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾(1) .

وماذا كان يفعل فى بيان شرف العقل والعلم أكثر من قوله :

« قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ » .
سورة الزمر

وهل هناك ما يحض على استعمال العقل وتحريك الفكر أكثر من قوله :

« أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ » .

﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا ﴾(2)

﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾(3) .

وما أكثر ما تقرأ فى ختام الآيات أفلا يعقلون ، بل أكثرهم لا يعقلون ، ولقد ارتضى الله أن يحكم العقل بينه وبين خلقه ، فكثيرا ما تحاكم فى القرآن إليه ورضى حكمه .

ولقد بغض فى إهمال العقل وعدم استعماله وكره أن يكون أداة مهملة يطفئه صاحبه ويمشى فى الظلمات ، وقد جعله الله نبراسا يضىء له أينما سار .

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾
سورة البقرة

« إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ »
سورة الأحزاب .

﴿ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ﴾(4) .

والظاهر أن الإسلام أراد من المسلم أن يعمل عقله ولا يهمله ولو أدى إلى خطأ ، ويدل على ذلك أنه جعل للباحث الذى بحث واستقصى

(1) سورة الأنفال آية ٢٢ .
(2) آل عمران ١٩١ .
(3) الأنعام ١١ .
(4) البقرة ١٦٦ — ١٦٧ .

أجرين إن أصاب ، وأجرا إن أخطأ فأثابه على خطئه ولم يجعل للكسلان الذى أراد السلامة شيئا من الأجر .

هذا الهدى الإلهى حبب السالفين الأولين من المسلمين فى عقولهم فحرصوا عليها واستعملوها وكانوا يبغضون التقليد فى الدين .

فقد قال ابن مسعود : أغد عالما أو متعلما ولا تغد إمعة فيما بين ذلك ــ والإمعة هو : المحقب دينه الرجال ــ.

وقال عبد الله بن المعتز : لا فرق بين بهيمة تقاد وإنسان يقلد ، ولكن خلفت خلوفا أهملوا عقولهم ورضوا بالتقليد فى أمر دينهم ودنياهم واستناموا إلى الكسل العقلى فلا يقرءون إلا السهل ، ولا يقفون أمام مشاكل الحياة يبغون حلها بل يهربون منها ما دامت تكلفهم تفكيرا وعملا عقليا ، ولو مرنوا عقولهم على العمل والابتكار لوجدوا لذتهم فى العمل العقلى الصعب ولبحثوا عن المشكلات لحلها جريا وراء اللذة العقلية .

إن العقل الذى كان يعيش به أسلافنا فى حياتهم السهلة البسيطة لا يكفينا اليوم لنعيش به فى حياتنا الصعبة المعقدة فلابد من تربيته وإنمائه وتعويده حل مشكلاتنا لنعيش سعداء .

لا أدرى لم لم يفهم علماء المسلمين من هذه النصوص الكثيرة أن العناية بالعقل وتربيته وإنمائه حتى يبلغ مرتبة النظر الصحيح وحتى يمرن على العمل الفكرى ؛ ويأنف من التقليد فرض من فرائض الإسلام كالصلاة والصيام والحج ، أكانوا يريدون نصوصا أصرح من هذه وأكد إن الأوامر الدالة على وجوب ما ذكرنا لم تبلغ مبلغ الأوامر الدالة على وجوب النظر ، وعلى تحريم التقليد وعلى المحافظة على أعمال العقل وإنماء الفكر .

إنهم لو هدوا إلى ذلك لكان هناك علم واسع يشبه علم المنطق ويزيد عليه فى معرفة ما يؤدى إلى الكسل العقلى والركون إلى التقليد لتجتنب ، ومعرفة ما يؤدى إلى النشاط الذهنى والأنفة من التقليد لتتبع ، ولكان من وراء ذلك كله إنماء العقول فى البلاد الإسلامية حيث جعل فرضا متعبدا به يأثم تاركه ويثاب فاعله .

أريد أن ألفت المسلمين إلى عقولهم ليعلموا أن فيها كنوزا خيرا من كنوز الدنيا جميعها ، وما بالك بكنز إذا ملكه صاحبه جعل كنوز الدنيا كلها وكنوز الآخرة كلها تحت قدميه .

أريد أن يتدارك المسلمون ما فاتهم من العناية بعقولهم ، وأن يعلموا أنه واجب تحتمه عليهم ظروف الحياة القاسية ليتخلصوا من شرورها وآثامها كما يوجبه عليهم دينهم الذى ارتضاه الله لهم .

إننا فى هذا العصر الجديد نريد أن نرقى فى كل شىء ، نريد أن نرقى فى الزراعة والصناعة والتجارة ، وفى مستوى المعيشة ، ولن نرقى فى شىء من ذلك إلا إذا رقيت عقولنا وارتفعت إلى مستوى أعلى من المستوى الذى هى عليه الآن .

إن كل رقى يأتى من الخارج يدوم ما دام ذلك الخارج ، فإذا زال زال .

أما الرقى الذى يبقى فهو ذلك الرقى الذى يأتى من داخلنا ومن عقولنا فتستنير العقول وتنير لنا طريقنا ، وتوحى لكل فرد منا بما يجب عليه فى هذه الحياة فإذا كل شىء فى حركة ، وكل شىء فى تقدم ، وكل شىء فى نظام ، هذا هو الطريق ولا طريق سواه .

محمد عرفه
عضو جماعة كبار العلماء




للأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

## علامات

علامة حب الله : حب القرآن .

وعلامة حب القرآن : حب النبى ـ ﷺ ـ .

وعلامة حب النبى ـ ﷺ ـ : حب سنته .

## أبيات محببة

ذكر عن الإمام أحمد ـ رضى الله عنه ـ أنه كان كثير الإنشاد لهذه الأبيات :

**إذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل**
**خلوت ولكن قل على رقيب**
**ولا تحسبن الله يغفل ساعة**
**ولا أن ما تخفى عليه يغيب**

## ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء

عن عون بن عبد الله ، قال : كان يقال : من كان فى صورة حسنة ، ومنصب لا يشينه ، ووسع عليه فى الرزق كان من خالصة الله .

## الحيلة ... والصبر

سئل رجل لا يبالى بالدنيا :

لماذا لم نجدك مغتما قط ؟

قال : إن جميع المكاره قسمان :

قسم فيه حيلة ، فالاحتيال دواؤه .

وقسم لا حيلة فيه ، فالصبر شفاؤه .

## كأنك تعيله الدهر كله

قيل لخالد بن صفوان : مالك لا تنفق فإن مالك عريض ؟

قال : الدهر أعرض منه .

قيل له : كأنك تأمل أن تعيش الدهر كله ،

قال : ولا أخاف أن أموت فى أوله .

## ذكاء ... وبخل

قال رجل لثمامة بن اشرس : إن لى إليك حاجة :

قال : وأنا لى إليك حاجة .

قال : وما حاجتك إلى ؟

قال : لا أذكرها حتى تضمن قضاءها .

قال : قد فعلت .

قال : فإن حاجتى إليك ، ألا تسألنى حاجة .

فانصرف الرجل عنه .

## حقا

قال إسحاق بن إبراهيم الموصلى :

نعم الصديق صديق لا يكلفنى
ذبح الدجاج ولا شىّ الفراريج
يرضى بلونين من كشك ومن عدس
وإن تشهى فزيتون بطسوج[1]

## أخبرنى بأعجب شىء ؟

قال معاوية بن أبى سفيان لعبيد بن شريّة الجرهمى : أخبرنى بأعجب شىء رأيته فى الجاهلية ؟

فقال : إنى نزلت بحى من قضاعة فخرجوا بجنازة رجل من عذرة يقال له : حريث ؛ وخرجت معهم ، حتى إذا واروه فى حفرته انتبذت جانبا عن القوم وعيناى تذرفان ، ثم تمثلت بأبيات شعر كنت أرويها قبل ذلك بزمان طويل :

تجرى أمور ولا تدرى أوائلها
خير لنفسك أم ما فيه تأخير
فاستقدر الله خيرا وارضيَن به
فبينما العُسْرُ إذ دارت مياسير
وبينما المرء فى الأحياء مغتبطا
إذ صار فى الرمْسْ تعفوه الأعاصير
يبكى الغريب عليه ليس يعرفه
وذو قرابته فى الحى مسرور

## الزّاهد

ليس الزاهد من لا يملك شيئا ؛ إنما الزاهد من لا يملكه شىء .

## دعاء

« اللهم إنك تعلم أن هذا النبى المصطفى حبيب قلوبنا وهواها ، وأنه غاية أشواقنا ومناها ، ونداء أرواحنا ومبتغاها ، فصلِّ عليه يا ربنا أجمل صلوات وأبهاها ، وسلم عليه أزكى تسليمات وأوفاها ، وبارك عليه أتم بركات وأنماها » .

(١) الطسوج : مقدار من الوزن و مقداره حبتان


اللغة والنقد
والأدب

# القصيدة العربية ومدى تلازم الوحدة الموضوعية لها

د / أحمد مصطفى حافظ

## - ٤ -

**من الصعوبة بمكان ـ إن لم يكن من المستحيل ـ أن نحاول الرجوع إلى العصور السحيقة التى سبقت ظهور الإسلام ، لننقب فى مصادرها ومخلفاتها الأدبية ، باحثين عن بدايات الشعر الجاهلى ، للتعرف على أقدم شعرائها ، مثل (ابن خزام) مثلا الذى ذكره امرؤ القيس فى إحدى قصائده .. خاصة إذا عرفنا أن هذه البدايات لم تنشأ فى عصر تدوين وكتابة ، وإنما ظهرت فى العصر الجاهلى الذى كانت الأُمّية متفشية فيه ، ومن ثم اقتصر الأمر على قيام الشعراء بإنشاء قصائدهم فيما بينهم وبين أنفسهم وفى محافل القبيلة ، ثم فى الأسواق الأدبية منفعلين بحادث أو منظر طبيعى أو تجربة ما .**

وتداوُل القصيدة أو المقطوعة ، بعد ذلك ، على الألسنة ، إذا استكملت عناصر الموهبة الفنية المتوهجة ، مما يُغرى ذواكر الحفظة باستيعابها ، وترديدها بين الحين والحين ، كما يحدث للكثير منا فى أيامنا هذه ، حينما يرون أنفسهم يترنمون ، فجأة ، بوعى أو بغير وعى ، ببعض القصائد والأهازيج التى يستمعون إليها فى المذياع ، مما يؤخر ، أو يقلل الشعور بالتعب .

ومن ثم كان يَنْبُهُ ذكر الشاعر الجاهلى الصاعد ، ويعرف اسمه بين الرُّواة والمتذوقين ، وتستحق القبيلة التى نشأ فيها ، أن تهنئها على ظهوره فيها سائرُ القبائل ، وتُقام بهذه المناسبة الاحتفالات والمآدب .

هذا ، وإن كان ما وصلنا من الشعر الجاهلى ـ بهيئته وصورته الناضجتين ـ يجعلنا نجزم بأن هذا الاكتمال قد استغرق قرونا عدة من النشوء الارتقاء ، حتى تم تمامه واستكمل أداوُهُ ، وصار على ما هو عليه من موسيقية عروضية ، فى الوزن والقافية ، لا نظير لها فى شعر الأمم التى سبقته

أو واكبته .. وليس الأمر ـ كما يقرر الجاحظ ـ أن الشعر الجاهلى قد نشأ قبل ظهور الإسلام بقرن ونصف القرن أو على الأكثر بقرنين من الزمان فذاك أمر مستحيل .

* * *

ونستطيع أن ندلل على وجود « الوحدة الموضوعية » فى القصائد القصيرة والمقطعات التى تُعد بمثابة الزخّات أو الدفقات الأولى فى بدايات الشعر الجاهلى ، متمثلة فى النماذج التالية ، التى تحفل بالتجارب الشعورية العميقة .

١ ـ للممزق العبدى[١] فى لحظة فقدان الذات :

هل للفتى من بنات الدهر[٢] من واق     أم هل له من حمام الموت من راق

قد رَجَّلونى ـ وما رُجِّلتُ من شعث     وألبسونى ثيابا غير أخلاق[٣]

ورفَّعونى وقالو : أيما رجل[٤]     وأدرجونى .. كأنى طىُّ مخراق[٥]

وأرسلوا فتية من خيرهم حسبا     ليُسْندوا ـ فى ضريح التُّربَ أطباق[٦]

* * *

هوِّنْ عليك .. ولا تُولَعْ بإشفاق     فإنما مالنا .. للوارث الباقى

كأننى قد رمانى الدهر عن عُرضٍ     بنافذات[٧] .. بلاريش وأفواق

٢ ـ ولبشر بن أبى خازم الأسدى فيما فعل المشيب :

أجدَّ[٨] من آل فاطمة اجتنابا     وأقصر .. بعد ما شابتْ وشابا

وشاب لداتُه وعدلن عنه     كما أبليتَ من لُبْس ثيابا

---

(١) واسمه شأس بن نهار ، وأطلق عليه لقب (الممزق) لقوله فى بيته المشهور :

فإن كنت مأكولا ، فكن خير آكل     وإلا فأدركنى ولما أمزّق

(٢) بنات الدهر : الحوادث الجسام .

(٣) غير أخلاق : ليست بالية (جديدة)

(٤) أيما رجل : ياله من رجل .

(٥) المخراق : منديل ونحوه ـ انظر المعجم الوسيط .

(٦) أطباق : مفاصلى .

(٧) نافذات : يعنى سهاما تصيب هدفها .

(٨) أجَدَّ : جدّ ـ أى أحدث اجتنابا جديدا وأقصر : كف ـ أى امتنع عن التغزل .

فإنا تك نَبْلها طاشت ونبلى ... فقد نرمى بها حقبا صيابا[9]
فتصطاد الرجال إذا رمتهم ... وأصطاد المُخبَّأة الكَعَابا
وناجية[10] حملت على سبيل ... كأنَّ على مَغَابِنَها ملابا

٣ ـ ولعروة بن الورد بن زيد العبسى ، بما يتفق فى معناه مع ما نصت عليه الآية القرآنية الشريفة :

**﴿فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور﴾** .

إذا المرء لم يطلب معاشا لنفسه ... شكا الفقر ، ولام الصديق فأكثرا
وصار على الأدنين كَلاًّ ، وأوشكت ... صلات ذوى القربى له أن تنكَّرا
وما طالب الحاجَات من كل وجهة ... من الناس ، إلا مَنْ أجدَّ وشمَّرا
فسِرْ فى بلاد الله ، والتمس الغنى ... تَعِشْ ذا يسار ، أو تموت فَتُعْذَرَا

وكذلك قوله فى أبياته المشهورة التى يقول فيها فى ذات المعنى :

٤ ـ دعينى للغنى أسعى ، فإنى ... رأيت الناس شرُّهم الفقيرُ
وأبعدهم وأهونهم عليهم ... وإن أمسى له حسب وخير[11]
ويُقصيه النَّدِىُّ وتزدريه ... حليلته وينهره الصغير
ويُلْفَى ذو الغنى وله جلال ... يكاد فؤادُ صاحبه يطير
قليل ذنبه ـ والذنب جم ! ـ ... ولكنْ للغِنىَ ربٌّ غفور

٥ ـ وللخنساء فى رثاء أخيها صخر :

يذكرنى طلوع الشمس صخرا ... وأذكره لكل غروب شمس
ولولا كثرة الباكين حولى ... على إخوانهم .. لقتلت نفسى
ولكن لا أزال أرى عجولا ... وباكية .. تنوح ليوم نحس
أراها والها تبكى أخاها ... عشية رزئه أو غب أمس
ومايكون مثل أخى ، ولكن ... أُعزِّى النفس عنه بالتأسى
فلا والله لا أنساه حتى ... أفارق مهجتى ويُشَقَّ رمسى
وقد ودَّعتُ يوم فراق صخر ، ... أبى حسان : لذاتى وأنسى

---

(٩) صيابا : جمع صائب ـ والسهم الصائب هو المصيب .

(١٠) ناجية : ناقة سريعة . مغابن : بواطن الأفخاذ . الملاب : نوع من الطيب .

(١١) الخير : الكرم والشرف .

فيالهفـــى عليـــه ولهـــف أمـــى أيـصبح فى الضـريح وفيه يمسـى ؟!

و(أبو حسان) فى البيت السابع : كنية أخيها صخر ، ويُكنى أيضا أبو أَوْفى .. ومن طريف مايروى أن الأصمعى خرج على أصحابه ، فقال لهم : مامعنى قول الخنساء : يذكرنى طلوع الشمس صخرا إلى آخر البيت فلم يعرفوا . فقال : أرادت بطلوع الشمس (للغارة) ، وبمغيبها : (للقرى) !

فقام أصحابه وقبلوا أرْجله ..

* * *

٦ ـ وهذا معن بن أوْس المزنى يقول أبياتا من أروع ماقيل عن الصداقة والأصدقاء :

لعمـــرك ما أدرِى وإنى لأوجـــل  على أيِّنَا تغْـــدو المنيَّـــة أول

وإنى أخـوك الـدائم العهـد لم أَحُـلْ  إنَ ابزاك[١٢] خصم أو نبابك منـزل

أُحارب من حاربت من ذى عداوة  وأُحبس مالى إنْ غَرمت فأُعقـل[١٣]

وإن سُؤْتنى يوما صفحت إلى غد  ليعقب يوما منك آخـر مقبـــل

كأنك تَشْفِى منك داءً .. مساءتى  وسُخطى ، وما فى ريبتى ما تعجل[١٤]

وإنى على أشيـــاءَ منك تريبنـــى  قديما .. لذو صفح على ذاك مجْمل

.. ستقطع ـ فى الدّنيا إذا ما قطعتنى ـ  يمينك .. فانظر أىَّ كفٍّ تَبـدَّل

وفى الناس .. إن رَثَّتْ حبالك واصلٌ  وفى الأرض عن دار القلى مُتحوَّل

إذا أنت لم تنصف أخـاك وجدتـه  على طرف الهجران إن كان يعقـل

ويركب حَدَّ السيف من أن يُضيمَهُ  إذا لم يكن عن شفرة السيف مزحل[١٥]

وكنت إذا ما صاحب رام ظِنَّتى[١٦]  وبدل سـوءا بالذى كنـت أفـعل

قلـبت له ظهـر المجن فلـم أدم  على ذاك إلا .. ريثما أتحول ؟

إذا انصرفت نفسى عن الشىء لم تكَدْ  إليـه بوجـهٍ .. آخِرَ الدهـر تقبـل

---

(١٢) أبزاك : غلبك ، الأبيات من الطويل ، والفعل رباعى همزته للقطع ، لكنها فى البيت يجب أن تسقط قراءة .

(١٣) أحبس مالى : أجعله وقفا عليك لتدفع به دينك .

(١٤) وماقى ريبتى ماتعجل : ليس يسؤنى أى منفعه تتعجل الحصول عليها .

(١٥) مزحل : منأى

فإن الوحدة الموضوعية Organic unity لاتقتصر على بعض القصائد القصيرة والمقطعات فحسب ؛ بل تتوفر أيضا فى بعض المطولات ، وهذا الدكتور طه حسين يقول فى معرض حديثه عن المعلقة الرابعة التى نظمها أبو عقيل لبيد بن ربيعة العامرى ، وهو يحاور صاحب له : «.. والعجيب أن تنشأ الأساطير فى العصر الحديث ، وأن تنمو ويعظم أمرها ، وتسيطر على العقول ، مع أن عهد الأساطير قد انقضى ، وأصبح العقل الحديث أذكى وأرق ، وأدنى إلى الحذر والفطنة من أن يذعن لها ، أوينخدع بها .. ..... «القصيدة العربية واقتصار وحدتها على الوزن والقافية» – دون المعنى – : أسطورة ياسيدى من هذه الأساطير التى أنشأها الافتتان بالأدب الأوربى الحديث ، والقصور عن تذوق الأدب العربى القديم» إلى أن يقول لصاحبه هذا : «أمامك قصيدة لبيد ، فأرنى كيف تقدم فيها وتؤخر وكيف تضع فيها بيتا مكان بيت ، دون أن تفسد معناها إفسادا ، وتشوه جمالها تشويها .. إنها بناء متقن محكم ، لا تغير منه شيئا ، إلا أفسدت البناء كله ، ونقضته نقضا ..» .

ولعل الدكتور طه حسين ، بهذا الدفاع الحار عن الوحدة الفنية فى الشعر الجاهلى ، والانتصار له .. أراد أن يرد للشعر الجاهلى اعتباره ، بعدما شكك فيه ، ورمى رواته بالانتحال والاختراع ، بغير حدود .

وبعد :

فقد واصلنا الحديث فى الوحدة الموضوعية للقصيدة العربية من أقدم عصورها ، منذ استوت يانعة زاهرة تلقفتها الرواة وحفظوها ، فلم نكتب بشأنها عن فراغ ، ولم نضع بين أيدى ماسطرنا حوارا عقليا بحتا نلوذ به عن هرب لنقول بهذه الوحدة فى إطار فلسفى بل وضعنا بين أيدى الدارسين نماذجه المتعددة التى لاتزال بين أيدى الدارس عبر اعداد أربعة من مجلة الأزهر حتى إننا لنقول – واثقين مما نقول :

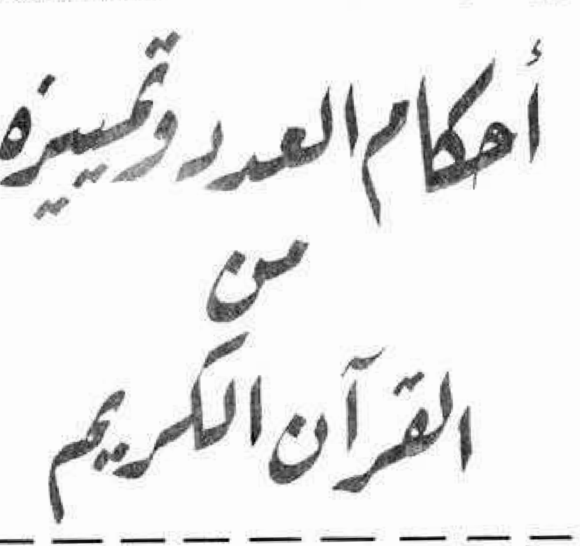
إن الشعر العربى كان – فى أقدم ماوصل إلينا (مقطعات) ثم تلاها (مطولات) وهذه المقطعات تمثلت فيها الوحدة العضوية الموضوعية كاملة تامة .

أى أن القصيدة العربية بدأت بهذه الوحدة ، قبل أن يطرأ عليها أكثر من موضوع فى بعض المطولات ..

والحديث موصول

---

(١٦) ظنى : تهمتى




للأستاذ/ محمد عتريس إبراهيم

**لغتنا العربية عبقرية حسناء ، تَدِلُّ على لِداتها بموسيقية كلماتها ، تلك التى لا ينضب معينها من اشتقاقات ومرادفات تنهض بأداء المعانى مهما كانت حداثتها ـ لولا تراخى الأبناء ـ وهى ترفل فى خيلائها ، عاليها ثياب سندس خضر من**

**تتبعها واستقصاها ، وحفل تاريخه المجيد ـ من بداياته فى القرن الهجرى الأول وحتى اليوم ـ بدراسات متعمقة واجتهادات شامخة أرست قواعده ، وأقامت بنيانه راسخاً وسامقاً ، وغدونا نباهى به الأمم تراثاً تليداً .**

ومن السمات التى ينفرد بها (نحونا) العربى ـ وهى سمة تضفى عليه مهابة ورواء ـ تلك الكثرة الكاثرة من المسائل التى يعج بها ، ومن ثم كثرة قواعده . فجاءت الشواهد خير معوان على حفظ تلك القواعد والتذكير بها عندما تخون الذاكرة .

و (الشواهد) جمع (شاهد) ، وهو (الدليل) . ويكون قولا مأثوراً محكم الصياغة ، ويمثل تطبيقاً دقيقاً للقاعدة النحوية ، وعلى رأس هذه الشواهد تأتى الآيات القرآنية الكريمة ، والأحاديث النبوية الشريفة .

والأحكام النحوية الخاصة بالعدد وتمييزه عديدة ومراوغة[1] ، وباتت الشواهد وسيلة

---

(١) كتاب « تجديد النحو » للدكتور شوقى ضيف يقول : والعدد دقيق فى تذكيره وتأنيثه ، إذ لا يجرى على قواعدها العامة فى اللغة ، ولكل قسم من أقسامه قاعدته الخاصة فيهما . ص ٢١٥

ناجعة لاستحضارها . ويحفل التنزيل العزيز بآيات بينات فيما يتعلق بأقسام العدد : المضاف ، والمركب ، والعقد ، والمعطوف[٢] .

أولا : **العدد المضاف** وهو على قسمين :

( أ ) ما لا يضاف إلا إلى جمع ، وهو : ثلاثة وأربعة وما بعدهما إلى عشرة ، وتمييزه يكون جمعاً مجروراً بالإضافة ، وفى الأغلب يكون جمع تكسير للقلة[٣] ، وتثبت تاء التأنيث فى العدد إن كان المعدود ( التمييز ) مذكراً ، وتسقط إن كان مؤنثاً ؛ فالعدد فى هذا القسم ، مخالف للتمييز تذكيراً وتأنيثاً كما فى الشواهد الآتية :

﴿ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ﴾

١٩٦ ـ سورة البقرة

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ﴾

٤٣ ـ سورة يوسف

﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ﴾

٧ ـ سورة الحاقة

والحكم على المعدود بالتأنيث أو التذكير إنما يكون بالرجوع إلى مفرده ، فتقول : ثلاثة قطارات ؛ لأن مفردها (قطار) مذكر ؛ وثلاث سور ، لأن مفردها ( سورة ) مؤنث . قال تعالى :

﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ ﴾

٢٦١ ـ سورة البقرة

ذَكَّر (سبع) لأن مفرد (سنابل) سنبلة وهو مؤنث .

ومخالفة العدد للمعدود تذكيراً وتأنيثاً يشترط لتحققها شرطان : أن **يكون المعدود مذكوراً فى الكلام** ، وأن يكون متأخراً عن لفظ العدد ؛ فإن كان المعدود متقدماً أو غير مذكور فى الكلام ، جاز فى لفظ العدد التذكير والتأنيث نحو :

**كتبت صحفاً ثلاثاً أو ثلاثة** ، وحكم مصر بعد الثورة أربعة أو أربعٌ[٤] .

أما ضبط حرف الشين فى « عشرة » ، سواء أكانت مفردة أو جزءا فى عدد مركب ، فيكون بالفتح إذا كان المعدود مذكراً ، كما فى قوله تعالى :

﴿ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾

١٩٦ ـ سورة البقرة

ويكون بالسكون إذا كان المعدود مؤنثاً كما فى قوله :

---

(٢) راجع « شرح ابن عقيل على الألفية » ص ١٦٥

(٣) ومما جاء على غير الأغلب قوله تعالى : ﴿ **والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء** ﴾ الآية ٢٢٨ ـ سورة البقرة . فأضاف ثلاثة إلى جمع الكثرة مع وجود جمع القلة ، وهو أَقْرُؤ (مفردة : قُرء) وهو الحيض فى قول أبى حنيفة وأحمد ، والمعنى الدقيق للقُرْء أنه اسم لكل وقت معلوم البداية والنهاية ، فهو بهذا التحديد ليس من المتضاد ، لكن لما كان وقت الطهر كوقت الحيض . كلاهما محدد البداية والنهاية انطبق معنى القرء عليهما .

(٤) إذا مُيِّز العدد المضاف بتمييزين أحدهما مذكر والآخر مؤنث ، روعى فى تأنيث لفظ العدد وتذكيره التمييز السابق منهما ؛ نحو : أقبل سبعة رجال وفتيات ، وأقبل سبع فتيات ورجال .

﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾

٦٠ ـ سورة البقرة

وإعراب المضاف يكون بالحركات الظاهرة على آخره حسب موقعه فى الجملة :

﴿فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾

٦ ـ سورة النور

﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ﴾

٢٣٤ ـ سورة البقرة

﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً﴾

٤ ـ سورة النور

(أربع) فى الشاهد الأول خبر مرفوع بالضمة ، وفى الثانى مفعول منصوب بالفتحة ، وفى الثالث مجرور بالباء ، وعلامة جره الكسرة الظاهرة .

ولو تقدم التمييز على العدد كان إعراب التمييز على حسب موقعه فى الجملة ، وأعرب العددُ نعْتًا له . مثال ذلك : عندى كتبٌ ثلاثةٌ ، برفع ( ثلاثة ) نعتا لـ ( كتبٌ ) .

ويلحق بهذا القسم كلمة « بضع » ومؤنثها « بضعة » ، وتدل على عدد مبهم لكنه لا يقل عن ثلاثة ولا يزيد على تسعة . وحكمها فى التذكير والتأنيث والإعراب هو حكم المضاف .

﴿فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾

٤٢ ـ يوسف

﴿وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝ فِى بِضْعِ سِنِينَ﴾

٣ ، ٤ ـ سورة الروم

**بضعةُ غلـــمان**

قال ابن مالك فى ألفيته

ثَلاثــةً بِالتَّـــاءِ قُلْ لِلْــعَشَرَهْ
فِى عَدِّ ما آحــادُهُ مُذَكَّـــرَهْ
فى الضِّد جَرِّدْ والمميِّزَ اجْــرُرِ
جَمْعًا بلفظ قِلةٍ فى الأكثـــر

توضيح : أنِّثْ ( بالتاء ) الأعداد من ثلاثة إلى عشرة إذا كان مفرد المعدود ( آحاده ) مذكراً . أما حيث يكون مفرد المعدود مؤنثاً ( فى الضد ) فذكر العدد بتجريده من التاء . أما تمييز العدد ( المميِّز ) فيكون جمعا مجروراً بالإضافة إلى العدد ، وفى الأكثر يكون جمع قلة .

**(ب) ما لا يضاف إلا إلى مفرد** : وهو مائة ، وألف ؛ ولو اتصلت بهما علامة تثنية أو جمع مثل : مائة درهم ، ومائتا ثوب ، وثلثمائة دينار[5] ؛ وألف عبد ، وألفا أمة ، وثلاثة آلاف فارس . وتمييزه يكون مفرداً مجرورا بالإضافة . قال تعالى :

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ﴾

٢٦١ ـ سورة البقرة

---

(٥) فى الدورة التاسعة والعشرين ، لمجمع اللغة العربية أجاز كتابة كلمة « مائة » بغير الألف التى زادها القدماء لتصبح ( مئة ) ؛ كما أجاز فصل الأعداد ثلاثة وتسعة ومابينهما عن مئة ، فمثلا ثلثمائة تكتب هكذا : ثلاث مئة ـ وذلك من باب التيسير .

إنما زاد القدماء ألف مائة حين لم يكن ثمة نقط ولا شكل فوجدوا كلمة : مئة ، فئة ، مستوية الشكل فزادوا الألف فى مائة للفرق بينها وبين غيرها صورة ... مجلة الأزهر .

وقوله :

﴿ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾

٩٦ ـ سورة البقرة

**ملاحظة** : يصلح الألف تمييزا لكل أقسام العدد الأربعة ( المضاف والمركب والعقد والمعطوف ) . قال تعالى :

﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ ﴾

١٢٤ ـ سورة آل عمران

وقوله :

﴿ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾

١٤٧ ـ الصافات

أما المائة فلا تصلح تمييزا إلا للثلاث والتسعة وما بينهما ، وإلا للأعداد المركبة ، مثل: ثلاثمائة ، وخمسمائة ، وإحدى عشرة مائه وخمس عشرة مائة . وإذا وقع لفظ ( مائة ) تمييزا للثلاثة أو التسعة أو ما بينهما فالأغلب الذى يقتصر عليه هو إفراده [6] بالمخالفة للقاعدة .

وبالنسبة للتذكير والتأنيث ؛ فإن كلمة ( مائة ) ملازمة للتأنيث اللفظى فى كل استعمالاتها هى ومضاعفاتها . وكلمة ( ألف ) ملازمة للتذكير اللفظى دائما هى ومضاعفاتها . فمادتهما الهجائية ثابتة لا يدخل عليها تغيير من هذه الناحية ، إلا عند إلحاق المائة بجمع المذكر السالم حيث يقال : ( مئون ومئين ) [7] .

ويعرب هذا القسم بالحركات الظاهرة على آخره إلا إذا كان مثنى أو جمعا فيعرب إعرابهما . قال تعالى :

﴿ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾

٦٦ ـ سورة الأنفال

**قال صاحب الألفية :**

**ومائــةً والألــفَ للفــردِ أضِفْ**
**ومائــةٌ بالجمــع نزْرًا قدرُدِفْ**

توضيح : أضف مائة والألف للمفرد ( الفرد ) ليكون تمييزا لهما . والعدد مائة قد ( يردفه ) أى يأتى بعده جمع ، لكن هذا ( نزر ) أى: قليل جداً . ومن هذا النزر الذى أضيفت فيه مائة إلى جمع ، قراءة حمزة والكسائى لقوله تعالى فى الآية ٢٥ من سورة الكهف

**﴿ ولبثوا فى كهفهم ثلاث مائةِ سنينَ وازدادوا تِسعًا بإضافة ( مائةِ ) إلى ( سنين ) ، وترك التنوين ( تنوين مائة ) . كأنهم جعلوا سنين بمنزلة سنة إذ المعنى بهما واحد .**

**قال أبو على : هذه الأعداد التى تضاف فى المشهور إلى الآحاد نحو ثلثمائة رجل وثوب قد تضاف إلى المجموع ، وفى مصحف عبد الله « ثلثمائة سنة »** . وقرأ الجمهور « ثلثمائةٍ سنين » بتنوين ( مائة ) ونصب ( سنين ) على التقديم والتأخير ؛ أى ( سنين ثلثمائة ) فقدم الصفة على الموصوف ، فتكون ( سنين ) على هذا بدلا أو عطف بيان [8] .

---

(٦) النحو الوافى ، الجزء الرابع ، ص ٥٣٣ ـ ٥٣٤
(٧) المصدر السابق ، الجزء الرابع ، ص ٥٣٦
(٨) تفسير القرطبى : الجامع لأحكام القرآن الكريم .

ثانيا : العدد المركب :

وهو ماتركب من عددين هما عشرة مع ما دونها إلى واحد . وتنحصر فى : أحد عشر ، وتسعة عشر ومابينهما ؛ ويلحق بها بضعة عشر وبضع عشرة . سميت مركبة لأنها تركب من جزأين امتزجا واتصلا ككلمة واحدة ، ويسمى الجزء الأول : صدرَ المركب ، والثانى : عَجُزَه .

وهو يبنى على فتح الجزأين فى محل رفع أو نصب أو جر حسب موقعه فى الجملة . ويستثنى من هذا الحكم : اثنا عشر ، واثنتا عشرة إذ تعرب اثنا واثنتا إعراب المثنى فترفع بالألف وتنصب وتجر بالياء ، وتعرب عشر وعشرة مبنياً على الفتح لا محل له . فى قوله تعالى :

﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا ﴾

٤ ـ سورة يوسف

( أَحَدَ عَشَرَ ) مبنى على فتح الجزأين فى محل نصب مفعول به . وفى قوله :

﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ ﴾

٣٧ ـ ٣٠ ـ سورة المدثر

تقديره : تسعة عشر مَلَكًا هم خزنتها كما جاء فى تفسير القرطبى . و ( تسعة عشر ) مبنى على فتح الجزأين فى محل رفع مبتدأ مؤخر .

أما فى قوله تعالى :

﴿ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ﴾

تعرب اثنتا فاعل مرفوع بالألف .

وفى قوله :

﴿ وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ﴾ .

١٦٠ ـ سورة الأعراف

( اثنتى ) مفعول به منصوب بالياء . وتعرب ( عشرة ) فى الشاهدين : اسماً مبنياً على الفتح لا محل له .

وتمييز العدد المركب يكون مفرداً منصوبا : كوكباً ، عيناً ،... الخ .

أما الحكم بالنسبة لتأنيث الأعداد المركبة وتذكيرها فيتلخص فى أن عَجُزَها وهو ( عشرة ) يطابق المعدود دائماً فى تذكيره وتأنيثه ، وكذا صدرها إن كان لفظه : أحد ، إحدى ، اثنى أو اثنتى ؛ فإنه يطابق المعدود تذكيراً وتأنيثاً .

﴿ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا ﴾

٤ ـ سورة يوسف

﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا ﴾

٣٦ ـ سورة التوبة

وتقول : عندى إحدى عشرة بنتاً .

ويقول تعالى :

﴿ فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً ﴾ .

وإن كان صدر العدد ثلاثة أو تسعة وما بينهما وجب مخالفته للمعدود . أما العشرة فى المركب فتطابق المعدود كما سبق . تقول : حضر حفلَ الزواج ثمانيةَ عَشَرَ رجلا وثلاثَ عشْرة فتاة .

وفى قوله تعالى :

﴿ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾

تقديرة : تسعة عَشَرَ مَلَكاً . قال ابن مالك :

وَأَحَدَ اذكُرْ وصِلَنْه بِعَشَرْ
مُرَكَّبا قاصدَ معدودٍ ذكَرْ
وقل لدى التأنيث إحدى عشْرَهْ
والشينُ فيها عن تميم كسْرَهْ

توضيح : قل أحَدَ عَشَرَ إذا كان المعدود مذكراً ، وإحدى عَشْرَةَ إذا كان المعدود مؤنثاً . وتميم اسم قبيلة تجيز كسر ( شين ) عشرة المؤنثة لكنّ الأشهر تسكينُها .

**ولثلاثــةٍ وتسعــةٍ ومــــا**
**بينهمـــا إن رُكِّبَـــا ما قُدِّمـــا**

( ما قدما ) ما تقدم من قاعدة لهذه الأعداد فى حالة كونها مضافة ، وهى ثبوت التاء مع المذكر وحذفها مع المؤنث ، تطبق عليها إن ركبت .

**وأَوْلِ عَشْرَةَ اثنتَـــــــىْ وعَشَرَا**
**إثْنَىْ إذا أنثـــى تَشَا أو ذَكـــرَا**

( أَوْلِ ) اتبع ، فتقول جاءتنى اثنتا عشْرَة امرأة واثنا عَشَرَ رجلا .

**«واليَا» لغير الرفع ، وارفع بالألِفْ**
**والفتحُ فى جُزْأَىْ سواهما أُلِــفْ**

«اليا» الياء . ( أُلِف ) فى القول المألوف الشائع . يقول : اثنا واثنتا برفعان بالألف وينصبان ويجران بالياء ، وأما العجز فيبنى على الفتح .

ثالثاً : العدد العِقد :

ويسميه بعض النحاة بالعدد المفرَد ؛ أى الخالى من الإضافة والتركيب . وينحصر – اصطلاحاً – فى الألفاظ : عشرين ، ثلاثين ، أربعين ، خمسين ، ستين ، سبعين ، ثمانين ، تسعين[9] .

وتعرب هذه العقود إعراب جمع المذكر السالم فى جميع الأحوال . وهى أسماء جمع ؛ وليست جمع مذكر سالم حقيقى ، فليس لكل منها مفرد من لفظه . قال تعالى :

﴿ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾

١٤٢ – سورة الأعراف

وقوله :

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ﴾

١٤ – سورة العنكبوت

وقوله :

﴿ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴾

٣٢ – سورة الحاقة

العقود : ثلاثين ، وأربعين ، وخمسين منصوبة بالياء ؛ والعِقد : سبعون مرفوع بالواو نيابة عن الضمة .

وتمييز العقود يكون مفرداً منصوباً . قال تعالى :

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ ﴾

١٥ – سورة الأحقاف

وبالنسبة لتذكير العقود ؛ فإنها ملحقة فى إعرابها بجمع المذكر السالم ؛ فلا يصح أن يتصل بلفظها علامة تأنيث منعا للتعارض ؛ إذ يلازمها دائماً علامتا جمع المذكر السالم ( الواو والياء )

---

(٩) المقصود بالعقد هنا معنى اصطلاحى يقتصر على أعداد محصورة لها حكم خاص بها ؛ وهى تلك العقود التى تبدأ بعشرين وتنتهى بتسعين ، لكن العقد ( عشرة ) لا يشترك مع البواقى فى حكمها النحوى ، ولهذا لا يذكر معها .

سواء أكان معدودها مذكرا أم مؤنثا ( راجع الشواهد ) . ومع أن لفظها اسم جمع ملحق بجمع المذكر السالم إلا أن معدودها ( تمييزها ) لابد أن يكون مفرداً ، مذكراً أو مؤنثاً على حسب الحالة .

**قال الناظم فى ألفيته :**

**وميِّــز العشريـــنَ للتِّسعينَـــا**
**بواحـــدٍ كأربعيـــنَ حينَـــا**
**وميِّـــزوا مُركَّبًـــا بمثـــلِ ما**
**مُيِّـــز : «عشرون» فسَوِّيَنْهُمـــا**

الحين : الوقت . بَيَّنَ حكم تمييز العقود ، وأنه مثل تمييز العدد المركب فيكون مفرداً منصوباً .

**رابعاً : العدد المعطوف :**

ينحصر بين عقدين ، كالأعداد المحصورة بين عشرين وثلاثين ، أو بين ثلاثين وأربعين ، مثل : واحد وعشرون ، أثنان وعشرون ، ثلاثة وثلاثون ، سبعة وستون .

وكل عدد محصور بين عقدين لابد أن يشتمل على معطوف (من نوع العقود) ، ومعطوف عليه (من نوع العدد المضاف إلى جمع) وأداة عطف (هى الواو) .

وحكم هذا القسم أن المعطوف عليه ( ويسمى النَّيِّف ) لابد أن يتقدم دائماً ، ويعرب حسب موقعه فى الجملة مع خضوعه لحكم المضاف إلى جمع (إلا ما كان منه دالا على تثنية فيعرب إعراب (المثنى) . وأن المعطوف يتبعه فى الإعراب ، ولكن بالحروف التى يعرب بها جمع المذكر السالم حيث أنه عِقد .

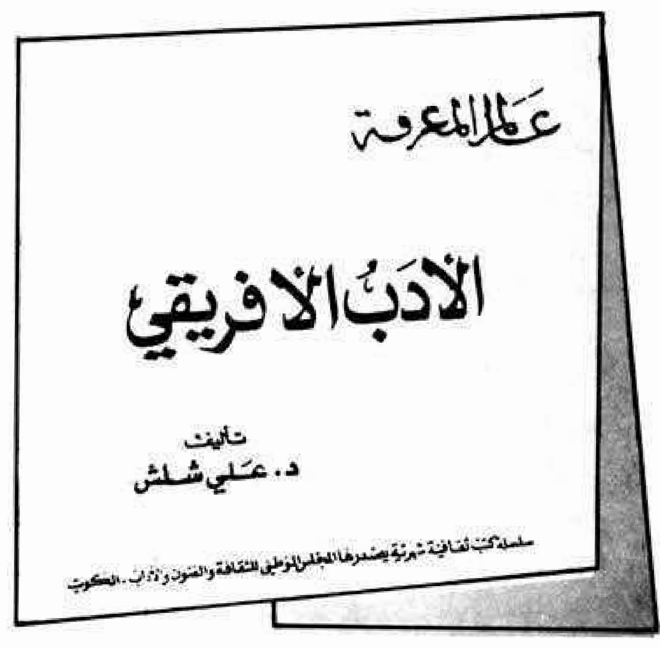
أما تمييزه فيكون مفرداً منصوباً . قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : **« من فرج عن مؤمن مهموم ، أو أعان مظلوماً غفر الله له ثلاثاً وثلاثين مغفرة »** .

نلاحظ من الحديث الشريف أن المعطوف عليه ( ثلاثا ) مذكر فخالف التمييز المؤنث ( مغفرة ) وهكذا فإنه إذا كان المعطوف عليه ثلاثة أو تسعة أو عددا بينهما أو كلمة بضع ، وجب مخالفته للمعدود ( التمييز ) تذكيراً وتأنيثاً حسب قاعدة المضاف إلى جمع . وإذا كان ( واحدا ) أو ( اثنين ) وجب مطابقته للمعدود تذكيراً وتأنيثاً . أما المعطوف ـ وهو العِقد ـ فمذكر دائماً . مثال : فى المدرسة واحد وعشرون مدرساً ، وإحدى وثلاثون مدرسة ، واثنان وعشرون إدارياً ، واثنتان وعشرون عاملةً .

وبعد ، فقد تناول المقال بالتعريف كل قسم من أقسام العدد ، وأورد الأحكام الخاصة بإعرابه ، وتمييزه ، وتذكيره وتأنيثه مشفوعة بالشواهد القرآنية الكريمة وبأبيات من ( الألفية ) ـ فمن شأن هذا تأصيل القاعدة وترسيخها . والله من وراء القصد وهو يهدى السبيل .

المراجع :

**القرآن الكريم**
**معجم ألفاظ القرآن الكريم مجمع اللغة العربية**
**تفسير القرطبى : الجامع لأحكام القرآن الكريم**
**شرح ابن عقيل على الألفية**
**النحو الوافى ، الجزء الرابع عباس حسن**
**تجديد النحو د. شوق ضيف**




- ٢ -

عرض / عبير عبد الواحد

واضح أن المؤلف اتخذ منهجاً فى التعريف العام بالأدب الإفريقى فهو يتحدث عن :

(أ) النشاط الأدبى المدون بلغة الأفارقة ..

(ب) ويعالج نفس النشاط فى اللغات الأوروبية الثلاث : البرتغالية والفرنسية والإنجليزية

وهو - فى الفصل الثانى - من كتابه يعالج المسرحية ، ويبين - فى الحديث عن نشأتها - اتفاقها التام مع غيرها فى النشأة بمصر القديمة واليونان ، ولكنه يضع أمام أعيننا حقيقة ليتنا لانغفلها ، وبخاصة حتى لايغفلها الدعاة المسلمون ، فيبين بتركيز شديد : كيف أن الاستعمار استغل كل ضروب النشاط الأدبى - وبخاصة المسرحية - ليدعو من خلالها إلى النصرانية ، وفى سبيل ذلك حاول البطش بالمسرح الإفريقى ، هذا المسرح البسيط الذى عالج الصراع بين البشر والقيم فى وظيفة اجتماعية تحافظ على تقاليد الجماعة وقيمها إلى جانب التعليم والتثقيف ، لذا لم يكن الرمز فيه يميل إلى الغموض .

فأما مسرح الإرساليات التبشيرية ، فإنه كان يهدف إلى تدعيم عملية التحويل إلى النصرانية ، لذلك اهتم بالقضاء على « الدراما » الإفريقية بدعوى أنها تشجع الوثنية .

وفى هذا الفصل أتاح المؤلف للقارىء أن يستوعب الخطوط العريضة للأعمال المسرحية فى القارة مبينا أن « نيجيريا » تتقدم الحركة المسرحية فى القارة يليها غيرها من البلاد .

● ● ●

فى الفصل الثالث يتحدث المؤلف عن الرواية حيث يوضح أن الرواية والقصة القصيرة والسِّيَر دخلت أفريقيا كلها عن طريق الاحتكاك المباشر بالآداب الأوروبية الحديثة . ومع ذلك رأى الكثير من الإفريقيين أن الرواية ليست غريبة عن تراثهم الشفاهى الحافل بالسير الشعبية والحكايات الخيالية والأساطير .. عموماً ؛ فإن الأفارقة أضفوا على هذا الشكل الفنى الذى طورته أوروبا ـ بلاشك ـ كثيراً من الطوابع المحلية ، مما ورثوه من طرق متعددة فى الحكاية والسرد ، وعناصر خاصة باللغة والبيئة ، وأدوات مختلفة فى رسم الشخصية والحوار والتعبير عن الزمن ..

ويرى المؤلف أن التجارب الأولى فى كتابة الرواية باللغات المحلية المكتوبة شرقاً وغرباً وجنوباً أتت قبل عقود من ظهورها باللغات الأوروبية . وبالرغم من قلة هذه اللغات المحلية المكتوبة ؛ فقد أثبتت مرونتها الشديدة فى استيعاب شكل فنى معقد ومركب مثل الراوية وكانت البداية فى جنوب القارة ، حيث يوجد عدد من اللغات قام المبشرون بتدوينها ـ لأغراض دينية ـ منذ النصف الأخير من القرن الماضى .

ونظراً لظهور هذه المحاولات الأولى فى ظل حركات التبشير القوية وقتها فقد خضعت أيضاً للرقابة الدينية ، وحفلت بالمواعظ ، وسيطر عليها الاتجاه التعليمى الأخلاق . ونجح بعض أصحابها فى تقديم روايات ناضجة فنياً . ويعّد (توماس موفولو) الذى كتب بلغة (السوتو) رائد هذه المحاولات وأكثر كتابها أصالة ونضجاً .

وفى غرب أفريقيا نشطت محاولات تأليف الراوية بلغات «اليوروبا والهوسا والإيبو» ، وكلها فى نيجيريا . كما نشطت محاولات أخرى فى الشرق باللغة السواحلية فى تنزانيا ، والكيكويو فى كينيا ، والأتشولية فى أوغندا . ولكن هذه المحاولات لم تخرج بعد عن دائرة المغامرات الفردية ، بالرغم من اختلاف المناخ الثقافى غير المثقل بالرقابة وتعنت المبشرين كما هى الحال فى الجنوب ، ومع ذلك سجلت لغة اليوروبا مجموعة من الروايات المتماسكة فنياً لروائى واحد ، يعد أبرز من كتب بها ، وهو (دانيال أولورو نغيمى فاجونوا) .

أما عن الرواية فى اللغات الأوروبية الثلاث : البرتغالية والفرنسية والإنجليزية فنجد المؤلف يتناولها فى البرتغالية أولاً ، فيقول : إن المستفرق الانجليزى «جيرالد مور» وزميله الألمانى «أولى باير» يصفان الشعر الإفريقى المكتوب بالبرتغالية بأنه «لايزيد كثيراً على أن يكون صرخة خالصة قوامها العذاب والخسران» ومع ذلك استغرقت هذه الصرخة إبداعات الإفريقيين فى اللغة البرتغالية ، حتى حرمتها من الاستقرار والتأمل الهادىء المطلوبين فى الأنواع الأدبية المركبة ، وعلى رأسها الرواية .

وكان من نتائج هذا الاستغراق أن الرواية المكتوبة بالبرتغالية جاءت ـ كما وكيفاً ـ فى ذيل الرواية المكتوبة باللغات المحلية .

وعلى العكس من ذلك كانت الفرنسية فى تجربتها مع الرواية الإفريقية . ومن ثم أتيح لها أن تكون أسبق لغات أوروبا فى إنضاج تجربة التعبير الروائى عند الإفريقيين . وقد ظهرت فيها الرواية الإفريقية على نحو مبكر من عام ١٩٢٠ .

أما عن الرواية الإنجليزية فيطالعنا المؤلف بقائمة تتضمن أسماء المؤلفين ورواياتهم ، وليس من شك أن هذه القائمة دالة على مدى نجاح الأفارقة فى هذا اللون من الأدب .

ثم يحاول المؤلف ـ بعد ذلك ـ أن يصنف الرواية الإفريقية ؛ فيجد : السيطرة الاستعمارية ، وإرساليات التبشير ، والصدام الثقافى بين أوروبا وإفريقيا ، والروح القبلية ، وفساد الحكم .. الخ ـ يجد هذه الموضوعات وروافدها من أبرز الموضوعات التى تدور حولها الروايات ، وبخاصة تلك المكتوبة بالفرنسية والإنجليزية لا بالبرتغالية أو المحلية .

أما عن النماذج البشرية فى الرواية فأبرزها : النموذج المثالى أو البطولى ، والنموذج التقليدى الذى لم تؤثر فيه السيطرة الاستعمارية ، والنموذج الثورى ، والنموذج الأسطورى ، ونموذج العائد من الغربة بعد المنفى أو الدراسة .

أما الخواص المميزة للرواية الإفريقية فقد اختلف حولها الإفريقيون والمستغرقة فقد أشارت المستغرقة الإنجليزية آن تيبل عام ١٩٦٥ إلى أن الروائيين الإفريقيين ليسوا مهتمين بألوان البراعة فى (التقنية) ومع أنهم كانوا ـ حتى ذلك التاريخ ـ أكثر انشغالاً بالتجربة الواقعية والفكرة الطافحة فقد تطوروا أيضاً مع الزمن والنضج والنقد . فحين بدأوا الكتابة لم يكن رصيدهم المحلى من الرواية يعتد به .

كان عليهم أن يستعيروا القوالب والأشكال الأوروبية ليعبروا من خلالها عن سخطهم على أوروبا الاستعمارية ، ولكن استعارتهم لهذه القوالب والأشكال لم تكن بهدف التفنن فى الشكل ، وإنما بهدف صب تجاربهم وتسجيلها . ولعل هذا يفسر طغيان تلقائية التعبير عند جيل الرواد منهم ، كما يفسر طغيان أسلوب الاعترافات واليوميات على كتابات شباب الجيل التالى الذى تعلم معظمه فى أوروبا .

ومازالت الرواية تتميز بالبناء على التجربة الذاتية والمُتَح من التراث الشعبى .

● ● ●

فى الفصل الرابع يتحدث الكاتب عن القصة القصيرة حيث يوضح أنها نشأت فى أوروبا خلال القرن التاسع عشر ، أى بعد أكثر من قرن على ظهور الرواية ، ومع أن جذور هذه النشأة أقدم من ذلك بكثير فقد كان التطوير الأوروبى للجذور القديمة ـ مثل : الحكاية والأسطورة ـ عاملاً حاسماً فى نسبة القصة القصيرة إلى أوروبا . ولقد تأخرت القصة القصيرة فى الظهور فى (إفريقيا خارج مجال العربية) ، لا لأنها تأخرت أصلاً فى أوروبا عن الرواية ، وإنما لأن الصحافة لم تشجعها فى البداية .. ومع ذلك كان للمجلات دور بارز فى تطور القصة القصيرة ، وإقبال الكتاب عليها داخل المستعمرات البرتغالية والإنجليزية والفرنسية . ومن أهم هذه المجلات (مجلة الوضوح) فى جزر كاب فيردى و(مجلة الطبلة) فى جنوب إفريقيا و(مجلة الانتقال) فى أوغندا . وكان دور هذه المجلات وغيرها أقرب إلى دور المعمل الذى تم فيه تفريخ القصة القصيرة .

أما الإبداع ذاته فى مجال القصة القصيرة فهو أقل من الرواية والشعر . ويكاد يتصل ـ بوجه عام ـ بإبداع الرواية ، والأدب الشعبى فى آن واحد .

ويلاحظ المؤلف ـ كما يرى : أنه بالرغم من قدم عهد بعض الصحف فى هذه اللغات فلم يحدث أن ظهرت محاولة وطنية فى كتابة القصة القصيرة على النمط الأوروبى قبل هذا القرن . ولكن حدثت محاولات لكتابة قصص يغلب عليها القصر من ناحية ، واستيحاء الحكايات الشعبية من ناحية أخرى . ولم يحدث أن تطورت هذه

المحاولات على الطريقة الأوروبية إلا فى خمسينات القرن الحالى .. ومنذ الخمسينيات نشط بعض كتاب اللغات المحلية فى جمع الحكايات والأساطير الشعبية ، وتنقيحها أو اقتباسها . ولكن الكتابة باللغات المحلية لم ينقل منها إلى اللغات الأوروبية إلا القليل حتى اليوم . وربما كان فى بعضها نضج ، ولكن الأضواء لم تسلط عليها بعد .

أما عن تطور القصة القصيرة فى الإنجليزية فقد أشار أتشيبى إلى ريادة ( بيتر أبراهامز ) فى القصة القصيرة بكتابة « العهد الأسود » عام ١٩٤٢ م . ولكن القصص التى تضمنها هذا الكتاب فقيرة فنياً وفكرياً ، وإن كانت مشحونة بالانفعال والعواطف ، وقد مضى نحو عقد من السنين بعد هذا التاريخ قبل أن تظهر قصص قصيرة ناضجة فى جنوب إفريقيا .

ويرى الكاتب المؤلف أن أهم كتاب « القصة القصيرة » فى جنوب إفريقيا مفاليلى ، ومن المستوطنين البيض نادين جورديمر .

لقد كان الهروب والاحتجاج يميزان القصة القصيرة ، قبل أن يكتبها الجيل الجديد ، فمنذ انتفاضة الطلاب عام ١٩٧٦م ، ونجاحها فى هز مشاعر السود والبيض على السواء ، انحسر الهروب الرومانتيكى ، واندمج الاحتجاج فى الإصرار على الحق ، والإيجابية ، وتسجيل الشقاء ، واستفزاز الشعور والعقل . ومع أن مؤلفات الجيل الأسبق صارت ممنوعة من التداول هناك ، فقد نجح الجيل الحالى فى الاطلاع عليها بشتى الوسائل ، والعزف من جديد على النغملات المحركة لها ، مع الارتباط الشديد بالتراث الشعبى المحفوظ فى ذاكرة الناس .

ثم يقدم الكاتب تحليلًا نقدياً ، لحال القصة القصيرة فى الجنوب والشمال مستخدماً أمثلة فيما يسوق من نقد ، فعل ذلك فى القصة المكتوبة بالإنجليزية ، ثم ساق لنا ما وصل إليه من دراسة ، فإذا القصة القصيرة الإنجليزية أشبه بالقصيدة الغنائية التى يبثها الشاعر نجواه ، ولكنها – أيضاً – أشبه بالمقالة البحثية التى يراعى فيها الكاتب موضوعية التناول ، ودقة التعبير . وإن هذا الجمع بين الذاتية والموضوعية هو ما يميز كتاب القصة الإنجليزية الأفارقة ، وربما يميز أيضاً زملاءهم الناطقين بالفرنسية والبرتغالية ..

فأما فى الفرنسية فيرى الكاتب إنها لا تتميز بما تتميز به زميلتها السابقة من طول خبرة وتنوع . وربما يرجع ذلك إلى قلة المجلات التى شجعت القصة القصيرة كما حدث فى الإنجليزية ، وإلى سيطرة الشعر على النشاط الأدبى طوال عهد السيطرة وما بعده . ومع ذلك ظهرت القصة فى الفرنسية فى وقت قريب من ظهورها بالإنجليزية . وكانت بدايتها الحقيقية عودة إلى التراث الشعبى من الحكايات وإعادة صياغته ، وتولى هذا العمل شاعر معروف ونصير متحمس للزنوجة ، وهو ( بيراجو ديوب ).. من الكتّاب بالفرنسية أيضاً ( برنار دادى ) من ساحل العاج ، و ( عثمان سوسية ) الذى له مجموعة « حكايات وخرافات من إفريقيا السوداء » التى صوّرت الريف الإفريقى وقيمه صوراً واقعية ، وكان لها أثرها الواضح فى قصص الجيل الأصغر سناً ، ولا سيما سمبين عثمان السنغالى الذى يمثل التيار الواقعى النقدى والتيار الوسط بين ديوب المتحمس للتراث الشعبى وجيل الشباب – الأحدث سناً – الذين تتراوح قصصهم بين التمرد على التقاليد الفرنسية فى الكتابة والتصوير الحاد لمظاهر الخلل الاجتماعى والفساد السياسى فى بلادهم .

أما فى البرتغالية فلم تظهر بعد – فى الأراضى

الإفريقية التى تحررت من سيطرة البرتغال ـ نهضة قصصية تضارع النهضة الإنجليزية المحيطة بهذه البقاع ، ولعل ذلك يرجع إلى تأخر حرية إفريقيا البرتغالية عن زميلتيها الإنجليزية والفرنسية ، فضلاً عن تخلف التعليم ، وفداحة الأمية فى ظل السيطرة البرتغالية .

ثم يحدثنا المؤلف عن الملامح العامة فى هذه الألوان المختلفة من القصة القصيرة ؛ فيلاحظ أن الموضوعات المشتركة بينها تدور حول : العلاقات العرقية ، الاستعمار ، الحرب وما بعدها ، الدين ، والسحر ، حياة الريف ، حياة المدن ومظاهرها فى الجنس والسكر والدعارة والعنف ، الحب والفساد السياسى والجوع والفقر ، ومع ذلك لا يمكن حصر موضوعات القصة القصيرة إلا على سبيل التعميم والإجمال ؛ لأن التجربة الإنسانية تتفاوت زماناً ومكاناً .. وعن هذه الملامح أشارت المستفرقة الإنجليزية (أن تيبل) إلى أربع منها هى : الطابع الإفريقى ، الضحك البرىء أو الفكاهة ، الرهافة **Delicacy** ولا سيما عند الكاتبات ، فأما تصوير العنف .. فعند هذه الخاصية اعترضت على فجاجة التصوير والرسم وطابعهما التقريرى..

هذا ويضيف المؤلف إلى هذه الخواص خاصيتين ظاهرتين فى الفرنسية والبرتغالية ـ أكثر من ظهورهما فى الإنجليزية ـ وهما المُتَح من التراث الشعبى والغنائية .. والغنائية تعد هنا من آثار الشعور القوى بالذات عند الكاتب الإفريقى ، وإن كانت تحتاج إلى ضوابط فى القصة القصيرة ، حتى لا تصبح القصة مجرد مناجاة ، أو منولوج شخصى ، ويرجع المؤلف ضعف التجريب فى القصة القصيرة هنا إلى سبب ظنى يراه كائناً فى « الغنائية » .. على أنه مازال ـ والرأى للكاتب ـ مازال الشكل التقليدى سائداً ، ومازالت العقدة المأثورة التى تتطور من البداية المشوقة إلى الوسط المؤثر إلى النهاية المفاجئة سائدة أيضاً .. ومن المؤكد أن تطور الرواية الإفريقية كان أكبر من تطور هامشها : القصة القصيرة .

● ● ●

يتناول المؤلف فى الفصل الخامس والأخير من كتابه السيرة التى هى عنده : قصة حياة ، قد يرويها صاحبها فتسمى « سيرة ذاتية » ، وقد يرويها شخص آخر غيره فتسمى « سيرة » وحسب . وبهذا المعنى تعد السيرة بجنسيها من أعرق الأنواع الأدبية ، وإن كانت السيرة العامة التى يرويها ـ أو يكتبها ـ شخص لآخر أعرق وأقدم ..

وفى دراسة عنها يرى أنه من الواضح أن السيرة بجنسيها لم تكن تحتاج عند نشأتها إلى مهارة خاصة فوق حرفة الكتابة ، ولذلك لا يسلم الكاتب أنها اختراع أدبى أوروبى ، وإن نجحت فى أوروبا فى تطوير السيرة العامة والذاتية ، ولفتت بنجاحها انتباه الثقافات الأخرى إلى تطوير ما عندها من سير ، إما عن طريق النقل والترجمة كما حدث فى الأدب العربى ، وإما عن طريق الاحتكاك المباشر كما حدث مع (الأدب الإفريقى خارج مجال العربية)..

هذا الأدب الذى لا نجد فيه سوى السيرة الذاتية التى ظهرت فيه مطبوعة قبل أن يظهر فيه أى نوع أدبى آخر .

أما السيرة العامة فنادرة إلى حد كبير ـ ندرة السيرة الذاتية فى اللغات المحلية ..

إن السيرة الذاتية لم تزدهر فى اللغات المحلية

الإفريقية ، فلا توجد إشارات كثيرة إليها عند الإفريقيين والمستفرقين .. ومن هذه الإشارات نعلم أن اللغة السواحيلية فى الشرق تضم بعض السير الذاتية ، وكذلك لغة «تيف TIV» فى غانا .. وأما السيرة الذاتية فى اللغات الأوروبية فتكاد تقتصر على اللغة الإنجليزية . فمن الملاحظ أن السير فى البرتغالية والفرنسية قليلة إلى درجة الندرة ، وأبرز سيرة يشار إليها فى البرتغالية ليست لأديب مرموق بمقدار ماهى لمناضل سياسى ، هو (إدواردو موندلانى) ، وكانت هذه حال السيرة فى الفرنسية أيضاً ، فلم تظهر فيها سيرة بارزة إلا فى مجال السياسة والزعامة كما حدث مع (سيكوتورى) رئيس غينيا الأسبق .

بصفة عامة نلاحظ أن السير الذاتية فى الإنجليزية ـ حيث تطورت وازدهرت فيها ـ تتميز بالبساطة والسهولة فى اختيار المادة والتعبير عنها ، كما أن فيها ميلا إلى الترتيب الروائى للأحداث والشخصيات ، ولكن يظل أهم مكسب فيها ـ بعد قيمتها الفنية هو إلقاء الضوء على تجربة صاحبها فى الحياة والكتابة على السواء .

ويقول الكاتب : إن السيرة الذاتية ستظل جنساً أدبياً أسيراً لدى الأديب الإفريقى خارج مجال العربية .. ففيها يرى نفسه ، ويتأمل فى تجربته الفنية ، ومن خلالها يصل صوته إلى قارئه بعفوية وبساطة .

وأخيراً يختم المؤلف كتابه بذكر أهم الخصائص المميزة للأدب الإفريقى حيث يوضح أنه يتميز :

بالارتباط الوثيق بقضايا القارة .

وبالوضوح الذى يصل إلى حد الشفافية فى الأسلوب ، وبخاصة فيما يكتب بالإنجليزية والبرتغالية .

وبالتلقائية فى التعبير حتى ليبدو الأدب ساذجاً بعض الشىء ، وقد أدت هذه التلقائية إلى اختفاء العقلانية والسفسطة اللتين تتخمان الأدب الأوروبى .

كما يتميز بتنوع الرؤى والآراء والأساليب .

وبتغليب الذات على الموضوع .

ويرى المؤلف أن هذه الخصائص ستبقى مميزة لهذا الأدب فى المستقبل ، ولكن سيقل حتماً مانلحظه فيه من سذاجة فى الإحساس والتفكير .

ويقول المؤلف : إن على الأجيال التالية من الأدباء أن تعبر مسافة التخلف التى خلفتها السيطرة ، وتقيم تقاليد جديدة غير منعزلة عن التقاليد القديمة أو منغلقة عن التقاليد المتطورة خارج حدود القارة ..

وبعـد :

فإن مؤلف هذا الكتاب لم يكتب عن فراغ ، ولقد نقد نفسه قبل أن ينقده أحد ، ولقد سجل هذا الكتاب دور الأدب الإفريقى فى مقاومة الاستعمار ، ونجاحه فى بث شعلة الحرية ، وإثارة دواعى الوطنية حتى جنت شعوب إفريقيا ثمرة كفاحها ، وحبذا لو تمكنت تلك الشعوب من مقاومة استعمار أشد عدوانية لازال قائما فى رسالة التنصير التى لم تنجح ـ حتى الآن ـ إلا فى إعطاء الرجل الأبيض ما يشتهى من ثمار إفريقيا .

ولعل الكاتب يطالعنا من حين لحين بدراسة أكثر تخصصا فى الموضوع يتناول فيها هذا الأدب تناولًا جزئياً لا على هذا الشكل العام الذى أعطى فيه ملامح أدب قارة بأكملها ، وليس ذلك بمنقص من جهد جهيد بذله فى مؤلفه هذا ونجح فى تعريف القارىء ببعض الملامح والسمات العامة للأدب الإفريقى خارج مجال العربية .

# بين المجلة والقارئ

إعداد وتقديم د/ محمد عبد الحكيم محمد



## المعذبون في الأرض

يكاد المعذبون فى الأرض أن يكونوا هم المسلمون فقط ، حول هذا المعنى أرسل الكاتب (محمد حسنين) ـ المترجم بالرياض بالمملكة العربية السعودية ـ هذه الكلمات التى يرصد فيها أحوال المسلمين فى شتى بقاع الأرض :

ففى الهند : قام المتطرفون الهندوس بهدم « المسجد البابرى » وإقامة « معبد راما » مقامه ، وأحرقوا قرى أخرى مسلمة ، وهدموا مساجد أخرى ودنسوها ، وروعوا المسلمين البالغ نسبتهم ١٥٪ من عدد السكان ، والذين يزيد عددهم عن المائة والخمسين مليونا من المسلمين .

وفى البوسنة والهرسك : سقط الجزء الغربى من « سرايفو » بيد الصرب ، ولم نفعل لهم شيئا ولا للمسلمين فى « كسوفو » .. ولا « سنجاق » ، ولا « مقدونيا » .

وفى الصومال : لما يزل المسلمون يموتون جوعا .

وفى أرتيريا : نسيناهم تماما .

وفى أفغانستان : والجمهوريات الإسلامية الأخرى « الكومنولث » يتقاتلون بضراوة .

وفى بورما وتايلاند : تتم إبادتهم إبادة شاملة .

وفى فلسطين : حدث ولا حرج ..!

وفى الفلبين : تتجدد المأساة من (أكينو) إلى « راموس » ..!

وفى بنجلاديش : يعانون المجاعات والفقر ، والجهل والمرض .

وأخيرا بدأت المناوشات الأولى لتوجيه ضربة ساحقة لألبانيا عن طريق (حوادث حدود)

تافهة ، ولاننس أن ألبانيا الإسلامية فى قلب أوربا متاخمة للبوسنة والهرسك .. وهكذا يبدأ الانفتاح لسحق المسلمين ، والطريق آمن أمام أعدائهم .. والتجربة مدروسة فيما حل بالبوسنة والهرسك .

ويختم الكاتب كلمته بقوله تعالى :

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ (٢١٤) ﴾ سورة البقرة

# براءة الإسلام والمسلمين من ذنب الإرهاب

**بريء الإسلام والمسلمون مما سمته حفنة من الصحفيين بالإرهاب والتطرف وماتؤدى إليه كلتا الكلمتين من آثار رأى فيها فريق من الكتاب فرصة سانحة للحمل على الإسلام بغية تصفيته خدمة للغرب ليس إلا .. لاسيما ، وهم كتاب معروفون بميولهم الشيوعية .. وهى ميول فى خدمة من يشاء .**

﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٨) ﴾ سورة الصف

**هذا ما حاولت الرسائل التالية أن تعبر عنه من خلال تناولها لظاهرة التطرف .**

فقد كتب القارىء/ **حسن أحمد النشو** ـ المدرس بمعهد العريش الثانوى بالأزهر وتحدث عن معنى التطرف فى اللغة فقال : إنه الوقوف فى الطرف بعيدا عن الوسط ، ويكون فى الحسيات كالتطرف فى الوقوف أو الجلوس أو المشى ، وفى المعنويات كالدين والفكر والسلوك ، لكن الإسلام لايدعو إليه لأنه منهج وسط فى التصور والاعتقاد والتعبد والأخلاق والمعاملة والتشريع وفى كل شىء .

ويؤكد معه هذه الوسطية **فضيلة الشيخ/ عبدالمعبود عبدالله الجمل** ـ رئيس المعاهد الأزهرية الأسبق ـ بأن الوسطية أهم الخصائص التى ميز الله بها أمة الإسلام .

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ سورة البقرة الآية : ١٤٣ .

كما يبحث القراء ـ **رجب سيد عياد** المدرس بمدرسة صفط الشرقية الإعدادية ، **ووسيم عبدالعليم عزب** الوكيل بمدرسة أبى صقل الإعدادية بشمال سيناء بالعريش ، **ومحمد أبو اليسر** الطالب بكلية التربية النوعية بمنية النصر شعبة الإعلام ـ فى الأسباب التى تساعد على انتشار تلك الظاهرة ، ويؤكدون إننا فى حاجة

إلى التعمق في دراستها لأن الواقع يقول أننا نتسرع دائما فى علاج الأعراض ولا نعالج المرض نفسه ، غير أنهم يركزون على غيبة القدوة الطيبة والقيم الصالحة فى كثير مما تبثه وسائل الإعلام من الأغانى والمسلسلات والأفلام الهابطة .

**على أنه يجب مراعاة ذلك ونحن بصدد تمكين مجتمعاتنا من احتواء تلك الظاهرة ، فضلاً عن العناية بالمناهج الدينية وزيادة مساحتها فى المدارس والمعاهد والجامعات ذلك أن الجرعة المتاحة منها ـ حاليا ـ لاتحقق الهدف المنشود .**

# الجرأة في الحق

**لاشك أن العبد كلما اشتد خوفه من الله ـ عز وجل ـ كان أشدَّ جرأة فى الحق ، فنال بذلك الأمن يوم القيامة ، وكلما قلَّ خوف العبد من ربه فى الدنيا قلت جرأته فى الحق وزادت فى الباطل ففزع بذلك يوم القيامة ، لعل هذا هو ما أراد القارىء خيرى محمد إبراهيم ـ من كفر الجرايده ببيلا كفر الشيخ ـ أن يبرزه بكلمته التى جاء فيها :**

الجرأة فى الحق قوة نفسية ضرورية يستمدها الإنسان من إيمانه بالله ـ عز وجل ـ ومن الحق الذى يعتنقه ومن القدر يُسلم به ويستسلم له ، ومن المسئولية التى يستشعرها . وعلى قدر نصيبه من ذلك كلة يكون عنده جرأة فى الحق وقدرة على الجهر بالرأى الصحيح الحر .

ولقد كان الصحابة الذين تربوا على يد النبى ـ ﷺ ـ أجرأ الناس فى الحق بل كان ذلك جزءاً من البيعة النبوية الشريفة «فقد روى مسلم فى صحيحه» أن عبادة بن الصامت قال : «بايعنا رسول الله ـ ﷺ ـ على أن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف فى الله لومة لائم» «وفى الحديث الذى رواة الحاكم فى مستدركه بسند صحيح» «سيد الشهداء حمزة . ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله فدخل الجنة» ولقد كان الصحابى الجليل أبو بكر الصديق أجرأ الناس فى الحق حتى قال عنه عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنهما ـ «لو وزن إيمان أبى بكر بإيمان هذه الأمة لرجح إيمان أبى بكر» .

ويكفى فى تأكيد ذلك أن نتذكر مواقفه فى يوم موت النبى ـ ﷺ ـ وفى بيعته بالخلافة وفى إنفاذ جيش أسامة لحرب الروم وفى جمع القرآن الكريم وفى حروب المرتدين وهى مواقف ينطق كل منها بشجاعة هائلة ما أحوجنا إلى استيعابها .

# ردود وتعليقات

● **القارىء محمد السعيد العزيزى .. الطالب بكلية الدراسات الإسلامية .**

سوف تجد فى هذا العدد معالجة أوسع لظاهرة التطرف والغلو فى الدين .

● **القارىء محمود عبدالعزيز شلبى .. المدرس بمعهد رشيد الثانوى .**

نشكرك على تقديرك لمجلة الأزهر ، وبمشيئة الله تكون دائماً عند حسن ظن قرائها .

● **القارىء محمد حسن فوزى .. من الجيزة بالقاهرة ، والقارىء محمد عبدالوهاب .. من مصر الجديدة بالقاهرة .**

نشكركما على هذه المتابعة المستنيرة ، وحرية النقد مكفولة للجميع .

● **القارىء أبو الورد عبدالبديع عبدالرحيم .. من شبرا الخيمة القاهرة .**

ملاحظاتك لها قيمتها ، وسوف تدرس إدارة المجلة اقتراحكم بتخصيص صفحة للتنويه بالأحاديث الضعيفة والموضوعة .

● **القــارىء م . ب . غ .. من إسنــا بالقاهرة .**

نرجو التقدم بشكواك مباشرة إلى مكتب فضيلة الإمام الأكبر (بإدارة الأزهر ــ القاهرة) وسوف تجد الاهتمام اللائق بها .

● **القارىء عبدالمعز طاهر الجبود .. بمنطقة أسيوط الأزهرية بالقاهرة .**

آلمنا رحيل فقيدنا الشاعر الإسلامى الكبير الأستاذ سيد عبدالرءوف سيد ، الموجه العام للغة العربية ، والذى طالما نافح عن الأزهر بشعره عندما تعرضت له بعض الأقلام ، وكان آخر عمل نشرته له مجلة الأزهر فى عدد ذى الحجة الماضى قصيدة «تحية الأزهر» بتلك القصيدة العصماء التى حيّا فيها أمجاد الأزهر ورجاله فى ماضيه وحاضره . طيب الله ثراه وتغمده برحمته ورضوانه وجزاه خير ماجازى به العلمـاء المخلصين .

● **القارىء رمضان إبراهيم الأقرع .. إمام وخطيب بطنطا .**

تجربتك الشعرية طيبة وسوف تزداد عمقا بالقراءة المستمره فى الشعر وعروضه .

● **القارىء م . ر . أ .. الطالب بمعهد سمنود الدينى الثانوى .**

كلمتك عن التعاون تبشر بمستقبل فى الكتابة فاستمر على ذلك .

● **القارىء خالد رسمى عبدالفضيل .. المدرس باشمون محافظة المنوفية .**

يمكنكم الاعتماد على أبحاث مجلة الأزهر وخواطر الشيخ الشعراوى حول تفسير القرآن الكريم ومراجعة الفقه على المذاهب الأربعة .

● **القارىء عبدالمريد قاسم أبو العلا .. من المحروسة محافظة قنا .**

لم يشر رئيس التحرير الدكتور على الخطيب فى افتتاحيته «لا (ص) ولا (صلعم) ولكن ــ ﷺ» ــ المنشورة بعدد ذى الحجة الماضى ــ إلى معانى الكلمات المنحوتة الواردة فيها ظناً منه فى وضوح مدلولاتها بأذهان القراء ، أما عن كلمة «الكبتعه» التى تستوضح معناها ، فهى منحوته من جملة «كبت الله عدوك» .

● **وبمشيئة الله سيوالى الباب اهتمامه بعرض الرسائل التى يتلقاها تباعا .**

# ردود خاصة باشتراكات المجلة

■ إلى الأخوة والأخوات طالبى تزويدهم بالمجلة (مجانا) نرجو أن تتاح لنا فرصة الإعداد لهذا العمل بافتتاح قسم خاص لإجابة هذه الطلبات ، فأما (حاليا) فإن القدر المطبوع لا يفى بهذه المطالب .

■ وأما بالنسبة لطالبى الاشتراك بالمجلة ، فإن الاشتراك فيها يعد بحساب سنة كاملة ومن الأفضل أن تكون هجرية ، والاشتراك على التوالى ــ بنسخة واحدة شهرية ــ على مدى العام .

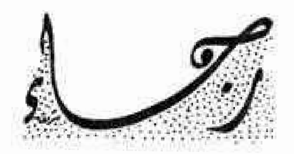
(أ) داخل جمهورية مصر العربية هو ثمن النسخة الواحدة مضروبا فى اثنتى عشرة نسخة .

(ب) وفى منطقة البريد العربى (٥٠) خمسون (دولار) فى السنة .

(جـ) خارج منطقة البريد العربى (١٠٠) مائة (دولار) فى السنة .

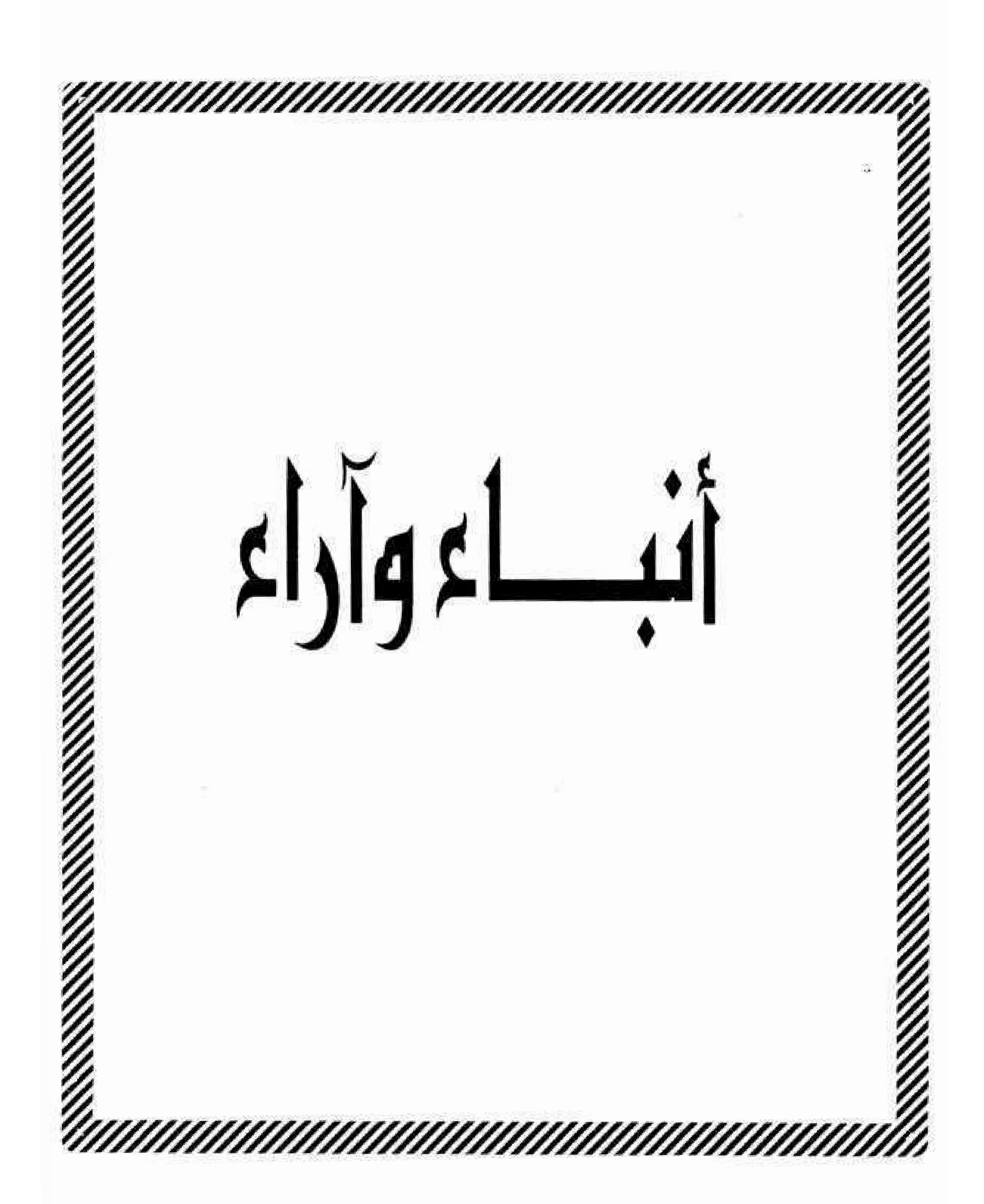
ونفيد الأخوة طالبى الاشتراك أن عليهم أن يتصلوا بمؤسسة الأهرام ــ قسم الاشتراكات ــ شارع الجلاء ــ القاهرة ــ ج.م.ع .

وعليهم الكتابة إلى هذا العنوان ، ذلك لأن إدارة المجلة لا شأن لها بالاشتراكات إطلاقا .




ترجو مجلة الأزهر من السادة الكتاب أن يكتبوا أسماءهم الثلاثية ومحل أعمالهم على المقالات التى يوافوا الإدارة بها . وأن تكون كتابتها على الماكينة أو بخط واضح ، وأن يرسلوا إلينا الأصل فى الحالتين ويحتفظوا بصورة منه لأن المجلة ليست ملزمة برده .

كما نرجو مراعاة حداثة الانتاج وألا يكون قد سبق نشره فى صحيفة أو كتاب ، وكلما كان الانتاج مسندا إسنادا علميا كان ذلك أدعى لصلاحية نشره ، والله تعالى من وراء القصد



# أنبـــاء وآراء




إعداد : الأستاذ مصطفى عبد المجيد

## الإمام الأكبر يستقبل نائب وزير الشئون الدينية بسلطنة بروناى

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر السيد/ فيهن الحاج يحيى نائب وزير الشئون الدينية بسلطنة بروناى والوفد المرافق لسيادته وذلك صباح يوم الاثنين الموافق ٢٤ من ذى الحجة ١٤١٣ هـ ـ ١٤ يونية ١٩٩٣ م بمكتب فضيلته بالأزهر .

تم خلال اللقاء دعم العلاقات الدينية والثقافية بين الأزهر الشريف وسلطنة بروناى فى مجالى التعليم والدعوة الإسلامية .

كما طالب السيد نائب وزير الشئون الدينية خلال اللقاء بدعم المعهد العالى للدراسات الإسلامية والعربية بأساتذة من الأزهر وذلك بوصفه رئيسا لمجلس إدارة المعهد .

وقد وعد فضيلة الإمام الأكبر بدراسة كافة الاحتياجات والعمل على تلبيتها فى أقرب وقت ممكن .



## الإمام الأكبر يستقبل رئيس جمهورية جزر القمر

واستقبل فضيلته الرئيس/ سيد محمد جوهر رئيس جمهورية (جزر القمر) والوفد المرافق لسيادته ، وذلك صباح يوم الخميس الموافق ١١ من المحرم ١٤١٤ هـ ـ ١ يوليه ١٩٩٣ م بمكتب فضيلته بإدارة الأزهر .

تم خلال اللقاء بحث سبل توطيد العلاقات الدينية والثقافية بين الأزهر الشريف وجزر القمر ، وقد وافق فضيلة الإمام الأكبر على زيادة المنح الدراسية لأبناء جزر القمر للدراسة بالأزهر ، كما وافق فضيلته على إنشاء معهد أزهرى

متعدد المراحل بجزر القمر تدرس فيه مناهج الأزهر .

وقد أشاد رئيس جزر القمر خلال اللقاء بدور الأزهر على الساحة الإسلامية والعربية والعالمية ، وذكر سيادته أن لقاءه بفضيلة الإمام الأكبر كان أهم ما يشغل باله عند حضوره إلى مصر للمشاركة فى أعمال مؤتمر منظمة الوحدة الأفريقية ؛ وذلك لما للأزهر من مكانة أهلته ليكون منارة للعلم الرفيع ، وأشار سيادته إلى أنه سيعاون فى إنشاء المعهد الأزهرى .

فى نهاية اللقاء أهدى فضيلة الإمام الأكبر الضيف الكبير مصحفا شريفا ، وترجمة لمعانى القرآن الكريم باللغة الفرنسية .



## الإمام الأكبر يشهد الجلسة الافتتاحية لمنظمة الوحدة الأفريقية

شهد فضيلة الإمام الأكبر الجلسة الافتتاحية لمؤتمر منظمة الوحدة الأفريقية التى عقدت دورتها التاسعة والعشرين بقاعة المؤتمرات الكبرى بمدينة نصر بالقاهرة فى الفترة من الثامن والعشرين وحتى الثلاثين من يونيه الماضى .

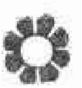
وقدتم فى هذه الجلسة انتخاب الرئيس محمد حسنى مبارك بالإجماع رئيسا لمنظمة الوحدة الأفريقية فى دورتها الحالية كما احتفلت المنظمة بمرور ثلاثين عاما على إنشائها .

## الإمام الأكبر يلتقى وسفير الكاميرون بالقاهـــرة

التقى فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر والسيد موشيلى نجى سفايو اسماعيلا سفير جمهورية الكاميرون بالقاهرة وذلك صباح يوم الأحـــد الموافـــق ١٤ من المحرم ١٤١٤ هـ ـ ٤ يولية ١٩٩٣ م .

فى بداية اللقاء قدم السيد السفير لفضيلة الإمام الأكبر شكر المسلمين فى الكاميرون على ما يقدمه الأزهر الشريف من إرسال المبعوثين وتقديم المنح الدارسية لطلاب الكاميرون لتلقى العلوم العربية والشرعية بمعاهد الأزهر الشريف وجامعته ، وكذلك إيفاد رجال الوعظ خلال شهر رمضان المعظم من كل عام .

وقد تم خلال اللقاء بحث سبل التعاون فى كافة المجالات التى من شأنها دعم المسلـــمين فى الكاميرون .



## قرار جمهورى بمد خدمة فضيلة وكيل الأزهر

أصدر الرئيس محمد حسنى مبارك قرارا جمهوريا بمد خدمة فضيلة الشيخ/ أحمد السيد عطا سعود وكيل الأزهر لمدة سنة تبدأ من الثامن من شهر المحرم ١٤١٤ هـ الثامن والعشرين من شهر يونيه سنة ١٩٩٣ م .




إعداد الأستاذ/ مجدى عبد الحميد بشير

### أمريكا

أنتجت إحدى الشركات الأمريكية برنامجاً للحاسب الآلى (الكمبيوتر) لتعليم مبادىء الإسلام .

والبرنامج يخاطب المسلمين وغير المسلمين ، ويقدم معلومات وفيرة عن العقيدة الإسلامية والحديث النبوى الشريف ومبادىء الإسلام وواجبات المسلم من خلال الرسوم المتحركة والخطوط والصوت والنصوص المكتوبة .

« نرجو ألا يكون فى البرامج عبث ضد الإسلام والمسلمين »

مجلة الأزهر

### تقرير خطير

اعترفت الوكالة الصحفية التابعة للكنائس الهندية بأن الكنائس النصرانية تعتبر كبرى إقطاعىّ الأراضى والعقارات فى الهند على الإطلاق .

جاء ذلك فى تقرير للوكالة عن المؤتمر القومى للكنائس فى الهند ، والذى يُعقد تحت إشراف مجلس الكنائس العالمى .



### بروناى

عُقدت فى الفتـــرة من ١ : ٧ من محرم ١٤١٤ هـ الماضى الدورة الثامنة لمجلس الفقه الإسلامى فى (دار السلام) عاصمة سلطنة (بروناى) وبحث علماء المسلمين موضوعات فقهية متعددة كان أهمها موضوع الأخذ بالرخصة وضوابطه ، وقضايا بيع العربون ومشروعيته ، وبيوع المزايدة ، ومشروعية عملية الاستثمار بالمزايدة ، وقضايا بطاقات الائتمان و(الضمانات البنكية) .

كما تم مناقشة مسئوليات السائق فى حوادث السير من الناحية الفقهية ، وقضية حقوق الإنسان وتطور ذلك المفهوم والمبادىء التى بُنِيَتْ عليها حقوق الإنسان فى الإسلام ، وفى الأعراف الدولية كما نوقشت بعض القضايا الطبية من وجهة النظر الإسلامية من قبيل أخلاقيات الطبيب المسلم فى الحرب والسلم .

ومن الإصدارات الجديدة معجم الآيات القرآنية فى ٦٠٠ صفحة مع ترجمة إلى الانجليزية والفرنسية للكاتب إدريس الخرشاف .

## غطرسة عالمية

كشفت دراسة جديدة صدرت بالانجليزية تحت عنوان (غطرسة عالمية) المغالطات الشريرة التى يروج لها الغرب لتشوية صورة الإسلام والمسلمين فى أذهان العالم ، وذلك بوصفهم بالعنف والتطرف والإرهــاب ، وأوضحت الدراسة التى أصدرها الدكتور أحمد زيدان الأستاذ بجامعة كمبردج عن طريق الوثائق والأرقام حجم المجازر والمذابح التى ارتكبها الغرب ضد المسلمين منذ الحروب الصليبية حتى يومنا هذا .

## الهند

طالب مجلس التعليم الدينى لمسلمى الهند بتصحيح بعض الكتب التعليمية والمناهج الدراسية التى تسيء للمسلمين ، وحث الدكتور مسعود عثمانى سكرتير المجلس المذكور الحكومة المركزية على إجراء تلك التعديلات ، وذلك قبل بداية السنة الدراسية الجديدة ، وقام المجلس بنشر كُتيب ضمّنه التعديلات المطلوبة .

(هذا على أن حكومة الهند آخر من يتعاون مع المسلمين ).

مجلة الأزهر

## البرازيل

افتتح فى مدينة سَاوْبَاوْلُو بالبرازيل المؤتمر العالمى السابع لمسلمى أمريكا الجنوبية وذلك فى مقر المجلس النيابى البرازيلى حيث قال رئيس المجلس فى كلمة حفل الافتتاح :

ان بلادنا تحتضن رسميا هذا المؤتمر وتقومه بالإعجاب الشديد لما يحمل من رسالة سامية تتمثل فى شعار المؤتمر (التربية والتعليم وتحديات العصر) .. وحضر الافتتاح ١٠٠٠ من كبار الدعاة المسلمين ورؤساء الجمعيات الإسلامية وأعضاؤها ، وقال نائب برازيلى :

إن هذا المؤتمر يُعد من أهم المؤتمرات حيث إنه يؤكد أن البرازيل تفتح أبوابها بكل ارتياح للمسلمين ، وأضاف أن البرازيل تقف ضد أعمال العنصرية التى تمارس ضد المسلمين فى البوسنة والهرسك والهند وفلسطين غيرها .



## الشيشان

شهدت جمهورية الشيشان ـــ إحـدى الجمهورية المستقلة بآسيا الوسطى بناء (١٠٠٠

مسجد) خلال العام ونصف العام المنصرم ، أعلن ذلك سيد أحمد سعيد البك مستشار رئيس جمهورية الشيشان وأضاف بقوله : «إننا نحن الشيشانيون نفرح كأننا ملكنا الدنيا عندما يتعلم الواحد منا آية من القرآن الكريم»

### باريس

أوضح إمام مسجد باريس أن الدين الإسلامى فى فرنسا يُعد الدين الثانى . الأمر الذى يتطلب تكثيف الجهود الإسلامية . وذلك بافتتاح مزيد من المساجد ، وزيادة عدد الوعاظ والأئمة لمواكبة الزيادة المطردة فى عدد المسلمين بفرنسا .

وذكر مصدر مسئول بالمعهد الإسلامى التابع لمسجد باريس أنه سيتم إعداد الأئمةمن خلال برنامج دراسى على مرحلتين .

### قازاخستان

وُضع حجر الأساس لإنشاء أكبر مركز إسلامى لدراسة العلوم الإسلامية والإنسانية فى آسيا الوسطى بحضور رئيس جمهورية قازاخستان والدكتور محمد على محجوب وزير الأوقاف المصرى وعدد كبير من العلماء ، تتحمل مصر تكاليف إنشاء ذلك الصرح العلمى بالإضافة إلى جامعة مبارك الإسلامية التى بلغت تكاليفها (١٦ مليونا جنيهاً مصرياً) . والجدير بالذكر أن لمصر نشاطا فعالا فى مجال الدعوة الإسلامية فى دول آسيا الوسطى ، كما أن للأزهر الشريف دوراً رياديا فى هذه البلاد حيث يوفر كل عام المنح الدراسية لمواصلة التعليم بالكليات المختلفة بالأزهر مع تحمل كافة نفقات الدراسة والإقامة إلى جانب إرسال الدعاة ، وذلك بالتنسيق بين الأزهر ووزارة الأوقاف ، والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية .



### كندا

عُقد فى تُورنتو بكندا المؤتمر السنوى التاسع عشر لاتحاد الجمعيات الإسلامية لأمريكا الشمالية وألقيت عدة محاضرات قيمة وذلك تحت عنوان (الجالية المسلمة فى أمريكا الشمالية ـ الواجب والحماسية) وذلك لمواجهة الاحتياجات الجديدة للمسلمين فى أمريكا الشمالية فى المرحلة الراهنة من حيث الإسكان والتوطين وتعليم الأبناء العلوم الإسلامية .

ونوقشت فى المؤتمر قضايا العالم الإسلامى ومشكلات المسلمين فى كندا كما عقدت جلسة خاصة للإجابة عن الأسئلة الفقهية ، كما تم عرض فيلم عن الأوضاع فى فلسطين .

La période décisive que vivent actuellement l'Islam et les musulmans nécessite de nous tous de converger nos efforts afin de défendre le Coran et son Texte révélé contre l'attaque féroce que mène l'Occident actuellement à l'échelon mondial.

L'insistance de Berque à imposer le modernisme à l'étude du Coran et sa revendication de séparer les affaires religieuses et la société civile est non seulement incompatible avec la foi islamique mais elle est tout à fait contraire à ce que l'Eglise catholique entreprit pour frapper le modernisme. Or ce terme désigne la science qui — par sa nature — s'intéresse à étudier les textes de l'Evangile et d'y appliquer les sciences de l'Histoire et de la Critique, à cause de leur non-conformité aux découvertes scientifiques. Comment donc impose-t-on au textes coranique révélé ce qu'on refuse d'appliquer à des textes manipulés au cours des sicèles?

Enfin, il ne reste plus qu'à dire au jeune collègne, chercheur en hébreu et "le responsable de la révision des traductions française et hébraique du Coran..., désireux de précision et soucieux de lecture attentive littérale de la traduction" comme il se qualifie lui-même et qui a voulu me démontrer comment "j'ai mal compris" les propos de J. Berque — je lui demanderai donc de lire l'étude qui s'étend sur 82 pages qui forme un supplément à la traduction erronée des sens du Coran, je l'inciterai à la relire avec un vif intérêt et une plus grande attention — selon ses propres mots — puisse-t-il saisir toutes les impostures, les erreurs et les déformations qu'elle renferme et dont je n'ai mentionné que quelques-unes.

J'espère qu'il n'ignore pas — en tant que lecteur — que l'introduction est la partie du livre que tout lecteur commence à lire même s'il ne poursuit pas sa lecture. Que dire alors si le livre en question est le Coran, et l'introduction est chargée des remarques que nous avons précédemment signalées.

Que dire alors si les lecteurs n'ont que faire que de lire ces impostures en se fiant à une bonne réputation antérieure?

Enfin, comment permet-on à un spécialiste de la langue hébraique d'assumer cette tâche de réviser la traduction française impartiale de J. Berque? Il aurait fallu confier cet examen à un spécialiste en langue française connaissant bien son lexique et il reconnaîtrait alors les fautes commises par J. Berque vis-à-vis du Coran et de l'Islam.

L'attitude de J. Berque — comme nous l'avons démontrée — vient à l'unisson avec cette attaque féroce menée de nos jours par l'Occident contre l'Islam et les musulmans. Il ne faut point lui pardonner en allégant ses attitudes et ses discours avec les médias ou en subissant n'importe quelle pression.

Que J. Berque se fêche comme il lui plaira, car le Coran n'est pas un joujou pour lui ou pour tout autre mal intentionné.

Dr. ZEINAB ABDEL AZIZ

Nous connaissons tous le sens et la portée de cette revendication sur laquelle insiste actuellement l'Occident, et que Jean-Claude Barreau a exprimée dans son ouvrage "L'Islam et le Monde moderne" publié en 1991, en ces termes trop évidents et francs : "une modernité qui dure est irrévocable : l'Islam serait obligé de s'y adapter pour le plus grand bien de l'humanité ou de disparaître."

C'est autour de cette même revendication qu'ont tourné de nombreuses recherches au congrès tenu en 1978, à Colorado, sur la christianisation des musulmans et dont la traduction de J. Berque vient de pair avec cette demande. Ce congrès s'inscrit dans le cadre des opérations des missionnaires auxquelles les journaux font brièvement allusion ainsi que les Corans déformés qu'on diffuse.

En ce qui concerne la langue de J. Berque et le niveau de son interprétation, ce n'est guère ici le lieu de l'aborder en détail: cependant les fautes qui s'y trouvent ne peuvent être commises par une personne d'un tel calibre, à moins que ce ne soit fait intentionnellement. Il suffit de signaler qu'il prend à la légère le texte coranique et il suffit de même, de mentionner à titre d'exemple, ces jeux de mots dans les phrases suivantes :

"Dieu efface, remplace et confirme à son gré les révélations."

Ou tel autre exemple où il fait dire à Abou-Bakr parlant du Coran : "Pour tout Ecrit, un terme."

Tout cela outre son rejet de termes essentiels dans l'Islam comme "la mosquée" auquel il substitue des appelations propres au christianisme, tout en sachant que le terme français dérive de l'arabe. D'autre part, il insiste à traduire le mot "victoire" par "secours" comme s'il refusait d'attribuer la victoire à l'Islam ou de noter que l'Islam a été victorieux ! Ou bien il traduit la Sourate "Les Romains" par la capitale "Rome", et pour éloigner de lui tout soupçon d'erreur, il met en marge la note suivante : "Nous disons, pour des raisons d'euphonie, "Rome", où il faudrait, bien sûr, "Les Byzantins" (p 431).

Quelle flagrante erreur : car depuis quand la traduction ou le choix des termes se fait-il en se référant à l'euphonie loin de l'acception propre du terme ou en déformant ce dernier?

Le b.a.ba de la traduction signifie la probité dans le transfert du sens le plus clairement possible.

Toutefois s'il avait écrit le terme "Byzantins", il aurait orienté l'esprit du lecteur vers l'ère des conquêtes islamiques, mais c'est là une chose qu'il essaye tout le temps d'éviter ou de cacher.

Dans son interprétation railleuse, M. Berque va même jusqu'à traduire le verset Dieu ne manque pas à sa promesse) : Dieu ne manque au rendez-vous) (Sourate 3, v.9).

Si on laisse à part le sens populaire courant de ce terme, il va sans dire que le mot arabe signifie ici "la promesse" et c'est ainsi qu'il devait le traduire. Il est curieux de constater que, dans les six fois où ce mot "promesse" apparaît dans Le Coran-sans parler de ses variations — Il l'a traduit quatre fois par "rendez-vous", une fois par "pacte" et une seule fois par son sens exact et ceci dans la Sourate "Les Groupes", alors que son acception et sa portée dans le texte coranique sont les mêmes.

Est-ce là ce que le jeune collègue considère, dans l'article précité, comme jugements prononcés "à la suite d'une lecture attentive des interprétations des exégètes, qui atteint un degré inaccessible à beaucoup de musulmans? !"

Il ne me reste plus qu'à dire : Maudites soient les mains de tout musulman qui aborde le texte coranique avec le dédain et la frivolité d'un J. Berque.

D'autre part, nous ne devons pas négliger que ces millions de musulmans représentent l'entité poursuivie par les dirigeants français après l'avoir broyée et qu'on obligé à choisir entre deux alternatives : l'expulsion ou la fusion totale dans la société française avec ses croyances !

La cause ne consiste pas simplement en une "différence de certains détails relatifs aux interprétations coraniques ainsi que dans le fait de donner deux titres à certaines sourates" comme l'auteur de l'article a essayé de minimiser l'importance du sujet et sa gravité, mais ma protestation portait sur ce que J. Berque avançait dans cette étude chargée qu'il avait annexée à son interprétation, avec tous les axes qu'elle comportait qui dénotaient une attitude partiale préméditée et non par manque d'attention comme on le prétend.

Nous citerons, à titre d'exemple, quelques-uns de ces axes :

• Jeter le doute au sujet de la révélation, de l'ordre et de l'assemblage du Coran.

• L'influence du Coran par la poésie préislamique et par la pensée grecque (en insistant sur cette thèse en plusieurs endroits).

• L'influence du Coran par les Psaumes de David.

• Le Coran renferme un trait mythologique de la philosophie catastrophique de l'histoire.

• L'horrible impression que nous laisse le Coran sur Allah !

• Ajoutons à cela sa critique des normes du Coran qui sont, d'après lui, loin de la codification.

• L'ambiguité de l'expression des jugements, ce qui donna aux anciens exégètes de grandes libertés inacceptables des autres rites.

• La contradiction de la loi islamique qu'il prend comme point de départ pour attaquer l'éveil islamique et la non-séparation de la religion et de la politique.

• Le fait de soulever de nouveau le problème de la discorde relative à la création du Coran.

• Le Coran "transforme des légendes en dialogues emprunts de psychologie différencielle et de pittoresque.

• L'accusation de certains exégètes de supprimer quelques versets coraniques qui les dépassaient ou de changer leur sens.

• Que « l'Islam a pris pour son compte une partie de l'héritage préislamique et puis en assumant une partie de celui des Grecs une fois infligées à l'un et à l'autre les corrections d'un transcendantalisme rigoureux.»

• Que «le problème de l'Islam aujourd'hui est par ailleurs le divorce qui pourrait s'aggraver entre les positions de la doctrine et la marche effective du monde, voire du monde musulman lui-même. »

Il s'est mis ensuite à critiquer la tendance de l'Islam à s'orienter vers ses principes fondamentaux tout en insistant sur la nécessité d'aborder le Coran en conjugant modernité et authenticité pour convenir aux nécessités de l'époque !

## Que Jacques Berque se fâche !

**Par Dr. Zeinab Abdel Aziz**
**Professeur de civilisation et chef de département de Français.**
**Faculté des Lettres de Ménoufia**

**TRADUIT par Dr. Achira Kamel**

Oui, que Jacques Berque se fâche comme il lui plaira; car le Coran n'est pas un joujou pour lui ou pour tout mal intentionné.. Je ne conteste pas la place de J. Berque en tant qu'orientaliste ou même en tant qu'ami des arabes et des musulmans, même si c'était le long de ses écrits. Mais ce qu'il vient de commettre à l'égard du Coran et de l'Islam de connivence avec cette attaque menée par l'Occident, nécessite une pause honnête et non une flagornerie inconsidérée !

Quelques articles parurent, ces dernières semaines, prenant la défense de J. Berque et de son interprétation erronée du Coran... s'accordant tous pour mettre en relief sa colère et exagérant l'accueil cordial qu'on lui réserve. Le dernier de ces articles est celui du Dr. Mahmoud Azab, maître de conférences à la Faculté des Langues et de Traduction, et spécialiste de langue Hébraique, où son auteur écrit :

"L'été dernier, 1992, nous avons rencontré dans l'un des colloques de l'Association Philosophique, le Professeur de langue française qui a soulevé ce problème. Nous lui avons répondu, devant l'auditoire, pour défendre la vérité puis pour défendre J. Berque... Nous lui avons démontré comment elle avait mécompris certains détails."

Je voudrais tout d'abord signaler que le monsieur en question entreprit de faire un commentaire sur mon allusion à l'interprétation erronée faite par J. Berque, mais ses propos étaient tout à fait différents et j'espère bien qu'il ne s'en esquivera pas; il avait dit alors : "J. Berque regrette les fautes qu'il avait commises, par manque d'attention, dans cette interprétation et il est disposé à les corriger !"

L'écart est immense entre ce qui fut dit devant l'auditoire, l'année dernière, et ce qu'il écrit aujourd'hui (dans Al-Ahram, le n- du 25/6/93) dans une tentative flagrante pour effacer l'énormité de l'erreur commise par Berque.

Bien que l'auteur de cet article fît allusion implicitement, à la disposition de Berque de "réviser, de reprendre et de corriger les erreurs", toutefois il s'exprima en une formule d'hommage et de vénération incompatible avec ce que cet orientaliste expérimenté a commis.

Il nous reste à nous demander : que signifie que M. Berque se soit excusé trois ans après la publication de son interprétation, alors que les milliers, voire même les quatre millions de musulmans résidants en France et ne parlant que le français lisent les impostures qu'il leur présente?

Quant à la maladie qui dispense temporairement du jeûne, c'est où il y a un risque de danger pour la vie. Et le voyage qui donne le droit de différer le jeûne, c'est celui qui autorise le raccourcissement de la prière. On rapporte que les compagnons du Prophète (paix soit sur lui) étaient libres de jeûner ou de ne pas jeûner pendant les voyages effectués mois de Ramadan. L'un d'eux rapporte ceci disant :

"Nous combattions avec le Prophète (paix soit sur lui), les uns jeûnaient les autres non, mais personne ne blâmait celui qui ne jeûnait pas"[2].

Mais il existe une catégorie qui n'est pas astreinte à à l'accomplissement compensatoire, elle ne doit que la rançon ou "fidya" qui consiste à nourrir un pauvre pour chaque jour de jeûne non-observé. Cette catégorie comprend les vieillards, les malades atteints d'une maladie incurable, ainsi que la femme en état de grossesse et la nourrice.

Quant à l'expiation ou "kaffara" elle est due, à la suite de l'accomplissement compensatoire, à celui qui enfreint volontairement le jeûne obligatoire. Elle consiste à affranchir un esclave, ou à jeûner soixante jours ou à nourrir soixante pauvres pour chaque jour d'infraction. Nous apprenons ceci du Hadith prophétique suivant: On raconte qu'un homme confessa au Prophète (paix soit sur lui) qu'il eut une relation sexuelle avec sa femme au cours d'une journée de Ramadan. Le Prophète (paix soit sur lui) lui demanda :

"As-tu un esclave à affranchir? l'homme répondit négativement. Peux-tu jeûner deux mois de suite? L'homme répondit : non. Le Messager de Dieu (paix soit sur lui) lui donna une quantité de dattes et lui dit : donne ceci aux pauvres à titre d'aumône. L'homme répondit : il n'y a point de gens plus pauvres que ma famille. Le Prophète (paix soit sur lui) éclata de rire et lui dit : donc, donne-les à ta famille"[1].

La majorité des juristes affirment qu'il faut obligatoirement observer l'ordre de ces expiations.

Dr. Zeinab Mohammed Sabri.

---

2. « كنا نغزو مع رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) فى رمضان ، فمنا الصائم ومنا المفطر فلا يعيب الصائم
على المفطر ولا المفطر على الصائم .

Idem, T1 p. 374. (Traduction personnelle)

1 « هل تجد ما تعتق به رقبة ؟ قال لا . قال فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين ؟ قال : لا . قال فهل تجد ما تطعم به ستين مسكيناً ؟ قال لا . فجاء بعرق فيه تمر فقال : تصدق بهذا . فقال : فهل على أفقر منا ؟ فضحك النبى حتى بدت نواجزه وقال : اذهب فاطعمه أهلك »

Hadith rapporté par Abou Houraïra.

(Traduction personnelle).

conque d'entre vous verra la nouvelle lune jeûnera le mois entier. Celui qui est malade ou celui qui voyage jeûnera ensuite le même nombre de jours. Allah veut la facilité pour vous, il ne veut pas, pour vous, la contrainte*. Achevez cette période de jeûne, exaltez la grandeur de Allah qui vous a dirigés. Peut-être serez-vous reconnaissants. Je suis proche, en vérité. Quand mes serviteurs** t'interrogent à mon sujet je réponds à lappel de celui qui m'invoque, quand il m'invoque***, qu'ils répondent donc à mon appel, qu'ils croient en moi. Peut-être seront-ils bien dirigés. La cohabitation avec vos femmes vous est permise durant la nuit qui suit le jeûne. Elles sont un vêtement pour vous, vous êtes, pour elles, un vêtement*. Allah savait que vous vous lésiez vous-mêmes, il est revenu vers vous, il vous a pardonné. Cohabitez maintenant avec vos femmes. Recherchez ce que Allah vous a prescrit. Mangez et buvez jusqu'à ce que l'on puisse distinguer à l'aube un fil** blanc d'un fil noir. Jeûnez ensuite jusqu'à la nuit. N'ayez aucun rapport avec vos femmes lorsque vous êtes en retraite dans la mosquée. Telles sont les Lois divines, ne les transgressez pas».

L'obligation du jeûne pendant le mois de Ramadan résulte donc des versets précités qui constituent le dogme principal du jeûne auquel s'ajoutent quelques dogmes secondaires.

En vertu de ces versets, Allah (T.P) nous renseigne sur la prescription de ce culte qui incombe à tout Mususlman, majeur, sain d'esprit, en bonne santé et à l'état sédentaire. Si le jeûne n'est pas observé pour une certaine raison, on sera astreint à l'accomplissement compensatoire ou à l'expiation.

L'accomplissement compensatoire est une obligation pour le malade ou le voyageur qui sont autorisés de différer leur jeûne jusqu'au moment où ils seront en état de le faire. Il en est de même pour la femme pendant les menstruations, ou à la suite de l'accouchement. A ce sujet, Aïcha disait que du temps du Prophète (paix soit sur lui) les femmes qui avaient leurs règles menstruelles étaient astreintes au jeûne compensatoire et non à la prière compensatoire[1].

---

* Dans le texte qorânique on remarque l'antithèse qui se trouve dans " اليسر " et " العسر ". Ce procédé n'est pas très clair dans le texte traduit de D. Masson.

L'emploi du terme "difficulté" au lieu de "contrainte" donnerait, peut-être, l'effet de l'antithèse très marquée dans le texte arabe du Qorân. Cette antithèse sera donc entre "facilité" et "difficulté".

** Le terme " عبادى " est traduit par "Mes serviteurs" qui n'est pas l'équivalent exact du terme qorânique qui est plus fort et qui signifie "esclave" et en même temps "adorateur".

*** أجيب دعوة الداع إذا دعانى notons l'effet phonétique de la reprise des dérivés suivants " دعوة " et " داع " et " دعانى ". Le sens peut facilement être rendu par la traduction, mais cet éloquent effet phonétique est difficile à reproduire. Nous préférons tout de même la traduction de M. Hamidullah qui semble assez correspondante au texte qorânique.

"Je réponds à l'appel de qui fait appel quand il m'appelle".

M. HAMIDULLAH : Le Saint Coran, op. cit., p. 36.

* " هن لباس لكم وأنتم لباس لهم " Cette expression est une forme du style parabolique très caractéristique dans le Qorân. Lorsqu'il s'agit d'un sujet délicat à mentionner, le style Qorânique a toujours recours aux allusions et au sous-entendu.

** Notons l'emploi du mot "fil" pour faire allusion à la finesse de la première lueur de l'aube qui suit directement les dernières minutes de la nuit qui vient de s'écouler.

1. Voir EL SAYED SABEQ : Figh El Sounna, op. cit., T1 p. 373.

# LE JEUNE

Dr. Zeinab Mohamad Sabri

Le jeûne pendant le mois de Ramadan est le quatrième pilier de l'Islam. C'est une prescription divine imposée par Allah (T.P.) à Ses fidèles un lundi, au cours du mois de Chaâban en l'an 2 de l'Hégire[1]. L'objectif capital de ce culte est de préparer l'âme de celui qui jeûne à la piété en s'abstenant de manger, de boire, de fumer et de consommer l'oeuvre de chair à partir de l'aube jusqu'au coucher du soleil, pendant tout le mois de Ramadan.

Donc le jeûne obligatoire doit être accompli pendant des jours déterminés et comptés, à savoir les jours du mois de Ramadan. C'est le neuvième mois du calendrier islamique, c'est aussi le mois au cours duquel le Qorân fut révélé dans la Nuit du Destin[2]. En mémoire de cette nuit bénie, les Musulmans consacrent tout le mois au culte et au jeûne.

Toutes les dispositions relatives aux pratiques du jeûne sont données par les versets suivants :

Sourate La Vache, 183-187
(O vous qui croyez ! Le jeûne vous est prescrit comme il a été prescrit aux générations qui vous ont précédés.
— peut-être craindrez-vous Allah*
Jeûnez durant des jours comptés. Celui d'entre vous qui est malade ou qui voyage, jeûnera ensuite un nombre égal de jours. Ceux qui pourraient jeûner et qui s'en dispensent**, devront, en compensation, nourrir un pauvre. Celui qui, volontairement, fera davantage y trouvera son propre bien. Jeûner est un bien pour vous. Peut-être le comprendrez-vous. Le Coran a été révélé durant le mois de Ramadan. C'est une direction*** pour les hommes, une manifestation claire de la direction et de la loi. Qui-

---

1. Voir EL SAYED SABEQ : Figh El Sounna, op. cit., T1 p.366.

2. Les Musulmans du monde entier commémorent chaque année cette nuit qui marque la "descente" du Livre. La date culminante est l'une des nuits de la dernière décade, de préférence la nuit du 26ème au 27ème jour de Ramadan. C'est Laylat-Al-Qadr à laquelle une sourate est consacrée (no. 97).

* لعلكم تتقون c'est un exemple caractéristique du style qorânique qui consiste à rendre des idées très riches par le minimum de mots. Cette brève expression évoque les innombrables bienfaits du jeûne et en tête l'acquisition de la piété. Nous proposons donc la traduction de M. Hamidullah qui emploie le terme "piété". "Peut-être serez-vous pieux".
M. HAMIDULLAH : Le Saint Coran, op. cit., p. 35.

** "Pour ceux qui peuvent supporter difficilement le jeûne mais qui craignent un danger sur leur vie, il y a une rançon : la nourriture d'un pauvre" Nous proposons cette traduction car l'étude de l'exégèse et du commentaire implique la traduction du sens de « يطيقونه »

*** " هدى " : ce terme qorânique n'a pas un équivalent exact en français. Il est traduit le plus souvent par "direction", "voie" ou "chemin" mair ces termes ne rendent pas le sens exact du terme qorânique qui évoque l'idée du chemin qui conduit les croyants vers la Religion vraie.

De même observons La Parole divine dans le verset numéro 35 de la Sourate "Les prophètes : [Nous vous éprouvons par le mal et par le bien, en manière de tentation] Dans le 7ème verset de la Sourate "La Caverne" on trouve : [Nous avons embelli ce qui se trouve sur la terre pour voir quel est celui d'entre eux qui agit le mieux] L'épreuve d'Allah, gloire à Lui, ne concerne pas seulement les gens ordinaires mais tous les hommes y sont soumis, même les élus qui sont les prophètes. Allah-gloire à Lui dit au 124ème verset de la sourate "La Vache" : [ Lorsque son seigneur éprouva Ibrahim par certains ordres... ] Mais Ibrahim a surmonté avec succès l'épreuve et Allah lui a reservé une bonne récompense, l'a protégé des injustes et l'a rendu l'Imam des gens; ainsi Ibrahim a bien récolté le gain de son effort douleureux.

Lisons le verset depuis le début jusqu'à la fin : [ Lorsque son seigneur éprouva Ibrahim par certains ordres et que celui-ci les eut accomplis, Allah dit : [ je vais faire de toi un guide pour les hommes. "Ibrahim dit : "Et ceci s'applique aussi à ma descendance ? Le Seigneur dit : "Mon appui ne s'applique pas aux injustes ].

L'épreuve à laquelle l'homme est soumis n'a point un effet destructeur qui amène à une destruction totale, ni à la perte de toute chose; mais elle est respectée par un manque des divers bienfaits dont l'homme joint sur cette terre.

Le terme "épreuve" englobe un peu de crainte, faim, des pertes légères de biens, d'honneurs ou de récoltes. Or le mot "épreuve" cité dans le verset numéro 19 de la sourate "La Vache", ne signifie pas un anéantissement de l'ensemble des bienfaits, des grâces mais seulement d'une partie de ces biens.

Ceci est considéré comme une épreuve à laquelle le serviteur doit se soumettre; or dans le cas où il est touché par le malheur le plus grave, il le prend en patience. Même les athées qui ne croient pas en un dieu soumettent ceux qui sont doués (comme l'étudiant et celui qui cherche un travail ) à des épreuves.

Ceux qui supportent le malheur avec patience seront récompensés car Allah-gloire à Lui-dit à la fin des trois versets [ Annonces la bonne nouvelle à ceux qui sont patients. ].

La patience ne signifie point un laisser-aller face à l'évènement mais plutôt le courage de le supporter avec patience. C'est le fait de tout ramener à Allah. Or, seuls les vrais croyants ramènent tout à Allah. C'est pourquoi le deuxième verset explique l'attitude des croyants qui espèrent gagner le Paradis; voici ce qu'ils disent : [ ceux qui sont atteints d'un malheur qu'ils disent nous appartenons à Allah et nous revenons à Allah. "Chaque bienfait est un don d'Allah, s'Il le prend alors Il reprend ce qui lui est du. Ces bons propos apaisent le Coeur du croyant et l'incitent à redoubler d'efforts. Y-a-t-il un meilleur bienfait pour perpétuer la relation qui unit l'homme à son Créateur et à son Bienfaiteur ? Si nous serons ramenés corps et âmes à Allah, que valent donc la perte des fortunes, des personnes et des cultures ?

Cette attitude devant le malheur est admirable : C'est une victoire sur le malheur.

Dr. Rokeya Mahmoud GABR

# L'honneur du poste est une épreuve d'après un article du Cheikh Cha'raoui dans le journal Al Akhbar (suite).

Dr. Rokeya Mahmoud GABR

L'épreuve est un examen qui existe aussi bien dans le mal : la fortune est une épreuve, la santé est une épreuve, la science est une épreuve... le prestige du poste est une épreuve... les honneurs du pouvoir sont une épreuve... l'amour des gens pour quelqu'un ou quelques uns d'entre eux est une épreuve.. l'abondance de la récolte est une épreuve ... la qualité des produits industriels et le succès de leur vente sur le marché est une épreuve. Ce sont là des formes de bienfaits qui touchent l'homme durant sa vie. Mais, c'est aussi un examen auquel Allah-Tout Puissant-soumet un de ses serviteurs ou une communauté; lorsqu' Il les couvrent de Ses bienfaits, sont-ils reconnaissants? ou ingrats! S'ils sont reconnaissants Allah leur octroie plus de biens. Par contre, s'ils sont ingrats, alors Celui qui octroie le bien peut également atteindre l'individu ou la communauté d'un mal.

Ainsi, il verra la réaction de ceux qui étaient reconnaissants auparavant et de ceux qui s'étaient habitués à ces bienfaits. Ramèneront-ils toute action à Allah? se résigneront-ils à Sa volonté en l'invoquant et l'implorant ? Ou bien seront-ils en proie à la révolte contre la destin et la volonté d'Allah ?

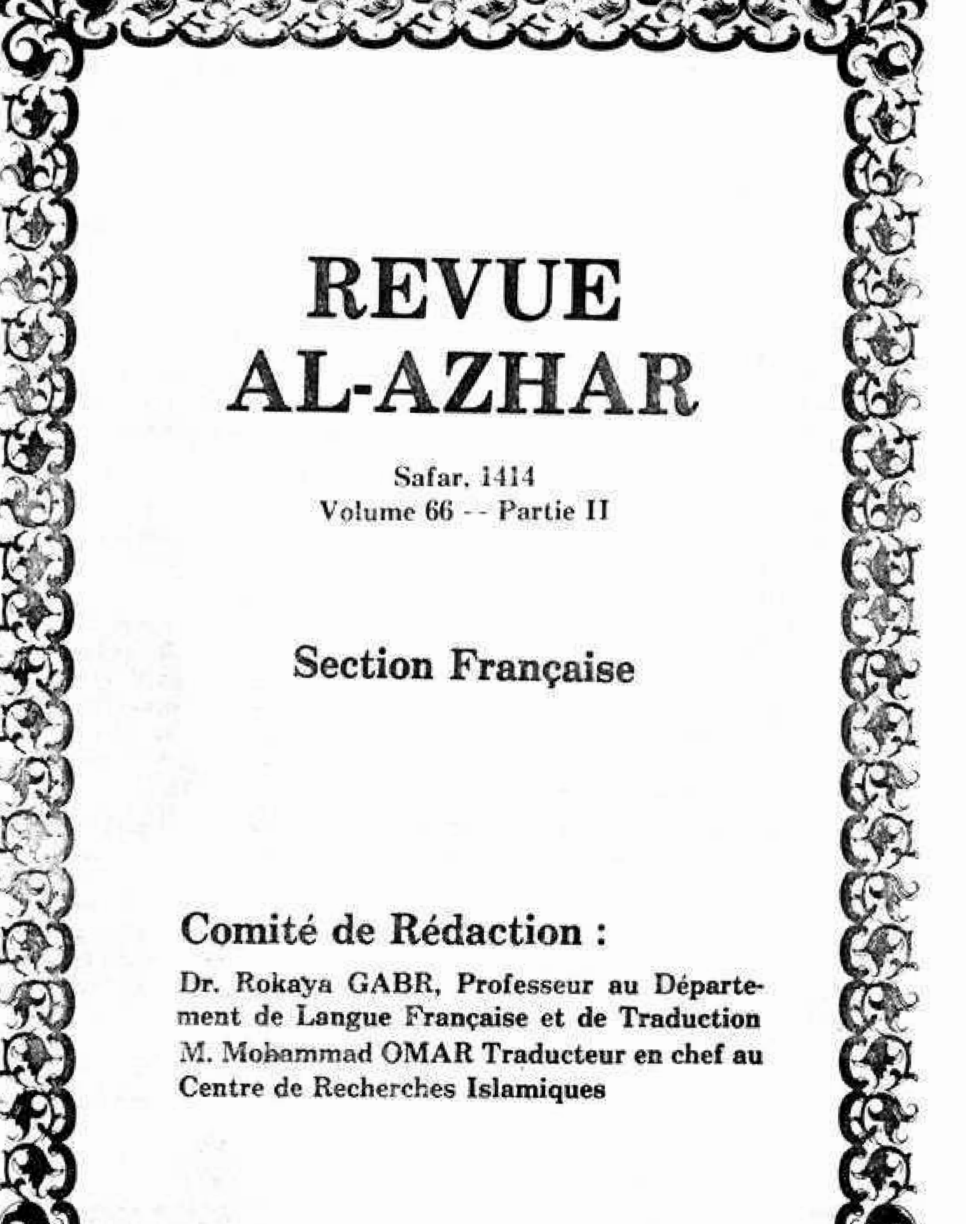
Il faut admettre que l'homme est éprouvé soit par le bien, soit par le mal; car Allah, qu' Il soit glorifié, qui possède les raisons de toute chose a le pouvoir d'en faire un bien ou un mal.

Prenons l'eau, par exemple, qui est à l'origine de tout être vivant; si Allah le veut, il peut en faire une pluie modérée pour irriguer la terre, alors les récoltes poussent et les fruits mûrissent; mais Allah peut de même en faire une pluie torrentielle qui innonde les récoltes, les maisons, les bâtiments et les routes.

C'est pour cela que le prophète paix soit sur lui - accueillait la pluie en ces termes : "O Allah, fais tomber la pluie autour de nous et pas sur nous". C'est ainsi que la puissance absolue s'affirme : la même chose peut-être utile ou nuisible.

Il est certain que celui qui loue Allah lorsqu'il reçoit un bienfait évoque Allah lorsqu'il est atteint d'un mal; car cela indubitablement, mènera à un bien, soit par la suppression d'un manque, soit par la foi en la sagesse du Tout Puissant. Le Cheikh Cha'raoui poursuit ainsi son commentaire :

**Certains versets coraniques parlent des épreuves dans le bien et dans le mal : nous allons nous arrêter pour réfléchir sur la grande sagesse d'Allah. Le versets numéro 17 à 20 de la sourate "Al Kalame" (Noun, Par le Kalame et par ce qu'ils écrivent) Allah gloire à Lui dit : ("Nous les avons éprouvés-comme nous avons éprouvé les propriétaires du jardin qui avaient juré de faire leur récolte au matin sans faire de restrictions. Une calamité envoyée par ton Seigneur les surprit tandis qu'ils dormaient et ce fut, au matin, comme si tout avait été rasé) .**



# REVUE AL-AZHAR

Safar, 1414
Volume 66 -- Partie II

## Section Française

that she may find inconvenient and difficult to cover. However, when the face and hands are uncovered they should not be beautified. Scholars, concerning the question of whether the woman should cover the face, are divided in opinion into two groups. The first group interpreted the words "what appears of it) in the verse 24:31, as the face and hands, as they may find difficulty in covering them all the time. They are the parts which a woman reveals in Prayer and Pilgrimage. However, this group of commentators (Malikis, Hanafiz and Shafiis)[4] stipulated that if the face is uncoverd, it should not be made attractive by the use of ornaments or cosmatics. Moreover, a woman should not let herself appear in front of non-mahram men who might gaze at her which is an act forbidden by Allah.

The second group interpreted "what appears of it", in the verse as the ornaments such as clothes, rings and the like. Thus, the face and the hands are not exempted from the rule of covering. Therefore, a woman should not cover her face in front of anybody other than those stated in the above mentioned verse[5].

Advocates of this interpretation (Al Hanabelah, some Shafiis) use the following evidence to support their viewpoint :

(1) The Hadith narrated by Umm Salameh (may Allah be pleased with her): "When the verse of hijab was revealed, the women of Ansaar went outdoors with their heads like crows".[6] The 'Simile' compares the woman of Ansaar as crows;this indicates that they were covering their faces with their flowing clothes.

(2) What is quoted by El-Bukhari, narrated by 'Aisha (may Allah be pleased with her) under the heading "what a Muhrim (the pilgrim) Should Wear. Under this heading it is stipulated that she should uncover her face during pilgrimage and this shows that she must be covering her face at any other time.

Having discussed the above issues of 'hijab' based on the Qur'an and Hadith, it is thus noteworthy to mention that there is no statement of the type or form of the Islamic dress for women in the Qur'an or the sayings the prophet. However, it has been agreed by Fuqahaa that the woman should cover the whole body without showing its form or beauty. They also agreed that the ideal length of the dress should reach the ankles. It is not acceptable that it should not be any shorter than the ankles even if the legs are to be covered by heavy socks.

Accordingly, let every woman reconsider her attitude towards her dress as a muslim. It goes, without saying that whoever pronounce the 'Shahada' that "there is no God but Allah and Muhamed is his Messenger" should have complete submission to Allah and his orders. This includes what is stated about 'hijab', despite the fact that some women would not consider it an important matter. It is quite clear from the above discussion that 'hijab' is part and parcel of the belief in Islam and faith in Allah, and whatever suffering this may incur, if any, one should remember Allah's promise for the Obedients as in the translation of the meanings of verse (4:13) :

> "And whoever obeys God and His Messenger, He shall admit him to Gardens beneath which rivers flow, abiding therein forever; that is the great triumph." (4:13).

---

(4) Dr. el-Bauty refers the reader to the books: Ahkamul Qur'an by Ibn al-Araby, Vol 3, p. 1357, to Ahkamul Qur'an by al-Gasas, Vol 3, p. 289 and to al-Durul Mukhtar in the chapter dealing with permissibility and in permissibility Vol 5, P. 244 in the explanation by Ibn Abdin.

(5)Dr. El-Bouty refers the reader to the commentary of El-Beidawi on verse 24:31 and the book Al-Mughnie by Ibn Kudamah, Vol. 7, p. 23, as well as the book Mughnil Muhtaj Fi Menhaj et — Talebeen, Vol. 3, p. 128.

(6) Ibn Kathiir. Tafsiir ALQur'an Alhakiim, Vol. 3, p. 518 Cairo. Dar Ihaya'ul Kutabul Arabeyyah, n.d.)

In the Pre-Islamic period known as (Jaheleyya), women were keen on showing their beauty (to men). The neck, the bosom and the foretock were especially cared for and displayed in front of men. After the advent of Islam, its legislative rules were revealed gradually. As regards women's dress, the following verses were revealed :

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن
يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ (سورة الأحزاب)

The following is a translation of the meanings of the above verse :

> «O prophet, say to your wives and daughters and the wives of the believers to draw close round them their flowing outer garments. That is better so they may (not) (3) be known and they may not be hurt and God is Forgiving, merciful.» (33: 59)

وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا
وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ
أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ
أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ
وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾

The following is a translation of the meanings of the above verse :

> «And say to believing women to restrain their eyes, and guard their private parts, and show not their adornment except what appears of it'. And let them cast veils over their bosoms and not display their adornment save to their husbands, or their fathers, or their husband's fathers, or their sons, or the sons of their husbands, or their brother, or their brothers' sons or their sisters' sons, or their women, or what their right hands possess, or male a Hendants of no sexual desires, or children who have seen nothing of womens hidden parts. And let them not shake their legs to let it be known what they conceal of their ornaments. And repent you all to God, O you believers, so that perhaps you may prosper.» (24:31)

The verses clearly state that revealing some parts of the woman's body (i.e. 'tabarruj'), which the Arab women had been doing in 'Al-Jahiliya', is prohibited; except for what normally appears of her, i.e. that which is too difficult and inconvenient to cover. Moreover, a woman should not use any ornaments and appear in front of non-mahram men.

Hence, Muslim imams (religious leaders), without exception, have agreed that a woman should cover her body except for the face and the hands which are the parts

(3)The negative 'not' has been added here to Khatib's translation in order to make the meaning clearer. It would also be preferrable to use instead of the word close in his translation (to draw close round) the expression to 'cast down their outer garnments' as in Yusuf Ali's translation.

# Hijab

## "The Islamic Dress for Women" [1]

## By Mrs. Iman Muhammad Hassan

Islam is a unified system which sets rules to organize the life affairs of believers and guarantees happiness for them in both this life and the Hereafter. Allah, the Almighty is One, He is the affectionate, Who loves his worshippers and His legislation is to attain the welfare of people. Islam means submission and surrender to Allah, the Almighty, Whose guidance we should follow blindly thus, the true believer who has faith in his lord is not liable to place his preference over Allah's decree. He is to obey his God exclusively in compliance with the following verse:

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ
وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ (سورة الأحزاب)

> "It does not befit a believing man and woman, when God and his Messenger have decreed a matter, that they should have the choice in their affair. And whoever disobeys God and His Messenger, he then shall stray into a manifest aberration." (33:36) 2.

Thus, for a Muslim woman complying with Allah's orders should have a priority over satisfaction of her own desires. Therefore, the Islamic dress for women is not to be tampered with. Yet, women differ in their opinions and attitudes towards this dress: some conform to it while others are not; some conform to it whereas others hesitate.

The aim of this paper is to present some verses from the Qur'an, some of the sayings of the prophet Mohamed (i.e. Hadith) as well as views of 'Fuqaha' concerning this issue for those who refuse to wear the Islamic dress. The 'ulama (Muslim scholars) have written a lot on the subject, discussing the juristic rule of 'hijab' (i.e. Muslim dress) and its requirements. They give special attention to what is agreed upon by the 'Fuqaha' (Muslim jurists) and what is controversial, such as the issue of covering the Muslim woman's face. The following is a translation of a summary of Dr. El Bouty's book Ila Kull Fatah Tu'men Bellah (To Every Believing women), which is considered one of the most comprehensive discussions of hijab.

---

(1) This article is based on Dr. Muhammed Said Ramadan el-Bouty's book Ila Kull Fatah Tu'men Bellah (To Every Believing Lady), 2nd ed., (Cairo: Darul Sahwah, n.d). This book is the fourth in a series named Sawtul Azharul Sharif (The Voice of the Honourable Azhar). It discusses heavily the topic of "Hijab' documented by books of Tafsir, "Figh' and 'Hadith'. Dr. el-Bouty is a Syrian Muslim scholar who was awarded a prize in 1992 by Al-Azhar for his contribution to propagating Islam through his books.

(2) The translation of the Qur'anic verses quoted in this article is taken from M. M. Khatib's translation, authorized by al-Azhar. (London : Macmillan, 1984).

Rodwell is definitely mistaken, here, as it is well known and documented that the Qur'an during the life of the Prophet Mohamed (MPBUH) was dictated and written under the supervision of Mohamed himself as Khalifa (1983 : 38) says [3] :

> «Islamic history bears ample witness to the fact that Qur'anic revelations were recorded in writing under the Prophet's personal supervision. His scribes who were often with him and to Whom he dictated the heavenly message, were well known to their fellow Muslims».

Khalifa also adds on page (42) :

> «It so happens that there is ample evidence proving the Prophet had set a textual order for the Surah's, both in the form of the instructions to his companion and in his recitations of successive Surahs.»

However, Rodwell carries on saying :

> «and convey no idea whatever of the development and growth of any plan in the mind of the founder of Islam, or of the circumstances by which he was surrounded and influenced».

In the above quotation, he doubts the prophethood of Mohamed (MPBUH), and considers him the «founder of Islam». This main idea prevails as he carries on saying on page 8.

> «The sources whence Mohamed derived the materials of his Koran are, over and above the more poetical parts, which are his own creation, the legends of his time and country, Jewish tradition based upon Talmud, or perverted to suit his own purposes, and the floating christian traditions of Arabia and S. Syria.»

Then on page 10 of his preface he contradicts himself by saying :

> «We have no evidence that Muhammad had access to the Chrisitan Scripture».

He carries on saying :

> «There is but one direct quotation (Sura XX 105) in the whole Koran from the Scriptures; and though there are a few passages, as where «alms» are said to be given to be seen of men, and as, none forgiveth sins but God only, which might seem to be identical with texts of the New Testament, yet his similarity is **probably** merely accidental.»

From the above quotation, it is clear that Rodwell is all the time contradicting himself. He first states that Mohamed has said the words of the Qur'an in a poetic version of his own or it could have been taken from either old or New Testament. Then, later, he said that there is no evidence that he could have access to these texts, but he adds saying it might seem to be identical with the text of the New Testament. The use of this expression means that he is not sure and could not confirm the similarity.

*To be continued*

---

**(3) For further discussions on the matter of gathering the Qur'an and when it was first written, the reader is advised to read The Sublime Qur'an and Orientalism (1983) by Mohamed Khalifa.**

converted to Islam. In his view, the Qur'an cannot be translated and that his work is merely an attempt to present the meanings of the Qur'an into English. This translation was then followed in 1934 by that presented by Yusif Ali, which is most commonly used now, entitled **The Holy Qur'an.** Yusif Ali was a Muslim scholar who has had good command of both Arabic and English languages. His translation is in a way free from grave misinterpretations found in other translations like those presented by Qadyani sect. Yusif Ali has also added some comments at the bottom of each page, helping the reader to comprehend the text correctly.

In 1956, another translation into English appeared entitled **The Koran A New Translation**, presented by N. J. Dawood, which was published within the series of « The Penguin Classics ». In his introduction, he says that the reason he presented this work was to supply the reader with a version of the Qur'an translated into modern English.

The translation presented by Arthur J. Arbery, in 1955, entitled **The Koran Interpreted** was published by Oxford University Press. Arbery was a Christian professor in a British University who died recently. He agress that the Qur'an being a great work should not be translated . Hence the title he chose for his translation. Depite the fact that Arbery was a non — Arab, non — Muslim, yet he had moderate views about Islam and the Qur'an.

Then, there were the three translations of the Qur'an presented by « Qadyani » sect. These three translations are done by the followers of Maraza Ghulam Ahmed El Qadyani who is known to this sect as the « Expected Christ » to come. The members of this sect have beliefs of their own and are so proud that they declare and admit it. These translations are **The Holy Qur'an** by Mawlana Mohamed Ali, first published 1918; **The Holy Qur'an** by Malik Ghulam Fareid, first published in 1969; **The Qur'an** by Muhamed Zafrulla Khan, first published in 1971. The last and most recent translation is presented by M.M. Khatib entitled **The Bounteous Koran**, and authorized by Al-Azhar in 1984 and first published 1986. Khatib, is an Egyptian Muslim who has good command of both languages and acquired a good deal of knowledge about Islamic culture.

The aim of this paper is to discuss some of the pitfals of these translators of the Qur'an, namely Revernd J. Rodwell, Arthur J. Arbery and M.M. Khatib. However, as this is merely a short paper, therefore, I'll select two or three examples from each translation. The reason for choosing these translations lies in the fact that Rodwell's was the first translation done from the Arabic text and being a member of church was affected by the Christian teachings and was against Islam. His aim was to falsify Islam as a revealed religon. On the other hand, Arbery had moderate views about Islam. He disagreed with Rodwell on many of his views, especially the belief that Qur'an is not the « word of God » revealed to Mohamed (MPBUH). The third translator, « Khatib », is a Muslim whose translation is the most recent and authorized by Al — Azhar.

In the preface to his book entitled **The Koran Translation from the Arabic**, Rodwell commented on the gathering of Qur'an and arrangement of the Suras, during the time of both Caliphs Abou Bakr El Sideeq and Othman Ibn Affaan, He mentioned that the Suras revealed in Medina were placed in the book preceding those Suras revealed in Mecca and that some Ayyahs revealed in Medina were placed in the middle of Suras revealed in Mecca and vice versa. Thus, to him (2) the Qur'an is « almost unreadable and incongruous patchwork ».

(2) This quotation is taken from The Koran translated from the Arabic (1961 : 2) by Rev. J. M. Rodwell (First published 1861).

# An Approach to the Translations of the Meanings of The Qur'an into English

## Part I

**By Doctor Trandil H. El Rakhway. PHD**

The miracle of the Qur'an lies in its language, its beauty and eloquency of its style. It was revealed to Mohamed (MPBUH) in the 7th century for all worlds, peoples and races. Therefore, there has always been the need for the translating its meanings into other languages. In this paper, I'll present a brief review of some English translations of the Qur'an that exist up till the present day.

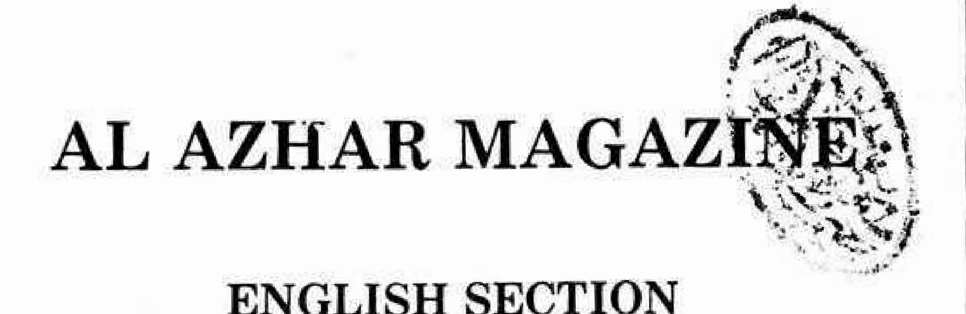
The first translation to be carried out by Robertus Rotensis and Hermannus Dalmata in 1143 was into Latin done in the interest of the convents during the time of the Crusades. This Latin translation was then translated into German, Italian and Hindo languages. In 1647, it was translated into French by the French Consul in Egypt André du Ryer. The first English translation to be carried out was from the French version in 1688 by Alexander Ross, which was described, "as despicable by Savory and a very bad one and no better than its French origin by Sale."(1)

In 1689 another Latin translation was presented by 'Maracci' including the Arabic text as well as extracts from the different commentaries of the Qur'an. These commentaries according to Mehana (1978) were chosen in such a way so as to give bad impression about Islam to Europeans. The translator, who was a priest and one of the leading church members, started with an introduction which was entitled 'Refutation of the Qur'an'.

It was in 1734, that George Sale presented an English translation of the Qur'an from Latin which was then considered the original English source for the translation of the Qur'an and was republished several times in Europe. From then onwords, there followed many English and other European translation of the Qur'an through which the translators expressed what they believed about Islam. This was sometimes done within the core of the translated text or in the form of footnotes or comments. This has led some Muslims such as Yusif Ali & Pitckthall to translate the meanings of the Qur'an into English in an attempt to give the reader, as far as possible, the most adequate rendering of the Qur'an into English. The first Muslim who tried to translate the Qur'an into English was Dr. Mohamed Abdel Hakeem Khan in 1905. However, the first published English translation was that presented in 1861 by Reverend J. M. Rodwell and reprinted several times entitled **The Koran translation from the Arabic.**

In 1930, there appeared another translation by Mohamed Marmaduke Pickthall entitled **The Meanings of the Glorious Qur'an.** He was a Christian Englishman, who

(1) Quoted by Khalifa (1983 : 65).



# AL AZHAR MAGAZINE

## ENGLISH SECTION

Vol. 66, Part II
Safar, 1414, Hijrah

EDITOR : Dr. TRANDIL HUSSEIN EL RAKHAWY. PHD

## CONTENTS

1. An approach to the Translations of the meanings of the Qur'an into English Part 1
   *By : Dr. Trandil Hussein El Rakhawy*

2. "Hijab", the Islamic Dress for women
   *By : Mrs. Iman Muhammad Hassan*

"Nothing would be of greater benefit to Muslims and to Humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

## فهرس العـــدد


• الافتتاحية : هجرة النبى محمد صلى الله عليه وسلم .
للدكتور/ على أحمد الخطيب ..... ١٦١

مع الإمام الأكبر

• حوار مع الإمام الأكبر شيخ الأزهر .
حول قضايا الساعة ............ ١٦٤
• فتوى فى جناية قتل ............ ١٧٢
• فتوى فى ملاحظات سلوكيات فئة تتصدى للدعوة إلى الله ....... ١٧٦
• رسالة الإمام الأكبر إلى رئيس مجلس الشعب .................. ١٨٢
• بيان وتوضيح .................. ١٨٣

• مع تفسير سورة الأنفال .
لفضيلة الدكتور/ عبد الجليل شلبى .. ١٨٤

• الرحمن على العرش استوى (٢) .
بقلم فضيلة الشيخ إبراهيم الدسوقى ١٨٩

• فليغضب جاك بيرك .
بقلم الدكتورة : زينب عبد العزيز ١٩٥

• أين نحن من القرآن ؟
لفضيلة الشيخ/ على حامد عبد الرحيم . ١٩٩

• الحسد فى الأحاديث النبوية
للدكتور . محمد شامة .......... ٢٠٢

• خذوا الأولاد بمنهج الإسلام
للشيخ معوض عوض إبراهيم ..... ٢٠٨

• الله أكبر خير من الدنيا وما فيها .
لفضيلة الشيخ أحمد بن محمد طاحون . ٢١١

• الحل الإسلامى لمواجهة العنف وإقرار السلام .
لفضيلة الشيخ السيد عبد المقصود عسكر ...................... ٢١٤

• انبعاث الحيـاة الإسلاميـة فى جمهوريات آسيا الوسطى .
للدكتور عبد الله نجيب محمد ..... ٢١٩

• أثر تغير قيمة النقود فى الحقوق والالتزامات .
للدكتور على السالوس ............ ٢٢٣

• حق الجار على جاره .
للأستاذ محمد زين العابدين العزازى . ٢٣١

الفتـــاوى

إعداد الأستاذ/ عبد المنعم فودة ..... ٢٣٤

• بيان من لجنة الفتوى بالأزهر الشريف ........................ ٢٣٧

• الشعر والشعراء •

• يا إلهي .
للشاعر البسيونى قنعان سليمان ... ٢٣٩

• الخداع والحرية .
للشاعر رشاد يوسف ............ ٢٤١

• يوم فلسطين .
للشاعر على محمود طه ........... ٢٤٤

• حكاية والي .
للشاعر عبد الحليم المصرى ....... ٢٤٥

• العلوم الكونية •

• الهندسة الوراثية والأخلاق .
عرض وتحليل أ. د. أحمد فؤاد باشا ٢٤٨

• السقوط المهبلي وسقوط الرحم .
للدكتور أحمد رجائى عبد الحميد . ٢٥٣

• الجديد فى العلم والتقنية
إعداد : د. نجوى السيد أحمد .......... ٢٥٧

• من أعلام الأزهر ( الشيخ عبد الهادى رضوان نجا الإيبارى ) .
للمستشار / محمد عزت الطهطاوى ٢٦٠

• من روائع الماضي بمجلة الأزهر ( خصب العقول وجدبها ) . لصاحب الفضيلة الشيخ محمد عرفة .
إعداد وتقديم الأستاذ/ عبد الفتاح الزيات .............. ٢٦٤

• طرائف ومواقف .
للأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ...................... ٢٧٠

• اللغة والنقد والأدب •

• القصيدة العربية ومدى تلازم الوحدة الموضوعية لها (٤) .
للأستاذ/ أحمد مصطفى حافظ .... ٢٧٣

• أحكام العدد وتمييزه من القرآن الكريم .
للأستاذ/ محمد عتريس إبراهيم .... ٢٧٨

• « كتاب » ( الأدب الأفريقى ) (٢) .
عرض/ عبير عبد الواحد .......... ٢٨٥

• بين المجلة والقارىء .
إعداد وتقديم د./ محمدعبدالحكيم محمد ........................ ٢٩١

• أنباء وآراء •

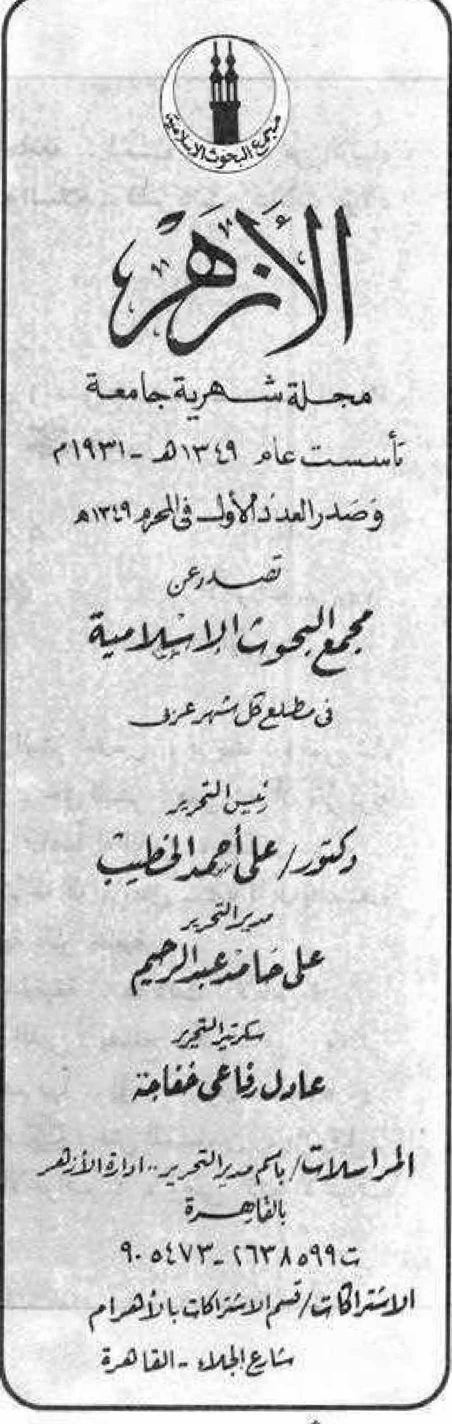
• أنباء مكتب فضيلة الإمام الأكبر
إعداد الأستاذ مصطفى عبد المجيد . ٢٩٧

• أنباء العالم الإسلامى .
إعداد الأستاذ/ مجدى عبد الحميد بشير ........................ ٢٩٩

Section Française

Article 3 par Dr. Zeinab Abdel Aziz (305)
Article 2 par Dr. Zeinab Mohammad Sabri (308)
Article 1 par Dr. Rokeya Mahmoud Gabr (310)

English Section
Article 2 by Dr. Trandil H. El Rakhawy (314)
Article 1 by Mrs. Iman Muhammad Hassan (317)



مجمع البحوث الإسلامية

# الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م

وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩ هـ

تصدر عن

مجمع البحوث الإسلامية

في مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير

دكتور / علي أحمد الخطيب

مدير التحرير

علي حامد عبد الرحيم

سكرتير التحرير

عادل رفاعي خفاجة

المراسلات / باسم مدير التحرير .. إدارة الأزهر بالقاهرة

ت ٢٦٣٨٥٩٩ - ٩٠٥٤٧٣

الاشتراكات / قسم الاشتراكات بالأهرام

شارع الجلاء - القاهرة


بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة العالمين ، وعلى آله وصحبه وتابعيه إلى يوم الدين




مطلع « ربيع الأول » ربيعٌ للمسلمين فى كل أنحاء العالم ، وفى أى فصل جاء ، فى الصيف أو فى الشتاء ، إنه ربيع أرواحهم الذى يضرعون فيه إلى الله ـ تعالى ـ أن يتلطف بهم ـ بإسلامهم على يدى هذا النبـى الأمين الخاتم ﷺ ليـقضى ـ سبحانه ـ على ماعصف بهم من محن ، ومآلمهم من إحباط ، ومانزل بهم من سخرية .. إنه ربيعهم على أى حال .. ربيع الرحمة الصادقة المتنزلة فى قوله تعالى :

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾

الأنبياء ـ ١٠٧

إن محمداً ﷺ صاحب الرسالة التى جاءت « بدستور » البشر أجمعين ، يذكـرنا بـ « آدم » على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ـ أبى البشر أجمعين .

فبين الرسولين الكريمين علاقة (عموم) جامعة .. ليست بين أحد من الأنبياء السابقين من قبل محمد ﷺ ومن بعد آدم ـ عليه السلام ـ فقد كانت رسالات هؤلاء الأنبياء ـ خاصة ـ لاتعدو قومهم .

من آدم ـ عليه السلام ـ كُلُّ البشر

ومن محمد ـ ﷺ ـ التشريع لكل البشر .

عموم فى تناسل البشر لآدم ، وعموم فى (التشريع) لمحمد ـ عليهما الصلاة والسلام ، وبذلك أوحى الله تعالى ـ إلى محمد ﷺ فقال :

﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾ الأنعام ـ ١٩

﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ الأعراف ـ ١٥٨

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ الأنبياء ـ ١٠٧

ولا عجب أن تنتهى الرسالة الخاتمة بقانون للبشر أجمعين ، ثم بعد : « فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » فالحرية عند الله تعالى ـ حق للبشر : فمن شاء أن يُقِرَّ لِرَبِّه بالألوهية ، ويعبده ـ وحده ـ ويؤمن بما أنزل مخلصاً له الدين ، فهذا رضوانه .

ومن شاء أن ينأى عن تلك الحقيقة ، مجافياً شِرْعَةَ الله ـ تعالى ـ محاولا أن يتفلسف لينأى عنها ، فهى أسرع منه نَأياً ، وأمه هاوية لِنَار حامية .

لقد نرى قطاعات فى المجتمع لاترضى بهذه الحقيقة .. لها ذلك ! لابأس !

لكن أن تفترى على الله الكذب ، وتدعى أن الدين لا يصلح لحكم الناس ، وتنشر فى الناس كتباً تَبَرَّأ منها كاتبوها ، وأعلنوا خطأهم فيها .. إلى هنا نقول ـ لهؤلاء : إن هذا افتراء على الله ـ تعالى ـ وكَذِبٌ على رسوله ﷺ وغش للمسلمين ، فإن قيل : هناك (تطرف) قلنا : وهل يعالج التطرف بالانحراف ؟ ، ومتى كان الانحراف علاجا ؟!

إن الذين يكيدون هذا الكيد يحملون على الدين نفسه ، وعلى علمائه ، وليتهم يسبرون عِلْمَ هذا الدين ويفقهون حقائقه ليعلموا ـ إذا أرادوا أن يكونوا من هذا الدين على بصيرة ـ أن العالِمَ بهذا الدين أبعد الناس وأنفرهم من طلب الحكم والسعى إليه ؛ لأنه (أمانة) وهو يوم القيامة (حسرة وندامة) .. فالعالمُ بهذا الدين ليس منافساً لأحد بحال فى هذا الميدان . شاءوا أم أبَوْا .. فلماذا يستهدفونه ؟!!

لقد أصدر الخليفة المهدى أمْراً لسفيان الثورى ليعمل معه ، ففر الثورى ومزق المرسوم ؛ فحكم المهدى بإعدامه ، لكن الثورى نجا ، وهوى المهدى .

إن الذين يكيدون للدين إنما يحثون على التطرف ، وهم ـ جميعاً ـ تجمعهم خصائص لايضلها الباحث :

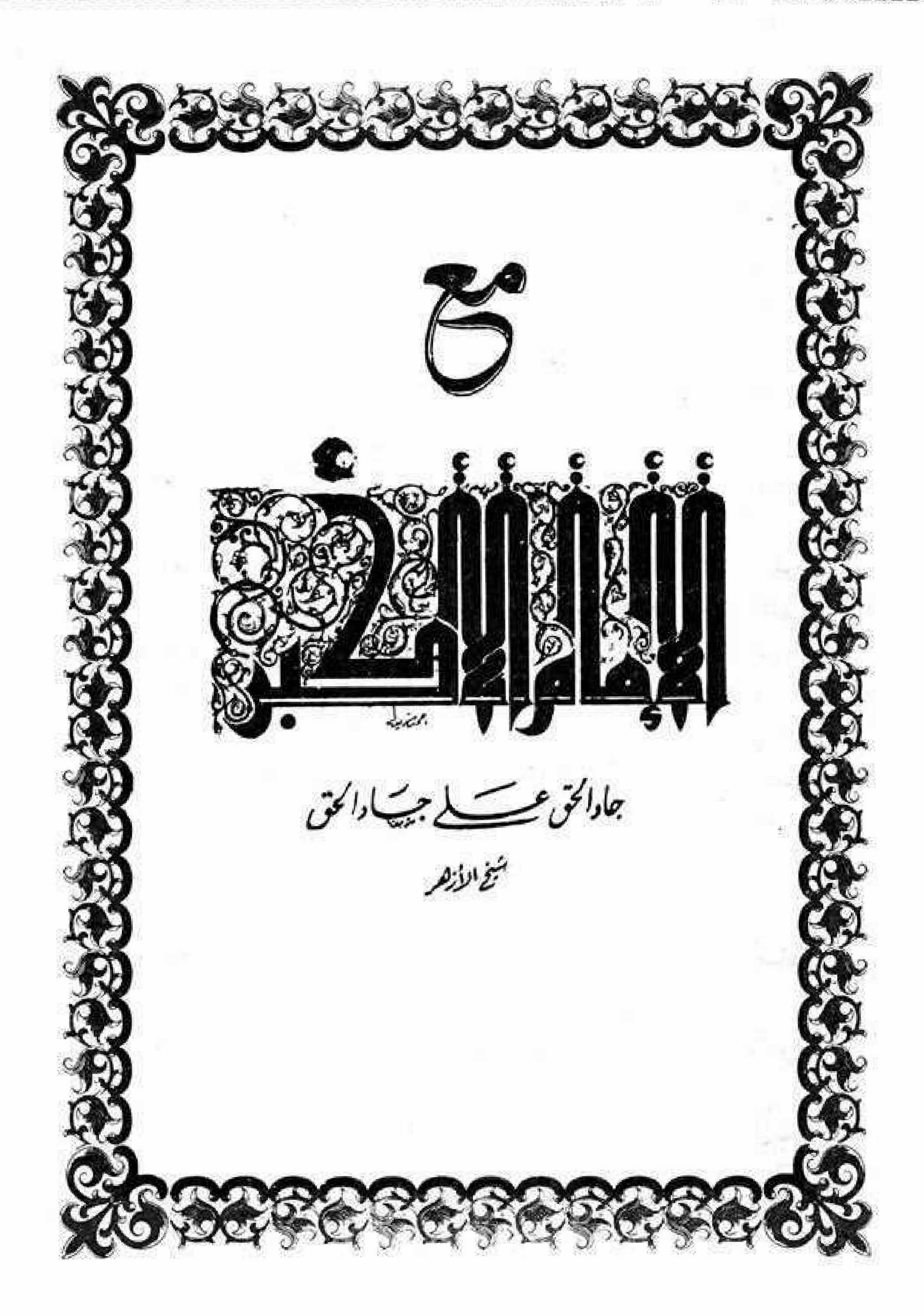
١ ـ فهم أحزاب ليس فى مبادئها قرآن كريم ولا سنة شريفة ، ولا إيمان بقومية هذه الأمة من قريب أو بعيد ، وإلا ماسخروا من دينها ، ولا من رمز هذا الدين .

٢ ـ ثم هم طلاب حكم بوسائل ماتسمح به هذه العلمانية فكل ـ فى دربها ـ يتطلع إلى أغلبية يستوى بها على مقاعد الحكم . صغيرهم وكبيرهم فى ذلك سواء .. ، ولا عجب ـ اذن ـ أن يهاجموا الإسلام نفسه ، ويقفوا من العلماء موقف تناقض مهين لو كانوايعلمون ، فإذا تحدث العالم داعيا لنبذ التهتك والعُرْى وتَلَطُّفَ فدعا أن تحتشم النساء ويتركن (البنطلون) ودعا إلى التعديل الكريم فى الإعلام صرخوا فى وجهه فرموه بالجمود ثم التطرف ثم الإرهاب ؛ فإذا نزل بالبلد الأمين أمْرٌ يُحْزِنهُ صرخوا : أين الأزهر ؟ إنه لايؤدى واجبه ..

ترى أى واجب يريدون .. وهو إن دعا إلى معروف أنكروا عليه ، وإن أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم صرخوا فى طلبه .. ياللتناقض المهين

ويستمر الأزهر ـ من قبل ومن بعد ، ماضياً فى سبيله ـ يعمل للبلد الأمين .




مع
الإمام الأكبر
جاد الحق علي جاد الحق
شيخ الأزهر

# في ذكرى مولد الرسول صلى الله عليه وسلم

# أمانة الكلمة ومسئوليتها من سمات الإسلام

كان مما قالته السيدة/ خديجة عند عودة الرسول محمد ﷺ من غار حراء مكان تعبده وخلوته إثر مفاجأة الملك له ( إنك لتصدق الحديث .. وتؤدى الأمانة ) هذه كلماتُ تلكَ التى عايشته وخَبَرَتْهُ وعرفت قَدْرَهُ وعظمة مقداره ، ومقامه عند ربه ، كلمات مشرقة بنور الإيمان جاءت إلهاماً من وحى اليقين الذى تصورته مستقبلا لمحمد ﷺ .

وَصَفَتْهُ قائلة ( إنك لتصدق الحديث ) فهو الصدوق المصدق وهـــو الصادق الأمين ، الصدق خلقه الذى اشتهر به منذ درج على أرض مكة ، فلم يرد له أحد قولا بشبهةِ مجانبةِ الحقيقة والواقع ، فإذا قال : قالت الدنيا من حوله صَدَقْتَ . فما جرَّبَ عليه أحدٌ كذبا .

يروى البخارى عن ابن عباس قال : لما نزل ، قوله تعالى : ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ خرج رسول الله ﷺ حتى صعد الصفا ، فهتف ( يا صباحاه ) فاجتمعوا إليه فقال : ( أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلا تخرج من سفح هذا الجبل أكنتم مصدق ؟ ) قالوا : نعم ماجربنا عليك كذبا . قال فإنى : ( نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ وشهد له بهذا أبو سفيان وهو على شركه فى مجلس هرقل حين سأله عن أحواله وخلائقه ﷺ بقوله : فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟

قال أبو سفيان : لا . ثم قال هرقل لأبى سفيان يستعيد أسئلته إليه وأجوبته عنها على مسمع من ركب قريش الحاضر مجلسه : وسألتك ، هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ماقال ؟

فذكرت أن : لا ، فغضب هرقل وقال : أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله .

ولقد سجل القرآن الكريم فى آيات عديدة أن هؤلاء المعاندين كانوا يعرفون صدق الرسول ﷺ فى كل ما قال ويقول :

نرى هذا مقرراً فى قول الله تعالى فى سورة الأنعام :

﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ .

وفى حديث أبى ميسرة أن رسول الله ﷺ مر بأبى جهل وأصحابه فقالوا : يا محمد . والله ما نكذبك ، وإنك عندنا لصادق ، ولكن نكذب ما جئت به .

ذلك التكذيب كان بطراً واستكباراً وحسداً أن اختص الله رسوله بهذا الفضل ، يدل على هذا ما رواه الطبرى وغيره أن (الأخنس بن شريق) التقى بأبى جهل ، فخلا به فقال له : يا أبا الحكم ، أخبرنى عن محمد ، أصادق أم كاذب .؟ فإنه ليس هاهنا من قريش غيرى وغيرك ، يسمع كلامنا ، فقال أبو جهل : ويحك : والله إن محمدا لصادق ، وما كذب محمد قط ، ولكن إذا ذهب بنُو قُصَىّ باللواء والحجابة والسقاية والنبوة ، فماذا يكون لقريش ؟

وهكذا كان الغرض السيء وغمط الحق والحسد من دوافع الكيد للرسول وتكذيب رسالته ومعاندته .

لقد كانت سجية صدق الحديث أمراً جُبل عليه الرسول ﷺ منذ خرج إلى الحياة ، وعاش بهذه الفضيلة وغيرها فى مجتمعه منفرداً بأكمل الأخلاق ، ممتازاً على قومه بأنه المثال الأعلى لمعالى المكارم ، يتحدث الناس عنه بأنه الصادق الأمين أكثر مما يتحدثون عنه باسمه .

بَعُدَ به صِدْقُه واستقامته عن مباءات ومفاسد القوم وشرورهم وتسامى بنفسه عن كل ما يخدش سيرته أو سريرته .

فهل لنا نحن المسلمين ونحن نحتفى بذكرى مولد الرسول محمد ﷺ أن نأخذ عنه الصدق فيما نقول وما نفعل ، فلا نفترى الكذب ونذيعه هنا وهناك ولا نغمط المجدين جدهم وجديهم ، ولا نثبط العاملين الصادقين فى خدمة الدين والأمة .

وهل لهؤلاء الذين يسودون الصحائف هنا وهناك لمزاً لشريعة الله ، وصرفاً للمسلمين عن دينهم وتعاليمه ، ويعرضون أفكارهم فى صور من السخرية ، معرضين بأحكام الله التى جاء بها الصادق الأمين كتاباً متلوًّا ، ووحيا من عند الله سبحانه صار سنة متبعة أمر الله بإبلاغه إلى الناس فقال فى سورة المائدة :

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ۚ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ .

الصادق الأمين ﷺ فى ذكراه كانت أمانته سابغة ظاهرة وباطنة ، أمانة على كل شيء قولٍ وفعلٍ ، على العقيدة والشريعة ، على المال وعلى الناس والأعراض والمثل والقيم . أمانة الكلمة التى حملها إلى البشر مقدراً عظمتها ومسئوليتها فكان أميناً على ما أوحى الله به إليه مبلغاً إياه للناس بالرغم مما تعرض له من متاعب ومغريات لصرفه عن هذه الأمانة .

ومن هنا كان قوله ﷺ فيما رواه أصحاب السنن عن أبى هريرة رضى الله عنه :

( إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يَزِلُّ بها إلى النار أبعد مما بين المشرق والمغرب ) .

وهذا هو وحى الله قرآنه يعظم الكلمة ويبين خطرها فيقول الله فى سورة الأنعام :

﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ .

وفى سورة النساء :

﴿فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ .

وفى سورة الإسراء :

﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ .

وفى سورة الحج :

﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَىٰ صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾ .

وفى سورة البقرة :

﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ .

أمانة الكلمة ومسئوليتها ونقاؤها وصدقها كل أولئك ينبغى أن يكون فى حسبان أولئك الذين تعلوا أصواتهم وتسوِّد سطورهم بافتراءات على دين الله وشريعته وفى أسلوب ساخر يفترون على الله الكذب .

﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾

فى ذكرى مولد الصادق الأمين أتوجه إلى هؤلاء الذين يفسحون لأولئك الصحف والسطور بأن يرعوا حقوق الله فلا ينشروا تلك السخرية بالمسلمين وبالإسلام ، إذ يعرفون أن الوقاية خير من العلاج وأن نشر السموم والأفكار الرديئة التى تشغل الناس بقضايا لا محل لها ، وتصرفهم عن علاج ما آلت إليه حال المجتمع من خلل فى القيم والأخلاق أدى إلى اختلاط الأمر على الناس لكثرة مايقرأون من متضارب القول وما يرون من سوء العمل وهذه هى نصيحة القرآن فى هذا الصدد :

﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ .

فى ذكرى مولد الصادق الأمين ينبغى أن نستمع إلى نداء الله وتحذيره فى قوله تعالى فى سورة الأنفال :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ .

وقول الله فى سورة البقرة :

﴿الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ .

إن أمانة الكلمة ومسئوليتها فى هذه الذكرى الكريمة تقضى أن يضع كل صاحب كلمة وقلم أمامه هذه المسئولية ويستمع إلى قول الله فى سورة ق :

﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ .

وقول الله فى سورة القلم :

﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾ .

فى هذه الذكرى المشرقة ذكرى مولد البشير النذير الداعى إلى الخير والبر رسول الله ﷺ نذكر أولئك الذين انبرت أقلامهم بالسوء نحو العقيدة

والشريعة بقول الله فى سورة يونس فيمن سبقهم من أمثالهم :

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٥) ﴾ .

إن هؤلاء الذين يدعون إلى هجر شريعة الله هم مَنْ نَبَّهَ الله عنهم فى قوله فى سورة الذاريات :

﴿ قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ (١٠) ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴾ .

فليحذرهم الناس جميعاً فإنهم لايدعون إلى خير ، ولايهدون إلى رشد ، ولايقولون إلا الزور والبهتان .

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴾ .

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴾ .

وفى أمثالهم قال الله فى سورة النساء :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ (٤٤) وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا (٤٥) ﴾ .

نذكر الصادق الأمين فى يوم ميلاده فهو الأمين فى الأرض وفى السماء ، رفع الله ذكره وسماه الأمين على ألسنة قومه ، ولما يبعث فيهم رسولا ، فكان الأمين عند الله وعند الناس فلم يعرف لقب ( الأمين ) على إطلاقه إلا لرسول الله محمد ﷺ .

لقد كذب القوم الرسالة وما كذبوه وما عابوا أمانته ، بل ظل الأمين فى قولهم جميعاً الصادق فى قولهم ويقينهم جميعاً وإن خالفوه فيما دعا إليه بلاغاً من الله إلى الناس .

﴿ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾ .

أتراهم بعد كل ذلك يبثون سمومهم وأفكارهم إفكا وبهتاناً وزورا ضد الإسلام لايرعون لهذا الشعب المسلم الذى هو إمام أمته والحفيظ على كتاب الله وشريعته ـ مقامه ولا كيانه ـ لا يرعون الشباب الذى لم يتسلح بعد بالتجربة ولا بالقدرة على التفرقة بين هذه السخرية وبين صحيح العقيدة والشريعة .

ألم يأن لأولئك ـ وفى ذكرى مولد الصادق الأمين ـ أن تخشع قلوبهم ويقولوا للناس حسناً ويستمعوا إلى قول الله سبحانه فى سورة فصلت :

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ .

ألم يأن لهؤلاء ـ فى هذه الذكرى العطرة ـ بدلا من أن ينكأوا الجراح ويشيعوا اليأس أن يعملوا لصالح الشعب الذى ينتسبون إليه والأرض التى يقيمون عليها ، ومعلوم لهم أن هذا الشعب مسلم لايبتغى بالإسلام ـ عقيدة وشريعة ـ بديلا ، وإن صلاحه ويسر أمره وحفظ سماته وذاته كل ذلك رهين بإسلامه ، وأن يكفوا عن هذا التزييف وعن تلك التفاهات من الفكر البائس اليائس من زعزعة المؤمنين وإيقاع اليأس والقنوط فى قلوبهم

إن الأزهر الشريف ليهيب بأصحاب الكلمة والقلم أن يوضحوا للناس زيغ تلك الأباطيل حتى لا يظن من لم يعط قدرة على الفحص واستبانة الحق إنها كلمة صدق ، كما أهيب بمن بيدهم أمر الصحف على مختلف أنواعها ومهامها ، ومقاصدها ، أن يوقفوا نشر تلك الأباطيل التى تسخر من دين الله وشريعته ، وليس هذا حجرا على حرية الكلمة وإنما هو تقدير لمسئوليتها وحجب لما يضر ولا يسر ، ولْنُعمل قاعدة الوقاية خير من العلاج ، ولنعرف أن ما عليه بعض شبابنا من تشرذم وربما من فكر شارد يرجع إلى إباحة نشر تلك المطاعن الساخرة بالمسلمين بعقيدتهم وشريعتهم فى الصحف والمجلات التى تطلع على الناس كل يوم ، وتشكك فى العقيدة وفى الشريعة ، وتطعن فى القرآن والسنة ، وفى معتقدات ومقدسات الأمة بوجه عام .

إن أمانة الكلمة ومسئوليتها ينبغى أن يتسع مجال أعمالها وتطبيقها .

ومرة أخرى أهيب بالمسئولين عن الإعلام بكل قنواته وصحفه ومجلاته ومطبوعاته أن يرعوا الله فيما أؤتمنوا عليه وليستمعوا إلى قول الله سبحانه فى سورة المؤمنون ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾ وفى سورة المائدة ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٧٩) ﴾

أليست تلك السخرية بالإسلام وبالمسلمين وإضلال الناس منكراً وعدواناً يجب على المسئولين أن يمنعوه حتى لا يستشرى شره ويصعب احتواء أثره فإن أثر الكلمة السيئة كالشرر ينذر بالخطر ، ولا تقولوا إننا لم نقل ما قالوا فإنكم مسئولون عما ينشر من قالة السوء وهتك الأعراض ، نعم ولنذكر أن أبابكر الصديق - رضى الله عنه قال : ياأيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾

وإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول :

( إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه ) رواه أبو داود والترمذى والنسائى بأسانيد صحيحة ومعنى ( فلم يأخذوا على يديه ) أى يمنعوه من الظلم باليد واللسان أو بالقلب ذلك لأن المعين على الشرور والآثام ونشر الأوهام والأباطيل والأضاليل كفاعلها أو شريك له ، وإذا كنا نقاوم جراثيم الأمراض ونعزل المرضى بأمراض خبيثة وقاية للغير ، إذا كنا نُعْنى بحماية الأحياء فأولى أن نعنى بحماية العقيدة والشريعة التى هى قوامنا فى هذه الحياة وعليها مآلنا عند الله ، وتتعلق بهما آمالنا فى مستقبل أفضل للأمة .

فى ذكرى الصادق الأمين نتلو قول الله سبحانه فى سورة النساء :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا (٥٨) ﴾ .

الصلاة والسلام عليك يارسول الله فأنت الصادق الأمين ، وقد أديت الأمانة وبلغت الرسالة اللهم ( اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ) آمين ، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .



# فتوى

## فى بيان بعض أحكام المضاربة
## وفى حكم التعامل بالفائدة مع بعض البنوك
## وحكم التعامل مع البنوك الإسلامية

**الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله .**

**وبعـــد :**

**فقد ورد إلى مكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر خطاب من المواطنة/نادية عبـــدالله إسماعيل ، موظفة بمديرية أمن اسكندرية ( إدارة البحث الجنائى ) وفيه ترجو التفضل بإفادتها عن :**

١ ـ التعامل بالمضاربة الربح الغير الثابت .

٢ ـ التعامل مع البنك الأهلى ـ بنك مصر بالنسبة للفائدة الثابتة .

٣ ـ التعامل مع البنوك الإسلامية مثل : بنك فيصل والبنك الإسلامى .

وقد ختمت المرسلة خطابها بقولها : أفادكم الله ووفقكم للخير ودمتم لنا ذخراً .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

**الجـواب :**

عن السؤال الأول :

**المضاربة :**

لغة : مفاعلة من الضرب فى الارض ، وهو السير فيها .

وشرعاً : عقد شركة فى الربح بمال من جانب صاحب المال ، وعمل من جانب المضارب وهذا كما جاء فى كتب الفقه الحنفى .

وفى فقه المالكية والشافعية والحنابلة تسمى المضاربة ـ قراضاً وهى لغة أهل الحجاز والقراض مشتق من القرض وهو القطع كأنه يقطع له قطعة من ماله أو قطعة من الربح ، وقيل اشتقاقه من المساواة ، يقال : تقارض الشاعران إذا ساوى كل منهما صاحبه فى المدح ، وتقارضا الثناء .

وقال الصنعانى فى « سبل السلام » ، القراض بكسر القاف : هو معاملة العامل بنصيب من الربح وهذه تسميته فى لغة أهل الحجاز .

**أدلة مشروعية المضاربة :**

لا خلاف بين الفقهاء على جواز العمل بالمضاربة . ويستدلون لمشروعيتها بالأدلة التالية :

**١ ـ من القرآن الكريم قوله تعالى :**

﴿ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾(١)

---

(١) من الآية رقم ٢٠ من سورة المزمل .

وقوله :

﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾[2] .

ووجه الاستدلال أن المضارب هو الذى يضرب فى الأرض ويسعى بعمله فى مال المضاربة ابتغاء فضل الله وهو الربح[3] . وتدل هاتان الآيتان على مشروعية المضاربة بإباحتهما السعى فى طلب الرزق على وجه العموم ؛ وهذا هو ما تفيده هذه النصوص وغيرها بالتضافر فيما بينها .

٢ ـ ومن السنة : أن العباس بن عبدالمطلب ـ رضى الله عنه ـ كان إذا دفع مالاً مضاربة شرط على المضارب ألا يسلك به بحراً ولا ينزل وادياً ولا يشترى به ذات كبد رطب فإن فعل ذلك ضمن ، فبلغ رسول الله ـ ﷺ ـ ذلك فاستحسنه ، وكان حكيم بن حزام ـ رضى الله عنه ـ إذا دفع مالا مضاربة شرط مثل هذا[4] .

ومما ورد فى تجويز المضاربة عن جماعة من الصحابة : ما أخرجه عبدالرزاق عن على ـ رضى الله عنه ـ أنه قال فى المضاربة الوضيعة[5] على المال والربح على ما اصطلحوا عليه .

وعن عمر عن الشافعى فى كتاب اختلاف العراقيين « أنه أعطى مال يتيم مضاربة . وعن عبدالله وعبيدالله ابنى عمر ( أنهما لقيا أبا موسى الأشعرى منصرفهما من غزوة « نهاوند » فتسلفا مالا وابتاعا به متاعا وقدما به المدينة فباعاه وربحا فيه ، وأراد عمر أخذ رأس المال والربح كله ، فقالا : لو كان تلف كان ضمانه علينا فكيف لا يكون ربحه لنا ؟ فقال رجل يا أمير المؤمنين لو جعلته قراضاً ، فقال : قد جعلته قراضاً ، وأخذ منهما نصف الربح ) ويعقب الشوكانى على هذه الآثار بقوله : ( وليس فيها شىء مرفوع إلى النبى ـ ﷺ ـ إلا ما أخرجه ابن ماجه من حديث صهيب قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ ثلاث فيهن البركة : البيع إلى الأجل والمقارضة واخلاط البر بالشعير للبيت لا للبيع . لكن فى إسناده نصر بن القاسم عن عبدالرحيم بن داود وهما مجهولان ) .

وينقل الشوكانى عن ابن حزم فى هذا الصدد قوله فى مراتب الإجماع : ( كل أبواب الفقه لها أصل من الكتاب والسنة حاشا القراض ، فما وجدنا له أصلا فيهما البتة ، ولكنه إجماع صحيح مجرد . والذى يُقْطَعُ به أنه كان فى عصر النبى ـ ﷺ ـ فعلم به وأقره ولولا ذلك لما جاز )[6] .

٣ ـ إجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم على مشروعية المضاربة والتعامل بها :

وتدل الآثار المفيدة لتعامل الصحابة بها ـ فى عصر النبى ﷺ وبعد وفاته ـ على أنه كان للمضاربة صور عديدة كالاتفاق على قدر معين من المال لصاحبه واقتسام الربح إن وجد بين رب المال والمضارب وكالاتفاق على ضمان العامل رأس المال أو الاتفاق على اقتسام الخسارة بين الطرفين كذلك ، وكالاتفاق على اختصاص العامل بقدر

---

(٢) من الآية رقم ١٠ من سورة الجمعة .

(٣) بدائع الصنائع للكسانى جـ٦ ص٧٩ ط أولى ١٣٢٨ هـ ١٩١٠ م ـ مطبعة الجمالية إدارة الخانجى .

(٤) المبسوط للسرخسى جـ٢٢ ص١٨ .

(٥) الوضعية بمعنى أن الخسارة تعود إلى رأس المال ـ المعجم الوسيط جـ٢ ص١٠٨٢ ، كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى جـ٢ ص١٤٨٨ ، لسان العرب لابن منظور جـ٦ ص٤٨٥٨ . وشرح الزرقانى على موطأ الإمام مالك جـ٣ ص١٦١ ، المغنى لابن قدامة جـ٥ ص١٤٧ .

(٦) نيل الأوطار للشوكانى جـ٥ ص٢٦٦ ، ٢٦٧ ط دار الحديث .

من المال لقاء عمله واقتسام مازاد عن ذلك من الربح بينهما . وقد أبطل الفقهاء من هذه الصور المحتملة ما يخالف مقتضى العدالة فى التعاقد وما لا يتفق مع قواعد الشرع وما أشار إليه فقهاء الصحابة والتابعين من قيود على التعامل بالمضاربة لم يكن للاستقصاء النظرى بقدر ما كان لطرد الصور المحرمة للتعامل بها من أسواق التمويل والاستثمار .

٤ ـ أما الدليل على مشروعية المضاربة من المعقول والمصلحة فيوضحه السرخسى بالإشارة إلى حاجة الناس إلى هذا العقد : ( فصاحب المال قد لا يهتدى إلى التصرف المربح ، والمهتدى إلى التصرف قد لا يكون له مال ، والربح إنما يحصل بهما ، يعنى المال والتصرف ، ففى جواز هذا العقد يحصل مقصودهما . وجواز عقد الشركة بين اثنين بالمال دليل على جواز هذا العقد ، لأن من جانب كل واحد منهما هناك ما يحصل به الربح فينعقد بينهما شركة فى الربح )[٧] .

وإذا ثبتت المضاربة بالإجماع والمعقول والسنة التقريرية وعموم نصوص القرآن الكريم وقواعد الشريعة فلا يخفى موافقة مشروعيتها للأصول .

**بم تنعقد المضاربة ؟ :**

وتنعقد المضاربة بالإيجاب والقبول كأن يقول صاحب رأس المال للمضارب فيه : خذ هذا المال واعمل فيه على أن لك نصف الربح أو ثلثه مثلا .

ويشترط أن يكون رأس المال نقـــداً ، ومعلوماً ، وأن يكون الربح شائعاً بينهما ، وأن يُعلم قدر الربح مقدراً بالثلث أو الربع أو النصف ونحو ذلك ، وليس بقدر محدد من المال وذلك بالنسبة لكل من صاحب رأس المال والمضارب ، وأن يكون القدر المشروط ـ على هذا الوجه ـ للمضارب من الربح وليس من رأس المال فقط أو منه ومن الربح معاً حتى لا تفسد المضاربة .

وقد نقل عن الإمام مالك ـ رضى الله عنه ـ قوله فى الموطأ ( كتاب القراض باب ما يجوز من الشرط فى القراض وباب ما لا يجوز ) :

قال ـ رضى الله عنه ـ فى رجل دفع إلى رجل مالا قراضاً ، واشترط عليه فيه شيئاً من الربح خالصاً دون صاحبه ، إن ذلك لا يصلح وإن كان درهماً واحداً .. إلا أن يشترط نصف الربح له ، ونصفه لصاحبه ، أو ثلثه أو ربعه ، أو أقل من ذلك أو أكثر ، فإن سمى شيئاً من ذلك قليلا أو كثيراً ، فإن كل شيء سمى من ذلك حلال وهو قراض المسلمين ، ولكن إن اشترط أن له من الربح درهماً واحداً فما فوقه خالصاً دون صاحبه وما بقى من الربح فهو بينهما نصفان ، فإن ذلك لا يصلح ، وليس على ذلك قراض المسلمين[٨] .

وهذا يدل على أن المضاربة أو القراض الحلال لا يكون الربح فيه مبلغاً محدداً من المال ولو كان درهماً واحداً ..

ومن ثم كانت المضاربة شركة بين صاحب المال والعامل وهى اشتراك فى الربح الحاصل من هذه العملية الاستثمارية المشروعة ، والحصص يجب أن تكون نسباً شائعة من الربح لا مبالغ معينة بالنسبة لرأس المال ولا التزام على العامل فى المال بأن يعطى رب المال ربحاً مفترضاً ، فإن لم يتحقق ربح اقتصر حق رب المال على استرداد ماله وفاته الكسب المتوقع وتحمل العامل خسارة جهده .

ولا اعتبار لكون الربح فى المضاربة الصحيحة ثابتاً أو غير ثابت ، إذ الهدف أن يكون الربح واقعياً نتيجة حركة المال فى التجارة متحققاً

(٧) المبسوط للسرخسى جـ٢٢ ص١٩ .

(٨) الموطأ للإمام مالك بشرح الزرقانى جـ٢ ص١٥٧ ، ١٥٨ ط الخيرية .

باستثمار المضارب وعمله لا أن يكون مفترضاً بعيداً عن الحقيقة[٩] .

**وعن السؤال الثانى :**

وهو حكم التعامل مع البنك الأهلى وبنك مصر بالفائدة الثابتة ؟ فقد أصدر «المؤتمر الثانى لمجمع البحوث الإسلامية» بالإجماع قراراً بشأن فوائد القروض هذا نصه :

( الفائدة على أنواع القروض كلها ربا محرم لا فرق فى ذلك بين ما يسمى بالقرض الاستهلاكى وما يسمى بالقرض الإنتاجى ، وكثير الربا فى ذلك وقليله حرام ، والإقراض بالربا محرم لا تبيحه حاجة ولا ضرورة ، والاقتراض بالربا حرام كذلك ، ولا يرتفع إثمه إلا إذا دعت إليه الضرورة وكل امرىء متروك لدينه فى تقدير ضرورته .

وإن أعمال البنوك فى الحسابات الجارية وصرف الشيكات ، وخطابات الاعتماد ، والكمبيالات الداخلية التى يقوم عليها بين التجار والبنوك فى الداخل ، كل هذا من المعاملات المصرفية الجائزة ، وما يؤخذ فى نظير هذه الأعمال ليس من الربا وإنما من باب الأجرة على هذا العمل .

وإن الحسابات ذات الأجل وفتح الاعتماد بفائدة ، وسائر أنواع الإقراض نظير فائدة كلها من المعاملات الربوية وهى محرمة[١٠] .

هذا : والبنك الأهلى ، وبنك مصر كسائر البنوك الربوية يتاجران فى الديون بالربا .

**وعن السؤال الثالث :**

حكم التعامل مع البنوك الإسلامية ؟ :

والتعامل مع البنوك الإسلامية مثل بنك فيصل وغيره ، تعامل مشروع مادام لا يجرى على نظام الفوائد المحددة مقدماً ، وإنما طريقه الاستثمار بمعنى أن يستثمر المال فى تجارة أو صناعة أو زراعة ، والربح العائد من هذا هو الذى يعود على صاحب المال وعلى البنك دون تحديد سابق للربح ، بل يبقى العائد خاضعاً لواقع الربح والخسارة كل عام أو فى كل صفقة ، والربح والاستثمار بهذا الطريق حلال ، لأنه داخل فى نطاق عقود التعامل الشرعى لعقد المضاربة الشرعية وغيرها للحاجة إليه فى حركة التعامل ، ذلك أن من الناس من هو صاحب مال ولا يهتدى إلى التصرف فيه بالتجارة أو الصناعة أو غيرها ، ومنهم من هو صاحب خبرة ودراية بالتجارة وغيرها من طرق الاستثمار ولا مال له فأجيز عقد المضاربة الشرعية لتنظيم وتبادل المنافع والمصالح فى النطاق المشروع وبالضوابط المقررة شرعاً .

هذا :

وإن الله سائل كل مسلم ومسلمة عن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه[١١] .

ومما سبق يعلم الجواب عن تلك التساؤلات والله سبحانه وتعالى أعلم .

---

(٩) راجع فى الفقه الحنفى كتاب الاختيار لتعليل المختار جـ٣ ص٢٧ ، ٢٨ وتكملة حاشية رد المختار على الدر المختار جـ٨ ص٢٩٢ ، ٢٩٣ فى كتاب المضاربة ، وفى الفقه المالكى حاشية الدسوقى على الشرح الكبير للدردير مع تقريرات الشيخ عليش جـ٣ ص٥١٧ وما بعدها وقوانين الأحكام الشرعية لابن جزى الغرناطى المالكى ص٢١٧ فى القراض ، وفى الفقه الشافعى التكملة الثانية للمجموع شرح المهذب جـ١٤ فى كتاب القراض ص٣٥٧ وما بعدها وحاشية قليوبى وعميرة على منهاج الطالبين للنووى جـ٣ ص٥١ وما بعدها ، وفى الفقه الحنبلى المغنى لابن قدامة جـ٥ ص١٣٤ وما بعدها ثم كتاب الفقه على المذاهب الأربعة جـ٣ ص٣٤ وما بعدها فى مباحث المضاربة والقراض .

(١٠) المؤتمر الثانى لمجمع البحوث الإسلامية المنعقد بالقاهرة فى المحرم ١٣٨٥هـ/مايو ١٩٦٥م ـ قرارات وتوصيات مؤتمرات مجمع البحوث الإسلامية من الأول إلى التاسع ص٢٨ ، ٢٩ ط الأزهر ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

(١١) الفتاوى الإسلامية جـ٩ ص٣٣٤٦ وما بعدها نشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .



# فتوى
# أحكام الذبح في الإسلام

**الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله .**

**وبعد :**

**فقد ورد إلى مكتب فضيلـة الإمــام الأكبر/شيخ الأزهر ـ خطاب من السيد/صلاح حسنين المدير المسئول ـ لشركة البركة للحوم الإسلامية ـ جاء فيه :**

إن شركة البركة للحوم الإسلامية وهو أول مجزر إسلامى تأسست فكرته على أساس توفير اللحوم المذبوحة على الشريعة الإسلامية للجالية المسلمة فى أوربا وخاصة فى ألمانيا وتصدير مايزيد عن احتياجات المسلمين إلى البلدان الإسلامية .

ولقد واجهتهم مشاكل كثيرة من الجهات التى تعمل على تعطيل كل جهد لتطبيق قواعد الشريعة الإسلامية بالنسبة للمسلمين فى ألمانيا وخاصة مشكلة الذبح التى يتمتع بها اليهود ، وتحرم على المسلمين .

وأنه بعد مقابلة المسئولين بالسلطات الألمانية طلبوا منهم فتوى من الأزهر الشريف يكون فيها أن الذبح الإسلامى بألا يصوب على رأس الحيوان أى طلقات أو أى صواعق كهربائية ـ وأن يكون الذابح مسلما ، وأن يسمى على الذبيحة قبل ذبحها بعبارة ( بسم الله ـ الله أكبر ) ، وأن يكون السلاح حادا ، ولا ترى الذبيحة ـ أخرى عند الذبح ..

ثم انتهى الخطاب بقوله :

وبذلك سوف يعطون لنا تصريح الذبح بعد ذلك .

نسأل الله أن تكونوا عونا لنا وللمسلمين فى شتى البلدان .

## والجــــواب

الذباح جمع : ذبيحة ، وهى: الحيوان المذبوح مأخوذة من الذبح بفتح الذال المشددة ـ وهو مصدر ـ ذَبَحَ يَذْبَحُ ، كَمَنَعَ يَمْنَعُ ..

والذبح فى لغة العرب يطلق على الشق ، وهو المعنى الأصلى ، ثم جرى استعماله فى قطع الحلقوم من الباطن عند مفصل العنق من الرأس تحت اللَّحْيَيْن[1] .

---

(1) القاموس المحيط ولسان العرب والمصباح المنير والمفردات فى غريب القرآن للأصفهانى مادة ذَبَحَ .

وللذبح فى اصطلاح فقهاء الشرع الإسلامى ثلاثة معان :

**الأول** : القطع فى الحلق وهو مابين اللَّبة[2] واللَّحْيَيْن[3] من العُنُق .

**الثانى** : القطع فى الحلق أو اللَّبة .

وهذا أعم من الأول لشموله القطع فى اللَّبة ..
والفقهاء يريدون هذا المعنى حينما يقولون : إن الحياة المستقرة هى مافوق حركة المذبوح ، أى الحركة الشديدة التى يتحركها الحيوان حينما يقارب الموت بعد القطع سواء أكان ذلك القطع فى حلقه أم فى لَبَّتِهِ .

**الثالث** : مايتوصل به إلى حل الحيوان الحى سواء أكان قطعا فى الحلق أم فى اللَّبة من حيوان مقدور عليه ، أم إزهاقاً لروح الحيوان غير المقدور عليه بإصابته فى أى موضع كان من جسده بمحدد أو بجارحة[4] معلمة .

وهذا المعنى أعم من سابقيه ..
وهو المراد فى قول الفقهاء : (لا تحل ذبيحة المشرك ) ..
فالمراد ما أصابه المشرك فى حَلْقِه أو لَبَّته إن كان مقدورا عليه أو فى أى موضع كان من جسده ، إن كان غير مقدور عليه[5] .

**التذكية** : هى فى اللغة العربية : مصدر ذكيت الحيوان أى ذبحته أو نحرته والذكاة اسم المصدر ومعناها إتمام الشيء[6] .

وفى الاصطلاح : هى السبب الموصل لحل أكل الحيوان البرى المباح اختيارا كما جاء فى الفقه المالكى .

وعرف فقهاء المذهب الحنفى الذكاة : بأنها السبيل الشرعية لبقاء طهارة الحيوان وحل أكله إن كان مأكولا ، وحل الانتفاع بجلده وشعره إن كان غير مأكول[7] .

ومما سبق يتضح أن اصطلاحى ـ الذبائح والذكاة مؤداهما واحد وأن أثر كل منهما فى الجملة ـ حل الحيوان المباح أكله بالذبح أو بالتذكية ومن ثم يتبع هذا بيان الشروط الواجب توافرها فى الحيوان المذبوح على الوجه التالى :

( أ ) أن يكون الحيوان حيا وقت الذبح حياة نشطة كاملة أو حياة مستقرة .

(ب) أن يقع زهوق روح هذا الحيوان بمحض الذبح فحسب دون أى سبب أو عارض آخر .

(جـ) ألا يكون الحيوان صيداً من الحرم ..
فإذا وجد سبب قبل الذبح ينسب إليه هلاك الحيوان كالانخناق أو الضرب أو النطح من حيوان آخر أو التردى لم يحل الحيوان بالذبح إلا إذا وجدت به حياة مستقرة كما إذا تحرك بعد ما أصابه على هذا

---

(٢) اللَّبة بفتح اللام ـ هى الثغرة بين الترقوتين أسفل العنق .
(٣) اللحيان مثنى اللحى ـ بفتح اللام ـ وهما العظمان اللذان يلتقيان فى الذقن وتنبت عليهما الأسنان السفلى .
والفقهاء يريدون ذلك المعنى حين يقولون (ويستحب فى الغنم ونحوها الذبح ) أى أن تقطع فى حلقها لا فى لَبَّتها .
(٤) كلب الصيد المعلم ونحوه .
(٥) راجع شرح منهج الطلاب بحاشية البيجرمى جـ٤ ص٢٨٥ أول موضوع الذبائح عن التعريف والأركان .
(٦) المراجع السابقة فى أول الإجابة هامش ص٢ من هذه الأوراق .
(٧) الشرح الصغير بهامش بلغة السالك جـ١ ص٣١٢ فقه مالكى وحاشية رد المحتار لابن عابدين على الدر المختار جـ١ ص١٣٦ ـ ١٣٩ ، جـ٥ ص١٩٦ ، ٣٠٥ فقه حنفى .

الوجه حركة قوية شديدة أو ينفجر منه الدم بالذبح ، فإذا لم تكن للمذبوح حياة مستقرة كان فى معنى الميتة فلا يحل بالذكاة كالميتة[٨] .

**شروط حل الذبيحة :**

( أ ) مايتعلق بآلة الذبح وهى : أن تكون محددة تقطع أو تخرق بحدها لابثقلها وألا تكون سنا ، ولاظفراً فإذا اجتمع هذان الشرطان فى شىء ، حل الذبح به سواء أكان حديدا ، أو حجرا ، أو خشباً أو غير ذلك ، كما جاء فى الحديث الشريف[٩] «عن رافع بن خديج قال . قلت يارسول الله إنا نلقى العدو غداً وليس معنا مدى فقال النبى ﷺ ماأنهر الدم ، وذكر إسم الله عليه فكلوا مالم يكن سنا أو ظفراً وسأحدثكم عن ذلك : أما السن فعظم ، وأما الظفر فمدى الحبشة ، رواه الجماعة .. وإن كان يسن الذبح بسكين حاد لأنه من باب إحسان الذبح المأمور به شرعاً .

(ب) وما يتعلق بالذابح نفسه وهو : أن يكون قادراً على الذبح عاقلا مميزاً وأن يكون مسلماً .

**التسمية :**

أما تسمية الذابح بقوله ـ باسمالله ، الله أكبر ـ على الذبيحة حين ذبحها فهو شرط للحل عند الجمهور ـ مع التذكر ـ وتسقط بالسهو .

وأما ماذكر اسم غير الله تعالى عليه عند ذبحه فهو محرم شرعاً عند الجمهور إذا علم ذلك ، أو شوهد سواء أكان الذابح مسلماً ، أم كتابياً لقوله تعالى فى سورة البقرة[١٠] . ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ﴾ .

وروى عن بعض الفقهاء (عطاء ، والزهرى ، وربيعة والشعبى ، ومكحول) حل أكله إذا كان الذابح كتابياً لأنه ذبح على الملة ، وكانت هذه ملتهم قبل نزول القرآن وأحلها فى كتابه .

وقد روى هذا عن صحابيين جليلين : أبى الدرداء ، وعبادة بن الصامت ، رضى الله عنهم أجمعين .. ، .لكن العمل بالقول الأول أولى وأحق لأنه الموافق للنص القرآنى المُحرِّم لما أهل به لغير الله .

**طريقة الذبح الشرعية :**

( أ ) فيما قدر عليه : تكون بين الحلق ، والصدر مع ضرورة قطع الحلقوم «مجرى النفس والمرىء (مجرى الطعام والشراب)» وأحد الودجين وهما : (عرقان فى صفحتى العنق) عند الحنفية يندفع منهما أو من أحدهما الدم بالذبح .

وقال المالكية : لابد من قطع الحلقوم ، والودجين ولايشترط قطع المرىء .

وقال الشافعية والحنابلة : لابد من قطع الحلقوم والمرىء ولا يشترط قطع الودجين بل يسن ذلك .

وما قال به الحنفية أولى وأحق لأن المقصود

---

(٨) بدائع الصنائع فى ترتيب الشرائع جـ٥ ص٥١ فقه حنفى ونهاية المحتاج جـ١ ص١١١ فقه شافعى والمقنع جـ٣ ص٥٤٠ فقه حنبلى ، والشرح الصغير مع بلغة السالك جـ١ ص٣٢٠ فقه مالكى .

(٩) نيل الأوطار للشوكانى جـ٨ ص١٤١ .

(١٠) من الآية : ١٧٣ .

بالذبح هو إنهار الدم أى تدفقه وخروجه انفصالا عن اللحم .

(ب) وفى غير المقدور على ذبحه بين الحلق والصدر : كبعير نفر ، أَوْصَائِل على إنسان ، أو وقع فى بئر ، فذكاته : عَقْر بجرح مزهق للروح فى أى موضع من بدنه بالإجماع .

حكم أكل ماذبح بالسكين المتحركة بآلة كهربائية :

إذا كانت تقطع مايجب قطعه فى موضع الذبح المبين سابقاً ، وكان مدير الآلة الكهربائية ممن توافرت فيه شروط الذابح اعتبر ذلك كالسكين فى يد الذابح وحل أكل ذبيحتها ، أما إذا كانت الآلة تصعق أو تخنق أو تميت بأى طريقة أخرى كالضغط كانت غير مستوفية للشروط السابق ذكرها فلا تحل ذبيحتها .

هذا : وأما سلخ الذبيحة ، وتجهيزها بالآلات الحديثة فلا مانع منه شرعاً متى كان الذبح فى موضعه الشرعى سالف الذكر وبقطع تلك العروق .

وكان السلخ والتجهيز بعد أن تبرد الذبيحة وتتوقف حركتها تماماً ، أما الذبح بطريق التدويخ بالصدمة الكهربائية طلباً لإراحة الحيوان وتخديره فهو جائز بشرط ألا يكون صعقاً أى لايموت الحيوان بالكهرباء ، وبحيث إذا لم يذبح الحيوان عقب الصدمة الكهربائية وترك استرد وعيه وإحساسه وحركاته الطبيعية أما إذا مات بالصعق الكهربائى كان ميتة أشبه بالمنخنقة التى حرمها الله فلا يحل أكله .

والذبح بالتدويخ بالمسدس الواقذ طريقة غير جائزة فى الإسلام لأنه يدخل تحت صنف من المحرمات هو : «والموقوذة»[11] .

ويجب أن يكون ذبح الدجاج وسائر الطيور بالسكين وليس بطريق التدويخ الكهربائى .

**لما كان ذلك** : فإن الذبح الذى يتم بعد تخدير الحيوانات وبعد صعق الدجاج بالكهرباء ، وبعد وقذ الأغنام والأبقار بالمسدس ، وأن التخدير الذى يتم كذلك بغاز ثانى أكسيد الكربون ـ كل ذلك ـ يؤدى إلى خنق البهيمة بشكل محقق قبل ذبحها .

**ولما كان ذلك أيضاً** : كان الذبح ـ مع هذه الطرق ـ من الصعق والتخدير والوقذ ـ يعتبر إهلاكاً لهذه الحيوانات وليس تذكية لها فى حكم الإسلام ، ويصيرها من قبيل الميتة المحرمة ..

وعلى المسلمين فى ألمانيا إيضاح هذا الحكم الشرعى للمسئولين عن المذابح باعتبار أن الحلال والحرام مما يدخل فى حكم الإسلام ـ عقيدة وشريعة .

هذا : وقد ثبتت حرمة الميتة وغيرها مما يلحق بها بنص قطعى فى القرآن الكريم فى سورة المائدة[12] .

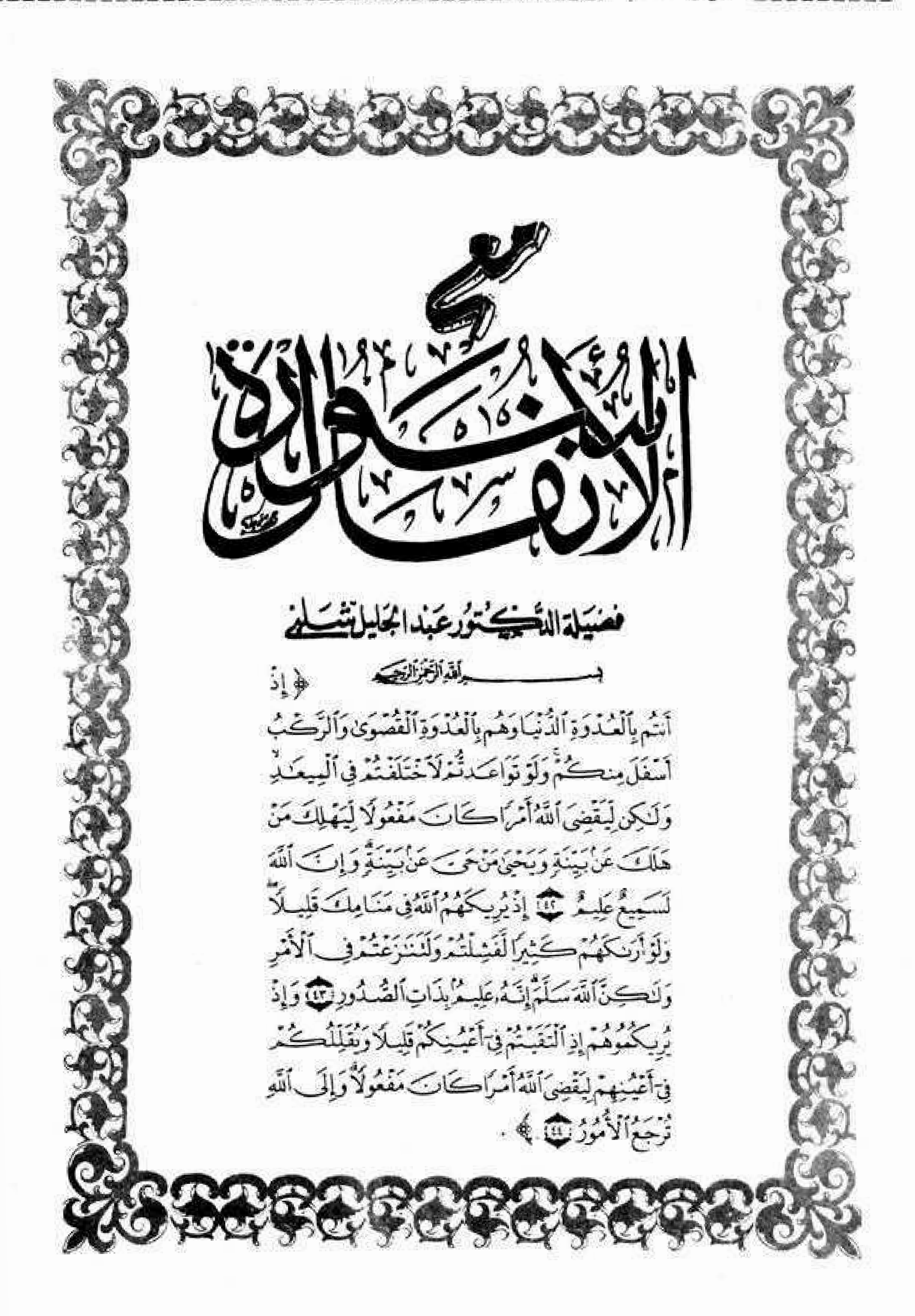
﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ ﴾ ..

والله سبحانه وتعالى أعلم

---

(١١) من الآية رقم٣ من سورة المائدة .

(١٢) من الآية رقم٣ .



# مع سورة الأنفال

فضيلة الدكتور عبد الجليل شلبي

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ ۙ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ (٤٢) إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٤٣) وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (٤٤) ﴾.

هذا الكلام تكملة ووصف لما كان يوم بدر فقد أنهى الحديث عن تقسيم الغنائم بقول الله تعالى :

﴿ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ ﴾

وهو يوم بدر ، وسقنا تتمة هذا الوصف ، فالظرف هنا بدل من يوم الفرقان ، أو هو معمول لفعل غير مذكور ، تقديرهُ اذكر أو اذكروا إذا أنتم كذا وكذا . وجوز بعض المفسرين أن يكون معمولا .. لقدير ، أى هو قدير إذا أنتم فى هذا المكان وهم فى ذاك وعددهم أضعاف عددكم ، ثم مع هذا نصركم . وأيا قدرنا من الوجوه فالآية تتمة لهذا الوصف .

والعُدوة معناها الجانب ، وهى مثلثة العين ، وقرىء بها جميعا ، والقراءة المشهورة هى الضم والكسر ، وقرىء أيضاً بالعِدْيَة على قلب الواو ياء وكسر العين لأن الحاجز بين الواو والكسرة حرف ساكن ، وهو حاجز غير حصين ، كما قالوا : صبية ، وهى من صبا يصبو ، وجاء فى القصوى أيضاً القصيا .

والدنيا والقصوى ، مؤنث : الأدنى والأقصى ، ومن القواعد المقررة أن فُعْلَى من ذوات الواو إذا كانت اسما تبدل واوه ياء ، كالعليا من علا يعلو ، ودنيا من دنا يدنو ، ولم تبدل قصوى فى النطق المشهور للمح الصفة التى لها فى الأصل ، وتميم تقول : القصيا ولغة الحجازيين أولى وأشهر ، والعرب تقول : استصوب الأمر ، واستحوذ عليه ، وقالوا : أغيل وأغال .

والركب أسفل منكم .. أى العير القادمة يقودها أبو سفيان ، وهو اسم جمع لراكب وهى صيغة تستعمل للجمع ، يقولون : إنهم سَفْرٌ أى مسافرون ، وشَرْبٌ ، أى شُرَّابٌ أو شاربون ، وهؤلاء جمع لأنهم كانوا أربعين ، وكانوا على ساحل البحر ، وهو مكان أسفل من المكان الذى كان فيه المسلمون .

والعدوة الدنيا هى : الجانب الأدنى والأقرب إلى المدينة ، والقصوى هى : البعدى عنها و « أسفل » منصوب على الظرفية ، أى فى مكان واقع أسفل منكم ، والواو للحال .

« الآية » تصف الحال التى كان عليها الفريقان ، وتبين ما كان عليه العدو من قوة شوكة وتكامل عدة وحسن موقع بجانب ما كان عليه المسلمون من قلة وسوء موقع ، فالمشركون أناخوا فى مكان ثابت الرمل وعندهم الماء بينما المسلمون فى أرض وعثاء تسوخ فيها الأقدام ، وكانت العير قد أفلتت ، وهذا يصور مدى مادبر الله القدير من نصر المسلمين على عدوهم مع ماكانوا فيه من وضع حرج ، وقلة عدد ونقص عُدَدٍ ، فانتصارهم وغلبتهم مع هذا كله ليست إلا صنعا من الله ، ودليلا واضحاً على كامل قدرته وتدبيره . فقد دبر مادبر من إعزاز دينه وإعلاء كلمته . وقد وعد ـ سبحانه ـ المسلمين إحدى الطائفتين ولم يبين أيها التى سيأخذون ولا أيها خير لهم وأربح ، وكانوا راغبين فى الخروج لأخذ العير ظانين أنها أيسر وأثرى ، لكن هذا النصر العظيم عاد عليهم بالربح العظيم مع مافيه من نصر دين الله وإعزاز كلمته ، ولو خرجوا .. كما كانوا يودون إلى العير واستولوا على مابها ، ما خسر المشركون إلا المال ، ويبقى لهم رجالهم وعدتهم ، ولكنهم الآن خسروا المال والرجال كما خسروا كرامتهم وسمعتهم بين العرب ، وقد حصل المسلمون على أثمن وأوفر مما كانوا يؤملونه من ربح من الصبر .

﴿ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ ﴾

أى لو تواعدتم أنتم والمشركون على هذا اللقاء

لخالف بعضكم بعضا ، فأنتم تثاقلون وتتراجعون لما تعرفونه من قلتكم وقلة عُدَدِكم مع ما لديهم من العُدَد وكثرة الرجال ، وهم يثبطهم مابث الله فى قلوبهم من الرعب والهيبة من رسول الله - ﷺ - ، وهم كانوا لا يقدمون على حربه إلا بعد استعداد شامل وتجميع للقبائل كما فعلوا يوم الأحزاب ، وقد رأينا أبا سفيان يجبن عن العودة لحرب المسلمين يوم أحد ، وقد قعد عن الحرب يوم بدر الثانية ، ولو تواعدوا على لقاء يوم بدر ولم يكن ثم عير ما كان نفير ولا تلاقى الجمعان ، فهم إذن يختلفون فى موعدهم . ولكن الله - سبحانه وتعالى - جمع الفريقين وهيأ لهم هذا اللقاء على غير موعد ﴿لِيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ وهو نصر المؤمنين ، وهزيمة المشركين ، ومعنى كان مفعولا ، كان لابد أن يقضى لنصر المسلمين وهو سبحانه يقول : ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ - وهو أمر مقدر فى الأزل لابد أن يكون .

وقدر بعض المفسرين ﴿كان مفعولا﴾ .. هنا بصار ، أى أصبح هذا النصر واقعاً بعد أن لم يكن وقال صاحب المنار : « ليقضى الله أمراً كان ثابتا فى علمه ، وحكمة أنه واقع مفعول لابُدَّ منه ، وهو القتال المفضى إلى خزيهم ونصركم عليهم » ..

وجملة « ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حَىَّ عن بينه » بدل من ﴿لِيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا﴾ ويجوز تعلقه « بمفعولا » ، بمعنى كان هذا الأمر مقضياً ليهلك من هلك .. والبينة هى الحجة الظاهرة ، وبها لا يبقى اعتذار لمعتذر ، فمن مات ومن عاش ، كل عاين الحجة ، وهذه الحجة هى ما كان يوم بدر . وقد مات فيها من مات من المشركين أمثال : أبى جهل ، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة ، ومات غيرهم ، وما كانوا يتوقعون هذه الهزيمة ، ومن مات من المسلمين رأى ما حل بالمشركين ورأى رعاية الله للمسلمين ، والذين عاشوا من أولئك وهؤلاء ، شاهدوا آية الله الكبرى ، فاضطرب الكفار ودخل منهم فى الإسلام من دخل ، واستبشر المسلمون ، وثبت الإيمان فى قلوبهم ، فالبينة بما حدث فى هذا اليوم كانت جلية واضحة للطرفين . وكلمة « عن » تحتمل عدداً من المعانى كلها سائغ مستعمل فى اللغة العربية .

فهى بمعنى بعد كما فى قوله تعالى : ﴿ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ﴾ . أى بعد زمن قليل والأصل فيها هو المجاوزة ، ولكنها تضمن أو تفيد أصالة معنى السببية ، ومن ذلك « ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ﴾ » .. أى بسبب كلامك لنا ، ولا تصلح السببية هنا وتأتى بمعنى على ، كما فى قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ أى فبخله عائد على نفسه ، ونقول : فلان لا يزيد عن أخيه شيئاً ، أى لا يزيد عليه ولا يفضله ، وتأتى لمعان أخرى ، تقول : صدر فى هذا عن هوى فى نفسه ، وعن توجيه من سيده . وأيا ما كان فمعنى السببية واضح فى مواضع كثيرة لها ، والبعدية فى الآية واضحة مقبولة .

وهل المراد بالحياة الحقيقة ، وبالموت الموت الحقيقى أوهما مجاز من الإيمان والكفر ، فيكون المعنى من آمن بعد هذه الواقعة كان إيمانه عن حجة واضحة مرئية ، ومن كفر وهلك أدرك أن كفره كان خطأ حقاً وضلالا باطلا .

وقرىء : يهلك من هلك .. بفتح اللام فيهما ، وفتح العين فى الماضى والمضارع إنما يكون فيما لامه أو عينه حرفا من حروف الحلق ، فهذه القراءة اذن من تداخل اللغات ، لأن هلك

يستعمل بوزن ضرب يضرب ، وعلم يعلم ، وقيل أيضاً : تستعمل بوزن منع يمنع ، وبه تستقيم قراءة الأعمش بفتح اللام فى الماضى والمضارع

وذيلت الآية بجملة ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ فهو سميع لما يردده المسلمون من كلمة التوحيد وشهادة الإسلام ، ولما يقوله الكافرون من كلمات الإلحاد وسباب المسلمين وشتم دينهم ، ثم يحاسب كلا بعمله .

و﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا﴾ إما بدل من يوم الفرقان ، وذلك أولى ، أو هو بدل من ﴿إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا﴾ ، و﴿قليلا﴾ مفعول مطلق أو ظرف ، أى رؤية قليلة أو زمناً قليلا ، أو هو يعنى الكفار ، أى يظهرهم لك قليلين ، فهو مفعول ثالث ليرى أو لم نعتبرها بصرية ، أو هى حال . والمنام مصدر ميمى ، فالمعنى إذن إذ يريكم الله فى نومك – فهى رؤيا منامية ، وقد جاءت الرواية أنه – ﷺ – رآهم فى نومه قليلين وأخبر أصحابه بذلك فاشتد ساعدهم وقويت معنوياتهم .

ويرد على هذا أن رؤيا الأنبياء حق وأن المشركين لم يكونوا قلة .

قيل : ولعل الله أراه بعضاً منهم .

وقيل : القلة تعنى العجز والهزيمة ، والرؤى عادة تكون رمزية ثم يكون تأويلها عين الحقيقة ، وقد رأى يوسف الصديق أحد عشر كوكباً والشمس والقمر ساجدين له ، ثم كان تأويل ذلك سجود أبويه وإخوته له .

ورؤى أبو جهل يأكل من عذق فى الجنة وكان تأويل ذلك أن ابنه عكرمة هو الذى يستشهد ويدخل الجنة .

فالقلة هنا منبئة عن قلة الكيد وقلة البأس .

وقد نشط المسلمون واشتدوا بسبب هذه الرؤيا ، ولعل منهم من يكون قد فهمها على هذا وقد كان الصديق أبوبكر معبراً للرؤى – مع أن النبى كان قد حذر قبل ذلك وقدر عدد المشركين بالألف وأخبر أصحابه بهذا .

وليس فى كتب الحديث ما يشفى الغلة من هذه الرؤيا .

قال تعالى : ﴿وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ . وفشل المسلمين حينئذ يكون فى نكوصهم وإحجامهم عن الحرب وجبنهم عن لقاء هذا العدد الكبير ، ثم يكون التنازع بينهم إذ يقدم بعض ويحجم بعض ، ويكون تلاوم بينهم وتشاد فى دخول الحرب أو الإعراض عنها ، «ولكن الله سلم» أى كتب للمسلمين السلامة من هذا النزاع وهذا الفشل ، وهو سبحانه عليم بما تكنه الصدور وما تخفيه من الأسرار والخواطر . وفى قوله تعالى : ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ الرؤية بصرية ، وقد حدث هذا فعلا ، وكان لهذا التقليل أثره المختلف فى نفوس الفريقين . أما المسلمون فنشطوا وتشجعوا ، إذ تراءى لهم عدوهم قليل العدد ، حتى قال ابن مسعود لجار له : ما أراهم إلا سبعين رجلا ، وإذن كان من الميسور فى نفوسهم أن يقضوا عليهم ، أما المشركون وكانوا قد تهيأ والحرب عاتية ، فكانت رؤيتهم المسلمين قلة مثبطة لهم ، باعثة للاستهانة بهم ، حتى قال أبو جهل عنهم : ما أراهم إلا أكلة جزور ، يريد أنهم لا يكلفونهم شيئاً إلا مقدار مايتناول الأكلة جزوراً ، فهو مستهين بهم مستخف بقواهم ، وهكذا كان تقليل العدو له أثره المختلف فى نفوس المتحاربين ، ليقضى الله أمراً كان لابد أن يقع ، وإليه وحده ترجع أمور الخلق جميعاً يدبرها بحكمته وعلمه .



# أعظم نبي وأكرم مولود في الوجود ﷺ

بقلم الشيخ/ محمد حافظ سليمان*

يقول الله تبارك وتعالى ﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ (١٥١) ﴾ (الآية – ١٥١ – من سورة البقرة)

لقد اختار الله رسوله محمداً ﷺ من أطهر الأنساب ومن أنقى الأصلاب ؛ فهو يعتز بنفسه وأصله فيقول «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشاً من كنانة . واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم» وذلك لأن الأعراق الطاهرة إذا أصابها غيث الهدى جاءت بأطيب الثمرات وخير الجنى ، وسيدنا محمد بن عبدالله خاتم رسل الله قد اجتباه مولاه وتولاه وأدبه فأحسن تأديبه ورباه وحفظه ورعاه واصطنعه لنفسه ، وهيأه لتحمل أضخم رسالة وأعده لأعظم مسئولية وكلفه بأكبر مهمة عالمية رحمة بالبشرية لينقذ الإنسانية من ظلمات الجاهلية وضلالات الوثنية وعبادة المال والجاه والسلطان وليوجههم إلى عبادة الله الواحد الأحد الذى لا إله

* مدير عام إدارة الوعظ والإرشاد سابقاً

غيره ولا رب سواه ؛ لأن التوحيد الخالص هو أصل الرسالة المحمدية الخالدة ، والإيمان بالله شعور فطرى عند أهل العقل السليم الذين يتدبرون آيات الله فى القرآن والأكوان ويتفكرون فى خلق السموات والأرض فيعرفون أن الأمر لله جميعا وهو القائل :

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾

(الآية ٣٠ من سورة الروم)

والرسول قد حماه الله وحفظه من كل شر وضر وكان الله حسبه ، فهو يصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس ، والله أعلم حيث يجعل رسالته ، وهو الذى قال لسيد البشرية وأستاذ الإنسانية ﷺ :

﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾

الآية ٦ ــ ٧ ــ ٨ من سورة الضحى)

وقال له ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ ﴾ (سورة الشرح)

وقد منحه ربه أعظم لقب ظهر على ظهر هذه الأرض فقال له تعالى :

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

(الآية ــ ٤ ــ من سورة القلم)

وقال جل جلاله :

﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾

(التوبة)

وقال الله تبارك وتعالى :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾

(١٠٧ ــ الأنبياء)

وقد كرمه ربه : فجعل طاعته من طاعته قال تعالى :

﴿ مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ ٨٠ النساء

ورتب محبته على اتباعه ، والله سبحانه وتعالى قد صلى على النبى وملائكته وأمر المسلمين بأن يصلوا عليه فقال تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾

(سورة الأحزاب الآية ــ ٥٦)

وقد أمر الله عباده المؤمنين بأن يلتزموا بالأدب مع رسول الله ﷺ فقال جل جلاله فى سورة الحجرات :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾

(١ ــ ٢ ــ ٣ ــ الحجرات) .

يقول ابن عباس رضى الله عنهما فى هذا المعنى :

«لاتقدموا خلاف الكتاب والسنة» وقال مجاهد : لاتتقدموا على رسول الله ﷺ ولاتفتاتوا عليه بشيء ، «وقال الضحاك : لاتقضوا أمراً دون الله ورسوله من شرائع دينكم» ثم لاتجعلوا نداءه وتسميته كنداء بعضكم بعضاً باسمه المجرد وبرفع الصوت عليه كالنداء من وراء الحجرات كأولئك الذين كانوا يفعلون ذلك ممن وصفهم القرآن بأن أكثرهم لايعقلون فقال تبارك وتعالى فى وصف حالهم :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ ﴾

( سورة الحجرات ) .

وكان الأعراب من أهل البادية لا يعرفون كيف يحترمون رسول الله ﷺ فى لغة التخاطب وغيرها ولكن القرآن هذب مشاعرهم وأحاسيسهم ورفع مستوى شئونهم كلها بآدابه السامية وأخلاقه الرفيعة العالية ، ودروسه النافعة وعظاته البالغة فأصبحوا لايقطعون أمراً دون الرجوع إليه لأن الله قال :

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ۝ ﴾

( سورة النساء )

لقد جعل الله حكمه من حكمه وجعل التسليم علامة القبول والرضا لله ولرسوله ﷺ ، وحرم مخالفة الرسول ، لأن الدعوة المحمدية تسير جنبا إلى جنب مع التسامى والاعتدال والصدق مع الله ، ولولا عناية الله برسوله ورعايته له ــ وحمايته التى كانت تحرسه من الحاقدين عليه المتآمرين على دعوته ــ لما كان شأن رسالته ما ترى اليوم وقبل اليوم من نجاح وانتشار فى ربوع الأرض ، ولقد أحاطت بالمسلمين فى شتى العصور المتعاقبة خطيئات الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا . بعد أن وحد الإسلام بين المسلمين توحيداً يسمو على الأوطان والألوان والأجناس والأقاليم والحدود وقد لعب الكرى بمعاقد أجفانهم حينا من الدهر حتى نسوا ان الله يقول لهم :

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝ ﴾

( سورة الحجرات )

## عَوْدٌ إلى مواكب الذكرى العطرة

كان كل رسول يبعث بلسان قومه والله يقول :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾

(الآية ٤ من سورة إبراهيم)

وكل رسول من رسل الله ــ عليهم السلام ــ كان يأمر قومه باتباع الصراط المستقيم والاعتقاد السليم .

﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ۝٢٥﴾

( من سورة الأنبياء )

**فكان هدفهم الإصلاح الاجتماعى ولم يكن خاتم رسل الله بدعا من الرسل بل جاء مصدقا لهم فلا يفرق بين أحد من رسله**

﴿ءامن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل ءامن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله﴾

**(الآية ٢٨٦ من سورة البقرة)**

## رسول عربى أمين وكتاب عربى مبين

**﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم﴾** قال علاء الدين على البغدادى الشهير بالخازن فى تفسير هذه الآية «يعنى لقد جاءكم أيها العرب رسول من أنفسكم تعرفون نسبه وحسبه وأنه من ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام وأنه قد تم شرف العرب بشرفه وفخرهم بفخره ، وهو من عشيرتهم يعرفهم ويعرفونه بالصدق والأمانة والعفاف والصيانة وطهارة النسب ونقاء الأخلاق» وقرأ ابن عباس ـ رضى الله عنه ـ من أنفسكم بفتح الفاء أى من أشرفكم وأفضلكم ورحم الله القائل : فى قيمة الأصل وعراقة النسب

«إذا اصطفيت امرءا فليكن
كريم الخصال زكى النسب
فندل الرجال كندل النبات
لا للثمار ولا للحطب»

## «صاحب الخلق العظيم والأصل الكريم»
## ( صلى الله عليه وسلم )

لقد نشأ صاحب الخلق العظيم والأصل الكريم ﷺ كريم الأخلاق . جم الفضائل حلو الشمائل لين الطبع عذب الحديث نقى السيرة طاهر السريرة عالى الهمة صادق العزيمة قوى الإرادة رحيماً كريماً عفيفاً عطوفاً جليل الخصال كريم الفعال وقد ألهمه الله صفاء النفس ولم يتلق هذه الشمائل عن إنسان معلم :

﴿وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما ۝١١٣﴾

**( سورة النساء )**

**فهو الرحمة المهداة ، وقد فضله الله بأن جعل معجزته خالدة ـ وهى القرآن الذى أنزله الله بلغة العرب تكريماً له ولكن رسالة الإسلام عالمية خالدة فليس بعد القرآن كتاب منزل وليس بعد سيدنا سيدنا محمد نبى مرسل ، فلا ينبغى أن يلتمس** الناس العلم من الجهالات ولا الهدى من الضلالات وقد جرب الإسلام فى الأيام الأولى فامتدت الأرض أمناً وعدلاً وخيراً وسلاماً .

﴿ولو أن أهل القرى ءامنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض﴾
(الآية ٩٦ من سورة الأعراف)

وبفضل القرآن الكريم تألفت القلوب المتنافرة واتحدت القبائل المتناحرة وأصبح الجميع أمة واحدة ومن تعاليم الإسلام انبثقت الحريات ، وروعيت الحرمات وامحت الظلمات وصارت أرض الصخور مشرقا للنور ، ومن الإسلام استمد العرب عناصر قوتهم وسبيل وحدتهم وأسس كيانهم وقواعد كالهم ، لأن هذه الحياة

الدنيا لاتسعد بالمال الذى يوهب ولا بالفضة والذهب ولكن تسعد بصيانة بنيانها وحماية أركانها بالإيمان بالله ورسوله واتباع الصراط المستقيم والخلق القويم والمنهج السليم :

﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾

(الآية ٩ من سورة الإسراء)

والإسلام قادر - فى كل وقت وحين على أن يقيم العدل ويحقق المساواة والمؤاخاة والتعاون والمودة والتراحم بينت الناس لو أن المسلمين عملوا بقول الله تعالى :

﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ .. ﴾

(الآية ٢ من سورة المائدة)

فلو أنهم فعلوا ذلك لتداركهم رحمة الله وهى قريب من المحسنين والله يقول :

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ . ﴾ (الآية ٨٢ - الأنعام)

وقد كرم الله رسوله وكرم أمته بأن جعل كتابه باقياً خالداً وقد رفع ذكره ﷺ : فلا يذكر ربنا تبارك وتعالى فى التشهد فى كل صلاة إلا ويذكر معه عبده ورسوله محمد ﷺ : وكذلك فى الأذان وفى الاقامة : وكان فضل الله عليه عظيماً ، ويقول هو عن نفسه : «فضلت على الأنبياء بست : أعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب وأحلت لى الغنائم ، وجعلت لى الأرض طهوراً ومسجداً وأرسلت إلى الخلق كافة ، وختم بى النبيون» (صلوات الله وسلامه عليه) رواه مسلم .

ولقد كانت رسالته ﷺ أساساً فى بناء صرح الإنسانية الفاضلة فى ظل الحضارة النافعة والمدنية الصالحة ونوراً تستضىء به الأجيال القادمة والله يقول :

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴾

(الآيتان ٥٢ ، ٥٣ من سورة الشورى)

## وكان للمتقين إماماً

ولقد كان رسول الله صلوات الله وسلامه عليه المثل الأعلى للإنسانية فى أكمل صورها وأجل معانيها فالصدق والأمانة والصبر والاستقامة والشجاعة والإباء والمروءة والسخاء والرحمة التى لم يسبقه إليها أحد من العالمين والعفة والعزة كل أولئك كأن بعض الشمائل المحمدية قبل البعثة النبوية حتى سماه أهل مكة يومئذ الصادق الأمين ولكن الله سماه بعد أن أرسله رحمة للعالمين سراجاً منيراً ووصفه بأنه بالمؤمنين رءوف رحيم وجعله أسوة حسنة للمؤمنين أجمعين فى كل وقت وحين وقال تبارك وتعالى :

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾

(الآية ٢١ من سورة الأحزاب) .

وللدعاة والمصلحين فى رسول الله قدوة حسنة وليتخذوه المثل الأعلى فى الالتزام بأخلاقه التى كانت صورة مجسدة لرسالته العظمى التى بعثه الله بها ليكون للعالمين نذيراً وقال جل شأنه :

﴿ تَبَارَكَ الَّذِى نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾

(الآية ١ من سورة الفرقان)

وذلك ليهتدوا للتى هى أقوم بالقرآن وبالمنهج الأمثل بسنة الرسول الأعظم ﷺ لتكون الدعوة على بصيرة ، ولن يتم هذا إلا بأن يسلم المؤمن وجهه ونفسه وقلبه إلى الله وهو محسن ليذوق طعم الإيمان ؛ لأنه رضى بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً والأخلاق الإسلامية ليست من صنع البشر ولكنها جاءت من عند الله على يد خاتم رسل الله ﷺ :

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾
(الآيتان ٣ ، ٤ من سورة النجم)

## وبالأخلاق الإسلامية تقوى الروح المعنوية

﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ ۝١٥ يَهْدِى بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ السَّلَـٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَـٰتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾
(الآيتان ١٥ ، ١٦ من سورة المائدة)

وإن تعجب فعجب أن يقول البلهاء السفهاء من الناس لماذا نزل القرآن بلغة العرب مع أن رسالته عالمية ؟ : ولم كان الرسول أميا ؟ هذه أسئلة ترد فى أذهان الذين فى قلوبهم زيغ وجهاله وغباء ولا نرد بأكثر من قول الله ــ عز وجل ــ فى القرآن الكريم :

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (الاية ٤ من سورة إبراهيم)

والله لا يسأل عما يفعل ؛ والله أعلم حيث يجعل رسالته ، والله يصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس ، (أهم يقسمون رحمة ربك ؟!) ولو نزل القرآن بلسان أعجمى على نبى عربى لقالوا لولا فصلت آياته !!

﴿ وَلَوْ جَعَلْنَـٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَـٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُو۟لَـٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ۝٤٤ ﴾

(الآية ٤٤ من سورة فصلت)

أى لو نزل القرآن بلغة أعجمية لقالوا أقرآن أعجمى والنبى عربى ؟!!

وأما كون الرسول أميا ينزل عليه القرآن المعجز فهذا ــ أيضا ــ أمر معجز حقا ويصور هذا القرآن فيقول :

﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَـٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ۝٤٨ بَلْ هُوَ ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ فِى صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا۟ الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا الظَّـٰلِمُونَ ۝٤٩ ﴾

(الآيتان ٤٨ ، ٤٩ من سورة العنكبوت)

إنه لقول فصل وما هو بالهزل وليس بعده بيان ولا حجة أو برهان ، فقد وضحت الأدلة وشهدت البينات لأولى الأبصار والله يقول :

﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ الْأَلْبَـٰبِ ﴾
(الآية ٩ من سورة الزمر)




للشيخ / على حامد عبد الرحيم

عن عطاء بن يسار قال :

**« لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص ، فقلت : أخبرنى عن صفة رسول الله ـ ﷺ ـ فى التوراة ، قال : أجل ، والله إنه لموصوف فى التوراة ببعض صفته فى القرآن :**

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾

**وحرزا للأميين ، أنت عبدى ورسولى ، سميتك المتوكل ، ليس بفظ ولا غليظ ، ولا سخاب فى الأسواق ، ولا يدفع السيئة بالسيئة ، ولكن يعفو ويغفر ، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء ، بأن يقولوا : لا إله إلا الله ، فيفتح به أعينا عميا ، وآذانا صما ، وقلوبا غلفا » . ( رواه البخارى فى صحيحه ) .**

الحرز : الموضع الحصين ( الحصن ) .

السخب والصخب : الصياح .

إن الباحث عن عظمة رسول الله ـ ﷺ ـ يجدها تنفيذاً عملياً لكتاب الله ـ عز وجل ـ ، بل يجده قرآنا يتحرك ، لا يرغب إلا فيما يرغب فيه القرآن ، ولا يحب إلا ما أحبه ، ولا يكره إلا ما كرهه القرآن ، ولا يَصْدُرُ عنه إلا ما يوافق القرآن ـ حكما وقضاء ، وحكمة وعلما وخلقا .

لقد سئلت السيدة أم المؤمنين عائشة ـ رضى الله عنها ـ عن أخلاق رسول الله ـ ﷺ ـ : وهى من أكثر الناس مخالطة له ، وأقربهم إلى نفسه وقلبه ، وأعرفهم بمقامه وخلقه ـ فقالت للسائل ـ وهو سعد بن هشام ـ رضى الله عنه ـ : أما تقرأ القرآن ؟ قلت : بلى ، فقالت : « كان خلقه القرآن » . وسئل على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ عن أخلاق النبى ـ ﷺ ـ فقال للسائل : « هل تستطيع إحصاء نعم الله التى منحها لعباده فى الأرض ؟ فقال : كيف لى بذلك ؟ قال : كيف تريد منى إحصاء خُلُقِهِ ـ ﷺ ـ وقد وصفه الحق ـ جل جلاله ـ بقوله :

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ القلم : ٤

بينما يقول عن كل ما فى هذه الحياة الدنيا :

﴿ قُلْ مَتَـٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ ﴾ النساء : ٧٧

ووضَّح ـ ﷺ ـ مهمته ورسالته فى كلمات موجزة ، فى قوله ـ فيما أخرجه الإمام مالك فى الموطأ ـ : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .

إن تاريخ رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ حافل بالمكرمات ، زاخر بالمعالى ، وإن جلائل أعماله وشمائله ، مهما كتب فيها الباحثون ، فلن يبلغوا عشر معشارها .

له منـــــن لو أن معشار عشرهــــــا
على البَرِّ كان البر أندى من البحـــر
له همم لا منتهى لكبارهـــــــــا
وهمته الصغـرى أجـل من الدهــر

قال وهب بن منبه : قرأت فى أحد وسبعين كتابا فوجدت فى جميعها أن النبى ﷺ أرجح الناس عقلا ، وأفضلهم رأيا ، وأن الله تعالى لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا إلى انقضائها من العقل فى جنب رسول الله ـ ﷺ ـ إلا كحبة رمل من رمال الدنيا .

قال القاضى عياض ـ رحمه الله ـ فى كتابه (الشفاء) : اعلم أيها المحب لهذا النبى الكريم الباحث عن تفاصيل قدره العظيم ، أن صفات الجلال والكمال فى البشر نوعان :

ضرورى دنيوى اقتضته الجبلة ؛ وضرورة الحياة الدنيا .

ومكتسب دينى ، وهو : ما يحمد فاعله ، ويقرب إلى الله تعالى .

ثم هذه الصفات على فنين : منها ما يتخلص لأحد الوصفين ، ومنها ما يتمازج ويتداخل .

فاما الضرورى المحض : فما ليس للمرء فيه اختيار ولا اكتساب ، مثل ما كان فى جبلته من : كمال خلقته ، وجمال صورته ، وقوة عقله ، وصحة فهمه ، وفصاحة لسانه ، وقوة حواسه وأعضائه ، واعتدال حركاته وشرف نسبه ، وعزة قومه ، وكرم أرضه ، ويلحق به ما تدعو إليه ضرورة حياته من غذائه وملبسه ومسكنه وماله وجاهه ؛ وقد تلحـــق هذه الخصال الآخرة بالأخروية .

وأما المكتسبة الأخروية : فسائر الأخلاق العلية ، والآداب الشرعية من الدين ، والعلم ، والحلم ، والصبر ، والشكر ، والعدل ، والزهد ، والتواضع ، والعفــو ، والعفـــة ، والجود ، والشجاعة ، والحياء ، والمروءة ، والصمت ، والتؤدة ، والوقار ، والرحمة ، وحسن الأدب والمعاشرة ، وأخواتها وهى التى جماعها حسن الخلق ..

وهذى الأخلاق دنيوية إذا لم يُرد بها وجه الله تعالى والدار الآخرة ؛ ولكنها كلها محاسن وفضائل باتفاق أصحاب العقول السليمة .

ثم يقول القاضى عياض ـ طيب الله ثراه ـ : « وإذا كانت خصال الكمال والجلال ما ذكرناه ووجدنا لواحد منا يشرف بواحدة منها أو اثنتين حتى يعظم قدره ، ويضرب باسمه الأمثال ، ويتقرر له بالوصف بذلك فى القلوب أثرة وعظمة وذكر حسن : فما ظنك بعظيم قدر من اجتمعت فيه كل هذه الخصال إلى ما لا يأخذه عد ، ولا يعبر عنه مقال ، ولا ينال بكسب ولا حيلة إلا بتخصيص من الكبير المتعال ، من فضيلة النبوة ، والرسالة والخلة والاصطفاء ، والقرب والدنو ، والوحى والشفاعة ، والبعث إلى الأحمر والأسود والصلاة بالأنبياء ، والشهادة على الأنبياء والأمم ، وسيادة ولد آدم .

لقد كانت عظمة رسول الله ـ ﷺ ـ عظمة عطف وبر ورحمة ، عظمة هداية وإرشاد ، وإصلاح وتعمير ، وسلام وأمان وإعلان لحقوق الإنسان فى التقوى والعلم والإنتاج والعمل المتواصل لنفع المجتمع ، فخير الناس أنفعهم للناس .

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾
الحجرات : ١٣

وصلى الله وسلم على من أرسله الله رحمة للعالمين .

# أثر صلح الحديبية فى نشر الدعوة الإسلامية

## - ٤ -

أ.د/ محمد عبد العليم العدوى

لقد كان لصلح الحديبية أثر كبير فى نشر الدعوة الإسلامية ، ويتضح ذلك من مناقشة شروط هذا الصلح والنتائج التى ترتبت عليه ، وأول هذه الشروط :

- وضع الحرب بين الفريقين عشر سنوات ، وهذا أدى إلى اعتراف قريش رسمياً بأن النبى - ﷺ - وأصحابه أصبحوا أمة لها كيانها بل دولة لها خطرها ، وأتاح ذلك الشرط أن الناس قد أمن بعضهم بعضا ، واختلط المسلمون بالكفار وبادؤوهم بالدعوة وأسمعوهم القرآن ، وناظروهم على الإسلام جهرة آمنين ، وأظهر من كان مختفيا بالإسلام ، ودخل فيه فى مدة الهدنة من شاء الله أن يدخل ، حتى صناديد المشركين الذين كانوا يصدونه - ﷺ - وأصحابه عن البيت ، والذين كانوا يتحرشون به وأصحابه والذين أبوا أن يكتبوا «بسم الله الرحمن الرحيم» .. أو يكتبوا محمداً رسول الله . أو جاء حليفاً لقريش .

لقد هداهم الله إلى الإسلام فى تلك الهدنة وبسبب هذا الصلح ومن هؤلاء خالد بن الوليد ، وعمرو بن العاص ، وعكرمة بن أبى جهل ، وعروة ابن مسعود وسهيل بن عمرة .. وغيرهم .. ودخل فى الإسلام بعد صلح الحديبية وحتى فتح مكة أضعاف من دخله . فى تسع عشرة سنة .. كان عدد المسلمين يوم الحديبية ألفا وأربعمائة وكان عددهم يوم فتح مكة عشرة آلاف .

الشرط الثانى وهو رجوع المسلمين عامهم هذا على أن يعودوا العام القادم للعمرة وظنت قريش أن هذا نصر لهم ، إنما كان فى حقيقته نصر للمسلمين وأنهم قوم مسالمون يحترمون العهود ولا يعتدون ، وأنهم بمظهرهم الرائع فى الطاعة والانقياد وضبط النفس والشجاعة إنما يضربون المثل الحى لنموذج الإنسان المسلم ..

فهذا مثلا المغيرة بن شعبة ، وكان فى الجاهلية صعلوكاً فتاكاً قطاعاً للطريق ، وها هو الآن يسمع ويطيع بل ويقف على رأس رسول الله - ﷺ - وَيكُفُّ يَدَ عَمِّهِ عن أن تمس لحية رسول الله - ﷺ - .

حركت هذه النماذج وتلك المثل نفوس المشركين فجعلتهم يتفهمون هذا الدين ويقفون على حقيقة الإسلام ودعوته .

كما أظهر هذا الشرط : صلف قريش وتعنتها ، وكيف صدت المسلمين ورسول الله - ﷺ - عن زيارة البيت وليس من حقها أن تفعل ذلك لأن زيارة البيت حق مشاع لجميع العرب ، ومن ثم فإن حلفاء قريش من أمثال : الحليس سيد الأحابيش ومن أمثال : عروة بن مسعود سيد ثقيف ، وبديل ابن ورقاء الخزاعى لم يعجبهم موقف قريش هذا وصلفها .. وهدد بعضهم بأن ينفر بالأحابيش ، وقال لهم : ماعلى هذا عاهدتكم ؟.

كما انفض عن معسكرهم عروة بن مسعود وأهل ثقيف ، ونصحهم بديل بن ورقاء وأدرك كثير من

عقلاء قريش أن محمداً وأصحابه على الحق وأن قريشاً وحلفاءها على الباطل .

لقد اعتبر الخبراء العسكريون والسياسيون القدامى والمعاصرون رجوع النبى - ﷺ - على تلك الصورة بتلك المعاهدة هو من أحكم وأقوم مايمكن أن يقدم عليه قائد مسئول عن الأمة يقدر النتائج ويحسب حسابها قبل الإقدام على العمل .

كما أن الباحثين وفلاسفة التاريخ اعتبروا «صلح الحديبية» نصراً عظيماً أحرزه النبى - ﷺ - للإسلام والمسلمين[1] .

الشرط الثالث : من أراد أن يدخل فى عقد محمد وعهده دخل فيه ، ومن أحب أن يدخل فى عقد قريش وعهدهم دخل فيه ، جعل خزاعة تتواثب وتدخل فى عقد النبى - ﷺ - وعهده كما حالفت بنو بكر قريشاً ، فربح المسلمون حليفاً قوياً له أهمية خاصة لقرب دياره من قريش .

لقد كانت خزاعة تميل قلبيها إلى المسلمين قبل اليوم ، وكان الإسلام قد انتشر بين أفرادها ، ولكنها لم تستطع أن تحالف المسلمين قبل هذه الهدنة ؛ لأن ذلك يهدد مصالحها الدينية بوجود البيت الحرام فى مكة الذى تسيطر عليه قريش ، وهذا بالإضافة إلى تهديد مصالحها الأخرى .

كما أن هذا التحالف وتلك الهدنة جعلت المنطقة الجنوبية ( جنوب المدينة ) آمنة بالنسبة للمسلمين يغدون فيها ويروحون ، بعد أن كانت أخطر ما يهدد الدعوة لأن فيها قبائل قوية ذات حضارة وعقيدة ، بينما كانت قبائل الشمال حتى حدود العراق والشام بدوية ممعنة فى البداوة .

فإذا ساعدت الهدنة وهذا التحالف على الاستقرار ، أعان ذلك المسلمين على أن ينشروا الإسلام بسرعة فائقة ، وأمنت القوة المنعة للمسلمين ، وجعلت قريشاً على الحياد فتفرغ المسلمون أيضاً لمواجهة عدو خبيث شديد الخطر ، وهم يهود خيبر الذين فقدوا الأمل فى معاونة قريش لهم ، حتى أتى موعد حسابهم فكانت غزوة خيبر ، وكان الفتح القريب وغنم المسلمون منه كثيراً وطهر الله الجزيرة من رجسهم ، فقضى عليهم نهائياً وتخلص المسلمون من أقوى أعداء المدينة فى المنطقة الشمالية ، ولتكون المنطقة آمنة عندما يحين موعد محاسبة قريش[2] هى الأخرى .

الشرط الرابع : من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه رده عليهم ، ومن جاء قريشاً ممن مع محمد لم يردوه عليهم .

وظنت قريش أنها بهذا الشرط تحقق مغنماً وتقف دون الإسلام حتى لايفكر أحد فى الدخول فيه ويأمنون فى فترة الهدنة ويتفرغون لتجارتهم ، وهذا أهم هدف حيوى بالنسبة لقريش .

كما كان هذا الشرط سبباً فى اعتراض كثير من الصحابة ومنهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه والذى اعتبر هذا دنية .. وخصوصاً عندما جاء أبو جندل يرسف فى قيوده ويـرده رسول الله - ﷺ - ؛ وكان وقع ذلك شديداً على نفوسهم ، ومادروا أن هذا الشرط كان من توفيق الله سبحانه وتعالى لرسوله - ﷺ - ككل شروط هذا الصلح والأمور دائماً بخواتيمها ونتائجها .

فماذا كانت نتيجة هذا الشرط ؟

وفد أبو بصير - رضى الله عنه - من مكة إلى المدينة مسلماً بغير رأى مولاه ، فكتب أزهر بن عوف والأخنس بن شريق إلى النبى كى يرده ، وبعثا بكتابهما مع رجل من بنى عامر ومعه مولى لهما يقول الواقدى : ولما قدم رسول الله - ﷺ - المدينة من الحديبية آتاه أبو بصير وهو عتبة بن أسيد بن

---

(١) محمد أحمد باشميل ص ٣٣٠ .

(٢) الرسول القائد . الزعيم الركن محمود شيت خطاب ص١٩٨ .

جارية[٣] حليف بنى زهرة مسلماً ، قد انفلت من قومه فسار على قدميه سعياً ، فكتب الأخنس بن شريق ، وأزهر بن عبد عوف الزهرى إلى رسول الله ـ ﷺ ـ كتاباً ، وبعثا رجلا من بنى عامر بن لؤى استأجراه ببكر . ـ ابن لبون ـ وهو خنيس بن جابر ؛ وخرج مع العامرى مولى له يقال له كوثر وحملا خنيس بن جابر على بعير ، وكتبا يذكران الصلح بينهم وأن يرد إليهم أبا بصير .

فلما قدما على رسول ـ ﷺ ـ قدما بعد أبى بصير بثلاثة أيام . فقال خنيس أيا محمد هذا كتاب فدعا رسول الله ـ ﷺ ـ أبى بن كعب فقرأ عليه الكتاب فإذا فيه قد عرفت ما شارطناك عليه ، وأشهدنا بيننا وبينك ، من رد من قدم عليك من أصحابنا ، فابعث إلينا بصاحبنا ، فأمر رسول الله ـ ﷺ ـ أبا بصير أن يرجع معهم ودفعه إليهما .

فقال أبو بصير : يارسول الله ، تردنى إلى المشركين يفتنونى فى دينى ؟

فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : « يا أبا بصير ، إنا قد أعطينا هؤلاء القوم ماقد علمت ولا يصح لنا فى ديننا الغدرة ، وإن الله جاعل لك ولمن معك من المسلمين فرجا ومخرجا » .

قال أبـــو بصير يارسول الله تردنى إلى المشركين ؟

قال رسول الله ـ ﷺ ـ « انطق يا أبا بصير وأبشر . فإن الله جاعل لك مخرجاً ، والرجل يكون خيراً من ألف رجل فافعل وافعل . يأمرونه بالذين معه » .

فخرجوا حتى كانوا بذى الحليفة ـ انتهوا إليها عند صلاة الظهر ـ فدخل أبو بصير مسجد ذى الحليفة فصلى ركعتين ؛ « صلاة المسافر » ، ومعه زاد له يحمله من تمر فمال إلى أصل جدار المسجد فوضع زاده فجعل يتغذى ، وقال لصاحبيه : ادنوا فكلا فقالا لا حاجة لنا فى طعامك .

فقال : ولكـن لو دعـوتمونى إلى طعامكـم لأجبتكم وأكلت معكم فاستحييا ـ فدنوا ووضعا أيديهما فى التمر معه ، وقدما سفرة لهما فيها كسرة فأكلوا جميعاً وآنسهم ، وعلق العامرى بسيفه على حجر فى الجدار .

فقال أبو بصير للعامرى : ياأخا بنى عامر ما اسمك ؟

فقال : خنيس . قال :

ابن من ؟

قال : ابن جابر فقال : ياأبا جابر أصارم سيفك هذا ؟ قال : نعم قال ناولنيه انظر إليه إن شئت ، فناوله العامرى وكان أقرب إلى السيف من أبى بصير فأخذ أبو بصير بقائم السيف والعامرى يمسك بالجفن فعلاه به حتى برد ، وخرج كوثر هارباً يعدو نحو المدينة ، وخرج أبو بصير فى أثره فاعجزه حتى سبقه إلى رسول الله ـ ﷺ ـ .

يقول أبو بصير : والله لو أدركته لأسلكته طريق صاحبه ، فبينما رسول الله ـ ﷺ ـ جالس فى أصحابه بعد العصر إذا طلع المولى يعدو فلما رآه رسول الله ـ ﷺ ـ قال : « هذا رجل قد رأى زعراً فأقبل حتى وقف على رسول الله ـ ﷺ ـ ، فقـــال رسول الله ـ ﷺ ـ : « ويحك ، مالك ؟ » .

قال : قتل صاحبكم صاحبى وأفلت منه ولم أكد ، وكان الذى حبس أبا بصير احتمال سلبهما على بعيرهما فلم يبرح مكانه قائماً حتى طلع أبو بصير فأناخ البعير بباب المسجد ، فدخل

(٣) أنساب الأشراف ج١ ص ٢١١ .

متوشحاً بالسيف ، سيف العامرى ـ فوقف على رسول الله ـ ﷺ ـ فقال لرسول الله ـ ﷺ ـ «وفت ذمتك وأدى الله عنك وقد أسلمتنى بيد العدو وقد امتنعت بدينى من أن أفتن فقال رسول الله ـ ﷺ ـ «ويل أمه مسعر حرب لو كان معه رجال» .

وأدرك أبو بصير أنه لا مقام له فى المدينة ولا مأمن له فى مكة ، فانطلق بعد إذن رسول الله ـ ﷺ ـ له حتى أتى ساحل البحر إلى ناحية تدعى ( العيص )[٤] قال أبو بصير : فخرجت وما معى من الزاد إلا كف من تمر فأكلتها ثلاثة أيام .... وكنت آتى الساحل فأصيب حيتانا قد ألقاها البحر فآكلها .

وبلغ المسلمين الذين حبسوا بمكة وأرادوا أن يلحقوا برسول الله ـ ﷺ ـ قول النبى ـ ﷺ ـ لأبى بصير ـ «ويل أمه ، مسعر حرب» ، لو كان معه رجال فجعلوا يتسللون إلى أبى بصير ؛ وكان الذى كتب ماقال رسول الله ـ ﷺ ـ إلى المسلمين عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ فلما جاءهم كتاب عمر جعلوا يتسللون رجلا رجلا حتى انتهوا إلى أبى بصير فاجتمعوا عنده ، قريباً من سبعين رجلا فيهم أبو جندل بن سهيل بن عمرو .

وألف هؤلاء المعذبون القائمون المستقلون الذين لا ملجأ لهم بعد الله إلا سيوفهم وقد فروا من أهلهم وأموالهم بعقيدتهم وإيمانهم .

ألف هؤلاء قوة مغاوير ( كومندو ) لا تمر قافلة لقريش إلا اغتنموها ولا يرون رجُلا من قريش إلا قتلوه وإذا بقريش التى اعتبرت من قبل هذا الشرط نصراً لها وفى صالحها تنزل عن هذا الشرط راغمة وترسل إلى رسول الله ـ ﷺ ـ تسترحمه وتناشده الرحم أن يؤدى إليه هؤلاء المسلمين الذين ضيقوا عليها الخناق .. فلا حاجة لنا بهم وكتب رسول الله ـ ﷺ ـ إلى أبى بصير أن يقوم بأصحابه معه فجاءه الكتاب وهو يموت فجعل يقرأ وهو يموت فمات وهى فى يديه ـ فقبره أصحابه . هناك وصلوا عليه وأقبل أصحابه إلى المدينة وهم سبعون رجلا فيهم الوليد بن الوليد ابن المغيرة فلما دخل الحرة عثر فانقطعت أصبعه فربطها وهو يقول :

هل أنت إلا أصبع دميت فى سبيل الله ما لقيت

فدخل المدينة فمات بها .

وهكذا حافظ المسلمون على عهودهم كلها وانصرفوا إلى نشر الدعوة الإسلامية وهكذا بقى المسلمون محايدين وبقى الفارون بدينهم مقاتلين وبذلك تم الحياد المسلح فى أقوى مظاهرة للإسلام[٥] .

وعلاوة على ذلك فقد أخذ ـ عليه الصلاة والسلام ـ فى بعث السرايا لتأمين نشر الدعوة وأرسل الرسائل والكتب إلى الأمراء والملوك يدعوهم بدعاية الإسلام .

وكان هذا أثراً من آثار صلح الحديبية ونتيجة من نتائجه الباهرة .

## سرايا إلى القبائل وكتب إلى الملوك

وكانت تلك السرايا خلال العام السابع للهجرة وتبلغ عدتها عشر سرايا أرسلها النبى ـ ﷺ ـ فأدت مهمتها على الوجه الأكمل وعادت بخير كثير على الإسلام والمسلمين ودخل كثير من الناس فى دين الله أفواجاً ..

---

(٤) موضع من ناحية ذى المردة على ساحل البحر الأحمر بطريق قريش التى كانوا يسلكونها من مكة إلى الشام فى تجارتهم .

(٥) الزعيم الركن محمود شيت خطاب : (الرسول القائد) ص ١٩١ .

# الخلاف الفقهى

## بين الأساليب اللغوية والنظائر الأصولية

لفضيلة الشيخ / أحمد عبد الله أحمد العبلينى (*)

**مدخــل :**

**نالت الدراسة الفقهية حظاً كبيراً منَ العناية والاهتمام لم يَنَلْهُ علمٌ آخرُ منَ العلوم ، حيث عكف المجتهدون والباحثون والمحققون ـ حتى أيامنا هذه ـ على دراسةِ الفقه وعلومه ، وقد نتج عن ذلك أن خطت الدراسةُ الفقهيةُ منذ البدايةِ خطواتٍ واسعةً ، نحو النضوج والكمال ، وما هى إلا سنوات معدودات وإذا بالفقه الإسلامى يضحى قانوناً يحكم دولةً لاتغيبُ عنها الشمس .**

وقد أدّى الاهتمام الشديد بالفقه الإسلامى إلى بروز مدارس فقهية مختلفة ، منها مابقى إلى يومنا هذا ومنها مالم يعمر طويلًا ، هذا فضلًا عن بعض المفاهيم الأصولية والقواعد الفقهية المتناثرةِ بين ثنايا أمهات الكتب ، وهى ماتعرف فى اصطلاح الباحثين : « بالمصادر الأولية » .

وتعدُّ المذاهب الأربعة أشهر المدارس الفقهية وإليها يرجع الفضل فى استنباط وتدوين الفقه الإسلامى وتصنيفه حسب المسائل والموضوعات ، وقد أدرك العلماء والباحثون القيمة العلمية لذلك الجهد الكبير ، وهم يقفون أمام أضخم مكتبة تزخر بأهم المراجع التى تتسم بعمق البحث ودقة الملاحظة ، وقد تأكّدَ هذا الأمر بعد ظهور مايعرف اليوم « بأساليب البحث العلمى » .

فأضاف هذا كله بعداً جديداً للعقلية الإسلامية المتميزة ، وعكس الآفاق الرحبة للبيئة الإسلامية التى ترعرعت بين ظلالها المدارس الفقهية ، ويشهد هذا على حضارة أمة أعطت للإنسانية دفقاً متجدداً من الفكر السليم واتجاهاً صحيحاً فى طرائق البحث والدراسة .

إلّا أن الدارسَ لهذه المذاهب يلاحظ بوضوح وجود خلافات فى الأحكام الفقهية المقررة فى كل مذهب ، وقد يتساءل الواحد منا : ماهو الدافع لكل هذا ؟!

وماهو السبب الذى أوجب هذا الخلاف وأوجده ؟!

وقبلَ الإجابة على ذلك التساؤل لابد من الإشارة إلى أنَّ المذاهب الفقهية بحثت الأمورَ العملية التى اصطلح العلماء على تسميتها

(*) الكاتب : المفتى السابق لمسلمى فلسطين المحتلة .

«الفروع» دون أن تبحث موضوعاتِ العودةِ ومسائلها ، ذلك لأنَّ المسلمين على مختلف تياراتهم ومذاهبهم الفقهية يتفيئون ظلال عقيدة واحدة هى عقيدة التوحيد الخالص ، وهذه العقيدة هى أبعد مايكون فيها تباين بين اثنين ، وهى بذلك فى منأى عن شوائب الجدل ومزالق الاختلاف ، ولعلَّ قوله تعالى :

﴿ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[1]

مايوضح هذا الأمر ويكشف عن جوانب الحقيقة فيه ، إذ أنَّ التساؤل الوارد فى هذه الآيةِ لايمكن الاختلاف حوله وتعدد الإجابات عليه ، فلا يصح - إذن - أن يُقال : إنَّ فى هذه المسألةِ رأيين ، لأنَّ ذلك معناه خروج على العقيدة ومجافاة لروح التوحيد ، ومن هنا كان موضوع الدراسة الفقهية منحصراً ضمن إطار الأمور العملية كالقضايا التعبدية وكمجال العلاقة القائمة بين البشر أنفسهم ، ومايتبع ذلك من نظم الإدارة وإقامة الحدود ونحو ذلك .

وعليه لم يكن الخلاف الفقهى بحالٍ من الأحوال بجميع صوره ومختلف أشكاله - متركزاً حول أسس العقيدة أو أصول الدين ، إذْ لم ينشأ خلاف حول «وحدانية الله تعالى» ، أو «نبوة محمد ﷺ» ، أو الإعجاز القرآنى ، أو فرضية الأركان الخمسة ، أو ماهو معلوم من الدين بالضرورة» بل إنَّ الذين خاضوا فى مثل هذه المسائل واختلفوا فيها لم يكونوا فى حقيقة الأمر مسلمين صادقين ، بل هم منسوبون إليه دخلاء عليه ، وليس أدل على ذلك من «فرقة السبئية» التى اعتقدت آراءً جعلت علماء الأمة يحكمون بكفرهم وبخروجهم من ربقة الإسلام .

ولعل من الأهمية بمكان أن أشير إلى أنَّ الخلاف الفقهى لم يتطرق إلى القواعد الكلية الثابتة فى الفقه الإسلامى ، إذ لم يُعرف مثلًا خلاف بين الفقهاء حول «عدد ركعات صلاة الفجر» هل هى ركعتان أو أكثر ؟ إن جميع الفقهاء يتفقون على أنها ركعتان ؛ ومن هنا يمكننا تحديد الخلاف الفقهى بأنه مقصور فى مجمله وغالبيته على الفروع الفقهية .

ثم إنَّ الخلاف الفقهى لم يفُتَّ فى عضد الأُمَّة ولم يقوض أركانها ولم ينشر نوازع الفرقة وبذور الشقاق بين المسلمين ، بل إنَّ الأمر على عكس مايظنُّهُ المتوهمون ، إذ إنَّ هذا النوع من الخلاف لايعنى مطلقاً معنى النزاع والخصام ؛ وإنما هو تفاوت فى المدارك الاستنباطية مما أثرى الدراسة الفقهية ووسّع أفق تصوراتها وزادها حيوية وشمولية ، بل إنَّ للأمر بعداً آخر لايقل أهمية عما ذكرت إذ لو لم يقم الأصوليون والفقهاء باستنباط الأحكام الفقهية وتدوينها لعاش المسلمون فى تخبط وعدم وضوح رؤية ولما أمكنهم معرفة كثير من الأمور الضرورية اللازمة لتطبيق الفرائض وإقامتها ... ، فكان عملهم هذا وسيلة لامندوحة عنها لإضاءة شعاع المعرفة بين جنبات الأمة ، فأضحى بذلك مبعث اعتزاز وفخار بأولئك العلماء الذين لم يألوا جهداً ولم يدّخروا وسعاً فى أداء رسالة العلم ابتغاء مرضاة الله ، وها هى أمهات الكتب تعلن عن ذلك وإذ ذاك تملأ جنبات الأمةِ تبصرةً ونورا .

إنَّ القواعد التى قررها الفقهاء لم تكن من قبيل الغراء الفكرى أو الفضول الذهنى ، ولم تكن أيضاً وليدةَ التفكير الخالص ، ونتاج البحث العقلى المجرَّد ، لأنَّ التجربة الإنسانية بمفردها قاصرة عن إدراك خصائص التشريع وغاياته ؛ ومن هنا كان

(١) سورة إبراهيم : آية رقم ١٠ .

عمل الفقهاء فى استنباط القواعد الفقهية يعتمد على النص ومبناه ويدور حوله ، ولذلك كان النظر فى هذا النص وتحليله الخطوة الأساسية لتقرير نوعية الحكم ومدلوله ، وبما أنّ النصوص التى بنيت عليها هذه الأحكام هى نصوص عربية ؛ فإنه يترتب على ذلك تعدد المفاهيم بعدد ما لهذه النصوص من وجوه الاعتبارات اللفظية والمعنوية : من الأفراد والتركيب ، والعموم والخصوص ، والحقيقة والمجاز ، واشتراك الألفاظ والمعانى ... ، وعليه كانت معرفة اللغة العربية والتعرف على أساليبها أمراً لا غنى للمجتهد عنه حتى يستطيع فهم النصّ فهماً صحيحاً بكل أنواع الدلالات التى يتضمنها النص عبارة وإشارة ، حيث تتداخلُ ظواهر النصوص بدلالاتها الإيحائية . وعلى ضوء ماتقدم يمكن إرجاع أسباب الخلاف الفقهى فى مجمله إلى الأمور التالية :

١ - الإفراد والتركيب :

ومثاله قوله تعالى :

﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[٢]

فقوله تعالى :

﴿ يحاربون الله ورسوله ﴾ .

معناه يخالفونهما ويعصونَ أمرهما ، ويتحقق ذلك بمحاربة أولياء الله وهم المسلمون .

والمتأمل فى هذه الآية يجد أنّ هناك فئةً من الناسِ تعيث فى الأرضِ فساداً فتقطع الطريق وتُنْزِل بالناسِ المكروه ، إمّا بالقتل فقط ، أو بالصلب فقط ، أو بالقتل والصلب معاً ، أو بالإخافةِ فقط .

وقد رتب الشارع الحكيم على اقتراف تلك الجرائم واحدةً من أربع عقوبات :

( أ ) التقتيـــل . (ب) التصليـــب .

(جـ) تقطيع الأيدى والأرجل من خلاف .

( د ) النفى من الأرض .

ومن هنا يبدو الإفراد والتركيب واضحاً فيما تتضمنه هذه الآية مما يترتب عليه ظهور أحكام متباينة ، وعليه نجد بعضاً من الفقهاء يرى توزيع العقوبة على نسبة الجريمة ، فَمَنْ قَتَلَ قُتِل ، ومَنْ قتَل وسلَب صُلب ، ومَنْ سلَب قُطِعَ ، ومَنْ أخاف نُفِيَ .

ومنهم مَنْ رأى أنْ يُعْطَى الحاكمُ الخيار فى إعطاء العقوبات المناسبة حسب تقديرِهِ للجريمةِ وتأثيرها على سير الحياةِ وطبيعتها .

(قال ابنُ طلحة عن ابن عباس ، فى هذه الآية : مَنْ شهر السلاح فى قبة الإسلام ، وأخاف السبيل ثم ظفر به ؛ وقدر عليه ، فإمام المسلمين فيه بالخيار : إنْ شاء قتله ، وإنْ شاء صلبه ، وإنْ شاء قطع يده ورجله) .

(وكذا قال سعيد بن المسيِّب ، ومجاهد وعطاء ، والحسن البصرى ، وإبراهيم النخعى والضحاك - كما رواه ابن جرير ، وحكى مثله عن أنس)[٣] .

ولن أتعرَّض بهذا الخصوص لكل الآراء الفقهية المتعلقة بهذه المسألة ، لأنّها مدونةٌ فى كتب

---

(٢) سورة المائدة : آية رقم ٣٣ .

(٣) راجع تفسير القاسمى المسمّى (محاسن التأويل) لمحمد جمال الدين القاسمى . الجزء السادس ص١٩٥٨ .

التفسير والفقه ، إلا أننى أردْتُ من ذلك تبيانَ السبب الذى جعل هذه الآراء تتعدد وتختلف .

٢ ـ الحقيقة والمجاز :

الحقيقة فى اصطلاح علماء البلاغة هى : استعمال اللفظ فى معناه الذى وضع له أصلاً على الوجه الحقيقى .

فى حين أنَّ المجاز عندهم هو : اللفظ المستعمل فى غير ما وضع له لعلاقةٍ مع قرينةٍ مانعةٍ من إرادة المعنى الحقيقى ، مثال ذلك قوله تعالى :

﴿ الٓر كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾[٤] .

حيث نلاحظ أنَّ كلمتى : الظلمات والنور لم تستعملا فى معناهما الحقيقى وإنما استعملتا فى معنى آخر مجازى ، إذ يقال فى إجرائها : شُبهت الضلالة بالظلمةِ بجامع عدم الاهتداء فى كلٍ واستعير اللفظ الدال على المشبه به وهو الظلمة للمشبه وهو الضلالة على طريق الاستعارة التصريحية الأصلية ، وهكذا يُقال فى كلمة « النور » التى أُريد بها معنى الهداية والرشاد .

ومن الأمثلة القرآنية الداخلةِ فى هذا الباب والمتعلقة بمبحث الفقه ما ورد فى الآية القرآنية المتقدمة :

﴿أَوْ يُنفَوْا مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ .

حيث اختلف فى هذا اللفظ ، إذْ إنَّ جمهور الفقهاء حملوه على المعنى الحقيقى وهو النفى من البلد الذى ارتكبت فيها الجريمة إلى بلدٍ آخر .

أما علماء الحنفية ، والكوفيون فهم : يرون غير ذلك ، ويعتبرون هذا اللفظ ذا دلالةٍ مجازيةٍ لوجود أمرين صارفين له عن المعنى الحقيقى ، وهما :

( أ ) إنَّ اللفظ على جهة الحقيقةِ يقتضى النفى منَ الأرضِ كلها ، وهذا أمر لا يمكن تحقيقه بحال من الأحوال لمخالفته الواقع ومناقضته للعقل ، ومما يُقوِّى هذا الاتجاه ما ذكره القرطبى فى تفسيره : ( قال الكوفيون : نفيهم سجنهم فينفى من سعةِ الدنيا إلى ضيقها ، فصار كأنه إذا سُجنَ فقد نفى من الأرض إلا من موضع استقراره ، واحتجوا بقول بعض أهل السجون فى ذلك :

خرَجْنَا مِنَ الدّنيا ونحْنُ من أهلها
فلسْنَا منَ الأمواتِ فيها ولا الأحْيَا
إذا جاءَنا السّجانُ يوماً لحاجةٍ
عجبنا وقُلْنا جاءَ هذا منَ الدنيا)[٥]

(ب) إنَّ النفى إلى بلدٍ آخر لا يحقق المقصود من هذه الآية ، إذ ربما يتكرر الفساد مرة ثانيةً ، ولذلك كانَ لابُدَّ من صرف اللفظ عن معناه الحقيقى وحمله على المعنى المجازى ، وهو إبعاده عن الناس ودفع أذاه عنهم ويتحقق هذا الأمر بالحبس ، وعليه اختار هؤلاء الفقهاء حكم الحبس على اعتبار المعنى المجازى الذى تضمنه اللفظ .

٣ ـ العمومِ والخصوص :

يُعَرف الأصوليون « العام » بأنه : لفظ يستغرق جميع ما يصلح له بلفظ واحد ، ويعرفون « الخاص » بأنه : لفظ وضع لمعنى واحد دون ملاحظة الإفراد ، والأمثلة على كلا النوعين من القرآن والحديث كثيرة ومتنوعة ، وقد يتفق العلماء على عمومها أو على خصوصها ، أو قد يختلفون فى ذلك .

فمن العموم الذى لم يحصل فيه خلاف قوله تعالى :

(٤) سورة إبراهيم : آية رقم ١ .

(٥) «تفسير القرطبى» الجزء السادس ، صـ١٥٢ ـ ١٥٣

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ﴾(٦)

ومن الخصوص الذى لم يُختلف فيه قوله تعالى :

﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ ﴾(٧) ، ففى هذه الآية يبدو الخصوص واضحاً بخلاف ما قد يتبادر إلى الذهن فى أول الأمر ، إذ أنَّ القول المشار إليه فى هذه الآية لم يقلْهُ جميعُ الناسِ وإنما قالَهُ رجل واحد منهم ، وهو «نُعَيْمُ بنُ مسعودٍ» ، كما أنَّ جميع الناس لم يجمعوا لهم ، وإنما الذى جمع جزء منهم متمثلا ذلك فى طائفة المعاندين .

ومن الأمثلة القرآنية الداخلة موضوع الفقه والدالة على العموم والخصوص قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ﴾(٨) .. فقوله تعالى : ﴿ **وامسحوا برءوسكم** ﴾ عام يشمل الكلّ والبعض ، ولذلك تباينت آراء الفقهاء ومذاهبهم فى استنباط الحكم الفقهى .

فرأى بعضهم أنَّ الباء فى قوله تعالى : ﴿ **برءوسكم** ﴾ تدل على تضمين الفعل معنى الإلصاق ، فكأنه قال : وألصقوا المسح برءوسكم .

قال الزمخشرى : «وماسح بعض الرأسِ ومستوعبه بالمسح كلاهما ملصق للمسح برأسه» ، أى : فيكون الواجب مطلق المسح كلًا أو بعضاً .

ومن هنا ذهب الإمام الشافعى - رضى الله عنه - إلى القول : بأنَّ المراد من هذه الآية مطلق المسح ، كأنْ يقول قائل : مسحْتُ يدى بالمنديل ، فلا يلزم من هذا أنْ يكون المسحُ بالمنديل كله ، ولذلك يجوز على اعتبار الفهم اللغوى أنْ يكون بكله أو ببعضه فاقتضى المعنى المشترك ، وهو فى هذه الآية مطلق المسح فيتحقق المسحُ بمسح بعضه ، حيث ورد فى صحيح مسلم وغيره من حديثِ المغيرة أنه - ﷺ - «أدخل يده من تحتِ العمامةِ فمسح مقدم رأسه ، ولم ينقض العمامة» .

كما ثبت فى الأحاديث الصحيحة أنَّ النبى - ﷺ - مسح رأسه فأقبل وأدبر ، فكانت هذه هى الهيئة التى استمر عليها ، فاقتضى هذا أفضلية الهيئة التى كانَ النبى - عليه الصلاة والسلام - يداوم عليها ، وهى : مسحُ الرأسِ مقبلًا ومدبراً ، وإجزاء غيرها فى بعضِ الأحوال .

ويرى الإمام مالك - رضى الله عنه - وجوب مسح الرأس كله معتمداً فى ذلك على أنَّ اسم الرأس حقيقة فى كله لا فى بعضه ، إذ لا يصحُّ أنْ يُقال لبعض الرأسِ رأسٌ ، وعلى هذا الأساس بنى حكمه الفقهى .

أمَّا الإمام أبو حنيفة - رضى الله عنه - فيعتبر هذا اللفظ عاماً مجملًا ، ولذلك يحتمل مسح الرأس كله أو بعضه ، ولا يترجّح أحدُهما على الآخر ، إلَّا أنَّ ما روى عن النبى - ﷺ - أنه مسح بناصيته ما يخصص هذا العموم ، وبما أنَّ الناصية تعادل ربعَ الرأسِ أوجب الإمام أبو حنيفة أنْ يتحقق مسحُ الربع من الرأس .

---

(٦) سورة النساء : آية رقم ١ .

(٧) سورة آل عمران : آية رقم ١٧٣ .

(٨) سورة المائدة : آية رقم ٦ .

إِنَّ اللَّهَ وَمَلَٰئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ الأحزاب

# فى ذكرى المولد الشريف

## صلاة الله - تعالى - وصلاة العباد

بقلم الشيخ / عبد المنعم سليمان مسلم
من علماء الأزهر الشريف

**الصلاة فى أصل اللغة : معناها الدعاء ، والدعاء نوعان : دعاء عبادة وثناء ودعاء طلب ومسألة ، فالعابد داع كما أن السائل داع ، وبهما فُسّر قوله تعالى :**

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ غافر الآية ٦٠ .

**قيل : أطيعونى أثبكم ، وقيل : سلونى أعطكم .**

**وكذلك فسّر الدعاء والإجابة فى الآية ١٨٦ من سورة البقرة بهذا التفسير السابق قال تعالى :**

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾

ومما يؤيد مانقوله فى أنّ معنى الدعاء : العبادة ، أن تكملة آية سورة « غافر » السابقة هى قوله تعالى :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ فاستبدل بكلمة « ادعونى » التى أمر الله بها فى صدر الآية ، كلمة (عبادتى) وذلك يدل على أن العبادة والدعاء شيئان لوجْه واحد .

ويؤيد ذلك أيضا ما روى الإمام أحمد بن حنبل عن النعْمان بن بشير ، قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : [ إنّ الدعاء هو العبادة ] ثم قرأ آية غافر السابقة .

واستعمال الدعاء بمعنى العبادة مستفيض فى كثير من آيات القرآن الكريم ، وبخاصة حين يكون الدعاء مستعملا فى قُرْبان المشركين المنحرف لغير الله ، واقرأ ـ إن شئت ـ قول الله ـ تعالى ـ :

﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾
سورة سبأ الآية ٢٢

فادعوا هنا بمعنى اعبدوا .

وكذلك قوله - تعالى - فى سورة النحل الآية ٢٠ :

﴿ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ... ﴾

وكذلك قوله - تعالى - فى سورة الفرقان الآية ٧٧ :

﴿ قُلْ مَا يَعْبَؤُاْ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ﴾

يحتمل الدعاء هنا معنى السؤال ، ومعنى العبادة والثناء ، ولكن الثانى أرجح فالمعنى لولا أنكم تدعونه وتعبدونه : أىّ أىَّ شيء يعبؤه بكم لولا عبادتكم إياه ، وعلى هذا يكون المصدر وهو الدعاء مضافا إلى الفاعل .

وعلى هذا التفسير تكون الصلاة الشرعية باقية على أصلها فى اللغة وهو «الدعاء» فى إطار قيامها وركوعها وسجودها ، أى بشروطه - ﷺ - حيث قال : ( صلوا كما رأيتمونى أصلى ) ، والدعاء دعاء عبادة ، ودعاء مسألة - كما قلنا - وأنت إذا نظرت إلى المصلى فى صلاته الشرعية وجْدته منذ يبدأ بتكبيرة الإحرام إلى التسليمتين ما بين دعاء : بالثناء على الله وعبادته ، أوْ دعاء بالطلب والسؤال ، فمطلع ( الفاتحة ) دعاءٌ بالثناء على الله بأصول الأسماء الحسنى وهى : الألوهية والربوبية ، والرحمانية ، والملكية ، ثم ثناءٌ ودعاء إلى الله بطلب الحاجة وهى : الهداية إلى الصراط المستقيم ، وهكذا المصلى فى أثناء صلاته يتنقل من دعاء الثناء كما فى تعظيم الله فى الركوع ، والإقرار له بالعلوّ المطلق فى السجود ، وهكذا حتى تختم الصلاة بدعاء السؤال والحاجة ، وهو النجاة من عذاب القبر وجهنم والمأثم والمغرم وفتنة المسيخ الدجال .

هذه هى صلاة العباد التى لا تخرج عن الدعاء الذى يُطلق على العبادة وطلب الحاجة ، فهو لفظ متواطيء لا اشتراك فيه ، لأن الاشتراك - على التحقيق - لم يقع فى اللغة ، وإنما هو يقع وقوعا عارضاً اتفاقيا بسبب تعدد الواصفين .

ثم تختلط اللغة فيعرض الاشتراك .

وننبه هنا إلى مسألة مهمة ، وهى أننا بتفسير الصلاة بمعنى الدعاء وأن الدعاء يشمل نوعى : العبادة والمسألة تكون الصلاة الشرعية باقية على حقيقتها فى أصْل اللغة ، فلا نقْل ولا مجاز .

وقد تسألنى : ولم خُصّت الصلاة الشرعية باسم «الصلاة» ، واشتهرت بذلك عنـــــد الإطلاق ؟ فالجواب : أن ذلك من تخصيص اللفظ وقصْره على بعض موضوعه كلفظ «دابة» مثلا ؛ فإنه إذا ذكر انصرف إلى [ المركوب من الدواب ] مع أنه حقيقة فى كلّ ما يدبّ على الأرض ، فإطلاقه على الدابة المركوبة لا يقتضى نقلا ولا مجازا ؛ فكذلك لفظ الصلاة حين ينصرف إلى الصلاة الشرعية فهو حقيقة فيه فلا يوجب نقلا ولا خروجا عن موضوعه الأصْلى فى اللغة كما يقول الفقهاء .

وبعد فهذه هى صلاة العباد ، فما هى صلاة الله - سبحانه - ؟

وقبل أن نوضح معنى صلاة الله - تعالى - نقرر أن صلاة الله تعالى - خاصة برسله وأنبيائه والصالحين من عباده .

والرأى الأصح فى معناها : أن الصلاة من الله : ثناء وتشريف وتكريم ، وليست بمعنى الرحمة كما يقول ذلك بعض المتأخرين ؛ لأن هذا

رأيٌ ضعيف ، لا تعاضده اللغة ، ولا الأساليب الأدبية القرآنية والنبوية ، واقرأ إنْ شئت قوله - تعالى - فى سورة البقرة الآية رقم ١٥٧ .

﴿ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ﴾

فى الثناء على الصابرين ، وانظر كيف عَطَف [ الرحمة » على الصلوات ، والعطف يقتضى المغايرة ، فدلَّ ذلك على أنّ الرحمة غير الصلاة ، واقرأ ايضا قوله - تعالى - :

﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾

الأعراف آية رقم ١٥٦

فالرحمة تسع الآدمى بل تسع غيره من الحيوانات كما فى دعاء الاستسقاء : [ اللهم ارحم عبادك وبلادك وبهائمك ] وهكذا فأكثر المواضع التى تستعمل فيها الرحمة لايحسن أن تقع فيها الصلاة كما ذكرنا وكما فى الحديث [ والشاة إنْ رحمتها رحمك الله ] مصنف ابن أبى شيبة ٣٤٠/٨ فلا يصح أنْ تفسر رحمة الشاة بالصلاة عليها ، فمواضع استعمال الرحمة فى حقّ الله وفى حق العباد لا يحْسن أن تقع الصلاة فى كثير منها ، فلا يصح تفسير الصلاة بالرحمة كما هو مشهور على الألسنة .

وأيضا مما يضعف أن تكون الصلاة بمعنى الرحمة أنها لو كانت كذلك لكفى المصلى أن يقول فى تشهّده : [ اللهم ارحم محمداً وآل محمد - ﷺ ] ويكون قد أدّى ماعليه فى التشهد ، ولكن الأمر على خلاف ذلك ؛ بل لابد من الصلاة على الرسول ﷺ وآله ؛ بل إن بعض الأئمة أوْجب هذه الصلاة .

وأيضا فأنت قد ترحم وتعطف على من تبغضه ، ولكنك لا تصلى عليه كما أن الصلاة من مقوماتها الكلام ؛ لأنها ثناء على من يُصلَّى عليه وتنويه به ، وإشارة لمحاسنه وفضائله ، ورفع ذكره ، وهذا خلاف معنى الرحمة .

وهنا أمر يجب التنبيه عليه وهو أن الصلاة وإن لم يكن معناها الرحمة ، إلا أن الرحمة من لوازم الصلاة وموجباتها وثمراتها ، فحين تفسر الصلاة بالرحمة فذلك تفسير ببعض ثمراتها ومقصُودها ، وهذه طريقة متفشية على ألسنة اللغويين والمفسّرين حين يشرحون بعض الكلمات القرآنية والنبوية .

ومما يؤكد أن الصلاة بمعنى دعاء الثناء والتكريم والتشريف للمدعّو له قوله - تعالى - فى سورة الأحزاب :

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾

أنظر أول الآية تجدْ جملة خبرية تُعلمنا أن الله وملائكته يصلون على النبى ﷺ وتُختم بأمر من الله للمؤمنين بالصلاة على الرسول ﷺ والتسليم عليه ، وسنرى كيف يكون المعنى منسجما ، والربط بين صدر الآية وعجزها محكما ، حين تكون صلاة الله - تعالى - بمعنى [ الثناء والتكريم ] وحين نفسرها - أى صلاة الله - سبحانه - بمعنى الرحمة كيف يختل النظم ويُنقض اللفظ ؟!

فالمعنى المقصود من الآية : «إذا كان الله وملائكته يصلون على رسوله فصلّوا أنتم عليه ، بل إنكم أحقّ وأوْلى بالصلاة عليه ؛ لما نالكم من بركة رسالته ، ويُمْنها عليكم ، وما نَضَحَتْه عليكم من عزّ الدنيا والآخرة ، فانظر كيف يأمرنا ربنا بالصلاة على رسوله - ﷺ - عقب صلاته - جل جلاله - عليه ، وانظر إلى التساوق بين صلاة الله - تعالى - وصلاة عباده ، فصلاة عباده هى الطلب من الله ما أخبربه فى صدر الآية

من صلاته وصلاة ملائكته ، فهى ثناء على الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ وإعلاء لقدره ، وإظهار لفضله وشرفه ، وإرادة تكريمه وتقريبه ، فصلاة الله ـ سبحانه ـ على رسوله ﷺ ثناءُ عليه ورفع لذكره ، أما صلاة العباد عليه فهى سؤال الله ـ تعالى ـ أن يفعل ذلك به بإتمام نعمته عليه .

أمّا لوفسرنا الآية على أن صلاة الله ـ تعالى ـ هى الرحمة لم يحسن موقعها ، ولم يحسن النظم والربط بين أول الآية ونهايتها ويصير التقدير « الله وملائكته يرحمون النبى ، فادعوا أنتم له وسلّموا » وهذا غير مستساغ فى النسق القرآنى ؛ بل الصلاة المأمور بها فى الآية :

هى الطلب من الله ما أخبر به ـ فى صدر الآية ـ عن صلاته وصلاة ملائكته وهى ـ كما قلنا ـ ثناءٌ عليه ، وإظهار لفضله وشرفه فهى تتضمن من المصلى : الخبر والطلب .

ونجد على الضدّ من هذا قوله ـ تعالى ـ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾

البقرة الآية رقم ١٥٩

فنجد أن اللعنة تصدر من الله ـ تعالى ـ ومن العبد ، فلعنة الله للشانئين تتضمن مقته وإبعاده وبُغضه لهم ، ولعنة العبد تتضمن سؤال الله ـ تعالى ـ أن يفعل ذلك بمن يستحقون هذه اللعنة .

وعلى ذلك . فلو كانت الصلاة مقصوداً بها الرحمة لم يصح أن يقال لطالبها من الله مُصلياً وإنما يقال له مسترحما كما يقال ـ لمن طلب المغفرة مستغفرا وذلك ما لم يقله أحد .

وبعد : فما أروع أن يجعل الله ـ تعالى ـ جزاء المصلّى على رسوله ـ ﷺ ـ ثناء من الله عليه فهذه مشاكلة معلومة فى أصل الشريعة فالجزاء من جنس العمل .

رَوى مسلمٌ فى صحيحه : [ أنه من صلّى عليه مَرة صلى الله عليه بها عشراً ، وأن الله ـ سبحانه ـ قال له : ( من صلى عليك من أُمّتِكَ مَرة ، صليت عليه بها عشراً ) ] فمن أثنى على رسول الله ـ ﷺ ـ جزاه الله من جنس عمله بأن يُثنى عليه ويكرمه ، وهذه المشاكلة نجدها كثيرة فى أحاديث الرسول ـ ﷺ ـ

« مَنْ يسّر على معسر يسّر الله عليه حسابه[1] » « ومن ستر مسلماً ستره الله فى الدنيا والآخرة[2] » « ومن نفّس عن مؤمن كربة من كُرب الدنيا نفّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة والله فى عون العبد ماكان العبد فى عون أخيه »[3]

ثم ـ أمّا بعد : فليس مما تستريح إليه النفس أن يقول العبد ( رسول الله رحمه الله ) فإن ذلك مما تشمئز منه النفوس ، لأنه لاينبغى أن يجعل مايُدْعى به الرسول ﷺ من جنس مايدعو به بعضنا لبعض ؛ بل يُدعى له بأشرف الدعاء وهو الصلاة عليه ثناء وتشريفاً وتكريماً .

زكانا الله وإياكم بالصلاة عليه أفْضل ما زكّى أحداً من أمته .

والسلام عليك ياسيدنا يارسول الله .

---

(١) صحيح الإمام مسلم كتاب البر والصلة ١٩٩٦/٤ برقم ٢٥٨٠/٥٨

(٢) سنن ابن ماجه كتاب الصدقات ٨٠٨/٢ برقم ٢٤١٧

(٣) الحاكم ـ كتاب الحدود ٣٨٣/٤




د. / ابراهيم سليمان عيسى (*)

**السر هو ذلك المكنون الذى تضمه الجوانح والصدور ، والذى لايستطيع كتمانه والحفاظ عليه إلا أولو العزم من الناس ، الذين كبروا على شهوات أنفسهم ، وتمردوا على حب الشهرة والذات ، وعصموا ألسنتهم عن أن تفتق حجاب السر أو تهتك ستاره ، حتى يظل فى طى الكتمان إلى ما أريد له من الزمان .**

وحتى يكون فى كتمانه نجاح صاحبه وفلاحه .

والسر من الأمور التى يجب الحفاظ عليها ، ومعاقبة الذين يحومون حولها ، ويتعدون على حماها . ولقد جرت سنة الله فى خلقه على ذلك حيث يقول سبحانه :

﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾

( الحجر : ١٦ )

فهذه الآية الكريمة تنبه إلى أمرين هامين :

**أولا** : ضرورة استعمال الحذر فى صيانة الأسرار وبذل الوسع فى حفظها عمن يتطلع إلى تلقفها سواء كانت أسراراً شخصية ، أو أسراراً متعلقة بشئون الدولة ؛ فإن الله وضع حرساً شديداً لحفظ أسرار السماء من الشياطين .

**ثانياً** : التعزير بما يناسب المعتدى على السر قطعاً للعدوان فى الأرض .

إن الحافظ للسر كالكاظم للغيظ ، كلاهما يحتاج إلى قلب كبير وضمير حى وعزيمة قوية ، وفقنا الله للصواب وجعلنا من أولى الألباب .

وحفظ الأسرار مقصد شرعى ومطلب دينى ووطنى فيما يتعلق بأسرار الدولة . وخاصة فيما يتعلق ( بالاستراتيجيات ) وأوقات الحرب .

وجدير بالذكر أن ( مادة السر ) وردت فى القرآن اثنتين وثلاثين مرة بالصيغ المختلفة ، وجاءت فى كثير من الآيات مقابلة السر بالجهر ، ومقابلته بالعلن ، كما ذكر السر مقابلا بعدم الإبداء ، وكما عبر عنه بالإخفاء ، ومن هذا يمكن أن يقال : أنَّ السر هو مالا يَظْهر ويُعْلَن ، أو مالا يُراد له الظهور والإعلان .

---

(*) الكاتب : من أساتذة جامعة الأزهر .

ومعنى حفظ السر ، كتمانه وعدم إظهاره وإعلانه ، فلو ظهر الشيء المراد إخفاؤه لم يعد سراً ، إلا إذا ظهر لشخص أو لأشخاص معلومين وطلب إليهم ألا يفشوه ، وألا يتعدى دائرتهم ، فيكون سراً بالنسبة إليهم ، تجب عليهم صيانته وحفظه .

وفى الحياة أمور كثيرة خافتة غير معلومة إلا لله سبحانه وتعالى ، وليس كل ما يعلم يجوز إظهاره وإفشاؤه ، إن العلم كله عند الله فعلمه ـ سبحانه وتعالى ـ شامل محيط لا يطلع عليه أحد ، من خلقه إلا من شاء قال ـ تعالى ـ :

﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾ .

( الجن : ٢٦ ، ٢٧ )

وإذا كان إخفاء السر جزءاً من معناه أو من لوازم معناه كان هذا المعنى يوحى بالمحافظة على الأسرار وكتمانها وعدم إفشائها ، **ويكون ذلك أمراً مرغوباً فيه عقلا وشرعاً ـ كما يكون إظهاره وإفشاؤه مستقبحاً لا يجوز إلا لضرورة وفى أضيق الحدود ، إذا كانت هناك مصلحة تفوق كتمانه .**

وعن السر والعلن والجهر وعدم الإبداء وردت آيات كثيرة فى القرآن الكريم منها على سبيل المثال :

﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ۝ ﴾ .

( الرعد : ١٠ )

﴿ وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ .

( الملك : ١٣ )

﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾ .

( سورة النحل ١٩ )

﴿ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾ .

( فاطر : ٢٩ )

﴿ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ﴾

( يوسف : ٧٧ )

﴿ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ﴾ .

( الممتحنة : ١ )

﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾

( البقرة : ٢٥٥ )

﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾

( الجن : ٢٦ ، ٢٧ )

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴾

( لقمان : ٣٤ )

وإذا كان الحفاظ على السر واجب فإن إفشاء السر حرام ، لأنه يؤدى إلى ضرر ، فإن اختيار سِرِّيته دليل على أن إفشاءه فيه ضرر ، والضرر ممنوع شرعاً ـ كما أن إفشاءه يكون خيانة حيث يكون السر أمانة ، ويكون غدراً بالعهد وعدم وفاء بالوعد ، إذا كان هناك وعد أو عهد بصيانته سواء أكان ذلك بالحال أو بالمقـــال ، والله ـ سبحانه ـ حرم الخيانة وحرم الغدر ، وعدم الوفاء .

وتحريم الخيانة والغدر وعدم الوفاء أمور معروفة ، لأن الإسلام ينبذها والأدلة من القرآن الكريم على تحريم هذه الصفات المذكورة كثيرة ومنها على سبيل المثال :

قوله تعالى :

﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾

( النساء : ٨٣ )

﴿ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴾

( الأعراف : ١٠٢ )

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

( الأنفال : ٢٧ )

كما أن الأدلة من السنة النبوية المطهرة كثيرة ومنها :

« لاضرر ولا ضرار » . وعن أنس - رضى الله عنه - قال : ما خطبنا رسول الله إلا قال : ( لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له ) رواه أحمد ، وقال : ( إذا حدث رجل رجلا بحديث ثم التفت فهو أمانة ) . وقال : ( المجلس بالأمانة إلا ثلاثة مجالس : مجلس سفك دم حرام ، أو فرج حرام ، أو اقتطاع مال بغير حق ) رواه أبو داود . روى عن أم كلثوم قالت : ( ما سمعت رسول الله - ﷺ - يرخص فى شيء من الكذب إلا فى ثلاث : الرجل يقول القول يريد به الإصلاح ، والرجل يقول القول فى الحرب ، والرجل يحدث امرأته والمرأة تحدث زوجها ، وقالت أيضاً : قال رسول الله - ﷺ - : ( ليس بكذاب من أصلح بين اثنين فقال خيراً أو نمى خيراً ) الإمام الغزالى جـ٢ صـ١٥٧ .

وفى الفقه الإسلامى تكلم الكثير ، قال ميمون ابن مهران الكذب فى بعض المواطن خير من الصدق ، أرأيت لو أن رجلا سعى خلف إنسان بالسيف ليقتله ، فدخل داراً فانتهى إليك ، فقال : أرأيت فلاناً ؟ ماكنت قائلا ؟ ألست تقول : لم أره ؟ وما تصدق به .. وهذا الكذب واجب .. الأحياء جـ٢ صـ١٥٧ .

حفظ السر من مقاييس الفضل والكمال :

يقول العلماء : إن الأمين على السر أقوى وأكمل من الأمين على المال ؛ لأنَّ العفة عن الأموال أيسر من العفة عن إذاعة الأسرار ؛ ولأن الإنسان قد يذيع سر نفسه بمبادرة لسانه وسقط كلامه ، ويشح باليسير من ماله حفظاً له وضنا به ، ولهذا كان أمناء الأسرار أشد تعذراً ، وأقل وجوداً من أمناء الأموال ، وكان حفظ المال أيسر من كتم الأسرار ؛ « لأن إحراز الأموال منيعة وإحراز الأسرار بارزة ، يذيعها لسان ناطق ويشيعها كلام سابق » .

والذى يحفظ السر رجل قوى الإرادة ، صلب العزيمة استطاع أن يجاهد نفسه ويقهر شيطانه ، ومن هنا يمكن للإنسان أن يأنس به ويستريح إليه فى صداقة أو معاملة أو غير ذلك .

والذى لا يحفظ السر ولا يبالى بإفشائه رجل فيه ثلاث صفات مذمومة :

١ - ضيق صدره وقلة صبره .

٢ - غفلته عن الحذر الذى يجب أن يكون عند العقلاء ، وسهوه عن اليقظة التى ينبغى أن يتصف بها الأذكياء فهو رجل أحمق غبى .

٣ - ارتكابه الضرر والمخاطرة بما لا يعرف عقباه .

وفى الكتاب العزيز :

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ ۖ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ .

( الأحزاب : ٧٢ )

وقال :

﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾

( ق : ١٨ )

ومن السنة أيضاً نجد قوله ـ ﷺ ـ : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت » رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة ، وروى ابن عباس عن أنس « الصمت حكم وقليل فاعله » .

والجدير بالذكر أن الذى يحمل على إفشاء السر عدة أمور منها :

١ ـ العجب والفخر والزهو ، وذلك بإظهار علمه بشىء لايعلمه غيره ، وقديماً حمل هذا الشعور بعض الناس على إيراد الغرائب والعجائب ـ وحمل أهل الكتاب ـ وبخاصة الأحبار ـ على افتراء أمور غريبة وحكايتها للناس ليظهروا لهم علمهم ، وقام القصاص بدور كبير فى اختراع القصص ، بل وفى وضع الأحاديث على الرسول ـ ﷺ ـ لاظهار مكانتهم ، واستجداء خير الناس ، أو تعظيمهم لهم ، فقد يكون الحامل للرجل على افشاء السر مثل هذا الشعور .

٢ ـ طبيعة الإنسان فى حبه اتيان مامُنع منه ، فإن المحظور يغرى بارتكابه إن لم تكن هناك عصمة من خُلق أو دين كما يقول القائل :

« أَحَبُّ شىءٍ إلى الإنسان مامنعا » .

٣ ـ النكاية أو التشهير ، فإن إفشاء السر يؤذى صاحب السر إيذاءاً شديداً ، والسر سلاح خطير قد يستعمل فى الشر إن لم يكن هناك خلق أو دين .

٤ ـ الاستفادة من هذه الأسرار التى عرفها فهى معلومات يمكن له أن ينتهزها فرصة ويستغلها فى خير يفيده ، كمن يودع سر صنعته ، أو خططه الاقتصادية مثلا عند غيره من الناس فيفشيها هو باستعمالها وتطبيقها ، ويفوت بها غرضاً طيباً كان يقصد إليه صاحب السر من كتمانه وايداعه عند هذا الشخص . فإفشاء السر إما لطبيعة فى النفس ، وإما لإرادة الشر للغير ، أو حب الخير للنفس ... وغير ذلك .

فوائد حفظ السر ومضار إفشائه :

ومما لاشك فيه أن كتمان السر يساعد على النجاح فى الأعمال ، ويؤمن السالك من أخطار الطريق ، ويريح الضمير ، ويحفظ للإنسان مكاسب طيبة مادامت بعيدة عن علم الغير ، ولايتيح للمنافس ، أو العدو فرصة يظهر بها عليه ، أو ينال بسببها منه .

وإفشاء السر موجب للضغينة ، موقع فى الحرج ، مفرق بين الأحبة ، مخرب للأسر ، مسبب فى اضطراب الأمن ، ممكن للعدو من النيل من الإنسان أو الجماعة ؛ فقد يكون عند الإنسان ثروة لو عرف الغير سرها لأغرت به اللصوص ، أو أكثرت الحساد عليه ، وقد يكون السرُّ مشروعاً علمياً لو اطلع الغير عليه لسبقه إليه ، أو تخطيطا حربيا لو عرفه العدو لأفاد منه .

ومن أجل ذلك جاء التحذير الشديد عن افشاء السر ، وجاء الأمر بحفظه وصيانته ، وتأمل قوله ـ تعالى ـ على لسان يعقوب لابنه يوسف حينما قص عليه رؤياه بسجود الكواكب له والشمس والقمر :

﴿ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾

( يوسف : ٥ )

ومن السنة أيضاً ، قال عليه الصلاة والسلام « إن العبد ليقول الكلمة لايقولها إلا ليضحك بها المجلس ، يهوى بها أبعد مابين السماء والأرض ، وإن المرء ليزل على لسانه ، أشد مما يزل عن

«قدميه» البيهقى . وقال : «إن أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة الرجل يفضى إلى امرأته وتفضى إليه ثم ينشر سرها» .

ومن المأثور نجد : «استعينوا على قضاء حاجاتكم بالكتمان ؛ فإن كل ذى نعمة محسود» ذكره الماوردى فى أدب الدنيا والدين .

قال على - كرم الله وجهه - «سرك أسيرك ، فإن تكلمت به صرت أسيره» .

وقال عتبة لابنه الوليد : «من كتم سره كان الخيار بيده ، ومن أفشاه كان الخيار عليه» الإحياء جـ٣ صـ١١٤ .

وسائل إفشاء السر لدى ضعاف النفوس :

ولإفشاء السر وسائل كثيرة فقد يكون بكلمة تقولها لغيرك فى أثناء حديث عادى ، أو لقاء عابر ، وقد يكون بإشارة صامتة لكنها عند الغير تكون معبرة عن شىء كبير ، وقد يكون بمقالة تُكتَب أو خبر يُنشر ، أو بمقالة صحفية ، أو تقرير عن العمل أو نشرات دعاية أو تَحَدٍّ بعدم المعرفة .. بل قد يكون إفشاء السر بمعرفة رقم «التليفون» أو بالتزام السير أو السهو أو الوجود فى شارع أو حى أو مكان معين ، وقد يكون بنظر أحد المتطفلين إلى بعض أوراق يحملها الإنسان فيعرف منها اسم حاملها وعمله ، وكثيراً مما لا يجب أن يعرف ، وقد يفشى السر بالتحسس والتجسس وقد يكون بالتحمس فى الحديث لإظهار العلم والإحاطة ببواطن الأمور ، فهذه الأشياء من وسائل إفشاء السر ، وقد يكون «فنجان شاى» فى الإذاعة أو «حول المائدة المستديرة» أو «معرفة الوجه الآخر» فى التليفزيون أو غير ذلك من التصرفات البريئة وسيلة من الوسائل الفعالة فى إظهار الأسرار ، وكل ذلك يجب التفطن إليه والحذر من الوقوع فيه . يقول الله تعالى :

﴿خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ﴾ .

( النساء : ٧١ )

وقال :

﴿ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ ﴾ .

( الحجرات : ١٢ )

وفى الحديث قال - ﷺ - : «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تقاطعوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا» .

رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة .

وقال «من استمع إلى خبر قوم وهم له كارهون ، صب فى أذنه الآنك يوم القيامة» رواه البخارى عن ابن عباس .

وروى أحمد فى مسنده عن سعيد بن المقبرى قال : «رأيت ابن عمر يناجى رجلا ، فدخل رجل بينهما فضرب صدره وقال له : قال رسول الله ﷺ : «إذا تناجى اثنان فلا يدخل بينهما الثالث إلا بأذنهما» .

غذاء الألباب ج١ ص٢٩٦ .

مجالات السر :

وإذا كان للسر وسائل إفشاء فان مجالات السر كثيرة ومتعددة فقد تكون فى القطاع الاقتصادى ، والقطاع السياسى ، والقطاع الحربى ، والقطاع الثقافى وفى جميع القطاعات ، وتكون فى المصانع والمعامل والمتاجر ، ومكاتب الحكومة ، والشركات وغيرها وتكون بين أعضاء الأسرة ، وفى محيط الأصدقاء والزملاء والعمال وفى جميع المجالات والأوساط وكل المستويات ، فكل شىء يحرص على اخفائه فإنه سر ، واذاعته بأى وسيلة جريمة .

يتبع

# القيادة الإدارية

## بين منهج الإسلام والنظريات المعاصرة

إعداد الدكتور/ محمد عبد الله آل ناجى (*)

**بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على خاتم المرسلين**

**إن تقدم الدولة فى عالمنا المعاصر يقاس بمدى تقدمها فى مجال القيادة الإدارية .**

**ذلك لأن سر تنمية الدول لم يعد يكمن فى مقدرتها على استخدام ثرواتها ، وإنما أيضا فى كيفية استخدامها للقوى البشرية وحملها على اكتشاف كل الطاقات الخلاقة والمبدعة لديها(1) .**

**تمهيـد :**

**هل يمكن أن يكون للإسلام نظرية فى القيادة الإدارية ؟**

**أعنى هل يمكن للمسلمين ـ أن يعودوا إلى دينهم ـ فيقعدوا القواعد ويرتبوا المناهج ، ويقدموا للعالم فى نهاية القرن العشرين الميلادى ، وبداية القرن الخامس عشر الهجرى ـ نظرية فى القيادة الإدارية من منظور إسلامى ؟**

وبعبارة أوضح : هل فى مقدور الأمـــة الإسلامية الآن أن تقدم للعالم الذى يتخبط فى العديد من النظريات الإدارية ، نهاية مطافه والحيرة والقلق وظهور نظرية جديدة عندهم تطمس معالم النظريات القديمة حتى إذا وضعت موضع الاختبار والتجربة ، أحس القائمون عليها والمطبقون لمبادئها أنها السراب الممتد ، والتيه الذى لا نهاية له ؟؟

لقد كان للأمة الإسلامية نظرية فى القيادة العسكرية ، بهرت العالم «بتكتيكاتها» وعبقرية رجالها ، واستطاعت هذه النظرية التى تشربها رجالها من الاستيلاء على أكبر قوتين عرفتنا فى التاريخ القديم باسم دولة الفرس ، ودولة الروم .

حتى قال بعض المؤرخين يصف السرعة الفائقة فى الغزو والفتح والانتصار : (إن الأرض كانت تطوى من تحت أقدامهم) .

تطوى من تحت أقدامهم لا بالغازات السامة ، ولا بالأوبئة الفاتكة ، ولا بالأساليب البربرية التى يتبعها القادة العسكريون فى عالمنا المعاصر ، وإنما حدث ذلك لأنهم كانوا يحاربون بأسلحتهم ومن ورائها أخلاقهم فكأن أسلحتهم نفسها ذات أخلاق .

وكانت لهم نظرية فى القيادة السياسية ، استطاعت فى فترة وجيزة من عمر الزمن أن تجعل الكثير من ساسة الدول يتتلمذون على أيديهم ،

---

(*) الباحث : عميد كلية التربية ـ جامعة الملك فيصل المملكة العربية السعودية

(1) د. نواف كنعان ـ القيادة الإدارية ـ دار العلوم ـ الرياض ١٩٨٥

ويأخذون الحكمة وفلسفة الحكم من أفواههم .

وكانت لهم نظرية فى قيادة الحكم والولاية ـ طبق بنودها وسار على قواعدها حكام المسلمين وولاتهم ، وعرفوا مبدأ (التفويض) ، و(التنظيم) ، و(التخطيط) قبل أن تعرفه النظم الحديثة ، فكان لكل حاكم وزيره المفوض لمراقبة الولاة ومحاسبتهم دون الرجوع إلى الحاكم ، ولقد رصد فكر العالم الحر وقلبه كيف كان (محمد بن مسلمة) ـ رضى الله عنه ـ ، وكان الوزير المفوض لعمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ يزعج الولاة ويعنفهم إن قصروا أو تهاونوا فى حق الرعية حتى إنه أمر بإزالة الباب الذى وضعه سعد بن أبى وقاص ـ رضى الله عنه ـ على قصره فى الكوفة ـ أيام حكمه لها ـ لأنه رأى فيه حاجبا يحجب الوالى عن الرعية ، وفى ذلك تعطيل لمصالحهم وتوقف لأنشطتهم[٢] .

لقد نجحت هذه النظريات التى وضعها المسلمون ؛ لأنها كانت مستقاة مباشرة من كتاب الله تعالى : المنهج الإلهى الذى أنزله خالق الإنسان ليكون دَلِيلَهُ فى رحلة الحياة إبان قيامه بأمر الخلافة ، وتعمير هذا الكون .

إن صانع الإنسان هو منزل القرآن الذى يعلم كل جزيئة من جزيئات جسمه ، وكل ذرة من ذرات تكوينه ، وبالتالى يعلم مايصلحه :

﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾

(الملك : الآية ١٤)

فلما ابتعد المسلمون عن هذا المنهج تفرقت بهم السبل واختلفت أمامهم المسالك .

لقد استطاع المسلمون فى فترة من فترات تاريخهم عندما أخذوا بهذه النظريات من كتاب الله وسنة رسوله ـ عليه السلام ـ أن يكونوا سادة وقادة ، ولم يكتفوا بذلك ؛ بل قَعَّدوا القواعد للبشرية كلها ؛ فَمَدَّنوا الدنيا وهذبوا العالم ، وقرروا الحق للإنسان ، فى كل مكان على سطح الكرة الأرضية .

ولهذا يقول (لوثر جولك) و(جميس بولك) وذلك فى صدر تقريرهما المقدم فى يوليو سنة ١٩٦٢ بشأن تنظيم الإدارة الحكومية فى الجمهورية العربية المتحدة : (ومن المهم أن نعترف منذ البداية بأن أمر جهاز الحكم ليس بأهم الأمور فالمعتقدات والقيم التى يرتكز عليها تفوقه أهمية وخطورة فإذا استطاع الجهاز الجديد أن يبتعث هذه المعتقدات والقيم ، وأن يصوغها ويشكلها فى صورة نظم ؛ فإن التقدم الذى يحرزه الشعب حقا لايكمن فى النظم الحكومية ، بل فيما تقوم عليه من قوى أخلاقية وفلسفة وروحية .

لهذا كان على المسئولين عن إعادة تنظيم الجهاز الحكومى على نحو جذرى أن يستهدوا بهدى ثقافة الأمة ذاتها ، وفهم المعتقدات والقيم التى تسير عليها الأمة فى حياتها .

ثم يقولان :

وقد راعنا خلال هذا البحث أن اهتدينا إلى عدد من المعتقدات الأساسية الوثيقة الصلة بتلك المشكلات ، وإننا لنورد تلك المعتقدات فيما يلى فى صورة بالغة الإيجاز خالية مما تستحقه من إفاضة وتفصيل :

ـ شرع الله إقامة الدولة كنظام أخلاقى واقتصادى وسياسى ، وللإنسان أن يشكل هذا النظام بفضل

---

(٢) الإمام عماد الدين بن كثير ـ البداية والنهاية ص ٤ ـ ١٩٣ ط ثالثة مكتبة المعارف ـ بيروت .

مايتاح له من اتساع فى المعرفة والخبرة والتفكير ، وذلك على أساس المبادىء الأخلاقية الأساسية المقررة .

ـ الناس سواسية أمام الله ، ومن ثم أمام القانون .

ـ ليس للحاكم ولا لرجل الدين ولا لأية طبقة أو فئة أن تحول بين المرء وحقوقه وواجباته ، أو تفصل بينه وبين الله .

ـ الاستغلال الشخصى للفرد أمر يأباه الخلق الكريم .

ـ نظام القيادة نظام مستحب من حيث المبدأ ، ولكن كل راع مسئول أمام الله عن رعيته ، وبذا يكون مسئولا عن رعاية شئون الناس ، ويبرر قيامها ما تلتزم به من مسئوليات خلقية وما تقدمه من خدمات .

ـ الأخذ بالشورى أمر لابد منـــه فى اتخاذ القرارات .

ـ نظام الملكية الفردية حق مقدس ينطوى على ضرورة استخدام الممتلكات على نحو مثمر فى تخصيص قدر من الدخل فى عون المعوزين وخدمة المجتمع والضرائب ( الزكاة والإنفاق ) .

ـ العمل له نبالته الخاصة ، ويستحق العامل أجراً عادلاً على عمله .

ـ الإنسان مكلف بكسب العلم وإعمال العقل ، واستخدام المعرفة التى حصلها على هذا النحو فى نفع الناس ومرضاة الله .

ويختمان هذا الاعتراف بقولهما :

إذا صح ما ذهبنا إليه فى تلك العجالة القصيرة ، فإن الثقافة الإسلامية تكون أبعد الاشياء عن إعاقة سير التقدم والتطور فى النظم الإدارية ، كما تكون أبعد الأشياء عن الدعوة إلى الطاعة العمياء ، أو التشبث بالتقاليد العنيفة إلا أن الثقافة الإسلامية تشجع الإنسان على استخدام عقله فى تقدير مقتضيات العالم الحديث مع الاطمئنان إلى القيادة المسئولة وتبادل الرأى والمشورة[3] .

وهذا على وجه التحديد هو المنهج الذى صارت الحاجة ماسة إليه .

إن هذا البحث هو بداية ـ رحلة الألف ميل التى تبدأ بخطوة واحدة ، وفى هذا البحث سوف نستعرض نشأة وتطور الفكر الإدارى والقيادة الإداريـة ، ثم نتنـاول أصول الفكـــر الإدارى الإسلامى من حيث المصادر التى يستند عليها ، والتراث الفكرى لرواده ، وسوف نعتمد على المنهج التاريخى والتحليلى فى معالجتنـــا لمواضع هذا البحث .

## الإدارة فى تصورات النظريات الحديثة

الراصد للاتجاهات الإدارية فى عالمنا المعاصر يرى أنه يمكن تصنيفها فى نظريات ثلاث :

الأولى : نظرية الإدارة العلمية .

الثانية : نظرية العلاقات الإنسانية فى الإدارة .

الثالثة : النظرية السلوكية فى الإدارة .

وسنحاول ـ بمشيئة الله تعالى ـ أن نلقى بعض الأضواء على كل واحدة من هذه النظريات على حدة[4] .

---

٣ ـ الدكتور/ حمدي امين عبد الهادي ، الفكر الاداري الاسلامي والمقـــارن ، الاصول العامة ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٨٤م ، ص١٨٠ ـ ١٨٢ .

٤ ـ Hoy, W.K. & Miskel, C.G., Educational Administration Theory, Research and Practice. (2nd ed.), New York Random House, 1978.

أولا : نظرية الإدارة العلمية :

يرى بعض المفكرين الإداريين أن هذه النظرية تعتبر ثورة عقلانية فى تنظيم الإدارة بشقيها : القيادة والعمالة ؛ وتعتبر فتحا جديداً للإداريين بالنسبة للجهد الإنسانى ، وذلك بما قدمته من تطوير الممارسات الإدارية عن طريق استعمال الأساليب العلمية ، وآخر ما أنتجه العقل البشرى بالنسبة لإدارة الأعمال ، سواء مايتعلق بالطاقة البشرية ، أو طبيعة العمل ، أو استعمال آلات الإنتاج .

هذا بالإضافة إلى ما قدمته هذه النظرية للعمل الإدارى من مفاهيم إدارية مختلفة مثل التخطيط والتنظيم والرقابة وتحمل المسئولية ، وكان من ملامح هذه النظرية ، والاهتمام الكبير بمجال التخصص فى العمل ووضع (الكوادر) المناسبة فى المكان المناسب . ويعتبر (فريدريك تيلر) (Frederick Taylor) المؤسس الأول للإدارة العلمية ، وإن كان قد سَبَقَهُ بعضُ الجهود من علماء بدءوا هذا الطريق ، ولكنه يعتبر أول من قَعَّد القواعد ، ووضع الأسس والمخطط للمنهاج المتكامل لهذه النظرية .

ومن الابتكارات التى وضعها (تيلر) فى هذه النظرية ، أنه وضع نصب عينيه كيفية الاستفادة من القدرات الإنسانية بشكل أكثر فعالية فى إنجاز الأعمال . هذا بالإضافة إلى النظام الذى أدخله ، وهو تطوير أساليب العمل عن طريق تدريب الكوادر حتى تصبح ذات كفاءة عالية فى زيادة الإنتاج ، واستطاع (تيلر) عن طريق دراسته للزمن والحركة أن يحدد الكفاءة العضلية للعمال ومقدرتهم فى إنجاز العمل بكفاءة فى فترة زمنية محدودة .

وفى كتابه : (مبادىء الإدارة العلمية) حاول أن يقدم المبادىء الأساسية للإدارة العلمية . وسنحاول ـ بمشيئة الله ـ أن نجملها فى هذه النقاط :

(أ) توجد عدة طرق مثالية لإنجاز أى عمل ما ويمكن أن تحدد هذه الطرق علميا .

(ب) أى عمل مهما بلغ تعقيده وتداخله يمكن تبسيطه وذلك بتجزأته إلى عمليات صغيرة .

(ج) على الإدارة الناجحة تدريب العمال عند قيامهم بأية جزئية من جزيئات العمل ، وتوضيحها لهم .

(د) يرى (تيلر) إبعاد العمال عن مجال التخطيط والتنظيم ، أو السيطرة كلية على بعض النشاطات المختلفة .

(هـ) إذا كان العمل الذى يقوم به العمال مرهقاً أو معقداً فعلى الإدارة أن تقدم بعض الحوافز المادية للعمال تشجيعاً لهم على تحمل المشاق فى إنجاز هذا العمل[٥] .

وإذا كان (تيلر) بتقديمه هذه المبادىء يولى اهاماً كبيراً لزيادة الإنتاج عن طريق الكفاءة العالية فى العمل والتشغيل ، ويعتبر أن هذا لب العملية الإدارية ؛ فان (فويل) (Fayol) مهندس المناجم الفرنسى والإدارى الناجح يرى أن

---

٥ ـ Taylor, F.W. The Principles of Scientific Managements. New York: Harper & Row, 1947.

الإدارات الناجحة تعتمد على (تراكم) سلسلة من الوظائف المتلاحقة سماها : (عناصر الإدارة) . وفى رأى (فويل) أن المرء كلما صعد نحو قمة العمل الإدارى وجد أن حاجة العمل تستدعى مهارات فنية أقل ، ومهارات إدارية أكبر[٦] .

وخلاصة النظرية العلمية فى الإدارة عند (تيلر) تتمثل ، فى زيادة الإنتاج للمؤسسة ، وزيادة الدخول للعمال .

وفى رأيه : أن الإدارة يمكن أن تنجز أكبر قدر من الإنتاج فى وقت محدد ، ويمكن من ناحية أخرى أن يكون إنتاج العمال وفيرا فى وقت محدد أيضا الأمر الذى يؤدى إلى زيادة دخولهم .

ومع هذا فقد وجه العديد من الانتقادات إلى نظرية الإدارة العلمية بسبب تجاهلها العوامل الإنسانية ، ومساواتها بين الآلة والعامل حيث ركزت جل اهتمامها على زيادة الإنتاج فحسب .

**ثانياً : نظرية العلاقات الإنسانية فى الإدارة :**

لاشك أن الثورة التى أوجدها (تيلر) بتطبيق نظرية الإدارة العلمية على المؤسسات كان لها أثر فعال وحماس منقطع النظير بين رجال الإدارة فى ذلك الوقت ولكن هذه الثورة المتدفقة ، والحماس الكبير أخذ يخفت شيئا فشيئا عندما برز فى الثلاثينات من هذا القرن (التون مايو ١٩٣٣) (Eton Mayo) كرائد لمدرسة جديدة فى علم الإدارة تسمى بنظرية (العلاقات الإنسانية) وأثرها الكبير فى تطوير الإدارة عن طريق المعاملات الإنسانية والعلاقات الودية بين الإدارة والعاملين فيها .

لقد قام (آلتون مايو ١٩٣٣) بدراسات رائدة لمعرفة أهم العوامل المؤثرة على زيادة إنتاج العاملين وخلص من دراساته إلى نتائج من أهمها :

إن الدافع الاقتصادى ليس هو الدافع الوحيد فى زيادة الإنتاج ؛ بل إن العوامل الاجتماعية غير الاقتصادية لها أثر فعال فى زيادة الإنتاج كما وجد أن العمال يتفاعلون مع الإدارة كمجموعة شبه رسمية وليس كأفراد .

ومن هذا يتبين لنا أن نتائج الدراسات التى قام بها (مايو) وآخرون فى أثر الجانب الإنسانى على إنتاج الموظف برزت فلسفة جديدة فى فن الإدارة قوامها العلاقات الإنسانية ، ولقد أوضح العديد من الباحثين أن هذه الدراسات تشير بجلاء إلى دور السلوك الإنسانى فى المؤسسة ، وأن له أثراً كبيراً فى تعاون المجموعة ، ودفع المؤسسة فى أداء دورها الناجح فى المجتمع[٧] .

والعلاقات الإنسانية كثيرة ومتعددة ؛ وتشمل معنويات الأفراد وترابط المجموعة ورحابة جو المؤسسة والقيادة المؤثرة ، وتفاعل العاملين فيما بينهم عن طريق التفاهم والانسجام والتعاون الكامل فيما يقومون به ، وإذا كانت الإنسانية فى تاريخها الطويل تتطلع إلى الأحسن والأجود والكمال الذى تنشده فى كل شىء ، الأمر الذى جعلها تجد فى النظرية العلمية بعض الثغرات ، والتى من أهمها : أن جعلت العاملين شبه آلات صماء يمكن زيادة إنتاجهم من خلال المكافآت والدوافع المادية فحسب ، كما أن رجال الإدارة وجدوا فى نظرية العلاقات الإنسانية بعض القصور ، والذى يمكن تلخيصه فى أن هذه

---

٦ – Fayol, H. General and Industrial Management. Trans. by Constance S., London: Sir Isaac Pitman, 1949.

٧ – Mayo, E. The Human Problems of Industrial Civilization. New York: The Macmillan Co., 1933.

النظرية تغالى فى تبسيط الأمور ، وتعتبر أن هذه النظرية هى الساحرة التى تجمع المنهج المتكامل فى تحسين الإدارة ، والسير بها نحو الكمال المنشود ، وهذا مايخالف الواقع ، ومن أجل ذلك برزت إلى الوجود نظرية ثالثة .

**ثالثاً : النظرية السلوكية فى الإدارة :**

لقد كان لعلماء السلوك نظرتهم الفاحصة المتأنية بالنسبة لنظرية الإدارة العلمية ، ورأوا فيها قصوراً يتمثل فى تجاهلها للعلاقات الاجتماعية ، وأيضا كان لهم رأيهم الفاحص المدقق بالنسبة لنظرية العلاقات الإنسانية وتجاهلها للهيكلة الرسمية للعمل ، الأمر الذى دفع علماء السلوك إلى هذه النظرية الجديدة التى تجمع بين محاسن النظريتين السابقتين وتضيف إليها الجديد المتطور الذى يدفع بالعملية الإدارية إلى التقدم والازدهار .

ولقد لخص (أوينز owens ) الدوافع التى حدت بالقائمين على هذه النظرية إلى تقديمها كبديل عن النظريتين السابقتين بقوله : لقد سعى المنهج السلوكى إلى إقامة وئام ودمج لهذين المنهجين المختلفين ظاهريا بما يخص تنظيم البشر ، وهذا المنهج فى جوهره ، يستخدم التفكير المنتظم كقاعدة لتحليل سمات المؤسسة ، هكذا يمكن النظر إلى المؤسسة على أنها نظام اجتماعى إنسانى يؤلفه بعدان رئيسيان : البعد التنظيمى من جهة ، والبعد الإنسانى من جهة ثانية[٨] .

وهذه المدرسة السلوكية الجديدة يمثلها مجموعة من الباحثين الإداريين من أمثال كريس آرجيس (Chris Argyris) وإبراهام ماسلو (Abtaham Maslow) ودوجلاس جريجر (Douglos Mc Gregor) وغيرهم كثير ، وتكاد تتوافق وجهات نظرهم جميعا فى موضوع الاهتمامات الجوهرية بحاجات العمال : العنصر المنتج فى المؤسسة والعمل على إرضاء الذات وحث هؤلاء الباحثين الإداريين الذين يترأسون المؤسسات العملاقة بتقديم المكافآت التى ترضى غرور العمال وتسد حاجاتهم .

ويعتبر تشستر بارنارد (Chester Barnard) المؤسس الحقيقى لهذه المدرسة المتمثلة فى نظرية علم السلوك ؛ والدارس لكتاباته فى هذا الصدد يرى أنه وضع القواعد لها وقدم التعريفات للمؤسسات الرسمية ، والأخرى غير الرسمية وأوضح أهمية الفهم الجديد للعلاقات بينهما ، ووضع منهجا متكاملا لسلوكيات المدير داخل المؤسسة وخارجها .

وبعد : فهذا عرض موجز لأهم النظريات فى علم الإدارة من وجهة نظر الباحثين الغربيين ومن يسير فى فلكهم من رجال الإدارة فى عالمنا المعاصر ؛ فهل استطاعت هذه النظريات المتلاحقة المتغايرة أن ترضى طموح الإداريين ؟ وهل وضعت أقدامهم على الطريق السليم ؟ أم أن هناك قصوراً فى هذه النظريات الثلاث أدت فى بعض الأحيان إلى زعزعة كثير من المؤسسات ، وفشل البعض الآخر .

وإذا كان ذلك فعلينا أن نتعرف على منطق النظرة الإسلامية للإدارة ونظمها لعلنا نجد فيها ما افتقدناه عند غيرها .

« يتبع »

---

٨ — Owens, R.G., Organizational Behavior in Education, (2nd ed.), Englewood Cliffs, NJ: Prentice-Hall, 1981.

# طرسوس

## من قبل الصومال والبوسنة والهرسك

كم من قبلهم من هوان أليم نزل على المسلمين ... هَوَانٌ سَوْطُهُ المهين دفع به بعض المسئولين عن المسلمين إلى الأعداء لينالوا من أبشار المسلمين وأعراضهم وأهليهم وأبنائهم وأموالهم ...

كم قبل الصومال والبوسنه وبورما وكشمير وتايلاند ، ومسلمين آخرين ...

كم من قبل ذلك من مسلمين ذاقوا العذاب الأليم ... عذاباً ماكان يستطيعه أعداؤهم لولا تلك الحفنة من المسئولين ، وصدق رسول الله ـ ﷺ ـ قال ـ عليه الصلاة والسلام :

« سألت ربى ثلاثاً فأعطانى ثنتين ، ومنعنى واحدة :

سألت ربى : ألا يهلك أمتى بالسَّنَة [ القحط ] فأعطانيها .

وسألته : ألا يهلك أمتى بالغرق فأعطانيها .

وسألته : ألا يجعل بأسهم بينهم فَمَنَعَنِيها » . رواه مسلم .

وبعد :

فهذا الإمام شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى الرومى البغدادى يحدثنا ـ بقلمه ـ عن :

[ طرسُوس ]

قال : سميت بطرسوس(*) بن الروم بن اليفز بن سام بن نوح ، عليه السلام ، وقيل : إن مدينة طرسوس أحدثها سليمان .. كان خادماً للرشيد فى سنة نيف وتسعين ومائة ؛ قاله أحمد بن محمد الهمذانى .

وهى مدينة بثغور الشام بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم .

قال أحمد بن الطيِّب السَّرخسى :

على طرسوس سوران وخندق واسع ، ولها ستة أبواب ، ويشقها ( نهر البَرَدان ) وبها قبر

---

(*) انظر لياقوت الرومى ـ معجم البلدان ( طرسوس ) حرف الطاء ، وطرسوس Tarse مدينة فى جنوبى تركيا الآسيوية حاليا .

المأمون عبدالله بن الرشيد جاءها غازياً فأدركته منيته فمات ؛ فقال الشاعر :

هل رأيت النجوم أغنتْ عن المأ
مُون فى عزّ ملكه المأسُـــوسِ ؟
غادروه بعَرْصَتَىْ طَرَسُـــوس
مثل ما غادروا أبـــاه بطُـــوس

ومـــازالت موطنـــاً للصالحين والزُهّـــاد يقصدونها ؛ لأنها من ثغور المسلمين ، ثم لم تزل مع المسلمين فى أحسن حال ، وخرج منها جماعة من أهل الفضل إلى أن كان سنة ٣٥٤ هـ فإن ( نقفور ) ... ملك الروم استولى على الثغور وفتح ( المصيصة ) ... ثم رحل عنها ونزل على طرسوس وكان بها من قبل سيف الدولة رجل يقال له ( ابن الزيّات ، ورشيق النسيمى ) مولاه ، فسلما إليه المدينة على الأمان والصلح :

على أن من خرج منها من المسلمين وهو يحمل من ماله مهما قدر عليه لا يُعترض من عَيْنٍ وَوَرِق أو خُرْثى[1] ، وما لم يُطِق حمله فهو لهم مع الدور والضياع ، واشترط تخريب الجامع والمساجد ، وأنه من أراد المقام فى البلد على الذمة وأداء الجزية فعل ، وإن تنصر فلة الحباءُ[2] والكرامة وتقرّ عليه نعمته .

قال : فتنصر خلقٌ فأقِرّت نعمهم عليهم ، وأقام نفرٌ يسيرٌ على الجزية ، وخرج أكثر الناس يقصدون بلاد الإسلام وتفرّقوا فيها .

وملك نقفور البلد فأحرق المصاحف ، وخرّب المساجد ، وأخذ من خزائن السلاح مالم يسمع بمثله مما كان جُمع من أيام بنى أميَّةَ إلى هذه الغاية ، وحدث أبو القاسم التنوخى قال :

أخبرنى جماعة ممن جلا عن ذلك الثغر أن نقفور لما فتح طرسوس نصب فى ظاهرها عَلَمَيْن ونادى مناديه :

من أراد بلاد الملك الرحيم وأحبّ العدل والنَّصفة والأمن على المال والأهل والنفس والولد وأمن السبل وصحة الأحكام والإحسان فى المعاملة وحفظ الفروج وكذا وكذا ، وعد أشياء جميلة ، فليَصر تحت هذا العَلَم لِيَقْفِلَ مع الملك إلى بلاد الروم ، ومن أراد الزنا واللواط والجور فى الأحكام والأعمال وأخذ الضرائب وتملّك الضياع عليه وغَصْبَ الأموال ، وعد أشياء من هذا النوع غير جميلة ، فليحصل تحت هذا العلم إلى بلاد الإسلام ، فصار تحت علم الروم خلقٌ من المسلمين ممن تنصّر وممن صبر على الجزية ، ودخل الروم إلى طرسوس فأخذ كلّ واحد من الروم دار رجل من المسلمين بما فيها ثم يتوكل ببابها ولا يطلق لصاحبها إلا حمل الخفّ ؛ فان رآه قد تجاوز منعه حتى إذا خرج منها صاحبها دخلها النصرانى فاحتوى على مافيها ، وتقاعد بالمسلمين أمهات أولادهم لما رأين أهالهن وقالت : أنا الآن حُرّة لا حاجة لى فى صحبتك ، فمنهنّ من رَمَتْ بولدها على أبيه ومنهنّ من منعت الأب من ولده فنشأ نصرانياً ، فكان الإنسان يجيء إلى عسكر الروم فيُودع ولده ويبكى ويصرُخ وينصرف على أقبح صورة حتى بكى الروم رقة لهم وطلبوا من يحملهم فلم يجدوا غير الروم فلم يُكْرُوهم إلا بثُلث ماأخذوه على أكتافهم أجرةً حتى سيروهم إلى أنطاكيـة ، هذا وسيف الدولـــة حىّ يرزق ( بميّافارقين ) والملوك كلّ واحد مشغول بمحاربة جاره من المسلمين ، وعطّلوا هذا الفرض ، ونعوذ بالله من الخيبة والخذلان ونسأله الكفاية من عنده .

---

(١) أثاث البيت أو أردأ المتاع .

(٢) الهدايا والتكريم .



# الحسد في الأحاديث النبوية

## -٢-

للأستاذ الدكتور/ محمد شامة

### ضرر عين العائن للمعيون

**انتشرت ظاهرة الاعتقاد فى تأثير عين العائن على المعيون تأثيراً مباشراً فى جميع المجتمعات الإنسانية ، ومما ساعد على انتشارها وتمكنها من نفسية الإنسان البدائى : اعتقاده بأن هناك قوى غيبية ، لها اتصال بأصحاب العين الشريرة ، تمده بالقوة التى تؤثر فى المعيون عن طريق النظر إليه ، بل أحياناً يصل الضرر إلى المحسود ـ حسب اعتقاده ـ عن طريق مدحه ، وأحياناً بمجرد الحديث عنه ، دون أن يراه الحاسد .**

استولى هذا الاعتقاد على مشاعر الناس ، وتغلغل فى وجدانهم ، فنسبوا إلى الحسد كل مايرونه من آثار ضارة ، دون أن يكون لديهم مبررات عقلية ، أو تفسير منطقى ، يوضح العلاقة بين الأثر والمؤثر ، بل كان مرد هذا إلى أساطير وخرافات غامضة ، تناقلتها الأجيال ، دون أن يفكر أحد منهم فى البحث عن كيفية وصول الضرر من عين الرائى إلى المرئى الذى أصيب ـ حسب مايعتقدون ـ بمجرد نظر صاحب العين الشريرة إليه ، أو الحديث عنه ، سواء كان مدحاً أو إعجاباً ، أو كان مجرد وصف ، أو تقريراً لهيئته وشكله ، ومما يصور مدى تصورهم لتأثير العين الشريرة : أنهم كانوا يعتقدون أن ٩٩٪ ممن يرقدون فى القبور ماتوا بسبب الحسد .

وعلى الرغم من أن تجارب الشعوب وأبحاث العلماء كشفت كثيراً مما كان غامضاً من الأسباب والعلل ، فظهر للناس أسباب ما كانوا ينسبونه إلى الحسد ، إلا أن هذه الظاهرة لم تختف كلية من المجتمعات الإنسانية ، لأن بعض المرويات الدينية ساعدت على بقائها فى المجتمع ، ليس فقط فى مرحلة تخلفه وجموده ، بل صحبته أيضاً فى فترات تقدمه وازدهاره الفكرى والثقافى ، إذ نرى فى كثير من الأحيان مفكراً يدافع عن المنهج العقلى ويستخدم المنطق فى إنتاجه الفكرى ، وينقب عن الأسباب ، والعلل لما يصادفه فى تخصصه ، لكنه

فى سلوكه الاجتماعى يرتد إلى الأفكار التى انحدرت إليه من آلاف السنين ، فتراه أسير هذه المعتقدات ، خاضعاً لها كما يخضع أخوه الأمى ؛ وما ذاك إلا بسبب تلك المرويات التى تُثَبِّت هذا الاعتقاد فى وجدانه ، وتمكنه من أحاسيسه ، فيظن أنه لو رفضه ، فإنما يرفض مسلمات دينية ، الأمر الذى يوحى إليه بأن من تمام دينه : الاعتقاد فى تأثير عين العائن فى المعين .

ولو علم أن هذه المرويات ليست صحيحة لاختلف الوضع ، ولهذا سوف نبين عدم صحة ما جاء من أحاديث نبوية حول الضرر الذى يقع على المحسود مما تملكه عين الحاسد من قوة وتأثير .

فمن أشهر ما روى فى هذا الصدد :

ـ ما نسب إلى الرسول ـ ﷺ ـ من أنه قال : « إن العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر » ..

هذا حديث ضعيف ، ولهذا لم يذكر فى أى من كتب الحديث التسعة التى فهرسها « ونستك »[1] وإنما أخرجه الأصفهانى فى « الحلية »[2] ، وابن عدى والخطيب فى « تاريخه »[3] من حديث جابر بن عبدالله بلفظ : « العين تدخل الرجل القبر ، وتدخل الجمل القدر » ..

وقد تفرد به شعيب بن أبى أيوب الأنصارى ، عن معاوية[4] عن هشام .. قال الصابونى[5] .

« بلغنى أنه قيل له : ينبغى أن تمسك عن هذه الرواية ، ففعل » ..

وقال الذهبى فى ترجمة شعيب بن أبى أيوب : « وله حديث منكر ، ذكره الخطيب فى « تاريخه » »[6] .

ـ ونسب أيضاً إلى رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال :

« كاد الفقر أن يكون كفراً ، وكاد الحسد أن يغلب القدر » ..

لم أعثر على هذا الحديث فى الكتب التسعة السالفة الذكر ، ولكن أخرجه البيهقى فى « الشُّعَب » من رواية يزيد الرقاشى . ويزيد ضعيف .

ورواه الطبرانى فى « الأوسط » من وجه آخر ، بلفظ :

« كادت الحاجة أن تكون كفراً ، وكاد الحسد أن يغلب القدر » .. وفيه ضعف أيضاً ..

ـ كما ذكر عبدالرزاق فى « المصنف » ، عن معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه مرفوعاً : « العين حق ، ولو كان شىء سابق القدر لسبقته العين ، وإذا استغسل أحدكم فليغتسل » وعقب عليه بأن : إسناده صحيح ، لكنه مرسل[7] .

وهذا يجعلنا نرفض الاحتجاج به ، اعتماداً على مايحكى عن بعض المحدثين : أنهم لايقبلون

---

(١) وهى : « صحيح البخارى » وصحيح مسلم ، وسنن أبى داود ، وسنن الترمذى ، وسنن ابن ماجه وسنن الدارمى ، والجامع الصحيح للنسائى ، ومسند أحمد بن حنبل ، والموطأ للامام مالك .

(٢) الأصفهانى : حلية الأولياء .. جـ٧ صـ٩٠ .

(٣) الخطيب جـ٩ صـ٢٤٤ .

(٤) ولفظ الأصفهانى : غريب من حديث الثور ، تفرد به معاوية .

(٥) الصابونى (٣٧٣ـ٤٤٩هـ/ ٩٨٣ـ١٠٥٧م) هو إسماعيل بن عبدالرحمن بن أحمد بن إسماعيل ، أبو عثمان الصابونى ، مقدم أهل الحديث فى بلاد خراسان ، لقبه أهل السنة فيها : شيخ الإسلام .. ولد ومات فى نيسابور ، وكان فصيح اللهجة ، واسع العلم ، عارفاً بالحديث والتفسير (انظر : الإعلام للزركلى) .

(٦) ذكر الذهبى .. « وقال أبو داود : إنى أخاف الله تعالى فى الرواية عنه ، قلت : ماأخرج عنه فى سننه غير حديث ، وله حديث منكر ، ذكره الخطيب فى تاريخه ، علقته عندى . مات سنة إحدى وستين ومائة » . (ميزان الاعتدال جـ٢ صـ٢٧٥) .

(٧) وصله مسلم فى « صحيحه » ونص روايته : حدثنا عبدالله ابن عبدالرحمن الدارمى ، وحجاج ابن الشاعر ، وأحمد بن خِرَاش (قال عبدالله : أخبرنا ، وقال الآخران : حدثنا) مسلم بن إبراهيم ، قال حدثنا وُهَيب عن طاووس ، عن أبيه ، عن ابن عباس عن النبى ـ ﷺ ـ قال : « العين حق ، ولو كان شىء سابق القدر . الخ .

المرسل ، ويعدونه من قبيل الضعيف الذى لا يحتج به ، لجواز أن يروى الصحابى عن تابعى ، فيكون المحذوف هو التابعى ، وسقوط التابعى قادح ، وسبب من أسباب رد الحديث[8] .

فإذا أضفنا إلى ذلك : أن من علماء الحديث من يُعرف المنقطع بأنه : «ما سقط منه راو واحد من أول السند ، أو من وسطه ، أو من آخره[9] » ، فيكون هذا الحديث منقطعاً أيضاً ، لأنه سقط منه راو من أول السند .

ولما كان الحديث المنقطع من قبيل الضعيف الذى لا يحتج به ، فلا يجوز الاحتجاج بهذا الحديث .

ومن هذا يتبين أن الأحاديث التى جاء فيها ذكر إمكانية إلحاق الضرر بالمحسود بمجرد رؤية العائن ضعيفة ، لا يحتج بها ، فضلا عن أن هذا الاعتقاد ينافى العقل والمنطق ، ويصطدم مع الواقع الذى أثبتته العلوم التجريبية على اختلاف فروعها ، وتنوع طرق إثباتها .

وهو فوق هذا كله مخالف لمفهوم كثير من مبادىء الإسلام وتعاليمه ، بل يهدم الأساس الذى يقوم عليه الحوار مع المنكرين لوجود الله ـ سبحانه ـ ، ألا وهو أنهم أى المنكرون لوجود الله تعالى لا يملكون الدليل الواضح الذى يؤيد ما ذهبوا إليه من إنكار وجود الله ، بل يتبعون الظن وما تهوى الأنفس ، إذ ليس عند من يعتقد فى ضرر العائن للمعيون بمجرد النظر إليه دليل واضح على ذلك ، بل هى معتقدات بدائية ، ترسبت فى نفوس المجتمعات الإنسانية ، وتمكنت من عواطف الأفراد ، فوجهت سلوكهم تحت ضغط الخوف من المجهول ، فركنوا إليها ، واطمأنت نفوسهم بهذا التفسير الهلامى ، لما يرونه من أحداث لا يدركون أسبابها .

### ٣ ـ التمائـــم

استخدم الإنسان أنواعاً مختلفة من الطقوس والتعاويذ ، لدفع الأضرار التى لا يعرف لها سبباً مادياً عن نفسه ، ولحماية ممتلكاته مما قد يصيبها من الآفات والكوارث التى تجتاحها ، ولا يعرف لها سبباً مرئياً ، ولا مصدراً يشاهد بعينه ، أو يستدل عليه بمظاهر ملموسة .

فإذا غرست معتقدات آبائه وأجداده فى نفسه تصوراً معيناً لمصدر ما يصيبه من آلام ، وما يحل به وبممتلكاته من كوارث ، فإنه يمارس طقوس معينة لدفع هذا الضرر بعيداً عنه . وتختلف تلك الطقوس من مجتمع لآخر ، وتتفاوت فى المجتمعات الإنسانية بتفاوت عقائدها ، وتقاليدها ، وعاداتها ، غير أن الطقوس التى مارسها الإنسان للحماية من أثر العين الشريرة ظهرت فى مختلف المجتمعات البشرية متشابهة تقريباً ، على الرغم من تعـدد صور المعتقدات الدينية ، وتباين أشكال نظم الحياة الإنسانية ، بما فيها من عادات وتقاليد ، سواء كان لهذه العادات والتقاليد صلة مباشرة بمبادىء وأحكام تلك المعتقدات ، أو كانت دخيلة على ما تعارف عليه المجتمع ، وتمسك به كدين له ، وعقيـدة يتخذها أساساً لحياته ، ونبراساً لرؤيته لهذه الحياة ، ومصدرا لتوجيه سلوكه وتعامله مع من يعيشون معه ، أو يتصلون به .

ومن الأشياء التى استخدمها الإنسان ـ منذ

---

(٨) د/ موسى لاشين جـ١ صـ٤٩ .

(٩) المصدر السابق صـ٣٩ .

العصور الأولى حتى وقتنا الحاضر - لدفع العين الشريرة - أى الحسد على اختلاف أنواعه وأشكاله - ما يعرف باسم : «التميمة» وهى شىء يلبس - أو يعلق - على أنه تعويذة سحرية ، تطرد الشر ، فقد استعمل الإنسان تمائم متعددة ، (وكانت أكثر شيوعاً بين الناس من حبوب الدواء لعلاج الأمراض ، أو الوقاية منها ، وكان المرض فى اعتقادهم هو تقمص الشياطين الجسم ، وعلاجه هو تلاوة العزائم ، فقد كان الزكام مثلا يعالج بمثل هذه العبارات السحرية : أخرج أيها البرد ، يا ابن البرد ، يا من تهشم العظم ، وتتلف الجمجمة ، وتمرض مخارج الرأس السبعة اخرج على الأرض .. دفر .. دفر .. دفر )[١٠] .

كذلك استخدمها أتباع الأديان السماوية ، إذ كان عند العبرانيين أحجبة ، فيها نصوص من التوراة ، كما علق المسيحيون صلباناً وتمائم ، احتوت على أشياء مقدسة ، ونصوص دينية .

أما نوعية المواد التى تحتوى عليها التمائم فكانت متعددة ، مثل : أسنان الحيوان ، والأحجار الكريمة ، والمعادن ، وأجزاء من نباتات مختلفة ، وكذلك نقوش لها صلة بالمقدسات ، كالصليب ، وعجلات إله الشمس ، وصور الكتاب المقدس .

واحتوت أيضاً على أشكال مختلفة من الطواطم ، أو رسوم لما يعتقد أنه يملك القوة على دفع العين الشريرة ، بعيدة عمن يحمل التميمة ، مثل : صورة الأسد ، أو الحية ، وغير ذلك مما يتوفر فيه - حسب الاعتقاد السائد فى المجتمع - خصائص طرد كل ما من شأنه أن يضر الإنسان أو الحيوان ، وكل ما يملك المرء من متاع ومال .

ومن عادة من يستخدم التميمة أن يعلقها فى عنقه ، أو يثبتها فى أى مكان من ثوبه ، كما تعلق أيضا على الحوائط ، والأبواب ، والنوافذ ، وفى فروع الأشجار ، سواء كانت فى الحقول ، أو فى الحدائق ، وتدفن أحياناً فى أساسات المنزل ، وتحت عتبة أبواب المنازل وحظائر المواشى ... الخ .

يذهب بعض الباحثين إلى أن كلمة : «تميمة» التى يستخدمها العرب والإيرانيون مأخوذة من الكلمة اليونانية «توتيليسما To Teleysma» التى كانت تدل فى اللغة اليونانية على : «الكمال» أو «الشىء الفاخر» ثم استخدمت بعد ذلك للدلالة على الوسيلة السحرية التى يباشرها المرء للحماية مما قد يصيبه من ضرر ، وانتقلت بهذا المفهوم إلى اللغة العربية ، وإلى اللغات الشرقية كلها ، كما دخلت بنفس المعنى أيضاً إلى اللغات الأوربية .

ويرى آخرون أن أصلها يرجع إلى الكلمة الهندية : «تاليسمانا Tulismana» معللا ذلك بأن من عادة الهند أن يعلق العريس قلادة فى رقبة عروسه ليلة الزفاف ويطلق على هذه القلادة بالذات كلمة : «تالى Tali»[١١] .

وربما يذكرنا هذا بما ورد فى التوراة عن الأهداب ، التى فرض على بنى إسرائيل أن يعلقوها فى أذيال ثيابهم ، فقد جاء فى سفر العدد مايلى :

«وكلم الرب موسى قائلا : كلم بنى إسرائيل ، وقل لهم أن يصنعوا لهم أهدابا فى أذيال ثيابهم فى أجيالهم ويجعلونها على هدب الذيل عصابة من أسمَا نْجُونِيٌّ فتكون لهم هدبا فترونها ، وتذكرون كل وصايا الرب ، وتعلمونها ولا تطوفون وراء قلوبكم وأعينكم التى أنتم فاسقون وراءها»[١٢] ..

---

(١٠) ول ديورانت جـ٢ صـ١٢٣ .

(١١) Seligmann B.II,S.3FF .

(١٢) ١٥ : ٣٧ - ٣٩ .

إذ من المحتمل أن يكون لهذه الأهداب صلة بالتميمة[١٣] ..

فاستخدام التميمة شائع بين الشعوب كلها «فاعتقد البابليون أن من المستطاع اتقاء شر «العين الحاسدة» باستعمال التمائم والطلاسم ، وما إليها من الرق والأحاجى ، وكانت صورة الآلهة إذا حملها الشخص معه تكفى فى الغالب لإخافة الشيطان ( الذى أدخلته العين الحاسدة فى جسد المحسود ) وإبعاده .

وكانت من أقوى التمائم أثراً قلادة من حجارة صغيرة تسلك فى خيط أو سلك ، وتعلق فى العنق ، على أن يراعى فى الحجارة أن تكون من النوع الذى تربط الأقوال المأثورة بينه وبين الحظ الحسن ، وفى الخيط أن يكون أسود ، أو أبيض ، أو أحمر ، حسب الغرض الذى يريد منه صاحبه ، وكان من أشد الخيوط أثراً : الخيط الذى يغزل من عنزة لم يقربها تيس ؛ وكان من الحكمة أن يستعان ـ فضلا عن هذه الوسائل ـ بالرقى الحارة ، والطقوس السحرية ، لإخراج الشيطان من الجسم ، كرشه بالماء المحمول من أحد المجارى المقدسة ، كدجلة والفرات[١٤] .

وتضمنت معانى الكلمات التى تدل عليها ( أى التيمة ) فى جميع لغات الشعوب :

معنى الحماية من العين الشريرة[١٥] ، فاللاتينيون أطلقوا عليها كلمة : «فاسينوس Faseinus» أو «فاسينوم Faseinum» التى كانت تطلق فى بادىء الأمر على السحر ، أو الشعوذة ، ثم أطلقت على مايستعمل للحماية من السحر والشعوذة ، وأخيراً أصبحت علماً على التميمة ، التى تحمى حاملها من العين الشريرة .

كما وردت فى الأدب الشعبى اليهودى كلمة : «Kenea» علماً للتميمة ، إذ كان المقصود بها : كل ما يربط ، أو يعلق حول العنق ، أى الأحجبة ، التى تعلق حول الرقبة ، فقد جاء فى التلمود : أن أحد الملوك أعطى ابنته ليلة زفافها «Kenea» وقال لها : «البسى هذا الحجاب ، ولا تنزعيه من عنقك أبداً ، وإلا أصابتك العين الشريرة» .

ويحرص حاملو التميمة على عدم إخفائها تحت الملابس ، أو فى مكان خفى ، فهم يتعمدون إظهارها بقدر الإمكان ، لأن حمايتها لا تتحقق إلا إذا رآها الحسود ، إذ عندما تقع عينه عليها ، يرتد بصره إلى نفسه فينجو حاملها من آثار عينه

---

(١٣) كانت الصلاة عند اليهود المتمسكين بالدين عملا شديد التعقيد ، لا تؤدى على الوجه الصحيح ، إلا إذا غطى المصلى رأسه دليلا على الخشوع ، وربط على ذراعيه وجبهته علبا صغيرة ، تحتوى فقرات من سفر الخروج ( الآيات : ١ ـ ١٦ من الاصحاح الثالث عشر ) وتثنية الاشتراع ، ( الآيات ٤ ـ ٩ من الاصحاح السادس و١٣ ـ ٢١ من الاصحاح الحادى عشر ) وثبت فى أطراف ثيابه أهدابا نقشت عليها أهم وصايا الرب ، وكان رجال الدين يفسرون هذه الإجراءات الشكلية ، على أنها أمور لابد منها لتذكير اليهود بوحدانية الله ، ووجوده ، وشرائعه ، أما السذج من اليهود فقد أصبحوا يحسبونها تمائم سحرية ذات قوى معجزة خارقة للطبيعة .

(١٤) ( ول ديورانت جـ٤١ ـ ٢٢٧ ) .

(١٥) تكاد الشعوب البدائية كلها تجمع على الاعتقاد فى قوة الكلمات وشر «العين الحاسدة» فلم يشك الإستراليون الأصليون فى أن الكلمات التى ينطق بها الساحر لها من القوة ما يجعلها قادرة على إصابة الشخص المعنى بها ، حتى ولو كان على بعد مائة ميل .

وبدأت العقيدة فى السحر فى أوائل مراحل التاريخ الإنسانى ، ولم يزل عن الإنسان قط زوالا تاماً .

وعبادة الأصنام وغيرها مما يكون له قوة سحرية ، كالتمائم أرسخ فى القدم من السحر نفسه ، وأثبت منه جذوراً فى النفس ، ولما كانت التمائم تُحَدَّد لها مناطق القوة ، بمعنى أن يكون لكل تميمة أثر فى ناحية معينة دون غيرها ، فإنك ترى بعض الشعوب تثقل أنفسها بأحمال منها ، لكى يكونوا على أهبة الاستعداد لكل ما عسى أن تفاجئهم به الأيام . والأحجبة إن هى إلا صورة متأخرة فى الظهور ، ومثل من الأمثلة التى تعاصرنا من الأصنام ، أو ما إليها من ذوات القوة السحرية ، فنصف سكان أوربا يلبسون المُذَلِّيات والتمائم ليستمدوا بواسطتها الوقاية والمعونة من وراء الطبيعة ( ول ديورانت جـ١ صـ١١٥ ) .

الشريرة ، ولذلك سماها بعض الناس : أداة تحويل النظر ، ولذا كان من صور حملها أن توضع فى علبة صغيرة ، وتعلق فى سلسلة حول العنق ، أو يخاط عليها قطعة من القماش ، وتعلق على الجسم فى مكان ظاهر ، أو توضع فى فص خاتم ، ويلبسه من يطلب حمايتها فى أصبعه .

تعددت أشكال وهيئات التمائم ، بدرجة لا يستطيع باحث حصرها على المستوى العالمى ، فقــط حصر « يوسف بيلـــوسشى Joseph Pielucci » فى إيطاليا وحدها أربعة آلاف نوع من التمائم وعرضها فى المعرض العالمى الذى أقيم فى باريس عام ١٨٨٩م(١٦) .

كذلك تنوعت المواد التى توضع فى التميمة ، فمن الأشياء التـى تؤخـــذ من الأرض .. لاستخدامها تميمة :

( أ ) المعادن ، وخاصة : الذهب والفضة ، إذ انتشر تعليق التمائم الذهبية والفضية حول الرقبة عند جميع الشعوب للحفظ والوقاية من الحسد ، وخاصة فى رقبة الوليد ، والعروس ، وكل من يتمتع بنوع من نضارة المنظر ، وحسن الهيئة ، وغير ذلك من الأمور التى يظن أنها تثير انتباه الحساد .

ومن المعادن التى تستخدم أيضاً : الحديد ، والصلب ، فكـثيراً مانرى حوافـر الحصان المصنوعة من أحد هذين المعدنين معلقة على الأبواب ، وفى مخادع الأطفال ، لتقوم بعملية طرد العين الشريرة .

(ب) النباتات : فقد شاع الاعتقــاد فى المجتمعات البشرية أن أنواعاً معينة من الأشجار قادرة على الحماية من عين العائن ، فالرومان اعتقدوا أن الأشجار التى ليس فى ثمارها بذور أو نوى ، هى التى تحمى من العين الشريرة ، كما اعتقد سكان بورما أن قدر الإنسان مرتبط بالخشب الذى يستخدمونه فى بناء بيته ، ويحرص النساء فى « مدغشقر » على حمل قطعة خشب من أشجار معينة ، يثبتها فى السلاسل التى يعلقونها فى رقابهن ، أو يلبسونها على هيئة إسورة حول معاصمهن ، فتحفظهن من أعين الحساد .

وقد انتشر استخدام الشعوب للخشب بأشكال وصور متعددة لهذا الغرض ، وهو يفسر التعبير الشائع بين كل الشعوب ـ حتى التى قطعت شوطاً كبيراً فى مجال الرقى والتقدم : « امسك الخشب » ، حيث يصيح المرء بهذه الجملة ، عندما يسمع كلمة مدح ، أو إعجاب لحماية الممدوح مما قد يصيبه من جراء ذلك المديح .

وفى بعض البلاد يعلق فى رقبة الطفل تميمة ، تحتوى على قطعة من نبات الثوم ، أو اليانسون ، أو الكراوية ، أو الشبة ، أو القرنفل ، أو بعض حبات من البقول ، أو قطعة خشب أو مجموعة من سيقان الأعشاب ؛ وبعضهم يضع التميمة تحت الوسادة ، أو يعلق خرزة فى منديل الرأس .

وكل نوع من النبات يستخدم فى مناسبة خاصة ، كذلك يختلف أيضاً باختلاف من يستخدمها ، بالطفل غير البالغ ، والبنت غير المتزوجة ، حيث تعلق أشياء لا تعلقها المتزوجة ، وكذلك الزوج له نباتات خاصة ، كما أن عدد حبات البقول التى توضع فى التميمة تختلف حسب اختلاف الأحوال والأشخاص .

ويعتبر الحيوان كله ، أو أجزاء منه من الأشياء التى تستخدم للحماية من العين الشريرة ، وكذلك صورته ، فمثلا : استخدام قدماء المصريين صورة جناح النسر محفورة على صفحة رقيقة من الذهب « تميمة » .. يلبسها المرء للوقاية

(١٦) Seligmann B.II S.7

من الحسد ، ولنفس الغرض يثبت الفنلنديون صورة النسر على أبواب حظائر الماشية ، كما يعلق البناءون فى آسيا الصغرى جمجمة قرد على كل بيت يبنونه ، فتحميه وأصحابه من الحسد .

ولم يقتصر استخدام الشعوب للحيوان وأجزائه ـ وكذلك صورته ـ على نوع واحد أو على عدد معين منه ، بل شمل كل أنواع الحيوان تقريباً ، وكذلك الطيور ، نذكر منها على سبيل المثال :

الجاموس ، و(البرص) ، والذئب ، والحمار ، والضفدع ، والثعلب ، والكلب ، والتمساح ، والمحار ، والسلحفاة ، والنمر ، والكبش ، والتيس ، والطاووس ، والقنفذ ، والعنكبوت ، والباز ، ونقار الخشب ، وفرس النهر ، وكلب البحر ، والجعران ، والأوز العراق ، والحلزون ، والأفعى ، والغراب ، والحصان ، وعصفور الجنة ، والثور ، والبقرة ، والفأر ، والبغل ، وضفدع البر ، وسمك الكابوريا ، والأرنب ، والديك ، والفرخة ، والذباب .. وغير ذلك مما لايستطيع المرء حصره ، ويستخدم الإنسان هذه الحيوانات أو أجزاء منها ، كما يستخدم صورها مرسومة أو منحوتة على أشكال وهيئات متعددة ، كما يلبسها بطرق مختلفة كسلاسل وخواتم ومعاصم .. الخ ، ويضعها فى الحقول ، والبساتين ، والبيوت ، وحظائر الماشية .. وغير ذلك من الأماكن التى يريد دفع العين الشريرة عنها ، أو عما بداخلها .

ومن هذا العرض الموجز ، يتبين لنا أن الاعتقاد فى أن التميمة تحمى من يحملها من عين العائن قد تمكن من نفسية الإنسان ، سواء كان مثقفاً أم أمياً وسواء كان فى مجتمع بدائى ، أم يحيط به هذا الكم الهائل من نتائج الأبحاث التجريبية .. حتى ولو كان أحد الباحثين البارزين فى مجالاتها ، أو الفلاسفة المحللين لنتائجها ، للتوصل إلى الكليات والنظريات ، إذ تبين لنا مما سبق ذكره : أن هذا الاعتقاد قد سيطر على عقول الناس جميعاً ، على اختلاف مستوياتهم الثقافية والعلمية ، فليس من النادر أن ترى مفكراً يدافع عن المنهج العقلى ويستخدم المنطق فى إنتاجه الفكرى ، وينقب عن الأسباب والعلل فى تخصصه ، ولكنه فى سلوكه الاجتماعى يرتد إلى الأفكار التى انحدرت إليه من آلاف السنين ، فنراه أسير هذه المعتقدات ، خاضعا لها ، كما يخضع لها أخوه الأمى ، إنه يلغى عقله ، فيندفع وراء معتقدات لا يقرها منطق ، ولا يستسيغها فكر ، ولا تنسجم مع مركزه الثقافى والعلمى .. بل إن الإنسان يغفل وسط هذا التيار الجارف ، المنحدر من عقائد البدائيين عن كثير من النصوص الدينية التى توضح له سخف هذه المعتقدات ، وتحذره من الخضوع لها ، وتنذره بالعقاب الأليم ، لو مارس ما توحى به هذه العقائد الباطلة .

فقد ورد فى حديث رسول الله ـ ﷺ ـ ما يبين بطلان الاعتقاد فى تأثير التميمة ، وتوعد من يصدق هذه الخرافات ، فيعلق تميمة للحماية من عين العائن بالعقاب الأليم ، ألا وهو عقاب المشرك ، فعن زينب ، امرأة عبد الله بن مسعود ، قالت : كان عبد الله إذا جاء من حاجة ، فانتهى إلى الباب ، تنحنح ، وبزق[١٧] كراهية أن يهجم منا على شىء يكرهه . قالت : وإنه جاء ذات يوم فتنحنح ، قالت : وعندى عجوز ترقينى من

---

(١٧) بزق : بصق .

الحُمْرة[18] فأدخلتها تحت السرير ، فدخل ، فجلس إلى جانبى ، فرأى فى عنقى خيطاً قال : ماهذا الخيط ؟ قالت : قلت : خيط أُرْقِىَ لى فيه ، قالت : فأخذه ، فقطعه ثم قال : إن آل عبد الله لأغنياءُ عن الشرك .

سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : «إن الرقى ، والتمائم ، والتولة[19] شرك» ، قالت : فقلت له : لم تقول هذا ؟ وقد كانت عينى تقذف ، فكنت أختلف إلى فلان اليهودى يرقيها ، وكان إذا رقاها سكنت ؟ قال : إنما ذلك من عمل الشيطان ، كان ينخسها بيده ، فإذا رقيتها كف عنها ، إنما كان يكفيكِ أن تقولى - كما قال رسول الله - ﷺ - : «أذهب الباس رب الناس ، اشف أنت الشافى ، لا شافى إلا شفاؤك ، شفاء لا يغادر سقماً»[20] .

وعن عقبة بن عامر قال : سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : «من علق تميمة فلا أتم الله له ، ومن تعلق وَدَعة[21] فلا ودع الله له[22]» .

وعنه أيضاً : أن رسول الله - ﷺ - أقبل عليه رهط ، فبايع تسعة ، وأمسك عن واحد ، فقالوا : يارسول الله .. بايعت تسعة ، وتركت هذا ؟ قال : «إن عليه تميمة» فأدخل يده فقطعها ، فبايعه ، وقال : «من علق تميمة فقد أشرك»[23] ..

قال أبو السعادات : «إنما جعلها شركاً ، لأنهم أرادوا دفع المقادير ، وطلبوا دفع الأذى من غير الله الذى هو دافعه»[24] . ولهذا منع فريق من العلماء تعليق التميمة ، حتى ولو كانت من القرآن الكريم[25] .

وعلى الرغم من هذا نجد كثيراً من المسلمين لازالوا يعتقدون فى حماية التمائم من العين الشريرة ، كما كان يعتقد فيها الأوائل ، ويعلقونها بمختلف الأشكال والألوان ، كما كان يفعل البدائيون من قبلهم . ولم يقتصر هذا العمل على الأميين منهم ، بل يمارسه المثقفون أيضاً .

إن طريق المصلحين وعر وطويل ، ومحفوف بالمكاره من جميع الأنواع ، ولذلك لا يسلكه إلا من أدرك أسباب التخلف فى أمته ، وأصر على الإسهام فى عمل جاد ، لتخليصها منه ، وتوجيهها إلى مايصلح عقيدتها ، ويقوم سلوكها ، ويدفعها إلى التقدم والرقى ، مهما كانت العقبات التى تعترض طريقه ، ومهما كانت النتائج التى تعكر عليه صفو حياته ، بحرمانه من حقوقه الأدبية والمادية ، تأديباً له على رفع صوته ضد عقائد يتمسك بها العامة ، ويدافع عنها أنصاف العلماء ومن يجرى فى ركابهم .

( يتبع )

---

(18) الحُمْرة : مرض وبائى بسبب حمى وبقعاً حمراء فى الجلد ، ولاتدخل جراثيمه للجسم إلا من خدش أو جرح .

(19) التولة : مايحبب المرأة إلى الرجل من السحر .

(20) أحمد عبد الرحمن الساعاتى : جـ17 صـ186 - 187 .

(21) الوَدْع : بالفتح والسكون : جمع ودعة : هو شىء أبيض يجلب من البحر ، ويعلق فى حلوق الصبيان ( أى أعناقهم ) وغيرهم ، وإنما نهى عنها ، لأنهم كانوا يعلقونها مخافة العين .

(22) أى لا جعله فى دعة وسكون ، وقيل : هو لفظ مبنى من الودعة ، أى لاحفظ الله عنه ما يخافه .

(23) الساعاتى المصدر السابق جـ7 صـ... وليس هذا قاصراً على تعليق التميمة فى رقبة إنسان فقط ، بل لا يجوز أيضاً تعليق التميمة فى رقبة حيوان ، ففى الصحيح عن أبى بشر الأنصارى : أنه كان مع رسول الله - ﷺ - فى بعض أسفاره فأرسل رسولا : أن لايبقين فى رقبة بعير قلادة من وتر ، أو قلادة إلا قطعت «إذ كان أهل الجاهلية يعلقون أوتاراً على الدواب اعتقاداً منهم أنها تدفع العين عن الدابة ( فتح المجيد - شرح كتاب التوحيد صـ133 ) .

(24) فتح المجيد صـ129 .

(25) المصدر السابق صـ143 .

# أسمى الحب فى الإسلام

للأستاذ/ محمد سيد حسان خفاجى

إن كلمة « الحب » تعنى : الميل النفسى والصفاء القلبى إلى ما يراه ويظنه الإنسان خيراً فى محبوبه ، من الوُدّ المشمول بالرحمة ، المستمسك بالوفاء والإخلاص .

وهذه الكلمة تحمل فى طياتها معانى الخير والبرّ يستقر أثرها فى كل قلب لا يدّخر عن محبوبه أقصى ما عنده من مشاعر كريمة تعبيراً عن البذل والسماحة فالمحب ــ دائماً ــ طوعُ محبوبه .

وأسمى دوائر الحب حبنا لله ورسوله .

وإذا كانت محبة الله لعباده تعنى رضاه عنهم ، وإحسانه إليهم ، ولطفه بهم ، فهو يحب من عباده من يكونوا على صفته فى الرحمة ، ﴿ رحماء فيما بينهم ﴾ ، يرحم كبيرُهم صغيرَهم ، يوقّر صغيرُهم كبيرهم ، يواسى غنيُّهم فقيرَهم ، يعين قويُّهم ضعيفَهم ، يرشد عالمهم جاهلهم . يهدى حكيمهم سفيههم ، يرى المحكوم رحمة الحاكم فيطمئن إليه ، كما يرى الأبناء رحمة الآباء فتسر قلوبهم ، والمرضى رحمة الأطباء فتهدأ نفوسهم . أولئك الذين يحبهم الله .

لقد أخبرنا الحق ــ عز وجل ــ أنه يحب أصنافاً من الناس عُرفوا بصفاتهم ، فهو يحب المتقين ، والمحسنين ، والتـــوابين والمتطهريـــن ، والصابرين ، والصادقين ، والقانتين ؛ كما أنه لا يحب المعتدين ، ولا الظالمين ، ولا الكافرين ، ولا المسرفين ، ولا المفسدين ، ولا يهدى كيد الخائنين .

وإذا أحب الله عبده أحبته الملائكة ؛ ثم وُضِعت له ثمرات ذلك الحب فى الكون فأحبه أهل السماء والأرض ، مما يدل على أن حب الخلائق من حب الله ــ عز وجل .

فعن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبى ـ ﷺ ـ قال : « إذا أحب الله ـ تعالى ـ العبد نادى جبريل ، إن الله تعالى يحب فلاناً فأحببه ، فيحبه جبريل ، فينادى فى أهل السماء ؛ إن الله تعالى يحب فلاناً فأحبُّوه ، فيحبه أهل السماء ، ثم يوضع له القبول فى الأرض »[1] .

بل إن الحق ـ عز وجل ـ يحب من يحبه ، ويوفّق من يريد له التوفيق .

فعن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ بعث رجلًا على سرية فكان يقرأ لأصحابه فى صلاتهم ، فيختم بـ ﴿**قل هو الله أحد**﴾ فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله ـ ﷺ ـ فقال : سلوه ، لأى شىء يصنع ذلك ؟

فسألوه ، فقال : لأنها صفة الرحمن ، فأنا أحب أن أقرأ بها . فقال رسول الله ـ ﷺ ـ أخبروه أن الله تعالى يحبُّه[2] .

لقد أحب الله ـ عز وجل ـ أناساً يتميزون بسمات تعبر عن صدق فى النية ، وإخلاص فى القول ، وإحسان فى العمل ، وتمسك بمكارم الأخلاق ، وما حُبّنا لهم إلا للمبادىء والقيم التى تمثَّلوا بها .

فعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ـ ﷺ ـ أن رجلًا زار أخاً له فى قرية أخرى فأرصد الله ـ تعالى ـ على مدرجته ( طريقه ) ملكاً ، فلما أتى عليه قال : أين تريد ؟ قال : أريد أخا لى فى هذه القرية ، قال : هل لك عليه من نعمة تربُها ( تصلحها وتردها ) عليه ، قال : لا ، غير أنى أحببته فى الله تعالى .

قال : فإنى رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه »[3] .

وإذا كان الله ـ عز وجل ـ يحب الأخيار من عباده ويحفظهم برعايته ففى مقدمتهم رسله وأبناؤه يقول الله ـ عز وجل ـ عن نبيّه موسى ـ عليه السلام ـ : « **وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ** »[4] أى : أحببتك وزرعت فى القلوب محبتك ، بحيث لا يكاد يصبر عنك من رآك حتى أحبك ، يقول ابن عباس : ( أحبه الله وحبَّبه إلى خلقه ) ثم حفظته العين الإلهية فتربى مشمولًا بالحفظ والعناية .

وهو القائل لرسوله محمد ـ ﷺ ـ : « **وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا** »[5] اصبر على قضاء ربك وحكمه فيما حملك به من أعباء الرسالة ، فإنك بحفظنا وكلاءتنا نحرسك ونرعاك بالعناية الإلهية . أليس الحفظ والرعاية الإلهية ثمرة من ثمرات الحب الإلهى لرسله وأنبيائه ؟

إن حبنا لربنا ـ عز وجل ـ يعنى الإجلال والامتثال له ـ سبحانه ؛ لأنه الخالق... بكلمة أوجدنا وأسدى علينا من نعمه مالايُعد ولايُحصى .

ونحن نميل بالحب لمن يتصف بالرحمة والإحسان ، فماذا إذا كان الله هو الرحمن الرحيم ، المعطى الوهاب ، المنان ، الذى لاينضب عطاؤه ولاينتهى فضله ؟

ومحبتنا لله ـ عز وجل ـ تعنى : إيثاره على

---

(١) رياض الصالحين .

(٢) المرجع السابق .

(٣) رواه مسلم ( باب فضل الحب فى الله تعالى ) .

(٤) ( سورة طه ) الآية ٣٩ .

(٥) ( سورة الطور ) الآية ٤٨ .

ماسواه ، على أن يحملنا ذلك الحب على موافقة أمره والبعد عن محارمه ؛ فإن الطباع السليمة تهوى مافيه رشدها ، وتبعد عما فيه ضلالها .

يقول حاتم الأصم : (من ادَّعى حب الله من غير ورع عن محارمه فهو كذاب ) فما أجدرنا أن يكون حبُّنا لله دائماً ، ويقيننا به قائماً ، وأن يكون ذلك الحب وهذا اليقين دافعاً للبذل والعطاء ابتغاء وجه الله

﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۞ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴾(٧)

ولن يتم ذلك الحب ـ أيضاً ـ إلا بحب رسل الله وطاعتهم ، والتفانى فى سبيل المبادىء العظيمة التى أرسلوا بها وجاهدوا فى سبيل تحقيقها ، فلقد صرح القرآن الكريم بأن من يحب الله فعليه أن يتبع رسوله قولاً وفعلاً وعملاً وتقديراً

﴿ **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفورٌ رحيم** ﴾(٨) .

ويصور لنا القرآن الكريم والسنة المطهرة صورة من الألفة والأنس بين أمين الوحى ، ورسول الله ـ ﷺ ـ وقد انبثق ذلك التعبير من رسول الله ـ ﷺ ـ لجبريل عليه السلام شوقاً إلى الوحى وأمينه :

« يا جبريل ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا ؟ فنزلت الآية الكريمة

﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾(٩)

ومن سمات التشريع الإسلامى حب الخير ، والإحساس بما يعانيه الآخرون إشفاقاً بهم ورحمة لهم ، ونشراً لمبادىء الحق والخير والسلام فيما بينهم وكأن السعادة الحقيقية فى نظر الإسلام هى إسعاد الآخرين ، وعلى المؤمنين بعد التشرف بالخشوع والخضوع ، وإفراد الحق بالعبوّدية ؛ يكون التزامهم بفعل الخيرات ، والبعد عن القبائح والمنكرات ، ليُفلِحوا فى دنيا الناس ثم الآخرة يوم يقوم الناس لرب العالمين .

أليست هذه دعوة الحب ؟

ونستطيع أن نقول : إنه مالم توجهنا التكاليف الشرعية النابعة من حب الله ورسوله والمؤمنين لتلك الثمرات الطيبة على أساس من التقوى والصلاح فإننا بذلك لم نحقق مايصبو إليه الشرع الحنيف .

إن طريق الجنة هو الإيمان ، ولن يتحقق الإيمان إلا بالحب ، ولن يكـون الحب إلا بإفشاء السلام ، فعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال ، قال رسول الله ـ ﷺ ـ: « والذى نفسى بيده لاتدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولاتؤمنوا حتى تحابُّوا ، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم » ؟

أفشوا السلام بينكم(١٠) .

ما أحوجنا فى تلك الظروف التى تحيط بأمتنا الإسلامية ووطننا العربى ـ أفراداً وعائلات ، ودولاً وحكومات إلى طرح الأحقاد ، ونبذ الخلافات ، ودفع مسيرة الحب ؛ ليعم الخير جميع الأرجاء ، فتفتَّح بركات الأرض والسماء .

---

(٦) الأحاديث القدسية للإمام المحدث محى الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووى .

(٧) سورة الإنسان (٨ ـ ٩) .

(٨) سورة آل عمران (٣١) .

(٩) سورة مريم الآية ٦٤ ونص الحديث فى كتاب رياض الصالحين .

(١٠) رواه مسلم .




الإجابة من لجنة الفتوى

إعداد الأستاذ/ عبد المنعم قوده

**من/ ت. ح. ف :**

**ما حكم الشرع فى بيع الماشية والطيور بالميزان وهى حية لم تذبح .**

الجـــواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد فنفيد بأنه لا مانع شرعاً من بيع الماشية وكذلك الطيور وهى حية بالميزان ولا شبهة فى ذلك والله تعالى أعلم .

**السؤال من الأستاذ الطبيب م. ع. ن :**

**صلى الإمام بالمأمومين الصلاة الرباعية ـ فبدلا من أن يجلس للتشهد الثانى قام ليأتى بخامسة . فقال له المأموم « سبحان الله » فعرف أن هذه هى الركعة الخامسة فأتمها ثم سلم وسلم المأمومون قبل أن يسلم الإمام .**

**فما حكم صلاة الإمام وصلاة المأمومين ؟**

الجـــواب

إذا كان الإمام صلى الركعة الخامسة وهو يعرف أنها خامسة فصلاته باطلة وصلاة المأمومين أيضا باطلة .

وإذا كان يعتقد أنه يأتى بالركعة الرابعة وأن المأمومين مخطئون ؛ فصلاته صحيحة ويسجد للسهو بعد السلام وصلاة المأمومين باطلة ؛ لأنهم سلموا قبل الإمام ... والله تعالى أعلم .

**السؤال من السيدة أمينة ف :**

**هل يجوز للمرأة التى مازالت تحيض أن تقوم بتغسيل النساء فى القرية وما الأفضل وكذلك بالنسبة للرجال . وما الحكم ؟**

الجـــواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

أجمعين أما بعد : فنفيد بأن الأفضل فى غسل الميت أن يقوم بتغسيله أقاربه على أن يكون له دراية بالغسل ويكون طاهرا ليس عليه جنابة ، أما بالنسبة للنساء كذلك الأفضل أن تكون إحدى أقاربها وتكون لها دراية وتكون طاهرة وليس عليها جنابة ، فإن لم يوجد أحد من أقاربها فلا مانع من أن تقوم احدى السيدات بتغسيلها مع وجود الشروط المشار إليها أعلاه إلا إذا تعيَّنت على حائض فتقوم بتغسيلها للضرورة ، أما إذا تعينت على ذات جنابة فيجب أن تغتسل أولا ، ثم تقوم بغسل الميت ... والله أعلم .

**من المهندس عادل . ب :**

**نتشرف بعرض الآتى :**

**سلعة ما من انتاج شركة قطاع عام تباع بسعر رسمى محدد هذه السلعة حرة وبيعها مكفول لجميع المواطنين نظراً لأن المعروض من هذه السلعة قليل جداً بالنسبة للمطلوب فالطلب عليها شديد جداً ولا يتوافر بيعها لجميع المواطنين لعدم كفاية الانتاج . عن طريق بعض الأصدقاء واتصالاتهم بالشركة استطيع الحصول على بعض الكميات منها بالسعر الرسمى المحدد . أقوم بعد ذلك ببيع هذه الكمية بسعر أعلى قليلا مستفيدا بفرق السعر علما بأن البيع يتم بناءا على طلب مُلّح ورغبة شديدة من الطالب مرتضيا الشراء بهذا السعر . فهل هذا الأمر حلال أم حرام أم به شبهة ؟ أفيدونا أفادكم الله ..**

الجـواب

بناء على سؤال السائل فى السؤال المذكور بالورقة الواردة إلينا والخاص ببيع سلعة بأعلى سعر أكثر من سعرها المفروض فى السوق .

نفيد بأن السلعة إذا كانت طعاما للناس ومما يؤكل ويدخُل فى أقوات المسلـمين لا يجوز احتكارها أو بيعها بسعر أكثر من السعر الرسمى .

لقول رسول الله ﷺ « المحتكر ملعون » وعلى هذا فإذا كانت السلعة تدخل فى طعام المسلمين كالدقيق أو الزيت لا يجوز احتكارها أو جمعها من السوق وبيعها بسعر السوق السوداء ويكون حراما محتكرا .. والمحتكر ملعون . أما إذا كانت سلعة بعيدة عن الطعام أو الضروريات ومعروضة فى السوق بحيث يمكن شراؤها من أى مكان وعرضها هو وحدد لها سعراً أعلى لمن يرغب الشراء فهذا جائز والله أعلم .

**السؤال من السيد م. ع :**

**١ ـ توفى رجل عن ثلاث بنات ، أولاد أخ شقيق ذكور وإناث .**

**٢ ـ هل يجوز بيع قطعة أرض موقوفة وقفاً خيرياً وتوزيع ثمنها على الفقراء وما الحكم ؟**

الجـواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد فنفيد عن الأول بأن للبنات الثلاث الثلثين فرضاً لعـدم من يعصبهن يقسم بينهن بالتساوى والباقى للذكور من أولاد الأخ الشقيق تعصيبا يقسم بينهم بالتساوى ولاشىء للإناث من أولاد الأخ لأنهن من ذوى الأرحام المؤخرين فى الميراث عن أصحاب الفروض والعصبات .

وعن الثانى بأنه لا يجوز بيع القطعة الموقوفة وقفاً خيرياً وتوزيع ثمنها على الفقراء وإنما لا مانع من بيع هذا الوقف لصالح الوقف نفسه بمعنى إذا بيع هذا الوقف لأن ريعه ضعيف فيجوز استبداله بقطعة أخرى تدر ريعاً كبيراً لصالح الفقراء والله تعالى أعلم .




# الشيخ مصطفى القاياتى

إعداد الأستاذ/ رجب محمد على فضلون

**عالم جليل ومناضل كبير نما علمه بين جدران الأزهر وأعمدته واستطارت شجاعته واشتعل نشاطه وحبه لوطنه إبان ثورة هذا الوطن على الانجليز ، وذلك بفضل قوة إيمانه بدينه وحق وطنه ، كان من أبرز رجال ثورة سنة ١٩١٩ ، تتجلى فيه روح الحرية التى تناضل ولا تفرق بين عناصر الأمة التى يريد الأعداء دائماً النيل منها .**

**مولده :**

ولد الشيخ مصطفى أحمد عبد الجواد القاياتى سنة ١٨٧٤ (بقرية القايات) التابعة لـ(مركز العدوة) (محافظة المنيا) ، فى أسرة عريقة ينتهى نسبها إلى الصحابى الجليل أبى هريرة ـ رضى الله عنه ، ومن هذه الأسرة ظهر قاضى القضاة شمس الدين بن يعقوب العلامة النحوى ـ وينسب للقايات ـ أيضاً ـ عبد اللطيف بن حسين أبى السقاء المدفون بقلعة الكبش التى تقع بالقاهرة بالقرب من ( جامع ابن طولون ) وقيل : إن القلعة شيدها الفراعنة على ارتفاع صخرى ، ويؤكد المقريزى هذا ويسميها مناظر الكبش وأحياها مرة أخرى الملك الصالح نجم الدين أيوب وربما كان لهذه القلعة دور هام فى وجدان الشيخ مصطفى القاياتى .

هذا وقرية القايات التى ولد فيها الشيخ الجليل سميت بهذا الاسم لأنها تنسب إلى (القياتية) وهى جماعة لها طريقة صوفية تسمى أيضاً (الطريقة

الخلوتية) والقايات من القرى القديمة من أعمال ( البهنسا ) وعائلة القاياتى أو القياتية لها دور كبير فى الناحية الدينية لا ينكرها إلا جاحد أو حاقد ، ثم شاركت فى النضال من أجل مصر وقد ذكر لى فضيلة الشيخ كامل القاياتى عضو مجلس الشورى أن ذلك كان من منطلق طيب وهو الدافع الدينى وحب الناس لبيت القاياتى .

● نشأ الشيخ نشأة دينية متأثراً بآبائه وأجداده بالقرية ثم اتجه إلى التعليم بالأزهر الشريف وأصبح من رجاله المخلصين وعلمائه الأجلاء ، وحقق أمنية والده الذى كان يود أن يكون ولداه مصطفى وإبراهيم من علماء الأزهر .

●الشيخ مصطفى القاياتى أديب وشاعر : ظهرت مواهبه الأدبية فى الخطب الخاصة بثورة سنة ١٩١٩ والمنشورات المكتوبة والبيانات الخاصة بالثورة ، أما فى الشعر فله مواقف عديدة اتسع بيانه الشعرى فيها .

● الشيخ القاياتى وثورة سنة ١٩١٩ :

استمر عطاء الشيخ الجليل خادماً لعلوم الدين المضيئة ، ثم اشتعلت حميته لدينه ووطنه عندما نفى الانجليز سعد زغلول إلى ( جزيرة مالطة ) فى ٨ مارس سنة ١٩١٩ ، عندئذ قام الشيخ الجليل بإلقاء الخطب التى ألهبت حماس الجماهير فى كل مكان ، وقد كان لهذه الخطب الدور البارز فى زيادة إذكاء المشاعر الوطنية ، وتحولت دار الشيخ ( بالسكرية ) إلى منتدى يجمع قادة الثورة فيناقشوا شئونها ويحددوا أهدافها ويصدروا القرارات اللازمة لتنفيذها .

●وقد ذكر راغب اسكندر : أن ابــراهيم عبدالهادى ( باشا) كان يساعد الشيخ القاياتى فى إلهاب حماس الجماهير ، وقد كان يخطب من فوق المنابر مع الشيخ الجليل .

قال راغب إسكندر : اعتقلونـــا [ يقصد الإنجليز] فى ( قشلاق ) قصر النيل وكان من بين المعتقلين الشيخ القاياتى ومن الطريف أنهم اعتقلوا معنا ( الدكتور أحمد ماهر ) ـ و( النقراشى) .

● عندما نفى سعد زغلول باشا إلى «مالطة» ، تولى الشيخ كتابة المنشورات وشارك بصورة فعالة فى أعمال المقاومة ، دون أن يبالى بما يكمن ـ فى ذاتها ـ من خطر تلك المقاومة التى كان يعتبر الشيخ والدكتور أحمد ماهر والنقراشى من أعمدتها الرصينة .

● ألقى القبض على الشيخ أثناء الثورة ونفى إلى ( رفح ) ولم يكد يفرج عنه فى آخر مايو سنة ١٩١٩ حتى صدر الأمر مرة أخرى باعتقاله وترحيله إلى نفس المدينة فى نوفمبر سنة ١٩١٩ عندما رفض الإذعان لأوامر ( اللورد اللنبى ) بالإخلاد إلى الهدوء والسكينة ، واستقبل فى رفح من جانب زملائه ، وأقاموا له حفل استقبال آخر سمعوا فيه أناشيد الثورة والحرية ، وكانوا يقضون وقتهم فى الصيام وقراءة القرآن والكتب الأدبية .

● وعاد سعد من المنفى معززاً مكرماً من جانب شعبه الذى أرغم الانجليز على اتخاذ قرار إلغاء النفى وضاق الانجليز به مرة أخرى فنفوه إلى ( سيشل ) فى مارس سنة ١٩٢٢ وألقى القبض على الشيخ القاياتى مع زملائه وأودع ثكنات قصر النيل ثم أفرج عنه بعد ذلك .

●إعتقل الشيخ الجليل مع عبد الرحمن فهمى وفخرى عبدالنور ، ومحمد نجيب الغرابلى ، ومحمود النقراشى ، ونجيب اسكندر ، ومحجوب

ثابت ، وعبدالستار الباسل ، وتم ذلك بعد عودة سعد من ( سيشل ) ووضع دستور سنة ١٩٢٣ تحت سمع وبصر عبد الخالق ثروت الذى كان يشرف على لجنة الدستور .

● بعد صدور دستور سنة ١٩٢٣ أجريت انتخابات سنة ١٩٢٤ وكان الشيخ مصطفى القاياتى من بين الفائزين ويعتبر أول برلمانى من أسرة القاياتى ( كما ذكر لى الشيخ كامل القاياتى ) .

● كرم الله الشيخ الجليل فاختير سنة ١٩٢٦ عميداً لكلية الآداب جامعة القاهرة .

● وظل الشيخ البطل يناضل ويكافح لايهاب الصعاب ولايلتفت للمؤامرات ، يخدم دينه ووطنه فى حب لله ، ثم كان للناس خير قدوة لخير شعب ، وظل الشيخ القاياتى دائم العطاء حتى رحل إلى الرفيق الأعلى سنة ١٩٢٧ وشيع فى جنازة مهيبة .

رحم الله الشيخ وأسكنه فسيح جناته .

المراجـع :


١ ـ أضواء على تاريخ المنيا للأستاذ على بيومى .
٢ ـ دراسات فى ثورة سنة ١٩١٩ للدكتور حسين مؤنس .
٣ ـ حوار آخر ساعة مع نجيب اسكندر ..
٤ ـ جريدة الجمهورية يوم ١٩٩٢/٣/١٠ .
٥ ـ لقاء بينى وبين الشيخ كامل القاياتى .
٦ ـ القاهرة قصص وحكايات تأليف عبد المنعم شميس .
٧ ـ مجلة الأزهر العدد الصادر صفر ١٤٠٥ نوفمبر ١٩٨٤ مقال الشيخ حسن القاياتى .


# استدراك

**فى العدد الماضى ( صفر ١٤١٤ ) وفى صفحة ٢٧٨ سقط سهوا السطر الرابع من مقال « أحكام العدد وتمييزه من القرآن الكريم » نورده فيما يلى بين علامتى تنصيص داخل السياق :**

**وهى ، أى لغتنا العربية ، ترفل فى خيلائها ، عاليها ثياب سندس خضر من « نحوها الفريد المثير ، الذى لم يغادر صغيرة ولا كبيرة من علاقات الكلمات إلا » تتبعها واستقصاها .**

**وفى صفحة ٢٨٢ سقطت من الشاهد القرآنى الثانى فى العمود الأيمن الآية ٣٠ من سورة المدثر : ﴿ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾ .**




للأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

### ما تمنيت الإمارة إلا فى هذه المرة

حين طال بالمسلمين الانتظار فى فتح حصون «خيبر» قال النبى - ﷺ - : (لأعطين الراية غداً لرجل يحبه الله ورسولُه ، ويحب الله ورسولَه لا يولى الدبر يفتح الله على يديه) .

قال سيدنا عمر - رضى الله عنه - فى بعض الروايات ما تمنيت الإمارة إلا فى هذه المرة ، ولكن النبى - ﷺ - استدعى على بن أبى طالب ، فوجد بعينيه رمدا ، فتفل - ﷺ - فى عينيه ، ودعا له فبرأ كأن لم يكن بها وجع ؛ وأعطاه الراية وألبسه درعه ودفع إليه سيفه ، ثم قال : «اللهم اكفه الحَرَّ والبَرْدَ ، فوالله لأن يهدى الله بك رجلا واحداً خير من حمر النعم» ، وقاتل على - رضى الله عنه - حتى كان الفتح على يديه ، وغنم المسلمون كل ما فى الحصون من أموال .

### أصعب شىء .. وأسهله

سئل حكيم عن أصعب شىء ؟

فقال : أن يعرف الإنسان نفسه .

وعن أسهل شىء فقال : أن ينصح غيره .

### ثلاثة تورث ثلاثة

النشاط يورث الغنى .

والكسل يورث الفقر .

والشراهة تورث المرض .

### القناعــة

عزيز النفس من لزم القناعة
ولم يكشف لمخلوق قِناعَــه

نفضت يدى من طمعى وحرصى
وقلت لفاقتى: سمعاً وطاعة

## محاسن الرجال

قال الحسن ـ رضى الله عنه ـ اما أحسن الرجل ناطقا عالما ، ومستمعا واعيا ؛ وداعيا عاملا .

## قيـــل

- لو لم يتوعد الله على معصيته ، لكان يجب أن لا يعصى شكراً لنعمه .
- لعن الله الآمرين بالمعروف ، التاركين له والناهين عن المنكر العاملين به .
- الصبر يناضل الحدثان ، والجزع من أعوان الزمان .
- كل وعاء يضيق بما فيه إلا وعاء العلم فإنه يتسع .
- إذا لم تكن حليماً فَتَحَلَّم ، فإنه قلَّ من تشبه بقوم إلا أوشك أن يكون منهم .

## لجوج ، حقود ، حسود

قال عبد الملك للحجاج : إنه ليس من أحد إلا وهو يعرف عيب نفسه ، فَعِبْ نفسك .

قال : اعفنى يا أمير المؤمنين .

قال : لتفعلن .

قال : أنا لجوج ، حقود ، حسود .

قال عبد الملك : ماقى الشيطـــان شر مما ذكرت .

## لكنت أخطب الناس !!

صعد «ثابت قطنة» منبر «سجستان» ، فقال : الحمد لله ، ثم ارتج عليه فنزل وهو يقول :

**فإن لا أكن فيهم خطيباً فإننى**
**بسيفى إذا جد الوغى لخطيب**

فقيل له : لو قلتها فوق المنبر لكنت أخطب الناس .

## اختيار المصيبة

قيل : لو وضعت مصائب الناس كلها فى كَوْمة واحدة ، وأبيح لكل واحد أن يختار منها ما شاء ، لاختار كلٌ مصيبته .

يريد : لاختار كل إنسان المصيبة التى صار يشكو منها عندما وقعت له ... وفى هذا دليل على رحمة الله ـ تعالى ـ إذ أصابه بما يستطيع احتماله . والله أعلم .

## « دعـــاء »

اللهم اغفر لى ذنبى كله : دِقَّه وجِلَّهُ ، وأوله وآخره ، وعلانيته وسره .



# من روائع الماضي بمجلة الأزهر




حديث لفضيلة الأستاذ الدكتور/ عبد الرحمن تاج
شيخ الأزهر رحمه الله

إعداد وتقديم الأستاذ/ عبد الفتاح حسين الزيات

الشموخ والأصالة والعزة ، ستظل سمات بارزة للأزهر الشريف متمثلة فى شيوخه العظام .

فالأزهر ـ على مر العصور ـ له دور معروف ومنهج مختار وطريق لايحيد عنها ، ورسالة يعيش لها ، ومن أجلها . انطلاقاً من قوله تعالى :

﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾

( النحل : ١٢٥ )

لاتعوقه الأقاويل ، ولاتثنيه الانفعالات ، ولا تشغله الشائعات ، وهى سمات تأسست فى الماضى ودعمت فى الحاضر بشىء من التأصيل والتوضيح ..

قال فضيلته رحمه الله ..

نشرت جريدة (الأهرام) فى صباح الإثنين ١٢ المحرم (٢١ سبتمبر) ما يلى :

ثلاث إشاعات تعاقبت على أسماعنا ونحن فى الصلاة ، بين يدى الله ، نؤدى فريضة المغرب ، أمس ، قالت واحدة منها مالا يدخل ـ ولا يمكن أن يدخل ـ نطاق التصور ، وجاءت الثانية فكادت تخرجنا ـ لولا إشارة من الإيمان الصحيح ـ عن نطاق العقل . ثم جاءت الثالثة فكانت ضغثاً على إبالة ، كما تقول أمثال العرب ، وأشهد أن الإناء قد فاض بهذه الإشاعة ولم يعد فى قوس الصبر منزع ، فتوجهت إلى فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر ، وكنا نأتم به فى الصلاة ، وقلت لفضيلته : ألا ترون فضيلتكم أن إشاعات السوء فى هذه المرحلة التاريخية من حياتنا قد تلاحقت وتتابعت وأخذت تتآزر وتتساند حتى خيف على دعوة الحق ، فما هو حكم الشريعة السمحة فى هذا البلاء الوافد ، وفى هذه الفتنة المشتعلة التى تريد أن تقضى على الحرث والنسل ؟

والحق أن الأستاذ الأكبر قد بدا عليه الألم المرير ، والحزن الموجع الممض ، فاعتدل فى جلسته وتحدث إلينا فى انطلاق ، ووضوح ، وأبان عن كثير من الأحكام الخافية علينا ، فى موقف الفتنة من دعاة الحق والسلام :

إشاعات السوء عن شئون الأمة وسير أعمالها ، وأهداف إصلاحاتها ، ومقاصد رجالها لاتقل ضرراً فى كيان الأمة وسلامة الوطن عن التجسس للعدو على دخائلها ، ومواطن قوتها وضعفها . فكل ذلك خدمة للعدو ، وموالاة له وقد خاطب الله المسلمين بقوله ﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾ .

بل إن موالاة العدو ـ فى حال عدوانه ـ وترويج ماينفعه فى مضرة الإسلام وأهله تخرج الموالين له عن تبعيتهم لأمتهم وتلحقهم بأمة عدوهم . وفى ذلك يقول الله عز وجل ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ .

ترويج إشاعات السوء :

« ومن أشد ما يوالى به المنافقون من يكيد للأمة من أعدائها ترويج إشاعات السوء والإصغاء إليها ، وقد ورد فى ذلك قول الله عز وجل :

﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ۝٦٠ مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا﴾[1] » .

« وكان مما كانوا يرجفون به ما ذكره الله عنهم فى قوله عز وجل :

﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾[2] » .

« ولهؤلاء المنافقين خلفاء فى كل عصر من عصور الإسلام وفى كل وطن من أوطانه ، يخذلون الناس عن أئمتهم وولاة أمرهم ، ويشيعون السوء عن برامجهم وخططهم ، وهذا

---

(١) سورة الأحزاب : آية ٦٠ .

(٢) سورة الأحزاب : آية ١٢ .

مرض فى القلوب كما وصفه الله عز وجل ، وعلى من يصاب بهذا المرض أن يعالج نفسه قبل أن يعالج بأحكام الله » .

وفى هؤلاء أيضاً ورد قول الله سبحانه :

﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ﴾

أى أفشوه حيث لايكون من المصلحة العامة إذاعته وإفشاؤه . وقد يكون مايذيعونه كذباً ومضراً بالمصلحة ، فيكون ذلك من الإثم المزدوج الذى طهر الله قلوب المؤمنين منه » .

« واللائق بالمسلمين إذا سمعوا قالة السوء أن يكونوا كما أراد الله للمسلمين فى قوله عز وجل :

﴿ لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَٰذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴾(٣)

إلى أن قال سبحانه :

﴿ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴾

ولما عاد المسلمون من غزوة أحد كان فيهم من اختلفوا فى الحكم على المنافقين والمرجفين فقال فريق للنبى ﷺ « اقتلهم » ، وقال فريق « لاتقتلهم » فنزل فى ذلك قول الله عز وجل :

﴿ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا ﴾(٤)

وفى ذلك ورد الحديث النبوى « إنها طيبة ( أى المدنية ) تنفى خبثها كما تنفى النار خبث الحديد » وفى رواية « خبث الفضة » .

وأول فتنة فى الإسلام ، وهى الجرأة على خليفة رسول الله وصهره سيدنا عثمان ، كان منشؤها إشاعات السوء الكاذبة ، وتضليل البسطاء وضعاف الأحلام ، فجر ذلك على الأمة من الضرر مالم تتوصل إلى مثله الدول المعادية بما لديها من جحافل وقوات حربية .

وفى الليلة الأخيرة قبل نشوب حرب الجمل توصل أصحاب رسول الله - ﷺ - من الفريقين إلى التفاهم على ما يرضى الله عز وجل من إقامة الحدود الشرعية على من يثبت عليه أن له يداً فى مصرع أمير المؤمنين عثمان ، وبات أبناء كل فريق فى معسكر الفريق الآخر بأنعم ليلة وأسعدها وأرضاها لله ، فما كان من قتلة عثمان ومن يتبعهم من قبائلهم إلا أن أنشبوا القتال فى الصباح الباكر ، وأشاعوا فى كل معسكر من المعسكرين بأن المعسكر الثانى هو المهاجم له على خلاف ما اتفقوا عليه بالأمس ، وبذلك كانت الإشاعات بين الطرفين أفتك بهما وأضر على الإسلام من أسلحة البغاة الفاتكة .

---

(٣) سورة النور : آية ١٢ .

(٤) سورة النساء : آية ٨٨ .

أيها المسلمون :

إن إشاعات السوء سلاح العدو ، والذى يصغى إليها يمكن العدو من الفتك بالأمة والوطن ، وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم ، فاعملوا فى ذلك بهداية الله عز وجل وإرشاد حين يقول :

﴿ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴾ .

وعلى ولاة الأمر أن يتصرفوا فيمن يثبت عليهم ذلك وفقاً لحكم الله تعالى حين يقول لنبيه :

﴿ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ۝ مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا ﴾ .

إن الأمة تجتاز اليوم مرحلة من أدق مراحلها فى تاريخ نضالها العنيف ، هى مرحلة تقرير المصير . وهذه المرحلة ـ بما لها من الخطر والأثر فى مستقبل الأمة وحاضرها تقتضى منا أن نتيقظ لكل ما يراد بنا ، سواء من العدو الغاصب أو من أعوانه . وأن نحذر دعاة الفتنة والذين يعملون على إشاعتها بين طبقات الأمة . ولنعلم أن هؤلاء وأولـئك يستهدفون غرضاً واحداً ، ويعملون لغاية واحدة ، هى : تمزيق الشمل وتشتيت الجمع ، وتفريق الكلمة ، وإشاعة الكراهية بين الحاكم والمحكوم ، وإلقاء العداوة بين المؤتمين والمأموم .

وهم بهذا يعملون للفتنة ومن أجلها . فإذا ما تحققت غايتهم ، فإن الفتنة لا تصيبهم وحدهم ولا تصيب طائفة دون أخرى ، وإنما هى تصيب الأمة بأسرها . وقد حذرنا الله تعالى منهم ومن فتنتهم ، فقال جل شأنه :

﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾

واتقاء الفتنة يكون بدفعها وادحاضها . وإنزال العقوبة الرادعة على كل من يثبت عليه أنه كان سبباً فيها ، أو فى عنصر من عناصرها . ويرى علماء الشافعية أن تكون العقوبة هى (الإعدام) لكل من يثبت عليه أنه أحدث بين المسلمين فتنة . وأما علماء المالكية فإنهم يتركون الحد على هذه الجريمة لاجتهاد الإمـام ، أى الحاكم ، ومن هنا نرى أنه لا سبيل إلى الهوادة أو المهادنة فى إقامة الحد على هذه الجريمة النكراء ، جريمة إحداث الفتنة بين الصفوف مناصرة لعدو البلاد الأكبر ، وهو المستعمر الغاصب .

فلنتق الله فى أمتنا ووطننا ، وتقوى الله تدفع كل شىء ، وتحول دون أى مكروه ، والله يوفقنا ويسدد خطانا إلى ما فيه النجاح والرشاد .

وإلى هنا كان الشيخ الأكبر قد أوفى على الغاية ، وأصاب المحز . فأماط اللثام عن حكم الله فى مثل هذه الطامة الكبرى ، فشكـرت لفضيلته ، واستأذنت فى نشره ، فتفضل وأذن .


العلوم الكونية

# الهندسة الوراثية والأخلاق

عرض وتحليل أ . د . أحمد فؤاد باشا

**بينما كانت البشرية ـ ولاتزال ـ غارقة فى الدهشة والخوف مما آلت إليه نتائج التطبيقات الحمقاء لتقنية التلقيح الصناعى ورواج تجارة طفل الأنابيب ، ظهرت «الهندسة الوراثية» Genetic Engineering فى أوائل سبعينات هذا القرن كمحصلة طبيعية لثورة علمية وتقنية عارمة ترتكز على تطويع مادة الحياة المعروفة باسم «المورِّثات» (أو الجينات) ، وتلعب فيها علوم الوراثة الدور الرئيسى لآثارها التطبيقية فى مجالات عديدة تشمل الطب والصيدلة والزراعة والأمن الغذائى وغير ذلك .**

يواصل كتاب «الهندسة الوراثية والأخلاق»[1] إلقاء الضوء على هذه التقنية الحيوية الجديدة من حيث إيجابياتها وسلبياتها والمراحل الأساسية لتطورها ، ويوضح مجموعة التجارب العلمية التى ظهرت حديثاً فى هذا المجال مثل التحكم بالجينات Genetic

(١) ناهدة البقصمى ، الهندسة الوراثية والأخلاق ، تقديم د. مختار الظواهرى ، سلسلة عالم المعرفة (رقم ١٧٤) ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، ذو الحجة ١٤١٣ هـ يونيو ـ حزيران ١٩٩٣ م .

Manipulation والاستنساخ الحيوى Cloning ، وإعادة تركيب جزىء الحياة المسمّى د. ن. أ Recombinant D. N. A. والذى يحمل الصفات الوراثية للإنسان .

وتعتمد هذه التجارب على اكتشاف علمى هام يقضى باعتبار جزىء (د. ن. أ) مكوَّنا من شريطين متكاملين من السكر والفوسفات والقواعد الآزوتية ، ويأخذ هذان الشريطان شكلا سلمياً حلوزنيا يسمح بالتقائهما فى نقاط معينة ، ويحمل كل شريط المعلومات الكاملة اللازمة للتحكم فى بناء «البروتينات» اللازمة لتوجيه العمليات الحيوية التى يؤدى مجموع تفاعلاتها فى النهاية إلى تكوين الكائن الحىّ . فإذا لم يتكون البروتين لسبب ما وفقا للتصميمات الهندسية التى يحددها الجمض النووى د. ن. أ. ، فإن الكائن الحىّ يصاب بمرض بسيط أو خطير . وعندما تنقسم الخليَّة ينفصل السلّمان ، ويجذب كل واحد منهما العناصر الكيميائية للقواعد الأزوتية (النيتروجينية) المتممة له ، فنحصل من جديد على البنة إلسلّمية الحلزونية المزدوجة . وبهذه الطريقة تحتفظ الخلية الجديدة بالرموز الوراثية الموجودة فى الخلية الأم .

وهكذا جاءت تقنية الهندسة الوراثية كمحصلة لاكتشافين هامين هما : اكتشاف أسرار المادة الوراثية أى : (د. ن. أ) ، واكتشاف «أنزيمات التحديد» Restriction Enzyme التى تقوم بقصّ جزىء الحمض النووى د. ن. أ فى مواقع محددة . وبذلك استطاع علماء الوراثة أن يتعرفوا على الشفرة الوراثية ويفكّوا رموزها فى كل مورّثة (جينة) ، وأن يقوموا بتحضيرها معمليا ، أو الحصول عليها من استخلاص د. ن. أ. من أى كائن حىّ أو حتى من «الفيروسات» ، ثم يقوموا بعمليات الجراحة الوراثية لاعادة ترتيبها فى مورّثات (جينات) تماثل مورثات الإنسان[٢] .

وقد قدَّمت الهندسة الوراثية خدمات جليلة للإنسان فى مجالات عديدة . ففى مجال الطب أعطت آمالاً كبيرة فى إمكانية الشفاء من كثير من الأمراض الوراثية ، وأخطرها السرطان والايدز ، سواء باستخدامها فى التشخيص أو العلاج أو الوقاية كما تمكن العلماء من تحويل «بكتيريا» خاصة إلى نوع من الكيماويات القابلة للغزل على هيئة ألياف يمكن استخدامها فى صناعة الأنسجة وخيوط الجراحة .

وفى مجال الصيدلة وصناعة الدواء ، أصبحت منتجات الهندسة الوراثية من لقاحات وأمصال متوفرة فى الأسواق وفى متناول المرضى . فقد أمكن ، على سبيل المثال ، تحضير أجزاء من البرنامج الوراثى لهرمون «الأنسولين» الآدمى لعلاج مرضى السكر ، بعد أن كانت تؤخذ من الحيوانات . كذلك أمكن تصنيع «أنزيم» اسمه

---

(٢) المقصود بالشفرة الوراثية هو تتابع القواعد الأزوتية (النيتروجينية) الأربع التى وهبها الله للحياة ، وهى الأدينين ، والجوانين ، والسيتوزين ، والثايمين ، فى كلمات وجمل تقوم بتخزين المعلومات الوراثية فى لوح محفوظ مسئول عن حياة الكائن الحىّ من الإنبات حتى الممات ، وهى المورثات (الجينات) .

« يوروكينيز » Uro Kinase لإذابة كل أنواع الجلطات التى يمكن أن تصيب الإنسان فى الشرايين أو المخ أو الرئة .

وهناك المنتجات الصناعية عن طريق الهندسة الوراثية ، مثل المطاط والبلاستيك ، والألياف ، والمبيدات الحشرية ، ومنظمات النمو ، والأسمدة والمذيبات العضوية والمنظمات البيولوجية وغيرها . كما أمكن انتاج نباتات تنمو فى المناطق الجافة أو المالحة أو تحت الثلوج ، ونباتات تستطيع تثبيت « النتروجين » الجوى وتستغنى عن التسميد . وأمكن « برمجة » سلالات من البكتريا تقوم بتخليص البيئة من الملوثات . كذلك استطاع العلماء عن طريق تربية بكتريا خاصة على غذاء من النشادر والهواء ونوع من الكحول ، صناعة طعام من البروتين يستخدم كبديل لمسحوق الصويا فى تغذية الماشية والدواجن .

لكن الأمر لم يعد مقتصراً على استخدام البكتريا كمصانع لانتاج العديد من المواد ، بل تعداه إلى استخدام هذه التقنية لنقل المورثات إلى النبات والحيوان والإنسان ، مما أثار مخاوف العلماء أنفسهم ، قبل أن يثير مخاوف المجتمع البشرى ككل . ذلك أن الإنسان أصبح الآن يمتلك – لأول مرة فى التاريخ – الوسيلة لأن يطوّع المخزون الوراثى الكامن فى جميع المخلوقات الحية بما يرضى طموحاته ، وبات يحلم باستخدام ما يسمى « جراحة المورثات » Gene Surgery لتبديل الإمكانات الوراثية للكائن الحىّ ، إما باستحداث صفات مرغوبة ، كالذكاء والنبوغ والمواهب والملكات الفائقة ، أو بإضافة خاصية لم تكن موجودة من قبل عن طريق التحكم فى الجهاز الوراثى .

وهكذا بدأت الهندسة الوراثية تأخذ منحى آخر ينذر بأسوأ العواقب ويتيح للحمقى أن يعبثوا فى أهم خصوصيات الإنسان وهى شفرته الوراثية . وسيطرت موجة من التشاؤم من إمكان حدوث مخاطر من تطبيقات الهندسة الوراثية كاستحداث كائنات حية مدمِّرة ، أو الإخلال الشديد بالأنظمة الطبيعية ، أو الفوضى فى مجريات التطور الطبيعى للأحياء . وزاد من هذا الإحساس العام بالتشاؤم تلك الأنباء التى تناقلتها وسائل الاعلام عن انتاج مخلوقات « معدَّلة » ، مثل « العنزوف » الذى نُشرت صورته لأول مرة فى عام ١٩٨٣ م على غلاف مجلة « نيتشر » Nature الأسبوعية وهو حيوان يجمع بين جنس العنز وجنس الخروف .

وبلغت حيرة المجتمع البشرى مداها حين كشف علماء الوراثة – حديثا – عن بعض طموحاتهم فى التوصل إلى نوع من الاستنساخ الحيوى للإنسان Cloning بهدف التوصل فى المستقبل إلى تحديد سلوك الجنين قبل أن يتم الحمل ، عن طريق إبعاد أو إضافة المورِّثات (الجينات) التى تحمل استعداداً لصفات وراثية مرغوب فيها ، مثل القوة الجسمانية ، أو غير مرغوب فيها ، كالسلوك العدوانى . وكانت فكرة « الاستنساخ الحيوى » مقتبسة فى الأصل مما يحدث فى الواقع لبعض الكائنات الحية التى تستطيع تحت ظروف معينة أن تتحول من التكاثر الجنسى إلى التكاثر الجسدى ، مثل الكائن البدائى المعروف باسم « الهيدرا » Hydra . هذا الكائن الذى يعيش

عادة فى المياة العذبة له قدرة على أن يتحول إلى كائن كامل النمو إذا ماتعرض للإنقسام لأى سبب من الأسباب . وهناك ـ أيضا ـ التكاثر الخضرى فى كثير من النباتات والذى ينتج عنه استنساخ لنفس النبات الأم .

وقد حققت تقنية زراعة الأنسجة Tissue Culture نجاحاً ملاحظاً فى عالم النبات . لكن الأمر يختلف كثيراً بالنسبة لعالم الحيوان ، وإن كانت بعض البحوث التى أجراها علماء جامعة أكسفورد بانجلترا أسفرت عن إنتاج ضفادع كاملة التكوين عن طريق الخلايا الجسدية . وبالطبع لم تنجح هذه التجربة إلا بنسبة ١,٦٪ ، ولاشك أن نسبة النجاح مع الحيوانات الأرقى مثل الفئران والقطط والقرود ستكون أضأل من ذلك بكثير ، وربما لا يتحقق فيها النجاح على الإطلاق[٣] . ولكن الباحثين يأملون أن يصلوا فى المستقبل إلى تحقيق ذلك ، ليس فقط بالنسبة للحيوان ولكن أيضا بالنسبة للإنسان ، بحيث يستطيعون أن ينسخوا نسخاً جديدة من الأشخاص المرغوب فيهم وشعارهم لهذه الفكرة «إعادة أينشتين إلى الحياة !!» ويسرح الخيال بهؤلاء بعيداً إلى الحد الذى يتطلعون فيه إلى استنساخ ، ليس فقط كائنات حية موجودة ، بل أيضا كائنات منقرضة ( كالديناصور ، وذلك عن طريق أخذ الحمض النووى د. ن. أ. من نخاع ذلك الحيوان المنقرض .

وهكذا أصبحت الهندسة الوراثية فى أحد جوانبها اللاأخلاقية تعنى انتاج نسخ طبق الأصل من البشر ، مما يلغى واحد من أهم الخصائص التى خص اللهُ الخالقُ ـ سبحانه وتعالى ـ بها المادة الوراثية ، وهى القدرة على إحداث التباين بين الأفراد ليصبح كل فرد متفردا بين كافة البشر ، وإلا لما كان للحياة معنى . ولنا أن نتخيل كيف يكون شكل الحياة لو أن الله قد خلق كل البشر نسخاً طبق الأصل من بعضهم . وقد حدت هذه المحاذير بالأنظمة التشريعية فى العديد من البلدان إلى أن تسنّ القوانين التى تحد وتنظم القيام بأبحاث الهندسة الوراثية ، وبذلك تهدىء من روع البشرية ورعبها . لكن بعض الباحثين من ناحية أخرى ، يعتبرون مثل هذه التشريعات تدخلا فى بحوثهم وتقييداً لحرياتهم وطموحاتهم العلمية ، ويأمل المعتدلون منهم ألا تقيد هذه القوانين أعمالهم أكثر مما يجب ، فهم يحاولون أن يقنعوا الجميع بأهمية تجاربهم لحل مشاكل البشرية : الطبية والزراعية والغذائية وغيرها .

وإزاء كل هذه المواقف المتباينة من تقنية الهندسة الوراثية ومشكلاتها التى وضعت الإنسان أمام معضلات أخلاقية وقانونية ودينية يحاول الفصل الثالث من الكتاب الذى بين أيدينا أن يربط بين مختلف التساؤلات المطروحة فى هذا المجال وبين موقف الإنسان الأخلاقى من مفاهيم مثل : الضمير ، والمسئولية ، والوجـــود الإنسانى ، وقدسية الحياة ، وكرامة الإنسان ، وغيرها . ذلك أن الهندسة الوراثية فى جانبها اللاأخلاقى تجعل

---

(٣) لمزيد من التفصيل راجع :
د. عبدالمحسن صالح ، التنبؤ العلمى ومستقبل الإنسان ، سلسلة عالم المعرفة (رقم ٤٨) . المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، صفر ـ ربيع الأول ١٤٠٢ هـ ـ ديسمبر ١٩٨١ م .

الإنسان مجرد ظاهرة كونية كغيره من الظواهر المادية ، أو مجرد مجموعة من العناصر الكيميائية أو الرموز الوراثية يمكن عن طريق اكتشافها معرفة تكوينه الوراثى ، ومن ثم السيطرة عليه وهذا يعنى أن قدسية حياته وأسرارها أصبحت عرضة لأن تنتهك ، وأن الفوائد التى ستجنيها البشرية من البحث فى هذا المجال لاتكفى لتبرير استمراره .

ويعرض الكتاب فى البابين الرابع والخامس لمناقشة عدد من القضايا الهامة المتعلقة بتقنيات الإخصاب الصناعى والهندسة الوراثية والاستنساخ الحيوى ، موضحاً موقف الدين والفلسفة ، كل على حدة ، من هذه القضايا ، فبالنسبة لموقف الدين الإسلامى ذكر الكتاب أن الأطباء المسلمين والفقهاء معاً تنبهوا لأهمية هذه القضايا ، وأطلقوا لخيالهم وتصوراتهم العنان وفرضوا الفرضيات لتساعدهم على إيجاد الإجابات والحلول الشرعية لما هو متوقع فى المستقبل ، وإن كانوا قد ركزوا على موضوع أطفال الأنابيب مع عدم إهمالهم للموضوعات الأخرى ، على أساس أن هذا الموضوع واقع بالفعل ونمارسه عملياً ، خصوصاً أن الدول الإسلامية بدأت بفتح مراكز خاصة بأطفال الأنابيب والإخصاب الصناعى ، أما الهندسة الوراثية والاستنساخ فقد تم مناقشتهما فى المؤتمرات المختلفة على أساس أن خطورة أحدهما لم تتضح والآخر مجرد نظرية لم تطبق بعد[4] .

ويحاول الكتاب أن يضع الموقف الإسلامى على النحو الذى عرضه فى مقارنة مع موقف الدين النصرانى وموقف الفلسفة ، ربما لتشابه المواقف الثلاثة فى إطارها العام من حيث رفضها لأى تطبيقات لاأخلاقية للعلوم والتقنيات بعامة ، وللأبحاث الوراثية بصورة خاصة ، ومن حيث أن الهدف الذى يسعى إليه الجميع هو خير البشرية ورفاهيتها . ويخلص فى النهاية إلى أن المجتمع البشرى بأسره بحاجة إلى أخلاق تتفق مع عصر «التكنولوجيا» ، فلا يمكن أن نترك أدواتنا التى صنعناها بأيدينا تستخدم للتلاعب بالحياة والتحكم فيها . وقد يقول البعض ان التطورات التى يحلم بها العلماء مازالت بعيدة جدا ، ولذلك فإننا لاشك سنتغير حين نصل إلى ذلك الزمن الذى يتحدث عنه العلماء قد يكون هذا صحيحاً ، ولكن الأصح أن نؤسس للعلم أخلاقاً وأن نحمِّل العلماء مسئولية أخلاقية دون أن نغلق أبواب الطموحات العلمية والتقنية النافعة .

---

(٤) اعتمدت الباحثة فى بيان موقف الإسلام من هذه الموضوعات على أعمال المؤتمرات الآتية :

ـ مؤتمر «الإنجاب فى ضوء الإسلام» ، المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية ، وزارة الصحة الكويت ١٩٨٣ .

ـ مؤتمر «الحياة الإنسانية : بدايتها ونهايتها فى المفهوم الإسلامى» ، المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية ، وزارة الصحة ، الكويت ١٩٨٥ .

ـ مؤتمر «الطب الإسلامى» ، وزارة الصحة العامة والمجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ١٩٨١ .

ـ «ندوة عن طفل الأنبوب» الجمعية الطبية ، الكويت ١٩٧٨/١١/٣٠ ، شريط تسجيل بالاضافة إلى عدد من المقالات المنشورة فى بعض المجلات والصحف العربية ونحن من جانبنا نأخذ على الباحثة أنها اعتبرت ما جاء فى هذه المؤتمرات موقفا نهائيا لجمهور علماء المسلمين بينما هو فى حقيقة الأمر مجرد آراء واجتهادات لاتعبر إلا عن رأى أصحابها .

# الحد الأقصى للسرعة الكونية فى «عالم الشهادة»

## (سرعة الضوء فى الفراغ والهواء)

أ. د. منصور محمد حسب النبى*

تشرفت فى الشهور الماضية بنشر بحثى فى مجلة الأزهر بعنوان «المعجزة القرآنية فى حساب السرعة الضوئية»[1] وذلك بالأعداد الصادرة فى جمادى الآخرة ورجب وشعبان ١٤١٣هـ على التوالى حيث قدمت تفسيراً لآية قرآنية كونية من ( السجدة : ٥ ) يتم على أساسه حساب سرعة الضوء بين السماء والأرض على منطوقها ، وحيث إن المجلة نشرت فى أعدادها التالية رمضان وشوال ١٤١٣ هـ مقالين للأستاذ الدكتور محمود عبدالمطلب خشان يعترض فيه على تفسيرى لآية السجدة (٥) بدعوى :

أن هذه الآية تعالج أموراً غيبية .

وبدعوى أن مبدأ «أينشتين» (الذى ينص على أن سرعة الضوء فى الفراغ أو الهواء هى أقصى سرعة كونية وأنها ثابتة ثبوتاً مطلقاً ) مبدأ خاطىء فى نظر سيادته ، كما أعلن أننى أربط الظنى باليقينى فى تفسير القرآن .

وإننى إذ أشكر غيرته على تفسير القرآن ، أرى أن هذه الغيرة تجاوزت حقها حين أعلن أننى أربط الظنى باليقينى فى تفسير القرآن ، وهذا ـ والحمد لله ـ ليس من صفاتى .

كذلك تجاوز سيادته أصول اللغة حين خالف نص آية السجدة ، وصريح معناها حين جعلها قاصرة على ( عالم الغيب ) فقط ، مع أنها قرنت عالم الشهادة بعالم الغيب فقال تعالى :

﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ .

( السجدة : ٦ )

فالآية تشرح (قانوناً كونياً) فى عالم الشهادة ، يعمل باستمرار ودون انقطاع .

كذلك تجاوز سيادته العلم اليقينى بإعلانه أن «نظرية أينشتين» نظرية ظنية ، بل وخاطئة ،

---

* أستاذ الطبيعة المتفرغ بكلية البنات جامعة عين شمس وعضو اللجان العلمية الدائمة للترقية بالجامعات والطاقة الذرية ورئيس مجلس إدارة الجمعية المصرية للإعجاز العلمى للقرآن .

(١) البحث نشر بمناسبة إلقائه بمؤتمر التوجيه الإسلامى للعلوم .

برغم أن «أينشتين – بشهادة علماء القرن العشرين – أعلم علماء عصره – فى فنه – باكتشافه المبدأ الأساسى للنظرية النسبية القاضى بأن سرعة الضوء – فى الفراغ – هى المطلق الوحيد فى الكون وماعداها نسبى ، وأن قيمتها (٢٩٩٧٩٢,٥ كم من الثانية) تمثل الحد الأقصى للسرعة الكونية ، وعلى أساس هذا المبدأ ظهرت قوانين النسبية الخاصة للزمان والمكان والكتلة ، وتحويل الكتلة إلى طاقة . فى أعظم قانون عرفته البشرية فى القرن العشرين والذى ينص على أن «الطاقة = الكتلة × مربع سرعة الضوء» . ولقد تم اختبار جميع هذه القوانين وثبتت صحتها عملياً وتجريبياً على مدى قرن من الزمان ، ولم يتجرأ أحد أن يدعى بأن هناك سرعة أكبر من سرعة الضوء فى الفراغ C إلا سيادة الزميل الفاضل الذى أتشرف الآن بالرد عليه فى جميع ماأثاره من نقاط والله ولى التوفيق .

١ – يعتبر سيادته صـ١٤٢٤ أن نظرية النسبية ظنية وليست حقيقة ، ثم يقول – فى نهاية تعليقه فى البند (١) : «إن هذه النظرية تحتاج إلى وقفة للفحص والتمحيص لتحرى حقيقة مغزاها وفحواها» ثم يقول إنه أورد لنا تفسيراً مخالفاً لأينشتين يغنى (كما يقول فى صـ١٥٧٥) عن تناقضات وألغاز هذه النظرية رغم أن سيادته زاد الأمر تعقيداً حين اقترح حل هذه الألغاز بهدم النظرية من أساسها بدعوى أن هناك جسيمات فى هذا الكون تتحرك أسرع من الضوء فى الفراغ ! وهذا مالاأستطيع أن أوافقه عليه ؛ لأنه من العبث أن نتحدث عن سرعة تعلو سرعة الضوء C فى الفراغ أو الهواء فى هذا الكون فسرعة الضوء C شئنا أو أبينا هى الحد الأقصى للسرعة الكونية وسوف أعود إلى هذه النقطة فى نهاية هذا المقال ؛ لأنها محور الجدال بل ومحور الكون وعلم الفيزياء على مدى الأجيال .

٢ – يقول سيادته : إننى لم استخدم النسبية لإجراء الحسابات فى الآية المذكورة (السجدة : ٥) ، وأنا أوافقه على ذلك فلم تكن هناك حاجة لاستخدام أى معادلة لهذه النظرية وكل مافعلته هو أننى –فعلا– قمت بالحساب الرياضى للمعادلة القرآنية التالية :

﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ .

(السجدة : ٥)

ولقد حسبت طول المدار القمرى كمسافة مقطوعة فى ألف سنة قمرية وقسمت هذه المسافة على زمن اليوم الأرضى فكانت النتيجة سرعة هذا الأمر الكونى المشار إليه فى هذه الآية والتى أعطت فى حدها الأقصى سرعة الضوء فى الفراغ C المتفق عليها عالمياً وقدرها : ٢٩٩٧٩٢,٥ كيلو متر/ ثانية.

ومجرد ظهور هذا الرقم فى نهاية الحساب وبمنتهى الدقة والأمانة يمثل فى حد ذاته مايلى :

(أ) معجزة قرآنية تشير إلى الرقم المطلق الوحيد فى الكون ٢٩٩٧٩٢,٥ وتؤكد المبدأ الرئيسى لنسبية «أينشتين» الذى ينص على أن سرعة الضوء هى الحد الأقصى للسرعة الكونية والتى عبر عنها القرآن الكريم بأسلوب معجز فى آية السجدة (٥) إشارة إلى أهم قانون كونى فى عالمنا ..

(ب) القرآن الكريم لايتعارض مع اليقينى من العلم ولو كان مبدأ النسبية ظنياً لما حصلنا عليه فى تفسيرنا لآية السجدة فالقرآن حق لا يأتيه الباطل

من بين يديه ولا من خلفه ، فهل نستبعد هذا الوصف القرآنى المذهل لأهم مبدأ كونى فى عالم الشهادة ؟

٣ ـ يقول سيادته أنه لا يوافقنى على طريقة الحساب لأن طول المدار القمرى فى ألف سنة لا يعطى يوماً ضوئياً ( كما أعلنت فى بحثى ) بل يعطى طبقاً لوجهة نظر سيادته ١,١٢٢ يوماً ضوئياً بفارق ٠,١٢٢ يوماً ضوئياً . وأقول لسيادته : اطمئن فإن هذا الفارق البسيط يزول لو استخدم سيادته المقادير الحقيقية بدلا من المقادير الظاهرية لليوم والشهر القمرى وسرعة القمر فى مداره الخاص ؛ **لأن هذه المقادير لها قيمتان إحداهما ظاهرية للعد فقط والأخرى حقيقية للحساب فقط وصدق الحق تبارك وتعالى فى التمييز بينهما بقوله ـ عز من قائل ـ:**

﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ﴾ . ( يونس : ٥ )

ويتضح من هذه الآية أن الحساب يختلف عن العد لنفس الشىء ؛ لأن العطف يعنى المغايرة لغوياً كما أن علماء الفلك الحديث يؤكدون وجود نظام نجمى لليوم الأرضى والشهر القمرى يجب استعماله عند الحساب ونظام آخر اقترانى ( مرتبط بقرص الشمس ) لامفر من استخدامه للعد عند عامة الناس ، وعموماً فالحساب يعتمد على العد ، والهدف من استعمال النظام النجمى للحساب هو التخلص من تداخل الأفلاك مع بعضها ؛ فلابد من فصل دوران الأرض حول نفسها عن دورانها حول الشمس ، وفصل دوران القمر حول الأرض عن دوران الأخيرة حول الشمس ، ومن أجل هذا استعملت مركبة السرعة المدارية القمرية تمثل قيمة خالصة لهذه السرعة نتيجة دوران القمر حول الأرض بصرف النظر عن ملازمته للأرض وهى تدور حول الشمس . وهذا أسلوب معروف فى ميكانيكا المقذوفات وقوانين الميكانيكا العادية لحساب السرعة الأصلية واستخدام النظام النجمى فى حساب اليوم الأرضى والشهر القمرى ، وكذلك استخدام مركبة السرعة المدارية القمرية المقاسة ونحن على أرض متحركة كلها وسائل رياضية للتعبير حسابياً عما يعده البشر ، وقد نبهنا القرآن الكريم إلى ذلك فى الآية السابقة ( يونس : ٥ ) **بأن العد يؤدى إلى الحساب وأن الرجوع للنجوم ( النظام النجمى ) هو الاختيار المناسب كمرجع للرصد الحقيقى وليس الظاهرى وصدق تعالى إذ يقول :**

﴿ وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ .

وحيث إن المتاح للمشاهدة عند عامة الناس هو النظام الاقترانى الشمسى بالعين المجردة لعد الأيام والشهور القمرية ( برصد الهلال ) فإن ما تعده نحن البشر هو المقصود فى عالم الشهادة « مما تعدون » بشرط أننا إذا أردنا الحساب فلابد من ترجمة العد رياضياً إلى القيمة الحقيقية النجمية والتى يقوم بها الفلكيون بالقياس على نجم بعيد وباستخدام الساعات الذرية ....

٤ ـ يقول سيادته أننى فَضَّلت معنى الانحناء لكلمة العروج حتى يتفق هذا المعنى مع أساس النظرية النسبية العامة «لأينشتين» (التى تنص على انحناء جميع المسارات فى الكون ) وأفيد سيادته بأننى شخصياً لا ألوى عنق الآية لتتفق مع نظرية علمية ولكن اللغة العربية بمعاجمها على اختلاف أنواعها تفيد بأن المعنى الأصلى للفعل يعرج هو

ينعطف ويميل أى : يسير فى انحناء وليس المعنى الثانوى «يصعد» كما يدعى سيادته ولكى تتحرى الدقة يمكن أن نقول إننا عندما نصل إلى الفراغ وحالة انعدام الوزن فإننا نفقد الإحساس بالجهات الأصلية ( فوق وتحت وشمال ويمين ) ، وبهذا فإن تفسير يعرج بلفظ يصعد غير جائز إلا فى الارتفاعات البسيطة كما فى قوله تعالى :

﴿ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ .

أما فى الارتفاعات العالية يأتى لفظ يعرج للتعبير عن المسارات المنحنية والأفلاك الإهليجية كما فى قوله تعالى :

﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾ .

( الحجر : ١٤ )

وهنا يتضح سر قوله تعالى :

﴿مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾ .

( المعارج : ٣ )

وقوله عز وجل :

﴿وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ .

( يس : ٤٠ )

فالمعارج والأفلاك المنتشرة فى ملك الله تعالى هى المسارات المنحنية وليست المستقيمة وبذلك يتضح أننى لم أترك معاجم اللغة العربية بل عرجت عليها لأعرف معنى لفظ يعرج .

٥ ـ يقول سيادته صـ١٤٢٥ « إن تدبير الأمر ، والعروج إليه ، واليوم عند الله » المذكورة جميعاً فى آية السجدة (٥) من الأمور الغيبية بدعوى أن فاعل الفعل يعرج مستتر ، وبهذا خالف سيادته أقوال المفسرين الذين أكدوا بأن آية السجدة (٥) تدل على دوام التدبير والعروج لأمر كونى يتحرك بين السماء والأرض أى فى عالم الشهادة وفى وسط معين ( الفراغ ) وأن اليوم فيها والسنة من أيام وسنين الدنيا المعهودة وأن الألف سنة تعبير عن مسافة السير ومقدار المسير فى فلك القمر المعادل لمسيرة الأمر الكونى فى الآية الكريمة فى يوم أرضي واحد لبيان سرعة الأمر الكونى الذى يعرج فى مُلْك الله تعالى بياناً واضحاً فى حدها الأقصى الثابت فى عالم الشهادة ( بدليل عبارة كان مقداره ) فإن آية السجدة (٥) تشير ألفاظها ومعانيها إلى الأشياء المعهودة لنا والتى تقع تحت قياسنا وحسابنا ( مما تعدون ) ، أما آية المعارج (٤) فتبين بالمثل الحد الأقصى لسرعة الملائكة فى عالم الغيب بدليل حذف عبارة ( مما تعدون ) وصدق الحق تبارك وتعالى :

﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ﴾ .

وقوله سبحانه :

﴿وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾ ...

والآن أنتقل للرد على ما عرضه سيادته فى عدد شوال استمراراً لنقده لبحثى السابق حيث طالعنا سيادته بمعادلات بسيطة مشيراً إلى أنه يقدمها للقارىء بشرح محكم أدق الإحكام مبيناً على حد قوله إمكانية وجود جسيم تتجاوز سرعته سرعة الضوء C فى الفراغ !! هادماً بذلك أهم مبدأ عرفته البشرية فى القرن العشرين بحجة أنه يتحاشى بذلك لغز التوائم وانكماش الطول وزيادة الكتلة كنتائج غريبة ـ فى نظره ـ لنسبية «أينشتين» معتبراً أن هذه الألغاز عيوباً للنظرية النسبية .

وأنا أرفض هذا الأسلوب غير العلمى وأذكر سيادته بتجارب ( بيلى ) فى مركز البحوث النووية عام ١٩٦٨ على الميونات القصيرة العمر والتى يطول عمرها إذا زادت سرعتها ! وسبحان الله

الباسط القابض للزمن ! ولاتندهش عزيزى القارىء من هذا اللغز بل ومن ألغاز النسبية التى تم إجراء اختبارها جميعاً فى المعامل التجريبية وثبت صحتها ، ولكن عليك أن تندهش لاقتراح الدكتور « خشان » بوجود جسيمات أسرع من سرعة الضوء (C) ؛ لأن النتيجة عندئذ سوف تسبق المسبب لها علما بأن هذه الجسيمات التخيلية التى يسميها علماء الفيزياء ( تاكيونات ) لاوجود لها وإلا لأمكن نقل المعلومات بأسلوب غريب يجعلنا نكشف المستقبل ونسافـــر فى الماضى !!

وعموماً فإن اقتراح سيادته فى صـ١٥٧٦ بأنه من اليسير عليه فى معمله المتواضع أن يبين أن سرعة الضوء على الجانب البنفسجى لشريط الامتصاص أكبر من القيمة التى اعتمدها الدكتور « منصور » أى أكبر من سرعة الضوء C فى الفراغ فهل قيمة السرعة C اعتمدها فقط الدكتور « منصور » أم أن العلم الحديث والعالم كله وجميع العلماء اعتمدوها ؟ فأرجو أن ينشر سيادته ما توصل إليه من نتائج مدعوماً بدليل قاطع للمجلات العلمية المتخصصة .

أما استدلاله بإشعاع « تشيرنكوف » لهدم نظرية « أينشتين » فهـــذه مغالطـــة كبرى حقـــا لأن الإليكترونات إذا تحركت فى المواد الشفافة ( مثل الماء أو البلاستيك أو الزجاج ) بسرعة أكبر من سرعة الضوء فى هذه المواد ( وليس أكبر من سرعة الضوء فى الفراغ C فإن إشعـاع « تشيرنكـوف » يتولد بلون أبيض ( مزرق ) نتيجة اختراق حاجز الضوء فى المادة كما تخترق طائرة حاجز الصوت فى الهواء وهنا تسألنى عزيزى القارىء كيف تخترق الاليكترونات حاجز الضوء وأنت من عشاق مبدأ « أينشتين » ؟ وأقول لك نحن لم نخترق حاجز الضوء فى الفراغ بينما اخترقناه فى الزجاج لأن سرعة الضوء تصل فى الزجاج إلى ثلثى قيمتها فى الفراغ بينما تصل سرعة الاليكترونات المسلطة من مصدر كوبلت مشع إلى ثمانية أعشار سرعة الضوء فى الفراغ أى أنها أعلى من سرعة الضوء فى الزجاج وليست أعلى منها فى الهواء فلا داعى إذاً عرض هذا الإشعاع ( المسمى باسم مكتشفه تشيرنكوف ) بأسلوب يوحى للقارىء بأن هناك ماهو أزيد من سرعة الضوء فى الفراغ !!

وأما عن قانون ( هبل ) فى قياس سرعة ارتداد الأجرام السماوية فلم يحدث قط أن قيست سرعات أكبر من سرعة الضوء لهذه الأجرام وإلا لتعذر رصدها تماماً كما تعذر رصد الجسيمات ذات الكتلة التخيلية والتى يفترض بعض النظريين إفتراضاً نظرياً بحتا أنها تسير بسرعة أعلى من سرعة الضوء C فى الفراغ وأطلقوا عليها التاكيونات تماماً كما يتصور الدكتور « خشان » وأقول : ( ربما يكون ذلك فى عالم الجن أو الملائكة لأن هذه العوالم يجوز لها أن تتحرك بسرعة أكبر من سرعة الضوء C لأنها لا تخضع لعالمنا المقيد بمبدأ « أينشتين » . وكل مخلوق ميسر لما خلق له ، وكل شىء عنده بمقدار ، وأؤكد أن عالم الجن والملائكة مقيد أيضاً بحد أقصى فى سرعته اعتماداً على نصوص القرآن الكريم وليس اعتماداً على التخيلات لاربط الظن باليقين ، وأختم مقالى بقوله تعالى :

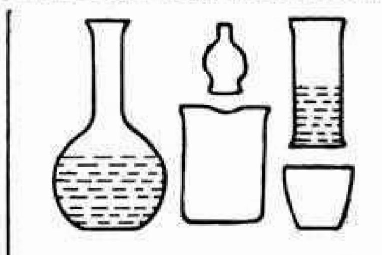
﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ ﴾

( القمر ٤٩ ـ ٥٠ )

وقوله تعالى :

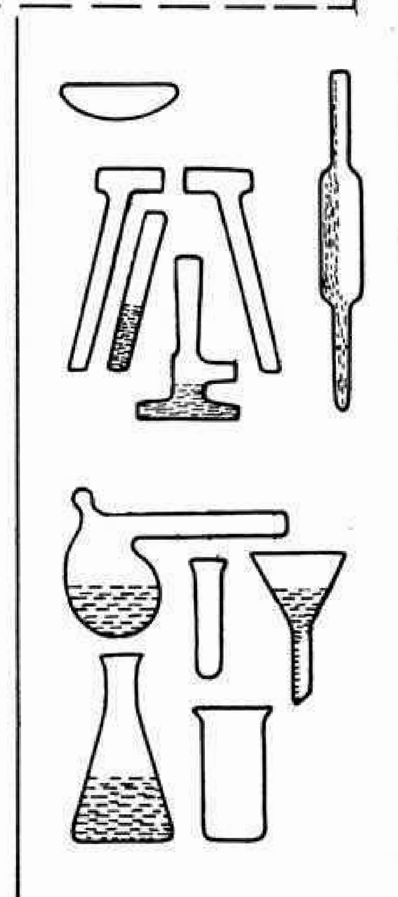
﴿ لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ .

( الأنعام ٦٨ )



# الجديد في العلم والتقنية

إعداد/ د. مجدى السيد أحمد



## الطحالب البحرية

## لزيادة إنتاج البيض واللبن

يقوم أحد المراكز العلمية الروسية بتربية نوع معين من الطحالب البحرية يعرف باسم «الكوريلا» من أجل تجفيفه وإضافته إلى أعلاف الماشية والدواجن، فتزيد من معدل إنتاج اللبن والبيض، ويحتوى هذا الطحلب على ٥٠٪ بروتين والعديد من الأحماض الأمينية والفيتامينات، وله القدرة على زيادة وزنه سريعاً تحت تأثير ضوء الشمس، وثانى أكسيد الكربون.



## أوراق الأشجار
## تكشف عن مناجم الذهب

اكتشف بعض الخبراء فى اتحاد صناعة التعدين «باليابان» أنه بالإمكان تحديد مواقع رواسب الذهب تحت الأرض من خلال أوراق الشجر ؛ قام الخبراء بتحليل أوراق الأشجار التى تنمو فوق ١٢ منجماً للذهب فى «اليابان» ، وقياس كمية الذهب الموجودة بالأوراق ، ووجدوا تركيزاً عالياً لعنصر الذهب فى أوراق بعض هذه الأشجار ؛ وقد أكدوا أن فحص أوراق الأشجار سيكون أقل تكلفة من الحفر العشوائى للبحث عن أماكن الذهب .

## عسل النحل
## لعلاج قرحة المعدة

أكدت التجارب التى أجراها أحد علماء الكيمياء الحيوية فى «نيوزيلاندا» ، أنه من الممكن علاج قرحة المعدة بتناول عسل النحل لأن العسل يوقف انتشار الميكروبات التى تسبب العديد من قرح المعدة ، وقد لاحظ الباحث أن العسل بالإضافة إلى أنه يدمر جميع الجراثيم الموجودة على التقرح ، فإنه يعطى أيضاً حماية فعالة من أى إصابة جديدة ، كما أنه يغذى الأنسجة المحيطة بالتقرح ويسرع بالتئام الجروح .

## طائرة بدون طيار
## لكشف أسرار ثقب الأوزون

تمكن العلماء «الأمريكيون» من اختراع طائرة صغيرة وخفيفة تطير بدون طيار وظيفتها التحليق فى الجو ببطء وعلى ارتفاعات مختلفة ، ويمكنها أن تطير فى أجواء القارة القطبية الجليدية ، لكى تأتى للعلماء بالعينات الغازية من طبقات الجو العليا ، وتطير هذه الطائرة بسرعة ٨٠ كم فى الساعة وتصل إلى ارتفاع ٥٠٠ كم فى غلاف الجو العلوى ؛ وقد اشتق تصميم محرك هذه الطائرة من تقنية الغواصات ، ولا يخضع للضغط الجوى فى طبقات الجو العليا ، والأكسجين اللازم للاحتراق موجود داخل اسطوانة معينة ، وتستطيع الطائرة الرصد بالشم والتسجيل والالتقاط ، ولديها القدرة على معرفة البلورات المتعلقة فى السحاب .

## إنتاج أحدث وأصغر
## «كاميرا» فى العالم

أنتجت إحدى الشركات «اليابانية» أحدث وأصغر «كاميرا أتوماتيكية» ذاتية التركيز فى العالم أطلقت عليها كاميرا للجيب ، وتتميز بأن عدسة التقريب «الزوم» تدخل فى جسم الكاميرا ، مما لا يترك فيها أية نتوءات أو انتفاخات ويسهل حملها فى الجيب ، كما تتميز بالقدرة على التقاط الصور الجماعية بزاوية عريضة بالإضافة إلى التصوير المتواصل والتصوير القريب جداً ، وتقوم بتسجيل التاريخ واليوم والساعة التى التقطت فيها الصورة .

## جهاز لمراقبة
## الحالة الصحية للنباتات

ابتكرت إحدى الشركات «الهولندية» جهاز مراقبة يساعد العلماء على مراقبة الحالة الصحية

للنباتات عن طريق التنبؤ بإمكانات التمثيل الضوئى فى النبات ، وهى القدرة على تحويل ثانى أكسيد الكربون والماء إلى جلوكوز ، يقيس الجهاز تأثير سقوط الضوء على ورقة النبات حيث تنشط جزئيات المادة الخضراء فى النبات «الكلوروفيل» فترسل الالكترونات التى يشترك بعضها فى التمثيل الغذائى .

الجهاز يساعد على تحديد ظروف النمو فى التربة وقياس آثار الكيماويات الزراعية كالأسمدة والمبيدات على التمثيل الغذائى .

## منظار جديد لضعاف البصر

ابتكر الباحثون فى أحد المعاهد الطبية «الأمريكية» منظاراً خفيف الوزن يشبه سماعتى الأذنين يثبت على الرأس لمساعدة ضعاف البصر على الرؤية ، وهذا النظام الجديد لتقوية الرؤية ليس مرتبطاً بالمخ أو الأعصاب البصرية بل إنه عبارة عن «كاميرا» دقيقة مثبتة فى مقدمة الجهاز الذى يوضع على الرأس ترسل إشارات إلى أنابيب أشعة الكشف الموجودة فى ذراع الجهاز بعد ذلك تعكس مرايا صغيرة صوراً من خلال عدسات طبية إلى داخل العين ، ويعمل هذا المنظار بواسطة بطارية تركب على الحزام .

## صناعة الأخشاب من البلاستيك

قام عالمان «أمريكيان» بتطوير البلاستيك حيث يتم تحويله إلى أخشاب عن طريق جمع العلب البلاستيك الفارغة التى تلقى فى القمامة ؛ وبعد تنظيفها وصهرها يتم معالجتها بسلسلة من العمليات الكيميائية للتوصل إلى مادة لها نفس خواص الخشب من حيث القابلية للثقب وتثبيت المسامير وسطحها الخارجى يقاوم الرطوبة والماء ، ولا تحتاج إلى طلاء وعمرها الافتراضى يفوق الخشب ، ويتم استخدام هذا النوع من الخشب البلاستيك فى الأرضيات وصناعة المقاعد .

## سيارة حديثة تعمل بالكهرباء والغاز

**أنتجت إحدى الشركات «الفرنسية» لإنتاج السيارات سيارة تعمل بالكهرباء والغاز حيث تم تطوير «توربين» غازى لها وتعتبر أسرع وأكبر سيارة ضمن مثيلاتها من السيارات الكهربائية الحالية ؛ ولا تسبب أى تلوث للبيئة ، والسيارة «الكهروغازية» تعمل بالكهرباء داخل المدن بينما تعمل بالغاز فى الطريق السريعة التى تتطلب سرعات عالية .**

## صفارة أمان عالية التردد للغواصين

أنتجت إحدى الشركات «الأمريكية» صفارة أمان عالية التردد للبحارة والغواصين يتم استخدامها عند الطوارىء ؛ ولصفارة الأمان مجرى إضافى يتيح قدرة نفخية وصوتية هائلة وتفوق أداء الصفارات المعروفة ؛ ويمكن سماع الصفارة وقت اشتداد الرياح وصخب الأمواج وتحت سطح الماء .




للشاعر الأستاذ/ رشاد يوسف

## سناء الرشد والكرم

لشاعرة الطليعة/ عائشة التيمورية

طه الـذى قد كسى إشراق بعثتـه ... وجه الوجود سناء الرشد والكـرم

طه الـذى كللت أنـوار سنتـه ... تيجـان أمتـه فضلا على الأمم

نعم الحبيب الـذى منَّ الرقيب به ... وهو القـريب لراجـى المجد والنعم

روحى الفداء ، ومن لى أن أكون له ... هذا الفـداء ، وموجـودى كمنعـدم

ومـا هى الـروح حتـى أفتديـه بها ... وهى البغاث بغـار الظلـم والظلـم

ولا يحيط به مدح ولـو جعـلت ... جوارحـى ألسـنا ينطقـن بالحكـم

ومـا سوى عزكـونى بعض أمتـه ... ذخـرا أفـوز به من زلـة الـوصم

إلا التماسى عفـوا بالشفاعـة لى ... من خاتم الـرسل خير الخلـق كلهـم

# ذكرى المولد

للشاعر اللبناني/ عدنان مردم بك

هيهات يُحسِن نعتاً فيك إنسان ... عيَّ البيانُ وَحارَتْ فيه أذهانُ
قد كان للقول ميدان تصول به ... فى كل ضرب من الإبداع فرسان
فما يقول امرؤ يبغى الثناء وقد ... أثنى عليك ـ بمحض الحمد ـ فرقان
عذر الأديب عن الإعراب أنَّ له ... وقد كملت شفيعاً وهو إنسان
فكنت كالنور لا يخفى على بصرٍ ... لكنما سرُّه فى الذهن حسبان
كم آية لك فى الأسماع مشرقة ... كأن سامعها المأخوذ نشوان
شمائل كِدْنَ من طيب يَضُعْن كما ... يضوع فى جنبات الروض ريحان
غيظ الحسود لآيات أتيت بها ... ومبعث الغيظ فى الحسَّاد إحسان
فجاحد بك عن جهل ، ومعترف ... بالحق . والناس أصناف وألوان
وما يضير شعاع الشمس إن جحدت ... أنوارها ـ من غمار الناس ـ عميان

---

نصرت كل هضيم وانتصفت له ... من ظالم فغفت ـ فى الأمن ـ أجفان
خفضت جِنْحاً لمظلوم فلاذ به ... كما تلوذ بجنح الأم ولدان
كم عزَّ عبد بهدى الدين وارتطمت ... ذليلة فى مهاوى الكفر تيجان
أشهرت سيفاً على الباغين تنذرهم ... وخيرُ ما منع الطغيانَ طغيانُ
فأصبح القوم فى صف سواسية ... وليس فى الناس أحرار وعبدان

---

بعثتها صرخة لله داوية ... أصغت لها من ضمير القوم آذان
أسمعت من كان فى آذانه صممٌ ... فهبَّ ذو وَقْرٍ وارتاع غفلان
حررت قومك من أغلال شقوتهم ... بنعمة العلم إنَّ الجهل سَجَّان

---

شدوتُ باسمك لما هاجنى طرب ... وعادة الطير إنشاد وألحان
تُهيجُنى ذكريات منك ما فتئت ... كأنها فى حنايا الصدر نيران
وأعذب اللحن ما غنّاه ذو شجن ... هاجت بلابله فى الليل أشجان
حملت قلبى قرباناً إليك وما ... لدى المتيم إلا القلب قربان
فاقبل هدية من وافاك معتذراً ... عن قلة إنَّ خير العرف غفران

# وحي المدينة المنورة

للشاعر/ عزيز أباظة

أتلك روابيها العلا وهضابها  وهذى القباب المشرفات قبابها ؟
نعم، إنها مثوى الرسول وروضه  تقدس واديها وطاب ترابها
أفضنا إليها خاشعات قلوبنا  ملبيةً أحناؤها وشعابها
يَلِجُ بها شوق لأطهر مضجع  فتندى وقد يَشْفِي القلوبَ انتحابها
ويملأ أطواء النفوس مهابة  توالى تغشيها لها وانثيابها
نرد الدموع السافحات وننثني  فلا ينثني تهتانها وانسكابها
ذكرت رسول الله والبيد حولنا  تطالعنا أسرابها وسرابها

---

ولما بلغنا رَاوَحَتْنَا مشارف  يرف عليها طُهْرُها وانتسابها
وشدّت إليها -أعينَ الركب- روضة  تعالى على لحظ العيون جنابها
مباركة الأفناء لماحة السنا  تضوّع مسكاً ساحها وقبابها
حوت (واحد الأكوان) مذ بدء خلقها  إلى يوم يطوى كالزمان كتابها
وضمت (سراج الخلق) تهفو قلوبها  إليه وتعنو باليقين رقابها
نبيٌّ جلاه الله للناس حجةً  فأقصر عنها شكها وارتيابها
وأرسله عتقا وأمنا ورحمة  يضيء دياجيرَ الوجود شهابها
وأيّده بالدين يصفو معينه  ويضفو وبالأخلاق يذكو نصابها
نمته القروم الصِّيدُ من آل هاشم  مطهرة أحسابها وثيابها
وقفت وما سلمت حتى ترادفت  خواطر نفسٍ يَنْتَحِيهَا مصابها
عِذَابٌ من الأيام أقلع أنسها  ولم يبق إلا مُرُّها وعذابها
وأطياف ذكرى، صابها طمّ شهدها  بروحي شُهْد الذكريات وصابها

---

على (يثرب) منا سلامٌ ورحمةٌ  كموشّى أنداء الصباح انسكابها

# سيرة النبي صلى الله عليه وسلم

للشاعر السوري الدكتور / زكي المحاسني

دع البيد ترو الحادثات وتُغرِبِ ... وتخبرك عما كان من مَجْد يَعْرُبِ
وللبيد أنظارٌ تقَلّبُ في المدى ... على سبسب أرخى العنان لسبسب
رمالٌ أحسّتْ كُلَّ ركب على السُّرى ... فزادتْ دُجى السّارين فيها بغيهب
هي البحر والأمواج كثبانها التي ... تقلبها الأرياح شرقا لمغرب
على جمرها الظمآن مدَّ بطرفه ... فكحَّلَ عَيْنَيْه السَّرابُ بمشْرَب

• • •

من البيد بيد العرب هَبَّتْ أزاهرٌ ... فواعجبي للرَّمل يأتي بمعجب
هي العبقريات اللواتي تلألأت ... وهان لها في الدرب أصعبُ مطلب
تراختْ لها في الجاهلية أعْهُدٌ ... وقد أطلعتْ آفاقُها كلَّ كوكب
ولكنَّ نورا ساطعا فاق في العلا ... وسدَّ شهابَ الشمس منه بأشْهُبِ
أتى القوم بالدِّين الحنيف فهالهم ... وثاروا به من جاحد ومكذب
وهموا به كي يقتلوه فأجمعوا ... له الحَتْفَ وازدادوا شقىً بالتألُّبِ
رأى الصَّحْبَ نزراً والليالي حوالكا ... ولا سَيْفَ يَغْتَامُ العُداةَ بمرهب
فَفَارَقَ أهلا وهو يَصْبُو لمكةٍ ... وما كان في هجر الدِّيَارِ بمذنب
ذَوُوا الْمَرْءِ حُسَّادُهُ يَصْلُونَهُ الأذى ... ويَصْمُونَهُ سَهْماً على كُلِّ منكب
ولكنها الأوطان تَقْسُو على الفتى ... فيهجرها لا عن قِلىً وتَجَنُّب
كذلك جَدُّ المصطفى كان غربة ... فسار بطرف دامع نحو يثرب

• • •

إليك رسول الله جاءتْ مطيعةً ... ذُرَا الأَوْسِ تشأوا خزْرَجاً بالترحب
وجاءت حسانُ الذى لملم الهوى ... فأولاك من شعر المديح بأعذب
هي الهجرة ازددت الثبات بأهلها ... وكم فيهمو من فارس الحرب أغلب
إلى أن أتاك النصرُ والله حارسٌ ... أخا الحق في البَلْوَى وغير مُخَيِّبِ
فخف بك الفتح المبينُ لمكة ... وقد جاءَهَا جَيْشُ الخلاص بصيِّبِ

في مولده صلى الله عليه وسلم



# موكب النور

للشاعر / عبد الغفار الدلاش

بأبي أنت وأمـــى أينما سارت خطـــاكا

كالضحـــىٰ الماتـــع فى الأكـــوان قد شعَّ سنـــاكا

يا رســـول الله يا خيـــر الـــورىٰ .. طاب هُداكا

طبـــتَ فى الأخـــرىٰ شفيعـــا كرَّم الله دعـــاكا

جَـــلَّ من ســـوَّاك إنســـانا سَوِيًّـــا واصطفـــاكا

***

جئـــت والدنيـــا ظـــلام دامـــسٌ فاضت عراكـــا

منـــذ ما أشرقت نوراً يغمـــر الكـــون ضيـــاكا

يا ابـــن عبـــدالله فخـــراً رَدَّدَ الدهـــر ثنـــاكا

ينـــتشى الكـــون جميعـــاً كلمـــا هَبَّ شذاكا

ما جنـــى الكـــونُ من المعـــروفِ إلا من ندَاكا

منـــذ ما أعليـــت بالتوحيـــد والحـــق نِداكـــا

طـــابت الدنيـــا بمـــا أولتـــه للدنيـــا يداكـــا

طبت فى الدنيـــا يتيمـــا .. طاب فى الدهـــر ثراكا

و(الضحـــىٰ والليـــل) إنَّ الله حقـــا ما قلاكا

***

أيـــن أمجاد الـــورىٰ من فيض ما الله حبـــاكا !

أيـــن آيـــات النهـــىٰ ممـــا رأى منـــك نهاكـــا !

ما عداك المجد لكـــن كنت للمجـــد سماكا !

***

بك أسرىٰ الله تكـــريماً فمـــاذا قد أراكا !

أسعـــد الحظ براقـــا لم يرد منك انفكـــاكا

يا إمـــام الـــرسل من للـــرسل فى القـــدس سواكا !
قد تجاوزت السمـــوٰات العـــلا . ماذا هنـــاكا !
فى غيــوب لم تزل بالنـــور يُضفيـــه سنـــاكا !
وفيـــوض الله - جَـــلَّ الله - أولاك علاكـــا

***

أعطنـــى عينـــاً لعينـــى وهـــى ترنـــو لحمـــاكا !
أعطنـــى قلبـــاً لقلبـــى خافقـــا يرجـــو رضاكا
أعطنـــى روحـــاً لروحـــى وضيـــاءً من ضيـــاكا
ضـــل مـــن يهوىٰ إذا لـــم يتخـــذ - شرعـــاً - هواكـــا

***

ليت شعـــرى : كيـــف عاداك الأُلَى قبلـــوا عداكا !
كيـــف لَجُـــوا فى عنـــاد مجرم يبغـــى أذاكا
كيـــف هامـــوا فى دجـــىٰ الباطـــل لم يبغـــوا فكـــاكا !
واستطالـــوا أن ينالـــوك فمـــا وهـــنت عُراكا
لم يدعك الله صيـــدا إنما الله حَمَـــاكا
فتـــركتَ الـــدار ليـــلا ثم تابـــعت سُـــراكا !

***

هَلَّـــلَ الغـــار حفيـــا وانـــتشىٰ لما رآكا
باضت الورقـــاء تمويها ومـــا تبغـــى سواكا
وأقـــامت عنكبـــوت نسجهـــا ترجـــو قِراكا
وتخطـــيت بحفـــظ الله ما كان شِـــراكا
ضـــل مـــن لـــم يُرزق الحبَّ ولم يعـــرف هواكـــا
عز من كان بعـــون الله يرمـــى من رمـــاكا

***

يا حثـــيث الخطـــو تمضى طائعـــاً من قد دعـــاكا
قد جثـــا التـــاريخ إكبـــاراً لنصرٍ قد أتـــاكا
وانـــتشى الدهـــر حفيًـــا يوم أن عَزَّ حِمَاكـــا
وتبـــارى القـــوم إنشادا يُحَيُّـــونَ لقـــاكا
( طلـــع البـــدر علينـــا ) يوم بُلِّـــغت منـــاكا

# حديث إلى هلال المولد

للشاعر الجزائرى / محمد الأخضر السائحى

أراك على طول المدى تتجـــــــددُ ... برغـم امتداد العمر وَجْـهُكَ أَمْـرَدُ

تجيء وتمضى لا تمل من السرى ... كأنك لا تلقـى الــذى أنت تقصد

طويت قرونــا فى صراع مع الدجـى ... ومـازلت فى قلب الدجـى تتوقـد

حملت إلى الدنيـا البـشارة بالهدى ... زمانا مضى ، والكـون بالظلـم أسود

يعـانى به كاليـوم كل مكافـح ... ويهنـأ فيـه كل عات ويسعـد

• • •

طلـعت على ظلمائـه بمحمـد ... فأجلى الظـلام الموهم محمـد

وأرشدنـا للـخير فى كل موقـف ... ومـن غيره يهدى إليـه ويـرشد ؟

وعلمنـا كيـف السمـو إلى العـلا ... وكيـف إذا رمنـا الفضائـل نصعـد

وأوصى بأن نبقـى على الحب بيننـا ... فلا شيء غير الحب يبقـى ويخلـد

وقـال لنـا : إن الجهـاد فريضة ... وإن ضمـان النصر أن تتوحـدوا

وقـال: اعمـروا هذى المساجـد إنها ... حصون، وبيت الله فى الأرض مسجد

ولا تطلبـوا فيها سوى الله، إنما ... يراد بها وجـه الإلـه ويـقصد

فليست لغير الديـن والعلـم تُبْتَنَـى ... ولا لسوى الأكفاء فى العلـم تسنـد

فصونـوا بها فوق المنابـر وحـدة ... مدى الدهـر فيها الشمـل لا يتبـدد

• • •

وعـد يا هلال البـشر فى كل مرة ... علينـا ببشرى فى طلـوعك تسعـد

تعـودت أن ألقـاك فى كل دورة ... بشعـرى ومـالى غير وصفك مقصد

فهـل كنت إلا فيك ألقـى سعادتى ... وألقـى جزائى فى الثـواب وأحصد

---

الشاعر : ولد عام ١٩١٨ بقرية العلية ـ تقرت

حفظ القرآن الكريم بالجزائر ، ثم التحق بجامع الزيتونة بتونس مكث به من عام ١٩٣٥ إلى عام ١٩٤٩ ـ عمل بالإذاعة والمدارس الثانوية حتى تقاعد عام ١٩٨٠ وهو عضو اتحاد الكتاب الجزائريين منذ عام ١٩٧٤ ، ويشارك فى كافة النشاطات الأدبية ـ له عدة دواوين شعرية أهمها : همسات وصرخات عام ١٩٦٥ ، جمر ورماد ١٩٨٠ ، إسلاميات ١٩٨٤ ، أناشيد النصر ١٩٨٥ ، بقايا وأوشال ١٩٨٧ ، الراعى وحكاية ثورة ١٩٨٨ ، ديوان للأطفال ١٩٨٥ .




للشاعر السعودي / حسن عبد الله القرشي

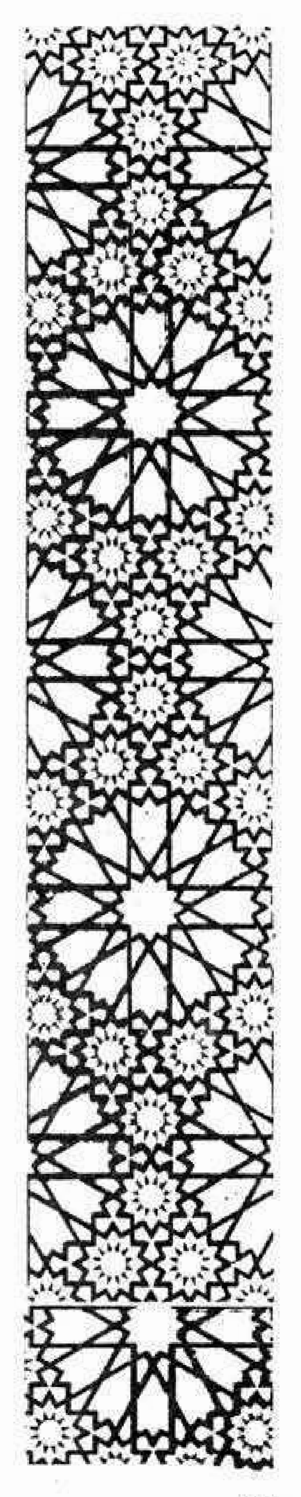
زها عيده تهفو إليه ضلوع — وتزهو أكوان به وربوع
بمولد خير الخلق زفت بشائر — وتاهت به في المروتين جموع
تعالى سناه فهو مستشرق العُلا — وجلَّ هداه الفذ فهو ربيع
مثابة آمال الورى نفحاته — تفيض على الدنيا ندىً وتروع
هي الروض بساما، هي الصبح ناضرا — هي البدر تغذو الروح منه شموع

***

رسول الورى مني إليك تجلَّة — وفي القلب من نجوى هواك ولوع
فقد كنت مصباح البرية كلها — بشير هدىً في بردتيه سطوع
تراءيت تحبو الشرق نورا ورحمة — وأوفضت تغزو الغرب وهو منيع
وعدت بنصر الله جمًّا مؤزرا — ودينك موفور الجلال رفيع

***

رسول الهدى هيهات يبلغ مادح — علاك منيفا كالزمان يضوع
بلغت ذرى المجد الذي ليس بالغ — سواك إليه ما زهاك صنيع
ويا رب والدنيا تمور بأهلها — وفي المسلمين اليوم شاع خنوع
تخيفهم عاد، وغصوا بغادر — وداس حماهم آفك ووضيع
يعيشون قطعانا بمسبعة الأُلى — يروقهمُ - مستأسدين - قطيع
تداركْهمُ يا رب، واملأ قلوبهم — ثباتا ليغدو الشمل وهو جميع
وحُطْهم بعطف منك يأسو جراحهم — وعفوك يا رب الأنام شفيع



# صلاة الله وسلامه عليه

للشاعر/ محمود حسن إسماعيل

أصلي عليك :
وكل الوجـــود صلاة وشوق إلـــيك
ونـــور الهدى ساطـــع من يديك
وروحـــي نشيـــد من الحب يهفـــو لديك
أصلي بقلبـــي ، وأعمـــاق حبـــي
وأمشي ، وأنت الضيـــــاء لدربي
وكلي حنين وشوق إلـــــــيك
أصلي علـــيك ، وصلي وسلـــم نور الإلـــه
وصلت علـــيك جميـــع الحيـــاه
علـــيك الصلاة .... علـــيك السلام
رفـــعت المنـــارات للحائريـــــن
ونـــورت بالحق للعـــالمين
وبالعـــدل صنت إبـــاء الجبين
وَوَحْـــيُ السمـــا هَلَّ من رَاحتـــيك
وكل البرايـــا تصلي علـــيك
علـــيك الصلاة ... علـــيك السلام
أصلي علـــيك .. ضيـــاء وطهـــرا لأحلامنـــا
أصلي علـــيك .. إبـــاء ونصرا لأيامنـــا
فمـــن نور خطـــوك شع الفـــداء
ومـــن نور هديك يأتي الرجـــاء
أصلي علـــيك وصلي وسلـــم نور الإلـــه
وصلت علـــيك جميـــع الحيـــاه
علـــيك الصلاة .... علـــيك السلام

# مملكة العجائب

مترجمة

للشاعر/ محمد الأسمر

ضاق على الضرغام يوماً غابُهُ ... وانقطعت عن رزقه أسبابه

فقال للفهد : أشر بما ترى ... فقال : إن الخير فى ترك الشرى

فمشيا فى الأرض حتى وجدا ... غابا حوى من الوحوش عددا

وبصرا بالقرد وهو يحكُمُ ... يومىء باللحظ ولا يكلمُ

منتفخ كالليث وهو قردُ ... منفرد بالحكم مستبدُ

له بطانة بها الحمارُ ... مدّخر للرأى مستشارُ

والبغل فيها الشاعر المقدم ... وقنفذ الجحر الكَمِىُّ المعلَّمُ

والبوم للبشرى بكل خيرِ ... والببغاوات لحفظ السرِ

والضفدع الصداح والمغنى ... والذئب قائم بحفظ الأمن

والجرز القائم بالإصلاح ... والهر طاهى اللحم فى الأفراح

والدب للزمر وقرع الطبل ... والفيل للألعاب فوق الحبل

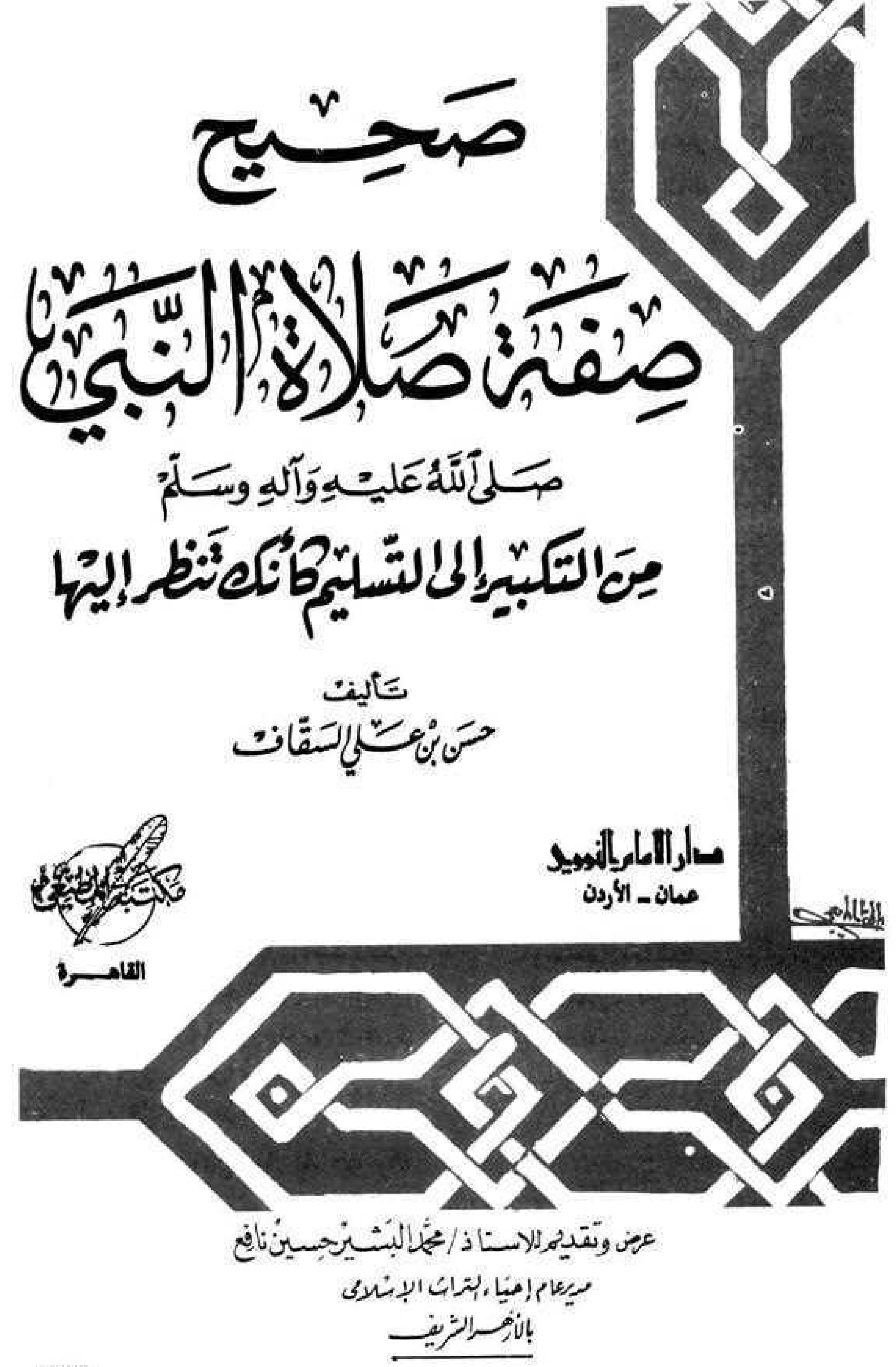
***

رأى الهزبر ما رأى فزأرا ... وقال للفهد : أحق ما نرى ؟

فقال : يا مولاى حَقٌّ صدقُ ... جميع ما يفعل هذا الخلق

ليس الذى ترى من الغرائب ... فنحن فى مملكة العجائب


اللغة والنقد
والأدب



صحيح
صفة صلاة النبي
صلى الله عليه وآله وسلم
من التكبير إلى التسليم كأنك تنظر إليها
تأليف
حسن بن علي السقاف
دار الإمام النووي
عمان - الأردن
القاهرة
عرض وتقديم للاستاذ / محمد البشير حسين نافع
مدير عام إحياء التراث الإسلامي
بالأزهر الشريف

**الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق والهادى إلى صراطك المستقيم ، اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه .**

وبعد : فلاشك أن الاختلاف فى وجهات النظر وتقدير الأشياء والحكم عليها أمر فطرى طَبَعِىّ ، وكأن حكمة الله ــ عز وجل ــ اقتضت أن يكون بين الناس بفروقهم الفردية ــ سواء كانت خِلْقِيَة أم مكتسبة ــ وبين الأعمال فى الحياة تواعد والتقاء ، وكل ميسر لما خلق له ، وعلى ذلك فالناس مختلفون وقد اختلف الأئمة فى كثير من الأمور الاجتهادية ، كما اختلف الصحابة والتابعون قبلهم وكانوا جميعاً على الهدى ؛ لأن اختلافهم لم ينجم عن هوى أو شهوة ولا رغبة فى الشقاق ، فقد كان الواحد منهم يبذل جهده وغاية ما فى وسعه ولاهدف له إلا إصابة الحق وإرضاء الله ــ سبحانه وتعالى ــ وكذلك كان أهل العلم فى سائر الأمصار والعصور ــ يقبلون الفتاوى من غيرهم ماداموا مؤهلين ، فيصوبون المصيب ، ويستغفرون للمخطىء ويحسنون الظن بالجميع ، وكانت نظرة هؤلاء إلى استدراكات بعضهم على بعض .. أنها معونة يقدمها المستدرك منهم لأخيه ، وليست عيباً أو نقداً .

وقد أسند إلىَّ كتابة تقرير عن كتاب بعنوان **صحيح صفة صلاة النبى صلى الله عليه وآله وسلم من التكبير إلى التسليم كأنك تنظر إليها للأستاذ حسن بن على السقاف**

وبعد أن اطلعت على الكتاب راعنى ماورد فيه من التجاوز والطعن على العلماء الأفاضل المشهود لهم بالعلم والتقدم فى خدمة القرآن والسنة ، فخطأ بعضهم وجَهَّل بعضهم ، وتصاعدت حدة الخلاف إلى أن وصف بعضهم بأنه فى حاجة إلى علاج لعقله[1] أو أنه على شاكلة من وصفهم القرآن الكريم بأنهم «يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين»[2] أو أنه أعمى البصيرة[3] .

ولم يكن هذا دأب العلماء قديماً حيث كانوا يختلفون فى الرأى والنظر ولا يصل هذا الخلاف إلى حد التقاذف والتناطح ــ كما هو واضح على طول الكتاب ــ وإنما كان كلامهم محوطا بالأدب واحترام حقوق بعضهم البعض .

والفاحص لهذا الكتاب يرى أن مؤلفه قد أولى مسألة الطعن والتجريح أهمية كبرى ، وكأنما هى مقصوده الأول من الكتاب ، ولو كان هدفه هو بيان الحق والنصح للمسلمين لنأى بنفسه عن هذا الأسلوب غير اللائق بأهل العلم والبحث .

وقد صَنَّفْتُ التجاوزات التى وقع فيها المؤلف إلى ثلاثة أنواع .

---

(١) أنظر هامش الكتاب ٥٣٦ من ص٢٦٣ .

(٢) أنظر هامش رقم ٤١٩ من ص٢٠٨ .

(٣) أنظر هامش رقم ٢٠٣ من ص١٦٣ ــ ١٦٤

١ ـ تجاوزات سلوكية غير محمودة .
٢ ـ تجاوزات علمية .
٣ ـ تجاوزات لغوية .

إلى جانب بعض الملاحظات الشكلية التى يُمكن التغاضى عنها ، وحسبنا فى هذا العرض أن نركن إلى جانب الصدق ونتفيأ وجه الحق تحوطنا أخوة الإسلام ، وتتغلغل فى قلوبنا حرارة الإيمان بعناية الرحمن .

**التجاوزات السلوكية :**

أولاً : صدر المؤلف كتابه بأمور نبه عليها وعد من أولها حسن الخلق وأنه يجب على كل مؤمن أن يتحلى به ، غير أن هذه الصفة الحميدة قد أخطأته إلى حد كبير ، فسرعان ما كان ينساها أو يتناساها حين تتغلب عليه العاطفة ويسيطر عليه الغضب ويذكر اسم مؤلف كتاب «صفة صلاة النبى ﷺ» .

فلا ندرى لم هذا الحشو من الانتقاص والذم ، والانتقاد لأدنى ملابسة ويكفى أن المؤلف السقاف لم يذكر (الألبانى) فى الكتاب كله إلا بصفة «المتناقض» حتى وضع هذه الصفة الأثيرة عنه فى فهرست الكتاب

فأما واجبنا ـ إزاء النقد ـ فإنه يحتم الالتزام بحرمة المؤلفين ومنهم الشيخ الألبانى كما نحترم الكلمة التى تحق الحق وتزهق الباطل ، وهى كلمة فوق السب والانتقاص ولكن صاحب هذا الكتاب لم يعترف مرة واحدة فى كتابه بقدر هذا المؤلف اللهم إلا بالانتقاص والمذمة والقدح الذى وصل فى بعض الأحيان إلى الاستهزاء والاستخفاف والسخرية .

ولما كانت الموضوعية فى النقاش هى سبيلنا فهذه بعض فقرات من الكتاب نوقف القارىء بها على هذه التجاوزات .

ففى هامش ١٤٧ ص٨٧

يقول المؤلف تعقيبا على كلام الشيخ الألبانى

«.... وفيه نعلم سخافة قول (المتناقض) !! (أى الألبانى) فى صفة صلاته» ويقول أيضا : «وهل يعرف هذا أى الألبانى[٤] هدى سيدنا محمد وهو غارق فى آلاف المتناقضات»

ومن أراد المزيد فلينظر إلى هوامش الكتاب ١٨٩ ص١١٠ ـ ١١١ ، ١٩٢ ص١١٣ ١٩٤ ص١١٤ ، ٣٦٣ ص١٨٢ ، ٣٨٥ ص١٩٠ وهذا على سبيل المثال لا الحصر .

ولم يسلم من كَلْمِهِ الحجة الحافظ ابن حجر ففى ص٢٩٣ يقول المؤلف : وقد أخطأ الحافظ ابن حجر ... فى التقريب عندما اقتصر على قوله : فيه ضعيف ، ثم قال : وقد أفرط من رماه بالكذب قلت (أى المؤلف) كلا لم يفرط بل هو واقع حاله» .

ثم هو يحذر كل مؤمن من كتاب القاسمى فيقول : أما كتاب القاسمى المسمَّى «المسح على الخفين والجوربين ، فليس بشىء ، وهو بعيد عن التحقيق العلمى ، فليحذر كل مؤمن من أن يعمل بما فيه من الأحاديث المنكرة الضعيفة والأقوال الشاذة .

---

(٤) ما بين القوسين من كاتب المقال لتوضيح من المقصود بالمتناقض !!

أقول : ولعل مَرد منطق اختلافنا اليوم إلى هذا العجب بالرأى ، والطواف حول الذات والعياذ بالله تعالى .

لذلك أرانى وإياه فى حاجة ماسة إلى عود حميد إلى حقيقة الاختلاف وغايته وأن ننظر إلى اختلاف الصحابة ــ رضوان الله عليهم ــ والتابعين وتابعيهم ومعالم أدب اختلافهم وأسباب الاختلاف فى هذه العهود الأولى وأن نتأمل تلك النماذج الواردة عن كرام الأئمة من السالف الصالح .

### التجاوزات العلمية :

ومن التجاوزات العلمية التى ضيق بها المؤلف واسعا واختار من الآراء ماليس عليه العمل عند الجمهور مانراه يقول ــ فى مسألة خلع النعلين فى الصلاة :

إن الأفضل فى الصلاة خلع النعلين وأن لابسهما متنطعٌ يدعى العمل بالسنة وهو لا يفقهها ولايفهم المراد من النصوص وما يستنبط منها ، وأن النصارى واليهود عند دخولهم إلى كنائسهم وبيعهم يصلون بأحذيتهم ، وأن السنة الصحيحة ــ عنده ــ أن النبى ﷺ كان يخلع نعليه فى صلاته ، فيتعين استحباب خلع النعلين وكراهية لبسهما لمخالفة المشركين ، واستثنى حالة الحرب والتحام الجيشين .

غير أن المسألة على خلاف ما ذهب إليه المؤلف ، فالإمام الشوكانى يذكر جواز الصلاة فى النعل وعدم خلعها[٥] ويستدل على ذلك بالأحاديث والآثار ــ فتحت عنوان «صلاة المرء وفى رجليه نعلاه» يورد حديثا أورده الإمام أحمد وأبو داوود عن أبى سعيد عن النبى ﷺ : «أنه ﷺ صلىَّ فخلع نعليه فخلع الناس نعالهم فلما انصرف قال لهم : لم خلعتم ؟ قالوا : رأيناك خلعت فخلعنا ، فقال ــ عليه السلام : إن جبريل أتانى فأخبرنى أن بهما خبثا ، فإذا جاء أحدكم المسجد فليقلب نعليه ولينظر فيهما فإن رأى خبثا فليمسحه بالأرض ، ثم ليصلِّ فيهما» .

وهذا الحديث أخرجه أيضا الحاكم وابن خزيمة وابن حبان والدار قطنى .

وعن شداد بن أوس قال : قال رسول الله ــ ﷺ ــ : «خالفوا اليهود والنصارى فإنهم لايصلون فى نعالهم ولاخفافهم» .

قال الإمام الشوكانى[٦] وفى الباب أحاديث أربعة أخر عن أنس الأول عن الطبرانى والبيهقى ، والثانى عن البزار ، والثالث عن ابن مردويه بلفظ : «صلوا فى نعالكم» والرابع عن ابن مردويه أيضا ومن ثم ورد كلام الشوكانى تحت «الحث على مخالفة اليهود وأنهم لايصلون فى نعالهم» ، والأحاديث بذلك تدل على مشروعية الصلاة فى النعال ، بل نقل عن أبى عمرو الشيبانى أنه كان يضرب الناس إذا خلعوا نعالهم .

وقال العراق ــ فى شرح الترمذى : ممن كان يفعل ذلك أى : لبس النعل فى الصلاة : عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعبدالله بن مسعود وعويمر بن ساعده وأنس بن مالك وسلمة بن

---

(٥) نيل الأوطار ١٢/١ .

(٦) نيل الأوطار ١٣٠/١ ــ ١٣١ .

الأكوع وأوس الثقفى ومن التابعين سعيد بن المسيب وعروة ابن الزبير وسالم بن عبدالله وإبراهيم النخعى وإبراهيم التيمى وعلى بن الحسين وابنه أبو جعفر وإلى هذا ذهب ابن قدامة[7] .

ولايقبل من المؤلف أن يرفض حكما شرعيا بحجة أنه ينافى النظافة ويجانب الذوق ، ثم إنه فى استشهاده لهذه المسألة أتى بحديث اقتصر منه على اللفظ الذى يؤيد ما يقول وترك تكملة الحديث ثم استنبط أن الخلع هو السنة ص٣٨

مسألة استحباب تغميض العينين فى الصلاة ص٨٧

يقول المؤلف : «تغميض العينين فى الصلاة مستحب ؛ لأنه يجمع القلب ويساعد على الخشوع والتدبر» ــ ثم أتى ببعض الأقوال ظن أنها تؤيد ما انتهى إليه من استحباب تغميض العينين .

ورداً على ذلك يقول ابن القيم فى زاد المعاد .

ولم يكن من هديه ــ ﷺ ــ تغميض عينيه فى الصلاة[8] وأنه كان فى التشهد يومىء ببصره إلى أصبعه فى الدعاء ولايجاوز بصره إشارته . رواه أحمد والنسائى وأبو داوود وإسناده حسن .

وروى البخارى فى صحيحه عن أنس ــ رضى الله عنه ــ قال : «كان قرام لعائشة أى ستر رقيق سترت به جانب بيتها ، فقال النبى ــ ﷺ : «أميطى عنى قرامك هذا ، فإنه لاتزال تصاويره تعرض لى فى صلاتى»

قال ابن القيمّ ولو كان يغمض عينيه فى صلاته لما عرضت له فى صلاته .

وحديث عائشة ــ رضى الله عنها ــ الذى رواه البخارى ومسلم وأبو داوود والنسائى وأحمد أن النبى ــ ﷺ ــ صلى فى خميصة لها أعلام فنظر إلى أعلامها نظرة فلما انصرف قال : اذهبوا بخميصتى هذه إلى أبى جهم وأتونى بأنبجانية أبى جهم ؛ فإنها ألهتنى آنفا عن صلاتى» والانبجانية كساء يتخذ من الصوف ولاعَلَمَ له من أدْوَنِ الثياب والغليظ وقد ردَّ النبى الخميصة فطلب الانبجانية بدلها جبرا لخاطر أبى جهم .

ومما يدل على خلاف ما ذهب إليه المؤلف حديث تعرض الشيطان للنبى ــ ﷺ ــ فى الصلاة ، وكان ذلك رؤيـة عين[9] فهــذه الأحاديث وغيرها يستفاد منها العلم بأنه لم يكن يغمض عينيه فى الصلاة .

والإمام أحمد يرى كراهة تغميض العينين فى الصلاة وقال : هو فعل اليهود .

والعجيب أن المؤلف قال فى ص٨٤ : السنة أن ينظر المصلى أمامه إلى الأرض وأن يكون خاشعاً فى صلاته ، ثم عاد وقال باستحباب تغميض العينين فأيهما أصح عنده !! ؟

سنية الجهر بالذكر الجماعى عقيب الصلاة[10]

يذهب المؤلف إلى أن رفع الصوت بالذكر الجماعى حين ينصرف الناس من المكتوبة كان على النبى ــ ﷺ ــ ومن ثم ذهب إلى أن المسنون للذين يصلون جماعة أن يرفعوا صوتهم بالذكر بعد السلام ؛ لان القلوب تنتعش وتطمئن وتنشط بالذكر الجماعى ، ثم راح يتلمس الأدلة ليبرهن على ماذهب إليه ويرمى الأدلة الأخرى بالضعف والوضع .

ونحن نحيل الاجابة عليه للجنة الدائمة للبحوث العلمية والافتاء المكونة من أفاضل العلماء المشهود

---

(٧) المغنى ٢/٨٣ ــ ٨٤ .

(٨) زاد المعاد ١/٢٩٣ .

(٩) زاد المعاد ١/٢٩٤ .

(١٠) أنظر هذه المسألة فى ص٢٤٤ من الكتاب .

لهم بالثقة والعدالة من أمثال الشيخ ابن باز[11]

وأرقام الفتوى هى :

فتوى رقم ٣٥٦٠

فتوى رقم ٢٩١٣ جـ٢ ص٣٧١

فتوى رقم ٢٢٥٢ جـ ٢ ص٣٧٠

فتوى رقم ٤٦٠٠ جـ٢ ص٣٧٤

فتوى رقم ٦٢٦٠ جـ٢ ص٣٧٧

فتوى رقم ٦٦٨٢ جـ٢ ص٣٧٨

## التجاوزات اللغوية :

ونود أن ننوه إلى أن أهمها ما ورد فى الآيات القرآنية .

فى ص١٧ قوله « ولاتتبعوا الهوى وإن تلووا أو تعرضوا ... الخ » الآية ١٣٥ من سورة النساء .

وصوابها : « ولاتتبعوا الهوى أن تعدلو وإن تلووا ... الآية

فى ص١٠٣ ورد الخطأ فى ضبط قوله تعالى : « فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيْطان الرجيم » والصواب ضبطه هكذا « من الشَّيطان الرَّجيم » .

وفى ص ١٣٨ ورد الخطأ فى كتابة الهمزة من قوله « إقرأ باسم ربك الذى خلق » حيث جعلها همزة قطع وهى همزة وصل هكذا : اقرأ .

فى ص١٤١ ورد خطأ فى ضبط لفظ « ليدَّبَروا » والصواب ليَدَّبَّرُوا سورة ص آية ٢٩ ونفس الصفحة هامش ٢٥٣ ورد لفظة « تكون » « أن يكون لهم الجنة »

ص١٤٥ ورد قوله تعالى : « الإنسان على نفسه بصيرة » القيامة ١٤ والصواب « بل الإنسان على نفسه بصيرة »

ص١٨٨ وردت الآية « وما أتاكم الرسول ... » والصواب وما آتاكم الرسول وفى ص٢٣٦ هامش ٤٩٩ قوله تعالى « اعونى استجب لكم » والصواب ادعونى أستجب لكم بهمزة قطع .

وهناك بعض التعبيرات الدراجة مثل كلمة يجوز للمرأة أن تجلس مع أجنبى فى مكان محترم وكذا يقول فى معرض حديثه على المسح على الخفين يقول : ومن ذلك نعلم أنه « يجوز المسح على الجزمة العسكرية » .

## كلمة إنصاف :

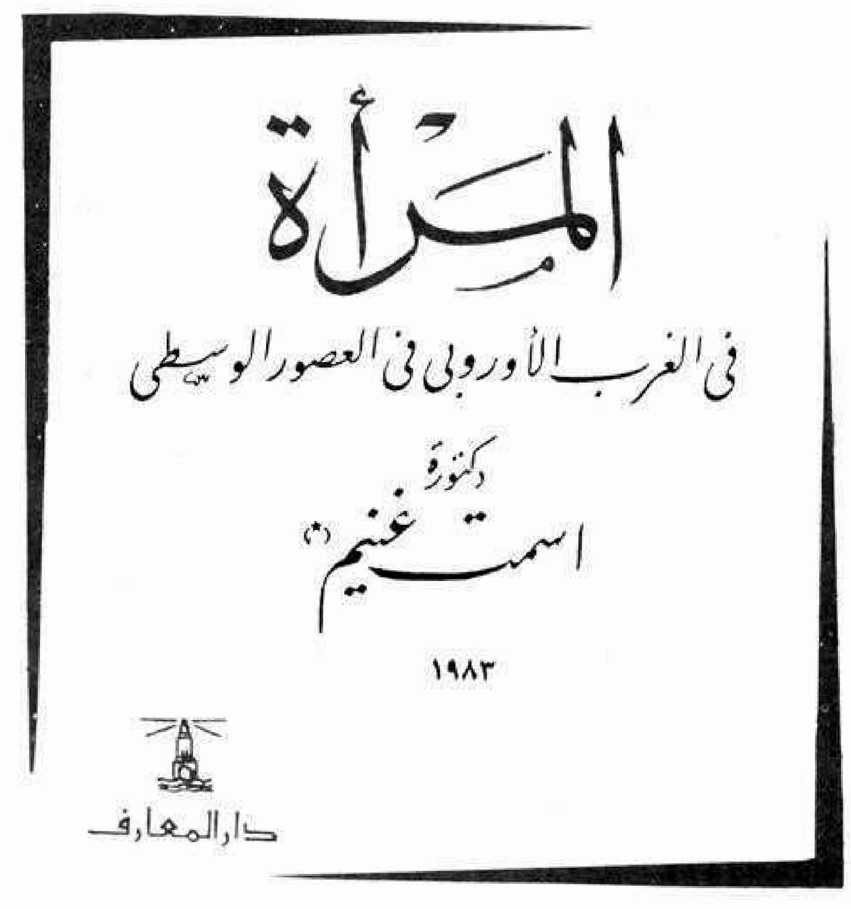
ورغم كل ماذكرنا من بعض التجاوزات إلا أننا لايمكن أن نغض الطرف فنغمط حق الأستاذ المؤلف ، فهو قد بذل مجهوداً كبيراً فى جمع المادة وتبويبها ، مما يجعلنا نشكر له هذا الجهد ، والكتاب فى مجمله مفيد لعامة المسلمين ؛ لأنه قد لمس أمراً هاماً وركناً عظيماً من أهم أركان الإسلام ، وهو الصلاة .

أما دار النشر التى قامت بإصدار الكتاب فى ثوبه القشيب فمشهود لها بالمكانة العريقة فى نفوس القراء ، فصاحبها الشيخ المطيعى غنى عن التعريف .

ونسأل الله تعالى أن يثيبهم جزاء ما قدموا للمسلمين ــ وبخاصة ــ فى كتاب يتناول كيفية الصلاة الصحيحة ليكون المسلم على بينة من أمرها فيؤديها على الوجه الذى يرضى الله ورسوله ، نسأل الله تعالى أن ينفعنا بما نعلم ويعلمنا ما لم نكن نعلم ، إنه سميع مجيب قريب الدعاء .

---

(١١) أربعة مجلدات للفتاوى .




عرض وتقديم قسم التحرير

(*) د/ إسمت محمود غنيم ، أستاذ تاريخ العصور الوسطى ، ورئيسة قسم العلوم الاجتماعية ـ كلية التربية ـ جامعة الاسكندرية .

ولدت بـ « دمياط » والتحقت بآداب الاسكندرية حيث حصلت على :

- الليسانس بدرجة جيد جداً عام ١٩٦٢ .
- وماجستير فى الآداب بتقدير ممتاز عن بحثها « العلاقات السياسية بين الدولتين البيزنطية والفاطمية فى الفترة ٩٦٩ ـ ١٠٩٤م » عام ١٩٦٨ .
- والدكتوراه بمرتبة الشرف الأولى عن بحثها « العلاقات السياسية بين الدولة البيزنطية وجزيرة كريت الإسلامية فى الفترة ٨٢٧ ـ ٩٦١م » عام ١٩٧٣ .

وقدمت دراسات فى العلاقات المختلفة بين الصليبيين والمسلمين منها :

( أ ) الدولة الأيوبية والصليبيون .
(ب) تاريخ الأمبراطورية البيزنطية .
(جـ) زواج التحالف فى العصور الوسطى .

ونالت إلى جانب ذلك عدة شهادات تقدير من جامعة الاسكندرية وجامعة الملك عبد العزيز بجدة .

**اطلعت على هذا الكتاب ـ لأول مرة ـ من سنوات عدة ، فقد نشرته « دار المعارف » بمصر عام ١٩٨٣م . فى قطع ٢٩ × ١٧سم بحجم ست وأربعين ومائة صفحة ، عَمَرَتْ ببحث سد ثغرة فى المكتبة العربية حيث لم يكن موضوعه كاملا ـ من قبل ـ بين دفتى كتاب ، وتفرَّق بعض الحديثِ عنه ، فشذرة هنا ونبذة هناك .**

« والموضوع » الذى درسه هذا الكتاب يحيط القارىء بوضع المرأة الغربية فى تلك الفترة ، ويعتبر دعامة لشهادة تفصيلية لتكريم الإسلام للمرأة التى جعل الله ـ سبحانه وتعالى ـ حقوقها قرآنا يُتلى إلى يوم الدين ، يصون حقها فى الملكية والميراث والحرية ، فقال ـ تعالى :

﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَـٰتِهِنَّ نِحْلَةً ﴾ .

( النساء : ٣ )

وقال ـ سبحانه :

﴿ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ﴾ .

( النساء : ٧ )

وقال ـ عز وجل :

﴿ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ﴾ .

( النساء : ١٩ )

وقال ـ عز سلطانه :

﴿ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ﴾ .

( النساء : ٣٢ )

وقال ـ ﷺ :

« اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم ... اتقوا الله فى الضعيفين : المرأة الأرملة والصبى اليتيم »[١] .

وفى هذا الباب أحاديث مستفيضة فى التحذير من ظلم النساء ، ونجد حق المرأة فى الشريعة الإسلامية ثابت فى اختيارها للزوج الذى ترتضيه ... وما على الباحث فى هذا الشأن إلا أن يراجع أبوابه فى الحديث الشريف والفقه .

من هنا كان موضوع هذا الكتاب من شواهد الدعوة للإسلام .

ولقد كان بود إدارة التحرير بالمجلة أن تنشره تاماً على صفحاتها لولا حوادث وموضوعات حالية ليس إلى مجاوزة أهميتها من سبيل . لكننا لن ندخر وسعاً لتقديم ماتيسر من فصوله شاكرين للمؤلفة كريم إذنها .

تناولت المؤلفة موضوعها تناولا علمياً لم تسمح ـ خلاله ، وفى تواضع مُشــرِّف ـ بالفضفضة فى الحديث ، ولا بالمبالغة فى النتائج . وإذا استثنينا « الشعر » فى بعض مواطن الكتاب كمرجع ، ونظرنا إلى مكانة الفقه الإسلامى ـ وكنا نرجو المزيد منها فى الفصل السادس ـ فإننا أمام بحث علمى جدير بما استحقته الأستاذ الدكتورة من شهادات التقدير .. وإلى القارىء نص افتتاحية المؤلفة قبل أن نعرض بقلمها نصاً من حديثها فى ( حقوق المرأة وواجباتها ) .

بسم الله الرحمن الرحيم

يعتبر موضوع مركز المرأة فى الغرب الأوروبى فى العصور الوسطى من الموضوعات المعقدة التى تحتاج لمعالجة موضوعية دقيقة ، ذلك أنها لم تتمتع بمركز ثابت حددته الكنيسة أو القوانين أو العرف

---

(١) اتحاف السادة المتقين ـ شرح علوم الدين للزبيدى ٣٥٢/٥ .

السائد ، وإنما أخذت مكانتها تتغير وتتبدل من وقت لآخر تبعاً لتغيير النظم والظروف فى المجتمع الغربى الوسيط .

وتعتبر هذه الدراسة عن مركز المرأة ووضعها فى المجتمع فى غرب أوروبا فى العصور الوسطى ، أول دراسة من نوعها تظهر كبحث قائم بذاته باللغة العربية ؛ بل وفى اللغات الأجنبية لم يظهر إلا عدد محدود للغاية من الكتب فى هذا الموضوع . وقد استلزمت دراسة هذا الموضوع الكثير من الجهد والوقت نظراً لأهمية الموضوع ودقته ، وقلة المصادر الخاصة به ، وتناثر المعلومات على شكل شذرات فى هذا الكتاب أو ذاك ، وتعدد اللغات التى كتبت بها هذه المعلومات من «لاتينية» إلى «إيطالية» إلى «إنجليزية قديمة» و«فرنسية قديمة» حيث استعملتا ــ أى اللغتان الأخيرتان ــ فى الكتابة عن المرأة ، وخاصة بعض الأبيات الشعرية التى قمت بترجمتها فساهمت فى خدمة موضوع البحث .

والبحث يعرض لوضع المرأة فى المجتمع الغربى الوسيط ، والنظريات التى تكــونت عنها ، والتغييرات التى طرأت على مركزها خلال الحقب المختلفة فى العصور الوسطى ، ثم يتناول بالعرض حقوق المرأة وواجباتها كما أقرها القانون والمجتمع ، ويعرض أيضاً لفئة الراهبات وكل مايتعلق بحياة الراهبة داخل الدير ، ثم يعرض لموضوع تعليم النساء فى العصور الوسطى ، والملابس ، والدور الذى أدته المرأة الغربية فى الحياة العامة فى هذه الحقبة التاريخية .

وقد اخْتَتَمْتُ هذا البحث بدراسة مقارنة بين مركز المرأة الغربية ومركز معاصرتها المرأة المسلمة .

ثم عَرَضَت الباحثة ــ عقب ذلك ــ أهم مصادرها ، والدور الذى أدته هذه المصادر ، ثم قالت :

وبالإضافة لهذه المراجع السابقة ، هناك بعض الكتب التى وردت بها إشارات سريعة عن موضوع المرأة الغربية فى العصور الوسطى ، وأذكر منها على سبيل المثال :

كتاب المؤرخين كرامب Crump وجاكوب Jacob وعنوانه «تراث العصور الوسطى» The Legacy Of The Middle Ages الذى نشر فى ( أوكسفورد ) فى عام ١٩٢٦ .

وكذلك مؤلفات المؤرخين : بنتر Painter ، وهويزنجا Huizinga كولتون Coulton وغيرهم من المؤرخين .

أما بالنسبة لمصادر البحث فى مركز المرأة المسلمة ، فإن أهم مصدر هو القرآن الكريم ، وهو مصدر التشريع الإسلامى ، كذلك كتب التفسير وبعض المصادر الإسلامية لبعض المؤرخين مثل : الطبرى ، والمسعودى ، وابن الأثير والجاحظ وغيرهم .

وبقدر مابذلت من جهد ووقت فى هذا البحث ، بقدر ماأرجو أن أكون قد وفقت فى إلقاء بعض الضوء على المركز الذى كان للمرأة ، والدور الذى أدته فى المجتمع الغربى فى العصور الوسطى .

ونقدم بين يدى البحث ــ تمهيداً للعدد القادم ــ كلمة الباحثة فى البداية من «نظرة المجتمع الغربى للمرأة» .

# نظرة المجتمع الغربي للمرأة

للأستاذ الدكتورة / إسمت غنيم

فى المرحلة المبكرة من العصور الوسطى حيث سيطرت الكنيسة سيطرة تامة على المجتمع تكونت نظريات تنادى بأن المرأة ماهى إلا أداة من أدوات الشيطان ، وهى المحرضة لآدم على المعصية والخطيئة ، وهى لذلك لاتستحق إلا الاحتقار والازدراء ، وهذه النظرية ظهرت فى تاريخ الكنيسة منذ وقت مبكر ، ويؤيد ذلك تلك العبارة التى ترجع إلى أوجسطين ، وآباء الكنيسة الأول ، الذين قالوا :

« المرأة بوابة الشيطان ، وطريق الشر ، ولدغة الحية ، وفى كلمة موجزة المرأة موضوع خطير » .

ليس ذلك فحسب بل أن اباء الكنيسة استكثروا أن تكون للمرأة روح علوية ، فبحثوا فى ذلك وأوشكوا أن يلحقوها بزمرة الحيوان الذى لا روح له بعد فناء جسده [٢]

هذه النظرية جعلت الكنيسة تطالب رجالها بعدم الزواج على أساس أن المرأة عامل من عوامل الغواية ، ولما كان رجال الدين الذين نادوا بأخذ التنسك مثلا أعلى للحياة هم الطبقة المثقفة والذين لهم صوت مسموع فى المجتمع خلال قرون عديدة لذلك كان لابد أن تكون النظرية التى تكونت عن المرأة تنادى بأنها شيء ناقص وشرير . وقد عبرت إحدى سيدات هذا العصر عن ذلك بقولها :

« فى الواقع لن يتورع أى رجل من رجال الدين عن وصم المرأة بأية نقيصة إلا إذا كان يكتب عن امرأة من القديسات وفيما عدا ذلك لن يكتب خيراً عن نساء أخريات » .

وقد وجدت على جدار إحدى القلاع مقطوعة شعرية تصور المرارة والأسى اللذين تشعر بهما المرأة ، وتقول بعض أبياتها :

لست أدرى إذا ظل آدم يمضى حياته
يحفر ويحرث ولا يخطو للأمـــام
وظلت حواء ، تغزل ثم تنسج
لتكســـو آدم من العــــراء
فأين آدم اللطيـــف الرقيـــق
الذى يحمـى المظلومـة حـواء ؟

ومنذ القرن الثامن الميلادى بدأت بذور ( النظام الإقطاعى ) تظهر فى غرب أوروبا ، وفى القرن التاسع الميلادى بلغ هذا النظام مرحلة حاسمة من مراحل نموه وتطوره ، وارتبط هذا النظام بالحياة الأوروبية فى العصور الوسطى ، سواء من النواحى السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية ، بل والدينية أيضاً [٣] . ولم يتغير مركز المرأة كثيراً فى ظل النظام الإقطاعى إذ اعتمد هذا النظام فى المرتبة الأولى على الحرب والقتال ، وكان القتال أهم واجب على الفرد أن يقدمه لسيده الإقطاعى ، وطالما أن المرأة لم تكن تستطيع أن تمارس القتال ؛ لذا فإن مركزها فى العرف الإقطاعى كان ثانوياً بحتا ، **ومهما بلغت من العمر فهى قاصر ولابد أن تكون تحت وصاية رجل ، والدها فى البداية ، ثم زوجها بعد ذلك وفى حالة وفاته ، تصبح تحت وصاية السيد الإقطاعى أو أكبر** أبنائها [٤] .

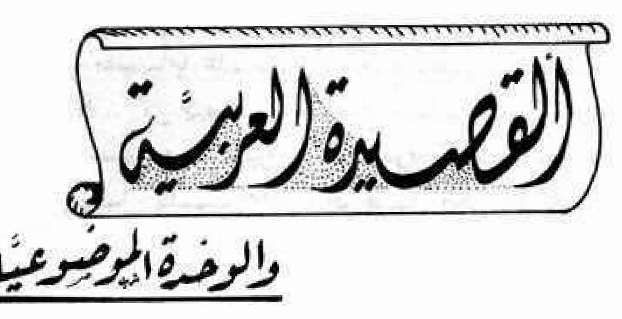
( يتبـع )

(2) Heer : The Medieval World, Europe (1100-1350), London 1962, PP. 264 - 265..

(3) Eyre : European civilization, vol 3 (The Middle Ages), London, 1935, P. 100.

Hoyt & Chodorom : Europe in the Middle Ages. Third Edition U.S.A. 197, PP. 210 -250

(4) painter : Mistory of the Middle Ages, 284 - 1500. great Britain, 1979, P. 121.




## والوحدة الموضوعية

**- ٥ -**

للأستاذ / أحمد مصطفى حافظ

**مازالت حرب البسوس تُلقى بظلالها وانعكاساتها على مادة هذا البحث ، لتثريها وتُعمّقها ، وتُرفدها بالعديد من النماذج الشعرية المتفردة ، التى تؤكد «وفرة الوحدة الموضوعية» ، بوضوح وجلاء ، فى القصائد التى انبثقت من أحداثها الجسام ، عبر الحرب الطويلة التى نشبت بين قبيلتى : «تغلب وبكر» لمدة أربعين عاماً ، على أثر مقتل كليب (التغلبى) بيد جساس (البكرى) .**

**وتتسم هذه القصائد بالبناء اللغوى المتساوق ، المفعم بجيشان العاطفة ، والانفعال الحار العميق .**

ولعل خير نموذج يدلل على ماقدمنا ، قصيدة الحارث بن عباد فى رثاء ابنه وفلذة كبده (بجير) ، وكان قد أرسله إلى المهلهل بن ربيعة التغلبى ، ليقتله فى (كليب) - إذا شاء حقنا للدماء بين القبيلتين المتطاحنتين .

إلا أن المهلهل مضى فى غلوائه ، وأقدم على قتل (بجير) فعلاً ، وقال بتبجح : بُؤْ بشِسْع نعل كليب !

يريد أن (بجيراً) - بعد مقتله - بمثابة الفداء لرباط نعل شقيقه كليب ! استهانة ببجير بن الحارث ، الذى لايرقى - فى نظره - لمستوى كليب ، ومن ثم فهو لايكون كفءاً لدمه !

***

وحينما بلغ الحارث - والد بجير - ماحدث ، غَلَى الدم فى عروقه ، وأرغى وأزبد ، وقال يستحث قومه لمؤازرته فى الانتقام لبجير ، قولاً يفيض بدقة الوصف ولوعة الفقد وتسلسل الفكر :

**لهف نفسى على بجير إذا ما ... جالت الخيل يوم حرب عُضال**
**وسعَتْ كلُّ حرة الوجه تدعو ... يالبكر .. غرَّاء كالتمثال**
**يابجير الخيرات لاصُلْح حتى ... نملأ البيد من رءوس الرجال**

أصبحت وائـــل تَعُـجُّ من الحر ب عجيـــج الجمـــال بالأثقـــال
لم أكـــن من جنـــاتها عَلِـــمَ الله وإنى بحرِهَـــا اليـــوم صال
قد تجنبت وائلا .. كى يفيقـــوا فأبت تغـلب علـىَّ اعتـــزالى
وأشابـــوا ذؤابتـــى بيـــجير قتلـــوه ظلمـــا بغير قتـــال
قتلـــوه بشسع نعـل كليـب ؟! إن قتـــل الكـــريم بالشسع غال
يابنـــى تغـلب قتـلم قتيـــلا ماسمعنـــا بمثلـــه فى الخوالى

إلى أن يجأر من فؤاد مكلوم :

قربـــا مربـــط النعامـــة منـــى لا نبيع الرجال بيْـــع النعـــال !
قربـــا مربـــط النعامـــة منـــى لبـــجير .. فداه عمـــى وخـــالى
قربـــا مربـــط النعامـــة منـــى ليس قلبـــى عن القتـــال بسالى

والنعامة : اسم فرس الحارث .

وهو فى الأبيات الثلاثة الأخيرة ، يكرر فى صُدُورها نفس الشطر (قرِّبا مربط النعامة منى) باهتياج ينم عن شدة انفعاله فى سورة غضبه ، للإقدام على قتل ولده بأسلوب مهين ، أقرب إلى الغيلة والغدر ، والاستهتار والإصرار على الإمعان فى سفك الدماء .

وكان الحارث قد اعتزل قومه ، فلما كثر عدد القتلى والضحايا بين الجانبين ، قال له قومه : لقد فنى قومك ..

فأرسل إلى المهلهل ابنه بجير ، يحثه على ترك القتال الذى دام لمدة أربعين عاماً ، تكفى ليُدرك المهلهل وِتْرَه ..

إلا أن المهلهل قتل بجيراً كما تقدم ، وقد ذكر المهلهل بجيرا فى إحدى قصائده ، بقوله :

وإنى قد تركت بواردات بجيرا .. فى دم مثـــل العـــبير
هتكت به بيـــوت بنـــى عُبـــاد وبعض الغُشْم .. أشْفَى للصدور !

***

ونلاحظ أن أبيات الحارث بن عباد ، جاءت من نفس بحر وقافية مرثية المهلهل لأخيه كليب ، التى يقول فيها :

كيف صبرى ـ وقد قتلم كليبا ـ وشقـــيم بقتلـــه فى الخوالى
ولعمرى لقد وطئت بنى بكـــــر بما قد جنوه .. وطْء النعـــال
فاشربـــوا ماقد وردتم الآن منـــا واصدروا خاسرين عن شر حال

ثم يشترك فى البيت الأخير ، مع صياغة شطر بيت الحارث ، حين يقول :

قرِّبـــا مربـــط المشهَّـــر منـــى لاعتـــاق الكُمـــاةِ والأبطـــال

---

(١) وقد لفتنا لهذه الأبيات صديقنا الشاعر الكبير محمد عبدالرحمن صان الدين .

والمشهَّر : اسم جواد المهلهل .

ويعترف المهلهل فى البيت الأخير ، ببطولة خصومه من قبيلة بكر ـ أبناء عمومته ـ رغم ما بينهما من عداء وشحناء .

وفى مثل هذا المعنى يقول قيس بن زهير العبسى :

شفيت النفس من حَمَل بن بدر ... وسيفى من حُذيفة قد شفانى
فإن أكُ قد بَرَدْتُ بهم غليلى ... فلم أقطعْ بهم إلا .. بنانى !

***

ومن الأبيات التى عناها الجاحظ ـ وهى عندى ذات وحدة موضوعية واضحة ـ قوله : «إن أجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء ، سهل المخارج ، فتعلم بذلك أنه أُفرغ إفْراغاً واحداً ، وسبك سبكاً واحداً»[1] قول قيس بن ساعده الأيادى :

فى الذاهبين الأولين ... من القرون لنا بصائر
لما رأيت موارداً ... للموت ليس لها مصادر
أيقنت أنى لامحاً ... لهَ حيث صار القوم صائر

وقول بشر بن أبى خازم الأسدى معتذراً لأوس بن حارثة ، بعد أن وقع فى الأَسْر ، وأراد أوس أن يقتله لهجائه إياه بقوله :

وما أوس ـ ولو سوَّدتموه ... بِمَخشىّ الغُرام ولا أريب
أتوعدنى بقومك يا ابن سُعدى ... وذلك من ملمات الخطوب

ولم يجد بشر مفراً من ( إصلاح غلطته ) سوى أن يقول مادحا ومعتذراً لأوس الذى عفا عنه بعد ذلك :

وإنى لراج منك ياأوس نعمة ... وإنى لأخرى منك يا أوس راهب
فهل ينفعنّى اليوم أن قلت إننى ... سأشكر إن أنعمت والشكر واجب
وإنى قد أهجرتُ بالقول ظالما ... وإنى منه يا ابن سعدى لتائب
وإنى إلى أوس ليقبل عُذْرَتى ... ويعفو عنى ما حييت لراغب
فهب لى حياتى ، فالحياة لقائم ... بشكرك فيها خيرُ ما أنت واهب
فقل كالذى قال ابن يعقوب يوسف ... لإخوته ، والحكم فى ذاك راسب
فإنى سأمحو بالذى أنا قائل ... به صادقاً ما قلت إذْ أنا كاذب

(الحديث موصول)

---

(١) العمدة لابن رشيق ١/١٧١

# الالتزام النحوي والجرس الموسيقي للشعر

للدكتور/عبد الرءوف محمد عثمان

الشعر ديوان العرب ، فيه تظهر أمجادهم ، وبه يتفاخرون ويتنافرون ، والشعر مستحسن مندوب شرعاً إذا أدى غرضاً شريفاً لقوله عليه الصلاة والسلام «إن من البيان لسحراً ، وإن من الشعر لحكمة» (فتح البارى ٢٣٧/١٠) ولما روى من أن النبى ـ ﷺ ـ كان يستنشد الصحابة أشعارهم ليلقوها أمامه فى المسجد وكان يقول لحسّان ـ فى شأن قريش «اهجهم وروح القدس معك ، فوالله لهجاؤك عليهم أشد من وقع الحُسام فى غبش الظلام»[١] (مجمع الزوائد ٣٧٧/٩) أما قوله ـ ﷺ ـ : «لأن يمتلىء بطن أحدكم قيحاً حتى يَرِيَه[٢] خير من أن يمتلىء شعراً» (صحيح مسلم كتاب الشعر حديث ٢٢٥٧) فمحمول على مافيه ذم أو فحش أو إفساد أو كفر[٣] .

وبعدُ : فشعرٌ هذا شأنه مكانة وقدراً وشرفاً يجعل الشاعر فى حرج وحيرة بين المواءمة والتوفيق بين إشباع عاطفته وإرضاء النحاة . فماذا يفعل أمام هذا الأسْر لقيود الشعر والالتزام بقواعد النحو ، والمحافظة على الجرس الموسيقى ذلك الصوت الخفى الذى يسرى فى أعماق النفس والذى يصطدم أحياناً بقواعد النحو بمعناه العام ؟ لذا فإننا نراه يجعل شعره فى نهجين :

النهج الأول :

شعر المواءمة : وهو الذى يتمشى وقواعد العربية أو الذى يجد له فيها مندوحة .

والنهج الثانى :

شعر المساءلة : وهو الذى يسلك فيه المسلك الصعب والمضطر يركب الصعب ـ كما يقولون ـ ولنر هذين النوعين .

---

(١) شرح متن الكافى فى علمى العروض والقوافى للدمنهورى .

(٢) فى الصحاح : ورى القيح جوفه : إذا فسد .

(٣) انظر المجموعة الواقعة بعلمى العروض والقافية للدكتور عبد السلام سرحان .

أولًا : شعر المواءمة ـ من ذلك :

١ ـ أبيت أبكى وتبيتى تدلكى        شعرك بالعنبر والمسك الزكى

فقد حذفت النون من الفعلين فى الشطر الأول ـ وهما من الأمثلة الخمسة ـ لغير ناصب أو جازم وذلك للخفة حيث أن فى الأمثلة الخمسة طولا غير مألوف فى الفعل والفعل ثقيل فى نفسه فلا أقل من أن نخفف من ثقله بحذف النون ، ولذلك نظير من قوله عليه الصلاة والسلام « لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا ... »[4] وقوله ـ أيضاً ـ: « كما تكونوا يولى عليكم »[5] .

٢ ـ أَبَنِى كُلَيْبٍ إنَّ عَمَّىَّ اللذا        قَتَلا الملُوك وَفَكَّكا الأغلالا[6]

وقوله من مشطور الرجز : ( هما اللَّتا لو ولدتْ تميم )

لقيل فخرٌ لهم صميم

أراد ( اللتان ) فحذف النون وهو مرفوع على الخبرية للمبتدأ ( هما ) وصميم بمعنى خالص و (اللذا) خبر إن ، وإنما استجار بَلْحرث بن كعب أجمعون .

(قال اللقانى أصله بنو الحرث ، فرخم فى غير النداء بحذف النون والواو) ذكره صاحب التصريح بمضمون التوضيح ١ : ١٣٢

وبعض بنى ربيعة حذف النون من ( اللذان ) و ( اللتان ) ؛ لأن الموصول لما طال بالصلة أرادوا تقصيره لكون الصلة والموصول كالشىء الواحد .

و (اللتا) خبر المبتدأ الذى هو الضمير المنفصل ( هما ) وقد حذفت منه النون على لغة هاتين القبلتين كذلك .

٣ ـ حَطَمْتُ اليراع فلا تعجبى        وعِفْتُ البَيَانَ فَلَا تَعْتبى

فلكى يستقيم وزن البيت ولا يكون منفرا للسمع يجب اختيار الحرف الذى لا ينبغى تشديده فى النطق ، فالوزن السليم ذو الجرس الموسيقى يقضى بألا تشدد الطاء فى الفعل ( حطمت ) ولو شددت لانكسر البيت مع أن اللغة تجيز الصورتين .

٤ ـ وعلى عكس ما سبق أحياناً يقتضى وزن البيت أن ننطق بالحرف مشدداً وإذا نطقنا به غير مشدد انكسر البيت مع أنه يجوز ترك تشديده كما أسلفنا وذلك مثل :

يشرب الكأس ذو الحجا ويبقَّى        لغـدٍ فى قرارة الكأس شيَّا

لم يكن لى غدٌ فأفرغت كأسى        ثم حطَّمتها على شفتيَّا

---

(٤) صحيح مسلم ك١/ باب٢٢ الحديث ٩٣ .

(٥) المجزى من نحو العربية لكاتب المقال ، والحديث فى الجامع الكبير للسيوطى حـ١ صـ٦٢٩ .

(٦) وهناك رواية أخرى : يا ابن المراغة ان عمّى اللذا ، والبيت الأول وحده ، وما بعده على قول للأخطل التغلبى ، والبيت الأول فى هجاء جرير وهو من الكامل .

فكلمة ( يبقى ) فى البيت الأول يمكن قراءتها بسكون الباء وكسر القاف ويمكن قراءتها كذلك بفتح الباء وتشديد القاف مع كسرها ، ولكن الوزن الشعرى يحتم قراءتها بالتشديد ، وكذلك عبارة ( حطمتها ) فى البيت الثانى يمكن قراءتها مفتوحة الطاء بدون تشديد ، ويمكن قراءتها مفتوحة الطاء مع التشديد وهذا ما يتطلبه وزن البيت[٧] .

٥ ــ الضمائر ( أنتم ، كم ، هم )[٨]ساكنة الميم ولكن الجرس الموسيقى والوزن الشعرى يستدعيان ــ أحياناً ــ ضم الميم ومدها بإشباع مثل :

**فأقسم أن لو التقينـــــا وأنتم لكان لكـم يوم من الشر مظلـــم**

وقول بعضهم :

**شكرت جميـل صنعكـم بدمعـــى ودمـع الـعين مقيـاس الشعـــور**

وقول آخر :

**وإخــــوان تخذتهم دروعـــــاً فكانوهـــا ولكـــن للأعـــادى**

**وخـــلتهم سهامـــا صائبـــات فكانوهـــا ولكـــن فى فؤادى**

وأخيراً قول بعضهم :

**هُمُ أهلـــة غسان ومجدهـــمُ عالٍ فإن حاولوا ملكاً فلا عجبـــاً**

٦ ــ ياء المتكلم يجوز نحوياً النطق بها ساكنة أو مفتوحة ، ولكن الوزن الشعرى يرشدنا ، بل ويحتم علينا أحياناً نطقها بإحدى الصورتين ولو نطقت بصورة أخرى لانكسر البيت وذلك مثل :

**إنى لتطربنـــــى الخلال كريمة طرب الغـريب بأوبــة وتـــلاق**

فالياء فى كلمتى (إنى لتطربنى) يجب النطق بها ساكنة ، ولو حركت بالفتح لانكسر البيت ، أما الياء فى البيت الآتى :

**ومــــالى إلا آل أحمد شيعـــــة ومـــالى إلا مذهب الحق مذهب**

فيجب فتحها فى كلا الشطرين ، ولو نطق بها ساكنة لانكسر البيت[٩] .

٧ ــ الضمير ( هو ) مضموم الهاء والضمير ( هى ) مكسور الهاء ولكن الوزن الشعرى قد يحتم تسكين الهاء فيهما ، ولو حركت لانكسر البيت فمن الأول قول الشاعر :

**أمـن سرق الخليفـة وَهْـوَ حىٌ يعـــف عن الملـــوك مكفينـــا**

وقول الآخر :

**فالـــدرّ وَهْـوَ أجـلّ شىء يقتنـــى ماحـــط قيمتـــه هوان الغـــائص**

---

(٧) صفوة العروض للأستاذ عبد العليم إبراهيم .

(٨) الضمير الأول منفصل والثالث يصلح للاتصال والانفصال كما فى البيت الأخير ، أما الثانى فهو متصل حتى لا يظن به أنه ( كم ) خبرية أو استفهامية والبيت الثانى يوضح ذلك والاشباع هنا دون توليد حرف فهو يختلف عن الاشباع فى شعر المساجلة .

(٩) المرجع السابق .

ومن الثانى :

**مررت على المروءة وَهْـيَ تبكــى  فقــلت علام تنتــحب الفتــاة**

٨ ـ همزة القطع يلزم صرفيا النطق بها لكن استقامة الوزن الشعرى تستدعى أحياناً إسقاطها من النطق مثل :

**ولــو ان الحيــاة تبقــى لحى  لعددنــا أضلنــا الشجعانــا**

وقول الآخر وقد وصل همزة ( أُمّ ) :

**ومن يصنع المعروف فى غير أهله  يلاق الــذى لاق مجير ام عامــر**

٩ ـ من الأسماء ما هو ممنوع من الصرف ، ولكن الوزن الشعرى والجرس الموسيقى يحتمان علينا أحياناً الخروج عن القاعدة النحوية بصرف غير المنصرف وذلك مثل :

**ولهم أحابيــلٌ إذا ألقــوا بها  قنصوا النهى فأسيرهــم مخبــول**

فقد صرف أحابيل وهى من الجمع الأقصى :

وقول الآخر :

**فى أرض أنــدلس تلتــذ نعمــاء  ولايفــارق فيها القــلب سراء**

فصرف كلمة ( أندلس ) وهى كلمة دخيلة .

١٠ ـ كلمة (لكن) تصلح أن تكون من أخوات (إنَّ) وأن تكون عاطفة ، ولكن الجرس الموسيقى هو الذى يرشد القارىء إلى النطق السليم فمن النوع الأول قول الشاعر :

**وما كنت ممن يدخل العشق قلبــه  ولكــنَّ من يبصر جفــونك يعشق**

ومن الثانى :

**لقد كان حلماً أن نرى الشرق وحدة  ولكــنْ من الأحــلام مايتوقــع**

١١ ـ والوزن الشعرى هو الذى يعيّن نوع نوع نون التوكيد ثقيلة أو خفيفة أو فمثال الثقيلة :

**لا تمدحــنَّ امــرأ حتــى تجرِّبه  ولا تذمنّــــــه من غير تجريب**

ومثال الخفيفة :

**لا يبعــدن قومــى الذيــن همو  سم العــداة وآفــة الجزر[١٠]**

١٢ ـ بعض الكلمات تجيز اللغة ضبطها بصورتين كلفظ ( الكذب ) بفتح الكاف وكسر الذال ، ويجوز كسر الكاف وسكون الذال ، والوزن الشعرى هو الدليل إلى النطق السليم وذلك مثل :

**ودونكــم مثــلا أوشكت أضربــه  فيكم وفى مصر إن صدقا وإن كَذِبا**

---

(١٠) الجزر بضم الجيم والزاى جمع جزور ، وفى البيت إشباع مُسْاءَل الميم لفظ هم إذاً فالبيت قد جمع بين شعرى المواءمة والمساءلة لتولد الواو بعد الميم .

ومن الثانى قول حافظ ابراهيم فى وصف بعض الصحف :

**يحلـــو بها الكِـــذْبُ لأربـــابها      كأنها أول ( إبريـــــــــل )**

**ثانياً شعر المساءلة : من ذلك :**

١ ـ إذا كان صرف الممنوع من الصرف مقبولا عندهم ويعدونه من شعر الملاءمة ؛ فإن منع المنصرف من الصرف غير مقبول ويعدونه من شعر المساءلة وذلك كقول مقرى الوحش فى زهريته :

**الروض جامـع والأزاهـــر بسطـــة      وقـــادل الأتـــرج لاحت فى الغـــد**

فمنع لفظ ( جامع ) من الصرف .

٢ ـ وإذا كان إبدال همزة القطع وصلا مقبولا عندهم وعددناه من شعر الملاءمة فإن العكس غير مقبول ويعدونه كذلك من شعر المساءلة كقول أبى العتاهية وقد قطع همزة فعل الأمر من ( بنى ) فقال ( إبن ) وهمزة ( ابن ) وصل كما هو معروف يقول :

**أيها البـــانى لهدم الليـــــالى      إبـــن ماشئت ستلقـــى خرابـــا**[11]

وكقول أنس بن عباس السلمى :

**لا نسب اليـــوم ولا خلـــه      إتسع الخرق على الراقــــــع**

فقطع ألف الوصل فى (اتسع) وأكثر ما يكون ذلك فى النصف الثانى من البيت كما رأينا .

٣ ـ تخفيف المشدد : وقد كثر وقوعه فى القوافى المقيدة المختومة بحرف صحيح ساكن ولا مسوغ فى غيره كقول محمد بن البشير وقد خفف تشديد الفاء فى ( تجف ) :

**لى بستـــان أنيـــق زاهـــر      غدق تربتـــــه ليست تجِف**

وكقول طرفة بن العبد :

**أصحوت اليوم أم شاقتك هنـــد      ومـــن الحب جنـــون مستعـــز**[12]

بتخفيف الراء من ( مستعرّ ) ـ ومن ذلك تخفيف الهمزة من لفظ ( البارىء ) من قول أمية ابن إبى الصلت :

**هو الله بارى الخلق ، والخلق كلهم      إمـــاء له طوعـــاً جميعـــاً وأعبـــد**

وعكس ما سبق من تثقيل المخفف كقول الشاعر وقد شدّد الميم فى ( دمّ ) .

**أهـــان دمّك فِرغـــاً بعـــد عزتـــه      ياعمرو نعـــيك إصراراً على الحسد**

٤ ـ تسكين المتحرك وتحريك الساكن فمن الأول قول أبى العلاء المعرى وقد أسكن الجيم فى ( رجل ) من الشطر الثانى من قوله :

**وقد يقال عثار الرجْل إلى عثرت      ولا يقال : عثار الرَجْل إن عثرا**

---

(١١) ميزان الذهب للسيد أحمد الهاشمى .

(١٢) نسب البيت خطأ لامرىء القيس انظر ديوان طرفة صد٤٥ .

وكتنوين العلم المنادى كقول الشاعر وقد نون لفظ ( مطر ) فى الشطر الأول فقال :

**سلام الله يامطـــــــــرٌ عليها[١٣]     وليس عليك يا مطــرُ السلام**

ومن الثانى : تحريك الحرف الساكن اتباعا لما قبله كقول زهير بن أبى سلمى .

**ثم استمروا وقالوا إن موعدكم     ماء بشرق سلمى فيد أو رِكِك**

وإنما هو رِكّ فلما حرك الكاف الأولى بحركة الراء فكّ إدغام الكاف ومنه تحريك الهاء من الزهر فى قول الشاعر :

**تبقى صنائعهم فى الأرض بعدهم     والغيث إن سار أبقى بعده الزهَرا**

وكقول ابن الجوزى وقد حرك لام ( حلم ) فى قوله :

**تبًّا لطالب دنيا لا بقاء لها     كأنما هى فى تصريفها حُلُم[١٤]**

وكذلك كسر آخر الكلمة إن كان ساكناً كقول عنترة وقد كسر ميم فعل الأمر من ( أقدم ) .

**ولقد شفى نفسى وأبرأ سقمها     قيل الفوارس : ويك عنتر أقدِمِ**

٥ ـ اجتماع التجويزين من قصر الممدود ومد المقصور كقول أبى تمام فى محمد بن خالد

**ورث النوى وحوى النهى وبنى العلا     وجلا الدُّجَى ورمى الفضا بهداء**

فقد قصر ( الفضاء ) ومدَّ ( الهدى ) .

٦ ـ إشباع الحركة حتى يتولد منها حرف مدٍّ كقول امرىء القيس وقد أشبع الكسرة فتولدت ياء فى ( انجل ) :

**ألا أيها الليل الطويل ألا (انجلى)     بصبح وما الإصباح منك بأمثل**

وكقول الخوارزمى وقد أشبع فتحة ميم ( أقام ) فتولدت الألف :

**فما أنت إلا البدر إن قلَّ ضوؤه     أغبَّ وإن زاد الضياء أقاما**

ويكثر الإشباع فى الضمائر المتصلة كقول الشاعر وقد أشبع الكاف فى ( أخاك ) فصيرها ( أخاكا ) وفى ( له ) فصيَّرها ( لهو ) :

**أخاكا أخاكا إن من لا أخاً لهُو     كساع إلى الهيجا بغير سلاح**

٧ ـ تغيير الإعراب عن وجهه[١٥] فمن ذلك قول الشاعر[١٦] .

**سأترك منزلى لبنى تميم     وألحق بالحجاز فأستريحا**

والوجه فى الفعل الرفع لأن فاء السببية لاتنصب إلا بعد نفى أو طلب ومن ذلك قول الراجز :

---

(١٣) هذا باعتبار أن التنوين نون ساكنة لحقت الراء المتحركة بالضم فى ( مطر ) .

(١٤) الحلم بتسكين اللام غير الحلم بضمها ومنه قوله تعالى من سورة النور ﴿**وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا**﴾ ..

(١٥) النكت فى تفسير كتاب سيبويه لأبى الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى المعروف بالأعلم الشنتمرى .

(١٦) هو المغيرة بن حبناء التميمى .

**قد سالم الحيـات منـه القدمـا**
**الأفعوان والشجـاع الشجعمـا**

وكان الوجه الأفعوان والشجاع الشجعم ( بالرفع فى الجميع ) غير أن قوله : قد سالم الحيات منه القدم ، يوجب أن القدم قد سالمت الحيات لأن المسالمة من اثنين ، فلما ذكر مسالمة الحيات القدم دلَّ على أن القدم قد سالمت الحيات أيضاً فكأنه قال : وسالمت القدم الأفعوان والشجاع الشجعما فحذف لما تقتضيه المفاعلة .

ومن ذلك أيضاً قول عبد العزيز الكلابى :

**وجدنـــا الصالحين ـ لهم ـ جزاء  وجنـات وعينـا سلسبيـــلا**[17]

فنصب جنات وما بعدها وكان الوجه الرفع عطفا على جزاء غير أنه لما قال وجدنا الصالحين لهم جزاء دلَّ على أنه قد وجد الجزاء لهم فأضمر ( وجدنا ) فى الشطر الثانى ونصب به جنات وما بعدها .

٨ ـ تأنيث المذكر وتذكير المؤنث كقول عمر بن أبى ربيعة[18] :

**فكان مجنِّـى دون من كنت أتقـى  ثلاث شخوص كاعبـان ومـعصر**

فحذف الهاء من ثلاثة مع أن واحد الشخوص مذكر ولكنه ذهب به مذهب النسوة لأنهن كنَّ ثلاث نسوة .

وقال الشاعر[19] فى تذكير ما ينبغى تأنيثه :

**فلا مزنـــة ودقت ودقهـــا  ولا أرض أبقـــل إبقـــالها**

أراد ولا أرض أبقلت ولكنه تأول الأرض بالمكان فذكَّر لذلك[20] .

٩ ـ قد يحذف الشاعر مالا يجوز حذفه فى الكلام العادى قصدَ تقويم الشعر ، من ذلك تخفيف المشدد وتسكينه مع حذف حرف بعده كما فى معلّى وجعلها معلْ ومعنًّى وجعلها معنْ ، قال الأعشى ميمون بن قيس :

**لعمـــرك ما طول هذا الزمـــن  على المرء إلا عنـــاء معـــنْ**

ومن الحذف ترخيم القوافى كقول ابن الأحمر :

**أبـــو حنش يؤرقنـــا وطلـــق  وعبـــاد وآونـــة أثـــالا**

ذكر سيبويه أن أثال معطوف على قوله ( أبو حنش وطلق ... ألخ ) فحذف الهاء وبقَّى اللام على فتحها والأصل أثالة .

---

(١٧) ذكر فى المقتضب ٢٨٤/٣ بلا عزو .

(١٨) ديوانه صـ٦٦ .

(١٩) هو عامر بن جوين الطائى .

(٢٠) انظر النكت فى تفسير كتاب سيبويه السابق ذكره .

ومن ترخيم القواف[21] قول العجاج :

**قواطنا مكة من ورق الحما**

يريد الحمام فرخمها ، (وأمد القواطن قاطنة وهي الساكنة ، وواحد الورق ورقاء وهي التي في لون الرماد الضارب للخضرة ) .

ومن الحذف حذف النون الساكنة من ( مِنْ ، وعَنْ ، ولكن ) لالتقاء الساكنين كقول النجاشي :

**فلست بآتيه ولاأستطيعه ولاك اسقني إن كان ماؤك ذا فضل**

ذكره سيبويه ومن الحذف حذف الياء من المعتل في حال الإضافة كقول خفاف بن ندبة :

**كنواح ريش حمامة نجدية**

١٠ ـ قد يزيد الشاعر مالا يجوز زيادته في الكلام العادي لتقويم شعره من ذلك زيادة نون مشددة آخر الاسم كقولهم في القطن قطنّ وهذا من أقبح الضرورات الشعرية كقول الراجز[22] :

**كأن مجرى دمعها قطنة من أجود القطنّن**

ويروى القطنّ بتشديد النون .

ومن الزيادة إظهار المدغم كقولك في رادّ رادد لأنه اسم فاعل وكما قال قعنب بن أم صاحب :

**مهلا أعازل قد جربت من خلقي انى أجود لأقوام وإن ضننوا**

والمستعمل ( ضنّوا ) بالإدغام .

ومن الزيادة تحريك المعتل كقول ابن قيس الرقيات :

**لابارك الله في الغواني هل يصبحن إلا لهن مطلب**

فحرك الياء في الغواني .

ومن الزيادة زيادتهم الألف في ( أنا ) إذا وقفوا عليه فإذا وصلوا حذفوا الألف ، فإذا اضطر الشاعر أثبتها في الوصل كما قال حميد بن حريث بن مجدل :

**أنا سيف العشيرة فاعرفوني حميد قد تذريت السناما**

١١ ـ زوال اختصاص الاسم بأن تدخل ( أل ) وهي من خصائص الاسم على الفعل كما في قول الفرزدق في هجاء رجل من بني عذرة :

**ما أنت بالحكم الترضى حكومته ولا الأصيل ولاذى الرأى والجدل**

وقول بعضهم :

**يقول الخنى ، وأبغض العجم ناطقا إلى ربنا صوت الحمار اليجدع**

---

(٢١) هناك ترخيمان آخران غير هذا وهما ترخيم النداء ، وترخيم التصغير ، إذاً فالترخيم ثلاثة أنواع .

(٢٢) هو قارب بن سالم المرى وقيل : دهلب بن قريع .

وذهب البصريون إلى أنه لا يجوز فى غير ضرورة الشعر حتى قال الشيخ عبد القاهر الجرجانى إنه من أقبح ضرورات الشعر .

١٢ ــ زوال اختصاص الفعل بأن تدخل نون التوكيد على الاسم وهى من خصائص الفعل كقول رؤية بن العجَّاج :

أريت إن جاءت به أملــــودا      مرجـــلا ويلـــبس البرودا
ولا ترى له معـــــــدودا      أقائلـــنّ احضروا الشهـــودا[٢٣]

وقوله أيضاً :

يالـيت شعـرى عنكـم حنيفـا      أشاهـــرنّ بعدنـــا السيوفـــا

وكثير من العلماء ينكرون هذه الرواية فى الشاهدين ويقولون لم لا تكون الرواية ( أقاتلون ) و ( أشاهرون ) وأنا شخصياً أميل إلى هذه الرّواية الأخيرة وهكذا يكون الجرس الموسيقى للشعر هو المسير الذى يوصلنا إلى النطق السليم لبنات القريض نحوياً وصرفياً ولغوياً مع التسامح أحياناً ــ رجوعاً إلى القاعدة الشرعية ( المشقة تجلب التيسير ) ــ وذلك مراعاة للوزن الشعرى وموسيقاه .

وبعدُ فهذه أمثلة ونماذج لشعر المواءمة وشعر المساءلة فى مواجهة الالتزام النحوى وهى بالطبع لا تمثل الشعر العربى كله أو جلّه فى هذا المجال وإنما هى عجالة لهفان ، وبُلالة صاد ، وعلالة مشوق . والله المستعان .

## ثبت بأهم المصادر والمراجع


١ ــ القرآن الكريم .
٢ ــ شرح متن الكافى فى علمى العروض والقوافى للدمنهورى .
٣ ــ المجموعة الوافية بعلمى العروض والقوافى للدكتور عبد السلام سرحان .
٤ ــ صفوة العروض للأستاذ عبد العليم ابراهيم .
٥ ــ ميزان الذهب للسيد أحمد الهاشمى .
٦ ــ النكت فى تفسير كتاب سيبويه للأعلم الشنتمرى .
٧ ــ المقتضب الجزء الثالث .
٨ ــ الكتاب لسيبويه إمام النحاة .
٩ ــ الوافى فى العروض والقوافى صنعة الخطيب التبريزى .
١٠ ــ ديوان طرفه بن العبد .
١١ ــ ديوان عمر بن أبى ربيعة .
١٢ ــ المعجم الوسيط توزيع مكتبة الحرمين بالرياض .
١٣ ــ فن التقطيع الشعرى للدكتور صفاء خلوصى .
١٤ ــ المجزى من نحو العربية للدكتور عبد الرءوف عثمان .


---

(٢٣) أملود بضم الهمزة هو الناعم ، مرجّلا : اسم مفعول من رجّل وأصله مرجلا شعره . البرود جمع برد نوع من الثياب ، الشاعر يستنكر أن تكون هذه المرأة قد حملت منه ، فأنشأت تقول له هذه الأبيات ، وهى من مشطور الرجز .

# نافذة على اللغة العربية في نيجيريا

للأستاذ/ صابر ثعلب

**لا أريد أن أدخل فى دراسة متعمقة مما يدخل فى فقه اللغة ولكن أعرض صورة موجزة لمظاهر اللغة العربية النيجيرية ـ إن صح هذا التعبير ـ وهى ملاحظات التقطتها خلال فترة إقامتى للتدريس ونشر الثقافة الإسلامية بها .**

أولا ـ فى الخط :

تستعمل المدارس القرآنية الرسم المغربى فى الكتابة إلا أن مدارس وزارة التعليم تستعمل الخط الحديث فى الكتابة ، وبدأ الرسم الحديث يتسرب إلى بعض المدارس القرآنية .

ثانيا ـ فى النطق :

هناك ثمانية حروف لا توجد فى لغة «الهوسا» و«اليوربا» وهما اللغتان الأكثر انتشارا هناك وهذه الحروف هى : الثاء والحاء والخاء والذال والصاد والضاد والظاء والعين . ولصعوبة هذه الحروف عندهم يخطىء كثير منهم عند نطقها لعدم التعود عليها مثل الذال ، وكثيرا ما يترتب على الخطأ فى النطق الخطأ فى الإملاء أيضا .

ثالثا ـ فى التركيب واستعمال اللغة :

لاحظت أن قواعد اللغات المحلية تؤثر على متعلم اللغة العربية ، وأن سبب بعض الأخطاء

الشائعة فى اللغة العربية فى النطق النيجيرى يرجع إلى تأثر من يتعلمها بلغته المحلية . وعدم محاولته التخلص من تطبيق قواعد لغته النحوية والصرفية على اللغة العربية .

فمثلا فى (لغة الهوسا) يسبق الفاعل الفعل ، وهى قاعدة ثابتة لا يمكن مخالفتها ؛ ولذا تجد أن معظم الجمل عند من يتعلم العربية هى جمل اسمية ؛ لأنها أقرب إلى لغته المحلية .

وكذا إذا كان الفاعل اسما ظاهرا أتبعه بضمير مطابق له قبل الفعل ، فمثلًا ـ يقول ـ فى لغته : « محمد ياتفى » يقول بالعربية : محمد هو ذهب ، وهو كما ترى خطأ فى العربية .

وظاهرة أخرى تتعلق باستعمال الفعل المضارع ، فهو فى لغتهم يستعمل للدلالة على الماضى والحال والاستقبال ويميزون زمن الفعل بزيادة ظرف زمانى يدل عليه ، أو وجود قرينة فى الجملة تدل عليه .

مثل : نِى رُبُوتوجِيًا = كنت أكتب بالأمس

نِى ربوتُويتنزُ = أكتب الآن

نِى رُبُوتُو جُوبِى = سأكتبُ غدًا .

وهذا جعل البعض يخطىء عند استعمال الأفعال .

وتقع ـ أيضا ـ أخطاء عند استعمال حروف الجر كأن تستعمل فى غير محلها ، أو يستبدل حرف بآخر ، ومن الأخطاء الشائعة أيضا إدخال « ال » التى للتعريف على ( المعارف ) فتجد من يقول لك : كيف الأنت ؟

إن بعض هذه اللحون وجد بين بعض المسلمين من غير العرب عند انتشار الإسلام ودخول أقوام جدد فيه ، وهى من الظواهر اللغوية التى عدت من اللحن ومن أمثلتها ما ذكره ـ بكثرة ـ الجاحظ فى البيان والتبيين .

وقد يكون من المفيد مراعاة أن :

أولا : من أهم العقبات التى تواجه تعليم اللغة العربية فى نيجيريا حاليا عدم وجود وسائل سمعية وبصرية حديثة وكافية لتدريس هذه اللغة مثل : الكتب والصور والشرائط والأفلام وغيرها .

والموجود منها غير مناسب ؛ لأن أكثرها أُلّف لتعليم الطلبة العرب ، فتراها تتكلم فى الغالب عن بيئة لا يفهمها الطالب النيجيرى . وهناك محاولات لوضع كتب تناسب التلاميذ هناك إلا أنها ليست موضوعة على أسس علمية تربوية حديثة .

فالواجب إذن هو أن ينهض عدد من المتخصصين النيجيريين والعرب الذين يقومون بالتدريس بتأليف كتب مناسبة موضوعة على أسس تربوية سليمة .

ثانيا : على الدول العربية كلها دور مهم يجب أن تقوم به ازاء تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها . وأهمية اللغة العربية ـ بصفتها لغة دين للملايين من المسلمين وبصفتها لغة معترفا بها فى كل المنظمات الدولية العالمية ـ يقتضى اتخاذ خطوة ايجابية لنشرها فى العالم بوصفها لغة ثانية على نفس الطريقة التى تنشر بها اللغات الأوربية فى العصر الحاضر ويمكن تحقيق هذه الغاية بوسيلتين :

الأولى : أن تفتح الدول العربية أقساما خاصة فى جامعاتها لتقوم بدراسة وتدريس وبحث مشكلات تعليم اللغة العربية كلغة ثانية ، ثم تقوم بوضع أسس وأساليب حديثة من شأنها تذليل الصعوبات وتسهيل طرق تعليم هذه اللغة وتقوم الجامعات بتنظيم مؤتمرات علمية للنظر فى أحدث البحوث لتعليم هذه اللغة فى مختلف المراحل .

الثانية : إنشاء أكثر من مركز على غرار المركز الذى أنشأته جامعة الدول العربية بالخرطوم لإعداد مدرسى اللغة العربية لغير العرب ، والقيام بدراسات لغوية ، وبحوث علمية فى هذا المجال . كما يوضع على عاتقها تنظيم المؤتمرات العلمية وتقديم المساعدات الفنية لمعلمى العربية لغير الناطقين بها .

ثالثا : هناك دور مهم يجب أن يقوم به الكتاب العرب فى مجال الثقافة العربية العامة وهذا الدور هو وضع كتب خاصة للقراء غير العرب وغير المتخصصين فى اللغة العربية .

بعبارة أخرى : أين الرواية أو الكتاب العربى البسيط فى لغته والعالى فى أفكاره الذى يقرؤه غير العربى للمتعة الأدبية الرفيعة ..؟ والأمر يحتاج من بعض الكتاب أن يقوم بإعادة كتابة بعض القصص والروايات فى لغة بسيطة مختارة يفهمها القارىء دون مشقة . ولقد قام الإنجليز بإعادة كتابة كثير من كتبهم الأدبية إلى لغة بسيطة يفهمها غير المتخصص تسمى السلسلة المبسطة Simplified Series وهى مكتوبة بألفاظ مختارة فى حدود فهم المتعلم . لاشك أن مثل هذه السلسلة سيكون لها رواج كبير فى البلاد غير العربية التى تتعلم هذه اللغة .

فإذا قامت البلاد العربية بهذه الأدوار المهمة فلاشك أن اللغة العربية ستزدهر ازدهاراً كبيراً وتنتشر انتشاراً واسعاً لا فى نيجيريا فحسب ، ولكن فى البلاد الأفريقية والإسلامية كلها ؛ بل وفى العالم أجمع .

رابعا : ينبغى الاهتمام بمستوى معلمى العربية ، وبخاصة النيجيريون ، ليتمكنوا من أداء الدور الملقى على عاتقهم ، والذى ينتظر المجتمع منهم النجاح فيه .

خامسا : كذلك فإن حاجة بعض المعلمين إلى دورات تدريبية أكثر من ضرورية مع لفت النظر إلى أهمية التنسيق مع واضعى المناهج هناك وتقديم يد العون لهم . أما بالنسبة للكتاب ، فمصادر الكتاب العربى مختلفة : بعضها مصرى وبعضها ليبى وبعضها سعودى ، وقد يكون هذا مفيدا لو أن التنوع كان فى المراجع العربية وليس فى الكتاب المدرسى الذى يكون له هدف محدد ووظيفة يخدمها .

سادسا : مد جسور دائمة مع التعاون مع هذه البلاد التى ترحب بكل من يريد عونها وحتى لا تترك الساحة لغيرها فالغرب نشط على الطريق بفاعلية وتنظيم .

والله أسأل أن يهدينا إلى الطريق المستقيم فهو المرشد والهادى إلى سواء السبيل . هذا وبالله التوفيق .

# بين المجلة والقارئ

إعداد وتقديم د/ محمد عبد الحكيم محمد

## وثائق هندوسية سرية لمحاربة المسلمين

**يكاد كل صباح يشرق على المسلمين بمأساة جديدة ، حتى استقر فى وجداننا أن أعداءنا قد بيتوا النية على طمس هوية الإسلام وتصفية وجوده من الأرض ؛ فبمتابعة أحوال المسلمين فى العالم وأحوال الأقليات على وجه الخصوص ومايتعرضون له من ألوان الظلم والأذى يتأكد إيماناً بقوله تعالى :**

**﴿ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا﴾ .**

( الآية ٢١٧ البقرة )

تلقت المجلة تقريراً مترجماً عن اللغة الهندية من القارىء/ محمد حسانين ـ المترجم بالرياض فى المملكة العربية السعودية ـ لما وقع تحت يده من الوثائق الهندوسية الجديدة ، الصادرة عن منظمة ( آر . إس . إس الإرهابية ) التى تحث فيها أتباعها على استخدام الأساليب المتطورة فى محاربة المسلمين ، وقد أرفق الكاتب مع ترجمته صورة ضوئية من هذه الوثائق بلغتها الهندية ، غير أن ضيق المساحة يجعلنا نكتفى بنشر الترجمة العربية التى تعكس الحقد الأسود على الإسلام والمسلمين .

« **صعوبة الترجمة** : بدت الترجمة شبه مستحيلة مع وجود كلمات كثيرة « هندية » مثل كلمة **Mlechchas** ومعناها النجسون ،

ويقصدون بها المسلمين ، وكلمة **Hindutva** معناها إثارة النزعة أو العواطف الدينية ، وقد حرصت على معرفة معانى بعض الكلمات من شخص يعرف «الهندية» والتزمت فيها الدقة الكاملة – قدر الاستطاعة – ، وهى موجهة إلى القادة المحليين وهذا نصها :

تقع على عاتقكم بعض الواجبات الإضافية فى الظروف الحالية المتغيرة ... انقلوا التعليمات التالية للمتطوعين ، والوطنيين ، وأبلغوا القيادة بصدى هذه التعليمات ... وردود الفعل عليها ، مع مواصلة الاجتماعات واللقاءات ..

١ – شراء الأسلحة والمتفجرات ، وتوزيعها على الوطنيين .

٢ – استمالة «المنبوذين» لمحاربة المسلمين .

٣ – استغلال الأحداث المحلية .. بالتلفيق والتحريف .. لإثارة العواطف الدينية بين الهندوس .

٤ – الدعوة إلى إثارة العواطف الدينية (**Hindutva**) بين أوساط الأطباء والصيادلة ، ونطق كلمة «أوم» (**Oom**) ولفظة «جاى شرى رام» ( كلمة تمجيد لإلاههم ) فى آذان الأطفال حديثى الولادة من المسلمين ، والتخلص من الأدوية منتهية الصلاحية ببيعها للمسلمين وحقن أطفال المسلمين .. عند الولادة .. بحقن تسبب لهم إعاقات .

٥ – نشر «الهندكة» بين المهنيين والموظفين ، والتعامل مع غير الهندوس والطبقة المنبوذة على أساس من الإخلاص للعقيدة الهندوسية .

٦ – مقاطعة حلقات «الإنجيل» وجميع البرامج ضد الهندوسية أو البرامج العلمانية .

٧ – مساعدة الضباط بإغرائهم على زيادة دخلهم عن طريق ممارسة الأنشطة غير الشرعية بين المسلمين مثل الخمور ، والمخدرات والقمار والميسر ، وفى مناطق المنبوذين أيضاً وتوريط نساء المسلمين والمنبوذين فى تجارة الرقيق وتجارة الأعراض .

٨ – إعاقة النمو الجسدى والعقلى لأطفال المسلمين الذين يذهبون للمدرسة بالمأكولات الضارة عن طريق الباعة والمتطوعين والمدرسين .

٩ – جمع أو «تلفيق» أدلة وجود «تماثيل» حجرية تثبت أن جميع المساجد والكنائس كانت معابد هندوسية أصلا .

١٠ – أن يعمل ( مثيرو الفتن والقلاقل ) بعيداً عن مناطقهم المحلية فى وجود عدد قليل من المشرفين المحليين .

١١ – التدريب على اصطياد الأعداء فى غفلة منهم ، لا رحمة بالأقارب أو الأصدقاء والتخلص من جثثهم حسب التعليمات السابقة .

١٢ – العمل على إثارة القوات المسلحة ضد المسلمين واستعدائهم عليهم والعكس ، وكذلك الإيقاع بين «الهاريجنز» إحدى طوائف المنبوذين وبين المسلمين .

١٣ – دعوة الطلاب والمتطوعين إلى إغواء أصدقائهم المسلمين لتعاطي «الدهاتورة» (نبات مخدر) وأنواع المخدرات الأخرى إضافة لاستثار

جهود هؤلاء المتطوعين فى مجال «الهندكة» .

١٤ ـ حث شباب المتطوعين والطلاب على الزنا بنساء المسلمين ، أينما وجدن ، ومتى سمحت الظروف ، فى الفنادق ، فى المحال ، فى المكاتب ، فى المدارس ، بروح أبطال «سورت» ـ وهى مدينة نالها من أذاهم ما نالها ـ وممارسة الجنس بالصديقات المسلمات ، وبنات الجيران من العائلات المسلمة ، ويفضل مع العذارى والمراهقات دون استخدام واق (Without Condoms) حتى يحدث الحمل ، وإغراء البنات بكشف الأعضاء التناسلية ، ومنحهن الهدايا ، واللمسات والقبلات ، والمسكرات ، وتصويرهن عند ذلك ( عند ممارسة الجنس معهن ) .

١٥ ـ حث التجار والصاغة الهندوس أن يدبروا لاستنزاف نقود غير الهندوس ، وألا يشتروا شيئاً من المسلمين ، بل يأخذوا الأشياء رهناً .

١٦ ـ مراقبة أنشطة السيخ وأسلحتهم أثناء مراقبة أنشطة غير الهندوس ، وإبلاغ المقر الرئيسى لمنظمة R.S.S من أى علاقات تنشأ بينهم وبين المسلمين .

## بأقلام القراء

«يالها من سياسة ظالمة مزدوجة تلك التى ينتهجها «النظام العالمى الجديد» ؛ حيث تكيل بمكيالين ؛ أحدهما للمسلمين وهو المملوء بالعقوبات والجزاءات ، والآخر لإسرائيل والصرب ومن والاهم ، وهو المشفوع بالتشجيع والغفران ، والمسلمون السبب المباشر لهذه السياسة ؛ لأنهم ارتضوها بالصمت وعدم الاعتراض .

ثانيا : لأنهم انشغلوا بأنفسهم وتفرقوا عن بعضهم ولم يعتصموا بحبل الله جميعا كما أمرنا ربنا عز وجل» .

[ محمد أبواليسر عبدالهادى ـ الدقهلية ]

فما الحل إذن ؟

الواقع أن الحل والإجابة تأتينا من مصدر قوتنا ، وهو ديننا الإسلامى مظهر حضارتنا ، ففيه تراث هذه الأمة الذى صاغ عقلها وعاطفتها وحسها ومزاجها ، لذا ننتظر من قادة الأمة وعلمائها ومفكريها ومصلحيها جهداً مطرداً فى عرض هذا التراث والإبقاء عليه ، ومن ثم يعود لنا استقلالنا الفكرى والحضارى ونخرج من هذا النفق المظلم فى واقعنا .

[ مصطفى حسن الشيخ ـ البحيرة ]

• • •

«إن لكل سورة من سور القرآن الكريم ـ ذلك الكتاب الكامل المبين ـ هدف نبيل تدور آياتها حوله وترمى إليه وتؤدى فى النهاية إلى تحقيقه ، من تلك الأهداف حث الناس على الاستجابة لله ـ تعالى ـ ورسوله ـ ﷺ ـ وتقوية

صلة المؤمن بربه ، وبناء شخصيته على أساس متين من الثقة المطلقة بالله ـ تعالى ـ والتوكل عليه وتفويض الأمر إليه ، ومن ثم يتحقق للإنسان الرقي والسمو الروحي» .

[ زينبي أحمد ـ المغرب ]

• • •

«لقد دهشت عند سماعي في مجلس الشعب بأن إصدارات كتب التنوير ـ المعادية لفكر الإسلام ـ صدرت بموافقة الأزهر الشريف ، وهالني ماقرأت في عدد صفر ١٤١٤هـ لمجلة الأزهر بأن الأزهر الشريف لم يطالع ما صدر من كتب ، فما معنى هذا التصرف من وزارة الثقافة ؟» .

[يحيى السيد النجار ـ دمياط]

المجلة : معناه لايخفى على ذى فطنة .

أمّةَ الإسْلامِ ... في البُوسْنَةِ أنهارُ الدّماءْ
مَذْبَحٌ للحقّ يَجْرِي ... واغْتِصابٌ للنساءْ
مَجلسٌ للأَمْنِ . أينَ الأَمنُ ؟ مَاهذا الهُراء .. ؟
لَيْسَ للعُـزّل أمـنٌ !!! إنـه للأقوِيـاءْ .
وأعدّوا ما استطعتم ... قالها ربّ السماءْ
ياصلاح الدين أين السّيف أيْنَ الكبرياء ؟
إن دينَ الله يدعو ... كلُّ من يحمي اللواءْ
من يُضَحّي في سَبيل الله ... أينَ الأوفياءْ ؟

[ من قصيدة ( خفقة قلب ) للشاعر : ناصر محمد عطية ـ بطنطا ]

# ردودٌ وتعليقاتٌ

● القارىء/ رجب سيد عياد البرديسي ـ الباحث التربوي ببني سويف .

مع تقديرنا لجهدك المبذول في إعداد صحيفة الاستبيان حول تدريس الثقافة الإسلامية في مؤسساتنا العلمية ، فإن هذه المسألة لم تعد في حاجة إلى استطلاع لرأى المسلمين ؛ لاسيما وقد أصبحت من الأهمية بمكان ونحن بصدد تحصين شبابنا من التيارات الوافدة ، وتمكين مجتمعاتنا من احتواء ظاهرة الغلو في الدين .

● القارىء/ عصام مصطفى قاسم ـ من المنيا بمصر .

● والقارىء/ ربيع عبد الرءوف الزواوي ـ من الاسكندرية بمصر .

● والقارىء/ محمد محفوظ العشرى ـ من الدقهلية بمصر .

● والقارىء/ على بن عبد العزيز الشبل ـ من الرياض بالسعودية .

ربما وجدتم بعض الأعداد القديمة من مجلة الأزهر فى ( إدارة مشتريات الأزهر بمدينة البعوث بالقاهرة ) أما الإصدارات الحديثة منها ، فهى تنفذ فور صدورها ـ بفضل الله ـ بحيث لا نستطيع أن نَعِدَ بوجود شىء منها فضلا عن بيعه أو إرساله لمن يطلبه .

● القارىء/ عبد الناصر مبارك عبد الحميد ـ من مركز الدلنجات بالبحيرة .

رجاء تخريج الحديث الذى اعتمدت عليه فى سرد صفات صحابة رسول الله ـ ﷺ ـ .

● القارىء/ رضا عواد فرج ـ المهندس بمصر الجديدة .

ليس بوسع مجلة الأزهر تزويدكم بمصحف شريف طبعة خادم الحرمين ، فلم تشرُف بطبعه أو توزيعه . ويمكنكم الاتصال كتابة بالمستشار الثقافى بسفارة السعودية بالقاهرة .

● القارىء/ طنطاوى عبد القادر على .

● والقارىء/ محمد عباس محمد ـ المدرسان بالأزهر .

يمكنكما إرسال صورة من نتاجكم الفكرى إلى إدارة المجلة بغية فحصه وتقرير مدى صلاحيته للنشر .

● القارىء/ سعد عبد العال العقبى ـ من الزهراء مصر القديمة القاهرة .

ستبحث مجلة الأزهر اقتراحكم بضم المقالات التى نشرتها عن «تلخيص تقريب النشر فى معرفة القراآت العشر» تحقيق فضيلة الشيخ «إبراهيم عطوة» فى هدية جامعة .

● القارىء/ محمد أبو اليسر عبد الهادى ـ بكلية التربية النوعية بالمنصورة .

وصلت برقيتكم شاكراً لكم حرصكم الشديد على الدقة اللغوية .

● القارىء/ وليد عبد القادر جعفر ـ من الزعفران بكفر الشيخ .

بمشيئة الله ـ تعالى ـ تلبى مجلة الأزهر مطلبك وتفسح فى مادتها المقالية القادمة مساحة للحديث عن «ظهور المهدى» وبيان مدى صحة الأحاديث الواردة عنه والقول الصائب فيه .

● الكاتب/محمد مصطفى الغمرى أبو العطا ـ المدير السابق لإدارة شبرا الخيمة التعليمية بالقاهرة .

نشكركم على تقديركم لمجلة الأزهر ، ومتابعتكم المستنيرة لهديتها فى عدد المحرم ١٤١٤هـ ، عن كتيب « نقض الفريضة الغائبة » .

**● وبمشيئة الله ـ تعالى ـ سيوالى الباب اهتمامه بالرسائل التى يتلقاها تباعاً ، كما يحيط الباب قراءه علماً بأن ما يطرأ على مادتهم المقالية من حذف أو تغيير فى بعض المفردات بما يجعل المعنى أكثر دقة وأوجز لفظاً ، ليس إلا ضرورة من ضرورات النشر .**

## ردود خاصة باشتراكات المجلة

■ إلى الأخوة والأخوات طالبى تزويدهم بالمجلة (مجانا) نرجو أن تتاح لنا فرصة الإعداد لهذا العمل بافتتاح قسم خاص لإجابة هذه الطلبات ، فأما (حاليا) فإن القدر المطبوع لا يفى بهذه المطالب .

■ وأما بالنسبة لطالبى الاشتراك بالمجلة ، فإن الاشتراك فيها يعد بحساب سنة كاملة ومن الأفضل أن تكون هجرية ، والاشتراك على التوالى ــ بنسخة واحدة شهرية ــ على مدى العام .

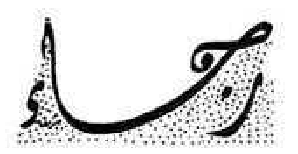
(أ) داخل جمهورية مصر العربية هو ثمن النسخة الواحدة مضروبا فى اثنتى عشرة نسخة .

(ب) وفى منطقة البريد العربى (٥٠) خمسون (دولار) فى السنة .

(جـ) خارج منطقة البريد العربى (١٠٠) مائة (دولار) فى السنة .

ونفيد الأخوة طالبى الاشتراك أن عليهم أن يتصلوا بمؤسسة الأهرام ــ قسم الاشتراكات ــ شارع الجلاء ــ القاهرة ــ ج.م.ع .

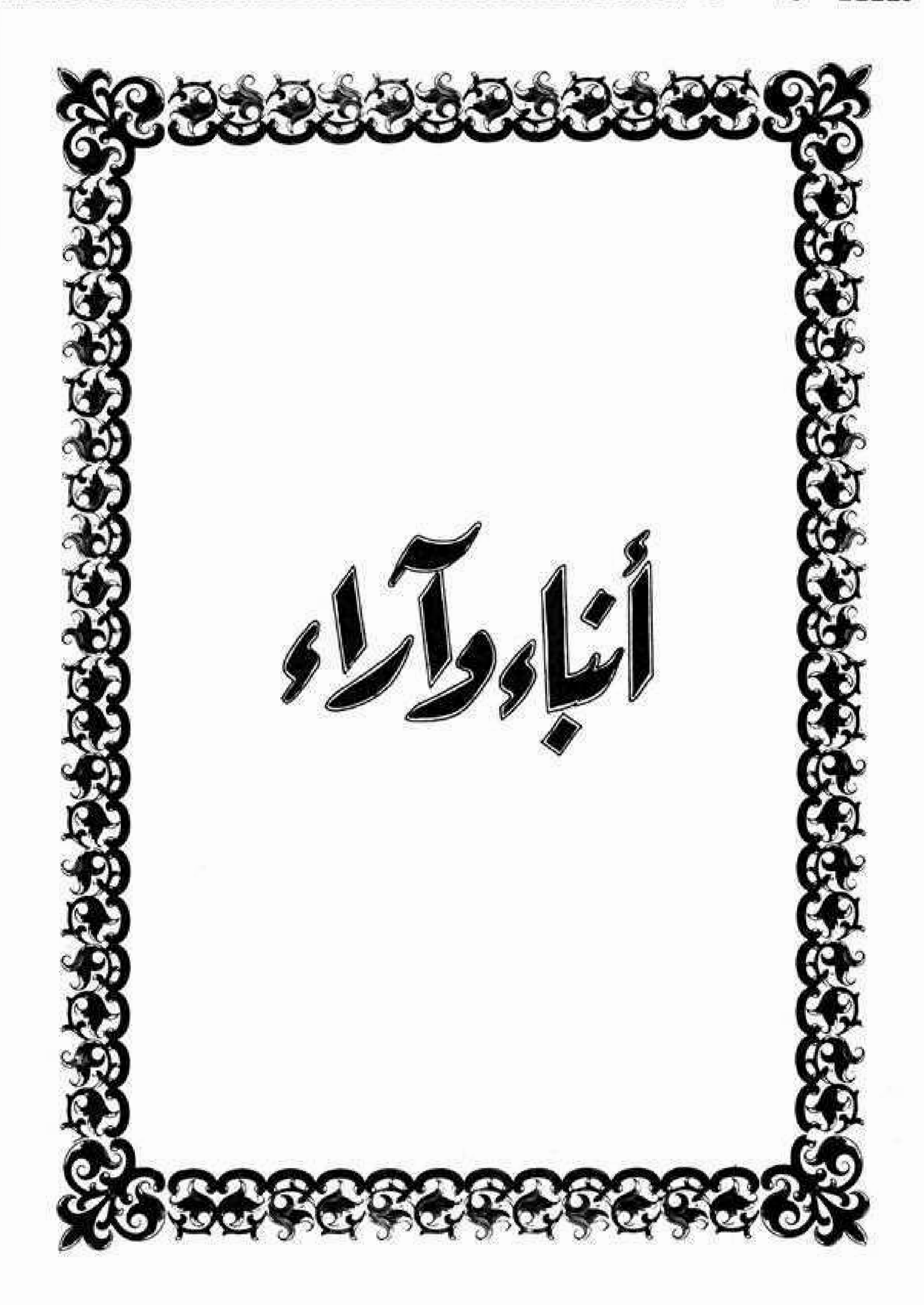
وعليهم الكتابة إلى هذا العنوان ، ذلك لأن إدارة المجلة لا شأن لها بالاشتراكات إطلاقا .



## رجاء

ترجو مجلة الأزهر من السادة الكتاب أن يكتبوا أسماءهم الثلاثية ومحل أعمالهم على المقالات التى يوافون الإدارة بها وأن تكون كتابتها على الماكينة أو بخط واضح ، وأن يرسلوا إلينا الأصل فى الحالتين ويحتفظوا بصورة منه لأن المجلة ليست ملزمة برده .

كما نرجو مراعاة حداثة الانتاج وألا يكون قد سبق نشره فى صحيفة أو كتاب ، وكلما كان الانتاج مسندا إسنادا علميا كان ذلك أدعى لصلاحية نشره ، والله تعالى من وراء القصد .


أنباء وآراء

# إقامة المسجد شكر وحسن ذكر

## بقلم فضيلة الإمام الأكبر

كلمة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بمناسبة افتتاح مسجد الحسن الثانى بالدار البيضاء -المغرب- والذى سيصادف احتفالات الأمة الإسلامية بعيد المولد النبوى الشريف .

حيث تهيىء المملكة المغربية مؤلفاً علمياً حول هذه المعلمة الدينية والعلمية ، وفى هذا الإطار وجهت الدعوة لفضيلته ؛ للمساهمة فى هذا المؤلف ليتحدث حول البعد الدينى والروحى لهذا المسجد العظيم بالنسبة للمؤمنين فى العالم (*).

المسجد والتعليم صنوان فى الإسلام منذ كان الإسلام ، وارتفعت أعلامه واستعلنت جماعته وتكاثرت ، فما بنى النبى ﷺ يوم استقر فى دار الإسلام بيته حتى بنى المسجد ، الذى تقام فيه الصلاة ، وتنعقد فيه حلقات التعليم للمسلمين ، والوافدين للتعرف على الإسلام .

ومن ثم كان ارتباط المسجد بالتعليم ، كارتباطه بالصلاة ، فكما لا مسجد بغير صلاة ، كذلك ، لا مسجد بدون تعليم ، وصارت حاجة الإسلام إلى التعليم كالحاجة إلى الصلاة وصح القول بأنه : لا إسلام بلا صلاة ، كما لا إسلام بلا تعليم .

ولهذه الحاجة مضى رسول الله ﷺ على عمارة المسجد بهما ، فما انقطع عمره كله عن الصلاة وعن التعليم فى مسجده .

ولقد توارث المسلمون الحرص على إنشاء المساجد وإعمارها منارة للإسلام الذى اتخذ السلم شعاراً ودثاراً ، فجاء كتابه القرآن بمبدأ السلم العام بين الناس ، ومع الأديان السماوية السابقة عليه فأعلن : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾ .

وقد كان المسجد مقراً اجتماعياً منذ أقامه رسول الله محمد ﷺ ففيه تؤدى الصلاة فى مواقيتها ، وفيه تعقد حلقات العلم وتعليم القرآن ، وصدور الفتوى فى أمور الدين والدنيا يؤمه المسلمون استزادة من العلم وعبادة ، ويفد إليه غير المسلمين تطلعاً للتعرف على الإسلام واستمدادا من إنسانيته وأخلاقه التى تغياها ، واستظهرها كتاب الله : القرآن وسنة رسول الله محمد - عليه الصلاة والسلام -

(*) قدم للكلمة الأستاذ/ عمر البسطويسى

ولعل استضافة هذا المسجد لوفد نصارى نجران فى عصر الرسالة ـ وكانت عدتهم ستين رجلا ـ والسماح لهم بإقامة صلواتهم فيه ، يستمعون لما يجرى فيه من أعباء الدعوة وابلاغ الرسالة ، ويشهدون عن قرب أخلاق الإسلام التى ربى عليها المسلمين ، ثم يطلبون إيفاد من يقضى بينهم من المسلمين ، فأوفد الرسول ﷺ معهم أبا عبيدة بن الجراح وقد أشار إلى هذا البخارى وغيره[1] .

لعل هذه الواقعة تكشف بجلاء ـ عن مدى سماحة الإسلام وسلم المسلمين من عهد الرسالة ، والبعد عن الانغلاق طلباً للوفاق بين مختلف بنى الإنسان .

وفى العناية بإعداد المساجد ، وتشييدها ، والحفاظ على بهائها وروائها والدعوة إلى بذل أقصى الجهد فى تنظيفها ، وتنظيمها وتجديدها ، حتى تكون فى مظهر لائق .

روى الثقات ماقام به سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه من إعادة بناء مسجد الرسول ﷺ بالحجارة المنقوشة والجبس ، وجعل عمده ـ كذلك ـ من حجارة منقوشة وسقفه من خشب الساج[2] الثمين وقد نقل عن أبى حنيفة رضى الله عنه أنه لا بأس بنقش المساجد بماء الذهب .

وروى عن عمر بن عبدالعزيز أنه نقش مسجد النبى ﷺ وبالغ فى عمارته وتزيينه ، وذلك زمن ولايته على المدينة المنورة قبل توليه الخلافة ولم ينكر عليه أحد[3] .

وفقه هذا الصنيع : أنه لا ينبغى أن يتخلف المسجد فى عمارته ومنشآته عما اتخذه المسلمون فى إقامة منازلهم ، من مواد البناء وفنون العمارة ، وجمال الهندسة ، واستحداث ما استجد فى العصر من فنون تليق بوقار المسجد وبهائه ومهابته .

ولقد ذهب بعض المفسرين إلى أن فى قول الله سبحانه فى سورة الأعراف ..

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ ﴾

إشارة وتوجيهاً إلى العناية بالمسجد ، وتزيينه وتنظيمه وتنظيفه بما يتعارفه الناس فى كل عصر ومصر وإنه لتوجه صالح إلى عمر مثمر ، ومَعْلَمٌ واضح من جلالة الملك « الحسن الثانى » ملك المملكة المغربية أن يأمر بإقامة ـ مسجده هذا ـ فى الموقع الذى اختاره جلالته من « الدار البيضاء » على شاطىء المحيط الأطلسى فى أقصى الغرب من بلاد الأمة الإسلامية ليؤمه المؤمنون ، وليكون المُصَلِّى فيه ، والداعى ، والذاكر ، والشاكر ، والراكع ، والساجد ، أينما وجه بصره مشاهداً سماء ربه تظله ، وبَحْر ربه الذى يُذكر بنعمه على خلقه .

وإنه لذكر محمود ، ممدود لجلالة الملك ولقومه ولأمته الإسلامية يفىء إليه أجره الذى وعد الله به من بنى مسجداً .

ثم هذا المسجد فى موقعه الذى هدى الله إليه منارة تقول للآخرين وللمارين المنبهرين ببهائه ووقاره :

﴿ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴾

---

(1) نور اليقين فى سيرة سيد المرسلين للشيخ محمد الخضرى ص٢٥٠ ، ٢٥١ وقد أشار إلى حديث مسلم فى فضائل الصحابة باب فضائل أبى عبيدة رقم ٢٤١٩ أن أهل اليمن قدموا على رسول الله ـ ﷺ ـ فقالوا : ابعث معنا رجلا يعلمنا الإسلام قال : فأخذ بيد أبى عبيدة فقال : ( هذا أمين هذه الأمة ) وروى البخارى قصة أهل نجران فى المغازى رقم ٤٣٨٠ .

(2) الساج : شجر يعظم جداً ، لاينبت إلا ببلاد الهند ، وخشبه أسود رزين لاتكاد الأرض تبليه .

(3) فتح البارى شرح صحيح البخارى جـ١ ص٥٣٩ ـ ٥٤١ ط مناهل العرفان بيروت مكتبة الغزالى ، وتفسير القرطبى جـ٢ ص٢٦٧ .




إعداد الأستاذ / مصطفى عبد المجيد

## الإمام الأكبر يرأس اجتماع المجلس الأعلى للأزهـــر

ترأس فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر اجتماع المجلس الأعلى للأزهر صباح يوم الأحد الموافق ٥ صفر ١٤١٤هـ ـ ٢٥ يولية ١٩٩٣ حيث ناقش العديد من الموضوعات الهامة ، والتى كان من بينها موافقة المجلس على إنشاء شعبة لدراسة العلوم الإنسانية باللغة الألمانية بكلية اللغات والترجمة ـ بنين ـ بجامعة الأزهر لسد حاجة الدعاة المؤهلين على المستوى العالمى .

كما تمت الموافقة كذلك على إنشاء شعبتين للخدمة الاجتماعية : إحداهما بكلية التربية بالقاهرة ، وثانيهما بكلية أصول الدين فرع أسيوط كذلك تمت الموافقة على إنشاء المركز الإسلامى الإقليمى للفطريات وتطبيقاتها بكلية العلوم جامعة الأزهر .

## الإمام الأكبر مع أئمة ودعاة العالم الإسلامى

فى إطار الدورات التدريبية التى تنظمها اللجنة العليا للدعوة « بالأزهر » التقى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر والأئمة والدعاة والدارسين فى حفل تخريج الدفعة الحادية والعشرين وذلك ظهر يوم السبت الموافق ١١ من صفر ١٤١٤هـ ٣١ يولية ١٩٩٣ حيث أجرى فضيلته معهم حواراً أجاب فيه عن كافة التساؤلات المطروحة على الساحة الإسلامية مؤكداً على ضرورة أن تكون مناصرة الأقليات الإسلامية المضطهدة بالطرق الدبلوماسية والسياسية من خلال المنظمات العربية والإسلامية والجامعة العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامى مشيراً إلى ضرورة دعم وتقوية تلك المنظمات باعتبارها لغة العصر المقبولة .

ثم قام فضيلته فى نهاية اللقاء بتوزيع شهادات التخرج على الدارسين بالدورة والذين يمثلون أكثر من عشر دول عربية واسلامية وأوروبية منها : انجلترا والصين وروسيا وجمهوريات الكومنولث الإسلامية .

شهد اللقاء سفراء الدول المشاركة فى الدورة ، والسيد السفير محمد أبو العينين مساعد وزير الخارجية ومدير الشئون الثقافية العامة والدينية .

كذلك شهد فضيلة الإمام الأكبر حفل افتتاح الدورة الثانية والعشرين لأئمة ودعاة العالم

الإسلامى وذلك ظهر يوم الأحد الموافق ١٩ صفر ١٤١٤هـ ـ ٩ أغسطس ١٩٩٣ ويشارك فى هذه الدورة أكثر من أربعين داعية يمثلون أكثر من عشرين دولة إفريقية وأوروبية .

وقد دعا فضيلته فى الكلمة التى وجهها إليهم إلى الابتعاد عن المسائل الخلافية التى تفرق وحدة المسلمين ، وتضيع جهودهم ، وتشيع بذور الفرقة والانقسام بينهم مشيراً إلى مسئولية الدعاة هى جمع كلمة المسلمين وتوحيد صفوفهم وبخاصة فى الوقت الحاضر الذى يواجه فيه العالم الإسلامى تحديات كبيرة .

شهد الحفل السفير سامى عبد اللطيف مساعد وزير الخارجية للعلاقات الثقافية ، وقيادات الدعوة بالأزهر الشريف .

## انعقاد المؤتمر الثانى للتوجيه الإسلامى للخدمة الاجتماعية تحت رعاية فضيلة الإمام الأكبر

برعاية فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر نظمت جامعة الأزهر بالتعاون مع المعهد العالى للفكر الإسلامى بمركز الشيخ صالح كامل بالقاهرة فى الفترة من ١٩ ـ ٢١ صفر ١٤١٤ المؤتمر الثانى للتوجيه الإسلامى للخدمة الاجتماعية والذى شارك فى أعماله علماء من عشر دول إسلامية وعربية ونخبة من كبار علماء الإسلام والمفكرين ناقشوا أكثر من خمسين بحثاً حول تطوير الخدمة الاجتماعية فى ميادين الدعوة والإغاثة ومواجهة التطرف والانحراف ورعاية الطفولة والمسنين .

وقد أكد فضيلة الإمام الأكبر فى الكلمة التى وجهها للمؤتمر وألقاها نيابة عنه فضيلة الشيخ سيد سعود وكيل الأزهر على أن الدين الإسلامى عالج المشكلات الاجتماعية بالدعوة للإنفاق فى سبيل الله وأداء الزكاة لرعاية الفقراء والمساكين وكفالة اليتامى .

## اختبارات القبول بالأزهر فى سبتمبر القادم

قررت الإدارة المركزية للمعاهد الأزهرية عقد اختبارات مسابقة القبول للمرحلة الإعدادية الأزهرية على مستوى الجمهورية يوم السبت الموافق ١٩٩٣/٩/١١ .

يشترط فى المتقدم لهذه المسابقة أن يكون حافظاً للقرآن الكريم كله ، وأن لا يقل السن فى أول أكتوبر من هذا العام عن أحد عشر عاماً وأن يجتاز بنجاح الاختبارات المقررة والمعلن عنها بالمناطق والمعاهد الأزهرية .

## الإمام الأكبر شيخ الأزهر يستقبل سفير سلطنة عمان

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر سفير سلطنة عمان بالقاهرة صباح يوم ٢٨ من المحرم ١٤١٤هـ ـ ١٨ يولية ١٩٩٣ وذلك بمكتب فضيلته بالأزهر .

تم خلال اللقاء بحث سبل دعم العلاقات الثقافية والدينية بين الأزهر الشريف وسلطنة عمان خاصة فى مجالات علوم القرآن والقراءات ، وبصفة أساسية فى مجال التعليم .




إعداد الأستاذ / مجدى عبد الحميد بشير

## القاهرة

قام فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر فى يوم الأربعاء ٨ من شهر صفر الخير سنة ١٤١٤ هـ الموافق ١٩٩٣/٧/٢٨ م بتوزيع جوائز نقدية بلغ مجموعها أكثر من ثلاثة وعشرين ألف جنيه مصرى عل علماء الوعظ والإرشاد بالأزهر الشريف الفائزين فى المسابقة الكبرى التى كانت قد أعلنت عنها الإدارة العامة للدعوة والإعلام الدينى .

أقيم الحفل فى القاعة الكبرى بإدارة الأزهر وحضره فضيلة الشيخ سيد سعود وكيل الأزهر الشريف .

بدىء الحفل بالقران الكريم ثم تم توزيع الجوائز :

فاز فضيلة الشيخ شعبان محمد عوض حسن بالجائزة الأولى عن « التطرف وأسبابه ودوافعه وعلاجه » .

كذلك فاز فضيلة الشيخ شرف الدين أحمد إسماعيل شرف الدين بالجائزة الأولى عن « التكافل الاجتماعى فى الإسلام » .

طالب فضيلة الإمام الأكبر فى كلمته إلى السادة العلماء بضرورة مداومة الاطلاع والاهتمام بالمظهر اللائق وحسن تخير الموضوعات التى تتناسب مع الظروف والبيئة ومستويات الجمهور .

ثم كان حفل الختام المبارك بتلاوة آى من القرآن الكريم وتوزيع الجوائز التى تراوحت بين ألف جنيه للفائز الأول من كل فرع من فروع المسابقة وبين مائتى جنيه للفائز العاشر فى كل فرع منها .

* * *

### دبلوم الاقتصاد الإسلامى

تقرر إنشاء دبلوم فى الاقتصاد الإسلامى بمركز الاقتصاد الإسلامى بجامعة الأزهر يمنح درجة

دبلوم فى دراسات متعمقة للفكر الاقتصادى الإسلامى والنظم الاقتصادية الإسلاميــة ، وما يتصل بها من دراسات . تبدأ الدراسة من العام القادم .

تم ذلك بجلسة مجلس إدارة المركز المنعقدة بتاريخ ٢١ من صفر ١٤١٤هـ ، ١٠ أغسطس ١٩٩٣م .

### المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة

عقد فى القاهرة فى الثانى من صفر ١٤١٤ هـ الموافق الثانى والعشرين من يوليه ١٩٩٣ م اجتماعات هيئة الرئاسة للمجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة برئاسة فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر ونوقش خلال الاجتماعات عدة موضوعات كان من أهمها مشروع شبكة المعلومـــات الخاصة بالـــدول الإسلامية ، وتوصيات الندوات التى عُقدت فى (جيبوتى) بشأن مشروعات الإغاثة الأخرى إضافة إلى استعراض شامل لنتائج الندوة العالمية للإعلام الإسلامى وإمكانية إقامة مركز إعلامى إسلامى فى ألمانيا على غرار المركز الإسلامى فى مدريد .

كما تم استعراض سُبل الإغاثة والدعم لمناصرة المسلمين فى البوسنة والهرسك وليبيريا والهند وفلسطين (ومَنْ نمَار) .

### الرياض

تعتزم هيئة الإعجاز العلمى للقرآن الكريم إنشاء وقف لتمويل مشاريعها المستقبلية يتكون من أموال ثابتة ومنقولة ، ويمكن أن تكون نقداً أو أسهماً أو أصولاً فى منشئات صناعية أو زراعية أو خدمية على أن لا تُستخدم هذه الأصول فى تمويل أىّ من نشاطات الهيئة الحالية أو ميزانيتها السنوية المقررة من قبل المجلس التأسيسى للهيئة ، ويُعد هذا الوقف صدقة جارية تُنفق الهيئة من عوائدها وريعها وأرباحها على نشاطاتها المستقبلية المتعلقة بخدمة القرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة إظهاراً لما يزخر به هذان المصدران العظيمان من حقائق علمية وإحصائية تنسجم تماما مع ما يتسّم به العصر من العلوم والإحصائيات .

### الفلبين

تقوم جامعة الأزهر بالإشراف على معهد الدراسات الإسلامية المقرر إقامته بالفلبين ، حتى يتمكن من تأدية رسالته الجامعية الإسلامية على أعلى مستوى .

وقد وُقعت اتفاقية بين جامعة الأزهر وجامعة الفلبين بشأن إرسال الأساتذة والكتب للمعهد .

قال الدكتور عبدالفتاح الشيخ رئيس جامعة الأزهر : إن الاتفاقية تهدف إلى تشجيع الاتصال المباشر والتعاون بين الجامعـــتين وكلياتهمـــا وأقسامهمـــا المختلفة وأعضاء هيئـات التدريس بهمـا ، والمراكز البحثية والمكتبات التابعة

لكلهما ، وكذلك المعاهد المعنية بالدراسات الإسلامية .

## فرنسا

طوّر مسئولو المركز الإسلامى فى مدينة «أرانس الفرنسية» العمل الدّعوى فى مدينة بإدخال خدمة (الحاسوب ـ الكمبيوتر) فى المركز ، ونجحوا فى إنشاء مركز معلومات آلى يُجيب بواسطة الهاتف على أسئلة المسلمين الفقهية عن طريق شاشة الحاسب الآلى ، وذلك بواسطة الهاتف المتصل به .

يتلقى المركز يومياً مئات المكالمات من كافة المدن الفرنسية طلبا للمشورة الدينية .

## ألمانيا

احتفل المسلمون فى ألمانيا بمناسبة مرور ٢٥ عاماً على تأسيس الجماعة الإسلامية هناك وبمناسبة ٢٠ سنة على افتتاح المركز الإسلامى فى ميونخ وذلك يوم الخميس ٢ من صفر ١٤١٤ هـ الموافق ١٩٩٣/٧/٢٢ ، هذا وقد وُجهت الدعوة الى المؤسسات الإسلامية العاملة فى ألمانيا وأوربا والعالم الإسلامى وإلى أعضاء سفارات الدول الإسلامية فى ألمانيا والمؤسسات الألمانية التى لبى الكثير منها الدعوة شاكرين مهنئين متمنين للإسلام كل تقدم وإزدهار .

أى شئ هذا الذى يمنع الاعتراف بتلك الدول ؟

طالب دكتور إبراهيم رجوفا رئيس إقليم كوسوفو دول العالم عموماً والمسلمين خصوصاً أن تعترف باستقلال دولة كوسوفو المسلمة على غرار اعتراف دول العالم بجمهورية البوسنة والهرسك .. كما طالب بإخراج القوات الصربية من بلاده ، والحيلولة دون ما يمكن أن يقع من مذابح هناك .

والمعروف أن كوسوفو والسنجق هى من الأقاليم الداخلة فى الخطة الصربية لتحويل جزر البلقان وألبانيا إلى ما يسمى بدولة صربيا الكبرى .

## اليونان

استقبل المسلمون فى اليونان بفرح غامر قرار الحكومة اليونانية بسحب مرسومها القاضى بمصادرة الأراضى الزراعية التى تملكها المسلمون فى «تراقيا» الغربية .

وقال الدكتور صادق أحمد النائب المستقل المسلم فى البرلمان اليونانى تعليقاً على هذا القرار : إن المسلمين فى اليونان سيواصلون المطالبة بحقوقهم من خلال القنوات الشرعية وأنهم سيحصلون عليها فى النهاية .

ملاحظة :

مسلمو اليونان «نذر» من مسلمى العالم من أهتم بشأنهم ومايتعرضون له من كيد ومضايقات نسأل الله سبحانه أن يحفظهم على خير حال .

Pour tous sont des degrés correspondant à ce qu'ils firent et ton seigneur n'est pas insoucienx de ce "qu'ils faisaient".

Le sens du Verset 123.
Sourate Les Troupeaux.

Celui qui aura fait le poids d'un atome de bien le verra.
Celui qui aura fait le poids d'un atome de mal le verra.
Le sens des Versets 6 - 7
Sourate Le Tremblement de terre

Le prophète ne cessait de rappeler aux hommes de travailler; lui-même travaillait laborieusement. Il prit part à la construction de la mosquée et aida comme un simple soldat à creuser la tranchée autour de la cité envahie et à élever les remparts pour la défense des combattants.

On rapporte que trois des fidèles furent un jour touchés d'une catastrophe pénible mais Allah le Miséricordieux les avait sauvés grâce à leurs bienfaits, à leurs bonnes actions.

Les premiers musulmans s'adonnaient à toutes sortes d'activités refusainet de vivre en parasites. Le Prophète d'Allah disait. "Tout musulman qui planterait un arbre ou cultiverait un terrain desquels ne nourriraient un oiseau, un homme ou une bête accomplit un acte louable dont il sera récompensé.

Pour conclure, il n'est pas de meilleure parole que celle d'Allah le Bienfaisant, le Miséricordieux et le Juste : Agissez Allah verra vos actions, ainsi que le prophète et les Croyants et vous serez ramenés à Celui qui connait ce qui est caché et ce qui est apparent).

Il vous fera connaître ce que vous avez fait.
Le sens du verset 106
Sourate l'Ummunité

MOHAMAD OMAR

# LES BONNES OEUVRES

par MOHAMAD OMAR

L'Islam conseille aux musulmans de travailler, car le travail est la source du gain honnête et par conséquent de la vie digne. Parmi les obligations que nous impose notre religion est celle de travailler, d'agir, de bien faire, considérant ainsi que l'action est une des preuves de la foi, une sorte de conviction à l'égard de la religion d'Allah. Aussi remarque-t-on que l'action va toujours de pair avec la foi; on trouve en effet cité dans plusieurs versets du Coran.

> "Allah a promis à ceux qui auront cru et accompli des oeuvres bonnes, qu'ils auront pardon et rétribution immense.
>
> Sens du verset 9
> Sourate la Table Servie

Il dit aussi :

> "Ceux qui auront cru et pratiqué les oeuvres bonnes auront, en partage, les Jardins du Paradis.
>
> Sens du Verset 107
> Souratge La Caverne.

L'action spirituelle telle que l'adoration, l'aumône, le pélerinage est celle qui est faite directement dans l'intention de plaire à Allah le Juste afin d'obtenir Sa bénédiction et Sa grâce.

L'oeuvre terrestre n'est pas moins appréciée par le fait que la morale islamique encourage le croyant à l'œuvre, à l'application. A cet égard, le prophète qu'Allah le bénisse et lui accorde le salut-dit que certains péchés ne sont effacés ou pardonnés que par l'oeuvre qu'accomplit le père de famille en vue de pourvoir aux besoins de ses enfants. Le prophète qu'Allah le bénisse et lui accorde le salut-estime que l'effort que déploie le croyant pour gagner son pain et celui de ceux dont il est responsable est aussi méritoire que la lutte pour la cause divine. Il ajoute : "Il n'est de nourriture bonne que elle que le fidèle gagne de ses propres mains. Le Messager d'Allah dit aussi. "Mienx vaut pour l'homme de prendre sa hâche pour couper du bois que de demander aux autres l'aumône, quitte à savoir s'ils lui donneront ou la lui refuseront" C'est pour éviter au croyant cet état d'indigence et de misère que l'enseignement de l'Islam oblige à travailler, à agir, à être utile, à ses proches et à ses semblables L'ouvrier dans l'usine travaille, le paysan dans les champs travaille de même, le médecin dans sa clinique - tous travaillent. L'important c'est que l'oeuvre soit bien dirigée, bien accomplie, d'une manière sincère, d'une façon parfaite.

De ce qui précède l'on pourrait revenir à l'histoire de la Nation Islamique telle qu'a voulu la fonder le prophète d'Allah-qu'Allah le bénisse et lui accorde le salut. En effet, le prophète Mohamad considère le travail individuel comme un point de départ, une force motrice pour un avenir meilleur. Il donne au labeur, à l'effort que déploie tout musulman le respect et l'estime qui lui sont dus. Le Coran affirme"

> Que l'homme aura (dans l'Au-Delà) seulement ce qu'il se sera évertué (à mériter) que le résultat de son effort sera vu, qu'ensuite il sera récompensé pleinement.
>
> Le sens des Verset 38 à 41
> Sourate La Lune

"A" Celui qui jeûne le mois de Ramadan avec dévotion et piété, Allah pardonnera ses pechés antérieurs"(1).

Citons aussi :

"Les prières rituelles, la prière du vendredi et le jeûne du mois de Ramadan feront absoudre les péchés à condition de s'abstenir des abominations"(1).

Nombreux sont les hadiths qui énumèrent les bienfaits du jeûne. Mais outre ces bienfaits, ce culte est une pratique de purification à la fois morale et physique. Par le jeûne, l'homme se fait, par lui-même, une juste idée de le faim, éprouve la souffrance des pauvres et devient, de ce fait, plus compatissant à l'égard de ceux qui sont moins favorisés que lui. Grâce au jeûne, l'homme est porté à mieux apprécier la valeur des dons divins qui le comblent et qui pourraient passer inaperçus tellement il est habitué à en jouir. En plus, le jeûne dépouille l'homme des impuretés morales et des mauvaises habitudes. En un mot, le jeûne rend les fidèles plus sains du point de vue physique et moral.

Dr. Zeinab Sabri

● ● ●

---

1. «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر»

Hadith rapporté par Ahmad.
EL SAYED SABEQ : **Fiqh El Sounna**, op. cit., T1 p. 366.
(Traduction personnelle)

1. «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر الله له ما تقدم من ذنبه»

Hadith rapporté par Moslem.
EL SAYED SABEQ : **Fiqh El Sounna**, op. cit., T1 p. 366.
(Traduction personnelle)

3. Le jeûne du jour douteux, celui qui précède le premier jour de Ramadan. On rapporte que le Prophète (B & S) interdit aux hommes de se hâter de jeûner avant de s'assurer de l'apparition de la nouvelle lune.

4. Le jeûne de toute l'année, le Prophète (B&S) en dit : "Celui qui jeûne toute l'année, c'est comme s'il n'avait pas jeûné du tout"(2).

En plus, une femme ne doit pas s'acquitter d'un jeûne non-obligatoire sans la permission de son mari. Moslem nous rapporte que le Prophète (B&S) a dit "Aucune femme ne doit jeûner, même pendant un seul jour, sans la permission de son mari, si ce n'est au mois de Ramadan"(3).

De même, la Tradition confirme que le Prophete (B&S) interdisait aux Musulmans de jeûner le vendredi, car c'est leur jour de fête hebdomadaire ainsi que le samedi et le dimanche, les jours glorifiés par les chrétiens et les juifs. Ainsi, il ordonnait à ses compagnons de jeûner un jour avant et un jour après le jeûne d'un des trois jours précités.

La fin des versets met le point sur une pratique traditionnelle relative au jeûne, à savoir la retraite spirituelle qui consiste à rester quelques jours dans une mosquée dans le but d'invoquer le Seigneur, et de pratiquer la prière et la récitation du Qorân. Parmi les autres pratiques traditionnelles relatives au mois du jeûne, il est aussi recommandé d'observer les prières à pauses dites "tarawih" car, d'après la Tradition, ces prières ont le mérite d'absoudre les péchés. Le fidèle peut les accomplir seul ou en assemblée, à la mosquée ou ailleurs. Leur nombre n'est pas déterminé mais on raconte que le Prophète (B&S) ne s'acquittait, pas de plus de douze rakaâs, qu'il faisait suivre d'un witr ou rakaâ unique. D'autre part, il est recommandé d'augmenter les oeuvres pies au cours du mois du jeûne, de s'abstenir des paroles obscènes ou inconvenantes, des mensonges, des injures et de toute mauvaise action qui pourrait faire obstacle au résultat du jeûne en plus, il est recommandé de réciter et d'écouter la lecture du Qorân qui ont pour objet de répandre des bénédictions infinies. L'obligation du jeûne est une marque extraordinaire de la compassion divine envers les fidèles à cause des bienfaits innombrables qui en découlent. Citons quelques paroles de notre prophète (B&S) qui mettent l'accent sur les mérites gagnés du jeûne, Abou Houraïra rapporte le hadith suivant :

---

2. «لا صام من صام الأبد»

Hadith rapporté par Ahmad, Bokhâri et Moslem.
EL SAYED SABEQ : Fiqh El Sounna, op. cit., T1 p. 378.
(Traduction personnelle)

3. «لا تصم المرأة يوماً واحداً إلا بإذن زوجها ، إلا رمضان»

Idem., T1 p. 379. (Traduction personnelle)

6. Le jeûne du Jeudi et du Lundi. On raconte que le Prophète (B & S) a dit :

"Les actions sont examinées en ces jours où Allah pardonne à tout Musulman et à tout croyant"[1]

7. Le jeûne d'un jour sur deux. On raconte que le Prophète (B & S) a proféré ces paroles ;

"Le jeûne qu Allah préfère est celui de Dawoud[2]; il jeûnait un jour sur deux"[3].

Comme il y a des jours où le jeûne est recommandé, il en existe d'autres où le jeûne est blâmable à savoir :

1. Le jeûne durant les jours de fête, c'est-à-dire le jour de la rupture du jeûne de Ramadan et la jour où les pèlerins offrent leur sacrifice. On rapporte ces paroles de Omar Ibn El Khattab disant que le Prophète (B & S) interdit le jeûne de ces jours.

"Après le mois de Ramadan rompez le jeûne et mangez une part des bête que vous avez sacrifiés"[4].

2. Le jeûne des jours du "tachriq", soit les trois jours qui suivent la grands fête du sacrifice (les 11,12,13 du mois de Dhoul Hidja). Abou Houraïra nous rapporte que le Messager d'Allah (B & S) a dit :

"Ne jeûnez pas en ces jours, ce sont des jours de rupture de jeûne"[1].

---

1. «إن الأعمال تعرض كل اثنين وخميس فيغفر الله لكل مسلم ولكل مؤمن»

Hadith rapporté par Ahmad (Traduction Personnelle) Idem, T1 p. 383.

2. Dawoud : Après la mort de Moïse, les Fils d'Iraël se dispersèrent et perdirent leur Bible. Leur Roi Talout donna alors l'ordre à son armée de combattre l'ennemi... C'est là que survint un jeune pasteur, Dawoud, connu par sa foi et convaincu que la seule force réelle sur la terre était la croyance en Allah, c'est ce qui fit de lui le plus fort combattant du Royaumeet, plus tard, le commandant de l'armée et le gendre du Roi. Mais la foi sincère le poussait souvent à s'isoler dans le désert afin d'invoquer Allah (T.P) qui révéla "Les Psaumes", lui accorda d'innombrables bienfaits et le choisit comme Prophète.. Voir S.A. EL ZEIN : **Les histoires des Prophètes dans le Coran**, Beyrouth, Dar Al Kitab Allubnani, 1983, 7 volumes, T6.

3. «أحب الصيام إلى الله صيام داود ، كان يصوم يوماً ويفطر يوماً»

EL SAYED SABEQ : **Fiqh El Sounna**, op. cit., T1 p. 384.

(Traduction personnelle)

4. «فطركم من صومكم ، أما يوم الأضحى فكلوا من نسككم»

Idem, op. cit, T1 p. 376. (Traduction personnelle).

1. «لاتصوموا هذه الأيام فإنها أيام أكل وشرب»

Hadith rapporté par Ahmad, El Attabarani (Traduction personnelle)
EL SAYED SABEQ : **Fiqh El Sounna**, op. cit., T1 p. 376.

**2. Le jeûne du dixième jour du premier mois du calendrier islamique à savoir le jour d'Achoura[2], ainsi que le jour d'Arafa[3]. A ce propos Hafsa[4]. dit que,**

> **"Le Prophète paix soit sur lui s'en tenait à quatre choses : Le jeûne de Achoura, celui du dixième jour de Dhoul Hidja, celui de trois jours par mois et la prière de deux rakâas avant la la prière de midi"[5].**

**3. Le jeûne d'une boone partie du mois de Chaâban. Aïcha dit :**

> **"Le seul mois que le Prophète (B & S) a jeûné en entier est le mois de Ramadan et le mois dont il jeûne la majeure partie est Chaâban[1].**

**4. Le jeûne des mois sacrés : Dhoul Qe'da, Dhoul Hedja, Moharram et Rajab.**

**5. Le jeûne de trois jours par mois. Abou Dhar[2] raconte que le Prophète (B & S) ordonna à ses compagnons de jeûner le treize, le quatorze et le quinze de chaque mois. Ce jeûne équivaut à un jeûne perpétuel, à vie[3].**

---

2. Aïcha raconte que Qoraich avait l'habitude de jeûner ce jour là, Et lorsque le Prophète émigra et s'installa en Médine il y vit les juifs jeûner aussi le même jour. En demandant la raison, ils répondirent qu'en ce jou jour Allah fit que Moïse et son peuple triomphèrent sur Pharaon et sur leurs ennemis, puis Moïse jeûna ce jour. Le Messager d'Allah (B & S) dit : "Moïse est un Prophète auquel nous croyons. nous Musulmans. Il a un droit sur nous, comme il en a sur vous autres Juifs". Dès lors, il jeûna le jour d'Achoura et ordonna aux musullmans de faire de même. Mais lorsque Dièu (T.P) prescrivit le jeûne de Ramadan, le jeûne d'Achoura devint facultatif.
   **Idem**, p. 381.
3. C'est le dixème jour du mois du pèlerinage, Dhoul Hidja. En ce jour, les pèlerins se réunissent comme dernière étape du pèlerinage.
4. **Hafsa** : Fille d'Omar IObn El Khattab, deuxième compagnon du Prophète (B & S). Hafsa fut très jeûne quand elle perdit son mari Khonays Ibn Hozayfah, un combattant qui émigra et lutta pour défendre l'Islam. Pour honorer la veuve ainsi que son père, le Prophète (B & S) l'épousa.
5. «أربع لم يكن يدعهن رسول الله ﷺ : صيام عاشوراء ، والعشر من ذى الحجة ، وثلاثة أيام من كل شهر والركعتين قبل الغداة»

   (Traduction personnelle).

1. «ما رأيت رسول الله استكمل صيام شهر قط إلا شهر رمضان وما رأيته فى شهر أكثر منه صياماً فى شعبان»

   EL SAYED SABEQ : **Fiqh El Sounna**, op. cit., p. 382.
   (Traduction personnelle).
2. **Abou Dhar** : Il appartenait à une tribu connue par l'idolâtrie, le vol et le prigandage. Pourtant, il n'a jamais cru aux idoles. Dès qu'il entendit de l'apparition d'une nouvelle religion et d'un Prophète qui bannit l'adoration des idoles, il se rendit à la Mecque à sa recherche. En effet, il rencontra Mohamad (B & S) qui lui transmit les commandements de cette nouvelle religion. Il ne tarda pas à confesser sa foi et c'est ainsi qu'il devint l'un des six premiers Musulmans.
   K.M. KHALED : **Rigal Hawl El Rassoul**, op. cit., p. 65.
3. «أمرنا رسول الله أن نصوم من الشهر ثلاثة أيام البيض : ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة وقال هى كصوم الدهر»

   Voir EL SAYED SABEQ : **Figh El Sounna**, op. cit., T1 p. 383.

Néanmoins, les juristes trouvent qu'un jeûne compensatoire sera reconmmandé.

En plus, puisque l'obligation du jeûne pendant le Ramadan est une marque extraordinaire de la compassion de d'Allah envers Ses serviteurs en raison des bienfaits innombrables qui en découlent, il est recommandé d'accomplir un jeûne compensatoire pour la personne qui meurt avant d'avoir rempli certains jours de jeûne obligatoire[1]. Cet acte recommandé nous est enselqné toujours par un propos du Prophète (B&S), lorsqu'un homme le questionna sur ce sujet :

> "Si elle avait une dette, la payerezvous ? L'homme répondit : oui, la dette due à Allah a la priorité d'êter accomplie"[2].

Outre le jeûne obliqatoire du mois de Ramadan, et le jeûne compensatoire accompli ultérieurement par le fidèle, il existe le jeûne surérogatoire, recommandé qussi en vertu de la Tradition.

1. Le jeûne de six jours de Chawal[3]. On rapporte que le Prophète paix soit sur lui en dit :

> "Jeûner les six jours du mois de Chawal après le jeûne du mois de Ramadan équi-vaut à un jeûne accompli tout le long de la vie"[1].

---

1. Notons que cette règle n'est pas applicable en cas de prière.

2. « لو كان على أمك دين أكنت قاضيه ؟ قال نعم . قال : فدين الله أحق أن يقضى »

Hadith rapporté par Ahmad.
EL SAYED SABEQ : Fiqh El Sounna, op. cit, T1 p. 397.
(Traduction personnelle.

3. Dixième mois du Calendrier islamique, il suit Ramadan.

1. « من صام رمضان ثم أتبعه ستا من شوال فكأنما صام الدهر »

Hadith rapporté par Abou Ayoub Al Ansari.
(Traduction personnelle)
Les juristes expliquent cette parole disant qu'Allah (T.P) décuple les bonnes actions, donc 36 jours de jeûne × 10 = 160 jours de jeûne. Si chaque année le jeûne est observé de cette façon, le fidèle aurait, propbalement, le qrand mérite du jeñe tout le long de la vie.
EL SAYED SABEQ : FIqh El Sounna, op. cit. T1 p. 380.

# Le Jeûne (Suite)

par DR. ZEINAB SABRI

Mais quels sont les actes qui rompent le jeûne ? Ce sont les "mouftirates", à savoir : l'ingestion d'aliments ou de boissons, le fait de fumer le tabac, l'oeuvre de chair, les émissisons spermatiques ou prostatiques, et le vomissement volontaire et provoqué. Mais le jeûne ne sera pas considéré comme nul si un de ces actes est commis involontairement. Cette règle est prouvée par le hadith suivant :

> "Celui qui mange ou qui boit involontairement doit poursuivre son jeûne car c'est Allah qui l'a fait manger et boire"(1).

Ainsi, Allah (T.P) nous donne la permission de manger, de boire et de consommer l'oeuvre de chair le long de la nuit, ce qui prouve que l'impureté majeure ne rompt pas le jeûne si la personne se réveille le matin en état de "djanaba". Mais si le jeûne surrégoratoire est rompu... est-ce qu'il doit être refait à titre compensatoire? C'est toujours la Tradition prophétique qui répond à cette question. On rapporte que le jour de la reprise de la Mecque, le Prophète rompit son jeûne surrérogatoire en disant :

> "Celui qui pratique un culte surrerogatoire est maître de lui-même. Il a le choix de jeûner ou de manager"(2).

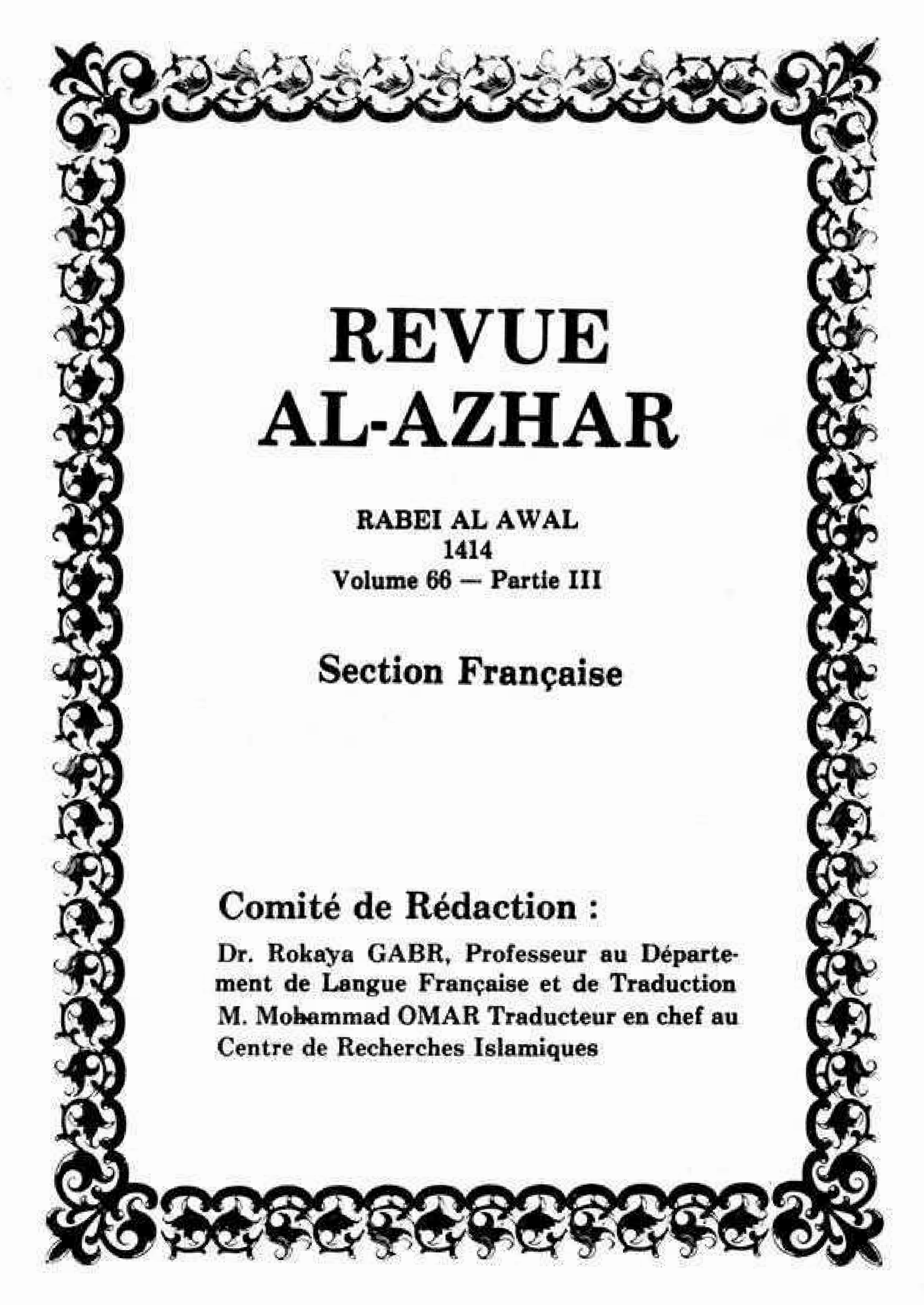
---

1. «من نسي وهو صائم فأكل أو شرب فليتم صومه ، فإنما أطعمه الله وسقاه»

Hadith rapporté par Abou Hourayrah.
EL SAYED SABEQ : Fiqh El Sounna, op. cit, T1 p. 396.
(Traduction personnelle).

2. «ان المتطوع أمير نفسه فإن شئت فصم وان شئت فافطر»

Hadith rapporté par Ahmad et Darqottni.
EL SABOUNI : Tafsir Ayât El Ahkâm, opi cit., p. 213.
(Traduction personnelle.



# REVUE AL-AZHAR

RABEI AL AWAL
1414
Volume 66 — Partie III

## Section Française

However in 1968, I had the occasion to travel to London with a group of students, in order to improve my English. God the Almighty led me to the Islamic Centre at Regents Garden, run by Al-Azhar (although there are many other Islamic Centres in London, run by other nations). I declared my Islam, and was given books to teach myself how to pray etc. But, best of all, I was introduced to the late Shaikh Ahmad Hassan El-Baquri, former Rector of Al-Azhar University, who happened to be in London ıor Medical treatment. He invited me to Egypt and to join the Azhar in order to study Arabic and the Holy Quran.

In October 1969, I arrived in Cairo for the first time. I got enrolled at the Islamic Girls' College at Madinat Nasr and received Arabic lessons. I was deeply impressed by Egypt, its culture and the kindness of its people who welcomed me warmly and helped me understand Islam better. Eleven months later I returned to my country and joined the university of my home-town, namely the Institute for Oriental Studies. My professors were mostly German orientalists who were full of prejudices and hostility against Islam, so that I had to hide my Islam in ordr to continue my studies till the Master's Degree.

At my university there existed a group of Muslim students from the Middle East and Indonesia, who gathered on Fridays to conduct prayers and listen to religious speeches. With their help I got to know my later husband, a Ph.D. student from Cairo. Since his parents were living in Kuwait (his father was a medical doctor), I travelled to Kuwait in the end of 1974, where we got married at the Embassy of Egypt. In summer 1975, when my husband received the Doctorship and I attained the Master's degree, we emigrated to Egypt where I have been working as a teacher and in 1977, we had our first son.

I found that it is much better to live in Egypt than in Germany because this is an Islamic country where I do not have any problems in professing my faith. Whenever I travel to Germany, in order to visit my relatives, I notice how difficult it is for a Muslim and how hard life he would have in the West. In the West, it is extremely difficult to perform prayers, to fast during Ramadan, to wear a scarf as Muslim women do, to avoid eating pork, etc.

Moreover, it is extremely difficult in the West to bring up one's children as good Muslims, since the environment exercises great influence over every child, and being a Muslim you are a kind of outsider to the westeners. Therefore, I am glad to live in Egypt, whose people are known for their kindness and whose climate is much better than that of Germany.

In 1989, I was able to make the Omrah together with my husband and my son, and to visit El-Madinah which made an everlasting deep impression on me. Last year (1990) I performed the pilgriamge (Hagg) with my husband, and I thank God the Almighty for all the mercy and guidance He has given me !

# The Story of my conversion to Islam and my Emigration to Egypt :

## A German student convert to Islam narrates

*by Iman El-Zeiny*

The story of every westerner's conversion to Islam that I have known or read about is rather unique and differs from that of other converts. In many cases, Western converts to Islam have undergone long periods of psychological, spiritual, social and even physical crises during which they were doubting in all their traditional beliefs and values. Their feeling of up-rootedness and their rejection of Western society surrounding them made them search for guidance in other directions, namely in the religions and philosophies of the East.

My own story is a unique one too, since I have become a Muslim as early as at the age of twelve. I was a pupil of the 6th class and had no contact with other Muslims. I was bron in 1950, in a rural area of West-Germany. I was a child of refugees who had been expelled from their homes in Eastern Europe after the end of World War II because they belonged to a German minority. Therefore, from the very beginning of my life, I had been in a state of insecurity, fear and need. My family belonged to the Roman Catholic Church but only by name, in reality they were free-thinkers. Thus, I was brought up without being admitted to church (baptized). At home, I was taught that there is an Almighty God, and that we are responsible for our deads, and that we have to lead a moral life. My relatives wanted me to chose by myself the right creed when I grow up, which I did. During my late childhood I was constantly searching for the right religion, and I attended church voluntarily, both the Catholic and the Protestant one (since I did not belong to either of them), and I took Protestant lessons at school, and attended Sunday-school, studying the Bible. In the end I thought of joining the Protestant Church, but God the Almighty saved me :

At that time I was reading a lot of books (reading being my greatest pleasure) on other cultures and religions. I was fascinated by the East, especially by the Islamic countries. Whenever I read some descriptions of Muslim customs and beliefs, I was deeply impressed. Finally, I asked my family to give me a translation of the Quran and a Biography of the Prophet (Peace be upon him). On Christmas Eve 1962, I was given these books as gifts and I started reading them for a couple of hours. At about Midnight I had the feeling that Christianity was wrong, and that I wanted to become a Muslim. My relatives tolerated my ideas, thinking that I was just in a romantical mood like many young people.

In the following years, I read more and more about Islam, however, often the books I could get, were written by orientalists, giving me wrong ideas. For example, I read that the veil of Muslim women was to be abolished in Muslim countries, as had been done in Turkey by Kamal Ataturk.

During all these years following my conversion to Islam in my heart and since I was living in a rural area, I did not have the occasion to meet real good Muslims and therefore did not know how to pray nor how to perform any other religious acts.

Reference :


1 — Arbery, A.J. 1964 The Koran Interpreted. London : Oxford Univ. Press. (first published 1955).

2 — Khalifa, M. 1983 The Sublime Qur'an and Orientalism. London : Longman Group Ltd.

3 — Khatib, M. M. 1986 The Bounteous Koran. London : Macmillan Press.

4 — Rodwell, Rev. J. M. 1921 The KORAN translated from The Arabic. London : J. Dent & Sons Ltd. (First published 1861).

5 — Ross, S. D. 1977 Translation As Judgment in Translation in the Humanities. edited by Marilyn Gaddis Rose. State University : New York.


المراجع العربية :


١ ـ أحمد ابراهيم مهنا : دراسة حول ترجمة القرآن الكريم .
القاهرة : مطبوعات الشعب ١٩٧٨ .

٢ ـ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية : لجنة القرآن والسنة .
المنتخب في تفسير القرآن الكريم .
مؤسسة التحرير للطبع والنشر ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٨م .

٣ ـ عبد الله أحمد بن محمود النسفي : تفسير النسفي .
مصر : دار احياء الكتب العربية .

The first and most important point is that both Arabic and English languages come from two different families of languages : Semitic and Germanic families respectively. Therefore, they have two quite different sentence structures and we would expect different kinds of problems in translation arising from the gaps between these two languages. For example, a word in one of these languages might not have an equivalent in the other; as the word "al-Rahman" for which Khatib (1986 : VI) found great difficulty in "finding English words that precisely match the Arabic meaning."

Another major point is that the translator must realize that any literary text is composed of complex set of systems in relation to other sets outside its boundaries; and thus he must not focus on one set at the account of the other. The translator must also observe the cultural differences between SL and TL and should not therefoe ignore any cultural factor. This means that the translator must be quite acquainted with cultural and social factors in both SL and TL.

The art of literary translation, therefore, necessitates that the translator be skilfully trained, have good linguistic knowledge of both SL and TL Cultural and social knowledge, good deal of imagination and common sense. He must also work hard enough to reach a translation as close as possible to the SL. The art of translating the Qur'an, however, requires in addition to the above qualities, that the translator must be a native speaker of Arabic as well as a Muslim who acquired deep knowledge of Islamic history, culture and tradition. These qualities being present in Khatib made his translation more adequate than the other previous translation mentioned above. However, as we have seen from the above discussion that even Khatib has some misinterpretations of words or verses of the Qur'an despite the fact that he is a Muslim native speaker of Arabic.

The question, then arises as to how could we allow a non-native speaker of Arabic to attempt a translation of the Qur'an?! We, native speakers, like Khatib, could sometimes find great difficulty in comprehending fully the interpretation of the Qur'an, so what about non-native speakers and non-Muslims?! It must also be noted that translation is itself a sort of judgement as discussed by David Ross (1977). It is a judgement in the sense that the translator usually selects the words taht suit the meanings he arrives at. So, who could be a judge to the meanings of the Qur'an ?! Therefore, I suggest that the translation of the Qur'an should not be an "individual effort" but rather an effort of a team of Al-Azhar scholars who have reasonable command of English as well as a team of linguists who are native speakers of Arabic and have good background on Islam and Islamic teachings. These two teams sitting and working hard together should be able to overcome most of the difficulties, misunderstandings and misinterpretations faced and presented by Khatib and previous translators. This type of translation is badly and urgently needed especially at that time when Islam is facing challenges from the west.

translated it as :

« As for those who can afford with hardship, (there is) redemption in feeding an indigent. »

Khatib's use of the word « afford » is more suitable in rendering the meaning of the Arabic word « يطيقونه » ; as according to Webster dictionary the meaning of the word « afford » can be « to manage to bear without serious detriment ». Khatib being a native speaker of Arabic could comprehend the meanings of Qur'anic words and verses better than Araby.

in surat Al-Qasas, Ayyah 68 :

وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ

he translated it as follows :

« And your Lord creates whatever he will and he chooses They have no choice... »

**Khatib, similar to Rodwell, explains in a footnote the meaning of the pronoun « they » as the « false Gods ». This interpretation of the pronoun « هم » is unacceptable according to AL - Muntakhab interpretation of the Qur'an which is authorised and presented by the Supreme Council for Islamic Affairs. Al - Muntakhab interprets the pronoun to be « الخلق » meaning people and this interpretation is also supported by Al - Nasafi interpretation of the Qur'an. Furthermore, it could be also emphasized by the Ayyah following which says :**

وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ

translated as :

« And your Lord Knows what their breasts conceal and what they avow ».

It must be noted that the use of word « صدورهم » translated by Khatib as "breasts", in the above Ayyah, which immediately follows the preceding one in Surat Al-Qasas, cannot be used for Gods. It is only people who can have "breasts" and not Gods. Therefore, we conclude that the pronoun « هم » in the above Ayyah must be referring to people and not false Gods as Khatib interpreted.

It must be noted, from the above discussion and illustrations, that the translation presented by Khatib being the most recent work in this line has to some extent overcomed many of the misinterpretations and pitfalls which previous translators have presented. The main reason lies in the fact that Khatib as an Egyptian Muslim scholar who is a native speaker of Arabic has good command of English, has dedicated a good deal of his time to reading classic and modern books on Islamic studies as well as studying many classical commentaries which have had a great effect on his understanding of the Qur'an ....

However, it is necessary to conclude my papper by discussing some important issues about the art of literary translation and to suggest qualities recommended for translators in general and for Qur'anic translators in particular.

actually "to be despised" which is result of being debased. The word « المسكنة » here means the psychological poverty and not the material poverty. The misunderstanding of the words must very well be due to the fact that no matter how good Arbery knows the Arabic language, he is still a non - native speaker of the language, thus he must be liable to make mistakes of this kind as he cannot comprehend the fineness of the Arabic language.

A third example of the misinterpretation of Arbery of the Qur'an can be seen in Ayyah 184 of Surat « Al-Baqarah » :

وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ

Which he translated as :

« and for those who are able to fast, a redemption by feeding a poor man ... ».

Here, he has used the word « able » for the word « يطيقونه » which actually means those who can bear fasting with difficulty. The word « able » used in his translation simply means « يقدر » which contradicts the proper meaning of the Ayyah which means that those who are not able to fast should make a redemption by feeding the poor.

It is of great importance, however, to look at the most recent translation of the Qur'an by M.M.Khatib entitled The Bounteous Koran and authorized by Al - Azhar in 1984. In the preface to this work, Khatib talk about «The eternal miracle of Islam » : the Qur'an which includes the best of the moral values, the perfect guide for happiness of mankind and a style which is most bountiful, compact, influential and having an un immitable means of expressing the « majesty and sublimity of God. » khatib carries on explaining some of the difficulties which he had to face in accomplishing his work. He says on page VI of the preface :

> «The most tangible difficulty that I faced, and that which surely faced those who have translated the Koran before me, was the omissions and additions of the figurative words that are of the beauty, eloquence sequence and rythemic pattern of the Book.»

Then, he carries on listing more difficulties, saying :

> « The second difficulty was the commitment to an extreme precesion in translating letter by letter and word by word maintaining the exact sequence and construction of the Arabic verse. ».

At this point, I would like to mention that Khatib in his title of the Book, he gives a subtitle in smaller print « A Translation of meaning and Commentary ». Therefore, how can this work be a translation of meaning and commentary and he did his best in "maintaining the exact sequence and construction of the Arabic verse » ! The question, then arises as to why does he want to preserve the construction of the original Arabic text when he is only translating the meanings of the Qur'an ! It must be noted that these two languages originate from different families of languages : Semitic and Germanic, and it is therefore impossible to « maintain the exact sequence ».

In order to see how he has actually dealt with the translation of the Qur'an, it would be more illustrative to give samples of his work. Khatib, unlike Arbery, in Ayyah 184 of surat « Al - Baqarah ».

وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ

This interpretation could be also confirmed by Al — Nasafi's interpretation of the Ayyah on Page 238 Vol. 4

«أي أخرج الذين كفروا عند أول الحشر ومعنى أول الحشر أن هذا أول حشرهم إلى الشام» .

or in another alternative by Al — Nasafi on the same page:

«وقيل:معناه أخرجهم من ديارهم لأول ما حشر لقتالهم لأنه أول قتال قاتلهم رسول الله ﷺ» .

It is obvious from the above interpretations that Rodwell was mistaken to translate it as «and join those who has emigrated previously». The words «لأول الحشر» mean at the time of the first confrontation.

Moreover, in Rodwell's translation of Surat «Al — Ma'uun», Ayyah 5:

ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ

" But in their prayers are careless".

He obviously misinterpeted the meaning for there is a great difference between forgetting to pray «عن صلاتهم» and being careless in prayers. «في صلاتهم» The use of the preposition «عن» means that people could get oblivious or forget to pray but it does not refer to those people who are praying and could forget to perform part of the prayer or recite part of what they should be saying during prayers. He also dropped the translation of the relative pronoun «هم» .

Arbery was christian and yet unlike Rodwell and Dawood, he agrees that the Qur'an being a great work should not be translated. Hence the title he chose, The Koran Interpreted, which is the interpretation of the text and not its translation. However, Arbery as a non - native speaker of Arabic has fallen into many misinterpretations of the words and sometimes verses of the Qur'an. Thus, for example, in Surat "Al - Baqarah", Ayyah 61, Arbery translated the sentence: «اهبطوا مصراً»

as,

« Get you down to Egypt ».

This is definitely a misinterpretation as the word «مصراً» marked with nunnation makes it an indefinite noun referring to any inhabited city and not Egypt. The second reason for his misinterpretation is the fact that this sentence «اهبطوا مصراً» refers to moses and his people who had finally got out of Egypt safely. Therefore, how would Moses ask them to go back.

Another example of misunderstanding the words of the Qur'an, could be seen in Arbery's translation of the last part of the same Ayyah 61 surat « Al - Baqarh »:

وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ

as,

«and abasement and poverty were pitched upon them». Obviously, he was mistaken in translating the word «المسكنة» as poverty. The meaning of this word here is

(5) The interpretation of this Ayyah could also be translated as; that is their first gathering to be sent away to «Al — Shaam». The other interpretation could be translated as: God sent them away from their homes for their first confrontation with the prophet (MPBUH).

# An Approach to the Translations of the Meanings of the Qur'an into English.

## Part II

*by Dr. Trandil Hussein El Rakhawi*

The subject of the translation of the meanings of the Qur'an has been and still is of great interest and importance to Muslim scholars all over the world. It is therefore necessary, before going into the discussion of the pitfalls of the translators in rendering the meanings of some verses of the Qur'an into English, to give a brief survey of the history of the different translations of the meanings of the Qur'an and the religious back ground of some of these translators, as given in Part I in last month's edition. This survey is of great help in evaluating the translations of the verses discussed in Part II.

As we have seen before, Rodwell, who was a priest and one of the leading members of the church, was mistaken to mention in his introduction that the Suras revealed in Medina were placed in the Book preceding the Suras revealed in mecca. He also added that some Ayyahs revealed in Medina were placed in the middle of Suras revealed in Mecca and vice versa.

Moreover, Rodwell could not comprehend the discourse of the Qur'an which is full of great meanings. This can easily be illustrated by the many mistakes, misinterpretations and misunderstandings which he has fallen into in his translations of the different verses of which examples are given below :

In translating the second Ayyah of Surat «AL — Hashr»



Rodwell does two major interpretations :

> «He it is who caused the unbelievers among the people of the book to quit their homes and join those who has Emigrated previously».

The part in feavy print above is a misunderstanding by Rodwell for the words «لأول الحشر» . The meaning of the word «حشر» in 'El Asry' dictionary is actully the gathering of people or forces and the use of the preposition «ل» in «لأول» means «at the time of». However, according to Al — Muntakhab's interpretation of this Ayyah on page 815 (4) :

«هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب ـ وهم بنى النضير ـ من ديارهم عند أول اخراج لهم من جزيرة العرب» .

---

(4) The interpretation of this Ayyah could be translated as : it is God who forced the unbelievers of the Book to quit their homes in the Arab peninsula at the first time they were gathered.

# AL AZHAR MAGAZINE

## ENGLISH SECTION

Vol. 66, Part III
Rabei Awal, 1414, Hijrah

EDITOR : Dr. TRANDIL HUSSEIN EL RAKHAWY. PHD

## CONTENTS

1. An approach to the Translations of the meanings of the Qur'an into English Part II
*By : Dr. Trandil Hussein El Rakhawy*

2. The story of my conversion to Islam and my Emigration to Egypt.
*By : Iman El-Zeiny*

"Nothing would be of greater benefit to Muslims and to Humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

# الفهرس


الموضوع — صفحة

- الإفتاحية ( مطلع ربيع )
للدكتور على أحمد الخطيب ........ ٣٢١

**• مع الإمام الأكبر •**

- فى ذكرى مولد الرسول صلى الله عليه وسلم
للإمام الأكبر شيخ الأزهر ........ ٣٢٥
- فتوى فى بيان بعض أحكام المضاربة للإمام الأكبر ..... ٣٣٠
- فتوى فى أحكام الذبح فى الإسلام
للإمام الأكبر ........ ٣٣٤
- مع تفسير سورة الأنفال
لفضيلة الدكتور عبد الجليل شلبى ........ ٣٣٨
- أعظم نبى وأكرم مولود فى الوجود
لفضيلة الشيخ محمد حافظ سليمان ........ ٣٤٢
- قبس من أنوار النبوة (من أخلاق الرسول)
للشيخ على حامد عبد الرحيم ........ ٣٤٨
- أثر صلح الحديبية فى نشر الدعوة الإسلامية
أ.د. عبد العليم العدوى ........ ٣٥٠
- الخلاف الفقهى
لفضيلة الشيخ أحمد عبد الله العليمى ........ ٣٥٤
- فى ذكرى المولد الشريف (صلاة الله تعالى وصلاة العباد)
للشيخ عبد المنعم سليمان مسلم ........ ٣٥٩
- الأسرار بين الحفظ والإفشاء
د. إبراهيم سليمان عيسى ........ ٣٦٣
- القيادة الإدارية
إعداد الدكتور محمد عبد الله آل ناجى ........ ٣٦٨
- الحسد فى الأحاديث النبوية ( ٢ )
للأستاذ / الدكتور محمد شامة ........ ٣٧٦
- اسمى الحب فى الإسلام
للأستاذ / محمد سيد حسان خفاجى ........ ٣٨٤
- الفتاوى : إعداد الأستاذ / عبد المنعم فودة ........ ٣٨٧
- من أعلام الأزهر (الشيخ مصطفى القاياتى)
إعداد الأستاذ / رجب محمد على فطلون ........ ٣٨٩
- طرائف ومواقف
للأستاذ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ........ ٣٩٢
- من روائع الماضى بمجلة الأزهر (إشاعة السوء)
إعداد وتقديم أ. / عبدالفتاح حسين الزيات ........ ٣٩٤

**• العلوم الكونية •**

- الهندسة الوراثية والأخلاق
عرض وتحليل أ. د. أحمد فؤاد باشا ........ ٣٩٩
- الحد الأقصى للسرعة الكونية فى عالم الشهادة
أ. د. منصور محمد حسب النبى ........ ٤٠٤
- الجديد فى العلم والتقنية
إعداد د. نجوى السيد أحمد ........ ٤٠٩

**• الشعر والشعراء •**

- سناء الرشد والكرم
للشاعرة / عائشة التيمورية ........ ٤١٢
- ذكرى المولد للشاعر / اللبنانى عدنان مردم بك ........ ٤١٣
- وحى المدينة المنورة للشاعر / عزيز أباظة ........ ٤١٤
- سيرة النبى للشاعر / السورى الدكتور زكى المحاسنى ........ ٤١٥
- موكب النور للشاعر / عبد الغفار الدلاش ........ ٤١٦
- حديث إلى هلال المولد
للشاعر / محمد الأخضر السائحى ........ ٤١٨
- موكب النور للشاعر / حسن عبد الله القرشى ........ ٤١٩
- صلاة الله وسلامه عليه
للشاعر / محمود حسن إسماعيل ........ ٤٢٠
- مملكة العجائب للشاعر / محمد الأسمر ........ ٤٢١

**• اللغة والنقد والأدب •**

- صفة صلاة النبى صلى الله عليه وسلم
عرض وتقديم أ. / محمد البشير حسين نافع ........ ٤٢٣
- المرأة فى الغرب الأوروبى فى العصور الوسطى
عرض وتقديم قسم التحرير ........ ٤٢٩
- نظرة المجمع الغربى للمرأة
للأستاذ الدكتورة اسمت غنيم ........ ٤٣٢
- القصيدة العربية والوحدة الموضوعية ( ٥ )
للأستاذ / أحمد مصطفى حافظ ........ ٤٣٣
- الإلتزام النحوى والجرس الموسيقى للشعر
للدكتور / عبد الرءوف محمد عثمان ........ ٤٣٦
- نافذة على اللغة العربية فى نيجيريا
للأستاذ / صابر ثعلب ........ ٤٤٥
- بين المجلة والقارئ
إعداد وتقديم د. محمد عبد الحكيم محمد ........ ٤٤٨

**• أنبــاء وآراء •**

- إقامة المسجد شكر وحسن ذكر
للإمام الأكبر شيخ الأزهر ........ ٤٥٥
- أنباء مكتب الإمام الأكبر
إعداد الأستاذ / مصطفى عبد المجيد ........ ٤٥٧
- أنباء العالم الإسلامى
إعداد الأستاذ / مجدى عبد الحميد بشير ........ ٤٥٩

**Section Française**

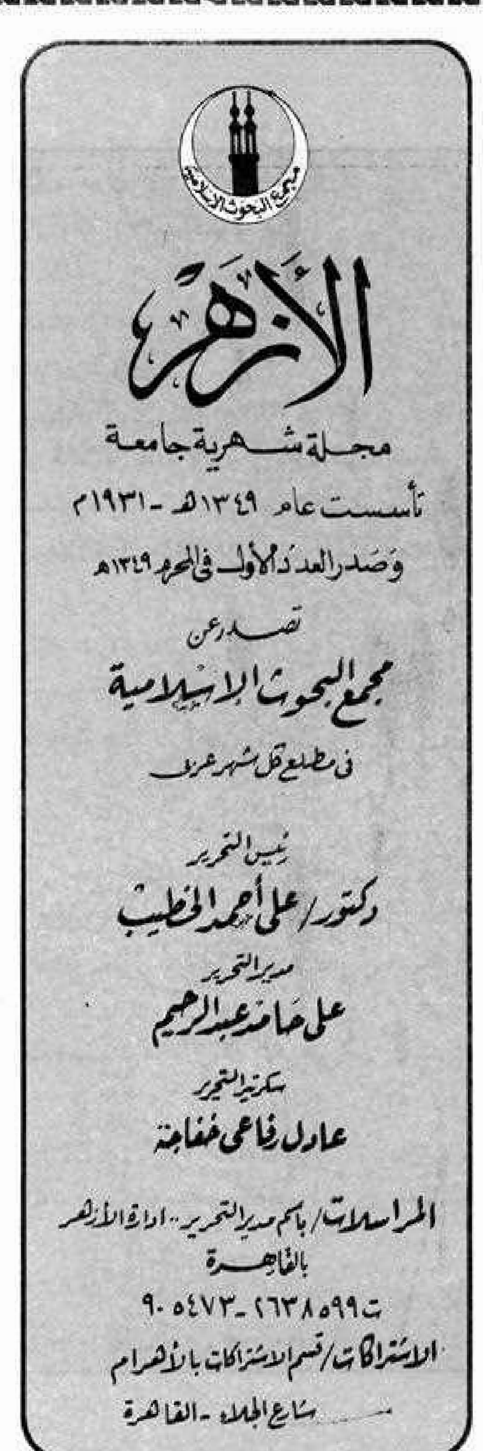
Article 2 :- Par, Mohamad Omar ........... 463

Article 1 :- Par, Dr. Zeinab Sabri ........... 469

**English Section**

Article 2 :- By Iman El-Zeiny ................ 472

Article 1 :-
By Dr. Trandil Hussein El Rakhawi ......... 478




بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة العالمين ، وعلى آله وصحبه وتابعيه إلى يوم الدين

# هل أعلنت « العلمانية » الحرب على الإسلام ؟

وهل العلمانية لاتمثل أقصى التطرف حين تريد أن تقتحم الإسلام لتنقض بديهياته .

ثم هذا الشطط الذى تَخْلِطُ فيه الأمور فتترك دراسة الحوادث نفسها لتهاجم الإسلام .

وإذا أَعْلَنَ أحدُ أقطابها ـ ثم لايُكَذِّبُ ماأُسْنِدَ إليه ـ لِيُلْقِيَ آراءه الشخصية فيرمى الشريعة الإسلامية بالنقص ، والقرآن الكريم بعدم الوفاء بحاجات العصر ، ويردد :

● أن مقولة .. « القرآن صالح لكل زمان ومكان » لم تعد صالحة الآن .

● وأن القرآن لايشتمل إلا على مائتى آية تحتوى الشرائع والأحكام ، وهى ـ أى هذه الآيات ـ غير كافية لهذا العصر واحتياجاته .

ثم يقحم أفكاره على سنة رسول الله - ﷺ - فيرى أن :

- ماصدر عن رسول الله - ﷺ - من أقوال وأفعال لاتعد كلها وحيا .
- وعبارة : «لا اجتهاد مع النص» فضفاضة تحتاج إلى إعادة نظر

هكذابمنتهى السهولة يبسط هذا العلمانى لسانه فى القران الكريم والسنة الشريفة .

فأما كتاب الله - تعالى - فيكفينا فيه قوله تبارك وتعالى :

﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ المائدة الآية: ٣

ودعوى أن آيات الأحكام فى الكتاب العزيز مائتا آية خلط لايبرأ من سوء القصد ، وقول لارجوع فيه إلى مصادر آيات الأحكام التى تصدى لها الأئمة القرطبى ، والجصاص والعز بن عبدالسلام ، وغيرهم ، قدامى ومعاصرون ، فلم يفرق هذا القائل بين (الآيات الأمهات) وما يتبعها من آيات .

ثم من صاغ هذه الآيات :

إنه ليس بشرا يخطىء ويصيب .

وليس بشرا يعجز - بحكم بشريته - عن الإحاطة بصنوف الخلق وما يصدر ، وما سوف يصدر منهم من أعمال .

إنه ليس بشرا يعيد القول ويبديه .

إنه الله .. وحده .. وكفى به عليماً حكيماً ، جعل حكمه صالحاً لإدارة الكون كله فى أى زمان وأى مكان ، وليس بضاره إنكار المكابرين .

وأما السنة فيكفينا - بياناً لدقة أحكامها وشمولها - قوله - ﷺ : «أيها الناس ، إنى تارك فيكم أمرين . لن تضلوا - بعدى - بهما أبداً : كتاب الله وسنتى» .

فأحكام السنة قائمة أبداً بنص قوله صلى الله عليه وسلم - هذا[1] .

وبعد :

فلمن هذا الحديث ؟

- أ للمسلمين فرداً فرداً ليقتنعوا أن كتاب الله - سبحانه - غير كافيهم ، وأن فى العلمانية الكفاية ؟

إنه ما من مسلم سمع هذا الحديث العلمانى ، أوتُلِيَ أمامه إلا ضاق به صدرُهُ ، وأحس بإثم ما قرأت عيناه ، أو سمعت أذناه ، وبرىء إلى الله - تعالى - من هذا القول الأثيم .

(١) انظر للحاكم : المستدرك على الصحيحين ٣/١١٠ ط الهند .

لمن هذا الحديث :

أ للدولة .. ؟

لا ؛ فإن الدولة جعلت الإسلام دينها الرسمي ، ومصدرها الأول للتشريع .

فلمن ـ إذن ؟

أ لمصلحة الغرب صانع العلمانية ؟

قد يكون ، فالغرب حاليا يعتبر الاستمساك بالإسلام وإحياءه ـ سلوكا وتشريعا ـ ( معارضة لمصالحه ) .

كذا معارضة لمصالح الغرب ، سمعتها أذناى ووعاها قلبى من ( إذاعة لندن ) **B.B.C** أوائل هذا الشهر ( سبتمبر ) ... نقلا عن ( الديلى ميل ) صراط الاستعمار الأثيم .

ثم هأنذا أَشَمُّ مصالح الغرب فى هذه الكلمات .. وأين .. ؟.. فى مصر .. ؟ يَا لله

ولنتساءل :

كيف ـ إذن ـ تمكنت لجان الأزهر الشريف من وضع دستور الشريعة مبوبا مفصلا ، ثم رفعته إلى المسئولين بمجلس الشعب .. حيث هو الآن .. ؟

هلا اطلع هذا الداعية عليه .. وأفادنا عن مواطن النقص فيه .. ؟

ولنتساءل :

أليس كان الأجدر ، وهو يتعرض لسنة رسول الله ـ ﷺ ـ أن يذكر أى أبوابها هذا الذى ليس وحيا .. وعلاقة هذا الباب بالأحكام .

ألا ـ أيها السادة العلمانيون ، اهْنَئوا بدنياكم ، ودعوا كتاب الله لمن يحبه ، وشريعته لمن يحرص عليها .

● ● ●

رحم الله حذيفة ـ رضى الله عنه ـ قال :

« كيف أنتم إذا انفرجتم عن دينكم كما تنفرج المرأةُ عن قُبُلِهَا لاتمنع من يأتيها . ؟

قالوا : لاندرى .!

قال : « ولكنى ـ والله ـ أدرى .. أنتم يومئذ بين عاجز وفاجر[٢] » .

اللهم إن أولياءك بِمَنْجى من العجز والفجور ، فاحفظنا اللهم .

---

(٢) مصنف ابن أبى شيبة ـ كتاب الفتن ١٥/١٨ .

# كلمة

# الرئيس محمد حسنى مبارك فى احتفال مصر بذكرى المولد النبوى الشريف

الذى نظمته وزارة الأوقاف بالاسكندرية
فى الثانى عشر من ربيع الأول سنة ١٤١٤ هـ

العلماء الأجلاء .
الأخوة والأخوات ..

إن من أسعد ساعات العمر أن أحضر معكم هذا اللقاء الحميم الذى نحتفل فيه معاً بذكرى متجددة مجيدة ، ومناسبة خالدة سعيدة .. إنها ذكرى مولد نبينا العظيم ، ومناسبة بزوغ فجره عليه أفضل الصلاة والسلام ، فقد كان هذا المولد نقطة تحول فى تاريخ الإنسانية ، عبر بها من الضلال إلى الهدى ، كما كان هذا الفجر بداية اشراق ساطع لكل البشرية ، خلصها من كثافة الظلمات إلى تألق الأنوار فهو ميلاد خاتم الأنبياء ومتمم رسالات السماء ، والمبعوث من رب العالمين رحمة للناس أجمعين .. ولذلك فلو انصف العالم ، أو لو عرف حقيقة هذا الرسول الكريم ، لشاركنا احتفالنا بهذا اليوم الذى يستحق كل اجلال وتعظيم .

إن الاحتفال بهذا اليوم يعبر عن معانى الوفاء منا ، ويرسم لنا معالم القدوة ، كما يجسد أروع المثل للصاعد من أجيالنا .. كذلك يذكرنا الاحتفال بهذه الذكرى بأرفع القيم وأسمى المبادىء التى أرسى دعائمها صاحب الذكرى والتى هى وحى الله إليه ـ صلوات الله

**وسلامه عليه ــ بعد ان اختاره هادياً ونذيراً ، وداعياً إلى الله باذنه وسراجاً منيراً .. فكانت هذه القيم والمبادىء دائماً سبيل النجاة الراشدة ، وطريق الهداية والصلاح ، واليد الحانية الممدوة من السماء بالسلام والعطاء للبشرية قاطبة وللإنسانية جمعاء .**

## الاقتداء بصاحب الذكرى

ومن هنا ، فاننى أرى ــ كما رأيت دائماً ــ ان خير احتفال بهذه الذكرى ، هو الاقتداء بصاحبها والسير على هداه ، والأخذ بتعاليمه وتأسى خطاه ، واتباع ما جاء به وحياً عن ربه من قيم راقية ومبادىء سامية ، فبذلك نكون قد أفدنا من الذكرى واستجبنا لدعوة الله عز وجل ولرسوله الكريم : « وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين » .

فسيرته العطرة ــ عليه الصلاة والسلام ــ من مولده إلى ان لحق بالرفيق الأعلى ، هى نموذج رائع للإنسان القويم ، الذى يجب ان يقتدى به فى كل مراحل حياته ، من الطفولة الطاهرة النقية ، إلى الصبا البرىء المتفتح ، المصون بالتهذيب والتوجيه إلى الشباب العف الملتزم المكافح ، المحصن بالقيم الاخلاقية العالية ، والأخذ بالسلوكيات المثالية السامية والمتجه إلى التأمل والتعبد دون غلو أو تطرف ، إلى الرجولة الرائعة الباهرة المهيأة لتحمل أعظم التبعات وأداء اسمى الرسالات ، بكل ما يتطلبه ذلك من ذكاء وتفتح وصبر وجلد وتقدير لجسامة المسئولية وأمانة الالتزام .

ثم استطرد قائلا : إننا ونحن ندعو إلى صحوة وطنية وقومية كبرى ، علينا ان نهتدى بالقيم الإسلامية الحقة والسيرة النبوية العطرة ، التى تعمق فى نفوسنا الشعور بوحدة المجتمع الإنسانى ، وبالمحبة والإخاء أساساً لقيام المجتمع الإسلامى المتماسك ، وبالتسامح والتعايش بين المسلمين وغيرهم ، بعيداً عن مفاهيم التعصب والبغضاء والعداء .

ومما يحز فى نفس المسلم الغيور على دينه أن يرى البعض من أبناء الأمة يسقطون فى هاوية التجاوز السلوكى والخلقى ، والتخلف الفكرى والعلمى ، والضعف الاقتصادى والانتاجى والتناحر القبلى والسياسى ، والتطرف الدينى والمذهبى ، وتلك ظواهر مرضية خطيرة ، أخرت أمتنا وأبعدتها عن مكان الصدارة الذى احتلته بجدارة لعدة قرون ، كما سببت هذه الأمراض اهتزاز صورة أمتنا وتشويهها فى عيون الآخرين وجعلت البعض يسيئون الظن بنا ويتهمون الإسلام نفسه ــ ظلماً أو خطأً ــ بتهم هو منها براء .

ودعا سيادته إلى الرقى الفكرى تأسيساً على دعوة سيدنا محمد ــ ﷺ ــ التى عالجت التخلف الفكرى والعلمى علاجاً جذرياً ناجعاً ، حيث أقام دعوته على الفكر الصحيح والعلم النافع ، الفكر الذى يتأسس على إعمال العقل واستشراف الحق ، والبعد عن الأوهام والتبعية والتقليدية .. والعلم الذى يلبى احتياجات الفرد والجماعة ويصلح أحوال الناس فى الدين والدنيا ويدفع الشعب والأمة إلى آفاق التقدم ومنازل الصدارة ، ويسمو بهم إلى مراق السمو والتحضر .. وما أكثر آيات القرآن الكريم التى تحض على الرقى الفكرى والتقدم العلمى وما أغزر الأحاديث النبوية الشريفة التى تؤازر هذه الآيات البينات ، واستجابة من المسلمين الأوائل لهذه الدعوة إلى

الرقى الفكرى والتقدم العلمى فإنهم أقبلوا بكل الشغف على مناهل الفكر الراق ومنابع العلم النافع وراحوا يحصلون العلم والمعرفة ويؤلفـــون ويبدعون ، حتى استوعبوا كل المعارف الإنسانية التى شهدها عصرهم وما سبقه من عصور ، ثم أضافوا علوماً ومعارف كانوا هم واضعى أسسها ورواد طريقها والأعلام المبرزين فيها كل ذلك مع تفتح فكرى ونضج عقلى هائل ، اهدى للإنسانية من مفكرى المسلمين من ة تزال اسماؤهم محفورة فى سجل الخالدين .

وأما الضعف الاقتصادى والإنتاجى ، فقد قاومه محمد ـ صلوات الله عليه أشد المقاومة بقيمه البناءة ومبادئه الخلاقة ، حيث دعا بآيات القرآن الكريم وبالأحاديث النبوية الشريفة وبالسلوك المثالى القدوة ، دعا إلى العمل الجاد النافع وإلى الانتاج الغنى الوفير ، الذى يعود بالخير على الفرد والجماعة والذى يحقق تعمير الأرض بالعرق وحسن الأداء ويجعل الحياة تزدهر بالبذل وموفور العطاء ، وما أروع قول الله سبحانه :

﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ .. انها دعوة إلى العمل والانتاج والتعمير ، وبذل كل الجهد فى سبيل التنمية ومتانة الاقتصاد ، حتى تتحقق أرادة الله جل شأنه فى تعمير الأرض وازدهار الحياة .

كما بيّن أنه ـ ﷺ ـ عالج التناحر القبلى والسياسى بالدعوة الملحة إلى الوحدة والاعتصام بحبل الله وبالتحذير الشديد من التنازع والتخاصم والصراع والتصادم واعتبر كل ذلك من عيوب الجاهلية المقيتة والهمجية البغيضة وقد تجلت الدعوة إلى الوحدة فى نصوص كثيرة من القرآن الكريم والسنة المطهرة . ومن آيات القرآن الكريم قوله جل شأنه : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ ..

وقوله سبحانه : ﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ .. وبهذه الروح الإسلامية التى تحث على التجمع والتضامن ، ترابط العرب فى العهود الأولى ، وأصبحوا بالفعـــل اخـــوة متحدين .

وفى معرض حديثه عن حرية العقيدة أوضح سيادته أن التطرف الدينى والمذهبى قد رفضه محمد ـ ﷺ ـ رفضاً شديداً وفى المقابل ، حث على السماحة ، ونادى بالرفق ، وشرع الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة .. كما ادان كل وسائل القهر وأساليب العنف ومظاهر التشدد . وقد تجلى ذلك فى نصوص عديدة من القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف . كما تجلى أيضاً فى سيرة الرسول الكريم الذى هو المثل الأعلى فى السلوك الإسلامى القويم .. وكل تلك النصوص المطهرة والسلوكيات القدوة ، تؤكد سماحة الإسلام فى حرصه على حرية العقيدة واحترام أصحاب الرأى المخالف ورفضه إجبار أحد على اعتناق رأى معين حتى ولو كان عقيدة الإسلام .. وما أروع قول الله سبحانه فى هذا الشأن : ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ وما اسمى قوله الكريم لنبيه العظيم : ﴿ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ .

**كما استنكر حوادث العنف ، وقال** : إن مثل هذه السلوكيات قد جعلت البعض من كتاب الغرب وساسته يظنون أن الإسلام قد أصبح الخطر الذى يهدد كيان السلام العالمى بعد زوال الخطر الشيوعى ، وقد اعتمد هؤلاء الكتاب والساسة على أقوال وأفعال البعض ممن ينتمـــون إلى

الإسلام ، ونسى هؤلاء ـ أو جهلوا ـ أن الإسلام فى جوهره لا يمثل إرهاباً ولا يجسد خطراً ، ولا يسبب للآخرين قلقاً أو فزعاً ، فهو فى جوهره دين المحبة والإخاء ، دين تقديس الحرية والحقوق الإنسانية ، دين العدالة والحضارة ، دين المساواة والسلام ، من أجل كل البشر ، مهما اختلفت ألوانهم وتباينت أصولهم وطبقاتهم .. فالمسلمون لم ولن يكونوا مصدر تهديد ، ولا قوة إرهاب فى العالم الجديد ، ولن يمثلوا الدور الذى يخيف الإنسانية ، لأن جوهر دينهم يرفض ذلك ، ولأن تاريخهم يكذب ذلك ، ولأن كتابهم الكريم ومأثور نبيهم العظيم يحرم ذلك .. وكل ما يصدر من بعض المنتسبين إلى الإسلام من مسلك مشين هو سلوك شخصى وتجاوز ذاتى ، يتحمل مسئوليته من اقترفه ، وليس الإسلام ولا المسلمون بمسئولين عن شىء منه . ولا وجه لإدانة الدين بتصرفات بعض من يتمسحون به ، ولا وجه لأخذ المجتمع الإسلامى بسلوكيات بعض من ينتسبون إليه .

ثم ختم خطابه بقوله : ومن هنا ، فإن علينا أيها الإخوة أن نجاهد فى مجالين :

المجال الأول : مجال إصلاح أنفسنا وتصويب أخطاء المتجاوزين منا .

والمجال الثانى : تصحيح صورتنا فى العالمين ، وإبراز جوهر ديننا أمام عيون الآخرين ، حتى لا يأخذوا الإسلام بعيوب بعض المسلمين ، وحتى لا يقف العالم منا موقف العداء ، ولكى نستطيع أن نأخذ مكاننا فى النظام العالمى الجديد ، من خلال استقامتنا وتحضرنا وسلامة مسلكنا ، ومن خلال تعاوننا مع هذا العالم على إقامة العدل وتحقيق الشرعية وإقرار السلام العادل والاستقرار الاجتماعى الذى يسعد به الجميع ، إنه ليس من المصلحة فى شىء أن نعادى العالم ، ولا ان ندخل معه فى صراع لا جدوى منه ، وإنما المصلحة كل المصلحة هى ان نتعاون معه تعاون الأنداد ، وأن نحل مشكلاتنا إزاءه بالأساليب الحضارية ، كل هذا مع أخذنا بكل أسباب القوة التى تحقق لنا الندية ، وعندما نتحدث عن القوة فإنما نقصد القوة الفكرية والعلمية ، القوة الثقافية والحضارية ، القوة الاقتصادية والإنتاجية ، القوة الخلقية والسلوكية ، والقوة الدفاعية العصرية ، التى تحمى كل هذه القوى ، وتصون كل ما نحققه بها من إنجازات ونجاحات .

الإخوة والأخوات ...

إننى انتهز هذه الفرصة لأتوجه إلى أشقائى المسلمين فى كل بقاع الأمة . كما أتوجه إلى إخوتى العرب ، فى كل مكان من أرض العرب ، أتوجه إلى الجميع أفراداً وجماعات ، وأناشدهم أن نبدأ اليوم قبل الغد فى العمل على صحوة أمتنا ونهضة بلادنا من خلال أخذنا بالقيم السامية والقواعد الصحيحة لديننا الحنيف ، ففى هذه القيم صلاح لأحوالنا ، وضمان لاستعادة مكانتنا واسترجاع قوتنا ، شريطة أن نفهمها بحق ، ودون غلو أو شطط .

هذه دعوة أبعث بها من فوق هذا المنبر ، ومن أرض الكنانة قلب العروبة ودرع الإسلام .

وأرجو ان تجد هذه الدعوة ما تستحقه من استجابة من الإخوة المسلمين والأشقاء العرب فى كل مكان ، والله هو الموفق والمستعان . وكل عام وأنتم وأمتنا وبلادنا جميعاً بخير .

والسلام عليكم ورحمة الله .

# كلمة الإمام الأكبر في احتفال مصر بذكرى المولد النبوي الشريف

**دعا فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر إلى الاقتداء بالرسول الكريم صلى الله عليه وسلم فى الصدق فى العمل والدعوة والتراحم على الضعفاء والفقراء والمساكين والسماحة وأمانة الكلمة .**

وفيما يلى نص الكلمة :

السيد/الرئيس محمد حسنى مبارك ـ رئيس جمهورية مصر العربية فى ذكرى مولد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ـ نحتفى هذه الليلة بتلك الذكرى ونحن المسلمين نذكره صلى الله عليه وسلم دائما فى صلواتنا فى التحيات المباركات وفى الغدوات وفى الروحات هو شهادة رسالة جزء من كلمة الإيمان أشهد ألا إله الا الله وأشهد أن محمداً رسول الله .. احتفاؤنا بذكراه هو استعادة لما يجب أن يكون عليه فى قلوبنا وفى أنفسنا وهو قدوتنا . والأسوة تكون بالعمل على ما جاء به .. وبأخذ صفاته نبراسا وقدوة وصفاته عديدة وكثيرة ملأ الدنيا بها بركة وصلاحا وكان من صفاته التى اشتهر بها الصدق فأين صدقه صلى الله عليه وسلم من صدقنا فى عملنا وفى قولنا وفى دعوتنا وفى شهادتنا وفى كل عمل نرتجيه ونقدم عليه .

إن الصدق منجاة المؤمن .. إن الصدق يهدى إلى البر .. وإن البر يهدى إلى الجنة ..

وكانت صفاته صلى الله عليه وسلم الرحمة .. فأين التراحم فيما بيننا وأين التراحم على الضعفاء والفقــراء والمساكين .. أيــن نحن من هذه الصفات .

من صفاته صلى الله عليه وسلم الأمانة التى اشتهر بها وكان الصادق الأمين لدى قومه ، فقد كان القرشيون يعادونه ويتعدون عن سماعه ويؤذونه أشد الإيذاء ومع هذا هو الصادق الأمين عندهم .

وكانت ودائعهم وكانت أسرارهم وكان كل ما يملكون فى بيته أمانة لأنه لا يوجد سواه أمين .. لم يكن أمينا على الودائع فحسب بل كان أمينا على الرسالة أداها وأبلغها « يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ » .. هذه هى المهمة أداها .

نعم نشهد أنه أداها وبلغها ويتبعه أكثر من مليار مسلم الآن فى أربعة عشر قرنا .

نعم أدى الرسالة وبلغها كما أمر الله سبحانه .. تحمل أمانة ومسئولية الكلمة فلم يغل فيها ولم يبلغ شيئا مما أمر به .. إنها أمانة الكلمة إنها مسئولية الكلمة التى تحملها رسول الله صلى الله عليه وسلم فهل لنا نحن المسلمين أن نكون من الصادقين وأن نكون من الرحماء والراحمون يرحمهم الله .. وأن نكون من الأمناء فى أقوالنا وفى أفعالنا نحمل مسئولية الكلمة الصادقة الأمينة نأمل ذلك وكل عام وأنتم بخير والسلام عليكم ورحمة الله .




# السيد رئيس الجمهورية في مؤتمر العطاء الحضاري للإسلام

التي ألقاها السيد الدكتور رئيس الوزراء
استهل سيادته الكلمة قائلا :

فضيلة الإمام الأكبر : شيخ الأزهر الموقر .
السادة الوزراء والعلماء أعضاء المؤتمر الكرام .
السادة الحضور .
سلام الله عليكم ورحمته وبركاته .
وأهلا بكم على أرض مصر التاريخ والحضارة موطن الأزهر وحاملة راية الإسلام ، وسعدت بكم الاسكندرية عروس البحر الأبيض المتوسط بيت العلماء والفلاسفة والمفكرين منذ « أفلوطين » المصرى وحتى هذه الأيام وتحية إعزاز وإكبار لكم جميعا من الرئيس « محمد حسنى مبارك » رئيس جمهورية مصر العربية الذى عهد إلى أن أنقل إلى حضراتكم هذه الرسالة .

أيها الأخوة :

لقد عرف الإنسان حضارته الأولى من هذه الأرض المباركة ، وكانت حضارة بناء وسلام واستقرار ، حضارة علم وكشف للمجهول وارتياد للآفاق ، وظل العالم كله يرتوى من هذه الحضارة ويتعلم منها آلاف السنين حتى جاء الإسلام . هذا الدين العظيم الذى قامت دعائمه منذ اللحظة الأولى على العلم وتقدير العلماء .

فكانت أولى كلمات الوحى الالهى لنبيه محمد صلوات الله وسلامه عليه شاملة لأهم وأدق جوانب المعرفة .. معرفة الخالق فى عظمته وجلاله معرفة الإنسان فى عجيب خلقه وإعجازه ، معرفة العلم فى مكوناته وأسراره ، معرفة الكون وكشف مجهوله وارتياده :

« اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم » .

## دور علماء المسلمين :

عرف المسلمون الأول هذا المضمون فانطلقوا إلى جوانب المعرفة كلها يلمون أطرافها ويحتوون بناءها ، ويضيفون إليها من عميق أفكارهم ما كشف الكثير مما كان يجهله العالم ولا يعرف أسراره .

وظهرت على أيديهم أعظم نظريات الطب والفلك والطبيعة والهندسة والجبر التى كانت نواة لنهضة العصر الحديث بكل ما نعرفه ونشاهده فى هذه الأيام .

إن الحضارة الإنسانية عمل متواصل منذ فجر التاريخ ، ومع تسليمنا بأنها ليست حكرا على جنس دون جنس ، وليست ملكا لجماعة دون جماعة وليست وقفا على عصر دون عصر فإننا نؤمن بأن علماء المسلمين كان لهم دور خلاق فى وضع الأسس العلمية والفكرية والإنسانية التى بها استطاع العلماء فى العالم الإنتقال من العصور الوسطى إلى العصر الحديث .

ومن أول واجبات المسلمين اليوم أن يهتموا بالعلم والعلماء ، وأن تظهر مجهوداتهم فى مراكز البحث العلمى فى جميع المجالات ، حتى لا نكون مستوردين للتكنولوجيا والمخترعات الحديثة ، وإنما موردين لها كما كان أجدادنا العظام .

## مستقبل أفضل للإنسانية :

ومؤتمركم هذا فرصة رائعة لمراجعة النفس والتماس السبل لمستقبل أفضل للمسلمين خاصة وللإنسانية عامة .

ومن أولى مهمات المؤتمر أن نتوجه إلى شعوب الأمة الإسلامية وحكامها وحكوماتها ومؤسساتها وإلى الرأى العام العالمى بالدعوة إلى تحكيم القيم التى تقررها الأديان من العدالة والحرية والمساواة مع وضع معايير لحل كل المشكلات العالمية دون تمييز ، وبيان أن المسلمين متسامحون لأن منهج الإسلام التسامح . إنسانيون لا يعرفون بغضاً ولا غدراً لا يقتلون النساء ولا الأطفال ولا الشيوخ ولا الأسرى .. لا يصادرون الأرض ولا الديار ولا يعتدون على أحد نزولا على أحكام الإسلام فى الكتاب والسنة .

وأن تقول للنظام العالمى الجديد بكافة دعاته ودعاياته إن السلام الإنسانى أهم قضايا الحياة فى هذا العصر ، والعمل من أجل هذا السلام هو أقدس غاية ننشدها ونبذل من أجله أقصى طاقة وأعظم جهد ، وأن نقول للشعوب الإسلامية عليكم بالمزيد من الإلتزام بمبادىء الإسلام . اسلام الوسطية والسلام والأمن والاعتدال . الذى يدعو كل الناس إلى إعمار الأرض بالعمل الصالح والذى يقود إلى سعادة الدنيا والآخرة .. الإسلام الذى يرفض الإكراه ويقدس الحرية ويعلى من قيمة الإنسان ـ كل إنسان ـ ليصبح جديرا بالخلافة عن الله سبحانه وتعالى فى الأرض .

## وسطية الإسلام واعتداله

وأن نقول لرجال الإسلام المخلصين وحدوا صفوفكم على وسطية الإسلام واعتداله . وصححوا صورتكم وصورة الإسلام أمام العالم ، ورتبوا الأولويات حتى لا تستنفد الطاقات فى الصراعات الداخلية وتضيع مجهوداتكم وتظل أممكم تعانى من الجهل والفقر والتخلف ، ويختفى مكانكم تحت الشمس وتظل أحلامكم سرابا يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا .

أيها السادة :

إن من أظهر وجوه العطاء الحضارى للاسلام ، ما سنته الشريعة الإسلامية الغراء من قواعد لتنظيم العلاقات بين الدول والشعوب ، وبين الدول الإسلامية وغيرها من الأمم انطلاقا من عدة أمور مبدئية تؤكد أن البشر جميعا يكونون أسرة واحدة لأن أصلهم واحد وتجمعهم العبودية لله وحده بالفطرة التى فطر الله الناس عليها .

والإسلام يقيم العلاقات بين الدول على التعاون كما تقول بذلك الآية الكريمة **«يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا»** والتعارف هنا يعنى الاتصال الإيجابى لتبادل المنافع والخبرات لا للتنازع والتقاتل والخصام .

## مقومات الحياة المستقرة

أيها الأخوة :

إن من أبرز ما يتميز به الإسلام فى نظرته إلى المجتمع أنه سيظل قادراً على أن يعطى هذا المجتمع مقومات الحياة الهادئة المستقرة ــ لسماحته وانفتاحه على الأديان جميعا وتقبله الآراء والثقافات المتباينة فهو البسيط الواضح الذى لا يحوى سراً ولا يحتاج إلى فلسفة لتفسير قيمه ومبادئه فضلاً عن إيمانه الكامل بكل رسالات الله إلى الأرض «وبملائكته وكتبه ورسله . لا نفرق بين أحد من رسله»

وهو فى نظرته إلى الفرد والجماعة يقيم توازنا دقيقا ، فلا يقلل من شأن الفرد على حساب الجماعة ولا يعلى من شأن الجماعة على حساب الفرد ولا يجعل غايته فقط العدل دون الحرية بل يجمع بينهما فى تنسيق رائع ومواءمة صادقة تجعل الفرد فى خدمة المجتمع والمجتمع فى خدمة الفرد من خلال بناء الأخلاق وربطها بالسياسة والتربية ، وتشجيع الأفراد على التضحية من أجل الأمة والمجتمع .

## أساليب الحياة الراقية

أيها السادة العلماء :

**نحن شعوب قديمة عريقة طالتنا يد القدم ومرت بنا عوامل كثيرة . حاولنا منذ أزمان طويلة أن نجد الخلاص لها ، وكانت محاولات فى أغلبها تعود إلى القلب والجسد وتمتلىء بالمشاعر المشبوبة بالشعر والكلمة وبلاغة الموقف .**

**وقد آن الأوان كى نضع آمالنا فى القوة الخلاقة الدافعة للعمل والحركة ، وأن نحتوى أساليب الحياة الراقية ، وندخل عالم التكنولوجيا الحديثة ، لكى نصارع التقدم العلمى ونسبقه فى الحركة والعمل والتقدم .**

**إن هذه سوف تكون بحق مظاهر عودة الروح إلى أمتنا العظيمة وتلك رسالتكم .**

**وأتمنى من الله لكم التوفيق والسداد . إنه سميع مجيب .**

**والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .**

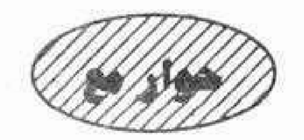
# كلمة فضيلة الإمام الأكبر

## فى مؤتمر العطاء الحضارى للإسلام

### المنعقد بالإسكندرية فى ١٠ ربيع الأول ١٤١٤ هـ

الحمدلله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وبعد

فإن كافة العلماء والمفكرين المشاركين فى المؤتمر مطالبون بأن يبرزوا للعالم وللناس جميعا معالم الحضارة الإسلامية ليس فى ماضيها فحسب بل فى أمالها ومستقبلها .. والإسلام عندما جاء بحضارته انتقل بالإنسانية من مرحلة البداوة إلى النظام والعمل والاستقامة فالحضارة الإسلامية هى التى أرست العدل والإحسانِ وأقامت الإعمار والتعمير وأسست نشر العلوم والثقافة وألزمت بالتواصل مع الحضارات الإنسانية المختلفة .. إن كل ذلك وأكثر منه ننتظره من علماء الإسلام ومفكريه الأفاضل الذين جاءوا اليوم للأسكندرية ليقدموا للعالم الصورة المثلى للإسلام البعيد عن التعصب والعنف والاعتداء على حرمات الناس .. كل الناس .. فالحضارة الإسلامية ليست للذكرى والتاريخ بل هى لليوم والغد وما بعد الغد ويجب أن يعلمها من لا يعلمها ويعرفها من يجهلونها ويسمع بها القريب والبعيد ليدركوا جميعا أن الإسلام هو دين الحياة الرائد دائماً والمتجدد دائماً .. وعلينا أن نواصل أداء دورنا كعلماء لنقول لشعوبنا الإسلامية أولا وللناس جميعا بعد ذلك إن الحضارة الإسلامية ليست حضارة التدمير أو الظلم أو الانتقام بل هى حضارة ارتفعت بالإنسان فى أخلاقه وعاداته وجمعت شعوباً متباينة الألوان والثقافات والأعراق والعادات ، والإسلام هو الذى علمهم عدم الظلم وعدم التفرقة العنصرية وعدم العدوان ؛ فحضارة الإسلام هى التى غرست فى الدنيا حضارتها الحالية وينسبونها الآن ظلما إلى غير الإسلام .




# فضيلة الإمام الأكبر

## التمسك بأصول الإسلام هو طريق الوحدة الإسلامية

**ولأن الأزهر الشريف هو أرفع مؤسسة إسلامية وعلمية وتربوية فى العالم الإسلامى .. فقد حملت تساؤلاتى[1] وذهبت إلى فضيلة الإمام الأكبر جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر .. ورغم كثرة مشاغله وارتباطاته ومسئولياته إلا أنه أفسح لنا كثيراً من الوقت وكثيراً من رحابة الصدر .. حرصاً منه على إظهار الصورة الحقيقية للإسلام ..**

**سألت فأجاب : لم يرفض سؤالاً ولم يصادر فكرة .. وتحدث فى كل شىء يخص الشباب والتطرف والفراغ الدينى ومناهج التعليم ودور الإعلام .. وقضايا وتساؤلات أخرى تناولها حوارنا الشامل مع فضيلته والذى يقدم فيه رؤيته العميقة لقضايا العالم الإسلامى ..**

**كان من الطبيعى أن نبدأ حوارنا مع فضيلة الإمام الأكبر ـ صاحب الكلمة الأخيرة والحاسمة فى كل ما يتعلق بشئون الإسلام ـ فيما جرى من أحداث عنف مؤسفة تجلب العار على مرتكبيها .. وحتى نتعرف على رأى الإسلام فى هذا السلوك وفيمن أقدم عليه .**

وجاء رد فضيلة الإمام الأكبر :

ـ لاشك أن الحوادث المؤسفة التى وقعت فى هذه الفترة الأخيرة فى أنحاء متفرقة أخذت طابع العنف فى التعامل مع الأحداث من جانب الذين يثيرون الشغب ويخرقون النظام مما يلفت أنظارنا ويستوقفه ، ويسترعى الانتباه من قبل كافة الجهات المسئولة بل ومن الرأى العام فى مصر .

وقال فضيلته : إنه لابد من ألا نلقى العبء كله أو المسئولية على جهة ما محددة عما حدث ولا يجب أن نفزع لما يحدث دون أن نفكر فى الأحداث الداعية إلى ذلك والمؤدية إليه ، وعلينا أن نقدر وندبر كيف نعالج ذلك بصفة نهائية .

واستطرد الإمام الأكبر قائلاً : إن هؤلاء ممن يسمون بالمتطرفين لا يجب أن نسميهم هكذا . فعن أى شىء تطرفوا وهم ينسبون إلى الإسلام أصلاً .. وكيف أنسبهم إليه وهو العدل الإلهى الذى أوضح أن من يقدم على القتل وعلى الظلم والإفساد قد تخلى وقت ارتكاب الجريمة عن إسلامه كما وصف الرسول ﷺ فى قوله الشريف : « لايزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ، ولايسرق

(١) اجرى الحوار الأستاذ : أحمد الشتوانى

# كيف ننسب المتطرف إلى الإسلام وقد تخلى عن إسلامه

السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يقتل القاتل حين يقتل وهو مؤمن » .

ولهذا فإنه من الإنصاف أن نبحث لمثل هؤلاء القتلة عن وصفه أو إسم آخر يناسب ما ارتكبوا من جرائم ، وأن يعاملوا على هذا الأساس .. ونحن ينبغى أن نلتزم بالواقع حين نتحدث عن مثل هذه الأمور سواء كان المتحدث من رجال الأمن الذيـــن يتصدون لهذه الحوادث ويتعقبـــون مرتكبيها .. أم كان المتحدث من رجال الإعلام حين ينقلون ذلك إلى الناس .

ومع التزامنا بهذا الواقع يجب أن نبدأ فوراً الدراسة للأسباب الباحثة لهذا الشغب .. فقد كثرت الأسباب وتضاربت ويجب دراستها بكل عناية كما يجب التنبؤ بمثل هذه المشكلات من قبل المسئولين عن ذلك وأن يسارعوا إلى احتوائها قبل أن تحدث .. فالإسلام عنى بالوقاية من الجرائم ومن الحوادث ولكل جريمة كان لها فى الإسلام وقايات وليست وقاية واحدة .. إننا لو فعلنا ذلك لما تصاعدت الأمور إلى هذا الحد الذى نراه ولأمكن احتواء الأمر والقضاء عليه فى مهده .. أما أن نترك المسائل حتى تشتعل النار ثم نلقى العبء على جهة ما فهذا أمر لا يتفق مع الصواب ومع شرائع السماء .

### التخلى عن المسئولية

**فضيلة الإمام الأكبر : انتشرت فى الآونة الأخيرة العديد من الظواهر الاجتماعية والتى أصبحت تمثل خطورة على مجتمعنا .. حوادث غريبة .. وقصص من إدمان المخدرات بين الشباب .. قتل .. سرقة .. رشوة .. فما رأى فضيلتكم .. وما التفسير الذى ترونه لهذه الظواهر الخطيرة ؟**

ـ إن التخلى عن المسئولية بوجه عام هو السبب فى انتشار هذه الظواهر الغريبة على مجتمعنا ، ذلك أن المسئولية على نطاق الأسرة قد وهنت عراها .. فقد انصرف الأبوان عن التربية الصحيحة لمن فى مسئوليتهما من الأولاد والأخوة والأخوات .. انصرف كل منهما إما إلى الاشتغال بأمور ألهتهم عن هذه المسئولية الأولى ، وإما بسبب ماثار فى الآونة الأخيرة من التنافس بين الأبوين فى البعد عن المنزل ، وفى إهمال الواجبات الأبوية نحو الأولاد .. كما أن المسئولية المدرسية قد انعدمت أو كادت تنعدم ، وقد اتجهت كل المسئوليات ولو فى الظاهر إلى توفير الطعام والإدام ، وكأنها تعمل على تربية الأجساد دون أن تعرف أن المطالب الروحية لابد أن تتواءم مع المطالب الجسدية وأن غرس الخلق الفاضل ، والحذر من الشرور والآثام ، ونقاء الذمـــة والضمير وتكوين الوازع الدينى أمر ضرورى .. هذا الوازع الحارس الذى انزوى فى نفوس الأجيال المتعاقبة منذ أن انحسرت المسئولية كما سبق .. والعلاج .. أن تعود المسئولية والمساءلة عليها .. لكل متخل عنها .. وذلك بعد التوعية والإيضاح لجوانب هذه المسئولية وحدودها ، وعواقب التخلى عنها ، ولابد من حزم وعزم حتى تعود الأمور إلى نصابها ، وذلك لايتأتى إلا بالتربية الصحيحة فى نطاق أحكام الإسلام الذى أوصى

## غيبة رقابة الأسرة والمدرسة أسفر عن انحراف الأبناء

بالأخذ بأسبابها منذ أن يكون الوليد أهلا للتربية والتعليم والتوجيه ، ولعلنا نأخذ هذه الأهلية من قول الرسول الكريم : « إن الله سائل كل راع عما استرعاه حفظ أم ضيع .. حتى يسأل الرجل عن أهل بيته » !

**وأسأل فضيلته : أين دور علماء الأزهر الأفاضل من الأحداث والتغيرات الاجتماعية والتطور الذى يحدث فى مجتمعنا .. ولماذا لا يواكب علماء الأزهر التطور والتغير الاجتماعى ؟**

ـ قال : هذا الذى ورد بالسؤال مخالف للواقع .. فعلماء الأزهر من هذا الشعب يعيشون حياته ، ويدركون ما فيه من تغيرات وتطورات وأحداث ، ويواجهون ما يتنافى من ذلك مع أصول الإسلام وفروعه .

### الفراغ الدينى

**وتطرق بنا الحديث مع فضيلة الإمام الأكبر عن الفراغ الدينى لدى الشباب الذى يجب أن يحمى ويصان من عبث العابثين خاصة بعد أن بدأ الشباب يقبل على التدين .. وخاصة وأننا تحدثنا معه طويلاً عن التطرف ..**

ـ وقال الإمام الأكبر : إن علاج ذلك أمر سهل وميسور إذا أخلص الجميع النية لله ولخدمة بلادنا .

وقال : إنه لاشك أن هناك فراغاً دينياً لدى شبابنا ـ بل لدى بعض الكبار ـ من الناحية التثقيفية الدينية والإسلامية بوجه خاص فالمدارس تخلو مناهجها التعليمية من الابتدائى وحتى الجامعة من أى قدر مفيد فى هذا الشأن ، وإن ما يدرس من الابتدائى حتى نهاية المرحلة الثانوية لا يؤهل شخصاً مثقفاً بثقافة مناسبة من الناحية الإسلامية ليعرف ماهو معلوم من الدين بالضرورة وهو الحد الأدنى للثقافة الإسلامية .

ثم نأتى إلى الدراسة العليا والعالية فهى لاشأن لها بهذا إطلاقا .. مع أن الجامعات بها الشباب المتطلع والمستعد للمستقبل والذى يتاح له قدرٌ أكبر من الحرية الشخصية والفكرية والاختلاط بين الجنسين ومع هذا فنحن نهمل زرع أسس التحصين ضد الانحراف بكل صوره فى عقول الشباب وبدون هذا التحصين الغائب بغياب الثقافة الإسلامية لايمكن للشباب أن يعرف ما هو حقه وما هو واجبه .

فالأمور غير واضحة فى ذهنه .. أو بالأدق هى مجهولة !!

وعن الأزهر فى هذا السبيل قال الإمام الأكبر : إن الأزهر من خلال اللجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر الشريف قدم فكرة دراسة الثقافة الإسلامية فى الجامعة .. وهى موجودة من مدة طويلة فى أدراج المجلس الأعلى للجامعات عندما كان الدكتور أحمد فتحى سرور ـ رئيس مجلس الشعب حالياً ـ وزيراً للتعليم .

### أين دور الإعلام ؟!

**ووصل الإمام الأكبر شيخ الأزهر فى حديثه**

# أين دور الإعلام فى نشر الفضائل الإسلامية

**إلى الحديث عن دور الإعلام فى علاج الفراغ الدينى أو التطرف الدينى .. فقال :**

ـ التعليم شق فيما ذكرنا .. ولكن هناك الشق الأهم والأخطر وهو الإعلام وأنا أتساءل : أين دور الإعلام فى نشر الفضائل والسلوكيات الإسلامية والأخلاقيات وإشباع حاجة القراء بوجه عام والمشاهدين للتليفزيون والمستمعين للإذاعة من الثقافة الإسلامية الرفيعة المستمدة من تعاليم الدين الصحيح غير المحرف أو المفسر حسب الأهواء ؟!

وأجاب فضيلته على سؤاله فقال إن ما يقدمه عبر هذه الوسائل الإعلامية جرعات ضئيلة للغاية تتوه وسط زحام المنوعات الأخرى التى تغلب وتشد الانتباه أكثر .

وتساءل فضيلته أين الصحافة اليومية ؟ إنها تقدم صفحة أو أقل كل يوم جمعة وفيها كلام معاد ومكرر .. ومع هذا نجد المواد الأخرى فى الصحيفة هى الغالبة .. وعلى استحياء شديد ينشر كل يوم جمعة ماسبق وأشرت إليه ثم لاشىء بعد ذلك .. وأنا أقول هذا بعد أن عاصرنا الصحف فيما مضى وهى تنشر صفحة يومية ـ وأكرر يومية ـ للأدب والسلوكيات والدين .. وليس صفحة أسبوعية إن لم تكن ربع صفحة !

ويمكننى أن أنادى الآن بوجوب أن تأخذ برامج الإذاعة والتليفزيون قدراً أكبر ومناسباً وأوقاتاً مناسبة حتى يستفيد بها الشباب وغير الشباب .. وأما برامج « الترفيه » أيا كان هذا الترفيه فينبغى أن يكون فى الأوقات المتأخرة أو دعنا نقول المناسبة للترفيه على أن يلاحظ فيها التثقيف أيضا .. وليس مجرد الترفيه الذى نراه والذى يعتبر مدرسة سيئة .. هذا ما يجب أن يكون .. وستجدون ساعتها النتائج المرضية فى أوساط الشباب ..

**فضيلة الإمام : خطبة الجمعة يحرص على سماعها المسلمون فى جميع أنحاء البلاد .. وفى كثير من الأحيان تكون خطبة الجمعة بعيدة عن مجريات حياتنا .. لماذا لايعمل الأزهر الشريف على تجديد وتحديث خطبة الجمعة حتى تواكب حياة الناس اليومية وتنفعهم فى دينهم ودنياهم ؟**

ـ إن من أهداف خطبة الجمعة تعليم الناس أحكام الدين سواء فيما كان وما يكون ، وإذا كانت خطبة الجمعة مواكبة لما يجرى فى الحياة اليومية بين الناس لا لمجرد النقد بل مع بيان الحكم ، كانت أكثر إفادة .. ولقد واجه الأزهر الشريف هذا القصور الذى يقع فى بعض المساجد والمنتديات بإقامة الدورات التدريبية لرجال الوعظ كما تقوم وزارة الأوقاف بإقامة مثل هذه الدورات لأئمة المساجد ، والأمل كبير فى أن تثمر هذه التدريبات والتوجيهات فى مواجهة ومعالجة هذا القصور .

أزهر الأمس واليوم

**● فضيلة الإمام الأكبر : فى الماضى لم ينعزل الأزهر الشريف عن الحياة السياسية والاجتماعية ، بل قاد شعب مصر إلى الدفاع عن أرضه ووطنه ، فما الفرق ـ من وجهة نظر فضيلتكم ـ بين الأزهر فى الماضى وبين الأزهر اليوم ؟**

# أحوال العالم الإسلامى اليوم يأسف لها كل مسلم

- يقارن الناس فيما يكتبون ويتحدثون بين الأزهر اليوم وبين الأزهر فى الماضى ويقولون إن الأزهر فيما مضى كان رائداً وقائداً للأمة وللشعب المصرى بصفة خاصة فى أهم أموره ، إذ كان يعنى بل يتصدى لكل ماطرأ عليه من متغيرات سياسية واجتماعية ، وهو الذى كان يطالب بحقوق الشعب وأنه اليوم لم يعد قائماً بشىء من هذه المهام .. وفات هؤلاء الذين يعقدون هذه المقارنة ، ويذهبون إلى هذا المأخذ أن الأزهر فى الماضى كان هو الهيئة الوحيدة فى الشعب المصرى بوجه خاص التى تهيأت بوضعها العلمى للقيادة والريادة ، ولم يكن هناك قوانين قد نظمت سلطات الدولة ولم يكن الاستقلال السياسى والكيان الدولى لمصر على هذا الوضع الحالى ، وإنما كانت فيما مضى إقليما يتبع مقر الخلافة الإسلامية على تنوع مقارها بين المدينة وبين الكوفة ودمشق وبغداد واسطنبول إلى غير هذه المتغيرات التى مرت بنا ، وبعد أن صارت مصر دولة مستقلة وصار لها دستورها الذى ينظم السلطات السياسية والتشريعية والتنفيذية والقضائية فى الدولة استقرت أكثر المهام التى كان يقوم بها الأزهر بين يدى هذه السلطات ، فالأزهر لم يتخل عن شىء من مهامه وإنما انتقلت أكثر هذه المهام إلى سلطات أخرى انشأها النظام القانونى للدولة على مثال النظم القانونية السائدة فى الدولة المعاصرة .

ويستطرد فضيلته قائلًا : ومازال الأزهر الشريف - بحمد الله - جامعا وجامعة .. له مكانته العلمية والعالمية يعرف هذا كل المسلمين داخل مصر بل وخارجها .. فهذه الوفود من طلاب العلم التى تنهل من علوم الأزهر فى مراحله المختلفة ، والتى تعد بالآلاف ، وهذه وفود علماء الأزهر المبعوثون إلى كافة أنحاء العالم الإسلامى ، حتى بين الأقليات ، ويعدون بالآلاف .. أفلا يدل ذلك على أن الأزهر مازال وسيظل - بحمد الله وعونه - جامعا وجامعة له مكانته العالمية .

● **وأسأل فضيلته - المسلمون الذين هاجروا من بلادهم إلى أوربا وأمريكا وكندا واستراليا .. ماذا يقدم الأزهر لهم ؟**

- يتواصل الأزهر مع هؤلاء المهاجرين من المسلمين فى أماكنهم بإمدادهم بالمطبوعات التى تيسر لهم الثقافة الإسلامية والعربية والتى توضح لهم وتصحح المفاهيم الإسلامية ، ويوفد الأزهر إلى هؤلاء علماءه فى المواسم الدينية السنوية .. لا سيما فى شهر رمضان .. كما أن فى بعض هذه الجهات علماء مقيمين مع هؤلاء المهاجرين لأداء هذه المهام وهؤلاء العلماء ينتقلون لإفادة هذه التجمعات وإرشادهم ، والتعرف على أحوالهم ومصالحهم ، كما أنهم يدعون من قبل الأزهر فى المؤتمرات الإسلامية التى تنعقد فى القاهرة ونأمل المزيد من هذا التواصل .

أحداث مؤسفة

● **فضيلة الإمام الأكبر : كيف ترى أحوال العالم الإسلامى والعربى اليوم بأحداثه السياسية المتباينة ؟**

# لكــل جريمــة فى الإســلام وقايــات ... فلنتــدبر

ـ شيخ الأزهر يسرح بخياله طويلا ، والأسى يملأ صدره قائلا :

لاشك أن الأحداث التى يمر بها العــالم الإسلامى الآن أمر يأسف له كل مسلم ، فمنذ العدوان على الكويت ، ومنذ حرب الخليج التى تجمعت فيها القوات الدولية والعربية ، منذ هذا الوقت وإنتهاء الحرب ، والخلافات لم تنته بعد ، ولم يعد للآن الصفاء للوحدة فى الصفوف العربية والإسلامية ، بل مازال هناك التفرق والشتات والخلافات موجودة على الأرض العربية ، وهو الأمر الذى يأسف له كل مسلم ، والأمر الذى ينبغى أن يسعى للتغلب عليه الزعماء والرؤساء والشعوب قبلهم ، فإن كثرة الخلافات والتفكك لابد وأنها تضعف من قوة هذه الأمة وتماسكها وهذا أمر ضار لمستقبل هذه الأمة لا سيما وسمة هذا العصر الوحدة والقوة ، فنحن نرى الآن تجمعات كثيرة من حولنا ليست بينها تلك الروابط القائمة بين الشعوب الإسلامية ، ومع ذلك تسعى لكى تكون وحدة واحدة فى كل شىء حتى السياسة والحكومة ، وهذه القوة التى تنشأ من وحدة بعض الشعوب التى توافقت على ذلك للمصالح الخاصة بها أمر ينبغى أن تتنبه إليه الأمة الإسلامية التى عاشت قروناً مختلفة فى اللغة والموقع ، لكنها أمة واحدة تجمع بينها قبلة واحدة وهى الصلاة ، وكتاب واحد وهو القرآن ، أصول فى الإسلام لا خلاف عليها ، كل هذه عناصر وحدة لا توجد لدى أى مجتمع إنسانى آخر ، ولعل الشعوب الإسلامية والزعماء على اختلاف مستوياتهم لعلهم ينتصرون على هذه الخلافات ، وعلى هذا الشقاق ، ولعل هؤلاء الذين يثيرون الخلافات فى كل موقع لعلهم ينظرون إلى أن هذه الأعمال تضعف بنيان هذه الأمة وتهدر كيانها ، وتهز قدرها بين الأمم والشعوب .

الوحدة الإسلامية أولى

● **فضيلة الإمام الأكبر : البعض يتحدث عن الوحدة الإسلامية ، ويتحدث العرب عن الوحدة العربية .. فما رأى فضيلتكم ؟**

ـ إن الوحـدة الإسلاميــة قائمــة على أسس الإسلام ، فالإسلام قد جمع المسلمين على أصوله الخمسة فهم يصلون إلى قبلة واحدة ويصومون شهراً واحداً ويؤدون زكاة أموالهم ويحجون إلى بيت الله الحرام وكلهم يتلون كتاب الله القرآن الكريم ويتعبدون به وكلهم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وكلهم يحتكم إلى القرآن الكريم والسنة الشريفة .. هذه الأصول لا توجد لدى أمة أخرى ، سابقة أو معاصرة أو حتى لاحقة والإسلام قد ألغى بين المسلمين كل الفوارق التى ينتسب إليها الناس من عرق أو لون أو جنس ، وجمعهم على الإسلام اسما ونسبا فقال :

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ .

وقال :

﴿ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ ﴾ .

هذه الأصول قائمة لدى الشعوب الإسلامية

## تركيز الاستعمار على إقامة الحدود وتقسيم الأمة

وقد عاشت هذه الشعوب قرونا طويلة فى ظل الوحدة الإسلامية ، لكن الأمر تغير حين وقعت البلاد الإسلامية جميعها فريسة الاستعمار بعد الحروب الصليبية التى استطالت لأكثر من مائتى عام .

وقد ركز الاستعمار الغربى منذ الحرب العالمية الأولى على إقامة الفواصل والحدود وتقسيم الأمة الإسلامية إلى دويلات كما لجأ إلى إثارة العصبيات العرقية والقبلية والمذهبية وزرع بين المسلمين هذه الفرقة والشتات والانقسام الذى يعيش فيه المسلمون اليوم .. ولا وسيلة لعودتهم إلى الوحدة الإسلامية أيا كان شكلها ، إلا بعودتهم وتمسكهم بأصول الإسلام ولعلهم يتخذون من منظمة المؤتمر الإسلامى سندا لوحدتهم ووسيلة إلى جمع كلمتهم حتى إذا ماتغلبوا على أسباب الفرقة والخلاف ونزلوا عند قول الله تعالى :

﴿ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ ﴾ .

وأخذوا بقول الله تعالى :

﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾

عندئذ تكون وحدة المسلمين حقيقة واقعة وليست مجرد أمل يترقبونه ، إن الشعوب الأخرى فى عصرنا تتجمع وتقيم الاتحاد فيما بينها ، وتتعاون فى الأمور التجارية والصناعية والحربية ، وليس بينها هذه الروابط التى جاء بها الإسلام ، والتى ينبغى أن يجتمع حولها المسلمون لأنها الأسس الصالحة لتكوين الأمة الواحدة باعتبارها شرع الله لا صنع الإنسان .

### تنسيق بين الأزهر والرابطة

**● على ضوء زياراتكم للمملكة العربية السعودية .. هل هناك تنسيق معين بخصوص الدور المصرى ـ السعودى يمثله الأزهر الشريف ورابطة العالم الإسلامى نحو مستقبل الجمهوريات الإسلامية فى منطقة آسيا الوسطى بعد سبعين عاما من الشيوعية لربط هذه الجمهوريات بدول العالم الإسلامى ؟**

ـ قال فضيلة الإمام الأكبر :

هناك تنسيق قائم بالفعل بين الأزهر ورابطة العالم الإسلامى ، بل على أوسع من ذلك فى ظل المجلس الإسلامى العالمى للدعوة بالأزهر ، شاملا لنحو أربعين منظمة وهيئة إسلامية .. التنسيق بالفعل قائم .. والجمهوريات الإسلامية فى منطقة آسيا الوسطى على صلة بالأزهر ، ودعونا وفوداً من أئمة المسلمين ودعونا وفوداً من أئمة المسلمين هناك وحضروا للأزهر للمشاركة فى المناسبات الإسلامية وللمشاركة أيضا فى الدورات التدريبية للأئمة ، وبعض أبناء هذه الجمهوريات يدرسون فى الأزهر ، وتسافر بعثات من الأزهر بصفة دائمة لاستطلاع ما تحتاجه هذه الجمهوريات من الناحية التعليمية والتثقيفية وفى نفس الوقت للقيام بأعباء الدعوة الإسلامية هناك .




## فى حكم زواج الحامل من زنا بمن زنى بها أو غيره

## وحكم الدخول بها

## وإذا وضعت أنثى من يتولى عقد زواجها

## ومن تزوج فوجدها حبلى .. فهل له أن يلاعنها

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله .

وبعد :

فقد ورد إلى مكتب الإمام الأكبر شيخ الأزهر خطاب من السيد/فيصل محمد ليوان مدير معهد المجلس الدينى ببانكوك ـ تايلاند يقول فيه :

إن إمرأة زنت فحملت ممن زنا بها ، واعترفت ، ثم تزوجت برجل يعلم أنها حامل من زناها مع غيره ، وعاشرها هذا الزوج معاشرة الأزواج ، وبعد مضى ستة أشهر تقريبا وضعت بنتا ، ومن ذلك الحين كان الزوج يقول أن البنت ليست منه ، ولا تنكر زوجته قوله .

**والسؤال :** هل يعتبر الزوج أبا لهذه البنت شرعا ، وهل تعتبر مدة المعاشرة بينهما بأكثر من ستة أشهر كافية فى إلحاق نسبها له فى هذه الحالة ؟

وإذا كان الزوج ليس أبا لهذه البنت فَمَنْ وليها عند نكاحها ؟

من المعروف أن هذه المرأة زنت قبل الزواج ، فهل يجوز للزوج الذى يعرف أنها حامل قبل العقد اللعان ؟

نرجو التكرم بالفتوى على آراء الفقهاء مع ذكر الأدلة والكتب

ولكم منا جزيل الشكر .

**والجواب :**

شرع الله النكاح ، وجعله بين الناس حلالا .

قال تعالى :

« وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ »(1)

وجعل سبحانه فى الزواج سكنا ومودّة ورحمة قال تعالى :

« وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ »(2) .

وحين أحلّ الله النكاح حرّمَ السفاح وجعله بين الناس محرما .

قال تعالى :

« وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا »(3)

فالزنا جريمة منكرة يأباها ذوو الشرف

(1) الآية رقم ٣٢ من سورة النور .

(2) الآية رقم ٢١ من سورة الروم .

(3) الآية رقم ٣٢ من سورة الاسراء .

والمروءة ، وقد جرَّمها الإسلام وعدّها من الفواحش المحرمة التى تستوجب الحد على مرتكبها بالجلد إن كان غير محصن ، وبالرجم إن كان محصنا .

قال تعالى :

« ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ [٤] » .

وقد روى البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى والترمذى عن ابن عباس – رضى الله عنهما عن عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – قال :

« الرجم فى كتاب الله حق على من زنا إذا أحصن من الرجال والنساء إذا قامت البينة أو كان الحبل أو الاعتراف[٥] » .

ومن شرائط صحة عقد النكاح المتفق عليها عند فقهاء المسلمين أن تكون المرأة المراد العقد عليها محلا صالحاً للنكاح ، خالية من الموانع الشرعية ، فلا تكون زوجةً أو معتدةً لرجل غير الذى تقدم للعقد عليها ، فإذا طلقت المرأة أو توفى عنها زوجها وهى حامل فلا يحل لها الزواج بآخر إلا بانقضاء العدة بوضع الحمل إن كانت حاملا ، أو بالحيض ثلاثا إن كانت غير حامل وممن يحضن أو بمضى ثلاثة أشهر إن كانت ممن لم يحضن .

وقد روى فى الحديث عن أبى سعيد – رضى الله عنه – عن النبى – صلى الله عليه وسلم قال :

« لا توطأ حامل حتى تضع ، ولا غير ذات حمل حتى تحيض حيضة[٦] » .

وروى عن رويفع بن ثابت الأنصارى – رضى الله عنه – عن النبى صلى الله عليه وسلم – قال : « لا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسقى ماؤه زرع غيره ، ولا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقع على امرأة من السبى حتى يستبرئها بحيضة[٧] » .

وقد اختلف الفقهاء فى صحة نكاح الحامل من زنا :

فقال المالكية والحنابلة وأبو يوسف من الحنفية : لا يجوز نكاحها قبل وضع الحمل لا من الزانى نفسه ولا من غيره[٨] وذلك لعموم قوله – صلى الله عليه وسلم :

« لا توطأ حامل حتى تضع[٩] ولما روى عن سعيد بن المسيب أن رجلا تزوج إمرأة فلما أصابها وجدها حبلى فرفع ذلك الى النبى – صلى الله عليه وسلم – ففرق بينهما[١٠] .

وذهب الشافعية وأبوحنيفة ومحمد إلى أنه يجوز نكاح الحامل من الزنا لأن المنع من نكاح الحامل حملا ثابت النسب لحرمة ماء الوطء ، ولا حرمة لماء الزنا بدليل أنه لا يثبت به النسب ، لقول النبى – صلى الله عليه وسلم : « الولد للفراش وللعاهر الحجر[١١] » ولا تشترط التوبة لصحة نكاح الزانية عند جمهور الفقهاء ، لما روى أن

---

(٤) من الآية رقم ٢ من سورة النور .

(٥) التاج الجامع للأصول – كتاب الحدود جـ ٣ ص ٢٥ .

(٦ ، ٧) رواهما أبو داود والترمذى الأول بسند صالح والثانى بسند حسن – التاج الجامع للأصول – كتاب النكاح والطلاق والعدة جـ ٢ ص ٣٤٧ وهذان الحديثان فى الاستبراء للسبايا .

(٨) حاشية ابن عابدين جـ ٢ ص ٢٩١ ، جواهر الأكليل جـ ١ ص ٢٧٦ ، كشاف القناع جـ ٥ ص ٨٢ ، ٨٣ .

(٩) سبق تخريجه .

(١٠) أخرجه سعيد بن منصور مرسلا عن سعيد بن المسيب ، والبيهقى مرسلا وموصولا عن رجل من الأنصار ، وفيه ابن جريج وقد عنعن .

(١١) رواه الجماعة إلا أبو داود . وفى لفظ للبخارى : لصاحب الفراش – نيل الأوطار للشوكانى جـ ٦ ص ٢٧٩ .

عمر ضرب رجلا وامرأة فى الزنا وحرص أن يجمع بينهما[١٢] .

واشترط الحنابلة لصحة العقد على الزانية ممن يعلم بزناها توبتها من الزنا لقوله تعالى : « وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ[١٣] » .

ذلك أن الزانية قبل توبتها ماتزال موصومة بالزنا ، فإذا تابت زالت هذه الوصمة[١٤] لقوله - صلى الله عليه وسلم : « التائب من الذنب كمن لا ذنب له[١٥] » .

لما كان ذلك :

وكان الفقه الشافعى قد ذهب - قولا واحدا - إلى أنه لا حرمة لماء الزنا بدليل انتفاء أحكام النسب من إرث وغيره ، ومن ثم صحة عقد الزواج على الحامل من الزنا للزانى أو لغيره ويكره وطؤها خروجا من خلاف من حرمها[١٦] » .

وكان هذا أيضا القول المشهور عن الإمام مالك[١٧] ، وإحدى روايتين عن الإمام أبى حنيفة والقول المنسوب للإمام محمد بن الحسن .

وإذ كان ذلك يكون هذا العقد (أى على الحامل من الزنا) صحيحا مع كراهة وطئها حتى تضع حملها من الزنا عند الشافعية ، وحرمة الوطء فى هذه الحالة عند أبى حنيفة ومحمد ، وعند مالك[١٨] أقوال فقيل : يحرم ، وقيل : يكره ، وقيل : يجوز ، وقيل : يندب تركه ، وكان نسب هذه المولودة إلى أمها فقط باعتبار أنها حملت بها من الزنا وليس من هذا الزوج وهذا هو ظاهر من واقعات السؤال ، وموضع وفاق بين هذين الزوجين .

أما ولاية الزواج على هذه المولودة فليست لأحد سوى قاضى المسلمين إن وجد لأنه لا عاصب لها باعتبارها ثمرة زنا ، تنسب إلى أمها التى حملت بها سفاحا ، فصلة هذه المولودة بأمها صلة واقع طبيعى .

وتتولى هذه البنت متى بلغت عقد زواجها بنفسها فى نطاق مذهب أبى حنيفة الذى يجيز انعقاد الزواج بعبارة النساء .

ولا لعان فى هذه الواقعة ، لأن اللعان إنما يكون بين زوجين بعد اتهام الزوج الزوجة بالزنا ، ولا دليل لديه على ذلك ، وهنا الطرفان متصادقان على أن حمل هذه الزوجة من زنا قبل العقد عليها[١٩] فلا لعان بينهما .

والله سبحانه وتعالى أعلم

شيخ الأزهر

(جاد الحق على جاد الحق)

---

(١٢) بدائع الصنائع جـ ٢ ص ٢٦٩ ، حاشية ابن عابدين جـ ٢ ص ٢٩١ ، المجموع - (التكملة الثانية) شرح المهذب جـ ١٦ ص ٢٤٢ ، حاشية قليوبى وعميرة على شرح جلال الدين المحلى على منهاج الطالبين للنووى جـ ٣ ص ٢٤١ ، ج ٤ ص ٤٠ ، زاد المحتاج بشرح المنهاج جـ ٣ ص ٢١٧ ، ٢١٨ .

(١٣) من الآية رقم (٣) من سورة النور .

(١٤) المغنى لابن قدامة جـ ٦ ص ٦٠١ - ٦٠٣ ، كشاف القناع جـ ٥ ص ٨٢ ، ٨٣ .

(١٥) أخرجه ابن ماجه من حديث عبدالله بن مسعود ، وأخرجه البيهقى من حديث ابى عتبة الخولانى .

(١٦) الاقناع فى حل ألفاظ ابى شجاع مع حاشية تحفة الحبيب فى المحرمات من النكاح جـ ٣ ص ١٥٦ .

(١٧) حاشية الدسوق على الشرح الكبير جـ ٢ ص ٢٥٠ .

(١٨) شرح الخرشى على مختصر خليل جـ ٤ ص ١٤٠ ، والقوانين الفقهية لابن جزى ص ٢١٩ .

(١٩) يراجع كتاب اللعان فى شتى كتب الفقه وآيات اللعان فى سورة النور .




# تحقيق صحفى نشرته جريدة الأهرام

للاستاذ / محمد البشير حسين نافع

**صدرت الأهرام صباح الثامن عشر من ربيع الأول الماضى تحمل تحقيقا صحفيا عن الأزهر وميزانيته ومعاهده ودعاته ومدرسيه ... وأحوال الأزهر عامة .**

**وفى التحقيق بيانات مؤلمة جاءت على لسان فضيلة الشيخ سيد سعود وكيل الأزهر وذلك فى الوقت الذى نحتاج فيه إلى الداعية الواعى المثقف البصير بحاجات الشباب ومشاكله حتى لا يقع فريسة لمن ينتسبون إلى الدين ، ولا يكون ذلك إلا بأن يحترم الاعلام رجال الدعوة . لا ، كما نجد ما يسىء إلى رجال الدعوة بما نراه على شاشات التلفاز وغيره للأسف مما يُعدُّ عمداً .**

ولقد أحسن المحقق حينما أبرز تألم فضيلة الشيخ سيد سعود وكيل الأزهر الشريف والشيخ محمد بشير وكيل الادارة المركزية لشئون المعاهد ، وهما يشاهدان قائمة طويلة من الأفلام والمقالات و(الرسوم الكاريكاتيرية) التى تسخر من علماء الدين وتضع العالم والجاهل فى سلة واحدة ، تساءلا : كيف لرجل الأزهر أن يحارب التطرف والتعصب وسط هذا الكم من السخرية والحط من شأنه حتى وصل الأمر إلى اهتزاز مصداقيته بين الناس ، ولا سيما بعد أن وجد فيه التافهون مادة للسخرية والتفكه ، نتيجة تأثرهم بالصورة السلبية التى رسمها الإعلام الهابط فى أذهانهم عن رجل الدين .

كذلك تناول التحقيق عددا من الجوانب الهامة

فى العملية التعليمية فى الأزهر الشريف ومعاهده :

فتناول شكوى مدرس المعاهد الأزهرية من حركات الترقيات التى لا تشملهم .

وكذلك ضعف مستوى المكافآت عن أعمال الامتحانات والحوافز الشهرية .

والنقص الصارخ فى الموازنة الخاصة بالمعاهد الدينية حيث نصيب التلميذ الأزهرى - وهو مصرى أساسا - يبلغ (١٧٠) جنيها سنويا لجميع أوجه الانفاق على العملية التعليمية بما فيها أجور المدرسين والموظفين ، بينما تنفق الدولة على طالب التعليم العام قبل الجامعى (٢٤٤) جنيها فى العام الدراسى بزيادة قدرها ٧٤ جنيها عن نظيره الأزهرى !!

فلماذا هذه التفرقة ، فهل هناك مواطن درجة أولى وآخر درجة ثانية .

ويستطرد التحقيق إلى بيان أمور عدة هامة مثل :

تدهور حالات المبانى وخاصة ما تأثر منها بالزلزال وذكر فضيلة الشيخ وكيل الأزهر أنها بلغت (٩٠٠) تسعمائة معهد أزهرى يحتاج كل منها إلى ترميم أو هدم لإقامته من جديد .

ويقدم فضيلة الشيخ محمد بشير أمثلة فيقول إن الميزانية المخصصة لمكافآت التدريس والامتحانات هذا العام ٢٥ مليونامن الجنيهات نفدت بعد إنتهاء ستة أشهر من العام الدراسى فلم يبق منها إلا أربعة ملايين جنيها لا تكفى شهرا واحدا ؛ مما أدى بنا إلى إرسال طلب عاجل أرسل إلى الجهاز المركزى للتنظيم والادارة للنظر فى هذه المشكلة .

وكشف التحقيق عن الرسوب الوظيفى بين العاملين فى المعاهد الأزهرية ، هذا الرسوب الذى وصل إلى ستة عشر عاما !!

وبرغم ذلك كله نحن مطالبون بإعداد دعاة المستقبل .

كذلك أثار فضيلة الشيخ سيد مسعود وكيل الأزهر مشكلة تطوير المناهج بما يتناسب مع متطلبات العصر ويرى فضيلته أن الحل يتلخص فى عدة نقاط أهمها :

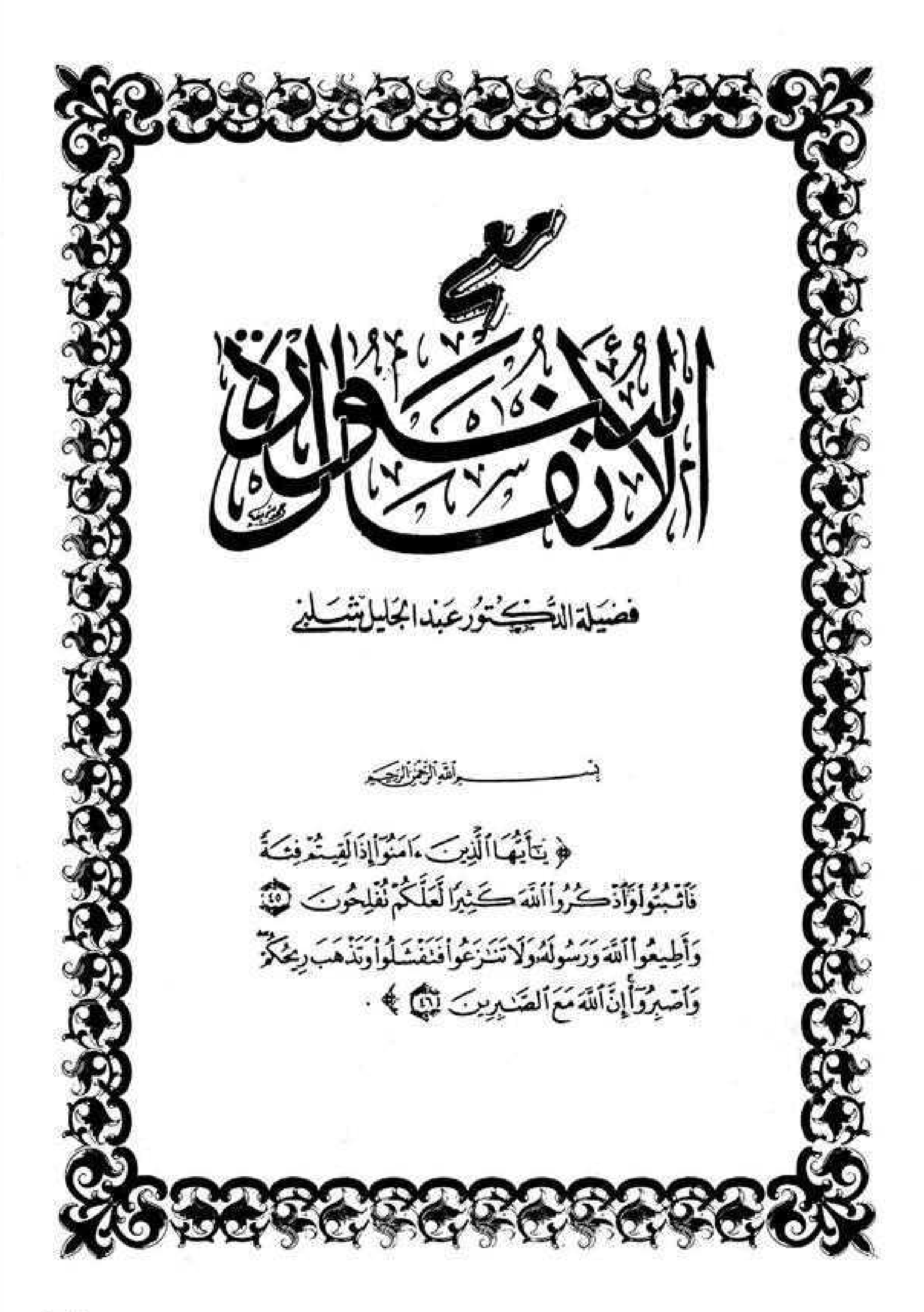
١ - ضرورة ضم المرحلتين الإعدادية والثانوية فى مبنى واحد فى الأحياء والقرى - قليلة الكثافة السكانية - وبذلك ينخفض ثمن الموقع وتكلفة المبانى ، وتعديل مدة العام الدراسى والعودة فيه إلى وضعه الأصلى ٤٠ أسبوعا فى السنة .

٢ - تنظيم الجهود الذاتية للمواطنين فى المحافظات المختلفة وإخضاعها لنظام يكفل حسن الاستفادة منها فى إنشاء المعاهد اللازمة فى البيئات المحتاجة بمختلف أنحاء الجمهورية .

٣ - زيادة الموازنة السنوية حتى تتساوى نفقات طالب الأزهر بنفقات طالب التعليم العام .

٤ - العمل على إنشاء صندوق مركزى بالأزهر للمعاونة فى تمويل المعاهد الأزهرية من حصيلة تبرعات أولياء الأمور والقادرين والهيئات والمساعدات التى تقدم من مختلف الدول على أن يوضع لهذا الصندوق لائحة خاصة ، وتخضع أبواب الصرف والانفاق فيه للقواعد واللوائح المالية الرسمية ، على أن يخصص الجزء الأكبر من الصندوق لإنشاء وإصلاح المبانى المدرسية والمرافق التعليمية .

٥ - إمكان تعويض الأزهر بجزء من عائد الأوقاف التى تشرف عليها الوزارة وتخصيص نسبة من إيرادها للمعاهد الأزهرية وهذه اقتراحات بناءه نرجو أن تدخل حيز التنفيذ .


سورة الأنفال
فضيلة الدكتور عبد الجليل شلبي
بسم الله الرحمن الرحيم
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً
فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (45)
وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ
وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (46) ﴾ .

الفئة الجماعة والطائفة ، وتستعمل أكثر ما تستعمل فى الجماعة المحاربة ، وقيل إنها لم تأت فى القرآن إلا بهذا المعنى ، إما لقتال أو مناصرة ، ومن ذلك ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً﴾ وجاء فى شأن قارون : ﴿فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾ ، وجاء فى شأن المنافقين ﴿فما لكم فى المنافقين فئتين﴾ بمعنى ما لكم مختلفين فى شأن قتالهم منقسمين إلى طائفتين : طائفة ترى حربهم وقتالهم لما بدا منهم من النفاق وعدم الإخلاص للمسلمين ، وأخرى ترى مسالمتهم وعدم حربهم ، وقال الزمخشرى : إن هذا هو الغالب فى استعمالها ، وجاءت الفئة فى كلام العرب وفى الشعر بمعنى الجماعة والطائفة فقط . وهى من الفعل فأى ، واويا ويائيا ، من الفأى والفأو بمعنى الصدع والشق فى الجبل ، والفئة من الجيش قطعة منه .

واللقاء يستعمل بكثرة فى مقابلة المتحاربين ، يقال لاق أعداءه بمعنى حاربهم ، وكان اللقاء بين المسلمين والمشركين يوم بدر فى شهر رمضان : أى كانت الحرب .

والمراد بالفئة هنا فئة من الكفار الباغين ، واستغنى عن ذكر هذا الوصف لأن المسلمين لا يحاربون مسلمين ، ولا يحرض القرآن مسلماً على قتال مسلم ، بل يدعوهما إلى الصلح : ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ﴾ ـ فأمر المسلمين ينتهى إلى صلح وإخاء

والآية تأمر المؤمنين إذا لاقوا عدوهم فى حرب أن يثبتوا ولا يفروا ، كما قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا﴾ ( أى زاحفين عليكم ) ﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ﴾ وتأمركم كذلك بذكر الله تعالى.

وبعض المحاربين قد يرهبون قوى عدوهم فتحملهم الرهبة على عدم الثبات ولكن الصبر على شدائد الحرب ، والثبات فى مواطن القتال مما يوئس الخصم ويحمله على الفرار ، والعرب يقولون الحرب أو النصر صبر ساعة ، ويصف الشجعان أسباب انتصارهم بأنهم يلزمون أنفسهم الصبر على المكروه .

والأمر الثانى الذى أمرت به الآية ، هو ذكر الله تعالى كثيراً ﴿فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ ـ وهى أمر بالذِّكر ـ بكسر الذال .. والذُّكر ـ بضمها .

والأول يكون بالتسبيح والتكبير والدعاء ، وسؤال الله النصر على الأعداء ورد بأسهم وكسر شوكتهم . كأن يقول المؤمنون : اللهم أنت ربنا وربهم فانصر حزبك ، ولا تخذل دينك ، وأدعية رسول الله ـ ﷺ ـ وابتهالاته يوم بدر معروفة ، وقد أطال فيها حتى قال له أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ بعض مناشدتك ربَّك .

والثانى ـ الذُّكر بالضم ـ يعنى التذكر ـ أى تذكر عظمة الله تعالى وما وعد به من ثواب المجاهدين والشهداء ، وما أعد لهم من نعيم الجنة ، وما يمتازون به يوم القيامة ، وأيضاً ما وعد به أولياءه من النصر والفوز على أعدائهم .

ولك تكتف الآية بطلب الذكر أى ذكر ، بل طلبت ذكراً كثيراً ، يظل المسلم يواليه ولا يسهو أو يغفل عنه أثناء حربه ، لأن حرب البغاة والكفار عبادة ، وأى عبادة . فالمحارب باع نفسه ، وباع الدنيا كلها بالآخرة .

ودلت التجارب ووقائع الحروب أن تذكر المسلم هذه المعانى مما يبث فى نفسه الشجاعة

ويحمله على الإقدام ، فإذا هو آثر الشهادة لا يبالى بما لدى خصمه من قوى ، بل يؤثر الهجوم عليه والنيل منها ، ولدينا مثل هذا فى قتال المسلمين يوم أحد ويوم خيبر وغيرهما من أيام المسلمين .

وذكر الله الكثير باللسان وبالقلب مما لا يسمح بالضعف أو الهيبة تتسرب إلى قلوب المحاربين ، ومما يجعلهم لا يبالون بالموت وهذا ما يهيء لهم النصر ، وقد قال أبو بكر الصديق لخالد بن الوليد : احرص على الموت توهب لك الحياة .

ورجاء الفلاح فى ﴿ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ معلق على الأمرين جميعاً ، وجدير بالمسلمين فى أيامنا أن يتذكروا هذا ، وأحرى بكل فرقة – من الجيش أن يكون بها إمام للصلاة وواعظ يذكر بأيام الله ، بدلاً من أعمال الترفيه التى تشمل الرقص والغناء وظهور النساء أو أصحاب الفن ، فهذا مما ينسى ذكر الله ، ويذكر بالمتع المادية وينسى الآخرة وما فيها من الثواب ، وهذه معاص تنأى عن النصر ، وما النصر إلا من عند الله ، ولينصرن الله من ينصره ﴿ إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ .

اتبعَ طلب الذكر بطلب طاعة الله ورسوله والبعد عن النزاع .

﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ... ﴾

فهذا أمر بطاعة الله وطاعة رسوله فى كل شيء ، ويندرج فيه اندراجاً أولياً ما ذكر من الثبات والذكر . وطاعة الله وطاعة رسوله شيء واحد ، لأننا لا نعرف أوامر الله – تعالى – ونواهيه إلا من قِبل رسوله ، ولكن اقتران الطاعتين معا مما يكسب الطلب قوة وتأكيداً ، لما يشعر به من أن رسول الله – ﷺ – لا ينطق عن الهوى وإنما وحى يوحى ، ومن يطع الرسول فقد أطاع الله .

والنزاع يكون فى اختلاف الآراء ، أو حب الرياسة ، وكان رسول الله – ﷺ – يوصى أصحابه ألا يختلفوا ، وقد أرسل مرة بعض أصحابه لغزو فاختلفوا ورجعوا إليه قبل أن يغزوا ، فقال لهم : ذهبتم جماعة وعدتم متفرقين ، أما والله لأولين عليكم رجلاً رجلا ليس بأعظمكم ، أصبركم على الجوع وأصبركم على العطش .

وأرسل أبا عبيدة بن الجراح مع جيش مدداً لعمرو بن العاص ، فلما حان وقت الصلاة أراد أبو عبيدة أن يؤم الذين جاءوا معه ، فقال له عمرو : لقد جئت مدداً إلى ، فأنا الأمير الذى يؤم الجيش كله ، فقال أبو عبيدة : أوصانى رسول الله – ﷺ – الا نختلف ، وتنحى له عن الإمامة .

والاختلاف والتنازع مما يولد الأحقاد ويبث الضغائن فى النفوس وإذا تنازع المحاربون واختلفت آراؤهم جبنوا عن لقاء عدوهم وضعفوا أمامه .

والتنازع من النزع ، وهو الجذب وأخذ الشيء بشدة أو حتى بغير شدة ويستعمل فى الماديات والمعنويات ، فيقال نزع الشجرة من الأرض ونزع الغصن من الشجرة ، ونزع السلطان الوالى من عمله ، وانتزع الشخص نفسه من وسوسة الشيطان ، وتنازع القوم الرأى ، إذا ذهب كل فريق إلى جانب منهم . فكأن كل واحد منهم يشد الآخر ليكون معه أو يخضع لرأيه أو ينزع ما عنده من الرأى ويقتلعه .

ويقال نزع إلى الشيء أو نزعت نفسه إليه بمعنى مال ومالت إليه ، والمتنازعان يميل كل واحد منهما إلى جانب غير الذى يميل إليه الآخر .

والآية على كل حال تنهى عن الاختلاف والتشاحن .

أما قوله تعالى : ﴿ **وتذهب ريحكم** ﴾ فيعنى تذهب منكم قوتكم ، وتضعف شدتكم والريح أصلاً هى الهواء ، ولذا تذكر أيضاً ، وفى القرآن ﴿ **جاءتها ريح عاصف** ﴾ وتستعار للقوة والغلبة ، فنقول مثلاً : كانت الريح يوم أحد فى أول الحرب للمسلمين ثم صارت عليهم ، وتستعار للدولة لشبهها بها فى نفوذ الأمر وتوجيه الناس ، ويقولون : هبت ريح الدولة والجماعة بمعنى صارت لهم قوة وغلبة ، وفلان لا ريح له أى لا جاه له ، ويقال : هبت رياح النصر أو ركدت .

والتنازع والاختلاف من أكبر أسباب الفشل وركود رياح النصر .

واصبروا على شدائد الحرب ومكايد الأعداء ، فهذا أمر ثان بالثبات وعدم الفرار ، بدأت الآية بالأمر بالثبات والصبر وختمت به أيضاً لما له من الأثر القوى فى الغلبة والفوز . وأكد الطلب هنا بأن الله مع الصابرين معية معونة وإمداد بقوى معنوية ، ومن كان الله معه لا يغلبه أحد ، فالله ، ـ سبحانه ـ غالب على أمره .

والقرآن يأمر بالصبر فى مواضع كثيرة ، فضمن ما ذكره من أوصاف المسلمين والمسلمات فى سورة الأحزاب ذكر « الصابرين والصابرات » ، وجاء فى صفات الأنبياء الذين يؤذيهم أقوامهم : ﴿ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ﴾ . وفى ذكر الحرب للأعداء ﴿ .... ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ .. ﴾ .

وهناك الصبر على ما يمس الإنسان من مكروه ، فيتجمل بالصبر ولا يبدى الجزع والانهيار ، وهناك الصبر على إيذاء الجيران أو الرفاق وعدم المبادرة إلى الانتقام ورد الإساءة بمثلها : ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ وهناك الصبر على الحاح الغرائز الدنيئة وعدم الاستجابة لها ، وهناك الصبر على مشاق الطاعة من قيام الليل وصيام النهار وتحمل مشاق السفر لها كالسفر للحج أو للجهاد ، والصبر على مشاق الحياة من شدة الفقر وقلة المال أو فقد شخص عزيز أو مال ، وهكذا نجد الصبر صفة جامعة لعديد من المواقف .

والآية على أى حال تعليم وتأديب للمسلمين ، وإرشاد لما ينبغى أن يفعلوه فى مواقف الحروب ، والصفة البارزة فيها بجانب الثبات والصبر هى تذكر الله سبحانه ، والاعتقاد بأنه ناصر من والاه ، ولذا لا يهمل المسلم الطاعة ولا يجنح إلى معصية .

وتاريخنا الإسلامى ملىء بصور الإخلاص لله تعالى ، وصور التضحية طمعاً فى مرضاة الخالق ، ومن أكبر الدنيا ، وغفل عن ذكر الله وتذكره اعرضت عنه معونة الله ، وتاريخنا الحديث ملىء بهذه الصور ، وإذا رجعنا قليلاً إلى الوراء وتذكرنا عرباً مسلمين كانوا فى أسبانيا وصقلية ومقدونيا وقبرص وبلاد اليونان وغيرها ثم زالوا . نجد السبب الأول وراء زوالهم تنازعهم واختلافهم وعدم صبرهم ، وبذلك نسوا تعاليم القرآن كأنه أنزل لغيرهم !!

فهل نعود الآن إلى ما كان عليه سلفنا ، وننسى أضغاننا وأحقادنا .

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾




# نعمة الأمن في الإسلام

للشيخ / على حامد عبد الرحيم

عن أبى عبيدالله بن محصن الأنصارى الخطمى ـ رضى الله عنه ـ قال :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أصبح منكم آمنا فى سربه ، معافى فى جسده ، عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها » .
رواه الترمذى ـ وقال : حديث حسن

وعن أبى هريرة رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا أصبحت آمنا فى سربك ، معافى فى بدنك ، عندك قوت يومك فعلى الدنيا العفاء » .
أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان

**معانى المفردات :**

١ ـ السرب : النفس : وقيل قوم الإنسان .
٢ ـ معافى : من المعافاة وأصله العافية : وهى الصحة والسلامة من الأمراض والآفات .
٣ ـ حيزت : سيقت وجمعت وضمت .
٤ ـ بحذافيرها : حذافير الشيء أعاليه ونواحيه وجوانبه ـ المراد كأنه أعطى الدنيا بأسرها .
٥ ـ العفاء : التراب أو ذهاب الأثر .

---

عندما نعيش مع حديث ـ رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فى روايته نجده تتجلى فيه وسائل غنى النفس ، وطمأنينة القلب ، وراحة الضمير . وهذه هى السعادة التى لا تدانيها سعادة .

وإن المتأمل فى منهج الاسلام الذى إرتضاه الله لنا ديناً ، يجده يولى نعمة الأمن إهتماما كبيرا ، ويعنى به عناية فائقة ، فيجعله قسيما للطعام الذى تتوقف عليه الحياة . ولهذا آمتن الله عز وجل على

قريش ، يذكرها بنعمه آمرا بعبادته وطاعته ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾﴾ .

وإذا كان الطعام حياة مادية للإنسان . فإن الأمن حياة معنوية له . والأمن شعور ثابت ينبع من داخل النفس ، يلازم الإنسان ، فيبعث فيه الاطمئنان والراحة النفسية التى تتمثل فى الثقة العميقة بالله سبحانه على نحو يشعر صاحبه بالسكينة ، ويشعره بالاعتماد على خالقه – تبارك وتعالى – لأنه يشعر بمعية الله سبحانه له بالحماية والحفظ ، وليس هناك قوة تستعصى على حماية الله وحفظه ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾﴾ الزمر

والأمن مرتبط باستقامة السلوك النابع من الإيمان الصادق الذى يعصم صاحبه من الوقوع فى الخطأ ، ولم يصدر منه ما يدعوه إلى الخوف وإذا توفرت استقامة السلوك النابعة عن الإيمان الذى يضمن الأمن . حيث يقول الله – عز وجل – فى محكم التنزيل ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾

فصلت

وهكذا يتأكد ضمان الأمن للمؤمن المستقيم فى سلوكه مع الله ومع نفسه ومع الناس ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾﴾ الأحقاف

﴿فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ . ( سورة الأنعام ٤٨ )

وإن الله عز وجل قد وعد بالعزة والسيادة والتمكين فى الأرض للمجتمع الذى يتمسك أفراده بالمبادىء والمثل والقيم ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ النور (٥٥) .

ولقد نفر الاسلام من إزعاج الفرد أو المجتمع . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فيما رواه أحمد وابو داود والطبرانى «من أخاف مؤمنا كان حقا على الله ألا يؤمنه من فزع يوم القيامة» . وقال تعالى :

﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ الأحزاب (٥٨) .

لقد شدد الله عز وجل عقوبة إيذاء المؤمنين بكل صور الإيذاء وألوانه ، سواء كان بترويعهم أو بتهديدهم أو بنهب أموالهم أو بانتهاك أعراضهم أو بسفك دمائهم ، فكل ذلك – بلا ريب – من الإيذاء وإن تفاوتت درجاته ومن ثم تكون عقوبتهم متناسبة مع ما احتملوه من البهتان والإثم المبين .

وفى موضع آخر يقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ

فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَـٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ

المائدة (٣٣)

ما كان ذلك إلا لأن الدين الاسلامى يحرص على حقن الدماء وصيانة أرواح الناس ، ويعتبر القتل ظلما جريمة كبرى ، لأنها سلب لحياة المجنى عليه بغير حق ، وهدم لبنية الله ، واعتداء صارخ على حق الحياة وزعزعة لأمن وهدوء واستقرار الفرد والمجتمع .

وقد توعد الله قاتل النفس باللعنة والغضب وسوء المصير . قال تعالى :

وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾

النساء (٩٣) .

وفى قول الرسول صلى الله عليه وسلم : «من أصبح آمنا فى سربه» دخل فى الصباح وهو آمن فى نفسه أو مع قومه أو ممتلكه وطريقه ، معافى فى جسده خاليا من الأوجاع والأسقام ، سليما فى أعضائه وجوارحه من الافات والأمراض بعيدا عن المنغصات من الآلام وصنوف الرزايا .

وعنده قوت يومه ، عنده ما يقتات به وما يسد حاجته ، ونفقة من تلزمه نفقته غير محتاج ولا متطلع لما فى أيدى الناس . كأنه قد حاز الدنيا بأسرها . ومن أصبح مطمئن النفس سليم البدن محرزا قوت يومه وما يدفع ضرورته ، ولسد حاجته ويغنيه عن الناس فقد تساوى بمن ملك الدنيا .

سأل الحجاج الجوهرى : ما النعمة ؟ قال الأمن ، فإنى رأيت الخائف لا ينتفع بعيش . قال زدنى ، قال الصحة ، فانى رأيت السقيم لا ينتفع بعيش . قال زدنى ، قال الشباب فانى رأيت الشيخ لا ينتفع بعيش ، وجاء فى بعض الكتب المنزلة :

إنَّ عبدا أغنيته عن ثلاثة ، لقد أتممت عليه النعمة : عن سلطان يأتيه ، وطبيب يداويه ، وعما فى أيدى أخيه .

وفقنا الله لصالح القول والعمل وهدانا سواء السبيل .



# الخلاف الفقهى

## بين الأساليب اللغوية والنظائر الأصولية

لفضيلة الشيخ / أحمد عبد الله أحمد العبليتى (*)

**٤ ـ الأدلـة :**

**هنـاك أدلة كثيرة يحتجّ بها الأصوليون والفقهاء ويعتمدونها فى تقرير قواعدهم الفقهية ، ولذلك كان من الطبيعى تبعاً لهذا الأمر أن تتعدد الأحكام وتتباين بسبب تعدد الأدلة وتباينها وبسبب تفاوتها من حيث القوة والضعف والترجيح . ولذلك كان إختلاف العلماء فى الاعتماد على الأدلة والترجيح بينها سبب اختلاف الأحكام الفقهية وتعددها فى المسألة الواحدة .**

ومن الأمثلة التى تدل على ذلك الخلاف القائم حول الاستصحاب والاستحسان والمصالح المرسلة ، والعرف ، وقول الصحابى الذى جعله بعض الأئمة حجة يعتمد عليها ، فى حين يعتبره آخرون آراء اجتهادية لفقهاء غير معصومين ولا يترتب على مخالفتها حرج أو شذوذ فى بعض المواضع .

ومن الضرورى أن أشير هنا إلى أن قول الصحابى الذى لا يُدرك بالرأى والعقل يكون حجة فى الفقه دون خلاف ، لأنه لابُدَّ أن يكون قائله قد نقل ذلك عن سماع من النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

أما قول الصحابى الناتج عن رأيه واجتهاده فهو الذى حدث فيه اختلاف ، فأبو حنيفة ومن وافقه يقول : إذا لم أجد فى كتاب الله ولا سنة رسوله أخذت بقول أصحابه من شئت وأدع قول من شئت ، ثم لا أخرج عن قولهم إلى غيره .

أما الإمام الشافعى فلا يرى ما رآه أبو حنيفة ، إذ لا يوجب حصر المسألة فى اطار الصحابة كما رأينا لدى أبى حنيفة ، لأنه لا يرى رأى واحدٍ معيّن منهم حجة ، ولذلك يسوغ مخالفة آرائهم جميعاً لكونها صدرت عن رجالٍ غير معصومين .

وحتى تتضح صورة الخلاف الفقهى الناشىء عن تنوع الأدلة ، لابد من الإشارة إلى الدليل الفقهى المعروف باسم «الاستحسان» والذى يمثل نموذجا واضحا لما تقدم بيانه ، حيث دار خلاف حول مسألة ما إذا كان يمكن اعتبار الاستحسان دليلا كافيا وإدراجه ضمن أدلة الشرع أو أنه ليس كذلك ؟

إن الاجابة على هذا الموضوع وذلك التساؤل

---

(*) الكاتب : المفتى السابق لمسلمى فلسطين المحتلة

يسوقنا إلى الحديث عن رأى المذاهب الفقهية المتعلق بهذه المسألة ، فالمالكية والحنفية يقولون بالاستحسان ويعتبرونه دليلا شرعيا وحجة فقهية دون أن تكون هناك مشاحة فى استعماله والاعتماد عليه .

وفى الوقت نفسه نجد الإمام الشافعى وابن حزم يرفضان حجية الاستحسان ويوردان أدلة كثيرة توضح السبب الذى من أجله رفضا هذا الدليل .

والشواهد الواردة فى باب الاستحسان كثيرة ، منها حَدُّ السرقة إذ الواجب فى السرقة القطع مطلقا بعد توفر شروطها وأركان موجبات الحد أو الجريمة الموجبة للحل لعموم النص القرآنى ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1] غير أن القطع قد عُدِل عنه استحسانا وذلك فى عام المجاعة كما فعل عمر - رضى الله عنه - حيث أسقط الحد حتى لا يجتمع على السارق ضرران : ضرر الجوع وضرر القطع للسرقة .

٥ - تدوين الروايات وتناقلها :

إن الفترة التى دونت فيها الأحكام الفقهية كانت فترة مبكرة من تاريخ الاسلام ، كما أن تدوين السنة جاء عقب استنباط كثير من الاحكام الفقهية ، ولذلك احتمل أن يكون شىء من السنة قد بلغ قسما من المجتهدين والأئمة فى حين أنه لم يبلغ قسما آخر منهم ، أو أن يكون بلغ بعضهم عن طريق فيه ضعف لبعض الرواة . ومن المعلوم أن الفقهاء وعلماء الأصول قد وضعوا مقاييس وشروطا اعتمدوها قاعدة فى قبول الحديث والعمل به ، فقد يشترط أحدهم شرطا لم يشترطه الآخر ، فيعمل به الأول ويتركه الثانى . فمثلا هناك خلاف حول العمل بحديث الآحاد ، إذ نجد علماء الحنفية يقررون شروطاً للعمل به تختلف عما هو مقرر عند الشافعية مما يترتب على ذلك تباين الأحكام الفقهية ، ويدخل فى هذا الباب الخلاف القائم حول الجهر بالبسملة فى الصلاة والإسرار بها ، إذ إن هذا الأمر الخلافى قد حدث بسبب المعايير والشروط التى وضعت للعمل بالحديث .

ويذكر البَطَلْيَوْسِي مثالا يوضح به أقوال الفقهاء الذين بنوا أحكامهم على روايات تفاوتت فى الوصول إليهم ، حيث يذكر أنه : (رُوى عن عبدالوارث ابن سعيد أنه قال : قدمْتُ مكة فألفيتُ فيها أبا حنيفة وابن أبى ليلى وابن شُبْرُمة ، فأتيْتُ أبا حنيفة ، فقلت : ما تقول فى رجل باع بيعاً وشرط شرطاً ؟

فقال : البيع باطل والشرط باطل ، فأتيت ابن أبى ليلى فسألته عن ذلك ، فقال : البيع جائز والشرط باطل ، فأتيت ابن شُبْرُمة فسألته عن ذلك فقال : البيع جائز والشروط جائز . فقلت فى نفسى : ياسبحان الله !! ثلاثة من فقهاء العراق لا يتفقون على مسألة !! فعدت إلى أبى حنيفة فأخبرته بما قال صاحباه ، فقال : ما أدرى ما قالا لك ، حدثنى عمرو بن شُعَيب عن أبيه عن جده ، قال : نهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن بيع وشرط ، فالبيع باطل والشرط باطل . فعدت إلى ابن أبى ليلى فأخبرته بما قال صاحباه ، فقال : ما أدرى ما قالا لك ، حدثنى هشام بن عُرْوةُ عن أبيه عن عائشة قالت : « أمرنى

---

(١) سورة المائدة - آية رقم (٣٨)

رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن اشترى بَرِيرةَ فأعتقها « البيع جائز والشرط باطل(*) .
قال : فعدت إلى ابن شبرمة فأخبرته بما قال صاحباه ، فقال ما أدرى ما قالا ، لكن حدثنى مِسْعَر بنُ كِدام عن محارب بن دِثَار عن جابر ، قال : بعت النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعيراً ، وشرط لى حملانه الى المدينة ، البيع جائز والشرط جائز .

يضاف إلى ذلك أن النص الذى يستنبط منه الحكم الشرعى قد لا يكون صريحا ، فتتفاوت فيه أفهام المجتهدين ، ومثله فى ذلك اختلاف الروايات فيه . من ذلك ما روى الإمام مالك فى الموطأ عن عبدالرحمن بن عبدالقارى أنه سمع عمر بن الخطاب وهو على المنبر يُعَلِّمُ الناس التشهد ، يقول : «قولوا التحيات لله ، الزَّاكيات لله ، الطيبات ، الصلوات لله ...» وبناء على هذه الرواية اعتمد الإمام مالك هذه الصيغة لأن تقال فى الجلوس فى الصلاة .

وروى البخارى فى صحيحه عن عبدالله بن مسعود ، قال : (التفت إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : «إذا صَلَّى أحَدُكم فليقُلْ : التحيات لله ، والصلوات والطيبات » فبلغت هذه الصيغة الإمام أبا حنيفة فاعتمدها فى الصلاة ، ومثله فى ذلك الإمام أحمد بن حنبل .

وروى الإمام مسلم فى صحيحه عن ابن عباس ، قال :« كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا التشهد : التحيات المباركات ، الصلوات الطيبات لله » فبلغت هذه الصيغة الإمام الشافعى فأقرها واعتمدها(٣)

ولعل ما سبق ذكره يوضح أن هذه الأحكام قامت على النصوص التى وردت مختلفة باختلاف الرواية . وربما كان هذا الخلاف لا يخرج عن نطاق اللفظ إذ إننا نرى أن المعنى فى كُلِّ واحد فى الجوهر والمضمون .

### ٦ ـ الدلالات اللغوية :

من المعلوم أن جميع النصوص التى بنيت الأحكام الفقهية بموجبها هى نصوص تتألف من الكلام العربى وتتميز بروائع الاعجاز وجمال الاسلوب . ومن البديهى أن تكون هذه النصوص خاضعة لنواميس اللغة وقوانينها ، ولذلك فإن التركيبة اللغوية لها تعتبر عاملًا أساسيا وهاما فى تقرير المعنى وتعيين المراد من اللفظة اللغوية ، وعلى هذا الأساس فإن معالجة النص بهدف استنباط الحكم الفقهى منه يرتكز فى الأصل على معرفة الدلالة اللغوية ، إذ قد تظهر بعض الألفاظ وتكون ذات معان مشتركة ، مما يترتب عليه اختلاف الآراء حول تحديد المعنى المقصود ، كما فى قوله تعالى : ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ(٤) ﴾ فلفظ «قروء» جمع للفظ «قرء» وقد وضعه العرب لاستعمالين مختلفين بحيث يخالف أحدهما الآخر ويسمى «الأضداد» ، وليس بالضرورة أن يكون هذا الباب قاصراً على

---

(٢) البطليوسى (كتاب التنبيه) ص ١١٥ ـ ١١٧ طبعة ثانية القاهرة : دار المريخ ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م

(*) المراد أن أهلها اشترطوا أن يكون الولاء لهم فقال : ﷺ للسيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ اشترطى لهم ، ثم قام ﷺ خطيباً فقال : « ما بال أقوام يشترطون شروطاً ليست فى كتاب الله إنما الولاء لمن أعتق » .
فكان الشراء صحيحاً ـ والشرط باطلاً راجع سبل السلام .

(٣) أنظر كتاب «الأم» للإمام الشافعى (الجزء الأول) ص ١٤٠ وأنظر أيضا كتاب المغنى لابن قدامة (المجلد الأول) ص (٦٠٨)

(٤) سورة البقرة ـ آية رقم (٢٢٨)

الأضداد فقط ، إذ أنه من الممكن أن تدل اللفظة الواحدة على معنيين لا يطابق أحدهما الآخر إلا أنهما غير متناقضين . ويطلق اللغويون على ذلك كله اسم «المشترك اللغوى» ، حيث تدل اللفظة الواحدة منه على معنيين حقيقيين مختلفين أو أكثر من ذلك بالوضع الأصلى .

وإيضاحا لهذا الجانب لابُدَّ من الكلام على الناحية اللغوية لكلمة «القرء» وإبراز الأثر الفقهى لذلك .

( أ ) القرء بمعنى الطهر : ذهب إلى هذا القول أهل الحجاز ، وحجتهم فى ذلك ما روى عن ابن عمر وعثمان وزيد بن ثابت أنهم قالوا : الأقراء هى الأطهار بعينها . وقد اعتمد الحجازيون فى ذهابهم إلى هذا القول على دليل لغوى هو قول الأعشى :

وفى كلِّ عامٍ أنت جاشمُ غزوةٍ
تشُدُّ لأقصاها عزيم عَزَائكا
مُوَرِّثةٍ مالًا وفى الحى رفعةً
لِما ضاع فيها من قروء نسائكا

والمراد هنا بالقروء الأطهار ، إذ المعنى أن الغزو قد شغله عن النساء فى طهرهنَّ . وقد ذهبَ إلى قول الحجازيين مالك والشافعى وجمهور أهل المدينة ، وأبوثور والزهرى ، كما روى أن ابن عباس قال بهذا استنادا على بعض الروايات المنسوبة له .

(ب) القرء بمعنى الحيض : ذهب إلى هذا القول الكوفيون وعامة أهل العراق توسعاً ، وحجتهم فى ذلك قول النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ للمستحاضة : «اقعدى عن الصلاة أيام أقرائك» .

أما حجتهم من اللغة فهو ما أنشده ابن الأعرابى :

يارُبَّ ذى ضِغْنٍ علىَّ فارض
له قروءٌ كقــــروءِ الحائض[٥]

ويُمثل هذا الاتجاه عمر وعلىّ وابن مسعود وأبو موسى الأشعرى ومجاهد وقتادة وعكرمة وأبوحنيفة .

ومما يتصل بهذا الجانب الخلاف القائم بين الأصوليين بشأن ثبوت اللغة بطريق القياس ، فذهب القاضى أبوبكر الباقلانى وجماعة من الفقهاء إلى جواز إثبات اللغة بطريق القياس ، معتمدين فى ذلك على أن العرب تطلق لفظ ( السارق ) مثلا على من يأخذ مال غيره خفية ، وحيث أنه قد وجدت المناسبة بين هذا المعنى وبين النباش الذى يأخذ أكفان الموتى صح إطلاق لفظ السارق عليه . إلا أن غالبية الأصوليين يذهبون الى القول بأن اللغة يمتنع إثباتها بالقياس وأن سبيل معرفتها يتحقق بطريق النقل عن العرب . ومما يقوى رأيهم هو أن القياس فى اللغة إثبات بالمحتمل وهو غير جائز ، وبذلك فإن الحكم لا يصح بالوضع عن طريق الاحتمال . وقد تكون لفظة «الخمر» من أهم المسائل التى شغلت أذهان الفقهاء وجعلتهم يختلفون فى تعيين المعنى المقصود منها ، فذهب

(٥) الفارض : المسن من الابل . واختلف فى تفسير هذا البيت وتعيين المراد منه ، فمنهم من رأى أن قائله أراد أنه طعنه فكان له دم كدم الحائض . ومنهم من رأى أن القائل أراد أن يبين أن لعداوته أوقاتاً تهيج فيها مثل وقت الحائض .

مالك والشافعى وأحمد وأهل الحجاز إلى أنها الشراب المسكر من عصير العنب وغيره ؛ لأن المسكر يخامر العقل ويحجبه عن التفكير . فى حين ذهب العراقيون وأبوحنيفة وابراهيم النخعى وسفيان الثورى وابن أبى ليلى وغيرهم الى أن الخمر هى الشراب المسكر من عصير العنب فقط ، وأن المسكر من غيره كالشراب المعمول من التمر أو الشعير أو التفاح يسمى نبيذاً .

ومما تقدم يتضح أن الخلاف فى لفظة الخمر يدور حول مسألة ما إذا يصح إطلاق هذه اللفظة على سائر الأشربة المسكرة على وجه الحقيقة أو أنها قاصرة فقط على الشراب المسكر من عصير العنب . وقد تمسك العراقيون بمذهبهم وبخاصة الأحناف منهم ، حيث رجحوا رأيهم هذا بالاعتماد على الجانب اللغوى الذى يشير الى ان اللغة لا تثبت قياسا وأن الأسماء مقصورة على مسمياتها ، لأن العرب يضعون الاسم ويخصصونه بالمحل دون أن يكون للقياس دور فيه .

٧ ـ الدلالات النحوية :

تُعَدُّ علامات الاعراب وسائل أساسية لتعيين المعنى المراد من الكلام ، ولذلك كان الاختلاف حول علامة الاعراب المتعلقة بالنص المراد استنباط الحكم الفقهى منه سبباً فى تعدد الأحكام الفقهية . مثال ذلك قوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ﴾(٦) فقرأ نافع وابن عامر وحفص والكسائى ويعقوب هذه الآية بنصب (أرجلكم) ، فى حين قرأها الباقون بالجر .

وبالنظر إلى تلك القراءتين تشعبت المذاهبُ فى صفة طهارة الرجلين ، فمنْ ذاهب إلى أن طهارتها تكون بالغسل ، ومن ذاهبٍ إلى أنها تكون بالمسح ، ومن مجيز بينهما . والسبب فى ذلك يرجع إلى صفة القراءة لكلمة (أرجلكم) ، فقراءة النصب ظاهرها يفيد وجوب الغسل باعتبار أنها معطوفة على (وجوهكم) التى حكمها الغسل ، وهذا هو مذهب الجمهور من الفقهاء .

أما قراءة الجر فظاهرها يفيد وجوب المسح لا الغسل ، لأن العطف يكون على لفظة (الرءوس) وحكم الرءوس ـ كما هو مبين فى الآية ـ المسح ، وهذا ما ذهب الأمامية إليه وبعض الفقهاء ، مثل : ابن كثير وعمرو وحمزة وأبى .

أما الرأى الثالث فيوجب الجمع بين المسح والغسل أخذاً بمبدأ الجمع بين القراءتين .

ومثال آخر يوضح أثر اختلاف الدلالات النحوية قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ﴾(٧) فإن المعنى على اعتبار الواو فى هذه الآية واو حال النهى عن أكل متروك التسمية وذلك حينما يكون الترك فسقا ، وهو لا يصبح كذلك إلا إذا ذُكر اسم غير اسم الله عليه . وبهذا استنبط الأئمة حكمهم فى هذه المسألة بناء على هذا الوجه ، ولعل أبرزهم فى ذلك الإمام الشافعى وأصحابه .

أما إذا اعتبرنا الواو حرف عطف فإن النهى عن أكل متروك التسمية يكون نهيا مطلقا وشموليا دون

---

(٦) سورة المائدة ـ آية رقم (٦)

(٧) الأنعام ـ آية (١٢١)

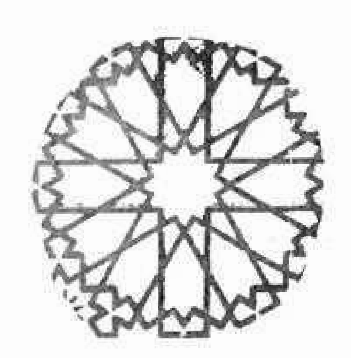
أن يكون مقيدا بذكر اسم غير اسم الله عليه ، وعلى هذا الاعتبار يكون قوله تعالى : «وإنه لفسق» إخباراً أن ترك التسمية فى حد ذاته فسق . وقد خصص ابن نجيم الرسالة السادسة والعشرين من رسائله لبحث متروك التسمية بحسب الأوجه النحوية الممكنة فى نص الآية .

ومن الأمثلة أيضا الاستثناء الذى يأتى بعد الجمل المتعددة ، فالإمام الشافعى وأصحابه يذهبون إلى إعادة الاستثناء على الجمل كلها ما لم يكن هناك دليل يقتضى إخراج بعضها .

أما أبوحنيفة وأصحابه فيذهبون إلى أن الاستثناء يعود على الجملة الأخيرة فقط ، ويستدلون على ذلك بنص قرآنى هو قوله تعالى :

﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٨)

إذ أن القاعدة الفقهية تقرر عدم قبول شهادة الفاسق إلا بعد تحقق التوبة منه وأن الاستثناء هنا لا يعود على الجلد باعتباره عقوبة جسدية لا تسقط بالتوبة ، وكذلك الفسق يزول بالتوبة .



(٨) النور ــ آية (٤)

# القـــرآن صـــالح لكل زمـان ومكـان

للأستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومى

نشرت جريدة العروبة الصادرة بتاريخ ١٩ من ذى القعدة سنة ١٤١٣ الموافق ١١ من مايو سنة ١٩٩٣ فى أعلى الصفحة الأولى - وبخط عريض سمك إمتداد الصفحة عرضاً - هذه العبارة المثيرة .

« جمال بدوى : القرآن ليس صالحاً فى كل زمان ومكان » هذا فى الصفحة الأولى ، أما بداخل الجريدة فقد خصت المحررة التى تسمى « ندى محمد » ما اعتبرته مُوجزاً لما قاله الأستاذ جمال بدوى رئيس تحرير جريدة الوفد فى إحدى الندوات ، وهو يوجز فيما يلى :

١ - إن مقولة أنّ القرآن صالح لكل زمان ومكان لم تعد صالحة الآن .

٢ - لابد أن نعتمد على العقل والاجتهاد لأن القرآن لايشتمل إلا على مائتى آية تحتوى على الشرائع والأحكام وهى غير كافية لهذا العصر واحتياجاته .

٣ - ما صدر عن رسول الله ﷺ من أقوال وأفعال لاتعد كلها وحياً .

٤ - لانتمسح فى الأسلاف فنعتبر كل ما جاء عنهم مقدساً ، لأن الإسلام يرفض من الإنسان أن يضع عقله أسيراً لسلطة حاكم مستبد .

٥ - المسلمون الأوائل لم يجدوا حرجاً ولا إثماً فى الاعتماد على العقل ، وأن عبارة لا اجتهاد مع النص عبارة فضفاضة وتحتاج إلى إعادة نظر .

٦ - الصراع بين المعتزلة وحماة الدين حول الأحاديث والأحكام .

وقد اهتم الكثير بما نُقل عن الأستاذ جمال بدوى ، وورد إلى المسئولين فى الأزهر ما يدل على هذا الاهتمام من قراء كثيرين أزعجتهم هذه الأقوال ، وطلبوا الرد عليها ، فأحيلت إلىّ جريدة العروبة لأناقش ما جاء بها ، ولن أتأخر .

وقبل كل شىء ، أعلن أنى أشك شكاً قامت لدى أدلته فى أن الأستاذ جمال بدوى قد أدلى بهذه

الآراء ؛ لأنى أتابع مايكتب فى جريدة الوفد ، وأقرأ أكثر مايُصْدِر من كتب تاريخية وثقافية ، فلم ألْحَظْ عليه تهجماً فى رأى ، أو شذوذاً فى اتجاه ، فهو الكاتب المؤمن الغيور على كتاب الله وسنة رسوله وشريعة الإسلام ، ومثله لا يتورط فى ترداد أغاليط سافرة ينكرها أهل العلم ، ولا يعرفون لها مذيعاً غير من جهلوا حقيقة الإسلام ، وَسَرَّهُم أن يقولوا عنه غير ما جاء به لحاجة فى نفوسهم ، وإذنْ فالرّدُ فى رأيى لَايُوجّهُ إلى الأستاذ جمال بدوى ، ولكن إلى مَنْ حرّف القول عن عمد ، وما أخال الأستاذ الكبير إلا مستنكِراً مانُسب إليه إذا أتيح له أن يطلّع عليه ، ونأتى إلى ما نُريده من النقد الكاشف لهذه الادعاءات فنقول أولًا :

١ ـ إن القول بأن القرآن ليس صالحاً لكل زمان ومكان ، لم تصدر عن عالم قرأ القرآن ودرس السنة ، وعرف طريقة الفقهاء فى القياس المجتهد الذى تندرج به الجزئيات فى كليات عامة أتى بها الذكر الحكيم ، ووضحتها سنة الرسول تطبيقاً وتفسيراً ، إنما صَدَر عمن لا يعرفون شيئاً عن أحكام الشريعة ، ومِنْ أين استمدت أصولها التى قامت عليها واضحة جلية دون التباس ، وقد كتب العلماء فى دحض هذه الفرية ، حتى أصبحت لغوا تافها يقابل بالازدراء ، وأعجب العجب فى صنيع هؤلاء المرجفين ، أنهم يعلمون أنَّ بمصر أكثر من عشرين كلية للشريعة الإسلامية وللحقوق بالجامعات المنتشرة فى شتى عواصم الجمهورية ، وكلها ـ شريعة وحقوقاً ـ تدرس الشريعة الإسلامية ، وتُجمعُ إجماعاً لا شبهة فيه على صلاحيتها وخلودها الدائم حتى يقوم الناس لرب العالمين ، أجل تدرس هذه الكليات الشريعة الإسلامية بالمنطق المؤيد بالنقل ، المعتصم بالعقل ، بحيث صارت الدعوة إلى تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية رغبة عامة لا يجرؤ حزب من الأحزاب على التنكر لها ، وليس لها من معارض غير فلول الماركسيين الذين غرقت بهم السفينة ، فهبوا يصارعون الموج فى يأس قاتل ، ومصيرهم محتوم ، لأنه مصير الذيل بعد انقطاع الرأس .

أما جمهور الشعب المسلم ، أما آلاف الآلاف ممن تخرجوا فى هذه الكليات ، ولا يخلو من أحدهم منزل فهم واثقون بصلاحية الشريعة لكل زمان ومكان ، ومعهم اعتقادهم الراسخ ، وعلمهم المقرر المدروس ، وإذا كان فى العامة من يريد أن يطمئن قلباً بخلود الشريعة وصلاحيتها لكل زمان ومكان ، فليستمع إلى نص العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ حيث قال : «إن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد ، وفى المعاش والمعاد ، وهى رحمة كلها وعدل كلها ومصالح كلها ، وكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور ، وعن الرحمة إلى ضدها ، وعن المصلحة إلى المفسدة ، وعن الحكمة إلى العبث ، فليست من الشريعة ، وإن دخلَتْ بالتأويل» .

ومعنى ذلك أن صلاح الشريعة للتنفيذ فى كل عصر وموطن ينبع من قيامها على مصالح الناس بالعدل والقسطاس ومراعاتها مايترتب على اختلاف الظروف والبيئات من اعتبارات لها كلها الوزن عند المشرع ، ولذلك كان الاجتهاد باباً من الأبواب الدقيقة فى علم الأصول ، له شروطه وحدوده ورجاله الفاقهون أن يقيسون المجهول على المعلوم ، ويدرجون الجزئيات فى كليات عامة ، لأن الشريعة حين تركت كثيراً من الفروع دون نص على أحكامها ، فقد تركت لمن يملك القدرة على الاجتهاد أنْ يُدخل هذه الفروع فى الكليات

العامة التى جاء بها كتاب الله ووضحها نبيه الكريم .

وما قاله ابن القيم ، وإن كان من البداءة لى الدارسين ، نجده مشتهراً بمضمونه لدى تلاميذ المدارس الثانوية ! أقول فى هذه المرة المدارس الثانوية ، فأنزل عن مستوى طلاب الكليات قليلًا ليعرف هؤلاء المتهجمون على الشريعة أنهم لا يعلمون ما يعرفه طالب السنة الثانية فى المدرسة الثانوية ، لأن كتاب (التربية الإسلامية للصف الثانى من المدارس الثانوية) قد جَلّا هذه النقطة خير جلاء حين قال مؤلفوه ص ٩٠ :

علمنا أنّ المصادر الأساسية للشريعة الإسلامية هى القرآن الكريم فى المقام الأول ، تليه السنة المطهرة . ولكن القرآن الكريم ثابت لا يقبل التعديل ، ولا يخضع للتطوير ، وكذلك السنة الصحيحة ، على حين أنّ المجتمعات العالمية تتغير دائماً ، وتتطور أبدا ، وقد أصبح هذا التطور سريعاً متلاحقاً فى عصرنا ، ولابد أن تكون الشريعة الخالدة قادرة على التعبير عن هذه المتغيرات وتوجيهها وتنظيمها وتقنينها ، وهذا ماعلمه وأدركه مُعلّم البشرية ﷺ فنجده يوجه معاذاً إلى الاجتهاد برأيه فى القضايا التى لا يجد حُكمها صراحة فى كتاب الله وسنة رسوله .

والاجتهاد هو أن يبذل العالم أقصى طاقته ، وجهده فى استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها وقد اشترط العلماء فى المجتهد شروطاً أهمها ما يلى :

أ ـ العلم بالقرآن الكريم ، معانيه وأحكام وأسباب نزول الآيات .

ب ـ العلم بالسنة ومعانيها وأحكامها .

جـ ـ التمكن من اللغة العربية ، وطرق دلالتها على المعانى .

د ـ العلم بمقاصد الشريعة ، وأحوال الناس وأعرافهم ، ومايحقق مصالحهم الدنيوية والأخروية فى زمانه وبيئته .

وقد مضى الفقهاء فى طريق الاجتهاد فوسعت الشريعة الإسلامية قضايا الناس فى أزهر عصور الحضارة الإسلامية عباسية وأندلسية وفاطمية ، ثم جاء منَ تَقَاعَس عن الاجتهاد فى عصور الضعف والتخلف فُخيلَ لبعض الناس أن الشريعة قد وقفت ولم تسر ، حتى ظهر فى القرن الأخير من نفخ فى العصور فاتصل الخلفُ بتراث السلف ، وقام الاجتهاد فى الفتوى والقضاء وسائر الأحكام على قدم وساق ، وقُنّنَتْ مواد الشريعة تقنيناً واضحاً تقف بها أمام أحدث القوانين لترتفع عليه ! فكيف نقول بعد ذلك ، إنّ القرآن ليس صالحاً لكل زمان ومكان !

٢ ـ ثم تقول الجريدة : لابد من أن نعتمد على العقل والاجتهاد ؛ لأنّ القرآن لا يشتمل إلّا على مائتى آية تحتوى الشرائع والأحكام ، وهى غير كافية لهذا العصر واحتياجاته .

أما أنْ نعتمد على العقل والاجتهاد فى الأحكام فهذا ما لا ينكره أحد ، بل هذا هو الواقع المشاهد فى كل ما نقرأ من كتب الفقه المعاصر ، وما صدرت الفتاوى الدينية المعاصرة إلّا فى ضوء الاجتهاد العاقل بشروطه المقررة ، وإذنْ فالقول بذلك تحصيل حاصل ، أما أنّ القرآن لا يشمل غير مائتى آية تحتوى الشرائع والأحكام وهى غير كافية لهذا العصر ، فكلنا يعلم أن كتاب الله قد جاء بالكليات العامة لتندرج تحتها الجزئيات المتولدة ، ولم تضقْ هذه الكليات بمعضلة معاصرة بل كان لها حلها اليسير فى ضوء ما يلى الكتاب من سنة رسول الله ـ ﷺ ـ وأقوال الأئمة

المجتهدين ، والاجتهاد العصرى فى التطبيق والتحليل والتعليل ! وقولُ الجريدة أنّ القرآن لا يشمل غير مائتى آية ، يُغفل أن الآية الواحدة قد تتضمن أحكاماً كثيرة ، فأحكام الميراث كلها قد جاءت فى ثلاث آيات فحسب ، وقد وَسعتها جميعها ! فالعدد الرقمى لا معنى له فى ظل اشتمال الآية الواحدة على أحكام عدة ، كما لا معنى له حين نعلم أن القرآن مفسر بالسنة وقد وضحته بمزيد من الأحكام المعتبرة ، وجاء المجتهدون فأمدوا الشريعة بعطاء زاخر لا يكاد يحصر ! فهل للنص على مقدار الآيات مكان ما فى الاحتجاج بأن القرآن غير صالح لكل زمان ومكان ؟

٣ ـ وتقول الجريدة ، ما صدر عن رسول الله ﷺ من أقوال وأفعال لا تعد كلها وحياً !

وليس ما قالته الجريدة بجديد على القارىء ، فهو من الأمور المسلمة ، وطالب الصف الثانى من المدرسة الثانوية يعرفه تمام المعرفة لأنه يقرأ فى كتابه المدرسى ما ذكره مؤلفوه حين قالوا ص ٨٦ تحت عنوان ( العملّ بالسنة ) وقد رجعوا فى ذلك إلى كتاب « علم أصول الفقه » للمرحوم الأستاذ عبدالوهاب خلاف ، حيث قال الأستاذ :

« ومادمنا مكلفين بالعمل بالسنة باعتبارها المصدر الثانى بعد القرآن الكريم ، فلابد أن نبين أن ما ورد عن النبى ﷺ له ثلاث حالات :

**الحالة الأولى**

ما ورد عنه ـ ﷺ ـ بوصف أنه رسول ومقصود به التشريع العام والاقتداء مثل :

أ ـ تأكيد حكم جاء به القرآن الكريم : كالأمر بالصلاة وإيتاء الزكاة ، والنهى عن الشرك وعقوق الوالدين .

ب ـ تفسير وتفصيل ما جاء فى القرآن الكريم كتفصيل أحكام العبادات وأحكام البيع والشراء وغيرها ، أو تخصيص ما جاء عاماً فى القرآن الكريم ، مثل تحريم الميتة والدم فقد خصصت السنة : السمك والجراد والكبد والطحال بأنها حلال .

جـ ـ إثبات حكم سكت عنه القرآن الكريم مثل : تحريم الجمع بين المرأة وعمتها وبين المرأة وخالتها **وهذه الأحكام ومثلها مستمدة من القرآن الكريم ومن مبادئه وهى ملزمة للمسلمين شرعاً .**

ما صدر عن رسول الله ـ ﷺ ـ كما يصدر عن سائر الناس ، كالأكل والشراب والمشى والقيام والقعود .

أو صدر عنه بمقتضى خبرته وتجاربه فى الحياة ، **ومثل هذه الأمور إما مستحبة أو جائزة ، إلا إذا ثبت أن شيئاً منها قصد به التشريع العام فتكون ملزمة شرعاً كالحالة الأولى .**

ما كان خاصاً به ـ ﷺ ـ وليس تشريعاً عاماً . لاعتبارات خصه الله بها كوصله صوم يوم بآخر دون أن يفطر ، **ومثل هذه الأمور من خصوصياته ولا يشاركه فيها أحد .**

وإذن فطالب المدرسة الثانوية يعلم أن من أعمال رسول الله ـ ﷺ ـ مالا يُعد وحياً ، وكان على الكاتب أن يفصل القول إذا أراد الحق لوجه الحق لا أن يترك القارىء السطحى فى بلبلة واندهاش .

٤ ـ قال كاتب الجريدة : لا نتمسح فى الأسلاف لنعتبر كل ما جاء عنهم « مقدساً » ، لأن

الإسلام يرفض للإنسان أن يضع عقله أسيراً لحاكم مستبد .

ولا يوجد أحد من الفقهاء يعتبر ما قاله أئمة المذاهب قولًا مقدساً ، بل إن كل إمام منهم يرى أن قوله صواب يحتمل الخطأ ، وقول مخالفه خطأ يحتمل الصواب ، ولا يلزم أحداً بتقليده ، وقد قال مالك رضى الله عنه : كل عالم يؤخذ من قوله ويُرد ، غير صاحب هذه الحجرة ، وأشار بيده إلى مقام رسول الله بالروضة ! وكُتب الموازنة بيْن الآراء الفقهية معروفة غير مجهولة ترجيحاً وتوهيناً ، فكيف يُقال إننا نعتبر كلام الأسلاف من هؤلاء مقدسا ! وقول الكاتب عقب ذلك إن الإسلام يرفض من الإنسان أن يجعل عقله أسيراً لسلطة حاكم مستبد صحيح فى مضمونه ، ولكن ما صلته بحكم يصدره فقيه مجتهد عن دليل اتضح لديه ، أخطأ أم أصاب ! وهل هذا الفقيه إذا اجتهد وبذل غاية الجهد فى القياس والتدليل يكون صاحب سلطة ، أو أنه يعرض رأيه لزملائه ولهم حق المناقشة والتصويب !

٥ ــ ثم قال كاتب الجريدة :

المسلمون الأوائل لم يجدوا حرجا ولا إثما فى الاعتماد على العقل ، وإن عبارة لا اجتهاد مع النص عبارة فضفاضة تحتاج إلى إعادة نظر .

وأنا أقول إن المسلمين الأوائل قد نادوا بالاعتماد على العقل ، وكان العقل دليلهم فى كل حكم فقهى اتجهوا إليه ، فهم لم يجدوا حرجا أو إثماً فقط ! بل هم دعاة التفكر والنظر ، لأن كتاب الله يدعو إلى التفكير والتأمل والنظر فى ملكوت السموات والأرض ، وتلك قضية واضحة مسلمة فلا مجال لترددها ! أما القول بأن عبارة لا اجتهاد مع النص عبارة فضفاضة تحتاج إلى نظر ، فيردها أن نسأل من هو المجتهد ؟ أليس هو الفقيه الذى يعتمد أولَ ما يعتمد على النص فى قول الله وسنة الرسول ! وله أن يحكم على النص بالعموم أو الخصوص أو الاطلاق أو التقيد وفق ما تنطق به الأدلة ؟ فالنص إذن هاديه ورائدة ، وهو منه بمكان المصباح المضىء من سار يتخبط فى الظلام ! فالاحتياج إلى إعادة النظر لايكون من غير الفاقهين وهم يعرفون مكان النص ، وليسوا بحاجة إلى الاستماع إلى مُنكريه !

٦ ــ أما حديث كاتب الجريدة عن الصراع بين المعتزلة وحماة الدين حول الأحـــاديث والأحكام فخارج عن كل ما نعنيه ؛ لأن نقاش المعتزلة لم يتجه إلى المسائل الفقهية فى الشريعة الإسلامية التى يدور حولها اللجاج ! بل كان نقاشهم حول الأمور الاعتقادية المتعلقة بما يسمى ( علم الكلام ) فلماذا نزج بهم فى مجال ليسوا من أربابه ؟ وليس كل معتزلى منكراً للحديث فى مضمار الاحتجاج بل إن من حاول ذلك لاينكر الحديث بل ينكر نسبته لرسول الله ! والمعتزلة أهل نظر وبحث ، والإسلام يدعـــو إلى النظـــر والبحث ، فهم ومخالفوهم يتبارون فى مجال غير هذا المجال ، فلمـاذا تتحـــدث عنهم فى مجال صلاحية الشريعة للبقاء ! وهل قال معتزلى واحد إنها ليست صالحة لكل زمان ومكان ؟

لقد كان بوسعى أن أفيض فى ردّ هذه الشبهات بما يملأ كتابا برأسه ، ولكنّى أوجز القول فى تركيز دقيق لأحصر مجال النقاش فى حيز يسير ، فَيُلِمُ القارىءُ بمضمونه دون إرهاق .

ونرجو ممن يهاجمون الشريعة بالباطل أن يعلموا أن الأراجيف لاتثبت للحقائق وما هى إلا سراب يلمع ثم يختفى دون ارتواء .

## نعم .. يا أستاذ عشماوى

# حتى لا تكون فتنة

للأستاذ الدكتور إبراهيم عوضين

**فى ضمن الحملة الوطنية المؤمنة ضد تيار العنف والإرهاب والتطرف .. كتب الأستاذ المستشار محمد سعيد العشماوى تحت عنوان ( حتى لاتكون فتنة ) فى جريدة الأهرام الصادرة فى ١٩٩٣/٥/٢٣ ينبه إلى ما يتضمنه بعض ما يكتب من جنوح قد يؤجج النار من إطفائها ، ويزيد الفتنة اشتعالاً ، بدلاً من إخمادها**

واستخلص الأستاذ المستشار من بين ما يثار فى ثنايا مقاومة التطرف والعنف ثلاث مسائل رأى أن لها ظاهراً يقاوم التطرف ، وباطناً رأى فيه تأجيجاً لنار الفتنة ، ورأى أن على المخلصين من أمثاله توضيح الأمر فيه ، حتى نقطع كل السبل إلى التطرف والإرهاب .

ولاريب فى أن كل مخلص لوطنه ولأمته ولدينه .. يجد أن عليه أن يؤازر كل من يسعى إلى إطفاء نار الفتنة ، وإغلاق كل المنابع دونها .

بيد أن من يتصدى لمثل هذا المسعى النبيل يجب أن يكون القاضى العادل الحق ، الذى يحرص على أن لا يلفظ إلا بما يجمع الأمة على كلمة سواء ، والذى يلتزم بالبعد عن العصبية والانفعالية ؛ لأنه يدرك أم العصبية والانفعالية لن تحقق الغاية المرجوة ، بل ستزيد النار اشتعالاً ؛ فأخطر ما يعانيه المتقاضون ، ويحرك مشاعر الثورة فى نفوسهم .. أن يلمسوا انحياز القاضى إلى جانب ، ومخاصمته الجانب الآخر :

فأولاً : لجأ الأستاذ العشماوى - من أول الأمر - إلى رفض ما تبذله طائفة من أبناء الأمة فى سبيل القضاء على تلك الفتنة ، بحجة أن لما تبذله تلك الطائفة باطنا ينطوى على سوء يراد بنا ، ويزيد النار اشتعالاً .. غافلاً عن أنه - بذلك - يتخلى عن حيادية القاضى العادل ، ويلبس مسوح قارئ الأفكار ، والمطلعين على النوايا والخواطر ؛ مستنداً فى ذلك إلى ما يستشفه من دعاء بعضهم بأن يوفق الله الحكام - أو يوفق المجتمع - إلى الحكم بما أنزل الله .

وعندئذ يرى الأستاذ المستشار أن الفرصة مواتيه ليخيف الحكام والمجتمع من هؤلاء ، ويقضى على ما قد يكون هناك من فرص تقارب أو تعاون ؛ فيذكر أن هذا الدعاء فيه إيماء إلى الآية الكريمة ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون**﴾ ؛ لأن هؤلاء الداعين - فيما يفترضه المستشار كأنهم يقطعون بأن الحكومة والمجتمع لايحكمان بما أنزل الله ، وأنهما لذلك وقعا فى الكفر .

هكذا قرأ الأستاذ المستشار كلام هؤلاء ،

---

رئيس قسم الأدب والنقد بكلية اللغة العربية بالمنصورة

وهكذا .. لمح ـ بألمعيته ـ ما ينطوى عليه دعاؤهم ، وهكذا سارع فى الحكم عليهم ، لتعريفهم بما توهمه ستاراً يخفون وراءه نواياهم ؛ حتى يَعْزِلَهم عن حياة الأمة ، ويفرض عليهم عداوتها فلا يأمنهم أحد ، ولا يَقْبل منهم قولاً ولا فعلاً ؛ لأنهم بتفسير الأستاذ المستشار ينطوون على نوايا سيئة شريرة .

وهكذا .. جَرّم الأستاذ المستشار كل دعوة أو دعاء بأن يوفقنا الله إلى الحكم بما أنزل الله ؛ لأن مثل هذا التأويل من الأستاذ المستشار أكبر دافع لأن يغلق كلُّ مؤمن فمه ، ويلتزم الصمت ـ لا ينصح ولا يدعو ـ حتى لايتهم من مثل مستشارنا بأنه يعادى الحكام ، أو يعادى المجتمع !

ولا يقف الأستاذ المستشار عند ذلك طويلاً ؛ لأنه قاض ، وقد أصدر حكماً على هؤلاء ، فأصبح حقيقة ، وما عليه بعد ذلك إلا أن يأخذ فى تفنيد ما توهم أنهم يقصدونـــه من وراء دعائهم .

وهنا يلجأ الأستاذ المستشار إلى استعراض بعض الآيات الكريمة التى استقر على أن مقاصد الداعين تعتمد عليها ، ويأخذ فى مناقشة ما يفترضه هو ؛ ليخرج فى النهاية إلى أن الآيات الكريمة التى دعت إلى تحكيم كتاب الله إذا قرئت فى سياقها تبين أنها تتحدث عن بنى إسرائيل ، وأن الرجوع إلى أسباب نزولها يؤكد ذلك

ولا أدرى سراً لاخـــتصاصه هذه الآيات بذاتها ، إلا أن يكون قد أدرك أن وراء ذلك ما يدعم مقصده من إثارة النفور بين الحكام والمجتمع من جهة وبين الداعية للحكـــام وللمجتمع ، حتى لايلتقوا على كلمة سواء !

ليت الأستاذ المستشار حين سمع ـ أو قرأ ـ الدعاء للحكام بتوفيق الله إياهم إلى الحكم بما أنزل الله .. أقول : ليته تذكر قول الحق تبارك وتعالى لرسوله الكريم ﷺ : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴾ ( ١٠٥ النساء ) .

إذن لأدرك أن هؤلاء الداعين إنما يريدون الخير لحكامهم ولمجتمعهم ؛ إذ يدعون الله أن يوفقهم لتحقيق ما أُنزل الكتابُ الكريم بالحق من أجله ، دون جنوح إلى مناصرة طائفية !

ليت الأستاذ المستشار ـ حين سمع دعاء هؤلاء ـ تذكر قول الحكيم الخبير :

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ ( ٤٨ المائدة ) .

ليت الأستاذ المستشار ـ حين تلقى دعاء هؤلاء ـ تذكر قول الحق جل شأنه :

﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ .. ﴾ ( ٤٩ المائدة ) .

إذن .. لأدرك أن هؤلاء الداعين ما قصدوا إلا أن يحفظ الله حكامهم ومجتمعهم من تأليه الهوى ، ويقيهم ما قد يدبره لهم خصوم الحق والعدل من الانحراف عن الجادة والبعد عن الصواب ، وترك بعض ما أنزل الله ؛ تمهيداً لترك ما أنزل الله !

إن ما كان ينتظر من الأستاذ المستشار ـــ بفكره وألمعيته ـــ أن لايشغله نصف الكوب الفارغ عن رؤية نصفه الآخر الملىء بأسباب الخير والحياة !

ولكنه ـ كما رأينا ـــ شغل نفسه وقراءه

بالنصف الفارغ ، وافترض فى الداعين بالتوفيق سواء المقصد ؛ فذكر من الآيات الكريمة ما قد يتسع لقول من هنا وقول من هناك ؛ متناسياً أننا فى زمان أحوج ما نكون فيه إلى جمع الشمل ، وبث التفاؤل ، والبعد ما أمكن عن الخوض فيما يثير انقساماً ، أو ينشىء صراعاً ... وكفانا محاسبة على النوايا ، وما يترتب على ذلك من مصادرات واستبداد بالرأى ، وإيغار للصدور ، وإثارة للضغائن والأحقاد .. بعيداً عن الخطر المحدق الذى يتهدد الجميع !

وثانياً : إن الأستاذ المستشار حصر ما يُكتب وما يقال نهياً عن الإرهاب والتطرف فى الحديث والآيات التى تحرم دم المسلم والمؤمن فقط .. وأنا فى الحقيقة لم أصادف هذا الحصر من كاتب أو متحدث ... فإذا كان الأستاذ المستشار قد صادف شيئاً من هذا ، فهو محق فى تصويبه وتصحيحه ؛ لأن الكتاب الكريم والسنة النبوية قد أفاضا فى الأمر بصيانة الأموال والدماء والأعراض لكل الناس .. ثم استثنى من هذا التعميم من يقاتلوننا أو ينابذوننا الحرب .. بل إن سماحة الإسلام اقتضت النهى – حتى فى حالة الحرب – عن أن يمس بالأذى أحد ممن لا دخل لهم فى الحرب ، من الشيوخ والأطفال والرهبان فى أديرتهم .. من كل ما يؤكد أن حصر الأمان فى المسلمين فقط مجانب لحقيقة الإسلام .

أما ما يوهم حصر الأمان فى المسلمين والمؤمنين من القرآن والسنة فإنما هو – كما قال الأستاذ المستشار – أنزل لتبيان أحكام تفصيلية فى علاقة أفراد المجتمع الإسلامى بعضهم مع بعض !

**وثالثاً** : يرى الأستاذ المستشار أن ما يقال بشأن حجاب المرأة قول مغرض ، لم يبين حدود الحكومة فى فرض الزى ، خصوصاً أن الحكومة لاتفرض الأخلاق ، ولاتفرض الأزياء .. ويخلص الأستاذ من ذلك لبحث آيات الحجاب ، فيذكر من بين ذلك قوله تعالى : ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ ( ٣١ النور ) .

ويحاول الأستاذ أن يتخلص من وجوب التزامنا اليوم بما نصت عليه الآية فى صراحة ، وتحديد حاسم ؛ فيرجع الآية إلى سبب نزولها ، ليقرر أن الآية أنزلت لتعديل فى عرف كان قائماً وقت التنزيل .

وصنع الأستاذ المستشار مثل ذلك فى آية الجلابيب – على حد تعبيره – إذ ذكر قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ﴾ ( ٥٩ الأحزاب ) ، ثم شفعها بذكر سبب نزولها ، من غير تعليق صريح .

فإن كان ذكره سبب النزول لتذكيرنا به ، من غير قصد إلى الإيماء بشىء آخر ، فهو بذلك يُسلِّم بأن علينا أن نأمر بمثل ذلك الحجاب ، يقيناً منه بأن سبب النزول ليس مقصوراً عليه الحكم .

وإن كان يومىء – بسبب النزول – إلى أننا فى هذا العصر لا ندخل فى ضمن هذا الخطاب ، فما دام الخطاب موجها إلى محمد ﷺ فلا شأن لنا ولا لحكوماتنا به اليوم ؛ لأن خصوص السبب يبرر تلك الحرية المطلقة ، ويبرر تحلل القائمين على الأمر من الاستجابة لأمر الله فى قوله : ( قل ) ... أقول : إذ كان الأستاذ يومىء إلى هذا – والله أعلم بالسرائر – فهو مما لا يتفق معه فيه عاقل ؛ لأن

مثل ذلك القول إنما يعنى إهمال القرآن تماماً ؛ لأن كل ما جاء به من أحكام إنما كانت وراء مناسبة فإذا كان كل حكم يخص مناسبته ـ كما يومىء كلام المستشار ـ فلا مكــان إذن للقــرآن الكريم ... وهذا مالا يقول به عاقل

فإذا رجعنا إلى الآية الأولى وجدنا أن الأستاذ المستشار قد اجتزأ منها ما ذكره ؛ ظنا منه أن ذلك الاجتزاء قد يسوغ ما يرمى إليه ؛ لأن ذكر الآية كاملة يقرر أنها لم تنزل لتعديل فى عرف كان قائماً ـ كما أوهم قراءه ـ ولكنها جاءت متضمنة أحكاماً عديدة أخرى ، تتناول سلوك المرأة المؤمنة فى علاقتها بالآخرين على وجه العموم ... حيث تطلب من الرسول ﷺ ـ كذلك ـ أن ينهى المؤمنات عن ابداء زينتهن إلا لأشخاص بأعيانهم ، وأن ينهاهن عن نوع معين من المشى يكشف عن زينتهن .. وذلك قوله تعالى :

﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾

ولا أدرى ـ فى الحقيقة ـ السر وراء قطع هذا الجزء من الآية ، فأمر قاطعه إلى الله الذى يعلم السر وأخفى

بيد أن الذى أدريه أن ما كان ينتظر من قلم القاضى الذى يقصد خير أمته ـ فى مثل هذا الموقف ـ أن يقدم الصورة الإسلامية التى ترسمها الآيتان بيانا لما يجب أن تكون عليه المرأة المؤمنة فى حياتها ـ سواء فى نظراتها ، أم فى ثيابها وزينتها ، أم فى مشيتها ـ حرصاً على محاربــة الشذوذ والتطرف بعيداً عن النهج القويم

أما أن يدفعه تطرف بعض الناس فى تطبيق الحكم الإسلامى إلى أن يلوى عنق النصوص القرآنية ، فإذا لم يستطع لجأ إلى استذكار مناسبة التنزيل لتحجيم الحكم ، وقصره على حالة بخصوصها ، فهذا ينبىء بأن الأستاذ المستشار قد خلعه تطرف المتطرفين من كرسى القاضى الثابت الراسخ ، ليصبح متطرفاً أشد من المتطرفين ، وبدلاً من أن يلقى على نار الفتنة ماء يطفئها ، سارع فألقى عليها ( بنزيناً ) يزيدها اشتعالاً

نعم .. ياسيادة المستشار ان المسلمين اليوم فى مفترق طرق كلها شعاب ، ولن يكون الخلاص بالتخلى عن أصول الإسلام ، كما أنه لن يتحقق بالمبالغات المتطرفة الموغلة فيه بغير رفق .. ولكن الخلاص سوف يتحقق بالتمسك به ـ فى وسطيته الهادئة المتوازنة ـ من غير تفريط ولا إفراط .. فهذا وحده الكفيل بأن يتميز به المسلمون عن غيرهم ، فيلاحقهم نصر الله فى كل المجالات . واذكر وعده سبحانه وتعالى فى قوله :

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ ( ٩٦ الأعراف ) .

فلتضرع معى إلى الله تعالى أن يقى أمتنا الشطط ويعيذها من خطل الرأى ، وسوء المقصد ، ويحميها من كل زيــغ وضلال ، ويعينها ـ حكاماً ومحكومين ـ على طاعة الله والتزام أوامره .

# المرأة في الغرب الأوربي في العصور الوسطى

-٢-

## الحقوق والواجبات

للأستاذ الدكتورة / إسمت غنيم

**يقول المؤرخ « فردريك هير F. Heer : إنه لم يكن للمرأة فى الغرب الأوروبى فى العصور الوسطى أى حق فى أى شىء ، فالقانون كان خاص بالرجال ، وحدهم ، والرجل هو صاحب السلطة الوحيد فى العائلة وفى المجتمع وفى الدولة . بل إن إحدى القواعد الثابتة فى العصور الوسطى كانت : Woman's Voice is not to be heard in public***

**هذا باستثناء حق واحد فقط هو الميراث ، فقد كان من حقها أن ترث والدها أو زوجها(١) .**

على أن المؤرخـــة بَوَر Power توضح أن القانون الإنجليزى كان يعتبر المرأة النبيلة غير المتزوجة أو التى توفى عنها زوجها ، شخصية متميزة عن العامة ، فكان يهتم بحقوقها وواجباتها لدرجة المساواة بالرجل ، فمن حقها حيازة الأرض الزراعية ، وتحرير وصية أو عقد ، ولها أن تقيم دعوى أمام القضاء أو ترفع عليها الدعاوى ، لكن بمجرد زواجها فان هذه الحقوق كلها تنسل من يديها ليستحوذ عليها الزوج .

وإذا كانت سيدة نبيلة كبيرة السن دون زوج فإنها تمنح نفوذاً وسلطة واسعة ، وتصبح شخصية هامة ذات شأن كبير فى المحيط الذى تعيش فيه ، ذات كيان عن أى رجل أقل منها حيازة للأرض الزراعية(٢)

أما فيما يتعلق بحقوقها فى الزواج ، فإنه لم يكن للفتاة من الطبقة العليا فى المجتمع أى رأى فى

(1) Heer : op . cit . p . 261 .

* وترجمة العبارة : صوت المرأة لايسمع على ملأ والمراد التهوين من رأيها .

(2) Power: Medieval Women, edited by postan, Cambridge university press, Cambridge, 1981, p . 38 .

اختيار شريك حياتها ، إذ كانت المصالح المادية هى صاحبة الرأى الأول والأخير فى هذا الأمر ، وكان زواج المصلحــــــة **Mariage de Convenance** أمراً شائعاً ومألوفاً فى العصور الوسطى ، ومثل هذه الزيجات كثيراً ما أملتها المصالح التى تتعلق بالأرض ، .وكانت عبارة : «لا أدرى أية عوائق تحول دون الزواج بين أصحاب الاقطاعات الكبيرة » هى العبارة التى استرشد بها كبار السادة الإقطاعيين للموافقة على زواج بنـاتهم ، أو ( قاصر ) تحت وصايـة أحدهم .

وكانت قصص الزواج هذه تمتزج فيها الفكاهة بالكآبة الأليمة ، وليس أدل على ذلك من قصة طفلة تدعى ( جريس دى سلبى ) ، زوجوها وهى فى الرابعة من عمرها نبيلاً عظيماً من أجل أراضيها الواسعة ، وبعد أن توفى عنها زوجها بعد عامين ، تزوجت شخصاً ثانياً ، وعندمـا أصبحت فى الحادية عشرة من عمرها تزوجها شخص ثالث[1] .

وهكـذا يتضح أن الفتاة المنتمية للطبقـة الأرستقراطية لم يكن لها حق اختيار زوجها ، ولم تتح لها فرصة لقبوله أو رفضه ، فكثيراً ما كانت تزف عفو الساعة ، أو تزف إلى رجل لم تره من قبـل : إما لتسهيل التحالف والإمـدادات العسكرية ، أو من أجل صفقة من صفقات الضياع[2] ، أو غير هذا وذاك من المصالح المادية البحتة .

وكانت سعادة المرأة فى حياتها الزوجية متوقفة إلى حد بعيد على الحظ ، فربما سعدت بهذا الزاوج ، أو حدث نوع من الألفة والمودة بينها وبين زوجها ، كما حدث مع ( الأديبة الفرنسية كريستين دى بيزان ) التى عبرت عن ذلك تعبيراً مؤثراً حين تداعت إليها ذكريات حياتها السعيدة مع زوجها الذى توفى عنها ، فقالت :

كان يحبنـــى ، وكان هذا حقــه
الذى وهبه إيـاه سن الشبـاب
ولـو استطعنـا تنـظيم كل شىء
حبنـــا وقلبينـــا
لأحب كل منـــا الآخر
حباً يفوق حب الإخوة والأخوات
ولكنا إندمجنا قلباً وقالباً
فى السراء والضراء[*]

---

(١) Grump & Jacob : op. cit. p. 414.
بور : نماذج بشرية من العصور الوسطى ، ص ١٣٩ ، ص ١٨٨ .

(٢) جمع ضيعة .

(*) اطلع الشاعر أحمد مصطفى حافظ على هذه الأبيات فانفعل بها فصاغها شعراً على الوجه التالى :

كنتُ حُبًّا له يفــوحُ عَ ضيعـــة
باتقّـاد الشبـــاب فى دنيـــاه
ولـو اسطعت واستطاع انعطافـــاً
لهوانـــا فى صبـــوة ترعـــاه
لامتزجنا قلباً وروحـاً ووجـداً
وبلغنـــا من الغـــرام مُداه
فى نعيم أو شقــوة تلقانـــا
فى صميم الهنـــاء .. من نجواه

على أنه فى معظم الزيجات كان يحدث عكس ذلك ، حيث تظل المرأة تشقى بهذا الزواج ، وربما قضت حياتها كما قضتها « دوقة برنزويك » التى صورت حياتها مع زوجها ـ وهى على فراش الموت ـ أمام القس الذى أدلت إليه باعترافها الأخير ، فقالت :

« ياأبى العزيـــز ، لماذا لا أذهب الآن إلى ملكوت السماء ؟ إنى عشت هنا فى هذه القلعة عيشة الراهبة فى الصومعة ، فما هى ألوان السرور والسعادة التى تمتعت بها هنا ، ماعدا أنى وضعت هذا القناع الزائف على وجهى ، حتى أبدو سعيدة أمام خدمى وحاشيتى من الفتيات ، وأمام سيدات المجتمع .

إن زوجى ـ كما تعلم ـ رجل فظ ، يكاد قلبه يخلو من كل عطف واهتمام بالنساء ، أو ميل إليهن .

ألم تكن حياتى فى هذه القلعة كأنى فى صومعة ؟ »[1] .

كان هذا ما يتعلق بالفتاة من الطبقة العليا ، أما الفتاة من الطبقة المتوسطة أو الفقيرة فقد كانت أسعد حظاً ، فلم تكن على الجانب من الثروة بحيث تتحكم المصالح المادية فى اختيار شريك حياتها ، وإنما كان من حقها الموافقة على الخطيب أو رفضه . وفى حالة ما إذا لم تكن رأته من قبل ، كانت ترتب بينهما مقابلة ليتعرف كل منهما على الآخر ، فيأتى الفتى مصحوباً بأشقاء الفتاة إلى منزلها ، ثم تدخل هى إليه حافية القدمين ، عارية الرأس ويجلسان بحضور أشقاء الفتاة يتفحص كل منهما الآخر ، ولها بعد ذلك أن تبدى رأيها اما بالقبول أو الرفض[2] .

## الصداق أو المهر :

وفى حالة الزواج يصبح على المرأة القيام بالعديد من الواجبات تجاه زوجها ، وأول هذه الواجبات ، أن تقدم له صداق عينى أو نقدى ، يتناسب مع حالتها من الغنى أو الفقر . ففى حالة الفتاة التى تنتمى للطبقة الاستقراطية كان عليها أن تقدم لزوجها صداقاً كبيراً يتمثل فى إقطاع واسع أو مبلغ محترم من المال . أما إذا لم يتهيأ لها ذلك ، فكان من الطبيعى أن تتعرض لإدبار الرجال عنها وهو الأمر الذى كانت تخشاه الفتاة والأسرة معا ، وكانت الأسرة غالبا ماتتخذ الاحتياطات اللازمة لتلافى هذا الأمر . فكان الوالد إذا شعر بدنو أجله فعل كل ما فى وسعه ليترك لبناته صداقاً مناسبا لزواجهن .

ولا تعفى من موضوع الصداق هذا حتى الفتيات من أدنى الطبقات ، وقد تعاون المجتمع النصرانى فى غرب أوروبا على حل هذه المشكلة فكانت إحدى أوجه الصدقات المعروفة إذ ذاك هى الجود بالصداق للفتيات الفقيرات[3] .

## الزوجة مِلْك الزوج :

وبمجرد إتمام عقد الزواج تصبح الزوجة وجميع

(1) crump & Jacob : op. cit. p. 416.

(2) Johannes Busch : liber de Reformatione Monasteriorul, ed. Karl Grube, Halle, 1886, p . 779 .

(3) Coulton : Life in the Middle Ages, Cambridge, 1828, P . 219.

ما تملك ملكاً خالصاً للزوج ، ومن حقه نقل ملكيتها لأى شىء ، سواء كان ذلك إقطاعاً أو عقاراً أو أموالاً سائلة أو أى شىء آخر تملكه فإنه يصبح من حقه نقل ملكية هذا الشىء إليه وباسمه هو . وليس لها أية حقوق تجاه زوجها ، وكما يقول المؤرخ بنتر Painter كان الزوج بالنسبة لزوجته مثل الله بالنسبة له [1] .

وإلى جانب ذلك ، كان على الزوجة كواجب نحو زوجها أن تنجب له ولدا ذكراً واحداً على الأقل ، فإن كانت سيئة الحظ لدرجـــة أن لا يتحقق لها ذلك كان من السهل على الزوج أن يقنع الأسقف بفسخ عقد الزواج[2] .

وبصفة عامة كان من أهم واجبات الزوجة الخضوع التام لزوجها ، والطاعة العميـــاء لأوامره ، والصبر على تصرفاته . ولعلنا نلم بمعلومات أوفر عن هذا الموضوع إذا ما قمنا بجولة بين صفحات كتاب « مدبر البيت الباريسى » Managier de paris وهو ـ أى مدبر البيت الباريسى ـ رجل ينتمى إلى الطبقة البورجوازية الرفيعة ، عاش فى النصف الثانى من القرن الرابع عشر الميلادى ، وكان يبلغ الستين من عمره ، حين تزوج من فتاة صغيرة تبلغ الخامسة عشرة ، أعرق منه نسباً وقد ألف كتابه هذا لاعتقاده بأن زوجته ستتزوج غيره بعد وفاته ، فألف لها هذا الكتاب ، ودَوَّنَ فيه كل ما لديه من معلومات عن جميع ما يلزم المرأة لتكون زوجة صالحة ومدبرة بيت وسيدة كاملة ، حتى يضمن لزوجته حياة زوجية سعيدة ومستقرة فى زواجها المقبل .

وقد بدأ مدبر البيت الباريسى كتابه بفقرة طويلة عن مراعاة الدين والتقى والورع والمسلك اللائق ، ثم انتقل إلى مخاطبة زوجته الشابة قائلا :

« يجب عليك أن تهتمى بزوجك ، وتراعى حاجاته ، وأرجو منك أن تبقيه نظيف الثياب دائما ؛ فإن ذلك من جملة وظائفك » .

بعد ذلك يتحدث عن الأعمال التى يقوم بها الزوج خارج المنزل وما يتكبده من المشقة والعمل والسفر هنا وهناك ، حتى إذا عاد للمنزل على الزوجة أن « تخلع حذاءه أمام مدفأة متأججة النيران ، وتغسل قدميه ، وتعطيه جورباً نظيفاً ، وتضع على رأسه طاقية نوم جيدة الصنع ، وتغطيه بالفراء ، وتغمره بغير ذلك من الأفراح والمسرات » .

ويستطرد هذا البورجوازى الباريسى موجها كلامه لزوجته قائلا : « وأنصحك بناء على ما تقدم أن تكونى دائمة البشاشة لزوجك فى جميع غدواته وروحاته ، دائبة عليها ، وأنصحك كذلك أن تكونى مسالمة معه ، بعيدة كل البعد عن كل ما يجلب الشجار أو يؤدى إليـــه ، وتذكرى المثل الذى يقول : ثلاثة تبعد الرجل الصالح عن بيته ، سقف واكف[3] ، ومدفأة داخنة وزوجة طويلة اللسان معنفة . لأجل ذلك أطلب إليك ـ أيتها الأخت الجميلة ـ أن تكونى

---

(1) Painter : History of the Middle Ages, p. 121.

(2) Stephenson : Medieval History, New York, 1942, p . 268.

( ٣ ) هو الذى يتساقط منهالمطر ، ولعل العبارة كناية عن عدم كتم أسرار البيت .

محبة لزوجك ، وديعة ، دمثة الأخلاق ، حتى تنالى محبته وعطفه ورعايته » .

ولاشك أن هذا البورجـــوازى ، يعبر فى نصائحه هذه عن وجهة نظر أبناء جيله فى موقف الزوجة من زوجها ، ولعل من الطريف حقاً أن يشبه حب الزوجة لزوجها ، بإخلاص الحيوانات الأليفة لأسيادها فيقول :

« ترى بين الحيوانات الأليفة أن الكلب دائم القرب من الشخص الذى يتناول منه الطعام مبتعداً عن الآخرين ، هيابا منهم ، فظًا فى معاملتهم سواء أكان ذلك فى الطريق أو على المائدة ، أو فى الفراش ، فإذا لم يستطع الكلب أن يقترب من سيده ، فان عينيه تظلان متعلقتين به ، ويظل قلبه دائم الحنين إليه ، ونجد الكلب يتبع سيده ، حتى عندما يجلده أو يقذفه بالحجارة ، وهو يهز ذنبه ويستلقى على ظهره أمام سيده محاولاً استرضاءه واسترجاع عطفه ، وترى الكلب يتبع سيده أينما سار فى الغابات وفى الأدغال ، وفى الأنهار ، وإذا ما صال هاجماً على السارق أو على الأعداء .

لهذا ولسبب أقوى وأقوم ــ يجب على المرأة التى وهبها الرب إحساساً طبيعياً وجعلها مدركة عاقلة أن تحب زوجها حباً كاملاً ، مهيباً مقدساً ، ولذلك أتوسل إليك أن تكونى عظيمة الحب لزوجك ، شديدة الكتمان لأسراره »[1] .

وهكذا كان على الزوجة فى الغرب الأوروبى فى العصور الوسطى أن تتخذ من الكلب قدوة حسنة تقتدى بها وتسير على منوالها فى الإخلاص والوفاء لسيدها .

---

(١) بور : نماذج بشرية من العصور الوسطى الصفحات ١٥٠ ــ ١٥٥ .

# المـــوارد المالية للمـــرأة فى الإســـلام

بقلم عبير عبد الواحد

وهذا العنوان يلزمنى أن أكتب تفصيلاً لتلك الموارد بلا إجمال لأمرها ، مع بيان لسندها الشرعى الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، لأنه تشريع الحكيم الحميد ـ سبحانه وتعالى ـ وحتى نحسم شبهات الطاعنين الذين يحلو لهم اتخاذ شئون المرأة هدفاً لسهامهم الكليلة التى لن تنال من شرعة الله ـ تعالى ـ بحال .

وهذا جانب ـ من جوانب حقوق المرأة فى الإسلام ـ له تَحَدِّيه الصارم أمام قوانين الأرض جميعاً ليعلم ذو نَصَـفَةٍ من الناس أنَّ شرعة الله غالية ، وأنها منصفة ذات عدل ورحمة ، وتلك صورة لما حضرنى من موارد المرأة المالية فى الإسلام .

١ ـ حقها فى النفقة عليها : سكناً وكسوة ومطعماً ومشرباً وعلاجاً .. أى ما يغطى حاجاتها جميعاً بالمعروف .

هذا الحق كفله لها الشرع الشريف فألزم به أبويها ، أو عصبتها[١] ، (نشأةً إلى الدخـــول بها ) ، فلم يُضَـيِّعْها ـ كما تفعل القوانين الغربية إذا بلغت الفتاة بينهم سن السادسة عشرة ؛ فإنها لا تُلْزِم والديها بإيوائها ولا بكفالتها ، وهذا أمر معروف لا يَغْضَى له الكاتبون ضد الإسلام .

إن الأبوين ، فالعصبة ملزمون بأداء هذا الحق من حقوقها حتى تنتقل بالدخول بها إلى بيت زوجها ؛ فيكون ملزماً بأداء هذا الحق لها ؛ فإذا فقدت الزوج ـ لوفاة أو طلاق ـ كان لهذه الحقوق عودة إلزام إلى الأبوين أو العصبة فى حال افتقارها .

(١) يقصد بـ ( العصبة ) : الأب ـ وإن علا ـ والأبناء وإن نزلوا كالحَفَدَةِ ، والإخوة أشقاء ، أو لأب ، والعمومة وأبناؤها .

وهذا الجانب من الحق المالي بجواره إلزام من يتعلق به هذا الحق بالمحافظة عليها وصيانتها وتوفير كرامتها . وقد تكفلت مصادر الفقه الإسلامي بتفصيل هذا الحق .

٢ - وللمــــرأة نصيب مالي محدد - من « الميراث » حَدَّدَهُ الكتاب العزيز على أى حال كان وضعها : زوجة ، أو جدة أو أمًا ، أو بنتاً ، أو أختاً ، وفى سورة النساء الآيات الحادية عشرة والثانية عشرة والثالثة عشرة ، ثم آخر آياتها تفصيل لنصيبها فى أى أحوالها قال - تعالى :

يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾ ۞ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۚ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم ۚ مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ ۚ فَإِن كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ ۚ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾

ولا يفوتنى - عقب الحديث عن حقها فى الميراث - أن أبين هنا أمرين :

ولهما: أن المرأة ليست ملزمة بنفقة شرعية قِبَلَ نفسها ، أو قِبَلَ أحد .

ثانيهما: أنها - باعتبار ما كفل لها الشرع الشريف من ( دمة مالية مستقلة ) لها أن تستغل مالها بطرق مشروعة ، مما يجعل نصيبها المالى يتضاعف دون أن تَنْتَقِصَه نفقة واجبة عكس الحال فى الرجال .

٣ - « المهر » وهو حق مالى ثابت لها قلَّ أو كثُر ، ليس لِوَلِيها أن يغفله أو يتنازل عنه[٢] ، وليس له نهاية مالية مُحَدَّدَة ، قال - تعالى :

﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ﴾ سورة النساء آية - ٤

أى : آتوا النساء مهورهن وجوبا ، فالمهر ملك خالص لها ، ما تقدم منه وما تأخر .

قال - تعالى : وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ سورة النساء

وكان عمر بن الخطاب رضى الله قد نهى عن كثرة الإصداق ثم رجع عن ذلك .. قال الحافظ أبو يعلى عن الشعبى عن مسروق قال : ركب عمر بن الخطاب منبر رسول الله - عليه الصلاة والسلام - ثم قال : أيها الناس ما إكثاركم فى صداق النساء !! وقد كان رسول الله وأصحابه والصدقات فيما بينهم أربعمائة درهم ، فما دون

(٢) إذا أغفل ولى الأمر تحديد المهر ، أو تنازل عنه ، فللمرأة الحق فى المطالبة به ، ويحدد - فى هذه الحال - بمهر مثلها من أخواتها أو بنات عمومتها ، أو بنات أخوالها ، أو خالاتها مع مراعاة الفروق الفردية ، ومراعاة قدرها والمجتمع الذى تعيش فيه .

ذلك . ولو كان الإكثار فى ذلك تقوى عند الله أو كرامة لم تسبقوهم إليها . فلأعرفن ما زاد رجل فى صداق امرأة على أربعمائة درهم .

قال : ثم نزل فاعترضته امرأة من قريش فقالت : يا أمير المؤمنين نهيت الناس أن يزيدوا فى مهر النساء على أربعمائة درهم ؟ قال : نعم . فقالت أما سمعت ما أنزل الله فى القرآن ؟ قال وأى ذلك ؟ فقالت : أما سمعت الله يقول : ﴿ **وءاتيتم إحداهن قنطاراً** ﴾ الآية . قال : اللهم غفراً ، كل الناس أفقه من عمر . ثم رجع فركب المنبر فقال : أيها الناس انى كنت نهيتكم أن تزيدوا النساء فى صدقاتهن على أربعمائة درهم ، فمن شاء أن يعطى من ماله ما أحب .

قال أبو يعلى : وأظنه قال : فمن طابت نفسه فليفعل .

إسناده جيد قوى[٣] .

وينبغى ألا يفوتنا أن هذا الحق المالى فى المهر ليس خاصاً بالزوجة إذا كانت مسلمة ، فهو حقها مسلمة كانت أو كتابية .

والمهر واجب – أيضاً – للإماء المؤمنات : قال تعالى :

﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ۚ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُم ۚ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ ۚ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ سورة النساء – آية : ٢٥

أجورهن : مهورهن .

٤ – وتعمل المرأة ، ولا خلاف فى عملها عند حاجتها هى ، أوحاجة المجتمع نفسه إليها كطبيبة أو مدرسة لبنات جنسها ، وقد تعمل فى مهنة تخص النساء داخل بيتها ، أو لا تخص النساء كأن تكون أديبة تعكف على التأليف أو كتابة المقالات المفيدة .

ذلك كله وما شابَهَهُ للمرأة أن تمارس العمل بها موفورة الكرامة حريصة عليها لا ابتذال لشخصها فى هذا العمل ، ولا تفريط – فى واجبها الأسَرِى ، ولقد دلت الشريعة الغراء على ما للشخص الذى نيط به أكثر من واجب فاستوفاه بإحسان وأمانة – من أجر عظيم عند الله – تعالى .

فأما ما كان لها من مال من هذا العمل فهو ملكها الخالص كما نص عليه أكثر الفقهاء ، وقد استشهد بعض العلماء – فى هذا المقام – بقوله – تعالى : ﴿ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ﴾

سورة النساء – آية : ٣٢

على أن ما قدمت بشأن عملها أمر لا خلاف فيه .

٥ – وبما للمرأة من ذمة مالية مستقلة ، فإنها تستطيع أن ( تضارب ) بمالها مع أمين يحسن التجارة ، ويقوم عنها بالعمل ، وقد اشترط بعض الفقهاء إذن وليها : أباً ، أو زوجاً فى هذا المقام ليس للحكر عليها ، بل صوناً لها من القيل والقال ، ومالها وربحه حق لها .

وبعد .. فذلك شىء مما كفلـــه الإسلام للمسلمة من موارد مالية ، وحسبى أن ألفت النظر – هنا – إلى مقال الأستاذ الدكتورة إسمت غنيم – بنفس هذا العدد لتبين ما فعله الإسلام للمرأة .. وما فعله الغرب بها ... ولا تزال – إلى

(٣) انظر مختصر تفسير ابن كثير للصابونى فى الآية .

يومنا هذا - عرضة للتشرد والضياع بالرغم مما تسمعه من حديث الغوغاء .

ذلك - إذن - ما قدمه الإسلام ، أى ما فعله تشريعاً لا يمكن النيل منه منذ كان الإسلام من خمسة عشر قرناً إلى يومنا هذا ... إلى يوم يبعثون ..

تشريع سماوى ... وليس تشريعاً وضعياً كهذا الذى اكتسبت به المرأة شيئاً من حقها فى الغرب ، يمكن - فيما بعد - أن ينصل فيحول ، بل لقد نَصَلَ فى الحرب العالمية الثانية حيث أعدت المرأة للترفيه عن الجنود ،

فأما لدى أهل الكتاب فتلك هى المرأة فيما يرون : « إنها أدنى من الرجل لأنها هى التى أغوت آدم بالأكل من الشجرة المحرمة ، ولذلك فالمرأة بطبعها خاطئة » ومن هنا نشأ مفهوم الخطيئة الأصلية وجُعلت حواء متسببة فيها[٤] . ولذا يشكر اليهودى ربه صباح كل يوم على أنه لم يخلقه امرأة . كذلك فإننا نجد بعض آبائهم الأوائل أدانوا المرأة باعتبارها أقوى مصادر الخطيئة والغواية ، ويوضح « ترتوليات » الأول نظرته قائلا : « إنها مدخل الشيطان إلى نفس الإنسان ، وإنها دافعة بالمرء إلى الشجرة الممنوعة ، ناقضة لقانون الله »[٥] .

ولقد حدث أن قرر أحد المجامع فى رومية أن المرأة حيوان نجس لا روح له ولا خلود ، ولكن يجب عليها العبادة والخدمة وأن يكمم فمها كالبعير لنعها من الضحك والكلام ؛ لأنها أحبولة الشيطان[٦] . وما زالت تلك النظرة ضاربة بجذورها حتى اليوم وليس أدل على ذلك من أن بعض الأديرة فى اليونان - على سبيل المثال - ما زالت حتى الآن تحرم دخول النساء إليها[٧] .

وحينما نصل إلى طلائع العصر الحديث فإننا نجد المرأة الغربية فى مكانة متدهورة للغاية . ففى سنة ١٧٩٠م ، بيعت امرأة فى أسواق إنجلترا بشلنين لأنها ثقلت بتكاليف معيشتها على الكنيسة التى كانت تؤويها . وظلت المرأة إلى سنة ١٨٨٢م ، محرومة من حقها الكامل فى ملك العقار وحرية المقاضاة .. وكان تعليم المرأة يجلب لها العار ! حدث حينما كانت ( اليصابات بلاكويل ) تتعلم فى جامعة جنيف سنة ١٨٤٩م أن النسوة المقيمات معها قاطعنها وزوين ذيولهن من طريقها احتقاراً لها كأنها دنس . فأين حقوقها المالية فضلا عن مكانتها الإجتماعية .



(٤) مريم جميلة ، رحلتى من الكفر إلى الإيمان ، ص ٨٨ .

(٥) ملاحظات فى تاريخ المجتمع الإسلامى ، د/ عماد الدين خليل ص ٥٢ .

(٦) محمد رشيد رضا ، نداء للجنس اللطيف ، ص ١٣ .

(٧) مريم جميلة ، مرجع سابق ، ص ٢٠٠ .

(٨) د/ عماد الدين خليل ، مرجع سابق ص ٤٩ .

# تركيا والاتجاه شرقا

للأستاذ الدكتور / جعفر عبد السلام

زيارة لتركيا لابد ان تشبع فى النفس ذكريات عزيزة على نفس كلْ مسلم ، فهى عاصمة الخلافة الإسلامية لعدة قرون ، ومن ثم فالأثر الإسلامى فيا قوى .
المساجد الرائعة التى توجد فى كل مكان هناك فى المدينة العتيقة ـ استانبول ـ تلك المساجد التى تتميز بطراز معمارى خاص ، وموحد ، كلها كبيرة ونظيفة ، وقديمة أيضاً .

النقوش الإسلامية التقليدية التى تعتمد على التزويق ونقل آيات الجمال فى الطبيعة بعيدا عما فيه روح ، والمعرنصات والقباب ، والأعمدة الضخمة . الخ . وهى تدل بوضوح على قوة دولة الإسلام ، وعظمة الفن الإسلامى ، واستلهام التعاليم الدينية فى عمل (الفنان) ، والبعد عن كل مافيه شك من الناحية الدينية .
كذلك فاستانبول هى مدينة القصور التى رأت وعاشت امجاد الخلافة ، والتى تحولت ، لحسن الحظ ، الى متاحف يستطيع كل شخص من أية دولة ومن أى دين ان يزورها ، ويستشعر آثار ماض عظيم ، وقوة كبيرة سادت وحكمت معظم العالم الذى كان معروفا فى وقت ما ، ثم بادت واندثرت ، ولم يبق منها سوى الآثار .

من هذه القصور ، (قصر يلدز) الذى يحوى بين جنباته مركز التراث والبحوث الإسلامية التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامى الان ، وقد حافظ على «عقل الإسلام» بحيازته لآلاف الكتب والمخطوطات الإسلامية ، واهتم بجمع تراجم معانى القرآن الكريم الى مختلف لغات العالم الحية ، واستخدم ، الوسائل الحديثة ، كالحاسب الآلى والميكروفيلم وكذلك «ضلمة باشا» آخر القصور التى بنيت فى العصر العثمانى ، والذى عاش فيه (السلطان عبدالحميد) منزويا فى ركن قصى من أركان المدينة بعد ان اخذت شمس الحكم الإسلامى تتوارى تدريجيا ، ليعقبها ظلام دامس غشى تركيا المسلمة الربع الثانى من هذا القرن ، وحتى الآن .

## غيـــوم

والقضية المثارة فى المؤتمر الذى حضرته فى تركيا ، هى قضية المسلمين الان فى كل مكان ، قضية العلاقة بين الإسلام كدين وعقيدة

وشريعة ، ونظم الحياة السائدة فى الغرب لقد فرضت هذه القضية نفسها على تركيا وانحاز حكامها الى اتباع التحول الغربى ، والتخلى تماما عما يربط المجتمع التركى بالإسلام : دينه وتعاليمه ، وهكذا لم يسمح كمال اتاتورك لأية قوة مسلمة لكى تعيش هناك ، وعمل بكافة الوسائل والطرق على ان يشكل العقلية التركية على إنموذج الغربى وعلى أن يمسح ما على القلوب والعقول من تأثيرات إسلامية . ولقد كتب تعهدات بذلك فى وثائق رسمية أعلن فيها تخلى تركيا عن الحكم الإسلامى ، وإثبات ارتباطها بالنظم والقوانين الأوربية . بل لعله من المآسى الدامية ان قوانين الاحوال الشخصية التى تحرص كل دول العالم على ان تطبق فيها تعاليم الدين للطوائف والاقليات الدينية فيها ، نقلت من القانون السويسرى . وهكذا يطبق على أنظمة الأسرة ، الزواج والطلاق والحضانة والنفقة فى تركيا ، القانون المطبق فى سويسرا وجاهد اتاتورك وحزبه فى سبيل ان يربط تركيا بالغرب وأطلق شعار الاتجاه غربا ، ولازال هذا التيار هو التيار الأساسى السائد فى الشارع التركى بين شبابه وشاباته ، وأطفاله دون شيوخه وكهوله .

ولسبب أو لآخر ، خيب الغرب الأوربى المسيحى آمال هذه النخبة التى حكمت تركيا ، ولازالت تحكمها حتى الآن ، ولم يقبل انضمامها الى مؤسساته الرئيسية التى اعتمدت التقاليد الغربية نهجا وأسلوب حياة ، من أقصد مجلس أوربا والمجتمعات الاوربية وأعطتها دوراً هامشيا فى بعض المجالس والمنظمات الاخرى ، كحلف الاطلنطى ، ومن قبل قبلت ان تدخل فى الوفاق الاوربى ، لتكون عنصرا فى توازن القوى بينها ، لكن يبدو حتى الآن ان اوربا لن تسمح لدولة لازال الإسلام يتغلغل فى عقول وقلوب الناس فيها ، بالدخول فى دائراتها (السعيدة) .

**شروق جديد :**

وبرغم الارتباطات السياسية بالولايات المتحدة الامريكية والولاء للفكر والنموذج الغربى من قبل الحكام فى تركيا ، إلا ان حاكمهم الراحل - (تورجوت أوزال) - بدأ يتبين خطأ هذا الطريق ، وبدأ يشعر بأحاسيس شعبه ، وينحاز لمصالح مجتمعه ، واختط - بالتدريج - طريقا آخر ، يقدم (الاتجاه شرقا) ولم لا ، والمصالح بدأت تلوح بقوة على جانب هذا الطريق ، فالعرب لديهم قوة اقتصادية كبيرة ، معهم البترول ، وفوائض الأموال ، واستثماراتهم واسعة ويمكن التعامل معهم بحكم ما كان من روابط ، وما هو ماثل من وحدة فى الدين والعقيدة . وليس طريق المصالح وحده اذن هو الطريق الموصل للشرق ، بل هناك ايضا طريق وحدة الدين ، والاشتراك فى عقيدة والانتماء الى أمة واحدة .

وهكذا استطاع (أوزال) أن يصلى علانية ، وان يذيع التليفزيون والراديو صلاته ، وهو أمر مستغرب من الحكام العلمانيين الاتراك الذين تولوا السلطة منذ أتاتورك . وقامت تجمعات دينية وأحزاب تدعو إلى الارتباط العقائدى والاتجاه إلى الشرق ، وشهدت الساحة التركية صراعا كان لابد أن يحدث بين الاتجاهين ، واصبحت المناقشة فى أمور الدين والعقيدة مباحة فى تركيا .

قالت لى إحدى الفتيات اللاتى يعملن فى جامعة مرمرة ، وهى معيدة : إنها لاتريد الحكم بالإسلام ، فى تريد ان تكون حرة فى دخولها وخروجها ولبسها وصداقتها وحبها ، ولاتريد

قيـود الديـن ، وشاركتها الـرأى طائفـــة من المجتمعات ، والمجتمعين معى على مائدة غداء بأحد فنادق العاصمة الكبرى ، وسألتنى عن التغييرات التى أحدثها السادات ــ رحمه الله ــ فى القوانين المصرية وخـلصت المرأة والأسرة من القيـود الإسلامية . وسألتنى : كيف تنادون بتطبيـق الإسلام ولديكم من غير المسلمين فئات وأسئلة اخرى كثيرة ، اتصورها ساذجـة ، ولاتفهـم الواقع المصرى ولقد تكفلت مسيحية ــ من أساتذة الأدب فى جامعة نيويورك وتدعى (منى ميخائيل) ، بالرد على كثير من هذه الاسئلة ، واعجبنى قولها : إنها مسيحية ديانة ، وثقافتها إسلامية ، فلقـد تربت على العـادات والفكـر والثقافة الإسلامية ، ولاترى أن فى تطبيق هذه التعاليم ، مجافاة لدينها ، أو تعارضا معه .

وعلى الناحية الاخرى ناحية الأنـاضول ، قابلت طائفة كبيرة من الشباب ينتمون لمعهد الـدراسات الإسلامية ، معهـد خاص ، يتم الانفاق عليه من وقف خيرى ، به مائة من الباحثين فى الدراسات الإسلامية من علوم القرآن إلى علوم السنة ، إلى الفقه الحنفى . وهم يعدون ويشتركون مع علماء كبـار من كل الاقطـار الإسلامية فى عمل «الموسوعة الإسلامية» باللغة التركية ، وهم يرون انه عمل غير مسبوق فى الدول الإسلامية نفسها وكنت سعيدا بزيارة هذا المعهد حيث تناولت الغداء مع أساتذته وباحثيه ، وحدثونى عن مشكلـة قديمة سمعتها فى معظـم الأقطار غير العربية ، وهى مشكلة الدراسة فى الأزهـر ، فهـم لايخرجـون بسهولـــة ، وإذا خرجوا ، منهم مدرسون على حسابهم الخاص ، ولايتقدمون فى الدراسة بسهولة ، وتوجد امامهم مشكلة معادلة الشهادات ، وهى مشاكل تحتاج الى حلول ارجو ان يتسع صدر الامام الاكبر لها : وقد سعدت بوجود كلية للدراسات الإسلامية بالأناضول تتبع (جامعة مرمرة) ، وقيل لى : إنه توجد كلية مماثلة فى معظم جامعات تركيا ، لكن لا صلات لها بالخارج ، خاصة العالم الإسلامى ومصر ، والتعامل بغير التركية من الأمور الطبيعية على الجميع وهنـاك من يبحثـون عن الحلـول الوسط .

وهكذا ففى بحث عن العلاقة بني (العلمانية) و(الاصولية) حدد البـاحث أسس التعايش بين الفريقين ، درأة فى ضرورة قبول الدولة الحديثة للفكر الإسلامى وتبنيه وتطبيقه بالتدريج فى مختلف نواحى الحياة ، وبالمقابـل فعلى الاصولـيين ان يتقبلوا دلوج العديد من الانظمة والاسـاليب الحديثة فى الحكم والادارة فى صيغة المشاركة بين الطرفين فى الحياة ، الى جانب القبول بالديمقراطية وبالاقتصاد الحر وبالانفتاح على العالم بمؤسساته ومنظماته المختلفة .

لابد من قبول قوانين تنظم المرور والمؤسسات العامة ، وتعـاقب على صور من الخروج على القانون والمجتمع لم تكـن معروفـة من قبـل ، والتعايش له اصوله ، ولايمكن غض النظر عن تطـورات رئيسيـة وهامـة حدثت فى مختلـف المجتمعات ولن تتوقف لابد من استيعاب قدر من (التكنولوجيا) لازم للتقـدم ، وللخـروج من الازمات ، وليس من الضرورى ، بعد اليوم ، التزام البداية ، الغربية بل الافضل ان نتجه شرقا وان نعود الى جذور وأسس عشنا عليها ، ولم يتمكن احد من اقتلاعها او ينجح لوقت ، فى اهالة التراب عليها .

# مُغالطات عن مسلمي تركيا

للأستاذ/ أحمد محمد الصواف

**تظل كتابات كثير من المؤرخين الغربيين خالية من الترهات ماداموا يكتبون تاريخ الأمم غير الإسلامية ، فإذا ما اتصلت كتاباتهم بالإسلام بدت منهم أمارات التعصب ومظاهر التحامل ضد هذا الدين ـ صبغة الله ـ ودوافع الحقد للدين الاسلامى الحنيف باتت مشهورة معروفة ، ولا يحتاج الأمر منا الى وقفة نبدىء فيها ونعيد ، فقد عرفت أسباب هذا الحقد بحيث أصبحت لا تخفى على أحد .**

وسبيلنا فى هذا المقال أن نصحح بعض أخطاء كتبت عن مسلمى تركيا ، كتبها مؤرخ إنجليزى معروف ، من أهم سمات منهجه فى دراسة التاريخ الاعتماد على التحليل الاجتماعى للحوادث التاريخية والاستفادة بعلم النفس فى بيان أثر هذه الحوادث فى الشعوب سلبا وإيجابا بالاضافة الى حسن عرضه للحوادث التاريخية عرضا ممتعا جذابا ، تستطيع من خلاله أن تحيط بجوانب الصورة التى يقدمها عن شعب ما ، وعلى الرغم من أن هذه الصورة قد تكون صغيرة فى بعض الأحيان إلا أنها تبدو واضحة مستوعبة .

أما هذا المؤرخ فهو « ارنولدتوينبى » الذى أنعمت عليه الحكومة الإنجليزية بلقب من القاب النبلاء .

وأما مغالطاته هذه فقد جاءت فى كتابه «العالم والغرب» وتركزت فى فصل بعنوان «الإسلام والغرب» وهو الذى سيقتصر المقال على مناقشته وكشف عواره ، دون التعرض لباق فصول الكتاب وان كانت لا تخلو هى الأخرى من أخطاء .

وكتاب «العالم والغرب» قد تم تعريبه بواسطة «نجده هاجر» و«سعيد الغز» وظهر الكتاب سنة ١٩٦٠ عن منشورات المكتب التجارى للطباعة والنشر ببيروت .

وقد ذكر المعربان - فى مقدمتهما - نزاهة المؤلف حينما قالا عنه :

(وهو فى هذا الفصل - الاسلام والغرب - منصف وموفق الى حد ما ، لأنه يقف عند العثمانيين ولا يذهب معنا الى نشأة الاسلام الاولى ومع ذلك فإنه لا يبخس الدعوة الاسلامية حقها ويدعو الى تآلف إسلامى مسيحى يحد من انتشار الأفكار المادية ) .

وهذا الكلام لنا معه وقفتان .

أما الأولى فهى تعليلهما إنصافه وتوفيقه بأنه وقف فى حديثه عند العثمانيين ولم يذهب الى نشأة الاسلام الأولى ، وهذا تعليل غير معقبول لأنه - مع وقوفه عند ذلك - لم يلتزم جانب الحق الصريح فى كتابته عن العثمانيين كما سيأتى .

وأما الثانية فهى دعوته إلى تآلف إسلامى مسيحى يحد من انتشار الأفكار المادية وهى دعوة براقة ولكنها جوفاء ؛ لأننا قد عايشنا الغرب فوجدناه لا يعاهد إلا لمصلحته ، ولا يحابى إلا لمنفعته ، وقد بلوناه فى الحربين العالميتين فوجدناه - مع نقض عهوده وتجاهلها - يضيف الى أوجاعنا شوكة صهيونية ، تقض مضاجعنا ، وتسلب أمننا ، وتعربد فى جسد الأمة ونحن عاجزون - بسبب الغرب - عن نزعها من جسد أمتنا الاسلامية .

والمطلع على كتاب «العالم والغرب» لأرنولد توينبى «قد يُغر بأفكاره» وقد يُؤخذ بأسلوبه الطلى ، وقد يدهشه امتداد الكاتب على النفوذ الى لباب الحوادث دون الاهتمام - إلا قليلا - بما يحيط بهذه الحوادث من ضجيج قد يثير من الغبار ما يخفى حقيقتها وما ترمى إليه .

والآن إلى مناقشة أفكار المؤرخ الكبير .

١ - يقول أرنولد توينبى فى كتابه المذكور آنفا ص ٢٦ :

« لقد سبق وأسمينا الشيوعية بدعة مسيحية ، والاسلام كالشيوعية ، نجح فى النسبة التى توخاها لنفسه كوسيلة لاصلاح المفاسد التى كانت قد تفشت فى المسيحية آنذاك » .

وهذا الكلام لا يقره مسلم عاقل ، لأنه ينطوى على خطأ جسيم يبدو فى أنه جعل الاسلام مجرد فكرة إصلاحية ، أو هو - على أقصى ما تحتمل كلماته - مذهب كالشيوعية ، ولئن كان ماركس وانجلز ولينين قد أنشأوا الاشتراكية الشيوعية ليواجهوا بها مثالب المسيحية وقصورها فى النواحى الاجتماعية والاقتصادية فإن الإسلام كما يبدو من حديث هذا المؤرخ ما هو إلا مذهب لاصلاح ما تفشى من مفاسد وعيوب .

ويؤكد زعمه هذا بقوله فى الصفحة نفسها :

« ونجاح الاسلام فى بدايته يبين أية قوة يمكن أن تكون لفكرة جديدة عندما تقترح إصلاح مذهب لايبدو أنه مستعد هو بنفسه ان يقوم بذلك »

وتلك العبارة ترسخ ما قلناه من أنه يجعل الاسلام كالشيوعية - كلاهما - عنده مذهب أو فكرة جديدة .

وهذا خطأ لأن الفكرة خاصة بالبشر فى حين أن الإسلام وحى سماوى ورسالة كبرى وشريعة دقيقة محكمة وعقيدة إلهية سامية أوحى الله بها الى أكرم عباده ، ليخرج الناس بها من الظلمات الى النور ، ومن كهوف الجهل والضلال إلى فضاء المعرفة واليقين .

والشيوعية هى التى يصح أن نطلق عليها فكرة

لأنها حضرت على فكر ماركس حين كان يتوقد صدره حقدا على أغنياء عصره ، ولئن كان الاسلام ديناً إلهياً ، فإن الشيوعية فكرة بشرية وشتان ما بين رسالة أنزلها الله الخالق وفكرة بشرية ابتدعها مخلوق .

٢ ـ ويقول توينبي فى ص ٣٣

« لن تحل مسألة التغريب المتزايد فى تركيا والتى كثيرا ما فتشوا عن حل لها بهذا التمثل على جرعات قليلة ، وعمليا ليس هناك إلا وسيلتان للخروج من هذه الدوامة ، فإما أن يدفع الاتراك يوما ثمن خطئهم بانهيارهم تماما وإما أن ينجوا من التصفية الشاملة بحصرهم قواهم كلها قلبا وعقلا فى التغريب ، وبعد أن كان الأتراك على حافة الهاوية تخلصوا عند آخر دقيقة باستغرابهم المتطرف بقيادة مصطفى كمال أتاتورك » .

والمؤرخ هنا بدلا من يُؤرخ الحوادث ويزنها بميزان تاريخ نزيه ، نسى أو تناسى ذلك وراح يبين للاتراك السبيل الذى ينتهجونه مبينا لهم أنه (سبيل التغريب) بالعقل والقلب معا ، ولم يكتف بذلك بل أخذ فى مدح من ساروافى هذا السبيل من قبل محاولا أن يُظهر ذلك بأنه لا مفر منه ولا منجى إلا به .

وعلى ذلك فيجب على المسلمين الأتراك ـ كما يريد الكاتب ـ أن يتزيوا بزى أهل الغرب ، وأن يأكلوا طعامهم ، وان يقلدوهم فى عاداتهم وتقاليدهم ، بالاضافة الى اعتناق مبادئهم وأفكارهم فى الاصلاح والرقى والتقدم ، والعمل على نشرها والتبشير بها .

وهذا ـ وأكثر منه ـ يتضمنه قوله : بأن على الأتراك ـ لكى يصلوا الى أوج القوة ـ أن يحصروا قواهم قلبا وعقلا فى (التغريب) .

وإنى أتساءل : ألم تكن الإمبراطورية العثمانية فى يوم من الأيام القريبة يخشاها الأوربيون ويحذرون من إغضابها ، بل ويعملون على إرضائها . فما كان سبب قوتها إذن ؟

أكان اعتناق مبادىء الغرب وأفكاره ؟!

ألم يقرأ هذا المؤرخ عن انتصارات محمد الفاتح وفتحه للقسطنطينية بعد أن ألحق بالإمبراطورية «قسطنطين» هزيمة دوّى ذكرها فى تاريخ الحروب الحديثة ؟

أكانت قوة الجيش العثمانى آنذاك كامنة فى اعتناقه مبادىء الغرب وأفكاره ؟! ، وهنا خطأ لا أريد أن أتجاوزه الى غيره حتى أصححه ، فهذا المؤرخ يقول عن الأتراك إنهم (تخلصوا عند آخر دقيقة باستغرابهم المتطرف بقيادة مصطفى كمال أتاتورك) فكأن أفراد الشعب التركى هم الذين توجهوا إلى هذا الاستغراب بمحض إرادتهم ، وبمطلق اختيارهم ، وكأنهم لم يجبروا على هذا التغريب الذى أبعدهم كثيرا عن التمسك بآداب الإسلام .

والمؤلف نفسه ـ يشهد على ديكتاتورية مصطفى أتاتورك وحمله شعبه على التغريب بقوله فى ص ٣٤ من الكتاب المذكور سابقا .

(وقد نجحت هذه الثورة على يد ديكتاتور يعتمد على حزب يحتكر السلطات كافة ولو لم تلجأ إلى استخدام وسائل استبدادية ديكتاتورية لأخفقت فى الوصول الى ما وصلت إليه من نتائج) .

٣ ـ ويقول المؤرخ عن أتاتورك فى ص ٣٤ .

(عرف مصطفى كمال حظه ، وبذكائه وتبصره أدرك أن أنصاف الحلول فى التغريب التى

كانت نتائجها دائما وخيمة على بلده تهدده الآن بالقضاء التام فأظهر عزما أكيدا وإرادة حديدية لاقناع مواطنيه بأن عليهم ان يتبعوه وكانت طريقته تكمن فى فرض طريقة العيش الغربية على الأتراك )

وأنا لا أعجب من محاولة المؤرخ إظهار أتاتورك فى صورة المجاهد النزيه الجاد الذى يعمل ويكد من أجل وطنه ، وذلك لأنه قد أنزل بالشعب التركى كل ما يتمناه الغرب لدولة مسلمة قوية .

فلا عجب - إذن - أن يثير توينبى حول أتاتورك هالة من المجد ، وكيف لا ثير حوله هذه الهالة وأتاتورك هو الذى ألغى (منصب المشيخة الاسلامية) ثم ألغى (الخلافة) وقبل ذلك (أبدل الحروف العربية بالأبجدية اللاتينية) وحرم (الأذان بالعربية) ، وحاول أن يقضى على كل معالم ومظاهر الإسلام فى تركيا حتى أنه جاهر بالفسق وعدّ (صيام رمضان) من السفاهات .

ولقد قطع الأتراك شوطا كبيرا فى التغريب حتى أنمحت ذاتيتهم وذابت - أو كادت - عاطفتهم الإسلامية ، ومع ذلك فلم يصلوا الى ما وصل إليه الغرب من حضارة وتقدم ، بل لم يبلغوا معشار ما بلغ الغرب من قوة وتقدم ، مع أنهم تغربوا بكل قواهم عقلا وقلبا . وهذا خير شاهد على فساد (نظرية التغريب) التى روج لها الاستعمار وأعوانه .

٤ - يقول المؤرخ فى ٣٧ :

(وقد قدم الشعب التركى بقيادة أتاتورك خدمة كبرى للعالم الاسلامى بمحاولته حل مسألة الاستغراب المعروضة على جميع الشعوب بتبنيه - دون تحفظ - الأفكار الغربية الحديثة ومن بينها القومية وغيرها )

وأنا أتساءل : أى خدمة قدمها الأتراك بقيادة أتاتورك للمسلمين ، إذا كان (إلغاء الخلافة) خدمة فهى ليست للمسلمين وإنما للغرب ودوله ، لأن الخلافة الاسلامية مع بعض ما وقع فيها من عيوب المسئولين التى لا تنكر - كانت تجمع تحت رايتها جميع أمم الاسلام على اختلاف أجناسهم وألوانهم ، وكانت بذلك التجمع الدينى - أو أن شئت قلت بذلك الاتحاد - قوية تهابها الدول الاستعمارية التى لم يهنأ لها بال ولم يقر لهم قرار حتى استطاعو بالكيد والحيلة أن يلغوا الخلافة الإسلامية ويشتتوا الأمة الاسلامية دولا وأحزابا .

ولم يكتف الاستعمار ودوله بذلك بل راح يشيع مبدأ (القومية) فأحيوا العصبيات الجنسية بين المسلمين بعدما أماتها الاسلام حتى دب الخلاف بينهم ، وتشتت جمعهم واعتز كل منهم بقوميته فهذا مصرى .. وهذا سورى .. وهذا لبنانى .. الخ ، وتناسوا الأخوة الاسلامية التى توجب عليهم الوحدة ضد أعدائهم والوقوف صفا واحدا وسدا منيعا ضد كل غاز لبلادهم .

وبعد .. فإن مؤرخى الغرب هم الذين يكتبون تاريخ العالم اليوم ولذلك يجب علينا - نحن المسلمين - أن نحاذر من كتاباتهم ، وأن لا نأخذها على أنها مسلمات تاريخية ، بل نجعلها دائما موضع مناقشة وتحليل وبذلك نأمن الانسياق وراء ما يكتبون ، وبذلك - أيضا - نحفظ لذاتيتنا الأصالة الواعية ، ولشعوبنا الاسلامية التقدم المبنى على فهم التاريخ والاستفادة من حوادثه ، وحسبنا ما جناه علينا جهلنا بالتاريخ من ويلات وفواجع .

# القيادة الإدارية

## الإدارة فى منهج الإسلام

## - ٢ -

إعداد الدكتور / محمد عبد الله آل ناجى (*)

الإدارة فى منهج الإسلام بناء تنظيمى فى المجتمع الإسلامى يعتمد على المبادىء الأساسية فى كتاب الله تعالى ، وسنة رسوله ( ﷺ ) ويهدف إلى تحقيق مصلحة شرعية .

وهذا التنظيم لا يلتزم بنمط معين ، أو هيكل تنظيمى محدد ، ولكنه يتغير بتغير البيئة والظروف ، وملابسات العصر ، شريطة ألا يتعارض مع المبادىء والأسس الإسلامية العامة .

والتنظيم الإدارى فى منهج الإسلام جزء من النظام الإسلامى العام . يرتبط بشريعته ارتباطاً وثيقاً ويلتزم بالنظام السياسى والاقتصادى والمالى والدولى للإسلام[1] .

من هنا نعلم أن الإدارة العامة فى منهج الإسلام تطبيق للمبادىء الأساسية فى كتاب الله وسنة رسوله - ﷺ - .

فمثلا مبدأ الطاعة فى الإدارة العامة أساس شرعيته قول الله تعالى : ﴿ **أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم** ﴾ ( النساء : ٥٩ ) ،

وقول الرسول - ﷺ - ( على المرء السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة )[2] .

---

(*) الباحث : عميد كلية التربية - جامعة الملك فيصل المملكة العربية السعودية .

(١) الدكتور / فرناس عبد الباسط البنا ، التنظيم الإدارى فى الدولة الإسلامية منهجاً وتطبيقاً ، ندوة النظم الإسلامية ، ابوظبى ١٨ - ٢٠ صفر ١٤٠٥ هـ ، الجزء الأول .

(٢) الحديث اخرجه البخارى فى باب الأحكام ، ٩ : ٨٧ وفى باب الجهاد ٤ : ٦٠ ، وأخرجه مسلم فى باب الإمارة حديث رقم ١٨٣٩ ، وأخرجه الترمذى فى باب الجهاد حديث رقم ١٧٠٧ .

ومبدأ المشورة فى الإدارة العامة يؤخذ من قوله تعالى : ﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى الأَمْرِ ﴾ ( آل عمران : ١٥٩ ) .

ومبدأ المسئولية فى النظام الإدارى أساس شرعيته قول الله تعالى : ﴿ لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ﴾ ( البقرة : ٢٨٦ ) ، وقوله ـ تعالى : ﴿ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾ ( الطور : ٢١ ) .

وقول الرسول ﷺ ( كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته )[٣] .

ومبدأ ارتباط السلطة بالمسئولية فى منهج الإدارة ومحاسبة المسئولين مأخوذ من قول الرسول ﷺ ( ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت ـ وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة )[٤] .

والتنظيم الإدارى فى منهج الإسلام ـ كما قلنا سابقاً ـ يهدف إلى تحقيق هدف شرعى . وتتسع صفة الهدف الشرعى ، فتشمل كل مصلحة تتمشى مع مقاصد التشريع فى جلب المنافع ، ودفع المضار ، حتى ولو لم يوجد حكم شرعى لتحقيقها أو دليل شرعى على اعتبارها أو إلغائها وهى ما يطلق عليه فى الفقه الإسلامى : بالمصالح المرسلة .

والتنظيم الإدارى الإسلامى : يراعى العلاقات الإنسانية المتمثلة فى الرحمة واللين والعفو ، قال تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ ( آل عمران ١٥٩ )

وقال ـ تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾ ( الحجرات : ١٠ ) .

وهذه الأخوة الإيمانية لا تحقق قدراً من العلاقات الحسنة بين الإدارة والأفراد يقتصر على إشباعها لحاجاتهم وتحقيق أهدافهم فقط ؛ ولكنها تتطلب وجود العلاقة الأخوية بين الإدارة والأفراد ، وبين الرئيس والمرؤوس أى بين كل أفراد البناء التنظيمى بجميع مستوياته .

فنظرة الرئيس الإدارى للمرءوس ، هى نظرة الأخ لأخيه ، وبالتالى لا يكون هناك مجال لوجود الصراعات أو التناقضات داخل التنظيم الإدارى . ولقد بين الله ـ تعالى ـ أن هذه الأخوة الإيمانية لا تنقطع حتى ولو حدث اعتداء بالقتل الخطأ على بعض أفراد المجموعة . قال تعالى : ﴿ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ﴾ ( البقرة

فهل وصلت العلاقات الإنسانية التى ينادى بها أنصار المدرسة السلوكية إلى هذا الحد الجميل .. ؟

للإجابة على ذلك علينا أن نقطع شوطاً آخر فى المبحث .

**القيادة الإدارية فى مفهوم النظريات المعاصرة**

**استحوذ تعريف القيادة الإدارية على جزء كبير من أدبيات الإدارة ، ويلاحظ أن تعاريف**

---

(٣) رواه الإمام مسلم والبخارى والترمذى ، رواية مسلم فى اب الإمارة حديث رقم ١٨٢٩ ، ورواية البخارى فى باب الجمعة والاستعراض ، ورواية الترمذى فى باب الجهاد حديث رقم ١٥٠٧ .

(٤) الحديث أخرجه الإمام مسلم فى باب الإمارة ٢١ : ١٤٢ بسنده عن معقل بن يسار المزنى قال : سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول ، وذكره .

**القيادة تتفاوت بشكل كبير حسب المنهج الذى استخدم فى الدراسة :**

**فبعض التعاريف اتجهت إلى تعريف القيادة على أنها : مجموعة من الصفات الشخصية .**

**وتعاريف أخرى اعتبرت القيادة : ولاية وسلطة رسمية .**

**بينما نجد أن التعاريف الحديثة تنظر للقيادة على أنها : سلوك وتفاعل وتأثير على الآخرين . فنجد بنجهام وكليورن (Bingham amd Klibourne) فى بداية الثلاثينات من هذا القرن يعرفان القائد على أنه الشخص الذى يمتلك أكبر قدر من الصفات الشخصية المرغوبة[٥] .**

وعندما نأخذ بمفهوم السلطة الرسمية نجد أن بعض رجال علم الإدارة ـ أمثال مونى ورايلى **(Momy amd Railly)** يرون أن القيادة : تمثل السلطة ويجب أن تمتلك القيادة كل السلطة اللازمة لممارسة مهامها القيادية . وفى رأى هؤلاء أن السلطة الرئاسية تقدر بمفردها على حمل الجماعة على الخضوع لإدارة القائد فى كل اتجاه إدارى يوجههم إليه تجنباً للمساءلة والعقاب[٦] .

أما الكتاب السلوكين فيوجهون انتقاداً لأصحاب نظرية السلطة الرسمية ويعتقدون أن لا مجال له فى عالمنا المعاصر ، ولا يلقى تأييداً من جانب أصحاب الفكر الحديث . **ويقدم أصحاب النظرية السلوكية تعاريف للقيادة مبنية على سلوك القائد وتأثيره على الاخرين :**

**فنجد همفيل (Hemphill) يعرف القيادة على أنها : ( سلوك الشخص أثناء قيامه بتوجيه مجموعة لإنجاز مهمة محددة )[٧] .**

**ونجد فيدلر (Fiedler) يقترح تعريفاً مشابهاً حيث يقول : ( نعنى بالسلوك القيادى : التصرفات المحددة التى يقوم بها القائد فى مجال توجيه وتنسيقه عمل أفراد مجموعته )[٨] .**

وعندما نأخذ ( مفهوم التأثير فى عمل القائد ) نجد أن ستودجل **(Stodgill)** عرف القيادة ( على أنها : مجموعة من العمليات « التصرفات » التى يقوم بها القائد للتأثير على نشاط مجموعة منظمة تجاه تحديد أو إنجاز هدف معين )[٩] .

أما الدكتور عبدالكريم درويش والدكتورة ليلى تكلا فيقولان : ( إن القيادة الحقيقية هى التى تستمد سلطتها الفعلية من القدرة على التأثير فى سلوك الآخرين لجعلهم يقبلون النفوذ والسلطة

---

(٥) Stogdill, R.M. Handbook of Leadership. New York: MacMillan Free Press, 1974.

(٦) الدكتور / خميس إسماعيل السيد ، السلوك الإدارى ، الطبعة الأولى ، دار الهنا للطباعة ، بغداد ، ١٩٨١ .

(٧) Hemphill, J.K. & Coons, A.E. Leader behavior description. Columbus: Personal Research Board, Ohio State University, 1950.

(٨) Fiedler, F.E. A theory of Leadership Effectiveness. New York: McGraw Hill, 1967.

(٩) Stogdill, R.M., Handbook of Leadership. New York: MacMillan Free Press, 1974.

عن رضا واختيار ، وليس عن قهر ومسائلة[١٠] .

يقول الدكتور خميس إسماعيل : (لذلك أصبحت نظرية السلطة المقبولة هي الأساس المقبول في تعريف الكتاب السلوكيين للقيادة ؛ لأنهم يعتمدون في تعريفهم على التأثير والاستمالة ) . ثم يقدم لنا بعض التعاريف المؤيدة لوجهة نظره في ذلك ما تقوله الأستاذ ماري باركر فوليت :

( إن القيادة : هي عملية تأثير في الجماعة أكثر منها سلطة رسمية عليهم ) . وما يقوله الدكتور على محجوب :

( ويمكن تعريف القيادة بأنها : القيام بتلك الأعمال التي تساعد الجماعة وتدفع الأفراد على تحقيق أهداف الجماعة . ( أو هي فن استمالة أفراد الجماعة للتعاون على تحقيق هدف مشترك )[١١] .

وهنا نجد أيضاً الانتقادات لتعاريف بعض الكتاب السلوكيين للقيادةلتركيزهم على التأثير وعلى الجماعة وإهمال الجانب الوظيفي للقائد الذي يعنى بالتنظيم والتنسيق والعمليات الإدارية الأخرى .

يقول الدكتور ( ليونارد هوايت ) : إن القائد هو الشخص الذي يوجه وينسق ويراقب أعمال الآخرين[١٢] .

ويقول الدكتور ريدى (Dr. Ready) : إن القيادة هي عملية اتصالات واتخاذ قرارات[١٣] .

ولكن بعض الباحثين يرون في هذا الاتجاه في تعريف القيادة قصوراً حيث لا يفي بمتطلبات القيادة . حيث يلاحظ أن كل تعريف من التعريفين السابقين يدور حول بعض المهام القيادية دون البعض الآخر .

هناك افتراضان يبدوان واضحين من تعاريف القيادة السابقة وهما :

أن سمة القيادة تشمل التفاعل بين شخصين أو أكثر وهذا ينطوي على عملية ممارسة التأثير المقصود من قبل القائد على المرؤوسين . وبناء عليه نقدم التعريف التالي للقيادة والذي نتفق في بعض جوانبه مع بعض الباحثين الذين سبقت الإشارة إليهم (القيادة هي النشاط الإداري الذي يمارسه شخص معين للتأثير على مجموعة لتحقيق هدف محدد ، بوسيلة التأثير أو باستعمال السلطة الرسمية حسب مقتضيات الموقف ) .

### خصائص القيادة الناجحة في التنظيمات المعاصرة

لقد وضع كثير من العلماء الإداريين والمفكرين نظريات للقيادة حسبما تمليه عليهم بيئتهم والظروف المحيطة بهم . فجاءت التعاريف والمفاهيم والنظريات القيادية متفاوتة ومتطورة بما يتلاءم مع

---

(١٠) الدكتور . عبدالكريم درويش ، والدكتورة ليلة تكلا ، أصول الإدارة العامة ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ١٩٦٨ ، نقلا عن كتاب السلوك الإداري مرجع سابق .

(١١) د. خميس إسماعيل . مرجع سابق .

(١٢) Whit, Leonerd, Introduction to Study of Public Administration. New York, 1962. In Dr. Khamis El-Sayed, Cit.

(١٣) Dr. Ready R.K. Communication and Leadership in the Effective Organization, in Dr. Khamis El-Sayed, cit.

مفاهيم العصر الذى عاش فيه كل منهم ، والملابسات التى حدت به إلى هذه المعالجة . وبناء عليه كانت هناك وجهات نظر خاصة فى معالجة قضية القيادة .

ويطيب لنا فى هذا البحث أن نلقى بعض الأضواء على نماذج من نظريات القيادة من وجهة نظر أصحابها ، والتى أمكن تصنيفها إلى مناهج ثلاثة فى دراسة القيادة :

أولاً : منهج السمات فى القيادة .
ثانياً : المنهج السلوكى فى القيادة .
ثالثاً : منهج الموقف فى القيادة[١٤] .

أولاً : منهج السمات فى القيادة :

يعتمد منهج السمات فى دراسته لنظريات القيادة على أن القادة يولدون بصفات قيادية معينة . ومضمون هذه النظرية أن القيادة الإدارية ترتكز على مجموعة من السمات والخصائص المعينة . وإذا ما توافرت هذه الصفات فى شخص ما هيأته للقيام بدور القيادة الناجحة .

ولقد تأثرت هذه النظرية بما كان سائداً فى منتصف القرن التاسع عشر أن القادة يولدون ولا يصنعون ، وأن هؤلاء القادة لديهم القدرة على استقراء المستقبل ، وعلى إرغام الآخرين على طاعتهم ؛ لأن القائد فى تصورهم يتمتع بقدرات أسطورية خارقة ، تفوق ما يتصف به الشخص العادى ويمكن تلخيص هذه السمات كما يراها ( رالف ستودجل ) إلى ما يأتى :[١٥]

(أ) المقدرة : وتتضمن الذكاء ، وطلاقة اللسان ، والعدالة .

(ب) مهارة الإنجاز : وتتضمن المعرفة الواسعة ، وإنجاز الأعمال ببراعة وحزم وهى تعنى أن يكون القائد حازماً ، وأوامره قاطعة ومن الدلائل التى تشير إلى توفر هذه السمة لدى القائد قدرته على تمييز الجوانب الهامة وغير الهامة للمشكلة ، والاختيار بين البدائل المتاحة لحلها .

(ج) تحمل المسئولية . وهى تعنى كما يقول : ( بارنارد ) شعور القائد بعدم الرضا عن الفشل فى تحقيق ما عزم على تحقيقه .

وتظهر سمة الثقة فى النفس لدى القائد من خلال بعض المؤشرات أهمها : سعيه وراء أفكار جديدة ، والقدرة على التنفيذ ، وتقبل النقد من الرؤساء والمرؤسين ، والإصرار وعدم الإحباط .

(د) المكانة الاجتماعية : وتعنى أن يكون القائد محبوباً سواء داخل التنظيم أو خارجه كما تتطلب أن يكون للقائد مركز اجتماعى ومالى .

(هـ) القدرة على تفهم الموقف : وهذا يتطلب مستوى ذهنيا جيداً ومهارة فى تلبية حاجات مرؤسيه ومصالحهم . والقدرة على تحقيق أهداف التنظيم الذى يقوده .

هذه أهم السمات التى توصل إليها ( رالف ستودجل ) نتيجة للاستبيانات الكثيرة التى قامت بها ، أو أخذها من الباحثين الذين سبقوه فى هذا المضمار فإذا ما أردنا أن نتعرف على رأى عالم آخر نرى أن عالم الإدارة الهندى (تابجى) يصنف هذه

---

(١٤) Lipham, J. Leadership: General Theory and Research. In L. Cunningham & W. Gephart (eds.), The Science and the Art Today. Itascal, IL: J.E. Peacock, 1973.

(١٥) Stodgi..., R.M. cit.

السمات إلى ثلاث مجموعات :

(أ) سمات شخصية :

تتمثل فى الصحة الجيدة ، والقدرة على التحمل ، وإدراك القائد لرسالته والتحلى بروح الصداقة ، والفهم العميق والشامل للأمور ، والأمانة والاستقامة والالتزام بالأخلاق الكريمة .

(ب) سمات سياسية :

وتتمثل فى قدرة القائد على الاستجابة للسياسة العامة ، وإدراكه للأهداف السياسية ، والمثل العليا التى يطمع الشعب فى تحقيقها .

(ج) سمات نظامية :

وهى تعنى : قدرته على الالتزام بالأنظمة ومراعاة تطبيقها بشكل جيد ومثمر على تفويض سلطاته ومعرفة الحدود التى يجب أن يلتزم بها فى التفويض .

هذا بالإضافة إلى ما توصل إليه ( برادن ، وأرنست ديل ) وغيرهما من العلماء والمفكرين المهتمين بالشئون الإدارية ، وتقعيد القواعد لرجال القيادة فيها . ولكنها لا تخرج عما أشار إليه ( رالف ستودجل ) أو ( تايجى ) الهندى إلا فى القليل النادر مثل كبر السن عند ( برادن ) والاستقرار العاطفى عند ( أرنست ديل )[١٦] .

ثانياً : المنهج السلوكى فى القيادة :

يرتكز المنهج السلوكى فى دراسته لنظرية القيادة على أهمية الفرد الذى يتولى منصب القيادة ، والعوامل المحيطة به ، والتى تكون عونا له ومساعداً لنجاحه فى هذه المهمة .

ويرى بعض الباحثين أن منهج تحليل سلوكيات القائد من الناحية النفسية والاجتماعية ، والعوامل الفردية هى فى الحقيقة العوامل الأساسية فى تحديد سلوكيات القائد . ومن خصائص المنهج السلوكى أنه يفرق ـ عند معالجته لهذا الموضوع ـ بين مفهوم القيادة ومفهوم القائد . الأمر الذى دفع ( هالبين ) إلى القول : بأن المنهج السلوكى لدراسة القيادة يركز على سلوك القائد فى بيئته الاجتماعية أكثر منه على القيادة على أساس أنها سمة تزيد من فهمنا لظاهرة القيادة . وبهذا التصور نرى أن هذا المنهج الذى يرتكز ـ أولاً وآخراً ـ على رصد سلوك القائد أكثر منه على الطاقة الممنوحة لهذا السلوك[١٧] .

ونظريات السلوك فى القيادة ميزت بين نمطين من أنماط السلوك القيادى سواء أكانت القيادة فى مجال المؤسسات التربوية ، أو الصناعية ، أو العسكرية وهما :

١ ـ الاهتمام بالعاملين .

٢ ـ الاهتمام بالإنتاج .

وهذان العنصران اللذان يعالجان الاهتمام بالناس ، والاهتمام بإنجاز العمل يمثلان فى رأى بعض الباحثين ، أهم منهج لدراسة نظرية القيادة فى مجال البحث والتدريب .

ثالثاً : منهج الموقف فى القيادة :

بعد أن قدمنا القواعد الأساسية عن نظرية السمات وبينا وجهة نظر العلماء والباحثين فيها يطيب لنا أن نلقى بعض الأضواء على نظرية الموقف ودورها فى القيادة الإدارية .

---

(١٦) د. نواف كنعان ١٩٨٥ مرجع سابق .

(١٧) Halpin, A.W., The behavior of Leaders. London: The Macmillan Company, 1970

يرى بعض العلماء أن نظرية الموقف تعتمد أساساً على أن القيادة لاترتبط بسمات أو مواصفات شخص بعينه يمكن أن يقوم بدور القيادة ، ولكنها ترى أن القيادة ترتبط سماتها وخصائها بموقف قيادى معين .

وبعبارة أوضح أن المواقف القيادية هى التى تفرز القائد وتجعله جديراً بقيادة مؤسسة ما أو إدارة معينة نتيجة لحسن إدارته أو سلامة تصرفه فى موقف معين . سواء أكان فى هذا الموقف فى مجال القيادة المدنية ، أو القيادة السياسية أو العسكرية .

وحجة القائلين بهذه النظرية : أن متطلبات القيادة قد تتباين فى المجتمع الواحد أو المستوى الوظيفى فى التنظيم الواحد ، كما أنها قد تختلف باختلاف ملابسات الزمن ، أو متطلبات العصر .

ويرى العديد من الباحثين أن اختلاف التنظيمات يؤدى إلى اختلاف السمات القيادية ؛ فالسمات اللازمة للقيادة المدنية ، تختلف عن السمات المطلوب توافرها فى القيادة العسكرية ، ومن الأمثلة التى يستشهد بها الكتاب على اختلاف سمات القيادة العسكرية عن المدنية أن الرئيس الامريكى ( ايزنهاور ) حقق نجاحاً كبيراً فى القيادة العسكرية ، ولم يوفق فى تحقيق النجاح فى القيادة الإدارية[١٨] .

واختلاف التنظيمات الإدارية فيما بينها يؤدى أيضاً إلى اختلاف السمات القيادية المطلوب توافرها فى قادة هذه التنظيمات ، إذ أن عوامل الموقف هى التى تلى سمات معينة لهؤلاء القادة .

وهناك دراسات وأبحاث قام بها العديد من العلماء والباحثين ، وكان من نتائجها أن الصفات اللازمة لقادة الأجهزة الحكومية تختلف عن السمات اللازمة لقادة المشروعات الخاصة ، كما أن سمات القيادة فى بداية أحد المشاريع العملاقة ، تختلف اختلافاً بينا عن صفات القيادة التى تتولى إدارة هذا المشروع بعد إتمامه ـ وكذلك صفات القيادة فى إدارة إحدى المؤسسات التعليمية أو الجماعية ، تختلف عن صفات القيادة فى إحدى شركات الإنتاج ، أو الإدارات الحكومية .

وبناء على ما سبق تبيانه : تكون نظرية الموقف ـ كما يرى القائلون بها ـ قد تقدمت بمفهوم مؤداه أن القيادة فى أى موقع من المواقع لاتتقيد بالسمات الخاصة بالفرد فقط ، ولكنها ترتبط ارتباطاً وثيقاً فى المجال الأول بالموقف الإدارى . وهو وحده الذى يمكن أن يحدد الصفات ، أو الملامح التى ترشح هذا الفرد لمنصب القيادة فى هذا المجال أو فى غيره من المجالات . وإذا كان الأمر كذلك . فما هى الاتجاهات التى تقدم بها الباحثون فى نظرية الموقف أو الأنماط التى ترشح للقيادة حسب القواعد التى قعدها أصحاب هذه النظرية .. ؟

## نماذج القيادة ومتطلباتها عند الباحثين فى نظرية الموقف

لخص الباحثون فى نظرية الموقف ثلاث قوى تتحكم فى نجاح القيادة فى عمل من الأعمال مدنياً أو عسكرياً وهى كالتالى :

---

(١٨) د. نواف كنعان ١٩٨٥ مرجع سابق .

أولاً : القوى الكامنة فى القائد :

وأهمها قدرته على تقييم الظروف ونقول : إن القوى تشمل القوى الجسدية التى تساعده على قدرة التحمل ، والقدرة الروحية ، والتى يسميها بعض فلاسفة الغرب بـ ( الحدس ) والتى يسميها بعض حكماء العرب بـ ( الفراسة ) ، والتى قال فيها الشاعر العربى : ( كأن قد رأى وقــد سمعاً ) .. فهذه القوى الكامنة فى شخص القائد تجعله أقدر على تحديد النمط القيادى الذى يتلاءم مع متطلبات الموقف الذى يواجهه .

ثانياً : القوى الكامنة فى المرءوسين .

وأهمها خبرة ورغبة المرءوسين فى إنجاز العمل وقدرتهم على تحمل المسئولية ، ومدى إحساس كل منهم بأهمية المشكلة التى تواجه قائدهم ، ومشاركته فى حلها أو دفع عجلة الانتاج إلى الأحسن والأجود .

ثالثاً : القوى الكامنة فى الموقف ومن أهمها :

(أ) نمط التنظيم الـذى تحكمه قيم ومصالح ينعكس تأثيرها على سلوك القائد والعاملين فيه .

(ب) مدى فاعلية الكوادر العاملة فى التنظيم والمرتبطة بالموقف ومدى ثقتهم بأنفسهم وبقدرتهم على زيادة الانتاج ، أو البراعة فى حل المشاكل التى تعترضهم .

(ج) طبيعة المشكلة التى خلقت الموقف ، وقدرة القائد على استعمال سلطته فى التفويض لمرءوسيه .

(د) الزمن والوقت المحدد أو المقدر للخروج من هذه الأزمة ، أو وضع الحلول الملائمة لها بأقل قدر من الخسائر ــ إن كان الموقف يتحمل ذلك ، أو بدون تصميمات تذكر[19]

ومن هذا التحليل يتضح أن على القائد أن يستخدم النمط القيادى الذى يتلاءم مع عناصر الموقف الذى يواجهه بعد إدراكه لمتطلبات كل عنصر ، وأن استخدامه للنمط القيادى الملائم للموقف كفيل بتمكينه من أداء دوره القيادى بفعالية .

من فلاسفة الباحثين فى نظرية الموقــف ( فردفيدلر ) الذى عكف على دراساته فى نظرية الموقف وأبحاثه واستنتاجاته فترة ليست قصيرة والتى امتدت من ١٩٥١ حتى عام ١٩٦٧ ، وكان ثمرة وخلاصة هذه الدراسة ، أنه يتفق مع غيره من الباحثين فى أن فاعلية القيادة تتحدد بمدى ملاءمة النمط القيادى المستخدم فى موقف معين لمتطلبات هذا الموقف .

وأما عن الموقف الملائم فيرى ( فيدلر ) أن تحديده يتطلب وضع تشخيص دقيق للموقف الإدارى الذى يقوم به القائد ومروسيه الذيـن يشاركونه المسئولية ، والذى يمكن أن يستنبط من خلاله عناصر الموقف والتى يحصرها فى أنماط ثلاثة :

(أ) العلاقة بين القائد وموظفيه ، ويمكـن الاستدلال على هذا العنصر من خلال المؤشرات التى تدل على الجو الإدارى للمجموعة العاملة .

(ب) البناء التنظيمى للعمل . ويعتمـد على ثلاثة تأثيرات ، وهى تأتى من .

---

(١٩) McPherson, R.B., Growsoa, R.L., Pitnor, N.L., Managing Uncertainly Administrative Theory and Practice in Education, Ohio: Charles E. Merrill Publishing, 1986.

١ ـ من أعلى وهى تأتى من الإدارة العليا ، ٢ ـ ومن أسفل ويدل عليها قناعة الموظفين بسياسة التنظيم ، ٣ ـ ومن خارج وتتمثل فى القوانين الحاكمة والتغيرات التى تطرأ عليه .

(ج) سلطة القائد من خلال منصبه والتى يمكن عن طريقها بذل الحوافز أو توقيع العقوبة[٢٠] .

إن النظرية الموقفية فى القيادة تؤكد على أن نجاح القائد يتأثر بالبيئة التى يمارس فيها أدواره القيادية . وعندما أراد الباحثون أن يعرفوا أكثر عن البيئة وعن عوامل الموقف التى يمكن أن تحدد فعالية القائد درسوا القائد أثناء عمله . وقد وجدوا أن العوامل الأساسية التى لها تأثير على فعالية ونجاح السلوك القيادى تعتمد على التفاعل بين عناصر الموقف والتى منها : القائد نفسه ، والمرءوسين ، والرئيس ، والزملاء فى العمل ، واحتياجات العمل ، والوقت ، وهذه معظم العوامل التى يمكن أن تظهر فى بيئة العمل فى أى وقت ، وأى تغيير فى أى واحد من هذه العناصر يمكن أن يحدث تغييراً فى العناصر الأخرى .

لكن القائد لايستطيع أن يكون فوق كل هذه العناصر ويسيطر عليها من لحظة لأخرى . مما يجعل تطوير نموذج مبنى على التفاعلات بين هذه العناصر مسألة معقدة ، ويصعب استخدامه من قبل الإداريين . ولهذا أجريت عدة دراسات لمعرفة أهم عناصر الموقف تأثيراً فى نجاح الأسلوب القيادى . واتضح من البحوث التى أجراها كل من ( بول هرسى ) و( بلانكارد ) (Hersey and Blanchard) فى سبيل تطوير القيادة الموقفية ، أن العامل الحاسم فى نجاح القائد يكمن فى العلاقة بين القائد ومرءوسيه . فإذا تمرد المرءوسون على القائد ولم يقوموا بإنجاز العمل ؛ فإن العوامل الموقفية الأخرى التى سبق ذكرها تصبح غير مهمة لنجاح الأسلوب القيادى للقائد .

ولقد طور هرسى وبلانكارد (١٩٨٢) نموذجاً لنظرية القيادة الموقفية وكان أسلوب التطوير ينحصر فى تحديد الأسلوب القيادى المناسب تبعاً لنضج الموظفين ـ لمستوى استعدادهم ـ لإنجاز مهمة محددة . وقد تم تعريف مستوى الاستعداد للموظف بأنه : درجة قدرة ورغبة الموظف لإنجاز مهمة بعينها . حيث يقصد بقدرة الموظف هنا معرفته ، وخبرته والمهارات التى لديه لإنجاز المهمة . بينما يقصد برغبة الموظف : إرادته ، وثقته بنفسه ، ودوافعه لإنجاز المهمة المحددة له .

وبناء عليه فقد تم تحديد أربعة مستويات لاستعداد الموظف تبعا لقدرته ورغبة لإنجاز العمل :

المستوى الأول : قدرة متدنية ورغبة متدنية .

المستوى الثانى : قدرة متدنية ورغبة عالية .

المستوى الثالث : قدرة عالية ورغبة متدنية .

المستوى الرابع : قدرة عالية ورغبة عالية .

بعد هذا يقوم النموذج بربط أسلوب القيادة بمستوى التطور الذى يمر فيه الموظف كما هو موضح بالشكل (١) ، ولتحديد الأسلوب القيادى المناسب مع موظف أو مجموعة من الموظفين فإن على القائد أن يحدد المستوى الذى

---

(٢٠) Fiedler, F.E., The Leadership Game: Matching the Man to the Situation. Organizational Dynamics, 4; 6-16, 1976.

يقف عنده الموظف .

وتؤكـد القيـادة الموقفيـة لـ ( هرسى وبلانكارد ) على بعدين أساسيين للسلـوك القيادى ، وقد سبق الإشارة اليهما فى المنهج السلوكى وهما :

١ ـ السلوك الذى يرتكز على إنجاز المهمة ، ( السلوك التوجيهى ) .

٢ ـ السلوك الذى يرتكز على رضا ورفاهية الموظفين ( السلوك المساند )[٢١] .

وحيث إن المنهج السلوكى فى القيادة يقترح أن يكون هناك أسلوب قيادى مثالى فى معظم المواقف الإدارية ، وتم تحديده على أنه السلوك العالى فى المساندة والعالى فى التوجيه ، فإن النموذج المتصل فى القيادة الموقفية يؤكد أن أى نمط قيادى يمكن أن يكون فعالاً فى مواقف محددة تبعا لنضج ومستوى استعداد الموظف وبدقة مستوى استعدادات مرؤسيه بإنجاز المهام المختلفة ، واستخـدام الأسلوب القيادى المناسب منهم .

وفى رأينا أن هذا التصور فى القيادة الموقفية هو أكثر تطوراً وإمكانية تطبيقه أكثر واقعية من النظريات السابقة فى هذا المجال . فكل الآراء التى تمت مناقشتها عن القيادة كان الكثير منها يصطدم بالواقع عند التجربة العملية ، إذ أن هذه التجربة هى المحك وهى الفيصل فى سلوكيات القيادة ، ومدى نجاحها فى قيادة المؤسسة ورضا الناس عن أدائها .

وإذا كان الأمر كذلك فما موقف القادة الإداريين ، ورجال الفكر من نظرية الموقف ؟

هل استطاعت أن تسد كل الثغرات التى لم تتنبه لها ( نظريات السمات ) و( نظرية السلوك فى القيادة الإدارية ) ؟ أوجد فيها المختصون فى مجال القيادة الإدارية طلبتهم فوجهوا أنظارهم إليها ، أم أن هذه النظرية كغيرها من النظريات التى يتقدم بها العلماء وتكون محل أخذ ورد ، وقبول ورفض ؟

إن الواقع يقرر ذلك ولهذا يطيب لنا أن نقدم فى عبارة موجزة آراء القادحين والمادحين لهذه النظرية .

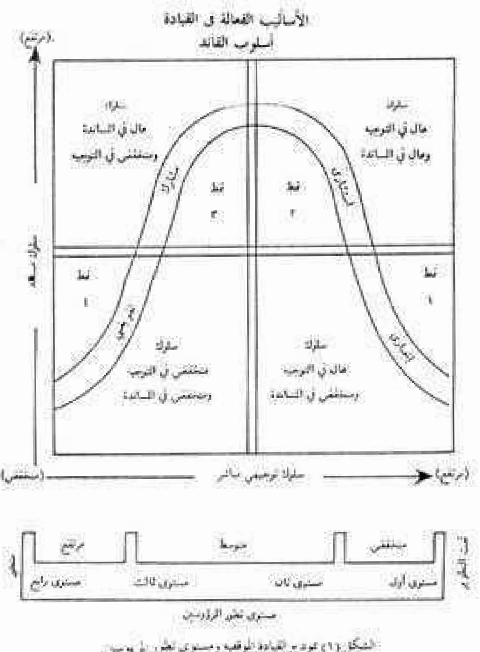
### نظرية الموقف بين القبول والرفض

يرى بعض المؤيدين لنظرية الموقـف أنها أسهمت بجهد كبير فى تحديد خصائص القيادة ، وذلك من خلال تركيزها على الموقف وإبرازه كعنصر هام مؤثر فى تحديد هذه الخصائص . وفى رأيهم أيضا أن نظرية الموقف ليست وحدها العاملة فى إيجاد القائد ، وإنما تهدف أيضا إلى أن السمات التى تحدد مدى الصلاحية للقيادة تتغير بتغير الموقف ، وأن الاختيار لمواجهة موقف بعينة لا يتم إلا بعد نشاط إيجابى من جانب القائد للتعرف على حقيقة الموقف .

من هنا نرى أن نظرية الموقف لاتعنى إنكار السمات الشخصية للقائد ، ولا تقلل من قيمتها .

---

(٢١) Hersey, P. & Blanchard, K.H., Management of Organizational Behavior: Utilizing Human Resources, (5th ed.). Englewood Cliffs, Prentice Hall, 1988.




الشكل (١) نموذج القيادة الموقفية ومستوى التطور

* From Paul Hersey and Kenneth Blanchard, Management of Organizational Behavior : Utilizing Human Resources, 1982, P. 248.

ولكنها تضع الموقف فى الاعتبار الأول عند تحديد السمات أو الصفات للقيادة المطلوبة .

هذه أهم الخصائص التى يقدمها أصحاب نظرية الموقف كمميزات لها . وأما عن المآخذ فيرى الراصدون لهذه النظرية أنها كثيرة ومتعددة :

أولاً : أن القائمين على هذه النظرية لم يكن بينهم اتفاق على القواعد والأسس التى تقوم عليها .

كما أنهم لم يتفقوا على عناصر الموقف الذى يمكن على ضوئه تحديد ما إذا كان الموقف ملائماً أو غير ملائم ، ويبدو هذا الخلاف واضحاً فى تحديد البعض لخصائها بثلاثة أنماط والبعض الآخر بأربعة أو نمطين فقط ، وإن كان هذا الاختلاف – فى رأى البعض – يبدو مقبولاً لأنها نظرية . والنظريات دائما تكون محلا للقبول أو الرفض ، أو الأخذ والرد[٢٢] .

وبعد ..

فإن المدارس الإدارية الكثيرة قد تقدمت بالعديد من النظريات فى خصائص وسمات القيادة الإدارية ولكنها اختلفت فيما بينها وتباينت ولم تستطع أن تصل إلى حل يرضى الجميع ، وإذا كان الأمر كذلك فلننظر ، إذا كان فى مقدور المدرسة الإسلامية أن تقدم الخصائص للقيادة الإدارية التى ترضى أقطاب الفكر فى عالمنا المعاصر – وتصلح لكل زمان ومكان .. ؟

(٢٢) د. عبدالكريم درويش ٨ – ١٩ – مرجع سابق .




تجيب عليها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

إعداد الأستاذ/ عبد المنعم فوده

السؤال من السيد/ ع . م . ع

توفى رجل عن أخوة لأم ، أخوة لأب ذكور وإناث ... فمن يرث وما نصيبه ؟

الجواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .. أما بعد فنفيد بأن لأخوة الأم الثلث فرضا لعدم من يحجبهم يقسم بينهم للذكر مثل الأنثى والباقى لأخوة الأب تعصيبا يقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى .

والله تعالى أعلم ،،،

السؤال من السيد/ ج . أ . ح

توفى رجل عن زوجة ، وأخ ، وأخت لأم ، أخ شقيق ... فمن يرث وما نصيبه ؟

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ... أما بعد فنفيد بأن للزوجة الربع فرضا لعدم وجود الفرع الوارث ، وللأخ والأخت لأم الثلث فرضا لعدم وجود من يحجبهما يقسم بينهم بالتساوى للذكر مثل الأنثى والباقى للأخ الشقيق تعصيبا .

والله تعالى أعلم ،،،

السؤال من السيد/ م . س . ع :

هل الغيبة والنميمة والكذب تبطل الصوم ؟

الجواب

ليكن معلوماً أن هذه الأمور محرمة فى رمضان وغير رمضان ، وهى فى رمضان أشد تحريماً لأن الصوم امساك ينبغى أن يكون عن جميع المشتهيات وماتسول به النفس .

ويكن معلوماً أيضا أن هناك فرقاً بين بطلان الصوم وبطلان ثوابه ، فبطلان الصوم معناه وجوب قضائه كالذى يأكل أو يشرب عالماً متعمداً يبطل صومه وعليه القضاء ، وبطلان الثواب معناه أن الصوم صحيح لايجب قضاؤه ، ولكن ضاع ثوابه فالذى يقترف إثم الغيبة أو الكذب مثلا صح صومه وبطل ثوابه ، فقد تعب بالجوع والعطش ولم يحصل على ثواب لهذا التعب ، وقد جاء فى الحديث الصحيح أن النبى ﷺ قال «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه» ، كما صح أيضا «رب صائم ليس له من صيامه الا الجوع ، وقائم ليس له من قيامه الا السهر» وروى فى حديث مقبول أن النبى ﷺ قال فى المرأتين اللتين كانتا تغتابان الناس فى نهار رمضان «صامتا عما أحل الله ــ وهو الطعام والشراب ــ وأفطرتا على ماحرم الله» وهو لحوم الناس بالغيبة . وقال بعض الأئمة ببطلان الصيام وبطلان ثوابه بسبب الغيبة ، ويجب قضاء هذا اليوم .

والله تعالى أعلم ،،،

السؤال من سيدة/ ايناس من الجمهورية العربية السورية

ماحكم الشريعة الإسلامية فى البيوع بالأجل ؟

الجواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .. أما بعد فنفيد بأن البيوع بالأجل جائزةشرعاً بشروطها المعروفة وألا يكون فيها استغلال لأن الزمن له حصة من الثمن ولهذا يفرق الشرع بين البيع بالنقد الحالى والبيع المؤجل مبيحا أن يزيد الثانى عن الأول بشرط أن يحدد الثمن الذى سيأخذه البائع ، والزمن الذى يستحق فيه هذا المبلغ .

والله تعالى أعلم ،،،

السؤال من السيد/ محمد أحمد عبدالفتاح

شاب خطب فتاة وقدم لها شبكة ومهر حسب الاتفاق وبعض الهدايا المستهلكة والغير مستهلكة ثم فسخت الخطبة لأسباب رآها الخاطب فما الحكم ؟

الجواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد فنفيد بأن الشبكة جزء من المهر والمهر لاتستحقه المخطوبة الا بالعقد عليها وحيث أن الخاطب فسخ الخطبة ولم يتم العقد عليها فإن الشبكة والمهر تردان الى الخاطب وليس للمخطوبة حق فيهما لأنها أجنبية .

أما الهدايا المستهلكة لاترد الى الخاطب وانما تكون من حق المخطوبة والله تعالى أعلم ،،،




للأستاذ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

« نصـيحة »

**قال الإمام أبو طالب المكى ـ رضى الله عنه ـ جالسوا العلماء ؛ فإنكم إن أحسنتم حمدوكم ، وإن أسأتم عذروكم ، وإن أخطأتم لم يعنفوكم ، وإن جهلتم علموكم ، وإن شهدوا لكم نفعوكم .**

« التقعر فى الكلام »

قال أحد النحويين لغلامه :

هل صقعت العتاريف ؟

فقال له : زقفليم .

فقال النحوى : وما زقفليم ؟

قال الغلام : وما صقعت العتاريف ؟

قال النحوى : أردت هل صاحت الديكة ؟

فقال الغلام : زقفليم ؛ تعنى أنها لم تصح بعد !!

« لو عقلتم لعاقبتموه »

احتشد الناس لاستقبال فيلسوف . فمرت بهم امرأة ، فسألت أحدهم ، بم استحق هذا الرجل تكريمكم له ؟

فقيل لها : ويحك ؟ ألم تسمعى بالفيلسوف الذى أوجد ألف دليل على وجود الله ـ تعالى ـ فقالت : لو عقلتم لعاقبتموه ، فلو لم يقم فى ضميره ألف شك فى وجود الله ، لما اجتهد فى تقديم ألف دليل على صحة وجوده .

« اختيـار صـعب .. »

كان الحسن بن على ـ رضى الله عنه ـ جالساً عند باب داره فى الكوفة ، إذ جاء أعرابى فسبه وسب أباه وأمه ، فنهض الحسن بن على قائلا :

« أيها الأعـرابى ؛ أجوعـان أنت حتـى أطعمك ، أم ظمآن حتى أرويك ، أم ماذا بك ؟

فلم يلتفت الأعرابى إليه ، بل استمر فى سبابه ، فأمر الحسن عبده أن يأتى بكيس من الفضة ، ثم أعطاه للرجل قائلا : « عفواً أيها

الأعرابى ، فليس لدى غيره ولو كان لدى المزيد لأعطيتك » .

وعندما سمع الأعرابى منه هذا القول صاح :

أشهد أنك ابن بنت النبى ﷺ فقد جئتك أختبر حلمك .

## « الأزواج ثلاثـة »

زوج بَهْر : وهو الذى يبهر العيون بحسنه وهيئته .

وزوج دهر : أى يجعل عدة للدهر ونوائب العيش ومتاعه .

وزوج مهر : أى لا يستفاد منه ولا ينتفع منه بشىء سوى المهر .

## « حقـاً »

إذا حلت الغفلة فى القلوب ، استولى عليها الذهول ، وانسدت بصائرهـا ، وانتـفت فهومها ، واستمسكت أقفالها ، وتراكمت ظلماتها .

## العلم بالله ـ تعالى ـ

لما مات سيدنا عمر ـ رضى الله عنه ـ قال ابن مسعود : مات تسعة أعشار العلم فقيل له : أتقول ذلك ، وفينا جُلَّة الصحابـة ـ رضوان الله عليهم ـ ؟

قال : لم أرد علم الفتيا والأحكام وإنما أريد العلم بالله ـ تعالى ـ .

## « هكـذا أمـرنا »

حكى الشعبى قال : ركب زيد بن ثابت ، فدنا منه عبدالله بن عباس ، فأخذ بركابه .

فقال : لا تفعل يا ابن عم رسول الله ﷺ .

فقال : هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا .

فقال زيد : أرنى يدك ، فأخذها وقبَّلها وقال : هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ .

## « أجود الناس وأذلهم »

قيل لحكيم : من أجود الناس ؟

قال : من جاد من قلة ، وصان وجه السائل من المذلة .

ومن أذل الناس ؟

قال : أذل الناس معتذرٌ إلى لئيم .

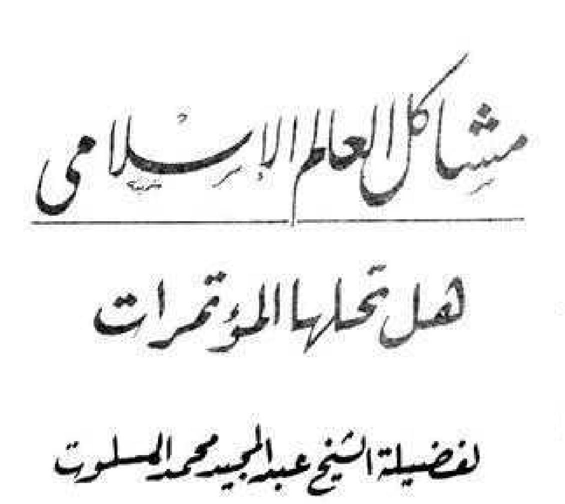
## « الصواب من الله والخطأ منى »

عن ابن سيرين قال : لم يكن أحد أهيب بما لا يعلم من أبى بكر ـ رضى الله عنه ـ ولم يكن أحد بعد أبى بكر أهيب بما لا يعلم من عمر ـ رضى الله عنه ـ ، وإن أبا بكر نزلت به قضية ، فلم يجد فى كتاب الله منها أصلا ، ولا فى السنة أثرا فاجتهد برأيه ثم قال : هذا رأيى فإن يكن صوابا فمن الله ، وإن يكن خطأ فمنى واستغفر الله .

## « دعـاء »

اللهم إنى أبرأ من الثقة إلا بك ، ومن الأمل إلا فيك ، ومن التسليم إلا لك ، ومن التفويض إلا إليك ، ومن التوكل إلا عليك ، ومن الطلب إلا منك ، ومن الرضا إلا عنك ، ومن الذل إلا فى طاعتك ، ومن الصبر إلا على بلائك .





# مشاكل العالم الإسلامى

## هل تحلها المؤتمرات

## من روائع الماضى بمجلة الأزهر

لفضيلة الشيخ عبد المجيد محمد المسلوت

إعداد وتقديم الأستاذ / عبد الفتاح حسين الزيات

من حين لآخر يعقد فى بعض البلاد الإسلامية مؤتمر لمناقشة أحوال المسلمين ، والعمل على حل مشاكلهم فإذا كانت خدمة الإسلام والمسلمين هى الهدف الأصيل لهذه المؤتمرات ، فإن واجب الداعين له والساعين إليها أن يمسحوا البلاد الإسلامية مسحاً دقيقاً يطهرها من كل دخيل أو خائن دساس ، أو عميل متسلط .

وليعلم الداعون إلى هذه المؤتمرات أن التاريخ قديمه وحديثه يؤكد على أن أعداء الإسلام فى ماضيه هم أعداؤه فى حاضره ، وإن اختلفت الأساليب فواجب أن تتحد الكلمة وتتوحد الآراء وتنبذ الخلافات وتدفن الأحقاد وتطمر الضغائن وتصفو النفوس إذا أردنا من هذه المؤتمرات نتيجة ترفع من شأن المسلمين ، وتدافع عنهم ، هذا هو الحق ، وإلَّا فالعفاء .

قال الأستاذ رحمه الله :



يحث الإسلام فى صميم دعوتـــه ، ولب رسالته ، على العزة والكرامة والقوة ، ويدعو المسلمين دائماً أن يكونوا أعزة على أعدائهم ، أقوياء فى نفوسهـم لا يستسلمون لضعـف ، ولا يخضعون لهوان وذلة ، تحل بهم النعمة فلا يطغيهم بريقها ، ولا يبطرهـم رونقهـا ؛ بل يحترسون منها أشد من احتراسهم من النقمة . وتطوف بهم الشدائد ، وتنزل بساحتهم المحن فلا تنال منهم ، ولا يستقر لديهم أثرها إلا بمقدار ما يقتبسون منها العبرة الحسنـة ، والموعظة البالغة ، ذلك أن عدتهم فى الملمات ، وسلاحهم فى الأحداث هو كما رسمه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه بقولـه : «إنى لا أعـد للحادث الذى يحدث سوى طاعة الله ورسوله ، وهى عدتنا التى بلغنا بها ما بلغنا» ، وبهذا كان المسلمون أقوى الناس حين كان المسلم يستشعر سلطان ربـه على نفسه ، ورقابته على أفعالـه وتصرفاته ، لا تستهويه شهوة ، ولا تفتنه لذة ، ولا يظهـر للنـاس بمسوح الرهبـان ، وأردية العباد ، وبين جنبيه ذئاب عاوية ، وكـلاب نابحة ، لا تعيش إلا فى ظلال الإثم ، وتحت جنح المعصية .

كان للمسلم ظاهر يشوق الأنظار ، ويستهوى الأنفس ، وباطن طاهر نظيف يحمده من يطلع عليه ، ويلمس أثره ، وكـلاهما يستويـان فى الصدق والصراحة والنجدة والفناء فى الجماعة . قد يختلف الأخ مع أخيه فى الرأى ، أو يفترق فى الوجهة ، ولكنهم كانوا يقابلون العـدو صفـا مرصوصاً ، لا ثغرة فيه ، ولا ضعف يعتريه ــ كانوا يؤمنون إيماناً صادقاً أن ما وهبهم الله من عزة بالدين ، وقوة فى اليقين ، هو شارة المجد ، ودليل السيـادة ، وأنهم بذلك خلفـاء فى الأرض ، ينشرون الفضيلة ، ويمكنون للعدالة ، ويرفعون لواء الأمن والاستقرار ، وبهذه العقيدة القوية التى خامرت القلوب ، وسكنت فى أعماق النفوس ، وبهذا الإيمان الراسخ استطاع أفراد قلائل أن يثبوا على ملك كسرى ودولة قيصر صائحين بدعوة الحق والعدل ، مرددين من أعماقهـم شعار الإسلام وكلمته « لا إله إلا الله محمد رسول الله » ، ووقـف التـاريخ يسجـل فى دهشة ، والعــالم يرنو فى إعجـاب ، والمشفقـون يتطلعـون إلى الفاتحين ، وضعوا أيديهم على جنات وعيون ، وزروع وكنوز ومقام كريم . ولكن الدنيا كانت لا تزن فى نفوس هؤلاء المؤمنين جناح بعوضة ، والشيطان كان أضعف من أن يفتنهم بأغراض زائلة جعلوها تحت أقدامهم ، حتى لقد بكى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ حين أتى إليه بتاج كسرى وعليه من الجواهر واليواقيت مالم تقع عليه عين عربى قط ، وقال : «اللهم إنك قد منعت هذا نبيك ورسولك ، وكان أحب إليك منى وأكرم ، ومنعته أبا بكر وكان أحب إليك منى وأكرم ؛ فأعوذ بك أن تكون أعطيتنيه تمكر بى» ومازال يبكى حتى رحمه من حوله .

تلك حال المسلمين الأولين الصالحين الذين فتحوا الدنيا ، وعمروا الأرض ، وأقاموا ميزان العدل ، وجعلوا النـاس كما أمر الله سواسية كأسنان المشط .

ثم دالت على المسلمين أحداث ؛ وتعاورتهم خطوب أضعفت نفوسهـم ، وأرخت صلتهم بربهم ، وجلبت القسوة والنسيان إلى قلوبهم ؛ فاغتروا بما تهيأ لهم من زهـرة الدنيـا وزينتها واستسلمـوا للشهـوات الطاغيـة ، وخضعـوا

للأهواء القاتلة ، وعكف كل على هواه ، وانطوى على رغباته لا يعنيه سوى أن يأكل ويتمتع ، ويحطب من كل ناحية ويجمع ، وإن قتل أخوه جوعاً ، وقضى جاره مخمصة ، ومن هنا طمع فيهم العدو ، وتمكن منهم الدخيل ؛ فاغتصب حقوقهم وامتص دماءهم ، واستلب أموالهم ، واحتل ديارهم ، وسلط جماعة على جماعة ، وأغرى فريقا بفريق .

هاهى ذى بلاد المسلمين ودولهم أصبحت نهبا للطامعين ولقمة سائغة للنهازين المستغلين ، كل بلد[1] قد فتّ فيها الاستعمار ، وأنهك قواها العدوان ، ودب فيها دبيب الفرقة والشقاق ، وخدعها الغاصب بالأكاذيب والأضاليل ؛ حتى زعزع إيمان الناس ، وأضعف عقائدهم ، وجعل غايتهم المنفعة وهدفهم أن يعيشوا على موائد الطامعين .

كل دولة قد استغلت مرافقها ، واستبيحت أرضها وديارها ، وزروعها ومنتجاتها للأجنبى الذى يحاول دائماً أن ينسيها مقوماتها ، ويقضى على تراثها ، ويهدم مقدساتها ، ويجعل أفرادها عبيداً يخرجون له من الأرض ذهباً ، ويجعلون له فى الهواء سبباً ، ورضى المسلمون بهذا ، وأقاموا آمادا لا تمر بهم السنون والأعوام إلا لتزيدهم بلادة وانتكاساً ، وظلمة على القلوب وقسوة فى النفوس .

ولكن شعاعاً من الإيمان كان يضىء لهم بين حين وآخر وصوتاً مجلجلا من أعماق التاريخ كان يهتف بهم أحياناً ، ليوقظهم من غفلتهم ، ويحركهم من ركودهم ، فكان يثور الثائرون ويتمرد المتمردون محاولين القضاء على ما أصابهم من بغى أو لحقهم من ضيم ، ولكنهم لا يلبثون أن يلقوا أشد أنواع العذاب وأقسى ضروب النكال ، وتنتهى حياتهم بالسجن أو التشريد والموت الذى لا رحمة فيه .

قد يرضى الراضون طمعاً فى غنم آثم ومكسب حرام ، وقد يتملق المتملقون فيكسوهم العدو الحرير ، ويجعل تراب الأرض من تحتهم تبرا ، ولكن ذلك ليس حبا فيهم ، ولا إيثاراً لهم ، بل ليفتن المؤمنين ويزعزع عقائد المجاهدين حتى لقد بلغ الأمر أن رأينا بعض ضعاف الإيمان صغار النفوس يحملون سلاحهم على إخوانهم تأييدا للاستعمار ، وتثبيتاً لأقدامه . أليس هذا من الفساد الذى يدمى القلوب ويفتت الأكباد ؟ أليس هذا من تحلل العقيدة وفساد الضمائر ؟

لقد شرب المسلمون المر من خصومهم ، وهم أشداء قساة القلوب غلاظ الأكباد ، ولو أتيح لى أن أنشر بعض ما أعرف من الوسائل البربرية ، والطرائق الهمجية التى يعذب بها المسلمون ، ويفتنون عن دينهم ، ويحاربون فى عقائدهم ومشاعرهم ، ويكرهون على نسيان مقوماتهم ومقدساتهم ، وحتى أسمائهم - لو أتيح لنا هذا لعرف الناس ما ينزل بإخوانهم من ألوان الفجائع التى تقشعر منها الأبدان ، وتشيب لهولها الولدان .

ونحن نخدع أشد الخديعة حين نفهم أن لوناً من ألوان الاستعمار أخف من لون ، أو أن عدواً أهون من عدو ، أو بعض هذه الدول المعتدية المستغلة أكثر رفقاً وأشد عطفاً على المسلمين من بعضها الآخر . كلا إن الغاية واحدة هى القضاء على الإسلام حتى يعبد الشيطان فى الأرض من دون الله ، والهدف واحد هو كسر هذه الشوكة التى تخز جنوبهم ، وتفت فى أعضادهم وإن

تعددت الوسائل وتنوعت الأسباب .

ها هم أولاء المسلمون فى افريقيا شمالها وجنوبها وشرقها وغربها ، وفى أسيا وأوربا ، يتسلط عليهم أعداء لا يرقبون فيهم ضميراً ، ولا يرعون أقل واجبات الإنسانية ؛ فإذا أقيمت بعيداً عنا أستار حديدية تحجب صيحة الصائحين ، وآهة المتأوهين فقريب منا ألوان بشعة من الفتنة والاضطهاد يستمع إليها الضمير العالمى دون أن يستخذى وأن يخجل ، ومن غير أن يحس بعاطفة رحمة ، أو خالجة إنسانية .

ماذا صنع المسلمون للذود عن حماهم ، والدفاع عن ديارهم وأنفسهم ؟ ماذا قدموا من جهاد وتضحيات ؟ ماذا بذلــوا من أرواح وأموال ؟ أى خطوة إيجابية رمقتها العيون أو سمعت بها الآذان ؟ نسمع كل آن بمحاولات للعلاج فى شكل مؤتمرات تعقد ، وتــكثر وتتعدد ، ويخف المؤتمرون ويتسابق المتسابقون إلى حضور المؤتمرات ، وتنميق الخطب ، وتدبيج البيانات ، ويحاول كل خطيب أن يكون جهير الصوت ، رائع العبارة ، واضح الإشارة ، بليغ الأسلوب ، رابط الجأش ، يهز المنبر بما يستطيع من نصاعة الحجة ، وقوة الدليل ، وحسن سوق الفكرة ، وتضيع الأهداف الحقة وتبدد الأغراض المشتركة فى زحمة الإعجاب بالبلاغة والإنصات للسحر البيانى ينساب من أفواه الخطباء . وتحفل الموائد بالأطعمة التى تسابق الخطابة فى الإتقان والجودة ، ثم ينفض المؤتمرون وقد سطروا على الصحائف بضعة قرارات لا يلبث الزمن أن يطمس آثارها ، ويمحو معالمها فلا يبقى فى النفوس منها شىء .

لقد عقدت مؤتمرات كثيرة ، وسجلت محاضرها ومناقشاتها آراء واقتراحات تمخضت عنها عقول ، وتفتقت بها دراسات . فماذا بقى لنا منها بعد ذلك ؟ أى فكرة تحققت ، وأى ثمرة قطفت ؟ ماذا كسب المسلمون المشتتون داخل صفوف الأعداء وهم يرقبون الفرج وينتظرون ساعة الخلاص ؟ لقد أوشك صبرهم أن ينفد وكاد أملهم أن يتبدد ، والناس لا يزالون فى حمى المؤتمرات تائهين .

أنا لا أحارب هذه المؤتمرات ، ولا أكره انعقادها ؛ بل أدعو إليها وأجندها ؛ ولكنى أريد أن نؤمن بما نتخذه من قرارات ، وأن ننفذ ما نتفق عليه من آراء ، وأن نكافح ونجاهد فى سبيل ما نعتقد من رأى ، وما ندين به من فكرة ؛ أما أن نقول وننسى ، ونخطب ثم تذهب الخطب أدراج الرياح فذلك مالا يتفق وما نشكوه من داء ، أو يساورنا من أمراض . يجب أن نحاسب أنفسنا فى كل مؤتمر عما نفذناه من قرارات المؤتمر الماضى ، ليعرف الجميع أننا نسير إلى هدف ونتجه إلى غاية .

وبعد ـ فهل لى أن أتوجه إلى السادة المجاهدين الذين تملأ الغيرة قلوبهم ويسكن الإخلاص نفوسهم برجاء أن تتكون فى عواصم البلاد الإسلامية جمعيات قوية لإعداد المكافحين من كل لون وجنسية وتسليحهم بالأخلاق والعزائم والإيمان بالأهداف حتى إذا تم تدريبهم وآمنوا برسالة الإسلام فى أبعد غاياتها انطلقوا فوراً إلى بلادهم ، يوقظون النائم ، وينبهون الغافل ، ويحملون راية الجهاد حتى يرتفع لواء الإسلام ، وتعلو كلمة الله . وإن لنا لعودة إن شاء الله إلى بيان الوسائل التى ينهض بها المسلمون والله المستعان .






الأستاذ الدكتور

# أحمد محمد الشعراوى

(١٩٠٩/٩/٥ - ١٩٩٠/٤/١٤)

للأستاذ/ محمود عبد الرازق عقباوى

**الحديث عن أستاذنا الشيخ أحمد محمد الشعراوى سخىّ يغرى بالكتابة ، وإن تآليفه الثمينة تجعل الحديث عنه لزاما واجب الوفاء له ؛ فرأيه صائب ومعرفته ناضجة وحكمته راشدة يتحلى من الأخلاق بأطيبها وأزكاها .**

**ولقد أفاض الله عليه فمنحه الفهم والاعتبار ، جمع القلوب حوله بإخلاصه وجذب الأفئدة نحوه ببلاغته وحسن بيانه .**

**مولــده :** ولـــد ـ رحمه الله ـ فى ١٩٠٩/٩/٥م بالجعفرية محافظة الغربية مسقط رأسه ونبت غرسه وتعلم فى المعهد الأحمدى بطنطا ـ ثم دخل كلية اللغة العربية وتخرج منها ونال العالمية بدرجة أستاذ فى البلاغة عام ١٩٤٢م .

**وظائفه :** عين مدرسا بكلية اللغة العربية فى ١٩٤٢/١٠/١٧م وتدرج فى عمله بها حتى صار أستاذاً فى ١٩٦٤/١٠/١١ ، ثم ندب وكيلا لكلية البنات الاسلامية فى ١٩٦٥/٣/٢١ ثم تم نقلـــه إليها وكيـــلا لها لمدة عامين من ١٩٦٥/٦/٢١ .. ثم جدد تعيينه وكيلا للكلية

لمدة سنتين من ١٩٦٧/٦/٢١ كما عين رئيسا للجنة إحياء أمهات كتب السنة بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية فى ١٩٧٣/٣/١٣ حتى سنة ١٩٧٩ .

وفى ١٩٧٣/٩/١٣ ندب وكيلا للجامعة لشئون الدراسات العليا بالقرار الوزارى رقم ٣٤١ سنة ١٩٧٣ .

وحصل على وسام الاستحقاق من الطبقة الأولى فى عهد الرئيس الراحل محمد أنور السادات .

**مؤلفاته :**

١ ـ دراسات فى الأدب العربى وتاريخه .

٢ ـ دراسات فى تاريخ الأدب العربى فى العصر العباسى الثانى فى الأندلس .

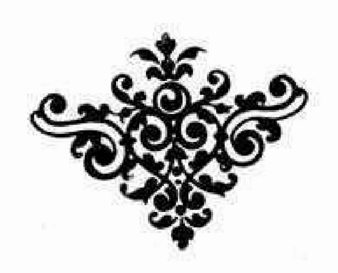
٣ ـ نصوص من الأدب الإسلامى والأموى ـ شرح ـ تحليل ـ نقد .

٤ ـ من حديث الأدب العربى فى العصر العباسى الثانى ٣٣٤ ـ ٦٥٦هـ .

وأسلوب أستاذنا فى كتبه لا ادعاء فيه ولا مغالاة ، وقلما يخلو بيانه الأدبى من نادرة ظريفة أو عبارة طريفة ، كذلك لا تجد فيه تكلفا ولا تأويلا ممقوتا ، وتجد ملامح قوته وأصالته باديين فى جوانب تآليفه ـ فقد ألف الأدب طائعا فسار إليه راضيا ، ولقد كان لأبنائه نعم المشجع والنصير ، قاذنا برجاحة عقله وسجاحة خلقه ودماثة سجاياه حى صار فى أفواهنا الحديث السائغ الهنى وفى سمعنا وأبصارنا بقية الأمانى الحلوة السعيدة فله الشكر على ما أسداه إلينا من علم وخلق ، وما تعهدنا به من نصح وإرشاد .

توفى ـ رحمه الله ـ يوم الجمعة ١٧ من رمضان سنة ١٤١١هـ ـ ١٤ من ابريل سنة ١٩٩٠م وككل عظيم لايزال بعد موته منهلا عذبا تشع منه الحكمة ونبل الذكر ..

رحمه الله رحمة واسعة وجزاه خيرا على ما قدّم ، والله يوفقنا لخدمة الدين والعلم والإخلاص لوطننا إنه سميع مجيب .






## ومآثره فى العلوم الكونية

عرض وتحليل م . د . أحمد فؤاد باشا

هو أبو الريحان محمد بن أحمد البيرونى ، ولد فى «بيرون» بالقرب من مدينة «كاث» عاصمة خوارزم سنة ٣٦٢هـ/٩٧٣م ، وبقى فى وطنه حتى بلغ الخامسة والعشرين ، حيث تلقى العلم على يد أبى نصر منصور بن على بن عراق ، واتصل فى هذه الفترة بابن سينا وكانت بينهما مراسلات ، ثم هاجر بسبب التقلبات السياسية إلى «جرجان» واستقر هناك نحو خمسة عشر عاماً نشر خلالها أول مؤلفاته الكبرى عن التقاويم والتواريخ ومسائل فى الفلك والرياضيات وهو «الآثار الباقية عن القرون الخالية» .

وفى عام ٤٠٧هـ/١٠١٧م لحق البيرونى ببلاط السلطان محمود الغزنوى ثم رافقه فى غزواته فى شمال غربى الهند مما أتاح له فرصة تعلم عدد من لغات الهنـــد ، ودراسة الديانات الهندية والفلسفة الهندية بلغات أهلها ، وبعد تولى السلطان مسعود بن محمود الغزنوى زاد ارتباط البيرونى ببلاط غَزْنة (فى كابول بأفغانستان الآن) وظل متصلا به إلى أن وافاه الأجل بُعيد سنة ٤٢٢هـ/١٠٥٠م حسب أغلب الروايات .

وأثناء المدة التى قضاها البيرونى فى الهند ألف كتابه «طريق الهند» أو «تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة فى العقل أو مرزولة» ، وعندما عاد الى غزنة ألّف موسوعته الفلكية «القانون المسعودى فى الهيئة والنجوم» وأطلق عليه هذا الاسم نسبة إلى السلطان الغزنوى مسعود بن محمود وجاء فى «دائرة المعارف الإسلامية» أن البيرونى لما أهدى هذا الكتاب إلى السلطان مسعود أراد السلطان أن يجزيه على هذه الهدية الثمينة فأرسل له حِمْل ثلاثة جمال من نقود الفضة ، لكن البيرونى ردّها لأنه إنما يخدم العلم للعلم لا للمال .

ويعتبر البيرونى من أكثر علماء المسلمين موسوعية ولم يدَع بابا من أبواب العلوم المعروفة فى عصره إلا وطرقه ، وقد أحصى بنفسه الكتب التى ألفها فى مختلـــف الموضوعات وذكر أنها بلغت ٤١٧ كتابا لما بلغ هو ٦٥ سنة قمرية (حوالى ٦٣ عاما شمسيا) . وتعَلّم عدة لغات منها السريانية والسنسكريتية والعبريـــة والفارسيـــة ، بالإضافة إلى العربية التى أحبها وفضل التأليف بها وقال عنها : «إن الهجو بالعربية أحب إلىّ من المدح بالفارسية» .

---

* الكاتب : أستاذ الفيزياء بكلية العلوم جامعة القاهرة ، والمقال بمناسبة انعقاد مؤتمر «المسلمون فى آسيا الوسطى والقوقاز .. الماضى والحاضر والمستقبل» فى رحاب جامعه الازهر وتحت رعاية فضيلة الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر خلال الفترة ١٠ ـ ١٢ ربيع الأخر ١٤١٤هـ/٢٧ ـ ٢٩ ستمبر ١٩٩٣م

وقد أشاد بمكانة البيرونى العلمية كبار مؤرخى العلم من أمثال ساخاو وسارتون ومايرهوف وألدوميللى وكارلو نيللينو وغيرهم .

## الروح العلمية عند البيرونى :

أتصف البيرونى بروح علمية عالية ، ونهج منهج الاستقراء التجريبى فى أبحاثه ودعا إلى تحصيل العلم من أى مصدر أو لغة ، وكانت بحوثه تتميز بالمقارنة وتحرى الحقيقة ، ولم يتبنَّ من آراء الأولين إلا ما وافق الواقع التجريبى . وفوق ذلك كله كانت للبيرونى رسالة سامية تجلت فى ثنايا مؤلفاته وانعكست فى سلوكه وسياحاته ، فهو يرى فى وحدة الاتجاه العلمى تحقيقا لإنسانية العلم ، وكأنه كان يدعو إلى إدراك وحدة الأصول الإنسانية والعلمية بين جميع الشعوب فى عالم واحد . ففى بعض مؤلفاته يطرى اليونانيين ، ويطرى العرب ولغتهم ، وينصف الهنود ، ويعدد مزايا كل من هذه الأقوام ، ويأتى بآراء ونظريات تدلل على إيمانه بالوحدة الشاملة التى يؤدى إليها العلم ، فيوحد بذلك بين الثقافات التى تبدو متنافرة ، ويدعو إلى التفاهم على أساس المنطق والحقيقة[1] وكان يحرص على إبراز هذه السمات المنهجية فى ثنايا مؤلفاته المختلفة ، فهو ـ على سبيل المثال ـ يقول فى مقدمة كتابه «القانون المسعودى» : « .. إنما فعلت ما هو واجب على كل إنسان أن يعمله فى صناعته من تقبل اجتهاد من تقدمه بالمنة ، وتصحيح خلل إن عثر عليه ، وتخليد ما يلوح تذكرة لمن تأخر عنه فى الزمان وأتى بعده .. والبرهان من القضية قائم مقام الروح من الجسد وبجملة النوعية يحصل العلم بالاستيقان لاقتران الحجة به والتبيان ، كما يقوم بمجموع النفس والبدن شخص الإنسان كاملا للعيان » . ويقول فى مقدمة كتابه النفيس «الآثار الباقية عن القرون الخالية» : «و«وابتدى فأقول : إن أقرب الأسباب الى ما سألت هو معرفة أخبار الأمم السالفة وأنباء القرون الماضية ، لأن أكثرها أحوال عنهم ورسوم باقية من رسومهم ونواميسهم ولا سبيل إلى التوسل إلى ذلك من جهة الاستدلال بالمعقولات ، والقياس بما يشاهد من المحسوسات ، سوى التقليد لأهل الكتب والملل .. ثم قياس أقاويلهم وآرائهم فى إثبات ذلك .. بعد تنزيه النفس عن العوارض المردئة لأكثر الخلق .. والأسباب المعمية لصاحبها عن الحق ، وهى : كالعادة المألوفة ، والتعصب ، والتظاهر ، واتباع الهوى ، والتغالب بالرئاسة ، وأشباه ذلك[2]» .

## بعض مآثر البيرونى فى العلوم الكونية :

لا يتسع المجال هنا لذكر مآثر البيرونى فى العلوم الكونية على سبيل الحصر ولكن يمكن إيجاز بعض هذه المآثر على سبيل المثال فيما يأتى :

---

(١) قدرى حافظ طوقان ، تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك ، ودار الشروق ، بدون تاريخ للنشر ٣١٦

(٢) راجع فى ذلك :

ـ قدرى حافظ طوقان ، مرجع سابق ، ص ٣١٥

ـ د. أحمد فؤاد باشا ، التراث العلمى للحضارة الإسلامية ومكانته فى تاريخ العلم والحضارة ، القاهرة ١٩٨٤

ـ د. زغلول راغب النجار ود. على عبدالله الدفاع . إسهام علماء المسلمين الأوائل فى تطور علوم الأرض ، مكتب التربية العربى لدول الخليج ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م

١ – سبق البيرونى علماء العصر الحديث إلى القول بأهمية اعتبار الطول المفرط فى الزمن لتفسير التغيرات التى طرأت على القشرة الأرضية لأن العمليات المؤثرة – رغم تفاوت حدَّتها – تستغرق وقتا طويلا لتبنى أو تزيل الملامح الأساسية لوجه الأرض .. ومما يدل على ذلك قوله فى وصف العصور الجيولوجية : « وعندما ندرس السجلات الصخرية والآثار العتيقة نعلم أن هذه التطورات والتحولات لابد أن استغرقت دهوراً طويلة تحت ضغط البرد أو الحر ، الأمر الذى لا نعرف وصفه أو قدره ، فإننا نشاهد الماء والهواء حتى فى أيامنا هذه يشغلان وقتا طويلا فى إتمام عملهما ، أما التطورات التى طرأت فى العصور التاريخية فقد درست وسجلت فى الصحائف » .

ومن أوضح الأمثلة على عمق تأملات البيرونى واهتماماته الجيولوجية نظريته فى تكوين سهل الهندستان والتى يشرحها هو بنفسه فيقول : « وأرض الهند من تلك البرارى يحيط بها من جنوبها بحرهم المذكور (المحيط الهندى الآن) ومن سائر الجهات تلك الجبال الشوامخ ، وإليها مصاب مياهها ، بل لو تفكرت عند المشاهدة فيها ، وفى أحجارها المدملكة الموجودة إلى حيث يبلغ الحفر : عظيمة بالقرب من الجبال وشدة جريان مياه الأنهار ، وأصغر عند التباعد وفتور الجرى ، ورمالاً عند الركود والاقتراب من المغايض والبحر .. لم تكد تصور أرضهم إلا بحراً فى القديم قد انكبس بحمولات السيول» .

وحول تكوين القشرة الأرضية وما طرأ على اليابسة والماء من تطورات خلال الأزمنة الجيولوجية المختلفة يقول البيرونى : « ينتقل البحر إلى البر ، والبر إلى البحر فى أزمنة ، إن كانت قبل كون الناس فى العالم فغير معلومة ، وإن كانت بعده فغير محفوظة ، لأن الأخبار تنقطع إذا طال عليها الأمد وخاصة فى الأشياء الكائنة جزءاً بعد جزء بحيث لا تفطن لها إلا الخواص .. فهذه بادية العرب وقد كانت بحراً ، فانكبس حتى إن آثار ذلك ظاهرة عند حفر الآبار والحياض بها ، فإنها تبدى أطباقا من تراب ورمال ورضراض ثم فيها من الخزف والزجاج والعظام ما يمتنع أن يحمل على دفن قاصد إياها هناك ، بل تخرج منها أحجارا إذا كسرت كانت مشتملة على أصداف وودع وما يسمى « آذان السمك » : إما باقية فيه على حالها ، وإما بالية قد تلاشت ، وبقى مكانها خلاء متشكلًا بشكلها[٣] » .

ويلاحظ أن البيرونى فى هذا النص وضع أساسا لعلم الحفريات فعرّفها بأنها كائنات حية عاشت فى العصور القديمة ، وتوصل إلى ما نعرفه عنها حاليا من أنها قد تكون عبارة عن الكائن نفسه بجميع أجزائه مثل حفريات النمل والبعوض وبعض الحشرات التى توجد متحجرة ومحفوظة فى الكهرمان ، أو تكون بقايا الأجزاء الصلبة الهيكلية فقط ، مثل الأصداف والمرجان وعظام الحيوانات الفقارية . وتوجد هذه البقايا بدون أى تغيير فى مادتها الأصلية ، أو توجد متحجرة بعد استبدال مادتها بمادة أخرى كالجير أو «السيليكا» . وقد تكون الحفرية مجرد طابع خاص أو أثر لبقايا الكائن الحى على الصخور التى كان يعيش عليها عندما كانت رخوة لم تتصلب بعد ، وعندما تتصلب بمرور الزمن تحتفظ بهذه الطوابع أو هذا الأثر فيها .

(٣) راجع د. أحمد فؤاد باشا ، مرجع سابق ص ١٢٧

٢ ـ أرسى البيرونى فى كتابه «الجماهر فى معرفة الجواهر» الأساس العلمى لعلوم المعادن والتعدين ، واستطاع أن يصنف المعادن المختلفة عن طريق خصائصها الفيزيائية . فأثبت بطريقة عملية أن الماس أصلب المعادن ويليه الياقوت الذى هو حجر كريم تابع لمعدن «الكوراندم» **Corundum** وكان هذا أساسا لمقياس الصلابة الذى يستعين به العلماء حاليا لمعرفة صلابة أى معدن مجهول . كذلك طور البيرونى جهازا لقياس الوزن النوعى للمعادن بدقة تطابق تقديرات علماء العصر الحاضر بالرغم من اختلاف المستوى التقنى للآلات والأجهزة التى استعملت قديما وحديثا .
وكان البيرونى يصف المعادن ويذكر مناطق وجودها وكيفية استخراجها من مناجمها ويبين فوائدها وطرق تعدينها وما يوجد معها من أخلاط وشوائب ، وهو ما يندرج حاليا ضمن علوم التعدين ، ونذكر على سبيل المثال قوله عن الياقوت أن منه الأبيض والأكهب والأصفر والأحمر ، وأن أرخص أنواعه ما يقارب البياض ، وأن عيوبه خمسة هى : الخمش ولا حيلة لنا لإزالته إذا فشى وغاص وعمق ، وخلط الحجارة وهى الصخور التى تصاحبه ، والريم وهو الوسخ ، والثقب المانع عن الشفاف ونفاذ الضوء ، واختلاف الصبغ فى أجزائه فيكون بعضها مشبعا وبعضها أبلق .

٣ ـ تحدث البيرونى عن كروية الأرض وحركتها وجاذبيتها ، ووضع نظرية بسيطة لحساب محيط الأرض لاتزال تستخدم حتى الآن .
وجمع فى كتابه «القانون المسعودى» جميع الأرصاد والنظريات الفلكية التى سبقته ، مع نقد موضوعى لها ، دون تحيز أو تعصب ، فهو لم يستبعد لأن يستدرك عليه من يأتى بعده مثلما استدرك هو على من قبله .

وجريا على عادة علماء المسلمين فى تسخير العلم لخدمة الدين اهتم البيرونى بمسألة تعيين اتجاه بلد بالنسبة لبلد آخر لأهمية ذلك فى تحديد اتجاه المصلين ، وذكر طريقتين :
أولاهما تعتمد على الحسابات المثلثية باستخدام قوانين الرياضيات المعروفة ، والأخرى هندسية بحتة أسماها «الطريق الصناعى لمعرفة سمت القبلة وغيرها» ولا تحتاج إلى الحسابات المعقدة تسهيلا للأئمة فى البلدان المختلفة .

٤ ـ حارب البيرونى مالا يصح من علم النجوم ودعا إلى بطلان التنجيم وتسخيف المعتقدين به ، وانتقد الذين يدّعون إمكانية تحويل المعادن الرخيصة إلى ذهب واهتم بدراسة عدة صناعات كانت قائمة فى زمنه ، كطلاء الأوانى الفخارية وتحضير الفولاذ المعد لصنع السيوف .
كذلك اهتم البيرونى بعلم الصيدلة ، فألف كتابا أسماه : «كتاب الصيدنة فى الطب» وفيه يعرّف الصيدلانى بأنه «المحترف بجمع الأدوية واختيار الأجور من أنواعها مفردة ومركبة على أفضل التراكيب التى خلدها له مبرزو أهل الطب ، وهذه أولى مراتب صناعة الطب ، إذا كان الترقى فيها من سفلاها إلى العليا» .. وأورد البيرونى فى هذا الكتاب معلومات كيميائية لا بأس بها وبعض الطرائق الكيميائية كالتصعيد والتسامى والتقطير والترشيح ، بالإضافة إلى تحضير عدد من المركبات الكيميائية .

وهكذا كان البيرونى عالما عبقريا حظى بتقدير علماء المشرق والمغرب فى الغابر والحاضر ، وترجم الكثير من كتبه إلى لغات عديدة .




# في القرآن الكريم والسنة النبوية والعلم الحديث

أ.د/ عبدالحكم عبداللطيف الصعيدي (*)

الحمد لله رب العالمين ، صاحب كل فضل ومولیه ، وواهب كل خير ومعطيه ، ثم الصلاة والسلام الأكملان الأتمان على سيد ولد آدم ، سيدنا محمد عبدالله ورسوله الأمين ، الذى امتن عليه ربه بنعمة العلم فقال :

﴿ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ النساء : ١١٣

ورضى الله عن كل الصحابة والتابعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .



(*) أستاذ الحشرات الاقتصادية ـ كلية الزراعة ـ جامعة الأزهر .

(١) حياة الحيوان الكبرى للدميرى جـ ١ ص ٥٠ ط : الشعب .

وبعد : فإن العصر الذى نعيشه يعتبر - بغير جدال - عصر العلم والتقنية الحديثة ، كما أن العقلاء لا يقبلون من المعارف إلا ما يستند إلى العلم ، وذلك مَطْلبٌ يُقِرُّه القرآن الكريم ويُؤَيِّده ، فَيَلْفِتُ النظر إلى التَّمسُّك بأسباب هذه القضية ، والقرآن فى ذاته أنزله الله تعالى مفصَّلًا على علم :

﴿ وَلَقَدْ جِئْنَـٰهُم بِكِتَـٰبٍ فَصَّلْنَـٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ الأعراف

كذلك يعيب القرآن - فى أكثر من موضع - على الخرَّاصين وأصحاب الظُّنون ، هذا المَسْلَك :

﴿ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴾ الأنعام : ١٤٨
و ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾

يونس : ٦٦

﴿ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾
الزخرف : ٢٠

بل ويدعو عليهم بالقتل والهلاك :

﴿ قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴾ الذاريات : ١٥

باستقرائنا للقرآن الكريم وبمطالعتنا للسنة النبوية نجد أن الحشرات قد ورد ذكرها فى جملة مواضع ، من القرآن كما حفلت السنة النبوية بالحديث عنها فى أغراض شتى بما يجعلها مادة طيبة للبحث والدراسة ، وبما يتسنى لنا فى ضوئه أن نطلق عليها « أمة الحشرات » مستأنسين فى ذلك بقول الله تعالى :

﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَـٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ﴾ الأنعام : ٣٨

كما أصبحت نتائج الدراسات والأبحاث العلمية عن الحشرات بفضل الله وافية ومستفيضة وعلى درجة عالية من الكفاية ، يمكن معه توظيفها لخدمة فهم هذه النصوص ، ومع هذا فبالرغم من توظيف حقائق العلم ومعطياته فى فهم أسرار الكون وتجليه غوامضه ، فإن حظ الحشرات من هذه المراجعات مايزال ضئيلا أو هامشيا ، وربما يرجع ذلك فيما يرجع لاستصغار شأنها ، أو لأن تناول هذا الموضوع يحتاج إلماما جيدا بالثقافة الدينية والثقافة العلمية ، وهو سبب رئيسى فى هذا الشأن ، ذلك لأن فهم النصوص القرآنية والحديث يحتاج إلماما جيداً بعلوم القرآن وعلوم الحديث ، إلماما يتيح توظيف المعلومات العلمية توظيفا سليما وينأى به عن أن يكون محاولة للى أعناق النصوص بغرض تطويعها لفكرة ساذجة أو رأى سقيم يجعلها توغل فى الإغراب بدلا من الإبانة والإعراب .

وعليه فقد بات توظيف النتائج العلمية الموثوق بها عن الحشرات فى هذا المجال أمرا ضروريا حتى تنال المعارف العلمية شرف الانضمام إلى ركب العلوم الخادمة للقرآن الكريم والسنة النبوية .

ولاشك فى أن هذا المطلب هو واجب الأكفاء القادرين على حمل هذه الأمانة ، المستعدون لخوض غمارها ، مع الوضع فى الاعتبار أن كل ما ورد فى القرآن الكريم إنما يتلقاه المؤمن بالرضا التام والقبول والتصديق ، بما فى ذلك آيات الأحكام سواء أفهم علة الحكم أو جهلها ، وإذا ما كانت هناك محاولة جادة لفهم العلة أو لفهم

التفسير فلا بأس من الأخذ بها شريطة أن تصدر عن المختصين الأكفاء ، وألا تتعارض مع الإجماع وأن يستفاد بها فى الترجيح بين رأى وآخر فى مسائل الاجتهاد . وقد رتبت هذا البحث على النحو التالى :

١ ـ المقدمة : وهى تعطى فكرة عن أهمية البحث فى هذا الموضوع .

٢ ـ حصر الآيات القرآنية التى تتحدث عن الحشرات مع ذكر مواضعها .

٣ ـ ذكر طائفة من الأحاديث النبوية التى تتعـرض لذكـر الحشرات مع الإشارة إلى مصادرها .

٤ ـ الحكمة من ذكر الحشرات فى القرآن والسنة .

٥ ـ عرض بعض النتائج العلمية عن الحشرات وتوظيفها فى خدمة العلوم الشرعية .

٦ ـ اقتراح نموذج لكيفية الاستفادة من الحقائق العلمية فى الأغراض الشرعية .

فإن كنت قد وُفقت إلى ما تصبو إليه النفس فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، وإن تكن الأخرى فحسبى أننى اجتهدت وبالله التوفيق .

**أولا : حصر الآيات القرآنية التى تتحدث عن الحشرات**

**١ ـ البعوض :**

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾ البقرة : ٢٦

**٢ ـ الجراد :**

يقول الله تعالى :

﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ الأعراف : ١٣٣

**٣ ـ دابة الأرض ( الأرضة ) :**

يقول الله تعالى :

﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾ ﴾ سبأ : ١٤

**٤ ـ الذر ( النمل الصغير ) :**

يقول الله تعالى :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ النساء : ٤٠

ويقول : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ الزلزلة

**٥ ـ القُمَّل :**

يقول الله تعالى :

﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ الأعراف : ١٣٣

**٦ ـ النحل :**

يقول الله تعالى :

﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ النحل : ٦٨ ، ٦٩

**٧ ـ النمل ( النمل الكبير ) :**

يقول الله تعالى : ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَـٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَـٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَـٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَـٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾

النمل : ١٧ ـ ١٩

**٨ ـ الفراش :**

يقول الله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴾ القارعة : ٤

ومن هذا العرض يتضح لنا أن الحشرات على دقتها ورقتها قد ورد ذكرها فى القرآن الكريم على النحو التالى :

( أ ) ذكرت الحشرات فى تسع سور من القرآن الكريم وهى :

١ ـ البقرة :

وهى السورة رقم ( ٢ ) فى ترتيب المصحف ، وهى سورة مدنية النزول وتعد من أطول سور القرآن الكريم وقد سميت بهذا الاسم وهو اسم للحيوان المعروف ( البقرة ) .

٢ ـ النساء :

وهى السورة رقم ( ٤ ) فى ترتيب المصحف ، وهى سورة مدنية أيضا ، وهى من السور الطوال .

٣ ـ الأعراف :

وهى السورة رقم ( ٧ ) فى ترتيب المصحف ، وهى سورة مكية التنزول ، وهى من السور الطوال .

٤ ـ النحل :

رقمها فى ترتيب المصحف ( ١٦ ) وهى سورة مكية طويلة ، وقد سميت باسم نوع من الحشرات هو النحل ، والنحل حشرات اجتماعية عظيمة النفع جَمَّةُ المنافع .

٥ ـ النمل :

وهى السورة رقم ( ٢٧ ) فى ترتيب المصحف وهى سورة مكية طويلة وقد سميت باسم النمل وهو من الحشرات الاجتماعية ذات السلوك المنظم فى معيشتها .

٦ ـ سبأ :

وهى السورة رقم ( ٣٤ ) فى ترتيب المصحف ، وهى سورة مكية ، ولكنها سورة قصيرة .

٧ ـ القمر :

وهى السورة رقم ( ٥٤ ) فى ترتيب المصحف وهى سورة مكية من طوال المفصل لا من طوال القرآن .

٨ ـ الزلزلة :

وهى السورة رقم ( ٩٩ ) فى ترتيب المصحف وهى سورة من قصار السور وقصار المفصل وقد

نزلت فى المدينة ، وهى ثالث سورة مدنية تذكر فيها الحشرات .

٩ ـ القارعة :

وهى السورة رقم ( ١٠١ ) فى ترتيب المصحف وهى من قصار السور وقصار المفصل أيضا ، وهى سورة مكية ، وهى خامس سورة مكية تذكر فيها الحشرات .

(ب) فالحشرات بهذا قد ورد ذكرها فى ست مواضع من السور المكية ، ثلاث منها من السور الطويلة وهى الأعراف والنحل والنمل واثنتان من السور المتوسطة وهى سبأ والقمر ، وأخرى من السور القصيرة وهى سورة القارعة ، كما أن السور التى سميت بأسماء حشرات ( النحل والنمل ) مكية .

كما ورد ذكر الحشرات أيضا فى ثلاث مواضع من السور المدنية اثنان منها من السور الطويلة وهما البقرة والنساء ، وواحدة فقط من قصار السور وهى الزلزلة ، كما لم تُسَمَّ سورة مدنية باسم شىء من الحشرات .

(جـ) السور التى تحدثت عن أحوال الناس يوم البعث هى سورة القمر والقارعة ، وهما سورتان مكيتان ، وليس هناك من السور المدنية التى تعرضت لذكر الحشرات ما يشير إلى تلك المقارنة بين أحوال الناس وأحوال أىٍّ من هذه الحشرات ، ولعل السر فى ذلك هو أن أهل مكة فى جملتهم كانوا منكرين ليوم الدين ومكذبين به ، بخلاف أهل المدينة الذين آووا الرسول والمهاجرين .

( د ) يوجد فى القرآن الكريم خمس سور تحمل كل منها اسم كائن حى معين ومعروف ، وهى : البقرة ، النحل ، النمل ، العنكبوت والفيل ، كما أطلق اسم الأنعام بصورة عامة على سورة واحدة وهى سورة الأنعام ، ومنه يتضح أن الحشرات قد احتلت وحدها ثلث المواضع التى ذكرت الحيوانات فيها كأسماء لسور القرآن ، وإذا ما أضفنا العنكبوت إلى الحشرات لقربه التصنيفى منها فكلاهما ينتمى إلى مجموعة كبيرة من مجاميع عالم الحيوان يطلق عليها شعبة مفصليات الأرجل **Phylum Arthropoda** إذا ما تم ذلك فإن الحشرات تحتل نصف هذه المواضع ، ومنه تتضح أهمية الحشرات فى التذكر والإنذار .

ثانيا ـ جانب من الأحاديث النبوية التى ورد بها ذكر الحشرات :

١ ـ عن عبدالله بن عمر ـ رضى الله عنهما ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : « الذُّبَابُ كُلُّهُ فِى النَّارِ إِلَّا النَّحْلَ » رواه البزار وأبو يعلى والطبرانى .

٢ ـ عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ـ ﷺ ـ أنه قال : « الذُّبَابُ كُلُّهُ فِى النَّارِ يَجْعَلُهَا عَذَاباً لِأَهْلِ النَّارِ إِلَّا النَّحْلَ » ذكره الترمذى فى نوادر الأصول .

٣ ـ عن أبى أمامة الباهلى ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَاوَاتِ وَأَهْلَ الْأَرْضِ ، حَتَّى النَّمْلَةَ فِى جُحْرِهَا وَحَتَّى الْحُوتَ فِى الْبَحْرِ لَيصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِى النَّاسِ الْخَيْرَ » رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح .

٤ ـ عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ـ ﷺ ـ قال : « يُجَاءُ بِالْجَبَّارِينَ وَالْمُتَكَبِّرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، رِجَالٌ فِى صُوَرِ الذَّرِّ ( النمل الصغير ) يَطَؤُهُمُ النَّاسُ مِنْ هَوَانِهِمْ عَلَى اللهِ ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ ، ثُمَّ يُذْهَبُ بِهِمْ إِلَى نَارِ الْأَنْيَارِ » قيل يا رسول الله وما الأنيار ؟ قال : « عُصَارَةُ أَهْلِ النَّارِ » رواه الإمام أحمد فى

الزهد ، ورواه صاحب الترغيب والترهيب .

٥ ـ عن أبي هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ـ ﷺ ـ قال : « يُقْتَصُّ لِلْخَلْقِ بَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ حَتَّى الْجَمَّاءَ مِنَ الْقَرْنَاءِ ، وَحَتَّى الذَّرَّةَ مِنَ الذَّرَّةِ » رواه الإمام أحمد فى مسنده بإسناد رجاله ثقات .

٦ ـ عن مجاهد قال : صاحبت عمر ـ رضى الله عنه ـ من مكة إلى المدينة ، فما سمعته يحدث عن رسول الله ـ ﷺ ـ إلا هذا الحديث : « إِنَّ مَثَلَ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ النَّخْلَةِ ، إِنْ صَاحَبْتَهُ نَفَعَكَ ، وَإِنْ شَاوَرْتَهُ نَفَعَكَ ، وَإِنْ جَالَسْتَهُ نَفَعَكَ وَكُلُّ شَأْنِهِ مَنَافِع ، وَكَذَلِكَ النَّخْلَةُ كُلُّ شَأْنِهَا مَنَافِع » رواه البيهقى فى شعبه .

٧ ـ عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « مَثَلُ بِلَالٍ كَمَثَلِ النَّحْلَةِ ، غَدَتْ تَأْكُلُ مِنَ الْحُلْوِ وَالْمُرِّ ، ثُمَّ هُوَ حُلْوٌ » رواه الطبرانى فى الأوسط بإسناد حسن .

٨ ـ عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : « بَيْنَمَا أَيُّوبُ عليه السلام يغتسل عُرْيَاناً خَرَّ عَلَيْهِ رِجْلُ ( سرب ) جَرَادٍ مِنْ ذَهَبٍ فَجَعَلَ يُحْثِى فِى ثَوْبِه ، فَنَادَاهُ اللهُ ـ تعالى ـ يَا أَيُّوبُ أَلَمْ أَكُنْ أَغْنَيْتُكَ عَمَّا تَرَى ؟ قَالَ : بَلَى يَارب ، وَلَكِنْ لَاغِنَى لِى عَنْ بَرَكَتِكَ » رواه البخارى فى الغسل وقال الشافعى تعليقاً عليه : نعم المال الصالح مع العبد الصالح .

٩ ـ عن سهل بن سعد ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ قال : « لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى مِنْهَا كَافِراً شَرْبَةَ مَاءٍ » رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح وكذلك رواه الحاكم وصححه .

١٠ ـ عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « إِنَّهُ لَيَأْتِى بِالرَّجُلِ الْعَظِيمِ السَّمِينِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ ، اقْرَءُوا : فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْناً » متفق عليه ، هكذا أخرجه الحافظ العراق فى الأحياء ، أخرجه مسلم فى صحيح كتاب صفات المنافقين ٤/٢١٤٧ .

١١ ـ عن جابر ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « مَثَلِى وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَوْقَدَ نَاراً فَجَعَلَ الْجَنَادِبُ وَالْفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهَا وَهُوَ يَذُبُّهُنَّ عَنْهَا ، وَأَنَا آخُذُ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ وَأَنْتُمْ تَفَلَّتُونَ مِنْ يَدِى » رواه مسلم فى كتاب الفضائل ، باب شفقته ﷺ على أمته ومبالغته فى تحذيرهم مما يضرهم ، حديث رقم ١٦ ، ص١٤٧ جـ٥ طبعة الشعب .

١٢ ـ عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول : « قال الله ـ عز وجل : « وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ يَخْلُقُ كَخَلْقِى ، فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً أَوْ شَعِيرَةً » رواه البخارى فى كتاب التوحيد .

وهذا قليل من كثير حفلت به السنة النبوية الطهور عن هذه الكائنات ، وباستعراضنا هذه الباقة من الأحاديث التى تشير إلى الحشرات تدرك المعانى التالية :

١ ـ كلمة « الذُّبَابُ » من الكلمات واسعة الاستخدام ، حيث تطلق على الحشرات بصفة عامة ، قال الجاحظ : « الذباب عند العرب يطلق على الزنابير والنمل والبعوض بأنواعه كالبق والفراش والبراغيث والقمل والناموس والفراش والذباب المعروف عند الإِطْلَاقِ الْعُرْفِىِّ » .

ويتضح لنا من هذه العبارة أن الذباب يضم هذه الأنواع جميعاً بصفة إجمالية لا يشهد لها الواقع العلمى والتصنيفى ، فلو كان النمل وسائر الأنواع التى ذكرها ذباباً لما صح إطلاق هذه الأسماء عليها ، كما أطلقوا اسم البعوض على البق والفراش والبراغيث والقمل والناموس ، وهذا الإطلاق غير صحيح كسابقه ، ولا يخفى أن هذه العبارة تكاد تستغرق عالمَ الحشراتِ ، ولعلهم يستندون فى ذلك ويأنسون بما رواه ابن عمر - رضى الله عنه - عن رسول الله - ﷺ - « الذُّبَابُ كُلُّهُ فِى النَّارِ » وليس هذا عذابا للذباب وإنما هو عذاب لأهلِ النار . كما صرح بذلك فى رواية أبى هريرة « الذُّبَابُ كُلُّهُ فِى النَّارِ ، يَجْعَلُهَا عَذَابًا لِأَهْلِ النَّارِ إِلَّا النَّحْلَ » رواه الترمذى .

٢ - يضرب بها المثل لهوان الجبارين على الله يوم القيامة ، حيث يكونون فى صور وفى حجم النمل الصغير الذى يطؤه الناس بأرجلهم وهم فى عرصات يوم القيامة ، ثم يذهب بهم بعد ذلك إلى « نار الأنيار » أى عصارة أهل النار .

٣ - كما يضرب المثل ببعضها لكثرة منافعه كالنحل فهو شبيه بالمؤمن من حيث كثرة منافعه وتعددها .

٤ - يُشَبِّهُ الرسول - ﷺ - حالَ الأمة فى التَّهَافُتَ على ارتكاب المخالفـات بحال بعض الحشرات التى تتهافت على النار فتهلكها ، ومع هذا فإنه يحاول أن يحجزهم عن الوقوع فى الشرور ولكنهم يتَفَلَّتُونَ .

**ثالثا - الحكمة من ذكر الحشرات فى القرآن والسنة :**

لا يخلو ذكر الحشرات فى القرآن الكريم والسنة النبوية الطهور فى حكم جليلة سامية ، ونَوَدُّ أن نتعرف على معنى الحكمة قبل بيان أنواعها ، ليكـون ذلك أَعْوَنُ على إِدْرَاكِهـا والعمـل بمقتضاها .

**معنى الحكمة :**

للحكمة معان كثيرة ، وللعلماء فيها كلام مستفيض نَجْتَزِىءُ منه ما يلى :

١ - ذهب ابن عباس إلى أن الحكمة المقصودة فى قوله تعالى :

﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ﴾

البقرة : ٢٦٩

تعنى القرآنَ والفهمَ فيه .

٢ - قال مجاهد : هى القرآن والعلم والفقه .

٣ - قال أبو مالك : السنة .

٤ - وقيل : الحكمة هى العلم النافع المُؤَدى إلى العمل الصالح .

وهذا المعنى الأخير - على إجماله - يتفق مع ما نهدف إليه ، ذلك لأن الحكمة ضالة المؤمن ، فإذا وجدها فهو أولى الناس بها ، ونحن حينما نعمل الفكر ونجيل النظر فى هذه المخلوقات الدقيقة الرقيقة ونتعرف على الأغراض التى ذكرت فى القرآن من أجلها ، فإننا بهذا إنما نحاول الوصول إلى العلم النافع بخصوصها حيث يدفعنا إلى العمل الصالح الذى يقربنا إلى الله - تعالى -

**وتتلخص الحكمة من ذكر الحشرات فى القرآن والسنة فيما يلى :**

أولا - الحشرات آية من آيات الله فى الخلق والإبداع :

فالحشرات دوابٌّ خلقها الله - تعالى - لتَقِف مع غيرها من الدواب فى صَفِّ الإعجاز وإعطاءِ الأدلة على تفرُّده بالخلق والإيجاد ، قال - تعالى :

﴿ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ ﴾

الجاثية : ٤

فللحشرات تاريخُها الضَّارب في القِدم ، وانتشارُها العالمي الهائل ، بحيث لا تكاد تجد بيئةً من البيئات تخلو من هذه المخلوقات ، ولها أنواعها العديدة ، هذا فضلًا عن تنوع أنماط حياتها وسلوكها ، كما أن لها طُرُزَها اللَّونية التي تبعث على معرفة الله وخشيته ، يقول الله تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ سورة فاطر

فهذا النص يوقفنا على سنة من سنن الله — تعالى — في خلقه ، ألا وهي سنةُ التَّمايُز والتَّغايُر بين الأفراد على أساس الاختلافات اللونية بينها ، يستوى في ذلك الجماد والحيوان والنبات والإنسان ، والحشرات لها باعٌ طويل في هذا المِضْمار ، ففي تعدُّد ألوان أفرادها مع دقتها ورقتها ما ينطق بعظمة الله ، ثم إن الآيات ترتب خشية الله على العلم بهذه الأشياء ، وإدراك حكمتها وأحقُّ الناس بخشية الله هم العلماء الذين هداهم الله إلى معرفة أسرار هذه الموجودات وتجعل كل ذى لب يهتف في تلقائيَّة :

﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾

( سـورة المؤمنون )

**ثانياً — الحشراتُ جند من جند الله :**

حينما نطالع الآيات الواردة في القرآن عن الحشرات بهذا الخصوص ، فإننا نجد حكمةً أخرى لها بالحكمة السابقة وثيقُ الصِّلة ، فالله جعل هذه المخلوقات جنداً من جنده :

﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ المدثر : ٣١

ينصر بها رسله وأولياءه ، ويُذِلُّ بها ويُرْغِمُ أنوفَ أعدائه ، وسنُورد أمثلةً لذلك فيما يلي :

(١) الأرضة (دابة الأرض) تُنهى حصارَ الرسول والمسلمين في شعب أبي طالب بمكة :

ورد في الصحيحين وغيرهما أن قريشاً لما بلغهم إكرام النَّجاشِي لجعفر ابن أبي طالب وأصحابه حينما هاجروا إلى الحبشة كَبُرَ ذلك عليهم وغضِبوا على رسول الله — ﷺ — وأصحابه ، واشتَطُّوا في معاملتهم وكتبوا صحيفةً ظالمة جائرة تنص بنُودُها على مقاطعة بنى هاشم مقاطعةً تامة فلا يناكحونهم ولا يبايعونهم ولا يخالطونهم ، وعلَّقوا هذه الصحيفةَ في جوف الكعبة إشارةً إلى احترام بنودها والمبالغة في تطبيقها ، وكان الذى كتب الصحيفة رجلٌ يقال له : « بَغِيض بن عامِر » فشُلَّتْ يدُه ، وحصروا بنى هاشم في شعب أبي طالب ليلة المحرم سنة سبع من البعثة ، وانْحَازَ إليهم بنوا عبدالمطلب وقَطَعت قريشٌ عنهم المِيرَةَ والمَدَدَ ، فكانوا لا يخرجون إلا من موسم إلى موسم حتى بلغوا الجهدَ وأقاموا على ذلك ثلاث سنين ، ثم أُطْلَعَ الله — نبيَّه ﷺ — على أمر الصحيفة وأن الأرضة قد أكلت ما كان فيها من ظلم وجَوْر وبقى ما كان فيها من ذكر الله — تعالى — فأخبرهم أبو طالب بذلك فارتقوا إلى الصحيفة فوجدوها كما قال رسول الله — ﷺ — فَفَكُّوا عنهم الحصار وأخرجوهم من الشعب » .

(ب) الأرضة (دابة الأرض) تُبْطِلُ ادِّعاءَ الجن علمَ الغيب :

ولا يقتصر دور الحشرات فى الإنذار والتخويف على الإنس فقط بل يتعداهم إلى الجن ، وهم من عالم ما وراء الطبيعة ، فقد امتنَّ الله على داوود عليه السلام بتسخير الجن له ، يعملون له الأعمال الإنشائية الشاقة ، سواء أكانت للأغراض الحربية أو المدنية ، مصداقا لقوله تعالى :

﴿ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ﴾ سبأ ١٢ و ١٣

فكانوا يدَّعون علمَ الغيب ، فأراد الله أن يُبطل دعواهم ويردَّ كيدَهم إلى نُحورهم ، فلما استعمَلهم داوود فى بناء بيت المقدس وحَانَ أجَلهُ وأعْلمَه الله به سأل رَبَّه أن يُعَمِّىَ عنهم موتَه حتى يفرغوا من البناء ولتَبْطل دعواهم علمَ الغيب ، فقام يصلى مُتَكِئاً على عصاه فى مُصَلاَّهُ ، فقُبضت روحه وهو متكىء عليها ، فبقى كذلك ، وهم فيما أمروا به من الأعمال حتى أكلت الأرَضَةُ عصاه فَخَرَّ ميتا ، وكانت الشياطين تجتمع حول محرابه كلما صلى ، وصدق الله إذ يقول :

﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴾ سبأ : ١٤

وهكذا ظل الجن مسخرين يعملون فى بناء بيت المقدس معتقدين أن داوود عليه السلام مازال على قيد الحياة حتى ظهرت لهم الحقيقةُ على يَدِ دُوَيْبَةٍ صغيرة هى الأرضة التى تسلَّلت إلى المنسأة ( العصا ) التى يتكىء عليها نبى الله داوود فأكلت منها حتى ضعفت عن حمل جسده فخر على الأرض ميتا ، عندئذ أدرك الجن زَيْفَهُمْ وأنهم لا يعلمون من الغيب شيئاً ، إنما علم الغيب لله وحده ، مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ ﴾ ( سورة الجن )

(جـ) الجراد والقُمَّل لتأديب قوم فرعون :

حينما تطاول قوم فرعون على نبى الله موسى ـ عليه السلام ـ وأنهم لم ولن يستجيبوا لدعوته لأنها فى نظرهم سحر ووهم ، على حَدِّ ما سجله القرآن عليهم فى هذا الشأن فى قول الله ـ تعالى ـ

﴿ وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ الأعراف : ١٣٢

فكان أنْ شَدَّدَ الله عليهم وابتلاهم بالجدب والقحط ، وكان للحشرات دورٌ هام كوسيلةٍ من وسائل ردْعهم وبخاصة وأن ملكهم فرعون قد تطاول على مقام الألوهية والرُّبُوبيَّةِ ، فقال :

﴿ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ النازعات : ٢٤

وقال : ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ القصص : ٣٨

وشايَعَهُ قومُه في هذا السَّفه ، حيث استخف بعقولهم فأطاعوه على نحو ما سجله القرآن عليهم في قول الله تعالى :

﴿ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴾ الزخرف : ٥٤

ولم ينتهِ به السُّخْف إلى هذا الحد بل أراد أن يحمل نبى الله موسى عليه السلام على عبادته كَرْهًا ، وتهديده بالسَّجن على غِرَار ما يفعل المجرمون ، حيث قال :

﴿ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴾ الشعراء : ٢٩

فسلَّط الله عليهم وسائلَ العقاب على نحو ما ورد في قوله تعالى :

﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ الأعراف

فأكل الجراد زروعهم وثمارهم ، كما سلط الله عليهم القُمَّل ، قيل : أنه السوس ( حشرات تصيب المواد المخزونة ) فأجهز على مدخراتهم من المواد الغذائية ، فإذا كان الجراد قد أكل ما كان من الزروع قائما فان السوس قد أتى على ما كان منها مدَّخرا ، وقيل : ان القُمَّل هو القَمْلُ المشهور المعروف وهو يتطفل خارجيا على جسم الإنسان فمنه قمل الرأس وقمل العانة وقمل الجسم ، فكان يدخل بين ثيابهم وجلودهم فيمتص دماءهم ، وسواء أريد به السوس أو القَمْل الحقيقى فتلك أنواع من الحشرات سلطها الله عليهم لعلهم يتوبون ويرجعون . يقول الله ـ تعالى ـ :

﴿ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ۖ وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ الزخرف

ولما كان الجرادُ غيرَ مُتَوَطن بمصر ساغَ التعبيرُ بإرساله ضمنَ هذه المُرسلات ، وتلك سنة من الله تعالى حينما يوجه شيئاً من البلاء لتعذيب العاصين ، والنصوص في هذا الشأن مُتضافِرَةٌ ومُتَوَافِرَة يقول الله تعالى في شأن أصحاب الفيل :

﴿ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴾ الفيل : ٣

ويقول في شأن عاد قوم هود :

﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴾ القمر : ١٩

وفي شأن قوم صالح :

﴿ إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴾ القمر : ٢٧

كما أرسل عليهم الصيحة لهلاكهم :

﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴾ القمر : ٣٠

ويقول في شأن قوم لوط :

﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ ۖ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴾ القمر : ٣٤

كما يعبر القرآن أحيانا عن إرسال هذه الوسائل العقابية بالقذف بها في صورة موحية بالشدة والقسوة ، يقول تعالى :

﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ الأنبياء

( د ) البعوض يدمغ باطل النمرود :

ذكر الواحدى فى تفسيره الوسيط ، أن النمرود ابن كنعان هو أول من وضع التاج على رأسه وتجبر فى الأرض وادَّعى الربوبية[٢] .

كما ذكر الحافظ بن كثير فى تفسيره ، أن بعوضةً دخلت فى منخرى النمرود حتى أهلكه الله بها[٣] وإن كان فى النص مبالغة ، حيث ذكر أن البعوضة بقيت فى منخره أربعمائة سنة ، كما ذكر غيره تلك الواقعة بدون تحديد مدة لمكث البعوضة فى رأسه .

وعلى أى حال فإنَّ هذه البعوضة تمثل قذيفة إحيائيةً حيَّةً قذف بها الله رأسَ ذلكم الطاغية فأصابت دماغه ( مخه ) صاحبَ الفكر المنحرف المنجرف الذى قاد صاحبه إلى النكران والكفران ، بدلا من أن يقوده إلى اليقين والإيمان ، وستظل ترسانةُ الخلاق العليم مليئةً بهذه القذائف وغيرها أشكالا وألواناً لردْع الظالمين الطامحين الجامحين ، وصدق الله إذ يقول :

﴿ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ هود : ٨٣

(هـ) الذباب يُذِل الله به الجبابرة :

ورد فى روضة الأخبار أن المأمون خطب ذات مرة فوقع ذباب على عينه فطرده فعاد الذباب مراراً حتى قطع عليه الخطبة ، فلما صلى أحضر أبا هزيل ـ شيخ البصريين فى الاعتزال ـ فقال له : لم خلق الله الذباب ؟ قال : ليذل به الجبابرة . قال : صدقت ، وأجازه بمال .

( و ) الدَّبْرُ يحمى جثمانَ عاصم بن ثابت الأنصارى :

أورد ابن هشام فى سيرة النبى ـ ﷺ ـ أن عاصم بن ثابت الأنصارى ـ الصحابى المجاهد ـ قتل يوم الرَّجيع ، فأرادت هذيل أخذ رأسه ليبيعوه من « سلافة بنت سعد » أى ليبيعوه لها ، وكانت قد نذرت حين أصاب عاصم ابنها يوم أحد ، لئن قدرت عليه لتشربن فى قحف رأسه الخمر ، فمنعه الدبر ( الزنابير أو النحل ) ، فلما حال بينهم وبينه قالوا : دعوه ( أى الدبر ) حتى يمسى فتذهب عنه ؛ فنأخذه فبعث الله الوادى ( أى المطر الذى يسيل فى الوادى بغزارة ) فاحتمل عاصما فذهب به ، وقد كان عاصم قد أعطى الله عهداً أن لا يمسه مشرك أو يمس مشركاً أبداً اتقاء للنجاسة ، فالمشركون نجس لقوله تعالى :

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾ التوبة : ٢٨

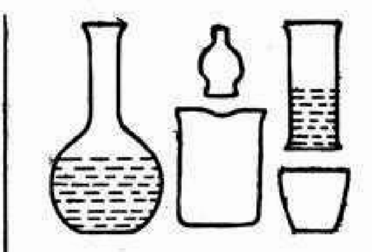
فكان عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ يقول حين بلغه ذلك : ( يحفظ الله العبد المؤمن ، كان عاصم نذر ألا يمسه مشرك ولا يمس مشركاً أبداً فى حياته فمنعه الله بعد وفاته كما امتنع منه فى حياته ) .

**ولهذا أطلق على عاصم ـ رضى الله عنه ـ حَمِىُّ الدَّبَر** . وتلك آية من آيات الله فى حفظ عباده وأوليائه ، كان للحشرات فيها دور الذَّوْدِ عن المؤمنين يوم أن صعدت الروح إلى بارئها ، إشارة إلى ضعف كيد الكافرين .

---

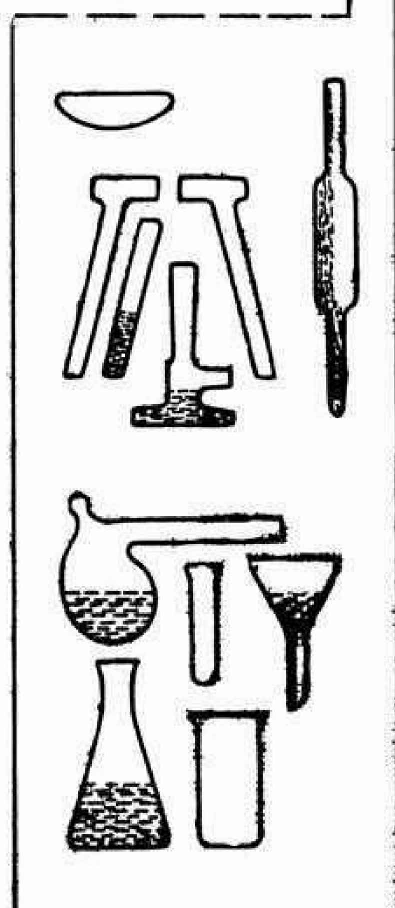
(٢) التفسير الوسيط للواحدى جـ ١ ص ٣٦٨ ط : المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

(٣) ابن كثير جـ ١ ص ٣١٣ .



# الجديد في العلم والتقنية

إعداد / د. مجدي السيد أحمد



## أحدث « كاميرا » للتصوير في أعماق البحار

ابتكرت احدى الشركات اليابانية أحدث « كاميرا » متطورة للتصوير تحت الماء في أعماق البحار ، وهي مزودة بغوالق عدسات متطورة تجعلها مقاومة للماء على عمق ٣٢٨ قدم تحت سطح الماء دون حماية خارجية ، وبنظام انعكاس صور تلقائي دقيق وعدسة إضافية تتيح للغواص معرفة ما ستشتمل عليه الصورة بوضوح ، بالإضافة إلى ٣ عدسات قابلة للتبادل ومقربة للمسافات تحت الماء . وتعتبر الأولى من نوعها في العالم .



## إنتاج مدفأة جديدة
## من الزجاج البركانى

توصلت شركة ألمانية إلى إنتاج مدفأة تتميز بأنها سهلة التركيب ورخيصة التكاليف وتوفر الكثير من الطاقة وأكثر كفــاءة من المدافىء التقليدية . وتتكون المدفأة من ١٧ قطعة هندسية أساسها صندوق النار ، وتركب هذه القطع معاً باستخدام لاصق يتحمل الحرارة العالية وبعد ذلك يُغطى صندوق النار بالطوب الحرارى المخصص لجدران الأفران .

قطع المدفأة مصنوعة من الزجاج البركانى الخفيف والذى يستخدم عادة فى الصقل ، وكثافته عالية وله قدرة عالية على امتصاص الحرارة ومن ثم يوفرها للتدفئة بدلا من استهلاكها ، وهو غير قابل للتشقق بفعل الحرارة وأكثر مقاومة للنار من الطوب الحرارى أو المعادن .

## أســلوب جديــد
## لمكافحــة الســرطان

توصل الباحثون الأمريكيون إلى أسلوب جديد لمكافحة مرض السرطان قد يمكنهم فى النهاية من إزالة كل الأورام الخبيثة .

ويعتمد هذا الأسلوب على تصنيع عقاقير من بعض الخلايا المريضة بجسم المصاب وهى عملية تشبه اللقاح التقليدى حيث يتم استخدام العنصر المسبب للمرض فى مكافحة الفيروس أو البكتريا .

وقد تم تطبيق هذا الأسلوب على تسع مريضات مصابات بسرطان الغدد الليمفاوية ، واستطاع هذا العلاج أن يقضى تماماً على أى أثر للأورام التى يصل قطرها إلى سنتيمترين ونصف سنتيمتر عند مريضتين بينما أصبحت أجهزة المناعة عنــد المريضات الأخريات مهيأة لمهاجمة أى أورام أخرى خبيثة .

## بقعة بيضــاء على
## ســطح كوكـب زحــل

التقط تلسكوب الفضاء « هابل » صوراً لبقعة بيضاء كبيرة على سطح كوكب زحل وقارن العلماء هذه البقعة بالبقعة الحمراء التى توجد على سطح كوكب المشترى ، وقد وصف العلماء هذه البقعة بأنها تشكيل كثيف من السحب تنتشر بسرعة عبر وجه زحل ، ويبدو مظهرها مشعاً وقد انتشرت هذه البقعة بسرعة ١٦٠٠ كيلومتر فى اتجاه مركز الكوكب ، وهى تعطى الآن نصف الكوكب الذى يبلغ حجمه عشرة أضعاف حجم الكرة الأرضية ، ويختلف عن الكرة الأرضية فى أنه جسم سائل ولذا فمن المحتمل أن تكون هذه السحابة هى مواد تخرج تدريجياً من أعماق الكوكب .

## ضــمادات للقــدم
## مـن البلاســتيك

أنتجت شركة بريطانية جهازاً جديداً يستخدم ضمادات بلاستيكية تحتوى على الهواء لتنشيط دورة الدم فى الأقدام العاجزة عن الحركة فى أعقاب العمليات الجراحية أو بسبب المرض ، والجهاز الجديد يقوم بضخ الهواء فى الضمادة وتفريغها منه كل ثلاث ثوان حيث يقوم الضغط المتولد عن النفخ بالضغط على أوردة القدم فتدفع الدم إلى الساق ومنها إلى القلب .

## عدسة لاصقة للأذن لعلاج ضعف السمع

طورت إحدى الشركات الأمريكية فى كاليفورنيا وسائل جديدة لضعاف السمع الذين يريدون إخفاء هذا العيب عن الآخرين ، أطلقت عليه اسم « عدسة الأذن اللاصقة » . تتكون العدسة من ثلاثة أجزاء والجزء الأوسط منها محول للطاقة قطره يساوى نصف قطر عدسة العين اللاصقة ويقوم الطبيب بلصقه بطبلة الأذن . ويمكن ارتداء جهاز السمع الجديد بصورة مستمرة كما يمكن إزالته بسهولة عند الحاجة . كما يعلق بملابس الشخص ميكروفون صغير يقوم بالتقاط الأصوات ثم ينقلها إلى ملف يعمل ببطارية حيث تحول المدارات الإلكترونية المتصلة بالملف الصوت إلى تيار متذبذب يولد مجالا مغناطيسياً خلال دورانه ويشكل محولا للطاقة فتتذبذب الطبلة .

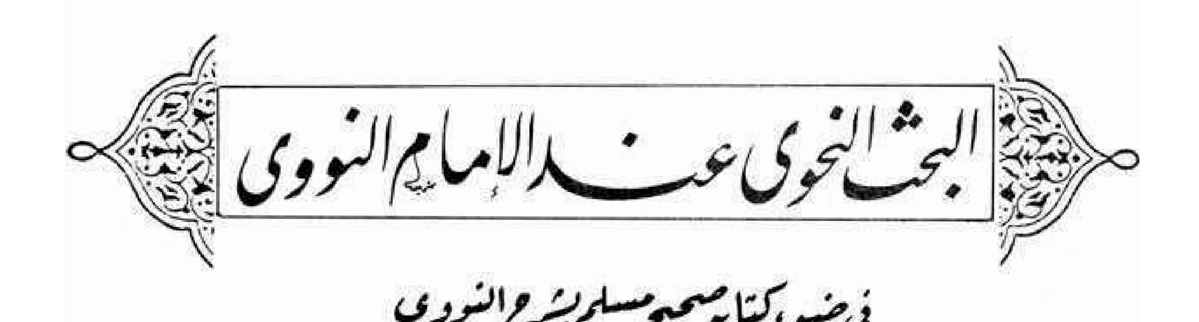
## رمال الشواطىء لصناعة الساعات الرقمية ونوافذ السيارات

اكتشف الباحثون فى إحدى الجامعات الأمريكية طريقة بسيطة وغير مكلفة لصناعة نوافذ السيارات من رمال الشواطىء حيث تم تحويلها إلى مركبات كميائية يمكن استخدامها فى أغراض كثيرة مثل : توصيل التيار الكهربى وتصنيع منتجات خاصة بنوافذ السيارات وبعضها يعمل كالبلّورات السائلة التى تدخل فى صناعة الساعات الرقمية . يقوم الباحثون باستبدال مادة السيليكا فى الرمال ببعض المركبات المشتقة من البترول الخام حيث تنشىء سلسلة كيميائية طويلة من الجزئيات التى تكون المواد « المتبلمرة » العادية ، وتتم إذابة الرمال فى الكحول ومحلول قلوى يتم تسخينه لبضع ساعات فى درجة حرارة عالية فينتج مسحوق أبيض « متبلمر » يتفوق على بعض المواد المستخدمة حالياً ، والتى يدخل الكربون فى تركيبها وتستهلك العملية طاقة أقل من المعتاد .

## الكمبيوتر لزراعة بعض النباتات فى الفضاء

يجرى علماء وكالة الفضاء فى أمريكا تجاربهم لزراعة الخضروات فى الفضاء حيث يُستعمل معمل عبارة عن وعاء دائرى ضخم ، ويتحكم الكمبيوتر فى معدلات الضوء والحرارة والماء وكذلك الأسمدة والغازات التى تملأ جو المعمل . وتجرى زراعة النباتات فى أوعية خاصة يمكنها الحفاظ على النباتات المزروعة ومنعها من الطفو فى الفضاء عندما تصل إلى منطقة انعدام الجاذبية ، كما تسع الأوعية سنتيمتراً واحداً من السوائل وتغطى جذورها رقائق بلاستيكية ويتم تجميع المياه المستعملة لتعاد الاستفادة منها مرة أخرى . وقد وجد العلماء أن النباتات تنمو أسرع وفى فترة أقصر فى هذه الأوعية حيث نجحت زراعة أنواع صغيرة من الخس والبطاطس وفول الصويا والقمح والأرز والجزر . كما تم تجربة زراعة بعض المحاصيل فى تربة تتكون من مزيج من الصخور البركانية ومسحوق الزجاج وهى تربة تشابه فى تركيبها تربة القمر ، وقد اكتشفوا أن الخس والقمح من النباتات التى تنمو جيداً فى مثل هذه التربة .





# البحث النحوى عند الإمام النووى

## فى ضوء كتابه صحيح مسلم بشرح النووى

إعداد : د. محمد عبد القادر هنادى

مقدمــة :

هذا بحث يتناول جانباً من جوانب الدراسات الحديثية النحوية التى تفتقر إليها مكتبتنا اللغوية جعلته بعنوان : « البحث النحوى عند الإمام النووى فى ضوء كتابه ( صحيح مسلم بشرح النووى ) » ، وقد جعلته فى ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : ثقافة الإمام النووى اللغوية .

المبحث الثانى : الاحتجاج النحوى بالحديث النبوى وآثار الصحابة .

المبحث الثالث : منهج الإمام النووى فى البحث النحوى .

### المبحث الأول : الإمام النووى وثقافته اللغوية :

الإمام النووى هو أبو زكريا يحيى بن شرف بن مرى الحزامى النووى منسوب إلى « نوا »[1] ، وأما لقبه فقد لقب ( بمحيى الدين ) ، وكان يكره أن يلقب به تواضعاً لله ـ تعالى ـ وكانت ولادته ـ رحمه الله تعالى ـ سنة ٦٣١ هـ ، ووفاته سنة ٦٧٦ هـ .

أتقن الإمام النووى علوماً كثيرة ، وبرع فيها ، ومنها علم الفقه والحديث ، ويدل على ذلك المصنفات التى تركها فى هذين العلمين ،

(١) ونوا : بليدة من أعمال حوران بالجولان .

ومن أشهرها كتاب « المجموع شرح المهذب » فى الفقه ، و« شرح مسلم » فى الحديث . وكما برع الإمام النووى فى العلوم الشرعية ؛ فإنه كان أيضاً ذا ثقافة لغوية ونحوية واسعة ، ومما يؤكد ذلك ويبينه الدلائل التالية :

( أ ) لقد أثنى عليه العلماء الذين ترجموا له ، وشهدوا بثقافته اللغوية ، قال عنه ( ابن قاضى شهبة ) فى كتابه « طبقات النحاة واللغويين » : أبو زكريا النووى الفقيه ، الحافظ النحوى اللغوى ، شيخ الإسلام ، ، حب التصانيف المشهورة ، « كان إماماً فى الـ ؛ والنحو »[٢] ، وقال عنه الذهبى : « كان ــ مع حره فى العلم ، وسعة معرفته بالحديث والفقه واللغة وغير ذلك بما قد سارت به الركبان ــ رأساً فى الزهد ، وقدوة فى الورع »[٣] .

ومن العلماء الذين شهدوا بثقافته اللغوية ، محمد بن الحسن اللخمى قال عنه ــ رحمه الله : « كان عالماً بالفقه وفروعه .. مدققاً فى الحديث ، عالماً بصحيحه وحسنه ، وسقيمه وغريبه وأحكامه ، عارفاً بلغته وأسماء رجاله ، محققاً فى الألفاظ المشكلة ، عارفاً بفن التصريف وفن العربية واللغة ، كثير النقل منهما ، عارفاً بالأصلين معرفة جيدة ، وبالقراءات السبع وغيرها ، كثير الخبرة بمذاهب العلماء المشهورة والمهجورة ، لين القلب ، سالكاً طريق السلف فى الزهد فى الدنيا ، والمبالغة فى الخشوع والورع .. »[٤] .

(ب) ومما يؤكد تبحره واتقانه لعلوم اللغة العربية كتبه ومصنفاته ، ومنها : كتابه « شرح صحيح مسلم » ، فقد ثبت لى من خلال قراءتى لهذا الكتاب أن الإمام النووى كان عالماً بمذاهب العلماء فى المسائل النحوية والصرفية ، ومتتبعاً لدقائق اللغة وغريبها ، وهذا ما ذكرته مفصلا فى هذا البحث .

ومن المؤلفات التى تظهر سعة ثقافته اللغوية كتابه القيم « تهذيب الأسماء والصفات » ، ويمتاز بذكر الأسماء وضبطها ، وذكر اللغات صحيحها وضعيفها ومُوَلَّدَها ، وقد قال عنه النووى ــ فى المجموع : « قد بينت ذلك فى تهذيب الأسماء واللغات بياناً حسناً ، وهو كتاب جليل لا يستغنى طالب من العلوم عن مثله »[٥] .

ومن تلك المؤلفات التى تؤكد عمق ثقافته اللغوية كتاب « التحرير فى ألفاظ التنبيه »[٦] ، والمقدمة التى كتبها النووى تظهر أهمية هذا الكتاب ، قال ــ رحمه الله تعالى ــ بعد أن ذكر قيمة كتاب التنبيه : « والنوع الثانى بيان لغاته ، وضبط ألفاظه ، وبيان ما ينكر مما لا ينكر ، والفصيح من غيره ، وقد استخرت الله تعالى الكريم الرؤوف الرحيم فى جمع مختصر أذكر فيه إن شاء الله تعالى اللغات العربية والمعربة ، والألفاظ

---

(٢) طبقات النحاة واللغويين ــ ابن قاضى شهبة .
(٣) العبر ٣١٢/٥ .
(٤) السخاوى ٥٦ ــ ٥٧ .
(٥) المجموع ١١٢/١ .
(٦) كتاب التنبيه لأبى اسحاق الشيرازى .

المولدة ، والمقصورة والممدودة ، وما يجوز فيه المذكر والمؤنث ، والمجموع والمفرد والمشتق ، وعدد لغات اللفظة ، وأسماء المسمى الواحد المترادفة ، وتعريف الكلمة ، وبيان الألفاظ المشتركة ومعانيها ، والفروق بينها ، وما اختلف فيه أنه حقيقة أو مجاز ، وما يعرف مفرده ، ويجهل جمعه وعكسه ، وماله جمع ، وماله جموع ، وما يكتب بالواو والياء والألف ، وما قيل جوازه بوجهين أو ثلاثة كالربا ، وأنبه فيه على جمل من مهمات قواعد التصريف المتكررة ، وأذكر فيه جملا من الحدود الفقهية المهمة ... والفرق بين المتشابهات كالهبة والهدية وصدقة التطوع ، وكالرشوة والهدية ، وما قد يلحن فيه ، وما أنكر على المصنف عنه جواب ، وما لا جواب عنه ، وما غيره أولى منه ، وما هو صواب وتوهم جماعة أنه غلط ، وما ينكر من جهة نظم الكلام وتداخله ، والعام والخاص وعكسه ، وبيان جمل مهمة ضبطناها عن نسخة المصنف وهى صواب ، وفى كثير من النسخ خلافها ، وبيان ما أنكر الفقهاء وليس منكراً ، وبيان جمل من صور المسائل المشكلة مما له تعلق بالألفاظ ، وغير ذلك من النفائس المهمات كما ستراها فى مواضعها – إن شاء الله تعالى – واضحاً »[٧] .

وقد أشار ابن قاضى شهبة إلى أهمية هذين الكتابين من الناحية اللغوية فقال : « وصنف – أى النووى – تهذيب الأسماء واللغات وتركه مسودة ، وهو يدل على تبحره فى علم اللغة ، وكذلك كتابه (التحرير على كتاب التنبيه) فذكرته بسبب ذلك »[٨] .

ومن كتبه التى تظهر سعة ثقافته اللغوية كتاب « المجموع شرح المهذب » للإمام أبى إسحاق الشيرازى ، وهو من أعظم الكتب الفقهية فى مذهب الإمام الشافعى – رحمه الله تعالى – وقد اشتمل على فوائد عظيمة فى علم اللغة والحديث والأصول وغيرها ، قال عنه العماد ابن كثير فى طبقات الشافعية : « سلك النووى فيه طريقة حسنة مهذبة سهلة جامعة لأشتات الفضائل ، وعيون المسائل ، ومجامع الأوائل ، ومذاهب العلماء ، ومفردات الفقهاء ، وتحرير الألفاظ ، ومسالك الأئمة الحفاظ ، وبيان صحة الحديث من سقمه ، ومشهوره من عكسه ، فهو بالجملة كتاب ما رأيت على منواله لأحد من المتقدمين ، ولا حذا علىٰ مثاله متأخر من المصنفين » .

(جـ) ومما يؤكد ثقافة النووى اللغوية الشيوخ الذين أخذ عنهم العربية ، ويأتى فى مقدمتهم ابن مالك صاحب الألفية – رحمه الله تعالى – وقد ذكر ذلك ابن قاضى شهبة فى كتابه « طبقات النحاة واللغويين » ، وذلك بقوله : « كان – أى النووى – إماماً فى اللغة ، قرأ ذلك على الشيخ جمال الدين بن مالك ، ونقل عنه فى تصانيفه »[٩] . ووجدته يشير إلى ابن مالك فى كتابه « شرح صحيح مسلم » فى مواضع عدة منها

---

(٧) مخطوط ( تحرير ألفاظ التنبيه ورقة « ١ » ) .

(٨) طبقات النحاة واللغويين ، ابن قاضى شهبة .

(٩) طبقات النحاة واللغويين .

قوله فى شرح حديث الرسول ﷺ : « لا يبولن أحدكم فى الماء الدائم ثم يغتسل منه »[10] : « الرواية (يغتسل) مرفوع ، أى لاتبل ثم أنت تغتسل منه ، وذكر شَيْخُهُ أبو عبدالله بن مالك رضى الله عنه أنه يجوز أيضاً جزمه عطفاً على موضع (يبولن) ، ونصبه بإضمار (أن) وإعطاء (ثم) حكم واو الجمع »[11] .

ومن تلك المواضع التى ذكر فيها شيخه ابن مالك قوله فى شرح حديث الرسول ﷺ : « غيرُ الدَّجَّالِ أخوفُنى عليكم » هكذا هو فى جميع نسخ بلادنا « أخوفنى » بنون بعد الفاء ، وكذا نقله القاضى عياض عن رواية الأكثرين ، قال : ورواه بعضهم بحذف النون ، وهما لغتان صحيحتان ، ومعناهما واحد ، قال شيخنا الإمام أبو عبدالله بن مالك ــ رحمه الله تعالى ــ : « الحاجة داعية إلى الكلام فى لفظ الحديث ومعناه ، فأما لَفْظُهُ لكونه تضمن ما لا يعتاد من إضافة (أخوف) إلى (ياء) المتكلم مقرونة (بنون الوقاية) ، وهذا الاستعمال إنما يكون من الأفعال المتعدية ، والجواب : أنه كان الأصل إثباتها ، ولكنه أصل متروك ، فنبه عليه فى قليل من كلامهم . »[12] .

ومن شيوخه أيضاً فى النحو واللغة : أحمد بن سالم المصرى[13] ، وقرأ عليه (الكتاب) لسيبويه[14] ، والفخر المالكى ، وقد قرأ عليه (اللمع) لابن جنى[15] .

ومما يدل لك على حبه علوم العربية أنه كان فى أول عهده يقرأ كل يوم اثنى عشر درساً على المشايخ شرحاً وتصحيحاً ، درسين فى (الوسيط) ، وثالثاً فى (المهذب) ، ودرساً فى الجمع بين الصحيحين ، وخامساً فى (صحيح مسلم) ، درساً فى اللمع لابن جنى فى النحو ، ودرساً فى (إصلاح المنطق) لابن السكيت فى الفقه ، ودرساً فى التصريف ودرساً فى أصول الفقه ، تارة فى اللمع لأبى اسحاق ، وتارة فى (المنتخب) للفخر الرازى ، ودرساً فى أسماء الرجال ، ودرساً فى أصول الدين[16] . هذا عن ثقافته اللغوية فماذا عن مصادره فيها ؟

لقد تعددت مصادر الإمام النووى فى كتابه (شرح صحيح مسلم) من كتب فى التفسير والفقه والحديث والفقه والنحو ، والذى يهمنى فى هذا البحث أن أستعرض مصادره النحوية ، وأسماء العلماء الذين أخذ عنهم ، ويمكننى أن أجمل ذلك فيما يأتى :

١ ــ نقل عن سيبويه ــ رحمه الله ــ فى مواضع كثيرة ، أنه أثنى عليه ثناءً عظيماً ، فجعله حينا (سيبويه العرب) ، وجعله حيناً آخر (إمام العربية) ، من ذلك ما رواه مسلم أن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال : « سَمِعَ أُذُنَايَ من رسولِ اللهِ ﷺ : مَنِ ادَّعى أبَاً فى الإسلامِ غيرَ أبيهِ يعلمُ أنهُ غيرُ أبيهِ فالجنةُ عليه حَرَامٌ » ، قال النووى

---

(١٠) صحيح مسلم بشرح النووى ، ١٨٧/٣ .

(١١) صحيح مسلم بشرح النووى ، ١٨٧/٣ .

(١٢) صحيح مسلم بشرح النووى ٦٤/١٨ .

(١٣) قال عنه الذهبى : ماهر بالعربية ، محقق فيها ، توفى سنة ٦٦٤هـ .

(١٤ ، ١٥) تحفة الطالبين .

(١٦) تذكرة الحفاظ ١٧٠/٤ ــ والسخاوى ، ص ٦ .

ــ رحمه الله ــ : « وأما قول سعد ( سمع أذناى ) فهكذا ضبطناه ( سمع ) بكسر الميم ، وفتح العين ، و ( أذناى ) بالتثنية .. وحكى القاضى عياض أن بعضهم ضبطه بإسكان الميم ، وفتح العين على المصدر ، و « أذنى » بلفظ الإفراد ، قال : وضبطناه من طريق الجيانى بضم العين مع إسكان الميم ، وهو الوجه ، قال ( سيبويه العرب ) تقول : سمع أذنى زيداً يقول كذا »[17] .

وتحدث عن مجىء « زعم » بمعنى القول المحقق ، وذلك فى شرح حديث أنس بن مالك عندما جاء أعرابىٌّ إلى رسولِ الله ﷺ فقال : « يا محمدُ أتانا رسولُكَ فزعمَ لنا أنكَ تزعُمُ أنَّ اللهَ أرسَلكَ » . قال النووى : قوله ( زعم ) و ( تزعم ) مع تصديق رسول الله ﷺ إياه دليل على أن ( زعم ) ليس مخصوصاً بالكذب والقول المشكوك فيه ؛ بل يكون أيضاً فى القول المحقق .. وقد أكثر ( سيبويه ) وهو إمام العربية فى كتابه الذى هو إمام كتب العربية من قوله : زعم الخليل ، زعم أبو الخطاب ، يريد بذلك القول المحقق »[18] .

ومما نقله عن سيبويه ما ذكره لدى شرح قول عائشة ــ رضى الله عنها ــ : « كانَ إحدانَا إذا كانت حائِضاً أمرَها رسولُ اللهِ ﷺ أنْ تأتزِرَ فى فَوْرِ حَيضِها »[19] ، قال رحمه الله : « قول عائشة ( كان إحدانا ) من غير تاء فى ( كان ) وهو صحيح ، فقد حكى سيبويه فى كتابه فى باب « ما جرى من الأسماء التى هى من الأفعال وما أشبهها من الصفات مجرى الفعل ، قال : وقال بعض العرب : قال امرأة ، فهذا نقل الإمام هذه الصيغة أنه يجوز حذف التاء من فعل ماله فرج من غير فصل ، وقد نقله أيضاً الإمام أبو حسين بن خروف فى شرح الجمل »[20] .

ومن المواضع التى نقل فيها عن سيبويه ما ذكره فى تفسير قوله تعالى « ﴿ فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ ﴾ »[21] ، حيث قال ــ رحمه الله ــ : « قال أهلُ العربية : معناه أى شىء لكم فى الاختلاف فى أمرهم ، و « فئتين » معناه « فرقتين » ، وهو منصوب عند البصريين على الحال ، قال سيبويه : إذا قلت مالك قائماً ، معناه : لم قمت ؟ ونصبته على تقديـــــر أى شىء يحصل لك فى هذا الحال »[22] .

٢ ــ ومن علماء المدرسة النحوية الكوفية الذين نقل عنهم الكسائى والفراء فمن المواضع التى نقل فيها عن الكسائى ما رواه مسلم عن أبى هريرة قال : « كُنَّا قُعُوداً حولَ رسولِ الله ﷺ معَنا أبو بكرٍ وعُمَرُ فى نَفَرٍ » ، قال النووى : قوله ( معنا ) بفتح العين ، هذه اللغة المشهورة ، ويجوز تسكينها فى لغة ، حكاها صاحب المحكم والجوهرى وغيرهما .. قال الكسائى : ربيعة وغنم يسكنون فيقولون : ( معْكم ) و ( معْنا )[23] .

ونقل عن أبى زكريا الفراء فى مواضع عدة ،

---

(١٧) صحيح مسلم بشرح النووى ، ٥٣/٢ .

(١٨) صحيح مسلم بشرح النووى ، ١٧٠/١ .

(١٩) وقت كثرة الحيض .

(٢٠) صحيح مسلم بشرح النووى ، ٢٠٣/٣ .

(٢١) سورة النساء ٨٨ .

(٢٢) صيح مسلم بشرح النووى ١٢٢/١٧ .

منها ما ذكره فى قول حذيفة ـ رضى الله عنه ـ : « إنَّ أميرَ المؤمنينَ ـ أى عمر ـ قالَ أمْسِ لَمَّا جلستُ إليه » ، قال النووى : فى ( أمس ) ثلاث لغات ، قال الجوهرى : ( أمس ) اسم حرك آخره لالتقاء الساكنين ، واختلف العرب فيه ، فأكثرهم يبنيه على الكسر معرفة ، ومنهم من يعربه معرفة ، وكلهم يعربه إذا دخلت عليه الألف واللام ، أو صيره نكرة ، أو أضافة ، تقول : مضى الأمس المبارك ، ومضى أمسنا ، وكل غد صائر أمسا ، قال الفراء ومن العرب من يخفض ( الأمس ) وإن أدخل عليه الألف واللام »[٢٤] .

٣ ـ ومن النحاة الذين نقل عنهم النووى العكبرى وابن السراج والفارسى وأبو بكر الأنبارى ، وسأختار لكل واحد منهم نصاً واحداً للاستشهاد على ذلك .

فمما نقله عن العكبرى حديثه عن قول رسول الله ﷺ على لسان إبراهيم ـ عليه السلام ـ : « إنَّما كنتُ خليلاً مِنْ وراءَ وراءَ » .

قال النووى : وأما ضبط ( وراءَ وراءَ ) فالمشهور فيه الفتح بلا تنوين ، ويجوز عند أهل العربية بناؤهما على الضم ، وقد جرى فى هذا كلام بين ( أبى الحافظ الخطاب بن دحية ) ، و ( الإمام الأديب أبى اليمن الكندى ) ، فرواهما ابن دحية بالفتح وادعى أنه الصواب ، فأنكره الكندى ، وادعى أن الضم هو الصواب ، وكذا قال أبو البقاء ـ أى العكبرى ـ الصواب : الضم لأن تقديره : من وراء ذلك ، أو من وراء شيء آخر »[٢٥] .

ومن نقوله عن ابن السراج ما ذكره فى قول عائشة ـ رضى الله عنها ـ وقد سئلت : « هل رأى رسولُ الله ﷺ رَبَّهُ » ، قالت : سبحانَ اللهِ لقد قفَّ[٢٦] شَعْرِى لِمَا قُلْتَ » ، قال النووى : أما قولها ( سبحان الله ) فمعناه التعجب من جهل مثل هذا ، وكأنها تقول : كيف يخفى عليك مثل هذا ، ولفظه : ( سبحان الله ) لإرادة التعجب كثيرة فى الحديث وكلام العرب .. وممن ذكر من النحويين أنها من ألفاظ التعجب أبو بكر ابن السراج وغيره »[٢٧] .

ومن نقوله عن أبى على الفارسى ما ذكره لدى حديثه عن قول رسول الله ـ ﷺ ـ : « رَأيْتُكُنَّ أكثرَ أهلِ النارِ » فقال : « هو بنصب ( أكثرَ ) على أن هذه الرؤية تتعدى إلى مفعولين ، أما على الحال على مذهب ابن السراج وأبى على الفارسى وغيرهما ممن قال : إن ( أفعل ) لا يتعرف بالإضافة »[٢٨] .

أما أبو بكر بن الأنبارى فقد نقل عنه فى مواضع عدة منها أنه عندما تحدث عن اسم الفعل ( أفّ ) قال : « فى أف » عشر لغات ، أفِ ، وأفَّ ، وأفُّ بغير تنوين وبالتنوين ، فهذه الستة ، والسابعة ( إفَّ ) بكسر الهمزة وفتح الفاء ، والثامنة : ( أُفْ ) بضم الهمزة وإسكان الفاء

---

(٢٣) صحيح مسلم بشرح النووى ٢٣٤/١ .

(٢٤) صحيح مسلم بشرح النووى ١٧٥/٢ .

(٢٥) صحيح مسلم بشرح النووى ٧١/٣ .

(٢٦) قام شعرى من الفزع .

(٢٧) صحيح مسلم بشرح النووى ١٠/٣ .

(٢٨) صحيح مسلم بشرح النووى ٦٦/٢ .

والتاسعة : ( أُفّى ) بضم الهمزة وباليـــاء ، و( أفه ) بالهاء ، وهـذه اللغات مشهـورات ذكرهـن كلهـن ابـن الأنبارى وجماعـات من العلماء ، ودلائلها مشهورة ، ومن أخصرها ما ذكره الزجاج وابن الأنبارى »[29] .

**المبحث الثانى : الاحتجاج النحوى بالحديث النبوى وآثار الصحابة**

**ويتضمن قسمين :**

**الـقسم الأول : الاحتجـــاج بالحديث النبوى .**

**القسم الثانى : الاحتجاج بآثار الصحابة .**

**القسم الأول : الاحتجاج النحوى بالحديث النبوى**

**أولا : فى باب الأفعال :**

١ ـ ذهب الإمام النووى ـ رحمه الله تعالى ـ إلى جواز إظهار ضمير الجمع والتثنية فى الفعل إذا تقدم على ( لغة بنى الحارث ) وغيرهم من القبائل العربية ، واستشهد على صحة هذه اللغة بطائفة من أحاديث الرسول ﷺ وآثار الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ ، ومنها ما رواه مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن الرسول ﷺ قال : « **يتعاقبونَ فيكم ملائكةٌ بالليلِ وملائكةٌ بالنهارِ ، ويجتمعونَ فى صلاةِ الفجرِ وصلاةِ العصرِ ...** » .

**قال[30] فى شرح هذا الحديث : فيه دليل لمن قال ـ من النحويين ـ : يجوز إظهار ضمير الجمع والتثنية فى الفعل إذا تقدم وهو ( لغة لبنى الحارث ) ، وحكوا فيه قولهم « أكلـــونى البراغيث » ، وعليه حمل الأخفش ومن وافقه قول الله ـ تعالى ـ :**

﴿ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾[31] .

ومن الآثار التى احتج بها على جواز اتصال الفعل بعلامة الجمع والتثنية مع إسناده إلى الفاعل الظاهر ما رواه مسلم عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : « ذَكَرْنَ أزواجُ النبىِّ ﷺ كنيسةً رَأَيْنَهَا بأرضِ الحبشةِ يُقَالُ لها : مَارِيةُ »[32] . قال رحمه الله ـ تعالى ـ شارحاً هذا الأثر : قولها ( ذكـرن أزواج النبى ﷺ ) هكـذا ضبطنـاه ( ذكَرْنَ ) بالنون ، وفى بعض الأصول بالتاء ، والأول أشهر وهو جائز على تلك اللغة القليلة ( لغة أكلونى البراغيث )[33] .

وما أجازه الإمام النـووى فى هذه المسألة النحوية هو الصواب ، وذلك لورود هذه اللغة الصحيحة فى طائفة من أحاديث الرسول ﷺ وآثار الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ ، وقد فصلت ذلك فى بحث مستقل جعلته بعنوان ( لغة أكلونى البراغيث ) كما جاءت فى صحيح البخـــارى ومسلم ، ولا يلتفت بعد ذلك إلى من وصف هذه اللغة الصحيحة الفصيحـة الثابتـة بالضعـف أو الخطأ .

---

(٢٩) صحيح مسلم بشرح النووى ٣/٢٢٥ .

(٣٠) صحيح مسلم بشرح النووى ، ٥/١٣٣ .

(٣١) الأنبياء ٣ .

(٣٢) صحيح مسلم ، كتاب المساجد ، باب النهى عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها .

(٣٣) صحيح مسلم بشرح النووى ٥/١١ ـ ١٢ ، وينظر فى بقية الآثار التى احتج بها فى الأجزاء التالية جـ ٤/٢٧ ، ٦/١٤٧ ، ١٣/٢٠٢ ، ١٥/٢١٢ .

٢ ـ احتج النووى بحديث الرسول ﷺ على جواز حذف النون من الأفعال الخمسة بغير ناصب ولا جازم ، ومن الأحاديث التى احتج بها على ذلك ما رواه مسلم أنه ﷺ قال للصحابة عندما قبضوا على غلام : ( وأخذوا يسألونه عن أبى سفيان ، وأخذوا يضربونه ) فقال ﷺ : ( والذى نفسى بيدهِ لَتَضْرِبُوهُ إذا صَدَقَكُمْ وتَتْرُكُوهُ إذا كَذَبَكُمْ )[٣٤] .

قال النووى : ( هكذا وقع فى النسخ « تضربوه » و ( تتركوه ) بغير نون ) ، وهى لغة سبق بيانها مرات ، أعنى حذف النون بغير ناصب ولا جازم[٣٥] ) ، ومنها ما رواه مسلم فى ( كتاب الإمارة ) عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قيلَ ـ للنبىِّ ﷺ ـ : ما يَعْدِلُ الجهادَ فى سبيلِ اللهِ ـ عزَّ وَجَلَّ ـ قال : ( لا تستطيعُوه )[٣٦] .

قال رحمه الله : ( هكذا هو فى معظم النسخ (لا تستطيعوه) ، وفى بعضها (لا تستطيعونه) بالنون ، وهذا جار على اللغة المشهورة ، والأول صحيح أيضاً ، وهى لغة فصيحة حذف النون من غير ناصب ولا جازم ، وقد سبق بيانها ونظائرها مرات[٣٧] .

ومما ورد على هذه اللغة ما رواه مسلم أن فاطمة بنت قيس طلقها زوجها فأتت النبى ﷺ فقال لها : ( اِعْتَدِّى فى بيتِ ابنِ عمكِ ابنِ أُمِّ مكتوم ؛ فإنهُ ضريرُ البصرِ تَلْقَىْ ثوبَكِ عندَهُ )[٣٨] ، قال ـ رحمه الله ـ فى شرح هذا الحديث : ( هكذا هو فى جميع النسخ « تَلْقَىْ » ، وهى لغة صحيحة ، والمشهور فى اللغة « تلقين » بالنون )[٣٩] .

٣ ـ استشهد الإمام النووى بحديث الرسول ﷺ على جواز إثبات النون فى الأفعال الخمسة إذا سبقت بناصب أو جازم ، وجعله لغة صحيحة ، لكنها قياسا إلى حذف النون فيها لغة قليلة .

ومن الأحاديث التى استشهد بها ما رواه مسلم عن أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ عن رسول الله ﷺ قال : « قالَ اللهُ عز وجلَّ : إن أُمَّتَكَ لا يزالُونَ يقولونَ مَا كَذا ؟ ما كذا ؟ حتى يقولوا هذا اللهُ خَلَقَ الخَلْقَ فَمَنْ خلقَ اللهَ ؟ »[٤٠] .

قال النووى : ( حتى يقولوا ) هكذا فى بعض الأصول ( يقولوا ) بغير نون ، وفى بعضها ( يقولون ) بالنون ، وكلاهما صحيح ، وإثبات النون مع الناصب لغة قليلة ذكرها جماعة من محققى النحويين ، وجاءت متكررة فى الأحاديث الصحيحة »[٤١] .

ومن الآثار التى وردت على هذه اللغة الصحيحة مارواه مسلم عن الأسود ومسروق أنهما دخلا على أم المؤمنين عائشة يسألانها : أكانَ رسولُ اللهِ ﷺ يُبَاشِرُ وهوَ صَائِمٌ[٤٢] ، قال النووى ـ شارحاً هذا الأثر : « كذا هو فى كثير من الأصول ( لِيَسْألانِهَا ) باللام والنون ، وهى لغة قليلة ، وفى كثير من الأصول ( يسألانها )

---

(٣٤) صحيح مسلم ، كتاب الجهاد والسير ، باب غزوة بدر .

(٣٥) صحيح مسلم بشرح النووى ، ١٢/١٢٥ ـ ١٢٦ .

(٣٦) صحيح مسلم ، كتاب الإمارة ، باب فضل الشهادة فى سبيل الله .

(٣٧) صحيح مسلم بشرح النووى ١٣/٢٤ ـ ٢٥ .

(٣٨) صحيح مسلم ، كتاب الطلاق ، باب المطلقة البائنة لا نفقة لها .

(٣٩) صحيح مسلم بشرح النووى ١٠/١٠٥ .

(٤٠) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب الوسوسة فى الإيمان .

(٤١) صحيح مسلم بشرح النووى ٢/١٥٧ .

(٤٢) صحيح مسلم ، كتاب الصوم ، باب بيان أن القبلة فى الصوم ليست محرمة على من لم تحرك شهوته .

بحذف اللام ، وهذا واضح وهو الجارى على المشهور فى العربية »[٤٣] .

٤ ـ ذهب نحاة الأندلس إلى أن اقتران خبر ( كاد ) بـ ( أن ) مخصوص بالشعر ، ووصف ابن مالك ذلك بالقلة[٤٤] ، وأجازه الإمـــام النووى ، وجعله لغة صحيحة واردة فى حديث الـــرسول ﷺ واحتـــج على ذلك بـــعض الأحاديث ، ومنها ما رواه مسلم عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ وهو يحدث عن نقض الكعبة وبنائها : ( هل تدرينَ لِمَ كَانَ قومُكِ رَفعُوا بابَهَا ؟ قالت : قلتُ : لا ، قال تَعَزُّزاً ألّا يدخلها إلّا مَنْ أرادُوا ، فكانَ الرجلُ إذا هو أرادَ أن يدخلَها يدعونهُ يرتقى حتى إذا كادَ أن يدخلَ دفعوهُ فَسَقطَ )[٤٥] .

قال النووى : « قوله ـ ﷺ ـ حتى إذا كاد أن يدخل هكذا فى النسخ كلها ( كاد أن يدخل ) ، وفيه حجة لجواز دخول ( أن ) بعد ( كاد ) ، وقد كثر ذلك ، وهى لغة فصيحة ، ولكن الأشهر عدمه »[٤٦] .

ومما ورد أيضاً على هذه اللغة ما رواه مسلم عن أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ أن الرسول ﷺ قال ـ فى حديث طويل ، وهو يحدثهم عن رؤية الله ـ عز وجل ـ يوم القيامة : « فيقولُ اللهُ تعالى : أنا ربُكم ، فيقولونَ : نعوذُ باللهِ منكَ ، لانشركُ باللهِ شيئاً ، مَرَّتَيْنِ أو ثلاثاً ، حتى إن بعضكم ليكادُ أن ينقلبَ »[٤٧] .

قال رحمه الله : « قوله صلى الله عليه وسلم ( حتى إن بعضكم ليكاد أن ينقلب ) هكذا هو فى الأصول ( ليكاد أن ينقلب ) بإثبات ( أن ) ، وإثباتها مع ( كاد ) لغة ، كما أن حذفها مع ( كاد ) لغة »[٤٨] .

ومن آثار الصحابة التى وردت ﷺ هذه اللغة ، واحتج بها النووى ما رواه مسلم عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : شهدنَا معَ رسولِ اللهِ حُنَيْناً ، فقالَ لرجلٍ مِمَّنْ يُدْعَىٰ بالإسلامِ هذا مِنْ أهلِ النارِ .. فكادَ بعضُ المسلميـــنَ أن يرتابَ[٤٩] .. قال النووى : « كذا هو فى الأصول ( أن يرتاب ) ، فأثبت ( أن ) مع ( كاد ) ، وهو جائز لكنه قليل »[٥٠] .

٥ ـ قد يحذف الفعل مع بقاء معموله ، وهذا ما أجازه النووى محتجا عليه بأحاديث الرسول ﷺ الواردة فى صحيح مسلم ، ومنها ما رواه مسلم عن عقبة بن عامر ـ رضى الله عنه ـ قال : قال لى رسول الله ﷺ : ( أُنزِلَتْ عليَّ آياتٌ لم يُرَ مِثلُهُنَّ قطُّ : المُعَوِّذتين )[٥١] قال النووى : قوله ﷺ : ( المعوذتين ) هكذا هو فى جميع النسخ ، وهو صحيح ، وهو منصوب بفعل محذوف ، أى أعنى ( المعوذتين )[٥٢] .

ومنها ما رواه مسلم أنه ﷺ قال لأصحابه عندما دفع من عرفات إلى مزدلفة : ( أيها النَّاسُ !

---

(٤٣) صحيح مسلم بشرح النووى ٢١٨/٧ .

(٤٤) شرح ابن عقيل ٣٢٩/١ ـ ٣٣٠ طبعة دار الفكر .

(٤٥) صحيح مسلم ، كتاب الحج ، باب نقض الكعبة وبنائها .

(٤٦) صحيح مسلم بشرح النووى ٩٥/٩ .

(٤٧) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب تساقط المشركين فى النار .

(٤٨) صحيح مسلم بشرح النووى ، ٢٧/٤ .

(٤٩) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه ، وقد قتل هذا الرجل نفسه لأنه لم يصبر على جراح إصابته فأخبر الوحى رسول الله ﷺ فأخبر الصحابة بخاتمته .

(٥٠) صحيح مسلم بشرح النووى ١٢٢/٢ .

(٥١) صحيح مسلم كتاب : صلاة المسافرين ، باب فضل قراءة المعوذتين .

(٥٢) صحيح مسلم بشرح النووى ٩٦/٦ ـ ٩٧ .

السكينةَ السكينةَ )[٥٣] ، قال رحمه الله : قوله ( السكينة السكينة ) مرتين منصوبا ، أى : الزموا السكينة[٥٤] .

ومن تلك الأحاديث الصحيحة التى احتج بها على جواز حذف الفعل مع بقاء معموله ما رواه مسلم عن أبى أمامة أن رسول ﷺ قال : ( مَن اقتطعَ حقَّ امرىءٍ مسلمٍ بيمينِهِ فقد أوجبَ اللهُ لهُ النارَ وحرَّمَ عليه الجنةَ ، فقالَ لهُ رجلٌ وإنْ كان شيئاً يسيراً يا رسولَ اللهِ ، قالَ : ( وإنْ قضيباً مِنْ أرَاكٍ )[٥٥] ، قال النووى فى شرح الحديث : فى كثير من الأصول ( وان قضيبا ) على أنه خبر ( كان ) المحذوفة ، أو أنه مفعول لفعل محذوف تقديره ( وان اقتطع قضيبا )[٥٦] .

٦ - الأصل فى الفعل المضارع المجزوم أنه إذا سبق بحرف جازم حذف منه حرف العلة ، لكن النووى أجاز إبقاء حرف العلة لغة ، واستدل على ذلك بما ورد فى أحاديث الرسول ﷺ وآثار الصحابة ففى صحيح مسلم أن الرسول ﷺ قال : ( مَنْ يُبْكَىٰ عليه يُعَــذَّبُ )[٥٧] ، قال النووى : قوله ﷺ : ( يبكى ) هكذا هو فى الأصول ( يبكى ) بالياء ، وهو صحيح ، ويكون ( من ) بمعنى ( الذى ) ويجوز على لغة أن تكون شرطية ، وتثبت الياء ، ومنه قول الشاعر :

ألم يأتيك والأنباء تنمى[٥٨]

أما الآثار التى احتج بها على جواز إبقاء حرف العلة فى المضارع المجزوم لغة فمنها ما رواه مسلم أن الرسول ﷺ استشار أبا بكر وعمر فى أسرى بدر ، فأخذ برأى الصديق ، وترك رأى عمر ، وفى هذا يقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « فَهَوِىَ رسولُ اللهِ ﷺ مَا قالَ أبُو بكرٍ ، ولم يَهْوَ ما قلتُ »[٥٩] ، قال النووى : قوله ( ولم يَهْوَ ما قلت ) هكذا هو فى بعض النسخ ، و ( لم يهو ) ، وفى كثير منها ( ولم يهوى ) بالياء ، وهى لغة قليلة بإثبات الياء مع الجازم »[٦٠] .

ومنها ما رواه مسلم أن رسول الله ﷺ قال : « اللهمَّ عليكَ الملأُ من قريشٍ أبا جهلِ بن هشام ، وعتبةَ بنَ ربيعةَ ، وعقبةَ بنَ أبى مُعَيْطٍ ، وشيبةَ بنَ ربيعةَ ، وأميةَ بنَ خَلَفٍ ، قال عبدالله فلقد رأيتُهم قُتِلُوا يومَ بدرٍ ، فأُلْقُوا فى بئرٍ غير أنَّ أمية تَقَطَّعَتْ أوصالُهُ فلم يُلْقَى فى البئرِ[٦١] » ، قال النووى : ( فلم يُلْقَ ) هكذا هو فى بعض النسخ ، بالقاف فقط ، وفى أكثرها ( فلم يُلْقَى ) بالألف وهو جائز على لغة »[٦٢] .

أسأل الله تعالى أن يجعله لبنة من اللبنات المتواضعة فى صرح الدراسات النحوية التى خدمت السنة النبوية ، وأن يجزينى به خير الجزاء يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، والحمد لله رب العالمين .

---

(٥٣) صحيح مسلم كتاب الحج ، باب حجة النبى ﷺ .

(٥٤) صحيح مسلم بشرح النووى ١٨٦/٨ .

(٥٥) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين فاجرة بالنار .

(٥٦) صحيح مسلم بشرح النووى ١٦٠/٢ .

(٥٧) صحيح مسلم ، كتاب الجنائز ، باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه .

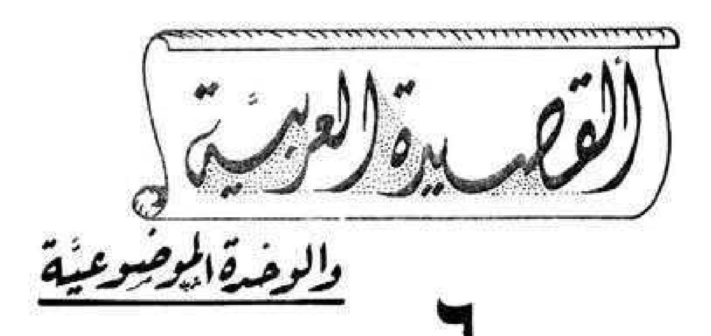
(٥٨) صحيح مسلم بشرح النووى ٢٣٠/٦ .

(٥٩) صحيح مسلم ، كتاب الإمارة ، باب الإمداد بالملائكة فى غزوة بدر .

(٦٠) صحيح مسلم بشرح النووى ٨٦/١٢ .

(٦١) صحيح مسلم ، كتاب الإمارة ، باب مالقى الرسول ﷺ من أذى المشركين والمنافقين .

(٦٢) صحيح مسلم بشرح النووى ١٥٤/١٢ .




## والوحدة الموضوعية

## ٦

للأستاذ / أحمد مصطفى حافظ

**على الرغم مما يذهب إليه بعض المستشرقين ـ ومَنْ تابَعهم من نُقَّادنا ـ من خلوّ القصيدة العربية القديمة من « الوحدة الموضوعية » ـ وهو الأمر الذى عالجناه فى دراسة موضوعية استغرقت عديداً من المقالات بهذه المجلة حتى نبين كذب هذه الدعوى ، بل صدورها ـ ممن صدرت عنه ـ بلا روية ولا دراسة جدية ، بل ألقاها ، كما تلقاها ، ثم جاراها ، وبثها فى أجيال عدة من شبابنا الدارس للأدب العربى .. بينما تبلورت أمامنا الحقيقة واضحة جلية بوجود الوحدة العضوية فى روافد منها :**

(أ) المقطوعات التى صدرت من الشاعر العربى قديماً ، قبل أن يهلهل ( المهلهل ) القصيدة العربية .

(ب) ومواطن الوحدة العضوية ( بعد المقطوعات ) فى نماذج عدة من الشعر الجاهلى ، أوردناها متتالية فيما قدمنا من دراسة .

ولازلنا نشبع تلك القضية دراسة حتى يتبين للمنصف الدارس وَهْمَ ما أطلق بعض أولئك المستشرقين ، ومن جاراهم من النقاد ، وربما دفعنى الْخُلُق إلى استكتام حقيقة أرجو ألا أُسِفر عنها صراحة .. لكنى أتساءل :

هل عكف هؤلاء المروجون لنفى الوحدة عن الشعر العربى القديم على دراسة الأدب الجاهلى فعلاً .. ؟ هل قرأوا عطاء الشعر وتتبعوه فى مختلف دواوينه ومصادره ومواطنه خارج الدواوين .. ؟

لاشك أن إجابة المجيب هنا تحتاج إلى شجاعة أدبية عميقة ...

وبرغم ذلك ، فإننا نجد بعضاً آخر من المستشرقين بلغ بهم الإعجاب بالشعر الجاهلى حدًّا ، دفع بهم إلى العكوف ـ لسنوات عدة ـ على روائع هذا الشعر ، لدراستها دراسة وافية ، ونقل بعضها إلى لغته القومية ، كما صنع المستشرق الألمانى : ( ريكرت ) ، الذى ترجم أشعار امرىء

القيس ــ فيما ترجم من الأدب العربى ــ إلى الألمانية ، واستغرقت الترجمة الفترة من عام ١٨٢٨ حتى عام ١٨٤٢ ، وذلك لشغفه بالشاعر المَلِك ، كما كان يُسَمَّى : ( امرأ القيس ) بل إن « أوجست ميللر » ــ ابن الشاعر الألمانى « فيلهلم ميللر » ــ تَسَمَّى باسم : ( امرىء القيس ) ، وعمل على نشر معلقته ، مع تعليقات عليها بالألمانية ، ثم قدَّم رسالته الجامعية عنه[1] .

وعلى الجانب الآخر .. ( جانب الإمامة ) الذى اختاره هؤلاء المروجون لفكرة قصور الشعر العربى عن استيعابه موضوعات عدة فى القصيدة الواحدة .. على هذا الجانب نتساءل :

هل الشعر الغربى قد خلت قصائده تماما من كثرة الموضوعات فى القصيدة الواحدة ؟

هل التزم الشعراء الغربيون بهذه ( الوحدة ) فى كل نتاجهم ؟

ومنذ متى كان ذلك ؟

وهل لنقادنا دراسة علمية أدبية فى هذا الجانب ؟ أم اكتفوا بإشاعة القصور فى الشعر العربى القديم ، وكفى ؟

هذا الشاعر الأمريكى ( إليوت ) نشر عام ١٩٢٢ م قصيدة طويلة له بعنوان : « الأرض اليباب » بلغت أبياتها (٤٣٣) ثلاثة وثلاثين وأربعمائة بيت ، لم نجدها اقتصرت على موضوع واحد ، بل أطلقها الشاعر شاملة لكثير من الموضوعات ضاربا عرض الأفق ــ فى إطالته ــ برأى أستاذه الشاعر « إزرا بواند **Ezra Pound** » الذى أهدى إليه قصيدته سالفة الذكر .

ومن ثم افتقرت قصيدة « الأرض اليباب » إلى الوحدة الموضوعية ؛ فإنها :

(أ)تزخر بشخصيات أسطورية متعددة فى أغراض مختلفة .

(ب) واقتباسات من شعر ( إليوت ) نفسه ذات موضوعات مختلفة .

(جـ ) ومن شعراء آخرين بنفس النمط ، حتى ذهب بعض النقاد المعاصرين إلى أن ( إليوت ) وقف على الأطلال والخرائب التى أعقبت الحرب العالمية الأولى ، بفظائعها وما أسفرت عنه من تدمير وأهوال ليسجلها بتلك القصيدة ،وإن كان إليوت قد عالج موضوعه بحشد كبير من الصور والمفارقات بصياغة تخلو من الترابط والتآلف .

وإليوت نفسه يعترف ضمنياً فى البيت رقم (٤٣٠) بهذا التخلخل ، بقوله :

**(These Fragments I have shored against my ruins)**

« هذه الشذرات قد اتَّخذتُ منها دعامة لأطلالى »

وبرغم هذا التفكك وعدم التلاحم ـ الذى لاتتحقق به ( الوحدة الموضوعية ـ بمعناها الأرسطى ـ فقد عدَّها كثير من النقاد فى العالم : قصيدة القرن العشرين ) ! ..

الأمر الذى جعل العديد من الشعراء ، يحذون حذوها ويسيرون على وتيرتها .. كما جعلنا

---

(١) انظر مقال الدكتور عونى عبدالرءوف بمجلة (صحيفة الألسن) ـ العدد الثانى الصادر فى ذى القعدة سنة ١٣٩٣ هـ ص ٦٥ .

نقول ـ مع شوق فيما يَصُبُّونَهُ على شعرنا القديم ، وافتقاده ـ فى زعمهم ـ للوحدة الموضوعية :

أحـــرام على بلابلـــه الـــدو ح حلال للــطير من كل جنس ؟!

***

ومهما يكن من أمر ، فلايزال فى الجعبة الكثير من نماذج الشعر الجاهلى ، التى تموج برباط الوحدة الموضوعية ، بصورة متميزة .

ومن أروع هذه النماذج فى الشعر الجاهلى ، النموذج الذى يعبر فيه الشاعر عن ذات نفسه خير تعبير ، فى صدق وحرارة .. فهذا ( حاتم الطائى ) الذى ضُرب به المثل فى الجود والسخاء ، يعاتب زوجته التى تنهره لفرط إسرافه برغم أن هذا الإنفاق كان فى سبيل الخير وصنائع المعروف ، يقول :

مهلا ( نوارُ ) أقِلّى اللوم والعــذَلا ولا تقــولى لِشىء فات .. ما فَعَــلا
ولا لمالٍ لنــا قد كنت .. مُهْلِكَــهُ مهلا.. وإن كنت أُعْطِى الجِنَّ والجبلا
.. يرى البخيل سبيل المال واحــدة إن الجَــواد يرى فى مالــه سُبُــلا
إن البخيـــل إذا ما مات يتْبعــه سوءُ الثناء ، ويحْوِى الوارثُ الإ بِلا
فَاقْنَىْ حديــثَكِ إن المرء يتْبعــه ما كان يبنى .. إذا ما نعشُه حُمِــلا
.. ليت البخيل يراه النــاس كلهــمُ كما يراهــم .. فلا يُقْــرَى إذا نَزَلا
لا تعذلينــــى على مالٍ وصَلْتُ به رَحِمًا .. وخير سبيل المال ما وصلا
يَسْعى الفتى وحِمامُ الموت يدركه وكل يوم يدانى للفتـــى الأجــلا
إنى لأعلــم أنى سوف يدركنـــى يومى ، وأصبح عن دنياى مشتغلا

وهكذا نرى أن امتلاء نفس الشاعر بما يقول ، جعلت شعره يتدفق بيسر وطواعية ، دون تداخل بين المعانى ، أو خروج عن الغرض الذى دعاه إلى إنشاد أبياته .

وهذه الصفات التى يتحلى بها حاتم الطائى فى الجاهلية من نخوة ومروءة ، جعلت ابنته تصفه عند رسول الله ﷺ ، بقولها عنه : إنه كان يفك العانى ، ويحمى الذمار ، ويَقْرِى الضيف ويُشبع الجائع ، ويفرِّج عن المكروب ، ويُطْعم الطعام ويُفشى السلام ، ولم يردّ طالب حاجة قط ، وقد أجابها رسول الله ﷺ ، بأن أباها كان يحب مكارم الأخلاق(٢) .

***

**ولمعن بن أوس قصيدة فى العفة والقناعة والكَرَم ، تصف ما يماثل اتجاه الطائى فى حُسْن**

---

(٢) راجع ترجمة حاتم الطائى وشيئاً من شعره لدى أبى على القالى فى ( الأمالى ) والبغدادى فى ( خزانة الأدب ) والأصفهانى فى ( الأغانى ) جـ ١٧ . هذا ، وقد ورث حاتم الطائى الكرم عن والدته ، التى عنفها أخوها لإسرافها فى الكرم ، وترك لها ( صرمة ) أودعها كل مالها من مال .. إلى أن جاءت من هوازن امرأة محتاجة وسألت ( غنية ) =

الصنيع ، يقول فيها :

لَعَمْرُكَ ما أهْوَيْتُ كفِّى لِريبة ... ولا حَملتنــــى نحو فاحشة رجلى

ولا قادنى سَمعى ولا بصرى لها ... ولا دَلَّنِى رأيــى عليها ولا عقلى

وأعلم أنى لم تُصبنــى مصيبــــة ... من الدهر .. إلا قد أصابتْ فتىً قبلى

ولستُ بماشٍ ما حييت لمُنْكــرٍ ... من الأمر لا يمشى إلى مثله .. مثلى

ولا مُؤْثر نفسى على ذى قرابة ... وأوثر ضيفى ما أقام .. على أهلى

هل يوجد فى هذه الأبيات ما يقبل التغيير ، بالتقديم أو التأخير ؟ أم أنها مُفرَغةٌ فى قالب واحد متناسق ، لتؤدى المعنى الذى نظمت فيه ، دون استطراد إلى معنى آخر ، لا يمت بصلة إلى سياق القصيدة العام .. وهذه هى سِمَة الشعر المتلاحم الأبيات ذى « الوحدة العضوية » التامة .

ولا يفوتنا أن نثبت أبيات ( أبى طالب ) فى وصف النبى ﷺ ، وهو لايزال صغير السن ، لم يبلغ مبلغ الرجال بعد ؛ لنلمس اتصال الوحدة الموضوعية فى مطالع عصر النبى ـ ﷺ :

إن ( الأمين ) محمداً فى قومــه ... عندى .. يفوق منازل الأولاد

لمَّـا تعلــقَّ بالزمــام ضَمَمْتــهُ ... والعِـــيش قد قَلَّصْن بالأزواد[٣]

فارْفَضَّ من عَيْنَىَّ دمــع ذارفٌ ... مثل الجُمان مفــرق بـبــداد[٤]

.. راعيْتُ فيه قرابةً موصولة ... وحفظت فيه وصيَّة الأجـــداد

ودَعَوْتــهُ للسير بين عُمومـــة ... بيض الوجـــوه مصالتٍ أمجاد[٥]

ساروا لأبْعَدَ طيَّــة معلومــةٍ ... فَلَقَــدْ تُباعــد طيَّــةُ المرتــاد[٦]

---

ـ أم حاتم الطائى ـ عطاءً .. فما كان من غنية إلا أن أخذت ( الصرمة ) وأعطتها برمتها للسائلة وهى تقول : والله لقد مسَّنى الجوع ، فآليت معه ألا أمنع الدهر سائلا .. ثم أنشدت تقول :

لَعَمْــرِى لقِدْمــاً عضنــــى الجوع عضة ... فآلـــيت ألا أمنــع الدهــرَ جائعــاً

فقــولا لهذا اللائمــى الآن : اعفِنِـــى ... وإن أنت لم تفعــــل .. فعُضَّ الأصابعــا

ولا .. ما ترون اليـــوم إلا طبيعــة ... فكيــف بتركــى ـ يا ابــن أمّ ـ طبائعــا

وانظر كتاب ( أشكال الصراع فى القصيدة العربية ) للدكتور عبدالله التطاوى جـ١ ص٢٢٢ ط سنة ١٩٩١ .

والصِّرْمة : المجموعة من الإبل .

(٣) تعلق بالزمام : أمسك بمقود البعير ، قلَّصْن : استمررن فى سَيْرهن ، والأزواد : جمع زاد ، وهو طعام المسافر .

(٤) ارْفضَّ : تتابع تدفقه ، ذارف : سائل ، والبداد : اللبد تحت السرج . والباء فى ( بداد ) بمعنى : على ، كالمعنى فى ( بهم ) فى قوله تعالى : ﴿ وإذا مروا بهم يتغامزون ﴾ أى يتغامزون عليهم .

(٥) مصالت : ماضون فى قضاء حوائج الناس . واحدها : مُصْلَتْ .

(٦) الطيَّة : الجهة . والمرتاد : الطالب .




# بين النفى والاثبات

للدكتور عبدالفتاح أحمد الفاوى ●

**لتراثنا زوايا أو أبعاد أربعة يمكن أن ينظر من خلالها إلى عبقريته هى : الزمان ، والمكان ، والكم ؛ والكيف .**

**وهى أبعاد مرتبط بعضها ببعض ارتباطا وثيقا فى تراثنا مما يجعل التداخل فى الحديث عنها ـ وإن تجنبناه ـ واردا والفصل بينها ـ وإن توخيناه ـ متكلفا .**

**وبداية .. فربما لا يستطيع الباحث أن يحصى أو يحصر الآراء التى ترددت حول تلك العبقرية بجميع أبعادها فى تراثنا ولكنه ـ فى الوقت نفسه ـ لا يعجز أن يصنف تلك الآراء أو يجمعها فى إتجاهين أو ثلاثة :**

اتجاه يبالغ ويهول فى تلك العبقرية وفى مدى ما يحتويه التراث أو يشتمل عليه من بعد حضارى يتجاوز حدود الزمان والمكان .

واتجاه يهون منها بل ربما يحذر ويبالغ فى تصوير خطر التراث وضرره .

أما الاتجاه الثالث فهو الذى يتخذ بين ذينك الاتجاهين سبيلا .

## أبعاد العبقرية :

من غير اليسير الحديث عن كل بعد من أبعاد هذه العبقرية على حدة ـ كما قلنا ـ ومع ذلك سنحاوله مع توقع التداخل نظرا لارتباط تلك الأبعاد فى تراثنا .

## البعد الزمانى والمكانى :

لعل الوقوف على مفهوم التراث ـ فى اللغة وفى الاصطلاح ـ مما يعين على تحديد البعد الزمانى والمكانى لعبقرية التراث ، أو مما يدخل فى تحديدهما .

تقول المعاجم : ورث : الواو والراء والثاء كلمة واحدة هى : الورث والميراث وأصله الواو ، وهو : أن يكون الشيء لقوم ثم يصير إلى آخرين بنسب أو سبب . ورث فلان المال : صار

( ● ) كلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة

إليه ماله بعد موته[1] .

ويقول الراغب الأصفهانى الوراثة والإرث : انتقال قنية إليك عن غيرك من غير عقد ولا ما يجرى مجرى العقد .

ويقال لكل من حصل له شيء من غير تعب : قد ورث[2] .

ومنه التراث وهو : ما يخلفه الرجل لورثته وأصله : ورث أو وراث فأبدلت الواو تاء .

فالتراث والإرث والورث مترادفة .

وقيل : الورث والميراث فى المال والإرث فى الحسب[3] .

وقد وردت كلمة التراث فى القرآن الكريم بمعنى الميراث . قال تعالى : «﴿وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا﴾[4]» أى تأكلون الميراث :

ووردت فى السنة أيضا بمعنى الميراث قال صلى الله عليه وسلم : «ولك رب تراثى[5]» .

وقد وردت فى القرآن الكريم بمعنى الميراث الدينى والثقافى أيضا قال تعالى : «﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾[6]» .

وقال : «﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾[7]» الآية ـ فهو وراثة الاعتقاد والايمان .

وأطلق أبوهريرة رضى الله عنه كلمة الميراث على التراث العقدى والثقافى . قال للصحابة : «أنتم هنا وميراث محمد صلى الله عليه وسلم يوزع فى المسجد[8]» ولما انطلقوا إلى المسجد لم يجدوا إلا حلقات الذكر ، وتلاوة القرآن ، فوضح لهم أبوهريرة أن هذا هو ميراث محمد صلى الله عليه وسلم : هذا فى اللغة .

أما فى الاصطلاح : فالتراث هو : ما ورثناه عن ابائنا من عقيدة وثقافة ، وقيم وآداب وفنون ، وصناعات ، وسائر المنجزات الأخرى المعنوية والمادية[9] .

وتراث العربية يراد به كل مدونات هذه اللغة ومرويات الناطقين بها كاملة أو مبتورة دون النظر إلى جنسية الكاتب أو الراوى[10] .

تقول الدكتورة عائشة عبدالرحمن : «وحين يذكر التراث يتجه القصد منه غالبا إلى نطاق محدود يحصره فى قديم المخطوطات من علوم العربية والإسلام» وتتابع قولها : «ويخشى أن يرسخ فينا هذا الفهم القاصر المحدود لتراثنا فيغيب عنا أول ما يغيب أن تراثنا يستوعب إلى جانب ذلك كله ما ترك أسلافنا من ثمار عقولهم فى مختلف فروع المعرفة وميادين العلم من طب وعقاقير وكيمياء ونبات ورياضيات وفلك .. إلى آخر هذه العلوم التى لا تكاد تجد من يعنى بتراثها أو يحس حاجتنا

---

(1) «معجم مقاييس اللغة العربية» مادة ورث

(2) «المعجم الوسيط» مادة ورث

(3) «المفردات فى غريب القرآن» للراغب الأصفهانى

(4) الفجر : ١٩

(5) أخرجه الترمذى كتاب الدعوات

(6) مريم ٦

(7) فاطر : ٣٢

(8) «مجمع الزوائد» ١٢٣/١ الهيثمى

(9) «التراث والمعاصرة» ٢٨ : أكرم ضياء العمرى

(10) لأن المجتمع الإسلامى لم يكن يضع فروقا بين الشعوب والأجناس ، ولم يكن يضع قيودا على الانتقال بين الأفراد والجماعات ، ولم يقصر المعرفة على طائفة دون أخرى ، أو على علم دون آخر

أنظر : «التراث وواجبنا نحوه» ص ٥ د. كامل سعفان

إلى إعداد خبراء يشاركون علماء العربية والإسلام فى حمل الأمانة الصعبة التى يفرضها علينا وجودنا[11] .

وتراثنا يبدأ من بعثة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتدوين المنزل عليه من ربه عز وجل ، ويمتد بامتداد أمتنا الإسلامية خمسة عشر قرنا أو زهاءها حتى الآن .

أما ما قبل ذلك من تراث كان للعرب فى جاهليتهم فمجاله مجال آخر ، فليس التراث العربى قبل الإسلام تراث لأمة الإسلام كما أنه ليس ماضى كل الشعوب التى أسلمت وتعربت هو من ماضى هذه الأمة ، فليس التراث المجوسى عند الفرس ، ولا الجاهلى عند العرب ، ولا الفرعونى فى مصر ولا البربرى فى بلاد المغرب ولا غير ذلك من ماضى وتراث تلك الأمم التى دخلت الإسلام بتراث لأمة الإسلام ، فتراث الأمة الإسلامية يبدأ مع بداية البعثة المحمدية ، ومع بداية دخول الإسلام فى كل مصر فتح بعد ذلك .

غير أن هناك من يخالف ذلك ويرى أن تراث وماضى الأمم التى دخلت الإسلام هو تراث للأمة الإسلامية أيضا «فماضى كل الشعوب التى أسلمت وتعربت هو من ماضى هذه الأمة وكل الحضارات الفكرية والمادية التى ازدهرت فى أرض وطننا هى فى الواقع التاريخى ميراثنا جميعا ، نحن الذين عرفنا التاريخ من القرن الأول الهجرى أمة واحدة[12] .

ولا يمكن التسليم بذلك فليس تراث الجاهلية تراثا للإسلام ولا تراث المجوس والبربر والفراعنة والرومان تراثا للأمة الإسلامية اللهم إن كان المقصود أن أمتنا قد استفادت من تراث وماضى الأمم التى اعتنقت الإسلام وأفرادها يحملون معهم ثقافاتهم وحضاراتهم وتراثهم من قيم وأفكار صقلها الإسلام وهذبها وأدبها فهذا صحيح وإن كانت العبارة لا تؤدى إليه .

أما أن نذهب إلى أن تراث تلك الأمم تراث لنا وماضيها من ماضى الإسلام فهذا مالا يمكن قبوله .

## البعد الكمى :

نقصد بذلك مفردات التراث ومكوناته المادية والثقافية ولا نود هنا إيراد حصر أو عدد لتلك المفردات أو المواد ولا نعد به وإنما نريد أولا تحرير أو تحديد مكان القرآن والسنة من التراث وثانيا الإشارة إلى الضخامة الكمية ، والكثرة العددية ـ بإجمال ـ لهذا التراث من خلال الحديث عما هو موجود وعما فقد منه أيضا خلال المحن التى لحقته .

أما عن مكان ومكانة القرآن الكريم والسنة من التراث ، فإن المفهوم اللغوى والمفهوم الاصطلاحى أيضا الذى أوردناه آنفا للتراث يدخلهما فيه ويدرجهما تحت عباءته . لكن ـ ولاعتبارات دينية محضة ـ نرى أن القرآن والسنة ليسا داخلين فى مفهومه أو فى قضيته أو فيما نتكلم فيه من مسائله ، وأركز وأضغط على كلمتين :

أولاهما : أن ذلك لاعتبارات دينية محضة حتى لا يتعرض القرآن والسنة لتلك الاتهامات التى يتهم بها البعض التراث ويصبحان عرضة للأخذ والرد والقبول والرفض .

وثانيتهما : أن الذى لا ينبغى أن ندرجه فى قضية التراث هو القرآن فحسب ـ لا تفسيره ـ والسنة فحسب ـ لا شروحها .. لأن تفسير

---

(11) «تراثنا بين ماض وحاضر» ص ٨

(12) «تراثنا بين ماض وحاضر» ص ٩

القرآن وشروح السنة أقوال علماء غير معصومين يؤخذ من أقوالهم ويرد .

أما القرآن ، وأما السنة فغير ذلك لما لهما من العصمة ، ولذلك فإن الجدل الدائر حول التراث لا ينسحب على القرآن ولا على السنة لما لهما من العصمة وما يجب تجاههما من القبول والتمسك ، فما يوجه للتراث من نقد أو تجريح وما ينال منه من تنقص أو تهوين غير وارد أو منسحب على القرآن والسنة لأن مفهوم التراث وإن كان يضمهما إلا أنه للاعتبارات التى أشرنا إليها يجب إخراجهما منه ، وهذا مما يجعل الباحث يناقش القضية بحرية أكثر وبدون تحرج أو خوف من الاتهام بأنه يتنقص من القرآن أو ينال من السنة .

نعم : إخراج القرآن والسنة من التراث يبعد عن الباحثين هذه الاتهامات وأمثالها كما يبعدهم عن المعنى المقابل وهو المغالاة فى قيمة التراث من أجل أنه يضم القرآن والسنة ، وليست قضية «طه حسين» والشعر الجاهلى منا ببعيد فى هذا الصدد عندما طعن فى الشعر الجاهلى فاتخذ ذلك سبيلا لاتهامه بالطعن فى القرآن والسنة باعتبار أنهما من التراث الذى تناوله طه حسين بالتشكيك .

ربما كان ذلك اتجاها غير علمى وتحكما غير منهجى ، ولكنا على أية حال مضطرون إليه حتى يمكن بحث التراث وعبقريته وبعده الحضارى دون حرج أو خوف .

هذا عن مكان القرآن والسنة من التراث . أما عن ضخامة هذا التراث وكميته فإن نظرة سريعة فى المدونات التى تتحدث عن تراثنا تجعل المرء يتساءل متعجبا كيف تسنى لأمتنا كل هذا التراث بما يحمله من معارف وعلوم غيرت مجرى الحياة .

لقد أنتجت هذه الأمة ملايين المخطوطات والمصنفات غير أن معظمه قد ضاع واندثر . يقول «ول ديورانت» . «ليس ما نعرفه من ثمار الفكر الإسلامى إلا جزءاً صغيراً من تراث المسلمين» «وليس هذا الجزء الباقى إلا قسما ضئيلا مما أثمرته قرائحهم وليس ما أثبتناه إلا نقطة من تراثهم[13]» .

إن أرقام المكتبات فى الإسلام تشهد بما قدمته أمتنا من إنتاج ضخم فى المعرفة والعلم والأدب ، ولكن أين هو هذا الإنتاج الذى يحدثنا عنه العلماء ؟

يجيب عن ذلك أحد الباحثين بقوله : «فلئن كانت النشوة تملأ نفوسنا حين نتحدث عن انتشار المكتبات فى العالم الإسلامى فى عصور حضارته الزاهرة فإن الأسى يملأ قلوبنا حين نتذكر مصائر هذه المكتبات وما تعرضت له من بوار وحرائق ، لا يمكن أن نقدر خسارة العالم فيها أبدا[14]» .

وإذا أردنا أن نعرف حجم المحنة التى أصابت تراثنا فليس لنا إلا أن نقوم بمقارنة بسيطة بين ما يذكر من الكتب فى تراجم العلماء أو فى فهارس الكتب مثل «فهرست» ابن النديم وما يمكن أن نجده الآن ، فما أكثر العلماء الذين لم يبق لناشىء من إنتاجهم ، وما أكثر الذين لم يبق من إنتاجهم إلا القليل اليسير .. وكان ذلك لعاملين رئيسين إحدهما داخلى ، والآخر خارجى .

أما العامل الداخلى فهو ما اعترى العالم الإسلامى من تفكك وتفتيت وإنهاك وانهيار وما

---

(١٣) «صفحات مضيئة من تراثنا» : ص ٢٩ أنور الجندى

(١٤) «من روائع حضارتنا» ص ١٦٧ د. مصطفى السباعى

أصابه من ضروب المحن والثورات والحرائق وتسلم الحكام الجهلة زمام الأمور ، وتحكمهم فى أموال الناس وأرواحهم وكذلك ما أصاب المسلمين أنفسهم من جمود وضعف وتأخر .

ويتمثل العامل الخارجى فى الغزو المغولى ، والغزو الصليبى ، فقد تعرض العالم الإسلامى من القرن الثانى عشر وما بعده لهجمات منظمة مستمرة من الغرب والشرق بقصد تخريبه واجتياح أراضيه(١٥) .

مر التراث بمحن كثيرة ، وقوية ، ولولا كثرته وعبقريته وغزارة إنتاج أفراده لقضى عليه ومن أشد تلك المحن :

الغزو الصليبى ، والغزو المغولى ، والصراع المذهبى ، والجهل بقيمة التراث ، ولكن قبل الاستطراد فى توضيح أثر تلك المحن على التراث نريد أن نصارح أنفسنا دون ما حرج أو حساسية هل ما فقدناه من تراثنا كان سيغير مجرى حياتنا ؟ .

وإذا كانت المعارك محتدمة ــ الآن ــ حول ما تبقى منه وأنه السبب فى جمودنا وتخلفنا كما يرى البعض وأن انشغال المسلمين بهذا القدر الباقى من التراث حال دونهم ، ودون الأخذ بأسباب الحضارة والتقدم فماذا لو بقى التراث كله ، وغرق القاصى والدانى بين صفحاته وأضابيره .

إن ما فقد من تراثنا كثير لاشك فى ذلك ، ولكنه من جنس ما بقى وإذا كنا نتجادل فى قيمة وعبقرية ما بقى وجدواه فأولى بنا ألا نتباكى على ما فقدناه منه أو نندم لأن الاهتمام بالتراث والانشغال به فى نظر بعض العلماء والباحثين سمة من سمات المجتمعات المتخلفة « فى المجتمعات المتخلفة مازال تراث الأمة هو مكونها الأساسى فى الثقافة والمزاج الشعبى والشخصية القومية يعطيها تصوراتها للعالم وأنماطها فى السلوك . وهو تراث تمتد جذوره إلى آلاف الأعوام : الكونفوشوسية فى الصين ، والهندوكية فى الهند ، والبوذية فى فيتنام وكامل الهند الصينية والإسلام فى المنطقة الإسلامية ، والمسيحية فى أمريكا اللاتينية ، وفى أفريقيا الإسلام والمسيحية والديانات الأفريقية(١٦) .

إذا كان هذا هو شأن التراث فى نظر هؤلاء العلماء فينبغى ألا نأسى كثيرا أو لا نأس على الاطلاق على تراث فقدناه وألا نحتفل كثيرا أو نعبأ بتراث أحرزناه .

تقابل وجهة النظر هذه وجهة نظر أخرى تنظر إلى تراثنا غير تلك النظرة أو عكسها تماما وترى أننا فقدنا بما فقد منه الكثير وغنمنا بما بقى منه الكثير أيضا لما يحتوى عليه من عبقرية ، وقيم حضارية لأن تراثنا يختلف عن تراث غيرنا من الأمم بما يحمله من حضارة عريقة لم يشهد العالم مثلها كما أنه يحمل معالم وتعاليم الإسلام ــ الدين الذى ارتضاه الله للبشرية جمعاء ــ فلئن صح الرأى السابق على تراث أمم أخرى مثل : مصر والهند والصين وغيرهم فإنه ــ عند هؤلاء ــ ليس صحيحا بالمرة بالنسبة لتراثنا لسبب بسيط هو أن تراثنا نتاج تعاليم الإسلام ، أما تراث غيرنا فنتاج وثنيات وعقائد ما أنزل الله بها من سلطان .

---

(١٥) «المكتبات فى الإسلام» ٢٠٣ ، ٢٠٤ د. محمد ماهر حمادة

(١٦) «دعوة للحوار» ١٠٩ د. حسن حنفى

# بين المجلة والقارئ

إعداد وتقديم د/ محمد عبد الحكيم محمد

## مولد مركز عالمى للتوثيق الإسلامى

**راودت فكرة إنشاء «المركز العالمى للتوثيق والدراسات والتربية الإسلامية» جماعة من العلماء والمفكرين المهتمين بالعمل الإسلامى فى جمهورية مصر العربية وخارجها ، من بينهم أ.د/حسن عباس زكى ، د/على جمعة ، أ.د/أحمد فؤاد باشا ، أ.د/عبدالحليم عويس ، المستشار/ على حمدى ، وغيرهم من أقطاب الفكر الإسلامى الأكاديميين والمتخصصين .**

ثم شرعت هذه الجماعة فى الإجراءات اللازمة لتنفيذها ، واتخذوا لهم مقرا[1]. وانتخبوا مجلس الإدارة من بينهم ، وآلوا على أنفسهم تنفيذ توصيات المؤتمرات الدولية الخمسة للتربية الإسلامية ـ التى عقدت فيما بين عامى (١٩٧٧ ، ١٩٨٧م)ـ وحقيقة الأمر أن للمركز أهداف قومية أخرى وأوجه نشاط متعددة ، منها :

١ ـ تشجيع التعاون والترابط بين قادة الفكر فى العالم الإسلامى وتبادل الإنتاج العلمى الإسلامى مع الجامعات والهيئات والمنظمات الإسلامية .

٢ ـ الإعلام المتجدد عن حركة تبادل المعلومات الإسلامية وربط الدوريات الإسلامية العربية بعضها وبنظائرها الناطقة باللغات الأخرى .

٣ ـ نشر المعارف العلمية المتقدمة على الأمة الإسلامية بهدف الوصول إلى صياغتها من منظور إسلامى للإفادة منها .

٤ ـ إعداد مكتبة إسلامية متخصصة ومتجددة تكون مرجعاً للعلماء وأساتذة الجامعات وطلاب الدراسات العليا .

وهو جهد طيب تباركه «مجلة الأزهر» وتتمنى

(١) بالعقار الكائن فى ٢٦ ب شارع الجزيرة الوسطى بالزمالك ـــ القاهرة .

للقائمين عليه أن يؤتى ثماره ، لاسيما وقد أصبحنا فى مسيس الحاجة إلى بذل المزيد من الجهد فى مختلف ميادين البحث العلمى سعياً إلى قيام النهضة الإسلامية المرجوة .

وحبذا لو كان هناك اتصال «بمركز التوثيق البيليوغراف عن الإسلام والعالم الإسلامى» فى كلية الإمام الأوزاعى للدراسات الإسلامية بغية التنسيق معه فيما يتعلق بالأهداف المشتركة بينكما . حيث سبق لهذه الكلية أن أعلنت عام (١٩٨٣) ـ بنشرة التقرير الإسلامى رقم (١٦) ـ الصادرة عن المركز الإسلامى للتربية بيروت ـ عن إقامة هذا المركز للاتصال بالمراكز الجامعية والجمعيات العلمية ومؤسسات الأبحاث والمراكز الإسلامية ودور النشر والهيئات والوكالات الدولية المعنية بشئون المسلمين فى كل مكان ـ والتى قدّروا عددها وقتئذ بعشرة آلاف مؤسسة ـ بغية توفير المعلومات البيليوغرافية عن العالم الإسلامى والأقليات الإسلامية بمختلف لغات العالم ، ثم تبويبها وتغذية الحاسب الألكترونى بها بموجب نظام موحد يسهل على الباحثين استخدامه والرجوع إليه ، والله ولى التوفيق .

# دور الأزهر والتعتيم الإعلامى

كذلك تلقت المجلة رسالة الكاتب / أحمد طه الفرغلى المنفلوطى ، والتى تعكس تقديره للدور الريادى الذى يضطلع به الأزهر فى خدمة الإسلام والمسلمين ، وعلى الرغم من سياسة التعتيم الإعلامى فى غض الطرف عن دوره الرائد ، إلا أنه ماض فى مسيرته يدعو الناس إلى الدين عن وعى وبصيرة ، ويقف لكل دعوة باطلة بالمرصاد ، يقول فى ذلك :

لا يجهل أحد إلا حاقد أو مكابر دور الأزهر الشريف تجاه الدعوة الإسلامية منذ ألف عام أو يزيد ، فلقد كان الأزهر رمز الإسلام الصادق ومنارة العلم الصحيح وصوت الحق المدوى فى كافة المواقف على مر العصور والأيام وقلعة النضال التى تحركت منها كتائب العلماء الأبطال لمواجهة الغزاة الذين أرادوا بمصر شراً فدحروهم بقوة الإيمان والعقيدة الراسخة .

ولا يختلف اثنان على أن الأزهر الشريف تخرج منه علماء أفذاذ أجلاء حملوا لواء الدعوة الإسلامية فى كافة بقاع العالم لأنهم تخرجوا منه ، ولم يحملوا

إلا كتاب الله وسنة رسوله ـ ﷺ ـ فأرسوا قواعد العلم الإسلامى الصحيح بعيداً عن كافة مظاهر التشدد والاختلاف فأناروا الطريق وهدوا البشرية ومحوا ظلمات الجهل وكانوا من خيرة العلماء العاملين المهتدين المقتدين ..

ولا ينكر أحد الدور العظيم والكبير الذى يقوم به الأزهر الشريف فى كافة القضايا التى تهم الإسلام والمسلمين فى الداخل والخارج رغم التعتيم الإعلامى على هذا الدور ـ فالأزهر الشريف يقوم بدوره الرائد رغم كل الظروف التى يتعرض لها ـ فلابد أن يكون للأزهر الشريف مكان الصدارة فى كافة شئون الإسلام والمسلمين سواء داخل مصر أو خارجها ؛ فالأزهر هو حصن الإسلام المنيع الذى يزود عنه ، ليس فى مصر فحسب ولكنه فى شتى بقاع العالم .. ولا يستطيع أحد أن ينسى أو ينكر دور الأزهر ورجاله منذ قديم الزمان فالأزهر كان دائماً ومنذ القرن السادس الهجرى موئل العلماء ومأواهم إذا ما تعرضوا لتشريد أو منعوا من الصدع بكلمة الحق ، فهو موطن العلماء من جميع المسلمين من كل بقاع الأرض فلقد كان ملاذاً ومأوى لكافة علماء العالم من الترك والهند والأفغان يجتمعون على موائد العلم والكل يعطى ويأخذ .

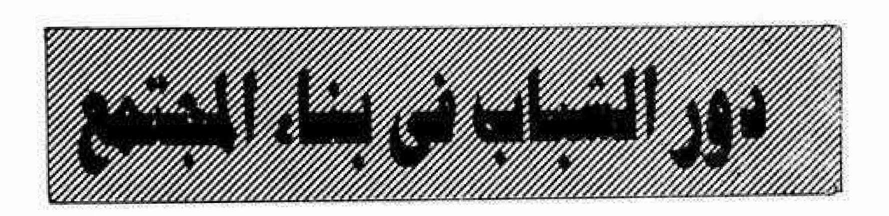
وأثناء الغارات الصليبية على سوريا لم يجد العلماء أمامهم إلا الأزهر الشريف الذى فتح لهم صدره واستقبلهم الاستقبال الكريم اللائق بهم .

ولما جاءت حروب التتار ـ بدأ علماء العراق وسوريا يتجهون إلى الأزهر فوجدوا فيه مكان العلم المشرق والروح المصرية السمحة الطيبة .

وعندما اقتطعت الأندلس وعذب المسلمون حضر العلماء إلى الأزهر الشريف وزاولوا فيه نشاطهم العلمى العظيم .

كل هذا جعل الأزهر الشريف مشرق العلم الإسلامى وفيه المثابة والأمن وسيظل الأزهر الشريف سراج العلم الإسلامى الذى لا ينطفىء فى كل مكان .

✻✻✻✻✻✻



# دور الشباب فى بناء المجتمع

**لاشك فى أن مرحلة الشباب من أهم مراحل العمر ، فهى تتميز بقوة الجسم ومضاء العزيمة وقوة الإرادة ، ولقد اغتنم الشباب فى الماضى ما حباهم الله من عقول ناضجة لم تفسدها الأهواء ، وما أنعم الله عليهم من قلوب نيرة لم يلوثها الكذب أو النفاق ، فإذا بهم ينفقون شبابهم على خير ما ينفق الشباب ؛ بل وينفقون أعمارهم كلها على خير ما تنفق الأعمار .**

يضرب لذلك الأمثلة الشيخ / محمد فتحى عبدالصادق عز ـ ليسانس الشريعة سنة ١٩٤٨ وتخصص التدريس سنة ١٩٥٠ ـ فيقول :

« هذا « أبو على بن الحسين بن سينا » درس الفلسفة والفقه ونبغ فى الطب حتى قيل إنه أول من اكتشف أورام المخ وكانت سنة ست عشرة سنة ، وهذا « إياس بن معاوية » تولى قضاء البصرة وله عشرون سنة ولما زار الخليفة المهدى البصرة خرج كبراؤها وعلماؤها لمقابلته والترحيب به وفى مقدمتهم إياس القاضى ، ولم يكن الخليفة يعرفه . فقال منكراً عليه أن يتقدم من هم أكبر منه ، كم سنك يا فتى ؟ وأدرك « إياس » بفطنته ما يريد الخليفة من سؤاله ، فقال له : سنى أطال الله عمر أمير المؤمنين هى سنّ أسامة بن زيد حين ولاه رسول الله ﷺ قيادة الجيش وفيه أكابر الصحابة كأبى بكر رضى الله عنه .

والإمام « الشافعى » الذى ملأ طباق الأرض علماً ومات له أربع وخمسون سنة ، كان يجد لذة ومتعة فى سهرة لتدوين العلم ويقول :

سهرى لتنقيح العلوم ألذ لى

من وصل غانية وطيب عناق

وتمايلى طربا لحل عويصة

أحلى وأشهى من مدامة ساق

أأبيت سهران الدجى وتبيته

نوما وتبغى بعد ذاك لحاق

فإذا ما دعا الداعى إلى ملاقاة عدو يريد أن يحتل الأرض ويستغل خيراتها أسرع الشباب إليه وهم فى أول مراحله ، وفيهم من لم يصل إلى سنّ البلوغ فكان ـ رسول الله ﷺ ـ يردّهم لصغرهم ، ولما كان بعضهم يخشى أن يحرم من شرف الجهاد ، كان يقف على أطراف أصابعه حتى يبدو طويلا وليس صغيراً ، وبعضهم كان يبكى لأن رسول الله ﷺ لم يُجزه للقتال كما حدث من أخى سعد بن أبى وقاص وقد استشهد فى إحدى المعارك وله ست عشرة سنة ، وحدث أن غلامين من الأنصار تسللا بين صفوف المقاتلين ، ثم يغمز أحدهما عبدالرحمن بن عوف وقال له يا عم هل تعرف أبا جهل بن هشام ؟ فيقول له متعجباً ولمَ ؟ قال لأننى سمعته يسبّ رسول الله ـ ﷺ ـ والذى نفسى بيده لئن رأيته لا يفارق سوادى سواده حتى يموت الأعجل منا ، ثم غمزه الآخر وقال له مقالة صاحبه ، وبعد فترة قال لهما « عبدالرحمن بن عوف » هذا صاحبكما الذى تسألانى عنه فابتدره أحدهما بسيفه وأجهز عليه ابن مسعود كما رواه البخارى فى صحيحه » .

**إنهم كانوا يحرصون على أداء الصلاة فى خشوع وتضرع وإقبال على الله وطرح لشواغل الدنيا .**

**دخل أحد الصحابة مسجداً للصلاة فوجد به شاباً يصلى ويناجى ربه فى تضرع وتذلل ، وبعد أن انتهى من صلاته اقترب منه الصحابى وسأله : من أبوك يا فتى ؟ قال إنى يتيم الأبوين ، قال : أما ترضى أن أكون لك أباً ؟ قال فهل تطعمنى إذا جعت ؟ قال نعم : قال فهل تسقينى إذا عطشت ؟ قال نعم ، قال :**

**فهل تكسونى إذا احتجت ؟ قال نعم ، قال : فهل تحيينى بعد الموت ؟ قال أمّا هذه فلا ، قال فدعنى للذى خلقنى ورزقنى ، ثم يميتنى ثم يُحيين .**

# ردود وتعليقات

**● القارىء وسيم عبدالعليم عزب - وكيل مدرسة أبى صقل الإعدادية بشمال سيناء .**

مرحباً بك صديقاً دائماً للمجلة وفى انتظار إبداعات أخرى .

**● القارىء/ محمد الضياء سيد حنفى - معهد الأقصر الدينى ، والقارىء/ محمد إبراهيم الدمرداش - بمجلس مدينة بركة السبع بالمنوفية .**

نشكر لكم رصدكا لدور الأزهر ومجلته فى كشف الأباطيل الموهومة ودحض الأفكار الباطلة فى الكتب التى أُعيد نشرها بما تحمله من أخطاء تحت مسمى «سلسلة المواجهة والتنوير» . وقد لاحظتما أن المصفقين لهذه الكتب لا علاقة لهم بالبحث الإسلامى ، وكان الأجدر بهم والأكرم لهم التوفر على شىء تخصصوا فيه ، لأن البحوث الإسلامية لها فرسانها المتخصصون فى بحوثها ، وعزاؤنا - كما تعلمون - أن الساحة الفكرية ليست وقفاً على المفسدين ، فوراءهم من يحصى عليهم تهاونهم الأليم ، وهذا هو ما عكسته مجلة الأزهر فى أعدادها السابقة وهداياها المجانية .

**● القارىء/ زكى محمد أبو دوح صالح - القاهرة :**

يمكنك التوجه إلى المنطقة التعليمية الازهرية للتعرف على مدى إمكانية تحقيق رغبتك .

**● القارىء/ شريف حمد فواز - المدرس بمعهد كوم دوار بسوهاج :**

فيما يتعلق بشكواك كمدرس أزهرى من بعض أوجه القصور بالمقارنة مع نظيرك فى التربية والتعليم ، نفيدك بأن هذه السلبيات مطروحة - من قبل المسئولين بالأزهر - على موائد البحث وصفحات الجرائد ، ويمكنك قراءة المقالة المنشورة على صفحات هذا العدد بعنوان «إلى متى يطول الإهمال» .

**● القارىء/ جابر محمد جابر حسين- رئيس مكتب تموين الرمل بالاسكندرية :**

بالنسبة لمسابقة الشيخ الشعراوى التى أقيمت تحت إشراف الأزهر ، نفيد بأنه سيتم إخطار الفائزين بخطابات رسمية .

**● نعتذر عن عدم نشر الباب الفرعى المعنون «بأقلام القراء» نظراً لضغط المادة المقالية على هذا العدد ، وبمشيئة الله تعالى - سيوالى الباب اهتمامه بالرسائل التى يتلقاها تباعاً ، كما يحيط الباب قراءة الأعزاء علماً بأن مساحة الباب ذات دخل مباشر فى اختصار الكلمات المنشورة.**




إعداد الأستاذ / مُصطفى عبدالمجيد

## الرئيس مبارك يشهد احتفال مصر بذكرى ميلاد المصطفى صلى الله عليه وسلم

**فى ليلة مباركة وعلى أرض مصر الطيبة بلد الأزهر الشريف ووسط كوكبة من علماء مصر والعالم الإسلامى احتفلت مصر بذكرى ميلاد المصطفى «صلى الله عليه وسلم» مساء يوم الإثنين الموافق ١٢ ربيع الأول ١٤١٤هـ الموافق ٣٠ أغسطس ١٩٩٣م .**

شهد الاحتفال الذى أقيم بقاعة المؤتمرات الكبرى بمكتبة الاسكندرية السيد الرئيس محمد حسنى مبارك وفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر والدكتور رئيس مجلس الوزراء ورئيسا مجلسى الشعب والشورى وعدد من السادة الوزراء وكبار رجال الدولة ولفيف من علماء الأزهر والأوقاف والسادة ضيوف مؤتمر العطاء الحضارى للإسلام الذى تزامن انعقاده مع الاحتفال بذكرى ميلاد الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم .

وقد قام الرئيس محمد حسنى مبارك بتكريم خمسة عشر عالما ومفكرا من كبار علماء مصر والعالم الإسلامى والعربى ، كما منح سيادته جوائز الحج والعمرة وجوائز مالية لعشرين شابا من مصر وبعض الدول الإسلامية .

وقد ألقى فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر كلمة جامعة دعا فيها المسلمين إلى الاهتداء بسنة صاحب الذكرى العطرة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالصدق فى القول والعمل وتحمل مسئولية أمانة الكلمة ، كما دعاهم فضيلته إلى التراحم فيما بينهم تمسكا بهديه ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى تلك الصفة .

وفى ختام الحفل ألقى السيد الرئيس كلمة دعا فيها إلى الفهم الصحيح للدين الذى أكدته النصوص الشرعية القاطعة مشيرا إلى أن إيصال هذه الدعوة ينبغى أن تكون المهمة الأولى للدعاة والعلماء والعاملين فى حقل الدعوة ، وناشد سيادته المسلمين فى كل مكان بدعوة صادقة من

أرض الكنانة قلب العروبة ودرع الإسلام إلى العمل من أجل صحوة الأمة ونهضتها باتباع تعاليم الدين الحنيف لإبراز جوهر الإسلام فى أعين الآخرين .

## الإمام الأكبر يستقبل وزير الإعلام والثقافة لدولة سنغافورة

التقى فضيلة الإمام الأكبر والسيد جورج هوم وزير الثقافة والإعلام لدولة سنغافورة صباح يوم الخميس الموافق ٨ ربيع الأول ١٤١٤هـ ٢٦ أغسطس ١٩٩٣م ، ودار الحديث حول العلاقات الثقافية ودور الأزهر الشريف فى العالم الإسلامى وما يقدمه من خدمات لأبناء المسلمين فى سنغافورة ، وأبدى السيد الوزير تقديره وتقدير بلاده حكومة وشعبا للأزهر ودوره التاريخى فى العالم أجمع .

كذلك دار الحديث حول المتغيرات المنبثقة فى العالم بعد نهاية الاتحاد السوفيتى وظهور الدول الإسلامية الجديدة التى كانت تتبعه واتجاهاتها المتنوعة لاسيما فى التوجهات الإسلامية حيث اتجه بعضها إلى كل من تركيا وإيران وباكستان ، وكذلك ما يحدث الآن فى يوغوسلافيا السابقة ، كما دار اللقاء حول المشكلات المعاصرة التى حدثت وتحدث فى العالم الإسلامى والحلول المقترحة نحوها .

وقد أكد فضيلة الإمام الأكبر على دور الأزهر الشريف وما يقوم به نحو تقريب الثقافة الإسلامية لكافة الشعوب الإسلامية سواء بإيفاد المدرسين أو باستقبال الطلاب لتعليمهم فى كافة المراحل .

وقد أبدى السيد الوزير ومرافقوه الشكر والتقدير للمعلومات التى حصلوا عليها عن دور الأزهر وصلته بسنغافورة .

## الإمام الأكبر يرأس اجتماعات مؤتمر العطاء الحضارى للإسلام

برعاية من الرئيس محمد حسنى مبارك وبرئاسة فضيلة الإمام الأكبر نظمت وزارة الأوقاف مؤتمر العطاء الحضارى للإسلام بمدينة الإسكندرية فى الفترة من ١٠ ـ ١٣ ربيع الأول ١٤١٤هـ الموافق ٢٨/ ٣١ أغسطس ١٩٩٣م ، وعلى مدى تلك الأيام الأربعة ، وبحضور ثلثمائة عالم إسلامى يمثلون اكثر من خمسين دولة إسلامية تمت مناقشة العديد من الأبحاث التى رفعت إلى المؤتمر .

وقد دارت المناقشات فى أربعة محاور هى : مفهوم الحرب والسلام فى الاسلام ، وحضارة الإسلام وعطائه فى نظم السياسة والحكم والشورى ، والعطاء الإسلامى فى المجال الإجتماعى والأسرى ، والعطاء الاسلامى الحضارى فى مجال الطب والعلوم .

وفى ختام أعماله أصدر المؤتمر إعلان الإسكندرية حيث وجه نداءين :

الأول إلى الأمة الاسلامية دعاها فيه إلى توحيد كلمتها وإعادة ترتيب أوضاعها لاسترداد هويتها .

والثانى وجه المؤتمر إلى شعوب العالم وقادته وساسته ومفكريه دعاهم إلى الإستعلاء على عداءات الماضى والارتفاع فوق بعض الصفحات السوداء فى التاريخ ، كما دعاهم إلى تبادل المعرفة والرأى والتجربة .

أكد المؤتمر فى توصياته الصادرة فى ختام أعماله على ضرورة الإلتزام بأحكام الإسلام ومبادئه السمحة التى تتميز بالوسطية للحفاظ على هوية

الأمة الإسلامية وأصالة حضارتها دونما انعزال عن الحضارة المعاصرة ودون ذوبان فى حضارات أخرى .

كما سجل المؤتمر أسفه واستنكاره البالغ لما يجرى من ممارسات تعسفية واعتداءات وحشية على بعض الشعوب الإسلامية تحت سمع المجتمع الدولى وبصره ، بلغت ذروتها فى العدوان على دولة البوسنه والهرسك وبعض الأقليات الإسلامية فى بعض المجتمعات .

وقد دعا المؤتمر الدول الإسلامية والمجتمع الدولى إلى بذل جهود مكثفة لدى الدول المعنية والمنظمات الدولية لوضع حد لهذه الانتهاكات والجرائم الوحشية .

● ● ●

وعلى هامش المؤتمر استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ورئيس المؤتمر بعض وفود الدول المشاركة فيه فقد استقبل فضيلته الدكتور ترمغدى طاهر وزير خارجية الشئون الدينية بأندونيسيا والسيد عبدالكافى القرشى وزير الأوقاف اليمنى والدكتور تمهيد موتيلاى محافظ مدينة مرادى بالفلبين .

تم خلال اللقاء بحث أوضاع المسلمين فى تلك الدول ودعم سبل التعاون بينها وبين الأزهر الشريف لنشر الثقافة الاسلامية فيها .

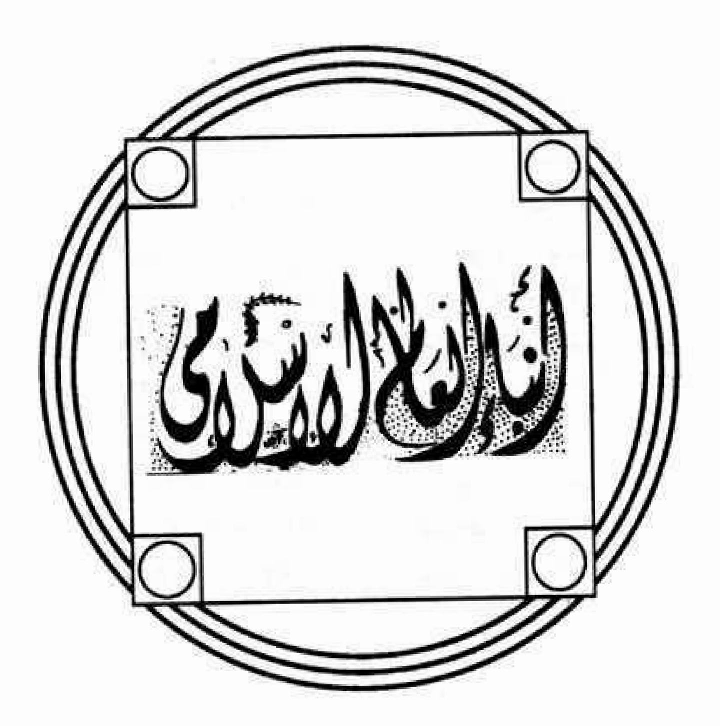
## زيادة عدد المنح المقررة للطلاب الدارسين بالأزهر

التقى فضيلة الإمام الأكبر قبل ظهر يوم الخميس الموافق ٨ ربيع الأول ١٤١٤ ـ ٢٦ أغسطس ١٩٩٣ بعدد من الصحفيين يمثلون وكالة أنباء الشرق الأوسط وجريدتى الأهرام والأخبار حيث طرحوا على فضيلته عددا من الأسئلة دارت حول التنسيق بين أجهزة الدعوة فى مصر ، وتطوير التعليم بالمعاهد الأزهرية ، وما يقدمه الأزهر الشريف لطلاب الشعوب الإسلامية .

وقد أكد فضيلة الإمام الأكبر على أهمية الدور الذى يقوم به الأزهر تجاه أبناء المسلمين من مختلف دول العالم حيث يتم تخصيص المنح الدراسية لهم كل عام مشيرا إلى زيادة عدد المنح المخصصة هذا العام حيث بلغت ( ١٢٥٠ ) منحة لطلاب الشعوب الإسلامية بمعاهد الأزهر وجامعته .

وأعلن فضيلته أن هناك تنسيقاً مستمرا بين الأزهر ووزارة الأوقاف مشيرا إلى أن رجال الوعظ التابعين للأزهر على مستوى الجمهورية والبالغ عددهم أكثر من ألفين وخمسمائة واعظ يؤدون واجبهم على خير وجه إلى جانب علماء وزارة الأوقاف من خلال خطة منسقة تعرض قبل تنفيذها على اللجنة العليا للدعوة برئاسة شيخ الأزهر .

وعن تطوير المعاهد الأزهرية أوضح فضيلته أن عملية التطوير قائمة ومستمرة وإنها تشمل الأبنية التعليمية بالإضافة إلى تدريب القائمين على العملية التعليمية بالمعاهد الأزهرية من خلال دورات تدريبية خصصت لهذا الشأن ، كذلك أشار فضيلته إلى أن التعليم فى الأزهر له صيغة خاصة حيث يتميز الطالب بالأزهر عن قرينه فى التعليم العام بأنه يدرس العلوم العربية والشرعية ، بالإضافة الى العلوم الثقافية موضحا أن المناهج الدراسية فى تطوير مستمر مع الإحتفاظ بالمناهج الإسلامية وذلك لخصوصية التعليم الأزهرى .



إعداد الأستاذ/ مجدى عبد الحميد بشير

**العلماء المكرمون فى مصر**

كرم الرئيس مبارك مساء ١٢ من ربيع فى احتفالات مصر بالمولد النبوى الشريف ١٥ من كبار علماء الإسلام وهم : د. عبدالحميد الطرابلسى وزير الأوقاف والشئون الإسلامية بسوريا والشيخ جاد الرب رمضان جمعة عميد كلية الشريعة والقانون السابق بالأزهر .. والشيخ الترمذى طاهر وزير الشئون الدينية باندونيسيا ، والشيخ إبراهيم صالح المستشار الدينى برياسة الجمهورية بنيجيريا ، والسيدة نجمة هبة الله نائب رئيس مجلس الشورى بالهند ، وحفيدة أبو الكلام اذاد المفكر الإسلامى الهندى الكبير ، ومحمد يونس نائب مدير الإدارة الدولية بالجمعية المصرية بالصين ، والدكتور على فهد الزومية وكيل وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت ، والدكتور يوسف الكتانى رئيس جمعية الإمام البخارى العلمية الإسلامية وعضو مجلس علماء المملكة المغربية ، ودومينك سبيغالية مدير معهد الدراسات الإسلامية بفرنسا ، والشيخ يوسف سليم مدير المركز الإسلامى بواشنطن ، وراجا ظفر الحب أمين عام المؤتمر الإسلامى بباكستان ، وعبدالغفور البورسعيدى رئيس المجلس الأعلى لمسلمى ....... واسم المرحوم د. زكى الدين شعبان رئيس قسم الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق ، والشيخ نجدى صالح الحولى كبير أئمة بوزارة الأوقاف ، وشيخ مسجد الحسين بالقاهرة .

وقد اعتذر الشيخ الأمين عثمان مفتى أريتريا عن

عدم الحضور لتسلم وسام تكريمه لاصابته بأزمة قلبية ونقل للعلاج فى إحدى مستشفيات اسمرة .

زغرب :

قال الأمين العام للجنة الاغاثة الإنسانية ومقرها زغرب أن القوات الكرواتية تنتهج سياسة جديدة ضد النشاط الإغاثى بالبوسنة وأشار إلى أن قوات الشرطة الكرواتية قامت بمداهمة مقر أعضاء هيئات الإغاثة الإسلامية والعربية فى العاصمة الكرواتية . وفى نفس الوقت أكدت تقارير إخبارية أن السلطات الكرواتية قطعت خطوط الهاتف والاتصالات الأخرى لساعات عدة وأوقفت العديد من العاملين فى المجال الإغاثى وعلى أثر ذلك اتصل المجلس الإسلامى فى ألمانيا بجميع السفارات العربية والإسلامية وبعض الهيئات والمؤسسات بهدف التحـرك لإيقـاف هذه الانتهاكات بكل وسائل الضغط الممكنة وأرسلت رسالة للسفارة الكرواتية بالعاصمة الألمانية تطالبها بإطلاق صراح المحتجزين والموقوفين ورد كل الأجهزة والمعدات المسلوبة . ومن جهة أخرى نبه كبار المسئولين من أقطاب العالم الإسلامى إلى المخاطر التى يتعرض لها المسلمون فى كوسوفو والسنجق من عصابات صربيا التى أحشدت تمارس عدوانها ضد حرمات المسلمين ومقدساتهم فى يوغوسلافيا السابقة . وناشدوا دول العالم المتحضر ممثلة فى منظمة الأمم المتحدة والمجموعة الأوروبية حمل حكومة صربيا على احترام إدارة المسلمين فى تقرير مصيرهم فى إقليمى كوسوفو والسنجق وأخذ المبادرة لمنع أى اعتداء صربى همجى بربرى على المسلمين يؤدى إلى تجديد المجازر الوحشية ضدهم وأن سياسة المحاباة والكيل بمكيالين قد تكون الشرارة التى تشعل حرباً عالمياً ثالثة تكو بدايتها من شبه جزيرة البلقان .

تحذير هام :

جرت اتصالات بين قادة العمل التنصيرى فى أوروبا وروسيا لبحث نشاطات التنصير فى الجمهوريات الإسلامية والتوقان وسيبريا وناقشوا خططاً لترجمة الإنجيل إلى خمسين لغة محلية فى مناطق الاتحاد السوفييتى السابق وستعقد دورة تدريبية لمترجمى الإنجيل فى روسيا .

القاهرة :

حذرت رسالة ماجستير نوقشت فى جامعة عين شمس حول التلفاز وأطفال المسلمين من خطر المسلسلات والأفلام التى تتسم بالعنف ولمدت ظهور بعض السلوكيات العدوانية إلى هذه البرامج وان المشاهدات لمدد طويلة للتلفاز والاثارى تسبب مايعرف بصرع الاتارى والذى بدأت الشركات اليابانية المنتجة لهذه الأجهزة فى التحذير منه كتابيا تماما كما يحدث فى التحذير من خطر التدخين وضرره بالصحة العامة .

العطاء الحضارى للإسلام :

عقد فى القاهرة فى الفترة من ٢٨ حتى ٣٠ أغسطس ١٩٩٣ المؤتمر العالمى تحت عنوان العطاء الحضارى للإسلام الذى حضره عديد من العلماء والشخصيات الإسلامية البارزة من شتى الأقطار الإسلامية والأقليات الإسلامية فى جميع أنحاء العالم وناقش المؤتمر الذى عقد برعاية شيخ الأزهر ووزارة الأوقاف العطاء الحضارى للإسلام فى العلاقات الدولية جاء فيها قضايا الحرب والسلام ومفهوم الجهاد فى الإسلام وعلاقة الـدول الإسلامية بغيرها وتشجيع الإسلام للعلـم والإعجاز العلمى للقرآن واتخاذ العلم سبيلاً للتقدم والرقى والازدهار البشرى .

اليابان :

عقد فى اليابان فى الفترة من ١٧/ حتى ١٩٩٣/٨/٢٥ مؤتمر عالمى تحت شعار تأثير العقيدة الإسلامية فى ميدان الصحة النفسية شارك فيه كبار الأطباء النفسيين فى أنحاء العالم وكان من بينهم أطباء مصريون قدموا بحوثاً ..... حول تأثير العقيدة الإسلامية الفعال فى التعجيل بشفاء المرضى وجدير بالذكر أن قوة الإيمان ترتبط ارتباطاً وثيقاً وإيجابياً بالصحة النفسية حيث كفل الله للمؤمنين به أمرين هما سر الصحة الإيمانية والنفسية ألا وأنهما مسألتا الرزق والأجر اللتان لا دخل للإنسان فيهما .

دمشق :

تقيم مكتبة الأسد فى الفترة من ٧ إلى ١٦ ربيع الآخر المقبل أى من ٩/٢٣ : ١٠/٢ سنة ١٩٩٣ معرض الكتاب العربى والإسلامى فى دورته السنوية التاسعة فى دمشق بسوريا وقد وجهت الدعوة إلى مختلف دور النشر والتوزيع والمؤسسات العلمية والمنظمات الإسلامية الدولية ووزارات الإعلام والثقافة والتربية والتعليم ومجامع اللغة العربية فى كل دول العالم الإسلامى للاشتراك بأحدث المطبوعات ويتخلل المعرض ندوات وأمسيات فكرية يشارك فيها نخبة ذوى الرأى والفكر الصحيح .

ماليزيا :

أوصت ندوة علمية عقدت بماليزيا بأهمية الإسراع فى انشاء مدرسة طبية هناك تعنى بالعلوم الطبية والصحية المأخوذة من القيم الإسلامية والمستنبطة من نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وصرح مدير الجامعة الإسلامية العالمية المنظمة للندوة بأن المدرسة المقترحة ستوضع ضمن مشروعات الخطة الخمسية السابعة للحكومة الماليزية التى تبدأ من بداية عام ١٩٩٦ وتعرف بقسم العلوم الصحية للجامعة الإسلامية العالمية والتى سيستفيد منها كل المسلمين .

الايسسكو :

تقوم المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة إيسسكو بإعداد صور لجميع المخطوطات الإسلامية ذات الموضوعات العلمية الموجودة بمكتبة بوليفيان بمركز أكسفورد للدراسات الإسلامية ....... وذلك لتكون فى متناول يد الباحثين والدارسين للتراث الإسلامى وذكر مدير المنظمة أن هناك حوالى ٥ ملايين مخطوطة إسلامية باللغة العربية موجودة فى مكتبات العالم العامة لم ينشر منها فى القرن الماضى إلا مائتان ألف مخطوطة فقط وأن الملايين من المخطوطات تعرضت للسرق والحرق والتلف على أيدى الغزاة والقراصنة والمستعمرين .

بورما :

قال رئيس الجبهة الإسلامية فى دوهانجى نور الإسلام حمزة أن الحكومة البورمية لاتزال تطبق قانوناً سنته قبل عام يقضى بتجريد مسلمى روهانجيا من جنسيتهم البورمية وحرمانهم من حق المواطنة وأوضح أن هذا القانون قد سمح للحاقدين بالتطاول والاعتداء على المسلمين هناك أما حكومة بورما (ماينمار) فتفرض من جانبها حظر التجول فى مناطق المسلمين باستمرار مما يؤدى فى أحوال كثير الى أن المسلمين لايستطيعون آداء الصلاة فى جماعة وطالب سيادته فى زيارة قام بها لدولة الإمارات العربية المتحدة طالب العالم الإسلامى بالضغط على بورما لوقف انتهاكاتها المتواصلة لحقوق الإنسان وإحياءها على احترام سيادة المسلمين .

1. — Le Coran nous a dépeint dans plusieurs versets, les étapes de la formation de l'être humain — depuis qu'il est foetus jusqu'à sa mort-dans cette vie d'ici-bas. Il nous a montré aussi la destinée des humains après la fin de la vie d'ici-bas, comme on peut lire dans les versets sacrés :

"[Nous avons créé l'homme d'argile fine, puis Nous en avons fait une goutte de sperme contenue dans un réceptacle solide, puis, de cette goutte, Nous avons fait un caillot de sang, puis, de cette masse, Nous avons créé les as, Nous avons revêtu les os de chair, produisant ainsi une autre création — Qu'Allah soit béni, le meilleur des créatures ! Vous mourrez ensuite, puis le Jour de la Résurrection, vous serez réssuscités].

Sourate les Croyants, le sens de versets (12 à 16).

On peut donc voir que ces versets sacres, après avoir admirablement démontré les etapes de la création de l'être humain, se terminent ainsi par les paroles d'Allah (gloire a Lui).

Vous mourrez ensuite, puis, le Jour de la Résurrection, vous serez ressuscités].

Sourate "Les Croyants" le sens des versets de (15 à 16).

C'est à dire que, d'après ce qu'Allah a formulé, la création de l'homme passe par des stades : Le nouveau né devient un garçon, puis un jeune homme, ensuite un adulte et enfin un vieillard. Donc la destinée de tout homme le mene à la mort à laquelle aucun être humain ne peut échapper. (à suivre).

**Layla Hussein Al Chaféi**

# "Réflexions autour du Jour Dernier d'après un article du Cheikh T'antawi, grand Mofti" (à suivre)

par Layla Hussein Al Chaféi

Le fait de croire qu'il y a un jour dernier, un jour de réssurection où aura lieu le Jugement dernier, avec la rétribution et le châtiment, est un des piliers fondamentaux de l'Islam et un des fondements de la vraie foi. L'Islam d'une personne est incomplet si cette dernière n'est pas profondément convaincue avec une foi inébranlable que ce monde ici-bas-ainsi que les objets et les créatures-est temporel. Allah seul en connaît la durée et qu'une autre vie durable et éternelle succèdera celle d'ici-bas ainsi qu'Allah-gloire à Lui l'a dit : [La vie de ce monde n'est que divertissement et jeu. La demeure dernière est certes la vraie vie. S'ils le savaient !] Sourate "L'Araignée" le sens du verset (64).

Ce qui revient à dire que le monde où nous vivons avec ses joies et ses peines (les jouissances et les plaisairs terminés est tellement éphémère qu'elle ressemble aux jouets qui attirent et réunissent les enfants pour une courte durée et dont ils finissent par se lasser par contre l'au-delà est le lieu (siège) de la vie durable, éternelle et permanente. Le mot "          " dans le verset sacré désigne la vraie vie c'est-à dire la vie éternelle.

Une question surgit alors : comment la loi divine a-t-elle préparé les esprits, les coeurs et les sentiments en vue d'être âptes à accepter la foi en un jour dernier, où aura lieu le jugement des hommes, qui décidera de leur félicité ou de leur supplice éternel. Comment la chari'a, cette fois-ci a-t-elle engagé le dialogue avec les incroyants ou ceux qui doutent du jour dernier! Comment a-t-elle répondu à leurs doutes de façon à convaincre toute personne saine d'esprit? Comment a-t-elle fourni les épreuves évidentes et les arguments décisifs qui prouvent que ce jour viendra sans le moindre doute? Comment a-t-elle implanté au fond des âmes et des coeurs que ce jour est une nécessité afin que règne la justice sous toutes ses formes, afin que chacun obtienne la rétribution qu'il mérite, récompense ou châtiment? Comment a-t-elle peint les horreurs de ce jour avec un style si impressionnant et si sage qu'il pousse les saints d'esprits à s'y préparer en s'armant par la foi et les bonnes actions? Voici la réponse, à ces questions :

Le Saint Coran a adopté plusieurs voies pour implanter dans les coeurs la foi qu'il existe un Jour Dernier avec un jugement (une rétribution et un châtiment). Plusieurs propos du Prophète (paix soit sur lui) témoignent en détail de ce qui est exposé d'une manière générale dans le Saint Coran au sujet de ce jour qui est désigné sous plusieurs noms et sous des apparences impressionnantes et variées. Voici quelques moyens adoptés par le Coran en vue d'implanter la croyance en un jour dernier.

l'autre, il ne se préservait pas du contact de son urine pendánt qu'il urinait." Ensuite le Prophète (paix soit sur lui) prit une branche verte (encore tendre) la coupa en deux morceaux qu'il planta sur chacune des deux tombes : "Peut-être, dit-il, cela allègera-t-ils leurs souffrances tant que la branche ne sera pas désséchée."

## CE QUI EST PRESENTE A LA VUE DU MORT MATIN ET SOIR

1. Impureté due à la façon d'uriner

Esnad : Ismaïl, Mâlek, Nafé, Abdallah Ebn Omar (A.S.L.) le Messager d'Allah (paix soit sur lui) a dit : "Lorsque l'un d'entre vous meurt, on lui montre matin et soir la place qui lui est réservée : c'est à dire au paradis s'il est destiné à être parmi les hôtes du paradis, ou en Enfer s'il sera parmi les hôtes de l'Enfer; puis il lui sera dit : "Ce sera là ta place le jour où Allah te réssuscitera."

## LES PAROLES QUE PRONONCE LE MORT DURANT SES FUNERAILLES

Esnad : Qataïba, Al Laïth, Sa'ïd Ebn Abou Sa'ïd, son père Abou Sa'ïd Al Khodry (A.S.L.) a dit : "J'ai entendu le Messager d'Allah (paix soit sur lui) dire : "Lorsque le corps est placé sur le brancard et que ce dernier est porté sur les épaules, si le défunt est un homme de bien, il dit : :"Empressez-vous, faites-moi avancer." Par contre, si ce n'est pas un homme de bien, il dit "Malheur à moi! Où m'emmerez-vous ?

*Dr. Rokeya GABR*

Esnad : Yahia Ebn Solaiman, Ebn Wahb, Younos Ebn Chéhab, Orwa Ebn Al Zobaïr a entendu Asma, fille de Abou Bakr (A.S.E.) dire "Le Messager d'Allah (paix soit sur lui) en faisant un sermon parla du supplice de la tombe qui est une épreuve pour l'homme. Lorsqu'il mentionna cela les musulmans poussèrent une grande clameur."

Ghondar a ajouté : "Le supplice de la tombe est une chose certaine."

Esnad : Ayyach Ebn Al Walid, Abdel Ala d'après Saïd Qatâda, Anas Ebn Mâlek (A.S.E.) a rapporté que le Messager d'Allah (paix soit sur lui) : "Lorsque le mort est placé dans sa tombe; que ses amis s'éloignent et qu'il entend le bruit de leurs pas sur le sol, c'est alors que deux anges viennent à lui, le mettent sur son séant et lui disent : "Que disais-tu au sujet de cet homme? (1) Le croyant répondra : "J'atteste qu'il est le serviteur d'Allah et Son Messager. On lui dira alors : "Regarde la place qui t'était réservée en Enfer, Allah te l'a échangée contre une place au Paradis," et l'homme verra ces deux places."

Qatada ajoute à cela : "On nous a dit (1) Mohammad paix soit sur lui que sa tombe devient spacieuse;" puis, revenant au hadith de Anas, il a ajouté "Quant à l'hypocrite ou le mécréant lorsqu'on lui demandera : "Que disais-tu au sujet de cet homme ? il répondra — Je n'en sais rien. Je répétais ce que les gens disaient "Les anges lui diront alors : "Tu n'a rien su et tu n'a donc rien lu du Coran ?" puis il sera frappé avec un marteau en fer et le coup sera si fort qu'il lancera un cri tel qu'il sera entendu de tout le voisinage à l'exception des hommes et des djinns."

## LES INVOCATIONS QUI PRESERVENT DU SUPPLICE DE LA TOMBE :

Esnad : Mohammad Ebn Al Mothanna, Yahya, Cho'ba, Awn Ebn Abou Djohaïfa, son père, Al Barrâ Ebn Azeb, Abou Ayyoub (A.S.E.) a dit : "Le Prophète (paix soit sur lui) étant sorti un jour après le coucher du soleil, entendit un bruit." Ce sont dit-il des juifs qui subissent le supplice dans leurs tombeaux."

Selon un autre Esnad, al Nadr, Sho'ba, Awn a dit : "J'ai entendu mon père dire qu'Al Barâa a rapporté selon Abou Ayyoub (A.S.L.) qu'il a entendu le prophète dire cela.

Esnad : Mo'alla, Wohaïb, Moussa Ebn Oqba, la fille de Khaled Ebn Sa'ïd Ebn Al'As a raconté qu'elle a entendu le prophète (paix soit sur lui) faire des invocations pour qu'Allah le préserve du supplice de la tombe.

Esnad : Moslem Ebn Ibrahim, Hécham, Yahya Abou Salama, Abou Horaïra (A.S.L.) a dit : Le Messager d'Allah (paix soit sur lui) avait l'habitude (Allahomma) je me refugie auprès de toi, contre le supplice de la tombe et celui de l'Enfer, contre les épreuves de la vie et de la mort, et contre l'épreuve de l'Antéchrist." (1)

## LE SUPPLICE DE LA TOMBE INFLIGE AUX COUPABLES DE MEDISANCE OU D'IMPURETE (1)

Esnad : Qataïba, Djarir, Al A'mach, Modjahid, selon Tawous, Abbas (A.S.L.) a dit : "Alors que le prophète (paix soit sur lui) passait devant deux tombeaux il dit : "Ces morts sont en train de subir un châtiment, ils n'ont pourtant pas commis de péchés majeurs puis il ajouta : "L'un deux colportait des médisances, quant à

# Le supplice de la tombe

*par Dr. Rokeya GABR*

Voici ce qui a été dit au sujet du supplice de la tombe selon les Hadiths d'Al-Bokhari dans ce verset coranique :

"Si tu voyais les injustes lorsqu'ils seront dans le abimes de la mort, et que les Anges, leurs mains tendues, diront: Dépouillez-vous de vous mêmes vous serez rétribués aujourd'hui par le châtiment de l'humiliation.

Sourate : Les troupeaux, sens du verset (93)

Ainsi que ces paroles d'Allah-gloire à Lui-dans le Coran : "Nous allons les châtier à deux reprises après quoi ils seront livrés à un terrible châtiment". Sourate "le Repentir, le sens du verset 10

De même la parole divine :

"Le peuple de Pharaon a subi un dur châtiment :

'Ils seront exposés au Feu matin et soir-et le jour où sonnera l'heure dernière, il sera dit, "Jetez le peuple de Pharaon au sein du plus terrible châtiment." Sourate "Celui qui pardonne" le sens du verset 45 et 46.

ESNAD : Hafs Ebn Omar, Cho'ba, Alqama Ebn Marthad, Sa'd Ebn Obaïda, Al Barrâ Ebn Azeb rapporté que le prophète (paix soit sur lui) a dit : "Lorsque le mort est placé sur son séant dans sa tombe, on vient l'interroger; alors il témoigne qu'il n'y a d'autre divinité qu' Allah et que Mohammad est Son Messager. C'est à cela que se réfère la parole divine : (Allah affermit le cœur de ceux qui croient, par une parole assurée)

Sourate Ibrahim, le sens du verset 27

Ce même hadith rapporté par Mohammad Ebn Bashar selon Ghondar et selon Choba, il ajoute que ce verset fut révélé à propos de la tombe.

Esnâd 'Aly Ebn Abdallah, Ya'coub Ebn Ibrahim, son père, Saleh, Naféi, Ebn Omar (A.S.L.) a dit :

"Le Prophète (paix soit sur lui) après avoir bien regardé les cadavres jetés au fond du puits-d'Al Qalib, leur adressa ces propos : "Maintenant Vouz avez la certitude que les promesses de votre seigneur étaient véridiques." On dit alors au Prophète (paix soit sur lui); "Parles-tu aux morts? Ils m'entendent aussi bien que vous, seulement ils ne répondent point, dit le Prophète."

Esnâd : Abdallah Ebn Mohammad, Sofyan, selon Hécham Ebn Arwa le père de Hécham, a rapporté selon un hadith de "Aicha (A.S.E.) où elle rapporte que le prophète (paix soit sur lui) a dit seulement : "A présent, ils savent avec certitude que ce que je leur disais était la vérité, car Allah-Gloire à Lui a dit : (Tu ne seras point entendu des morts). Sourate "Les Romains," le sens du verset 52.

Esnad : Abdan, le père de Abdan, Cho'ba Al Ach'ath, son père, Masrouq, Aïcha (A.S.E.) a dit qu'une juive alla la trouver et mentionna le supplice de la tombe en ces termes : "Qu'Allah te préserve du supplice de la tombe."

Alors Aïcha interrogea le Messager d'Allah (paix soit sur lui) à ce sujet. Il lui répondit : "Que le châtiment de la tombe est une vérité." Et Aïcha (A.S.E.) d'ajouter "Jamais je ne vis le Messager d'Allah (paix soit sur lui) faire une prière sans demander la protection d'Allah contre le supplice de la tombe."

# REVUE AL-AZHAR

RABEI AL SANI

1414

Volume 66 — Partie IV

## Section Française

wholeness of the text resulted in what is to be called "a third language". Arberry, on the other hand, was able to convey partly the literary and aesthetic effect. However, in Asad's translation, we find that his frequent use of parenthetical glosses impeded the flow of the discourse and resulted in a patch work that has a negative communicative effect. Khatib, however, was able to meet the demands of contemporary reader by using modern English style.

In order to render an adequate translation of the Quran, there are certain conditions to be essentially observed. First of all, the translation of the Quran must be done by someone with enough sympathy and understanding of the text. Without them, the translator could not transfer its meaning adequately. Second, the translator should have command equally over the source language and the target language. If he is not well versed in words, idioms, subtleties, and the style of the source and target language, he will surely be liable to make mistakes. The translator must also be well acquainted with the related sciences, such as hadith, exegesis... etc. Translations by persons with insufficient knowledge of either language, or with insufficient background, poor knowledge of related sciences, are of little use and may misrender, if not mispresent, the meanings of the Quran. For this reason, translating the Quran should better be carried out by a translation team. The translation team should include :

a) At least one mother tongue speaker of the source language.

b) At least one mother tongue speaker of the target language.

c) Almost one person with ability to interpret the source language test i.e. to discover the meaning of the source test accurately.

d) Native speaker of the target language to revise the translation in co-operation with a native speaker of the source language.

Third, testing the translation should be done with a wide cross-section of people, including, wherever possible, both Arabs and non-Arabs, Moslems and non-Moslems. The aim to find out whether people understood the correct meaning of the original message, and whether the language used in translation is correct and clear. Through testing and checking errors, inaccuracies, confusions and unnaturalness in the translation could be discovered and corrected. Fourth, as the translation is prepared for publication editing will also be needed. This includes checking such details as spelling, punctuation, verse numbering, consistency in the use of key terms and in the translation of parallel passages; a hard and exacting part of the work, but also necessary. Fifth, in printing the translation of the Quran, a photocopy of the Arabic text taken from an authorized Arabic copy should be printed alongside the translation in order to avoid any possible misunderstanding on the part of some people that such translation is equivalent to the Quran and thus can replace it.

Those are some recommendations and suggestions which ought to be taken into consideration in any translation of the Quran.

To be continued.

the native tongue of two only [Pickthall and Arberry]. Surah "MARYAM", its time and subject-matter is also included in part I.

In translating the Quran, which is a Holy Book addressed to all people in all times, the objective aimed at, in my opinion, is to render as adequately as the target language allows, both the meaning of the text and its communicative effect. The translator should convey the contextual meaning of words according to the interpretation given by the exegesis. Also the real purport and beauty of the original language, as far as possible, should be kept in the translation. The translator's failure in conveying any of the affects the reader's comprehension in addition to misdirecting his attitude towards reading the Quran.

In this paper, therefore, the qualify assessment of the translations of Surah "MARYAM" will deal with two aspects : mismatch in meaing and mismatch in communicative effect.

Part II deals with semantic mismatches which results mainly from wrong selection of words which are due to the translator's failure to understand the true meaning of the words as found in the original, or to his inability to select the most appropriate equivalent to the contextual meaning of the original.

Part III, however, is concerned with communicative mismatches. This part is divided into texical and stylistic. The former deals with those instances of lexical mismatches such as substitutions, additions, or omissions, which affect the communicative aspect of the source test. The latter deals with mismatches of rhetorical devices found in Surah "MARYAM" such as ellipsis, metaphor, "Iltifat", non-consequential exception, and sentence linkage, which also result in mismatch of communicative effect. This part also includes the style and language used by each translator which again affect the communicative aspect of the source text. It is worth mentioning, however, that in the quality assessment, the translators are judged against the source text where the original acts as a yardstick for the translation. They are also assessed as independent pieces of writing. Each translation, however, is not studied separately, verse by verse, but I will try to show the mismatches whether semantic or communicative between the translations and the source text. For this reason, the exegesis plays a major part for it is extremely important in the careful research into the exact meaning of the source message. The exegetes consulted in this work are: Zamakhshari, Qurtubi, Tabari, Baydawi, and Al Fakhr Ar-Razi.

Part IV, however, is divided into two points : the first deals with the translation difficulties which pose problems to translators when attempting to render the meaning of the Quran into other languages. The second point includes a comparison between the five translators in order to find out how far each of them was successful in rendering both the meaning and the communicative effect of the original.

Regarding the translations selected for this study, we find that despite the lexical and semantic mismatches found in each of them, the translators had tried hard to render as adequately as possible the meaning of Surah "MARYAM". However, they differed greatly regarding the communicative effect of the message. Pickthall adopted a literal translation at the expense of the communicative effect of the message. As to Y. Ali, we find that his use of a mixture of styles and languages without preserving the

# A COMPARATIVE STUDY OF THE ENGLISH TRANSLATIONS OF THE MEANINGS OF SURAH MARYAM

## (AN INTRODUCTION)

PRESENTED BY MONA ABDEL GHAFFAR SALEM M.A.

The field of Islamic studies has been and still is receiving a great interest from scholars everywhere. Many translations of the meanings of the Quran have been attempted by Moslems and non-Moslems, Arabs and non-Arabs.

Being a graduate of the English Department of Al-Azhar University, I found it my duty and also my interest to look into those translations in an attempt to find out whether these translations are adequate or inadequate, and to what extent they convey the true meaning of the Quran.

I selected Surah "MARYAM" from the Quran for my investigation hoping that the comparative study of the translations of the meanings of this Surah will help in reaching to some conclusions and recommendations for an adequate translation of the meanings of the Quran.

Some Moslem scholars opposed the idea of translating the Quran and even considered such attempts to be an act of blasphemy. This is partly due to the fact that early translations of the Quran were made by missionaries and their helpmates, with the aim of distorting the Quran and its message. However, in the year 1936, AL-AZHAR under the auspice of SHAYKH MUSTAFA AL-MARAGHI, proposed a project to render an official translation of the "meanings" of the Quran. translation committee of the Quran was issued by AL-AZHAR. The matter is rather left in the hands of private individuals who go on improving upon earlier ones. One of the latest English translations of the Quran rendered by M. M. KHATIB has been authorized by AL-AZHAR in 1984.

Part I of this research includes earlier disputes over the translatability of the Quran. Also in this part there is a survey of the English translation of the Quran (complete works). It shows how the Quran has been translated for different purposes by Moslems and non-Moslems, Arabs and non-Arabs. It will also introduce to the reader the five translators selected for my comparative study of Surah "MARYAM". The five translations studied in my research are rendered in the twentieth century by Mohammad Marmaduke Pickthall, Abdullah Yussuf Ali, Arthur John Arberry, Mohamed Asad, and M. M. Khatib who represent a variety of different nationalities, religions, and languages. As to their nationality, two of the translators are English [Pickthall, Arberry], one Indian [Y. Ali], one Polish [Asad], and one Egyptian [Khatib]. Regarding their religion, two of them are Moslems [Y. Ali, Khatib], two converts to Islam — from Christianity [Pickthall] and from Judaism [Asad] — and one Christian [Arberry]. All the translators translated from Arabic, however, the target language is

Some German women have already started to oppose the dominant atmosphere of sexism in society, especially in the media and in the professional world. Moreover, many have recognized the dangers of alcoholism and drug-addiction, and some individuals may welcome a religion that prohibits the use of alcohol and drugs. It can be also noted that there are young people who find Islam attractive for various reasons, either being brought up without religion, like teen-agers in the former East-Germany, or in families that are only Christian by name; young people soon lose their beliefs and stop going to church. At school, religious instruction is not compulsory and it is a rather unimportant subject. People are not used to speak about religion in the German society, and young people are often disappointed by the apparent materialism of their parents, who would give their children a lot of money but little affection.

Since many teen-agers feel a spiritual emptiness they start searching for other religious, sects and systems. They are in need of a sound order and willing to accept the leadership of any guide. Therefore obsecure sects are gaining adherents in Germany, especially in the former East-Germany which has become a large market for missionaries of all kinds of sects and ideologies. From Asia and America young people nowadays are interested in magic and witchcraft, some have become members of cults that worship the devil. Therefore, it is high time to intensify the propagation of Islam in Germany, a rather difficult task which is undertaken by several Muslim groups all over the country. Members of these groups, both Germans and foreigners, would organize lectures on Islam and sell Islamic books in public squares, as well as discuss questions raised by the public.

However, there is another problem in propagating Islam in Germany or in other western countries : this is the splitting of Muslims into various groups. The majority of mosques in Germany is run by Turkish muslims, but there are also Islamic centers established by other nationalites like Arabs, Iranians and Pakistanis. Unfortunately, there seems to be little counnection and co-operation between these groups.

Nowadays, fears are dominant that the German environment is going to be damaged by the pollution and carelessness of man. Islam stands for the protection of environment, of plants and aninals. Man is responsible for everything Allah has given to him, and he should not waste the resources of the world.

It is worthy to say that some of these notions could attract those people in Germany who are deeply concerned with the question of how mankind is to survive in the future. Man has forgotten his creator, and instead, is worshipping his own technology and sciences. Fear of the future, of wars and catastrophes, and the lack of sound perspectives are reasons for young people to search for a religion or a system that may give meaning to their lives and guide them.

The failure of Marxism and communism as illustrated by recent developments in East Europe may be a sign to many young people that these ideologies are unable to offer solutions to the great problems of mankind. Thus we are in a world of change and transition, and it is up to the Muslims everywhere, and in the Western countries, in particular, to propagate Islam with the best possible way i.e. by discussions, books, lectures, and most of all, through excellent behaviour. Some of the German converts to Islam who were heard of were deeply impressed by those Muslims that they had come to known. Those foreign Muslims had been able to convince their German friends by their helpfulness, kindness, calmness and patience, and most of all, by their deep faith. Such people are the best ambassadors of Islam.

# The Problems of Propagating Islam Among Germans, Especially women (Based on the words of a German convert)

by Iman El Zeiny

Muslims in Germany constitute a minority of about 2.5 million, who are mostly foreigners. Islam in Germany is often mixed up with political issues and, therefore, there are plenty of prejudices against Islam in its society. In the German media, there are various reports on the Islamic world which find wide-spread interest. Unfortunately, however these reports are often biased against Islam giving wrong impressions to spectators who have little or no idea of what that religion stands for. So often is Islam associated with Holy wars, Aggression, fanatism as well as terrorism. Islam is thought of as uncivilized religion : "Muslim still live in the 15the century", that means in the darkness of the European Middle Ages, some Germans, as well as other Europeans, say, stating that in Saudi Arabia, for example, the hands of thieves are cut off and adulterers are stoned to death.

Many of the Muslims living in Germany are simple uneducated labourers from Turkey, Jugoslavia, Tunis and Morocco, who German, in general, keep apart from them socially. Nowadays, there is a lot of unemployment in Germany, especially after uniting both West-and East-Germany, and uniformed people blame the foreigners for taking jobs from them. In reality, these jobs are often extremely low, e.g. waste collector and charwoman etc., which most Germans refuse to accept although the pay is good.

Concerning the position of women in Islam, there exist even more prejudices in the West : people believe that Muslim women are suppressed by men who can have several wives (Polygamy) and divorce them easily. The only role of Muslim women would be to serve their husbands and to give birth to as many children as possible. Indeed, there have been cases of Turkish workers who kept their wives and daughters at home by force, even depriving their daughters from attending school. Moreover, to many Germans, the head-covering (scarf) of Turkish women the symbol of male oppression, is unacceptable.

Keeping such examples and prejudices in mind, how can Islam be attractive to German women? In adopting Islam, wouldn't a woman be obliged to wear a scarf, which makes her an outsider at first glance! Muslim girls wearing scarfs in Germany may have some problems at scool, but after graduating they can be sure to have great difficulties in finding jobs or apprenticeships.

Therefore, it is necessary to make clear that in Islam, the head-covering of women is not a symbol for male oppression but a means of protection.

# AL AZHAR MAGAZINE

## ENGLISH SECTION

Vol. 66 Part IV

Rabi AL-AKHAR, 1414 Higrah — October, 1993,

EDITOR : Dr. TRANDIL HUSSEIN EL RAKHAWY. PHD

## CONTENTS

1 — The Problems of Propagating Islam Among Germans, Especially women (Based on the words of a German convert)
by : Iman El Zeiny

2 — A comparative study of the English translations of the meanings of surah Maryam
By : Mona Abd El Ghaffar Salem.

"Nothing would be of greater benefit to Muslims and to Humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

## الفهـــرس


الموضوع — الصفحة

● الافتتاحية (هل أعلنت العلمانية الحرب على الإسلام) .
د. على أحمد الخطيب ........................ ٤٨١
● كلمة السيد رئيس الجمهورية فى احتفال مصر بذكرى المولد النبوى الشريف ............. ٤٨٤
● كلمة الإمام الأكبر فى ذكرى المولد الشريف . ٤٨٨
● كلمة السيد رئيس الجمهورية فى مؤتمر العطاء الحضارى للإسلام ........................ ٤٨٩
● حوار مع الإمام الأكبر ...................... ٤٩٣
● فتوى للإمام الأكبر ........................ ٥٠٠
● نظرة فى تحقيق صحفى نشرته جريدة الأهرام
للأستاذ/ محمد البشير حسين نافع ........... ٥٠٣
● مع سورة الأنفال للدكتور عبد الجليل شلبى . ٥٠٥
● قبس من أنوار النبوة
للشيخ على حامد عبد الرحيم ............... ٥٠٩
● الخلاف الفقهى بين الأساليب اللغوية
للشيخ أحمد عبد الله أحمد العبليتى ........... ٥١٢
● القرآن صالح لكل زمان ومكان
للأستاذ الدكتور محمد رجب البيومى ....... ٥١٨
● حتى لا تكون فتنة
للأستاذ الدكتور ابراهيم عوضين ........... ٥٢٣
● المرأة فى الغرب الأوربى
للأستاذة الدكتورة/ اسمت غنيم ............. ٥٢٧
● الموارد المالية للمرأة فى الإسلام
بقلم عبيد عبد الواحد ...................... ٥٣٠
● تركيا والاتجاه شرقاً
للأستاذ الدكتور جعفر عبد السلام .......... ٥٣٦
● مغالطات عن مسلمى تركيا
للأستاذ/ أحمد محمد الصواف ............... ٥٣٩
● القيادة الإدارية (٢)
إعداد الدكتور محمد عبد الله آل ناجى ....... ٥٤٣
● الفتاوى إعداد الأستاذ عبد المنعم فودة ....... ٥٥٤
● طرائف ومواقف .
للأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ....... ٥٥٦
● من روائع الماضى بمجلة الأزهر
للأستاذ/ عبد الفتاح حسين الزيات ......... ٥٥٨
● من أعلام الأزهر
للأستاذ/ محمود عبد الرازق عقباوى ........ ٥٦٢
● أبو الريحان البيرونى
عرض وتحليل أ.د أحمد فؤاد باشا ............ ٥٦٤
● الحشرات فى القرآن الكريم
أ.د عبد الحكم عبد اللطيف الصعيدى ....... ٥٦٨
● الجديد فى العلم والتقنية
إعداد د. نجوى السيد أحمد ................ ٥٧٩
● البحث النحوى عند الإمام النووى
إعداد د. محمد عبد القادر هنادى ........... ٥٨٣
● القصيدة العربية (٦)
للأستاذ/ أحمد مصطفى حافظ ............... ٥٩٢
● عبقرية التراث بين النفى والاثبات
للدكتور عبد الفتاح أحمد الفاوى ............ ٥٩٦
● بين المجلة والقارىء
إعداد/ د. محمد عبد الحكم محمد ............ ٦٠١
● أنباء مكتب الإمام الأكبر .
إعداد الأستاذ/ مصطفى عبد المجيد ........... ٦٠٦
● أنباء العالم الإسلامى .
إعداد الأستاذ/ مجدى عبد الحميد بشير ...... ٦٠٩

**Section Française**

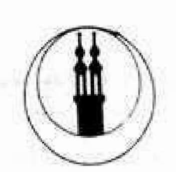
**Article 2 :- Layla Hussein Al Chafe. .. 612**

**Article 1 :-** *Dr. Rokeya GABR* ......... **614**

**English Section**

**Article 2 :- By : Mona Abd El Ghaffar Salem ........ 620**

**Article 1 :- by :** *Iman El Zeiny* .......... **622**



# الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ

تصدر عن

## مجمع البحوث الإسلامية

في مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير

دكتور / علي أحمد الخطيب

مدير التحرير

علي حامد عبد الرحيم

سكرتير التحرير

عادل رفاعي خفاجة

المراسلات / باسم مدير التحرير .. إدارة الأزهر بالقاهرة

ت ٩٠٥٤٧٣ - ٦٣٨٥٩٩

الاشتراكات / قسم الاشتراكات بالأهرام شارع الجلاء - القاهرة


بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة العالمين ، وعلى آله وصحبه وتابعيه إلى يوم الدين



## واحذرهم أن يفتنوك

لازال تشويه الإسلام ورسالته هدفا لأكثر من سبعين في المائة من صحافتنا ، فمن خلال الهجوم على «الشريعة» ورميها بالقصور - إلى النيل من الأزهر وإنكار عطائه ، وغمط علمائه - يتصور المهاجمون أنهم محققون أهدافهم لا محالة .

مهلا ، ياقوم .

إن الله لا يخلف الميعاد ، ولينصرن الله من يَنصُرُهُ ، فَارْبَعُوا على أنفسكم فلا طائل فيما تفعلون ، والله - من ورائكم - محيط . إنكم تحادون الله وفيكم وأمثالكم يقول - تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ ﴾

﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ المجادلة ٢٠ - ٢١

والآية واضحة فيما كتب الله ـ تعالى ـ على محاربيه ومحاربي منهجه من الإذلال والهزيمة .. إذلال لا يمكنهم مجاوزته إلى عزة ، وهزيمة ليس بعدها نصر ، وكيف ؟ والله ـ سبحانه وحده ـ هو القوى العزيز المتولى حربهم !!

ولقد حوربت شريعته ـ تعالى ـ ليس على أيديكم فقط ... حورب أمرُها ونهيها وحُدودها وفرائضُها ، وظلت مع ذلك باقية ؛ لأنها شريعة «الباقى» ـ سبحانه ، وفيها يقول ـ لرسوله ـ ﷺ وأتباعه المخلصين فى كل مكان وزمان :

﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (١٨) إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ (١٩) هَٰذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ الجاثية ١٨ ـ ٢٠ .

ويقول تعالى : ﴿ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ (٤٩) أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ المائدة ٤٩ ـ ٥٠ .

والآيات تتحدث عن : الشريعة ومناهضيها .. أما الشريعة ، فالآيات تعنى وجوب العمل بها ، وتشير إلى محاولات مناهضيها فى البعد عنها ، وما يجب على المسلمين الخالصين إزاءها وإزاءهم ، ووجوب الحذر من فتنتهم وفسقهم ، وفيها استدراج المولى ـ سبحانه ـ لأولئك الأذلين بذنوبهم ، ثم فشلهم فى النهاية ومن أصدق من الله حديثاً ؟

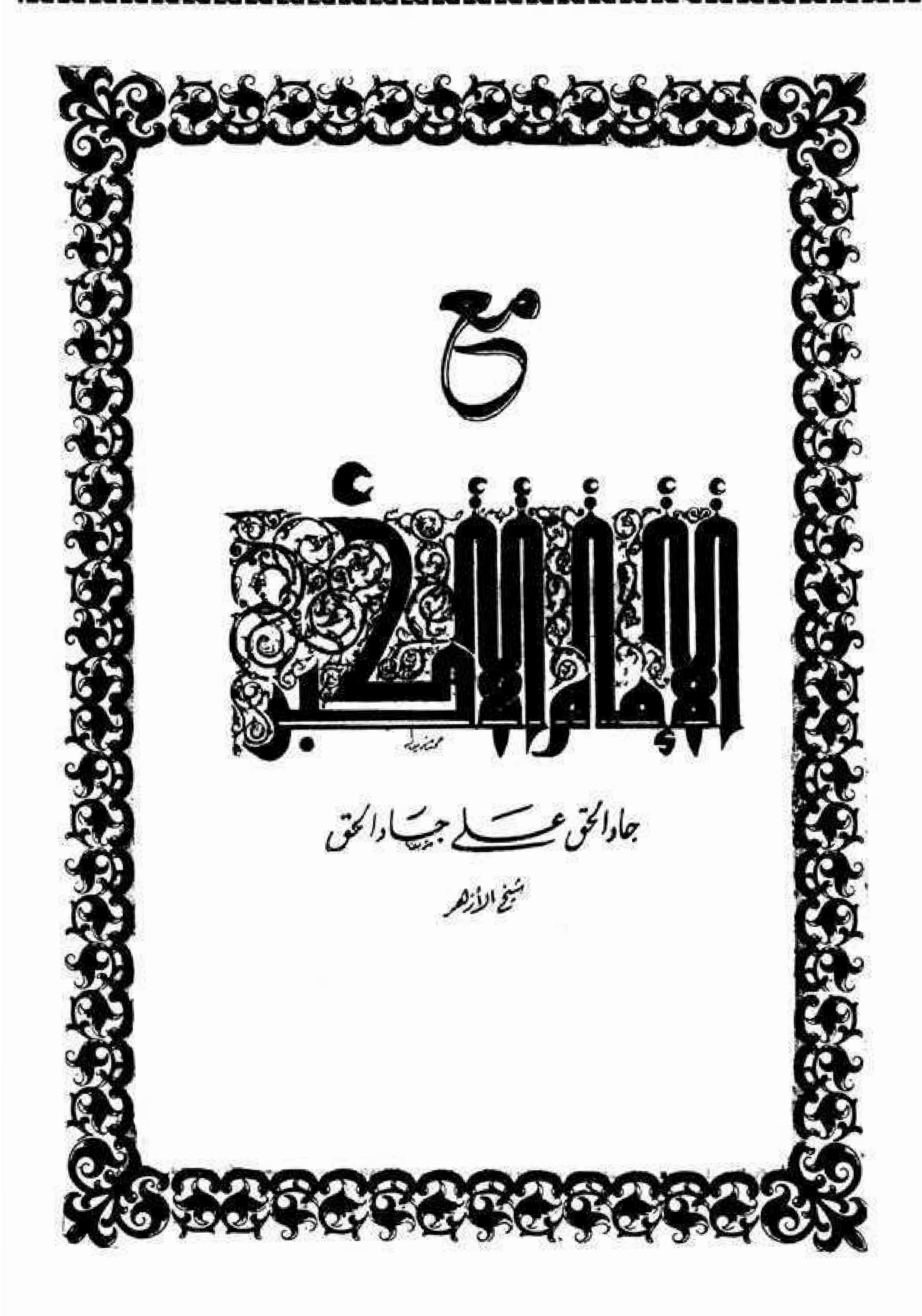
إن مناهضيها قوم يُحادُّون الله ـ عز وجل ـ فليس من بينهم من يؤمن به قال ـ تعالى :

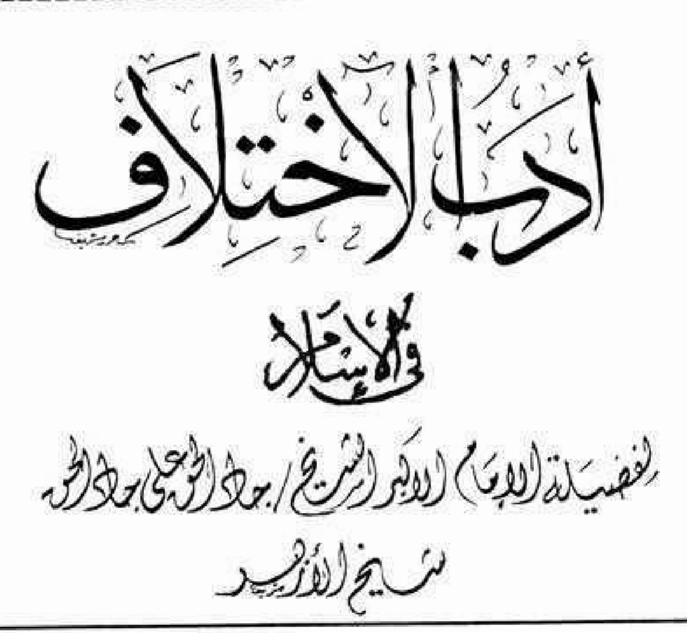
﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٢٢) ﴾ ( ســورة المجادلة )

صدق الله العظيم ، وكذبت ثم فشلت وسائل «التنوير» .

﴿ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ المائدة : ٨١ .

د. على أحمد الخطيب


مع
الإمام الأكبر
جاد الحق على جاد الحق
شيخ الأزهر




## أي ديـن توفـرت له دعـائم الوحـدة مثل الإسلام ؟

المحاضرة التي ألقاها صاحب الفضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الشريف فى الجمعية العربية للتربية الإسلامية والمعهد العالمى للفكر الإسلامى ، وذلك عقب مغرب الأحد ٢٣ من ربيع الآخر ١٤١٤ الموافق ١٠ من أكتوبر ١٩٩٣ وهذا نصها :

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله .

الحضور الكرام من السيدات والسادة : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

لعلنا قبل أن نتحدث عن أدب الخلاف نتحدث عما هو أهم من الخلاف ، وهو وَحْدَةُ المسلمين ودعائم هذه الوحدة فى الإسلام .

إن الله شرع لنا الصلاة ووجهنا إلى قبلة واحدة ، يتجه إليها المسلمون من شتى أنحاء الأرض ، وذلك ليس فى دين آخر ، ولا فى عادات أخرى ، ولا لدى أى قوم آخرين ، كل المسلمين يتوجهون إلى قبلة واحدة ، يصلون فى أوقات واحدة قد تختلف من موقع إلى موقع ولكنها : صلاة الفجر ، أو صلاة الظهر ، أو صلاة العصر ، أو صلاة المغرب ، أو صلاة العشاء .

## مظاهر الوحدة بين المسلمين

نصوم شهراً واحداً فى العام يبدأ فى وقت واحد متقارب .

ونحج إلى بيت الله الحرام ، نسعى إليه من كل أنحاء الأرض .

أى دين وأى عادات وأى قوم لهم هذه الدعائم من الوحدة ؟... لا أحد .

لنا كتاب واحد حفظه الله وأبقاه كما أُنزل على رسول الله ﷺ نتلوه ونتعبد به وهو دستورنا :

﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ . الأنعام

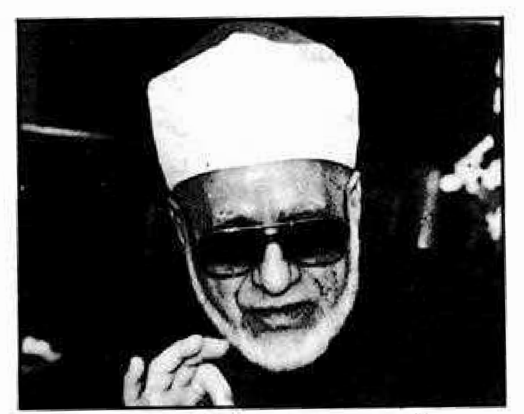
## دعوة المسلمين الى الوحدة

إذا كانت هذه الدعائم - دعائم الوحدة - قائمة - بحمد الله - مستقرة فيما بيننا ، حتى إن تركنا بعضها نتوب إليها سراعاً تائبين مستغفرين .

إذا كان هذا هو الذى قال عنه رسول الله ﷺ : « تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما : كتاب الله وسنتى » .

هذه علامات وهذه إيحاءات من هذه الفرائض ومما أنزل الله على رسوله ﷺ تدعونا دائماً إلى الوحدة وإلى الاتحاد ، وإلى أن نكون صفاً واحداً وأمة واحدة . هل يعوج الصف فى الصلاة ، أو أنَّ الإمام الذى يتبعه المصلون يُقَوِّمِ هذا الاعوجاج ؟

إننا نصفُّ أقدامنا لتكون متساوية ونتجه كلنا إلى القبلة اتجاها صحيحاً .



شيخ الأزهر فى اللقاء الذى عقد بالجمعية الإسلامية للتربية

ألا نستصحب كل ذلك فى أعمالنا ، فى نوايانا فى فكرنا . هذا هو الواجب علينا :

﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾
آل عمران : ١٠٣

﴿ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ .
الأنفال : ٤٦

تلك أسس ينبغى أن نرتادها فى كل وقت وأن نستذكرها ، وألا نحيد عنها .

# الاسلام وضع الضوابط الشرعية لأدب الاختلاف

لكن هل الأمة أو الأمم دائماً فى وفاق ؟

أو أن الوفاق المطلوب هو أن يتساوى الأفراد ويتساوى الناس فى كل شىء ؟

لا .. لقد خلق الله الإنسان فى نوعيات عديدة : خلقاً مختلفاً فى اللون ، وفى اللسان ، وفى الفكر ، وفى الموقع ، وفى الطول ، وفى القصر .

هناك اختلافات كثيرة طبيعية خلق عليها الإنسان ، فانعكس ذلك على فكره ، وعلى سلوكياته ، وعلى كل مرئياته فى الحياة ؛ فلا يمكن ولم يحدث أن يتفق الناس على أمر من الأمور إلا ما كان وحياً من الله ـ سبحانه وتعالى . آمنوا به .

﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ﴾ هود

## الفرق بين الخلاف والاختلاف

قال الرازى ـ فى تفسيره : والمراد : اختلاف الناس فى الأديان والأخلاق والأفعال .

فالخلاف أمر طبعى أو طبيعى خلق مع الإنسان لكن أى خلاف محمود وأى خلاف مذموم ؟ والخلاف والاختلاف كلاهما فى لغتنا ، و « الأدب » الذى اتخذه الداعون عنواناً للمحاضرة هو : « أدب الاختلاف » فماذا عن الأدب ... أى أدب نبتغيه : الأدب يقولون عنه فى اللغة : إنه الجمع . جمع الخصال المحمودة .

وعرفه الجرجانى بأنه : معرفة ما يحترز به عن جميع الأخطاء .

وفى الأثر :

﴿ أدَّبنى رَبّى فأحسن تأديبى ﴾ أى جمع لى جميع الصفات المحمودة وغرسها فىّ لذا كان أدب الرسول ﷺ وكان مدحه بقول الله ـ تعالى :

﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾

ومن الكلمة جاءت : « المأدبة » التى يدعى الناس إليها ، وقيل لها : هذا ؛ لأنها تجمع أطايب الطعام وأطايب الشراب .

هذا عن الأدب .

فأما الاختلاف ؛ فقد عرفه الجرجانى بأنه : منازعة تجرى بين المتعارضين لتحقيق حق أو إبطال باطل ، ومن هنا قالوا : إن الاختلاف يكون عن دليل وبينة ، أما الخلاف فيكون على غير دليل ، إنما هو منازعة لمجرد الخروج على رأى .

**أسباب الاختلاف :**

١ ـ أسباب ذاتية أو خلقية : كالغرور بالنفس والإعجاب بالرأى واتباع الهوى ، وهذا إذا كان بسببه اختلاف كان من الاختلاف المذموم .

٢ ـ أن يكون سبب الاختلاف فكرياً : لوقوع التفاوت بين المتخالفين فى تحصيل التأهل للنظر والاستنباط وتوافر المعلومات عند أحدهما ونقصها عند الآخر .

وقد حصر الشاطبى الاختلاف غير الحقيقى فى عشرة أنواع .

وقد توافقت جمهرة العلماء على أن أمور الدين التى يمكن أن يختلف فيها إما أصول الدين أو فروعه ، وكل منهما إما أن يكون دليله قاطعاً أو لا ، فهى أربعة أنواع :

النوع الأول :

أصول الدين التى تثبت بالأدلة القاطعة كوجود الله وملائكته وكتبه ورسله .. لا مجال للاختلاف فيها .

**النوع الثانى :**

بعض مسائل أصول الدين مثل رؤية الله فى الآخرة وخروج الموحدين من النار ، فمن خالف الأخبار الواردة فى ذلك مكذباً لها خرج من الإسلام .

**النوع الثالث :**

الفروع المعلومة من الدين بالضرورة كالفروض الخمسة وحرمة الزنا والسرقة ، فليس ذلك موضع اختلاف .

**النوع الرابع :**

الفروع الاجتهادية التى قد تخفى أدلتها فهذا موقع الاختلاف فى الأمة .

## أصلان قام عليهما الإسلام

إن أصولنا – فى الإسلام – القرآن والسنة الواردان فى قوله ﷺ : « **تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما : كتاب الله وسنتى** » .

هذان الأصلان عليهما قام الإسلام لكن :

هل القرآن جاء بكل الشرائع والعقائد تفصيلاً أو أنه جاء بها جميعاً : منها المفصل ومنها المجمل ومنها ما عهد إلى رسول الله ﷺ لبيانه :

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾

النحل : ٤٤

فإذن لدينا مصدران : هذان المصدران تبعهما رسول الله ﷺ فى حياته : القرآن والسنة ، ومن بعده أصحابه

## فى سقيفة بنى ساعدة

لنضرب بعض الأمثلة عن خلافات الراى فى العصر الأول ، وبعد وفاة الرسول ﷺ .

فى سقيفة بنى ساعدة عقب وفاة الرسول ﷺ ماذا تم ؟

اجتمع الأنصار والمهاجرون ، ورجعوا إلى أصولهم من الهجرة ، وأهل النصر من المدينة ، ورجعت كل قبيلة تنادى إلى عرقها وأصلها ، وعلت الأصوات وكثر الضجيج . كُلٌّ يقول حجته ، وكل يقول ما قَدَّمَ للإسلام . لكن من الذى حكم بين هذا الاختلاف ؟

حين جهر عمر بقوله لأبى بكر – رضى الله عنهما : أبسط يدك أبايعك ، رضيك رسول الله لديننا أفلا نرضاك لدنيانا !؟

ماذا كان من القوم قاموا جميعاً ، وبايعوا أبا بكر لم ! لأن الدليل قد أقامه رجل منهم . إن الرسول ﷺ أناب أبا بكر فى الصلاة حتى إن أبا بكر تأخر وقدم عمر لأنه قوى الصوت فخرج رسول الله ﷺ يجر ثوبه – وهو مريض – وقدم أبا بكر ، وصلى خلفه قاعداً .

## مصادر الاحتكام بين المسلمين

الدليل إذن هو الذى حَكم .

وهذا أول أديب فى فقه الإسلام ، وفى اختلاف الرأى فى الإسلام .

ينبغى أن يكون الدليل هو الحكم .

والأدلة معروفة .

الدليل إما من القرآن ، وإما من السنة ، وإما

# لاينبغـى أن يكـون الخـلاف الفقهى مدخـلاً للفرقة

من الإجماع ، وإما من القياس ، وإما من الأدلة الفرعية الأخرى المختلف عليها : كالاستحسان والمصالح إلى أخره بهذا إذا وجد الدليل ينحسر الخلاف .

لكن لم الخلاف ؟

لم يَنْشأُ الخلاف ، وما أسبابه فى أحكام شرعية ، أو أحكام إسلامية ـ إذا كان من سمة الإسلام ؟

إن مما اختص الله به المسلمين أن يكون لهم مصادر يحتكمون إليها ، ويأخذون منها شريعتهم وعقيدتهم ؛ فإنهم ليسوا كغيرهم ممن يأخذون من عادة أو من عرف قد يكون فاسداً وقد يكون صالحاً ، إنما الأخذ عن الله ـ تعالى :

﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾ يوسف : ٤٠

الحكم لله ـ سبحانه ـ فى القرآن وعلى لسان رسوله ﷺ .

فإذا كان الحكم لله فى القرآن وفى السنة فلم الاختلاف ؟

شاء الله أن يكون القرآن والسنة بلغة العرب ، باللغة التى شرفها الإسلام بنزول القرآن بها ، ولغة العرب فيها : ما هو عام من الألفاظ ، وما هو خاص ، ومنها ما هو مطلق وما هو مقيد ، ومنها ما هو من الألفاظ المشتركة ذات المعانى الكثيرة التى تتبين فى موطن وفى موطن آخر تكون بمعنى آخر ؛ فكان الخلاف ومن هنا قد يقع ـ الخلاف بين الفقهاء وبين العلماء بسبب لغة النص :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ﴾ المائدة : ٦

فمما جاءت به كل جزئية من هذه الآية ستجد خلافاً فى الفهم : ستجد خلافاً فى « غسل اليدين إلى المرفقين » .

المرفق داخل أم خارج ؟، ستجد خلافاً فى مسح الرأس ، والخلاف فيه : الربع أو مقدم الناصية أو الرأس كلها ؟ ولكل وجهة .

أو ذات النص .

هل تضارب الأئمة ، أو تصايحوا ، هل وقع بينهم الشجار بسبب الفهم المستند إلى النص ؟

أو أن كل واحد منهم وقف على ما ألهمه الله ، وأخذ به ، وهل نحكم على مصل لم يمسح رأسه كلها ـ كما يقول الإمام مالك : ببطلان وضوئه ، وبالتالى ببطلان صلاته ، أو أن مالكاً كان يصلى خلف من لم يتبعه ، وأن الشافعى كان يصلى خلف من لا يتبعه ، وأن الحنفية يصلون خلفهم . وهكذا كلهم تأدبوا بأدب الخلاف فى الإسلام ؛ فالتزموا بما فهموا ؛ لأن النص يعطى هذه المعانى . وهكذا .

## خـلافات حـول فهم النـص

إذا سرنا مع هذه الآية ستجد خلافات فى الفهم أدت إلى مسالك كثيرة فى العمل . هذه المسالك لا شك أنها رحمة من الله ، ولو أراد الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يكون النص واحداً لكانت هناك المشقة كما عبر عن ذلك الخليفة الخامس العادل « عمر بن عبدالعزيز » ـ رضى الله

عنه ـ حين امتدح خلاف الصحابة والتابعين ، وقال : إن فى هذا الاختلاف رحمة بالناس .

هذا عن طبيعة النص الذى نستقى منه الحكم الشرعى .

وأين طبيعة البشر من هذا النص ؟

كما قلنا : البشر مختلفون فى كل الطبائع ، فى الفهم : فى العقل ، فى القدرة على التحصيل ، وقليل ماهم الذين يدركون هذه الحقائق . فأرشد القرآن المسلم بقوله ـ تعالى :

﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ ﴾

النساء : ٨٢

لم يسند المولى ـ عز وجل ـ الفهم والعلم إلى كل الناس ، وإنما أسنده إلى فئة تهيأت أو هيأها الله ـ سبحانه وتعالى ـ وأهلها بالقدرة على الاستنباط والبيان والفهم ، وتلك الفئة هى التى أشار إليها فى آية أخرى :

﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ .

التوبة : ١٢٢

إذن الاختلاف فى طبائع البشر ، وفى قدراتهم ، وفيما أودع الله فيهم من عقل وفهم ، وتفاوت وامتياز كل منهم فى أمر دون الآخرين كل هذا من أسباب الاختلاف فهل تؤدى هذه الأسباب إلى الخروج عن أدب الاختلاف ؟ أو ان على كل واحد أن يقف عند الحد الذى شرعه الله والذى جرى عليه المسلمون منذ أن كانوا ومنذ أن عرضوا لفهم سنة رسول الله ﷺ ؟

والدليل إذا غاب ـ ولدينا أمثلة كثيرة فى كتبنا عن أن الدليل الشرعى سواء أكان : فهما فى كتاب الله ، أو حديثا عن رسول الله ﷺ : إذا غاب ما الموقف ؟ أو ما هو الحل ؟

## وسائل الاجتهاد

الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ حين ابتعث معاذا إلى اليمن قال له : بم تقضى يا معاذ إذا عرض لك القضاء ؟ قال أقضى بكتاب الله . قال : فإن لم تجد ؟ قال : فبسنة رسول الله ﷺ . قال : فإن لم تجد ؟ قال : أجتهد رأيى ولا آلو أى لا أقصر .

الاجتهاد إذن هو المآل والاجتهاد بالمعنى العام له أساليب كثيرة : القياس . الاستصحاب . الاستحسان . المصلحة الخ ..

واجتهد فيه السلف الصالح من العلماء وقننوه وبوبوه وأنشأوا له علماً يسمى علم أصول الفقه : وهو الأداة الصالحة التى يحصل بها العلماء المتفقهون على طرق الاستنباط وعلى اتقان الاستنباط ، هذا الاجتهاد هل يحسنه كل إنسان ؟ والاجتهاد يكون فى الطب ، أو فى الهندسة ، أو فى الرياضة ، أو فى العلوم ، أو فى الشرع . كل هذا جائز لكن لكل نوع من الاجتهاد رجاله ، ووسائله وتأهيله .

فهل من أدب الاختلاف أن يدخل إنسان فيما لم يتأهل له ؟ مهندس يعمل طبيباً أو طبيب يعمل مهندساً وهكذا . أعتقد أن من أدب الاختلاف أن يرعى كل ما تأهل له ، وما تخصص فيه ، والقرآن هو الذى يقول لنا :

﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ .

التوبة : ١٢٢

**لفـظ الدليــل وفهـمه**

العلم بالعرف والعادة فى الاجتهاد .

هل إذا سمع أحد العلماء كلمة أو سأله سائل كأن يقول : حلفت ألا آكل لحماً ، فأكلت السمك ، أحنث فى اليمين أم لا ؟ أبحث فى القاموس عن معنى اللحم أم أنظر كيف يتكلم الناس وكيف تسمى الأشياء بمسمياتها ؟ ﴿**وعلم آدم الأسماء كلها**﴾ سم كما تشاء لا ضابط للأسماء الناس تقول على السمك فى بلادنا لحم أم تقول : سمك فإذا استفتانى أحد الناس وقال : أنا حلفت بالله ، أو الطلاق ألّا آكل لحماً فأكلت سمكا ، أحنث أم لا ؟

القرآن يقول : ﴿ **تأكلون منه لحماً طريا** ﴾ تكلم عن السمك هل أفتى بلحم طرى الموجود فى القرآن أم بما يستعمله الناس ؟ أفتى بما يستعمله الناس : لأن الحالف حلف على ما يتعامل به مع غيره ، فأنا أبحث عن العرف ، فبعض الدول العربية يقول على السمك الحيتان ، ونحن نقول عليه السمك ولو أن أحدهم قال : اللحم ، وهم يقولون عليه الحيتان ، أفتيه بأن يمينه حنث أم لم يحنث ؟ لم يحنث . هذا مما يجب أن يعلمه من يتصدى ليفتى الناس أو يجتهد فى أحكام الله .

إذن العرف والعادة كما قال مشايخنا القدامى : « والعرف فى الشرع له اعتباره وعليه الحكم قد يدار » أى أن العرف معتبر . لكن أى عرف ؟ العرف الذى نتكلم عنه : العرف الصالح وليس أى عرف ؛ لأنه كما نعلم فى بلادنا وفى بلاد غيرنا أعراف كثيرة فاسدة تخالف الإسلام فهل تكون أيضاً مصدراً لأن نحكم بها ؟ إذن ، من أهلية المجتهد أن يكون عالماً بالعرف والعادة الجارية فى البيئة التى يعيش فيها .

**أثـر تفهـم القضيـة فـى الحـكم**

اختلف سيدنا أبو بكر وسيدنا عمر على قسمة الأرض التى غنمها المسلمون فى عهد أبى بكر ، ورأى سيدنا أبو بكر قسمتها بين الفاتحين ؛ ورأى عمر عدم القسمة ، ونزل عند رأى أبى بكر ؛ لأنه ولى الأمر الخليفة ، ولما جاء دور عمر فى الخلافة ، وكانت العراق قد فتحت ومصر قد فتحت ودخلت فى الإسلام ، وجاء الفاتحون الجدد يبغون قسمة الأرض فى كلا البلدين ، فبدأ عمر يدافع عن رأيه الذى لم يؤخذ به قبلا ، وظل يقيم الحجة ، ولم يحتج لأنه أمير المؤمنين فى هذا وإنما يقيم الحجة وكانت خلاصتها ومن يأتى بعدكم ؟

ما حظ المسلمين الذين يأتون بعدكم ؟ وأين يعيشون ؟ وأين يقيمون ؟ وبعد أن كان الحوار والنقاش بين الجند وبين أمير المؤمنين اختاروا عددا يمثل الرأيين ، ثم اختصر العدد ، ثم انتهى الرأى والحوار إلى الأخذ برأى عمر ـ رضى الله عنه .

حين تقرأ سيرة هذا الفكر وهذا التفكير النير المستقيم الذى يقوم على الدليل وعلى الحجة ، هل نجد نشازا مما نجده فى عصرنا ؟ هل تدخل أحد ممن لا يحسن فى القضية التى يجرى بحثها ؟ لا . وانتهى رأى من اختيروا للبت فى هذا إلى الأخذ برأى عمر . ومازال الأراضى كما يقول فقه الإسلام أرض عشرية ، وأرض خراجيــة . والأرض الخراجية هى التى فتحت بالقوة العسكرية ومازال الناس يدفعون عنها الضرائب ، وضرائب الأرض الزراعية قائمة على هذا من وقت فتحها .

## فى صدر الإسلام نماذج رائعة للاختلاف فى الرأى

فى خلافة سيدنا عمر تزوج رجل امرأة مطلقة ، وهى فى العدة عقد عليها ، فلما علم عمر فرق بينهما وحرم زواجهما ، أما التفريق ؛ فلأن العقد باطل ؛ لأنه عقد وهى فى العدة ، أما تحريم زواجهما بعد ذلك حتى بعد انقضاء العدة فجاء تعذيرا لهما ، لكن ليس تعذيراً شخصياً ، لكن عمر اتخذه مبدأ سياسة : سياسة شرعية يقولون عنها تعذيرا .

سيدنا على خالف فى هذا وحاور عمر ، لكن رأى عمر هو الذى نفذ فى خلافته وفى خلافة عثمان فلما ولى أمير المؤمنين سيدنا على - رضى الله عنه - ألغى هذا الحظر .

هذه مثل مما كان بين الخلفاء وبين السلف الصالح من حوار ونقاش فى المسائل التى يختلفون فيها بحيث يصلون إلى رأى ، فإذا انتهى الأمر إلى رأى نزل عنده الجميع ، ولم يعد هناك خلاف .

هذه المسائل - كما يقول العلماء « مسائل السياسة الشرعية » تختلف من وقت إلى وقت ، والحكم الاجتهادى يجوز العدول عنه إذا ما دعى الحال إليه .

نحن فى وقتنا هذا نختلف كثيراً ، فيم نختلف ؟ هل نختلف فى أصل مِنْ أصول الدين مما هو ثابت بالدليل العقلى والنقلى ؟ هل نختلف فيه ؟ لا نختلف فى ذلك والحمد لله ، لكن هناك مما يلزم الايمان به ما نختلف عليه أو ما اختلف فيه العلماء ... اختلاف على رؤية الله فى الآخرة إلى غير ذلك ، أشياء كثيرة من الفرعيات الأصولية .

هل إذا اختلفنا فى هذا يبادر أحدنا إلى الآخر بالتكفير ؟ أو أن هذه المسائل قيلت ، وقيلت فى زمن متقدم لدى المسلمين ولم يكفر أحدهم الآخر ، إذن هناك مسائل قطعية ثابتة بدليل قطعى لا فكاك منه ومن ينكره لا يخرج بإنكاره عن السنة ، أما المسائل التى لا تؤثر فى أصل العقيدة والمسائل التى ربما ثبتت بدليل ظنى فلا تأثير لها .

النصوص كما هو معروف نصوص قطعية ، ونصوص ظنية ، فى النصوص القطعية كما يقال : هى أقل القليل فى التشريع والكثير ظنى ، وقد ضربنا المثل بآية الطهارة وهى من الآيات الظنية أى : دلالة ظنية لكن القرآن قطعى الثبوت ، لكن الدلالة الظنية إذا اختلفنا فى فهمها فلا يكفر بعضنا بعضا أو يقاطع بعضنا بعضا ، نحن بحمد الله فى مصر نرجو أن نستمر كذلك يصلى الشافعى وراء المالكى ، والمالكى وراء الحنفى نصلى جميعاً خلف إمام واحد .

ونعوذ بالله أن تكون فى مصر جماعات متفرقة فإذا شذ بعض الناس فإنا ندعوهم إلى أن يكونوا فى صف المؤمنين دائما : إذن الأمور الظنية ، إن كانت ثابتة بدليل ظنى واختلف فيها الفقهاء اختلافاً قائماً على أساس ، وليس لمجرد الاختلاف . وأقول مرة أخرى : إن الاختلاف الناشىء من لفظ الدليل وفهمه - وكلّ فهمه صحيح بالنسبة للغة الدليل - أمر لاشك جائز .
ومن الاختلاف السائد الذى لا ينكره أحد ولا يخرج عليه أحد ، بل لكلٍ أن يعمل ما وسعه اجتهاده فى ذلك ، ونحن نتبع المذاهب القائمة ، وهى مذاهب - بحمد الله - ثابتة ومبوبة ومقننة وفقهها واضح ونتعامل معا وسويا ؛ لأننا نتبع « محمداً رسول الله والذين آمنوا معه » ونأخذ عن

## ضـرورة تفهم القضية ودراستها قبـل الحكم عليها

هؤلاء باعتبارهم سبقونا إلى العلم ، وصاروا من أهله ، وتعبوا ومهدوا لنا هذه العلوم ؛ فنحن نتلقاها عنهم ونضيف إليها ما يفتح الله به علينا إن شاء الله .

من أدب الخلاف فى الإسلام أو أدب الاختلاف أن يكون الاختلاف طلباً للمصلحة وللحكم الصحيح وألا يكون تعصباً لرأى ولا ميلا مع الهوى ولا استعلاء أو غروراً ؛ لأن التعصب للرأى دون دليل صحيح ، أو للغرور ، أو للتعالى ، كل هذا أمر مذموم وليس من أدب الاختلاف ـ إطلاقا ـ إنما الاختلاف الذى يقوم على فهم للدليل .

مرة أخرى نقول : مثـلا « وامسحـوا برءوسكم » حين اختلفوا ، اختلفوا فى تفسير حرف الباء كما يعرفه أهل اللغة وكان هذا هو سبب الاختلاف وليس اختلافا لذات الاختلاف ، حتى حين اختلفوا فى المرفق هل يدخل فى غسل اليد أو يخرج ؟ أيضا كان لذلك . نقل أن سيدنا بلال حين نزلت آية التيمم خلع ملابسه وتمرغ فى التراب فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ بين التيمم ، وقال انه ضربتان ضربة للوجه ، وضربة لليدين .

القرآن قال : « فتيمموا صعيداً طيباً » سكت ولم يبين . فهذا فهم أن التراب يكون للجسم كله . هذا الذى حدث كان قبل بيان الرسول ﷺ ولكن بعد بيان الرسول ﷺ هل يتمرغ أحد فى التراب أم يلتزم بهذا البيان ؟ يلتزم بهذا البيان الذى بينه الرسول ﷺ ولا ينبغى إذن عند الاختلاف أن يكون سبب الاختلاف مجرد التمسك بالرأى ، أو التعصب للرأى ، أو الغرور لذات الشخص .

أيضا من الأسباب التى ينبغى أن يحرص عليها كل باحث عن حكم شرعى أن يتفهم القضية التى يبحثها وأن يتفهم موضع النزاع كما يقال : القضية تدرس والعجلة فى بيان الحكم أو فى ادعاء العلم به قد تؤدى إلى الخطأ . وقد نقل أن أئمة الفقه ـ رضوان الله عليهم ـ كانوا يحيلون السائل على غيرهم حتى لا يحمل عبء الفتوى إذا أخطأ ، مع أن الرسول ﷺ قال : إذا أصاب فله أجران ومن أخطأ فله أجر . وبجانب هذا قال : « من أفتى بغير علم كان إثمه على من أفتاه » تحرزا أن يحمل إثم الخطأ فى الفتوى إلا إذا لم يكن على علم ينبغى أن يتثبت وأن يدرس ، وأن يتأنى ؛ حتى لا يقع فى خطأ أو قد لا يفهم القضية المطروحة عليه ؛ فالحكم على الشيء كما قيل : فرع عن تصوره أولا . فإذا سئل لابد أن يتفهم من السائل ماذا يريد ، أو واقعة سؤاله ؛ حتى يمكن أن يجتهد أو أن يفتى فيها فتوى صحيحة مطمئنة .

نحن فى عصرنا فى حاجة إلى الفتوى الجماعية وليست الفتوى الفردية ، وليس هذا خطراً على العلماء أو على أصحاب الفهم أن يفتوا ، وإنما عند الخلاف أو عند المسائل التى تحتاج إلى فكر ينبغى أن يكون الأمر كذلك . ولنا فى صنيع أصحاب الرسول ﷺ القدوة الحسنة حين أرادوا اختيار الخليفة بعد الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ ماذا فعلوا ؟ اجتمعوا فى سقيفة بنى ساعدة وتداولوا وكان الرأى شورى ، وانتهوا إلى رأى ، وخرجوا به مجمعين عليه .

سيدنا أبو بكر حين سئل عن ميراث جدة ، جاءت تطلب ميراثاً فى بنت ابنتها فقال لها : « لا أجد لك فى كتاب الله شيئاً » إذا رجعنا إلى آيات المواريث لا نجد فيها توريث الجدة لكن هل رفض قضيتها ؟ لا ، بل قال : انتظرى حتى أسأل ، وذهب إلى المسجد فى جمع من الصحابة وسأل هل عندكم عن رسول الله ﷺ شيء فى ميراث الجدة ؟ فقام أحدهم وقال : ورث الجدة : وأعطاها السدس . فقال : هل من يشهد له ؟ قام آخر .

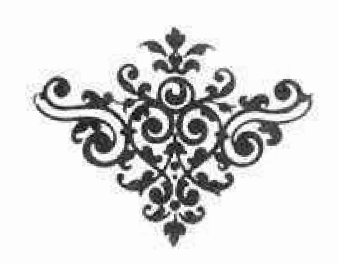
هل اكتفى أبو بكر بهذين الشاهدين ؟ وهل استظهار حكم ميراث لم يرد صراحة فى القرآن يثبت بحديث خبر واحد رواه اثنان ؟ لجأ إلى جميع المسلمين فأجمعوا على أن ميراث الجدة السدس . هذه الخطوات التى اتبعها أبو بكر ، لم اتبعها ؟ كان يكفى أنه قال : « لا أجد لك فى كتاب الله شيئاً » لكنه أراد أن يستوثق لصاحبة الحق فراح يسأل ؛ لأنه قد يكون الرسول أفتى وهو غائب ، أو بين أن هناك فتوى بذلك .

ثم على طريقة التأهيل العلمي الذى نقول به الآن لم يقض بخبر الواحد فى مسألة هامة أراد أن يرفعها إلى آيات المواريث الثابتة فى القرآن فلابد من اجماع المسلمين فأجمع المسلمون على ذلك .

## أهمية المجامع الاسلامية واللغوية

هل نَصْنع نحن هذا إذا اختلفنا فى حكم من الأحكام ؟ هل نلجأ إلى الجماعة لنتحاور ونتناقش ؟ أعتقد أن ما برز فى عصرنا الآن من اللجان الجماعية من لجان الفتوى من مجمع البحوث الإسلامية ومجمع اللغة العربية الخ ما نشأ من تنظيمات تسد هذا النقص الذى قد يكون فى العصر الحاضر بحكم تشعب العلوم وكثرتها ، وربما تصاعدت مشاغل الحياة فى نفوس الناس ، فلا يكون متفرغاً أو ملماً بكل ما قيل فى المسألة ، إذن ينبغى عند الاختلاف بين أفراد فى بيان حكم أن يكون الترجيح لعدد أو مجمع أو لجنة يُعْرَضُ عليها الأمر حتى ترتفع باختلافنا إلى أدب الخلاف فى الإسلام ، ونعود به إلى الصفات الحميدة .

واكتفى بهذا ، وإذا كانت هناك مسألة أو مناقشة نتحدث فيها .



# فتوى

## فيما يقدمه غير المسلم لصديقه المسلم بعد وفاته من صلة

## وهل يؤجر على ذلك

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله .

وبعــد :

فقد رفع للعرض على فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف عن أهم ما ورد فى تقرير الدكتور/سالم عجوة - مدير المركز الإسلامى فى نيويورك ، والذى جاء فيه :

يسأل بعض الأمريكيين غير المسلمين ماذا يفعلون لصديقهم المسلم الذى مات هل يرسلون هدية إلى أهله ؟ أو يضعون على قبره زهوراً ؟

فأجابهم الدكتور عجوة بأنَّ لهم أن يتبرعوا بمبلغ للمركز الإسلامى وهذا لصالح الميت ..

ويطلب رأى فضيلة الإمام الأكبر ..

الجــواب :

أولا : فى القرآن الكريم قول الله - سبحانه - فى سورة الملك :

﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴾ (٢)[1]

فالموت حقيقة واقعة ، وبديهية مشاهدة لا يفرّ منها فارّ .

قال الله تعالى :

﴿ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[2] .

والموت واقع بكل مخلوق حى من غير استثناء ، فلم ينج منه نبى لنبوته ولا رسول لرسالته ولا ذو سلطان لسلطانه ، ولا صحيح لصحته ، قال الله تعالى :

---

(١) الآية رقم ٢ سورة الملك

(٢) الآية رقم ٨ من سورة الجمعة .

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾[3] .

بل ولم ينتج منه شجر ولا ثمر ولا زرع ولا حيوان ، وتوصف الأرض إذا لم ينبت فيها الزرع بأنها موات .

**ثانياً** : إذا مات المسلم لا ينفصل بموته عن الأحياء ، فقد شرع الإسلام ما يقوم به الأحياء نحو الميت من غسل ، وتكفين ، وصلاة جنازة ، ودفنه فى قبره ، وانتفاعه بما يقدمه الغير له قريباً كان هذا الغير ، أو أجنبياً عنه بإذن أو بغير إذن ، فينتفع الميت بدعاء الأحياء له بالتثبيت عند سؤال الملكين ، فقد روى عن عثمان – رضى الله عنه – قال : كان النبى – ﷺ – إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال استغفروا لأخيكم واسألوا له بالتثبيت فإنه الآن يسأل[4] .

وينتفع الميت كذلك بزيارة قبره ، فعن سليمان بن بريدة عن أبيه عن النبى – ﷺ – قال : ( لقد كنت نهيتكم عن زيارة القبور فقد أذن لمحمد فى زيارة قبر أمه فزوروها فإنها تذكر الآخرة )[5]

وعن عائشة رضى الله عنها – عن النبى – ﷺ – قال : ( ما من رجل يزور قبر أخيه ويجلس عنده إلا استأنس به ورد السلام عليه حتى يقوم )[6] .

وفى الحديث الذى رواه ابن أبى الدنيا عن أبى هريرة : ( إذا مر الرجل بقبر أخيه يعرفه فسلم عليه رد عليه السلام وعرفه ، وإذا مر بقبر لا يعرفه فسلم عليه رد عليه السلام )[7] .

وينتفع الميت بسلام المُسَلِّمين عليه ، فقد روى عن أبى هريرة عن النبى – ﷺ – أنه أتى المقبرة فقال : ( السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون )[8] .

كما ينتفع الميت بوضع أعواد من الزروع الخضراء مثل الورد وسعف النخيل وغيرها على قبره وبسبب ذلك يخفف عن الميت ، فقد روى ابن عباس – رضى الله عنهما – قال : ( مَرَّ النبى – ﷺ – على قبرين فقال : إنهما ليعذبان وما يعذبان من كبير ثم قال بلى : أما أحدهما فكان

---

(٣) الآية رقم ١٨٥ من سورة آل عمران .

(٤) أخرجه أبو داود والبزار والحاكم وصححه – كتاب التاج الجامع للأصول جـ ١ ص ٤١٥ .

(٥) رواه الخمسة إلا البخارى واللفظ للترمذى – كتاب التاج الجامع للأصول جـ ١ ص ٤١٨ .

(٦) إحياء علوم الدين للغزالى مع تخريج الأخبار للعراقى جـ ٤ ص ٤٤٧ حيث قال : أخرجه ابن أبى الدنيا فى القبور وفيه عبدالله بن سمعان ولم أقف على حاله ورواه ابن عبدالبر فى التمهيد من حديث ابن عباس نحوه وصححه عبدالحق الأشبيلى . وفى جامع الأحاديث للسيوطى جـ ٥ ص ٧٠٤ ( ما من رجل يزور قبر حميمه فيسلم عليه ويقعد عنده إلا رد عليه السلام وأنس به حتى يقوم من عنده ) .

رواه ابو الشيخ والديلمى عن أبى هريرة .

(٧) كتاب الروح لأبن القيم ص ١١ . وفى ص ١٠ قال : قال ابن عبدالبر ثبت عن النبى – ﷺ – أنه قال : ( ما من مسلم يمر على قبر أخيه كان يعرفه فى الدنيا فيسلم عليه إلا رد الله عليه روحه ، حتى يرد عليه السلام ) . وفى فتاوى ابن تيمية جـ ٢٤ ص ٣٣١ عن ابن عباس قال : قال رسول الله – ﷺ – : ( ما من أحد يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه فى الدنيا فيسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام ) قال ابن المبارك : ثبت ذلك عن النبى – ﷺ – وصححه عبدالحق صاحب الأحكام .

(٨) رواه أحمد ومسلم والنسائى وأبو داود – كتاب التاج الجامع للأصول جـ ١ ص ٤١٨ .

يسعى بالنميمة وأما الآخر فكان لا يستبرىء من بوله ، ثم أخذ عوداً رطباً فكسره باثنين ثم غرز كل واحد منهما على قبر ثم قال : لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا )[٩] .

وينتفع الميت بالصدقة ، فقد روى عن سعد ابن عبادة ـ رضى الله عنه ـ أنه قال : ( يا رسول الله إن أم سعد ماتت فأى الصدقة أفضل قال : الماء قال : فحفر بئراً وقال هذه لأم سعد )[١٠] وفى رواية للنسائى ( فتلك سقاية سعد بالمدينة ) .

وقد روى صاحب الفتح عن أنس ـ رضى الله عنه ـ أنه سأله ـ ﷺ ـ فقال : ( يا رسول الله إنّا نتصدق عن موتانا ، ونحج عنهم ، وندعو لهم فهل يصل ذلك إليهم ؟ قال : نعم إنه ليصل إليهم ، وإنهم ليفرحون به كما يفرح أحدكم بالطبق إذا أُهدى إليه )[١١] .

وينتفع الميت بدعاء الحى له ، وقد نقل ابن عابدين إجماع العلماء على أن الدعاء للأموات ينفعهم لقوله تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ﴾ . سورة الحشر

ولقول النبى ـ ﷺ ـ : ( اللهم اغفر لأهل البقيع ) قوله : ( اللهم اغفر لحينا وميتنا ) .

وقد شرعت الصلاة على الميت وهى دعاء له[١٢] .

وقد روى عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ـ ﷺ ـ قال : ( إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له )[١٣] .

ومن ثم :

وعلى ضوء ما سبق من بيان كان لأصحاب هذه الواقعة من الأمريكيين غير المسلمين ـ وفاء لصديقهم ـ أن يصلوا أهله بهدية أو أن يفوضوا مدير المركز الإسلامى فى نيويورك فى وضع الزهور على قبر صديقهم المسلم ، وفى التبرع بمال براً بهذا الصديق ، صدقة جارية يناله ثوابها إن شاء الله تعالى ، ويقوم المركز الإسلامى بقبول تبرعاتهم وإنفاقها حسبما يوصوا فى شراء الزهور أو غيرها لتوضع على قبره ، ويلتمس زوار قبر الميت الرحمات من الله ـ عز وجل ـ كما أن للقائمين بهذا العمل من رجال المركز الإسلامى الأجر فى الدنيا والآخرة .

أما أصدقاء الميت من غير المسلمين فجزاء برهم ووفائهم لصديقهم المسلم يعجل لهم فى الدنيا لا ينقصهم الله من الجزاء شيئاً .

وبهذا علم الجواب عن السؤال والله أعلم .

---

(٩) رواه الخمسة ـ المرجع السابق جـ١ ص٤١٣ .

(١٠) رواه أبو داود وأحمد ـ المرجع السابق جـ١ ص ٤٢٠ .

(١١) رواه أبو حفص الكبير العكبرى كما فى فتح القدير للكمال بن الهمام على الهداية جـ٣ ص ٦٦ فقه حنفى ، وحاشية رد المحتار على الدار المختار لابن عابدين جـ٢ ص ٦٣٤ ، ٦٣٥ .

(١٢) حاشية رد المحتار على الدر المختار لابن عابدين جـ٢ ص ٢٢٢ ، ٢٢٣ .

(١٣) رواه مسلم وأبو داود والنسائى والترمذى ـ كتاب التاج الجامع للأصول جـ١ ص ٧١ .

# صلاة الجماعة بين الوجوب والندب

**الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد :**

**فقد أحيل من مكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف مانشر فى جريدة الأخبار تحت عنوان علامة استفهام بتاريخ ١٩٩٣/٩/٢٠ للكاتب الصحفى عبدالسلام داود بشأن الاستفسار عن حكم صلاة الجماعة بعد أن أذيع من إذاعة القرآن الكريم أنها واجبة .**

**والجـــواب**

**صلاة الجماعة بين الوجوب والندب**

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

١ ـ الجماعة هى الارتباط الحاصل بين صلاتى المأمور والإمام ، وتتحقق بواحد فأكثر مع الإمام .

٢ ـ صلاة الجماعة مشروعة بالقرآن والسنة والإجماع ، قال تعالى :

﴿ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ﴾ إلى آخر الآية :

(سوة النساء : ١٠٢)

وقال صلى الله عليه وسلم : «صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفرد ـ الواحد ـ بسبع وعشرين درجة» رواه البخارى ومسلم والاجماع منعقد على مشروعيتها .

٣ ـ أما مدى أو درجة مشروعيتها من الوجوب والندب فقد اختلف فيها الفقهاء :

( أ ) فالمالكية لهم فى ذلك قولان ، قول بأنها سنة مؤكدة فى الصلوات الخمس بالنسبة لكل مصل ، وفى كل مسجد وفى البلد ، على أنه إن قام بها بعض أهل البلد لايقاتل الباقون على تركها ، وإلا قوتلوا من أجل استهانتهم بالسنة ، وإن قام بها بعضهم سقط الفرض عن الباقين ، وهى سنة فى كل مسجد للرجال ، ومندوبة لكل مصل فى خاصة نفسه .

وهذا بالنسبة للفرائض الخمس ، أما فى الجمعة فالجماعة واجبة لأنها شرط لصحتها وأما الجنازة فهى مندوبة فيها ، وأما النوافل فمنها ماتجب فيه الجماعة ليتحقق أنه نفل كالعيدين والكسوف والاستسقاء فالجماعة شرط فيها لوقوعها سنة .

(ب) والحنفية قالوا : صلاة الجماعة سنة غير مؤكدة شبيهة بالواجب فى القوة على الأصح فيأثم تاركها إذا اعتاد تركها وذلك بالنسبة للصلوات المفروضة للرجال ، وهى واجبة لصحة صلاة الجمعة وكذلك للعيدين ، وسنة كافية فى صلاة التراويح والجنازة . أما فى وتر رمضان ففى الجماعة فيه قولان ، أحدهما مستحبة ، والثانى غير مستحبة ، بل يصليه فى بيته منفردا وقد رجح الثانى .

(جـ) والشافعية قالوا : الجماعة تكون واجبة وجوب عين فى خمسة مواضع هى : الركعة الأولى من صلاة الجمعة ، والصلاة المعادة فى الوقت ، والصلاة المجموعة جمع تقديم فى حالة المطر حيث تجب الجماعة فى الصلاة الثانية ، والصلاة التى نذر أن يصليها جماعة والصلاة المفروضة التى لم يوجد أحد يصليها جماعة إلا اثنان . وتكون واجبة وجوب كفاية على الرجال الأحرار العقلاء المقيمين بالبلد الذين ليس لهم عذر ، وتكون هذه الجماعة فى الركعة الأولى من الصلوات المفروضة إذا كان يصليها آداء . وتكون مندوبة فى العيدين والاستسقاء والكسوف والتراويح ، ووتر رمضان وصلاة القضاء خلف مثيلتها كظهر خلف ظهر ، كما تسن فى ظهر المعذورين يوم الجمعه ، وصلاة الجنازة المكتوبة فى حكم الجماعة .

( د ) والحنابلة قالوا : الجماعة تجب وجوبا عينيا على كل فرد فى كل صلاة من الصلوات الخمس المفروضة بالنسبة للرجال الأحرار القادرين عليها ولو كانوا مسافرين . كما تجب فى صلاة الجمعة وفى صلاة العيدين التى يسقط بها فرض الكفاية وهى التى تؤدى أولا . وتسن لهؤلاء فى صلاة القضاء وفى صلاة الجنازة كما تسن فى صلاة الاستسقاء والتراويح وفى العيدين فى غير المرة الأولى « تحفة المذاهب الأربعة » .

ويؤخذ من هذا أن الجماعة فى الصلوات الخمس بالنسبة لكل فرد سنة مؤكدة عند جمهور الفقهاء وواجبة عند أحمد بن حنبل ، فلو تركها الرجل لا يعاقب عند المالكية والشافعية ويعاقب عقابا خفيفا عند الحنفية وعقابا شديداً عند الحنابلة . وهى بالنسبة لأهل البلد فرض كفاية عند المالكية والشافعية ، إذا قام بها بعضهم سقط الطلب عن الباقين ، وإذا تركوها جميعا أثموا .

٤ ـ الأدلـــة :

أولا : رأى القائلين بأن الجماعة واجبة فى الصلوات الخمس وهم أحمد بن حنبل وتابعه على ذلك الظاهرية الذين يأخذون بظاهر النصوص وذهب إليه عطاء والأوزاعى وأبو ثور ومن أهل الحديث أبو خزيمة وابن حبان . وإن كان بينهم خلاف فى فرضية الجماعة هل هى شرط لصحة الصلاة فتبطل بدونها مع الإثم ؟ ومن أدلة الوجوب ما يأتى :

١ ـ حديث مسلم والنسائى وغيرهما عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : أتى النبى ﷺ رجل أعمى فقال : يارسول الله ، ليس لى قائد يقودنى إلى المسجد ، فسأله أن يرخص له ليصلى فى بيته ، فرخص له . فلما ولى الرجل دعاه فقال «هل تسمع النداء بالصلاة» ؟ قال : نعم قال «فأجب» . وجاء مثل هذا فى رواية أحمد وابن حبان والطبرانى ، وفيها أن الأعمى هو عبدالله بن أم مكتوم .

ووجه الاستدلال فى هذا الحديث أن الرسول ﷺ لم يرخص فى تركها للأعمى ـ وله عذره فكيف بالصحيح الذى لا عذر له ؟

٢ ـ حديث مسلم وغيره عن ابى الشعثاء المحاربى قال : كنا قعودا فى المسجد فأذن المؤذن فقام رجل من المسجد يمشى ، فأتبعه أبو هريرة بصره حتى خرج من المسجد . فقال أبو هريرة : أما هذا فقد عصى أبا القاسم . ووجه الاستدلال أن تارك الصلاة مع الجماعة عاص ، وهذا يدل على وجوب الجماعة .

٣ ـ حديث مسلم وغيره عن أبى هريرة رضى الله عن أن النبى ـ ﷺ ـ قال : «لقد هممت أن آمر فتيتى فيجمعوا إلى حزما من الحطب ثم آتى قوما يصلون فى بيوتهم ليست بهم علة فأحرقها عليهم «فقيل ليزيد بن الأصم : الجمعة أو غيرها ؟ قال صُمَّت أذناى إن لم أكن سمعت أبا هريرة يأثره عن رسول الله ـ ﷺ ـ ولم يذكر جمعة ولا غيرها ، ووجه الاستدلال أن همَّ النبى ﷺ بتحريق بيوت المتخلفين عن الجماعة يدل على معصيتهم ، وهذا يدل على وجوبها .

ثانيا : أدلة القائلين بأن الجماعة سنة فى الصلوات الخمس وهم مالك وأبو حنيفة وكثير من الشافعية .

١ ـ حديث «إذا صليتما فى رحالكما ثم أتيتما مسجد جماعة فصليا معهم ، فإنها لكما نافلة» رواه الخمسة عن يزيد بن الأسود إلا ابن ماجه . ووجه الاستدلال أنه حكم على صلاة الجماعة بأنها نافلة ويلزمه أن الصلاة الأولى وقعت صحيحة وأجزأت عن الفريضة .

٢ ـ حديث «والذى ينتظر الصلاة حتى يصليها مع الإمام فى جماعة أعظم أجرا من الذى يصليها ثم ينام» رواه البخارى ومسلم . ووجه الاستدلال أن التفضيل فى الأجر يدل على أن الصلاة مع غير الإمام لها أجر ، ويقتضى ذلك أن تكون صحيحة ، غير أن أجر الجماعة أعظم ، ذلك أن «أفعل» التفضيل يقتضى المشاركة وزيادة كما هو معروف .

وهناك أحاديث أخرى ترغب فى صلاة الجماعة ، مما يفيد أن ثوابها أعظم من الصلاة المنفردة وإن صحت .

وقد أجاب هؤلاء على أدلة القائلين بوجوب الجماعة فقالوا :

(أ) إن عدم الترخيص من النبى ـ ﷺ ـ لابن أم مكتوم بالتخلف عن الجماعة ليس دليلا على وجوبها حتى على ذوى الأعذار ، وإنما ذلك لما يعلمه من حرص عبدالله على الخير مهما كلفه من جهد ، ولما يعلمه أيضا من ذكائه وفطانته واستطاعته حضور الجماعة بغير قائد . ويدل على هذا أن الرسول ـ ﷺ ـ رخص لغيره ممن له عذر أن يصلى فى بيته ولايذهب للجماعة فى المسجد ، فقد روى البخارى ومسلم أن عتبان ابن مالك ـ وهو ممن شهد بدراً ـ قال يارسول الله قد انكسرت بصرى ـ أى ضعف نظرى ـ وأنا أصلى بقومى فإذا كانت الأمطار سال الوادى بينى وبينهم ، ولم استطع أن أتى مسجدهم فأصلى بهم ، ووددت يارسول الله أنك تأتينى فتصلى فى بيتى فأتخذه مصلى . فاستجاب له وصلى فيه ركعتين . ولايقال : إن الترخيص لعتبان ـ وهو لعذر ـ دليل على أن الجماعة واجبة على غير المعذورين لأنها لو كانت واجبة لقال له : انظر من يصلى معك فى بيتك . فعدم أمره بذلك دليلا على أن الجماعة سنة .

(ب) إن حديث الهم بتحريق بيوت المتخلفين عن الجماعة لايدل على وجوبها ، بل يدل على عدم الوجوب لأمرين :

الأول : أن همه بترك الصلاة وإنابة واحد يصلى بالناس دليل على عدم وجوبها ، وإلا فكيف يترك النبى واجبا ؟ ولا يقال : إنه لوعاد من تحريق البيوت لأمكنه أن يجد جماعة يصلى بهم ، لأن وجود جماعة غير مضمون والثانى أن الجماعة لو كانت واجبة تستحق تحريق بيوت المتخلفين-مما تأخر عن تحريقها معاقبة لهم على المعصية ، لكنه لم يفعل فدل ذلك على عدم وجوبها ، وغايته أنها هامة .

(جـ) إن أحاديث الهم بالتحريق وردت فى شأن المنافقين ، لتخلفهم كثيرا عن الفجر والعشاء وذلك فى رواية أبى هريرة نفسه التى اتفق عليها البخارى ومسلم . فقد جاء فى آخرها «والذى نفسى بيده لو يعلم أحدهم أنه يجد عرقا سمينا أو مرماتين حسنتين لشهد العشاء» والعرق بقية لحم ، أو عظم عليه لحم .

والمرماتان مابين خلف الشاة من اللحم . فالحديث منصب على من يكثرون التخلف ، وبخاصة عن الفجر والعشاء ، وهذا دأب الذين فيهم نفاق . جاء فى بعض روايات الشيخين «أن أثقل صلاة على المنافقين هى الفجر والعشاء» .

(د) إن الوعيد بتحريق بيوت المتخلفين عن الجماعة يراد به الزجر لاحقيقته ، لأن الإحراق لايكون إلا للكفار ، والإجماع منعقد على منع إحراق المسلمين .

(هـ) إن فرضية الجماعة يراد بها صلاة الجمعة كما جاء عن ابن مسعود فى صحيح مسلم . لكن رد هذا بأن التهديد يجوز أن يكون للتخلف عن الجمعة وعن الصلوات الأخرى ، وبخاصة الفجر والعشاء .

(و) إن فرضية الجماعة كانت فى أول الأمر لحرص النبى ﷺ على حضور الناس جميعا معه لتبليغ الوحى وإرشادهم ، ثم نسخ الوجوب . قال الحافظ ابن حجر : ويدل على النسخ الأحاديث الواردة فى تفضيل صلاة الجماعة على صلاة الفرد أى المنفرد لأن الأفضلية تقتضى الاشتراك فى أصل التفضيل ، ومن لازمه الجواز .

هذا بعض ماقيل فى مناقشة أدلة الموجبين وهى مناقشة تدل على عدم قطعية الدلالة على الوجوب ذلك إلى جانب أن الوجوب فيه حرج ، والأرض كلها مسجد .

ثالثا : أدلة القائلين بأن الجماعة فرض كفاية ، وهم الشافعى فى أحد قوليه وجمهور المتقدمين من أصحاب وكثير من المالكية والحنفية ـ حيث قالوا : يجب على أهل كل محلة أن يقيموها وإذا أقامها بعضهم سقط الطلب عن الباقين وكانت فى حقهم سنة ، وذلك لإظهار شعيرة الإسلام باجابة المؤذن وإقامة الصلاة .

وسند هذا القول ماورد من الأحاديث المؤكدة والمحذرة من تركها . ويوضحه أو يبين حكمته ما قاله ابن مسعود ـ كما رواه مسلم : لو أنكم صليتم فى بيوتكم كما صلى هذا المتخلف فى بيته لتركتم سنة نبيكم ، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم . وفى رواية أبى داود «لكفرتم» . والمراد بسنة النبى ﷺ دينه وطريقته ، لا السنة بمعنى المندوب ، فان ترك المندوب لايؤدى إلى الكفر والضلال .

وهذا الرأى الثالث له وجاهته ، وهو كون الجماعة فرض كفاية على المجموع يسقط بآداء بعضهم وسنة مؤكدة فى حق الجميع ، أى فى حق كل واحد على حدة . وأداء الجماعة فى المسجد أفضل من أدائها فى البيت أو السوق ، بنص حديث البخارى ومسلم «صلاة الرجل فى جماعة

تفضل صلاته فى بيته وفى سوقه خمسا وعشرين درجة وذلك أنه إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم خرج إلى المسجد لا يخرجه إلا الصلاة لم يخط خطوة إلا رفعت له بها درجة وحط عنه بها خطيئة حتى يدخل المسجد فإذا دخل المسجد كان فى صلاة ما كانت تحبسه ، وماتزال الملائكة تصلى عليه مادام فى مجلسه الذى صلى فيه : اللهم أغرف له ، اللهم ارحمه مالم يحدث فيه » .

وقد رأى جماعة أن من له زوجة أو أولاد يصلى بهم فى بيته ولو تركهم وصلى فى المسجد مع الناس لتركوا الصلاة ـ فإن صلاته جماعة بهم أفضل من تركهم وصلاته فى المسجد ، مادام هناك من يقيم صلاة الجماعة فيه غيره . وأما حديث « لا صلاة لجار المسجد إلا فى المسجد » فليس بصحيح ولو صح لكان المراد به نفى الكمال ، لا نفى صحة الصلاة ، ذكره المناوى فى « فيض القدير على الجامع الصغير » للسيوطى .

وكان المسلمون الأولون حريصين على صلاة الجماعة وإقامتها فى المسجد لمضاعفة الثواب حتى إن الرجل منهم كان يُؤْتى به يهادى بين الرجلين ـ أى يسند انه ـ حتى يقام فى الصف كما رواه مسلم عن ابن مسعود .

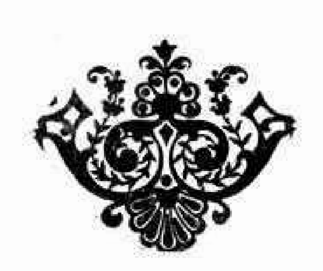
ولهذا الاهتمام كان الواحد منهم يحس بالتقصيرإن فاتته صلاة جماعة ويكفر عن ذلك بالتصدق أو بغيره وقد اخترنا الرأى الثالث جمعا بين الأحاديث التى يشعر ظاهره بالوجوب والأحاديث التى تدل على الندب لما فيها من الفضل . والجمع بين الأحاديث أفضل من إهدار بعضها .

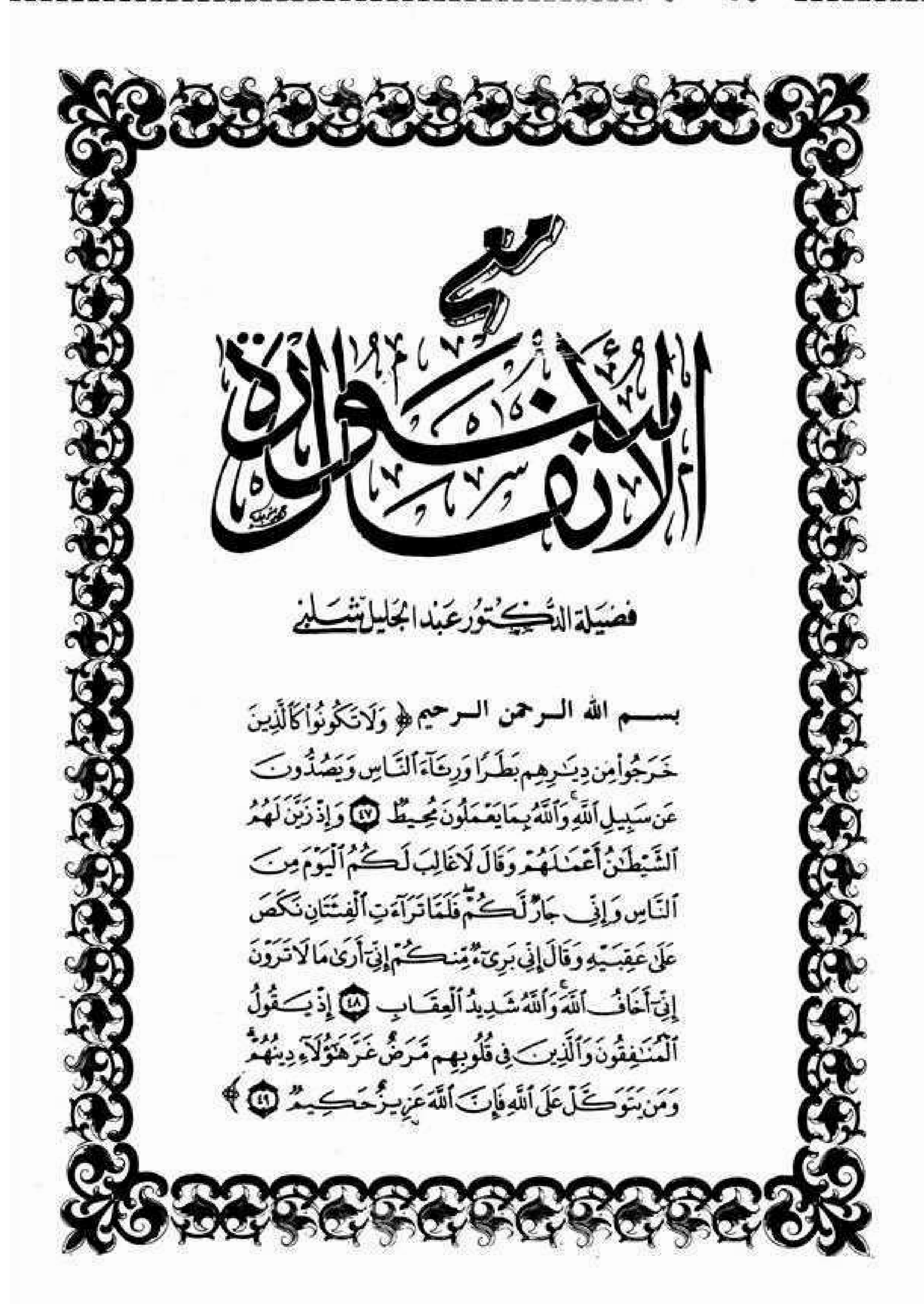
وهذا كله فى حق الرجال . أما صلاة المرأة جماعة فى المسجد فليست واجبة ولا مندوبة ، لأن صلاتها فى بيتها أفضل كما نصت على ذلك الأحاديث المقبولة ، ولو صلت فى بيتها جماعة كان أفضل على ألا تكون إماما لرجل ، كما هو رأى جميع الفقهاء من عدم جواز إمامتها لرجل ، ويرى الجمهور جواز إمامتها للنساء .

وإذا ورد النهى عن منع ذهابها إلى المسجد ، فذلك من أجل العلم والاستفادة كما كانت أيام الرسول ـ ﷺ ـ أما لمجرد الصلاة فبيتها أفضل وذلك توفيقا بين الأحاديث .

رئيس لجنة الفتوى بالأزهر

**عطية صقر**





# مع سورة الأنفال

فضيلة الدكتور عبد الجليل شلبي

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (٤٧) وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَآءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيٓ أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٤٨) إِذْ يَقُولُ الْمُنَٰفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٤٩) ﴾

أمرت الآية السابقة المؤمنين بطاعة الله ورسوله ، والصبر عند التقاء الجيشين ، ونهتهم عن التنازع والاختلاف فى الآراء ، لأن ذلك يؤدى إلى الفشل وذهاب القوى ، وقد كانت هذه الصفات المنهى عنها فى أعدائهم ، كما أن هؤلاء الأعداء لم يكونوا ذوى تقوى ولا طاعة لله ورسوله .

وهذه الآيات تنهى المسلمين أن يكونوا على شاكلة أعدائهم المشركين الذين عدموا الإخلاص والإيمان ، وكان كل همهم أن يراءوا الناس ، وأن يظهروا أمامهم قوتهم وغلبتهم ، فحين تهيئهم للخروج يوم بدر كان الخلاف بينهم شديداً ، وكان ذوو الرأى والحكمة منهم لا يريدون الخروج لهذه الحرب ، وأبدى عتبة بن ربيعة ـ وهو سيد من ساداتهم ـ رغبة فى عدم الذهاب لحرب المسلمين ، حتى بعد أن خرجوا له نصحهم بالعودة ، وقال ألصقوها بى . وحقاً لم يكن ثم داع المحرب بعد أن بعث إليهم أبو سفيان ـ رئيس القافلة ـ العائدة من الشام ، يخبرهم أنه غير طريقه وأن تجارتهم قد نجت ولا داعى لحرب ، لكن أبا جهل أصر على إظهار قواهم أمام القبائل العربية .

لهذا تقول الآية فى معناها :

لا تكونوا فى حروبكم مثل هؤلاء الذين خرجوا من ديارهم تكبرا واستعلاء ومراءاة للناس

والبطر والأشر بمعنى ، وهما من باب فرح ـ يعنيان إظهار الفخر والتكبر والتظاهر بالقوة أو الغنى أو الجاه وما إلى ذلك . والرئاء مصدر رائى ، والمراد منه إظهار هذه المفاخر أمام الناس ، وهم قد خرجوا صادين عن دين الله . وقد كتب لهم أبو سفيان : إنكم إنما خرجتم تمنعوا عيركم ، فقد نجاها الله . فارجعوا ، وقال أبو جهل : والله لا نرجع حتى نرد بدراً فنقيم بها ثلاثاً ننحر الجزور ونطعم الطعام ونسقى الخمر وتعزف علينا القيان ، وتسمع بنا العرب ، فلا يزالوان يهابوننا أبداً . وبدر كانت سوقاً تشهده القبائل فى شهر رمضان ، قال البغوى ، ونقل المفسرون بعده عبارته : « فوافوها ، فسقوا كؤوس المنايا مكان الخمر ، وناحت عليهم النوائح مكان القيان . فنهى الله عباده المؤمنين أن يكونوا مثلهم ، وأمرهم بإخلاص النية والحسبة فى نصر دينه ، ومؤازرة نبيه ـ ﷺ ـ » .

والآيات نزلت بعد بدر ، فالأمر بالإخلاص والبعد عن مثل هذه الأخلاق توجيه وإرشاد لحسن العمل فى كل حرب ، وفى كل شىء .

﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ... ﴾

الظرف ههنا معمول لفعل مقدر ، أى اذكر يا محمد أو اذكروا أيها المؤمنون وقت أن زين الشيطان لهؤلاء ، أعمالهم السيئة ، فألبسها ثوب الحسن . والعقل على ما تقدم من الذِّكر اللسانى أو الذكر والتذكر القلبى ، فهو يعنى تذكرهم هذا الحادث ، أو ذكره من بعضهم لبعض ، وذكره اللسانى أو القلبى مما يبعث الإيمان ويقوى الثقة والعزيمة ، وهذا مما يعصم من وساوس الشيطان والميل لمراودأته الخبيثة ، كما فعل بالمشركين ، وقد أوهمهم أن لا أحد من العرب يغلبهم ، سواءً من

المسلمين أو من غير المسلمين ، وقال : إنى جار لكم ، أى مجير وحام لكم ، قال الزمخشرى : أوهمهم ان اتباع خطوات الشيطان وطاعته مما يجيرهم .

وعلى هذا فتزيين الشيطان لهم أعمالهم وقوله هذا لهم إنما هو من باب التمثيل ، فالشياطين كانت منبثة فى صفوف المشركين توسوس لهم وتغريهم بعمل السوء ، كما كانت الملائكة منبثة فى صفوف المسلمين تثبتهم وتبشرهم ، وسبق قول الله تعالى :

﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾

« فلما تراءت الفئتان » ــ أى رأت كل طائفة الأخرى ، وقبل أن يقع القتال ألقى الله ــ سبحانه ــ الرعب فى قلوب الذين كفروا ، وخفتت وساوس الشيطان وعبرت الآية عن هذا بعبارة : « فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ » فانقطاع الوساوس بمثابة النكوص على العقبين والرجوع إلى الوراء .

وبراءة الشيطان منهم تعنى تخليه عنهم ، وتركهم فى ورطتهم ، ومثل هذا قوله تعالى :

﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ ﴾

« إنى أرى ما لا ترون » ــ أى هو وجنوده رأوا الملائكة فى صفوف المسلمين ، والشياطين لا تقوى على مواجهة الملائكة ، ففر ويئس من نصرهم ، وخوفه من الله على هذا الوجه ليس خوفاً من عقاب الآخرة ، وإنما هو خوف من الهلاك فى الدنيا .

وجملة « والله شديد العقاب » ، تحتمل أن تكون من كلام الشيطان ، وتحتمل أن تكون جملة مستأنفة موضحة لشديد العقوبة من الله .

على هذا الوجه تكون الآية من باب التمثيل أو الاستعارة التمثيلية ، وهناك رواية تذكر أنه كان بين قريش وبين بنى بكر من كنانة من إحَن وحرب وخشوا إذا هم خرجوا لحرب المسلمين تنقض عليهم كنانة من خلفهم فيقعون بين عدوين من أمامهم ومن خلفهم ، وكادت هذه الخواطر تثنيهم وتثبطهم عن الخروج إلى بدر . فتمثل لهم إبليس فى صورة سراقة بن مالك بن جُعْشم ، وكان من أشراف كنانة ، ومن ذوى الكلمة والشورى فيهم ، فقال لهم : لا غالب لكم اليوم وإنى جار لكم من بنى كنانة وحافظكم ، فلا يصل إليكم منهم مكروه . وظل معهم حتى تراءى الجمعان ، وكانت يده فى يد الحارث بن هشام، فنكص وتركهم ، فقال له الحرث إلى أين أتخذ لنا فى هذه الحالة ، فقال له : إنى أرى ما لا ترون ، فقال الحرث : ما نرى إلا ضعاف يثرب ، فدفع فى صدر الحرث وانطلق ، وحلت الهزيمة بالقوم ، فلما جاءوا مكة قالوا : ما هزمنا إلا سراقة ، وبلغه ما يقولون فقال : والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتنى هزيمتكم ، فلما أسلموا جميعاً ــ قريش وكنانة ــ علمت قريش أنه كان الشيطان .

ونحن نميل إلى كون الكلام استعارة تمثيلية ، وجاء حديث الشيطان ووسوسته على هذا الوجه فى غير آية ، كقوله تعالى :

﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ ﴾

وتلك سجية الشيطان يوحى بالسوء ويزينه

للناس ، فإذا تورطوا فيه نفض يديه منهم أو عاد يلقى عليهم باللائمة .

﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ... ﴾ سورة إبراهيم (٢٢)

ويبدو أن رواية تمثل الشيطان بسراقة من وضع المتأخرين ، مجاراة للذين لا يميلون إلى ادخال المجازات فى القرآن ، وهم غرباء عن روح اللغة العربية .

﴿ إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ﴾

الظرف معمول لفعل تقديره اذكر ــ على نحو ما سبق ، أو هو متعلق بزين لهم الشيطان أعمالهم ، فقد كان ذلك وقت تغرير الشيطان بالمشركين ، وإيحائه إليهم أن لا غالب لهم ، وكان منافقوا المدينة قد أرجفوا فيما بينهم أن محمداً ــ ﷺ ــ وصحبه سيقضى عليهم ، وقالوا لا طاقة لهم بملاقاة جيش يزيد على ثلاثة أمثالهم ، وهو جيش كامل العدة والمسلمون مع قلتهم تنقصهم آلات الحرب التى مع عدوهم ، وكذلك تباهى المشركون ــ وهم مرضى القلوب ــ وقالوا إن المسلمين أكلة جزور لقلتهم ، وكانت قريش قد خرجت بخيلائها وكامل عدتها ، فاستهانوا أول الأمر بالمسلمين وقالوا غرهم دينهم .

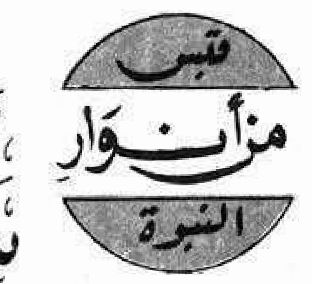
وقيل الذين فى قلوبهم مرض جماعة لم تكن قلوبهم اطمأنت بالإيمان بعد وبها شىء من الشبهة ، ولكن هؤلاء لم يكونوا ممن حضر معركة بدر ، فالمرض على هذا هو الشبهة ، وقيل إنهم فتية من قريش أسلموا بمكة ، وحبسهم ذووهم عن الهجرة ، فلما كان يوم بدر خرجوا مع قومهم لحرب المسلمين ، فلما رأوا قلتهم خامر قلوبهم الشك ، ويذكر المفسرون من هؤلاء قيس بن الوليد بن المغيرة ، والعاص بن منبه بن الحجاج والحرث بن زمعة وغيرهم ، ولكن من المعروف أنه لم يحضر بدراً منافق ولا أحد فى قلبه شك من المسلمين ، ولو كانوا كذلك ما اثنى الله ونبيه عليهم هذا الثناء ولا كان لهم كل هذا الجزاء .

﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

أى من يكل أمره إلى الله مطمئنا قلبه بالإيمان به فإن الله ــ سبحانه ــ كافيه كل ما يهمه ، وينصره على عدوه ، وإن كثر عدوه ، لأن الله عزيز قوى لا يغلب ولا يمتنع عليه شىء ، وهو سبحانه حكيم يضع كل أمر فى موضعه ، ومن حكمته أنه ينصر الحق ويبطل الباطل ، وقد حدث ذلك يوم بدر ، وما كان أحد يؤكد أو يرجح أن المسلمين وهم هكذا قلة سينتصرون .

ولنلاحظ أن المسلمين بلغ بهم التوكل غايته يوم بدر ، وقد ثبتوا على لقاء عدوهم معتمدين على الله وحده ، ولم تخل نفوسهم من الخوف ، وقد رأينا رسول الله ــ ﷺ ــ يناشد ربه ويستغرق فى مناشدته حتى يسقط رداؤه من فوق كتفيه .

والمسلمون إذن مع توكلهم على الله لم يتركوا أسباب النصر ويخلدوا إلى معجزة تنقذهم وتهلك أعداءهم ، ولكن غزوة بدر مع هذا قريبة من المعجزات ، ولولا تأييد الله وإمداده هذه الفئة القليلة المسلمة ــ ما أحرزوا هذا الانتصار .







للشيخ / على حامد عبد الرحيم

روى الإمام أحمد بسنده إلى قيس بن سعد بن عبادة قال : إن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : « من شدّد سلطانه بمعصية الله أوهن الله كيده يوم القيامة » .

مسند أحمد ٦/٦ الميمنية

إن الإيمان الصادق بالله تبارك وتعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ـ يجعل صاحبه يعيش ـ لرسالة كبيرة ، ويعمل لهدف رفيع ، ويحيا فى ظل مثل عليا ، يعيش لها ويموت عليها : هى القربى إلى الله ، والتخلق بأخلاقه ، والسعى فى مرضاته ، وفى سبيل ذلك يكبح جماح نفسه ، ويقمع طغيان هواه ، ويضغط على غرائزه وشهواته حتى تستقيم على منهج ربه ، إيثاراً لما عند الله ، وابتغاء لمرضاته ، وإيماناً بحسن الثواب عند خالقه .

لقد أبرز نبى الإسلام ـ ﷺ ـ : قيمة المؤمن بالله ، الخائف من عقابه ، الخاشع الأمين ، المؤثر للآخرة على الدنيا ، المؤمن بأن الدنيا خلقت له وأنه خلق للآخرة . فالمؤمن إذا كان تاجراً فهو التاجر الصدوق الأمين ؛ وإذا كان عاملًا فهو العامل المجتهد المنتج ، وإذا كان غنياً فهو الغنى السخى المواسى ، وإذا كان قاضياً فهو القاضى العادل المنصف ، وإذا كان والياً فهو الوالى المخلص الأمين . وإذا كان حاكماً فهو المتواضع الرحيم . وإذا كان أميناً على الأموال العامة فهو الخازن الحفيظ العليم .

والمؤمن الصادق هو الذى يعرف أن له رباً خلقه ورزقه وعرف أن هذه الحياة الدنيا ممزوجة بالخير والشر ، والعدل والظلم ، والحق والباطل ، واللذة والألم . وعرف أن الدنيا مزرعة لحياة أخرى هى خير وأبقى ، تُجزى فيها كل نفس بما كسبت ، وتخلد فيما عملت . إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر . حتى لا يكون فى عداد المفلسين الذين عناهم الرسول ـ ﷺ ـ فى قوله :

أتدرون من المفلس ؟

قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع يا رسول الله .

فقال الرسول ـ ﷺ ـ : المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام .. ويأتى وقد شتم هذا وقذف هذا وسفك دم هذا ، وضرب هذا . فيأخذ هذا من حسناته وهذا من حسناته ؛

فإن فنيت حسناته قبل ان يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ، ثم طرح فى النار » رواه مسلم » .

وإذا كان هذا شأن من عمل الصالحات وعمل السيئات . فما بال الذين لم يعملوا إلا السيئات .

إن الغلو فى حب الدنيا ـ ونسيان الآخرة ـ هو رأس كل خطيئة ، يندفع بها أكثر الناس من أجل متاع الدنيا فيبيع الأخ أخاه ، ويقتل الولد أباه ، ومن أجل الدنيا يخون الناس أماناتهم ، وينكثون العهود ، ويجحدون الحقوق ، وينسون الواجبات .

ومن أجل الدنيا يبغى الإنسان على أخيه الإنسان فيظلمه ، ويطغى عليه ويتجبر وينافق ويتزلف ، ويكتم الحق ، ويروج الكذب والزور ، من أجل منصب صغير أو كبير ، من أجل حظوة عند رئيس ، أو شهرة بين الناس . من أجل شهوة الجاه والسلطان والسيطرة والاستعلاء . من أجل ذلك كله أو بعضه يبيع آخرته بدنياه. وكأنه لا يعلم أن هناك يوماً يجازى فيه عن كل ما قدمت يداه . قال الله ـ تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ النازعات

إن الخوف من الله ينسى الإنسان حظ نفسه ، ويجتهد فى القرب من ربه ، روى أن عمر بن عبدالعزيز أساء إليه رجل حتى أغضبه ـ وهو أمير المؤمنين ـ فهم به عمر ثم أمسك نفسه وقال للرجل أردت أن يستفزنى الشيطان بعزة السلطان فأنال منك ما تناله منى غدا ؟

ـ أى فى الآخرة ـ قم عافاك الله ، لا حاجة لنا فى مقاومتك .

والخوف من الله ـ عز وجل ـ يدفع كل صاحب مسئولية أن يقوم بأعبائها على الوجه الأكمل ؛ لأنه يؤمن بقول رسول الله ـ ﷺ ـ : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » رواه البخارى ومسلم وغيرهما . ويؤمن بأن الله سائل كل راع عما استرعاه . أحفظ أم ضيع . رواه النسائى وابن حبان .

وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه . قال لأبى مريم السلولى ـ الذى قتل زيد بن الخطاب ـ « والله إنى لا أحبك حتى تحب الأرض الدم » فقال : أفيمنعنى ذلك حقاً .. قال عمر ـ رضى الله عنه : « لا ، قال : « فلا ضير ، إنما يأسى على الحب النساء » .

وهذا أمير المؤمنين على بن أبى طالب يقول له جعد بن هبيرة : يا أمير المؤمنين يأتيك الرجلان ، أنت أحب إلى أحدهما من أهله وماله ، والآخر لو يستطيع أن يذبحك لذبحك فتقضى لهذا على هذا .

قال : فلهزه على وقال : إن هذا شىء لو كان لى لفعلت . ولكن إنما ذلك شىء لله .

فمن آثر طاعة الله فى أى موقع كان ، رفع الله ـ تعالى ـ قدره وأعلى شأنه ومنزلته يوم القيامة ، ومن أتبع نفسه هواها ، وآثر رضاها على رضا خالقها ومولاها خاب وخسر :

﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾

[ آل عمران : ٣٠ ]

والعجب كل العجب لمن يستبدل الذى هو أدنى بالذى هو خير ، وإن لحظة فى النار تنسى نعيم الدنيا مهما طال أمده ، وإن لحظة فى نعيم الجنة تنسى العبد كل ما عناه من متاعب الحياة الدنيا .




لفضيلة الشيخ / أحـمد عبدالله أحمد العبليني

## ٨ - الإجماع :

يُعَدُّ الإجماع أحد المصادر الرئيسية للشريعة الإسلامية ولولاه لما تأتّى للمجتهدين استنباط كثير من القواعد الفقهية ، إلا أنّ للأمر جانبا آخر هو أنّ هذا الإجماع نشأ بسببه خلاف ترتب عليه خلاف فى الأحكام الفقهية ، ويمكن حصر هذا الخلاف فى ناحيتين :

( أ ) متعلق الاتفاق : فقد تباينت آراء العلماء فى تعيين الإجماع ، فقيل : إنه مطلق الأمة ، وقيل : خصوص المجتهدين منهم فى عصر ، وفى رأى مالك اتفاق أهل المدينة ، وقيل : هو اتفاق الصحابة ، وقيل : هو اتفاق أهل الحرمين : مكة والمدينة ، أو أهل المصرين : البصرة والكوفة .

وقد ضيّق بعضهم هذا الجانب إلى حدٍّ قصرَه على اتفاق الشيخين أو الخلفاء الأربعة ..

(ب) حجيته واعتباره مصدراً من مصادر التشريع : يُعد الإجماع عند جمهور الأصوليين والفقهاء . أصلًا من الأصول وحجة تسوغ تقرير القواعد الفقهية ، إلا أنّ هذا الاتجاه قد لاقى بعض المعارضة وحتى الرفض ، فقد حكى عن النظام وجعفر بن حرب وجعفر بن مبشر أنهم قالوا : الإجماع ليس بحجة[1] .

ويدخل فى جملة من أنكر الإجماع الخوارج الذين يعتبرون أكثر المغالين فى رفضه ، وكذلك الشيعة فإنهم يرفضون الإجماع المتعارف عليه ويرون أنّ الإجماع ماهو إلا اتفاق أهل البيت وأنّ أى شىء آخر من هذا القبيل مرفوض لديهم .

وعلى ضوء ما ذكرت يتضح أنّ الخلاف الذى

(١) محمد بن الحسن الطوسى/ عدة الأصول/ ص ٢٣٢ .

نشأ ودار حول الإجماع بشقيه السابقين قد سبب أيضاً خلافاً فى الآثار الفقهية المترتبة عليه ، ولذلك اعتبر الإجماع أحد البواعث المسببة للخلاف الفقهى .

٩ ـ القياس :

يعتبر الأصوليون القياس دليلا أساسياً من الأدلة الفقهية ، وهو يُعَدُّ عندهم الأصل الرابع من الأصول التى بنيت عليها أحكام الفقه وقواعده ، ولذلك نراهم يضعون له شرائط خاصة وقوانين مختلفة حتى غدا بذلك بابا منظماً له نظامه ومميزاته .

ومما لاشك فيه أنَّه أسهم إلى حَدٍّ بعيد فى استنباط كثير من القوانين والأحكام ، إذ من الممكن أن تظهر مسألة لا يوجد لها نص من القرآن والسنة ، الأمر الذى يدفع المجتهدين إلى استعمال الرأى والقياس ، وقد يدفع بعضهم إلى الوقوف عند النصوص ولا يسمح بتجاوزها إلى استعمال الرأى والقياس ، وهذا الأمر أدّى بالتالى إلى إيجاد اتجاهات مختلفة وأحكام متباينة .

ومن الضرورى أن أبين أنّ القياس لم يحظَ بإجماع العلماء واتفاقهم ، فقد حدث بسببه خلاف عميق بين طوائف الفقهاء والمتكلمين ، إذ حاول كل فريق منهم الانتصار لمذهبه بطرق وأساليب نقلية وعقلية على حد سواء . ويُعْتَبَرُ فقهاء المذهب الظاهرى أبرز مَنْ رفض الأخذ بالقياس كدليل من أدلة الأحكام ، وقد ظهر منهم مؤسس هذا المذهب أبو سليمان داود بن على الأصفهانى (ت٢٧٠هـ) حيث عدّ أحد أهم الداعين إلى إبطال العمل بالقياس . وقد صور لنا الشهرستانى موقف داود الظاهرى بقوله : (ومِنْ أصحابِ الظاهر مثل داود الأصفهانى وغيره مَنْ لم يجوّز القياس والاجتهاد فى الأحكام . وقال : الأصول هى : الكتاب والسنة والإجماع فقط ، ومنع أنْ يكون القياس أصلًا من الأصول . وقال : إنَّ أول مَنْ قاس إبليس ، وظنَّ أنَّ القياس أمر خارج عن مضمون الكتاب والسنة[٢] .

يضاف إلى ذلك أحد أعلام هذا المذهب وهو الإمام على بن سعيد بن حزم الأندلسى (ت٤٥٦هـ) يعتبر أبرز الرواد الذين حملوا لواء الإنكار على أصحاب القياس وعلى النتائج المترتبة عليه ، إذ عقد فصلًا فى كتابه «المحلّى» خصصه لقضية إبطال القياس ، وحتى يبرهن على صحة ماذهب إليه بدأ أولا بمناقشة الآراء المؤيدة لحجية القياس ثم حاول نقضها وإبطالها ، معقباً ذلك بأدلة مختلفة تشير إلى بطلان القياس وتقدح فى صحته وسلامته[٣] . إلا أنَّ الباحث يستطيع أنْ يتعرف على بعض جوانب الضعف ومواطن الخلل فيما أورده .

وقد أبان الإمام أبوبكر السر فى المواقف المختلفة حول حجية هذا الأصل ، حيث أشاد إلى أنَّ مذهب الصحابة ومَنْ بعدهم من التابعين والماضين من أئمة الدين جواز القياس وهو مدرك من مدارك أحكام الشرع ، خلافاً لمن زعم عدم جوازه وأنَّ

(٢) الشهرستانى/ الملل والنحل/ جـ١/ ص٢٠٦ . تحقيق : محمد سيد كيلانى ـ القاهرة : البابى الحلبى ـ ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م .

(٣) ابن حزم ـ المحلّى ـ جـ١ ـ ص ٥٦ ـ ٦٢ ـ تحقيق أحمد شاكر ـ بيروت : دار الآفاق الجديدة .

العمل به باطل . وأول من أحدث هذا القول هو إبراهيم النظّام ـ وهو معتزلى ـ ثم تبعه عليه بعض المتكلمين ببغداد . ثم نشأ بعد هؤلاء رجل يقال له داود الأصفهانى ، فأبطل العمل بالقياس من غير أنْ يقف على ماهو مراد كل فريق ممن كان قبله ، ولكنه أخذ طرفاً من كل كلام ولم يشتغل بالتأمّل فيه ليتبيَّنَ له وجه فساده ، فقد قال : القياس لايكون حجة ولايجوز العمل به فى أحكام الشرع . وتابعه على ذلك سائر الظاهرة الذين كانوا مثله فى ترك التأمل ، وروى بعضهم هذا المذهب عن قتادة ومسروق وابن سيرين وهو افتراء عليهم ، فقد كانوا أجلَّ مِنْ أنْ ينسب إليهم القصد إلى مخالفة رسول الله ـ ﷺ ـ وأصحابه فيما هو طريق الشرع بعد ماثبت نقله عنهم .

وقد أورد السرفسى أدلة الرافضين للقياس ثم عُنى بإبطالها ومِنْ ثَمّ الاستدلال بمذهب حجية القياس[4] .

وقد ذكر الإمام محمد بن على الشوكانى أنَّ : (أول مَنْ باحَ بإنكاره النظّام ، وتابعه قومٌ من المعتزلة كجعفر بن حرب وجعفر بن حبشة ومحمد ابن عبدالله الأسكافى ، وتابعهم على نفيه فى الأحكام داود الظاهرى)[5] .

كما أن قسماً من الشيعة قد أنكر القياس ورفض حجيته ، فالقاضى النعمان بن محمد أحد فقهاء المذهب الإسماعيلى يفرد بابا طويلا يرد فيه على أصحاب القياس ثم يخلص إلى بطلان القياس كأحد الأصول الفقهية ، وبطلان الآثار المترتبة عليه[6] .

وعلى ضوء ماتقـدم يظهـــر أنَّ المذهب الظاهرى ، والمعتزلة ، وطائفة من الشيعة قد أنكروا حجية القياس ولم يَعُدُّوه دليلًا من أدلة الأحكام التى تساعد فى استنباط القواعد الفقهية . ونتيجة لذلك انعكس الخلاف الفقهى تبعاً للخلاف الذى دار حول حجية القياس وشرعيته فى أمرين :

( أ ) الخلاف الناشىء بين المثبتين للقياس وبين المنكرين له ، ومثال ذلك قول النبى ـ ﷺ ـ فينا رواه مسلم عن أبى سعيد الخدرى : الذهب بالذهب ، والفضة بالفضة ، والبرّ بالبرّ ، والشعير بالشعير ، والتمر بالتمر ، والملح بالملح مثلا بمثل يداً بيد ، فمن زاد أو استزاد فقد أربا ، الآخذ والمعطى فيه سواء .

فهذا الحديث يحرم ربا الفضل والنسيئة فى الأمور المذكورة نصاً ، إلا أنه لم تُذكر العلة الموضّحة لهذا الحكم ، ولذلك سلك المجتهدون مسلك السبر والتقسيم لمعرفة العلة ، وبعد حصر الأوصاف الصالحة لأن تكون علةً فى الأصل تعيَّنت العلة لأن تكون « المقدار » مع اتحاد الجنس واستبعدت الأوصاف الأخرى .

ومن هنا يظهر لنا أنَّ الذين أنكروا القياسَ لاربا عندهم فى الحمص والأرز والزبيب لأنَّ النص لم يشتمل عليها . والذين يقولون بالقياس

---

(٤) أصول السرفسى جـ٢ ص١١٨ ـ ١١٩ ـ القاهرة : دار الكتاب العربى ١٣٧٢هـ .

(٥) الشوكانى ـ إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول ـ القاهرة : مطبعة السعادة ١٣٢٧هـ/ ص١٨٦ .

(٦) النعمان بن محمد اختلاف أصول المذاهب ـ ص١٥٥ ـ ١٨٤ ـ تحقيق : مصطفى غالب ـ بيروت : دار الأندلس ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م .

يلحقونها بالأصناف الستة المذكورة فى الحديث لاشتراكها معها فى علة الحكم بطريق القياس .

(ب) الخلاف العارض بين أصحاب القياس فى قياسهم وذلك لأنَّ كل مذهب له منهجه الخاص فى استعمال القياس ، الأمر الذى ينشأ بسببه خلاف بين المذاهب كاختلاف الأحناف والشافعية وغيرهم من الفقهاء والمجتهدين .

ومما يتصل بهذه المسألة نوع يُعرف عند الأصوليين « بتنقيح المناط » ، وقد ألحقه بعضهم بمسالك العلة فى حين خالفهم آخرون فى ذلك . فقد روى البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة أنه قال : (بينما نحن جلوس عند النبى - ﷺ - إذ جاءه رجل فقال : يارسول الله هلكت ، قال : مالك ؟ قال : وقعت على امرأتى وأنا صائم ، فقال رسول الله - ﷺ - : هل تجد رقبة تعتقها ؟ قال : لا . قال : فهل تستطيع أنْ تصوم شهرين متتابعين ؟ قال : لا . فقال : فهل تجدُ إطعام ستين مسكيناً ؟ قال : لا . قال : فمكث النبى - ﷺ - فبينا نحن على ذلك أتى النبى - ﷺ - بعرق فيه تمر - والعرق المِكتل - قال : أينَ السائلُ ؟ فقال : أنا . قال : خُذْ هذا فتصدّق به . فقال الرجل : أعلى أفقر منى يارسول الله ؟ فوالله مابين لابتيها - يريد الحرتين - أهل بيت أفقر من أهل بيتى ! فضحك النبى - ﷺ - حتى بدَتْ أنيابه ، ثم قال : أطعمْهُ أهلَك[7] .

ومن خلال هذا الحديث أوجب فقهاء الحنفية الكفارة على مَنْ أكل أو شرب عامداً فى رمضان اعتماداً على دلالة هذا النص ، ووجهة نظرهم فى ذلك أنَّ علة الكفارة إفساد الصوم ، ولذلك اشترك الأكل والشرب فى حكم الجماع لاتحاد العلة فى كل منها ، بل إنَّ بعض الأحناف قال : إنَّ الأكل أبلغ فى الجناية من الجماع ، لأنَّ الصبر عنه أشد والدعوة إليه تفوق الدعوة إلى الجماع .

أما فقهاء الشافعية فيرَوْن أنَّ الحديث يقصر الكفارة على مخالف الصوم حقيقة بالجماع فقط ، فى حين أن حكم مَنْ أكل عامداً قضاء ماأفطر ولاتجب عليه الكفارة . ويعلل فقهاء الشافعية ماذهبوا إليه بأنَّ النص الوارد والمتمثل بالحديث النبوى الشريف يشير إلى وجوب الكفارة على مفطر رمضان بسبب الجماع وليس بسبب شىء آخر ، يُضاف إلى ذلك الاعتداء بالأكل لايساوى عندهم الاعتداء بالجماع ، ومن هنا لايترتب على قول الشافعية اتحاد فى العلة بين مفطر رمضان بالجماع وبين مفطره بالأكل والشرب ، ولذلك اختلف حكم كل واحد منهما بشأن الكفارة .

### ١٠ - المنطوق والمفهوم :

من الأمور المميزة التى تتصف بها ألفاظ العربية قدرتها على تحمل أكثر من دلالة غير الدلالة المتبادرة للذهن بحسب اللفظ ، الأمر الذى جعل اجتهادات الأصوليين تتباين فى تحديد نوع الدلالة وتقريرها ، فمنهم من تمسك بحرفية النصوص وظواهر الألفاظ ولم يسمح بمغادرتها إلى المعانى التى من الممكن أنْ تكون اللفظة قد احتملتها ، وهذا مايُعرف بالمنطوق .

---

(٧) صحيح البخارى جـ١ ص٢١٨ - القاهرة : مطبعة محمد على صبيح بميدان الأزهر ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م .

ومنهم من يرى مجاوزة المعنى الحرفى والبحث عن دلالة أخرى تناسب السياق وتلائم الواقع لأن مجرد الوقوف عند اللفظ يقف مانعاً أمام هذا اللفظ من أنْ يؤدى الدلالة المعنوية المطلوبة ، وهذا هو المقصود بالمفهوم .

ولعلّ أبرز مثال على ذلك قوله تعالى :

﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾[8] فالامام الشافعى يأخذ بظاهر النص ويتمسك بحرفيته ذاهباً فى ذلك إلى القول بأنْ مطلق اللمس للجسد يوجب الوضوء سواء أكان بسبب الشهـــوة أم بدونها .

أما الإمام أبو حنيفة فقد ذهب إلى القول بأنّ اللمس الوارد فى الآية لايعنى لمس اليد ، وإنما القصد منه دلالة أخرى هى الجماع ، مما يترتب على ذلك عدم وجوب الوضوء على مَنْ مَسَّ امرأة سواء أكان المس بشهوة أم بغير شهوة .

وقد يكون من المفيد أنْ أذكر أنَّ الظاهرية قد بالغوا إلى حد بعيد فى التمسك بظاهر اللفظ حتى وصل الأمر بهم إلى درجة القول بأنَّ لمس الأجنبية حتى لو كانت بنتا ساعة ولادتها ينقض الطهارة ويوجب الوضوء ، وأنَّ المرأة إذا أجنبت ثم حاضت فإنه يجب عليها فى هذه الحالة غسلان ، وأنَّ الغسل لايجب إلا بإنزال المنى ... إلى غير ذلك من الأحكام التى استنبطوها معتمدين فى ذلك على ظواهر الألفاظ غير ملتفتين إلى الدلالات المعنوية الأخرى .

## ١١ ـ الناسخ والمنسوخ :

قد يرد حكم فى مسألة ما ثم يعقبها حكم آخر فى المسألة نفسها مخالفٌ للحكم الأول ، مما يترتب على هذا الوضع وجود حكمين لمسألة واحدة .

وقد حاول العلماء وضع بعض القواعد والضوابط بهدف الوصول إلى حكم واحد مقبول ، منها : أنه إذا ورد نصان متعارضان مقبولان وجب البحث والاجتهاد للجمع والتوفيق بينهما بطريق صحيح من طرق الجمع والتوفيق ، وعندها يعمل بهما معاً ـ أما إذا تعذر الجمع بوجه من الوجوه فإنه يُنظر إلى جانب النسخ فإنْ أمكن علم الناسخ منهما عمل به وتُرك المنسوخ ، فإن لم يعلم رجح أحدهما على الآخر بوجه من وجوه الترجيح أرجعها العلماء إلى خمسين وجهاً . أما إذا لم يعرف المرجح فيتوقف العمل بهما حتى يظهر مرجح مراعاةً للقاعدة التى تقرر عدم الترجيح بدون مُرجِّح .

إلا أنه ولاعتبارات معينة تمسك بعض الأئمة بالحكم الأول وتمسك بعضهم بالحكم الثانى فى بعض المواضع ، وهذا هو السبب الذى جعل الأحكام تختلف فى المسألة الواحدة ، مثال ذلك ما أورده ابن قدامة فى المغنى عند كلامه على حكم القيام أو القعود حين مرور الجنازة ، حيث ذكر : (فصل ، إذا مَرّت به جنازة لم يستحب له القيام لها لقول على ـ رضى الله عنه ـ: قام رسول الله ـ ﷺ ـ ثم قعد . رواه مسلم ... قال أحمد : إنْ قام لم أعبه وإنْ قعد فلا بأس . وذكر ابن أبى موسى

---

(٨) سورة المائدة ـ اية رقم (٦) .

والقاضى أنَّ القيام مستحب لأنَّ النبى - ﷺ - قال : «إذا رأى أحدكم الجنازة فليقم حين يراها حتى تخلفه» رواه مسلم(٩)

وقد أوسع الإمام أبوبكر الحازمى هذا الموضوع شرحاً وتفصيلا بحيث استوعب كثيراً من المسائل الخلافية المتعلقة بهذا الموضوع ، ولذلك نراه يخصّص له كتاباً سماه (الاعتبار فى الناسخ والمنسوخ من الآثار) وقد حاول فى هذا الكتاب أن يشير إلى الآثار التى تخالف بعضها بعضا فى الموضوع الواحد وأن يصل فى النهاية إلى حكم واحد مقبول وذلك باعتماده على الناسخ والمنسوخ ، مثال ذلك ماذكره عن ابن مسعود (قال : كنا نسلم على النبى - ﷺ - فيرد علينا السلام حتى قدمنا من أرض الحبشة فسلمت عليه فلم يرد علىَّ ، فأخذنى ماقرب وما بعد فجلست حتى قضى الصلاة ، قال : إنَّ الله - عز وجل - يحدث من أمره مايشاء وأنه - عز وجل - قد أحدث من أمره أن لايتكلم فى الصلاة(١٠) .

وبعد ، فإنَّ الخلاف الفقهى راجع فى محصلته النهائية إلى أنَّ استنباط الأحكام الفقهية مبنية على النصوص الواردة فى الكتاب والسنة ، تبعاً لمقتضى الأصل اللغوى وما يحتمله من المعانى والدلالات . وفى هذا توسيع للأفق التشريعية وتيسير على المكلفين ورحمة بهم فلا يترتب على المكلَّف حرج فيما كُلِّف به ، ولعل ماذكرته فى هذه الدراسة يؤكد حقيقة ذات مبلغ كبير من الأهمية وهى أنَّ الخلاف الفقهى يعتبر ظاهرة صحيّحة فى التاريخ الإسلامى ويشهد على عمق التفكير ونضوج الوعى بين جنبات حضارة علمية راقية مازال المسلمون حتى يومنا هذا يعيشون على ذكراها ويقتبسون من ثمارها وأنوارها .



---

(٩) المغنى - المجلد الثانى - ص ٣٦١ .

(١٠) أبوبكر الحازمى - الاعتبار فى الناسخ والمنسوخ من الآثار - ص ١١٣ - حلب : ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م تحقيق الدكتور عبد المعطى القلعجى .

# أثر صلح الحديبية فى نشر الدعوة الإسلامية

## الفصل الأخير

أ.د/ محمد عبد العليم العدوى

كتب الرسول عليه الصلاة والسلام إلى الملوك والأمراء .

ولما كانت رسالته ﷺ هى الرسالة العامة وكان خاتماً للنبيين ورحمة للعالمين فقد اقتضى ذلك أن تبلغ دعوته كل أقطار الأرض .. ولهذا أرسل عليه السلام فى ذى الحجة من السنة السادسة للهجرة - وبعد عودته من الحديبية - الكتب إلى الملوك والأمراء فبعث دحية بن خليفة الكلبى إلى هرقل إمبراطور الروم ، وعبدالله بن حذافة السهمى إلى كسرى فارس وعمرو بن أمية الغمرى إلى النجاشى[1] . وحاطب بن أبى بلتعة اللخمى إلى المقوقس عامل هرقل على مصر ، وبعث سليط بن عرو العامرى إلى هوذة بن على الحنفى فى أمير بلاد اليمامة وشجاع بن وهب من بنى أسد بن خزيمة إلى الحارث بن أبى شمر الغسانى والعلاء بن الحضرمى إلى المنذربن ساوى صاحب البحرين ، وعمرو بن العاص إلى جيفر وعياد أبنى الجلندى[2] يقول الطبرى : حدثنا ابن حميد قال حدثنى ابن اسحق عن يزيد بن أبى صهيب المصرى أنه وجد كتاباً فيه تسمية من بعث رسول الله ﷺ إلى ملوك الخائبين ( الكفار ) وما قال لأصحابه حين بعثهم فبعث به ( أى بالكتاب ) إلى ابن شهاب الزهرى مع ثقة من أهل بلده فعرفه ( أى هذا الكتاب )[3]

وفى الكتاب أن رسول الله ﷺ خرج على أصحابه ذات غداة فقال لهم إنى بعثت رحمة وكافة فأدوا عنى يرحمكم الله ولاتختلفوا على كاختلاف الحواريين على عيسى ابن مريم قالوا يارسول الله وكيف كان اختلافهم ؟ قال : دعا إلى مثل ما دعوتكم إليه فأما من قرب به فأحب وسلم ، وأما من بعد به فكره وأبى ، فشكاذلك منهم عيسى إلى الله عز وجل ، فأصبحوا منه ليلتهم تلك ، وكل رجل منهم يتكلم بلغة القوم الذين بعثوا إليهم فقال عيسى : هذا أمر قد عزم الله لكم عليه فامضوا قال ابن أسماء ثم فرق رسول الله ﷺ أصحابه فبعث سليط بن عمرو[4] .... الخ .

وعن ابن حبان أن رسول الله ﷺ قال : من ينطلق لصحيفتى هذه إلى قيصر وله الخير فقال

---

(١) وهو غير الذى أسلم وصلى عليه رسول الله ﷺ البداية والنهاية ج٤ ص٢٦٢ .

(٢) انظر ابن هشام واليعقوبى والطبرى والبداية والنهاية وصحيحى البخارى ومسلم .

(٣) تاريخ الرسل والملوك، البداية والنهاية لابن كثير ج٤ ص٢٦٨ .

(٤) تاريخ الرسول والملوك . البداية والنهاية لابن كثير ج٤ ص٢٦٨ .

رجل : وإن لم يقبل ؟ قال : وإن لم يقبل . فأخذ دحية الكتاب وسافر به إلى أرض الروم فوافق هرقل وهو مقبل على بيت المقدس يزوره عقب انتصاره على الفرس .

وتناول قيصر الكتاب فقرأ فيه : بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد فإنى أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم ، يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإن عليك إثم الأكارين الفلاحين .

﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴾(٥) .

وهاجت حاشية هرقل لاكتراث القيصر بهذه الرسالة ومن عرضه عليهم اعتناق هذا الدين واستدعا بلباقته السياسية دحية الكلبى وحاول إيهامه بأنه مسلم ؟

ثم أعطاه قدراً من الدنانير .. وصرفه .

وعاد دحية إلى رسول الله ﷺ بالنبأ ، فقال النبى ﷺ « كذب عدو الله وليس بمسلم ، وأمر بالدنانير فقسمت على المحتاجين (٦) .

ورد المقوقس على النبى ﷺ رداً حسناً ولم يؤمن به ولم يتهجم عليه ولما تسلم كتابه من « حاطب بن أبى بلتعة » وكان بمثل ما كتب به إلى هرقل .. قال : وما منعه إن كان نبياً أن يدعو على من خالفه وأخرجه من بلده ؟ فقال حاطب ما منع عيسى - وقد أخذه قومه ليقتلوه أن يدعو الله عليهم فيهلكهم ؟ فقال المقوقس أحسنت أنت حكيم جاء من عند حكيم ، ثم كتب إلى رسول الله يقول : لمحمد بن عبدالله من المقوقس عظيم القبط(٧) سلام عليكم . أما بعد فقد قرأت كتابك ، وفهمت ما ذكرت فيه وتدعو إليه وقد علمت أن نبياً قد بقى ، وكنت أظن أنه يخرج بالشام وقد أكرمت رسولك وبعثت لك بجاريتين لهما مكان عظيم فى القبط وثياب وأهديت لك بغلة تركبها » وكانت إحداهما السيدة مارية أم إبراهيم ابن رسول الله ﷺ (٨) .

ولقد قبل عليه الصلاة والسلام الهدية تقديراً للعاطفة التى أملت بها ، وإن كان يرى أن الإيمان بالله وحده أفضل ما يهدى إليه وخير ما ينتظره ويعيش له .

وجدير بنا أن نذكر كلام حاطب للمقوقس ، حتى يعرف القارىء أن هذه البعوث بلغت حداً من الفقة والحصافة يستحق الإعجاب البالغ .

قال حاطب : إن هذا النبى دعا الناس فكان أشدهم عليه قريش ، وأعداهم له اليهود وأقربهم منه النصارى ، ولعمرى ما بشارة موسى بعيسى

---

(٥) حديث صحيح من قوله (وتناول قيصر ) إلى هنا أخرجه البخارى (٢١/١٣٣) ومسلم (٥/١٦٥ - ١٦) عن ابن عباس والآية من سورة آل عمران : ٦٤ .

(٦) أخرجه أبو عبيد فى ( الأموال ) ص٢٥٥ عن بكر بن عبدالله المزنى وإسناده صحيح لكنه مرسل ونقل الزرقانى فى ( شرح المواهب ) ٣/٢٥٠ عن الفتح أنه فى مسند الإمام أحمد .

(٧) القبط تعنى سكان مصر وقد عرفوا بهذا الاسم قبل دخول النصرانية ولذا يعد من الخطأ إطلاق كلمة قبط على من تنصر .

(٨) والثانية هى سيرين وقد أسلمتا فى الطريق ، وغلام خصى أنظر البداية والنهاية ج٤ ص٢٣٦ .

إلا كبشارة عيسى بمحمد ومادعاؤنا إياك إلى القرآن إلا كدعائك أهل التوراة إلى الإنجيل .

وكل نبى أدرك قوما فإنهم أمته ، فحق عليهم أن يطيعوه ، وأنت ممن أدرك هذا النبى ، ولسنا ننهاك عن دين المسيح ولكننا نأمرك به[9] وكان نتيجة هذا الكلام الخطاب الذى ذكرناه آنفا .

كما كتب عليه السلام كتاباً إلى كسرى أبرويز : ملك فارس يقول فيه « بسم الله الرحمن الرحيم » من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس ـ سلام الله على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأن محمداً عبده ورسوله . أدعوك بدعاية الله ، فإنى أنا رسول الله إلى الناس كافة لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين ، أسلم تسلم فإن أبيت فعليك إثم المجوس[10] .

وكان رد كسرى أن مزق الكتاب .. ويروى أنه ﷺ لما بلغه ماصنع كسرى بكتابه قال : مزق الله ملكه[11] وقد مزق فعلا بمصرع كسرى ويوقع الإسلام فى قلب والى اليمن ورجاله بعد أن علما بما حدث لكسرى بعد دعاء رسول الله ﷺ عليه وانتشر الإسلام فى الجنوب انتشاراً عظيماً .

وأرسل النبى عليه الصلاة والسلام إلى أمير البحرين كتاباً يدعوه فيه إلى الإسلام ونبذ المجوسية حمله إليه العلاء بن الحضرمى والذى أبلغ فى ترغيبه وإبراز محاسن الإسلام له . فمما قاله .. يامنذر إنك عظيم العقل فى الدنيا فلا تصغرن عن الآخرة إن هذه المجوسية شردين ، ليس فيها تكرم العرب ، ولا علم الكتاب ، ينكحون مايستحى من نكاحه ، ويأكلون مايتنزه عن أكله ، يعبدون فى الدنيا ناراً تأكلهم يوم القيامة ولست بعديم عقل ولارأى فأنظر : هل ينبغى لمن لايكذب فى الدنيا ألا نصدقه ؟ ولمن لايخون ألا نأمنه ؟ ولمن لايخلف ألا نثق به ؟

هذا هو النبى الأمى الذى ـ والله ـ لايستطيع ذو عقل أن يقول : ليت ماأمر به نهى عنه ، أو مانهى عنه أمر به ، أوليته زاد فى عفوه أو نقص من عقابه ، إذ كل منه على أمنية أهل العقل وفكر أهل النظر[12] ...

وشرح الله صدر المنـــذر بن ساوى « أمير البحرين فرحب بالدعوة وأسلم وعرض على قومه الإسلام فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة .

هذه هى كتب رسول الله ﷺ إلى الملوك والأمراء يدعوهم فيها بدعاية الإسلام فى فترة الهدنة بعد صلح الحديبية وقد كان لها كما أشرنا أثر كبيرفى إبلاغ رسالة الإسلام إلى جل مناطق المعمورة .. وهذا إن دل على شىء فإنما يدل .

١ ـ على أن الدعوة التى بعث بها رسول الله ﷺ ، إنما بعث بها إلى الناس كافة لا إلى قوم بأعيانهم ، وإن رسالته إنما هى إنسانية شاملة ليس لها طابع عنصرية أو قومية أو جماعة معينة ولذلك اتجه ﷺ يدعو لتبليغها إلى كل حكام الأرض وملوكها .

---

(٩) فقه السيرة للشيخ محمد الغزالى ص٣٧٩ .

(١٠) حديث حسن رواه ابن جبير فى تاريخه ج٢ ص٢٩٥ ـ ٢٩٦ .

(١١) حديث صحيح رواه البخارى فى صحيحه (١٠٤/٨) وانظر البداية والنهاية ج٤ ص٢٦٨ .

(١٢) نصب الراية ، للزيلعى ج٤ ص٤١٩ ـ ٤٢٠ .

٢ ـ ويدل عمله هذا ﷺ على أنه ينبغي على المسلمين أن يهيئوا أنفسهم للدعوة الإسلامية .

في كل أرجاء الأرض بوسائلها وأسبابها ومن أهم أسباب ذلك المعرفة بلغة الأمم والأقوام الذين يقومون بدعوتهم إلى الإسلام وتعريفهم بمبادئه وأحكامه كما أرسل ﷺ وكل منهم يتقن لغة القوم الذين بعثه إليهم ـ كما يدل عمله ﷺ هذا مع ملاحظة التوقيت الذى جاء فيه أن على المسلمين أن يقوموا أولا بمسئولية الدعوة فيما بينهم وأن يصلحوا من أنفسهم حتى إذا قطعوا شوطاً كبيراً وفرغوا من تطبيق نظام الإسلام على حياتهم وسلوكهم آن لهم حينئذ أن يقوموا بهذا الواجب الثانى .

وقد كان النبى ﷺ قادراً أن يرسل عدداً من أصحابه إلى هؤلاء الرؤساء والملوك قبل هذا الوقت بكثير غير أن ذلك ينطوى على الإخلال بهذا الواجب الذى ذكرناه .

وينبغى أن نعلم أن إصلاح المسلمين أنفسهم هو بنفسه جزء عظيم من دعوة غيرهم إلى الإسلام .

فالناس كانوا ولا يزالون يبحثون . عن المثل الصالح فى السلوك والخلق ليقتفوا أثره ويتبعوه ولو أن المسلمين اليوم كانوا معتزين بإسلامهم مطبقين مبادئه وأحكامه لرأيت ذلك الشعاع الهادى متوغلا بضيائه فى مجاهل أفريقيا وأقاصى آسيا وأوربا وأمريكا[١٣] .

### من ثمرات الحديبية :

أتاحت هدنة الحديبية للمسلمين ـ كما أسلفنا ـ القضاء على اليهود فى المدينة كما أتاحت لهم السيطرة على قبائل شمالى المدينة حتى حدود العراق والشام وانتشر الإسلام بين القبائل العربية كلها كما كاتب عليه الصلاة والسلام الملوك خارج الجزيرة يدعوهم بدعاية الإسلام حيث أصبح المسلمون ـ بحمد الله ـ قوة لاتدانيها أية قوة فى بلاد العرب[١٤] .

### عمرة القضاء :

فلما استهل ذو القعدة من سنة سبع خرج رسول الله ﷺ لعمرة القضاء وفاءاً لصلح الحديبية وشكراً لله سبحانه وتعالى على أنعمه .. ونادى فى الناس بالخروج وأمر أن لا يتخلف أحد ممن شهد الحديبية فلم يتخلف منهم أحد إلا رجال استشهدوا بخيبر ، ورجال ماتوا ، وخرج معه ﷺ ألفان سوى النساء والصبيان .. وساق معه الهدى ، ولبى والمسلمون يلبون معه ﷺ ودخل عليه الصلاة والسلام ومن معه مكة معززاً مكرماً ودخل المسجد يطوف بالبيت وأمر أصحابه فقال اكشفوا عن المناكب واسعوا فى الطواف ليرى المشركون جلدكم وقوتكم[١٥] .

ووقف أهل مكة : الرجال والنساء والصبيان ، ينظرون إلى رسول الله ﷺ

---

(١٣) فقه السيرة : للأستاذ محمد سعيد رمضان البوطى ص٢٦٧ ، ٢٦٨ .

(١٤) الزعيم الركن محمد شيت خطاب : الرسول القائد ص٢٢٣ .

(١٥) أخرج أحمد ٣٠٦/١ عن أبى عباس أن قريشا قالت أن محمداً وأصحابه قد وهنتهم حمى يثرب فلما قدم رسول الله ﷺ لعامه الذى اعتمر فيه قال لأصحابه أرملوا بالبيت ثلاثاً ليرى المشركون قوتكم . فلما رملوا قالت قريش . ماوهنتهم وإسناده صحيح أنظر البخارى ٣٧٦/٣ ، ٣٩٢/٧ ومسلم (٦٦) .

وأصحابه وهم يطوفون بالبيت وعبدالله بن رواحة بين يدى رسول الله ﷺ يرتجز متوشحا بالسيف ويقول :

خلــو بنــى الكفــار عن سبيلــه
قد أنــزل الــرحمن فى تنزيلــه
فى صحــف تتلى على رسولــه
يارب إنى مؤمــــن بقيلــه
إنى رأيت الحمـــد فى قبولــه
اليــوم نضربكــم على تأويلــه
ضربــا يزيــل الهام عن مقيلــه
والخليــل عن خليلـــه[16]

فقال عمر رضى الله عنه : يابن رواحة بين يدى رسول الله ﷺ وفى حرم الله تقول شعراً .. فقال . ﷺ لعمر : خل عنه ياعمر فهى فيهم أى فى إيذائهم أسرع تأثيراً من نضح النبل[17] .. وفى رواية قال عليه الصلاة والسلام يابن رواحة قل لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده فقالها ابن رواحة فقالها الناس كما قالها . ثم سعى ﷺ وأصحابه .. فلما كان الطواف أى السعى ـ السابع عند فراغه وقد وقف الهدى عند المروة بعد أمره عليه الصلاة والسلام بإحضاره فنحر عند المروة وحلق هناك وذكر صاحب الإمتاع أنه حلقه معمر بن عبدالله العدوى كذلك فعل المسلمون وأقام عليه السلام بمكة ثلاثاً .

ثم عاد عليه الصلاة والسلام .. وهو يسير منزلاً منزلاً .. حتى قدم المدينة المنورة[18] زادها الله شرفاً وكرامة .. وصدق الله العظيم .

﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ۝ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾

ثم كان يوم الفتح الأعظم فى العام الثامن ، ودخل رسول الله ﷺ مكة من أعلاها وأمر قادة جيشه ألا يقاتلوا إلا من قاتلهم فدخلت سائر الفرق من أنحاء مكة الأخرى .

دخل ﷺ مكة ومعه عشرة آلاف من المسلمين وقد أحصر من قبل فى الحديبية ومعه ألف وأربعمائة[19] ..

وسكنت مكة ، واستسلم سادتها وأتباعها ، وعلت كلمة الله فى جنباتها ، ثم نهض عليه الصلاة والسلام إلى البيت العتيق فطاف به وأخذ يكسر الأصنام المصفوفة حوله ويضربها بقوسه ظهر البطن ، فتنكب على الأرض مهشمة متناثرة ، وهو يتلو قوله تعالى ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾[20] ثم أمر بالكعبة ففتحت فطهرها ومحا الصور التى كانت بها[21] ثم أقبل

---

(16) أخرجه ابن هشام ٣٧١/٢ عن ابن اسحاق حدثنى عبدالله بن أبى بكر مرسلا عبدالرازق من وجهين صحيحين عن أنس كما قال الحافظ فى «الفتح» ٣٨٤/٧ وابن القيم زاد المعاد ص٣٧١ .

(17) أخرجه الترمذى والنسائى عن أنس رضى الله عنه فى عمرة القضاء .

(18) أنظر «حجة الوداع وجزء عمرات النبى ﷺ للكاندهلوى ص ٣٠٣ البداية والنهاية ج٤ ص٢٣٣ وفيها أن ارتجاز عبدالله بن رواحة الشعر كان بذى طوى .

(19) صحيح أخرجه البخارى وغيره فى حديث عروة مرسلا ٤/٨ ـ ٦ .

(20) من سورة الاسراء الآية : ٨١

(21) حديث صحيح أخرجه البخارى عن ابن عباس .

عليه الصلاة والسلام وأمسك بعضادتى باب الكعبة وهو يقول : لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده .

وصعد بلال فوق ظهر الكعبة فأذن للصلاة وأنصت أهل مكة لنداء الحق .. كأنهم فى حلم .. الله أكبر .. الله أكبر .. الله أكبر .. الله أكبر .. أشهد أن لا إله إلا الله .. أشهد أن لا إله إلا الله .. أشهد أن محمداً رسول الله .. أشهد أن محمداً رسول الله .. الخ .

وهكذا كان صلح الحديبية وهكذا كان أثره فى نشر الدعوة الإسلامية .

يقول ابن القيم فى فصل عقده فى الإشارة إلى بعض الحكم التى تضمنتها هذه الهدنة : (وهى أكبر وأجل من أن يحيط بها إلا الله تعالى الذى أحكم أسبابها ، فوقعت النهاية على الوجه الذى أقتضته حكمته وحده .

فمنها : أنها كانت مقدمة بين يدى الفتح الأعظم الذى أعز الله به رسوله وجنده ، ودخل الناس به فى دين الله أفواجاً فكانت هذه الهدنة بابا له ومفتاحاً ومؤذناً بين يديه .. وهذه عادة الله سبحانه فى الأمور العظام التى يقضيها قدراً وشرعاً أن يوطىء لها بين يديها مقدمات وتوطئات تؤذن بها وتدلل عليها ومنها أن الهدنة كانت من أعظم الفتوح فإن الناس أمن بعضهم بعضاً وأختلط المسلمون بالكفار وبادؤوهم بالدعوة وأسمعوهم القرآن وناظروهم على الإسلام آمنين وظهر من كان مختفياً بالإسلام ودخل فيه فى مدة الهدنة وحتى فتح مكة من شاء الله له أن يدخل وهذا سماه الله فتحاً مبيناً .

وفيه قال الزهيرى : ما فتح فى الإسلام فتح قبله كان أعظم منه ، إنما كان القتال حيث التقى الناس فلما كانت الهدنة ووضعت الحرب أوزارها وأمن الناس كلم بعضهم بعضاً والتقوا فتفاوضوا فى الحديث والمنازعة فلم يكلم أحد فى الإسلام يعقل شيئا إلا دخل فيه ولقد دخل فى هاتين السنتين مثل من كان دخل فى الإسلام قبل ذلك أو أكثر .

قال ابن هشام والدليل على ما قاله الزهرى أن رسول الله ﷺ خرج إلى الحديبية فى ألف وأربعمائة رجل فى قول جابر ثم خرج عام فتح مكة بعد ذلك بسنتين فى عشرة آلاف[22] وصدق الله العظيم .. ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ .

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾[23]

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾[24]

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[25]

(وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين) وصلى الله تعالى وسلم على حبيبه ومصطفاه ورحمته المهداه سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ..

---

(٢٢) البداية والنهاية ج٤ ص١٧٠

(٢٣) سورة آل عمران ٥٣ .

(٢٤) من سورة الكهف الآية ١٠

(٢٥) سورة آل عمران ١٤٧ .




أ. د. انشراح الشال

**أقامت جامعة الأزهر مؤتمراً عالمياً موسعاً فى الفترة من ٢٨ ـ ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٩٣م موضوعه « المسلمون فى آسيا الوسطى والقوقاز الماضى والحاضر والمستقبل » . وقد نوقش فى هذا المؤتمر أكثر من سبعين بحثاً تناولت الجوانب الجغرافية والاقتصادية والثقافية والفكرية للجمهوريات الإسلامية المستقلة عن الاتحادالسوفيتى ( سابقاً ) ؛ كما أثيرت فى المؤتمر مشكلة الأقليات(*) الإسلامية فى العالم ، وما يجب عمله نحوهم .**

ويرجع اهتمامنا بالموضوع إلى أننا عشنا بالخارج فترات طويلة ، زرنا فيها عديداً من الدول فى قارات العالم كلها ، ولمسنا شخصياً مشكلة أبناء الجيل الثانى للمغتربين فى دول أجنبية عنا عقيدةً ولساناً ، مما يفسر إصرارنا المتزايد على ضرورة مد يد العون للمغتربين من أبناء الدول الإسلامية حيث طالبنا المسئولين عن الإعلام والمعنيين بأمور المسلمين فى مصر وغيرها من الدول الإسلامية بالإسراع فى وضع خطة لتدريس العربية والعلوم الإسلامية لأبنائنا فى الخارج باستخدام أحدث التقنيات التى تواكب العصر .

وفى هذا المؤتمر « المسلمون فى اسيا الوسطى والقوقاز » أثرنا الموضوع من جديد ، خصوصاً والحديث يدور عن جمهوريات إسلامية انفصلت لتوها عن الاتحاد السوفيتى « سابقاً » ، وإن كان هذا لا يعنى بالضرورة انتهاء التأثير الشيوعى .

ولا يغيب عنا مشكلة هؤلاء المسلمين ذوى الفراغ الدينى الذى يرغبون فى استيعاب حقائقه فى الوقت الذى يعانون فيه مالياً وعلمياً معاناة لا يمكنهم معها تخطى هذا الحاجز بسهولة .

كما لا يمكن اغفال الدور الذى تقوم به الحملات التنصيرية بالنسبة لأبناء المسلمين ممن يعيشون على الفطرة فى هذه المنطقة والذين كان لآبائهم فضل كبير فى بقاء الإسلام مازلنا نشيد به وأسماء هؤلاء ملء العين .. والأذن .. والقلب . من أجل هؤلاء ومن أجل الأقليات الإسلامية المنتشرة فى مشارق الأرض ومغاربها فكرنا فى إمكانية الاستعانة بأحدث تقنية فى مجال الاتصال

---

(*) دكتوراه الدولة فى الآداب والعلوم الإنسانية من قسم الاجتماع وعلم النفس بجامعة بوردو بفرنسا .

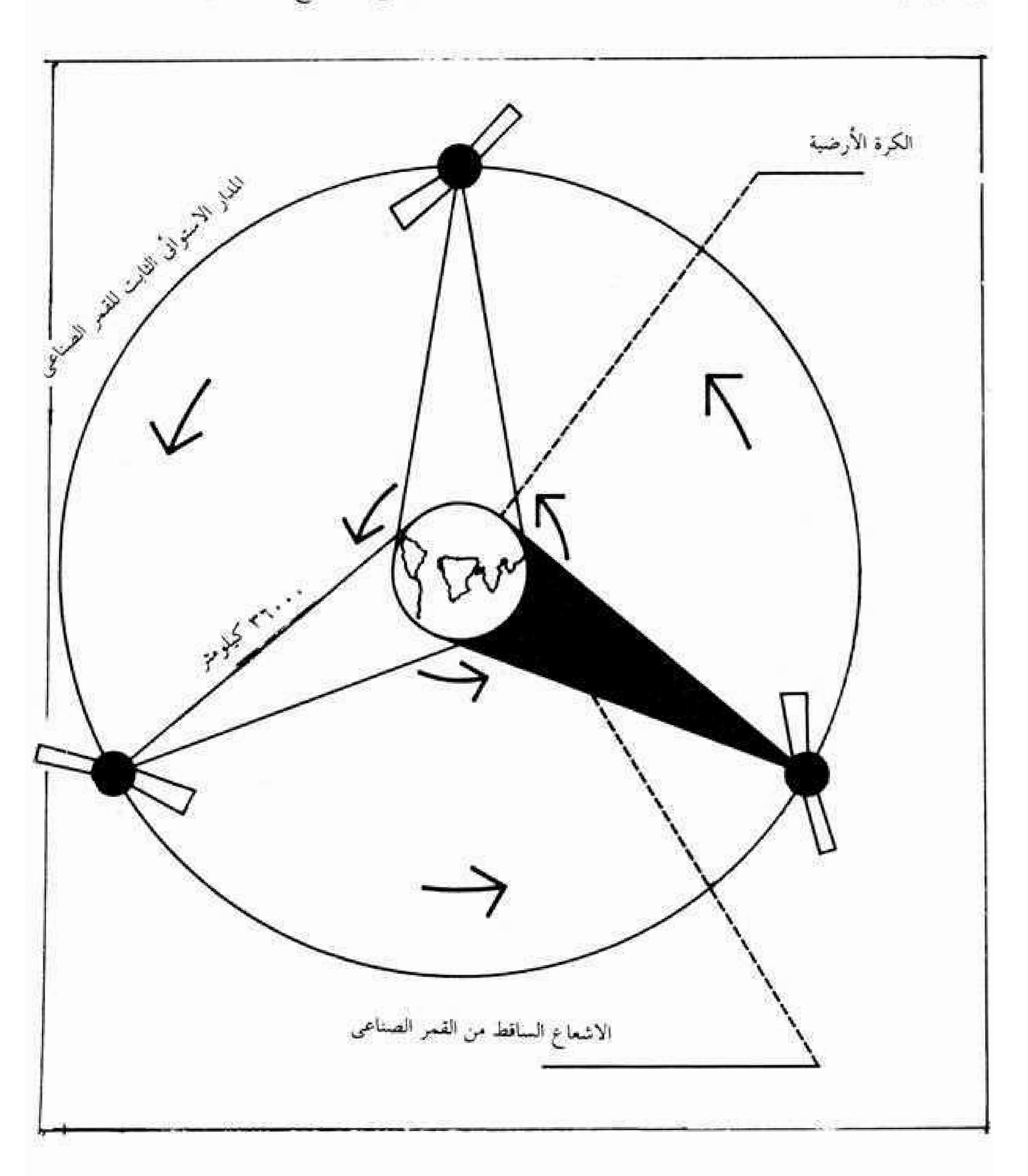
(*) سبق للكاتبة الحديث عن الأقليات الإسلامية فى المؤتمر الدولى الإسلامى للبحوث السكانية المنعقد بجامعة الأزهر فى مارس ١٩٨٧ ، وشاركت ببحث « تعليم العربية والدين الإسلامى لأبناء المغتربين » .

كما تناولته فى مؤلفها « المغترب ووسائل الاتصال » دار الفكر العربى ١٩٨٧ .

ومؤلفها « قنوات للتليفزيون فضائية فى عالم ثالث ، دار الفكر العربى ١٩٩٣ .

وهى القمر الصناعى لإقامة (جسور تَوَاصُلٍ) تتخطى الحدود السياسية والجغرافية والمكانية واللغوية والنفسية .

و(تقنية) القمر الصناعى الذى يأخذ مداره الثابت على ارتفاع ٣٦,٠٠٠ كيلو مترا من سطح الأرض ، تسمح للقمر الواحد بتغطية مساحة



تصل إلى ثلث مساحة الكرة الأرضية ببرامج يقوم القمر بدور الوساطة فى نقلها من محطة التليفزيون البائة إلى مشاهدى التليفزيون فى هذه المساحة[1].

أى إنه يمكن الإستعانة بثلاثة أقمار فقط لتقديم هذه الخدمة للمسلمين فى شتى بقاع الدنيا ، ويمكن بخمسة أقمار لضمان الجودة ولضمان استمرارها .

والمقصود هنا من الاستعانة بقمر صناعى هو استئجار قناة على القمر أو ساعات فقط على هذه القناة ، كما فعلت مصر ـ على سبيل المثال ـ عندما رغبت فى أن يكون لها قناتها الفضائيـــة ، فاستأجرت قناة على القمر الصناعى العربى (عربسات) بموجب عقد وقع فى ١٩٩٠/٦/١٢ بين اتحاد الإذاعة والتليفزيون وبين المؤسسة العربية لاتصالات الفضاء .

ومن منطلق التخصص ، ولإيماننا بالدور الذى يمكن أن يكون للإعلام ـ وبخاصة التليفزيون ـ فى الدعوة الإسلامية ، سألنا الأستاذ « فيتالى ناؤوميكن » عن وضع التليفزيون لديهم فى جمهوريات آسيا الوسطى ، حيث نفى دخول « التليفزيون الكابلى » فى أراضيهم ، وعلمنا منه وجود بعض برامج إسلامية على شاشة التليفزيون لديهم ولكنها غير كافية على كافة المستويات[2] .

ولما كانت جمهوريات آسيا الوسطى تقع فى نفس المنطقة[3] التى تضم الدول العربية .. ولما كانت الأوضاع الاقتصادية لهذه الدول غير ميسرة .. ولما كانت المجالات الإعلامية ضعيفة المستوى لديهم .. ولما كنا بصدد المؤتمر الذى دعت إليه جامعة الأزهر .. فإننا نطرح عدة مقترحات منها :

١ ـ الاستعانة بالأقمار الصناعية وتوفير محطات وسيطة لتعليم العربية وأحكام الإسلام لأبناء هذه الجمهوريات وأبناء الأقليات الإسلامية فى الدول الأخرى .

٢ ـ يستوجب ذلك إنتاج برامج متميزة من حيث الشكل والمضمون .

٣ ـ ونفضل أن يكون القائم بالاتصال من أبناء هذه الدول المستقلة المستقبلة للبث بشرط أن يكون مؤهلًا لذلك على أن توفر لهم المنح اللازمة للتعليم والتدريب .

٤ ـ إلى أن يتم توفير هذه (الكوادر) ، يمكن الاستعانة بشبابنا المسلم ممن يجيدون لغات هذه الدول فى العمل الإعلامى الموجه لمسلمى آسيا الوسطى .

٥ ـ من الممكن إرسالهم فى منح ولو قصيرة لتنشيط اللغات لديهم وللحفاظ على مستواهم ولحين الحاجة إليه وليعرفوا عن قرب طبيعة أفراد جمهورهم الذين سوف يناقشونهم .

٦ ـ إلى جانب ذلك لابد من توفير البرامج المتميزة بحيث تقدم على الشاشة مترجمة أو (مدبلجة) بلغات الدول المستقبلة للبث مع إرسال المصحف الشريف لهم .

---

(١) للاستزادة راجع دراستنا « الإعلام الدولى عبر الأقمار الصناعية » ، دار الفكر العربى ١٩٨٧ .

(٢) ويرجع ذلك لعدم توافر التمويل اللازم للتشغيل والإنتاج والصيانة ، كما أنه لم يتوفر بعد الكوادر المتخصصة التى لديها الثقافة الإسلامية الرفيعة وفى نفس الوقت لديها قدرة على التأليف والترجمة والإنتاج الإعلامى بنفس لغات هذه الدول .

(٣) وهى المنطقة (١) حسب الرسم الموجود فى مقالنا الثانى فى هذا العدد .




بقلم الشيخ: زكريا حامد ورشل

هذه لمحة خاطفة ، وعجالة سريعة نقدم بها خلفية تاريخية عن الإسلام فى « زيمبابوى » وهى إحدى بلاد الزامبيزى أى ( البلاد التى تقع على حوض نهر الزامبيزى ) وهى زامبيا ـ زيمبابوى ـ تنزانيا ـ موزمبيق ـ أزانيا . ونعنى بـ « أزانيا » الإسم الافريقى المختار لدولة جنوب إفريقيا العنصرية بعد عودتها إلى سلطة أبنائها الأصليين على حال الإسلام والمسلمين فى زيمبابوى على وجه الخصوص .

حيث وقفت للعمل بها مبعوثا من قبل الأزهر الشريف عقب استقلالها أوائل الثمانينات . راجياً أن أكون قد وفقت وعلى الله قصد السبيل .

**موقع زيمبابوى :**

تقع زيمبابوى فى الجزء الجنوبى الشرقى من قارة إفريقيا ، تحدها موزمبيق من الشرق والشمال الشرقى ، وزامبيا من الشمال والشمال الغربى .

وتقع بتسوانا إلى جنوبها الغربى بينما تقع دولة جنوب إفريقيا فى الجنوب منها .

**المساحة ونشاط السكان :**

وتبلغ مساحة زيمبابوى حوالى ٣٩٠ ألف كم$^2$

ووسيلة العيش بين أبنائها تقوم على الرعى والزراعة التى تعتمد على الأمطار والتى تسقط صيفاً وعليها تقوم أسباب الحياة ، كذلك تقوم حياتهم على استخراج المعادن : كالذهب والحديد والكروم والنحاس بكميات وفيرة . ويشتهر السكان بصناعة المشغولات النحاسية . وتعتبر أرضهم مخزناً للأخشاب الصالحة لصناعة الأثاث وغيره .

عدد السكان :

يبلغ عدد السكان فى زيمبابوى قرابة الستة ملايين نسمة . ونسبة المسلمين بينهم نحو ٢٠ ٪

والمسلمون جنسيات مختلفة . وسنخص مسلمى البلاد الأصليين بكلمة ضافية فى المقال ، ثم إن الهنود ويمثلون أكثرية ، يليهم المالاويون من حيث العدد ، ثم الباكستانيون فاليمنيون ، والصوماليون ، والإيرانيون . على الترتيب . كما أن بها تسع سفارات عربية وإسلامية هى على التوالى :

جمهورية مصر العربية ـ الجمهورية العراقية ـ الجمهورية الجزائرية ـ جمهورية تونس ـ والجمهورية العربية الليبية ـ فلسطين ـ جمهورية باكستان ـ جمهورية بنجلاديش .

وأصغر الجاليات بها هى الجالية المصرية نحو ( ٤٠ ) فرداً بما فى ذلك أعضاء السفارة .

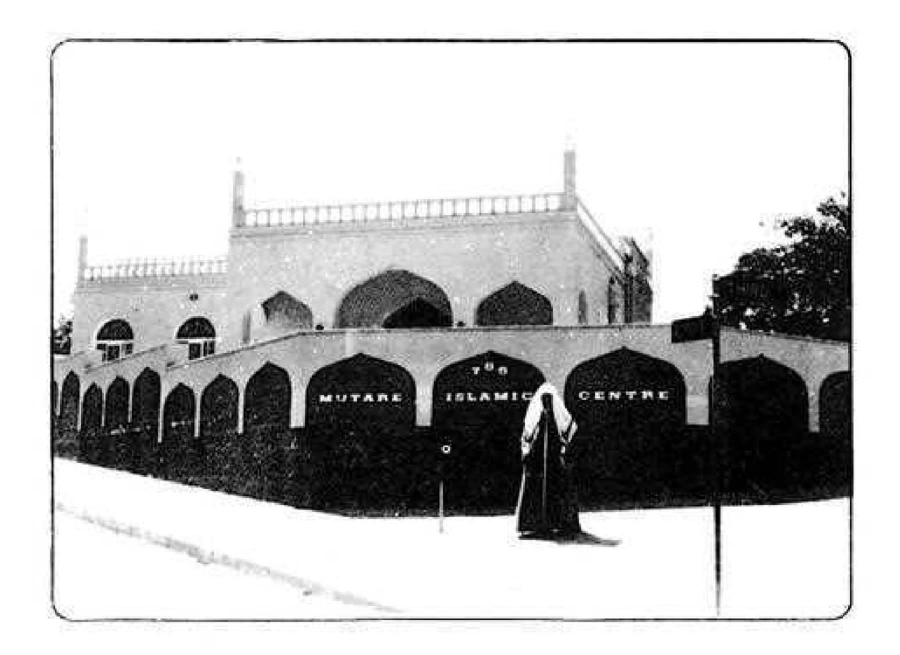
والمسلمون بين : سنة ـ وشيعة ـ ومتصوفة جيلانية تسيطر على فريق كبير من أهل السنة . ومذهب الإمام أبى حنيفة ـ رحمه الله ـ هو مذهب الأغلبية المسلمة وهم الهنود . وأما الوافدون من ( مالاوى ) و ( الصومال ) فعلى مذهب الإمام الشافعى ـ رحمه الله ـ وأما ( الإيرانيون ) فهم بطبيعة الحال شيعة متمسكون بفقه ينسبونه إلى الإمام جعفر الصادق ـ رحمه الله ـ ويعدونه المذهب الخامس بين المذاهب الإسلامية .

وجدير بالذكر أن هذه المذاهب لا تشكل بين أبناء هذه البلاد فرقة ما ، فإن من المعلوم أن هذه المذاهب إنما تتناول جزئيات لا صلة لها بالعقيدة الإسلامية المحررة . ولاحظت أن لكل جماعة مسجدها الخاص ، ولم يأتوا إلىَّ بقضية ووفقت فى الفصل فيها إلّا ورأيت من الجميع استجابة فورية لما قضيت .

وعن ذكر المساجد نجد :

فى العاصمة « هرارى » وحدها خمسة مساجد وهى على الترتيب وحسب الأهمية :

١ ـ المركز الإسلامى أو المسجد الكبير « مسجد ومدرسة ودار لتحفيظ القرآن الكريم وقاعة محاضرات ، بناه الهنود ويقومون على شأنه ، والمسجد يتسع لخمسة آلاف مصل ويحيط بهذا المجمع فراغ شاسع يقدر بحوالى عشرين فداناً ويلفه سور من جميع جوانبه ويقع هذا المجمع فى حى يسمى « ريجفيو » ، ومصدر التمويل لأداء رسالته جيوب التجار الهنود وأغنيائهم فى « زيمبابوى » ودولة جنوب إفريقيا . ورابطة العالم الإسلامى بمكة المكرمة ، وصندوق التزامل الإسلامى بجدة ، ولجنة المشاريع الإفريقية بدولة الكويت . وكثيراً ما قمت بزيارته للوعظ وصلاة الجمعة فيه .




٢ ـ مسجد وسط المدينة :

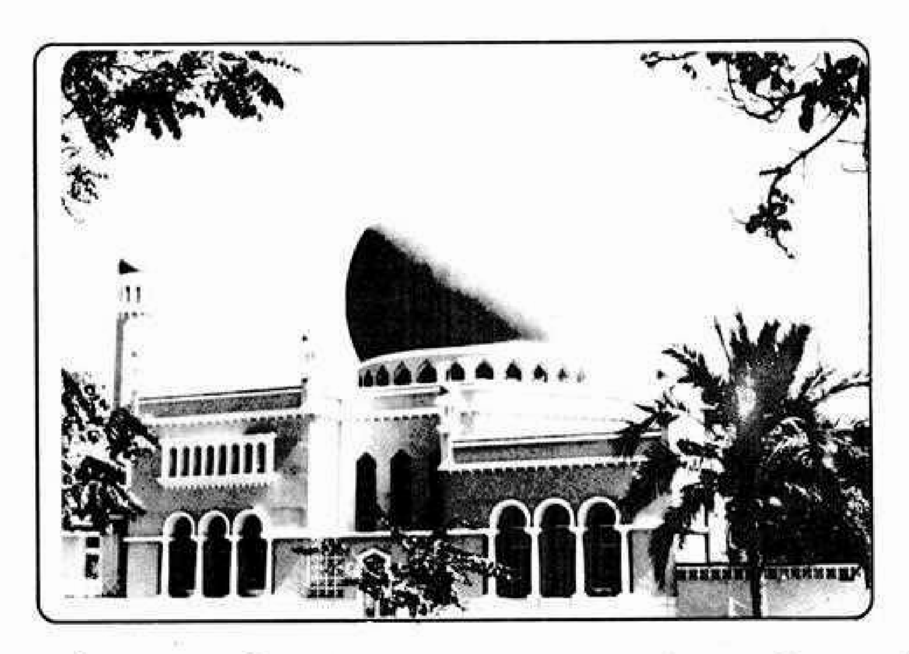
ويعتبر أقدم المساجد ويتبع المركز الإسلامي فى « ريجفيو » فى كل شىء حتى فى وضع برنامج الوعظ وخطبة الجمعة ، وتكليف من يقوم بالإمامة والصلاة ، وصرف رواتب الموظفين فيه ، ويقع هذا المسجد فى منطقة النشاط التجارى وأكثر المناطق ازدحاماً برجال الأعمال والتجارة والحرف مما يشير إلى كثرة رواده وخاصة فى يوم الجمعة والعيدين والمناسبات الدينية .

٣ ـ مسجد مبارى :

وهو يحمل اسم الحى الذى يقع فيه فى إحدى ضواحى العاصمة . ويسمى « مسجد البرابرة » بناه رجل نزح من « مالاوى » إلى زيمبابوى ورواده شافعية متصوفة جيلانية ، وهم أفقر الطبقات الإسلامية يمارسون الحرف البسيطة كعمال فى المرافق العامة وغير ذلك . ولهذا تمتد أيدى المحسنين من أهل الخير لمساعدة هذا المسجد ليواصل أداء رسالته .

٤ ـ مسجد ووترفولس :

وسمى بهذا نسبة إلى المنطقة التى يقع فيها « ووترفولس » ومعناها مسقط الماء وتلحق بهذا المسجد مدرسة لتعليم أبناء المسلمين علوم القرآن الكريم والثقافة الإسلامية ويحيط به فراغ واسع من الأرض الفضاء تابعة له ، مسوَّرٌ بسور من جميع جوانبه ولهذا المسجد مجلس إدارة يدير شئونه والصرف عليه ، وقد استجابوا لاقتراح لى بالعمل على إقامة مستشفى لعلاج مرضى المسلمين بأجور رمزية حيث أن الأطباء الوطنيين فى أغلب التخصصات موجودون . وبدعوتى للأغنياء منهم ـ وهم كثير ـ تم تدبير المبلغ الذى اشتروا به



قطعة أرض فضاء تجاور حرم المسجد ، تقدر بعشرة آلاف متر مربع سجلت لهذا الغرض .

ولما كان رواد هذا المسجد كثير وله أهمية مشجعة ، صار نقطة انطلاق بالدعوة إلى أرجاء زيمبابوى . ويرأس مجلس إدارة هذا المسجد (الشيخ أحمد طالب علمى) رئيس هيئة علماء المسلمين . وهو الذى مثل المسلمين فى زيمبابوى فى الاحتفال بالعيد الألفى للأزهر الشريف ، وكلمته مسموعة ، وإشارته نافذة ، وله احترامه وتقديره لدى الجميع . ورواد هذا المسجد شافعية المذهب ، شاذلية المشرب ، يقيمون جلسة صوفية يبدءونها بدرس دينى مساء كل خميس . يزدحم فيها المسجد بجموع المسلمين . وجدير بالذكر أن الشيخ أحمد علمى كان دليلنا على طريق الدعوة فى العاصمة وخارجها .

٥ ـ مسجد السنة والجماعة :

وهو مسجد أقامه جماعة من الهنود انشقوا عن بنى جلدتهم الآخرين لاعتقادهم أنهم متشددون مترمتون ، ولهذا اعتزلوهم وأقاموا لهم مسجداً خاصًّا بهم . يجدون فيه فسحة من الوقت يقيمون فيه حلقات الذكر ، والاحتفالات بالمناسبات الدينية كذكرى الهجرة والمولد النبوى الشريف ، مما يعتبره الفريق الأول من البدع .

**اللغة فى زيمبابوى :**

هذا واللغة السائدة بين أهل هذه البلاد مسلمين وغير مسلمين ، هى اللغة الإنجليزية نتيجة لتسلط الإستعمار الإنجليزى عليها قرابة المائة عام .

وهناك لغة محلية للسكان الأصليين تسمى « الشونا » ومنذ الاستقلال وانتقال السلطة إلى الأغلبية من أهل البلاد فى أوائل الثمانينات من هذا القرن الحالى (١٩٨١) أصبحت هذه اللغة المحلية مادة للدراسة فى مراحل التعليم المختلفة كلغة قومية أساسية ، وأما اللغة العربية فلا يستطيع التحدث

بها إلا الوافدون من أصل صومالى أو يمنى ، وبعض الهنود والمالاويين . تعلموها من اتصاهم - سابقاً - ببعض الدول العربية مثل : السعودية ومصر وغيرهما .

ولقد وجدت ضرورة ملحة فى تعلم اللغة الإنجليزية حتى أستطيع معايشة القوم وتسهيل مهمتى فى مخاطبتهم ، والوصول إلى الغاية المنشودة من نشر الدعوة .

● الحالة المالية للسكان :

ومما هو جدير بالذكر أن أغلب المسلمين وخاصة الهنود ميسورو الحال موفورو المال ، ويملكون مصادره تجارةً وزراعةً ومكاتب للأعمال الحرة كالاستيراد والتصدير ومزارع الفاكهة ومراعى الأبقار والأغنام ، ومصانع للمشغولات النحاسية . هذا ولقد لاحظت على عمال المراعى العمـل بجد ونشاط فلا تجد بينهم كسولًا ، ولا خمولًا ، مع النظام والنظافة ، واحترام الوقت ، وتقديس العمل ، وذلك منهج عام لأهل البلاد ، وهم يودون أن يزداد اهتمام الأزهر الشريف بهم أكثر وأكثر . وبرغم ما يصل إليهم من مطبوعات وإصدارات من أكثر من جهة من بلاد العرب والإسلام إلا أنهم يعقدون الأمل على الأزهر وفيما يأتيهم منه .

ونحن إذ نشير إلى الهنود فى يسارهم هذا - ليجدر بنا أن نشير إلى أنهم يأتون من حيث اليسار فى المرتبة الثانية بعد الأوربيين الذين يمثلون ٥٪ من مجموع السكان تقريباً ويملكون أجود الأراضى الزراعية وشركات التعدين وأماكن استخراج المعادن . يليهم اليهود الذين هاجروا إلى البلاد وخاصة من مصر إبان ثورة يوليو ١٩٥٢ ، ثم الطبقة المتوسطة من سكان البلاد ، فالوافدون من مالاوى ، فالبقية من أهل البلاد .

زيمبابوى تاريخيا :

بالرجوع إلى ما كتب فى هذا الصدد من مصادر استطعنا أن نخرج بالآتى :

دخل الإسلام زيمبابوى يحمله العرب المسلمون الذين وفدوا إلى البلاد من الساحل الشرق الإفريقى عام ١٥٠٠ بعد الميلاد . كما جاء البرتغاليون إلى هذه البلاد من نفس الاتجاه ، وبعد دخول العرب بمائة عام .. ثم غزا الإنجليز هذه البلاد عام ١٨٩٠ م من طريق الجنوب فى نفس السنة التى خرج فيها البرتغاليون ، ثم أطلق الإنجليز عليها اسم « روديسيا الجنوبية » نسبة إلى « رودس » أول حاكم إنجليزى إبان غزوها .

ولقد أقام العرب المسلمون مراكز تجارية على طول الساحل الشرق الإفريقى قبـل مجىء البرتغاليين وتعتبر منطقة « كِلْوَه » أحد هذه المراكز التجارية ، فقد أنشىء عام ٧٠٠ بعد الميلاد ، ومازال يحتفظ بأماكنه ومساجده التى يرجع تاريخها إلى القرن الرابع عشر .

ثم زاد التبادل التجارى بين « زيمبابوى » وساحل إفريقيا الشرق من القرن التاسع وفى واحدة من هذه المراكز التجارية التى أقامها العرب المسلمون والتى تسمى « سوفالا » وتقع بالقرب من مدينة « بيرا » بنى البرتغاليون أحد قلاعهم ، فى عام ١٥٠٥م وكان هذا الحصن بمثابة نقطة وثوب على الإمبراطورية الأسطورية « المونوماتابا »

ولقد قامت عملية تزاوج بين سكان الهضبة الداخلية « زيمبابوى » حالياً وسكان الساحل الشرق الإفريقى ، مما ساعد على انتشار الإسلام بين شرق ووسط إفريقيا بالاتصال المباشر بين العرب وسكان هذه البلاد . وفى النصف الثانى من القرن السادس عشر حينما نزل البرتغال إلى الهضبة الداخليـــة لشن الحرب ضد إمبراطوريـــة « التوجومو » « مونوماتابا » متتبـعين إشارة « جون كانو » فى عام ١٥٦١م . واكتشفوا ليس فقط رسوخ أقدام العرب فى بلاط الملك ، بل تأثيرهـم الكبير فى تسيير أمور امبراطوريـــة « المونوماتابا » وتدبير شئونها .

وبالإشارة إلى السلالات التى ازدهـرت ـ إسلامياً ـ فى تلك الفترة . فلا يمكن تقديرها بالضبط ، لأن البرتغاليين فى القرن السادس عشر الميلادى استخدموا لفظ « مورو » ليعنى ببساطة أى مسلم مهما كان لونه أو لغته ، والذين يميزون بأسماء إسلامية وبالعمامة ، والتقيد بأعراف الدين الإسلامى .

ولـيس هنـاك شك فى أن بعض السكـان الأصليين الذين أسلموا على أيدى التجار العرب يمثلـون سلالات ثلاث ، ويتكلمـون اللغـــة السواحيلية ، ولغـة « السيتـا » وكـذلك لغـة « الشونا » .

ومـن المحتمـل أن هذه السلالات الثـلاث انتشرت من شرق أفريقيا إلى المنطقة حول آثار زيمبابوى قبل ١٥٠٠ سنة بعد الميلاد وفيما بعد .. وبناء على وجود الثلاث سلالات أو بعضها .

أو المسلـمين المتكلـمين بالسواحيلية أو لغـــة « السيتـا » أو « الشونـا » أو خليـط من هذه المجموعات فى منطقة آثار زيمبابوى ، أثر ذلك على عادات القبائل وكذلك أعرافهم « أى تقاليدهم » الاجتماعيـة كطـرق أكلهـم وزواجهـم وختـان أبنائهم ، وتوافق ذلك تماماً مع عادات المسلمين .

ومما سبق يبدو لنا أن مجىء التجار المسلمين إلى هذه البلاد أثر تأثيراً كبيراً فى أهلها لدرجة أن كثيراً من أهل القبائل سموا أولادهم بأسماء المسلمين مثل على وقاسم ومصطفى وآدم ويوسف . ويسمى سكان البلاد هؤلاء المسلمين اليوم « فاريمبا » وكان أول دخول هؤلاء السكان فى الإسلام فى منطقة بحيرة فى « ماسيفينجـو » عام ١٩٦١م ( ٢٠٠ ) مائتى رجل من أهم هذه القبائل الذين يعتبرون عملياً مسلمين أعيد دخولهم إلى الإسلام فى هذه السنة ، وفى سنة ١٩٧٤م دخل الإسلام أربعة عشر « كرالا » أى : مجموعة ، ومعهم خمسمائة رجل على الأقل فى منطقة « جوتو » دخلوا الإسلام ، وهناك آلاف من سكان البلاد الأصليين كلهم من « فاريمبا » يمارسون العادات الإسلامية ، ولكنهم لم يدخلوا الإسلام بعد[1].

كذلك فإن أحد الروابط الأولية بين الإسلام وزيمبابوى هو : بناء كوبرى « فيكتوريا فولس » على « نهر الزامبيـــــزى » يصل بين حدود « زيمبابوى » و « زامبيا » فى منطقة « شلالات فيكتوريا فولس » وعلى بعد ( ٨٠٠ ) ثمانمائة كم إلى الشمال الغربى من العاصمة « هرارى » ، ولقد

---

(١) ذلك انهم لا يأكلون الخنزير ولا ذبيحة غيرهم إلا إذا كان مسلما ، ويمارسون ختان ابنائهم .. الخ

زرت هذه المنطقة وعبرت هذا الكوبرى بين الدولتين فى عام ١٩٨٥م وهى من أجمل المناطق السياحية سحراً وجمالاً ، فى طبيعة خلابة جل صانعها الوهاب ـ سبحانه ، وتعالى .

ولهذا « الكوبرى » قصة : فبعد بداية هذا القرن « العشرين » وعلى التحديد سنة ١٩٠٤م جاءت شركة إنجليزية بعمال من شمال « باكستان » إلى « روديسيا الجنوبية » « زيمبابوى » حالياً ؛ لبناء كوبرى على «نهر الزامبيزى » عند شلالات « فيكتوريا فولس » وتم بناء هذا الكوبرى ، ولم يَعُد كل الآسيويين إلى بلادهم الأصلية ، بل بقى عدد كبير منهم فى « زيمبابوى » تفاعلوا مع البيئة الجديدة ، واتصلوا بالأفريقيين فى عدة نواح ، من التزاوج والتجارة . بعضهم بقى فى نفس مكان الشلالات ، والبعض الآخر ذهب إلى مقاطعة « ماسفينجو » واستقر البعض فى « شورجوى » ولقب نسل المسلمين الذين استقروا حول « ماسيفينجو » بلقب « خان » وتمت كثير من الزيجات فيما بينهم وبين سكان البلاد الأصليين .

وفى « هرارى » العاصمة اليوم يوجد كثير من هؤلاء « الخان » وكذلك يوجد فى منطقة الشلالات « فيكتوريا » كثير من ( الأفروأسيويين ) الذين يرجع أصلهم إلى سلالات مختلفة ، ويعتبر معظم المهاجرين الآسيويين من الهنود والعرب الذين بدأو المجىء إلى « زيمبابوى » فى مطلع هذا القرن .

ومازال بعض الهنود الذين تخطوا سن الثمانين يعيشون إلى اليوم فى العاصمة «هرارى» وقد جاءوا عام ١٩١٢م من مقاطعة « حيرات » فى الهند حيث بدأوا فى السفر بالسفن من ميناء « بومباى » إلى ساحل « موزمبيق » على المحيط الهندى ، ثم واصلوا رحلتهم براً من مدينة « بيرا » إلى مدينة « أم تارى » بالقطار ، وقد أتوا فى أول الأمر بدون الزوجات اللائى لحقن بهم فيما بعد ..

وقد بدأ بعضهم بالتجارة على نطاق صغير ، مثل بيع الفاكهة . ثم عملوا بالمناجم أو عمالاً فى المحلات التجارية إلى أن أصبح لهم محلاتهم الخاصة بهم .

وقد جاء مهاجراً كثير من مسلمى آسيا « هنوداً أو عرباً » إلى هذه البلاد ـ وبنفس الطريقة ـ ثم كان الاتصال بينهم وبين الأفارقة عن طريق التجارة .

كما أننا نلاحظ أن بعض المسلمين الآسيويين جاءوا فى هجرات متتابعة من السعودية أو الهند أو الباكستان إلى جنوب أفريقيا ، ثم رحلوا إلى زيمبابوى . إما بالقطار من خلال أراضى « دولة بتسوانا » فى الجنوب الغربى لزيمبابوى ، وإما بالطريق البرى عبر كوبرى « بيث » مثل بعض المهاجرين بحثاً عن الرزق ثم استقروا فى هذه البلاد . والمسلمون القادمون من ( مالاوى ) يمثلون أغلبية ، تلى عدد المسلمين الهنود .

كما يمثل المسلمون من « الملايو » أغلب المسلمين الآسيويين الذين هاجروا إلى « زيمبابوى » منذ القرن الثامن عشر الميلادى وما بعده . وانتشر التجار المتكلمون باللغة السواحلية من « زنزبار » ومن شمال « موزمبيق » إلى « مالاوى » للتجارة مع قبائلها . وكان التجار الذين يتكلمون السواحلية يعطون أهل الملاوى الملابس والعقود الخرز فى مقابل الحصول على

الصيد وسن الفيل ، ومنذ بداية القرن العشرين ظل الإسلام فى بلاد « المالاوى »[٢] وإلى اليوم قوياً .

ومن الملاحظ أنه منذ عام ١٨٩٠م زاد عدد المسلمين الملاويين الذين هاجروا إلى « زيمبابوى » بحثاً عن الرزق ، وبعضهم جاء لفترة محدودة ثم رجع إلى بلده ، واستقر البعض الآخر فى (زيمبابوى) كما ظل المسلمون الملاويون على إسلامهم ، وكذا ذرياتهم . وفى منتصف هذا القرن زاد عدد المسلمين الملاويين عن المسلمين الآسيويين . وجاء عدد من المسلمين الأفارقة من دولة « موزمبيق » فى الشرق ـ معظمهم جاء ـ بحثاً عن الرزق ، والعمل فى المزارع والمناجم .

والجدير بالذكر هنا . أن المسلمين لهم حرية مطلقة غير مقيدة فى ممارسة شعائرهم الدينية . على الرغم من أن الدستور فى البلاد يعتبر النصرانية الدين الرسمى للدولة .

ومع ذلك فإن قانون الدولة حيال المسلمين على وجه الخصوص جعلهم يؤدون شعائرهم بحرية ويحتفلون بمناسباتهم الدينية بلا قيد أو مضايقة من أحد برغم وجود مواكب التنصير ، وانتشار مراكزه فى أنحاء الدولة . وببرامج وامكانات هائلـة ، وتحركات دائبـة ودائمـة بصورة لا تخفى ، مع انتشار الكنائس والإرساليات التنصيرية فى كل مكان ، إلا أن ذلك لم يشكل أى عقبة أمام أبناء الإسلام فى مزاولة شعائرهم ، والقيام بأمور دينهم . فى مساجدهم المنتشرة فى كل مدن وقرى الدولة . وبعدد مناسب لعدد المسلمين . والرئاسة العليا للدولة تحفظ للمسلمين جميلهم ودورهم الفعَّال طيلة أيام النضال من أجل التحرير من الاستعمار قرابة الخمسة عشر عاماً .

ولمصر على وجه الخصوص هنا منزلة لا ينساها شعب زيمبابوى ، كما لا ينسى لها كفاحهـا ودفاعها فى المحافل الدولية من أجل حصول زيمبابوى على استقلالها . حتى تم لها الهدف وتحققت الغاية ، ونالت حريتها كاملة غير منقوصة ، عام ١٩٨١م ، وهم يتحدثون عن ذلك الجميل المصرى بكل فخر وتقدير .

والمسلمون هنا : يعتمدون على جهودهم الذاتية ، مع بعض المساعدات التى تأتيهم ، من بعض البلاد والجماعات الإسلامية والعربية ، فيساعدهم ذلك على بناء المساجد والمدارس .

ومركز الثقافة الإسلاميـــة ، ولكـــن أكبر المساعدات تأتيهم من إخوانهم المسلمين فى جنوب أفريقيا ، الذين يقدر عددهم بأربعة ملايين نسمة ، ويتمتعون بحظ وافر فى شئون الحياة .

مادياً ومعنوياً ، ولهم مركزهم الإسلامى فى « ترانسفال » وجامعتهم الإسلامية فى « دربان » ويزاولون نشاطهم وشعائرهم فى مساجدهم التى تبلغ الألفين وخمسمائة مسجد ـ علاوة على العديد من المدارس ودور التعليم الخاصة بهم لتعليم أبنائهم مناهج الإسلام وعلومه ، كما أنهم يرفضون مساعدة الدولة لهم لتوافر نعمة الله عليهم كما قالوا ذلك لى ـ ولهم مطابعهم الخاصة التى يطبعون فيها المصحف الشريف وكتب الحديث والثقافة

---

(٢) تقع بلاد الملاو فى الشمال الشرق لزيمبابوى

الإسلامية لهم وللمسلمين فى البلاد المجاورة .. ولديهم هيئة إسلامية تسمى (هيئة علماء المسلمين) لها اتصال واتفاق مع جميع المسلمين فى البلاد المجاورة والواقعة حول حوض نهر الزامبيزى (زيمبابوى - تنزانيا - موزمبيق - سوازيلاند - بتسوانا - أنجولا - ليسوتو) . عند استطلاع أوائل الشهور العربية ولتحديد مواعيد شهر الصوم والأعياد وغير ذلك .

وبعد .. فتلخيصاً لما ذكرنا نقول :

إن التعداد العام للمسلمين وقت وجودى بينهم ١٩٨٣ - ١٩٨٦م جاء كالآتى :

العدد العام : ٧١,٠٠٠ واحد وسبعون ألفاً .. تقريباً . منهم :

١٠,٠٠٠ عشرة آلاف من أصل آسيوى .

٣١,٠٠٠ واحد وثلاثون ألفاً من مالاوى فى الشمال .

٢٠,٠٠٠ عشرون ألفاً من السكان الأصليين .

١٠,٠٠٠ عشرة آلاف من موزمبيق فى الشرق .

هذا .. ويوجد العمال المسلمون :

فى المزارع والمناجم . فى المنطقة الوسطى من البلاد ، والمناطق الشرقية والجنوبية ، إذا علمنا أن بعض المناجم توجد فى كل من : جاروى - شورجوى - ماشافا - زفشافان - كوى كوى .

● **أهم المدن حيث يوجد أغلب المسلمين .**

فى أهم ثلاث مدن كبرى وهى : -(هارارى) العاصمة . (بولاوايو) (أم تارى) يوجد عدد لا بأس به من المسلمين يعملون فى المصانع والتجارة ، أما معظم المسلمين من أصل أسيوى فيتركزون فى مدن كبرى كذلك ويعملون بالتجارة على طول الخط الحديدى الذى يربط شرق البلاد بغربها . مثل (أم تارى) - (مارون ديما) - (هارارى) - (شيجوتو) - (كادوما) - (كوى كوى) - (جويرو) - (شورجوى) - (سومايولا) - (بولاوايو) - وهذه المدينة الأخيرة تعتبر العاصمة الثانية من حيث الأهمية وعدد السكان وهى مدينة صناعية تشتهر بصناعة الأخشاب والنحاس والذهب ويسكنها من المسلمين قرابة الخمسة عشر ألفاً وبها ثمانية عشر مسجداً بخلاف المدارس الإسلامية ، والتى تعد بالعشرات . عرفتها وعرفت عنها ذلك بتكرار زياراتى أداءً لواجبى حيالها .

● **وفى مجال العمل :**

يعمل عدد من المسلمين الملاويين فى مناجم الذهب والكروم . وصناعة الحديد والصلب والدخان ، وكثير من الصناعات فى زيمبابوى ومنهم أطباء - محامون - مدرسون فى المدارس الحكومية . وبعض الشباب يدرسون الطب والهندسة والقانون والاقتصاد والعلوم فى جامعة (هارارى) ومنهم من يدرس العلم فى جامعات الدول الإسلامية والعربية : مثل السعودية - ليبيا - مصر وخاصة فى الأزهر الشريف .

● **أهم المدن ومواقعها من العاصمة :**

١ - هارارى .. العاصمة .

٢ - بولاوايو - العاصمة الثانية وتبعد عن العاصمة ٥٥٠ كم إلى الجنوب الغربى .

٣ - أم تارى - (منطقة الجبال السبعة) وهى من أجمل المناطق السياحية وتبعد ٢٦٠ كم إلى الشرق .

٤ ــ يافيانجا ــ وتبعد عن العاصمة ٢٥٠ كم إلى الجنوب الشرقى .

٥ ــ كوى كوى ــ وتبعد عن العاصمة ٢٢٠ كم إلى الغرب .

٦ ــ كادوما ــ وتبعد عن العاصمة ٨٥ كم إلى الغرب .

٧ ــ جويرو ــ وتبعد عن العاصمة ٢٨٠ كم إلى الغرب .

٨ ــ شيجوتو ــ وتبعد عن العاصمة ١٨٥ كم إلى الغرب .

٩ ــ كاريبا ــ وتبعد عن العاصمة ٥٠٠ كم إلى الشمال الغربى .

١٠ ــ فيكتوريا فولس ــ وتبعد عن العاصمة ٨٠٠ كم إلى الشمال الغربى وعن الأخيرة أقول هى منطقة الشلالات ومن أجمل ما أريت جمالًا وسحراً تشهد فى جمالها وسحرها بعظمة الخلاق العظيم وبديع صنعه .

● وختاما فالطريق من وإلى زيمبابوى :

(١) القاهرة ــ زيمبابوى طريق نيروبى فى كينيا مع « ترانزيت » ثمان ساعات بزمن قدره ست عشرة ساعة .

(٢) هارارى فى (زيمبابوى) طريق نيروبى مع « ترانزيت » فى نيروبى (كينيا) مع المبيت بها لليلتين .

وقد يكون السفر إلى زيمبابوى عن طريق دار السلام فى تنزانيا . وتكون دار السلام هى محطة الانتظار ذهاباً وعودة مع ملاحظة المبيت بدار السلام فى العودة ليلة واحدة . ولقد سلكت الطريقتين فى سفرى .

وفى الختام أقر بأن ما قدمته فى تلك العجالة السريعة عن الخلفية التاريخية للإسلام والمسلمين فى زيمبابوى جهد مقل ، وطاقة عاجزة ، وبتوفيق من الله وحده سبحانه وتعالى سجلنا ما عايشناه وشاهدناه ، مشاهدة العين وملاحظة الزائر ، بقراءة المسطور ، ومعاينة المنظور وعلى الله قصد السبيل ومنه العون والتوفيق .







بقلم الدكتور/ محمود صالح العدل*


**العلمانية هى مفهوم يفصل بين الدين والدولة ، أى بين الممارسة الدينية والممارسة السياسية ، تأسيسا على أن الدولة والمجتمع هما مجموع علاقات إنسانية بين البشر فقط ، ويخرج عن ذلك ـ تبعا لهذا المفهوم ـ العلاقات الدينية ، أى بين البشر والله . فالدولة والمجتمع العلمانيان هما ـ فقط ـ علاقات إنسانية . وليس للإرادة الإلهية ثمة انعكاس عليها . فالبنية الاجتماعية العلمانية لاتُفرض كعملية Process من فوق Superimposed . أى من خارج النشاط الإنسانى ، بل تتكوّن فى نطاق هذا النشاط ، ومن خلاله .**

والعلمانى Secular/Seculairse هو عكس الدينى أو الكهنوتى ؛ إذ هى تعنى العالم نسبة إلى العِلْم ، وهذه التفرقة بين الدينى أو الكهنوتى والعالم ، تجد مكانها فى المسيحية بعكس الإسلام . ومردها التفرقة بين السلطة الروحية والسلطة المدنية ، فالأولى تكون للكنيسة ، والثانى للولاة والأمراء .

---

* مدرس القانون الجنائى بكلية الشريعة والقانون بطنطا جامعة الأزهر

والعلمانيون بالمعنى المتقدم يحكمون ـ بصفة عامة ـ بمقتضى العقل ، ويستهدفون مراعاة المصلحة العامة ـ بالطبع وفقاً لمفهومهم لهذه المصلحة ـ دون تقيد فى ذلك بأية نصوص أو عبادات دينية .

والعَلْمانيون كان لهم دورهم فى المجتمعات الغربية ، إذ كانوا ـ غالبا ـ مبعثا للتطور والتجديد ، الأمر الذى كان مثاراً للخلاف بينهم وبين الكنيسة ورجال الدين . ويبرز نشاطهم فى مجال الثقافة والتعليم ، فلهم ثقافتهم الخاصة ومدارسهم العلمانية ، وتحتسب الثورة الفرنسية ضمن أكبر الحركات العلمانية .

ويزج البعض بالإسلام إلى مفهوم العلمانية ، فيقولون إن الإسلام دين فحسب ، ولا ينطبق عليه معنى ، أو مبنى الدولة ، بالمفهوم الحديث . وهو قول فيه من الخلط بين الأوراق «الكثير» وفيه من التجنى على الإسلام «الأكثر» . فالأركان الأساسية للدولة ـ بالمفهوم الحديث ـ تنحصر فى ثلاثة ، هى : الشّعب «الجماعة البشرية» ، والإقليم ، والهيئة الحاكمة ؛ صاحبة السلطة على هذا الشعب وذاك الإقليم .

وتنطبق هذه الأركان ـ كل الانطباق ـ على دولة المدينة التى أنشأها الرسول ـ ﷺ ـ حيث وُجدت الجماعة البشرية متمثلة فى الأمة الإسلامية ، ووُجد الإقليم وهو «المدينة» ، ووُجدت السلطة العليا متمثلة فى النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ وهذه الدولة أُسست بموجب بيعة العقبة ، التى كانت عقداً اجتمعت له الخصائص العسكرية والاجتماعية اللازمة لإنشاء الدولة الإسلامية .

ويقول بعض العلمانيين أن الإسلام مكانه فى القلب والعقل معاً ، والاحتجاج إنما يكون على الدعوة للحكم بالإسلام ، وهذا القول يتصادم مع حقيقة الإسلام ، الذى يجمع بين الدين والشرع ، لدرجة أن الصحابة والتابعين أجمعوا على أن نصب الإمام واجب ، وإقامة الحدود وحفظ النظام لايتمان إلا بهذا النصب .

كما احتج بعض العلمانيين بأن سكوت القرآن الكريم عن تحديد أسلوب اختيار الحاكم أو طبيعة نظام الحكم يجعل القول بأن «الإسلام دين فحسب» لا يعد إنكاراً لأمر معلوم من الدين بالضرورة ، وهذه الحجة مردودة من جهتين :

الأولى : مفادها أن القرآن الكريم ليس هو المصدر الوحيد للتشريع الإسلامى ولقد كشفت السنة النبوية الشريفة ـ المصدر الثانى للتشريع الإسلامى ـ عن ضرورة بناء دولة إسلامية وعن شمول الإسلام للدين والشريعة معاً .

والثانية : أن مرونة الشريعة الإسلامية اقتضت أن تُحدَد أُسس نظام الحكم الإسلامى ؛ كمبادىء الشورى والحرية والعدالة والمساواة ؛ وغيرها مما يتصل بنظام الحكم . وهذه المبادىء لها من العمومية والمرونة ، بما يكفل لها الصلاحية لجميع البشر فى كافة الأزمنة والأمكنة .

وقيل تأييدا لعلمانية الإسلام ـ أى قصر الإسلام على الدين فقط ـ أن الحكم تجربة إنسانية يلحقها وصف الخطأ والصواب ، ومن ثم ؛ فإن تصحيح هذه التجربة أمر يصير فى الإمكان القيام به دائماً ، غير أن الحكم الذى يستند على السلطة الدينية ـ وهو عبارة عن حكم إنسانى ، يمنح نفسه سلطة تتجاوز سلطة البشر ـ لا يقوم بتصحيح خطئه بسهولة ، بل إنه من الممكن ـ حسب هذه الوجهة من النظر ـ أن يضفى على نفسه نوعاً من « العصمة » تمنع ـ ابتداء ـ الاعتراف بالخطأ .

وجلى مدى تأثر هذه الحجة بالمفهوم الغربى للحكومة الدينية ، تلك الحكومة التى عُرِف عنها الكثير من التجاوزات فى العصور الوسطى ؛ حيث مارست الكثير من العسف وكبت الحريات وفيها قام رجال الكهنوت المسيحى بتجاوز حدود وظائفهم الكنيسة ، فتولوا سلطات واسعة ، وأداروا دفة الحكم بطريقة مباشرة أو من خلف الستار ، وذلك تحقيقاً لأغراضهم وأهوائهم نظراً لعدم وجود شريعة لديهم ملزمة « مفصلة » يمكن الارتكاز عليها بحسبانها فلسفة للحكم . والأمر غير ذلك فى الإسلام . فالحكومة فى الإسلام تدير المجتمع المسلم ، وفقاً لمبادىء وأهداف الإسلام . فالإسلام هو المهيمن على تشريعات وقيم ومفاهيم ومعايير أهداف هذا المجتمع ، كما يمثل الإسلام العقيدة العليا لهذا المجتمع ؛ وبه فإنه لا محل للتخوف ، من الدين فى الإسلام ، فليست لهم « عصمة » ، فهم ـ فقط ـ أهل خبرة وكفاءة وفهم ، ولا يسمح لهم بالخروج على الاختصاصات المقررة لهم ، ولا يباح لهم الحكم بأهوائهم ، فالشريعة الإسلامية تحكم الجميع ، الحاكم والمحكوم ، على حد سواء .

وملاك القول ـ فيما تقدم ـ أن التخوف من آثار تطبيق الحكم الإسلامى إنما مبعثه ـ فى حقيقة الأمر ـ الصورة المنطبعة فى ذهن البعض عن الحكم الدينى فى العصور الوسطى ـ مما دفع بالعلمانيين ـ عن خطأ أو عن عمد ـ إلى الخلط بين الأوراق ، أوإلى قياس الحكم الإسلامى ، على الحكم الدينى الذى ساد فى العصور الوسطى ، وهو خلط ممجوج ، وقياس مع فارق نأمل أن يتجاوزها الفكر الانسانى .



# مستقبل الثقافة فى مصر

أ.د. محمد رجب البيومى

**أرادت الهيئة المصرية العامة للكتاب أن تعيد نشر كتاب مستقبل الثقافة فى مصر ، ردًا على ما يدور فى مصر من أحداث خطيرة ، نسأل الله أن تنجو منها برعايته وحوله ، إذ ليس لها من دون الله كاشفة ، واختيار هذا الكتاب يدل على أن الذين تولوا نشره ، لم يعلموا أنه تعرض فى حياة الدكتور لنقد موضوعى ، عصف به عصفاً ، وأن الدكتور طه حسين نفسه قد رجع صريحاً واضحاً عن جوهر ما قال فيه من أشياء تمس الدين ومصر والعروبة ، وهى الأمور التى ظنها القائمون على نشر الكتاب ستغير قليلا أو كثيراً من الفكر السائد حول الإسلام والعروبة ومصر !**

ولو كان الذين بادروا بطبع الكتاب يخلصون للحقيقة العلمية لكتبوا ما ينم عن اعتراضات المفكرين الحاسمة التى دفعت الدكتور إلى أن يعلن فى مؤتمر اليونان وفى مقال افتتاحى بمجلة ( المجلة ) التى أصدرتها وزارة الثقافة حيناً من الدهر ما يعصف بكل ما قال عن أثر الدين الإسلامى فى مصر ، وعن صلة مصر بالعروبة ، وعن الروح العربية التى امتلأ بها الشعب عن يقين جازم لا يقل الشك ! لقد رد الدكتور طه حسين على نفسه فى مؤتمر أدباء العرب الذى انعقد فى أواخر سنة ١٩٥٧ بقاعة المتحف الزراعى ، رد على نفسه حين جاء بأفكار تقف مما قاله فى مستقبل الثقافة موقف النقيض من النقيض ، وقد نُشِرَ خطاب الدكتور فى عدد يناير سنة ١٩٥٨ م جمادى الآخرة سنة ١٣٧٧ هـ من مجلة ( المجلة ) وقد قال رئيس تحرير المجلة الدكتور حسين فوزى فى كلمته التمهيدية عن المؤتمر : إن خطيباً من خطباء المؤتمر ، وقف يمثل عندى العروبة فى أعمق معانيها وأقومها ، ألا وهو الدكتور طه حسين ، أنا لا أتكلم عن الأستاذ والصديق ، ولا عن الكاتب الألمعى ، ولا عن العالم الكبير ، ولا عن صاحب اللسان العربى الموسيقى ، وإنما أحكم على خطاب عضو من أعضاء مؤتمر الأدباء العرب ، قام يحاضرنا فى القومية العربية ، استمعت لخطبته ، ثم طالعتها ، وهى منشورة فى صدر هذا العدد من المجلة ، فإذا هى ما فهمته دائماً ، وما أرجو أن يفهمه أدباء العرب جميعاً من معنى العروبة .

وأنا فى هذا المقال لا أرد على ما جاء فى مستقبل الثقافة خاصاً بالتربية والتعليم ، والمدارس الأولية إصلاح المعلم ، ومشكلات التعليم العام ، والامتحانات والمدارس الخاصة ، وتعليم اللغة العربية ، ومشكلات التعليم العالى ، وحظ الأديب فى مصر ، وواجب مصر نحو ثقافة الأقطار العربية وما ينحو هذا المنحى من البحث التربوى ، فكل ما قاله الدكتور فى هذا الصدد ليس بذى خطر ، وأكثره قد قيل ونوقش من قبل ، ولا تهمنا النتائج التى انتهى إليها تأييداً أو نفياً ، فالخلاف فى المسائل التربوية معهود

منتظر ، إنما أقصر هذا المقال على ما أفاض فيه الدكتور من حديث نحو أثر الإسلام والعروبة فى مصر ، ونحو ثقافة أوربا التى يجب أن تكون وحدها مصدر الثقافة فى مصر ، وعن أثر اللغة العربية فى الكيان المصرى ضعفاً وقوة ! هذه وأمثالها موضع النقاش الجاد فيما تضمنه كتاب ( مستقبل الثقافة ) وسأكون حريصاً على الإشادة باساتذة كبار ، ناقشوا الكتاب بعد صدوره ، فكشفوا عن أخطائه فى صراحة سافرة ، واعتصم الدكتور بالصمت ، فلم يعقب على ما ووجه به من نقد ، إذ من شأنه أن يثير العاصفة بدءاً ، ثم لا يلتفت إلى عواقبها الفاصلة ، وتعليل ذلك لا إلى تقرير .

طريقة البحث :

حين يقرأ الناقد كتاب الدكتور يعجب لأسلوبه فى تأليفه ، فطه حسين لا يأتى بقضية يبسطها بسطاً وفياً متسلسلة المقدمات والنتائج ، لكنه يقفز قفزات غير متصلة ، ويلجأ إلى تكرار ألفه وارتضاه دون أن يكون لهذا التكرار مزية ملاحظة ، لذلك يفاجأ القارىء بأنماط من الآراء البعيدة التى تخالف ما يعرفه عن بحث ، ثم يمضى صابراً ينتظر الأدلة المقنعة على هذه الآراء فلا يجد غير قفزات متوالية لا تكاد تستقر فى مكان ، ولست أنا وحدى الذى أقرر ذلك ، فإن الذين تعرضوا لهذا الكتاب ، ومنهم من لا يقل عن الدكتور فى مكانته العلمية ، ومقدرته الكتابية . قد شكوا من هذا القفز الطائر فى أخطر القضايا ، وأهم المسائل ، إذ لو كان مجال البحث غير متعلق بالعقيدة والوطنية واللغة العربية . لسهل على لقارىء أن يعفو عما رآه من الشطط الجامح ، بل إن الدكتور ليقذف بالرأى الجارح دون أن يتطلبه البحث ، وما ذلك إلا ليثير الضجيج الصاخب بين النقاد والقراء ، وقد لمس ثمرة ذلك حين تعرض للبحث عن الشعر الجاهلى ، فترك مجال الأدب إلى الحديث عن القرآن الكريم بما يوهن بعض ما جاء فيه دون أن يتطلب البحث فى الشعر الجاهلى نفياً لوجود ابراهيم عليه السلام ، وحديث القرآن والتواره عنه ، وطبيعى أن تقوم القيامة لهذه الجرأة المشتطة . وأن تفيض الصحف محتجة صارخة ، والدكتور سعيد مبتسم بما أحدث من ضجيج ؛ لأنه لو نسف الشعر الجاهلى نسفاً ما قوبل باعتراض الجمهور ، وهياج الصحف ، فلينتقل إلى حديث القرآن عن ابراهيم عليه السلام ليحدث الفرقعة الصاخبة ، والصراخ الهائل ، هذا ما جربه الدكتور قبل أن يؤلف مستقبل الثقافة بأكثر من عشرة أعوام ، وإذن فليتحدث عن صلة مصر بالإسلام ، وبعد مصر عن العروبة ، وضرورة السيطرة التامة لثقافة أوربا فى كل اتجاه ثقافى لأنه لا محالة سيجد الفرقعة الصاخبة التى يهيم بها كل الهيام ، وقد كان المنتظر من مثله أن يتئد كى يأتى بما يقنع ، وألا يقفز هذه القفزات السريعة كى يقنع ، ويمتع ، ولكن المفكر العربى الكبير الأستاذ ساطع الحصرى قد هاله أن يجد هذا القفز المتعجل دون تثبت ، فكتب فى مقدمة نقده لكتاب ( مستقبل الثقافة فى مصر ) يقول[1] بعد أن ذكر ما أشار إليه الدكتور طه فى مقدمة الكتاب من بذله الجهد الجاهد فى البحث والتفكير المتصل العميق ليهيىء للشباب طريق الفوز فى مستقبلهم

---

(١) مجلة الرسالة ـ السنة السابعة ـ العدد ٣١٦ بتاريخ ١٩٣٩/٧/٢٤م .

القادم ، ذكر الدكتور ذلك مبالغاً ليعقب عليه الأستاذ ساطع الحصرى بقوله :

« غير أن من ينعم النظر فى الكتاب يشعر بعد مطالعة المقدمة بشيء كثير من خيبة الأمل ؛ لأنه لا يجد فيه من الآراء والملاحظات ما يتناسب مع وعود العنوان ، وتصريحات المقدمة ؛ فالكتاب يتألف فى حقيقة الأمر من مجموعة أحاديث ومقالات كثيرة التداخل ، قليلة التناسق ، يبدو على جميع أقسامها أثر الارتجال والاستعجال ، ويتخلل معظم أقسامها أنواع شتى من الاستطرادات ، والاستدراكات ، فكثيراً ما يقع النظر فى صفحات الكتاب على فكرة صائبة معروفة بأسلوب جذاب ، غير أنه يلاحظ فى الوقت نفسه كثيراً من المؤاخذات فى المقدمات التى سبقت الفكرة ، والملاحظات التى تلتها ، فيبقى حائراً متردداً بين موقف الاستساغة والاستنكار » .

ثم يقول[2] الأستاذ ساطع الحصرى فى ختام بحثه المتصل الحلقات بعد أن كشف عن عوار كثير فيما أتى به الدكتور طه حسين :

« إن أول ما يلفت الأنظار فى ملاحظات الدكتور فى هذا الباب هو خلوها من الأدلة والبراهين وتكونها من سلسلة دعاوى معروضة على شكل نصوص قاطعة يجب الاعتقاد عليها بدون طلب برهان ، كأن لسان حاله يقول على الدوام : آمنت أنا ، فعليكم أن تؤمنوا أيضاً » .

العقل المصرى :

إن ارتقاء أوربا العلمى ، وتقدمها فى مجالات الصناعة والطب والهندسة وغيرها ، ليس موضع اختلاف من أحد ، وأن الاستفادة من هذا التقدم الباهر قد مهدت له الأسباب وامتدت السبل من عهد محمد على دون أن يجد من يمنع هذه التلمذة المفيدة فى هذا المجال ، وما قرره رفاعة الطهطاوى وعلى مبارك ومن جاءوا على آثارهما من رجال السياسة والفكر يؤكد ضرورة الاقتباس من التقدم الأوربى المعاصر فى شتى ضروب العلوم التجريبية ، وما تدفقت البعثات العلمية إلى أوربا ، وما أنشئت المعامل والمراكز العلمية فى الكليات العملية إلا لتعطى بعض الثمار الناضجة عقب الاتصال العلمى بين مصر وأوربا ، والدكتور طه حسين يعرف ذلك تمام المعرفة ، ولكنه يعلم أنه حين يقرره فى الأسلوب المنطقى الهادىء لا يحدث أدنى ضجيج ! فليبحث إذن عن المثيرات العاصفة التى تدفع إلى النقد الثائر ، وليزد الضرام لهيباً حين يعلن أن مصر ليست من دول الشرق وأنها من دول البحر الأبيض المتوسط لا جغرافياً فحسب بل فكرياً واجتماعياً وتاريخياً ، وليسق الأدلة الطائرة فى غير تركيز حين يقول[3] من حديث ممتد :

« فإذا أردنا أن نلتمس المؤثر الأساسى فى تكوين الحضارة المصرية ، وفى تكوين العقل المصرى ، وإذا لم يكن بُدٌ من اعتبار البيئة فى تقدير هذا المؤثر ، فمن اللغو ومن السخف أن نفكر فى الشرق الأوسط أو الشرق البعيد ، ومن الحق أن نفكر فى البحر الأبيض المتوسط ، وفى الظروف التى أحاطت به ، والأمم التى عاشت حوله ، وإذن فالعقل المصرى ليس عقلا شرقياً ، اذا فهم من الشرق الصينُ واليابانُ والهند ، وما يتصل بها

(٢) مجلة الرسالة ـ السنة السابعة ـ العدد ٣٢١ ـ ١٩٣٩/٨/٢٨ .

(٣) مستقبل الثقافة فى مصر ص ١٧

من الأقطار ، وقد نشأ هذا العقل المصرى فى مصر متأثراً بالظروف الطبيعية والانسانية التى أحاطت بمصر ، وعملت فى تكوينها ثم نما فى أوربا وأثر فى الشعب المصرى من الشعب المجاورة ، وتأثر بها ، وكان من أشد الشعوب تأثراً بها العقل المصرى أولا ، وتأثيراً فيها العقل اليونانى بعد ذلك .

فإذا لم يكن بد من أن نلتمس أسرة للعقل المصرى نقره فيها ، فهى أسرة الشعوب التى عاشت حول بحر الروم ، وقد كان العقل المصرى أكبر العقول التى نشأت فى هذه الرقعة سناً ، وأبلغها أثراً » .

هذا بعض ما قاله الدكتور طه ، وقد تحاشى أن يذكر هنا تأثير الشرق القريب فينص على الحضارة الإسلامية والتأثير العربى الواضح الصريح ، لا لأنه يعترف به ، بل ليموه على القارىء بذكر الهند والصين واليابان ولكنه بعد وقت قصير كشف القناع عن هذا التمويه حين أنكر فى جرأة صعبة أثر العرب والإسلام فى مصر على مدى قرون عدة ، وهو ما سنعود إليه بعد حين !

لقد تحاشى الدكتور هنا أن يذكر الشرق العربى ، وانتقل إلى الهند والصين واليابان ، ولم يكن أحد من الباحثين يذكر هذه الدول فى مجال الاقتباس الفكرى ، ولكنه القفز الطائر دون تحديد ، وهو ما حدا بعض الناقدين إلى أن يقول[4] :

« إن وضع المسألة فى هذا الوضع تتجلى فيه مهارة الدكتور فى المناقشة ، فهو قد قسم الدنيا قسمين اثنين لا ثالث لهما ، قسم تمثله الصين واليابان ، وإن شئت فضم إليهما الهند وأندونسيا وقسم تمثله فرنسا وانجلترا ، وإن شئت فضم إليهما كل دول أوربا وأمريكا .

فلابد للإجابة عن سؤال الدكتور فى هذا الموضع أن تكون مصر أمة غربية لأنها بلا تردد وبدون شك ، تفهم الانجليزى والفرنسى أكثر مما تفهم الصينى واليابانى فى هذا الزمان ، وهذا ما قصد إليه الدكتور من توجيه السؤال على هذا المنوال ؟

ولكن ـ لا ريب ـ وجه المسألة يتغير لو كان الشرق الذى سيواجهك به غير الصين واليابان والهند وأندونسيا أى لو كان هناك قسم ثالث للدنيا يمثله الشرق العربى والمغرب العربى ومصر بينهما حلقة الاتصال .

أما الأستاذ ساطع الحصرى فإنه يواجه الدكتور بهذا السؤال معقباً على قوله : ( ليس بين الشعوب التى نشأت حول بحر الروم فرق عقلى أو ثقافى ) .

يقول الأستاذ الحصرى[5] : أفلا يحق لى أن أسأل الأستاذ فى هذا المقام هل يدعى عن جدٍ أنه لا يوجد فرق ثقافى ما بين المصرى والفرنسى والسورى والايطالى ، إن القول بعدم وجود فرق جوهرى بين العقل المصرى والعقل الأوربى شىء ، والقول بأنه لا يوجد بين المصرى والأوربى فرق ثقافى شىء ، فمهما آمنت بالقضية الأولى إيماناً عميقاً ، لا يمكننى أو أسلم بالقضية الثانية أبداً ، واعتقد اعتقاداً جازماً أن إنكار وجود الفرق الثقافى بين الشعوب التى نشأت حول بحر الروم لا يختلف عن إنكار الشمس فى رائعة النهار » .

ثم يقف الأستاذ الحصرى عند قول الدكتور طه ( ليس بيننا وبين الأوربيين فرق فى الجوهر ولا فى

---

(٤) مجلة دار العلوم : ابريل سنة ١٩٣٩ للأستاذ سيد قطب .

(٥) الرسالة ـ العدد ٣١٦ ـ ١٩٣٩/٧/٢٤ م

الطبع ولا فى المزاج ، فيتساءل الحصرى قائلا :

« لا أدرى كيف يستطيع أحد أن يدعى ذلك بصورة جدية ، فإن الفروق فى الطبع والمزاج ، من الأمور التى تشاهد على الدوام بين الأمم الأوربية نفسها ، وهى تبدو للعيان بين الانجليزى والفرنسى والألمانى والايطالى ، حتى بين الشمالى والجنوبى من الفرنسيين ، والشرقى والغربى من الألمان ، السهلى والجبلى من الطليان ، وبين الريفى والمدنى والصانع والتاجر ، والمثقف والعامى من جميع هؤلاء ؟ فكيف يعقل مع هذا ألا يختلف طبع المصريين ومزاجهم عن طبع الأوربيين ومزاجهم بوجه من الوجوه ؟ إنى أميل إلى الحكم بأن الدكتور طه حسين لم يكتب هذه العبارة عن تأمل واقتناع ، بل كتبها بدافع الاستعجال وتحت تأثير توارد الكلمات » .

مصر والإسلام :

أخطر ما جاء فى كتاب ( مستقبل الثقافة فى مصر ) هو دعوى الدكتور طه حسين أن الإسلام لم يغير العقل المصرى ، ولم يغير عقل الشعوب التى اعتنقته ، بل إن الإسلام قد مد سلطان العقل اليونانى ، وبسطه على بلاد لم يكن زارها إلا لماماً .

وتلك دعوى جريئة يعلم الأستاذ الدكتور خطرها على الحقيقة العلمية ، كما يعلم شدة وقعها على نفوس من يعرفون خطأها الفادح ، ومرماها الجائر ، لذلك أقبل على تقريرها إقبال من يصطنع الحياد بين الإسلام والمسيحية ، ليبلغ حاجة فى نفوس من يرضون عن حكمه الجائر على الإسلام فهو يقول فى بسط تعوده قارئة منه[6] .

وجاء الإسلام وانتشر فى جنبات الأرض ، وتلقته مصر لقاء حسناً ، وأسرعت إليه إسراعاً شديداً ، فاتخذته لها ديناً ، واتخذت لغته العربية لها لغة ، فهل أخرجها ذلك عن عقليتها الأولى ، وهل جعلها ذلك أمة شرقية بالمعنى الذى يفهم من الكلمة الآن ؟

كلا ، لأن المسيحية التى ظهرت فى الشرق قد غمرت أوربا ، واستأثرت بها دون غيرها من الديانات ، فلم تصبح أوربا الشرقية ، ولم تتغير طبيعة العقل الأوروبى ، وإذا كانت فلاسفة أوربا ، وقادة الرأى الحديث ( لا )[7] يعدون المسيحية عنصراً من عناصر العقل الأوربى ، فلست أدرى ما الذى يفرق بين المسيحية والإسلام ، وكلاهما قد نبع من منبع كريم واحد ، وهبط به الوحى من لدن إلة واحد ، يؤمن به الشرقيون والغربيون على السواء .

وكيف يستقيم للعقل السليم والرأى المنصف أن يقرأ الأوربيون الإنجيل ، فلا يرون به بأساً على العقل الأوربى ، ولا يرون أنه ينقل هذا العقل من الغرب إلى الشرق ، فإذا قرءوا القرآن رأوه شرقياً خالصاً ، مع أن القرآن كما يقول فى غير عوج ولا التواء إنما جاء متمماً للإنجيل ومصدقاً لما فى الإنجيل .

إذا صح أن المسيحية لم تمسخ العقل الأوربى ، ولم تخرجه عن يونانيته الموروثة ، ولم تجرده عن خصائصه التى جاءته من إقليم البحر الأبيض المتوسط ، فيجب أن يصح أن الإسلام لم يغير العقل المصرى ، أو لم يغير عقل الشعوب التى اعتنقته ، والتى كانت متأثرة بهذا البحر الأبيض المتوسط . بل يجب أن نذهب إلى أبعد من هذا فنقول ـ مطمئنين ـ ان انتشار الإسلام فى الشرق البعيد وفى الشرق الأقصى ، قد مد سلطان العقل

(٦) مستقبل الثقافة فى مصر ص ٢٣ .

(٧) سقطت كلمة ( لا ) من المطبعة ولا يستقيم السياق بدونها .

اليونانى وبسطه على بلاد لم يكن زارها إلا لماما . ولم يستطع أن يستقر فيها استقراراً متصلا ، إلا بعد أن استقر فيها الإسلام .

فماذا يرى القارىء فى أستاذ الأدب العربى بكلية الآداب بالجامعة المصرية الذى يجزم أن العقل المصرى لم يتأثر بالإسلام ؟ وإذا كانت المؤلفات العلمية هى ثمار العقل ، وخلاصة تفكيره ، فليرجع أستاذ الأدب إلى تاريخ الحركة العلمية فى مصر منذ أشرق عليها نور الإسلام إلى عصرنا الراهن ، وليبحث معى عن أثر الثقافة اليونانية بهذه المؤلفات ، ليدرك أنها كانت بعيدة عنها كل البعد ، وطالب الجامعة المبتدىء فى دراسة الحركة العلمية بمصر ، يعلم أن الفلسفة لم تكن بين المواد الكثيرة التى خاضها المؤلفون المصريون ، وأن المنطق ما دون فى كتب المصريين إلا ليكون أحد الأسلحة المناصرة للعقيدة الإسلامية ، فإذا جاوز هذا النطاق فهو مطرح مجفو ، أين كانت دروس العلم فى مصر منذ بزوغ شمس الإسلام حتى مطلع العصر الحديث ؟ إنها كانت بمساجد الفسطاط وابن طولون والأزهر ومدارس الشافعية التى أنشأها صلاح الدين ثم مدارس العصر المملوكى ، وكل أساتذتها من شيوخ الدين ! فهل كانت هذه المدارس وهذه المساجد تدرس غير ما يرتكز على علوم الشريعة من فقه وأصول وحديث وتفسير ، أو ما يكون وسيلة لدراسة هذه الكتب من علوم اللسان : كالنحو والصرف والبلاغة واللغة ، أو ما يجلو حقائق السيرة النبوية وتاريخ الإسلام فى مده المتطاول من كتب التراجم والطبقات ! إن العقل المصرى لم يدر فى غير هذا المدار ، فأين أثر اليونانية فيه حتى يكون تفكيره غربياً خالصاً كشعوب البحر الأبيض المتوسط !

والفلسفة التى نهض بها بعض المتكلمين كانت تدور حول عقائد الشيعة فى العصر الفاطمى . وقواعد المذهب الأشعرى فى العصر الأيوبى وما تلاه ، ومن خرج عن هذا النطاق اتجه إلى الحكمة بمعناها الطبى فقرأ ما يتعلق بالأدوية والعقاقير ووظائف الأعضاء ، وإذا كان موسى بن ميمون قد نال الحظوة لدى صلاح الدين فلكونه طبيباً ، حيث وجد من يخلفه فى دراسة الطب ولم يجد من يخلفه فى دراسة الفلسفة اليونانية ، وقد قامت فلسفته على التوفيق بين الفلسفة والدين أو بين موسى الكليم ، وأرسطو ، وهو فى هذا النطاق يؤلف لنفر محدود من أبناء ملته اليهودية ! فهو إذن عن العقل المصرى بمنأى بعيد !

هذا أمر مقرر فى تاريخ الحركة العلمية بمصر منذ شرفت بالإسلام ، حتى فاجأها العصر الحديث بمنشآته العلمية ذات الفروع العلمية المتشعبة ، وإذن فقد عاشت مصر ثلاثة عشر قرناً وهى سعيدة بتأثير الإسلام فى اتجاهها الفكرى ! دون أن يشك فى هذه الحقيقة راصد أمين ، وأعجب ما قرره مؤلف مستقبل الثقافة ، هو مساواته الإسلام بالمسيحية فى التأثير شرقاً وغرباً ، فهو ينص على أن أوربا لم تتأثر عقلياً بالانجيل فيلزم من ذلك أن مصر لم تتأثر بالقرآن ، ومقارنة القرآن بالانجيل ذات خطورة علمية شاء الدكتور أن يقررها لحاجة فى نفسه ، لأن القرآن ليس كتاب أخلاق وتربية فحسب ، كما نقرأ فى الانجيل ، ولكنه كتابه تشريع وحقوق ، ودستور دولة ، وقانون أمة ، وهو بذلك يهيمن على المسلم فى كل اتجاه ، ويمتد تأثيره إلى الخطرات النفسية مع الأفعال الظاهرة ، لأن رب الناس يعلم السر والنجوى ويدعو إلى تطهير الضمائر ، وإيمان القلوب ! والدكتور يذكر أن القرآن جاء مصدقاً للانجيل ، ويسكت عن الكلام قبل أن يكتمل ، لأن القرآن مصدق لما

بين يديه من الكتاب ومهيمن عليه ، بمعنى أنه يصحح ما وقع بالكتب السابقة من تحريف ، وإذن فالقرآن شيء ، والإنجيل شيء ، وموقف مصر بخاصة والمسلمين بعامة من القرآن غير موقف أوربا من الانجيل !

وإنى أسأل الدكتور : هل أوربا حين اعتنقت المسيحية رأت فى الانجيل دستوراً قام به نظام الدولة واتبعته فى المعاملات والبيوع والحدود والمواريث ونظام الأسرة أو أنها آمنت بالمسيح ، وتركت القانون الرومانى كعهده دون تبديل ؟ إنها حصرت المسيحية بين العبد وربه ، وأوصت بالأخلاق الرحيمة ، والتسامح الانسانى فحسب ! ومع ذلك لم تنصت أوربا إلى ما فرضته المسيحية من تسامح ، وحروبها الدامية فى كل عصر تجعل القائمين بها من ألد أعداء المسيح على رغم انضوائهم تحت لوائه ، أما الإسلام ففى مصر وفى غير مصر كان الدستور الأوحد المتبع ، ومن يخالف أحكامه من السلاطين والحكام يعلم أنه بعيد عن الإسلام فى اتجاهه الظالم ، ويعرف أن وراءه يوماً يعض الظالم فيه على يديه ! وقد كانت الأحكام القضائية فى مصر منذ بزوغ فجر الإسلام إلى عصر إسماعيل خاضعة لنصوص القرآن ودائرة فى نطاق المذاهب الفقهية التى يتصدر للحكم بها قضاة من كبار الفقهاء أفبعد هذا يقاس تأثير الإسلام فى مصر بتأثير المسيحية فى أوربا ؟ وتاريخ مصر واضح مشتهر فى هذا المجال بحيث لا يختلف عليه اثنان !

يقول الدكتور زكى مبارك مبيناً الفرق بين الإسلام والمسيحية وتأثيرهما فى ذويهما[8] : « إن الديانات تفترق ثم تجتمع ، ولكن هذا لا يمنع من أن هناك خصائص للعقلية المسيحية والعقلية الإسلامية ، وهذه الخصائص تخفى على العوام ويدركها الخواص ، وكيف لا توجد هذه الخصائص بين دينين مختلفين ، مع أننا نعرف أن هناك خصائص عديدة فى الدين الواحد ، حين يختلف أهله بعض الاختلاف ، اننا نعرف أن للكاثوليكية خصائص ، وللبروتستانتية خصائص ، وإننا نعرف أن للعقلية السنية خصائص وللعقلية الشيعية خصائص . فكيف جاز عندك يا سيدى أن تتوهم أن الإسلام لم يغز العقلية المصرية بتغيير وتبديل ؟

أنا لا أنكر أن مصر ورثت ما ورثت من علوم اليونان ( فيما قبل الإسلام ) ولكنى أنكر أن تكون مصر قد عاشت بعقلية واحدة منذ آلاف السنين .

إلى أن يقول الدكتور د . مبارك :

« الموجة الإسلامية التى طغت على مصر فنقلتها من لغة إلى لغة ، ومن دين إلى دين ، والتى قضت بأن تنفرد مصر بحراسة العروبة والإسلام بعد سقوط بغداد ، هذه الموجة العاتية لا يمكن أن يقال بأنها لم تنقل مصر من العقلية اليونانية إلى العقلية الإسلامية ، ولكن ما هى العقلية الإسلامية ، هى شيء غير العقلية اليونانية بلا جدال ! » .

ثم ما هى قصة العقلية اليونانية التى يريد الدكتور طه أن يثبت قدمها التاريخى فى مصر وبالتالى تأثيرها على العقل المصرى حتى جعلته عقلا غربياً لا شرقياً ! عقلا ينتهى إلى شعوب البحر الأبيض لا إلى الشرق المظلوم ؟

إن الدكتور طه حسين يقول[9] : إن التلاميذ

---

(٨) الرسالة العدد ٢١٠ ـ ١٩٣٩/١/٢٣ م .

(٩) مستقبل الثقافة فى مصر ص ١٥ .

يتعلمون فى المدارس ان مصر قد عرفت اليونان منذ عهد بعيد جداً ، وأن المستعمرات اليونانية قد أقرها الفراعنة فى مصر قبل الألف الأول من ميلاد المسيح .

والتلاميذ يتعلمون فى المدارس — أيضاً — أن أمة شرقية بعيدة عن مصر بعض الشيء قد أغارت عليها ، وأزالت سلطانها فى آخر القرن السادس قبل ميلاد المسيح ، وهى الأمة الفارسية فلم تذعن مصر لهذا السلطان الشرق الأجنبى إلا كارهة ، وظلت تقاومه أشد المقاومة مستعينة بمتطوعة اليونان تارة ، وبمحالفة المدن اليونانية تارة أخرى ، حتى كان عصر الاسكندر ، ومعنى هذا كله واضح جداً ، وهو أن العقل المصرى لم يتصل بعقل الشرق الأقصى ، اتصالا ذا خطر ، ولم يعش عيشة سلم وتعاون مع العقل الفارسى ، وإنما عاش معه فى حرب وخصام » .

وهذا الكلام يحتاج إلى تصحيح ، ففراعنة مصر قد استعانوا بمرتزقة اليونان تارة ، وبفرق من الجيش النظامى تارة ليكبتوا ثورات الشعب . وكان اليونان حينئذ يمثلون فى عين الجمهور القوة الغاشمة التى يمثلها الاحتلال المعاصر فى أكثر ربوع الشرق ! فالمسألة ليست مسألة عقلية ثقافية ولكنها ارتباط سياسى بين حاكم ضعيف ، وشعب مقيد ، وإلا فأين أثر الثقافة اليونانية فى الشعب المصرى اذ ذاك مع استثناء قلة يقومون بدراسة الفلسفة اليونانية لأنها نوع من الغذاء الفكرى ، كما ندرس فى جامعاتنا ثمار العقول الجبارة من مفكرى ألمانيا وانجلترا وفرنسا وغيرها ! أيدل ذلك على أننا تطبعنا بطابع أوربا العقلى ! إن أوربا نفسها تدرس مفكرى الشرق من الصين والهند واليابان ومصر ، وتعد البحوث الحافلة لرصد التيارات الفكرية عند هؤلاء ، أفيدل ذلك على أن العقلية الأوربية مطبوعة بالطابع الشرقى بمجرد دراسة مفكرى الشرق فى كلية جامعية ! وهل يجهل الدكتور ثورات الشعب المتعاقبة على الأفكار اليونانية الخاصة بآلهة الإغريق ، أو ينكر أن البطريق كيرللوس قد شجع جنده الخاص على اغتيال الباحثة الفيلسوفة ( هباسيا ) لأنها تدرس الفلسفة الإفلاطونية ، وتتحدث عن لُغز الوجود والعدم ، فتصدّى لها الجمور المحتشد ، ولم يُبْقِ من جسدها موضعاً دون جراح ! ولم يهتمّ أحد بالتحقيق الجنائى بل وَجدَ الجناة كل تشجيع وتقدير ! أينَ إذنْ الأثر اليونانى فى تكوين العقلية المصرّية إذا كانت ممثلة الثقافة اليونانية لم تجدْ مخلصاً يأخذ بأثرها من جرم فادح لا شك فى إثمه الصريح !

أماَ ثورة مصر على الاحتلال الفارسىّ ، فليست لاختلاف العقْليتين ، عقلية مصر الغربيةّ ، وعقلية فارس الشرقية ، ولكنها ثورةٌ سياسية على الاحتلال الأجنبى أياً كان موطنه ، وقد رأىَ الدكتور ثورةَ مصر على احتلال إنجلترا حتى انقشع ظلمه ، كما قرأ عن ثورة مصر على الحملة الفرنسية حتىّ تبدّد شملها قبل ثلاثة أعوام ! أيقول الدكتور إن العقل المصرى قد خالف العقل الإنجليزى أو العقل الفرنسى ؟! لو قال ذلك لسقطت دعـواه ، وتبـدّدَ كل ما قرّر من افتراضات ، ولكنّه لو رجع إلى الحق لذكر أن الثورة على الحكم الفارسى كالثورة على الحملة الفرنسية والثورة على الاحتلال الإنجليزى ، تدخل فى باب الحرية والاستقلال ، ولا صلة لها بائتلاف العقل عند السلام ، وباختلافه عند القتال .

# المرأة في الغرب الأوربي في العصور الوسطى

للأستاذ الدكتورة/ إسمت غنم

**والزوجة المثالية** : هى تلك التى تتوفر فيها الصفات الثلاث[٣] : **المنفعة** ، بحيث يكسب الزوج من ورائها إقطاعاً كبيراً أو مبلغاً ضخماً من المال ، **والجمال** ، بحيث تدخل السعادة على قلب زوجها فى كل وقت ، **والإخلاص** ، بحيث تكون امرأة فاضلة تحافظ على نفسها وبيتها وأسرار زوجها[١] .

وعلى المرأة أن تقدم هذا كله لزوجها دون أن تنتظر منه شيئاً ، بل أكثر من ذلك تكون عرضة للضرب لأقل كلمة تصدر منها ويعتقد الزوج أنها أكثر مما يظنه مناسباً .

وقد أباح القانون للزوج ضرب زوجته ضرباً مبرحاً ، وكتب فى هذا الشأن الفارس الفرنسى جيوفرى لاتور لاندرى Knight of la Tour-Landry الذى عاش فى الفترة المتأخرة من العصور الوسطى ، فى القرن الرابع عشر ، كتب يقول :

« لما كان القانون قد أباح ضرب الزوجات ضرباً مبرحاً لتصحيح مسارهن ومسلكهن ، وهذا التعذيب ذا فائدة كبرى لتقويم أخلاق النساء لذلك يجب على الأب أن يمارس هذا العقاب البدنى عملياً على نطاق واسع مع بناته قبل زواجهن حتى يتعودن عليه »[٢] .

وقد أيد كتاب العصور الوسطى حق الزوج فى ضرب زوجته وإيذائها إذا خالفته أو سببت له أية مضايقة ؛ ورغم أن القانون الكنسى لم يحرم إنزال العقاب البدنى بالزوجة إلا أن الكنيسة تدخلت فى هذا الأمر ، وكل ما فعلته أنها حددت حجم العصا التى يحق للزوج أن يستخدمهـا فى ضرب زوجته[٣] .

ولم يترفع الرجال عن استعمال حقهم هذا ، ولم يتخلوا عنه حتى فى عصر الفروسية الذى اشتهر بأنه العصر الذهبى للمرأة فى الغرب الأوروبى فى العصور الوسطى ، وتقول المؤرخة بور « إنه كثيراً ما نقرأ فى الأشعار التاريخية المعروفة باسم Chamsonde Jeste وفى الكتاب الذى وضعه فى القرن الرابع عشر الفارس الفرنسى جيوفرى لاتور لاندرى عن رجال يضربون زوجاتهم وهم فى ثورة من الغضب »

وقد استعمل الرجال الضرب المبرح ، وهو

(1) Coulton: op. cit. p. 219.

(2) Latour-Landry: liver pour L'education de mes filles ed. de Montaiglon Paris, 1854, p. 27.

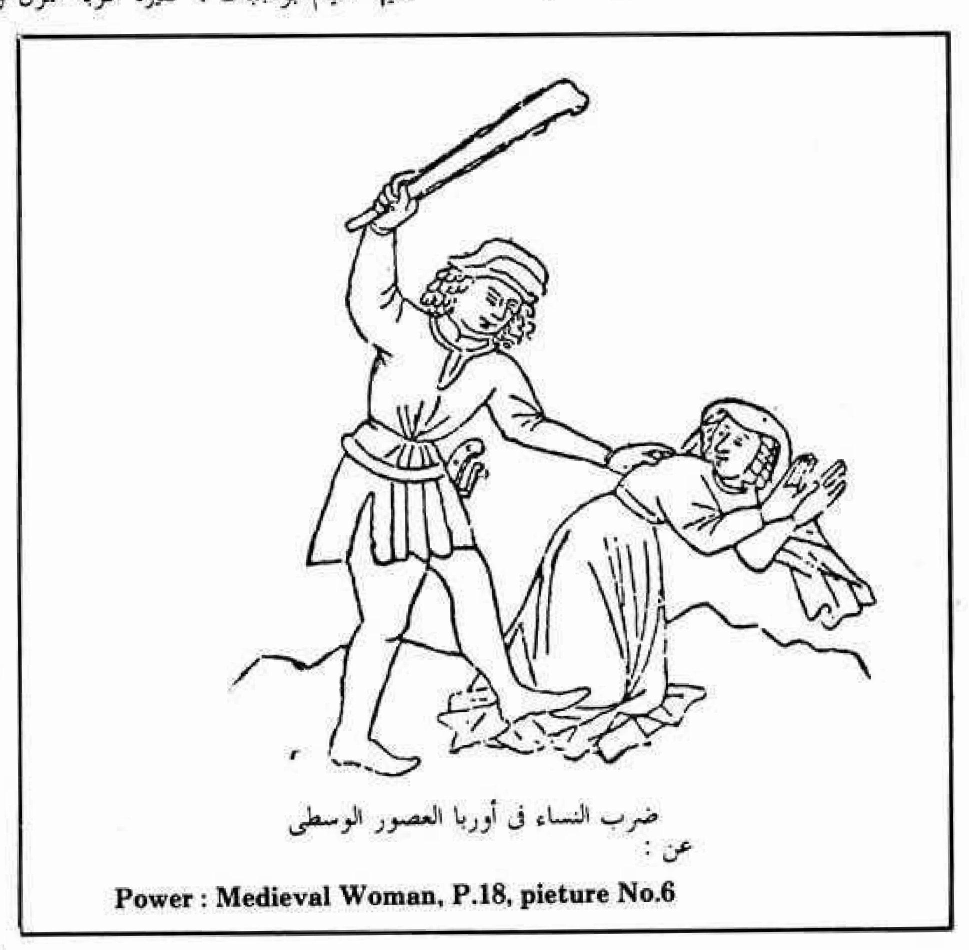
(3) Painter: Medieval Society, New York, 1955.
: A Histery of the Middle Ages, p. 121.

الأمر الذى نهى عنه الإسلام وربما أحدثوا بهن بعض العاهات ، مثال ذلك الزوج الذى ضرب زوجته ضرباً مبرحاً أفقدها السمع باحدى أذنيها .

وقد آمنت الزوجات من جانبهن بحق الرجال فى ضربهن ، ولم ينكرن هذا الحق وهذه زوجة البورجوازى الباريسى ، تطلب منه أن يعاقبها بالضرب إذا فعلت ما يوجب ذلك وها هو يذكرها بهذا فيقول :

« فى الأسبوع الذى تزوجنا فيه ، وكنت يومذاك فى الخامسة عشرة ، توسلت إلى أن أنظر لشبابك وإلى خدماتك الصغيرة الجاهلة بعين العطف .. وقد توسلتِ إلىّ بضراعة وسألتنى بحب الرب أن لا أصلح أخطاءك بقسوة أمام الغرباء ، ولا أمام ذوى قرباناً ، وأن أنصحك وأصلح أخطاءك .. وأن أعاقبك بالضرب إذا رأيت ذلك ضرورياً ، ووعدتنى بأن لا تقصرى فى إصلاح أخطائك حسب تعليمى وإرشادى ، وأن تبذلى جهد طاقتك فى السير حسب رغبتى ومشيئتى » .

وإلى جانب واجبات المرأة تجاه زوجها ، كان عليها القيام بواجبات ، كثيرة كربة منزل ومن



ضرب النساء فى أوربا العصور الوسطى
عن :
**Power : Medieval Woman, P.18, pieture No.6**

الأقوال المأثورة فى هذا الصدد :

قد يرسل الطقس شيئاً من الراحة للأزواج أما واجبات المرأة فلا حد لها ولا نهاية .

فالسيـــدة من الطبقـــة الأرستقراطيـــة أو البورجوازية ، كان عليها إلى جانب عنايتها بالمنزل ومراقبة الخدم دَاخِلِهِ والإشراف على أعمالهم ، الإشراف كذلك على صناعة المواد الغذائيـــة والملابس التى يمكن صناعتها فى الإقطاعيـة ، وتخزين ما تبتاعه من الحوانيت أو أقرب مدينة أو الأسواق الموسمية السنوية ، والإشراف على عمل الخبز والجعة والجبن والزبد وتقديد اللحم وتخزينه لاستعماله فى فصل الشتاء .

كذلك التصرف فى كافة الأعمال المختصة بالضيعة أثناء غياب زوجها وكثيراً ما كان الزوج يتغيب ، سواء فى الحج أو فى الحرب أو فى العمل أو غير ذلك من الأسباب . لذلك كان على الزوجة أن تكون على إلمام بالقانون الإقطاعى لتدافع عن حقوق زوجها وأولادها .

والجدير بالذكر أنه برغم أن الزوجة لم تكن تتمتع بأية حقوق تجاه زوجها إلا أنها تمتعت بكل ما لزوجها من حقوق تجاه الآخرين . كذلك كان عليها اختيار العمال والمداومة على مراقبتهم أثناء تأديتهم لعملهم ، ومعرفة المواسم الملائمة للزراعة وأنواع المحاصيل المناسبة للتربة ، والاعتناء بالحيوانات والأسواق التى تباع فيها المنتجات الزراعية بأحسن الأسعار حتى تسوق منتجات الضيعة كذلك كان عليها التجول الدائم فى الضيعة وملاحظة الحقول والمراعى والغابات(٤) .

ولعل الشاعر الفرنسى ديشامب الذى عاش فى النصف الثانى من القرن الرابع عشر يرسم صورة صادقة للأعباء الملقاة على عاتق المرأة فى الضيعة الإقطاعية حين يقول على لسانها :

إنى مكلفة بالإشراف على كل شىء ، وليس لدى وقت لتحريك قدمىّ ، ومسئوليتى تقع فى عشرين مكاناً ، فهذا يقول لى : « الأغنام فى حاجة لجز صوفها » وذاك يقول لى : « الحِمْلان فى حاجة إلى الفطام » وآخر يقول : « الكروم فى حاجة إلى العناية » وآخر يقول : « أنا مشغول بحرث الأرض » وآخر يقول : « لابد من مراقبة سير القطيع » وآخر يقول : « يجب أن أسلخ البقرة التى نَفَقَتْ » وآخر يقول : « لابد من تغطية الأَجْرَان والحظيرة »(٥) .

وكان على السيدة قبل أن تأوى إلى فراشها بعد هذه الأعمال اليومية المرهقة أن تجوس خلال الدار تغلق الأبواب ، وتتأكد أن الخدم قد أَوَوْا إلى مضاجعهم .

ولم ينس مدبر البيت الباريسى أن يقدم النصيحة لزوجته بخصوص موضوع الخدم ، ومما قاله فى هذا الشأن :

« إذا أستأجرت خادمة ( أو خادماً ) وكانت اجباتها على أسئلتك بثرثرة أو بتعجرف فاعلمى أنها عندما تترك خدمتك سوف تسىء إلى سمعتك بقدر استطاعتها ، وعلى العكس إذا أطرتك وكلها ملق ومداهنة ، لا تثقى فيها ، فهى متفقة مع أحد ما على خداعك . أما إذا احمر وجهها خجلا وكانت

(4) Crump & Jacob: op. cit. p. 418.

(5) I b id: p. 423.

صامتة عندما تصححين أخطاءها فاسبغى عليها حبك وكأنها ابنتك » .

ويستطرد فى تقديم نصائحه بخصوص الخدم فيقول :

« فى المساء لابد أن يتناولوا طعامهم ثانية ، ولابد أن يكونوا قادرين على تدفئة أنفسهم حول النيران ، وبمنتهى الاسترخاء ، ويجب على الزوجة أن تغلق أبواب المنزل وتقودهم إلى الفراش ، وتضع بجانب كل فراش شمعدان ليضع فيه شمعته ويجب أن تلقنهم – بحكمة – إطفاء الشمعة بالفم أو باليد قبل الولوج إلى الفراش وليس بقذف الشمعة بقميص » .

« وإذا استخدمت خادمة تبلغ من العمر خمسة عشر عاماً أو عشرين عاماً ، اعلمى أنهن فى هذا العمر يكن حمقاوات ، ولا يدركن ما يجرى فى الدنيا ، لذلك يجب أن يَنَمْنَ بالقرب من الردهة المؤدية إلى حجرة نومك . أو فى حجرة بدون منور أو نافذة منخفضة تطل على الطريق ، واتركيها تنام وتنهض من النوم فى نفس ميعادك ، واعتنى بها ، وإذا مرض أحد الخدم دعيه ينام بعيداً عن الآخرين ، وأوليه كل الحب والود والاهتمام ، وداومى على زيارته حتى يهدى إليه الشفاء »(٦) .

كانت هذه الأعباء كلها ملقاه على عاتق السيدة المنتمية للطبقة العليا ، فإذا هبطنا درجة فى سلم الطبقات الاجتماعية ، حيث لا توجد ضياع تتولى المرأة الإشراف عليها ولا خدم يعاونونها فى تنظيم شئون المنزل ، وجدنا أن على المرأة أن تقوم بكافة أنواع أعمال المنزل وحدها ، وعليها أن تمد أُسْرَتها بكافة ما يلزمهم حتى الملابس عليها أن تقوم بغزلها ونسجها اعتماداً على نفسها .

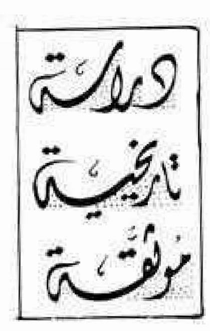
وإذا هبطنا إلى أدنى درجات السلم الاجتماعى وجدنا من الطبيعى أن تزداد أعباء ربة المنزل ، إذ أنها كانت مضطرة بوجه عام لمساعدة زوجها فى حرفته وعليها كذلك أن تقوم بحرفة ثانوية مستقلة هذا بالإضافة لعنايتها بالمنزل والأطفال .

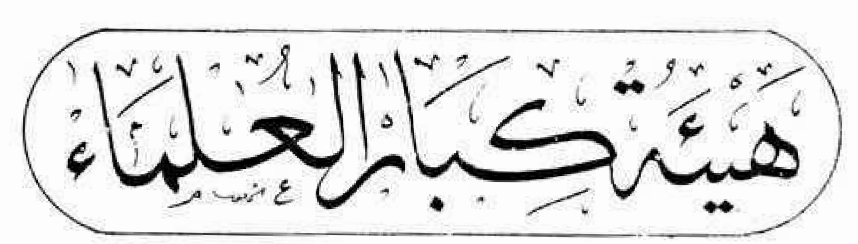
وبصفة عامة كان من المنتظر من ربة البيت فى جميع طبقات المجتمع الغربى الوسيط بالإضافة لأعبائها السابقة الذكر ، أن تعتنى بأفراد الأسرة فى الصحة والمرض على السواء ؛ لذلك كان عليها أن تكون على دراية بالطب ، والجراحة ، وكانت أسرار إعداد العقاقير الطبية تنتقل من الأم إلى الابنة مع وصفات عمل أطباق الحلوى وزجاجات العطر(٧) .

---

6) Power: Medieval Women, pp. 40- 52.

7) Covleon: op. cit., pp. 225- 226. Crump & Jacob: op. cit., pp. 421- 423.




## صفحات مطوية من تاريخ الأزهر

خرّج الجامع الأزهر ومازال يخرج علماء أجلاء هم ملء السمع والبصر ، ملئوا الدنيا علماً وحضارة ونوراً وزعامة وطنية شعبية ووقفوا ضد الظلم والطغيان دفاعاً عن الحق المهضوم ..

كانوا القدوة الطيبة ، والأسوة الحسنة والأمثلة الكريمة للمسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ، سواء كانت هذه القدوة روحية ، أم ثقافية إسلامية ، أم زعامة سياسية ، أم فضائل سلوكية ، مع القبول السديد والتوجيه الرشيد .

وتاريخ أعلام الأزهر قديماً وحديثاً يلقى أضواء ساطعة على تاريخ العالم الإسلامى بصفة عامة وعلى تاريخ المصريين بصفة خاصة ، وهو امتداد لتاريخ

الأزهر الذى استمر لأكثر من ألف عام يحافظ على إسلام مصر وعروبة مصر وذوق مصر .

ونحن ـ المسلمين ـ فى أشد الحاجة اليوم إلى



الأسوة الحسنة والقدوة المثالية بل ان حاجتنا إلى هذه القدوة الآن تفوق حاجتنا إلى العلم ، فإن العلم حالياً أصبحت وسائله ميسرة ، بعد أن تعددت وكثرت مصادر العلم من معاهد وجامعات ودور نشر وصحافة وإذاعة ، وأضحت مناهل العلم فى متناول الدارسين والباحثين .

وسنتحدث فى بحثنا هذا عن مجموعة من أعلام العلماء هم سادة السادات الذين وقفوا فى الملمات يلاطمون التيارات الجارفة التى كادت تقضى على الأزهر فى حقبة من أحلك الحقب التى مرت بها مصر فى تاريخها المعاصر ، وهى الحقبة التى جثم فيها الاستعمار الانجليزى على صدر مصر وقلبها ، **وكان من مهمة الانجليز فى مصر القضاء على الأزهر ولم تكن القوة بقاضية عليه ، فلجأوا إلى الدهاء والمكر لترك الأزهر يموت موتاً بطيئاً .**

لهذا فكر المسئولون بالأزهر والغيورون عليه فى محاربة الانجليز بنفس سلاحهم .

## هيئة كبار العلماء

كان القانون رقم ١٠ لسنة ١٩١١م من أهم القوانين التى صدرت فى ذلك الوقت لتنظيم الدراسة بالأزهر فى عهد الشيخ سليم البشرى شيخ الجامع الأزهر .

ومن بين ما تضمنه هذا القانون إنشاء « هيئة كبار العلماء » وهى هيئة وكل إليها إعادة الحياة الجديدة إلى الجامع الأزهر ، وتتكون من علماء المذاهب الأربعة .

وقد وقع الاختيار بالانتخاب على السادة العلماء الثلاثين الآتية أسماؤهم :

**( أ ) فمن السادة المالكية :**

١ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ/سليم البشرى .
٢ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ محمد أبو الفضل الجيزاوى .
٣ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ/محمد حسنين العدوى .
٤ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ/هارون عبدالرازق .
٥ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ/محمد راشد .
٦ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ/محمد الروبى .
٧ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ/دسوقى العربى .
٨ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ/أحمد نصر .
٩ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ/محمد طموم .

(ب) ومن السادة الحنفية :

١ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ/حسونة النواوى .
٢ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ/بكرى الصدفى .
٣ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ/محمد بخيت .
٤ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ/محمد شاكر .
٥ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ/مصطفى أحمد حميدة .
٦ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ/أحمد إدريس .
٧ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ/محمود الجزيرى .
٨ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ/محمد أحمد الطوخى .
٩ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ/إبراهيم الحديدى
١٠ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ/محمد بخاتى .
١١ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ/محمد راضى .

(جـ) ومن السادة الشافعية :

١ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ/سليمان العبد .
٢ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ/محمد الرفاعى المحلاوى .

٣ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ/محمد إبراهيم القاياتى .

٤ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ/محمد نجدى .

٥ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ/عبدالحميد زايد .

٦ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ/سعيد الموجى .

٧ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ/عبدالمعطى الشرشيمى .

٨ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ/محمد موسى العطاق .

٩ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ محمد قنديل الهلالى .

**(جـ) ومن السادة الحنابلة :**

١ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ/أحمد البسيونى[1]

## اللائحة الداخلية لهيئة كبار العلماء

كان لابد لهذه الهيئة الكبيرة من قواعد ترجع إليها فى نظامها وسيرها وسائر ما يتعلق بها ، وبخاصة أن أعضاءها وكل إليهم تدريس العلوم المختلفة بالجامع الأزهر ، ولهذا كان اختيارهم دقيقاً وبعد امتحان شاق ، وقد تكونت لجنة من داخل هيئة كبار العلماء لوضع اللائحة الداخلية للهيئة وللإشراف على التدريس ، وتطبيق مواد اللائحة بكل الدقة الممكنة .

تنص المادة الأولى من اللائحة على :

● أن الغرض من تدريس هيئة كبار العلماء تربية الملكات ، ومعرفة كيفية استنباط الأحكام من أدلتها ، فيجب على كل واحد من الهيئة المذكورة أن يكون قبل إلقاء الدرس محيطاً بكل ما يتعلق بالموضوع الذى يلقيه إحاطة تامة .

يلى ذلك المواد :

٢ ـ توزع لجنة هيئة كبار العلماء أول كل سنة دراسية العلوم المنوه عنها فى قانون الجامع الأزهر والمعاهد الدينية على أعضاء هيئة كبار العلماء ، وتختار الكتب والأوقات التى تلائم حال الأشخاص ، ودراسة كل علم من العلوم المذكورة .

٣ ـ يراعى فى توزيع العلوم والكتب اختصاص كل واحد من الأعضاء وامتيازه فيما يعهد إليه تدريسه ..

٤ ـ يراعى فى طريقة التدريس مع ما أشير إليه فى المادة الأولى الاعتناء بتربية ( ملكة المناقشة والبحث ) وتعويد الطلبة على تمام الاستقلال بالفهم ، وأن يؤخذ بهم فى طريق تربية القوى الجدلية على وجه يقدرهم على دفع ما يرد عليهم من الشبه النظرية ويمكنهم من تمييز الأدلة اليقينية .

٥ ـ للجنة أن تنتدب من أعضاء الهيئة واحداً أو أكثر للمرور على الدروس التى يلقيها هيئة كبار العلماء ، وتقديم ما يراه من الملاحظات إلى اللجنة للنظر فيه ، وتقرير ما يلزم بشأنه .

٦ ـ إذا طرأ لواحد من هيئة كبار العلماء عذر يمنعه من أداء الدرس المكلف به فعليه أن يخطر شيخ الجامع الأزهر بالعذر المانع له من أداء دروسه والمدة التى تلزم لانقضائه .

---

(١) رجعنا فى (هيئة كبار العلماء) إلى دفاتر « الكوبيا » وإلى مجلس الأزهر الأعلى سنة ١٣٢٩ هـ ، ١٩١١ م ص ٤٠ ، ٤١ طبع مطبعة الاصلاح ، ورجعنا كذلك إلى بعض العلماء أو أبنائهم ـ الذين كانوا ضمن هيئة كبار العلماء ومازالوا على قيد الحياة كالشيخ صالح شرف وغيره .

ولشيخ الجامع الأزهر بصفته رئيس اللجنة أن يمنحه إجازة لا تتجاوز شهراً . وفيما زاد على ذلك يجب رفعه إلى اللجنة للنظر فيه ، وكذلك إذا تأخر أى واحد من هيئة كبار العلماء بدون إذن ولم يبد عُذراً مقبولا فيرفع أمره إلى اللجنة لتقرير ما تراه بشأنه .

٧ - تختص اللجنة بالنظر فى كافة الشكاوى التى تتعلق بأى واحد من هيئة كبار العلماء وكذلك تنظر اللجنة فى طلبات هيئة كبار العلماء المتعلقة باستحقاق المرتب المنصوص عليه بالمادة التاسعة بعد المائة من القانون ، وترفع ما تقرره فى هذا إلى المجلس الأعلى للأزهر ليقرر فيه ما يراه ..

٨ - إذا اشتغل أحد هيئة كبار العلماء ممن يتناولون المرتب المقرر للهيئة بما يمنعه عن القيام بإلقاء الدرس المكلف به على الوجه المطلوب ، قطعت اللجنة مرتبه ورفعت قرارها إلى المجلس الأعلى ليقرر ما يراه ..

٩ - إذا رفع لرئيس اللجنة اقتراح من أحد أعضاء الهيئة بشأن إلغاء أو تعديل أو زيادة أى مادة من مواد هذا النظام ، رفعه الرئيس إليها لتنظر فيه وتقرر ما تراه .

١٠ - تنعقد اللجنة فى كل شهر مرة على الأقل ، ولرئيس اللجنة عقدها أكثر من ذلك إن دعا الحال .

١١ - تعتبر قرارات اللجنة نافذة . إذا اجتمع من أعضائها خمسة منهم الرئيس ، وإذا غاب الرئيس أو حصل له مانع قام مقامه أكبر الأعضاء سناً ..

١٢ - كل ما تقرره اللجنة يعرض على المجلس الأعلى للأزهر ليتحقق من مطابقته لآخر المادة ( ١١٢ ) من القانون .

١٣ - يخصص لأعمال اللجنة أحد كتاب المشيخة ، ويكون لديه دفتر لقيد القرارات الخاصة بها .

١٤ - إذا لم يبلغ من يتناولون الراتب من هيئة كبار العلماء العدد الكافى لتنفيذ نص المادة السادسة بعد المائة من القانون جاز ندب من يكمل العدد الكافى من الموظفين الذين هم من هيئة كبار العلماء ..

● هذه هى مواد اللائحة الداخلية التى سارت عليها هيئة كبار العلماء طيلة عمرها إلى أن سميت « جماعة كبار العلماء » - كما سيأتى .

وقد جاء فى مشروع قانون الجامع الأزهر والمعاهد الدينية الذى وضعته اللجنة المؤلفة بقرار مجلس الوزراء فى ١٨ أكتوبر سنة ١٩٢٨ م تعديلا للقانون رقم ١٠ لسنة ١٩١١ م وكانت هذه اللجنة برئاسة الشيخ الإمام محمد مصطفى المراغى شيخ الأزهر .

جاء فيه :

**مادة ١١** : تشكل برئاسة شيخ الجامعة الأزهر هيئة من ثلاثين عالماً اختصاصياً تسمى ( هيئة كبار العلماء ) ويعتبر ضمن أعضائها هيئة كبار العلماء الذين تتألف منهم ( هيئة كبار العلماء ) عند صدور هذا القانون ..

**مادة ١٢** : يشترط فيمن ينتخب ضمن هيئة كبار العلماء :

أولا : أن يكون سنه خمساً وأربعين سنة ميلادية على الأقل .

ثانيا : أن يكون حائزاً لشهادة العالمية مع لقب أستاذ من مدة لا تقل عن خمس سنين .

ثالثا : أن يكون مشتغلا بالتدريس فى احدى

الكليات ، أو أن يكون شاغلا لإحدى وظائف القضاء الشرعى أو الافتاء أو التدريس فى المعاهد ، أو شاغلا لمنصب من المناصب الدينية السامية التى يكون التعيين فيها بأمر ملكى ..

رابعا : أن يكون معروفاً بالورع والتقوى وليس له ماض يشينه .

خامسا : أن تقرر هيئة كبار العلماء قبول ترشيحه باغلبية ستة عشر عضواً على الأقل .

سادسا : أن يكون قد ألف كتاباً قيماً فى مادة من المواد المقررة فى إحدى الكليات الثلاث .. وأقرته لجنة مشكلة من عشرة أعضاء على الأقل تنتدبها هيئة كبار العلماء لمناقشة المرشح فى مؤلفه .

**مادة ١٣** : **إلى أن يحين الوقت لتطبيق الشرط الثانى من المادة السابقة يجوز انتخاب أعضاء هيئة كبار العلماء من بين الحائزين لشهادة العالمية بشرط أن يكون قد مضى على المرشح خمس عشرة سنة من تاريخ نيله هذه الشهادة ، وأن يكون قد اشتغل بالتدريس فى القسم العالى مدة خمس سنوات على الأقل ، أو أن يكون شاغلا لوظيفة فى القضاء الشرعى أو الافتاء أو الوظائف العلمية بإدارة الجامع الأزهر والمعاهد الدينية ، بحيث يكون وصل مرتبه إلى تسعمائة جنيه سنوياً . وكذلك يجوز ترشيح العالم لعضوية هيئة كبار العلماء إذا نال منصباً من المناصب الدينية السامية بحيث يكون مضى عليه خمس عشرة سنة من تاريخ نيله شهادة العالمية .**

**مادة ١٤** : يضع مجلس الأزهر الأعلى لائحة داخلية لهيئة كبار العلماء ، ويوزع الكراسى على المواد المختلفة .

**مادة ١٥** : يعين كبار العلماء بأمر ملكى ..

**مادة ١٦** : أعضاء هيئة كبار العلماء الذين لهم امتياز مالى بصفتهم هذه عند صدور هذا القانون يبقى لهم حق التمتع بهذا الامتياز ..

**مادة ١٧** : تجتمع هيئة كبار العلماء بدعوة من شيخ الجامع الأزهر ، ويكون اجتماعها صحيحاً متى حضره أكثر من نصف الأعضاء ، وتصدر قراراتها بالأغلبيـــة المطلقـــة للأعضاء الموجودين فيما عدا الأحوال المنصوص عليها فى القانون ..

**مادة ١٨** : إذا وقع من أحد من العلماء أيا كانت وظيفته أو مهمته ما لا يناسب وصف العالمية ، بأن طعن فى الدين الإسلامى ، أو أنكر ما علم ضرورة من الدين ، أو سلك سلوكاً شائناً **يحكم عليه بناء على طلب شيخ الجامع الأزهر ، وبإجماع تسعة عشر عالماً معه من هيئة كبار العلماء بإخراجه من زمرة العلماء . ويكون حكم هذه الهيئة بالأغلبية المذكورة غير قابلة للطعن فيه .**

ويترتب على هذا الحكم :

محو اسم المحكوم عليه من سجلات الجامع الأزهر والمعاهد الدينية .

وطرده من كل وظيفة .

وقطع مرتباته فى أية جهة كانت .

وعدم أهليته للقيام بأية وظيفة عمومية : دينية كانت أم غير دينية ..

**مادة ١٩** : يجوز لمن صدر الحكم عليه بمقتضى المادة السابقة أن يطلب بعد مضى خمس سنوات من تاريخ هذا الحكم إعادة النظر فى أمره . ومتى أثبت أنه سلك سلوكاً يتفق وكرامة رجال الدين ، وعدل عما صدر الحكم لأجله . جاز اعادته لزمرة العلماء .

### لائحة هيئة كبار العلماء الداخلية فى المرسوم الصادر بالقانون رقم ٤٩ لسنة ١٩٣٠ م

لم تختلف قواعد ( هيئة كبار العلماء ) فى قانون سنة ١٩٣٠ م عنها فى مرسوم قانون سنة ١٩٢٨ م إلا فى تعديلات طفيفة حينما تولى الشيخ محمد الأحمدى الظواهرى مشيخة الجامع الأزهر فكان الاختلاف فقط فى اللائحة الداخلية لهذا القانون .

فقد قرر مجلس الأزهر الأعلى بجلسته بتاريخ ٨ من ذى الحجة سنة ١٣٤٦ هـ ٢٦ من إبريل سنة ١٩٣١ م اللائحة الداخلية الجديدة لهيئة كبار العلماء التى تنص على المواد الآتية :

مادة ١ ـ يدعو شيخ الجامع الأزهر هيئة كبار العلماء للاجتماع كلما رأى لزوماً لذلك ، ويجب دعوتها فى أواخر كل سنة دراسية لتقرير خطة الأعمال العلمية التى يقوم بها كل واحد من أعضائها فى السنة الدراسية التالية . وتوزيعها عليهم حسب اختصاصهم مع تحديد نوع العمل ومقداره .

مادة ٢ ـ لا يجوز للهيئة أثناء انعقادها أن تنظر فيما عدا ما يعرضه عليها الرئيس ، ولا يعتبر اجتماعاً صحيحاً إلا إذا حضره شيخ الجامع الأزهر . فإن منعه مانع عن الحضور قام مقامه فى رئاسة الجلسة شيخ السادة الحنفية .

مادة ٣ ـ إذا لم يحضر العضو إحدى جلسات الهيئة بغير عذر مقبول يعتبر مخلا بواجبات مركزه . ويثبت ذلك فى محضر الجلسة . ويبلغ إلى العضو فإذا بلغت مرات الغياب بدون عذر أربع مرات متواليات اعتبر العضو مستقيلا من مركزه ويصبح كرسيه خالياً .

مادة ٤ ـ الأعمال العلمية التى تقوم بها هيئة كبار العلماء يجب أن تكون فى حدود المواد المقررة للكليات الثلاث بالجامع الأزهر . وتكون على نوعين :

النوع الأول : تدريس يعنى فيه بتربية الملكات ومعرفة طرق استنباط الأحكام من أدلتها وبتحقيق المسائل العلمية .

النوع الثانى : عمل أبحاث علمية فى المواضيع الهامة من المواد المذكورة تنشر فى شكل رسائل .

مادة ٥ ـ تختار الهيئة الكتب والأوقات التى تلائم حال الأعضاء فيما يتعلق بالنوع الأول . ولها أن تعين موضوعات الأبحاث فيما يتعلق بالنوع الثانى .

مادة ٦ ـ لتوزيع الكراسى تقسم مواد الدراسة فى الكليات الثلاث إلى المجموعات الأربع الآتية :

( أ ) الفقه وأصول الفقه مع حكمة التشريع وتاريخ التشريع الإسلامى .

(ب) التفسير والحديث متناً ورجالا ومصطلحاً .

(جـ) التوحيد والمنطق والمناظرة والفلسفة ( مع الرد على ما يكون منافياً للدين منها ) والتوحيد والسيرة النبوية والأخلاق الدينية وعلم النفس .

( د ) علوم اللغة العربية .

ويجب أن تمثل كل مجموعة من هذه المجموعات فى هيئة كبار العلماء بحيث لا يقل عدد كراسى المجموعة الأولى عن ثمانية كراسى ( ثلاثة للحنفية ، واثنان للشافعية ، واثنان للمالكية وواحد للحنابلة ) ولا يجوز أن يزيد عدد كراسى أى مذهب من المذاهب الثلاثة الأولى عن كراسى مذهب آخر منها إلا مذهب الحنفية . فإن كراسيه تزيد كرسياً واحداً . كما لا يجوز للحنابلة إلا كرسى واحد فى هذه المجموعة ولا يقل عدد كراسى المجموعة الثانية عن اثنين . وكراسى كل من المجموعتين الثالثة والرابعة عن ثلاثة .

مادة ٧ ـ إذا لم يقم العضو بما تفرضه عليه الهيئة من الأعمال العلمية بغير عذر مقبول عرض أمره على الهيئة ، ويجوز لها أن تحرمه من راتبه عن المدة التى لم يقم فيها بما فرضته عليه .

مادة ٨ ـ يجوز لشيخ الجامع الأزهر أن يعطى عضو الهيئة فى مدة الدراسة من كل سنة إجازة اعتيادية لمدة لا تزيد عن شهر ، وأن يعطيه كذلك أجازة مرضية لمدة لا تزيد على شهرين . فإن زادت الأجازة على ذلك رفع الأمر إلى المجلس الأعلى .

مادة ٩ ـ إذا أصبح أحد أعضاء الهيئة غير قادر بصفة مستديمة على أداء عمله تقرر الهيئة إحالته إلى التقاعد .

مادة ١٠ ـ تختص هيئة كبار العلماء بالنظر فى جميع المسائل التى تتعلق بأعضائها ، أو بنظام العمل فيها مما لا يخالف نصوص قانون الجامع الأزهر والمعاهد الدينية أو نصوص هذه اللائحة .

مادة ١١ ـ يخصص لأعمال الهيئة أحد كتاب المشيخة ويكون لديه دفتر لقيد القرارات الخاصة بها .

مادة ١٢ ـ على وزير الأوقاف تنفيذ هذا المرسوم ابتـداء من تاريخ نشره فى الجريـدة الرسمية[٢] .

## هيئة كبار العلماء وتدريسهم بقسم التخصص والقسم العام للأزهر !!

كان هناك صلة قوية وعرى وثيقة لا تنفصم بين هيئة كبار العلماء وقسم التخصص بالكليات فقد انعقدت لجنة هيئة كبار العلماء التى أشرنا إليها سابقاً ـ بإدارة مشيخة الجامع الأزهر فى يوم الأربعاء ٩ من جمادى الأولى سنة ١٣٤٩ هـ أول أكتوبر سنة ١٩٣٠م برئاسة حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد الأحمدى الظواهرى شيخ الجامع الأزهر . وبحضور كل من أعضاء اللجنة :

١ ـ صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ/عبدالرحمن قراعة .

٢ ـ صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ/محمد حسنين العدوى .

٣ ـ صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ/دسوقى العربى[٣] .

٤ ـ صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ/عبدالمعطى الشرشيمى[٤]

٥ ـ صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ/محمد الحلبى .

ولم يحضر صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ محمد بخيت لسفره ..

---

(٢) صدر هذا المرسوم بسراى القبة فى ١٨ ذى الحجة سنة ١٣٤٩هـ ٦ مايو سنة ١٩٣١م وكان وزير الأوقاف فى ذلك الوقت « محمد حلمى عيسى باشا » ورئيس الوزراء اسماعيل صدقى باشا .

(٣) ولد الشيخ دسوق العربى بقرية « منشأة عبدالله » إحدى قرى مركز السنطة غربية وتعلم بالأزهر على كبار الشيخ وتخرج وكان من العلماء البارزين بالأزهر . وكان رئيساً للجان امتحان شهادة العالمية بالأزهر وله نوادر مع الطالب طه حسين وغيره من الذين لم يوفقوا فى الحصول على شهادة العالمية .

(٤) نسبة إلى « شرشيمه » إحدى قرى محافظة الشرقية وكانت تتبع إلى سنة ١٩٢٩ م مركز بلبيس ( راجع جدول وزارة الداخلية بأسماء البلاد المصرية ص ٣٤ ) .

وقد نظرت اللجنة مسائل شتى ضمن جدول أعمالها ومنها توزيع جدول الدروس على حضرات أصحاب الفضيلة أعضاء الهيئة سنة ١٣٤٩هـ ١٩٣٠م الدراسية وقررت :

## أولا : الفقه وأصول الفقه

وتقوم بتدريس هاتين المادتين :

للحنفية : حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ/محمد بخيت فى علم الفقه .

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ/أحمد الدلبشانى فى علم الفقه ..

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ/عبدالرحمن عليش فى علم أصول الفقه ..

للشافعية : حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ/محمد النجدى فى علم الفقه .

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ/عبدالمعطى الشرشيمى فى علم الفقه بقسم التخصص .

للمالكية : حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ/محمد حسنين العدوى فى علم « أصول الفقه » .

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ/دسوقى العربى فى علم أصول الفقه .

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ/أحمد نصر فى علم الفقه بقسم التخصص .

للحنابلة : حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ/محمد سبيع الذهبى فى علم الفقه .

## ثانيا : الحديث

ويقوم بتدريسه كل من :

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ/محمد الحلبى .

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ/محمد السمالوطى .

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ/عبدالرحمن قراعة .

## ثالثا : التفسير

ويقوم بتدريسه :

حضرة صاحب فضيلة الأستاذ الشيخ/محمد شاكر .

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ/يوسف أحمد نصر الدجوى .

## رابعا : علوم اللغة العربية

ويقوم بتدريسها :

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ/مصطفى الهياوى . فى علم النحو .

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ/سيد على المرصفى . فى عم أدب اللغة .

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ/حسين والى . فى علم البلاغة بقسم التخصص .

## خامسا : التاريخ والسيرة النبوية والأخلاق الدينية

ويدرسها :

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ/محمد أحمد الطوخى فى علم السيرة .

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ/محمود حمودة فى علم الأخلاق الدينية .

سادسا : التوحيد والمنطق
ويقوم بتدريسهما :

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ/ابراهيم بصيلة فى علم التوحيد .

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ/محمد الشافعى الظواهرى فى علمى التوحيد والمنطق بقسم التخصص .

وكانت اللجنة المذكورة قد نظرت مذكرة صادرة فى فبراير سنة ١٩٣٠ بأن يكون بينها وبين قسم التخصص بالأزهر اتصال عند انعقادها فى كل عام لتوزيع الدروس على حضرات أعضاء الهيئة للاتفاق على من يقوم منهم بالتدريس فى هذا القسم والعلوم التى يسند إليهم تدريسها فيه . وتنفيذاً لقرار لجنة الهيئة هذا كتب إلى حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ رئيس قسم التخصص فى هذا الصدد بتاريخ ٨ سبتمبر سنة ١٩٣٠م . فجاء رد فضيلته بتاريخ ١٣ سبتمبر سنة ١٩٣٠ أنه يرى الاحتفاظ بحضرات أصحاب الفضيلة الأساتذة : أحمد نصر/والشيخ عبدالمعطى الشرشيمى والشيخ/حسين والى والشيخ/دسوق العربى والشيخ محمد السمالوطى[٥] والشيخ محمد الشافعى الظواهرى[٦] .

وأما فضيلة الأستاذ الشيخ/محمود حمودة فيرى أنه يعفى من التدريس نظراً لنقل القسم إلى شبرا وبعد المسافة عليه .

وبعد المداولة فى ذلك وفيما بسطه كل من حضرتى صاحبى الفضيلة الشيخ دسوق العربى والشيخ محمد السمالوطى عضوى اللجنة من أنهما يعتذران عن التدريس بقسم التخصص لبعد مكانه ومشقة الانتقال إليه .

قررت اللجنة الموافقة على ما رأته رئاسة القسم من استمرار حضرات أصحاب الفضيلة أعضاء الهيئة المشار إليهم فى التدريس بقسم التخصص ما عدا حضرات أصحاب الفضيلة الأساتذة الشيخ دسوق العربى والشيخ محمد السمالوطى والشيخ محمود حمودة فقد قررت إعفاءهم من التدريس بهذا القسم إجابة لطلباتهم .

وقررت اللجنة أن يلتمس من حضرات أصحاب الفضيلة أعضاء الهيئة الذين تقررت دراستهم بقسم التخصص أن يقرأوا خمس حصص فى العلوم التى أسندت إليهم بهذا القسم فى كل أسبوع مراعاة لمصلحة الدراسة فيه .

كما نظرت اللجنة مذكرة تتضمن تقريرين قدمهما الشيخ إبراهيم بصيلة مراقب الدراسة للهيئة عن سير الدراسة لحضرات أصحاب الفضيلة أعضاء الهيئة فى سنة ١٣٤٨ هـ الماضية يفيد أنه وجد حضراتهم قائمين بتدريس العلوم والكتب المقررة عليهم على الوجه المرغوب فيه .

---

(٥) نسبة إلى « سمالوط » إحدى قرى محافظة المنيا قديماً والآن مركز مشهور من مراكزها ( راجع جدول وزارة الداخلية بأسماء محافظات ومديريات وبلاد مصر سنة ١٩٢٩ ) ( ط المطبعة الأميرية سنة ١٩٢٩ م ) ص ٢١٤ .

(٦) نسبة إلى قرية الظواهرية إحدى قرى مركز فاقوس شرقية ( جدول وزارة الداخلية ص٤١ عـ٢١ ) لكننا عثرنا فى مركز ههيا على كفر الشيخ الظواهرى ( عبارة عن تسع عزب ) كانت تابعة لناحية ( المجفف ومباشر ) راجع الجدول المذكور ص٣٥ نمرة ٥٤ والشيخ محمد الشافعى الظواهرى شقيق الشيخ محمد الأحمدى الظواهرى . والدهما الشيخ ابراهيم الظواهرى شيخ المعهد الأحمدى بطنطا وهو مدفون بزاويته بشارع السباعى بطنطا ( الباحث ) .

وقد طلب بهذه المذكرة النظر فى ذلك وفيمن ترى اللجنة ندبه للمرور على الدروس التى يلقيها حضرات أصحاب الفضيلة أعضاء هيئة كبار العلماء فى سنة ١٣٤٩ الدراسية وفقاً للمادة الخاصة من القواعد التى تسير عليها الهيئة .

فقررت اللجنة الموافقة على التقريرين المشار إليهما ، وأن ينـدب حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ إبراهيم بصيلة مراقباً لدراسة الهيئة فى سنة ١٣٤٩ الدراسية .

## مرتبات هيئة كبار العلماء فى ميزانية الأزهر سنة ١٩٢٠ م

لم نعثر فى الوثائق المعاصرة ـ فيما بين أيدينا ـ على المرتبات الأولى لأعضاء هيئة كبار العلماء وقت إنشائها فى ميزانية الأزهر فى ذلك الوقت . لكننا عثرنا فقط على كشف رقم ٣ ، رقم ٤ .

## تعيين هيئة كبار العلماء الجدد كان بأمر ملكى بناء على ترشيح أعضاء الهيئة القدامى

عندما كان يستقيل أحد أعضاء هيئة كبار العلماء ، أو يحال للمعاش ، أو يتوفى كان لابد من تعيين عالم جديد بدله ليكتمل باستمرار النصاب القانونى للهيئة وهو ( ثلاثون ) عضواً وكان يتم اختيار العضو الجديد بناء على ترشيح واختيار أغلبية هيئة كبار العلماء .

وقد عثرنا على بعض الوثائق الهامة التى تؤكد ، أن عضو الهيئة الجديد يرشح أولا من أعضاء الهيئة القدامى . ثم ترسل باسمه إلى القصر الملكى[٧] فيوافق على العضو الجديد ويصدر به أمر ملكى دون تدخل من القصر فى تعيين العضو الجديد .

( ١ ) ففى سنة ١٣٤٨ هـ ـ ١٩٣٠ م وبناء على ما قررته هيئة كبار العلماء فى ٢ من شعبان ٢٩ يناير عين فى هيئة كبار العلماء ثلاثة من العلماء هم :

١ ـ الشيخ/عبدالمجيد اللبان الشافعى المذهب وشيخ معهد الاسكندرية .

٢ ـ الشيخ/عبدالحكم عطا المالكى المذهب وشيخ معهد الزقازيق .

٣ ـ الشيخ/محمد الشافعى الظواهرى الشافعى المذهب ومن علماء الأزهر .

( ٢ ) فى سنة ١٣٥٠ هـ ـ ١٩٣١ م ـ ١٥ يونيه ـ فى ٢٨ محرم ـ عين الشيخ /محمد عبداللطيف الفحام شيخ المعهد الأزهرى بالقاهرة ووكيل الجامع الأزهر والمعاهد الدينية ضمن هيئة كبار العلماء بناء على ما عرضه وزير الأوقاف فى ذلك الوقت[٨] .

( ٣ ) وفى سنة ١٢٥٣ هـ ـ ١٩٣٤ م ـ ٢٨ صفر ١٠ يونيه ـ عين ضمن هيئة كبار العلماء ( بناء على ما عرضه وزير الأوقاف[٩] ثلاثة هم :

١ ـ الشيخ/محمد مأمون الشناوى شيخ كلية الشريعة .

٢ ـ الشيخ/إبراهيم حمروش شيخ كلية اللغة العربية .

---

(٧) صدر الأمر الملكى رقم ٥٤ هذا بسراى المنتزه بالاسكندرية فى ٨ ربيع الأول سنة ١٣٤٩ هـ ١٩٣٠ م فى عهد الملك فؤاد وكان رئيس الوزراء هو اسماعيل صدقى وكان شيخ الأزهر ورئيس مجلسه الأعلى هو الشيخ محمد الأحمدى الظواهرى وقد حصل كل من الثلاثة الجدد على كُسْوَة التشريف العلمية من الدرجة الأولى ..

(٨) صدر الأمر الملكى هذا برقم ٤٩ لسنة ١٩٣١ م بسراى القبة بالقاهرة فى عهد الملك فؤاد وكان وزير الأوقاف هو على جمال الدين .

٣ ـ الشيخ/محمود الديناري شيخ معهد طنطا .

هذا بعض ما عثرنا عليه من وثائق تؤيد ما ذهبنا إليه من أن القصر الملكي كان لا يتدخل في تعيين أعضاء هيئة كبار العلماء . إنما كان يوافق على ترشيح أعضاء الهيئة القدامى .

## شيخ الأزهر كان ينتخب من هيئة كبار العلماء

شيخ الجامع الأزهر هو الإمام الأكبر لجميع رجال الدين . والمشرف الأعلى على السيرة الشخصية الملائمة لشرف العلم والدين بالنسبة إلى أهل العلم وحملة القرآن الشريف سواء كانوا منتمين إلى الأزهر أو غير منتمين إليه ، وهو المنفذ الفعلي العام لجميع القوانين والمراسم والأوامر الملكية واللوائح والقرارات المختصة بالجامع الأزهر . والموظفون تابعون له بهذه الصفة وخاضعون لأوامره .

وهو الذي يعين مشايخ الأروقة والحارات ويفصلهم مع مراعاة شروط الواقفين ، وطبقاً لأحكام اللائحة الداخلية .

ويُختار شيخ الجامع الأزهر من بين هيئة كبار العلماء ، ثم يرسل باسمه إلى القصر فيصدر بتعيينه بأمر ملكي[١٠] .

ففي سنة ١٣٤٦ هـ ١٩٢٨ م ـ ٧ ذي الحجة ٢٧ من مايو ـ عين الشيخ محمد مصطفى المراغي من هيئة كبار العلماء ورئيس المحكمة العليا الشرعية شيخاً للجامع الأزهر[١١] .

## جماعة كبار العلماء

رأى بعض المسئولين في الأزهر تغيير اسم « هيئة كبار العلماء » إلى « جماعة كبار العلماء » ولم تختلف عن سابقتها إلا بالقدر الذي سمحت به الظروف ويرأسها شيخ الجامع الأزهر أيضاً ، وتتكون من ثلاثين عالماً ويكون لكل منهم كرسي للتدريس ولا تقل سن العضو عن ٤٥ سنة ، وأن يكون معروفاً بالزهد والورع والتقوى ، وليس له ماض يشينه وأن يكون حائزاً لشهادة العالمية من درجة أستاذ ، وأن يكون قد ألف كتاباً قيماً في مادة من المواد المقررة في إحدى الكليات ، وأقرته لجنة مشكلة من عشرة أعضاء على الأقل ... الخ[١٢] .

## مجمع البحوث الإسلامية

بقيت جماعة كبار العلماء تؤدي دورها في خدمة الإسلام والمسلمين .

متضلعة بمصالحهم إلى أن صدر قانون تطوير الأزهر عام ١٩٦١ م فحل مجمع البحوث الإسلامية محل ( هيئة كبار العلماء ) متضلعاً بواجباتها وصار للمجمع تكوين أوسع رقعة وأعمال أكثر شمولا .

---

(٩) صدر الأمر الملكي هذا رقم ٣٥ لسنة ١٩٣٤ م بسراي القبة بالقاهرة في عهد الملك فؤاد وكان وزير الأوقاف هو محمد نجيب الغرابلي .

(١٠) راجع المواد رقم ٦ ، ٧ ، ٨ من القانون رقم ٢٦ لسنة ١٩٣٦ م للمعاهد الدينية سنة ١٣٥٥ هـ ١٩٣٦ م ص ٤ .

(١١) صدر الأمر الملكي رقم ٢٧ لسنة ١٩٢٨ بسراي عابدين في عهد الملك فؤاد وكان رئيس الوزراء هو مصطفى النحاس .

(١٢) راجع المواد ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ لقانون ٢٦ لسنة ١٩٣٦ م السابق ذكره .

| عدد | الاســم | المنصب | المرتب الحالى |  |  |  | المرتب الجديد |  | مقدار العلاوة |  | ملاحظــات |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
|  |  |  | الأصل |  | بزيادة ٪ |  |  |  |  |  |  |
|  |  |  | مليم | جنيه | مليم | جنيه | مليم | جنيه | مليم | جنيه |  |
| ١ | فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد أبو الفضل الجيزاوى | شيخ المالكية |  | ٢٠ |  | ٢٤ |  | ٣٠ |  | ٦ |  |
| ٢ | فضيلة الأستاذ الشيخ محمد راشد | مالكى |  | ٢٠ |  | ٢٤ |  | ٣٠ |  | ٦ |  |
| ٣ | فضيلة الأستاذ الشيخ دسوقى العربى | مالكى |  | ٢٠ |  | ٢٤ |  | ٣٠ |  | ٦ |  |
| ٤ | فضيلة الأستاذ الشيخ محمد حسين العدوى | مالكى |  | ٢٠ |  | ٢٤ |  | ٣٠ |  | ٦ |  |
| ٥ | فضيلة الأستاذ الشيخ محمد ابراهيم السمالوطى | مالكى |  | ١٣ | ٦٠٠ | ١٥ |  | ٣٠ | ٤٠٠ | ١٤ | اعتبارا من ٦ أغسطس سنة ١٩٣٠ م |
| ٦ | فضيلة الأستاذ الشيخ يوسف نصر الدجوى | مالكى |  | ١٣ | ٦٠٠ | ١٥ |  | ٣٠ | ٤٠٠ | ١٤ | اعتبارا من ٦ أغسطس سنة ١٩٣٠ م |
| ٧ | فضيلة الأستاذ الشيخ محمد النجدى | شيخ الشافعية |  | ٢٠ |  | ٢٤ |  | ٣٠ |  | ٦ |  |
| ٨ | فضيلة الأستاذ الشيخ محمد الرفاعى الحلاوى | شافعى |  | ٢٠ |  | ٢٤ |  | ٣٠ |  | ٦ |  |
| ٩ | فضيلة الأستاذ الشيخ عبدالحميد زايد | شافعى |  | ٢٠ |  | ٢٤ |  | ٣٠ |  | ٦ |  |
| ١٠ | فضيلة الأستاذ الشيخ عبدالمعطى الشرشيمى | شافعى |  | ٢٠ |  | ٢٤ |  | ٣٠ |  | ٦ |  |
| ١١ | فضيلة الأستاذ الشيخ يونس موسى العطافى | شافعى |  | ٢٠ |  | ٢٤ |  | ٣٠ |  | ٦ |  |
| ١٢ | فضيلة الأستاذ الشيخ محمد قنديل الهلالى | شافعى |  | ٢٠ |  | ٢٤ |  | ٣٠ |  | ٦ |  |
| ١٣ | فضيلة الأستاذ الشيخ مصطفى المهاوى | شافعى |  | ١١ | ٢٠٠ | ١٣ |  | ٣٠ | ٨٠٠ | ١٦ | اعتباراً من ٦ أغسطس سنة ١٩٣٠ م |
| ١٤ | فضيلة الأستاذ الشيخ يوسف شلبى الشبرنجومى | شافعى | ٧٥٠ | ١١ |  | ١٣ |  | ٣٠ | ٩٠٠ | ١٥ | اعتبـــاراً من ٦ أغسطس ١٩٣٠ م |
| ١٥ | فضيلة الأستاذ الشيخ حسونة النووى | حنفى |  | ٢٠ |  | ٢٤ |  | ٣٠ |  | ٦ |  |
| ١٦ | فضيلة الأستاذ الشيخ محمد شاكر | حنفى |  | ٢٠ |  | ٢٤ |  | ٣٠ |  | ٦ |  |
| ١٧ | فضيلة الأستاذ الشيخ محمود الجزيرى | حنفى |  | ٢٠ |  | ٢٤ |  | ٣٠ |  | ٦ |  |
| ١٨ | فضيلة الأستاذ الشيخ محمد | حنفى |  | ٢٠ |  | ٢٤ |  | ٣٠ |  | ٦ |  |
| ١٩ | فضيلة الأستاذ الشيخ ابراهيم الحديدى | حنفى |  | ٢٠ |  | ٢٤ |  | ٣٠ |  | ٦ |  |
| ٢٠ | فضيلة الأستاذ الشيخ محمد بخيت | حنفى |  | ٢٠ |  | ٢٤ |  | ٣٠ |  | ٦ | اعتبارا من ٢ يوليو ١٩٣٠ م |
| ٢١ | فضيلة الأستاذ الشيخ إبراهيم بصيلة | ملكى |  | ١٣ | ٦٠٠ | ١٥ |  | ٣٠ | ٤٠٠ | ١٤ | اعتباراً من ٦ أغسطس سنة ١٩٣٠ م |
| ٢٢ | فضيلة الأستاذ الشيخ أحمد الدلبشانى | حنفى | ٢٥٠ | ١٢ | ٧٠٠ | ١٤ |  | ٣٠ | ٣٠٠ | ١٥ | اعتباراً من ٢٣ سبتمبر سنة ١٩٣٠ م |
| ٢٣ | فضيلة الأستاذ الشيخ محمود حموده | حنفى |  | ١١ | ٢٠٠ | ١٣ |  | ٣٠ | ٨٠٠ | ١٦ | اعتباراً من ٢٣ سبتمبر سنة ١٩٣٠ م |
| ٢٤ | فضيلة الأستاذ الشيخ محمد سبيع الذهبى | شيخ الحنابلة |  | ٨ | ٦٠٠ |  |  | ٣٠ | ٤٠٠ | ٢٠ | اعتباراً من ٢٣ سبتمبر سنة ١٩٣٠ م |
| ٢٥ | فضيلة الأستاذ الشيخ محمد بخاتى | حنفى |  |  |  |  |  | ٣٠ |  |  | اعتباراً من أول أكتوبر سنة ١٩٣٠ م قرار المجلس فى ٢٠ أكتوبر سنة ١٩٣٠ م |




يجيب عليها علماء لجنة الفتوى بالأزهر

إعداد الأستاذ / عبد المنعم فوده

السؤال من السيدة / ز . م . ع من المعادى :

شاب يريد الزواج من بنت خالته وهو لم يرضع من أمها وكذلك الفتاة لم ترضع من أمه ولم يجتمعا على ثدى واحد ولكن شقيقة الشاب رضعت من جدتها لأمها مع أم الفتاة .

فما الحكم ؟

الجـواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد فنفيد بأنه مادام الشاب لم يرضع من أم الفتاة وكذلك الفتاة لم ترضع من أم الشاب ولم يجتمعا على ثدى واحد فيجوز لهما الزواج ولا عبرة بكون شقيقة الشاب رضعت من جدتها مع أم الفتاة فالحرمة تقع على من رضع فقط .

السؤال من السيد / س . ى . م من حلوان :

رجل تزوج من فتاة ولم يدخل بها ثم طلقها قبل الدخول والخلوة بها . ثم توفى بعد طلاقها بعشرين يوما .

فمن يرث وما نصيبه ؟

الجـواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد فنفيد أن للزوجة المطلقة قبل الدخول والخلوة نصف المهر جميعه مُقَدَّمُهُ ومُؤَخَّرُهُ وتستحق نفقة زوجية من تاريخ العقد حتى تاريخ الطلاق . فإذا صح ما يدعيه المستفتى من أن الزوج لم يدخل بها ولم يختل بها فلا ميراث لها من الناحية الشرعية . أما إذا ثبت أنه دخل بها فلها المهر جميعه مقدمه ومؤخره وتستحق ربع تركته إن لم يكن له ولد ، هذا إذا كان الحال كما ذكر فى السؤال .

السؤال من السيدة / ف . م . م من الكويت :

اشتريت قطعة أرض مساحتها ٢٧٦ مترا من نقابة المهندسين بالزقازيق شرقية حيث كنت أعمل موجهة بالتربية والتعليم بالشرقية وكان ذلك فى عام ١٩٨١ م وتسلمت عقد التمليك .

وفى عام ١٩٨٤ م أجبرنى زوجى على بيع هذه الأرض لأولادى جميعاً بالتساوى للذكر مثل الأنثى وهـم : أمين ، ورفيق ، وممدوح ، وسلوى ، وسامية ، وسعاد ، وسهام . وسجل هذا البيع رسمياً أمام المحكمة .

ثم سافرت سلوى وأختها التى تليها إلى الخارج وأكرمهما الله من فضله وقامتا بوضع

الأساس على هذه القطعة بموافقة الأخوة جميعا .
ثم قامت سلوى مرة أخرى ببناء دور فوق الأرض على شقتين من مالها الخاص . ثم قامت أختها التى تعمل بالخارج ببناء دور آخر فوقه من مالها الخاص على شقتين أيضا . ثم قام أحد الذكور وأخت واحدة معه ببناء دور آخر فوق المبانى المذكورة من مالهما الخاص لكل واحد منهما شقة . ثم قامت سلوى مرة أخرى ببناء دور خامس من شقتين وهو الأخير بالنسبة لتعليمات الإسكان وطبقا لقانون الإسكان الذى يمنع منعا باتا تعلية المبانى عن خمسة أدوار وبهذا تبقى من الأولاد اثنان من الذكور وهما : ممدوح وأمين ، والاناث واحدة هى سهام لم يتمكنوا من البناء لعدم إمكاناتهم المادية .

والسؤال هل من حقى شرعا الرجوع فيما كتبته لأولادى بعد أن عرفت أننى سويت بين الذكر والأنثى ، وهذا مخالف للشريعة الإسلامية وحتى يمكننى التقسيم حسب الفريضة الشرعية .. وما الحكم ؟

الجـواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . أما بعد ..

فنفيد بأن للمسلم أن يتصرف فى ماله كيف يشاء حال حياته مادام صحيح العقل والبدن ومافَعَلْتِهِ أيتها السائلة جائز شرعا . حيث إنك كتَبْتِ هذه القطعة لأولادك جميعا وسجلت رسميا لايجوز لك الرجوع فى هذا البيع ، أما فيما يتعلق بالبناء من أحد أولادك البنات وأحد الذكور فلا شىء فيه كل ما فى الأمر يرجع إلى الأولاد بالتراضى فيما بينهم وليس عليك وزر فيما فعلتِهِ والله تعالى أعلم .

السؤال من السيد / أ . ح من السعودية :

أنا رجل أقوم بتجارة السيارات فأقوم بشراء السيارة مثلا بـ ١٢٠ ألف ريال ، ثم يحضر لى مُشْتَرٍ يشتريها مثلا بمبلغ ( ١٤٠ ) ألف ريال يعطينى مقدم مثلا ٤٠ ألف ريال ، والباق يقول إلى : اصبر علىّ شهرين مثلا .

فما حكم هذه المعاملة . هل هناك ربا وما الحكم ؟

الجـواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد فنفيد بأن هذه المعاملة لامانع منها شرعا لأنه ليس فيها ربا .

والله تعالى أعلم .

السؤال من السيد / ع . م . ع المطرية :

تزوجت من سيدة فاضلة أرملة ودخلت بها وعاشرتها معاشرة الأزواج وفجأة وجدتها تطلب منى الطلاق بدون مبرر وأنا أحبها جداً وتركت عملى الوظيفى من أجلها ولكنها أصرت على الطلاق وعندما عرفت أنها مصرة على ذلك رفضت الطلاق ولم أطلقها حتى تعطينى خمسة آلاف جنيه وفعلا دفعت لى خمسة آلاف جنيه وطلقتها على ذلك فهل هذا المبلغ يعتبر حلال شرعا وما الحكم ؟

الجـواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد فنفيد بأن المال الذى أخذته من مطلقتك نظير طلاقك لها يعتبر حلالا شرعا ولا شبهة فيه .

والله تعالى أعلم .



# تهنئة

للأستاذ الدكتور/ عبد العزيز غنيم عبد القادر

خليل ما هذا البناء الممرد ... أصرحا أرى أم ذلك فى الأفق فرقد

وأى فتى أرساه إنى لحائر ... وهل للملوك الجن فى صنعه يد

قوائمه فوق الثريا ثوابت ... وذروته فى الفلك أعلى وأبعد

إلى الأزهر المعمور يعزى نوره ... إلى شرعة الإسلام يهدى ويرشد

يضوع شذى المختار منه وحوله ... من الملأ الأعلى ملائك هجد

على بابه الفاروق فى الدرع رابض ... ومن خلفه زيد وسعد ومرثد

وخالد سيف الله ، والليث حمزة ... عليهم أبو بكر أمير مسود

وهذا بلال قائم فوق سوره ... يؤذن ، والروح الأمين يردد

وفى الساح أصحاب الحديث عليهم ... ثياب من الديباج خضر ، وعسجد

أراهم جلوساً والبخارى بينهم ... يناقش أحوال الرواة وينقد

ومسلم يحذو حذوه عن يمينه ... وقدوة أصحاب المسانيد أحمد

وللسيرة الغراء فى الصرح فتية ... رووها كما كانت وفيها تفردوا

إبان ووهب وابن اسحاق منهم ... أولئك قوم للمعالى توسدوا

وفى الروح طير باهر الحسن صادح ... يقول : اسجدوا لله يا قوم واعبدوا

وصلوا على المبعوث للناس رحمة ... نبى الهدى نعم النبى محمد

فنحن بنات الأيك نعرف فضله ... ونطرى أياديه ونحن نغرد

فيا جاد : جاد الحق قد فزت والذى ... إلى دينه تدعو وفيه تجاهد

ألم تبن هذا الصرح لله حسبة ... بعزم كنصل السيف والله يشهد

ألم تبنه حصنا لسيرة أحمد ... وسنته ، حياك يا جاد أحمد

فيا نعم ما أسدت يداك لقد سما ... على ما بنى الأسلاف طرا وشيدوا

ومن يرع آثار النبى يكن له ... إلى جنبه فى جنة الخلد مقعد

فحييت يا شيخ الشيوخ وخلدت ... فعالك ، والفعل الجميل يخلد

ولازال قلب المصطفى عنك راضيا ... ولازال شعرى فى هواك يردد



# الجميلات والجمال

م.د/ أبو ياسر الوزير (*)

جميلاتُ البِناءِ شرعْنَ باباً ... بقصرٍ مثلَ طولِ العمر عالي
وأمشاطُ الحوارِ ترى وتعلو ... فتمتزجُ البراعةُ بالتعالي
تخيَّلْ أنتَ أجملَ من حِسانٍ ... تُفنِّدْنَ الأدلةَ بالدلالِ
فوالدةُ السؤالِ تُطيلُ جدًّا ... فيشكو الصابرون من الملالِ
ولكنَّ الجمالَ أجلُّ صبرًا ... وألحقُ للإجابةِ بالجلالِ
فما ضاقَ الشذىَ النبوى صدرًا ... ولا وقتُ الكريمِ بالاحتفالِ
لئن كان الأجلُّ بلا جدالٍ ... فقد بَقِىَ الأجلُّ على الجدالِ
وكان أبرَّ بستانٍ بورْدٍ ... وأبقى للنجومِ من الهلالِ
صَحابيَّاتُ خيرٍ ولىِّ أمرٍ ... وشَيْنَ بما لديه من الكمالِ
يَمُدُّ من اضطررن إليه طوْعاً ... بأيدٍ للتناولِ والنوالِ
فكنَّ إذا وردْنَ به مثالا ... يقومُ به أقمن على المثالِ
فيسمعُ ما تَهُمَّ به الجوارى ... ويسمعُ ما يهِم به الموالى
فبعضُ الحاضراتِ بلا علوٍّ ... كمثلِ الغائباتِ عن السؤالِ

• • •

سلوا . كم ألف إصغاء لأنثى ... وكم صبرٍ عليه وكم جمالِ
وكم من برْقِ فارسةٍ أتته ... تعالجُ عبقريةَ الانفعالِ

---

(*) أستاذ الأدب العربى ( السابق ) بمعهد اللغات الشرقية بإيطاليا ، وجامعة الفاتح فى طرابلس بليبيا .

تطـــوفُ على جمال الصبر حينـــاً فتعـــرف منـــه فى صبر القتـــال
وجـــوه ينظـــمُ الشعـــراء فيها وحتـــى الآن أسماط اللآلـــى
فهـــلْ تتصوَّرُ امـــرأةٌ كسيـــف وسيفـــاً دونها فى الاعتـــدال !
أكـــنَّ يردن أن يصبحـــن جنـــداً لتعديـــة الجمـــال إلى الكمـــال
فلـــيس كمثلهـــنَّ دليـــلُ قومٍ ولا كجهادهـــــن لسانُ حال
ولا كمضيهـــنّ قـــدومُ جيـــشٍ ولا كعلوِّهـــنّ نفـــوذ عال
ولـــو كانت تُحسُّ هنـــاك أنثـــى بظلـــــــم ما لضنَّتْ بالسؤال
وهـــل تتقـــدمُ امـــرأةٌ بنهرٍ وفى بيدائهـــا إبريـــقُ آل !
لكـــل أمومـــة نورٌ صبـــورٌ وآخـــرُ مستعـــدٌ للقتـــال
يحسُّ علوَّهـــا جُهـــد المُربـــىّ ويُـحسن فهمَهـــا ذوقُ المُـــوالى
فواكـــهُ أمـــةِ البستـــان شتـــى وأغلى الماسِ يُـــذل للغـــوالى

● ● ●

لماذا جئتِ ؟ هل تُرَيـــــنَّ بأساً بما انصرفتْ له هممُ الرجـــــال
وهـل تخشيْـــن فى القنطـــارِ شكـــلاً كشكليَّـــــاتِ عالم الانحلال
ومـاذا بعـــدَ تأنـيث الأمـــانى وبعـــد وصولكـــنَّ إلى السؤال
أعـــدْن سؤالكـــنَّ تُرينـــا ما يَهُـــلُ لأجـل تَحليـــة الكمـــال
كأنْ لم يحتجبـــــن لدى خضابٍ ولم يَغرُبـــن فى أفـــق الجمـــال
أم البُرهـــانُ فيمـــا اخترن طوعـــاً أشدُّ على الرجـــال من القتـــال
كذاك القـــادراتُ يرون أمـــرا ويُوصِيـــن المُحَـــال بالامتـــال
فربَّ حمولـــةٍ وخُطـــاً ثقـــالٍ أولاتُ الحمْـــلِ فيها كالجمـــال
وكم من رحلـــة وخُطـــوط سيْـــرٍ سوى خطٍّ يُخصّصُ للرجـــال
أم اختـصَّ الرجـــالَ بأن يصومـــوا وضـــنَّ على أولاء بالاحتمـــال
بمن أوصى ومَـــــنْ أوصى بألا يساء إليـــه فى نيـــات قالى
وألا يستـــــردَّ البحـــرُ فاه بما أغـــلاه للـــدررِ الغـــوالى
فهـــذا ـ إن جَرَتْ ريـــحٌ سمومٌ جهـــازُ مناعـــةٍ لاوقـــف حال

● ● ●

ولـــــيس أدلَّ فى نيـــات قومٍ على الإحسان من عمـــل السؤال
بتلقائيـــــة يُحْسِنَّ صُنعـــا فهـل يُحْسِـــنَّ صنعـا فى التعـــالى
أكان يليـــقُ أن يجففـــنْ دوْحـــاً وتحتـــطبَ الحـــروبُ للاشتعـــال
ويـــــقصُ من ثمار الفصـــل عام ويستـــــعلى الجواز على المحال
ومسئوليـــة الغايـــات ليست تفـــرّق بين تالِيَـــةٍ وتـــالى

ولم يُستَشن مسئولٌ جميلٌ — ولا متجملـون على الجمال
فوارسُ من سماء أبي هلال — سمَوْن على التوالد والتوالي
وحُزنُ الأنبياء يَغُسُ دوما — فتنفرجُ استجاباتُ الكمال
وصام الشعر حين أُثيب عيدا — لحاجة الانفعال إلى الفعال
لأجل عمارة الدنيا جميعا — تُشغِّلُ كلُ بادية وآل
لهذا سالت النياتُ طيباً — على أعمال أحمد بالنوال
فلم يك يستردُ يديه مما — تردُّ به اليمينُ على الشمال
فأبدع الاجتهادُ بغير أجر — وغير تكلف وظهور حال
وقالوا : كان . كان أشفَّ قلبٍ — بإسراء وأبرقَ للأعالي
لأن محمداً يَردُ الأعالي — وواقعها الأتمَّ من الكمال

●●●

هل الإسعافُ يحتمل التمني — وإمهالَ الطبيبة للسؤال
مَهامُّ النور تشخيص الأماني — وحكمة الارتجال والاشتغال
فمن لم يُغطِ هذا الآن سيفاً — يَضِنَّ غداً بهيئة الاحتمال
فلا مدَّ السلامُ يداً إذا ما — أصاب يدَ القلاع بالابتذال
عجبتُ لقريةٍ لا شمسَ فيها — وهم يستكثرون من الليالي
فخبزُ الله للجناتِ حصنٌ — لحُرِّيَّاتهن من الزوال
ومن يقم الطعام به كفيلا — يُنبأ بالحرام وبالحلال
فإن بلغ السماءَ بناءُ أم — فأحرفه القصَارُ من الطوال
أعان الله أنداءَ اليتامى — إذا شرق الأرامل بالسؤال
وكان الله في حرس الأيامى — إذا سقط المتاعُ من الرحال
أمينُ الدارِ أشجعُ من يحامي — عن الضعفاء فيها والموالي
وملء الدار بستان وأمن — وحول الدارِ ينضحُ بالنبال
ولم يتخلَّ عن صلةٍ وصبرٍ — فهل يسعى الوصول للانفصال
فهل أر مثلهن على جمال — ولا كمحمد بين الرجال
يُمرُّ الصبرُ يوميًّا علينا — فلم نعثر لديه على مثال
وما سيكونُ أو ما كان فعلا — وحتى الآن والميزانُ خالي
فإن المغرِض العمليَّ يُحصي — ويُقصي والياً من بعد والي

●●●



# مذبحة لمآذن

للشاعر/ رشاد محمد يوسف

تشكو إلى الله ما تلقى وتبتدرُ     وقد أحاطت بها الأحداث والنذر

تشكو إلى الله بلواها وشقوتها     وحولها جمرات النار تنتثر

مآذن فى «سراييفو» أحيط بها     وداهمتها خطوب كلُّها شرر

قد أخرصوا صوتها فارتد داخلها     يرد أصداءه المحراب والحجر

ستون ألفا أبيدوا فى مساجدهم     تساقطوا ورصاص الغدر ينهمر

قاموا إلى الله والتكبير يجمعهم     ما أكملوا صلوات الله أو ذكروا

توضأوا بدماء القلب واغتسلوا     بنسمة من ظلال الخلد تنتثر

وأسلموا الروح للرحمن تسبقهم     تكبيرة بجوى الأنفاس تنفطر

وذنبهم أنهم لله وجهتهم     وهم على فطرة التوحيد قد فُطِروا

وأمهات ثكالى عشن فى وَلَهٍ     والعين دامية والقلب منكسر

أطفالهم ذُبِّحوا غَدراً بلا سبب     مثل الذبيحة يوم النحر قد نُحِرُوا

ماتوا عراة يغطى الحزنُ أعظمَهم     تحنو عليهم شقوق الأرض والحفر

جَزُّوا الرؤوس وراحوا يعبثون بها     والله يسخر منهم مثلما سخروا

يامن لقوم على ويلاتهم صبروا     تناوبتهم ليالٍ نجمها عكر

هبت عليهم رياح الكفر لافحة     وضجت الأرض والأنسام والشجر

تناثروا فى فجاج الأرض.. يحصدهم     رصاص باغ بروح الشر يأتمر

* * *

تعصب تخجل الدنيا وقائعهُ     وجذوة فى حشا الإسلام تستعر

وقصة يدرك الأحرار غايتها     يعيدها اليوم من خانوا ومن غدروا

أحداث أندلس والقدس ماثلة     وما تنبه أقوام وما اعتبروا

يامسمع الكون هل تصغى لصيحتنا ؟     ويا ضمير الليالى كيف تعتذر ؟



إبـــادة المسلـــمين اليـــوم غايتهم قد اعلنوهــا فمــاذا بعــد ننتظــر ؟
قد أعلنوهــا فمــا جدوى مهادنـــة أنبتغــى رحمة عنــد الأولى كفــروا ؟
قد أعلنوهــا فمــا للقــوم فى وهــن ألا تحركنــا الأحــداث والـــغير ؟
الصمت موتٌ وويـــل القانـــعين به يوم القيامــة تطــوى صمتهم سقــر

***

كأننـــا دون خلـــق الله سائمـــة أليس من حقنــا مايصنــع البشر ؟
أَذَنْبُنَــا أننـــا نحمـــى عقيدتنـــا وأننـــا بسيـــاج الحق .. نَدَّثــر ؟
ولا تفــرق بين الـــرسل شرعتنـــا أديننـــا السمــح يرمـــى ثم يحتقــر ؟
تعصب وعـــــداء لا مثيـــــل له والعدل فى حكمهــم كالجور ينحــدر
ومجلس الامــن ــ ياللأمــن ــ مهزلــة تقـــاسم الصمت لا حس ولا خبر
وهيئــة الأمم المعـــروف موثقهـــا أعضاؤها فى هدوء البال قد وقــروا
وحسبهم بـــث إنـــذار وتوصيـــة يُدَبِّـــجُ القـــولَ فيها باسمٌ حذر

***

أقـــولها صيحــــة كبرى أدق بها باب الجهــاد ليـــوم أمـــره عسر
أيخنــق الفجــر والأكــوان ضارعـــة أيطفـأ النـــور والأمجاد تندثــر ؟
أيتــرك الحق يعشـــو كل طاغيـــة بأرضه ويسوس الآثم الأشـــــر
أيـن الألى أركبــوا التـــاريخ خلفهــم أيـن الأشاوس أيــن القــادة الـغير ؟
يا مسلمـــون ومــا للأمــر قائمـــة إلا بأرض بها الإسلام ينـــــتصر
يا مسلمون كفـــى نومـــاً وتفرقـــةً وحولنـــا النـــار لا تبقـــى ولا تذر
من كل حدبٍ شيـــاطين وأسلحـــة من كل ناحيـــة يجتاحنـــا الخطـــر
كأنما حادثـــات الدهـــر قد فرغت للمسلـــمين بما يُدْمـــي ويعـــتصر
كأنما القـــوم فى وجـــدانهم عَطَبٌ لا يعقلـــون وفى أبصارهـــم قصر
فلا تنبـــه من إغفائـــة قلـــم ولا تململ فى قيثـــارة وتــر
أقـــولها يا بنـــى الإسلام تبصرة فلـــيس غيركم للأمـــر يدخـــر
إن تسكتـــوا عن سرايفـــو وجــارتها أصاب أمتنـــا الخذلان والخـــور
طوبى لمن بايعـــوا الــرحمن وانطلقـــوا طوبى لمن أنفقـــوا فى الله أو نفـــروا
طوبى لمن جاهدوا فى الله أو حفظـــوا محارم الله أو ثاروا أو انـــتصروا

***




شعر السيد الصديق حافظ

«دِيدَاتُ» يا صَوْتَ الحقيقةِ فى زَمَانِ التُرَّهَاتْ
يا من تُبَارِكُهُ السَّمَاءُ وتَصْطَفِيهِ المَكْرُمَاتْ
«الرُّوسُ» قد رَحَلُوا[1] إلى تلكَ الزوايا المظلِمَاتْ
وغدا سَتَرْحَلُ قوةٌ كُبْرَى إلى أرضٍ مَوَاتْ
والمسلمون كما تَراهُمْ فِى سُبَاتٍ أوْ شَتَاتْ
أتظنُّهم أهلاً لِمِيرَاثِ النُّبُوَّةِ و(الحَيَاةْ)؟
وَهَلِ الصَلاةُ اليَوْمَ تَدْعُوهُمْ إلى قَطْعِ الصِّلاتْ ؟
مَنْ ذَا سَينفُخُ فى رَمَادٍ أو سَيَبْعَثُ مِنْ رُفَاتْ
إلا الذى وَهَبَ الحَيَاةَ وفى يديهِ المُعجزَاتْ ؟
يَا فارسَ الإسْلامِ يَدْفَعُ عن حِمَاهُ العَادِيَاتْ
بالرأى والفكرِ المنيرِ وبالعِظَاتِ المُلْهِمَاتْ
مَا كَانَ مِنْ شُرَكَاءَ لِلّهِ المُهَيْمِنِ أوْ لِدَاتْ
اللّهُ لَيْسَ كمِثْلِهِ شىءٌ ولَمْ تُدركْهُ ذَاتْ
بِيَدَيْهِ - جَلَّ جَلالُهُ - مَحْيَا الخليقَةِ والْمَمَاتْ
لَا تَرْجُ مِنْ شَرِّ البَرِيَّةِ غيْرَ مَخْفُورِ الصِّفَاتْ
كَذَبُوا على «مُوسَى» وَ«عيسَى» والنَّبِيِّنَ الثِّقَاتْ
وَلَقَدْ رَمَوْا «لُوطاً» و«مَرْيَمَ» والبَنَاتِ الطَّاهِرَاتْ
المُحْصَنَاتِ الغَافِلَاتِ المُؤْمِنَاتِ القَانِتَاتْ
دَعْهُمْ لأقْدارٍ مُقَدَّرَةٍ فَلَيْسَ لَهُمْ فَوَاتْ
الحِقْدُ يَنْمُو فِى قُلُوبِهِمُ كَوَحْشِيِّ النَّبَاتْ
فِى «البُسْنَةِ» اقْتَرَفَتْ كِلَابُ «الصِّرْبِ» شَرَّ المُخْزِيَاتْ
وبَنَاتُ آوى حَوْلَهَا تُبْدِى العَدَاوَةَ والشَّمَاتْ
والآخَرُونَ بمَجْلِسِ الأمْنِ اسْتَرَاحُوا للسُّبَاتْ

(١) السبعة الأبيات الأولى من هذه القصيدة ترجمت إلى الشيخ / أحمد ديدات فى اليوم التالى لمحاضرته القيمة فى مركز الملك فيصل .




## على الصديق المرحوم المستشار السيد عبد العزيز هندي

للأستاذ/ محمد مصطفى الغمري

بَكَتْ العَدالَةُ قاضِيَ العُلَمَاءِ    سَحَّتْ عَلَيْهِ مَدامِعِ الفُضَلَاءِ
وَلَو استطَاعَتْ جَسَّمَتْ أفضَالَهُ    فِي كل نَاحِيَةٍ بِكُلِّ وَفَاءِ
أعطَى المكَارِمَ دُونَ مَنٍّ أو أذَى    وَبَنَى عُلاهُ عَلَى هُدىً ونَقَاءِ
وتَدَفَّقَ الدُّرُّ الثَّمِينُ من الحِجَا    فى كُلِّ بَحْثٍ بَاهِرَ الأَضْوَاءِ
وَسَعَى إلى الإِصلَاحِ فِي مَيْدَانِهِ    سَعْيَ النُّبُوغِ بِحِكْمَةٍ وَذَكَاءِ
وَبَنَى وتَوَّجَ بالإِبَاءِ بِنَاءَهُ    قَد كَادَ يُرْسِيهِ عَلَى الجَوْزَاءِ
وَلَو استطَاعَ لصَاغَ من فَلَقِ الضُّحَى    أنْوَارَهُ لِلعَدْلِ والإِحْيَاءِ
الخَيرُ لَا يُنسَى وَإن مَاتَ الَّذِى    أسْدَاهُ حَتَّى فى لَظَى الصَّحْرَاءِ
يَا أيُّهَا القَاضِى النَّزِيهُ تَفَتَّحَتْ    بِيَدَيكَ أبوابٌ إلَى العَلْيَاءِ
أغلَيْتَ مَا أغلَيتَ فى صَمْتٍ وَلَمْ    تَبْخَلْ ولم تَقْبَلْ هَوَى الإِغْوَاءِ
رَأتْ الشَّرِيعَةُ مِنكَ رَاعِيَ حَقِّهَا    فِي كُلِّ نَادٍ حُفَّ بالأَرْزَاءِ
مَا سَيْطَرَتْ دُنْيَا عَلَيكَ بزُخْرُفٍ    يَغْزُو النُّفُوسَ بِخَادِعَاتِ الدَّاءِ
تَمْشِي الهُوَيْنَى حِكمَةً وَحِمَايَةً    مِن كُلِّ مَعْسُولٍ مِن الأَهْوَاءِ
وَتَعَافُ مَا تَعْنُو الرُّءوسُ لِزَيْفِهِ    وَيَعِفُّ عَدْلُكَ عَنْ سَرَابِ ثَنَاءِ
لَا تَرْتَضِي إلَّا الفَضِيلَةَ حِلْيَةً    وَتَعِيشُ عَيْشَ السَّادَةِ الأُمَنَاءِ
الحُكْمُ عَدْلٌ لَا تَلِينُ لِظَالِمٍ    مَهْمَا احْتَفَى بِوَسَاوِسِ الإِغْرَاءِ

تضـعُ الكرامةَ حيثُ يطمحُ قدرهـا ... وتصونُهـا مِنْ نزغـةِ الخطـاء[1]
مَنْ يستحِقُّ وظيفـةً عُليـا فلا ... يُقصى إلى الدُّنْيـا للاستهـزاء
وتعـودُ عودةَ كوكبٍ لمـدارِهِ ... بيْـنَ الكـواكبِ راضيًـا بسنـاء
تأبـى الدَّنيَّـةَ - أيـنَ كُنتَ طبيعَـةً ... فطريَّـةً من عِزَّةٍ شمـاء
تحيـا نفُـوسُ الأتقيـاءِ كريمـةً ... ومهيبـةً في قِمَّـةِ الأرْجـاء
في المجْلس الأعْلـى سمَـوتَ ثقافـةً ... مكسـوَّة بتواضُـعِ العُلمـاء
وشرحْتَ أسرارَ الحنيفـةِ ناجحـاً ... وعرضتَ رأيَكَ صـادِقَ الأنبـاء
أيَّـدْتَ أو عارضْتَ كُنتَ مُنزَّهـا ... عمَّـا يُثيـرُ الخلْـفُ مِن شحْنـاء
تتجشَّـمُ الصَّـعْبَ المُحـلَّ لغايـةٍ ... شـرُفَتْ وأعْـيَتْ أيَّمـا إعْيـاء
حتَّـى تنُضَّ عَنْ الحقيقـةِ حُجْبَهـا ... وتُجيرَهـا مِنْ حالكِ الإخفـاء
حُبُّ الحقيقـةِ للعَدالـةِ حارسٌ ... يحْمِـي حِماهـا مِنْ أذى الأعْداء
يا أيُّهـا الآوي إلـى رَوْضِ النَّـدى ... أنْعِـمْ بمثْـوى الرَّحْمـةِ الوضَّـاء
شيْخوختِـي حِمْـلٌ ثقيـلٌ لم يُتِـحْ ... ما أستطيـعُ بِهِ حُضُـورَ عزاء
الشيـخُ يرْسُـفُ في قُيُـودِ عَنائـهِ ... حتَّـى يجُـوزَ حَياتَـهُ لِفَنـاء
كل امْـرِىءٍ أضحَـى طريـدَ منيَّـةٍ ... مهْمـا احتمَـى مِنها بكُـلِّ دَوَاء
الْمَوْتُ مُنتظِرٌ - وإنْ طالَ المَدى - ... يشْفِـي مِن الأمْراضِ خيْـرَ شِفـاء
لا تخْشَ مَوْتـا فالحَيـاةُ سفينـةٌ ... تنْجُـو بِهِ مِنْ عاصِـفِ الأنْوَاء
إنَّ السَّلامَةَ أنْ تمُـوتَ علـى هُدى ... مَلأ الفُـؤادَ وفـاضَ في الأعْضـاء
الْمُطْمئنَّـةُ في نعِيمٍ وافِـرٍ ... في جنَّـةٍ أبديَّـةِ الإعْطـاء
إنْ طابَتْ الأخْرى فكُـلُّ سَعـادَةٍ ... يحْبُـو جناهـا أنْفُسَ السُّعَـداء
يا صاحِبِـي هذِي تحيَّـةُ شاعِـرٍ ... قدْ صُغْتُهـا مِنْ مُهْجَتِـي ودِمائـي
فاضَتْ رِثـاءً . كُلُّ بيتٍ صاغَـهُ ... حُزْنٌ تضَمَّـخَ في عِطْـرِ وفَـاء
نمْ في حِمَى الفِرْدَوْسِ ميْمُونَ الكرَى ... تهْمِـي علَـيْكَ سحـائبُ السَّـرَّاء

* * *

---

(1) ذهب المرحوم مُعارًا إلى ليبيا لوظيفة رئيس محكمة عليا فوجد الوظيفة رئيس محكمة ابتدائية فرفض وعاد إلى مصر مرفوع الرأس .




الأستاذ الإمام الشيخ




شيخ الأزهر الأسبق

ربيع الأول ١٢٩٨هـ - مارس ١٨٨١م

رمضان ١٣٦٤هـ - أغسطس ١٩٤٥م

للمستشار محمد عزت الطهطاوي

الشيخ محمد مصطفى المراغى كان إمام المسلمين فى عصره وحامل لواء الإصلاح الأزهرى تشريعاً وتنفيذاً ومراجعة ، وكان من الشمم الرفيع والخلق النزيه والترفع النبيل بمنزلة يعرفها عنه كبار الحاكمين فيعدلون سلوكهم المتغطرس فى حضرته رعاية لمقامه وخوفاً من كلمة الحق أن تحرقهم حين تنقذ من فمه .

هكذا وصفه الأستاذ الدكتور محمد رجب البيومى العميد الأسبق لكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر فى بعض مؤلفاته وكتبه[1] .

وكتب عنه صديقه الأستاذ محمد كرد على رئيس المجمع العلمى بدمشق بعد وفاته وقتئذ يصفه عن خبرة ومخالطة فقال :

( لقد تأدب الشيخ المراغى بأدب الدين والدنيا معاً ، فإذا عاشرته تتحقق من أنه بلغ الغاية فى التهذيب الحديث مضافاً إلى ما تحلت به نفسه من فضائل الإسلام ، وإذا تحدث فى مجلس ملك قلوب السامعين ولاتلبث أن تقول : إن هذا الشيخ يصلح لإمامة الدين والدنيا ء وأهم ظاهر فى أخلاقه تجرده عن المطامع الدنيوية فقد تقلد مناصب القضاء زمناً طويلاً ولم تحص له زلة

(١) كتاب النهضة الإسلامية فى سير أعلامها المعاصرين جـ ٣ .

واحدة ، وكانت أحكامـه أمثلـة للعـدل والشرف )[٢] .

ولقد وصفه المرحوم عباس العقاد فقال : ( إذا وجد بعد الشيخ محمد عبده من استحق لقب الأستاذ الإمام فهو الشيخ محمد مصطفى المراغى أحسن الله إليه فلقد كان من أعلام هذه المدرسة الحرة وكانت له شجاعة الرأى فيما يخالف الرأى الشائع والعرف المصطلح عليه ، وكان من ذوى الحزم والأصالة فى إدارة الجامع الأزهـر يوم اشتجرت حوله منازع السياسة وتشعبت دسائس القصر الملكى ومراميه ، وكان صفا متقدما بين دعاة النهضة والتجديد )[٣] .

**ميلاده ونشأته والتحاقه بالأزهر :**

ولد رحمه الله فى ( مدينة المراغة ) من أعمال محافظة سوهاج فى شهر ربيع الأول سنة ١٢٩٨ هـ الذى كان يوافق مارس سنة ١٨٨١م فى أسرة تتسم بالصلاح والتقوى ولما درج مدارج الصبا تعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم ، ثم انتقل إلى مدينة طهطا القريبة من بلدته فتزود من علمائها ومشايخها ببعض العلوم والمعارف الإسلامية ، ثم سافر إلى القاهرة للالتحاق بالأزهر الشريف كعبة العلم والدين فى عصره وفى كل العصور إلى ما شاء الله تعالى .

وفى رحاب الأزهر تلقى العلوم على كبار مشايخه وفى مقدمتهم الشيخ على الصالحى من شباب علماء الأزهر المحققين ، وتأثر بأسلوبه فى التوضيح والتبين كما تعرف بالأستاذ الإمام محمد عبده فأخذ عنه تفسير القرآن والتوحيد وعلوم الحكمة والتاريخ والاجتماع ، وتشبع بمبادئه الإصلاحية ومنهجه السلوكى ومواقفه الوطنية ودراساته العلمية[٤] .

**تخرجه من الأزهر وتعيينه فى منصب القضاء بالسودان :**

لما تقدم الشيخ المراغى للامتحان فى أوائل سنة ١٩٠٤م كان حينئذ أصغر طالب أزهرى نال شهادة العالمية وصار الأول على زملائه ، وكان الأستاذ الإمام محمد عبده من جملة ممتحنيه ولاعجابه به رشحه لمنصب القضاء فى ( مديرية دنقلة ) بالسودان ثم مدينة الخرطوم ولما ذهب ليودع الأستاذ الإمام قبل سفره للسودان قال له الشيخ محمد عبده : ( أنصحك أن تكون للناس مرشداً أكثر من أن تكون قاضياً ، وإذا استطعت أن تحسم النزاع بين الناس بصلح فلا تعدل عنه إلى الحكم ، فإن الأحكام سلاح يقطع العلاقات بين الأسر ، والصلح دواء تلتئم به النفوس وتداوى به الجروح )[٥] .

**اختلافه مع قاضى قضاة السودان ورجوعه لمصر ثم عودته قاضيا لقضاة السودان :**

(٢) جريدة الأخبار القاهرية ملامح شخصية بقلم الأستاذ أحمد الناجى بتاريخ ١٤ رمضان سنة ١٤٠٧هـ - ١٢ مايو سنة ١٩٨٧م .

(٣) نقلا عن كتاب من منطلق إسلامى الجزء الأول تأليف الدكتور محمد رجب البيومى .

(٤) مجلة منبر الإسلام العدد التاريخى بمناسبة عيد الأزهر الألفى جمادى الأولى والآخرة سنة ١٤٠٣هـ - مارس سنة ١٩٨٣م .

(٥) جريدة الأخبار القاهرية ملامح شخصية - المرجع السابق وكتاب الأزهر وأثره فى النهضة الأدبية للدكتور محمد كامل الفقى جـ ٢ .

بقى الشيخ المراغى بالسودان فى منصب القضاء من سنة ١٩٠٤ حتى سنة ١٩٠٧م ثم اختلف مع قاضى القضاة هناك فى شأن اختيار المفتشين بالمساجد فاستقال من منصبه وعاد إلى مصر ليتولى بها بعض وظائف التفتيش بديوان الأوقاف والتدريس بالأزهر لكنه أعيد إلى السودان مرة أخرى فى سنة ١٩٠٨م فى منصب قاضى القضاة هناك وظل فى هذا المنصب نحو إحدى عشرة سنة حتى أواخر سنة ١٩١٩م وفى أثناء توليه هذا المنصب اشتعلت ثورة الشعب المصرى بزعامة سعد باشا زغلول ضد الاحتلال الإنجليزى .

وتحرك المصريون المقيمون بالسودان ليجمعوا التبرعات لأسر الشهداء فى مصر وتولى الشيخ المراغى رياسة هذا العمل الخيرى فانهالت عليه التبرعات[٦] .

**اصطدامه مع رجال الحكم الانجليزى فى السودان بسبب اعتداده بشخصه ورأيه :**

حين صار الشيخ المراغى قاضى القضاة فى السودان كان يصر على ألا يتقدمه الحاكم البريطانى ( الانجليزى ) فى موقف وحين شبت ثورة سنة ١٩١٩ أرسل وفوده لقضاة الشرع فى شتى الأقاليم ومعهم منشورات تثبت فظائع الانجليز .

فأراد الحاكم الانجليزى أن يمنع التبرع وأرسل المستر ( دن ) رئيس القضاء المدنى إلى الشيخ المراغى ليبلغه بذلك فرفض واحتد النقاش بين الرجلين وفجأة قال المستر ( دن ) للشيخ المراغى ( أنا أكلمك كرئيس ) .

فانتفض الشيخ المراغى ليصيح فى وجهه ( من أنت ؟ أنا رئيس مثلك كنت أفهم أنك تعرف واجبك ولاتتعدى حدود اللياقة ، فأنا قاضى القضاة ولا رئيس لى هنا والحاكم العام للسودان معين بأمر من سلطان مصر والسودان ، وهو حاكم سياسى وأنا معين مثله من سلطان مصر والسودان فأنا مُمَثِّلُهُ الدينى والقضائى فلا إشراف لأحد منا على الآخر ) .

وذهب مستر دن ليفضى إلى الحاكم العام للسودان الانجليزى بما قاله الشيخ المراغى فكتب إلى وزير الخارجية البريطانى فى لندن ليقول عنه : ( إن الشيخ المراغى يعد من دهاة العالم ) .

وعندئذ رأت بريطانيا أن تبعده عن السودان وقررت إعفاءه من منصبه حين وقف أمام ممثليها فى السودان ثابت الجأش قوى المراس فألغت عقده[٧] .

**عودته إلى مصر للمرة الثانية ومحاولاته فى إصلاح المجتمع :**

رجع الشيخ المراغى مهيباً كريماً إلى مصر ليتبوأ مركزه القضائى فى المحكمة العليا الشرعية عن جدارة وعزة نفس ، فوقف على مشكلات الأسر ومآزق الطلاق ومعضلات النفقة وأزمات الميراث وجعل بتصفح أقوال الفقهاء من جميع المذاهب ليختار منها ما يريح الناس عن بصيرة موغلة فى أسرار التشريع وقضايا الأصول وموجبات القياس

---

(٦) جريدة الأخبار القاهرية ملامح شخصية ـ المرجع السابق وكتاب الأزهر وأثره فى النهضة الأدبية المرجع السابق .

(٧) كتاب النهضة الإسلامية فى سير أعلامها المعاصرين ـ المرجع السابق .

والأخذ بالاستحسان وسد الذرائع ومراعاة المصالح المرسلة مما سجله الأصوليون دون تعنت فى التطبيق أو تنطع فى التعليل .

وعندما وقف أمام إصلاحاته بعض المعارضين جادلهم الشيخ المراغى بالتى هى أحسن فكتب فصولا فى ذم التقليد تعد من أبرع ماقيل فى موضوعها ، وأظهر أن قانون المحاكم الشرعية للأحوال الشخصية ـ الذى سبق له إعداد مشروعه كان رحمة للناس حين أخذت به الوزارة ، وألزمت القضاة أن يعملوا بمقتضاه .

ولئن خالفه مخالف فتلك طبيعة العلم فى كل زمان ومكان ، ومازالت الأئمة فى القديم والحديث تأتى بمايؤخذ منه ويرد دون أن يجحد لفاضل فضله ، وفى كتب الفقه الإسلامى من الآراء والمذاهب مافيه شفاء للناس إذا أحسن التخير وصدقت النية وصحت العزيمة .

ثم ينهى الشيخ كلامه بقوله : ( غير أنه لايفوتنى ـ وقد كنت قاضيا من قبل ـ أنَّ إصلاح القانون إصلاح لنصف القضاء فحسب ، أما النصف الآخر فهو بين القاضى وبين نفسه ، لأن عليه أن يفهم الوقائع أولا كما هى بعد تلمس أدلتها ، ونقدها وبعد الموازنة بينها ، وعليه أن يبذل الجهد لئلا يطول الوقت فيفلت الحق من يد صاحبه ، وعليه أن يشعر الناس جميعاً بالاطمئنان إليه ، وأن يحملهم على الرضا بحكمه ، ولو كان عليهم ، بسيرته الظاهرة وبعده عن الشبهات )[8] .

نجاته من محاولة قتله لمنعه من الحكم فى إحدى قضايا الوقف :

حاول بعض الكبراء أن يغريه بعشرة آلاف من الجنيهات نظير أن يتنحى عن نظر قضية وقف له إذ أحس ذلك الشخص أن الشيخ المراغى لن يحكم بغير مايعتقد أنه الحق .

فلمس الشيخ بوادر الاحتيال الدنىء فأصر إصراراً جازماً على أن يبت بنفسه فى الحكم فضاق ذلك الكبير ذرعاً بموقفه وسول له الشيطان أن يقتله فى طريقه إلى المحكمة كيلا ينطق بالحكم .

وفوجىء الشيخ بمن يلقى بماء النار عليه فتحرق رقبته ويولى الجانى هارباً ظانا أن موته محقق ولكن الشيخ تحمل النار الكاوية فى رقبته وذهب إلى المحكمة لينطق بما يعتقد أنه حكم الله ، ثم يتوجه إلى المستشفى كى يعالج إصابته وحين أقام الشيخ دعوى التعويض على الجانى كلف نقيب المحامين لمباشرة الدعوى إلا أن ذلك المحامى مات بعد المرافعة دون أن يترك لأسرته شيئاً ذا بال .

فرأى الشيخ أن يتنازل لورثة المحامى عن الآلاف التى حكمت له عن كرم وسماحة نفس[9] .

تعيينه شيخاً للأزهر ومحاولاته إصلاح التعليم به :

عين الشيخ المراغى شيخاً للأزهر فى مايو سنة ١٩٢٨م حينما أحس كل من ملك البلاد يومئذ وزعماء الأحزاب فى مصر أنهم لايستطيعون

(٨) كتاب النهضة الإسلامية فى سير أعلامها المعاصرين ـ المرجع السابق .

(٩) كتاب النهضة الإسلامية فى سير أعلامها المعاصرين ـ المرجع السابق .

تخطى رجل مثله بكل علمه وفضائله فاهتبل الشيخ الفرصة وجاهد جهاد الأبطال لإصلاح حال التعليم الأزهرى ليواكب متطلبات العصر .

ذلك أنه رأى الجامعة المصرية الحديثة مطمح الأنظار بكلياتها الناهضة ، وكانت الوظائف الراقية تحتضن المتخرجين منها احتضاناً بوصفهم أبناء المدارس العالية مناط الحظوة والرجاء .

وطالب الأزهر يقطع عمره الطويل فى دراسته ثم لا يعترف به أحد ، لقد حل غيره محله إذ فتحت مدرسة القضاء الشرعى لتخريج القضاة ، وهيئة دار العلوم لإعداد مدرسى اللغة العربية والدين ، وشرعت وزارة الأوقاف فى إعداد مدرسة مماثلة لتخريج الوعاظ والخطباء .

فماذا عسى يبقى بعد ذلك لمريدى وطلاب الأزهر .. ؟ ويمضى بهم العمر دون أن يشعر بهم أحد .

ورأى الشيخ المراغى أن المطالبة بحقوقهم لن تكون مقبولة منطقياً إلا إذا أعد نظام جامعى لإصلاح هذا التعليم ، وإلا إذا اتصل الأزهرى بثقافة عصره وألمَّ بحضارته المدنية وعلومه الحديثة وهيىء بسلاح مماثل لسلاح النظراء مما يقتضى إنشاء كليات أزهرية ثلاث :

تختص إحداها بالشريعة ، وثانيها بالعقيدة ، وثالثها باللغة ، وأنه لابد أن يكون الكتاب والطالب والأستاذ فى مستوى الإفادة المتحققة ، ثم لابد أن يتاح لمن يتخرجون فى هذه الكليات أن يأخذوا بنصيبهم من الحياة يعطون أمتهم من جهودهم المثمرة .

وبالفعل رسم الشيخ المراغى خطة الإصلاح واضحة النقاط وحدد الزمن وعين المنهج واختار المواد ، وأعد المشروع الضخم فى قالبه القانونى بعد أن مهد له خطيباً فى المحافل ومناقشاً فى الصحف السيارة[10] .

**الملك فؤاد يعارض مشروع الإصلاح مما يضطر الشيخ المراغى للاستقالة :**

لعبت الوشاية دوراً ناجحاً ضد الشيخ المراغى مما جعل الملك فؤاد يعتقد أن فى هذا التطوير للتعليم الأزهرى مايضعف قبضته على الأزهر فجمد المشروع المقترح مما اضطر الشيخ المراغى إلى الاستقالة سنة ١٩٢٩م ولما يمض على توليه مشيخة الأزهر سوى عام واحد[11] .

**تعين الشيخ الأحمدى الظواهرى شيخاً للأزهر وسيره على خطة سلفه :**

عندما عين الشيخ الأحمدى الظواهرى شيخاً للأزهر لم يغير شيئا من خطة الشيخ المراغى فى إنشاء الكليات الأزهرية الثلاث فتحول الجامع إلى جامعة ودب النشاط العلمى حافلا بين كلياته وكان الأساتذة فيها صفوة من الأزهريين ومن أساتذة الجامعة المصرية أمثال الأساتذة أمين الخولى وعلى الجارم وعبد الوهاب عزام[12] .

**عودة الشيخ المراغى إلى مشيخة الأزهر مرة أخرى سنة ١٩٣٥م :**

---

(١٠) كتاب النهضة الإسلامية فى سير أعلامها المعاصرين ـ المرجع السابق .

(١١) الكتاب التذكارى بمناسبة احتفالات العيد الألفى للأزهر .

(١٢) كتاب النهضة الإسلامية فى سير أعلامها المعاصرين ـ المرجع السابق .

لم تكن للشيخ الأحمدى الظواهرى شعبية الشيخ المراغى ثم حدثت تصرفات أسىء فهمها وأثارت الأزهريين ضده فقامت المظاهرات والاضرابات من الطلاب فأقيل ، وأعيد الشيخ المراغى للمرة الثانية شيخاً للأزهر(١٣) .

دعوته ضد الإرساليات التنصيرية الأجنبية :

فى صيف سنة ١٩٣٣ تبنى الشيخ المراغى قضية الدعوة ضد الإرساليات الأجنبية لما ثبت مما نشرته الصحف المصرية جميعهـا أن تلك الإرساليات قد قامت بمحاولات يائسة لتنصير عدد من المسلمين إغراء بالمال والمناصب . حتى دعت جريدة السياسة أمام هذه الوقائع المنكرة إلى إغلاق جميع الإرساليات فى مصر(١٤) .

النشاط الثقافى خلال توليه مشيخة الأزهر :

اتسم عهد المراغى خلال توليه مشيخة الأزهر بالنشاط الثقافى وتوغل شباب الأزهر فى شئون الحياة المختلفة ، وكانوا من قبل فى عزلة وانقباض وسعى لدى المسئولين بالحكومة للحصول على حقوقهم كما نال مدرس الأزهر مرتبات مجزية .

وفى عهده تم إيفاد جمهرة من نابغى الأزهر إلى أوروبا للدراسات الأدبية والفلسفية والعلمية .

ففى سنة ١٩٣٥ أوفد إلى ألمانيا بعثٌ من الأزهريين تخليداً لذكرى الشيخ محمد عبده ، كان من بين أعضائه الدكتور محمد البهى والدكتور محمد عبد الله ماضى اللذان درسا الفلسفة والتاريخ الإسلامى .

وفى سنة ١٩٣٦ تم إيفاد الأستاذ عبد العزيز المراغى والدكتور محمود حسب الله لدراسة التاريخ والفلسفة فى انجلترا ، كما أرسل الدكتور على حسن عبد القادر لدراسة مقارنة الأديان فى ألمانيا .

ثم أرسل إلى فرنسا الأساتذة الدكتور محمد عبد الله دراز والشيخ عبد الرحمن تاج والدكتور محمد الفحام والأستاذ الدكتور عفيفى عبد الفتاح ثم انضم إليهم الدكتور عبد الحليم محمود . فدرسوا مقارنة الأديان وفى آخر ذلك العام أضيف إليهم الدكتور محمد يوسف موسى(١٥) .

أدب الشيخ المراغى وخطبه :

شب ـ رحمه الله ـ مفطوراً على حب الأدب مكثراً للاطلاع والتروى من آثاره ومما وفق إليه خطبه المنبرية يوم الجمعة إذ كانت موضع العجب والارعجاب حيث جعلت إمام المسلمين يقف والإعجاب حيث جعلت إمام المسلمين يقف موقف رسول الله ـ ﷺ ـ والخلفاء من بعده على أعواد المنابر ليهتفوا بكلمة الله ـ داعيا إليه فى بيان ساحر(١٦) .

دروسه فى تفسير القرآن الكريم :

كانت دروسه فى تفسير القرآن مواسم عالمية خلال شهر رمضان وكانت الإذاعة المصرية تنقل هذه الدروس إلى شتى بلاد الإسلام ، وكان له

---

(١٣) الكتاب التذكارى للأزهر بمناسبة عيده الألفى ـ المرجع السابق .

(١٤) كتاب النهضة الإسلامية فى سير أعلامها المعاصرين ـ المرجع السابق .

(١٥) كتاب الأزهر وأثره فى النهضة الأدبية الحديثة ـ المرجع السابق .

(١٦) كتاب النهضة الإسلامية فى سير أعلامها المعاصرين ـ المرجع السابق .

من جودة الإلقاء وقوة الاختيار وسهولة العرض وصدق النظر وبراعة التفسير وجمال التعبير وعذوبة الصوت ما جعله مطمح العلماء وموضع احتذائهم ، إذ كانت أصوله كتاب الله وسنة رسول الله ـ ﷺ ـ ثم روائع الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ والإمام الحسن البصرى والإمام الأوزاعى وغيرهم من الأئمة الأعلام[١٧] .

موقف الشيخ المراغى من الانجليز عندما قامت الحرب العالمية الثانية :

حين قامت الحرب العالمية الثانية كان مركز انجلترا فى بدايتها ضعيفاً حرجاً إذ توالت انتصارات ألمانيا النازية على نحو يؤذن بانهزام انجلترا وحلفائها ، واضطرت انجلترا أن تذيع فى الناس أنها تحارب من أجل الإنسانية أمام دكتاتورية ألمانيا وطلب ممثل انجلترا فى مصر ( لورد كيلرن ) من الأستاذ الأكبر الشيخ المراغى بوصفه شيخاً للأزهر أن يذيع على العالم الإسلامى بياناً يعلن فيه أن انجلترا تحارب فى سبيل الديمقراطية لترعى حقوق العدالة والأخوة والمساواة .

فتعاظم الشيخ المراغى أن يجرؤ السفير الانجليزى على طلبه فلم يشأ ان يغفل الطلبة كأن لم يكن ولكنه انتهز فرصة الاحتفال بموسم دينى فألقى أمام ملك البلاد وقتئذ خطبة رنانة توضح ما قاسته مصر والعالم الإسلامى من أهوال هذه الحرب المدمرة حين سقطت القنابل على الأسكندرية وبعض المدن المصرية فأحدثت من الضرر النفسى ما فاق الضرر المادى .

ثم هتف صريحا بأن مصر تكابد حرباً ( لا ناقة لها فيها ولا جمل ) وأن المتحاربين فى المعسكرين المتنابذين لا يمتان إليها بسبب .

وانتشرت خطبة شيخ الأزهر وقتئذ على الأثير فى شتى أنحاء العالم ففزع السفير الإنجليزى فزعاً شديداً ، واتصل تليفونياً فى منتصف الليل برئيس وزراء مصر حسين سرى باشا وقتئذ طالباً منه اقالة الشيخ المراغى ولما اتصل رئيس الوزراء المذكور . وكان ذلك تليفونياً قبل الفجر بالشيخ ليحتج عليه وينذره بأنه لابد ان يحيطه علماً بكل ما يقول قبل أن يخطب به ، رد الشيخ المراغى على رئيس الوزراء رداً عنيفاً وقال له : ( أتريد أن أعرض عليك كلامى ؟ من أنت ؟ أنا استطيع أن أقيلك من منصبك بخطبة واحدة من فوق منبر الأزهر أو منبر الحسين ، قل هذا لمن هددك ، وانقل الحديث إلى السفير البريطانى ) فآثر رئيس الوزراء السكوت[١٨] .

مواجهته لملك البلاد السابق وتمسكه بحكم الشرع أمامه :

كان الملك السابق فاروق إبان حكمه قد طلب من الشيخ المراغى أن يفتى بتحريم زواج الملكة فريدة بعد طلاقها منه فرد عل الملك بشجاعته المعهودة بقوله : ( أما الطلاق فلا أرضاه ، وأما التحريم فلا أملكه )[١٩] .

مؤلفاته : من أهم مؤلفاته الأبحاث والكتب الآتية :

(١٧) كتاب النهضة الإسلامية فى سير أعلامها المعاصرين ـ المرجع السابق .

(١٨) كتاب النهضة الإسلامية فى سير أعلامها المعاصرين ـ المرجع السابق .

(١٩) كتاب النهضة الإسلامية فى سير أعلامها المعاصرين ـ المرجع السابق .

١ ـ الأولياء والمحجورون ـ وهو بحث فقهى لا يزال مخطوطاً بمكتبة الأزهر يتناول فيه موضوع الحجر على السفهاء والذين يتولون أمورهم بعد الحجر ، وقد نال الشيخ المراغى بهذا البحث عضوية هيئة كبار العلماء .

٢ ـ تفسير جزء تبارك وهو أيضاً لا يزال مخطوطاً وقد قصد به أن يكون تكملة لتفسير جزء عم للأستاذ الإمام محمد عبده .

٣ ـ بحث فى وجوب ترجمة معانى القرآن الكريم .

٤ ـ رسالة بعنوان ( الزمالة الإنسانية ) كتبها لمؤتمر الأديان فى لندن .

٥ ـ بحوث فى التشريع الإسلامى ، وأسانيد قانون الزواج رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩م .

٦ ـ مباحث لغوية بلاغية .

٧ ـ دروس دينية نشرت بمجلة الأزهر وقتئذ وتشتمل على تفسير لبعض سور القرآن الكريم ، وقد ألقى الشيخ المراغى هذه الدروس فى المساجد الكبرى فى القاهرة والاسكندرية وحضرها ملك البلاد فى ذلك الحين من عام ١٣٥٦هـ حتى عام ١٣٦٤هـ .

٨ ـ مجموعة من المقالات والخطب والأحاديث والكثير منها نشر فى مختلف الصحف العربية والإفرنجية ، كما نشرت نماذج منها فى نهاية كتاب الشيخ المراغى بقلم بعض الكتاب[٢٠] .

أسلوبه فى الكتابة :

بلغت كتابة الشيخ المراغى طبقة عالية من حسن الديباجة وجمال العبارة ، وإشراق المعنى وحسن السبك ولم يحاول أن ينهج نهج الساجعين المتكلفين ، وكثيراً ما كان يتمثل بالشعر العربى الرصين فى مواطن من كتاباته .

وإذا تناول بحثاً علمياً لم يبعد به عن روعة البيان وصفاء العبارة[٢١] .

مرض الشيخ المراغى ووفاته :

لما شعر الشيخ المراغى بأعراض المرض وكان فى مشيخة الأزهر دخل ( مستشفى المواساة ) بمدينة الاسكندرية وذلك فى أوائل شهر رمضان سنة ١٣٦٤هـ للعلاج وكان يقضى معظم وقته فى ( تفسير سورة القدر ) وما جاء فى شأن ليلة القدر من الآيات والأحاديث النبوية ليلقى درساً بشأنها فى ليلة السابع والعشرين من رمضان ولكن الله اختاره إلى جواره فى الرابع عشر من رمضان سنة ١٣٦٤هـ الموافق الثانى والعشرين من أغسطس سنة ١٩٤٥م .

رحم الله الشيخ محمد مصطفى المراغى فلقد كانت حياته تتسم بالعزة والكرامة والوقار والاحترام حتى ليرغم على إجلاله واحترامه عظماء الناس وكبراءهم فيهابونه لشخصه ثم لمنصبه .

كما أنه أعز شرف العلم والدين وصان كرامة العلماء فدان بإجلاله وتوقيره الناس جميعاً فوق ما كانوا يدينون .

---

(٢٠) مقال من أعلام الفكر الإسلامى المعاصر الإمام محمد مصطفى المراغى للدكتور محمود حمدى زقزوق نشر بجريدة الأهرام بتاريخ ١٩٩٢/٣/٦م .

(٢١) كتاب الأزهر وأثره فى النهضة الأدبية الحديثة ـ المرجع السابق .

من أعلام الأزهر

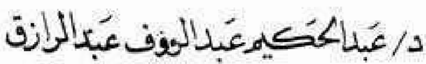
فضيلة الشيخ

# محمد حسام الدين بدر الدين

وكيل الأزهر - رحمه الله

١٩٢٥/١١/٢٢ - ١٩٩٣/٩/٢٥





د/ عبد الحكيم عبد الرؤوف عبد الرازق

**ولد - رحمه الله - بـ ( بلقاس ) إحدى مدن محافظة الدقهلية من أسرة ( شاهين ) وهو ابن الشيخ عبدالحميد حسام الدين شاهين عميد الأسرة - رحمه الله - وكان والده ميسور الحال جداً بتلك البلدة « بلقاس » .**

**قرر والده الشيخ عبدالحميد حسام الدين أن يحفظ ابنه القرآن ويذهب إلى الأزهر الشريف - فلما بلغ الخامسة أدخله « كُتّاب الشيخ قصبى » ببلقاس فتلمذ على يدى الشيخ قصبى والشيخ أبى الفتوح الشرقاوى ، فحفظ القرآن الكريم ، ونجح فى مسابقة لحفظه فى مايو سنة ١٩٣٧ ، وسنه يومئذ اثنتا عشرة سنة فقط .**

وفى سبتمبر سنة ١٩٣٧ انتقل إلى مدينة دمياط والتحق بمعهدها الدينى ، وبدأ دراسة المرحلة الابتدائية هناك بعيداً عن عائلته ، وتفوق فى هذه الدراسة وفى تجويد القرآن الكريم - وتخرج من معهد دمياط الدينى فى شهر مايو سنة ١٩٤٢ .

وفى سبتمبر سنة ١٩٤٢ انتقل إلى مدينة طنطا والتحق بمعهدها الدينى وبدأ دراسة المرحلة الثانوية مستمسكا مع ذلك بحفظ القرآن وتجويده ،

وتخرج من معهد طنطا فى مايو سنة ١٩٤٧ .

وفى سبتمبر سنة ١٩٤٧ ارتحل إلى القاهرة ليدرس بكلية أصول الدين ، واستمر بها حتى حصل فى يونيو سنة ١٩٥١ على شهادة « العالية من كلية أصول الدين » وكان ترتيبه الرابع على الدفعة التى ضمت ٧٢ من المبصرين .

واستمر فى دراسته بكلية أصول الدين عام ١٩٥١ / ١٩٥٢ فحصل فى ٦ نوفمبر سنة ١٩٥٢ على « شهـادة العالميـة مع اجـازة التدريس » .

**عمله** : عمل سيادته مدرساً بالأزهر فور تخرجه وحصوله على المؤهلات السابقة فى المعهد الأزهرى الدينى بالمنصورة حتى مايو سنة ١٩٦٤ .

وفى هذه الفترة التحق سيادته بكلية الآداب بجامعة الأسكندرية فى سبتمبر ١٩٥٤ ، وتخرج منها فى مايو ١٩٥٨ بدرجة « الليسانس فى الآداب » ثم التحق فى سبتمبر سنة ١٩٥٨ بالجامعة الأمريكية بالقاهرة لدراسة اللغة الإنجليزية واستمر بها حتى شهر مايو سنة ١٩٦٤ حيث أجاد اللغة الإنجليزية ، وأجاد الترجمة منها وإليها .

انتقل سيادته للعمل عضواً فنياً بمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر فى يونيو سنة ١٩٦٤ واستمر فى العمل بالمجمع باحثاً حتى فبراير سنة ١٩٦٧ .

فى نهاية فبراير سنة ١٩٦٧ أوفد فضيلته للعمل مدرساً فى معهد الدراسات الإسلامية واللغات الشرقية بجامعة ( باهيا ) فى البرازيل فى مدينة ( سلفادور ) التى تطل على المحيط الأطلسى والساحل الشرقى للبرازيل ورأس قسم الدراسات العربية والإسلامية فى هذه الجامعة لمدة عام .

فى فبراير سنة ١٩٦٨ انتقل سيادته إلى ولاية ( برنا **Parana** ) حيث أقام فى ( مدينة كورتيبا ) جنوب مدينة ( سانت باولو ) بجنوب البرازيل حيث رأس الجمعية الإسلامية بكورتيبا ، وقام بالدعوة الإسلامية هناك وأسس مدرسة إسلامية وأقام مسجداً وتعهد الدعوة الإسلامية بكل الولاية واستمر بها حتى إبريل سنة ١٩٧٢ حيث عاد إلى مصر واستمر فى عمله باحثا بمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف فى رواق السنة النبوية .

فى سبتمبر سنة ١٩٧٣ أعير إلى نيجيريا للعمل مدرسا بجامعة ( زاريا ) بمدينة ( سوكوتو ) فقام هناك بتنظيم أعمال الدعوة الإسلامية بالاشتراك مع قاضى قضاة سوكوتو ( الشيخ أحمد لمو ) واشترك معه فى التخطيط لإنشاء معهد الدعوة وتخريج الدعاة فى مدينة ( بيدا ) وعمل كذلك مع قاضى قضاة شمال نيجيريا الشيخ ( أبو بكر جمى ) ثم عاد إلى مصر ثانية فى مايو سنة ١٩٧٤ .

ثم عمل مديراً للمكتب الفنى لشيخ الأزهر الشريف حتى شهر أكتوبر سنة ١٩٧٥ .

وفى نوفمبر سنة ١٩٧٥ أعير فضيلته مدرساً بكلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن مسعود الإسلامية بالرياض واستمر بها حتى اغسطس سنة ١٩٧٧ وكان يقوم بتدريس الفقه ويشرف على الدراسات العليا .

ثم عاد فضيلته إلى الأزهر الشريف وعين مديراً للمكتب الفنى لفضيلة الإمام الأكبر وصار مراقبا عاما للبحوث بمكتب شيخ الأزهر سنة ١٩٧٧ ، ثم عين مديراً عاماً لشئون البحوث الفنية سنة ١٩٨١ وفى عام ١٩٨٣ صار أميناً عاماً مساعداً لمجمع البحوث الإسلامية لشئون الثقافة .

تم عين رئيساً لمكتب شيخ الأزهر سنة ١٩٨٦ ولمكتبه الفنى كذلك .

وصار وكيلا للأزهر الشريف وأمينا عاما لمجمع البحوث الإسلامية بالانتداب فى شهر إبريل سنة ١٩٨٩ كما عين عضواً بمجمع البحوث الإسلامية سنة ١٩٩٠ .

لقد بلغ سيادته الخامسة والستين فى ١٩٩٠/١١/٢١ فأحيل إلى التقاعد مع استمرار فضيلته فى العمل عضواً بمجمع البحوث الإسلامية وشيخاً لرواق السنة ( لجنة السنة والمتشابه الفرعية ) .

اختير سيادته عضواً بهيئة الرئاسة ورئيس لجنة التعليم والدعوة بالمجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة واستمر به حتى وفاته .

مثل فضيلته الأزهر الشريف فى عديد من المؤتمرات العالمية الخاصة بالشئون الإسلامية ( دعوة ـ اقتصاد ـ سنة ـ فقه ) فى كل من الدول الآتية :

البرازيل ـ أسبانيا ـ الولايات المتحدة الأمريكية ـ كندا ـ الهند ـ الباكستان ـ أندونيسيا ـ كوريا ـ ماليزيا ـ الأردن ـ نيجيريا ـ تركيا ـ انجلترا ـ ايرلندا ـ قطر ـ المملكة العربية السعودية .

وافته المنية فى ٢٥ سبتمبر سنة ١٩٩٣ حيث انتقل إلى رحمة الله تعالى

تتلمذ عليه راجا محمد ـ وارث الدين محمد ( امريكا ) الامام يحيى فى جنوب ( دالاس ) وكثير من الدعاة فى نيجيريا وكوريا الجنوبية والبرازيل .

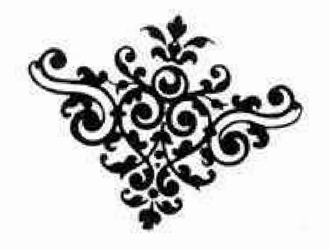
ترك كثيراً من البحوث التى تدور حول :

١ ـ منهج لفهرس السنة النبوية .
٢ ـ صورة الإسلام فى الدراسات الغربية .
٣ ـ الوحدة والثبات فى الفقه الإسلامى .
٤ ـ الشريعة الإسلامية ونظرات الغربيين اليها .
٥ ـ الأقلية الإسلامية فى البرازيل .
٦ ـ المختار من الشمائل المحمدية .
٧ ـ حرمة الحياة الإنسانية .
٨ ـ مشكلات الشيخوخة وقتل المرحمة .
٩ ـ الشيعة : فرقها المعاصرة وعقائدها .
١٠ ـ الحافظ المحدث : الربيع بن حبيب ومكانته الفقهية .
١١ ـ زراعة الأعضاء وتعريف الوفاة .

أنعم على سيادته بنوط الامتياز من الدرجة الأولى فى فبراير سنة ١٩٩١ .

له عديد من المقالات العلمية فى مجالات الفقه والحديث وسلسلة مقالات فى الفقه الاباضى نشرت فى مجلة الأزهر .

كما زود الاذاعة الموجهة لأفريقيا بالعديد من الكلمات الطيبة فى السنة النبوية .






للأستاذ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم

« قيل فى تفسير آية »

قال ابن عباس ، وجعفر بن محمد والحسن البصرى فى قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا ﴾ إنما كان الكنز لوحاً من ذهب مكتوب فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم » .

عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن .

وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب .

وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح .

وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل .

وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها .

لا إله إلا الله محمد رسول الله .

« حقــاً »

ولا شىء يدوم فكن حديثاً
جميل الذكر فالدنيا حديــث

« هشام .. وأعرابى »

دخل أعرابى على هشام بن عبدالملك ، فقال له هشام : عظنى .

فقال : كفى بالقرآن واعظاً !!

أعوذ بالله السميع العلم من الشيطان الرجيم :

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ⓵ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ⓶ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ⓷ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ⓸ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ⓹ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

سورة المطففين

ثم قال : يا أمير المؤمنين ؛ هذا جزاء من يطفف الكيل والميزان ، فما ظنك بمن يأخذه كله .

« عجبت »

قال يحيى بن معاذ : عجبت من ثلاث :

رجل يريد تناول رزقه بتدبيره ، وهو يرى تناقض تدبيره .

ورجل شغله هم غده .

وعالم مفتون يعيب على زاهد مغبوط .

## « مجامع الهوى .. وأعيانها »

مجامع الهوى خمسة أمور ، وهى ما جمعه الله ـ تعالى ـ فى قوله :

﴿ أَنَّمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَٰلِ وَالْأَوْلَٰدِ ﴾ .

( سـورة الحـديد )

والأعيان التى تحصل منها هذه الخمسة سبعة يجمعها قوله ـ تعالى ـ :

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَٰتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَٰطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَٰمِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَـَٔابِ (١٤) ﴾ .

( سـورة آل عمران )

وكل ما هو لله ، فليس من الدنيا .

## « وصيته »

أوصى عبدالله بن جعفر ابنته وهى تزف فقال : يا بنية إياك والغيرة ، فإنها مفتاح الطلاق ، وإياك والمعاقبة فإنها تورث البغضاء ، وعليك بالزينة والتطيب ، واعلمى أن أزين الزينة الكحل ، وأطيب الطيب الماء .

## « الإخوان ثلاثة »

قال حكيم : الإخوان ثلاثة :

أخ يخلص لك وده ، ويبلغ فى فهمك جهده .

وأخ ذو نية يقتصر بك على حسن نيته ، دون رفده ومعونته .

وأخ يجاملك بلسانه ، ويتشاغل عنك بشانه ، ويوسعك من كذبه وأيمانه .

## « ما يعز به السلطان »

قال ملك فارس لأحد حاشيته : ما شيء واحد يعز به السلطان ؟ قال : الطاعة .

قال : فما ملاك الطاعة ؟.

قال : التودد إلى الخاصة ، والعدل على العامة .

قال : صدقت ؛ الأمانة معقل الطاعة . والطاعة زينة الملك .

## « ماذا كنت تصنع ؟! »

قال رجل لسهل بن عبدالله : إن اللص دخل دارى وأخذ متاعى .

فقال له : اشكر الله ـ تعالى ـ لو دخل اللص قلبك وهو الشيطان ، فأخذ التوحيد ماذا كنت تصنع ؟

## « كتاب الله قبل كتاب الخليفة »

دخل أبو النصر سالم مولى عمر بن عبيدالله على عامل للخليفة ، فقال له : يا أبا النصر إنه تأتينا كتب من عند الخليفة فيها وفيها ، ولا نجد بدا من نفاذها فما ترى ؟ قال : قد أتاك كتاب الله قبل كتاب الخليفة فأيهما اتبعت كنت من أهله .

## « دعـــاء »

اللهـم أعنا على الموت وكربتـه ، والقبر وظلمتـه والصراط وزلتـه ، ويـوم القيامـــة وروعته .




لصاحب الفضيلة الشيخ أحمد الشرباصى

إعداد وتقديم الأستاذ / عبد الفتاح حسين الزيات

شرع الله الحدود زجراً عن ارتكاب الجرائم فيأمن المجتمع ، وصونا للدماء أن تذهب هدراً ، ووضع لهذه الحدود ضوابط حكماً ومقداراً ومماثلة ، على أن يكون ذلك بواسطة الإمام الذى يرعى مصالح الأمة ، أو من يعاونه ؛ لأنه من المحال قانوناً وشرعاً أن يترك هذا الأمر فى أيدى الأفراد ليقوموا به ، فينقلب الحال إلى فوضى يصعب التحكم فيها ، والسيطرة عليها فتكون الطامة الكبرى .

ولعل فى هذا الموضوع ما يلقى الضوء على هذا الأمر الحيوى الذى يمس كيان الأمة بالدرجة الأولى ، ويبين حكم الشرع فيه .

قال الأستاذ رحمه الله :



لمن يكون اختصاص التنفيذ ؟

يحسن أن نلاحظ أولًا أن الأمة المنظمة لابد لها من راع يرعاها ، ويقوم على شئونها ، ويفصل فى أمورها .. ويعينه على ذلك أهل الحل والعقد ، وأرباب المشورة والرأى ، وأصحاب القدرة على المساعدة والمعونة ؛ وأن هذه الأمة تتكون من أفراد تتعدد مصالحهم وتختلف مشاربهم ومطالبهم ، وتكثر خصوماتهم على أمور الحياة ، وقد تتضارب آراؤهم فى هذه الأمور تبعاً لمؤثرات متعددة ؛ ولا يمكن للإنسان أن يكون خصماً وحكماً فى الوقت الواحد ..

ولذلك رأى الإسلام أن يكون للمسلمين إمام يعاونه من يعاونه ، وهذا الإمام بأعوانه يرعى مصالح العباد ، ويقوم على شئونهم ، ويفصل فى خصوماتهم ، وينفذ الحدود بينهم ، متقيداً فى ذلك بالكتاب والسنة ، ولذلك قال القرآن الكريم :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٞ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾[1]

ولو أن الإسلام ترك كل فرد يأخذ ما يراه حقا له ـ وخاصة فى الدماء ـ لكانت هناك الطامة الكبرى ، ولعادت جاهلية الأمم بفجورها وشرورها ، وطغيانها وبهتانها ؛ لان الطرف فى الخصومة لا يستبين الرشد فى خطواته وتصرفاته لو جعل نفسه حاكماً ؛ ولذلك اشترط الإسلام أن يفصل فى الخصومات من لاهوى له فيها ، واشترط للقاضى صفات وأخلاقاً تجعله بمنأى من الريب والشكوك ، وبمعزل عن التهم والظنون ؛ فكيف يمكن بعد كل ذلك الاحتياط أن يكون الفرد الخصم حكماً بينه وبين خصمه ؟!

ومن هنا روى أن ابن عمر قال : « الزكاة والحدود والفىء والجمعة إلى السلطان »[2] ؛ وأن ابن محيريز قال : « الحد والفىء والزكاة والجمعة إلى السلطان » .

وجاء فى مجمع البيان للطبرسى : « ... وأما من يتولى القصاص فهو إمام المسلمين ومن يجرى مجراه ، فيجب عليه استيفاء القصاص عند مطالبة الولى ؛ لأنه حق الآدمى ، ويجب على القاتل تسليم النفس .. »[3].

وجاء فى حاشية الصاوى على تفسير الجلالين : « فحيث ثبت القتل عمداً عدواناً وجب على الحاكم الشرعى أن يمكن ولى المقتول من القاتل ، فيفعل فيه الحاكم ما يختاره الولى من القتل أو العفو أو الدية ، ولا يجوز للولى التسلط على القاتل من غير إذن الحاكم لأن فيه فساداً وتجرياً »[4].

وفى كتاب (المغنى) لابن قدامة : « قال القاضى : ولا يجوز استيفاء القصاص إلا بحضرة

---

(1) سورة النساء : آية ٥٩ .

(2) انظر المحلى لابن حزم ج ١١ ص ١٦٥ ، وفى الموضوع خلاف بين الفقهاء .

(3) مجمع البيان فى تفسير القرآن للطبرسى ج ١ ص ٢٦٥

(4) حاشية الصاوى على الجلالين ج ٢ ص ٢٩٥ .

السلطان ، وحكاه عن أبى بكر ، وهو مذهب الشافعى ، لأنه أمر يفتقر إلى الاجتهاد ، ويحرم الحيف فيه ، فلا يؤمن الحيف مع قصد التشفى ، فإن استوفاه من غير حضرة السلطان وقع الموقع ، ويعزر لافتياته بفعل ما منع فعله »[٥].

ثم أشار الإمام ابن قدامة إلى من خالف فى ذلك ، وأورد لهم اعتراضاً يومى بجواز الاستيفاء من الفرد بغير حضرة السلطان ، وعمدته أن رجلا جاء يقود رجلا إلى النبى ـ ﷺ ـ وقال له : إن هذا قتل أخى ، واعترف القاتل بذلك ؛ فقال له النبى ـ ﷺ ـ اذهب فاقتله .

والظاهر من هذا الحديث أنه لا يصلح للاستشهاد على ما ذهبوا إليه ، لأن السلطان هنا ـ وهو النبى عليه الصلاة والسلام ـ قد علم بالجريمة بعد أن رفعت إليه ، واعترف الجانى ، وحكم الرسول بالقصاص ، ووكل ولى الدم فى القيام بهذا القصاص ، فليس هنا إذن دليل على قيام ولى الدم من نفسه بالقصاص دون علم الحاكم أو إذنه .

وقد يكون من المناسب هنا أن نذكر أن القانون الوضعى اليوم ، يعاقب ولى الدم إذا أقدم على قتل القاتل قبل الحكم عليه ، ويعتبره القانون قاتلا ، وإن تكن هناك فسحة للقاضى كى يخفف الحكم ، وهذا لا يخالف روح الشريعة الإسلامية عند كثير من الفقهاء ، وخصوصاً إذا رأى الإمام تركيز الاختصاص فى القصاص بيد الدولة ، وقد يؤيد هذا ما رواه ابن حزم فى المحلى وهو :

« إن فى كتاب لعمر بن الخطاب : « والسلطان ولى من حارب الدين ، وإن قتل أباه أو أخاه ، فليس إلى طالب الدم من أمر من حارب الدين وسعى فى الأرض فساداً شىء » . وقال ابن جريج : وقال لى سليمان بن موسى مثل هذا سواء سواء حرفاً حرفاً ، وبه ـ أى بالسند المذكور قبل ذلك ـ إلى عبدالرزاق عن معمر عن الزهرى قال : عقوبة المحارب إلى السلطان ، لا تجوز عقوبة ولى الدم ، ذلك إلى الإمام ، قال : وهو قول أبى حنيفة ومالك والشافعى وأحمد وأبى سليمان وأصحابهم »[٦].

أمور يجب اعتبارها :

ثم إن هناك أموراً يجب اعتبارها وملاحظتها فى هذا المقام ، ومنها نستبين كيف يكون القصاص ، ولمن يكون ، وكيف يخطىء خطأً فاحشاً من يعميه حب الثأر عن وجه الحق فيتعجل بالقصاص دون بصيرة أو تبصر .

من هذه الأمور نعلم أن ولى الدم يكون ـ غالباً ـ أكثر من واحد ، لأن أصحاب الحق فى ذلك هم عصبة المقتول الذين يعتزون بحياته ، ويذلون بدونه ، ويحرمون من بره ومعونته ، أو بتعبير آخر : هم ورثة القتيل ؛ وهم شركاء فى حق القصاص ، فكيف يجيز أحدهم لنفسه الإنفراد بهذا الحق ، فيقدم على أخذ ثأره بيده ، فيجرم فى حق الله وحق العباد ؟!...

ومن هذه الأمور مسألة العفو من بعض المستحقين للثأر عن القاتل ، فقد ذكر الشعرانى

---

(٥) المغنى لابن قدامة ج ٩ ص ٣٩٣ .

(٦) المحلى لابن حزم ج ١١ ص ٣١٢ .

فى كتابه ( الميزان ) أنه قد اتفق الفقهاء على أنه إذا عفا رجل من أولياء الدم سقط القصاص ، وانتقل الأمر إلى الدية ، واتفقوا على أنه إذا كان المستحقون صغاراً أو غائبين كان القصاص مؤخراً ، خلافاً لأبى حنيفة ، فإنه قال : إذا كان للصغار أب استوفى القصاص ولم يؤخر[7].

وقال الإمام ابن حزم فى المحلى : «العفو جائز لكل أحد ممن يرث ، وللزوجة والزوج وغيرهما ، فإن عفا أحد ممن ذكرنا فقد حرم القصاص ، ووجبت الدية لمن لم يعف»[8].

فكيف يجوز مع هذا لفرد من أولياء الدم أن يستجيب للشيطان فيقتل القاتل أو أكثر منه ، وقد يكون غيره مريداً للعفو ، أو مريداً للدية ، وقد يكون من هؤلاء الأولياء غائب وصغير ، ولو حضر أو بلغ لعفا أو لطلب الدية ولم يطلب القصاص ؟!

لقد قال الإمام ابن قدامة فى المغنى هذه العبارة الصريحة : «إذا كان للمقتول أولياء يستحقون القصاص فمن شرط وجوبه اجتماعهم على طلبه ، ولو عفا واحد منهم سقط كله ، وإن كان بعضهم غائباً أو غير مكلف لم يكن لشركائه القصاص حتى يقدم الغائب ويختار القصاص أو يوكل ، ويبلغ الصبى ، ويفيق المجنون ، ويختاره»[9].

فهلا تبصر ذلك المقدم على الثأر بلا روية أو تفكير ؟!

ومن هذه الأمور مسألة الآلة التى ينفذ بها القصاص ، فقال أبو حنيفة – كما نقل الشعرانى – إنه لا يستوفى القصاص إلا بالسيف ، سواء قتل به أم بغيره ، وقال الشافعى ومالك : إنه يقتل بمثل ما قتل به[10].

وكذلك تعرض ابن قدامة فى المغنى لوصف تنفيذ القصاص ، فذكر أنه يستحب عند الفقهاء إحضار الشهود حين القصاص ، وعلى الحاكم أن يتفقد آلة القتل التى سيستعملها ولى الدم ، حتى لا يكون بها عيب أو آفة[11].

فهل يتصور من الأرعن الثائر الذى يريد الانتقام دون تبصر أو احتكام إلى المعدلة ، وأن يعطى هذه الناحية حقها ، أو يعدل فى الحكم عليها ، أو أن الغضب المجنون سيدعوه إلى أخذ ثأره كيفما اتفق ، وبأقسى ما يهىء له شيطانه وهواه ؟

وهلا كان من الواجب حينئذ أن يرجع صاحب الدم إلى الإمام الشرعى ليحدد آلة القتل التى استعملت ، وليعين وسيلة القصاص التى تستخدم ؟

ولعله من المناسب هنا – وقد أشير إلى قيام صاحب الدم بالقصاص – أن نذكر أن القانون الوضعى لم ينص على تفويض الفرد طالب الثأر فى تنفيذ القصاص بنفسه ، بل لعل روحه وسوابقه

---

(7) كتاب الميزان ج ٢ ص ١٢٠ باختصار .

(8) المحلى ج ١٠ ص ٤٧٧ ، ومن الإنصاف للبحث العلمى أن نقول أن ابن حزم قال عقيب ذلك : «وقال آخرون : العفو للرجال خاصة دون النساء .. وقالت طائفة : من أراد القصاص فذلك له ، ولا يلتفت إلى من أراد الدية أو العفو ، ما لم يتفقوا على ذلك» ولكن ابن حزم عاد فرجح الرأى الأول ، وهو سقوط القصاص بعفو واحد منهم أيا كان .

(9) المغنى لابن قدامة جـ ٩ ص ٣٣٤ .

(10) الميزان جـ ٢ ص ١٢٠ باختصار .

(11) المغنى جـ ٩ ص ٣٩٣ .

تمنع ذلك ؛ ولكن الشريعة الإسلامية تجيز لصاحب الدم أن يقوم بنفسه بتنفيذ القصاص بعد ثبوته ، وبعد إذن الحاكم به ، مع إشراف الحاكم على ذلك التنفيذ ؛ وتقول الشريعة : إن ولى الدم يجوز له أن يوكل من يقوم له بالقصاص ؛ وإن كان ولى الدم أكثر من واحد وكلوا أحدهم أو غيرهم ، وإن تنازعوا فيما بينهم أجريت القرعة عليهم ، ومن وقعت عليه القرعة قام بالتنفيذ .

وقد لا يصعب التوفيق بين الشريعة الغراء والقانون الوضعى فى هذه الناحية إذا تذكرنا أن الإمام الشرعى يجوز له فى الإسلام أن يخصص الجائزة لمصلحة عامة أو ضرورة بينة ، فإذا اقتضت المصلحة العامة الظاهرة أن يجعل تنفيذ القصاص فى يد خاصة قادرة محسنة جاز للإمام أن يحمل الناس على ذلك .

ومن هذه الأمور عملية القتل ، فقد قال الرسول صلوات الله عليه : «إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة» ونحن لا نضمن أن يقوم الفرد الموتور بعملية القتل فى عدوه ويحسنها ، دون أن يسرف أو يتعسف أو يزيد ، ولعلنا نتذكر هنا ما تردى فيه الكثيرون أخيراً من مهاوى الإجرام الشنيع ، إذ تراهم يذبحون الناس ذبح الشياه ، ويقطعونهم إرباً إرباً ، وقد يسلخون الوجوه ، ويشوهون الملامح ، ويمثلون بالجثة أفظع تمثيل ؛ وذلك لأنهم يريدون إطفاء نار الثأر الأثيم ، وربما أخذوا بالظنة والشبهة ، أو أخذوا البرىء بذنب المجرم ، أو تعدوا حدود القسطاس فأخذوا مع المجرم غيره ممن لا ناقة لهم فى الجريمة ولا جمل .

ومن هذه الامور الحالة التى يجب فيها القصاص شرعاً وتمييزها من الحالات التى لا يجب فيها ، فقد أجمع العلماء على أن القصاص لا يجب إلا فى حالة القتل العمد ، دون القتل شبه العمد ، أو القتل الخطأ ؛ ويشترط كذلك للقصاص أن يكون الجانى المقتص منه مكلفاً ، فلا يقتص من الصبى والمجنون وكل من زال عقله ، لقول الرسول صلوات الله عليه : «رفع القلم عن ثلاثة : عن الصبى حتى يبلغ ، وعن النائم حتى يستيقظ ، وعن المجنون حتى يفيق» . وأن يكون المجنى عليه مكافئاً للجانى عند طائفة من الفقهاء (كالحر بالحر ، والعبد بالعبد) ؛ وأن يكون المقتول معصوم الدم ، فلا قصاص فى قتل الكافر والحربى ، وأن لا يكون القاتل أباً للمقتول ، فلا يقتل الوالد بولده وإن سفل ، والأب والأم فى ذلك سواء ؛ إلى غير ذلك من الشروط ، كأن يكون القاتل مختاراً ، وأن تقوم عليه البينة بالشهود أو الاعتراف .. إلخ .

فهل ينتظر من الفرد ولى الدم ـ وقد يكون أمياً أو جاهلًا أو ظلوماً غاشماً ـ أن يلاحظ هذه الشروط ، وأن يرعاها حق رعايتها ، إذا ما تركنا له الحبل على الغارب ، فذهب يرضى شهوة الانتقام بإسالة الدماء ؟!


العلوم الكونية

# العلوم الكونية بين الأصالة والمعاصرة

بقلم د. أحمد فؤاد باشا

تشهد الفترة الحالية من عصرنا اهتماماً فائقاً بتاريخ العلوم الكونية وتقنياتها ، خاصة فيما يتعلق بقضية التأصيل لنشأة العلم وأولية المنهج العلمى . ولا يزال الجدل دائراً بين الباحثين حول الاجابة عن أسئلة أين ومتى وكيف نشأ العلم وتكونت « بذرة » المنهج العلمى فى فكر الإنسان ؟! فهناك من يرى أن العلم لا يمكن إلا أن يكون غربياً ، وأن الجنس الآرى هو وحده من بين أجناس البشر المؤهل لحمل رسالة العلم والتقدم العلمى ، وأن عبقرية الاغريق هى صاحبة الفضل الأول فى ابتداع العلم والتفكير العلمى . وأنصار هذا الرأى هم الأعلى صوتاً والأكثر جلبة ، وإن كانوا أضعف حجّة وأقل إقناعاً . وهناك من يرى أن فجر العلم ومنهجية التفكير العلمى قد بزغا فى بلاد الشرق القديم ، وأن التقدم العلمى عبر العصور ليس احتكاراً لجنس دون جنس ، أو موطن دون موطن ، فكل أمة من الأمم لها دورها فى صنع تاريخ العلوم على مر الأجيال ، وكل الحضارات قد تفاعلت وشاركت فى زرع شجرة العلم التى تجنى البشرية ثمارها اليوم . وأصحاب هذا الرأى هم الأخفض صوتاً ، وإن كانوا هم الأقوى حجة والأكثر اقناعاً : لأنهم يقدمون الأدلة على صواب رأيهم من واقع الوثائق التراثية المحققة ووفق منهج تحليلى مقارن يهدف إلى وضع الحقائق فى نصابها المقبول عقلياً والممكن تاريخياً ومنطقياً .

* الكاتب : أستاذ الفيزياء بكلية العلوم جامعة القاهرة

وإذا ما انطلقنا من هذه المقدمة إلى محاولة رصد واستعراض الأدبيات المعاصرة التى تعرض لقضايا العلوم الكونية وتقنياتها فإننا نلاحظ ظهور فكر جديد للدراسات التراثية يجعل من دراسة الماضى أساساً لتحليل الحاضر واستشراف آفاق المستقبل . وهنا تبرز أهمية الدراسات التراثية عموماً باعتبارها مقدمة ضرورية لأى دراسات مستقبلية ، وندعو ـ من جانبنا ـ فى هذا المقال إلى أن يحظى التأصيل الإسلامى للعلوم الكونية بمكانة لائقة فى إطار الاهتمام العالمى بقضايا التراث العلمى .

**مظاهر الاهتمام العالمى بقضايا التراث العلمى :**

إن الدراسة المنهجية للعلم الإسلامى والقراءة المعاصرة لنصوصه التراثية تكتسبان أهمية خاصة إذا ما أجريتا فى ضوء المفاهيم والنظريات الحديثة المنبثقة عن مختلف النشاطات الدولية المعنية بقضايا التراث العلمى عموماً ، وذلك بالرغم من صعوبة التعامل معه مقارنة بجوانب التراث الأخرى من فنون وآداب وغيرها . فالأعمال الموسيقية ، على سبيل المثال ، يمكن أن تخلّدها مدارس الموسيقى ودور الأوبرا ، وبوسعنا الاستمتاع بها فى بيوتنا وقتما نشاء عن طريق التسجيلات المرئية والمسموعة . وتاريخ الفنون يمكننا التعرف عليه بالاتصال المباشر عن طريق زيارة المتاحف المتنوعة ومشاهدة الآثار المختلفة من مساجد وكنائس وقصور وقلاع ولوحات وغيرها . كما تقوم المكتبات ومحلات بيع الكتب بتوفير الأعمال الأدبية لمختلف المراحل التاريخية . لكن الأمر بالنسبة للتراث العلمى مختلف تماماً . إذ يصعب الوصول إلى الاكتشافات العلمية الهامة والتقاطها من ثنايا السطور فى المخطوطات التى كتبها العلماء بأيديهم ، أو أعاد نسخها من جاء بعدهم . وإن ما يُعدُّ استثناءً فى الأدب مثلا ، وهو اكتشاف نص هام مجهول ، هو القاعدة فى حالة العلم ، حيث إن النزر اليسير من الأعمال العلمية المتميزة هو فقط ما أمكن العثور عليه . ثم ان النصوص العلمية ـ حتى إن وُجدت ـ تشكل صعوبة بالغة عند قراءتها ومحاولة فهمها لتحقيقها .

وعلى أية حال ، لم تُحل مثل هذه الصعوبات دون بذل أقصى الجهود لتجميع أكبر قدر ممكن من الأعمال التراثية العلمية . وقد أخذ الاهتمام العالمى بقضايا التراث العلمى فى الازدياد بصورة ملاحظة خلال العقود الأربعة الأخيرة ، خاصة بعد أن أظهرت الدراسات المتعلقة بتاريخ العلم وفلسفته أن الباحث الجيد هو الذى يكون على دراية تامة بأحدث ما توصل إليه زملاؤه فى مجال تخصصه . وأن يكون فى الوقت نفسه ملمًّا إلماماً كافياً بأصول المفاهيم العلمية المتصلة بموضوع بحثه ، وذلك من خلال متابعته الدقيقة لطبيعة نموها عبر مراحل تطورها . وهذا يعنى أن الجمع بين الأصالة والمعاصرة فى العلوم الكونية يعتبر من أهم سمات الباحث الجيد الذى يكون بلاشك أقدر من غيره على ممارسة البحث العلمى برؤية أعم ومنهج أصوب وذوق أرق .

ويمكن حصر أهم مظاهر الاهتمام العالمى بقضايا التراث العلمى فى النشاطات الآتية :

١ ـ إنشاء أقسام ومعاهد ومؤسسات علمية أكاديمية فى الكثير من جامعات العالم لرعاية تاريخ العلوم وتقنياتها .

٢ ـ إصدار أكثر من مائة مجلة دورية متخصصة فى تاريخ العلوم ككل ، أو فى موضوع

محدد من موضوعاته ، أو فى مرحلة زمنية معينة من مراحله .

٣ ـ عقد المؤتمرات الدولية بصورة دورية تقريباً كل ثلاث أو أربع سنوات ، منذ عام ١٩٢٩ م . وقد بلغت حتى الآن تسعة عشر مؤتمراً ، عقد آخرها هذا العام ( سبتمبر ١٩٩٣ م ) فى مدينة سرقسطة Zaragoza بأسبانيا[١] .

٤ ـ اهتمام عدد كبير من العلماء والفلاسفة على حد سواء بتأليف الكتب والرسائل الأكاديمية فى مختلف موضوعات تاريخ العلم وفلسفته .

٥ ـ تنشيط الجهود المحلية والدولية لإعادة نشر الأعمال الكاملة للمبرزين من العلماء على مر العصور ، ليس فقط بهدف تخليد ذكراهم وإزكاء المجد القومى ، ولكن أيضاً بهدف إتاحة الفرصة للباحثين المعاصرين لكى يقرأوا هذه الأعمال قراءة جديدة .

وتشهد ساحة الفكر العلمى حالياً نشاطاً منظماً على مستوى العالم يهدف إلى نشر الأعمال الكاملة لكبار العلماء ، على اعتبار أنه مسئولية دولية تستوجب الرعاية والتعاون من جميع الدول ، بما فى ذلك بلدان العالم الثالث[٢] .

وقد حدث أن لجأت الهيئات المسئولة عن نشر الأعمال الكاملة للعالم الشهير « برنوللى » Bernoulli إلى تدعيم جهودها عن طريق الاكتتاب العام ، ويجرى فى الوقت الحاضر إعداد طبعة جديدة لهذه الأعمال من خلال التعاون بين أكثر من سبع دول . وسوف تصدر أجزاء هذه الطبعة تباعاً فى نحو خمسة وأربعين مجلداً كذلك أمكن إصدار مجموعة الأعمال الكاملة للعالم المتميز « أويلر » Euler عن طريق الاستعانة بامكانيات ست دول ، بالرغم من أن قاعدة العمل كانت تقع جغرافيا فى سويسرا . وقد شرعت الولايات المتحدة الأمريكية حديثاً فى تبنى هذا المبدأ لإصدار أعمال العديد من العلماء أمثال : « جاليليو » فى إيطاليا ، و« نيوتن » فى انجلترا ، و« جاوس » فى ألمانيا ، و« ديكارت » و« لابلاس » و« لاجرانج » فى فرنسا ، وغيرهم . ولا ينبغى أن يدهش المرء لطول الوقت الذى يستغرقه إنجاز مثل هذه المشروعات ، فقد استغرق إصدار أعمال عالم الرياضيات المعروف « كوشى » أكثر من خمسين سنة .

وتجدر الاشارة هنا إلى بعض صور التحيز الواضح من جانب بعض المؤرخين عندما يتجهون إلى التأليف فى تاريخ العلوم وتقنياتها لازكاء النزعة القومية ، حيث نجد بينهم من يكتب عن علم غير غربى ، لا ليؤكد حق حضارة أخرى أسقط دورها من حركة التاريخ الإنسانى ، ولكن لكى يثبت أسطورة الجنس الآرى وتفوقه ويؤكد مقولة أن العلم لا يمكن إلا أن يكون غربياً . فعندما صنَّف « نيدهام » J.Needham وزملاؤه سبعة مجلدات ضخمة ( بدأ إصدارها فى عام ١٩٥٤م ) عن العلم والحضارة فى الصين ، إنما كانوا يحاولون أن

---

(١) لمزيد من التفصيل حول المؤتمرات الدولية فى تاريخ العلم والاصدارات اللاحقة لأعمالها راجع : مجلة « العلم والمجتمع » ، العدد ٨٢/١٦٠ ( ١٩٩١ ) ، الترجمة العربية ، إصدار اليونسكو ( عدد خاص عن منظورات تاريخية فى العلم ) .

(٢) راجع فى ذلك مقالا هاماً بعنوان « نشر الأعمال الكاملة لعظماء العلماء مسئولية دولية » ، العلم والمجتمع ، ع ٨٢/١٦٠ ( ١٩٩١ م ) .

يفسروا السبب الذى حال دون أن تتبع التنمية فى الصين نفس المسار الذى اتبعته الثورة العلمية الحديثة فى أوروبا ، ثم يسعون من خلال ذلك إلى تأكيد فرض ضمنى مفاده أن العلم والتقنية اللذين أينعا بالفعل فى أوروبا النهضة عالميان ، وأن كل ما هو أوروبى لابد أن يكون عالمياً . وغالباً ما يطرح أمثال هؤلاء المؤرخين المتحيزين مسألة « العلم القومى » فى صورة منافسة يحاول فيها كل فريق التصدى بحماس لا يخلو من المبالغة فى كثير من الأحيان للرد على كل ما يقلل من شأنهم فى ساحة الفكر العالمى(٣) .

### دعوة إلى إحياء العلم الإسلامى :

لعل فيما قدمناه من عرض موجز لمظاهر الاهتمام العالمى بالتراث العلمى لعلماء الغرب ما يوضح مدى تقصيرنا ـ نحن العرب والمسلمين ـ فى حق التراث العلمى للحضارة الإسلامية ، وفى حق علمائها الأفذاذ أمثال الكندى والفارابى والهمدانى والرازى والبتانى والبيرونى والقزوينى والجلدكى وابن سينا وابن الهيثم والزهراوى وإخوان الصفا وغيرهم ، حين ظلوا لأكثر من ثمانية قرون طوال يشعون على العالم علماً وفناً وأدباً وحضارة ، ولا نعرف اليوم شيئاً عن أغلب مؤلفاتهم ومخطوطاتهم المفقودة ، أو التى لا تزال بكراً فى مظانها ، تنتظر من يتولى البحث عنها لتحظى من جميع الباحثين بدراسات تحليلية مفصلة .

وليس هناك من شك فى أن مثل هذه الدراسات التراثية للعلم الإسلامى من شأنها أن توضح أهمية التحليل المنطقى لتاريخ العلوم وتقنياتها ، فلن يوجد فهم واقعى للعلم بدون نقد متواصل له ، وليس ثمة معرفة إنسانية لا تفقد طابعها العلمى متى نسى الناس الظروف التى نشأت فى أحضانها ، وأغفلوا المسائل التى تولت الجواب عليها .

وإذا كانت الخبرة الإنسانية تدعونا دائماً إلى الاعتبار بدروس التاريخ ، فإن تاريخ العلوم لا يدلنا فقط على المراحل الزمنية للتغيرات التى شهدها ، ولكننا نتعلم منه ـ أيضاً ـ أن المشكلات والقضايا العلمية التى تواجهنا الآن ليست جديدة تماماً ، فالأساليب التى عولجت بها هذا القضايا فى ظروف مغايرة عبر العصور لن تخلو أبداً مما يمكن أن نفيد منه اليوم أوْ غداً ، ولذا فإن أية نظرية تُطرح لنقد العلم قديماً وحديثاً تكتسب أهميتها من المبررات المنطقية التى تقدمها كمسوغ لإعادة قراءة تاريخ العلوم فى ضوء المرحلة التى يبلغها من تطوره على أساس ما يستجد دائماً من أفكار تتعلق بالجوانب المختلفة لنظرية العلم والتقنية . ومن هنا نعثر على السبب الحقيقى وراء الاهتمام المتزايد حالياً على مستوى العالم بإعادة تحليل تاريخ العلوم الكونية وتقنياتها برؤية موضوعية قدر الإمكان من خلال المؤسسات الأكاديمية والمجلات الدورية والمؤتمرات الدولية والترجمة والتأليف وإحياء تراث الأعلام فى فروع العلم المختلفة .

---

(٣) راجع فى ذلك :

Jean Dhombres, "On the track of ideas and explanations down the centuries: the history of science today" Impact of Science on Society, UNESCO, No 159, p. 190 (1990).

# صور التقاط برامج التليفزيون عبر الأقمار الصناعية

أ.د/ انشراح الشال

يتم نقل برامج التليفزيون من دولة المحطات الباثة إلى دولة أخرى عبر الأقمار الصناعية بصور مختلفة على النحو التالى .

الصورة الأولى :

- ما يحدث على - سبيل المثال - عند مشاهدتنا على شاشة التليفزيون المصرى لمباريات كأس العالم التى تقام فى التو واللحظة فى قارات ودول أخرى ويتم نقلها عبر أقمار صناعية تقليدية للاتصال على الهواء مباشرة ، حيث لابد وأن تلتقط الرسالة التى يبثها القمر بواسطة محطة أرضية يتوافر فيها هوائى « قصعى » ( للتشابه بينه وبين القصعة التى يستخدمها عامل البناء ) وهو هوائى عملاق قطره يصل إلى ٣٢ متراً كما هو الحال بالنسبة لهوائيات الاتصال ( إرسال واستقبال ) بأقمار تابعة لشبكة الانتلسات والموجودة فى المحطة الأرضية بالمعادى ، والتى تقوم عندئذ بالتقاط البث القمرى وتحويلــه إلى بث تليفزيـــونى ( لاختلاف التردد المستخدم بالنسبة للقمر الصناعى عنه بالنسبة للتليفزيون ) والرسم التالى يوضح خط سير الرسالة منذ لحظة انتاجها ( أو تصويرها ) إلى لحظـــة وصولها إلى شاشات التليفزيون داخل المنزل ، حيث يلاحظ فى هذا النظام أنه يحقق التحكم فى نوعية البرامج التى يمكن تعميم مشاهدتها والتحكم فى وقت البث وتوقيته بالنسبة لهذه البرامج على خريطة برامج التليفزيون .

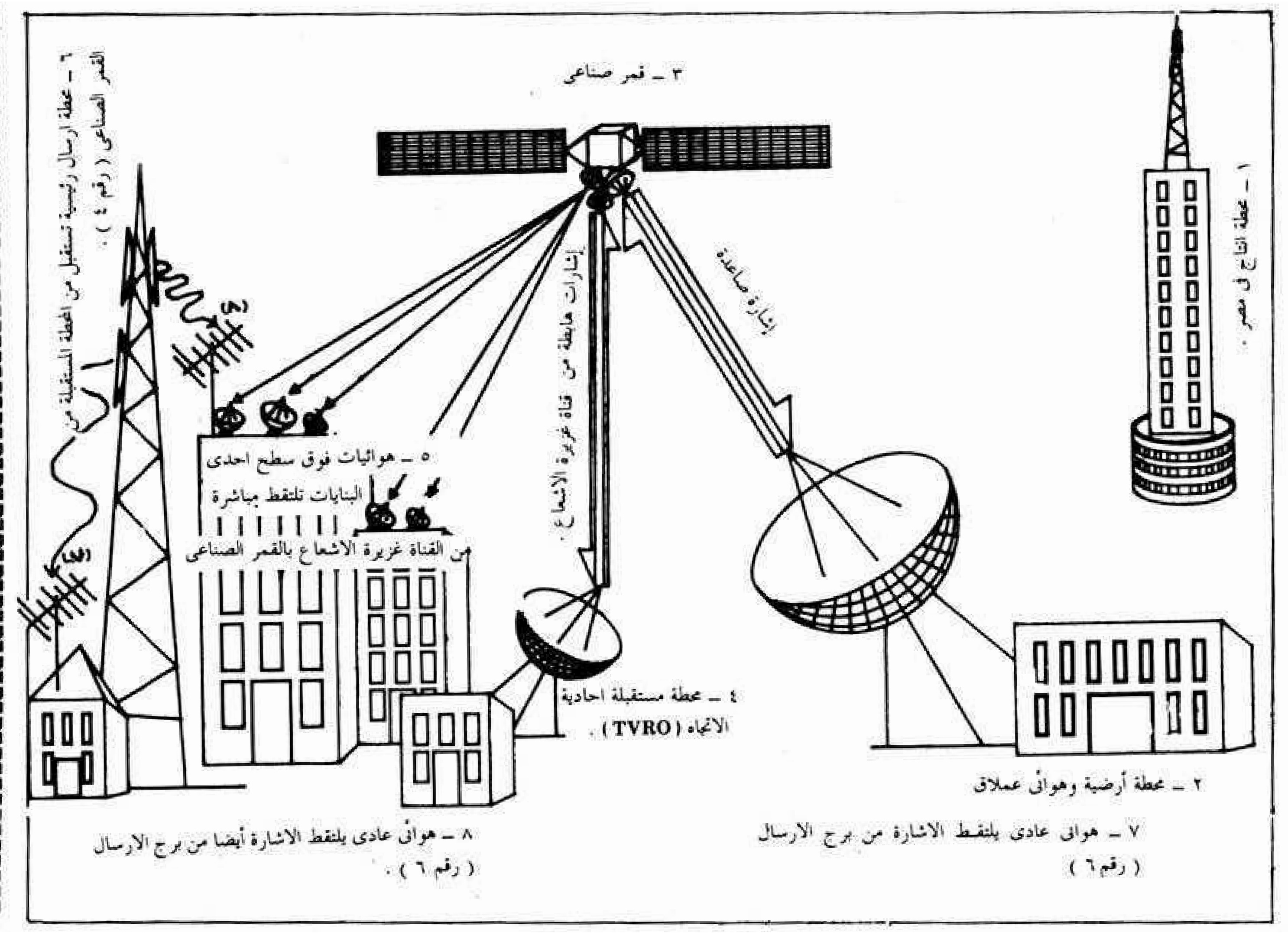
الصورة الثانية لالتقاط البث عبر الأقمار الصناعية :

يشاهد حاليا فى مصر بالنسبة لهوائيات « قصعية » صغيرة الحجم منتشرة فوق أسطح بعض البنايات وفى بعض شرفات المنازل وتمكن أصحابها من مشاهدة برامج التليفزيون من عديد من الدول الأجنبية ( تركيا واسرائيل وفرنسا وانجلترا وأسبانيا وأمريكا ) وتقل أقطار هذه الهوائيات عن مترين ( ١,٤٠ و ١,٨٠ متر ) ، بل وشاهدنا فى أوربا هوائيات لا يتعدى قطرها أربعين سنتيمترا ( يتم تثبيتها على حائط الشرفة أحيانا ) ، حيث يختلف قطر الهوائى باختلاف مكان هذا الهوائى من الشعاع المركزى لهوائى البث بالقمر الصناعى الذى يتعامل معه والذى يعد أقصر الأعمدة الهابطة من هذا القمر وأكثرها تركيزاً إذ أن الاشارة القمرية تضعف كلما يطول العمود الساقط من القمر ويستوجب ذلك ضرورة الاستعانة بهوائى أكثر كفاءة ترتبط أساساً بحجمه .

والسؤال الذى يطرح نفسه هنا :

كيف أصبح فى الامكان التقاط بث بعض الأقمار الصناعية بوساطة هذه الهوائيات صغيرة الحجم ؟

الاجابة ببساطة تتلخص فى أن تطور تقنية الأقمار الصناعية قد وفرت قنوات فى الأقمار الصناعية يطلق عليها اسم القنوات « غزيرة الاشعاع » أو القنوات « فائقة القدرة » ، وهى قنوات أحادية الاتجاه للاستقبال فقط ( TVRO )



١ ـ محطة انتاج فى مصر .
٢ ـ محطة أرضية وهوائى عملاق
٣ ـ قمر صناعى
إشارة صاعدة
إشارات هابطة من قناة غزيرة الاشعاع .
٤ ـ محطة مستقبلة احادية
الاتجاه ( TVRO ) .
٥ ـ هوائيات فوق سطح احدى
البنايات تلتقط مباشرة
من القناة غزيرة الاشعاع بالقمر الصناعى
٦ ـ محطة ارسال رئيسية تستقبل من المحطة المستقبلة من
القمر الصناعى ( رقم ٤ ) .
(٧)
(٨)
٧ ـ هوائى عادى يلتقط الاشارة من برج الارسال
( رقم ٦ )
٨ ـ هوائى عادى يلتقط الاشارة أيضا من برج الارسال
( رقم ٦ ) .

إشاراتها قوية جدا ، وبذلك فهى لا تحتاج لهوائيات عملاقة ؛ وبهذا ألغت هذه الأقمار الدور الذى كانت تقوم به الدولة بالنسبة للبث الوافد لتقنين ما يمكن تقديمه من برامج لمواطنيها ، على الأقل بالنسبة لمواطنى هذه الدولة ممن لديهم الامكانيات المادية لحيازة هذه الهوائيات القصعية ( وإن كانت قد بدأت تظهر هوائيات مستطيلة ) . والرسم التالى يوضح خط سير الاشارة التليفزيونية من المحطة الباثة إلى شاشة التليفزيون فى المنزل باستخدام هوائيات أحادية الاتجاه .

**والصورة الثالثة** : التى يمكن تقديمها لالتقاط البث الوافد عبر الأقمار الصناعية على شاشات التليفزيون فى الدولة المستقبلة له تتمثل فيما حدث فى مصر بالنسبة لبرامج الشبكة الاخبارية الأمريكية المعروفة باسم « السى إن إن » ( CNN ) إبان حرب الخليج عندما كانت تستقبل بوساطة محطة وسيطة تابعة لاتحاد الإذاعة والتليفزيون فى مصر ويتم تحويلها بعد ذلك إلى إشارة تليفزيونية يمكن التقاطها فى المنازل بالهوائيات العادية ذات السلاميات ( وذلك قبل تشفيرها واستقبالها بعد فك الشفرة باستخدام جهاز خاص بذلك للمشتركين فى هذه الخدمة التى سميت باسم « السى إن إى » ( CNE ) على أنها شبكة اخبارية مصرية ) .

كذلك استخدم الأسلوب نفسه بالنسبة للقناة الفضائية المصرية للوصول ببرامجنا إلى أبنائنا فى « حفر الباطن » ، والبحرين والشارقة بهوائيات يبدأ قطرها من مترين ( وصل سعر الواحد منها إلى أربعة آلاف دولار ) ولا يزيد عن ثلاثة أمتار ، وتقوم هذه الهوائيات بالتقاط بث القناة الفضائية المصرية عبر القناة غزيرة الاشعاع للقمر الصناعى ثم تحول الاشارة القمرية إلى إشارة تليفزيونية ( تحويل التردد ) بحيث يمكن التقاطها بالهوائيات العادية ومشاهدتها مباشرة على شاشات التليفزيون فى محيط هذه المحطة الوسيطة ( فى دائرة نصف قطرها خمسين كيلومتراً تقريباً ) .

ويلاحظ هنا أن عملية الإرسال والاستقبال للبرامج تتم بالصورة نفسها التى تحدث بالنسبة للهوائيات العملاقة ، وإن كان الأمر لا يستلزم فى هذه الحالة المساحة الضخمة الواجب توافرها لاقامة هوائى عملاق ، وبذلك فإن تكاليف إنشاء محطة وسيطة لالتقاط بث قناة غزيرة الاشعاع فى هذه الحالة تقل كثيراً عن النفقات اللازمة لالتقاط البث من قنوات عادية لأقمار صناعية تقليدية تستوجب توافر هذا الهوائى العملاق .

وإلى جانب استقبال بث هذه المحطات الوسيطة عبر موجات الطيف الترددى للتليفزيون بالاستعانة بالهوائيات العادية ، فإنه يمكن استقبال هذا البث عن طريق « سلك » كابل كما هو الحال بالنسبة للتليفون ، وهو ما يحدث فى دول كثيرة حالياً حيث تقوم شركات متخصصة باستقبال البث التليفزيونى عبر الأقمار الصناعية بوساطة محطة أرضية

---

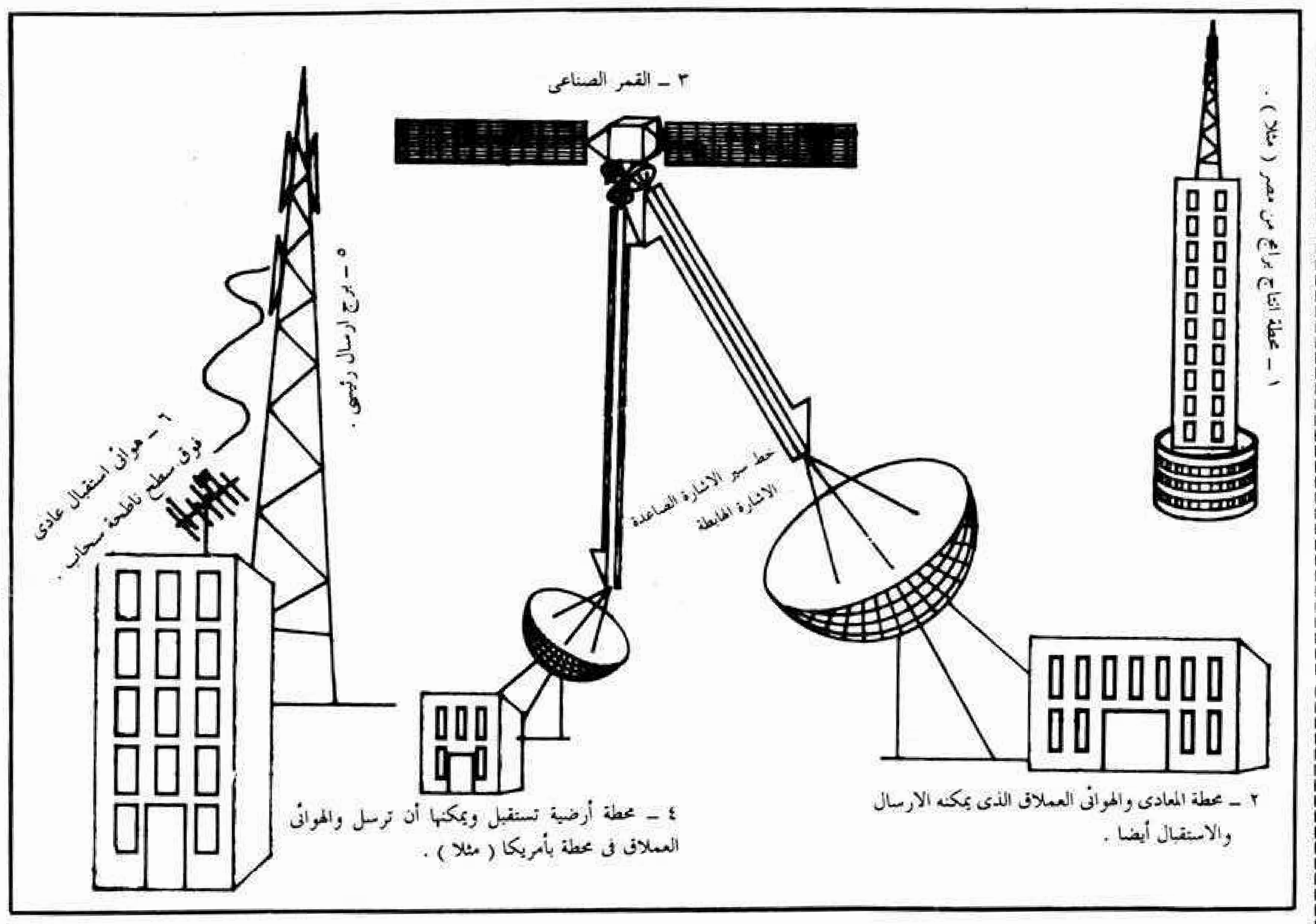
**بحوث ودراسات بلغات أجنبية فى موضوع الأقمار الصناعية**

**1 - "Regards sur le journal télévisé eu Egypte".**

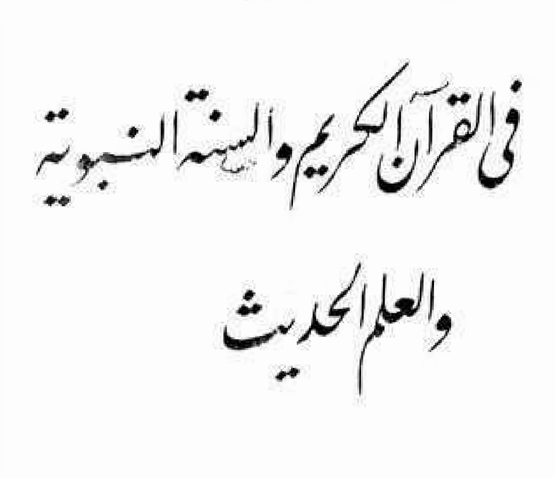
**2 - "Third World eu Eurovision".**

**3 - Egyptian TV and Satellites".**

**4 - "Les effets de la télévise sur les enfants égyptiens durant la guerre du golfe".**


١ ـ محطة انتاج برامج من مصر ( مثلا ) .
٢ ـ محطة المعادى والهوائى العملاق الذى يمكنه الارسال والاستقبال أيضا .
٣ ـ القمر الصناعى
خط سير الاشارة الصاعدة
الاشارة الهابطة
٤ ـ محطة أرضية تستقبل ويمكنها أن ترسل والهوائى العملاق فى محطة بأمريكا ( مثلا ) .
٥ ـ برج ارسال رئيسى .
٦ ـ هوائى استقبال عادى فوق سطح ناطحة سحاب .




-٢-

أ.د/ عبدالحكم عبداللطيف الصعيدى (*)

ثالثا : الحشرات مادة لضرب الأمثال :

نود أن نعرف المقصود بالمثل حتى يكون ذلك أعْون لنا على فهم المراد منه عند الاستشهاد بالنصوص فى مواطنها .

معنى المثل : المثل كلمة مأخوذة فى الأصل من كلمة المثال بمعنى النظير ، وهو قول سائر على الألسنة ، يُشَبَّه به أمرٌ حاضر بأمر سابق . يسمى الأمر السابق بالمَوْرِد ، ويسمى الأمر الحاضر بالمَضْرِب ، والمثل قول موجز يُصيبُ المعنى ، فيه حسْن التشبيه وجوْدة الكناية ، فهو فى غاية البلاغة ، والمثل يروى كما ورد من غير تغيير فى لفظه ، ولا يضرب إلا بما فيه غرابة أو شأن عجيب ، ومنه قول النبى - ﷺ - « كُلُّ الصَّيْدِ فى جَوْفِ الْفَرَا »[1] ومنه قول الله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ﴾ [ الحج : ٧٣ ]



---

(*) أستاذ الحشرات الاقتصادية - كلية الزراعة - جامعة الأزهر .

(١) كشف الخفا ٢/١٧٧ رواه الرامهرمزى فى الأمثال عن نصر بن عاصم الليثى سنده جيد ، لكنه مرسل ونحوه عند العسكرى قال فى القاموس فى باب الهمزة الفرأ كجبل ، حمار الوحش والجمع ( فِراء ) و ( أفراء ) .

وغير هذا فى القرآن والسنة كثير

وعليه ، فلما كانت الحشرات مخلوقات ضعيفة وزهيفة لا تقاس قدرتها بقدرة البشر ، فضلاً عن مُدَّعى الألوهية منهم فقد ضرب الله بها الأمثال فى كثير من المواطن فى كتابه العزيز للدلالة على بالغ حكمته وعظيم قدرته ، وفى هذا المعنى يقول الإمام أبو منصور : الأُعْجُوبَةُ فى الدّلالة على وحدانية الله تعالى فى الخلق الصغير الجُثَّة والجسم أكبرُ منها فى الكِبَار العظام .

فالبعوضة أعطيت على قدر حجمها الحقير كل آلة وعضو أعطيه الفيل الكبير القوى[1]. أى أن بجسمها من الأجهزة ما تصلح به حياتها كما أن بجسد الفيل ما يصلح حياته .

وضرب المثل بالحشرات فى القرآن والسنة متنوع تبعاً لتنوع الأغراض والمعانى التى يراد إبرازها ونَجْتَزِىءُ منها بذكر أمثلة للتوضيح فيما يلى :

أ ـ يضرب الله المثل بالحشرات لأنها خلق من خلقه :

روى الحسن وغيره أن الكفار أنكروا ضرب المثل بالذباب والعنكبوت فى قوله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ﴾

[ الحج : ٧٣ ]

وفى قوله :

﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ﴾

[ العنكبوت ٤١ ]

أو أنهم قالوا : الله أجل وأعلا من أن يضرب الأمثال لما نزل قوله تعالى :

﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ ﴾

[ البقرة : ١٧ ]

وقوله :

﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ ﴾

[ البقرة : ١٩ ]

فأنزل الله قوله :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾

[ البقرة : ٢٦ ]

وفيها يخبر الله بأنه لا يستحى ولا يستنكف ولا يمتنع أن يضرب مثلاً أىَّ مثل كان ، بأى شىء كان ، صغيراً كالبعوضة أو ما فوقها فى الصغر ، أو كبيراً ، فكما أنه خلق هذه الأشياء ولم يستنكف من خلقها فهى على صغرها فيها من دلائل القدرة وبديع الصنعة ما تحار فيه العقول ويشيد بحكمة الخالق ، فإنه لا يستنكف أن يضرب المثل بأى شىء منها فهو سبحانه وتعالى :

﴿ **لا يسأل عما يفعل وهم يسألون** ﴾ .

ب ) فى ضرب المثل بالحشرات إشارة إلى عَجْز الآلهة المزْعومة :

إن الآلهة التى يتخذها الكافرون من دون الله ، حَجَراً كانت أم شجراً أم حيواناً أم إنساناً إنما هى أعْجز وأضْعف من الضعف فى حدِّ ذاته ، فمن صفة الإله القدرة ، وهؤلاء لا قدرة لهم حيث

لا يستطيعون خلْق شيء من هذه الحشرات كالذباب ونحوه ، وناهيك عن التحدث عن قدرتهم على الخَلْق ، فعجزهم بيِّن ظاهر وواضح وضوح الشَّمس فى رائعة النهار ، فهم من العجز بحيث لا يستطيعون إعادة ما يسْلبه الذباب منهم أو من آلهتهم إذا ما حطَّ على طعام أحدهم أو شرابه أو على ما يُقرِّبه لإلهه ، ووجْه التَّحدى والعجز فى هذا أن القَدْر الذى تأخذه الذبابة بفمها أو بأرجلها على سبيل السَّلب شئٌ من الدقة والصغر بحيث لا يمكن تقديــره فضلاً عن إعادتـــه وإرجاعه ، وأن الإنسان أضْعف فى قوته من هذا الجزء المسلوب «ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ» .

ج ) تقريب لمعنى البعث فى الأذهان :

لقد ضرب الله المثل بالحشرات ليقرب إلى أذهان الناس معنى البعث يوم القيامة وما يتابهم فيه من هوْل وفزَع ، ويقول الله تعالى :

﴿ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴾

[ القمر : ٧ ]

فهذه الآية تقرر حقيقة يعرفها أهل الجزيرة العربية التى تتعرض لموجات من أسراب الجراد الرَّحال الذى إذا ما حط بأرض وألقى بها عصار التَّسْيَار قضى على ما بها من نبات ، وتضع إناثه بيضها فى تلك التربة بنظام محكم ثم لا تلبث الأباء أن ترحل وقد أتت على الأخضر واليابس ، فإذا ما تمت مدة حضانة هذا البيض وَوَاتته الظروف فإن أفواج تلك الصغار تشق الأرض شقاً وتنتشر ، فيظن الناس أن الجراد يتولد من الأرض ، وكذلك الحال للناس يوم البعْث يخرجون من قبورهم عقيب النفخة الثانية لإسرافيل فى الصور :

﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾

[ الزمر : ٦٨ ]

د ) تقريب لمعنى الضعف والحيرة يوم البعث :

يضرب الله المثل بالحشرات فى كتابه العزيز لبيان ضعف الناس وحيرتهم يوم القيامة ، وأنهم أحوج ما يكونون إلى لطف الله ورحمته ، فقد تقطعت بهم الأسباب ، وتفــرقت عنهم الأحبـــاب والأصحاب .

﴿ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ ﴾

[ المعارج : ١٣/١١ ]

﴿ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ ﴾

عبس : ٣٧

وقد تكفلت سورة القارعة ببيان هذا الموقف فى قوله تعالى :

﴿ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ ﴾

سورة القارعة

فيكون الناس يوم القيامة فى غاية الضعف والحَيْرة كالفراش المبثوث ، ونحن نعرف أن الفراش أنواع كثيرة ، وهى حشرات رهيفة تخرج بأعداد وفيرة وتنتشر عقب خروجها فى حالة من الضعف والحيرة لا تدرى أين تتجه ؟ ولا إلى أين تنطلق ، وقد يُغْريها ضوءُ المصباح فتتهافت عليه فَيَحْرقها . فاللهم سلمنا فى ذلك اليوم من الذل والضعف والحيرة .. وأعطنا كتابنا بأيماننا .. وهب لنا نوراً .. واجعلنا لك من الشاكرين .

هـ) فى ضرب المثل بهذه الحشرات الدقيقة إشارة إلى حال الإنسان وكمال استعداده ، كما قال عليه الصلاة والسلام : «إِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ» أخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب الجنة ، باب يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير . أى على صفته ، فعلى قدر ضعف الإنسان أعطاه الله من كل صفة من صفات جماله وجلاله أنموذجاً ليشاهد فى مرآة صفات نفسه كمال صفاتِ ربه ، وإليه الإشارة بقول النبى - ﷺ - «مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ» .

و) توضيح شفقة النبى - ﷺ - بالأمة ومبالغته فى تحذيرهم مما يضرهم : فعن جابر رضى الله عنه - قال : قال رسول الله - ﷺ - : «مَثَلِى وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَوْقَدَ نَارًا فَجَعَلَ الْجَنَادِبُ وَالْفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهَا وَهُوَ يَذُبُّهُنَّ عَنْهَا وَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ وَأَنْتُمْ تَفَلَّتُونَ مِنْ يَدِى» . مسلم ١٤٧/٥ ط : الشعب . والجَنَادِبُ : هى أنواع من النطاطات التى تشبه الجراد ، وقيل : أنواع من الصراصير التى تحدث أصواتاً رتيبة ليلاً وهى المعروفة بصرصور الغيط . ونرى أن الصواب هو الأول لأن الأخيرة لا تغشى النور كالأولى .

والفراش هو أنواع الحشرات الرهيفة التى يطلق عليها الفراش والتى تقع على النار ، وقيل : غير هذا ولكن الأول هو الأصح .

ز) يضرب بها المثل لتوضيح حكمة شمول الهلاك وعمومه : ويتضح لنا ذلك فى ضوء الحديث التالى :

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى - ﷺ - قال : «نَزَلَ نَبِىٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ تَحْتَ شَجَرَةٍ فَلَدَغَتْهُ نَمْلَةٌ فَأَمَرَ بِجِهَازِهِ فَأُخْرِجَ مِنْ تَحْتِهَا ، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَأُحْرِقَتْ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ فَهَلَّا نَمْلَةً وَاحِدَةً» أبو داود فى كتاب الأدب ، باب قتل الذر . وفى رواية البخارى «ثُمَّ أَمَرَ بِبَيْتِهَا فَأُحْرِقَ» وفى رواية أخرى له فى الجهاد «فَأَمَرَ بِقَرْيَةِ النَّمْلِ فَأُحْرِقَتْ» . وسبب هذه القصة كما فى بذل المجهود فى حل أبى داود : أن هذا النبى هو موسى عليه السلام على الترجيح مرَّ على قرية أهلكها الله بذنوب أهلها فوقف متعجباً ، فقال : «يارب قد كان فيهم صبياناً ودواباً ومن لم يقترف ذنباً» ، ثم نزل تحت شجرة فجرت له هذه القصة فعاتبه الله إيضاحاً لحكمة شمول الهلاك لجميع أهل القرية ، فضرب له المثل لذلك ، أى إذا اختلط من يستحق الإهلاك بغيره وتعيَّن أهلاك الجميع طريقاً إلى إهلاك المستحق جاز إهلاك الجميع ، ولهذا نظائر كَتَتَرُّسِ الكُفَّار بالمسلمين ، وغير ذلك قاله الحافظ فى الفتح .

**رابعاً : الإشارة إلى ما ركبه الله فى طبائع خلقه من صفات :**

من حِكَم الله فى ذكر الحشرات فى القرآن إشارته إلى طبائعها ، فالبعوض والذباب مخلوق على غاية الضعف ، والأسد مخلوق بغاية القوة ، ومع هذا فإن الله أعطى البعوض والذباب جُرْأَةً أظْهَرَها فى طيرانها فى وجوه الناس ، وتماديها فى ذلك مع مبالغة الناس فى طردها . ومن رحمته سبحانه بعباده أنه رَكَّبَ الجُبْنَ فى الأسد وظهر ذلك بتباعده عن مساكن الناس وطُرقهم ، فلو تَجَاسَرَ الأسد تجاسُرَ الذُّباب والبعوض لهلك الناس ، ومن عَجَبٍ عجزُ الإنسان عن هذا

الضعيف وقدرته على ذلك القوى بصَيده وأسْره ، ويجب أن لا يغيب عن الأذهان ما قاله القشيرى : « إن الخلق فى التحقيق بالإضافة إلى قدرة الله أقلُّ من ذرة من الهباء فى الهواء ، ويستوى فى قدرته العَرْشُ والبَعُوض ، فلا خَلْقُ العرش عليها أعْسَر ، ولا خلق البعوض عليه أيْسَر ، سبحانه وتقدس عن لحوق العُسْر واليسر .

**خامساً : توظيف بعض الحقائق العلمية عن الحشرات لخدمة علوم الشريعة :**

إن الحقائق العلمية التى تم التوصل إليها عن الحشرات كثيرة ومتنوعة ، وكلها يمكن توظيفها فى خدمة فهْم العلوم الشرعية فى بعض جوانبها التى تتعلق بالحشرات ، وهو أمر ميسور إن شاء الله تعالى ، ولكننا نَجْتَزِىء منه ببعض الحقائق بما يناسب حجم البحث والمساحة المخصصة له وذلك على النحو التالى :

**النموذج الأول** : وهو يتعلق بمعنى الآيات القرآنية الكريمة التى يقول الله فيها :

﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾

[ النحل ٦٨ ـ ٦٩ ]

وذلك فيما يتصل بالموضوعات التالية :

(١) « ثُمَّ كُلِى مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ » لقد ثَارَ بين المفسرين خلافٌ فى بيان المراد بـ« الثَّمَرَاتِ » نُورِدُه هنا ملخصاً عن الألوسى فيما يلى :

(أ) الثمرات : حمل الشجرة .

(ب) الثمرة : الشجرة ، كما فى القاموس ، وقال أصحاب هذا الرأى : إنه هو المناسب ، وفندوا الرأى السابق بقولهم : التخصيص بِحَمْل الشجرة على الثمر خلاف الواقع لعموم أكلها أى النحل للأوراق والأزهار والثمار .

(جـ) الثمرات : النوار والزهور وبه أخذ ابن عطية فى تفسيره عملًا بالظاهر لأنها (أى النحلة) إنما تأكل كل الثمار من الأشجار .

(د) الثمرات : الأوراق والأزهار وبه قال آخرون ، وأيَّدوا رأيهم هذا بقوله تعالى « كُلِى » أى أن النحل يأكل من الأوراق العَطِرة والأزهار أشياء ، ثم إنه تعالى يَقْلب تلك الأجسام فى داخل بدَنها عسلًا ثم تَقِيئُه . كما استُشهد لذلك ببعض الأشعار وبعض الملاحظات .

يقول المعرى :

وَالنَّحْلُ يَجْنِى الْمُرَّ مِنْ زَهْرِ الرُّبَا  
فَيَعُودُ شَهْداً فِى طَرِيقِ رُضَابِهِ

ويقول الحريرى :

تقول هذا مُجَاجُ النحل تَمْدَحُه  
وإنْ تُرِدْ ذَمَّهُ قُلْ قَىْءُ الزَّنَابِيرِ

كما أخبر الآلوسى بأنه أخبره ثِقَةٌ أنه شاهد النحل تحمل الأوراق والأزهار بفمها إلى بيُوتها وهومِمَّا يُستأنَس به للأكل .

وحينما نمعن النظر فى هذه الآراء يتضح لنا جلياً أنها مبنية على العُرْف اللُّغوى فى الجانب الأعظم منها ، والملاحظةِ العابرة ، وكل منها فيه مقال ، فإطلاق الثمرة على الشجرة مجاز غير معروف وكونها تأكل من غيرها معلوم وغير مناف للاقتصار على أكل ما ينبت فيها ، والعموم فى كل ما يشير إليه عموم كلام البعض عرفى يجوز أن

يكون مخصوصاً بالعادة أى كلى من كل ثمرة تشتهينها ، وأما ملاحظة حملها للأوراق والأزهار فهذا أمر لا تؤيده نتائج التجارب العلمية فى هذا الصدد ، فالذى يقطع الأزهار والأوراق إنما هى أنواع أخرى لا تقوم بصنع العسل وإنما هى أنواع من النحل الملقح للأزهار وتتخذ بيوتها فى الأنفاق أو فى الأرض وتجلب هذه القطع الورقية لتبطن بها بيوتها حيث لا قدرة لها على إنتاج الشمع ، كما يفعل نحل العسل .

وإذا كان الأمر بالأكل فى الآية قد ورد على سبيل الإطلاق فإننا نلاحظ وجود فرق واضح وهام بين الأكل الذى يحفظ على النحل حياته ويعينه على القيام بأمر معاشه ، وبين الأكل الذى يتخذ أساساً لصنع العسل ، فطعامها الذى تعيش عليه يتكون من الرحيق وحبوب اللقاح كمصدر غنى يمدها بالبروتين والطاقة ، أما الأشربة التى تخرجها للناس عسلاً فمصدرها الأرجِقة المختلفة التى تقوم بجمعها من الأزهار أو الثمار أو المصادر الأخرى ثم تقوم بالعمل على تركيزها وتحسينها بإضافة الخمائر والإنزيمات التى تفرزها من غدد خاصة ملحقة بجهازها الهضمى ثم تضعها فى قُدُورِهَا فى الخلايا وتعمل على إتمام انضاجها بِحَمِىِّ أَنْفَاسِهَا حتى إذا اطمأنت لذلك ختمت تلك القُدُورَ كُلّ على حِدَةٍ بِغُلَالَةٍ رقيقة من الشمع .

(٢) ﴿ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ﴾ : اختلف المفسرون فى تفسير السبل اختلافاً لا يقل عن اختلافهم فى الثمرات ونحن نورده أيضاً على النحو التالى :

ا) السبل : طرق العودة إلى البيوت بعد الأكل .

ب) السبل : طرق الذهاب إلى ما تأكله فيكون معنى كلمة كلى : اقصدى الأكل .

جـ) السبل : طرق العمل وأنواعها فى عمل العسل .

د) السبل : طرق إحَالَةِ الغذاء عسلاً .

أى أن السبل على هذه المعانى هى الطرق وأضيفت إلى الله لأنه خالقها ، أى ادخلى طرق ربك لطلب الرزق .

٣ ـ « ذُلُلًا » : حال على أى حال ، ولكن ما هو صاحبها ؟

أ) قال مجاهد : هى حال من السبل ، أى اسلكى السبل حال كونها مذللة بقدرة الله ، وهى جمع كلمة ذَلُول .

ب) ابن عبدالسلام : ذللا حال من السبل على أن السبل تعنى مسالك الغذاء ، ولا يقصد بها طرق الذهاب والإياب ويعلل ذلك بأن النحل يذهب ويَؤُوب فى الهواء ، وليس طُرُقاً ذللا ، لأن الذلول هو الذى يذلل بكثرة الوَطْءِ ، والهواء ليس كذلك .

وفى هذا الرأى عندنا نظر إذ أن الواقع يخالفه فالطائرات الحربية والمدنية بل والأقمار والمركبات الفضائية لها طرق جوية لا تخطئها إلا فى حالة العطب فهى تتحرك خلالها صباح مساء ، ليلا ونهاراً ومع هذا فلم يذللها أحد إلا الله ، وإذا كان البشر قد استطاعوا تزويد هذه المركبات بأجهزة التحكم والسيطرة والتوجيه بهذه الدقة وعلى هذا النحو فإن الله القوى القادر قد أودع فى النحلة من الأجهزة ما هو أَعْقَد وأدَقُّ بحيث تستطيع السَّيْرَ فى تلك الطرق التى لا تتوعر ولا تلتبس ، فالنحلة تسير فعلاً فى طرق محددة ، فيها علاماتٌ

لونيَّةً لا يمكن تمييز بعضها إلا بالأشعة فوق البنفسجية ، كما أنها تسترشد بالشمس حتى فى اليوم الغائم حيث لديها القدرة على الإحساس بالضوء المُستقطَب خلال الغيْم كما أن لها قدرة فائقة على الإحساس بالروائح الخاصة بالغذاء أو بيوتها أو بأخواتها العاملات .

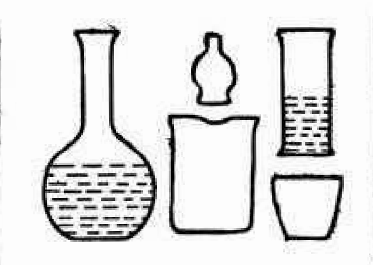
وهذا كله يجعل النحل أشْبهَ بالطيَّار المدرب الحَذِق الذى يقود طائرته فى مسار محدد ومرسوم وهذا المسار ليس له وجود ظاهرى ولكن تدلُّه عليه خرائطُه وبوصلته وأجهزةُ قياس الارتفاع وشدة الهواء وسرعته وضغطه . فالهواء أمامه فيه طرقٌ يعرف أن بعضها مذلل يبلغه هدفَه فى أمان بينما بعضها الآخر محظور عليه ارْتيادُه لأنه قد يكون فيه الشدائد والمخاطر والضياع[1].

جـ) ذُلُلًا : جمع ذلول وهو المُنْقاد المطيع أى مطيعةً مستمرة وعلى هذا فذللا حال من النحل ، واستشهد أصحاب هذا الرأى بأقوال قتادة وعبدالرحمن بن زيد ومجاهد ، كما قبِلَ ابنُ جرير الطبرى هذا الرأى والرأى الاخر القائل بأن ذللا حال من الطرق .

ولهذا الرأى الأخير وجاهته فقد عرف قدماء المصريين النَّحالَةَ المتنقلة عَبْرَ النيل شمالًا وجنوباً سعياً وراء مصادر الرحيق مع تهيئة المناخ المناسب لنشاط النحل فتراهم يذهبون شمالًا فى الصيف حيث الجو اللطيف والأزهار المتفتحة ، كما يتجهون جنوباً فى الشتاء حيث الدفء وتوافر الأزهار ، والنحل المحْمول على السفن منقاد فى كل الأحوال ، يذهب حيث شاء صاحبه ، فهى منقادة مذللة تتبع أصحابها حيث ذهبوا ، تَغْدو خِماصاً وتَرُوحُ بِطَاناً مع تغير المكان .

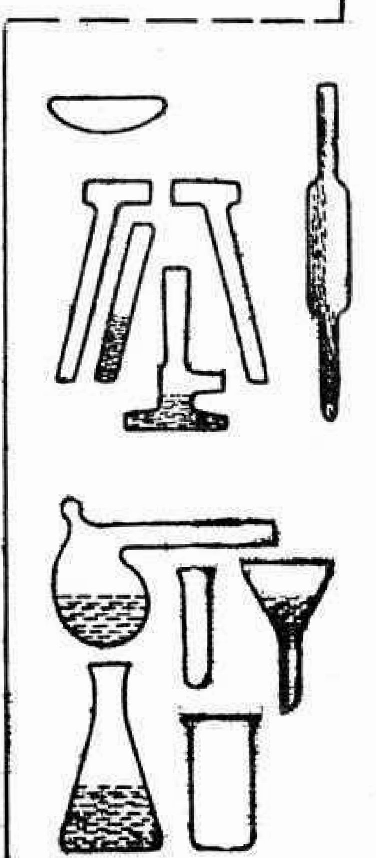
ونحن نرى أن الخلاف بين هذين الرأيين خلاف لفظى ، فمن يرى أن ذللًا حال من النحل يقصد النحل المستأنس الذى يربيه بنو آدم ، ومن يرى أنها حال من السبل فإنها أعم وأشمل حيث تطلق على البرى من النحل والمستأنس معاً ، ومع هذا فلابد لكل منهما من سبل يسلكها وطرق يعبرها .





# الجديد فى العلم والتقنية

إعداد/ د. بُشرى السّيد أحمد



## نفايات البلاستيك لإنتاج الوقود

أنشأت إحدى الشركات اليابانية أكبر مصنع نموذجي فى العالم لتحويل نفايات بلاستيك « البوليوليفين » إلى زيت وقود ومنتجات كيميائية أخرى باستخدام درجات حرارة عالية للحصول على طاقة إنتاجية تبلغ ٥٠٠٠ طن سنوياً . كما يقوم المصنع بتحويل النفايات البلاستيكية الصناعية مثل « البوليوليثين » و« البوليوبروبيلين » إلى وقود البنزين والجازولين والكيروسين أو إلى الزيوت الخفيفة الطيارة .

---

* باحثة بالمركز القومى للبحوث

أحدث زراعة للمفاصل الصناعية بواسطة جراح آلى :

تم لأول مرة عملية زرع مفصل الفخذ لأحد المرضى بواسطة جراح آلى تحت اشراف طبيب جراح فى أحد المستشفيات العامة بولاية كاليفورنيا الأمريكية ، وقد حفر الجراح الآلى فخذ المريض وزرع المفصل الصناعى بدقة يعجز عنها أمهر الأطباء . والجراح الآلى عبارة عن « روبوت » بخمسة مفـــاصل يعمـــل تحت إشراف « كمبيوترات » لضمان الدقة والسلامة ، كما يتم فحص المريض بالأشعة قبل إجراء العمليــة واستخدام برنامج كمبيوتر خاص لاختيار الحجم والشكل الصحيح للمفصل الصناعى .

مشبك يطلق إشارات صوتية عندما يجف الغسيل

اخترع طفل فرنسى عمره ١١ عاماً مشبكاً للغسيل يطلق إشارات صوتية عندما يجف الغسيل . وقد استخدم المخترع الصغير مشبكاً عادياً للغسيل ووضع فيه مصباحاً كهربائياً صغيراً وسلكين كهربائيين وبطارية صغيرة ، حيث يطلق المشبك إشارات صوتية بعد مرور التيار الكهربائى من السلكين إلى المصباح الكهربى عقب جفاف الغسيل .

تفسير علمى لعملية التذكر عند الإنسان :

اكتشف الباحثون فى جامعة كاليفورنيا ، بعد أن التقطوا أول صور فوتوغرافية للمخ وهو يقوم بعملية استدعاء بسيطة لكلمة ما ، أن الجانب الأيمن من لحاء الجبهة واللحاء البصرى فى المخ يعمل أثناء عملية التذكر وهو اكتشاف غير متوقع ، لأن المعلومات القديمة لدى الباحثين تقول أن الذاكرة تتشكل فى « قرن آمون » فى المخ وهو عضو صغير فى المنطقة الوسطى من المخ . وقال الباحثون أن نتائج تجاربهم تعنى أن عملية ملاءمة الكلمات المنطوقة واستكمال العبارات اللفظية تتم من خلال عملية بصرية ولا تتطلب بالضرورة فهماً للكلمة .

سخان جديد يعمل بالإشارة :

صممت إحدى الشركات الإسترالية مُنظِّماً حرارياً ألكترونياً للمياه فى الصنبور . المنظم الحرارى الألكترونى يعمل بالإشارة ، حيث يعمل بنظام الدوائر الألكترونية المطبوعة المصغرة جداً ، وهو عبارة عن لوحة تحكم مثبتة على الحائط ومزودة بخمس صمامات ألكترونية ثنائية تبعث الضوء ، ومكتوب على كل منها الغرض من الاستخدام . يتمتع الجهاز بمزايا عديدة غير الحصول على مياه ذات درجة حرارة ثابتة ، إذ أن الإغلاق « الأتوماتيكى » يحفظ الماء والطاقة الحرارية كما أن سريان الماء يمكن أن يتوقف بإشارة يد ويعاد أيضاً بالإشارة .

اكتشاف أمراض القلب باستخدام ظاهرة الرنين المغناطيسى :

أعلنت جمعية أبحاث أمراض الشريان التاجى الخيرية فى انجلترا عن اختراع جهاز جديد لفحص الأوعية الدموية ، يستخدم ظاهرة الرنين

المغناطيسية للتنبؤ بالأمراض التى قد تسبب انسداد الشرايين ، ويأمل الأطباء فى مستشفى « برومبتون » الملكى استخدام هذا الجهاز على نطاق واسع لفحص أمراض القلب فى مراحلها المبكرة .

خريطة للأرض خالية من السحب :

تمكن العلماء من الحصول على خريطة دقيقة جداً وخالية من السحب من بين مئات الصور التى أرسلتها الأقمار الصناعية للكرة الأرضية عبر السنوات الماضية والتى تم تخزينها على أشرطة الحاسبات الآلية وعند طبعها استبعدوا أجزاء الصور التى بها سحب . والهدف من هذه الخريطة هو بناء مجسم دقيق للكرة الأرضية مصنوع من الفيبر جلاس الشفاف من الداخل ، ويتحكم فى المجسم حاسب آلى يعطيه جميع المواصفات التى تتميز بها الكرة الأرضية سواء من ناحية الحركة حول مركزها أو فى المدار الذى تدور فيه . ويصلح هذا المجسم لإجراء الاختبارات اللازمة للتنبؤ بالطقس إلى جانب تحديد التحركات فى القشرة الأرضية وغيرها من الظواهر الطبيعية .

انتاج أحدث فاكس :

تم انتاج أحدث فاكس بالأسواق الأوربية يمكنه استيعاب عشر صفحات ويقوم بدور « التليفون » المزود بذاكرة حيث يطلب الرقم بطريقة « أتوماتيكية » ، وبه جهاز للرد على المتكلم ويمكن توجيه السؤال له عن بُعد فيتولى التصوير والإملاء دون أى مساعدة ويسمى بالفاكس النشيط .

**تجربة جديدة لتربية الأسماك باستخدام الموجات الصوتية :**

بدأت اليابان تجربة لتربية الأسماك فى المياه الدافئة والمحيط الهادى بالقرب من شواطئها باستخدام موجات صوتية ذات تردد منخفض حيث يتم ترك السمك يعوم فى المياه بدون الحاجة إلى أقفاص سمكية أو شبكات تحيطها لتحفظ السمك . وأظهرت الاختبارات حتى الآن أن سمك سليمان الأصفر حساس جداً للصوت ويتم جذبه باستخدام موجات صوتية قوتها ٣٠٠ هرتز فى كل مرة يلقى إليه الغذاء ، وقد أثبتت التجارب أيضاً أن ٧٠٪ من السمك الصغير الذى أطلق بقى فى المزرعة السمكية .

زيت الزيتون للوقاية من الأمراض السرطانية :

أعلن فريق طبى متخصص فى علم الأوبئة بالمعهد الوطنى الأسبانى للصحة أن استهلاك زيت الزيتون يؤدى إلى تخفيض نسبة الإصابة بسرطان الثدى بنسبة ٣٥٪ . وقد قام الفريق الطبى الأسبانى باجراء الدراسة فى ست محافظات أسبانية يكثر فيها استهلاك زيت الزيتون وثبت أن حالات الإصابة بسرطان الثدى لا تتعدى ٤٠ حالة من بين كل ١٠٠ ألف نسمة . والمعروف أن أسبانيا تأتى فى مقدمة الدول الأوربية التى تقل فيها نسبة الإصابة بسرطان الثدى ويرجع هذا إلى كثرة استخدام زيت الزيتون .






إعداد الأستاذ الدكتور/ محمد عبد القادر هنادى

ثانياً : فى باب الأسماء[2] :

١ ـ ذهب النحاة ـ ومنهم ابن مالك[1] ـ إلى أن الأصل فى [ خير ] و [ شر ] حذف الهمزة منهما فى التفضيل . ولا يكاد يستعمل الأصل إذ أصلهما [ أخير ] ، و « أشر » ، لكن الإمام النووى أجاز استعمال الأصل لوروده فى أحاديث الرسول ﷺ فمن الأحاديث التى جاء فيها اسم التفضيل [ أخير ] بالهمزة ما رواه مسلم أن الرسول ﷺ ، قال لأبى بكر ـ رضى الله عنه ـ [ بل أنت أبَرُّهُمْ وأُخيَرُهُم[2] ] ، قال النووى : « هكذا هو فى جميع النسخ ، [ وأخيرهم ] بالألف ، وهى لغة سبق بيانها مرات[3] »

وروى مسلم أن الأقرع بن حابس جاء إلى رسول الله ﷺ فقال : [ إنَّما بايعَكَ سُرَّاقُ الحَجيجِ مِنْ أَسْلَمَ وغِفَارَ وَمُزَيْنَةَ ، فقال رسول الله ﷺ : أرأيتَ إنْ كانَ أسلمُ وغِفارٌ ومُزَيْنَةُ خيراً من بنى تميمٍ وبنى عامرٍ وأسدَ وغطفانَ أخَابُوا وخَسِرُوا ؟ فقال : نعم ، فقال الرسول ـ ﷺ ـ : فوالذى نفسى بيدِهِ إنهم لأَخْيَرُ منهم[4] ] .

قال النووى : [ انهم لأَخْيَرُ منهم ] هكذا هو فى جميع النسخ [ لأَخْيَرُ ] ، وهى لغة قليلة تكررت فى الأحاديث[5] .

وأما الأحاديث التى احتج بها على مجىء اسم التفضيل [ أشر ] بالهمزة فمنها مارواه مسلم أن الرسول ﷺ ذكرَ قوماً يكونونَ فى أمتِهِ يَخْرُجُونَ

---

(١) شرح الكافية الشافية ١١٢٧/٢ والمساعد على تسهيل الفوائد ١٦٦/٢ ـ ١٦٧ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الأشربة ، باب إكرام الضيف وإيثاره .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووى ٢٢/١٤ .

(٤) صحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل غفار وأسلم وجهينة .

(٥) صحيح مسلم بشرح النووى ٧٦/١٦ .

فى فَرْقةٍ من الناسِ سيماهُمُ التَّحَالُقُ قال : هم شرُّ الخلقِ أو من أشر الخَلْقِ[٦] ، قال النووى : [ هكذا هو فى كل النسخ ] أو من ( أشر الخلق ) ، بالألف وهى لغة قليلة ، والمشهور [ شر ] بغير ألف[٧] .

ومنها مارواه مسلم عن أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ أنه ﷺ قال : [ إنَّ من أشرِ الناسِ عندَ الله منزلةً يومَ القيامةِ الرجُل يُفْضِى إلى امرأتِه، وتُفْضِى إليهِ ثم يَنْشُرُ سِرَّهَا[٨] ] ، وذكر النووى أن رواية الحديث هكذا : [ أشر ] ، وخرجها على أنها لغة[٩] .

٢ ـ تلتزم بعض القبائل العربية ومنها قبيلة ( بنى الحارث بن كعب ) الألف فى المثنى فى كل الأحوال ، وقد احتج الإمام النووى على هذه اللغة ببعض الأحاديث النبوية ، ومنها مارواه مسلم عن سلمةَ بن الأكوع أن الرسول ﷺ قال : يثنى على ـ عامر بن الأكوع ـ عندما أصابه ذباب سيفه فمات منه بخيبر : إنَّ له لأجرانِ ، إنَّهُ لَجَاهِدٌ مجاهد قَلَّ عربيٌّ مشى بها مثلَهُ[١٠] ، قال النووى[١١] : « قوله ـ ﷺ ـ [ إن له لأجران ] هكذا هو فى معظم النسخ [ لأجران ] بالألف ، وهو لغة أربع قبائل من العرب ومنها قوله تعالى:

﴿ إِنْ هَـٰذَانِ لَسَـٰحِرَٰنِ ﴾[١٢]

ومن الآثار التى جاءت على هذه اللغة مارواه مسلم عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما قال : « بعثَ الرسولُ ـ ﷺ ـ سَرِيَّةً وأنا فيهم قِبَلَ نجدٍ فَغَنِمُوا إبِلًا كثيرةً ، فكانت سُهْمَانُهُمُ اثنا عشر بَعيرٍ[١٣] » ، قال النووى : قوله « فكانت سهمانهم اثنا عشر بعيرا » ، هكذا هو فى أكثر النسخ ( اثنا عشر ) على لغة من يجعل المثنى بالألف سواء كان مرفوعا أو منصوبا أو مجرورا ، وهى لغة أربع قبائل من العرب ، وقد كثرت فى كلام العرب[١٤] .

وما ذهب إليه الإمام النووى من تصحيح هذه اللغة وإثباتها هو الصحيح ، لورودها فى القرآن الكريم ، ومنه قوله تعالى : ﴿ قَالُوٓا۟ إِنْ هَـٰذَانِ لَسَـٰحِرَٰنِ ﴾ ، فجمهور[١٥] القراء قرآها بتشديد النون ، وإثبات الألف فى اسم الاشارة [ هذان ] ورودها كذلك فى الحديث الشريف وكلام العرب[١٦] وهى لغة نسبها أئمة اللغة إلى كثير من القبائل العربية منهم : « بنو الحارث بن كعب ، وخثعم ، وزبيد ، وكنانة ، وبنى العنبر ، وبنى الهجيم ومراد وعذرة وقبائل من ربيعة[١٧] .

---

(٦) صحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، باب اعطاء المؤلفة ، والتحالق : العلامة والمراد : حلق الرؤوس .

(٧) صحيح مسلم بشرح النووى ١٦٧/٨ .

(٨) صحيح مسلم ، كتاب النكاح ، باب تحريم افشاء سر المرأة .

(٩) صحيح مسلم بشرح النووى ٨/١٠ .

(١٠) صحيح مسلم ، كتاب الجهاد والسير ، باب قتل كعب بن الأشرف ، والجاهد : الجاد فى علمه وعمله .

(١١) صحيح مسلم بشرح النووى ١٨٦/١٢ .

(١٢) طه ٦٣ .

(١٣) صحيح مسلم ، كتاب : الجهاد والسير ، باب الانفال ، والمعنى : أن كل واحد كان سهمه اثنا عشر بعيراً .

(١٤) صحيح مسلم بشرح النووى ٥٤/١٢ .

(١٥) الحجة فى القراءات السبع ـ ابن خالويه ص٢٤٢ ، والكشف ٩٩/٢ ، ومفاتيح الغيب ٧٤/٢٢ .

(١٦) ينظر فى الشواهد النحوية فى المصادر التالية : معانى القرآن ١٨٣/٢ والحجة ـ ابن خالويه ٢٤٢ ، البيان فى غريب إعراب القرآن ١٤٥/٢ ، مفاتيح الغيب ٧٦/٢٢ .

(١٧) ينظر فى البحر المحيط ٢٥٥/٦ ، وشرح شذور الذهب ٤٦ ـ ٤٧ ، وهمع الهوامع ٤٠/١ ، وحاشية ابن جماعة ٢٧٧/١ ، وشرح الجار بروى على شافية ابن الحاجب ٧٧/١ .

٣ ـ المبوب للتعجب[١٨] من ألفاظه [ أَفْعَل ] و[ أَفْعِل ] ، وذهب الإمام النووى إلى أنه قد يتوصل إلى التعجب بلفظ : ( سبحان الله ) وقد استشهد على ذلك بحديث الرسول ﷺ وجاءت الإشارة إلى ذلك لدى شرح قول عائشة ـ رضى الله عنها ـ عندما سُئِلَتْ هل رأى محمدٌ ـ ﷺ ـ رَبَّهُ : قالتْ : سبحانَ الله ، لقد قَفَّ شَعْرِى لِمَا قُلْتَ[١٩] . قال النووى : قولها : [ سبحان الله ] فمعناه : التعجب من جهل مثل هذا ، فإنها تقول كيف يخفى عليك مثل هذا ، ولفظة [ سبحان الله ] لإرادة التعجب كثيرة فى الحديث وكلام العرب ، كقوله ﷺ : [ سبحان الله تطهرى بها ] .

وقوله ﷺ « سبحان الله إن المسلم لا ينجس »[٢٠] .

وقول الصحابة : « سبحان الله يارسول الله » .

وممن ذكر من النحويين أنها من ألفاظ التعجب أبوبكر بن السراج وغيره[٢١] .

٤ ـ ذكر النووى : أن المضاف قد يحذف ويقام المضاف إليه مقامه ، واحتج على ذلك بحديث الرسول ﷺ وآثار الصحابة ـ رضى الله عنهم .

فمن الحديث قوله ـ ﷺ ـ فيما رواه مسلم عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه : [ والذى نفسُ أبى هريرةَ بيدِهِ إنَّ قعرَ جهنمَ لسبعونَ خريفاً ][٢٢] ، قال النووى : هكـذا هو فى بعض الأصول [ لسبعون ] بالواو . وهذا ظاهر وفيه حذف تقديره : إن مسافة قعر جهنم سير سبعين سنة ، ووقع فى معظم الأصول والروايات [ سبعين ] بالياء ، وهو صحيح أيضاً ، أما على مذهب من يحذف المضاف ويبقى المضاف إليه على جره فيكون التقدير : [ سير سبعين ][٢٣] .

ومن آثار الصحابة التى احتج بها على جواز حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه ما رواه مسلم عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : [ كُنَّا مع النبىِّ ـ ﷺ ـ فى مَسيرٍ ، فَنَفِدَتْ أَزْوادُ القومِ ، فقالَ عمرُ : يارسول الله لو جمعت ما بقىَ من أزواد القومِ فَدَعَوْتَ الله عليها ، فدعا عليها ، قال حتى ملأ القومُ أزودتهم[٢٤] ] ، قال النووى : قوله [ حتى ملأ القومُ أَزْوِدَتَهم ] هكذا الرواية فيه فى جميع الأصول ، و[ الأزودة ] جمع ( زاد ) ، وهى لاتملأ إنما تملأ بها أوعيتها ، ووجهه أن يكون المراد حتى ملأ القوم أوعية أزودتهم ، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه[٢٥] .

---

(١٨) شرح الكافية الشافية ١٠٧٧/٢ .

(١٩) صحيح مسلم ، كتاب الايمان ، باب ماجاء فى رؤية الله عز وجل .

(٢٠) صحيح مسلم ، كتاب الغسل ، باب المؤمن لاينجس .

(٢١) صحيح مسلم بشرح النووى ١٠/١ .

(٢٢) صحيح مسلم ، كتاب الايمان ، باب اثبات الشفاعة .

(٢٣) صحيح مسلم بشرح النووى ٧٢/٣ .

(٢٤) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا .

(٢٥) صحيح مسلم بشرح النووى ٢٢٤/١ ، ومما ورد فى القرآن الكريم من حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه قوله تعالى : ﴿ **وأشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم** ﴾ أى : حب العجل ، وقوله تعالى ﴿ **وجاء ربك** ﴾ أى : أمر ربك . انظر شرح ابن عقيل باب الإضافة ٧٦/٣

٥ ـ ذكر النحاة أن (مميز العدد[٢٦]) إذا كان اسم جنس أو جمع فصل بـ[من] تقول : عندى ثلاث من الشجر ، وثلاثة من القوم ، وما جاء خلاف هذه القاعدة يحفظ ولا يقاس عليه ، وقد أجاز النووى ذلك محتجاً عليه بما رواه مسلم عن أبى سعيد الخدرى أن الرسول ـ ﷺ ـ قال : [ليسَ فيما دُونَ خمسةِ أَوْسُقٍ صدقةٌ ، ولا فيما دون خمسِ ذودٍ صدقةٌ ، ولا فيما دون خمسِ أَوَاقٍ صدقةٌ[٢٧]] .

قال النووى : «أنكر ابن قتيبة أن يقال : [خمس ذود] كما لا يقال : [خمس ثوب] ، وغلطة العلماء ، بل هذا اللفظ شائع فى الحديث الصحيح ، ومسموع من العرب ، معروف فى كتب اللغة ، قال أبو حاتم السجستانى : تركوا القياس فى الجمع فقالوا : خمس ذود لخمس من الإبل ، وثلاث ذود لثلاث من الإبل ، وأربع ذود ، وعشر ذود على غير قياس[٢٨]» . ويفهم من كلام النووى أن هذا الاستعمال صحيح واختاره ابن عصفور ، وفى ذلك يقول ابن عقيل : «إن كان اسم الجمع يستعمل للقلة جاز ، وإن كان يستعمل للكثرة ، أو لها وللقلة لم يجز ، فتقول : ثلاث ذود ، وثلاثة نفر ، وتسعة رهط ؛ لأنها لا تكون إلا للقليل ، ولا تقول : ثلاثة بشر ؛ لأن [بشرا] يكون للكثير ، ولا ثلاثة قوم ، لأن [قوماً] يكون للقليل والكثير ، واختاره ابن عصفور»[٢٩]

٦ ـ ذهب النحاة إلى أنَّ [فُل] اسم خص بالنداء ، وفى ذلك يقول ابن مالك فى شرح الكافية الشافية : «خصوا بالنداء أسماء لا تستعمل فى غيره إلا فى ضرورة ، فمن ذلك قولهم للرجل : يافُلُ ، بمعنى : يافلان ، وللمرأة [يا فُلَةُ] بمعنى : يا فلانة ، وقولهم : (يافلة) دليل على أن [يافل] ليس ترخيم [يافلان] ، مع أنه لو كان ترخيماً لوجب أن يقال فيه : [يافُلا] كما يقال فى [عِمَاد] [ياعِمَا] ؛ لأن الترخيم لا يحذف فيه مدة ثالثة[٣٠]» .

وذهب النووى إلى جواز ترخيم [يافلان] بقولنا : يافل واحتج على ذلك بحديث الرسول ـ ﷺ ـ ومنه ما رواه مسلم عن أبى هريرة أن الرسول ـ ﷺ ـ قال : «والذى نفسى بيده لا تُضَارُّونَ فى رؤيةِ رَبِّكم .... قال : فيلقى العبدَ فيقولُ : أىْ فُلْ أَلَمْ أُكْرِمْكَ وأُسَوِّدْكَ وَأُزَوِّجْكَ وأُسَخِّرْ لكَ الخيلَ والإبلَ وأَذَرْكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ فيقولُ : بلى ...[٣١]» ، قال النووى : قوله ـ ﷺ ـ «أى فُلْ» هو بضم الفاء وإسكان اللام ، ومعناه : يافلان ، وهو ترخيم على خلاف القياس[٣٢]» .

ومنه أيضاً ما رواه مسلم عن أبى هريرة أن الرسول ـ ﷺ ـ قال : «مَنْ أنفقَ زوجين فى سبيلِ اللهِ دعاهُ خزنَةُ الجنةِ ، كُلُّ خَزَنَةِ بَابٍ ،

(٢٦) المساعد على تسهيل الفوائد ٧٣/٢ .
(٢٧) صحيح مسلم ، كتاب الزكاة .
(٢٨) صحيح مسلم بشرح النووى ٥٠/٧ ـ ٥١ .
(٢٩) المساعد على تسهيل الفوائد ٧٤/٢ .
(٣٠) شرح الكافية الشافية ١٣٢٩/٣ .
(٣١) صحيح مسلم كتاب الزهد .
(٣٢) صحيح مسلم بشرح النووى ١٠٣/١٨ .

أى قُلْ هَلُم[٣٣]» .

قال النووى فى شرح الحديث : «قولــه ـ ﷺ ـ : [أى قل هَلُمَّ] ، هكذا ضبطناه [أى قُلْ] بضم اللام وهو المشهور ، وضبطه بعضهم بإسكان اللام ، قال القاضى : معناه : أى فلان فَرَخَّم ، ونقل إعراب الكلمة على إحدى اللغتين فى الترخيم[٣٤]» .

٧ ـ من أسماء الأفعـــال [هَلُــمَّ] ، والحجازيـون[٣٥] لا يبرزون فاعلها فى التأنيث والتثنية والجمع ، وبنو تميم[٣٦] يبرزونه فيقولون : هلمى ، وهلما ، وهلموا ، وهَلْمُمْـــنَ ، واستشهد النووى على لغة بنى تميم بحديث الرسول ـ ﷺ ـ .

ومنه ما رواه مسلم أن الرسول ـ ﷺ ـ قال لعائشة ـ وهو يحدثها عن بناء قريش الكعبة : «ولولا حَدَاثَةُ عهدهِمْ بالشركِ أَعَدْتُ ما تركُوا منه ، فإنْ بَدَا لقومِكِ من بعدى أن يبنوهُ فَهَلُمِّى لِأُرِيَكِ ما تركُوا منهُ» ، قال النووى : قوله : [فهلمى لأريك] هذا جار على إحدى اللغتين فى [هلم] ، قال الجوهرى : تقول : (هلم يارجل) بفتح الميم ، بمعنى : تعال ، قال الخليل : أصله من قولهم : لَمَّ اللهُ شَعْثَهُ ، أى جمعه ، كأنه أراد لُمَّ نفسك إلينا ، أى اقرب ، و[ها] للتنبيه ، وحذفت ألفها لكثرة الاستعمال ، وجعلا اسماً واحداً يستوى فيه الواحد والاثنان والجمع والمؤنث ، فيقال فى الجماعة : [هلم] ، هذه لغة أهل الحجاز ، قال الله ـ تعالى : ﴿وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾[٣٧] ، وأهل نجد يصرفونها فيقولون للاثنين [هلما] ، وللجمع [هلموا] ، وللمرأة [هلمى] وللنساء [هَلْمُمْنَ][٣٨] .

ومن الأحاديث التى جاءت على لغة بنى تميم ، واحتج بها النووى ما رواه مسلم عن عائشة أن الرسول ـ ﷺ ـ أَمَرَ بكبشٍ أَقْرَنَ ... فَأُتِىَ به لِيُضَحِّىَ بِهِ ، فقال لها : ياعائشةُ هَلُمِّى المُدْيَةَ ، ثم قال : اشحَذِيهَا بِحَجَرٍ[٣٩] .

٨ ـ ذهب النووى ـ رحمه الله ـ إلى أن بعض الأسماء تجمع على غير القياس اتباعاً لما قبلها ، أو للتناسب مع ماقبلها ، واستشهد على ذلك بحديث الرسول ـ ﷺ ـ من ذلك مارواه مسلم : أن وفد عبد القيس أتوا رسول الله ـ ﷺ ـ فقال : «مَنِ القومُ ، قالوا : ربيعةُ ، قال : مرحباً بالقومِ غيرَ خَزَايا ولا النَّدَامَى[٤٠] ...» .

قال فى شرح هذا الحديث : قوله ـ ﷺ ـ : [غير خزايا ولا الندامى] هكذا هو فى الأصول [الندامى] بالألف واللام ، و[خزايا] بحذفها ... أما [الخزايا] فجمع [خزيان] ، كحيران وحيارى ، وسكران وسكارى ، وأما

---

(٣٣) صحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، باب فضل من ضم إلى الصدقة غيرها من أنواع البر .

(٣٤) صحيح مسلم بشرح النووى ١١٧/٧ .

(٣٥) شرح الكافية الشافية ١٣٩٠/٣ .

(٣٦) شرح الكافية الشافية ١٣٩٠/٣ .

(٣٧) الأحزاب ١٨ .

(٣٨) صحيح مسلم بشرح النووى ٩٤/٩ .

(٣٩) صحيح مسلم ، كتاب الأضاحى ، باب استحباب الضحية وذبحها مباشرة .

(٤٠) صحيح مسلم ، كتاب الايمان ، باب الأمر بالايمان بالله تعالى ورسوله .

[الندامى] فقيل : إنه جمع (ندمان) بمعنى [نادم] ، وهى لغة فى [نادم] حكاها القَزَّازُ صاحب (جامع اللغـة) ، والجوهـرى فى صحاحه ، وعلى هذا هو على بابه .

وقيل جمع [نادم] اتباعا للخزايا ، وكان الأصل [نادمين] ، فأتبع لخزايا تحسينا للكلام ، وهذا الاتباع كثير فى كلام العرب ، وهو من فصيحِهِ ، وفيه قول النبى ـ ﷺ ـ : «ارجعن مأزورات غير مأجـــورات»[41] : أتبـــع [مازورات] لماجورات ، ولو أفرد ، ولم يضم إليه [مأجورات] لقال : [موزورات] ، ومنه قول العرب : «انى لآتيه بالغدايا والعشايا» ، جمعوا (الغداة) على (غدايا) اتباعاً لـ(عشايا) ، ولو أفردت لم يجز إلا (غدوات)[41] .

٩ ـ الأصل فى [أفعل التفضيل] أنه لا يضاف إلى ياء المتكلم فى حال اتصاله بالنون ، وقد أجاز النووى ذلك ، واحتج عليه بحديث الرسول ـ ﷺ ـ ونقل فى هذه المسألة قول الإمام ابن مالك صاحب الألفية ـ رحمه الله تعالى ـ روى مسلم أن الرسول ـ ﷺ ـ قال له الصحابة : [يا رسولَ اللهِ ذكرْتَ الدَّجَّالَ غَداةً فخَفَّضْتَ فيه ورَفَّعْتَ حتى ظنناهُ فى طائفةِ النخلِ فقال : غيرُ الدجالِ أُخوَفُنى عليكـم][42] ، قال النووى : «قوله ـ ﷺ ـ : [غير الدجال أخوفنى عليكم] هكذا هو فى جميع نسخ بلادنا [أخوفنى] بنون بعد الفاء ، وكذا نقله القاضى عن رواية الأكثرين ، ورواه بعضهم بحذف النون ، وهما لغتان صحيحتان ، ومعناهما واحد ، قال شيخنا الإمام أبو عبدالله بن مالك ـ رحمه الله تعالى : الحاجة داعية إلى الكلام فى لفظ الحديث ومعناه : فأما لفظه لكونه تضمن مالايعتاد إضافة [أخوف] إلى ياء المتكلم مقرونة بنون الوقاية ، وهذا الاستعمال إنما يكون مع الأفعال المتعديـة والجواب : أنه كان الأصل إثباتها ، ولكنه أصل متروك ، فنبه عليه فى قليل من كلامهم .. ولأفعل التفضيل أيضاً شَبَهٌ بالفعل ، وخصوصاً بفعل التعجب ، فجاز أن تلحقه النون المذكورة فى الحديث»[43] .

١٠ ـ ذكر النحاة أن [أفعل] التفضيل يأتى من كل فعل ثلاثى متصرف تام ، قابل معناه للتفاضل ، غير مبنى للمفعول ، ولا منفى ، فإذا جاء الفعل مزيداً فإنه لابد من إتيان المصدر مسبوقاً بـ[أشد] ، أو [أعظم] نحو قولنا : زيد أشد نفعاً من عمرو ، وأجاز النووى مجىء [أفعل] التفضيل من الثلاثى المزيد ، واحتج عليه بحديث الرسول ـ ﷺ ـ الذى رواه مسلم عن عبدالله بن عمرو بن العاص أن الرسول ـ ﷺ ـ قال : «حوضى مسيرةُ شهر ، وزواياه سواءٌ ، وماؤُهُ أبيضُ من الورِق وريحُهُ أطيبُ من المسكِ»[44] ، قال النووى : «قوله ـ ﷺ ـ [مأوه أبيض من الوَرِق] هكذا فى جميع النسخ [الورِق] بكسر الراء ، وهو الفضة ،

---

(٤١) صحيح مسلم بشرح النووى ١/١٨٧ .

(٤٢) صحيح مسلم ، كتاب الفتن ، باب ذكر الدجال .

(٤٣) صحيح مسلم بشرح النووى ١٨/٦٤ .

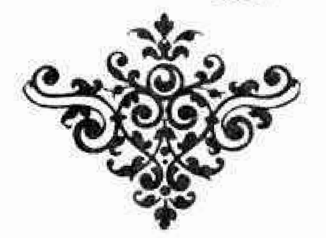
(٤٤) صحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب إثبات حوض نبينا ـ ﷺ ـ وصفاته .

والنحويون يقولون : إن فعل التعجب الذى يقال فيه [ أفْعَل ] من كذا إنما يكون فيما كان ماضيه على ثلاثة أحرف ، فإذا زاد لم يتعجب من فاعله ، وإنما يتعجب من مصدره ، فلا يقال : ماأبيض زيداً ، ولا زيد أبيض من عمرو ، إنما يقال : ماأشد بياضه ، وهو أشد بياضاً من كذا ، وقد جاء فى الشعر أشياء من هذا الذى أنكروه فَعَدُّوهُ شاذا لايقاس عليه ، وهذا الحديث يدل على صحته ، وإن كانت قليلة الاستعمال ، ومنها قول عمر ــ رضى الله عنه : «ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع»[٤٥] .

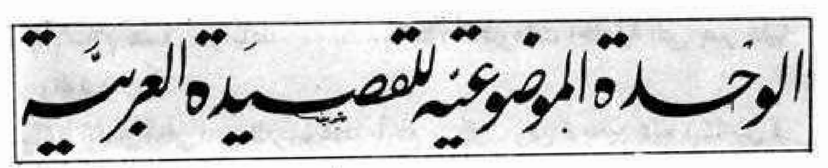
١١ ــ ذكر سيبويه ــ رحمه الله تعالى ــ أن [ كافة ] لاتأتى إلا حالا ، وقد أشار إلى ذلك فى الكتاب بقوله : [ هذا باب ما ينتصب أنه حال يقع فيه الأمر وهو اسم ، وذلك قولك : مررت بهم جميعاً وعامة وجماعة ، كأنك قلت : مررت بهم قياماً ][٤٦] ، وهل تضاف [ كافة ] ؟ ذهب الإمام النووى إلى أن [ كافة ] لاتأتى مضافة ، وماجاء كذلك فهو مردود ، واستشهد على ذلك بما رواه مسلم أنه ــ ﷺ ــ تليت عنده هذه الآية ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾[٤٨] فقال رجل يا نبى الله هذا لك خاصة ، قال : « بل للناس كافة » ، قال النووى : قوله : ــ ﷺ ــ : « بل للناس كافة » هكذا تستعمل « كافة » حالًا أى كلهم ، ولا يضاف : فيقال : كافة الناس ، ولا للكافة بالألف واللام ، وهو معدود فى تصحيف العوام ومن أشبههم[٤٩].

ومن الآثار التى احتج بها النووى على عدم جواز مجيىء [ كافة ] مضافاً إلى الاسم الظاهر ماورواه مسلم أن على بن أبى طالب ــ رضى الله عنه ــ قال : [ ماخصَّنَا رسولُ الله ــ ﷺ ــ بشىءٍ لم يَعُمَّ بِهِ الناسَ كافةً إلا ما كان فى قِرَابِ سيفى هذا[٥٠] ] .

قال النووى فى شرح هذا الأثر : « هكذا تستعمل [ كافة ] حالًا ، وأما ما يقع فى كتب كثير من المصنفين من استعمالها مضافــة ، وبالتعريف كقولهم : هذا قول كافة العلماء فهو خطأ معدود فى لحن العوام وتحريفهم »[٥١].



(٤٥) صحيح مسلم بشرح النووى ١٥/٥٥ .
(٤٦) الكتاب ١/٣٧٦ ــ ٣٨٨ ــ الهيئة المصرية ط١ ١٩٧٧ .
(٤٧) هود ١١٤ .
(٤٨) صحيح مسلم ، كتاب التوبة ، باب قوله تعالى : ﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾ .
(٤٩) صحيح مسلم بشرح النووى ١٧/٨٠ ــ ٨١ .
(٥٠) صحيح مسلم ، كتاب الأضاحى ، باب تحريم الذبح لغير الله فأخرج رضى الله عنه صحيفة مكتوب فيها : لعن الله من ذبح لغير الله .
(٥١) صحيح مسلم بشرح النووى ١٣/١٤٢ .



# الوحدة الموضوعية للقصيدة العربية

## في عصر صدر الإسلام

بقلم الأستاذ / أحمد مصطفى حافظ

بعد وقفتنا المتأنية مع «الوحدة الموضوعية» فى الشعر الجاهلى ، وبعد تقديمنا لآثار مختلفة من قديمه وحديثه ثبت وجودُها ، وتفاعل الشعراء بها ، كان يتعين علينا أن نمضى قُدُما لنستشرف آفاق عصر صدر الإسلام ، التى تعبق بعبير الإيمان والتقوى ، عقب خروج الناس من الظلمات إلى النور .. حيث «طرأ بالإسلام على الشعر لونٌ من سمو الغرض وسهولة التعبير وجمال اللفظ ، تأثر به من تأثر ، بمن تمثَّل الإسلام من الشعراء ، فهجر الهجاء ، وأنشد للإسلام ، ولكل غرض نبيل» كما يقول فضيلة الأستاذ الدكتور على أحمد الخطيب فى كتابه (عمر ابن الخطاب : حياته ـ علمه ـ أدبه) فقد جاء فيه : «.. وهناك أيضاً عنصر الصدق فى تصوير الأفكار النبيلة ، بمشاعر تجاربها الوجدانية ، فى واقعية لا تفوتها جزالة التعبير وجمال الأداء ، ولا يحلِّق بها الخيال إلى مبالغة ، تُحيل صدق المضمون إلى أوهام ، لها من دبيب الصنعة ما يفصمها عن المشاعر والوجدان ، وصدق التصوير»[1] . وبرغم أن سكان المدن فى الجزيرة العربية كانوا يحرصون على إرسال أبنائهم إلى الأعراب فى البادية ، لتقويم ألسنتهم فى النشأة والتكوين ، ليكتسبوا العربية الصحيحة الفصيحة ، إلا أن القرآن الكريم ـ بعد أن نزل فى لغة هى الذروة فى الصحة والدقة والبلاغة والإعجاز ـ كان فيه الكفاية ، وزيادة .. لروعة الأسلوب ، وجدَّته وتطوُّره .. الأمر الذى يجعله بمثابة الفاصل القوى بين البيئتين : الجاهلية ، والإسلامية .. ومن هنا تغيرت ، بفضله ، العقلية العربية ، كما تغيرتْ ـ تبعاً لذلك ـ أساليب فن القول : نثراً وشعراً .. وارتقت وسمت إلى المعانى الفاضلة الرفيعة ، التى جاء بها الإسلام ، فلم يَعُد الشعر مثابة للفخر بالأحساب والأنساب ، أو الغزل المسف ، والهجاء المقذع ..

● ● ●

**ولقد كان ينبغى على شعراء الإسلام فى صدر هذا العصر ان يبادروا بِرَدْ شعر لازال جاهلياً فى وثنيته ، جاهلياً فى عداوته للإسلام وقيمه ، حتى تأتى تلك المبادرة بثمارها الطيبة فى**

(١) انظر .. الكتاب المذكور ص ٤٤١ ، ٤٤٢ ط ـ بيروت .

الحديث عن الإسلام نفسه ، ومبادئه ، وليصدوا هذه التشوهات الجاهلية التى يصر عليها دعاة الكفر والوثنية .

لقد كان الشعر يحظى لدى العرب عامة بأرفع منزلة ، ومن ثم يتعين عدم التقاعس فى الرد على هؤلاء الشعراء ومن يقف وراءهم ويحرضهم على الهجاء والمكابرة .. ولم يكن شعراء الإسلام بحاجة إلى من يثير حماسهم للرد على أعدائهم ، بعد أن هز القرآن الكريم والحديث الشريف أعماقهم ، فجاشت نفوسهم بما يعتمل فيها من انفعالات ، اتسمت بالتماسك والنمو الاطِّرادى للمشاعر السامية ، التى تنبثق بعفوية وترتيب تلقائى ، حدَّدتْه وأمْلَته حرارة الدفقة الشعورية ، وأصالة البناء الفنى .. فجاءت قصائد شاعر النبى - ﷺ - سيدنا حسان بن ثابت (رضى الله عنه) بصفة خاصة بمثابة بنيان مرصوص ، فى هذا المجال . لأن كل فكرة فيه تُسلم إلى الفكرة الأخرى التى تليها ، بتجانس لا إقحام فيه ولا انفعال دخيل ، فاتسق فكراً وبنياناً حتى ليستحيل معه نقل بيت مكان بيت ..

خذ مثلًا دليلًا على ذلك همزيته المشهورة التى يرد بها على هجاء أبى سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب[٢] لرسول الله - ﷺ -

وقـال اللـه : قد أرسلتُ عبـدا ... يقـول الحـق إن نفـع البـلاء
شـهدت بـه ، فقومـوا صـدِّقوه ... فقلتـم : ما نقـوم ، وما نشـاء
وقـال اللـه : قد سيَّرت جنـدا ... هم الأنصـار عرضـتها اللقـاء
.. ألا أبلـغ أبا سـفيان عنـى ... مغلغلـة .. فقـد بـرح الخفـاء
هجـوتَ محمـدا فأجبْـتُ عنـه ... وعنـد اللـه فى ذاك الجـزاء
أتهجـوه ، ولسـت له بكـفء ... فشـركما لخيـركما الفـداء
هجـوت مباركـاً ، بَـرًا ، حنيفـاً ... أميـن اللـه ، شـيمته الوفـاء
أمـن يهجـو رسـولَ اللـه منكـم ... ويمـدحه وينصـره .. سـواء؟
فإن أبـى وأجـدادى وعرضـى ... لعـرض محمـد منكـم .. وِقـاء[٣]

● ● ●

ويدور الزمن دوْرته ، فى سيره الحثيث من الأزل إلى الأبد ، وينتقل رسول الله - ﷺ - إلى الرفيق الأعلى ، فيقول أبو سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب بعد إسلامه وهو يبكى

---

(٢) وهو ابن عم النبى - ﷺ - وأخوه من الرضاعة ، وأحد خمسة من آل عبد مناف الذين كانوا يشبهون رسول الله ( ﷺ ) ، وقد أسلم بعد ذلك .

(٣) وهذا التفانى فى الدفاع عن رسول الله ﷺ حق لحسان أن يقول :

لا أسـرق الشـعراء ما نطقـوا ... بل لا يشابـه شعرهـم شعـرى

رسول الله ـ ﷺ ـ عشية وفاته ، بقصيدة من غرر الشعر الذى يزخر بعناصر الوحدة الموضوعية ، والصدق الفنى والشعورى :

| | |
|---|---|
| أرِقْتُ .. فبات ليلى لا يزولُ | وليل أخى المصيبة فيه طولُ |
| فأسعدنى البكاء ، وذاك فيما | أُصيب المسلمون به قليل |
| لقد عظمت مصيبتنا ، وجلَّتْ | عشيَّة قيل : قد قُبض الرسول |
| وأضحتْ أرضنا ، مما عراها ، | تكاد بنا جوانبها تميل |
| فقدنا الوحى والتنزيل فينا | يروح به ويغدو جبرئيل |
| وذاك أحق ما سالت عليه | نفوس الناس ، أو كادت تسيل |
| نبىٌّ كان يجلو الشكَّ عنا | بما يُوحَى إليه وما يقول |
| ويهدينا .. فلا نخشى ضلالا | علينا .. والرسول لنا دليل |
| .. أفاطمُ إنْ جزعتِ فذاك عذر | وإن لم تجزعى .. ذاك السبيل |
| فقبر أبيك سيد كل قبر | وفيه سيد الناس الرسول |

ولاشك أن البراعة ـ غير المقصودة ـ فى استخدام أدوات الربط ، كواو العطف ، وفاء السببية وغيرهما ، بالإضافة إلى الربط بين الجو الشعورى والجو النفسى ، فى أحزان الوحدة ، كل ذلك ساعد على إخراج القصيدة بصورة معبرة ، تصور مشاعر كل مسلم بهول الفقد ، حتى يرث الله الأرض ومن عليها ..

ومن بدائع شعر الوحدة العضوية فى عصر صدر الإسلام ، ما روى من أن أعرابياً وقف بين يدى سيدنا على كرم الله وجهه ، فقال : ـ إن لى إليك حاجة رفعتها إلى الله ، قبل أن أرفعها إليك ، فإن أنت قضيتها .. حمدت الله تعالى وشكرتك .. وإن لم تقضها حمدت الله تعالى ، وعذرتك ..

فقال ( على رضى الله ) عنه :

ـ لُحطَّ حاجتك فى الأرض ، فإنى أرى الضُّرَّ عليك ..

فكتب العربى على الأرض : إنى فقير ..

فقال على رضى الله تعالى عنه ، لعامله :

ـ يا قُنبر .. ادْفَعْ إليه حُلَّتى الفُلانية ..

فلما أخذها الرجل ، مثل بين يدى أمير المؤمنين ، وأنشد :

| | |
|---|---|
| كسوتنى حلة تَبْلَى محاسنُها | فسوف أكسوك من حُسْن الثنا.. حُللا |
| إن الثناء لَيُحيِى ذكرَ صاحبه | كالغيث يُحيى نداه : السهلَ والجبلا |

لا تزهد الدهـر فى عُرْفٍ بدأت به ... فكل عبد سيُجزى بالـذى فعـلا

فقال على رضى الله عنه لعامله :

ـ يا قُنبر .. اعْطِهِ خمسين ديناراً .. أما الحلة فلمَسْألتك ، وأما الدنانير فلأدبك ..

وأضاف رضى الله عنه :

ـ سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول :

ـ « أنزِلُوا الناس منازلهم »[٤] .

وما أروع قول معروف الكرخي ، وأدله على وحدة موضوعية وجدانية متوهجة ، حين أنشد فى السحر ، وهو يبكى :

أى شـىء تريد منـى الذنـوبُ ... شُغفتْ بى.. فليس عنى تغيبُ

ما يضـر الذنـوبَ لو أُعتقتنى ... رحمةً بى ، فقـد علانى المشيب

وقول عبدالله بن رواحة ، رضى الله عنه ، وهو يحمل حملة شديدة فى إحدى الغزوات ، ويمنى نفسه بالشهادة فى سبيل الله :

يا نفـس إلا تُقتلـى .. تمـوتى ... هذا حمام المـوت قد صَـليتِ

وما تمنيـت .. فقـد أُعْطِيـتِ ... إن تَفْعَلى ـ كفعلها ـ هُدِيـتِ

وكذلك قول عبدالعزيز بن زرارة الكلابى ، حينما أوغل مع الجيش العربى فى ديار الروم ، واشتدت الملاحم بين الفريقين ، وكان عبدالعزيز يتعرض للشهادة ، حريصاً عليها ، ولكنه كان يخرج من المعارك سالماً ، فقال :

ونكبة لو رَمَى الرامـى بها حجـرا ... أصمَّ من جندل الصمان لا نصدعا

مرَّتْ علىَّ ، فلم أطـرح لها سلبى ... ولا استكنـت لها وهْنـاً ولا جزعـاً

ولا رميـت على خصـم بفاقـرة ... إلا رميت بخصـم فرَّ لى جزعـاً

ولا أزال على أرجـاء مهلكـة ... يسائل المعشـر الأعـداء: ما صنعا

.. قد عشتُ فى الدهر أطْواراً على طرق ... شتى ، فصادفت منها الليـنَ والبشعا

كُلًا بلـوْتُ ، فلا النعمـاء تبطـرنى ... ولا تخشَّـعت من لأوائهـا جزعـاً

ما سدَّ من مطلع يُخشـى الهلاك به ... إلا وجـدت بظهـر الغيـب مُطَّلعا

لا يملأ الهـول صـدرى قبـل وقعته ... ولا أضيق به ذرعـاً .. إذا وقعـا

(الحديث موصول)

(٤) العمدة لابن رشيد جـ ١ ص ٢٩ .

# من أدب الحرمان

# الفقر والفقير «للرافعى»

عرض الأستاذ/ محمد عبد الوهاب

تمهيد :

خَلَقَ الحَظَّ جُمانا .. وَحَصى ... خالِقُ الأشياءِ من ماء وطين

فَوَليدٌ تسجد الدنيا له ... ووليد .. فى زوايا المهملين

فإذا كان حظ شاعر ما ، أن يكون فى زوايا المُهْمَلِين ـ على حد تعبير شوقى ـ بسبب الفاقة والحرمان ، فما عسى أن يكون موقفه من الحياة والناس ؟ بعد أن أخطأته الأضواء ، فلا يُسلَّط عليه ، ولو شعاع واحد منها ، فيبقى قابعاً فى الظِّل ، منطوياً على نفسه ، فى عُقْر داره ، ولعل أبلغ هؤلاء الشعراء جميعا : الشاعر عبد الحميد الديب ، الذى استطارت شهرته فى البؤس ، بعد قوله لعبد الحميد عبد الحق وزير الأوقاف الأسبق ، منذ سنوات عديدة :

سَمِيُّكَ عبقرىُّ البؤس فَافْخَرْ ... بِأَبأسِ بائسٍ تحت السماء !

وهو بدوره يصور غرفته يقول فيها :

أَفى غرفتى يارب أم أنا فى لحدى ؟

ثم يقول :

فأهدأ أنفاسى تكاد تهدُّها ... وأيسر لمسى فى بنايتها يُردى

ترانى بها كُلَّ الأثاث ، فمعطفى ... فِراشٌ لنومى ، أو وِقاءٌ من البَرْد

وأما وساداتى بها فجرائد ... تُجدَّدُ إذْ تُبْلَى على حجر صلد

تُساكننى فيها الأفاعى جريئةً ... وفى جَوِّها الأمراض تفتك أو تعدى

أرى النمل يخشى الناس ـ إلا بأرضها ـ ... فأَرْجُله أمضى من الصارم الهندى

تحملت فيها صبر أيوب فى الضنى ... وذُقْتُ هزال الجوع .. أكثر من غاندى !

وبعد هذا التمهيد ـ الذى لا بد منه ـ أذكر أننى عثرت على نص نثرى بليغ لمصطفى صادق الرافعى ( رحمه الله ) كان موضوع خطبة بعنوان : « الفقر والفقير » ، تكلم فيها عن الفقر بصفة عامة .. وقد ألقاها فى حفل عام لجمعية الاتحاد والإحسان السورية فى طنطا ، فى السادس من ابريل سنة ١٩١٣ م . وهى من آثاره القلمية التى فات تلميذه الأستاذ محمد سعيد العريان نشرها بالجزء الثالث من كتاب : ( وحى القلم ) للرافعى ، الذى قام بإعداده ونشره ، بعد وفاة الرافعى ، وأصدر فى حياته الجُزْأَيْن : الأول والثانى فقط من : ( وحى القلم ) ، وقام العريان باستكمال آثار الرافعى النثرية ، فى جزء ثالث .. ونثبت فيما يلى نص الخطبة التى ألقاها الأستاذ الرافعى ـ رحمه الله ـ ونشرتها المقتطف بعدد مايو ١٩١٣ .

## الفقـر والفقير[١]

فى الأرض سؤال لم تزل تُلقيهِ أطماع الناس فى كل عصر من عصور الحياة ، ولا تصيب لهُ جواباً مقنعاً ، لأن الطمع ليس لهُ طبيعة محدودة ، فهو يسأل سؤالاً غير محدود ، ويريد بطبيعتهِ جواباً غير محدود .. هذا السؤال أحد ثلاثة : هى حقائق الإنسانية الضالة عن الإنسان نفسه فى غيب الله ، يقول : ماهى الروح التى تعطى الحياة .

وتقول آمالهُ : ماهو [٢] الموت الذى يستلب هذه الحياة .

وتقول أطماعهُ : وما هو الفقر الذى يجمع للروح بين الموت والحياة ؟

كذلك نتساءل ما هو الفقر ؟ على أنه ما غير الفقر سؤال فى كل نفس إنسانية معنى من جوابه ، ولا غير الفقر قبر الأمانى الذى لم يخلق الله نفساً من النفوس ، إلا ولها ميت من الأمل فى ترابه .. بلى وإذا كان فى لغات الأفواه لفظ خالد فإنما هو الفقر . وإذا كان فى هواجس القلوب معنى خالد فإنما هو : خوف الفقر . وإذا كان للدموع الإنسانية مصب واحد تلتقى إليه من جهات الأرض فإنما هو : بين شاطئين ـ إن جاز أن يكون أحدهما الحب ـ فإن من المحقق أن أحدهما : الفقر .

إن هذه الأرض لتصبح فى كل يوم ، ولا يمكن أن يقال بحق إن فيها عملًا إنسانياً عاماً غير طلب المال ، فأحرِ بها أن تمسى فى كل يوم ، ولا يمكن أن يقال إن فيها معنى إنسانياً عاما ، غير

---

(١) خطبة ألقاء مصطفى أفندى صادق الرافعى فى الحفلة السنوية لجمعية الاتحاد والإحسان السورية فى طنطا فى ٦ أبريل سنة ١٩١٣ .

(٢) للنحاة والبلاغيين ، مقال فى : ( من هو .. وما هو ) حيث يليهما المسئول عنه . وقد طرحت الأمر على أستاذى فضيلة الدكتور عفيفى عبد الفتاح ، وقلت له : ينبغى أن نقول : ما الكتاب .. من الرجل .. مثلا ولا نقول : ما هو الكتاب .. ومن هو الرجل ، أو هذا المعنى فكان رده ـ رحمه الله ـ بقوله:
قال تعالى : « وما تلك بيمينك يا موسى » الآية من طه ١٧ .

راجع إلى الفقر . ويقولون : إنها تدور حول قرص الشمس ، وهو قول فلكى أو سماوى ، يصح إطلاقه على الأرض ، كهيئتها يوم خلقها الله أو على الأقل كما خلقها . أما الحقيقة الأرضية فإنها تدور حول قرصين : قرص اللهب وقرص الذهب . وياالله للفقير . إنه دائماً فى الجهة المظلمة .

الفقر متى ألقيته سؤالاً عاد إليك بجواب نفسه ، لأنه فصل من كل عمر كالشتاء فصل من كل سنة ، وليس فى الناس جميعاً من يصدق إذا ادعى أنه لا يعرف الفقر غير اثنين لا خير فيهما : غنى جنَّ من فرط الغنى وفقير جنَّ من فرط الفقر ، فالأول لا يعرف الفقر فى جنونه لأنه جنَّ بغيره والثانى لا يعرفه لأنه جنَّ به . ولكن من هو الفقير ؟

من هو هذا الكائن الضعيف الذى أحاط به الجهل حتى إنه ليجهل نفسهُ . وأينما اتجه أشاح عنهُ الناس بوجوههم ، فلوَوا رؤوسهم وصعَّروا خدودهم وأمالوا أعناقهم حتى كأن كل رأس فى التواء عنقه من الشموخ والاستكبار يمثل علامة استفهام أقيمت فى وجه هذا المسكين أو علامة إنكار .

من هو هذا الحى الذى تنكرت لهُ الدنيا حتى صار فيها كأنهُ نوع شاذ من الخلق يقوى على كل شىء حتى الطبيعة ولكنهُ يضعف عن شىء واحد وهو الغنى فقضت عليه شرائع الاجتماع أن ينفق من حياته أضعاف ما يكسب لحياته . فهو إذا كدح فى العمل طوال يومه فقوت هذا اليوم عليه كثير ، وإذا لم يجد ما يطعمهُ الجوع فأطعمهُ من جسمه فذلك عليه يسير ، وإذا ذاب فى الشمس وجمد فى البرد فهو عند الأغنياء ذو طبيعتين لأنه فقير !

من عسى أن يكون هذا القوى الذى يختصمهُ المجتمع كله ويخشى أن يرتفع فيكون « قاضياً » ، ويأخذه اليوم بالجناية وهو الذى أوحاها بالأمس إليه .

ومن هذا الذى يرى المجتمع أنه إذا قدر للشريعة أن تُلحد فى قبر فلن تُدفن إلا فى هاوية من مطامعه ، وإذا حكم الله على عصر من عصور الجبابرة بالشنق فلا تكون المشنقة بجذعها وحبالها إلا من ذراعيه وأصابعه ؟

من هو الذى يجف ريق الأرض لو جف عرقه من ترك العمل ، ويخيب أمله مع ذلك فى كل غنى وهو نفسهُ للأغنياء أكبر أسباب الأمل ، يُدِلُّون عليه بالغنى ولولا أن فى فضتهم عنصراً من دمعه القيم لما وجدوا لها قيمة ، ولو لم يكن فى ذهبهم روح من دمه الكريم لما عُد أفضل المعادن الكريمة .

ذلك أيها السادة هو المدرج فى أكفان النسيان ، الذى ليس له فى الناس إلا ( منكر ونكير ) ، ذلك هو البائس فى بنى الإنسان ، الذى يكثر عليه القليل ويقل منهُ الكثير ، ذلك هو المتناقض فى نفسه حتى لا يصغر أن يقال فيه صغير ولا يكبر أن يقال كبير ، ذلك هو الذى يشبه أن يكون عملهُ حركة فلكية فى الأرض لآلة الغنى . ذلك كلهُ هو الفقير .

ياالله ما تحمل الأرض إنساناً واحداً لا يخشى عادية الفقر ولا يتعوذ بالله منهُ ولا يرى يومهُ فى

هذه الأرض كأنه الآخرة قبل الموت يقوم الفقير بين حسابها ، وعذابها ، ويستعيذ برحيمها . من جحيمها ، ويفرُّ من أمه وأبيه ، وصاحبته وبنيه ، ويضع فى ميزانها آماله ، فلا يزن إلا أعماله ، ويستصرخ كل من يمرُّ به فلا يسمع إلا قائلا يقول : نفسى نفسى ، ويذكر كل إنسان بمودته وكل إنسان هنالك قد نسى أو أنسى ، فينظر فإذا هو فى الناس ضائع حتى لا يعرف لهُ محلًا ، ومنفرد حتى لا يجد بينهم لشخصهِ ظلًا ، وإذا هو بالسماء وقد التهبت بأقدارها حتى كأنها فى عينهِ جمرة من البرق الخاطف ، وإذا الأرض قد ثارت بأهلها كرماد اشتدت بهِ الريح فى يوم عاصف ، فإن أقبل على الناس فرّوا من أماكنهم كأنه زلزلة تمشى وإن استصرخهم نفروا كأن فى صوتهِ فزعُ الرعد القاصف . يالله لا تحمل الأرض إلا من يعرف هذا من الفقر بل أشد منهُ ثم يبقى الفقير كأنهُ مسألة مجهولة فى حساب الناس لا هم لهم فيها إلا كثرة الطرح والضرب ثم الغلط فى النتيجة .. وتنحاز طبائع الناس كلها فى جهة والفقير وحدهُ فى جهة حتى لا يرى هذا المسكين فى العالم على سعته غير اثنين : هو ، واستبداد الغنى .

ترى أين تكون شرائع الآداب إذن . هل هى فى ضمائرنا أم هى فى كتبها ، أم صار الحق كلهُ إنسانيًا بحتاً لى عليك ولك علىّ وليس لله علينا شىء . وفصلنا أنفسنا من السماء وقطعنا الروابط التى كانت تربطنا بها ، ونبذناها فرثّت ثم رثّت فإذا هى على أجسام الفقراء تلك الأسمال البالية .

أيها السادة : الحقوق متى صارت إنسانية محضة ليس فيها لله شىء فكل درهم يوضع فى يد الإنسان يجعل فيها عقلًا يحكم على عقلهِ وكل رغيف يستقر فى معدته يخلق فيها ضميراً يستبد بضميرهِ ، فينفصل الإنسان من الله ويبتعد عنهُ بمقدار مايقرب من الغنى . وحسبهُ يومئذٍ فى اعتباره بعيداً جداً عن الله ورحمته أن يقال : أن بينهُ وبين ربهِ مسافة ألف دينار .. ذلك بأن عدل الله يقضى أن يكون للفقير ثروة ، وإنما الجزء المهم من هذه الثروة هو الإحساس فى ضمائر الأغنياء . والأدلة على هذه القضية ( قضية الحقوق الإنسانية ) كثيرة تفوت الحصر لأن كل مرابٍ جمع مالهُ من السحت والربا إنما هو فى نفسه دليل عليها . وليس أحداً أخيب رجاء ولا أحق بأن يخيب ممن يسأل المرابى إحساناً لوجه الله تعالى ، فإن الذى لا يعرف الله ــ سبحانه ــ فيما يأخذ كيف يعرف الله ــ عز وجل ــ فيما يعطى .

لماذا نرى جفاة الأغنياء يخشون من الفقر على أنفسهم فقط ولا يخشون منهُ على الفقير ؟ أظنهم يقولون : إن فى الأرض شيئين بمعنى واحد . قبور الأموات فى باطنها ، وأكواخ الفقراء على ظاهرها . وليس من فرق بينهما فى النسيان ؛ لأنهُ يشملهما جميعاً ، وإنما الفرق بينهما فى حاليهما المتناقضتين . هذا قبر ميت وهذا كوخ حى . نعم صدقوا وبروا وقالوا حقاً . أليسوا جُفاة القلوب غلاظ الأكباد . وإلا فما هو الفرق بين موت منسى كموت الغريب وحياة منسية

كحياة الفقير إلا على الفرق الذى لا يبالى به هؤلاء الأغنياء حين يكون لأحدهم ظاهر حى وضمير ميت .

وأظن أولئك الجفاة يقولون : إننا نرى الفقير لا يملك فى الأرض شيئا ، بل هو الحارس على قطعة من أرض الله يطوف حولها يومهُ . ففقر فلان التاجر الغنى مثلًا ليس هو فى الحقيقة أن لا يصيب القوت ولا يجد المأوى كغيره من الفقراء وإنما هو المتاجرة فى الآمال . بعد الأموال . وقبض الربح . بعد قبض الربح . واستقبال الأبواب والجدران . بعد استقبال الأصحاب والجيران . وهلم من هذا الباب الذى يُفتح من جهة الغنى على سائر الجهات الثلاث للحياة البائسة ، وهى : الفقر والمذلة والألم . وإنما هو رجل ككل رجال المال متى خرج المال من يد أحدهم خرج اسمهُ من أفواه الناس وحُبُّهُ من قلوبهم ويكون من أهل السعادة لو خرج هو أيضاً من الدنيا .

قُتِلَ الإنسان ما أكفرهُ :

لو أن غنياً فقد جبلًا من الذهب وأصاب رغيفاً لكان ذلك أيسر فى مذهب الإنسانية من أن لا يجد البائس المعدم رغيفاً يمسك به الرمق ويقيم منهُ باباً حاجزاً يمنع الجوع أن يُدخِلَ إليه الموتَ أو يخرج منهُ الروح . ولكن مصيبة الإنسانية فى أهلها أن الله لم يخلق إلا صنفاً واحداً من الناس على أن كل إنسان يظن أنهُ ذلك الصنف الواحد . فالغنى حين يتصور الفقر وهو لا يزال فى غناهُ لا يتصور إلا اختلال نظام الأقدار ( والعياذ بالله ) . واضطراب حركتى الليل والنهار . بعد أن يهوى كوكب سعدهِ الذى يصاغ من كل ذرة من أشعتهِ دينار .. ولا يرى بهذا الفقر إلا أن نقمة هابطة من السماء ولعنة صاعدة من الأرض قد التقتا عند رأسهِ الشامخ فى جو كبريائهِ . فاصطدمتا بهِ فإذا هو مُكِبٌّ لليدين وللفم عند أقدام الناس وإذا هو فقير .

هذا هو الفقر فى أوهامهم ولكنهُ فقرهم فقط .. أما سائر الناس فهم عندهم أهل باطل ودعوى . ينتحلون الفقر ويدعونهُ ليعادوا نعمة الغنى بالحسد فالجوع فقر والمرض فقر والتعب فقر والضجر فقر واشتهاء ما ليس لهم فقر وقلة الأصحاب فقر وحتى لو أن أحدهم سخطتهُ زوجهُ لنسب ذلك إلى الفقر وبالجملة فكونهم ليسوا كالأغنياء هو الفقر . فإذا كان الفقر كل شيء فما هو الشيء الذى يسمى الفقر ؟

من أجل ذلك أيها السادة يخشى الأغنياء من الفقر على أنفسهم وهم أنفسهم لا يخشون منهُ على الفقير .. لأن هذا الفقير عندهم قد أصبح شخصاً آخر لا صلة لهم به فهو يكذب على الحوادث والحوادث تكذب عليهِ وجزاء سيئته سيئة مثلها . فإذا انخدعوا لهُ فبمقدار ما يتعجبون من سخافته ، وإذا أعطوهُ كان العطاء سخيفاً بمقدار ما ينخدعون . ولا ينظرون لأثر الله عليه ولكن لأثره على نفسه إذ الحقوق عندهم حقوق إنسانية ، فهيهات أن يختلج فى نفس أحدهم . أن

لو شاء الله لوضعهُ فى ثياب هذا الفقير ولوضع الفقير فى ثيابه . أترد مثل هذا الغنى الجاف إلى الدين ؟ إنه لهو الدين . أترده إلى الإنسانية ؟ فمن هو – إذن – إذا لم يكن من صميم الإنسانية وعين أهلها بل إنسان هذه العين . أما الحق فاذكر أموالهُ تعلم أن « الحق فى يده » .. هكذا هكذا يعطى المال أهلهُ حتى فضائل غيرهم ، ويسلب الفقر أهلهُ حتى محاسن أنفسهم .

أيها السادة : لابد من صلة معنوية بين جميع الناس على ما يكون بين الإنسان والإنسان من التباين والاختلاف فى كل شىء حتى بين الأخوين تلدهما الأم الواحدة وهما مهما اتفقا فى الحياة ومظاهرها ، فإنهما لابد مفترقان افتراق الثديين اللذين ارتضعا منهما الحياة . فما عسى أن تكون هذه الصلة العامة بين الناس ؟

تقول الشرائع : إن الصلة التى تجمع الناس بعضهم ببعض هى العدل .

وتقول العلوم : إنها العقل .

وتقول الآداب : إنها شىء من العدل والعقل يكون الإنسانية فى الضمير .

وتقول الحياة : إنهُ سبب الإنسانية وهو الرحمة .

ثم يرعد صوتُ إلهىٌّ يقصف من جهة السماء التى هى مصدر العدل والعقل والإنسانية والرحمة فيصيح بكل ما فى هذه الأشياء من القوة ويقول : كلا .. بل هو سبب الرحمة ومظهر الإنسانية وكمال العقل وفضيلة العدل وهو الفقر[٣] .

من الذى وُلدِ وفى يده قطعة من الذهب ، ومن الذى مات وفى يدهِ تحويل على الآخرة ؟ لقد وسعت الخرافات كل شىء إلا هذا . فما لنا نتحد فى البدء والنهاية ثم نختلف فى الوسط ؟ ذلك لأن بدءنا من طريق الله ونهايتنا فى طريق الله . ولكن الوسط طريق بيوتنا ومصانعنا وحوانيتنا وبكلمة واحدة طريق بعضنا إلى بعض .. وحيثما التقى الإنسان بالإنسان فإما أن تلتقى المنفعة بالمنفعة وإلا فالمنفعة بالمضرة ، فلابد من انتفاع أحدهما أو كليهما . ومن ثم يقول البخلاء ما الذى ننتفع به من رحمة الفقير . أو لا يكفيه أننا لا نرزقهُ شيئاً ، وإننا نفضل عليه فنعتد الدرهم الذى نمسكه عنه كأنه درهم أخذناه منه ، وبذلك لا يضرنا ولا ننفعه بشىء ومن جهة أخرى يكون قد نفعنا ونفعناهُ بلا شىء .

قاتَل الله البخل وقبحهُ فما هو إلا حرص على المنفعة يشبه عبادة الوثنيين لكل ما توهموا فيه المنفعة . وإن كان للحواس نوع من الكفر بالله ، فكفر اليد فى إمساكها ، وإن الله لرحيم إذ لم يعاقب البخلاء بما يعاقبون به الناس . فليس بين كل بخيل وبين الهلاك إلا أن ينقل الله – تعالى –

---

(٣) هذه العبارة صورة أدبية .. ما كان ينبغى أن تسند إلى ( صوت إلهى ) .. مجلة الأزهر .

الإمساك من يده إلى جوفه .. على أن البخل إذا لم يكن بقية من الوثنية القديمة بعينها فهو على كل حال نقص من الإيمان . لأن الله وعد المحسنين والمتصدقين ثواب ما أنفقوا مكافأة على فضيلة الإحسان التى هى فى الحقيقة فضيلة الإحساس . ثم أن يخلف عليهم ما أنفقوه أضعافاً مضاعفة إذ المحسن لا يجود بدراهمه على الله ، ولكنه يقرضه أياها قرضاً حسناً متى وضعها فى يد الإنسانية الفقيرة . فمن أمسك عن الإحسان بخلًا فإنما يشك فى وعد الله وإلا ففى قدرة الله وإلا ففى الله نفسه . فأكبر البخل عند أكبر الكفر وأصغرهُ عند أصغرهِ ، ويوم يخرج الإيمان من قلوب الأغنياء تخرج أرواح الفقراء من أجسامهم ، فيموتون بالجوع وبالعُرى وبالمرض وغيرها ، وكلها مظاهر متعددة لسبب واحد هو فى الحقيقة كفر الأغنياء كفراً فى الضمير ، لا كفراً فى اللسان .

من هنا أيها السادة لا تجدون الفقر فى أى عصر من العصور إلا بعض الخلل فى نظام الاجتماع الإنسانى ، كما أن البخل بعض الخلل فى نظام النفس الإنسانية . والفراغ الذى يجده الفقير فى بيته إنما هو موضع النعمة التى بخل بها الغنى وهو فى الحقيقة موضع التفكك أو الكسر فى الآلة التى تديرها شريعة الاجتماع .

الإنسان إنما خلق اجتماعياً وهو بشخصهِ لا قيمة لهُ ولا منفعة إلا حيث يكون شخصهُ جزءاً من مجموع . لأن اليد الواحدة فى الجسم ولو كانت يد ملك وكان فيها زمام العالم ، فإنها لا يفارقها عيب أختها المقطوعة .

و كل خلل فى النظام الاجتماعى فإنما مردُّهُ إلى طغيان بعض الأفراد وجنوحهم إلى أن تكون شخصية الواحد منهم من الكبر والعظمة بحيث توازن المجموع كلهُ . بَيْدَ أن هذه الموازنة الفردية متى اتفقت كانت إخلالًا بالموازنة الاجتماعية . لأنها تجعل كل حركة من هذا الفرد زلزلة فى المجموع كالثقل فى إحدى كفتى الميزان : إن خف ، سقطت الكفة الأخرى وإن ثقل شالت وهو السقوط إلى فوق .

والموازنة الاجتماعية لا تتهيأ إلا إذا تطبعت قوى المجموع ، فاندفعت فى تيار واحد إلى جهة معينة . ولكن الموازنة الفردية لا تستقيم إلا إذا جاءت من عكس هذه الجهة ، فتصد قوة المجموع وتبقى دائماً ذات قوة على صدها . ومن أراد الغلبة فإن ضعف خصمهِ يعطيهِ منها أكثر مما تعطيهِ قوة نفسهِ ، ولا يكون ضعف المجموع إلا من حصر الشخص العظيم قوة عقله ونفسه وضميره فى هذا السبيل الفردى لتكون منهُ الشخصية الهائلة التى تشبه ما كان فى تاريخ الوثنية من شخصيات الآلهة وأنصاف الآلهة .

وقد اضطر الناس لذلك من عهد اجتماعهم على نظام أو شريعة إلى ابتداع الوسائل للتوفيق بين قوة الفرد وقوة المجموع حتى لا يستشرى الداء فى الموازنة الاجتماعية فيفسدها ويوقع فى نظامها الخلل ولكيلا تكون خيرات المجموع كلها فى معدةٍ واحدة ، وحتى لا يبقى الناس أرقاماً يعدهم

الغني المستبد كما يعد دراهمهُ لأنهم ثروتهُ الحية .. غير أن هذه الوسائل على اختلافها لم تكن ولم تزل إلى عهدنا عهد الاشتراكية العلمية . إلا ثورات هي مهما كانت فإنها أشبه شيء بجموح الحيوان إذ يحمى أنفهُ فيجمح ثم يسترسل في جماحهِ ثم يشتد حتى يعتز صاحبهُ على رأسهِ ويملك نفسه منهُ ثم ماذا ؟ ثم يسكن مكرهاً بعد أن جمح راضياً ، فإن لم يسكنه الألم من صاحبهِ اسكنه التعب من نفسه لأن التخلص من شيء في فطرة الإنسان لا يكون بالتخلص من إنسان بعينهِ كالحرية إن لم يكن في نفوس الشعب المستبد لم ينفعه كل مايتمثلهُ من الآمال عند سقوط المستبد وزوال عهده ، فإن هذه الآمال الجميلة إنما هي بعض الهواء النقي الذي يتنفسهُ تاريخ الحرية المستعبدة ملء رئتيهِ حين ينبعث من الحركة التي يحدثها ذلك السقوط .

ومن هذا أيها السادة ترون أن الإنسان لا يعيش فرداً ولكنهُ حين يموت يموت فرداً .. فإذا رأيتم فقيراً منبوذاً من المجتمع منفرداً عنهُ لا يساهمهُ في عملهِ ولا عيشهِ بل كأنهُ يعيش في بقعة مجهولة من فؤاده فاعلموا أن إهمال ذلك الفقير إنما هو نوع من القتل الاجتماعي .

ههنا قاتل ومقتول لم يأخذ القاتل بحق من الحقوق ولا ثأر لنفسهِ ولا قتل بيدهِ . أما المقتول فإنهُ لم يُقتل في إثم اجترحهُ ولا هو جنى على نفسهِ الضعف الشديد الذي بلغ منهُ حتى جعل إهمال القوى إياهُ كأنهُ حكم عليهِ بالقتل . فترى على من تكون هذه التبعة وهي بالتحقيق ليست على القوى لقوته ولا على الضعيف لضعفه ؟

هناك اثنان : رجل في الماء وآخر على الشاطىء ، فأما الذي في الماء فليس بينه وبين الموت غرقاً إلا نفس واحد مبتل بالماء يغسلّ من حلقه إلى رئتيهِ وهو يرى بعينهِ الموت دائباً في حفر قبره المائي فليس الموج المتناثر حولهُ إلا ماتثيره يد جبار الموت من تراب ذلك القبر وتحثوهُ في وجهه بغضب ، بعيدُ عن الأحياء حتى بَعُدَ عن أن يكون لهُ قبر بينهم ، لا صلة بينهُ وبين الحياة الأرضية إلا نظرات ذلك الرجل القوى الذي يلوح في عين الغريق كأنهُ صخرة على الشاطىء لها قوة وليس لها إرادة ولا يد . ولكن هذا الذي يشعر بصلابة الأرض تحت قدميه ويشعر بصلابة يدهِ وعضلاتهِ يشعر أيضاً بمعنى من الصلابة في قلبه . وقد جاء إلى الشاطىء ليتنفس تلك النسمات التي يتنهد بها صدر السماء فتكون أرواحاً للأمواج تبعث فيها حركة الحياة . ما له ولهذا المنظر ؟ سواد يطفو على الماء كأنهُ هنة من المتاع أو حذاء قديم أو ريش طائر أو رأس رجل يغرق وما دفعهُ هو إلى الماء فيكون حقاً عليه أن يستنفذه ، ولا كان الغوص من صناعته فيعتمل في إخراجه ليخرج معهُ أجر عملهِ ، وهو قوى ولكنه قوى لنفسهِ لا للضعفاء وقد جاء ليروح عن نفسهِ . وإنقاذ الغريق عمل آخر . أخذ فيما جاء لهُ ومازال يتنفس ملء صدرهِ من الهواء ومن زفرات الإنسانية ومن لعنات ذلك الغريق حتى آن لهُ أن ينصرف وترك الرجل يغرق ، وهو يقول : لا بأس أن ينقص عدد أهل الأرض واحداً فهم كثير . ترى على من تكون هذه التبعة أيضاً ؟

إذا أردتم أيها السادة أن تعرفوا ذلك فإنكم تستطيعون أن تحققوهُ بدون أن تكونوا شرطة أو

قضاة أو أهل قانون أو فلسفة ، ولكن بأن تكونوا من ذوى الإنسانية فقط . فإن الإنسانية لا ترى فى الأرض إلا الضمائر وما هذه الأجسام ألا أدوات صناعية ركبت هذا التركيب لتصلح لحياة لضمير . فالرجل قد مضى برىء اليد وبرىء القوة وبرىء العقل إذ هو لم يقتل ولم يجْنِ على القتيل ولم يحتل لقتله ، ولكن الإنسانية حين تنادى الضمائر بأوصافها فتقول أيها الطيب وأيها الكريم وأيها الشقى وأيها السافل . وتقول – لضمير هذا الرجل : أيها القاتل .

إذا لم يقر الأغنياء لأنفسهم بالضمائر ، ولم يلحقوا بها التبعات التى تناسبها ، فهل هم فى ذلك إلا كالمجانين لا تقر لهم الشرائع بالعقول وتخرجهم من تبعة ما يجنون على العقلاء لأنهم مجانين . وكيف ترون ذلك الغنى الفظ الذى يهر فى وجوه الفقراء ويصيح بهم كأنه ينبحهم بلغة كلبية ! .. ولا يفتأ يقذفهم بالألفاظ الجافية المؤلمة كما يقذف المجنون بالحجارة .. وإذا أعطاهم فإنما يعطيهم بقبضة فارغة وهو لا يوقر إلا من فوقه كأنه لا يرى فى الدنيا كلها اسفل من نفسه .. ولا يبالى إلا بمن يطمع فيه كأنه جالس فى (مكتب أحد المخدمين) . وقد تساوى فى الدناءة والكلف بالدنيا وقذارة الطباع ظاهرهُ وباطنهُ كأن ضميرهُ لبسهُ مقلوباً .. وصار أمر رضاه وغضبهِ وإحساسهِ وحياتهِ موقوفاً على ما يكون من أمر المعاملات كأن أخلاقهُ ليست فى نفسه ولكنها فى أيدى الناس .

أليس مثل هذا الغنى الدنىء رجلا عاقلا ؟ بلى إنهُ لأعْقَلُ من كل من يمدحهُ ولو كان أكبر علماء الاقتصاد ولكنهُ مجنون الضمير بحيث لا يعقل إلا بحواسه .

**استدراك**

**وقع خطأ فى بيت من الشعر بحاشية مقالة ،المرأة فى الغرب الأوربى فى العصور الوسطى،، وذلك فى العدد الماضى ربيع الآخر صفحة (٥٢٨) وصحته،**

**كنتُ حُبّاً له يفوح شذاهُ    باتّقادِ الشبابِ فى دنياهُ**

**كما نسب الشاعر العربى ،عدنان مردم، إلى لبنان فى عدد ربيع الأول بباب الشعر، وهو سورى الجنسية**

# عبقرية التراث بين النفي والإثبات

## - ٢ -

د . عبد الفتاح أحمد الفاوى

ونعود الآن إلى الحديث عن محنة التراث ـ على اختلاف فى تسميتها محنة ـ وعن عواملها .

١ ـ الغزو الصليبى : تعرض العالم الإسلامى منذ نهاية القرن الخامس الهجرى لهجمات شرسة من الغرب الصليبى أراد بها استئصال الأمة الإسلامية ودرس وجودها ؛ فشن حملاته باسم الحروب الصليبية التى دمرت الكثير من معالم هذه الأمة فقتلت ، ونهبت ، وسلبت وأحرقت الكثير من المكتبات . وقد تركزت تلك الهجمات والحملات على بلاد الشام فأقامت الإمارات والممالك ، وتخاذل المسلمون بعضاً من الوقت حتى هيأ الله لهم من قام بالمسئولية وكسر شوكة هؤلاء .

وحيث إن حديثنا هنا عن تأثير هذا الغزو على المكتبات والكتب والتراث الإسلامى فإننا لن نتطرق إلى غيره .

يقول الأستاذ محمد كرد على : « ومن أهم النكبات التى أصيبت بها الكتب نكبة طرابلس لما فتحها الصليبيون وإحراق « صنجيل » أحد أمرائهم كتب دار العلم فيها وأخذ الصليبيين بعض ما طالت أيديهم إليه من دفاترها وكتب الخاصة فى بيوتهم ، واختلفت الروايات فى عدد المجلدات التى كانت فى خزانة بنى عمار أو دار حكمتهم فى طرابلس ، وعلى أصح الروايات أنها ما كانت تقل عن مائة ألف مجلد[1] » وذكر ابن الأثير فى

---

(١) « خطط الشام » ٦ / ١٩١ بل يذهب البعض إلى أن ما أتلفه الصليبيون فى طرابلس من الكتب بلغ ثلاثة ملايين مجلد . أنظر : « روائع حضارتنا » ص ٩٦٨ و « مواقف إزاء التراث » ٢٨ .

« الكامل » أن الصليبيين ملكوا طرابلس بالسيف ونهبوا ما فيها وغنموا من الأموال والأمتعة وكتب دور العلم الموقوفة ما لا يعد ولا يحصى[٢] .

والخزائن التى دمرت خزانة أسامة بن منقذ أحد أصحاب « قلعة شيزر » فقد « كانت أربعة آلاف مجلد من الكتب الفاخرة[٣] » .

هذا بعض ما فعله الغزاة فى البلاد التى حكموها فترة من الزمن أما فى البلاد التى ما زالوا يحكمونها إلى اليوم مثل الأندلس فقد أحرقوا فيها كتب التراث الإسلامى كلها دون تفريق بين غث وثمين ، أحرقوا المصاحف النادرة ، وأحرقوا كتب الأدب ، والعلوم ، وألوان الفنون . حيث ظنوا أن الثقافة الإسلامية والتراث الإسلامى سيحول دون تحقيق مرادهم فى القضاء على الإسلام ، وإنهاء وجوده ، لأن القضاء على الإسلام فى نظرهم يقوم على الفصل بين الإسلام وتراثهم الدينى والثقافى . فأحرق رئيس « غرناطة » كل ما وقع تحت يده من الكتب العربية كما أتى الكردنيال « كسيشيش » عام ١٥١١ م ، على كل أو معظم نتاج المسلمين فى الأندلس ؛ وما فعله الأسبان أيضاً فى مكتبة « جامع الزيتونة » فى تونس لا يقل عما فعلوه فى الأندلس وكذا ما فعله الفرنسيون فى مكتبات الجزائر لا يقل عن ذلك[٥].

٢ ــ الغزو المغولى : لم يكد المسلمون يستريحون من حملات الصليبيين حتى خرج عليهم من الشرق أخطر سيل بشرى عرفه التاريخ ؛ خرج يهلك الحرث والنسل حتى خيل للبعض أن سد يأجوج ومأجوج قد انهار خرج يكتسح البلاد والعباد بأعظم مصيبة ، ومهما وصف الإنسان وحشية هذه الحادثة لن يستطيع أن يصف جزءا من فظاعتها .

يقول ابن الأثير عن حديثه عن أحداث عام ٦١٧ هـ ؛ « لقد بقيت عدة سنين معرضا عن ذكر هذه الحادثة استعظاماً لها كارها لذكرها فأنا أقدم إليه رجلا وأؤخر أخرى فمن الذى يسهل عليه أن يكتب نعى الإسلام والمسلمين ومن الذى يهون عليه ذكر ذلك !! فياليت أمى لم تلدنى ويا ليتنى مت قبل حدوثها وكنت نسياً منسياً !!... فلو قال قائل : إن العالم منذ خلق الله ــ سبحانه وتعالى ــ آدم وإلى الآن لن يبتلوا بمثلها لكان صادقاً » ويتابع بن الأثير وصف الحادثة فيقول : « ولقد بلى الإسلام والمسلمون فى هذه المدة بمصائب لم يُبْتَلَ بها أحد من الأمم ؛ منها هؤلاء التتر ــ قبحهم الله ــ أقبلوا من المشرق ففعلوا الأفعال التى يستعظمها كل من سمع بها[٦] » .

وليس مجال بحثنا وصف هذه الحوادث ولكن لنقف على بعض ما فعله هؤلاء بالكتب ودورها .

فلقد دمر هؤلاء ما لا يحصى من صروحنا العلمية وكنوز ثقافتنا ومعالم حضارتنا فى « بخارى » و « نيسابور » و « الرى » و « أصفهان » ثم اكتسحوا العراق فسقطت

---

(٢) « الكامل فى التاريخ » ٩ / ٢٢٠ .

(٣) « خطط الشام » ٦ / ١٩٢ .

(٤) « الإسلام والحضارة العربية » ٢٧٠ محمد كرد على .

(٥) أنظر : « حول توثيق الارتباط بالتراث العربى » ص ٤ هلال ناجى .

(٦) « الكامل فى التاريخ » ٩ / ٩٢٣ ابن الأثير .

بغداد ؛ وعكف رجال الإسلام يفتشون بين الأطلال عن ذخائر التراث في « بيت الحكمة » والمدرسة النظامية و « المدرسة المستنصرية » وغيرها من دور الكتب العامرة وصروح العلم الشامخة ؛ فإذا النار قد أكلت منها ما أكلت حتى شبعت فقذف بالباقي في النهر .

يقال إن الكتب سدت مجرى دجلة وجاز الناس عليها ما بين شطيه كأنه جسر معقود[٧] .

ويقول القلقشندي في « صبح الأعشى » وهو يصف المكتبات في العالم الإسلامي وما انتهى إليه أمرها : « يقال إن أعظم خزائن الكتب في الإسلام ثلاث خزائن : إحداها خزانة الخلفاء العباسيين فكان فيها من الكتب ما لا يحصى كثرة ولا يقوم عليه نفاسة ؛ ولم تزل على ذلك إلى أن دهمت التتر بغداد .... فذهبت خزانة الكتب فيما ذهبت وذهبت معالمها وأعفيت آثارها[٨] » .

ويذكر الأستاذ محمد كرد فيما يذكر ما فعله التتر بالتراث فيقول[٩] : « إن هولاكو بنى بكتب العلم اصطبلات الخيول وطوالات المعالف عوضاً عن اللبن ، وقيل إن ماء دجلة تغير لونه لكثرة ما ألقى فيه التتر من الكتب والأوراق ، وقيل : إنه أقام بكتب العلم ثلاثة جسور على دجلة » .

وقد يكون في هذا الكلام من المبالغة والتهويل ما فيه شأن كثير من الحوادث والأخبار التي يرويها القدماء ولكنه على أية حال يصور فداحة المحنة التي تعرض لها التراث .

٣ ـ الصراع المذهبي : ما فعلته الخلافات السياسية والصراعات المذهبية في التراث لا يقل عما فعله الغزو الصليبي والمغولي فيه فلم تنج بقايا التراث من معارك الصراع المذهبي ؛ فحيثما أتيح لأصحاب مذهب مجال نفوذ وسلطان ألحوا على كتب خصومهم حرقاً وإتلافاً ؛ ومع أن مثل هذا التدمير كان موجهاً بصفة خاصة إلى كتب المذاهب إلا أن لهيب الحريق لم يكن يمر بينها وبين غيرها ؛

وقد كان الحكام المذهبيون يريحون أنفسهم باحراق الكتب جملة لتعذر فحص الملايين منها ، إلا أن يتاح لهم في القليل النادر مستشار رشيد ينقذ ذخائر التراث التي لا شأن لها بصراع المذاهب[١٠] .

**لقد كان انتصار فريق على آخر ومذهب على مذهب خسارة عامة للكتب وكارثة حضارية شاملة ؛ ففي الخلافة العباسية وفي عصورها المتأخرة جرى اضطهاد الكتب وإحراقها بل والتضييق على مؤلفيها ، ومما يذكر في ذلك أن أحد علماء بغداد[١١] في عهد الخليفة العباسي « الناصر لدين الله » اتهم بأنه معطل وأنه يرجع إلى أقوال الفلاسفة ، فقام ابن المارستانية وخطب خطبة لعنه ولعن معه الفلاسفة ثم أحرق خزانة كتبه[١٢] .**

ويذكر القفطي ـ راوي هذه القصة ـ أن الحكيم الإسرائيلي يوسف السبتي قال : كنت ببغداد يومئذ تاجرا وحضرت المحفل وسمعت كلام ابن المارستانية وشاهدت في يده كتاب الهيئة لابن

---

(٧) « تراثنا بين ماضي وحاضر » ٣٥ ، ٣٦ .

(٨) « صبح الأعشى في صناعة الإنشا » ١ / ٤٦٦ أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي .

(٩) « الإسلام والحضارة العربية » ١ / ٣٢٣ .

(١٠) « تراثنا بين ماض وحاضر » ٣٤ .

(١١) هو : عبد السلام بن عبد القادر أبو صالح بن جنكر دوست الجيلي البغدادي .

(١٢) تاريخ الحكماء ٢٢٨ ، ٢٢٩ جمال الدين القفطي .

الهيثم وهو يشير إلى الدائرة التى مثل بها الفلك وهو يقول : « وهذه هى الداهية الدهماء والنازلة الصماء والمصيبة العمياء وبعد إتمام كلامه حرقها وألقاها فى النار[١٣] » .

وما فعل بمكتبة الخلفاء الفاطميين نتيجة التعصب كاف لبيان مدى ما أصاب التراث نتيجة التعصب المذهبى ؛ فقد اعتدى عليها الغوغاء من المماليك الأتراك فأشعلوا فيها النار واقتسم العبيد جلود كتبها فاتخذوها نعالاً يلبسونها وألقى منها عدد كبير فى النيل ، وحمل بعضها إلى سائر الأقطار وبقى منها ما سفت عليه الرياح فصار تلالا تعرف بتلال الكتب[١٤] .

وقد حدث مثل ذلك فى كل دور الكتب التى كانت بمصر الفاطمية فى مكتبة العزيز ودار العلم والجامع الأزهرى .

وبعد سقوط الدولة الفاطمية أشار جماعة من علماء الدين على السلطان صلاح الدين الأيوبى بإتلاف تراث الفاطميين من الكتب لأن فيها ضرار على الإسلام ؛ فاستجاب لهم صلاح الدين وأمر بإتلافها .

وفى حلب نهبت مكتبة « خزانة الصوفية » بسبب الفتنة التى قامت بين السنة والشيعة .

وفى شمال إفريقيا لقيت دور الكتب مصير مثيلاتها فى المشرق ، فقد حوربت كتب الغزالى وأمر أمراء المرابطين بإحراقها واستمر الحال على هذا زمن الموحدين وخاصة أيام محمد بن تومرت فى القرن الخامس .

يقول صاحب المعجب : « وفى أيامه انقطع علم الفروع وخاصة الفقهاء وأمر بإحراق كتب المذهب .... فأحرق منها جملة فى سائر البلاد وقد شهدت ذلك وأنا بمدينة « فاس » يؤتى منها بالأحمال فتوضع ويطلق فيها النار[١٥] » .

ومن هذا القبيل الكثير والكثير . سلاطين يتحكمون فى مصائر البشر : أمنا ورضينا ، أما أن يتحكموا فى الفكر والعلوم فتلك هى المصيبة .

٤ - الجهل بقيمة التراث : يضاف إلى ما سبق جهل بعض أبناء الأمة بقيمة هذا التراث ؛ ذلك الجهل الذى قضى أو كاد يقضى على ما تبقى منه فقد كان التراث مودعا فى المساجد والزوايا بضاعة رخيصة لا تساوى وزنها ورقاً عند خدام المساجد الموكول إليهم أمرها ؛ ورحم الله أجدادنا أودعوا مؤلفاتهم بيوت الله وهم يحسبون أنها فى دور العبادة بمأمن من الضياع ولم يدروا أن خدام المساجد والزوايا سيبيعون هذا التراث « بالكيلو » كى تغلف فيه بعض المأكولات قبل أن تظهر الصحف والمجلات وتؤدى هذه المهمة . ذكر « الكونت دى طرازى » أن خادما يدعى ابن السيمانى عين فى منتصف القرن التاسع عشر خازنا لثلاث مكتبات كبرى فى مساجد مصر وكان الرجل يستعين على العيش ببيع قصب السكر ويضع بجانب بضاعته من القصب أكواما من مخطوطات المكتبات الثلاث يبذلها لمن يدفع له القرش والقرشين[١٦] .

ومن أطراف ما يروى فى ذلك أنه كان للأمير بن فاتك - من أمراء مصر فى القرن الخامس الهجرى - مكتبة ضخمة كان يجلس فيها أكثر أوقاته ولا يفارقها ، وكانت له زوجة كبيرة القدر من أرباب الدولة ، ولكن داخلتها الغيرة من

---

(١٣) المرجع السابق .

(١٤) من « روائع حضارتنا » ١٦٨ .

(١٥) « ظهر الإسلام » ٣ / ٣٩ أحمد أمين .

(١٦) تراثنا بين ماض وحاضر ص ٣٩ .

الكتب فلما توفى نهضت هى وجواريها إلى خزائن كتبه وفى قلبها لوعة من الكتب فجعلت تبكيه وتندبه[١٧] . وفى أثناء ذلك ترمى الكتب إلى بركة ماء فى وسط الدار هى وجواريها ، وقديما قالت امرأة الزهرى : والله لهذه الكتب أشد على من ثلاث ضرائر .

وقد ازدادت معاملة التراث سوءاً إبان العصر المملوكى ، حتى جاء سلاطين آل عثمان وحملوا ما بقى من التراث إلى مركز خلافتهم وعاصمة دولتهم لا حرصاً عليها ولا انتفاعاً بها ، وإنما إرضاء لشهوة التملك والاقتناء واستكمالا لمظهرية السلطان ومجاراة للوجدان الدينـــى ، فراح السلاطين يبنون المساجد التى تحمل أسماءهم ويكرسون فيها الذخائر من تراث العربية والإسلام حيث بقيت هناك أكواما تملأ السراديب والدهاليز دون أن تعرف لها قيمة أو يرجى منها نفع ولعل أكثر ما نجده الآن من تراثنا نجده محفوظاً هناك ، وفى الدول الغربية التى حملت هى الأخرى على عاتقها حفظ تراثنا .

وفى تلك المرحلة بدأ نهب التراث الإسلامى إلى مكتبات أوربا ... بدأ النهب من جميع البلاد الإسلامية ، ولم يكن مقتصراً على وطن دون آخر أو مكتبة دون أخرى . فى الشام وفى العراق وفى الحجاز وفى اليمن وفى مصر إلى آخر بلاد العالم الإسلامى .

يقول الأستاذ محمد كرد على : « إن بعض دول أوربا ومنها فرنسا وجرمانيا وبريطانيا وهولنده وروسيا أخذت تجمع منذ القرن السابع عشر كتباً من تراثنا تبتاعها من الشام بوساطة وكلائها وقناصلها والأساقفة والمبشرين من رجال الدين » ويواصل حديثه فيقول : « وكان قومنا ولاسيما من اتسموا بشعار الدين ومن كان يرجع إليهم أمر المدارس والجوامع » بلغ بهم الجهل والزهد فى الفضائل أن يفضلوا درهما على أنفس كتاب[١٨] ، ولهذا نجد النسخة الأصلية للعديد من الكتب فى مكتبات أوربا فى « الفاتيكان » والأديرة والمتاحف ثم بدأت تلك المخطوطات تظهر للوجود بتحقيق المستشرقين .

البعد الكيفى :

عندما نصل إلى البعد الكيفى لعبقرية التراث نكون قد وصلنا إلى قلب ميدان هذه العبقرية وإلى قلب ميدان المعركة المحتدمة حولها وحـــول التراث ، ولقد مر بنا فى الصفحات السابقة أرقام إحصاءات تكاد تكون خيالية لولا يقيننا بغزارة إنتاج السابقين فى ميادين العلم والمعرفة ؛ ولكن لنا على هذا الإنتاج ملاحظتين :

الأولى : أنه أو معظمه متعلق باللغة والدين ليس منه فى العلوم العملية إلا القليل أو أقل من القليل فلا تكاد تجد بين المخطوطات إلا الواحد بعد الواحد فى الطب أو الهندسة أو الزراعة أو الفلك أو ما إليها ، وهذا يعنى أن السابقين أفنوا أعمارهم واستنفدوا طاقاتهم وعصارة عقولهم فى الميدان النظرى من العلوم ؛ وهذا الميدان فى حد ذاته مهم ولكن الاقتصار عليه وحده ، وتفرغ هذا العدد الهائل من خيرة أبناء الأمة له هو الذى نبدى عليه التحفظ ، فلو أن بعض هؤلاء نصفهم أو ثلثهم أو حتى عشرهم أو أقل من ذلك اتجهوا للعلوم العملية علوم الأرض والزراعة أو علـــوم الهنـــدسة

(١٧) من روائع حضارتنا ١٦٩ .

(١٨) « خطط الشام » ٦ / ١٩٣ .

والصناعة ؛ وقد جاءت عشرات الأيات فى القرآن الكريم تتحدث عنها وتلفت الأنظار إليها لو وجد ذلك لكان للمسلمين شأن آخر .

نعم : وجد من كتب فى هذه العلوم من المسلمين ولكنهم أفراد وآحاد لم يجدوا من يواصل جهدهم ويستثمر أبحاثهم ، وقديماً ألف ابن سينا كتابه « القانون » فى الطب و « الشفاء » فى الفلسفة ، تلقف المسلمون من بعده كتاب الشفاء فى الفلسفة شرحا ودرسا وتحليلا ونقداً ولم يضيفوا إليه شيئاً ، واتجه الأوربيون إلى كتابة القانون فى الطب فدرسوه فى جامعاتهم واستفادوا منه وكان النواة لتفوقهم فى هذا المجال .

أرأيت الفرق بين الاهتمامين !! ومرة أخرى نريد ألا يظن بنا ظان هنا أننا نعارض اهتمام المسلمين بالجانب النظرى من المعرفة والعلوم - فقط - نقول لهم:إنهم أعطوه أكثر مما يستحق على حساب الجانب العملى .

ولم نكتف بهذا وإنما نضيف إليه الآن - نحن المعاصرين - جهوداً مضنية فى تحقيق هذا التراث فخيرة علمائنا وباحثينا غارقون فى هذا المجال .

ولا نعارض ذلك وإنما نعارض المبالغة فيه مادام المطلوب يمكن أن يتحقق بدون ذلك بكثير ؛ وهكذا شغلنا التراث مرتين مرة عند تأليفه ، ومرة عند تحقيقه .

نعم : إن بعض كتابات السلف خدمت العقيدة واللغة ولكن بعضا وبعضا كثيراً منها أساءت إليهما ، وبعضا وبعضا كثيراً منها من الزبد الذى يذهب جفاء ( شروح وردود واختصارات وتعليقات ) وما إلى ذلك .

ولقد ضاع من تراثنا الكثير وما نجا منه إلا القليل ولا ندرى أنحمد ذلك أم نأسى عليه فلو بقى تراثنا كله لاحتاج إلى أضعاف عددنا لقراءته وتحقيقه ؛ والقليل الذى بقى من تراثنا من الغث ومنه الثمين . فما الذى ينبغى أن يكون عليه موقفنا من التراث حتى يتسنى لنا الاستفادة منه ومن عبقريته بجهد يساوى تلك الاستفادة ؟

نستطيع أن نحدد - هنا - ثلاثة مواقف تجيب عن هذا التسوٌل .

أولها : موقف القبول المطلق ويتبناه من يزعم أن الأوائل لم يتركوا للأواخر شيئاً ، ولذلك ترى أصحابه يقبلون على التراث غثه وثمينه ليقفوا بعبقريته أمام حضارة الغرب ويتجاوزوا بها شعورهم بالنقص أمامها . ويضرب « مالك بن نبى » مثلا بجسد حقيقة هؤلاء فيقول : « إننا عندما نتحدث إلى فقير لا يجد ما يسد به الرمق اليوم عن الثروة الطائلة التى كانت لأبائه وأجداده إنما تأتيه بنصيب من التسلية عن متاعبه كوسيلة مخدر يعزل فكره مؤقتا وضميره عن الشعور بها إننا قطعاً لا نشفيها[19] » .

وخطر هذا الموقف أنه قد يؤدى إلى أن نرتم بكسل فى أمجاد الماضى ونرفض الانتماء إلى العصر الذى نعيش فيه . إن هذا يعنى أن يتحول التراث إلى سلاح نقتل به أنفسنا بدل أن نشهره فى وجه أعدائنا . فمهما تكن من قيمة هذا التراث فلا شك أن قرونا من الظلام قد سادت العالم الإسلامى وفرضت تلك القرون أثارها على كل شىء فالباحث عن الجوهر لابد له أن ينفض أولا أكوام الغبار ، والذين يدعون أنهم سرقة هذا التراث وحفظته ولهم حق تفسيره ؛ ليسوا أفضل من خفراء الآثار جهلا به وعجزاً عن فهمه فضلا

(١٩) أنظر مواقف إزاء التراث ص ١٩ .

عن تفسيره ، وأن معظمهم لا يعرفون من التراث إلا أكوام التراب التي تجمعت طوال قرون التخلف فحجبت جوهره[20]

ولذا نجد أجيالا من أمتنا تخدرت باستغراقها في مراجعة التراث وبذلت أقصى جهودها لإحيائه لا لأجل الفائدة منه بل لأجل العيش فيه مخموراً معزولاً عن العصر ومحتوياته أو قل محاولة للهروب من الحاضر بالعودة إلى الماضي والوقوف عنده .

ثانيا : موقف الرفض المطلق بحجة أن تراثنا متخلف رجعي أو أنه ساذج سطحي ، أو أنه سلبي ذاتي ، أو أنه كتب في زمن غير زماننا فلا يمكن الاستفادة منه ، أو غير ذلك من الحجج التي يوردها هؤلاء والتي يريدون معها أن يطبقوا نظرية « فرويد » على التراث وأن التراث بمثابة الأب ؛ ونحن نعلم منذ « فرويد » أن الابن لا يستطيع أن يكتسب حريته ويحقق شخصيته إلا إذا قتل اباه فعلى الإنسان العربي أن يميت تراث الماضي في صورة الأب[21] . ولكن نسي هؤلاء أن الابن يستفيد من خبرة أبيه ويستطيع أن يحقق شخصيته وحريته على وجه أفضل وأعقل مع وجود أبيه وأن القيم الإنسانية واحدة وإن اختلفت صيغ التعبير بحكم التقدم التكنولوجي ، وأن الكثيرين من علماء الغرب شهدوا بأن كثيراً من ثقافة الغرب وحضارته مستمدة من حضارة الإسلام وثقافته .

إلغاء التراث والبدء من نقطة الصفر بحجة أن مكونات هذا التراث يصطدم مع النظرية المادية حجة غير سديدة فالنظرة المادية ؛ جاءت في ظروف غير ظروفنا وفي بيئة غير بيئتنا .

ومحاولة إخضاع التراث الإسلامي لمناهج غير مناهجه هي محاولة لإخراج التراث عن حقيقته فالتراث الإسلامي لا يدرس إلا في إطار الإسلام نفسه ، كما أن محاولة تصور الإسلام من خلال بعض الآثار التي خضعت لظروف معينة قد تكون غريبة عليه تصور غير صحيح .

ثم إن جعل البديل الارتباط بالتراث العربي الارتباط بالتراث الغربي أو الشرقي سيكون ارتباطاً مصنوعاً يؤدي إلى ما هو أشد من التبعية لتراثنا لأن الانعزال عن تراث الأمة يوقع الأمة لا محالة في التغريب « إذا ما انعزلت عن ثقافة الآباء فإنها تقع فريسة لثقافة الآخر[22] ».

وأما رفض التراث بحجة أنه كتب في زمن غير زماننا ؛ فغير مقبول لأن القيم الإنسانية واحدة وإن اختلفت صيغ التعبير ، فالديمقراطية واحدة سواء أكانت برفع الأيدي في ميادين أثينا أو بمناداة الخليفة الصلاة جامعة ... والاستبداد واحد سواء أكان في حرق روما أو قيادة المانيا إلى حرب خاسرة[23] .

وأخيرا فإن أي مذهب من مذاهب الفكر والسياسة في عصرنا هذا يبذل طاقات كبيرة للمحافظة على التراث والاستفادة منه . فالذين يذهبون مذاهب اليمين يقيمون الدنيا من أجل إحياء هذا التراث وبعثه وتسليط الأضواء عليه ، والذين يذهبون مذاهب اليسار يشهد أدبهم السياسي بأهمية تراث الشعوب ودوره في بناء الحاضر والمستقبل وضرورة إحيائه والاستفادة من طاقاته المبدعة والخلاقة

يتبع بالقسم الأخير

(٢٠) أنظر : يوم كنا خير أمة ص ٨ محمد جلال كشك .

(٢١) « حول توثيق الارتباط بالتراث العربي » ص ٣ د / أحمد هيكل .

(٢٢) « دعوة للحوار » من سلسلة كتب المواجهة ص ١١٢ د / حسن حنفي .

# بين المجلة والقارئ

إعداد وتقديم د/ محمد عبد الحكيم محمد

## قيمة حب الوطن في الإسلام

عندما خرج سيدنا محمد - ﷺ - مهاجراً من مكة المكرمة ، نظر إليها - مودعاً - نظرة حب وشوق ، وقال قولته الشهيرة .. والله إنى لأعلم أنك خير أرض الله ، وأحب أرض الله إلىَّ ولولا أنى أخرجت منك ما خرجت[1] . ومن ثم يتضح لنا مدى حبه - ﷺ - لوطنه ، ذلك الحب الذى يجب أن يتوفر فى الناس أجمعين حكاماً ومحكومين .

حول هذا المعنى تلقت المجلة كلمة الأستاذ أحمد عطية الضبيلى - المفتش بوعظ الشرقية - التى جاء فيها :

« إن حب الوطن من الإيمان ، ومتى فقد الإيمان فى شخص فإنما يفقد كل معانى الخير ، كما يفقد وطنه ويكره الانتماء إليه ؛ والإنسان إذا كان يحب شيئاً فإن محبته له إنما تكون لإحسان وجده منه أو فيه .

فمثلا : نحن نحب الله تعالى لأنه المنعم علينا بالحياة وبكل شىء فى دنيانا ، ونحب رسوله - ﷺ - لأنه هدانا إلى طريق النور ، ونحب أبوينا لأنهما سبب وجودنا ونحب بعد ذلك كل محسن لإحسانه علينا . وبالتالى ننكر ونكره كل مسيىء لإساءته لنا ، وإذا كان الأمر كذلك فالوطن أولى بمحبتنا بعد الله ورسوله - ﷺ - لأننا جميعاً على أرضه ولدنا وفيه نشأنا ، وإليه مرجعنا مهما طال الزمان أو قصر .

ومصر الأزهر والنيل والحضارة والعاشر من رمضان والسد العالى . مصر بكل ذلك وغيره من المنجزات : هى أمنا ووطننا وأملنا وسعادتنا وهى بذلك تستحق منا جميعاً كل حب وولاء وتقدير ووفاء سواء كنا نعيش على أرضها أم فى أى بلد آخر فهى مسقط رأسنا وعهد طفولتنا وملعب صبانا ومسرح شبابنا ومقر الأهل والخلان ومدفن الأجداد والآباء من المجاهدين والمفكرين والزعماء والمصلحين .

## الاحتفال الحقيقى بالمولد النبوى

لعل الاحتفال الحقيقى بمولد نبينا - ﷺ -

---

(١) أخرجه الحاكم فى مستدركه على الصحيحين جـ ٣ ص ٢٨٠ طبعة السعودية .

هو في إحياء سنته والعمل بشريعته والاقتداء بهديه في كل ما جاء به ، ذلك أن المحبّ لمن يُحبُّ مطيع .

**محمد حسين نور الدين ـ قنا**

## البث الغربي المباشر الموجه إلينا بالعداء

● عالم اليوم يموج بالعداء لكل ما هو إسلامى ، وبخاصة فى مجال الإعلام ، فالبث الغربى المباشر له لغته وأهدافه المتصادمة مع قيم الإسلام وتعاليمه ، ومع ذلك فإننا نجد البعض مولعاً بكل ما هو غربى للأسف ألم يأن لإعلامنا ـ المحلى والعربى ـ أن يقوم بدوره المنوط به فى تحصين شبابنا وأجيالنا الحاضرة قبل أن تضيع منهم هويتهم الإسلامية ؟؟

بل ألم يأن لهذا الإعلام أن يُعدِّل من غاياته وأهدافه وتوجهاته بما يجعله « إسلامياً » قولا وفعلا ؟؟

**يحيى السيد النجار ـ دمياط**

## الخوف على الإسلام من أبنائه

● ليس الخوف على الإسلام من أعدائه بقدر ما يكون الخوف عليه من أدعيائه ، الذين يشوهون صورته بالأباطيل والضلالات تحت دعاوى « التطور والحداثة والتجديد ومواكبة العصر » .

وهى دعاوٍ براقة يزينون بها سمومهم التى ينشرونها فيما تحت أيديهم من وسائل الإعلام ، والحق أن المسلمين يعرفونهم فى لحن القول ؛ ومن ثم فهؤلاء لا يخدعون إلا أنفسهم .

**أحمد زكريا عبدالعزيز عبدالرحيم ـ أسيوط**

## حاجة الإنسانية إلى الإيثار

« الإيثار : تفضيل الغير على النفس ، وهو خلق نبيل إذا قصد به وجه الله ـ تعالى ـ إذ يدل على صدق الإيمان وصفاء السريرة ، ثم هو سبيل أكيد إلى تحقيق التكافل الاجتماعى والتعاون بين الذين يجدون أضعاف ما ينفقون ويحتاجون ، والذين لا يجدون ما يأكلون ولا ما ينفقون .

وقصص الإيثار كثيرة ومتنوعة أذكر منها قصة « شهداء اليرموك » وقد كان من خبرهم أن رجلا من المسلمين وجد ابن عمه فى الجرحى ، فقال : ما أحوجه وهو فى الرمق الأخير إلى شربة ماء ، فجاء ليسقيه فأشار الجريح المحتضر إلى جاره الجريح ، وأشار الثانى إلى ثالث ، وهكذا حتى بلغوا سبعة نفر ، فأين مجتمعاتنا من هذا الخُلق .

**خيرى محمد أبو الروس ـ كفر الشيخ**

# ردودٌ وتعليقاتٌ

● القارىء/مهندس حماده أحمد السمنودى ـ بمدرسة شربين الثانوية الصناعية :

نشكركم على ملاحظاتكم القيمة ومتابعتكم المستنيرة لما تنشره مجلة الأزهر ، وسوف ننشر تصويباً لنسب الشاعر السورى عدنان مردم .

● السيد/مدير عام شئون مكتبات معهد الإدارة العامة بالسعودية .

● والسيد/عميد شئون المكتبات بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالسعودية .

● والسيد/مدير مكتبة الملك عبدالعزيز العامة بالرياض ـ السعودية :

أحلنا رسائلكم ـ التى تضمنت بيانا بأعداد المجلة التى لم تصلكم ـ إلى الجهة المسئولة عن اشتراكات المجلة ( إدارة الاشتراكات بمؤسسة الأهرام شارع الجلاء . القاهرة ) لاتخاذ اللازم ، ولكن عليكم مخاطبة هذه الجهة مع إرفاق صورة من إيصال الاشتراك ورقمه حتى يتسنى لها معرفة ما إذا كانت الأعداد الناقصة داخلة فى مدة الاشتراك أم لا ، والتصرف فى ضوء ذلك .

● القارىء/محمد فريد أحمد العيسوى ـ من (انشاص الرمل) شرقية :

لعل إصدارات هدية مجلة الأزهر فى شكلها الحالى تحقق رغبتك كماً وكيفاً ، أما نشر كتب التراث فيها فلا يتفق وسياستها ، فأحد هذه الكتب يحتاج إلى سنوات عدة حتى ينقضى نشر أجزائه . فى حجم هدية المجلة .

● القارىء/فؤاد السيد شعيب (لقانة) بالبحيرة :

الأزهر لا يراجع من الكتب المطبوعة فى الأسواق إلا ما يُعرض عليه منها من قبل الهيئات أو الأفراد ، فلا عجب أن يزخر الكثير منها بالافتراءات والأباطيل ، أما عن كلمتك للشباب ، فالنصيحة تكون لأئمة المسلمين وشبابهم .

● القارىء/محروس عبدالفتاح ياسين محمد ـ الطالب بكلية أصول الدين بالزقازيق :

كلمتك عن النظام الاجتماعى فى الإسلام جيدة ، ونرجو الاهتمام بتخريج الآيات القرآنية والأحاديث النبوية .

● القارىء/ابراهيم رشدى على من (بنى مزار) قرية حلوة بالمنيا :

سبق لمجلة الأزهر الاهتمام بمسائل المواريث فى كثير من موادها ، ويجب على من يريد الكتابة فى أى موضوع مراجعة عشرات المراجع فى نفس التخصص والاستشهاد بها والإضافة عليها .. مع دعائنا لك بالتوفيق .

● القارىء/حسين السيد عبدالحميد عوض ـ مدرس المواد العربية والشرعية بالشرقية :

نشكركم على دقتكم اللغوية وثنائكم على منهج المجلة فى تحرى الدقة والإسناد العلمى وبمشيئة الله تضع إدارة المجلة فى حسبانها تحقيق رغبتك بنشر المزيد عن التجربة الشعرية والمدارس الأدبية .

● القارىء محمد أبو اليسر ـ من شربين ـ دقهلية :

وصلت رسالتك ـ التى تشير فيها إلى حرمان محافظة الدقهلية من كلية أزهرية ـ واحدة ـ عملية ، وتنوه فيها إلى قطعة أرض شاسعة تربو على المائة والخمسين فداناً تصلح لجامعة أزهرية على « تل البلامون » بشربين ، وقد أحلناها على جهة الاختصاص ، وبالله التوفيق .

● القارىء/ وسيم عبدالعليم عزب ـ العريش .

كتبتم سيادتكم الحديث الشريف الخاص بإبصار الأعمى ، رجاء موافاتنا بسند الحديث الذى تفضلتم بذكره ، حتى يمكن درء من له شبهة فى رده ، وفقكم الله ـ تعالى ـ .

● القارىء/ رمضان إبراهيم الأقرع ـ طنطا .

وصلت كلمتكم الطيبة عن « شرف الإنسان وقيمته » ، نرجو لكم خطاً متقدمة فى هذا السبيل .

● وبمشيئة الله ـ تعالى ـ سيوالى الباب اهتمامه بعرض الرسائل التى يتلقاها تباعاً ، ويحيط الباب قراءه الأعزاء علماً بأن مساحة الباب لها دخل مباشر فى اختصار الكلمات المنشورة .



إعداد الأستاذ / مصطفى عبد المجيد

مناقشة أوضاع المسلمين فى آسيا الوسطى والقوقاز

تحت رعاية فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر وفى رحاب جامعة الأزهر انعقد المؤتمر الخاص بمناقشة أوضاع المسلمين فى دول آسيا الوسطى والقوقاز .

بدأت أعمال المؤتمر صباح يوم الاثنين الموافق ١٠ ربيع الآخر ١٤١٤ هـ ٢٧ سبتمبر ١٩٩٢م واستمرت ثلاثة أيام تم خلالها مناقشة أكثر من خمسين بحثاً علمياً حول أوضاع المسلمين فى دول آسيا الوسطى والقوقاز وذلك من خلال دراسة المحاور الفكرية والاقتصادية والسياسية والجغرافية لتلك الدول .

وقد اشترك فى أعمال المؤتمر مائة وخمسون عالماً يمثلون مصر ودول القوقاز وبعض الدول الإسلامية .

وصرح الدكتور جعفر عبدالسلام نائب رئيس جامعة الأزهر ومقرر المؤتمر بأن الإعداد لهذا المؤتمر بدأ منذ أكثر من عام ونصف بالتنسيق بين المؤسسات الإسلامية والثقافية فى مصر وبعض الجمهوريات الإسلامية

الإمام الأكبر يستقبل القائم بالأعمال بالسفارة السعودية بالقاهرة

استقبل فضيلة الإمام أكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر السيد / «أبو بكر» رفيع الوزير المفوض القائم بالأعمال بالسفارة السعودية بالقاهرة وذلك يوم الثلاثاء الموافق ٤ ربيع الآخر ١٤١٤ هـ ٢١ سبتمبر ١٩٩٣م بمكتب فضيلته.

وقد قام السيد السفير بتسليم فضيلة الإمام الأكبر شيكاً بمبلغ خمسين ألف دولار كدفعة أولى من قيمة المبلغ الذى قرر خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز التبرع به للأزهر الشريف لدعم دوره فى خدمة الدعوة الإسلامية ونشر الثقافة والعلوم الدينية .

الإمام الأكبر يفتتح معهد مصطفى على الأزهرى بمحافظة الاسماعيلية

قام فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر يرافقه فضيلة الشيخ سيد سعود وكيل الأزهر وفضيلة الشيخ محمد يوسف الأمين العام المساعد للدعوة بزيارة لمحافظة الاسماعيلية وذلك صباح يوم الجمعة الموافق ٣٠

من ربيع الأول ١٤١٤هـ - ١٧ سبتمبر ١٩٩٣م.

حيث كان فى استقبال فضيلته والوفد المرافق السيد الدكتور أحمد جويلى محافظ الاسماعيلية والسيد الأستاذ/ مصطفى على رئيس مجلس ادارة الشركة الحديثة للإضاءة وقد أدى فضيلة الإمام الأكبر والوفد المرافق صلاة الجمعة بمحافظة الاسماعيلية ثم قام فضيلته يرافقه السيد المحافظ بافتتاح معهد مصطفى على الإبتدائى والإعدادى الأزهرى الذى أنشأه السيد مصطفى على رئيس مجلس ادارة الشركة الحديثة للإضاءة .

**الإمام الأكبر يستقبل سفير دولة الكويت بالقاهرة**

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر السيد/ عبدالحميد عبدالرازق البعيجان سفير دولة الكويت بالقاهرة يرافقه السيد/ عبدالقادر العجيلى مدير عام بيت الزكاة الكويتى وذلك صباح يوم الأحد الموافق ٩ ربيع الآخر ١٤١٤هـ - ٢٦ سبتمبر ١٩٩٣ بمكتب فضيلته بالأزهر .

ثم قام فضيلته الإمام الأكبر والسادة الضيوف بافتتاح معهد المرحوم الشيخ عبدالله الصباح الإبتدائى الأزهرى بالزيتون والذى تم بناؤه على نفقة الدكتورة سعاد الصباح تقديراً لدور الأزهر الشريف وما يقدمه من خدمات للإسلام والمسلمين والجهود التى يبذلها فى سبيل نشر الدعوة الإسلامية والتعاون المتزايد مع دولة الكويت .

وقد وجه فضيلة الإمام الأكبر كلمة بهذه المناسبة شكر فيها بيت الزكاة الكويتى والمتبرعين بإنشاء هذا المعهد الأزهرى وتمنى لهم التوفيق فى المزيد من هذه المشاريع النافعة لطلاب العلم .

## آمال الأزهر فى الفترة الثالثة

**أكد فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر أنه جاء إلى صندوق الاستفتاء ليقول كلمة ( نعم ) لاختيار الرئيس حسنى مبارك لفترة ثالثة ..**

**نعم لماضيه الزاهر وحاضره الباهر ومستقبله المأمول . وقال :**

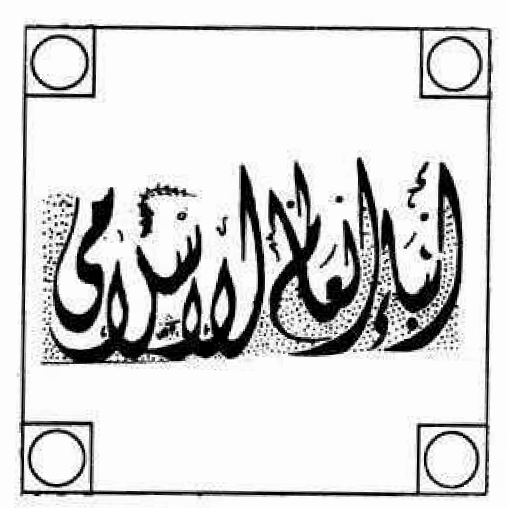
**إننا نتمنى أن تشهد الفترة الثالثة زيادة البنية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للدولة .**

**كما نأمل أن تتحقق على يد الرئيس المصالحة العربية والإسلامية .. مع دعم الجامعة العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامى ليستفيد منها كل العرب والمسلمين .**

**كذلك نأمل فى ظل الفترة الثالثة أن يقتدى كل أصحاب الكلمة والرأى والقلم بالرئيس مبارك فى سلوكه وأخلاقياته ، وأن يكونوا مثله من أصحاب اللسان العف والاستقامة والكلمة الطيبة حتى تخلو كل وسائل إعلامنا من أى ابتذال لتنشئة أجيال واعية من أولادنا وبناتنا .**

**كما اننا نأمل أن يسود الانضباط الأخلاق الشارع والمدرسة والإعلام وكافة مؤسسات الدولة .**

**وكان فضيلة الإمام الأكبر قد أدلى بصوته فى الاستفتاء أمام لجنة مدرسة أحمد لطفى السيد بالمنيل .**




إعداد الأستاذ/ مجدي عبد الحميد شير

## المسلمون والغرب

قامت المحطة الرابعة بهيئة الإذاعة البريطانية بإذاعة سلسلة من البرامج تحت عنوان « الشرق يتجه نحو الغرب » وهى من إعداد مراسلها فى شبه القارة الهندية .

وقد طلب المراسل من المستمعين فى جنوب القارة الآسيوية إبداء آرائهم فى بلدانهم ، وتناولت الحلقة الأولى ( باكستان ) حيث أوضح المراسل أن انشغال الغرب بما سماه الأصولية الإسلامية يستند على عدم تفهّم بعيد الغور للدين الذى يتأصل فى أعماق المسلمين ويؤكد التعبير عن نفسه فى معتنقيه وأتباعه .

وشدد المراسل على أن الغرب يتجاهل ملايين المسلمين فى دولة كباكستان يودون الحوار لا المواجهة مع الغرب كما بيّن أن الكثير من الباكستانيين يعتبرون الغرب منافقاً مرائياً يكيل بمكيالين ويزن بمعيارين ، ولا يهتم إلا بمصالحه هو فقط . فقد سلّح الغرب الأصوليين الباكستانيين دون تمييز ـ مثلاً ـ حينما كانوا يقاتلون الجيش السوفيتى فى أفغانستان أيام (ضياء الحق) فى الثمانينيات ، وكان الهدف طبعاً هو محاربة الشيوعية المعادية للرأسمالية ولم يكن أبداً تحرير الشعب المسلم من الغزو الأحمر ، لكن الغرب الآن يتهم نفس المسلمين الذين ساعدهم يوماً ما بتشجيع : ما زعمه الإرهاب الإسلامى .

وتوصل المراسل إلى أن الأساتذة فى جامعة البنجاب يدفعون ثمناً باهظاً للسلاح الذى أغرق الغرب به المنطقة فيما وصفه المراسل بقصر النظر الغربى .

ويقول الأستاذ الجامعى : إننى أشاهد أنواع الأسلحة المتوفرة لدى طلاب ينتمون لمجتمعات تدعم الحرب الأهلية الأفغانية . ومنذ ما يقارب ربع قرن قُتل أكثر من ١٧ طالباً فى جامعة البنجاب نتيجة للاشتباكات الطلابية ، وقالت الجامعة الإسلامية وهى (الحزب الإسلامى) الذى يسيطر على اتحاد الطلاب فى البنجاب : إن الغرب أفسد

باكستان ، وأن على الطلبة مكافحته . ويشرح أحد الأعضاء ــ وهو مهندس سابق عاش فى بريطانيا لسنوات طويلة ــ أسباب قناعته بالعداء بين الغرب والإسلام بقوله : إن السبب العام لذلك العداء هو رغبة الغرب فى (قَوْلَبَة) المجتمعات الأخرى وصياغتها حسب تصوره هو فقط ، إضافة إلى تنديده المستمر بأى آراء تخالف معاييره وقيمه الأُحَادِيَّة النظرة ويؤكد أنه ليس من حق الغرب فرض معاييره المتعلقة بالإنسان ، ولا فرض أسلوب معاملة المرأة وزيها على أى مجتمع آخر .

يقول المراسل : إن النزعة الاستهلاكية والإنجازات الاقتصادية بالشكل الغربى هى أهم المسائل التى تخشاها (الجماعات الإسلامية) والتى نرى فيها تقويضاً للإسلام حيث إنها لا ترتكز على مبادىء أخلاقية رصينة . ويرى أحد السيكولوجيين أنه مع تزايد الفجوة بين الدول المتقدمة والدول النامية على المستوى التعليمى والاقتصادى فإن على المسلمين الاستمساك بالعادات والتقاليد الإسلامية طلباً للأمان واعتداداً بالذات .

هذا وقد زار المراسل إحدى المدارس الإسلامية التى يزداد عددها باطراد والتى زُعِمَ أنها تمثل قاعدة تنشئة الثوريين ، ووجد أن هذا لا يمثل الحقيقة ثم استمع إلى مدير المدرسة الذى قال : إن الإسلام لا يعلم الارهاب ولا التعذيب ولا القتل ، إنما يدعو للأخوة والسلام والتسامح والتعايش مع الأديان الأخرى ، ولكنك ترى ــ والحديث لمدير المدرسة ــ أن المسلمين يواجهون المصاعب والمتاعب والاضطهاد فى شتى أنحاء العالم فى الوقت الذى ترى فيه أن النصارى متمثلين فى (نيلسون مانديلا) لا يواجهون المتاعب إلا فى جنوب إفريقيا فقط .

واختتم المراسل الحلقة الأولى بقوله :

إنه مما يؤسف له أن الغرب لا يتصور الإسلام إلا تشدداً متناسياً أن الجماعة الإسلامية والأحزاب الأخرى فى باكستان لا تمثل إلا أقلية بين المسلمين هناك ، وأن خشية الغرب من المدّ الإسلامى المتزايد تجعله يُصَمُّ السمع حتى عن الأصوات المعتدلة ، ومن ثم ؛ فإن الغرب مسئول عن دفع المسلمين دفعاً للتطرف بممارساته المجحفة تلك «هو ومن يوالى سياساته» .

## لندن

اتخذ المؤتمر الإسلامى العالمى الذى عُقد فى (لندن) بعنوان : «المسلمون فى الغرب» فى سبتمبر الماضى عدداً من التوصيات كان أهمها إنشاء مدارس متخصصة فى التعليم الإسلامى تتولى شئون التعليم بمدارس الجاليات الإسلامية ، وإقامة مدارس نموذجية لربط أبناء الجاليات والأقليات بدينهم وحمايتهم من الذوبان فى المجتمعات غير الإسلامية وتشجيع تعليم اللغة العربية وتحفيظ وتلاوة وتفسير القرآن وإنشاء مركز أوروبى للعناية بالمرأة المسلمة ، وإعداد الدعاة وتأهيلهم وترجمة الكتب والرسائل العلمية المفيدة إلى لغات الشعوب الإسلامية المختلفة ، وحض كل العاملين بمجال الدعوة على الاجتهاد فى كشف الفرق الضالة والعقائد الفاسدة ، والملل المنحلة ، والمذاهب المنحرفة ، كما أكد المؤتمرون على أهمية إيجاد هيئة شرعية متخصصة تدرس ما يواجه

المسلمين فى الغرب من مشكلات شرعية كلها ، وكذا اصدار موسوعة فقهية مختصرة باللغات الأجنبية ، كما دعا كل المدارس العاملة فى الغرب للتعرف على المشكلات التربوية والاجتماعية والاقتصادية والتعجيل بحلها ، وكذلك دراسة الوجود الإسلامى من خلال أبحاث دقيقة موثقة كما أوصى المؤتمر بإنشاء مركز لرصد كل ما ينشر فى شتى وسائل الإعلام الغربى من أكاذيب وأباطيل تُشوّه صورة الإسلام ، وذلك لتفنيدها والرّد عليها ، وناشد الحكومات الإسلامية دعم ومساندة المشردين خصوصاً من البوسنة والهرسك .

## أديس أبابا

عُقد فى أديس أبابا الشهر الماضى المؤتمر الإسلامى لدراسة أحوال المسلمين بالحبشة ومناقشة الدستور الجديد لأثيوبيا الذى تعمل الحكومة المؤقتة على الانتهاء من صيغته النهائية ، وشارك فى المؤتمر الذى دام تسعة أيام أكثر من مائة عالم ومفكر إسلامى من مختلف محافظات (أثيوبيا) ، بحثوا إلى جانب إبداء الرأى الإسلامى فى الدستور المزمع مطالبة الحكومة لتصحيح الأوضاع الخاصة بالمسلمين هناك والذين يمثلون ثلثى السكان تقريباً وذلك بنسبة ٦٥٪ من عدد السكان .

## الأزهر

ألقى مدير المركز الدولى للدراسات والبحوث السكانية بجامعة الأزهر بحثاً بعنوان (أخلاقيات الطب من وجهة نظر طبيب مسلم) وذلك فى المؤتمر الدولى الخامس عن أخلاقيات الطب الذى نُظّم فى الكلية الملكية بلندن ، وتناول المؤتمر بالبحث والمناقشة أخلاقيات الطب فى ظل التقدم العلمى السريع واللهاث وراء (التكنولوجيا) العصرية فى الطب ، وأهمية النظرة الأخلاقية وجوهريتها لدى استخدام تلك الأساليب التى ينبغى أن تهتم بترسيخها المجتمعات المختلفة ذات المشارب الدينية والثقافية والعلمية المتنوعة .



On voit notre maître, le messager d'Allah (paix soit sur lui) certifier ces vérités dans plusieurs Hadiths tels que celui-ci.

"Tout musulman qui plante une semence ou cultive une plante et puis qu'un oiseau, un être humain ou un animal en mange est rétribué pour cela la récompense d'une aumône".

Parmi les propos du Messager d'Allah (paix soit sur lui), on peut citer ces paroles "Si le jour dernier a lieu et que l'un d'entre vous tient entre ses mains un cabrisseau tel un petit palmier — qu'il le plante". Quelqu'un peut dire alors : A quoi sert donc de meubler cette vie terrestre, la foi et les bonnes actions? La réponse est que cela mènera à la félicité ici-bas et dans l'au-delà; comme en témoignent les paroles d'Allah-(gloire à Lui).

مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ
أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ سورة النحل

"Nous ressusciterons, pour une vie excellente tout croyant homme ou femme, qui fait le bien. Nous ledr donnerons leur récompense en fonction de leurs meilleures actions"

Les Abeilles, les sens des verset 97

Ceci revient à dire que celui qui fait des actes utiles, qu'il soit un homme ou une femme pourvu qu'il soit croyant, joura également du bonheur terrestre où il connaîtra la paix du coeur, la tranquillité de l'âme. De plus, dans la vie de l'au delà, il sera récompensé par une rétribution plus généreuse et supérieure à toutes les bonnes actions qu'il faisait durant sa vie terrestre.

On en conclut que nous devons reconnaître que notre vie quelque soit sa durée a une fin. Par ailleurs, même si ce monde passe par une succession de siècles, ceci n'empêche pas que tous ceux qui y vivent de la remplir par la foi sincère et les actes méritoires car c'est là le vrai chemin du bonheur en ce monde et dans celui de l'au-delà.

De nombreux versets coraniques témoignent que l'homme aussitôt qu'il quitte cette vie terrestre est jugé et par ce jugement il apprend quel sera son sort : châtiment ou rétribution. Les bienheureux commencent une vie nouvelle où ils goutent différentes formes de félicité dont nous ignorons tous la nature et qu'Allah seul connaît. Qquant aux réprouvés, ils commencent une vie de malheurs, comme en témoigne la parole divine.

Par ailleurs, les bien heureux dont le coeur est pur dans les derniers instants de leur vie, pouvant voir les prémices du bonheur qui les attend, comme on peut le lire dans le Saint Coran. C'est à dire qu'au moment de leur agonie, les anges descendent pour les rassurer et dire de ne point regretter la vie d'ici-bas vos enfants et vos biens car vous irez au paradis qu'Allah vous a promis.

Quant aux réprouvés, ils seront prévus durant les derniers instants de leur vie des supplices qui les attendent, comme Allah qu'Il soit glorifie l'a dit. سورة الأنعام ﴿٩٣﴾

Il existe une multitude de témoignage qui attestent tous que la tombe peut-être soit un eden soit une fosse infernale. Selon un hadith du prophète (paix soit sur lui) : "Lorsque l'un d'entre vous meurt on lui présente matin et soir la place qui lui est destinée en enfer ou au paradis; et il lui sera dit; c'est là ta place qui t'es réservée pour le jour où Allah te ressuscitera".

Layla Hussein Al Chaféi

# Quelques aspects du Jour Dernier (suite)
## par Lâyla Hussein Al Chaféi

Votre résurrection aura lieu certes : vous vous lèverez de vos tombes pour être jugés, rétribués ou punis.

Ce rappel des différents stades de la création de l'être humain, des cycles de sa vie, de sa fin et de l'inéluctabilité de sa résurrection, ce rappel en soi, incite à la réflexion pour tout observateur averti, et il est plein de profit et de conseils pour ceux qui écoutent les avertissements.

Toutefois, Allah-Gloire à Lui-a montré aux gens, dans des-dizaines de versets que cette vie d'ici-bas n'est que temporaire — comme on l'a déjà signalé — pourtant Il nous a ordonné de bien remplir notre vie par les bonnes paroles et les actions louables, en nous occupant à faire des métiers utiles à la communauté, tels le commerce, l'agriculture et l'industrie ainsi que d'autres formes d'échanges utiles entre les gens à condition que ce soit dans les limites de ce qu'Allah a permis. Or. Allah a voulu que le but de notre existence dans ce monde d'ici-bas soit un profit et non une destruction. Nous devons chercher à l'améliorer et non à l'abîmer. Ceci a été annoncé par tous les prophètes à leur peuple.

Voici l'exemple, du prophète Saleh (paix soit sur lui) disant à son peuple : Ce qui revient à dire qu'il leur a annoncé sous forme de conseil et d'indication.

يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا

"O vous, les membres de ma communauté, adorez sincèrement votre créateur, c'est Lui-gloire à lui-qui a créé votre père Adam à partir de cette terre, vous êtes descendants et puisqu'il en est ainsi, soyez des constructeurs pour cette terre et non pas des destructeurs".

On retrouve le prophète Saleh dans une autre situation défendant à son peuple de semer la corruption sur terre en ces termes : "N'écoutez pas l'ordre des impies, qui corrompent la terre et ne s'amendent pas les poètes" le sens des versets (151-152).

C'est là un des versets les plus complets où est indiqué à l'être humain ce qu'il doit faire dans sa vie terrestre ainsi que l'exprime la parole d'Allah-gloire à Lui.




سورة القصص

"Au milieu des biens qu'Allah t'a accordés, recherche la demeure dernière. Ne néglige pas ta part de la vie de ce monde. Sois bon comme Allah est bon pour toi. Ne recherche pas la corruption sur la terre. Allah n'aime pas ceux qui sèment la corruption".

Le sens du verset 77-Le Récit-

3. Selon Abou Horaïra qu'Allah soit satisfait de lui, le Messager d'Allah (paix soit sur lui) a dit "Deux hommes entrés en Enfer criaient très fort". Faites les sortir dit le seigneur — qu'Il soit glorifié et adoré — lorsqu'on les fit sortir, Allah leur demanda "Pour quelle raison criez-vous tant?" Ils répondirent : "Nous avons fait cela pour obtenir Ta miséricorde". Le Seigneur leur dit : "Ma miséricorde est à vous si vous vous précipitez là où vous étiez dans le feu". Ils s'élancèrent, l'un s'y jeta; alors Allah la transforma pour lui en fraîcheur et paix; quant à l'autre il se retint debout. Alors le Seigneur lui demanda : "Qu'est-ce qui t'a retenu de te jeter comme l'a fait ton compagnon?" Il répondit : "Ô Seigneur je souhaitais que Tu ne m'y remettes pas après m'en avoir fait sortir". Ton voeu est exaucé", dit le Seigneur. Ainsi tous entrèrent au paradis par la miséricorde d'Allah. Rapporté par Al Tirmizi (chapitre des aspects des habitants de l'Enfer).

Ces deux hommes dont parle le hadith doivent être monothéistes, sinon ils ne seraient jamais entrés au Paradis. Parce que, comme il est mentionné dans le Coran, Allah pardonne tous les péchés sauf celui de lui associer une autre divinité.

Ce hadith nous montre comment un homme a gagné le paradis par son obéissance et sa soumission absolue à Allah, et l'autre par son espoir et sa confiance totale dans la miséricorde divine.

**Dr. Rokeya Gabr**

# "LA MISERICORDE D'ALLAH"

par Dr. Rokeya Gabr

Voici quelques Hadiths Quodossiahs qui témoignent de la Miséricorde d'Allah envers Ses créatures.

1. Abdain, Abou Hamza, El A'mach, Abou Saleh, Abou Horaïra qu'Allah leur accorde Son salut a rapporté que le prophète (paix soit sur lui) a dit : "Quand Allah eut procédé à la création, Il inscrivit et Il s'y engageait par écrit dans Son livre déposé auprès de Lui sur le trône : "Ma miséricorde l'emporte sur Ma colère."

Rapporté par Al Bokhari (chapitre de l'unicité d'Allah chapitre du début de la création.

Rapporté par Moslem (chapitre du repentir)

Rapporté par Ebn Madjah Interprétation

"Allah écrit" signifie qu'Il ordonna à la plume d'écrire. L'expression est ainsi formulée pour insister sur l'importance et de la certitude de ce qui est dit.

Tout est inscrit dans le livre du destin : la récompense pour le bien comme le châtiment pour le mal. Ce Livre qui renferme la loi divine c'est la tablette préservée où se trouve présent tout ce qui régit le monde d'ici-bas. Mais le fait que cette formule soit placée sur le trône divin est une assurance que la Miséricorde et la Clémence font partie de "l'Essence Divine" tandis que la colère d'Allah n'est provoquée que par la mauvaise conduite des humains.

2. Esnad : Souvaïd Ebn Saïd, Hafs Abou Maïssara, Zaïd Abou Aslam, Abou Saleh, d'après Abou Horaïra, selon le Messager d'Allah (paix soit sur lui) Allah — qu'Il soit glorifié — a dit : "Je suis comme Mon serviteur veut que Je suis; et Je suis auprès de lui tant qu'il M'invoque". Je jure par Allah qu'Allah se réjouit du repentir de Son serviteur bien plus que celui d'entre vous qui retrouve ce qu'il a perdu dans le désert.

Interprétation : "Je m'approche d'une coudée de celui qui s'approche de Moi d'un empan, et Je m'approche d'une brasse de celui qui s'avance vers moi d'une coudée, et celui qui vient vers Moi en marchant Je viens à lui au galop."

Rapporté par Moslem (chapitre du repentir). L'Imam Al Nawawi (a.s.c.) a expliqué que l'expression "Je suis comme Mon serviteur veut que Je sois "signifie : "Je lui accorde mon pardon s'il se repent, et J'exauce son souhait et lui octroie des bienfaits s'il Me des demande". Ceci encourage les hommes à invoquer la miséricorde d'Allah et à garder toujours l'espoir en Sa clémence.

Allah qu'Il soit glorifié a dit : "Je l'entoure de Ma miséricorde et de Mes soins et Je le guide". Ainsi Allah va au-devant de Son serviteur, et Son bonheur est comparable à celui de l'homme qui retrouve une chose qu'il croyait perdue sans espoir de retour.

# REVUE AL-AZHAR

Gumada Awal,

1414

Volume 66 — Partie V

## Section Française

gle (he was the former christain hunter), he became the leader. He changed the whole message from a Jewish conformation of the message of Moses into christianity as we know it today, based on the hellenistic philosophy. Masses of non jews entered the group of followers and took over gradually, until the original Jewish reformation group of Jesus stopped to exist. Chrisianity lost its religious law and its historical roots.

More detailed explanation can be with quotations from the scientific books containing all the previous information. However, this is not the aim of this writting.

It is clear that the narrator could'nt believe in the jewish or christian message, their doctrines or their sources. It can not survive a critical, honest scientific examination. And again, remember that this information is from christian scientific sources. Many of these books can be found in any library in Holand. He did'nt find any trustworthy source to answer his questions. He was disappointed and did not know Where to look? He then thought perhaps, that science could bring him something to rely on. Studying to become a teacher, he started reading about psychology. After this period he started working in a lunatic asylum and followed a special pshychotherapy training course. When this was finished he opened a private practice as phsychotherapist. This was the time of examining psychoanalyses, psychology and psychotherapy.

To be continued.

Then, he had a look at other sources and the creation of the doctrines. It is said that Moses wrote a big part of the "Old Testament", the first five books. Christian scientific examinations proved that these books were written by at least five different men during different periods. That is why we find many contradictions and literary styles. The same is true for the other books of the old testament, many different writers and styles from different times.

There is also the history of Ezra. After returning from one of the deportations, the book of the old testaments was lost and burnt. Ezra and others tried to restore them out of their own memory. After finishing Ezra left out a big part because he said he made mistakes ! It can be concluded that the old testament is not a reliable source of information according to scientific standards. At the best it contains traces of the original words and acts of the prophets.

The new testament is said to contain the words and deeds of Jesus. But no word is written by him, or under his control, instruction or authority. Long after his death there were at least 200 "New Testaments". After a few ages only four which supported a certain vision were accepted and the rest destroyed. Having any than these four mentioned testaments would be punishable by death. The four gospels are called combat writtings. They had to fight other writtings and opinions in the christian community. The writers had not seen nor known Jesus. Three of them used one book of as a main source and all of them used many oral sources. After an intermediate version they wrote their final version. They contradict each other on several points, give different versions of the same events, the same incident on different dates, places and situations. This information in the old and new testament anyone can find in the christian scientific books on the bible. And they still discover new shocking facts. It is, thus, concluded that the new testament like the old testament can contain traces of reality at its best. But it can never be considered as a trustworthy fundamental doctirine of belief.

On what do christians base their fundamental doctrines? In the the new testament they said Jesus didn't come to change any letter of the law of Musa. In the several stories he only shows the Jews how to understand and apply this law. He never called himself God but surrendered himself so completely that he felt one with the Father. His ego had disappeared completely. He also called all humans children of the same father in the spiritual sense. Besides, "son of God" was a title used for the pure and to God surendered men in that time.

The narrator of this story carries on here to say that he read in the same new testament that Jesus did'nt tell people to build churches. He threw the merchants out of the jewish temple and called this the "house of God". He explained the old testament many times and was called rabi or teacher. It is also written that he refused to spread his message among others than the Jews in order "not to throw pearls before swines". He was sent only to "the peoples of the house of Israel". The first followers did'nt consider themselves belonging to any other religion than the jewish religion. They went to the jewish temple and performed the jewish religious duties. In the acts of the apostles we see them disputting with Paul about refusing the non circumsised as followers of Jesus.

With this man, Paul, came the big change. He claimed to have visions in which he met Jesus who taught him a complete new interpretation of his message. After a strug-

him the feeling that life is more than what we see and hear. Nevertheless, having learnt that there is more than pure physical plan of existence he read every book available on Hinduism, Bhuddhism, Yoga and the philosophy of old china.

The central point in their system is called "Karma" Karma is the law and knowledge of work, of cause and result. However, he wasn't sure about the sources of the books on Hinduism and Buddhism as they were attributed to them without proof. Thus could not agree with their methods and its basic philosophy. Noone could give him a satisfactory answer to any of his questions. So, he moved on with his search examining christianity.

Wanting to know what christianity had to say to his questions, he started to read the bible, over and over again. Then he studied many different scientific books about the bible, the bible explanations. whatever he found out, he discussed with different christian groups, especially the fundamentalists.

They say that Jesus is the son of God and at the same time God himself. God, who made Himself a human being to let Himself be known to mankind. Second, He is the son who came to save mankind. From what and how? Adam and Eve had been eating from a forbidden tree. This made God very angry and he punished them, letting also all mankind inherit automatically sins and punishment. But God made a long term plan to save mankind from His own cruelness. He searched for a sacrifice which could satisfy His unmeasurable anger. This sacrifice would be His own son and this blood would finally relieve Him. So, He let His son be nailed to the cross. Since God and Jesus are one, this means that He let Himself be nailed at the cross. Is'nt this suicide? After this He made His son live again (is : Himself). He promised that all who followed Him would also have eternal life. Then Jesus/God travelled to heaven were Jesus sits at the right hand of his Father, which means that he sits besides himself at his own right hand. After this they added a third person called the holy Gost who also is the same as the Father and the Son. Since Jesus had a mother called the mother of God she should also be the mother of the Father and the Gost since they are one and the same.

The sacrifice at the cross put an end to the jewish sharia (religious law) for the Christians. Were the Jews originally Gods chosen people, this was taken over by the followers of the new doctrine. These were the baptised. They remember the sacrifice of Jesus/God weekly by eating a wafer and drinking wine in a celebration. They say that this is the body and blood of Jesus.

He could'nt believe it, and he wandered : Is God the one who devides Himself into three? Is He like the old primitive tribal Gods who are in need of a blood sacrifice to satisfy their anger and need for revenge? Can't He solve or do anything in less than a blink of the eye? He, who creates all out of nothing needed a plan to save mankind from Himself? How could anyone kill Him and who was in charge of the creation at that moment? Why should He be so cruel as to let generation after generation of innocent people suffer for the sins of two human beings? What about the people before Jesus, they could'nt be baptised so they could not be saved? What about prophets like Abraham and Moses, they were not saved? Was their work worthless? And, how can God have a body and blood which you can eat and drink? He therefore deducted that these fundamental doctrines are incredible, unbelievable, illogical and primitive.

When he discussed this with the christians, they could'nt answar these questions. Many times the word miracle was the only answer. In the end they became angry and said "this is believing or not". So he did'nt.

# The Story of How An American Muslim Reverted To Islam

## (Based on the story he narrated)

By : Iman El Zeiny

Since this American has become a muslim, many people kept asking him the same question which is : why he chose Islam? To him the answer was easy but too long to give directly away. For this reason, he narrates the story of his life and his family after giving few facts which were useful to his story. These facts are related to the bad family ties in western countries; the rapid increase of proffessional criminality due to society corruption; the fact that health is becoming worse as a result of alcoholism, drugs, medicine, food, spiritual and mental poverty, loneliness and the migration of ill minded people to the city.

He then carries on narrating the story of his family which was composed of his father, mother, two daughter and three sons. This was during the turbulent time before world war II, when America was the promised land where everything was possible.

He carries on telling us what a miserable life he had with his family. They lived as if they evere in a concentration camp with a father behaving like a camp brute : abusing, beating, hitting and forcing his children to do abnormal and disgusting acts.

When he became fourteen, he was a stubborn, depressed and difficult boy. He hated any kind of authority, descipline or organized form of life and hence his teachers had a rough time with him. This was during the time of protest against the USA because of what they were doing in Vietnam. The maoist communist movement became popular. Then became a dedicated member and studied all the works of Mark, Lenin Stalin and Maotse Toeng. He found out through communism that man has an animal like nature, man's function was to be a small screw in a machine, man's aim in life was to fulfill his animal desire and his destiny the grave. Soon, afterwards, the party started to behave like any regular established communist party : hard, dictatorial and inhumane. He then realized that this communist party had no scientific method at all and that the human motives for changing the society cannot be compared with the temperature rising and then boiling of water. He started to wander and ask himself why did they kill thousands of people in China, Russia and after communist countries? why was and is nobody allowed to speak and decide for himself? when the revolutionary spirit died, his spirit left the party and its ideology.

Having left the communitist party and its ideologies, he then went to Europe (Brussels) and lived the European life fully; but after a while he became depressed and completely broken down. He wandered if this was what life is all about. Deciding to leave all these various nonsensical paths for the good and start searching. It became clear to him that communism is cold, unscientific, deprived from spirit, love, mercy and freedom. Capitalism, on the other hand, stimulate all animalistic pleasures and counts money only. Hence, he realized that both systems are cruel and profit from surpressing people and from perpetuating the war. Therefore, he became so hungry to find out the truth. Searching through Hinduism, Buddhesm and Yoga, he first got of book of Yoga and started exercising immediately. The meditation calmed his mind and gave

languages including English. The Ahmadiyya translation of the Quran contains renderings and interpretations related directly to the positions of Ahmadiyya and considered inacceptable by most Moslems. Their renderings of the Quran are involved in the christological deviation from orthodox Islam which characterises the Ahmadiyye thought and this vitiates their other wise painstaking and ambitious attempts to mediate the Quran to the outside world.

There have also been many translations of the Quran into English by Moslems of different nationalities, whose native language is neither Arabic nor English. For instance the translations rendered by Indian Moslems, notably by Abdul Hakim Khan (patiala, 1905), Mirza Abul Fazl (Allah abad, 1911), Mohammad Ali (Lahore, 1916), Ghulam Sarwar (Singapore, 1930), and Yussuf Ali (Lahare, 1934).

Abdullah Yussuf Ali's translation which first appeared in 1934 is entitled the Holy Quran, text translation & commentary later it appeared in various editions which carry new titles. Y. Ali states that his aim in translating the Quran is to "make English itself an Islamic language".

The volume commences with an Introduction of about twenty five pages in which he tries to inform the reader with every thing related to the Quran, its nature, background, the Makki and Madani Suras, its style, order and compilation, and universality of the book. The translation is supplemented by very copious notes and commentaries, which deal both with the meanings of the words used in the original text and form short essays on the subjects treated in the original. Being free of anti-Islamic prejudice, and his approach to the translation above mentioned, Y. Ali's work is considered one of the best English translations of the Qur'an appeared in the twentieth century.

to be continued

influence of Sale's translation was enormous, for it was the only English translation available for some 150 years. Yet, from a Moslem's point of view it is disastrous. It seems that Sale's connection with the society for promoting christian knowledge (which begun in 1720) as one of the correctors of the Arabic version of the new testament, induced him to undertake the translation of the Qur'an in order to prove that the Qur'an could not by any means stand against the spread of christianity. Sale (1836 : IX) lays stress on the futility of the Roman catholics undertaking the task of translating and says : "The protestants alone are able to attack the Koran with success, and for them I think providence has reserved the glory to over — throw." what has been mentioned earlier concerning the translation made by Ross can be applied to the translation made by Sale. Both have anti-Islamic intentions and should not be considered at all as adequate translations of the Quran. I can even recommend that they should not be included in any history of the translations of the Qur'an by any Moslem. It is enough to metnion here the fact that without enough sympathy and understanding of the source text, the translator could not transfer its meaning adequately.

With the advent of the nineteenth century, came the vise of interest in oriental studies, and the translation of the Quran attracted the attention and interest of same scholars. Rev. J.M. Rodwell first published in 1861 his version entitled The Koran : translated from Arabic, and which was taken up later by "Everyman's library" in 1909. Rodwell was also a great opponent of Islam as Sale was, though in a different manner. He did not deny the "Truth" contained in the "Koran" but he believed it to be based on christianity and Judaism. In his translation, Rodwell took liberaties in rearranging the order of the Suras of the Quran, with the objective, as he says, of reconstituting the historical sequence of its original composition. Nothing could be more taken against Rodwell's translation than the fact that he disrupted the order of the Suras and rearranged them according to what he calls their chronological order, which made it look like mass of disjointed fragments.

Along the same live of thought as Rodwell's, we find another notable English translation of the Quran by a christian viz that of E.H. Palmer, printed at the clarendon press Ox ford 1880. While Rodwell reached the great public through the enterprise of J.M. Dent & Sons Ltd. Palmer also enjoyed on equally wide circulation. Palmer found the language of the Quran too difficult to be rendered into English. He based his views on the assumption that the language of the Quran is the language of "every day life" not "elegant in the sense of literary refinement". Hence, Palmer in his translation gives the worst possible aspect to the verses of the Qur'in, ie to make them look harsh, unreasonable or unintelligible. Having done that he adds notes assuming to clear up the mess he made in the translation, but with the intention of piling up further ridicule on Islam and its adherents.

After reviewing the three notable English translations of the Quran that were most effective in the past two centuries, namely Sale's Rodwell's and Palmer's, we now move to the twentieth century that witnessed a progress in the study and translation of the Quran and the related fields of Islamic Studies. Consequently there was increase in the number of new English versions of the Qur'an rendered by scholars, such as the Ahmadiyya scholars, whose mother tongue was other than English. The 'Ahmadiyya movement which derived from Mirza Ghulam Ahmad began in the last quarter of the nineteenth century of the Islamic calender (1300 A.H.-1882/3 A.D.) Like christian missionaries, Ahmadiyya missions all over the world distribute books and tracts on their beliefs and principles. And through the history of their missionary efforts, one of their projects has been the translation of the Quran into various major

# A Comparative study of the English translations of the meaning of Surah maryam

## Part I.A.

Presented by Mona Abdel Ghaffar Salem

The Qur'an has been translated into approximately 122 different languages including most modern European languages as well as latin (al-Bundaq : 1983). Available information about the first translations of the Quran, according to the world Bibliography of translations of meanings of the Holy Qur'an (1986), may be summed up as follows; There were Syriac translations made by non-Moslems, in the second half of the first century A.H., in the period of Hajaj Ibn-Yussuf. There is also a possibility of the existence of a Berber translation wrilten in 147 A.H. there was in addition a persian oral translation made by Musa Ibn Sayyar Al-Aswari before 255 A.H. There is also a possibility of an existence of a chinese translation.

It was the crusades that first brought the west into close contact with Islam, but between the year 1096 and 1270 there was one attempt to translate the Quran, namely, the latin version made in 1143 by Robert of Retina and Hermann of Dalmatia, on the initiative of pierre le venerable, the Abbot of cluny. This mediaeval latin version enjoyed a considerable circulation in manuscript before it was printed four centuries later by theodor Bibliander in Basel in 1543. From this latin version was taken the Italian version of Andrea Arrivabene, which pope III ordered to be destroyed, and the church prohibited publishing latin translations of the Qur'an until the time of pope Alexander VII (1555-1567).

During the seventeenth and eighteenth centuries, several translations appeared both in latin and in French, and one of the latter, by Andre du Ryer, was translated in 1649 into English by Alexander Ross. Ross was ignorant of the identity of Mohammed (P.B.U.H), of Arabic, and of the message of Islam. He wrongly assumed that the Quran was the word of Mohammad (P.B.U.H) not the word of Allah and he considered it as "Turkish Vanities". He even sarcastically denied the use of it. Nothing can be expected from a translation done with that ignorance and for such an inglorious purpose except falsehood and deception. This work cannot be considered a translation by any standard.

Ross's edition was available to the lawyer George Sale when he set for himself the task of replacing it. Sale proclaims that Alexander Ross's English version is no other than a translation of Dr. Ryer's and it is a very bad one. Sale's translation, the Koran, which first appeared in November, 1734, was largely dependent on the new latin version made by Ludovico Marrucci, a confessor to pope Innocent XI. It was published at padua in 1698 and dedicated to the Holy Roman Gmperor Leopold I. Sale's work is one of the most famous English translations and has gone into some thirty editions in England (the latest, edited by Sir Denison Ross, in 1929) and several in America. It was translated into many languages including German, Russian and Bulgarian. The

# AL AZHAR MAGAZINE

## ENGLISH SECTION

Vol. 66 Part IV

Gumada Awal, 1414 Higrah — November, 1993

EDITOR : Dr. TRANDIL HUSSEIN EL RAKHAWY. PHD

## CONTENTS

1. A Comparative study of the English Translations of the Meanings of Surah Maryam.

By : Mona Abdel Ghaffar Salem M.A.

2. The Story of How an American Muslim Reverted to Islam.

By : Iman El Zeiny

"Nothing would be of greater benefit to Muslims and to Humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

الفهرس

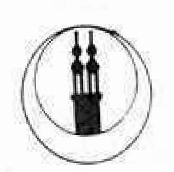

● الافتتاحية ( واحذرهم أن يفتنوك )
للدكتور على أحمد الخطيب ........................ ٦٢٥
● مع الإمام الأكبر
أدب الاختلاف فى الإسلام .................... ٦٢٨
فتوى فيما يقدمه غير المسلم لصديقه المسلم .. ٦٢٨
صلاة الجماعة بين الوجوب والندب ....... ٦٤١
● مع سورة الأنفال
للدكتور عبدالجليل شلبى ..................... ٦٤٦
● سعادة الدنيا وشقاء الآخرة
للشيخ على حامد عبدالرحيم ................ ٦٥٠
● الخلاف الفقهى ( الفصل الأخير )
لفضيلة الشيخ أحمد عبدالله العليبى ......... ٦٥٢
● أثر صلح الحديبية فى نشر الدعوة الإسلامية
أ. د. محمد عبدالعليم العدوى ................. ٦٥٨
● مشكلة مسلمى آسيا الوسطى
أ. د. انشراح الشال .......................... ٦٦٤
● خلفية تاريخية عن الإسلام
للشيخ زكريا حامد ورشل ................... ٦٦٧
● العلمانية والخلط بين الأوراق
بقلم الدكتور محمود صالح العدل ......... ٦٦٧
● مستقبل الثقافة فى مصر
أ. د. محمد رجب البيومى ..................... ٦٨٠
● المرأة فى الغرب الأوربى
للأستاذ الدكتورة / إصمت غنيم ............ ٦٨٨
● هيئة كبار العلماء ........................ ٦٩٢
● الفتاوى إعداد الأستاذ / عبدالمنعم فودة ....... ٧٠٤
● تهنئة للأستاذ الدكتور عبدالعزيز غنيم ....... ٧٠٦
● الجميلات والجمال
ا. د. أبو ياسر الوزير ....................... ٧٠٧
● مدمعة المآذن للشاعر رشاد محمد يوسف ...... ٧١٠
● حديث مع ديدات
للشاعر السيد الصديق حافظ ........... ٧١٢
● عبرة وفاء
للأستاذ / محمد مصطفى الغمرى ........... ٧١٣
● من أعلام الأزهر
للمستشار محمد عزت الطهطاوى ......... ٧١٥
● من أعلام الأزهر
د. عبدالحكيم عبدالرءوف عبدالرازق ........ ٧٢٣
● طرائف ومواقف
للأستاذ / عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ......... ٧٢٦
● من روائع الماضى بمجلة الأزهر
إعداد وتقديم الأستاذ عبدالفتاح حسين الزيات .. ٧٢٨
● العلوم الكونية بين الأصالة والمعاصرة
للدكتور أحمد فؤاد باشا .................... ٧٣٤
● الحشرات والحديث عنها ( ٢ )
أ. د. عبدالحكم عبداللطيف الصعيدى .... ٧٤٢
● الجديد فى العلم والتقنية
اعداد د. نجوى السيد أحمد ................. ٧٤٩
● البحث النحوى عند الإمام النووى ( ٢ )
للأستاذ الدكتور محمد عبدالقادر هنادى ...... ٧٥٢
● الوحدة الموضوعية ( عصر صدر الإسلام )
للأستاذ / أحمد مصطفى حافظ ............ ٧٥٩
● من أدب الحرمان ( الفقر والفقير )
للأستاذ / محمد عبدالوهاب ........... ..... ٧٦٣
● عبقرية التراث بين النفى والاثبات
للدكتور عبدالفتاح أحمد الفاوى .......... ٧٧٢
● بين المجلة والقارىء
إعداد الدكتور محمد عبدالحكيم .......... ٧٧٩
● أنباء مكتب الإمام الأكبر
إعداد الأستاذ / مصطفى عبدالمجيد ......... ٧٨٢
● أنباء العالم الإسلامى
للأستاذ / مجدى عبدالحميد بشير ............ ٧٨٤

القســم الفرنسى

الموضوع الثانى :
ليلى حسين الشافعى ....... ....... ٧٨٨
الموضوع الأول :
د. رقية جبر .......... ......... ٧٩٠

القســم الإنجليــزى

الموضوع الثانى :
إيمان الزينى ...................................... ٧٩٥
الموضوع الأول :
د. منى عبد الغفار سالم ........................ ٧٩٨



# الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ

تصدر عن

مجمع البحوث الإسلامية

في مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير

دكتور / على أحمد الخطيب

مدير التحرير

على حامد عبد الرحيم

سكرتير التحرير

عادل رفاعى خفاجة

المراسلات / باسم مدير التحرير.. إدارة الأزهر بالقاهرة

ت ٢٦٣٨٥٩٩ - ٩٠٥٤٧٣

الاشتراكات / قسم الاشتراكات بالأهرام

شارع الجلاء - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة العالمين ، وعلى آله وصحبه وتابعيه إلى يوم الدين

## « فاسجدوا لله واعبدوا »

والآية الكريمة أمْرٌ بالسجود لله ـ وحده ـ والإخلاص له .

وشتان بين السجود لله .. والسجود لغير الله .

شتان بين عابد لله .. وذليل ينحنى من أجل هواه .

الساجد لله رَبُّهُ الله ، واحد لا شريك له .

والساجد لغير الله آلهتُهُ شتَّى : الهوى .. الزُّلفى .. النفع ، وكم له من موبقات يغيبُ عنها « الحلالُ » الحقُّ ، ويمرح فيها « المحاق » .

يا سبحان الله !

إنه لا يسجد لله إلا مُؤْمِن أَيْقَنَ بحق اللهِ فَأَقَرَّه ، وتَمَثَّلَ أَمْرَ الله فَأَبَرَّه .

علم أن كلمة الله هى العُليا ؛ فهى ـ فى فؤاده ـ فوق هواه ، وهى ـ فى حياته ـ مناط خُطَاه ، يؤمن بها فى غير جدال ، لا يطوّعها لمذهب أثيم ، ولا لِهَوىً ضال ، ذلك لأنه فى مأمن من شهوة تُذِلُّهُ ، ومعصية تُضِلُّه .

أولئك هم المؤمنون حقاً ، الساجدون لله ـ سبحانه ـ المُخْلَصُون له دون سواه المستغفرون لأنفسهم وللمؤمنين .

أولئك الطيبون الذين يَعِفُّون عن نبش قبور التائبين لاختلاس آثامهم كى يحاربوا بها اللهَ ورسولَهُ والمؤمنين . فليس يفعل ذلك إلا الساجدون لغير الله ، يريدون ليطفئوا نورَ اللهِ بمعصيةٍ دَثَرَت ، وزلةٍ فَلَتَتْ تاركين ما ينبغى مقاومته من أعمال العابثين بالدين ، منصرفين إلى « مواجهة » الإسلام نفسه بشعار من ظلمات بعضها فوق بعض لا يهديها نورٌ ولا تنوير ، فما بعد الإثم من مستنقع ، ولا بعد ظلماتهم من تنوير .

يا سبحان الله ..! وإنما يتذكر أولو الألباب . ولازال الحق أحق أن يتبع ، ولازالت آيات الإسلام تمحو من الآفاق آيات المضلين ، وتدفع بالحق على ألسنة المنصفين فتبدو الشريعة الإسلامية على حقيقتها زاهرة لا يرقى إليها تشريع ، ولا ينال منها سفه الحاقدين .

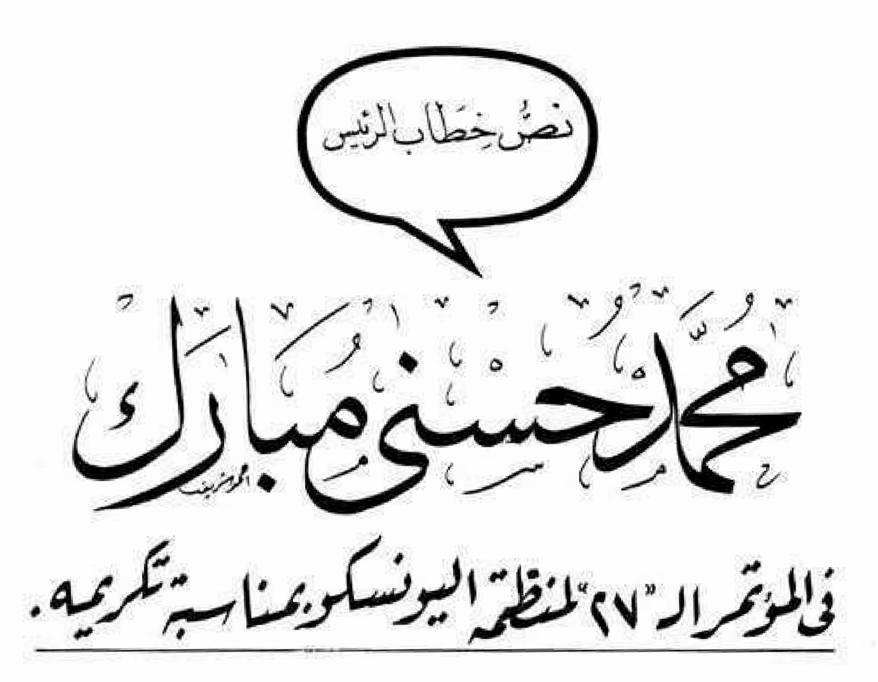
حملت لنا الأنباء بـ « أخبار اليوم » ص(٦) صباح ٢١ من جمادى الأولى ١٤١٤هـ الموافق ١٩٩٣/١١/٦ من كلمة الأمير تشارلز ولى عهد بريطانيا قوله ـ فى الشريعة الغراء :

« إن حقوق النساء فى الإسلام ـ من حيث الملكية والميراث وتأمين حياتهن بعد الطلاق ، وحقهن فى مباشرة الأعمال الحرة مثل التجارة ـ وردت فى نصوص القرآن منذ ١٤٠٠ (أربعمائة وألف سنة ) وهى توضح تفوق الإسلام على الغرب فى هذه الناحية ، حيث إن هذه الحقوق ـ فى بريطانيا ـ حديثة العهد ، يعود تاريخها إلى جيل جدته الملكة الأم » .

أى من نحو مائة عام فقط ، فإن الملكة الأم لا تزال تعيش ، وبعد :

فهذا ما قال تشارلز فى شىء من الشريعة الغراء سوف يُغضب ـ ولاشك ـ من الشرق والغرب على سواء أولئك الساجدين لغير الله .






السيد رئيس المؤتمر

السيدة رئيسة المجلس التنفيذى

السيد مدير عام اليونسكو

اسمحوا لى فى بداية حديثى أن أتوجه لكم بالشكر والتقدير لإتاحة هذه الفرصة لى للالتقاء بكم فى هذه المدينة العريقة ونتبادل الرؤية معكم فى هذا المؤتمر الهام الذى يتواكب انعقاده مع بدء مرحلة هامة فى تاريخ البشرية .. نأمل أن نشهد نهضة إنسانية كبرى . نبنيها معا بالتعاون والتفاعل الخلاق ونبذ الصراع والتعصب والكراهية .

وتلك مهمة لابد أن يكون لمنظمة اليونسكو إسهامها الملموس فى أدائها وإنجازها بنفس المقدرة التى أدت بها رسالتها فى العقود الماضية .

وتعلمون أن بلادى ذات الجذور العربية الأفريقية والهوية الإسلامية هى دولة تعاقبت على أرضها الحضارات وامتزجت فوق ترابها الثقافات وأخذ شعبها على عاتقه منذ آلاف السنين أن يكون جسرا للوصل والتقريب بين الشعوب والحضارات ، وأن يستوعب جوهر الرسالة الإنسانية التى تقوم على الوحدة من خلال التعددية والتجانس من خلال التنوع والترابط من منطلق الشعور بوحدة الهدف والمصير .

كانت أرض مصر ساحة رحبة للتفاعل بين الحضارة الأفريقيـة الفرعونيـة ، والحضارتين الإغريقيـة والرومانيـة والحضارة العربيـة الإسلامية ، فما نتج عن هذا التلاقى صراع ولا صدام بل كانت محصلته تراثا روحيا هائلا وثراء ثقافيا فريدا ، وإيمانا عميقا بأن رسالة الإنسان الذى هو خليفة الله فى الأرض هى أن يبنى ويعمر ، ويجمع ولا يفرق ويضيف ولا يخرب .

## الصراع الحضارى والثقافى

السيدات والسادة ..

إننا نلتقى اليوم وعالمنا المعاصر يموج بتيارات عديدة وتتجاذبه عوامل شد وجذب لم يعهدها من قبل ، يحمل بعضها ملامح التحول والتغيير إلى الأفضل ، وينبئ البعض الآخر باحتمالات الصراع والمواجهة .. مما يلقى علينا مسئولية خاصة فى هذا المنعطف الحرج ، لكى يحسم الموقف بالانحياز الجماعى إلى جانب السلام والاستقرار فى مواجهة العنف والتوتر والقلق ، وتأكيد سيادة العقل والعلم والمعرفة ضد دعاوى الانغلاق والجهالة والتعصب .

إننا نواجه معاً ومن خندق واحد تحديا تاريخيا لا سبيل إلى تفاديه ، وليس أمامنا من سبيل سوى مواجهة هذا التحدى بالفكر المستنير ، وبإحياء الأمل بالعمل وبالدفاع المستميت عن حق الإنسان فى السلام والتنمية وإعطاء كافة الشعوب فرصة عادلة للإسهام فى صنع المستقبل .

وقد روج البعض مؤخرا لنظريات مؤداها أن العالم بعد أن تخلص من الصراعات السياسية الحادة والمواجهات العسكرية المدمرة ، قد انتقل إلى عصر يسوده الصراع الحضارى والثقافى ، وتلك مقولة على قدر كبير من الخطأ والخطر ، ولو صحت لكان معنى هذا أن الإنسان يتقهقر بدلا من أن يتقدم وينحدر بدلا من أن يرتقى لأن الصراع السياسى حتى إذا بلغ ذروته ومنتهاه فى صورة المنازلة العسكرية سيظل أخف وطأة وخطورة من الصراع الحضارى والثقافى ؛ لأن هذا الضرب الأخير من الصراع يستعصى على الحل ، ويمكث فى العقول والقلوب قرونا عديدة ، وإن كان يفتقر إلى أى مبرر أخلاق .

وإذا كان تاريخ الإنسان قد سجل فى بعض العصور صورا من الصراع العرق والدينى والمذهبى ؛ فإن تلك الظاهرة ظلت محصورة فى فترات التدهور والانحلال وليس من المقبول أن يقال إن الإنسان يمر بمثل هذه المرحلة وهو على أبواب القرن الحادى والعشرين ويحيا مرحلة ما بعد الذرة وغزو الفضاء .

إن المنطق السليم يأبى التسليم بمقولة الصراع الحضارى ؛ لأن الحضارة توحد ولا تمزق ، تقرب بين الناس تحت مظلة العقل ، كما أن المعرفة بطبيعتها عالمية لاقومية ولا عرقية ، والعلم لا وطن له ولا حدود لذيوعه وانتشاره ، والتراث الإنسانى واحد ، والتراث الإنسانى تيار مشترك تسهم كل الشعوب فى تكوينه وإثرائه .. والتعايش والاندماج يشكلان أحد العناصر الأساسية لتطور المجتمع البشرى منذ بدء الخليقة .

إن ما نشهده فى بعض المناطق من انتكاس للقيم الرفيعة وإهدار لحقوق الإنسان تحت شعارات عنصرية وعرقية كريهة هو استثناء من القاعدة ، وخروج على قيم العصر ومبادئه ، واختبار لقدرتنا الجماعية على التخلص نهائيا من رواسب عصور

الظلام والقهر ، والتغلب على ما بقى من مظاهر التخلف والانحلال ، تمهيدا لعصر جديد يحمل للإنسان بين ثناياه كثيرا من الآمال والأحلام .

## فرية ضد الإسلام

أيها الأصدقاء الأعزاء :

لقد تواكب مع هذا الطرح الخاطىء الذى أشرت إليه انتشار مقولة لا تقل عنه خطأ وبهتانا ؛ مفادها أن الإسلام ـ كدين وثقافة ـ أصبح من عوامل الشقاق والعداء بين الناس . وأنه يزرع بذور الحقد والكراهية بين المؤمنين وغيرهم من البشر .. ومن ثم فانه ينذر بأن يكون أداة لاستقطاب جديد بعد زوال الاستقطاب الذى عانى منه العالم كثيرا فى ظل الحرب الباردة ، وليس أبعد من تلك الفرية الظالمة عن الحقيقة .. فهى لا تستند إلى أى أساس نظرى من صحيح الإسلام الذى كان وسيظل إلى أبد الدهر رسالة عالمية تخاطب الناس جميعا على أساس العدالة والمساواة فلا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى .. والناس سواسية عند الله الذى قال فى تنزيله الحكيم ..

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ . **الحجرات ـ آية : ١٣**

**ويقول الله ـ تعالى**

﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ﴾ .

**سورة البقرة ـ آية : ٢٥٦**

وليس أصدق من هذه الكلمات فى التعبير عن روح المساواة والإخاء بين الناس بغض النظر عن أى اختلاف فى العرق أو اللون .

وإذا نظرنا إلى سلوك المسلمين فى المجتمعات التى أقاموها فى أنحاء العالم المختلفة لوجدنا أن سيرتهم ـ وخاصة فى عصور ازدهارهم ـ كانت نموذجا للتعايش والتآلف والتسامح ، ورفض التفرقة والتميز والتعصب .. فلم يقيموا السدود والحواجز فى مواجهة الشعوب الأخرى .. وانما بنوا الجسور وقنوات الاتصال وشيدوا منارات شاهقة للعلم والمعرفة .. نهلت من تراث الآخرين .. ونقلت عنهم وأضافت اليهم فتركت بصمات حضارية لن يمحوها الزمن على مر القرون .

## سماحة المجتمع الإسلامى

وليس هذا فحسب .. بل إن المجتمع الإسلامى سمح بالتعدد والتنوع حتى فى داخله كما هو ثابت من تنوع الرؤى الفلسفية والاجتهادات حسب اختلاف الظروف البيئية والخلفية الحضارية . فلم يفرض نمطا معينا فى التفكير ولم يحجر على حق الإنسان فى التكيف مع الأوضاع الاجتماعية السائدة فى منطقة معينة دون أخرى .

أما الأقوال والممارسات المناهضة لهذه الروح والتى تنسب إليه فى هذا الزمان .. فهى لا تمت إلى الإسلام بأى صلة ، بل إنها دعوة معادية له تسعى إلى تشويه صورته وتزييف جوهره وتعاليمه لأن أصحابها فقدوا بصرهم وبصيرتهم ، وانقلبوا إلى معاول هدم تحاول تقويض الإسلام من الداخل بعد أن استعصى على حساده والحاقدين عليه .

لقد قامت منظمة اليونسكو بدور طليعى رائد فى إحياء الثقافة العالمية ، والحفاظ على التراث الإنسانى والتقريب بين الأجناس والشعوب المختلفة ، والتصدى للقضايا الكبرى ، والمشاكل الأساسية التى تواجه الإنسان فى تاريخه المعاصر ، وقد عنى مؤتمركم هذا ببحث أحد التحديات الخطيرة التى تهدد مسيرة الإنسان على طريق السلام والتقدم وهى قضية الانفجار السكانى .. ولا شك أن تلك القضية تشكل أحد الهموم الكبرى لكل مكترث بمستقبل الإنسانية ، وعلينا جميعا أن نقتحمها مسلحين برؤية واضحة ومنهج علمى وتعاون جماعى خلاق . مدركين تماما أن الخطر لا يقتصر على قارة دون أخرى ، لأن العالم كله أصبح قرية كبيرة لا يمكن أن يعيش أحد أحيائها بمعزل عما يجرى فى سائر أجزائها . ولذا كان لزاما علينا جميعا أن نواجه هذا الخطر كرجل واحد وخطة منسقة تتضافر فيها الجهود وتتجمع لها الموارد والإمكانات .

وقد أولينا هذه المشكلة فى مصر اهتماما لا يوازيه سوى إصرارنا على رفع مستوى التعليم والنهوض به إلى أرفع المستويات بما يسمح لنا أن نتقدم على طريق المستقبل بأقدام ثابتة وخطى واثقة جسورة .. وأن نسهم فى تطوير الحياة على هذا الكوكب على نحو يصل الماضى العريق بالمستقبل المشرق السعيد .

## التغلب على عوامل الشر

إننا نحلم اليوم بعالم واحد بلا أسوار ولا حواجز ولا حروب ولا صراع ؛ فيغمرنا شعور عميق بالثقة فى قدرة الإنسان ليس فقط على اقتحام الطبيعة وتسخيرها لبناء الحضارة ونشر المدنية .. بل أيضا فى قدرته على التغلب على عوامل الشر داخل نفسه ليطهرها من نزعات الجهل والحقد والتعصب .

لدينا حلم رائع أدعوكم للالتفاف حوله .. حلم يجد جذوره فى قيم التسامح والتعايش الراسخة فى الحضارة التى أمثلها أمامكم . ويستمد قوته الدافعة فى خبرات النضال الإنسانى عبر القارات وعبر التاريخ .

**واسمحوا لى أن أدعوكم من هذا المنبر للالتفاف حول هذا الحلم بعالم واحد ليس فيه حواجز ولا أسوار .**

**من أجل اتصال دائم ومكثف بين الشعوب ، ومن أجل ثقافة قادرة على استيعاب متغيرات العصر .**

**من أجل علاقة متسامحة بين الأقليات والطوائف .**

**من أجل تبادل واسع للخبرات بين الأمم .**

**من أجل الحقوق المتساوية للثقافات المختلفة للتعبير عن ذاتها .**

**من أجل نشر الأفكار المختلفة بحرية فى كافة أرجاء المعمورة .**

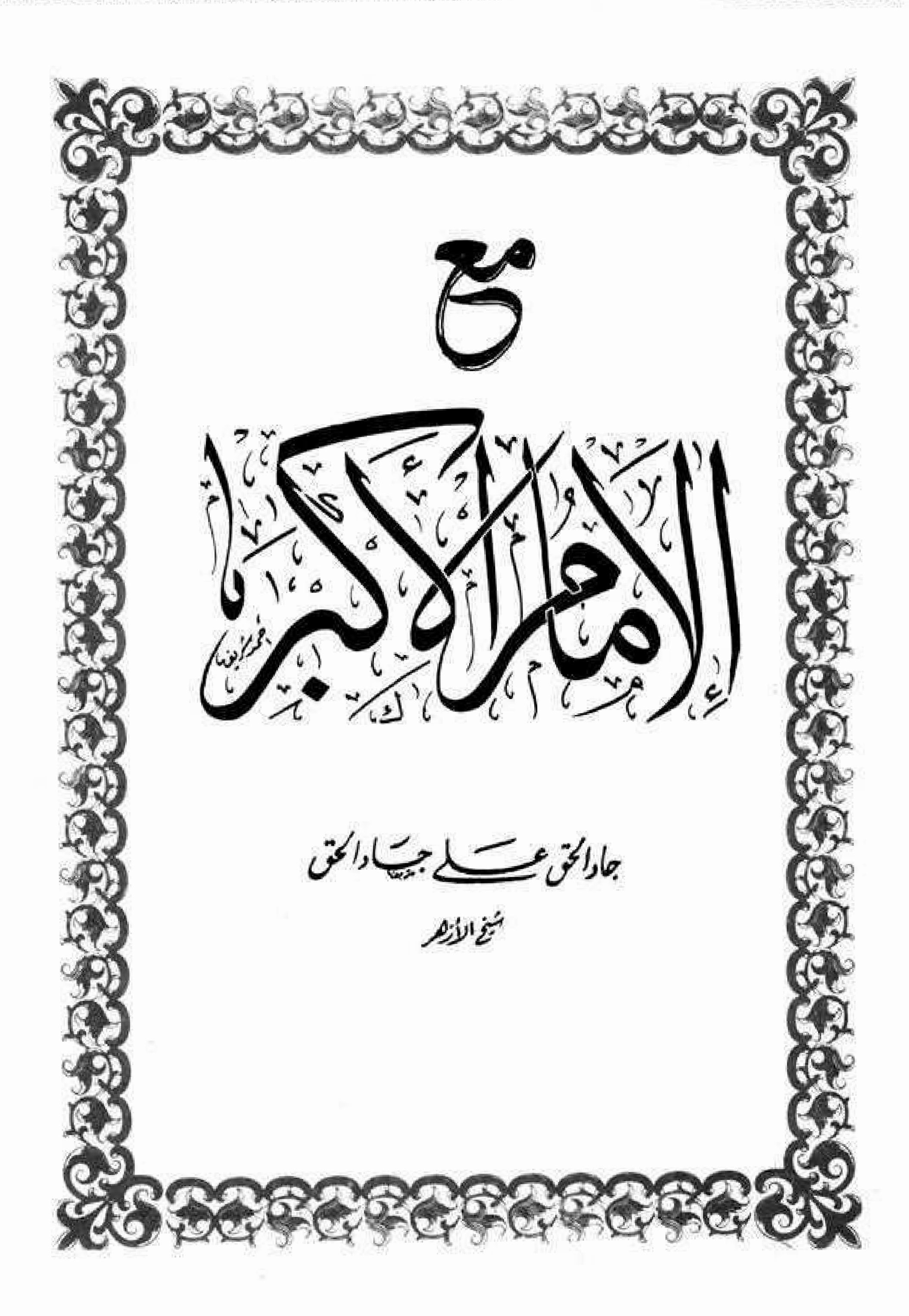
**من أجل حماية حقوق الأفراد فى التعليم واكتساب الخبرات .**

**من أجل أن يجد كل فرد فرصا متكافئة فى التعليم والعمل ، لا فرق فى هذا بين الرجل والمرأة .**

**من أجل تعاون دولى حكومى وشعبى لبناء مجتمع عالمى بلا فقر أو مرض أو حرمان .**

**ومعا سوف نمضى فى طريقنا نزرع الخير وننشر المودة والمحبة ونصنع المجد والعلا .**

**ومعا سوف نبلغ أهدافنا ونحقق أمانينا .**


مع
الإمام الأكبر
جاد الحق علي جاد الحق
شيخ الأزهر




عقد فى ( شيكاغو ) بالولايات المتحدة الأمريكية مؤتمر « برلمان أديان العالم » فى الفترة من ٨/٢٨ وحتى ٩٣/٩/٤ الموافق ١٠ ـ ١٧ ربيع الأول ١٤١٤ هـ .

وقد حمل رسالة الإمام الأكبر شيخ الأزهر إلى المؤتمر فضيلة الدكتور نجاح محمود الغنيمى أستاذ العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر والذى استهل الرسالة قائلاً :

سرتنى الدعوة التى وجهتها الهيئة المشرفة على لقاء البرلمان إلى الأزهر الشريف ، من خلال وزارة الخارجية المصرية فى ١٢ يونيو ١٩٩٣م ، وقد حالت الأعباء والارتباطات المسبقة على هذه الدعوة دون مشاركة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بشخصه مع حضرات الأعضاء لبحث أوجه النشاط المختلفة لهذا اللقاء .

وإذ أشرف بنيابتى هذه أنقل إلى هذا الجمع الموقر تحيات فضيلة الإمام الأكبر الشيخ/ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر وتقديره لمهمة هذا اللقاء والهدف الإنسانى الذى تغيّاه ، وإليكم نص رسالة الإمام الأكبر :

(*) نص رسالة الإمام الأكبر باللغتين الانجليزية والفرنسية فى القسم الأجنبى من هذا العدد

السيد رئيس المؤتمر .

لقد قرأت بعناية تامة المواد التى احتوتها أوراق اللقاء والتى وردت رفق خطاب الدعوة ، وأسعدنى جداً أن يكون من بين أهداف هذا اللقاء الدولى :

● تشجيع روح التوافق ، والاحتفال بالتنوع الثرى لديانات العالم بكل السماحة والاحترام المتبادل .

● تقويم وتجديد الدور الذى تقوم به ديانات العالم فيما يتعلق بالنمو الروحى الشخصى والتحديات التى يواجهها المجتمع العالمى .

ويضاف إلى ذلك ما ورد فى البند السادس من صحيفة الحقائق وهو أنه :

● سيكون الموضوع الرئيسى لهذا اللقاء دور الحياة الدينية والروحية فى مجال القضايا الكبرى لعصرنا الحاضر : كالعنف ، والفقر ، والجوع ، والعنصرية والبيئة ، وما ورد من تفسير وتفصيل لهذا البند الأخير نفسه فى خطاب الدعوة فقره ٥ :

● إن لقاء ١٩٩٣م سوف يكون أكثر من مجرد احتفال مئوى ، إذ أن حضور ممثلى العقائد الدينية للعالم فى مدينة شيكاغو سوف ييسر مجالا رحبا للشخصيات الدينية والروحية لبحث القضايا الكبرى التى تواجه المجتمع البشرى على عتبة القرن الحادى والعشرين ومن أهم هذه القضايا :

● التهديدات التى تقع على البيئة الأرضية ، والتعايش بين أقصى أطراف الثراء والفقر والعنصرية ، والاضطهاد والاستغاثة طلباً للعدالة ، والعلاقة بين الرجل والمرأة ، والسلام العالمى ..

● وكذلك ما ورد فى فقرة ٨ من خطاب الدعوة من إشارة إلى اجتماع الرؤساء الدينيين والروحيين الذى سيتم فى الأيام الثلاثة الأخيرة من اللقاء .

● وهذا الاجتماع سوف يبحث الوسائل التى تساعد على استمرار التعاون بين الأديان من أجل السلام ورفع المعاناة عن المعذبين ، والحفاظ على الكوكب الأرضى .

السيد الرئيس .. حضرات الأعضاء :

يسعدنى أن أذكر لكم أن الإسلام « ينسجم » تماماً مع هذه الأهداف والثمرات المرجوة من لقاءات هذا البرلمان العالمى للأديان .

ومن غير الملائم أن أتوقف مع كل هذه الأهداف والقضايا مجتمعة وأبين أصولها فى الإسلام .

ومن ثم ؛ فإن الحرص على الوقت يضطرنى إلى الاكتفاء بقضيتين أرى أنهما يتوافقان تماماً مع أهداف المؤتمر ، وفى الوقت نفسه هما من قضايا العصر الحاضر .

القضية الأولى :

● علاقة الإسلام بالأديان والشعوب الأخرى :

والإسلام يحرص على أن يكون أساس علاقاته مع الأديان والشعوب الأخرى هو السلام العام ، والود والتعاون ؛ لأن الإنسان ـ عموماً ـ فى نظر الإسلام هو مخلوق عزيز كرمه الله ـ تعالى ـ وفضله على كثير من خلقه ، يدل لهذا قول الله ـ تعالى ـ فى سورة الإسراء[1] :

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا (٧٠) ﴾ .

والتكريم الإلهى للإنسان بخلقه وتفضيله على غيره يعد رباطاً سامياً يشد المسلمين إلى غيرهم من بنى الإنسان ، فإذا سمعوا بعد ذلك قول الله – تعالى – فى سورة الحجرات(٢) :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ – أصبح واجبا عليهم أن يقيموا علاقات المودة والمحبة مع غيرهم من أتباع الديانات الأخرى ، والشعوب غير المسلمة نزولا عند هذه الأخوة الإنسانية .

وهذا هو معنى ( التعارف ) الوارد فى الآية فتعدد هذه الشعوب ليس للخصومة والهدم ، وإنما هو مدعاة للتعارف والتواد والتحاب ، تسابقا إلى الخير وإلى العمل لخدمة الصالح العام . أما الاختلاف الموجود بين هذه الديانات والشعوب ، فهذه مشيئة الله ، ولو أراد الله توحيد الخليقة ، لما أعياه ذلك ، ويقول الله – تعالى – فى سورة المائدة(٣) :

﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ .

وهذه النظرة المتسامحة للإسلام إلى العلاقات مع الديانات والشعوب الأخرى تشتد وضوحا ، إذا تأملنا فى نظرته لغير المسلمين من أهل الكتاب ، وهم الذين يؤمنون برسالة السماء والوحى ، وإن اختلفت صور إيمانهم عن إيمان المسلمين .

ففيما يختص باليهود يحدد القرآن الكريم هذه النظرة بقول الله – تعالى – فى سورة المائدة(٤) :

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ .

وفيما يختص بالمسيحية يقول الله – تعالى – فى سورة المائدة(٥) :

﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ (٤٦) وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ .

فالتوراه أنزلت من السماء هدى ونور ، والإنجيل أنزل من السماء هدى ونور .

أما الإسلام والقرآن فيقول الله – تعالى – فى سورة المائدة(٦) :

﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ

(٢) آية رقم ١٣ .
(٣) آية رقم ٤٨ .
(٤) آية ٤٤ .
(٥) آية ٤٦ .
(٦) آية ٤٨ .

﴿ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾

فالقرآن حكم بين الكتب السابقة عليه ، وهذا رباط مشترك بينها كلها . وفيما يتعلق بنظرة الإسلام إلى رسل الديانات كلها وأنبيائها يقول القرآن الكريم فى سورة البقرة[٧] :

﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾

وفى حديث للرسول محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوجه فيه المسلمين : « **لا تخيروا بين الأنبياء** »[٨] يعنى لا تفاضلوا .

فنظرة المسلمين ـ إذًا ـ إلى غيرهم من أتباع اليهودية والنصرانية ، هى نظرة الشريك إلى شركائه فى الإيمان بالله ، والعمل بالرسالة الإلهية التى لا تختلف فى أصولها العامة عن رسالة إبراهيم ـ عليه السلام ـ وهذا الأساس المشترك فى الاعتقاد من شأنه أن يبيح تبادل العلاقات والمنافع ، ويجيز التعامل بين المسلمين ، وهذه الشعوب فى دائرة واسعة ، إلى حد الاشتراك فى رد عدوان عام يهدد الرسالة الإلهية عامة ، كما يتسع ليشمل جوانب عديدة بما فيها الجانب الاجتماعى ، فالقرآن يبيح للمسلمين تناول طعام أهل الكتاب رضاءً وهبة أو شراء ، كما يبيح لهم التزوج من نسائهم يقول ـ تعالى فى سورة المائدة[٩] :

﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ﴾

وهذا النوع من السلام الاجتماعى يسلمنا طبيعياً إلى القضية التالية وهى :

### ٢ ـ السلام مبدأ إسلامى :

فالسلام هو من أبرز المبادىء الإسلامية ، إن لم يكن أبرزها على الإطلاق ؛ بل من الممكن أن يرق ليكون مرادفاً لاسم الإسلام نفسه باعتبار أصل المادة اللغوية .

ولكن دعوة الإسلام نفسه تتجه فى ذلك أولاً إلى سلام النفس الإنسانية وصفائها وطمأنينتها عن طريق إضعاف شهوات غرائزها من ناحية ، وإعلاء صوت العقل فيها من ناحية أخرى .

ووسيلة التنسيق بين هذه الثنائية المكونة من الغرائز والعقل ، وبعث الانسجام الخالى من التجاذب بين طرفيها هو : الإيمان بوحدة الله فى ذاته ، وذكره على الدوام . وفى ذلك يقول الله ـ تعالى ـ فى سورة الرعد[١٠] :

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾

فإذا تحقق السلام والصفاء فى نفوس الأفراد وقلوبهم قام مجتمع يسود السلام علاقات أفراده ، فالسلام الحقيقى لأى مجتمع قوامه سلامة نفوس أفراده وصفائها ، وطمأنينة قلوبهم ، وتخلصهم من سيطرة غرائزهم وشهواتهم ، وعوامل الضغينة والغل والحقد عن طريق الإيمان وذكر الله .

---

(٧) آية ٢٨٥ .

(٨) من حديث رواه الإمام أحمد والبيهقى عن أبى سعيد رضى الله عنه ـ جامع الأحاديث للسيوطى جـ ص ١٩٠ .

(٩) آية ٥ .

(١٠) آية ٢٨ .

وإذا اتجه الإسلام إلى المؤمنين مطالباً إياهم بالسلام فى علاقاتهم بعضهم ببعض على النحو السابق ؛ فإنه يتجه إليهم أيضا فى علاقاتهم مع الأمم الأخرى ، مطالباً إياهم بالسلام والاستقرار وعدم الاعتداء ، وفى ذلك يقول الله ـ تعالى ـ فى سورة البقرة[11] :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾

أى شاركوا بنصيب إيجابى فى السلام العام حتى لا يقع عدوان على الناس .

والإسلام لا يكتفى بإقرار مبدأ عدم الاعتداء ، ولكنه يسعى كذلك للعمل على صيانته واستمراره ، سواء كان ذلك بين أفراد الأمة الإسلامية ، أو بينهم من جانب وبين الشعوب الأخرى من جانب آخر ؛ وذلك عن طريق عدم إكراه الناس ، وعدم حملهم على الإيمان بعقيدته، يقول الله ـ تعالى ـ فى سورة البقرة[12] :

﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ﴾

وهذا يعنى أن الإسلام لا يقر القسر والإكراه فى نشر عقيدته .

ولكن المسلمين مطالبون فى الوقت نفسه بمقاومة العدوان إن وقع عليهم ، وفى ذلك صيانة للسلام ، إذ دفع الاعتداء وسيلة أخرى لحفظ السلام واستقرار العلاقات البشرية ، يقول الله ـ تعالى ـ فى سورة البقرة[13] :

﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾

والمثلية هنا تعنى الوقوف عند الحدود ، والصورة التى وقع بها الاعتداء ، وفى دفعه دون تزيد وهذا تأكيد لحرص الإسلام على السلام العام لذاته ، فلا يتجاوز رد الاعتداء من المسلمين مثل ما وقع عليهم ، ولا يتجاوز المعتدين إلى غيرهم من بنى جنسهم ، يقول الله ـ تعالى ـ فى سورة الممتحنة[14] :

﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾

**ويقول الله ـ تعالى ـ فى سورة المائدة[15] :**

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾

فإذا قام المعتدى ـ بعد اشتباك المسلمين معه ـ بعرض السلام ، فإن الإسلام يأمر المسلمين بقبول هذا السلام ، يقول الله ـ تعالى ـ فى سورة الأنفال[16] :

﴿ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾

فالإسلام ـ إذاً ـ هو دين السلام ، فهو يطلب من المعتقدين به أن يصونوا السلام العام : فى نفوسهم ، وفى مجتمعهم ، وفيما بين مجتمعهم

---

(١١) آية ٢٠٨ .
(١٢) آية ٢٥٦ .
(١٣) آية ١٩٤ .
(١٤) آية ٨ .
(١٥) آية ٨ .
(١٦) آية ١٦ .

وبين المجتمعات الأخرى ؛ فإن أوذوا فى سبيل صيانيه دفعوا الإيذاء بمثل القدر والصورة التى وقع بها ، وعندما يدفعون الإيذاء يجب ألا يخرجهم دفعه عن حد الاعتدال والعدل ، ثم إذا عرض عليهم الكف وعدم الاستمرار فى الاشتباك مع من يناصبونهم العداء قبلوا هذا العرض حباً فى السلام نفسه . فالإسلام – إذاً – هو دين السلام ؛ لأن قوامَهُ الإيمان بالله وحده ، وذكر الله ، وكلاهما يعيد السلام إلى النفوس والشعوب والمجتمعات ، وهما اللذان يخففان من طغيان المادية التى تتمثل فى الأنانية والاعتداء ، ثم فى القلق والاضطراب :

﴿وَاللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَـٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[١٧] .

ومن الممكن إن أستمر فى عرض القيم الأخلاقية والسلوكية العديدة للإسلام فى العديد من القضايا ؛ ولكنى أكتفى بهذا الذى ذكرت حرصاً على الوقت .

فقط أضيف أن المسلمين قد التزموا بتوجيهات الإسلام ، ولم يقترفوا فى تاريخهم الطويل ما يشينهم ، فلم يضطهدوا شعباً ، ولم يكرهوا أحداً على الإسلام ، ولم يقوموا بعمليات تطهير عرقى ، أو تفرقة عنصرية ، ولم يحدث أن أبادوا أتباع دين من الأديان الأخرى ، وليس أدل على ذلك من أن البلاد التى دخلت فى الإسلام منذ كان ، وفى العصور المتعاقبة-وللآن- ما زال بها الجمع الغفير من أتباع الديانات الذين كانوا بتلك البلاد حين دخلها الإسلام ، ولو كان الحكم الإسلامى وقتذاك قد مارس ما يمارسه أصحاب الديانات الأخرى فى العصر الحاضر – ما بقى فى بلاد المسلمين من أتباع الأديان الأخرى أحد .

### سيادة الرئيس والأخوة الأعضاء :

ورغم هذا التاريخ الناصع للمسلمين ؛ فإن الأقليات الإسلامية تسام الخسف والهوان وسوء العذاب ، وتدور رحى التطهير العرقى والدينى والتصفية الجسدية من كثير من الحكام غير المسلمين .

لقد حدث هذا وما يزال يحدث فى كل مكان فى العالم ، فى أوروبا وافريقيا وآسيا وغيرها ، ولن أتعرض بالتفصيل لذلك ، فهذا ما تتكفل به كتب التاريخ والحضارة ، ولن أتعرض كذلك بالتفصيل للمضايقات اليومية التى يلقاها المسلمون خارج بلاد الإسلام فى كل مكان من العالم ، خاصة فى بلاد الغرب ، ولكن لا بد أن أتوقف عند :

### مأساة البوسنة والهرسك :

وأتساءل : كيف يحدث هذا . والعالم على مشارف القرن الحادى والعشرين .

فى القرون الوسطى ، كان يقال : إن ظروف العصر اقتضت ذلك . والآن ، وقبل انهيار الشيوعية كان المؤمنون يبتهلون إلى الله أن يكلأ أتباع جميع الديانات فى أوروبا الشرقية والاتحاد السوفيتى برعايته ويحميهم من سطوة الإلحاد والاضطهاد الشيوعى . فلما أن زالت الغمة حمدنا الله وشكرنا فضله ، واستبشرنا خيراً بعودة أنشطة الإيمان إلى أماكن العبادة لكل الديانات .

**ولكن أخا الإيمان انقلب على أخيه :**

يقطع أوصاله ، ويغتصب نساءه ، ويصفيه جسدياً ، ويطهره عرقياً ، والعالم الغربى كله يقف

---

(١٧) سورة يونس آية ٢٥ .

وقفة مشبوهة ، لا هو بالذى يتدخل لوقف المذبحة ، ولا هو بالذى يسمح بتدخل أطراف أخرى من خارج القارة بالمساعدة والعون ، بل على العكس يساعد المعتدى بكل الوسائل والسبل ، ويمنع المعتدى عليه حتى من الدفاع عن النفس ويوقف امداده بالسلاح والعتاد .

إن هذه القضية ـ حضرات الأعضاء ـ تمثل إحدى التحديات الكبرى فى عصرنا الحاضر ، وهى بلا شك معيار مصداقيتنا فى مثل هذا اللقاء !!

**باسم الأزهر :**

أقول لحضراتكم باسم الأزهر الشريف ، المؤسسة العلمية الإسلامية الأولى فى العالم : إن هذا الصمت المريب ، وتلك التحركات المشبوهة التى تجرى على الساحة العالمية متظاهرة بوقف مأساة البوسنة و الهرسك ـ ما لم تتحول إلى جهد إيجابى حقيقى ، فلن يكون هناك سلام حقيقى من أى نوع ، ولن يكون المسلمون آخر ضحايا هذه الحروب العرقية ، بل سيتبع ذلك بقية الأديان على التوالى ، حتى من يظنون أنهم يملكون المنعة والقوة ، بل ستدور الدائرة كذلك على أتباع الدين الواحد من غير الإسلام .

ومن هنا فإنى أهيب بمؤتمر برلمان ديانات العالم أن يُسْمِعَ صوته للبشرية كلها ، ويشجب هذا العدوان اللا إنسانى الذى يقع على شعب البوسنة والهرسك المسلم ، ولا يقتصر على ذلك ، بل **يبذل جهوده الفعلية لإقناع دول وحكومات الغرب للتدخل الإيجابى لوقف هذا العدوان ، الذى تراخت دول الغرب كلها والمؤسسات الدولية عامة ، بما فيها الأمم المتحدة ، عن وقفه .**

**ولنتذكر جميعاً ، أنه لا يمكن أن يكون هناك سلام واحترام بين الأمم والشعوب والديانات المختلفة فى نفس الوقت الذى تذبح فيه إحدى الديانات الكبرى بيد اتباع دين آخر ، فى ظل صمت شامل مريب من الجميع ، بما يوحى بالتأييد لاستمرار هذه المأساة حتى غايتها .**

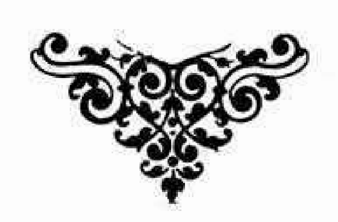
**وإذا سارت الأمور على هذا النحـــو ، فلا معنى لشعار تعايش الأديان ، ولا جدوى من المناداة بإرساء مبادىء السلام بين الشعوب والأمم ما لم يحترم دين كل أمة من قبل الأمم والشعوب الأخرى .**

السيد الرئيس ـ الأخوة الأعضاء :

**إننا ننتظر من هذا اللقاء خيراً كثيراً لصالح تعايش الأديان المختلفة ، وإحياء القيم الدينية والأخلاقية فى مواجهة طوفان المادة والانحلال الأخلاقى والفكرى الذى تعانيه البشرية الآن .**

**أتمنى لكم كل التوفيق فى خدمة البشرية جمعاء .**

**والسلام عليكم من أمة الإسلام والسلام .**



# « كلمة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر »

## فى حفل افتتاح الدورة الثالثة والعشرين لتدريب الأئمة والوعاظ

« بسم الله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله

السادة السفراء ، الإخوة العلماء

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أرحب بقدوم الإخوة والأبناء من العلماء للتدريب بهذه الدورة ، والأمل أن تتحقق لكم الأستزادة من العلم والمعرفة فى علوم الدعوة الإسلامية ، وأن تكونوا مع محاضريكم تتبادلون الآراء العلمية والفقهية ، وعليكم أن تعلموا أن مبدأ دعاة الإسلام هو قوله تعالى :

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ سورة فصلت

وهذه هى خطة الأزهر دائما أن يلتزم العلماء آداب الدعوة الإسلامية ﴿ **وقولوا للناس حسناً** ﴾ كما يجب على العلماء أن تتسع صدورهم لمواجهة أية شبهات تقال عن الإسلام ، وأن يردوا عليها علمياً ، لأهمية العلم ودوره ، ومن ثم كان طلب العلم فى الإسلام من مهام المسلم يشير إلى هذا أن أول ما تنزّل من القرآن : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾ . سورة العلق

---

بدأت فى ٩٣/١١/١ وتنتهى فى ١٩٩٤/١/٣١

يشترك فى هذه الدورة من أفريقيا : غينيا كوناكرى ، غينيا بيساو ، وتشاد

ومن آسيا : باكستان ـ الهند ـ أوزبكستان

ومن اوربا : بريطانيا ـ وألبانيا ـ تتارستان ويبلغ عدد المشاركين أربعين إماما وواعظاً .

وعليكم أيها العلماء أن تنظموا وقتكم ؛ ليكون أكثره لتلقى العلم وتدارسه فى المحاضرات وفى الندوات والمكتبات ، وأن تتناقشوا فى كل ما تقرأون، وتسمعون مع أساتذتكم .

فإن هذا هو المكان الذى تصلون به ومنه إلى كل ما هو جديد ومفيد فى الإسلام والدعوة إليه .

وعليكم الاستزادة بعلوم اللغة العربية ؛ لتكونوا مستعدين للتعرف والوقوف على أحكام الإسلام وعلوم المسلمين من نصوص القرآن وأحاديث رسول الله ﷺ ، وآمل أن تجدوا هنا فى الأزهر أنه لا عصبية ولا تعصب إلا للإسلام ، وأننا هنا فى الأزهر لانتعصب لمذهب ضد آخر ، وأن وطننا جميعا هو سائر بلاد المسلمين ؛ لذا يجب أن نعمل للإسلام وندعو له بعيداً عن العصبية والتعصب ، وعلينا أن نعايش الناس جميعا ونتعايش معهم فى سلام لأن من مبادىء الإسلام .. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ ﴾ الحجرات )فالعلاقات الإنسانية هى الاولى للتعامل مع كافة الناس ، ولنتعلم كيف نتحدث وكيف نتحاور .. وأوصيكم أن تكونوا مقبلين على كل ما يقدم إليكم من علم ومعرفة ؛ حتى تعودوا لأوطانكم بالجديد المفيد الذى تقدمونه لمواطنيكم ، نفع الله بكم .

ولتعلموا أن الأزهر حين قام ويقوم بهذه الدورات التدريبية إنما يبتغى أن تتقارب آراء العلماء ولتنشروها دون تجاوز بين المسلمين فى كافة البلاد ؛ سعيا إلى وحدة الصف وإستقامة الناس على طريق الله المستقيم ، ذلك أن قبلتنا واحدة ويجمعنا دين واحد وكتابنا واحد هو القرآن، وأخوتنا فى الله وفى الإسلام فى مقرره وواجبه ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ.. ﴾ ( الحجرات ١٠ )
أدعو الله لكم بالسداد والتوفيق وأن تطيب لكم الإقامة فى مصر والأزهر .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

شيخ الأزهر
**جاد الحق على جاد الحق**

# فتوى

## فى حكم تحويل مقبرة قديمة إلى حديقة



الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله

وبعد

فقد ورد إلى مكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر خطاب من رئيس مجلس إدارة شركة الصالحية العقارية بالكويت ونصه ما يلى :

طلب فتوى بخصوص تحويل مقبرة قديمة إلى حديقة :

أرجو من فضيلتكم توضيح الحكم الشرعى فى تحويل مقبرة قديمة توقف الدفن بها حسب علمنا من سنة ١٩٥٧م إلى حديقة ؛ علما بأن عملية التحويل لن تتعرض لنبش القبور الموجودة بها ، ولكن ستتم بردم المقبرة بطبقة من الأتربة ، فوق القبور والزراعة عليها ، وأن هذه المقبرة فى وسط مدينة تجارية فى قلب مدينة الكويت تعرف بمنطقة الصالحية ، وبجوارها مجمع تجارى ضخم ، والمنطقة مزدحمة بالسيارات حتى إن الداخل إليها لا يجد مكانا لسيارته ولا يستطيع الوقوف فيها ، وتحويل هذه المقبرة إلى حديقة سيوسع على أهل المنطقة ، وذلك بشق الطريق وسط هذه الحديقة وبإيجاد أماكن للداخل والخارج فيها مع العلم بأن لجنة الإفتاء بوزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت ، أصدرت الفتوى رقم ٨٥/٦ بتاريخ ١٤ صفر ١٤٠٦هـ الموافق ١٩٨٥/١٠/٢٨ بجواز شق طريق مجاور للمجمع فى المقبرة لمرور آليات الإطفاء فقط .

نرجو تفضلكم بإفادتنا بالحكم الشرعى فى ذلك وجزاكم الله خير الجزاء .

غازى فهد النفيسى
رئيس مجلس الإدارة
العضو المنتدب

والجواب

إن مقتضى نصوص الفقه الإسلامى المستفادة مما أثر عن رسول الله ﷺ أن المقبرة إذا خصصت لدفن موتى المسلمين صارت وقفا على ما خصصت له ؛ سواء كانت مملوكة لفرد أو أفراد أو للدولة متى صرح بالدفن فيها،وتم فعلا،صارت وقفا وإرصادا على دفن موتى المسلمين . ويلزم تأبيدها على الحال التى رصدت عليها[1] .

وإن الجبانة المندثرة إذا بطل الدفن فيها بالاستغناء عنها بأرض أخرى أو بأى سبب آخر ، وكان لايزال بها عظام بقيت على ما هى عليه استمرارا للمنفعة التى من أجلها وقفت ، إذ لايجوز نبشها شرعا فى هذه الحال لما فى نبشها من إهانة موتى المسلمين ، وهذا حرام لما روى عن عائشة رضى الله عنها عن النبى ﷺ قال : ( كسر عظم الميت ككسره حيا )[2] ..

وإن اندثرت ولم يبق بها أثر للموتى ، ولا شىء من العظام فالتصرف فى تلك الحال من حق ولى أمر المسلمين[3] سواء كانت أرض المقبرة موقوفة أو مرصودة لهذا الغرض ، وعندئذ فلولى أمر المسلمين الترخيص بالانتفاع بها لغرض مما يخدم المصالح العامة للمسلمين ، مالم يؤد هذا إلى نبش القبور التى لم يقع بها البلى .

وإذا كان ذلك :

فإنه عن مقبرة الصالحية بالكويت ـ المسئول عنها ، والمتوقف فيها الدفن من عام ١٩٥٧م ، والمراد تحويلها الى حديقة يشق بها الطرق وإيجاد مداخل ومخارج منها وإليها ، وأنه لن يجرى نبش مابها من قبور ولكن سيتم وضع ردم بطبقة من الأتربة فوق القبور ماتزال موجودة والزراعة عليها :

فإن جمهور العلماء على أن الميت إذا بلى وصار ترابا جاز نبش قبره ودفن غيره فيه ، أما اذا بقى شىء من عظامه غير عجب الذنب فلا يجوز نبشه ولا الدفن فيه لحرمة الموتى .

وقد ورد فى الفتاوى التتارخانية : أن الميت إذا صار ترابا فى القبر يكره دفن غيره فى قبره؛لأن الحرمة باقية .

وقد تعقبه العلامة الحنفى ابن عابدين : بأن فى ذلك مشقة عظيمة ؛ فالأولى إناطة الجواز بالبلى ، إذ لايمكن أن يعد لكل ميت قبر لايدفن فيه غيره ، وإن صار الأول ترابا ؛ ولأن المنع من الحفر إلى أن لا يبقى عظمٌ أمرٌ عسر جدا فى الأعم الأغلب .

وقد اختلف الفقهاء فى جواز الحرث والزراعة والبناء على أرض المقبرة المندثرة فأجازه الحنفية كما جاء فى حاشية العلامة ابن عابدين وتبيين الحقائق للزيلعى شرح كنز الدقائق أنه :

**ولو بلى الميت وصار ترابا جاز دفن غيره فى قبره** وزرعه والبناء عليه ، ومثله فى شرح مراق الفلاح على نور الإيضاح فى الفقه الحنفى مع حاشية الطحاوى ، وهذا يجرى على قول الإمام محمد ابن الحسن فى المسجد إذا تخرب واستغنى الناس

---

(١) الفتاوى الاسلامية جـ ٧ ص ٢٤٢٥

(٢) رواه أبوداود وابن ماجه ، التاج الجامع للاصول جـ ١ ص ٤١٠ من باب الجنائز .

(٣) الفتاوى الاسلامية جـ ٧ ص ٢٤٢٢ ، ٢٤٢٣ ، ٢٤٣١ .

عن الصلاة فيه جاز التصرف فيه ، وقد صحح جماعة من المتأخرين هذا ومشى عليه الخصاف فى كتابه فى أحكام الأوقاف فى مسألة المسجد الذى تخرب .

كما أجاز هذا فقهاء المذهب الحنبلى ، ونص المالكية على المنع .

لما كان ذلك :

كان الأخذ بما قال فقهاء المذهب الحنفى - على هذا الوجه - وفقهاء الحنابلة هو الأولى لما فيه من رعاية للمصلحة العامة ، وباعتبار أن هذه الأرض قد عادت باندراسها أو اندثارها إلى ولاية ولى الأمر فى الدولة ، وأن بقاءها بالوضع والمكان الموصوف فى السؤال ، فيه تضييق على الناس وتعريض لصحتهم للأخطار مما يجعلها عرضة وموضعا للمهملات، أو تصير وكرا للأشرار ، ولاشك أن الوقاية خير من العلاج .

وإذا كان المعروض ليس النبش وإنما الطمر والردم بطبقات من التراب وزرعها بالأشجار كان هذا المقترح فى نطاق الجائز والمباح[1] .

وذلك بمراعاة ألا يترتب على شق الطرق داخل المقبرة كسر عظام - ان وجدت - وعندئذ - إذا وجدت . تجمع وتدفن فى مكان آمن بعيد عن الوطء بالأقدام أو بالسيارات، وشأن هذه الواقعة يجرى تخريجا على مسألة المسجد إذا تخرب واعترض طريق المسلمين فإنه تجوز إزالته .

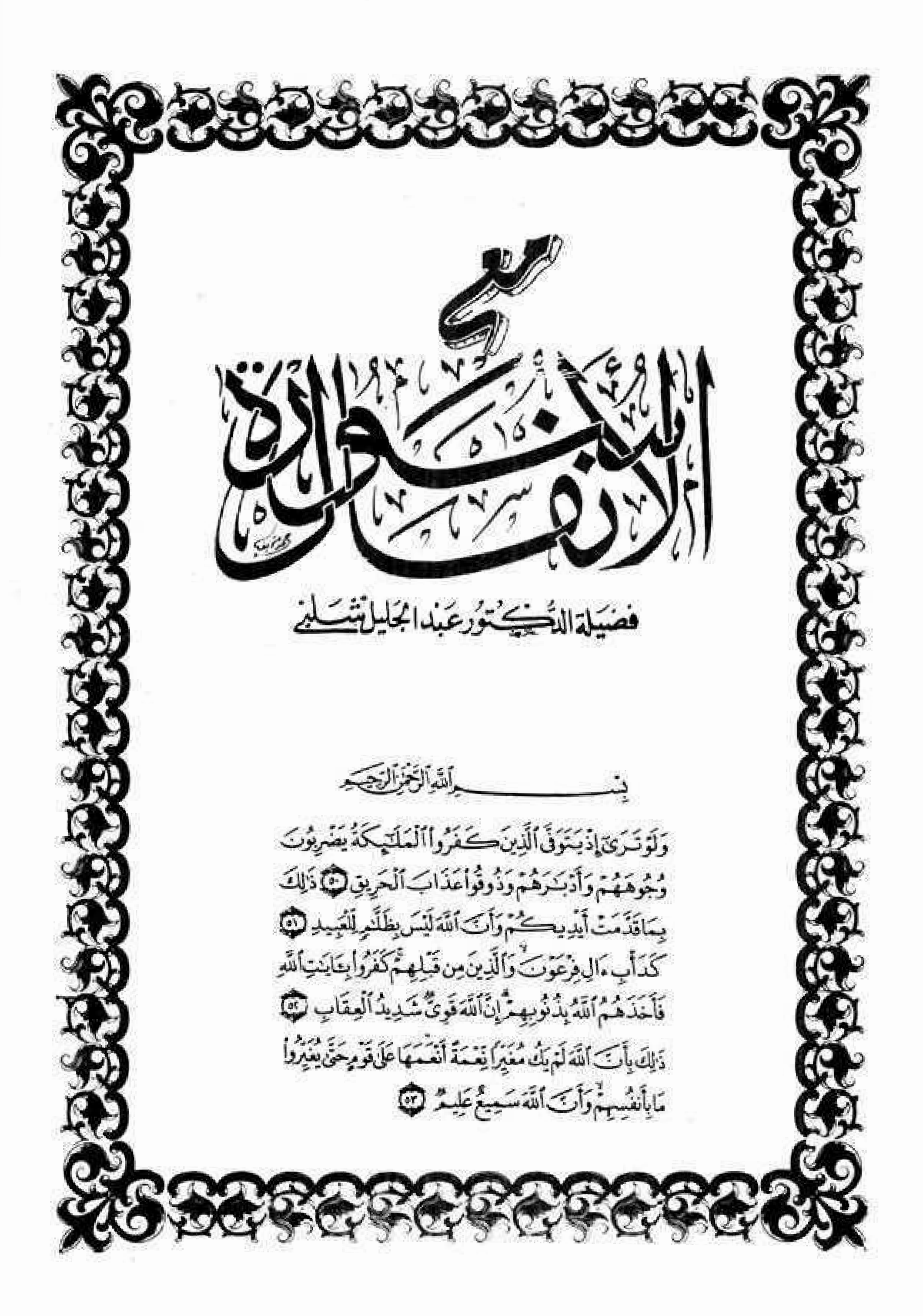
والله سبحانه وتعالى أعلم

شيخ الأزهر الشريف

(جاد الحق على جاد الحق)



(١) حاشية رد المحتار لابن عابدين على الدر المختار شرح تنوير الأبصار جـ ١ ص ١٩٩ وكشاف القناع جـ ٢ ص ١٤٤ وغيرهما مما أشير إليه فى سطور هذه الفتوى من مراجع .



# مع سورة الأنفال

فضيلة الدكتور عبد الجليل شلبي

بسم الله الرحمن الرحيم

وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (٥٠) ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (٥١) كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٥٢) ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٥٣)

جاء فى الآية السابقة : «والله شديد العقاب» وهنا بيان لنوع من عقابه الشديد ، والخطاب فى «ولو ترى» إما لرسول الله ﷺ وإما لكل من تتأتى منه الرؤية ، ويشمل الآدميين والجن ، و«إذ» ظرف زمان ، أى لو ترى وقت وفاة هؤلاء و«لو» الامتناعية تجعل المضارع ماضياً ، كما أن «إن» الشرطية تجعل الماضى مضارعاً ، تقول : إن جاءك فأكرمه ـ فهو ـ مع كون الفعل ماضياً ـ لم يجىء ، وجواب الشرط محذوف ، والتقدير لو رأيت مايعذب به الكفار حال موتهم لرأيت شيئاً عظيماً لايحيط به الوصف ، وحذف الجواب فى مثل هذا التعبير أبلغ من ذكره .

وقرئت الآية تتوفى بتاءين ، ويتوفى بياء تحتية وتاء فوقية . والملائكة فاعل على أى من الوجهين . والتأنيث ليس حتمياً لأن الملائكة ليس مؤنثاً حقيقياً وإنما هى جمع تكثير لملك أو ملاك . ثم هنا فاصل بين الفعل وفاعله .

وقيل بل الفاعل ضمير أى يتوفى الله ، فعلى هذا تكون الملائكة مبتدأ ، ويضربون خبر عنه أما على كون الملائكة فاعلا ، فالجملة حال .

وضرب الوجوه والأدبار قد يعنى الجسد كله مقدمه ومؤخره ، وذلك يؤدى معنى التصميم ، كما فى قوله تعالى : ﴿ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴾ ، ونحو ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴾ ، ﴿ وسبحوه بكرة واصيلا ﴾ ـ فكلها تعنى جميع الأوقات ، وقال مجاهد : إن الأدبار تعنى الاستاه ، فهم على هذا يضربون على وجوههم وأستاههم ، لأن الضرب على هذين المحلين أخزى وأشد نكالا ، قال ولكن الله كريم يكنى ، أى لايصرح بلفظ الأستاه .

قال الإمام الزمخشرى : وبلغنى عن أهل الصين أن عقوبة الزانى عندهم أن يُصبر ثم يعطى رجل قوى البأس شيئاً كهيئة الطبق ، فيضربه على دبره ... الخ ، أو الوجوه والأدبار ماأقبل من الشخص وماأدبر .

﴿ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾ إما معطوف على يضربون ، على تقدير قول ، أى الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم ويقولون لهم ـ على سبيل السخرية والتقريع : ذوقوا عذاب الحريق . أو الجملة بمعنى ويقال لهم ذوقوا . والقائل هم الملائكة وزبانية العذاب .

ويمكن أن تكون جملة «يضربون» حالا ، أى يتوفاهم الملائكة ضاربين وجوههم وأدبارهم ، فتكون جملة وذوقوا حالا أيضا معطوفة على الحال التى قبلها ، أى يضربونهم قائلين لهم ذلك ، فجملة وذوقوا مقول لقول محذوف .

﴿**وعذاب الحريق**﴾ تعنى مقدمة عذاب النار ، أو ذوقوا عقاب الاخرة . فهى إيذان لهم به .

والاية نزلت فى قتلى بدر من المشركين ، ويحتمل التعبير أن الملائكة قالوا لهم ذلك حين عاينوا الموت وسقطوا صرعى على أرض المعركة ، وعذاب الملائكة وتقريعهم وهم بين يدى المسلمين وأمام أنصارهم المشركين ـ لا يشعر به أحد منهم ، والكافر نفسه لا يشعر بهذا إلا بعد مفارقة روحه جسده

وقيل فى هذا أيضا : إن المسلمين كانوا يضربون وجوههم أحياء والملائكة تضرب أقفاءهم وأدبارهم ، ولانركن لهذا وقد ذكرنا من قبل ترجيح القول بأن الملائكة لم تحارب يوم بدر ولم تقتل أحداً ، وكان وجودهم تثبيتاً للمؤمن !

وأقرب من هذا وأسلس أن يكون عذاب الحريق يعنى عذاب النار يوم القيامة .

وروى الحسن عن ابن جرير أن رجلا قال لرسول الله ـ ﷺ ـ : إنى رأيت بظهر أبى جهل مثل الشراك ، فقال عليه الصلاة والسلام : ذلك

ضرب الملائكة . ولم يمل لهذا الشيخ رشيد رضا ، وقال : إن الحسن البصرى رحمه الله – عند المحدثين كالريح ، لا يقبض منها على شىء[1] .

قال الشيخ الآلوسى : التعبير بذوقوا للتهكم ، لأن الذوق يكون فى المطعومات المستلذة غالباً ، وذكر نكتة أخرى ، هى أن الذوق قليل من كثير ومقدمة لما يأتى بعده ، فهو إشعار بعذاب أشد . ولا ينافى هذا أن الذوق يطلق مجازاً على كل ما يحسه الشخص ، ومن هذا قول الله تعالى : ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ ، أى يحسوه ، وقولـه سبحانه : ﴿ذق إنك أنت العزيز الكريم﴾ ومثل هذا فى القرآن .

﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ .

ذلك إشارة للمذكور من الضرب والعذاب ، وهو مبتدأ خبره ما بعده ، والباء للسببية ، أى هذا العذاب بسبب ما قدمتم من سيىء الأعمال وأسند العمل للأيدى توسعاً لأن أكثر الأعمال تكون بها ، ولهم أعمال ظالمة كثيرة من أقوال اللسان والسعى بالاقدام ، وسوء التفكير والتدبير ، وكلها مدرجة فى هذا ، أى هذا العذاب بسبب ما قدمتم فأنتم جناته ، وليس فيه شىء من الظلم أو العقوبة لغير سبب يستحقها .

﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ .

بفتح الهمزة فى أن وهو معطوف على ما ، أى بسبب ما قدمت أيديكم وبسبب أن الله ليس بظلام ... فمن الإنصاف والعدل أن يعاقب المسيىء «وألا يتساوى من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه مع من آمن وصدق وعمل الأعمال الحسنة» ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الزمر

وأيضاً لا يعاقب الله سبحانه على الذنب الصغير عقوبته على الكفر وحرب الإسلام فعدلـه – سبحانه – يأبى كل ذلك ، فكل مذنب يتلقى عذاباً بقدر ما ارتكب .

وكلمة ظلام إما صيغة مبالغة ، أى ليس بذى ظلم شديد ، ولكن النفى يتوجه إلى كل شىء من الظلم ولو كان قليلا ، والمعنى : ليس بذى ظلم شديد حتى يذيقكم كل هذا العذاب الشاق الأليم من غير أن تكونوا قد ارتكبتم ما يوجبه .

وقد تكون «ظلام» مجرد صفة للنسبة إلى الظلم ، كما يقال نجار وحداد . فالمعنى إذن أنه ليس بذى ظلم لعباده .

وقيل «ظلام» للتكثير لكثرة العصاة الذين يقع عليهم العذاب . وأياً ما كان التقدير فالمعنى الواضح من التعبير : أن الملائكة إذ تعذب هؤلاء

---

(١) حاش لله . ليس هذا حكم علماء رجال الحديث الشريف فى الحسن البصرى ، فهذه ترجمته وحكم العلماء فيه .

الحسن بن أبى الحسن البصرى ، كنْيَة أبيه أبو الحسن ، واسمه يسار ، وأُمُّهُ : خَيْرَة مولاة أم سلمة زوج رسول الله ﷺ وقد ، أرضعته .

والحسن أحد أئمة الهدى والسنة ، كان – رحمه الله – عالماً جامعاً رفيعاً ثقة مأمونا عابداً ناسكاً فقيهاً فاضلا كثير العلم . ذلك حكم علماء الرجال فيه إذ جمعوا له تلك الصفات العشر فأخذوا عنه الأحاديث الصحيحة الثابتة فوقفوا منه على علم لا على ريح – رحمه الله .

كان – رحمه الله – وسيماً فصيحاً جميلا عاصر حكم الحجاج الثقفى المعروف ، فقال – ليونس بن عبيد : كل شىء سمعتنى أقول [فيه] : قال رسول الله ﷺ فهو عن (على بن أبى طالب) غير أنى فى زمان لا أستطيع أن أذكر [فيه] عليا – يريد زمان هذا الثقفى .

قال على بن المدينى : مرسلات الحسن البصرى التى رواها عنه الثقات صحاح ما أقل ما يسقط منها ، وقال أبو زرعة : كل شىء قال الحسن : (قال رسول الله – ﷺ –) وجد له أصلا ثابتاً ما خلا أربعة أحاديث : أهـ .

توفى الحسن – رحمه الله – سنة عشر ومائة . وهو رأس الطبقة الثالثة من المحدثين . انظر تهذيب التهذيب ٢٦٣/٢ – وتقريب التهذيب ١٦٥/١ ، وخلاصة تهذيب الكمال وهوامشها ص ٦٦

القوم توبخهم وتعلنهم بان الله ـ سبحانه ـ ذو عدل وإنصاف

﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ .
آل عمران/ ١١

فى هذه الآية وأمثالها تشجيع للمسلمين وتسلية ، فالأمم التى كانت من قبلهم كذبت رسلها وكفرت بآيات الله ، وكانت عاقبتهم أن أنزل الله عليهم عذابه ونصر المؤمنين . وربما كان فرعون وآله من أعتى وأشهر الأمم التى كذبت الأنبياء ، وقد كان من حوله هامان وقارون وملأ من قومه أخذهم الغرور ، حتى قال فرعون : ﴿ياأيها الملأ ماعلمت لكم من إله غيرى﴾ ، ولم يكن الذين من قبلهم قليلى الغرور ؛ فقد قال قوم عاد : «من أشد منا قوة» . وهكذا كان شأن الأنبياء قبل محمد ﷺ مع قومهم ، وإذن فليشتد المسلمون ولاينل منهم عدوان قومهم وقوتهم .

والدأب ماثبت عليه الإنسان وثابر عليه ، وكان دأب هؤلاء الأمم من الفراعنة والذين من قبلهم أنهم كانوا يكفرون برسالات الأنبياء الذين أرسلوا إليهم فأخذهم الله بذنوبهم ـ قال تعالى ـ

﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ (العنكبوت )

فالله لا يظلم افرادا ولا أمما ولكن هم بعصيانهم يظلمون أنفسهم ، وقد نصر سبحانه المسلمين يوم بدر برغم ما كان بينهم وبين أعدائهم المشركين من تفاوت فى العدة والعدد وذلك مقتضى سنته سبحانه . ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ ـ قوى لايغلبه غالب ، وإذا أراد عقاب شخص أو قوم فليس ثمت من يدفع عقابه عنهم .

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ .

« ذلك » إشارة لما حل بهؤلاء المشركين من المهانة والعذاب والخزى ، أنه بسبب سنته الجارية العادلة أنه لايغير الحال التى عليها أى قوم ، ولا يسلبهم النعمة التى يتمتعون بها ، حتى يغيروا هم سيرتهم والأحوال التى كانوا عليها .

وقد نلاحظ أن القرشيين وآل فرعون لم يكونوا قبل مجىء الرسل إليهم على حالة مرضية مقبولة عند الله ولاعند العقل فهم جميعاً كانوا مشركين . ولكن التغيير كما يكون من حالة حسنة إلى حالة سيئة يكون أيضا من سيئة إلى أسوأ منها ، وهؤلاء كانوا قبل مجىء الرسل إليهم غافلين ، وكانوا مع ماهم عليه من الكفر وعبادة الوثنية ، غير منغمسين فيما انغمسوا فيه بعد مجىء الرسل من الظلم ومعارضة الحق ، وما كان الله ليعذبهم دون أن يبعث إليهم رسولا ، فلما جاء الرسول فرعون أنكره واشتط فى تعذيب بنى اسرائيل .

ولما جاء رسول الله محمد ـ ﷺ ـ قريشاً عذبوا المسلمين الضعفاء ، وقاطعوا بنى هاشم وتحولت مجالسهم ومنتدياتهم إلى مجالس سباب وشتائم ، وبذا ضم أولئك وهؤلاء إلى سيئاتهم الأولى بسيئات أكثر وأكبر ، ثم هم جاءهم الحق فعموا عنه وحاربوه وكل ذلك تغيير لما كانوا عليه .

﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ ـ يسمع ويعلم جميع ما يأتون ومايذرون ، فعقابه لهم ليس عملا عشوائياً حتى يعتبروه ظلما . فهو سبحانه قد أحاط بكل ماهم عليه فعاقبهم به .

وقرئت الآية أيضاً بكسره الهمزة فى إنَّ ، فالجملة إذن مستأنفة ، مقررة لمضمون الجملة قبلها ، وليست منقطعة عما سبق .




للأستاذ / أحمد محمود أبو زيد

يعد ضرب المثل وسيلة من الوسائل الهامة التى تقرب الفهم إلى الإنسان وتساعده فى إدراك الأشياء غير المحسوسة ، وقد ساق الحق ـ سبحانه وتعالى ـ هذه الوسيلة فى كتابه الكريم فى أكثر من موضع فقال تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ ابراهيم

﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾ الكهف/ ٤٥ .

﴿ مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴾ إبراهيم/ ١٨ .

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ الجمعة/ ٥

وسلك رسول الله ـ ﷺ ـ هذا المسلك من ضرب المثل فى أحاديث نبوية شريفة ، فعن النعمان بن بشير رضى الله عنه أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال :

« مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم ، كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » ، متفق عليه .

وعنه أيضاً أن النبى ـ ﷺ ـ قال :

« مثل القائم فى حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم أعلاها

وبعضهم أسفلها فكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا : لو أنّا خرقنا فى نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا ، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا جميعاً » رواه البخارى .

ومن هذه الأحاديث النبوية الشريفة حديث شبه فيه النبى - ﷺ - المؤمن بالنخلة ، هذه الشجرة التى نعرفها جميعاً . فعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : كنا مع النبى - ﷺ - فقال : إن من الشجر شجرةً لا يسقط ورقها ، تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها ، وهى كالمؤمن فأخبرونى ماهى ؟ يقول راوى الحديث : فوقع الناس فى شجر البوادى ، وكنت صبياً فوقع فى نفسى أنها النخلة ولكنى هبت رسول الله - ﷺ - أن أقولها وأنا صغير القوم . فقال النبى - ﷺ - ... إنها النخلة . متفق عليه .

فما أجمل هذا التشبيه النبوى الشريف ، وما أصدقه ، فالنخلة تجسدت فيها كل صفات المؤمن المعنوية والحسية .

فهى .. أوّلًا : مستقيمة ليس فيها اعوجاج ، وتعتبر الاستقامة ألصق شىء بالمؤمن وهو على صراط فى عقيدته يؤمن بالله وحده ، مستقيم فى سلوكه على منهج الله المتمثل فى قرآنه وسنة نبيه ؛ مستقيم فى تفكيره ، وفى أقواله وأفعاله ومعتقداته ، أمامه قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ الأنعام/ ١٥٣ .

وقوله - تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ الأحقاف/١٣ .

● والنخلة أصلها ثابت فى الأرض وفرعها باسق فى السماء ، كذلك المؤمن راسخ العقيدة على الإيمان بالله وتوحيده ، يتلقى مايخص حياته من السماء ، فلا هو يمينى ولا يسارى ، ولا تقدمى ، ولا رجعى ولا رأسمالى ، ولا شيوعى لكنه ربانى الاتجاه يأخذ كتاب الله دستوراً وشريعته منهاجاً لحياته بكل جوانبها من اجتماع واقتصاد وسياسة وقانون وتعليم وإعلام .

● والنخلة قوية برغم طولها وارتفاعها فى السماء لا تؤثر فيها الرياح والأعاصير ، كذلك المؤمن لا تؤثر فيه البلايا والمصائب ونوائب الدهر ؛ لأن الدنيا فى نظره صغيرة ، ولا شىء فيها يستحق أن يجزع له المؤمن فإنه يعى قول النبى - ﷺ - لابن عمر « كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل » رواه البخارى كما يعى قول ابن عمر : « إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء ، وخذ من صحتك لمرضك ، ومن حياتك لموتك » .

فالمؤمن يصبر على ما يصيبه فى هذه الدنيا ويعوّد نفسه على الصبر لأنه يعلم أن أمره كله فيها خير إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له ؛ وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له .

● والنخلة يختلف ظاهرها عن باطنها ، فظاهرها ذو عقود وقشور وباطنها أبيض اللون طيب الطعم ، كذلك المؤمن لا يُقَيَّمُ بمظهره فقد يكون مظهره غير حسن لضيق ذات يده ، ولكن قلبه

أبيض نظيف مملوء بالإيمان بالله وخشيته ، مشغول بالقرآن وحب الناس ، خال من الحقد والغل والحسد وسوء الأخلاق . والحق ـ سبحانه ـ لا ينظر إلى صور عباده ، ولكن ينظر إلى قلوبهم فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال :

«إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ، ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم» رواه مسلم .

● كما أن كل ما فى النخلة نافع مفيد فثمارها تؤكل ؛ وهى من أطيب الثمار ، وجذعها يستخدم فى التعريش ، وسعفها يستخدم فى صنع الأقفاص ، وخوصها يستخدم فى صنع الأوانى ، وليفها يستخدم فى صنع الحبال ، فللناس ـ فيها ـ منافع عديدة .

كذلك المؤمن خير كله ، عقله فى الحق ، ولسانه فى الصدق لا يعرف كذباً ولا غيبةً ولا نميمةً ولا همزاً ولا لمزاً ولا سباً ولا شتماً ، مسالم للناس ، فيده لا تعرف البطش ولا السرقة ولا الإيذاء ؛ بل تعمل وتعاون وتساعد على الخير ، بصره لا يمتد إلى الحرام ، سَمْعُهُ مصون عن التجسس وتتبع العورات ، فالمؤمن خيره مأمول وشره مأمون .

● وثمار النخلة موجود طوال العام لا ينقطع من الأسواق فنحن نأكله طازجاً ورطباً ويابسا وتمراً ، كذلك المؤمن كثير النفع والخير لمن حوله من الناس خيره لا ينقطع فهو دائم متدفق .

● والنخلة من رماها بالحجر رمته بالثمر ، كذلك المؤمن لا يقابل السيئة بالسيئة ، ولكن يقابلها دائماً بالحسنة ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ فصلت/٣٤

وقد كان النبى ـ ﷺ ـ قدوة فى ذلك للمؤمنين فقد كان يعطى من حرَمَه ، ويصل من قطعه ويعفو عمن ظلمه ، يقابل جهله بالحلم والتسامح والعفو .

● والنخلة يدوم ورقها ولباسها طوال العام وكذلك المؤمن لا ينزع عن نفسه لباس التقوى والحياء والخشية لله طوال حياته حتى يلقى الله . والنخلة تتميز بخفة الظل فلا تؤذى ما يجاورها من الزروع والثمار كذلك المؤمن خفيف الروح يعرف حق جاره عليه ويؤديه إليه غير منقوص ؛ فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال :

«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره» رواه البخارى ومسلم .

● والنخلة منحها الله ـ سبحانه ـ شوكاً تحمى به نفسها وكذلك المؤمن قلبه مملوء بالغيرة على الدين والعرض والشرف والمال ، لا يتهاون أمام التفريط فى إحداها بل ، يبذل قصارى جهده فى حماية دينه ونفسه وماله وعرضه ، فعن سعيد بن زيد أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : «من قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون دينه فهو شهيد ومن قتل دون أهله فهو شهيد» . رواه أبو داود والنسائى والترمذى .




بقلم فضيلة الشيخ / محمد حافظ سليمان

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ سورة الأنفال

تلك هي مواصفاتهم في كتاب الله ، لاريب أن القرآن الكريم هو منهاج التربية الإسلامية المثالية للأمة المحمدية في شتى الأزمان في كل مكان ؛ لأنه كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وهو هدية الله للعالمين لأن الله أرسل به رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، وقال له : ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ ( سورة الأنبياء ١٠٧ ) والإسلام وهو الدين القيم قد شرعه الله لحماية الحياة من بغى المفسدين الملحدين ومن طغيان المستبدين العابثين وكيد الحاقدين المجرمين ، لأنه يحمى الأمن ويصون السلام ويحقق العدل ، ويرعى الأمانة وينشر الخير ويحرم الشر والضر ، ويمقت الجفوة والقسوة ؛ لأنه يدعو إلى السماحة والقناعة ، ويأخذ العفو ويأمر بالعرف وينأى بالمسلم عن مثيرات الحقد البغيض والعداء الكريه ، ولأنه هو دين التواد والتعاطف والتراحم والتعاون ، وهو الدين الذى يريد للمؤمن أن يترفع عن الخضوع المذل للنزوات الطائشة ؛ لكيلا يضر نفسه ويضر غيره باتباع أهواء النفس الجامحة الجانحة إلى الإثم بدل أن تجنح إلى السلم الذى يرى الناس فيه سبل الخير شيطان من الجنة والناس بخيانة أو خذلان أو معصية .

والإسلام تقوم عقيدته كما تقوم دولته على الإيمان الحق ومصالح العمل ، فإذا أراد الله بعبده خيرا وفقه ليكون من أصحاب هذه الصفات فى هذه الآيات .

وقبل الدخول فى شرح أوصاف المؤمنين حقا ، نود أن نبين للناس أن هذه الصفات التى استحق أصحابها الوصف بالإيمان الحق والدرجات الرفيعة والمغفرة والرزق الكريم جاءت بعد ثلاثة أوامر إلهية فى قوله عز وجل ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾

**الأمر الأول** : ( فاتقوا الله ) وقد تكرر الأمر بالتقوى فى القرآن الكريم كثيراً ؛ لأن التقوى تشرح الصدر وترفع القدر وتنفع الذرية والله يقول :

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا ۚ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾ ( سورة لقمان ٣٣ )

والله يقول فى سورة الأحزاب :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ ( سورة الأحزاب

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ ( سورة آل عمران ١٠٢ )

إلى غير ذلك من الآيات التى تدعو الناس إلى أن يتقوا ربهم الذى خلقهم ورزقهم وقد بين لهم أن الله مع المتقين : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴾ ( سورة الدخان ٥١ )

**الأمر الثانى** : ( وأصلحوا ذات بينكم ) : وذلك لأن الصلح خير ، وقد أعد الله للمصلحين أجراً عظيماً ومقاماً كريماً فقال :

﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ النساء ١١٤ ) : والله يكره الذين يجمعون حطب الفتنة ليوقظوها وهى نائمة ويشعلوا لهيبها وهى راكدة !

**الأمر الثالث** : طاعة الله ورسوله ، وتكون بمراقبة الله سراً وعلانية ، وبطاعة الرسول وبذلك يكمل الإيمان الحق ، ولاريب أن طاعة الرسول من طاعة الله والله يقول ﴿ مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ ( سورة النساء ٨٠ ) وقد علق الله تعالى هذه الأوامر الثلاثة على شرط ، وهو الإيمان فى قوله عز وجل ( إن كنتم مؤمنين ) : أى إن كنتم مؤمنين فاتقوا الله تعالى وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله، ولكن الله رحيم بعباده، فإذا أذنب المذنب ذنبا لايبيته ربه على يأس من مغفرته : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ ﴾ ( سورة الأعراف

## جنون التأويل

ونحن اليوم نرى شراحاً أصيبوا بجنون التأويل فراحوا يتخبطون ويخطئون ويتلمسون الهدى من الضلالات والعلم من الجهالات ، ومنهم من أضله الله على علم فاتبع هواه بغير هدى من الله ؛ فهم يطلبون النور من الظلمات تسوقهم آمال كاذبة وأطماع طاغية زائفة ؛ فيأثمون ويضلون ويجهلون أكرم الوسائل لأعظم الغايات وهى

إرضاء مالك الملك عالم السر والنجوى وبذلك يظهر الاعتقاد من كل زيغ وإلحاد ؛ بالخشية الخاشعة لله، رجاء رحمته ومغفرته ، والله يقول:

﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ ( سورة الأنعام ١٥٣ ) وهذه هي الصفات التى جاءت لبيان « من هم المؤمنون حقاً » ليجعل منها الناس شرعة لهم ومنهاجاً فيكونوا من أصحاب هذه الصفات ونذكرها فيما يلي :

## صفات المؤمنين حقاً

وهذه خمس صفات للمؤمنين حقاً وهى :

١ ـ وجل القلوب عند ذكر الله

٢ ـ وزيادة الإيمان عند تلاوة آياته

٣ ـ والتوكل على الله وحده

٤ ـ وإقامة الصلاة

٥ ـ والإنفاق من رزق الله بهذه الأوصاف كانوا أهل الإيمان الحق فاستحقوا من الله عظيم الجزاء بقوله جل جلاله ﴿ **لهم درجات عند ربهم ، ومغفرة ، ورزق كريم** ﴾ :

وقد جاءت هذه « المواصفات » للمؤمنين فى سورة الأنفال كما قلنا مسبوقة بأن المؤمنين من شأنهم : تقوى الله وإصلاح ذات البين وإطاعة الله ورسوله . جاءت موضحة ومبينة للناس سلوك المؤمنين حقاً :

الصفة الأولى : تدل على أخص صفات المؤمنين وهى أنهم عند ذكر الله يخافون ربهم وهم فى وجل وخوف وحياء من الله عز وجل يخافون خوف العظمة الإلهية والجلال لله وحده خوفاً لايفارق قلوبهم الممتلئة بوجل الهيبة والجلال نحو رب العزة ، خوف العبد الضعيف أمام ربه القوى ذى الجلال والإكرام ، خوف العبد الفقير أمام ربه الغنى القوى القاهر فوق عباده ، خوف المسكين الفانى أمام الله رب العالمين الباقى الذى بيده ملكوت كل شىء وله مقاليد السموات والأرض ( جل جلاله ) : فإذا ذكر العبد معصيته رجا ربه غافر الذنب وقابل التوب أن يعفو عن الزلات ويغفر السيئات ، وإذا تذكر الطاعة رجا ربه أن يتقبل صالح الأعمال ، فهو القريب المجيب : وهو يعيش بين الاطمئنان والوجل عند ذكر الله تعالى : الذى تطمئن به القلوب ﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ ( سورة الرعد ٢٨ ) وقد جمع الله بين الوجل والاطمئنان فى قوله تعالى :

﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ ( سورة الزمر ٢٣ ) ومن هذا يتبين لنا أن وجل المؤمنين عام فى كل الأحوال ، وأن المؤمنين تطمئن قلوبهم بذكر الله اطمئنان معرفة ويقين وإيمان بالله رب العالمين وهو أثر من آثار ذكر الله دائما ليلا ونهاراً سراً وجهاراً : والمتقون يذكرون ربهم قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم : والتفكر فى آيات الله فى الأكوان ذكر ، والقرآن ذكر ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ ( سورة الحجر ٩ ) والذكر معناه عدم النسيان .

## زيادة الإيمان

الصفة الثانية : زيادة الإيمان عند تلاوة القرآن : والإيمان الحق هو التصديق والعمل الصالح الذى يزيد بزيادة التلاوة مع التدبر ، وأما التصديق فهو اليقين الثابت الراسخ الذى لاينقص ، لأنه لو نقص لايكون تصديقا بل يكون شكا أو ظنا :

والإيمان بالله يزداد بالعمل ويقوى الأدلة ووضوح البرهان وشهادة البينات ، وذلك لأن التلاوة تخاطب العقل والروح بالمنطق والوضوح : وبذلك تكون اعمق اثراً فى القلب والعقل وكما جاء فى قول الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ ( سورة آل عمران ١٧٣ ) وهذا دليل آخر على زيادة الإيمان ، وكما قال الله تعالى : ﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَـٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَـٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴾ ( سورة الاحزاب ٢٢ ) ولاريب أن إهمال التلاوة أو التقصير فى العمل ، أيهما بسبب الضعف والزعزعة :

﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَـٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَـٰفِلِينَ ۝١٤٦ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ ( سورة الأعراف ١٤٦ ـ ١٤٧ ) .

وبهذه الأدلة القرآنية يتضح أن زيادة الإيمان بتلاوة القرآن زيادة حقيقية لاريب فيها وكذلك بالنظر فى آيات الله فى الأكوان ، لأنها تتلاقى مع آيات الله فى القرآن فى زيادة الإيمان عند كل ذى عقل سليم وسلوك مستقيم واعتقاد راسخ متين ، والله يقول : ﴿ .... وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُ ٱلرَّحْمَـٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾ ( سورة مريم ٥٨ ) لأن كلام الله يلين القلوب ويهز المشاعر ﴿ ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ﴾ فهم يخشون ربهم ـ عز وجل ـ دائما لأنهم موصولون بالله .

والله يقول ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ۝٨٢ ﴾ ( سورة الإسراء ٨٢ ) والذين لايستمعون إلى كتاب الله ولايتلونه حق تلاوته أقوام ظلموا أنفسهم فاتخذوا هذا القرآن مهجوراً يقول : ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ۝٣٠ ﴾ ( سورة الفرقان ) ويقول جل جلاله : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ ( سورة محمد ٢٤ ) وذلك لأن هذا القرآن لو نزل على صخور لتفتت من خشية الله : ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَـٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ ( سورة الحشر ٢١ ) والله سيرحم المستمعين بخشوع وتدبر وإنصات لآيات الله البينات وهو القائل : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ ( سورة الأعراف ـ ٢٠٤ ) وذلك لأن رحمة الله قريب من المحسنين .

الصفة الثالثة : أن يتوكل المؤمنون على الله وحده : وأن يفوضوا أمورهم كلها إليه ، فلا ملجأ من الله إلا إليه، ولا اعتماد إلا عليه ، وليس معنى التوكل أن يتواكل المرء فلا يعمل اعتماداً على أن الله هو الرزاق مبرراً بذلك تقاعسه عن طلب الرزق : وهذا خطأ كبير، لأن التوكل لايتم بغير عمل ، ولن يكون مؤمنا حقا من يخرج على سنة الله، فلا نجاح بغير جهد ، ولاحصاد بغير زرع ، وفى هذا يقول رسول الله ﷺ « لو أنكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً » : فلو ظلت الطيور فى أعشاشها لما جاءها قوتها عندها ولابد من العمل

أولا ويكون معه التوكل ، والتوكل على الله أعلى مقامات التوحيد ، وهو من أعظم القربات عند الله ، ويقول عمر ـ رضى الله عنه ـ لايقعد أحدكم عن طلب الرزق وهو يقول اللهم ارزقنى وقد علم أن السماء لاتمطر ذهباً ولا فضة ، والعمل يكون مع تفويض الأمور كلها إلى الله وحده ومع اليقين التام بأن الأمر كله لله وحده ( بل لله الأمر جميعا ) وهذا هو التوكل بعينه ، لأنه أداء للواجب مع الأخذ بالأسباب ؛ فمن ترك العمل باسم التوكل على الله فهو جاهل بربه ، ومن يترك إعداد العدة للدفاع عن الأوطان باسم التوكل على الله قائلا لنفسه إن الله يدافع عن الذين آمنوا فهو جاهل بقول الله ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ فلولا العمل ما تحقق أمل ، ولولا العمل ما استقامت الحياة .

مر رجل برجل رآه يجمع الحطب ليبيعه وهو يتغنى ويقول :

وأكـرم نفسى إننـى إن أهـنتها
وحقك لم تكرم على أحد بعدى

فقال له الرجل الذى استمع إليه : أى إكرام أنت فيه الآن ياهذا ؟ قال أكرم نفسى بعدم سؤال أمثالك !!!

وعن عبدالله بن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قال : حفظت عن رسول الله ﷺ قوله « أربع إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا : حفظ أمانة ، وصدق حديث ، وحسن خليقة ، وعفة فى طعمة » ( رواه أحمد والطبرانى والبيهقى )

ويقول سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه: إنى لأرى الرجل فيعجبنى ، فأسأل أله حرفة فإن قيل لا ، سقط من عينى ، والله يقول : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾ ( سورة تبارك ١٥ ) : ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ ﴾ ( سورة الأعراف ١٠ )

﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ .... ﴾
( سورة لقمان ٢٠ )

**الصفة الرابعة** : ( إقامة الصلاة ) : أى أداء الصلاة بأركانها وسننها مقومة الأداء سليمة الخشوع لله فى القيام والقراءة والركوع والسجود والذكر والتدبر والتوجه إلى الله بكل الجوارح ومراقبته تعالى وخشيته ـ سبحانه ـ لأن المصلى واقف بين يديه يقول لربه « إياك نعبد وإياك نستعين » وبذلك تطهر النفس من الوساوس والهواجس ، والله يقول ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ ( سورة طه ١٤ ) ويقول : ﴿ **إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون** ﴾ ( سورة العنكبوت ﴿٤٥﴾ ) ويقول رسول الله ﷺ : ( رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد فى سبيل الله ) ( رواه الطبرانى ) وذلك لأن الصلاة عماد الدين والله يقول ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ ( سورة البقرة ٢٣٨ ) .

## دعوة لاصلاح النفوس

**الصفة الخامسة** من صفات المؤمنين هى الإنفاق فى سبيل الله لسد حاجة المحتاجين ولكفاية المعوزين وكذا لابناء السبيل ، والإنفاق يكون بأداء الزكاة المفروضة والصدقة المندوبة وفى كل أبواب الخير والزكاة حق معلوم للسائل والمحروم وفى القرآن آية جمعت بين الزكاة والصدقات ، وهى ( آية البر )

التى بيّنت الذين ينفق عليهم المال على الرغم من حبه ، وهى :

﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ ( سورة البقرة

والله يقول : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ ﴾
( سورة التغابن

## اغتصاب حق

إن كثيراً من الأموال المخبأة فى الخزائن فيها حق مفروض شرعاً لايملكه مدخره ؛ لانه اغتصبه من حق الفقراء والمساكين والبائسين المحتاجين ومثل هذا لم يوق شح نفسه ولم يكن من المفلحين ، بل كان من الأشحاء المقترين الذين سيطرت عليهم أنانيتهم وغلبت عليهم شقوتهم وغلت أيديهم بالأثرة الكريهة ، فلم يكن أحدهم براً تقياً ولا معطاء سخيا :

﴿ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ قَتُورًا ﴾
( سورة الإسراء ١٠٠ ) وهذا الشح من الأعمال الخسيسة والصفات الخبيثة وكان ينبغى ألا يوصف بها مؤمن أبى قوى لأن الله يقول :
﴿ هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ ۚ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم ﴾ ( سورة محمد ٣٨ ) :
فانظر كيف يكون البخل وبالا على صاحبه ، لأنه يهبط بكرامته ويودى بمكانته ، وفى الحديث : ( السخى قريب من الله ، قريب من الناس قريب من الجنة ، بعيد من النار ، والبخيل بعيد من الله ،بعيد من الناس ، بعيد من الجنة ، قريب من النار ، والجاهل سخى أحب إلى الله تعالى من عابد بخيل ) ( رواه الترمذى ) ذلك لأنه ليس على ظهر هذه الأرض نظام يستغنى فيه الناس عن التعاون والمواساة والبر والإحسان ليعطف القوى على الضعيف والغنى على الفقير والسليم على المريض والكبير على الصغير والله يقول :
وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ) ( سورة الإسراء ٢٦ ) ودعوة القرآن إلى الإنفاق مستفيضة ومتكررة لأهميتها لأن قضية الإيمان ترتبط بإدخال السرور على البائسين ، فذلك من حق الإنسان على الإنسان ، ومن حق الله على المسلم . ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾
( سورة النحل ٩٠ )

## أهداف عليا

إن للإسلام أهدافاً عليا منها تنشئة النفوس على حب الخير للغير بالدعوة إلى الجود والإنفاق والكرم والسخاء ، والله يقول :
﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ... ﴾ ( سورة المائدة ٢ )
جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال يارسول

الله: أي الصدقة أعظم أجرا ؟ قال : « أن تصدّق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى ، ولاتمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت : لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان كذا » ( رواه البخارى ) : والله يدعو عباده للإنفاق فيقول : ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ ( سورة الحديد

وقد سأل الرسول ﷺ أصحابه سؤالا فقال : « أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله ؟ قالوا يارسول الله ما منا أحد إلا ماله أحب إليه . قال: فإن ماله ما قدم ومال وارثه ما أخر » ( رواه البخارى ) .

والله يقول : ﴿ إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾ ( سورة الحديد ١٨ ) وحسب المنفقين فى سبيل الله أن الله يقول : مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ سورة البقرة ٢٦٢ ) والله يقول فى الذين يفعلون الخير بالإحسان إلى الناس سراً وعلانية ابتغاء مرضاة الله :

ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾ ( سورة البقرة ٢٧٤ ) .

والله يأمر بالإنفاق قبل فوات الأوان فيقول : ﴿ قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية من قبل أن يأتى يوم لابيع فيه ولاخلال ﴾ ( سورة ابراهيم ٣١ ) ومما هو معروف : أن المال لاتنقصه الصدقة بل تنمية وتزيده .

**الجزاء الكبير المعد لأصحاب هذه الصفات**

لقد اختص الله أصحاب هذه الصفات بوصف جليل وهو الإيمان الحق ، ثم بين جزاءهم عنده بسبب إخلاصهم لدينهم القيم فقال : ﴿ **لهم درجات عند ربهم ، ومغفرة ورزق كريم** ﴾ وهذه الدرجات العلا علمها عند الله ، وأما المغفرة فهى العفو عن السيئات ﴿ **إن الحسنات يذهبن السيئات** ﴾ والرزق الكريم هو الرزق الحلال الطيب ، وهو منة إلهية ومنحة ربانية لايعرف مداها إلا الله الرزاق العليم الذى يقول ﴿ **ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب** ﴾ ( سورة الطلاق ٣ ) ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴾ ( سورة الطلاق ٤ )

هذه هى صفات المؤمنين بنص القرآن الكريم وذلك هو جزاؤهم العظيم عندربهم الذى لايضيع أجر المحسنين : فهل يتخذ المتشددون أو المستهترون من هذه الصفات شرعة لهم ومناجاً وسلوكاً وأخلاقاً ؟ لكى يسلكوا سبيل المؤمنين حقا ويستحقوا جزاء المخلصين لله رب العالمين ؟ ! إنه ليس بعد كتاب الله كتاب ، وليس بعد رسول الله رسول ، فماذا بعد الحق إلا الضلال ؟!

وللمتقين علامات تميزهم

يقول الله تعالى فى وصفهم فى سورة البقرة : ﴿ **ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين . الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون . أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون .** ﴾ ( سورة البقرة ٢ ـ ٥ ) والمتقون هم الذين سلمت نفوسهم من الذنوب والعيوب، وقد طهرت فطرهم

التى خلقهم الله عليها بمحافظتهم عليها ولم يفعلوا ما يدنسها ويحول بينها وبين نور الحق الثابت القوى .

﴿ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ ﴾ ( سورة سبأ ٦ ) والمتقون يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ويؤدون الزكاة وينفقون فى سبيل الله ويؤمنون بكل ما جاء من عند الله من كتب الله ، فهم يؤمنون بما أنزل على خاتم رسل الله سيدنا محمد بن عبدالله ، ويؤمنون بما أنزل على النبيين من قبله وهم يوقنون بالآخرة : ومتى تم لهم ذلك فقد اهتدوا إلى الحق وإلى صراط مستقيم والله يقول فيهم: ﴿ **أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ ويقول : ﴿ **قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ** ﴾ و ﴿ **وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ** ﴾ وهكذا يبين لنا ربنا فى كثير من الآيات صفات المؤمنين الأبرار والمتقين الأخيار لكيلا يكون لجاهل عذر ، ولا لمعرض عن ذكر الله حجة .

﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ ﴿١٢٧﴾ ﴾

( سورة طه

يهدى للتى هى أقوم

هذا هو القرآن وهذا هو الكتاب العزيز ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ فصلت

هذا هو الإسلام الطاهر النظيف الذى بسط رداءه على هذه الدنيا فملأها عدلاً وأمناً وسلاماً والله يقول : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ ( سورة المائدة ٣ ) : ومن رحمة الله بعباده أن أرسل رسوله محمداً رحمة للعالمين ليتمم مكارم الأخلاق ، وليبدل الله به ظلام الحياة نوراً وقد جعل معجزته خالدة وهى القرآن الذى قاد به الخلق إلى الحق وهداهم به إلى صراط مستقيم والله يقول : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿٥٣﴾ ﴾ ( سورة الشورى

وقد ترك فينا رسول الله ﷺ المنهاج والقدوة فالمنهاج هو القرآن، وأما القدوة فهى السنة قولاً وفعلاً .

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ ( سورة الاحزاب ٢١ )

# الحلف لا يكون إلا بالله أو بصفة من صفاته

لفضيلة الشيخ أحمد بن محمد طاحون

**قال الله تعالى : «واحفظوا أيمانكم» المائدة (٨٩) .**

**وقال النبى صلى الله عليه وسلم : «من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت»[١] ، روى أنه - ﷺ - قال ذلك حين سمع رجلا يقول : «يلزمنى الطلاق إن فعلت كذا» فرؤيت الكراهة فى وجهه وقام وهو يقول : أتلعبون بدين الله وأنا بين أظهركم ، ألا من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت» .**

قال تعالى : « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ »[٢] فالصدق فى القول أساس الثقة ، والثقة عليها مدار التعامل والارتباط ، وبالثقة يكون الاطمئنان والمحبة ، وبالثقة تنجز الأعمال ، وتستقيم الأحوال ، والمؤمن الحق صادق بطبعه ، صريح فى كل أمره ، لا يكذب ، ولا ينافق ، ولا يغش ، ولا يخادع يتمسك بالصدق ولو تضرر به ، ويرى العار والجبن فى أن يستعين بالكذب ولو انتفع منه ، فهو إن حدث صدق ، وإن وعد أنجز ، وإن اؤتمن وفّى ، ويتمسك بدينه فلا يتلون ، ولا ينكر حقا لديه ، ولا يغتال مالا وصل إليه ، طاهر الذيل نقى السريرة ، يزن ما يقول ، ويقدر ما يعمل ، فهو فى غنى عن الحلف يؤكد به قوله ، وعن الأيمان المغلّظة يصل بها لغرضه ، وعن القسم يبرر به عمله ، لا يجعل (الله) مضغة فى فمه ، ولا يحلف إلا لضرورة ولا يقسم إلا ليؤكد كلامه عند السامع ، فإن اسم الله جليلٌ عظيم ، لا يتهجم عليه المؤمن دائما ، ولا ينطق باليمين إلا نادرا ، فالله يقول : « وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ »[٣] لكن كثيرا من الناس لما زادت أطماعهم ، نقص إيمانهم وكثرت آثامهم فقلّ الخير ، وعمّ الكذب بينهم ، فضاعت ثقتهم ببعضهم ، وضاعت الأمانة وفقدوا معنى الكلمة الواحدة ، فلجأوا للأيمان الكاذبة ، يحلفون جزافا ، وتجرأوا على أسماء الله تهاونا ، واستخفافاً ، وكلما أوغلوا فى الكذب أكثروا من الأيمان ، بل ولم يتورعوا عن الكذب ، ففقدوا الثقة وسخط عليهم ربهم « فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ

---

(١) فتح البارى بشرح صحيح البخارى لابن حجر - كتاب الشهادات ٥/٢٨٧ وصحيح الإمام مسلم كتاب الإيمان ٢/١٢٦٧

(٢) التوبة آية (١١٩) .

(٣) البقرة آية (٢٢٤) .

عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ »[٤] وإذا كان الله نهانا عن اسمه الكريم نجعله عرضة لأيماننا ولو حقًّا ، وإذا كان الله أوجب علينا كفارة لليمين المنعقدة إذا لم ينفذها الحالف ، فكيف يستبيح قوم الحلف بالله ، والقسم باسمه تضليلًا عمدا ، حتى رخُص اسم الله فى أفواه كثير من التجار يروّجون به سلعتهم ، وهان اسم الله عند المغتابين يدافعون به عن رغبتهم ، وضاعت هيبة الدين من القلوب فلاكت الألسن أسماء الله بكل تبجح وجرأة حتى لتكاد فى كثير من الأحيان تسمع لكل كلمة يمينا ، ولكل جملة قسما ، وصار من عادة الكثيرين تكرار الأيمان وترديدها ، ورسول الله – ﷺ – يقول : « ويل للتاجر من تالله وبالله »[٥] ويقول : صلى الله عليه وسلم « الحلف منفقة للسلعة ممحقة للكسب »[٦] وقال أيضا : « من حلف على مال أمرىء مسلم بغير حقه لقى الله وهو عليه غضبان »[٧] ، ثم قرأ مصداقه من كتاب الله « إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ »[٨]

### الحلف بغير الله من الغفلة والقسوة

لقد عمَّت الغفلة وعميت قلوب من القسوة ، وما قدروا الله حق قدره فاخترعوا أيمانا كثيرة بغير الله ، وأقساماً عديدة مبتدعة ، فحلف المسلم برأس أبيه وقبر أمه ، وحلف بشاربه وبلحيته ، وحلف بعينه ورقبته وابنه وابنته ، والحلف لا يكون إلا بالإله المعبود الذى نخشاه ، الإله الذى نخاف عدم البر باسمه ونخاف الكذب عند الحلف به ، وإن الحلف تعظيم وتقديس وإقرار بأن المحلوف به له علينا قدرة وسلطان ، وله فى صدورنا موضع التسليم والاذعان ، وذلك لا يكون إلا للواحد الأحد ،الفرد الصمد ، الذى لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد ، فهل أدرك المسلم ذلك عند يمينه وقسمه بتربة والده وربما كان أشد الأبناء عقوقا بأبيه ، والرسول – ﷺ – يقول : « إن الله تعالى ينهاكم ان تحلفوا بآبائكم فمن كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت »[٩] وظن قوم أن الحلف بالأمانة مباح فى الديانة والحديث النبوى يقول : « من حلف بالأمانة فليس منّا »[١٠] وحلف قوم بالله كاذبين حانثين متعمدين ، فإذا اعتزموا البر فى اليمين حلفوا بالأولياء أو قبور الصالحين ، يخشون الناس أشد من خشية الله ، ويستبيحون اسم خالق الولى ويخافون من الولى ، ومن ضريح الولى وعتبة بابه وسجادته وحلقة مقصورته وبعد ذلك نضحك من الجاهليين ونقول كانوا عبدة أصنام وأوثان « سمع ابن عمر رضى الله عنه رجلًا يحلف بالكعبة فقال له : لا تحلف بغير الله فإنى سمعت رسول الله – ﷺ – يقول : « من حلف بغير الله فقد أشرك »[١٠] .

---

(٤) الزمر آية (٣٢) .

(٥) فى اتحاف السادة المتقين بشرح علوم الدين ٥/٨٤ كتاب آداب الكسب والمعاش .

(٦) سنن أبى داود كتاب البيوع والإجارات ٣/٦٣٠ باب فى كراهية اليمين فى البيع .

(٧) المعجم الكبير للطبرانى ١٧/١٠٩ .

(٨) البخارى ٣/٢٣٥ ، ٨/٣٣ ، ٦٤ ، وصحيح الإمام مسلم كتاب الإيمان . م آل عمران (٧٧) .

(٩) سنن أبى داود ٣/٥٧١ كتاب الأيمان والنذور – باب فى كراهية الحلف بالأمانة .

(١٠) أحمد ٢/٦٧ ، ٨٧ ، ١٢٥ ، فتح البارى فى شرح صحيح البخارى لابن حجر ١٠/٥١٦ – كتاب الأدب .

إعتدنا المبالغة فى القول حتى عددنا اليمين قولا فبالغنا فيه ، فحلف بعضنا بأنه برىء من دينه ، وأنه مسيحى أو يهودى والرسول ـ ﷺ ـ يقول «من حلف فقال إنى برىء من دين الإسلام فإن كان كاذبا فهو كما قال ، وإن كان صادقاً فلن يرجع الى الإسلام سالما»[١١].

## الطـــلاق :

والداهية العظمى فى اتجاه كثير من الناس الى الحلف بالطلاق ، وأحيانا لا يصدق الناس إلا من حلف بالطلاق ، ومن أقسم بالله شكوا فى قسمه وطلبوا منه يمينا يحرم عليه زوجه ، وقد روى عن رسولنا ـ ﷺ ـ قوله : «ما حلف بالطلاق مؤمن ، ولا استحلف به إلا منافق»[١٢] إن الطلاق شرع إذا استحكم نزاع الزوجين ، وتمكن البغض بينهما ، وتعسر إصلاحهما ، وتنافرت طباعهما ، وتباعدت نفوسهما ، وأصبح عيشهما محالا ، ووفاقهما بعيدا ، الطلاق أباحه الله لطك الحال ومع ذلك كرهه وأبغضه «أبغض الحلال الى الله الطلاق»[١٣] ولذلك جعله على ثلاث دفع «الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان» لعل النفوس تصفو بعد كدر ، وتهدأ بعد غضب وجعل الهزل به جدا واقعا وأمراً نافذا ، ونهى عن الطلاق ، والحلف به ، فالزوجية أقدس رابطة وأشرف صلة عليها عماد الأمة ، بها بقاء النسل والنوع الإنسانى ، بها تتكون الأسر وتكون المصاهرة والنسب ، وقد يؤدى كثرة طلاق من لا دين لهم إلى العيش الحرام لكثرة إيمان الطلاق ، استهتارا برابطة الزواج العظيمة ، وتهاونا بواجباتها الشريفة ، كيف تطلق المرأة فى مجالس البيع والشراء ، وكيف يرضى ذو ضمير ذلك لنفسه ؟ وإذا كان الكثير يحلفون بالله ولم يستحلفوا ، ومنهم من يثور كالبركان بدون سبب ، ويهيج لأقل أمر ، فيخرج الطلاق من فمه بالستين وبالتسعين ، ثم يذهب غضبه الزائف ، وتنطفىء الثورة ، وتروح الفوْرةُ ، وتأتى الحسرة ، فيلجأ لهذا وذاك ليردَّ له يمينه ، ويطرق الأبواب ويبحث عن مخرج إن استطاع ، ويعيش مهموما ، ولو اتبعنا ديننا لحفظنا ألسنتنا ، وضبطنا قولنا ، وما حلفنا إلا اضطرارا ، فإذا اضطررنا لا نحلف إلا بالله الذى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، ولا يُحْلَفُ بالله إلا عند الظروف الملجئة ، أما الحلف بالطلاق فهو يمين أهل البدعة والجهل الذين يتخذون دين الله هزوا ، ويتلاعبون بالحرمات والكرامات .

## الطلاق أبغض الحلال إلى الله :

إن الطلاق إنما شرع عندما تصير الحياة الزوجية جحيما لا يمكن استمراره أو لأسباب يراها الشرع ويقرها ذوو العقول الراجحة .

وفى الحديث «ما أحل الله شيئا أبغض إليه من الطلاق» أبو داود .

حقا إن الطلاق مباحٌ ، ولكنه أبغض المباحات الى الله تعالى ، وإنما يكون مباحاً إذا لم يكن فيه إيذاء بالباطل ، ومهما طلقها فقد آذاها ، ولا

(١١) سنن أبى داود ٣/٥٧٤ كتاب الإيمان والنذور باب ما جاء فى الحلف بالبراءة وبملة غير الإسلام .

(١٢) كشف الخفا ٢/٥٢ ، ٤١٧ .

(١٣) سنن أبى داود ـ كتاب الطلاق ٢/٦٣٣ باب كراهية الطلاق .

يباح إيذاء الغير إلا بجناية من جانبها ، أو بضرورة من جانبه ، ولسبب شرعي .

قال تعالى : «فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا»[14] أي لا تطلبوا حيلة للفراق . وقد جاء في الأثر «تزوجوا ولا تطلّقوا فإن الطلاق يهتز منه العرش» قيل : رواه علي .

وروى عن معاذ من حديث : «قال لي رسول الله ـ ﷺ ـ يا معاذ : ما خلق الله شيئا على وجه الأرض أحب إليه من العتاق ، ولا خلق الله شيئا على وجه الأرض أبغض من الطلاق»[15] الحديث .

## المرأة لا تطلب الطـــلاق إلا لضرورة شرعية :

وإن سألت المرأة الطلاق من غير ما بأس فهي آثمة ، قال صلى الله عليه وسلم : «أيّما امرأة سألت زوجها طلاقها من غير ما بأس لم ترح رائحة الجنة»[16] وفي لفظ «فالجنة عليها حرام» من حديث ثوبان ورواه بعض أصحاب السنن .

وفي حديث أبي هريرة وعقبة بن عامر بسند ضعيف «المختلعات هنَّ المنافقات[17]» .

## للطلاق حدود وأصول :

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ لرجل طلق امرأته مائة تطليقة ما معناه : «منها سبع وتسعون أتخذت بها آيات الله هزوا» أخرجه مالك .

وأُخبر رسول الله ـ ﷺ ـ عن رجل طلق امرأته ثلاث تطليقات جميعا : (فقام غضبان ثم قال : أيُلْعَبُ بكتاب الله وأنا بين أَظْهركم ؟ حتى قام رجل فقال : يارسول الله ، أنا أقتله) .

وفي الحديث (ثلاثةٌ جِدّهنّ جِدّ ، وهزلهُنّ جِدّ : النّكاحُ والطَّلاق والرجعة ) .

أبو داود والترمذي عن أبي هريرة

ولقد نهى الإسلام عن السعي في الطلاق وتحريض الزوجة على طلبه .

وفي الحديث : (وليس منّا من خَبّب امرأةً علىٰ زوجهـــا)[18] أي خَدَعَ وأفسد . أمـــا طلاقُ السنة ، فهو ما يبينه حديث ابن عمر وقصته مع زوجه .

طلاق السنة :

فعنه أنه طلق امرأته وهي حائض فسأل عمرُ عنـــه رسول الله ـ ﷺ ـ فقـــال : «مُرْه فلْيُراجعْها ، ثم يمسكها حتى تطهر ، ثم تحيض فتطهر ، فإن بَدَا لَهُ أن يُطلقها فَلْيطَلّقْها قبلَ أن يَمَسَّها ، فتلك العِدَّةُ ، كما أمر الله عز وجل .

أخرجه الستة

وأخرج النسائي عن ابن عمر : طلاق السنة أن يطلقها طاهراً من غير جماع . وسأل رجل عمران ابن حصين : أنه طلّق امرأته ثم وقع بها ولم تُشْهد علىٰ طلاقها ولا علىٰ رجْعتها ، فقال : طلقت لغيرِ السنة ، وراجعت لغير السنة ، أشهد علىٰ طلاقها وعلىٰ رجعتها ولا تعُد) .

أخرجه أبو داود .

---

(١٤) النساء الآية ٣٤ .

(١٥) سنن أبي داود ٢/٦٣١ كتاب الطلاق .

(١٦) سنن الدارقطني ٤/٣٥ كتاب الطلاق والخلع والإيلاء وغيره .

(١٧) سنن أبي داود ٢/٦٦٧ كتاب الطلاق ـ باب في الخلع .

(١٨) مجمع الزوائد للهيثمي : ٤/٣٣٢ كتاب النكاح ـ باب فيمن أفسد امرأة على زوجها .



# أثر تغير قيمة النقود

للدكتور / على أحمد السالوس

المطلب السادس

رأى ابن تيمية

ونسب بعض الباحثين كذلك القول برد قيمة القرض لشيخ الإسلام ابن تيمية ، ولكنا نجد شيخ الإسلام ينص على ما يتفق مع ما ذكره ابن حزم — آنفا — من الإجماع المقطوع به .

قال فى مجموع الفتاوى (٥٣٥/٢٩) :

« لا يجب فى القرض إلا رد المثل بلا زيادة » .

والدراهم لا تقصد عينها ، فإعادة المقترض نظيرها ، كما يعيد المضارب نظيرها ، وهو رأس المال . ولهذا سمى قرضاً ، ولهذا لم يستحق المقرض إلا نظير ماله ، وليس له أن يشترط الزيادة عليه فى جميع الأموال باتفاق العلماء . والمقرض يستحق مثل قرضه فى صفته .

المطلب السابع

القوانين الوضعية

القوانين الوضعية التى تأخذ بها معظم البلاد الإسلامية أباحت الربا المحرم ، ولكن حسماً للخلاف ، ودرءاً للتنازع ، نراها هنا تنص على ما يأتى :

إذا كان محل الالتزام نقودا التزم المدين بقدر عددها المذكور فى العقد ، دون أن يكون لارتفاع قيمة هذه النقود أو لانخفاضها وقت الوفاء أى أثر[1]

نتائج الدراسة

من الدراسة السابقة يتضح ما يأتى :

**أولا** : الالتزام بمنهج الإسلام فى السياسة النقدية يحد من التضخم ، ويساعد على منع الظلم الذى وقع بالناس نتيجة زيادة الأسعار زيادة فاحشة غير مقبولة . فربما استطعنا أن نقدم البديل فى مجال النقود كما استطعنا تقديمه فى مجال البنوك .

**ثانياً** : بينت السنة المطهرة أن الدين يؤدى بمثله لا بقيمته ، حيث يؤدى عند تعذر المثل بما يقوم مقامه ، وهو سعر الصرف يوم الأداء ، لا يوم ثبوت الدين .

كما بينت السنة المطهرة — أيضاً — أن أجر العامل مرتبط بتوفير تمام الكفاية ، ومعنى هذا أن الأجر يجب أن يتغير تبعاً لتغير قيمة (العملة) .

ويؤخذ من هذا البيان أن الدين إذا كان نقوداً

---

(١) الوسيط للسنهورى ٣٨٧/١ وانظر شرح هذه المادة من القانون المدنى وما يتصل بها .

فالعبرة بقدر عددها الثابت فى الذمة ، دون نظر إلى ارتفاع قيمة العملة أو انخفاضها ، على حين ينظر إلى هذا الارتفاع أو الانخفاض إذا كان الالتزام مرتبطاً بتوفير قدر من السلع والخدمات .

**ثالثاً** : النقود فى عصر التشريع كانت الدنانير الذهبية والدراهم الفضية ، ولذلك أجمع الأئمة الأعلام على ما يتفق مع بيان السنة المطهرة من أن الدين إذا كان من مثل هذه النقود فإنه يؤدى بمثله قدراً وصفة دون نظر إلى تغير القيمة .

**رابعاً** : اختلف الفقهاء فيما يجب أداؤه فى حالتى الكساد والانقطاع ، أما الغلاء والرخص فلا ينظر إليه ، ثم رأى أبو يوسف وجوب القيمة ـ يوم ثبوت الحق ـ لا المثل إذا كان الدين من الفلوس ، أو الدراهم التى تعد فلوساً ، أو غالبة الغش التى تأخذ حكم الفلوس .

الخاتمة

وفى ضوء ما سبق أختم هذه الدراسة بما يلى :

أولا : النقــود مرجعهــا إلى العـــادة والاصطلاح ، وقد بينت هذا فى كتاب النقود واستبدال العملات (ص١٤٨ : ١٥٢) ولهذا كانت النقود الورقية نقداً قائماً بذاته ، له ما للذهب والفضة من الأحكام ، وبهذا أفتى مجمع الفقه التابع لرابطة العالم الإسلامى ، ومجمع الفقه المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامى ، وغيرهما .

وهذا يعنى أن بيان السنة المطهرة فى الدنانير والدراهم ينطبق على نقود عصرنا وكل عصر .

وخلاف أبى يوسف فى الفلوس لا يجرى على النقود الورقية ، لأنه لم يعد الفلوس نقوداً شرعية ، أو نقوداً بالخلقة : كالذهب والفضة ، فلو طبق رأيه فى الفلوس على نقود عصرنا لأصبحنا فى عصر بلا نقود .

ثانياً : النقود الورقية نقود إلزامية . ولذلك لا نشعر بمشكلة الكساد والانقطاع ، وإن كانت هذه المشكلة يمكن أن تقع فى القليل النادر ، كما حدث للمارك الألمانى بعد الحرب العالمية . وفى مثل هذه الحالة يمكن الأخذ برأى بعض الأئمة فى النظر إلى قيمة الدين .

ثالثاً : الموضوع فيه بيان السنة الشريفة ، وإجماع لم يرد من يخالفه من الصحابة أو التابعين أو الأئمة المجتهدين ، والاجتهاد يجب أن يكون فى ضوء النص والإجماع .

رابعاً : العقود المشروعة لا تشتمل على جهالة تفضى إلى الخلاف والنزاع ، ورد النقود الورقية بقيمتها تجعل المقرض لا يدرى ماذا سيأخذ ، والمقترض بماذا سيطالب ؟ ولا يدرى الاثنان المقياس الذى يلجآن إليه عند الخلاف فى القول بالزيادة أو النقصان أو الثبات ، وتحديد مقدار الزيادة أو النقصان .

ولهذا وجدنا القوانين الوضعية ، مع سوئها وإباحتها الربا المحرم ، تنص على أن القرض يرد بمثله عدداً دون نظر إلى القيمة .

خامساً : ما استقر فى الفقه الإسلامى من رد القرض بمثله لا بقيمته ، وهو ما تسير عليه القوانين الوضعية فى البلاد الإسلامية وغيرها من بلدان العالم ، هو ـ أيضاً ـ ما أخذت به القوانين الدولية . فالقروض الدولية ترد بمثلها عدداً . فكيف نطالب دولنا الإسلامية بترك هذه القوانين التى تتفق ولا تتعارض مع الفقه الإسلامى ؟

سادساً : الذين دعوا إلى رد القرض بقيمته نظروا إلى الانخفاض فقط ، ولو أخذ بالقيمة لوجب النظر إلى الزيادة والنقصان معاً .

وعلى سبيل المثال :

إذا اقترض أحد من أخيه فى الدول النفطية التى تعد نقودها أساساً ثمناً للنفط ، ثم انخفض النفط إلى الربع ، فما حق المقرض ؟ أهو الربع فقط ؟

فإذا أقرضه أربعة آلاف ، وهى ثمن قدر معين من النفط ، فبعد الانخفاض يكون ثمن هذا القدر ألفاً فقط . فهل من حق المقترض أن يقول للمقرض : ليس لك عندى إلا ألف ، أو مقدار كذا من النفط قيمة الألف بسعر اليوم ، وقيمة أربعة الآلاف وقت الاقتراض ؟ وإذا تركنا النفط وجئنا لغيره :

مثلا كيس الذرة وصل إلى مائتى جنيه ، ثم انخفض إلى خمسة وعشرين ، فإذا اقترض مائتين ؛ ليشترى كيس الذرة ، فهل بعد الانخفاض يرد كيس الذرة أو خمسة وعشرين جنيهاً فقط ؟

سابعاً : ربط الحقوق والالتزامات الآجلة بمستوى الأسعار بحث لموضوع كلى لا يتجزأ ، فإما أن يؤخذ به فى جميع الحقوق والالتزامات ، وإما لا يؤخذ به فى الجميع أيضاً .

فمن الظلم أن يؤخذ به فى الحقوق ويترك فى الالتزامات أو العكس . ومن الظلم ــ أيضاً ــ أن يؤخذ به فى بعض الحقوق أو الالتزامات دون بعضها الآخر . والأكثر ظلماً أن يؤخذ به فى حق أو التزام لأحد دون أحد . وعلى سبيل المثال أقول : لو أخذنا بأن القرض يرد بقيمته لا بمثله ، وكان لمصرف ما قروض مقدارها خمسة ملايين ، ولديه حسابات جارية مقدارها عشرون مليوناً ، والحساب الجارى عقد قرض شرعاً وقانوناً كما هو معلوم ، ووصل التضخم إلى ١٠٪ ، وزادت قروض المقترضين بهذه النسبة ، فيجب أيضاً أن تزيد قروض المقرضين ١٠٪ ، أى أن الحسابات الجارية يسجل لأصحابها هذه الزيادة . أفتفكر المصارف فى هذا ؟ أم أنها تريد زيادة القرض الذى هو حقها دون القرض الذى تلتزم به ؟

كما أن المصارف الإسلامية لا تأخذ ربحاً عن عملها كمضارب إلا بعد عودة رأس المال كاملا . فلو قلنا (بالقيمة) لا المثل فإن نسبة التضخم تضاف لرأس المال أولا ، ثم يوزع الربح بعد هذا . فهل ترى المصارف الإسلامية ــ لو طبق هذا ــ أنها ستأخذ أى ربح ؟ أم أن كل ما تحققه من أرباح سيكون جزءاً من التضخم ؟

ثامناً : زيادة التضخم تعنى انخفاض قيمة النقود ، ويلاحظ أن هذه الزيادة تفوق ما تحققه المصارف الإسلامية من أرباح ، وما تحدده البنوك الربوية من ربا .

فلو أن القرض يرد بقيمته فلا حاجة للاستثمار ، وللتعامل مع البنوك ، ويكفى أن نعطى الأموال مقترضاً يحتفظ لنا بقيمة القرض ، ويتحمل زيادة التضخم التى تصل ــ أحياناً ــ إلى مئات فى المائة .

تاسعاً : القرض عقد إرفاق ، له ثوابه وجزاؤه من الله ــ عز وجل ــ وقد ينتهى بالتصدق ﴿ **وأن تصدقوا خير لكم** ﴾ ، فكيف اتجهت الأنظار إلى المقترض بالذات ليتحمل فروق التضخم ومساوىء النظام ؟!

عاشراً : من حق المقرض أن يمنح ما يرى أنه أكثر ثباتاً وأقل عرضة للانخفاض . من حقه أن يقرض ذهباً ، أو فضة ، أو عملة يرى أنها أكثر نفعاً له . ولعل هذا يساعد على وجود مخرج لمن يحجم عن الإقراض خوفاً من انخفاض قيمة النقود الورقية ، فكأنه يدخر ما يرى أنه أنفع له . لكن ليس من حقه بعد هذا أن يطالب بغير المثل إذا جاء الأمر على خلاف ما توقع ، فماذا يفعل من

انخفضت قيمة مدخراته فى غير حالة الإقراض ؟

حادى عشر : التضخم يعد من مساوىء النظام النقدى المعاصر ، فهل المقترض هو الذى يتحمل هذه المساوىء ؟

أفلا يجب البحث عن أسباب التضخم وعلاجه ، وعن عيوب النظام النقدى ، ووسائل تجنبها ؟

أفلا نبحث عن نظام نقدى إسلامى نقدمه للعالم كما قدمنا له مثلا البديل الإسلامى للبنوك الربوية ؟

ثانى عشر : فى عصرنا ظهرت الدعوة إلى رد القيمة فى القرض ، ولم نكد نسمع من يقول بالالتزام بالقيمة فى البيع الآجل الذى قد يمتد أكثر من عشرين سنة ، تنخفض النقود خلالها إلى مالا يمكن تصوره وقت البيع . والمشترى يلتزم بالثمن المحدد عددا لا قيمة ، والبائع لا يطالب بأكثر من هذا ، وليس من حقه إلا ما حدد عند عقد البيع .

فلو جاز النظر إلى القيمة لكان فى مثل هذا البيع ، لا فى القرض الذى يجب ألا يكون إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى .

ثالث عشر : تغير قيمة النقود لا يظهر فى القروض والديون فقط ، وإنما يظهر ـ أيضاً ـ فى عقود أخرى . فمؤجر العقار مثلا ـ فى معظم البلاد الإسلامية ـ ليس من حقه إنهاء العقد واسترداد ما يملك إلا بموافقة المستأجر ، ولهذا يمتد العقد إلى عشرات السنين ، وقد تصبح قيمة الإيجار لا تزيد عن واحد أو اثنين فى المائة من قيمة النقود عند بدء العقد .

فالنظر إلى تغيير قيمة النقود لابد أن تكون شاملة عامة .

رابع عشر : ومن الشمول والعموم ـ أيضاً ـ وهو ضرورى وهام جداً ، أن ننظر إلى من يلتزم بالقيمة أو بالمثل .

فمثلًا الأجير الذى يأخذ راتباً شهرياً محدداً ، عندما تنخفض قيمة النقود فهذا يعنى أن راتبه قد انخفض فى الواقع العملى . فإذا كان مقترضاً ، ومديناً بثمن شراء ، ومستأجراً ، فكيف نطالبه بالزيادة العددية التى تعوض نقص القيمة قبل أن نعوضه هو شخصياً عما أصابه من نقص فى قيمة راتبه ؟

وما تقوم به بعض البلاد من زيادة الراتب نظراً للغلاء ، بما يسمى « غلاء المعيشة » يتفق مع بيان السنة الشريفة من حيث المبدأ ، لكنه غالباً لا يحقق ما أراده الإسلام من تمام الكفاية .

هذا ما انتهيت إليه من دراستى للموضوع ، والله عز وجل أعلم بالصواب ، وله الحمد فى الأولى والآخرة ، والصلاة والسلام على رسوله المصطفى .

« سبحان ربك رب العزة عما يصفون . وسلام على المرسلين . والحمد لله رب العالمين » .

« فتاوى صدرت فى الموضوع »

إن هذه المسألة قد عرضت أمام مجلس الفكر الإسلامى فى باكستان ، فاتفق أعضاء المجلس من العلماء والاقتصاديين جميعاً أن ربط الديون بالأسعار لا مبرر له فى الشريعة الإسلامية . وكذلك نوقش هذا الموضوع فى ندوة مختصة لمداولته أقامها البنك الإسلامى للتنمية بجدة باشتراك المعهد العالمى للاقتصاد الإسلامى بإسلام آباد وذلك فى شعبان سنة ١٤٠٧هـ ، وقد حضر هذه الندوة جماعة من العلماء والاقتصاديين من بلاد مختلفة ، والقرار الذى اتفق عليه مشاركو هذه الندوة كما يلى :

١ ـ إن النقود الورقية تقوم مقام النقدين (الدنانير والدراهم) فى جريان الربا ووجوب الزكاة فيها ، وكونها رأس مال سلم ومضاربة وحصة فى شركة ، وإن قول أبى يوسف بوجوب رد قيمة الفلوس فى حالة الغلاء والرخص بالنسبة للنقدين لا يجرى فى الأوراق النقدية ، لأن هذه الأوراق النقدية تقوم مقام النقدين المتفق على عدم اعتبار الرخص والغلاء فيهما .

٢ ـ يؤكد العلماء الحاضرون فى الندوة على أن المقصود بالمثل فى أحاديث الربا والقرض المثل فى الجنس والقدر الشرعيين ، أى الوزن والكيل والعدد لا القيمة . وذلك اتباعاً لما دلت عليه السنة من إلغاء اعتبار الجودة فى تبادل الأصناف الربوية وما انعقد عليه إجماع الأمة وجرى عليه عملها .

٣ ـ لا يجوز ربط الديون الثابتة فى الذمة أيا كان مصدرها بمستوى الأسعار بأن يشترط العاقدان فى العقد المنشىء للدين كالبيع والقرض وغيرهما ، ربط العملة التى وقع بها البيع أو القرض ، بسلعة ( أو مجموعة من السلع ) أو عملة معينة ( أو مجموعة من العملات ) بحيث يلتزم المدين بأن يوفى للدائن قيمة هذه السلعة أو العملة وقت حلول الأجل بالعملة التى وقع بها البيع والقرض .

٤ ـ الأصل فى النفقات أن تقدر عينا ، ويحكم القضاء بقيمة الأعيان نقداً عند التنازع تأسيساً على مستوى الأسعار ، ومن ثم فلا حاجة لربطها بمستوى الأسعار على النحو السابق شرحه .

## قرار مجمع الفقه الإسلامى

فى الدورة الثالثة لمجمع الفقه بمنظمة المؤتمر الإسلامى سنة ١٤٠٧هـ تمت مناقشة موضوع أحكام النقود الورقية وتغير قيمة العملة ، وقرر المجمع :

أولاً : بخصوص أحكام العملات الورقية :

أنها نقود اعتبارية فيها صفة الثمنية كاملة ، ولها الأحكام الشرعية المقررة للذهب والفضة من حيث أحكام الربا والزكاة والسلم وسائر أحكامها .

ثانياً : بخصوص قيمة العملة :

تأجيل النظر فى هذه المسألة حتى تستوفى دراسة كل جوانبها لتنظر فى الدورة الرابعة للمجلس .

وفى الدورة الرابعة سنة ١٤٠٨هـ عرض الموضوع على المجمع فقرر تأجيل البت فيه للحاجة لاستيفاء جوانبه إلى الدورة التالية .

وفى الدورة الخامسة سنة ١٤٠٩هـ عرض الموضوع للمرة الثالثة مع مزيد من الأبحاث التى قدمها الأعضاء والخبراء ، ونوقش الموضوع باستفاضة ، وبعدها قرر المجمع مايلى :

العبرة فى وفاء الديون الثابتة بعملة ماهى بالمثل وليس بالقيمة ؛ لأن الديون تقضى بأمثالها ، فلا يجوز ربط الديون الثابتة فى الذمة أيا كان مصدرها بمستوى الأسعار .

والله أعلم

ملاحظة : قارن بين منهج المجمع الذى يمثل العالم الإسلامى ؛ ويضم عدداً كبيراً من الأعضاء والخبراء المختصين ، حيث نظر فى هذه المسألة فى ثلاث دورات خلال ثلاث سنوات ، وبين المجترئين على الفتيا فى عصرنا من غير أهل الاختصاص ! فمتى يحجر على المفتى الماجن حتى نحفظ ديننا الحنيف من عبث العابثين .




هل يظل تاريخ المسلمين يسطر بيد الأعداء ؟

وهل حدود بلادهم تظل رهن سياسات ترسم خارج أوطانهم ؟

إن السوابق التاريخية من قديم تشير نحو ذلك .

لقد نشرت الصحف الأمريكية خطط حرب الخليج قبل أن تحدث بسنوات ونحن غائبون عن الساحة. ولم نتوقف طويلا أمام ما ينشر .

وإذا كانت وجوهنا قد علتها بلاهة الدهشة والاستغراب فإن الحرب وقعت فى الخليج كما رسمت تلك الصحف .

وهذه مجلة (نيوزويك الأمريكية) ( Newsweek ) فى عددها الصادر فى ٢٦ نوفمبر ١٩٩٠م




تتحدث عما ستئول إليه خريطة أوربا عام (٢٠٠٠) والتى تقتضى من وجهة نظر الغرب ـ محو الإسلام من أوربا ـ كهدف أساسى لهذا القرن .

وخطوة على الطريق نشرت هذه المجلة خطط الغرب تلك الخطط التى تقدم ترجمتها مع صورتها الأصلية مجلة الأزهر .

التحرير

# أوربا بلا مسلمين

## أمنية الغرب عام ٢٠٠٠م

بقلم الأستاذ/ صابر ثعلب

## Europe 2000: New Borders, New Perils

The Paris summit may be launching a new era in European affairs, but no one knows what concrete form that era will take. By the year 2000, the Continent could look radically different. New nations may form. Borders may be redrawn. Old associations will decline and new ones strengthen. Regions will meld with other regions into new epicenters of economic and cultural activity. Some of the changes may be violent. Conflict and economic misery could set off flood tides of immigration. But those crises, in turn, could force governments to cooperate. As new political entities begin to accommodate Europe's ethnic geography, nations will become more stable—if they are allowed to follow the paths chosen by their people and if the West dispenses the right blend of financial aid and political guidance. Among the places to watch:

■ **Yugoslavia:** Civil war could break out in Yugoslavia at any time. One eighth of Serbia, the largest of the country's six republics, is taken up by the province of Kosova, dominated by ethnic Albanians who want independence from Belgrade. Serbs are also feuding with Croatia. Next year Slovenia likely will claim full sovereignty and call for Yugoslavia to evolve into a confederation of independent republics. If the central government balks, Slovenia may secede. That would put pressure on Croat... to leave the federation as...



**Pressure for change:** *Albanians marching...*

يقول كاتب المقال « باسكال بريفات »(١) :

« إن قمة باريس تبدأ عهداً فى العلاقات الأوربية ، فمع قدوم عام ٢٠٠٠ ستبدو القارة مختلفة اختلافاً جذريا ... أمم جديدة ستولد وحدود سيعاد رسمها ، اتحادات ورابطات قديمة ستضمحل وتزول ، وأخرى جديدة ستولد وتقوى ، ستتحد مناطق مع أخرى لإقامة مراكز تأثير اقتصادية وثقافية نشطة ، بعض هذه التغييرات ستكون عنيفة ، وصراع على لقمة العيش والكرب الاقتصادى سوف يدفع بفيضان بشرى من المهاجرين ؛ بل وقد تجبر هذه الصراعات الحكومات الوليدة على التعاون . **حيث تكون خريطة أوربا العرقية** قد رسمت وسيعمل الغرب على إعطاء المساعدات المادية والمشورة السياسية ضمانا لاستقرار الحكومات التى تسمح لشعوبها أن تسير فى الطريق الذى اختارته . ومن هذه الأماكن التى يجب إلقاء الضوء عليها : **يوجوسلافيا** : ستشب الحرب الأهلية فى يوجوسلافيا وستصبح "صربيا" أكبر جمهورياتها الست التى ستضم إليها إقليم كوسوفو .. ذو الأغلبية الألبانية المسلمة، والذى سيحاول أن يستقل عن بلجراد ، ولكن صربيا الكبرى لن تدعه يفلت . سنجد صراعاً أيضا بين الصرب والكروات على ابتلاع البوسنة والهرسك كما أن ( سلوفينيا ) ستطالب بالاستقلال.ولو رفضت الحكومة المركزية طلبها فسوف تنشق عليها . كما أن كرواتيا ستخرج من الاتحاد اليوغسلافى ؟ » إذن هى سياسة ترسم وتخطط وتتابع بالتنفيذ من القوى الكبرى ؟

# القيادة الإدارية

## الإدارة فى منهج الإسلام

- ٣ -

إعداد الدكتور / محمد عبد الله آل ناجى

تمهيـــد :

هل الإسلام يلزم أتباعه باختيار من يكون أميراً لهم أو قائداً عليهم .. ؟

وهل الإلزام هذا يصل إلى درجة الوجوب بحيث لا يصح للجماعة الإسلامية إهماله أو التفريط فيه .. ؟

أم أن ذلك غير ملزم لجماعة المسلمين ؟ والقيادة أو الإمارة - فى مفهوم الإسلام - من المطالب الدنيوية التى يتركها لأتباعه يقررون بشأنها ما يرونه صالحاً لدنياهم ومتمشياً مع متطلباتهم .. ؟

لقد عرف الإسلام التنظيم الإدارى منذ نشأته ، وخلف لأتباعه ومعتنقيه مبادىء هامة وقواعد كلية ، وضوابط ، يمكن من خلالها تأسيس النظرية الإسلامية فى الإدارة والقيادة ذات الخصائص المستقلة . وإن تلاقت مع بعض النظريات الحديثة فى بعض الملامح والخطوط .

إن القيادة الإدارية - فى منهج الإسلام - ليست وظيفة من الوظائف ، ولا ولاية من الولايات ، بل هى أسلوب للحياة ، ومنهج للتطبيق هدفها فى النهاية تحقيق دور الخلافة ، وإرضاء الله - تعالى - وتنفيذ أوامره واجتناب نواهيه .

وجود القيادة واجب :

والإسلام يوجب وجود القيادة فى كل جماعة ذات هدف مشترك - أيا كان حجمها - وذلك حفاظاً عليها من التفرق وتحقيقاً لمصالحها أن تردى فى هوة الاختلاف ، يقول الرسول ﷺ :

( لا يحل لثلاثة يكونون بفلاة من الأرض إلا أمروا عليهم أحدهم )[1] . لأن ذلك يؤدى إلى ضبط أمورهم واجتماع قوتهم والبعد عن التضارب والاختلاف الذى قد يؤدى إلى التفرقة والتمزق ، فالإسلام يرى فى تنصيب القيادة ضرورة شرعية ،

---

(١) الحديث أخرجه الإمام أحمد فى المسند ٢ : ١٧٧ بسنده عن عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما - وراجع علم الإدارة العامة ومبادىء الشريعة الإسلامية للدكتور ماجد راغب الحلو ، ص ١٦١ ، ط ١٩٨٨ .

وقاعدة اجتماعية ، لا يجوز إهمالها أو تجاهلها بأى حال من الأحوال .

وإذا كان الرسول ﷺ قد أوجب القيادة لثلاثة يكونون فى فلاة من الأرض ، فلا شك أنها تكون من أوجب الواجبات لمن يسكنون الأمصار ويقطنون العمران ، وهم أعداد كثيرة ، منعاً لوقوع البغى أو الظلم أو الاعتداء أو طلب الحقوق أو غير ذلك مما يتطلبه المجتمع من إقامة العدل ، وحماية الثغور وتدبير الشئون الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعسكرية ، كما أنها ضرورية لقيام المؤسسات العامة والخاصة بمهامها المعقدة فى مجتمعنا اليوم ، حيث أصبحت الإدارة الجيدة والقيادة الحكيمة تعتبر من أسس التقدم الحضارى فى عصرنا الحاضر .

والقيادة أو الإمارة التى يطالب الإسلام بتنصيبها هى قيادة سوية ملتزمة فلا تكون متسلطة فظة وفق الاتجاه المتطرف فى الفكر الإدارى العلمى ، ولا هى قيادة متراخية غير مبالية وفق الاتجاه المتطرف فى الفكر الإدارى الإنسانى ، بل نجدها وسطا بين هذا وذاك ؛ لأنها تنبع وتزاول أعمالها فى الأمة الوسط التى قال الله عنها :

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾

( البقرة : ١٤٣ )

منهج الاتجاه السوى فى القيادة :

ومنهج الاتجاه السوى فى القيادة الإسلامية يتبع من قوله تعالى :

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾

( آل عمران : ١٥٩ )

إن مبادىء الإسلام توصى أتباع الإسلام بعدم التهافت على طلب الإمارة ، وعندما جاء أحد الصحابة يطلب من رسول الله ﷺ أن يوليه على إمارة قال له ــ عليه الصلاة والسلام ــ : ( إنا لا نولى أمرنا هذا من يطلبه )[٢] .

ويروى الإمام مسلم بسنده عن أبى موسى الأشعرى قال : دخلت على النبى ﷺ أنا ورجلان من بنى عمى . فقال أحد الرجلين : يارسول الله أمّرنا على بعض ما ولاك الله ــ عز وجل .

وقال الآخر : مثل ذلك .

فقال : ( إنا والله لا نولى على هذا العمل أحداً سأله ، ولا أحداً حرص عليه ) .

وقال الرسول ﷺ لعبد الرحمن بن سمرة ــ رضى الله عنه :

( ياعبد الرحمن لا تسأل الإمارة ، فإنك إن أعطيتها عن مسألة أكلت إليها وإن أعطيتها من غير مسألة أعنت عليها )[٣]

ومن هنا كان قول الله ــ تعالى :

﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا

---

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخارى فى صحيحه ٩ : ٨٠ والإمام مسلم فى كتاب الإمارة ١٤ ( ١٧٣٣ ) بسنده عن أبى بردة عن أبى موسى الأشعرى قال : قال رسول الله ﷺ وذكره .

(٣) الحديث أخرجه البخارى فى باب الجهاد باب الحرب خدعة ١٥٧ ، وأخرجه مسلم فى كتاب الجهاد باب جواز الخداع فى الحرب رقم ١٧٤٠ ، وأخرجه أبو داود فى باب الجهاد باب المكر فى الحرب رقم ٢٦٣٦ .

﴿ لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾

( القصص : ٨٣ )

وبهذا يتضح أن الإسلام عندما يطالب أتباعه باختيار القادة ويطالبهم بالإسراع فى ذلك ، فإنه فى نفس الوقت ينهاهم عن طلب القيادة أو الإمارة أو أن يفرض أحدهم نفسه على جماعة المسلمين .

وإذا كان الأمر كذلك فما خصائص القيادة الإدارية فى الإسلام ؟

خصائص القيادة الإدارية فى منهج الإسلام :

إن منهج الإسلام فى اختيار القادة والولاة ينبثق من مبدأين أساسيين هما : القوة والأمانة . هذا بالإضافة إلى المواصفات الأخرى التى يكتسبها الفرد المسلم باعتناقه للإسلام وهى :

- التقوى .
- العدل .
- القدوة الحسنة .
- الرفق والرحمة .
- القناعة بمبدأ المشورى .

أولا : القوة والأمانة :

لا يجوز فى منهج الإسلام أن يتولى الوظائف العامة فى الدولة إلا القوى الأمين ، ويعزل عنها الضعيف الخؤون ، ومرد القوة إلى القدرة على ما يتولاه من عمل ، وهى تقدر فى كل أمر بحسبه فالقوة فى قيادة الحرب ترجع إلى : شجاعة القلب ، وإلى الخبرة بأساليب المعارك ، والمخادعة التى تمنع العدو من معرفة خطط المسلمين لقول الرسول ﷺ : ( الحرب خدعة )[٤] .

وأيضا إلى القدرة على القتال والخبرة بمعداته وأدواته .

قال تعالى :

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾

( الأنفال : ٦٠ )

القوة فى الحكم :

وترجع إلى الفقه بالشرائع ، وأساليب التقاضى ، والعدل الذى أمر الله تعالى به فى قوله - تعالى - :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾

( النحل : ٩٠ )

وإلى القدرة على اتخاذ القرارات الصعبة ، والقدرة على تنفيذ الأحكام على القوى قبل الضعيف من المرءوسين .

أما الأمانة : فمردها إلى عدم التفريط فى شئون ما ولى عليه القائد ، ومراقبة الله - تعالى - وخشيته والخضوع لشريعته ، وألا يشترى بآياته ثمناً قليلا ، يقول الله - سبحانه وتعالى :

﴿ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ سورة المائدة

وتأكيداً لمدى أهمية توافر القوة والأمانة عند اختيار الولاة فى الدولة الإسلامية نذكر ما روى عن الرسول ﷺ عندما طلب منه أبو ذر - رضى الله عنه - أن يوليه ولاية فقال : ( يا أبا ذر إنك ضعيف ، وإنها أمانة ، وإنها يوم القيامة خزى وندامة إلا من أخذها بحقها ، ووفى الذى عليه لها )[٥] .

---

(٤) الحديث أخرجه الإمام مسلم فى كتاب الإمارة ، باب كراهة الإمارة بغير ضرورة ١٦ : ١٨٢٥ .

(٥) الحديث أخرجه الإمام البخارى فى كتاب الجمعة وأحمد بن حنبل فى المسند ١ : ٢٨٩ ، ٣ : ٤٤١ ، ٤٨٠ (حلبى) .

وقد اعتبر اختيار من يلى عملا لجماعة المسلمين من باب أداء الأمانات ، بحيث يجب على القائد أن يولى على كل عمل أصلح من يجده ، فإن عدل عن الأصلح إلى غيره ، مع عدم وجود مايبرر ذلك يكون قد خان الله ورسوله وجماعة المسلمين ، وقد قال الله ـ تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ( الأنفال : ٢٧ )

ومن هذه الأمانات : أمانة التعامل مع الناس ، وأمانة المعاملات والودائع المادية ، وأمانة النصيحة للرئيس والمرءوس ، وأمانة المحافظة على حرمات الجماعة ، وأموالها ، ومن أولى هذه الأمانات إعطاء القيادة والولاية لمن يستحق القيادة والولاية ولا يتخطاه إلى غيره .

يقول الرسول ﷺ : ( من وَلِىَ من أمر المسلمين شيئاً فَوَلَّى عليهم رجلا وهو يجد فيهم من هو أصلح منه فقد خان الله ورسوله وجماعة المؤمنين )[٦] . وقال الرسول ـ عليه السلام ـ أيضا : ( ما من وال يلى رعية من المسلمين فيموت وهو غاش لهم إلا حرم الله عليه الجنة )[٧] .

اختبار من يلى عملا :

وكان الرسول ﷺ يجرى الاختبار لمن يريد أن يوليه إحدى الوظائف العامة ليتأكد من صلاحيته لها ، من ذلك أنه عندما أراد أن يبعث الصحابى الجليل معاذ بن جبل ـ رضى الله عنه ـ والياً وقاضياً على اليمن سأله : بم تقضى .. ؟

فأجاب : بكتاب الله .

فسأله : فإن لم تجد ؟

فأجاب : بسنة رسول الله ؟

فسأله : فإن لم تجد ؟

فأجاب : أجتهد رأيى ولا آلو .

فضرب الرسول ﷺ صدر معاذ وقال : ( الحمد لله الذى وفق رسولَ رسولِ الله لما يرضى الله ورسوله ) .

وقد سار الخلفاء الراشدون على هدى الرسول ﷺ فى اختيار الولاة والعمال ، فكانوا لا يولون إلا الأكفاء الأمناء ومن يرونه أصلح للقيام بالعمل الذى يسند إليه

إذا اجتمعت القوة والأمانة فى أكثر من شخص :

ولكن إذا اجتمع فى أكثر من شخص ( القوة ، والأمانة ) ، أو وجد فى شخص الأمانة ، ولم توجد عنده القوة أو العكس . وهذه الصفات قلما توجد إلا فى القليل النادر كما يقول ابن تيمية ـ رحمه الله ـ، وأن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ كان يشكو إلى الله جلد الفاجر ، وعجز الثقة ، فكيف يكون الاختيار ؟

وقد عبر شيخ الإسلام ابن تيمية عن هذا بقوله : ( فالواجب فى كل ولاية الأصلح بحسبها فإذا تعين رجلان أحدهما أعظم أمانة والآخر أعظم قوة قدم أنفعهما لتلك الولاية وأقلهما ضررا فيها ، فيقدم فى إمارة الحرب الرجل القوى الشجاع ، وإن كان فيه فجور على الرجل الضعيف العاجز ، وإن كان أميناً . وقد قال النبى ﷺ : ( إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر ) وفى رواية أخرى : ( إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لاخلاق

---

(٦) الحديث أخرجه الإمام مسلم فى كتاب الإمارة ٢١ : ١٤٢ بسنده عن معقل بن يسار المزنى قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ وذكره .

(٧) الحديث أخرجه أبو داود فى قضية حديث رقم ٣٥٩٢ وأخرجه الترمذى فى أبواب الأحكام حديث رقم ١٣٢٧هـ.

لهم )[٨] .

فإذا كانت الحاجة فى الولاية إلى الأمانة أشد قُدِّم الأمين ، مثل حفظ الأموال ونحوها ، وأهم ما فى هذا الباب معرفة الأصلح ، وذلك إنما يتم بمعرفة مقصود الولاية ، ومعرفة طريق المقصود ، فإذا عرفت المقاصد والوسائل كان الأمر[٩] .

**ثانياً : التقــوى :**

سأل عمر بن الخطاب أبى بن كعب ــ رضى الله عنهما ــ عن التقوى ما هى ؟

فقال : هل أخذت طريقاً ذا شوك ؟

قال : نعم .

قال : فما عملت فيه ؟

قال : شمرت وحذرت .

قال : فذاك التقوى .

والمتقى : فوق المؤمن والطائع ، وهو الذى يتقى بصالح عمله وخالص طاعته عذاب الله ــ تعالى ــ[١٠] . والتقوى أساس المفاضلة بين الناس عند الله ــ سبحانه وتعالى : وذلك بقوله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾

( الحجرات : ١٣ )

وولى الأمر ــ فى منهج الإسلام ــ أو القائد إذا تحلى بصفة التقوى وكانت له سلوكاً ومنهجاً كان فى رعاية الله وعنايته يحقق على يديه النصر والنجاح ، ويجرى فى ركابه الخير والبركات ، ويلهمه التوفيق والسداد فى عمله كله .

قال تعالى :

﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴾

( الحج الآيتان : ٤٠ ، ٤١ )

والتقوى طريق إلى الهداية ، وسلم إلى الفلاح قال تعالى :

﴿ **أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون** ﴾

( البقرة : ٢ )

والتقوى طريق إلى إذكاء العقل ، وكشف البصيرة ، ومعرفة خفايا الأمــور ، وحسن الاستنتاج والتنبؤ بنتائج الأمور .

قال الرسول ﷺ : ( اتقوا فراسة المؤمن ، فإنه ينظر بنور الله )[١١] .

**ثالثاً : العــدالة :**

العدل الذى يتطلبه منهج الإسلام فى الوالى أو القائد ، هو العدل الشامل العام ، الذى يشمل الناس جميعاً من خلق الله ــ تعالى ــ فالعدل : حق لكل إنسان بوصفه إنساناً بغض النظر عن ديانته أو هويته ، أو جنسيته ، وهـذه الصفـة ( صفـة الإنسانية ) يلتقى عليها البشر جميعاً ، مؤمـنين وكافرين ، أصدقاء وأعداء ، سودا وبيضا ، عربا وعجما .

هذا العدل الذى لم تعرفه البشرية قط ــ فى هذه الصورة إلا عندما جاء الإسلام وحكم المسلمون

---

(٨) الحديث أخرجه البخارى فى كتاب الجهاد ١٣٢ ومسلم فى كتاب الإيمان ١٧٨ : ١١١ بسنده عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ وذكره .

(٩) راجع مجموعة فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية الجزء ٢٨ ، ص ٢٥٤ ــ ٢٥٥ .

(١٠) راجع تفسير القرطبى الجزء ١ ، ص ١٦١ ــ ١٦٢ .

(١١) قال فى الدرر رواه الطبرانى والترمذى فى حديث أبى إمامة وأخرجه الترمذى أيضا من حديث أبى سعيد ، ورواه العسكرى عن أبى الدرداء موقوفا ، راجع كتاب كشف الخفا للعجلودى .

به ، وفى عهد القيادة الإسلامية للعالم أجمع ، والذى افتقدته البشرية . مرة أخرى ـ عندما افتقد العالم هذه القيادة .

ولهذا قال الله ـ تعالى : ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ ﴾

( النساء : ٥٨ )

ويأمر الله ـ سبحانه ـ الحاكم والمحكوم بالالتزام بالعدل ، ولو كان ذلك على أقرب الناس إليه قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا ﴾

( النساء : ١٣٥ )

ويقول الرسول ﷺ :

( لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها )[١٢] .

ويقول الله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾

( المائدة : ٨ )

ويقال : إن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ دخل عليه ـ وهو يقسم الغنائم على جماعة المسلمين ـ قاتل أخيه زيد بن الخطاب ـ ولكن هذا القاتل أسلم وحسن إسلامه ـ فلما رآه عمر أشاح بوجهه . فقال له القاتل : أتكرهنى يا عمر ؟

قال الرجل المؤمن العملاق : نعم أكرهك كما تكره الأرض الدم المسفوح .

فقال القاتل : أمانعى حقى إذن .. ؟

فقال عمر ـ الذى تربى فى مدرسة الإسلام ـ : أما هذه فلا ؛ لأن الله تعالى يقول :

﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾

( المائدة : ٨ )

فقال الرجل ـ الذى لا يخاف أحداً إلا الله ـ : ( إذن لا أعبأ بحبك ولا بكرهك فهذا شىء تعبأ به النساء )[١٣] .

والوالى العادل : أحب الخلق إلى الله ـ تعالى : يقول الرسول ﷺ : ( أحب الخلق إلى الله إمام عادل )[١٤] .

والوالى العادل مع السبعة الذين يظلهم الله تحت ظله يوم القيامة : يقول الرسول ﷺ : سبعة يظلهم الله تحت ظله يوم لا ظل إلا ظله : إمام عادل ، وشاب نشأ فى عبادة الله ، ورجل قلبه معلق بالمسجد ، ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وافترقا عليه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال : إنى أخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه )[١٥] .

**الفصل الأخير بالعدد القادم إن شاء الله .**

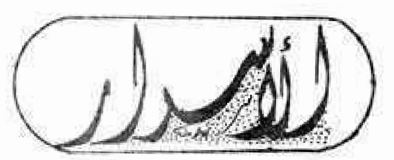
---

(١٢) الحديث أخرجه البخارى فى كتاب الحدود ، وأبو داود فى كتاب الحدود حديث رقم (٤٣٧٣) والترمذى فى كتاب الحدود باب ما جاء فى كراهية ان يشفع فى الحدود حديث رقم (١٤٣٠) .

(١٣) الدكتور/ سليمان محمد الطحاوى ، عمر بن الخطاب وأصول السياسة والإدارة الحديثة ، دراسة مقارنة ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٧٦ .

(١٤) رواه الترمذى وابن ماجة رواية الترمذى حديث رقم ١٣٢٩ .

(١٥) الحديث أخرجه البخارى فى كتاب الأذان ٦٦٠ بسنده عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : وذكره . والترمذى فى كتاب الزهد ٥٣ .



# بين الحفظ والإفشاء

## - ٢ -

د/ ابراهيم سليمان عيسى

**السر بين الزوجين ووجوب صونه :**

**من القرآن نجد قولة تعالى :**

﴿ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِىُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٣﴾ ﴾ **التحريم**

**ومن السنة النبوية نجد قوله ـ صلى الله عليه وسلم : « إن من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضى إلى المرأة وتفضى إليه ثم يَنشرَ سرها » ، وفى رواية « ثم ينشر أحدهما سر صاحبه » رواه مسلم عن أبي سعيد . ومن وصايا العرب للعروس : ولا تفشى له سرا ، فإنك لو أفشيت سره أوغرت صدره .**

سر البيوت لاينبغى أن يفشى ، ففى الحديث «عن ثابت ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ﷺ مر على أنس وهو يلعب مع الغلمان فسلم عليهم ثم بعثه فى حاجة، فلما أبطأ على أمه سألت عن السبب فقال : بعثنى رسول الله ﷺ فقالت وما حاجته ؟ فقال : إنها سر ، فقالت : لاتخبر بسر رسول الله أحدا ، قال : أنس والله لو حدثت به أحدا لحدثتك يا ثابت» رواه البخارى ومسلم .

وسر المجلس أمانة يجب أن يصان : يقول الله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ **الأنفال الآية : ٢٧**

وفى الحديث النبوى : «المجالس بالأمانة» رواه أبوداود . وفى الحديث : السابق «إذا حدث الرجل بحديث ثم التفت فهو أمانه» رواه أبوداود والترمذى . والنبى ﷺ يقول : «لا إيمان لمن لا أمانة له» . كما أن مجالات السر ليست على درجة واحدة ولكنها متفاوتة، هناك مجالات للسر هامة وخطيرة يجب العناية بها إلى حد كبير ، والخطورة تأتى إما من جهة صاحب السر ، وإما من خطورة العمل والسر نفسه ، وإما من خطورة الظروف والمناسبات ، فسر

الرجل العظيم ليس كسر غيره ، وسر العمل الهام ليس كسر عمل بسيط ، والسر عند الظروف الحرجة ، ليس كالسر فى الظروف العادية ، وإليك صور إسلامية توضح ذلك كله .

أ ـ «لما تأيمت حفصة بنت عمرعرضها أبوها على عثمان ليتزوجها فاعتذر فعرضها على أبى بكر فلم يرد عليه بايجاب أو نفى ، فغضب منه أكثر من غضبه على عثمان ، فلما خطبها النبى ﷺ وقابل أبو بكر عمر قال له لعلك وجدت علىَّ حين عرضت حفصة علىّ؛ فلم أرجع إليك شيئاً ؟ قال : نعم ، قال : إنه لم يمنعنى أن أرجع إليك شيئا حينما عرضت على إلا أننى كنت علمت أن النبى يذكرها ، فلم أكن لأفشى سر رسول الله ـ ﷺ » رواه البخارى .

ب ـ «لما ولى عمر بن الخطاب قدامة بن مظعون بدل المغيرة أمره ألا يخبر أحدا ، فلم يكن له زاد ، فتوجهت امرأتـــه إلى دار المغيرة ، أقرضونا زاداً لراكب فإن أمير المؤمنين ولى زوجى الكوفـــة ، فأخبرت امـــرأة المغيرة زوجها ، فجاء عمر واستأذن عليه وقال له : وليت قدامة الكوفة وهو رجل قوى أمين ، فقال : ومن اخبرك ؟ قال : نساء المدينة يتحدثن به ، فقال اذهب وخذ منه العهد» (محاضرات الأدباء للأصفهانى ج ١ ص ٧٥) .

جـ ـ قال العباس لابنه عبدالله : إنى أرى هذا الرجل ـ يعنى عمر بن الخطاب ـ يقدمك على الأشياخ فاحفظ عنى خمسا : لاتفشين له سرا ، ولاتغتابن عنده أحدا ولاتجرين عليه كذبا ، ولاتعصين له أمرا ، ولايطلعن منك على خيانة» (الإحياء ج ٢ ص ١٥٨) .

د ـ طلب بنو قريظة من النبى ﷺ أن يرسل إليهم «أبالبابة» لاستشارته فيما عرض عليهم النبى فقاموا إليه يبكون ، قالوا : كيف ترى لنا أننزل على حكم محمد ؟ قال : نعم ، وأشار بيده إلى حلقه ـ يقول ـ انه الذبح ، ثم علم من فوره أنه خان الله ورسوله ، فمضى ولم يرجع إلى النبى حتى أتى مسجد المدينة فربط نفسه بساريه وحلف ألا يحله إلا رسول الله بيده ، ولا يدخل أرض بنى قريظة أبدا ، ثم تركه النبى حتى تاب الله عليه فحله بيده . (زاد المعـــاد ج ٢ ص ٧٣) .

هـ ـ لما اعتزم النبى فتح مكة أمر عائشة أن تجهزه ، فدخل عليها أبوها أبو بكر وهى تعد الجهاز ، فقال : أى بنية أمركن رسول الله بتجهيزه ؟ قالت : نعم قال : فأين ترينه يريد ، فقالت والله ما أدرى ، ثم أعلم النبى الناس أنه سائر إلى مكة وأمرهم بالجد والتجهيز وقال : «اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها فى بلادها ، لكن حاطب بن أبى بلتعة كتب إلى قريش بذلك وأرسل الكتاب مع امرأة وجعل لها جعلا فأخفته فى قرون رأسها ، وكان من أمره ما كان وكان من رأى عمر قتله ، ولكن النبى عفا عنه لأنه من أعلام بدر ، ونزل فى ذلك قول الله تعالى :

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ۝١﴾

الممتحنة الآية : ١

ففى هذه القصة ـ عدم إخبار عائشة أباها بمقصد النبى ، ومنها دعاء النبى أن يأخذ العيون من قريش حتى يبغتها ، وغضب النبى على عمل حاطب وَرَأْى عمر فى قتله ، ووعيـد الله للجواسيس والعملاء .

## السر فى أيام الحروب والغزوات

إن معرفة أسرار العدو وأخباره تفيدنا فائدة كبيرة فى كسب المعارك ، أو على الأقل فى دفع الخطر وإعداد العدة والاستعداد للمفاجآت ، والإسلام يأمرنا أن نأخذ الحذر ونتيقظ ونحتاط لأنفسنا عن طريق معرفتنا بخصمناوفيما يلى صور مما كان يفعله الرسول ﷺ لجمع الأخبار . ففى السنة النبوية حدث ما يلى :

(أ) أرسل سرية بقيادة عبدالله بن جحش إلى نخلة بين مكة والطائف وكتب له كتابا وأمره ألا ينظر ما فيه حتى يسير يومين ، ولما فتحه بعد اليومين وجد فيه تعيين الجهة التى أرسل إليها ، والمهمة التى وكلت إليه فالجهة هى نخلة ، والمهمة هى التربص بقريش ومعرفة أخبارهم ، وكان ذلك فى شهر رجب فى السنة الثانية من الهجرة .

(ب) ذهب النبى ﷺ ومعه أبو بكر إلى بدر وقابلا رجلا وسألاه عن أخبار قريش وعرفا منه مكانهم ولما كان الرجل قد شرط عليهما أن يعرف من أى قبيلة هما؛ فقال له النبى : أخبرا نحن من ماء ، ثم انصرف عنه وحار الرجل فى معرفة هذا النسب أو هذه الجهة .

(جـ) أرسل النبى فى بدر بسبس بن عمرو ، وعدى بن أبى الزغباء ، وعرفا من حديث امرأتين تتلازمان على الماء أن عير قريش ستأتى غدا أو بعد غد ، فرجعا وأخبرا النبى بذلك خصوصا وأن العامل على الماء هو مجدى بن عمرو الجهنى صدَّق المرأتين على ما قالتا .

(د) بعث النبى عليا والزبير وسعد بن أبى وقاص مع جماعة إلى بدر لالتماس الأخبار ، فجاءوا براوية لقريش وسألهم النبى عن الأخبار ، فعرف مكانهم ، وعددهم ، وزعماءهم . والأمثلة كثيرة عن مظاهر كتمان السر عن العدو منها :

١ ـ كان النبى عليه السلام إذا أراد غزوة وَرَّى بغيرها ، كأن يقول إذا أراد غزو حنين : كيف طريق نجد ، ومياهها ومن بها من العدو ، وكان يقول : «الحرب خدعة» .

٢ ـ التزام الصمت عند الزحف ـ وورد فى الحديث عن الحسن عن قيس ابن عباد ، قال : كان أصحاب رسول الله ﷺ يكرهون رفع الصوت عند القتال رواه أبو داود ـ وفى رواية ابن المتدرعة كانوا يكرهون رفع الصوت عند ثلاث : عند الجنائز ، وعند الذكر ، وعند القتال (فقه السنة) ج ٤ ص ١١٨ .

٣ ـ كلمة السر ، وشارات التعارف بين الجند فى المعركة ـ روى الحاكم عن عائشة ، جعل رسـول الله شعار المهاجرين يوم بدر عبدالرحمن، والخزرج عبدالله ، وأخرج عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ مرفوعا : جعل الشعار للأزد يامبرور يامبرور وروى أحمد وأبو داود والترمذى حديث النبى : «إن بينكم العدو فقولوا حم لا ينصرون»

وعن سلمة بن الأكوع غزونا مع أبى بكر زمن رسول الله فكان شعارنا أمت ،أمت رواه أحمد وأبو داود ـ وأحيانا يامنصور أمت .

٤ ـ لما انتهت معركة أحد نادى أبو سفيان : أفيكم محمد ، أفيكم أبو بكر ، أفيكم عمر ؟

وقد أمر النبى بعدم إجابته ، حتى لايعود المشركون للقتال ، والمسلمون مازالت جراحاتهم دامية .

٥ ـ أرسل النبى عمرو بن العاص فى غزوة ذات السلاسل ، فأمرهم ألا يوقدوا نارا ، ولما أنكر عليه عمر ذلك ، قال له أبو بكر : دعه ياعمر فإن رسول الله لم يبعثه علينا إلا لعلمه بالحرب .

ولما عادوا وأخبروا النبى بذلك سأله فقال : كرهت أن آذن لهم أن يوقدوا نارا فيرى عدوهم قلتهم (الزرقانى على المواهب ج ٢ ص ٢٧٩) .

٦ ـ أوصى أبو بكرٌ شرحبيل بن حسنة عندما بعثه فى الغزو فقال : « وإذا قدم عليك رسل عدوك فأكرم مثواهم ، وأقلل حبسهم حتى يخرجوا من عندك وهم جاهلون بما عندك ، وامنع من قبلك من محادثتهم ، وليكن أنت الذى تلبى كلامهم ، واستر من عسكرك الأخبار واصدق الله إذا لقيت ولاتجبن فيجبن سواك .

٧ ـ تبديد إشاعة موت القائد ، أو إخفاء موته وقت المعركة حتى لاينهزم الجند ، أو يطمع فيهم العدو . ومن ذلك ما كان ، حين صرخ الشيطان فى أحد ان محمداً قتل ، فألقى بعض المسلمين السلاح ، ومر بهم أنس بن النضر فصرخ فيهم ما جلوسكم ؟ قالوا : إن محمدا قد قتل قال : وما قيمة الحياة بعد محمد قوموا فموتوا على ما مات عليه .

وقد حدث أن النعمان بن مقرن قائد معركة نهاوند قد مات فى أثناء المعركة فأخفوا موته حتى انتصروا . كما حدث مثل ذلك حين أخفت شجرة الدر موت الملك الصالح نجم الدين ، وكانت الحرب مع الصليبيين قائمة حتى وصل توران شاه .. وليعلم كل مسلم أن هناك أموراً تساعده على كتمان السر وهى :

١ ـ عدم تسليم السر إلى الغير إلا لضرورة قاسية .

٢ ـ اختيار من يودعهم السر إذا اقتضى الأمر ، بأن يكون فيهم عقل يصدهم عن الانزلاق ، ودين يحجزهم عن إثم هتك السر ، ونصح وإخلاص يعرفون به من محبة الخير للناس ، وود موفور يحافظون به على دوام الصداقة بحفظ السر ، وخلق الكتمان الذى يعرف به ويشتهر بين الناس .

٣ ـ الإقلال بقدر الإمكان من عدد من يعرفون السر .

قد علل علماء الأخلاق ذلك بأن الشروط المعتبرة فى الأمناء على الأسرار لا تتوفر فى عدد كبير ، فلابد أن يكون فيهم من يخل ببعضها ، فيفشى السر ، ولأن كل واحد من هؤلاء يجد سبيلا إلى نفى إشاعة السر عن نفسه ، وإحالته ذلك إلى غيره ، حيث لاتكون المسئولية منحصرة فى واحد معين .

على أنه لو سلم من إذاعتهم للسر لم يسلم من التذلل والاستطالة عليه ، لأن من ظفر بسر من فرط الإدلال وكثرة الاستطالة ، ما إن لم يحجزه عنه عقل ولم يكفه عنه فضل كان أشد من ذل الرق وخضوع العبيد .

وشواهد الأيام تثبت صدق ذلك ، ومن يملكون أسرارا للغير يستعبدونه بها فهى سلاح خطير :

نسأل الله أن يحفظ أسماعنا وأبصارنا وأفئدتنا ، وأن يربط على قلوبنا وألسنتنا حتى لانفكر إلا فى الحق ولا ننطق إلا بالحق : (إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا) .

ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير

# أنانية الإنسان مع نعم الله

بقلم الشيخ / زكريا أحمد نور
من وعاظ الأزهر بأسيوط

قال تعالى فى سورة الإسراء «وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا» الآية ٨٣ .

وقال تعالى فى سورة فصلت «وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ» الآية ٥١ .

تُبرز بعض آيات القرآن الكريم جانباً من أخلاق فئة من الناس تجاه نعم الله ـ عز وجل ـ فإذا أنعم الله على أحدهم بالمال والعافية والفتح والرزق والنصر ، ونال ما يريد من أوجه الخير ، قابل ذلك الفضل من الله ـ تعالى ـ بالبعد عنه والإعراض عن طاعته وعبادته .

بينما ينبغى للمؤمن ـ وابن آدم بصفة عامة ـ مقابلة النعم بالشكر ، والطاعات المستمرة عليها وعلى تكريمه وتمييزه من بين أجناس الأرض وعوالمها .

### قسوة الإنسان ورحمة الله

ومما يدلنا على قسوة الإنسان وفى مقابلها رحمة الله ـ تعالى ـ هذا الإسفاف الذى يظهر منه التحدى والكبرياء على غيره من خلق الله ، فيصعر خده ويلوى عنه فى تعاظم ، وهذا ماتذكره الآية الكريمة فى قوله تعالى عن الإنسان ( وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ) ، وهذه النأى بالجنب يصور لنا أن المدين بالنعمة لم يكفه أن يجحدها فقط .. بل تصلف إزاءها حتى كأنه هو المتفضل بقبولها ، فليس مديناً بها بل هو دائن فيها ، وليس هو صاحب اليد السفلى بل هو صاحب اليد العليا فمن حقه أن يتشامخ وذلك قلب للأوضاع فى المفاهيم والقيم ، وتلك أنانية لا ترقبها خشية من الله ، ولا تلطفها هدأة من حسن التفكير ساعة ما .

ومن رحمة الله بالإنسان أنه يمنحه النعمة تفضلا منه لا وجوباً عليه ، بمحض فضله ، فهى رحمة

(*) اضطرت إدارة المجلة إلى حذف النصوص الواردة بالمقال لعدم توثيقها ، وطالما لفتت المجلة كتابها الأعزاء إلى أهمية إسناد الانتاج ـ المرسل إليها ـ إسناداً علمياً ؛ فذلك أدعى إلى صلاحية نشره .

أسداها إلى عبده بمحض فضله الذى لا يليق به سوى هذا الجود من فيضه وعطائه ، والله يحب من عبده أن يتقرب إليه ، فكانت نعمه عليه ليتخذ العبد منها وسيلة التقرب منه ، ويجعلها أداة الوصل والتعرف والاستزاده من فضل الله الذى لا حدود لفضله .

قال تعالى فى سورة الحديد :

« لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (29) »

## أثر الشكر

الشكر المفروض فى صورته الصحيحة ليس منحة من العبد لربه ، ولا مجرد قربة ، بل هو قيد للنعمة فى يد صاحبها ، وهو مجلبه للزيادة فى حجم النعمة وأنواعها .

والله ـ سبحانه وتعالى ـ يقول فى سورة النمل :

« قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ (40) »

وقال ـ تعالى ـ فى سورة ابراهيم :

« وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ (7) »

وقال ـ تعالى ـ فى سورة القمر :

« كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ (33) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ ۖ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ (34) نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ (35) »

وقال ـ سبحانه وتعالى ـ فى سورة النساء :

« مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا (147) »

ومن هذه الآيات يتضح لنا أن الله سبحانه وتعالى تعهد لمن يشكره أن يحفظ عليه نعمته ويزيدها له ، ثم يتضح لنا أن للشاكرين فوق هذا مقاما عند الله . قال عنه علماء الإسلام : إنه فوق مقام الصابرين على البأساء .

أما من يسيء فى النعمة أو يشح بها فإن نعمته لاتستقر فى يده ، بل تكون على وشك الزوال حتى تند عن قبضته كما يند البعير المطلق من عقاله ، وهيهات أن تعود .

## النعمة المشكورة والنعمة المكفورة

كانت النعمة مشكورة عند أناس فكان شكرها سياجا لها ومزيدا مطردا فيها ، ولكن الشاكرين قلة فى الناس ؛ لأنهم الصفوة الممتازة فى التفكير وفى الميول .

قال تعالى فى سورة سبأ :

يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ ۚ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ (13)

وكانت النعمة مكفورة عند أناس ، فقصر بذلك أجلها وتقلص عنهم ظلها ، ولم يبق لهم بعدها سوى غم يساورهم وحرمان يؤرقهم وحساب شديد ينتظرهم ، وكانت لهم العبرة لو فطنوا ، ولكن للنعمة المكفورة طغياناً وللأهواء سلطاناً فهم أنانيون .

قال تعالى فى سورة الأعراف :

« ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (17) »

ولننظر – على سبيل المثال – إلى قارون الذى كان من قوم موسى ، وقيّد الله – تعالى – له الدنيا بخيرها الموفور ، حتى فتن المتطلعون إليه فى زينته ، ونصحه عقلاء قومه أن يتريث فى غروره ولا يفرح ، وأن يتوب إلى شكر الله .

قال تعالى فى سورة القصص :

إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾

ولكن قلبه كان مغلقا فلم تجد نصيحتهم سبيلا إلى وجدانه ، وطغى عليه كبرياؤه فكان جوابه :

قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾

القصص

وكأنه يقول إن نعمتى جاءتنى من جانبى لا من جانب سواى ؛ فإن لى من العلم فى كسب الأموال وتدبيرها ماليس لأحد مثلى ، فلست مدينا بشكر ، ولا متهما بكفر . ولكن الله لا يغفل عن من تمادى فى غيّه وضلالته .

قال تعالى :

« فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ »

القصص : ٨١

وذهبت دولة قارون فى لحظة من زمن وعادت دنياه خرابا كأن لم تكن بالأمس وليس قارون هو العبرة الأولى ولا العبرة الأخيرة ، والله ينبه على ذلك بقوله :

وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴿٥٨﴾

القصص

## ضرورة الاستجابة لله تعالى

قال تعالى فى سورة البقرة :

وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾

فهنا تكليف بالدعاء لله ، ووعد كريم بالاستجابة من الله . ولكن العيب كل العيب على الإنسان أن يعرض حين الرخاء ، ثم يستكين ذليلا حين الشدة والله لايحب من عبده ان يكون متناقضا مع نفسه ولا متقلبا مع ربه ؛ فإن الإيمان لا يتلون بألوان الحاجة ولايتسع للمخادعة ولا يسمح بالتقلب الزمنى بين الرخاء والشدة . فكيف يستطيب العبد دعاءه ساعة ، ويعرض عنه ساعة أخرى .

### الدعاء عن عقيدة

إن الله لا ينكر على عبده الدعاء فى ساعة الشدة بل يأذن فيه ويقول – فى سورة الأنعام :

فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾

يعنى هل تضرعوا حين البأس ؟ فإن الله هو الذى يكشف الضُرّ ، وإنما ينكر الله على عبده أنه

لا يدعو عن عقيدة ولا يتعلق بالرجاء عن إخلاص فدعاؤه حين شدته كان دعاء المحتاج لا دعاء المؤمن القوى فى ثقته بالله أينما كان .

وعلى هذا نرى : أن المطلوب من الإنسان أن يكون على سواء فى تعلقه بالرجاء من الحق ـ سبحانه وتعالى ـ فى حالتىّ الرخاء والشدة ، فتلك هى الضراعة العزيزة عند الله ، وهى الوسيلة المجدية فى توثيق الصلة بالله ـ عزّ وجلّ .

وهناك صورة اخرى من صور الانانية وهى ان بعضنا يأخذه صلفه فى بعض ساعاته فلا يخشع ولا يضرع حينما يتعرض لأمر لايحبه يتجهم للقضاء وييأس من الدعاء ويقف موقف الغاضب وكأنه أخذ على الله عهداً ألا يذيقه بأساً أو كأنه فوق الناس جميعاً ؛ فإذا مسه شىء من السوء لوى كشحه فى ضجر ، واعترض فى سخط ، وازداد يأسه ، وانصرف عن رجاء الله ، فلم تكن هذه أنانية فحسب ، بل هى قنوط لم يحسب له حساباً أو هى غطرسة وسوء أدب وضعف إيمان ، وفى هذا يقول رب العزة ـ تبارك وتعالى ـ فى سورة الإسراء :

« وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا » من الآية ٨٣

كما يقول ـ تعالى ـ فى سورة الفجر :

« فَأَمَّا ٱلْإِنسَـٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَـٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَـٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ »

## الأنانية عند الإنسان والقصص القرآنى

وإن حديثنا عن الأنانية عند الإنسان لا يقف بنا عند حدود القصص القرآنى ، وإنما هو استعداد من تلك التوجيهات حتى ترتقى أنفسنا فى سموها عن مواطن النقص والضعف ، وأنت ترى أناسا بيننا حتى من المتعلمين ، بل من الذين يقرءون القرآن ، لايطيب لهم عيش إلا فى دخان الأنانية ، والحقد والضغينة ، والتطلع إلى ما فى أيدى غيرهم ، فهم يزاحمون الغير فى أرزاقهم المادية ، أو فى مكاسبهم الأدبية بمحاولات هزيلة عن طريق الزلفى الرخيصة إلى غير ذلك من الأخلاق المرذولة التى لايرضاها إلا من تبلد شعوره ، وتخلف وعيه ، فاستباح مايراه الدين والعرف محظورا ، وإنك لتسمع فى كل بيئة شكوى من هؤلاء الأنانيين الذين تتصدع بهم الجماعات ، وتنتهى إليهم الفريات ، ويضطرب على يدهم الإخاء ، وكثيراً ماتدور عليهم الدائرة وتعصف بهم رذيلتهم ، وكم من أناس بلغ بهم الحظ ما بلغ ، وارتفعت بهم الأسباب الزائفة ، ثم اهتزت بهم الأنانية يوما فسقطوا فى الحضيض واختفوا عن الأعين واقترنت ذكرياتهم بأقاويل السوء فبعداً للأنانية وسحقاً للأنانيين .



يجيب عليها علماء لجنة الفتوى بالأزهر

إعداد الأستاذ / عبد المنعم فوده

س ١ - أريد تفسيراً فقهيا على المذاهب لقوله تعالى فى سورة النور : « وانكحوا ... الآية ٣٢ والأحكام الخاصة بالآية الكريمة من أمرها الصريح .

س ٢ - ما تخريج قول الرسول - ﷺ - « إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه الحديث وما درجة صحته ، وأحكامه الفقهية ، وما حكم المخالف لها ؟

س ٣ - هل المخالف لنص للآية والحديث أن كان صحيحاً يكون مخالفا لنص الآية رقم ٥٢ من سورة النور « وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ » .

أفيدونا أفادكم الله .

بسم الله الرحمن الرحيم

المراد بقوله تعالى :

﴿ وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾ سورة النور

أن الله تعالى يأمرنا بتزويج غير المتزوج من ذكر وأنثى ، لأن الأيم من لازوج له من الأحرار كما يأمرنا سبحانه بتزويج العبيد والجوارى إذا لم يكن لهم أزواج وأن على المسلم أن يلتمس الرزق بالنكاح كما ذكر النبى ﷺ .

أما الحديث فصحيح رواه أصحاب السنن والمراد به حث أولياء أمور الفتيات أن يجعلوا مقصدهم عند الاختيار لبناتهم الدين وأن يفضلوا صاحب الدين على من كان غنياً لادين عنده ومن خالف تعاليم النبى ﷺ لم يسعد فى الحياة الزوجية رجلاً كان أو أنثى لأن النبى ﷺ يقول فاظفر بذات الدين تربت يداك .

أما من خالف نص القرآن والأحاديث النبوية فإنه يخرج من الإسلام لأنه استهان بهما ، وإن تمسك بهما دخل ضمن قول الله تعالى « ومن يطع الله ورسوله الله ويخشى الله ويتقه فأولئك هم الفائزون » .

والله تعالى أعلم

**السؤال من السيد محمود حامد النابى القاهرة**

**يتناول البعض ما شجر بين الصحابة رضوان الله عليهم من خلاف ما وبالأخص ما دار بين على ومعاوية رضى الله عنهما دونما فقه أو دارية بحقيقة الأحداث والوقائع ورغم أن السلف الصالح من أهل السنة والجماعة قد تناولوا تلك المسائل بما شرح صدر المؤمنين وأطمأنوا إليه . فمازال البعض يردد ادعاءات مثل :**

**١ ـ الطعن فى إسلام معاوية وأبيه وأمه رضى الله عنهم .**

**٢ ـ الادعاء بأن هؤلاء الثلاثة أى معاوية ووالديه ليسوا من الصحابة الذين أجمع العلماء على عدالتهم .**

**٣ ـ القول بأن الذين انحازوا لمعاوية رضى الله عنه كانوا « مرتزقة » و« كلاب سلطة » نرجو من فضيلتكم توضيح الحق فى تلك المسائل الأربع ، كما نرجو توضيح إن كان القائل بهذه الادعاءات آثم ، وماذا عليه ـ أى القائل بذلك ـ إن كان من المتعرضين للأحاديث العامة ومجامع المسلمين كالجمع وغيرها**
**افيدونا أفادكم الله .**

بسم الله الرحمن الرحيم : لا يحل الطعن فى معاوية ولافى والديه وهم صحابة أجلاء قال فى الجوهرة :

أول التشاجـــر الـــــذى ورد
إن خضت فيه واجتنب داء الحسد

فلايحل الطعن فيهم خصوصاًوأن معاوية أخو أم حبيبة أم المؤمنين وأبو سفيان والدها وهند أمها ومعاوية كاتب الوحى لرسول الله ﷺ وهؤلاء الثلاثة من الصحابة الذين أجمع المسلمون على عدالتهم وكل من على ومعاوية كانا مجتهدين والمجتهد إذا أصاب فله أجران وإذا أخطأ فله أجر واحد وكل منهما تبعه جنده المنفذ لأوامره ولاذنب على الجندى لأنه ينفذ أمر قائده .

ومن سب الصحابة فهو آثم لقول النبى ﷺ : إذا ذكر أصحابى فأمسكوا ولقوله: « الله الله فى أصحابى فلو انفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه » وعلى من يرشد المسلمين أن يلم بالسيرة الصحيحة وأقوال الفقهاء فى الخلاف الذى وقع بين الصحابة حتى لايخوض فيهم ولاينتقص قدرهم .

**السؤال من السيد / يحيى محمود راسم**

**أرجو أن يقوم الأزهر الشريف بانشاء ( مشروع الأضحية ) على غرار المنفذ بالمملكة العربية السعودية ، وذلك بأن يتم تحصيل مبلغ الأضحية .. على أن يتم تجميعها وذبحها وتوزيعها حسب الشريعة .. لأنكم تعلمون مدى ضيق الأماكن والمساكن .. وصعوبة الشراء بل والتوزيع .. وما إلى ذلك .**

**أفيدونا أفادكم الله .**

بسم الله الرحمن الرحيم

مشروع الأضحية فى مصر لايشكل موضوعا يشغل البال لكثرة الفقراء المحتاجين إلى لحوم الأضاحى فى مصر وكل من يذبح أضحية يجد من الفقراء ما يزيد عن لحم الأضحية ولهذا لاتقاس

الأضحية على الهدى فى السعودية لأن ملايين البشر يذبحون فى وقت واحد وفى مكان واحد، فلو لم تحفظ هذه اللحوم لضاعت على الناس، وليس ضيق الأماكن والمساكن مبرراً لعمل مشروع تجميع الأضاحى وكذلك ليس من الأعذار صعوبة الشراء والتوزيع، فما أكثر الفقراء، بل الأضحية يوزع منها جزء كبير على الجيران والأصدقاء والأقارب على سبيل الهدية .

والله تعالى أعلم

**السؤال من السيد/ علاء محمود هيكل المحامى دكرنس ـ دقهلية**

**توفى رجل وترك زوجته ، وثلاث إناث له ، وأخت لأب وأولاد ذكور لشقيقه المتوفى قبل وفاته بكثير .**

**فهل يرث أولاد الأخ الشقيق المتوفى قبل وفاة المورث ، وهل ترث الأخت لأب أم لا ؟ أفيدونا أفادكم الله .**

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد فنفيد بأن للزوجة الثمن فرضا لوجود الفرع الوارث وللبنات الثلاث الثلثين فرضا لعدم من يعصبهن يقسم بينهن بالتساوى والباقى للأخت من الأب تعصيبا ولاشئ لأولاد الأخ الشقيق لحجبهم بالأخت لأب لأنها صارت عصبة مع البنات والله تعالى أعلم .

**السؤال من السيد/عبدالله الصعيدى ـ بلقاس ـ المعصرة شرقية :**

**١ ـ اضطرت المرأة إلى الخروج للعمل نتيجة الظروف الاقتصادية إلا أننا نجد بعض النساء يعملن فى مجالات لاتناسب طبيعتهن .**

**فما حكم الدين فى مزاولة المرأة أعمال الرجال ؟**

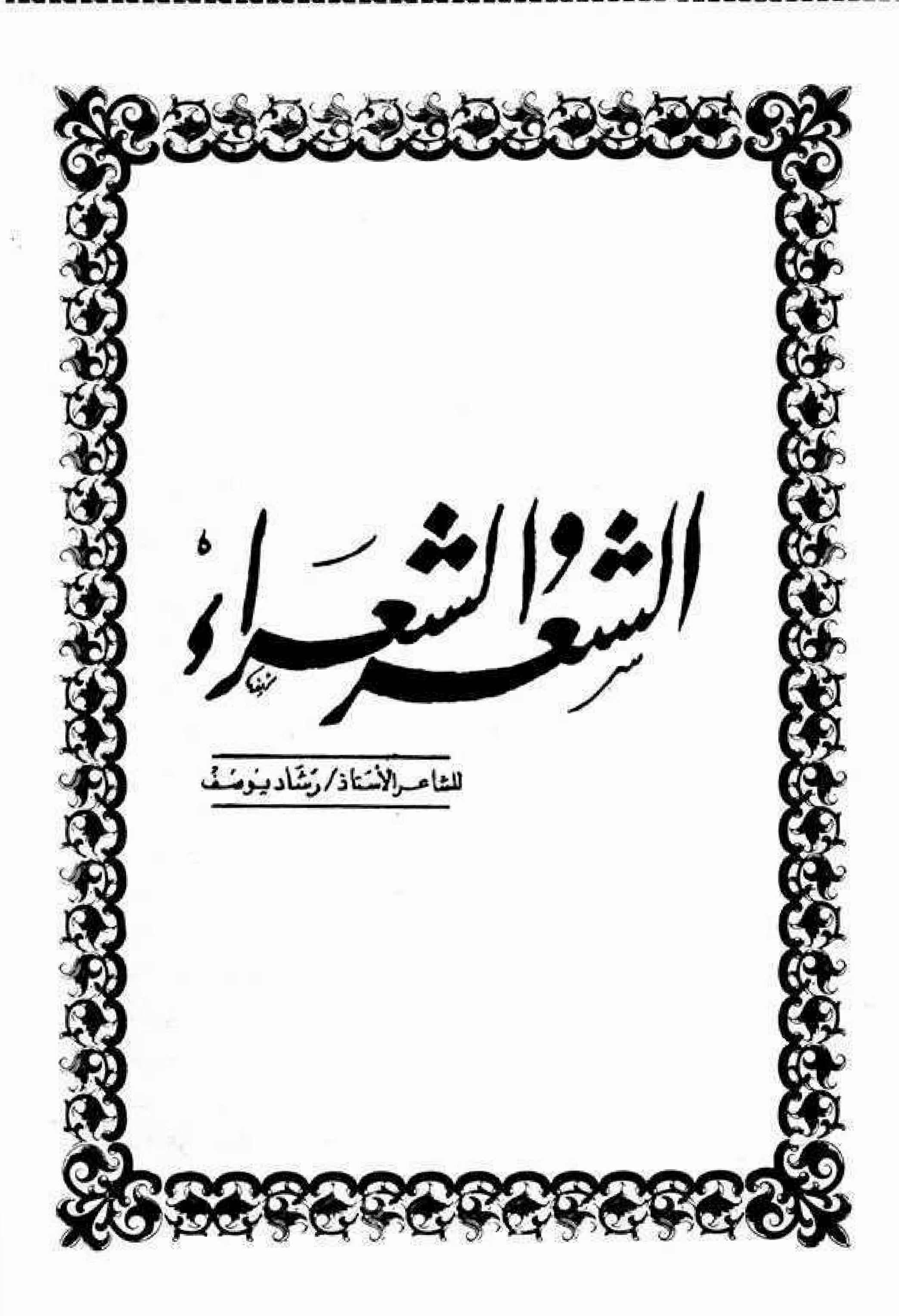
**٢ ـ بعض الفتيات يعلقن حليا ذهبية أو فضية على صدورهن ، كتب عليها آيات من القرآن الكريم للتبرك بها ، وتدخل بها الحمام .**

**فما الحكم فى هذا الأمر ؟**

الجواب

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﷺ وبعد ، فنفيد عن الأول : بأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ قد خلق المرأة لتكون زوجة للرجل يأنس بها ، ويسكن إليها ، وتكون قيمة على بيته ، ومسئولة معه عن تربية أولادها ، فإذا اضطرتها الحاجة إلى العمل فلا مانع من ذلك بشرط مراعاة الآداب الإسلامية والشرعية التى أمر الله بها حين تعمل المرأة خارج بيتها مع عدم اختلاطها بالرجال ، وأن يكون عملها مناسبا لطبيعتها ، وغير ذلك لايجوز ؛ فإن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح ، والله المستعان .

وعن الثانى نفيد : بأنه لامانع شرعا من كتابة الآيات القرآنية على الحلى التى تتزين بها المرأة تبركا بكلمات الله وسنة رسوله الكريم ﷺ وإن كان الأفضل خلعها عند ارتياد الأماكن التى تكثر بها القاذورات أو النجاسه ؛ مثل دورات المياه وغيرها ، احتراما لما كتب عليها من قرآن وسنة والله الموفق ، هذا إذا كان الحال كما ذكر فى السؤال والله أعلم .



# الشعر والشعراء

للشاعر الأستاذ/ رشاد يوسف




شعر الأستاذ/ حسين أحمد إسماعيل

أحبائى لكم قلبى وعقلى ... فقلبى ملؤه حبٌ وشوقٌ
وعقلى ملؤه ألمٌ دفينٌ ... وفيه مرارةٌ : غيظٌ وحنقُ
تشابهت الدروبُ فأين دربى ؟ ... وأين الخيلُ .. إقدامٌ وسَبْقُ ؟
وأين الفاتحون لكل ثغرٍ ؟ ... رجالٌ سيفُهم رعدٌ وبرقُ
وأين القائمون لكل خطبٍ ؟ ... رجالٌ وعدُهم لله صِدقُ
وأين العالمون بكل أمرٍ ؟ ... رجالٌ علمهم بالحق حقُّ
تقدمت الدُنا فى كل فج ... ... وهذا ليلُنا للأفق أفقُ
أنحيا فى بلاد الله ضَعْفاً ؟ ... يهاجمنا الخسيس ويَسْتَرِقُّ
تفيض دماؤنا فى كل أرضٍ ... وهذا جُرحنا سيلٌ ودفقُ
جراحٌ لَاتُضَمُّ لها شفاةٌ ... وأشجانٌ لها فى القلب رَشْقُ
«أمعتصماهُ» تبكى كل يومٍ ... فمن للثاكلات ، ومن يرقُّ
فكل كلامِنَا قولٌ مُعَادٌ ... وكلُ فِعَالِنا هُزْءٌ وحُمْقُ
يموتُ المسلمون اليومَ جُوعاً ... وللغربان فى الآفاق نَعْقُ
وإخوانٌ لنا لكن علينا ... فكلُ حياتِهم كأسٌ وعشقُ
أحقاً كنا للدنيا رجالا ... وكانت أرضُنا للعلم شَرْقُ
وكانت أرضُنا أرضاً حَراماً ... وهذى أرضُنا قتلٌ وحَرْقُ
بلادُ المسلمين لقد أُبِيحتْ ... صلاحَ الدين ياسيفاً يَشُقُ
أما تصحو لقد نامت رؤانا ؟ ... ونامت خيلنا والليل دَفْقُ
وداس قلوبَنا وغدٌ صَفيقٌ ... وتلك طباعهُ: غَدْرٌ وفِسقُ
سلاماً أرضَ أندلسٍ سلاماً ... أيا سيفاً له فى القلبِ عُمْقُ
أأندَلُسَيْن أبكى أم ثلاثاً ؟ ... فلسطينَ التى فى القلب شَقٌّ
وفى « البوسنا » وحوشٌ هائجاتٌ ... تُساندهم قلوبٌ لاتَرِقُّ
أقطعانٌ تُساق بكل دَرْب ؟ ... وكلُ كلامِنا جَهْلٌ وحُمْقُ
سبايا نحن . نضحك للبلايا ... كأن الشرَ خيراتٌ ورزقُ
أعوذُ الشعرَ من لين القوافى ... فهذا الشعرُ تجريحٌ وحَرْقُ
ألا هبُّوا فقد هبَّتْ رياحٌ ... رياحُ الشَّرِّ أغلالٌ وَرِقُّ
ألا هبوا فقد هبَّتْ رياحٌ ... أفيقوا فالحياة اليومَ سَبْقُ



للشاعر: رشاد محمد يوسف

يا أمة كثرت فيهـا الأعاصيـرُ ... وشـابَ نضرتهـا همٌّ وتكديـرُ

تنازعت أمرَهَا ، والخلف أجهدهـا ... فلا تحركهـا تلك المحاذيـر

فى كل أرضٍ من الإسلام مَذْبحَـةٌ ... وللدمـاء مساراتٌ وتفـجير

يا أمتـى- وجـراح الأهـل نازفـةٌ: ... هل تعلمـون بما تلقـاه « كشمير » ؟

تنـاولتها الليـالى فى تقـلبها ... وأرهـقتها عداواتٌ وتكفيـرُ

وعسكـر الهنـد قد دكُّـوا مآذنها ... فَغـابَ عن أفقِهَـا الله تكبيـرُ

• • •

كشميرُ فى الأسر تلقى الضَّيْمَ باكيةً ... ولَيْلُهَـا ضارعُ الأنَّـاتِ مذعـور

جزيـرةٌ فى بِحَـارِ الكفـر غارقـةٌ ... ومسجـدٌ من بيـوت الله مهجـور

مباحةُ العِرْضِ فالهنـدوسُ تسحقهـا ... والسيـخُ تبـطش والباقـون تنصير

والموتُ يحصد أطفـالا مقرَّعَـةً ... بريئـةً دمـيت فيها الأساريـر

شقُّوا بطونَ الثكالى مَزَّقُوا جَسَـداً ... قد حرَّمَ الله أن يلقـاه تحقير

وللضحايـا أنيـنٌ فى مسامعنـا ... والعَيْـنُ باكيـةٌ والعَـزْمُ مقهـور

• • •

والعالَـمُ الجامـدُ الإحساسِ يَرْقُبُهَـا ... وجَفْنُـه عن بَنِـى الإسلام محسور

ومجلسُ الأمــن لا أمـنٌ يحققـه ... لكنَّـه لهَـوَى الأعضَـاءِ مأجـور

فإنْ تحرَّك فالأهـداف قد رسمت ... ففـى الصومـال مجاعـاتٌ وتـدمير

وفى العـراق أباطيـلٌ ملفقـةٌ ... والبُسْـنُ أرهقهـا قتـلٌ وتقـتير

وخلفـه هيئـة تنسى مبادئهـا ... ميثاقهـا كان للغـرب مسطـور

أمينها عنده الأسباب جاهـــزة وكل بطــــن له عذر وتبريــــر
أعــدَّ تقريـــره قبـــلا ودبَّجـــه ياسوء مافعــلت فينـــا التقاريـــر
فكـــلُّ شيء مبـــاحٌ عندهـــم ولهم وكـــلُّ حق لأهْــلِ الحَــقِّ محْظــور

●●●

ياعالم الشرك ماهانت عقيدتنـــــا فدينـنـــا فى أمـــــان الله منصور
بقــــوة الحق والإيمان نحفظـــه من أن يهدِدُهُ شركٌ وتــــبشير
وُضوءُهــم رَوْثُ الأبقــار ماطهـــروا وكيف يرجى لدى الهندوس تطهير ؟
قد حرّمـوا ذبحهـا والجوع يأكلهـم وقـد أبيحت لها الساحـات والـدور
وآخـــرون لدى تمثـالهم سجـــدوا يسبحـــون ومـــافى قلبهم نور
بُوذَا زرادشْت كونفشيـــوس برهمة على العقــول لهم سحـــر وتـــأثير
عقائـــــد مالها وحــــى ولا رسل ومـــا لها عنـــد أهـــل العلـــم تفسير
لكنها نحل قامت على سفــــــه أقامهـــا الإفك والتضليـــل والــــزور

●●●

« كشمير » تصرخ فى الآفاق ضارعـة: من أجــل عرضكـــم ياأمتـــى ثوروا
من أجل قرآنكم من أجــل ملتكـــم من أجل حرمتكم حان الفـدا سيروا
ماذا نقـــول أمـــام الله فى ملأ وهــل تقـــال لدى الله المعاذيــــر ؟
قال : « انفروا » واغضبوا لله واحتسبوا فمـــا نفـــرتم ومـــا للقـــول تأثير
ياأمتـــى لم يعـــد للأمـــر تأخير فالأمـــر ماحكـــمت فيـــه المقاديـــر
جراحتـــا يابنـــى الإسلام قد كثرت والمسلمـــــون ملايين مغاويـــــر
وعندنـــــا ثَرَوَات لاحدود لها تضاعــــفتْ ورَبَتْ تلك القنــــاطير
فغيروا مابكـــم فالوعـــد مدّخـــر حتـــى يتـمَّ من الــــرحمن تغـــيير
بيعــــوا إلى الله أرواحــــاً وأرصدة وسارعـــوا فطريـــق الــــنصر ميسور
« كشمير » تذبح و« الصومال » ضائعة وفى فلسطين والبلقــــــان تذكير
أيـــن الفـــداء وأيـــن الباذلـــون له والديـــن بذلٌ وإقـــدام وتحريـــــر
فُكُّوا إسار بنـــى الإسلام واعتصمـــوا ووحدوا الـــرأى فالتوحيـد دستــور
لاعيش إلا ولـــلإسلام فى دمنـــا كلُّ الـــولاء وللقـــرآن تقديــــر
لم يعـــرف الضيم يومـــاً فى مسيرتـــه وكــــلُّ أيامـــه عدل وتنويـــــر

●●●



# الغرف على الوتر الأخير

للأستاذ الشاعر : محمد عبدالرحمن صان الدين

لستُ أدرى ما مصيرى بعد موتى واندثارى
أخفتْ الأقدارُ ما ألقاهُ فى دار القرار
رَجْفةُ تسرى بأعضائى وقلبى المُستطار
كلما فكَّرْت فى أنِّى - من الإحسان - عار
لكن الإيمان بالرحمن يُبقى لى وقارى

***

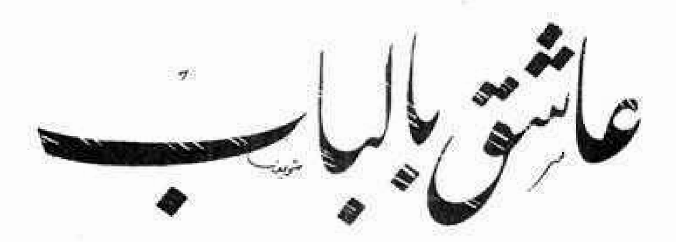
كُنْ أنيسى يا إلهى عندما أُثْوى بقبرى
أغزلا من كل شىء غير إحسانى .. و .. وِزْرى
إن أقوالى وأفعالى ونبضى .. طول عمرى :
فى كتاب قد حَوَى ما غاب عن وعْيى وفكرى
لهْفَ نفسى ما مآلِى بعد موتى ؟ لسْت أدرى !

***

منك يا ربى إلى الدنيا - بلا قصْدٍ - أتيت
وإليك العَوْدُ حتما بعد عمر .. قد قضيت
بين إتْيانى وَعوْدى عنك ربى .. ما نأيْتُ
غير أن الطبع فى الإنسان يُنسِى .. ما وعيْتُ
فاغتفِرْ لى يا إلَهى فى حياتى .. ما أتيت

***

ما تزال الأرض بالخيْرات والنُّعْمَى تجود
كل يوم ، كل فصل ينفح الدنيا .. جديد
إن شمس الله ما زالت - إذا وَلَّتْ - تعود
والوجود الحىُّ يجرى فى انتظام .. لا يحيد
ما الذى يُؤْسِى ويُبْكِى أيها القلبُ العميد ؟



# عاشق بالباب

شعر: ابراهيم عيسى

عاشقٌ بالبـــاب حيرانٌ مُعَنَّـــى     سَمِـعَ النـورَ يناديـه فحَنَّـا
مَدَّ بالنجـوى ذراعــاً ضارعــاً     فنـأى النـورُ عن النجـوى فجُنَّـا
وطــواه الموجُ فى تيَّــارِهِ     وشراعٌ فى الليــالى يتثنَّــى
شيَّـبَتْ أشواقَــه الدنيــا ومــا     عاد إلا بأمانيــه ... فأنَّــا

●●●

ومشى فى الليــل معصوبَ السنــا     يتشاكــى من هوى ليلى ولبنــى
دربُــه الغائــمُ يطــوى عمــرَهُ     يسأل الأيــامَ قلبــاً مطمئنــاً
طالما ضجَّتْ به غربتُــــه     مسرفــاً فى ذنبــه لا يتأنَّــى
يحمــل الخوفَ حريقــاً باكيــاً     نادمَ الحسرة .. بالآهات مُضْنَــى

●●●

كل أحــزان الــزوال ارتطــمَتْ     بسؤال عن عذابٍ ليس يَفْنَــى
فتهاوى عنــد أعتــابك يرجــو     فى حماكَ رحمةً تُنْــبِتُ أمْنــا
وهــو بالــذنب إلى صَفْــحك يهفـو     وهــو بالحب إلى بابِكَ أدْنَــى
أوْرَقَ الفجــرُ على بستانــــه     فسقَــى من نوره قلبــاً وعَيْنــا

●●●

نحن ماشئنــا دروبــاً فى السُّــرَى     إنما أمْـلَتْ لنــا الدنيــا فَتُهْنــا
أنتَ .. يا أقــربَ لى منــى .. أنــا     عاشق بالبــاب حيرانٌ مُعَنَّــى
أعْطِنِــــى مِن أى كَفٍّ شئتَهــا     فكِــلَا كفَّــيْكَ يا مولاىَ يُمْنَــى

# إنه المصريُّ في آياته

شعر الأستاذ / عبد الغفار الدلاش

وَاكتُبِ التاريخ شهماً بطلا ... مَا سَلا الأمجادَ مهما بَذَلا

كم صروحٍ خالداتٍ شادها ... لم تنلْ منهُ الليالى معقلا

حكمةُ الأيامِ فى منطقه ... من قديم الدهرِ صاغَ المثلا

فاسألوا الأهرام عن آياته ... عن فنون العلم صارت عملا !

• • •

واسألوا النيل الذى رَوَّضَهُ ... فى فروع قدَّمتهُ سَلْسَلا

حوَّل الصحراء روضاً يانعاً ... كلَّما شقَّ وأجرى جدولا

سجَّل الأحداث فى تاريخه ... فى نقوش الصخر عاشت أزلا

واسألوا البُرْدِىَّ عن أيامه ... دوَّن العلمَ بها مختزلا

إنها مصر . وهذا شعبها ... لم يَجِدْها المجدُ إلا موئلا

هذه « هاجر » لما هرولت ... يقتدى الحجُّ بها ما هرولا

« أمُّ ابراهيمَ » جاءت بعدها ... عند خيرِ الخلق حلَّت منزلا

وبأهلِ النيل وَصَّى « المصطفى » ... باتخاذِ الجيش منهم جَحْفَلا

• • •

اسألوا التاريخ عن آياته ... واسألوا الناس على كلِّ الملا

★ نظراً لضيق المساحة اضطررنا لاختيار أبيات من هذه القصيدة الغراء فمعذرة للشاعر الكريم .

عن نصير الحق يُعْلِـــى شأنـــه بَالِـــغ البـــأسِ يُذِلُّ الباطـــلا
أذهـــل الدنيـــا بما وَرَّثَهَـــا من فنـــون كان فيها مذهـــلا

• • •

وفنـــــــون الحرب مازال بها سَيِّـدَ الميـدان فيمـــا حصَّـــلا
ذلك « الأستـاذُ » عمـلاقُ النُّهـى كيـف أثـرى الدهـر فيمـا نحلا !
دائمـــــــاً يمضى إلى أمجاده طاهـر الثـوب عفيفـاً بطـــلا

• • •

هذه مصر وهـــــــذا شعبها خيرهـــا الخير توالى وابـــلا
شيـــد الإسلامُ فيها « أزهـــراً » جاوز السُّـحُبَ سنـاءً وَعُـــلا
قدَّم الأعلامَ فرسان الهدى صاغهـم للحـق فى دنيـا الْمَـــلا
ومنـــــارات على طول المدى تكشف الزيـف وتُـزرى الباطـــلا
تنشر العلـــم نقيًّـــا خالصاً تجعـــل التوحيـــد فيـــه أوَّلا

• • •

قبلـــةَ التـــاريخ فى أيامـــه لم يزل سحـــرُك فيـــه مثـــلا
يامنـــار الأرض ياأفـــق الـــورى ياحيـــاض العلـــم ظلَّت منهلا
فى أذان يملأ الدنيـــــا صدىً يجعـــل الكـــون جميعـــاً ثِمـــلا
إنما الطاغـــوت فى إسرافـــه لم يكـــن إلا مقيتـــا ممحـــلا
دمَّـــر الشر الـــذى دبَّـــره ومضى عنـــا بعيـــداً وَ .. جلا
إنما المصرىُّ فى إقدامـــــــه يقهـــر الأرزاءَ مهمـــا أُثقِـــلا



بقلم الشاعر/ تمام مخلوف*

قم بالمعلـــم واتـــرك التبجيـــلا ... كـــاد المعلـــم أنْ يضـــلّ سبيـــلا
ضـاقتْ عليـه حياتـه وتكـدّرتْ ... بالله كيـــف ينيـــر بعـــدُ عقـــولا
لا خيـــر فى بلـــد يـــذلّ معلمـــا ... بئس الحيـــاة إذا قَتَلْـــتَ رســـولا

الجهـل يرفـل والرذائـــل تزدهـــى ... وتـــرى الظـــلام إذا رأيـــت بديـــلًا
ادّعُـوا رجـال الاقتصـاد جميعَهـمْ ... يتداولـــون الـــرأى والتحليـــلا
كيـف الحيـاة براتـبٍ لم تبقـه الـ ... أسعـــار إلا مُوطَـــأً مقتـــولا

هَبْ أنّه نـال المقابـر مسكنـا ... وأقـام فـوق رفاتهـا مذلـــولا
وأُقِيـل من دَفْـع المقـدّم رأفـةً ... وغدا المعـذّب بعـد ذا مسئـولا
وأراد أنْ يحيـا براتبـه فقـطْ ... حتـى يقيّـضَ ربُّـهُ تبديـــلا

تـرك الملابـس واكتفـى بإزارهِ ... والعيـش دون إدامـه مأكـــولا
لم يتّخـذْ زوجـا وليـس بعائـلٍ ... وبصحـة لم يغـدُ بعـدُ عليـــلا
وتشـقّقتْ قدمـاه من بعد الوجَـى ... فى غلظـة شـاهت وجاكـت فِيـلا

لا شـكّ أنّ الجـوع مُـورده الـردى ... صـدق الـذى زعـم المجاعـة غـولا
أو هكـذا يا مصـر يُجـزَى وارث الرسـل الكـرام مذلّـةً ومُخُـولا
فمن الـذى يا مصـر يمضـى حامـلا ... قَبَـسَ الحضـارة صـائغاً إكليـلًا

ظلمـوك يا مصـر الحضـارة عنـدما ... سلبـوا الوقـود فأطفئـوا القنديـلا
كيـف الرخـاء إذا فقـدتِ معلمـاً ... يبنى العقـول ويُحسِـن التشـكيلا

كيـف الشـجاعة إن فقـدتِ معلمـا ... حـرًّا شـجاعاً لا يهـاب نصـولا
إنّ المعلـم إنْ أهَـنتَ حياتـه ... أهـداك عقـلا مُظْلِمـاً مشـكولا

---

* مدرس ثانوى بالأزهر - فرشوط - قنا

# قلبى لمصر

## قصيدة الشيخ: سراج الدين معزوز

قلبى لمصر . قديماً كنت أهواها ... والحمد لله أنا اليوم زرناها

ها مصر ، ها بلد الأبطال من قدم ... كم عبقرى سما قد رام سكناها

وكم نبىّ عظيم القدر حَلَّ بها ... بنوره فأضاءت منه أرجاها

فاذكر بذاك خليل الله حين أتى ... أهدت له من بنات الطهر أزكاها

فهاجر أم إسماعيل قد هجرت ... ماليس يحمد عند الله مولاها

فأنجبت خير من يرجى لمكرمة ... يا فخر مصر بما الرحمن أولاها

واذكر بذا يوسف الصديق جىء به ... ظلما فبُدِّل عطفا عند مولاها

لما تبناهُ ذاك القَيْل مغتبطاً ... حتى تبوأ عزاً إذ تولاها

أولاد يعقوب جاءوا فى مجاعتهم ... ولم يخب قط من يرتاد مرعاها

فكان ما قصه الرحمن من كرم ... ومن جزيل صلات دام ذكراها

وتلكَ أُسْرةُ الخير إذ بَعُدَت ... عن القساةِ فكانت مصر مأوها

فاستقبلوا الخير بالترحيب ، واحتفلوا ... كأنما حَلَّ فيهم يوم بشراها

واذكر مقوقس من بعد إذ وردت ... رسالة المصطفى قد جل فحواها

فكاد يُسْلِمُ لولا خوف أمته ... واختار من طيبات الأرض أغلاها

هدية لرسول الله وافتحت ... من بعدهِ مصر صلحا يا لبشراها

تلك الروابط من صهر ومن نسب ... بحكمة الله فيها سر مغزاها

وصية المصطفى تكفيكمو شرفاً ... يا أهل مصر بما يحويه معناها

تلك المآثر يبقى الدهر يذكرها ... فخراً ويقصر عنها من تقصاها

حسبى بما قلت فيها عند مطلعها ... قلبى لمصر . قديماً كنت أهواها

---

(١) الشاعر عضو وفد (غينيا بيساو) فى الدورة العالمية الثالثة والعشرين للأئمة والوعاظ التى تنظمها الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر الشريف .

# من علمائنا المعاصرين

# محمد زاهد الكوثرى

- ١ -

أ.د/ محمد رجب البيومى

يُطلقون وصف الراوية على من يحفظ الكثير من روائع الشعر العربى ، فلماذا لايتسعون فيطلقون هذا الوصف على من قرأ كتب التراث الإسلامى فى شتى فروعه المختلفة قراءة الدارس المستوعب الناقد ، ومن تتبع المخطوطات الإسلامية عربية وغير عربية فى شتى الأقطار المترامية ليقرأها فى فروعها المختلفة ، إننا نعهد من يتخصص فى دروس التشريع من فقه وأصول وتفسير وحديث لايلم بكتب العقيدة ودقائق علوم التوحيد والمنطق والفلسفة ودعك من علوم اللسان كالنحو والصرف والبلاغة واللّغة والأدب ، فما بالنا نجد الأستاذ الكوثرى يقرأ كتب التراث الإسلامى فى شتى مناحيه ، قراءة ترشحه لأن يكون أمين هذا التراث فى مختلف تياراته ، لأنه لايقرأ قراءة المتعجل بل قراءة الفاحص الناقد البصير ، حتى لنعجب حين نجد من يحققون كتب الكلام يتطلعون إلى مصباحه المضىء ، فنظنهم وحدهم تلاميذ الرجل على حين نرى رجال الفقه على مختلف مذاهبه يغشون إلى ضوئه حين تنبهم المسائل ، وتتدجى وجوه الرأي ، فيجدون شفاء الصدور ، واطمئنان اليقين ، فإذا كان المجال لمحققى كتب اللسان العربى ، فإن استشارة الكوثرى لهم ضرورة ملزمة ، إذ يجمع المحققون على اختلاف مشاربهم ، وتنوع اتجاهاتهم على إحاطة هذا الحبر فى شتى الميادين ، وما شهدنا إلا بما رأينا ، فقد كان مجلسه العلمى فى مسجد أبى الذهب المقابل للجامع الأزهر الشريف بعد صلاة الجمعة فى كل أسبوع مجال تسابق علمى بين المحققين إذ يعرفون أن الرجل الكبير لايبخل بعلمه على أحد ، وقد يستحيون من كثرة التردد على منزله العامر بالعباسية ، فينتهزون فرصة صلاة الجمعة بمسجد أبى الذهب ليردوا مورده العلمى ، والكوثرى الجليل رحب الصدر ، رحب العلم معاً ، وطبيعى أن يكون هؤلاء الكبار ممن لايسألون عن غير العويص المستغلق ، وما أعياهم اكتشاف وجهه بعد طول الدأب ، وعناء المراجعة ، ولكن من غير الطبيعى - إلا لدى من اختصه الله بفضله - أن يكون المسئول الكبير ملما بكل مايسأل عنه ، وكأنه سئل من قبل فدرس ونقب حتى اهتدى إلى الرأى الصائب ، مع بديهة حاضره تقوم مقام الروية المتئدة عند سواه ، وقد يأتيه باحث بمخطوط نادر يظن أنه وحده الذى اطلع عليه ، فهو يباهى به مباهاة لاتقف عند حد ، ثم يفاجأ بأن الكوثرى قد قرأ المخطوط فى أكثر من نسخة ، وأنه

يشير عليه بالاطلاع على مخطوطات أخرى فى مكاتب العالم الإسلامى عربية وغير عربية ، كما يقدم إليه المخطوط النادر ، فيعرف من طريقة نسخه من الكاتب ؟ وفى أى سنة كتب ؟ ويبدى احتمالات شتى لاتلبث بعد الفحص أن تصير إلى حقائق ، إننا نعرف كثيرا من الفضلاء يحرصون على جمع المخطوطات ، ولهم جهدهم المشكور لما بذلوه من وقت ومال واطلاع ، ولكننا لا نجد مثيلا للكوثرى فى قراءة هذه المخطوطات واستيعابها على نحو فريد ، ولعلنا نعترف بالفضل لأهله حين نذكر فى هذا المجال الشيخ طاهر الجزائرى ، والشيخ خليل الخالدى ، وأحمد باشا تيمور ، ولكن الكوثرى قد أربى عليهم بما قرأ واستوعب فى اللغات الإسلامية من عربية وتركية وجركسية وفارسية ! إن هؤلاء الأفاضل قد وقفوا عند التراث العربى وحده ، ولكن الكوثرى تجاوز هذا النطاق إلى ماهو أرحب وأوسع ، وقد يترجم نقولا مختلفة من هذه اللغات إلى العربية ويقدمها هدية لمن يسأله دون أن يحرص على نسبة الترجمة إليه ، وهى مثالية عليا نادرة الوجود .

### زاهد أصيل

أذكر أن الأستاذ العقاد حين تحدث عن الأستاذ الكبير محمد فريد وجدى رحمهما الله قال فى مقدمة حديثه[1] هو فريد عصره غير مدافع ، ولطالما قيلت هذه الكلمة عن عشرات من حملة الأقلام فى عصر واحد كلهم فريد فى عصره ، إلا أننا نقولها اليوم عن محمد فريد وجدى لنعيد إليها معناها الذى يصدق على الصفة حرفا حرفا ، ولاينحرف عنها كثيراً أو قليلاً حتى فى لغة المجاز ، نعم الفريد حتى فى لغة الجناس لأن اسمه فريد !

وما قاله العقاد عن فريد ، وانطباق الوصف الدقيق على اسمه ، أقوله عن ( زاهد ) فما رأينا من كبار العلماء من زهد فى المناصب العلمية المغرية على ما تمنحه من جاه ممتد ، ومال مسعف ، وعيش رافه كما زهد الأستاذ زاهد الكوثرى ، لقد دعى الى أن يكون أستاذا للغة التركية بمعهد اللغات لشرقية قبل أن ينضم إلى كلية الآداب ، فرفض ، لأنه رأى بين أساتذة المعهد مستشرقين يخفون مالا يبدون ، وليس من خلقه أن يزامل من لا يثق فى طويته ، ودعى لأن يأخذ أجرا على ما يقوم به من عناء التصحيح والتوثيق والتقدمة لبعض كتب التراث ، فرفض على شدة احتياجه ، وضيق ذات يده ، لأن ذلك فى رأيه قد يحول دون ثواب الآخرة ، وما عند الله أبقى وأفضل ! لقد قدم إليه تلميذه الناشر الكبير الأستاذ حسام القدسى مائة نسخة من كتاب قام على تصحيحه عاما كاملا فأبى ، وقال أخاف الا يجتمع ثواب الدنيا مع ثواب الآخرة ، وفى أزمة مالية مرهقة حين اشتدت به العلة ، وزادت تكاليف العلاج شاء تلميذه الأستاذ أحمد خيرى أن يمده بثمن الدواء وفاء لما قام به من تعليمه وتهذيبه وآثر أن يبيع كتبه الثمينة بثمن بخس ليجد ما ينفق دون مرارة تلحقه ، وقد أراد الأستاذ الكبير محمد أبو زهرة أن يكون الكوثرى أستاذا للطلاب بقسم الدراسات العليا للشريعة الإسلامية بكلية الحقوق بجامعة القاهرة ، وكان الرجل يعانى أعباء الشيخوخة فقال لأبى زهرة ، ليست لدى القوة الجسمية التى أطمئن إليها فى تأدية الدرس على الوجه المنشود ! وألح أبو زهرة قائلا إن مجرد حديث الكوثرى مع الطلاب كسب أى كسب ، وأنه يتحدث مع كبار العلماء فيبهرهم ، فليجرب ذلك مع الطلاب ! ولكن الكوثرى قال :

(1) رجال عرفتهم للأستاذ العقاد ص ١٤٧ ط بيروت .

بالتدريس أمانة ، وله عندى ميزان خاص أخاف على نفسى أن أتجاوزه ، ولقاء الله قريب ! وخرج الأستاذ أبو زهرة من بيت الكوثرى ، وهو يضرب كفا بكف ، ويقول : عندنا من يدخل قاعة المحاضرات ، ولايستحيى من نفسه أن يصرف الوقت فيما لايفيد ، وهذا الكوثرى فى ضيق من العيش ، وضرورة لثمن الدواء ، يستشعر فداحة الموقف العلمى ، وينهاه ضميره الأدبى أن يتهيأ للتدريس ، مع أنه أهل له !! ثم يبعث زميله الأستاذ على الخفيف إلى الكوثرى مرة أخرى فيجده مصمماً على مايريد ! فيتكرر الرفض ، ويخرج الخفيف هو الآخر ليضرب كفا بكف !

وقد أحسن الأستاذ أبو زهرة كل الإحسان ، حين قال عن الكوثرى فى مقدمة كتاب ( مقالات الكوثرى ) الذى طبع بعد رحيله مجموعا من الصحف الدينية التى كان يؤثرها بنتاجه الغزير[٢] .

« إن ذلك الإمام الجليل لم يكن من المنتحلين لمذهب جديد ، ولامن الدعاة إلى أمر بدىء لم يسبق به ، ولم يكن من الذين يسمهم الناس بسمة التجديد لأن التجديد ، بل كان ينفر منهم ، فإنه كان متبعا ، ولم يكن مبتدعا ، وأنا مع ذلك أقول إنه كان من المجددين بالمعنى الحقيقى لكلمة التجديد ليس هو ما تعارفه الناس من خلع للربقة ، ورد لعهد النبوة الأولى ، وإنما التجديد هو أن يعاد إلى الدين رونقه ويزال عنه ما علق به من أوهام ، ويبين للناس صافيا كجوهره ، نقيا كأصله ، وإنه لمن التجديد أن تحيا السنة ، وتموت البدعة ، ويقوم بين الناس عمود الدين ، ذلك هو التجديد حقا وصدقا ، وقد قام الإمام الكوثرى بإحياء السنة النبوية ، فكشف عن المخبوء بين ثنايا التاريخ من كتبها ، ثم عكف على جهود السابقين من الذين قاموا بالسنة ، ورعوها حق رعايتها ، فنشر كتبهم » .

وما قاله الإمام أبو زهرة يجب أن يكون موضع الاهتمام والنظر ، لأن من الكاتبين من يرى التجديد هدما لابناء ! بل منهم من يرى التجديد فى الشذوذ عن الطريق السوى ، والافتيات على السابقين بغيا دون علم ، وليس ذلك بتجديد بل هو تدمير وتخريب .

### ظروف حياة

ينتهى نسب الكوثرى إلى الجركس ببلاد القوقاز ، وللجراكسة عزيمة صلبة ، يعرفها من يقرأ سيرهم فى الحروب واقتحام الأهوال ، وأبناء الجراكسة من العلماء يحملون هذه العزيمة فى مضمار العلم والثقافة ، فلهم اعتزاز بالرأى ، ومجاهرة بالحق ، وعدم الخضوع لما يرونه باطلا فى الاتجاه ، وتلك صفات بارزة عرف بها الأستاذ محمد زاهد الكوثرى من عهد الطلب إلى أن سعد بجوار ربه الكريم ، صحبته هذه العزيمة طالبا حيث برز على أقرانه فى مجال الدراسة ونال الشهادة العالمية فكان الأول بين زملائه . وعين مدرسا بجامع الفاتح مباشرة لما شوهد من نبوغه المبكر ، ولكن الاتحاديين حينئذ قد أرادوا انتقاص المواد الدينية من جداول الدراسة لتحل محلها العلوم الحديثة ، فرأى الكوثرى أن يجهر بالمعارضة دون حذر ، ولاحظ الاتحاديون الاتراك صلابة موقفه فخافوا أن يلتف حوله من يستطيع إقناعهم باتجاهه ، وعملوا على إبعاده عن الاستانة مدرسا فى معهد فرعى وسط الأناضول ، ثم رأت الجامعة أن

(٢) مقدمة (مقالات الكوثرى) للأستاذ أبى زهرة ص (ب) ط أولى .

يعين أستاذا للشريعة الإسلامية عن طريق الامتحان بين المتسابقين من حملة العالمية مع الخبرة فى التدريس فتقدم الأستاذ الكوثرى للامتحان ، فوقع عليه الاختيار ، وغاظ الاتحاديين أن يرجع من الأناضول مرق إلى هذا المنصب الخطير ، فاكتفوا بانتداب أستاذ آخر دون تعيين أحد ، ولكن صيت الكوثرى دفع به إلى مجالات علمية حتى صار وكيلا للمشيخة الإسلامية فأصبح الرجل الثانى فى المنصب الدينى إذ لايتقدمه غير شيخ الإسلام فحسب ، ثم جهر بمعارضته الشديدة لهدم مدرسة دينية أراد الاتحاديون تحويلها إلى مستشفى عام ، وبادر فرفع دعوى إلى المحكمة المختصة موضحا أن المدرسة ذات وقف متعين ولا سبيل إلى إلغائه ، ولم تصل المحكمة إلى حكم عادل لأن الكماليين قد احتلوا الاستانة ، وأصبح أمرهم بالغ النفاذ ، بحيث لايخضع لرقابة قضائية فهدمت المدرسة ، وبدرت دلائل فصل الدين عن السياسة والدعوة الى العلمانية ، فجند الكوثرى جبهة لمحاربة هذا الاتجاه ، وصدر الأمر باعتقاله ، فلم يخف على نفسه قدر خوفه على إسكات أصوات المعارضة لهذا الحدث المنكر ، ورأى أن يفر بدينه مجاهدا إلى الله ، ليستطيع أن يتحدث بما يشاء ففر وحيداً أعزل من كل شيء وطاف ببلاد المشرق متنقلا بين القاهرة ودمشق حتى استقر بالقاهرة ، ونزل أول أمره برواق الأتراك بالأزهر ، فعرف الطلاب مكانته وتجمعوا حوله ، ولكن ظروف حياته ظلت بين الجذب والشدة لأنه لم يسع إلى منصب علمى ترشحه له كفاءته الواضحة ، وكان من عارفى فضله من أبدوا استعدادا لمعاونته ولكنه أصر على الانطواء الوظيفى دون الانطواء العلمى ،ولعل تجاريبه الأولى بتركيا قد اقنعته بالبعد عن ميادين التنافس ، وقد نشر من التحقيقات العلمية ما قربه لذوى النباهة من أساتذة العلم ، وكان فى الرجل تواضع كريم ، فأراد إحياء سنة السلف فى رواية الحديث النبوى واتصل بشيخ الشافعية بمصر ليروى عنه ( المسلسل ) عن مشايخه ، كما اتصل بالشيخ يوسف الدجوى أحد كبار العلماء فى زمنه ليروى عنه موطأ مالك ، وفى أثناء مقامه بدمشق روى كتاب الشمائل للترمذى عن السيد محمد بن جعفر الكتانى بالجامع الأموى بدمشق ، ولم يكن الشيخ طالبا صغيرا حتى يحرص كل الحرص على هذه الروايات ، ولكنه كان فى مستوى من يأخذ عنهم ، بل كان يفوق بعض من جلس بين أيديهم ، وهم يعلمون ذلك عنه ، ولكنهم جميعا يحيون سيرة السلف فى امتداد الراوية إلى هذا العصر ، وقد رأيت بنفسى أحد مجالس الحديث النبوى بدار العلامة يوسف الدجوى وشاهدت العلامة الكوثرى يقرأ فى خشوع حديث الموطــأ ، والدجوى فوق كرسيه يسمع فى يقظه وانتباه ، وكان المشهد عجيبا ، تحدثت عنه بإفاضة فى إحدى مجلات الأزهر تحت عنوان ( مقارئ الحديث فى مصر )[٣] فليت هذه المقارئ تعود .

## أنصار ومعترضون

لكل مفكر تلاميذه المؤيدون ، ومخالفوه المعترضون ، وتلك ظاهرة صحية دون جدال ، فمازال اختلاف الرأى سبيلا إلى إيضاح الحق إذا خلصت النيات وسلمت الضمائر ، وقد نزل الكوثرى القاهرة ، وهو صاحب رأى فى مسائل الدين ، وشئون التاريخ ، ينافح عنه ، ويعارض مخالفه ، فمن الطبيعى أن يلتف حوله من ينحو منحاه ، كما أن من الطبيعى أن يجهر خصومه

(٣) مجلة الأزهر : جمادى الآخرة ١٤٠٧ هـ .

بمعارضته وهم تلاميذهم الذين يؤيدونهم فى الصحف ، وينقدون مايرونه محتاجا للنقد من أقوال المخالفين ، وقد قلت إن الكوثرى صلب « صخرى » المكسر ، لايسكت عن نقد ، ولايغمض عن اعتراض ، وإذا كان قد جاهر الكماليين والاتحاديين فى تركيا مع سلطانهم القاهر ، وبطشهم الغادر ، فإن مجاهرة مخالفيه من علماء مصر مأمونة العاقبة إذ لاخطر فيها على أحد ، فله أن يقول ما يريد متى يريد ! وقد قال الرجل آراءه الصريحة فى اتجاهات المجددين من ذوى الإصلاح الدينى ، وهذا ما يحمد له ، كما أن مما يحمد لمخالفيه أنهم واجهوا النقد بالنقد دون افتيات وتلك سبيل الفضلاء !

وقد يقال إن بعض الطلاب من شباب المندفعين قد هاجموا الرجل بمقالات صاخبة ، ولكن الكوثرى نفسه قد هاجم الطلاب والأساتذة معا بمقالات صاخبة ، وفى هؤلاء الكبار شيخ الأزهر الإمام المراغى والعلامة الشيخ عبدالمجيد سليم المفتى الأكبر وشيخ الأزهر أيضا والأستاذ الكبير محمود شلتوت شيخ الأوهر من بعد ، والأستاذ أحمد شاكر شيخ المحدثين فى عصره والقاضى الكبير ، وكنت أوثر أن ينهض باحث مخلص بكتابة مؤلف عن هذه الحركة العلمية الخصيبة ، بعد أن ذهب أصحابها إلى رحمة الله ورضوانه ، وكلهم مخلص أمين ، أجل كنت أوثر أن ينهض باحث لكتابة مؤلف تحت عنوان ( الكوثرى بين مؤيديه ومعارضيه ) ليرى الخلف بعض جهاد السلف فى حومة العلم ، ومضمار التجديد ، وليتصل التاريخ العلمى اتصال الحلقات الممتدة فى نظام دقيق ، وإذا كان المراغى وعبدالمجيد سليم وشلتوت ممن يذهبون فى الإصلاح الدينى والتفكير الإسلامى مذهب الإمام محمد عبده ، فإن الكوثرى رحمه الله لم يعف الأستاذ الإمام من انتقادات متتابعة ! وهو بذلك يعيد معارك الفكر الإسلامى فى أخصب عهوده ، حين كانت آراء أبى حنيفة والشافعى وأبى يوسف ومحمد بن الحسن ومالك بن أنس والليث بن سعد موضع جدل كبير .

ومما يبعث على الارتياح أن مقام هؤلاء جميعا كان موضع التكريم من القارىء المعاصر ، فقد كان الكوثرى ــ على حدة صياله ــ موضع التقدير من أساتذة الأزهر الشريف ، ومن طلابه ، إذ كان له حواريون مخلصون من طلبة الكليات الأزهرية ، ومن أساتذتها المرموقين ، وكان الشيخ عبدالمجيد اللبان شيخ كلية أصول الدين يعده باحثا إسلاميا منقطع النظير ، كما كان الأستاذ الشيخ يوسف الدجوى يراه ساعده الأيمن فى اتجاهه الفكرى ، وقد أجبره على السكنى معه هو وعائلته فى بيته بعزبة النخل فى ضواحى القاهرة ، حين كان الكوثرى يسكن بالعباسية ، وقد تعرضت لقنابل الألمان أثناء الحرب العالمية الثانية فلم يأمن الدجوى أن يعود الضرب ثانية فيتعرض صاحبه لما يخشاه ، كما أن الأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبدالرازق شيخ الأزهر كان يختص الكوثرى باهتمامه إذ عرف فضله العلمى فيما حققه من كتب التراث الإسلامى خاصا بالفلسفة التى كان الأستاذ مصطفى عبدالرازق أستاذا لها بكلية الآداب بالجامعة المصرية حيناً من الدهر ، أقول ذلك قبل أن أعرض بعض مناحى الخلاف الفكرى بين الكوثرى ومعارضيه الكبار وكلهم خيار من خيار ..

## من روائع الماضي في مجلة الأزهر



# نظام الإسلام السياسي

لفضيلة الأستاذ الشيخ/ محمود النواوي

إعداد وتقديم الأستاذ/ عبد الفتاح حسين الزيات

قد تطرأ على بعض العقول أفكار شاذة أو تأويلات فاسدة أو تفسيرات خاطئة لبعض نصوص الشريعة الإسلامية ؛ فتضطرب المفاهيم وتختلط التعاليم ، وتحدث البلبلة ؛ فيقع المحظور .

وهذا المقال تقويم بالحجة من الكتاب والسنة ، وأخذ بحجز من تسول له نفسه أن يغوص في بحر الشريعة وهو لا يحسن السباحة .

ولو فقه الناس لتركوا لأهل الاختصاص ما يخصهم ، فهم به أولى وبأسراره أعلم ، فلا ندعى العلم بما لا نعلم فنقع في المحظور المنهى عنه شرعا .

قال الأستاذ رحمه الله :



تحت هذا العنوان كتب الأستاذ محمود اللبابيدى الحلبى مقالا فى مجلة ( رسالة الإسلام ) التى تصدر عن دار التقـريب بين المذاهب الإسلامية وذلك فى العدد الصادر فى المحرم سنة ١٢٧٢ هـ أكتوبر سنة ١٩٥٢ م والبحث جليل والمقال ضاف يشهد لكاتبه بطول النفس وسعة الاطلاع ، وقد استطاع فيه بنشاطه الذهنى وقوة تخريجه أن يوفق إلى حد ما بين نظريتين أشار إليهما فى مقاله وادعى أن كلا من القائلين بهما لو تعمق فى دراسة الإسلام لالتقى مع صاحبه ولم يختلفا .

فإحداهما : تقول : إن الإسلام رسالة لا حكم ، ودين لا دولة ، وهى تتمثل فى كتابى الأستاذين على عبد الرازق ، « الإسلام وأصول الحكم » ، ومحمد خالد ، « من هنا نبدأ » .

**والثانية** : تقول إن الإسلام نزع جميع السلطات من البشر وجعل الحكم لله فى الأمر كله ، وقال فى التوفيق : إن الفريق الذى نزع الحكم عن الإسلام نظر الى ما صار إليه المسلمون من الركود والخمول وفساد الحال ، فظن أن الداء فى الحكومة التى مزجت بين الدين والسياسة ، فنصب نفسه محاربا لهذا النوع .

وأما الفريق الذى يرى أن الاسلام دين الحكم والتشريع فى كل ما يلابس شئون الحياة فإنه نظر إلى ما فيه المسلمون من الضعف وفقد الثقة بالنفس ، حتى صاروا يتعلقون بكل نظام سياسى مهما كان متعارضا مع نظام الاسلام ، فيقولون إن الاسلام ديمقراطى أو اشتراكى أو شيوعى ، فأراد أن يكافح هذه النزعة من الاستخذاء ، وقام بدراسة سطحية لبعض النصوص .

وقد تحامل على هذا الفريق ــ وهو على الحق عند التحقيق ــ لأنه نتيجة تعمق فى نصوص الإسلام ، لا نتيجة دراسة سطحية ؛ فالاسلام موجه للناس فى كل ما يتعلق بشؤنهم ، مهيمن على جميعها ، لم يترك شيئا إلا بينه تفصيلا أو إجمالا ، وترك للراسخين فى العلم الاجتهاد على ضوء قواعده ، لا يخرج عنها عمل ما ، ولا يشذ عن أحكامه تصرف ، وقد انتهى من تعقيبه على هذا الرأى بأن رمى أصحابه بأنهم ظنوا أن الدواء فى إحاطة الشريعة الإسلامية بأسوار من الحماية تقيها شر التعديل والتحوير ، وكان فى غنى عن أن يسوق هذه العبارة التى تدل على قلة تقديره للإسلام . ولقد ردد معناها وبعض ألفاظها فى صورة أخرى . وتورط فى سياقتها ؛ فكان قوله حشوا مفسدا كما أبين للقارىء الكريم بعد أن أشير إلى ما تضمنه المقال بعد ذلك من بحوث ، ليكون حديثى تصويرا للمقال كله . ولأكون قد أجلت فى سمينه وغثه ، وإن تكن الحسنات مذهبة للسيئات ففى الحق أن سيئات هذا المقال أفظع من أن تغطى على عوارها حسنة ، وعند الله ــ سبحانه ــ التوفيق والهداية .

قام الأستاذ بعد ذلك بدراسة وجيزة كما يقول للنظرية السياسية فى الإسلام فى خطوطها الرئيسية ووزعها على مباحث أربعة :

١ ــ هل للإسلام نظرية سياسية ؟

٢ ــ ما مصدر السلطة السياسية فى الإسلام ؟

٣ ــ هل يربط الإسلام بين الدين والسياسة ؟

٤ ــ إلى أى مدى يربط الإسلام بين الدين والدولة ؟

وأحسن فى البحث الأول استدلالا واستنتاجا ، ولطف مذهب وصحة رأى ، وتستطيع أن تتصور فكرته فى فقرتين متفرقتين فى هذا البحث :

الأولى قوله : ويقينى أننى بعد هذا أستطيع أن اقرر ــ بكثير من العزيمة والثقة ــ أن الإسلام دولة ، وأن للإسلام نظرية سياسية واضحة المعالم هى نظرية الحكم الدستورى النيابى القائم على حق

الترشيح وحق الانتخاب وحق المعارضة .
والثانية قوله : نخلص من كل ذلك للقول بأنه قد ثبت ثبوتا قطعيا أن للإسلام نظرية سياسية واضحة المعالم ، هى الحكم الشورى المنطوى على حق الترشيح وحق الانتخاب وحق المعارضة ، وقد عرفها المسلمون وطبقوها فى صدر دولتهم تنفيذا للقاعدة الدستورية الواردة فى الآية الثامنة والثلاثين من سورة الشورى « وأمرهم شورى بينهم » .

وذهب فى البحث الثانى إلى أن مصدر السلطة هو القانون الإسلامى وقال : إنه لا يعرف متجرئا تجرأ على إبطال العمل بالكتاب والسنة من الخلفاء والملوك والأمراء والولاة والحكام فى كافة الممالك التى أظلها العرب ، ولكنه كانت تجرى مخالفات وهذه المخالفات لا يمكن أن تبطل عمل القانون . وقال قبل الفراغ من هذا البحث .

« فلم يبق والحالة هذه إلا أن نقرر أن حكم القاعدة الدستورية المكتوبة ( وأمرهم شورى بينهم ) ما يزال مستمرا » ـ ثم أخذ بعد ذلك يبين طريق الشورى ويحاول أن يناضل عنها وهى لا تحتمل خلافا من عاقل ، فجاهد فى غير عدو ، وزلت به قدمه ـ كما سأبين لك ـ فالفكرة فى ذاتها سليمة ولكنه تطرق فاستطرد الى غيرها وياليته استطراد فى مفيد ، ولكنه كان حشوا مفسدا ، ورأيا فائلا ، ومذهبا ضالا .

وفى البحث الثالث ، يرى أن الإسلام يربط بين الدين والسياسة أقوى رباط ويقول : إن مفهوم الإسلام فى جوهره تحقيق قوله تعالى « إتقوا الله » والتقوى هى توفير العنصر الأخلاقى ، وإن السياسة يجب أن تخضع لإطار الدين أى : تخضع لمبدأ أخلاقى ينفى عنها الظلم والعدوان .

وقال : إن الدين إذن عبارة عن العنصر الأخلاقى ، وتحقيق وجوده فى كل مرفق من مرافق الحياة ، وهو ما عبرت عنه الكلمة المأثورة « الدين المعاملة » ، وأطال فى بيان مزايا الإسلام فى ذلك المقام وفضله على سائر الأديان ، وأحسن كثيرا .
وفى البحث الرابع قال : إن الجانب الأخلاقى فى الإسلام يقوم على يقظة الضمير الإنسانى تحت مراقبة الله وحده ، وجميع العبادات فى الاسلام لهذا الغرض بالسياسة .

وخلص من ذلك الى أن ربط الإسلام بين الدولة والدين لا يتعدى ربط الأخلاق وعاد يناقش النظريتين السابقتين بإطلاقهما ، ويدلل لذلك . وانتهى فى فصل المقال وتلخيصه إلى أن للإسلام نظرية سياسية هى أرق أشكال الحكم ، وأنه يربط بين الدين والدولة لا على أساس تأسيس حكومة دينية ، بل على أساس ربط السياسة بمكارم الأخلاق فى حدود مرنة .

وهذا الكلام يحتمل المناقشة ولكنه قد لا يحتمل . فأما ما لا يحتمل فهو ما أورده فى نهاية البحث الثانى وهو بصدد تحديد الحكم الشورى ، ثم الاستدلال على الشورى ومناقشة ما يتوهم من خلاف عليها .

وإلى القارىء الكريم العبارة ثم المناقشة قال :

**« وتبعا لهذه القاعدة المكتوبة فإن مصدر السلطة السياسية يكون فى يد جمعية تشريعية ينتخبها المسلمون بمحض اختيارهم من أهل المشورة فيهم ، أى أن الأمة هى مصدر السيادة والسلطان بنص الدستور . أما القول بأن شريعة الاسلام شريعة إلهية فلا تقبل التعديل كغيرها من الشرائع السماوية فأعتقد أن هذا القول لا ينسحب على الإسلام لأن دستوره قد قال بقاعدة النسخ** ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ

**﴿بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾[1] . ولا يتوهمن أحد أن هذه الآية قد انتهى حكمها بوفاة الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ كما يتبادر الى ذهن بعضهم .**

**كلا ، فإن القرآن قد نص على أن الأمة وحدها هي مصدر السيادة والسلطة وليس الله . نعم كان الله هو المشرع ابتداء ، ثم صار التشريع إلى الأمة انتهاء . لأن الله سبحانه وتعالى هو الذى رد هذه السلطة إلى الأمة حين قال ( وأمرهم شورى بينهم ) » .**

وهذا الكلام فاسد لا يعززه دليل ، ولا يقوم عليه برهان . فهو يرى أن قاعدة الشورى تقتضى أن مصدر السلطة السياسية فى يد جمعية تشريعية إلخ . وليت شعري متى كان هذا الاستلزام ، ومن قال إن كون الأمر شورى لا يكون إلا على هذا ؟ وهل جهل المسلمون الأولون ذلك يوم كانوا يحكمون على ما أنزل بلا تحريف ولا تزيد ؟! لقد سارت السلطة السياسية منذ عهد محمد ﷺ فلم يلتزم المسلمون فيها ذلك ، وإنما كان الدستور كما ذكره هو نفسه هو حكم الإسلام ، فاذا غم أمر على أمير من الامراء جمع أقرب الناس من أهل الرأى ، فجمع آراءهم . ولقد كان الواحد منهم يرى الرأى فيرد عليه ، فإن وجد الدليل المقنع رجع عما قال ، كما جرى لعمر بن الخطاب حين أراد أن يبطل التغالى فى المهور فاحتجت عليه امرأة بقوله تعالى «﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا﴾» فرجع عما قال ، وقال الجملة المشهورة : « أخطأ عمر وأصابت امرأة » وإن لم يجد الدليل المقنع فلا يرجع كما فعل ابو بكر فى قتال مانعى الزكاة ، وحاول عمر أن يرده فلم يستطع ؛ لأن ذلك شىء كان فى عهد النبى ﷺ فلابد أن يقاتل دون تحقيقه .

إن هذه الجمعيات التشريعية التى يذكرها نظام مدنى غربى ، فنحن نريد أن نلزم الناس به ، لماذا ؟ قال الأستاذ : لأن الله ـ سبحانه ـ أمر بالشورى ، لكن الشورى شىء أوسع مما قال ، وهى بالاجماع لا تكون إلا فيما أشكل ولم يكن فيه نص من كتاب الله ولا سنة رسول الله . ولكنه يقع فيما أنكر على الناس من التعلق بكل نظام سياسى أجنبى .

ثم زعم ــ وياسوء ما زعم ــ زعم أن شريعة الإسلام تقبل التعديل بخلاف غيرها من الشرائع . وهذا إثم كبير وضلال بين ؛ فإن شريعة الإسلام عامة لكل زمان ومكان من يوم أرسل الله محمدا حتى يرث الأرض ومن عليها « لا تبديل لكلمات الله ذلك الدين القيم » قامت أحكام الشريعة فى كل ما يتعلق بشئون الناس من أولها إلى آخرها ـ خاصها وعامها ـ تشق طريقها فى الأمة الإسلامية لا يجرؤ أحد على أن يخالف شيئا منها إلا إذا كان ظالما مضطهدا وشاذا مخالفا ، فكل ما فيها دستور مطرد فى كل مكان ، وممتد الى آخر الزمان . فأحكام الولايات وجميع السياسات فى داخل البلاد وخارجها ، على ما أمر الله وأنزل ، فإن وقع شىء لم ينص عليه أو جزئية لم تقع فى عهد النبى ، ردت إلى أولى الأمر من المسلمين ليستنبطوا لها حكما من الأدلة الشرعية المعروفة : الكتاب ، والسنة والإجماع ، والقياس .

فالجهاد فريضة قائمة بقيوده الشرعية لا يجوز النكوص عنه ، ولا العدول عن القول بوجوبه ، وحماية البلاد الإسلامية واجبة شرعا ولا يصح فى هذا خلاف ولا تعديل .

والزنا حرام ، والربا حرام ، والخمر حرام . والبيع بأنواعه الشرعية على ما حكم الله ورسوله

---

(1) سورة البقرة آية ١٠٦

بلا تغيير ولا تبديل فى شىء من ذلك .

ولو جاز التعديل ، لصح القول بحل الزنا أحيانا كما يقول به بعض المدنيين ، وكما تورطت فيه بلادنا وغيرها على خلاف أحكام المسلمين .

لو جاز التعديل لأبيح شرب الخمر إذا رأته الجمعية التشريعية ، ولصح التعامل بالربا ، ولكان لها أن تغير فى نظام النكاح والطلاق والإرث وما إلى ذلك . وجميع هذه اللوازم بشعة منتفية ، والقول بها إلحاد خارج على حكم الملة ، نعوذ بالله من الضلال .

يا هذا قد أكمل الله الدين بما شرع من شرائع خالدة ، وبما وضع من رخص قائمة ، وبما سن من قواعد محكمة ، لا يشذ عنها شىء من الوقائع أبدا . ولكن على الناس أن يجتهدوا ويستنبطوا من أدلة الشرع أحكام جميع الوقائع كما تطبق القوانين والدساتير العامة ، وإلا تحقق الحكم بغير ما أنزل الله « وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ » والظالمون والفاسقون بنص الكتاب[٢] .

فمن أين يقع التعديل والتغيير كما زعمت ؟ إن الشورى لا تملك أن تنحرف عن أحكام الدين الحق ، وإنما هى فيما أشكل أمره ، واختلف وجه النظر فيه ، فهى ترجح وجهة على أخرى ، وتزيد الحاكم معرفة بجمع الأدلة ، والتذكير بالدعائم التى ترتكز عليها الأحكام ولا يقبل فيها قول بغير برهان صحيح ، ودين متبع . قال الله سبحانه وهو أصدق القائلين : « فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا »[٣] .

شريعة الاسلام تقبل التعديل ؟! لقد كبرت كلمة تخرج من فم قائلها إن يقول إلا كذبا ، فإنما التعديل للشىء المائل الجائر . وأحكام الإسلام كلها اعتدال وعدل ، ما لجأ إليها فرد أو جماعة إلا كانت قواما وقصدا ونصفة ومفزعا ورحمة ، ولا اضطربت مسالك الحياة بأمة فرجعت إلى ميزانها إلا هدأت وسلمت . ولقد طوف بها المسلمون الأولون فى آفاق الأرض ، يطبقونها فى كل بقعة ويوجهون اليها فى كل أمة ، حتى أعلنوا عنها بخير دعاية وحببوها الى الناس ؛ فدخلوا فى دين الله أفواجا ، لأن الله سبحانه قد جعل فيها من السعة والقوة والنصفة والرحمة ما يكفل لها ما أعد الله من خلود ودوام إلى يوم الدين .

يجب أن يعلم الناس أن الدين هو الدين ، وأن أحكامه الآن فى السياسة وفى غير السياسة هى ما كان عليه محمد ﷺ وأصحابه ، وأن يذكروا قول الصادق المصدوق محمد ﷺ : « افترقت اليهود والنصارى على اثنين وسبعين فرقة ، وستفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة ، كلها فى النار إلا واحدة » . قيل : من هى يا رسول الله ؟ قال : التى على ما أنا عليه وأصحابى »[٤] فمن عدل فى دين الله — ومعاذ الله أن يقبل دينه تعديلا — ومن غير أو بدل ، فقد خالف ما كان عليه محمد ﷺ وأصحابه ، وقد شاق الرسول ، واتبع غير سبيل المؤمنين ، فحسبه جهنم وساءت مصيرا .

يجب أن يعلم الناس أن لا حاكم إلا الله فيما أجمع عليه المسلمون : فإن من قال من الفرق بأن للعقل حكما فسره بأنه يستطيع أن يدرك الحكم فيما لا نص فيه بحسب ما فيه من مصلحة

---

(٢) سورة المائدة الآيات ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٧

(٣) سورة النساء آية ٥٩

(٤) أخرجه الشيخان فى صحيحيهما

تقتضيه ؛ لأن أحكام الشرع معللة بالمصالح ودفع المفاسد .

وحتى إن من قال بالقياس من المسلمين منع القياس وهو دليل شرعى عند وجود النص ، مما يدل على أنه لا تبديل لكلمات الله ولا تغيير فى أحكام الله .

ولكن علماء الغرب قالوا : إن الديـن « يتأقلم » فصرنا نقول كما يقولون ، ونحتال للاستدلال لذلك من كلام الله وسنة رسوله . والمسلمون جميعا منذ بعث محمد ﷺ يشددون النكير على من يخالف شيئا من الكتاب أو السنة ، ويحاسبون أهل البدع والاختراعات ، ويتحاشون الوقوع فى بعض المستحدثات ، ولاسيما بعد أن حذر من ذلك سيد المسلمين بقوله : « من يعش منكم فسيرى اختلافا ، فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعـدى : عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور فإنَ كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار » وعن عائشة ــ رضى الله عنها ــ أن رسول الله ﷺ قال : « من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » .

وبعد ــ فهذا قول كان جديرا بعدم الرد عليه لمخالفته ما علم من دين الإسلام بالضرورة ولكن لما كان فى المقال وجاهة فى بعض البحث وخلابة فى بعض القول ، خشيت أن يضل القارىء عن سبيل الله فيظن أن شريعة الإسلام كما يزعم بعض ضعفاء الدين تقبل التغيير ومسايرة المدنيـة والفنـاء فى مقتضياتها المادية . وإباحة الربا والزنا والسفور والاختلاط ونكاح ( الكونتراتو ) وحظر الطلاق وما إلى ذلك مما يخشى أن يتورط فيه المسلمون فيفقدوا البقية الباقية من هذا الدين .

ثم انظر إلى ما استدل به الكاتب على جواز التعديل بالجمعية التشريعية كما يقول :

إنه يستدل على ذلك بأن فى الشريعة الإسلامية نسخا ؛ ليبرهن على أنه يركب متن العمياء ويخبط خبط العشواء ، نعم إن فى الشريعة الإسلامية نسخا كما تقول ، ولكن ليس النسخ إلى جمعية تشريعية كما تزعم ، إنه لا ينسخ أحكام الله إلا الله أو رسوله بوحى منه إذا كان الحديث قطعى الدلالة كالقرآن الكريم وهل تقول الآية التى استدللت بها إلا ذلك ؟ إن الله ــ سبحانه وتعالى ــ يقول « ما ننسخ من آية » ولا يقول : ما ينسخ المشرعون من آياتنا ، تعالى الله عما تقول !!

أهـذا مبلغك من العلم على الاستـدلال للجمعيات التشريعية ؟ ما أظن إلا أن هذا القول له خبىء ، إلا أن يكون قضاء على العقل فى ساعات محنته !

أما نحن فنقول إن الجمعيات التشريعية جائزة ، وإن الشورى مشروعةبالآيتين اللتين سقتهمـا ، وبدلالة العمل المطرد فى الصحابة والتابعين ومن بعدهم ، وبدلالة المنطق القويم والعقل السليم ، فما ندم من استشار كلما التبس أمر أو فدح عبء وأثقل ، ولا شورى إلا عند اللبس وعند عدم وجود النص .

أما أن تستدل على ذلك بصحة النسخ ، وتسوق الآية الكريمة تزجى بها الباطل وتجوز بها التغيير فى أحكام الله فذلك إلحاد فى آيات الله ، وضلال عن قصد السبيل ..

لقد نص علماء الأصول على أن الإجماع نفسه ( وهو دليل شرعى له خطره ) ليس من حقه أن ينسخ ؛ لأنه لا يكون إلا بعد انقراض زمـن النسخ .

ثم ماذا ؟ ثم يتمادى الكاتب فى باطله فيزعم أن هذه الآية لم ينته حكمها بوفاة الرسول ﷺ

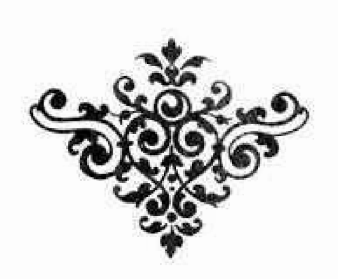
وجعل ذلك توهما ! ووصفه بأنه يتبادر إلى بعض الأذهان ! وهو الحق كما علمت ، فإن الناسخ هو الله ، ولا نسخ أبدا بعد رسول الله ، وإلا ذهب الدين وعاد الناس كما كانوا فى جاهليتهم ، فلا مدنية مهذبة كما اغتر بها الجاهلون ، ولا علم رادع كما نشاهد فى أحوال العلم والمدنية من الضلال والعدوان .

ولقد تمادى فى تعاميه عن الحق ، وران على قلبه ما اجترأ على الله والدين والعلم ، فعزز حكم الجمعيات على آيات الله ، ونسخها لكتاب الله ، واطراد ذلك النسخ بأن القرآن نص على أن الأمة وحدها مصدر السلطات ، وليت شعرى أين هذا النص ؟

وزعم أن الحكم كان لله إبتداء ثم صار الى الأمة انتهاء . وكل مايستدل به على ذلك ( وأمرهم شورى بينهم ) فانظر إلى الإفلاس فى الحجة ، ومنطق التزوير والمهاترة ، هل آية الشورى هى التى فعلت هذا كله فجعلت الحكم لابد أن يكون بجمعية تشريعية وجعلت النسخ جائزا بل واجبا بأقوال الرجال . وأوجبت أن يكون الحكم للأمة وحدها لا لله انتهاء ؟! .

اللهم إننا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين . اللهم أنقذ أفكار هذه الأمة من سموم الإلحاد وزيفه ، وثبتها بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة يارب العالمين .

**محمود النواوى**
المفتش بالأزهر




للأستاذ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم

### الدنيا عدوة بكل وجه

قال عمر بن عبد العزيز ـ رضى الله عنه : الدنيا عدوة أولياء الله ، وعدوة أعداء الله ، أما أولياء الله فأهمتهم !! وأما أعداء الله فغرتهم .

### « أخى »

تصبر للعواقب واحتسبها
فأنت من الحوادث فى اثنتين
تريحك بالمنى أو بالمنايا
فإن الموت إحدى الراحتين

### « اكتف بأحدهما »

كتب بعض البلغاء كتاباً بليغاً إلى المنصور يشكو فيه سوء حاله ، وكثرة عياله ، وضيق ذات يده ؛ فكتب المنصور فى جوابه : البلاغة والغنى إذا اجتمعا لامرىء أبطراه ، وإن أمير المؤمنين يشفق عليك من البطر فاكتف بأحدهما .

### « أجناس من الناس »

قد يسعى إلى باب السلطان أجناس من الناس كثير : أما الصالح فمدعو ، وأما الطالح فمقتحم ، وأما ذو الأدب فطالب ، وأما من لا أدب له فمختلس ، وأما القوى فمدافع ، وأما الضعيف فمدفوع وأما المحسن فمستثيب ، وأما المسيىء فمستجير ، فهو يجمع البر والفاخر والعالم والجاهل ، والشريف والوضيع

### « لا تعجب بنفسك »

تكلم ابن الجوزى فى معنى قوله ـ تعالى ـ ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ مدة عامين فأعجب بنفسه !

فوثب إليه رجل فى المجلس ؛ فقال : يا ابن الجوزى ؛ ما يصنع ربنا فى هذه الساعة ؟! فسكت وختم المجلس .

« لأهل الخير علامة يعرفون بها »

كتب رجل من أهل العراق إلى ابن الزبير حين بويع :

« سلام عليك فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو » أما بعد :

فإن لأهل الخير علامة يعرفون بها : الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والعمل بطاعة الله ؛ واعلم أنما مثل الإمام مثل : السوق يأتيه ما زكا فيه فإن كان برًّا جاءه أهل البر ببرهم ؛ وإن كان فاجراً جاءه أهل الفجور بفجورهم .

« قالــوا .. »

● أعدل البر أن تَقِيسَ الناس بنفسك ، فلا تأتى إليهم إلا ما ترضى أن يؤتى إليك .

● لايوقعنك بلاء خلصت منه فى آخر لعلك لا تخلص منه .

● من أفضل البر : الصدق فى الغضب والجود فى العسرة ، والعفو عند المقدرة .

« مَنْ الأوَّاب ؟ »

قال عبيد بن عمير : الأواب الذى يتذكر ذنوبه ، ثم يستغفر منها .

وقال مجاهد : هو الذى إذا ذكر ذنبه فى الخلاء ، استغفر منه . وقال سعيد بن المسيب : هو الذى يذنب ثم يتوب ، ثم يذنب ثم يتوب .

« حقـــــا »

من راقب الله فى خطرات قلبه ، عصمه الله فى حركات جوارحه .

« ليس الدين سبباً من أسباب التأخر »

قال الشيخ محمد عبده فى الرد على من يقولون : إن الدين سبب من أسباب التأخر :

كذب الخراصون ، إن الدين أول معلم ، وأهدى أستاذ ، وأرشد قائد للأنفس إلى اكتساب العلوم والتوسع فى المعارف ، وأرحم مؤدب ، وأبَصر مُرَوِّض يطيـــع الأرواح على الآداب الحسنة ، والخلائق الكريمة هو الذى رفع أمة كانت من أعرق الأمم فى التوحش والقسوة والخشونة ، فسما بها إلى أرق مراق الحكمة والمدنية فى أقرب مدة ، وهى الأمة العربية .

« شـــــهوة الرمـــــان »

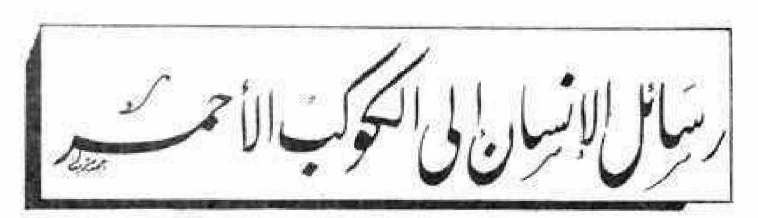
قال الخواص : أصابتنى شهوة الرمان ؛ فخرجت فى طلبه ، فرأيت رجلاً فى البرية والذباب قد آذاه !!

فقلت له : لو كان لك حال مع الله لدفع عنك ذلك .

فقال لى : وأنت لو كان لك حال مع الله لدفع عنك شهوة الرمان .

« دعــــاء »

اللهم نجنا برحمتك من النار ، وعافنا من دار الخزى والبوار ، وأدخلنا بفضلك الجنة دار القرار ، وعاملنا بكرمك وجودك يا كريم يا غفار .



# رسائل الإنسان إلى الكوكب الأحمر

بقلم
أ.د/ أحمد فؤاد باشا

**إن رحلات الفضاء العديدة التى تمَّت حتى الآن قد ساعدت كثيراً على تزويد الإنسان بمعلومات قيِّمة عن تاريخ الكون، وكشفت عن حقائق هامة، ليس فقط بالنسبة لكوكب الأرض الذى نعيش عليه، ولكن أيضاً بالنسبة لمختلف كواكب المجموعة الشمسية. وسوف نعرض فى هذا المقال لبيان حصيلة ما أسفرت عنه البعثات الفضائية إلى كوكب المريخ المعروف بالكوكب الأحمر.**

حقائق علمية عن المريخ:

ينتمى المريخ إلى مجموعة الكواكب الصخرية الشبيهة بالأرض، وهى ـ بحسب بُعدها عن الشمس ـ عطارد والزهرة والأرض والمريخ، وتتكون الكواكب الصخرية غالباً من مواد صلبة وكثيفة تغطيها أغلفة جوية طفيفة فى أحسن الحالات. ويظهر المريخ من خلال المنظار الفلكى ككرة حمراء تتخللها بعض المناطق الغامقة اللون، ويوجد فيه قطبان متجمدان وغيوم بيضاء وعواصف غبارية شديدة، ويدور حوله قمران هما: «فوبوس» و«ديموس». وتبلغ سنة المريخ ٦٨٧ يوماً، وهى فترة دورانه حول الشمس، فى حين يبلغ يومه ٢٤ ساعة، وهو زمن دورانه حول نفسه ويساوى تقريباً يوم الأرض.

أما جوّ المريخ فتبلغ كثافته ١٪ فقط من كثافة جوّ الأرض، وهو مكوّن غالباً من ثانى أكسيد الكربون مع كميات صغيرة من بخار الماء والنتروجين، وتتفاوت درجة حرارة الكوكب الأحمر كثيراً من ١٠٥°م تحت الصفر عند القطبين إلى ٢٠°م ظهراً عند خط الاستواء. ومع أن قطر المريخ يبلغ ٦٧٨٠ كيلو متر فقط، أى نصف قطر الكرة الأرضية، فإن مساحة اليابسة فيه تساوى نظيرتها فى كوكب الأرض. وبالنسبة لجاذبية المريخ فإنها تساوى تقريباً ثُلث جاذبية الأرض[1]، ويعنى هذا أن الشخص الذى وزنه ٧٥ كيلو جراما على الأرض لا يزيد على سطح المريخ أكثر من ٢٩ كيلو جراما.

احتمالات الحياة على المريخ:

ولقد أثار المريخ شغف الإنسان منذ القدم،

* الكاتب: أستاذ الفيزياء بكلية العلوم جامعة القاهرة.

(١) يبلغ متوسط عجلة الجاذبية السطحية للأرض ٩,٨١ متراً لكل ثانية مربعة، وللمريخ ٣,٨ متراً لكل ثانية مربعة.

وكان بعض أصحاب الخيال العلمى يظنون أنه مأهول بالسكان ، وأن حضارة راقية تقوم عليه الآن وتنافس حضارتنا القائمة على الأرض . ففى عام ١٨٩٧م ظهرت رواية مشهورة بعنوان «حرب الكواكب» روج فيها مؤلفها هـ.ج. ويلز للإعتقاد السائد آنذاك بأن المريخ ، الكوكب الأحمر الذى يحمل اسم «إله الحرب» Mars ، كان كوكباً متحضراً قبل أن تنشأ الحضارة على الأرض ، وأن الانسان ليس وحده فى هذا الكون الشاسع ، «فهناك على الشاطىء الآخر من الفضاء ، عقول تبدو عقولنا بالمقارنة معها مثل ماهى بالمقارنة مع عقول الحيوانات المفترسة البائدة ، عقول جبارة وعدوانية ترقب الأرض بعيون حسودة وتدبّر خططها ضدنا بعزم ورويّة»[٢] . ولا تزال هذه الرواية محتفظة بقوة تأثيرها على عقول العامة فى العالم الغربى حتى يومنا هذا[٣] .

وكان طبيعياً أن تؤثر مثل هذه الأفكار على اتجاهات الفلكيين وتصوراتهم لدرجة أن الكثيرين منهم كرسوا جُل جهودهم من أجل إثبات وجود حياة على المريخ . ففى عام ١٨٧٦م أعلن عالم الفلك الإيطالى جيوفانى سكيابازيللى Giovanni Schiapaselli أنه اكتشف بواسطة تلسكوبة وجود قنوات على سطح المريخ ، ورأى أن هذه القنوات تبدو فى مجال رؤية مقرابه (تلسكوبة) على هيئة شبكة معقدة من الخطوط المستقيمة المفردة والمزدوجة التى تتقاطع مع المناطق اللامعة من الكوكب ، وكل هذا يتطلب ـ حسب زعمه ـ تصميماً دقيقاً لايقدر عليه إلا كائن مفكر . وبلغ الهوس فى أوروبا وأمريكا مداه من جراء هذا الاعلان ، لدرجة أن أحد المولعين بعلم الفلك من سكان مدينة «بوسطن» ، واسمه «برسيفال لويل» P.Lowell أقام مرصداً كبيراً فى موقع يتميز بالرؤية الجيدة التى لا تعوقها الغيوم أو أضواء المدينة[٤] ، ورسم خريطة تفصيلية لمعالم المريخ وأقنيته التى ظنها من أعمال سكان متحضرين قاموا بحفرها لتوجيه المياه الذائبة من القطبين نحو خط الاستواء حيث المناخ الأكثر دفئاً أنسب للحياة فى المدن الاستوائية .

ولم تسلم تصورات بعض الفلكيين من الاعتقاد بوجود حياة على المريخ حتى بعد أن زودتهم مركبات الفضاء بصور تم التقاطها عن قرب للعديد من التكوينات على سطح المرتفع «المريخى» المعروف باسم «إيليزيوس» ، وقد وصف البعض هذه التكوينات بأنها حقل من الأهرامات رباعية الأوجه . كذلك تم تصوير أشكال ذات هياكل مستقيمة تشبه المنشآت الصناعية فى المنطقة الجنوبية للكوكب ، والتقطت صور فى منطقة نصف الكرة الشمالى لأطلال مريخية مماثلة للأهرام المصرية فى شكلها . ومن الطبيعى أن تثير هذه

---

(٢) راجع فى ذلك : فرنسيس ليرى ، المريخ بين الواقع والخيال ، رسالة اليونسكو ، يناير ١٩٩٣م .

(٣) فى عام ١٩٣٨م أدرك الممثل الأمريكى المعروف «أورسون ويلز» مدى تأثير هذه الرواية وقدم عنها تمثيلية إذاعية أثارت الرعب فى قلوب ملايين الأمريكيين الذين ظنوا أن سكان المريخ يقومون بهجوم حقيقى ، وأذاع البعض حينئذ نبأ ظهور أول إنسان آلى «روبوت» ضخم يمسح الأرض بأشعة الموت «المريخية» وينشر الموت والخراب فى كل الأنحاء . لمزيد من التفصيل راجع المرجع السابق .

(٤) فى عام ١٨٩٤ شيد «لويل» مرصده بعيداً عن منزله على القمة المعروفة بقمة المريخ فى منطقة فلاجستاف بولاية أريزونا حيث يسود جوّ مستقر نسبياً يقل فيه وهن إضاءة الصور الفلكية فى التلسكوب إلى الحد الأدنى .

الصور خيال الكثيرين ، فلا أحد يمكنه تأكيد ماإذا كانت هذه الأشكال مجرد تكوينات جيولوجية أم لا . وفى حالة ماإذا كانت كل هذه الآثار المريخية غير طبيعية ، فهل يعنى هذا أن مخلوقات أخرى فى الوجود قد وصلت إلى المريخ وشيدت صروح هذه الآثار ؟!

**أهم الرسائل التى أرسلها الإنسان إلى المريخ :**

استطاعت تقنية الفضاء الحديثة أن تحدث قفزة نوعية فى أبحاث الفيزياء الفلكية وفحص الكواكب وأقمارها عن طريق إرسال بعثات فضائية فى مدارات محددة : وكانت أولى البعثات الفضائية الناجحة هى رحلات « مارينر » ٤ و ٦ و ٧ التى اقتربت من الكوكب الأحمر خلال الستينات ، ثم رحلة « مارينر ـ ٩ » التى دارت حوله لأول مرة فى عام ١٩٧١م على مدار يبعد عنه ١٣٠٠ كيلو متر فقط . وقد أوضحت الصور الجوية التى أرسلتها مركبات « مارينر » أن الجزء الجنوبى من كوكب المريخ ذو تضاريس تختلف عن تضاريس الجزء الشمالى ، ودلت الدراسات على أن هذا الكوكب قد مرّ خلال تاريخه بمراحل حافلة بالأنشطة البركانية وتعرية الرياح وحركات القشرة الكوكبية المصاحبة لزلازل مريخية . وإن أحد أهم مكتشفات « مارينر ٩ » هو أنه توجد على سطح المريخ خطوط وبقع تتغير حسب الفصول ، ويعزيها العلماء إلى الغبار الذى تحمله الرياح الفصلية .

وبالرغم من أن الحقائق العلمية والصور الجوية التى جمعها العلماء لكوكب المريخ تؤكد أنه ليس ملائماً لأى نوع من أنواع الحياة المتقدمة التى نعرفها على وجه الأرض ، فإن نجاح مهمة « مارينر ٩ » حفز وكالة الفضاء والملاحة الأمريكية « ناسا » Nasa على أن ترسل سفينتى فضاء لفحص تربة المريخ واستكشاف ماقد يوجد بها من كائنات حية مجهرية ، وحددت لذلك موعد الذكرى المئتين لاستقلال الولايات المتحدة فى ٤ يوليو ١٩٧٦ ولأسباب تتعلق بعملية الهبوط تأجل هذا الموعد أسبوعين ، وفى ٢٠ يوليو ١٩٧٦م حطت سفينة الفضاء « فايكنج ـ ١ » على سطح المريخ ، وذلك بعد انقضاء سبع سنوات كاملة على سير أول إنسان على سطح القمر ، وبعد ٤٥ يوماً هبطت السفينة الثانية « فايكنج ـ ٢ » . وجرى انتقاء مواقع محددة ذات أهمية خاصة للهبوط ، فحطت « فايكنج ـ ١ » على طرف أخدود فى المنطقة المسماة « كريس بلانيتيا » Chryse Planitia (وهى كلمة يونانية تعنى أرض الذهب) قرب نقطة تلاقى أربع أقنية متعرجة أعتقد أنها كانت قد حفرت فى العصور الغابرة من تاريخ المريخ بواسطة الماء الجارى ، كما هبطت « فايكنج ـ ٢ » على بعد ٣٠٠٠ كيلو متر شمال شرق منطقة تسمى « سيدونيا » Cydonia يعتقد ، حسب بعض الآراء النظرية ، أن بها كميات قليلة من الماء على الأقل فى وقت ما من السنة المريخية . وكانت كلتا المركبتين مجهزتين بذراع خاص لأخذ العينات ميكانيكياً من تربة المريخ ونقلها ببطء فى حجرة اختبار على أوعية صغيرة تشبه القطار الكهربائى ، حيث يتم تحليلها كيميائياً وبيولوجيا للبحث عن جزيئات عضوية أو حياة جرثومية فى الرمل والتراب ، ولم يتضح بشكل قاطع أى أثر لوجود مركبات عضوية أو وحدات كربونية . ولما كانت الحياة التى نعرفها على الأرض قائمة على كائنات تحتوى على

الكربون ، فإن نتائج فحص آلاف الصور التى أرسلتها «فايكنج» كانت مخيبة لآمال الذين هيأوا أنفسهم لتصديق فكرة وجود حياة على المريخ .

ويخلص عالم الفيزياء الفلكية «كاريل ساجان» Carl Sagan – من خلال خبرتـــه فى هذا المجال – إلى القول بأن المريخ ليس الأرض ، لكنه يستدرك قائلا : «ربما توجد كيمياء غير عضوية فريدة فى التربة المريخية ، قادرة بنفسها على أن تؤكسد المواد الغذائية ، فى غياب الجراثيم ، وربما توجد بعض المواد غير العضوية الخاصة ، أو المواد الوسيطة غير الحية فى التربة المريخية والتى تستطيع اجتذاب غازات الجو وتحويلها إلى جزئيات عضوية .. لكن مثل هذه الفرضيات لا تحملنا على القول بوجود دليل ملزم على وجود الأحياء المجهرية فى كوكب المريخ»[٥] .

ولم تتوقف رسائل الإنسان إلى الكوكب الأحمر بالرغم من العوائق المادية الكبيرة ، وبسبب كارثة مكوك الفضاء الأمريكى «تشالنجر» الذى احترق بركابه السبعة فى فبراير عام ١٩٨٦م . ففى ٢٥ سبتمبر ١٩٩٢ تم إطلاق المجس الفضائى «مراقب المريخ» Mars Observer بواسطة الصاروخ «تيتان» فى رحلة تستغرق أحد عشر شهراً من الأرض إلى المريخ ، وتم وضع المجس فى مدار يبعد ٣٩٠ كيلو متر عن قطبى المريخ ليمكث سنة مريخية كاملة (٦٨٧ يوماً) يرسل خلالها صوراً تحليلية للمناطق الجليدية والكثبان الرملية ، ويتيح تمييز تفاصيل دقيقة لمناظر فى حدود المتر ونصف المتر . ويعتقد بعض العلماء أن مثل هذه الصور من شأنها أن تكشف ما إذا كان هناك شكل من أشكال الحياة البدائية ، الموجودة حالياً أو المتحجرة ، وربما تساعد على تفسير ما حدث للمياه التى لابد أن تكون قد تدفقت على المريخ منذ ملايين السنين .

ويبدو أن المريخ سوف يحظى خلال السنوات المقبلة بالنصيب الأكبر من أبحاث الفضاء من خلال برامج واعدة يشترك فى تنفيذها أكبر عدد ممكن من الدول التى حققت نجاحاً فى هذا المجال[٦] . ويخطط العلماء حالياً لمشروع يقضى بارسال مجسَّين يدوران حول المريخ وينقلان إلى سطحه مختبرات ثابتة ومتحركة تساعد فى إجراء دراسات عن إمكانية العيش على سطح هذا الكوكب . وفى مشروع آخر يخطط العلماء لاطلاق محركات وظيفتها إحضار عينات من تربة المريخ إلى الأرض ، ويندرج هذا المشروع فى إطار الإعداد لبعثات فضائية مأهولة سوف تبدأ مع مطلع القرن الحادى والعشرين .

---

(٥) كارل ساجان ، الكون ، الترجمة العربية ، عالم المعرفة ، الكويت ، ربيع الآخر ١٤١٤هـ – أكتوبر/ تشرين أول ١٩٩٣م ، ص ١٢٣ .

(٦) على سبيل المثال ، سوف تتولى سفينة فضاء يابانية دراسة الطبقات العليا لجو المريخ فى عام ١٩٩٦م ، ولأول مرة تتعاون خمس دول فى مجال الفضاء تأهباً لارسال بعثة من آدميين إلى المريخ فى القرن القادم . وهو مشروع لا يمكن تحقيقه إلا بتعاون عدة دول ذات إمكانيات تقنية عالية .

# أضواء على تاريخ طب المجتمع

د/ سيد أحمد محمد خليل

**الهدف من هذه المقالة إلقاء بعض الأضواء على تاريخ طب المجتمع من خلال علاقة قواعده الأساسية برسالة الإسلام ..**

**وقد وجد أن أساسيات طب المجتمع متأصلة ويمارسها المسلمون من خلال معارف جيدة واتجاهات إيجابية ، وحفظ آيات كتاب الله ـ تعالى ـ وأحاديث النبى « محمد » ﷺ .**

**وهنالك أمثلة ، توضح :**

**النظافة الشخصية الشاملة التى مارسها المسلمون منذ فجر الإسلام حيث يقول الله تعالى :**

**﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾**

**[ سورة الأعراف : ٣١ ]**

وكذلك فى أحوال أمراض الحجر الصحى ، يقول النبى « محمد » ﷺ : « إذا سمعتم بوباء الطاعون بأرض فلا تدخلوها ، وإن كان بأرض وأنتم فيها فلا تخرجوا منها »(١) .

وأيضاً من ناحية السلوكيات تجاه الأمراض المعدية ، قال النبى « محمد » ﷺ « وفر من المجذوم فرارك من الأسد »(٢) .

وقد اشتملت رسالة الإسلام على مناقشة الصحة النفسية والاجتماعية مع الحفاظ على التمتع الأمثل بالصحة البدنية والعقلية للإنسان عموماً ، وللمسلم خصوصاً ، يقول الله تعالى :

﴿ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ۝٨ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِطَغۡوَىٰهَآ ۝١١ ﴾

[ سورة الشمس : ٧ ـ ١٦ ]

لذلك ، فإنه من الممكن أن نقول : إن تاريخ طب المجتمع متأصلة جذوره أساساً من رسالة الإسلام وأن قواعده يطبقها كل مسلم فى المجتمع .

---

الكاتب : عضو هيئة التدريس بقسم طب المجتمع بكلية الطب « بنين » جامعة الأزهر .

(١) الكنز ٢٨٤٣٨ .

(٢) ابن ماجه كتاب الطب الحديث ٣٥٣٩ جـ ١١٧١/٢ .

فطب الفراعنة المصريين القدماء منذ أكثر من ٥٠٠٠ سنة قبل الميلاد ، والطب الذى كان يمارس بواسطة الإغريق والروم ، بعد هذا التاريخ ، لم يكن طباً يمارسه أبناء المجتمع ..!!

وعلى هذا ، فلابد أن يكون هناك اتصال واتفاق وثيق بين الدين الإسلامى وعلم طب المجتمع . ومن المعلوم أن انتشار الأمراض الجنسية وخاصة مرض فقدان المناعة المكتسبة ـ أكثر بين غير المسلمين ..!!

**الهدف من هذه الدراسة وطريقة البحث :**

هدفنا من البحث إظهار كيف أن رسالة الإسلام شاركت فى بداية علم « طب المجتمع » ولتوضيح ذلك بدأتُ فى عمل مسح لبعض المراجع الطبية والعربية والإسلامية بالمكتبات الخاصة بها ، وذلك لجمع المعلومات ، ومعرفة تعانقها مع بعضها ، لمناقشتها للوصول لهذا الهدف . وقد نقلت ترجمة معانى الآيات القرآنية ، (عند ترجمة هذا البحث للإنجليزية) ، وكذلك الأحاديث النبوية الشريفة ، والرأى الآخر على كامل السعة والرحب لمناقشة هذا الموضوع ،

والذى نوقش قبلا بالمؤتمر الطبى العالمى المنعقد بمستشفى الحسين الجامعى بجامعة الأزهر سنة ١٩٩٢ (أكتوبر) الرعاية الطبية .

**النتائج بعد مراجعة ما كتب فى هذا المضمار :**

**الاعتبارات العامة فى الوضع الراهن :**

إن تاريخ ممارسة الطب عموماً ، وكذا « طب المجتمع » خصوصاً قد بدأ بالفعل منذ فجر رسالة الإسلام المُنَزَّلَة على النبى محمد بن عبدالله ﷺ وقبل ذلك لم يكن طب المجتمع معروفاً لعامة الناس ، ولكن لأشخاص أو مجموعة مخصوصة على أنه أحداث طبية لازمة لهم فقط ..!! مثل طب المسيح عيسى بن مريم ـ عليهما السلام ـ المؤيَّد من الله ..

يقول الله ـ تعالى ـ :

وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾

سورة آل عمران

ومثل آخر ، فقد كان القدماء المصريون يحفظون جثث موتاهم بالتحنيط منذ خمسة آلاف عام قبل الميلاد وهذه الأمثلة وغيرها لاتعتبر طباً للمجتمع ..!!

ولما كان طب المجتمع يشمل العلوم الآتية : علم الصحة العام والشخصى (الخاص) والطب الوقائى ، والصحة النفسية والعقلية والاجتماعية ، وصحة البدن الجيدة وعلم الوبائيات والصحة المهنية ، فإن القواعد الأَوَّلِيَّة لتلك العلوم ممثلة فى طب المجتمع كانت ومازالت موجودة فى آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول محمد ﷺ

ففي حالة الصحة العامة والخاصة (الشخصية) يقول الله ـ تعالى ـ:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٦) ﴾

[ سورة المائدة ]

وفي حالة الثقافة والغذاء يقول الله ـ تعالى ـ:

﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾

[ سورة الأعراف : ٣١ ]

وبالنسبة للنظافة الشخصية والعامة، فقد روى أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: « إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبع مرات إحداهن بتراب طهور » وقال ﷺ: « لا تقبل صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ » صحيح مسلم.

أما عن الطب الوقائي، ونظام الحجر الصحي، والوبائيات، فقد قال الله تعالى:

﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

[ سورة النحل : ١١٥ ]

وقال النبي ﷺ: « إذا سمعتم الطاعون بأرض فلا تدخلوها عليه، وإذا وقع وأنتم بأرض فلا تخرجوا منها فراراً منه »(٣) وهذا قانون الحجر الصحي.

ويقول ـ ﷺ ـ: « لا عدوى ولا طيرة، ولا هامة، ولا صفر، وفر من المجذوم فرارك من الأسد »(٤).

**حالات الأمراض المعدية والوبائيات:**

إن تاريخ الوبائيات ممتد منذ تاريخ الحروب والمجاعات، وتعرض الإنسان لما حوله من أشياء غير لائقة، وعندما سافر الإنسان بصعوبة، فإن الكائنات الدقيقة (الميكروبات) أخذت استعدادها لمضايقته(٥).

إن الصحة النفسية والاجتماعية مع صحة البدن والعقل كانت من الموضوعات التي لم تفرط فيها رسالة الإسلام، يقول الله ـ تعالى ـ:

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾

[ سورة الشمس : ٧ ـ ١٠ ]

وقوله تعالى:

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾

[ سورة الأنفال : ٥٣ ]

وقد روى ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن

---

(٣) كنز العمال جـ ١٠ ص ٧٨ الحديث ٢٨٤٣٨ مكتبة الحلبي.
(٤) ابن ماجه كتاب الطب حديث ٣٥٣٩ جـ ٢ / ١١٧١.
(٥) الأمراض المعدية: وبائياتها وممارسة علاجها: تأليف أ.ب. كريستيك بلندن ونيويورك.

رسول الله ـ ﷺ ـ قال : « نعمتان مغبون فيهما ابن آدم : الصحة والفراغ »[٦] .

أما بالنسبة للصحة المهنية ، فلقد كان العرب المسلمون ، يعملون بالتجارة وغيرها من المعاملات ، وغير ذلك من المهن التى كانوا يقومون بها ، فكان بعض منهم يمرضون الجرحى ، ويؤهلون المعوقين نفسيا واجتماعياً وجسمانياً ، مراعين فى كل ذلك الأهداف الوقائية تجاه كل حادثة أو أذى ..!!

ولأن طب المجتمع إنما هو للتطبيق الفعلى والممارسة القويمة من الناس ، فقد نعى الله على أولئك الذين يقولون مالا يفعلون فقال تعالى :

﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾

سورة البقرة : ٤٤ ]

وقال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾

[ سورة الصف : ٢ ، ٣ ]

بقى أن نوضح بعض الأمثلة من القرآن الكريم والسنة النبوية ، ولها علاقة وثيقة بطب المجتمع .

يقول الله ـ تعالى ـ :

﴿ يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

[ سورة النحل : ٦٩ ]

ويقول ـ ﷺ ـ : « لم يخلق الله داء إلا وخلق له الدواء » ، صحيح البخارى ، كتاب الطب .

ويقول تعالى :

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ .. ﴾

[ سورة المائدة : ٣ ]

ويقول ـ ﷺ ـ : « الحمى حرارة جهنم فاطفئوها بالماء » ـ راجع صحيح البخارى وقد رأينا اتجاه الأطباء إلى استعمال كَمَّادات الماء البارد بدلًا من استعمال العقاقير المسكنة أو الخافضة لما ثبت أن فيها ضرر على المريض من ناحية الحساسية الكيماوية والعضوية وغيرها ..!! فوصيته ـ ﷺ : إذا شرب أحد من الإناء فلا يتنفس فيه ، وإذا كان فى قضاء الحاجة فلا يلمس أعضاءه الخاصة بيده اليمنى وإنما التنظيف باليد اليسرى ؛ لأن الأكل وغيره إنما يكون باليد اليمنى فلا تنتقل عن طريقها ـ إذا استعملت ـ أى أشياء من أنواع الأذى المؤدية إلى المرض ..!! حفاظاً قويماً منه ـ ﷺ ـ على سلامة الأمة ، ووقاية لها من الأمراض

وقوله ـ ﷺ ـ : « لولا أن أشق على المؤمنين لأمرتهم بتأخير العشاء وبالسواك عند كل صلاة » الكنز جـ١٩٤٦٥/٧ ؛ تعليماً لأمته النظافة الشخصية للأسنان ، ووقاية لهم من أمراض الأسنان ؛ ولأنها عنوان الصحة فهى تعمل على طحن الطعام ؛ لتوصيله مناسباً للهضم والامتصاص إلى الأمعاء ، علاوة على ما تؤديه من جمال لصاحبها فى جميع النواحى ..!!

« ولقد ظهرت الحضارة العربية بسبب التشريع الإسلامى عندما أفل نجم حضارة الروم والإغريق ، وأصبح ذلك واضحاً فى بغداد ، والقاهرة ، وقرطبة حيث بنيت المستشفيات

---

(٦) صحيح البخارى ، كتاب الطب .

وجعلوا فيها حجرات للعزل بين المرضى ..!! أما الآن فإن أوروبا وأمريكا الشمالية لهم دور كبير فى تطوير طب المجتمع يذكر لهم ، ويذكر لهم ـ أيضاً ـ أنهم لم ينسوا أنهم استفادوا من رسالة الإسلام وطوروه بعد ذلك ..!!(٧) .

نخلص من هذا أن رسالة الإسلام لديها الكثير من المعارف والاتجاهات والممارسات فى مجال طب المجتمع ، ولو وقفنا عليها وطبقناها لكنا خير الأمم ، قال تعالى :

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾

[ سورة آل عمران : ١١٠ ]

التوصيات :

● لابد أن نرجع إلى أصول المراجع الإسلامية ؛ لنتعرف على حقيقة تاريخ طب المجتمع من خلال المنظور الإسلامى ؛ كى نربط بين هذا العلم وبين التعاليم الإسلامية .

● كثير من المشاكل الصحية يمكن حلها بسهولة من خلال تطبيق السلوك فى المنهج الإسلامى .

● تطوير طب المجتمع الإسلامى ، ومحاولة تنشئته وتنظيمه بما يتفق ومتناول كل إنسان يصبو إلى الصحة العقلية والجسمية والنفسية والاجتماعية والمهنية وتفادياً للوبائيات ، ووقاية من الأمراض .

المراجع :


١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ صحيح البخارى : ترجمة عربية إنجليزية لأحاديث الرسول ـ ﷺ ـ بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة سنة ١٩٨٧ ، قام بها محمد محسن خام .

٣ ـ الأمراض المعدية : وبائياتها ، وممارسة علاجها ط.٣ بلندن (ليفنج ستون) سنة ١٩٨٠ م تأليف أ.ب. كريستك .

٤ ـ تاريخ الصحة العامة ، تأليف ب.س. فراسر ، ط ٤ ـ هوبسون بلندن ، ونيويورك سنة ١٩٧٥م .

٥ ـ أساسيات طب المجتمع ، تأليف : س.م ماكاهون ، ط٧ ، بلندن ، ونيويورك سنة ١٩٨٩م .

٦ ـ الطب من القرآن والسنة النبوية الشريفة تأليف محمد عبداللطيف ط. دار المعارف سنة ١٩٨٦م بالقاهرة .

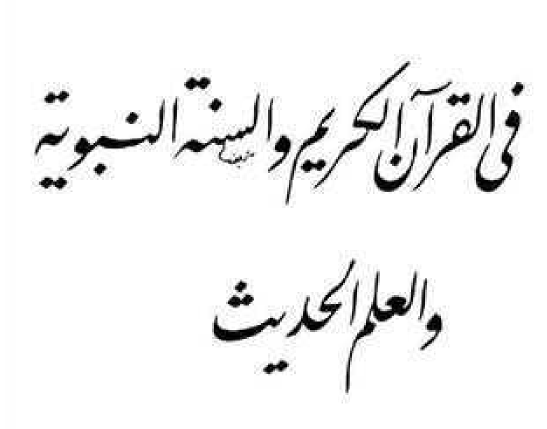
٧ ـ طب النبى محمد ـ ﷺ ـ والعلوم الحديثة تأليف محمد النسيمى ط. مؤسسة الرسالة ببيروت سنة ١٩٨٧م .

٨ ـ الطب النبوى ، لابن قيم الجوزية نشر دار الوعى بحلب ـ سوريا سنة ١٤٠٦هـ .

٩ ـ نظرية وتطبيق الصحة العامة ، تأليف د. هوبسون ، ط ٤ بلندن ونيويورك سنة ١٩٧٥م .


(٧) نظرية وتطبيق الصحة العامة تأليف : د. هوبسون ، الطبعة السابعة بجامعة أكسفورد بلندن ، ونيويورك .




-٣-

أ.د/ عبد الحكم عبد اللطيف الصعيدى (*)

## بطـــون النحـــل

إذا كانت الآية القرآنية الكريمة قد أشارت إلى أن الشراب الذى يخرجه النحل إنما يخرج من البطون ، فإن جمهور المفسرين يرون أن هذا الشراب يخرج من أفواهها ويكون التعبير عن البطون مجازا ، على اعتبار أن كل ما يخرج من داخل الجسم فهو من باطنه ، فى حين ذهب غيرهم إلى أن هذا الشراب إنما يخرج من أدبار النحل .

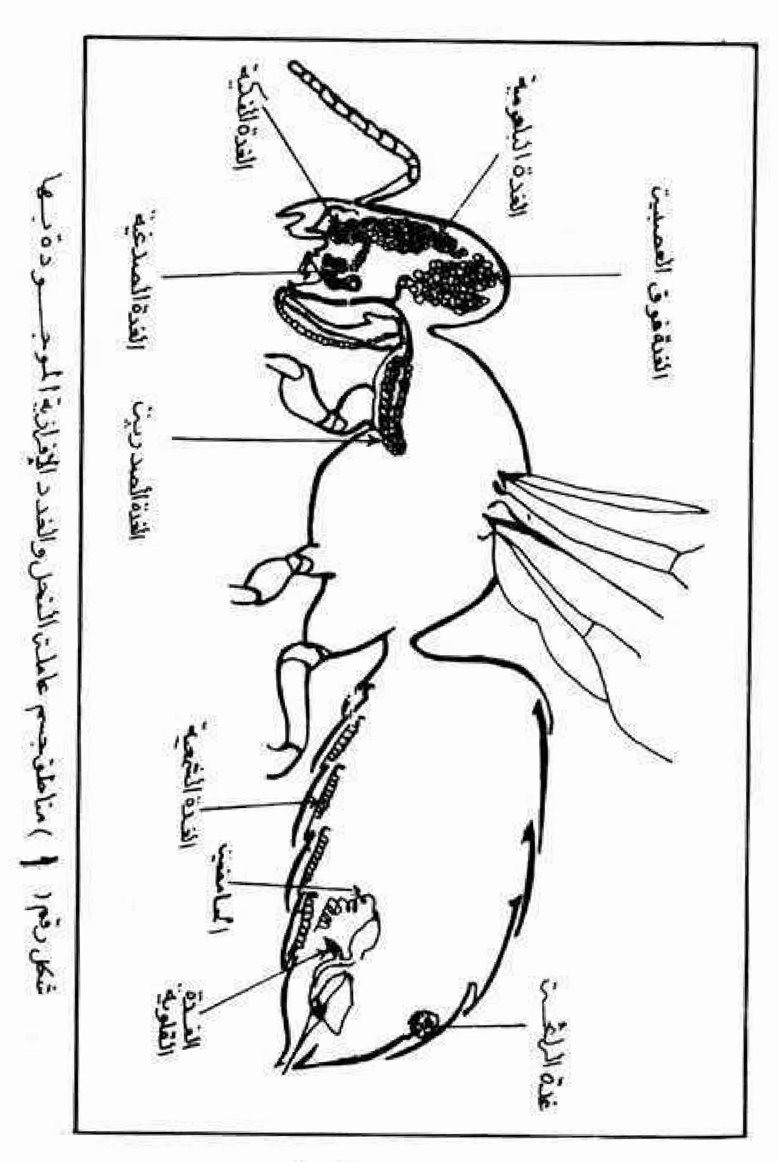
ونحن نرى أن كلا من الرأيين محاولة اجتهادية تعتمد أساسا على المعنى اللغوى وقرائن الحال الدالة عليها ، ولم تخضع للاسترشاد بالقرائن والحقائق العلمية الثابتة فى هذا الخصوص ، وذلك راجع بطبيعة الحال إلى ندرتها ، فضلا عن ندرة المتخصصين فيها آنذاك ، أما وقد أصبحت تلك المعلومات متوفرة ؛ فلا بأس بالاستعانة بها لترجيح رأى أو تقويته ، لتقف الحقائق العلمية على قدم وساق مع العلوم الأخرى الخادمة للقرآن الكريم كعلوم اللغة والأدب ، وحتى نوضح المراد ببطون النحل فإننا نوجز القول عنها فى النقاط الآتية :



---

(*) أستاذ الحشرات الاقتصادية ـ كلية الزراعة ـ جامعة الأزهر .

(١) كشف الخفا ٢/١٧٧ رواه الرمهرمزى فى الأمثال عن نصر بن عاصم الليثى سنده جيد ، لكنه مرسل ونحوه عند العسكرى قال فى القاموس فى باب الهمزة الفرأ كجبل ، حمار الوحش والجمع ( فراء ) و ( أفراء ) .



شكل رقم ( ١ ) مناطق جسم عاملة النحل والغدد الإفرازية الموجودة بها

**أولا :**

**مناطق جسم النحل من الناحية الشكلية أو الظاهرية :**

يتكون جسم النحلة كما فى الشكل رقم ( ١ ) من ثلاث مناطق وهى :

١ ـ الرأس HEAD .

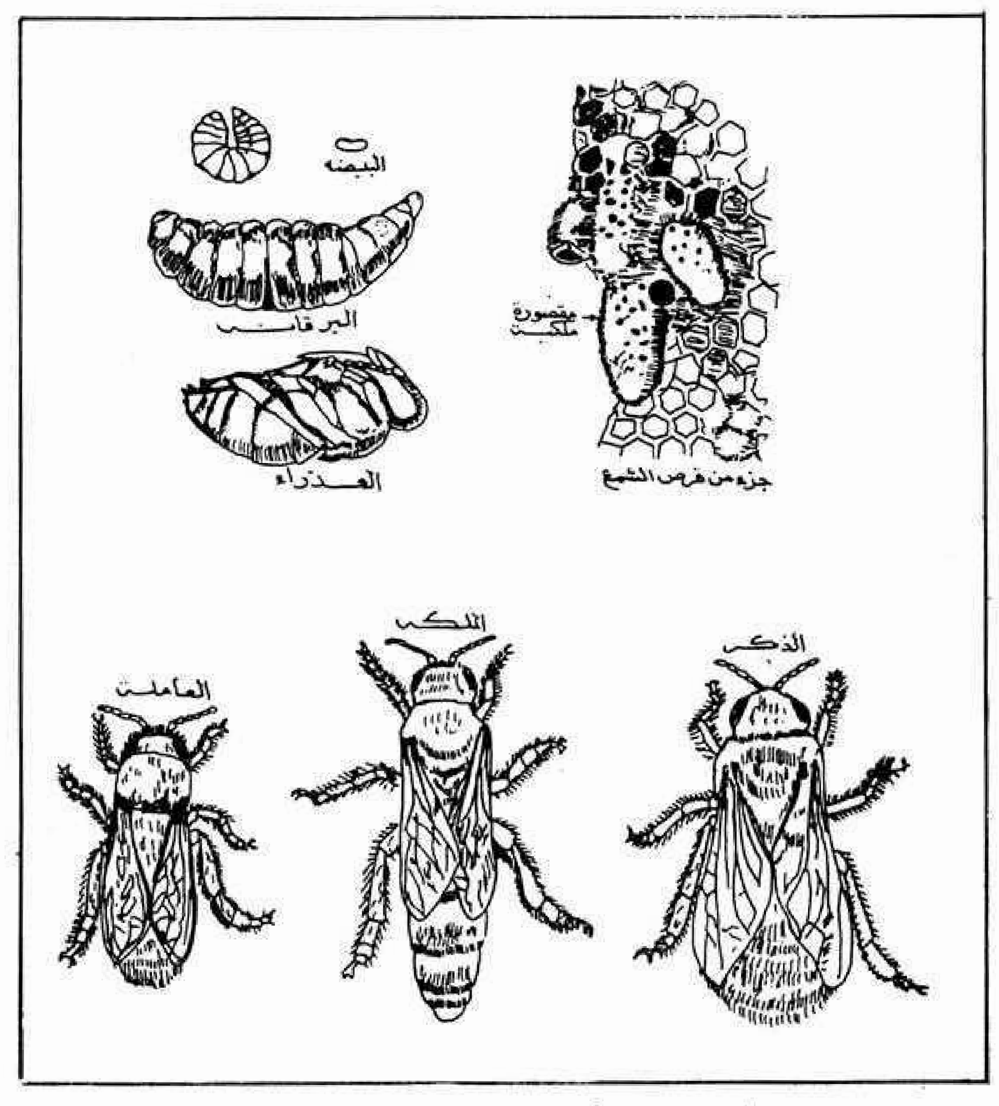
٢ ـ الصدر THORAX .

٣ ـ البطن ABDOMEN .

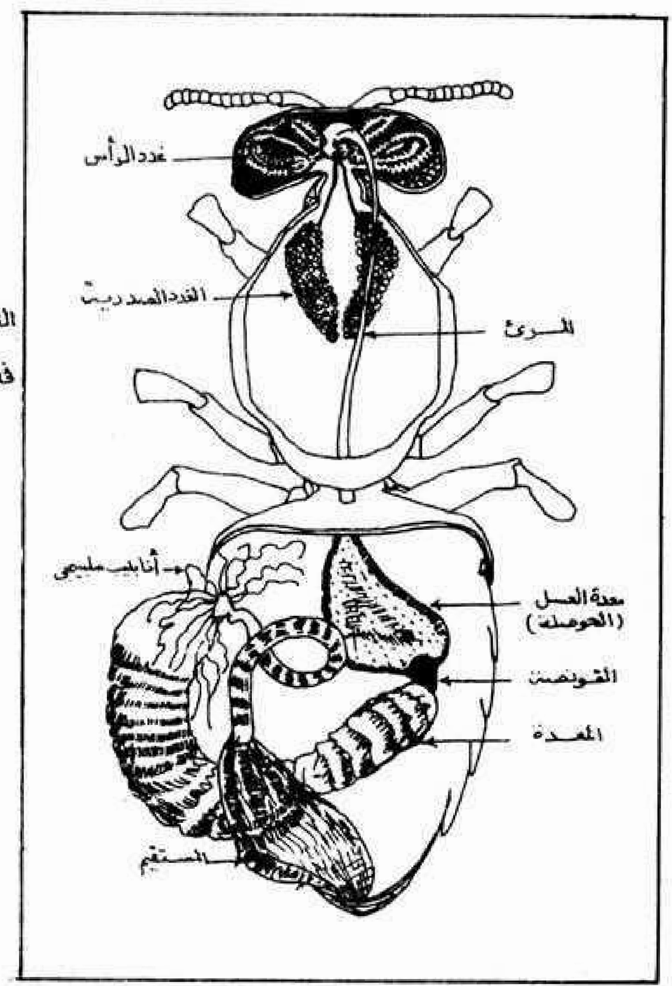
وتتكون من تسع حلقات ، لا يظهر منها إلا ست حلقات فقط ، فى حين تتداخل الحلقات الثلاث الأخيرة لتختفى فى الحلقة السادسة ، ويمكن التمييز بين أفراد الطائفة عن طريق شكل وحجم هذه المنطقة ، فبطن الملكة طويل مدبب

ولا تغطى الأجنحة نهاية البطن ، فى حين تكون بطن العاملة قصيرة ومدببة ، وبطن الذكر عريض مستدير الطرف كما فى الشكل رقم ( ٢ ) .

ويوجد أربعة أزواج من الغدد الشمعية فى منطقة بطن العاملة ، فى الجهة البطنية لكل من الحلقات ٣ و ٤ و ٥ و ٦ فقط كما توجد غدة أخرى يطلق عليها غدة الرائحة SCENT GIAND وتوجد فى الجهة الظهرية للحلقة البطنية السابعة شكل ( ١ ) ووظيفتها إفراز مادة طيارة ذات رائحة خاصة يهتدى بها النحل السارح فى الحقل عند عودته إلى الخلية أو فى اتصال بعضه ببعض .




شكل رقم ( ٢ ) أفراد ودورة حيات طائفة نحل العسل




شكل رقم (٣)
القناة الهضمية وملحقاتها
فى عاملات نحل العسل

ثانيا :
**مناطق القناة الهضمية ومواقعها داخل جسم العاملة :**

تبدأ القناة الهضمية بفتحة الفم وتنتهى بفتحة الشرج ، وتتكون كما فى الشكل رقم ( ٣ ) من المناطق الآتية :

**الجزء الأول** : FORE-GUT وهو أنبوبة دقيقة تبدأ بفتحة الفم وفى مقدمتها تقع أجزاء الفم وتعرف هذه الأنبوبة بالمرىء ESOPHAGOUS وتمتد بطول منطقة الصدر ، وتستمر حتى بداية منطقة البطن ، وفى هذه الحالة تأخذ شكل كيس كمثرى يطلق عليه معدة العسل HONEY STAMACH ويعرف هذا الجزء فى الحشرات الأخرى بالحوصلة CROP ويليها القويصة PREVENTR IEULUS وهى صمام يتحكم فى دخول المواد التى تنتقل إلى المعدة الحقيقية فيما بعد .

**الجزء الأوسط** MID-GUT وهو عبارة عن المعدة الحقيقية التى تهضم الطعام الذى تحتاجه النحلة لغذائها ، ويطلق على هذه المنطقـــة VENTRICULUS .

**الجزء الخلفى** HIND-GUT ويتكون من أنبوبة دقيقـــة يطلـــق عليها الأمعـــاء الدقيقـــة INTESTINE SMALL ويليها جزء قصير ومتسع يطلق عليه المستقيم RECTUM .

**ثالثا :**
**ملحقات الجهاز الهضمى :**

يلحق بالجهاز الهضمى ـ السابق وصفه ـ مجموعة من الغدد التى تلعب أدوارا هامة فى صنع العسل وصنع الشمع وتجهيز عسل النحل كما يوضحه الشكل رقم ( ٣ ) وهى :

١ ـ الغـــــدة البلعوميـــــــة PHARYNGEAL GLAND وتقع أعلى مقدم المخ وتقوم بافراز الغذاء الملكى لتغذية كل من الملكة واليرقات ، وتكون هذه الغدد ضامرة فى الملكات وغير موجودة أصلا فى الذكور .

٢ ـ الغدة الفكية MANDIBULAR GLAND وتدر هذه الغدة إفرازا يستخدم أساسا فى تطرية الشمع وقت بناء الأقراص الشمعية ، وقد يخطىء البعض فيعتقد أن هذه الغدة هى التى تقوم بعمل الشمع ، والصواب ما ذكرناه ، ويرتبط إفراز هذه الغدة وإفراز غدد الشمع بعمر العاملة ، كما لا توجد هذه الغدد أصلا فى أى من الملكة أو الذكور حيث لا يوجد بأى منها غدد شمعية ، وهذه الغدد لا تعمل إلا فى تجهيز الشمع .

٣ ـ الغدة اللعابية SALIVARY GLAND وهى غدة مركبة تتكون من أربعة أجزاء ، يقع الزوج الاول منها فوق مؤخرة المخ ، ويعرف بالغدة فوق العصبية POSTCEREBRAL GLAND أما الزوج الثانى فيقع فى منطقة الصدر ويطلق عليه الغدة الصدرية THORACIC GLAND وتدر هذه الغدد سائلا يطلق عليه اللعاب وهو غنى بالخمائر اللازمة لتحويل مادة السكروز ( سكر ثنائى ) الموجود فى الرحيق إلى نوع أبسط يطلق عليه السكـــر المحول ، وهـــو أحـــادى ( جلوكوز + فركتوز ) وهو سهل الهضم والامتصاص ولا يضر بمرضى السكر حيث لا يحتاج إلى مادة الأنسولين .

٤ ـ الغدة الصدغية POSTGENAL GLAND ولم تكتشف بعد وظيفتها على درجة التأكيد وان كانت لا تخلو من فائدة .

**رابعا :**
**الاستنتاج :**
**نخلص من كل ما سبق إلى ما يلى :**

١ ـ أهمية بطون النحل : فمنطقة البطن بالنسبة للعاملة منطقة خصبة ، حيث تخرج منها أشربة كثيرة فيها الغذاء وفيها الشفاء ، كالعسل ، والفالوذج ( الغذاء الملكى ) هذا فضلا عن مادة علك النحل ذات الفوائد الطبية الجمة .

٢ ـ إن التعبير فى الآية الكريمة « يخرج من بطونها » تعبير يجب حمله على الحقيقة بدلا من حمله على المجاز ، فذلك أولى والواقع العلمى يؤيده ، ومع هذا فلا بأس من مؤازرة كل من المعنيين للآخر بدلا من الإغراق فى إطلاق اسم البطن على الفم أو غيره بدون مبرر .

٣ ـ إذا قصرنا معنى الشراب فى الآية على العسل فإن التعبير يظل فى أرفع وأقدس مكان من الدقة ، ذلك لأن السائل الذى تخرجه النحلة من فيها لا يطلق عليه عسل فور خروجه ، وإنما هو

شراب ، فما زال قوامه رهيفا حيث تكون نسبة الماء فيه نحو ٦٠٪ فى المتوسط ، وإنما يصير عسلا بعد أن يوضع فى قدوره ومستودعاته داخل الخلية حيث تقوم العاملات المقيمات بالخلية بإنضاجه وتهويته وتركيزه ، ويصح أن نطلق عليه حينئذ العسل لأنه قد أخذ قواما سميكا فنسبة الماء به قد انخفضت إلى نحو ٢٠٪ .

هذا وتختلف ألوان العسل ومكوناته تبعا للمصادر التى تم جمعه منها .

وإذا توسعنا فى معنى الشراب ليشمل الأنواع المذكورة غير العسل فيكون اختلاف ألوانها أمرا لا يحتاج إعمال فكر ولا إجهاد ذهن .

٤ ــ والعسل بناء على ذلك ليس نباتيا محضا ولا حيوانيا محضا ، وإنما هو خليط من هذا وذاك ، فالنحلة تتناول الرحيق من مصادره النباتية وتصب عليه خمائر اللعاب فيتحول إلى سكريات أحادية ويستقر بمعدة العسل فترة فيها تركيزة نوعا ما ، حيث يسمح لجزء من مائة بالمرور خلال مصفاة خاصة ، ثم يعاد الشراب المتبقى والمركز عن طريق الفم .

واسأل بطون النحل كيف تقاطرت .
شهدا وقل للشهد من حلاكا؟
والله فى كل العجائب ماثل
إن لم تكن لتراه فهو يراك

النموذج الثانى :
ازالة التناقض فى فهم حديث أصل الجراد :

عن أنس وجابر ــ رضى الله عنهما عن رسول الله ــ ﷺ ــ أنه كان إذا دعا على الجراد قال « اللهم أهلكْ كباره ، واقتل صغاره وأفسد بيضه واقطع دابره وخذ بأفواهه عن معايشنا وأرزاقنا إنك سميع الدعاء » فقال جابر : أتدعو على جند من أجناد الله بقطع دابره ؟

فقال النبى ــ ﷺ ــ « إنما هو نثرة حوت فى البحر » أى عطسته ــ رواه ابن ماجة فى كتاب الصيد ، حديث رقم ٩ .

ونحن نرى أن هذا الحديث وإن كان قد ورد بشأن إباحة الدعاء على الجراد بالهلاك إلا أنه قد تعرض لأصل الجراد ونشأته ، وهذا الحديث بقدر ما فيه من غرابة فإنه بحاجة إلى حسن توجيه ، وهو ما سنناقشه فيما يلى :ــ

١ ــ لقد كان مقتضى السياق أن يجيب النبى ــ ﷺ ــ إجابة تتضح من خلالها إباحة الدعاء بهلاك الجراد ولكن الإجابة قد أضافت إلى الحديث وجها من أوجه الغرابة حيث عبرت بالسائل إلى الحديث عن نشأة الجراد وأصله بدلا من تعليل إباحة الدعاء بهلاكه وقال المناوى تعليقا على الحديث : إن الجراد من صيد البحر كالسمك يحل للمحرم أن يصيده .

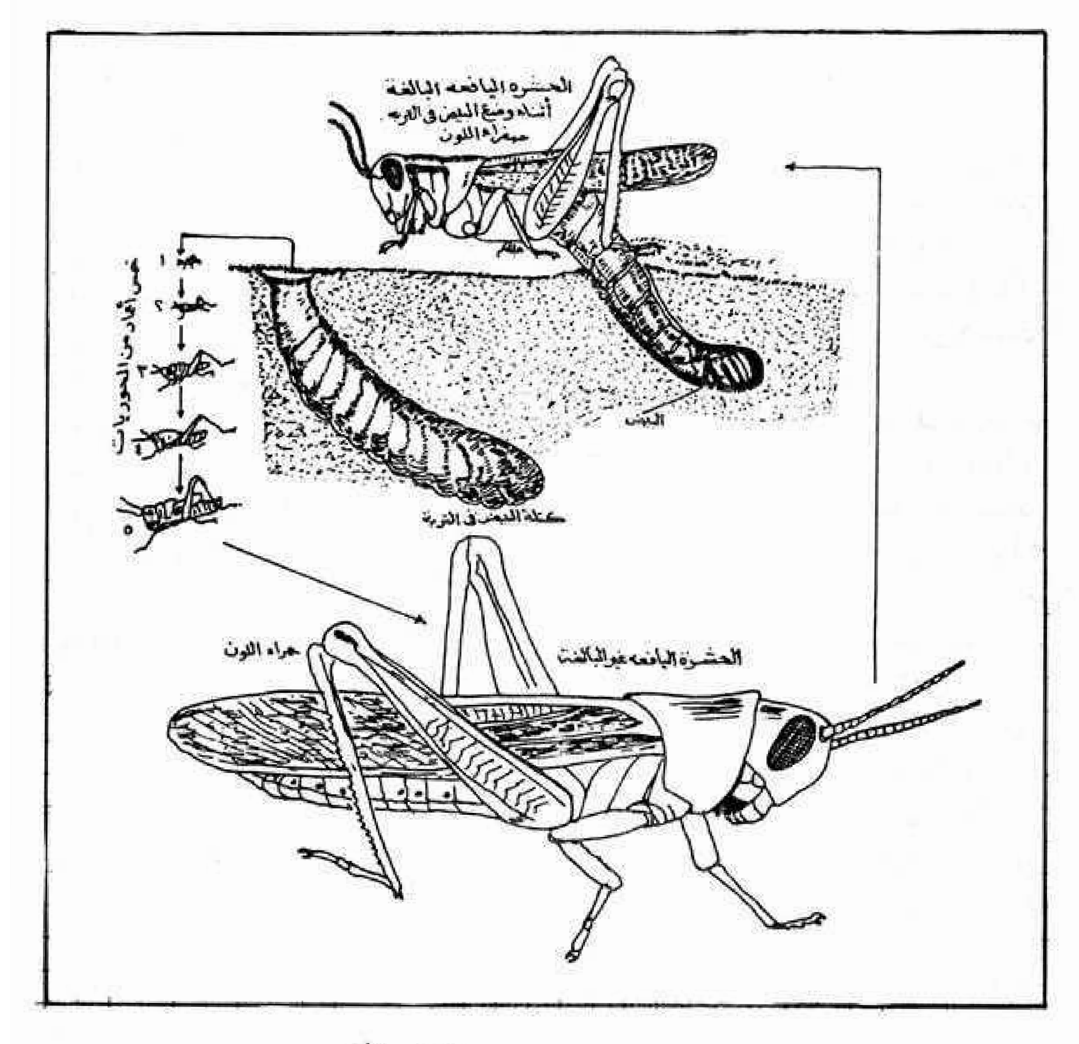
٢ ــ كما أدرك الدميرى هذا التناقض بين صدر الحديث وعجزه فحاول التوفيق بينهما فقال « المراد أن الجراد من صيد البحر فيحل للمحرم أن يصيده وقال المناوى فتراه أخفق من حيث أراد أن يوفق ذلك ، لأنه سلم بأن الجراد عطسة حوت فيكون من صيد البحر فيأخذ حكمه بالنسبة للمحرم ولمن فى الحرم .

٣ ــ أما الامام ابن كثير .. فقد أورد فى تفسيره ما نصه : « قال هشام : أخبرنى زياد أنه أخبره من رآه ينثره الحوت فقال من حقق ذلك ؟ إن السمك إذا باض فى ساحل البحر فنضب الماء عنه وبدا للشمس أنه يفقس كله جرادا طيارا » ا.هـ .

٤ ــ وما أورده ابن كثير بالرغم مما فيه من الغرابة فانه يصلح ملاحظة تقترب بنا رويدا إلى ما نود الوصول إليه استنادا على نتائج التجارب

والملاحظات العلمية التى توضح لنا سلوك هذه الحشرات بالنسبة لوضع البيض ، ونحن فى هذا لا نريد الافتيات على الحديث الشريف ، وإنما نبغى تيسير فهمه مستأنسين فى ذلك بقول النبى ـ ﷺ ـ أنتم أعلم بشئون دنياكم ( رواه مسلم ) ونص هذا الحديث ليس معنيا بالعقيدة .

٥ ـ من الثابت علميا أن أناث الجراد تضع بيضها فى التربة شريطة أن تكون من النوع الخفيف الذى تتوفر له رطوبة نسبية ملائمة ( من ١٠ ـ ١٥٪ ) وساحل البحر الذى سبق ذكره هو بيئة تتوفر فيها نسبة الرطوبة المطلوبة ، كما تنمو بها بعض الأعشاب والنباتات من جراء ظاهرة المد والجزر ، مما يجعلها بيئة تغرى الجراد بالتغذية على هذه النباتات ووضع البيض فى تربتها ( شكل رقم ٤ ) أى أن الجراد يضع بيضه على ساحل البحر وبعد مضى فترة الحضانة فى التربة يصادف




شكل رقم ( ٤ ) دورة حياة حشرات الجـــراد .

فقسه انحسار المياه عن الشاطىء فيراه الناس فيظنون أنه متولد من الحيتان ثم يتناقل الناس هذه المعلومات على نحو ما ورد فى الحديث .

٦ ـ ومن هذا العرض يتضح لنا أن فهم الحديث على هذا الأساس يكون أوفق ويزيل ما يبدو فيه من تناقض ، وبخاصة أنه قد تعلق بالأخذ به حكم فقهى فالجمهور .. على أنه برى يضمن هو وبيضه بالقيمة على المحرم وفى الحرم فلو وطئه المحرم عامدا أو جاهلا ضمن ، ولهم أدلة كثيرة على ذلك وقال العبدوى أن أبا سعيد الخدرى قال : لاجزاء فيه وحاكاه ابن المنذر عن كعب الأحبار وعروة ابن الزبير فإنهم قالوا : هو من صيد البحر لا جزاء فيه واحتجوا بالحديث المتقدم وغيره .
وحكى الرافعى فى باب الربا ثلاثة أوجه :
أحدها أنه ليس من جنس اللحوم قال فى « الروضة » وهو الأصح .
الثانى أنه من اللحوم البريات .
الثالث أنه من اللحوم البحريات .

خامسا :
**الطريقة المثلى لتوظيف النتائج العلمية لخدمة الأغراض الشرعية :**

أرى أن تشكل لهذا الغرض لجنة خاصة تتكون من :
١ ـ الأساتذة الأكفاء فى تخصصات الشريعة الإسلامية واللغة العربية .
٢ ـ الأساتذة الأكفاء فى التخصصات العلمية والإنسانية ممن لهم اهتمام بتوظيف بحوثهم ومؤلفاتهم وأعمالهم العلمية فى خدمة الشريعة الإسلامية وتيسير فهمهما وتقريبهما للأذهان .

اختصاصاتها :

تقوم هذه اللجنة أساسا بالعمل على إزالة الفجوة المتوهمة والجفوة المصطنعة بين العلم والدين من خلال الموضوعات التالية :ـ
١ ـ وضع تعريب دقيق للمصطلحات العلمية المستخدمة ليسهل على الطلاب والدارسين الوقوف عليها والاستفادة منها ، وليكون للأزهر دور الريادة والسبق فى إبراز مثل هذا العمل المفيد الذى يسهم بلا شك فى إثراء اللغة العربية من منطلق أن الدراسة فى جامعة الأزهر تتم باللغة العربية أساساً .
٢ ـ إنشاء مقرر دراسى عام على درجة عالية من الكفاية يختص بإبراز دور علماء العرب والمسلمين فى إثراء الحياة الفكرية والعلمية ، مع ربط الحاضر بالماضى فى هذا الصدد بما يتعلق ببعث الحضارة العربية وإظهار أثر العرب والمسلمين فى تطور الإنسانية وتقدمها ، ويكون هذا المقرر أحد متطلبات الجامعة بمعنى أنه يدرس على مستوى الجامعة .
٣ ـ تطعم المناهج العلمية ببعض هذه النماذج فى المعاهد الأزهرية للمرحلتين الإعدادية والثانوية حفزاً لهمم الطلاب فى مرحلة مبكرة .
٤ ـ تقييم الأعمال العلمية التى تقدم إلى هذه اللجنة بهذا الخصوص .
٥ ـ نشر الأعمال الجيدة والاتصال بالجهات المعنية لتنسيق العمل على طريقة الاستفادة بها .
٦ ـ تنظيم الندوات واللقاءات التى تقدم فيها مثل هذه الأعمال الهادفة .




## أسبابه ونتائجه

للدكتورة / ماشاء الله حسن حسنى

**مما لاشك فيه أن التقدم العلمى و ( التقنى ) الحديث فى القرن العشرين قد صحبه كثير من المضاعفات والآثار الجانبية التى تركت بصماتها على البيئة والطبيعة التى يعيش فيها الإنسان ؛ فقد انتشرت المخلفات الصلبة والسائلة والغازية الناتجة عن التفاعلات فى الماء والهواء والغذاء حتى أصبح التقدم العلمى سلاحا ذا حدين : فهو علامة على الحضارة والرق والازدهار فى العلم من ناحية ، كما صار مؤثراً ضاراً على الأجواء والبيئة المحيطة بنواتجه الضارة من عناصر كيمائية و « بيولوجية » من ناحية أخرى .**

هذه المضار تؤثر فى نشاط الإنسان وصحته وتؤدى إلى أمراض كثيرة وخطيرة .

ومن ثم فقد نشأت علاقة مزدوجة التفاعل بين الإنسان والبيئة المحيطة به ، فالإنسان بعلمه وتجاربه « الكيمائية والبيولوجية » والنووية يؤثر فى البيئة تأثيراً ضاراً ويلوثها ، والبيئة الملوثة بدورها تؤثر فى صحة الإنسان .

ومظاهر التلوث البيئى كثيرة ، فنحن نجدها فى الهواء الذى نستنشقه (نقياً) فتصلح به صحة الإنسان ، و (غير نقى) فتعتل به ، والأمر كذلك فى المياة التى نغتسل بها ونشربها .

وقضية التلوث البيئى تتصل أساساً بهذين النوعين من التلوث : تلوث الماء وتلوث الهواء .

ونظراً إلى أن هذه القضية تعتبر من أهم المشكلات القومية فى مصر فى وقتنا الحاضر ؛ فقد حظيت باهتمام كثير من الباحثين سواء فى مصر أو فى الخارج ، هؤلاء الباحثون الذين قاموا بدراسة أسباب التلوث البيئى المختلفة وتأثيرها على نشاطات الإنسان وصحته ، وذلك للتوصل إلى حلول وعلاج لهذه المشكلة الخطيرة المتمثلة فى الهواء والماء .

### الهـــواء :

مكونات الهواء معروفة ، وأهميته للحياة العامة لاتحتاج إلى بيان ، ولكن فى كثير من الأحيان تحدث تغييرات فى مكوناته نتيجة لعوامل التلوث

التى قد تكون : غازية أو إشعاعية ، أو من عوامل أخرى مثل : الأتربة والدخان ، والمواد العالقة فى الجو ، والمتصاعدة كالرذاذات .

## أنواع التلوث فى الهواء

### ١ ـ التلوث بالغازات :

#### ( أ ) أكاسيد الكربون :

وهى نواتج الاحتراق الكامل والغير كامل لوقود السيارات ، والاستخدام المنزلى ، والتدخين فى الأماكن المغلقة . وقد ازدادت هذه (الأكاسيد) زيادة ملموسة خاصة فى غاز ثانى أكسيد الكربون نتيجة للتوسع فى استخدام المصادر الحضرية للوقود مثل الفحم والبترول ، وهذه الزيادة لها أثر على درجات الحرارة الجوية ؛ لأن لجزئيات ثانى أكسيد الكربون أثراً أشبه بأثر (الصوبة الزجاجية)[1] فى زيادة درجة الحرارة ، ويزيد من هذا العامل تزايد الغبار والدخان والدقائق الترابية العالقة والمنتشرة فى الجو ، وهذا يرجع إلى اتساع الرقعة السكانية ، وتزاحم المدن وتزايد ما يتصاعد منها من دخان وغبار ، يضاف إلى هذه العوامل ضيق الرقعة الخضراء ، ونقص الكساء النباتى الطبيعى مما أدى إلى قلة استيعاب الطبيعة الخضراء لغاز ثانى « أكسيد الكربون » .

مضار هذا النوع من التلوث :

وهذا النوع من التلوث يسبب التهابات فى الجزء العلوىّ للجهاز التنفسى ، وفى الشعيبات الهوائية ، كما أن غاز أول « أكسيد الكربون » له قابلية للاتحاد مع (هيموجلوبين) الدم ، فيقلل من قدرته وسعته على حمل غاز الأكسجين إلى أعضاء وأنسجة الجسم ، مما يسبب الصداع وعدم الاتزان ، وقد يؤدى إلى هبوط فى الدورة الدموية والقلب فالوفاة .

#### (ب) ثانى « أكسيد الكبريت » و « أكاسيد النيتروجين » :

وهى ناتجة من حرق الوقود فى المصانع المختلفة والمتعددة ، وفى الاستخدامات المنزلية ، ويتم تفاعل هذه الغازات فى الجو مع بخار الماء ، وينتج عنها (حامض الكبريتيك) و (حامض النيتريك) ، **مما يسبب** المطر الحمضى الذى يلوث بدوره المياه العذبة خاصة فى البحيرات ، ويفسد الحياة والثروة السمكية فيها .

وهذا النوع من التلوث فى حالته الغازية مهيج ومثير لأغشية الجهاز التنفسى ، ويسبب الربو الشعبى مما يؤثر على كفاءة الرئتين ، ويؤدى فى النهاية لهبوط فى القلب والرئتين .

### ٢ ـ التلوث بمركبات « الكلوروفلوروكربون » :

وتلك المركبات هى التى تستعمل كرذاذات وتستخدم فى المواد العطرية ، والمبيدات الحشرية ، ومزيل العرق .

هذه المركبات يتصاعد منها الرذاذ إلى طبقات الجو العليا وتؤثر فى جزئيات (طبقة الأوزون) ، تلك الطبقة بالغة الأهمية لبقاء الحياة على سطح الأرض ، وهى الدرع الواقى للإنسان من (الأشعة فوق البنفسجية) التى تسبب سرطان الجلد .

### ٣ ـ التلوث بالإشعاع :

وهو الناتج عن استخدام المواد المشعة فى الطب

والطاقة النووية ، مثل مايصدر من أجهزة الأشعة التشخيصية (أشعة اكس) ، والنظائر المشعة التي تستخدم في تشخيص ومعرفة أماكن الأورام ، كذلك العلاج بالإشعاع في حالة الأمراض السرطانية .

**وهذا النوع من التلوث يسبب أنواعا كثيرة من السرطانات .**

هذه الأنواع الثلاثة من التلوثات يُضاف إليها في مدينة القاهرة مايسمى بالتلوث الضوضائي .

وهذا التلوث ناتج من الضوضاء والأصوات الصاخبة التي تصدر من : مكبرات الصوت ، وآلات الحفر والبناء ، ووسائل المواصلات من سيارات ومركبات وقطارات ، وضوضاء المصانع ، والأصوات الآدمية والحيوانية .

**وهذا النوع من التلوث يسبب ضعفاً مؤقتاً أو** مستديماً في السمع ، والشعور بالضيق والتوتر ، واضطراب النوم إلى اضطرابات نفسية وعصبية مع الصداع ، وعدم التركيز .

**التلوث في المياه :**

مصادر المياه في مصر هي نهر النيل والآبار الجوفية . وأول القضايا البيئية في مجال المياه العذبة تتضمن وصول المياه النقية إلى الناس لاستخدامهم الشخصي ، تلك مسألة تتصل أيضاً بوجود وسائل الصرف الصحي .

**أنواع التلوثات :**

١ ـ تلوثات « بيولوجية ـ بكتيرية ـ فيروسية » ـ ديدان وطحالب وتوالد الباعوض .

٢ ـ تلوثات تعد كيميائية : مبيدات حشرية ـ زيوت ـ شحوم ـ رصاص .

وغالباً مايكون التلوث من هذين النوعين مجتمعين فالمياه العذبة الجارية في شبكات الري والصرف تتعرض للتلوث نتيجة مايتسرب إليها من إفرازات المناطق السكنية ، والمجموعات الصناعية ، ومايصل إليها من مياه الصرف الزراعي المحملة ببقايا المبيدات والأسمدة والأملاح .

من هنا نجد أن المياه العذبة تتلوث « بمواد نيتروجينية و » فوسفاتية وعضوية فتزيد ـ بدورها ـ من نمو الطحالب والأعشاب المائية على نحو طافح يستهلك أغلب موارد « الأكسجين » الذائب في الماء ليصبح الماء بعد ذلك غير صالح لحياة الأحياء المائية ، كما أن بعض هذه المواد سام وضار بالكائنات الحية والإنسان .

**أسباب التلوث :**

**١ ـ الصرف الصحي :**

تعاني شبكات الصرف الصحي في المدن من زيادة الكميات الواردة إليها عن طاقتها ، هذا بجانب انقضاء العمر الافتراضي لها ، ويرجع ذلك إلى الزيادة السكانية في المدن ، والتوسع الغير مخطط في الأحياء المختلفة ، والتقصير في علاج المخلفات .

هذا وفي القرى المحرومة من خدمات الصرف الصحي يلجأ أهلها إلى الطرق البدائية لقضاء حاجتهم ، وغالباً ماتكون بجانب مجرى مائي ، كما أن المراحيض الصحية في المساكن والمساجد والمدارس ، تلقي بمخلفاتها في المجاري المائية والمصارف والترع .

**٢ ـ مصارف تصب في المسطحات المائية ، ونهر النيل :**

( أ ) مخلفات المصانع

(ب) « الكيماويات» الزراعية . مثل المخصبات ومبيدات الآفات الزراعية . وهى عبارة عن مواد « كيميائية » سامة تتسبب فى حدوث حالات تسمم .

(جـ) النقل النهرى والعائمات :

ويدخل فيها البواخر السياحية ، ومراكب الصيد والتجارة والعائمات السكنية . وجميعها تلقى بمخلفاتها فى نهر النيل .

هذا بخلاف ما سببه السد العالى من آثار جانبية مثل بطء التيار فى مجرى النهر مما أتاح الفرصة لتراكم الملوثات ، ونمو الطحالب ، ونمو نبات ورد النيل .

وهذا النوع من التلوث يسبب أنواعاً من التسمم منه الحاد ومنه المزمن ، وكثير من أمراض الجهاز الهضمى والعصبى .

**العلاج لكل من :**

**١ ـ تلوث الهواء :**

لكى نقلل ـ وليس نمنع ـ تلوث هواء البيئة المحيطة بنا يجب :

**أولاً** : إصدار قانون جاد لحماية البيئة من التلوث يقضى بتنظيم عمليات احتراق الوقود والمخلفات والنفايات الصناعية الغازية ، واستخراج واستخدام البترول حسب تعليمات الصحة الدولية وأحدث الطرق المتبعة فى الدول الصناعية المتقدمة .

**ثانياً** : وضع المبيدات الحشرية تحت بند السموم ، وتنظيم تداول واستخدام المواد المشعة ، وارتداء الدروع الواقية وقت الاستخدام .

**ثالثاً** : وضع قانون لمنع التدخين فى الأماكن المغلقة مع تهوية هذه الأماكن فى فترات معينة لتجديد هوائها .

**رابعاً** : كذلك يوضع قانون تراعى متابعته للحد من الضوضاء يعمل به وليس قانوناً على الورق .

٢ ـ وتلوث المياه :

ولمنع هذا التلوث ينبغى :

● ● صيانة وتجديد شبكات الصرف الصحى لتتناسب مع الضغط الحالى .

● ● اختيار طرق بسيطة غير مكلفة لمعالجة المخلفات السائلة الصناعية .

● ● إلزام الشركات والمصانع بعلاج مخلفاتها السائلة قبل صرفها خاصة مصانع السكر والزيوت والصابون والأسمدة والصباغة والتجهيز و « الكيماويات » لأن هذه المصانع تعتبر مخلفاتها أشد خطورة . منها : الزيوت ـ الشحوم ـ المواد العضوية ـ المعادن الثقيلة ـ والسموم .

● ● كما يجب عند إنشاء أى مصنع جديد أن يشترط على القائمين عليه علاج هذه المخلفات قبل التصريح بإنشائه .

● ● التنسيق بين خدمات المياه والصرف الصحى .

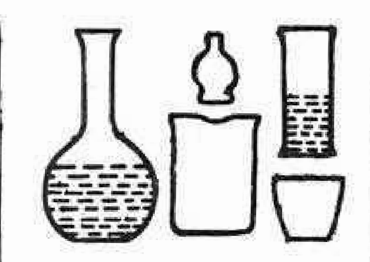
● ● أن يحظر ـ حظراً مطلقاً ـ الصرف نهائياً فى نهر النيل والبحيرات العذبة ..

المراجع :

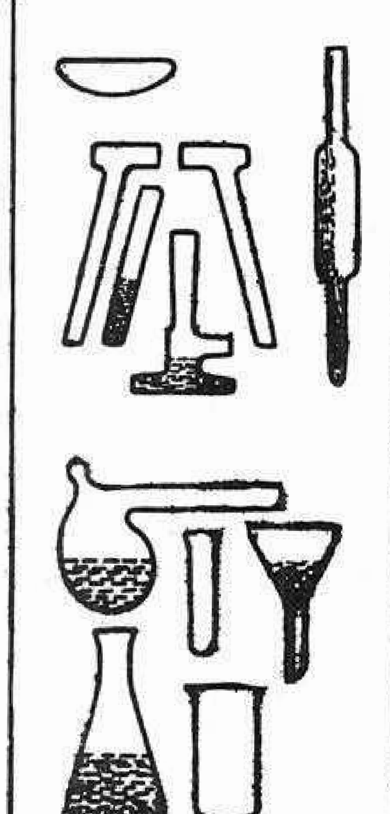
١ ـ تقرير المجلس القومى للخدمات والتنمية الاجتماعية ١٩٨٩/١٩٩٠ .

٢ ـ مجلة العلوم الحديثة ، مايو سنة ١٩٨٣ .

٣ ـ مجلة العلوم الحديثة ، أكتوبر سنة ١٩٨٣ .





**أحدث طريقة لعلاج قصور الجهاز المناعى :**

بدأت فى أمريكا أول محاولة لعلاج قصور الجهـاز المناعـى للإنسان باستخـدام « الجينات »[1] . فقد قام أحد الأطباء فى المعاهد الوطنية الصحية الأمريكية بعلاج طفلة فى الرابعة من عمرها ، ولدت بدون نظام مناعة عن طريق أخذ خلايا كريات دم بيضاء من جسم الطفلة ، وحقنها بـ(جين) صناعى يساعد على توليد « انزيم » أ.د.أ (ADA) الذى يحتاج إليه الجسم لعلاج قصور الجهاز المناعى وضخها مرة أخرى فى مجرى دم الطفلة ، وتكرار مرات العلاج أمر ضرورى ؛ لأن خلايا كريات الدم البيضاء لها فترة عمر محددة .

(١) الجينات : نقط على « الكروموسومات » حاملات الصفات الوراثية .

### تقنية حديثة لجراحة
### الأعصاب بدون مبضع :

شهدت السنوات الأخيرة تقدماً ملموسا فى مجالى التصوير الإشعاعى والجراحة خاصة فيما يتعلق بالأمراض المستعصية العصرية . ففى فرنسا جرى مؤخراً تطوير جهاز للتصوير بأشعة « جاما » يطلق عليه « وحدة جاما » كان قد اخترعه لأول مرة جراح أعصاب سويدى منذ سنوات ، وتعتمد هذه الوحدة على النشاط الإشعاعى فى معالجة الأورام ، ورسم صورة واضحة ثلاثية الأبعاد للدماغ ، وتعيين مكان التورم فيه بدقة لا يتعدى الخطأ فيها ملليمتر واحداً حيث يتم علاج الورم عن طريق تصويب حزم إشعاع جاما نحوه .

### قلم خاص « للكمبيوتر » :

تم إنتاج أحدث قلم صمم خصيصاً لأعمال الحاسب الآلى ، وهو يسهل عمليات التصميم والكتابة ، وكذلك الرسومات فى الحاسبات الآلية . ويستعمل قلم الحاسب تماما مثل القلم الرصاص لذلك يكون طبيعياً فى الاستخدام ويوفر وقتاً طويلا للعاملين فى هذا المجال .

### النباتات ترفض
### لمس الإنســان :

أثبت فريق بحث فرنسى أن الأشجار والنباتات وخاصة نباتات الزينة تتأثر بشدة عند تعرضها للمس الإنسان بطريقة عشوائية ، وتنمو بدرجة أقل من تلك التى لا تتعرض للمس . وأكدت الأبحاث أن خمسة ( جينات ) وراثية على الأقل بالنبات تتفاعل سلبياً عند لمس الإنسان للشجرة مما يؤدى إلى تجميد نمو النباتات كرد فعل طبيعى للضغط العصبى عليها .

### لدائن جديدة تتلاشى
### عند الاستغناء عنها :

أنتجت شركة بريطانية عبوات من البلاستيك تتلاشى ذاتياً عند الاستغناء عنها نهائياً ، وذلك بعد معاملتها بنوع خاص من البكتريا اللاهوائية . ويتميز هذا المنتج الجديد بمقاومته العالية للصدمات بالإضافة إلى قدرته على حفظ ما بداخله لفترات طويلة .

### تليسكوب فائق الدقة :

تمكنت شركة يابانية للإلكترونيات من اختراع « جهاز استقبال تليسكوبى » يرصد الأشياء فى الفضاء بدقة خارقة ويستهلك طاقة أقل . والجهاز يزن ٣٥ كيلو جراماً ، وطوله ٧٠سم وقطره ٢٦سم ، وقد تم استخدام عناصر موصلة فائقة فى صنعه لتخفيض حجمه ووزنه وزيادة دقته عن الأجهزة المستعملة حاليا . والتليسكوب الجديد يفيد فى رصد حركة الأشياء بالفضاء كالثقوب السوداء ومجموعة المجرة التى لا ترى بواسطة التليسكوب البصرى .

### « ميكانيكى الكترونى » للسيارات :

تمكن العلماء الإنجليز من ابتكار جهاز إلكترونى جديد يتم توصيله بمحرك السيارة

للكشف عن العطل وسببه ، والجهاز مزود بثلاثة أشرطة مسجل عليها المعلومات عن جميع أنواع السيارات فى العالم ، وقد أثبتت التجارب الأولية لهذا الجهاز زيادة دقته .

نظام غذائى لعلاج
الآم المفاصـــل :

أكد فريق طبى نرويجى أن اتباع نظام غذائى نباتى معين يفيد فى علاج مرض التهاب المفاصل شبه الروماتيزمى . فقد أخضعت الدراسة بعض المرضى لنظام غذائى يتكون من شاى الأعشاب والثوم وحساء الخضروات والعصائر ، وبعد أسبوع خضعوا لنظام غذائى يخلو من اللحوم ومنتجات الألبان والأسماك والموالح وملح الطعام والسكر والتوابل القوية والشاى والقهوة ، وبعد ثلاثة أشهر سمح للمرضى بتناول الحليب ومنتجات الألبان فتحسنت حالة المرض وقل الألم .

فوائد طبية للشاى :

توصل بعض الباحثين اليابانيين إلى أن الشاى يمنع الإصابة بالأنفلونزا ، ويحول دون تسوس الأسنان ، ومادة « الصابونين » المستخلصة من الشاى الأخضر تمنع السرطان والبلغم فى الجسم . وأن مادة « الفلافين » بأوراق الشاى الأسود تقتل فيروس الأنفلونزا ، فقد قام الباحثون بحقن فيروس الأنفلونزا فى الشاى المخفف إلى ٢٥٪ من قوته العادية ففقد قدرته على العدوى فى خلال خمس ثوان ، كما أثبتوا أن « التغرغر » بالشاى له فعالية فى منع الأنفلونزا ؛ لأن المرض ينتشر بسرعة فى خلايا الأنف والحنجرة .

حاسب آلــى
لمراقبـة الأجنـة :

تمكنت شركة من ابتكار جهاز كمبيوتر مهمته مراقبة الجنين داخل الرحم ، ويقوم هذا الجهاز بتسجيل نبض وحركة الجنين والمشاكل التى يتعرض لها . والجهاز الجديد عبارة عن آلة صغيرة الحجم تستخدم ذبذبات عالية التردد من الموجات الصوتية . يتم بواسطتها مراقبة نبضات قلب الجنين وحالته الصحية ، وتعرض النتائج من خلال جهاز الكمبيوتر .

طاقة الرياح لإنارة
أكشـاك التليفونات :

ابتكر مهندس يعمل فى هيئة الاتصالات البريطانية طريقة جديدة لاستغلال قوة الرياح فى إنارة أكشاك التليفونات ، وتعتمد هذه الطريقة على وضع مروحة فوق كل كشك تولد طاقة كافية لانارة الكشك طوال الليل ، وتتميز هذه الطريقة بقلة تكاليفها ، وعدم الحاجة إلى توصيل كل كشك بمصدر للتيار الكهربى .

دراجة هوائية فضائية :

تم تصميم مركبة خاصة خفيفة الوزن وصلبة الهيكل تقاوم أعنف الرياح ، وتسير ليس بمحرك ، وإنما بـ « دواسات دراجة » مما يقتضى أن يكون قائدها صاحب عضلات شديدة فى قدميه للتمكن من التحليق والطيران مسافة تراوح المائة كيلو متر فى أقل من ٩ ساعات طيران تقريباً .




- ٣ -

إعداد الأستاذ الدكتور/ محمد عبد القادر هنادى

**ثالثا : فى باب الأدوات والحروف :**

**زيادة الباء فى ستة :**

**زيادتها للتوكيد**

**١ ـ تزاد الباء توكيدا فى مواضع ستة هى : «الفاعل والمفعول والمبتدأ والخبر والحال والتوكيد[١]**

واحتج الإمام النووى على زيادتها للتوكيد بحديث الرسول ﷺ وآثار الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ ، فمن الحديث ما رواه مسلم أن الرسول ﷺ قال لعمرو بن العاص : «ابسطْ يمينك فلأبايعك ، فبسط يمينه ، قال : فقبضتُ يدى ، قال : مالك ياعمرو ، قال : قلتُ : أردتُ أن أشترط ، قال : تشترطُ بماذا ؟»[٢] ، قال النووى : «قوله ﷺ : (تشترط بماذا) هكذا ضبطناه بإثبات الباء ، فيجوز أن تكون زائدة للتوكيد كما فى نظائرها[٣] ، ومن الآثار التى احتج بها على مجىء الباء زائدة للتوكيد مارواه مسلم عن ابن عباس أن الرسول ﷺ مَرّ بقبرين ، ثم دَعَا بعسيب رطب فشقه باثنين ، ثم غرس على هذا واحدا وعلى هذا واحدا»[٤] ، قال النووى : قوله : (باثنين) هذه الباء زائدة للتوكيد ، و(اثنين) منصوب على الحال ، وزيادة الباء فى الحال صحيحة معروفة»[٥] .

---

(١) همع الهوامع ، ٢/٢٢ .

(٢) صحيح مسلم ، وتمامه : قال : قلت : أن يغفر لى ، كتاب الايمان ، باب الاسلام يهدم ما قبله .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووى ٢/١٣٨ .

(صحيح مسلم ، كتاب الطهارة ، باب الدليل على نجاسة البول ، ووجوب الاستبراء منه .

(٥) صحيح مسلم بشرح النووى ٣/٢٠١

حذف حرف العطف (الواو):

٢ ـ استشهد النووى على جواز حذف حرف العطف (الواو) بالحديث الشريف، ومنه ما رواه مسلم عن عبدالله بن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن، فكان يقول: «التحيات المباركات، الصلوات الطيبات لله»[٦]، قال فى شرح هذا الحديث: «حديث ابن عباس» التحيات المباركات الصلوات الطيبات تقديره: والمباركات، والصلوات، والطيبات، ولكن حذفت الواو اختصارا، وهو جائز فى اللغة[٧]، وروى مسلم عن أبى موسى الأشعرى فى حديث الرسول ﷺ الذى علّم فيه الصحابة الصلاة، ومما جاء فيه (وإذا قال: (سمع الله لمن حمده) فقولوا اللهم ربنا لك الحمد[٨]، قال النووى، قوله: (ربنا لك الحمد) هكذا هوهنا بلا (واو)، وفى غير هذا الموضع (ربنا ولك الحمد)، وقد جاءت الأحاديث الصحيحة بإثبات الواو وبحذفها، وكلاهما جاءت به روايات كثيرة، والمختار أنه على وجه الجواز، وأن الأمرين جائزان، ولا ترجيح لأحدهما على الآخر[٩].

(عن) قد تفيد الاستعانة:[١٠]

٣ ـ ذكر ابن هشام أن (عن) الجارة تأتى مفيدة معنى الاستعانة، وقد قاله ابن مالك، ومثل عليه بقولهم: رميت عن القوس؛ لأنهم يقولون أيضا: رميت بالقوس، وأجاز الإمام النووى ذلك، واحتج عليه بحديث صحيح رواه مسلم عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «أبْرِدُوا عن الصلاة، فإن شدة الحر من فيح جهنم»[١١] قال ـ رحمه الله: قوله (فأبردوا عن الصلاة)، (عن) تطلق (بمعنى الباء)، كما يقال: رميت عن القوس، أى بها[١٢]

اللام الجارة بمعنى (فى):

٤ ـ هل تأتى اللام الجارة بمعنى (فى)؟. أجاز النووى ذلك، واستدل على ماذهب إليه بالحديث النبوى، ومنه ما رواه مسلم عن عتبان ابن مالك أن الرسول ﷺ دخل بيته.. فقال قائل «أين مالك بن الدُّخْشُن، فقال بعضهم: ذلك منافق لايحبُ الله ورسوله، فقال رسول الله ﷺ: لاتقلْ له ذلك، ألا تراه قد قال: لا إله إلا الله، يريدُ بذلك وجه الله»[١٣]

قال ـ رحمه الله ـ فى شرح الحديث: «قوله ﷺ: «لاتقل ذلك» أى: لاتقل فى حقه ذلك، وقد جاءت اللام بمعنى (فى) فى مواضع كثيرة نحو هذا[١٤].

ومن الآثار التى احتج بها على جواز مجىء اللام بمعنى (فى) ما رواه مسلم عن أبى هريرة أنه قيل: يارسول الله، الرجلُ الذى قلت له آنفا إنه من أهل النار، فإنه قاتل اليوم قتالا شديدا وقد مات[١٥]»

---

(٦) صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب التشهد فى الصلاة.

(٧) صحيح مسلم بشرح النووى ٤/١١٦.

(٨) صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب التشهد فى الصلاة.

(٩) صحيح مسلم بشرح النووى ٤/١٢١.

(١٠) المغنى ١٩٨.

(١١) صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب الابراد بالظهر فى شدة الحر.

(١٢) صحيح مسلم بشرح النووى ٥/١١٨.

(١٣) صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب الرخصة فى التخلف عن الجماعة لعذر.

(١٤) صحيح مسلم بشرح النووى ٥/١٦٠.

(١٥) صحيح مسلم، كتاب الايمان، باب غلظ تحريم الانسان نفسه، وقد صدق الرسول عليه السلام لأن الصحابة وجدوا الرجل بعد ذلك قد قتل نفسه لأنه لم يصبر على جرحه.

قال النووى : «أى قلت فى شأنه ، وفى سببه ،
قال الفراء وابن الشجرى وغيرهما ـ من أهل العربية : اللام قد تأتى بمعنى (فى) ،
ومنه قوله تعالى : (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة[16] أى فيه[17]) .

## إلحاق هاء السكت كُلَّ محرّك

٥ ـ قال ابن مالك فى كتابه[18]: «شرح الكافية الشافية» وهو يتحدث عن (زيادة هاء السكت فى الوقف) : (ويجوز أن تلحق هذه الهاء كل محرك حركة بناء لازم نحو (كيف) و(ثم) و(أن) ، وقد احتج الإمام النووى على قول ابن مالك بحديث للرسول ﷺ رواه الإمام مسلم فعن أبى هريرة قال : «وضعت بين يدى رسول الله ﷺ قَصْعَة من ثريد ولحم فتناول الذراع وكانت أحبَّ الشاة إليه ، فنهس نَهْسَةً فقال : أنا سيدُ الناس يوم القيامة ... فلما رأى أصحابه لا يسألونه قال : ألا تقولون كَيفَهْ؟ قالوا : كَيْفَه يارسول الله ، قال : يقوم الناس لرب العالمين»[19] وساق الحديث .

قال ـ رحمه الله : «قوله ﷺ : (ألا تقولون : كيفه ؟) إن هذه هى (هاء السكت) تلحق فى الوقف ، وأما قول الصحابة (كيفه يارسول الله) فأثبتوا الهاء فى حالة الدرج ، ففيها وجهان حكاهما صاحب التحرير وغيره ، أحدهما : من العرب من يجرى الدرج مجرى الوقف ، والثانى أن الصحابة قصدوا اتباع لفظ النبى ﷺ الذى حثهم عليه»[20] .

### القسم الثانى : الاحتجاج بآثار الصحابة :

**من آثار الصحابة التى احتج بها الآثار التالية ، فى استعمال (ما) للعاقل :**

١ ـ استشهد الإمام النووى على جواز استعمال (ما) للعاقل بآثار الصحابة ، ومنها مارواه مسلم عن أبى هريرة أن الرسول ﷺ قال «ليس المسكين بهذا الطَّوَّاف الذى يطوف على الناس فترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان ، قالوا : فما المسكين يارسول الله ؟ قال : الذى لايجد غنى يُغْنيه»[21] .

قال ـ رحمه الله ـ فى شرح هذا الحديث[22]: «قوله (فما المسكين ؟) هكذا هو فى الأصول كلها (فما المسكين) ، وهو صحيح ؛ لأن (ما) تأتى كثيرا كصفات من العقل كقوله تعالى «فانكحوا ما طاب لكم من النساء[23]» .

ومنها ـ أيضا ـ مارواه مسلم عن عمرو بن عبسة السلمى ـ رضى الله عنه ـ قال : دخلتُ على رسول الله ﷺ بمكة ، فقلت له : ما أنت ؟[24] قال : أنا نبى ، فقلْت : ومانبى ؟ قال : أرسلنى الله» ، قال ـ رحمه الله : «قوله : (فقلت له : ما أنت) هكذا هو فى الأصول (ما أنت) ، وإنما قال : (ما أنت) ، ولم يقل (من أنت) ؛ لأنه سأله عن صفته لا عن ذاته[25]» .

---

(١٦) الأنبياء ٤٧ .
(١٧) صحيح مسلم بشرح النووى ١٢٢/٢ .
(١٨) شرح الكافية الشافية ٢٠٠٠/٤ .
(١٩) صحيح مسلم ، كتاب الايمان ، باب الشفاعة .
(٢٠) صحيح مسلم بشرح النووى ٧٠/٣ .
(٢١) صحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، باب النهى عن المسألة .
(٢٢) صحيح مسلم بشرح النووى ١٣٠/٧ .
(٢٣) النساء ٣ .
(٢٤) صحيح مسلم ، باب الأوقات التى ينهى عن الصلاة فيها .
(٢٥) صحيح مسلم بشرح النووى ١١٥/٦ .

زيادة (مِنْ) فى الموجب :

٢ ـ اشترط النحاة على جواز مجىء (من) حرف جر زائد ثلاثة شروط[٢٦] :

أحدها : تقدم نفى أو نهى أو استفهام .

والثانى : تنكير مجرورها .

والثالث : كونه فاعلا ، أو مفعولا به ، أو مبتدأ

وذهب الأخفش إلى جواز زيـــادتها فى الإيجاب[٢٧] .

وتناول الإمام النووى هذه المسألة فى شرح صحيح مسلم ، وأيّد مذهب الأخفش ، واحتج على الجواز بآثار الصحابة ، منها مارواه مسلم عن على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ قال : (كانت لى شارف من نصيبى من المغنم يوم بدر ... فلما أردت ان أبْتَنِىَ بفاطمة ، واعدت رجلا صوَّاغاً من بنى قينقاع يرتحل معى فنأتى بإذْخِر أردت أن أبيعه من الصواغين ، فأستعين به فى وليمة عرسى) ، قال النووى : «قوله (أردت أن أبيعه من الصواغين) هكذا هو فى جميع نسخ مسلم ، وفى بعض الأبواب من البخارى (من الصواغين) ففيه دليل لصحة استعمال الفقهاء فى قولهم : بعت منه ثوبا ، وزوجت منه هندا ، ووهبت منه جارية وشبيه ذلك ، والفصيح حذف (من) فإن الفعل متعد بنفسه ، ولكن استعمال (من) فى هذا صحيح ، وقد كثر ذلك فى كلام العرب ، وقد جمعت من ذلك نظائر كثيرة فى تهذيب اللغات فى حرف الميم مع النون ، وتكون (من) زائدة على مذهب الأخفش ومن وافقه فى زيادتها فى الواجب[٢٨] .

ومما ورد فى القرآن الكريم على جواز زيادة (من) فى الإيجاب قوله تعالى : «ولقد جاءك من نبأ المرسلين»[٢٩] ، «يغفر لكم من ذنوبكم»[٣٠] ، «يحلون فيها من أساور من ذهب»[٣١] ، «يكفر عنكم من سيئاتكم»[٣٢] .

## حذف جواب (لو) لدليل

٣ – قال السيوطى – رحمه الله تعالى : (ويحذف جواب (لو) لدليل ، وهو كثير فى القرآن ، ومنه قوله تعالى : «ولو أن قرآناً سُيِّرَتْ به الجبالُ أو قُطِّعَتْ به الأرضُ أو كُلِّمَ به الموتى»[٣٣] أى لكان هذا القرآن»[٣٤] ، واحتج الإمام النووى على جواز حذف جواب (لو) بآثار الصحابة ، ومنها ما رواه مسلم عن سهل بن حنيف – رضى الله عنه – قال يوم صفين : اتهموا رَأْيَكُمْ على دينكم ، فلقد رأيتُنى يوم أبى جَنْدَلٍ ولو أستطيعُ أن أردَ أمرَ الرسول – ﷺ – ما فتحنا منهُ فى خُصْمٍ إلا انفجرَ علينا منهُ خُصْمٌ[٣٥] .

قال النووى فى شرح هذا الأثر : قوله (ولو أستطيع أن أرد) هكذا وقع هذا الحديث فى نسخ صحيح مسلم كلها ، وفيه محذوف وهو جواب (لو) تقديره ، ولو أستطيع أن أرد أمـــره – ﷺ – لرددته ، ومنه قولـــه تعالى : «ولو ترى إذ المجرمون»[٣٦] «ولو ترى إذ

---

(٢٦) المغنى ٤٢٥ ـ ٤٢٦ .

(٢٧) المغنى ٤٢٨ .

(٢٨) صحيح مسلم بشرح النووى ١٣/١٤٦ .

(٢٩) الأحقاف ٣١ .

(٣٠) الأنعام ٣٤ .

(٣١) البقرة ٢٧٠ .

(٣٢) الكهف ٣١ .

(٣٣) الرعد ٣١ .

(٣٤) همع الهوامع ٢/٦٦ .

(٣٥) صحيح مسلم ، كتاب الجهاد والسيرة ، باب صلح الحديبية .

(٣٦) السجدة ١٢ .

الظالمون فى غمرات الموت»[٣٧] ، «ولو ترى إذ الظالمون موقوفون»[٣٨] ، ونظائره ، فكله محذوف جواب (لو) لدلالة الكلام عليه ، وأما قوله : (ما فتحنا منه فى خصم) ، فالضمير فى ( منه ) عائد إلى ( اتهموا رأيكم ) ، ومعناه: ما أصلحنا من رأيكم وأمركم هذا ناحية إلا انفتحت أخرى ، ولا يصح إعادة الضمير إلى غير ما ذكرناه»[٣٩] .

زعم بمعنى (قال) :

٤ – ذهب النووى إلى أن الفعل (قال) يأتى بمعنى (زعم) ، وينصب مفعولين ، واحتج على هذا بآثار الصحابة – رضى الله عنهم – ومنها ما رواه مسلم عن : أنس بن مالك قال : جاء رجل من أهل البادية فقال : يامحمد ، أتانا رسولك فزعم لنا أنك تزعم أن الله أرسلك ، قال : صدق .... وزعم رسولك أن علينا خمس صلوات فى يومنا وليلتنا ، قال : صدق ... قال : وزعم رسولك أن علينا زكاة في أموالنا ، قال : صدق ... قال : وزعم رسولك أن علينا صوم شهر رمضان في سنتنا ، قال : صدق ... قال : وزعم رسولك أن علينا حج البيت من استطاع إليه سبيلا ، قال : صدق[٤٠] .

قال النووى فى شرح الحديث : «قوله : (زعم رسولك أنك تزعم أن الله أرسلك) فقوله (زعم) وتزعم مع تصديق رسول الله ﷺ إياه دليل على أن (زعم) ليس مخصوصا بالكذب والقول المشكوك فيه ، بل يكون – أيضا – فى القول المحقق والصدق الذى لاشك فيه ، وقد جاء من هذا كثير فى الأحاديث ، وعن النبى ﷺ ، قال : «زعم جبريل كذا» ، وقد أكثر سيبويه – وهو إمام العربية – فى كتابه الذى هو إمام كتب العربية من قوله : (زعم الخليل ، زعم أبوالخطاب) ، يريد بذلك القول المحقق ، وقد نقل ذلك عن جماعات من أهل اللغة وغيرهم ، ونقله أبوعمر الزاهد فى شرح الفصيح عن شيخه أبى العباس ثعلب عن العلماء باللغة من الكوفيين والبصريين[٤١] .

الماضى من (يوشك) :

٥ – أجاز النحاة مجىء الفعل الماضى من (يوشك) واحتج النووى على ذلك بآثار الصحابة ، ومنها مارواه مسلم : أن عبدالله بن عمر – رضى الله عنهما قال – فى قوله تعالى : «فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا» : (لو رُخِّصَ فى هذه الآية لأوشك إذا برد عليهم الماء أن يتيمموا بالصعيد[٤٢] .

قال النووى : «قوله (لأوشك إذا برد عليهم الماء) معنى (أوشك) ، قرب وأسرع ، وقد زعم بعض أهل اللغة أنه لايقال : أوشك ، وإنما يستعمل مضارعا ، فيقال : يوشك، وليس كما زعم هذا القائل ، بل يقال : أوشك أيضا ، ومما يدل عليه هذا الحديث مع أحاديث كثيرة فى الصحيح مثله[٤٣]

تأتى (الحال) من النكرة :

٦ – قال ابن مالك : «قد يجىء صاحب الحال نكرة خالية من جميع ما ذكر من المسوغات ، من ذلك ما حكى يونس أن ناسا من العرب يقولون : مررت بماءٍ قِعْدَةَ رجل[٤٤] ،

---

(٣٧) الأنعام ٩٣ .
(٣٨) سبأ ٣١ .
(٣٩) صحيح مسلم بشرح النووى ١٤٢/١٢ – ١٤٣ .
(٤٠) صحيح مسلم ، كتاب الايمان ، باب أركان الاسلام .
(٤١) صحيح مسلم بشرح النووى ١٧٠/١ .
(٤٢) صحيح مسلم ، كتاب الصلاة ، باب التيمم .
(٤٣) صحيح مسلم بشرح النووى ٦١/٤ .
(٤٤) الكتاب ١٧١/١ .

وروى سيبويه عن الخليل – (إجازة) : (فيها رجل قائما)[45] ، وعن عيسى إجازة : (هذا رجل[46] ، قال سيبويه : ومثل ذلك : عليه مائة بيضا»[47] .

واحتج الإمام النووى على جواز مجيء الحال من النكرة بما رواه مسلم عن ابن عباس – رضى الله عنهما – قال : «أقبل رجل حراما مع النبى ﷺ فخر من بعيره فَوُقِصَ وَقْصًا فمات[48] .

قال النووى – رحمه الله : قوله : (أقبل رجل حراما) هكذا هو فى معظم النسخ ، ويكون حالا ، وقد جاءت الحال من النكرة على قلة[49] .

**جواز إضافة العدد المعرفة إلى نكرة :**

٧ – منع جمهور النحاة إضافة العدد المعرف إلى اسم نكرة ، وأجازه النووى محتجا عليه بآثار الصحابة – رضى الله عنهم :

ومنها مارواه مسلم عن جابر بن عبدالله – رضى الله عنه «أن رسول الله ﷺ رَمَلَ الثلاثة أطواف من الحجر الى الحجر[50] ، قال – رحمه الله : قوله (رمل الثلاثة أطواف) هكذا هو فى معظم النسخ المعتمدة بتعريف الأول وتنكير الثانى فمنعه جمهور النحويين ، وهذا الحديث يدل لمن جوزه ، وقد سبق مثله فى رواية سهل بن سعد – رضى الله عنه – فى صفة منبر النبى ﷺ قال : «فعمل هذه الثلاث درجات» ، وقد رواه مسلم هكذا فى كتاب الصلاة ، وقد سبق التنبيه إليه[51]» .

---

(٤٥) الكتاب ٢٨٧/١ .

(٤٦) الكتاب ٢٧٢/١ .

(٤٧) الكتاب ٢٧٢/١ .

(٤٨) صحيح مسلم ، كتاب الحج ، باب مايفعل بالمحرم اذا مات .

(٤٩) صحيح مسلم بشرح النووى ١٣٠/٨ .

(٥٠) صحيح مسلم ، كتاب الحج ، باب استحباب الرمل فى الطواف والعمرة .

(٥١) صحيح مسلم بشرح النووى ٩/٩ – ١٠ .




## بجمهورية أوزبكستان الإسلامية

د . عبد الله نجيب محمد

### رحلة عبر التاريخ :

مع استقلال جمهورية أوزبكستان وتخلصها من الحكم الشيوعى المنهار ، تتجه أنظار العالم الإسلامى إلى هذه الجمهورية الوليدة ، التى كانت يوماً ما فى القرن السادس عشر الميلادى ، إحدى القوى الإسلامية الكبرى فى العالم . مثلما كانت مدينة طشقند إحدى كبريات العواصم الإسلامية فى ذلك الزمن وكانت تزخر بالمساجد ودور العلم ، تموج بالعلماء والشعراء والفلاسفة من جميع أنحاء العالم الإسلامى ، وقد ثبت الآن تاريخياً – وعلى يد مستشرق أوزبكستان – أن عصر النهضة فى آسيا الوسطى قد بدأ قبل عصر النهضة الأوربية بأكثر من قرنين ، وأن آسيا الوسطى قدمت للبشرية عدداً من الشعراء والكتاب والمفكرين والعلماء أغنوا الثقافة الإسلامية بمنتجاتهم الفكرية والروحية التى قل نظيرها فى العالم كله آنذاك .

### معهد أبى الريحان البيرونى :

من المعالم الرئيسية فى أوزبكستان معهد الاستشراق المسمى باسم العلامة الكبير « أبى الريحان البيرونى » ، التابع لأكاديمية العلوم ، وبهذا المعهد مجموعة ضخمة من المخطوطات الشرقية ، لا تقل من حيث غناها وقيمتها العلمية وأهميتها التراثية عن أية مجموعة من المجموعات المحفوظة فى أية خزانة من خزانات المخطوطات الشرقية فى عواصم العالم الإسلامى والأوروبى .

ومن أهم الكنوز الموجودة بها : مؤلفات نوائى ، والرودكى ، وجامى ، والفردوسى ، وهى من أهم الآثار الأدبية فى العالم ، وكنز من كنوز العبقرية الإنسانية .

ولقد دلتنا الأبحاث التاريخية التى قام بها باحثو المعهد وكذلك التراجم التى قدموها للمخطوطات التى تم وصفها وفهرستها ، دلتنا على هذه الذخائر الثمينة التى ورثناها عن هؤلاء المؤرخين والفلاسفة والشعراء والمفكرين .

### تاريخ خزانة المخطوطات :

تأسست مكتبة ( طشقند ) الحكومية عام ١٨٧٠ وفتح بها قسم للمخطوطات الشرقية ، وبلغ عدد المخطوطات بها عام ١٨٨٩ حوالى ٩٠ مجلداً ، وبعد عام ١٩٥٢ زاد عدد المدونات

والآثار القديمة التى جمعت وضمت إلى هذه المكتبة ، حتى بلغت الآلاف من الكتب النادرة والمجموعات الكاملة .

ومن المجموعات النادرة مجموعة لـ ( شريف جان مخدوم ) وهو أحد أمناء مدينة ( بخارى ) وهى فريدة من نوعها ، وتتضمن هذه النسخة عدداً من الرسائل التى بعثها علماء الدولة وشعراؤها وشخصياتها إلى الشاعر والمفكر الأوزبكى الكبير ( على شير نوائى ) ، أحد أشهر كبار الكتاب فى عصره ، وكذلك توجد مجموعة الرسائل الأصلية للشاعر الكبير ( عبدالرحمن الجامى ) ومع هذه المجموعة نفسها توجد نسخة فريدة من نوعها ( خمسة نظامى ) لأمير ( خسرو الدهلوى ) المشهور بشهرة بالغة فى الهند ، وهذه النسخة تضم ثلاث قصائد من خمس كان الشاعر الغنائى الكبير ( حافظ الشيرازى ) قد أعاد كتابتها .

ومن نوادر المخطوطات بهذه الخزانة أيضا : ما كتبه ( جواهر لال نهرو ) رئيس وزراء الهند الأسبق فى كتابه ( اكتشاف الهند ) وتضم المكتبة - أيضاً - عدداً من المخطوطات المكتوبة باللغة السنسكريتية ، ومنها بعض ما كتبه ( أمير خسرو ) التركى الأصل الذى عاش فى القرن الرابع عشر ، فى فترة حكم سلاطين الأفغان ، وكان شاعراً عظيماً كتب أشعاره باللغة الفارسية وكتب - كذلك - بالسنسكريتية ، كذلك كان موسيقياً فذاً أدخل على الموسيقى الهندية الكثير مما هو جديد ، ويعتبرونه - أيضاً - مبتكراً للآلة الشعبية الموسيقية المشهورة فى الهند ( سيتار ) .

وأمير خسرو - أيضاً - واحد ممن كتب عدداً من الأغانى الفلكلورية بالأردية ، وهذه الأغانى ما تزال معروفة حتى الآن ويمكنك أن تسمعها فى بعض قرى ومدن شمال الهند ووسطها .

والجدير بالذكر أن عدداً من المخطوطات التى تضمها الخزانة فى طشقند ، قد نقل إليها من ( سمرقند ) عاصمة التيموريين ، ومكتبة بخارى المسماة باسم ابن سينا ، والمتحف المسمى باسم « الخوارزمى » عالم الرياضيات والفيلسوف الذائع الصيت فى العالم كله .

ومن المؤلفات القديمة المحفوظة - أيضاً - فى خزانة طشقند مؤلف للفقيه المعروف فى الشرق بابن ( سلامَ توفى سنة ٢٢٢هـ/ ٨٣٧م ) مؤلف باسم ( غريب الحديث ) . وغير ذلك كثير مما تزخر به هذه الخزانة العامرة ، كما تضم مؤلفات باللغات الإسلامية جميعاً آنذاك وهى : العربية والتتارية والتركمانية والأيغورية والأوزبكية والطاجيكية والأردية والبوشتو ( الأفغانية ) والآزربيجانية والتركية وغيرها من لغات شعوب الشرق الإسلامية فى تلك المرحلة من مراحل الاندماج التى لا نظير لها فى تاريخ العمران البشرى كله تلك المرحلة التى لم تلق حظها من الدراسة الكافية على يد علماء ومفكرى المسلمين .

هذه المؤلفات المتنوعة بعضها فى التاريخ ، وتاريخ الأدب ، والفلسفة ، والقانون ، وعلوم الفلك ، والفيزياء ، والكيمياء ، والطب ، واللغة ، وعلم العقاقير ، والجغرافيا ، والموسيقى ، والزراعة ، والفنون الجميلة وغيرها .

وغنى عن القول أن لمجموع هذه المؤلفات - بهذا التنوع النادر - أهمية بالغة فى دراسة تاريخ شعوب آسيا والهند وباكستان وأفغانستان وإيران وبلدان الشرق الأخرى ، وقد كانت هذه المنطقة

ملتقى التجارة وملتقى الثقافة وبوتقة الانصهار العرق والثقافى والدينى فى العالم كله .

المؤلفات التاريخية :

وفى عجالة كهذه لا نستطيع أن نحصر كل ما بهذه الخزانة العامرة بالمؤلفات والموسوعات ، ولكن لا بأس من إشارة ولو ضئيلة فهذه المكتبة تضم ( تاريخ الطبرى ) بأجزائه ، وهو فى التاريخ العام كتبه بالعربية أبو جعفر بن جرير الطبرى المتوفى سنة ٣١٠هـ/ ٩٢٢م ، وتوجد له ترجمة بالطاجيكية لأحد علماء بخارى وهو ( مير أبو على ابن محمد البلعمى ، الذى أضاف إلى الأصل بعض المعلومات الجديدة من مصادر فارسية أردية وإسلامية ومسيحية ، كما توجد له ترجمة بالأوزبكية تعتبر النسخة الوحيدة فى العالم ، كذلك يوجد « مروج الذهب ومعادن الجوهر » فى التاريخ العام أيضاً كتبه بالعربية أبو الحسن على ابن الحسين المسعودى وله ترجمة بالأوزبكية فى مدينة ( خِيْوَة ) لمُلا أتانياز آخوند بن خواجه نياز ، وسعيد عبدالله بن عوض خواجه وآخرين ، ومنها أيضاً نسخة فريدة من تجارب الأمم لابن مسكويه المتوفى سنة ٤٢١هـ/ ١٠٣٠م ، والكامل لابن الأثير المعروف والمتوفى سنة ٥٦٣هـ/ ١٢٣٢م ، وله ترجمة أيضاً بالأوزبكية فى خيوة لمحمد شريف آخوند ، ( ونور الله مفتى ) وآخرين ، ومنها تاريخ (جهان كشا ) (تاريخ غازى العالم ) الذى كتبه خواجه علاء الدين أتاملك بن خواجه بهاء الدين محمد الجوينى المتوفى سنة ٦٢١هـ/ ١٢٨٣م ومنها مؤلفات الجوينى فى تاريخ ايلخانات وشاهات خوارزم والمخطوطة المحفوظة فى الخزانة هى إحدى أقدم النسخ فى العالم ، ومن مفاخر المكتبة أيضاً « جامع التواريخ » لفضل الله رشيد الدين بن عماد الدولة الذى يقول عنه المستشرق المعروف ت . بارتولد لم يكن لدى أى شعب لا فى آسيا ولا فى أوروبا مثل هذا المؤلف فى القرون الوسطى ، ولهذا الكتاب ترجمة أوزبكية لمحمد على بن درويش على بخارى وهى مخطوطة وحيدة فى العالم .

ومن نوادر المخطوطات أيضاً « سبحة الأبرار » لدرويش محمد بن رمضان و « روضة أولى الألباب » لبناكتى و « تاريخ كزيدة » (التاريخ المختار ) للقزوينى و « روضة الصفا » لمير خواند و « حبيب السير ». لخواندمير وتحقيق ولايت أى : بخارى تاريخى لأبى بكر محمد بن جعفر نرشخى ، وهو بالعربية ، ومعروف عندنا باسم « تاريخ نرشخى » وله ترجمة بالطاجيكية باختصار لأبى نصر أحمد بن محمد القبوى ، وفيه معلومات قيمة عن تاريخ بخارى .. تأسيسها ، وعمارتها ، وطوبوغرافيتها ، والقرى المنتشرة حولها والعلماء الذين عاشوا بها وحكامها وغير ذلك .

ومن نوادر الخزانة أيضاً « روزنامه غزوات هندوستان » أى : ( يوميات الحملة على الهند ) الذى كتب بأمر من تيمور لنك لمعاصره ( غياث الدين علىّ ) وهو مصدر أساسى لحملات تيمور على الهند والحوادث المتعلقة بهذا الأمر .

ومن المؤلفات ــ أيضاً ــ مؤلف شرف الدين على يزدى « ظفر نامه تيمورى » أى : كتاب انتصارات تيمور ، وهذا المؤلف مزين برسوم رفيعة المستوى ولها قيمة فنية عالية ، ومنها مؤلف « مجمع البحرين » لعبد الرازق السمرقندى ، ويضم عرضاً للحوادث المتعلقة بتاريخ آسيا الوسطى وإيران وأفغانستان وآذربيجان ودولة « أوردا الذهبية » ابتداء من فترة حكم تيمور .

ومثل هذا الكتاب ـ أيضاً ـ « شيبانى نامه » عن شيبانى خان حاكم أوزبكستان ألفه ( بنانى ) و « بابر نامه » أى : مذكرات السلطان بابر لظهير الدين محمد بابر و« عبيد الله نامه » عن عبيد الله خان لحافظ تنيشى بخارى ، و « تاريخ راقم » لسيد راقم ، و «شجرة ترك » أى : شجرة نسب الأتراك وشجرة تراكمه أى : شجرة نسب التركمان لأبى الفارابى خان و « عبد الله نامه » عن عبد الله خان ولمحمد أمين بخارى ، و ( فردوس الإقبال ) لشير محمد مؤنس ، و ( رياض الدولة ) و ( فريدة التواريخ وجامع الواقعات ) لسلطانى أى : « مجموعة الوقائع السلطانية » ، وكلسن دولت ( جنينة زهور السعادة ) لمحمد رضا آكهى ، و « منتخب التواريخ » لمحمد حكيم خان و ( أنساب السلاطين وتواريخ الخواقين ) لملا ميرزا عالم ، وغيرها الكثير والكثير .

ويجدر بنا ـ أيضاً ـ أن نشير إلى أن الخزانة تحتوى على الكثير من المؤلفات التى تتناول تاريخ الهند ، والدول الإسلامية ـ التى نشأت على أرضها ـ وثقافتها وعلاقاتها السياسية . وهذه هى إحدى المراحل المهمة فى تاريخ الإسلام بهذه البلاد الشاسعة منذ قيام امبراطورية البابريين التى أسسها ظهير الدين محمد بابر . وكتب فى تلك الفترة عدة مؤلفات تاريخية منها : « طبقات أكبر شاهى » ظهير الدين محمد بابر .

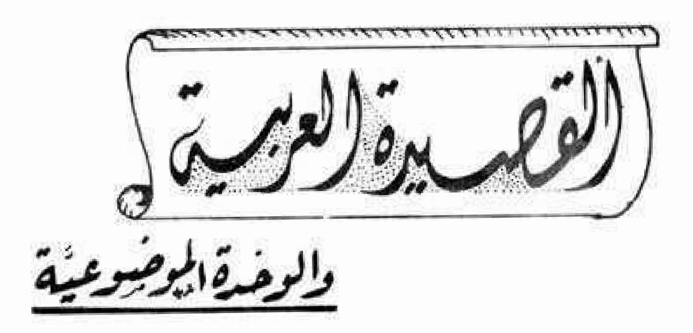
وكتب فى تلك الفترة عدة مؤلفات تاريخية منها : « طبقات أكبر شاهى » لخواجة نظام الدين أحمد بن محمد الهروى الذى توفى ( ١٠٠٣/١٥٩٥م ) وهى من أهم مصادر دراسة تاريخ الهند فى تلك الفترة ، ومن أروع المخطوطات أيضاً وأقيمها مؤلف العالم الهندى سنجان رى منشى « خلاصة التواريخ » يصف فيه الحوادث التاريخية منذ القدم حتى اعتلاء الامبراطور ( أورنكزيب ) العرش ، وبه معلومات قيمة عن علوم الهند وإيران فى تلك الأزمان .

ومن المؤلفات التى تلقى الضوء كذلك على تاريخ المسلمين فى الهند « تاريخ فرشته » لمحمد قاسم هندوشاه ، ويتضمن معلومات ثمينة لمؤرخى الهند ، والمؤلف يحمل كذلك اسم « كلسن إبراهيم » : ( حديقة زهور إبراهيم ) ويقع فى مجلدين ، وقد كتبه محمد قاسم بتكليف من إبراهيم الثانى ، ولهذا الكتاب ترجمة أوزبكية .

ومن المؤسف أننا لا نستطيع أن نتخلى عن الاختصار فى مقالة كهذه ، ولكنى أود أن أقول: اننى بعد اطلاعى على مقتنيات هذه الخزانة العامرة ، وجدت أنها جديرة بعناية المسلمين فى بلادنا .

بل هى جديرة بالرحلة إليها وتصوير مقتنياتها ودراستها على أيدى شبابنا فى الأزهر الشريف ، وجامعاتنا الأخرى ؛ حتى نستكشف تلك الصفحات الرائعة من التاريخ الإسلامى العظيم التى أريد لها أن تطمس ، وتندثر .

﴿ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ .
( الصف ٨ )




# والوحدة الموضوعية

للأستاذ / أحمد مصطفى حافظ

**بين الباحث والأديب :**

**حتى لا تختلط الأمور أكثر مما اختلطت يجب أن نذكر مفاهيم متفق عليها ، لا يجادل ـ بشأنها ـ من يعارضون ما أثبتناه من وجود «الوحدة العضوية» فى الشعر العربى فى أقدم عصوره ، ولا من يسلمون بنتائج هذا البحث .**

**إننا حين نستمع لشاعر نابغة يلقى بإحدى روائعه نسترسل معه بعواطفنا ووجداننا نستمتع بموسيقى كلماته ـ داخلية كانت ـ من رفيع معانيه وليدة طبعه وتجربته وانفعالاته المتزنة ، أو ـ خارجية ـ تزهو بإطارها ورنينها المتسق عبر مختلف الأوزان ، فنقضى معه وقتا من أجمل أوقاتنا سُمُوًّا بأرواحنا ، واستمتاعا بفن جميل يرقى بنا ذَوْقا ووجدانا .**

لكننا حين يُطْلب منا «بحث» عن شعره فنحن ـ معه ـ بعقولنا ، فالبحث ـ وإن كان فى ميدان الأدب ـ هو بحث علمى لايجوز فيه ـ إطلاقا ـ تجاوز «المراجع» ولا شطحات الوجدان ، وكلما أخلصنا فى تتبع أجزاء البحث ، وما إلخ ما تجرنا إليه جزيئاته اتسعت مراجعنا فاستوعبنا حقائقه ، وانتهينا منه إلى نتائج قاطعة ، ووضعنا الشاعر ـ كما فعل أسلافنا ، رحمهم الله تعالى ـ فى طبقته التى لا يَتَدَنَّى عنها ، وقد يرتفع عليها مادام يعطى الشعر حقه من جهد وعاطفة ووجدان متزن .

وكم نأسف ـ حين نسجل بأسى ـ أن من كبار معاصرينا من لم يسمح لنفسه أن يعكف على دواوين شعرائنا القدامى ، ويستوعب أمرها ، ولا يكتفى بنظرة سطحية إلى «المعلقات» والقصائد الشهيرة فقط ، ثم يحكم على الشعر العربى بأنه شعر لا وحدة عضوية ، ولا موضوعية فيه .

وهانحن بعد أن أَوْعَبْنا القضية بحثا فى الشعر الجاهلى ، عرجنا إلى الشعر الإسلامى ، لنقدم منه نماذج فريدة من شعره ذى الوحدة العضوية التى لا يستطيع أن يتمحل فيها معاند مهما فعل وبالغ . وهذه بعض نماذج منه فى الاعتذار ، وغيره من أبواب الشعر :

اعتذار الزِّبَعْرَى لرسول الله ﷺ .

كان الزبعرى واسمه : عبدالله بن الزبعرى بن قيس بن عَدِىّ القرشى من بنى سهم ـ من أشد أعداء الإسلام ورسول الإسلام محمد ﷺ وأطال فى عداوته واستطال ، وأرسل شعره هجاء فى هذا الميدان ، ثم تاب وأناب ، وساءه ما انطلق به لسانه ، وآلمه أن يقف من الحق هذا الموقف ؛ فأنشد هذه الأبيات يخاطب بها رسول الله ﷺ :

| | |
|---|---|
| مَنَـــعَ الرقـــادَ بلابـــلٌ وهمومُ | والليـــلُ معتلـــج الـــرواقِ بَهيـــمُ |
| مِمَّـــا أتـــانى أنَّ أحمدَ لامنـــى | فيـــه فَبِتُّ كأننـــى محمـــوم |
| يا خيـــر من حَمَـــلَتْ على أوصالها | عَيْرَانـــة سُرُحُ اليديـــن غَشومُ |
| إنى لمعتـــذر إلـــيك مِنَ التـــى | أسديتُ ؛ إذْ أنـــا فى الضلال أهيم |
| أيَّـــام تأمـــرنى بأغـــوى خُطَّـــةٍ | سَهْـــمٌ وتأمـــرنى بها مَخْـــزُومُ |
| وَأُمِـــدُّ أسبـــابَ الهوى ويقـــودنى | أَمْـــرُ الغـــواةِ وأمرُهـــم مشئـــومُ |
| فاليـــومَ آمـــن بالنبـــى محمـــد | قلبـــى . ومخطـــىءُ هذه محروم |
| مضتْ العـــداوةُ وانـــقضت أسبـــابها | وأتت أواصر بيننـــا وحُلُـــوم |
| فاغفـــرْ فِدًا لك والـــداى كلاهما | وارْحَـــمْ ؛ فإنك راحـــم مرحـــومُ |
| وعلـــيك من سمة المليـــك علامـــة | نُورٌ أغَـــرُّ وخاتـــمٌ مختـــومُ |
| أعطـــاك بعـــد مَحَبَّـــةٍ برهانـــهُ | شَرَفـــاً وبرهـــانُ الإلَـــهِ عظيـــمُ[1] |

● ● ●

وهذا الحطيئة :[2] جَرْول بن أَوْس بن جُؤَيَّة بن مخزوم بن مالك ـ المخضرم ـ من بنى عبس بن بغيض من قيس عَيْلان ـ طال لسانه فى أعراض الناس إرهابا لهم وابتزازا لأموالهم ، فَرَمى ـ فيمن رَمى ـ الزِّبرقان بن بدر بن امرىء القيس التميمى السعدى ـ رضى الله عنه ـ أحد أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فشكاه إلى عمر بن الخطاب ـ وأجمع النقاد على ثبوت التهمة ، فألقى عمر بالحطيئة فى السجن .

وفى السجن خلا الشاعر لذنبه ، وآلمه ماجنى لسانه ، ورمته الليالى فرنا إلى بيته وولده ، وأدرك سوء قَوْله ، وعاد فكره حسيرا إلا من أمل أن تكون رحمة الله ـ تعالى ـ تنال من قلب عمر فأرسل إليه بتلك الأبيات تصور ما آل إليه حاله :

| | |
|---|---|
| ماذا تقـــول لأفـــراخ بذى مَرَخ | زُغْب الحواصل : لا ماء ولا شجـــرُ[3] |
| أَلقَـــيْتَ كاسِبَهـــم فى قعـــر مُظْلمـــة .. | فاغْفرْ .. ـعليك سلام الله ـ يا عمـــر |

(١) انظر لابن الأثير ـ أسد الغابة ٢٣٩/٣ ترجمة رقم ٢٩٤٤ ط الشعب ـ القاهرة

(٢) نفس المرجع ١٣٣/٧

(٣) ذو مرخ : اسم وادٍ بالحجاز زغب الحواصل : حمر الحواصل من الطوى .

أنت الأمين الذى ـ من بعد صاحبه ... ألقى إليك مقاليد النُّهى البشر
لم يُؤْثروك بها ، بل قدَّموك لها ... لكن لأنفسهم كانت بك الأُثَرُ [٤]
.. فامْنُنْ على صِبْيَةٍ ، بالرَّمل مسكنهم ... بين الأباطح .. تغشاهم بها القِرَرُ [٥]
أهلي فداؤك ، كم بيني وبينهم ... من عرض داوية ، تعمى بها الخُبر [٦]

ولشدة أسْر هذه الأبيات وتأثيرها ، وتماسكها كالبنيان المرصوص أحدثت رَدَّ الفعل المنشود لدى سيدنا عمر بن الخطاب ( رضى الله عنه ) وهو من أحذق الناس بفنون الشعر والبلاغة ـ فعفا عنه . وأعطاه مايقطع لسانه عن أعراض الناس .

● ● ●

وإذا تتبعنا البحث ، وجدنا « الوحدة » بين الشاعرات الصحابيات من أمثال : زينب بنت العوام القرشية أخت الزبير بن العوام ـ رضى الله عنهما ـ فى رثائها للزبير [٧] ، وعاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل بنت عم عُمر بن الخطاب ـ رضى الله عنهما ـ فى رثائها لزوجها عبدالله بن أبى بكر الصديق ـ رضى الله عنهما ـ وفيه تقول .

رُزِئتُ بخير الناس بعد نبيِّهم ... وبعد أبى بكر ، وما كان قصَّرا
فآليتُ لا تنفكُّ عيني حزينة ... عليك ، ولا ينفكُّ جلدىَ أغْبَرا
فلله عينا من رأى مثله فتى ... أكرَّ وأحمى فى الهياج وأصْبَرا
إذا شرعت فيه الأسِنَّةُ خاضها ... إلى الموتِ حتى يترك الرمحَ أحمرا

● ● ●

ولون آخر نسمعه من هند بنت أُثاثة بن عبَّاد بن عبدالمطلب بن هاشم القرشية ـ رضى الله عنها ـ أسلمت بمكة قديما ، وحين سمعت شعر هند بنت عتبة ـ ضد المسلمين ، وكانت هند لم تسلم بعد فقالت تجيبها بنفس وزن وقافية كلمات هند بنت عتبة :

خزيت فى ( بَدْرٍ ) وغير بدرِ ... يا بنت وَقَّاعٍ عظيم الكُفْرِ
صبَّحكِ الله غداةَ الفجرِ ... بالهاشميين الطِّوَالِ الزُّهرِ

---

(٤) الأثر : جمع أثْرة ، وهى المكرمة .

(٥) القِرر : جمع قِرّة : وهى شدة البرد .

(٦) الداوية : الفلاة الفسيحة .

(٧) نفس المرجع ١٨٣/٧ ، ١٨٤ . وانظر رثاء نُعْم امرأة شمَّاس بن عثمان المخزومى فى رثائها زوجها نفس المرجع ٢٨٢/٧ ، وأم نُبَيْط الأنصارية ٤٠١/٧ . ويروى أنه استمع لها رسول الله ﷺ .

بكُـــلِّ قَطَّــاعٍ حُسَامٍ يَفْــــرِى    حَمْـزَةُ لَيْـثى ، وعَلِـىٌّ صَقْــرِى ..

وهند بنت عتبة أسلمت عام الفتح ـ رضى الله عنها .
(أنظر : أسد الغابة ٧/٢٨٨)

• • •

وهذا رأس الخوارج قطرى بن الفجاءة التميمى الذى عثر به فَرَسُه فأرداه قتيلا سنة ثمان أو تسع وسبعين ، وهو الرجل الذى هزم أكثر من جيش للحجاج الثقفى . كان ابن الفجاءة من الشعراء الفحول ، لم يلتو بشعره ليحدث به فى غير وَاقِعِهِ .. تأخذ أبياته بأعناق بعضها بعضا فى وحدة عضوية وحديث صادق يندر مثيله الذى يجمع بين هاتين الخاصتين .

وهذه أبيات له يصور فيها حديث نفسه إذ تدعوه لينجو بجلده فى أحد المعارك ، ويعترف ـ بذلك ـ فى لحظة نادرة من صدق الشعور ، ويتحدث عن موقفه حيالها وقضائه على وسواسها .. يقول :

أقــول لها ـ وقــد طارت شعاعــا    من الأبطــال : ويحك لن تُراعــى[8]
فإنك لو سألت بقـــاء يَوْمٍ    على الأجـل الـذى لك لن تُطاعــى
فصبرا فى مجال الموت ، صبرا    فمــا نيـل الخلــود بمستطــاع
ولا ثوب البقـــاء بثـــوب عِزٍّ    فيُطـوَى عن أخــى الخنــع اليراع[9]
سبيـــل الموت غايـــة كل حىٍّ    فداعيـــه لأهــــل الأرض داع
ومــــن لا يَعْتَبِـــط يسأمْ ويهرمْ    وتُسلمـــه المنــون إلى انقطــاع[10]
ومــا للمــرء خير فى حيـــاة    إذا ماعُـــدَّ من سقــط المتـــاع

و(الحكمة) فى الأبيات الأخيرة ذروة تلك الوحدة حيث تلتحم التحاما وثيقا بصدق الشاعر فيما عناه من وجوب طرح الفزع إلى اقتحام المعركة ، ولتكن النهاية فيماقدره الله ـ تعالى ـ أى أنها التحام وثيق بفاعلية التجربة ووجدانها ، وأثرها الفكرى فى نفس الشاعر .

---

(٨) طارت شعاعا : تبددت من شدة الخوف . تراعى : تفزعى .
(٩) أخو الخنع : الذليل الخانع . اليراع : الجبان .
(١٠) يعتبط : يموت بغير علة .
والمقصود بإسلام المنون له إلى انقطاع : أى أن الموت حينا يتخطف أصدقاءه من حوله ، يشعره بأن الدنيا قد خلتْ إلا منه ، وأنه أصبح ـ مثلا ـ كأهل الكهف يعيش فى زمان غير زمانه ، ناسه غير ناسه .

# تبيان وإيضاح

بقلم الأستاذ/ على محمد نجيب المطيعى

اطلعنا على مجلة الأزهر الغراء عدد ربيع الأول ١٤١٤هـ (سبتمبر ١٩٩٣م) فوجدنا فيها عرضاً لكتاب قامت مكتبتنا بنشره ، وهو كتاب «صحيح صفة صلاة النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ من التكبير إلى التسليم كأنك تنظر إليها» وهو من مؤلفات السيد/ حسن بن على السقاف ، وقدم هذا العرض أو التقرير الأستاذ الفاضل/ محمد البشير حسين نافع ـ مدير عام إحياء التراث الإسلامى بالأزهر الشريف ، والذى ختم تقريره بكلمة إنصاف تضمنت الثناء على المجهود الكبير الذى بذله المؤلف فى جمع المادة العلمية وتبويبها ، كما قال سيادته : إن الكتاب فى مجمله مفيد لعامة المسلمين رشاد ـ أكرمه الله ـ بدار النشر وبمؤسسها فضيلة العالم الجليل الشيخ محمد نجيب المطيعى ـ يرحمه الله تعالى ـ وهذا الإنصاف شهادة نعتز بها ، ووجدنا به بعض الملاحظات التى يتعين الرد عليها إحقاقاً للحق وهى كما يلى :

أورد أستاذنا الفاضل فى تقريره قبل شهادة الإنصاف ثلاث ملاحظات سماها (تجاوزات) للمؤلف فى كتابه وقد صنفها إلى ثلاثة أصناف :

أما الأولى فهى كما اطلق عليها (تجاوزات سلوكية) وذكر فيها سيادته أن المؤلف وصف الألبانى بصفة «المتناقض» وهذا رأى علمى للمؤلف كونه عن الألبانى بعد دراسة عميقة[1] لجميع مؤلفاته وقد أثبت الأستاذ حسن السقاف هذه التناقضات ودونها فى مؤلف مستقل بعنوان (تناقضات الألبانى الواضحات فيما وقع له فى

---

(١) إثبات التناقضات شىء ووصف المؤلف بـ(المتناقض) شىء آخر لا يجوز فى باب النقد مطلقاً .. مجلة الأزهر .

تصحيح الأحاديث وتضعيفها من أخطاء وغلطات) ، وقد بين الأستاذ السقاف بالحجة الواضحة والبرهان القاطع تناقضات الألبانى فى حكمه على الأحاديث، وهذا هو رأى كثير من علماء السنة فى الألبانى، وقد ألف الكثير منهم كتباً فى الرد عليه وأذكر منهم على سبيل المثال: الأستاذ الدكتور خليل إبراهيم ملا خاطر فى كتابه «مكانة الصحيحين» ، والأستاذ/ محمود سعيد ممدوح فى كتابه «تنبيه المسلم إلى تعدى الألبانى على صحيح مسلم» والأستاذ أرشد السلفى الأثرى فى كتابه «الألبانى شذوذه وأخطاؤه» .. الخ .

ونضيف أن الشيخ حسن السقاف قد أورد ليس فقط ـ مئات من التجاوزات، ولكن آلاف من التناقضات التى وقع فيها الألبانى ، فهو يصحح أحاديث فى كتاب ، ويضعها فى كتاب آخر أثناء تخريجاته للأحاديث والآثار النبوية وقد بلغت هذه التناقضات نحو سبعة آلاف تناقض .

وإن كنا لا نختلف مع الأستاذ/ محمد البشير فى أن العلماء قديماً كانوا يختلفون فى الرأى والنظر ، ولا يصل هذا الخلاف إلى حد التقاذف والتناطح ، ولكن إذا كان سيادته قد راعه ما أسماه بالتجاوزات .. فما قوله فى تناقضات الألبانى التى كشفتها هذه المؤلفات التى أشرت إليها من قبل ، وما قوله فى تضعيف الألبانى لبعض أحاديث صحيح مسلم[٢] ، وقد ألف الحافظ ابن الصلاح فى الدفاع عن هذا الكتاب العظيم، ورد على جميع الشبهات حوله فى كتابه «صيانة صحيح مسلم من الإخلال والغلط وحمايته من الإسقاط والسقط» .

وإذا كان الأستاذ/ محمد البشير قد راعه وصف الألبانى بالمتناقض فماذا يقول عن وصف الألبانى للإمام أبى حنيفة فى كتابه صفة صلاة النبى بما لا ينبغى أن يوصف به عالم من صغار العلماء فضلا عن أن يوصف به هذا العلم الشامخ فى الفقه وعلوم الدين ؟ فأين التأدب مع العلماء ؟[٣]

ومن ثم يتبين أن هناك فرقا بين الاختلاف فى الرأى وأدب الحوار، وبين كشف الستار عما فاق التجاوزات ، إن سلسلة التناقضات بلغت ثلاثة مجلدات كبيرة إلى الان ، ويمكن لها أن تزيد . ولكل ماسبق نرى أن المؤلف السيد/ حسن السقاف حين وصف الألبانى بالمتناقض[٤] لا يكون هذا تجاوزاً ولكن هذا ما أثبته عليه بالفعل فى هذه السلسلة من الكتب ، بعد القراءة المتأنية لجميع مؤلفاته .

• • •

وأما الثانية وهى ما أطلق عليه الأستاذ/ محمد البشير (التجاوزات العلمية) فهى ليست فى الحقيقة تجاوزات ، ولكنها آراء فقهية لم يكن المؤلف هو مبتدعها ، والاختلاف فى المسائل الفقهية العديدة أمر وارْد ومسلم به ، وإلا ما وجد الاجتهاد بين العلماء ، ومادام الاختلاف قائماً ومبنياً على الأصول الفقهية المعلومة لدى الفقهاء ، فلا يصح لنا أن نصف أمثال هذه الخلافات بأنها تجاوزات وقد تعلمنا من أساتذتنا الأفاضل أن العالم إذا اجتهد فأخطأ فله أجر ، وإن

---

(٢) كان ينبغى أن يساق ـ ولو شاهد ـ واحد يؤكد هذا القول .... .

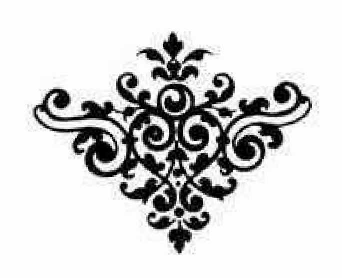
(٣) كان ينبغى تقديم هذا النص من كتاب الشيخ الألبانى نفسه ... وهذا الذى لم يحدث .

(٤) وجدنا ـ للأسف ـ هذا الوصف مقروناً باللمز والسخرية ...

اجتهد فأصاب فله أجران . ونقول للأستاذ البشير أن الأمر كما هو معلوم أن المناهج الأصولية والآراء المذهبية قد جعلت للحق فى المسائل أكثر من وجه ، فالحق فى الأمور الخلافية قد لا يحتمل مجرد رأى واحد فحسب بل للحق أوجه متعددة ،

وهذا هو رأى العلماء الأفاضل من السلف الصالح وتابعيهم من العلماء المعاصرين ولعل هذا ما تشير إليه القاعدة الأصولية «الاجتهاد لا ينــــقض بالاجتهاد» . والحقيقة أن الآراء التى رجحها المؤلف هى الآراء التى عليها العمل ، وأن المؤلف لم ينف أو يهمل الآراء المخالفة لما رجحه فأين التجاوز ؟

أما الملاحظة الثالثة فهى ما أسماه سيادته : (التجاوزات اللغوية) ، وقد رجعنا إليها ، فوجدنا أنها مجرد أخطاء مطبعية مثل مكان (الهمزة) أو (الشدة) أو ما إلى ذلك من أخطاء الطباعة التى لا يخلو منها كتاب ، ونحن نَعِدُ بتدارك الأخطاء المطبعية ونمنع حدوثها فى الطبعات المقبلة ـ إن شاء الله ـ ونرجو من أستاذنا ألا يعتبرها تجاوزات فأخطاء المطابع فى كل المطبوعات ، ولن نذهب بعيداً إذ أن فى مقالة الأستاذ محمد البشير نفسه، وفى هذه المجلة الغراء نجد فى آخر جملة «إنه سميع مجيب قريب الدعاء» وصحتها هى : «إنه سميع قريب مجيب الدعاء» وحسبنا أن مثل هذه الأخطاء المطبعية غير مقصودة . وأخيراً أتقدم بالشكر العميق لمجلة الأزهر العظيمة ، وعلى رأسها فضيلة الدكتور على الخطيب الذى أتاح لنا أن نسجل شكرنا لفضيلة الأستاذ محمد البشير حسين نافع على مجهوده العظيم فى نقد كتاب (صحيح صفة صلاة النبى صلى الله عليه وآله وسلم على صفحات مجلة الأزهر) وأختتم قولى بأن التنزه عن الخطأ صفة كتاب الله تعالى، والعصمة للأنبياء. فاللهم علمنا منه ما جهلنا، وانفعنا بما علمتنا، وفقّهنا فى أمور ديننا ، فأنت يا ربنا سميع عليم ، وعلى كل شيء قدير ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .



# بين المجلة والقارئ

إعداد وتقديم د/ محمد عبد الحكيم محمد

## لغة القرآن بين كيد الأعداء وغفلة الأبناء

**تكتسب اللغة العربية أهمية خاصة من بين لغات العالم أجمع ؛ لأنها لغة القرآن الكريم الذى أنزله الله على سيدنا محمد ﷺ .. ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴾ ( الشورى : ٧ )**

**ولقد شهدت اللغة العربية أوج ازدهارها فى عصورها الأولى ، غير أنها ما لبثت - نتيجة غفلة أبنائها وتعدد اللهجات وغزو الثقافات الأجنبية - أن اعتراها بعض الضعف والاستعجام على ألسنة أبنائها .**

**وتلك رسالة تلقتها المجلة - فى هذا الصدد - من القارىء/ محمد عبدالمحسن أحمد - المدرس بإدارة طلخا التعليمية ، يبرز فيها دور الاستعمار فيما أصاب اللغة العربية واعتراها :**

لقد عرف أعداء الإسلام قدر اللسان العربى ، وأدركوا - تماما - عمق تأثيره وأبعاد خطورته وكيف أنه سد منيع يحول دون تحقيق الكثير من أهدافهم ومآربهم .

ولقد كشف عن ذلك « وليم جيفور بلجراف » بقوله : « متى توارى القرآن ومدينة مكة فى بلاد العرب ، يمكننا حينئذ أن نرى العربى يسلك سبيل الحضارة التى أبعده عنها محمد ﷺ وكتابه .

ومن ثم لايمكن فى اعتقادهم أن يتوارى القرآن إلا بالقضاء على لغته ، فالمقصود إذن من هذه الحرب الشعواء التى لاهوادة فيها هو القرآن الكريم ، فليست المسألة مجرد تطوير لغوى - كما زعموا - وإنما يستهدفون القرآن الكريم عن طريق لغته ، فهم يدركون أن اللسان العربى إذا ضعف واستعجم فلن يستطيع المسلم فهم القرآن ولا تدبر

إعجازه ؛ وبالتالى يبتعد المسلم عن منهجه وحينئذ يمكن أن يتشكل ـ بأى شكل ـ يريده أعداء الإسلام .

وتاريخ الاستعمار فى مصر والمغرب العربى وبلاد الشام ، بل والبلاد غير العربية التى كانت تستخدم العربية ـ نطقاً ورسما أو رسما فقط ـ يسجل هذه المحاولات الآثمة لقطع لسان هذه الأمة أو تعجيمه .

## الأهداف الخفية لهذه الحملة الاستعمارية

والاستعمار ـ فيما اتجه إليه ـ يصدر عن خطة محكمة وفهم واع لتاريخ هذه الأمة وعروبة لسانها ولعل أهم أهدافهم :

١ ـ تحويل الإسلام من سلوك واقعى إلى مجرد تراث نحتفى به فى المناسبات .

٢ ـ تحويل القرآن إلى متحف عندما يستعجم اللسان ونعجز عن فهمه ، هنالك نستجيب لواقع ـ هيهات أن يحدث ـ يخططون له فنكتبه بالعامية ، وعند ذلك يتجرد من دلالة إعجازه وعربيته .

٣ ـ تمزيق وحدة الأمة التى حملت مشعل الحضارة إلى العالم منذ القرن السابع الميلادى ، إذ تنقطع رابطة من أقوى الروابط التى تربطها وهى رابطة اللسان العربى أو وحدة اللغة .

٤ ـ إلغاء التراث الإسلامى بحيث لايتاح لهذه الأمة الاستفادة منه ، وبناء حاضر قوى على أساس من البديل الغربى المطروح .

## أعظم الخطر

على أن ما تجدر الإشارة إليه هو أن هناك خطراً آخر يكمن فى قبول مبدأ التطوير الذى ينادون به بحجة التجديد أو الحداثة أو مواكبة العصر ، إذ التطوير هو الشرك الخفى الذى ينصبه الدهاة الغواة إذا فشلت وسائلهم الظاهرة ؛ ولأن قبول مبدأ التطوير يعنى أن كل فئة تتخذ لها طريقاً ومنهجاً فى التطوير حسبما ترى بين مُفَرِّط ومُفْرِط ، ومُضَيِّق وَمُوَسِّع ومتوسط ولن يقف الأمر عند حد ، بل تتسع شقة الخلاف بين الأطراف ـ فيما بين مؤيد ومعارض ـ ويتحقق للقوم ما يريدون ، على أن هذه الخطة ترتكز على :

١ ـ الدعوة إلى العامية

٢ ـ الدعوة إلى ما يسمى باللغة الوسيطة .

٣ ـ الدعوة إلى الكتابة بالحرف اللاتينى كما حدث فى تركيا ـ على سبيل المثال ـ فقد قال « كامفماير » المستشرق الألمانى « إن قراءة القرآن وكتب الشريعة الإسلامية ستصبح مستحيلة بعد استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية » .

٤ ـ الدعوة إلى تجديد النحو والبلاغة .

٥ ـ تغريب الأدب .

وقد كانت وسائلهم التى اعتمدوا عليها فى تحقيق اهدافهم هى :

١ ـ الاستعانة بمدارس التعليم الأجنبى

المنبثة فى كل مكان من أنحاء العالم العربى
٢ ـ الاستعانة بمراكز وإرساليـــات التبشير .
٣ ـ الاستعانة بالصحافة
٤ ـ الدعوة إلى الاستغراب وربط مصر بثقافة اليونان وحوض البحر المتوسط
ويقوم بتنفيذ هذه الخطة :
١ ـ المستعمرون أنفسهم
٢ ـ طائفة الأذناب والعملاء
٣ ـ المستغربون ، وهم المفتونون بظاهر مدنيتهم .

على أنه ينبغى التنبيه على أن هذه الحرب كانت ولازالت سجالاًوقد كانت أعين المخلصين لهم بالمرصاد ، تقف فى وجـــه المستعمرين وتطارد الأذناب وتنبه المستغربين المفتونين ليثوبوا إلى رشدهم وتنـــجلى عن بصائرهم سحائب الضلالة ، فيعرفوا قدر الدين الحق ولسانه العربى المبين .

## مجلة الأزهر فى سطور .....

حوَّل إلينا مكتب رئيس الهيئة العامة للاستعلامات رسالة القارىء الجزائرى / السيد نصرات جمال .. من لامه ولاية الـــوادى بالجزائر ، والتى يهدى فيها تحيته العميقة لمجلة الأزهر ، ويعرض صداقته للمجلة ، ويطلب تزويده بنبذة عن مجلة الأزهر ، ونحن إذ نرحب به صديقاً دائما نلبِّى رغبته بتلك النبذة عن مجلة الأزهر وسياستها التحريرية :

تأسست مجلة الأزهر عام (١٣٤٩ هـ) لتكون ناطقة بلسان حال الأزهر ومؤسساته العلمية فى نحو عشرة أبواب جامعة لمختلف العلوم الدينية والعربية والأدبية ، مضافا إلى ذلك دراسات باللغتين الفرنسية والانجليزية ، وفى خلال خمسة وستين سنة ـ هى عمرها ـ تعاقب عليها عدد من رؤساء التحرير الذين تطورت المجلة على أيديهم إخراجاً وتحريراً .

ويتولى الأستاذ الدكتور / على أحمد الخطيب رئاسة تحريرها ـ حالياً ـ ابتداء من شهر صفر ١٤٠٣ هـ الموافق أكتوبر (١٩٨٢) ، ومنذ ذلك الحين وهو يختط لها سياسة تحريرية علمية منظمة تُلبِّى حاجة القارىء الملحة إلى العلوم والمعارف العربية والإسلامية وتغطى رسالة جامعة الأزهر بمختلف كلياتها ، وقد وضع لها صيغة جادة للبحث فى الأدب واللغة والنقد والشعر والعلم والطب ، إلى جانب ما تحمله المجلة ـ أساسا ـ من الدراسات والبحوث الإسلامية ؛ فأخذ من كل شىء بطرف فى توازن جعل من المجلة جامعة تزود قارئها بالفتاوى والقضايا الإسلامية المعاصرة ، وتمده بالمعارف الأدبيـــة والتاريخيـــة والفكريـــة والطبيـــة والاختراعات الجديدة .

أما دورها وأثرها ـ كمجلة إسلامية ثقافية ـ فى النهضة الحديثة ، فهذا ما تترجمه نسبة « مرتجعات » المجلة المنعدمة ، ويعكسه فى ذات الوقت الطلب المتزايد عليها من شتى أنحاء العالم الإسلامى ولله الحمد والمنة .

محرر الباب

# الواقع الإسلامى والمتغيرات الدولية

كتب السيد/ يحيى السيد النجار ـ الحزاوى ـ دمياط

قال تعالى :

﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ ( النحل ٨٩ ) .

إن الخروج من دائرة أزماتنا العربية والإسلامية لا يتحقق إلا بإعادة صياغة العقل الإسلامى وتأهيله وفق ما جاء به كتاب ربنا ـ عز وجل ، حينئذ نخرج مما نحن فيه من الإحباط والانكسار واللامبالاة ، وشتى السلبيات التى ابتليت بها مجتمعاتنا .

وإذا كنا ـ جميعاً ـ ندرك عظمة العقل الإسلامى لاستنارته بالقرآن الكريم وسنة رسولنا ﷺ وكفى بهما سندا وعزا وعصمة من التشتت والهلاك ، فلماذا نستبدله بالذى هو أدنى .

هناك مخطط استعمارى ظهرت مخالبه فى البوسنة والهرسك وكشمير وبورما وتايلاند وغيرها من بلاد آسيا الوسطى ، فى محاولة لتمزيق العالم الإسلامى وتفتيته حتى لاتقوم له قائمة ، لكن آمالنا واحدة برغم كل تحديات الحاضر ، وعلينا العمل المخلص الدءوب من أجل جمع أوصال الأمة الإسلامية ، لتعود كسابق عهدها أمة الإسلام ، كما أرادها الله عز وجل أمة واحدة .

# تحية للأزهر ومجلته

بسم الله الرحمن الرحيم

وكتب فضيلة الشيخ أحمد على حسنين ، واعظ بالجمعية الشرعية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وبعد :

الله أكبر الله أكبر فليرتفع شأن الأزهر

الله أكبر الله أكبر فليرتفع صوت الأزهر

تحية للأزهر شيخاً وعلماء وهيئات .. وتحية خاصة لمجلة الأزهر الناطقة بلسان الحق والهدى ، والتى حملت راية الدفاع عن دين الله عز وجل .

وليس هذا بالغريب على مجلة يشرف عليها رجال وأى رجال .. وكفاهم فخراً وشرفاً أنهم سليلو بيت العلم وأمانة الكلمة ..

حقاً لقد كثرت الطعنات الموجهة لصدر الأمة فى عقيدتها وشريعتها من أصحاب الأقلام المسمومة .. وليس هذا بعجيب فهذا عهدنا بهم .. ولكن العجيب الغريب سؤالهم : أين الأزهر ؟!!!

وهم لا يصغون إلى رأى العلماء ونصيحة العقلاء .. وضاقت صحفاتهم عن استقبال كلمة الحق أو رأى أهل العلم .. ثم ضلت أقلامهم الطريق عن إنصاف أهل الفضل والتقى وراحت تتطاول على الأزهر ورجاله .. والله وحده يعلم أنهم ما قصدوا الأزهر ولا بعض رجاله ، ولا هفوات البعض وإنما قصدوا الطعن فى أغلى ما تملكه مصر ألا وهو الإسلام الحنيف نفسه .

## ردود وتعليقات

● الكاتب الأستاذ/ عبدالجواد علي ـ الصحفي بجريدة الأهرام بالقاهرة :

وصلتنا تحيتكم الكريمة لمجلة الأزهر والعاملين عليها ، وتقديركم لدورها الذى تضطلع به فى نشر الثقافة الإسلامية وحماية عقل الأمة من سيول التدفق الوافد من الشرق والغرب ـ كما تفضلتم وذكرتم ـ وأسرة المجلة تشكر لكم تحيتكم وإعجابكم الطيب بمادة المجلة التحريرية ، وبعون الله تكون دائماً عند حسن ظن قرائها .

● القارىء/ جلال محمد علي طلحه ـ بمعهد كفر الدوار الدينى بالحدائق .

انتقال الطالب للسنة الأعلى وهو يحمل بعض مواد التخلف من السنة السابقة ، نظام معمول به فى الجامعات ، وليس فى المعاهد الأزهرية الإعدادية والثانوية ، لذا أرى أن تصبر وتدع اليأس وتجتهد فى طلب العلم لتعويض ما فاتك .

● القارىء/ علي سليمـــان أبـــو زيـــد ـ بكالوريوس هندسة الأزهر عام ( ١٩٧٣ ) .

ستدرس إدارة المجلة التوسع فى نشر الأخبار المتعلقة بالمعاهد الأزهرية فى خطتها القادمة بإذن الله ـ تعالى .

● القارىء/ محمد يوسف السعيد نصر ـ كفر الغاب ـ شربين ـ دقهلية .

مرحبا بك صديقاً دائماً للمجلة ، ونرى أن مجلة الأزهر ما تبوأت مكانتها المرموقة فى أرجاء العالم الإسلامى إلا بفضل أبحاثها العلمية المتعمقة .

● القارىء/ زكريا درويش عبداللطيف ـ الموفد إلى جامعة فرتسواف ببولندا .

نفيدكم بأن العدد المطبوع ـ حالياً من مجلة الأزهر يصعب معه التوزيع المجانى .

● القارىء/ أحمد الفيصل سيد حنفى ـ بمعهد الأقصر الدينى .

● والقارىء/ عطية عبده عطيةـ ملامس ـ مركز منيا القمح ـ شرقية .

نشكر لكما اهتمامكا ومتابعتكما المستنيرة ، وقد تداركنا هذا الخطأ المطبعى .

● القارىء/ عزت إبراهيم محمود ـ بشارع الشيخ عليش بحمامات القبة . القاهرة .

نشارككم التألم لظاهرة إلقاء الصحف والمطبوعـــات فى الشوارع ، واستخدامهـــا كأكياس للبضائع لدى الباعة برغم ما تحتويه من آيات وأحـــاديث لها حرمتها ، واقتراحكـــم بتخصيص « ملحق دينى » فى الصحف يضم كل المعلومات الفقهية والأحكام الدينية ، اقتراح طيب على أنه ينبغى أن ندأب على التنبيه ليظل نشر الوعى الدينى هو الحل لعلاج هذه الظاهرة .

● القارىء/ محمد فريد أحمد ـ من مركز بلبيس ـ شرقية .

● والقارىء/ محمد قطب فضل الله ـ تفتيش الإصلاح الزراعى بالغبشة ـ بحيرة .

ليس من اليسير نشر كتاب « الفقه على المذاهب الأربعة » ـ وأمهات كتب التراث عموماً ـ على أجزاء بحجم هدية المجلة ، لأن ذلك يستغرق سنوات ، كذلك يعتبر اختصارها مخلا بالفائدة التى أفنى مؤلفوها حياتهم من أجلها .

● القارىء/ أشرف عبدالشافى ابـراهيم ـ بقنا ـ نجع حمادى .

رجاء تخريج الحديث النبوى المتعلق بجزاء المتكبرين والجبارين .

● القارىء/ أحمد حسن.. تاجر الجملة بالبحر الأحمر .

أحلنا شكواك إلى مكتب شكاوى المواطنين بإدارة الأزهر .

● القارىء/ رمضان ابراهيم الأقرع ـ أحد أئمة وخطباء طنطا ـ غربية .

صورة الجامع الأزهر الثابتة على غلاف مجلة الأزهر الناطق باسم الأزهر أمرٌ له دلالته الواضحة ، وعادة لا تتغير أغلفة المجلات العلمية ، ونحن نرحب بك صديقاً للمجلة ، وأما عن أهم شرط للنشر فى مجلة الأزهر فهو الإسناد العلمى للمادة المكتوبة وتخريج الآيات والأحاديث النبوية فى بحث علمى جيد ، وعسى أن تتسع صفحات المجلة ـ قريباً ـ لعودة باب الإمام والخطيب .

● القارىء/ عبدالفتاح محمد المظالى ـ بالعوايد ـ الاسكندرية .

ستبحث إدارة المجلة إمكانية نشر كتيب « رمضان خير وبركة » للشيخ/ محمد البنا (بلك) الذى سبق نشره بعدد رمضان (١٤٠٦) ـ بمشيئة الله ـ تعالى .

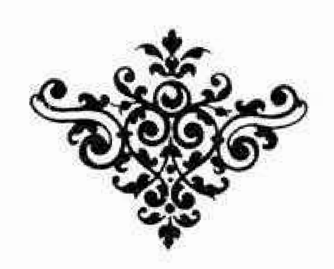
● القارىء / حسين عبدالحميد نيل .

يمكنك إرسال صورة من إنتاجك الذى تودُّ نشره فى مجلة الأزهر لتقرير مدى صلاحيته للنشر ، على أن لا يكون قد سبق نشره فى صحيفة أو كتاب ، وأن تكون مادته علمية موثقة .

● القارىء/ محمد سمير حراز ـ الطالب بمعهد رشيد الأزهرى .

بشأن تخصيص باب فى المجلة « للشباب » نرجو توضيح رؤيتكم أكثر .

● وبمشيئة الله ـ تعالى ـ يوالى الباب اهتمامه بالرسائل التى يتلقاها تباعاً .






تقديم الأستاذين / عمر البسطويسى • مصطفى عبد المجيد

### الرئيس مبارك يلتقى وأعضاء لجنة تنسيق العمل الإسلامى

التقى الرئيس محمد حسنى مبارك ووفد لجنة تنسيق العمل الإسلامى وهيئة رئاسة المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة صباح يوم الثلاثاء ٤ من جمادى الأولى ١٤١٤ هـ الموافق ١٩ من أكتوبر ١٩٩٣ م ، حضر اللقاء فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر .

كانت لجنة تنسيق العمل الإسلامى التابعة لمنظمة المؤتمر الإسلامى قد عقدت اجتماعاتها بالقاهرة يومى ٢ ، ٣ من جمادى الأولى ١٤١٤ هـ ١٧ ، ١٨ من أكتوبر ١٩٩٣ م بدعوة من الأزهر الشريف وبرياسة فضيلة الإمام الأكبر والدكتور حامد الغابد أمين عام منظمة المؤتمر الإسلامى .

وقد ناقشت اللجنة مشروعاً للتنسيق الدائم فى مجال الدعوة الإسلامية بين كافة الدول والمنظمات والهيئات الإسلامية أعدته لجنة الخبراء بالمنظمة ؛ تنفيذاً لقرار مؤتمر القمة الإسلامى الذى عقد فى ( داكار ) عام ١٩٩١ .

يهدف المشروع إلى التنسيق بين المنظمات الإسلامية الرسمية والشعبية فى مجال الدعوة الإسلامية وتحديد مراكز لتدريب الدعاة وتثقيفهم عن طريق وضع مناهج تربوية تقوم على الالتزام بالكتاب والسنة .

وقد أقرت اللجنة فى ختام أعمالها خطة التنسيق تمهيداً لعرضها على اجتماعى وزراء خارجية الدول الإسلامية وقمة رؤساء الدول الإسلامية القادمين .

### كلمة الإمام الأكبر بلجنة التنسيق

أيها السادة الحضور : لعلكم طالعتم الورقة التى فى أيدى حضراتكم واستمعتم إلى معالى الأمين العام الدكتور حامد الغابد .

إن نظرة إلى مشاكل العالم الإسلامى ، وما قامت به المنظمة حيال كل مشكلة ، وما تسعى إليه – كما تفضل السيد السفير الكويتى بالحديث

والتنويه ـ لَبَعْضُ ما يجب على هذه اللجنة الموقرة أن تواجهه فى دراستها لهذه الورقة ، ولهذا العمل الهام الذى انعقدت اللجنة من أجله ، وهو التنسيق بين المنظمة وبين دول المنظمة وشعوبها ، بين العمل الشعبى والرسمى فى مجال العمل الإسلامى .

نحن فى حاجة أيها الأخوة إلى أن نوجه جهدنا لوضع سياسة تنسيقية ـ وأؤكد على كلمة التنسيق ـ لهذه الجهود المبذولة سواء من الحكومات أو من الشعوب نحو الالتقاء لعمل الدعوة الإسلامية أولا ، وإعلام الآخرين بماهية الدين الإسلامى وأهدافه ومقاصده .

إن المسلمين منذ أن كان الإسلام إنما يبتغون دائماً سعادة الإنسانية ورفاهيتها ، ويجعلون للأخوة الإنسانية أركاناً هامة فى حياتهم ، وفى سياستهم ، فما كان بينهم صاحب دين آخر ظُلِم أو قُتِل أو شُرِّد أو اغْتُصِب فى ماله أو عرضه .

هذا ما أدعوكم إلى أن نتدارسه ، ومرة أخرى أن نستظهر العلل ونضع العلاج وننسق هذا العلاج كيف يكون .

وفقكم الله والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

## الإمام الأكبر يترأس اجتماعات المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة

رأس فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر اجتماعات هيئة الرياسة والهيئة التأسيسية للمجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة ، كذلك شهد فضيلته جانباً من اجتماعات لجان التمويل والاستثمار والنشر والإعلام والمعلومات والمتابعة بالمجلس وذلك فى الفترة من ٣ ـ ٦ من جمادى الأولى ١٤١٤ هـ الموافق ١٨ ـ ٢١ من أكتوبر الماضى ، وقد تم فى هذه الاجتماعات استعراض أنشطة اللجنة الفرعية بالمجلس ودراسة القرارات والتوصيات الصادرة عن اجتماعات هذه اللجان والمحالة إلى الهيئة للنظر فيها واتخاذ القرارات التنفيذية بشأنها .

وفى صباح يوم الأربعاء الخامس من جمادى الأولى ١٤١٤ هـ الموافق ٢٠ من أكتوبر عقدت الجلسة الافتتاحية لاجتماع الهيئة التأسيسية الخامس برئاسة فضيلة الإمام الأكبر وبحضور فضيلة الدكتور محمد على محجوب وزير الأوقاف نائباً عن الأستاذ الدكتور عاطف صدقى رئيس الوزراء الذى ألقى كلمته فى تلك الجلسة السيد الدكتور وزير الأوقاف مؤكداً أن مصر رئيساً وحكومة وشعباً لن تتأخر يوماً عن مساندة المسلمين ونصرة قضاياهم والدفاع عن حقوقهم فى كل أرجاء الدنيا .

مشيراً إلى أن العالم الإسلامى يمر بمرحلة شائكة تستلزم تضافر الجهود وبذل كافة المساعى بحثاً عن حلول عادلة لمشاكله مشيراً كذلك إلى أهمية دور المجلس فى تلك المرحلة .

اختتم المجلس أعماله مساء يوم الخميس السادس من جمادى الأولى ١٤١٤ هـ الموافق ٢١ من أكتوبر حيث أصدر العديد من القرارات والتوصيات الهامة أدان فيها ما تقوم به الحكومة الروسية بشكل سافر فى الحرب الدائرة فى « البوسنة والهرسك » مناصرة للصرب والكروات ، وقد دعا المجلس كافة الدول الإسلامية إلى مقاطعة الصرب والجبل الأسود ( يوغسلافيا السابقة ) فى كافة التعاملات السياسية والاقتصادية ، مع تقديم كل ما يمكن من

دعـــم مالى لمؤسسات الإغاثـــة الإنسانيـــة والإسلامية ؛ للقيام بعملها فى إيواء المشردين من مسلمى البوسنة وعلاجهم .

كذلك أدان المجلس بشكل جماعى تصرفات ( إسرائيل ) فى الأراضى العربية المحتلة ومحاولاتها الدائبة لتهويد القدس العربية ، واستنكر المجلس قرار المحكمة الإسرائيلية العليا باعتبار المسجد الأقصى والمنطقة المحيطة به أرضاً إسرائيلية ، وإخضاع أعمال ترميم وإعمار المسجد الأقصى للقوانين الإسرائيلية . وطالب المجلس بالعمل المكثف من خلال الحكومات والرؤساء والملوك والمنظمات الشعبية العربية والإسلامية للحفاظ على عروبة وإسلام المسجد الأقصى الذى يعد من أهم المقدسات والأوقاف الإسلامية .

## كلمة الإمام الأكبر فى الهيئة التأسيسية

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﷺ

الحفل الكريم : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

فأرحب بحضراتكم جميعاً فى هذا اللقاء الخامس للهيئة التأسيسية للمجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة .

ولقد استمعتم وقرأتم عن هذا المجلس ومهمته ، وفى جدول الأعمال الكثير الوفير عن أنشطته بالتعاون مع الأعضاء المنتسبين إليه من الأعضاء والجمعيات .

لاشك أن هذا اللقاء فرصة مواتية لهذا الجمع من رجال العلم والثقافة العاملين المهتمين بأمور المسلمين أن يتدارسوا مشكلات الأمة الإسلامية .

لقد قدم هذا الجمع من نواحى الأرض ؛ ليقدموا النصح وليجمعوا الكلمة ويقاوموا النزاع والخلاف الذى ينشب هنا وهناك ، ويشغل الأمة الإسلامية عن أداء واجب الرسالة المنوطة بها نحو أمتها ونحو مهمتها الصالحة كأمة تحمل رسالة الله .

أيها الإخوة إنكم مدعوون أن تواصلوا البحث الذى نرجو أن يسفر عن جهد رغبة لصالح العمل والمسلمين وإنا لملتقون .

## مؤتمران طبيان تحت رعاية فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

برعاية فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر نظمت جامعة الأزهر مؤتمرين طبيين : المؤتمر الأول نظمته كلية الطب « بنين » فى الفترة من ٥ ـ ٨ من جمادى الأولى ١٤١٤ هـ الموافق ٢٠ ـ ٢٣ من أكتوبر الماضى وكان موضوعه « طب الطوارىء » وكيفية التعامل مع الكوارث الطبيعية وغير الطبيعية واستخدام ( أشعة الليزر ) فى مجالات الطب المختلفة ، حضر المؤتمر لفيف من أساتذة الطب بالدول العربية والإسلامية .

أما المؤتمر الثانى فقد نظمته كلية الطب « بنات » فى الفترة من ١١ ـ ١٤ من جمادى الأولى ١٤١٤ هـ الموافق ٢٦ ـ ٢٩ من أكتوبر الماضى لمناقشة بعض القضايا الطبية ذات الجوانب الشرعية مثل : الإجهاض والعلاقات الجنسية غير الشرعية المسببة لمرض ( الايدز ) ومنع الحمل ، والتلقيح الصناعى .

شهد فضيلة الإمام الأكبر الجلسة الافتتاحية لهذا المؤتمر حيث طالب فضيلته علماء الطب بضرورة إعداد دراسة لتاريخ الطب الإسلامى

تعرف بمشاهير الأطباء من المسلمين ، مشيراً إلى أن الإسلام عرف الطب باعتباره عملا إنسانياً قديماً وضرورياً للناس ، فعرف الأجهزة التعويضية قبل أن يعرفها الطب الحديث .

وقد أصدر المؤتمر فى ختام أعماله العديد من التوصيات طالب ـ فى بعضها ـ بضرورة الاهتمام بالطب النبوى والإسلامى واتخاذ الخطوات الجادة لتدريسه بكليات الطب ، كما دعا إلى تعريب الأبحاث الطبية حتى يتمكن علماء الدين من العمل على ضوئها فى مجال الإفتاء ، وأوصى المؤتمر بضرورة نشر الوعى الدينى ودعم مقررات الدراسة فى كليات الطب بجامعة الأزهر بمناهج عن تاريخ الطب الإسلامى .

## الإمام الأكبر يشهد تخريج دفعة جديدة من أئمة ووعاظ العالم الإسلامى

شهد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الحفل الختامى للدورة التدريبية الثانية والعشرين التى نظمتها اللجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر لعلماء البلاد الإسلامية وذلك بعد ظهر يوم الأحد الموافق ١٥ من جمادى الأولى ـ ٣١ من أكتوبر ١٩٩٣

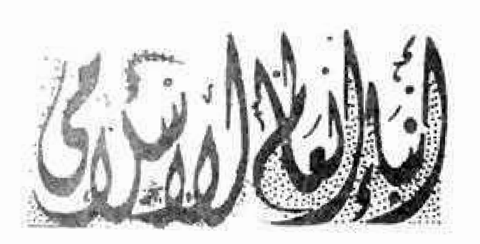
وقد أكد فضيلة الإمام الأكبر فى الكلمة التى ألقاها فى هذه المناسبة على أن مهمة الدعاة وعلماء الدين أن يجمعوا الناس ولا يفرقوهم ، وان يقولوا للناس حسنا ، كمبشرين لا مفرقين ، كذلك عليهم أن يصححوا الأخطاء الواقعة فى فهم العقيدة والشريعة حتى يثبتوا أن الإسلام دين واحد له نبى واحد وكتاب واحد ، مشيراً إلى أن المذاهب التى ندرسها فى العقيدة والفقه إنما هى أفكار ترجع إلى مصدر واحد هو الكتاب والسنة .

كما ناشد فضيلته علماء العالم الإسلامى أن يجمعوا شعــوبهم على الحق والصواب ، وأن لا يشيعوا الفرقة بينهم بسبب أمور فرعية ليست من أصول الشريعة ولا من أركان العقيدة .

كما طالبهم فضيلته بأن يكونوا رسلا فى أوطانهم يجمعون الناس على دين الله الواحد وأن يرتفعوا بمستواهم الفكرى والثقافى فى كل مجالات الحياة لمواكبة العصر . ثم قام فضيلته فى نهاية الحفل بتوزيع شهادات التخرج على الأئمة والدعاة الذين شاركوا فى هذه الدورة ممثلين لأكثر من عشر دول من مختلف قارات العالم .

شهد الحفل السيد السفير سامى عبداللطيف مساعد وزير الخارجية للعلاقات الثقافة وبعض سفراء الدول المشاركة فى الدول .





إعداد الأستاذ/ مجدى عبد الحميد بشير

أمريكا

صادق مجلس أمناء الكلية الأمريكية الإسلامية « بشيكاغو » فى دورته الثالثة عشرة على التقرير الثانى عشر لمجلس أمناء الكلية ، وقرر تقديم الدعم اللازم لتنشيط العمل بالكلية ، واتخذ التدابير لتأمين ميزانية العام « الأكاديمى » الحالى ، وناشد المجلس جميع الدول والهيئات الإسلامية تقديم الدعم المادى والمعنوى للكلية تمكينها من أداء رسالتها الهادفة إلى زيادة وعى ومعرفة المسلمين الأمريكيين وغيرهم بالثقافة والتراث والحضارة الإسلامية .

والمعروف أن الكلية أنشئت منذ عشر سنوات بمبادرة من المجلس الدائم لصندوق التضامن الإسلامى وبتأييد من المؤتمر الإسلامى الحادى عشر لوزراء الخارجية وذلك لرفع مستوى الجاليات الإسلامية الأمريكية ، وتخرج المعلمين الذين يدرسون الإسلام بمدارس الولايات المتحدة .

الأخلاق بين النظر والعمل

عُقدت بالرباط ندوة فكرية تحت شعار « الأخلاق بين النظر والعمل » شارك فيها أكثر من ثلاثين باحثاً إسلاميا . وركزت الندوة فى جلسات دامت يومين على إعادة الاهتمام بالجانب الأخلاق والإنسانى أمام زحف القيم المستجدة التى ارتمى معتنقوها فى أحضان المادة فقط ، واعتبار الأخلاق الإسلامية هى البديل الأخلاق الوحيد القادر على كبح جماح المادة والتخفيف من غلوائها بالإضافة إلى منع وسائل التقنية الحديثة من تلويث القيم الإسلامية الأصيلة .

وكانت الجلسة الأولى بعنوان الأخلاق وأصول التراث الإسلامى وأسس ذلك فى السنة النبوية اقتداء بالمواقف الشريفة التى دعت إلى حسن الخلق

وامتثالا للمقولة المأثورة فى وصفه ﷺ بأن خلقه القرآن ، وأنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ كان قرآنا يمشى على الأرض .

الهند

أطلع رئيس جمعية علماء الهند الشيخ أسعد مدنى المسئولين فى الحكومة المركزية فى نيودلهى على نشاطات علماء جمعيته خصوصاً فى مجال التعليم والاقتصاد وذلك طلباً لمساعدة مسلمى الهند وتحسين أحوالهم . ويشمل البرنامج التعليمى بناء المدارس الإسلامية والكليات والتعليم المهنى والمكتبات ، وأما البرنامج الاقتصادى فيشمل إقامة صندوق لمساعدة المسلمين وآخر للمنح الدراسية وثالث للعمل الخيرى لمساعدة الأرامل والأيتام .

تجربة فريدة

فى تجربة فريدة من نوعها تلقى خطب الجمعة فى ٩ مساجد بالكويت بلغات منها المليبارية والسريلانكية والهندية والبنجالية وخصصت الحكومة تلك المساجد لمسلمى الجاليات الأجنبية وغير العربية ويشرف قسم الجاليات الإسلامية التابع لوزارة الأوقاف الكويتية على هذه الخطوة التى تتبعها خطوات أخرى .

حول القدس

عقدت الإيسيسكو الندوة العالمية حول القدس وتراثها الثقافى استجابة لتوصية المؤتمر العام الرابع للمنظمة الذى عقد منذ عامين فى الرباط وذلك لمناقشة ما تمثله مدينة القدس من تراث ثقافى وحضارى ولإدانة ما تقوم به اسرائيل من محاولات تهديد المدينة .

**استدراك**

**وقع خطأ مطبعى فى البيت الأول والبيت الرابع عشر من قصيدة « تهنئة » للأستاذ الدكتور / عبدالعزيز غنيم بعدد ( جمادى الأولى ) صفحة (٧٠٦) وصحة الأول :**

**خليلـىَّ ما هذا البنـاءُ الممـردُ      أصبْحاً أرى أمْ ذاك فى الأفق فرقَدُ**

**وصحة البيت الرابع عشر**

**وفى الدَّوح طيرٌ باهرُ الحسن صادحُ      يقول : اسجدوا لله ياقومُ واعبدوا**

**كما نأسف للخطأ المطبعى الذى وقع بصفحة (٥٧٦) من عدد ( ربيع الآخر ) حيث ذكر اسم نبى الله داود ( عليه السلام ) ، وصحته سليمان ( عليه السلام ) .**

**سقط اسم الأستاذ الدكتور مجاهد توفيق الجندى كاتب مقال « هيئة كبار العلماء » صفحات مطوية من تاريخ الأزهر المنشور بالعدد الماضى ص ٦٩٢ لذا لزم التنويه .**

Tous ceux qui ont pris part à la calomnie ont couru à leur perte. Le chef des calomniateurs fut Abdallah Ebn Obey Ebn Saloul. Rentrée à Médine, je tombai malade. Je restais ainsi pendant un mois. A mon insu, les gens ne faisaient que colporter des calomnies à mon sujet. Ce qui m'intriguait, c'était le comportement du prophète salut et bénédiction sur lui — qui n'affichait plus pour moi la même prévenance dont il m'entourait auparavant quand je me trouvais malade. Il se contentait d'entrer, de saluer en disant : "comment va celle-là?".

Moi, je ne me doutais de rien, jusqu'au jour où je commençai à me rétablir. Un jour, comme je sortais avec Om-Mistah (la tante maternelle de Abou Bakr) pour satisfaire mes besoins, hors de la ville. Nous n'y allions que de nuit, n'ayant pas d'eau près de nos habitations. En marchant, Om-Mistah s'empêtra dans son vêtement et trébucha. "Malheur à Mistah" dit-elle. "Quelle abominable parole que celle que tu dis là ! Tu médis d'un homme qui a pris part au combat de Badr?" lui dis-je. "Petite, dit-elle, n'as tu pas entendu ce qu'on dit à ton sujet?". C'est alors qu'elle me raconta l'histoire. J'en fus encore plus malade. Je rentrai chez moi. Le prophète-salut et bénédiction sur lui-comme d'habitude vint et dit : "comment va celle-là?". Je répondis : "permets-moi d'aller chez mes parents". Il me le permit. Je voulais en me rendant chez eux apprendre de leur bouche ce qu'on racontait à mon sujet. Arrivée chez eux, je questionnai ma mère sur ce que les gens me reprochaient. Elle me dit : "ne t'afliges pas ma petite. Par Allah toute femme qui jouit d'une certaine beauté et qui est aimée de son mari est enviée et chicanée de ses co-épouses". "Quoi? est-ce là ce que les gens disent de moi?" lui répondis-je. Puis je passais la nuit en larmes, sans fermer les yeux et le lendemain aussi.

La révélation ayant tardé, le prophète — salut et bénédiction sur lui — demanda avis à Ossama Ebn Zaïd et Ali Ebn Abou Taleb, pour savoir s'il devait me répudier. Ossama dit ce qu'il pensait de mon innocence et montra l'affection qu'il portait à la famille du prophète — salut et bénédiction sur lui : "C'est ton épouse, dit-il et je n'en pense que du bien". Quant à Ali, il répondit : Allah ne t'a pas imposé de restrictions en matière de mariage et les femmes sont nombreuses. D'ailleurs tu peux interroger l'esclave Barira, elle te dira la vérité". Le prophète-salut et bénédiction sur lui-appela Barira et lui dit ; "As-tu des soupçons sur Aïcha". "Je jure, dit-elle, par celui qui certes t'a chargé de la mission de prophète, que je n'ai rien à lui reprocher sauf qu'elle est jeune et qu'elle s'endort, laissant la pâte à la portée de la brebis qui vient en manger." Le jour même, le prophète-salut et bénédiction sur lui-monta en chaire et se plaignit de Abdallah Ebn Saloul en ces termes : "Serais-je incorrect si je demande justice à un homme dont la calomnie a nui à ma famille? Je jure par Allah que je ne soupçonne aucune infédilité de ma femme. Les gens incriminent un homme dont je ne pense aucun mal. D'ailleurs, il ne s'introduisait chez moi qu'en ma présence". A ce moment Sa'd Ebn Mo'az (chef de la tribu des Aous à Médine) se leva et dit : "Ô, messager d'Allah, je jure qu'avec ton autorisation, je peux m'en charger de le punir. Si c'est quelqu'un de la tribu des Aous, je lui trancherai le cou, s'il est de la tribu de nos frères les khazrag, nous exécuterons l'ordre que tu nous donneras". A ce moment Sa'd Ebn Abada chef des khazrag-qui pourtant était un homme vertueux, mais que les paroles de Sa'd jetèrent dans le chauvinisme-se leva et dit en s'adressant à Sa'd : "Menteur ! par Allah tu ne le tueras pas. Tu n'en auras pas le courage". Et voilà que Ossaïd-cousin de Ebn Mo'az-se lève et dit : "C'est toi le menteur ! par Allah nous le tuerons."

Hoda Cha'raoui

# Sanction de la calomnie
# (Récit du "Ifk"

par Mme Hoda Cha'raoui

La calomnie est un péché majeur. Allah a qualifié son auteur de pervers. Il a recusé son témoignage et il a ordonné de le soumettre à la peine de flagellation. La peine encourue par l'auteur de "qazf"-1 est de 80 coups de fouet, selon la prescription divine.

Le prophète-salut et bénédiction sur lui — a ordonné de flageller avec 80 coups de fouet les gens de "Ifk", les calomniateurs de Aïcha, son épouse.

La finalité recherchée par cette sanction est la souvegarde de la réputation et de la dignité du musulman, la préservation de la société contre les vices et les actes immoraux qui peuvent se propager parmi les musulmans, alors que ces derniers doivent être les modèles de pureté et d'intégrité.

En voici donc le récit tel que l'a raconté Aïcha et qui nous fut rapporté par Al-Bokhari : "Chaque fois que le prophète-salut et bénédiction sur lui-partait en voyage, il tirait au sort parmi ses épouses pour disigner celle qui aurait la faveur de l'accompagner. Ce fut mon tour de partir avec lui, lors d'une compagne dans la contrée de la tribu des Béni mostalak.

A ce moment, le port du voile était déjà institué. Je voyageai donc en palanquin à dos de chameau.

La mission du prophète-salut et bénédiction sur lui-terminée, nous prîmes le chemin du retour. A l'approche de Médine, après avoir campé pendant le jour, le prophète-salut et bénédiction sur lui-ordonna la nuit de lever le camp. Pendant que les hommes faisaient les préparatifs du départ, je me suis éloignée pour satisfaire un besoin. Or, à mon retour, je me suis aperçue en tâtant ma poitrine, de la disparition de mon collier. Je suis donc retournée sur mes pas pour le chercher et ceci fut la cause de mon retard.

Les personnages chargées de mon palanquin le replacèrent sur le dos du chameau en pensant que je m'y trouvais. Leur erreur s'explique par le fait que les femmes d'alors ne pesaient pas lourd, car, elles mangeaient sobrement. Les hommes soulevèrent donc le palaquin qui était vide. J'étais alors jeune (elle n'avait pas encore atteint 15 ans). comme j'avais retrouvé mon collier après leur départ, je revins au camp qui était vide. Je me suis dit qu'ils ne manqueront pas de remarquer mon absence et de revenir pour me chercher. Je m'assis donc à ma place et le sommeil me gagna.

Safouan Ebn El Mouattal assurait l'arrière garde de l'armée pour ramasser les objets oubliés après le départ de celle-ci. Il passa près de moi et remarqua la silhouette d'une personne endormie. Il se dirigea vers moi et poussa une exclamation en disant : "Nous appartenons à Allah et c'est vers lui que nous retournerons". Son exclamation et l'agenouillement de son chameau me réveillèrent. Il mit le pied sur le genou de la bête et je pris place sur la monture. Le chamelier conduisit la bête par la bride et nous réjoignîmes l'armée à midi, alors qu'elle faisait la sieste.(2)

---

1. Note Il s'agit de qualifier quelqu'un d'adultère ou de dire : "J'ai vu un tel en état d'adultère ou de sodomie".

2. Note 2 : ici on l'accusa d'adultère pour avoir passé la nuit avec Safouan.

"Plus tard, après qu'ils eurent vu les signes, il parut bon (aux Egyptiens) d'emprisonner (Joseph) pour un temps."

Le choix de Blachère est tranchant d'autant plus qu'il ne signale pas les autres éventualités possibles en note.

Aussi la présence de ce terme "Egyptiens" suggère fortement une entité nationale, une "civilisation" et suppose implicitement, une autre collectivité rivale ou adverse quand la discorde éclate entre les deux groupes dans le sens des versets 71 à 76.

De ces exemples divers, nous pouvons dire que la traduction dans le cas du Coran ne peut signifier qu'une interprétation, qu'une lecture subjective très certainement fragmentaire : le Coran possède une pluralité et une richesse infinie de significations. La tradition exégétique qui remonte à 14 siècles est là pour le prouver.

Ceci doit être indiqué dès le titre de l'ouvrage : c'est un et un seul sens des versets coraniques. C'est aussi une traduction, il faut le signaler dans le titre ou le sous-titre car les théoriciens assurent que dès le premier contact avec le livre — donc le titre — le rapport qu'entretient le lecteur avec l'ouvrage, se précise. Ainsi toute confusion est écartée et nous n'aurons pas de phrases pareilles à celle-ci décrivant la traduction de Jacques Berque :

"Ce n'est pas un Coran en français, c'est un Coran français."

(Le Monde diplomatique. Février 1991).

Pour terminer, nous pouvons dire que nous n'avons fait que signaler quelques aspects des problèmes de la traduction du Coran, domaine très épineux et qui mériterait tellement plus d'efforts de la part des futurs chercheurs. Cette tâche — très lourde — incombe en premier aux Musulmans capables de présenter aux non arabophones le Message divin adressé à tous les humains. Il faut aller au devant de cet intérêt croissant des Occidentaux et satisfaire leur curiosité au lieu de se trouver dans une situation embarrassante, à savoir le fait de se défendre contre les incorrections présentes dans leurs traductions.

Quelle solution allons-nous choisir?

Dr. Hedaya Machhour.
Faculté de Lettres. Université du Caire.

Régis Blanchère traduit par :

"Ne désespérez point de l'esprit (rûh) d'Allah."

Cette erreur de la part du traducteur peut amener une interprétation anthropomorphiste n'ayant aucun rapport avec le sens voulu dans le Texte initial.

Un même mot au singulier peut avoir deux mots différents au pluriel (ce sont des paronymes), nous avons ce cas avec le mot " عبد " qui donne au pluriel " عباد " et " عبيد ". Ces deux mots possèdent deux sens distincts puisque " عباد " signifie "fidèle" ou "croyant" tandis que " عبيد " signifie "esclave" ou "serviteur".

Le verset 24 : إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ

En parlant de Joseph, Allah le qualifie d'être parmi les fidèles. Ceci est traduit ainsi par Denise Masson :

"Il fut au nombre de Nos serviteurs sincères."

Masson n'a pu distinguer entre les deux termes. Elle a, aussi, commis une autre erreur avec le temps verbal choisi, à savoir le passé simple. Dans la phrase initiale, il n'y a pas de verbe : c'est une phrase nominale dont la valeur est intemporelle, hors temps pour assurer que Joseph est l'un parmi les fervents adorateurs d'Allah sans situer ce jugement divin dans le temps. Le passé simple nous donne tout à fait le contraire : situer un acte précis en un moment déterminé dans le passé.

Un autre exemple pour les temps verbaux avec le verset 6 :

Masson traduit par : وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ

"Ton Seigneur te choisira, il t'enseignera l'interprétation des récits."

En interprétant le rêve de Joseph, Jacob emploie délibérément le présent car dans sa prescience, le fait que Joseph fasse ce rêve signifie qu'Allah l'a déjà élu. Autrement dit, la réalisation du rêve est déjà amorcée, le "présent" est donc indispensable pour traduire cette certitude qui ne peut être donnée par le "futur".

La polysémie est un phénomène de la langue qui concerne les mots recouvrant plusieurs sens comme par exemple le mot "في دين الملك" au verset 76 :

Il n'est pas question dans ce verset de la "religion du roi" comme le dit Masson mais plutôt de la "loi du roi d'Egypte". Cette confusion est dûe-peut-être à l'emploi du mot " دين " selon cette première acception à plusieurs reprises dans la Sourate de Joseph.

Avec Blanchère, il y a une tendance très marquée pour désambiguïser les pronoms présents dans les versets coraniques, c'est-à-dire remplacer le pronom par le mot auquel il se rapporte. Mais très souvent, le cas n'est pas si simple, on ne sait pas au juste ce que remplace le pronom : le verset coranique accepte plus d'un sens, le pronom peut avoir plus d'un substitut comme dans le verset 35.

ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا ٱلْآيَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ

Le pronom " هم " peut renvoyer à plus d'un groupe :

- Les Egyptiens.
  - l'intendant et ses proches.
  - les témoins de la scène où Joseph est accusé. Blanchère traduit ainsi :

# LA TRADUCTION "DU SENS" DES VERSETS DU CORAN.

par Dr. Hedaya Machhour

La traduction "du sens" des versets du Coran connaît un très grand essor au moment actuel dans toutes les langues étrangères, même les moins répandues. Les chiffres en témoignent : d'après un recensement récent — celui du World bibliography of translation of the meanings of the Holy Qur'an. Printed translations 1515-1980. il — existe 557 traductions complètes et 883 traductions fragmentaires en 65 langues étrangères jusqu'à l'année 1980.

En langue française, cet intérêt ne cesse de croître puisque dans deux années successives — 1990 et 1991 — trois traductions sont parues, ce sont celles de René Khawam, Jacques Berque et André Chouraqui.

Il va sans dire que ce mouvement s'effectue indépendamment de la volonté des Musulmans. Autrement dit, aucune — ou presque — autorité musulmane n'est consultée ou possède le droit d'empêcher la parution d'une traduction, voire de la rectifier.

Une exception est faite avec la traduction de Denise Masson, autorisée par El Azhar et revisée par docteur Sobhi El Saleh. Les corrections sont rares et les erreurs abondent comme nous allons le voir à travers quelques exemples.

Cette absence sur le plan officiel est relayée par une grande lacune sur le plan académique. Les chercheurs musulmans bilingues — à part quelques exceptions — n'accordent pas un intérêt véritable à ces ouvrages présents sur les marchés français et francophones pour en discuter la valeur, leur impact sur le lecteur, leur degré de crédibilité, leur écart par rapport au Texte coranique, leur "objectivité", (etc.). Il est surtout indispensable d'étudier l'évolution de ce mouvement pour dégager la vision de l'Autre sur l'Islam et sur le Coran car nous ne pouvons nier le rôle de ces traductions dans la formation d'une certaine image chez les non arabophones, image qui n'est pas toujours en faveur des Musulmans.

Une modeste contribution a été dernièrement présentée à travers notre thèse de doctorat intitulée : "Etude comparée de trois traductions françaises d'un Récit coranique : vie de Joseph." Dans cette étude, nous avons essayé de discuter les divers problèmes qui se posent et s'opposent à la traduction du Coran sur divers plans : le paratexte le lexique, la syntaxe et la sémantique. Il s'est avéré que le défi lancé par le Coran à tous les humains jusqu'à l'éternité, à savoir le fait de présenter rien de semblable, n'a point été levé par les traducteurs.

D'une part, il est difficile — voire impossible — de reprendre ou de donner tous les sens ou toutes les interprétations d'un verset ou d'un mot. D'autre part, la traduction présentée recouvre parfois un contresens, une altération, un ajout ou une omission.

Pour ne pas nous lancer dans des notions abstraites, nous allons nous en tenir à quelques exemples très représentatifs tirés de la Sourate de Joseph.

Commençons par un trait purement formel, celui des signes diacritiques. Nous savons pertinemment que nous pouvons obtenir des homonymes (mots s'écrivant de la même manière mais de sens tout à fait différents) en modifiant ces signes comme par exemple au verset 87. رُوحٌ و رَوْحٌ

Le mot " رُوحٌ " signifie "esprit" tandis que " رَوْح " signifie "bonté" ou "miséricorde".

وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ

les Nations Unies, ont négligé d'arrêter.

Souvenons-nous tous qu'il ne peut y avoir une paix et un respect entre les nations, les peuples et les diverses religions alors qu'en même temps, les adeptes d'une des grandes religions subissent des massacres par les adeptes d'une autre religion, sous le silence suspect et total de tous, ce qui laisse croire à un appui pour que cette tragédie dure jusqu'à sa fin.

Si les choses vont continuer de la sorte, le slogan de "coexistence entre les religions" perdra sa portée; il serait vain de réclamer l'établissement du principe de la paix entre les peuples et les nations tant que la religion de chaque nation n'est point respectée des autres.

Monsieur le Président

Mes frères membres

Nous espérons beaucoup de bien de cette rencontre pour l'intérêt de la coexistence des différentes religions et pour faire revivre les valeurs religieuses et les règles de conduite face à la tyrannie de la matière, au relâchement des moeurs et de la pensée dont souffre actuellement l'humanité.

Je vous souhaite tout le succès au service de l'humanité entière.

Que la paix soit sur vous de la part de la nation de l'Islam et de la paix.

Texte de l'allocuation du grand Imam Cheikh Gad Al-Haq Aly Gad Al-Haq, Cheikh d'Al-Azhar, prononcée au Congrès du "Parlement des Religions du monde", tenu à Chicago, aux Etats-Unis, à l'Hôtel Palmer. House du 28/8 au 4/9/93.

Cette allocution a été prononcée, par intérim, par le professeur docteur Nagah Mahmoud Al-Ghoneimi, professeur de foi et de Philosophie à l'Université d'Al-Azhar.

Préparé pour la Section Française par le Professeur Docteur Achira Kamel Ahmed.

ont adopté l'Islam, depuis son origine à travers les siècles successifs, et jusqu'à nos jours, on trouve un nombre considérable d'adeptes gardant leur religion et qui s'y trouvaient lors de la conquête islamique. Si le pouvoir islamique à ce moment-là avait pratiqué ce que les adeptes des autres religions font à l'époque actuelle, il n'y aurait plus dans les pays musulmans personne parmi les adeptes des autres religions.

Monsieur le président
Mes frères membres

Malgré l'histoire impeccable des Musulmans, nous voyons que les minorités musulmanes subissent l'affront, l'humilitation et la souffrance. Un grand nombre de chefs d'état non-musulmans pratiquent la purification ethnique et religieuse ainsi que l'élimination physique. Ceci s'est passé et se passe encore partout dans le monde : en Europe, en Afrique, en Asie... Je n'exposerai pas cela en détail, car c'est là l'objet des manuels d'histoire et de civilisation. Je n'aborderai pas non plus les vexations ou agacements que subissent, tous les jours, les Musulmans dans tous les pays non-islamiques et tout particulièrement en Occident. Mais je dois m'arrêtér à ceci :

La tragédie de la Bosnie-Herzégovine et me demander : comment ce drame peut-il se passer au monde au seuil du XXème siècle ?

Au Moyen-Age, on disait que les circonstances du siècle l'exigeaient. Maintenant et avant la chute du communisme, les Croyants imploraient Allah pour qu'Il protège les adeptes de toutes les religions en Europe de l'Est et à l'Union Soviétique et les sauve de la tyrannie de l'athéisme et de la persécution communiste.

Quand le désastre prit fin, nous remerciâmes Allah et louâmes Son mérite; nous nous réjouimes de pouvoir reprendre les exercices de la foi dans les lieux de prière de toutes les religions; mais le confrère dans la foi se tourna contre son frère : il commit contre lui les pires massacres, viola ses femmes, le tua et détruit son ethnie pendant que le monde occidental gardait une attitude suspecte : ni il intervenait pour mettre fin au massacre ni il permettait à d'autres partis d'apporter l'assistance et l'aide. Par contre, il aidait l'agresseur par tous les moyens, empêchait même la victime de se défendre et arrêtait la fourniture d'armes et de renfort.

Cette cause, messieurs, représente l'un des majeurs défis de notre ère; elle est sans nul doute le critère de notre crédibilité dans cette rencontre!

Au nom d'Al-Azhar, premier établissement scientifique islamique au monde, je vous dis que ce silence et ces mouvements suspects qui se passent sur la scène mondiale prétendant mettre fin à la tragédie de la Bosnie-Herzégovine, s'ils ne deviennent un véritable effort positif, il n'y aura en ces lieux aucune véritable paix. Les Musulmans ne seront pas les dernières victimes de ces guerres ethniques, mais les autres religions y succomberont à leur tour successivement, même ceux qui croient qu'ils possèdent la force; ce sera bientôt le tour des adeptes d'une même religion autre que l'Islam.

De là, j'incite le congrès du Parlement des religions du monde à se faire entendre par toute l'humanité, à dénoncer cette agression inhumaine que subit le peuple musulman de la Bosnie.

En outre, le Parlement doit déployer de véritables efforts pour convaincre les états et les gouvernements occidentaux d'intervenir positivement afin de mettre fin à cette agression que tous les pays de l'Occident et les organismes internationaux, y compris

désapprouve la violence et la contrainte dans l'expansion de ses principes. En même temps on exige des Musulmans qu'ils résistent à toute agression qu'ils subissent, pour garder sauf l'Islam. Car le fait de repousser l'agression est un autre moyen de maintenir la paix et de stabiliser les relations humaines. Allah-gloire à Lui-a dit dans la Sourate "La Vache":

"Celui qui commet contre vous une agression, commettez contre lui une agression pareille." le sens du verset 794.

La similitude dans ce cas, signifie respecter les châtiments légaux et repousser de la même manière tout agression subie. Ceci certifie que l'Islam tient à maintenir la paix générale pour elle-même, la riposte à toute agression ne devant pas dépasser la forme d'agression que les Musulmans ont subi, ni s'étendre à leurs concitoyens non-agresseurs; Allah — gloire à Lui — a dit dans la Sourate "La mise à l'épreuve" :

"Allah ne vous défend pas de fréquenter ceux qui ne vous ont jamais combattus à cause de la religion et qui ne vous ont jamais fait sortir de vos maisons. Il ne vous défend pas d'être bons et justes avec eux. Allah aime ceux qui sont justes." le sens du verset 8 Allah — gloire à Lui — dit dans la Sourate "Le Festin" : "O vous qui avez cru ! veillez avec loyauté et désintéressement à l'application de la loi d'Allah et témoignez en toute justice. Que votre aversion pour un peuple ne vous porte pas à ne point être justes. Soyez justes, cela est plus proche de la piété." le sens du verset 8.

Si l'agresseur, après les hostilités avec les Musulmans, propose la paix, l'Islam ordonne à ces derniers de l'accepter, conformément à la parole divine dans la Sourate "Les Dépouilles" :

"S'ils penchent pour la paix, penche pour elle et remets-t'en à Allah. Il est certainement l'Audiant et le Sachant par excellence." le sens du verset 61.

L'Islam est, par conséquent, la religion de la paix; il exige de ceux qui croient en lui de faire la paix générale : dans leur âme, leur communauté et entre celle-ci et les autres communautés. S'ils subissent une offense en voulant maintenir la paix, ils repousseront l'offense de la même manière qu'ils l'ont subie; et quand ils procèdent à cela ils ne doivent pas s'écarter de la modération et de la justice. Si on leur propose de cesser les hostilités et d'arrêter les combats avec leurs adversaires, ils accepteront cette proposition pour l'amour de la paix même. L'Islam est donc la religion de la paix; il repose sur la foi en Allah seul et l'évocation d'Allah qui ramènent la paix à l'âme, aux nations et aux communautés. Ces deux facteurs diminuent la tyrannie du matérialisme qui apparaît sous forme d'égoïsme, d'agression, d'inquiétude et de trouble.

"Allah appelle à la demeure du salut et guide qui Il veut vers une voie rectiligne". Sourate Jonas le sens du le sens du verset 25.

Il m'est possible de passer en revue les valeurs morales et les nombreuses règles de conduite propres à l'Islam dans plusieurs situations mais je me contenterai de ce que je viens de mentionner pour l'économie du temps. J'ajouterai seulement que les Musulmans se sont soumis aux directives de l'Islam et au cours de leur longue histoire, ne commirent aucune oeuvre qui pût les déshonorer : ils ne persécutèrent aucun peuple, ils ne contraignirent personne à se convertir à l'Islam, ils ne procédèrent pas aux opérations de purification ethnique ou de discrimination raciale. Ils n'ont jamais exterminé les adeptes des autres religions. La meilleure preuve en est que dans tous les pays qui

envergure comprendra également divers aspects y compris l'aspect social. C'est que le Coran permet aux Musulmans de manger la nourriture, donnée ou achetée, des gens du Livre. Il leur permet aussi de choisir leurs épouses parmi les femmes de ces dermiers. Allah-gloire à Lui — dit dans la Sourate "Le Festin" :

"Aujourd'hui on vous a permis tout ce qui est bon et pur. Le manger de ceux qui ont reçu le Livre vous est licite et votre manger leur est licite. On vous a permis les femmes chastes parmi les croyantes et les femmes chastes parmi ceux qui ont reçu le Livre avant vous, une fois que vous leur avez apporté leurs dots en en faisant des épouses chastes et non des prostituées ou des maîtresses". le verset 5 ce genre de paix sociale nous mène, tout naturellement, à la cause suivante :

2 — La paix est un principe de l'Islam :

Car la paix est un des principes saillants de l'Islam, s'il n'est en effet, le plus saillant. Elle peut même s'élever pour être synonyme du terme "Islam" lui-même, si l'on envisage l'étymologie de ce mot. L'Islam même prêche tout d'abord la quiétude de l'âme humaine, sa pureté, sa tranquillité par l'affaiblissement des instincts d'une part et la suprématie de la voix de la raison d'autre part.

Le moyen de coordination de ce dualisme composé d'instincts et de raison, le moyen de les mettre en accord loin d'un tiraillement entre les deux pôles est par la foi en l'unité d'Allah en lui même et par Son évocation régulièrement. C'est dans ce sens qu'Allah — gloire à lui — dit dans la Sourate "Le Tonnerre" :

"Ceux qui ont cru et dont les coeurs se rassurent à l'évocation d'Allah. N'est-ce point à l'évocation d'Allah que les coeurs se rassurent." le sens du verset 28.

Si la paix et la quiétude se réalisent dans l'âme et le coeur des individus, une société s'établira où la paix règne entre ses membres. La paix véritable pour toute société est à base de quiétude de l'âme de ses membres, de tranquillité dans leurs coeurs, de leur délivrance de la domination de leurs instincts et de leurs plaisirs sensuels, ainsi que des facteurs de rancune, de haine, de fiel par la foi et l'évocation d'Allah.

Si l'Islam réclame des croyants la paix dans leurs relations mutuelles, comme précédemment mentionné, il s'adresse de même à eux dans leurs relations avec les autres nations, leurs demandant d'assurer la paix la stabilité et la non-agression. C'est dans ce sens qu'Allah-gloire à Lui — dit dans la Sourate de "La Vache" :

"O vous qui avez cru ! Entrez pleinement dans la paix (de l'Islam) et ne suivez point les pas de satan, il est assurément pour vous un ennemi déclaré." le sens du verset 208.

Il entend par là : Faites un effort positif pour assurer la paix générale afin d'éviter toute agression contre les hommes.

L'Islam ne se contente pas d'approuver le principe de la non-agression, mais il s'efforce en même temps de le sauvegarder et le maintenir, que ce soit entre les membres de la communauté islamique ou bien entre eux, d'une part, et les autres peuples d'autre part. Ceci en ne les contraignant pas, en ne les forçant pas à adhérer aux préceptes de l'Islam. Allah-gloire à Lui dit dans la Sourate de "La Vache :"

"Pas de contrainte en religion." le sens du verset 256 ce qui veut dire que l'Islam

Cette vue conciliante de l'Islam vis à vis des relations avec les religions et les autres peuples apparaît plus évidente si nous considérons sa vue à l'égard des gens du livre, non musulmans qui croient au message de Dieu et à la révélation, même si leur croyance diffère de celle des Musulmans.

Quant aux juifs, le Saint Coran détermine cette vue par les paroles d'Allah — gloire à Lui — dans la Sourate "Le Festin" : "Nous avons descendu la Torah contenant une bonne direction et une lumière. C'est sur la base que rendent la justice à ceux qui ont suivi Moïse les prophètes qui se sont soumis à Allah ainsi que les gens au comportement divin et les docteurs (de la foi) vu la sauvegarde du livre d'Allah qu'on leur a confiée et vu la surveillance qu'ils exerçaient sur son application. Ne craignez pas les gens et craignez — Moi et ne troquez point Mes versets contre un prix dérisoire. Celui qui ne juge pas d'après ce qu'Allah a fait descendre, ceux-là sont les Mécréants." le sens du verset 44.

Quant au christianisme, Allah-gloire à Lui-dit dans la Sourate "Le Festin" :

"Nous avons enchaîné sur leurs traces par l'envoi de Jésus fils de Marie confirmant la Torah venue avant lui. Nous lui avons apporté l'Evangile contenant une bonne direction et une école de morale pour les gens pieux. Que les adeptes de l'Evangile jugent d'après ce qu'Allah y a fait descendre "et celui qui ne juge pas d'après ce qu'Allah a fait descendre, ceux-là sont les Dévergondés." le sens des versets 46-47.

La Torah fut révélée comme une bonne direction et une lumière; l'Evangile fut révélé comme une bonne direction et une lumière.

Quant à l'Islam et au Coran, Allah-gloire à Lui-dit dans la Sourate "Le Festin" :

"Nous t'avons fait descendre le Livre en toute vérité confirmant ce qui l'a précédé du livre et le dominant. Juge entre eux d'après ce qu'Allah a fait descendre et ne suis pas leurs passions en t'écartant de ce qui t'est venu comme vérité." le sens du verset 48.

Le Coran a jugé entre les livres qui l'ont précédé, ceci est un lien commun à tous.

Quant à l'attitude de l'Islam vis à vis des messagers et des prophètes de toutes les religions, le Saint Coran démontre dans la Sourate "La Vache".

"Le Messager d'Allah a cru à ce qui lui a été descendu de la part de son Seigneur, ainsi que les Croyants. Tous ont cru en Allah, à Ses Anges, à Ses livres et à Ses Messagers. Nous ne faisons aucune différence entre aucun de Ses Messagers." le sens du verset 285.

Dans un hadith du Messager d'Allah Mohammad paix soit sur lui s'adressant aux Musulmans : "Ne donnez la préférence à aucun des prophètes." (1)

Par conséquent, les Musulmans considèrent les autres adeptes du Judaïsme et du christianisme comme leurs associés dans la foi en Allah, et dans la pratique de la révélation divine dont les origines ne diffèrent en rien de celle d'Ibrahim (salut sur lui).

Cette base commune de foi rend possible l'échange de contacts et d'intérêts, permettant une plus grande communication entre les Musulmans et ces peuples, allant même jusqu'à combattre ensemble tout ce qui menace le message divin en général; cette

---

1 — Hadith rapporté par l'Imam Ahmad et Al Bayhaqy d'après Abou Sa'id.

— Au cours de cette réunion, on examinera les moyens qui aident à poursuivre la coopération entre les religions en vue de la paix et pour alléger la souffrance des damnés et sauvegarder la planète.

**Monsieur le président.**

**Messieurs les membres.**

J'ai le plaisir de vous annoncer que l'Islam est compatible avec ces objectifs espérés des rencontres de ce Parlement international des religions. Il est inconcevable que je m'attarde à démontrer les origines de ce objectifs réunis dans l'Islam. De là, pour épargner le temps je me contenterai de deux causes qui, à mon avis, conviennent parfaitement aux objectifs du Congrès et qui sont, en même temps, parmi les causes de l'époque actuelle.

La 1ère cause :

C'est la relation de l'Islam avec les religions et les autres peuples.

L'Islam est soucieux de fonder ses relations avec les religions et les autres peuples sur la paix générale, l'affection et la coopération; car l'homme selon l'Islam est une créature digne, honorée par Allah — gloire à Lui — et préféré à beaucoun de Ses créatures, comme le montre la parole divine dans la Sourate "Le Voyage Nocturne" le sens du verset 70 :

"Nous avons honoré les fils d'Adam. Nous les avons transportés par terre et par mer. Nous leur avons octroyé leur part de bonnes choses et les avons préférés à plusieurs de Nos créatures."

L'honneur divin réservé à l'homme et sa préference constituent un lien élevé qui rattache les Musulmans aux autres hommes. Dès qu'ils entendront la parole d'Allah-gloire à Lui — dans la Sourate "Les Chambres" :

"O Humains, Nous vous avons créés à partir d'un mâle et d'une femelle et Nous avons fait de vous des peuples et des tribus afin que vous vous connaissiez entre vous. Le plus noble d'entre vous pour Allah est le plus pieux. Allah est parfaitement sachant et bien informé." le sens du verset 13. Ils devront établir des relations d'affection et d'amitié avec les adeptes des autres religions ainsi que les peuples non musulmans, conformément à la fraternité entre les humains.

C'est là le sens de "se connaître" tel qu'il apparaît dans le verset; car la diversité de ces peuples n'est pas sujet de dispute et de rupture mais elle est un facteur qui permet la connaissance d'autrui, l'affection et l'amitie, en rivalisant pour faire le bien et pour être au service de l'intérêt général.

Quant à la divergence existant entre ces religions et ces peuples, elle relève de la volonté d'Allah; car si Allah avait voulu unir Ses créatures, Il y aurait parvenu aisément.

Allah-gloire à Lui — dit dans la sourate "Le Festin" : "Achacun de vous Nous avons établi une législation et une voie bien claire. Si Allah avait voulu, il aurait fait de vous une nation unique, mais Il veut vous éprouver dans ce qu'Il vous a apporté. Courez à qui mieux mieux après les bonnes choses ! c'est vers Allah qu'est votre retour à tous. Il vous informera alors de ce qui etait l'objet de votre désaccord. le sens du verset 48.

## Son Excellence Docteur Daivd Ramage Président du Parlement des Religions du monde Vénérable Audience

La Paix soit sur vous et la Bénédiction d'Allah

C'est avec plaisir que j'ai reçu l'invitation adressée à Al-Azhar par le comité organisateur du congrès, à travers le ministère égyptien des Affaires étrangère le 12 Juin 1993. Des obligations et des engagements antérieurs à cette invitation ont empêché Cheikh Al-Azhar de participer en personne avec les membres vénérables, à l'étude des diverses activités de cette rencontre.

Le Révérend Grand Imam Cheikh d'Al-Azhar a confié au professeur docteur Nagah Mahmoud Al-Ghoneimi-professeur de foi et de Philosophie aux Universités d'Al-Azhar et du Sultan Qabous, au Sultanat d'Oman le soin de participer aux travaux de cette rencontre et de prononcer ce discours au nom d'Al-Azhar.

C'est avec cet honneur que je transmets à cette assemblée vénérable les compliments du Grand Imam le Cheikh Gad Al-Haq Aly Gad Al-Haq, Cheikh d'Al-Azhar ainsi que son appréciation de la mission de cette rencontre et de l'objectif humain qu'elle poursuit.

Voici de texte du message :

Monsieur le président du Congrès

J'ai lu avec grand soin les sujets inscrits dans les papiers de ce Congrès joints à l'invitation, j'éprouvai un vif plaisir en constatant les objectifs de ce Congrès international.

— encourager l'esprit d'entente; célébrer la riche variété des religions du monde avec conciliation et respect mutuel.

— Réformer et renouveler le rôle joué par les religions du monde quant au développement moral personnel et aux défis auxquels fait face la société internationale.

Ajouter à ce que renferme le paragraphe du journal" Al-Haqâeq" à savoir :

— Le sujet principal de cette rencontre sera la rôle de la vie religieuse et spirituelle dans le domaine des grandes causes de notre ère : la violence, la pauvreté, le faim, le racisme et l'environnement. Avec l'explication de ce même paragraphe dans la lettre d'invitation au paragraphe 5.

— La rencontre de 1993 sera plus qu'une simple cérémonie du centenaire, car la présence des représentants des fois religieuses du monde, dans la ville de Chicago, permettra d'assurer à ces personnalités un vaste domaine pour examiner les grandes causes qui font face à la société au seuil du XXI siècle, dont les plus importantes sont :

— Les menaces à l'environnement, la co-existence entre l'extrême richesse, l'extrême pauvreté et le racisme, de même entre la persécution et l'appel à la justice, la relation entre l'homme et la femme, la paix mondiale.

— Au paragraphe 8 du discours de l'invitation, on fait allusion à la réunion des chefs religieux et spirituels qui aura lieu les 3 derniers jours de la rencontre.

# REVUE AL-AZHAR

Gumada Al Akhira
1414
Volume 66 — Partie VI

## Section Française

of man. "Women are the twin halves of men," declared the prophet, and "Paradise lies underneath the feet of your mothers."

The Quran reminds us that Allah created all things in pairs, each one having its particular function, suited to its own peculiarities in physique and physiology. In the economic sphere, women can earn money and possess property just as men do.

The mutual relation of husband and wife is described in the Quran as that of a single soul in two bodies. Women can be a scholar or a source of knowledge just as men can. There are many examples of women scholars in the history of Islam and the biggest source of knowledge in the life of the prophet is Aisha. According to Bukhari (56:62:63, 65), when the circumstances require it, women can even take part in actual fighting during the war.

Prayer is our first daily work and our last. With the other prayers we cut our working and recreation hours into pieces in order to purify ourselves continuously and feel His presence under all circumstances. The prayer reinforces His presence in our hearts.

Islam is the only way to bring peace to the single human and to the world as a total. It unites all religious truths and corrects their errors, it meets all the moral and spiritual requirements of humanity. There is no compulsion in religion, that is a basic Islamic idea. We surrender ourselves not to an enemy, out of fear or an outside compulsion. We surrender ourselves out of love to our Creator, an inside submission to His will.

He found in the Quran that all prophets brought the same message but that their followers changed the books, just as he found out through science.

The Quran is a thrustworthy source. Even among orientalist there is little doubt about its origin and preservation. It is famous for its unequalled linguistic beauty. And if it deals with scientific facts its assertions are completely in agreement with the latest scientific developments (recent linguistic books make this very clear). No human could ever create such a book out of his own fantasy.

The Quran is the "planet users guide" written by the One who created it and therefore knows the best way to use it. He also gave an example how to practise the Quran in daily life through the one whom He instructed with this "users guide", the mesenger Muhammad.

God leads us if we only look and listen to His signs. I found this to be true in my own life. All meaningless looking suffering and searching became meaningfull in the end. Now he has experienced human life and suffering from many sides. And finally he was led to Islam, as if he was prepared for it.

Islam teaches life as a coherent totality, just like science shows that everything is connected with everything. Islam means how to pray, how to work, how to behave, how to dress etc, nothing is excluded and everything explained with reasons. It deals with economics, politics, law and order, with the total material, social, psychological and spiritual welfare.

From the psychological point of view, if it is applied well and not stressed one sided, it keeps the balance in man. It doesn't surpress "Child" in man nor does it ignore "Parent" in man and it stresses the importance of continuous searching for knowledge. It considers it as a duty to fill our "data processor" with information. It doesn't forbid technology, sports, films music and nice things, but it stresses that its being allowed or forbidden depends on the way we use or do things, on our motives and its outcome.

While western life replaces human social intimacy by poorer substitute excitement, Islam places social relations and human psychological intimacy as the first priority again. Moreover, clothes are not used to make us look like delicious pieces of meat but are there to stress the importance of the delicious human personality.

He also found in Islam the spirituality he was looking for. Not a spirituality outside life, but in the middle of daily life. In fact, Islam makes the whole life spiritual and it stimulates him to remember Allah walking, sitting, standing etc. and to do everything as He asks him to do.

One of the most important aims of Islam is, the purification of the soul and the reconstruction of the society on the principles of th Quran and the life of the prophet. In Islam there is a balance between the individual and the society. Everyone is personally responsible and accountable to Allah. "Allah does not change the condition of any people unless they first change what is in their hearts" (Sura XIII : 12). The prophet also said : "All creatures of Allah form the family of Allah, and he is the best loved of Allah who loved best His creatures." From the material as well as from the spiritual point of view Islam recognizes the position of woman to be the same as that

At the same time a new moral is presented. Man should be free to do what he wants, to live as he prefers to do. This uncontrolled freedom opens the way for being the slave of one's desires, the big "C".

Thus; in the west it goes so far that the more welathy people use surgery to "lift" their faces and other body parts and lift weights. In this way they temper with what God has created even that the use of paint, called make-up, is also made available for men.

So, first they manipulate the Child in man, after this they try to convince the Parent in man with twisted reasoning in logical language with which they fill the "data processor" in the human brains. Other opinions are attacked with the same logic.

By this total system, the balance in the human personality is completely disturbed. This is the reason why many people are unhappy, depressed and negative. Thus they all are searching for continuous new excitement because nothing can make them happy for long (the latest fashion, the newest records, films kinds of food, the most exciting holydays and fun fairs, the latest rage etc.). An illness like "Aids" recently called the greatest threat to mankind, proves the destructiveness of disobeying the laws of nature by moral decay. But one is not allowed to mention this otherwise one is accused of discrimination.

The personalities in disorder natural create a society in disorder. There is no individual balance and harmony and also no social balance. "This is the bankruptcy of western life, the idea that a consciousness is created out of nothing, based on the ever changing human ideas.

## ISLAM, MY LAST STEP.

A very bad picture is presented about Islam in the media and in many books. Getting good information is difficult. He came in contact with Islam through the western Sufi Movement. This movement proclaims the Islamic idea about the unity of religious ideals and uses Islamic mysticism. It concludes that differences in religion doesn't matter since in reality there is only one ideal presented in different forms. Thiker evenings are held and religious services in which exerts from the books of the worlds religions are read. This universal ideal attracted him for a long time. But cutting out the differences between the religions and the religious laws ("they only belonged to a certain period and place"), made it appear to float in the air. After many years he left the movement, but the period was very important for him. He met some very special people and it brought him in contact with the heart of Islam, the Thikr or remembering of Allah.

His interest in Islam became stronger through contacts as a teacher of the English language with Turkish people. He searched for good information about Islam and found it at the Dutch Islamic Information Centre. Stpe by step many prejudices disappeared.

What struck him was the belief in One total, unimaginable and all powerful God, without bounderies. Everything created by a power and intelligence far beyond the realm of the senses and the law of cause and effect. How stupid the idea that paintings have painters, buildings builders but the genius planet came as a coincidence.

# THE STORY OF HOW AN AMERICAN MUSLIM REVERTED TO ISLAM (BASED ON THE STORY HE NARRATED)

*By : Iman El Zeiny*

Before finally speaking in this part, about how he found Islam, it seems necessary to summerize the way western life was going.

Family life is not very strong. Most of the time there is no mutual bond of care and respect. Many parents don't live according to a moral ideology and don't supply their children with a coherent view and way of life. They have no answers to the questions of life. They only provide everything in the material sphere. After a certain age parents are put away in an old age peoples home. In this way they don't cost you money, don't cause trouble and you only have to visit them once in a while (sometimes not at all). The majority of the population has no planned path in life, consider religion as out dated and don't know their reason for living. Depression, suicide and negative attitude are well known facts. A minority try to search for anothere way of life.

We know that every human builds his consiousness out of what parents, teachers, older people and the media show them. This is called in the communication theory the Parent with a capital P. Everyone has the big P in his personality. You can imagine that most children build a very weak "P" or moral consciousness and caring attitude.

Every human has the "Child" with a capital C in his personality. The part in him/her that hate's restrictions, like's to do what he/her wants immediately, like's excitement, can be full of joy, is creative and intutive. So it can be an inner source for creativity, joyfull living. But with a very weak moral consiousness and directing power ("P"), the bad side of the "C" will be stimulated. And than it turns out to be an egoistic, violent power, only interested in fast here and now exitement.

That is exactly what the temporary western culture is stimulating with its films, music, clothing, materialism, advertising and compulsion to buy etc. Search for excitement, do and take what you want now, let nothing cause you any trouble and don't care about anything else. Easily the soft pleasant poison flows silently into the hearts.

If you let a child choose between sweets and good healthy food, he/her will choose the sweets. After a while it will refuse all food and only eat sweets, destoying its health very quickly. That is exactly what happens with followers of the western culture.

The money makers don't argue with you about opinions, morals or consequences. They use "sweets" to poison you. They produce clothes which let men and women think they look atractive to other people, or which let them look "very special" and interesting. They even wear sun glasses to be interesting (many times on top of their head).

Constinuously directing their messages to the excitement of loving "C" in each of them.

cal chapters." Hence Dawood has rearranged the Suras of the Quran not according to the chronological order adopted by some of his predecessors but in a manner according to his own personal view point. To find a particular surah in his translation one must refer to a table of content which includes the original arrangement along side his own. Dawood's rearrangement of the Suras is one of the reasons why it is considered by Muslims as deliberately distortive of the Quran.

One of the recent translations of the Quran that is sufficiently note worthy to be mentioned if, for no other reason, than that its author was a Jewish convert to Islam is that rendered by Mohammad Asad in 1980 entitled, The Message of the Quran. Asad claims his translation to be a first attempt at a really idiomatic, explanatory rendition of the Quranic message into a European language. Therefore, he deemed it necessary to add to his translation a considerable number of explanatory notes in order to express the "many facets" of the Quranic message. He claims that none of the translations rendered by his precedessors, whether Muslim / or non-Muslims, has so far brought the Quran nearer to the hearts or minds of the people raised in different religious and psychological climate, and that their translations have remained but "distant and faulty echoes" of the Quran's meaning and spirit. "These translations", Asad (1980:ii) states, "have not been able to reveal something, however, little, of its real depth and wisdom." Unless the translator is able to reproduce within himself the conceptual symbolism of the language in question) Asad maintains, his translation will only convey the outsehll of the literary matter and will miss the inner meaning of the original. Asad's translation is again one of the best recent translations of the Quran. Similar to Y. Ali, the abundant foot notes and appendices, Asad added to his work made it easier for the target language reader to understand the meaning of the original text.

One of the more recent translations, if not the latest, is that rendered by an Egypttian Muslim, Dr. M.M. Khatib, which was published in 1986 and entitled The Bounteous Koran. Khatib's version is authorized by the General Department for Research Writing and Translation, Islamic Research Council, Al-Azhar, in 1984. The receiving committee in it's report, which Khatib prints a translation of it at the beginning of his work, describes the translation to be "very accurate in its construction, perfect in its idioms, precise in its expression of the original meaning, not incongruous, free of all odd or equivocal views the style is easy and impregnable" (Khatib 1986). The Committee regards his translation to be viable for publication, and quite nearer to the acceptance of the majority of Muslims in the different continent; "a unique translation which is neither an imitation nor a repetition of the previous translations (Khatib 1986).

Khatib states in his Introduction that his translation of the Quran is only a translation of the meaning of the text and could not really reflect its real spirit or grandeur. Khatib states that the translation renders one particular meaning, while "ostentive" and "figurative" words found in the original Quranic text "are meant to be left to the imagination of man throughout the ages" (1986 : vi). As Dr. Khatib is a Muslim Arab vested in English, it is supposed that he has possessed the minimum requirements for a translator of the Quran.

This was a brief account of each of the different translators of the Quran. Previously presented was a review of the most notable English translation of the Quran (complete works), most of which are available and widely circulated.

*To be continued*

# A COMPARATIVE STUDY OF THE ENGLISH TRANSLATIONS OF THE MEANING OF SURAH MARYAM PART IB

*By Mona Abdel Gaffar Salem*

Another twentieth century version is Richard Bell's, The Quran Translated, with a critical re-arrangement of the Suras. His so-called reconstruction extend as far as individual verses and even part of the verse. "The translation," states Bell (1937 : vii) "goes frankly on the assumption that the Quran was in written form when the redactors started their work, whether actually written by Mohammad himself as I personally believe, or by others at his dictation." Advancing well beyond the position taken up by Rodwell in the previous century, Bell quite literarlly took the Quran to pieces and put it together again. As he set up his translation in a kind of tabular form to indicate his views of how the discourse originally ran, it is virtually unreadable and quite erroneous. The awkward manner in which he printed his translation besides, being one of the reasons why Bell's translation is not so popular, is confusing to the reader who needs to have detailed knowledge of the text in order to benefit from Bell's work.

In 1953, Arthar John Arberry rendered his translation of selected passages from the Quran entitled, The Holy Quran : An Introduction with Selections. Two years later he presented his complete translation of the Quran entitled, The Quran Interpreted. Arberry is a well-known English Orientalist, and his translation, similar to Y. Ali's, is free of any anti-Islamic prejudice or distortion. Arberry, though not a Muslim, "I am no Muslim, nor could ever be" (1953 : 31), clearly acknowledges in the Introduction that the Quran is a divine revelation," so characteristic, so powerful, so highly emotive, that any version whatsoever is bound in the nature of things to be but a poor copy of the glittering splendour of the original" (1955:24). Arberry (1953:11) states his purpose "to make the study and understanding of the Quran easier for the general English reader ..." He aims to reproduce something which might be accepted as echoing however faintly, the sublime rhetoric of the Arabic Quran. Arberry, on the other hand, prefers to label his version as an interpretation, conceding the orthodox claim that the Quran is virtually untranslatable, and prays that this interpretation, "poor echo though it is of the glorious original may instruct, please and in some degree inspire those who read it" (1955:25).

In 1956, N.J. Dawood published his translation entitled The Koran : A New Translation, in the Penguin classics, and was reprinted many times since. Dawood is a non-Muslim Iraqi scholar who, contrary to Arberry, states that he would avoid turning the text into an interpretation rather than a translation, and has even "taken pains to reproduce ambiguities as they are and wherever they occur, providing at the same time as many explanatory notes as needed" (1956 : ii).

Dawood (1956 : ii) aims "to present the modern reader with an intelligible version of the Koran in contemporary English." In his translation, Dawood abandoned the traditional arrangement of the Suras, and rather begins with what he calls the "more biblical and poetical revelations," and ends with "the much longer and often more topi-

Azhar except for Islam and we are not fanatic to a certain sect against another, and we always feel that we all have one nation and one country it is the whole Land of all Muslims. So we are asked to call for Islam far from any fanatic way, and we should live peacefully with others because peace is a main rule in Islam that :"

So the human relation has the priority in the field of treating others, and we have to learn how to talk and make dialogue with others.

I advise you to pay attention for whatever you learn. Al Azhar, by helding such Seminars, wishes to reconcile among the different views of the scholars, and you should do your best to spread the moderate views of Al Azhar among your citizins and countries without any exaggeration. And since we have one Quibla and there is one religion unites us, so we have to do our best to embody our unity in front of Allah.

I pray to Almighty Allah to bless you all and to have a good stay in Egypt and at Al Azhar.

# The Speech of His Emenince Grand Sheikh of Al Azhar in the inauguration of the Twenty Third Seminar for trainning Imams and preachers from 1-11-1993 : 31-1-1994

Translated by : Ahmad Abdel Khalek

In the Name of Allah, most Gracious, most merciful, peace and blessings of Allah be upon his prophet,

Your Excellencies Ambassadors,

Dear scholars dears Brothers,

Peace and Blessings of Allah be upon you,

We inaugurate this seminar with great pleasure of your attending to be trainned hoping to get use of every branch of knowledge for the cause of Islamic Da'awa and you should prove a good example with your teachers and to discuss the different scientific views with them. You should learn that the main principal for the Muslim scholars and preachers is the ward of Allah : "Who is better in speech than one who calls to Allah, works righteousress and says "I am of those who bow in Islam"?" Sura 41 verse 33.

And this is the plan of Al Azhar that the scholars should always be attached to the kind and polite rules of Islamic Da'awa as it is mentioned in the Holy Quran "Speak fair to people" Sura 2 verse 83.

We should also face any false sayings, against Islam, so kindly and to correct those sayings through the way of science and authentic knowledge. And because of the important role of science and knowledge in Islam so it is a main job of the Muslim to search them since the first revealed verses of the Quran say : "Read in the name of thy Lord who created-created man out of a (mere) clot of congealed blood — Read and Thy Lord is most Bountiful-He Who taught (the use of) the Pen — Taught man that which he knew not. Sura 96 verses from 1-5

You have to arrange your time and to pay attention for your lesson during the lictures and to get benifit from the Seminars and Libraries and to discuss whatever you read or listen with your teachers, because Al Azhar is the place in which you can reach every useful and new thing in Islam and Islamic Da'awa.

You should also increase your knowledge about Arabic Language to prepare yourselves to get up with the main rules and branches of Islamic knowledge through the texts of the Holy Quran and the tradition of the prophet, peace and blessings of Allah be upon him. I hope that you will find and be Sure that there is no fanaticism at Al

In the Middle Ages, it is said, "It is due to the circumstances of the age."

Now, before the collapse of communism, people of faith were praying to God to have care and mercy for followers of all the religions, and to protect them from the assault of atheism and communistic persecution, in Eastern Europe and the Soviet Union when the affliction was over, we praised God and thanked His Good Deeds. We expected good out of the restoration of faith and of worship for all religious, but brothers in faith turned against their brothers : cutting them into pieces, raping their women, eliminating them corporally, and purifying them ethnically. This happened while the western world stood still in a suspicious way.

It would neither interfere to stop the massacre nor would permit other parties from outside Europe to help and assist. On the contrary, the west would help the aggressor with all means and ways, preventing the victim even from the right of self-defence, stopping supplies of equipment and arms.

Respected Members of this Parliament, this issue represents one of the big challenges of our contemporary age. It is, no doubt, the measure of our truthfulness in such gathering as we have now !!!

In the name of noble Azhar, the first Islamic Academy in the whole world, I declare here : This suspicious silence, these suspected movements on the international field, pretending to stop the tragedy of Bosnia and Herzegovina. Unless positive efforts are really made, there can be no real peace of any kind. Nor will Muslims be the last victims of these ethnic wars, for sure; other religions will follow in their footsteps, even for those who think themselves possessors of power and authority. Even more, the followers of same religion other than Islam would come to the arena.

For all this, I appeal to the Parliament of World religions to let its voice be heard to all humanity, denouncing this inhuman aggression against the Muslim people of Bosnia and Herzegovina. It should also spare no effort to convince the western states and governments to take a positive stand and stop this aggression which, regrettably all the western countries and all international institutions, including the United Nations, failed to stop.

We should all remember : there can be no peace and mutual respect among nations, peoples and different religions, while the followers of one of the major religions are slain by followers of another religion, under the shadow of a wholesale suspicious silence, which insinuates support in order to allow the tragedy to go on to its end.

So, if things are permitted to go on like this, there would be no real significance of the motto of "Co-existence of Religion." The calling to lay the foundations of peaceful principles among peoples and nations would be useless, unless each nation's religion is respected by other nations and peoples.

Mr. Chairman, Brothers Members :

We are expecting much good out of this gathering, for the benefit of the co-existence of different religions, and the reviving of moral and religious values in opposition to the deluge of materialism, moral and thought disintegration that humanity undergoes. Now I wish you all success in the service of all humanity.

Peace Be Upon You from the Nation of Islam and Peace

أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ

"O Ye who believe ! Stand out firmly for God, as witnesses to fair dealing, and let not the hatred of others to you make you swerve to wrong and depart from justice. Be just : that is the next to piety : and fear God, for God is well-acquainted with all that ye do." S. V. 8.

If the transgressor, after the start of battle with Muslims, demanded peace, Islam orders Muslims to accept this demand of peace. The Quran is more specific when it reads :

وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

But if the enemy inclines towards peace do thou (also) incline towards peace and trust in God : for He is the One that Heareth and Knowth (all things)." S. VIII, 61.

Thus, Islam is the religion of peace : it demands Muslims to keep general peace : in themselves, in their societies, and between their society and other societies. If they undergo transgression through keeping peace, they are requested to defend themselves in a manner similar to the transgression in quality and quantity.

On facing transgression they are requested to be moderate and just. Then if the enemy asked for a cease fire to hostilities, they are ordered to accept this offer out of love of peace itself.

وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ

Thus, Islam is the religion of peace, because it is based on faith in one God, and remembering Him, both of which restore peace to souls peoples and communities, as well as mitigating the tyranny of materialism incorporated in egotism, aggression, anxiety and upset. The Quran reads :

"But God Doth Call to the home of peace : He Doth Guide Whom He Pleaseth. To a way that is straight." S. X. 25.

Ladies and Gentlemen,

It is possible for me to go on speaking about numerous Islamic moral and behavioural values on different issues. But for the sake of brevity and convenience I will be content with what I have discussed. I have only to add that Muslims are committed to Islam's directions and guidance, through their long history, up to now, they have done nothing scandalous : they never persecuted any other people, nor forced anyone to believe in Islam. They never committed ethnic purification nor racial discrimination. They never eradicated followers of any of the other religions; which is evidenced by the fact that all countries governed by Islam still have their non-Muslim citizens in great numbers. If Muslims had had the same practices of the followers of other religions in contemporary life, now, there would have been none of them in Muslim countries.

Mr. Chairman, Brothers Members,

Notwithstanding this unsullied history of Muslims, yet Muslim minorities are still subject to humility, degradation and severe torture. They are still victims of ethnic and religious purification and corporal elimination by many of non-Muslim rulers. This is seen on a large scale all over the world : Europe, Africa, Asia etc. I need not mention details, because they are available in books of history and civilization. Nor would I mention any details of the daily harassments Muslims are met with abroad, all over the world, specially in the west.

But I have to stop at the tragedy of Bosnia and Herzegovina inquiring : How could such a thing happen in the world on the threshold of the 21st century?

Thus when peace and purity are worked out in the souls and hearts of individuals, the outcome is a society where peace dominates the relations of its individuals. So, for any society, a real peace is based on the peace, purity and tranquillity of its individuals' souls, as well as their freedom from the domination of their instincts, lusts, and elements of hatred, grudge and rancour — through faith (belief) and remembrance of God.

When Islam takes the direction of believers, demanding them to have peace in their relations one with another, as previously mentioned, it also takes interest in their relations with other nations, demanding them peace, settlement and non-aggression.

The Quran reads :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ

"O Ye who believe ! Enter into peace wholeheartedly; and follow not the footsteps of he evil one: for he is to you an avowed enemy." S. II. 208.

Which means, participate positively in the common peace in order that no aggression against people will take place.

Islam does not stop at confirming the non-aggression principle, rather it acts towards its maintenance and continuity, no matter was this among individuals of the islamic nation, or among them, on the one part, and other peoples, on the other part. This is worked out through non-compulsion of people and non-forcing them to believe its proper creed. The Quran reads :

﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾

"Let there be no compulsion in religion." S. II. 256.

Which mans : Islam does not tolerate compulsion and force to propagate its creed. Notwithstanding, Muslims, in the meantime, are requested to resist aggression wherever it occurs. Doing this, they are maintaining peace, because defending oneself against aggression is another means to keep peace and stabilize human relations, the Quran reads :

فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ

"Then if anyone transgresses against you, transgress ye in like manner against him." S. II. 194.

The "in like manner" means to stop at the limits, in the same way the transgression happened and with no additions in attacking back. This emphasizes Islam's care for general peace for itself.

Thus the Muslims' defence would not transgress the limits of the enemy's attack, nor would they transgress the violators to other persons out of the same nationalities. The Quran reads :

لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ

"God forbids you not, with regard to those who fight you not on account of religion, nor drive you out of your homes, from dealing kindly and justly with them : for God loveth those who are just." S. LX. 8.

Not only this, but Muslims are also ordered to be just and deal justly with their enemies. The Quran, on another occasion, reads :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ

آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَٰئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ

"The Apostle believeth in that which hath been revealed unto him from his Lord and so do the believers. Each one believeth in God, His angels, His scriptures and His apostles — we make no distinction between any of His apostles..." S. II. 285.

In a saying by the Apostle (S.A.W.) wherein he guides Muslims, it reads :

« لا تُخيِّروا بين الأنبياء »

"... Do not make preference among prophets...[1] which means : do not make comparisons... Thus the Muslim's view of non-Muslims, whether followers of Judaism or Christianity, is one of a partnership in the belief in God and the working out of the Diving Message, whose general origins do not differ from the Message of Abraham, (Peace Be Upon Him). This common foundation of belief would allow exchanges of relations, services and dealings between Muslims and other peoples on a large scale to include participating in defending the common Divine Message against any aggressive threat, as to include, as well, many other sides, the most important of which is the social side : the Quran permits Muslims, of their own accord, to eat the food of the people of the scripture, either through a gift or purchase. The Quran also permits Muslims to marry their women. It reads :

الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَٰتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَٰتُ مِنَ الْمُؤْمِنَٰتِ وَالْمُحْصَنَٰتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ

"This day are all good and pure things made lawful for you. The food of those who have received the scripture is lawful for you, and your food is lawful for them. And so are the virtuous women of the believers and the virtuous women of those who received the scripture, revealed before your time (lawful for you) when ye give them their marriage due dowers, and live with them in honour, not in fornication, nor taking them as secret concubines...". S. V. 5.

Naturally, this kind of social peace would lead us to the next issue, which is

**2. Peace As An Islamic Principle :**

Peace is one of the most prominent Islamic principles, if not the most prominent of all. Rather, peace can be sublimated to the level of being synonymous with the word Islam itself, (at least as far as the linguistic root is concerned).

To put this into effect, the call of Islam itself takes, first, the direction of peace, purity and tranquillity of the human souls. Through the weakening of the lusts of the basic instincts on the one hand, and elevating the voice of mind on the other hand.

The means of coordinating this duality of instincts and mind, and to make full harmony between their two extremes, is : having faith in God's oneness in Himself, as well as remembering Him permanently.

The Quran reads :

الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ

"(Those who believed and whose hearts find tranquillity in the remembrance of God. Verily it is in the remembrance of God that hearts find tranquillity)." S. XIII. 28.

another in goods works. Unto God ye will all return, and He will then inform you of that in which ye dispute." S. V., 48.

This tolerant view of Islam in its relations with other religions and peoples is clearer upon contemplating Islam's view to non-Mulsims from among the peoples of the book (Jews and Christians) which are believers of the message of Heaven and Revelation, notwithstanding the difference in their faith from that of Muslims. As for the Jews, the Quran specifies this view through the following words :

إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ
وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ
وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ

"It was we who revealed the Torah, wherein is guidance and light, by which the Prophets who resigned (to God) judged the Jews, and the rabbis and the Doctors of Law (judged) by such of God's scripture as they were bidden to observe, and there unto were they witnesses. Therefore fear not mankind, but fear Me. And barter not My revelations for a little gain. Who so judgeth not by that which God hath revealed : such are disbelievers." S. V. 44.

As for Christianity, the Quran stipulates the following :

وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ
يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ
اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ

"And in their footsteps we sent Jesus, Son of Mary, confirming that which was revealed before him in the Torah, and we bestowed on him the Gospel wherein is guidance and a light, confirming that which was revealed before it in the Torah, a guidance and an admonition to those who fear God. Let the people of the Gospel judge by that which God hath revealed therein. Who so judgeth not by that which God hath revealed, such are evilsvers."S.V. 46-47.

So, the Torah was revealed as guidance and light as was the Gospel revealed as well as guidance and light.

As for Islam, the Quran specifies the following :

وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ
اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ

"And unto thee have we revealed the scripture with the truth, confirming whatever scripture was before it, and a watcher over it. So judge between them by that which God hath revealed, and follow not their desires away from the truth which hath come unto thee...". S. V. 48.

Thus, the Quran is an arbiter for the previous scriptures, which, in itself, forms a common bond among them all.

As for Islam's attitude towards messengers and prophets of all religions, the Quran reveals the following :

"...this meeting will consider ways to continue inter-religious cooperation for peace, the relief of suffering, and the preservation of the planet."

Chairman, Respected Members,

It is my pleasure to tell you that Islam is in full harmony with those expected goals and fruits of the meetings of this Parliament of the world's religions.

It is practically impossible to talk about all these goals and issues, tracing their sources in Islam. Thus, bearing in mind the constraints of time, I am obliged to limit myself to two issues with which the conference's goals are reconciled, and which as well represent two major contemporary issues.

1. The First Issue : The relation between Islam and other religions and peoples : Islam cares much that the basis of its relations with other religions and other peoples should be one of general peace, love and cooperation.

Man, generally, in Islam's point of view, is a dear creature, being mobilized and preferred to many of God's creatures. To this, the Quranic verse reads :

وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا

"We have honoured the sons of Adam; provided them with transport on land and sea; given them for sustenance things good and pure; and conferred on them special favours above a great part of our creation." S. XVII, 70.

God's honouring of man through his creation and his preference to other creatures, in itself, is a sublime tie with which Muslims are bound to other human beings. Later on, when they listen to Almighty God's words in S. XLIC, 13, which reads :

يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ

"O Man Kind ! Lo, we have created you male and female, and have made you nations and tribes that ye may know one another. Verily the most honoured of you in the sight of God is (he who is) the most righteous of you. And God has full knowledge and is well acquainted (with all things)."

They feel it their duty to establish cordial and affectionate relations with followers of other religions and non-Muslim peoples in compliance with this bond of human brotherhood.

This is what is meant by "knowing one another" « لِتَعَارَفُوا » included in the verse. Thus, the purpose of multiplicity of these peoples is neither enemity nor destruction; rather it is a motive for knowing one another, loving one another, and being on friendly terms one with another, aiming at the good and putting into effect the common interest.

The differences seen among these religions and peoples are realized through God's will, for if He wills his creation unified, it would not be difficult at all. To this meaning the following verse reads :

لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا
الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ

"To each among you have we prescribed a law and a traced-out way. Had God willed it He could have made you one community. But His plan is that He may try you by that which He Hath Given you (He Hath Made you as you are). So, but we are one with

## The message of his Excellency the Grand Sheikh of Al-Azhar*

RESPECTED REVEREND DR. DAVID RAMAGE, CHAIRMAN OF THE BOARD OF TRUSTEES OF THE COUNCIL FOR A PARLIAMENT OF THE WORLD'S RELIGIONS.

Ladies and Gentlemen,

Peace of God, His Mercy and His Blessings Be Upon You.

The invitation extended to noble Azhar by the Board of Trustees of the Council, through the Egyptian Ministry of Foreign Affairs (on June 12, 1993), has pleased me. Nevertheless, for reasons related to heavy responsibilities and prearranged appointments, Shaikh of Al-Azhar will not be able to participate in person, in the various activities of this Assembly.

Consequently, Shaikh of Al-Azhar has entrusted me Dr. Nagah Mahmoud El-Ghoneimy, Professor of Creed and Philosophy in Al-Azhar University and Sultan Qaboos University, Sultanate of Oman, to participate and make this presentation in his name.

Being honoured by this commission, I convey to this respected gathering the greetings of His Excellency, the Grand Shaikh of Al-Azhar, Gad El-Hak Ali Gad El-Hak and his respect and estimation for the task and the important human goals this assembly is aspiring after.

Mr. Chairman,

I have read very attentively the materials included in the brochure of this Parliament and the invitation letter. I was very pleased to recognize among the goals of this gathering the following :

— "To encourage the spriti of harmony and to celebrate with openness and mutual respect, the rich diversity of the World's religions.

— "To assess and to renew the role of the religions of the world in relation to personal spiritual growth and the challenges facing the global community."

To this, we may add a sixth (6) item from "Fact Sheet," (point 9) which reads :

"A major theme of the Parliament will be the role of religious and spiritual life in relation to the critical issues of our time, including violence, poverty, hunger, racism and environment."

This point, in fact, is taken up in the letter of Invitation, expressed in the following manner :

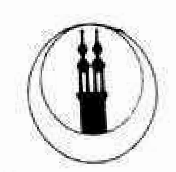
"The 1993 gathering will be more than a centenary celebration. By bringing together the World's religious faiths in Chicago, it will provide a forum for religious and spiritual persons to address the critical issues which face the human community at the threshold of the 21st century. These include threats to the global environment, the coexistence of extremes of wealth and poverty, racism, oppression and the cries of justice, the relations between men and women, and world peace."

As well, in paragraph 8 of the same letter, with a reference to the assembly of Religious and Spiritual leaders which will convene for the final three days of the Parliament, it reads :

(*) The message of his excellency the grand Sheikh of Al-Azhar to the Board of Trustees of the council for parliament of the world's religious, in Chicago.

# الفهـــرس


● الافتتاحية (فاستجدوا لله واعبدوا)
للدكتور على أحمد الخطيب ................ ٨٠١
● نص خطاب الرئيس محمد حسنى مبارك .... ٨٠٣
مع الإمام الأكبر
● رسالة الإمام الأكبر إلى مؤتمر برلمان أدباء العالم ........................... ٨٠٨
● كلمة فضيلة الإمام الأكبر فى افتتاح الدورة الثالثة والعشرين لتدريب الأئمة والوعاظ ... ٨١٥
● فتوى فى حكم تحويل مقبرة قديمة إلى حديقة . ٨١٧
● مع سورة الأنفال
لفضيلة الدكتور عبدالجليل شلبى .......... ٨٢٠
● المؤمن والنخلة للأستاذ أحمد محمود أبو زيد .. ٨٢٤
● أولئك هم المؤمنون حقاً
بقلم فضيلة الشيخ محمد حافظ سليمان ..... ٨٢٧
● الحلف لا يكون إلا بالله
لفضيلة الشيخ أحمد محمد بن طاحون ....... ٨٣٥
● أثر تغيير قيمة النقود
للدكتور على أحمد السالوس ............. ٨٣٩
● أوربا بلا مسلمين (أمنية الغرب عام ٢٠٠٠)
للأستاذ صابر ثعلب .................... ٨٤٤
● القيادة الادارية (٣)
اعداد الدكتور محمد عبدالله آل ناجى ....... ٨٤٦
● الأسرار بين الحفظ والافشاء
للدكتور ابراهيم سليمان عيسى ............ ٨٥٢
● أنانية الانسان مع نعم الله
بقلم الشيخ زكريا أحمد نور ................ ٨٥٦
● الفتاوى إعداد الأستاذ عبدالمنعم فوده ...... ٨٦٠
باب الشعر والشعراء
● جراح المسلمين شعر حسين أحمد اسماعيل .. ٨٦٤
● مأساة كشمير للشاعر رشاد محمد يوسف ... ٨٦٥
● العزف على الوتر الأخير
للشاعر محمد عبدالرحمن صان الدين ........ ٨٦٧
● عاشق بالباب للشاعر ابراهيم عيسى ........ ٨٦٨
● انه المصرى فى آياته للشاعر عبدالغفار الدلاش ٨٦٩
● صرخة معلم للشاعر تمام مخلوف .......... ٨٧١
● قلبى لمصر فدى للشيخ سراج الدين معزوز ... ٨٧٢
● من علمائنا المعاصرين (محمد زاهد الكوثرى)
للأستاذ الدكتور محمد رجب البيومى ...... ٨٧٣
● من روائع الماضى بمجلة الأزهر
للأستاذ عبدالفتاح حسين الزيات .......... ٨٧٨
● طرائف ومواقف
للأستاذ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ......... ٨٨٥
● رسائل الانسان إلى الكوكب الأحمر
للدكتور أحمد فؤاد باشا ................. ٨٨٧
● أضواء على تاريخ طب المجتمع
للدكتور سيد أحمد محمد خليل ............ ٨٩١
● الحشرات والحديث عنها
أ. د عبدالحكم عبداللطيف الصعيدى ....... ٨٩٦
● التلوث البيئى فى مصر
للدكتورة ماشاء الله حسن حسنى .......... ٩٠٤
● الجديد فى العلم والتقنية
اعداد الدكتورة نجوى السيد أحمد .......... ٩٠٨
اللغة والنقد والأدب
● البحث النحوى للإمام النووى (٣)
اعداد الأستاذ الدكتور محمد عبدالقادر هنادى ٩٩١
● خزانة المخطوطات
للدكتور عبدالله نجيب محمد ............... ٩١٧
● القصيدة العربية والوحدة الموضوعية
للأستاذ أحمد مصطفى حافظ .............. ٩٢١
● تبيان وايضاح
للأستاذ على محمد نجيب المطيعى .......... ٩٢٥
● بين المجلة والقارىء
إعداد الدكتور محمد عبدالحكيم محمد ....... ٩٢٨
● أنباء مكتب الإمام الأكبر
للأستاذين عمر البسطويسى ، مصطفى عبدالمجيد ........................ ٩٣٤
● أنباء العالم الإسلامى للأستاذ مجدى بشير ... ٩٣٨
القسم الفرنسى
● الموضوع الثالث ....................... ٩٤١
● الموضوع الثانى ....................... ٩٤٤
● ترجمة كلمة : الإمام الأكبر ............ ٩٥١
القسم الانجليزى
● المقال الثانى ......................... ٩٥٦
● المقال الأول .......................... ٩٥٨
● ترجمة كلمة فضيلة الإمام الأكبر ........... ٩٦٠
● ترجمة رسالة الإمام الأكبر ............... ٩٦٧



# الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م

وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩ هـ

تصدر عن

مجمع البحوث الإسلامية

في مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير

دكتور / علي أحمد الخطيب

مدير التحرير

علي حامد عبد الرحيم

سكرتير التحرير

عادل رفاعي خفاجة

المراسلات / باسم مدير التحرير .. إدارة الأزهر بالقاهرة

ت ٩٠٥٤٧٣ - ٢٦٣٨٥٩٩

الاشتراكات / قسم الاشتراكات بالأهرام

شارع الجلاء - القاهرة


بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة العالمين ، وعلى آله وصحبه وتابعيه إلى يوم الدين

# أشق البلاء

إن من أشق البلاء على « الخبير بشيء » أن يختلف ـ في الرأي ـ مع آخر ، وقد فقدا معاً « نقطة لقاء » ، فإذا « الخبير » المتمكن من « الصواب » في « أسى » ، وإذا المخالف على « عناد » يخفي الكراهية للخبير ، ويرضى لنفسه بسوء المصير .

كفر الوليد بن المغيرة ، ورضي ـ عن عمى ـ بالجحود ، إذ آلمه أن يكون سيدنا محمد ﷺ رسولاً يتلقى ـ وحده من بين عظماء قريش والطائف ـ رسالة السماء ، وصرح بذلك فقال :

« أينزل على محمد وأترك وأنا كبير قريش وسيدها ، ويترك أبو مسعود عمرو بن عمرو الثقفي سيد ثقيف ، فنحن عظيما القريتين[1] » أي : مكة والطائف ، ويسجل القرآن الكريم هذا الموقف في « سورة الزخرف » (٣١) فيقول ـ تعالى ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾

(١) ابن كثير السيرة النبوية ٢/٥٤ ط عيسى الحلبي ١٣٨٤

ومن وحى الآية الكريمة يتبين للقارىء إيمانهم بمنزلة القرآن ، وأنه لايكون إلا من عند الله ، ولكن الضيق أن يكون لسيدنا محمد ـ عليه الصلاة السلام ـ دونهم ! ؛ لذلك أبَوْا الإيمان ، ويسترسل الكتاب العزيز فى الكشف عن هذه الطوية الخبيثة ، فيقول ـ تعالى : ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ۝ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ۝ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ۝ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ۝﴾ ( المدثر )

أى : مايريدون أن يؤمنوا حتى يتساوَوْا مع الرسول ﷺ فيتلقى كل واحد منهم كتابا من السماء .

وهكذا التحم الكفر بالعناد ؛ فأضاع الحق بين الجاحدين .

وليس العناد من صفات المؤمنين ؛ إذ المؤمن يلتمس الحق عن طواعية ، ويسعى إليه عن رغبة ، ولا يتنكر له وإن كان مُرّاً ـ فى بعض أحواله ـ فمرارته هى الشفاء الحكيم لأمر عضال .

ليس العناد من صفات المؤمنين ، ولايوجد مؤمن يُوَلِّى وجهه شطر القِبْلة ، ويضع جبهته فى الأرض خشوعاً لله ، يرضى لنفسه أن يَبْتغى بين غضب الله ـ تعالى ـ ولعنته .

ولا عذر ـ إطلاقاً ـ يسمح لإنسان أن تُورِدَ نفسه مورد الهلاك ؛ فيزهق روحاً بريئة مامسّتْهُ بسوء ، ولا آلمته بأذى ، بل لعلها لم تبلغ بعد حَدَّ ( التكليف ) الذى يحاسب الله ـ سبحانه ـ عباده ابتداء منه .

إن المؤمن يفر من غضب الله ـ تعالى ـ إلى رحمته ... ومن سَخَطِهِ إلى رضوانه .

إن المؤمن سلام فى سلام :

وذلك مما دعا الكتاب العزيز إلى بيان وضع (المجتمع المسلم) الذى لايقع القتل فيه ـ إذا هو وقع ـ إلا عن خطأ ، خَلْفَهُ براءةُ القصد وطهارةُ الضمير فيقول ـ تعالى :

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً﴾ النساء ـ ٩٢

هذا هو المجتمع المسلم .. وهو نفس المجتمع الذى ينفى من صفوفه قاتِلَ البرىء ـ وحسابه على الله تعالى ـ حيث يقول :﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ النساء ٩٣

ذلك ؛ لأنه رضى ـ لنفسه ـ أن يُطرد من رحمة الله الرحمن الرحيم ، مستبدلا بها لعنة الله وغضبه ـ سبحانه ـ يقول المصطفى الخاتم ﷺ :

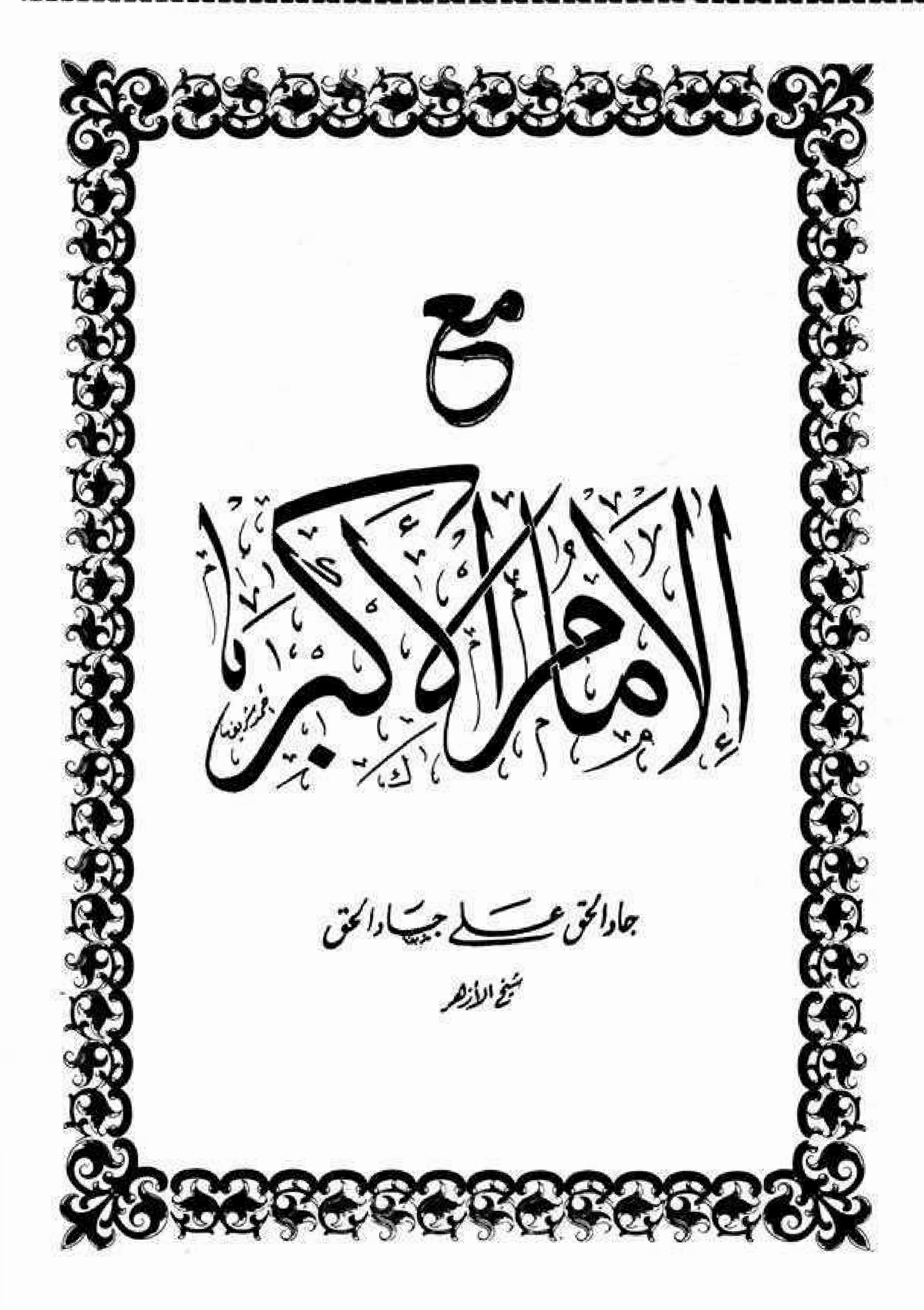
« لن يزال المرء فى فسحة من دينه مالم يُصِبْ دما حراما » رواه البخارى وأحمد .

ولنعد إلى آية المجتمع المسلم .. فنراها تقرر حماية المواطن ، والمعاهد ، وكل من دخل أرضه بإذن صريح ، غير عابث بأعرافها ، وتقاليدها ، وتقاليدها ، فلا يمسها بسوء

اللهم .. هل بلغت .. اللهم فاشهد

د. على أحمد الخطيب

(٢١) الفسحة : السعة


مع
الإمام الأكبر
جاد الحق علي جاد الحق
شيخ الأزهر

# فى ذكرى الإسراء والمعراج

بقلم فضيلة الإمام الأكبر الشيخ / جاد الحق على جاد الحق
شيخ الأزهر

كان الأسراء بالنبى محمد ﷺ من مكة إلى القدس ثم العروج به إلى السموات حدثا هاما فى تاريخ رسالته وفى منهجها .

ولقد سجل القرآن الكريم هذا الحدث فى افتتاح سورة الإسراء . قال الله سبحانه : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾ .

جاء الحدث وعتاة مكة وكبراؤها قد ضيقوا الخناق على المسلمين بعد أن رأوا أن أمر الإسلام ينمو ويعلو ، وأن سيرته تجتاز حدود مكة وهواءها إلى آفاق أخرى بجزيرة العرب ، واعتقدت قريش أن وسائل الإيذاء والتضييق والتعذيب لمن تبع محمدا ﷺ ، لم تفلح ولم تُنفِّر أنصاره كما لم تمنع انتشاره ، ففكرت وقدرت وأدبرت ثم أقبلت ليرسم قادتها خطة أقسى وأحكم وأدق ، فكانت المعاهدة التى عقدوها فيما بينهم وحرروا صكها والتى اعتبروا فيها المسلمين ومن يرضى بدينهم أو يتعاطف معهم أو يحمى أحدا منهم حزبا دون سائر أهل مكة .

وأضافوا : أنهم لا يبيعونهم أو يبتاعون منهم شيئا ، ولا يزوجونهم ولا يتزوجون منهم ، وكتبوا بهذا التعاقد صحيفة علقوها فى جوف الكعبة استيثاقا لما تعاهدوا عليه .

وتنفيذا لهذا العهد الآثم تجمع أولئك العتاة القساة الذين تبرأت منهم فطرة الإنسان ففرضوا رأيهم على أهل مكة حتى اضطر الرسول ﷺ ومن معه إلى الالتجاء إلى شِعْب بنى هاشم واحتبسوا أنفسهم فيه ، وانحاز إليهم بنو عبدالمطلب جميعا سواء من آمن بالله وبرسالة محمد ﷺ ومن لم يؤمن بها منهم وانشق عن هذا الجمع أبو لهب حيث آزر قريشا فى خصومتها لقومه بنى هاشم ..

ولقد ضيق الحصار على المسلمين ومن تبعهم وانقطع عنهم العون وقل الغذاء حتى بلغ منهم الجهد

أقصاه ، وهم مع هذا صابرون ، يترقبون النصر من الله الذى وعد به عباده المجاهدين ..

ولقد انبعثت الرحمة فى قلوب نفر من القريشيين فكانوا يمدون هؤلاء المحاصرين — خفية — بما يستطيعون من الزاد ..

واستمرت هذه الضائقة الخانقة ثلاث سنين كان رباط الإيمان بالله وبصدق رسالته محمد ﷺ هو الذى يمسك أفئدة المحاصرين ، ويربط على قلوبهم ، فيصبرون على هذا البلاء ، بل كانوا يتسابقون الى الوافدين فى موسم الحج يبلغون دعوة الإسلام ، ويتسابقون إلى رفع ذكر الله فلم تشغلهم آلامهم عن عرض الإسلام على كل وافد ، وكسب الإسلام بهذا أنصارا ، وبدأ العتاة يتفرق جمعهم ويتشتت ، فانقسموا على أنفسهم وتساءلوا عن صواب ما فعلوا بالمسلمين وبنى هاشم ، وتجمع فريق من أهل مكة ممن لم يصبروا على التمادى فى هذا الحصار وذهبوا يتعاتبون وقام أحدهم إلى صحيفة المعاهدة التى كانت سند هذا الحصار يشقها ليمزقها فوجد الأرضة قد أكلتها إلا كلمة « باسمك اللهم » التى دأبت العرب على أن تفتتح بها كتبها . وانفض بهذا الحصار الذى فرض على المسلمين .

لقد تواكبت الحوادث على رسول الله ﷺ وعلى المسلمين حتى كان حدث الإسراء والمعراج وهما رحلتان جاء حديث القرآن الكريم عنهما فى سورتين : سورة الإسراء وفى أول آية منها ذكر حدث الإسراء ، حيث أراد الله سبحانه أن يرى عبده محمدا ﷺ بعض آياته رحمة منه وفضلا وتسرية عما لاقاه من لأواء .

وكان الحديث عن المعراج وعن ثمرته فى سورة النجم فى قول الله سبحانه ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴿١٨﴾ ﴾ .. « ولقد رآه » يعنى جبريل عليه السلام .

وهذه الآيات شاهد صدق على أن الرسول ﷺ شهد — فعلا — بعض آيات ربه الكبرى ..

فالإسراء حق وصدق يقظة لامناما ، وبجسد النبى ﷺ وروحه كما يدل على هذا قول الله سبحانه « أسرى بعبده .. » ذلك أن الحدود بين القوى الروحية والقوى المادية أخذت — فى هذه الرحلة — تضمحل وتزول ، وأن ما يراه الناس ميسورا فى عالم الروح ليس بمستعص فى عوالم المادة ..

وبعد أن كشف العلم فى هذا العصر — كثيرا — من أسرار هذا الوجود ، فإن أمر المادة وكنهها أضحى كأمر الروح فى غموض كنهها ، فلا يعرف مدى كل هذا إلا الله قيوم السموات والأرض .

ونحن — المسلمين — نؤمن بأن الرسول ﷺ أسرى به ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، حيث أمتطى البراق — وهو كائن يضع خطوه عند أقصى مد بصره — وكلمة براق تشير إلى اشتقاقها من « البرق » أى تلك القوة الكهربية التى استخدمت فى هذه الرحلة ، أى أن الرسول — ﷺ — ركب أداة تسير بأقصى من سرعة الضوء التى اكتشفها العلم فى عصرنا ، إنه صنع الله الذى أتقن كل شىء ..

ولأن رسالات الله إلى الناس يصدق بعضها بعضا ويمهد السابق منها للاحق جاء تقرير هذا فى القرآن الكريم ..

﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾

آل عمران ٨١

وفى صحيح السنة الشريفة أن النبى ﷺ صلى

بأخوته الأنبياء ركعتين فى المسجد الأقصى فكانت هذه الإمامة إقراراً عملياً من هؤلاء الأنبياء بأن الإسلام كلمة الله الأخيرة إلى الناس أخذت تمامها برسالة محمد ﷺ بعد أن مهد لها رسل الله الأولون واستعدت الإنسانية وتأهلت لحملها .

إن الاسراء والمعراج وقعا كحدث هام فى فترة الرسالة قريبا من منتصفها التى استمرت نحو ثلاث وعشرين سنة وكانت علاجا مسح متاعب ما انقضى ، ووضع بذور نجاح الرسالة فى المستقبل فرؤيا ﷺ طرفا من آيات الله الكبرى فى ملكوت السموات والأرض له أثره فى إزالة كيد الكافرين ، وتصغير جمعهم ، وكانت إيذانا بأن تلك الأودية والبلاد التى مر بها فى رحلة الاسراء سيكون أهلها من حملة هذا الدين ومعالمه .

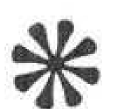
وفى هذه الرحلة التكريمية من الله سبحانه وتعالى للرسول محمد ﷺ وأمته كانت الصلاة ، تلقى فرضها فى أعلى عليين فى مقام صدق .

ومن هنا كان رسول الله ﷺ يقول « وجعلت قرة عينى فى الصلاة » وكان إذا حزبه أمر أى أهمه قام إلى الصلاة ويقول : « أرحنا بها يا بلال » .

وحقيقة العبادة والخضوع والتسليم لله فهو سبحانه مفرج الكروب ، ومالك النفوس ، يهديها ويرشدها ويطمئنها إذا اعتراها القلق والاضطراب وأثقلتها الهموم وشواغل الحياة ، وانغلقت فى وجهها كل الفرج ولم يعد لها من دون الله كاشفة فتوضأ المسلم واستعاذ بالله ووقف على بابه مستفتحا : الله أكبر ، كان الفرج رحمة من الله فالله قريب من المحسنين .

هذه واحدة من ثمرات ليلة الاسراء والمعراج نذكرها بالمزيد من الطاعة لله الخالق الرازق ذى الفضل العظيم وله المنة ونتلو كتابه ففيه العظات والحكمة والصراط المستقيم .

إنها رحلة تكريم وتثبيت واعانة على المصاعب رأى فيها رسول الله ﷺ من آيات ربه الكبرى نذكرها لنستديم ذكره ﷺ والصلاة والسلام عليه امتثالا لأمر الله واعتزازا بالاسلام دينا نلتقى عليه ونعمل به حتى يجتمع أمر هذه الأمة وتقوى فيها الأواصر وتتوثق العرى ، وحتى يعود إليها خلق التناصر والتعاون على البر والتقوى ، فتعود إليها وحدتها قلبا وقالبا وتكون كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر صلى الله وسلم على سيدنا محمد بن عبدالله ورسوله وخاتم الرسل والرسالات .






**الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله .**

**وبعد :**

**فقد ورد إلى مكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر خطاباً من الطيار/ طلعت أحمد سليمان بمؤسسة مصر للطيران وفيه يعرض السؤال التالى بعد المقدمة :**

**هل يجوز السعى للعمل بشركات الطيران الأجنبية العالمية لما يتوفر لديها من الجدية ، والدقة ، والالتزام ، والأجور المجزية التى تفوق كثيراً ما يتقاضاه الطيار فى مصر؟ علماً بأنها تقوم بالتعامل فى الخمور على طائراتها تقديماً وبيعاً حيث إنها لاتعترف بهذه المسألة الشرعية ولها قوانينها الخاصة بها .**

**الرجاء التفضل بتوضيح الإجابة تفصيلاً ، وهل هناك معصية فى ذلك وعلى من تقع ؟ والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .**

والجـواب :

إنه لما كان صاحب هذا السؤال قد انتهى فى كتابه هذا إلى أنه : هل يجوز السعى للعمل بهذه الشركات العالمية علماً بأنها تقوم بالتعامل فى الخمور على طائراتها ـ تقديماً وبيعاً ـ لركابها أثناء الطيران حيث إنها لاتعترف بالطبع بهذه المسألة الشرعية ولها عقائدها وقوانينها المختلفة الخاصة بها .

وكان المستفاد من هذا أنه يستوضح حكم حل العمل والكسب على هذا الوجه وعلى من يقع الإثم :

ونسوق إليه فى هذا حديث رسول الله ﷺ الذى أخرجه أبو داود وابن ماجه والترمذى وروى عن أربعة من أصحاب رسول الله ﷺ ولفظ الترمذى عن أنس بن مالك مرفوعاً :

( لعن رسول الله ﷺ فى الخمر عشرة : عاصرها ومعتصرها وشاربها وحاملها والمحمولة إليه وساقيها وبائعها وآكل ثمنها والمشترى لها والمشتراة له )[1] .

---

(١) قال الترمذى هذا حديث غريب من حديث أنس ، قال الحافظ ابن حجر والمنذرى : رجاله ثقات ـ الجامع الصحيح ( سنن الترمذى ) جـ٣ ص٥٨٩ ، ٥٩٠ ط دار الحديث لبنان والترغيب والترهيب للمنذرى جـ٣ ص٢٥٠ ط قطر ، عون المعبود جـ٣ ص٣٦٦ ط الهند ، سنن ابن ماجه بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقى جـ٢ ص١١٢١ ، ١١٢٢ ط الحلبى ، التلخيص الحبير جـ٤ ص٧٣ ط شركة الطباعة الفنية .

ولما كان العاملون على الطائرات التى تباع وتقدم عليها للركاب الخمور وغيرها من المحرمات داخلين ضمن هؤلاء العشرة الملعونين بسبب عملهم فيها على هذا الوجه كان كسبهم أى مرتباتهم وكل ما يعود عليهم من مال بسبب هذا العمل محرماً بوصفهم من المعاونين على ارتكاب هذا المحرم وفى نطاق قول الرسول ﷺ السالف نصه .

هـذا :

ومن الأصول التشريعية فى تحريم بعض الأموال قول الله سبحانه فى سورة النساء :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ ﴾(٢) .

ومعناه ـ والله أعلم ـ لا يحل لأحدكم أخذ وتناول مال الغير بوجه باطل ، كما لا يحل لأحدكم كسب المال من طريق باطل ، أى محرم ، وأخذ المال أو كسبه بالباطل يأتى على وجهين :

أحدهما : أخذه على وجه غير مشروع كالسرقة والغصب والغلول والخيانة .

والوجه الآخر : أخذ المال وكسبه بطريق حظره الشرع : كالقمار أو العقود المحرمة كما فى الربا ، وبيع ما حرم الله الانتفاع به كالميتة ، والدم المسفوح ، والخمر .

وروى الإمام أحمد وأبو داود عن ابن عباس ، أن النبى ﷺ قال : ( لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فباعوها وأكلوا أثمانها وإن الله إذا حرم على قوم أكل شىء حرم ثمنه )(٣) .

فدل هذا الحديث على أن كل ما حرمه الله على العباد فبيعه حرام ، وكذلك كل الوسائل المؤدية إليه ، مثل حامل الخمر بأجرة تكون هذه الأجرة حراماً ، وكذلك المعاون على حملها كقائد السيارة والطيارة .

وفى تفسير القرطبى لسورة المائدة فى قول الله تعالى :

« .. فَٱجْتَنِبُوهُ ... »(٤) .

قال :يقتضى الاجتناب المطلق الذى ينتفع معه بأى كسب بسببها .

وهذا ـ أيضاً ـ هو مقتضى قول الله سبحانه فى سورة المائدة .

﴿ .. وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾(٥) .

حيث جاء النهى موجهاً إلى مطلق الإثم فشمل شارب الخمر ، والبائع ، والحامل ، وباقى العشرة الذين عدهم الحديث سالف الذكر .

لما كان ذلك :

كان السعى إلى العمل لدى شركات الطيران التى تبيع الخمر للمتعاملين معها محرماً ؛ لأنه عمل فى وسيلة إلى رواج الخمر المحرمة ، ومشاركة ومعاونة لروادها والمتعاملين فيها ، وكان إثم المعصية شاملا لأولئك العشرة ومنهم حاملها أو المعاونون فى حملها وتقديمها للشاربين واللعن الطرد من رحمة الله ، واستحقاق عقابه .

ومن ثم ننصح السائل بأن الرزق الحلال والقليل مبارك فيه بإذن الله .

والله سبحانه وتعالى أعلم .

**شيخ الأزهر الشريف**
**جاد الحق على جاد الحق**

---

(٢) من الآية رقم ٢٩ .

(٣) نيل الأوطار للشوكانى جـ٥ ص١٤٢ ط دار الحديث .

(٤) من الآية رقم ٩٠ التى حرمت فيها الخمر نهائياً .

(٥) من الآية رقم ٢ .

# احتجاج الإمام الأكبر

## على فيلم هندى يسىء إلى الإسلام

عرض المركز الثقافى الهندى «فيلم» سينمائيا نوقش تحت عنوان «المسلمون فى الهند وهويتهم الثقافية» .

تضمن الفيلم إساءة بالغة للإسلام والمسلمين حتى صَوَّرَ أنه لا يوجد إسلام حقيقى فى الهند ، وأن الشعائر الإسلامية عبارة عن شعوذة وتأدية طقوس ، وقد عبَّر الحاضرون عن استيائهم الشديد لما تضمنه « الفيلم » من آراء ومعتقدات خاطئة عن الإسلام والمسلمين ، فضلًا عن منافاته للهدف الذى أنشىء المركز من أجله ، وهو نشر الثقافة الرفيعة .

وقد احتج فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف على هذا المسلك السيىء ، وكتب إلى الجهات المسئولة قائلا : «إن عرض فيلم سينمائى فى المركز الثقافى الهندى بعنوان «المسلمون فى الهند وهويتهم الثقافية» يمس الإسلام وهوية المسلمين فى الهند ، ويمس العبادات الإسلامية على وجه يزرى بهذه الهوية ، وينم عن ازدراء الإسلام وكأن هذا المركز – كما لاحظ المشاهدون – يعرض هذا الفيلم ليقول : أنه لا إسلام ولا مسلمين فى الهند ، والأمر بهذا خطير ، إذ قد استباح هذا المركز توجيه الإهانة والتحقير والازدراء للمسلمين فى الهند فى جرأة وتزوير للواقع ، الأمر الذى يرفضه الأزهر الشريف ، وهو يعرف مدى ثقافة المسلمين فى الهند ، وتعرفهم على الإسلام ، وعلى تعليم عقيدته وشريعته لأجيالهم .

وازدادت الجرأة بعرضه فى مصر ، والأمل معقود على الجهات المسئولة لاتخاذ ما يتعين من إجراءات ، حتى لا يتكرر مثل هذا العمل ؛ بل والاعتذار الرسمى عما حدث ، ومصادرة مثل هذه الأفلام التى يشوبها التزوير للواقع .

* * *

وجاء الرد سريعاً إلى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ، أنه تم استدعاء سفيرة الهند فى القاهرة ، فأعربت عن أسفها واعتذارها لما قد يكون الفيلم قد سببه من إيذاء لمشاعر من شاهدوه ، وأنها لاحظت بالفعل : أن الفيلم قد جانبه التوفيق فى عدم التركيز على إسهامات المسلمين الهنود عبر العصور فى تشكيل الثقافة الهندية . مع التزام المراكز الثقافية الأجنبية بالقوانين المصرية ، واحترام قيم المجتمع المصرى .

# ماذا يجرى فى كشمير؟

إيماناً من « مجلة الأزهر » بأن المسلمين جسد واحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى ، نقدم هذا المقال الذى يكشف بشاعة الجرائم التى ارتكبتها قوات الهندوس ضد المسلمين فى ( كشمير ) ، ولاسيما الاعتداءات الوحشية الجماعية على مسلمات ( كشمير ) ، ويبين كيف مارست هذه القوات فى كشمير نفس المخططات والأساليب الدنيئة التى سبق للاستعمار استخدامها فى الأندلس ثم فى روسيا وتايلاند والفلبين ثم ـ أخيراً ـ فى البوسنة للقضاء على الإسلام وحضارته .

والحق أنك إذا تحدثت عن « كشمير » فكأنما تتحدث عن « البوسنه »

إن الشَّبَهَ بينهما يجمع أكثر من وجه ، وهما ـ معا ـ صورة مفعمة بمأساة المسلمين المطروحة فى « الفلبين » و« بورما » و« وتايلاند » و« سريلانكا » .

لقد « سبقت » كشميرُ « البوسنةَ » فى اكتساب قرارات لصالحها من هيئة الأمم ، و« لحقت » البوسنه كشمير فى ضياع نفس الحقوق التى أقرتها تلك الهيئة التعسة ، ثم لِمَ نعيب الغاصب ـ هنا وهناك والمسلمون يرون كل الحقائق وهم صامتون !

لقد تجد أساليب « الصرب والكروات » مع المسلمين مطورة على أيدى الهندوس مع « مواطنى كشمير » .

تَجاوزُ قتلَ الشيوخ والأطفال لِتَرَ :

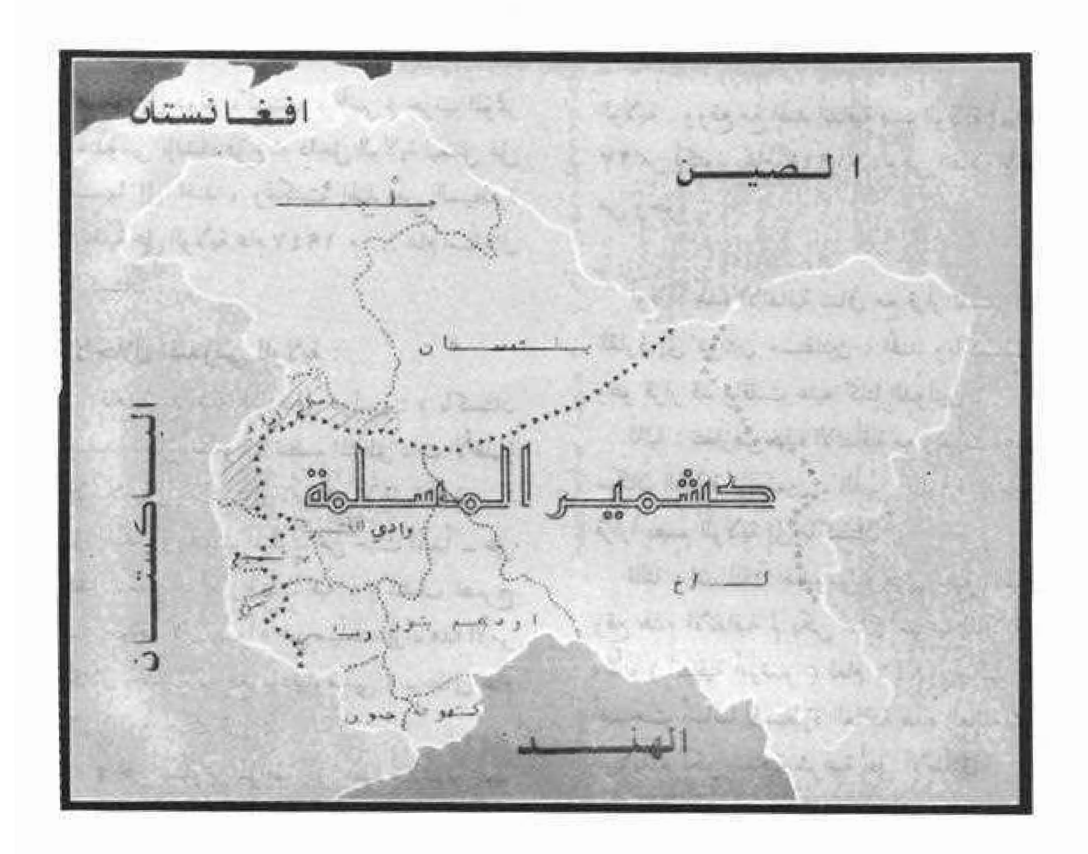
هتك أعراض النساء مصحوبا فى « كشمير » بقطع أثدائهن ، ثم إلقائهن فى نهر ( جهلم ) فيغصن فيه موتى ؛ ليظهرن جثثا طافية بنفس النهر فى جريه غربا بكشمير الحرة .

ويجبر المسلم « البوسنوى » على شرب بَوْلِهِ ، لكنه فى كشمير ( يُخْصَى ) لكيلا يكون هناك إنجاب .

تلك مأساة كشمير التى مازالت تذوق العذاب .

فما كشمير ..؟ وما تاريخها ..؟ وما حال صراعها ... وإلى أين المصير..؟!

وإلى القارىء عرضاً لقضية ( جامو ـ كشمير ) أسهم فيه ـ مع محررى المجلة ـ ع. ا. القادرى الكاشميرى .




كشمير ... نظرة تاريخية :

أشرق الإسلام - بنوره - على تلك البقاع بافتتاح « المهلب بن أبى صفرة » لها فى القرن الأول الهجرى . ويمكن القول بأن العهد الإسلامى بدأ - بها - فعلا - أواخر القرن الرابع عشر الميلادى بإسلام ( رينجن شاه ) الملك البوذى الذى تَسَمّى بـ « صدر الدين » فأسلم معه عدد كبير من رجال دولته فى شتى المجالات، وذلك بجهود العلماء الربانيين ، وعلى رأسهم « سيد على همدانى » ، وبذلك أصبحت ولاية « كشمير » ولاية إسلامية .

استمر الحكم الإسلامى فى كشمير إلى عام ١٨١٩ م ، ثم استولى عليها « السيخ » وتلاهم الاستعمار البريطانى عام ١٨٤٦ م ، ثم تخلص منها . ببيعها - بمن فيها من آدميين إلى طائفة ( الدوجرة ) وهى إحدى القبائل الهندوسية الوثنية ، نظير سبعة ملايين ونصف مليون روبية[1] . وتم ذلك باتفاقية عرفت باسم ( اتفاقية أمر تسر ) لم يعرف لها تاريخ الإنسانية مثيلا .

ويعتبر حكم « السيخ » ثم « الدوجرة » للولاية من أسوأ أدوار التاريخ الذى مرت به « جامو وكشمير » .

فى ظل هذه الأوضاع نشأت حركة تحرير الولاية بقيادة (مؤتمر مسلمى جامو وكشمير) واستهدفت - أول ما استهدفت - تخليص الولاية من حكم الملك الهندوسى (هرى سنغ) توطئة

لضمها إلى دولة باكستان ، فأسرع حزب المؤتمر الهندوسى بإنشاء فرع له داخل الولاية ليعمل على ضمها إلى الهند ، وتمكنت الهند من السيطرة الفعلية على الولاية عام ١٩٤٧ م ... عام استقلال باكستان .

**الاحتلال الهندوسى للولاية :**

قام تقسيم شبه القارة إلى دولتين : « باكستان والهند » على أساس أن تنضم المناطق ذات الأغلبية الإسلامية إلى باكستان ، وذات الأغلبية الهندوسية إلى الهند ، ووافقت الهند – من حيث المبدأ – على هذا التقسيم ، ثم راوغت فيه ، وكشف تصريح لـ« جواهر لال نهرو » عن سياسته إزاء هذا الأمر خلال حديث له مع « دبلوماسى » بريطانى عام ١٩٤٦ م حيث قال :

« نحن سنقوم بالموافقة على مطالبة السيد محمد على جناح لإقامة دولة باكستان المستقلة ، ولكن سنقوم فيما بعد بإيجاد السبل التى ستجعل قادة هذه الدولة يأتون إلينا ، ويطالبون بالانضمام إلى الهند » .

ومن ثَمَّ عملت الهند بالتعاون مع الاستعمار الإنجليزى والملك الهندوسى للسيطرة على الولاية .

وهنا قرر « مؤتمر مسلمى ولاية جامو وكشمير » (JAMMU & KASHMIR MUSLLIM CONFRENCE) اتخاذ قرار بضم الولاية إلى دولة باكستان الإسلامية . وتم ذلك فى ١٩ من يوليو عام ١٩٤٧ الميلادى . ونادى الشباب بالجهاد لتحرير الولاية ، وضمها إلى باكستان الإسلامية ، – وكانت باكستان قد أنشئت فى ١٤ من أغسطس عام ١٩٤٧ م . واشتد الجهاد ففر الملك الهندوسى من عاصمة الولاية . ووقع مع الهند اتفاقية ضم الولاية إليها فى ٢٧ من أكتوبر عام ١٩٤٧م ، وهى اتفاقية باطلة من وجوه :

أولا : هذه الاتفاقية تتنافى مع قرار تقسيم شبه القارة إلى دولتين مستقلتين : الهند وباكستان ، وهو قرار قد وافقت عليه كلتا الدولتين .

ثانيا : تتعارض هذه الاتفاقية مع رغبات أغلبية سكان الولاية المسلمين ، الذين كانوا قد اتخذوا قرارا بضم الولاية إلى باكستان .

ثالثا : إن الملك الهندوسى (هرى سنغ) الذى وقع هذه الاتفاقية لم يكن حاكما شرعيا للولاية ، ولأن ( اتفاقية أمرتسر ) لعام ١٨٤٦ م التى قد أصبحت أساسا للسيطرة الغاشمة لهذه العائلة على الولاية لم تكن اتفاقية شرعية على الإطلاق .

رابعا : أنه قبل تلك الاتفاقية وقع هذا الملك اتفاقية لإبقاء الوضع كما كان (STAND STILL AGREEMENT) مع باكستان ، فلهذا لم يكن له أن يوقع أية اتفاقية مع أية دولة أخرى فى هذا الصدد قبل إعلان إلغاء تلك الاتفاقية . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى وقع الملك هذه الاتفاقية بعد أن كان قد فقد السلطة على الولاية ، لفراره من العاصمة فلم تكن لديه أية صلاحية شرعية لتوقيع هذه الاتفاقية . فهى اتفاقية باطلة ، وكان الاستعمار الهندوسى نفسه يعرف هذه الحقيقة جيدا . فلهذا نراه قد وعد الشعب الكشميرى المسلم بأنه يقوم بإجراء استفتاء لتقرير مصير الولاية . وهذا نص ما كتبه الحاكم العام للهند إلى الملك الهندوسى للولاية حين توقيع اتفاقية الانضمام فى ٢٧ أكتوبر عام ١٩٤٧ م .

( وفقا لسياستنا ـ إذ أصبحت مسألة انضمام ولاية ما من المسائل الخلافية يرجع فيها إلى رأى الشعب ـ فإن حكومتنا بشأن انضمام (ولاية جامو وكشمير) إلى إحدى الدولتين ، سوف يكون بالرجوع إلى الرأى العام فور إعادة الأمن والاستقرار فى الولاية ) .

ثم أكد « جواهر لال نهرو » رئيس وزراء الهند ذلك الوعد فى برقيته إلى رئيس وزراء باكستان السيد/ لياقت على خان فى ٣١ من أكتوبر عام ١٩٤٧ م قائلا :

(إننا تعهدنا أن نسحب قواتنا العسكرية من كشمير بعد عودة السلام إليها على الفور ، وأن نترك مواطنيها يمارسوا حقهم فى تقرير مصيرهم بأنفسهم ، وهذا التعهد لا نعلنه أمام حكومتكم فحسب ؛ بل نعلنه أمام أهالى كشمير وأمام العالم كله ) .

ومع كل هذا الإقرار فإن هذه الاتفاقية الفاسدة قانونيا ودوليا اتخذها الاستعمار الهندوسى وسيلة لإرسال جيشه للسيطرة على الولاية ، وانضم هذا الجيش إلى جيش الملك الهندوسى فى الولاية ، ليشترك معه فى مهمة قتل المسلمين وهتك أعراضهم .

كذلك أعلنت الحكومة الهندوسية بأن : الذين يرغبون فى الهجرة إلى باكستان ، ستقوم الحكومة بمساعدتهم بتسهيل سفرهم إلى باكستان وتزويدهم بالسيارات الحكومية ، فعلى الراغبين أن يجتمعوا فى مكان معين ، فلما اجتمعوا حصرهم رصاص الجنود فاستشهد نحو نصف مليون مسلم . وتمكن من الوصول إلى باكستان نحو نصف مليون آخر . وجدير بالذكر بأنه قبل بداية إطلاق النار تم القبض على آلاف من النساء المسلمات الشابات وهتكت أعراضهن . وبعد وصول الجيش الاستعمارى إلى الولاية بدأت الحرب المباشرة بين مجاهدى كشمير وبين هذا الجيش المسلح تسليحا حديثا ، ومع ذلك فإنه بفضل الله ـ سبحانه وتعالى ـ تعرض لهزيمة منكرة على أيدى المجاهدين .

## كشمير فى الأمم المتحدة

أمام هذه الأوضاع اضطرت « الهند » فى الأمم المتحدة إلى رفع قضية كشمير إلى (جمعية الأمم المتحدة) التى أصدرت بعد المناقشة الطويلة للموضوع قرارا بوقف إطلاق النار فى الولاية ، وذلك فى ٥ من يناير عام ١٩٤٩ م . وإجراء استفتاء فى جو من الحرية وعدم الانحياز لتقرير مصير الولاية كى تنضم إلى باكستان أو الهند . وقد وافقت الهند على هذا القرار .

ثم قامت جمعية الأمم المتحدة بإعادة نفس القرار فى ٢٣ من ديسمبر عام ١٩٥٢ م . وفى هذه المرة أكدت الهند موافقتها على تطبيق قرار الاستفتاء لتقرير مصير الولاية . وفى ٤ يوليو عام ١٩٥٢ م أعلن « جواهر لال نهرو » رئيس وزراء الهند ـ آنذاك ـ التزام بلاده بذلك القرار للمرة الثانية حيث قال :

(مهما يكن من الأمر ، فإن حكومة الهند قررت منذ البداية ، التزامها بالمبدأ الذى يفيد بأن القرار النهائى عن انضمام « ولاية جامو وكشمير » إلى إحدى الدولتين لن يتم أبدا إلا بحسب رغبة الرأى العام لشعب الولاية ، وهذا العهد لن ننقضه مهما كانت الأوضاع ، ونظرا لهذه الحقيقة ؛ فإن حكومة الهند قد وافقت على انضمام الولاية مع الهند بصورة مؤقتة عام ١٩٤٧ ، وأن القرار النهائى

لمصير الولاية سيتم حسب رغبة الرأى العام للشعب الكشميرى ) .

وهكذا استمر قادة الهند يعلنون التزامهم بقرارات جمعية الأمم المتحدة لإجراء الاستفتاء لتقرير مصير الولاية إلى عام ١٩٥٧ ، ثم بدأوا يرفضون تطبيقها تدريجيا ، ثم انتهى الأمر إلى رفض وجود القضية نفسها . مما أشعل الثورة فى الولاية من جديد ، فلجأت الهند إلى الأمم المتحدة ، وحظيت هذه المرة باحتضان الاتحاد السوفيتى القضية لصالح الهند .

التفكير فى القضاء على الإسلام :

بعد جهاد عام ١٩٦٥ م فى كشمير اقتنعت الهند بأنه مهما تبذل من جهود لا يمكن لها أن تستمر فى سيطرتها الغاشمة على الولاية إلا إذا تمكنت من القضاء على الإسلام والحضارة الإسلامية فيها ، وذلك بتحويل الشخصية الإسلامية للولاية إلى الشخصية الهندوسية . ولتحقيق ذلك الهدف قررت الهند أن تبعث وفدا من الخبراء السياسيين إلى أسبانيا حيث ( الأندلس سابقاً ) ليدرس المخططات التى استخدمها الاستعمار هناك للقضاء التام على الإسلام والمسلمين ، وهذا الوفد رأسه سياسى كبير من هندوسى الولاية اسمه ( دى . بى . دهر D.P.Dhar ) . وبعد عودته قدم تقريرا مفصلاً عن المخططات التى استخدمها الاستعمار للقضاء التام على الإسلام والمسلمين ، ثم عُين هذا الخبير السياسى الهندوسى سفيرا للهند فى الاتحاد السوفيتى ، فتقدم بتقرير آخر عن المخططات التى اختارها الاستعمار السوفيتى للقضاء على الإسلام والمسلمين فى الولايات الإسلامية فى آسيا الوسطى .

وعملا بهذين التقريرين قامت الهند باختيار استراتيجية للقضاء على الإسلام والحضارة الإسلامية فى الولاية بهذا الأسلوب :

أولا : إلغاء المنهج التعليمى الأصلى ووضع المنهج التعليمى الهندوسى محله بما يحوى من المعتقدات الهندوسية الوثنية وأساطير التاريخ الهندوسى الوثنى القديم ، إلى جانب فلسفة وحدة الأديان الضالة ونظرية القومية الهندية المتحدة .

ثانيا : تحويل المعاهد التعليمية إلى أوكار لنشر الإباحية والفساد الخلقى ، وذلك بترويج التعليم المختلط من ناحية ، وإنشاء النوادى المسرحية المختلة لتعليم الرقص والموسيقى فى المعاهد التعليمية من الناحية الثانية .

ثالثا : تشجيع الزواج بين المسلمين والهندوس لإيجاد جيل مختلط العقيدة هش الإيمان .

رابعا : إباحة الخمر وترويجه على حساب الدولة فى أنحاء الولاية ، وذلك للقضاء على الشباب المسلم عقيدة وخلقا وسلوكا .

خامسا : تجريد اللغة الأردية واللغة الكشميرية من الألفاظ العربية للقضاء على الصلة بين الجيل الناشىء وبين الكتب الإسلامية الموجودة باللغتين .

سادسا : بث الخلافات الطائفية واللسانية والقبلية فيما بين المسلمين ، واستخدام أساليب لتشتيت كلمتهم ، وجعلهم لقمة سائغة لمخططات الاستعمار العدوانية .

سابعا : استخدام وسائل الإعلام المختلفة ، لنشر الإباحة والفاحشة من جانب ، والدعوة إلى فلسفة وحدة الأديان والقومية الهندية من جانب آخر .

ثامنا : ترويج حركة تحديد النسل فيما بين

المسلمين باختيار أساليب الترغيب والإقناع أحيانا ، وأساليب الترهيب والتعذيب أحيانا أخرى .

تاسعا : طمس معالم التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية في الولاية .

عاشرا : إنشاء قيادات لتنفيذ هذه المخططات في الولاية من جهة ، وللقضاء على الجهود في سبيل الدعوة والجهاد لتحرير الولاية من براثن الاستعمار من جهة ثانية .

ثم لم يكتف الاستعمار الهندى بذلك ؛ بل قام باختيار العديد من الأساليب الإجرامية الأخرى ضد المسلمين ، كالقبض على الأبرياء والتنكيل بهم وسفك دمائهم وهتك أعراضهم ، وما إلى ذلك من أعمال الهمجية .

المقاومة :

لم يستسلم المسلمون بكشمير لهذه المخططات ، بل عمدوا إلى المقاومة التى اتخذت أساليب عدة :

أولا : إنشاء المدارس والمعاهد والكليات الإسلامية النموذجية في أنحاء الولاية لمواجهة الغزو الفكرى الهندوسى .فأنشأوا أكثر من ألف مدرسة وكلية إسلامية فى أنحاء الولاية ، وهذه المدارس والمعاهد قد تخرج فيها جيل جديد على وعى بدينه وأحكامه .

ثانيا : الاهتمام بنشر الدعوة بكل الوسائل الممكنة والأساليب الميسرة .

كإصدار كتب الدعوة والمجلات .

وإنشاء المكتبات الإسلامية ودور القراءة .

وإلقاء الدروس القرآنية وخطب الجمعة .... الخ .

ثالثا : العمل على توحيد كلمة المسلمين للمحافظة على الشخصية الإسلامية للولاية من ناحية ، ولمواجهة المخططات الاستعمارية العدوانية من ناحية ثانية ، وللمطالبة بإجراء الاستفتاء لتقرير مصير الشعب الكشميرى المسلم من ناحية ثالثة .

رابعا : إنشاء القرى الإسلامية النموذجية لتكون نموذجا حيا للمجتمع الإسلامى .

خامسا : توعية الشعب الكشميرى المسلم بأساليب الاستعمار الهندوسى للقضاء على الإسلام والمسلمين فى الولاية .

سادسا : المطالبة بإجراء الاستفتاء لتقرير مصير الشعب الكشميرى المسلم حسب قرارات جمعية الأمم المتحدة .

وهكذا ظلت الروح الدينية حية فى كشمير ولم يتمكن الاستعمار من تحقيق أهدافه فيها .

رد الفعل :

**أمام هذه المقاومة الباسلة لاسترداد حق اعترف به المجتمع الدولى ، ــ وإن تلكأ إزاءه ــ ثار الاستعمار الهندى بكشمير ، وفقد الحكمة والبصيرة إزاء شعبها ، فقام :**

**بتنفيذ حظر التجول فى أكثر من ( ٢٠ ) مدينة بالولاية ، وتسليم هذه المدن إلى الجيش ، وطرد مندوبى الصحف والمجلات العالمية من الولاية ، وإيقاف الجرائد والمجلات المحلية ، ثم قتل الأبرياء من الرجال والنساء والولدان ، مع السماح للجيش الهندوسى الغاشم الموجود فى الولاية بدخول بيوت المسلمين وهتك أعراض المسلمات جماعيا ، ومما يذوب له القلب كمدا وألما أن الجنود الهندوس بعد ذلك يقطعون أثداءهن وأيديهن ويرمون جثثهن فى الأنهار حتى لقد تجمعت خلال أشهر جثث مئات المسلمات اللاتى**

**طفت بسطح نهر (جهلم) الذى يمر من كشمير المحتلة إلى كشمير الحرة ، ثم إلى باكستان .**

وإذا كان هذا ما يحدث بداخل كشمير فللهند موقفها السياسى منها :

أولا : تعتبرها حاليا أرضا هندية ، وما يجرى - بداخلها - قضية داخلية لا ينبغى لأية دولة - أو للمجتمع الدولى - التدخل فى شئونها .

ثانيا : إن موافقة الهند على الاستفتاء سيعنى مزيدا من الانقسام داخل الهند ، ومطالبة ولايات أخرى بالاستقلال .

ثالثا : إن موافقة الجمعية التأسيسية للولاية عام ١٩٥٧ م على ضم كشمير إلى الهند يعتبر تقرير مصير للولاية .

رابعا : الهند دولة علمانية يسكنها بشر يدينون بأديان مختلفة ، فموافقتها على الاستفتاء تسبب مشاكل لأكثر من (٢٠٠) مليون مسلم داخل الهند .

والحقيقة أن أى شعب عانى من الاستعمار يعلم تفاهة هذه الدعاوى للأسباب التالية :

أولا : قضية كشمير ليست داخلية فلا تزال ملفاتها قابعة فى الأمم المتحدة مع قرارات هذه الجمعية التى أكدت حق كشمير فى تقرير المصير .

ثانيا : ادعاء الهند بأن استجابتها لتقرير المصير بكشمير يؤدى إلى مطالبة أجزاء أخرى بالاستقلال باطل ؛ ذلك لأن أمر ولاية (جامو كشمير) مطابق لأحكام تقسيم شبه القارة إلى دولتين مستقلتين . هما « باكستان والهند » الذى يفيد ضم البلاد ذات الأغلبية الدينية إلى نظيرتها من كل من الهند أو باكستان .

ثالثا : ما تدعيه الهند من موافقة الجمعية التأسيسية للولاية على الضم لم يكن قرارا شرعيا ، كما سبق أن بينا ؛ كما أن وجود الأغلبية لدين معين كاف فى الرد على مزاعم الهند .

**ثم بعد ؛ فإلى أين تتجه مطامع الهند ، إنها لا تقف عند كشمير وحدها فقد كتب « جواهر لال نهرو » فى كتابه الشهير « اكتشاف الهند » (DISCOVERY OF INDIA) يقول :**

**« إن الهند كما صنعتها الطبيعة لا يمكن لها أن تلعب فى شئون العالم دورا فى الدرجة الثانية ، فهى إما أن تعتبر من القوى الكبرى ذات الأهمية والعظمة ، وإما أن لا يكون لها أى وجود .**

ويقول الدكتور « ايس ، آر ، باتيل » أحد خبراء الخارجية الهندية فى كتابه (السياسة الخارجية للهند) :

« إن المؤثرات الجغرافية لها الحكم النهائى فى الموضوع ، ومن أجل ذلك فإن مصالح الهند الخارجية تتركز على المناطق القريبة منها . ولهذا فإن « نيبال ، باكستان ، أفغانستان ، بورما ، ملايو وأندونيسيا » مهمة جدا لتحقيق مصالح الهند » .

« ومن الضرورى جدا بالنسبة للهند أن تسيطر على « سنغافوره والسويس » اللذين هما للهند بمثابة الباب الرئيسى . وإذا تغلبت عليها قوة معادية أخرى فستعرض الهند واستقلالها للتهديد والاهتزاز » .

ويختتم هذا الخبير السياسى حديثه عن مطامع الهند السياسية قائلا :

« يسود فراغ سياسى هائل فى المنطقة بعد مغادرة الإنجليز ويجب ملء هذا الفراغ ؛ كما أنه من الضرورى للهند - لكونها قوة بحرية عظمه - أن يتحول المحيط الهندى من « سنغافورة » الى « السويس » ليكون « خليجا تملكه الهند » .




تكرر آية : «كدأب آل فرعون ... » ما ذكر فى الآية قبل السابقة لتثبيت عقوبتهم فى الأذهان ولتشديد الإنذار بها ، واختلف التعبير فى بعض الألفاظ فذكر فى الآية الأولى كفروا وهنا قال كذبوا ، وقد ذكرنا قبل معنى الدأب ، والكفر بمعنى الجحد فهو غير بعيد من التكذيب ، ولكن كلمة ربهم تذكر بما لله – تعالى – من واجب الربوبية ، فهو – سبحانه – رباهم على نعمه فلم

يشكروه ، ولكن كذبوا بما أنعم به عليهم ، والأخذ بالذنب قد يكون : هلاكا وقد يكون غيره ، والله ـ سبحانه ـ لا يبادر الناس بالعقوبة على غير ذنب ، ولكنهم ينحرفون ويخرجون على شريعة الله ، كأنما يحاربونه والله ـ سبحانه ـ لا يغلب ، فينزل عليهم عقوبة ، فهو لا يظلم الناس ولكن الناس أنفسهم يظلمون .

وصرحت الآيتان بآل فرعون ، وهم أعوانه ومشايعوه على عدوانه وافترائه ، وظلم فرعون من أشهر أنواع الظلم ، ومجادلاته مع موسى من أوضح الدلالات على إصراره على نكران الإله الخالق وادعائه الألوهية لنفسه ، وقد صاح في قومه : ما علمت لكم من إله غيرى ، ثم هو حارب قوما لا نبيا واحدا .

أما « الذين من قبلهم » فتشمل المكذبين من عهد نوح ، وذكروا تفصيلا في غير آية من القرآن وجاء إجمالهم في الآية الكريمة :

« فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا »

سورة العنكبوت

والذين أغرقوا قوم نوح وقوم فرعون ، وفي الآية التي نحن بصددها « فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون » والإغراق بإهلاك ، ولكنه أفرد بالذكر لشناعته فهذا من ذكر الخاص بعد العام ، كذكر جبريل بعد الملائكة وهو منهم .

« وكل كانوا ظالمين »

كل الأقوام الذين كذبوا رسل الله وحاربوهم كانوا ظالمين لأنفسهم بحيدهم عن الصراط ، وحديثهم عظة وعبرة لمن يأتي بعدهم .

والآية تتحدث عن مشركي مكة الذين درجوا على إنكار ما يأتيهم به النبي ﷺ من الآيات ، حتى بعد هجرته من مكة ، وعن اليهود الذين يكذبون كل ما ينزل من القرآن على النبي ، وقد أصيب السابقون بما ذكرناه ، وأصيب القرشيون يوم بدر « وكل كانوا ظالمين » أي كل من الأمم السابقة ومن هؤلاء ، أو كل من آل فرعون وكفار قريش ، وهم ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصي ، أو بوضع التكذيب مكان الإيمان ، وكان أحرى بهم أن يستعملوا عقولهم وأن يفكروا ، وإهمال العقل والتفكير ظلم بيّن للنفس . لأن العقل نعمة تميز بها الإنسان عن سائر الحيوانات فمن أهمل عقله فهو ظالم لنفسه . وقد ناسب بعد هذا أن يوصف المصرون على الكفر بأنهم دواب أو من شرار الدواب .

« إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون » .

هذا حديث عن الكفرة الباقين المصرين على الكفر بعد حديث الذين أهلكوا ولم تقل الآية إنهم شر الناس أو شر الآدميين . وإنما قالت شر الدواب كأنهم ليسوا من جنس الآدميين ، وأيضا ليسوا من عامة الدواب بل هم من شرارها ، كما قال تعالى :

أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا (٤٤)

سورة الفرقان

والمراد بالذين كفروا الذين أصروا على الكفر ورسخوا فيه . فهم لهذه الصفة لا يؤمنون أصلا فلا تشق على نفسك في دعوتهم ولا تذهب نفسك عليهم حسرات .

﴿ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهۡدَهُمۡ فِي كُلِّ مَرَّةٖ وَهُمۡ لَا يَتَّقُونَ ۝٥٦ ﴾

هذا بدل من الذين كفروا ، وهم لإصرارهم على الكفر لا يوفون بالعهود ، وهؤلاء هم بنو قريظة من خونة اليهود ، عاهدهم رسول الله ﷺ أول ما هاجر ألّا يمالئوا عليه أى لا يعينوا عليه عدوا ، ولكنهم ما لبثوا أن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم ، فمالؤا مشركى مكة وأمدوهم بالسلاح . ثم قالوا نسينا وأخطأنا ، ولم يؤاخذهم نبى الرحمة ﷺ ولم يثبتوا على عهدهم ، بل انضموا ثانيا إلى القرشيين . وذهب كعب بن الأشرف إلى مكة فعقد معهم حلفا على أن يكونوا معهم على المسلمين ، فهم هكذا ينقضون العهود ولا يوفون - ولذا تقول الآية : « ثم ينقضون عهدهم فى كل مرة وهم لا يتقون » أى لا تصل التقوى إلى قلوبهم ، ولا يخشون عاقبة غدرهم ولا معرته عليهم ، والتقوى من الوقاية ، فكأنهم لا يعنيهم أن يحفظوا أنفسهم لا من عقاب الله ولا من سوء المقالة عليهم . هؤلاء حقاهم شر الدواب ، قال الزمخشرى : شر الناس الكفار ، وشر الكفار المصرون منهم على الكفر ، وشر المصرين على الكفر الناكثون للعهود - وجملة الذين عاهدت منهم بدل من الذين كفروا ! وعطف بيان ، ونكث العهد نقضه كما ينكث الحبل فيحل إلى قطع وأجزاء لا تصلح أن يربط بها شىء، فهؤلاء لم يبقوا على عهد عاهدوه . ومعنى عاهدت منهم أخذت العهد منهم ، فالمراد بهم إذن يهود المدينة ، وقيل : إن منهم للتبعيض أى : عاهدت بعضا منهم ، فالحديث إذن عن اليهود عامة .

وعن سعيد بن جبير أن الآية نزلت فى ستة رهط منهم ، ولعله يعنى كبارهم وأشرافهم الذين تولوا إبرام العهد مع رسول الله ﷺ

﴿ فَإِمَّا تَثۡقَفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡحَرۡبِ فَشَرِّدۡ بِهِم مَّنۡ خَلۡفَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ۝٥٧ ﴾

أى : إذا ظفرت بهم فى الحرب ، فافعل بهم ذلك ، والثقف يطلق على المصادفة وعلى الظفر ، وكلاهما يصلح فى هذا المقام . وفى مفردات الراغب : الثقـف : الحذق فى إدراك الشىء وفعله .. ثم يتجوز به فيستعمل فى الادراك وإن لم تكن معه ثقافة ، وقيل : هو يدل على إدراكهم مع التمكن منهم والظهور عليهم ، ومعنى فشرد بهم من خلفهم: نكل بهم تنكيلًا يخيف من وراءهم من الكفرة الأعداء ، فتقتيل هؤلاء الذين نقضوا العهود وأعانوا الأعداء على المسلمين يخيف الآخرين الذين يتربصون للسطو على المسلمين من أهل مكة وغيرهم . فالتنكيل بهم مما يتعظ به من سواهم .

وقيل : إن معنى شرد بهم سَمِّع بهم ، ومنه قول الشاعر :

أطوّف بالأباطح كل يوم    مخافة أن يشرد بى حكيم

أى يسمع بى .

وقرأ ابن مسعود والأعمش . شرذ بهم - بالذال المعجمة ، فقيل هى بمعنى التنكيل ، ويكون المعنى إذا ظفرت بهم فنكل بهم تنكيلا يخيف غيرهم .

قال الزمخشرى ، هى بمعنى فرق ، وكأنه مقلوب شذر من قولهم ذهبوا شذر مذر ومنه

الشذر الملتقط من المعادن لتفرقه . وأنكر بعض النحويين وجود « شرذ » فى اللغة العربية ، ولا يعنينا أن تذهب وراء القراءات العديدة والأعاريب ويكفينا ما يتضح به المعنى المناسب .

وأما جملة : « لعلهم يذَّكرون » فهى تعنى لعل من خلف هؤلاء الناكثين من الأعداء يتعظون ويعتبرون فلا يجرءُون على الإقدام على حرب المسلمين ، ولا يجرؤ من يعقد منهم عهدا على نقضه .

والآية على أى حال تشير إلى أن حربـا ستكون ، وهى إرشاد لما ينبغى أن يعمل مع ناقضى العهود والمتجرئين على الحرب ، فهؤلاء لا يعاملون بالرفق والتسامح بل يؤخذون بالقسوة والشدة لينزجر من وراءهم .

والإسلام بوجه عام لا يميل إلى الحرب ولا يؤيدها إلا للأسباب الحاملة عليها . والسلم يجب أن يكون مسلحا دائما مستعدا لدفع العدوان عليه ، حاملا سيفه كلما سمع هيعة طار إليها ، ودعا النبى ﷺ ربه أن يجعل رزقه تحت ظل سيفه ، لأن الظلم من شيم النفوس .

ومن لم يزد عن حوضه بسلاحه
يهدم . ومن لا يظلم الناس يظلم

وهذا مغزى الجهاد فى الإسلام . ومن خطب رسول الله ﷺ .

« يأيها الناس ، لا تمنوا لقاء العدو ، وسلوا الله العافية ، فإذا لقيتموهم فاصبروا ، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف » ومن دعائه ﷺ :

« اللهم منزل الكتاب ومجرى السحاب ، وهازم الأحزاب ، اهزمهم وانصرنا عليهم » .. ودعاؤه يوم بدر يوضح مدى إشفاقه على الدعوة الإسلامية ثم نجده بعد الحرب وهزيمة أعدائه يشير إلى البيت :

نفلق هاما من رجال أعزة
علينا . وهم كانوا أعق وأظلما

فهو يعلن أنهم هم الذين بدأوا وسعوا لحربه

ومن تمام التوجيه والإرشاد فى مواقف الحرب قول الله تعالى : « وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين .

والخوف هنا مستعار للعلم ، والمعنى إذا رأيت قوما ممن بينك وبينهم عهد يستشرفون لنقض العهد والخيانة ، فانبذ إليهم عهدهم واطرحه إليهم ثم حاربهم بعد ذلك . ولا تحاربهم وهم يتوهمون أنهم باقون على عهدهم فيكون ذلك من الخيانة ، أو هم رغم ما يبدر منهم يتخذونه وسيلة للطعن والتشهير بالمسلمين .

والآية بيان لما ينبغى أن يعمل مع المشرفين على نقض العهود ، والذين يتسترون بمظاهر النفاق ، وبينت الآية السابقة حكم ناقضى العهد والمتلاعبين بالمواثيق .

و« انبذ » تعنى اطرح وتتضمن مفعولا محذوفا ، أى ارم إليهم عهدهم ، وأعلمهم بأنهم ليسوا أوفياء فلا عهد لهم ، فيكونون على علم بالحرب ، والخيانة ليست من شيم المسلمين ولا من مبادىء الإسلام .

وكلمة « على سواء » إما بمعنى على طريق مستقيم واضح ، وإما بمعنى على استواء بينك وبينهم ، أى العهد منقوض من قبلك كما هو منقوض من قبلهم ، إن الله لا يحب الخائنين .. وطرح العهد أبعد من الخيانة ، وأوضح فى إعلان الحرب .



تبينت إدارة التحرير ـ آسفة ـ أن ترجمة النص الإنجليزى الذى نشر بعدد جمادى الآخرة ١٤١٤ هـ ص( ٨٤٥ ) وقعت فيه استنتاجات المترجم التى استوحاها من النص داخل الترجمة .

وهى استنتاجات ـ وإن كانت صحيحة إجمالا ـ فقد كان ينبغى إلحاقها بالترجمة كدراسة عنها ، وليس كجزء منها ، وزاد الأمر لبسا فَقْدُ الكلمة لعلامات الترقيم .

ولما كانت الأمانة تدعونا إلى إعادة نص الترجمة الصحيحة أوردناها فيما يلى :

## أوروبا عام ٢٠٠٠ : حروب جديدة ومخاطر جديدة

قد تكون قمة باريس بداية لعهد جديد فى الشئون الأوروبية ، لكن ليس هناك من يعلم الشكل المحدد الذى سيكون عليه هذا العهد . فالقارة يمكن أن تبدو فى عام ( ٢٠٠٠ ) مختلفة اختلافاً جذرياً عما هى عليه الآن . وقد تتكون أمم جديدة ، وقد يعاد رسم بعض الحدود . وستتدهور روابط قديمة ، وتقوى أخرى جديدة . وستندمج أقاليم مع أقاليم لتتكون مراكز محورية جديدة للنشاط الاقتصادى والثقافى . وقد يكون بعض هذه التغيرات عنيفاً ، ويمكن أن يطلق الصراع والكرب الاقتصادى العنان لموجات عارمة من الهجرة . لكن هذه الأزمات يمكن ، بدورها ، أن ترغم الحكومات على أن تتعاون . **فعندما تبدأ الكيانات السياسية الجديدة استيعاب الجغرافيا العرقية لأوروبا ، تصبح الأمم أكثر استقراراً ـ إذا سمح لها بالسير على الدروب التى تختارها شعوبها ، وإذا قدم الغرب التولية المناسبة من المساعدة المالية والإرشاد السياسى** . ومن الأماكن التى ستتجه إليها الأنظار :

**يوغوسلافيا** : يمكن أن تندلع الحرب الأهلية فى يوغوسلافيا فى أى وقت ، فالثُّمْنُ من جمهورية الصرب ، أكبر الجمهوريات الستة التى تتكون منها يوغوسلافيا ، واقع الآن ضمن إقليم كوسوفو الذى يسيطر عليه الألبانيون هؤلاء الذين يشكلون جماعة عرقية ويريدون الاستقلال عن بلجراد . كما أن العداوة مشتعلة بين الصربيين والكرواتيين . ومن المحتمل أن تطالب سلوفانيا فى العام المقبل بالسيادة الكاملة ، وتدعو إلى أن تتحول يوغوسلافيا إلى اتحاد كونفدرالى من جمهوريات مستقلة ؛ وإذا رفضت الحكومة المركزية فإن سلوفانيا قد تنفصل عن يوغوسلافيا ، وسوف يشكل ذلك ضغطاً على كرواتيا كى تترك الاتحاد الفيدرالى اليوغوسلافى .




- ١ -

فى البداية نحدد المقصود من القــرآن ، والبحر ، واليم :

فالقرآن : كلام الله المنزل على رسوله محمد ﷺ المكتوب فى المصاحف ، المتعبد بتلاوته ، وعنه يقول التنزيل العزيز : « فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ »[1] أى قراءته .

والبحر : من الماء : الواسع الكثير ، ويغلب فى الملح ، ومن الرجال : الواسع المعروف والواسع العلم ، ومن الخيل : الواسع الجرى ، الشديد العدو .

ويجمع على أبحر وبحور وبحار .

والبَحْرَة من الأرض : الواسعة والمنخفضة ، ومستقع الماء ، والقرية على نهر ، والروضة المتسعة : وتجمع على بحار ، وبِحَر ، والبحرية : عدة الدولة فى البحر من سفن وغواصات وطائرات وجنود ونحو ذلك[2] .

واليم : البحر ، والحَمَامُ الوحشى . يجمع على يُموم[3] .

وقد ورد ذكر البحر فى القرآن الكريم فى (واحد وأربعين) موضعاً بلفظ (البحر) وفى ثمانية مواضع بلفظ (اليم) فيصير عدد آياته ٤٩ آية . وذكرت هذه الآيات فى خمس وعشرين سورة من القرآن الكريم بلفظ (البحر) وفى أربع سور بلفظ (اليم) فيصير عدد سور القرآن المشتملة على هذه الآيات (٢٩) سورة .

وهذا العدد الكثير من الآيات ، وعدد السور التى ذكر فيها البحر واليم تعادل ربع سور القرآن الكريم تقريباً بما يبين مدى الأهمية الكبيرة التى يوجهها الإسلام وكتابه المكنون ـ القرآن

(*) الباحث : رئيس قسم التاريخ والحضارة ـ كلية اللغة العربية ـ جامعة الأزهر ـ القاهرة . قدم هذا البحث إلى « ندوة اتحاد المؤرخين العرب » ـ محور « الحضارة الإسلامية وعالم البحار » عقدت الندوة بمقر الاتحاد بمدينة نصر ـ القاهرة ـ فى نوفمبر ١٩٩٣ .

(١) سورة القيامة آية ١٨ ، ١٩ .

(٢) المعجم الوسيط جـ ٢ ص ٧٢٢ .

(٣) المعجم الوسيط جـ ١ ص ٤٠ .

الكريم – إلى البحر وأهميته ، وتوجيه أنظار المسلمين إلى الاهتمام والاستفادة منه ، واستقصاء كل ما يتعلق به من أمور تفيد المسلمين والإنسانية فى نمو الحياة وازدهارها وتقدمها وإدراك أسرارها التى تدل على موجدها ومانحها – سبحانه وتعالى .

ويتجلى ذلك الاهتمام عندما تمعن النظر فى الآيات الكثيرة ، والمجالات المتعددة التى تتحدث عنها ، والتى تدفع المسلمين إلى استقصائها ، والبحث عنها ، حيث نجد تلك المجالات تتمثل فى أمور قد يبدو من عرض بعضها أنها خاصة ، ولكن الهدف منها عام وشامل لكل زمان ومكان بما يفيد الإنسانية على المدى الطويل .

وسوف أحاول – جاهداً – فى هذا البحث تحديد الأطر التى وردت متعلقة بالبحر ، ثم أذكر الآيات التى تتعلق بكل موضوع ، وأحاول بيانها وشرح الهدف منها ، وذلك على النحو التالى :

(أ) آيات تتحدث عن البحر اقتصاديا .

(ب) آيات تتحدث عن استكشاف أسرار البحر وما فيه بما يفيد الإنسان ، وتوجيهه إلى البحث فى علم الفلك وغيره من العلوم المختلفة ( كالصيد واستخراج اللؤلؤ ..وغيره ) .

(جـ) آيات تذكر البحر بالنسبة لنبى الله موسى ( عليه السلام ) وأم موسى ، وبنى إسرائيل ، وفرعون وأهل مصر ، فهى تبين أحداثاً تاريخية .

(د) آيات وعظية سلوكية تربوية ، توجه الإنسان إلى توثيق صلته بالله – تعالى – ، وتشير إلى نعم الله على الإنسان وتكريمه .

وسوف أتتبع هذه الموضوعات مع الآيات القرآنية الواردة بشأنها قدر – الطاقة والجهد – بما يدل على اهتمام القرآن الكريم بتوجيه قارئه إلى البحر وأهميته :

**(أ) الآيات التى تتحدث عن البحر اقتصاديا ، وهى تسع آيات :**

١ – فى سورة البقرة ( آية ١٦٤ ) يقول الله تعالى :

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾

فهو هنا وسيلة مواصلات – أى وسيلة للنقل البحرى – سواء لنقل الإنسان أو التجارة أو غيرها . وتوجيه إلى إدراك فائدة الأسطول – سواء كان أسطولاً حربياً أو تجارياً – يستخدم فيما يعود على الإنسان بالنفع ، والنفع هنا عام يتوجه إلى أى نفع يعود على الإنسان بالخير . يقول القرطبى : وهذه الآية دليل على ركوب البحر مطلقاً لتجارة كان أو عبادة كالحج والجهاد ، وفى حديث أنس بن مالك عن خالته أم حرام بنت ملحان أنها قالت : « نام رسول الله ﷺ قريبا منى ، ثم استيقظ يبتسم ، فقلت : يا رسول الله ما أضحكك ؟ قال : « ناس من أمتى عرضوا على يركبون ظهر هذا البحر كالملوك على الأسرة » قالت : فادع الله أن يجعلنى منهم ، قال : فدعا لها ثم نام الثانية ففعل مثلها ، ثم قالت مثل قولها ، فأجابها مثل جوابه الأول قالت : فادع الله أن يجعلنى منهم ، قال : فأنت من الأولين » .

قال فخرجت مع زوجها عبادة بن الصامت غازية أول ما ركب المسلمون البحر مع معاوية بن أبى سفيان ـ رضى الله عنهما ـ فلما انصرفوا من غزاتهم قافلين ، فنزلوا الشام ، فقرّبت إليها دابة لتركبها فصرعتها فماتت[4] .

وهذا دليل واضح ـ كما يرى الإمام القرطبى ـ على ركوب البحر فى الجهاد للرجال والنساء[5] .

ويرى ـ أيضاً ـ فى قوله تعالى :

﴿ بما ينفع الناس ﴾ ،

أى بالتجارات وسائر المآرب التى تصلح بها أحوالهم ، فبركوب البحر تكتسب الأرباح ، وينتفع من يحمل إليه المتاع أيضاً .

٢ ـ وفى سورة المائدة آية ٩٦ يقول الله تعالى : أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا

وفيها يوجه القرآن الإنسان إلى الصيد واتخاذه مورداً للغذاء والتمتع به ، يقول الألوسى : « أحِلّ للمحرمين ما يصاد فى الماء بحراً أو نهراً أو غديراً ، وهو مايكون توالده ومثواه فى الماء مأكولاً أو غيره[6] ، ويعلق أحد المفسرين على ذلك بأن حيوان البحر حلال صيده وحلال أكله ؛ لأنه ليس فيه الحساسية والإدراك كما فى حيوان البر بوجه عام ، وقصد بتحريم الصيد البرى فى الإحرام تأمين الطير والحيوان فى البر إلى جانب تهذيب حس المحرم ، وإشعاره بقرابة الأحياء وحرية أرواحها فى جميع الصور والأشكال .

وصيد البر ليس قتله وحده حراماً على المحرم ، ولكن تناوله كذلك طعاماً محرم عليه .

٣ ـ وفى سورة إبراهيم آية ٣٢ يقول الله تعالى : اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾

فالله يمتن على عباده بتسخير الفلك فى البحر كوسيلة للمواصلات . يقول ابن كثير : جعلها طافية على تيار ماء البحر تجرى عليه بأمر الله تعالى ، وسخر البحر لحملها ليقطع المسافرون بها المسافات من إقليم إلى إقليم آخر لجلب المنافع من هنا إلى هناك ، ومن هناك إلى هنا ، وسخر الأنهار تشق الأرض من قطر إلى قطر رزقاً للعباد من شرب وسقى وغير ذلك من أنواع المنافع[7] ، ويقول الطبرى : سخر لكم الفلك وهى السفن فى البحر تركبونها وتحملون فيها أمتعتكم من بلد إلى بلد ، وسخر لكم الأنهار ، أى : ماؤها شراب لكم[8] .

٤ ـ وفى سورة النحل آية ١٤ يقول الله تعالى :

﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ

(٤) سنن ابن ماجه م ٢ حديث رقم ٢٧٧٦ ص ٩٢٧ .

(٥) القرطبى : الجامع لأحكام القرآن جـ ١ صفحات ٥٧٥ ، ٥٧٦ ط دار الريان للتراث . (٦) الألوسى روح المعانى جـ ٧ ص ٣٠ .

(٧) ابن كثير تفسير القرآن العظيم جـ ٢ ص ٥١٩ .

(٨) الطبرى وجامع البيان فى تفسير القرآن جـ ١٣ ص ١٣٣ ، ١٣٤ .

مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ » .

وفيها يوجه القرآن الإنسان إلى خيرات البحر المأكولة الشهية ، ومافيه من حلى يتجمل بها الإنسان .

ثم أشار إلى اتخاذ الفلك وسيلة للمواصلات وحث الإنسان على البحث عن خيرات الله وفضله الذى أودعه فى البحر ، لعل ذلك يحمله على شكر نعم الله الكثيرة .

فالله ـ سبحانه وتعالى ـ يخبر عن تسخير البحر المتلاطم الأمواج ، ويمن على عباده بتذليله لهم وتيسيرهم للركوب فيه ، وجعله السمك والحيتان فيه ، وإحلاله ـ لعباده ـ لحمها : حيها وميتها فى الحل والإحرام ، وما يخلقه فيها من اللآلىء والجواهر النفيسة ، وتسهيله للعباد استخراجها من قراره حلية يلبسونها ، وتسخيره البحر لحمل السفن التى تمخره أى تشقه بجؤجئها وهو صدرها المسنم ، وهو الذى أرشد العباد إلى صنعتها وهداهم إلى ذلك إرثا عن أبيهم نوح ـ عليه السلام ـ فإنه أول من ركب السفن وعلمه صنعتها ، ثم أخذها الناس عنه قرناً بعد قرن وجيلا بعد جيل يسيرون من قطر إلى قطر ومن بلد إلى بلد ومن إقليم إلى إقليم لجلب ما هنا إلى هناك وما هناك إلى هنا ، ولهذا قال : « ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون » أى : نعمه وإحسانه ( وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم وأنهاراً وسبلا لعلكم تهتدون ) أى جعل فيها أنهاراً تجرى من مكان إلى مكان آخر رزقاً للعباد ، تنبع فى موضع وهى رزق لأهل موضع آخر ، فتقطع البقاع والبرارى والقفار ويخترق الجبال والآكام ، فيصل إلى البلد الذى سخر لأهله وهى سائرة فى الأرض يمنة ويسرة وجنوباً وشمالاً وشرقاً وغرباً ما بين صغار وكبار وأودية تجرى حيناً وتنقطع حيناً ، وما بين نبع وجمع وقوى السير وبُطْئِه ، بحسب ما أراد وقدر وسخر ويسر ، فلا إله إلا هو ، ولا رب سواه ، وكذلك جعل فيها سبلا أى : طرقاً يسلك فيها من بلاد إلى بلاد ، حتى إنه ـ تعالى ـ ليجعلها تقطع الجبل حتى يكون ما بينهما ممراً ومسلكاً قال تعالى : « وجعلنا فيها فجاجاً سبلا » وقوله : « وعلامات » أى دلائل من جبال كبار إلى آكام صغار ، ونحو ذلك يستدل بها المسافرون إذا ضلوا الطرق . وقوله ( وبالنجم هم يهتدون ) أى فى ظلام الليل[٩] .

ويقول القرطبى : إن تسخير البحر هو تمكين البشر من التصرف فيه ، وتذليله بالركوب والأرقاء وغيره .

وهذه نعمة من نعم الله تعالى علينا فلو شاء سلطه علينا وأغرقنا ، ثم يبين أن اللحوم ثلاثة:لحم ذوات الأربع ، ولحم ذوات الريش ، ولحم ذوات الماء ، ثم يبين أن معنى ( تستخرجوا منه حلية تلبسونها ) ، هى : اللؤلؤ والمرجان لقوله تعالى : « يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان »[١٠] ، وأن معنى

---

(٩) ابن كثير تفسير القرآن العظيم جـ٢ ص٥٦٤ .

(١٠) سورة الرحمن آية ٢٢ .

« وترى الفلك مواخر فيه » أى : جوارى تذهب وتجىء مقبلة ومدبرة بريح واحدة ، والمخر : الجرى مع صوت ؛ لأنها تشق الماء عن يمين وشمال ، ولتبتغوا من فضله : أى لتركبوه للتجارة وطلب الحج[11] .

٥ ـ وفى سورة الكهف آية ٧٩ يقول الله تعالى :

﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾﴾

حيث نجد القرآن يوجه الناس إلى أن البحر مجال من مجالات العمل ، ويذكر قصة السفينة والمساكين والملك والخضر وموسى عليهما السلام . وأن الملك يأخذ كل سفينة صحيحة غصباً[12] .

٦ ـ وفى سورة الحج آية ٦٥ يقول الله تعالى :

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ﴾ .

يوجه القران الناس إلى أن الفلك تجرى فى البحر حسب قانون وضعه الله ـ سبحانه وتعالى ـ وأن على الإنسان إدراك هذه القوانين ، وهناك السفن الصغيرة والكبيرة العملاقة التى تسير حسب القانون الذى وضعه الله ؛ فالسفن تجرى فى البحر بقدرة الله وتذليله إياها[13] حسب القانون الذى وضعه لها .

٧ ـ وفى سورة الجاثية آية ١٢ يقول الله تعالى :

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ .

حيث يوجه القرآن الإنسان إلى نعمة البحر وأن الفلك تجرى فيه حيث يستطيع الإنسان أن يجد ما يعود عليه بالخير يقول الطبرى : إن الله سخر البحر لتجرى السفن فيه بأمره لمعايشكم وتصرفكم فى البلاد لطلب فضله فيها ، ولتشكروا ربكم فتعبدون وتطيعون[14] .

٨ ـ وفى سورة الرحمن آية ٢٤ يقول الله تعالى :

﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ﴾

يوجه القرآن الإنسان إلى إمكان كبر وضخامة السفن حتى تكون كالجبال ، والمنشآت الظاهرات السير تقبلن وتدبرن ، وقال مجاهد : المنشآت ما رفع قلعه من السفن ، وإذا لم يرفع قلعه فليس بمنشأة ، والأعلام الجبال ، شبه السفن بالجبال وهذا من إعجاز القرآن حيث شبه السفن بالجبال ، والسفن العملاقة التى توصل الإنسان إلى بنائها الآن تشبه الجبال فسبحان الله العظيم .

٩ ـ وفى سورة فاطر آية ١٢ يقول الله تعالى :

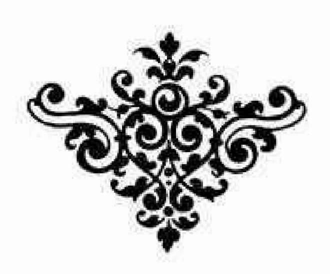
﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ

(١١) القرطبى الجامع لأحكام القرآن جـ ١٠ ص ٨٥ .
(١٢) الطبرى : جامع البيان فى تفسير القرآن جـ ٣ ص ١٦ .
(١٣) المرجع جـ ١٦ ص ٢ .
(١٤) المرجع جـ ٢٥ ص ٧٨ .

حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾

يذكر القران البحرين الملح والعذب ، وصيد السمك من كل منهما ، واستخراج الحلية والزينة التى تلبس وهى اللؤلؤ والمرجان من البحر الملح ، وقيل : منهما ، ثم يشير إلى المواصلات المائية ، وجرى السفن فيهما بما يعود على الإنسان بالنفع والخير . يقول ابن كثير : نبه الله ـ تعالى ـ على قدرته العظيمة فى خلقه الأشياء المختلفة ، خلق البحرين العذب الزلال ، وهو : هذه الأنهار السارحة بين الناس بحسب الحاجة إليها فى الأقاليم والأمصار والعمران والبرارى القفار ، وهى عذبة سائغ شرابها لمن أراد ذلك ، وهذا ملح أجاج أى : مر ، ومن كل تأكلون لحماً طرياً ، يعنى : السمك وتستخرجون حلية تلبسونها . يعنى : اللؤلؤ والمرجان . وترى الفلك مواخر فيه أى : تمخره وتشقه بحيزومها ، وهو : مقدمها المسنم الذى يشبه جؤجؤ الطير ، وهو : صدره . وذلك لعلكم تشكرون ربكم على تسخيره لكم هذا الخلق العظيم ، وهو البحر تتصرفون فيه كيف شئتم ، وتذهبون أين أردتم ولا يمتنع عليكم شيء منه ، فبقدرته قد سخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعها بفضله ورحمته ، وعلى الإنسان الانتفاع بهذه النعم وأن يشكر الله عليها ، ويجد فى معرفة قوانينها ، والاستفادة منها بما يعود عليه وعلى الحياة والإنسانية بالتقدم والازدهار .

ـ يتبع ـ



قبس من أنوار النبوة

# الإسلام يجبُّ ما قبله

بقلم فضيلة الشيخ / على حامد عبد الرحيم

روى الإمام أحمد بسنده عن جرير بن عبدالله البجلى : أن رجلا جاء فدخل الإسلام فكان رسول الله ﷺ يعلمه الإسلام - وهو فى مسيره - فدخل خف بعيره فى جحر[1] يربوع[2] ، فوقصه[3] بعيره فمات ، فأتى عليه رسول الله ﷺ فقال : « عَمِلَ قليلا وأُجِرَ كثيراً » مسند الإمام أحمد ٤/٤٥٧

إن الركن الأول فى بناء الإسلام هو شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وهذه الشهادة هى : حق الله - تبارك وتعالى - كما جاء فى حديث معاذ بن جبل - رضى الله عنه - فيما رواه البخارى ومسلم - فيقول : « كنت رديف النبى ﷺ فقال لى : يامعاذ ، أتدرى ما حق الله على العباد ، وما حق العباد على الله ؟

قلت : الله ورسوله أعلم . قال : فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشركوا به شيئاً » .

والتوحيد الخالص الذى يدخل صاحبه الجنة على ما كان من العمل يتمثل فى هذه العقيدة الإيمانية الراسخة كما قال تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾

فعن عبادة بن الصامت - رضى الله عنه - فيما رواه البخارى ومسلم - قال : قال رسول الله ﷺ « من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن عيسى عبدالله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، والجنة حق ، والنار حق ، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل » ولهذا كان رسول الله ﷺ يقول : أفضل الذكر لا إله إلا الله وأفضل الدعاء الحمد لله » - أخرجه أحمد وغيره وصححه الحاكم .

ويقول ﷺ فيما أخرجه الترمذى « التسبيح نصف الميزان ، والحمد لله تملؤه ، ولا إله إلا الله ليس لها دون الله باب حتى تخلص إليه » .

وحتى يعرف العباد قيمة شهادة التوحيد ، نسوق - لنا جميعا - هذا الحديث الذى أخرجه النسائى وابن حبان فيما رواه أبو سعيد الخدرى - رضى الله عنه - : ( قال موسى يارب علمنى ما أذكرك به وأدعوك به ، فقال : ياموسى قل : لا إله إلا الله ، قال موسى عليه السلام : يارب كل عبادك يقولون هذا . قال : قل : لا إله إلا الله . قال : لا إله إلا أنت . إنما أريد شيئا تخصنى به . قال : يا موسى لو أن السموات السبع ... والأراضين السبع فى كفة ، و « لا إله إلا الله » فى كفة ، لمالت بهن « لا إله إلا الله » ) وإنما كان ذلك لأن « لا إله إلا الله » رأس الأمر ، وكل ما يتعلق بالعقيدة يندرج فيها . وأن كل من نطق بها لا يجوز التعرض له ولو كان فى حال القتال .

روى أن أسامة بن زيد - حب رسول الله ﷺ

---

(١) الجحر : كل شىء تحفره الهوام فى الأرض .

(٢) اليربوع : نوع من الفأر .

(٣) الوقص : كسر العنق .

وابن حب رسول الله ـ ﷺ ـ كان أميراً على إحدى السرايا التى خرجت للقاء المشركين ـ الذين يناوئون الإسلام والمسلمين ـ وأحرز نصراً أدخل الفرح والسرور على رسول الله ﷺ ، ولنستمع لأسامة يروى لنا بقية النبأ ـ كما جاء فى كتاب « رجال حول الرسول »[4] قال أسامة ـ رضى الله عنه :

« .. فأتيت النبى ﷺ وقد أتاه البشير بالفتح ، وإذا هو متهلل وجهه .. فأدنانى منه ، ثم قال : حدثنى .. فجعلت أحدثه .. وذكرت له أنه لما انهزم القوم أدركت رجلا وأهويت إليه بالرمح ، فقال : لا إله إلا الله ، فطعنته ، فقتلته .

فتغير وجه رسول الله ﷺ وقال : « ويحك يأسامة ! فكيف لك بلا إله إلا الله ؟ فلم يزل يرددها على حتى لوددت أنى انسلخت من كل عمل عملته ، واستقبلت الإسلام من جديد .. فلا والله لا أقاتل أحداً قال : لا إله إلا الله بعد ما سمعت من رسول الله ﷺ » .

وعندما أراد أسامة ـ رضى الله عنه ـ أن يدافع عما فعل قال : يارسول الله إنما قال لا إله إلا الله حين أيقن أنى مُنْتَصِرٌ عليه . قال له النبىّ ﷺ : « هل شققت عن قلبه » .

حتى ولو قالها بلسانه يتقى بها الموت .

فكيف بمن هو مؤمن حقاً ، ومسلم حقاً .

ولقد طلب رسول الله ﷺ من عمه أبى طالب أن ينطق بالشهادة حتى يحاجّ له بها يوم القيامة ، فإن الإسلام يجبُّ ما قبله .

وفى حديثنا الذى ابتدأنا به رواية للبخارى عن البراء بن عازب ـ رضى الله عنه ـ قال : أتى النبى ﷺ رجل مقنع بالحديد فقال : يارسول الله : أقاتل أو أسلم؟ فقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ أسلم ثم قاتل؛ ثم قاتل، فقتل، فقال رسول الله ﷺ عمل قليلاً وأجر كثيراً . وفى رواية مسلم : عمل يسيراً وأجر كثيراً .

وأخرج ابن اسحاق فى المغازى ـ بإسناد صحيح ـ عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أنه كان يقول : أخبرونى عن رجل دخل الجنة لم يصل صلاة ، ثم يقول : هو عمرو بن ثابت بن وَقْش .

وقال الحافظ ابن حجر : لم أعرف هذا الرجل ـ لكنه أنصارى . أو سبى من بنى النبيت .

وحديثنا نأخذ منه : أن النبى ﷺ بشّرنا بأن هذا الرجل الذى وقع من فوق ناقته فدقت عنقه . بعد أن نطق بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، مخلصاً من قلبه عازماً على تحقيق ما تتطلبه . فكان من أهل الجنة .

وأجر كثيراً : لأن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء .

جاء فى الصحيحين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أن ناسا من أهل الشرك كانوا قد قتلوا فأكثروا ، وزنوا فأكثروا ، فأتوا محمداً ﷺ فقالوا : إن الذى تقوله وتدعو إليه لحسن لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة ؛ فنزل قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) ﴾ (الفرقان)

فإن عاش بعد دخوله فى هذا الدين فهو مطالب بأداء أركان الإسلام ، والتمسك بكل أحكامه وآدابه .

(٤) الأستاذ خالد محمد خالد .




بقلم الشيخ : معوض عوض ابراهيم

**إن دلالات آيتى الاسراء والمعراج بين آيات صنيع الله تعالى بحبيبه ومصطفاه محمد ﷺ جليلة القدر ، عظيمة الشأن ، موصولة التوكيد لحقيقة رعاية الله وعنايته بالذين يلتزمون أمره ، ويعطون كلماته من اهتمامهم بها ، وتقديمهم لها على كل ما سواها من هدايات وتوجيه ماهى أهله .**

والإسراء الذى قارب الله فيه بين جوانب الارض بدءا من المسجد الحرام بمكة وانتهاء بالمسجد الاقصى فى الارض المقدسة من بلاد الشام ، وفى الميقات الزمانى اليسير الذى تفيده كلمة « ليلا » بما يعنيه إفرادهاوتنكيرها وتنوينها فقد اتسع مع كل ذلك للإسراء والمعراج جميعا يقدر ما اتسعت آية صدر سورة الإسراء لكل ما ذكرت من أمر الحدث الكبير والغاية التى أرادها السميع البصير منه فى حيز لا يشغل من مصحفك غير سطرين اثنين حيث يقول تعالى :

سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير .

هذه الآية نص صريح فى إيجاب الإيمان بآية الإسراء التى لو أتت وحدها مجرد خبر عن الله فى كتابه أو فى كلام نبيه ﷺ لأوجبت التصديق كيف وقد بدأ الله ذلك الخبر بلفظ « سبحان » الذى يغلف معانى الكمال والقدرة على إمضاء ما اخبر به واراده لحكم وغايات قدرها « السميع البصير » .

وجلت حكمة الله فى سوق الحدث الكبير الذى طوى له أكناف الأرض ، وأقدم فيه ملائكته لمصطفاه وأركبه البراق على ما يلحظ فى اسمه من سرعة البرق واتصاف هذه الدابة بما صح

فى السنة المطهرة من أمرها بأكثر مما أورد ابن كثير فى « البداية والنهاية » ص ١٣١ عن ابن اسحق من رواية قتادة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ لما أراد ركـــوب البراق شمس به[1] فوضع جبريل يده على معرفته[2] ثم قال « ألا تستحى يا براق مما تصنع ؟؟! فوا الله ما ركبك عبد لله قبل محمد أكرم عليه منه » قال : فاستحى حتى أرفض عرقا[3] ثم قر حتى ركبته » ويا عجبا للبراق يندى جبينه ويُسْلِسُ للحق قياده ، وكثيرون يمارون فى محمد ورسالته ، وهما آبين من فلق الصبح ، وأنفع للناس والحياة من الغيث الذى ينزله الله من السماء ماء مباركا .

ولا تنتهى أعاجيب الإسراء الذى عرضه القرآن مرة واحدة فى السورة التى تحمل اسمه ولم يتكرر ذكره بإيجاز او تفصيل الا بما قال الله تعالى « وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ » الإسراء/٦٠ وهى اشارة تؤكد أن الاسراء كان رؤيا عين ، ولم يكن كما يثرثر بعض الفارغين شيئا رآه فى نومه ﷺ قال الإمام القرطبى فى تفسيره « وفى البخارى والترمذى عن ابن عباس فى قوله تعالى : « وما جعلنا الرؤيا .. الآية قال : هى رؤيا عين أُرِيَها النبى ﷺ ليلة أسرى به إلى بيت المقدس » ح ١ ص ٢٨٢ « الجامع لأحكام القرآن » طبعة دار الكتب المصرية .

وكان ابن عطية الأندلسى قد روى عن ابن اسحاق أن الصديق ـ رضى الله عنه ـ قيل له صبيحة الإسراء، إن صاحبك يزعم أنه جاء البارحة بيت المقدس وانصرف منه ، فقال : إن كان قال ذلك فقد صدق ، قيل له أتصدقه قبل أن تسمع منه؟ فقال أين عقولكم؟ أنا أصدقه بخبر السماء ، فكيف لا أصدقه بخبر بيت المقدس والسماء أبعد منه بكثير ؟!

والحسن ـ رضى الله عنه ـ يروى ذلك بعد إيراد قول ابن اسحق كان من الحديث ما بلغنى عن مسراه ﷺ عن عبد الله بن مسعود وعائشة ومعاوية بن أبى سفيان والحسن بن أبى الحسن وابن شهاب الزهرى وقتادة وغيرهم من أهل العلم ، وأم هانىء بنت أبى طالب اجتمع فى هذا الحديث كل يحدث عن بعض ما ذكر من أمره حين أسرى به ـ ﷺ ـ .

والعلامة الألوسى يقول فى « روح البيان » ح ٨ ص ١٠٥ طبعة « دار الفكر » والمراد بالرؤيا ما عاينه ـ ﷺ ـ ليلة أسرى به من العجائب السماوية والأرضية كما أخرجه البخارى والترمذى والنسائى حتى قرر ـ رحمه الله ـ أن الصحيح فى « الرؤيا » إنها كانت يقظة وقال مبالغة فيما ردته الآية من زعم « المنامية » قالوا « « إن التعبير بها أى بالرؤيا على ما فيها من معنى التشريك » إن التعبير بها إما مشاكلته لتسميتهم له رؤيا أو جار على زعمهم كتسمية الأصنام آلهة ، فقد روى أن بعضهم قال له ـ ﷺ ـ لما قص عليهم الإسراء : لعله شىء رأيته فى نومك ، أو على التشبيه بالرؤيا لما فيها من العجائب ، أو لوقوعها ليلا ، أو لسرعتها .. أى وما جعلنا الرؤيا التى أريناكها عيانا مع كونها آية عظيمة وأية آية وقد أقمت البرهان على صحتها إلا فتنة أفتتن الناس بها ، قال حتى ارتد بعض من أسلم منهم ، ذكر هذه الردة القليلة ابن جرير رحمه الله وإنها مع ذلك

---

(١) شمس به : نفر ولم يثبت به .

(٢) معرفته : برقبته ومنبت العرف فيها .

(٣) ارفضّ عرقاً : جرى عرقه وسال « ابن الأثير جـ ٢٢ ص ٣٢ من النهاية » بتصرف .

كانت للمخلصين زيادة إيمان بعد أن تمهد السبيل لكل ما قال المفسرون وذكر القول الرابع الذى رجح بكل ما قيل غير أنها رؤيا اليقظة ليلة الإسراء والمعراج بتصرف من ح ٢٠ ص ٢٢٨ تفسير الراوى طبعة دار الفكر .

ورحم الله الشيخ محمد الأمين الشنقيطى فقد قال فى كتابه «أضواء البيان» «ح ٣ ص ٥٤٨» والتحقيق فى معنى «وما جعلنا الرؤيا ..» الآية الكريمة ، إن الله تعالى جعل ما أراه نبيه ﷺ من الغرائب والعجائب ليلة الإسراء والمعراج فتنة للناس لأن عقول بعضهم ضاقت عن قبول ذلك ، معتقدة أنه لا يمكن أن يكون حقا ، قالوا : كيف يصلى ببيت المقدس ، ويخترق السبع الطباق ويرى ما رأى فى ليلة واحدة ويصبح فى محله بمكة ؟

ثم قال رحمه الله « وأشار فى موضع آخر الى الرؤيا التى جعلها فتنة للناس وهى قوله تعالى ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ۝١٥ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝١٦ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ۝١٨﴾

والايات متممة لآيات ١ ــ ١١ من صدر سورة النجم إلماح وإشارة لآية المعراج التى تصنع وأختها «الإسراء» من أجل الآيات والوقائع التى تشهد بفضل الله ورعايته لمصطفاه صلوات الله عليه ، على نحو لم يتح لسواه من رسل الله وأنبيائه الأكرمين وتقدم للمسلمين هبة الصلاة وتوجب افتداء بيت المقدس بكل مرتخص وغال ..

وحديث الإسراء والمعراج من القرآن الكريم والسنة المطهرة قد سار فى الناس مسير الشمس بعد ورود الإسراء نصا كما عرفت .

وما يستريب فى أمر المعراج عاقل ، والإشارة إليه فى صدر سورة النجم « وياله من اسم » وفى الآيات ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣﴾

﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ ١٧ ــ ١٨ ما يجعلنا نقول مطمئنين مع الشيخ الشنقيطى جـ٣ ص٣٥٧ .

« لقد تواترت الأحاديث الصحيحة عنه ﷺ أنه أسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، وأنه عُرِج به من المسجد الأقصى حتى جاوز السموات السبع » .

ولقد أفرد الإمام البخارى لكل من الإسراء والمعراج بابا على حدة فأوْهَمَ ذلك أن ليلة الأسراء كانت غير ليلة المعراج ، لكن صاحب الفتح حَسَم ذلك الأمر فقال : وحسبك به .. ولا دلالة فى ذلك على التغاير عنده ــ البخارى ــ بل كلامه فى أول الصلاة ظاهر فى اتحادهما وذلك أنه تَرْجم « باب كيف فرضت الصلاة ليلة الاسراء » والصلاة إنما فرضت فى المعراج ، فدل على اتحادهما عنده ، وإنما أفرد كلاً منهما بترجمة لأن كلا منهما يشتمل على قصة مفردة وإن كانا وقعا معا » فتح البارى جـ٧ ص١٩٦ طبعة السلفية .. ولقد وجدته فى ص ١٩٨ يقول : ويؤيد وقوع المعراج عقب الإسراء فى ليلة واحدة رواية ثابت عن أنس عند مسلم ، ففى أوله « أتيت بالبراق فركبته حتى أَتَيْتُ بيت المقدس » فذكر القصة إلى ان قال « ثم عُرِج بنا إلى السماء الدنيا .. الحديث . وأورد ابن حجر أحاديث أخرى صحيحة فى السياق كما أورد شواهد من قال غير ذلك ورد عليه بما فيه مقنع ..

وما أنفس ما ذكر ملخصا عن الشيخ أبى محمد عبدالله بن سعد بن أبى جمرة الأزدى « الحكمة فى الإسراء إلى بيت المقدس قبل العروج إلى السماء ، إرادة إظهار الحق لمعاندة من يريد إخماده ، لأنه لو

عُرج به ﷺ من مكة إلى السماء ، لم يجد لمعاندة الأعداء سبيلا إلى البيان والإيضاح ، فلما ذكر النبى أنه أسْرى به إلى بيت المقدس سألوه عن تعريفات جزيئات من بيت المقدس كانوا رأوها ،

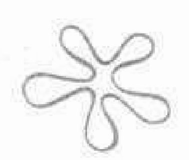
وعلموا أنه لم يكن رآها قبل ذلك ، فلما أخبرهم بها حصل التحقيق بصدقه فيما ذكر من الإسراء إلى بيت المقدس فى ليلة ، وإذا صح خبره فى ذلك لزم تصديقه فى بقية ما ذكره ، فكان ذلك زيادة فى إيمان المؤمن ، وزيادة فى شقاء الجاحد المعاند » ص ٢٠٠ – ٢٠١ .

وما أكثر الأسرار ، وأبهر الأنوار وأعظم دلالات الإسراء والمعراج حين يُلقى المسلمون السمع إلى القرآن والسنة المطهرة ، فيزدادون يقينا بما أراد الله بهما لمصطفاه ، وما أراد الله من المسلمين أن يعرفوا قدر نبيهم الـذى قدره المصطفون الأخيار فاختاروه فى ليلة التكريم الالهى إماما يَحُفونَه فى بيت المقدس ، ويرحبون به حيث هم فى السموات ، وترى الحياة منذ هذه الليلة إشارة قيادة جديدة ورسالة أطلع الله من أجلها نبيه على أقداس المرسلين .

ومهاجرهم جميعا إلى بيت المقدس ، كما رفعه إليه ، إلى حيث لم يرتفع ملك ولارسول ، وخلع عليه وحباه فريضة الصلاة التى يبقى بها موصولا وأمته بمولاه بالصلاة ثانية الإسلام ومعراج المؤمن ، وحيث يكون أقرب ما يكون من ربه وهو ساجد . أو كما روى مسلم والنسائى وغيرهم عن أبى هريرة وغيره .

ووا شوقاه لفرصة نأخذ فيها الصلاة من أسرار الإسراء والمعراج ، وندعو إليها ولاة أمرنا ومن يلينا من أهل وصحب غير مترخصين فى إيجابها والأمر بها والاصطبار على الذين يجهلون أنها على رأس وفى نهاية سُبُل الفلاح فى الدنيا ووراثة الفردوس حيث يقول الله تعالى

﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١ ﴾ المؤمنون



## دراسة موضوعية في محاضرة

# الأمير تشارلز ولي عهد بريطانيا عن الإسلام والغرب

بقلم الأستاذ / محمد محمد عتريس إبراهيم (*)

**يلفت النظر ويسترعى الانتباه أن محاضرة سمو الأمير عن « الإسلام والغرب » إنما هى بحث علمى جاد ، بُذل فى إعداده جهد وعرق ، واتسم بغير قليل من التجرد والموضوعية . وتمت صياغته وفق القواعد الفنية للكتابة النثرية المنضبطة .**

**المحاضرة مقسمة إلى فقرات ، التسلسل المنطقى والترابط الموضوعى بينها واضح ، واستخدم فى بناء الفقرات « التكنيك » المعروف بالبدء بالجملة الأساس (Key Sentence) التى تحمل الفكرة الأساسية ، ويأتى باقى الفقرة شرحاً وبسطا لها ، بالاستناد إلى الحقائق التاريخية والعلمية ، واستشهاداً بالأمثلة من الواقع المعاش .**

**وهكذا يتداخل الشكل (Form) والمضمون (Content) فى المحاضرة ، ويأتلفان فى نسيج محكم (Texture) ـ وهو الشأن والحال فى الأعمال الفنية الجيدة .**

وتحفل المحاضرة بالتوازن الموضوعى : فالأمير لا يتبع الهوى ، ولا يجنح فى تحليلاته إلى ناحية واحدة من نواحى الموضوع ؛ وإنما يبذل قصارى الجهد ليغطيه من مختلف جوانبه . فمثلا :

بدأ حديثه عن وضع المرأة فى الإسلام بقوله : « يجب أن نفرق بين الإسلام وبين العادات القائمة فى بعض البلدان الإسلامية » . وهذه بديهية لا يحيد عنها إلا جهول سيىء النية فى استدلاله فساد ، وفى تسبيبه زيغ وانحراف ، من قبيل أولئك الذين يدينون الإسلام ـ وحاشا للإسلام أن يدان ـ بجريرة بعض من ينتسبون إليه ، ممن يقوم العيب فيهم ، وليس فى الإسلام .

وعندما يتحدث عن الحروب الصليبية يعرض وجهة نظر العالم المسيحى إليها على أنها سلسلة من الأعمال البطولية الجريئة . ويشفع ذلك بوجهة نظر المسلمين إليها على أنها واحدة من أحداث

(*) ألقاها سموه فى مركز أوكسفورد للدراسات الإسلامية التابع لجامعة أوكسفورد فى ١٢ جمادى الأولى ١٤١٤ هـ ــ ٢٧ أكتوبر ١٩٩٣ .
قام بالترجمة الأستاذ محمد محمد عتريس ـ وكيل الوزارة بمجلس الشعب .

القسوة الرهيبة والفظائع الوحشية . وتحدث عن سقوط القسطنطينية فى يد السلطان محمد الثانى عام ١٤٥٣ م ، وعن حروب المسلمين فى « شبه جزيرة البلقان » وحول « فيينا » ، وما ترسب بسببها من مشاعر العداء فى نفوس الغربيين الذين قاموا باحتلال العالم العربى خلال القرن التاسع عشر : « مع سقوط الإمبراطورية العثمانية بدا وكأن انتصار أوروبا على الإسلام قد اكتمل » . وفى قوله هذا دليل على صحة ما ذهبت إليه الصفوف المسلمة التى أحزنها سقوط الخلافة العثمانية ، ودحض لأولئك الذين هللوا لسقوطها .

وعند الإشارة إلى نبينا الكريم ﷺ ، استخدم الأمير عبارة « نبى الإسلام » وهى عبارة مهذبة يتناقض معها تطاول بعض بنى الإسلام عندما يتجاوزون الحد ، ويشيرون فى كتاباتهم إلى رسولنا الكريم ، عليه الصلاة والسلام ، بعبارة « النبى محمد » أو « محمد » .

ومن النقاط العامة التى أثارها الأمير أن الغرب ينظر إلى الإسلام من زاوية الحرب الأهلية فى لبنان ، وأعمال القتل وتفجير القنابل ، وما يشار إليه « بالأصولية » ـ والأمير يرفض هذه النظرة ويفندها . ونحن نضيف :

ان أهمية المعتقد الدينى بالنسبة لبنى الإنسان ، وقيام الخلافات بين أتباع الأديان المختلفة أمر معروف فى الماضى والحاضر وفى كل الأنحاء . ففى تاريخ نشأة الولايات المتحدة الأمريكية فرّ التطهريون البروتستنت من إنجلترا إلى أمريكا ليمارسوا العبادة وفق مذهبهم بعيداً عن اضطهاد الكنيسة الإنجليزية . وعندما تولى « جون كنيدى » رئاسة الولايات المتحدة فى عام ١٩٦١ م أبرزت الصحافة العالمية الإشارة إلى أنه أول كاثوليكى يتولى رئاسة أمريكا .

وأعمال القتل العشوائى والإرهاب والتفجيرات التى تهز بريطانيا بصفة مستمرة ، يقف وراءها الجيش الجمهورى الأيرلندى الذى يريد فصل شمال أيرلندا عن بريطانيا وضمها إلى جمهورية أيرلندا . لكن « جون ميجور » رئيس وزراء بريطانيا ، يطمئن الأغلبية البروتستنتية فى شمال أيرلندا بأن لهم الحق المطلق فى رفض أى تغيير يتم بالنسبة لمقاطعتهم[1] .

ويُحمد للأمير توخيه الدقة العلمية عندما وصف « الأصولية » عندنا بالإسلامية . ذلك أن الأصولية نشأت بين البروتستنت فى الولايات المتحدة فى أواخر القرن التاسع عشر ، وتمتد جذورها إلى حركة الإحياء الدينى هناك فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر . وقد استعار صحفيو الغرب المصطلح وصفاً لحركة الإحياء الإسلامى[2] .

وينفى الأمير عن قوانين الشريعة الإسلامية أن تكون قاسية وبربرية . وفى هذا الصدد نذكر بالآية الكريمة :

﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى الْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

البقرة : ١٧٩

والحياة ـ فى القصاص ـ تنبثق من كف الجناة عن الإعتداء ساعة الابتداء ، فالذى يوقن أنه

---

(١) صحيفة « فيانشال تايمز » اللندنية ( ٢٢ نوفمبر ١٩٩٣ ) .

(2) Funk and Wagnalls New Encyclopedia, Vol. 10 pp 408-409 .

سيدفع حياته ثمناً لحياة من يقتل جدير به أن يتروى وأن يتردد ـ وهذا هو « الردع » . كما أن قتل القاتل يشفى صدور أولياء الدم من الحقد والرغبة فى الثأر .

وتتحدث المحاضرة عن خيبة أمل البشرية تجاه « تكنولوجيا » الغرب ومادياته ، تلك التى لم تغن الإنسانية فتيلاً ، وإنما أضافت إلىّ معاناتها وعذاباتها : تلويثاً للبيئة ، وانتشاراً للأمراض المفزعة ، والجرائم الشاذة ، وتوسيع دائرة البطالة (بسبب إحلال الآلة محل الإنسان) وغيرها ـ لكن السذج من السطحيين عندنا ما برحوا عاكفين على الافتتان الصبيانى ببهرج « التكنولوجيا » وزينتها .

وفى لمسة وفاء وعرفان بالجميل ، يشير الأمير إلى إسهامات العالم الإسلامى فى وضع اللبنات الأولى للحضارة الأوروبية ، وفى كثير من مجالات العمل الإنسانى : « فالإسلام جزء من ماضينا وحاضرنا ، ولقد ساعد على خلق أوروبا الحديثة » .

ويضع الأمير يده على علة الاضطراب والتمزق الذى تقاسيه البشرية اليوم ، وعلى سبب شقوتها وتعاستها بعد الثورة العلمية وعبادة العقل ، وذلك بسبب الابتعاد عن النظرة الإسلامية المتكاملة للكون :

« فلا فصل فى الإسلام بين الدين والعلم » .

« ولا فصل بين الروح والمادة » .

ويصف هذه النظرة الإسلامية المتكاملة للكون بأنها شىء هام يمكن أن نتعلمه من الإسلام : « فحياتنا لها بُعْدٌ غيبى مثلما أن لها بُعْداً مادياً ، ولابد أن نسترد التوازن بينهما ـ وستثبت الأيام أن غياب هذا التوازن سيؤدى إلى كوارث تنزل ببنى البشر » .

والإنسانية تتخبط بين مختلف الأنظمة التى تبتدعها ؛ فتارة تسود الأفكار الرأسمالية ، وتارة تسود الأفكار الاشتراكية ، وتارة ينادى بالانفتاح ، وأخرى بالانغلاق أو « التقييد » . بينما العمل فى النظام الإسلامى يعنى العمل بمبادىء مستقرة فى القرآن والسنة مما يقى المجتمع الأهواء والنزوات والتقلبات[4] .

إن الإسلام يشرق فى الغرب وفى الشرق على السواء من أجل صالح البشرية وإنقاذها ، ولاملجأ من الله إلا إليه .

﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ﴾
المجادلة : ٢١

وإنه لأمر مفرح أن تتناهى حقائق الإسلام إلى علم وقناعة رجال الدولة فى الغرب ، ومنهم صاحب السمو الملكى الأمير تشارلز ولى عهد بريطانيا . وقد عبر خادم الحرمين الشريفين ، الملك فهد بن عبدالعزيز ملك المملكة العربية السعودية ، عن إعجابه الشديد بما جاء فى هذه المحاضرة ، وقلب قواعد « البروتوكول » رأسا على عقب عندما قرر أن يقابل الأمير عند وصوله من الرياض إلى جدة ، وعقد معه محادثات مطولة . وقد علق السفير البريطانى فى السعودية على ذلك بقوله : إنه لأمر مدهش، وليست له سابقة،ولا أكاد أصدقه[5] .

(٣) القصاص : أن يوقع على الجانى مثل ما جنى : النفس بالنفس ، والجرح بالجرح .
(٤) د. عبدالناصر العطار ، جريدة الجمهورية القاهرية (١٨ نوفمبر ١٩٩٣) .
(٥) صحيفة « فاينانشال تايمز » (٢٢ نوفمبر ١٩٩٣) .

ونورد فيما يلي مقتطفات ضافية من المحاضرة . ولتسهيل الإلمام بها ، قمنا بتقسيمها إلى أقسام بحسب ما تناولت من موضوعات ، ووضعنا لكل قسم عنوانا مناسبا يلخص موضوعه .

**١ ـ معلومات عن الإسلام فى بريطانيا :**

«أنشىء كرسى اللغة العربية فى جامعة كمبريدج[٦] فى القرن السابع عشر قبل إنشاء نظيره فى « جامعة أوكسفورد » بأربع سنوات كاملة .. وإنه لمما يفرحنى أن أكون راعيا لمركز أوكسفورد للدراسات الإسلامية ، وأرجو أن تتضح لكم أسباب فرحتى بذلك[٧] . فالمركز لديه من الأسباب مايبشر بأنه سيكون أداة هامة ومثيرة لتنمية وتعزيز فهم الناس فى بريطانيا للعالم الإسلامى ، وهو مركز أرجو أن يحقق لنفسه مكانة ـ جنبا إلى جنب ـ مع مراكز الدراسات الإسلامية الأخرى فى أوكسفورد مثل : معهد الدراسات الشرقية ، ومركز دراسات الشرق الأوسط ، ويصبح مؤسسة تفخر بها الجامعة والعلماء ..

يوجد فى العالم بليون مسلم ، تعيش ملايين كثيرة منهم فى بلدان الكومنولث البريطانى[٨] . ومنهم عشرة ملايين أو أكثر يعيشون فى الغرب ، وحوالى المليون يعيشون فى بريطانيا . وجاليتنا الإسلامية تنمو وتزدهر منذ عشرات السنين ، ويوجد فى بريطانيا قرابة خمسمائة مسجد ـ والاهتمام الشعبى بالثقافة الإسلامية فى بريطانيا ينمو بسرعة ؛ فالإسلام فى كل مكان من حولنا .. وأذكر أنى رجوت الجنرال شوارتسكوف[٩] عندما قابلته فى الرياض فى ديسمبر ١٩٩٠ م قبل أن تبدأ حرب تحرير الكويت ، أن يبذل قصارى جهده لحماية هذه المزارات . ( يقصد مزارات النجف وكربلاء )

**٢ ـ سوء الفهم القائم بين العالم الإسلامى والعالم الغربى :**

قد تتساءلون وبحق : لماذا أتحدث إليكم عن موضوع : الإسلام والغرب ؟

السبب هو أنى أعتقد من كل قلبى أن الروابط بين هذين العالمين تهمنا جميعا اليوم أكثر من أى وقت مضى ؛ لأن الدرجة التى وصل إليها سوء الفهم بينهما لاتزال عالية بشكل خطر ؛ ولأن حاجة الاثنين للعيش معا وللعمل معا فى عالمنا الذى يزداد اعتماد البعض فيه على البعض ، لم تكن شديدة فى أى وقت مثلما هى عليه الآن .. إننا يجب ألا ننزلق إلى عهد جديد من الخطر والانقسام ؛ لأن الحكومات والشعوب والجاليات والديانات لاتستطيع العيش بسلام فى عالم آخذ فى الانكماش .

إنه لشىء غريب وشاذ أن تظل أشكال سوء الفهم بين الإسلام والغرب قائمة ؛ لأن مايربط عالمينا معا أقوى بكثير مما يفرقه . فالمسلمون ، والمسيحيون ـ واليهود ـ هم جميعا «أهل كتاب» ، والإسلام والمسيحية يشتركان فى عقيدة

---

(٦) جامعتا أوكسفورد وكمبريدج أعرق وأقدم جامعتين فى بريطانيا .

(٧) يعنى من خلال المحاضرة ، إذ يبين منها أن هذه الشخصية الهامة تعرف حقيقة الإسلام .

(٨) رابطة حرة للدولة المستقلة التى كانت فى السابق مستعمرات ودومينيونات تابعة لبريطانيا العظمى .

(٩) قائد قوات الحلفاء فى حرب تحرير الكويت من الاحتلال العراقى .

التوحيد : الإيمان بإله واحد تقدست أسماؤه ، وبأن حياتنا الدنيا فانية ، وبأننا محاسبون على أعمالنا ، وأن هناك « آخرة » .

لقد كان تاريخنا مرتبطا بعضه ببعض ارتباطا وثيقا ، لكن فيه أيضا يكمن واحد من جذور المشكلة القائمة بيننا ؛ ذلك أن كثيرا من هذا التاريخ كان تاريخ صراع : أربعة عشر قرنا تميزت فى الأغلب بالعداء المتبادل ، وقد نشأ عن هذا تقليد دائم من الخوف وانعدام الثقة ؛ لأن عالمينا كانا فى الأغلب ينظران إلى هذا الماضى بطريقتين ، كل منهما نقيض الأخرى . فبالنسبة لتلاميذ المدارس فى الغرب جرت العادة إلى النظر إلى سنوات الحروب الصليبية التى امتدت مائتى عام على أنها سلسلة من الأعمال الجريئة البطولية المنطوية على الشهامة، حاول فيها ملوك وفرسان وأمراء ـ وأطفال ـ أوروبا انتزاع القدس من المسلمين الكفرة الأوغاد . وبالنسبة للمسلمين ، كانت الحروب الصليبية واحدة من أحداث القسوة الرهيبة والفظائع الوحشية قام بها جنود الغرب الكفرة لسلب ونهب الأموال . وربما كان أوضح مثال لها المذابح التى ارتكبها الصليبيون فى عام ١٠٩٩ م ، عندما استردوا القدس ثالثة أقدس المدن الإسلامية .

والنسبة لنا فى الغرب ، فإن سنة ١٤٩٢ م تشير إلى جهد الإنسان وإلى آفاق جديدة ، وإلى « كولمبوس » واكتشاف الأمريكتين . أما بالنسبة للمسلمين فإن عام ١٤٩٢ م كان عاما مأساويا ـ ففيه سقطت « غرناطة » فى أيدى فرديناند وإيزابلا وكان ذلك علامة على انتهاء ثمانية قرون من الحضارة الإسلامية فى أوروبا . والمهم ، فى نظرى ، ليس تحديد أى الصورتين أكثر صحة من الأخرى ، أو أيهما الصحيحة دون الأخرى ، وإنما المهم هو أن سوء الفهم ينشأ عندما تغيب عن إدراكنا الطريقة التى ينظر بها غيرنا إلى الدنيا وتاريخها ودور كل منا فيها .

وكانت النتيجة الطبيعية للطريقة التى ننظر بها نحن فى الغرب إلى تاريخنا أن اعتبرنا الإسلام تهديدا لنا ـ [ أى ] كان غازياً عسكرياً فى القرون الوسطى ـ وفى العصور الحديثة مصدراً للتعصب والتطرف والإرهاب . وبوسع المرء أن يتفهم كيف أدى الاستيلاء على القسطنطينية وسقوطها فى يد السلطان محمد عام ١٤٥٣ هـ والهزائم المتلاحقة للأتراك خارج فيينا فى عام ١٥٢٩م و١٦٨٣م ، إلى تسرب الخوف إلى نفوس حكام أوروبا . وتاريخ دول البلقان[١٠] فى ظل الحكم العثمانى ، فيه من الأمثلة على القسوة ما ترسب فى أعماق الغربيين ـ لكن التهديد لم يكن من طرف واحد . فمع غزو نابليون لمصر فى عام ١٧٩٨ م ، وما أعقبه من غزوات وفتوحات فى القرن التاسع عشر ، تبدل الوضع ، وأصبحت كل بلدان العالم العربى تقريبا محتلة بواسطة القوى الغربية . ومع سقوط الإمبراطورية العثمانية بدا وكأن انتصار أوروبا على الإسلام قد اكتمل .. لكن موقفنا من الإسلام حتى اليوم يعانى العجز والقصور ؛ لأن الطريقة التى فهمنا بها الإسلام استبدلناها بما هو متطرف وسطحى . فكثير منا فى الغرب ينظر إلى الإسلام من زاوية الحرب الأهلية فى لبنان ، وأعمال القتل وتفجير القنابل التى

(١٠) تقع شبه جزيرة البلقان فى جنوب شرق أوروبا بين بحر إيجه والبحر الأسود فى الشرق وبحر الأدرياتيك فى الغرب .

ترتكبها الجماعات المتطرفة فى الشرق الأوسط ، وما يشار إليه عادة « بالأصولية الإسلامية » .

لقد تشوه حُكمنا على الإسلام تشوها شديدا عندما اعتبرنا التطرف هو القاعدة ـ وذلك ، أيها السيدات والسادة ، خطأ جسيم . إنه مثل الحكم على نوعية الحياة فى بريطانيا بما هو موجود فيها من قتل واغتصاب واعتداء على الأطفال وإدمان المخدرات . التطرف موجود فى كل مكان ولابد من التعامل معه ، لكن عندما يستخدم كأساس للحكم على مجتمع من المجتمعات فإنه يؤدى إلى الانحراف والإجحاف .

وكمثال على هذا ، فإن الناس فى بلدنا غالبا ما يحاجون بأن قوانين الشريعة الإسلامية قاسية وبربرية وغير عادلة .. لكن الحقيقة مختلفة طبعا ، فالمبدأ الهادى وروح القوانين المستمدة مباشرة من القرآن هى بالتأكيد مبادىء الإنصاف والرحمة والشفقة .

إننا يجب أن نفرق بين أنظمة عدالة تقام وتنفذ بأمانة ، وأخرى يتم تشويهها عند تطبيقها لأسباب سياسية ، وتتحول إلى شىء لاصلة له بالإسلام .

### ٣ ـ وضع المرأة فى المجتمع الإسلامى :

إننا يجب أن نفرق بين الإسلام وبين العادات القائمة فى بعض البلدان الإسلامية ، فهناك فى العالم الغربى هوى وغرض واضحان ـ ذلك هو الحكم على وضع المرأة فى المجتمع الإسلامى من خلال الحالات المتطرفة ، وأرجو أن تتذكروا أن بُلدانا إسلامية مثل تركية ومصر وسوريا أعطت المرأة حق التصويت فى نفس الوقت الذى أعطته أوروبا لنسائها ـ بل وسبقت سويسرا فى ذلك بوقت طويل . وفى تلك الدول تتمتع المرأة منذ زمن طويل بالمساواة مع الرجل فى الراتب ، وفى الفرصة لأن تلعب دورا كاملا فى مجال العمل[١١] .

وقد فرض القرآن منذ أربعة عشر قرنا حقوق المرأة المسلمة فى الملكية والميراث ، وفى نوع من الحماية إذا طُلِّقَتْ ، وفى إدارة الأعمال[١٢] ... وفى بريطانيا ، وربما فى غيرها ، كان بعض هذه الحقوق شيئا جديدا حتى بالنسبة لجيل جدتى ...

ومن الأمور التى أثارت اهتمامى أنى علمت أن عادة ارتداء « النقاب » ترجع إلى حد كبير إلى « التقاليد البيزنطية والساسانية » ، وليس إلى نبى الإسلام .. وبعض النساء المسلمات ـ وبخاصة جيل الشابات منهن ـ اخترن[١٣] مؤخرا ارتداء النقاب ، أو غطاء الرأس كتعبير شخصى عن هويتهن الإسلامية . لكن يجب علينا ألا نخلط بين الاحتشام فى الملبس كما فرضه القرآن على الرجال والنساء على السواء وبين الأشكال الخارجية

---

(١١) من الحقائق المعروفة أن المرأة العاملة فى الولايات المتحدة الأمريكية تأخذ نصف راتب الرجل ، وأحيانا الربع . كما أنها محجوبة عن شغل الكثير من الوظائف المقصورة على الرجال .

(١٢) جاء الإسلام يُتَبسِّمُ على حياة المرأة نسمات رخية ، ويرفع النظرة إليها . فيقرر أنها والرجل من نفس واحدة : « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها » ١ ـ النساء . ويرتفع الإسلام بالعلاقات الزوجية إلى مرتبة سامية عند الإحسان فيها ، وتتناول آيات القرآن الحفاظ على حقوق المرأة فى الخطبة والزواج والمعاشرة والإيلاء والطلاق والعدة والنفقة والمتعة والرضاعة والحضانة : الآيات ٢٢١ ـ ٢٣٧ من سورة البقرة ـ وهى حقوق لم تطلب المرأة شيئا منها ولا كانت تعرفها .

(١٣) لاحظ الفعل : « اخترن » أى دونما إكراه ، وهن الشابات غلبت النزعة الدينية عندهن على كل ماعداها من نوازع .

لعادة علمانية ، أو منزلة اجتماعية تستمد أصولها من مصادر أخرى غير الإسلام .

**٤ ـ نظرة العالم الإسلامي إلى الغرب :**

ونحن في الغرب يلزمنا كذلك أن نفهم نظرة العالم الإسلامي إلينا . ولن نحقق شيئا سوى الكثير من الأذى إذا رفضنا أن نفهم مدى التخوف الحقيقي لدى الكثير في العالم الإسلامي من ماديتنا الغربية ، وثقافتنا الشعبية . باعتبارهما تحديا مميتا لثقافتهم الإسلامية وطريقتهم في الحياة . وقد يرى البعض منا أن الزخارف المادية لمجتمعنا الغربي التي نصدرها إلى العالم الإسلامي ـ مثل : التليفزيون ووجبات الطعام السريعة والأجهزة « الإلكترونية » المستخدمة في حياتنا اليومية ـ عامل حضاري مؤثر لايخفى حُسْنُهُ .. والحقيقة أن المادية بشكلها الموجود عندنا يمكن أن يكون مثيرا لكراهية وغضب المسلمين الأتقياء ـ ولا أعنى بهذا المتطرفين منهم فقط . إننا يجب أن نفهم رد الفعل هذا ( لماديتنا عند المسلمين ) . كما يلزم أن يفهم العالم الإسلامي موقف الغرب من بعض الجوانب الصارمة في الحياة الإسلامية ..

علينا أن نكون حذرين عند استخدام « الأصولية » ، تلك التسمية المثيرة للعواطف ، وأن نفرق ، كما يفعل المسلمون ، بين دعاة حركة الإحياء الديني الذين يؤدون شعائر دينهم بكل التقى ، وبين المتعصبين أو المتطرفين الذين يستخدمون هذه التقوى لتحقيق أغـــراض سياسية . ومن بين الأسباب الكثيرة الدينية والسياسية والاجتماعية لما يمكن أن نسميه على وجهه الصحيح « حركة الإحياء الإسلامية » شعور قوى بخيبة الأمل تجاه « التكنولوجيا » الغربية ، والوصول إلى الاقتناع بأنها هي والماديات ليستا كافيتين لأن يكون الإنسان إنساناً ـ فهناك معني أعمق للحياة يكمن في مكان ما في جوهر العقيدة الإسلامية[١٤] .

وفي نفس الوقت يجب ألا ننجرف إلى الاعتقاد بأن التطرف هو بعض السمة المميزة للفرد المسلم وجوهره ، فالتطرف ليس حِكْراً على الإسلام[١٥] وإنما هو موجود في الديانات الأخرى ومنها المسيحية .. أما الخوف من حركة الإحياء الإسلامية الذى صبغ عقد الثمانينيات فإنه بدأ ينهار الآن في الغرب ليحل محله فهم وتفهم للقوى الروحية الصادقة الكامنة وراء هذه الموجة المتدفقة ( من حركة الإحياء الديني الإسلامية ) .

**٥ ـ حضارتنا وثقافتنا مدينة للعالم الإسلامي :**

هناك أيضاً الكثير من الجهل بما تحمله ثقافتنا وحضارتنا في عنقها من دَيْنٍ للعالم الإسلامي ...

كان العالم الإسلامي في العصور الوسطى ، من وسط اسيا إلى شواطئ الأطلنطى ، يموج بالعلماء والفقهاء . ولكن بحكم أننا نميل إلى اعتبار الإسلام عدوا للغرب ، وأنه يمثل ثقافة ونظاما للحياة غريبين علينا ، فإننا نزعنا إلى تجاهل أهميته أو محوها تماما بالنسبة لتاريخنا . وعلى سبيل المثال ، لقد قللنا من أهمية ثمانمائة سنة من الثقافة والمجتمع الإسلاميين في أسبانيا ما بين القرنين الثامن والخامس عشر . وقد اعترف العالم منذ زمن طويل بما أسهمت به

---

(١٤) خطوط التوكيد الموضوعة تحت هذه الكلمات وضعها صاحب الدراسة .

(١٥) ليس في الإسلام تطرف ، وإنما يجنح بعض المسلمين ، لأغراض غير إسلامية ـ إلى الغلو في بعض الممارسات .

أسبانيا المسلمة فى الحفاظ على العلوم والمعارف الكلاسيكية فى عصور الظلام[16] ، وبما أسهمت به فى وضع اللبنات الأولى للحضارة الأوروبية ... وقدمت من جهدها الكثير والحيوى فى مختلف مجالات السعى البشرى : فى العلوم والفلك والرياضة والجبر (وهى كلمة عربية) والقانون والتاريخ والطب والصيدلة والبصريات والزراعة والمعمار واللاهوت والموسيقى .

## ٦ ـ الإسلام دين علم وسماحة وهو ماضينا وحاضرنا :

غذى الإسلام وصان السعى إلى المعرفة والبحث عنها ، وجاء فى الحديث النبوى : « مداد العلماء أكثر قداسة من دماء الشهداء »[17]. وفى القرن العاشر الميلادى كانت « قرطبة » إلى حد كبير أكثر مدن أوروبا تحضرا ومدنية ... ويقال : إن الكتب فى مكتبة حاكمها ـ والتى بلغت (٤٠٠٠٠٠) مجلد ـ كانت تزيد على كل ما كان فى جميع مكتبات أوروبا من كتب فى ذلك الوقت . وكان هذا ممكنا ؛ لأن العالم الإسلامى اكتسب من الصين فن صناعة الورق قبل أوروبا غير المسلمة بأكثر من أربعمائة سنة . وكثير من المزايا التى تزهو بها أوروبا الحديثة جاءت إليها من أسبانيا المسلمة . فمن مدينة « المدائن » هذه العظيمة جاءت : الدبلوماسية ، والتجارة الحرة ، والحدود المفتوحة ، والأساليب الفنية للبحث العلمى ، وعلم « الانثروبولوجيا » وآداب السلوك ، و« الموضة » ، وأنواع مختلفة من الدواء والمستشفيات .

وعرف الناس فى العصور الوسطى سماحة الإسلام ، تلك التى كانت شيئا لافتا للنظر ، إذ سمح لليهود والمسيحيين بالحق فى ممارسة عباداتهم ، وضرب فى ذلك مثلا لم يحتذه الغرب ، لسوء الحظ ، طوال قرون من الزمـــان . والشىء المدهش ، أيها السيدات والسادة ، هو : مدى صيرورة الإسلام جزءا من أوروبا ردحا طويلا من الزمان : فى أسبانيا أولا ، ثم فى دول البلقان ، وإسهاماته البعيدة المدى فى الحضارة التى غالبا ما نظن ، خطأ ، أنها حضارة غربية صرف ـ فالإسلام جزء من ماضينا وحاضرنا فى جميع مجالات السعى الإنسانى ، فلقد ساعد على خلق أوروبا الحديثة ، وهو جزء من تراثنا نحن لا انفصام له .

## ٧ ـ نظرة الإسلام المتكاملة للكون ، وأهمية أن نتعلمها منه :

وفوق هذا ؛ فإن الإسلام يمكن أن يعلمنا اليوم طريقة لفهم الدنيا والعيش فيها ، وهى طريقة تفتقدها المسيحية التى أصبحت أكثر فقرا بسبب افتقادها . وفى القلب من العقيدة الإسلامية يأتى الحفاظ على تلك النظرة المتاكملة للكون ، فالإسلام يرفض الفصل :

« بين الإنسان والطبيعة » .

و« بين الدين والعلم » .

و« بين العقل والمادة » ..

---

(١٦) عصر الظلام فى الغرب .

(١٧) ورد هذا الأثر بلفظ يوزن حبر العلماء ودم الشهداء فيرجح ثواب العلماء على دم الشهداء . رفعه الديلمى عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ ضمن حديث طويل . مسند الفردوس للديلمى ٥/٤٨٥ برقم ٨٨٣٩ تحقيق د / سعاد .

أما الغرب ففقد بالتدريج هذه النظرة المتكاملة بمجىء «كوبر نيكس وديكارت» والثورة العلمية ... ولا أستطيع مقاومة الإحساس بأننا لو استطعنا الآن إعادة اكتشاف تلك النظرة الشاملة للعالم من حولنا ، وأن نرى وأن نفهم معناها الأعمق ؛ فإننا يمكن أن نبدأ فى التخلص من الاتجاه المتزايد فى الغرب للعيش على سطح بيئتنا حيث ندرس العالم لنسيطر عليه ونتحكم فيه ـ وقَلْبنَا بذلك تناغم الكون وجماله إلى خلل وفوضى .

إنه لمن الحقائق المؤسفة ـ فى اعتقادى ـ أن العالم الخارجى الذى أنشأناه فى المئات القليلة من السنوات الماضية بدأ يعكس حالتنا الداخلية الممزقة والمضطربة . لقد أصبحت الحضارة الغربية أكثر حرصا على تحقيق المكاسب والاستغلال متحدية مسئولياتنا نحو البيئة . إن هذا الإحساس الحاسم بالتوحد مع الشخصية الروحية للعالم من حولنا ، تلك الشخصية الروحية البالغة الأهمية ، هو بالتأكيد شىء هام يمكن أن نتعلمه من جديد من الإسلام . وإننى متأكد تماما أن البعض سوف يسارع إلى اتهامى ، كما هى عادة هذا البعض ، بأنى أعيش فى الماضى ، وأرفض التعايش مع الواقع والحياة العصرية . والعكس هو الصحيح ، أيها السيدات والسادة ، فالذى أدعو إليه هو أن نفهم العالم بقدر أعمق وأوسع وأكثر اهتماماً من فهمنا الحالى .

إننى أدعو إلى أن حياتنا لها بُعْدٌ غَيْبى مثلما أن لها بُعْدًا ماديا ، وذلك لكى نسترد التوازن الذى تخلينا عنه ، والذى ستثبت الأيام على المدى البعيد أن غيابه سوف يؤدى ، فى يقينى ، إلى نزول الكوارث بنا .

### ٨ ـ أهمية التعاون بين العالمين : الإسلامى والغربى :

... إن اقتصاد العالم يعمل ككيان يتوقف بعضه على بعض ، ومشاكل المجتمع ونوعية الحياة والبيئة كلها عالمية فى أسبابها ونتائجها ، ولم يعد بمقدور أحدنا أن يحلها بمفرده ، فذلك ترف لا يتأتى لأى منا . والعالم الإسلامى والعالم الغربى مشاكلهما مشتركة :

كيف نتكيف مع التغير فى مجتمعاتنا ؟

وكيف نساعد الشباب الذين يشعرون بالاغتراب عن أبويهم أو عن قيم المجتمع ؟

وكيف نعالج مشاكل الإيدز والمخدرات والتفكك الأسرى[١٨] ؟ وبالطبع تتباين هذه

---

(١٨) وضع الإسلام دستور الأسرة فجعلها القاعدة الركينة التى يقوم عليها المجتمع ، ونراه فى مواضع شتى فى سور القرآن العظيم فالنظام الاجتماعى فى الإسلام نظام أسرة ، ينبثق من معين الفطرة وقاعدة التكوين الأولى للأحياء جميعا : «ومن كل شىء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون» الذاريات ـ ٤٩ «وسبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون» ٣٦ ـ يس . وجاذبية الفطرة بين الجنسين ليست من أجل شهوة جسد وحب ، وإنما لإقامة الأسر والبيوت : «ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة» ٢١ ـ الروم «والله جعل لكم من بيوتكم سكنا» النحل ـ ٨٠ فهى الأسرة تلبى هذه الفطرة العميقة فى أصل الكون وفى بنية الإنسان .

ومبادىء الإسلام تتناهى كل يوم إلى علم وقناعة رجالات الحكم والسياسة باعتبارها الدواء الناجع لمشاكل العالم . فلقد نادى المستر ستيفن هايتمان المشرح لرئاسة الجمهورية فى ألمانيا (رشحه الحزب الحاكم بزعامة المستشار هلموت كول) نادى فى صدر برنامجه الانتخابى بوجوب عودة النساء إلى دورهن الأصلى كأمهات (صحيفة فيناننشال تايمز اللندنية ، ٢٦ نوفمبر ١٩٩٣) .

المشاكل فى طبيعتها وَحِدَّتِها من مجتمع إلى مجتمع ... لكن التشابه بين التجربة الإنسانية فى كل المجتمعات كبير . ومن الأمثلة على ذلك التجارة الدولية فى المخدرات ، ومثال آخر هو التدمير الذى نلحقه مجتمعين بالبيئة . وعلينا أن نبحث عن حل هذه المشكلات التى تهدد مجتمعاتنا وحياتنا معا .

إن مجرد إقدامنا على أن يعرف بعضنا بعضا يمكن أن يحقق العجائب . وأذكر على سبيل المثال : أنى أخذت مجموعة من المسلمين وغير المسلمين منذ عدة سنوات لمشاهدة العمل فى مركز صحى – أنا أرعاه فى لندن – وهو مركز ( ماريل بون ) ، وكان الحماس والتصميم المشترك اللذان ولدتهما التجربة المشتركة شيئا أدخل على قلوبنا فرحة غامرة . كما لم يعد بوسعنا أن نبحث من جديد المواجهات الإقليمية والسياسية التى كانت تحدث فى الماضى .

إن علينا أن يُطلع كل منا صاحبه على تجاربه ، وأن يشرح له مواقفه ، وأن نتفاهم ونتسامح .. وكل منا يلزمه أن يفهم أهمية التصالح وإمعان الفكر – أو التدبر[١٩] فهذه الكلمة العربية هى التى تعبر بالضبط عن مرادى – كى نفتح عقولنا ونفتح قلوبنا : كل منا للآخر . إننى على قناعة تامة بأن العالمين : الإسلامى والغربى لديهما الكثير الذى يمكن أن يتعلمه كل منهما من صاحبه ، فقد يكون مهندس البترول الذى يعمل فى منطقة الخليج أوروبيا ، ويكون الجراح الذى يقوم بعمليات زرع القلوب فى بريطانيا مصريا.

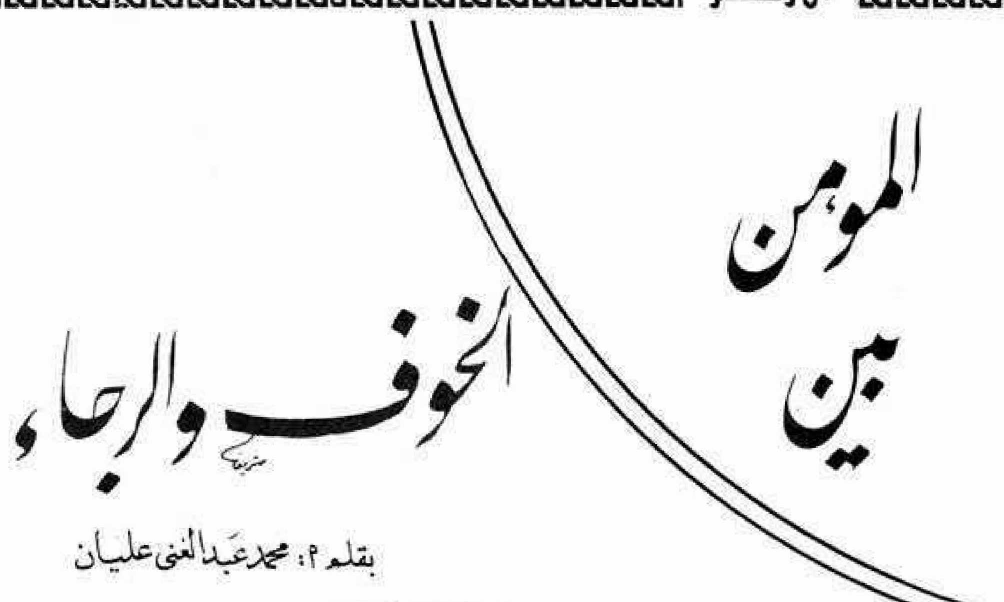
### ٩ – الجاليات الإسلامية فى بريطانيا :

بريطانيا مجتمع متعدد الأجناس ومتعدد الثقافات ، وقد بينت لكم من قبل حجم الجاليات الإسلامية فى بلدنا .. وأفرادها ذخر لبريطانيا إذ يسهمون فى ازدهار بلدنا الاقتصادى ويضيفون إلى الثروة الثقافية لأمتنا . والتسامح والفهم لابد وأن يسير بالطبع فى كلا الاتجاهين ، وذلك يعنى أن على غير المسلمين احترام الممارسة اليومية للفرائض الإسلامية ، كما أن على المسلمين احترام تاريخ بلدنا وثقافته وطريقته فى الحياة . و« مركز دراسات الإسلام والعلاقات بين المسيحيين والمسلمين » فى مدينة بيرمينجهام مثال بارز وناجح لأولئك الذين كرسوا أنفسهم لقضية تعزيز التفاهم والعلاقات بين الجانبين .

« إن العالمين الإسلامى والغربى يمران الآن بمرحلة مصيرية ، ولا يجوز أن ندعهما يفترقان ... وأنا فرح أن الحوار قد بدأ فى بريطانيا وفى غيرها ، ولكن يلزمنا أن نبذل جهدا أكبر كى يفهم بعضنا بعضا ، ولكى نصفى أى سموم تشوب علاقاتنا ونقضى على شبح الريبة والخوف ... » .

---

(١٩) جاءت كلمة « تدبُّر » بنطقها العربى فى نص المحاضرة مكتوبة بحروف لاتينية (TADABBUR) وفق القواعد الدقيقة لكتابة كلمات لغة بحروف لغة اخرى .




**الخوف من الله والرجاء فى رحمته توأمان بالنسبة لسلوك المؤمن الصادق الذى يريد لنفسه خيرى الدنيا والآخرة ؛ فهو يخاف من بارئه وخالقه فيدفعه هذا الخوف إلى المبادرة بالعمل المثمر الطيب ، والعبادة التى خلق من أجلها . وأعنى بالعبادة : كل عمل يقصد به وجه الله ـ عز وجل ـ سواء كان هذا العمل يتعلق بأمور الدنيا أو الآخرة ؛ ذلك لأن الدنيا فى الحقيقة ماهى إلا طريق إلى الآخرة فلا انفصام بينهما . والمؤمن يرجو رحمة ربه بعد أن تسلح بسلاح الخوف من بارئه ، وبعد أن بذل ما فى وسعه من البر والطاعة . فإذا حقق المؤمن خوفاً نائيا عن الرجاء فقد يتملكه اليأس من رحمة الله ، ولا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون ، وإذا حقق رجاء منفصلا عن الخوف من من بارئه وخالقه فقد أمن مكر الله ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون .**

ولهذا كان الخوف والرجاء جناحين يطير بهما المقربون إلى كل مقام محمود ، ومطيتين بهما يجاوز ـ فى طريق الآخرة ـ كل عقبة كؤود . الخوف والرجاء متناسبان إذ الخائف فى حال خوفه يرجو خلاف مايخافه ويدعو الله ـ عز وجل ـ ويسأله ، والراجى فى حال رجائه خائف خلاف مايرجو ، ويستعيذ بالله منه ويسأله صرفة ؛ فلا خائف إلا وهو راج ، ولا راجى إلا وهو خائف ، ولأجل تناسب الأمرين قرن الله تعالى بهما فى غير آية قال تعالى : ﴿ وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾

[ الأعراف : ٥٦ ]

وقال فى قوم مدحهم : ﴿ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ﴾

[ الإسراء : ٥٧ ]

وقال : ﴿ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾

[ الأنبياء : ٩٠ ]

روى أبو هريرة بسند صحيح عن رسول الله ﷺ «لو يعلم المؤمن ماعند الله من العقوبة ماطمع بجنته أحد ، ولو يعلم الكافر ماعند الله من الرحمة ماقنط من رحمته أحد» .

أخرجه الإمامان : البخارى ومسلم

قال أنس : دخل النبى ﷺ على شاب وهو فى الموت . فقال : كيف تجدك ؟ قال : أرجو رحمة الله وأخاف ذنوبى فقال المصطفى ـ عليه السلام : «لا يجتمعان فى قلب عبد فى مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله مايرجو ، وأمنه مما يخاف» .

أخرجه الترمذى وغيره .

«ومما يشير إلى تلك الحقيقة إشارة واضحة أن «واثلة بن الأسقع» عاد «يزيد بن الأسود الجرشى» وقد نزل به الموت فقال ياأخى كيف تجدك ؟ قال : أجدنى أرجو وأخاف فقال : أيهما فى نفسك أكثر ؟ قال : الرجاء» ، قال واثلة : الله أكبر سمعت رسول الله ﷺ يقول : قال الله عز وجل : «أنا عند ظن عبدى بى» .

رواه ابن أبى الدنيا والطبرانى .

والخوف من الله من تمام الاعتراف بملكه وسلطانه ونفاذ مشيئته فى خلقه . وورد فى بيان حقيقته أنه عبارة عن : تألم القلب بسبب توقع مكروه .

والرجاء : هو ارتياحٌ لانتظار ماهو محبوب عنده ، ولكن ذلك التوقع لابد له من سبب حاصل ؛ فإن لم يكن السبب معلوم الوجود ولا معلوم الانتفاء سمى تمنيا ؛ لأنه انتظار من غير سبب ، وسوف نتناول كلًا من الخوف والرجاء بشىء من التفصيل

## أولًا ـ الخوف :

قد حث المولى ـ جلت قدرته ـ على الخوف منه فقال :

﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾

[ آل عمران : ١٧٥ ]

وقال تعالى :

﴿ فَلَا تَخْشَوُا ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ ﴾

[ المائدة : ٤٤ ]

وقال تعالى :

﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً ﴾

[ الأعراف : ٢٠٥ ]

وأثنى ـ جلت قدرته ـ على ملائكته لخوفهم منه فقال :

﴿ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴾

[ الأنبياء : ٢٨ ]

ومدح أنبياءه عليهم السلام وأولياءه بمثل ذلك فقال :

﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾

[ الأنبياء : ٩٠ ]

وعاتب الكفار على غفلتهم فقال :

﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾

[ نوح : ١٢ ]

بمعنى مالكم لا تخافون عظمة الله ، وذمهم فى آية أخرى فقال :

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ﴾

[ الفرقان : ٢١ ]

أراد به لا يخافون ، فدلّ جميع ذلك على أن الخوف من الله ـ تعالى ـ من تمام الاعتراف بملكه وسلطانه ونفاذ مشيئته فى خلقه ، وأن إغفال ذلك إغفال للعبودية ؛ إذ كان من حق كل عبد ومملوك أن يكون راهباً لمولاه لثبوت قدرة المولى عليه وعجز العبد عن مقاومته وترك الانقياد له .

والخوف كما قال الحليمى ـ رحمه الله ـ على وجوه :

أحدها : ما يحدث من معرفة العبد بذلة نفسه ، وهوانها وقصورها وعجزها عن الامتناع من الله تعالى إذ أراده بسوء ، هذا نظير خوف الولد من والديه ، وخوف الناس من سلطانهم وإن كان عادلاً محسناً وهذا ما يقصد به قوله ـ تعالى : ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾

أى لا تخافون لله عظمة ، وقد خلقكم نطفة ثم علقة ثم مضغة .

والثانى : ما يحدث من المحبة ، وهو أن يكون العبد فى عامة الأوقات وجلا من أن يَكِلَهُ الله ـ تعالى إلى نفسه ، ويمنعه موارد التوفيق ويقطع دونه الأسباب ؛ أخبر الله ـ عز وجل ـ عن أهل الجنة أنهم يقولون : ﴿ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴾ جاء فى التفسير : أنهم كانوا مشفقين أن يُسْلَبُوا الإسلام بعد أن هداهم الله إليه ؛ فيوردوا يوم القيامة موارد الأشقياء ، وكذلك سائر نعم الله ، وإن كان الإسلام أعلاها وأرفعها مكانة .

والثالث : ما قد يحدث من الوعيد ، وقد نبه الله تعالى إلى ذلك فى غير موضع من كتابه ؛ فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ﴾ وقال : ﴿ **وإياى فاتقون** ﴾ أى اتقوا عذابى ومؤاخذتى ؛ ولهذا قال النبى ﷺ : ﴿ **اتقوا النار ولو بشق تمرة** ﴾ أخرجه البخارى ومسلم .

عن ابن عباس قال : « لما أنزل الله ـ عز وجل ـ على نبيه ﷺ :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾

[ التحريم : ٦ ]

تلاها رسول الله ﷺ على أصحابه ذات ليلة أو ذات يوم ، فخر فتى مغشياً عليه ، فوضع النبى ﷺ يده على فؤاده فإذا هو يتحرك فقال : يا فتى ، قل : « لا إله إلا الله » فقالها ، فبشره بالجنة فقال أصحابه : يا رسول الله ، أمِنْ بيننا ؟ فقال ـ عليه السلام : أما سمعتم قوله ـ تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴾ شعب الإيمان للبيهقى .

وكان أنس ـ رضى الله تعالى عنه ـ يعرف قيمة الخوف من الله ، فحذر أبناءه من الذين لا يخافون الله ، وأطلق على الذين لا يخافون لقب « السفلة » فقد قال : يابنى إياكم والسفلة قالوا : وما السفلة ؟ قال : الذى لا يخاف الله ـ عز وجل .

وهذا عمر ـ رضى الله عنه ـ يقول : « ياليتنى لم أكن شيئاً ، ليت أمى لم تلدنى ، ليتنى كنت نسياً منسياً » .

إن الصحابة من الرعيل الأول قد وَعَوْا قول المصطفى ـ عليه السلام : « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيراً » . كل ذلك يدل على أن من كان بالله أعرف كان منه أخوف .

ثانياً ـ الرجاء :

والرجاء وهو الشق الثانى من صفات المؤمن لا يتأتى من فراغ ؛ فالرجاء بلا عمل افتراء على الله ـ عز وجل ـ ولهذا قال المصطفى ـ عليه السلام : « حسن الظن من حسن العبادة » ولو تأملنا قول المولى عز وجل :

﴿ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ ﴾[1] الحجر

وقوله تعالى :

﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٦﴾ ﴾ الرعد

أقول : لو تأملنا ذلك لوجدنا أن هناك ربطاً وصلة وثيقة بين الرجاء ، ومايدفع إلى البر والطاعة والعمل الذى ينجى صاحبه من موارد الهلاك .

قرأ مطرف قوله ـ تعالى : ﴿ **وإن ربك لذو مغفرة** ﴾ . الآية فقال : لو يعلم الناس قدر مغفرة ورحمة الله وعفو الله وتجاوز الله لقرّت أعينهم ، ولو يعلم الناس نكال الله ونقمة الله وبأس الله وعذاب الله مارقأ لهم دمع ، ولاانتفعوا بطعام ولا شراب .

وعلى هذا يحمل ماأخبر به المصطفى ـ عليه السلام ـ عن المولى ـ عز وجل : « ياعبدى ماعبدتنى ورجوتنى فإنى غافر لك مافيك ، وياعبدى إن لقيتنى بقراب الأرض خطيئة لم تشرك بى شيئاً لقيتك بقرابها مغفرة » . شعب الإيمان للبيهقى .

ويحمل أيضاً مارواه أبو هريرة ـ رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ بسند صحيح : أسرف رجل على نفسه فلما حضره الموت أوصى بنيه : إذا أنا مت فاحرقونى ثم اسحقونى ثم ذرونى فى الريح فى البحر ؛ فوالله لئن يقدر على ربى ليعذبنى عذاباً ما عذبه أحداً ، ففعلوا به . فقال الله ـ عز وجل ـ للأرض : أدى ماأخذت ؛ فإذا هو قائم؛ فقال : ماحملك على هذا فقال : خشيتك يارب ـ أو قال مخافتك ـ فغفر له . البخارى : شعب الإيمان للبيهقى .

قال البيهقى ـ رحمه الله تعالى ـ: وكما لاينبغى ألا يكون الخوف إلا من الله ـ عز وجل ـ كذلك لاينبغى أن يكون الرجاء إلا منه ؛ لأنه لايملك أحد من دونه ضراً ولا نفعا فمن رجا ممن لايملك مالا يملك فهو من الجاهلين .

ولهذا قال بشر الحارث : لما رفع ابراهيم ـ عليه السلام ـ ليلقى فى النار ، عرض له جبريل ـ عليه السلام ـ فقال : ياإبراهيم ، هل لك من حاجة؟ قال : أما إليك فلا . حسبى من سؤالى علمه بحالى .

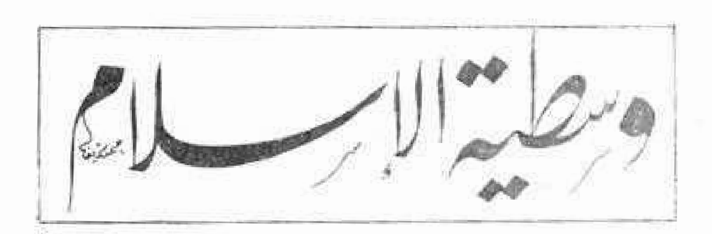
وقد أكد نبينا ـ عليه السلام ـ هذا المعنى عندما قال : « من نزلت به حاجة فأنزلها بالناس لم تسد فاقته ، ومن أنزلها بالله أوشك الله له بالغنى ؛ إما أجل عاجل وإما غنى عاجل .

شعب الإيمان للبيهقى .

وماأجمل ما قاله يحيى بن معاذ الرازى : الإيمان ثلاثة : الخوف والرجاء والمحبة ، فى جوف الخوف ترك الذنوب ، وفيه النجاة من النار .

وفى جوف الرجاء الطاعة وفيه دخول الجنة .

وفى جوف المحبة احتمال المكروهات وبه يجد رضا الله عز وجل .




أ. د. أحمد عمر هاشم (*)

**وسطية الأمة :**

**قال الله تعالى : « وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا »(1) .**

**والوسط : الخيار والأجود ، ولما أنعم الله على هذه الأمة بنعمة الوسطية فكانت خير الأمم ، خصها سبحانه وتعالى بأكمل الشرائع وأوضح المناهج وأيسر التكاليف وأوضحها ، كما قال سبحانه :**

« هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ » سورة الحج .

وفيما رواه الإمام أحمد ـ بسنده ـ عن أبى سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : « يدعى نوح يوم القيامة فيقال له : هل بلغت ؟ فيقول : نعم ، فيدعى قومه ، فيقال لهم : هل بلغكم ؟ فيقولون : ما أتانا من نذير ، وما أتانا من أحد ، فيقال نوح : من يشهد لك ؟ فيقول : محمد وأمته ، قال : فذلك قوله : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا » قال : والوسط : العدل ، فتدعون فتشهدون له بالبلاغ ثم أشهد عليكم »(2) .

وفيما رواه الإمام أحمد بسنده عن أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « يجيء النبى يوم القيامة ومعه الرجلان

---

(*) الكاتب : نائب رئيس جامعة الأزهر .

(1) سورة البقرة (143) .

(2) ورواه البخارى والترمذى والنسائى وابن ماجه من طريق الأعمش .

وأكثر من ذلك فيدعى قومه فيقال : هل بلغكم هذا ، فيقولون :لا فيقال له هل بلغت قومك ؟ فيقول : نعم ، فيقال : من يشهد لك ؟ فيقول : محمد وأمته ؛ فيدعى محمد وأمته ، فيقال لهم : هل بلغ هذا قومه ؟ فيقولون : نعم فيقال : وما علمكم ؟ فيقولون : جاءنا نبينا فأخبرنا أن الرسل قد بلغوا فذلك قوله -عز وجل- «وكذلك جعلناكم أمة وسطا » . والآية الكريمة تشير إلى أن الله - تعالى - حين حول القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة قبلة إبراهيم -عليه السلام- واختارها لهم ليجعلهم خيار الأمم ، ليكونوا يوم القيامة شهداء على الأمم ؛ لأن الجميع معترفون لهذه الأمة بالفضل وواضح أن رسول الله ﷺ لما هاجر إلى المدينة ، وكان أكثر أهل المدينة اليهود ، فأمره الله أن يستقبل بيت المقدس ، ففرحت اليهود فاستقبلها رسول الله ﷺ بضعة عشر شهرا ، وكان يحب قبلة إبراهيم ، فكان يتوجه بالدعاء إلى ربه سبحانه وتعالى وينظر إلى السماء فأنزل الله تعالى قوله :

« قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ »(٣) .

وكان عليه - الصلاة والسلام - قبل هجرته قد قد أمر باستقبال الصخرة من بيت المقدس فكان بمكة يصلى بين الركنين فتكون بين يديه الكعبة وهو مستقبل صخرة بيت المقدس ، فلما هاجر إلى المدينة تعذر الجمع بينهما فأمره الله بالتوجه إلى بيت المقدس .

وكان الأمر باتجاهه إلى بيت المقدس من الله تعالى ، وكان التحويل إلى الكعبة من الله ، ووافق رغبة رسول الله ﷺ ، فقد شرع الله التوجه إلى بيت المقدس ، ثم شرع التحول إلى الكعبة ، ليظهر من يتبع الرسول ﷺ ممن ينقلب على عقبيه ، قال تعالى :

« وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ »(٤)

عن البراء(٥) - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ صلىّ إلى بيت المقدس ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت ، وأنه صلىّ أول صلاة صلاها صلاة العصر وصلى معه قوم ، فخرج رجل ممن كان صلى معه ، فمر على أهل المسجد وهم راكعون فقال : أشهد بالله لقد صليت مع النبى ﷺ قبل مكة ، فداروا كما هم قبل البيت ، وكان الذى قد مات على القبلة قبل أن تحول قبل البيت رجالا قتلوا لم ندر ما نقول فيهم فأنزل الله :

« وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ » سورة البقرة

(٣) سورة البقرة (١٤٤) .
(٤) سورة البقرة (١٤٣) .
(٥) رواه البخارى .

وسطية المكان :

والكعبة المشرفة التى هى قبلة المسلمين ، هى فى البقعة المباركة والمكان الوسط ، فهى فى وسط الكوكب الأرضى ، تتوسط دنيا الناس شرقا وغربا وشمالا وجنوبا ..

وهكذا أختار الله ـ تعالى ـ مكان رسالته ، وموقع قبلة الصلاة ، ومهبط الوحى ، هذا المكان الوسط ، الذى يتسق مع وسطية الدعوة السمحة ، ويتناسب مع الرسالة العامة الخالدة ، لترسل أشعة النور والهداية إلى من حولها من جميع بقاع العالم .

وهكذا اقتضت الحكمة الربانية أن يكون المكان وسطا فى جغرافية الأرض ، لتتمكن الدعوة أن تنتشر فى ربوع الأرض ، وتؤدى أمة الإسلام أمانة التبليغ التى حملها الله ـ تعالى ـ إياها ، حيث نزل الوحى ـ قرآنا وسنة ـ بلسان عربى مبين ، وفى أمة عربية ، وفى مكان وسط من العالم ، كل هذا يؤكد وجوب تبليغ الأمانة التى كلف الله تعالى هذه الأمة بها ، وشرفها بإنزال الوحى على أرضها وإرسال رسول من أنفسهم ، وقيام القبلة ـ الكعبة المشرفة ـ فى هذا المكان الطاهر والحرم الآمن فى قلب العالم ..

وهكذا تتكشف حقيقة نزول الوحى الإلهى فى البلد الحرام ، والقبلة المشرفة داخل المسجد الحرام ، فمكة المكرمة هى مركز الكرة ووسط العالم بأسره .

وإن قوله تعالى : « وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ » يحدد لهذه الأمة دورها فى النهوض بالبشرية ورسالتها فى قيادة القافلة الانسانية ، فبذلك تتبوأ مكانتها كخير أمة أخرجت للناس ، شاء الله لها أن تكون أمينة على رسالة السماء ، وشاهدة على الناس .

وحين تتخلى عن هذه الرسالة ، أو تخل بواجبها تكون قد حرمت نفسها من خيريتها ، ومن كونها الأمة الوسط ، وفقدت كيانها المعنوى ودورها الريادى بين الأمم .

ويستوجب القرآن على هذه الأمة عبادة الله ، والجهاد فى سبيل الله حق جهاده ، لأنه اختارهم واصطفاهم على سائر الأمم ، وكلفهم بشريعة لا حرج فيها ولا مشقة ، ولا ضيق ولا عسر ، إنها الحنيفية السمحة ملة ابراهيم عليه السلام ، وقد سماهم الله المسلمين من قبل فى الكتب المتقدمه ، وفى هذا أى القرآن قال تعالى :

« يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ (٧٧) وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ »(٦)

أى أن الله تعالى جعل هذه الأمة وسطا عدولا وخيارا ، ليكونوا شهداء على الناس وعلى جميع الأمم ، لأن جميع الأمم معترفة بفضل هذه الأمة على كل أمة سواها ، ولذلك تقبل شهادتهم عليهم يوم القيامة فى أن كل رسول بلغ قومه ، ويشهد

(٦) سورة الحج (٧٧ ، ٧٨) .

رسول الله ﷺ على هذه الأمة أنه بلغها ذلك .

وفى مقابل هذه المنزلة التى بوأها الله ـ تعالى ـ لهذه الأمة ، وفى مقابل النعمة على الأمة أن تقوم بشكر ربها ـ سبحانه وتعالى ـ وما أوجبه الله عليها من عبادة وطاعة ، ومن أهمها الصلاة والزكاة ، وعليهم أن يعتصموا بالله ويتوكلوا عليه

﴿فَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾ سورة الحج

**وسطية الزمان :**

لم تأت رسالة الإسلام الخاتمة فى أول تاريخ البشرية ولا فى آخره ؛ بل جاءت فى الوسط لتكون مصدقة ومهيمنة وحارسة لما جاءت به الرسالات السماوية السالفة .

**وسطية العقيدة :**

ووسطية العقيدة تعنى أنها عقيدة عادلة خيرة ، يؤمن العباد فيها بالله الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، الذى لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد إيمانا لا تمثيل فيه ولا تعطيل ، لأن الله تعالى ليس كمثله شىء وهو السميع البصير .

ويؤمن العباد بالرسول ـ صلوات الله وسلامه عليه بأنه رسول الله وأنه بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، وهدى الأمة ، وأخرج الناس من الظلمات إلى النور ، ويؤمنون بأنه ليس فى درجة فوق النبوة والرسالة ، كما يزعم بعض الضالين فى أنبيائهم؛ أنهم وصلوا إلى درجة الألوهية ، وليس فى درجة سائر البشر ، فهو بشر ولكنه يوحى إليه ، ومرسل من ربه ولذا ورد عنه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ النهى عن الغلو فى إطرائه حيث قال : «لا تطرونى كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبدالله ورسوله» ويؤمنون أنه خاتم الأنبياء والمرسلين .

وكما تتجلى وسطية العقيدة فى عدم التمثيل والتعطيل فى الصفات فانها تتجلى أيضا فى الإيمان بالقدر ، فنرى أهل السنة يرفضون رأى الجبرية ، الذين يقولون إن الإنسان مجبور على عمله ، كما يرفضون رأى القدرية الذين يقولون بإنكار القدر ، ووقف أهل السنة والجماعة موقفا وسطا ، فيثبتون أن الله خالق كل شىء ، وأنه ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ، ويؤمنون أيضا بأن للعباد قدرة وأختيارا ، أى أنهم يقفون موقفا وسطا بين الذين ينفون اختيار العبد والذين ينفون القدر ، فيؤمنون بأن الله على كل شىء قدير ، وأنه لا يكون فى ملكه إلا ما يريد ، ويؤمنون بأن للعبد قدرة واختيارا .

وسطية العبادة

وجاءت عبادات الإسلام ميسرة ووسطا فلا هى صعبة يشق على العباد أن يأتوا بها ، ولا هى بسيطة جدا بحيث لا تترك فى النفس كبير أثر ، وإنما جاءت وسطا « ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ »(٧) . فما كلّف الله ـ تعالى ـ عباده إلا بما كان فى استطاعتهم أن يفعلوه ، قال تعالى : « ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ »(٨) .

---

(٧) سورة البقرة (٢٨٦) .

(٨) سورة التغابن (١٦) .

فالصلاة لم يفرضها الله فى كل ساعة ، ولم تكن ركعاتها كثيرة وشاقة ولم تكن أيضا قليلة أو فى وقت واحد أو اثنين فحسب ، بل كانت وسطا تجمع بين الليل والنهار وهى خمس صلوات فى اليوم والليلة .

والصوم لم يكن للعام ولا لعدة شهور ، ولكن فرض الله تعالى صيام شهر واحد فى السنة كلها وهو شهر رمضان ، ولم يكن صوم اليوم شاملا لليلته بل كان الصوم من الفجر إلى غروب الشمس .

ولم تكن الزكاة ضارة بحال الفقير ولا بحال صاحب المال ، بل فاوت الله فى مقادير الزكاة حسب الجهد الذى يبذله صاحب المال ؛ فما كان من جهود كثيرة كالنقد وعروض التجارة قل مقدار ما يخرجه صاحب المال من الزكاة وما كان أقل جهدا كالركاز يزيد مقدار ما يخرجه للزكاة ، ففى زكاة النقدين وعروض التجارة يخرج ربع العشر وفى زكاة الركاز يخرج الخمس .

وأيضا فى زكاة الزروع والثمار : فما كان منها يُسقى بالآلة يخرج منه نصف العشر . وما كان منها يسقى بغير آلة ففيه العشر .. وهكذا كلما كان الجهد المبذول أكثر كان مقدار الزكاة أقل ، وكلما كان الجهد المبذول أقل كان مقدار الزكاة أكثر .

وعبادة الحج لم يفرضها الله ولم يوجبها إلّا على المستطيع ، ولم يفرضها مرتين أو أكثر ؛ بل فرضها على المستطيع مرة واحدة فى العمر كله .

وهكذا كانت جميع التكاليف الشرعية ، لا إفراط فيها ولا تفريط ، ولا غلوّ فيها ولا تقصير ، بل جاءت وسطا يستطيع كل مكلف أن يأتى بها .

**وسطية الأخلاق :**

وإذا نظرنا إلى الأخلاق فى الإسلام وجدنا أنها جاءت وسطا ، فكل فضيلة من الفضائل وسط بين رذيلتين ، ففضيلة الكرم وسط بين « التبذير » إذا كان هناك إفراط ، وبين « البخل » إذا كان هناك تفريط .

وفضيلة « الشجاعة » وسط بين « التهور » إذا كان الإفراط ، وبين « الجُبْن » إذا كان التفريط .. وهكذا .

**وسطية الروح والجسد :**

لقد عنى الإسلام برعاية الجسد ورعاية الروح ولم تتركز عنايته لجانب دون الآخر ، فدعا الإسلام إلى متطلبات الجسد فى الحلال بعيدا عما حرم الله ، ففى الحديث : « وإن لجسدك عليك حقا »[9] .

ولم يحرم الزينة الحلال ولا الطيبات من الرزق ، قال تعالى : « قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق »[10] . ودعا إلى وسائل القوة كالرماية والسباحة وركوب الخيل والرياضة البدنية .

كما عنى بالجانب الروحى بالعبادات والالتجاء إلى الله والتوجه إليه بالدعاء ، وتوثيق الصلة الدائمة بالله ــ تعالى ــ ومراقبته فى السر والعلانية وتواصل الرعاية بالبدن والروح والتوازن بينهما

(٩) رواه البخارى .

(١٠) سورة الأعراف (٣٢) .

بحيث لا يطغى جانب الجسد والمادة على الروح ، ولا يطغى جانب الروح على الجسد ؛ بل يكون الإنسان فى الوسط وهو : الاعتدال بين متطلبات الجانبين ، ولقد وجه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى هذه الوسطية والاعتدال بين متطلبات الروح والجسد ، فعندما علم انهماك عبدالله بن عمرو ابن العاص فى العبادة ، قال له : « ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل ؟ قال عبدالله : فقلت : بلى يارسول الله فقال عليه الصلاة والسلام : « فلا تفعل ، صم وأفطر وقم ونم ، فإن لجسدك عليك حقا ، وإن لعينك عليك حقا وإن لزوجك عليك حقا ، وإن لِزَوْرِكَ عليك حقا »[11] « زورك » : أى ضيفك .

### وسطية المنهج فى الدعوة :

وجاء منهج الدعوة الإسلامية وسطا ، لا إكراه فيه ولا تشديد ، ولا تهاون فيه ولا تفريط ، وإنما هو دعوة تتناسب مع معادن الناس وأحوالهم ، وتقوم على الحكمة والموعظة الحسنة ، قال تعالى :

« ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ »[12] .

كما يقوم منهج الدعوة على اللين فى القول ، وعدم التشدد أو التزمت فقد قال الله تعالى : « فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى »[13] .

ولقد وعظ أحد الواعظين المأمون فأغلظ له فى القول ، فقال : يارجل ( ارفق ) فقد بعث الله من خير منك – يريد موسى وهارون عليهما السلام إلى من هو شرٌّ منى – يريد فرعون – فأمرهما بالرفق واللين فقال – سبحانه : « فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ » .

وتقتضى وسطية المنهج الدعوة باللين والتدرج والتؤدة ، وعدم التفريط والطفرة والعجلة .

« داويت متئدًا وداووا طفرةً
وأخفُّ من بعض الدواء الداءُ »

فالتدرج فى الدعوة وعدم الطفرة هى سمة المنهج الإسلامى فى الدعوة.وقد روى عن عمر بن عبدالعزيز أن ابنه عبدالملك قال له : مالك لا تنفذ الأمور ؟ فوالله ما أبالى لو أن القدور غلت بى وبك فى الحق ، فقال له عمر : « لا تعجل يابنى ، فإن الله ذم الخمر فى القرآن مرتين وحرمها فى الثالثة ، وإنى أخاف أن أحمل الحق على الناس جملة فيدفعوه جملة ويكون من ذا فتنة » .

---

(١١) رواه البخارى .

(١٢) سورة طه (٤٤) .

(١٣) سورة النحل (١٢٥) .

# ألبانيا بين هموم الماضي وتوجهات المستقبل

أ.د. جعفر عبد السلام(*)

**أخيراً وصلنا إلى ( تيرانا ) بعد رحلة سفر طويلة توقفنا خلالها فى ( بودابست ) لأكثر من ثمان ساعات ، وشتان بين ما كنا فيه فى مطار نظيف وعصرى ومنظم وبه عشرات الممرات والقاعات والتجهيزات ، وما وجدنا أنفسنا فيه فى هذه المدينة الصغيرة ، فهى ( دكانة ) من الخشب الأصفر بها بعض المقاعد ولا تمت لمطارات العالم بصلة ، الحقائب توضع على الأرصفة وعلينا أن نحملها ونتوكل على الله ، فلا توجد أية خدمات بالمطار ؛ بل إن السيارات نفسها عملة نادرة فى هذه البلاد ، فقبل عامين ، كان هناك ثلاث أو أربع سيارات ، أما الآن فقد زاد عددها إلى حد ما ، ومن ثم عرفنا قيمة ما قدمته لنا السفارة المصرية بـ ( تيرانا ) حيث أرسلت من يستقبلنا بسيارته : سكرتير السفارة .**

وعندما دخلت قاعة المؤتمرات الكبرى فى تيرانا عاصمة ألبانيا وجلست فى تلك المقاعد الوثيرة ، وشاهدت تلك الرسوم التشكيلية المنتشرة فى أماكن عديدة فى هذه القاعة ، وذلك الأثاث الفاخر ، والسجاد والفرش الأنيق ، تذكرت تلك الأسفار العديدة التى يَسَّر الله لى فرصة القيام بها خلال العامين الماضيين ، لبلاد (الكمنولث) أو ما كان يسمى بالاتحاد السوفيتى .

فرغم الجمال الطبيعى الذى حباه الله لهذه البلاد ، التى شهد بعضها أمجاد الإسلام ، إذا بالخط الشيوعى الذى سيطر عليها لفترات وصلت إلى سبعين عاماً ، يشوه الوجه الطيب لهذه البلاد ويجعل المبانى ذات طابع اقتصادى ، كما يقولون فى مصر : « بلوكات » من الأسمنت المسلح يحتوى على صناديق ضيقة ، يعيش فيها الناس كالفئران وتنتشر فى كل مكان فى تلك البلاد . والمقارنة

(*) الكاتب أستاذ القانون الدولى بكلية الشريعة والقانون ، ونائب رئيس جامعة الأزهر والمشرف على مركز عبدالله صالح كامل للدراسات الإقتصادية . التابع لجامعة الأزهر .

شامخة بين المنازل والمساجد القديمة ، وتلك (البلوكات) التى أوجدها الحكم الشيوعى فى تلك البلاد .

وهذا ما يتضح فى تيرانا عاصمة ألبانيا ، الدولة الشيوعية التى « أغلق أنور خوجه » حدودها على أهليها لمدة تتجاوز الأربعين عاماً ، ولا زال أثر هذا الرجل واضحاً فى حياة الدولة ، واسمه لدى رجل الشارع « الدكتاتور » .

المدينة قذرة ، برغم بدائية الحياة فيها ، وما تحمله البدائية من بعض المزايا كقلة التلوث مثلاً ، السيارات قليلة . بل ذكر لنا البعض أنه منذ ثلاث سنوات ، كان عدد السيارات يعد على الأصابع ، وكانوا يستخدمون الأنعام فى التنقل ، المياه ــ رغم عذوبتها وانطلاقها من منابع طبيعية ــ إلا أنها لا تأتى البيوت إلا لبعض الوقت ، لذا عانينا بعض الشيء من الحياة فى الفندق ، المحلات قليلة ، والبضائع معظمها مستوردة ، حتى إننى سألت عما إذا كان هناك بعض الصناعات ، فقيل لى : إنها كانت قليلة وقد دمرت فى إطار التحرك الشعبى لتحطيم آثار الانغلاق ، والتسلط الدكتاتورى .

قيل عنهم : إنهم شعب أوربى ــ كما حدثنى بعض من قابلتهم هناك . ولكنهم ليسوا أوربيين على الإطلاق . مُحَدِّثِى يعيش بينهم ، ويعرف العادات السائدة فيهم الآن ؛ فهم يشربون الخمر بنهم شديد ، ويسكرون بعنف ولا يعملون ، ويسهرون الليل الطويل فى « الديسكو » ، وفى طلب المتع ، ولما كانت المصادر محدودة فالفقر شائع فيهم إلى حد كبير . وبالفعل قضيت وقتاً طويلاً أشاهد العاصمة والأماكن السياحية العديدة المنتشرة حولها ، فلم أجد ما يشدنى . هناك صناعات يدوية فقيرة وبدائية ، ولا تغرى أحداً بالإقدام عليها ، والتداول للإنتاج الزراعى أساساً وهو كثير وطيب بلا شك فالنمط الريفى فى الحياة والإنتاج هو السائد فى هذه العاصمة .

ليست دول « الكمنولث » بهذا التأخر ، ولكن الذى ذكرتنى « تيرانا » به ، أنها أدوات الحكم الشيوعى ، والوسائل التى يتذرع بها للسيطرة على الناس فى كل تلك العواصم . هناك شارع رئيسى توجد فيه الحكومة ، ويوجد فيه مبنى واسع للبرلمان وللمؤتمرات ، فضلاً عن مسرح وتمثال أو أكثر للزعيم . والزعيم فيها جميعاً هو « لينين » .

وقد انعقد المؤتمر الذى دعى الأزهر لحضوره فى مبنى قاعة المؤتمرات ، وهو بالفعل مبنى من أفخر وأعظم المبانى ، وإن قيل لنا : إنه استخدم مرة واحدة لاستقبال نواب الحزب الشيوعى الألبانى من مختلف أنحاء البلاد . وكان المؤتمر عن تطوير التعليم فى ألبانيا .

كان يحضر المؤتمر العديد من المنظمات الدولية ؛ بل كان (لمنظمة اليونسيف) الدور التنظيمى الأكبر فيه ، وحضرت (اليونسكو) و (اليونيدو) ، لكن اللافت للنظر وجود العديد من

الجمعيات والمنظمات الأهلية التي لا تخفي الإعلان عن هويتها ، وبعض هذه الهيئات تنتمي إلى الكنيسة الأرثوذكسية ، حيث اليونان في الجنوب ، وبعضها الآخر ينتمي إلى الكنيسة الكاثولوكية حيث توجد إيطاليا والفاتيكان على حدود ألبانيا . وقد حضر المؤتمر سفراء معظم الدول الأوربية ، على رأسهم سويسرا وفرنسا وألمانيا ، وكان هناك حضور إسلامي محدود ، تمثل في وجود جمعية الوقف ، والبنك الإسلامي للتنمية بجدة ، فضلًا عن جمعية كويتية قامت بإنشاء مدرسة هناك . حضور كبير رأيت أنه لا يتناسب مع الأهمية المحدودة لدولة صغيرة كألبانيا خاصة إنه لا توجد فيها موارد طبيعية ، ولا تتمتع بمزايا نسبية في الشعب ، أو الموقع يبرر هذا الحضور ، أو الهجوم إذا شئنا الدقة .

ومن باب تقرير الأمر الواقع أقول : إن هذه الرحلة نظمتها السفارة المصرية ونفذها الأزهر ، فقد ارتأى السفير تزاحماً كبيراً على حضور مؤتمر يبحث مستقبل التعليم في ألبانيا ، هذا التزاحم الذي كان واضحاً في المؤتمر ، فقد حضرت هيئات أجنبية عديدة أرثوذكسية ــ وكاثولوكية .

وهنا لنا وقفة : فالواقع أن تنظيم المؤتمر وعمل مختلف ترتيبات الدعوة إليه ، وتجهيز أوراقه وبحوثه ، مسألة اضطلع بها « اليونسيف » كما أن مندوبه في ألبانيا وهو السفير البسيط جداً « مجلاتي » كان أهم شخصية بذلت دوراً في هذا المؤتمر ، وهذا السفير إيراني الجنسية لكنه يمثل فكراً إسلامياً متقدماً ، وقد دعاني إلى كسر الصمت الذي كنت قد اتفقت عليه مع السفير المصري ، وإلى ضرورة الحديث ، وجاء السفير التركي معه ، وكذلك ممثلي الهيئات الإسلامية التي حضرت المؤتمر ، وهي : الهيئة الخيرية الإسلامية ، وجمعية الوقف ، والبنك الإسلامي للتنمية ، ليطالبني الجميع بأن أبدأ الحديث باعتباري ممثل الأزهر ، وفعلًا تحدثت . فقلت :

إنني موفد من قبل الحكومة المصرية لأمثل الأزهر في هذا المؤتمر الهام ، وذلك لأن العلاقات بين مصر وألبانيا علاقات تاريخية نادرة . لقد جاء ألباني يدعى ( محمد على باشا ) إلى مصر في القرن الماضي ، وأسس مصر الحديثة ، ومصر تعرف الأيادي التي تقدمت إليها ، ولا تنس بحال من يفعل لها الخير .

إن مصر تتطلع إلى هذه الدولة الفتية ، والأزهر على استعداد تام لكي يساهم في تطوير مناهج التعليم ، وفي تقديم المنح للطلاب للدراسة في مصر ، كما أنه على استعداد لكي يرسل من يدرس اللغة العربية والعلوم الإسلامية لدولة « ألبانيا » .

إن كل مصري يعرف ألبانيا ؛ لأن تاريخنا الحديث ارتبط بها وبشخصية إصلاحية جاءت من أراضيها .

وقد كان السفير المصري على قدر كبير من الذكاء عندما فكر في الأزهر ؛ فلقد كان

باستطاعته أن يطالب وزارة الخارجية بإرسال وفد من وزارة التعليم ، ولكنه أدرك أهمية أن يكون الوفد من الأزهر ؛ فنحن فى مجال التعليم العام لن يكون لدينا ما نقدمه بالذات فى المناهج والمؤلفات ، فربما تكون المنافسة غير متكافئة بيننا وبين ألمانيا وفرنسا وإيطاليا وسويسرا التى كانت موجودة بقوة فى المؤتمر ، إنما تقديم نمط من التعليم الدينى وتعلم اللغة العربية لشعب تُمَثِّل هذه الأشياء خلفية فكرِهِ وعقيدته ، هو الشىء الذى يمكن أن تتميز مصر فيه ، ومَنْ سوى الأزهر يستطيع أن يقدم تعليم الدين الإسلامى واللغة لعربية للعالم .

لذا كان تنظيم لقاء فى مكتب وزير التعليم ، ولقاء آخر بهذا الوزير ـ فى منزل السفير ـ أمراً يحمد للسفير . استطعنا أن نتحدث معه واستطاع هو كذلك أن يتحدث معنا ، ويفتح لنا قلبه بعيداً عن المزايدات ، وهذا السباق الذى يستعرض فيه كل مندوب ، وكل سفير ، عضلاته حول ما قدمته بلده ، وما يمكن أن تقدمه لألبانيا .

الغريب أنه عندما أتينا فى اليوم التالى ودخلنا قاعة المؤتمرات ، سلم علينا وزير التعليم بحرارة ، مما جعل العديد من المندوبين يحيطون بى ليعرفوا ماذا حدث ، وما هو البرنامج الذى سوف نقدمه لألبانيا .

لقد تعجبت من هذا الاهتمام الزائد الذى توليه دول أوربا لبلدة صغيرة لا يتجاوز عدد سكانها الثلاثة ملايين نسمة ، نصفهم يوجدون خارجها ولا يوجد بها مصادر للثروة ، ولا أيَّةُ مظاهر للتقدم .

هل لأنها دولة من دول البلقان ؟

أم لأنها دولة شيوعية نفضت غبار الفكر والنظام الشيوعى ، ويخشى أن ترتمى فى نظام آخر غير غربى ، أو نظام يقود إلى الشيوعية من جديد .

تساؤلات كثيرة تحيط بى ، ولعل بعض ما رأيناه يلقى الضوء على هذه المسألة .

فلقد أقدمت الحكومة الألبانية على طرد قسيس يونانى كان يوجد فى الجنوب على الحدود مع اليونان للتبشير ، ولكنه تجاوز حدوده وأخذ يسىء إلى الناس ، وزعم فيما زعم ، أن أجزاء عديدة من الأراضى الألبانية هى ـ أساساً ـ مملوكة لليونان ، ولكن اليونان ردت بعنف على هذا الإجراء ، فلقد طردت حتى الآن خمسة آلاف ألبانى كانوا يعملون فى اليونان ، وألقت بهم على الحدود بلا مأوى .

كذلك فقد ذهب بابا الفاتيكان فى العام الماضى لزيارة ألبانيا ، ووزع على الشباب جميعاً الصليب ، وقد أرى أن العديد من المسلمين يلبسونه بلا حساسية ، ليس هذا فقط ؛ بل يذكر الجميع أن هذا الرجل عندما ذهب إلى مطار ألبانيا قبّل الأرض هناك ، إشارة إلى فرحه وترحيبه بعودة إحدى الديار إلى المناطق التى ينتشر فيها نفوذه ، وإلى استعداده للعمل ، ولبذل الجهد حتى تنتشر النصرانية فيها .

الأحاديث والكلمات التى ألقيت فى المؤتمر تكشف صعوبة العمل الإسلامى فى هذه الدولة وهذه هى الاتجاهات العامة للمناقشات .

المسئولون الألبان من مساعدى الوزير ، والمسئولون عن الجامعات ـ وهم كثير ـ تحدثوا عن احتياجات ألبانيا إلى المدارس ، وإلى الجامعات بعد أن تحطمت أغلب المدارس نتيجة للثورة على النظام الشيوعى الذى جسم به على ألبانيا ـ أنور خوجه ـ قرابة النصف قرن ، خاصة أنه أغلق كل الأبواب ، وسد كافة المنافذ أمام هذا الشعب ، فلا علاقات ولا اتصالات بل إغلاق الأبواب لبناء النظام الشيوعى المثالى ، كيف لا ؟ وقد اعتبر الاتحاد السوفيتى ألبانيا دولة منحرفة عن المبادىء الشيوعية الأصلية ، وكذلك الصين .

كذلك فقد دمرت كافة المصانع ، ولا يوجد أى شىء ينتج فى ألبانيا الآن ، حتى البسكويت ، ..... حركة تدمير كاملة للمصانع لا أعرف لها سبباً .

وقد تردد ـ كثيراً ـ على لسان المسئولين أن التعليم يجب أن يتطور ويستهدف تكوين « عقلية أوربية » ويستهدف المستوى الأوربى والتنظيم والبرامج ، إلى جانب ذلك .

وبالمقابل لا نسمع كلمة واحدة عن إدخال برامج دينية أو تربوية فى التعليم ، فالهدف هو التعليم المدنى ، العلمانى الذى لا يجعل للدين أى دور فى الحياة . كذلك فإن أحداً لم يتحدث عن شىء بعد قوى للتعليم المستهدف ، يظهر الذات ويحافظ على التراث .

وإلى جانب ذلك كان هناك تركيز على الربط بين التعليم وهدف تكوين نظام اقتصادى حر ، فيجب أن يتم تطوير التعليم والتدريب سريعاً ليواجه حاجات التحول الاقتصادى الذى تمر به البلاد ، والانفتاح على الاقتصاد الحر .

ولاحظت كذلك الإلحاح فى طلب المساعدات بلا حدود . حتى أن رئيس إحدى الجامعات تحدث عن الحاجة إلى الحبر والأقلام والأوراق والطباشير المطلوبة للتعليم !!..

تكاد تتفق العواصم للدول التى كانت تعيش على الشيوعية فى بعض المعالم الرئيسية ، فاختبارات الزعامة الفردية تتجه نحو مكان فسيح يجتمع فيه أفراد الحزب ، ومسرح ليقدم عروضاً ـ من نوع خاص بالطبع ـ إلى جانب تمثال أو أكثر للزعيم ، كل هذا فى أهم الميادين . تذكرت ما شاهدته فى طشقند وفى « ألما » ـ « آتا » ، وفى « كازان » وغيرها من دول المعسكر الشيوعى السابق ، وأنا أصعد فى هذا المبنى الأنيق المتميز بمقاعده الوثيرة ونافورته وحديقته الرائعة والرسوم والصور التى تزين جدرانه ، إنه مبنى المؤتمرات بمدينة « تيرانا » عاصمة الدولة الأسطورة ، ألبانيا ، بلد « أنور خوجه » الذى أغلق أبوابها على أهلها منذ بداية هذا القرن ولفترة طويلة ، والذى لا توجد فيه مبانى لها قيمة على الإطلاق ، فيما عدا هذا القصر ، والمسرح المجاور له ، وبعض المساكن القليلة التى

تحيط به للحكام وللسفارات الأجنبية . وعندما مضى المتحدثون يتكلمون عن برامج التعليم وتطويرها ، أطبق على أذنى أقوال عديدة لمسئولين ألبان كلها تردد «نريد أن تشتمل هنا العقلية الغربية» ونريد أن «نضع المعايير الأوربية فى الدراسات والمناهج ؛ ليكون الأساس الذى تسير عليه مدارسنا وجامعاتنا» ، وتذكرت على الفور ذلك الصراع الفكرى الذى شدنى كثيراً وأنا أقرأ الصحف والمجلات المصرية التى ظهرت فى بلادنا - فى بداية هذا القرن - ولا زالت فكان من آثارها حتى الآن ، هذا الصراع الذى يدور فى الصحف بين فريقين ، فريق يطالب الأجداد والآباء بخلع ما يعيشون عليه من تراث وفكر لم يعد يلائم متطلبات العصر بما فى ذلك الملبس وحتى غطاء الرأس «الطرابيش» . لقد كان هذا الفريق من المحدثين الذين ذهبوا إلى أوربا فى بعثات علمية وعادوا منبهرين بالحضارة الغربية ، ومقتنعين بمصادر فكرها ، ومن ذا الذى يستطيع أن يعيش فى أوربا ولا ينبهر بنهضتها وتقدمها وحرية الإنسان فيها ، وحرص الأنظمة على رعاية الفرد وجعله محور كافة الأنشطة ، وحجر الزاوية فى كافة الأعمال . لقد قامت الحضارة الأوربية على الحرية ودفعت فى سبيلها الكثير من الدماء ، وضحت أجيال كثيرة فيها بكل شىء فى سبيل تدعيمها ، وجعلها القيمة الرئيسية للحياة فى هذه المجتمعات . لقد عرفوا عيوبها - لا شك فى ذلك - ولكنهم فاضلوا دائماً بين المزايا والعيوب ، ورجحت عندهم كفة المزايا ، حتى لو كلفهم ذلك تحطيم الأسرة ، وكشف العورات ، وهتك الأعراض .

ولقد وقف فريق السلفيين يقاوم بشدة هذا الاتجاه ، ويدعو إلى التمسك بالحاضر ، ورفض الجديد ، إن الآباء قد وضعوا قواعد لكل شىء ، وهذه القواعد تأتى من مصادر مقدسة ، فضلا عن أن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار .

لقد كانت مجلات : «السياسة الأسبوعية» و«الثقافة» منابر للفكر فى ذلك الوقت ، وقد جمعت مقالات مصطفى صادق الرافعى - زعيم الاتجاه السلفى - فى مهاجمة فكر طه حسين الذى وضع معالم نظريات الاتجاه إلى الغرب فى العديد من كتبه مثل «مستقبل الثقافة فى مصر ، وفى الأدب الجاهلى» ، فى مؤلف شهير سمى باسم «المعركة تحت راية القرآن» .

الحديث فى المؤتمر باللغة الألبانية من قبل الألبان حيث قلة منهم من يعرف لغة أجنبية ، ومع ذلك فهناك ترجمة إلى الإنجليزية والفرنسية ، كما أن العديد من الوفود يتحدثون هذه اللغات .

كان مفيداً أن يتحدث معنا السفير عن اهتمامه شخصياً واهتمام بلده بالأصول الإسلامية ، وترحيبه بأى برامج للمساعدات فى التعليم يأتى من الأزهر . وخرجنا متفقين على أن المنح يجب أن تعطى للمتميزين ، ولمن لديهم قدرة أكثر على

التأثير فى المستقبل ، وكان واضحاً أن الوزير يرغب فى أن يتعلم المبعوثون دراسات عملية فى الطب والزراعة والهندسة والعلوم ، وكذلك فى القانون ، مع بناء عقلية إسلامية فى نفس الوقت ، أى أن الصيغة المرغوب فيها ، هى صيغة الأزهر فى تطوره الجديد ، فلا فائدة كبيرة ترجى ممن يدرس الدين فقط ، فلن يحظى بمكان متميز فى الدولة الجديدة . كذلك رحب بشدة بأن يساعد الأزهر فى إدارة مدارس على النمط الأزهرى فى التعليم ، حيث نجح طالب الأزهر فى دراسته الأساسية والثانوية بين الدراسات الحديثة والدراسات الإسلامية . كذلك فهناك إلحاح على وجود أى صيغة سريعة لدراسة اللغة العربية ، ولو عن طريق من يتعلمونها بكثرة فى مقدونيا .

والحمد لله تم الاتفاق على برنامج للمساعدات العلمية يقوم الأزهر بتنفيذه الآن .

وعلى الجانب الآخر ، طلبنا من السفير أن ينظم لنا لقاءاً مع المفتى ، وهو شخصية تاريخية ـ اسمه (صبر كوتش) ، طويل القامة على قدر من النحافة ، وجه أوربى يميل للحمرة ، ويلبس زياً قريباً من الزى الأزهرى مع عمامة مختلفة كبيرة . وهو فى السبعينات من العمر ، تبدو عليه آثار الزمن ، يتحدث العربية ، فرح عندما رأى بعثة الأزهر ، وانطلق فى الكلام . لقد قضى الرجل عمراً فى المعتقل : عشر سنوات ، وقضى عمراً أطول مفتياً للبلاد من أيام (أنور خوجه) ولكنه طولب بألا يفتح فمه ، ولم يفتحه خوفاً من التعذيب والسجن .

وعرفنا أن الإدارة الدينية مسجلة فى ألبانيا كجمعية خاصة ترعى الأنشطة الدينية فى كل ألبانيا ، وتعترف بها الدولة على هذا الأساس ، وأنه يعد المفتى الأكبر هناك ، ويتبعه ستة مفتين منتشرين فى مختلف أقاليم ألبانيا ، وكل مفتى يتبعه عدد من الأئمة .

وذكر أن هناك مدارس دينية تتبعه ، وأن الأطفال يتعلمون فيها القرآن الكريم ومبادىء الدين الإسلامى . وركز على أن الأمور أفضل بكثير عن ذى قبل ، بل حتى عن الفترة التى سبقت الحكم الشيوعى ؛ لأن الحريات مكفولة ، والحماس الدينى لدى الناس ، خاصة فى الغرب شديد حيث ازدهرت حركة بناء المساجد ، وتعلم الدين .

وقال المفتى : إن الأزهر قد أرسل له اثنين من الدعاة ، ولكن الفائدة منهما ليست كبيرة بسبب جهلهما التام بكل اللغات ، وقال : إنهما يجدان صعوبات حتى عند دخولهما المطار ، لذا طلب أن يرسل الأزهر من يتقنون الألبانية ، أو أية لغة أوربية ، وقال : إن البرلمان وافق على أن يتم تعلم اللغة العربية فى المدارس ، وإن شكك السفير المصرى فى هذه المعلومة ، مما دعانى إلى سؤال الوزير الذى قال : إن قانون التعليم لم يمر فى البرلمان بعد ، وأن ما تم الاتفاق عليه إمكان تعليم اللغة العربية فى الجامعات ، وليس فى المدارس .

وطالبنا المفتى بضرورة إرسال كتب بالألبانية لتعليم الدين ، وذكر أن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية طبع مؤلفات بالألبانية ، وأنه يطالب بالمزيد منها للتعريف بأصول الإسلام ، وسيرة نبيه ، وتفسير بعض السور .

وقبل أن نودع ألبانيا جلسنا على إحدى المقاهى الأنيقة : وهى من أحسن الأشياء فى ألبانيا ، وجلس إلينا أحد الأشخاص ، وقد تبين أنه سورى الجنسية ويعيش فى تركيا ، كان من «دير الزور» ، وجاء إلى «تيرانا» مع بداية سياسة التحرر وأجر محلين للملابس ، ولكنه لم يبع شيئاً ، تجربة فاشلة ، لذا أخذ ينحو بالملائمة على كل الناس وكل الدولة ، لا توجد فى رأيه أية قدرات أو دافع على العمل التجارى أو الاقتصادى ، الناس كانوا موظفين لرب الدولة ، ومن الصعب تغيير ذلك على الأقل فى وقت قريب ، وردد الرجل مراراً على هذا الشعب «أنه لا يصلح لأى شيء ، عاشوا يسيرون بدون تفكير ، كانوا عاجزين عن السير فى الطريق ، ولا يغادرون الأرصفة ، فكيف سيتاجرون أو يصنعون أو يزرعون ؟» . وحدثنا عن الشباب الذى لا هم له سوى إطالة الشعر ، وتضفيره كالنساء ، ويعيثون فى الأرض فساداً ، لا هم للشباب سوى الجنس والخمر والرقص ، ولم تكن لديهم سيارات ، لذا لا يحسنون القيادة ، وتكثر الحوادث ، ويقودون السيارات بدون رخص وهم سكارى . لذا ففكرة أنهم أوربيون فكرة فيها كل الشك من هذا الرجل ومن كثير ممن قابلنا . فالأوربيون غاية فى النشاط وإتقان العمل ، وهؤلاء كسالى لا يعملون . وأوربا نظيفة ومزدهرة وهنا قذارة وأوساخ ، والأوربيون لديهم روح المغامرة وهى مقتولة هنا تماماً وهكذا .

ومع ذلك فهناك من يقول : إنه شعب طيب ، دمث الخلق ، يقدر العواطف ، ويحتاج إلى بعث العقيدة فيه ، والمستقبل للإسلام فيه أفضل من أى مكان آخر .

لقد قابلت العديد من الذين يتحدثون الإنجليزية أو الفرنسية من منسوبى الجامعات وسألتهم عن دينهم فهم يعرفون - والحمد لله - أنهم مسلمون ؛ وأن ٨٥٪ من تعداد السكان يدينون بالإسلام . لكن ما الإسلام عندهم ؟ لا صلاة ، لا زكاة ، لا صوم ، وإن كان هناك احتفال بالأعياد ، الزواج من غير المسلمين ممكن وشائع ، ولقد سألت إحدى المعيدات عما إذا كانت تقبل أن تتزوج غير مسلم ، فأجابتنى بأن ذلك يتوقف على الشخص الذى سيتقدم ؛ لأن القانون لا يمنعها من هذا الزواج .

# حول «فوائد البنوك وحكم الدين»

## بعيداً عن التعصب والمراء

د . ابراهيم عوضين*

إذا كان التكافل الإسلامى يوجب على المسلم أن لايترك عاثراً لعثرته ، بل يلزمه بأن يأخذ بيده ، حتى ينهضه من عثرته ، على الرغم من أثر العثرة قد لايتجاوز الفرد إلى غيره .. فإذا كانت العثرة عامة ، يمكن أن تنتشر منه إلى أمته ـ فى تشريعها ، أو معتقدها ، أو قيمها ـ أصبح الأخذ بيده ، وتسديد خطاه أوجب وألزم .

ويوم الأحد ١٩٩٣/١١/٢١ طالعتنا مجلة ( أكتوبر ) القاهرية بمقال الأستاذ صلاح منتصر الأسبوعى تحت عنوان ( فوائد البنوك وحكم الدين . هل يظلم المودع البنك ، أم يظلم البنك المقترض ؟ ) .

والمقال ـ فى حقيقته ـ تقديم لرسالة الأستاذ المستشار أحمد صلاح الدين بدور ، رئيس محكمة أمن الدولة العليا .

ولقد عنَّ لى فى المقال بشقيه ما يجانف الحقيقة والدقة فى فهم القرآن الكريم والحديث الشريف ، ومايدعو إلى المراجعة والتسديد ! .

### مع الأستاذ منتصر فى مقدمته

فى المقدمة بدا من بعض عبارات الأستاذ منتصر مايميل به عن الحيدة المنتظرة ـ ولعله فى ذلك لم يكن قاصداً ـ ففى قوله مثلا : ( أقرأ لبعض رجال الدين ، فأجدهم يضعونها ـ يعنى فوائد البنوك ـ فى خانة الربا ، وأقرأ لآخرين فضلاء من رجال الدين أيضاً ، فأجدهم يرفعون عنها نسب الربا .. ) يصف رجال الدين الذين يرفعون عن فوائد البنوك نسب الربا ، بأنهم فضلاء ، بينما يحرم الآخرين من ذلك الوصف .. على الرغم من أن هؤلاء ، وأولئك فضلاء ، وأنه لا ينقض الفضل أو ينقصه الاختلاف معه فى الرأى ، مادام فى رأيه مجتهداً ، توسل إليه بكل وسائل الاجتهاد الصحيح .. مماقد ينبىء بوجهة الكاتب المنحازة ! .

وفى قوله بعد ذلك : ( وأنا من المؤمنين بضرورة تلقى الدين من خبرائه ودارسيه .. ) إيماء منه إلى حرصه على الدقة والأمانة التى يجب أن يتسم بها كل صاحب قلم .. وأعتقد أنه لا يخالفه فى ذلك إنسان محايد ؛ لأن لكل ميدان رجاله

* رئيس قسم الأدب والنقد بكلية اللغة العربية بالمنصورة

المتخصصون فيه ، الذين يجب أن لا يؤبه إلا لقولهم ! .

أما قوله بعد ذلك : ( وقد كان اعتقادى أنه لا يستطيع أن يفتى فى شئون الدين إلا كل من يضع العمامة ) . فهو اعتقاد خاطىء من غير شك ، فالمطلوب فيمن يفتى فى شئون الدين وغير الدين أن يكون خبيراً فيما يفتى فيه ، دون أى تلازم بين فقه المفتى ، وما يلبسه من أزياء .. جزى الله خاله فضيلة الشيخ حسن مأمون ـ رحمه الله ـ خير الجزاء لتصحيحه له هذا المعتقد .

وأما استطراده بعد ذلك بقوله : ( بل لعلى لا أبالغ إذا قلت : إن وفرة من لابسى البدلات يتحدثون عن شئون الدين فى أيامنا أكثر من لابسى العمامة ) . فقد وددت أن لو أضاف إليه ما يطمئن إلى حياده وأمانته ، فأكمل العبارة بقوله : ( لأن الكثرة من دارسى الدين فى الأزهر وفى غير الأزهر ـ هذه الأيام ـ ليسوا من لابسى العمامة ) .

## حول رسالة المستشار وفقهه

فإذا ما اتجهنا إلى رسالة الأستاذ المستشار ، وجدنا أن سيادته ـ وهو القاضى ـ قد أصدر حكمه فى القضية سلفاً ، ثم قدم فى رسالته حيثيات حكمه ، وكنت أرجو منه ـ فى هذه القضية بذاتها ـ أن يبدأ بالمناقشة والبحث البصير ، والتحرى الدقيق ، والاستعراض الأمين ؛ ليخلص بنا إلى ما يرتاح إليه ضمير القاضى الفقيه النزيه ، من حكم .. إذن لتجاوز تلك السقطات الخطيرة ، التى وصمت الحكم الصادر بالضعف ، ووسمته بالبعد عن الحيدة !

أراد الأستاذ المستشار أن يقصر الربا الذى حرمه القران الكريم على ربا الجاهلية ؛ لأن قصره على ربا الجاهلية يدعم حكمه .. فاستشهد لذلك من القرآن الكريم ، ثم من السنة النبوية ، فقاده الغرض إلى الفهم الخاطىء للنص القرآنى ، وللحديث الشريف .

أما فى المجال القرانى ، فقد استند ـ فى تخصيص الربا المحرم بربا الجاهلية ـ إلى قوله تعالى : ﴿ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ . ظناً منه أن كلمة ( ما سلف ) تعنى ربا الجاهلية .. ولو أن سيادته قرأ الآية الكريمة ـ بعد التجرد من الغرض ـ لوجد أنها تقرر لمن أسلم حكم ما كان صدر عنه من تعامل ربوى قبل إسلامه ، فمن استجاب لأمر ربه ، فانتهى عن هذا اللون من التعامل المنهى عنه ، فله ما سلف ، أى فلا يؤاخذ بما مضى من معاملات ؛ لأنه صنع ذلك قبل أن يسلم ، أو قبل أن تنزل آيات التحريم ، وأمره إلى الله ، يحكم فى شأنه وليس إليكم أنتم ، فلا تطالبوه به .. وهذا يعنى بلغتنا العصرية ( الحكم لا ينفذ بأثر رجعى ) .

ثم وقع سيادة المستشار على ما ظنه يؤكد هذا الفهم الخاطىء ، فقال : ( ويؤكد ذلك ـ أيضاً ـ قوله سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ .. ﴾ ظناً منه أيضاً أن كلمة ( بقى ) مثل ( سلف ) ، تعنى أن الربا المنهى عنه هو الربا الباقى من الجاهلية .

ولا ريب فى خطأ هذا الظن ؛ لأن الآية الكريمة تأمر الذين آمنوا بأن يتقوا الله ، ويسقطوا ما هو

قائم من تعامل ربوى ، لم يصبح ماضياً ، فالذى سلف وانتهى يُسكت عنه ، ولا يسرى إليه الحكم ، وأما الربا الباقى القائم فإن الحكم يسرى إليه ، ويُلزم المؤمنون بأن لا يأخذوا ما شرطوه من الربا ، ويكتفوا باسترداد رءوس أموالهم .

وكذلك وقع سيادة المستشار فريسة الفهم الخاطىء لحديث الرسول ﷺ ، الذى جاء فيه : « وربا الجاهلية موضوع » ، إذ فهم المستشار من الحديث ( أن الربا المحرم هو ربا الجاهلية ) .

ولو أن السيد المستشار استحضر قوانين اللغة العربية ، والتزمها فى فقهه ، لعرف أن الفرق شاسع بين قولـه ﷺ : « وربـا الجاهليـة موضوع » ، وبين قوله هو : ( إن الربا المحرم هو ربا الجاهلية ) فعبارة المستشار ( أسلوب قصر ) تقصر الربا المحرم على ربا الجاهلية ، أما عبارة الرسول ﷺ فتعنى أن ربا الجاهلية هو كذلك من المعاملات الربوية الموضوعة .

وأعتقد أن الأستاذ المستشار يدرك الفرق بين مفهوم العبارتين . كما أعتقد أنه لا يرضى لنفسه أن يكون ممن يتزيدون على الله ورسوله ، فهو ــ من غير شك ــ لا يجهل ضرورة إتقان اللغة العربية لكل من يتعرض للقرآن الكريم أو للحديث الشريف بالدراسة ــ فضلًا عمن يتعرض للحكم بين الناس ــ حتى يكون من المجتهدين الذين يعفى عما قد يقعون فيه من خطأ ، وحتى يكون ممن يصح أن تؤخذ عنهم الفتوى فى أمور الدين وأحكامه ، سواء كان لابساً البدلة أم العمامة ! .

### علة تحريم الربا

وبالمنهج المتسرع نفسه ــ أو المغرض ــ عرض السيد المستشار لعلة تحريم الربا فى آراء الفقهاء ، ليقول : ( والواقع أن العلة من التحريم وردت فى القرآن صراحة فى قوله سبحانه :

﴿ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ وهذا يعنى أن علة تحريم الربا هى منع الظلم ) .

هكذا يقول المستشار بأسلوب القصر ، الذى يعنى أن منع الظلم وحده هو علة تحريم الربا فى الرؤية القرآنية ، فوقع فى خطأ تحميل النص القرآنى ما لا يحتمل ، وبالتالى : خطأ الاستنباط ! .

فالنظر المتأنى إلى الآية الكريمة كلها ، يقرر أنها لا تتحدث عن الربا على إطلاقه ، ولكنها تتناول حكم ما بقى قائماً من الربا بعد إسلام من يتعاملون به ، وأنها تفرض على المؤمن ــ بعد إيمانه ــ أن يسقط آثار ما بقى من الربا ، ويكتفى بتحصيل رأس ماله ، دون أن يظلم أحداً ــ بأخذه منه ما ليس حقه ــ ودون أن يظلمه أحد ، بما يقتطعه من رأس ماله .

فالظلم إذا كان واحداً من أضرار الربا ؛ لا يمكن أن يكون وحده هو الضرر الذى ينشأ عن الربا ؛ لأن أضرار الربا كثيرة ، من بينها .. ( الظلم ) .

فنفى الظلم إذن ليس العلة فى التحريم ، ولكنه واحدة من علل التحريم التى ندرك منها ما ندرك ، ويغيب عنا منها ما قد تكشف عنه الأيام ، مثل احتباس النقود عن التداول ، ومثل القضاء على الدوافع الفردية للاستثمار ، على ما قرره كثير من خبراء الاقتصاد فى الماضى وفى الحاضر ــ فى حدود تصوراتهم ــ مثل آدم سميث ، وماركس ، ومن سبقهما من الفلاسفة .

## تغير سـعر النقـود

ويحاول السيد المستشار أن يدعم حكمه من جهة أخرى ، إذ يرى أن بعض الفقهاء والعلماء يفوتهم تغير سعر النقـود ، ولـو أنهم ـ يقـول المستشار ـ نظروا إلى شخص اقترض من البنك فى عام ١٩٨٠ مبلغ ألف جنيه . وقام فى عام ١٩٩٠ بسداد هذا المبلغ ، فهل لا يكون قد وقع ظلم على البنك ، لأن قيمة الألف جنيه فى عام ١٩٩٠ أقل من قيمتها فى عام ١٩٨٠ ؟

وفات السيد المستشار أن حكم الربا حكم عام ، وأن ما هو حادث فى مصر من تضخم ، حالة خاصة طارئة ، لا يصح أن تكون هى أساس الحل والحرمة .

كما فاته أن يفترض أن الشخص الذى اقترض من البنك سنة ١٩٨٠ إنما اقترض ألف دولار ، فإذا سددها ألف دولار سنة ١٩٩٠ ألا يكون الظلم هنا قد وقع على المقترض ، وليس على البنك ، حيث ارتفعت قيمة الدولار من نحو سبعين قرشا إلى أكثر من ثلاثمائة قرش .. فإذا أضيف إلى أصل القرض فوائده التى يفرضها البنك .. أفلا يكون المقترض قد أصيب بالظلم المضاعف ، والذى قد يكون سبباً فى القضاء المبرم عليه ؟!

ويقول السيد المستشار : إن البنوك لا تحتمل الخسائر ، لأن خبراءها يقومون بدراسة المشاريع التى تساهم فيها البنوك دراسة وافية ، فلا يمكن أن تتعرض للخسائر ، غافلا ـ أو متغافلا ـ عما مر به كثير من البنوك العالمية من هزات مختلفة الأسباب ، قضت عليها ـ أو كادت ـ ولا أظنه نسى ما حدث قريبا لبنك الاعتماد ، وبنك أنترا ، وما أصاب البنوك فى أثناء الحرب العالمية وأعقابها .

## التهوين من قيمة الفائدة

ثم يرى السيد المستشار أن لا غبار على البنوك حين تقرض شخصاً ليقيم مشروعاً ، وتحصل منه على نسبة من الربح تضارع حصة ربحها فى مقابل اشتراكه .

غافلا ـ أو متغافلا ـ عن حقيقة ما يحصله البنك من المقترض ـ وهو نسبة من رأس المال المقترض وليس نسبة من الربح كما يقول ، ولا شك أن الفرق واضح بيِّن بيْن أن يحصل نسبة من الربح ، وأن يحصل نسبة من رأس المال !

وغافلا ـ أو متغافلا ـ بالتالى عما يصيب الكثير من هذه النسبة ( المسماة ربحاً ) ومن تركيبها ، مما يثقل كاهل صاحب المشروع ، ويستنزف أرباحه كلها أو جلها ، إن لم يستنزف الربح ورأس المال معاً !

ولو تلفت السيد المستشار حوله لرأى المئات ـ بل الآلاف ـ ممن وقعوا فريسة ذلك النظام الخادع ، ولسمع بكاءهم ، ولشاهد ما آل إليه أمرهم من ضياع وخراب ، ولتذكر ما أصدر هو وزملاؤه من أحكام قضائية لصالح البنوك قد أدت بالكثير منهم إلى الإفلاس ، ثم الجنون أو الانتحار !

ولماذا نذهب بعيداً ، وأمامنا اليوم واقع مصر وما أصابها من جراء تلك القروض الربوية ، التى فاقت فوائدها ـ أو أرباحها ـ خمسة أضعاف أصولها ، والتى أمسكت بخناق حكومتنا وشعبنا ، ومكنت من أعناقنا دول أوربا المختلفة ، لتتحكم فينا هذا التحكم !

وأما الارتكان على أن البنك المركزى لسان حال الدولة ، فهذا يفرض سؤالا آخر : أترتكن على البنك المركزى فى تحليل الحرام ، أم فى تحليل الحلال وتحريم الحرام ؟ إن كانت الثانيـــة فلا خلاف ، وإن كانت الأولى فالخلاف قائم ، لأن الدولة - أى دولة - قد تخطىء التقدير ، كما قد تصيبه ، ولا أدل على ذلك مما نراه من تقلب الدول بين الأنظمة المختلفة فما تلتزم به اليوم دولة ما ، قد تلفظه غداً وتتنكر له .. وما الاتحاد السوفيتى عنا ببعيد ..

أما الرسول ﷺ الذى لا ينطق عن الهوى فهو المعصوم من الخطأ فى كل ما يبلغه عن ربه . فإذا أعلن أن الربا حرام ، وأن ربا الجاهلية من أنواع الربا المحرم ، وأن أول ربا يلغيه ويبطله هو ربا عمه العباس .. فلا كلام لأحد آخر ، إلا أن يقدم إيضاحاً وتبياناً لا يشذ عن ذلك !

وأما ما خلص إليه المستشار بعد ذلك .. من أنه مادامت المعاملة قد خلت من وقوع ظلم على أى من طرفيها ، فهى حلال شرعاً .. فذلك الكلام الجميل فى ظاهره لا يمكن الاستناد عليه وحده فى قبول التشريعات - كما يعلم سيادة المستشار - إلا إذا تأكدنا من أن الظلم وحده هو علة التحريم ، ثم إلا إذا تم الاتفاق على تحديد الظلم وأبعاده ، حتى لا يكون الظلم أمراً نسبياً ، يتغير من شخص إلى شخص ، ويتغير لدى الشخص الواحد ، حسب الموقف والظرف والملابسة .

## الشكل والجوهر

ثم يأبى السيد المستشار إلا أن ينهى رسالته - أو بحثه - بالإشارة المتهكمة إلى ما جاء على لسان فضيلة الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر فى رسالته التى بعث بها فى عام ١٩٩١ إلى مجلس إدارة بنك الاستثمار القومى ، معترضاً فيها على كلمـــة ( فائدة ) طالباً استبدال كلمة ( عائد ) بها .. ثم يتساءل السيد المستشار عما إذا كانت العبرة فى الأحكام الشرعية بالأسماء أم المسميات ؟!

وواضح أن السيد المستشار إنما دفعه إلى ذلك ، ظنه أن الأمر أمر شكليات .. ولو أمعن النظر المجرد من الهوى والغرض فى مطلب فضيلة الإمام الأكبر ، لتبين له أنه ما قصد الشكل ، ولكنه قصد أن يلجىء البنك إلى الصواب ، لأن مفهوم ( الفائدة ) يختلف تماماً عن مفهوم ( العائد ) .

وإذا كان السيد المستشار لم يتنبه إلى الفرق بين المفهومين ، فإن القائمين على إدارة البنك قد تنبهوا إلى الفرق ، ولذلك لم يستجيبـــوا إلى ذلك المطلب .. ولو كان المطلوب تغيير الشكل فحسب ، لكان البنك أسرع ما يكون إلى ذلك ، حتى يفض ذلك الاشتباك .

مما تقدم .. يتبين أن سيادة المستشار القاضى أصدر حكمه سلفاً قبل أن يدرس القضية ، ويبحث عن موطن الحق .. كما يتقرر أننى - فيما كتبـــت - ما تعصبت لرأى عن هوى ، ولا قصدت أكثر من جلاء الحقيقة ، غير راغب فى أن أخوض فى اشتباك من هنا أو من هناك ، ولا مريد أن أسفه رأياً ، أو أن أنتقص من جهد .. إن أردت إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقى إلا بالله . والله من وراء القصد .



بقلم م. محمد زين العابدين الغرازى

**عن أبى العباس سهل بن سعد الساعدى ــ رضى الله عنه ــ قال : جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال : يارسول الله .. دلنى على عمل إذا عملته أحبنى الله وأحبنى الناس ، فقال : « ازهد فى الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما فى أيدى الناس يحبك الناس » رواه ابن ماجه وغيره بأسانيد حسنة**

والزهد لغة : الإعراض عن الشيء احتقاراً له وشرعا : أخذ قدر الضرورة من الحلال .

وقيل : هو العزوف عن الدنيا عدولا إلى الاخرة ، أو العزوف عن غير الله تعالى عدولا إليه ــ سبحانه ــ وهو أبلغ .

والزهد فى الدنيا مقام الصالحين من العباد فقوله ﷺ : « ازهد فى الدنيا » باستصغار جملتها ، واحتقار جميع شأنها ، يدل على تصغيره ﷺ للدنيا وتحقيره إياها ، وتحذيره من غرورها ، وقد فسر العلماء الدنيا بأنها : ما حواه الليل والنهار وأظلته السماء وأقلته الأرض ، واختلفوا فى المزهود فيه منها ، فقيل : الدنيا الدينار والدرهم ، وقيل المطعم والمشرب والملبس والمسكن ، وهو أشمل .

على أنه لهذا الحديث منطوق ومفهوم ، فمنطوقه : « إن أردت أن يحبك الله فازهد فى الدنيا » يبين أن الزهد فى الدنيا سبب لمحبة الله ــ تعالى ــ لعبده ، وكفى العبد بهذه المحبة نعمة ، أما مفهومه فيدل على : أن الراغب فى الدنيا ــ المتكالب عليها ــ متعرض لبغض الله تعالى .

وقد نقل الإمام ابن كثير فى تفسيره قول ابن أبى حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو خالد الأحمر عن عمرو بن قيس عن عمرو بن مرة عن عبدالله بن مسعود قال : تلا رسول الله ﷺ هذه

الآية : «فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام» فقيل له يا رسول الله ما هذا الشرح ؟ قال : «نور يقذف فى القلب ، قالوا يا رسول الله فهل لذلك من أمارة تعرف ؟ قال نعم . قالوا وما هى ؟ قال : «الإنابة إلى دار الخلود ، والتجافى عن دار الغرور ، والاستعداد للموت قبل الموت» وقد روى هذا الحديث بطرق مرسلة ومتصلة .

ولما قدم على رسول الله — ﷺ — بعض الوفود قالوا : إنا مؤمنون قال : وما علامة إيمانكم ؟ فذكروا الصبر عند البلاء ، والشكر عند الرخاء ، والرضا بمواقع القضاء ، وترك الشماتة بالمصيبة إذا نزلت بالأعداء ، فقال — عليه الصلاة والسلام : «إن كنتم كذلك فلا تجمعوا ما لا تأكلون ، ولا تبنوا ما لا تسكنون ، ولا تنافسوا فيما عنه ترحلون» .. رواه الخطيب وابن عساكر فى تاريخيهما من حديث جابر .

وقد روى مسروق عن عائشة — رضى الله عنها — قالت : قلت يا رسول الله ألا تستطعم الله فيطعمك ؟ قالت : وبكيت لما رأيت به من الجوع ، فقال : يا عائشة والذى نفسى بيده لو سألت ربى أن يجرى معى جبال الدنيا ذهبا لأجراها حيث شئت من الأرض ، ولكنى اخترت جوع الدنيا على شبعها ، وفقر الدنيا على غناها ، وحزن الدنيا على فرحها ، يا عائشة : إن الدنيا لا تنبغى لمحمد ولا لآل محمد ، يا عائشة : إن الله لم يرض لأولى العزم من الرسل إلا الصبر على مكروه الدنيا والصبر عن محبوبها ، ثم لم يرض لى إلا أن يكلفنى ما كلفهم فقال : « فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ »[1] «والله ما لى بدّ من طاعته ، وإنى والله لأصبرن كما صبروا بجهدى ولا قوة إلا بالله» — رواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس .

وقال سلمان الفارسى — رضى الله عنه : «ثلاث أعجبتنى حتى أضحكتنى ، مؤمل الدنيا والموت يطلبه ، وغافل وليس يغفل عنه ، وضاحك ملء فيه ولايدرى أساخط رب العالمين عليه أم راض ، وثلاث أحزنتنى حتى أبكتنى ، فراق الأحبة محمد وحزبه ، وهول المطلع ، والوقوف بين يدى الله ، ولا أدرى إلى الجنة يؤمر بى أو إلى النار»[2] .

وروى على كرم الله وجهه أنه — ﷺ — قال : «إن أشد ما أخاف عليكم خصلتان ، اتباع الهوى وطول الأمل ، فأما اتباع الهوى فانه يصد عن الحق ، وأما طول الأمل فإنه الحب للدنيا» ثم قال : ألا إن الله تعالى يعطى الدينا من يحب ويبغض ، وإذا أحب عبداً أعطاه الإيمان ، ألا إن للدين أبناء ، وللدنيا أبناء فكونوا من أبناء الدين ولا تكونوا من أبناء الدنيا ، ألا إن الدنيا قد ارتحلت مولية ، ألا إن الآخرة قد ارتحلت مقبلة ، ألا وإنكم فى يوم عمل ليس فيه حساب ، ألا وإنكم توشكون للعرض فى يوم حساب ليس فيه عمل» — رواه ابن أبى الدنيا من حديث جابر .

ويجب أن نعلم أن ذم الدنيا الوارد فى الكتاب والسنة ليس راجعاً لزمانها وهو : الليل والنهار ، لأن الله سبحانه وتعالى جعلهما خلفة لمن أراد يذكر أو أراد شكورا ، ولا إلى مكانها وهو

---

(١) سورة الأحقاف آية — ٣٥ .

(٢) إحياء علوم الدين للإمام الغزالى

الأرض لأن الله تعالى جعلها لنا مهادا ولا إلى ما أودعه الله تعالى فيها من الجمادات والحيوانات لأن ذلك من نعمه على عباده ، قال تعالى : «هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا»[٣] ؛ وإنما هو للاشتغال بما فيها عما خلقنا لأجله وهو : عبادته ،

قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ ـ الذاريات الآية ٥٦

قال بعض السلف ممن زهد فى الدنيا أن الله سبحانه وتعالى لما جعل على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا ، بيّن بعد ذلك مباشرة انقطاع ذلك ونفاده بقوله : ﴿ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴾ الكهف الآية :٨.

فمن فهم أن هذا هو مآلها جعل همه التزود منها لدار القرار ، واكتفى من الدنيا بما يكتفى به المسافر فى سفره .

وليكن لنا فى رسولنا الكريم ـ عليه أفضل الصلاة والتسليم ـ أسوة حسنة ، فقد كان يركب الحمار ويلبس الصوف ، وينتعل المخصوف ، ويلعق أصابعه ، ويأكل على الأرض ، ويقول : «إنما أنا عبد آكل كما تأكل العبيد ، وأجلس كما تجلس العبيد» ، وذلك لأنه فَضّل أن يكون نبياً عبداً .

وأما قوله ـ ﷺ : «وازهد فيما فى أيدى الناس يحبك الناس» ؛ فذلك لأن قلوب الغالبية من الناس مجبولة على حب الدنيا ، ومن نازع إنسانا فى محبوبه كرهه ، ومن لم يعارضه فيه أحبه ، قال الإمام الشافعى ـ رضى الله عنه :

ومن لم يذق الدنيا فإنى طعمتها
وسيق إلينا عذبها وعذابها

فلم أرها إلا غرورا وباطلا
كما لاح فى ظهر الفلاة سرابها

وما هى إلا جيفة مستحيلة
عليها كلاب همهن اجتذابها

فإن تجتنبها كُنتَ سلما لأهلها
وإن تجتذبها نازعتك كلابها

فدع عنك فضلات الأمور فإنها
حرام على نفس التقى ارتكابها

فالواجب على العاقل ألا يغترّ بمحاسن الدنيا فإنها ساحرة تزين ظاهرها بمحاسنها ، وتخفى قبائحها ومساوئها فى باطنها ليغتر الجاهل بما يرى من ظاهرها ، ومثلها كمثل عجوز قبيحة المنظر تخفى وجهها وتلبس أحسن الثياب وتتزين وتتجمل ليفتتن الخلق بها ، فإذا كشفوا عنها غطاءها وخمارها ، وألقوا عنها إزارها كرهوا النظر إلى وجهها ، وندموا على الاغترار بها .

وفى إحياء علوم الدين أن يحيى بن معاذ الرازى قال : الزاهد الصادق ، قوته ما وجد ، ولباسه ما ستر ، وسكنه حيث أدرك ، الدنيا سجنه ، والقبر مضجعه ، والخلوة مجلسه ، والاعتبار فكرته والقرآن حديثه والرب أنيسه ، والذكر رفيقه ، والزهد قرينه ، والحزن شأنه ، والحياء شعاره ، والجوع إدامه ، والحكمة كلامه ، والتراب فراشه ، والتقوى زاده ، والصمت غنيمته ، والصبر معتمده ، والتوكل حسبه ، والعقل دليله ، والعبادة حرفته والجنة مبلغه .

وللزهد درجات لا حصر لها ... ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من الزاهدين فى الدنيا والراغبين فيما عند الله ـ تعالى ـ لأنه خير وأبقى .

---

(٣) سورة البقرة آية ـ ٢٩ .

# القيادة الإدارية

## الإدارة فى منهج الإسلام

د. محمد عبد الله آل ناجى

**رابعاً : القدوة الحسنة :**

**القائد : ذو القدوة الحسنة ، يجعل أتباعه ومرءوسيه يقتدون به فى نشاطه ، فى تفانيه ، فى عمله ، فى مكارم أخلاقه ، وبذلك يكون العمل الذى يقومون به عملا ناجحاً متميزاً فى كل شىء ، ولقد كان الرسول ﷺ قدوة حسنة لأتباعه والمؤمنين به . وسار ولاته ومن كان يستعين بهم أو يستعملهم فى مجال القيادة على سُنَنِهِ ﷺ ؛ ولذلك قال الله ــ سبحانه وتعالى :**

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ﴾

[ الأحزاب : ٢١ ]

ومن القدوة الحسنة ما كان من أمر خالد بن الوليد ــ رضى الله عنه ــ فقد بهرت عبقريته قواد الروم وأمراء جيشهم ، مما حمل أحدهم واسمه ( جرجه ) على أن يدعو خالد للبروز إليه فى إحدى فترات الراحة بين القتال . وحين يلتقيان يوجه القائد الرومانى حديثه إلى خالد قائلا :

يا خالد : أصدقنى ، ولا تكذبنى ؛ فإن الحر لا يكذب .

هل أنزل الله على نبيكم سيفا من السماء فأعطاك إياه فلا تسله على أحد إلا هزمته ؟

قال خالد : لا .

قال الرجل : فم سميت سيف الله ؟

قال خالد : إن الله بعث فينا رسوله ، فمنا من صدقه ، ومنا من كذبه ، وكنت فيمن كذب ، حتى أخذ الله قلوبنا إلى الإسلام ، وهدانا برسوله

(*) الباحث : عميد كلية التربية ــ جامعة الملك فيصل ــ المملكة العربية السعودية .

فبايعناه ، فدعا لى الرسول ﷺ وقال لى : « أنت سيف من سيوف الله فهكذا » سميت سيف الله .

قال القائد الرومانى : وإلام تدعون ؟

قال خالد : إلى توحيد الله وإلى الإسلام .

قال : هل لمن يدخل فى الإسلام اليوم مثل مالكم من المثوبة والأجر ؟

قال خالد : نعم وأفضل .

قال القائد : كيف وقد سبقتموه ؟

قال خالد : لقد عشنا مع رسول الله ﷺ ورأينا آياته ومعجزاته ، وحق لمن رأى ما رأينا ، وسمع ما سمعنا أن يسلم فى يسر . أما أنتم يا من لم تروه ولم تسمعوه ، ثم آمنتم بالغيب ، فإن أجركم أجزل وأكبر إذا صدقتم الله سرائركم ونواياكم .

وصاح القائد الرومانى ــ وقد دفع جواده إلى ناحية خالد ووقف بجواره : «علمنى الإسلام يا خالد»[1] .

إن هذا القائد لم يبهره الإسلام ؛ لأنه لا يعرف شيئا عنه ، ولم تقنعه تعاليمه ؛ لأنه لم يحدثه أحد عنها . ولكن الذى بهره شخصية خالد التى تشرب كل جزء منها تعاليم الإسلام . فأعجب به هذا القائد ، واتخذه قدوة ، وكان من جراء ذلك أن حقنت الدماء ، وكفى الله المؤمنين القتال ، ودخل هؤلاء الجنود مع قائدهم إلى ساحة الإسلام فكانوا لأهله عضدا وسندا ، وساروا فى أنحاء الأرض يعلنون كلمة التوحيد والإيمان .

**خامساً : الشورى :**

الشورى : مبدأ أساسى من مبادىء نظام الإدارة فى الإسلام .

أما شكل الشورى والوسيلة التى تتحقق بها فهذه أمور قابلة للتحوير والتطوير ، وفق أوضاع الناس ، وملابسات حياتهم .

إن خير وسيلة لتربية القيادة الرشيدة ، هو مبدأ الشورى ؛ لأنها تدريب على حمل التبعة ، وقد تخطىء المشورة فى تقديراتها ، ولكن عن طريقها تتعرف كيف تصحح الأخطاء ، وكيف تتحمل القيادة تبعات رأيها ومن شاركها فيه ، فهى لا تتعلم الصواب بالكامل إلا إذا زاولت الخطأ .

وقد تكون هناك خسائر نتيجة لذلك ، ولكن لا يهم إذا كانت الحصيلة فى النهاية هى : انشاء جيل من القادة المدركة المدربة ، المقدرة للتبعة . لقد قال الله ــ تعالى ــ لرسوله الكريم ﷺ وهو يوصيه بأصحابه وأتباعه :

﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾

[ آل عمران : ١٥٩ ]

يقرر الله ــ تعالى ــ مبدأ الشورى ويلزم به القيادة الإسلامية ــ ومعها الوحى المتتابع الذى ينزل بكليات وجزئيات الرسالة الخاتمة ؛ لأن تبادل الآراء بين القيادة والمرءوسين فى حرية وإخلاص ، وإظهار ما فى كل منها من مزايا أو مآخذ يعد من أهم دواعى الوصول إلى أفضل الحلول لمواجهة المشاكل ــ ان كان هناك مشاكل ــ أو الوصول إلى الرأى الأمثل فى قيام مؤسسة ، أو إنشاء منظمة ، أو فى إقامة (أكاديمية) لتربية جيل من الأجيال على نمط معين أو وفق قواعد محددة . هذا بالإضافة إلى أن مبدأ الشورى يجلى الإخلاص فى العمل ، ويساهم فى رفع الروح

---

(١) صادق إبراهيم عرجون ــ خالد بن الوليد ، الطبعة الثانية ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، ١٩٦٧م .

المعنوية ، ويساعد على تنمية الولاء بالانتماء ويربط العاملين برباط المحبة والوفاء .

وعندما تقدم القيادة على تنفيذ مبدأ الشورى يكون تنفيذها هذا استجابة لله ـ تعالى ـ فى قوله سبحانه :

﴿ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾

[ الشورى : ٣٨ ]

الرسول ـ ﷺ ـ يقول : «ما خاب من استخار ، ولا ندم من استشار ، ولا عال من اقتصد»[٢] .

فالشورى ألفة للقيادة ومختبر للعقول ، وطريق إلى الصواب .

وقال الحسن : (ما تشاور قوم قط إلا هدوا لأرشد أمورهم)[٣] .

وقال أبو هريرة ـ رضى الله عنه ـ ما رأيت أحدا قط كان أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله ﷺ . ولذلك عندما علم الرسول ﷺ بقوة القرشيين ، وكثرة عددهم فى غزوة بدر قال لأصحابه : «أشيروا علينا أيها الناس» .

فقال المقداد بن عمرو من المهاجرين : «يا رسول الله امض لما أمرك الله ، فنحن معك ، والله لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى :

﴿ فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾

[ المائدة : ٢٤ ]

ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم مقاتلون .

وقال سعد بن معاذ من الأنصار : يا رسول الله كأنك تريدنا معشر الأنصار ؟

فقال رسول الله ﷺ : أجل .

فقال : إنا قد آمنا بك ، واتبعناك ، فامض لما أمرك الله ، فو الذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، ما تخلف منا رجل واحد . عندها قال الرسول ﷺ : «امضوا على بركة الله ، فكأنى أنظر إلى مصارع القوم»[٤] .

ثم ماذا ..؟

كان النصر المؤزر والفتح المبين .

**سادساً : الرفق والرحمة بالرعية :**

الناس دائماً فى حاجة إلى كنف رحيم ، وإلى رعاية فائقة ، وإلى بشاشة سمحة ، وإلى ود يسعهم ، وحلم لا يضيق بجهلهم وضعفهم ونقصهم .. الناس دائماً فى حاجة إلى قلب كبير يعطيهم ولا يحتاج منهم إلى عطاء ، يحمل همومهم ولا يعنيهم بهمه ، ويجدون عنده دائماً الاهتمام والرعاية والعطف والسماحة والود والرضا .

وهكذا كانت القيادة الإدارية فى صدر الإسلام تعطى ولا تأخذ ، وتسهر ولا تنام ، وتبذل قصارى جهدها فى راحة الرعية .

ومن هنا خاطب الله ـ سبحانه وتعالى ـ رسوله بقوله :

﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾

[ آل عمران : ١٥٩ ]

---

(٢) الحديث أخرجه الإمام أحمد فى المسند بسنده عن عبدالله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ وذكره ١ : ٤٤٧ (حلبى) .

(٣) الحديث اخرجه الطبرانى فى الكبير عن عبدالله بن مسعود .

قال : قال رسول الله ﷺ وذكره .

(٤) الحديث أخرجه الإمام القرطبى فى تفسيره عن حديثه عن غزوة بدر ٧ : ٣٧٤ سورة الأنفال .

وهكذا كان القادة من بعده .

يسمع أبو بكر حيرة أمرأة عجوز وابنتها الصغيرة تقولان لقد كان أبو بكر يحلب لنا شاتنا وقد تولى أمر الخلافة فمن يحلب لنا من بعده ..؟ وكان على مقربة منهما يسمع كلام العجوز ، وحيرة الصغيرة ؛ فيقترب منهما ، ويطيب خاطرهما ويقول : أنا أحلب لكما شاتكما حتى يتوفانى الله[٥] .

وعمر بن الخطاب يسمع بكاء صبيّة صغار لا يجدون عشاءهم ؛ فيهرول إلى بيت المال هو وخادمه ، ويحمل على ظهره الدقيق والسمن ، ويجلس ينضج لهما الطعام ، ويضعه لهما حتى يشبعا . ويدخل عليه ابنه عبدالله ، فيجد الدموع الغزار تسيل على خديه ، والرعب والهلع يسيطران على كل جارحة منه ؛ فيقول له ابنه : علام البكاء يا والدى . وقد أمنت الخائف وكسوت العارى ، وأطعمت الجائع وسددت ثغور المسلمين فى وجوه الأعداء ؟!

فيقول القائد المؤمن : «أخشى يابنى أن تعثر بغلة فى طريق العراق فيحاسب الله عليها عمر ؛ لأنه لم يُسَوِّ لها الطريق» .

ويخاطب عمر الرعية ويبصرهم بحقوقهم قبل أن يطلب منهم واجباتهم إزاء الدولة الإسلامية قائلا : « أيها الناس إنى والله ما أبعث عليكم عمالى ليضربوا أبشاركم ، ولا ليأخذوا أموالكم ، ولكن أبعثهم إليكم ليعلموكم دينكم وسنة نبيكم ، فمن فُعِلَ به سوى ذلك فليرفعه إلى ، فو الذى نفسى بيده لأقصنه منه ، وقد رأيت رسول الله ـ ﷺ ـ يقص من نفسه » .

ثم يخاطب الولاة قائلًا : «ألا لا تضربوا المسلمين فتذلوهم ، ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفروهم ، ولا تنزلوا بهم الغياض فتضيعوهم»[٦] .

ولما بلغ عمر بن الخطاب أن والى حمص عبدالله ابن قرط قد اتخذ قصراً احتجب فيه عن الناس ، أرسل إليه وزيره المفوض محمد بن سلمة ، وأمره أن يجمع حطبا ويحرق بابه . فلما قدم محمد بن مسلمه إلى حمص ، جمع الحطب وأحرق باب القصر فدخل الناس على الوالى وذكروا له الخبر .

فقال لهم : دعوه فإنه رسول أمير المؤمنين .

ثم إن عمر استدعى والى حمص ، فلما حضر قال عمر : «احبسوه عنى ثلاثة أيام» حتى إذا كان بعد ثلاث استحضره ، وقال له : «يا ابن قرط الحقنى إلى الحرة وفيها إبل الصدقة وغنمها» حتى إذا جاء الحرة ألقى عليه جبة وقال : انزع ثيابك ، واتزر بهذه ، ثم ناوله دلوا وقال : اسق هذه الإبل» .

فقام الوالى بالأمر ، ثم ظل يمارس هذا العمل حتى تعب .

فقال له عمر : «يا ابن قرط : متى كان عهدك بهذا؟» .

قال : منذ زمن بعيد يا أمير المؤمنين .

قال له : فلهذا بنيت القصر ، وأشرفت فيه على المسلمين والأرملة واليتيم ؟ ارجع إلى عملك ولا تعد[٧] .

إن أفراد الرعية الكائنون فى الدولة الإسلامية

---

(٥) راجع البداية والنهاية لابن كثير ـ خلافة أبى بكر الصديق ـ رضى الله عنه .

(٦) الدكتور سليمان الطحاوى ، مرجع سابق .

(٧) محمد كردى على : الإسلام والحضارة العربية ، دار التأليف

والعاملون فيها يجب معاملتهم معاملة حسنة من جانب الرؤساء والقادة ، والآيات الكريمة وأحاديث الرسول ﷺ تحض على ذلك كثيرا كلما اجتمع جماعة مسلمة لأداء عمل ما .

يقول الله تعالى :

﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾

[ المائدة : ٢ ]

ويقول الله تعالى :

﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾

[ التوبة : ٧١ ]

ويقول الرسول ﷺ : «من لا يرحم الناس لا يرحمه الله»[٨] .

ويقول أيضاً : «من أعطى حظه من الرفق فقد أُعطِى حظه من الخير ، ومن حُرِمَ حظه من الرفق فقد حُرِمَ حظه من الخير»[٩] .

ويحث رسول الله ﷺ الولاة والقادة على التفانى فى خدمة الرعية بقوله : «إن لله عبادا اختصهم الله بقضاء حوائج الناس حببهم إلى الخير وحبب الخير إليهم ، إنهم الآمنون من عذاب يوم القيامة»[١٠] . ويطالبهم ألا يكون فى قلبهم ضيق من كثرة طلبات المرؤوسين والعاملين بقوله عليه الصلاة والسلام : « حاجة الناس إليكم من نعم الله فلا تملوا النعم » . ويدعو القرآن الكريم الرؤساء والقادة إلى استعمال الكلمة الطيبة مع العاملين والناس جميعا بقوله تعالى :

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾

[ إبراهيم ]

إن المسلمين فى عصرنا الراهن ــ وخصوصا رجال الإدارة والقيادة الإدارية ــ لو اتجهوا إلى تلك المبادىء لاستطاعوا أن يوجدوا مؤسسات إدارية ناجحة ، فى مجال الحكم والسياسة ، فى سوق الاقتصاد والتجارة فى الحقل الأكاديمى ودور التربية والتعليم فهل نحن فاعلون ؟!

---

والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٨ ، ص ١١٤ .

(٨) الحديث أخرجه الترمذى فى باب « الزهد » حديث رقم ٢٣٨٢ ، وأخرجه ابن ماجه فى باب الزهد ، حديث رقم (٤٢٠٦) .

(٩) الحديث أخرجه الترمذى فى أبواب « البر والصلة » ٦٧ باب ما جاء فى الرفق حديث رقم (٢٠١٤) بسنده عن أبى الدرداء عن النبى ــ ﷺ ــ قال : وذكره .

(١٠) رواه الطبرانى وأبو نعيم فى الحلية عن ابن عمر ــ رضى الله عنه .

(١١) الحديث أخرجه الطبرانى فى الكبير ، والدارقطنى .



يجيب عليها علماء لجنة الفتوى بالأزهر
إعداد الأستاذ/ عبد المنعم فوده

## القرض والقراض

**السؤال من ك.أ.و .**

**سمعنا بوجود بنوك إسلامية تستثمر أموال المسلمين المودعة فيها ، وما تحصل عليه من الأرباح تعطى قسما منه للمستثمرين .**

**فهل هذه الأرباح التى تضاف على الحساب الأصلى (ربح) حلال أم (ربا) حرام ، وإن كانت حلالا فما هو الوجه الشرعى لتحليلها ، وما هو الفرق بينها وبين الربا ، أو الفائدة ؟**

**الجـــواب :** البنوك الإسلامية تتعامل معاملة إسلامية تسمى « القرض » ، كما تسمى « المضاربة » ، وهى أن يدفع الإنسان جزءا من ماله لمن يتجر فيه بجزء من ربحه ــ إن حصل ربح ــ على أن يتحمل (صاحب المال) فى الخسارة ــ إن حدثت خسارة ــ ، وهذا ما سار عليه الصحابة والتابعون ومَنْ بعدهم إلى يومنا هذا ، وقد عمل عمر مع ابنيه (عبدالله وعبيدالله) بهذا الحكم عندما اقترضا من (أبى موسى الأشعرى) بالعراق ، فاشتريا به بضاعة باعاها فى المدينة وربحا فيها ، فأراد عمر أن يأخذ منهما المال وربحه فقالا له : أليس إذا ضاع كان ضمانه علينا قال نعم . وقال له بعض الحاضرين اجعله «قراضا» ياعمر ، فقال قد جعلته «قراضا» وأخذ منهم رأس المال ، واقتسم الربح للمسلمين بينه وبينهما ، كما ثبت فى موطأ الإمام مالك فما تعطيه البنوك الإسلامية من عائد يسمى ربحا ، فهو حلال ، لأنه : بعض ما حدث من مكاسب فى التجارة ، أما ما تفعله البنوك الأخرى حرام ، لأن المال المعطى لها يعتبر « قرضا » ــ وليس « قراضا » ــ تعطى عليه كل سنة نسبة مئوية ثابتة ، « وكل قرض جر نفعا فهو محرم شرعا » بنص الكتاب والسنة .

فهذا هو الفرق بين البنوك الإسلامية ، وبين غيرها من البنوك التى تعطى فائدة .

والله تعالى أعلم

## الزكاة فى مال الصبى

**سؤال من : ت.ح.ف : يقول بعض الناس إن الصبى الذى لم يبلغ الحلم لو كان له مال ورثه من ميت ، لاتجب فيه زكاة ، لأنه لم يكلف بعد ، فهل هذا صحيح ؟**

**الجـــواب :**

ينص جمهور الأئمة على وجوب الزكاة على الصبى الذى لم يبلغ حد التكليف ، وبه قال « مالك والشافعى وأحمد » بناء على عموم الأدلة الواردة فى وجوب الزكاة ، ولم يأت نص على استثناء الصبى ، بل ورد ما يفيد وجوبها عليه ، وإن كان ضعيفا ، فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن عبدالله بن عمرو ، أن رسول الله ﷺ قال :

« من ولى يتيما له مال فليتجر له ولا يتركه حتى لا تأكله الصدقة » ، يقول الحافظ : لهذا الحديث شاهد مرسل عند الشافعى ، وأكده

الشافعى بعموم الأحاديث الصحيحة فى إيجاب الزكاة مطلقا ، وكانت عائشة رضى الله عنها تخرج زكاة أيتام كانوا فى حجرها .

وقالت طائفة من العلماء بعدم وجوب الزكاة فى مال اليتيم ، واليتيم فى الشرع هو الذى لم يبلغ الحلم حين مات أبوه ، « وأبو حنيفة » قال بهذا الرأى ، بناء على أن الزكاة هى للتطهر ، والصبى لايحتاج إلى ذلك ، فهو لم يكلف بعد ولاتكتب عليه سيئات ، «المواهب اللدنية ج٢ ص٢٩٩» .

والولى على الصبى يخرج هذه الزكاة من مال الصبى بالشروط المعروفة ، من مثل : النصاب والزيادة عن الحاجة والحول ، ومقدارها يكون بحسب وعاء الزكاة على ماهو مقرر فى الفقه .

## حكم الدين فى ١٠٪ عمولة

**السؤال من السيد/الدكتور محمد المليجى**

**تعاقدت إحدى الشركات مع مستشفى خاص على علاج مرضاها ، فترسل لهم من يمرض من هذه الشركة ليعالج فى هذه المستشفى على حساب الشركة .**

**واشترط موظفو هذه الشركة أن يأخذوا من المستشفى ١٠٪ مكافأة خاصة لهم ، حتى ييسروا تحويل المرضى إلى هذه المستشفى ، فما الحكم فى دفع هذا المبلغ لموظفى هذه الشركة .**

### الجـــواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد .. فنفيد بأن هؤلاء الموظفين يأخذون المبلغ الذى يشترطونه « رشوة » لاتحل لهم ، لأنهم موظفون فى الشركة ليقوموا بكل ماتكلفهم به ، ويأخـــذون رواتبهم على هذا العمل ، فلا يحل لهم اشتراط مبلغ يأخذونه من أصحاب الشركة . والذى يقدم لهم هذا المبلغ مشارك لهم فى الإثم لقول النبى ﷺ (لعن الله الراشى والمرتشى) وكـــون هؤلاء الموظـــفين لايحولون المرضى لهذا المستشفى إذا لم يأخذوا العشرة فى المائة ، فان ذلك لايبرر الدفع لهم ،

## صلاة الشكر

**السؤال من الطالبة/أ.م.م من الشرقية :**

**تسأل عن صلاة الشكر : ما هى أسبابها وماهى أركانها ؟**

### الجـــواب

« بسم الله الرحمن الرحيم » الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ ، أما بعد فإن شكر الله يتحقق باستعمال النعمة فيما خلقت له من خير ، وذلك يكون بالقول وبالعمل ، وبكل مايدل على الإحساس بهذه النعمة ، وحق المنعم بها على الإنسان .

ومن مظاهر الشكر مايعرف بسجدة الشكر ، عند حدوث نعمة أيا كانت ، فيسُن للإنسان أن يسجد لله كما كان يفعل النبى ﷺ رواه أحمد وأبو داود وأبن ماجه والترمذى وغيرهم .

وهى سجدة واحدة يلزم لها مايلزم لسجود الصلاة من طهارة واستقبال قبلة وستر عورة ، وقيل : لايشترط لها ذلك . وتحتاج إلى النية والتكبير فى بعض المذاهب ، وهى لاتكون فى الصلاة أبدا ، بل تكون خارجها .

والمالكيـة يقولـون : إن سجـدة الشكـــر مكروهة ، والمستحب هو صلاة ركعتين شكرا لله تعالى ، ويلزمها مايلزم لكل صلاة .

# فى ذكرى الإسراء والمعراج

للشاعر: محمود محمد بكر هلال

اللهُ أكبر لا منٌّ ولا بطرُ ... ولا اختلاف ولا زور ولا هذرُ
الله اكبر ما شعّت بعالمنا ... شمس الحقيقة يتلو آيها القمر
ليؤمن الجاحد المفتون معتذرا ... ويهتدى بضياء الحق من كفروا
لكنْ، وهل بعد عصر المعجزات يرى ... من ينكر الرحلة الكبرى ويشتجر ؟
ويدعى أنها رؤيا قد انطلقت ... فى الحلم ما شابها صحو ولا سفر
فبين مكة - إذ أسرى - ومقدسنا ... حيث احتفى الرسل ما تعيا به القُطرُ
فكيف يقطعه فى ليلة سفرا ... وكيف يصعد فى الوادى وينحدر ؟

---

وتلك معجزة المختار كرَّمَه ... بها إلّه عظيم الشأن مقتدر
فلا الهواء هواءٌ عند من عرفوا ... ولا المكان مكانٌ عند من نظروا
وإنما اللهُ -جلَّ الله- نظَّمَهَا ... للمصطفى رحلة فى طيّها عبر
أراه من مكة للشام طائفة ... من الخلائق للواعين مدّكر
ومثلت لرسول الله أمته ... وواجهته لدى إسرائه صور
حتى أتى القدس فاصطفت بمسجدِهِ ... جماعة الرسل حين استعلن القمر
صلىَّ إماما بهم قبل[1] العروج به ... إلى السموات، واحتفت به زمر
هناك حيث رأى مالا يكيفه ... عقل ولا يحتويه فى الورى بصر
وكرم الله طه حيث خاطبه ... من غير وحى وصح الخُبْرُ والْخَبَرُ
تبارك الله لاندٌّ يشابهه ... ولا شريك ولا صحب ولا وزر
يدبر الأمر فى عدل ويرسله ... بالحق ينشره فى خلقه قدر

(١) يرى الامام ابن كثير أن الصلاة كانت بعد العروج ... مجلة الازهر .

# آياتٌ وذكرى

للشاعر: عبد العاطى موسى عبد العاطى

الفجــر ياصاحبــى يدنــو ويقتــرب ... مهما يطول الدجى أو تنذر الشهب
والــعسر لابــد من يسر يتابعــه ... والخير آت وإن غابت به السحب
فكيــف صارت سلامــا بعــد جذوتها ... نار «الخليل» وأصغــى ذلك اللــهب
وحُــوتُ «يونس» ما طالت دياجــره ... وبــرء جسم براه السقــم والعــطب
ونــور عينيــه من للصبر أسلمــه ... قمــيص يوسف يعلــوه دم كذب
وذا الكــليم الــــذى باليم يحرسه ... موج حنــون.فكيــف الماء يضطــرب ؟
وحكمــة الله من بالمهــد علمهــا ... فقــرت الــعين إذ يساقــط الــرطب
وذا سراج الهدى طه ورحمتــــه ... من أدَّبَ اللــهُ فهــو الخلــق والأدب
أسرى به الله إسراء وتسريــــة ... ففــاض بشرا على أقرانــه «رجب»
هذا براق سنــا المختــار شرَّفــه ... كم بات يهفولــه «الأقصى» ويرتــقب
وذاك معراجــه للعــرش وجهتــه ... يطوى السماوات قد زالت له الحجب
تساءل العــالم العلــوى فى ولــه ... وسدرة المنتهى أثــــوابها قشب
فاق الملائك فى قدر ومنزلــــة ... إذ عاد جبريل بعد الضيــف ينسحب
ثم دنــا فتــدلى تلك مكرمـــة ... وفــيض فضل من الــرحمن يحتسب
وعــاد يهدى لنــا معــراج نجدتنــا ... هى الصلاة التــــى فى وقتها تجب
شريعــة لابــن عبــدالله قائمـــة ... لسيد الخلــق من تزهــو به العــرب

---

إن كنت قصرت يومــا إن لى أمــلًا ... فيمــن إليــه هفــا قلبــى وأنــتسب
هو الحبيب الــذى ترجــى شفاعتــه ... من بشرتنــا به الأسفــار والكــتب

# لابد يا قدس

للشاعر: رشاد محمد يوسف

أصلى وجرحك فى مهجتى     أنين يغلف تكبيرتى
وأغفو وأنت الجراح الثقال     تشد الخواطر فى غفوتى
وأغمض جفنىَّ علَ الظلام     يهون من قسوة الصورة
وأصحو وملء الجفون الدموع     تحجَّرُ كالصخر فى المقلة
فيا قدس ياروضة الأنبياء     وأولى المعابد والقبلة
تغشاك ليل ثقيل رهيب     يَضِجُّ من الظلم والظلمة
ذئاب على الدرب سدوا الطريق     وعاثوا بأرجائك الحرة

* * *

ويا قدس هذا براق الرسول     يُيَمِّمُ شطرك فى الرحلة
سرى النور يحدوه من ربه     أمان إليك من الكعبة
ليرقى على سلم من ضياء     ويحظى لدى الله بالحظوة
دنا فارتوى فاستبان اليقين     وفاض الجلال على السدرة
رأى ما ؟ رأى ما يفوق الخيال     ويعتصر العقل بالدهشة
هو الحق ياأيها المنكرون     كمن ينطح الرأس بالصخرة
ومن يغمض الجفن عن نوره     يعش أبد الدهر فى الظلمة
كثير على الله وهو القدير     تعالى عن الوصف والصورة ؟
كثير على الله أسرى به     وبارك فى الروح والغدوة ؟
تبارك رب الهدى والجلال     يغير ما شاء فى لحظة

* * *

ولابد يا قدس من وثبة     ولابد ياقدس من ثورة
ولابد من رجعة للديار     نطوّف بالبيت والصخرة
ونجعل من عصبة الغادرين     طريقا إلى القدس فى العودة
ونغسل عنك جراح السنين     ونبنى الحياة على الصحة
ويطلع نور الصباح الجديد     على الكرم والدار والضيعة

# على براق النور

للشاعر: عبد الوهاب المرصفى

والله ما كذب الفؤاد وما بغى ... فالقول صدق فاض بالأضواء
فعلى رحاب القدس كنت إمامهم ... واستقبلوك بفرحة وولاء
ودعاك رب العرش نحو رحابه ... لتفوز فى الملكوت بالأشذاء
فعلى «براق النور» طرت مهيئا ... للقاء وجه الله فى العلياء
وعرجت فوق طباق سَبْع بعدما ... لبيت للرحمن خير نداء
ورأيت (أشياءَ) عظيما شأنها ... وصعدت نحو السدرة العصماء
هذا مقامك ياحبيب كرامة ... فادخل فهذا مدخل العظماء
حزت الحفاوة والضيافة كلها ... ولقيت تحت العرش خير لقاء
فرض الصلاة وقد ظفرت بخيره ... فصلاتنا تنهى عن الفحشاء
كل الفرائض قد أتت أرضية ... إلا الصلاة فقد أتت بسماء
هذا دليل الناس حتى يعلموا ... أن الصلاة عظيمة الإعلاء
لما نزلت إلى مبيتك راضيا ... فوجدت فرشك فى سنى الإدفاء
حتى كأنك ما خرجت للحظة ... والأمر تم بلحظة الإغفاء
هذى فيوض الذكريات نسوقها ... من رحلة المعراج والإسراء
صلى عليك الله ياخير الورى ... إن الصلاة عليك خير شفاء
لك ياحبيبى فى القلوب حفاوة ... ولك الفيوض تموج بالأنحاء




الفجر مَشْرُوخُ الضياءِ .. مُهَشَّمٌ مثْـلُ المَرَايَـا
صَرَخاتُهُ بكُماءُ تنزفُ فى العيـونِ وفى الحَنَايـا
لما عشِقْنا الليـلَ .. وانْطلـقَتْ سرائِرُنـا عَرَايـا

* * *

وتَرَهَّـلَتْ أشواقُنـا والليـلُ فوق الليـلِ يَنْـزِلْ
وزمانُنا يَعْدو بنا .. والعمرُ مثلُ الزهرِ يذبُـلْ
أيامُنا بالموتِ حُبْلَـى .. كالسنابِـلِ تحت مِنْجَـلْ

* * *

وغـداً ستنطفـىءُ المصابيـحُ المغـرِّدةُ الضيـاءْ
وتعُـودُ لِلَّاشىءِ لولا رحمةٌ تَلِـدُ البقـاءْ
فالبِسْ لها طَوْقَ النجـاةِ .. ودَعْ دياجِيـرَ المساءْ

* * *

مولاىَ .. ياأللهُ .. إنَّ نجومَنَـا أبـدًا غريقـه
نرجو الصباح .. وفى دروبِ الليلِ نَسْتَسْقى بريقه
خضَعَتْ خُطَـى أقدارِنـا لمشيئـةِ الله الطليقـه

* * *

والطائـرُ الظمـآنُ فى نفسى .. يُعانِـقُ منْهَـلَكْ
وَنَشْـوةُ* أيامـى .. فأُبْصِرُ فى الليـالى مِشْعَـلَكْ
وبلهفتـى كَحَّـلْتُ عيْـنَ القلـبِ بالأشواقِ لَكْ

* * *

قد جئتُكُمْ .. وبأفق عمرى كم مَشَى ليلٌ سَجَا
لكنّـه متألِّـقُ الآهـاتِ .. توّابُ الدُّجـىَ
نظَـرَ الظـلامُ بداخلى فرأى السنـا فتَوَهَّجـا

* * *

مولاىَ .. قلبى ساجدُ الدَّقاتِ يجثو عنـد بابِكْ
وأنا يُؤَرِّقُنى الحنينُ .. فذُبْتُ شوقًا فى كتـابِكْ
وأراكَ مِلْءَ خواطرى .. يا ظاهرًا رغْمَ احتجابِكْ

* * *

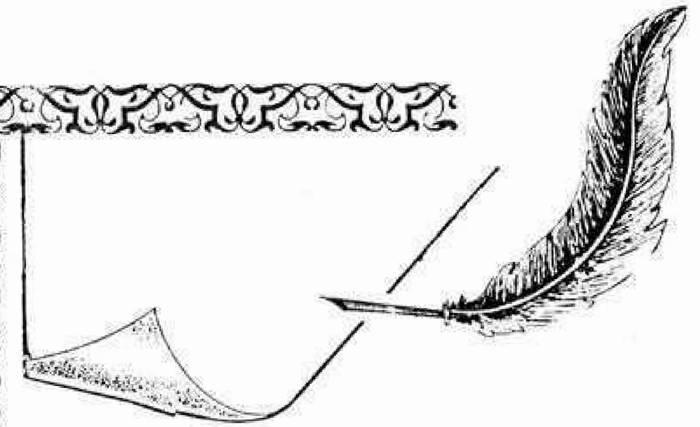
# نفحات من فم البوسنة

شعر: أحمد محمود مبارك

عروبتُنـــا فى ملاهـــى الهوى — تذوبُ عطـاءً .. تفـيضُ كرمْ
تُوشّحُ بالـدُّرِ صدْرَ الغـوانى — وتُلْبِسُهُـــنَّ ثيـابَ النِّعَـمْ
وفى « مُنت كَرْلُو » ومُدْنِ الضباب — تضيعُ المكـارمُ .. تهوى القِيَـمْ

***

أيا أختُ فى « البوسنة » المستباحة — دِيْنـاً وعِـرْضاً وحقـاً ودمْ
بِمـنْ تستغيـثين يا أُختنـا — وما عاد يحمى الحمى مُعْـتصمْ
سيرجـعُ صوتُك ذا المستجيـرُ — صدىً مُفْعمـاً بالأسى والألـمْ
فأُمّتُنـا قصعـةٌ من ثريـدٍ — تداعت عليها أيـادى الأمَـمْ
ريـاحُ الخلافـات أودتْ بنـا — وقَبْلَتُنـا تائـهُ مُنْـقِسِمْ
لكَمْ غُصِبَتْ من يدينـا حقـوقٌ — ونحن لنجْـدتها لم نقُـمْ
هى القدسُ فى الأسْرِ منذ سنينَ — وغَيْـمُ القنـوط عليها جَثَـمْ
تنـادى أيـا نُصْرَةَ المسلـمين — ونحنُ أسارى الْوَنَـى والصَّمَـمْ
لقـد غربتْ شمسُنـا وهـوتْ — بيارقُنـا من عيـون القِمَـمْ
لأنا هَجَرْنـا الكتـاب الكريـمَ — ولم نَرْعَ دِيْنـاً ولم نستقِـمْ
أيـا أُختُ لا تأملى عَوْنَنـا — فمـا عاد فينـا لحرب هِمَـمْ
جيوشُ الطغاة استباحتْ حِمَانا — يحرِّكُهـا حِقْدُهـا المضطـرمْ
ولكنْ : « صلاحٌ » مضى عهدُهُ — وأمجادُنـا زمـنٌ مُنْصَرِمْ



غدونـا نجاهـدُ بالكلمـات    فهل يُرْجِعُ الحقَّ يوماً ـ كَلِمْ ؟!
فكيـف نُعيدُ إليـك الصباحَ    وحاضِرُنـا غائـمٌ مُدْلَهِـمّ ؟
وكيـف نُجيـرُكِ من غاصبيكِ    وسيـفُ كرامتنـا مُنْثَلِـمْ ؟

***

أيا أختُ فى « البوسنة » المستباحة    دِيْنـاً وعِـرْضاً وحقّـاً وَدَمْ
لكِ اللهُ يا أختُ لا تيـأسى    وإن طالَ بَغْـىٌ وطـالتْ ظُلَـمْ
لكِ الله يا أختُ لا تقصدى    سوى الله فهْـو المعيـنُ الحكَـمْ
ولا تأملى العـونَ من عالَـمٍ    يُهِيْـلُ على المسلميـنَ التُّهَـمْ
« نظامٌ جديد » .. خداع جديدٌ ..    فلا تأملى عونَ هذى النُّظُـمْ
فعالَمُنـا اليـومَ للأقويـاء    ولـيس يُعِيْـنُ ضعيفـاً ظُلِـمْ
سلاحُ العقيـدة لا تتركيـهِ    فمـا خابَ مَنْ بالهُـدى يلتـزمْ
فمـا قهرتْ قوّة فى الوجـود    شعوبـاً بإيمانها تَعْـتَصِمْ
ومهما تَطُلْ صولـةُ الكافريـنَ    فإن مصيـرَ الطُّغـاة العَـدَمْ

***

أيـا أمّـةً حبُّهـا فى دَمِـى    يفـيضُ عذابـاً .. يَبُثُّ سقَـمْ
عتـابى عتـابُ المحبّ الـذى    جَنـىْ من هواهُ ثمارَ الألَـمْ
فلا تَعْذِلينـى إذا ما قصيـدى    تأجَّـجَ من حُرْقتـى واضْطَـرَمْ
لَئِـن ألْهَبَـتْكِ حروف فرُبَّ    لهيبِ الحروفِ يُفيْـقُ الْهِمَـمْ

# أبو العتاهية

بقلم الفريق / يحيى عبد الله المعلمى

أبو العتاهية هو إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان ، مولى عنزة وكنيته : أبو إسحاق . وأبو العتاهية كنية غلبت عليه . وقد نشأ بالكوفة وكان يبيع الفخار ، ثم قال الشعر ونبغ فيه ، كان غزير البحر ، لطيف المعانى ، سهل الألفاظ ، كثير التفنن ، قليل التكلف . وله فى الزهد شعر كثير .

وكان مُصعب بن عبدالله يقول : أبو العتاهية أشعر الناس ، كلامه سهل ، لا حشو فيه ولا نقصان ، يعرفه العاقل ويقرُّ به الجاهل ، ويستشهد بقوله :

تعلقـــــتَ بآمـــــالِ ... طِـــــوالٍ أى أمـــــالِ
وأقبلـــت علـــى الدنيـــا ... مُلِحـــا أىَّ إقبـــالِ
أيـــا هـــذا تجهَّـــز لِفِـــ ... ـــراقِ الأهـــل والمـــالِ
فـــلا بُـــدَّ مـــن المَـــوتِ ... على حـــالٍ مـــن الحـــالِ

وكان « سلم الخاسر » يقول ـ عن أبى العتاهية : إنه أشعر الجن والإنس ، ويستشهد بقوله :

سَكَـــنٌ يبقـــى لهُ سَكَـــنُ ... ما بِهـــذا يُؤذِنُ الزَّمـــنُ
نحنُ فى دارٍ يُخبِّرُنـــا ... بِبلاهَـــا ناطـــقُ لَسِنُ
دارِ سَوءٍ لم يَدُم فَرحٌ ... لامـــرىءٍ فيها ولا حَزَنُ
فى سبيـــل الله أنفسنـــا ... كلنـــا بالموتِ مُرتهـــنُ
إن مَالَ المرء ليس لهُ ... مِنـــهُ إلا ذكـــرُهُ الحسَنُ

ومن شعره الذى أعجب به نقاد عصره قوله :

قَطَّـعتُ مِنكَ حبائِـلَ الآمـالِ ... وحَطَطتُ عن ظَهر المطىِّ رِحـالى
ووَجدتُ بَردَ اليأسِ بينَ جَوانِحى ... فأرحتُ من حلّ ومـن تَرحَـالِ

حِيَلُ ابنِ آدمَ فى الأمورِ كثيرةٌ والموتُ يَقطَعُ حِيلةَ المُحتالِ
فاصبِر على غِيَرِ الزمانِ فإنَّما فرجُ الشدائدِ مثلُ حَلِّ عِقالِ

* * *

وجلس المهدى يوماً للشعراء واستنشدهم فتقدم أبو العتاهية وقال :

ألا ما لسيدتِى ما لَها أَدَلاً فأحمِلَ إدلالَها
وإلا ففيمَ تجنَّتْ وما جَنَيتُ . سقَى اللهُ أطلالَها
ألا إن جاريةً للإمامِ قد أسكِنَ الحُسنُ سِربالَها
مشتْ بين حُورٍ قصارِ الخُطا تُجاذِبُ فى المشى أكفالَها
وقد أتعَبَ اللهُ نفسى بِها وأتعب باللومِ عُذّالَها

فسخر الشعراء الجالسون ، وتهامسوا بسخفه ؛ إذ يشبب بجارية الخليفة على مسمع منه ، واستمر أبو العتاهية فى إنشاده فقال :

أتتهُ الخلافةُ منقادةً إليهِ تُجرِّرُ أذيالَها
ولم تكُ تصلحُ إلا لَهُ ولم يَكُ يصلُحُ إلا لَها
ولو رامها أحدٌ غيرهُ لزُلزِلتِ الأرضُ زلزالَها
ولو لم تُطِعهُ بَناتُ القُلو بِ لما قَبِلَ اللهُ أعمالَها
وإن الخليفةَ من بُغضِ « لا » إليهِ لَيُبغِضُ من قالَها

فقال بشار : انظروا : هل طار الخليفة عن فراشه ؟؟

* * *

ومن شعره الجيد فى صفة الصديق قوله :

إن كنتَ متخذاً خليلاً فتنَقَّ وانتقِدِ الخليلا
من لم يكُن لك منصفاً فى الوُدِّ فابغِ به بَديلا
ولربما سُئِلَ البخيـ ـلُ الشيءَ لا يسوى فَتيلا
فيقُولُ : لا أجِدُ السبيـ ـلَ إليهِ يكرَهُ أن يُنيلا
فاضرب بطرفِكَ حيثُ شِئـ ـتَ فهل تَرَى إلا بخيلا ؟!

* * *

ومات له صديق فبكاه أحر بكاء وقال فيه :

ألا من لى بأُنسِكَ يا أُخيَّا ومن لى أن أبُثَّكَ ما لَدَيَّا
بكيتُكَ يا علىُّ بِدمعِ عَينى فما أغنى البكاءُ عليكَ شيَّا
وكانت فى حياتِكَ لى عِظاتٌ وأنت اليومَ أوعَظُ منك حيَّا

* * *

اختلف مع رجل من كنانة فى شيء ففخر عليه الكنانى ، وعيره بوضاعة أصله ، فقال أبو العتاهية :

دَعْنِيَ من ذِكْرِ أبٍ وجَدّ ... ونسبٍ يُعليك سُور المجد
ما الفخرُ إلا فى التقى والزهد ... وطاعةٍ تُعطى جنانَ الخُلْد
لابُدَّ من وِرْدٍ لأهل الوِرد ... إما إلى ضَحْلٍ وإما عِدّ

وقد نظم أبو العتاهية « أرجوزة » تعد من بدائع الشعر لسهولة ألفاظها ، ولما تشتمل عليه من الحكم البليغة والنصائح الثمينة . يقول فيها :

حسبُك - مما تبتغيه - القُوتُ ... ما أكثر القوتَ لمن يَمُوتُ
الفقرُ فيما جاوز الكفافا ... مَن اتقى اللهَ رَجا وخافا
هى المقادرُ فلمنى أو فَذَرْ ... إن كنتُ أخطأتُ فما أخطأ القَدَرْ
لكلِّ ما يُؤذِى وإن قَلَّ أَلَمْ ... ما أطولَ الليلَ على من لم يَنَمْ

ومنها قوله :

من جَعلَ (النَّمَّامَ) عَيناً هَلكا ... مُبلِّغُكَ الشر كباغِيهِ لكا
يا للشبابِ المرح التَّصابِى ... روائِحُ الجنةِ فى الشَّبابِ
إنَّ الشبابَ والفَراغ والجِدَة ... مَفسدةٌ للمرءِ أى مَفسَدَة
ما تَطلُعُ الشمسُ ولا تغيبُ ... إلا لأمرٍ شأنُهُ عجيبُ

ومنها قوله فيمن يعيب الناس وينسى نفسه :

يا واعظَ الناسِ قد أصبحتَ مُتهماً ... إذ عبتَ منهُم أموراً أنتَ تأتيها
كالمُلبسِ الثوبَ من عُريٍ وعورتُهُ ... للناسِ باديةٌ ما إن يُواريها
فأعظمُ الإثمِ بعدَ الشركِ تعلَمُهُ ... فى كل نفسٍ عماها عن مساويها
عِرفانُها بعيوبِ الناسِ تُبصِرُها ... منهم ولا تُبصِرُ العيبَ الذى فيها

* * *

قال له أحد جلسائه أملِ علىَّ شيئاً من الغزل ، فقال أبو العتاهية : أخشى عليك الفتنة ، فقال الرجل : أرجو من الله العصمة ؛ فأنشده أبو العتاهية قوله :

كأنَّها من حُسنِها دُرَّةٌ ... أخرجَها اليَمُّ إلى السَّاحِلِ
كأنَّ فى فيها وفى طَرفِها ... سواحِراً أقبلنَ من بابِلِ
لم يُبقِ منى حُبها ما خلا ... حُشاشَةً فى بَدَنٍ ناحِلِ
يا مَنْ رأى قبلِى قتيلًا بَكَى ... من شِدَّةِ الوَجْدِ على القاتِلِ

والبيت الأخير مأخوذ من قول جميل بثينة .

خليليَّ فيما عشتُما هل رأيتُما ... قتيلًا بكى من حُبِّ قاتِلِه قَبلى

* * *

ومن جميل شعره فى الزهد والتذكير بالآخرة قوله :

إذا المرءُ لم يُعتقِ من المالِ نفسَهُ ... تملَّكَهُ المالُ الذى هو مالكُهْ

ألا إنما مالى الذى أنا مُنفِقُ ... وليس لىَ المالُ الذى أنا تارِكُهْ

إذا كنتَ ذا مالٍ فبادر به الذى ... يَحِقُّ والا استهلكتهُ مَهالِكُهْ

فقيل له : من أين قضيت بهذا ؟ فقال : من قول رسول - ﷺ - « ليس لك من مالكَ إلا ما أكلت فأفنيت أو لبستَ فأبليتَ أو تصدقتَ فأمضيتَ »[1] .

* * *

ألا إننا كلُّنا بائِدُ ... وأى بَنى آدم خالِدُ

وبدؤهُمُ كان من ربِّهم ... وكلٌّ إلى رَبِّهِ عائِدُ

فيا عَجَباً كيفَ يُعصَى الالـ ... ـهُ أم كيفَ يَجحَدُه الجَاحِدُ

وفى كل شىءٍ له آيةٌ ... تدُلُّ على أنَّهُ الواحِدُ

* * *

ومن أحسن ما قيل فى تذكر الموت قول أبى العتاهية .

أنساكَ مَحيَاكَ المَماتا ... فطلبتَ فى الدنيا الثباتا

أوَثِقتَ بالدنيا وأنتَ تـ ... ـرى جمَاعتها شَتَاتا

يا مَنْ رأى أبويهِ فيمَـ ... ـن قد رأى ( كانا ) فماتا

هل فيهما لك عِبرَةٌ ... أم خِلتَ أنَّ لكَ انفِلاتا

كُلٌّ تُصبحُه المَنيَّـ ... ـة أو تُبيِّتُه بَياتا

* * *

ومن شعره الذى يعد رثاءً له فى نفسه :

إلهى لا تعذبنى فإنِّى ... مُقِرٌّ بالذى قد كانَ مِنى

فمالى حيلةٌ إلا رَجائى ... لعفوِك إن عفوتَ وحُسنُ ظَنى

وكم من زلَّةٍ لىَ فى الخطايا ... وأنت علىَّ ذُو فضلٍ وَمَنِّ

إذا فكرتُ فى ندمى عليها ... عضَضتُ أناملى وقَرَعْتُ سنِى

يَظُنُّ الناس بى خيراً وإنى ... لَشَرُّ الناس إن لم تَعفُ عَنى

---

(١) ابن أبى شيبة - كتاب الزهد ١٣/٢٣٠ وأبى نعيم - حلية الأولياء ٢/٢٠١ .

# من علمائنا المعاصرين

# محمد زاهد الكوثرى



أ.د/ محمد رجب البيومى

(٢)

إن اختلاف مناحى التفكير فى القضايا التشريعية والكلامية قد فسح مجال التباعد بين الأستاذ الكوثرى ومخالفيه لأن الإمام المراغى وتلاميذ مدرسة الشيخ محمد عبده جميعا، يرجعون فى الرأى العلمى إلى قضايا علمية يؤكدونها قبل الإدلاء بأحكامهم التشريعية، فتجىء هذه الأحكام متفقة مع ما قرروه من القضايا الكلية، أما الأستاذ الكوثرى وتلاميذه فهم متشبعون بالأحكام الجزئية التى سجلها الفقهاء فى كتبهم المتداولة، وقد يرجعون إلى نصوص متأخرة قال بها من الفقهاء من لايجيز لنفسه أن يجتهد فى الرأى، بل من يُحرم الرأى ويعد باب الاجتهاد الفقهى قد أوصد تتبعا لما قرره أمثال ابن الصلاح، أو مثل هذا الاختلاف فى تناول قضايا العلم لاينتهى بالمتناظرين إلى وفاق، ولكل مشربه ومنحاه !

أضرب المثل لما أقول فأعلن أن الإمام المراغى حينما تقدم ببحثه عن قانون الزواج والطلاق رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩، وقد صار معتمداً لدى المحاكم ومرجعاً للرأى فى شئون الأسرة، قدم له بقواعد ثابتة لايراها مجالا للاعتراض، حيث أوضح خطر الحكم بلكفر على من يخالف آراء الفقهاء المتداولة وأوضح معنى الاجتهاد فارقا بين المجتهد المطلق والمجتهد المقيد، واعتماد الآراء الفقهية مخالفة لائمة المذاهب الأربعة إذا كانت ذات دليل راجح، كما بين تغير الأحكام بتغير الأزمنة والأمكنة والعرف، وأفاض فى هذه المسائل إفاضة شافية حتى كادت تكون بحثا مستقلا فى علم الأصول وفى ضوء هذه الكليات أصدر أحكامه عن تعدد

الزوجات ، وطلاق المكره والسكران ، والطلاق غير المنجز ، والطلاق المعلق ، ووقوع الطلاق الثلاث طلقة واحدة ، وشروط عقد الزواج ، وجاء العلامة الكبير أحمد شاكر فاعتمد كثيرا من هذه الأصول فى كتابه عن الطلاق ولكن الأستاذ الكوثرى لم ينح منحى الشيخين الكبيرين وأصدر كتابه (الإتفاق فى أحكام الطلاق) متقيداً بمذهب الإمام أبى حنيفة فى أكثر ما قرر وراجعا إلى أقوال الأئمة الثلاثة فى غير الأكثر ! وما قرره الكوثرى معروف مشتهر وعليه دارت الفتوى الشرعية ، والحكم القضائى قبل صدور القانون سنة ١٩٢٩ م ، وقارىء كتاب الإشفاق مقارنا بكتاب الشيخ شاكر يشعر بأن الجهة منفكة كما يقول المناطقة ، وقد دل كتاب الإنشفاق على علم غزير وغوص بعيد ، ولكن الطريقين متباعدان .

وما يقال فى قانون الأسرة يقال فى مسألة نزول عيسى ـ عليه السلام ـ حيث أصدر الإمام محمود شلتوت فتوى تنتهى إلى أن منكر هذا النزول لايخالف نصا قطعيا مجمعا عليه ، وأبدى من الأدلة الملزمة ما يرجح قوله ، وكان قد تلقى سؤالا عن نزول عيسى من جهة رسمية بالهند فأعمل فكره الدقيق حتى اهتدى إلى حكمه المعلل ، والأستاذ الكوثرى على نقيض هذا الرأى ، ولكل وجهة هو موليها ، فعارض الحكم مستندا إلى مافهمه من نصوص مطلقة تقبل الرأى وسواه ولاتجزم برأى قاطع ، وقد قسا فى مقاله قسوة بالغة ، حيث اتهم المخالف بالهوى وحب الظهور الشخصى ، ومجاراة ذوى الأهواء ، مما دفع الأستاذ شلتوت إلى أن يكيل بالصاع صاعا غير مصرح باسم الكوثرى ولايمن نحا منحاه ، وقد مهد لحديثه بمقال جامع عن العقيدة الدينية ، وطريق ثبوتها مؤكدا اتفاق العلماء عن أن الدليل العقلى الذى سلمت مقدماته ، وانتهت فى أحكامها إلى الحس أو الضرورة يفيد اليقين ، ومبينا أن الاجتهاد فى مالا قاطع فيه يمنع التأثيم ، ومفسرا ما يتعلل به المخالفون من نصوص ليست صريحة فيما يدعون ، وليس المجال هنا مجال استقصاء وتتبع ولكننا نحدد تيارين يختلفان ولا يتفقان .

ومما زاد الوهج هياجا ، والحومة اشتعالا أن الأستاذ الكوثرى يتسرع فى القسوة دون موجب ، فقد صادرت مشيخة الأزهر كتابا يتضمن بعض العقائد المنحرفة ، ولكن الأستاذ شلتوت وهو عضو بجماعة كبار العلماء قد رأى أن المصادرة ليست هى الحل الأمثل ، إنما الحل أن تقوم الجماعة بالرد على الأخطاء التى يتضمنها الكتاب ، وأن ترشد إلى الانحرافات المبثوثة فى بعض كتب التراث ، كى يستضىء القارىء فلا يضل ، إذ أن هذه المصادرة فى مصر ، لاتمن ذيوع الكتاب فى قطر أخر ، فالأفضل أن يترك الحكم للقارىء بعد أن يجد الرد الشافى من العلماء ، وقال الأستاذ شلتوت : إن من واجبات جماعة كبار العلماء أن تصحح لا أن تصادر ؛ ولكن الأستاذ الكوثرى رأى المصادرة حلا صحيحا وكتب مقالا يتهم فيه الأستاذ بمجاراة أهل البدع والأهواء ، وما كان أحراه أن يجادل بالتى هى أحسن .

والحق أن الكوثرى لم يكن فى اتجاهه المخالف صاحب غرض شخصى ، ولكنه ذو إخلاص وحمية تدفعانه إلى المعارضة ، كما كان معبرا عن مشاعر علماء فضلاء يشاركونه الـرأى ، ولايملكون ما يملك من حجج وبراهين ؛ لأن قراءاته الكثيرة قد ساعدته على استيعاب نصوص مختلفة لايتيسر الحصول عليها لسواه ، ومازالت الأفكار تتعارض منذ تمتع الإنسان بعقله المستقل وتفكيره المسئول ، فالجدل أخلص طريق الحق .
والحقيقة بنت البحث .

## دعوى التعصب

ذاع عن الكوثرى ـ بغيا دون حق ـ أنه شديد التعصب للمذهب الحنفى ، وأنه يراه المذهب الحق ، وأن ما عداه لايرتفع إلى مستواه ، والحق أن الفقيه الكوثرى قد درس الفقه الحنفى دراسة مستوعبة فاحصة ، وآثر اتباعه الالتزام بأحكامه ، وهذا مما لاغضاضة فيه ، ولكن هجوم بعض الأدعياء على الإمام دون دليل ، وحرصهم على نشر كتب منسوبة لبعض الأئمة تتضمن تجريح أبى حنيفة ، خطأ لايجب السكوت عنه ، فتصدى الكوثرى لتنفيذ كل مايروى عن أبى حنيفة من افتراءات وقد تورط الخطيب البغدادى فى ذكر مقابح لاتصدر من مثله ، وكان ذلك تعصبا مقيتا لا يليق بمؤرخ يكتب ( تاريخ بغداد ) فى عدة مجلدات فيتعرض لثات العلماء والفضلاء تعرض من لا يهمه أن يلتزم الحيدة الصريحة فيما يقول ، وقد طبع كتاب تاريخ بغداد طبعة مغرية ، وتناقله الدارسون عن ثقة واحتفال ، وفيهم من أخذ يردد أوهامه المغرضة عن الإمام أبى حنيفة ـ رضى الله عنه ـ فانبرى الإمام الكوثرى لتزييف هذه الأباطيل فى كتاب « تأنيب الخطيب على ما ساقه فى ترجمة أبى حنيفة من الأكاذيب ، وفى بعض هذه الأكاذيب بشاعة شنيعة حملت الكوثرى على أن ينقضها فى انفعال لاسبيل إلى تلاقيه ! ولا يعد كتابه هذا مثلا للتعصب ، بل هو ضرورة ملزمة يفرضها على كتاب التأنيب فتقبل الكوثرى رده بقبول حسن ، وأتبعه بما يراه من تعقيب جاد ، ولو كان الكوثرى متعصبا دون حق لثار فى وجه ناقد التأنيب ، ولكنه يعرف أن النقد سبيل الصواب ، متى خلصت السرائر ، وصحت الأفهام ! والرجل لا يثور إلا حين يرى حقاً يشوه ، وباطلا يزين بدليل أنه كان متزناً كل الاتزان فى رده عن ابن أبى شيبة ، فيما ألفه تحت عنوان ( النكت الطريفة فى التحدث عن ردود ابن أبى شيبة على أبى حنيفة ) وقد دل هذا الكتاب على عمق فريد ، وتخصص بالغ فى أعقد مشاكل الفقه ومعضلاته ، وقد قاربت صفحاته مائتين وثلاث وسبعين صفحة ، على غير عادة الكوثرى فى الاختصار لأن تشعب الأحكام قد دفع به إلى موج يجيد السباحة فى محيطه الزاخر ، ويصل إلى الشاطىء بسلام ! أما اشتغال الكوثرى بتراجم أئمة الأحناف من أمثال أبى يوسف ومحمد بن الحسن وزفر والطحاوى وابن الهمام وغيرهم ، ففضل كبير يعزى إليه ، فقد درس الرجل الكبير أقوال هؤلاء الأئمة وسرد ما يعرفه من مبتكراتهم الفقهية الرائعة ، ودل على تهافت من قاوموا بعض

هذه الآراء بمنطق جيد لايغلب ، فليت أبناء المذاهب المختلفة يتجردون لكتابة تراجم الأئمة من أعيان المذهب ، فتكون لنا ثروة علمية وسير تاريخية ، تنشيء جوا فكريا نحن فى حاجة إليه فى مضمار التشريع ، ولا أترك هذا المجال دون أن أشير إلى ما كتبه الكوثرى فى كتابه (إحقاق الحق بإبطال الباطل فى مغيث الخلق) ردا على كتاب ظهر تحت عنوان (مغيث الخلق فى ترجيح القول الحق) منسوباً لأبى المعالى الجوينى إمام الحرمين وأستاذ الغزالى ، فقد سلّ الكوثرى سلاحه الباتر فى معارضة ما جاء بهذا الكتاب ، ونحا باللوم على مؤلفه المزعوم ، وقد تعرض المفتى الأكبر الشيخ محمد بخيت المطيعى الحنفى ، وهو شيخ الحنفية فى عصره ، وموضع الثقة من الشيخ الكوثرى إلى القول فيما نشر تحت عنوان (مغيث الخلق) فشكك فى نسبة الكتاب لأبى المعالى الجوينى إمام الحرمين ، ونقل من كتاب البرهان للجوينى ما يخالف ما جاء فى مغيث الخلق مما يدل على أن النسبة إليه فى تأليف هذا الكتاب ذات ريب أكيد . ولو التفت الكوثرى إلى المقارنة بين ما جاء فى البرهان ، وما افترى به مؤلف (مغيث الخلق) على الإمام أبى حنيفة لجاهر بنفى هذا الهراء عن إمام جليل كالجوينى ، ولا أدرى ما حظ الذين يفترون الأكاذيب ويلصقونها بأكابر العلماء زيفا وبهتانا ؟ وماذا يقولون يوم الحساب حين ينتصف منهم من افتروا عليهم ، وهم فقهاء يفترض فيهم أن يحملوا أمانة الخلق قبل أن يحملوا رسالة العلم ! ذلك جرم خطير !

هذا ، وللأستاذ ترجمة رائعة عن الليث بن سعد فقيه مصر وصاحب المذهب المستقل ، وقد سعى سعيا حثيثا لنشر كتاب (أدب الشافعى ومناقبه للإمام عبدالرحمن الرازى وكتب مقدمة حافلة لهذا الكتاب القيم قال فيها :[1] «إن أئمة الهدى المتبوعين رضى الله عنهم أجمعين ، لهم منازل سامية فى قلوب الأمة حتى الخصر تمذهبهم فى مذاهب هؤلاء السادة القادة علما منهم بسعة علومهم وعظم إخلاصهم فى خدمة دين الله ، فبارك الله فى علومهم ، وعلوم من انضووا تحت رايتهم ثم قال :

وكان الحافظ أبو محمد عبدالرحمن بن أبى حاتم محمد بن إدريس الرازى أكثر تحريا فيما يسوقه من الأنباء ، ولذا كنت متشوقا إلى الظفر بنسخة من كتابه فى سيرة الإمام الشافعى فعلمت أن فى المكتبة الأحمدية فى حلب الشهباء نسخة منه ، فرجوت صديقنا الأستاذ الألمعى الشيخ عبدالفتاح غدة ـ حفظه الله ورعاه ـ أن يبحث عن ناسخ هناك ، ينقل الكتاب على حسابى ، ففعل ، وتفضل بمقابلته بالأصل مقابلة دقيقة أوجبت مضاعفة شكرى له ، والله سبحانه يكافئه على هذا الجميل ، وبقى الكتاب محفوظا عندى إلى أن رغب الأستاذ الأديب السيد محمد عزة العطار فى نشره ، فنزلت على رغبته رجاء دعوة صالحة تلحقنى من المطلعين على الكتاب» .

فالذى يبحث جاهدا عن كتاب فى مناقب الشافعى ، ثم يُعَجِّل بنسخه على حسابه ، ويدعو الناشر لذيعه لا يكون متعصباً لمذهبه وحده ، ولا

(١) آداب الشافعى ومناقبه ، ص ٦ تصدير الكتاب للعلامة الكوثرى .

لرجال المذهب بأعيانهم ، ولكنه محب للفقهاء الأئمة فى كل زمن ومكان ، وهذا ما سمعناه منه ووعيناه ، فكيف يرمى بالتعصب وعلى من ؟ وكل الأئمة الأربعة فى الدرجة العليا من الفقه والإيمان .

وفيما قاله الكوثرى إشارة إلى العالم الفاضل الأستاذ عبدالفتاح غدة ، وهو من أكرم تلاميذ الكوثرى ، وقد بذل جهدا حميدا فى نشر مؤلفاته ، وذيوع آرئه مع دقة بحث ، وعمق تحقيق ، وقد علمت أنه بسبيل أن تجمع مقدمات الكوثرى فى كتاب خاص على نحو ما جمع من مقالات الكوثرى ، وهو عمل نتطلع إليه فى شوق شديد !

## مقدمات الكوثرى

عرفنا سعة إحاطة الكوثــرى بالتــراث الإسلامى ، حتى صار أحد الأعلام المعاصرين فى هذا المجال إن لم يكن أو حدهم ، وقد كان إقبال القراء فى النصف الأول من هذا القرن على اقتناء هذه الذخائر الثمينة دافعا لأرباب المكاتب على نشر هذه المؤلفات ، فتسابقت المطابع إلى نشر الموسوعات وما دونهما من الكتب والمختصرات ، وتطلب هذا النشر الملح تعريفا بالكتاب والمؤلف ، فمهر جماعة فى التحقيق التراثى ، كما مهر آخرون فى التعريف بالكتاب مؤلفا وغرضا وموضوعا ونقدا ، وكان الكوثرى متطلع الأنظار فى هذا المضمار ، لأن تزكيته للكتاب وتعريفه به ، ومحاولة تحديد مكانته العلمية بين نظرائه والإمام بمؤلفاته واتجاهه المذهبى وإخلاصه العلمى ، مما لايتاح لغير بحاثه كثير التنقيب ، ونحن نقرأ مقدمات الكوثرى فنجدها مضرب المثل فى التقديم ، ولقارئها بكثير مما يكتب فى بعض المنشوارت ، فنعرف فضل الله على هذا العلامة الضليع ، إذ أن لفيفا من الهواة حلالهم أن تتصدر أسماؤهم وجوه الكتب دون دراية ، وظنوا الإلمام بفهرس الكتاب وترجمة حياته من المصادر القريبة مما يشفع لهم فى كتابه هذه المقدمات ، فهم يلوكون الذائع المشتهر عن الكاتب ومؤلفه ويحسبون أنهم على شىء ، أما الأستاذ الكوثرى ومن هم فى طبقته من الراسخين الأثبات فيسلطون الأضواء الكاشفة فى بصر نافذ ، وعمق بعيد ، وقد لايذيلون فيما يكتبون ولكن لكل كلمة مكانها ، ولكل حرف موضعه الصحيح ، ومن فضل الله على الكوثرى أنه ملم بنواحى الثقافة الإسلامية إلمام الدارس المتمكن فإذا تحدث عن كتاب فى الفقه أو علم الكلام أو التاريخ أو الحديث أو المنطلق خيل لقارئه أنه تخصص فى موضوعه وحده ، ونضرب المصل بمقدمته الرائعة لكتاب الطبقات الكبرى لابن سعد الواقدى ، إذ ألمت إلماما دقيقا بالأهم المهم من حياة الواقدى واتجاهه الفكرى ، وقد أنصفه الكوثرى حين حكم أنه جوزى جزاء سنمار على حسن ما صنع فرماه أغلب الرواه عن وتر واحد حين كانوا يرون كثرة الغرائب فى رواياته ، كما نقل آراء الثقات عنه كابراهيم الحربى ويعقوب بن شيبه وأبى بكر بن العربى وابن سيد الناس ثم أصاب مقطع الحق حين قال : «وليس كل ما فيه من الروايات قويا متينا ، بل بين أسانيد رواياته ما هو مقطوع أو مرسل ،

وبمعرفة أحوال الرجال فى تلك الأسانيد تعرف درجة الروايات ، وأمرهم سهل عند أهل العلم ، وقد امتدت المقدمة إلى تسع صفحات من القطع الكبير ، وتلخيصها بل الاشارة إلى بعض نفائسها مما تضيق به هذه العجالة ! وإنى أقدم هذه التحفة القيمة مثلا دقيقا لمن يتصدرون لكتابة المقدمات ، إذ كانت مصدر توجيه أكيد .

وقد عقد الأستاذ أحمد خيرى رحمه الله فصلا خاصا بمؤلفات الكوثرى ما بين مخطوط ومطبوع وقد بلغت واحدا وخمسين مؤلفا غير حواشيه التى كان يضعها على الكتاب التى يقدمها ، وقد تتبع الأستاذ أحمد خيرى هذه التعليقات فى مظانها وأشار إليها مع مؤلفاته فى سجل حافل ملأ ما بين صفحة ٣٦ ، وص ٥٠ بمعنى أن أسماء المؤلفات مابين مطبوعة ومخطوطة ومعلق عليها قد استغرق أربع عشرة صفحة كاملة هى الفصل الخامس من ترجمة الأستاذ الكبير من بين هذه الكتب مخطوط مفقود فى مجلدين كبيرين تحت عنوان ( المدخل العام لعلوم القرآن ) وهو فى رأى الباحث أهم مؤلفات الكوثرى لما فيه من الشمول والتقصى والمقارنة والاستنباط ، يقول الأستاذ خيرى[٢] « ولم يكن الشيخ الكوثرى يأسف على شىء أسفه على ضياع هذا الكتاب » ولعل الله يسهل العثور على مخطوطته الوحيدة بإحدى دور الكتب بالأستانة ، لأن هجرته المفاجأة إلى مصر قد أعجلته عن حمل مؤلفاته وكان يأمل أن يجد من تلاميذه فى تركيا من يسعفه ولكن الاتصال به فى مهجره قد كان مصدر خطر لمن يجازفون به فى مبتدىء الثورة الكمالية ، فلم يتيسر شىء من هذه المؤلفات ، ومن يعرف أن مؤلف العالم لديه كولده من صلبه يدرك كم عانى الكوثرى من ألم مرير .

هذه أقباس من سيرة إمام كبير ، نرجو أن تحفز ذوى الفضل إلى جمع مؤلفاته وإعادة نشرها الدقيق .

(٢) الإمام الكوثرى ، ص ٣٨ ط ١٣٧٣ هـ .




# العربية لغة العلوم والتقنية

عرض وتحليل: د. أحمد فؤاد باشا

واكبت اللغة العربية الفصحى حركة النهضة العلمية والتقنية فى عصر الحضارة الإسلامية الزاهرة ، وانتشرت مع انتشار الإسلام حتى أصبحت لغة عالمية بفضل القرآن الكريم الذى ضمن سلامتها وحفظ التفاهم بها ، وكان العلماء من الموالى يفضلون كتابة مؤلفاتهم بها ، حتى أن الريحان البيرونى ـ الذى أتقن عدة لغات أجنبية ـ كتب جل مؤلفاته ـ التى تربو على المائة ـ باللغة العربية ، ويؤثر عنه قوله : إن الهجو بالعربية أحب إليه من المدح بالفارسية ، ووصف البعض أسلوبه العلمى بأنه أسلوب سلس خال من الالتواء ، يخرج منه القارىء بثروتين : أدبية وعلمية . كما امتدح البعض أسلوب الخوارزمى فى كتابه «الجبر والمقابلة» ووصفوه بأنه أسلوب أخاذ ، لا ركاكة فيه ولا تعقيد ، ينم عن أدب رفيع وإحاطة بدقائق اللغة .

كذلك تمتعت اللغة العربية بميزة خاصة عند أهل الغرب الذين نقلوا علوم المسلمين وترجموها ، فأشادوا بسهولة دراستها والتكلم بها وقراءة مؤلفات رجالها ، حتى أن «روجير بيكون» ـ الذى يعتبر من أعظم من درسوا علوم المسلمين وحملوها إلى الأجيال الأوربية التالية ـ كان يعجب ممن يريد أن يبحث فى العلم والفلسفة وهو لايعرف اللغة العربية ، كما أنه اعترف بأن الكتب الإسلامية العربية كانت مصدر العلوم فى عصره ، وأن كتابات أرسطو لم تفهم ولم تلق رواجا فى الغرب حتى أوضحتها كتابات الكندى وابن سينا وابن رشد وغيرهم .

غير أن لغتنا الجميلة تواجه اليوم ـ فى صراع البقاء ـ معارك محتدمة بينها وبين أعدائها ، وقد يكون من الطبيعى أن تجد العربية خارج حدودها أعداء يكيدون لها ، ولكن المؤلم حقا أن يكون بعض هؤلاء الأعداء من بينها ، ولذلك فهى تقاتل فى جبهتين ، أقربهما أمَرُّها ، لأنها هنا تقاتل قطعا

(*) د. عبدالصبور شاهين ، العربية لغة العلوم والتقنية ، دار الاعتصام ، الطبعة الثانية ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م .

من نفسها ، «وظلم ذوى القربى أشد مرارة على النفس» ، فكيف إذن نعيد للعربية مكانتها ، لتصبح ـ كما كانت ـ مقوماً أساسياً لنهضتنا الحضارية المنشودة .

والكتاب الذى نعرض لمناقشته الآن ينتصر لقضية اللغة العربية وقدرتها على تمثيل علوم العصر الحاضر ، كما مثلت علوم العصر القديم ، وفتحت صدرها لتراث الإنسانية .

فالموضوع الذى يدور حوله هو : اللغة العربية المعاصرة ، وكيفية مواكبتها للتيار العلمى الحضارى ، فى مفرداتها ، وفى تراكيبها . فلطالما اتُّهمت العربية بالقصور والعجز عن مواجهة متطلبات العصر العلمية والاصطلاحية ، وقد آن الأوان لتضافر الجهود من أجل أن تكون العربية لغة التدريس فى الجامعات لمختلف فروع العلم والتقنية .

ويحرص المؤلف منذ البداية على إيضاح أسلوبه فى معالجة القضية التى تناولها برؤية وموضوعية ، فيستدرك قائلا : «ليس معنى رجوعنا إلى العربية أن نجهل غيرها ، فمازالت معرفة اللغات المختلفة هى السبيل إلى استيعاب العلم ، واستكناه أسراره ، ولا حرج على من يعشق لغته القومية أن يتعلم إلى جوارها عدة لغات ، ليفيد لغته ، ويزودها بكل مستحدث جديد ، وقد كان الأقدمون من علماء هذه الأمة أساتذة الدنيا ، يؤلفون ، ويدرّسون بالعربية ما ينقلونه عن اللغات القديمة التى أجادوا معرفتها والترجمة عنها» .

ونحن من جانبنا نؤكد أهمية هذا الاستدراك فى العصر الحاضر ، حيث تتعدد اللغات الحضارية التى تتبع مراكز القوة والتأثير فى العالم ، وإن كانت اللغة الإنجليزية لاتزال هى المتقدمة بين هذه اللغات ، فيما يتعلق بتمثيل المقومات الحضارية ، فكل مايجرى على كوكب الأرض يجد تسجيله فى هذه اللغة العالمية الأولى فى عصرنا ، ومن ثم فإن الإلمام الكافى بها وبغيرها يُعدُّ ـ فى نظرنا ـ شرطا ضروريا لا يقل أهمية عن واجب الترجمة والتعريب لمختلف فروع العلم والتقنية ، ومواصفات المترجم الكفء تستلزم إجادته التامة للغات التى ينقل منها وإليها ، بالإضافة إلى إدراكه الواعى لأبعاد إشكاليات الترجمة العلمية والمعجمة اللغوية التى تكشف عنها الدراسات الأكاديمية المتأنية[1] .

(١) تزخر المكتبة العربية الآن بالعديد من الدراسات الجادة والمنهجية فى مجال الترجمة العلمية والتعريب ، نذكر منها على سبيل المثال لاالحصر .

ـ د. مازن المبارك ، اللغة العربية فى التعليم العالى والبحث العلمى ، دار النفائس بيروت ١٩٧٣

ـ د. أحمد مطلوب ، دعوة إلى تعريب العلوم فى الجامعات ، دار البحوث العلمية بالكويت ، ١٩٧٥

ـ د. محمد المنجى الصيادى ، التعريب وتنسيقه فى الوطن العربى ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ١٩٨٤ .

ـ د. خضر القرشى ، صلاحية العربية أداة للتعليم فى العلوم ، رسالة دكتوراة ، جامعة البترول والمعادن بالظهران ، المملكة العربية السعودية ، ١٩٨٢ .

ـ د. كارم غنيم ، اللغة العربية والنهضة العلمية المنشودة فى عالمنا الإسلامى ، عالم الفكر ، الكويت ١٩٨٩

ـ قاسم السارة ، تعريب المصطلح العلمى « إشكالية المنهج » ، عالم الفكر ، الكويت ، ع(٤) ١٩٨٩

## مسيرة المصطلح العلمى فى تاريخ العربية :

فى البابين الأول والثانى يقدم الكتاب دراسة تفصيلية حول «اللغة العلمية» وتحديد مفهومها وخصائصها ، كما يناقش الكثير من الاتجاهات التحليلية والتركيبية ويستعرض مسيرة المصطلح العلمى فى تاريخ العربية موضحا معناه وبداياته وأوجه تصنيفه باعتبار الشكل والمعنى ، ثم يخصص عدة فصول لبيان جهود كل من حنين بن اسحق وأبى بكر الرازى وأبى عبدالله الخوارزمى والشيخ الرئيس ابن سينا فى مسيرة المصطلح العلمى من خلال دراسة بعض أعمالهم العلمية التى اقتحموا بصياغتها العربية علوم الحضارة آنذاك ، مع اختلاف ينابيعها من هندية إلى سريانية إلى يونانية إلى فارسية .

وليس هناك من شك فى أن هذه التجربة الأولى لترجمة العلوم فى العالم الإسلامى تُعدّ نبراسا لقدرة اللغة العربة على التوسع والاغتناء واستيعاب المصطلحات والتعابير العلميــة الجديــدة ، فاستحقت أن توصف بأنها لغة العالم المتحضر لعدة قرون ، وامتد تأثيرها فى اللغات الحية الأخرى ، حيث يحصى معجـم «وبستـر» Webster الإنجليزى – على سبيل المثال – أكثر من ٦٠٠ ألف كلمة مأخوذة من اللغة العربية ، منها ٥٠٠ كلمة فقط من الألفاظ المستعملة فى الكتابة والأحاديث العادية ، والباقى فى الشئون الفنية .

ففى علم الرياضيـات نجد «الصفـر» Cipher ، «والجبر» Algebra .

وفى علم الكيمياء نجد كلمة «الكحول» Alcohol ، وأصلها العربى «الغول» ، وكلمة «القلى» Alkali ، وكلمة «الأمبيق» Alembic ، وهى أداة التقطير .

وفى الفلك نجد مصطلح «فم الحوت» يُذكر بلفظه العربى هكذا Fomalhaut ، والسمت أو السموت «للشمس» Azimuth ، وغير ذلك ومن يتتبع تأثير اللغة العربية فى اللغات الأخرى يجد لها آثارا واضحة فى الإسبانية والبرتغالية والفرنسية والألمانية ، وفى اللغات الجرمانية الأصل كالهولندية والاسكندنافية فى شمال أوروبا ، وفى الروسيـة والبولندية واللغات الصقلية والإيطالية .

كما أن عثور الباحثين فى جهات البلطيق فى شمال أوروبا على سكة إسلامية عربية من آثار تجار المسلمين الذين وصلوا إلى تلك الأرجاء يوما من الأيام .

وجملة القول فيما يتعلق بهذا الموضوع أن اللغة العربية انتشرت مع الإسلام بطريق المدنية والتنوير لا بطريق الغزو والاستعمار ، وهذا دليل قوتها وأصالتها وقدرتها على استيعاب مصطلحات التقدم المتجددة والمتزايدة[٢]

---

(٢) لمعرفة المزيد من التفصيل عن تأثير العربية فى اللغات الأخرى راجع على سبيل المثال :

– سيجريد هونكه ، شمس العرب تسطع على الغرب « أثر الحضارة العربية فى أوروبة » ، الترجمة العربية ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١ م

– معجم وبستر الدولى الثالث الجديد Webster's Third New International Dictionary وتجدر الإشارة من جانب صاحب العرض والتحليل إلى آن هذا الموضوع – رغم أهميته – لايزال بحاجة إلى المزيد من الدراسات المنهجية فى علم اللغة المقارن لإظهار حقيقة العلاقة بين العربية وسائر اللغات بعامة .

## العربية والمصطلح العلمى الحديث :

عندما بدأ نجم الحضارة الإسلامية فى الأفول ، وانتقل مركز التأثير إلى الغرب منذ أربعة قرون خلت ، أصبح الحال غير الحال وانفتحت مجالات إنتاج المعرفة العلمية هناك بصورة هائلة أدت إلى ارتقاء اللغات الحية المعبرة عن الحضارة الغربية ، وأهمها اللغة الإنجليزية .

ومنذ ذلك الحين بدأت محاولات علماء الغرب لإقدار لغاتهم على استيعاب معطيات حضارتهم ، ولابد أنهم واجهوا مآزق صعبة فى معالجة هذه المشكلة ، ولكنهم اعتبروا أن الحضارة قضيتهم الأولى ، وأن عليهم إلباسها ثوبا أوربيا مصنوعا من لغات أوروبا ، فأصبح كل منتج حضارى ، علمى أو تقنى ، مولودا شرعيا للحضارة الأوربية ، ومن حق من أنجبه أن يعين له اسمه الأوروبى ، فالحقيقة الواقعة أن أوربا هى التى نهضت ، لا انجلترا ولا فرنسا ، على وجه الخصوص ، وإذا كانت الإنجليزية قد بدأت نشاطا ومرونة كافيين لتتصدر موكب الحضارة فإنها تتصدره باعتبارها طليعة لغات أوروبا ، لا باعتبارها لسان الجزر البريطانية .

من ناحية أخرى تعرضت اللغة العربية خلال عصور الانحطاط ــ ولا تزال تتعرض ــ لحملات شرسة على أيدى مفكرين أجانب وثلة من ذيولهم العرب روجوا للاعتقاد بأن العربية قاصرة عن التعبير عن القضايا العلمية والتقنية المتجددة التى تفرزها حضارة الغرب بلغات أوروبية ، وأن المصريين ، على سبيل المثال ، لو اتخذوا لهم لغة « إقليمية » ــ كما فعلت بريطانيا باللغة اللاتينية ــ لاستطاعوا أن يتفوقوا ويخترعوا . وكانوا يدعون ــ أيضا ــ هم ومن ينهجون نهجهم حتى الآن ، إلى استخدام العامية فى التعبير نطقا وكتابة ، والاستعانة بالحروف ؛ اللاتينية لمواكبة طوفان المصطلحات الجديدة فى مختلف فروع المعرفة[٣] .

وكان للاستعمار الأجنبى سبب قوى فى تعميق هذا الداء الذى أدى إلى انصراف أبناء العربية عن استخدام لغتهم فى التعليم عامة ، والكليات العلمية خاصة ؛ فتدهورت اللغة العربية فى عقر دارها ، وفقدت الأمة رويدا رويدا أهم عناصر قوتها وعزتها ، ناهيك عن تدهور التعليم باللغة الإنجليزية ، حيث أصبحت معرفة أكثر المشتغلين بالعلوم للغة الإنجليزية لاترقى إلى مستوى معرفة أهلها أنفسهم ، فهم يستخدمون لغة لايجيدونها ، ويهملون لغتهم التى يمكن أن يحققوا بها مستوى أداء أفضل ، فيزدادون ضعفاً على ضعف[٤] .

وهكذا نجد أن محنة اللغة العربية فى عصرنا لاتتمثل فقط فى حشود الألفاظ والمصطلحات الوافدة من عالم الحضارة وإنتاج المعارف والتقنيات الجديدة إلى عالمها الذى يبدو متخلفا ، بل إن محنتها الحقيقية هى فى انهزام أبنائها نفسيا أمام الزحف اللغوى الداهم ، واستسلامهم فى مجال العلوم للغات الأجنبية ، بحيث تكونت فى العالم العربى

---

(٣) لاتزال تركيا تدور فى فلك التبعية لحضارة التقنية الغربية رغم استبدال الحروف العربية التى تكتب بها اللغة التركية إلى حروف لاتينية . فقد تسببت « الأتاتوركية » فى عزل الفرد التركى وسلخه من دينه الإسلامى بإبعاده عن لغة القرآن الكريم .

(٤) معظم المشتغلين بالعلوم فى الجامعات ومراكز البحث العلمى لايجيدون اللغتين العربية والإنجليزية بسبب الانقطاع عنهما لفترات طويلة أثناء بعثاتهم إلى دول شتى تدرس بلغات أخرى كالفرنسية والروسية والألمانية وغيرها .

جبهة عنيدة تجاهد للإبقاء على العربية بمعزل عن مجال العلم والتقنية ، قناعة منهم بعلاقة هشة مع لغة الحضارة ، فمادامت صفوة المشتغلين بالعلوم يُحسنون « الرطانة » بالإنجليزية ، فلا بأس من عزل العربية ، بل وقتلها .

لكن العربية ، رغم كل هذه التحديات ، لم تستسلم ، فقد وسعت كثيراً من المصطلحات التى جاءتها من اللغات المختلفة ، وأمكن للمترجمين المخلصين أن يجدوا وسائل لاستيعاب كل جديد ، ومن هذه الوسائل « التعريب » الذى يأتى دوره بعد استنفاد كل وسيلة أصيلة فى حل المشكلة المعـــروضة . فحين لايصلـــح القيـــاس ، أو الاشتقاق ، أو النحت لترجمة المصطلح ـ لأن مفهومه لا علاقة له بمادة من المواد العربيـة ـ لايبقى سوى اللجوء إلى المادة الأجنبية التى تؤدى هذا المفهوم فى لغتها ، وذلك بمعالجتها بطريقة التعريب ، أو تدخيلها فى اللغة بشروطهـــا فالتعريب : « هو إقامة اللفظ الأجنبى على وزن عربى ، بوساطة النقص ، أو الزيـــادة ، أو القلب » ، وقد يقتصر التغيير الذى يتعرض له المصطلح الأجنبى عند تعريبه على تغيير فى صوت من أصواته ، كما تتغير V إلى F فى كلمة Volt التى تصبح « فولت » . أما « التدخيل » فهو لفظ من اشتقاق المؤلـــف ، وضعـــه فى مقابـــل « التعريب » ، فقد وجد أن اللغة تقبل بعض الألفاظ والمصطلحات دون أن تمسها بأدنى تغيير : مثل الأكسجين والتليفون والالكترون وغيرها .

وقد كثر التدخيل فى مجال المصطلحات العلمية حتى لقد نجد ألفاظا دخيلة تشرحها المعاجم بألفاظ دخيلـة أخـــرى ، مثـــل « نكولـــيت » Niccolite وتعنى : خام زرنيخيد النيكل ، غير أن هذا لايخفى على المشتغلين بالعلوم ، فهو محصور داخل مجال الاهتمام به ، ولذلك ساغ أن يكون خارج أوزان الكلمة العربية .

وقد أخذ العرب فى الجاهلية ألفاظاً أجنبية كثيرة مثـل : الابريق والسنـدس والديبــاج والنرجس من الفارسية ، ومثل : الفلفل والقرنفل والكافور من الهندية ، ومثـل : الفـــردوس والقسطاط والقنطار من اليونانية ، ومثل الكنيسة والكهنوت والناقوس من السريانية ، ومثـل : التوراة والأسباط من العبرية ، وأخذ الغرب عن العرب ألفاظاً كثيرة كما أوضحنا من قبل . فهذه سمة من سمات الاتصال الحضارى بالثقافـات المجاورة فى مرحلة البناء والنهضة .

ولازال للموضوع بقية فى العدد القادم إن شاء الله



# الحمل والولادة

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ (12) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (13) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ المؤمنون

د. أحمد رجائى
عبد الحميد

يولى المجتمع أهمية فائقة ( للخصوبة ) وتهتم المرأة بقدرتها على الإنجاب أكثر من اهتمامها بمظهرها .

تعريف الخصوبة :

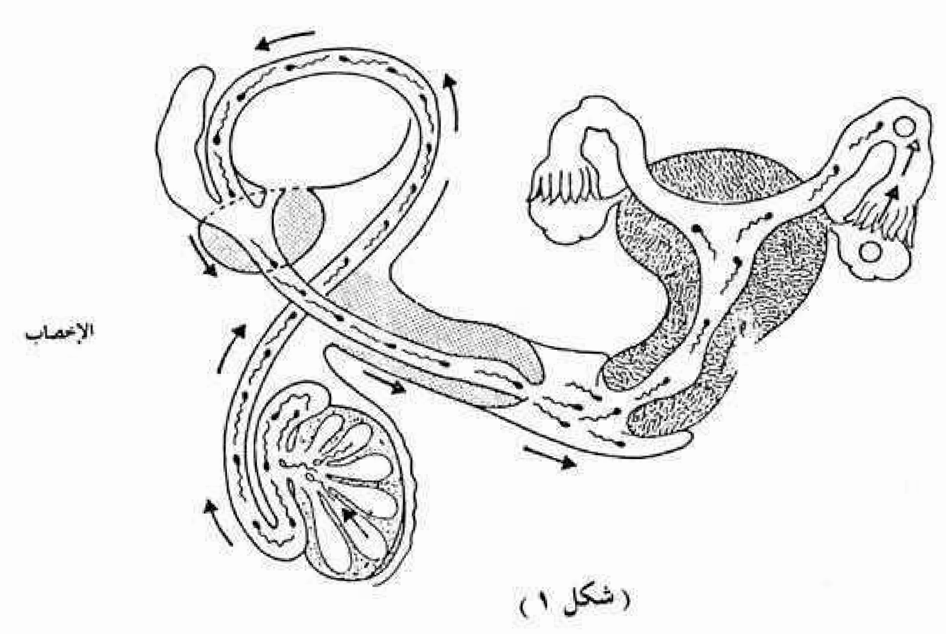
المقدرة على الإنجاب وهى تبدأ بعد اكتمال سن البلوغ عند الأنثى أو الذكر ، وذلك يحدث فى ( مصر ) بين سن الحادية عشرة إلى سن السادسة عشرة ، وفى بعض الأحيان يتم البلوغ قبل ذلك أو بعد .

تعريف الإخصاب :

هو اندماج مكونات حيوان منوى واحد بالبييضة ، ويحدث الإخصاب ( شكل ١ ) بعد دخول الحيوانات المنوية عن طريق الجماع حول وقت الإباضة[1] ( التبييض ) حيث تسبح

(*) الكروموسومات : هى الحاملة للجينات التى تحمل الصفات الوراثية وعددها فى الحيوان المنوى أو البييضة ٢٣ وباندماجها تصبح ٤٦ .

(١) هو وقت نضج البييضة ونزولها من قناة فالوب إلى الرحم بعد تمام نضجها .




( شكل ١ )

الحيوانات المنوية بعد الإنزال مباشرة لتصل عنق الرحم ، ومنه إلى الرحم ، ثم إلى قناة المبيض بفعل حركتها الذاتية بالإضافة إلى التقلصات العضلية لجدران الأعضاء التى تمر منها . ومن الجدير بالذكر أن عَدَداً كبيراً من الحيوانات المنوية تموت خلال رحلتها إلى قناة المبيض ( قناة فالوب ) . ويتم الإخصاب فى ( قناة فالوب ) باندماج مكونات حيوان منوى واحد ببييضة حية ناضجة ، ويتم ذلك فى الثلث الأعلى منها . بأن يصل أول حيوان منوى إلى البييضة ، وتدخل رأسه فى البييضة وينفصل ذيله خارجها ، وبمجرد دخول رأس الحيوان المنوى تنسج البييضة حول ذاتها شبكة متينة بحيث لا ينفذ إليها حيوان منوى آخر . وباندماج مكونات نواة الحيوان المنوى ، ومكونات نواة البييضة فإن ذلك يؤدى إلى تكوين البييضة الملقحة التى تسمى ( زيجوت Zygot ) .

**جنس الجنين :**

تحتوى نواة كل من الحيوان المنوى والبييضة على (٢٣) صبغية ( كروموسوما ) وحين يتم الاندماج تحتوى البييضة الملقحة على (٤٦) صبغية : نصفها من الحيوان المنوى للأب ، والنصف الآخر من بييضة الأم .. ومن المعروف أن الحيوان المنوى هو الحامل لنوع الجنين ذكراً أم أنثى .

بعد أن يتم التلقيح تقوم البييضة الملقحة ( الزيجوت ) بمتابعة رحلتها فى طريقها إلى الرحم وتستغرق هذا الرحلة حوالى ثلاثة أيام فى أثنائها تبدأ عملية الانقسام الغير مباشر .

**الانقسام الغير مباشر :**

ينسى كل ( كروموسوم ـ صبغية ـ اكروموسومَ آخراً ملاصقاً له ومماثلا له تماماً بما فى

ذلك ( الجينات Genes ) التى عليه[٢] ، وبتكرار هذا الانقسام غير المباشر تنتج كتلة صغيرة من الخلايا تسمى ( الموريلا ) ( Morula ) التى تصل إلى الرحم ، ويكون الرحم فى هذه الحالة مهيئاً لاستقبال الجنين حيث تكثر الأوعية الدموية ويغلظ جداره . وهذه التغيرات تحدث تحت تأثير الهرمونات التى يفرزها ( الجسم الأصفر - Corpus Lutem ) الناتج عن انفصال البييضة من المبيض ( وهذا الجسم الأصفر يبقى مفرزاً للهرمونات التى تساعد على نمو الحمل أثناء مدة الحمل إلى أن تنمو المشيمة التى وتسميها النساء فى مصر ( الخلاص Placenta ) وهذا ابتداء من الشهر الثالث .

وبمجرد انغماد الجنين بجدار الرحم تبدأ عملية النمو بأن يكون الجنين فى مرحلة تسمى ( البلاستوسيست Plastocyst ) حيث تتحول خلايا البلاستوسيست إلى طبقتين : الطبقة الخارجية وتسمى طبقة ( الاكتودرم ) ( Ectoderm ) وطبقة داخلية وتسمى طبقة ( الاندودرم Endoderm ) وهى التى يتكون منها فيما بعد الجلد والأعصاب وأعضاء الإحساس .

**تكوين المشيمة Placenta :**

يتكون غشاء سميك بين الجنين وجدار الرحم يسمى المشيمة التى من خلالها يحصل الجنين على الغذاء اللازم لنموه ، ولها وظيفة أخرى ، وهى وظيفة (إخراجية) ، لإخراج فضلات الجنين ، وتعمل كمرشح بحيث لايدخل إلى الجنين أى ميكروبات ضارة ، أو مواد ضارة من الأم ، وكذلك تعمل المشيمة على إفراز بعض ( الهرمونات ) التى تساعد فى نمو الجنين . ويصل الجنين بالمشيمة : الحبل السرى .

**تكوين الغشاء الواق ( Amnion ) :**

يبدأ تكوين الجنين بغلاف واق مملوء بسائل يدعى السائل الأمنيوسى ( السائل الرهلى ) ( Amniotic Fluid ) شكل ( ٢ ) .

وفى الأسبوع الثالث من حياة الجنين تظهر الطبقة التى تدعى الميزودرم ( Mesoderm ) وهى التى تغطى العضلات ، كما يبدأ النتوء الرأسى ، والحبل الظهرى ، والصفيحة العصبية فى التكوين .

الأسبوع الرابع : يصبح الجسم أسطوانياً بعد أن كان مفلطحاً ، وتبدأ نبضات القلب ، وكذلك تبدأ العضلات فى الظهور ، ويبلغ طول الجنين بنهاية هذا الأسبوع حوالى نصف سنتيمتر .

فى الشهر الثانى : يزداد طول الجنين وتتضح معالم أعضائه .

وفى الشهر الثالث : يتميز جنس الجنين ( ذكراً أو أنثى ) . ويبدأ الجنين فى الحركة .

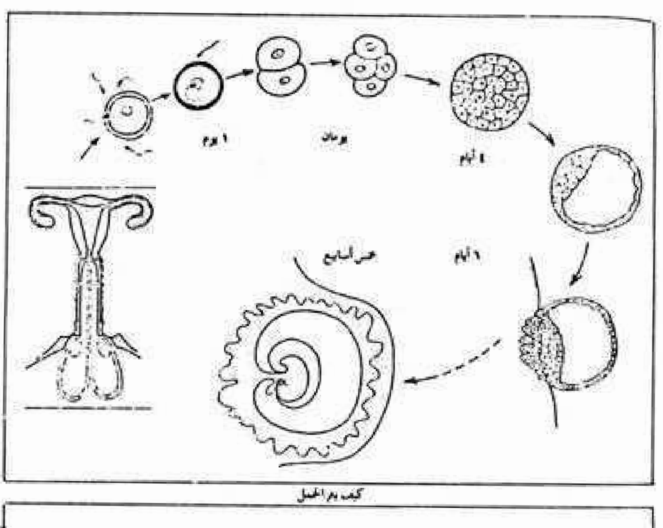
وفى الشهر الرابع والخامس : يبدأ نمو الشعر المؤقت ، وتزداد معالم الأعضاء وضوحاً .

وفى الشهر السادس : تظهر الرموش والحواجب .

وبعد ذلك فى خلال الشهور التالية يزداد نمو الجنين ، وتظهر الأظافر ، ويسقط الشعر المؤقت ، وينمو بدلا منه شعر جديد .

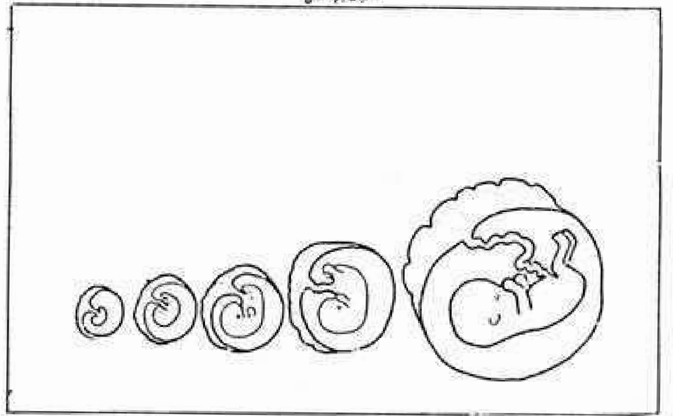
---

(٢) الجينات : هى العوامل الوراثية التى تنقل إلى الأولاد الصفات الوراثية عن والديهم .




كيف يتم الحمل

شكل (٢ أ)



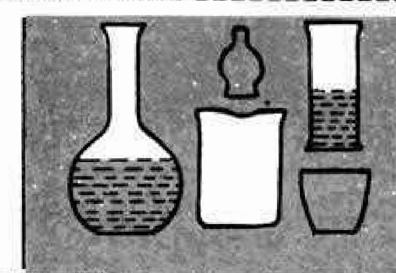
شكل (٢ب )

تغذية الجنين :

المشيمة ( الخلاص Placenta ) تعمل كجدار يفصل بين دم الأم ودم الجنين .

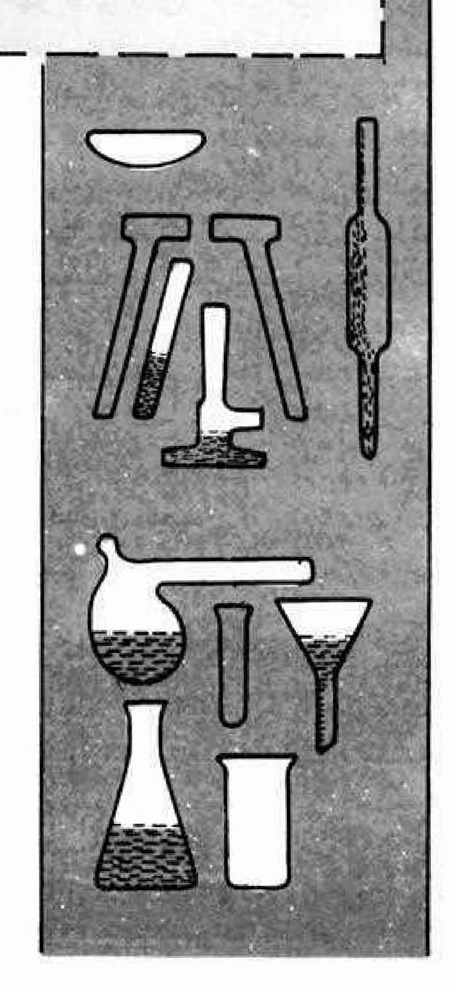
ويمر الغذاء من سكريات و ( بروتينات ) ودهون مهضومة وكذلك الأكسجين من الأم إلى الجنين عن طريقها ، كما تتجه الفضلات مثل ثانى أكسيد الكربون وفضلات الجنين من الجنين إلى الأم عن طريق الحبل السرى . وبرغم أن المشيمة تعمل كمرشح ( فلتر ) للجراثيم والمواد الضارة إلا أن هناك بعض العقاقير قد تنجح فى اختراق هذا الحاجز مما يسبب تشوهات وعيوب خلقية بالجنين . هذا بالإضافة إلى التدخين وشرب المسكرات ( الكحوليات ) التى قد تؤدى إلى نقص نمو الجنين والإجهاض والتشوهات .

ويمتد الحمل الطبيعى إلى حوالى ٤٠ أسبوعاً إلى أن يأتى ميعاد الولادة .



# الجديد فى العلم والتقنية

إعداد / د. مجدى السيد أحمد



١ ـ جهاز جديد لعلاج المصابين بالصمم :

تم اختراع جهاز جديد ودقيق وحساس جداً ، يستخدم الآن بنجاح فى لوس أنجلوس لعلاج المصابين بالصمم الكلى ، وهو عبارة عن « ميكروفون » دقيق يقوم بالتقاط الأصوات الدقيقة ، وينقلها لجهاز صغير مع المصاب ، ويحولها إلى نبضات كهربائية ، تمر عبر سلك رفيع للغاية لجهاز الاستقبال الداخلى المزروع جراحياً داخل الأذن الداخلية ، حيث يتولى استثارة العصب السمعى ، وبالتالى سماع الصوت ، وهذه العملية تماثل تماماً عملية السمع فى الأشخاص العاديين .



وقد أثبتت الأبحاث العلمية نسبة ٥ ٪ فقط من ألياف عصب السمع كافية للاستفادة من هذا الجهاز .

**٢ ـ دبّابة زجاجية ضد القذائف :**

يتجه الفرنسيون ـ حالياً ـ إلى إنتاج دبابة من زجاج « البيركس » المقاوم للحرارة ؛ حيث أوضحت الدراسات التى تجرى منذ سنوات أن الزجاج المقاوم للحرارة والمغلف بالصلب قادر على مقاومة ضربات قذائف المدفعية المضادة للدبابات بشكل أفضل من صفائح الصلب التقليدية المستخدمة فى صناعة الدبابات اليوم ، كما أن للزجاج « البيركس » ميزة أخرى وهى أنه أخف وزناً .

**٣ ـ أحدث شص لصيد السمك :**

ابتكرت إحدى المؤسسات المهتمة بمعدات الصيد شصاً جديداً « صنارةً جديدة » لصيد السمك تجذب أسراباً كاملة من السمك ، وتتكون من أنبوبة رفيعة طولها ٥ سنتيمتر تتصل بالشّص الذى يحتوى على الطعم ، وهذه الأنبوبة تعتمد على تكنولوجيا متقدمة تعرف باسم الإضاءة الكيميائية حيث تطلق شعاعاً لامعاً أخضر اللون يخترق أكثر المياه ظلمة ، وفى بضع ثوان تنجذب أسراب السمك وتتنافس للحصول عليه .

**٤ ـ علاج لالتهاب المفاصل من الحيوانات البحرية :**

قام العلماء الأمريكيون بحقن مجموعة من الحيوانات المعملية بخلايا سرطانية ، ثم حقنوا هذه الحيوانات فى وقت لاحق بمستخلصات محارات مختلفة ، فوجدوا أن حقن مستخلص أحد أنواع الحيوانات الصدفية البحرية ـ والذى يعرف باسم « بلح البحر » ـ فى مكان الالتهاب الناجم عن وجود خلايا سرطانية يخفف هذا الالتهاب ، وأنه أكثر فاعلية من أى عقار تقليدى : كالأسبرين أو مركبات الكورتيزون فى منع التورم الناتج عن التهاب المفاصل ، كما أنه بديل طبيعى أسلم للعلاج من العقاقير التى لها آثار جانبية .

**٥ ـ أصغر جهاز لإنقاذ ضحايا الكوارث :**

تمكنت إحدى الشركات اليابانية من ابتكار جهاز صغير لا يزيد حجمه عن الأصبع يمكنه إنقاذ الأشخاص فى حالة الكوارث . والجهاز يمكن لصقه على الحذاء ، أو أى نوع من الملابس التى يرتديها الإنسان ، ويقوم بإخطار فرق الإنقاذ عن موقع الضحايا فى حوادث الطرق غير المأهولة مثل هبوط الطائرات الاضطرارى فى الصحراء .

وهو عبارة عن نظام إليكترونى ويمكنه إرسال إشارة ميكروويف أو إعادة إرسال إشارة أخرى قد تصله من كاشف موجود فى طائرة عمودية ، ودائرة عمله تمسح منطقة دائرتها ٣١ ألف متر مربع بارتفاع ٦٠٠ قدم .

**٦ ـ فندق فى الفضاء :**

تجرى حالياً فى اليابان دراسة مركزة حول إمكانية بناء فندق فى الفضاء ، لاستقبال السياح الأثرياء ، وسيوضع الفندق فى مدار حول الأرض على ارتفاع ٤٥٠ كيلومترا على وجه التقريب ، ويتم بناؤه وفق مقاييس تنقل بطائرة فضائية ، ويقوم عدد من الأشخاص الآليين بتجميعه فى الفضاء ، وسيقام حول اسطوانة طولها ٢٤٠ متراً ويضم فى قمته دائرة قطرها ١٤٠ متراً تقام فيها ٦٤ غرفة تستقبل مائة شخص كحد أقصى ،

وسيبنى فوق هذه الغرف وحدة كبيرة فى شكل هرمى مقلوب ، وستستخدم كقاعة للاستقبال ومطعم ، وغرف للرياضة ؛ لممارسة تمارين فى حالة جاذبية قليلة .

**٧ ـ غازات سامة تنبعث من التليفزيون .**

أكدت دراسة أجرتها الجهات المسئولة عن البيئة فى ولاية « هامبورج » بألمانيا الغربية أن هناك غازات سامة تنبعث من أجهزة التليفزيون بسبب وجود مادة « الروم » المقاومة للاشتعال والحريق والتى تدخل فى صناعة الأجهزة وحذرت الدراسة من خطورة هذه الغازات على الإنسان .

**٨ ـ قوارب تسير بالطاقة الشمسية :**

قامت إحدى الشركات الأمريكية بتصميم قارب يعمل بالطاقة الشمسية ، حيث تقوم مجموعة من أربعة ألواح من الخلايا الكهروضوئية ـ توضع أعلى سطح القارب ـ بتزويد أربع بطاريات ـ قوة كل منها مائة أمبير ـ بالطاقة الكهربائية اللازمة ، وتقوم ثلاث بطاريات من البطاريات الأربع بتشغيل الأجهزة والأدوات المستخدمة على القارب كفرن ميكروويف ، وثلاجة ، وجهاز ستريو وساعة رقمية وأنوار كاشفة ، ومراوح ومضخات . أما البطارية الرابعة فتقوم بتشغيل محرك القارب .

**٩ ـ تصوير أشعة إكس اللينة المحيطة بالشمس .**

أعلنت إدارة الطيران والفضاء الأمريكية « ناسا » أنه تم إلتقاط أول صورة لأشعة إكس اللينة المحيطة بالشمس عن طريق تلسكوب فضائى معقد أطلقته اليابان بمساعدة الولايات المتحدة الأمريكية . والتلسكوب أحد أربعة أجهزة موجودة على متن مركبة الفضاء اليابانية « سولار أى » ، وساهمت « ناسا » فى بنائه . وأشعة إكس اللينة تنطلق فى درجات حرارة تفوق ١,١ مليون درجة مئوية ، وتصل درجة حرارة البقع الشمسية إلى ٣٠ مليون درجة مئوية وهى أضعف من أشعة إكس المستخدمة فى المجالات الطبية .

**١٠ ـ جهاز إلكترونى للرد على الأسئلة الفنية .**

أحدث الأجهزة الإلكترونية التى طرحت مؤخراً فى الأسواق الفرنسية تساعد هواة مشاهدة الأعمال الفنية على رؤيتها والاستفسار عن كل ما يتعلق بها وهم فى المنازل . فقد تمكنت إحدى الشركات الفرنسية من وضع نظام أطلق عليه اسم : « الندوات عن بعد » يعتمد على إجراء حوار من خلال جهاز الكمبيوتر ، حيث تزود الذاكرة الالكترونية ببطاقات تحمل صوراً للأعمال الفنية يصحبها تعليق من أحد المتخصصين الفنيين ، وللجهاز توصيلة للاتصال المباشر مع المعلق يسمح للمشاهد بطرح الاستفسارات اللازمة له وتلقى الإجابات عنها .

*

# المرأة في الغرب الأوربي في العصور الوسطى

للأستاذ الدكتورة/ إسمت غنيم

عقدت الباحثة فصلاً يعتبر واحداً من أمثلة تضرب فى مقام قوله تعالى :

﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ﴾ الحديد : ٢٧

فى هذا الفصل أبرزت الباحثة الأصل فى اختيار الراهبات . هذا الأصل الذى يتمثل فى اختيار الفتاة حياة الرهبنة عن دافع ذاتى ، ثم صار الوالد يقرر حكمه فى بناته من تكون منهن راهبة ، ومن تمارس حياة الزوجية ، وكانت أبواب الأديرة مفتوحة لبنات النبلاء والأغنياء وكبار التجار ، وتقدم الفتاة مبلغاً من المال للدير عند دخولها كما يحدث فى الزواج ، وإن كان الدير أقل جشعاً .

وكان يفترض أن يسود السكون المطلق الدير ، فكان الصمت فرضاً على الراهبات ، فكن يتفاهمن بالإشارة .. وأعدت قوائم خاصة يتعلمن منها الإشارات لكل ضروب الكلام . ولم يكن مسموحاً إطلاقاً باستعمال هذه الإشارات دون مبرر ، أو حاجة نافعة .. على أن هذه الإشارات كانت كفيلة بإحداث جو من المرح فى بعض الأحيان . ثم حدث تساهل فى هذا الأمر باستحداث غرفة للمحادثات Parlaterum لأوقات معينة من النهار .

وألحق بكل دير ( منزل الضيعة ) ليخزن به حاجة الراهبات من طعام وشراب وجعة[1] ، وفى هذه الأديرة الكبرى عَمِلَ الرجال فى شئون مختلفة .

اتسعت حياة الدير لوحدتين : « دينية » للراهبات ، و« اجتماعية » لضيفات ينزلن الدير ويمارسن فيه الحياة الدنيا بعيداً عن لوائح الرهبنة .

(١) البيرة : من نبيذ الشعير المختمر ، أو نقيع نبات الذئب ـ إيطالية معربة .

قالت الباحثة :

وفى أواخر العصور الوسطى بدأت الشابات يدخلن أديرة الرهبنة ، وأخذن ينظرن للرهبنة على أنها حرفة أكثر منها خدمة .. وَيُحِلْن الأنشودة إلى مجموعة متنافرة من الأصوات والكلمات غير المفهومة[٢] .

اتصال الراهبات بالعالم خارج الدير :

وكان يسمح لهن بقضاء بعض الوقت خارج الدير ، وكانت الراهبات بارعات فى اختلاق الأسباب المعقولة التى تدعو إلى مغادرة الدير ، فتارة تزعم الراهبة أن والديها مريضان ، ولابد من زيارتهما ، وتارة أخرى تزعم أنها ذاهبة لتعترف فى دير آخر .. وهكذا ، وبذلك أتيحت لهن الفرص للطواف خارج الدير فى هذا العالم الواسع .

أضف إلى ذلك أن اتصال الراهبات بالعالم الخارجى كان يتحقق بطريق آخر ، ذلك أن النبلاء فى الأرياف والأغنياء بالمدن كانوا يستخدمون الأديرة نُزُلاً تأوى إليه نساؤهم وبناتهم إذا ما ذهبوا للحرب أو للحج ، فتأتى زوجاتهم وبناتهم إلى الدير ، ويَعِشْن فيه على نفقتهن الخاصة .

وقد كان لهذا الأمر مساوئه ، إذ كانت أولئك السيدات الدنيويات قدوة سيئة للراهبات فقد كن يرتدين الثياب البهيجة الزاهية الألوان والقبعات المرتفعة إلى غير ذلك مما سنعرض له بالتفصيل عند الكلام عن الملابس ، وكذلك كن يعتنين بتربية الكلاب ، ومن هنا حذت الراهبات حذوهن .

محاولات للحد من هذه الظاهرة :

ظهرت عظمى هذه المحاولات عام ١٣٠٠م عندما أعلن ( بابا الفاتيكان ) بونيفيس الثامن ١٢٩٤ ـ ١٣٠٣ فى نشرة تأمر الراهبات أن يلزمن أديرتهن لا يغادرنها أبدا إلا عند الضرورة القصوى ، وأن يُمنع أى إنسان علمانى من الدخول إلى أديرتهن ، أو زيارتهن بدون ترخيص وبدون سبب معقول يدعو للزيارة .

وحدث أن الأسقف جاء بنفسه إلى أحد أديرة ( أبرشيه لنكولن )[٣] وأودع فيها نسخة من النشرة البابوية وطلب من الراهبات إطاعة ما ورد فيها من الأوامر والنواهى ، ولكن الراهبات لحقن به إلى الباب ، ورمين النشرة على رأسه ، وهو يهم بالركوب ، صارخات : أنهن لن يطعن هذه الأوامر ، ولن ينفذن حرفاً واحداً منها[٤] .

وهكذا فشل الأساقفة فى إيجاد حل لهذه المشكلة ، وكثيراً ما كان الأساقفة ورؤساء الأساقفة يهزون رءوسهم ... وهم فى حيرة من أمر دبابيس الشعر الذهبية ، والأحزمة الفضية ، والخواتم المرصعة بالجواهر ، والأحذية المزينة بالشرائط ، والفساتين المفتوحة الصدور ،

---

(2) Power : Medieval Women P.P. 97-98.

هذا ولم يقتصر هذا الفساد على اديرة الراهبات فقط وانما كان موجوداً كذلك فى أديرة الرهبان ، وقد دفع ذلك القائمين بالإشراف على الأديرة إلى إصدار مرسوم فى عام ١٣٣٠م يحرم « الضحك أثناء القداس وتنقيط دهن الشموع الساخن من الأماكن العليا بالكنيسة على رءوس المرتلين الحليقة والموجودين بالأماكن السفلى للكنيسة » .

(٣) الأبرشيه لفظ يطلق على ما كان تحت ولاية أسقف من ( مكان ) أو ( أشخاص ) .

(4) Registrum Simonis de Gandavo Episcopi Sarisbiriensis, ed Flower. Canterbury and york socienty, 1914. pp. 10 FF.

وأطواق الفساتين الوطيئة ، وأهدابها الطويلة الفضفاضة ، والألوان الفاتحة ، والملابس المرتفعة الأسعار ، والفراء الثمينة التي ترتديها الراهبات .

ولعـــل فى وصف تشوسر[٥] Chaucer ـ فى مقدمة « قصص كنتربرى » لرئيسة أحد الأديرة وتدعى « مدام إيجلينتاين » التى عاشت فى القرن الخامس عشر وحجت إلى ( كنتربرى ) بصحبة جماعة من رفاقها ـ أصدق دليل على ما اعترى الراهبات من تغيير .

قال تشوسر فى وصفه لمدام « إيجلينتايـن » ( ما نقتطفه ) :

وكان بين تلك الرفقة المختلطة راهبة ( رئيسة دير )

تبتسم ، حين تبتسم ، ببساطة وخفر ..
وكانت تعرف بمدام إيجلينتاين ..

وكانت تتكلم الفرنسية بطلاوة وأناقة عظيمة
بأسلوب مدرسة ستراتفورد ـ ات ـ باو
فما كانت لتعرف فرنسية الباريسيين .

وزد على ما تقدم أن أسلوبها فى تناول اللحم كان حسن التهذيب .

فما كانت لتدع كسرة واحدة تسقط من بين شفتيها

وما كانت تغمس أصابعها فى المرق عميقاً
لقد كانت تستطيع أن ترفع اللقمة إلى فمها
دون أن تدع قطرة واحدة من المرق تسقط على صدرها .

وكانت لها حماسة خاصة فى مجاملة الناس .

وكانت تحرص على مسح شفتها مسحاً نظيفاً
بحيث لا تترك للشحم أثراً يرى على الكأس .
بعد أن تفرغ من الشراب .

وإذا أكلت مدت إلى اللحم يدها برصانة وهدوء .

وكانت يقينا لطيفة المعشر .
مسلية ، مبهجة ، ودودة .

وكانت تجهد نفسها لتصطنع لطف الندماء الظرفاء .

لقد كانت كلها عواطف ، كلها قلب رقيق رءوم .

وكانت تضع خمارها على رأسها بشكل جميل لائق .

وكان أنفها دقيقاً ، رشيقاً ، وعيناها فى زرقة الزجاج .

وكان فمها صغيراً ، ناعماً ، أحمر الشفتين أما رأسها فكان بكل تأكيد ، جميل التكوين يفصله عن الحاجبين جبين عرضه شبر

يقينا : إنها لم تكن ناقصة التكوين أبدا .
ومما لاحظته أن ثوبها كان رائع السحر فاتنا
وكانت تضع على ساعديها سبحة .
من حبات المرجان الصغيرة طوقت طوقين
وكان يتدلى من هذه السبحة المفصلة بحبات خضر
قرص ذهبى رائع التألق ، شديد اللمعان
خط فى أعلاه حرف « أ » وخطت ـ أسفله ـ هذه الكلمات
« الحب يقهر كل شىء »[٦] .

---

(٥) هو الشاعر الإنجليزى « جوفرى تشوسر » عاش فى انجلترا فى الفترة ( ١٣٤٠ ـ ١٤٠٠ ) ومن أهم أعماله وأضخمها « قصص كنتربرى » التى توفى قبل إتمامها .

(٦) بور : نماذج بشرية من العصور الوسطى ، ص ٩٩ ـ ١٠١ .

... كان رجال الدين يعتقدون أن إبليس اللعين قد أرسل ثلاثة أبالسة صغار لهلاك الراهبات هم : « الرقص والملابس والكلاب » .

وربما تطرفت بعض الراهبات فى اللهو كتلك الراهبة « أوستن » فى « نورثمبتن » ورقصت معهم ، وضربت على ( الطنبور ) وقضت الليلة التالية بصبحة الرهبان الوعاظ فى « نورثمبتن » على الطنبور مغنية راقصة كما فعلت فى الليلة السابقة[٧] .

على أنه كانت هناك هواية مارستها الراهبات ولاشك أنهن أخذتها عن السيدات الدنيويات اللائى كن ينزلن ضيوفا على الأديرة ، تلك هى هواية تربية الكلاب .

**تعليم النساء :**

**لقد كان حظ الفتاة من التعليم فى غرب أوروبا فى العصور الوسطى ضئيلا . وكان للمجتمع الغربى نظرة خاصة فى تعليم الفتيات ، فَمَيَّزُوا فيما يتعلق بالتعليم بين الأميرات وبنات النبلاء ، وبين سائر الفتيات ؛ فمثلا نجد أحد المعاصرين ويدعى فرنسيسكودا بارداريتو Fransesco da Bardarino يسمح لطبقة الفتيات النبيلات أن يتعلمن القراءة والكتابة ليتمكَّنَّ ـ فيما بعد ـ من إدارة ضياعهن .**

أما فيما يتعلق ببنات السادة من رجال البلاط ، وكذلك بنات القضاة والأطباء ومن على شاكلتهن ؛ فإنه تردد لمدة طويلة فى الحكم عليهن **ثم قرر أنه من الخير لهن ألا يتعلمن القراءة والكتابة ، وبالنسبة لبنات التجار والصناع فقد كان الحكم حازماً بألا يتاح لهن أى لون من ألوان التعليم .**

إذن ؛ فقد حبذ المعاصرون تعليم الفتيات من طبقة النبيلات فقط ، ولم يكن المقصود من تعليمهن إفادة الفكر أو حب الثقافة ذاتها ، وإنما الدافع لذلك كان إدارياً بحتاً حتى يتمكَّن من إدارة ضياعهن . لذلك كانت الفتاة من هذه الطبقة تقضى بضع ساعات مع مؤدب خاص ، أو ربما التحقت بنوع من المدارس يلتحق به الهواة ليتعلمن القراءة . **وجدير بالذكر أن معظم كتاب العصور الوسطى حبذوا تعليم الفتيات حتى من هذه الطبقة القراءة دون الكتابة حتى لا يستخدمن معرفتهن للكتابة فى تحرير الرسائل الغرامية[٨] . وربما عبر فارس « لاتور لاندرى » عن وجهة النظر المعاصرة بقوله :**

**« أحب أن تكون بناتى قادرات على القراءة ، وفيما عدا ذلك فالبنت يجب أن تتعلم الفضائل من الكتاب المقدس لتعيش فى بيتها عيشة غير شريرة »[٩] .**

أما مدبر البيت الباريسى Managier de paris وكريستين دى بيزان فقد تمسكا بضرورة تعليم النساء القراءة والكتابة[١٠] .

● ● ●

وإلى جانب الدور الذى قامت به الأديرة فى تعليم البنات ؛ فإنه كان من الممكن إرسال الفتيات إلى قصور سيدات الطبقة العليا فى المجتمع ليتعلمن هناك ، ويتدربن على أصول التربية الجيدة[١١]

---

(٧) بور : نماذج بشرية من العصور الوسطى ص١٣

(8) Painter, History of the Middle Ages, P. 465.
La Tour-Landry : Iiver pour L'education de mes filies, P. 36.

(10) Power : Medieval women, PP. 97-80.

(11) Power : Medieval women : P. 82.

ومن الأهمية بمكان أن نتعرف على المواد الدراسية التى كانت الفتيات يتعلمنها فى هذه الفترة الزمنية ، وهذه المواد كانت عبارة عن اللاهوت ، والترانيم الدينية ، وأعمال التريكو وتربية الأطفال وتضميد بعض الجروح ، وكيفية مداواة بعض الأمراض ، والكتابة والرسم ، وفى منتصف القرن التاسع كن يتعلمن الحساب .

وقامت مدارس ستراتفــورد Stratford الفرنسية بتدريس فن الزخرفة والموسيقى ، وأيضاً تحضير العطور ، وعمل المربى والمسكـــرات والحلوى بصفة عامة . ويقال : إن إحدى البنات ألحقت بمدرسة بأحد الأديرة **وهناك تعلمت كثيراً لدرجة أنها تعلمت كيفية تحضير الأرواح . وهذا يدل على إضافة مادة السحر الأسود إلى مناهج الدراسة بمدارس الأديرة[١٢]** .

**معلمـــات** : ( teachers )

ولم يقتصر الأمر على تلقى البنات للعلم ؛ بل قامت بعض النساء بالتدريس فى المدارس وفى عام ١٢٩٢ م سجل اسم إحدى المدرسات اللاتى التحقن بالمدارس الصغيرة Little School فى باريس . وفى القرن التالى أى القرن الرابع عشر ذكر أحد رجال التعليم أن « النساء بقين ودرسن فى المدارس فن النحو والصرف » وفى ١٣٨٠ م وجد اسم إحدى وعشرين مُدَرِّسة مسجلا مع أسماء المدرسين بهذه المدارس .

وقد أثمر تعليم البنات وأخرج أديبات يشار إليهن بالبنـــان مثـــل (مارى دى فرانس) Marie de France و(كريستين دى بيزان) Christine de Pisan التى أطلق المعاصرون عليها اسم ( المرأة المثقفة ) والتى دافعت بقوة وحماس وبلاغة عن تعليم النساء .

وقد ذكرت « كريستين دى بيزان » أن أحد أساتذة الجامعات فى إيطاليا ، قد عمل على تثقيف ابنته ، وكان يرسلها فى بعض الأحيان لتلقى المحاضرات نيابة عنه ، **ولما كانت هذه الابنة رائعة الجمال ، فقد كان والدها يطلب منها أن تضع حجاباً على وجهها حتى لا تصرف انتباه الطلبة عن الدرس** .

وفى نهاية العصور الوسطى زادت نسبة المتعلمات ، وتقول المؤرخة ( بور ) : « أن معظم الرجال والنساء فى القرن الخامس عشر كانوا يعرفون القراءة ، والكتابة وإن كانت تهجئتهم الكلمات وطريقتهم فى الترقيم غريبة ، ولكن ليس فى هذا بأس كبير ، فقد كانت معانيهم جلية الوضوح »[١٣] .

وفى عام ١٤٠٥ فى عهد الملك « هنرى الرابع » ( ١٣٩٩ ـ ١٤١٣م ) ملك انجلترا صدر المرسوم الشهير الذى نص على أنَّ :

« كل رجل أو امرأة ، مهما تكن حالته ، سوف يكون حراً فى إلحاق ابنه أو ابنته للتعليم فى أى مدرسة داخل المملكة »[١٤] .

الكتـب :

**وفى خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر ، أوضحت الوصايا التى تركها أصحابها حيازة النساء لبعض الكتب ، وكانت هذه**

(12) Power : Medieval women, P. 82.

(١٣) بور : نماذج بشرية من العصور الوسطى ، ص١٨٥ .

(14) Power : Medieval women, P. 82.

**الكتب فى معظمها كتباً دينية مثل** : سفر المزامير وترتيل الصلوات ، وفى بعض الأحيان كتب القصائد الشعرية ، وقصص البطولة والمغامرات العاطفية ، وإن كانت إحدى السيدات قد تركت لزوجة ابنها « كل كتبى اللاتينية والإنجليزية والفرنسية » ومعنى ذلك معرفة هذه السيدة لكل هذه اللغات ، كما كانت بعض السيدات يقمن بترجمة بعض الأبحاث الطبية ، وخصوصاً فى أمراض النساء لتستفيد بها السيدات فى علاج بعض أمراضهن دون الحاجة لعرض أنفسهن على طبيب من الرجال .

**وأحد هذه الأبحاث يرجع للقرن الرابع عشر ، ترجم إلى الانجليزية ، وكتب فى مقدمة الترجمة مايلى : « من المستحسن للنساء اللاتى يتحدثن بلغتنا ويقرأن ويفهمن هذه اللغة عن أى لغة أخرى ، وعلى كل امرأة متعلمة أن تقرأ لأخريات غير متعلمات ، وتساعدهن وتشير عليهن بالنصح فى أمراضهن دون أن يُطْلِعْنَ على مرضهن الرجل »**[١٥] .

ملابس النساء ـ الفساتين :

أما فيما يتعلق بملابس النساء ـ فقد كانت عرضة للتطور من وقت لآخر ، وكانت هذه الملابس فى بادىء الأمر بسيطة للغاية ؛ إذ كانت عبارة عن « فستان » طويل يمتد من أعلى الرقبة حتى الأرض . غير أنه بعد ذلك أدخلت عليه تطورات فأصبحت ( الفساتين ) ذات ذيول طويلة وبعضها أصبح ذا فتحات من الصدر ، والبعض الآخر كان على جانب من الاحتشام بحيث يكون مقفلا وذا ( ياقة ) ، وكان ينبغى على السيدة المهذبة أن تولى ( ياقة ) ثوبها عناية خاصة .

كذلك أصبحت أثواب السيدات مطرزة بالشرائط الحريرية ، ومزينة بالأحزمة الفضية ومرصعة بالدبابيس الفضية والمجوهرات .

وقد كانت السيدات يعنين بثيابهن الثمينة كعنايتهن بمجوهراتهن ، وقد كن يرتدينها سنة بعد سنة على مدى العمر . وكن يوصين بها لغيرهن بعد وفاتهن .

المعاطف وقطع الزينة :

كذلك ارتدين المعاطف واستعملت سيدات الطبقة الراقية الفراء الثمين . وكن يضعن فى رءوسهن دبابيس للشعر ذهبية ، وبعد تصفيف شعورهن كن يضعن فوقها عصائب للرأس ، واستعملن أيضاً القبعات العريضة المبطنة بالفرو ، والتى يبلغ عرضها ( عرض الدرقة والترس ) . كما استعملن غطاء للرأس ذا قرون ، وعرفن الشعور المستعارة ، وقد كانت الجباه العريضة هى ( المودة ) الشائعة فى أواخر العصور الوسطى ، لذلك كانت السيدات يحلقن شعر مقدم الرأس لتبدو جباههن أعرض مما هى عليه[١٨] .

ملابس الراهبات وتطورها :

أخذت الأزياء الحديثة تغزو حتى الراهبات ، فأصبحن يرتدين الملابس الغالية الأسعار ، الفاتحة الألوان ، العارية الصدور ، المطرزة بالشرائط الحريرية ، والأحزمة الفضية ، والأحذية المزينة بالشرائط ، واستعملن الفراء الثمين ، ودبابيس

---

(16) Power : Medieval women, P. 84.
(17) Essays in the History of Medicine, Presented to Karl Sudhoff, ed. charles singer and Henry Sigerist, oxford, 1924, P. 129.

الشعر الذهبية ، والقبعات العريضة المبطنة بالفرو . إلى غير ذلك ، تماما كالسيدات الدنيويات .

وقد جاء فى وصف رئيسة أحد الأديرة أنها « تتزين بخواتم ذهبية فادحة الأثمان وأحجار كريمة مختلفة الأشكال والألوان ، وأحزمة مموهة بالفضة والذهب ، وخُمُرٍ حريرية ، وأنها ترفع خمارها فوق جبينها عالياً ، بحيث يصبح جبينها العارى نهباً لأنظار الجميع ، وأنها ترتدى الفرو الثمين ، ثم إنها ترتدى ثياباً مطرزة بالشرائط الحريرية مرصعة بالدبابيس الفضية ، والفضية المموهة بالذهب . وقد جعلت الراهبات يصنعن صنيعها ، ويحتذين مثالها ، وهى ترتدى فوق خمارها قبعة فاخرة بالفرو ، وتتدلى من عنقها قلادة طويلة من الحرير تنتهى أسفل صدرها بحلقة ذهبية وماسة »[١٦]

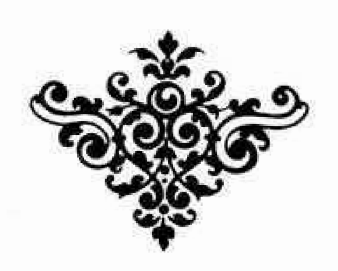
وهكذا نجد أن الراهبات لم يتركن شيئا لم يأخذنه عن السيدات الدنيويات ، حتى مودة الجباه العريضة انتقلت إليهن سريعاً ، فكن يرفعن خُمُرَهن عالياً حتى تظهر جباههن .

وبالإضافة إلى رئيسة الدير هذه جاء فى وصف تشوسر ( لمدام ابجلينتاين ) ما يلى :

أما رأسها فكان بكل تأكيد جميل التكوين

يفصله عن الحاجبين جبين عرضه شبر

وبديهى أنه لو لم تكن هذه الراهبة الرئيسة قد خالفت التقاليد التى تحتم عليها أن ترخى خمارها حتى يلامس حواجبها لما استطاع هذا الشاعر الإنجليزى أن يرى هذا الجبين الذى يبلغ عرضه شبر ... فالمرأة هى المرأة دائماً ، والنساء مولعات فى كل الأزمنة بكل ما هو جديد ، وخاصة إذا كان هذا الجديد يتعلق بالأزياء المبتكرة .



(١٦) بور : نماذج بشرية من العصور الوسطى ، ص ١٢٨ .




### « حقيقة »

قال رجل للحسن : يا أبا سعيد ، أينام الشيطان ؟

فتبسم ، وقال : لو نام لاسترحنا .

### « قضاء .. بالحق »

روى أن سعد بن إبراهيم ، وأبا سلمة بن عبدالرحمن ومحمد بن مصعب بن شرحبيل ، ومحمد بن صفوان قالوا لسعيد بن سليمان بن زيد ابن ثابت .

« لقضاء يوم بالحق أفضل عند الله من صلاتك عمرك » .

### « حقاً »

فإن الصرح يهدم بعـــــد حين
إذا كان البنـــــاء على فساد

### « لا أذكره .. ياأمير المؤمنين »

دخل هشام بن عروة على المنصور ، فقال له المنصور : ياأبا المنذر ، أتذكر حين دخلت عليك أنا وأخي مع أبي الخلائف ، وأنت تشرب سويقاً بقصبة يراع ، فلما خرجنا من عندك ، قال أبي استوصوا بالشيخ خيراً واعرفوا حقه ، فلا يزال في قومكم بقية ما بقي ؟

قال : ماأثبت ذلك ياأمير المؤمنين ، فلامه بعض أهله ؛ وقالوا : يذكرك أمير المؤمنين مايمت به إليك ، وتقول له : لا أذكره فقال : لم أذكره ، ولم يعودني الله في الصدق إلا خيراً .

### « العقلاء ثلاثة »

قال يحيى بن معاذ الرازي ــ رحمه الله : العقلاء ثلاثة : من ترك الدنيا قبل أن تتركه .

وبنى قبره قبل أن يدخله
وأرضى خالقه قبل أن يلقاه .



### « ما يقال عند القراءة فى الدرس » أو الاختبار

اللهم ألهمني علما أفقه به أوامرك ونواهيك .

وارزقنى فهما أعلم به كيف أناجيك ياأرحم الراحمين .

اللهم ارزقنى فهم النبيين ، وحفظ المرسلين وإلهام الملائكة المقــربين ، برحمتك ياأرحــم الراحمين .

اللهم أكرمنى بنور الفهـم وأخرجنى من ظلمات الوهم ، وافتح لى أبواب رحمتك وانشر على من خزائن علمك ياأرحم الراحمين .

### أول صلاح الأمة وأول فسادها »

أول صلاح هذه الأمة فى الزهد واليقين وأول فسادها : فى البخل والأمل .

### من قصيدة

□ لابن النبيه يرثى ولد الناصر أحمد أمير المؤمنين »

الناس للموت كخيل الطراد
فالسابق السابق منها الجوادْ
والله لايدعـــــو إلى واره
إلا استصلح من ذى العبادْ
والموت نقــاد على كفــــه
جواهر يختــار منها الجيــادْ
والمرء كالظــل ولابـــد أن
يزول ذاك الظل بعد امتدادْ
لا تصلـــح الأرواح إلا إذا
سرى إلى الأجساد هذا الفساد
أرغمت ياموتُ أنوفَ القَنا
ودست أعناق السيوف الحدادْ



### « أول دعوى أهل الجنة »

أول دعوى أهل الجنة : « لا إله إلا الله » وآخر دعوى أهل الجنة : « الحمد لله رب العالمين لما ورد : أن كلمة التوحيد « مفتاح الجنة » وقال تعالى : « وآخر دعواهـم أن الحمـد لله رب العالمين » .



### « يشترك الخلائق »

عشرة أشياء يشترك فيها جميع الخلائق : الموت والحشر وقراءة الكــتب والحساب والميــزان والصراط والسؤال والجزاء والبعث والصعق .



### « دعاء »

اللهم ياهادى المضلين ، وياراحم المذنبين ، ومقبل عثرات العاثرين نسألك أن تلحقنا بعبادك الصالحين .







## حديث لفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج

شيخ الأزهر الأسبق


إعداد وتقديم : عبد الفتاح حسين الزيات


شرع الله الإسلام ديناً صالحاً لجميع خلقه فى كل زمان ومكان ؛ لأنه دين الإنسانية فلا ينفك عنها فى أى من أطوارها يهديها ويرشدها ، ويرسم لها الطريق المثلى لحياة كريمة .

وقد حفز الإسلام بعضا ممن ليسوا مسلمين ، فجاءوا إلى أهل العلم به يسألونهم عن مبادئه ، وكيف يتعامل مع المتغيرات التى تطرأ على العالم ، وهل الإسلام يستشعرها ويتفاعل معها ، أم أنه بمعزل عنها ؟

فى هذا الحديث إبراز لدور الإسلام على مسرح الحياة وهو دور رائد يشهد له ما تضمنه من سنن وقوانين جاءت أساسا بالدرجة الأولى ـ لتصنع تلك الحياة .

قال الأستاذ الأكبر ـ رحمه الله ـ



حضر إلى إدارة الأزهر لمقابلة حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر ، شيخ الجامع الأزهر الأساتذة : هانى ألمان . فرنسيس ج . جولدنغ . الكونت جيرارد رنسون ، الهر هانز جورج جارنز ، من جماعة التسلح الخلقى العالمية .

وطلبوا من فضيلته أن يحدثهم عن مبادىء الإسلام ، وموقف تعاليم الإسلام والمسلمين إزاء التغيرات التى يمر بها العالم اليوم ، وما يلاحظ من التحول عن الناحية المادية إلى الاتجاه الروحى والخلقى ، وبينوا أن فى شعوبهم اتجاها لهذه الناحية .

فحدثهم فضيلة الأستاذ الأكبر عن الإسلام حديثاً مستفيضاً ، شرح به مبادىء الإسلام القويمة ، وتعاليمه السامية ، وبدأ حديثه بقوله :

« أنا شاكر لكم هذه الزيارة الكريمة ، ومسرور بها كل السرور ؛ لأنها تدل على أنه لايزال فى الناس من يعنى بتأكيد الروابط بين الأمم وبين مصر ، وعلى الخصوص الأزهر ، كجامعة ثقافية عالمية ، تنشىء أبناء المسلمين على مبادىء الإسلام السليمة والثقافة العلمية الصحيحة .

ومن ناحية واجب الأزهر ودراساته الدينية ومبلغ تأثره بالنواحى الخلقية ؛ فالإسلام جاء بأمرين عظيمين :

الأول : الأساس فيه عبادة الله وحده ، وتقديسه وحده ، وألا يعترف بكائن من كان بالاشتراك فيما يستحقه من هذا التقديس .

فالمسلم لايعبد إلا الإله الواحد ، ولا يقدس إلا الإله الواحد ، ولا يجوز لإنسان أن يذل لإنسان آخر ؛ لأنه مثله فى الإنسانية ، ولايحق لأحد أن يقدس أحداً آخر ، لا أميراً ولا ملكاً ، ولا رئيساً ؛ فإن الله هو الخالق ، والتقديس واجب له وحده .

## موقف الإسلام

هذا الأساس ـ وهو أساس التوحيد الصحيح ـ إلى جانبه جاءت مبادىء تنظم علاقة الإنسان بالله الذى يستحق ـ وحده ـ هذه العبادة وهذا التقديس ، وإلى جانبه مبادىء أخرى لاتقبل التغيير ولا التبديل ، وهى المبادىء الخلقية : من الصدق ، ومعاونة الضعيف ، والوفاء بالوعد ، وحب العمل النافع المنتج ، والحث على النظام والتعاون والمؤاخاة ، والعمل على استتباب الأمن والسلام فى جميع أنحاء العالم . هذه المبادىء فى مجموعها هى الأساس الثانى . والمسلم أخو المسلم فى كل البقاع ، ومصر فيها مسلمون وغير مسلمين ، والكل أمام الإسلام فى الحق وفى الواجب سواء .

والإسلام روحه حب السلام ، والعمل على تمكين روابط المحبة والألفة والتعاون بين الناس ، وهو يرمى ـ دائماً ـ إلى نشر السلام فى بقاع الأرض . والإسلام لايحب العدوان ، وفى جميع الحالات التى اضطر فيها المسلمون فى عهد رسول الإسلام إلى أن يستخدموا القوة لم يكونوا بادئين بعدوان ؛ بل كانوا دائما يعملون على الإقناع بالحق ، وبالحجة من طريق السلام .

والمسلمون فى ذلك العهد ، وتحت زعامة الرسول ﷺ كانوا فى حالات استعمالهم القوة مضطرين كل الاضطرار ، وكان يكرههم الأعداء المحيطون بهم إكراها بالغ الحد على أن يستخدموا هذه القوة التى لابد لهم من استخدامها ، ليردوا عن أنفسهم وعن وطنهم عدوان أولئك المعتدين عليهم .

والإسلام لا يأخذ الناس بادىء الأمر بالشدة والقوة ، فقد جاء فى القرآن الكريم قوله تعالى ( لا إكراه فى الدين ) ﴿ يأيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة ﴾ .

كان إكراه أعدائهم لهم فى استعمال القوة على ألوان مختلفة : مرة بحشد الجيوش والقوات لمحاربة المسلمين ، والإحاطة بهم من كل جانب ، وكان مرات كثيرة أخرى بالحيلولة بين الدعاة إلى السلام من أهل دين الإسلام وبين أن يقوموا بواجبهم الدينى فى التعليم والتثقيف ودعوة الناس إلى عبادة الله وحده وعدم تقديس غيره ، والدعوة أيضاً إلى نبذ الأخلاق الفاسدة ، والعادات الذميمة ، والظلم ، وعدوان الناس بعضهم على بعض ، كانوا يحولون بين الدعاة وبين غاياتهم التى لايقصدون من ورائها حربا ولاتسلطا ولااستعماراً ، ولكنهم كانوا يقصدون بها إنقاذ الناس من الجاهلية ومن فوضى الأخلاق ، ومن جميع العادات والتقاليد التى لا يرضاها الدين لعباد الله .

الإسلام حينما يراد بأهله الشر والظلم والغدر والجور ، فإنه لايجيز فى هذه الحالة الضعف والاستكانة والتزام خطة الذلة ، وإنما يأمر أهله بالدفاع القوى ، والاستماتة فى هذا الدفاع ، لايفرق فى هذه الحالة بين معتد ومعتد . وعلى درجات هذا العدوان ، وبحسب تفاوتها يكون كفاح المسلمين وجهادهم وتعاونهم لرد ذلك العدوان .

والإسلام لايحابى ولايمارى . ومبادئه يجب تنفيذها على كل إنسان من أهله . ومن يرتكب مخالفة أو جريمة ، فإنه لايعفيه من المؤاخذة قرابته لصاحب جاه أو نبى أو رسول من رسل الله ، فقد قال فى ذلك رسول الله ﷺ ما معناه : لو أن فاطمة بنته سرقت لأخذها بالعقوبة كما يأخذ غيرها ممن يرتكب هذه الجريمة .

الإسلام يأمر أهله بالعمل للدين وللدنيا معاً ، وليست تعاليمه مقصورة على أوامر الصلاة والزكاة والصيام والحج وما إلى ذلك من أنواع العبادات والطاعات ، وإنما يأمر أهله ويحثهم حثا قويا شديدا على العمل للدنيا ، لتعميرها واستثمار ما فيها من قوى ، والانتفاع بما فى الأرض من ذخائر وكنوز ومعادن ، وما إلى ذلك .

فالاقتصار على النوع الأول وهو العبادة ، يعتبره الإسلام رهبانية . وهو لايجيزها للمسلمين كنظام عام ، فإن من المبادىء المحكمة فى الدين الإسلامى ، أنه لا رهبانية فى الإسلام .

وفى النوع الثانى الذى يطلب به العمل للدنيا يحذر من التهالك على هذه الدنيا إلى درجة تضعف القيام بالواجب الأول ؛ فإن هذا مذموم أيضاً ؛ لأنه يسبب طغيان المادية على المثالية الروحية السامية ، التى لابد للإنسان منها ، والتى لا يستطيع العالم أن يعيش فى سلام بدونها . وقد أخذ الإسلام فى هذه الناحية ـ ناحية العمل الدنيوى ـ بنظام يمكن أن يعبر عنه بأنه نظام اشتراكى ، ولكنه نظام اشتراكى انفرد به الإسلام ، فهو لا يسخر المجموع لمصلحة فرد ، ولا يفنى جهود الفرد لأجل المجموع ، وإنما يحرص على أن يكون للفرد كيانه وقوامه وحريته التى يحافظ معها على حرية غيره ، ثم هو مع ذلك يحتم عليه أن يقوم للمجموع بنصيب عظيم من جهوده . وهذا هو أساس نظام الزكاة فى الإسلام ، فإنه يفرض على أهل الثروة والغنى أن يكون لغيرهم من الفقراء والضعفاء نصيب وحق

فى أموالهم ، ولكن ذلك بنسبة خفيفة لا تؤثر على الغنى فى ماله ، وهى فى الوقت نفسه تقوم بمصالح الفقير الضعيف هذه النسبة قدرها الإسلام بجزء من أربعين جزءاً ، من الثروة فى كل سنة ، فالإسلام لا يذهب مذهب المادية ، ولا مذهب الرأسمالية العنيفة ، ولا مذهب الشيوعية ، ولا مذهب الاشتراكية المتطرفة ، ولكن نظامه فى هذه النواحى هو نظام الاعتدال من غير إفراط ولا تفريط .

هذه نبذة صغيرة من تعاليم الإسلام وأخلاقه ، ومصر بوجه عام ، والأزهر بوجه خاص يرحب بكل دعوة تدعو إلى نشر الفضائل والأخلاق الجميلة التى انكمشت فى عصرنا الحاضر عند غالب الأمم ؛ لتأثير الناحية المادية وتغلبها وطغيانها على النفوس .

وأنا أكرر لحضرات الزائرين عظيم سرورى وارتياحى لزيارتهم . وفوق ذلك قد سرنى كل السرور أنهم من دعاة هذه الفكرة ، فكرة العمل على نشر مبادىء السلام والمحبة والأخلاق الفاضلة بين جميع الناس ، لا فرق بين أهل قطر وقطر ، وأمة وأمة ، فإن هذه الفكرة التى يقومون بالعمل فى سبيلها ، هى جملة ما يدعو إليه الإسلام وتعبير صادق عن مهمته .

وأرجو أن تتعاون الجهود فى جميع الدول على تحقيق هذه الفكرة الصالحة الرشيدة ، ونحن نستعين فى ذلك بقوة الله وعنايته .

وتأكيداً لسرورى لهذه الزيارة أحب أن أقول : إن لى كتاباً صغيراً يعالج بعض هذه الشئون من وجهة نظر الإسلام ، هو الآن تحت الطبع ، وسيتم طبعه قريباً ، وسأعمل على أن أهدى إلى حضرات الأعضاء فى مركزهم العام بجنيف نسخاً منه ، ورجائى أن يتقبلوه رمز محبة ومودة ومناصرة لهم على عملهم الجميل .



# مع ديوان «على أعتاب الرِّضا»

بقلم: محمد عبد الوهاب

حفل تاريخ الأدب العربى بكوكبة من الشاعرات عبر مراحله المختلفة ، وتُعدّ الشاعرة (جليلة بنت مُرّة) أولى الشاعرات مع طلائع الشعر الجاهلىّ ، وريادة (المهلهل)- شقيق زوجها ( كليب ) - لبدايات الشعر .. ولم يحفظ لنا التاريخ سوى قصيدتها الخالدة : ( القاتلة المقتولة ) ، فى رثاء زوجها ، وهى آية فى البلاغة وروعة الصياغة .. وتُعد ( ليلى بنت لكيز ) ، وتعرف بليلى العفيفة- التى توفيت عام ٤٨٣ م - من أقدم الشاعرات ، وكذلك (عفيرة بنت عفّان ) التى أورد ( الأصفهانى ) بعض شعرها بالأغانى ( جـ١ ص ١٢٠ ط بيروت ) ، و(خرنق بنت بدر بن هفان)- وهى أخت (طرفة بن العبد) لأمّه - و(زهراء الكلابية) ، و( صفيّة بنت عمرو الباهليّة ) ، و( سعدى الجهنيّة ) و( السلكة أمّ السليك ) ، و( عمرة الخثعميّة ) ، و( ليلى بنت وهب ) ، و( مريم بنت طارق ) ، و( عصماء بنت مروان الأمويّة ) ، و( الخنساء ) ، و( قتيلة بنت الحارث ) التى أسلمت يوم الفتح و( زينب بنت الطثرية ) ، و( عاتكة بنت عبدالمطلب ) عمّة رسول الله ﷺ وغيرهن .

كل أولئك شاعرات لهن قدم راسخة فى هذا الميدان .

وشهد العصر الأموى ( أم حكيم ) زوج الشاعر ( قطرى بن الفجاءة ) ، و( ضاحية الهلالية ) و( سورة بنت عمارة ) ، و( ليلى الأخيلية ) ، التى كانت بينها وبين الشاعر ( توبة بن الحمير العقيلى ) مطارحات شعرية مشهورة .

كما شهد العصر العبّاسى ، الشاعرات ( سلاّمة القس ) ، و( فضل ) ، و( عريب ) المغنيّة الشاعرة و( محبوبة ) ، و( الأميرة عليّة بنت المهدى ) .

وشهدت الأندلس ( حسّانة اليتيمة ) ، و( أم الكرام بنت المعتصم بن صمادح ) وجاريتها ( غاية المنى ) ، و( حفصة بنت حمدون الحجازية ) و( العبادية ) جارية المعتصم ، و( ولادة

بنت المستكفى ) و( اعتماد ) جارية ( المعتمد بن عبّاد ) و( حمدونة بنت زياد ) ، وتعرف بخنساء الأندلس ، و( نزهون الغرناطية ) . وغيرهن .

حتى إذا صرنا فى مطلع العصر الحاضر ، وجدناه يموج بالعديد من الشاعرات ، منذ مستهل القرن الحالى ، وفى مقدمتهن الشاعرة الرائدة ( عائشة التيمورية ) ، و( ملك حفنى ناصف ) باحثة البادية ، و(أمية نجيب) و( زينب فوّاز ) و( منيرة توفيق ) و( مريانا المر ) و( مارى عجمى ) ، ثم فى أيامنا هذه : ( جليلة رضا ) و(نازك الملائكة) و(فدوى طوقان) و(روحيه القلينى) و(ماجدو ذو الفقار) و(شريفة فتحى) و(نجاة شاور ربيـــع) و(لورا الأسيوطـــى) و .. ( عليّة الجعّار ) ، التى أخرنا إثبات اسمها لتكون وقفتنا مع شعرها وشخصيتها ، فى ديوانها الجديد : ( على أعتاب الرضا ) .

نشأتها :

ولدت الشاعرة ( عليه الجعار ) بمدينة طنطا سنة ١٩٣٥ م . وتلقّت تعليمها الابتدائى والثانوى بمدارسها ، ثم التحقت بكلية الحقوق بجامعة القاهرة ، وتخرجت فيها سنة ١٩٦٠ م . وفازت طوال سنوات الدراسة بلقب : ( الجامعية المثالية ) ، وكانت تعكف فى هذه الأثناء على استظهار روائع الكتب والدواوين الشعرية بمكتبة والدها ، وبدأت شاعريتها فى التفتّح فى بواكير حياتها .

وعملت بالصحافة والمحاماة لمدة عامين بعد تخرجها ، إلا أنها آثرت العمل بالإذاعة بعد ذلك ، وتدرّجت فى مناصبها حتى شغلت وظيفة ( مدير عام الشئون القانونية ) .

وقد قامت الشاعرة بأداء فريضة الحج لأوّل مرّة سنة ١٩٦٤ م . ، وأصدرت ديوانها الأول : ( إنى أحب ) سنة ١٩٦٤ م . وفيه تقول فى مناجاة إلهية صوفية :

**خطّاءة أنا ـ يا رباه ـ يدفعنى ... إلى الخطيئــة ماحُمّـلتُ من طين**
**إنى أحبك ، لا خوفا ولا طمعا ... ولا اتخذت حبيبـا عنك يُلْهينـى**
**إن كنت أسأل عما قد أتيت به ... من الشفاعة .. إنّ الحبّ يكفينى**

ثم تقول فى أثناء وقوفها أمام الروضة الشريفة ، بتوسّل ورجاء :

**فحبّــى له فى دمــى .. فى فؤا ... دى بأعمــق أغــوار أعماقيــة**

ثم تتساءل بفرحة ووجْد :

**أحقا أنا فى رحـاب الــرسول ... أحقــا ظفــرت بأحلاميـــه ؟**
**أجل : إنّ هذى دمــوع لقـــاء ... على وجنتــىّ .. همَتْ جاريــة**

● ● ●

وبعد أن نمضى فى هذا الديوان صعدا ، تشدُّنا أبياتها فى وصف ( لقيط ) ألقت به أمه إلى الطريق العام فى ليلة شتوية ، تزأر فيها الرياح مع البؤس والضياع ، تقول :

فى ليلـــة ظلمــاء غطَّــى بَدْرَهـــا كفُّ الغمـــام
والـــريح تعـــوى كالذئـــا ب تهزّ أحـــلام النيـــامْ
والبرد كالسوط الحديـــد مضى يعربـــد فى العظـــام
وإذا به .. ملقـــى وحيـــداً تحت أقـــدام الأنـــام
طفـــل يذوب طفولـــة مازال فى سن الفطـــام
جاءت به أمٌ وألْـــقتْ : ( قلبهـــا ) دون اهتمام
تركتْـــهُ يَلْقَـــى وحـــده الدنيـــا .. وذابتْ فى الزحـــامْ

ثم تهيب بأمه بصوت فاجع النبرات

يا أمُّـــهُ ، عودى لهُ هل قُدّ قلـــبك من رخـــام ؟

واستخدام لفظ ( قلبها ) فى البيت السادس غير مناسب بالنسبة لأم باغية كهذه ، فلا يجوز وصف طفلها بأنّه ( قلبها ) ، فهى امرأة بلا قلب ، كما بيّنت الشاعرة ، لإقْدامها على إلقاء طفلها فى موطىء الأقدام ، وأصح من استخدام لفظ قلبها ـ فيما أرى ـ : لفظ ( طفلها ) فقط ، فهو وحده أبلغ فى الدلالة والتأثير كذلك قولها( سنّ الفطام ) يُناقض الحوادث من هذا القبيل ، إذ ـ عادة ـ ما تتخلص الآثمة من طفلها بمجرد ولادته ..

على أن هذه الأبيات قد قد أظهرت توفُّر العنصر الدرامى فى شعر ( علية الجعار ) ولو أنها مضت فى تطوير الحدث ، وعاشت بخيالها وتأملاتها مع ما يمكن أن ينتهى إليه هذا الطفل ، فى مرحلة الصبا والشباب والرجولة ، حيث تتلقفه أجواء الشر والإجرام ، ليعيث فساداً ، لماضيه المُزْرِى ، وحياته الحافلة بالآلام والأوصاب ، كما اتفـــق ( لجان فالجان ) فى روايـــة ( البؤساء ) المشهورة ، لفيكتور هيجو ، على سبيل المثال ..

ومهما يكن من أمر ، فكم نتمنى على الشاعرة أن تتطرّق لمعالجة مثل هذه الموضوعات الإنسانية النبيلة ، التى تُجيد وَصْفها ، وحتى تثرى رُؤَاها فى موضوعات قصائدها .. وتجد مجال الكتابة ، والإبداع .

● ● ●

والديوان الجديد يُعرف من عنوانه : ( على أعتاب الرضا ) بأنّه وَقْفٌ على الشعر الدينى الوجدانى ، من الألف إلى الياء ، وهو مفعم بالتراتيل الرخيمة فى محراب الوجد والحب الإلهى ؛ لأنه يواكب مرحلة جديدة تمر بها الشاعرة : علية الجعار ، التى جعلت حياتها الوجدانية كلها سلسلة متصلة الحلقات فى حب الله سبحانه ، ورسوله ﷺ وآل البيت رضوان الله عليهم ، كما اتفق لأستاذها ، وأستاذنا الشاعر الراحل : محمود جبر فى معظم نتاجه الشعرى ، وتتبين ذلك بجلاء ووضوح فى قصيدتها : ( على أعتاب الحسين ) إذ تقول :

أتـــانى الشعـــــر بسّام المحيّـــــا وأهـــدانى القـــوافى والرويّـــــا
توضّأ من سنــــا الإيمان حتـــــى تبــدّى فى خيــالى : لُؤْلُؤيّــــا
فرحت أصوغ من أسْمَى المعانى نشيداً صادق النجـوى شجيّـــا
وجئتك سيّدى ، أشدو ، وأشدو ويعلــو فى المدى صوتى قويّـــا

وليتها قالت فى آخر بيت : ( أهفو ) وأشدو ليكون التعبير أقوى وأبلغ ..

وفى ( السيدة زينب ) رضى الله عنها ، وقفت تناجى وتقول :

إنى أحـــــــــبّك أنتِ يا بنت أكـــــــــرم بِنْت
يا زهـــــــرة قد تسامت فى ظلّ أطهـــــــــر بيت
يا بضعـــــــة من علـــــىًّ وللبتـــــول انـــــتسبت
فى نور ( طه ) نشأت ومـــــن هداه ارتـــــويت
فالنـــــور بالنـــور يُسْقَـــــى والخير بالخير يأتى
يا بنت بنت حبيـــــــــى وسيّــــدى .. يا ( ستّــــى )[1]

ومن وحى ( السيدة عائشة ) أم المؤمنين ، تقول :

نبــع يفـــيض ، فينهل الفقهـــاء نجم يضىء ، فيقــبس العلمــــاء
مَنْ مثل عائشة النبــوّة ، من له فى الدين فقه مثلها ، وعطـــاء
حسناء فى عمــر الزهــور يزينها عقـــــل كبير ناضج ، وذكاء
تلميـــذة فى بيت خير معلـــم تقتات منه العلم ، كيف تشاء

ثم تشق الشاعرة طريقها إلى ( أصحاب النبى ) ﷺ ، لتصفهم بقولها :

حول النبــى كواكب تتألّـــقُ من فيضه تُسْقَى الضياء وتغدق
ما إن دعــا لله حتــى آمنـــوا بالله رب العــالمين ، وصدقــــوا
السابقــون الأولــون إلى العــلا الفائــزون بقمــة ، لا تلحـــق
الزاحفون إلى الجهــاد إذا دَعَــا هبّوا له ، وتقدّمــوا ، وَتَفوَّقــوا
العاشقــون لربّهــم سبحانــــه والعبــد محسوب[2] على من يعشق

ثم تعطينا الشاعرة صورة رائعة لمن تتجافى جنوبهم عن المضاجع بقولها :

الساهرون ، الساجـدون تقرّبـــا والدمع فوق خدودهم يترقــرق
فى حضرة المختار كانوا صحبـــة فتآلفوا ، وتكاتفــوا ، وتحلّقــوا

---

(١) جاءت هذه اللفظة لتفسد بعاميتها تلك الترنيمة العذبة .
(٢) قرأنا فى الأخبار « المرء مع من أحب » فلعل الشاعرة تلمح إلى ذلك .

إلى هنا تمضى الشاعرة فى رحلتها الروحية بوثوق ورسوخ قدم ، إلاّ أنّنا إذا أردنا أن نعطى النقد حقّه ، لاحظنا أنّ الدفقة الشعورية تختلف عند الشاعرة من قوة إلى ضعف ، فهى فى لحظة جيشان العاطفة يجىء تعبيرها قويًا متدفّقا ، أما إذا اقتصرت على شرح بعض الآيات القرآنية ، جاء تعبيرها تقريرياً مباشراً ، خاليا من زخّات الفنّ ، وتطريزه ، كقولها مثلا فى « تفسير » الآية الشريفة : ( وممّا رزقناهم ينفقون ) :

جاءت بها وبفرضهـــــا الآيات ... وبها يعــــــمّ الخير والبركات

والمال فى ظلّ الــزكاة مطهّـــر ... ويزيــده الإحسان والصدقــات

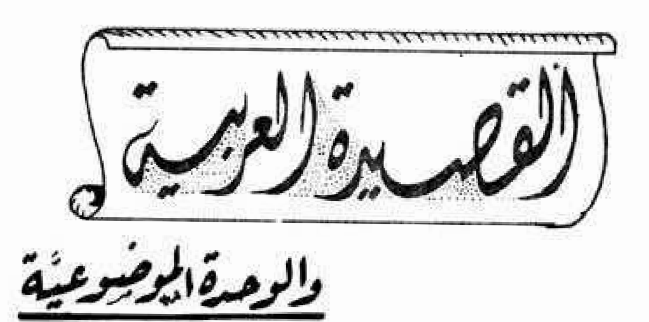
والمؤمنون تسابقوا ، وتصدّقــوا ... لله ، حيث تضاعـف الحسنـات

فلهــم جزاء المحسنين وأجرهــم ... فى الخلــد فوز دائم ، وحيـــاة

فهذا الشعر ـ على قدسيّة معناه ـ هو أقرب إلى النظم الجيّد ، منه إلى الشعر المحلّق .. وقِسْ على ذلك قصائد أخرى مماثلة بالديوان بها زوائد تعبيرية متعدّدة ، وهذا لايمنع من أنّ الحسّ النقدى لدى الشاعرة متوهّج يقظ ، كما يبدو ذلك فى تخيُّرها للألفاظ الأكثر إشعاعا ودلالة .

هذا ، على أن اللهجة الخطابية ذات النبرات العالية فى بعض القصائد تُبعدنا إلى حد ما عن عمق التذوّق .. وليت الشاعرة تعيد النظر فى ( شدّ ) أوتار ربابتها التى تعزف عليها ألحانها ، بحيث تستطيع ـ بشفافية واستغراق لازمَيْن ـ أن تلج بنا إلى أجواء أكثر شاعرية وعمقا ، تحفل بالأسرار والرموز ، التى تحقّق الجماليّة والإشراق ، بتكثيف الرؤى ، وتصوير الأحاسيس الباطنية ، بدقة ورهافة حس ، بعيداً عن المباشرة التى تأتى على حساب المقاييس الفنّيّة ، التى تجنح للتلوين والابتكار ، بمعزل عن التقليد والاجترار ، والتعبير الكلاسيكى المألوف ..

وما من شك فى أن مجال الإبداع مفتوح أمام الشاعرة على مصراعيه ، وطموحنا إلى عطاء شعرى متميز ، ملىء باللوحات والنبضات ، هو الذى يدفعنا إلى مصارحة الشاعرة بوجهة النظر التى تتعاطف ولا تتنابذ ، وتنتظر الخير الكثير من شاعرة ، كعلية الجعّار ، تقف فى صف مع كبريات شاعراتنا المعاصرات .



# القصيدة العربية والوحدة الموضوعية

للأستاذ/أحمد مصطفى حافظ

مازلنا نجد ـ فى عصر صدر الإسلام ـ من القصائد ، ذات الوحدة الموضوعية ما نرى انه لابد من إثباته لاسيما ، وهى قصائد ليست ـ جميعاً ـ من لون واحد حتى لا يدعى مدع فيقول : نعم كانت الوحدة الموضوعية موجودة فى الشعر القديم ، لكن كان وجودها قاصراً على (الرثاء) مثلا .!

نقول ـ عن ثقة : لا ؛ فقد وجدنا الوحدة الموضوعية تضرب أطنابها على أكثر من لون فى الشعر العربى فهى فى قصائد الرثاء ... والحماسة ... والغزل ... و...الخ .

وفى ذلك بيان يؤكد خطل الرأى الذى أنكر على هذا الشعر وحدته الموضوعية ؛ بل إنا لنقرر ـ آسفين : أن الذين ادعوا هذه الدعوى ، واحتضنوا هذه الفكرة فرموا الشعر القديم بالتفتت الموضوعى ... هؤلاء لم يقرأوا ... ولم يبحثوا ... ولم يتفرغوا لدراسته فزعموا ما زعموا ، وهم فى غيبوبة من حماس طارىء لغربى جديد زعموه ( إماما ) فى الفن ؛ فإذا هو ( تابع ) لايتمتع بأهلية الوقوف أمام هذا الشعر العتيق .

وجدنا «الوحدة العضوية» على أحسن ماتكون : «مصدرها المبدأ الذى يصبغ جميع عناصرها بلون واحد ، والذى ينساب فى أطرافها جميعاً كما تنساب العصارة الخضراء التى تغذى الشجرة : جذراً وساقاً ... أغصاناً وأوراقاً» .

كما يقول الأستاذ الدكتور مصطفى بدوى الذى يمضى فيقول[1] :

ولهذا فنحن نطلب من القصيدة التى تتحقق فيها الوحدة أن ترتبط عناصرها جميعاً كما يرتبط الجذر والساق .. والأغصان والأوراق ؛ فيؤدى كل عنصر فيها وظيفة حقة ، غير منفصلة عن الوظيفة التى يقوم بأدائها عنصر آخر ، بحيث تسير هذه الوظائف مجتمعة فى اتجاه واحد ، وتؤدى إلى غاية واحدة هى الأثر الكلى الذى تولده القصيدة فى نفس القارىء .

---

(١) انظر للدكتور مصطفى بدوى ـ دراسات فى الشعر والمسرح ص٧ ط٢ ـ ١٩٧٩ .

ولنقدم نماذج من هذا العصر الكريم :

فهذا « كعب بن مالك الخزرجي ــ رضى الله عنه ــ صحابى أنصارى جليل ، يعتبر أحد شعراء رسول الله ــ ﷺ ــ الذين نافحوا عن الإسلام ، وترصدوا أعداءه فى أكثر من ميدان يقول ــ فى وصف إحدى المعارك :

عجبتُ لأمر الله ــ والله قادرٌ ... على ما أرادوا .. ليس لله قاهرُ

قضى يوم بدر أن نلاقى معشراً ... بَغَوْا .. وسبيل البغي بالناس جائر

وقد حَشَدُوا واستنفروا مَنْ يليهمُ ... من الناس ، حتى جمعهم متكاثر

وسارت إلينا ــ لا تحاول غيْرنا ... بأجمعها : كعْبٌ جميعا وعامرُ

وفينا رسول الله ــ والأوْس حَولَه ... له معقل منهم عزيز وناصر

وجمْعُ بنى النجار تحت لوائه ... يمشون فى الماذىّ[٢] والنقع ثائر

فلما لقيناهم ، وكلٌّ مجاهد ... لأصحابه ، مستبسل النفس صابر

شهدنا بأن الله لارب غيره ... وأن رسول الله بالحق ظاهر

وقد عَرِيتْ بيضٌ خِفاف كأنها ... مقاييس يُزْهيها لعينيك شاهر

بهن أبَدْنا جمعهم فتبددوا ... وكان يُلاقى الحَيْنَ مَنْ هو فَاجر

فَكُبَّ أبو جهل صريعا لوجهه ... وعتبة قد غادَرْنَهُ وهو عاثر

وشيبة والتَّيْمى غادَرْنَ فى الوغى ... وما منهمو إلا بِذى العرش كافر

فأمْسَوْا وقود النار فى مستقرها ... وكلُّ كفور فى جهنم صائر

وكان رسول الله قد قال : أقْبلُوا ... فولَّوْا وقالوا : إنما أنت ساحر ؟

لأمر أراد الله أن تهلكوا به ... وليس لأمر حَمَّه الله زاجر

وهذه الأبيات تدع قارئها مشدوداً إليها ، لتسلسل وصف وقائعها كأنك تشهد المعركة رأى العين .

وكذلك نشهد هذا التلاحم فى أبيات خُبَيْب بن عدى ــ رضى الله عنه ــ الذى اخْتُطِف وأحاط به الأعداء ليُعْدِموه ، فقال مستبسلا يصف ما مَرَّ به :

لقد جمع الأحزاب حولى وألَّبُوا ... قبائلهم ، واستجمعوا كل مَجْمع

وقد قرَّبوا أبناءهم ونساءهم ... وقُرِّبْتُ من جذع طويل مُمنَّع

وكلهمو يبدى العداوة جاهداً ... علىَّ .. لأنى فى وثاق بِمَضْيع

إلى الله أشكو غُرْبتى بعد كُرْبتى ... وَمَا جَمَّعَ الأحزابُ لى عند مَصْرعى

فذا العرش صَبَّرَنى على ما أصابنى ... فقد بَضَعُوا لَحْمِى وقد ضَرَّ مطمعى

---

(٢) الماذى : الدرع .

وذلك فى ذات الإلـه ، وإنْ يشَـأْ — يُبـارِكْ على أوْصالَ شِلْوٍ مُمَـزَّع
وقد عَرَّضُوا بالكفر ، والموت دونه — وقد ذَرفت عينـاى من غير مدمع
ومـا بى حَذار الموت ، إنى لَمَيِّتٌ — ولكـن حذارى حَرّ نارٍ تَلَفَّـع
فلستُ بِمُبْـدٍ للعـدوِّ تخشُّعـا — ولاجزعـاً .. إنى إلى الله مَرْجِعِـى
ولستُ أُبالِـى ـ حين أُقتـل مسلمـا — على أىِّ جنب .. كان فى الله مصرعى

وهو أول من صُلِبَ فى سبيل الله . أسد الغابة ترجمة رقم ( ١٤١٧ ) .

وهذه لوحة رائعة أخرى يقدمها لنا الشاعر الأنصارى قيس بن صِرْمة ـ رضى الله عنه ـ أسلم عند قدوم النبى ـ ﷺ ـ إلى المدينة ، وهو يصف فيها مراحل جهاده ـ ﷺ ـ وموقف أهل المدينة فى حفاوتهم وترحيبهم :

ثَوَى فى قريش بضعَ عشرةَ حجـةً — يُذَكِّـرُ لو يَلْقـى صديقـا مُوَاتيـا
ويعـرض فى أهـل المواسم نفسه — فلـم ير مَنْ يُؤْوى ، ولم ير داعيـاً
فلمـا أتانـا .. أظهـر الله دينـه — فأصبـح مسروراً ، بطيبـة راضيـاً
وألْفى صديقاً ، واطمأنتْ به النـوى — وكان له عوْنـا من الله باديـا
يقص لنـا ما قال «نوح» لقومـه — وما قال «موسى» إذْ أجاب المناديـا
وأصبح لا يخشى من النـاس واجـداً — قريباً .. ولا يخشى من الناس .. نائياً
بَذَلْنـا له الأمـوال من جُلّ مالنـا — وأنفسنا ، عنـد الوغـى ، والتآسيـا
ونعلـم أن الله لا شىء غيره — ونعلـم أن الله أفضل هاديـا

وبحر وقافية هذه القصيدة يذكرنا بقصيدة أخرى متفردة ، لا نستطيع إغفالها ، لـ« مالك بن الرَّيْب » ، الذى كان صعلوكاً .. يقطع الطريق مع « شظاظ الضبىِّ » الذى يضرب به المثل ، فيقال : ألَصُّ من شظاظ .

كان مالك جميل الصورة ، فصيحاً لبيباً شاعراً .. ورآه « سعيد بن عثمان بن عفان » ( رضى الله عنهما ) فى أثناء ولايته لإمارة خراسان ، وكان مالك فى نفر من أصحابه .

فقال له سعيد : ويحك يا مالك ! ما الذى يدعوك إلى ما بلغنى عنك من العداء وقَطْع الطريق ؟

قال : أصلح الله الأمير ! العجز عن مكافأة الإخوان[٣] !

قال : فإن أغْنيتك واستَصْحبتك ، أتكف عما تفعل وتصحبنى ؟

قال : نعم . أصلح الله الأمير ، أكف كفًّا ما كَفَّ أحد أحسن منه .

واستصحبه سعيد ، وأجرى عليه خمسمائة دينار فى كل شهر ، وكان معه فى جهاده كأعظم ما يكون المجاهدون فى سبيل الله[٤] ، وحسنتْ توبته ، ثم مات بلدغة أفعى ، وقيل : طُعِن فسقط

---

(٣) أسوة بما كان يفعلهُ عروة بن الورد ، رئيس الصعاليك فى العصر الجاهلى ..

(٤) أنظر كتاب ( مع الرعيل الأول ) للمرحوم الأستاذ محب الدين الخطيب ص١٨٥ الطبعة السادسة سنة ١٣٩٧هـ .

وهو بآخر رمق أنشد قصيدته اليائية الشهيرة فى رثاء نفسه ، وهى أشبه ما تكون بسيرة ذاتية تصور اغترابه ، ووشك رحيله ، وتُعَدُّ نموذجا للتجول بين موقفين ، متباعدين ، من خلال زمنين جمع بينهما الشاعر ، فكان ممثلا لنهاية عصر ، وبداية آخر هو عصر بني أمية[٥] اقتحم خلالهما «الحدود الفاصلة بين سلوك الصعلوك ، وسلوك المجاهد الإسلامى»[٦] تقرأها فتشعر كأن حروف كل بيت فى هذه القصيدة ، تسعى أبياتها إلى التمازج والاتحاد برغبة جامحة يعانق كل بيت حروف البيت الذى يليه ، ويضمّه إليه كجزء ضرورى من ذاته كما يقول صاحب الديوان الشرقى .

والقصيدة تظهر لنا ـ فى جلاء ـ استهانة مالك بن الريب بالموت ، وامتثاله لقضاء الله ـ عز وجل ـ هذا الامتثال الذى يتبدى فى أكثر من قصيدة نسوق منها ـ قبل أن نعطى القارىء القصيدة اليائية ذات التنويه ـ قال مالك : يناجى بها ابنته ، وكأنها إرهاص بما لَقِيه بعد ذلك :

| | |
|---|---|
| ولقـد قلتُ لابنتـى وهْـى تبكـى | بدخيـل الهمـوم قلبـا كئيبـا |
| عبرات يكـدْن يَجْرحْـن ماجُـزْ | نَ به ، أو يدعْـن فيـه نُدُوبـا |
| حَذَرَ الحتْـفِ أن يصيب أباهـا | ويـلاق فى غير أهـل شعوبـاً[٧] |
| اسْكُتِى !.. قد حَزَزْتِ بالدمع قلبى | طالما حزَّ دَمعُكُـنَّ القلوبـا |
| أنـا فى قبضة الإلـه إذا كُنْـ | تُ بعيـداً ، أو كنت منك قريبـا |
| كم رأينـا أمـرءا أتى من بعيـد | ومقيمـا على الفـراش .. أصيبـا |
| فدعينـى من انتحـابك ، إنى | لاأُبـالى .. متـى اعتزمْتِ النحيبـا |

فأما قصيدته الطويلة فى رثاء نفسه ، فإنا نراه يطلق نفسه فيها على سجيتها ، ويبكيها ما طاب له البكاء ، ولم يلجأ إلى التجلد الذى حدثنا عنه أبو ذؤيب الهذلى فى قصيدته العينية :

| | |
|---|---|
| وتجلُّـدى للشامتـين أُريهمُ | أنى لريْب الدهـر لاأتضعضع |
| حتـى كأنى للحـوادث مروةٌ[٨] | بصفـا المشقـر[٩] كل يوم تقـرع |
| لابـد من تلـف مقيم ، فانتظـره | أبـأرض قومك ، أم بأخرى المضجـع |
| ولقـد أرى أن البكـاء سفاهـةٌ | ولسوف يُولـع بالبُكـا .. من يُفجـع |
| وليـأتين علـيك يومٌ .. مرة | يُبكـى علـيك .. مُقنّعـا لاتسمـع |
| والنـفس راغبـة إذا رغّـبتها | وإذا تردُّ إلى قليـل تقنـع |

---

(٥) أنظر كتاب (أشكال الصراع فى القصيدة العربية) للدكتور عبدالله التطاوى جـ٢ ص٥٨٩ سنة ١٩٩١ .

(٦) المصدر السابق ص٥٩٣ .

(٧) شعوباً : موتا .

(٨) المروة : حجارة بيضاء صلبة .

(٩) صفا المشقر : حجارة بحصن المشقر بالبحرين .

وهذه الأبيات من مقدمة قصيدة طويلة لأبى ذؤيب ، يرثى فيها أبناءه الخمسة الذين احتسبهم عند الله ـ تعالى ـ وهى بدورها تمثل وحدة فنية ، بتسلسل وثيق ، يبدأ بمقدمة ذات ارتباط حميم بموضوع الرثاء ، تليه ثلاث قصص يصف فيها حالات الموت المتباينة ، دون أن يتحدث بأسلوب مباشر تقريرى عن فجيعته فى أبنائه ، بل يعمد إلى الرمز والإيحاء ، وإن أطلق أحَرَّ الزفرات بين تضاعيف أبياته .

وبعد : فتلك قصيدة مالك بن الرَّيْب لترى مافيها من عمق وترابط ، بوحدة موضوعية متلاحمة ، على الرغم من طولها المفرط ، وهو لم يلجأ فيها إلى المقدمة الطَّلَلِيَّة ، ولم يعمد إلى تصريع البيت الأول منها ، أو الإكثار من المحسنات البديعية ، بل مضى قدما يقدِّم نفسه بنفسه ، فى لحظاته الأخيرة ، وبخطٍّ نفسىٍّ دقيق ، يربط أجزاء القصيدة بإحكام ومواءمة .. يقول [10]

ألا ليت شعـرى هل أبيتـنَّ ليلــةً ... بجنب الغضا أُزجى القلاص النواجيا [11]

فليت الغضا لم يقطع الركب عرضه ... وليت الغضا ماشى الركاب لياليــا [12]

لقد كان فى أهل الغضا لودنا الغضا ... مزارٌ .. ولكــن الــغضا ليس دانيــا

ألــمْ ترنى بعتُ الضلالــة بالهُـــدى ... وأصبحت فى جيش ابن عفان غازياً

وأصبحت فى أرض الأعــادى بعدمــا ... أرانى عن أرض الأعـــادى قاصيــا

دعانى الهوى من أهل « أوْدَ » وصحبتى ... بذى الطبسَيْـــن فالتـــفتُّ ورائيــا

أجـبتُ الهوى لما دعـــانى بزفـــرةٍ ... تقنَّـــعتُ منها ـ أن ألامَ ـ ردائيــا

أقول ـ وقد حالت قرى الكرد بيننا : ... جزى الله عَمْـراً خير ما كان جازيــا

إن الله يُرْجِعنـــى من الغـــزو لا أرى ... وإن قلَّ مالى طالبـــاً ما ورائيـــا

تقول ابنتى ـ لما رأت طـول رحلتـى : ... سفـارك هذا تاركـــى لاأبــا لِيــا

لعمرى لئـن غالَتْ خراسان هامتـــى ... لقـــد كنتُ عن بَابَـــىْ خراسان نائيــا

فإن أنــجُ من بابَــىْ خراسان لاأعُـدْ ... إليها وإن منيتمـــــونى الأمانيـــا

فللّــهِ درى يــوم أتــرُكُ طائعــاً ... بنــىَّ بأعلى الرَّقْمـــتين وماليـــا [13]

ودرُّ الظبـــاء السانحات عشيــةً ... يخبِّـــرن أنى هالكٌ مَنْ ورائيـــا [14]

---

(١٠) اعتمدنا فى إثبات هذا النص للقصيدة، على كتاب الدكتور عبدالله التطاوى ، الذى أوردها كاملة بكتابه (أشكال الصراع فى القصيدة العربية ص٥٨٩ ـ ٥٩٢) والغضا : شجر ينبت فى الرمل ، ويبدو أنه يكثر فى بقاع وطن الشاعر وهو يكثر من ترداده بشغف يذكرنا بالشاعر الآخر الذى يردد بلهفة نبات العرار المنتشرة فى نجد بقوله : تزوّد من شميم عرار نجد فما بعد العشية من عرار .

(١١) القلاص النواجيا : جمع ناجية ، أى الناقة السريعة العدو .

(١٢) الركاب : الرواحل والإبل .

(١٣) لله درى : تعجب من نفسه حين اغترت عن ولده وماله وأهله .

(١٤) السانحات : الظباء المنطلقة فى وجهه يُتشاءم منها .

ودرّ الرجال الشاهدين تفَتكي ... بأمرِيَ ألا يقْصُروا مِنْ وثاقيا[١٥]

ودر الهوى من حيث يدعو صحابتي ... ودرّ لجاجاتي ودرّ انتهائيا[١٦]

تذكرت مَنْ يبكي عليَّ فلم أجد ... سوى السيف والرُّمح الرُّدَيْنيّ باكيا

وأشقر محبوكٍ يجرُّ عنانه ... إلى الماء لم يترك له الموت ساقيا

ولكن بأكناف السمينة نِسْوَةٌ ... عزيز عليهن العشيَّة مابيا

صريعٌ على أيدي الرجال بقَفْرةٍ ... يُسوُّون لحدى حيث حُمّ قضائيا

ولما تراءت عند مَرْوٍ منيَّتي ... وخلَّ بها جسمي وحانت وفاتيا[١٧]

أقول ـ لأصحابي : ارفعوني فإنه ... يقَرُّ بعيني إن سهيلٌ بداليا[١٨]

فيا صاحِبي رحلي دنا الموت فانزلا ... برابية إني مُقيم لياليا

أقيما عليَّ اليوم ، أو بعض ليلة ... ولاتُعْجِلاني قد تبيَّن شانيا

وقوماً ـ إذا ماستُلَّ روحي ـ فَهَيِّئا ... لِيَ السِّدر والأكفان عند فنائيا

وَخُطَّا بأطراف الأسنة مُضجعي ... ورُدّا على عينيَّ فضل ردائيا

ولاتحسداني ـ بارك الله فيكما ... من الأرض ذات العرض أنْ تُوسِعا ليا

خُذاني فجُرَّاني بثوبي إليكما ... فقد كنتُ قبل اليوم صعباً قِياديا

وقد كنتُ عَطَّافاً إذا الخيل أدبرتْ ... سريعاً لدى الهيجا إلى مَنْ دعانيا[١٩]

وقد كنت صبَّاراً على القِرْن في الوغى ... وعن شتمِيَ ابن العم والجار دانيا[٢٠]

فطَوْراً تراني في ظلال ونعمةٍ ... وطوراً تراني والعتاق رِكابيا

ويوماً تراني في رَحىً مستديرة ... تخرِّقُ أطراف الرماح ثيابيا[٢١]

وقُوما على بئر السَّمينة فاسمعا ... بها الغُرَّ والبيض الحسانَ الروانيا[٢٢]

بأنكما خلَّفْتُماني بقفرةٍ ... تُهيلُ عليَّ الريحُ فيها السوافيا[٢٣]

ولاتنسيا عهدي ـ خليليَّ ـ بعدما ... تقطَّعُ أوصالي وتَبْلَى عظاميا

ولن يعدم الوِلْدان بَثًّا يعينهم ... ولن يعدم الميراث مني المواليا[٢٤]

---

(١٥) تفتكي : جرأتي وتهوري .

(١٦) لجاجاتي : اندفاعاتي .

(١٧) خلّ : أُثقل واضطرب وهزل .

(١٨) يريد أن سهيلا لا يرى بناحية خراسان ، فقال لأصحابه ارفعوني لعلي أراه فتقر به عيني لأنه لا يراه إلا في بلده .

(١٩) عطافا : يستدير ناحية العدو : أي يكر ولا يفر .

(٢٠) القرن : الخصم .

(٢١) الرحى : موضوع الحرب مستديرة : حيث يستدير القوم للقتال .

(٢٢) الرّواني : النواظر .

(٢٣) تهيل : تثير .

(٢٤) البث : أشد الحزن .

يقولون : لا تبعد ، وهم يدفنوننى ... وأين مكان البعد إلا مكانيا

غداةَ غدٍ يالهف نفسى على غدٍ ... إذا أدلجوا عنّى ، وأصبحتُ ثاويا[٢٥]

وأصبح مالى من طريفٍ وتالدٍ ... لغيرى ، وكان المال بالأمس ماليا

فياليت شعرى هل تغيَّرت الرَّحا ... رَحا المثل أو أمست بفَلْجٍ كما هيا[٢٦]

إذا الحىُّ حلوها جميعا وأنزلوا ... بها بقراً حُمَّ ... العيون سواجيا[٢٧]

رَمَيْن وقد كاد الظلامُ يُجنُّها ... يسُفْنَ الخزامى مرّةً والأقاحيا

وهل أتركُ العيس العوالىَ بالضحى ... بُركبانها تعلو المتانَ الفيافيا[٢٨]

إذا عُصَب الرُّكبانَ بين عُنيزة ... وبَوْلان عاجوا المُبْقيات النواجيا[٢٩]

إذا مُت فاعتادى القُوىَ وسلّمى ... على الرَّمْس . أُسْقيتِ السحاب الغواديا

رهينة أحجار وتُرب تضمنتْ ... قرارتها منى العظامَ البواليا[٣٠]

فياصاحباً إما عرضْتَ فبلغَن ... بنى مازن والرَّيب أن لاتلاقيا

وأبصَرْتُ نار المازنيات مَوْهناً ... بعلياء يُثنى دُونها الطرف دانيا

بعُودِ النَّجوج وقد أضاء وقُودُها ... مَها فى ظلال السّدْرِ حُوراً جوازيا

غريب بعيدُ الدار ثاوٍ بقفرةٍ ... يَدَ الدهر معروفاً بأنْ لاتدانيا[٣١]

أُقلّبُ طرفى حول رحْلى فلا أرى ... به من عُيون المؤنسات مُراعيا

وبالرمل منا نسوة لو شهِدْننى ... بكَيْن وفَدَّيْن الطبيب المداويا

وما كان عهد الرمل عندى وأهلِه ... ذميما ولا ودَّعْتُ بالرمل قاليا

فمنهنَّ أُمّى وابنتىَّ وخالتى ... وباكيةٌ أخرى تُهيجُ البواكيا

---

(٢٥) الإدلاج : السير من أول الليل .

(٢٦) المثل : موضوع يقال له رحى المثل .

(٢٧) البقر : يريد به هنا النساء .

سواج : سواكن .

(٢٨) المتان : ج متن وهو المكان المرتفع .

(٢٩) المبقيات : التى يبقى سيرها .

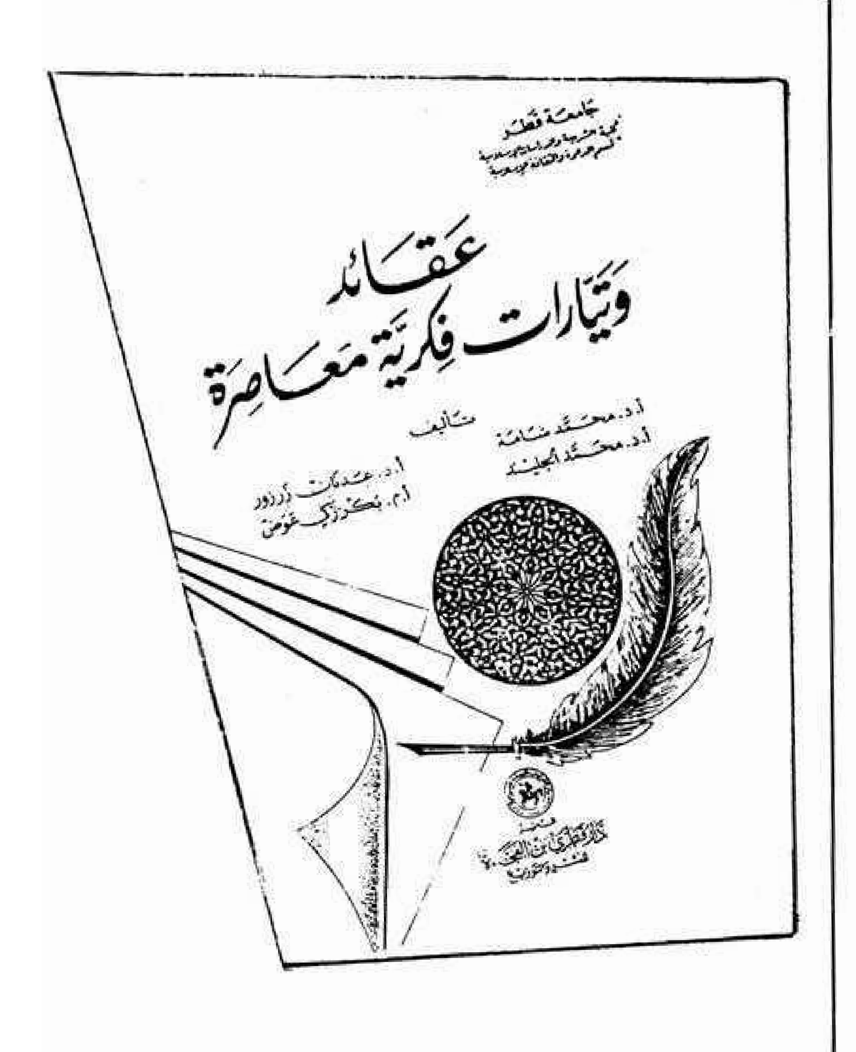
النواجى : التى تنجو بسيرها أى تسرع .

(٣٠) رهينة أحجار : أى فى القبر على التراب والحجارة .

(٣١) يد الدهر : أبَدَ الدهر .

# أضواء على كتاب

عرض وتقديم :
م. محمد البشير
حسين نافع




الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده .

وبعد :

فليس من شك أن الإسلام مستهدف ـ دائما ـ من قوى عاتية حاولت ـ ولا تزال تحاول ـ جاهدة تحجيمه والسيطرة عليه ، ولكن الله تعالى ناصر دينه .

﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ ﴾

سورة الحج / ٤٠

وقد أصبحت أمتنا الإسلامية ـ ولله الحمد ـ فى يقظة من أمر هذه القوى التى تناوىء الاسلام وتناصبه العداء مثل الشيوعية ، والصهيونية ، والصليبية ، والهندوسية ، والقاديانية ، وغيرها من العقائد والنظم الفكرية .

ولقد اهتمت دراسات كثيرة بكشف القناع عن هذه التيارات والوسائل التى تستخدمها وإبراز الأهداف التى ترمى إليها ، بغية تبصير المسلمين بأمرها وتحصينهم من أخطارها ، ولعل من أهم هذه الدراسات ؛ الكتاب الذى بين أيدينا : « عقائد وتيارات معاصرة »[1].

**هذا الكتاب الذى قام بتأليفه نخبة من الأساتذة المتخصصين وهم : أ.د. محمد شامة ، أ.د. عدنان زرزور ، أ.د. محمد الجليد ، أ.م. بكر زكى عوض .**

والكتاب يقع فى حوالى ٣٩٠ صفحة من القطع المتوسط ، وقد نجح هؤلاء المؤلفون إلى حد كبير فى تحقيق الهدف من إنشاء هذا المؤلف وهو : تشكيل مناعة عند المسلم بأولوية تطبيق نظام الحياة فى الإسلام من جهة « وتشكيل مناعة » ضد ما يخالف هذا النظام أو يناقضه من الفلسفات والعقائد والنظم المخالفة من جهة أخرى ، وقد باتت المترجمات والمؤلفات والدوريات ووسائل الإعلام المختلفة تغزو العالم الإسلامى حتى أصبح من الضرورى تحصين الشباب ـ وطلبة الجامعات بوجه خاص والمسلمين بوجه عام ـ من أخطارها .

استعرض الكتاب فى مباحثه أبرز المبادىء والعقائد والنظم التى شكلت تحديا للثقافة الإسلامية ، أو انطوت على تناقض مع أحكامها ومسلماتها ، أو تلك التى حاول أصحابها تشويه الثقافة الإسلامية ، وتفسيرها على نحو لا يتصف بالحيدة والموضوعية ، والكتاب يشتمل على تسعة مباحث ، ويندرج تحت كل مبحث عدة فصول :

تناول الكتاب ـ فى المبحثين الأول والثانى ـ دراسة حول تاريخ اليهود وعلاقتهم بالرسل والأنبياء والملائكة ، ثم موقفهم من الإسلام منذ عهد النبوة الخاتمة إلى عصرنا الحديث ، كما ركز على أصل ( الصهيونية ) ونشأتها وما قدمته لخدمة اليهود فى العالم معرِّجاً على توضيح ( البروتوكلات ) والهدف منها .... الخ .

أما المبحث الثالث : فقد تحدث عن المسيحية وموقفها من الإسلام ، وتعريف بالمسيح والحواريين ؟ فى ضوء العهد الجديد ،ومصادر التشريع عندهم ، ثم ألقى الضوء على عقيدة المسيحية وفكرة الصلب والفداء ، ورسالة المسيح فى ضوء الإسلام ، ومعتقدات النصارى وموقف القرآن الكريم منها ، وموقف المسيحيين من الإسلام .

---

(*) مدير عام الإدارة العامة لإحياء التراث الإسلامى بالأزهر .

(١) نشرته دار قطرى بن الفجاءة للنشر والتوزيع بالدوحة ـ قطر .

وفى المبحث الرابـــع : كان الحديث عن الاستشراق والتبشير ، حقيقتهما وأسبابهمـــا والدوافع والأهداف ، وموقف المستشرقين من الفكر الإسلامى ، وموقفهم من القرآن الكريم .

وأما المبحث الخامس : فقد فنّد سياسة التنصير فى العالم الإسلامى ، والبعثات والمؤسسات التبشيرية ، وتاريخ أهم البعثات التبشيرية .

والمبحث السادس : ركـز على القوميـــة ـ تعريفها وعوامل نشأتها ومقومـــاتها ـ ثم تجاوزات الفكر الغربى التى بلغت حدا سافرا من التناقض مع الإسلام والثقافة الإسلامية ، ومحاولة تضخيم تاريخ ما قبل الإسلام والاعتداد به ؛ محاولين تحجيم دور الإسلام ، بل والأخطر من ذلك ربط القومية ببعض الأفكار والمذاهب والفلسفات الاجتماعية الغربية على الإسلام .

أما المبحث السابع : فقد بسط القول فى الإلحاد والعلمانية ، وتناول تاريخ التدين ، وَبَيَّنَ أن الإلحاد مناقض للفطرة الإنسانية . موضحا أن الدين ليس مرحلة ، ومبينا نشأة العلمانية فى المجتمع الأوربى من حيث النشأة والمفهوم ، وفصل الدين عن الدولة وموقف العلمانيين من العلم والتقدم العلمى ... الخ .

وأما المبحث الثامن : فهو عن الشيوعية .

وآخر المباحث : عن القاديانية ، وتأثرها بالديانات الأخرى ، والعوامل التى كانت سببا فى ظهورها .

**وتعتبر الشيوعية ، من أكبر عوامل الهدم فى العالم الإسلامى ، ثم فشلت وانهارت فى عقر دارها وصارت نذير شؤم على من سار فى ركابها .**

**وقد كانت خيبة الأمل كبيرة لمن بُهِرَ بشعاراتها ، فصار أول من اكتوى بنارها ، ولقد تنفست مجتمعات الستار الحديدى الصعداء لزوالها ولاستعادتهم فطرتهم السليمة وانهارات الشعارات الفجة من مثل التقدمية ـ الاشتراكية ـ الحرية ـ العدالة الاجتماعية ـ السلام .. الخ . حيث تبين أنها (بالونات) مليئة بالهواء لم تترك تحتها تقدما ولا عدالة ولا سلاماً ، وصدق فى أدعيائها قول الله ـ تعالى ـ :**

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴾

**الحج ـ آية : ١١**

لقد جمعت الشيوعية مساوىء الفكر وآثام ما فسد من العقائد كالصهيونية وما شاكلها ، وكان انهيار الشرعية نذيرا بانهيار أمثالها مما انطوى على فكر ضال ينكر الإنسانية ، ويحارب تقدمها وَتَنْمُر بخداع الماركسيين للمسلمين داخل روسيـــا نفسها :

وجهت الحكومة السوفيتية سنة ١٩٦٧ م نداءها الرسمى الأول إلى المسلمين داخل روسيا جاء فيه « لقد سقطت ممالك المغتصبين والقراصنة الرأسماليين ، وأن الأرض تغلى تحت أقدام المعتدين الاستعماريين ، يا مسلمو روسيا يا من خربت مساجدكم ، وهدمت بيوت عبادتكم ، نعلن

لكـم : أن عقائـدكم الدينيــة ، وشعائــركم ، ومنشآتكم القومية ستعيش فى جو من الحرية دون أن يعوقها عائق فلكم الحق فى ذلك ».

والواضح أن الدافع وراء هذا النداء ، هو محاولة كسب المسلمين إلى جانب الشيوعيين حتى يطمئنوا لهم ، يشهد بذلك ما تلاه من خطوات ، فقد كونت موسكو فى يناير سنة ١٩١٨ م لجنة مركزية ـ أطلق عليها اسم ـ « المجلس الأعلى للشئون الإسلامية » !! وأولتها عناية خاصة ، ومنحتها الحماية الكاملة ، ودعمتها بالأموال اللازمة دون حساب ، وقد حصرت مهمة اللجنة فى بادىء الأمر فى شئون المسلمين داخل الاتحاد السوفيتى ، ثم سمح لها فيما بعد بتوسيع دائرة اختصاصها لتشمل المسلمين فى أرمينيا وغيرها من البلاد المجاورة ، وبهذا تدخلت هيئة سوفيتية لأول مرة ـ دون مواراة أو مداراة ـ فى مسائل تتعلق بشئون إقليم خارج الاتحاد السوفيتى فى ذلك الوقت .

سـقوط الأقنعـة :

ولما رفض المسلمون داخل روسيا الأفكار الشيوعية ، سقطت أقنعة التسامح الدينى الذى تظاهر به أقطاب الشيوعية بادىء الأمر ، فأغلقوا عددا كبيرا من المساجد ، وجمعيات تحفيظ القرآن الكريم ، ولم يهدموا المساجد بل حولوها إلى دور للسينما والمسارح ومدارس للإلحاد ، ومتاحف ، وقد تستروا على هذه الأخبار داخل ما يسمى « بالستار الحديدى » حتى لا تتسرب إلى البلاد الإسلامية الأخرى فتؤذى مشاعرهم .

علاقة الماركسيين بالمسلمين خارج روسيا :

أما المسلمون خارج روسيا فقد وجهت إليهم الحكومة السوفيتية بيانا جاء فيه : « ... يا مسلموا الشرق يا إيرانيون ، يا أتراك ، يا عرب ، يا من مارس المغتصبون ـ الاستعماريون القادمون من أوربا التجارة قرونا طويلة ، بأرواحكم وأموالكم وحرياتكم وأوطانكم ، يا من قسّم دياركم هؤلاء النهاب الذين أشعلوا الحرب العالمية نعلن لكم :

أن معاهدات القيصر المخلوع السرية ، التى نُصَّ فيها على السماح له بغزو القسطنطينية بالقوة قد مزقت ومحيت من الوجود ، فبعد أن تنتهى العمليات الحربية ، ستسحب القوات الروسية مباشرة من إيران وستكفل الحرية للشعب الإيرانى ، ليقرر مصيره بنفسه عن طريق استفتاء شعبى حر .

أثر هذا النداء على العالم الإسلامى :

حددت هذه الكلمـــات أسس الاتجاه السياسى ، الذى تظاهر السوفيت بالالتزام به تجاه العالم الإسلامى حيث تنتشر انتفاضة ضد المستعمرين ، وكان البلشفيون يقصدون من وراء هذه الوعود ـ التى لم يلتزموا بها ـ استغلال هذه الموجة التحررية ، التى عمت أرجاء العالم الإسلامى لتمهيد الأرض أمام معتقداتهم ، وسرعان ما تجاوبت أصداء البيان الروسى بهذه الموجة وأحدث رجع الصوت دَوِياً فى أرجاء المنطقة ، فتزايدت الأصوات فى تركيا وفارس ، وهللت للبيان الروسى ، ووصفته بأنه وثيقة الحرية الكبرى ، كما أثر النداء فى الفكر الإسلامى تأثيرا

كبيرا ، إذ اختط قنوات وعبّد طرقا للفكر الماركسى الإلحادى ، وظهرت معالمه فى كثير من أوجه النشاطات الفكرية والسياسية ، ونلمح أثر ذلك فى قيام روابط بين ما يسمون أنفسهم بالثوريين فى البلاد الإسلامية ، وفى وضع الخطط لقيام اتحاد يعمل على إنشاء رباط ثورى بين التيارات المتطرفة فى الأقاليم الإسلامية ، وهكذا استطاعت روسيا أن تضع السم فى العسل وتتقرب من هذه الحكومات التى أبدت استعدادها وميلها للعمل معها ، ليكون لهم وضع خاص عند تنفيذ مآربهم المشئومة .

هجـوم سـافر :

ولكن سرعان ما كشف النقاب عن حقيقة الشيوعية الصارخة وهى محاربة الإسلام بارتكازها أساسا على إنكار وجود الله ـ عز وجل .

وقد وقع فى هذه المصيدة عدد قليل من المثقفين وبعض المفكرين فى العالم الإسلامى ، فأخذوا يروجون هذه الأفكار ويدعون أن الشعوب السوفيتية تغلبت على التأخر الاقتصادى والثقافى وأحرزوا تقدما اقتصاديا لم يسبق له مثيل . ثم بدأ الهجوم السافر على الإسلام صراحة فكتبوا[1] : « يعتبر القرآن والسنة الشريفة كتب الإسلام المقدسة ، وقد ألفت هذه الكتب فى العصور الوسطى فى زمن سيادة الإقطاع ، وتبرز هذه المؤلفات الجو الطبقى ، وظلم الشعوب المغلوبة ، وليست هذه المؤلفات الدليل الوحيد على الماضى الأليم ، إذ لا تزال مبادؤها تطبق كقوانين فى البلاد التى تتخذ الإسلام دينها الرسمى .

ثم بين الكتيب الموقف الحقيقى للشيوعيين فى بلاد الإسلام حيث يقول : « وقد اختلف التقدميون فى آرائهم كليا مع تعاليم القرآن » كما يُرْمَى بالتأخر كل من يتمسك بالتعاليم الدينية ويقرر الكُتيب أن الإيمان بالله لا قيمة له فى المجتمع ، وأن الدين ما هو إلا سعادة وهمية وإلغاؤه عمل ضرورى لجلب السعادة الحقيقية .

وقد رد المؤلفون فى فصل مستقـل على ( ترهات الشيوعية ) ومبادئها الفاسدة ، وبينوا أن الإسلام لم يتعارض مع مفاهيم التقدم والعدالة ، بل نادى بها فى الكتاب والسنة ، كما نادى بالحرية وضمن لمن اتبع طريق الله حياة طبيعية فى الدنيا والآخرة فهذا هو الإسلام ـ النظام العام ـ الذى ارتضاه الخالق سبحانه لعباده ، من يتبعه لا يخاف ولا يحزن فى الدارين مصداقا لقول الله ـ تعالى ـ لآدم ـ عليه السلام ـ فى سورة البقرة ٣٨ ، ٣٩ .

﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾

المسـلمون فى مفترق الطريق :

وبعد أن وضحت الصورة أمام العالم ـ كله ـ شرقه وغربه فقـد آن الأوان لمن خدعتهم ـ الشعارات الزائفة ، أن يعودوا إلى رشدهم ،

(١) فى الكتيب الذى نشرته جمعية نشر العلوم السياسية بموسكو عام (١٩٦٨) « كليموفيتش » .

ويهتدوا إلى صوابهم ويلجأوا إلى ربهم ويعلنوا توبتهم عَلَّ الله يقبلها منهم والله غفور رحيم .

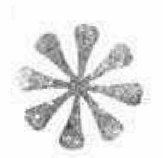
﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ .

**الآية ٧٤ من سورة المائدة**

نعم إن المجتمع الإسلامى - فى مفترق الطريق ، يلتقط أنفاسه من هول الشوط الذى قطعه على مدى قرن مضى ، تجاذبته فيه تيارات أقضت مضجعه ، وتهاون الكثير من أبنائه فى عقائدهم وعباداتهم ، حتى أوشكت أن تصبح صورة لا حياة فيها .

وبعد .. كنا نود إلقاء أضواء أشد على الروابط التى تصل بين المذاهب المعادية للإسلام ومدى تعاونها ، وبخاصة فيما بعد الحرب العالمية الثانية ، وكيف برعت هذه المذاهب فى استقطاب تلاميذها من أبناء البلاد الإسلامية ليكونوا بدورهم معالم هدم فوق خشبة مسرح تخفى كواليسه وجوها قبيحة تحرك هذه الأدوار .

مهما يكن من شيء ، فإن البحث يعطى غزارة فى جانب سيئات هذه المذاهب تفيد الداعية بغير شك .





بين المجلة والقارئ

إعداد وتقديم د/ محمد عبد الحكيم محمد

## البارودى صاحب السيف والقلم

تنعم المجتمعات – فى كل عصر – بالعديد من النوابغ الفكرية والسياسى. والأدبية التى تبرز فيها وتحمل على كاهلها عبء التثقيف والتنوير والدفاع عن مقدرات الأمة وطموحاتها.

وهؤلاء يكونون ذخراً لأمتهم فى حياتهم؛ بينما يخلد التاريخ ذكراهم بعد وفاتهم.

ويذخر تاريخ مجتمعنا المصرى وأمتنا العربية بالكثير والكثير من هؤلاء العلماء والأدباء الأفذاذ الذين برعوا فى التاريخ الأدبى والوطنى، وطارت شهرتهم فى الآفاق، منهم شاعر وأديب أسهم بدور ملموس فى تأجيج نار الثورة العرابية، وكان من أبرز المكتوين بنارها.

حول «محمود سامى البارودى» ونبذه عن تاريخه وكفاحه، كتب إلينا الأستاذ/ عماد الدين عبدالمنعم .. بدار طباعة النقد بالبنك المركزى:

اكتحلت عينه بنور الحياة سنة ١٨٣٨ وتوفى سنة ١٩٠٤م، وهو فى الأصل من أسرة جركسية لها جاهها ونسبها العريق، فكان أبوه حسن حسنى البارودى من أمراء المدفعية، وصار فى عهد «محمد على» مديرا لبربرة ودنقلة – فى السودان – ولقب بالبارودى نسبة إلى «إيتاى البارود» بمديرة البحيرة.

أتم تعليمه وتخرج فى المدرسة الحربية سنة ١٨٥٤م، وكان يتمنى أن يحقق فى الجندية آمالا وطموحات وبطولات عظيمة كآبائه، ولكن لم يجد من يعينه على هذه الطموحات، فعكف على دراسة التاريخ الأدبى، وأخذيغذى عقله ويضيء قلبه بنور المعارف، وكانت ملكة الشعر تُلحُّ عليه، فأخذ يقلد الشعراء فى أروع قصائدهم حتى صار بعد ذلك من أبلغ الشعراء.

ويمثل شعر البارودى إضافة جديدة إلى التراث العربى فى عراقته وأصالته، وكان يردد أبياته المشهورة زاهيا فخورا بنفسه فيقول:

أنا مصدر الكلم البوادى
بين المحاضر والنوادى
أنا فارس أنا شاعر
فى كل ملحمة وناد

وكان يتحدث عن الظلم والظالمين فيقول:

يا أيها الظـالم فى ملكــه
أغرك الملك الـذى ينفـد
أصنع بنا ما شئت من قسوتك
فالله عدل والتـلاق غد

وعندما نفى إلى «سرنديب» عانى من ألم الوحدة وفراق الوطن ماجعله يقول .

لم اقتـرف ذلـة تقضى على بما
أصبحت فيه فماذا الويل والحرب
فهل دفاعى عن دينى وعن وطنى
ذنب أدان به وأغتـــرب

وهكذا .. مضت حياته الأدبية مشتعلة بالأفكار الوطنية والحس الأدبى المرهف".

## شوقا اليك يامصر

كما ألقى السيد/حسن باوا محمد «الهندى الجنسية» هذه القصيدة فى حفل افتتاح الدورة الثالثة والعشرين بمدينة البعوث الإسلامية بالأزهر الشريف :

لقد أصبحت نفسى تتوق إلى مصر
ومن دونها أرض المهامة والقفـر
بغرتكـم يا غرة الديـن والـورى
وأنت عماد الديـن والعلـم والخير
من المركز السُّنّـي أزجـى تحيـة
ومن جانب الأستاذ شيخى أبى بكر
بفضل سماحتـه وعمـق يقينـه
وصلنا إلى مصر إلى ساحة الـبشر
وفضل علـّى شيخنـا وإمامنـا
فضيلتـه جاد الحق والسادة الغـر
فياحبـذا يوم بساحـة أزهـر
بأروقـة الإيمان والعلـم والطهـر
وياحبـذا عيش كريم ممجـد
يضيف إلى الإنسان عمرا على العمر
أيـا كعبـة العلـم الـعلى تحيـة
من الهند من شيخى الجليل أبى بكر
حماك إلـه العرش حصنـا وموئـلا
على الدهر تبقى طيب الاسم والذكر
من المركـز السُّنّـي جئنـا لنـدوة
نسوق تحيـات المحبـة والشكـر

## بأقلام القراء

### من أقوال الزعماء والمفكرين

وهذه قطوف أعدهـا الأستاذ/محمـد عبدالوهاب جنيدى :

● العدل جَنّة المظلوم ، وجحيم الظالم .

ترك الفرصة .. غفلة .

«سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه» .

● أمس خَبر ، واليوم عَبَر ، وغدا قَدَر ، لا يغنى عن نفس حذر ، هل من أثر ، أو صالح يدّخر وأمان من سقر ؟

ـ الجاهل مقبور فى بدنه ، رافل فى كفنه .

الحكمة منهل عذب : من اغترف منه ، لم ينصرف عنه .

إذا كثر الشعراء ، قلّ الشعر ..

«أمير الشعراء : أحمد شوقى» .

● لا نجاح لأمّة نبذت أحكام دينها ظهريًا ، ولا فلاح لقوم استعبدتهم شهواتهم .

« الزعيم أحمد عرابى » .

● من عرف الحق ، عزّ عليه أن يراه مهضوما .

« الإمام محمد عبده » .

● كل شيء هان إذا ضُرب ، إلّا الذهب .

« شاعر النيل حافظ ابراهيم » .

● الأصدقاء فى هذا الزمان ، يخافون عدوى المرض ، وعدوى الفقر ، فلا يعودون المريض ، ولا يزورون الفقير .

« مصطفى لطفى المنفلوطى » .

## التأسى بالرسول القائد

كتب القارىء/خيرى محمد إبراهيم أبو الروس إمام وخطيب .. هذه الكلمة :

« لقد أصبحت حاجتنا ملحة إلى دراسة حياة القائد الأعلى للمسلمين ﷺ بغية التأسى بحكمته فى القيادة وإدارة الصراع فى حالات الحرب والسلم على السواء ، فقد وفق الله تعالى رسوله ﷺ إلى أن ينشىء أمة ويقيم دينا ويضع تشريعاً ، ويربى جيلا ، ويبنى جيشا ، ويؤسس حضارة إسلامية ازدهرت قرونا عديدة ، وسيظل يسطع نورها إلى يوم تقوم الساعة .

ويكفيه ﷺ فضلا من الله تعالى عليه وعلى أمته ، أننا لا نجد نبيا من الأنبياء ترك أمته على مثل ماترك المصطفى ﷺ أمته عليه ، ولم يلق ( صلوات الله وسلامه عليه ) ربّه ، إلا بعد أن أسس قواعد الإيمان وهدم قواعد الشرك ، وفقا لما جاء به كتاب ربنا ـ عز وجل ـ الذى لا ضلال بعده ما إن تمسكنا به » .

**نعم .. ولعل ما يميز هذا الكتاب الكريم أنه المعجزة الباقية للنبى الخاتم سيدنا محمد ﷺ ، وكما نعلم أن الله ـ تعالى ـ أيد كل نبى من جنس ما برع فيه قومه ، فكانت معجزة سيدنا موسى ـ عليه السلام ـ فى « العصا واليد » متناسبة مع ما برع فيه قومه من السحر ، وكانت معجزة سيدنا عيسى ـ عليه السلام ـ فى « إبراء الأكمة والأبرص » متناسبة مع ما برع فيه قومه من الطب .**

**أما قوم سيدنا محمد ﷺ فقد برعوا فى البلاغة والفصاحة ، فكانت معجزة نبيهم لهم هى : القرآن الكريم ، وهو الذى خصه الله ـ تعالى ـ بالحفظ من بين الكتب السماوية السابقة ، وجعله دستور حكم ومنهج حياة صالح لكل زمان ومكان إلى يوم تقوم الساعة .**

**محرر الباب**

## ردود وتعليقات

**● تتقدم المجلة بخالص الشكر للدكتور/أبو بكر خليل لمتابعته الأمينة للمجلة وتوجيهاته الطيبة جزاه الله عنا خير الجزاء .**

**● القارىء/يحيى السيد النجار .. الحزاوى دمياط .**

**● القارىء/خيرى محمد ابراهيم .. كفر الجرايدة ـ كفر الشيخ**

**● القارىء/هانى مهنى عبدالعليم طه .. من إدكو محافظة البحيرة .**

تتساءلون عما جناه شعب البوسنة والهرسك

من ذنب حتى يحدث له ما حدث من قتل المسلمين وتدمير المساجد واغتصاب النساء تحت سمع وبصر الشرعية الدولية ؟

ذنبهم أنهم مسلمون ﴿ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۝ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝ ﴾ سورة البروج

ومايحدث فى البوسنة والهرسك على أيدى الصليبيين ، يحدث فى فلسطين على أيدى الصهاينة ، ويحدث فى الهند وكشمير على أيدى الهندوس والبوذيين ، وفى أذربيجان على أيدى الأرمن ، وغيرها .. وغيرها ، بغية ألا ترتفع راية الحق ، ولكن النصر قادم لا محالة فما بعد العسر إلا اليسر ولا بد للصبح أن ينجلى .

**• القارىء/محمد أحمد هاشم .. من محافظة قنا .**

**• القارىء/سيد عبد الرءوف سيد .. من محافظة اسيوط .**

أهلا بكما صديقين دائمين للمجلة وقد سعدنا بأحاسيسكما الشعرية الطيبة عن « مصر الحضارة » و« العمامة » وفى انتظار ابداعاتكما .

**• القارىء/أكرم جلال .. الحاصل على ليسانس الآداب من جامعة الزقازيق .**

يمكنكم الاتصال بأية كلية أزهرية لمعرفة ماتنص عليه اللائحة فى مثل ظروفك ، غير أنه إن عزَّ عليك استكمال دراستك العليا ، فلا يمنعك ذلك من طلب العلم لذاته .

**• القارىء/م.ص.م .. من أسوان .**

ليس هناك مايستدعى كتابة اسمكم بالحروف ، وقريبا ـ بإذن الله تعالى ـ فى غضون الشهر القادم يصدر الجزء الثانى من « البحوث والفتاوى الإسلامية المعاصرة » لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر .

**• القارىء/محمد عبد الرحمن عوض .. وكيل مدرسة المعادى الثانوية بنين بالقاهرة**

• نشكركم على نظرتكم المتعمقة فى معنى التطرف ودواعيه ، غير أننا ونحن بصدد علاج هذه الظاهرة ؛ لا نستطيع أن نجعل الفراغ الدينى فى مدارسنا بمعزل عن خطة العلاج ، فهو موجود بالفعل وينبغى تداركه بداية من حضانة اللغات حتى الجامعة .

**• القارىء/د. أحمد عبده عوض .. المدرس بكلية التربية جامعة طنطا .**

كم كنا نود إحصاء هذه الأخطاء المتعلقة بهدية المجلة لأننا بصدد الإعداد لنشر تصويباتها فى نهاية الأجزاء .

**• القارىء/ وسيم عبدالعليم عزب . وكيل مدرسة أبو صقل الاعدادية بشمال سيناء ـ العريش .**

نحييكم على وقتكم فى تحقيق الحديث المتعلق بإبصار الأعمى وما يفيده من آثار النبوة ، وفى انتظار إبداعاتكم .

---

**• وبمشيئة الله ـ تعالى ـ يوالى الباب اهتمامه بالرسائل التى يتلقاها تباعاً**

---




تقديم الأستاذين / عمر البسطويسى • مصطفى عبد المجيد

## رئيس جمهورية أفغانستان فى الأزهر

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الرئيس برهان الدين ربانى رئيس جمهورية أفغانستان ظهر الثلاثاء ٢ من جمادى الآخرة ١٤١٤هـ ١٥ نوفمبر ١٩٩٣م بمكتب فضيلته بالأزهر .

تم خلال اللقاء بحث سبل دعم العلاقات بين الأزهر وأفغانستان، فقد طلب الرئيس الأفغانى زيادة المنح الدراسية للطلاب الأفغان بمعاهد الأزهر وجامعته ، وذلك لإعداد الكوادر العلمية والتعليمية فى العلوم العربية والشرعية والثقافية التى تحتاج إليها أفغانستان .

رافق الضيف الكبير خلال الزيارة الدكتور/محمد على محجوب وزير الأوقاف ورئيس بعثة الشرف المرافقة للرئيس ، وشهد اللقاء فضيلة الشيخ سيد سعود وكيل الأزهر ، الذى كان فى استقبال الضيف لدى وصوله لمبنى إدارة الأزهر .

## الإمام الأكبر فى زيارة لقرية تفهنا الأشراف

قام فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بزيارة لقرية «تفهنا الأشراف» بميت غمر ـ محافظة الدقهلية ، وذلك صباح يوم الإثنين غرة جمادى الآخرة ١٤١٤هـ ١٥ نوفمبر ١٩٩٣م حيث قام فضيلته يرافقه الأستاذ الدكتور عبدالفتاح الشيخ رئيس جامعة الأزهر بافتتاح المبنى الجديد لكلية التجارة التابعة لجامعة الأزهر .

## الإمام الأكبر يستقبل وزير الشئون الدينية لدولة بروناى

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر صباح الإثنين غرة جمادى الآخرة ١٤١٤هـ ١٥ نوفمبر ١٩٩٣ السيد/وزير الشئون الدينية «لدولة بروناى» والوفد المرافق لسيادته ، تم خلال اللقاء بحث سبل دعم العلاقات بين الأزهر و«دولة

بروناى » من خلال زيادة المنح الدراسية لطلاب بروناى بمعاهد الأزهر وجامعته .

### الإمام الأكبر يستقبل وزير خارجية جزر القمر

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر السيد/مسلم بن موسى وزير خارجية « جزر القمر » يرافقه السيد/إبراهيم عبدالله سفير جمهورية جزر القمر بالقاهرة ، وذلك صباح الأحد ٧ جمادى الآخرة ١٤١٤هـ ، ٢١ نوفمبر ١٩٩٣م بمكتب فضيلته بالأزهر .

تم خلال اللقاء بحث دعم الأزهر « لدولة جزر القمر » فى مجال التعليم من خلال زيادة عدد المنح الدراسية لطلابها بمعاهد الأزهر وجامعته .

كذلك تم خلال اللقاء بحث طلب « جزر القمر » بقيام الأزهر الشريف بالإشراف على تنفيذ وإدارة معهد دينى أزهرى بها ، وتزويده بالمناهج والكتب الدراسية والمدرسين .

### الإمام الأكبر يستقبل سفير دولة جيبوتى بالقاهرة

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر السيد/ضيف آدم شيخ حسن ـ سفير « دولة جيبوتى » بالقاهرة صباح الاثنين ١٦ جمادى الأولى ١٤١٤هـ ، ١ نوفمبر ١٩٩٣م .

فى بداية الاجتماع أبلغ السيد/السفير فضيلة الإمام الأكبر قرار حكومته بتخصيص قطعة أرض لبناء معهد أزهرى عليها

ووعد فضيلة الإمام الأكبر بدراسة الموضوع فور تلقى الأزهر للمعلومات الخاصة بذلك من السفارة المصرية هناك .

ثم عرض السيد السفير بعض الموضوعات المتعلقة بالمنح المخصصة لطلاب « دولة جيبوتى » للدراسة بمعاهد الأزهر وجامعته ؛ حيث وعد فضيلة الإمام الأكبر بدراسة تلك المعلومات من خلال الجهات المعنية .

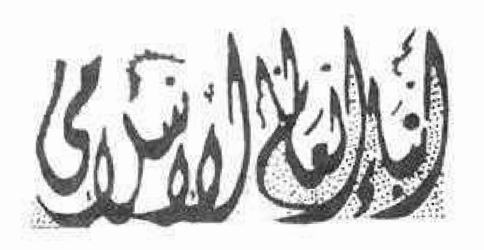
وفى نهاية اللقاء قدم الضيف شكر بلاده حكومة وشعبا لمجهودات الأزهر فى مجال دعم المسلمين فى جيبوتى .

### الإمام الأكبر يستقبل سفير ألبانيا بالقاهرة

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بمكتب فضيلته بالأزهر السيد/فاروق برونا سفير ألبانيا الجديد بالقاهرة .

وذلك بمناسبة تسلمه لعمله سفيرا لبلاده لدى مصر ، تم خلال اللقاء بحث دعم العلاقات بين الأزهر ودولة ألبانيا ، وقد تمنى فضيلة الإمام الأكبر للسيد السفير طيب الإقامة بمصر ، ووعد فضيلته بمزيد التعاون مع سيادته استمراراً للعلاقات الطيبة القائمة بين الأزهر والمسلمين فى ألبانيا .





إعداد الأستاذ / مجدى عبد الحميد بشير

وقف تدريس « الشيخان وكفاح طيبة »

اتخذت لجنة تدريس مناهج اللغة العربية بوزارة التربية والتعليم قرارا بالغاء تدريس كتاب « الشيخان » للدكتور طه حسين ، ورواية « كفاح طيبة » لنجيب محفوظ فى المدارس المصرية ، استجابة لشكاوى وردت حولهما من أولياء الأمور والمدرسين لما فى الكتاب الأول من تشكيك ، و الثانى من موضوعات عفا عليها الزمان .

وقررت الوزارة بدلا من الكتابين الملغيين تدريس كتاب « شوقى شاعر العصر الحديث » للدكتور شوقى ضيف ورواية « الصقر الجرىء » للكاتب عبد السلام العشرى .

المسابقة العالمية الكبرى فى حفظ القرآن الكريم

استعدت وزارة الأوقاف المصرية لإجراء المسابقة العالمية الكبرى فى حفظ القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة .

وقد رصدت الوزارة عشر جوائز للحج وخمس عشرة جائزة أخرى لأداء العمرة إلى جانب الجوائز المالية للفائزين الآخرين .

دليل المسلم إلى كندا

صدرت طبعة من « دليل المسلم الى كندا » الذى سبق وأن أصدر مكتب رابطة العالم الإسلامى فى كندا الطبعة الأولى منه سنة ١٩٩١ م وتضم الطبعة الثانية من الدليل عناوين وصور المساجد الرئيسية الموجودة فى كندا إضافة إلى عناوين المساجد الجديدة التى أنشئت خلال الأشهر الماضية ، ودعا مكتب الرابطة هناك المسلمين إلى تقديم الدعم للدليل حتى يستمر فى الظهور فى طبعات جديدة .

تيرانـــا

عُقد فى تيرانا عاصمة ألبانيا الشهر الماضى ، ولمدة ثلاثة أيام المؤتمر الأول للاستثمار فى ألبانيا وقام بتنظيم المؤتمر البنك الإسلامى للتنمية ، وشارك فيه عدد من المستثمرين والمؤسسات الاقتصادية ورجال الأعمال من أكثر من عشرين دولة إسلامية وعربية وأوربية ، وافتتحه الرئيس صالح دريشه رئيس ألبانيا فى قصر المؤتمرات بالعاصمة . وجدير بالذكر أن بألبانيا فرصاً كثيرة للاستثمار .

## الموسوعة الإسلامية

يجرى العمل على قدم وساق من قبل المنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة لإصدار الموسوعة الإسلامية لتكون مرجعا يعتمد عليه الباحثون والدارسون فيما يتصل بالإسلام عقيدة وشريعة وحضارة ، وذلك بالتنسيق مع هيئات إسلامية أخرى مثل جمعية « إقرأ » وجمعية « الدعوة الإسلامية » وهيئة « الموسوعة العربية » ومجمع اللغة العربية فى كل من دمشق والخرطوم والأكاديمية الإسلامية فى بنجلاديش .

وستشمل الموسوعة الإسلامية معلومات مسهبة ودقيقة عن القرآن الكريم ، والسنة النبوية والسيرة والعلوم الاجتماعية ، والتوحيد والفلسفة والعلوم الأخرى ، وذلك فى عشرين مجلدا بحجم ألف صفحة لكل مجلد ، كما اعتمدت المنظمة فى مادة الموسوعة على مصادر منها : دائرة المعارف الإسلامية بطبعتها الأولى والثانية ، والموسوعة الفقهية ، ودوائر المعارف،والموسوعات الأخرى التى تعنى بالمادة الإسلامية .

ونأمل أن تكون النظرة فيما كتب الغربيون عن الإسلام نظرة موضوعية متصفة .

## تركمانستان

تم بناء مائة مسجد جديد فى تركانستان فى العامين الماضيين فقط . كما تم بناء ستة مساجد فى العاصمة وحدها بعد الاستقلال ، ويدرس بالمدرسة الرئيسية هناك مائتا طالب ، والبلاد بحاجة ماسة إلى المعلمين فى العلوم الإسلامية ، والكتب الدراسية الإسلامية .

والجدير بالذكر أن أول قافلة من حجاج هذه البلاد توجهت إلى الأراضى المقدسة منذ سنتين فقط ، وذلك بعد الاستقلال عن الحكم الشيوعى ويطالب أهلها بتوفير المنح الدراسية لأبنائهم للدراسة فى العالم الاسلامى .

وتعتبر مدرسة « قارى ـ بولوف » ـ من أهم المدارس ـ وبها ( ٤٠٠ ) طالب كما أن ٦٠٪ من علماء تركانستان من خريجى هذه المدرسة .

## مـراكش

اختتمت فى مراكش بالمغرب الندوة الدولية حول تواصل الفكر بين المغرب والأندلس،التى نظمتها كلية الآداب فى المغرب الإسلامى تحت رعاية العاهل المغربى الملك الحسن الثانى .

وأكد وزير التربية الوطنية بالمغرب،على أن مراكش لم تتخل عن دورها فى استقطاب العلماء وقد نوه عن مجهودات « جمعية الأطلس الكبير » واهتمامها بالعلم والثقافة والمحافظة على التراث .

## أثيـوبيا

تقيم رابطة العالم الإسلامى بمنطقة تقْراى بأثيوبيا ـ مركزاً للتدريب المهنى،يتكلف أكثر من نصف مليون دولار ، كما تقوم بدفع أجور المهندسين الزراعيين فى مجالات استصلاح الغابات وتصريف المياه ؛ وذلك لمساعدة المسلمين هناك .

## تركيـــا

تستعد إدارة الشئون الدينية فى تركيا لافتتاح محطة إذاعة وتليفزيون لبث البرامج الدينية فى تركيا وتوعية الشعب التركى بأمور دينه ، وحماية الشباب مما يتعرض له من برامج ملوثة تؤثر على تربية النشء التركى .

مصر ـ اليابان

استجابة للدعوة الموجهة إلى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر من هيئة «أوموتو كاميوتاشى كايتوفو» باليابان لحضور مؤتمر «الدعوة من أجل السلام» الذى عقد فى الرابع والخامس من نوفمبر ١٩٩٣ ، أوفد فضيلة الإمام الأكبر فضيلة **الشيخ/سالم صالح سالم موسى** المشرف على لجنة القرآن بمجمع البحوث الإسلامية نيابة عن فضيلته لحضور المؤتمر .

انعقد المؤتمر فى قاعة «شوزيدن» باليابان وكان حدثا دوليا فريدا من نوعه ، حضره العديد من الوفود من شتى أنحاء العالم على اختلاف الأجناس والديانات والانتماءات .

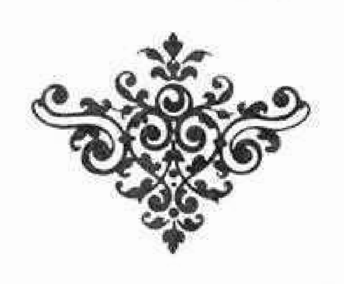
لاقت كلمة فضيلة الشيخ/سالم صالح ، مبعوث الإمام الأكبر ـ فى المؤتمر ـ تقدير جميع المشاركين فيه لما لمسوه فى كلمته من علم غزير وثقافة واسعة جعلته بينهم عضوا مميزا ، تصدرت صورته بالزى الأزهرى بعض الصحف اليابانية المعنية بتغطية المؤتمر .

هذا وقد تلقى الأزهر الشريف رسالة شكر وتقدير من هذه المؤسسة على مشاركته فى أعمال المؤتمر ، الذى سوف يفتح مجالا جديدا لبناء صرح من الصداقة والأخوة الدولية على أساس من النوايا الطيبة والثقة المتبادلة إن إشاء الله ، وقد علق فضيلة الشيخ سالم موسى بعد عودته من اليابان بقوله : «لقد كان لحضورنا الحفل أثره الطيب الكريم فى نفوس اليابانيين أصحاب المؤتمر .. لأملهم فى السلام واجتماع العالم على المحبة .. إن المبشرين باليابان يبلغون الآلاف ، ومن ثم يحتاج الإسلام ـ هناك ـ إلى العشرات من الداعين اليه .

جامبيـــا

نظم الاتحاد الإسلامى الجامبى أول أسبوع ثقافى دعوى فى جامبيا ، وذلك بمقر المعهد الإسلامى التابع للاتحاد فى مدينة ( ساراكاندا ) الجامبية تحت شعار الآية الكريمة ﴿ **ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة** ﴾، [**النحل: ١٢٥** ]. **وتم تمويل هذا النشاط عن طريق مكتب منظمة الدعوة الإسلامية هناك ، وألقى خلاله العديد من المحاضرات ، من قبل نخبة من العلماء والأساتذة المسلمين .**

**شملت توصيات الأسبوع المجالات التربوية ، ومناهج المدارس الإسلامية ، وقضايا الشباب ، والمؤسسات الإسلامية غير الحكومية ، كما تم توجيه الشكر لحكومة جامبيا لقرارها العظيم بجعل اللغة العربية وعلومها والعلوم الإسلامية ضمن المنهج التعليمى لتلاميذ المدارس هناك .**



Sourate "la Caverne", le sens du verset 28

Le Messager d'Allah (b.s.) nous conseille de profiter du bon compagnon. Celui-ci peut nous aider, nous conseiller, nous consoler sans aucun interêt personnel, uniquement dans le but d'obtenir l'approbation d'Allah: ou bien il s'attend à ce qu'on lui rende service semblable, en échange: ou enfin il est incapable de nous offrir ses services car il est loin des affaires matérielles; dans ce cas on le visite pour profiter de son bon exemple et de ses bonnes actions; en d'autre termes pour respirer la bonne essence, i.e. l'exemple de sa foi. Selon "Aïcha (A.s.e.), le prophète (b.s.) a dit : "Les êtres sont doués d'âmes dirigées par Allah, celles qui se ressemblent se rapprochent les unes des autres, celles qui s'opposent se repoussent les unes les autres". Hadith rapporté par Al Bokhari. Le Messager d'Allah (b.s.) a dit également : "Parmi ceux qu'Allah abritera à l'ombre de Son trône le jour où il n'y aura d'ombre que la Sienne : deux hommes qui s'aiment pour l'amour d'Allah, se réunissent et se séparent pour une même raison : la soumission à Allah. Hadith rapporté par Abou Horaïra

Dans un autre Hadith, le messager d'Allah (b.s.) a dit : "Allah possède des serviteurs qui ne sont ni des prophètes ni des martyrs. Ils sont admirés par les prophètes et les martyrs. On lui demanda alors ; "qui sont-ils?, peut-être les aimerons nous !" le prophète (b.s.) répondit : "Ce sont des gens qui s'aiment grâce à la lumière divine, sans liens de sang ni de parenté. Leur visage est lumineux, ils sont placés sur des minbars de lumière. Ils ne s'effraient point quand les autres ont peur, ne sont point chagrinés quand les autres sont tristes". Ensuite il récita les versets suivants :

"Non, vraiment, les amis d'Allah n'éprouveront plus aucune crainte, ils ne seront pas affligés, ceux qui croient en Allah et qui le craignent recevront la bonne nouvelle, en cette vie et dans celle de l'au-de là". Sourate "Younes", le sens des verset v.62, 63, 64

Hadith rapporté par Ebn Habban, El Tabarani et Abou Daoud.

Réfléchissons enfin à la parole divine suivante :

'Par l'Instant ! Oui, l'homme est en perdition; de ceux qui accomplissent des oeuvres bonnes; de ceux qui s'encouragent mutuellement à rechercher la vérité; de ceux qui s'encouragent mutuellement à la patience.

Sourate "L'Instant"

Mme Rawya Ahmad Soltan

# Le bon compagnon

par
Mme Rawya
Ahmad Soltan

Selon Abou Moussa Al Ach'ari-qu'Allah soit satisfait de lui — le prophète (b.s.) a dit "L'exemple du bon compagnon et du mauvais compagnon est semblable à celui du marchand de musc et du souffleur du feu : Pour ce qui est marchand de musc ou bien il ten offre, ou bien tu achètes de lui ou encore tu respires auprès de lui un bon parfum Quant au souffleur du feu, ou bien il brûle tes vêtements ou bien tu respires auprès de lui une odeur désagréable".

**Explication du Hadith**

L'homme a besoin de compagnons dont il profitera de l'expériences et avec qu'il partagera les problèmes quotidiens. Or, les gens sont de natures différentes, tout comme les métaux; certains sont beaux et d'autres laids. Le musulman doit choisir l'ami raisonnable, pourvu de bonnes qualités et qui craint Allah. Certains versets coraniques parlent du bon compagnon; nous allons nous y arrêter.

«Le jour où l'injuste se mordra les mains en disant : "Malheur à moi ! si seulement j'aais suivi le chemin avec le prophète ! Malheur à moi !»

«Si seulement je n'avais pas pris "un tel" comme ami !»
«Il m'a égaré loin du Rappel, alors que celui-ci m'était déjà parvenu. Le démon est troître envers l'homme.»

Sourate "La Loi", le sens des versets 27, 28, 29

[Ce jour là, les amis deviendront ennemis les uns des autres, à l'exception de ceux qui craignent Allah]

Sourate "L'Ornement", le sens du verset 67

Le Coran nous conseille donc de nous éloigner de ceux qui désobéissent à Allah, des impies. Observons la parole divine.

"Ecarte-toi donc de celui qui tourne le dos à Notre Rappel et qui ne désire que la vie de ce monde."

Sourate "L'Etoile", le sens du verset 29

Reste en la compagnie de ceux qui, matin et soir, invoquent leur Seigneur dans l'espoir d'être agréés par Allah.
Que tes yeux ne se détachent pas d'eux en convoitant le clinquant de la vie de ce monde].

tie, que le messager d'Allah reçut la Révélation et fut couvert d'une sueur qui perlait sur son visage comme un jour d'hiver.

Lorsque la Révélation prit fin, le prophète-salut et bénédiction sur lui-en souriant me dit : «Remercie Allah qui vient d'affirmer ton innocence Aïcha». Ce fut le premier mot qu'il prononça. Alors ma mère me dit : «Lèves-toi et remercie le prophète-salut et bénédiction sur lui». «Je ne me lèverai pas et je ne remercie que «Allah» seul» lui dis-je.

Allah a révelé à mon sujet les versets 11-12-13-14 et suivants de la Sourate «La Lumière».

Mme Hoda Charaoui

## Sanction de la calomnie (Récit du "Ifk" (suite)

par Mme Hoda Cha'raoui

Les deux tribus faillirent en venir aux mains. Le prophète-salut et bénédiction sur lui-était encore en chaire. Il descendit et calma la bagarre. Quand l'ordre fut rétabli, le prophète-salut et bénédiction sur lui-ne remonta pas en chaire.

Je n'ai pas cessé de pleurer ce jour-là. J'ai pleuré les deux nuits suivantes sans goûter le sommeil. Je sentais mon coeur se fendre. Le matin, mon père et ma mère vinrent auprès de moi. Je pleurais toujours. Une femme des Ançars demanda à entrer. Elle s'assit en pleurant près de moi. Nous étions ainsi, quand le prophète-salut et bénédiction sur lui-entra et prit place à côté de moi. Il ne l'avait pas fait depuis qu'il avait entendu les calomnies à mon sujet. Pendant un mois il n'avait pas reçu de Révélation me concernant. Il dit «Aïcha, j'ai appris sur toi telle et telle chose, si tu es innocente, Allah va le prouver. Si par contre, tu as commis un péché, demande pardon à Allah et repens-toi. Quand l'homme reconnaît sa faute et qu'il s'en repent, Allah la lui pardonne». A ce moment mes larmes s'arrêtèrent de couler subitement et, m'adressant à mon père, je lui dis : «Réponds au prophète-salut et bénédiction sur lui-à ma place. Par Allah, dit il, je ne sais que dire-ma mère, dis-je, réponds pour moi au prophète-par Allah dit-elle je ne sais que répondre».

J étais encore jeune, dit Aïcha, je n'avais pas encore appris beaucoup de versets coraniques, mais je répondis : «Par Allah, je suis sûre que vous avez entendu et cru ce que disent les gens. Si je vous déclare que je suis innocente-et Allah le sait bien-vous ne me croirez pas mais si j'avoue autre chose et Allah soit bien qu'il n'en est rien-vous l'accepterez comme vraie. En l'occurence, je ne trouve d'exemple pour nous deux que la réponse de Ya'coub le père de Youssef quand il dit : «je m'en remets à Allah qui m'aidera à supporter vos assertions»

«Sourate Youssef le sens du verset 18»

Ensuite je me recouchai dans mon lit, avec l'espoir que Allah dévoilera mon innocence. J'étais loin de penser que des versets coraniques seraient révélés à mon sujet, moi l'être insignifiant. Tout ce que j'espérais, c'était que le prophète-salut et bénédiction sur lui-vit la vérité en songe.

Je jure par Allah, qu'avant même que le prophète-salut et bénédiction sur lui-n'eut quitté sa place, ni aucune des personnes qui se trouvaient dans la chambre ne fût sor-

dit :" Oh, Il n'y en a point "Et quelle distance sépare les tiens du point d'eau?" reprîmes-nous. Elle dit : un jour et une nuit de marche "Rends-toi auprès du messager d'Allah-paix soit sur lui-ordonnâmes-nous. Elle demanda" : Qu'est ce que c'est le messager d'Allah?" Mais-comme nous ne lui laissâmes point l'occasion de s'échapper elle comparut avec nous devant le prophète-paix soit sur lui. Elle lui répéta ce qu'elle nous avait dit, ajoutant qu'elle avait en charge des orphelins. Il ordonna qu'on lui amène les deux outres de la femme sur les orifices desquelles il passa les mains. Nous bûmes à satiété; nous étions quarante hommes et nous remplîmes toutes les outres, que nous avions avec nous, et tous les récipients sans toutefois donner à boire à nos montures. Après quoi les outres de la femme étaient pleines à craquer. Le prophète—paix soit sur lui-dit alors : "Apportez ce que vous avez (comme provisions). On lui rassemble quelques morceaux de pain et des dattes. Lorsqu'elle rejoignit les siens la femme leur dit : "J'ai rencontré le plus grand des magiciens ou bien c'est un prophète comme ils le prétendent." Grâce à cette femme Allah guida ces gens qui campaient alors autour du point d'eau. Elle se convertit à l'Islam ainsi que les membres de sa tribu.

772-Enâd : Mohammad Ebn Bachar, Ebn Abou "Ady'Sa'id, Qatada, Anas (a.s.c.) dit : 'Un récipient d'eau fut amené au prophète-paix soit sur lui-alors qu'il était à Al-Zawra'. Il y plaça sa main et l'eau se mit à sourdre du pot entre ses doigts et tout le monde procéda aux ablutions". Combien étiez-vous demanda Qatada à Anas?" Il répondit : "trois-cents ou presque trois cents".

776-Esnâd : Moussa Ebn Isma'il, Abdel Aziz Ebn Moslem, Hossaïn, Salem Abou Djady, Djaber Ebn Abdallah (a.s.c.) dit : "Les gens avaient très soif le jour du traité d'Al Hodaïbiya. Le prophète-paix soit sur lui-qui avait entre les mains un récipient contenant un peu d'eau fit ses ablutions. Les gens se précipitèrent vers lui et il leur demanda "Qu'avez-vous?" Ils répondirent : Nous n'avons point d'autre eau, pour faire nos ablutions et boire à part celle que tu as entre les mains". Il mit alors sa main dans le récipient, et l'eau se mit à jaillir d'entre ses doigts comme d'une source. Nous avons tous bu et tous procédé aux ablutions. Comme je demandai à Djaber : Combien étiez-vous?" Il me répondit : "L'eau aurait suffit à cent-milles, mais nous n'étions que quinze cent".

777 — Esnâd : Malek Ebn Ismaïl, Israïl, Abou Ishaq, Al Barraâ (a.s.c.) dit : "Nous étions quatorze cents au jour du traité d'Al Hodaïbiya. Al Hodaïbija est en puits, et nous avions puisé toute son eau, sans y laisser la moindre goutte. Le prophète s'assit alors sur le parapet et demanda qu'on lui amène un peu d'eau. Il s'en rinça la bouche puis la rejeta dans le puits. Après une brève attente, nous pûmes nous désaltérer et apaiser notre soif ainsi que celle de nos montures. Ou selon une autre variante du hadith-nous avons donné à boire à nos montures (à suivre)

Zeinab Hassan

## «QUELQUES MIRACLES DU PROPHETE MOHAMMAD»

— Allah a accordé à Ses messagers le pouvoir d'accomplir des miracles, et cela afin que leur communauté croie à la véracité du message dont ils étaient porteurs.

— Pour mettre en doute le message de Mohammad-paix soit sur lui,-les juifs et les chrétiens ont répandu des soupçons autour de son pouvoir à accomplir des miracles aussi spectaculaires que ceux attachés aux noms de "Ibrahim" de "Moussa" et surtout de "Issa".

— Or, le Coran est sans conteste le plus grand miracle du prophète — paix soit sur lui, un miracle qui témoignera jusqu'à la fin des temps du message de Mohammad-paix soit sur lui.

— Quant aux miracles rattachés aux noms des autres prophètes, ils étaient temporels, parce que destinés à une communauté précise, à une époque déterminée.

— Allah a voulu que Mohammad-paix soit sur lui-soit avant tout à la mesure des humains afin qu'il leur soit un parfait exemple à suivre, comme en témoigne le verset suivant : [Vous avez en la personne du messager d'Allah un modèle parfait] "Sourate Les Factions", (le sens du verset 21).

— En outre, les contemporains du prophète-paix soit sur lui-ont rapporté certains évènements qui témoignent des pouvoirs extraordinaires de Mohammad-paix soit sur lui-et des faits qui relèvent du surnaturel en certaines circonstances précises.

— Nous avons jugé utile de relater ici certains hadiths d'Al-Bokhari et qui rapportent ces miracles.

771 — Esnad : Aboul Walid, Salem (En) Abou Ragaâ; Emran Ebn Hossaïn nous a raconté qu'au cours d'un voyage où ils accompagnaient le prophète-paix soit sur lui-ils marchèrent toute la nuit et campèrent au petit matin. Le sommeil les gagna jusqu'à ce que le soleil fut bien haut dans le ciel. Abou Bakr fut le premier levé; mais on n'interrompait jamais le sommeil du Messager d'Allah. — Paix soit sur lui-tant que celui-ci ne s'éveillait de lui-même. Ensuite Aman se réveilla et Abou-Baker s'assit près de la tête du prophète-paix soit sur lui.

— Il se mit à répéter "Allah ou Akbar" et il haussa tellement la voix qu'il finit par le réveiller. Le prophète-paix soit sur lui-une fois levé, nous emmena un peu plus loin, et présida à notre prière du matin. Toutefois un des hommes resta à l'écart s'abstenant de prier. Le prophète-paix soit sur lui-après avoir accompli la prière l'interrogea ainsi : "Ô, un tel, qu'est-ce qui t'empêche de prier avec nous?" "Je suis en état d'impureté majeure (djanaba) répondit-il. Alors le prophète-paix soit sur lui-lui enjoignit de procéder aux ablutions sèches et il accomplit la prière. Après quoi le messager d'Allah-paix soit sur lui-m'expédia pour aller de l'avant avec un groupe d'hommes. Nous avions très soif et, nous rencontrâmes en cours de route une femme en selle, avec les jambes entre deux outres pleines. Nous lui demandâmes "Où se trouve le point d'eau?" "Elle répon-

# REVUE AL-AZHAR

Vol. 66, Part 7
Rajab, 1414 Hijrah

Islamic Law. This verse, al-Ghazali, the famous scholar, holds to mean 'seek not a pretext for separation'.

The law gives to the man primarily the right of dissolving the marriage, if the wife, by her indocility or bad character, renders the married life unhappy. However, in the absence of serious reasons, Islamic Law never justifies divorce. If the husband abandons his wife or puts her away from simple caprice, he draws upon himself the divine anger. The Prophet (MPBUH) was reported to have said :

"The curse of Allah (God) rests on him who repudiates his wife capriciously."

No doubt divorce is an evil and must be regarded as such wherever there is the least respect for the law of Allah. The pagans before Islam were absolutely free to repudiate their wives whenvever it suited them., They were not bound to offer any reasons for the exercise of the power of divorce. The mere expression of their will was enough to effect a separation. In this sight, the wife was a mere plaything. Sometimes the husband would revoke the divorce and so on infinitely. Women under such circumstances were in perpetual state of suspense.

At last, the Prophet (MPBUH) the mercy of universe, came carrying the merciful message to mankind. He declared :

"CERTAINLY, divorce is the most disdainful of lawful things in the sight of Allah."

The Prophet (MPBUH) has also declared :

"Allah has not created anything on earth which He loves more than the act of emancipation from slavery; nor has He created anything on earth which he dislikes more than the act of divorce."

On another occasion he said :

"Forbidden is the fragrance of paradise to her who demands divorce from her husband without unavoidable reasons"

## FORBEARANCE

Islam enjoins that both the husband and wife to spare no efforts to bring about love and happiness in their family life. It goes even further to ask the couple to forbear each other, to close their eyes on trifling matters and mistakes and to forgive mutually if forgiveness leads to better reunion and harmony. The Quran enjoins the forbearance even with a wife that one does not like :

"Treat your wives with kindness, for even if you do not love them, it may well be that you may dislike a thing which Allah has meant for your good." (Sura 4:19).

The Prophet (MPBUH) used his discretion as well as the Islamic teachings to direct man's attention to the fact that he possesses the strong ability of self-restraint to deal with his family problems and put up with his wife's ill-treatment. Many of the Prophet's (MPBUH) sayings teach love, untiring patience, forgiving disposition, and above all, fear of Allah in the treatment of women :

"The man who puts up with the ill-manners of his wife shall receive from Allah rewards equivalent to what the Lord gave Ayyub (Job) when he suffered his affliction : and to the woman who puts up with the ill-manners of her husband, Allah grants rewards equivalent to what He granted to Assiyah, the Pharaoh's wife."

*To be continued.*

# DIVORCE IN ISLAM

*By Mohammed Hijab*

It is strange to say that divorce is so loose that it can be practised at any time with no cause whatsoever. It is strange to read in some books written by Orientalists that no restiction has been made on divorce and it is a right exclusively confined to men to exercise at any time.

## DIVORCE

The meaning of divorce is the repudiation of the marriage contract between husband and wife. Strictly speaking, divorce is a right bestowed on the husband in view of his ability to shoulder the marriage obligations and because of his aptitude for better self-restraint than the wife can display.

It must be understood that Isam has not given the husband the right to divorce in order that he may use the threat of divorce as a sword which he waves in the woman's face. On the contrary, Islam allows divorce as a bitter medicine to be used by a man to cure a situation or get rid of an association that defies remedy. Islam holds that if a man trespasses on a woman's rights by divorcing her without cause, he is abusing his power and is therefore liable to be held responsible for committing a breach of duty. Islamic courts are allowed to censure the man for misusing the right of divorce.

Just as Islam maintains equality between husband and wife in married life, it insists on equality in the termination of the marriage. The law of Islam permits the woman to ask the court of law to look into her case if her husband maintains an unpleasant association with her, or causes real hardship to her unjustifiably or if she finds that he suffers from a disease of the body or mind which prevents him from supporting her or preserving her chastity. We classify these causes as follows :

1. Habitual ill-treatment of the wife.
2. Non-fulfilment of the terms of the marriage contract.
3. Insanity.
4. Incurable incompetency.
5. Quitting the house without provision for the wife.
6. Any other causes which in the opinion of the court justify a divorce, such as the imprisonment of the husband.

The court is authorised to ordr her to be divorced if she is justified in her contentions and her husband refuses to divorce her.

## LIMITATIONS :

According to Islamic Law, a Muslim is not free to exercise the right of divorce on the slightest disgust. The law has many limitations upon the exercise of this power. A Muslim is only permitted to have recourse to divorce if there is ample justification for such an extreme measure. The Holy Quran expressly forbids a man to seek pretexts for divorcing his wife, so long as she remains faithful and obedient to him :

"If women obey you, then do not seek a way against them." (Sura 4:34).

Obedience in the verse signifies obedience to man only in matters recommended by

this reason the exegesis plays a major part, for it is extremely important in the careful research into the exact meaning of the source message. Also a comparison between the various translations based on the previous study will be made and an assessment of each will be given.

## WRONG SELECTION OF WORDS

(A) There are mismatches of the denotative meaning of ST and TT items due to the translator's complete failure to understand the true meaning of the words. In verse (20)

قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ

Maryam, to the proposed maternity, states her condition of being a virgin whom no mortal has touched and answers back : "How shall I have a son, when no mortal has touched me, nor have I been unchaste?" Arberry failed to understand this meaning and renders this verse as "How shall I have a son whom no mortal has touched, neither have I been unchaste ?" According to translation, the verse means that no mortal has touched "the child" which is wrong for no mortal has touched "Maryam" according to the original and indicated by Tabari and the other exegetes.

A similar case is found in verse (23) : فَأَجَاءَهَا ٱلْمَخَاضُ

where Arberry misunderstood the meaning of فَأَجَاءَهَا . According to exegetes, فَأَجَاءَهَا means to drive or press forcibly; Maryam was pressed forcibly by the birth pangs to advance to the trunk of the palm tree. Arberry misunderstood the meaning of the word and erroneously renders it as "surprised" which appropriate is rendering فَأَجَاءَهَا as "forced her" by Khatib or "drove her" by the rest of the translators.

In verse (41) we find another mismatch of the denotative meaning of ST and TT items due to the translator's inability to understand the true meaning of صِدِّيقًا in

وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ

According to Tabari and other exegetes, the word صِدِّيقًا means one who used to tell the truth. Pickthall did not understand the true meaning of صِدِّيقًا and inappropriately renders it as "Saint", which, according to Oxford Dictionary, refers to a holy person who is the object of post reverence in non-Christian religions; the equivalence of which in Arabic is. قديس More appropriate is rendering it as "a man of truth" by Y. Ali and Asad; "veracious" by Khatib, and "true man" used by Arberry.

(B) There are mismatches of the denotative meaning of ST and TT due to the translator's inability to select the most appropriate equivalent to the contextual meaning of the word.

In verse (3) of Surah "Maryam" إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ
Asad inappropriately renders the verb نَادَىٰ as "called out", which means to utter (any thing) in a loud voice, to proclaim, announce. According to exegetes, Zachariah called upon his lord "secretly" either because he was afraid that his people would blame him for asking for a son at such an old age, or he prayed secretly in his heart, or because secret supplications are more favourable, or for the reason that his supplication was away from his people. Hence, "called out" conveys a meaning different from that intended by the original and indicated by the exegesis. Also "called out" does not collocate with " in the secrecy of his heart," which Asad uses in the same sentence : "When he called out to his Sustainer in the secrecy of his heart." The verb نَادَىٰ , however, is appropraitely rendered as "cried to / unto" by Pickthall and Y. Ali; "called upon" by Arberry, or "supplicated" by Khatib.

*To be continued.*

# A COMPARATIVE STUDY OF THE ENGLISH TRANSLATIONS OF THE MEANING OF SURAH MARYAM PART II A

## TRANSLATION QUALITY ASSESSMENT

*By : Mona Salem Abdul Ghaffar M.A.*

Varius views have been suggested by professional translators and philologists on the subject of translation quality. Issues such as faithfulness to the original, retention of the colour and spirit of the original, and the reaction of the reader were studied at greater length.

Peter Newmark in his book Approahces to Translation (1981) has distinguished bet ween "communicative" and "sematic" approaches to translation. He states that these two concepts represent two methods of translaiion that are appropriate to any text. Newmark defines communicative translation as follows : "it attempts to produce on its readers an effect as close as possible to that produced on the readers of the original," whereas semantic translation "attempts to render, as closely as the semantic and syntactic structures of the second language allows, the exact contextual meaning of the original" (1981 : 39).

In translating the Quran, we find that both the semantic and communicative aspects need to be taken into consideration. There isn't one communicative nor one semantic method of translating a text to be adopted, in fact they widely overlap. The translator of the meaning of the Quran should attempt to render the exact meaning of the text as well as to find some ways and means to retain the communicative effect. No one translation method is recommended, for while literal translation can be more appropriate in some verses, free translation may be more suitable for others.

Hence, in the case of translating the Quran which is a holy book addressed to all people at all times, the objective aimed at, in my opinion, is to render as adequately as the target language allows both the meaning of the context and its communicative effect. The translator's failure in conveying them may well dim the reader's comprehansion in addition to misdirecting his attitude towards reading the Quran. The translaotor should then take into consideration both aspects in order to produce an acceptable and appropriate translation.

In this thesis, the quality assessment of the translations of Surah "Maryam" will deal with those two aspects : I have tried to find out mismatches in meaning and mismatches in the communicative effect between the source text (ST) and the target text (TT). The first step towards the quality assessment will be concerned with semantic mismatches, which mainly result from wrong selection of words. Wrong selection of words could be due to the translator's failure to understand the true meaning of the words as found in the ST, or could result from the translator's inability to select the most appropriate equivalent to the contextual meaning of the word. The second step toward the analytic approach of the translation assessment will be concerned with communicative mismatches. This part will be concerned with the lexical mismatches as well as stylistic mismatches. The former will deal with those instances of lexical mismatches such as substitutions, additions, and ommissions which affect the communicative aspect of the ST. The latter, however, will deal with mismatches of the rhetorical devices which lead also to mismatch of communicative effect of both the ST and TT. In the quality assessment followed in this thesis, the translations are judged against the source text where the original acts as a yard stick for the translation. For

north to south. Muslims would also hope to uproot the roots of conflict from its base and to avoid the cause of sedition from its sources so that the world will cooperate without any racial — discrimination or threat of violence. Our world must be occupied with feeding the hungry, clothing the undressed, helping the uncivilised and underdeveloped to rise up to the higher rank of civilization and development. Islam urges us to feed the hungry, to give the poor, to call for peace, to avoid conflict and strive, to keep away from agreesion and destruction. Islam also urges us to change our world to become a world of peace.

O Servants of Allah, please be brothers; O sons of nations please be friends, work for peace, for security and for love.

## "PROPHET AND MESSENGERS"

Ladies and Genglemen : our father Adam is the first prophet on earth. Allah forgave him after he had eaten from the tree and guided him to the straight way God learnt him all names of things. Glory to our God, He Who gave to each created thing its form then gave it guidance, so our God had sent many prophets and messengers to mankind asking to worship and Allah to guide them to the straight way. Quran said "There never was a people without a warner (messenger) lived among them."

Each prophet came to help people to become one nation and Allah said "O messengers, you can eat from good food provided and do what is good; for I know what you do. This is your nation which is one, I Your Allah, you must worship and fear upon this belief, the Muslim believes in Allah, all His messengers, all His Books and all His angels.

## BASIS OF FAITH OF MUSLIMS

In brief, bases of Islamic faith is believing in Allah, the most beautiful names belong to Him, to Allah belong all that is in the heavens and on earth, to Him be praise at the first and at the last. He has taken neither a wife, nor a son, He is the first and the last, He is the Evident and the hidden, no vision can grasp Him, but His grasp is over all vision. No mind is able to conceive Him but He only has the conception, the world will find for itself no protector or intercessor except Allah.

"That is Allah your God there is no God but He the creator of all things, then worship Him."

Muslim believes in angels, in the prophets, in the last day, the day of the resurrection, the day of rechanging, the day of the happiness for ever for unhappiness for ever, in paradise home of peace happiness, in hell home of distriess and suffering.

"O Gentlemen your God calls you to paradise to His forgiveness and to His Mercy.

I pray God for peace, for love and human brotherhood.

Salutations from Egypt, and from Al Azhar blessings from his Eminence the Grand Sheikh of Al Azhar for your great conference.

Wassalamu Alaikeum Wa Rahmatu-llahi wa barakatouh.

# THE MESSAGE OF HIS EMININCE GRAND IMAM SHEIKH JAD EL HAQ ALI JAD EL HAQ SHEIKH OF AL-AZHAR TO PRAYER OFFERING AND WORLD RELIGIOUS FORUM AYABE, JAPAN

**November 4-5, 1993**

*Translated by :*
*Sheikh Salem Saleh*

**In the Name of Allah the most Gracious, the most Merciful**

All praise is due to Allah, He is Allah of the East and the West, there is no God but He, It is to Allah, alone that sincere obedience is due. Peace and blessings be upon all prophets and messengers.

O gentlemen, from Egypt the country of peace and Islam, country of noble Al Azhar, in the name of His Eminence Sheikh of Al Azhar who gives me the great honour to be his representative.

I give you the best welcome peace and mercy of Allah be upon you.

O gentlemen, there are many relationships between nations and races, the most important one is human brotherhood (Single Origin).

Surely that all people in the East and the West are brothers, their father is Adam and their mother is Eve "Hawwa", the Quran said "O Mankind fear your guardian God who created you from a single person creats out of it his mate and from them twins scattered countless men and women."

The different colour, multiracial and multi nations mean that you may recognize one another, the Quran said "O Mankind, we created you from single of a male and a female and made you into nations and tribes, that you may know each other, not that you may despise each other." Linking of human brotherhood unites mankind with love and co-operation to remind them that their origin is one and their future is one and tie them together by family relationship gentlemen, all Muslims call mankind to be brothers, to be one unit in safety and peace without fanaticism or partiality.

The Muslim improves and reaches up to such wide horizons of communication and cooperation of people of all nations, in complete equality and within a frame work of love and cordiality among all human beings.

## PEACE AND ISLAM

Ladies and gentlemen : Surely, your conference is the best one for it calls for peace which is fine goal desplay weshed for by all Muslims. It is fact that the slogan of Islam is peace, peace is an attribute of Allah, peaace is the demand and hope of Muslims in the present and the future and peace is the salutation of Muslims when passing by each other. When a Muslim enter his home, he salutes his family by saying "May peace be upon you" (assalamu 'alaykum). Therefre, peace is the hope of all Muslims and would look forward to see it spreading all over the world from east to west and from

# AL AZHAR MAGAZINE

## ENGLISH SECTION

Vol. 66, Part 7
Rajab, 1414 Hijrah

EDITOR : Dr. TRANDIL HUSSEIN EL RAKHAWY. PHD

## CONTENTS

1. The Message of his Emininee Grand Imam to prayer offering and world religious fourum.
   Translated by : Sheikh Salem Saleh
2. A comparative study of the English Translations of the Meaning of Surah Maryam Part II A.
   By : Mona Salem Abdel Ghaffar.
3. Divorce in Islam.
   By : Mohammad Hijab

**"Nothing would be of greater benefit to Muslims and to Humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".**

فهرس


● افتتاحية العدد
لفضيلة الدكتور على أحمد الخطيب ........ ٩٦٩
● مع الإمام الأكبر
- فى ذكرى الإسراء والمعراج .............. ٩٧٢
- فتوى بشأن العمل بشركات الطيران الأجنبية .............................. ٩٧٥
- احتجاج الإمام الأكبر على فيلم يسىء إلى الإسلام .............................. ٩٧٧
● ماذا يجرى فى كشمير
إعداد : قسم التحرير بالمجلة .............. ٩٧٨
● مع سورة الأنفال
لفضيلة الدكتور عبدالجليل شلبى ........... ٩٨٥
● القرآن الكريم والبحر
للأستاذ الدكتور محمد محمد زيتون ....... ٩٩٠
● قبس من أنوار النبوة
لفضيلة الشيخ على حامد عبدالرحيم ........ ٩٩٦
● أسرار وأنوار من آيتى الإسراء والمعراج
للشيخ / معوض عوض إبراهيم .............. ٩٩٨
● دراسة لمحاضرة الأمير تشارلز
للأستاذ / محمد محمد عتريس .............. ١٠٠٢
● المؤمن بين الخوف والرجاء
للأستاذ / محمد عبدالغنى عليان ........... ١٠١٢
● وسطية الإسلام
للأستاذ الدكتور / أحمد عمر هاشم ........ ١٠١٦
● ألبانيا بين هموم الماضى وتوجهات المستقبل
للأستاذ الدكتور / جعفر عبدالسلام ....... ١٠٢٢
● حول فوائد البنوك وحكم الدين
للدكتور إبراهيم عوضين .................. ١٠٣٠
● قيمة الزهد
للأستاذ / محمد زين العابدين العزازى ..... ١٠٣٥
● القيادة الإدارية
للدكتور / محمد عبدالله آل ناجى ........... ١٠٣٨
● الفتاوى إعداد الأستاذ / عبدالمنعم فودة ١٠٤٣
● فى ذكرى الإسراء والمعراج
للشاعر / محمد بكر هلال ................ ١٠٤٥
● آيات وذكرى
للشاعر / عبدالعاطى موسى عبدالعاطى .... ١٠٤٦
● لابد يا قدس
للشاعر / رشاد محمد يوسف .............. ١٠٤٧
● على براق النور
للشاعر / عبدالوهاب المرصفى ............ ١٠٤٨
● الطائر الظمآن للشاعر : إبراهيم عيسى . ١٠٤٩
● لفحات من نار الوسنه
للشاعر : أحمد محمود مبارك .............. ١٠٥٠
● أبو العتاهية
بقلم الفريق / يحيى عبدالله المعلمى ......... ١٠٥٢
● من علمائنا المعاصرين «محمد زاهد الكوثرى»
أ.د/ محمد رجب البيومى ................. ١٠٥٦
● العربية لغة العلوم والتقنية
عرض وتحليل أ.د. أحمد فؤاد باشا ......... ١٠٦٢
● الحمل والولادة
د. أحمد رحانى عبدالحميد ................ ١٠٦٧
● الجديد فى العلم والتقنية
د. نجوى السيد أحمد .................... ١٠٧١
● المرأة فى الغرب الأوربى
أ. د. إسمت غنيم ....................... ١٠٧٤
● طرائف ومواقف
أ/ عبدالحفيظ محمد عبد الحليم ............ ١٠٨١
● من روائع الماضى بمجلة الأزهر
إعداد الأستاذ / عبدالفتاح الزيات ......... ١٠٨٣
● مع ديوان «على أعتاب الرضا»
للأستاذ / محمد عبدالوهاب ............... ١٠٨٧
● القصيدة العربية والوحدة الموضوعية
للأستاذ / أحمد مصطفى حافظ ............ ١٠٩٢
● أضواء على كتاب
عرض وتقديم أ. محمد البشير .............. ١٠٩٩
● بين المجلة والقارىء
د. محمد عبدالحكيم محمد ................. ١١٠٥
● أنباء مكتب الإمام الأكبر
أ. عمر البسطويسى أ. مصطفى عبدالحميد. ١١٠٩
● أنباء العالم الإسلامى
أ. مجدى عبدالحميد بشير ................ ١١١١
القسم الفرنسى ......................... ١١٢٠
القسم الانجليزى ........................ ١١٢٧



# الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول فى المحرم ١٣٤٩هـ

تصدر عن

مجمع البحوث الإسلامية

فى مطلع كل شهر عربى

رئيس التحرير

دكتور / على أحمد الخطيب

مدير التحرير

على عبد الرحيم

سكرتير التحرير

عادل رفاعى خفاجة

• المراسلات / باسم مدير التحرير .. إدارة الأزهر بالقاهرة

ت ٩٠٥٤٧٣-٢٦٣٨٥٩٩

• الاشتراكات / قسم الاشتراكات بالأهرام

شارع الجلاء - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة العالمين ، وعلى آله وصحبه وتابعيه إلى يوم الدين

## الإسلام والأزهر والثقافة الجنسية

من حسنات الإسلام التى تمتع بها السابقون «التصحيح» !

التصحيح بِرَدِّ «الواقع المختل» أو «المُعرَّض» للاختلال إلى واقع سليم صحيح ، هذا التصحيح سمة أصيلة فى الإسلام ، لاتهاون فيها ولاتجاوز ، ذلك أن المبادرة إلى حسم المختل تعنى رَدَّ الحقوق إلى أهلها ، وفى ذلك مافيه من القضاء على الضِغْن ومايستتبعه من بلايا تحيل المجتمع إلى جحيم من العداوة والبغضاء .

وكم لهذا «التصحيح» من أمثلة مرت بالمسلمين نكتفى منها بمثالين :

(أ) «التبنى» الذى عرفته الجاهلية ، وقد تطور إلى جعل المتبنى بمنزلة الابن الصريح ، ورتب له على ذلك كل الحقوق من ميراث ونكاح وغيرهما ، فأبطله الإسلام ، ولم يبطل الجانب الإنسانى من الإحسان إلى يتيم وتربيته على واقعه الصحيح دون «نَسَب» باطل ، أو «زور» أثيم .

(ب) «الظِّهار» وفيه يُنزل الرجل زوجه منزلة أُمّهِ ؛ فيحرمها على نفسه ، ويجعل ذلك طلاقا ، قائلا لزوجِهِ: «أنتِ عليه كظهر أُمِّهِ» وذلك منكر من القول وزور ، فبدر الإسلام إلى بطلانه ، ولم يجعله طلاقا . وفى الظهار والتبنى جاء قوله ـ تعالى ـ قاطعا : ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ۝٤ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ سورة الأحزاب

وبهذا التصحيح عاد ما اختل من واقع إلى وضع صحيح .

ومن منطلق التصحيح كان التعليم ، وسأل الرجالُ وسألت النساءُ رسولَ الله ﷺ فى الجنس ، وأجاب رسول الله ﷺ وساهمت زوجاته ـ رضوان الله عليهن ـ تعليما وتصحيحا حتى لقد بات المجتمع الإسلامى أنظف المجتمعات أجسادا وأدْوَمها طهارة ، وعرفت هذه الحقيقة منظمة الصحة العالمية ؛ فكتبت تقول : «أنقى الأرحام أرحام المسلمات»[1] .

ثم إليك مثلا ـ من بين أمثلة التصحيح لإحدى زوجاته ﷺ وقد أخبرت أن رجلا أصبح حزينا كئيبا ، فتساءلت عن سبب ذلك ، فقيل لها : تزوج بكراً فلم يجد لها عُذْرة ، فبينت ـ رضى الله عنها ـ أن العُذْرة تَذْهَبُ بالوَثْبة ، أو بشدة حَيْضَة . أى أن ذهاب العُذْرة ليس معناه الحكم بفسق المرأة ، وفساد عفتها ، فمثل هذا الحكم ينبغى أن يكون هناك من الأحوال والوقائع ما يبرره ، ولهذا اتخذَ هذا التصحيح طريقه فى الأحكام الفقهية واعتبرت المرأة به بكراً[2] .

وعَلَّم رسول الله ﷺ المسلمين الحيطة للجنس مبكرا ، لينشأ الطفل ـ ذكراً كان أم أنثى ـ بمنجى من كبوة فيه ؛ فقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ فى حديثه عن الصلاة :

مُرُوا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين ، وفرقوا بينهم فى المضاجع[3] .

هذا ، ولقد حثت الشريعة على الاستعلاء بالغريزة ؛ وذلك بصرف قواها ـ ماديا ـ إلى ممارسة ألعاب القوى ، من سباحة ورماية وفروسية وغيرها ، و ـ روحيا ـ بممارسة الصوم ، وذلك لتقع الغريزة بين إطارين من الطهر وحفظ القوى الجسدية والنفسية على أحسن مستوى .

ذلك مسلك الإسلام الذى ورثه الأزهر فى تعليم أبناء المسلمين الثقافة الجنسية ، يتعلمها الطفل ـ ذكرا كان أم أنثى ـ فى إطار «العبادات» من طهارة ـ بفروعها المختلفة ـ إلى صلاة وصيام وحج ، فيكتسب هذه الثقافة محفوفة بالصون والعفاف ؛ بعيدا عن الإثارة الحية التى تتبعها المدرسة الحديثة فى الغرب ، تلك المدرسة التى تتخذ الجسد الحىّ وسيلة إيضاح لتحصيل هذه الثقافة .. والنتيجة أصبحت معلومة يشكو منها أهل الأرض جميعا لما نشرته فى الناس من «إيدز» ... وباء القرن العشرين .

---

(١) نشرت ذلك مجلة الأزهر فى حينه .

(٢) المغنى لابن قدامة ٤٦/٧ . نشر مكتبة القاهرة (١٩٦٩) .

(٣) رواه أحمد وأبوداود والحاكم عن عبدالله بن عمرو ـ رضى الله عنهما ـ .




جاد الحق علي جاد الحق

شيخ الأزهر

# هدفان من : " الإسراء والمعراج "

## كلمة الإمام الأكبر في الذكرى المباركة

قال الله ـ سبحانه ـ فى القرآن الكريم :

- ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾

سورة الإسراء

**هذا الإسراء : أى السير ليلاً بالنبى ﷺ من المسجد الحرام فى مكة ، إلى المسجد الأقصى فى القدس ؛ تكريم لرسول الله وتسرية عنه وخروج به مما أحاط به من متاعب وآلام فى سبيل تبليغ الرسالة ، وتثبيت لعزيمته وإمضاء لإرادته بعد إذ وقف يناجى ربه ويناديه ، حين تكاثرت من حوله النائبات ، وتحرش به قومه وتربصوا له ، وحين ذهب إلى الطائف يدعو أهلها إلى دين الله ، لكنهم كانوا كجيرانهم قريش ، قست قلوبهم ، ولووا رءوسهم فكانت شكواه إلى ربه وتضرعه ومناجاته .**

وسط هذه النوازل كانت رحمة الله وعافيته تحوط رسوله وتكرمه فكان الإسراء إلى بيت المقدس رحلة أرضية تحقق عنها هدفان :

**□ الهدف الأول :**

تثبيت قلوب المؤمنين الذين آمنوا بالله وبرسالة محمد ﷺ ودعوته ، وليكبت المشركين . إذ أنه ما أن عاد الرسول من رحلته القدسية وأخبر قومه بأنه أسرى به الليلة إلى بيت المقدس حتى كذبوه وسخروا منه ، بالرغم من أن الرسول قد وصف لهم بيت المقدس وصفا دقيقا ، مع علمهم بأنه لم يسبق له رؤية هذا البيت قبل هذه الليلة ؛ بل وأخبرهم بما ضل من رواحلهم الآتية عن طريق القدس ، وأنه قد شرب مما تحمله من ماء ، وأنبأهم بأن هذه القافلة ستصل قبل طلوع الشمس ووصلت فى هذا الموعد ، ومع هذه المؤكدات لصدقه سأل أخبثهم : أبا بكر ـ رضى الله عنه ـ مستنكرا : « إن صاحبك يزعم أنه أسرى به الليلة إلى بيت المقدس » فقال أبو بكر : قد صدقناه فى خبر السماء أفلا نصدقه فى خبر الأرض ؟ فسمى أبو بكر من هنا بالصديق .

## معنى جمع الأنبياء

☐ اما الهدف الثانى :

لهذه الرحلة الأرضية الإسراء فإن الله ـ سبحانه ـ جمع الأنبياء والرسل فى بيت المقدس وصلى بهم رسول الله محمد ﷺ إماما ، إبرازا لعهد الله وميثاقه على من سبقه من الرسل فى قوله تعالى :

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾ (العمران : ٨١)

ذلك لأن الرسول محمدا ﷺ خاتم النبيين وشريعته للناس جميعا وللعوالم جميعها ، ودعوته عامة لاتختص بزمان ولامكان ، أما دعوة من سبقه من الرسل فقد كانت خاصة بأقوامهم ، نجد ذلك واضحاً فى رسالاتهم التى حدثنا عنها القرآن الكريم ، ودعائهم على من لم يؤمن بهم من قومهم وهلاك هؤلاء ليكونوا عبرة لمن يأتون بعدهم .

وكان للمعراج وهو الصعود برسول الله ﷺ إلى السموات مقاصد عالية ومعان سامية ، فقد شرفه الله بهذه الرحلة ورفعه مكانا عليا ، وأراه من آياته الكبرى ، حتى انتهى إلى سدرة المنتهى بعد أن التقى بالرسل والأنبياء كل فى موقعه من السموات ، وكان له مع كل منهم حوار وثناء وترحيب .

## آية ظاهرة للوحدة

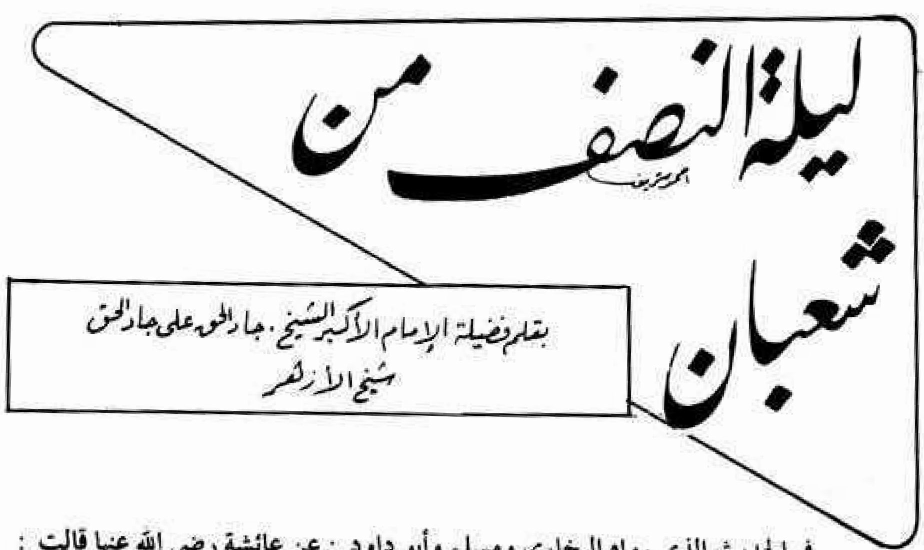
وقد فرضت الصلاة فى هذه الرحلة السماوية ، ومن ثم كانت عماد هذا الدين بحق ، كيف لا ؟ وهى آية ظاهرة على وحدة المسلمين إذ يتجهون فيها إلى قبلة واحدة على عبادة موحدة فى أوقات محددة ، وإذ تعود هذه الذكرى بالمسلمين اليوم .. عليهم أن يذكروا المسجد الأقصى الأسير الذى كان أول قبلة للمسلمين ، وكان إليه مسرى الرسول ﷺ وصلى فيه إماماً للأنبياء والمرسلين ، والذى تسلمه عمر بن الخطاب وظل المسلمون سدنة أعتابه وحراسا فى رحابه ، يعمرونه بالصلاة ، وفيه ترتفع نداءات المؤذن فى وقت كل صلاة . وكم من حلقات للعلم قد انعقدت فى جنباته ، وكم من الفقهاء والعلماء والأدباء قد أفاض الله عليهم فى رحابه علوما نافعة فى الدين والدنيا .

يذكر المسلمون القدس وأنها دارهم ، وأن عليهم أن يجمعوا أمرهم ليستردوا أرضهم ، ويكونوا صفاً واحداً ، كما كان أسلافهم الذين حافظوا على البلاد وأقاموا أحكام الإسلام .

لنتخذ من هذه الذكرى مددا وسندا لوحدتنا ، وعضدا لقوتنا ولنثق فى وعد الله الذى لايتخلف .

﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾ .

سورة الحج




**فى الحديث الذى رواه البخارى ومسلم وأبو داود : عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول لا يفطر ، ويفطر حتى نقول لا يصوم . وما رأيت رسول الله ﷺ استكمل صيام شهر قط إلا شهر رمضان ، وما رأيته فى شهر أكثر صياما منه فى شعبان ، وفى رواية لأبى داود قالت : كان أحب الشهور إلى رسول الله ﷺ أن يصومه شعبان ثم يصله برمضان .**

وفى الحديث الذى رواه أبو داود والنسائى عن أم سلمة رضى الله عنها قالت : لم يكن النبى ﷺ يصوم من السنة شهرا تاما إلا شعبان كان يصله برمضان ، وفى هذا دليل على ما كان لشهر شعبان فى الإسلام من مكانة خاصة بين الشهور ، فهو شهر النفحات والفيوضات والبركات .

وفى الحديث الذى رواه النسائى عن أسامة بن زيد رضى الله عنهما قال : قلت يا رسول الله لم أرك تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان . قال : « ذاك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان ، وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين وأحب أن يرفع عملى وأنا صائم » .

قال الشوكانى : ولعل الحكمة فى صوم شهر شعبان أن يتعقبه شهر رمضان ، وصومه مفترض فكان رسول الله ﷺ يكثر من الصوم فى شعبان قدر ما يصوم فى شهرين من غيره ؛ لما يفوته من التطوع الذى يعتاده بسبب صوم رمضان ..

ومن الحوادث العظيمة التى وقعت فى هذا الشهر المبارك : تحويل القبلة فى الصلاة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة .

ففى الصحيحين عن البراء بن عازب رضى الله عنهما قال : كان رسول الله ﷺ قد صلى نحو بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهرا ، وكان رسول الله ﷺ يحب أن يوجه إلى الكعبة ، فأنزل الله :

﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ .

البقرة : ١٤٤

فتوجه نحو الكعبة ، وقال السفهاء من الناس وهم اليهود :

﴿ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾

البقرة : ١٤٢

فصلى مع النبى ﷺ رجل ، ثم خرج بعد ما صلى ، فمر على قوم من الأنصار فى صلاة العصر يصلون نحو بيت المقدس فقال ــ وهو يشهد ــ أنه صلى مع رسول الله ﷺ وأنه توجه نحو الكعبة ، فتحرف القوم حتى توجهوا نحو الكعبة .

وفى الصحيحين عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : ( بينما الناس بقباء فى صلاة الصبح إذ جاءهم آت فقال : إن رسول الله ﷺ قد أنزل عليه الليلة قرآن ، وقد أمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها . وكانت وجوههم إلى الشام ، فاستداروا إلى الكعبة ) .

وفى رواية للنسائى عن سعيد بن المعلى ، أن أول صلاة صليت إلى الكعبة كانت : ( صلاة الظهر ) .

وقد ضبط أهل الحديث والسير : أن الأمر بتحويل القبلة من بيت المقدس إلى المسجد الحرام كان فى شعبان من السنة الثانية للهجرة .

وقد امتن الله على المسلمين باختياره المسجد الحرام قبلة لكل مصل ، فقال تعالى :

﴿ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾

البقرة : ١٤٤

ومن مكارم هذا الشهر المبارك ما روى عن ليلة النصف منه وما كان يخصها المصطفى ﷺ بعبادة متميزة تبيانا لفضائلها ، ففى الحديث الذى رواه الطبرانى ، وابن حبان فى صحيحه عن معاذ بن جبل ــ رضى الله عنه ــ عن النبى ﷺ قال : « يطلع الله على جميع خلقه ليلة النصف من شعبان فيغفر لجميع خلقه إلا لمشرك أو مشاحن » .

وفى رواية الامام أحمد عن عبد الله بن عمرو ــ رضى الله عنهما ــ أن رسول الله ﷺ قال : « يطلع الله عز وجل إلى خلقه ليلة النصف من شعبان فيغفر لعباده إلا اثنين : مشاحن أو قاتل نفس » .

وعن عائشة ــ رضى الله عنها ــ قالت : « قام رسول الله ﷺ من الليل فصلى ؛ فأطال السجود حتى ظننت أنه قبض ، فلما رأيت ذلك قمت حتى حركت إبهامه فتحرك فرجعت ، فسمعته يقول فى سجوده : « أعوذ بعفوك من عقابك ، وأعوذ برضاك من سخطك ، وأعوذ بك منك إليك ، لا أحصى ثناءً عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك » فلما رفع رأسه من السجود وفرغ من صلاته قال : « يا عائشة ، أو ياحميراء : أظننت أن النبى ﷺ قد خاس بك[1] ؟ » قلت : لا والله يا رسول الله ، ولكنى ظننت أنك قبضت لطول سجودك ، فقال : أتدرين أى ليلة هذه ؟ قلت : الله ورسوله أعلم . قال : « هذه ليلة النصف من شعبان ، إن الله عز وجل يطلع على عباده فى ليلة النصف من شعبان فيغفر للمستغفرين ويرحم

(١) ومعنى ( خاس بك ) أى غدر ، وكأنه ﷺ يقول لها : « أظننت أننى قد غدرت بك وذهبت إلى إحدى نسائى فى ليلتك ؟ »

المسترحمين ويؤخر أهل الحقد كما هم » .. رواه البيهقى وقال أنه مرسل جيد .

هذه الأحاديث وغيرها تعلى من شأن ليلة النصف من شعبان ، وتعظم ذلك اليوم ، وتدعو المسلمين إلى الإقدام على طاعة الله فيها ، وصوم يومها ؛ طلبا لرحمة الله ومغفرته واستزادة من مرضاته ، واستقبالا لخيره الذى لا ينقطع عمن تاب إليه وأناب ، فإنه سبحانه يوفى الطائعين الصابرين الصائمين أجرهم بغير حساب ، وخير ما يعبد الله به فى هذه الليلة المباركة ؛ الصلاة وتلاوة القرآن والدعاء بما يفتح الله به على المسلم فى خشوعه وعبادته ، وخير الدعاء ما علمنا الله إياه فى القرآن ، وما ورد عن رسول الله ﷺ فلنحرص على إحياء هذه الليلة بالطاعة ، وبالصلاة ، وتلاوة القرآن ، والاستغفار والتسبيح والتهليل والتكبير ، وسائر أنواع الذكر ، وعلى صوم يومها كما أثر عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم .

هذا ولم يؤثر عنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ دعاء خاص فى هذه الليلة ، ولعل الأولى : التأدب بأدب القرآن ، والتزام ما جاء فيه من أدعية جرت بها آياته ، وما أثر عن رسول الله ﷺ من جوامع الدعاء ، إذ بها تتنزل الرحمات ، وتقضى الحاجات ، وتنغلق أبواب الشرور والآفات ، ومن أدب الدعاء : الإخلاص ، والإقبال على الله ، فادعوا الله مخلصين له الدين ، وأقبلوا على الله لا سيما فى مواسم الخير والبر ، يكن الله معكم .. بالحفظ والرعاية والتوفيق .



# مع سورة الأنفال

فضيلة الدكتور عبد الجليل شلبي

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ (٥٩) وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (٦٠) ﴾

قرىء يحسبن بياء الغيبة ، والفاعل على هذا هو الاسم الموصول وهو الذين كفروا ومفعول يحسبن الأول محذوف ، أى لا يحسب الظالمون أنفسهم أنهم سبقوا ؛ فجملة سبقوا هى المفعول الثانى ، وقرأ ابن مسعود « أنهم سبقوا » فعلى هذه القراءة تكون جملة « أنهم سبقوا » قد سدت مسد المفعولين .

والآية متصلة بالآية السابقة :

وَإِمَّا تَخَافَنَّ ﴾ ، فهؤلاء هم الكافرون الخائنون ، والمعنى لا يحسب ولا يظن هؤلاء أنهم أفلتوا من عقوبة الله وفروا بفعلتهم ، فإنهم لا يعجزون الله ولا يستطيعون الفرار منه ، كما قالت الجن : ﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴾ أى : لا نغلبه ولا نستطيع الفرار منه .. هذا فحوى الآية . وفى جميع تقديراتها وتوجيهاتها النحوية لا تخرج عنه .

ومن التقديرات التى قيلت : أن فاعل يحسبن محذوف ، والتقدير لا يحسبن أحد أن الذين كفروا سبقوا ، ولا يخلوا هذا التقدير من إقناط الكفار تيئيسهم من انتفاعهم بخياناتهم ، فسواء كان هذا الظن منهم أو من غيرهم ؛ فقطعه موئس لهم مثبط لعزائمهم على الكيد والخيانة . وهو أيضا تشجيع للنبى ﷺ وللمؤمنين ، وتثبيت لهم على عزيمة الجهاد ورجاء النصر أو تيقنه .

وقرئت الآية : ولا تَحْسبن .. بتاء الخطاب ، فالمخاطب بالحسبان ــ بادىء ذى بدء ــ هو النبى ﷺ نفسه ، وهو واضح جدا فى تثبيته ، وبث الأمل فى نفسه ، ويمكن أن يكون الخطاب لكل من يتأتى له الخطاب ، فيكون التقدير : لا يحسبن حاسب أيا كان .

وجملة : « إنهم لا يعجزون » جملة مستأنفة ، فهى توكيد لمضمون الجملة السابقة أى : لا يظنوا ذلك ، فهم لا يعجزون الله .

وقرئت الآية : « أنهم لا يعجزون » بفتح الهمزة ، فهى جملة تعليلية ، بتقدير : لأنهم لا يعجزون ، وحَذْف الجار مع أنَّ ، وأنْ ، مطرد مألوف فى اللغة ، ومفعول « يعجـــزون » محذوف ، بمعنى لا يعجزون الله أو لا يعجزونك أو لا يعجزون أحدا .. وقرىء أيضا « يعجزون » بتشديد الجيم .

وفى كل الأوجه تبدو تسلية الرسول ﷺ ظاهرة فيمن فاته وأفلت منه من المشركين أو اليهود الذين خانوه ونقضوا عهده فى كل مرة وهم لا يتقون ، وبعض المفسرين قصر المعنى فى « ولا يحسبن الذين كفروا » على اليهود ؛ لما تكرر من خياناتهم .

وقد كان اليهود حين هجرة النبى ﷺ إلى المدينة : ثلاث طوائف هم : بنو قينقاع ، وبنو النضير ، وبنو قريظة ، وحديثهم جميعا وموقف عبدالله بن أُبىّ وحُيّى بن أخطب لا أرى داعيا لذكره .

﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ .. ﴾

وهذا خطاب للنبى ﷺ ومن معه من المؤمنين ، أمر بإعداد كل ما يستطيعون من قوى لحرب هؤلاء الخوان الذين نقضوا العهد ، أو هو أمر بالاستعداد لقتال الكفار على الإطلاق .

و « القوة » : كل ما يتقوى به فى الحرب ، أطلق عليه اسم القوة ، من باب المبالغة ، لأنه مظهرها ، وقد خاض المسلمون الحرب يوم بدر بدون استعداد ؛ لأنهم كانوا يريدون الطائفة غير ذات الشوكة ، وهى القافلة العائدة من الشام بمتاجر قريش ، وقد كتب لهم النصر مع عدم استعدادهم وقلة أسلحتهم ، ولكن النصر من غير استعداد لا يتأتى فى كل حين . وما يتقوى به فى الحرب يشمل الأسلحة أيا كانت ، كما يشمل حسن التدبير ، وبث المكايد ، وتثبيط العدو ،

وتفريق جماعته وغير ذلك ، فكل ذلك مما يشمله لفظ القوة ، لأنه قاهر للأعداء ، وفسر بعض الصحابة القوة بما كان مألوفا فى عهدهم . فقال ابن عباس : هو أنواع الأسلحة ، وقال عكرمة : هى الحصون والمعاقل ، وروى أنه فسرها بأنها ذكور الخيل ، وليس بذى قوة لأن الخيل ذكرت بعد ، وجاء عن رسول الله ﷺ : ألا إن القوة الرمى ، قالها وهو يخطب فوق المنبر ثلاثا ، وظاهر أن القصر فيها إضافى ـ كما تقول : العبادة التهجد ، والحج عرفة ، وذلك لأن الرمى فى ذلك العهد كان أنجح الوسائل فى الحرب ، وقد حث عليه الرسول ﷺ ، وحث عليه عمر ، وجاء فى الحديث : « كل شىء من لهو الدنيا باطل إلا ثلاثة : انتضالك بقوسك ، وتأديبك فرسك ، وملاعبتك أهلك ، فإنها من الحق .. » وجاء أيضا : « انتضلوا واركبوا ، وان تنتضلوا أحب إلى .. »

وإذا كانت هذه الأدوات هى البارزة فى آلات الحرب فى ذلك الوقت وقد نبه النبى عليها ، فإن علينا أن نستعد لكل حرب بما يناسبها ، وفى كل زمان بما يهيىء النصر . وفى العصور الحديثة لم يعد الرمى ذا جدوى ، فيوجد من الأسلحة الفتاكة المدمرة ، من القذائف والقنابل بأنواعها العديدة ما لا يغنى معه النبل ولا الرماح والسيوف ... وكلمة قوة تشمل كل ذلك وغيره ، وأمر النبى ﷺ بتعلم الرماية يشمل تعلم كل أداة .

وجاءت كلمة « قوة » منكرة ، فهى تشمل كل أنواع القوى ، وهذا ما يهيب بالمسلمين أن يأخذوا حذرهم ، وأن يعملوا على مجاراة ركب القوى ، حتى لا يصبحوا أذنابا وأتباعا ، ويكون موقفهم موقف الخائف المتهيب الذى لا يجرؤ على الحرب والدفاع .

ولم يكن المسلمون فى موقف ما أضعف مما هم عليه الآن ، وقد تكالبت عليهم الدول وتداعى الأعداء فى كل مكان ، وهم لا يملكون ما يدفعون به عدوا أو يردون به كيداً . وقد فرط المسلمون فى هذا الاستعداد من قبل ، ففرطوا فى تعاليم الإسلام وأوامر القرآن ، ولا يأس بعد ذلك من رحمة الله .

أما « رِبَاطُ الخَيْلِ » فقسره الزمخشرى بأنه الخيل تربط فى سبيل الله استعدادا للقتال ـ فالرباط إذن بمعنى مربوط أو هو مصدر ـ يقال : ربط الشىء رَبْطا ورباطا ، ورابط ربطا ورباطا . ومرابطة ، والرباط التأهب وترقب مجىء العدو وبه فسر قول الله تعالى : ﴿ **اصبروا وصابروا ورابطوا** ﴾ ـ وقيل : إن الرباط لفظ مشترك بين معانى : الخيل وانتظار الصلاة بعد الصلاة . والإقامة على جهاد العدو بالحرب ، ومصدر رابطت بمعنى لازمت .. وجاء فى الحديث الثناء على إسباغ الوضوء على المكاره ، والمشى إلى المساجد فى الظلمات . وانتظار الصلاة بعد الصلاة . وختم الحديث بجملة « فذلكم الرباط ، فذلكم الرباط ، فذلكم الرباط » قيل : المراد بذلك هو انتظار الصلاة بعد الصلاة ، لأن المصلى المترقب لمجىء الصلاة كى يؤديها ، كالمحارب الذى يترقب هجوم العدو كى يرده . وقيل : المراد بالرباط هذه الأشياء الثلاثة ، وهو بعيد ، ومهما يكن من أمر فالكلام هنا على التشبيه ، أى : ذلكم ما يستحق أن يسمى رباطا ، لأنه نوع من الجهاد ، جهاد النفس وجهاد الشيطان ، وهو خليق أن يسمى رباطا .

ومن العباد من يصر على الصلاة فى المسجد ، والسعى إليه فى صلوات الصبح والعتمة . وقد رغب النبى ﷺ فى الصلاة فى المسجد ، ولما أراد بنو سلمة أن ينقلوا بيوتهم إلى مكان قريب من المسجد – وكانوا يسكنون بعيدا عنه – قال لهم النبى ﷺ : مكانكم بنى سلمة تكتب لكم خطواتكم على الطريق .. فالسعى إلى المسجد وترقب الصلاة بعد الصلاة خليق أن يسمى رباطا ، وأن يشبه ذووه بالمقيمين على الحدود لدفع الأعداء .

ويجوز فى « رباط الخيل » أن تكون جمعا لربيط بمعنى مربوط – كما يقال : فصيل وفصال وقيل : مفرده رَبْطٌ . بوزن كعب وكعاب وبحر وبحار – وقرأ الحسن : « ومن رُبُـط » بضم البـاء وبسكونها . والمعنى واحد فى الجميع .

و« ترهبون به عدو الله وعدوكم » . أى : تخوفون ، والرهبة هى الخوف الشديد ، وقرئ « تُرَهِّبونَ » بتشديد عينه ، وهى صيغة تفيد المبالغة ، وقرأ ابن عباس ومجاهد « تخزون به » .. والخزى قد يكون بسبب الهزيمة أو بسبب الخوف والتراجع ، والضمير فى « به » عائـد لما فى « ما استطعتم » .. أو للإعداد المفهم من الأمر بأعدوا أو لما ذكر من القوة ومن رباط الخيل معا .

ومحصل الآية أن كونوا على استعداد لإرهاب أعدائكم حتى لا يطمعوا فيكم أو يتجرأوا عليكم ، وليكن لديكم ما يمكنكم من دفعهم والانتصار عليهم .

و« عدو الله » أعداء الله ، الذين يخرجون عن أوامره ويحاربون دينه ، وعدو كضيف يستعمل للمفرد وللجمع ، وأعداء الله أعداء للمسلمين وللإسلام .

و« عَدُوَّكُم » أى الذين يناصبونكم العداء ، ويتربصون بكم دوائر السوء ، وهذا ينطبق على أعداء الإسلام والمسلمين فى كل زمان وكل مكان ، وفى عهد النبوة كان الأعداء هم مشركو مكة ، ومنافقو المدينـــة من اليهود ، وكان المشركون يشنون الحرب على المسلمين بين حين وحين ، وعداوتهم سافرة لاخفاء فيها ، وكان اليهود كلما سنحت فرصة لنقض عهدهم مع النبى ﷺ نقضوه .. فهؤلاء جميعاً أعداء ظاهرو العداوة .

« وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ » .

أى : « وأعداء آخرين لاتعلمونهم ، فإذا فسرنا « عدو الله وعدوكم » بكفـــار قريش واليهود ، فهؤلاء الآخرون غيرهم . وقد يكونون أعراب البادية من غطفان ومن معهم وقيل : هم أهل فارس والروم ، وكلمة « الله يعلمهم » قد تفيد الاختصاص بمعنى أنه وحده هو الذى يعلمهم .. وقد يكون ذلك شيئا فى هذا الوقت ثم عرفوا بعد ذلك ، والعلم هنا بمعنى المعرفة ، فلا يحتاج إلى مفعولين .

﴿ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ .

حث وترغيب فى الإعداد السابق ، فإعداد آلات الحرب وإعداد الخيل لابد له من إنفاق مال وجهد . فهذا الإنفاق فى سبيل الله ، وسبيل الله يشمل كل أنواع الخير وأبواب البر ، ولكن يندرج فيه الإعداد السابق اندراجا أوليا . وهو إنفاق ليس بضائع ولا منقوص الأجر ، ولكن جزاءه يؤدى إلى أصحابه وافيا ، لا يظلمون فى وفائه شيئا .

والله أعلم .




بقلم فضيلة الشيخ / على حامد عبد الرحيم

عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أنها كانت تقول :

قال رسول الله ﷺ : «سددوا ، وقاربوا ، وأبشروا ، فإنه لن يُدخِل الجنة أحدا عمَلُه ، قالوا : ولا أنت يارسول الله ؟ قال : ولا أنا ، إلا أن يتغمدنى الله منه برحمة . واعلموا أن أحب العمل إلى الله أدومه وإن قلّ»

رواه البخارى ومسلم والنسائى

١ ـ سددوا : من التسديد ، وهو طلب القصد والعدل بين الإفراط والتفريط .
٢ ـ قاربوا : من المقاربة ، وهى عدم المبالغة ، فإن إجهاد النفس يؤدى إلى الترك .
٣ ـ وأبشروا : من التبشير ، وهو إدخال السرور .
٤ ـ يتغمده بالرحمة : يعمه بها ، ويلبسه إياها ، أى : بالتوفيق للعمل الصالح .

عندما تحدثنا عن الحديث الذى رواه الإمام أحمد : أن رجلا جاء فدخل الإسلام فكان رسول الله ﷺ يعلمه الإسلام وهو فى مسيره ، فدخل خف بعيره فى حجر يربوع ـ فأر ـ فوقصه بعيره وألقى به فدق عنقه ، فمات .. فقال رسول الله ﷺ عَمِلَ قليلا وأُجِرَ كثيرا .. أو كما قال عليه الصلاة والسلام .

عندما تكلمنا فى هذا ، قال بعض المسلمين : إن معنى ذلك أن من قال : «لا إله إلا الله محمد رسول الله» مرة واحدة فى عمره دخل الجنة ، ولقد غاب عن المتكلم أن هذا الصحابى مات عقب إسلامه ولو عاش لَعَمِلَ لكنه الأجل ، ويمكننا القول : بأن الإيمان ماثبت فى النفس ، وملك عليها حواسها . بل هو تصديق بالقلب يتمكن من جنان صاحبه بأن للعالم إلها واحدا لا شريك له ، يدبر الأمر ويفعل مايشاء ويحكم مايريد ، لا معقب لحكمه يعز من يشاء ويذل من يشاء ، بيده الخلق والأمر وهو على كل شىء قدير ، وأنه متصف بكل كمال .

ثم عمل بالأركان ، وتزود من الصالحات التى تغذى هذا الإيمان ، ويزيد فى نمائه بامتثال الأوامر واجتناب النواهى ، يؤثر مرضاة الله على مرضاة

الناس ، يبغض الذل والاستعباد ؛ لأنه تعلم أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ، إن كان غنيا بذل من ماله فى سبيل دينه ، وإن كان قويا بذل من قوته دفاعا عن دينه ووطنه ، وإن كان عالما نشر من علمه بين الناس ، وإن كان ذا حرفة سخَّر موهبته لرقى أمته ونفع بلاده والناس أجمعين .

إذا شع نور الإيمان فى القلب أثر على أعضاء الجسم كله ، فالعين لاتنظر إلى حرام ، والرِّجل لاتمشى إلى مانهى عنه الله ـ سبحانه ، والفرج محفوظ إلا مما أحله الله ، والبطن لا يأكل حراما ، والعقل لايفكر فى حرام ، فالجوارح كلها لله خاشعة ، ولأمره طائعة . فليس الإيمان بالتمنى ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل .

فالإيمان لابد أن يقترن بالعمل ؛ لأن العمل ثمرته وبرهانه ، ومجالاته متعددة قال ﷺ فى حديث متفق عليه بين البخارى ومسلم : الإيمان بضع وسبعون ـ أو بضع وستون ـ شعبة أعلاها قول : « لا إله الا الله » وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان .

وهكذا نرى أن الإيمان يشمل عقائد القلب وأعماله ، وأعمال الجوارح ، وأقوال اللسان . فكل مايقرب إلى الله ، ومايحبه ويرضاه من الواجب والمستحب داخل فى الإيمان ، جميع شعب الإيمان ترجع إلى الإخلاص للمعبود الحق ، وترجع إلى الإحسان إلى الخلق .

وقد وصف الله ـ تبارك وتعالى ـ الإيمان بالشجرة الطيبة فى أصلها وثمراتها التى أصلها ثابت وفروعها باسقة فى السماء ، تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها ، ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتفكرون .

وأحب الأعمال إلى الله ـ تعالى ـ ماداوم عليه صاحبه وفرائض الإسلام فرضت على الدوام باستثناء الحج ، فإنه فرض فى العمر مرة ؛ درءا للمشقة عن الأمة ، وتيسيرا عليها كما قال ـ تعالى ـ فى الحديث القدسى : « ... وماتقرب عبدى بشىء أحب إلىّ مما افترضته عليه .. » أخرجه البخارى .

وإن من هدى النبى ﷺ المداومة على الأعمال الصالحة ، فعن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : « كان رسول الله ﷺ إذا عمل عملا أثبته ، وكان إذا نام من الليل أو مرض صلى من النهار اثنتى عشرة ركعة » رواه مسلم .

« وكان نومه صدقة عليه » أخرجه النسائى .

وعن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ فيما رواه مسلم ، والإمام أحمد يبلغ عن النبى ﷺ أنه قال : « من فاته شىء من ورده أو قال من جزئه من الليل فقرأه ما بين صلاة الفجر إلى الظهر فكأنما قرأه من ليله » .

وللمداومة على عمل الصالحات آثار أهمها : اتصال القلب بخالقه مما يعطيه قوة وثباتا ، كما تروض النفس على لزوم الخيرات حتى تسهل عليها فلا تكاد تنفك عنها رغبة فيها ؛ لأن النفس ـ كما قيل ـ : إن لم تشغلها بالطاعة شغلتك بالمعصية .

كما قال ـ عز من قائل : ﴿ وَالَّذِينَ جَٰهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ العنكبوت ٦٩

﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾

سورة ابراهيم ٢٧

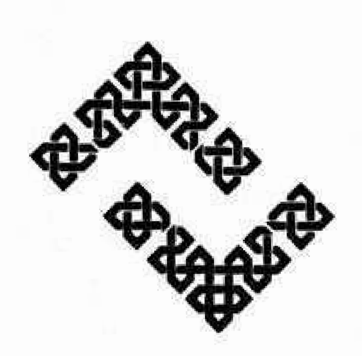
ومما يعين على عمل الصالحات القصد وعدم التشديد على النفس ، فإن ذلك أدعى للمداومة وأضمن لها . حتى لا تركن إلى الراحة والدعة ، وحتى لا ينقطع العمل الصالح ـ قال رسول الله ﷺ : « خذوا من الأعمال ما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا » متفق عليه .

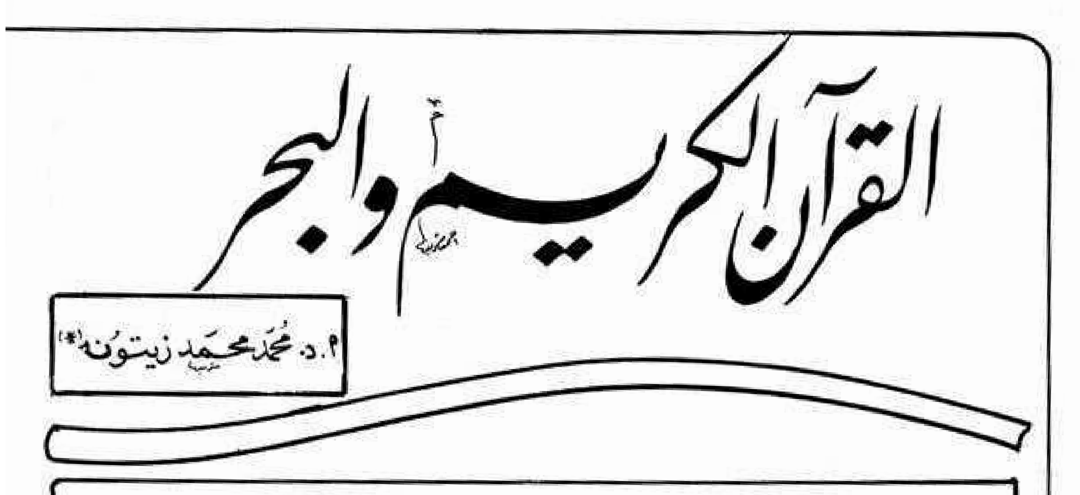
وعن أبى هريرة رضى الله عنه ـ فيما رواه البخارى ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الدين يُسْرٌ ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه ، فسددوا وقاربوا وأبشروا ، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة » .. والمؤمن إذا كان كذلك سدد الله خطاه ورعاه ، ووفقه لما يسعده فى دنياه وأخراه .

من ظن أن الإيمان كلمة التوحيد بدون عمل فقد خانه التوفيق ، وابتعد عن أقوم الطريق .

فـ « ما أقل حياء من يطمع فى جنة الله ـ تعالى ـ بغير عمل ، وكيف يجود الله برحمته على من بخل بطاعته .

اللهم نوِّر قلوبنا بالإيمان ، ووفقنا لطاعتك يا أرحم الراحمين .






في الجزء الأول من هذه الدراسة حاولنا إلقاء الضوء على الآيات القرآنية التي تتحدث عن البحر ( اقتصاديا ) ، ونستكمل في هذا الجزء الحديث عن بيان مدى اهتمام القرآن الكريم بتوجيه أنظار المسلمين إلى الاهتمام بالبحر وإدراك أسراره .

(ب) آيات تحث على استكشاف أسرار البحر وما فيه بما يفيد الإنسان ويوجهه إلى البحث في علوم الفلك وغيرها وهي ست آيات :

١ ـ ففي سورة الأنعام ( آية ٥٩ ) يقول الله ـ تعالى ـ :

﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾

ويذكر القرطبي : أن الله خص البر والبحر لذكر لأنهما أعظم المخلوقات المجاورة للبشر ، أي : يعلم ما يهلك في البر والبحر ، فيعلم ما في البر من النبات والحب والنوى ، وما في البحر من الدواب ورزق ما فيها ، ويروى ابن عمر أن النبي ـ ﷺ ـ قال : « ما من زرع على الأرض ولا ثمار على الأشجار ولا حبة في ظلمات الأرض إلا عليها مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم رزق فلان ابن فلان في قوله تعالى في محكم كتابه :

﴿ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [1]

٢ ـ وفي سورة الأنعام أيضا ( آية ٩٧ ) يقول الله تعالى :

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾

يوجه القرآن الإنسان إلى البحث في علم الفلك الذي يتعلق بالأجرام السماوية ؛ لأن ذلك

---

★ الباحث : رئيس قسم التاريخ والحضارة بكلية اللغة العربية ـ جامعة الأزهر ـ القاهرة ، وقد حذفت بعض أجزاء هذا المبحث نظراً لضغط المادة المقالية على مساحة المجلة .

(١) القرطبي الجامع لأحكام القرآن ص ١ .

يفيده عندما يكون في خضم البحر وظلماته ، فيدرك أين مكانه من الكرة الأرضية ، وللنجوم جملة منافع قال ـ عنها بعض السلف : من اعتقد في هذه النجوم غير ثلاثة فقط أخطأ وكذب على الله سبحانه : ان الله جعلها زينة للسماء ، ورجوما للشياطين ، ويهتدى بها في ظلمات البر والبحر .

والاهتداء بالنجوم يحتاج إلى علم ، ولذلك فإن التعقيب ( قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون )[٢] ففيها حث للإنسان على إدراك علم الفلك والتعمق فيه والانتفاع به .

٣ ـ وفى سورة طه ( الآيات ٧٧ ـ ٧٩ ) يقول الله تعالى :

وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ لقد ضرب موسى البحر فانفلق ، فكان كل فرق كالطود العظيم أى الجبل العظيم ؛ فأرسل الله الريح على أرض البحر فلفحته حتى صار يابسا كوجه الأرض لا تخاف دركا من فرعون ، ولا تخشى من البحر أن يغرق قومك[٣] .

٤ ـ وفى ( سورة الشعراء آية ٦٣ ) يقول الله تعالى : ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ .

ويذكر الطبرى أن موسى عندما ضرب البحر بعصاه انفلق فكان كل فرق كالطود العظيم ، كالجبل العظيم ، وكانوا اثنى عشر سبطا ، وكانت الطرق بجدران فقال كل سبط قتل اصحابنا فجعلت كوى يرى كل منهم الآخر[٤]

كل هذه الآيات تحث الإنسان على اكتشاف أسرار البحر ، والوصول إلى العلوم ـ في غير ماهو معجزة ـ التى تساعد على ذلك .

(جـ) آيات تذكر البحر بالنسبة لنبى الله موسى ـ عليه السلام ـ وأم موسى وبنى إسرائيل وفرعون وأهل مصر ، فهى تبين حوادث تاريخية . وهى ثلاث عشرة آية .

١ ـ ففى سورة البقرة ( آية ٥٠ ) يقول الله تعالى : ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ .

يذكر الله ـ تعالى ـ بنى إسرائيل بنعمه عندما فرق لهم البحر ، فنجى موسى وقومه ، وأنزل العقاب ، وقد رأى بنو إسرائيل ذلك بعيونهم وشاهدوا فرعون وقومه وهم يغرقون .

ويورد الألوسى أنه اختلف في البحر الذى فرق لموسى وقومه فقيل : القلزم ، وكان بين طرفيه أربعة فراسخ ، وقيل : النيل . والمشهور في الانفلاق أنه كان خطياً ، وفى بعض الآثار ما يقتضى كونه قوسيا إذ فيه أن الخروج من الجانب الذى دخلوا منه[٥]

٢ ـ وتأتى آية سورة يونس ( رقم ٩٠ ) فتذكر الإغراق في البحر أيضا . يقول الله ـ تعالى :

---

(٢) ابن كثير تفسير القرآن العظيم جـ ٢ ص ١٥٨ .
(٣) ابن كثير تفسير القرآن العظيم جـ ٣ ص ٣٣٦ .
(٤) الطبرى جامع البيان جـ ١٦ ص ٤٦ .
(٥) الألوسى روح المعانى في تفسير القرآن العظيم جـ ١ ص ٢٥٥ .

﴿ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ بَغۡيٗا وَعَدۡوًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ .

٣ ـ سورة الأعراف ( آية ١٣٦ ) يقول الله تعالى :

فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ

٤ ـ وفى سورة طه ( آية ٧٨ ) يقول الله تعالى :

﴿ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلۡيَمِّ مَا غَشِيَهُمۡ ﴾

٥ ـ وفى سورة القصص ( آية ٤٠ ) يقول الله ـ تعالى :

فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ

٦ ـ وفى سورة الذاريات ( آية ٤٠ ) يقول الله ـ تعالى :

﴿ فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٞ ﴾ .

٧ ـ وفى سورة طه ( آية ٣٨ ، ٣٩ ) يقول الله ـ تعالى :

إِذۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ فَلۡيُلۡقِهِ ٱلۡيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأۡخُذۡهُ عَدُوّٞ لِّي وَعَدُوّٞ لَّهُۥۚ وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ

٨ ـ وفى سورة القصص : ( آية : ٧ ) يقول الله ـ تعالى :

﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَٰعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾ .

ثم يتحدث القرآن عن تصرف بنى إسرائيل بعد أن اجتازوا البحر ، كيف أنهم لم يعتبروا بمعجزة إنقاذهم .

٩ ـ ففى سورة الأعراف ( آية ١٣٨ ) يقول الله ـ تعالى :

وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ

بين الله تعالى ما قاله جهلة بنى إسرائيل لموسى عليه السلام حين جاوزوا البحر ، وقد رأوا من آيات الله وعظيم سلطانه ما رأوا ، فلا يكادون يمرون بقوم مستغرقين فى عبادة أصنام لهم حتى ينسوا الله الواحد الذى قهر عدوهم ، وأنقذهم من الذل والعار ، وكان عدوهم ذاك وثنيا فاستذلهم ثم ينسون ذلك ويطلبون من نبيهم الذى جاءهم من الله الواحد أن يتخذ لهم بنفسه آلهة ،

ولو أنهم اتخذوا بأنفسهم آلهة لكان الأمر أقل غرابة من أن يطلبوا ذلك من الرسول الذى جاءهم من عند الله .

١٠ ـ وفى سورة الأعراف أيضا ( آيـة ١٦٣ ) يقول الله ـ تعالى :

﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴾

يشير القرآن عما كان يحدث لليهود من صيد البحر ، وما كان يحدث لهم من ابتلاء الله لهم بسبب فسقهم ، أى أن الله يختبرهم بإظهار السمك لهم على ظهر الماء فى اليوم المحرم عليهم صيده ، وإخفائه عنهم فى اليوم الذى أحلَّ الله لهم .

وفى سورة الكهف ثلاث آيات تتحدث عن موسى والحوت والبحر والبحرين .

١١ ـ ففى سورة الكهف ( آية ٦٠ ) يقول الله ـ تعالى :

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴾ .

والمقصود بموسى : موسى بن عمران ، وفتاه : هو يوشع ، ومجمع البحرين بحر فارس وبحر الروم . قال محمد بن كعب : مجمع البحرين طنجة .

١٢ ـ وفى سورة الكهف آية ٦١ يقول الله تعالى :

﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴾

١٣ ـ وفى سورة الكهف آية ٦٣ يقول الله تعالى : ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَـٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴾ .

( د ) آيات وعظية سلوكية وتربوية توجه الإنسان إلى توثيق صلته بالله وتشير إلى نعم الله على الإنسان وتكريمه وهى خمس عشرة آية :

١ ـ فى سورة الأنعام آية ( ٦٣ ، ٦٤ ) يقول الله ـ تعالى :

﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَـٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَـٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴾

يوجه القرآن الإنسان إلى توثيق صلته بالله سبحانه وتعالى ـ فمع التقدم العلمى والتكنولوجى هناك المخاطر الكبيرة التى تحدث من البحر ، فلابد أن يكون هناك ارتباط بخالق الكون نفسه .

والمراد بالظلمات : ظلمة البر وظلمة البحر وظلمة الليل وظلمة الغيم . أى إذا أخطأتم الطريق وخفتم الهلاك ودعوتموه . وقيل : ظلمة البر بالخسف فيه وظلمة البحر بالغرق فيه .

٢ ـ وفى سورة يونس آية (٢٢، ٢٣) يقول الله ـ تعالى :

﴿ هُوَ الَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّٰكِرِينَ (٢٢) فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَٰٓأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم مَّتَٰعَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ .

يوجه الله فى القرآن الإنسان إلى آياته المبثوثة فى الكون ، وأنه يحفظه ويكلؤه ويرعاه ، ويبين قدرته التى تتجلى فى كثير من مظاهر الطبيعة .

٣ ـ وفى سورة الإسراء يقول الله تعالى :

﴿ رَّبُّكُمُ الَّذِى يُزْجِى لَكُمُ الْفُلْكَ فِى الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (٦٦) وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِى الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنسَٰنُ كَفُورًا (٦٧) أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا (٦٨) أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا (٦٩) ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ الطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا (٧٠) ﴾ .

ومما تبينه هذه الآيات أن الإنسان إذا أصابه ضر فى البحر من الشدة والجهد لجأ إلى الله ، وأعرض عن كل ما عدا الله ، ولكنه بعد نجاحه من هذه الشدة يعود إلى غيه وبغيه وكفره .

على أن هذا الإنكار والجحود لفضل الله لا يمنع أن يقدر الله ـ تعالى ـ رجوعهم إلى البحر مرة أخرى فيرسل الله عليهم الريح العاصف فيغرقهم فى البحر بكفرهم ثم لا يجدون لهم ناصرا ولا تابعا ينجيهم مما حل بهم .

٤ ـ وفى سورة الكهف ( آية ١٠٩ ) يقول الله ـ تعالى :

﴿ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴾ .

٥ ـ وفى سورة لقمان ( آية ٢٧ ) يقول الله تعالى :

﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ .

قال ابن كثير : يخبر الله ـ تعالى ـ عن عظمته وكبريائه وجلاله وأسمائه الحسنى وصفاته العلا وكلماته التامة التى لا يحيط بها أحد ولا اطلاع لبشر على كنهها وإحصائها ، قال سيد البشر : ( ولا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ) وجعلت السبعة أبحر على وجه المبالغة لا الحصر[٦] .

٦ ـ وفى سورة النور ( آية ٤٠ ) يقول الله تعالى :

(٦) ابن كثير تفسير القرآن العظيم حـ ٣ ص ٤٥١ ، ٤٥٢ .

أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ

يوجه القرآن الإنسان إلى أن أعمال الكفار السيئة مظلمة شديدة الظلمة مثل البحر العميق يغشاه موج من فوقه موج ، سحاب غامم فهى ظلمات بعضها فوق بعض تجمع : ظلمة البحر وظلمة الموج الأول وظلمة الثانى وظلمة السحاب إذا أخرج الفرد يده لم يقارب من رؤيتها من شدة الظلام .

ثم تأتى ثلاث آيات تذكرّ بفضل الله على الإنسان ـ وهو فى البحر .

٧ ـ فى سورة النمل ( آية ٦٣ ) يقول الله تعالى :

﴿ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ .

٨ ـ وفى سورة لقمان ( آية ٣١ ) يقول الله تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾

٩ ـ وفى سورة الشورى آيـات ( ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ) يقول الله ـ تعالى :

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴾ .

١٠ ـ وفى سورة الروم آية ٤١ يقول الله ـ تعالى :

ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ

ويقول ابن كثير : « المراد بالفساد النقص فى الزروع والثمار بسبب المعاصى وكلما أقيم العدل كثرت البركات والخيرات[٢] .

ثم يتحدث القرآن عن التقاء البحرين العذب والملح فى ثلاث آيات :

١١ ـ فى سورة الفرقان ( آية ٥٣ ) يقول الله ـ تعالى :

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾ .

١٢ ـ وفى سورة النمل ( آية ٦١ ) يقول الله تعالى :

﴿ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ .

١٣ ــ وفى سورة الرحمن ( آية ١٩ ، ٢٠ ) يقول الله ــ تعالى :

﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ﴾ .

١٤ ــ وفى سورة التكوير (آية ٦) يقول الله تعالى :

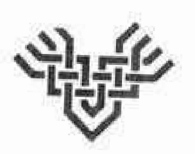
﴿ .وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ، ﴾ .

١٥ ــ وفى سورة الانفطار (آية ٣) يقول الله ــ تعالى :

﴿ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴾ .

الآيتان تتحدثان عن بداية يوم القيامة وما يحدث فيه ، وهما تتحدثان عما يحدث للبحر فى ذلك اليوم سواء كان عذبا أو مالحا .

هذا هو التوجيه القرآنى للمسلمين بالنسبة للبحر ، ومحاولة الاستفادة منه ، والبحث عن خيراته ، وما أودعه الله فيه ، والاستفادة من ذلك لصالح الإنسان فى كل المجالات .





# تحويل القبلة

# من بيت المقدس إلى الكعبة

د / محمد عبد المتجلى خليفة

قال الله تعالى : ﴿ لَقَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ سورة البقرة .

روى البخارى ومسلم وأصحاب السنن ، عن البراء بن عازب ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ﷺ كان أول ما قدم المدينة نزل على أجداده من الأنصار ، وأنه صلى قبل بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً وكان يعجبه أن تكون قبلته قِبل البيت ، وكانت أول صلاة صلاها : صلاة العصر ، وصلى معه قوم ؛ فخرج رجل ممن صلى معه ؛ فمر على أهل مسجد وهم راكعون فقال : أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله ﷺ قبل مكة . فداروا كما هم قبل البيت وكان اليهود وأهل الكتاب قد أعجبهم إذ كان يصلى قبل بيت المقدس ، فلما ولى وجهه قبل البيت أنكروا ذلك .

وكان الذى مات على القبلة قبل أن تحول قبل البيت ؛ رجال قتلوا لم ندر ما نقول فيهم ، فأنزل الله فيهم ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾ وفى بعض روايات البخارى ورود هذا الحديث فى باب قول الله تعالى : ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ﴾ .

ورووا عن عبدالله بن عمر رضى الله تعالى عنهما : بينما الناس يصلون الصبح فى مسجد قباء إذ جاءهم جار : فقال : إن رسول الله ﷺ قد أنزل عليه الليلة قرآن ، وقد أمر أن يستقبل الكعبة ، ألا فاستقبلوها ، وكان وجه الناس إلى الشام ، فاستداروا كهيئتهم إلى جهة الكعبة .

وروى مسلم فى صحيحه عن أنس ـ رضى الله تعالى عنه ـ أن رسول الله ﷺ كان يصلى نحو بيت المقدس ؛ فنزلت :

﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ فمر رجل من بنى سلمة وهم ركوع فى صلاة الفجر ؛ فنادى ألا إن القبلة قد حولت . فمالوا كما هم نحو القبلة .

كان النبى ﷺ وهو بمكة يتوجه فى صلاته إلى بيت المقدس ويجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس حيث كان ﷺ يصلى بين الركنين اليمانيين وهما : الركن اليمانى ، وركن الحجر الأسود ، فكان ﷺ لا يستدبر الكعبة بل يجعلها بينه وبين بيت المقدس وقد صحح هذا القول : الحاكم وغيره من حديث ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كما أخرجه الإمام أحمد فى مسنده عنه أيضا : كان النبى ﷺ يصلى بمكة والكعبة بين يديه .

وبذلك كان لا يظهر أن النبى ﷺ متوجه لغير الكعبة إذ كان يستقبل القبلتين : الكعبة وبيت المقدس فى وقت واحد .

فلما هاجر إلى المدينة وهى تقع جغرافيا شمال مكة ، وبيت المقدس يقع شمالى المدينة ومكة ، فلما استقر به المقام فى المدينة المنورة جعل يتوجه فى صلاته إلى بيت المقدس ، مثلما كان بمكة ، ولكن الكعبة فى هذه الحالة كانت وراء ظهره ، وبيت المقدس أمامه فظهر الاتجاه لغير الكعبة ، أما نزول النبى ﷺ على أجداده أو أخواله بالمدينة ـ كما جاء فى الحديث ـ فالمراد بهم الأنصار لأنهم أقاربه من جهة الأمومة ؛ لأن أم جده عبدالمطلب منهم ، وهى : سلمى بنت عمرو أحد بنى عدى بن النجار « وإنما نزل ﷺ بالمدينة على إخوتهم بنى مالك بن النجار » ففيه مجاز ، ثم إنه لما هاجر عليه الصلاة والسلام ، أمر أن يستمر على الصلاة لبيت المقدس وكان ـ عليه الصلاة والسلام ـ يحب أن يوجه الى الكعبة .

ويؤيد ذلك ما أخرجه محمد بن جرير الطبرى وغيره من طريق على بن أبى طلحة عن ابن عباس قال : لما هاجر النبى ﷺ إلى المدينة ـ واليهود أكثر أهلها ـ يستقبلون بيت المقدس أمره الله أن يستقبل بيت المقدس ، ففرحت اليهود ، فاستقبلها سبعة عشر شهراً . وكان رسول الله ﷺ يحب أن يستقبل قبلة ابراهيم ـ عليه السلام ـ فكان يدعو وينظر إلى السماء فنزلت الآية : ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ فارتاب اليهود وقالوا : ( ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها ) فأنزل الله وتعالى : ﴿ **ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله** ﴾ . ولكن اليهود دائماً فى عناد وتقلب لا يقرون على حال ولا يثبتون على رأى .

فقد روى الطبرى من طريق مجاهد قال : إنما كان النبى ﷺ يحب أن يتحول إلى الكعبة لأن اليهود قالوا : يخالفنا محمد ويتبع قبلتنا . فنزلت الآية السابقة .

كما أخرج الطبرى رواية ثالثة من طريق أبى العالية أن النبى ﷺ صلى إلى بيت المقدس يتألف اليهود . وهذا الرأى لا ينفى أن يكون توجه النبى ﷺ إلى بيت المقدس فى المدينة بوحى من الله تعالى .

وكانت المدة التى كانت قبلة الصلاة فيها بيت المقدس بفلسطين : ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً ، كما جاء فى رواية البراء بن عازب ـ رضى الله تعالى عنه ـ فى الصحيحين وغيرهما ، وذلك ليجمع الله ـ عز وجل ـ لحبيبة بين القبلتين وقد عدّ ذلك من خصوصياته ﷺ دون الأنبياء والمرسلين .

وقد وقع فى حديث تحويل القبلة ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً وهو شك من أحد الرواة .

وفى صحيح أبى عوانة : أن المدة كانت ستة عشر شهراً من غير شك ، وكذا فى رواية لمسلم فى صحيحه ، كما رواه النسائى ، وأحمد فى مسنده : ستة عشر شهراً بسند صحيح .

وروى الطبرانى والبزار : سبعة عشر شهراً .

والجمع بين الروايات سهل ، كما يتبين فيما بعد .

## الآراء فى تحويل القبلة

**الرأى الأول** : كان قدوم النبى ﷺ المدينة فى شهر ربيع الأول باتفاق المؤرخين ، وكان التحويل فى نصف رجب من السنة الثانية للهجرة على ماقاله الجمهور ، وصححه ابن حجر العسقلانى فى شرحه على البخارى .

كما رواه الحاكم – بسند صحيح – عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما .

ويؤيده مارواه الإمام مالك – رضى الله تعالى – عنه فى الموطأ : عن سعيد بن المسيب مرسلا ، ووصله محمد بن خالد بن عتبة عن أبى هريرة كما جاء معناه مسندا من حيث البراء ، وغيره .

صلى رسول الله ﷺ بعد أن قدم المدينة نحو بيت المقدس ثم حولت القبلة قبل غزوة بدر بشهرين ؛ وذلك أن غزوة بدر كانت فى رمضان ، والتحويل وقع فى نصف رجب من السنة الثانية للهجرة ، وعلى قول الجمهور : بأن التحويل كان فى نصف شهر رجب ؛ وأن التوجه كان إلى بيت المقدس استمر ستة عشر شهراً يكون المحسوب توجهاً لبيت المقدس بقية شهر ربيع الأول بعد الهجرة والنصف الأول من شهر رجب قبل التحويل ، فهنا خمسة عشر شهراً كاملة وهى من ربيع الآخر إلى آخر جمادى الآخرة من السنة الثانية ، ثم ضم بقية شهر ربيع الأول إلى الأيام الأولى من شهر رجب مع إلغاء الأيام الزائدة فصار ذلك شهراً كاملا ضم إلى الخمسة عشر شهراً ، فأصبحت ستة عشر شهراً .

أما على رواية الجزم بأن المدة كانت سبعة عشر شهراً ؛ فإن القائل بها عد شهرى الهجرة والتحويل وأضافهما إلى الخمسة عشر فأصبح الجميع سبعة عشر شهراً .

أما على رواية الشك ستة عشر أو سبعة عشر شهراً ؛ فإن الذى رواها على الشك تردد فى الرأيين السابقين هل يكملن شهرى القدوم والتحويل شهراً واحداً أم يعدهما معاً ؟

ولذلك قال ابن حبان : كانت مدة التوجه إلى بيت المقدس سبعة عشر شهراً وثلاثة أيام ، أى لأن الباق من شهر الهجرة ثمانية عشر يوماً ، والتحويل فى منتصف شهر رجب .

فإذا أخذنا نصف شهر رجب وماتبقى من شهر ربيع الأول ؛ كان المجموع ثلاثة وثلاثين يوماً فهذه الأيام الثلاثة هى الزيادة .

فقد عدَّ ابن حيان شهرى الهجرة والتحويل وأضاف لهما ثلاثة أيام .

**الرأى الثانى** : أن تحويل القبلة إلى الكعبة كان فى نصف شهر شعبان ، وهو قول محمد بن حبيب الهاشمى ، وهو الذى ذكره النووى فى كتاب الروضة وأقره .

قال ابن حجر : ولا يستقيم أن يكون ذلك فى شعبان إلا أن ألغى شهرى القدوم والتحويل ، أى

وتقدير ذلك أن تكون هناك سنة كاملة بانتهاء شهر ربيع الأول من السنة الثانية للهجرة ، وبعده شهور ربيع الآخر وجمادى وجمادى ورجب فهذه أربعة أشهر تضاف إلى الاثنى عشر شهراً ماعدا شهر القدوم يصير المجموع ستة عشر شهراً خلاف شهر التحويل وهو شعبان .

ولعل هذا القول هو مستند غالب المسلمين اليوم فى اهتمامهم بليلة النصف من شعبان ويومها فرحاً بتكريم الله عز وجل لحبيبه ؛ بأن حقق له ما يحبه وهو جعل قبلته إلى المسجد الحرام بمكة .

**الرأى الثالث** : جزم موسى بن عقبة بأن التحويل كان فى جمادى الآخرة .

كما نقله عنه ابن حجر وغيره .

وعلى هذا القول يكون قد حسب شهرى القدوم والتحويل فقد حسب شهر ربيع الأول من السنة الأولى ومعه ربيع الآخر وجمادى الأولى وجمادى الآخرة وهو الشهر الذى حدث فيه التحويل .

وأغلب هذه الآراء مبنى على رواية ستة عشر شهراً بالجزم ، وهى الرواية التى رجحها الإمام النووى لكونها مجزوماً بها عند مسلم .

فالأقوال الثلاثة : كان التحويل فى جمادى الآخرة ، كان فى رجب ، كان فى شعبان .

## الصلاة إلى القبلتين

ثانيا : اختلفت الروايات فى الصلاة التى تحولت القبلة عندها ، وكذا المسجد الذى تحولت عنده .

**الرواية الأولى** : أن أول صلاة صلاها النبى ﷺ متوجهاً إلى الكعبة صلاة العصر ، وهى رواية البخارى وفيها : أول صلاة صلاها صلاة العصر .

وقال القرطبى مؤيداً ذلك الرأى : وكانت أول صلاة إلى الكعبة العصر ، وأن آية التحويل نزلت فى غير صلاة وهو الأكثر .

**الرواية الثانية** : أنها صلاة الظهر ، جاء فى تفسير ابن أبى حاتم ، وفى التمهيد لأبى عمر بن عبدالبر من طريق تويلة بنت أسلم ـ وكانت من المبايعات ـ قالت : كنا فى صلاة الظهر فى مسجد بنى حارثة فاستقبلنا مسجد إيليا فصلينا سجدتين ـ أى ركعتين ـ ثم جاءنا من يخبرنا أن النبى ﷺ قد استقبل البيت الحرام . فتحول الرجال مكان النساء ، وتحول النساء مكان الرجال . وتصوير ذلك أن الإمام تحول من مكانه إلى مؤخر المسجد ، لأن من استقبل القبلة استدبر بيت المقدس وهو لو دار كما هو فى مكانه لم يكن خلفه مكان يسع الصفوف ، ولما تحول الإمام تحولت الرجال .

قال ابن حجر فى الفتح : والتحقيق أن أول صلاة صلاها فى بنى سلمة لما مات بشر بن البراء ابن معرور هى الظهر ، حيث صنعت له ﷺ طعاماً وحانت الظهر فصلى رسول الله ﷺ بأصحابه ركعتين ثم أمر فاستدار إلى الكعبة ، واستقبل الميزاب فسمى مسجد القبلتين قال ابن سعد قال الواقدى هذا أثبت عندنا .

وأول صلاة صلاها بالمسجد النبوى العصر .

وأول صلاة صلاها أهل قباء إلى المسجد الحرام كانت الصبح كما روى ذلك الامام مالك فى الموطأ ومسلم فى صحيحه عن عبدالله بن عمر أنه قال : بينما الناس بقباء فى صلاة الصبح إذ جاءهم آت فقال : ان رسول الله ـ ﷺ ـ قد أنزل عليه الليلة قرآن وقد أمر أن يستقبل الكعبة ، فاستقبلوها وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة .

قال ابن حجر وهذا لا يخالف حديث البراء فى الصحيحين أنهم كانوا فى صلاة العصر لأن الخبر وصل وقت العصر إلى من هو داخل المدينة وهم بنو حارثة وذلك فى حديث البراء والآتى إليهم بذلك حباء بن بشر كما رواه ابن منده وغيره .

ووصل الخبر وقت الصبح إلى من هو خارج المدينة وهم بنو عمرو بن هوف أهل قباء وذلك فى حديث ابن عمر فلا منافاة بين الحديثين .

وفى الأحاديث السابقة قبول خبر الواحد ووجوب العمل به لأن الذى أخبر بنى حارثة هو عباد بن بشر وفى صحيح مسلم مايعتبر أنه هو الذى أخبر أهل قباء لأنه قال فى روايته : فمر رجل من بنى سلمة وهم ركوع .

وذكر شراح الموطأ نقل ابن طاهر وغيره أن الآتى لأهل قباء أيضاً عباد بن بشر .

ثم قالوا : يحتمل أن عباداً آتى بنى حارثة أولا فى صلاة العصر ثم آتى إلى أهل قباء فأعلمهم بذلك فى صلاة الصبح .

هذا ، ولما تحولت القبلة إلى الكعبة كانت مثار فتنة لضعاف الإيمان ، ومدعاة لأقاويل الكفار ، وقد أخبر الله تعالى نبيه ﷺ بذلك قبل وقوعه معجزة لحبيبه ﷺ فقال :

﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾ .

وقد كان ما أخبر الله تعالى به ، فلما حولت القبلة ؛ انقلب بعض ضعاف الإيمان راجعين إلى الكفر ، ـ والعياذ بالله ـ شكاً فى الدين وظناً أن النبى ﷺ فى حيرة من أمره ، فارتدوا لذلك .

ثم جاء دور السفهاء ، والسفهاء : جمع سفيه ، وهو خفيف العقل والمراد بهم ثلاثة طوائف الطائفة الأولى : اليهود .

روى ذلك الطبرى بأسانيد صحيحة عن ابن عباس والبراء بن عازب ومجاهد ـ رضى الله عنهما .

الطائفة الثانية : المنافقون ، روى ذلك من طريق السدى .

الطائفة الثالثة : الكفار من قريش وغيرها .

أما الكفار فقالوا لما حولت القبلة : رجع محمد إلى قبلتنا ، وسيرجع إلى ديننا فإنه علم أنّا على الحق . وأما أهل النفاق فقالوا : إن كان أولا على الحق فالذى انتقل إليه باطل ، وإن كان الآن على الحق فالذى كان عليه باطل .

وأما اليهود فقالوا : خالف قبلة الأنبياء ولو كان نبياً لما خالف .

ثم لما شك المسلمون فيمن مات على قبلة بيت المقدس قبل أن تحول إلى الكعبة كما ورد ذلك فى الصحيحين ، حيث قالوا لم ندر ، ما نقول فيهم . فأنزل الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ﴾ أى صلاتكم إلى بيت المقدس .

ولما كان أمر التوجه إلى الكعبة فى الصلاة عظيما ـ وتتوقف صحة الصلاة على ذلك ، وكان أعداء النبى ﷺ ثلاث طوائف ، وهم : اليهود والمنافقون والكفار ـ ذكر الله تعالى الأمر بالتوجه إلى الكعبة ثلاث مرات فى نفس السورة سورة البقرة فى جزء واحد منها .

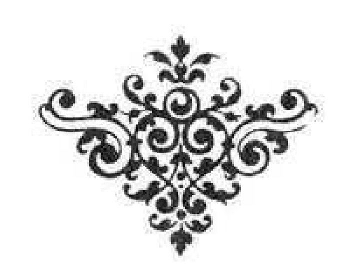
فكانت الآية الأولى ردا على اليهود لأن فى آخرها ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ﴾ .

وكانت الآية الثانية ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ جاءت رداً على المنافقين فى تشكيكهم ، كما أنه تعالى كررها لبيان تساوى حكم السفر وغيره .

وكانت الآية الثالثة : ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ رداً على الكفار الذين طمعوا أن يرجع النبى - ﷺ - إلى دينهم ، ولذلك ختمها الله تعالى بقوله :

﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾ أى بالعناء فإنهم يقولون : ما تحول إليها إلا ميلا إلى دين آبائه .

فائدة فى شأن القبلة : أخرج البيهقى فى سننه عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن النبى ﷺ قال : البيت قبلة لأهل المسجد ، والمسجد قبلة لأهل الحرم ، والحرم قبلة لأهل الأرض فى مشارقها ومغاربها من أمتى .



# السياحة مالها وماعليها

بقلم الشيخ عطية صقر

السياحة .. وكيف تكون !؟

**١ ـ وردت مادة السياحة فى القرآن الكريم فى ثلاثة مواضع ، قال تعالى فى صفات المؤمنين الذين اشترى الله منهم أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة « ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ » سورة التوبة : ١١٢**

**وقال : فى المعاهدة مع المشركين ﴿ فَسِيحُواْ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ﴾**

سورة التوبة : ٢

وقال : فى النساء الصالحات ﴿ سَٰٓئِحَٰتٍ ﴾سورة التحريم : ٥

وفسرت السياحة فى الآية الأولى والثالثة بالصيام ، لأن فيه ترك اللذات ، والانتقال من حال إلى حال ويؤيده قول عائشة رضى الله عنها : سياحة هذه الأمة الصيام ورواه أبو هريرة مرفوعا إلى النبى ﷺ « سياحة أمتى الصيام » . وفسرها عطاء بن أبى رباح بالجهاد ومنه حديث أبى أمامة أن رجلا استأذن الرسول ﷺ فى السياحة فقال له « إن سياحة أمتى الجهاد فى سبيل الله » صححه أبومحمد عبدالحق . وفسرها عكرمة بالسفر لطلب الحديث والعلم ، كما فسرت بالجولة بالأفكار فى توحيد الله وملكوته وما فيه من العبر والعلامات الدالة على توحيده وتعظيمه . يقول القرطبى : إن مادة السياحة تدل على صحة هذه الأقوال ، لأن أصلها الذهاب على وجه الأرض كما يسبح الماء .

وفسرت السياحة فى الآية الثانية بالسير فى الأرض آمنين غير خائفين أحدا من المسلمين بحرب أو سلب أو قتل أو أسر . فالسياحة فى اللغة : تعطى معنى السير والانتقال، سواء كان ذلك حسيا أم معنويا ، يقال : ساح فلان فى الأرض يسيح سياحة وسيوحا وسيحانا . وهى

بالمعنى المتعارف عليه الآن ـ الانتقال من مكان إلى مكان أو من بلد إلى بلد لغرض ثقافى أو ترفيهى ، أو لتحصيل خير أيا كان . وهى بهذا المعنى أمر مشروع لا يمنعه الدين فى حد ذاته ، بل يأمر به ويشجع عليه إذا كان الغرض مشروعا والوسائل مشروعة ، فقد أمرت الآيات الكثيرة بالسير فى الأرض للاعتبار بما حدث للسابقين ، قال تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِى الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا ﴾ سورة محمد : ١٠ .

وقال سبحانه : ﴿ قُلْ سِيرُوا فِى الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ ، سورة النمل : ٦٩

## السياحة المشروعة

وفى التشريع الإسلامى سياحات دينية بعضها مفروض وبعضها مندوب إليه مثل الحج والعمرة للمستطيع والجهاد فى سبيل الله لنشر كلمة الله والتمكين للحق فى الأرض ونصرة المستضعفين ، وشد الرحال إلى المساجد الثلاثة فى مكة والمدينة والشام لكثرة الثواب بالصلاة فيها كما ثبت فى الحديث الصحيح ، وكذلك الرحلة لطلب العلم وزيارة الإخوان وصلة الأرحام وإصلاح ذات البين والتجارة المشروعة . كل ذلك من السياحة المشروعة التى شجع الإسلام عليها ، وأرشد إلى توفير الراحة لمن يقومون بما فيه كلفة وتعب منها . كما قال تعالى : فيمن يقومون الليل:

﴿ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ﴾ أى من القرآن سورة المزمل : ٢٠ .

ورحلات الصحابة والتابعين والسلف الصالح للجهاد والتجارة والأغراض العلمية وغيرها معروفة ، وكذلك أخبار الرحالة المسلمين المشهورين كابن بطوطة وابن جبير ، وكذلك رحلة الإمام الشافعى الذى قال : إن فى الأسفار خمس فوائد هى :

تفريج هم واكتساب معيشة وعلم وآداب وصحبه ماجد .

## السياحة فى العصر الحديث

٢ ـ والدول فى العصر الحديث تشجع السياحة وتتفنن فى الدعاية لها وعمل المغريات التى تجذب السائحين إليها ، وتوفير وسائل الأمن والراحة لمن يفدون إليها ، وابتكار ما يمكن من المغريات والمتع والترفيه الذى لا يكتفى فيه بما يتمتع به البلاد من آثار ومناظر طبيعية وجو بديع . بل يضاف إليها مغريات صناعية كمدينة «ديزنى لاند» فى أمريكا وغيرها ، ومغريات أخرى ربما لا تلتزم فيها الحدود ، وذلك من أجل الكسب المادى والأدبى الذى تدره السياحة على البلد . ومما يشير إلى الكسب الذى تفيده السياحة دعاء سيدنا ابراهيم عليه السلام ربه أن يعمر المكان الذى أودع فيه «هاجر» وولدها «اسماعيل» عليه الصلاة والسلام حيث قال :

﴿ رَّبَّنَا إِنِّى أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِى إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ سورة ابراهيم : ٣٧ .

فاستجاب الله دعاءه وأمره بأن يؤذن فى الناس بالحج فأذن فأتوه من كل فج عميق ، وعمر المكان وازدهر وسيظل كذلك إلى يوم الدين .

## التصريح عبرة إقامة السائح

٣ ـ إن الأعراف الدولية تقضى بأن يكون مع السائح أو أى داخل الى بلد تصريح بالدخول يعطى له بعد التحرى والتثبت ضمانا لوجود الفائدة أو على الأقل منعا للضرر من دخوله مع الالتزام بحمايته وعدم التعرض له بأى أذى حتى تنتهى مهمته فى المدة المسموح بها ، ومع التزام السائح أو الزائر بعدم ممارسة أى نشاط فيه ضرر للبلد ، فإن وجد الضرر أو خيف وقوعه طبقت عليه القوانين السارية فى هذا البلد ، طبقا لقاعدة «إقليمية القانون الجنائى» المقررة عالميا ولعموم القاعدة الفقهية المأخوذة من معاهدات المسلمين مع غيرهم وهى «لهم مالنا وعليهم ما علينا» وألغى تصريحه .

ومبدأ التصريح بدخول البلد لأى زائر أجنبى عنها سبق به التشريع الإسلامى وبخاصة مع أعداء الإسلام قال تعالى :

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾ سُورَةُ التَّوْبَةِ : ٦ .

فالاستجارة طلب الجوار والحماية وهو مبدأ معروف عند العرب من قبل الإسلام وله قداسة كبيرة يفخر به المجير ويأمن المستجير وتقوم من أجل الإخلال به حروب . والحوادث فى ذلك كثيرة والإسلام أقر هذا المبدأ وطبقه بوجه خاص فيمن يفدون إلى مكة وضمن لهم الأمن والراحة وتنافس أهلها فى ذلك حتى تقاسمت أُسَرُها شرف هذا العمل الجليل من السقاية والرفادة والسدانة إلى جانب أن الله ـ سبحانه ـ جعل مكة حرما آمنا حتى يكثر الوافدون إليها بما يحملون من خير ، استجابة لدعوة ابراهيم ـ عليه السلام ـ وبلغ من توفير الأمن فيها أن من كان عليه قصاص إذا دخل الحرم لا يقتص منه مادام فيه ، بل ان من الحيوان والنبات ما يتمتع بهذا الأمن ولو فكر أحد مجرد تفكير فى تعكير صفو الأمن فعقابه شديد ، قال الله تعالى :

﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ سورة الحج : ٢٥

وتأكيدا لتأمين الحجاج والمعتمرين حرم الله القتال فى أشهر الحج والعمرة : رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم فمن نعم الله الكبرى على قريش وهم أهل مكة عمل التسهيلات ليكثر الوافدون فيها كما قال سبحانه :

﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ۝٣ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ سورة قريش : ٣ ، ٤ .

٤ ـ ومن الذى يعطى التصريح للسائحين والزائرين ؟ .

يقول القرطبى ـ فى تفسير الآية السابقة الخاصة بإجادة المستجير : لا خلاف بين كافة العلماء أن أمان السلطان جائز لأنه مقدم للنظر والمصلحة نائب من الجميع فى جلب المصالح ودفع المضار» .

ويمثل السلطان الأجهزة المسئولة .

واختلفوا فى أمان غير الخليفة ـ أى ومن يمثلونه ـ فالحر يمضى أَمانُهُ عند كافة العلماء ، إلا ابن حبيب قال : ينظر الإمام فيه . وأما العبد فله الأمان فى مشهور المذهب ـ أى المالكى ـ وبه قال الشافعى وأصحابه وأحمد وإسحاق والأوزاعى والثورى وأبوثور ، وداود ومحمد بن

الحسن . وقال أبو حنيفة : لا أمان له ، وهو القول الثانى لعلمائنا ـ أى المالكية ـ والأول أصح لقوله ﷺ : «المسلمون تتكافأ دماؤهـم ، ويسعى بذمتهم أدناهم» قالوا : فلما قال «أدناهم» جاز أمان العبد وكانت المرأة الحرة أحرى بذلك ولا اعتبار بعلة «لا يسهم له» وقال عبدالملك بن الماجشون : لا يجوز أمان المرأة إلا أن يجيزه الإمام ، فشذَّ بقوله عن الجمهور ، وأما الصبى فإن أطاق القتال جاز أمانه ، لأنه من جملة المقاتلة ويدخل فى الفئة الحامية .

وإذا كان جمهور العلماء يعطى الحق فى الإذن بدخول المسلمين ، لأى رجل أو امرأة من المسلمين بناء على الحديث الذى رواه أحمد وأبوداود والنسائى والحاكم أن الرسول ﷺ قال : كما قال على ـ رضى الله عنه ـ «ذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهـم ، وهـم يد على من سواهم» والحديث الذى رواه البخارى وأبوداود والترمذى عن أم هانىء بنت أبى طالب أنها قالت للنبى ﷺ إن ابن أم على يريد أن يقاتل رجلا أجرته «ابن هبيرة» فقال «قد أجرنا من أجرت أم هانىء» فإنى أختار رأى ابن حبيب وابن الماجشون فى أن إذن أى شخص من رجل أو امرأة بدخول أجنبى إلى البلد ـ وبخاصة إذا كان عدوا ـ لا قيمة له إلا بعد اعتماد الإمام والمسئولين وبخاصة فى الظروف التى تقتضى الحذر والتيقظ .

على أن إعطاء الفرد إذنا لأحد لا يجوز إلا لشخص أو شخصين . أما إعطاؤه لأهل بلد أو جماعة كثيرة فلا يجوز إلا بإذن السلطات المسئولة تحريا للمصلحة يقول صاحب الروضة الندية «ص ٤٠٨» : ولو جعل الإذن لآحاد الناس لصار ذريعة إلى إبطال الجهاد .

## الغرض من الإذن ومداه

٥ ـ فى بيان الغرض من الإذن للأجنبى بدخول بلد المسلمين جاء النص بقوله تعالى ﴿حتى يسمع كلام الله﴾ أى يفهم كلامه ويعرف أوامره ونواهيه ، فإن قبل فبها ، وإلا رُدَّ إلى مأمنه وهذا أمر لا خلاف فيه ، أما إذا كان دخوله لغير ذلك فيراعى فيه المصلحة وعدم الضرر والمسئولون هم الذين يقدرون ذلك بعد التحرى والمراقبة .

والإذن له موقوت بتحقيق الغرض منه ينتهى مفعوله بعد ذلك وليس لحامل الإذن أن يقيم اقامة دائمة ، وإلا صار من أهل الذمة يلتزم بأحكامهم .

٦ ـ والعقود أو العهود التى يعطيها الإمام المسلم لغير المسلمين إن كانت مؤقتة لدخول البلاد فهى عهد أمان يضمن بها دمه وماله وكل حقوقه مادام ملتزما بالقانون كما مر ذكره ، ويؤكد ذلك حديث أحمد وابن داود عندما جاء رسولان من عند مسيلمة الكذاب يتفاوضان مع الرسول ﷺ ولما شهدا بأن مسيلمة نبى قال «لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما» .

## بم يلتزم السائح

وإن كانت العهود دائمة فيها إقامة يرضى غير المسلمين أن يعيشوا مستوطنين مستظلين بالحكم الإسلامى فهى عهود ذمة كالتى أخذها النبى ﷺ على من عاشوا مع المسلمين فى المدينة من أهل الكتاب ولهذه العهود أثران أساسيان .

أولهما : الالتزام بأحكام الإسلام فى العقوبات ، فقد ثبت أن النبى ﷺ رجم يهوديين زنيا بعد إحصانهما .

وثانيهما : التزام أحكام الإسلام فى المعاملات المالية حيث لا يجوز لهم أن يتصرفوا تصرفا لا يليق ، وغيره من العقود المحرمة « لهم ما لنا وعليهم ما علينا » .

أما ما يتصل بالشعائر الدينية من عقائد وعبادات وما يتصل بالأسر من زواج وطلاق فلهم الحرية المطلقة تبعا للقاعدة الفقهية المقررة « اتركوهم وما يدينون » وإن تحاكموا إلينا فلنا أن نحكم لهم بمقتضى الإسلام أو نرفض ذلك ، قال تعالى :

﴿ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ سورة المائدة

وكما يجوز إعطاء عهد الذمة لمن يقيمون مع المسلمين يجوز إعطاؤه لمن يعيشون مستقلين بعيدا عن المسلمين ، كما عقد الرسول ﷺ لنصارى نجران عقدا بحمايتهم والمحافظة على حريتهم الشخصية والدينية وإقامة العدل بينهم وظلوا كذلك أيام الرسول ﷺ والخلفاء حتى جاء هارون الرشيد فأراد أن ينقض العهد فمنعه محمد ابن الحسن صاحب أبى حنيفة .

فإذا نقض أهل الذمة العهد عوملوا معاملة الحربيين .

وللنقض مظاهر تحدث عنها الفقهاء فى كتبهم فيمكن الرجوع إليها ومعرفة الخلاف فى بعضها .

أما السائحون الزائرون الذين يعطون إذنا مؤقتا بالدخول فيبطل إذنهم إذا فعلوا ما يخل بمصلحة البلد ، كالتجسس وترويج الأفكار المنحرفة وما إلى ذلك . أما سلوكهم الشخصى فهم أحرار فيه فى نطاق عدم الضرر .

## ما يحرم على المسلم مع السائح

٧ ـ لا يجوز لأحد من المسلمين أن يتعاون مع السائحين أو الذميين على فعل المنكر كتقديم الخمور لهم ، فمن فعل ذلك فهو شريك فى الإثم للحديث الشريف الذى رواه أبو داود وابن ماجه عن ابن عمر رضى الله عنهما ـ قال قال رسول الله ﷺ « لعن الله الخمر وشاربها وساقيها ومبتاعها وبائعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه » وفى بعض الروايات زيادة « وآكل ثمنها » وروى ابن ماجه والترمذى مثله عن أنس بن مالك رضى الله عنه وقال عنه الترمذى : حديث غريب ـ أى رواه راو واحد ـ ورواته ثقات .

وكما أن الانحراف بالممارسة والمساعدة عليها حرام مع غير المسلمين هو ـ كذلك ـ حرام مع المسلمين فيما بينهم ومثل ذلك الأخلاق السيئة والتصرفات غير اللائقة قدر مشترك بين الجميع فى الحرمة والواجب حيالها هو الإنكار على ما بينه الحديث الشريف « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان » رواه مسلم وغيره .

ولهذا التغيير شروط وتحفظات تنتهى إلى الحكمة والموعظة الحسنة بحيث لا يترتب على الإخلال بها ضرر أو منكر أشد ، كما هو مبين فى موضعه .

٨ ـ إن الكسب الذى يأتى من وراء السياحة كسب حلال إذا كانت فى إطار « المشروع » فإذا لم تكن فى هذا الإطار كان الإذن بها أو المعاونة عليها

ممنوعا ، بناء على قاعدة : درء المفاسد مقدم على جلب المصالح .

ومن تطبيقات هذه القاعدة قديما إعلان أبى بكر رضى الله عنه ـ بأمر النبى ﷺ وكان أميرا للحج فى السنة التاسعة من الهجرة : ألا يحج بعد هذا العام مشرك وقد كان العرب حريصين على أن يشهد الموسم أكبر عدد ممكن من الناس للعبادة والتجارة وأهل مكة بالذات كانوا يستفيدون من ذلك كثيرا فلما حرم الإسلام على أهل مكة تمكين المشركين من دخول الحرم أحسوا بما سيصيبهم من نقص فى الموارد وركود فى النشاط الاقتصادى ، فطمأنهم الله ـ سبحانه ـ بأنه سيعوضهم خيرا مما فاتهم ، وجاء فى ذلك قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ سورة التوبة

قال المفسرون : لما منع المسلمون الكافرين من الموسم وكانوا يجلبون الأطعمة والتجارات قذف الشيطان فى قلوبهم الخوف من الفقر وقالوا : من أين نعيش ؟ فوعدهم الله أن يغنيهم من فضله قال عكرمة : أغناهم الله بإدرار المطر والنبات وخصب الأرض فأخصبت تَبَالَة وجُرَش ـ بلدان باليمن فيهما خصيب ـ وحملوا إلى مكة الطعام وكثر الخير وأسلمت العرب ، أهل نجد وصنعاء فكثر حجهم وازدادت تجارتهم وأغنى الله من فضله بالجهاد والظهور على الأمم .

٩ ـ والواجب على البلاد الإسلامية ان تنتهز فرصة النشاط السياحى لإطلاع الأجانب على المحاسن التى تمتاز بها شريعتهم من الحفاظ على القيم والآداب فى التعامل معهم لينقلوا صورة طيبة عن الإسلام من الواقع الذى يعيشه المسلمون ، بدل الصور الشائهة التى أخذوها عنهم وبالتالى عن الإسلام نفسه وفى السلوك الطيب معهم تشجيع لهم ولغيرهم على زيارة بلادهم وتبادل المنافع معهم ، وهذا واجب يؤديه كل مسلم على المستوى الفردى والجماعى وعلى المستوى الشعبى والرسمى فيد الله مع الجماعة وليضعوا أمام أعينهم قول الله سبحانه :

﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ۖ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ ﴾ سورة الأنفال

وكما يجب على المسلم أن يراعى ذلك مع الزائر الأجنبى يجب عليه أن يراعيه عند زيارته لبلد أجنبى ، فالالتزام بأحكام الدين وآدابه واجب فى كل مكان ، وهو دعاية طيبة للدين وترغيب للناس فى اعتناقه ، كما تشهد بذلك رحلات المسلمين ونشاط التجار فى نشر الإسلام فى بلاد كثيرة عن طريق السلوك المستقيم .



# عناية الإسلام بالأطفال والأمهات

بقلم الشيخ / محمد حافظ سليمان

لم تعرف الدنيا دينا كالإسلام فى بناء البيت على تقوى من الله ورضوان .

ولم تعرف الدنيا كتاباً كالقرآن فى تربية الإنسان ذكراً كان أو أنثى فليس بعد كتاب الله كتاب .

ولم تعرف الدنيا رسولاً مثل رسول الله خاتم أنبياء الله عليه الصلاة والسلام يتمم مكارم الأخلاق فليس بعده رسول .

ولم تعرف الدنيا منهجاً متكاملاً شاملاً يربى الرجال ويصنع الأبطال ويصحح مسار الحياة كمنهج الإسلام .

ولم تعرف الدنيا شريعة تحقق العدل ، وتحمى السلام وتصون النفس ، والعرض والمال كشريعة الله رب العالمين .

ولم تعرف الدنيا نظاماً خالداً ثابتاً يحمى الأطفال ويصون الأمهات ، ويرعى الشباب كنظام دين الله القيم .

## رعاية الأطفال فى الإسلام

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ﴾

( الآية ٣٨ من سورة الرعد )

والذرية جعلها الله قرة عين للأبوين ، والله قد جعل الذرية هدية منه للآباء والأمهات ، كما جعل البنين من زينة الحياة الدنيا .

﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾

الآية ٤٦ من سورة الكهف

والذرية الطيبة تمناها رسل الله عليهم السلام ورجوا ربهم أن يهبهم من لدنه نعمة الذرية الصالحة ويقول :

هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٩﴾

( الآيتان ٣٨ ، ٣٩ من سورة آل عمران )

## أطفالنا أكبادنا

من حق الطفل علينا أن نرعاه الرعاية التامة بالحنو والرحمة اقتداء برسول الله ﷺ الذى كان

قلبه المنير مليئا بالرحمة : وقد وصفه ربه بأنه أرسله رحمة للعالمين وبأنه بالمؤمنين رءوف رحيم : فهو الرحمة المهداه للإنسانية والنعمة المرجاة للبشرية ، والله يقول له :

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾

وعن أبى قتادة رضوان الله عليه عن النبى ﷺ قال : إنىّ لأقوم فى الصلاة أريد أن أطول فيها فاسمع بكاء الصبى فأتجوز فى صلاتى كراهية أن أشق على أمه . ( رواه البخارى )

تلك هى الرحمة النبوية مع أن فى الصلاة قرة عينه ﷺ : وكذلك المؤمنون الرحماء يرحمون من فى الأرض ليرحمهم من فى السماء ؛ لأن الرحمة ابتسامة من نور فى سماء الإنسانية ، وكوكب درى يضيء الحياة بضياء التراحم والتـــواد والتعاطف ، ليكون المسلمون رحماء بينهم ، فلا تنزع الرحمة إلا من شقى ، فكم من رجل انسلخ عن إنسانيته فقسا قلبه على ذريته ؛ فكان غليظ الكبد جاف العاطفة شحيحاً جباناً ولم يكن سخياً معطاء وما كان من المحسنين ، فذاق وبال أمر وشؤم بخله وشحه ، فقد أنساه الشيطان نفسه وولده وزوجه فراح يتخبط تقوده نفس أمارة نسيت أن الله قد ائتمنه على أثمن الأمانات وهم أسرته وذريته وويل لمن كان هذا حاله ومآله إن لم يكن من التوابين إلى الله رب العالمين !!!

وفى ظل الإسلام وجدت الطفولة أمنها وسلمها وصونها من عبث العابثين وكيد المعتدين وعدوان الجاهلين ؛ فقد كانوا فى جاهليتهم قد ضلوا الطريق إلى الله وعبدوا الصنم والوثن واتخذ كل إلهه هواه ووأدوا البنات وكان هذا من أقبح العادات وأسوأ الاعتداءات على الروح الإنسانية والنفس البشرية التى خلقها الله ومنحها حق الحياة : فلما جاء الإسلام سوّى بين الذكر والأنثى فى القيمة الإنسانية وجعل لكل منهما وجوداً آمنا مطمئنا فى ظل حياة طيبة كريمة أعدها الله لمن آمن وعمل صالحاً من ذكر أو أنثى .

ويصور لنا القرآن الكريم حياة أهل الجاهلية فى عدوانهم على الأنثى فيقول :

﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾

( الآيتان ٥٨ ، ٥٩ من سورة النحل )

﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴾ ؟!

( الآية ٨ ــ ٩ من سورة التكوير )

والإسلام هو الذى أنقذ الطفلة الآدمية مما كان يفعله أهل الجاهلية وكرمها كآدمية وأعزها ورفع شأنها وتولاها برعايته وعنايته ؛ لأن عدالة الإسلام تمنع البغى والعدوان . أو ليس الإسلام هو الذى يقول لاتقتلوا فلذات أكبادكم لسبب أو لآخر ، كما جاء القرآن يصور بعض الحالات التى قد يرتكبها ذئاب البشر ممن أصبح وحشاً ضاريا قاتلا يقتل ابنه الطفل الوليد مخافة فقر واقع ، أو إملاق متوقع كما كان يفعل الجاهليون أو بعضهم فنهاهم القرآن المنزل على النبى الأمى العربى المرسل فى الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم الآيات التى تقول :

﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾ ( الآية ١٥١ من سورة الأنعام )

﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ

﴿ وَإِيَّاكُمْ ﴾ ( من الآية ٣١ من سورة الإسراء )

وهكذا حرم الله قتل النفس بغير حق سواء كان صاحبها طفلا أم شاباً أم شيخاً كبيراً لأن إزهاق الروح بغيا من أكبر الكبائر ، وإن الله الذى أوجد الطفل وصوره فى الأرحام وأخرجه من بطن أمه لا يعلم شيئا جعل له حقاً مفروضاً مقرراً فى الإسلام وثابتا فى القرآن الكريم ليعيش .

﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ﴾

( الآية ٢٣٣ من سورة البقرة )

وذلك لأن الطفل نبت صغير يحتاج للرى وللغذاء والكساء لينمو ويترعرع ؛ فيجب أن يكون العطف عليه نابعاً من القلب كما أودعه الله فى قلوب الآباء الأبرار والأمهات المؤمنات القانتات ، وذلك لكى يستنشق الطفل نسيم الحياة صافيا نقياً فى البيت المسلم بعيداً عن الأجواء القاتمة بسبب الرواسب النفسية أو العقد التى تصنعها المشاكل العائلية فى البيت أمام أطفال برءاء جاءوا إلى الدنيا كصفحة ناصعة تنتظر الرحمة والحنان . فلا شقاق فى البيت بين الزوجين ولامنازعات ولاصخب ولاكدر ولاجفوة ولاغلظة لكن الرحمة بالصبية الصغار دليل العاطفة النبيلة والقلوب الرحيمة والنفوس الطيبة الكريمة ودليل على أمن البيت وسلامه :

﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾

( الآية ٧٢ من سورة النحل )

والبنون والحفدة يكونون نعمة إن كانوا صالحين يقول سيدنا ابراهيم ـ عليه السلام :

﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴾

( الآيتـان ١٠٠ ـ ١٠١ من سورة الصافات )

## البيت السعيد

ويبدأ بناء البيت السعيد « أول ما يبدأ » بحسن اختيار الزوجين لأن العرق دساس ولأن الزواج آية من آيات الله القائل جل شأنه :

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

[ سورة الروم : ٢١ ]

ومما لا ريب فيه أن الأم قاعدة البيت وأساس بنيانه وعمرانه لأنها هى التى تربى وتعلم وتؤدب وتحاسب وتراقب :

**الأم مدرسـة إذا أعـددتها**
**أعـددت شـعبا طيب الأعـراق**

والقرآن الكريم يصور لنا الزوجين بصورة يوضح فيها أنهما خلقا من نفس واحدة فيقول :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾

[ الآية الأولى من سورة النساء ]

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾

[ سورة الاعراف : ١٨٩ ]

والزواج هو الميثاق الغليظ ـ كما سماه الإسلام : كما أسس القرآن الكريم على المودة والرحمة بناء الأسرة وعلى حسن المعاشرة وجميل الملاطفة وكريم المعاملة بين الزوجين لتنشأ فى ظلهما أسرة فاضلة من بنين وبنات يحس فيها كل واحد من أفرادها بأنه جزء من الآخر ليتعاون الجميع فى بيت متماسك قوى الأركان متين البنيان ويؤمنون جميعاً بأن التقوى تنفع الذرية وتصلح البال وتعمر الديار ليكون العمل الصالح منهج حياتهم والاعتصام بالله طاعتهم والتعفف سجيتهم وعزة النفس صفتهم ، لأن مظاهر الرحمة من آثارها أن يمتلىء القلب بخشية الله ليسود فى الأسرة الوازع الدينى فلا استهتار ولا تسيب ولا إهمال ولا تقصير ، فى أى عمل دينى أو دنيوى ، وبذلك يكون الأبوان قدوة حسنة لأبنائهما فى البيت المسلم لأن للبيئة أثرها وخطرها . والبيت الذى يحس بالمسئولية يكوّن المجتمع الفاضل القوى المتين .

ذهب رجل ليشكو ابنه لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب قائلا له : إن ابنى هذا يعقنى فنظر عمر ـ رضى الله عنه ـ إلى الابن وقال له أما تخاف الله فى عقوق أبيك ؟ فقال الإبن يا أمير المؤمنين أليس للإبن حق على أبيه ؟ فقال : نعم حقه على أبيه أن يستنجب له أماً يحسن اختيارها وأن يسميه اسماً كريماً ، وأن يعلمه كتاب الله ، فقال إن أمى زنجية كانت لمجوسى ولم يحسن اسمى بل سمانى جعلا أى (جعراناً) ولم يعلمنى حرفاً واحداً من القرآن فالتفت عمر إلى الرجل وقال له ، تقول إن ابنى عقنى ؟!!: لقد عققته قبل أن يعقك ، إليك عنى .

أرأيت كيف كان سوء اختيار الأم وسوء اختيار الاسم وعدم تعلم القرآن كل أولئك كان نكبة على الأسرة ؟ وقد جاء رجل إلى الحسن ـ رضى الله عنه ـ فقال له : جاءنى ناس يريدون الزواج بابنتى فمن أزوجها ؟

قال : زوجها ممن يتقى الله إن أحبها أكرمها وإن أبغضها لم يظلمها .

والإسلام شديد الحرص على حسن اختيار الزوجين أولًا وقبل كل شيء . كما أنه حريص جداً على تنشئة الذرية فى بيت مؤمن قوى أمين لا تمزق بين أفراده ولا انحلال ولا فوضى .

## « تكريم الأمهات فى الإسلام »

ولما جاء الإسلام جاءت معه حقوق الإنسان وكان أولها وأولاها حق الأمهات .

ولا يجهل عاقل أن الأم حملت جنينها فى أحشائها وأرضعته بلبانها وربته بحنانها ولئن كان الوالد يقوم بكسب العيش والإنفاق على البيت فإن الأم ركيزة البيت ومدبرة اقتصاده وأساس بنيانه ومربية أطفاله ، ولا يجهل فضلها إلا من سفه نفسه وأحاطت به خطيئته . لأن المؤمن الوفى يقابل الإحسان بالإحسان ولأن دين الأم ضخم على ابنها ذكراً كان أو أنثى ، ولقد أنصفها الإسلام وأكد حقوقها التى جاءت فى القرآن الكريم وفى سنة الرسول الأمين لكن الإنسان قد ينسى فيضل أو يجحد فيزل فيتعالى على والديه أحياناً ويصاب بداء العقوق فيجحد الحقوق ويقابل الإحسان

بالإساءة ولكن الله تعالى يذكر عبده الإنسان بالنشأة الأولى لكيلا ينسى فضل الله عليه وآلاءه التي بين جنبيه فيقول عز وجل :

﴿ .. يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾

[ سورة الزمر : ٦ ]

ويقول جل جلاله :

﴿ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ .. ﴾

[ سورة النجم : ٣٢ ]

سأل رجل رسول الله ﷺ قائلا من أحق الناس بحسن صحابتي قال أمك . قال ثم من ؟ قال أمك قال ثم من ؟ قال أمك . قال ثم من ؟ قال أبوك .

وبهذا أعلن الإسلام حقوقها ، وقرر إنصافها ، رحمة بها وإكراماً لها ، فهي تستحق من ابنها البر والإحسان كما منحته العطف والحنان والله يقول :

﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ﴾

[ سورة الأحقاف : ١٥ ]

والله يقول :

﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾

[ سورة النساء : ٣٦ ]

والله جل جلاله يعلمنا الأدب المثالي والخلق الإسلامي القرآني لنعمل به في التعامل مع الوالدين اللذين فرض الله طاعتهما وجعلها واجباً مقدساً ثابتاً لا يبلى ولا ينسى ولا يفنى ومهما ارتفع شأن ابنهما فإن أبويه يستحقان تنفيذ أوامر ربهم حيث قرن طاعته بطاعة الوالدين فقال تبارك وتعالى .

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۝ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾

[ سورة الإسراء : ٢٣ ـ ٢٤ ]

والوالدان هما سبب وجود ابنهما في هذه الحياة فعليه ألا يهمل في الإحسان إليهما . وألا ينهرهما وألا يجرح إحساسهما ولو بكلمة « أف » . وألا يسبب لهما ضيقاً بقول أو فعل وألا يزعجهما . ولكن يفرض عليه فرضاً الكلم الطيب الجميل والقول الكريم المهذب الرقيق الرفيق ، ويدعو لهما بقوله : ﴿ **رب ارحمهما كما ربياني صغيراً** ﴾ .

## « كيف يربي الإسلام أبناءه ؟ »

يربي الإسلام أبناءه على المكارم ليكونوا أطهر نفساً وأنبل قصداً وأشجع قلباً وذلك لأن كل مولود يولد على الفطرة وأبواه يهودانه أو يمجسانه أو ينصرانه ، والإسلام يفرض على المسلم أن يكون رحيم العاطفة عطوف القلب لأن البر والإحسان هما بشير الخير للغير والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

ولقد كان لقمان حكيماً ومعلماً ومربياً عظيماً يقتدي به الرجال ويتعلم من قوله الأجيال فهو أستاذ التربية الفاضلة على المناهج المتكاملة . فقد

وضع المعالم الصحيحة للتوجيه السليم والسلوك المستقيم لأن دروسه خالدة بخلود القرآن الكريم لتوضع أمام الشباب وكل الرجال من جميع الأجيال ؛ وقد اختار الله نصائح لقمان لابنه وهو يعظه لتكون قرآناً يتلى فى سورة سميت باسمه لأن عظاته البالغات قوية ومؤثرة تصل إلى قلوب الأبرار ليتحقق بها الأمن النفسى فى شتى الأجيال فى كل زمان ومكان ؛ فهى علاج للنفوس وتهذيب للمشاعر فلا تقرأ جسماً بلا روح فلم تكن تربية ابن لقمان تدليلًا له بدون حدود ، ولكن كانت تربية رحمة وعطف ووقاية وقيادة وريادة ونصح وعطاء وعزة وإباء تلك هى عظات لقمان الذى آتاه الله الحكمة فهو يعلم ويربى ويهذب ويؤدب لأنه هو ناصح أمين وقوى أمين . وهذا هو لقمان فى كتاب الله المبين وهو صاحب الدروس النافعة . كما جاءت فى سورة لقمان .

﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ .

ثم هو يقول لابنه بعد آيتين ليست من قوله وإنما هاتان الآيتان من قول الله سبحانه : ثم هو يقول لابنه :

﴿ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾

سورة لقمان

أرأيت كيف كان لقمان يعلم ابنه الاعتدال فى كل شىء فى المشى وفى طريقة الكلام ، وفى تصحيح الاعتقاد ؟ ويمكن شرح هذه العظات فى تلكم الآيات فى حديث قادم إن شاء الله ــ تعالى ــ والله الهادى إلى سواء السبيل .



# معالجة مشكلة البطالة

## من منظور الفكر الإسلامي والفكر الوضعي

إعداد
د/ سهير حسن عبد العال (*)

تعتبر مشكلة البطالة ظاهرة عالمية تواجهها معظم الدول : المتقدمة منها والنامية ، فعلى سبيل المثال بلغت معدلات البطالة ٦,٦٪ في عام ١٩٩٢ في أمريكا و٩,٣٪ في فرنسا و١١,٨٪ في إنجلترا و٩,٩٪ في بلجيكا و٩,٨٪ في إيطاليا[1] وحوالى ٢٠٪ في مصر حسب إحصائيات ١٩٩٠[2] .

وتعتبر مشكلة البطالة من أخطر المشاكل التى تواجه الاقتصاد المصرى ، وتكتسب خطورتها من الاعتبارات التالية :

تمثل البطالة إهداراً لموارد المجتمع ، كما أنها مؤشراً لعدم قدرة النظام الاقتصادى على إشباع احتياجات سكانه ، وفى تحقيق مستوى لائق لحياة الفرد .

إن القضاء على البطالة من خلال خلق فرص للعمل وزيادة مدفوعات الأجور يعد من أكثر الوسائل لإعادة توزيع الدخل .

يكون عبء البطالة أثقل على عاتق فئة الشباب ، فإن تفاقم نقص التشغيل يعنى أن طاقة هؤلاء لابد أنها ستنصرف إلى أشكال أخرى من العمل الاجتماعى والسياسى وهذا ما نشهده ونلمسه .

وقد تعددت سبل علاج مشكلة البطالة فى مصر ، ولكنها لم تأت بعلاج فعال للمشكلة ؛ بل زادت حدتها وبذلك ظهرت الحاجة إلى دراسة المنهج الإسلامى فى هذا الصدد ، والبحث عن الحلول الاقتصادية لمشكلة البطالة فى ضوء تعاليم الإسلام ؛ فقد اهتم الإسلام بعدة أمور من شأنها توسيع نطاق فرص العمل يمكن أن تؤخذ كسياسات لمعالجة مشكلة البطالة فى الوقت

---

(*) الكاتبة : مدرس اقتصاد ـ تجارة جامعة الأزهر ـ فرع البنات

(1) Economic Forecasts: Amonthly Worldwide Survey, Vol. 8, No. 1, Summary Table of Forecasts, P. 24.

(2) د. صلاح عبدالكريم ، البطالة والطاقات المعطلة فى المجتمع المصرى ، المؤتمر الثانى للنقابات المهنية فى مصر ، نقابة المهندسين ، ١٩٩١/١/٢ ، ص٣ .

الحالى .

وعلى هذا فإن البحث سيركز على معالجة مشكلة البطالة فى الاقتصاد المصرى ( كدراسة حالة ) ومقابلة ذلك مع ما يقرره الاقتصاد الإسلامى لمعالجة المشكلة كلما أمكن ذلك .

وتنقسم الدراسة إلى ثلاثة مباحث هى :

المبحث الأول : يتناول دراسة وتحليل مشكلة البطالة وأنواعها ، بين الفكر الوضعى والإسلام .

**المبحث الثانى** : يستعرض أسباب مشكلة البطالة فى مصر وتقييمها من المنظور الإسلامى .

**المبحث الثالث** : تقويم سياسات معالجة مشكلة البطالة فى مصر ، وفى ضوء المنهج الإسلامى .

هذا ولقد أوردت الباحثة فى نهاية البحث أهم النتائج والتوصيات ، وكذلك قائمة بأهم المراجع التى استعانت بها .

## المبحث الأول
## دراسة تحليلية لطبيعة مشكلة البطالة وأنواعها بين الفكر الوضعى والإسلام

### أولاً : مفهوم البطالة وأنواعها فى الاقتصاد الوضعى

تعرف البطالة بأنها : « زيادة القوة البشرية التى تبحث عن عمل » ، عن فرص العمل التى يتيحها المجتمع .

وحجم القوى البشرية يتوقف على حجم السكان ، وشكل الهرم السكانى .

أما فرص العمل التى يتيحها المجتمع فتتوقف على مستوى التنمية الحقيقية فيه ، ومستوى التنمية يتحدد بنوعين من العوامل هما :

العوامل الاقتصادية التى تتضمن الموارد الطبيعية ورأس المال والقوى العاملة .

والعوامل غير الاقتصادية وهى التعليم والتدريب وإمكانيات النهوض بالتنمية العلمية والتكنولوجية[1] .

ويمكن تقسيم البطالة إلى عدة أنواع هى :

١ ـ البطالة الموسمية : وتحدث نتيجة (موسمية الطلب على العمل) بحيث يتخذ تقلب هذا الطلب طابعاً منتظماً خلال السنة . وتتكرر هذه البطالة سنوياً فى نفس الموسم ، وتختلف شدتها تبعاً لاختلاف المواسم من حيث المناخ والأمطار . مثال ذلك موسمية العمل الزراعى ، ووجود فجوة زمنية بين حصاد محصول قديم وانتظار زراعة محصول جديد ، كذلك تحدث البطالة الموسمية بين عمال السياحة فى غير مواسم الذروة السياحية[2] .

---

(١) د. عوض مختار هلوده ، المدخل المنظومى لدراسة مشكلة البطالة ، مؤتمر قسم الاقتصاد ـ كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، ١٩٨٩ ، ص٥١ .

(٢) Tony Mallier & Tony Shafto, (Economics of Labour Markets and Management), Hutchinson, 1989, P.189.

٢ ـ البطالة المقنعة : تحدث البطالة المقنعة عندما ينخفض مستوى الطلب الكلى وتتجه القوة العاملة التى تم الاستغناء عنها إلى الالتحاق بوظائف ومهن منخفضة الانتاجية . وتظهر البطالة المقنعة بشكل واضح فى المهن التى يكون فيها جزء من قوة العمل فائضة تزيد عن حاجة مستوى الانتاج السائد بحيث تكون الانتاجية الحدية لهذه العمالة الفائضة تساوى صفراً ، كما قد تكون إنتاجية الحدية سالبة إذا زاد عدد العمال عن حاجة الانتاج السائد بحيث تعرقل زيادة العمال عمل الآخرين المنتجين بحيث لو تم سحب هذه الزيادة يحدث زيادة فى الانتاج . وتنتشر البطالة المقنعة فى النشاط الزراعى والخدمات الحكومية[١] .

٣ ـ البطالة البنيانية : وهى (البطالة التى تنشأ بسبب تغير الطلب على الانتاج لأسباب متنوعة) كأن تصبح السلعة غير متفقة مع الذوق السائد ، أو قد تحل محلها سلعة بديلة ، أو لتناقص عدد الذين اعتادوا استعمالها .

وقد تحدث البطالة البنيانية بسبب إعادة تنظيم عمليات الإنتاج فى بعض الصناعات بسبب إدخال فنون وأدوات فنية جديدة للإنتاج ، مما يترتب على ذلك الاستغناء عن جزء من القوة العاملة المشتغلة[٢] .

٤ ـ البطالة الدورية : تنشأ البطالة الدورية عندما يتناقص الطلب المتصل على سلع الإنتاج وسلع الاستهلاك والخدمات ، كما يحدث أثناء فترات الكساد العام ، ويسوء توقع رجال الأعمال للربح لدرجة تجعلهم لايقدمون على استخدام جزء كبير من موارد الإنتاج المتاحة لهم ، وينعكس أسلوب رجال الأعمال على صناعات سلع الاستثمار ؛ فيقل نشاطها لدرجة أكبر من نقص النشاط فى الصناعات التى تنتج سلع الاستهلاك والخدمات[٣] .

٥ ـ البطالة الاحتكاكية : وهى البطالة التى تحدث نتيجة انتقال العمال من وظيفة إلى أخرى ومن عمل لآخر ، وتنشأ بسبب الشعور بعدم تناسب العمل مع إمكانيات العامل وتدريبه ، أو عدم توافق الأفراد المشتغلين معاً فى مكان واحد[٤] .

٦ ـ البطالة الإجبارية السافرة : تحدث البطالة السافرة فى كل من الدول الصناعية المتقدمة وفى الدول المتخلفة . ففى الدول الصناعية المتقدمة ترجع إلى انخفاض مستوى الطلب الكلى الفعال إلى مادون مستوى التوظف الكامل .

أما فى الدول المتخلفة فترجع إلى عوامل عرض عناصر الانتاج الأخرى كالأرض ورأس المال التى تتضافر مع عنصر العمل ، فنتيجة لانخفاض مستوى التراكم الرأسمالى ، وندرة رأس المال

(١) د. إسماعيل هاشم « الاقتصاد الاجتماعى » دار الجامعات المصرية ، الاسكندرية ، ١٩٨٩ ، ص٣٢٦ .

(٢) Tony Mallier, OP. CIT. P., 189

(٣) Ibid., P. 189.

(٤) Ibid., P. 189.

تنخفض قدرة الاقتصاد القومى على استيعاب القوة العاملة خاصة إذا ما أخذنا فى الاعتبار مشكلة الزيادة السكانية ، وعدم قدرة القطاعـــات الاقتصادية على استيعاب تلك الزيادات السكانية .

**ثانيا : أشكال البطالة فى مصر**

بعد أن تعرضنا بصورة موجزة لأهم أنواع البطالة فى الاقتصاد الوضعى ، يحسن أن نتعرف على أشكال وأنواع البطالة التى تواجه الاقتصاد المصرى ، وتتمثل فى شكلين أساسيين هما :

**١ ـ البطالة السافرة فى مصر**

وتتمثل بالشكل الواضح لفائض العرض فى سوق العمل ، مقارنا بالطلب عليه ويرجع تزايد هذا النوع إلى عدم ملاحقة الزيادات فى فرص العمل للتدفقات المستمرة إلى سوق العمل نتيجة للنمو السكانى السريع[١] . وتشير البيانات المتاحة إلى تزايد معدلات البطالة السافرة من ٢,٢٪ عام ١٩٦٠ ، إلى ٧,٧٪ عام ١٩٧٦ ، إلى مابين ١٢ : ١٥٪ فى منتصف الثمانينات[٢] حتى بلغت حوالى ٢٠٪ حسب إحصائيات ١٩٩٠[٣] .

**٢ ـ البطالة المقنعة فى مصر[٤] :**

هذا النوع من البطالة عرفه الاقـــتصاد المصرى ـ تقليدياً ـ منتمياً إلى القطاع الزراعى ، حيث تتركز الزيادات السكانية الكبيرة ، وتخلق فائضاً فى عرض العمل يشكل عبئاً على النشاط الزراعى . ومع تتابع مراحـــل التـــحضر ، والتحولات فى أنماط السلـــوك الاقـــتصادى والاجتماعى ، أخذ موقع البطالة المقنعة فى التحرك إلى المدن ، عبر قنوات الهجرة الداخلية ، استجابة للفروق الجديدة ـ الاجتماعية والمادية ـ بين بيئتى الريف والحضر .

وقد مثل التعليم أحد تلك القنوات ، حيث كان الربط بين سياسة مجانية التعليم فى كافة المراحل ، وسياسة الالتزام الحكومى بتعيين الخريجيين فى أجهزة الدولة ومشروعاتها العامة قائماً ، وهكذا أخذت الزيادات السكانية طريقها إلى مراحـل التعليم المجانى ، ومنها إلى الوظائف العامة ، التى تضخم حجمها وأصبحت بطالتها المقنعة عبئاً كبيراً عليها .

وقد قدرت إحدى الدراسات نسبة البطالة المقنعة فى الجهاز الحكومى بما تتراوح بين ٢٥٪ ـ ٣٠٪ من عدد العاملين فى عام ١٩٩٢[٥] .

**ثالثاً : مفهوم ـ ونظرة ـ الإسلام إلى البطالة**

اهتم الإسلام بالعمل ورفعـــه إلى مرتبـــة العبادات ، وأمر الناس بالعمل فقال الله ـ تعالى : ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾[٦] وجعل الإسلام العمل الصالح فى

(١) د. سلوى سليمان ، « البطالة فى مصر وقضية التنمية » مؤتمر قسم الاقتصاد ، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، جامعة القاهرة ، ١٩٨٩ ، ص٢ .

(٢) الأهرام الاقتصادى ، العدد ١٢٢٥ ، ١٤ سبتمبر ١٩٩٢ ، ص٢٠

(٣) د. صلاح عبدالكريم ، مرجع سبق ذكره ص ٣

(٤) د. سلوى سليمان ، مرجع سبق ذكره ص٣

(٥) الأهرام الاقتصادى ، مرجع سبق ذكره ، ص٢٠ .

(٦) سورة التوبة آية ١٠٥ .

المرتبة الثانية بعد الإيمان بالله ـ سبحانه وتعالى ـ فيقول الحق ـ تبارك وتعالى :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾(1) .

وبرغم أن الإسلام حث على العمل واعتبره واجباً على كل قادر عليه ، إلا أننا نجد حالات لاتؤدى ـ فيها ـ هذه الفريضة ، يمكن أن نطلق على أصحابها وَصْفَ « أفراد متعطلين » أى فى حالة بطالة .

وقد نهى الإسلام عن البطالة وحذر منها ، فقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ فى كتابه العزيز :

﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾(2)

فقد خلق الله الإنسان فى هذه الأرض ليعمرها وينتفع بها ، فقال ـ تعالى :

﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾(3)

قال الجصاص فى كتابه « أحكام القران » عند تفسيره هذه الآية « أى أمكنكم من عمارتها بما تحتاجون إليه وفيه دلالة على وجوب عمارة الأرض للزراعة والغراس والأبنية »(4) .

فالإسلام لم يجعل عمارة الأرض من النوافل أو المندوبات ، بل جعلها من الشعائر التى يثاب فاعلها ويعاقب تاركها . وجعل الله الإنسان خليفة له فى الأرض ليعمل فيها حيث يقول الحق ـ تبارك وتعالى :

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾(5)

فمنطق الخلافة يحتم على الإنسان أن يحسن القيام على ما استخلف فيه وذلك بأن يعمل ويكد على ظهر الأرض وفى جوفها ليستخرج منها رزقه ويسهم بعمله فى بناء المجتمع .

قال تعالى : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾(6) .

وقال تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾(7)

فالإسلام حذر من البطالة ونفر منها ، وتوعد عليها وأنذر ، وكيف توجد البطالة وقد سهل الله لنا الأرض ! ومهدها للسير عليها ، وجعلها كالفراش أو البسط ، كما يسر طرق الانتفاع منها ، فلا عذر بوجب البطالة ، فالبطالة والتقاعد عن العمل مخالفة صريحة لطبيعة الحياة وسنة الوجود .

ويمكن أن نميز بين نوعين من أنواع البطالة فى إطار الإسلام : هما البطالة الاختيارية والبطالة الجبرية ، ولكل منهما حكمه وموقف الإسلام منه .

---

(1) سورة الكهف آية ٣٠ .

(2) سورة الملك آية ١٥

(3) سورة هود آية ٦١

(4) الإمام أبى بكر أحمد الرازى الجصاص ، أحكام القرآن ، دار الفكر ، الجزء الثالث ، ص ١٦٥ .

(5) سورة البقرة آية ٣٠ .

(6) سورة يونس آية ١٤ (7) سورة البقرة آية ١٦٨ .

**١ ـ البطالة الاختيارية :**

وهى بطالة من يقدرون على العمل ، ولايوجد عائق يحول بينهم وبين السعى والكسب ، ويؤثرون أن يعيشوا دون عمل مع وجود فرص العمل فى المجتمع مثل : دعاة التوكل ، والتفرغ للعبادة ، والمتسولين .

وقد نهى الإسلام عن هذا النوع من البطالة ، فهذا رجل يكثر من الصيام والقيام والذكر فيحسبه القوم أفضل منهم ، فلما حدثوا رسول الله ﷺ فى أمره ، قال لهم : أيكم كان يكفى طعامه وشرابه ؟ فقالوا : كلنا ، فقال : كلكم خير منه(٩) .

وهذا رجل ينقطع للعبادة فيراه الرسول ﷺ ويسأله من يقوم بالإنفاق عليك ؟ فيقول : أخى . فيقول ﷺ : أخوك أعبد منك[illegible] .

كذلك نهى الرسول ﷺ عن المسألة والتسول فقال : « لاتزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله وليس فى وجهه مزعة(١) لحم »[illegible] .

وهذا الحديث معناه : أن من يسأل الناس فى غير حاجة يأتى يوم القيامة ذليلاً ساقطاً لا وجه له عند الله . وهذا تصوير مفزع لمن يتكفف على أعتاب الناس .

وفى حديث آخر لرسول الله ﷺ قال : « من سأل الناس أموالهم تكثراً فإنما يسأل جمراً فليستقل أو ليستكثر »(٣) .

وهذا معناه أن من يسأل الناس يعاقب بالنار ، وأن ما يأخذه يصير جمراً يكوى به .

وفى حديث لرسول الله ﷺ لأن يحتزم أحدكم حزمة من حطب فيحملها على ظهره فيبيعها خير له من أن يسأل رجلاً يعطيه أو يمنعه »(٤) .

وفى هذا الحديث ـ أيضاً ـ يحذر الرسول الكريم ﷺ من الالتجاء إلى المسألة ، ويدعو إلى العمل مهما كان قليل الربح أو شاقاً .

ولعلم عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ بما للبطالة من أضرار جسيمة على الفرد والمجتمع قال قولته المأثورة : « لايقعدن أحدكم عن طلب الرزق ، ويقول : اللهم ارزقنى ، فقد علمتم أن السماء لاتمطر ذهباً ولافضة ، بل امشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور »(٥) وقال ـ رضى الله عنه : « مكسب فى دناءة خير من سؤال الناس »(٦) .

وهكذا نجد أن الإسلام يدعو إلى العمل ، وينهى أشد النهى عن البطالة الاختيارية بطالة من يقدرون على العمل ، ولكنهم يجنحون إلى القعود ، ويؤثرون أن يعيشوا عالة على غيرهم ، ويأخذون من الحياة ولايعطون ، ويستهلكون من طاقاته

---

(٩) د. أحمد ماهر البقرى ، « العمل فى الإسلام » ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ١٩٨١ ، ص٤٦ .

([illegible]) د. أمين مصطفى عبدالله ، « أصول الاقتصاد الإسلامى ونظرية التوازن الاقتصادى فى الإسلام » ، مطبعة عيسى البابى الحلبى ، القاهرة ، ١٩٨٤ ، ص ١١٤ .

(١) مزعة : قطعة .

(٢) صحيح مسلم ، بشرح النووى ، المجلد الثالث ، ص ٧٩

(٣) المرجع السابق ذكره ، ص ٧٩

(٤) المرجع السابق ذكره ص٨٠

(٥) د. عيسى عبده ، أحمد إسماعيل ، « العمل فى الإسلام » ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٨٣ ، ص ٤٢ .

(٦) المرجع السابق ذكره ، ص ٣٣ .

ولاينتجون ، فالإسلام يقاوم هؤلاء ولايرضى عن مسلكهم .

٢ ـ البطالة الجبرية :

وهى البطالة التى لا اختيار للإنسان فيها ، وإنما تفرض عليه أو يبتلى بها ؛ فقد يكون سببها تعلمه مهنة ثم كسد سوقها لتغير البيئة أو تطور الزمن ، فيحتاج إلى امتهان حرفة أخرى أصلح للحال وأنفع ، وقد يحتاج إلى آلات وأدوات لازمة لمهنته ولايجد مالا يشترى به مايريد ، وقد يعرف التجارة ولكنه يفتقر إلى رأس المال الذى تدور به تجارته ، وقد يكون من أهل الزراعة ولكنه لايجد أدوات الحرث أو آلات الرى ، وربما لايجد الأرض التى يزرعها[١] .

أما عن موقف الإسلام من البطالة الجبرية ، فقد اهتم الإسلام بعدة أمور من شأنها توسيع فرص العمل والتغلب على هذا النوع من البطالة بصفة دائمة . وهذه الأمور يمكن الاستناد إليها كسياسات لمعالجة مشكلة البطالة من المنظور الإسلامى ، والتى سوف نتناولها بالتفصيل فى المبحث الثالث من هذا البحث .

الخلاصـــة :

مما سبق نخلص إلى أن البطالة فى الاقتصاد الوضعى لها أنواع عدة : هى البطالة الموسمية ، والبطالة المقنعة ، والبطالة البنيانية ، والبطالة الدورية ، والبطالة الاحتكاكية ، والبطالة السافرة . وتعانى مصر من نوعين أساسيين من أنواع البطالة هما : البطالة السافرة والبطالة المقنعة . أما البطالة من منظور إسلامى فنجدها نوعين فقط هما البطالة الاختيارية والبطالة الجبرية .

---

(١) د. يوسف القرضاوى ، « دور الزكاة فى علاج المشكلات الاقتصادية ، بحوث مختارة من المؤتمر العالمى الأول للاقتصاد الإسلامى ، جامعة الملك عبدالعزيز ، ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ ، ص٢٢٧ .

# زيادة الإنتاج وضبط الاستهلاك فى توجيهات الإسلام

للواء . م . ح .
محمد جمال الدين محفوظ

● إن العمل والإنتاج من العناصر الرئيسية للبنيان الاقتصادى والتنمية الاقتصادية ، وهما ـ فى الوقت نفسه ـ من الدعائم الأساسية لبناء القدرات الدفاعية ، وتزيد أهميتها فى أوقات الشدة والحروب، حيث تصبح زيادة الإنتاج وتحقيق فائض منه من الضرورات الحيوية التى تفرضها تلك الظروف ، حيث تزيد ـ على سبيل المثال ـ متطلبات القوات المسلحة من المؤن والذخائر والأسلحة والوقود وغيرها وقت الحرب ، وهذه المتطلبات لا تحتمل التأجيل أو التعرض للأزمات أو الاختناقات ، الأمر الذى يقتضى بالضرورة الاحتفاظ فى المخازن والمستودعات بكميات كبيرة من مختلف السلع والمواد اللازمة للقوات المسلحة وللشعب على حد سواء ، وذلك حتى يمكن مواجهة الأزمات التى تحدث عادة نتيجة لما تتعرض له أدوات الإنتاج كالمصانع والمنشآت الاقتصادية ، والمستودعات ووسائل النقل من أضرار تعطلها عن الإنتاج .

● أضف إلى ذلك أنه بمقتضى إعلان التعبئة العامة ، فإن جانباً من العاملين فى المصانع ، والمزارع وغيرها ، من مصادر الإنتاج يُطلَبون للدفاع ، فيصبح من الضرورى فى تلك الحالة أن تظل هذه المصادر « محتفظة » بطاقاتها الإنتاجية بالرغم من انخفاض الأيدى العاملة وزيادة الطلب على المنتجات .

توجيهات الإسلام :

● ويوجه الإسلام فى هذا المجال إلى زيادة الإنتاج وإلى ضبط الاستهلاك كما يلى :

أولاً ـ زيادة الإنتاج : ويتحقق ذلك من خلال ما يلى :

١ ـ توظيف المال فى الإنتاج :

تؤكد توجيهات الإسلام أن المال يجب أن يكون وسيلة فى أيدى البشر يحققون به حياة كريمة ، ويعمرون أرض الله بمنهج الله ، فيقول الله ـ تعالى ـ مبيناً عذاب الكانزين والممسكين الذين لا ينفقون المال فى أوجه الخير ، ويعطلونه عن أداء وظيفته التى خلقه الله ـ تعالى ـ من أجلها :

وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ

وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾

( التوبة ٣٤ ـ ٣٥ )

٢ ـ إتقان العمل :

● ويوجه الإسلام إلى الإخلاص فى العمل وإتقانه ، فكفاءة العامل وإخلاصه فى عمله « يرفعان مستوى الأداء » بينما ضعف الكفاءة والإهمال يشكلان « خسارة اقتصادية » . من أجل ذلك ، نجد فى القرآن الكريم آيات كثيرة ، نذكر منها قوله تعالى :

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾

( الكهف ٧ )

﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

( التوبة ١٠٥ )

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾

( الكهف ٣٠ )

وكذلك نجد من أقوال رسول الله ﷺ :

« إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه » ( رواه البيهقى وأبو يعلى وابن عساكر وغيرهم ) .

« **إن الله يحب العبد المؤمن المحترف** » ( رواه البيهقى والطبرانى عن ابن عمر رضى الله عنهما ) .

● ومن مقتضيات هذا المبدأ ألا يكتفى المسلم بالمستوى الذى بلغه ، بل عليه أن يجود فيه ويرفع من مستواه بالمزيد من المعرفة والتدريب ، فقد أمر الله تعالى نبيه ـ وهو قدوة المسلمين ـ أن يقول : « **رب زدنى علماً** » **فهى له ـ عليه الصلاة والسلام ـ ولنا من بعده إلى يوم الدين ، وهذه المسئولية تقع على عاتق الفرد وعلى عاتق رؤسائه على حد سواء ، والله تعالى يقول :**

﴿ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

( النحل ٩٣ )

٣ ـ التجديد والتطور :

● ومن أهم أسباب زيادة الإنتاج ، الأخذ بأسباب التجديد والتقدم والتطوير ، والإفادة من منجزات العصر العلمية والتقنية ، ذلك لأن أهداف العلم والمعرفة والبحث العلمى لا تتوقف عند حد حل المشكلات ، أو استخلاص النظريات والقوانين ، بل هى تمتد إلى غاية عليا هى التجديد والتطور .

● والحق أن القرآن الكريم لم ينبه عقول المسلمين وقلوبهم إلى شىء بعد التوحيد مثلما نبههم إلى سنة التطور فى الكائنات جميعاً ، وفى الأكوان قاطبة ، فى الإنسان الفرد وفى المجتمعات ، وقد دعاهم إلى كشف آثار هذه

السنة والانتفاع بها ، وحذرهم من تجاهلها أو الوقوف فى وجهها ، ولذلك كانت لعنات الله تترى على الذين يأبون التطور والتغيير ، بحجة أنهم يتمسكون بما ورثوه عن الآباء ، وهو ما يفهم من قوله جل شأنه :

﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾

( الزخرف ٢٣ )

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ

( البقرة ١٧٠ )

ووصف الله ــ سبحانه وتعالى ــ المقلدين بأنهم يرددون ما تلقنـــوه كالببغـــاوات أو العجماوات فقال جل شأنه :

﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾

( البقرة ١٧١ )

● كل ذلك يرشد إلى ضرورة الاهتمام بأجهزة البحوث والتطوير ودعمها بالعلماء والمتخصصين والأموال .

٤ ــ تكريم العاملين الممتازين :

● إن تكريم العاملين الممتازين يحقق دعماً مهما لعملية الإنتاج ، فهو يشعر المجتهد بالتكريم من جهة ، ويحفز غيره على بذل الجهد فى العمل ورفع مستوى أدائه من جهة أخرى ، ففى حديث رواه مسلم قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ لرجل ــ وقد وجد فى يده خشونة من العمل ــ : « ما هذا الذى أراه فى يدك ؟ قال : من أثر المسحاة أضرب وأنفق على عيالى ، فقبل رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يده وقال : « هذه يد لا تمسها النار » .

وهناك أمثلة من تكريمه ــ ﷺ ــ للممتازين فى العلوم والفنون :

١ ــ تكريمه لمعاذ بن جبل لامتيازه فى الفقه بقوله : « أعلمكم بالحلال والحرام معاذ بن جبل » ( رواه ابن ماجة ) .

٢ ــ وتكريمه لأبى بن كعب لامتيازه فى قراءة القرآن بقوله : « أقرؤهم لكتاب الله أبى بن كعب » ( سنن الترمذى ــ كتاب المناقب ) .

٣ ــ وتكريمه لزيد بن ثابت لامتيازه فى علم الميراث بقوله : « أفرضكم زيد بن ثابت » ( رواه ابن ماجة ــ والفارض هو العالم بتقسيم المواريث ) .

٤ ــ وتكريمه لأبى عبيدة بن الجراح لامتيازه فى علم الشريعة والقضاء بقوله : « أقضاكم أبو عبيدة » .

٥ ــ وتكريمه لسعد بن أبى وقاص لمهارته

الفاتحة فى الرمى بأن جمع له أبويه ، يقول الامام على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ : « ما جمع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أبويه لأحد غير سعد بن مالك ( وهو سعد بن أبى وقاص ) فإنه جعل يقول له يوم أحد : ارم فداك أبى وأمى » ( رواه الشيخان والترمذى ) .

**ثانياً ـ ضبط الاستهلاك :**

● ويوجه الإسلام إلى ضبط الاستهلاك ومحاربة الإسراف لكى يتوفر للأمة « فائض فى الإنتاج » يمكنها من مواجهة الأزمات ، ويجنبها آثار الحصار الاقتصادى أو الاحتكارات العالمية وما يحدث من أضرار وقت الحرب . يقول الله ـ تعالى :

﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾

( الأعراف ٣١ )

وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ .

( سورة الإسراء )

﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴾

( الإسراء ٢٦ ـ ٢٧ )

وقال تبارك وتعالى فى صفات عباد الرحمن :

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾

( الفرقان ٦٧ )

● والحق إن الإسلام فى دعوته إلى الإنفاق لا يقصد الإنفاق الاستهلاكى فحسب ، وإنما يقصد « الإنفاق المربح المنتج » ليكون المال أداة تنمية وتقدم للمسلمين ، لا أداة ترف وبذخ وفساد .. ويقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « **إن الله تعالى يرضى لكم ثلاثاً ويكره لكم ثلاثاً : فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، ويكره لكم قيل وقال : وكثرة السؤال ، وإضاعة المال** » ( رواه مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه ) .

ويقول عليه الصلاة والسلام : « **التبذير إنفاق المال فى غير حقه** » ( أخرجه ابن المنذر وغيره من حديث ابن مسعود رضى الله عنه ) ويقول : « **القصد القصد تبلغوا** » . ( رواه البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه ) ـ والمعنى أى عليكم بالتوسط فى الأمور تصلوا إلى غاياتكم ) وقال أيضاً : « الاقتصاد نصف المعيشة » ( رواه البيهقى والطبرانى عن ابن عمر رضى الله عنهما ) .

● ويحرم الإسلام احتكار الأقوات واستغلال

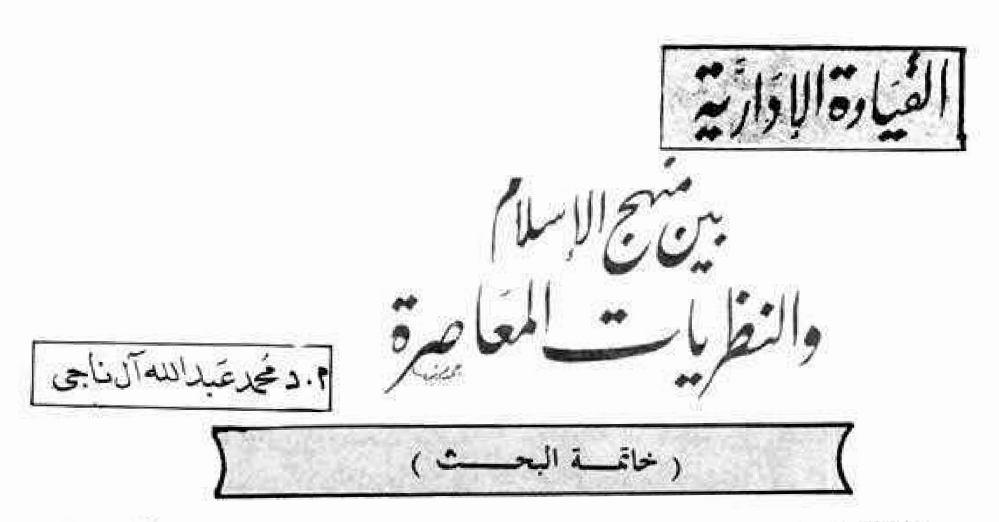
ظروف الأزمات والحروب لتحقيق الأرباح ؛ برفع الأسعار والغش فى المعاملات ، ويصف الله التجار الأمناء الذين يقومون بواجبهم نحو الله والناس ، ولا تشغلهم أعمالهم عن الله فيقول :

﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾

( النور ٣٧ ـ ٣٨ )

ويقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم : « **التاجر الصدوق يحشر يوم القيامة مع النبيين والصديقين والشهداء** » ( رواه الترمذى والحاكم ) ويقول : « **الجالب مرزوق ، والمحتكر ملعون** » ( رواه ابن ماجة والحاكم عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ) . ويقول أيضاً : **من احتكر طعاماً ما أربعين يوماً فقد برىء من الله وبرىء الله منه ، وأيما أهل عرصة أصبح فيهم امرؤ جائعاً فقد برئت منهم ذمة الله تبارك وتعالى** » ( رواه أحمد ـ والعرصة : ساحة الدار ) .






قلنا فى مقدمة البحث : العالم الآن يتخبط فى العديد من النظريات الإدارية ، وتكون نهاية البحث عن نظرية أخرى جديدة ، قد تطمس معالم النظريات القديمة حتى إذا وضعت موضع الاختبار والتجربة والتطبيق أمكن الحكم عليها بالنجاح فى إعطاء نتائج سليمة ، أو بإعلان فشلها فى تحقيق النتائج المرجوة منها ، وغالباً ما تكون الأخيرة .

نقول ذلك بناء على التجارب السابقة التى سلكها أصحاب نظريات الإدارة والقيادة ، والتى تسمى ( بالسمات ) مرة و ( بالموقف ) أخرى ، و ( بالسلوكية ) مرة ثالثة و ( بالتوفيقية أو التفاعلية ) مرة أخرى .

وكلها لم تحقق الهدف لأصحابها ، ولم تأت بالغاية المرجوة منها ، وكان الفشل فى معظم المواقف نصيبها ، والإحباط طريقها ، حدث هذا فى بيئتها التى خرجت منها ، وبين علمائها الذين قعدوا قواعدها .

والسبب فى ذلك ـ والحق يقـال ـ ليس قصوراً من أصحابها ، ولا تهاوناً ممن قاموا بتطبيقها ، ولكن العامل فى ذلك أنها نتاج بشرى ، وفكر إنسانى والبشر دائماً عرضة للخطأ والصواب ، وما يلائم عصراً من العصور لا يتفق مع عصر آخر وما يرضى فئة أو أمة من الناس ، قد لا يتوافق ولا يتلاءم مع فئة أخرى ، ومجموعة تتباين فى بيئتها ومعتقداتها وسلوكيات شعوبها مع الآخرين .

وإذا كان الأمر كذلك فلماذا لا نعود إلى تراثنا نستخرج منه ما يتلاءم مع طبيعتنا وظروف حياتنا ..؟

لماذا لا نعود إلى قواعد الإسلام وتأصيلاته فى شئون الإدارة والقيادة ، ونسعى إلى تطبيقه فى

---

* الباحث : عميد كلية التربية ـ جامعة الملك فيصل ـ المملكة العربية السعودية .

١ ـ الأغبش ، محمد رضا : تنظيم العمل الإدارى فى النظام الإسلامى . دار النشر الدولى : الرياض ١٤١٢ هـ .

مجال الاجتماع والاقتصاد ، والتربيــة وعلــم النفس ..؟ إلخ .

نقول ذلك وندعو إليه لا تعصباً لدين ، ولا اتباعاً لهوى ، ولا سَدّاً لأبواب المعرفة التى تأتى إلى بلادنا من خلف السهوب والحدود ، ولكن فقط لأنه يوجد فى تراثنا ـ وبين أيدينا ـ نظريات متكاملة فى شئون الإدارة والقيادة وكل العلوم الإسلامية . ولقد أخذت هذه القواعد مباشرة من كتاب الله تعالى . ووضعت موضع التجربة فى كثير من الممالك الإسلامية وكان لها دورها البارز فى ذلك الوقت ، وبهرت العالم بكل ما فيها من أصالة تتلاءم مع الطبيعة البشرية ، وأخص خصائص التقدمية .

والأمة الإسلامية الآن ـ ولله الحمد والمنة ـ تتمتع بخيرات كثيرة وبنعم لا تحصى ولا تعد . فهى من ناحية المكان لها ـ مركز الدائرة بالنسبة للعالم كله ـ وهذا يهيء لها مركزاً استراتيجياً خطيراً لا يتوفر بأية حال لأمة من الأمم .

ومن ناحية الثروات : فلقد جمع الله ـ تعالى ـ من أنواع الثروات الظاهرة والمخبوءة فى باطن الأرض ما يحقق لها اكتفاء ذاتياً ، ويجعل الكثير من دول العالم فى حاجة إلى معادنها وبترولها ، وخيراتها .

ومن ناحية القوة البشرية : فإن الدراسة المنصفة التى أجرتها ( الأكاديميات ) العالمية للطبيعة البشرية لهذه الأمة . أثبتت أن لها من الخصائص والمميزات البشرية ما ليس لأمة أخرى ، وبذلك تستطيع عن طريق هذه الخصائص أن تكون الأمة التى أناط الله بها دور الرقابة والشهادة للبشرية بأسرها وللخلق بعامة

قال تعالى :

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾

( البقرة ـ آية ١٤٣ )

وإذا كان الأمر كذلك فعلى رجال الإدارة والقيادة أن يتجهوا إلى هذا النبع الصافى من مبادىء الإسلام ليجدوا فيه كل ما يعن لهم من شئون الإدارة والقيادة .

والقارىء للتراث الإسلامى يرى أنه كان للفكر الإدارى الإسلامى اهتمام كبير من الأمة الإسلامية قادة ومرءوسين ؛ الأمر الذى جعله يتفوق على أحدث النظريات الإدارية فى عالمنا المعاصر ، لأنه كان يهتدى بالكتاب الذى أنزله الله ـ تعالى ـ وهو خالق الإنسان العليم بكل ذرة من ذراته ، وبكل خلجة من خلجاته .

﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾

( سورة الملك آية رقم ١٤ )

ويطيب لنا أن نقدم فى هذه العجالة نماذج من هذا الفكر متمثلة فى كتاب الإمام على ـ رضى الله عنه ـ إلى الأشتر النخعى عندما وَلّاهَ مصر وأعمالها . ويعد هذا الكتاب من أهم الوثائق التى جمعت أساسيات القيادة الإدارية وخصائصها إبان الصدر الأول من الإسلام حيث يحدد ـ رضى الله عنه ـ أهم المفاهيم الإدارية والخصائص القيادية الفعالة فى خطابه ، وذلك على النحو التالى :

١ ـ الرحمة والحب :

« وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم ، واللطف بهم ، ولا تكون عليهم سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم » .

٢ ـ تجنب المحاباة :

« أنصف الله وأنصف الناس من نفسك ، ومن خاصة أهلك ، ومن لك فيه هوى من رعيتك ، فإنك إلا تفعل تظلم ، ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده ، ومن خاصمه الله ادحض حجته ، وكان الله له حرباً حتى ينزع أو يتوب » .

٣ ـ ارضاء الجماعة :

« وليكن أحب الأمور إليك أوسطها فى الحق ، وأعمقها فى العدل وأجمعها لرضا الرعية ، فإن سخط العامة يجحف برضا الخاصة ، وإن سخط الخاصة يغتفر مع رضا العامة » .

٤ ـ اختيار المستشارين :

« ولا تدخلن فى مشورتك بخيلاً يعدل بك عن الفضل ، ويعدك الفقر ، ولا جباناً ، يضعفك عن الأمور ، ولا حريصاً يزين لك الشره بالجور ، فإن البخل والجبن والحرصّ غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله » .

٥ ـ توفير الحوافز :

« ولا يكونن المحسن والمسيء عندك بمنزلة واحدة ، فإن فى ذلك تزهيداً لأهل الإحسان فى الإحسان ، وتدريباً لأهل الإساءة على الإساءة ، والزم كلاً منهم ما ألزم نفسه » .

٦ ـ توظيف ذوى الكفاية :

« ثم انظر فى أمور عمالك فاستعملهم اختباراً ولا تولهم محاباة وأثرة ؛ فإنها جماع من شعب الجور والخيانة ، وتوخ منهم أهل التجربة والحياة من أهل البيوتات الصالحة ، والقدم فى الإسلام المتقدمة ، فإنهم أكرم أخلاقاً وأصح أعراضاً ، وأقل فى المطامع إشرافاً ، وأبلغ فى عواقب الأمور نظراً » .

٧ ـ سياسة الأجور :

« ثم أسبغ عليهم الأرزاق ، فإن ذلك قوة لهم على استصلاح أنفسهم ، وغِنى لهم عن تناول ما تحت أيديهم ، وحجة عليهم إن خالفوا أمرك أو ثلموا أمانتك » .

٨ ـ الرقابة والمساءلة :

« ثم تفقد أعمالهم ، وابعث العيون من أهل الصدق والوفاء عليهم ؛ فإن تعاهدك فى السر لأمورهم قدوة لهم على استعمال الأمانة والرفق بالرعية . وتحفظ من الأعوان ؛ فَإنْ أحدٌ منهم بسط يده إلى خيانة اجتمعت بها عليه عندك أخبار عيونك ، اكتفيت بذلك شاهداً فبسطت عليه العقوبة فى بدنه ، وأخذته بما أصاب من عمله ، ثم نصبته بمقام المذلة ، ووسمته بالخيانة ، وقلدته عار التهمة » .

٩ ـ الاتصال بالرعية :

« أما بعد ، فلا تطولن إحجابك عن رعيتك ، فإن احتجاب الولاة عن الرعية شعبة من الضيق ، وقلة علم بالأمور ، والاحتجاب منهم يقطع عنهم علم ما احتجبوا دونه فيصغر عندهم الكبير ، ويعظم الصغير ، ويقبح الحسن ويحسن القبيح ، ويشاب الحق بالباطل » .

١٠ ـ تقدير الأمور :

« وإياك والعجلة بالأمور قبل أوانها ، أو التسلط فيها عند إمكانها ، أو اللجاجة فيها إذا

تنكرت ، أو الوهن عنها إذا استوضحت ، فضع كل أمْر موضعه ، وأوقع كل عمل موقعه » .

هذه المفاهيم الإدارية والخصائص القيادية التى ذكرها الإمام على ـ رضى الله عنه ـ فى خطابه هذا تعد بحق من أهم مقومات السلوك القيادى التى يمكن استخدامها عند تدريب القادة والإداريين ، حيث يتضح فيها البعد الإنسانى المتعلق بالرحمة والرفق ، وإعطاء الناس حقوقهم كاملة ، وتأصيل الديمقراطية فى اتخاذ القرار ، كما يتضح أيضاً البعد التنظيمى المتعلق بالتوجيهات المحددة لإنجاز المهام المختلفة .

وهذه المعانى تعبر عن خصائص السلوكيات القيادية الواجب توافرها فى القائد ؛ فبقدر ما وضحت العموميات الأساسية فى سلوك القائد بينت أيضاً التفصيلات المهمة لتصرفات القائد مع مرءوسيه . من خلال إنجاز الأعمال .

ولقد رأينا العديد من الكتب الحديثة التى كتبها متخصصون فى علوم الإدارة والقيادة ، والتى تحمل العناوين الرنانة ، لتدريب الطموحين للمراكز الإدارية ، والذين يحتلون مناصب قيادية ليكونوا قادة ناجحين فى إداراتهم .

وبالرغم من أن مثل هذه الكتب ألفت لتكون صغيرة الحجم ، سهلة القراءة حتى لا تستهلك الوقت الكثير فى قراءتها واستيعابها ، ولكنها بجوار ما كتبه الإمام على تعد قاصرة إذا قورنت بما كتبه هذا الإمام العادل ؛ لأن كتاب الإمام على ـ والحق يقال ـ شامل للمعالم الإدارية : خصائصها واتجاهاتها ووسائل النجاح فيها .

وهذا ـ إن دل على شىء ـ فإنما يعطى القارىء تصوراً كاملاً على مقدار ما يحويه التراث الإسلامى فى مجال القيادة والإدارة من ملامح مضيئة ، وفوائد أصيلة قائمة على خبرة متكاملة بالشخصية الإنسانية ، وما فيها من خطوط مستقيمة وأخرى معوجة . وما دام القائد لديه خبرة بذلك استطاع أن يكون قائداً ناجحاً وإدارياً متفوقاً .

فمتى يعود رجال الإدارة والقيادة إلى هذا النبع ..؟ إن هذا البحث خطوة على الطريق ونرجو أن تتبعها خطوات فى مجال الإدارة والقيادة .






بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير ﴿١٣﴾ ﴾

سورة الحجرات


للأستاذ / محمد محمود حسانين


وصل نور العقيدة الإسلامية إلى جنوب أفريقيا مع الهجرات الهندية منذ بداية هذا القرن ، وقد اعتنقه أيضا عدد من أبناء البلاد الأصليين لما رأوا فيه من السماحة والمساواة وعدم التمييز بين الأجناس ..

لكن المسلمين هناك واجهوا كثيرا من المصاعب والمشاكل التى لم يعلم بها إخوانهم نتيجة العزلة والحصار اللذين فرضهما عليهما النظام العنصرى .

فلقد وجد هذا النظام فى الإسلام حجر عثرة ضد سياسته فى الفصل العنصرى RACIAL SEGREGATION وضد سياساته التى يتبعها ضد الملونين ، ففرض قيودا على اتصالات المسلمين بإخوانهم فى الأقطار الاسلامية ، إلا من أفلح فى اختراق الحواجز وذهب للدراسة فى الأزهر – مثلا – ، أو عن طريق استضافة قراء عرب – من مصر – خلال شهر رمضان .

وقد واجه المسلمون الصعوبات التى تواجههم فى جنوب أفريقيا بصبر واحتساب ، وبرز من بينهم قادة محليون ، ودعاة مخلصون ، ومفكرون واجهوا – ولا يزالون يواجهون – أشرس حملات التبشير وأعنفها من أجل تنصير المسلمين .

ومن ذلك الدورات المكثفة التى ينظمها المركز الاسلامى فى « ديربان » وجنوب أفريقيا ، بغية مواجهة النشاط التنصيرى والرد عليه ، وتحصين المسلمين ضده . عندما يطرق المنصِّرون أبوابهم عليهم فى بيوتهم !!

## شراسة حملات التنصير

شنت إرساليات التنصير حربا لا هوادة فيها على المسلمين فى كل أنحاء أفريقيا ، وخاصة فى جنوبها وجندت لذلك المستشرقين والمنصرين الذين طرقوا على المسلمين بيوتهم ، وهاجموا معتقداتهم ، وكانوا من العداء لدرجة أن عددا من بين مسلمى جنوب أفريقيا حملوا على عاتقهم دراسة كتب النصارى ، لمواجهة هذه الحملات العدوانية ، والتى اشتركت فيها أكثر من ست وأربعين إذاعة نصرانية ؛ تبث برامجها من داخل أفريقيا ومن روما وقبرص وبيروت ، وغيرها .

## غفلة العالم الإسلامي
## عما يجرى فى جنوب أفريقيا

والحقيقة أن أحدا فى العالم الإسلامى ـ على اتساعه ـ لم يشغل نفسه بقضيتهم أو يهتم بهم ، ولو من قبيل محاربة العنصرية التى يرفضها الإسلام ، أو الاهتمام بهم فى ظل الاهتمام العالمى بمحاربة العنصرية . على أن ذلك يرجع إلى مخطط العزلة ، الذى فرضه النظام العنصرى عليهم ، ومؤامرة الصمت و( التعتيم ) المتعمد من قبل الاستعمار .

وترتب على هذه العزلة افتقار المسلمين فى جنوب أفريقيا إلى التفقه فى الدين ، باستثناء بعض الزيارات التى يقوم بها مشاهير قراء القرآن الكريم فى العالم الاسلامى ـ من مصر ـ لإحياء ليالى رمضان فى « دوربان » أو « ديربان » ، كما ينطقونها DURBAN وفى غيرها ، أما الوعاظ فكانت توضع أمامهم العراقيل .

وهكذا نجحت ـ الى حد ما ـ مؤامرة النظام العنصرى فى عزل أخبار إخواننا هناك عن العالم الإسلامـــى ، وتصوّر المنصّرون أنهم سوف يجدونهم ـ أو من بينهم ـ فرائس سهلة تسقط بين أيديهم فى سهولة ويسر ، لكن خاب فألهم !!

### دور طليعى للمسلمين الأفارقة

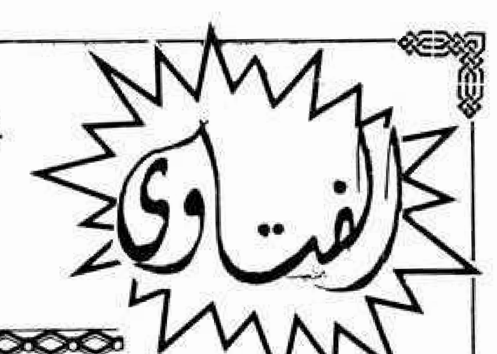
لم يكتف المسلمون من أبناء ( جنوب أفريقيا ) بموقف الدفاع ، إنما نبغ من بينهم دعاة عالميون جرت بينهم وبين بعض القسيسين من النصارى مناظرات ، كان التوفيق فيها ـ بفضل الله ـ حليف المسلمين ، وأصدروا الكتب والشرائط والصحف والنشرات .

من بين هؤلاء الداعية الإسلامى النابغ «أحمد ديدات» الذى لقى الأذى والعنت على يد المنصرين أثناء طفولته . حدث ذات ليلة أنه كان يتحدث ـ فى الرياض ـ فى لقاء ضم الآلاف ، أسلم عقبه عدد من النصارى ، فسلمته رسالة تحتوى على بعض الملاحظات ، وفوجئت بجرس الهاتف يدق عندى قبل صلاة الفجر ، وألحَّ الطالب حتى قررتُ رفع السماعة ، وكان على الطرف الآخر العجوز الشاب الشيخ «أحمد ديدات» الذى بادرنى بالاعتذار عن الاتصال فى مثـــل هذا الوقت ، وأنه قد فرغ تواً من قراءة تعليقى ، وعجبت لشيخ فى مثل هذا العمر ، يعمل لمثل هذا الوقت ، ثم كانت سعة اطلاعه على الأوضاع فى عالمنا الاسلامى موضع مفاجأتى الثانية .

وعلمت منه أن هناك مركزا عالميا للدعوة الإسلامية فى ( ديربان ) وأنه يتصل به ـ لطلب المعونة والنصح ـ مسلمون من جميع أنحاء العالم ، خاصة المسلمون الأمريكان ، ومنهم « محمد على كلاى » بطل العالم السابق فى الملاكمة ، الذى يبذل قصارى جهده هو أيضا فى سبيل الدعوة إلى الله .

وقد فوجئت بسعة اطلاع الشيخ وإلمامه بمشاكل وأحوال المسلمين خارج وطنه ، بينما نجهل مشاكل المسلمين ـ عنده ـ فى جنوب افريقيا .

كان الله معهم فى كفاحهم وجهادهم ضد الاستعمـار ، ومؤامراتـــه لتـــذويبهم ، وضد العنصرية ، وجهادهم المشكور لنشر كلمة الله ، فقد طبعوا ـ على نفقتهم ـ ترجمات معانى القرآن للغات أفريقية عديدة ، ويجاهدون ـ فى حماس ـ للوقوف فى وجه محاولات التنصير بصبر وقوة إيمان ، لكن حاجاتهم ستظل مُلِحَّة إلى مؤازرة العالم الإسلامى لهم ماديا ومعنويا وإعلاميا .




تجيب عنها علماء لجنة الفتوى بالأزهر

إعداد الأستاذ/ عبد المنعم فودة

أرجو إفادتى عن السؤال التالى ولكم خالص التحية .

ـ أودعت مبلغا كبيرا من المال «هو كل ماأملك» فى إحدى شركات الاستثمار . وكنت أحصل على العائد بانتظام ، وعلمت بأحوال الشركة فبادرت إلى شراء سلع من أحد الفروع التابعة للشركة «بكل ما لدى الشركة لى من مال» وعندما طالبنى موظفو الفرع بالنقود قدمت لهم الأوراق التى تفيد بأن هذا المبلغ بالضبط هو حقى لديهم ، ونظرا لنفوذى ورجالى الذين أخذتهم معى لم يستطع أحد أن يتكلم .

ولكن أخى أخبرنى بأن فى هذا المال ـ الذى أخذته ـ حرمة ؛ لأن به حقوق الآخرين .

مع العلم أننى أخذت حقى فقط ، ولم آخذ مليما غير حقى . أرجو الإفادة ولكم خالص الشكر .

من ناجى . أ . ص ـ القاهرة

حيث إن السائل أخذ حقه فقط ولم يتجاوزه . فذلك مباح له ـ ولا علاقة له بالآخرين ؛ لأنه لم يظلمهم ، ولم يأخذ من مالهم شيئا ـ والله أعلم .

السؤال : من السيدة أ . م :

تسلمت هدية من زوجى فى الخارج عبارة عن جاكت حريمى مصنوع من جلد الخنزير وتأكدت من ذلك .

هل يجوز لبسه أم لا ؟

أفيدونا أفادكم الله .

الجواب :

نفيد بأن الانتفاع بجلد الخنزير فى أى صناعة حرام ؛ لأنه نجس العين . وذلك بنص الكتاب والسنة . والله أعلم .

السؤال : من السيدة م . و .

ورثنا أنا وأختى منزلا وبه عدد من الطوابق للإيجار ، ولم نفكر الآن فى بيعه هل عليه زكاة مال ؟

ثم هل بعد أن نبيعه ـ إن شاء الله ـ يكون المال حال البيع عليه زكاة ؟

أفيدونا أفادكم الله .

الجواب :

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﷺ ـ وبعد .

نفيد بأن العقارات المؤجرة إذا بلغت الأجرة

نصاب الزكاة ، ومقداره ٨٥ جراما من الذهب ، فقد وجبت فيه الزكاة ، ومقدارها ربع العشر « ٢٫٥٪ » أما إذا بيع البيت ، وبلغ ثمنه نصاب الزكاة ، ومر عليه الحول ففيه زكاة ومقدارها ربع العشر . هذا إذا كان الحال كما ذكر فى السؤال . والله أعلم .

**السؤال من السيد : ح . س . غنيم .**

**١ ـ رجل كان يعمل بشركة أجنبية مقرها القاهرة ، وحدث أن أغلقت الشركة مكتبها ـ بالقاهرة وصُرفت مكافأة كبيرة للرجل فاشترى بها مقرا لمشروع تجارى ـ وأعد بما تبقى معه هذا المقر ـ وكتب المشروع باسم زوجته ـ وقبل أن يفتح المشروع توفى الرجل وترك زوجته وولداً وبنتاً .**

**٢ ـ تزوجت زوجة المتوفى من رجل آخر وأنجبت منه ولدا وتوفيت ـ رحمها الله ـ أثناء ولادته ، وعاش المولود .**

**٣ ـ قبل وفاة الزوجة أعلمت زوجها بأصول الأموال التى تخص هذا المشروع .**

**ـ ما طريقة توزيع حصيلة تصفية هذا المشروع الذى يبدأ من الأصل حتى الآن ؟**

**أفيدونا أفادكم الله .**

**الجواب :**

الحمـــد لله والصلاة والسلام على سيدنـــا رسول الله ﷺ وبعد .

نفيد بأنه بكتابة الزوج لزوجته المشروع الذى أقامه وسجله باسمها أصبح ملكا لها ، وتوفى وهو على هذا الوضع ، وبوفاة الزوجة بعد أن تزوجت من زوج آخر ولها منه أيضا ابن ، فإن التركة توزع على الورثة الشرعيين وهم : الزوج الذى توفيت عنه ، وله الربع فرضا لوجود الفرع الوارث ، والباقى لأولادها من زوجيها تعصيبا يقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى . هذا إذا كان الحال كما ذكر فى السؤال . والله تعالى أعلم .

**السؤال : من المهندس م . و .**

**أنا أعمل بالتجارة فى أكثر من مشروع تجارى يشمل ورشة ومحل قطع غيار سيارات وخلافه .**

**ـ كيف أقوِّم زكاة مالى .**

**ـ هل الزكاة على رأس المال ، أو على الأرباح ؟**

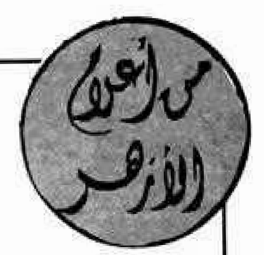
**أفيدونا أفادكم الله .**

**الجواب :**

الحمـــد لله والصلاة والسلام على سيدنـــا رسول الله ﷺ وبعد .

نفيد بأن الآلات التى تستخدم فى الورشة للتصليح وغيره لا زكاة فيها ، ولكن صافى الأرباح الناتج من عمل الورشة إذا بلغ نصاب الزكاة ، ومر عليه الحول فقد وجبت فيه الزكاة ومقدارها ربع العشر « ٢٫٥٪ » .

أما عن محل قطع الغيار ؛ فإن قطع الغيار تقوم فى بداية العام وفى آخره يضاف لها الأرباح فإذا بلغت النصاب فقد وجبت فيه الزكاة « أى وجبت فى رأس المال مضافـا إليه الأرباح معا » ومقداره ربع العشر « ٢٫٥٪ » هذا إذا كان الحال كما ذكر فى السؤال والله تعالى أعلم .





الشيخ الخضر حسين

# الأستاذ الإمام: محمد الخضر حسين

## شيخ الأزهر الأسبق

**١٢٩٣ هـ ١٣٧٧ هـ**

**للمستشار محمد عزت الطهطاوى**

**الشيخ محمد الخضر حسين كان فقيها عالما واسع الأفق فصيح العبارة أحرز قصب السبق فى مضمارى العلم والفقه ، وكذا فى مضمار الأدب دون نزاع ، كما تميز بصفاء مورده ودسامة غذائه الفكرى .**

**يصفه الأستاذ الدكتور محمد رجب البيومى عميد كلية اللغة العربية بالمنصورة بجامعة الأزهر فيقول : ( كان رحمه الله يكتب فى الأصول والتشريع والتاريخ كتابة المتعمق الدقيق ، وكان يُدرِّس لطلاب كلية أصول الدين أبوابا من السياسة الشرعية ، يغوص فيها مغاص الأصولى الجدلى المتكلم ، ثم هو صاحب رسائل أدبية ومقالات تحليلية وديوان شعرى يجعله فى طليعة أرباب الفن الرفيع[1]) .**

ويقول عنه الأستاذ الدكتور عبد الجليل شلبى الأمين العام الأسبق لمجمع البحوث الإسلامية : إنه كان دؤوبا على القراءة والدرس ، دؤوبا على الكتابة محبا للإصلاح ، معنيا بنهضة الشرق ، ويرى أن إصلاحه لا يكون إلا عن طريق الإسلام ، وبهذه الروح الدؤوب الوثوب تبرز فى حياته جوانب خاصة فهو عالم من علماء الإسلام ، يوضع فى الصف الأول من رجال الزهد ورجال الصراحة والصرامة فى الحق ثم من رجال البر والإحسان والمروءة[2] .

**نشأته ومولده :**

ولد الشيخ محمد الخضر حسين بمدينة ( نفطة ) التونسية على حدود الجزائر فى ٢٦ من رجب سنة ١٢٩٣ هـ من أسرة كريمة تنتمى إلى

(١) كتاب النهضة الإسلامية فى سير أعلامها المعاصرين الجزء الأول تأليف الدكتور محمد رجب البيومى سلسلة البحوث الإسلامية .

أسرة الأشراف الأدارسة تلك الأسرة التـــى حكمت المغرب فترة من الزمن فى العصور الماضية ، وكانت أسرة والده وأسرة والدته من ذوى العلم والأخلاق والدين كما كان لنسبه الهاشمى الكريم والنشأة التى نُشِّىء عليها تعزى صلابته فى الحق وزهده فى الدنيا واستعداده للتضحية .

وفى صغره حفظ القرآن الكريم وألم بمبادىء القراءة والكتابة وطرفا من العلوم العربية والشرعية ثم انتقل مع أسرته إلى مدينة تونس عاصمة تلك البلاد سنة ١٣٠٥ هـ وفيها التحق بجامع الزيتونة سنة ١٣٠٧ هـ وهو شبيه بالجامع الأزهر فى القاهرة فواصل دراسته على كبار العلماء به حتى نال شهادة العالمية عن جدارة وتهيأ للإفادة كاتبا ومدرسا وقاضيا .

فعمل أولا مدرسا فى جامع الزيتونة ، وفى سنة ١٣٢٤ هـ ولى قضاء ( مدينة بنزرت ) وكذلك الخطابة فى مسجدها لكنه بعد فترة استقال وعاد إلى جامع الزيتونة وتطوع للتدريس فيه حتى تم تعيينه به سنة ١٣٢٥ هـ، وفى سنة ١٣٢٦ هـ عين مدرسا ( بالصادقية ) وكانت المدرسة الثانوية الوحيدة فى تونس وفيها أخذ يلقى محاضرات عن الحرية فى الإسلام وحياة اللغة العربية[٣] .

**البلاد التونسية عصر الإمام :**

كان جزء كبير من سكان تلك البلاد من البدو لا يعرفون من الإسلام إلا الشهادتين : ( لا إله إلا الله ـ محمد رسول الله ) ولا يصل إليهم شىء من العلم إلا فى بعض الأماكن التى أنشأ فيها رجال الصوفية بعض الزوايا ، إذ كانت تعلم الناس شيئا من علوم الإسلام .

أما الجاليات الأجنبية من فرنسية وإيطالية وإنجليزية فلها مدارسها التى تعلم أبناءها وقليلا من أبناء البلاد علوم الرياضة من حساب وجبر وهندسة وكذلك اللغات والتاريخ والجغرافيا وهؤلاء الآخرون إذا تخرجوا كانوا أقدر على فهم الحياة هناك فأمسكوا بزمام الأمور فتتحول مالية البلاد إلى أيديهم .

وأما عن إدارة البلاد ففوضى ما بعدها فوضى فالحاكم مستبد بأمره وأحب الناس إليه من يجمع له المال من حرامه ومن حله ، ولا ضبط فى أمور البلاد المالية من دخول أو خروج ، والعدل والظلم متروكان للمصادفات ، فإن تولى بعض الأمور موظف عادل أشاع فى محيطه العدل لكن ذلك كان موقوتا بحياته وشخصه .

أما نظام القضاء والجيش والإدارة والضرائب والجباية والصرف على المرافق والوظائف فكان على النمط البالى العتيق ، والأدهى من ذلك أن كثيرا من الأمور تنفذ بالأوامر الشفوية فلا مرجع لها ولا يمكن الحساب عليها[٤] .

**محاولته الإصلاح بإنشاء صحيفة « السعادة العظمى » :**

عندما رأى الشيخ محمد الخضر حسين أن المحتل الفرنسى لبلاده يحاول أن يطمس نور

---

(٢) جريدة الأخبار القاهرية ملامح شخصية مقال بقلم الدكتور عبدالجليل شلبى بتاريخ ٩ رمضان ١٤٠٨ هـ ـ ٢٥ ابريل ١٩٨٨ م .

(٣) مجلة منبر الإسلام العدد التاريخ بمناسبة العيد الألفى للأزهر جمادى الأولى وجمادى الآخرة ١٤٠٣ هـ ـ مارس ١٩٨٣ م .

(٤) كتاب النهضة الإسلامية فى سير أعلامها المعاصرين الجزء الأول المرجع السابق .

الإسلام وشريعته فى تونس بحشد قوته العسكرية لتشويه اللغة العربية والحكم عليها بالجمود والتقهقر حتى ينصرف الناس عنها وبالتالى يبتعدون عن قرآنهم المجيد وأحاديث رسول الله ﷺ فتنقطع الصلة بينهم وبين تراثهم العلمى والدينى العظيم ، عندما رأى الشيخ ذلك أنشأ ـ رحمه الله ( صحيفة السعادة العظمى ) على نمط ( صحيفة العروة الوثقى ) التى كان يصدرها السيد جمال الدين الأفغانى والأستاذ الإمام محمد عبده فى باريس وكان هدف صحيفته نشر محاسن الإسلام وفضح أساليب الاستعمار الفرنسى ، إذ كان يعتقد أن فساد الأمم الإسلامية يرجع فى أصح أسبابه إلى انصراف المسلمين عن هدى شريعة الإسلام ، وأن السيطرة الأوروبية لم تملك زمام الأمور فى الشرق إلا حين اعتصمت بالعلم واستضاءت بالعقل ، وأن الشلل العقلى لم تتمهد وسائله المؤسفة وأسبابه القاتلة فى ربوع الأمم الإسلامية إلا حين استطاع الدخلاء الأجانب أن يلبسوا الحق بالباطل فيصموا الإسلام بما هو براء منه من الجمود والتزمت والاستسلام والأخذ بالخرافات والبدع والغيبيات المزعومة مما لم يأت به وحى سماوى ، أو هدى نبوى لذلك كانت مهمة تلك الصحيفة مهمة شاقة وخطيرة لأنها أخذت تحارب القوة والمال والنفوذ ، كما أخذت تناهض الباطل بالحق وتحارب الكفر بالايمان[٥] .

دعوته لمعاونة الدولة العثمانية فى حربها مع إيطاليا :

لما قامت الحرب الطرابلسية بين إيطاليا ودولة الخلافة العثمانية سخَّر الشيخ محمد الخضر حسين قلمه ولسانه للدعوة إلى تعبئة عامة وشحذ الهمم وبعث الروح الإسلامية والتأكيد على الأخوة الإسلامية من أجل الوقوف صفا واحدا لمعاونة الدولة العثمانية ، وكتب بصحيفة (السعادة العظمى) قصيدة وطنية يدعو فيها للثورة[٦] .

فرنسا تطارده :

لم يسكت المستعمرون الفرنسيون عن صحيفة السعادة العظمى وصاحبها فقد أقض مضاجعهم ما ينادى به من مبادىء الاستقلال وإصلاح حال الشعب التونسى وفيما كتبه من قصيدة يدعو فيها للثورة فآذوه وناوءوه ووجهت إليه الحكومة الفرنسية تهمة بث روح العداء للغرب ، وبخاصة لسلطة الحماية الفرنسية وقد انتهى بهم المطاف إلى الحكم عليه بالإعدام .

ولما لم تكن نوايا المستعمرين خافية عليه فقد أعد للأمر عدته وأسرع بمغادرة تونس إلى ( مدينة استامبول ) معتقدا أن مجال الإصلاح بها أوسع وأرحب لكن خاب ظنه وانهارت آماله حين وجد عاصمة الخلافة الإسلامية تموج بالدسائس المغرضة والمؤامرات الرخيصة فهاجر منها سريعا إلى سوريا وفى دمشق عاصمتها اشتغل مدرسا للغة العربية فى المدرسة السلطانية .

---

(٥) كتاب النهضة الإسلامية فى سير أعلامها المعاصرين الجزء الأول المرجع السابق .

(٦) جريدة الأخبار القاهرية بتاريخ ٨ ذو الحجة ١٤٠٨ هـ ـ ٢٢ يوليو ١٩٨٨ م ملامح شخصية مقال ( الشيخ الخضر صبحى المجاهد المهاجر بدينه ) بقلم الأستاذ أبو بكر عبدالرازق .

لكن نفسه تاقت إلى الالتقاء بالأحرار المسلمين زعماء الإصلاح أنصار الفكرة الإسلامية بألمانيا أمثال الشيخ عبد العزيز جاويش والزعيم محمد فريد والمجاهد عبد الحميد بك سعيد فسافر إلى ألمانيا خلال الحرب العالمية الأولى ، والتقى بهم وكانوا جميعا يعملون من أجل استقلال الدول الإسلامية ، وقد انتهز وجوده بتلك البلاد فتعلم اللغة الألمانية ثم عاد بعد ذلك إلى دمشق مرة ثانية ليواصل التدريس بالمدرسة السلطانية ، حتى إذا انتهت الحرب العالمية الأولى أسرع الفرنسيون باحتلال سوريا ولبنان وهم الذين حكموا عليه بالإعدام فى تونس فسارع بالهجرة إلى مصر فرارا بحريته[7] .

استقراره بمصر اعتبارا من سنة ١٩٢٠ م

لما كان رحمه الله قد سئم كثرة الأسفار وعدم الاستقرار لذلك عقد نيته على أن يستوطن القاهرة وتجنس بالجنسية المصرية وجذبته دار الكتب المصرية فعمل محررا بالقسم الأدبى فيها عدة سنوات بأجر زهيد لا يتفق ومنزلته الكبيرة ، لكنه كان بتوفيق الله له صلة حميدة بالأدب وله نبوغ علمى فيه ، ثم له اتصاله بأشباهه من الغيورين على مقدسات الإسلام من أعلام المفكرين كمحب الدين الخطيب وأحمد تيمور باشا وعبد الحميد بك سعيد وعبد الوهاب النجار ومحمد رشيد رضا[8] .

انتسابه للأزهر وحصوله على شهادة العالمية منه وعمله أستاذا بإحدى كلياته :

تقدم ــ رحمه الله ــ لامتحان العالمية بالأزهر ، وكان الامتحان شفويا وكان الشيخ عبد المجيد اللبان من كبار علماء الأزهر وقتئذ رئيسا للجنة الامتحان مع نخبة من زملائه المختارين فأبدى الشيخ محمد الخضر حسين من الرسوخ والتمكن ما أدهشهم حتى إن الشيخ اللبان صاح بملء فيه ( هذا بحر لا ساحل له فكيف نقف معه فى حجاج ؟ ) .

وبجدارة نال الشهادة العالمية الأزهرية وبها صار أستاذا فى الأزهر فمدرسا بكلية أصول الدين[9] .

نشاطه فى الجمعيات الإسلامية :

اشترك فى عديد من الجمعيات الإسلامية إذ كان يرى فيها عاملا وعنصرا من عوامل وعناصر النهضة .

١ ــ ففى الزيتونة بتونس اشترك فى تأسيس ( الجمعية الزيتونية ) وكان إذ ذاك يدرس فى ( جامع الزيتونة ) وخطيبا فى ( مسجد الخلدونية ) سنة ١٩٠٧ م .

٢ ــ وفى مصر شارك فى تأسيس ( جمعية الشبان المسلمين ) سنة ١٩٢٧ م وقد وضع لائحتها الأولى مع صديقه الأستاذ محب الدين الخطيب ، وقد قامت هذه الجمعية برسالتها المخلصة فى هداية الشباب الإسلامى ومحاربة الإلحاد العلمى والنزق الخلقى واستطاعت أن تصد

---

(٧) كتاب النهضة الإسلامية فى سير أعلامها المعاصرين الجزء الأول المرجع السابق .

(٨) كتاب النهضة الإسلامية فى سير أعلامها المعاصرين الجزء الأول المرجع السابق .

(٩) جريدة الأخبار القاهرية ملامح شخصية بتاريخ ٩ رمضان ١٤٠٨ هـ ــ ٢٥ ابريل ١٩٨٨ م المرجع السابق .

هجوم الحضارة المادية الملحدة بما تقوم به من ندوات ومحاضرات ، وما تنشره من صحف ومؤلفات .

٣ ـ ثم أنشأ فى مصر أيضا ( جماعة الهداية الإسلامية ) لتساند ( جمعية الشبان المسلمين ) فى الدعوة إلى الله ـ وقد كان نشاطها علميا أكثر منه اجتماعيا ، وكانت محاضراتها المتابعة قد وجهت الأذهان إلى كنوز الثقافة الإسلامية ، كما أن مجلتها الشهرية كانت تحمل الروائع من التفسير القرآنى وتشريعات الإسلام واللغة والتاريخ والكثير من علمه وآرائه .

أما على مستوى القارة الإفريقية فإنه كان قد أسس سنة ١٩٢٤ م ( جمعية تعاون جاليات أفريقيا الشمالية ) وهى جمعية حاول بها أن يبث اليقظة والثقة بالنفس فى قلوب الإفريقيين وكان يرى أن هذه الأقاليم فى شمال أفريقيا جديرة بقيادة الشعوب الافريقية الأخرى وإيقاظها ، وأن تلك الشعوب لم تستعمر وتفقد استقلالها إلا لإغراقها فى الجهل ، وأنها لو كانت على حظ من العلم يضاهى ما عليه البلاد الغربية ما وقعت فريسة لاستعمارها ولهذا كان فى محاضراته وكتاباته يحث على الدعوة إلى التقدم العلمى والصناعى[١٠] .

**توليه رئاسة تحرير مجلة الأزهر وإشرافه على مجلة لواء الإسلام فى بداية إنشائها :**

كان لأسلوبه الجيد ومقدرته على الكتابة الفضل فى تكليفه برئاسة تحرير مجلة الأزهر عند صدورها سنة ١٩٣٠ م وقد كانت تدعى يومئذ بمجلة ( نور الإسلام ) وقد غُيِّر اسمها بعد سبعة أعوام إلى اسمها الحالى ( مجلة الأزهر ) .

وفى مجلة الأزهر وفى مجلة لواء الإسلام حارب على صفحاتها ما يَنِدُّ من الأقوال المنحرفة فى الأدب واللغة والدين[١١] .

**اختياره عضواً فى مجمع اللغة العربية بمصر :**

ثم اختير عضوا بالمجمع اللغوى فأبدى من الآراء السديدة فى الإصلاح اللغوى ما تشهد به مجلة المجمع ومحاضر جلساته ، وهو أول من أعلن بالمجمع صحة الاحتجاج بالحديث النبوى ، وكان واحدا ممن اشتركوا فى معارك النقاش اللغوى حول الوضع الاصطلاحى ، وحق المحدثين فى وضع الكلمات .

وبالإضافة إلى ما تقدم ما خاضه من بحوث تتعلق بالاشتقاق والتعريب والفصيح والدخيل وجموع التكسير قياسية وسماعية مما يشهد له بالتخصص الماهر الفاحص فى فنون اللغة والبيان[١٢] .

**موقفه من كتاب ( الإسلام وأصول الحكم ) للشيخ على عبد الرازق :**

فى سنة ١٩٢٤ ألف على عبد الرازق هذا الكتاب وذكر أمورا لا تتفق مع مفاهيم الإسلام الأصيلة نذكر منها قوله إن الإسلام دين عباده فقط ولا صلة له بالسياسة والحكم ولم يأت اسم الخلافة

---

(١٠) جريدة الأخبار القاهرية ملامح شخصية بتاريخ ٩ رمضان ١٤٠٨ هـ ـ ٢٥ ابريل ١٩٨٨ م المرجع السابق .

(١١) كتاب النهضة الإسلامية الجزء الأول المرجع السابق .

(١٢) كتاب النهضة الإسلامية الجزء الأول المرجع السابق .

فى القرآن ولم يعين النبى ﷺ خليفة بعده ، وأن القضاء فى زمن النبى ﷺ لا يخلو من غموض أو إبهام مخالفا بذلك ما أجمع عليه المسلمون فغضب الشيخ محمد الخضر حسين غضبا شديدا ، ولم تحل صداقته لآل عبد الرازق بينه وبين أن ينقد الكتاب ويبرز ما فيه من أخطاء ، ويضمن كل ذلك فى كتاب أخرجه وقتئذ سماه ( نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم ) .

وفى نقده تناول عبارات المؤلف بسخرية واتهمه بالنقل لأقوال أعداء الإسلام من المستشرقين وجعلها المنبع الأول لفهم الحكم فى الإسلام على ضوء ما يفهم الأوروبيون من المسيحية ولكن الإسلام شيء والمسيحية شيء آخر فالإسلام دين ودولة والرسول ــ ﷺ ــ حاكم ومبلغ معا .

وقد أثار كتاب الشيخ على عبد الرازق ضجة كبيرة فانعقدت لجنة من علماء الأزهر لفحص الكتاب ومحاكمة صاحبه ، وانتهت وقتئذ إلى سحب شهادة العالمية منه ، ونتيجة لذلك تم عزله من مناصب القضاء[١٣] .

**موقفه من كتاب الشعر الجاهلى للدكتور طه حسين :**

لما ظهر كتاب الشعر الجاهلى وزعم فيه مؤلفه أن جل ما قيل منسوبا إلى شعراء الجاهلية اختلاق زائف ، ثم هاجم المقدسات الدينية هجوما شديدا ومن ذلك قوله : إن قصة إبراهيم وإسماعيل قصة خرافية اخترعها اليهود لعقد صلة بينهم وبين العرب من جهة ولربط اليهود المتفرقين بكونهم أبناء يعقوب من جهة أخرى ، وحديث القرآن الكريم عن إبراهيم وإسماعيل لا يكفى لإثبات وجودهما فى التاريخ ، كما أعلن مؤلف ذلك الكتاب أن دعوة الإسلام دعوة محلية فى جماعة خاصة فهى ليست دعوة عامة عالمية للبشرية كما ينطق بذلك القرآن صراحة مع أن هذه كلها قضايا حسمها علماء الإسلام من قديم بالأدلة النقلية والعقلية .

ولئن جادت الساحة العلمية بنقد كتاب الشعر الجاهلى بمعرفة أساتذة اعلام كالأساتذة مصطفى صادق الرافعى ومحمد لطفى جمعه ومحمد فريد وجدى والغمراوى فقد مزقوا الكتاب تمزيقا علميا بما فضحوه من السرقة والتدليس ومجافاة الحق لكن الشيخ محمد الخضر حسين زاد عليهم بشيء تفرد به وهو غوصه على النصوص العربية من أمهات الكتب العربية العلمية التى جهلها الدكتور طه حسين فظن أفكاره فى الشك والانتحال ستكون جديدة على القارىء العربى وأكثرها مدون بنزاهة فى الكتب الأمينة التى حرفها رجال الاستشراق عن قصد ثم سطا عليها المؤلف بعد التحريف فثرثر بها فى كتابه ، كذلك استطاع الشيخ ــ رحمه الله ــ أن يجد الأصل الاستشراقى الذى سطا عليه المؤلف سطوا فاحشا فيما كتبه المستشرق مرجليوث فى مجلة الجامعة الأسيوية الملكية سنة ١٩١٦ م وفى كتاب محمد الــذى نشره المستشرقون سنة ١٩٠٥ .

(١٣) جريدة الأخبار القاهرة ملامح شخصية بتاريخ ٩ رمضان ١٤٠٨ هـ ــ ٢٥ ابريل ١٩٨٨ م المرجع السابق .

ومما كشفه نقد الشيخ محمد الخضر أنه يرى عجبا حين يجد المؤلف يضطر للشك فى المتواتر من أخبار القرآن ( بحكم منهج ديكارت ، ثم يقبل كل رواية مريضة واهية يذكرها كتاب الأغانى كحكم مُسَلَّم به يستند إليه فى قضية الانتحال[14] .

كما استشهد بكتاب نشر بالإنجليزية للمستشرق الإنجليزى العلامة ( تشارلس ليال ) الذى أقام الأدلة الواضحة والبراهين القاطعة على أصالة الشعر الجاهلى كما نشر طائفة من دواوين الشعراء الجاهليين .

ونتيجة للنقد العلمى الدقيق لذلك الكتاب حقق مع مؤلفه « طه حسين » مما اضطره إلى حذف هذا الباب من الكتاب المشار إليه[15] .

**تعيينه شيخا للأزهر :**

وفى يوم الثلاثاء ٢٦ من ذى الحجة سنة ١٣٧١ ه الموافق ١٦ من سبتمبر سنة ١٩٥٢ م ولى مشيخة الأزهر ( أثر قيام حركة ضباط الجيش فى ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ م ) وكان لديه أمل عريض للنهوض بتلك المؤسسة الإسلامية الكبرى وجعلها وسيلة لبعث النهضة الإسلامية العظمى التى يتطلع إليها العالم الإسلامى فى جميع القارات ، ولقد رأى الأزهر لعهده حلقة ذهبية من حلقات الكمال والجلال والوقار ، وطفق الزائرون من كتاب وعلماء وصحفيين يتقاطرون على مكتبه يسألون عما يعن لهم من أمور الإصلاح الدينى والتشريع الإسلامى والتقدم الحضارى فيجدون منه الإجابة الرصينة السديدة[16] .

**اعتراضه على بعض الأمور السيئة ومواقفه الجريئة :**

لقد كانت مواقفه الجريئة تدل على تقديره للعدل وعدم مبالاته وخضوعه إلا لله وحده .

١ ـ فقد كتبت إليه إحدى الأميرات بعد سقوط أسرة محمد على أن أحد الضباط الكبار يطاردها .

٢ ـ وتلقى فى الوقت نفسه توصية بمدرس من أحد الوزراء .

٣ ـ وكانت محكمة الغدر تحاكم السياسيين السابقين وفى المحكمة تناول المحامى وليم مكرم عبيد وكذا وزير سابق زوجة النحاس باشا بالنقد والسباب فذهب الشيخ محمد الخضر حسين إلى رئيس الجمهورية إذ ذاك محتجا غاضبا وطلب منه .

١ ـ أن يأمر بإجراء تحقيق فى خطاب الأميرة .

٢ ـ وأن يحاسب الوزير الموصى على وصايته وكان الوزير جالسا ولكن الشيخ لا يعرفه .

٣ ـ ويجب محاكمة وليم مكرم عبيد ومن كان معه على سب امرأة عفيفة محصنة ولقد كان بينه وبين الرئيس التونسى الحبيب بورقيبه من قبل صلة وصداقة فلما جاء إلى مصر وهو رئيس للجمهورية

---

(١٤) كتاب النهضة الإسلامية الجزء الأول المرجع السابق .

(١٥) جريدة الأخبار القاهرية بتاريخ ٨ ذو الحجة ١٤٠٨ هـ ـ ٢٢ يوليو ١٩٨٨ م ملامح شخصية المرجع السابق .

(١٦) كتاب النهضة الإسلامية الجزء الأول المرجع السابق .

زائرا طلب مقابلة الشيخ محمد الخضر فلما جاءه رسوله قال له : ولماذا لم يحضر إلىّ إذا كان يريد مقابلتى ؟ أنا لا أذهب إلى أحد[١٧] .

**استقالته من مشيخة الأزهر احتجاجا على بعض الأمور :**

ففى الثانى من شهر جمادى الأول سنة ١٣٧٣ هـ الموافق ٧ من يناير سنة ١٩٥٤ م تقدم باستقالته بسبب الافتراءات المتعمدة على رجال القضاء الشرعى والتى كان من نتيجتها إدماج القضاء الشرعى فى القضاء الوطنى وقال قولته المأثورة ( ان الأزهر أمانة فى عنقى أسلمها حين أسلمها موفورة كاملة وإذا لم يتأت أن يحصل الأزهر على مزيد من الازدهار على يدى فلا أقل من ألا يحصل على نقص[١٨] .

**كتبه ومؤلفاته : نذكر منها :**

١ ـ نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم .
٢ ـ نقد كتاب فى الشعر الجاهلى .
٣ ـ آداب الحرب فى الإسلام .
٤ ـ القياس فى اللغة العربية .
٥ ـ رسائل الإصلاح فى ثلاث مجلدات .
٦ ـ الخيال فى الشعر العربى .
٧ ـ تعليقات على كتاب الموافقات للشاطبى .
٨ ـ ديوان شعر له بعنوان ( خواطر الحياة )[١٩] .

**وفاته :**

لقى الشيخ محمد الخضر حسين ربه فى ١٣ رجب سنة ١٣٧٧ ه الموافق ٢٢ من فبراير سنة ١٩٥٨ م ولم يخلف من حطام الدنيا سوى بقية من آخر أقلام استعملها فى كتاباته فأهداها إلى خزانة صديقه الحميم العلامة أحمد تيمور باشا ومعها أبيات شعر ربطها بها يقول فيها :

**سفكت دمى فى الطرس أنمل كاتب**
**وطوتنـــــــــى المبرأة إلا ما نرى**
**ناضلت عن حق يحاول ذو هوى**
**تصويـــره للنـــاس شيئـــا منكـــرا[٢٠]**

وكان رحمه الله هو وزوجه وخادمته يعيشون على ثلاثين جنيها ، فلما تولى مشيخة الأزهر اكتفى بهذا المبلغ وأخرج ما زاد للفقراء والمساكين ومات رحمه الله تاركا مثلا عليا ما أحرانا أن نحافظ عليها ونقتدى بها .

(١٧) جريدة الأخبار القاهرية بتاريخ ٩ رمضان ١٤٠٨ هـ ـ ٢٥ ابريل ١٩٨٨ م ملامح شخصية المرجع السابق .
(١٨) جريدة الأخبار القاهرية بتاريخ ٨ ذو الحجة ١٤٠٨ هـ ـ ٢٥ يوليو ١٩٨٨ م ملامح شخصية المرجع السابق .
(١٩) مجلة منبر الإسلام العدد التاريخ جمادى الأولى وجمادى الآخرة ١٤٠٣ هـ ـ مارس ١٩٨٣ م المرجع السابق .
(٢٠) جريدة الأخبار القاهرية بتاريخ ٩ رمضان ١٤٠٨ هـ ـ ٢٥ ابريل ١٩٨٨ م ملامح شخصية المرجع السابق .



# الشعر والشعراء

الشعر والشعراء . إشراف . رشاد محمد يوسف

« تهنئة »

لفضيلة الإمام الأكبر بمناسبة شفائه

للأستاذ الدكتور عبدالعزيز غنيم

تهلل الوجه بشراً بعدما امتقع ... وأذهب الله عنك الضر والوجع

وكان ما كان من هم ومن وصب ... سحاب صيف رماه النور فانقشع

ألا ترى الأزهر المعمور مبتسماً ... وكان أمس شجياً شارداً (فَزِع)

يرجو لك البُرءَ من مولاك مبتهلاً ... حتى استجاب له الرحمنُ واستمع

وعدت يا (جادُ) للإسلام تحرسه ... وتدفعُ الشر عنه حيثُما وقَعَ




للشاعر الدكتور/ عبد الفتاح عمرو شعيب

نفسى إلى تلك الرُّبــــــا تتشوقُ
فضيـــــاءُ أحمدَ فوقهــــا يتألـــق

تهفــو إلى شمس الوجـــود محمـــد
ماحـى الظلامِ من النفـوس وتخفـق

وتتــوق ـ لا متطلـــع إلا إليــه (*)
ولا هدى إلا به .. يتحقـــق

سُحِقَ الظـلامُ فمـا غدا فى الأرض (*)
بابٌ دون نورِك يا محمـــدُ مغلـــقُ

ربَّـــــاهُ هذى أعين فى نوره
نامت ، وأخـرى فى الظـلام تحدِّقُ

لو أن هذا النـــور صادف أنــفساً
تجـاه ما أضحى هنـاك تفـرق

هو منقـذ الدنيـا وسرّ حيـاتها
فلهـا به منـذ القـديم تعلـق

هذا السنـا الـوضاح عصمـةُ ربه
عهـد على مر الزمـان موثّـق

إن الحضارة فى الكتــاب أساسهـــا
نبـــعٌ إذا مس الحجـــارة تورق

•••

كل الحضارات ازدهت ثم انتهت
لكـــنْ حضارة أحمدٍ لا تخلـــقُ

يا هذه الأدواح فى التـاريخ رذّى (*)
قول كل مكابـــــر يتشدق ،

ربـــاه أدرك أمـــة فى لجة (*)
الأهواءوالأطمــاع كادت تغـرق

لعـبت بها الأهــواء فهـى كليلـة
تمشى كما يمشى العليـل المرهــق

ما للإخـــاء تقطـعت أوصالـــه
بين العروبـة والشقـاق يطـوّق

عبـثت يد الشيطـان فى أنحائهـــا
فالأمــر فيها للـوساوس مطلـــق

وكـأنها لم تبْـنِ ـ قطُّ ـ حضارةً
فغــدت تدمّــر نفسهـــا وتحرّق

لو أنها عادت إلى إسلامهـــــــا
عاد الشراع مرفرفـــا يتألـــق

وسعت إليها الأرض تخطب ودَّهـــا
حق القـــوى أمانـــة لا تسرق

حتـــى إذا كان السبـــاقُ رأيتها
فى كل مضمـار السيـادة تسبـــق

---

* وكيل معهد الفاروق الإعدادى الثانوى الأزهرى بمدينة نصر

# أحزان القبلة الأولى

للشاعر: رشاد محمد يوسف

قلّبتَ وَجْهَكَ فى السماء طويلا ... تبغى مساراً للهُدى ودليلا

قلّبت وجهك والنجومُ تألقتْ ... من نُورِ وَجْهِك والبُدورُ طويلا

قلّبت وجهك هل تُراها دعوة ... للبيت قد ملكتْ عليك سبيلا

فانعم فقد جادَ الكريمُ بفضله ... ولّاك رَبُّك قِبلةً وقبولا

لا يشغلنّك ما يقولُ سفيههم ... قد ساءَ قَوْلاً أخرقاً ضلّيلا

فالله أعلمُ بالذين تعثّروا ... بين الظنونِ وبُدّلوا تبديلا

والله أعلم بالذين تثبتوا ... خلف الرسول أحبة وعدولا

الأرض محراب الإله مشارق ... ومغارب قد ذللت تذليلا

والمسجد الأقصى يعانق فى الذرا ... بيتا أقيم مثابة ومقيلا

رفع الخليل به القواعد داعيا ... وفدى الإله لديه إسماعيلا

وتوافدت كل الخلائق نحوه ... جيل يتابع فى الهداية جيلا

للكعبة العصماء وَلّوا وَجْهكم ... وترسموها بكرة وأصيلا

• • •

يا مسلمون وما لعينى لا ترى ... إلا كيانا تائها مخذولا

تتقبلون الأمر فى غيوبة ... والشر يحدق عاصفاً ومهولا ؟

أتظل أولى القبلتين أسيرة ... قد نكلوا بشبابها تنكيلا ؟

أتظل قدس الله تندب حظها ... تنعى شباباً أعزلا وكهولا ؟

أتظل جرحا فى الحنايا غائراً ... وتظل للدمع السخين مسيلا ؟

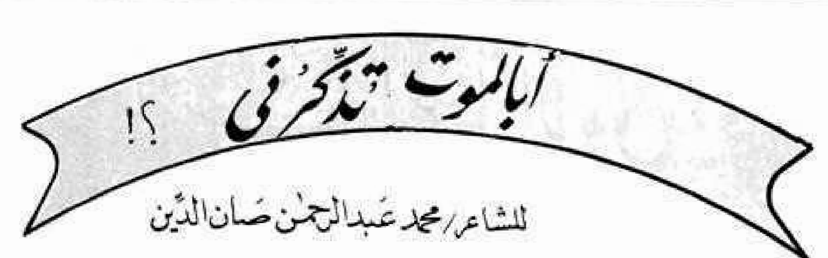
ما قيمة الكلمات طال حديثنا ... صار الكلام ممزقاً وملولا

آمنت ما غير الجهاد وسيلة ... هو خير قافية وأقوم قيلا

آمنت ما غير الجهاد ضريبة ... تحمى البلاد عراقة وأصولا

وتعيد للقدس الشريف رواءه ... وتعيد كرما أخضرا وسهولا

ويعود تكبير المآذن عاليا ... ويظل رجع ندائها موصولا




لا تذكّـــرنى ، فإنى
قد طرحت اللهو عنى
كيف أنسى ماثلا فى
خاطرى أو نصب عينى
كيف أنساه ، وما فى
الأرض شيء عنه يَثنى ؟
كيف أنساه ، وفيــه
اليوم إنشادى ولحنى ؟
لست أنسى بعدما قد
ناء بالأيــام مَتنــى(١)
إنما الموت خلـــود
فى حيـــاة ذات لون
ما أرى دنيـــاى إلا
طيف حلم مس جفنى
والــذى يطفـو عليها
لمع آل ليس يغنــى(٢)
ليس شيىء لم يَحُل عمَّا
بدا لى بدءَ سِنّـــى(٣)
ذاك طين كان زهـــرا
يفتـــن الــرائى بحسن

ذاك روض كان جَذبا
موحشاً ، مأوى لجن
ذاك شيـــخ منهك قد
أنَّ من سقم ووهْـن(٤)
كان هذا الشيـخ قَبلا
برعما يزهـــو بغصن
ناعـم الوجـــدان غضًّا
من حنــان الأم يجنـــى
والذى قد كان مضمونا
بكفـــى ضاع منـــى
والذى ما كنت أدريه
وعاه اليـــوم ذهنـــى
إنها الدنيـــا ، وقـــد
راقــبت فيها كل شأن
ما رأت عينـــاى منها
غير أوهـــام دهتنـــى
مايمينـــــى ؟ ما شمالى
ما الذى فى العيش أعنى؟
هل أنا ما زلت حيا ؟
أم طوتنى كف حَيْنِى؟(٥)

المفردات :

(١) متنى = ظهرى . (٢) يطفو = يعلو على السطح ، آل = سراب . (٣) يحل = يتغير . (٤) وهن = ضعف . (٥) حينى = موتى .

والـذى يجرى أمامـــى
واقع ، أم نسج ظن ؟

لا تمنينـــــــى بشىء
قد مضى عهد التمنــى
لم تعد تسبــى فؤادى
لفتة الظبــى الأغــن

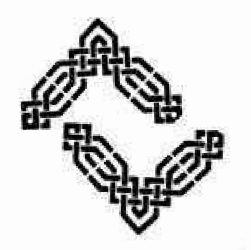
أو يبثُّ الشجوَ روحى
ذلك الـطير المغنــى
أو تنير الشمس نفسا
فى كيان تحت دُجْن[٦]

فى حيــــاة راج فيها
كل بهتان ، ومَيْــن[٧]
أينما تمشى تلاق
الشر غشَّى كل ركن[٨]
ما لقيت العمــرَ فيها
غير إجحاف وغبــن

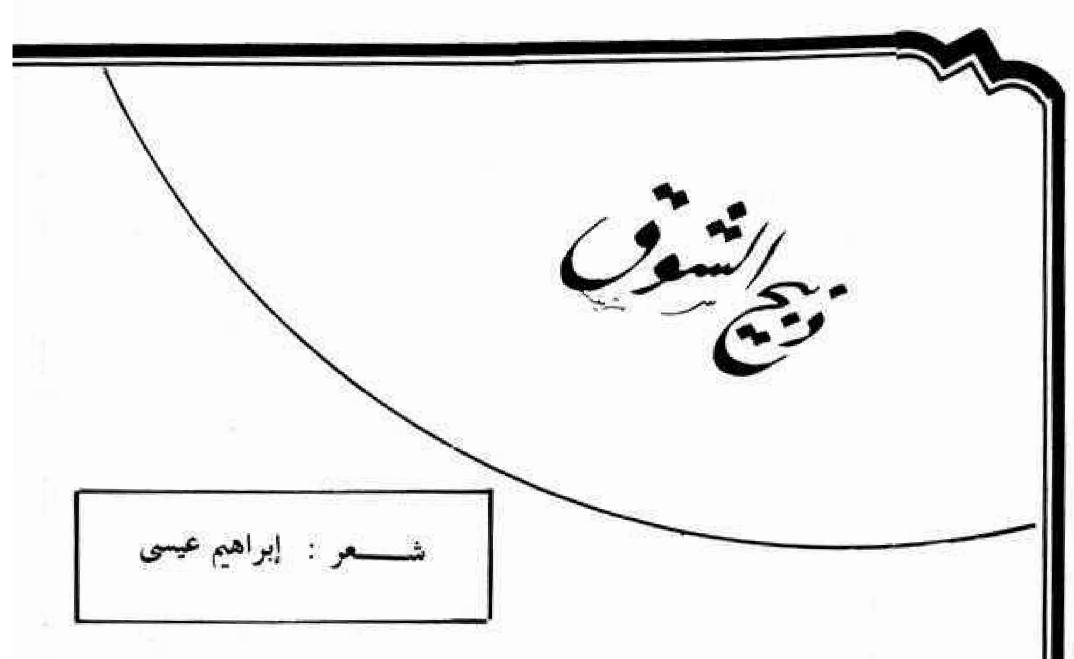
أو سهـــام مرشقـــات
صَوَّبتها كف ضِغْـن[٩]
من عدو سافـــر تأتى
ومن صَبْوات خِدْنٍ[١٠]
هكذا الإنسان مجبول
على ختل ، وطعن[١١]
كيــف يحيـا عاقـــل
فيها بقلب مطمئــن ؟
بئست الدنيـــا إذا لم
تُلْفِ فيها ظل أمْن[١٢]

* * *

يا أخا الدنيا اغترف ما
شئته منها ، ودعنــى
إنما أبغــى حيـــاة
فى رحاب الموت تهنى
إن روحــى فى كيـــانى
طائــر يحيـا بسجــن



(٦) دجن = ظلام . (٧) مين = كذب . (٨) غشى = غطى . (٩) ضغن = حقد . (١٠) خدن = صديق ، صبوات = ميل إلى الجهل . (١١) مجبول = مطبوع ، ختل = خداع . (١٢) تلف = تجد .




شعر : إبراهيم عيسى

الشوقُ ثار على مواسم غُربَتى
والدربُ طال وأُجفلتْ عصفورتى

والقلبُ فى صدرى يَضِجُ حنينُهُ
وأكاد أُمسِكُ فى الحنايا خفقتى

والروحُ تُقْرَعُ بابَ فجرى .. والدجى
يقظانُ تَعْبثُ راحتاه بحُطْوتى

والليلُ مَغْلولُ الضياءِ مُسَهَّدٌ
يغتالُ فى كَرِّ الزمانِ سكينتى

والذنبُ (مشنقةُ) الضميرِ وجُرْحُهُ
وبحانةِ الظلماءِ ألْعَنُ وِجْهَتى

وسَرَتْ ظنونى فى العيون غمامَةً
عرجاءَ تَحْجُبُ نجمتى عن نظرتى

إنَّ الذى أسْرَى بأشواق إلى

شلالِ فجرِ الحبِّ يعلم خَيْرقي
ما عاد أُنْسُ الإنسِ يُؤنسُ عالمي
ولَمَمْتُ من كفِّ المساءِ بقيّتي

ونَهرْتُ أحلامي .. وبين جوانحي
شوقٌ إلى غيبٍ يُضيءُ عشيّتي

يا حادِيَ الأيامِ عانِقْ لهفتي
فأنا ذبيحُ الشوقِ ليلةَ خَلْوتي

وضراعتي يا ربُّ هَالَةُ الصَّدَى
و « الآهُ » مؤمنةُ اليقينِ بسجْدتي

وركِبْتُ فى بحرِ الحياةِ سفينةً
ثارتْ على لُجَجٍ تَزُفُّ هزيمتي

لما بَغتْ نفسي أتيْتُك ضارعًا
ورأيتُ مَنجاتي بخَرْقِ سفينتي

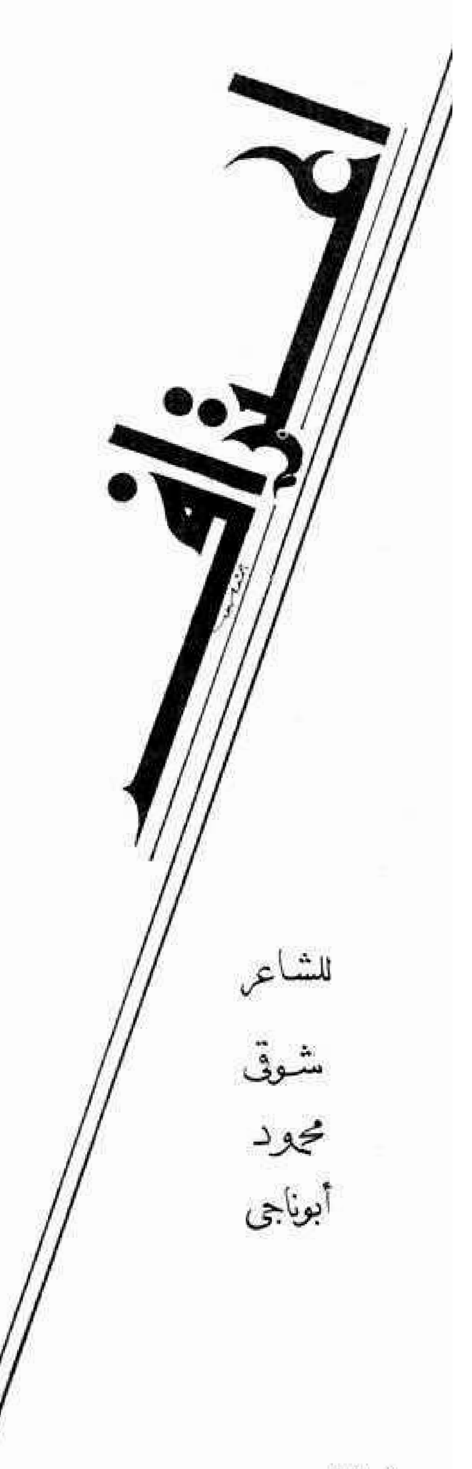
وغُلامُ نفسي حين ضَلَّ قتلْتُهُ
وأقمتُ فى روحي جِدارَ محبّتي

ورفعتُ سِتْرَ النفسِ حتى كاشَفَتْ
رُوحِي ضياءً سابحًا فى طِينتي

وعرفتُ فى « عَرَفَاتِ » أسْرَارَ السَّنا
فوقفتُ أسْتَسْقى السنا لعشيّتي

وأزِيحُ سِتْرَ العقلِ .. لكن لم أجِدْ
للعقلِ عقْلًا يَشْرَئبُّ لجَنَّتي

فأذوبُ فى وَهَجِ السجودِ .. وأرتَوِى
من كفِّ فَجْرٍ كامنٍ فى توبتي




على رغمـــى بلا وعــى ودون إرادة منـــى
تَوَسَّدَتِ الحكايةُ محجر العيـــنين والجفـــن
ووجـه الشاعـر المفجـوع بين غلائـل الحزن
يردد آهـة خرساء يثـقب وخزهــا أذنى
ويمضغ أحـرف الحسرات ، والحسرات لا تغنـى
ويـرثى شاتـه المسكينـة المبقـورة البطـن
وعيناهــا بلـون الـرعب ما قالت له : دعنـى
تعـتب فى أسىً ذئبـا غذتـه بضرعهـا اللـدن
صغيرا أخضر الأنيـاب يرعش زائـغ الـعين
لينشق دِفئهـا الممزوج بالتحنـان والأمــن
وظللـــه حنـــان الأم بَدَّدَ مسحــــة الحزن
فلما اشتـد فيـه العـود واستغنـى عن الحضن
تعجـل ردَّ ما للشاة من فضل ومـن ديـن
وعــاوده شعـور الحبِّ والإعــزار للضأن
فدنَّس جاحـدُ الأنيـاب طهـر الضرع والبطـن

* * *

على رغمـــى .. بلا وعـــى ودون إرادة منـــى
رأيت الـذئب فى سمت وديـع كاذب الوهـــن
ينـادى بالسلام القـوم يمحـو همَّــه المضنـى
ويعـزف أغنيـات الحب همساً هادىء اللحــن
وفى كفيـه للزيتـون أخضر يانـع الـغصن
ويعلن عن وفاء العهد والإخـلاص فى الكـون
وفى عينيه يصحو المكـر أسودَ فاجـر الضِّغْـنْ
وتحت مسرحـــه قلب خبـيث سيء الظـــن
طرحت مشاعِـر الإحْساس بالإخفـاق والجبـــن
ونـادى الخنجـرُ الموتـورُ ثأراً ليس يستـــأنى
لكـى يجتث من جنبيـه لؤمـــا كالح اللـــون
ويمسى العـزُ فى أنفـــى شموخـــاً عالى الشأن

# ثورة الجبل

جبل المقطم ما دهاك ومن أهاج بك الصخور
من قد أثار بك الخواطر أيها الشيخ الوقور ؟
ألقيتها كتلا ثقالا ... بالمنية والثبور
وأحلت إيقاع الحياة إلى سكون أو قبور
أزهقت أرواح الأنام ... كتمت أنفاس الصدور
لم ترحم الشيخ الضعيف ، ولا حنوت على الزهور ؟
لم ترحم الوطن الجريح تتابعت فيه الشرور
وتعددت فيه العوادي والمآسي والثبور
هل ضاق صدرك بالمفاسد والمآثم والفجور ؟
أم قد مللت المارقين ، وعيشهم إفك وزور ؟
رفقا بقاهرة المعز وبالقطائع والقصور
رفقا بسكان المقاور والحظائر والجحور
أمنوا جوارك واطمأنوا أن يوما لن تجور
باغتهم وبلا نذير ـ تحمل الموت الجسور
رفقا بإنسان الكنانة فهو إنسان صبور
يلقى معاناة الحياة فلا يضيق ولا يثور
ويديره كف السنين ومثلما دارت يدور
مستسلم في خطوه ، متقبل كل الأمور
فبحق من أرساك طودا شامخا عبر العصور
أمسك صخورك عن جوارك أيها الشيخ الوقور




بقلم الفريق / يحيى عبد الله المعلمى

ـ هو الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد ابن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف الجد الثالث للنبى ﷺ ولقب بالشافعى نسبة إلى جده الثالث شافع .

ولد بغزة سنة ١٥٠ للهجرة ، ونشأ بها ،وحفظ القرآن وموطأ مالك ، ثم تفقه على يد معلم بن خالد مفتى مكة ، ثم لازم الإمام مالك بن أنس ، ثم سافر إلى بغداد ، فمصر ، وأقام بها إلى أن توفى فيها سنة ٢٠٤ هـ .

ـ كان الإمام الشافعى فقيهاً فى الدين ، متمسكاً بالسنة النبوية ، وكان فصيحاً بليغاً ، وشاعراً مجيداً حافظاً لكثير من شعر العرب وطرائف اللغة ، وقد تتلمذ عليه الأصمعى فى معرفة شعر هذيل وآدابها وحكمها ، وكان يعجب بشعر الشَّنْفَرَى الشاعر الجاهلى ، وما فيه من آداب وحكم وقد صهرها فى بُوتَقَةِ الإسلام ، وأعاد نشرها فى شعره .

ـ يتميز شعره بطابع خاص ، هو طابع التدين والتقوى والورع ، ولا غرو فهو إمام من أئمة المسلمين ، وصاحب أحد المذاهب الأربعة المشهورة المتبعة فى ديار الإسلام ، ومذهبه واسع الانتشار فى الحجاز واليمن ومصر والشرق الأقصى ، وهو من أوائل من ألف فى الفقه ، وبخاصة فى « الأصول » .

ـ من شعره فى بيان فضل العلم قوله :

رأيت العلـــم صاحبــه كريم ... ولــو ولدتـــه آبـــاء لئـــامُ
ولـــيس يزال يرفعـــه إلى أن ... يعظم أمـره القـوم الكـــرامُ
وَيتبعونـــــــــه فى كل حال ... كراعـــى الضأن تتبعـــه السوامُ
فلولا العلم ما سعـدت رجـــال ... ولا عُرف الحلال ولا الحرامُ

ـ ومن شعره السائر فى الصداقة بين الناس ، وضرورة أن تكون المودة متبادلة قوله :

وعين الرضا عن كل عيب كليلـة ... لكن عين السخط تبدى المساويا
ولست بهيـــاب لمن لا يهابنـــى ... ولست أرى للمرء ما لا يرى ليا
فإن تدن منـــى ، تدن منك مودتى ... وإن تنأ عنى تلقنـــى عنك نائيـــا
كلانـــا غنـــى عن أخيــه حياتـه ... ونحن إذا متنـــا أشد تغانيـــــا

ـ وفى هذا المعنى يقول محذرا ممن يتظاهر بالصداقة ، وهو يضمر غير ما يبطن :

إذا المرء لا يرعـــاك إلا تكلفـــاً ... فدعــه ولا تكثر عليــه التأسفـــا
ففى الناس أبدال ، وفى الترك راحة ... وفى القلب صبر للحبيب ولـو جفا
فمـــا كل من تهواه يهواك قلبُـــهُ ... ولا كل من صافيته لك قد صفـــا
إذا لم يكـن صفـو الوداد طبيعـــة ... فلا خير فى ود يجىء تكلفـــــــا
ولا خير فى خل يخون خليلــــــه ... ويلقـــاه من بعـــد المودة بالجفـــا
وينكـــر عيشا قد تقـــادم عهـــده ... ويظهـر سرا كان بالأمس قد خفا
سلام على الدنيـــا إذا لم يكـــن بها ... صديق صدوق صادق الوعد منصفا

ـ وقد كان الإمام الشافعى ـ رحمه الله ـ على فصاحته وجودة شعره ـ لا يريد أن يكون متصفاً بالشعر ؛ بل إنه يرى أن العلم أفضل من الشعر ، وأن منزلة العالم أكبر من منزلة الشاعر فيقول :

ولـــولا الشعـــر بالعلمـــاء يزرى ... لكنت اليوم أشعر من ( لبيـــد )

ـ ويعتب الإمام الشافعى على من يلوم الدنيا وينحنى باللائمة على الزمان ، ويرى أن العيب فى الناس لا فى الزمان ويقول :

نعـيب زمانـنـا ، والعـيب فينـا ... ومـا لزمانـنـا عيب سوانـا
ونهجـو ذا الزمـان بغير ذنب ... ولـو نطق الزمـان لنـا هجانـا
وديدنـنـا التصنـع والتـرائى ... فنحـن به نخادع من يرانـا
ولـيس الـذئب يأكل لحم ذئب ... ويـأكل بعضنـا بعضا عيانـا
لبسنـا للخـداع مسوح ضأن ... فويـل للمـغير إذا أتانـا

ـ ومن النصائح الثمينة التى وفق إليها الإمام الشافعى ، فجرت على ألسنة الناس فى الحث على صيانة النفس وترفعها يقول :

صن النفس ، واحملها على ما يزينها ... تعش سالما ، والقـول فيك جميـلُ
ولا تولين النـاس إلا تجمـلا ... نبا بك دهر ، أو جفاك خليـلُ
وإن ضاق رزق اليوم فاصبر إلى غد ... عسى نكبات الدهـر عنك تزولُ
ولا خير فى ود امـرئ متلـون ... إذا الـريح مالت مال حيث تميـلُ
ومـا أكثر الإخـوان حين تعدهـم ... ولـكنهم فى النائبـات قليـلُ

ـ ومن روائع حكم الإمام الشافعى ـ رضى الله عنه ـ قوله :

إذا رمت أن تحيا سليما من الردى ... ودينك موفور وعـرضك صيّـنُ
فلا يَنْطِقَـنْ منك الـلسان بسوأة ... فكـلك سوءات وللنـاس ألسنُ
وعينـاك إن أبدت إلـيك معايبـا ... فدعها ، وقل : يا عينُ للناس أعينُ
وعاشر بمعروف ، وسامح من اعتدى ... ودافع ، ولكن بالتى هى أحسنُ




العلوم الكونية

# الأسس المنهجية لتعريب العلوم الكونية

## دعوة للحوار

أ.د. أحمد فؤاد باشا

**لقد جعل أسلافنا من العربية لغة عالمية تتسع للتعبير عن دقائق العلوم الكونية بشقَّيها : الأساسى والتقنى ، وقدّموا لنا تجربة رائدة فى ترجمة المصطلحات العلمية وتعريبها ، ونحن اليوم مطالبون بخوض تجربة مماثلة لتعريب العلوم الكونية المعاصرة على أسس منهجية ، فقد أضحى أمر التعريب ضرورة من ضرورات النهضة العلمية التى تنشدها أمتنا العربية والإسلامية لاستئناف مسيرتها الحضارية بلغة القرآن الكريم .**

يقول صاحب « العربية لغة العلوم والتقنية » :

« إن مشروع التعريب ، بالمفهوم الشامل ، يحتاج إلى مسح شامل لكل العقبات المنهجية ، ودراسة واعية لمواقف اللغات الحضارية ، لاسيما تلك التى خاضت نفس التجربة ، وانتصرت على صعوباتها ، وذلك لتحديد المتطلبات والإمكانات ، تماما كما يحدث لدى التخطيط لمشروع صناعى أو تجارى ، لضمان الكسب بقدر الإمكان ، وتجنب الخسارة »[1] ومثل هذا المشروع الحضارى أضخم من قدرات الأفراد ووسائلهم المحدودة ، ولابد من الاعتماد على المعالجات الآلية باستخدام التقنيات المعاصرة ، تحقيقا للحصر الشامل ، والاستقراء العلمى الدقيق ، فى جانب العربية ، أو فى جانب غيرها من اللغات الحضارية المتفوقة ، ليمكن تفادى الاحتمالات المعاكسة ، وتحديد المسار العلمى الصحيح . ذلك أن طوفان المصطلحات العلمية والتقنية الذى تواجهه العربية فى تزايد مستمر ، بل إن هذه المصطلحات لتتكاثر كما يتكاثر الأحياء ،

حتى أضحى مجرد حصرها أو تصنيفها مشكلة تؤرق المتخصصين أنفسهم .

---

(١) د. عبدالصبور شاهين ، العربية لغة العلوم والتقنية ، دار الاعتصام ، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م .

ولقد حاولت المؤسسات اللغوية المختلفة أن تفيد من الخبرة الواسعة التى اكتسبها كثير من العلماء العرب المعاصرين فى مجال نقل العلوم الكونية فى سبيل توحيد صياغة المصطلحات العلمية والإلزام بها . ولعل أكثر هذه المحاولات أهمية تلك الندوة التى نظَّمها مكتب تنسيق التعريب فى ١٨ ـ ٢٠ فبراير عام ١٩٨١م بمدينة الرباط حول توحيد منهجيات وضع المصطلحات العلمية الجديدة[٢] فبعد أن نظرت الندوة فى البحوث المقدمة من المجامع اللغوية والمؤسسات المتخصصة ومن الباحثين أقرت المبادىء والأسس المنهجية التالية :

١ ـ ضرورة وجود مناسبة أو مشاركة أو مشابهة بين مدلول المصطلح اللغوى ومدلوله الاصطلاحى ولا يُشترط فى المصطلح أن يستوعب كل معناه العلمى دائما .

٢ ـ وضع مصطلح واحد للمفهوم العلمى الواحد ذى المضمون الواحد فى الحقل الواحد[٣] .

٣ ـ تجنُّب تعدُّد الدلالات للمصطلح الواحد فى الحقل الواحد ، وتفضيل اللفظ المختص على اللفظ المشترك .

٤ ـ استقرار التراث العربى ، وخاصة ما استعمل منه ، أو ما استقر منه من مصطلحات علمية عربية صالحة للاستعمال الحديث ، وما ورد فيه من ألفاظ معرَّبة[٤] .

٥ ـ مسايرة المنهج الدولى فى اختيار المصطلحات العلمية :

(أ) مراعاة التقريب بين المصطلحات العربية والعالمية لتسهيل المقابلة بينهما للمشتغلين بالعلم والدارسين .

(ب) اعتماد التصنيف العشرى الدولى لتصنيف المصطلحات حسب حقولها وفروعها .

(جـ) تقسيم المفاهيم واستكمالها ، وتحديدها وتعريفها وترتيبها حسب كل حقل .

(د) اشتراك المختصين والمستهلكين فى وضع المصطلحات .

---

(٢) المكتب الدائم لتنسيق التعريب فى الوطن العربى الذى يتبع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .. الألسكو ، وله أهداف محددة تتمثل فى :

تنسيق الجهود الرامية لتطوير العربية ـ تتبُّع حركات التعريب وإثراء اللغة بالمصطلحات المنسَّقة ـ الإعداد لمؤتمرات التعريب ، وللندوات ـ متابعة لنشاط المجامع ـ التعاون مع المجامع والهيئات العلمية ـ نشر المعاجم التى توافق عليها مؤتمرات التعريب ، والتى تُعقد كل ثلاث سنوات .

وقد حدد المكتب لعمله منهجية واضحة تتمثل فى : «أن يصنع المصطلح بلغتين أجنبيتين معا هما الإنجليزية والفرنسية ، ويوضع أمامه جميع المصطلحات التى عُرِّب بها ، منسوبا كل منها إلى صاحبه إن كان مجمعا علميا ، أو أستاذا لغويا مشهودا له بالتفوق ، أو معجميا معروفا ، وتنشر ذلك على شكل معجم ألفبائى الترتيب . يوضع تحت أنظار العلماء العرب لمدة لا تقل عن ستة أشهر ، ثم يدعو المكتب إلى مؤتمر للعلماء المتخصصين يعقد فى ظل الجامعة العربية (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، بالعواصم العربية على التوالى فيتدارسون المعجم وينقدونه ويختارون المصطلح الذى يريدون فيصبح شبه إلزامى» راجع فى ذلك :

عبدالعزيز عبدالله ، اللسان العربى ، المجلد ١٩٧٦/١٣ ، ص ١٠ .

(٣) أدى غياب التنسيق بين مؤسسات الترجمة والتعريب إلى اختلاف الترجمة للمصطلح الواحد :

فكلمة PENDULUM ، على سبيل المثال ، ترجمت إلى «بندول» فى مصر وإلى «نوّاس» فى سوريا وإلى «رقّاص» فى العراق ، وإلى «خطّار» فى الأردن .

(٤) نشير هنا ـ على سبيل المثال ـ إلى مصطلح «انعطاف الضوء» الذى استخدمه الحسن بن الهيثم ليعنى تحوّل الأشعة الضوئية عن مسارها عند انتقالها خلال الأوساط المختلفة ، وهو أدق من كلمة «انكسار» التى أخذناها من اللفظ الأجنبى REFRACTION .

(هـ) مواصلة البحوث والدراسات لتيسير الاتصال دائماً بين واضعي المصطلحات ومستعمليها .

٦ ـ استخدام الوسائل اللغوية في توليد المصطلحات العلمية الجديدة بالأفضلية طبقا للترتيب التالي : التراث ، فالتوليد ( بما فيه من مجاز واشتقاق وتعريب ونحت ) .

٧ ـ تفضيل الكلمات العربية الفصيحة المتواترة على الكلمات المعربة[٥] .

٨ ـ تجنب الكلمات العامية إلا عند الاقتضاء ، بشرط أن تكون مشتركة بين لهجات عربية عديدة ، وأن يشار إلى عاميتها بأن توضع بين قوسين ( مثلا )[٦] .

٩ ـ تفضيل الصيغة الجزلة الواضحة ، وتجنب النافر والمحظور من الألفاظ .

١٠ ـ تفضيل الكلمة التي تسمح بالاشتقاق على الكلمة التي لا تسمح به .

١١ ـ تفضيل الكلمة المفردة ، لأنها تساعد على تسهيل الاشتقاق والنسبة والإضافة والتثنية والجمع .

١٢ ـ تفضيل الكلمة الدقيقة على الكلمة العامة أو المبهمة ، ومراعاة اتفاق المصطلح العربي مع المدلول العلمي للمصطلح الأجنبي دون تقيد بالدلالة اللفظية للمصطلح الأجنبي .

١٣ ـ في حالة المترادفات أو القريبة من الترادف ،تفضل اللفظة التي يوحي جذرها بالمفهوم الأصلي بصفة أوضح .

١٤ ـ تفضيل الكلمة الشائعة على الكلمة النادرة أو الغريبة ، إلا إذا التبس معنى المصطلح العلمي بالمعنى الشائع المتداول لتلك الكلمة[٧] .

١٥ ـ عند وجود ألفاظ مترادفة أو متقاربة في مدلولها ينبغي تحديد الدلالة العلمية الدقيقة لكل واحد منها ، وانتقاء اللفظ العلمي الذي يقابلها ، ويحسن عند انتقاء مصطلحات من هذا النوع أن تجمع كل الألفاظ ذات المعاني القريبة أو المشابهة الدلالة ، وتعالج كلها مجموعة واحدة .

---

(٥) يجب التمسك بهذه الفقرة ، خاصة فيما يتعلق بتعريب ألفاظ أجنبية هي في الأصل عربية مثل كلمة « الغوْل » التي ترجمت إلى ALCOHOL ثم عُرِّبت إلى « الكحول » فجاء اللفظ القرآني مشوَّها ، وغلب التأثير الأجنبي على الألسنة والاستعمال .
وقد كان لمجمع اللغة العربية بالقاهرة قرار صريح في ضرورة العودة إلى المنطق العربي في هذا النوع من الكلمات ، ينص على أن « الكلمات العربية التي نقلت إلى اللغات الأجنبية وحرفت تعود إلى أصلها العربي إذا ما نقلت إلى العربية مرة أخرى » لكن المجمع استدرك بقرار آخر ينص على أنه « يفضل اللفظ العربي القديم على المعرب ، إلا إذا اشتهر المعرب » ، وفتح بذلك الباب تجاوزا لاعتماد كلمات عربية مستوردة في ثوبها الأجنبي : مثل كلمة « الكحول » .

(٦) لا نجد مبررا لوجود هذه الفقرة ونرى ضرورة حذفها لأنها تسمح بتسرب الكلمات العامية إلى اللغة العلمية ، وتسهم تدريجيا في الابتعاد عن الأصل العربي ، والانهزام أمام معطيات الثقافات الأجنبية ، فضلا عن أنها تشكل تعارضا واضحا مع الفقرة (٧) التي تسبقها مباشرة .

(٧) لم تحدد هذه الفقرة مواصفات الكلمة الشائعة ومقياس شيوعها . هل يعتبر الشيوع في لغة التراث ، أو في اللغة المعاصرة؟ وهل يكون المقياس بالشيوع بين الدول ، بحيث إذا اجتمعت ست دول من عشر على استعمال مصطلح ما كان ذلك أمارة الشيوع ؟!!

وما الرأي إذا كان مجموع سكان دولة واحدة يتفوق على مجموع السكان في عشر دول غيرها ؟ أم يكون الشيوع بين أهل الاختصاص بغض النظر عن جنسيتهم ؟

وما الوسيلة إلى استطلاع آراء هؤلاء المختصين حيثما وجدوا ؟
راجع : د. عبدالصبور شاهين ، العربية لغة العلوم والتقنية ، ص ٣٣٣ .

١٦ ـ مراعاة ما اتفق المختصون على استعماله من مصطلحات ودلالات علمية خاصة بهم ، معربة كانت أو مترجمة .

١٧ ـ التعريب عند الحاجة ، وخاصة المصطلحات ذات الصبغة العالمية ، كالألفاظ ذات الأصل اليونانى ، أو اللاتينى ، أو أسماء العلماء المستعملة مصطلحات ، أو العناصر والمركبات الكيماوية .

١٨ ـ عند تعريب الألفاظ الأجنبية يراعى ما يأتى :

(أ) ترجيح ما سهل نطقه فى رسم الألفاظ المعربة عند اختلاف نطقها فى اللغات الأجنبية .

(ب) التغيير فى شكله ، حتى يصبح موافقا للصيغة العربية ومستساغا .

(جـ) اعتبار المصطلح المعرب عربيا ، يخضع لقواعد اللغة ، ويجوز فيه الاشتقاق والنحت ، وتستخدم فيه أدوات البدء والإلحاق ، مع موافقته للصيغة العربية .

(د) تصويب الكلمات العربية التى حرفتها اللغات الأجنبية ، واستعمالها باعتماد أصلها الفصيح[٨] .

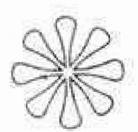
(و) ضبط المصطلحات عامة ، والمعرب منها خاصة ، بالشكل ، حرصا على صحة نطقه ودقة أدائه .

## دعوة للحوار :

ونهدف من عرضنا للمبادىء والأسس المنهجية التى أقرتها « ندوة توحيد منهجيات وضع المصطلحات العلمية الجديدة » . ومن بعض ملاحظاتنا عليها ، إلى فتح باب الحوار البناء على أساس علمى سليم ، وصولا إلى تحديد تام لمنهجية التعريب ، لايدع شيئا للغموض الذى يتخذه دعاة التخاذل ذريعة إلى الخلاف ؛ فلقد بلغت أمتنا من الرشد ما يُلزمها بإنجاز هذا المشروع الحضارى كأروع مايكون الأداء ، ولم يفُت الأوان بعد لإنقاذ مايمكن إنقاذه .

**« رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ، وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ »[٩] صدق الله العظيم . وصلاة وسلاما على رسوله العربى الأمين المبعوث هدى ورحمة للعالمين .**

**وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .**



---

(٨) لعل فى هذا تأكيدا على ما ذكرناه بشأن الفقرة (٧) بالنسبة للمصطلحات الأجنبية المأخوذة أصلا من العربية ولم تعد تُنطق كما كانت مثل كلمة « الكحول » التى اعتمدها المجمع تجاوزا كما هى .

(٩) سورة آل عمران : ٨

# ٢ الولادة الطبيعية

د . أحمد رجائى عبد الحميد

كما أسلفنا فإن الحمل الطبيعي يمتد إلى أربعين أسبوعا ، وهنا سنناقش الولادة الطبيعية ويليها الولادات غير الطبيعية :

## الولادة الطبيعية :

فى منتصف الشهر الثامن تبدأ السيدة فى الشعور بتقلصات متباعدة ومتفرقة تشابه التقلصات التى تحدث أثناء الولادة . وفى نهاية الأسبوع الأربعين يبدأ المخاض ( عملية دفع المولود ) .. وعملية الولادة تنقسم إلى ثلاث مراحل ، وهناك بعض التقسيمات إلى أربع مراحل نوجزها فيما يلى :

### المرحلة الأولى : شكل ( ١ ) :

وتبدأ هذه المرحلة بنزول ما يسمى : ( علامة الولادة ) وهى عبارة عن مخاط به بعض الدم ، يليه انقباضات فى جدار الرحم تزداد شدتها ، وتقل الفترة بين انقباضه وأخرى ، كما تطول فترة الانقباض .

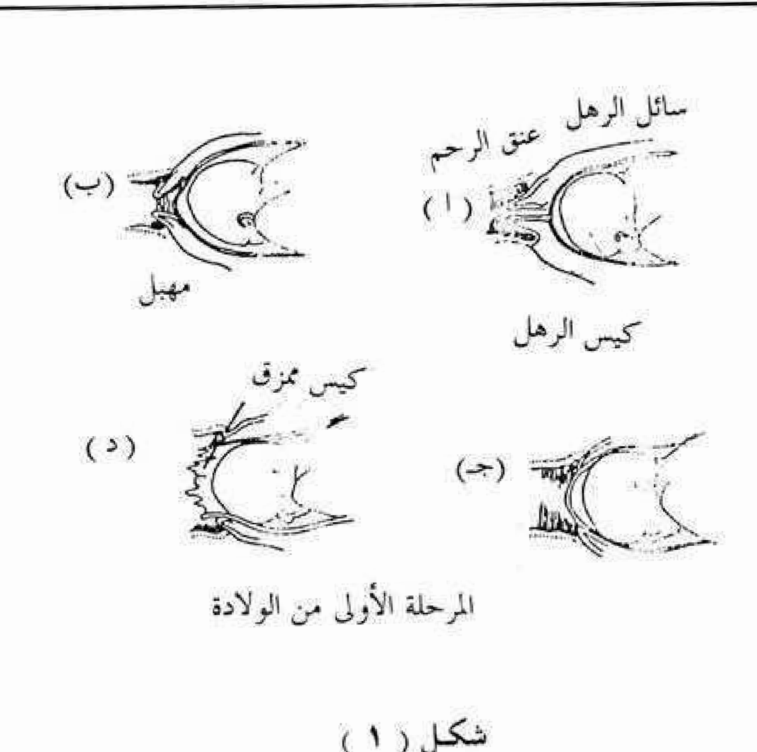
ويختلف طول هذه الفترة ( المرحلة الاولى ) بين السيدات اللائى ينجبن لأول مرة ( حيث تطول ) وبين السيدات متكررات الولادة . هذه المرحلة تبدأ ببدء فتح عنق الرحم وتنتهى باتساعه الكامل حتى يصير هو و ( المهبل ) مجرى واحداً يتسع لنزول الجنين .

وينفجر الغشاء الأمينوسى ويخرج منه السائل الأمينوسى مما يسهل عملية الولادة .

( يسمى العامة الغشاء الأمينوسى ـ أثناء الولادة : « القرن » وفى حالة نزول الجنين داخل هذا الغشاء يطلقون عليه « البُرنُس » ) .

### المرحلة الثانية : شكل ( ٢ ) :

وهى تبدأ من نهاية المرحلة الأولى ، أى إتمام اتساع عنق الرحم ـ إلى نهاية خروج الجنين ، وحين إتمام خروجه يكون متصلا بالمشيمة PIACENTA عن طريق الحبل السرى الذى يُربط من الناحيتين ، ويُقطع على بعد حوالى ٥ سم٣ من البطن ، ويسقط فيما بعد ، وتبقى مكانه ما يدعى « السُرّة » .




المرحلة الأولى من الولادة

## شكل ( ١ )

**المرحلة الثالثة :**

وهذه المرحلة تبدأ من خروج المولود إلى الحياة وتنتهى باستخراج المشيمة كاملة

**المرحلة الرابعة :**

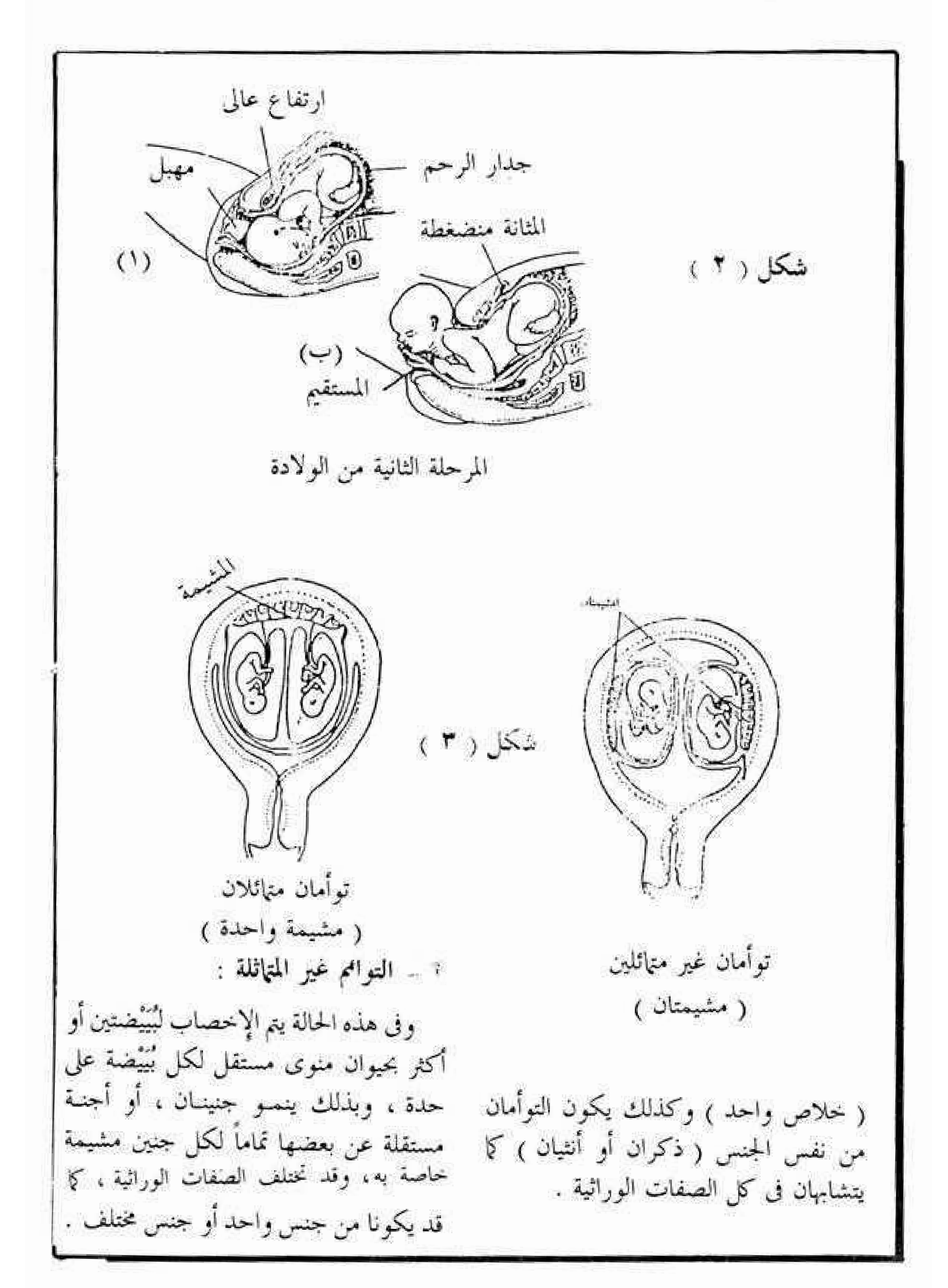
وهى مرحلة النفاس التى تبدأ من خروج المشيمة كاملة ، وحتى تمام عودة الرحم إلى وضعه الطبيعى ، ويستغرق حوالى ستة أسابيع .

**ولادة التوائم :**

هناك نوعان من التوائم : التوائم المتماثلة والتوائم غير المتماثلة . (شكل ٣) .

**١ ـ التوائم المتماثلة :**

وهذه الحالة تحدث نتيجة تلقيح بُيَيْضة واحدة بواسطة حيوان منوى واحد ، ولكن فى حالة الإنقسام تنقسم إلى قسمين .. وينمو كل قسم مكونا جنينا مستقلا ، وفى هذه الحالة تتصل هذه الأجنة بمشيمة واحدة




شكل ( ٢ )

المرحلة الثانية من الولادة

شكل ( ٣ )

توأمان متماثلان
( مشيمة واحدة )

توأمان غير متماثلين
( مشيمتان )

( خلاص واحد ) وكذلك يكون التوأمان من نفس الجنس ( ذكران أو أنثيان ) كما يتشابهان فى كل الصفات الوراثية .

٢ ـ **التوائم غير المتماثلة :**

وفى هذه الحالة يتم الإخصاب لبُيَيْضتين أو أكثر بحيوان منوى مستقل لكل بُيَيْضة على حدة ، وبذلك ينمو جنينان ، أو أجنة مستقلة عن بعضها تماماً لكل جنين مشيمة خاصة به، وقد تختلف الصفات الوراثية ، كما قد يكونا من جنس واحد أو جنس مختلف .



# الجديد في العلم والتقنية

إعداد/ د. نجوى السيد أحمد

١ - جهاز لرسم القلب عن طريق « التليفون » :

تمكنت إحدى الشركات الفرنسية المتخصصة من صنع جهاز « كهربائى » لرسم القلب عن طريق التليفون ، وعند إحساس مريض القلب بأى ألم يقوم بتشغيل الجهاز بعد تثبيته فى مكان معين بجسمه ، ويتولى الجهاز إرسال النبضات لرسام القلب الكهربائى مباشرة خلال التليفون ، حيث تتحول دقات القلب التى يبثها إلى خطوط عادية لنبض القلب لدى الجهة المستقبلة لهذه الدقات ، وبذلك يستطيع الطبيب المختص عمل اللازم للمريض فى وقته .

٢ - ساعة الكترونية متعددة الأغراض :

قامت إحدى شركات الولايات المتحدة الأمريكية بتصنيع ساعة حائط الكترونية يمكنها

ه باحثة بالمركز القومى للبحوث

تنبيه وإيقاظ أفراد الأسرة جميعا فى مواعيد مختلفة ، كما يمكن ضبطها لتشغيل إضاءة المنزل فى الظلام فى مواعيد محددة وإطفائها عند شروق الشمس ، ويتم توصيل الساعة بسماعات مختلفة فى كل غرفة حيث تقوم بعملية التنبيه بالموسيقى الهادئة فى الوقت المطلوب .

**٣ ـ الكشف عن تلوث مياه الخزانات باستخدام الأسماك :**

تقوم هيئة المياه فى العاصمة البريطانية بالاستعانة بفصائل معينة من الأسماك ، مثل : سمكة الفيل والسمكة الذهبية ، للكشف عن التلوث فى خزانات مياه الشرب ، وتتميز هذه الأسماك بحساسية بالغة للتغييرات فى التركيبة الكيميائية للمياه ، وتقوم بإرسال إشارات واضحة عبر مجسات مثبتة على جوانب الخزانات بمجرد حدوث التغييرات فى نوعية المياه ، حيث يتوقف ضخ المياه إلى المنازل « أتوماتيكيا » حتى يتم إزالة التلوث .

**٤ ـ جهاز لقياس درجة حرارة الجسم عن طريق الأذن :**

توصلت إحدى الشركات اليابانية إلى اختراع ميزان حرارة الكترونى يعمل فى الأذن ، ويستطيع المريض بواسطته معرفة حرارة جسمه خلال ثلاث ثوان . ويعتبر الجهاز من أكثر أجهزة الحرارة دقة لأنه يعمل بطريق الأذن التى هى من أقرب المناطق للدماغ ، كما يعد من أحدث المبتكرات الطبية ، فضلا عن سهولة استعماله .

**٥ ـ أحدث دراجة للمعوقين :**

أنتجت شركة «انجليزية» دراجة الكترونية جديدة تعمل بالكهرباء ، وتخدم المعوقين فى تنقلاتهم ، وتتميز بقدرة الصعود على السلالم والسيارات وتخطى الحواجز ، وهى تعمل بطريقة الدفع الثلاثى نظرا لوجود ثلاث عجلات بها . وتعتبر هذه المركبة من أفضل المركبات المستخدمة لخفة وزنها وسرعة أدائها وسهولة قيادتها ، فضلا عن عدم إضرارها بالبيئة ؛ لعدم استخدامها الوقود .

**٦ ـ جهاز إنذار جديد :**

اخترعت إحدى الشركات الفرنسية جهاز إنذار جديد يتصل بحاسوب المراقبة الرئيسى عن طريق شبكة الهاتف العادية . ويقوم هذا الجهاز بإصدار صوت ليدل على وجود شخص ما ، إضافة إلى التقاط صورته ونقلها إلى شاشة الحاسوب الرئيسى ، الذى يقوم بإعطاء المعلومات المتوفرة لديه لأجهزة الشرطة ؛ مما يساعد فى عملية القبض على المنحرفين .

**٨ ـ تنظيف الشوارع والأماكن العامة آليا :**

استطاع الخبراء اليابانيون تصنيع جهاز آلى يقوم بعملية تنظيف الشوارع ومحطات المترو والقطارات ، ليحل محل عمال النظافة فى طوكيو ، ويستطيع الجهاز الآلى تنظيف مساحات كبيرة فى زمن أقل ، ويمكن التحكم فيه بواسطة حاسوب مركزى ، كما يمكنه أن يعمل لفترات طويلة دون الحاجة إلى إعادة شحنه ، وهو مزود بلوحة مفاتيح

تستعمل لبرمجة العمل ومراقبة العديد من الأعمال الإصلاحية والمجهدة .

**٩ ـ تأثير الرصاص على ذكاء الأطفال :**

اكتشف العلماء فى استراليا أن الرصاص فى البيئة يقلل من ذكاء الأطفال ، أجرى الباحثون دراستهم على مجموعة من الأطفال يعيشون قرب مصنع للرصاص ، فوجدوا أن مستوى الذكاء لديهم أقل بما يتراوح بين ٤ و ٥ مرات عن غيرهم من الأطفال الذين يعيشون بعيدا عن مثل هذه المصانع . كما أكد العلماء على ضرورة عدم تعرض الأطفال لعنصر الرصاص ، أو شربهم لمياه فيها قدر منه ، وعدم استخدام طلاء أو وقود أو مواد لحفظ الطعام تحتوى على معدن الرصاص .

**١٠ ـ أسلوب جديد لعلاج السرطان :**

استطاع الباحثون بكلية « امبريال » بلندن تطوير أسلوب علاج السرطان ، حيث يتم استخدام صبغات خاصة ، وحزم من الضوء لقتل الخلايا السرطانية دون إيذاء المريض . ويتلخص هذا الأسلوب فى حقن المريض بصبغة مثيرة للحساسية وغير ضارة عند الحقن ، وبعد ثلاثة أيام تتلاشى الصبغة من أنسجة الجسم العادية ، ولكن أنسجة الورم والخلايا السرطانية المتفرقة تظل متشبعة بها ، وبعدها يتم إدخال ألياف بصرية تحمل موجات ذات طول معين من الضوء الأحمر إلى محل الورم ، فيؤدى ذلك إلى تنشيط الصبغة المثيرة للحساسية فتطلق عنصرا حراريا يتفاعل مع المواد الدهنية ، والمركبات العضوية على سطح الخلايا السرطانية ؛ مما يؤدى إلى تفتتها والقضاء عليها .

**١١ ـ وقود جديد من الفحم بدون دخان :**

طرحت الهند نوعا جديدا من الوقود يتم استخراجه من فحم الكوك ولا ينتج عن احتراقه أى دخان ، ومن ثم يناسب الاستخدامات المنزلية والمطاعم والفنادق والمخابز ، وهو يتميز بقلة الشوائب الترابية وارتفاع قيمته الحرارية بالإضافة إلى سهولة إشعاله .






للأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

«الصبر نصف الإيمان»

قال الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ

الصبر فى القرآن الكريم فى نحو تسعين موضعا وهو واجب بالإجماع ، وهو نصف الإيمان ، فإن الإيمان نصفان : نصف صبر ونصف شكر ، وهو مذكور فى القرآن الكريم على ستة عشر نوعا .

«تارك لصلاة الجماعة»

شهد السلطان بايزيد سلطان الدولة العثمانية بشهادة عند القاضى شمس الدين فى خصومه رفعت إليه فرده القاضى ، ولم يقبل شهادته ، ولما سأله عن وجه ردها ، قال بصراحة ودون خوف أو وجل : إنك تارك لصلاة الجماعة ، فدنا السلطان أمام قصره دامعا ، وعين لنفسه موضعا ، ولم يترك الجماعة بعد ذلك .

«رائحة طيبة»

كان الإمام نافع القارىء إذا تكلم يشم من فيه رائحة المسك ، فقيل له : كلما قعدت تتطيبُ فقال : ما أَمَسُّ الطيب ولا أقربه ، ولكن لأيت النبى ﷺ فى المنام ، وهو يقرأ فى فمى ، فمن ذلك الوقت يشم من فى هذه الرائحة .

«أخى»

إذا بغى باغ عليك بجهله
فاقتله بالمعروف لا بالمنكر
لا يلام الذئب فى عدوانه
إنْ يك الراعى عدو الغنم

أصناف ثلاثة

قال ابن السماك فى موعظة له :

أصبحت الخليقة على ثلاثة أنواع :

صنف موطن نفسه على هجران ذنبه لا يريد أن يرجع إلى شىء منه ، وهذا صنف مُبّرر .

وصنف يذنب ثم يذنب ويذنب ويندم ويبكى ، وهذا صنف يرجى له ويخاف عليه .

وصنف يذنب ولا يندم ، ويذنب ولا يحزن ، ويذنب ولا يبكى ، فهذا الخائن الحائد عن طريق الجنة إلى النار .

«رجاء»

فإما أن تكون أخى بصدق
فأعرف منك غثى من ثمينى
وإلا فاجتنبنى واتخذنى
عدوا أتقيك وتتقينى

## «الظلم .. ظلمات»

قيل : إن الرشيد حبس أبا العتاهية ، فكتب على حائط الحبس :

**أمــا والله إن الظلــم لؤم**
**ومازال المسيىء هو الظلــوم**
**إلى ديــان يوم الديــن نمضى**
**وعنــد الله تجتمــع الخصوم**
**ستعلم فى المعــاد إذا التقينــا**
**غدا عند المليك من الظلــوم**

## «ادفعها إليه»

مر الإمام الشافعى ــ رضى الله عنه ــ بسوق الحدادين بمصر ، فسقط قوسه من يده ، فقام رجل من محله فأخذها ومسحها بكُمّه وناوله إياها فقال الشافعى لغلامه : كم معك ؟

فقال : سبعة دنانير ، فقال له : إدفعها إليه .

## «كلف وخنس»

عرضت جارية على الرشيد ليشتريها ، فتأملها وقال لمولاها : خذ جاريتك ، فلولا كلف بوجهها ، وخنس بأنفها لاشتريتها فلما سمعت الجارية مقالة أمير المؤمنين قالت مبادرة : ياأمير المؤمنين ، اسمع منى ما أقول ، فقال : قولى ، فأنشدت تقول :

**ما سلم الظبــى على حسنــه**
**كلا ولا البدر الــذى يوصف**
**الظبــى فيــه خنس بيّــن**
**والبـدر فيــه كَلَــف يعــرف**

فلما سمع ذلك تعجب من فصاحتها وأمر بشرائها .

## «حقيقـة»

**إذا احتــاج الكــريم الى لئيم**
**فقـد طاب الرحيـل إلى جحيم**

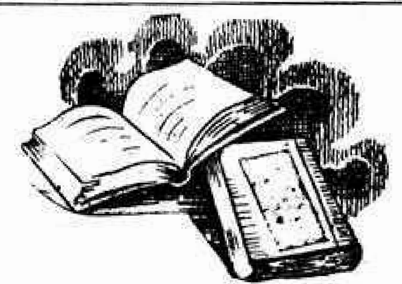
## صـفـو الــوداد والخـل الصـدوق

**إِذَا المَــرْءُ لَا يَرْعَــاكَ إِلَّا تَكَلُّفــاً ... فَدَعْــهُ وَلَا تُكْثِــرْ عَلَيْــهِ التَّأَسُّفَــا**
**فَفِى النَّـاسِ أَبْـدالٌ وَفِى التَّـرْكِ رَاحَـةٌ ... وَفِى القَلْبِ صَبْرٌ لِلْحَبِيبِ وَلَوْ جَفَـا**
**فَمَــا كُلُّ مَنْ تَهْــوَاهُ يَهْــوَاكَ قَلْبُــهُ ... وَلَا كُلُّ مَنْ صَافَيْتَــهُ لَكَ قَدْ صَفَــا**
**إِذَا لَمْ يَكُــنْ صَفْــوُ الــوِدَادِ طَبِيعَــةً ... فَلَا خَيْــرَ فى خِلٍّ يَجِــيءُ تَكَلُّفَــا**
**وَلَا خَيْــرَ فى خِلٍّ يَخُــونُ خَلِيلَــهُ ... وَيَلْقَــاهُ مِنْ بَعْــدِ المَــوَدَّةِ بِالجَفَــا**
**وَيُنْكِــرُ عَيشاً قَدْ تَقَــادَمَ عَهْــدُهُ ... وَيُظْهِــرُ سِرّاً كَانَ بِالأَمسِ قَدْ خَفَــا**
**سَلَامٌ عَلَى الدُّنْيَــا إذا لَمْ يَكُــنْ بِهَــا ... صَدِيقٌ صَدُوقٌ صَادِقُ الوَعْــدِ مُنْصِفَــا**

«دعـاء»

**اللهم إنك تعلم عيوبنا فاسترها ، وتعلم حاجاتنا فاقضها ، كفى بك وليا ، وكفى بك نصيرا يارب العالمين .**






لفضيلة الدكتور / محمد محمد خليفة

إعداد وتقديم: عبد الفتاح حسين الزيات

«يارب» نداءُ البشر الدائم كلما حزبها أمر وعصف بها عاصف ، تهتف به ضارعة متوسلة فتجد النجاة والأمان .

نداء لا يُنسى ولا يغيب ، باق أبد الأبد لأنه الضراعة للحى الدائم الصَّمَد ... وكم نحن ف حاجة إليه لنأخذ من أصالتنا العريقة لرسالتنا الحديثة لنستمر خير أمة أُخرجت للناس .

قال فضيلة الدكتور :

## يـــارب !

هتاف المظلوم ، ونداء السجين ، وأنة المريض ، ودعاء الحائر ، ونفثة المكروب ، وصيحة الغريق ، وصرخة المكبوت : يارب !

● ● ●

تغفو عيون الظالمين ، وتسكن مهودهم ، وتسبح بين جنات أحلامهم أرواحهم ، مختالة بين أفواف جاهها ، مياسة فى بريق سلطانها . ووراء كل هذا عين يؤرقها الظلم ، ويحرق أهدابها حر الدمع ، وروح يطحنها العدوان ، فتتطاير ذراتها من بين رحاه غبارا يشق أجواز الفضاء ، ويخترق حجب السماء ، وتبله الأنداء فينقلب عارضا واكفا تصطك ثورته .

فإذا الرعد الذى يجلجل فيصم دويه سمع الوجود ، ويهز صداه طغيان العتاة ، ويزلزل هديره عروش الظالمين ، وتتجاوبه الأرض وما فوق الأرض والسماء وما بين السماء ، إنه هتاف المظلوم : يارب !

● ● ●

ويسدل الليل ستاره فينام الوجود وكأن دنيا الناس تحولت الى سجن رهيب ، وبعد ساعات تنطلق هذه الدنيا الهاجعة من سجنها إلى حياة قد يكون فى بعضها معانى الحياة ، إلا ذلك الذى تسميه اللغة سجنا ، وخليق بها أن تسميه قبراً ، لأن ظلمته ووحشته وقسوته تلف أشباه الموتى ممن ضاقت عقول البشر عن تهذيبهم وتربيتهم وإصلاحهم ، فأسلمتهم إلى ما يشبه القبر ، فهم

يساموں من دنياهم أكثر مما تسام البهائم من التعذيب والخسف ، وكلهم جراح تكاد تتفتق فتستشف فيها نداء الدمع ، ونداء الألم ، ونداء الندم ، ونداء التوبة ، ثم تختلط هذه الأصوات جميعا فتنبعث من القيود والأغلال وتخترق ظلمة السجن ، وأسوار السجن ، أو ظلمة القبر كما قلنا وأحناء القبر ، متمثلة فى نداء واحد يحمل معانى ألمها وندمها ودمعها وإنابتها : يارب !

● ● ●

ويتقلب المريض على أشواك علته ، وحوله عيون تحمل نظراتها معانى البكاء والحسرة ، وكل عين ترى فيه المعنى الذى تبكيه ، وهو يدور بعين تلمع فيها عبرة ، وتتعثر وراءها نظرة فيها معنى المرض ومعنى الشكوى ومعنى التوجع من دائه الذى أعيا جسمه وطبيبه معا ، وكأنما يقرأ فى عيون من حوله كلمة اليأس وما وراءها فيتلوى ، وتتفتح شفتاه عن أنة مريضة تحمل إلى رب السماء رجاء الرحمة ورجاء العافية فتجاوبها الأنفاس الحزينة ، وتلتقى مع أنته ضارعة إلى الله تقول : يارب !

● ● ●

ويتخبط السارى فى مهامه الحيرة وتصطرع أفكاره مع أفكاره ، فلا يكاد يرى فيما حزبه رأيا حتى تضيق به نفسه ، فيفزع إلى جانب آخر من جوانب فكره يتلمس فيه راحته ونجاءه ، فلا يرى غير الأوهام المتراقصة الساخرة فيعرك كفه وفكره حتى يدمى كفه وفكره ، فإذا ما استغلقت أمام أفكاره السبل شخص ببصره إلى السماء ، وإذا دمه وأعصابه ومشاعره بل إذا هو كله دعوة مستنجدة تسأل الخلاص مما هو فيه والنجاة مما يعانيه : تصعد إلى السماء تدق أبوابها ، ويحس كأنما دنياه كلها تدعو : يارب !

● ● ●

وتتزاحم الكرب على النفس المؤمنة فتعبىء كل كربة ما تطيق من قوة وهول ، وما تدخر من بأس وسلاح ، وتتلاقى كلها على تلك النفس ترمى وتفتن فى الرمى ، وتقذف وتمعن فى القذف ، لتحطم صبرها أو تخدش قدرها ، وتظل الشدائد تناوىء ما وسعتها المناوأة ، وتجالد ما شاء لها الجلاد ، والنفس المؤمنة صابرة على القضاء ، مستبسلة أمام البلاء ، لاتشكو بل لاتناجى النفس بالشكوى ، وإنما كل ما تبديه إذا ماتوا ثبت عليها النوازل ، وزحفت النوائب ، وتجنى الزمان ، نفثة ينشق عنها الصدر تحمل معانى الغوث والعون لا من الأرض ولا ممن خلق من الأرض . لا . إنها منطلقة إلى السماء تنادى : يارب !

وينشوى الجوع نفس البائس المحروم فتجف أمعاؤه أو تكاد ، ويدب الجفاف فى جسده فتذهب حيويته ويتراءى كأنما هو ظل من ظلال الفقر ، أو رفات تحمل سطرا من تاريخ عاد فيه معنى البلى ، وإن كانت صورته تحمل فى نفسها معانى الحرمان ، وتحمل من زمنها معانى الظلم والقسوة والشح ، ويزيد فى ألم النفس المحرومة صغارها الجياع وقد خطت الحياة السوداء على وجوههم تجاعيد تكمن فيها الفاقة والعوز

وما أشد آلامهم حينما يرون دموع أبيهم تخضل بها لحيته المرتعشة ، فتتجمع معانى البؤس والحرمان ، وعجز الأبوة المحطمة عن الإنقاذ ، ثم يستجمعون جميعا بقايا أنفاسهم ، وينتزعون من دمهم البقية الباقية من الحرارة ، وهى كل ما يملكون ، ليرسلوا زفراتهم إلى السماء تشكو شح الإنسان على الإنسان ، وحياتهم كلها ليلها

ونهارها رمضان ، وكأنما زفراتهم تقول : من لنا إلاك يارب !

● ● ●

وتحوم حول الغريق أهوال الموت ، وتمتد براثنه فى تلك الأمواج العاتية ، فيدور بعينه يرقب من وراء الآفاق المطبقة أملا ، فلا يرى إلا زرقة السماء ، وزرقة الماء ، وزرقة الموت ، ويذكر الحياة ومن له فى الحياة ، فيرسل صيحة اليأس قوية تفزع حيتان البحر ، وتشل أمواجه ، وتخرس هديره ، فيردد البحر وما فى جوف البحر تلك الصيحة : يارب !

● ● ●

ويكتم المستعمرون أو عملاء المستعمرين أنفاس المستضعفين أو المفككين ، ويضيقون على أعناقهم الأغلال حتى تكاد تجحظ عيونهم . وفى هذه الكبتة الخانقــة تزوغ الأبصار ، وتحار البصائر ، ويؤمن المكبوت بعجز أبناء الطين عن نصرته ، فيتلمس مدد السماء ، ويسبح بتفكيره فى قدرة ربه وجبروته وسلطانه ، ثم يصرخ صرخة تكاد تدك صروح الباغين ، وتحطم تيجان الجبابرة ، وتقوض عروش الظلمة ، إنها صرخة المكبوت : يارب !

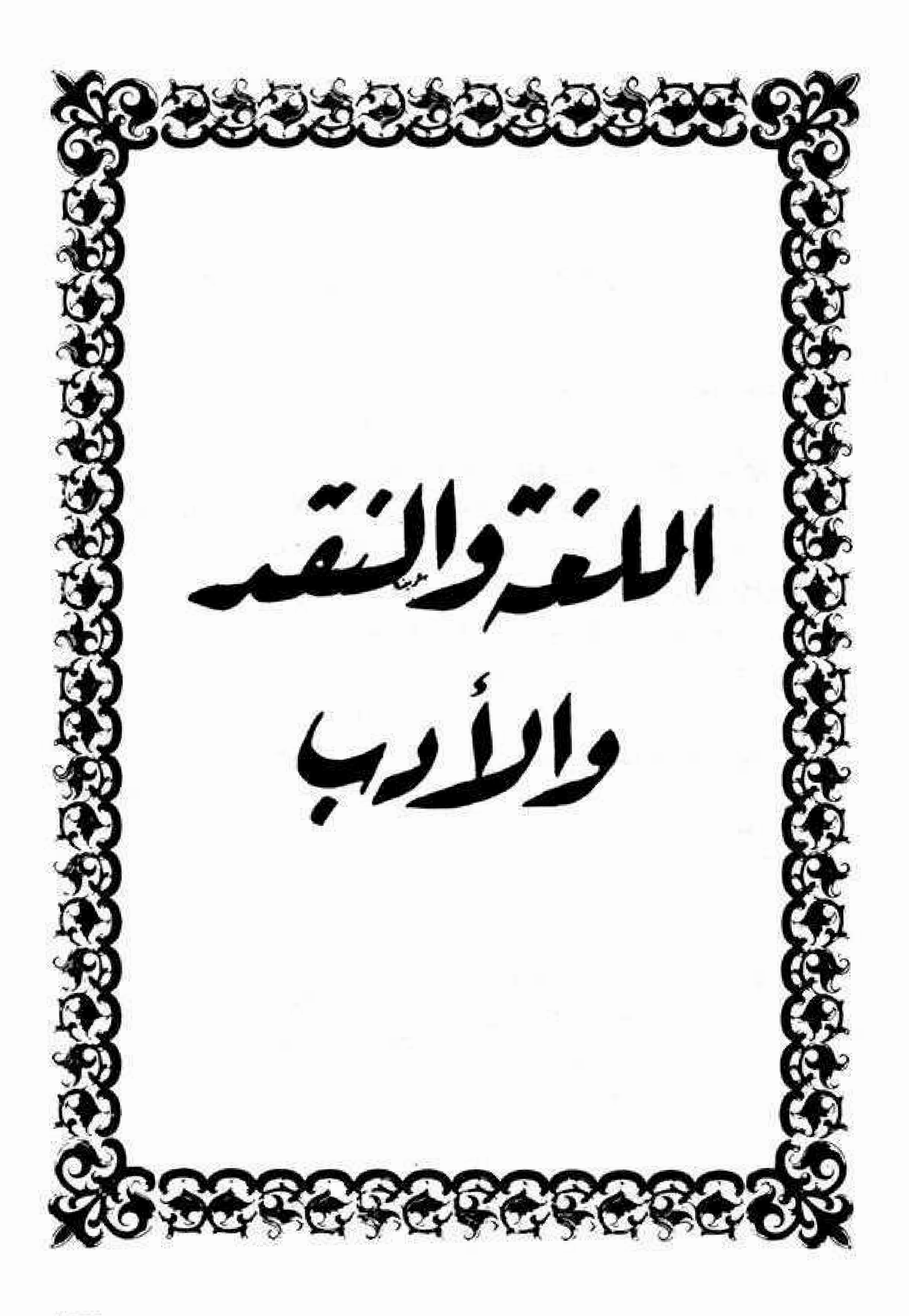
يارب ! إن الشرق كله تجتاحه رياح الظلم وليس له فى محنته إلاك يارب ... وهو سجين بين أسوار الأنانية الطاغية والأثرة العاتية ينادى : يارب وهو صريع التفرق والاختلاف يلوذ برحمتك ، ويفزع إلى كنفك يارب وهو يتخبط فى حيرة تضل فى متاهاتها الظنون ، يبسط أكف الضراعة يارب وهو غريق فى لج من زرق الهموم يصيح : يارب .

وهو مكبوت كتمت أنفاسه قذائــف المستعمرين وعملاء المستعمرين حتى لا يصرخ يارب .. يارب ! إن الشرق الإسلامى أرضه وجباله ووديانه وسماءه وكل مافيه يسألك أن تخلق فيه عالما إسلاميا جديدا يجدد به شباب عالمه الإسلامى الأول ، فتملأه الرحمة والإخاء والإيثار ونكران الذات والتفانى فى الواجب ومعرفة كل إنسان قدر نفسه ، فهل أنت مجيب دعاءه يارب .

محمد خليفة
المدرس فى الأزهر

المجلد الرابع والعشرون .





# اللغة والنقد والأدب

مستقبل الثقافة فى مصر

# وحدة الدين ووحدة اللغة

أ. د/ محمد رجب البيومى

**يقول الدكتور طه حسين(1) : من المحقق أن تطور الحياة الإنسانية قد قضى منذ عهد بعيد بأن وحدة الدين ووحدة اللغة لا تصلحان أساساً للوحدة السياسية ، ولا قواماً لتكوين الدول ، فالمسلمون أنفسهم منذ عهد بعيد قد عدلوا عن اتخاذ الوحدة الذاتية واللغوية أساساً للملك وقواما للدولة ، وليس المهم أن يكون هذا حسنا أو قبيحا وإنما المهم أن يكون حقيقة واقعة .**

**ثم يقول(2) : والتاريخ يحدثنا كذلك بأن رضاها ( مصر ) عن السلطان العربى لم يخل من السخط ولم يخلص من المقاومة والثورة ، وبأنها لم تهدأ ولم تطمئن إلا حين أخذت تسترد شخصيتها المستقلة فى عهد ابن طولون ، وفى ظل الدول المختلفة التى قامت بعده ، فالمسلمون إذن قد فطنوا من عهد بعيد إلى أصل من أصول الحياة الحديثة ، وهو أن السياسة شىء ، وأن الدين شىء آخر ، وأن نظام الحكم وتكوين الدول إنما يقومان على المنافع العملية قبل أن يقوما على شىء آخر .**

هكذا قال الدكتور صريحا غير محجم ، وقد جمع الحديث عن وحدة الدين ووحدة اللغة فى مستوى واحد ، وكأن الكلام عن وحدة الدين هو الكلام عن وحدة اللغة ، وهذا خلطٌ متعمد ؛ لأن لكل من الوحدتين نظرا خاصا ، تحدث عنه السياسيون والمؤرخون حديث المحدد للألفاظ ، المدقق فى اختيار الكلمات ، لا كما يتحدث الدكتور .

فلنأخذ أولا وحدة الدين لنرى ما يقول عنها الدكتور : لقد زعم أن هذه الوحدة لا تصلح أساساً للوحدة السياسية ، وقد عاش الدكتور حتى رأى إسرائيل تقوم على أساس الوحدة الدينية ورأى دول الغرب ـ التى يدعونا باصرار إلى تقليدها فى الضار والنافع ، والحلو والمر ـ تؤيد قيام إسرائيل الناهض على الوحدة الدينية تأييداً مطلقاً لا سبيل إلى الفكاك منه ، بل تعلن فى غير مواربة بأن إسرائيل هى النموذج الأرقى للديمقراطية فى الشرق ! فكيف يكون حديث الوحدة الدينية غير صالح للنهوض السياسى !! كما أن الدكتور يعلم كل العلم أن الأحزاب السياسية فى أكثر عواصم

(1) مستقبل الثقافة فى مصر ص ١٩ .

(2) مستقبل الثقافة فى مصر ص ٢٠ .

أوربا تصف نفسها بالوصف الدينى الصريح ، فهناك الحزب الديمقراطى المسيحى ، والحزب الجمهورى المسيحى ، ولو كان فى الإنجيل دستور سياسى ، لأصبح بناءً على هذا الشعار دستور البلاد ، ولكن الإنجيل لم يأت بتشريع دقيق ملزم يشمل جميع مرافق الحياة كما جاء بذلك القرآن ، فوقفت الأحزاب عند الانتماء العام للمسيحية حريصة على أن تعلن أن هذا الدين هو الوجهة الأولى فى خطواتها السياسية ، فهل يقول الدكتور طه حسين ـ بعدما شاهد قيام إسرائيل على الوحدة الدينية ، ومباركة الغرب وتأييده المطلق لهذا الاتجاه الدينى الصارخ ـ إن العالم قد اتفق على أن الوحدة الدينية لا تصلح أساساً لقيام الدولة فى العصر الحديث ؟!

هذه ناحية أما الناحية الثانية فهى هذا الاستطراد المفتعل الذى تطرق إليه الدكتور حين زعم أن مصر لم ترض عن السلطان العربى ولم تهدأ ولم تطمئن إلا بعد أن أخذت تسترد شخصيتها فى عهد ابن طولون !

إن الذى يقرأ هذا الكلام فى سياقه المطرد يظن أن مصر كانت قبل عهد ابن طولون تحكم بالشريعة الإسلامية ، فلم تخل من اضطراب حتى جاء ابن طولون فرفض هذا الحكم الدينى ، ولذلك استقرت الأحوال فى عهده وفى عهد من تلاه ! أليس سياق الحديث عند الدكتور يوحى بذلك إذ يعارض الوحدة الدينية فى السياسة ، ويراها سبب الثورة المزعومة ، ثم يرتاح لاستقلال مصر فى عهد ابن طولون لا لشىء إلا لأنه انفصل عن دولة بنى العباس ، ولم يسأل الدكتور نفسه ـ وهو الدارس لتاريخ مصر ـ كم سنة استقر حكم الدولة الطولونية فى مصر ؟ وكم سنة استقر حكم الدولة الإخشيدية التى تلتها ؟ وكيف سقطت سقوطا واضحا أمام خلافة دينية جديدة وفدت من الغرب ، وسميت بالخلافة الفاطمية ، أين الاستقرار الذى زعمه الدكتور لمصر فى عهد ابن طولون ومن تلاه !؟ ثم إن الدول الأوروبية الحديثة لا يخلو تاريخها المعاصر من هزات سياسية تؤكد ثورة بعض الأفراد ، وتقابلها دولة عظمى كإنجلترا بصبر لا ينفد ، وقد طال أمد هذه الهزات ، وتكررت وقائعها دون أن يقول أحد ان استقرار إنجلترا السياسى قد اهتز ، فإذا ثار فى عهد الولاة بمصر بعض الثائرين ، فذلك شىء طبيعى ، ولا صلة له بالتنكر للوحدة السياسية ، وإذا أراد الدكتور أن يلتمس دليلا تاريخيا صحيحا . فأولى له ثم أولى أن يسكت عن الاستشهاد بابن طولون الذى كابد من ثورة ابنه ومن التف حوله من معارضيه فى مصر أضعاف ما كابد من ثورة الخلافة العباسية عليه ، لقد كان ابن طولون رجلا عظيما ، لا لأنه لم يرتض الحكم الإسلامى ؛ بل لأنه سار فى طريقه ما استطاع ، كما سار من بعده الخلفاء الأوائل من رجال الفاطميين ، ثم الأبطال من رجال الأيوبيين الذين صدوا زحفات أوربا الصليبية ، وقاوموا اعتداء شعوب البحر الأبيض المتوسط ، تلك التى نتفق معها فى كل شىء كما يزعم الدكتور ، وهو اتفاق موهوم إن جاز أن يكون مصدر رفعةٍ فى تقدير الدكتور طه ، ومن يشعرون فى ذات أنفسهم بالعجز إزاء من يقابلون من مفكرى الغرب وأعلامه ، إما ذوو الكرامة من أبناء مصر فلا يشعرون بهذا الاستخذاء ، بل يرون أنفسهم أنداداً ونظراء ، وإذا تفوقت دولة فى

عصر ، وانخفضت دولة أخرى فى هذا العصر ذاته ، فإن دورة التاريخ لن تقف ، وقد وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفهم فى الأرض ،.ولكن متى ؟ إذا آمنوا وعملــوا الصالحات .

وما أظن الدكتور يرى المسلمين اليوم كما أراد لهم الذكر الحكيم أن يكونوا ! أفما كان الأجدر بذوى الإصلاح أن يرجعوا إلى تراث الأمة وقيمها النبيلة قبل أن يعظموا من جيرانهم قدر ما يبخسون من أنفسهم دون برهان أكيد .

وإنى لأتساءل فى عجب : ما دخل الوحدة السياسية القائمة على أساس الدين فى كتاب يتحدث عن مستقبل الثقافة فى مصر ؟ إذا كان الدكتور يحارب هذه الوحدة ، فهى غير موجودة فعلا حين أصدر كتابه ، وقد تخلت عنها مصر للأسف حين نبذت تشريع الإسلام ، لأنه الحجر الأول فى قيام هذه الوحدة ، ولا وحدة إسلامية دون استنادٍ إلى ما يقره الإسلام ! وإلا فكيف توصف بأنها إسلامية ؟ أتريد أن نموه على أنفسنا بالألفاظ المعسولة فحسب ! لقد تحدث الدكتور عن هذه الوحدة وعن غيرها حديثاً طائرا لا ينتهى بقارئه إلى يقين ، وهذا ما لاحظه الأستاذ ساطع الحصرى حين قال عن كتاب ( مستقبل الثقافة فى مصر[1] :

« من المعلوم أن التفكير العلمى يتطلب تحليل المسائل ، وتجزئة المشاكل ؛ ليسهل معالجة كل جزء منها على حدة ، وأما الخطة التى يسير عليها الدكتور طه فى أكثر الأحيان فمعكوسة تماما ، لأنه كثيراً ما يخلط المسائل بعضها ببعض ، ويدخل بعضها فى بعض ، فيزيدها بذلك تعقيداً وإشكالا ، وكثيراً ما يحاول أن يبرهن على قضية بمجموعة قضايا أخرى أكثر حاجة إلى البحث والبرهنة من القضية الأصلية نفسها » .

والأستاذ الحصرى يقرر الواقع المشهود فى صفحات هذا الكتاب ، فلا شطط ولا إسراف .

### وحــــدة اللغــــة

إذا كان الدين قد وقف حائلا دون اعتبار مصر من دول البحر الأبيض المتوسط التى تنتمى إلى أوربا ، وقد بذل الدكتور جهده فى تهوين شأن الدين بالنظر إلى هذا الحائل ، فإن اللغة العربية ـ أيضاً ـ فى حاجة كبيرة إلى جهد شاق ليطردها الدكتور فلا تكون حائلا آخر ، ولاشك أن المؤلف الكبير قد عانى رهقاً شاقاً فى حديثه عن اللغة واعتبارها غير عامل فى تأصيل الانتماء إلى شعوب البحر الأبيض المتوسط ، لأن دول أوربا جميعها تقيم للغة اعتبارها القوى فى بنائها العضوى ، ومن لا يتكلم باللغة الوطنية ، يعد نفسه غريباً عن الدولة التى يقيم بها ، فهو أحد أبناء الجاليات الذين يحلون محل الأضياف ، وسيجد نفسه فى محيط زاخر من الألغاز لا يدرك منتهاه ، فهو لا يستطيع أن يقرأ الكتب والمجلات ولا أن يستمتع بأحاديث الإذاعة المسموعة ، ومشاهد الاذاعة المرئية على وجهها المريح ، هذا فى أوربا التى يجعلها الدكتور مهبط وحيه ومنار توجهه ، أما الدول الشرقية التى تعددت فيها اللغات فهى

(١) الرسالة ـ العدد ٣١٧ ـ ١٩٣٩/٧/٣١ م .

تكابد رهقا من هذا التعدد ، وقد خلق تعدد اللغة فيها ما يشبه التحزب العنصرى ، بحيث أصبح كل فريق ينظر إلى سواه نظرة المريب المشكوك فى طواياه !! لا سيما إذا فقد الجامع الدينى العام فلم يكن لدى هذه الأمة ما يعصم من التنابذ والشقاق !! وقد حل الإسلام هذه المعضلة حين جعل التقوى ميزان التفاضل ، وحين أهدر الفروق بين العجمى والعربى إذا جاءت عن غير طريق الهدى والرشاد ! وحين قام دعاة القومية العربية بتأليف الكتب الإعلامية لهذه الدعوة البراقة ، وقفوا أمام الدين واللغة موقفاً طويلا ، فكان الإجماع التام على اعتبار اللغة إحدى دعائم القومية ، وكان النقاش يدور حول الدين ، لأن بعض الذين لا يجهرون بالحق ليشبعوا رغبات الرؤساء قد سايروا الجو السياسى السائد ، لا لينطقوا بالحق ، بل ليصلوا إلى المناصب البراقة عن طريق التزلف والمحاباة ، أما المخلصون من ذوى العقيدة النيرة ، والإخلاص النزيه ، فقد كتبوا المقالات والمؤلفات ليهتفوا بصوت عال بأن الدين هو المقوم الرئيسى للوحدة ، فعل ذلك الأساتذة الكبار عبدالرحمن عزام ، وعبدالمنعم خلاف ، ومحب الدين الخطيب وغيرهم حين واجهوا الرأى السياسى المتغلب بسلطانه وبطشه بما يملكون من البراهين التاريخية والعقلية والاجتماعية ، الدالة على مكانة الدين من النفوس واعتباره العامل الأول فى التوجيه ولا أطيل باختيار ماسجله هؤلاء الكبار حقا من حجج دامغة ، ولكنى اكتفى بما قاله الأستاذ أحمد خاكى فى كتابه (فلسفة القومية) حين استطاع ببراعة أن ينتصر إلى عامل الدين فى رسوخ القومية مؤكدا ذلك بقوله[1] : «على أن أثر الروح الدينى فى خلق الأمم وفى رقيها وانتشار حضارتها يبدو واضحاً فى تاريخ العرب بعد الإسلام ، فقد شاعت بين المسلمين عقيدة واحدة ألفت بين أفرادهم ، وكانت هذه العقيدة من مصادر القوة حين أمن بها ، ودافع عنها سوادهم الأعظم .. ولم تقم جماعة فى العالم ، ولم تقم قومية فى التاريخ إلا كان لها أساس دينى تستمد منه عقائدها ، فللدين قيمة التوجيه بين الأفراد» .

أجل ، أنكر الدكتور طه حسين مكانة الدين فى بناء الدولة ، وقرن بينه وبين اللغة ليجعلها فى مستوى واحد ، وها نحن نخالفه فى إهداره مكانة الدين مهما شايعه المشايعون ، واستشهد به من يجدون فى إرجافه شفاءً لصدورهم المريضة ، أما عامل اللغة فمهما كتب فى إضعافه فإنه كناطح صخرة ليوهنها بقرنه ، إذ أجمع الباحثون على أن اللغة هى العنصر الأساسى فى تكوين الدولة ، والوعاء الذى يحفظ الحضارة على تعاقب الأجيال ، والطابع الذى يطبع المجتمع بتأثيره النفاذ .

يقول الأستاذ صديق شيبوب بصدد هذا العامل[2] .

لقد ذهب (بلنشلى) إلى القول بأن من استبدل لغته بلغة جديدة خسر قوميته ، والأدلة على ذلك كثيرة ، فقد ماتت اللغة اللاتينية ، حين أصبحت اللهجات التى تفرعت منها لغات لدول مختلفة كالإيطالية والفرنسية والأسبانية ، ولم يتم توحيد فرنسا إلا بعد أن نسخت اللغة التى تتحدث بها المقاطعات الوسطى اللهجات الأخرى وحلت

(١) فلسفة القومية للأستاذ أحمد خاكى ص ٣٨ .

(٢) القومية العربية للأستاذ صديق شيبوب ص ١١٧ .

محلها ، وكذلك كانت اللغة أقوى العوامل فى توحيد ألمانيا وإيطاليا ، وكذلك كان الحال عند العرب فى الجاهلية عندما تغلبت لغة قريش على لغة الجنوب ، وأصبحت لغة الجنوب ؛ فوحدت بين أنحاء جزيرة العرب ، ثم نزل القرآن بلسان عربى مبين ، فأصبحت العربية لغة الدين ، وانتشرت بانتشار الإسلام ، وتحولت لغة الدواوين والأقطار الإسلامية إلى العربية ، فصارت لغة التعامل بين الناس ، ونسخت اللغات التى كان يتكلم بها سكان هذه الأقطار ، وخاصة فى العراق والشام ومصر والمغرب والأندلس ، واستطاعت أن تؤثر فى لغات الأقطار الأخرى التى دخلت فى الإسلام دون أن تنتشر اللغة العربية فيها ، وذلك كالأوردية والفارسية والتركية وغيرها !

وما قرره الأستاذ صديق شيبوب من البدائه المشتهرة ، بحيث يلم بها طلبة المدارس الثانوية فى مقرراتهم الدراسية ، والدكتور طه حسين يعلم ذلك تمام العلم . ولكنه يتجاهله ولا يشير إليه ، وكان من المنطق أن يكر عليه بالنقص مادام يخالفه ، ولكنه لا يملك من الدليل العلمى ما يثبت موقفه ، فليكن التجاهل المطلق هو السلاح الوحيد .

### الدين والسياسة

ذكر الدكتور طه فيما نقلناه فى الفقرة السابقة قوله : «فالمسلمون إذن قد فطنوا منذ عهد بعيد إلى أصل من أصول السياسة الحديثة ، وهو أن السياسة شىء والدين شىء آخر ، وأن نظام الحكم وتكوين الدول إنما يقومان على المنافع العملية قبل أن يقوما على شىء آخر ، وهذا التصور هو الذى تقوم عليه الحياة الحديثة فى أوربا ، فقد تخففت أوربا من أعباء القرون الوسطى وأقامت سياستها على المنافع الزمانية لا على الوحدة المسيحية ، ولا على تقارب اللغات والأجناس»[1]؟

والسؤال الذى يواجه به الدكتور طه حسين هو ؟ متى فطن المسلمون إلى أن السياسة شىء والدين شىء آخر ، وهو يعلم أن الخلافة الراشدة ثم الخلافة الأموية ثم الخلافة العباسية ، ثم الخلافة الفاطمية ثم الخلافة الأندلسية ، ثم الخلافة العباسية الثانية فى مصر فى عهد المماليك ثم الخلافة العثمانية التى قضى عليها مصطفى كمال سنة ١٩٢٤ ! هذه الحلقات المتسلسلة المطردة دون انقطاع كانت تحكم بحكم الدين ، وترى السياسة لابد أن تدور فى فلك الدين ، وإذا تخلى الخلفاء فى كثير من الظروف عن الالتزام بما يفرضه الدين من أحكام ، فهم فى ذلك يعلمون أنهم مخطئون غير مصيبين ، كما أنهم يجدون من علماء الإسلام من يقف فى وجوههم ؛ ليعلن حكم الدين فيما يراه من مخالفة الدولة لأحكام الله ، وقد دام الأمر كذلك حتى جاءت سنة ١٩٢٤ فقضت على الخلافة ببأس قاهر وحكم باطش ارتاع العالم الإسلامى أشد الارتياع ، وقامت العواصف المستنكرة فى شتى ربوع هذا العالم الممتد ، وهو ما عبر عنه أمير الشعراء أحمد شوقى حين قال[2] :

---

(١) مستقبل الثقافة فى مصر ص ٢٠ .

(٢) الشوقيات الجزء الأول ص ١٠٨ .

ضجت عليك مآذن ومنابر
وبكت عليك ممالك ونواح
الهند والهة ومصر حزينة
تبكي عليك بمدمع سحاح
والشام تسأل والعراق وفارس
أمحا من الأرض الخلافة ماح
يا للرجال لحرة موءودة
قتلت بغير جريرة وجناح
حسب أتى طول الليالى دونه
قد ضاع بين عشية وصباح
أدوا إلى الغازى النصيحة ينتصح
إن الجواد يثوب بعد جماح
إن الغرور سقى الرئيس براحه
كيف احتيالك فى صريع الراح ؟
تركته كالشبح المؤله أمة
لم تسل بعدُ عبادة الأشباح
هم أطلقوا يده كقيصر فيهم
حتى تناول كل غير مباح
غرته طاعات الجموع ودولة
وجد السواد لها هوى المرتاح
وإذا أخذت المجد عن أمية
لم تعط غير سرابه اللماح

أقول إذا كان المسلمون قد ظلوا مدى ثلاثة عشر قرنا يؤمنون بالخلافة ، ويحترمون خليفة المسلمين ، فما مدى صحة قول الدكتور طه حسين : إن المسلمين قد فطنوا منذ عهد بعيد إلى أن السياسة شيء والدين شيء آخر ، ثم ما مظاهر هذه الفطنة ؟ فى كتب التشريع التى تحدثت عن الحاكم وبيعته والتزامه بحقوق الله ، وكونه منفذا لا مشرعا ، والتى جعلت الطاعة لأولى الأمر ممن يفهمون الدين على وجهه الصحيح من العلماء والفقهاء والعدول ، أم فى كتب التفسير والحديث وهى التى تكفلت بشروحها الضافية إيضاح الحقوق والواجبات ، ودعت إلى الأمر بالمعروف ونهت عن المنكر ؟ أم فى كتب التاريخ وهى سجل صادق لمواقف من أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر فى وجوه من حادوا عن الطريق حتى اكتملت لدينا سلسلة ذهبية من أئمة علماء الإسلام الذين صدعوا بالحق فى وجوه من خالفوه ومن هؤلاء سعيد بن المسيب ، وسعيد بن جبير ، ويحيى بن يعمر ، والأوزاعى ، ومالك ، وأبى حنيفة ، والشافعى ، وابن حنبل ، وابن السكيت ، والعز ابن عبد السلام ، وابن تيمية ، ومحيى الدين النووى ، والمنذر بن سعيد ، وبكار القاضى وابن دقيق العيد وعشرات من هؤلاء الكبار الكرام ، كلهم على مد العصور يطالب بتنفيذ سياسة الإسلام ؛ فلا يجد المنكر له مكانا بل يتضاءل وينكمش ، رغم ما يظن أصحابه من سلطان ؛ لأنهم يعلمون فى أعماقهم أن الذين يتحدثون من العلماء إنما يصدرون عن سياسة الإسلام ، ولا مجال بعدها لتزيد أو افتراء ! مرة ثانية أسأل الدكتور : متى فطن المسلمون إلى أن السياسة شيء والدين شيء آخر ؟ وما تحديد الزمن البعيد الذى ذكره مجهولا دون أرقام !

ولماذا نتكلم عن الماضى قريبا كان أو بعيدا ، لننظر إلى حاضرنا اليوم أفلا يرى الباحث المنصف أن المطالبين بأحكام الشريعة الإسلامية كثرة كاثرة ، أو لا يرى الأحزاب السياسية تنادى بأنها تسعى إلى تطبيق أحكام الشريعة ، تنادى بذلك جهراً ، ولايهمنا إن كان فى هؤلاء من يركب

الموجة الصاعدة دون اقتناع ومن يقول من عقيدة وإيمان ؟! أما ترداد الكلام حول انسلاخ أوربا عن هيمنة الكنيسة ، فلغوٌ لا يستمع إليه من يعرف أن الكنيسة ليس معها كتاب تشريعى ، وأن القرآن شيء والإنجيل شيء آخر ، ونترك الإسهاب فى مسألة السياسة والدين لنسأل الدكتور : أهذه مسألة سياسية أم مسألة تربوية ثقافية ؟ أنت تتحدث عن مستقبل الثقافة فلماذا تقفز إلى جزئيات هامشية لا تتصل بموضوعك اتصالا عضويا لا تحيد عنه ، ثم لماذا تبدى وتعيد مكررا ملحا ؟ أهو حب المفاجأة والدوى ؟ وإذا كان ذلك كذلك فإن تكرار المفاجأة على هذا الوجه الملح يفقدها ما يراد لها من الصليل .

## علوم الأزهر

ما كتبه الدكتور طه حسين عن المعاهد الأزهرية فى مستقبل الثقافة منذ أكثر من نصف قرن ، لا يجد الآن ما يستأهل الرد عليه ، لأنه إذا كان يشكو من اختلاف المناهج بين المدارس الخاضعة لوزارة المعارف ، والمعاهد الأزهرية فى القسمين الابتدائى والثانوى ، فإن التطوير الأزهرى للتعليم قد جعل المواد متقاربة لاتوحى بانفصام متوهم ، كما أن القائمين على التدريس بالمعاهد ، لايختلفون عن زملائهم المدرسين بالمدارس ، إذ تأخذ المدارس حاجاتها من خريجى الكليات الأزهرية ، كما تستمد المعاهد مدرسيها من هؤلاء ، وإذن فقد ارتفعت الفواصل التى حاول بعض الكتاب من قبل الدكتور طه حسين أن يعتبروها سدودا منيعة يجب أن تستأصل ، وتلقف الدكتور الفكرة من صاحبها الأستاذ القبانى ليمد فيها مكررا مسهبا قدر مايستطيع ، غير راحم أعصاب قارئه التى تمل الحديث المكرر ، أما الذى يستدعى التعقيب الجاد فهو ما ذكره الدكتور طه حسين عقب حديثه عن المعاهد الأزهرية حيث قال[1] :

« شيء آخر لابد من التفكير فيه ، والطب له ، وهو أن هذا التفكير الأزهرى القديم قد يجعل من العسير على الجيل الأزهرى الحاضر إساغة الوطنية والقومية بمعناها الأوربى الحديث ، وقد سمعت منذ عهد بعيد صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر يتحدث إلى المسلمين عن طريق الراديو فى موسم من المواسم الدينية ، فيعلن إليهم أن محور القومية يجب أن يكون القبلة المطهرة ، وهذا صحيح حين يتحدث شيخ من شيوخ المسلمين إلى المسلمين ، ولكن الشباب الأزهرين يجب أن يتعلموا فى طفولتهم وشبابهم أن هناك محوارا آخر للقومية لا يناقض المحور الذى ذكره الشيخ الأكبر ، وهو محور الوطنية التى تحصرها الحدود الجغرافية لأرض الوطن ، ولست أرى بأسا على الشيخ الأكبر ، ولا على زملائه أن يتصوروا القومية الإسلامية كما تصورها المسلمون منذ أقدم العصور إلى هذه الأيام ، ولكن هناك صورة للقومية والوطنية قد نشأت فى هذا العصر الحديث ، فلابد من أن تدخل هذه الصورة الجديدة فى الأزهر ، وهى إنما تدخل فيه من طريق التعليم الأولى والثانوى على النحو الذى رسمناه » .

(١) مستقبل الثقافة فى مصر ص ٧٤ .

هذا ما قاله الدكتور طه بشأن حديث الأستاذ الأكبر محمد مصطفى المراغى شيخ الأزهر حينئذ ، وموضع ملاحظة الدكتور أن الشيخ الأكبر قد أغفل حديث الوطنية التى تحصرها الحدود الجغرافية للوطن فى حديث لا يتوجه به الشيـــخ الأكبر إلى المصريين فحسب بل إلى المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ! ولا أدرى كيف يكرر الدكتور فى كتابه عشرات المرات أن تتجه مصر إلى أوربا فى حضارتها وعلمها ، بل تتجه إليها فى الاقتباس من حلوها ومرها وخيرها وشرها ـ هكذا قال الدكتور ـ ثم لا يكون ذلك إغفالا لحديث الوطنية التى تحصرها حدود مصر الجغرافية ! فإذا قال شيخ المسلمين إننا نتجه إلى القبلة المطهرة ، كان فى قوله هذا خوف على أبناء الأزهر من طلاب المعاهد الابتدائية والثانوية أن يخلوا بواجبهم نحو الوطن ، مع أنهم يتجهون إلى القبلة خمس مرات فى اليوم واحد ، دون أن يستشعر أحد حذرا فى هذا الاتجاه المتكرر ، بل هو بالتأكيد مصدر نعمة سابقة ، ورعاية من الله يختص بها من أخلص من عباده ، ولم يزد الشيخ الأكبر عن مباركة هذا الاتجاه ! وسيظل المصريون حراصاً عليه حتى يقوم الناس لرب العالمين ، دون أن يخلوا قليلا أو كثيرا فى آداء حقوقهم الوطنية ، وواجباتهم التى تفرضها عليهم محبة مصر وترابها العزيز ، إذ لاتنافى بين الاتجاه إلى قبلة المسلمين ، وتأدية الواجبات الوطنية إلا لدى من يتخيلون ثم يحكمون .

قلت : ان الدكتور طالب أن نأخذ عن الحضارة الأوربية خيرها وشرها ، وحلوها ومرها ، وأنا أنقل نص عبارته التى تؤكد ذلك حين قال[1] :

«لكن السبيل إلى ذلك ـ أى إلى النظام الذى يجب نقده فى حياتنا الداخلية والخارجية ـ هى واحدة فذة ، ليس لها تعدد ، وهى أن نسير سيرة الأوربيين ، ونسلك طريقهم لنكون لهم أندادا ، ولنكون لهم شركاء فى الحضارة ، خيرها وشرها ، حلوها ومرها ، وما يحب منها وما يكره ، وما يحمد منها وما يعاب» .

والدكتور يعلم تمام العلم أنه سيفاجىء القارىء حين يجده داعياً إلى أن نكون شركاء مع الأوروبيين فى الشر لا فى الخير وحده وفيما يعاب لا فيما يحمد وحده وفى المر لا فى الحلو وحده ، يعلم ذلك لأنه يريد الضجيج المنبعث من هذا الاتجاه ، يريده عاليا مدويا ، على أن يقوله هو وحده ، فإذا قاله غيره كان موضع الاعتراض ، لقد تأكدت من ذلك حين قرأت نقدا للدكتور طه حسين لكتاب (سندباد عصرى) الذى ألفه الدكتور حسين فوزى وظهر مع كتاب مستقبل الثقافة فى مصر فى شهر واحد من سنة واحدة ، وقد تواردت الخواطر بين الكاتبين ، حين أكد الدكتور حسين فوزى أنه يتمسك بكل ما فى أوربا من خير وشر وهو ما أكده الدكتور طه وكرره فى مستقبل الثقافة ، ولكن طه لا يعجبه أن ينادى حسين فوزى بما نادى به ، فيقول عن كتابه هذا من فصل طويل نشره بمجلة الثقافة[2] .

---

(١) مستقبل الثقافة فى مصر ص ٤١ .

(٢) مجلة الثقافة العدد التاسع ١٩٣٩/٢/٢٨ .

«وما أكثر الآراء التى لا أشارك فيها الكاتب ! ولكن اختلاف الرأى ليس عيبا يعيب الكاتب ولا الناقد ، فلست أرى معه أن كل ما فى الغرب جميل ، وما أظن تطوافى فى الشرق إن أتيح لى أن أطوف فيه يردنى إلى الإعجاب بالغرب فى غير احتياط ، فقد يكون الغرب خيرا من الشرق وخيراً من الهند ـ خاصة ـ فى أشياء كثيرة ، ولكن الغرب ليس خيراً كله ، ولم يخلق الله بعدُ حضارة هى خير كلها» .

وإذن فنحن بين رأيين : إما أن نقول : إن الدكتور متردد لايجزم بشىء ، رغم إلحاحه المتكرر فى عبارات التأكيد ، وإما أن نقول : إنه يجب ان ينفرد وحده بمصادقة القراء حين يسمعهم ما يكرهون ، لا لأنه حق ، بل لأنه باطل يرتدى ثوب الحق .



## تصحيح

رجاء تصحيح العبارة الواردة ص ١٠٧٧ فى السطر الرابع وما بعده من عدد رجب ١٤١٤ هـ لتصبح على صحتها الواردة للمؤلفة ؛ وهاهى :

«وربما تطرفت بعض الراهبات فى اللهو كتلك الراهبة التى قضت ليلة الاثنين بصحبة رهبان «أوستن» فى «نورثمبتن» ورقصت معهم ، وضربت على (الطنبور) وقضت الليلة التالية بصحبة الرهبان الوعاظ فى «نورثمبتن» ضاربة على (الطنبور) مغنية راقصة ، كما فعلت فى الليلة السابقة .




الموقف الثالث : موقف الاصطفاء ...

ينظر هذا الموقف الى تراثنا على أنه : إنتاج بشرى لم تكتب له العصمة من الخطأ ، لذا فإن أصحابه يأخذون منه ويردون ، ويسعون للتوفيق بين قيم التراث والحضارات المعاصرة ، ويرون أن الموقف لا ينبغى أن يصور على أنه : إما أصالة أو معاصرة لا يمكن الجمع بينهما . فالحق ألا معاصرة دون أصالة ولا أصالة دون معاصرة .

نعود إلى التراث لا بهدف إعادة الماضى فالماضى لا يعود ، ولا للوقوف على أمجاده والاستغراق فى نشوة الفخر والاعتزاز ، وإنما لاستلهام ما يمكن أن يكون فيه من قيم ومثل ومبادىء تساعد على أن ننطلق بأمتنا من حيث انتهت إليه فى ذلك الماضى ، هو أشبه بموقف الابن البار مما يخلفه له أبوه ، يختار الصالح فينتفع به ويضرب صفحا عن غيره . ولهذا يدعو هؤلاء إلى إحياء التراث ـــ لا كله ـــ وإنما ما يتميز منه بالقيمة والعمق ونتوسم فيه النفع والفائدة ؛ ففى التراث من الخرافات والمبالغات ، ما لا يساوى الورق الذى كتب عليه ، ومن ثم تظهر أهمية التنقيح والاختيار ، « واختيار المرء قطعة من عقله » .

نأخذ منه ما له قيمة فنضيفه إلى الحاضر ، والقيمة تتولد من التفاعل بين الذات المدركة والشىء المدرك . فقيمة التراث فى التفاعل معه ، ولا يتم هذا التفاعل إلا إذا أمكن ربط التراث بالمعاصرة ، ولا يتم هذا الربط إلا بالانتقاء والإضافة والحذف ، وبهذا يصبح التراث كله كما يقول الدكتور زكى نجيب محمود : « هو ما تصنعه أنت ، لأن التراث مثل الصيدلية الحافلة بأنواع

( ١ ) « نظرة جديدة فى التراث » ٩ ، ١٠ محمد عمارة .

الأدوية ، وما عليك إلا أن تأخذ صنف الدواء الذى يناسبك ويناسب عائلتك »[٢] .

نخلص من كل ما سبق إلى : أن عبقرية تراثنا تتضمن بُعداً حضارياً لاينبغى الاستهانة به ولا الإهمال له ، وخاصة بعد أن تردت أحوال المسلمين وأمورهم فى جميع النواحـــى إلى ما يستوجب الاشفاق ويستدعى الرثاء ، ولكن هذا البعد الحضارى منثور فى كل تراثنا غير مجتمع فى مكان بعينه ، أو فن بعينه ، أو كتب بعينها ، فهو يتخلل التراث كله ؛ قد تجده متمثلا فى مخطوط وسط مئات المخطوطات ، وقد تجده متمثلا فى موضوع وسط آلاف الموضوعات ، أو متمثلا فى فكرة أو فقرة ، أو ما شابه ذلك مما يمثل صعوبة وصعوبة بالغة فى الوصول إليه والحصول عليه .

والتساؤل الآن ليس عن قيمة عبقرية التراث أو بعده الحضارى ، وإنما يمكن أن يصاغ على النحو التالى : هل تستحق تلك العبقرية التى يتضمنها التراث – والبعد الحضارى الذى يشتمل عليه – ذلك الجهد الذى يبذل فى جمعه وتحقيقه ، وقد عرفنا أن ذلك متناثراً فيه متباعداً متداخلا .

ويرى البعض : أن الغرب الآن يمثل بالنسبة لنا اليونان قديماً ، فكما أخذ أجدادنا فلسفتهم وجل علومهم عن طريق الترجمة من اليونان ومن غيرهم وكما أن هذه الترجمة كانت هى المفتاح أو الباب أو الطريق الذى دلف منه المسلمون ، وانطلقوا من خلاله إلى الابداع والابتكار ، وانتجوا لنا كل هذا التراث الذى نتغنى به ونتغزل فيه الآن ؛ فإن أوروبا وأمريكا الآن لنا هى بمثابة اليونان وفارس والهند لأسلافنا ، فلنضرب فى ربوع حضارتها وقد سبقتنا بما لا حصر له من الأجيال والأميال كما ضرب أسلافنا من قبل ولنكتف من تراثنا بما يقيم أود لغتنا ويحفظ معالم شريعتنا .

ويمكن رد مقولة : الاعتماد على حضارة الغرب كلية ، بأن الغرب غير سعيد بحضارته لأنها اهتمت بالمادة وأهملت الجانب الروحى أو الدينى السامى فى حياة الإنسان ؛ بينما البعد الحضارى الذى يقدم لنا التراث الإسلامى بُعْدٌ تُتناسق فيه المادة مع الروح وتحقق من السعادة ما عجزت حضارة الغرب عن تحقيقه .

وفى الجانب الآخر هناك من يحرصون على قيمة العبقرية التى يتضمنها تراثنا ، ويرون أن لا سبيل إلى تقدمنا وإلى تبوء مكانتنا التى كانت لنا ، إلا بالرجوع إلى التراث ، ويضيف هؤلاء : أن الدول الطارئة المحدثة ، هى وحدها التى تستهين بقيمة التراث وتزعم أنه أكفان موتى يفسد ريحها من فى العصر ، يحكمها فى هذا الموقف عقدة النقص ، إذ يعوزها ماض من التاريخ يعطيها تراثه ، أما الشعوب العريقة فهيهات أن تعى ذاتها ، دون إدراك لمقومات أصالتها ، التى حققت وجودها على مسارها الطويل ؛ بل هيهات

---

( ٢ ) « انظر : التراث وواجبنا نحوه » ص ١٥ ونشير هنا مرة أخرى الى أن الانتقاء إنما هو من غير القرآن والسنة ، وقد استبعدناهما آنفا من التراث جملة : فالقرآن والسنة لا يقبلان الانتقاء قال تعالى : « أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض » البقرة ٥٨ .

( ٣ ) « ارتباط الأديب بالتراث » ص ٩ بنت الشاطىء .

أن يصح وجودها المعاصر ، ما لم يقم على أساس من خصائصها الذاتية والمادية والمعنوية التي تميز شخصيتها ، وتعطيها طابع الأصالة وسمات العراقة[3] .

من هنا تظهر أهمية عملية استخراج الثمين من غيره في التراث ؛ فهي بالقطع عملية شاقة تحتاج إلى جهد كبير ، وما يقال عن تمحيص تراثنا ينبغي مراعاته عند الترجمة والنقل من الغرب أيضا ، ففي حضارة الغرب ما هو غث وما هو مضر وما هو سم قاتل باعتراف أصحابه وذويه .

وإذا كنا بالنسبة للتراث نستطيع أن نميز الخبيث من الطيب ، ونأخذ الطيب ونترك الخبيث ، فإنه بالنسبة لمعطيات الحضارة الغربية لا نستطيع أن نميز الخبيث فيها من الطيب ، وإن استطعنا فلا نستطيع بحال أن نجتنب الخبيث ونأخذ الطيب لتشابكهما تشابكا يصعب فصله ؛ فالآلة التي نستقدمها تستقدم معها خبراءها ومهندسيها الذين يحملون الخبيث والطيب من حضارة الغرب وأخلاقياته .

إننا لا نطعن في حضارة الغرب ولا نرفضها ولكن فقط نريد أن نوضح أنه : لا يمكن في نقل الحضارة الغربية ، التأثر فيها بجانب دون جانب ، بل ربما تأثرنا بسلبياتها أكثر مما نتأثر بإيجابياتها .

أرأيت كيف أن الإجابة عن تساؤلنا جد صعبة ومعقدة ، والقضية لها أكثر من جانب وأكثر من زاوية ، ولا نشك في إخلاص كلا الفريقين : من ينادي بالعودة إلى التراث ومن ينادي بهجره والأخذ من الغرب ، كلاهما .. مخلص ؛ غير أن كلا منهما نظر إلى القضية بعين واحدة أو من جانب واحد .

وثمة تساؤل آخر — ربما يغضب البعض — وهو : هل القيمة التي في تراثنا حقيقية أم متوهمة ؟ بمعنى هل يحتوي تراثنا على قيمة حضارية حقيقية ؟ أو أن ذلك ناشيء من فرط حبنا وتقديرنا له ، وتقديسنا لكل ما ينتمي إلى السلف والماضي ؟ .

وهل عبقرية التراث نتجت عن قوة الأمة ، أم أن قوة الأمة قامت على عبقرية التراث ؟؟ .

وهل تأخر أمتنا الآن وضعفها بسبب إهمالها التراث أم بسبب انشغالها به ؟ وهل انشغال المستشرقين بتراثنا ناتج عما فيه من عبقرية وقيم حضارية ؟ أم خطة ماكرة لنقف عند حدوده ونبكي على أطلاله ؟ وخاصة أن هؤلاء يهتمون بنوع خاص من التراث[4] .

وهل الجهود التي تبذل الآن في ميدان التراث كافية أم قاصرة ؟ وهل ثمة خطة أو تناسق بين الجهود المبذولة ؟ أم أن ذلك متروك لفوضى الاجتهادات الفردية ؟ إلى غير ذلك من التساؤلات التي يثيرها البحث عن عبقرية التراث .

ولنقف عند هذا الحد ولنترك هذه التساؤلات قائمة لنجيب عليها في بحوث أخرى ، أو ليحاول غيرنا من المتخصصين والمهتمين بهذا الموضوع أن يجيب عليها .

---

( ٤ ) مثل كتب الأدب التي تحتوي على كثير من المجون ، وكتب المذاهب غير المعتمدة ، التي تحتوي على كثير من التطرف .

( ٥ ) أغلب مكتبات تونس مثل مكتبة العبدلية والأحمدية والعطارين والقيروان ، انظر أصول توثيق الارتباط بالتراث العربي ص ٧ ، ٨ هلال ناجي .

توصيات البحث

ولنكتف هنا بتقديم بعض ما ينبغى أن نلتزم به إزاء التراث إذا أردنا الوقوف على عبقريته بأقصر طريق وأقل جهد ممكن .

وأول عمل يتطلبه التراث من المهتمين به هو :

(١) فهرسته وتصويره حتى يستطيع الباحث أن يصل إلى ما يريده منه بسهولة . فكثير من مكتبات التراث لم تنشر فهارسها بعد(*) وبعض المكتبات نشرت فهارسها بغير العربية كاللغة الروسية أو الألمانية أو الأنجليزية أو التركية والفارسية ؛ مما يعجز الكثير من أبناء الأمة الاسلامية من الاستفادة منها .

(٢) وللتحقيق قواعد وأصول ينبغى أن يتقنها الباحث قبل أن يقوم على تلك العملية ، وينبغى أن يعلم أن : تحقيق نسبة النص إلى من هو منسوب إليه لا تقل أهمية عن تحقيق نص المؤلف ومتنة ، ذلك لأنه : أصاب عالم الكتب ما أصاب غيره من الوضع والتزوير والدس ، وكثير من المخطوطات قد نسبت إلى غير أصحابها ، إما جهلا ، أو خبثا ، ومن أمثلة ذلك نسبة كتاب « الأغانى » إلى أبى الفرج الاصفهانى ونسبة كتاب « المضنون به على غير أهله » إلى الغزالى ، فقد تحدث فيها العلماء وشككوا فى صحتها[6] .

(٣) والذى يساعد المحقق على معرفة ذلك أن يكون وثيق الصلة لمن ينسب إليه الأثر ، وبموضوع الأثر نفسه ، إلى جانب دقته العلمية ، وقوة ملاحظته .

(٤) وعملية التحقيق نفسها تحتاج إلى ضمير وأمانة علمية ، حتى لا يغير المحقق فى النص ، أو يضيف ، أو يحذف ، إلى جانب إلمامه بالموضوع وتمرسه على قراءة المخطوطات ؛ وأن يستقصى المحقق نسخ المخطوط فى المكتبات ، ويقوم بفحصها ودراستها .

(٥) وفى تراثنا الكثير من الرسائل والمقالات المتناثرة والصغيرة وكثير من الخطب والأجوبة التى تناولت موضوعات فى غاية الأهمية ، يعرض عنها الكثير من المحققين ، والعاملين فى مجال التحقيق استهانة بها واكتفاء باخراج المخطوطات ذات الحجم الكبير ، ظنا منهم أن الكتاب إذا كبر حجمه كثرت فائدته ؛ والحقيقة أن كثيرا من تلك الرسائل الصغيرة ، تحتوى على معارف وعلوم تكاد تخلو المكتبة الإسلامية منها .

(٦) ومن الأهمية بمكان تنسيق الجهود المبذولة فى تحقيق التراث حتى لا تضيع جهود كثيرة سدى فحركة التحقيق تعانى أشد ما تعانى من الفوضى التى ابتليت بها الأمة فى جميع أمورها ويكون التنسيق بأمرين : إعطاء أولويات للكتب التى تتوسم فيها قيمة ، وعدم تكرار التحقيق لكتاب بعينه ولا سبيل إلى ذلك إلا : بالتركيز على الروح العلمية التى يجب أن تسود بين علمائنا ومحققينا .

(٧) وأخيرا ألست ترى معى أن كل شيء فى حياتنا الثقافية وغير الثقافية قد تحول إلى مشكلة أو قضية فالتراث عندنا مشكلة ؛ والترجمة مشكلة والأصالة مشكلة ، والمعاصرة مشكلة ، إلى غير ذلك من المشكلات الفرعية التى ... تستهلك طاقات العلماء والمفكرين والباحثين ما لو وجه إلى مجالات أخرى لكان أكثر نفعا .

---

(٦) انظر « الفهرست » لابن النديم ص ٢٠٣ وانظر « الإعلام بالتوبيخ لمن ذم التاريخ » لشمس الدين السخاوى .

# مسيرة الوحدة الموضوعية

## فى العصرين : الأموى والإسلامى

د/ أحمد مصطفى حافظ

نماذج شعر الوحدة الموضوعية فى عصر صدر الإسلام وعصر بنى أمية(١) ، من الوفرة والجودة ، بحيث يستحيل علينا أن نغفلها ... وإذا كان مالا يُدْرك كله ، لا يُتْرك كله ، فإننا نقتصر فى مقالنا هذا على تقديم أروع هذه النماذج ، وأكثرها دلالة على وحدة المشاعر ، فى أجمل قالب من البيان والاتساق ، حيث تتدفق الأبيات فيها هيِّنة ليِّنة ، يربطها خط شعورى مُتَّصل متوافق ، من البداية للنهاية ، وهذه أبيات لقيس بنى عامر فى جَبَل التوباد يقول فيها :

وأجْهشْتُ للتوباد حين رأيته ... وكبَّرَ للرحمن حين رآنى

وأذْرَفْتُ دمع العين لما عرفتُه ... ونادَى بأعلى صوته ، فدعانى

فقلتُ له : قد كان حولك جيرةٌ ... وعهدى بذاك الصَّرْم منذ زمان

فقال : مَضَوْا واسْتَوْدعونى بلَادهم ... ومن ذا الذى يَبْقَى على الحدثان

* * *

وقد أوْحتْ ( نجد ) لبعض شعرائها بقصائد تستكمل عناصر الوحدة الموضوعية بأجْلَى معانيها وأدق خصائصها ، فقال الصِّمَّةُ بن عبدالله القُشَيْرى ـ يصف رُباها ورَيَّا عطرها ، بوجْدٍ مُذيب

أقول لصاحبى والعيس تهوى ... بنا بين المُنيفة فالضمار(٢)

تمتع من شميم عَرار نجد ... فما بعد العَشِيَّة من عرار(٣)

ألا يا حبَّذا نفحاتُ نجدٍ ... ورَيَّا روْضِهِ بعد القطار(٤)

وأهلك إذ يحل الحىُّ نجدًا ... وأنت على زمانك غير زارى

شهور ينقضين ، وما شعرنا ... بأنصاف لهُنَّ ولا سرار(٥)

---

(١) عصر صدر الإسلام هو ثانى عصور الأدب العربى ، بعد العصر الجاهلى ، ويبدأ منذ بعثة النبى ﷺ ، وينتهى بانقضاء خلافة الراشدين سنة ٤١ هـ ، حيث يبدأ عصر بنى أمية ، الذى ينتهى بدوره بعد موقعة الزاب عام ١٣٢ هـ ، حيث طوى التاريخ صفحة الدولة الأموية . وبعض الدارسين يدمج عصر صدر الإسلام وبنى أمية فى عصر واحد .

(٢) المنيفة : ماء لبنى تميم ، والضمار : اسم موضع بنجد .

(٣) وفى بعض الروايات « تزود » ، والعرار : وردة ناعمة صفراء ، طيبة الرائحة .

(٤) القطار : جمع قطر ، وهو : المطر .

(٥) سرار الشهر : آخره .

وقول عبد الله بن الدمينة ، الشاعر الإسلامى :

ألا يا صَبَا نجدٍ ، متى هِجْتَ من نجْدِ ... لقد زادنى مَسْراك وجْدًا على وجْدِ
أئنْ هتفتْ ورقاءُ فى رونق الضحى ... على فنن غَضِّ النبات من الرَّنْـد ـ :
.. بكيْتَ ، كما يبكى الوليدُ ، ولم تكن ... جَليدًا ، وأبْديتَ الذى لم تكن تُبْدى
وقــد زعمــوا أن المحبَّ إذَا دنــا ... يمَلُّ ، وأنَّ النَّأْىَ يشْفِى من الوجد

بِكـل تداوَيْنا ، فلم يَشْفِ ما بنــا ... على ذَاك قُرْبُ الدار .. خيرٌ من البُعْد
على أنَّ قُرْبَ الـدارِ ليس بنافــع ... إذا كان مَن تهواه ، ليس بذى وِدّ

ويقول أيضا بتناغم يثير الأسى والشجن :

حَنَنْتَ إلى رَيَّـا ، ونفسُك بَاعَدَتْ ... مزَارَك من رَيَّـا ، وشَعْباكُما معا[٦]
فما حَسَنٌ أن تأتِىَ الأمـرَ طائعـا ... وتجزع أنْ داعى الصبابة أسْمَعَـا
قِفَا ودِّعَا نجدا ، ومَنْ حَلَّ بالحمى ... وقَـلَّ لنجـدٍ عندنـا أنْ يُودَّعـا
بِنفسِىَ تلك الأرضُ ، ما أطْيبَ الرُّبا ... وما أحْسن المصطـافَ والمتربعـا[٧]
وليستْ عَشِيَّاتُ الحِمَى برواجـع ... عليك ، ولكنْ .. خَلِّ عينيْك تدمعا
.. ولما رأيتُ البِشر أعْرضَ دونـا ... وحالت بناتُ الشوق ، يَحْنُنَّ نُزَّعا[٨]
بَكَتْ عيْنى اليُسْرى ، فلما زَجَرْتُها ... عن الجهل بعد الحِلْم .. أسْبَلَتا معا
تلفَّتُّ نحو الحىِّ ، حتـى وَجَدْتُنـى ... وَجَعْتُ مِن الإصغاء : ليْتًا وأخْدعا
واذكـر أيـامَ الحمـى ، ثم أنْثَنِـى ... على كبِدى .. من خشْية أن تصدَّعا

* * *

وللحُطيئة نَصٌّ شعرى قصصى ، مكتمل العناصر والحبكة[٩] اللازمة لفن القصة ، وهى تَدْحض الزعم بأن فن القصة يُعدُّ فنًّا غريبا على الأدب العربى القديم ، رغم سبْق العرب لمعالجة هذا الفن ، منذ ( امرئ القيس ) فى قصته يوم ( دارة جلجل ) ، وفى أخبار وأيام وأساطير العرب الممتزجة بتراثهم ، هذا التراث الذى سبق الغرب بقرون .. وقد أثْبتَت الدراساتُ المقارنة أنَّ هناك تأثُراً وتأثيراً بين الأدبين : العربى والأوربى ، منذ أتيح للغرب الاطلاع ـ فى القرون الوسطى ـ على ( كليلة ودمنة ) التى ضاع أصلها الأجنبى ، وحفظتْها من الضياع ترجمةُ ابن المقفع لها ، وديوان ( الصادح

---

(٦) الشعب : الحى (٧) المتربع : المكان الذى يحفل بأزهار الربيع .

(٨) البِشر : جبل بالجزيرة العربية . وبنات الشوق : نوازع الحنين .

(٩) الحبكة : هى إحكام صناعة الشىء . حبك الثوب : أجاد نسجه ، وحبك الحبل : شدَّ فتْله .

وأنظر كتاب ( الحبكة ) تأليف اليزابث دِيل وترجمة الدكتور عبد الواحد لؤلؤة ص ١١٠ ط سنة ١٩٧٧ ( بغداد / حى الجامعة ) .

والباغم ) لابن الهبارية ، الذى يُجْرِى فيه شعراً قصصيا على لسان الحيوان ، و ( ألف ليلة وليلة )[10] وسيف بن ذى يزن وذات الهمة و ( حمزة البهلوان ) و ( الظاهر بيبرس ) و ( وتغريبات بنى هلال ) إلخ ... هذا بالإضافة إلى ما اشتملت عليه ( مقامات بديع الزمان ) و ( الحريرى ) من قصص قصيرة وطُرف أدبية ، ذات شخوص وأبطال وأحداث ..

* * *

والقصة التى يرويها لنا الحطيئة ، فى قصيدته ـ التى تظهر كرم الضيافة عند العرب ـ جاءت متلاحمة الأجزاء : بمقدمة ، ثم ( عقدة ) أو حبكة ، ثم نهاية .. بترتيب منطقى ؛ فتحقق بذلك ما يذهب إليه ( الحاتمى ) ، من أن : ( القصيدة مثلها خلق الإنسان ، فى اتصال بعض أعضائه ببعض ، فمتى انفصل واحدٌ عن الآخر ، وبايَنه فى صحة التركيب ، غادر الجسم عاهة تتخون محاسنه ، وتُعفِّى معالم جَماله )[11]

ونص القصيدة :

وطاوِى ثلاثٍ ، عاصبِ البطْنِ مُرْمِــلٍ ... بِبَيْداء لم يعـرفْ بها ساكــنٌ رَسْمـا[12]
أخِى جَفْوةٍ .. فيه من ( الإنْس ) وحْشةٌ ... يرى البُؤْسَ فيهـا ـ من شراسته ـ نُعمى
وأُفْردَ فى شِعْبٍ : عجــوزا ، إزاءهــا ... ثلاثــةُ أشبــاح تَخالُهُمُــو بهمــا[13]
حُفاةً عُراةً .. ما اغتــذوا خُبــزَ مَلَّــةٍ ... ولا عرفوا للبُرِّ ـ مذْ خُلِقُوا ـ طعما[14]

* * *

رأى شبحــا وَسْط الظــلام ، فراعَــه ... فلمّا رأى ضيفا .. تشمَّرَ واهتمَّا[15]
فقال : هَيا رَبَّــاهُ ، ضَيْــفٌ ولا قِرَى ... بحقِّك لا تحرمْه تا الليلــة اللَّحمــا[16]
فقــال ابْنُــه ـ لمَّــا رآه بحَيْــرةٍ : ... ـ أيا أبَتِ اذْبَحْنى .. ويَسِّرْ له طعْما ![17]
ولا تعتذِرْ بالعُــدْم .. عَلَّ الــذى طَرا ... يظنُّ لنــا مالاً .. فيُوسعنــا ذَمَّــا ![18]

---

(١٠) وقد تمنى ( ستندال ) القصصى الفرنسى الكبير أن ينسى ذِكراها ـ أى ألف ليلة وليلة ـ التى علقت بذهنه ـ حتى يعود إليها ، فيستعيد مُتعة مطالعتها مرة أخرى .. كما تمنى القصصى الإنجليزى الكبير ( سُومَرسِتْ موم ) أن يتعلم العربية ، حتى يقرؤها فى أصلها العربى .. ، أنظر هامش كتاب : ( فى عالم القصة ) للدكتور على شلش ص ١٩٥ ط الشعب سنة ١٩٧٨ .

(١١) أنظر العمدة لابن رشيق جـ ٢ ص ٩٤ .

(١٢) الطاوى : الجائع وثلاث : أى ثلاث ليالٍ .
عاصب البطن : أى ربط بطنه من شدة الجوع . مُرْمل : فقير جداً .
رسْما : أثر للعمران ، فى صحراء جرداء مقفرة .

(١٣) شعب : طريق فى الجبل . بَهْما : صغار البقر والضأن .

(١٤) الملة : تُراب الفرن وحصاه وما يُخبز عليه ـ البُرُّ : القمح .

(١٥) راعه : أخافه . تشمر : استعد .

(١٦) القِرى : إطعام الضيف . تا الليلة : هذه الليلة .

(١٧ طعما : طعاماً . (١٨) العُدْم : الفقر . طرا : طرأ علينا ونزل بضيافتنا .

فبَيْنا هُمَـا .. عَنَّتْ على البُعْـد عانـةُ قد انْتظمتْ من خلف مِسْحلها[١٩] نظما
عِطـاشا تُريـد الماءَ ، فانْساب نحوهـا على أنَّـهُ منها ـ إلى دَمِهـا ـ أظْمـا !
فأمْهلَهَـا .. حتـى تروَّتْ عِطَاشُهـا فأرْسَلَ فيها من كِنَانتـهِ سهمـا
فخرَّتْ نَحُوصٌ ، ذاتُ جَحْشٍ سَمينـة قد أكتنزتْ لحما ، وقد طُبِّقتْ شحْما[٢٠]

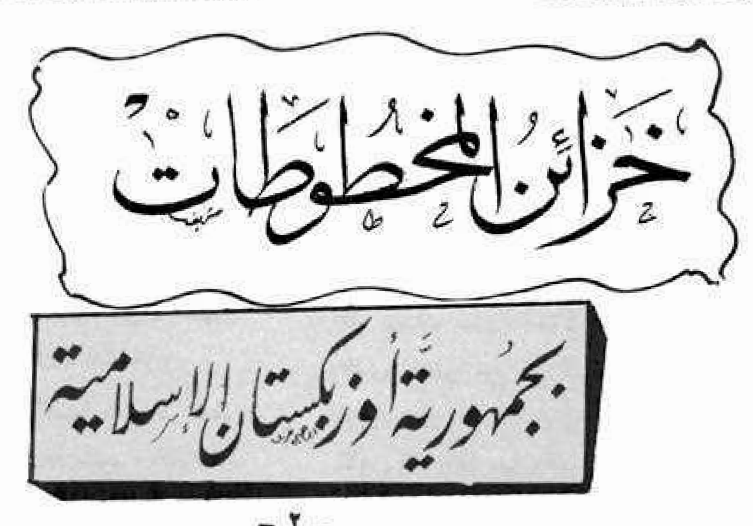
* * *

فيـا بِشرَهُ إذْ جَرَّهـا نحو قومـه ويا بِشرهم لمَا رَأوْا كَلْمها يَدْمَى[٢١]
.. وباتوا كِرامًا قد قَضَوْا حَقَّ ضيفهم ومَا غَرَمُوا غُرْما .. وقد غنمـوا غنما
وبـات أبوهـم ـ من بشاشتـه .. أبـا لضيفهمُ .. والأمُّ ـ من بِشْرها .. أمَّا

ولعل الحُطَيْئة قد نظر فى نظمه لهذه القصيدة الخيالية ( بلاشك ! ) إلى قصة سيدنا إبراهيم وابنه سيدنا اسماعيل عليهما السلام ، حينما رأى إبراهيم فى المنام أنه يذبحه ، وفداه الله ـ تعالى ـ بذبح عظيم .. فما عُرف عن الحُطَيْئة من الجشع والهجاء وسقوط الهمة ، يجعلنا نشك فى كرمه ، وإن كنا نَسْتَمْلِحُها ونعجب بخياله الرائع فيها أشد الإعجاب .

( الحديث موصول )

(١٩) عنت : ظهرت . عانة : قطيع من حمر الوحش . مسحلها : أحد حمر الوحش الذى يتولى قيادتها .
(٢٠) نحوص : سمينة . ذات جحش : معها ولدها .
(٢١) كلمها : جرحها يَدْمَى : يسيل دمه .




- ٢ -

د. عبدالله نجيب محمد

المخطوطات الأدبية : تضم الخزانة الموجودة فى معهد الاستشراق المسمى باسم ابى الريحان البيرونى ، والتابع لأكاديمية العلوم بجمهورية أوزبكستان مجموعة هائلة من المخطوطات الأدبية الكلاسيكية فى الآداب الشرقية خاصة للأديب الكبير « على شيرنوائى » وأبى على بن سينا والعلامة الزمخشرى ومحمود كاشغرى ويوسف خاص حاجب بلاساغونى وربغوزى والرودكى والفردوسى ، ونظامى الكنجوى وأمير خسرو الدهلوى وعبدالرحمن الجامى وسعدى الشيرازى وفريد الدين العطار وجلال الدين الرومى وحافظ الشيرازى وعمر الخيام وفضولى وميرزا عبدالقادر بيدل وغيرهم .

ومن أهم هذه المخطوطات الموجودة بالخزانة بعض قصائد شعرية للعالم والفيلسوف والطبيب المشهور أبى على بن سينا ، كما توجد نسخة من « سلامان وابسال » وهى النسخة الوحيدة فى العالم ، وهى ضمن مجموعة « رسائل الحكماء » التى تضم حوالى مائة رسالة مختلفة فى الأدب والعلوم لعدد من علماء الشرق العظام ، وتعتبر مخطوطة « قوتادغو بيليك » ( المعرفة التى تجلب السعادة ) المكتوبة فى القرن الحادى عشر للعالم والأديب المشهور « يوسف خاص حاجب » ـ الذى عاش فى بلاساغون ( توكماك ) وكان من أشهر المؤرخين وعلماء الفلك والطبيعة والرياضة ـ تعتبر إحدى أقدم ثلاث مخطوطات فى العالم كله ، وقد أعيد كتابتها فى القرن الرابع عشر[1] .

ومن هذه المخطوطات ـ أيضا ـ مخطوطة « خمسة نظامى » لنظامى الكنجوى الآذربيجانى ، التى كان قد أعاد كتابتها الشاعر الغنائى العظيم « حافظ الشيرازى » وهى مزودة برسوم مصغرة تعتبر آية فى الفن ، ومخطوطة « خمسة » لنوائى أعاد كتابتها بخط رائع فى حياة مؤلفها الخطاط المشهور « عبدالجميل كاتب » وله

ديوان ـ أيضا ـ أعيدت كتابته عدة مرات على يد مهرة الخطاطين ومنهم « سلطان على مشهدى » و « درويش محمد طاق » .

ومن شعراء آذربيجان المشهورين الشاعر « محمد بن سليمان فضولى » الذى عاش فى منتصف القرن السادس عشر ، وله ديوان مشهور تحفظ منه عدة مخطوطات فى « طشقند » .

ومن مقتنيات الخزانة الثمينة التى لا تقدر بثمن ، تلك الكتب المعروفة باسم « كليات » ( أى المؤلفات الكاملة ) وديوان « هفت أورنك ( سبع نجمات للدب الأكبر ) ومؤلفات للشاعر الطاجيكى العظيم « عبدالرحمن الجامى » وبعضها بخط الجامى نفسه ، وديوان « أحمد شاه دورانى » الذى كتبه بلغة « بوشتو » ( لغة أفغانستان ) وهذا الشاعر كان من أشهر شعراء عصره (٧٤٧ هـ ـ ١٧٧٣ م ) كما كان زعيم عشيرة دورانى ، وله منزلة كبيرة بينهم ، وقد جمعت أشعاره فى الغزل وخماسياته ورباعياته فى النسخة الطشقندية ، وفى مطلع كل قصيدة غزلية ورباعية رسوم رائعة بالذهب المسبوك ، وقد أعاد كتابة الديوان أحد أقارب أحمد شاه دورانى وهو محمد حامد دورانى وأهداه إلى الشاه فى سنة ١١٦٣ هـ ـ ١٧٥٠ م . وديوان الشاعر الهندى شاه نياز أحمد بن شاه رحمت الله سرهندى ، الذى عاش فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر ، وبداية القرن التاسع عشر ، وشعره مكتوب بالفارسية والأوردية باسم مستعار له هو « نيازى » .

ومن المؤلفات الاوزبكية « قصة ربغورى » لنصر الدين ربغورى ، ومؤلفات « سكاكى » وديوانه وقد عاصر هذا الشاعر ، عالم الفلك الأوزبكى العظيم « الغ بيك » ومخطوطة الديوان لها نظير مطابق لها فى المتحف البريطانى .

ومنها ـ أيضا ـ مؤلفات حمزة حكيم زاده نيازى وله ديوان ومسرحيات بالأوزبكية وبعض الكتب المدرسية التى لازالت بالخزانة ، كذلك كان عبدالله خان ، حاكم إقليم ماوراء النهر ، والذى ينحدر من بنى شيبان ، أحد الشعراء الموهوبين فى القرن السادس عشر ، وكتب شعره بالأوزبكية والفارسية والعربية تحت اسم مستعار هو « عبيدى » وتوجد بالخزانة المخطوطة الوحيدة لمؤلفاته كاملة ، وتضم دواوينه ومؤلفاته الأخرى ، ومكتوبة بعدد من اللغات الشرقية ، وأعيدت كتابتها على يد الخطاط الذائع الصيت « مير حسن الحسينى مير كلكتى » .

وتوجد بالخزانة ـ أيضا ـ قصيدة « دربيك » ( يوسف وزليخا ) كان قد أعاد كتابتها سنة ١٠٢٤ هـ ـ ١٦٠٥ م محمد سعيد بن ميرزا محمد بخارى ، وزينها برسوم مصغرة جميلة ، وصفحات واجهة فنية رائعة .

**المخطوطات الفلسفة**

يحفظ فى خزانة المعهد كثير من المؤلفات الفلسفية ، وكتب الرياضيات ، وتاريخ العلوم ، والفيزياء والكيمياء ، وعلم الفلك ، وعلم الطب ، وعلم المعادن ، وعلم العقاقير وغير ذلك ، ويكفى أن نذكر أن منها مؤلفات الفيلسوف الفذ : أبى نصر محمد الفارابى المولود فى مدينة فاراب الواقعة على شاطىء نهر « سيحون » ٢٦٠ هـ ـ ٨٧٣ م : ٣٣٨ هـ ـ ٩٥٠ م وله مؤلفات عديدة فى علم الطبيعة ، وتحفظ فى الخزانة بعض منها مثل : « عيون المسائل وفصوص

الحكم » و « فى معانى العقل » و « آراء أهل المدينة الفاضلة » .

ومنها أيضا مؤلفات ابى على بن سينا المولود فى قرية أفشان قرب بخارى وله أكثر من ٣٠٠ مؤلف فى ميادين العلم المختلفة ومنها بمكتبة المعهد مؤلفة « القانون فى الطب » وهو فى خمسة مجلدات .. ومؤلفات أبى الريحان البيرونى العالم الأوزبكى المولود فى خوارزم والذى عاش فى نهاية القرن العاشر وبداية القرن الحادى عشر ، ومن المؤلفات الموجودة بالخزانة مؤلفه « التفهيم لأوائل صناعة التنجيم » والذى أعيد كتابته فى القرن الرابع عشر ، وهو أحد أقدم النسخ فى العالم ، كما يوجد له كتاب « أسئلة وأجوبة » وله أهمية بالغة فى دراسة تاريخ علم الطبيعة .

ومنها مؤلفات عالم الفيزياء والرياضيات والفلك « محمد بن أحمد الخوارزمى » ، ومؤلفات عدد من الجغرافيين أهمهم : أبو عبدالله جيحونى وشرف الزمان طاهر المروزى ، ومؤلفات عالم الرياضة والفلك « أبو محمود خوجندى » من « خوجنرة » وأبو سهل الكوهى المولود فى إحدى القرى الواقعة فى شمال غربى بحر قزوين ، وأبو بكر الحاجب الكرجى البغدادى الأصل ، وأبو عبدالله بطانى من بلدة بطان القريبة من غازان ، وأبو يحيى المروزى من مرو ، وأبو الفتح سعيد بن خفيف السمرقندى ، وأبو نصر منصور بن على بن عراق المولود فى قرية بوجان الواقعة بين خراسان وهرات ، وأبو حسن بن أحمد النيسابورى الخراسانى ، وعمر الخيام وغيرهم .

وتوجد بمكتبة المعهد ــ أيضا ــ مخطوطة « سر الأسرار فى تاريخ الكيمياء » ، وهى نسخة فريدة فى العالم للعلامة المشهور أبو بكر الرازى الذى عاش فى القرنين التاسع والعاشر الميلاديين ، وأعيدت كتابة النسخة المحفوظة فى خزانة معهد الاستشراق سنة ١٥٠١ . وقبل اكتشاف المخطوطة لم يكن مستشرقو العالم يعرفون إلا مؤلفا واحدا للرازى وهو « كتاب الأسرار » .

كذلك توجد فى حوزة الخزانة مؤلفات عالم الفلك العظيم ألغ بيك ، وقاضى زاده رومى ، وعلى قوشجى ، وقطب الدين شيرازى وغيرهم .

إن نظرة سريعة على ماتحتويه هذه الخزانة الثرية يجعل من الضرورى بل من المحتم دراستها دراسة عميقة ومتأنية ونقل وتصوير بعض فرائدها لدراسته من جديد ؛ حتى تستبين تلك الصفحة الرائعة من مجهودات علماء المسلمين فى آسيا الوسطى ، والتى هى جزء هام من الإرث الثقافى للمسلمين فى كل انحاء الأرض .

لقد أنشىء لهذا الغرض منذ زمن معهد لدراسة المخطوطات الشرقية فى أكاديمية العلوم بجمهورية أوزبكستان ، وفى نفس الوقت الذى تأسست فيه الأكاديمية منذ خمس وعشرين سنة مضت ، ونقلت إلى المعهد جميع النسخ المحفوظة فى القسم الشرقى للمكتبة العامة الحكومية المسماة بإسم على شيرنوائى .. وفى المكتبة الرئيسية ( أكاديمية العلوم فى جمهورية أوزبكستان ) وأنشئت به عدة أقسام مثل : قسم الإعداد العلمى الأولى والتصنيف ، وقسم الوصف العلمى والفهرسة ، وقسم البحوث ونشر الآثار المكتوبة وقسم دراسة العلاقات الاقتصادية والسياسية والثقافية لشعوب آسيا الوسطى مع البلدان المجاورة .

وقد تغير اسم المعهد وهو معروف الآن باسم معهد الاستشراق التابع لأكاديمية العلوم فى جمهورية أوزبكستان » .

# البوسنه والهرسك في إطار المؤامرة الغربية

للواء الدكتور/ فوزى طايل

عرض وتقديم الأستاذ/ عادل خفاجة

**البوسنه والهرسك ، تلك الدولة الأوربية ذات السيادة ، وهي دولة لها كيانها وأركانها لا ينقصها مقوم من مقوماتها ثم هي ـ من بعد ـ عضو بالأمم المتحدة .**

**فما الذى يحدث لها ؟ ولماذا ؟ .**

**ولعل الإجابة عن ذلك ، يمكن للقارىء العزيز أن يستخلصها من كلمة الأستاذ أحمد صالح جولاكوفيتش عضو وفد البوسنه والهرسك فى مؤتمر « حاضر العالم الإسلامى ونظرة إلى المستقبل » حيث يقول :**

**"... البوسنه والهرسك ، هذه الجمهورية العظيمة التى هى آخر فتوحات المشرق الإسلامى ، وبوابته إلى أوربا من ناحية الشمال ، هذه الجمهورية تمثل جزءاً من العالم الإسلامى : روحا .. تاريخا .. سلوكا ، كما تمثل ـ أيضا ـ جزءاً جغرافيا من أوربا .**

**هذه الجمهورية تدافع عن العقيدة .. عن « لا إله إلا الله محمد رسول الله »[1].**

... كانت قرطبة بوابة الإسلام من الغرب ، مثلما صارت البوسنه والهرسك بوابته من الشرق ، واستطاع الحقد الصليبى بالتخطيط والتآمر منذ خمسمائة عام أن يُخرِج المسلمون من الأندلس بالحرب والتنكيل والتعذيب ومحاكم التفتيش . ودمرت قرطبة .. ودمر غيرها من معالم الإسلام وحضارته .

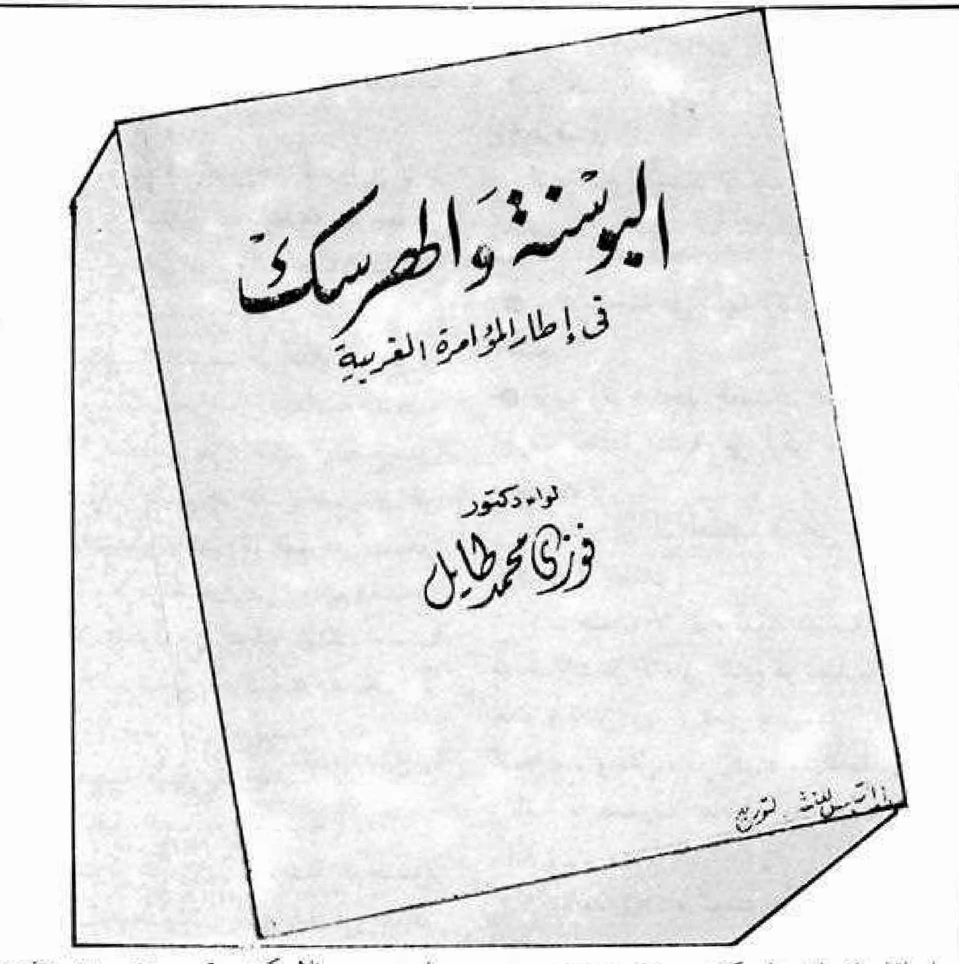
وها هو التاريخ يعيد نفسه : دمر بقرطبة نحو سبعمائة مسجد .. ودمر فى البوسنه والهرسك ثمانمائة مسجد ، ما يراد للمسلمين فى البوسنه والهرسك .. هو نفس ما أريد لهم فى فلسطين ، وهو هو ما أريد لهم من قبل فى قرطبة .. "[2] .

إن ما يحدث فى البوسنه والهرسك من قتل وتعذيب وتشريد واغتصاب سببه الأول والأوحد أنهم مسلمون آمنوا بالله إلها واحداً لا شريك له ، وبمحمد ﷺ نبيا ورسولا ؛ فكان لابد أن يلقوا

---

(١) راجع : كلمة عضو وفد البوسنه والهرسك ـ مجلة الأزهر ـ جمادى الآخرة ١٤١٣ ص ٨١٨ .

(٢) المرجع السابق .. نفس الموضوع .




ما يلقاه إخوانهم فى كشمير وفى بورما ، وفى ارتيريا ، وفى الصومال ، وفى فلسطين !!

ولكن أين المجتمع الدولى ؟ أين النظام العالمى الجديد ؟ أين الأمم المتحدة ؟ ثم فى النهاية أين العالم الإسلامى ؟ .

من هنا كان اختيارنا لهذا الكتاب الذى نعرض له ، « البوسنه والهرسك فى إطار المؤامرة الغربية » للواء الدكتور فوزى محمد طايل .

ويقع الكتاب فى اثنتين وخمسين صفحة من القطع الصغير ، صدر عن ( دار القبس للنشر والتوزيع ) بالاسكندرية ، ويضم بين دفتيه محاضرة ألقيت يوم الجمعة — ٨ من ذى القعدة ١٤١٣ هـ الموافق ٣٠ من أبريل ١٩٩٣ م بنادى المهندسين بالاسكندرية بمناسبة مرور عام على الغزو الصربى للبوسنة والهرسك .

والكتاب يشتمل على فكر سياسى متزن ، وتحليل رصين .

ويزيد من أهمية الكتاب علم كاتبه بالمعنى الدقيق للقيادة وكيفية إدارة الصراع ؛ فهو السيد اللواء أركان حرب دكتور فوزى محمد طايل أستاذ

الاستراتيجية الشاملة غير المتفرغ بأكاديمية ناصر العسكرية العليا . وله العديد من المؤلفات السياسية[2] .

لقد بدأ الأستاذ الدكتور كتابه مشيراً إلى أن ما أصابنا ــ نحن المسلمين ــ من ضعف مرجعه إلى عدم تمسكنا بكتاب الله ، وأننا أحببنا الدنيا أكثر من حبنا لله ورسوله ، وجهاد فى سبيله .

وأوضح ــ سيادته ــ أن أعداء الله طوروا هجومهم وبدءوا بالفعل المعركة الفاصلة منذ بضع سنين ، وفى حسبانهم بلوغ غايتهم فى بضع سنين أخرى ، وما غايتهم إلا فصل المسلمين عن عقيدتهم وقيمهم وثقافتهم وتاريخهم حتى يصبحوا بلا هوية ، وتجريد المسلمين من ثرواتهم فيصبحوا كالرقيق لا يملكون من أمرهم شيئا ، وسلب مواقعهم الاستراتيجية الحاكمة ؛ فيصبحوا لا حول لهم ولا قوة .

فهى هجمة صهيونية/ صليبية ذات ثلاث شعب ( ثقافية واقتصادية وعسكرية ) .

فالمسلمون محاصرون بأحزمة الوجود العسكرى لعدوهم الذى يضع يده على مصادر الثروة والموارد الطبيعية والنشاط الاقتصادى بصفة عامة .

وأصبح يتحكم فيما تحتاجه من معلومات وفى الإعلام والتعليم ، وجند من بيننا أعوانا له ينتسبون إلى الإسلام ، يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم ، وآخرين جاهروا بحرب عقيدة الإسلام وقيمه بحجة « التنوير » وما يسمى « الإرهاب والتطرف » .

ثم يوضح الأستاذ الدكتور أن الهجمة الصهيونية/الصليبية رغم تشابكها يمكن أن نميز منها :

● تركز الهجمة على شقها الاقتصادى فى منطقة الخليج .

● قرب وقوع أخطر العمليات العسكرية بعد الحرب العالمية الثانية على أرض « البوسنه والهرسك » .

ثم يشير إلى أن أهداف التدخل العسكرى الوشيك فى البلقان :

١ ــ ضمان ألا تقوم لدولة البوسنه قائمة ، فهدف التدخل الأجنبى القادم هو تنفيذ ما يسمى بخطة ( فانس/أوين ) بمعنى تقسيمها إلى عشرة تجمعات ، وجعل « سراييفو » مدينة مفتوحة ، وإقامة ما يسمونه بمناطق آمنة ( وما هى بآمنة ) .

٢ ــ بعد إزالة « البوسنه » إزالة أى كيان إسلامى فى البلقان .

٣ ــ نقل مركز ثقل حلف الأطلنطى إلى البحر المتوسط وبذلك يحكم الحصار الاستراتيجى حول قلب الأمة الإسلامية ، ويصبح رهينة بين القوات الأمريكية والغربية فى المحيط الهندى ،

---

(٢) صدر له :

ــ أهداف ومجالات السلطة فى الدولة الإسلامية « دار النهضة » .
ــ النظام السياسى فى إسرائيل « دار الوفاء » .
ــ البوسنه والهرسك أندلس جديدة فى أوربا « دار الزهراء » .
ــ أثر أزمة الخليج على منظومة القيم الإسلامية العليا « دار الزهراء » .
ــ البعد الإسلامى فى حرب الخليج « مترجم » « دار الزهراء » .
ــ الجواسيس غير الكاملين « مترجم » « دار الزهراء » .
ــ آثار تفكك الاتحاد السوفيتى على أمن الأمة الإسلامية « دار الوفاء » .
ــ الثقافة والإعلام فى مصر وأمن الأمة « مركز الإعلام العربى » .
ــ البوسنه والهرسك فى إطار المؤامرة الغربية الذى نقدمه للقارىء .

وكل من الخليج ، والبحر الأحمر والقرن الأفريقى وبين قوات حلف شمال الأطلنطى فى البحر المتوسط . وهذا ما يسمونه منذ عام ١٩٨٧ م :

**« نقل نطاق عمل قوات حلف شمال الأطلنطى إلى خارج أوربا » .**

وهذا هو الوضع المناسب تماما للحركة الصهيونية القادمة كى تقيم مشروعها وتهيمن هيمنة كاملة على المنطقة ، وتقيم إسرائيل الكبرى ، خاصة إذا علمنا أنه بموجب مذكرة التفاهم الاستراتيجى الأمريكية/الإسرائيلية ١٩٨٣ ، فإنه يحق لإسرائيل الاستعانة بالإمكانات العسكرية لحلف شمال الأطلنطى عند الضرورة ، وللصهيونية العالمية أساليبها لحمل أوربا على قبول هذا الأمر .

ثم يعرض المؤلف لأحداث البوسنه والهرسك ويصور فظاعة ما حدث وجرم ما ارتكبه الصربيون .

ثم يعرض نبذة تاريخية عن البوسنه ويركز على أنها دولة لها سيادتها وهويتها الإسلامية منذ ( ٥٣٠ ) عاماً وأنها عضو فى الأمم المتحدة . ويتساءل عما يجرى فى البوسنه ولماذا يحدث ؟ .

ثم يعرج على ما يسمى « بالنظام العالمى الجديد » وأنه نظام صهيونى من حيث الصياغة والأهداف بل والأشخاص الذين يحركونه .. هذا النظام غايته إخضاع أمم الأرض ، وحكم العالم من أورشليم ( القدس ) .

ثم يعرض الأستاذ الدكتور مخططات اليهود مستشهدا بما نشر بمجلة ( النيوزويك ) الأمريكية تحت عنوان :

« EUROPE IN THE YEAR 2000 » وقد وضع الباحثون اليهود القائمون بهذه الدراسة خريطة ليوغوسلافيا وقد محيت منها البوسنه والهرسك وحل محلها ذلك الاسم « GREATER SERBIA » أى : « صربيا العظمى » . وكان ذلك قبل عام ونصف عام من الحرب لقتل وتشريد المسلمين .

ثم يوضح المؤلف موقف « المجتمع الدولى » اعتبارا من بدء الهجوم فى الرابع من مارس ١٩٩٢ م فيقول :

وبعد أربعين يوما من القتل والتشريد أصدر مبعوث الأمم المتحدة اليهودى « ماراق جولدنج » تقريره الذى قال فيه : « إن الظروف غير ملائمة لإرسال قوات دولية لحفظ السلام » وما ذلك إلا ليعطى الفرصة للصرب للاستيلاء على أكبر قدر ممكن من الأراضى ، وبدأت أكبر مسرحية إجرامية فى التاريخ ؛ مسرحها يمتد من « الأمم المتحدة » حتى « سرايفو » وتذاع على كل وسائل الإعلام وتنشرها كل وسائل النشر فى العالم ، من أجل التعمية ، والتضليل ، وإعطاء الفرصة لقتل المسلمين وتذبيحهم ، وهدم المساجد وسرقة الأطفال ، واغتصاب النساء وتشريد المدنيين ، ومنع وصول السلاح للمسلمين للدفاع عن أنفسهم ، بل ونزع ما كان بأيديهم من سلاح !!

أصدر مجلس الأمن قرارات هزلية هزيلة ، وتحرك الرئيس الفرنسى ، ووزير الخارجية البريطانى وغيرهم حركات مسرحية ، يراد منها تأكيد تقسيم البوسنه والهرسك ، ونفسرها نحن بغباء أو بمشاركة فى الجريمة على أنها بطولة وشجاعة .

ثم قامت الولايات المتحدة الأمريكية بالإعلان عن إسقاط معونات سمتها « إنسانية » كانت تخفى وراءها عملية حشد لقواتها البرية والاستطلاع تمهيدا للتدخل العسكرى فى البلقان ، ومع ذلك ألقت ما أسمته معونات على المناطق التى يحتلها الصرب وليس المسلمون ! وما ألقته بالقرب من المناطق الإسلامية كان بمثابة طعم أخرج المسلمين من دفاعاتهم وملاجئهم ليتصيدهم الصرب بالمدفعية والرشاشات ليحصدوهم حصداً ! .

تعالت الصيحات الغربية الصهيونية الصليبية بضرورة إنقاذ البوسنه والهرسك ، وكان أبلغ تعبير هو ما نشرته مجلة تايم يوم ١٣ يوليو ١٩٩٢ ص ٢٥ :

إذ قالت فى تحقيق صحفى قام به أربعة من الباحثين وكان عنوانه :

"SAVING BOSNIA AT WHAT PRICE"[1] :

« لا يوجد أى طرف أوربى أو أمريكى أو من الأمم المتحدة يرغب فى إنقاذ البوسنه ، اللهم إلا إذا كان إنقاذها من أيدى أهلها المسلمين بتفريغها سكانيا » . أهـ .

وإذا كان هذا شأن أعداء الله .. أعداؤنا ؛ فماذا فعل المسلمون طوال أربعة عشر شهراً .. ؟ .

وضع المسلمون أصابعهم فى آذانهم ، إلا أن يسمعوا رسالات الحرب النفسية التى يوجهها الغرب إلينا ، واستغشوا ثيابهم وكأن الأمر لا يهمهم !

عقد مؤتمر القمة الإسلامى اجتماعا فى شهر نوفمبر ١٩٩٢ م وليته ما عقد ! ، فقد ألبس الأمة ثوب العار والصغار ، وجعلها أضحوكة بين الأمم ، ثم عاد مؤتمر وزراء الخارجية بدول منظمة المؤتمر الإسلامى للانعقاد فى كراتشى يوم ٢٥ أبريل ١٩٩٣ م ليبحث التعاون الدولى من أجل القضاء على الإرهاب ، هذا التعبير الذى يخفى وراءه خبثا،مضمونه الحقيقى شن الحرب الدولية الشاملة والعامة ضد الإسلام ، حرب للأسف تنضم فيها الأنظمة الحاكمة الإسلامية أو معظمها إلى صفوف أعداء الإسلام !

حقا لقد تحرك عدد كبير من زعماء الأمة الإسلامية ، تحركوا حركة وهمية ظاهرها : الدعم المعنوى للبوسنه والهرسك ، وحقيقتها : المساهمة فيما يجرى من مذابح عن طريق الامتناع أحياناً ، وعن طريق المنع تارة أخرى ، وعن طريق دعم العلاقات الاقتصادية والتجارية مع جمهورية الصرب تارة ثالثة .

أما عن الإعلام فى بلادنا فحدث ولا حرج ، وكأنى به أشد عداء للإسلام والمسلمين من أعداء الإسلام أنفسهم ، فهم ينتقون من الأخبار ما يثبط الهمم ويهزم النفوس ، فضلا عن إسهامه الإيجابى فى نقل مادة الحرب النفسية ضد المسلمين ، دون باقى التحليلات والأخبار ؛ فإنه يتنازل حتى عن التحفظات التى قد يبديها الإعلام الغربى من حين لآخر، خجلا مما يحدث على أرض البوسنه والهرسك .

لكن إعلامنا أقل حياءً وخجلًا ، وأشد بطشا بمعنويات المسلمين وعقولهم . ( مثلا موضوع برلمان صرب البوسنه ! ) وقد أصل هنا الى نقطة

(١) إنقاذ البوسنه بأى ثمن .

هامة أتصور أنكم تتوقعون الاستماع إليها ..
وهى :
ما هى الاحتمالات المتوقعة لما يجرى الآن على الساحة ؟ .
إن الاستراتيجية العامة للصهيونية/الصليبية كما يسمونها :
« القتل أثناء الكلام » !!!!! .
والهدف النهائى أن يتم اجتثاث الإسلام كلية من أوربا ، فما البوسنه والهرسك إلا المدخل الذى يليه بعد ذلك مقدونيا ، وكوسوفو ، وألبانيا ، وسنجق ، وقبرص ، وتركيا ذاتها ، وإعمالا لاستراتيجية « القتل أثناء الكلام » فإنه يتم التسويف والتأجيل حتى يتم طرد معظم المسلمين من البوسنه أو قتلهم ، وهم مكتوفو الأيدى منزوعو السلاح ! .
وإذا كان وزير خارجية أمريكا « وارن كريستوفر » أعلن أن أمريكا تعمل على إقامة دولة للمسلمين فى البوسنه ، فإن أمريكا قد تقوم بإمداد المسلمين بسلاح تشتريه المملكة العربية السعودية ، وقد تسمح لمتطوعين فى أفغانستان وإيران ومصر بالوصول إلى هنا فيما يسمونه « بخيار القتال العادل THE FAIR FIGHT OPTION »
وقد يلقون بالسلاح الذى اشتراه المسلمون إلى الصرب ، كما حدث فى المعونات الانسانية ويحتج بخطأ فى الإنزال الجوى .
وبعد أن ألقى المؤلف بعض الضوء على خفايا مشكلة البوسنه والهرسك خلص إلى أنها حلقة من سعى الصهيونية العالمية للهيمنة على العالم عسكريا ، واقتصاديا ، وثقافيا ، وبيئيا .
يقول سيادته :
« وبعد ؛ فهذه هى أزمة البوسنه والهرسك التى ما أظنها إلا حلقة من سعى الصهيونية العالمية للهيمنة على العالم عسكريا واقتصاديا ، وثقافيا ، وبيئيا ! .
ولقد جاءت هذه الأزمة لتضع المسلمين أمام المرآة وتريهم عجز وتخاذل أنظمتهم الحاكمة !؛ وبعد أصحاب الصوت والقلم والفكر والسلطان عن منهاج الله وشرعه ..
ولا حول ولا قوة إلا بالله .
ما « البوسنه والهرسك » إلا أحد خطوط المواجهة ، وإن كانت أكثرها سخونة فى الوقت الحالى ، وأكثرها طلبا للجهاد فى سبيل الله .
وهناك خطوط أخرى مؤجلة فى فلسطين والهند وكشمير والقرن الأفريقى .. الخ .
ولئن كان أعداء الأمة الإسلامية قد ركزوا جهودهم الرئيسية فى الحرب الاقتصادية فى منطقة الخليج ، ويركزون الآن جهودهم الاستراتيجية فى منطقة شبه جزيرة البلقان وشرق البحر المتوسط ، فإن مجهودهم الرئيسى فى إدارة الحرب الثقافية ضد الأمة الإسلامية مركز الآن على مصر ، فضلًا عن الجزائر وتونس والمملكة العربية السعودية واليمن .. وغيرها » .
وبعد أن أوضح المؤلف مدى تمسك الغرب بالليبرالية — أو ما يطلق عليه « المذهب الحر » وإصراره على إجبار العالم على اعتناق هذا المذهب ( الحر حتى مما شرعه الله ) ، يَشْرَعُ فى وزن تلك القيم الليبرالية بميزان الإسلام ، فيوضح مدى الاختلاف بين مبادىء الإسلام الحنيف وبين ما يدّعون أنه يصلح لقيادة العالم .

ثم الاختلاف التام بين تلك المبادىء المعلنة وبين ما يطبق فعلا .

ثم يحدد المؤلف دواء هذه الأمة فى الرجوع إلى كلمة الله ، والتمسك بالجهاد الذى أصبح « فرض عين » جهاداً بالمال والنفس . ويركز على التربية الصالحة الإسلامية للأبناء الذين ينعقد عليهم الأمل ، فلا نتركهم فريسة لقيم فاسدة ترد إلينا عبر وسائل الإعلام ، ثم يوضح أن الحضارات لابد وأن تصنعها الأجيال بحبات العرق وتحافظ عليها بدماء الشهداء .

يقول ص ٤٦ :

ألا إن الحضارات تنتزع ولا تستجدى ، وإن الله قد جعل الأيام مداولة بين الأمم « وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ » آل عمران ـــ ١٤٠ ـــ .

ألا إن أول الطريق أن نغير ما بأنفسنا من تخاذل وانهزام حتى يغير الله ـ تعالى ـ ما بنا .

« عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ » .

( الأعراف ١٢٩ )

إن الإسلام ـــ دين الله الخالد ـــ هو المرشح لأن يسود العالم خلال القرن القادم إن شاء الله ، فهل نأخذ ما آتانا الله بقوة ؟ أم أننا سنتولى منهزمين فى هذه الحرب الثقافية ؟ لئن فعلنا ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ ( المائدة ٥٤ )




إن الحرب الثقافية بين أصحاب الحضارة اليهودية النصرانية وبين المسلمين هى حرب لا هوادة فيها ، ولا بديل فيها عن النصر ، لأن الهزيمة تعنى ضياعنا ، فما ظنكم بأمة تسلب منها عقيدتها وقيمها ، وإرادتها ؟ .

وبعد :

فالكتاب بقدر ما يعد محاضرة قيمة عن البوسنه والهرسك وما يحاك لها وللعالم الإسلامى أجمع ، يعد فى الوقت نفسه دراسة شاملة لمستقبل التخاذل بين المسلمين ، فإما بصيرة يهتدون بها لانقاذ أنفسهم ، وإما بلاهة واستمرار على ما هم عليه .

ثم بعد :

فأى حجة للمسلمين وكتاب الله الكريم يخاطبهم بقوله تعالى :

وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ

( الأنفال/ ٦٠ )




## كنتم خير أمة أخرجت للناس

**تساءل السيد عزت إبراهيم محمود ـ بحمامات القبة ـ عن هذه الآية : أهي خاصة بأصحاب رسول الله ﷺ أم عامة ؟ نقول :**

ورد فى تفسير الإمام القرطبى[1] ما رواه الترمذى عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده أنه سمع : رسول الله ﷺ يقول : فى قوله « كنتم خير أمة أخرجت للناس » : « أنتم تُتمون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله » وقال هذا حديث حسن ، وقال أبو هريرة نحن خير الناس للناس نسوقهم بالسلاسل إلى الإسلام ، وقال ابن عباس : هم الذين هاجروا من مكة إلى المدينة وشهدوا بدراً والحديبية ، وقال عمر بن الخطاب : من فعل فعلهم كان مثلهم .

وقيل : هم أمة سيدنا محمد ﷺ يعنى الصالحين منهم وأهل الفضل ، فهم الشهداء على الناس يوم القيامة .

وقال مجاهد : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » على الشرائط المذكورة فى الآية .

وقيل : كنتم مُذ آمنتم خير أمة .

وقيل جاء ذلك لتقدم البشارة بالنبى ﷺ وأمته ؛ فالمعنى : كنتم عند من تقدمكم من أهل الكتاب خير أمة .

---

(١) طبعة دار الريان للتراث ٣/ ١٤١٢ .

(٢) الطبعة الميمنية ٤ / ٢٧ .

وبعد :

فليس ثم ما يمنع من عموم الآية فى الأمة ما التزمت بشرطها الوارد فى النص الكريم وفى تفسير الإمام الطبرى ـ أيضاً ـ ما يؤيد هذا العموم بشرطه[2] . والله أعلم .

محرر الباب

## أدب الاختلاف فى الإسلام

**أثارت محاضرة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر التى ألقاها فى المعهد العالمى للفكر الإسلامى عن « أدب الاختلاف فى الإسلام »[1] اهتماماً من القراء ؛ فكتب إلينا البعض معبراً عن إعجابه بنص المحاضرة ، وما اشتملت عليه من التركيز على مظاهر الوحدة بين المسلمين ، وبيان الضوابط الشرعية لأدب الاختلاف ، والاستشهاد ببعض نماذج الاختلاف فى صدر الإسلام دون ما فُرقةٍ أو خصومة ، وممن كتب لنا فى ذلك :**

**الأستاذ/محمد مصطفى الغمرى .. من أسينيت مركز كفر شكر .**

**والأستاذ/بدر عبدالحميد إبراهيم .. من المواسير ـ إيتاى البارود .**

**وقد أكدَّ الأول** : على أن أدب الاختلاف فى الإسلام أضحى من الآن إشارة ضوء بارزة إلى نبذ الخلاف والرجوع إلى الحق والصدق ، وقد أوضحت المحاضرة عناصر قيمة تتعلق بأساليب الاجتهاد ووسائله ، كالكتاب والسنة والقياس والاستصحاب والاستحسان والمصلحة .. الخ .

**أما الثانى** : فقد استخلص من السياق خمسة آداب إسلامية توسع فى شرحها ، ورأى أنه ينبغى مراعاتها عند الاختلاف ؛ حتى لا ينتهى بنا إلى التشاحن والتباغض ، ويمكن إجمالها ـ لضيق المساحة ـ فيما يلى :

عدم الخروج عن الكتاب والسنة عند الاحتكام ، وضرورة الاستناد إلى الأدلة العلمية ، وأن تكون « النية » طلب الحق وظهوره حتى ولو على لسان الخصم ، ورجوع المختلف معه إلى الحق متى ظهر له ، وألا يفسد الاختلاف روح المودة بين المختلِفَيْن .

## من حق المجلة علينا

**تلقى الباب رسالتين من صديقين دائمين للمجلة ، يظهران فيما كتبا تقديرهما البالغ لدور « مجلة الأزهر » الريادى فى خدمة المسلمين ، وانطباعهما الشخصى عن الصدى الإعلامى الذى تحدثه بمضامينها المنوعة ـ والثرية ـ فى النهضة الحديثة ، ويريان ذلك من حق المجلة عليهما .**

**الرسالة الأولى : من الأستاذ/محمد مصطفى الغمرى ـ المدير السابق لإدارة شبرا الخيمة التعليمية ، يقول فيها :**

أحب أن أضيف إلى ما كتبه السيد محرر باب « المجلة والقارىء » تحت عنوان « مجلة الأزهر فى سطور - ص ٩٣٠ جـ٦ : أن المرحوم الأستاذ « أحمد حسن الزيات » كان يكتب على غلاف مجلته « الرسالة » : « الرسالة ديوان العرب المشترك » ، وأنا أقول : إن « مجلة الأزهر ديوان العرب والمسلمين المشترك » .

كما أسجل ملاحظتى على أبوابها الثابتة التى اختط سياستها أ. د/على أحمد الخطيب ، بأنها تقوم على العلم النافع والبحث الواق والبصيرة الواعية ، وتقدم ما يطلبه نهوض الأمة الإسلامية فى هذا العصر ؛ بتوازن حكيم يجمع بين ميراث الماضى وأصالته ، ومستجدات العصر وقضاياه .

ويُحمَدُ لسياسة المجلة التحريرية نشرها العديد من المقالات التى توقظ المسلمين وتبصرهم بأمر التيارات الوافدة والأفكار المضللة ؛ التى تناوىء الإسلام وتناصبه العداء .

وهكذا استطاعت « مجلة الأزهر » أن تكون درعا ثقافيا واقيا للأمة الإسلامية من شتى الأخطار والأباطيل .. نشكر لإدارة المجلة جهدها الملموس ونتمنى لمجلتنا الحبيبة مزيداً من التقدم والازدهار » .

**الرسالة الثانية : من الأستاذ/محمد فريد أحمد العيسوى - من انشاص الرمل - بلبيس - الشرقية :**

« لقد أصبحت مجلتنا « الأزهر » تمر بمرحلة جديدة متطورة شكلا ومادة وإخراجا تواكب بها التطورات الهائلة التى طرأت على مختلف وسائل الاعلام الإسلامى ( المقروء ) فى العالم الإسلامى بما قفز بها من المحلية إلى العالمية ، فضلا عن أنها تمثل رؤية حقيقية صادقة عن المنهج الإسلامى الصحيح بكل فروعه من التشريع والفقه والفتاوى والدراسات القرآنية الإسلامية المعاصرة فى علوم القرآن والسنة والتاريخ الإسلامى ، ذلك بالاضافة إلى التجارب الشعرية والموضوعات اللغوية والقضايا الأدبية والنقدية فى ( الشعر والشعراء - اللغة والنقد والأدب ) .

هذا مع مناقشة قضايا الساعة فى المناطق الساخنة التى تبرز فيها الأحداث ، والتطرق إلى المشاكل الجوهرية التى تعترض مسيرتنا العربية والإسلامية ، وعرض أحدث ما وصل إليه العلم الحديث من ( العلوم الكونية ) و ( الجديد فى العلم والتقنية ) ، بالاضافة أيضا إلى المتابعة الإخبارية لأحوال المسلمين فى العالم ، وبخاصة الأقليات المسلمة من خلال ( أنباء العالم الإسلامى ) ، مع ربط الماضى بالحاضر فى ( روائع الماضى بمجلة الأزهر ) ، ونشر السير والترجمات الذاتية لكبار العلماء فى ( أعلام الأزهر ) .

ومجلتنا « الأزهر » تعد بحق « شُعلة العلم النافع » التى تضىء طريق الخير والمعرفة والثقافة الدينية والدنيوية لأبناء الأمة الإسلامية ؛ بما تحتويه من نتاج الفكر الإسلامى النقى الخالص ، وهذا يُعتبر امتداداً لرسالة الأزهر الشريف « الجامع والجامعة » فى نشر المفاهيم الإسلامية الصحيحة والمثل العليا والقيم الرفيعة ؛ حيث يكتب فيها خيرة العلماء العاملين وصفوة الفقهاء المقتدين وكبار رجال الدعوة الإسلامية وقادة الفكر الإسلامى وأساتذة جامعة الأزهر المتخصصين .

ومجلتنا « الأزهر » التى يحرص كل قارىء عربى مسلم على اقتنائها مع مطلع كل شهر عربى ليتصفح أوراقها بحثاً عن كل جديد ؛ يجد فيها كل ما يأمله وينشده وينمى فكره وعقله .

**وحرصاً منها على الاهتمام بقرائها ؛ تنشر إبداعاتهم وأحاسيسهم الشعرية فى « باب الشعر » ، كما تنشر إسهاماتهم ورسائلهم وتقوم بتحقيق رغباتهم فى مجلتهم ، مع الرد والتعليق على آرائهم ومقترحاتهم من خلال بابها الثابت « بين المجلة والقارئ » ، وبـذلك يشارك القارىء هيئة تحرير المجلة فى تحرير أبوابها .**

ويختم صديق المجلة كلمته - أو بالأحرى دراسته - باقتراح بعض الأبواب الثابتة التى يأمل - ونأمل معه - أن تتسع لها صفحات المجلة

## السعادة الحقيقية

وقر فى نفوس فئة من الناس أن الدين لا يحقق السعادة للإنسان ، بزعم أنه مقصور على العبادات وقمع الرغبات ، ومن ثم يرددون ما كانت تتغنى به «الشيوعية» البائدة من أن : «الدين أفيون الشعوب» ، وذلك عن مخطط محض هدفه إقصاء الدين عن الحياة .. وليس الإسلام كذلك ، لأنه منهج للحياة والروح معا ، ولا ينكر ذلك إلا مكابر أو جاهل لم يقرأ القرآن الكريم والسنة النبوية .

فقد شرع الإسلام لحفظ نظام الجماعات وإرشادها إلى طرق السعادة الحقيقية ، والسعادة بالقطع لا تنحصر فى متاع الحياة الدنيا ، لكنها تتوقف على فقه الحياة البشرية ، وتوخى الغاية التى وضعت لها ، فكم من غنى لم يذق للسعادة طعما ، وكم من مُقل حازها حتى نهايتها

حول هذا المعنى تلقت المجلة كلمة القارىء الأستاذ/محمد فتحى عبدالصادق عز .. المتخرج فى كلية الشريعة عام ١٩٤٨ ( جامعة الأزهر ) نجتزىء منها قوله :

« إذا لم تكن السعادة - كما تأكد لنا - فى جميع المال ، ولا فى كثرة الأولاد ولا فى المناصب الرفيعة ، ولا فى شىء آخر من متاع الحياة الدنيا الزائلة ، فأين تكون السعادة الحقيقية التى ينبغى أن ينشدها كل عاقل موفق ؟

● إن السعادة الحقيقية : هى التى تكون فى طاعة الله - عز وجل - والإخلاص فى عبادته ، والتقرب منه - سبحانه - بكل ما يرضيه .

وقال المأمون يوما لجلسائه : من أسعد الناس ؟

قالوا : لا نجد أسعد من الخليفة .

قال : لا ، ولكن أسعد الناس رجل له دار تؤويه وامرأة صالحة ترضيه وعيش يكفيه ولا يعرفنا ولا نعرفه .

● السعادة الحقيقية : هى فى مجاهدة النفس ومحاسبتها والخوف من الله والثقة به

● وأختم كلمتى بما أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان عن أبى عبيدالله بن محض الأنصارى - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « من أصبح منكم آمنا فى سربه معافى فى جسده عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها » .

# بأقلام القراء

## « النديم » خطيب الثورة العرابية

**كما تلقى الباب مقالا ضافيا – للأستاذ/عماد الدين عبدالمنعم .. بدار طباعة النقد – عن « عبدالله النديم » خطيب الثورة العرابية ، جاء فيه :**

كثيراً ما يتأثر أصحاب الفكر والرأى بالأحداث المحيطة بهم .. وهذا شأن كثير من الأفذاذ والجهابذة الذين يذكرهم التاريخ باجلال وتقدير ، ومن هؤلاء : المجاهد المصرى « عبدالله النديم » الذى عُرف من بين زعماء الثورة العرابية شاعرا وخطيبا .

مولده وسيرته :

فى يوم عيد الأضحى عام ( ١٢٦١ هـ – ١٨٤٥ م ) كان ميلاد علم الاسكندرية « عبدالله ابن مصباح بن ابراهيم الإدريسى المعروف « بابن النديم » ، وقد تأثر النديم فيمن تأثر بجمال الدين الأفغانى ؛ فاستمع إلى كثير من محاضراته واستوعب ما ترمى إليه دعوته الإصلاحية فى النهوض بالدين والسياسة والوطن ، حتى أصبح بشعره السياسى وخطبه الوطنية أحد رجالات الثورة العرابية البارزين .

ترك « عبدالله النديم » تراثاً قيماً من مؤلفاته التى فُقد – للأسف – الكثير منها ؛ غير أن التاريخ قد خلَّد ذكرى صاحبها بين صفحاته بسبب جهاده واستبساله فى سبيل رفع كلمة الحق ونيل الحرية ، وهذا شأن كثير من عظماء التاريخ الذين قهروا اليأس وحطموا الأغلال والقيود فى عهود الاستعمار البغيض .

● ● ●

« إننا كلما نظرنا إلى أمراضنا الاجتماعية كالإدمان والمخدرات والرشوة والمحسوبية والسلبية واللامبالاة ، تطلَّعنا إلى تطبيق كامل لشريعة الله يحكم أرضنا وفق ما جاء به كتاب ربنا – عز وجل ؛ فهو دستورنا الأمين لاصلاح الحياة ، وفى تعطيل بعض أحكامه ما يجعلنا كمن آمن ببعضه وكفر بالبعض الآخر ..

**شحاته أحمد أبو بكر – بنى سويف – ببا**

● ● ●

« آيتان – مما جاء – فى كتاب الله – عز وجل – إذا تعمق الناس فهمهما ؛ لَمَا حرصوا على الدنيا ولا تنافسوا فيها ولا اطمأنوا إليها ، هما قول الله تبارك وتعالى ﴿ قُلْ مَتَـٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ ﴾ النساء : ٧٧ ، و﴿ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ الزخرف : ٣٥

**محروس عبدالفتاح ياسين – كلية أصول الدين بالزقازيق**

● ● ●

« .. والحقيقة أن كتب « التنوير » – على أناقة شكلها وبخس ثمنها – لم يرد بها « تثقيف الشباب » كما يشيعون ؛ فقد تضمنت طرحاً لمعتقدات معينة تبعد الشباب عن إسلامهم .... لقد أجمع الشعب على فشلها وانحطاط موادها ، ومن ثم رفضها بكل حزم ، فعاد أصحابها مدبرين على أعقابهم بخفَّى حنين » .

**محمد أبو اليسر – كلية التربية النوعية بالمنصورة**

# ردود وتعليقات

● **القارئ/د. أحمد عبده عوض .. المدرس بكلية التربية ـ جامعة طنطا :**

نشكركم على هذه الاستجابة السريعة وحرصكم على تقوية الرحم العلمية ، فالعلم ـ بحق ـ رحم بين أهله .

● **القارئ/يحيى السيد النجار .. الحزاوى ـ دمياط :**

نتفق معكم فى أن حاجة المسلمين ـ وقد أصبحوا خمس سكان العالم ـ قد باتت مُلحة إلى الأخذ بالحلول الإسلامية ، وفى مقدمتها « الاقتصاد » لإيجاد قوة تدافع عن دينهم ووجودهم فى وجه الأخطار المحدِقَة بهم من كل جانب ؛ فنحن نعيش عصر الكيانات والتكتلات الاقتصادية الكبرى فى العالم من حولنا ، ولابد من مواكبتها ومواجهة تحدياتها بما يحفظ للمسلمين كيانهم ويؤمن لهم مسيرتهم الممتدة عبر القرون ، ولنا أن نجنى بعد ذلك ثمار الوحدة الاقتصادية فى العالم الإسلامى من أسباب التمكين فى الأرض .

● **القارئ/محمد صلاح الدين عبدالحافظ ـ مدرسة دلجا الثانوية بالمنيا :**

سألتم ـ فى مقالة : الحسد ـ عن عود الضمير فى لفظه « لنبحث فيها » بالسطر الأول من ص ٢٠٦ ، ويظهر من السياق قبلها : الحديث عن نعم الله ـ عز وجل ـ فإلى هذه النعم يعود الضمير .

● **القارئة/لينا محمد القاسم ـ المعهد الثانوى الأزهرى بدمنهور :**

بمشيئة الله ـ تعالى ـ نحقق مطلبكم الخاص بالكتابة عن الدول الإسلامية مثل ماليزيا وغيرها ... ونحن الآن على اهتمام بالغ بالدول التى تعانى من أوضاع استعمارية مثل كشمير والبوسنة وغيرها .. ولعلكم تتفقون معنا فى محاولة الأخذ بأيدى هؤلاء المضطهدين .

● **القارئ/م. ف. د.. من أشمون ـ منوفية :**

وصلتنا رسالتك بما فيهما من صدق ووضوح ، ونرى أنك تضيِّق على نفسك رحمة الله الواسعة ، إنما يكفيك التوبة الصادقة التى لا تعود بعدها إلى ما كنت تمارسه ، وهو ـ سبحانه وتعالى ـ « غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ »[2] ، وقد استثنى الله التائبين من العقوبة بشرط أن يصلحوا بعد ذلك فقال « إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ »[3] ، كما أن اليأس من روح الله كفرٌ نعوذ بالله منه « إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ »[4] ، وفيما يتعلق بالشق الثانى من سؤالك : فإنك تستطيع الاتصال بطبيب أخصائى ، وستجد على يديه السلامة بإذن الله .

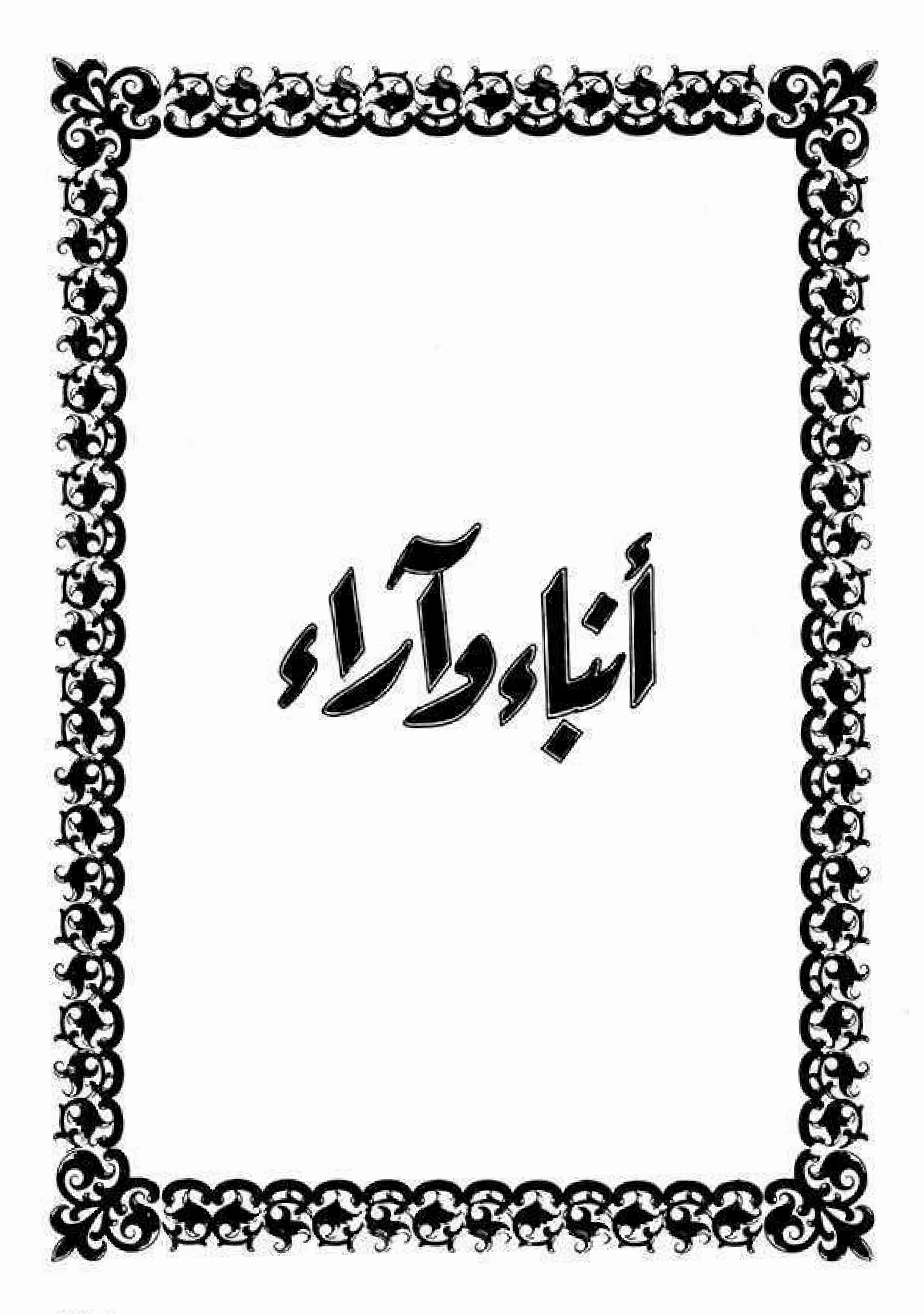
**وبمشيئة الله ـ تعالى ـ يوالى الباب اهتمامه بالرسائل التى يتلقاها تباعاً .**

---

(١) تشرتها مجلة الأزهر بعدد جمادى الأولى .

(٢) غافر : ٣٠ (٣) النور : ٥

(٤) يوسف : ٧٨


أنباء وآراء

# أنباء مكتب الإمام الأكبر

تقديم الأستاذين/ عمر البسطويسى ● مصطفى عبد المجيد

## الإمام الأكبر يلتقى والسيد نائب رئيس مجلس الوزراء بدولة ماليزيـــــا

التقى فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر ، والأستاذ الدكتور/عبد الحميد عثمان نائب رئيس مجلس الوزراء الماليزى يرافقه السيد سفير ماليزيا بالقاهرة ، وذلك صباح يوم الأحد الموافق ٦ رجب ١٤١٤ هـ ـ ١٩ ديسمبر ١٩٩٣ م بمكتب فضيلته بالأزهر .

تم خلال اللقاء بحث سبل التعاون بين الأزهر وماليزيا فى مجال التعليم ، كما أحاط الضيف فضيلة الإمام الأكبر اعتزام ماليزيا إقامة المهرجان العالمى للحضارة الإسلامية المزمع عقده بماليزيا فى يونيه ١٩٩٤ .

وقد أعرب الضيف عن أمله وأمل حكومته فى موافقة الأزهر على المشاركة فى هذا المهرجان .

وقد وعد فضيلة الإمام الأكبر بدراسة إمكانية مشاركة الأزهر ؛ بعد الاطلاع على البرنامج الكامل للمهرجان .

## الإمام الأكبر يلتقى ورئيس جمعية شباب الإسلام بجمهورية بنين

التقى فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر والسيد إيدهو اسماعيل رئيس جمعية شباب الإسلام بجمهورية بنين ، يرافقه السيد أمين عبد الغنى عضو الجمعية ، وذلك صباح يوم الأربعاء الموافق ٢ رجب ١٤١٤هـ ـ ١٥ ديسمبر ١٩٩٣م بمكتب فضيلته بالأزهر .

فى بداية اللقاء قدم الضيف عظيم الشكر لفضيلة الإمام الأكبر على ما يقوم به الأزهر من دعم لمسلمى بنين ، كما قدم شكره على إيفاد الشيخ حسن أبو اليزيد مبعوثا للأزهر هناك .

وقد تم خلال اللقاء بحث سبل التعاون بين الأزهر وجمهورية بنين ، من خلال دعم الأزهر للمسلمين هناك بتخصيص المنح الدراسية وإرسال الكتب الدراسية والثقافية .

## الإمام الأكبر يفتتح مشروعات جديدة بمحافظة الفيوم

قام فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر ، يرافقه فضيلة الشيخ سيد سعود وكيل الأزهر ، وفضيلة الأستاذ الدكتور وزير الأوقاف بزيارة لمحافظة الفيوم وذلك يوم الجمعة الموافق ٥ رجب ١٤١٤ هـ ـ ١٧ ديسمبر ١٩٩٣ م .

تم خلال الزيارة افتتاح « دار أبى عثمان الخيرية الإسلامية » بمدينة سنورس التى أقامها الدكتور عثمان السيد ، أحد أبناء سنورس ، وتضم مسجدا ودارا للمناسبات ومكتبا لمحو الأمية وتحفيظ القرآن الكريم .

هذا وقد دعا فضيلة الإمام الأكبر لتكاتف الجهود الذاتية مع جهود الدولة لإنشاء وتجديد المعاهد الأزهرية على مستوى الجمهورية .

كما أعلن فضيلته عن : قرب افتتاح كلية جديدة للدراسات الإسلامية والعربية ، بالفيوم كما أعلن فضيلته عن توفير بعض الدرجات المالية لتسوية أوضاع العاملين بمختلف قطاعات الأزهر .

## الإمام الأكبر فى محافظة الغربية

قام فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر بزيارة لمحافظة الغربية ، افتتح خلالها بعض المنشآت الأزهرية الجديدة بقرى المحافظة ، والتى أقيمت بالجهود الذاتية وتكلفت أكثر من مليونى جنيه .

وقد عقد فضيلة الإمام الأكبر فى ختام الزيارة مؤتمرا شعبيا ودينيا بديوان عام محافظة الغربية ، شهده محافظ الغربية المستشار ماهر الجندى ، ولفيف من علماء الأزهر والأوقاف والقيادات التنفيذية بالمحافظة .

## جائزة شيخ الأزهر فى العمارة الإسلامية

طالب المؤتمر العلمى الدولى الثالث لهندسة الأزهر بالاهتمام بالبحوث الهندسية التطبيقية التى تخدم المجتمع ، وأوصى بتخصيص جائزة سنوية باسم شيخ الأزهر الشريف لأفضل بحث فى العمارة الإسلامية ، وكان المؤتمر قد اختتم أعماله بحضور المهندس ابراهيم فوزى وزير الصناعة والثروة المعدنية ، والأستاذ الدكتور عبدالفتاح الشيخ رئيس جامعة الأزهر ، وشهده أكثر من ( ٢٠٠٠ ) ألفى عالم وباحث يمثلون أكثر من ٢٥ دولة عربية وإسلامية .

وقد أعلن الأستاذ الدكتور محمد على النواوى عميد كلية الهندسة قرارات وتوصيات المؤتمر ، ومن أهمها : تشجيع الدراسات والبحوث التى تعنى بقضايا المجتمع ؛ حتى يسهم البحث العلمى بفاعلية فى دفع عجلة التنمية الشاملة وعقد المزيد من الندوات العلمية بمشاركة الهيئات والمؤسسات المعنية ـ حول مشاكل المجتمع .

## البحث العلمى فى خدمة العمارة الإسلامية

طالب فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق وشيخ الأزهر : العلماء المشاركين فى مؤتمر هندسة الأزهر ، بأن يوجهوا أبحاثهم لخدمة المجتمع ، مستلهمين التراث العلمى للحضارة الإسلامية فى مجال الهندسة وغيرها من المجالات الأخرى بما يحقق تواصل الأجيال ويجعل العطاء العلمى للمسلمين متميزا ورائدا ، ويساعد ـ فى ذات الوقت ـ على مواجهة الظروف البيئية لمجتمعاتنا والتكيف معها .

كما أكد رئيس جامعة الأزهر على أن الدولة تقدم كل العون للجامعة فى مختلف المجالات ، لتعزز إمكاناتها وهى تضطلع بدور الريادة بين الجامعات الإسلامية .

# أنباء العالم الإسلامي

إعداد الأستاذ / مجدى عبد الحميد بشير

**مالى :**

حذر مسئول فى وزارة الإعلام والثقافة بجمهورية مالى من خطورة التنصير فى إفريقيا .

وأوضح أن المنصرين يقومون الآن بتأسيس قرى بأكملها للأيتام كما يقيمون روضات أطفال فى عدد من دول القارة السمراء بهدف القضاء على الوجود الإسلامى بها .

وطالب سيادته بمزيد من الجهود والدعم من الحكومات الإسلامية القادرة ؛ تحسيناً لأوضاع الإخوة الأفارقة .

**موسكو :**

بدأ فى موسكو بث برامج إسلامية عبر الإذاعة الخاصة التى غطى إرسالها معظم ساحـات الجمهوريات الإسلامية فيما كان يعرف بالاتحاد السوفيتى من قبل . ووصلت مدة البث إلى ساعتين يوميا ، وهى وإن كانت فترة قصيرة لا يعتد بها إلا أنه تم فيها تكثيف بث تسجيلات تلاوات القرآن الكريم لمشاهير القراء ، وكذا إذاعة الأخبار الإسلامية ، وبعض اللقاءات والندوات مع رجال الفكر الإسلامى . ويقف بقوة خلف هذا الإنجاز العظيم السيد مدير عام لجنة مسلمى آسيا بالهيئة الخيرية الإسلامية العالمية بالكويت الذى أبرم اتفاقاً إعلامياً مع مؤسسة الرسالة الروسية للإعلام والإنتاج . وقد ناشد سيادته ـ عبر الصحف الكويتية ـ القادرين من المسلمين دعم هذا المشروع الإسلامى لدفع حركة الدعوة الإسلامية إلى الأمام فى تلك البلدان التى عانت طويلا من الخواء الروحى .

**بروناى :**

أنجزت وزارة الشئون الدينية فى بروناى ـ دار السلام ـ عدداً من المشروعات الإسلامية ضمن خطتها فى مجال نشر الدعوة الإسلامية وتعليم اللغة العربية لمواطنيها . حيث أنشأت المعهد العالى للدراسات الإسلامية . وخصصت به قسماً للغة العربية ، كما أنها تصدر مجلة دورية متخصصة فى الدراسات العربية توزع فى شتى أنحاء العالم ، إلى جانب طبع المصحف الشريف بعد اعتماد مراجعته من الأزهر .

وذكر وزير الشئون الدينية فى بورناى أن كل ذلك يتم بالتعاون بين وزارته والأزهر جامعا وجامعة ، ووزارة الأوقاف المصرية . وأن التعاون قائم ومستمر سواء بارسال أبناء بروناى فى بعثات للدراسة بمصر ، أو بإعارة أساتذة جامعة الأزهر للعمل فى بلاده ، موضحا أن نسبة المسلمين فى بورناى تبلغ ٩٠٪ وهى نسبة تتزايد باطراد ؛ نظراً لتزايد معتنقى الدين الإسلامى ، ولله الفضل والمنة .

**نصف الدين :**

فى اطار العمل الذى تقوم به الجمعية الخيرية الإسلامية فى بلكور بالجزائر لرعاية المجتمع ـ وخصوصاً ـ الشباب ، بدأت الجمعية فى تنفيذ مشروع أسمته نصف الدين يهدف إلى مساعدة

## أنباء العالم الإسلامى

الشبان والشابات على الزواج ، وأوضح رئيس الجمعية المذكورة أن هدف الجمعية تطوير خدماتها الاجتماعية التى قطعت شوطاً طويلا فى « أسلمة » المجتمع شملت خدماتها الفقراء والمساكين من جميع الجوانب الحياتية والعلمية والاجتماعية ؛ نشراً للإسلام .

**أسبانيا :**

يقام فى ميدان يقع أمام قصر الحمراء التاريخى فى غرناطة بأسبانيا أول مسجد تحت إشراف الجماعة الإسلامية الأسبانية ، وتبلغ مساحته ألـف وأربعمائة وثمانية أمتار مربعة ، ويقام إلى جانبه مركز ثقافى به قاعات للاحتفالات ومكتبة كبرى . ويبنى المسجد على طراز البناء الإسلامى القديم حيث سيكون به صحن واسع ، ومئذنة عالية الارتفاع ، ودورات مياه للرجال وأخرى للنساء .

**اليابان :**

صدرت فى اليابان دراسة عن الإسلام باللغة اليابانية للأستاذ يوشياكى سانادا مدير معهد القانون المقارن فى العاصمة طوكيو . والعميد السابق لكلية الحقوق فى جامعة ( شيو ) اليابانية . ولفت مؤلف الكتاب النظر إلى أن الإسلام أقام بنجاح منذ عهده الأول المجتمع العالمى الذى استطاع ببراعة أن يذيب عصبيات الجنس واللون محافظا فى ذات الوقت على الشخصية الإسلامية المنفردة . وتحدث الكتاب عما قام به المسلمون من مساواة تامة بين كافة الأجناس البشرية تحت سيادة الشريعة الغراء والأخلاق .

وأشار الكاتب إلى أن المجتمع الدولى المعاصر يستطيع لو نحى النعرات العصبية جانباً أن يستفيد استفادة عظمى من الإسلام ، إذا درس بعناية المجتمع والدولة الأنموذج الذى قدمه للعالم رسول الإسلام ﷺ ، وذلك إذا كان الهدف فعلا هو البحث الحثيث عن حل مشاكل العالم المزمنة التى لا يبارى الدين الإسلامى فى حلها .

**الإيسسكو :**

عقدت المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة بالتعاون مع وكالة التعاون الثقافى والتقنى ومقرها باريس عقدت حلقة دراسية مهمة حول ظاهرة التصحر وكيفية السيطرة عليها ، ونظمت الحلقة فى باماكو بجمهورية مالى فى مقر المركز الإقليمى للطاقة الشمسية . وشارك فيها نخبة من العلماء المتخصصين المرموقين .

**المغرب :**

اجتمع أيوب جانيتش نائب رئيس جمهورية البوسنة والهرسك بالمدير العام للإيسسكو أثناء زيارته للمغرب ، وأعرب سيادته عن تقدير حكومة بلاده للقرار الذى أصدره المجلس التنفيذى للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة والقاضى بإنشاء « وحدة » سراييفو بالمنظمة والتى تعنى بدعم الشعب البوسنى تربوياً وعلمياً وثقافياً من أجل المحافظة على هويته الإسلامية وانتمائه الحضارى ، وأكد السيد جانيتش أن اللغة العربية أصبحت إلزامية فى مدارس البوسنة وذلك لمواجهة عصابات الصرب التى تحاول طمس هوية البوسنة والهرسك .

**بيت المقدس :**

عقد المؤتمر الإسلامى العام لبيت المقدس دورته السنوية العامة لشئون القدس الشهر الماضى ، وذلك توكيد لروح التضامن الإسلامى لإنقاذ القدس السليبة ؛ وحتى تبقى قضية القدس حية فى الضمائر .

وقد وجه المؤتمر المذكور الدعوة للمنظمات الإسلامية للمشاركة بالبحوث والدراسات فى تلك الندوة التى بحثت موضوعات من قبيل الصراع العربى الإسرائيلى حول القدس ، والرؤية الدولية لقضية القدس الشائكة ، والدور العربى والإسلامى فيها ومستقبل القدس ، وقد رفض المؤتمر فكرة أن تكون القدس عاصمة مشتركة لفلسطين والدولة اليهودية .

**المجتمع الإسلامى واقتصاديات السوق :**

ذكرت صحيفة أخبار الخليج البحرينية أن حوالى خمسين مؤسسة مالية مصرفية إسلامية ستناقش العمل المصرفى الإسلامى فى مؤتمر يعقد فى البحرين ، وقالت : إن المؤتمر الذى سيستمر يومين ويبدأ من يوم ٢٩ يناير ١٩٩٤ م ، سينظر فى التحديات التى تواجه العمل المصرفى الإسلامى لإيجاد الحلول المناسبة لها ، ونرى أن من بين أهم المسائل الشائكة التى ينبغى للمؤتمرين مناقشتها البحث فى إيجاد أسلوب سليم ومتوائم لا يغفل دور الزكاة الواجبة مركزاً بشكل دائب على مسائل الضرائب والجمارك ، كما أن على الباحثين إيجاد أسلوب فعال تستطيع به الدول الإسلامية أن تجد لها مكاناً وسط التكتلات الاقتصادية العالمية الماثلة مثل اتفاقية ( النافتا ) لدول شمال أمريكا والمحيط الهادى واتفاقية ( الجات ) للتجارة والتعريفة الجمركية تلك التى لم تضع التعاملات الإسلامية بعد فى حسابها .

|Un seul jour, pour Dieu, est en vérité comme mille ans d'après votre manière de compter|.

Le chercheur a tiré des deux versets précédents la conclusion suivante une équation pour calculer la vitesse de l'ordre divin, et il a trouvé qu'elle est proche de la vitesse de la lumière dans l'espace. Les membres de la conférence ont approuvé cette équation en la considérant comme une estimation appoximative qui nécessite plus de recherches pour être confirmée.

De plus, la conférence a recommandé de poursuivre ces recherches qui mettent en valeur le caractère miraculeux du Coran et de la Sunna dans le domaine de la science et cela en se basant sur les réalités scientifiques d'une part, et sur les interprétations correctes du Saint Coran d'autre part. Elle a également recommandé que, en coordination avec les universités et les centres de recherches, les organisations islamiques puissent mettre au point une traduction scientifique précise du contenu du Coran qui sera accompagnée de commentaires détaillés des versets cosmiques et de leur interprétation scientifique ceci vise à rendre plus aisée l'interprétation du contenu du Saint Coran pour les lecteurs non-arabophones.

La conférence a en outre recommandée la publication d'une revue scientifique dans les deux langues, arabe et russe, pour traiter des travaux sur le miracle scientifique dans le Coran et pour en encourager les chercheurs à tirer profit des termes coraniques propres aux étapes de la création de l'homme car ceux-ci sont caractérisés par une précision scientifique évidente.

La conférence a enfin recommandé plus de coordination et de coopération entre les savants dans les domaines des sciences cosmiques d'une part et les ulémas d'autre part en vue de pouvoir contrôler les démarches de la science et de mettre cette dernière au service de l'homme. Ainsi la vie reprendra son aspect éblouissant, actuellement caché derrière le voile sombre de l'égoïsme.

Mme Rawya Ahmed Soltan

# Le Miracle scientifique dans le Coran

par Mme Rawya Ahmed Soltan

Le miracle scientifique dans le Coran et la Sunna est le sujet d'une conférence internationale qui s'est tenue dans la Salle Gorbatchov à Moscou.

Dans la Salle Gorbatchov à Moscou ... au coeur de ce qui fut la capitale de l'athéïsme, les savants russes ainsi que d'autres savants du monde entier ont pu applaudir la manière miraculeuse dont le Saint Coran a exprimé avec précision beaucoup de vérités scientifiques, quatorze siècles avant leur découverte.

Ceci eut lieu au cours de la 5ème conférence de "l'Organisation du miracle scientifique dans le Coran et la Sunna", organisée en collaboration avec l'Académie rédicale russe. La conférence a discuté, durant trois jours, vingt-trois travaux traitant du caractère miraculeux du Coran et de la Sunna dans le domaine des sciences de l'embryologie, des sciences maritimes, de la médecine préventive, de la pharmacologie, de la géologie, des études atmosphériques, de la physique et enfin de la relation qui existe entre la religion et la science.

Ces travaux ont été présentés par un groupe de chercheurs élus venus d'Egypte, d'Arabie Saoudite, du Soudan, du Yémen, des Etats Unis, du Canada et de l'Angleterre.

Le Docteur Abdallah El Rosleh, secrétaire de l'Organisation du miracle scientifique dans le Coran et la Sunna", qui est également secrétaire général de la conférence, a déclaré que ces travaux ont été largement approuvées par les savants russes ainsi que les autres savants qui ont participé à la conférence, et notamment les recherches concernant les différentes phases du développement de l'embryon dès la formation de la cellule, ensuite la mâchure, puis les os et les muscles. De même, le Coran a mentionné avec une précision scientifique l'accumulation des nuages, les mouvements du vent, le confluent de deux mers, la vitesse de la lumière et la formation des montagnes.

De plus, ces travaux ont abordé les Hadiths de la Sunna du prophète (paix soit sur lui) où sont signalées des herbes qui guérissent de certaines maladies : ainsi la nigelle (appelée aussi fenouil grec) dont on a prouvé l'efficacité pour le système de défense de l'organisme chez l'homme.

Dr. Abdallah El Rosleh a déclaré que les savants russes ont été éblouis par la précision avec la quelle ces vérités sont mentionnées dans le Coran et il a ajouté que la participation des savants égyptiens a joué un grand rôle dans la réussite de cette conférence.

Les savants égyptiens qui ont participé à la conférence sont Dr. Ibrahim Badran, ex-ministre de la santé, Dr. Salem Negm, secrétaire général du syndicat des médecins, Dr. Zaghloul Ragheb Naggar, professeur de minéralogie et du pétrole à l'université du Roi Fahd et Dr. Mansour Ragab El Nabi, professeur de physique à l'université de Ain Chams.

Le Dr. Mansour Ragab El Nabi a présenté des travaux très intéressant sur la vitesse de la lumière où il a détaillé le miracle du Coran dans ce domaine. Il s'est fondé dans sa recherche sur l'interprétation donnée par quelques Ulémas contemporains de cette parole divine dans le sens du verset 5 de la sourate "La Prosternation" :

[Du ciel, Il dirige toute chose sur la terre; puis tout remontera vers Lui en un jour dont la durée sera de mille ans d'après votre manière de compter].

Or, ce verset indique une nouvelle équation : c'est que la distance que parcourt l'ordre cosmique dans l'espace entre le ciel et la terre dans une durée équivalente à un jour terrestre, équivaut à la distance parcourue par la lune en mille années lunaires (soit douze mille mois lunaires). Il s'est référé pour le calcul lunaire au sens du verset coranique 47 de la sourate "Le Pèlerinage".

Seigneur ! dit le troisième, j'ai employé un ouvrier moyennant un "farik" de riz. Lorsqu'il eut terminé son travail, je lui présentai son salaire. Le sous-estimant, il refusa de le prendre et partit.

J'ai cultivé, ce riz, si bien qu'avec son prix j'ai pu avoir constitué des vaches avec leur pré. L'ouvrier revint un jour et me dit : "crains Allah, donne-moi mon salaire et ne me lèse pas".

— Va prendre ces vaches et leur pré lui dis-je !

— Tu te moques de moi, me répondit-il, ne crains-tu pas Allah?

— Mais non ! je ne me moque pas de toi, c'est ton propre bien ! "lui dis-je. Alors il en prit possession et partit. Seigneur ! si Tu sais que j'ai agi ainsi pour Te plaire, écarte-nous encore cette roche ! Alors la roche se déplaça et les voyageurs sortirent indemnes.

Ce Hadith montre à quel point les bonnes actions accomplies dans le seul but d'être agréé par Allah sont profitables au musulman.

Mme Hoda Hussein Cha'araoui

note 1 : Il laissa sa cousine et lui donna l'argent en cadeau.

not 2 : 8 Kg de riz.

# Comment se concilier la grâce d'Allah

par Hoda Hussein Cha'araoui

Allah aime les oeuvres les mieux accomplies faites et les plus utiles. De même Il aime parmi toutes Ses créatures les hommes vertueux Il incite Ses serviteurs à venir à Lui, à se concilier Ses faveurs et Sa grâce.

Allah nous a envoyé son Messager Mohammad-salut et bénédiction sur lui-pour nous guider dans le bon chemin de la foi. Les principes édictés par le prophète-salut et bénédiction sur lui-nous incitent à rechercher la grâce d'Allah par l'accomplissement de la prière, de l'aumône, du jeûne, du pèlerinage et des oeuvres surérogatoires. Le Musulman y accède aussi en prenant garde d'éviter d'accomplir ce qui est illicite, prohibé par Allah. Ainsi, le Musulman ne peut se concilier la grâce d'Allah que par les oeuvres pies qu'il accomplit à l'intention de son Créateur.

Dans les Traditions à thème divin, Allah dit : "Nul n'acquiert Ma faveur qu'en accomplissant ce que Je lui ai imposé de faire. Mon serviteur ne cesse de rechercher Ma grâce que par des oeuvres surérogataires, jusqu'à ce que Je finisse par l'aimer".

— "Si l'homme s'approche de Moi, d'un empan, Je m'approche de lui d'une coudée; s'il fait une coudée, Je fais vers lui une basse; s'il vient à Moi en marchant, J'avance vers lui en courant". Le prophète-salut et bénédiction sur lui-nous a raconté le récit de la grotte et comment les bonnes actions des trois voyageurs les ont secourus. Voici le récit intégral tel qu'il est rapporté par l'Imam Al-Bokhary :

"Trois voyageurs marchaient lorqu'ils furent supris par un orage. Ils se réfugièrent dans une grotte. Une roche se détacha de la montagne, s'abattit devant la grotte et en obstrua l'entrée. "Rappelez-vous quelques bonnes oeuvres que vous avez accomplies pour l'amour d'Allah, dit l'un deux, invoquez le seigneur en les rappelant peut-être serez vous tirés de cette difficulté!" L'un d'eux commença par dire : "Seigneur ! Tu sais bien que j'avais un père et une mère âgés et de jeunes enfants. J'étais berger de profession. A mon retour, le soir, je trayais mes chamelles et je commençais par donner à boire à mes parents avant mes enfants. Il advint qu'un jour, j'ai mené paître mes bêtes assez loin. A mon retour mes parents étaient déjà couchés. J'ai trait comme d'habitude et je suis resté debout, près d'eux, attendant leur réveil, ne voulant pas les brusquer. Il m'était désagréable, aussi, de donner à boire avant eux à mes enfants qui, pourtant criaient de faim à mes pieds.

Seigneur ! si Tu sais que je me suis conduit ainsi pour Te plaire fais-nous une issue, que nous voyions le ciel." Alors la roche dévia un peu laissant le voir le ciel.

Seigneur, dit le second, j'avais une cousine que j'aimais ardemment, aussi fort qu'un homme peut aimer une femme. Je me suis mis à la séduire. Elle refusa et posa comme condition à son accord le paiement de cent dinars. J'ai travaillé et ramassé cette somme. Je suis allé la trouver avec l'argent. Quand je me suis mis entre ses jambes, elle me dit : "Crains Allah, et respecte ma virginité!" alors je me suis relevé. Seigneur ! si Tu sais que je me suis conduit ainsi en quête de Ta grâce, écarte-nous cette roche. Et la roche s'écarta encore un peu.

pluie. "Anas ajoute que le prophète-paix soit sur lui-tendit les deux mains et fit une invocation tandis que le ciel paraissait aussi limpide que le verre. Aussitôt le vent souffla amassant des nuages qui s'accumulèrent, et le ciel lâcha des averses. Nous partîmes vers nos maisons en partageant dans l'eau de la pluie qui ne cessa de tomber jusqu'au vendredi suivant. Un homme, celui de la semaine précédente, ou un autre-se leva alors et dit : "Ô messager d'Allah, les maisons ont été détruites, invoque Allah pour qu'Il fasse cesser la pluie)". Le messager d'Allah-salut et paix soit sur lui-sourit et dit : "Autour de nous et non sur nous." Anas dit : "Je lançai alors un regard en direction des images, et je vis qu'ils s'amoncelaient en forme de couronne encerclant Médine". Ce hadith à été relaté avec un autre esnàd : Selon Younès, thabet et Anas (a.s.l.)

784 Esnad : Abou Na'ïm, Abdel Wahad, Ebn Aïman, son père, Djaber Ebn Abdallah (a.s.l.) dit : "Le prophète avait l'habitude, le vendredi (pendant le sermon) de s'appuyer sur un tronc d'arbre ou de dattier. Une femme ou, selon une variante, un homme-des Ansars dit : "Ô Messager d'Allah, laisse-nous te faire un mînbar". Il répondit :. "Si vous le voulez bien". Le minbar fut fabriqué et le prophète paix soit sur lui y monta le vendredi suivant. L'ancien tronc de dattier se mit alors à émettre des plaintes comme un enfant en peine. Et quand le prophète paix soit sur lui descendit et s'en approcha en le prenant dans les bras, les cris se calmèrent tout doucement comme ceux d'un enfant qu'on apaise. Le prophète dit alors : "Il pleure parce qu'il regrette le Zikr !

841 — Esnad : Ibrahim Ebn Al Môndzir, Ebn Abou El Foudaïh, El Makbari, Abou Horaïra raconte qu'un jour "O Messager d'Allah, j'oublie beaucoup de tes hadiths que j'entends. "Il me dit : "Entends ta cape" Il fit alors avec ses deux pommes rappochés le geste de prendre quelque chose qu'il déversa sur ma cape. Puis il m'ordonna : "Enveloppe-toi avec". Je me suis roulé dedans et depuis, je n'ai oublié aucun hadith" chapitre 26 — comme les polythéistes demandaient au prophète (paix soit sur lui) d'accomplir un miracle, il leur fit voir la fission de la lune.

830 — Esnad : Sadaqa Ebn Fadl, Ebn oyayna Ebn Abou Naqih, Modjablied, Abou Ma'mar, Abdallah Ebn Massou'd (a.s.c.) raconte que la lune s'est fendue en deux au temps du prophète (paix soit sur lui) qui dit (à ceux qui étaient présents : Soyez-en témoins" Ce hadith à été rapporté avec les chaines de transmission (esnad) suivantes :

1) Abdallah Ebn Mohammad, Younos, Chaïban, Qatadah, Anas.
2) Khalaf Ebn Khaled, Bakr Ebn Modar, Ga'far Ebn Rabi'a, Irak Ebn Mâlek, Abdallah Ebn Mass'oud, Ebn Abbas (a.s.l.)

Mme Zeinab Mohamad Hassan

# Quelques Miracles du prophète Mohammad (paix soit sur lui) (suite)

par Mme Zeinab Mohamad Hassan

778-Esnad : Abdallah Ebn Youssef, Mâlek Izhaq Ebn Abdallah Ebn Abou Talha, Anas Ebn Malak raconte qu'il a entendu Abou Talha dire à Oum Solaïm "J'ai entendu le messager d'Allah-paix soit sur lui-parler d'une voix qui me paraît très affaiblie par la faim. Aurais-tu une nourriture quelconque? "Oui répondit-elle et elle fit sortir des galettes d'orge. Elle prit ensuite une voile dans une partie duquel elle enroula les galettes. Elle me les mit sous le bra~ et, me recouvrant la tête avec l'autre partie du voile, m'envoya vers le messager d'Allah-paix soit sur lui-. Je le trouvai à la mosquée en compagnie d'un groupe d'hommes. Comme je me tenais debout, le messager d'Allah me demanda : "Est-ce Abou Talha qui t'envoie?-Oui" répondis-je. Il reprit avec de la nourriture? "Je répondis à nouveau : "Oui". Le messager d'Allah-paix soit sur lui-dit alors aux personnes présentes :" Levez-vous ! "Puis il se mit en marche et je le devançai chez Abou Talha à qui j'annonçai la nouvelle. Ce dermier dit alors : "Ô, Om Solaïm, le messager d'Allah arrive avec des gens et nous n'avons rien à leur offrir à manger". Elle répondit : "Allah et Son prophète le savent mieux que nous" Abou Talha se rendit alors à la rencontre du messager d'Allah-paix soit sûr lui-qui vint avec lui en disant : "Apporte ce que tu as, Om Solaïm". Elle présenta les mêmes galettes et, à la demande du messager d'Allah-paix soit sur lui-les effrita. Elle les mélangea ensuite avec quelques gouttes de gras qu'elle fit tomber à grande peine en pressant une outre d'huile. Le Messager d'Allah-paix soit sur lui-prenant alors galettes devant lui récita ce que la volonté d'Allah lui inspira, puis dit à Abou Talha "Laisse entrer dix personnes". Ils entrèrent, mangèrent à leur faim, et partirent. Il répéta : "Introduis dix autres". Ils entrèrent, mangèrent à leur faim et sortirent. Il dit : "Encore dix" Ainsi tout le monde mangea à sa faim. Ils étaient alors soixante-dix ou quatre vingt hommes.

779 — Esnad : Mohammad Ebn Mothamma, Abou Ahmad El Zobaöi, Israïl, Mansour, Ibrahim, Alqama, Abdallah dit : "Nous comptions les miracles comme des bénédictions alors que vous les considériez comme des menaces. Puis ils raconta : "Nous étions avec le Messager d'Allah (paix soit sur lui) au cours d'un voyage et l'eau vint à manquer. Il dit : "Amenez le peu d'eau qui reste". Il mit alors sa main dans le pot qu'on lui amena et dit : "Viens eau pure et bénite, et la bénédiction est d'Allah". Je vis alors l'eau sourdre d'entre les doigts du Messager d'Allah (paix soit sur lui). Et nous entendions la nourriture glorifier Allah pendant que nous mangions.

780 — Esnadi : Abou Naïm, Zakaria, selon Amer Djaber raconte que son père était mort endetté. Il s'en alla alors voir le prophète-paix soit sur lui-à qui il dit : Mon père a laissé une dette. Je ne possède que le produit de ses dattiers, et ce produit-même pour plusieurs années—ne couvrira jamais la dette. Viens avec moi pour que les créanciers ne m'humilient point. Le prophète-paix soit sur lui-se nuit alors à circuler d'un tas de dattes à un autre en faisant des invocations, puis il s'assit sur un tas et dit aux créanciers : "Relevez-en (vos dettes). Chacun y prit son dû, et il m'en resta autant qu'ils en avaient pris".

782 — Emad : Mossadad, Hammad, Abdel Aziz, Anas (a-s-l) dit : "Une fois que Médine souffrait de sécheresse au temps du prophète-paix soit sur lui) et pendant qu'il prononçait le sermon (la Khotba) du vendredi, un homme dit : O messager d'Allah, les chevaux ont péri et les brebis sont mortes. Invoque Allah pour qu'Il nous envoie la

# REVUE AL AZHAR

Vol. 66, Part 8
Shaaban, 1414 Hijrah

## Section Française

allowed to go with kindness. It is unlawful for the husbands to take from them anything they have given them'.
(Sura 2:299).

When divorce is resorted to, Islam recognizes under certain circumstances the husband's right of marrying his divorce as long as divorce is not final (i.e. not the third one). This priviledge, in the early stages of Islam, was indefinitely exercised, and often abused as a detriment of women. This aimed the case until the Prophet received revelations, setting limits to the act of divorce, and forbidding the husbands to keep their wives in suspense for an indefinite period.

'When you divorce women and the time for sending them has come, either retain them with generosity or put them away with generosity, but retain them not by constraint so as to be unjust towards them. Indeed, he who does so wrongs himself'. (Sura 2:231).

FINAL DIVORCE

According to Islamic Law a third divorce is held to be decisive and final and a woman so divorced cannot be made a legitimate wife a fourth time unless she first marries a different man and when this man divorce her out of his own free will, and there have been no concequences of that marriage. If that marriage had been arranged with the intention of dissolving the second marriage so that the wife might go back to her first husband, then the contract for the second marriage is considered unlawful. The Qur'an says :

'If a man divorces his wife (the third time), he cannot remarry her until she has wedded another man and been divorced by him : in which case it shall be no offence for either of them to return to the other, if they think that they can keep within the limits set by Allah'.
(Sura 2:230).

In this respect, A'ishah reported :

'The wife of Rifa'ah al-Qurazy came to Allah's (God's) Messenger and said : 'I was married to Rifa'ah but he divorced me finally. Afterwards I married Abdel-Rahman Ibn al-Zubair, but all hepossesses is like the frings of a garment'. The Prophet asked her whether she wanted to return to Refa'ah, but when she replied that she did, he said : 'You may not until Abdel-Rahman and you have experienced the sweetness of intercourse with him (and he divorces you of his own free will)'. Transmitted by al-Bukhari and Muslim.

*To be continued*

# DIVORCE IN ISLAM

By : Mohammed Higab

## PART II

### RECONCILIATION

Before the parties (husband & wife) proceed to the extremity of divorce for unavoidable reasons. It is expressly laid down that all lawful means must be adopted to avoid a breach, and it is only in the event of their failure that a separation is permitted, of course, as a last recourse. The directions of both the Qur'an and the Sunnah in respect of the adoption of courses that tend to make affectionate reunion possible are as explicit as they are full of wisdom.

If a woman is chaste and mindful of her duties as wife, the Islamic Law makes it obligatory upon the husband to associate with her on the best of terms and with kindness and courtesy. If however she proves to be refractory in her behaviour, the law confers on the husband the power of correction if exercised in moderation.

If the husband fails after using personal discretion and every possible method to correct the wife and bring her back to her senses, it is possible for him, or both of them, to turn to their family or near relatives for arbitrations.

'If you fear a breach between a man and his wife, appoint an arbiter from his people and another from hers. If they wish to be reconciled Allah will bring them together again. Allah is Wise and All-Knowing'. (Sura 4:35).

But if ill-feelings gain such a hold on the married couple that their union is endangered, and no arbitration can succeed. Hence, married life develops from a state of tranquility, love and compassion into one of anxiety, hardship, and isolation, and indeed is almost hell. Then in such a situation, and only in such a situation, the husband is allowed by Islam, against its better judgement, to seek the remedy of divorce.

Another reasonable cause of divorce is that which lies beyond the discretion of the husband or both the husband and wife, and also lies beyond the arbitration of the near relatives. For instance, if a state of discord and conflict is witnessed in the married life of a couple, it may not be due to some mistake on the part of the husband or a gross disobedience of the wife. It is just possible that both of them may be exceptionally noble as hman beings, but still their temperament may differ and so they may lament the impossibility of coming to terms between them-selves but still they may not be able to effect a compromise with each other. In such a case, and as the husband and wife had reached a mutual agreement of divorce, that the husband is permitted to divorce his wife.

### RESTORATION

If the shock of divorce fulfils the purpose for which it is intended and both the husband and wife return to their senses, then, they are permitted by Islamic Law to be reunited. The husband has the right to restore his marriage with his repudiated wife during the iddah (waiting period) as long as the repudiation is not the third one, nor is it a sort of redemption (kul'), as shall be discussed in due course.

Islam permits the huband to resort to the remedy of divorce twice, and restore his marriage after his divorce each time if a satisfactory reconciliation is attained. According to the Qur'an :

'Divorce may be practised twice, and then a woman may be retained in honour or

however, is rendering الكتاب as "Book" as the other translators have done.

A similar case is found in verse (97) فإنما يسرناه بلسانك which is rendered as follows by the translators :

Pickthall : and we make (this scripture) easy in the tongue (O Muhammad)
Y. Ali : So have we made the (Quran) easy in thine own tongue.
Arberry : Now we have made it easy by the tongue.
Asad : and only to this end have we made this (divine writ) easy to understand, in thine own tongue, (O Prophet).
Khatib : We surely facilitated this (Quran) in your own tongue.

In pronoun in يسرناه mentioned in this verse also refers to the Quran which is revealed to the prophet Muhammad (P.B.U.H) in his native tongue Arabic. Though Pickthall in appropriately uses "(this scripture)" it is clear from his addition of "(O Muhammad)" that the address is to the Prophet Muhammed (P.B.U.H) so as to render the meaning intended clearly. Asad, on the other hand, inappropriately uses "(divine writ)" and adds "O Prophet)" which is quite confusing, for it does not clarify which prophet. Similarly, in Arberry's literal translation of يسرناه as "We have made it easy" we find that the pronoun "it" is ambiguously used here. More appropriate is Y. Ali's and Khatib's translation where their addition of the word Quran between brackets clearly indicates the verse is addressed to the Prophet Muhammad (P.B.U.H) concerning the Quran. Hence, I believe that the word الكتاب should be translated as "Book", but it would have been more approprate if the translators defined between brackets or note what it refers to whether the "Torah" as in verse (12) or to the "Quran" as in verses (16, 41, 51, 54, 56, 97). Regarding verse (97) which we have quoted above, it is worths mentioning that none of the translators was able to convey the meaning of يسرناه appropriately. The verb يسرناه here denotes the fact that the Quran was revealed in our prophet's native tongue; i.e. Arabic, to be easily understood by people. Hence فإنما يسرناه بلسانك could be rendered as follows : "We have made it (Quran) easily understood by revealing it in your tongue (Arabic)."

In verse (11) we find a mismatch of the donotative meaning of ST and TT due to the translator's inability to select the most appropriate equivalence. The word المحراب in فخرج على قومه من المحراب is rendered as "chamber" by Y. Ali, and "sancatuary" by the vest of the translators. According to exegetes, المحراب in this verse refers to a prayer niche; the mihrab embodies the symbolism of the cave, the hidden place, the cavity within a mountain. However, "chamber" used by Y. Ali denotes something different, that of a room (in a house) the equivalence of which in Arabic is حجرة or غرفة On the other hand, "sancturary" is a general word which refers to a building or sight set apart for the worship of God or of one or more divinities. More appropriate, however, would be rendering المحراب in this verse as "mihrab" since the word is mentioned in Oxford Dictionary, thus it is preferable to use the word itself in the translation.

Another case of mismatch of the denotative meaning of ST and TT items is found in verse (76) : والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير مرداً

According to exegetes, الباقيات الصالحات means the good and righteous deeds which endure and last. Khatib's rendering of الباقيات الصالحات as "the remaining good things" is rather prosaic and ambiguous. More appropriate are the other translations rendered by the rest of the translators as follows :

Pickthall : the good deeds which endure.
Y. Ali : the things that endure, good deeds.
Areberry : the abinding things, the deeds of rightearsness.
Asad : good deeds, the fruit where of endures forever.

*To be continued*

# A comparative study of the English Translation of the Meaning of Surah Maryam

## PART IIB

By : Mona Salem Abdel Ghafar M.A.

In the previous edition of the translation quality assessment, two types are given of the mismatches of denotative meaning : those due to the translators failure to understand the true meanings of words and those due to the translators inability to select the most approriate equivalent to the contextual meaning of the word.

Another mismatch in meaning due to the translator's wrong selection of lexical items is found in the rendering of the sentence اجعل لى آية in verse (10) which the translators render it as follows :

Pickthall : Appoint for me some taken.
Y. Ali : give me a sign.
Arberry : appoint to me some sign.
Asad : Appoint a sign for me.
Khatib : Make a sign to me.

According to exegetes, Zachariah prayed to Allah to give or show him some token or indication of the angel's tidings of a boy. Khatib inappropriately renders اجعل لى آية as "make a sign to me," which denotes a gesture or motion of the hand, head, etc, serving to convey an intimation or to communicate some idea. Khatib has failed to convey the correct meaning due to his use of "make" for اجعل which renders a different meaning (a wrong selection of word). The other translators, however, appropriately translates. اجعل لى آية

In Surah "Maryam" we find that in some cases the same word is mentioned in more than one instance but with a different referent. For example the noun الكتاب occurs in six instances in this Surah with two different references. In verse (12) الكتاب according to exegetes, refers to the "Torah" where Allah addresses Yahya and asks him to take the book forcefully. يا يحيى خذ الكتاب بقوة

In the other verses, الكتاب refers to the Quran where Allah address his prophet Mohammad (P.B.U.H.), and tells him to mention in the Book the stories of :

Maryam (V. 16) واذكر فى الكتاب مريم
of Abraham (V. 41) واذكر فى الكتاب إبراهيم
of Moses (V. 51) واذكر فى الكتاب موسى
of Ismail (V. 54) واذكر فى الكتاب إسماعيل
and of Idris (V. 56) واذكر فى الكتاب إدريس

The word الكتاب in all these instances verses 12, 16, 41, 51, 54, 56) is rendered as "Scripture" by Pickthall; "divine writ" by Asad; and "Book" by Y. Ali; Arberry and Khatib. Though "Scripture" and "divine writ" are acceptable in verse (12) where it refers to the Torah, they are unacceptable in the other verses where the word Book refers to the Quran. The word "Scripture", usually with capital initial refers to the sacred writing of the Old or New Testament, or (more usually) of both together. However, "divine writ" indicates sacred writings collectively, the Bible or holy scriptures. So in the verses where الكتاب refers to the Quran, Pickthall's and Asad's use of "Scripture" and "divine writ" could be misleading to TL reader. More appropriate,

('Amr) said, 'If you put al-Mughirah in charge of the revenues, he will seize the wealth and vanish ....'

Apart from missing parts in the English translation of the passage there is the unforgivable mixing of reference in rendering the last word fayadhhab. A correct translation would be as follows :

On hearing what al-Mughira intimated to Mu'awiya, 'Amr admitted himself to Mu'awiya's presence and enquired whether he appointed Mughira as his vicegerent for Kufa. Mu'awiya's reply was affirmative. 'Amr further enquired whether Mu'awiya put him in charge of land revenues. Mu'awiya said 'Yes'. 'Amr replied 'You put al-Mughira in charge of land revenues and he will swindle the money and the money will go..'

46 : From God's Servant (Abdallah), al-Mustawrid, Commander of the faithful, to Simak b. 'Ubayd. Now then we take revenge on behalf of our folk for tyranny in judgement, failure to enforce prescriptions and the monopolization of fay. I summon you to the Book of God, Almighty and Great, and the example (sunnah) of His Prophet, and the rule (wilayah) of Abu Bakr and 'Umar. I also call upon you to disavow 'Uthman and 'Ali for their innovation in religion (ihdath fi al-din) and their abandonment of the judgement of the Book. If you accept, you will have come to your senses, and if you do not, we will have run out of excuses for you, and we will permit war against you, and will reject you for your disgraceful act. 'Indeed God does not love disloyal people.'

A more proper rendering of the passage into English would be as follows :

We have resented in our people deviation in judgement, suspension of Islamic penalties, and monopolization of the booty. We ask you to submit to the Book of God Almighty and Great and the tradition of His Prophet (peace be upon Him) and to acknowledge the rightful rule of Abu Bakr and "Umar and to discredit 'Uthman and 'Ali for introducing changes in religion and their departure from the Book's injunctions. If you accept, then you have matured; if you do not, then we have stretched to the limit in offering you chances of excuse. And we have declared war on you, and disavowed our compact with you, as you did without forewarning. Surely God does not favour the disloyal.

These are just a few examples of the numerous inexactitudes of translation which would have been averted if a method of double-checking had been employed enabling native Arabic-speaking scholars to co-operate in resolving the difficulties of the Arabic text. It is to be hoped that these anomalies will be ironed out in the reprints and in the forthcoming volumes of this impressive enterprise.

The volume under review covers the aftermath of the first civil war and the accession of Mu'awiya to power. Al-Tabari does not concentrate so much on what was happening in Damascus, or on Muslim military conquests in Africa or in Europe, as he does on happenings in Kufa and Basra and on expeditions to the east. The quelling of Kharijite uprisings is given prominence over wars against the Byzantines, and the figure of Ziyad b. Abihi rubs shoulders with Mu'awiya himself., Although some would think that al-Tabari's method (of offering multiple accounts of the same happenings, leaving it for the reader to use his discretion as to which is the more credible) may be bewildering, yet al-Tabari's narrative is realistic and on occasion is not without a sense of humour. The realism is reflected in the dialogues which are reproduced verbatim and are quite revealing of the figures involved in these dialogues. Al-Tabari's sense of humour is evident in his accounts of episodes like al-Farazdaq's flight from Ziyad (104-5 of this translation). The liveliness of al-Tabari's chronicle is due, more than anything else, to the fact that he is less concerned with offering an official history of an emerging court, than with the dynamism of a resurgent people at a period teeming with revolutions.

The translation has its merits, and the courage with which the translator handled a difficult Arabic text is to be applauded. The variety of styles he had to cope with is extensive — the narrative of al-Tabari himself (whose Arabic and punctuation can sometimes be highly ambiguous), Qur'anic verses, the Prophet's traditions, and an assortment of poetic quotations. A specialist native speaker's knowledge of Arabic is required for fully understanding, let alone translating, al-Tabari. Small wonder then that the present translation contains inaccuracies that need to be corrected if a reissue of it is being contemplated. A few selected examples follow. Morony's translation of the passage is given first, followed by the proposed correction.

2 : The first to render allegiance to him is said to have been Qays b. Sa'd who said to him, 'Hold out your hand, and I will pledge allegiance to you on condition (that you follow) the Book of God Almighty and Great, and the example of His Prophet, and fight the violators.'

A more appropriate translation would be :

It was said that the first to offer him allegegiance wasd Qays b. Sa'd who said to him (al-Hassan) 'Stretch your hand and I will offer my allegiance to you for the observance of Almighty God's Book and the tradition of His Prophet, and for fighting the desecrators (those who encroach upon the sanctity of the Holy Mosque at Makka and do not respect the sacred truce months.)'

3 : Shurtat al-Khamis.

The translation given in the footnote for this transliterated phrase is 'Thursday shurtah'. This is indeed a howler. For al-Khamis in Arabic is another word for an army consituted of five battalions (front, heart, right-wing, left-wing, and rear). The correct translation is 'military police'.

3 :... he ('Abdullah b. 'Abbas) wrote to Mu'awiyah asking him for a guarantee of safeconduct.

The word 'safe-conduct' is recurrently used in this translation for the Arabic aman. The English word 'safe-conduct' is used of the privilege granted by the ruling authority of being protected while making a particular journey or passing within a restricted zone. Therefore it is not equivalent to the Arabic aman. The nearest equivalent term is 'amnesty' — a general overlooking or pardon of past offences (O.E.D) 13 : When 'Amr learned what al-Mughirah had said to Mu'awiyah, he went to Mu'awiyah and asked, 'Did you put him in charge of the revenues?' (When) he replied that he had,

# Book Review

by Professor Dr. Adel Salama
Ain Shams university

Of the translation by Michael G. Morony of the history of al-Tabari, volume XVIII : Between civil wars : the caliphate of Mu'awiyah.

The History of al-Tabari, familiarly referred to by European writers as 'The Annals', was first made available to Western scholars in the Latin synopses at the beginning of each volume of the Leiden edition. A much-reduced and tampered-with French translation by Zotenberg (Paris, 1867-74; reprinted 1958) was made from the Persian rendering of Bal'ami (AD 963). The present full-scale translation raises great hopes that Western historians will have at their disposal not only an instrument which will clarify their knowledge regarding the rise of the Islamic institution of the Caliphate, but indeed an authentic account, methodically and systematically constructed, of the rise and spread of a major religion. Al-Tabari's is a universal history, since it commences with the Creation and proceeds through the patriarchs, prophets, ancient rulers, and Sassanian kings. Its point of strength, however, is with the period covering the Prophet's life, the rise of Islam, and the subsequent period down to the year 302/915.

Al-Tabari's History remains the most comprehensive and reliable account of the events of this period, not only because of the nearness at which the author stands to these events, but also because of the meticulous method al-Tabari had developed to provide reliable information. Muslim historiography had transposed this methodology from a closely related discipline — that of establishing the correct traditions (Hadith) of the Prophet. Indeed the two disciplines stem from the same root since their common concern was the life of the Prophet. Earlier Muslim historiography, exemplified by the writings of al-Waqidi, Ibn Ishaq, Ibn Hisham, and Ibn Sa'ad, concentrates on the life of the Prophet and his successors. Likewise, the traditionists (al-muhaddithun) were preoccupied with the collection and expurgation of the Prophet's tradition, building it into an organon which integrates with Qur'anic teaching. To guarantee the authenticity of the Prophet's traditions the chain of transmitters (isnad) of these dicta (going way back to the Prophet himself) had to be examined carefully, and traditions evaluated in accordance with the strength or weakness of the chain. Al-Tabari, himself an expert on the Prophet's tradition (his book Tahdhib al-Athar is concerned with the subject) and a major Qur'anic exegete, makes use of the method of the traditionists in presenting historical material in his History, rather than relying on previous historians. When he sometimes resorts to previous historical accounts, he does so with a grain of salt. For example, in referring to Busr b. Abi Artat's campaign against the Byzantines (p. 32 of Morony's translating of al-Tabari's History, vol. xviii), he mentions that this was an 'allegation' of al-Waqidi (fima za'ama al-Waqidi) refuted by others.

The present translation is made from the Arabic text of the Leiden edition, first published in 1879, but the bibliography also mentions (231) a Cairo edition published in 1939. No account is taken, however, of the more recent edition of Dar al Ma'arif in the series Dhakha'ir al-'Arab (vol. xxx. 1960) which makes use of some new material and is generally regarded as the definitive edition. The Leiden Arabic edition is in twelve volumes and is divided into three series : the first covers biblical history, the Persian rulers, and the early Islamic period down to the assassination of 'Ali (40/661). The second is concerned with the Umayyad dynasty, while the third series covers the 'Abbasid dynasty up to 302/914. The present translation does not keep to this plan, probably for practical reasons. While it is claimed that each of the thirty-eight volumes of the History could read as an independent unit, yet such fragmentation of the work can only be disruptive to historical continuity. The original plan of the Leiden edition had the advantage of maintaining a balance and each volume in the series broke off at a convenient historical point.

# AL AZHAR MAGAZINE

## ENGLISH SECTION

Vol. 66, Part 8
Shaaban, 1414 Hijrah

EDITOR : Dr. TRANDIL HUSSEIN EL RAKHAWY. PHD

## CONTENTS

1. Book Review
By : Professor Dr. Adel Salama.

2. A compatative study of the English translations of the Meaning of Surah Maryam Part IIB
By : Mona Salem Abdel Ghaffar

3. Divorce in Islam part II
By : Muhammad Higab.

**"Nothing would be of greater benefit to Muslims and to Humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".**

# الفهـــرس


● افتتاحية العدد
ـ فضيلة الدكتور على أحمد الخطيب ........ ١١٢٩
● مع الإمام الأكبر
ـ بيـان الامـام الأكبـر فى ذكـرى الاسراء والمعراج ........ ١١٣٢
ـ ليلة النصف من شعبان ........ ١١٣٤
● مع سورة الأنفال
ـ فضيلة الدكتور عبدالجليل شلبى ........ ١١٣٧
● أحب الأعمال إلى الله أدومها
ـ فضيلة الشيخ على حامد عبدالرحيم ........ ١١٤١
● القرآن الكريم والبحر
ـ أ.د. محمد محمد زيتون ........ ١١٤٤
● تحويل القبلة
ـ د. محمود عبدالمتجلى ........ ١١٥١
● السياحة ما لها وما عليها
ـ فضيلة الشيخ عطية صقر ........ ١١٥٧
● عناية الاسلام بالأطفال والأمهات
ـ الشيخ/محمد حافظ سليمان ........ ١١٦٣
● معالجة مشكلة البطالة
ـ د. سهير حسن عبدالعال ........ ١١٦٩
● زيادة الانتاج وضبط الاستهلاك
ـ لواء. محمد جمال الدين محفوظ ........ ١١٧٦
● القيادة الإدارية
ـ أ.د. محمد عبدالله آل ناجى ........ ١١٨١
● تحديات المسلمين فى جنوب أفريقيا
ـ أ. محمد محمود حسانين ........ ١١٨٥
● الفتـاوى
ـ أ. عبدالمنعم فودة ........ ١١٨٧
● من أعلام الأزهر الشيخ محمد الخضر حسين
ـ المستشار محمد عزت الطهطاوى ........ ١١٨٩
● الشعر والشعراء
ـ «شمس الوجود محمد»
للدكتور : عبدالفتاح شعيب ........ ١١٩٨
ـ «أحزان القبلة» للشاعر : رشاد محمد يوسف ١١٩٩
ـ «أبا الموت تذكرنى»
للشاعر : محمد عبدالرحمن صان الدين .. ١٢٠٠
ـ «ذبيح الشوق» للشاعر : ابراهيم عيسى .. ١٢٠٢
ـ «اعتراف» للشاعر : شوقى محمود أبو ناجى ١٢٠٤
● الإمـام الشافعـى شاعـراً
ـ الفريق : يحيى عبدالله المعلمى ........ ١٢٠٦

العلوم الكونية

● الأسس المنهجية لتعريف العلوم الكونية
ـ أ.د. أحمد فؤاد باشا ........ ١٢١٠
● الولادة الطبيعية
ـ د. أحمد رجائى عبدالحميد ........ ١٢١٤
● الجديد فى العلم والتقنية
ـ د. نجوى السيد أحمد ........ ١٢١٧
● طرائف ومواقف
ـ أ. عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ........ ١٢٢٠
● من روائع الماضى بمجلة الأزهر
ـ أ. عبدالفتاح حسين الزيات ........ ١٢٢٢

اللغة والنقد والأدب

● مستقبل الثقافة فى مصر
ـ أ.د. محمد رجب البيومى ........ ١٢٢٦
● عبقرية التراث
ـ د. عبدالفتاح القاوى ........ ١٢٣٥
● الوحدة الموضوعية فى العصرين الأموى والعباسى
ـ أ. أحمد مصطفى حافظ ........ ١٢٣٩
● خزائن المخطوطات بجمهورية أوزبكستان
ـ د. عبدالله نجيب محمد ........ ١٢٤٣
* عرض كتاب «البوسنة والهرسك»
ـ أ. عادل رفاعى خفاجة ........ ١٢٤٦
● بين المجلة والقارىء
ـ د. محمد عبدالحكيم محمد ........ ١٢٥٣
● أنباء مكتب الإمام الأكبر
ـ أ. مصطفى عبدالمجيد ، أ. عمر البسطويسى . ١٢٦٠
● أنباء العالم الاسلامى
ـ أ. مجدى عبدالحميد بشير ........ ١٢٦٢
● القسم الفرنسى ........ ١٢٧١
● القسم الانجليزى ........ ١٢٧٩




تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
في مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير
دكتور / علي أحمد الخطيب

مدير التحرير
علي حامد عبد الرحيم

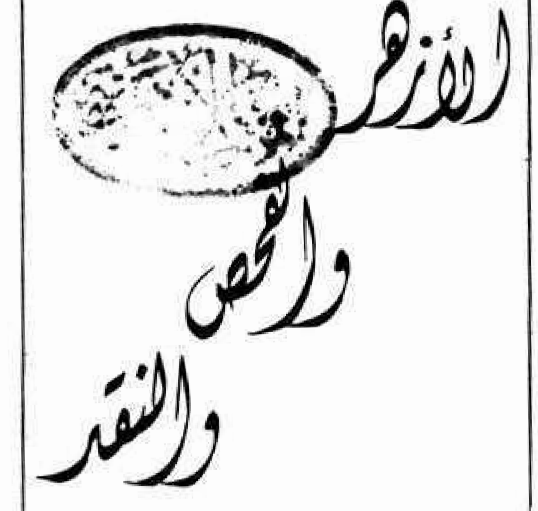
سكرتير التحرير
عادل فهمي خفاجة

• المراسلات / باسم مدير التحرير - إدارة الأزهر بالقاهرة
ت ٩٠٥٤٧٣ - ٢٦٣٨٥٩٩

• الاشتراكات / قسم الاشتراكات بالأهرام
شارع الجلاء - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة العالمين ، وعلى آله وصحبه وتابعيه إلى يوم الدين




تُرى :

هل عالَمُ القلم كعالم الناس :

فيه صريح النسب ، موفور الشرف ، كريم العرض ، رفيع العماد .

وفيه .. ؟

الله أعلم .

إننا نقرأ لأقلام هي - بحق - بنت بيئتنا ، وسليلة تراثنا ، ومنبت أعرافنا . فيها صدق أرومتها ، وعفاف أصولها .. نظيفة بين أنامل طاهرة .

تستمد من تراثنا - كما تستمد من غيره - كُلَّ شريف عفيف .

لا يرهبها من الأزهر الشريف فَحْصٌ ولا نَقْد ؛ لأنها مِثْلُهُ تنفر من الضعة والسفه والحداثة والأحداث والمنكر والفجور . ثم هى ـ من قبل ذلك ومن بعده ـ عندها ما تكتبه من علم نافع ، وفن رفيع .

وثمة أقلام .. تستمد ولكن .. ليس لِقِيَمِنا ، وتفخر ولكن .. ليس بأعراقنا . تسيل لمن يلتقطها بما يغريها ..، وما أحقر ما يغريها ..! فَتُوليه ما يعنيه ، وتشبعه بما يرضيه.

هى ـ منه ـ الذليل الذلول ، وهو ـ منها ـ العزيز الملول . يلتقطها حين يشاء ، ويلفظها حين يريد .

أقلام تُحِبُّ أن تشيع فينا الفاحشة بكل ضروبها وألوانها وبيوتها .

تلك هى التى تكره الأزهر .. تكره فحصه ، وتمقت نقده ، تودُّ لو نُسِفَتْ أحجاره ، واختفت قبلته ، فضاع الركوع ، وباد السجود !! وسكت صوت الإسلام .

وكيف ، والله ـ سبحانه ـ القائل :

﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ ﴾

[ التوبة : ٣٢ ]

إن الأزهر ليس فى حاجة إلى قانون يرشده إلى العمل لدفع المنكر وإثبات المعروف ..

وكم آسى لأديب عريق غنى عن هذا السَّفَهِ ، اخْتَرَط خُرْطَهُمْ ، ورعى من ثُفْلِهِمْ ، فحكم على أبناء الأزهر أنهم دون نقد النصوص الفنية .

أقول : ليتك ما قلتها ...!

وأقول هذا حتى لا تفوتك خبرة واجبة ، يعرف بها الأديبُ عصره ..

وأقول هذا لتعلم أن أبناء الأزهر وبناته يحاضرون ويحاضِرْن فى الأدب الإنجليزى ، والألمانى والفرنسى بلغاته الأصلية .. ولهم ولهن ـ فى ذلك ـ إجازات علمية رفيعة من أعرق ما تعرف من جامعات الغرب ..

لكل ذلك أقول : ليتك ما قلتها !

إن الأزهر ماض فى سبيله ، وعلى براءته .. إذ ذلك الفحص والنقد من عمله .. إنه من الدعوة لله ـ تعالى ـ ورسوله ﷺ وقاية للمجتمع الإسلامى كله .. دعوة لا تأباها مصر ، وعليها تعيش ؛ فليس لِمِصْرَ من مجد ـ خارج مصر ـ إلا هذا الأزهر .

إننى واحد من هؤلاء الأزهريين الفاحصين .

● وهذا جمهور المشاهدين للتليفزيون ، قد أعجب بمسلسل « القضاء فى الإسلام » من إخراج الأستاذ « فايق إسماعيل » توليتُ منه فحص (ثلاثين حلقة) .. قرأتها .. وفحصت معلوماتها تاريخاً وفقهاً ، وأدباً ثم طلبت إلى « الأخ فايق » أن يتفضل باستدعاء المؤلف ، وجاء الرجل وجلسنا ثلاثتنا ، وناقشته فى بعض ما كتب ، وكان رجلًا على علم يحمل إجازة علمية رفيعة المستوى ، فأمسك قلمه وأجرى التصحيح .. وظهر المسلسل للناس ، وقرأت عنه ـ منذ أكثر من سنتين ـ صفحة كاملة تطريه ، وتطرى مخرجه .

● وجىء إلىّ بـ « سيناريو وداعاً بونابرت » وفيه ـ باختصار شديد :
مَحْوٌ لإساءة الجنود الفرنسيين للأزهر .
وآثام مفرطة جُعِلَ بعضُ المصريين طرفٌ فيها ..
وكتبت ملاحظاتى .. وظهر « الفيلم » للناس بما فيه .. وعلى الملاحظات السلام .
والمثقفون من المصريين يعلمون ..

● وثالث :

جعل « فرعون » موسى « أوزوريس » متناسياً ـ أو لا يعلم ـ أن موسى ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ـ عاش فى القرن الخامس عشر ـ ق.م ـ على ما حققه بدقة أستاذنا الدكتور محمد عوض محمد فى رسالة كلفته بها الجامعة العربية لتبين للناس أن من اليهود مبشرين نشروا ديانتهم فاعتنقها غيرهم من بنى اسرائيل .

ومتناسياً أن زوجة أوزوريس « إزيس » وثنية مفرطة فى الوثنية فى هذه الأسطورة التى لا نعلم لها فى التاريخ بداية معينة ، وعلى العكس من ذلك زوجة « فرعون » فقد كانت مؤمنة خالصة الإيمان . وجَعَلَ فرعون عقيما ، ولم يكن عقيما ، فـ « حديث » « ماشطة » ابنة فرعون معروف .
وقد كتبت الملاحظات ، وإذا بالكتاب فى الأسواق ..
تُرى : ما خطأ النقد والفحص .. يا سادة ؟؟؟؟






**هذا شهر الصيام ـ رمضان ـ الذى اعتبره الرحمن الرحيم موسماً للطاعات ، وفيه تتكاثر الأعمال الصالحات** ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ **البقرة ١٨٥**

**لقد اختصه الله من بين الشهور بهذه الميزة فأنزل فيه هذا الكتاب المبين الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ..**

ولقد حفظ المسلمون ـ على تعاقب الأجيال ـ لهذا الشهر حرمته وميزته ، فأقبلوا يضاعفون فيه العمل الصالح ، ويزدادون نشاطاً واجتهاداً فى ليله ونهاره ، فى قيامه وصيامه ، يستيقظون فيه كثيراً ، وينامون قليلا ، يرصدون قدومه للتزود من صالح الأعمال والأخلاق ، حتى تكون مضاعفة الحسنات ، حيث فضل الله بعض الأيام على بعض ، وفى قمة هذه الأيام المفضلة : شهر رمضان .

وإذا كان الكتاب يعرف من عنوانه ، فإن لفظ الصوم يومىء إلى عظيم معناه ، الذى يحمله مبناه ..

إذ الصوم فى اللغة مطلق الإمساك عن أى عمل ، حتى جاز أن يقال : صام عن الكلام ، أى سكت وأمسك عن الحديث وإلى هذا يشير قول الله سبحانه حكاية عن السيدة مريم : ﴿ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴾ .

( سورة مريم/٢٦ )

وجاء المعنى الشرعى موائما لهذا المعنى اللغوى فلم يخرج عن دائرة الإمساك والتوقف ، وإنما أحيط بقيود خاصة أضفتها عليه طبيعة الصياغة الشرعية للغة فقال الفقهاء : إن الصوم شرعاً : هو الإمساك عن جميع المفطرات .

لكن : هل هذا هو الصوم مبنى ومعنى ؟

لعلنا نحن ـ المسلمين ـ حين نعود إلى أسس الإسلام الخمسة ، نجدها قد أحكمت ، فهى مترابطة ، متفاعلة سلسلة متعانقة الحلقات يشد بعضها بعضا ، تهدف إلى تربية المسلم على النقاء والصفاء فى صلته بالله خالقه ، وفى صلته بالمخلوقين أيا كان نوعهم أو جنسهم ، وبهذا لا يكون المعنى الفقهى للصوم معبراً وحده عما يجب أن يكون عليه ، وإنما لابد أن يضاف إليه كل عمل إيجابى محمود ، وكل امتناع عما ينافى الخلق القويم ، والصراط المستقيم ، والسلوك الإنسانى السليم ، فلابد للمسلم الصائم أن يحافظ على الصلاة فى مواقيتها ، وأن يتلو القرآن الذى بارك الله به شهر رمضان ، وأن تُعقد المجالس لمدارسته والتفقه فى أحكامه ومعانيه ، اكتسابا لفضائله والتزاما بحلاله ، واجتنابا لحرامه ، فلا كذب ، ولا غش ولا سباب ، ولا تطفيفاً للكيل والميزان ، ولا غيبة ولا نميمة ، ولا أكلا لأموال الناس بالباطل ، ولا سخرية بمسلم ولا مسلمة ، بل ولا بأى مخلوق لله .

وبالجملة فالصوم دعوة إلى أداء كل الواجبات ، فى العبادات والمعاملات ، ورعاية لكافة حقوق المخلوقات ، والامتناع ـ كذلك ـ عن جميع المحرمات والشبهات .

وهذا الصوم : « بنيته » وسيلة إلى اعتياد الأعمال الصالحات ، وإلى البعد عن سيء العادات ، وبالإخلاص فيه وأدائه كاملا ينمحى من مجتمع المسلمين كل ما اعتادوه مما يخالف أحكام الإسلام من قول أو عمل ، وهو وسيلة لتربية الوازع الدينى لدى كل مسلم ، ذلك لأن الصوم سر بين المسلم وربه فلا يداخله الرياء ، ومتى كان الوازع الدينى ملء قلب المسلم وقلب المسلمة استقام الناس على صراط الله ، هذا الوازع الذى يحث على الطاعة ويزع عن الفساد والعصيان ، هو مراقبة الله سبحانه واليقين بأنه يعلم السرَّ وأخفى ، وذلك ما عبر عنه قول الرسول ـ ﷺ ـ : « اعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » ..

ذلك ما يجب أن يسعى الصائم إلى تحقيقه وكسبه من صومه ، حتى لا يشقى بالصوم وهو يظن أنه قد أدى فرضاً لازماً ، وفهم أنه بمجرد امتناعه عن المفطرات الحسية ، قد صام ، إذ بقدر ما تتقلص حقائق الصوم وأهدافه يتقلص الأجر وتتفاوت النسب بينه وبين الوزر ، وهذا المعنى يقرره قول الرسول ـ ﷺ ـ : « رُبَّ صائم ليس له من صيامه إلا الجوع .. وربَّ قائم ليس له من قيامه إلا السهر » ..

إن واقع الحال أن أكثر المسلمين لم يدركوا من معانى الصوم إلا أنه الإمساك عن الطعام والشراب والرفث إلى الحلائل من النساء ، وهذا القدر من معنى الصوم ـ فى الحقيقة ـ واجب أساسى لكل صوم ، غير أن الإسلام وهو دين استهدف فى فروضه وآدابه وأخلاقه تربية الإنسان مادياً ونفسياً وخلقياً ، قد اعتبر الإمساك عن هذه الماديات والرغبات وسيلة لغاية ، وبداية لنهاية ، ومنطلقاً إلى عبادة أسمى ، وصوم أكمل وأجمل ، لا يغنى عنه الجوع ، ولا الكف عن الشهوات ساعات معدودات ، تلك هى تقوى الله التى عبر عنها

القرآن فى نهاية آية الصوم بقوله تعالى : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ وتلك غاية يسرها الله سبحانه فى شريعة الإسلام التى أمرت بما يستطاع من أعمال الخير واجتناب كل الشر ، فقاعدة هذه الشريعة فى قضية التكليف تقضى بأن ارتكاب الشرور بأنواعها المختلفة حرام على المكلف ، أما أوامر الله ورسوله ، فيكون لزوم أدائها فى نطاق القدرة الذاتية لكل مكلف ، يدل لهذا قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا ﴾ .

وقول الله سبحانه : ﴿ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴾

( سورة الأنعام / ١١٩ )

ولقد بين رسول الله ـ ﷺ ـ هذه القاعدة وأكد حقيقتها فى قوله : « إذا أمرتكم بشىء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شىء فاجتنبوه » .

فلنستقبل شهر رمضان بإخلاص الصوم لله وأن نصوم عن المفطـرات وعـن السوءات والسيئات ، وأن نكتسب بصومنـا أحسن الأعراف والعادات .

وفى شهر رمضان ينبغى أن نتأمل تاريخ المسلمين وسنجد أن ما أحرزوه من تقدم سبق فى شئون الحياة يرجع إلى التزامهم بتوجيهات القرآن الكريم : عبادة وعمل للدين وللدنيا ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ .

( سورة الجمعة / ١٠ )

وتبعاً لهذا فلا يكون شهر رمضان وصومه مدعاة لإهمال العمل ، والتراخى فى أدائه اعتذاراً بالصوم وبشهر رمضان ، والتاريخ يحدثنا أن جهاد الرسول ـ ﷺ ـ، وفتوحات ربنا سبحانه عليه ، كان أكثرها فى شهر رمضان ، فما اعتذروا وما تهاونوا ، وما تكاسلوا ، وما قالوا كما قال غيرهم ﴿ ... فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾

( سورة المائدة / ٢٤ )

ولكن قالوا : ﴿ **اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون** ﴾ .

إقدام على العمل وعلى العبادة ولأن العمل فى الإسلام عبادة ، فالتجارة والزراعة والصناعة وسائر الأعمال الوظيفية أو غيرها مما فيه إثراء للحياة وإحياء للمصالح والصوالح عبادة .

فلتكن الأسوة الحسنة بالرسول ـ ﷺ ـ وبأصحابه غايتنا ، وقد كان خلقه ـ ﷺ ـ القرآن كما قالت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها أى أنه كان مطبقاً لتوجيهات القرآن الكريم خير تطبيق ، والمسلمون لهم فى رسول الله أسوة حسنة .

وسيرته ـ ﷺ ـ تحدثنا عن أن المسلم الحق ، هو الذى لا يتأتى منه ولا يشاهد فى أمر أو على عمل إلا من خلال القرآن .

فإذا أراد حسن المعاملة تسارع إلى إعمال قول الله سبحانه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ .

( سورة النحل / ٩٠ )

والمسلم إذا رغب راحة الضمير ، وهدوء البال ، وحسن الحال آمن واطمأن قلبه إلى قول الله سبحانه ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ .

( سورة الحديد / ٢٢ ، ٢٣ )

وإذا أراد المسلم بعد هذا قوام الحياة وشحذ الهمة بالمتطلبات المادية التى تصفو بها حياته وتتبلور ذاتيته الداخلية ، وتصير ناصعة البياض والصفاء يسرع بنفسه إلى الطعام ومعه قول الله الخالق الرزاق ذى القوة المتين ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴾

( سورة البقرة / ٢٦٧ )

وها هو القرآن يتعهد المسلم بالنصح ويضىء له طريق كل سلوك مستقيم فيقول الله ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ .

( سورة لقمان / ١٨ )

* * *

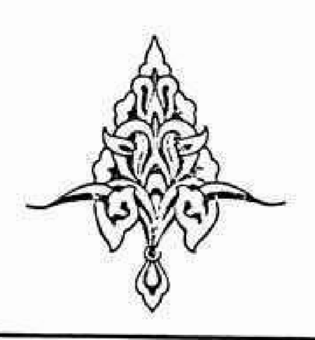
فهذا القرآن ينبغى أن يكون ورد المسلم فى شهر رمضان ليدعّم ذاته ويؤكّد كيانه فيسعد ، ويسعد معه مجتمعه بل والبشرية قاطبة ، ويسود فى هذا الكون الواسع الفسيح ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾ .

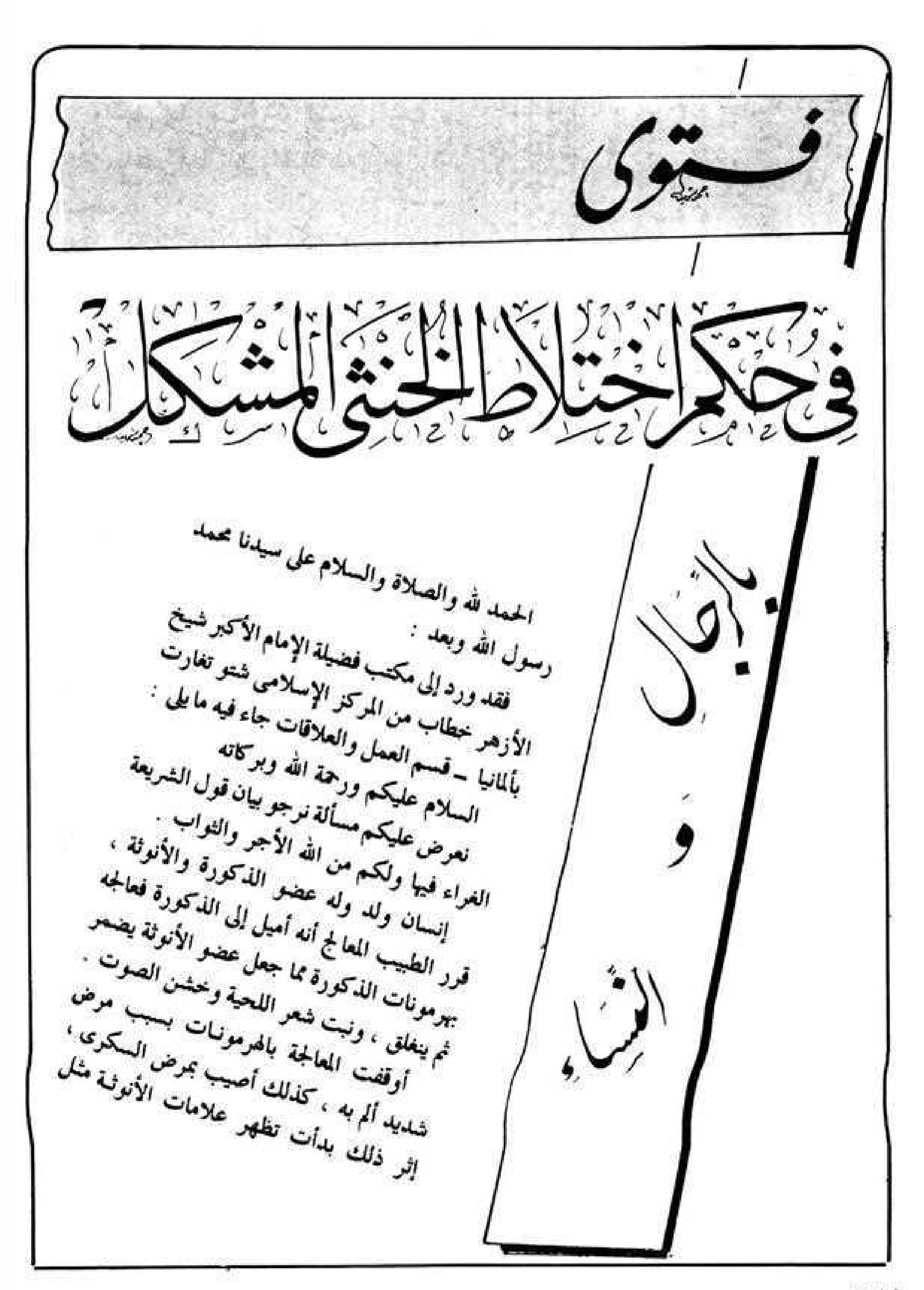
( سورة النور / ٤٠ )

فبالقرآن فى شهر رمضان تسعد الأمة وتزداد هدى وتهنأ برضا الله سبحانه .

فى هذه المناسبة وباسم الأزهر الشريف أهنىء الأمة الإسلامية فى شتى بقاع الأرض شعوباً وحكاماً وأسأل الله لها فى هذا الشهر الكريم فلاحاً وصلاحاً ووحدة ووئاماً وأمناً وسلاماً وتغييراً إلى أحسن حال حتى تكون الأمة الإسلامية خير أمة أخرجت للناس .

شيخ الأزهر الشريف
جاد الحق على جاد الحق





# فتوى

## في حكم اختلاط الخنثى المشكل بالرجال والنساء

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله وبعد :

فقد ورد إلى مكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر خطاب من المركز الإسلامى شتو تغارت بألمانيا ـ قسم العمل والعلاقات جاء فيه ما يلى :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

نعرض عليكم مسألة نرجو بيان قول الشريعة الغراء فيها ولكم من الله الأجر والثواب .

إنسان ولد وله عضو الذكورة والأنوثة ، قرر الطبيب المعالج أنه أميل إلى الذكورة فعالجه بهرمونات الذكورة مما جعل عضو الأنوثة يضمر ثم ينغلق ، ونبت شعر اللحية وخشن الصوت .

أوقفت المعالجة بالهرمونات بسبب مرض شديد ألم به ، كذلك أصيب بمرض السكرى ، إثر ذلك بدأت تظهر علامات الأنوثة مثل

الثديين ، ضمور العضلات نعومة الجسم ، حتى أنه اضطر إلى ترك مهنته كعامل فنى فى البناء ، لأنه لم يعد يقوّى عليها جسدياً ليؤهل نفسه لمهنة لا تتطلب جهداً جسدياً .

عرض نفسه على أطباء أخصائيين فتبين لهم بعد فحص الهرمونات فى جسمه أنه أميل إلى الأنوثة . عرض علينا تقارير الأطباء بناء على ذلك ، كان يجب أن يعالج بهرمونات الأنوثة بدل المعالجة بهرمونات الذكورة . إن مرض السكرى الذى أصيب به يجعل إجراء عملية جراحية يستأصل فيها عضو الذكورة ، ويعاد فتح عضو الأنوثة محفوفة بالمخاطر ، لذلك يحجم عنها .. وهو الآن ليس له من الذكورة إلى العضو الذى لا وظيفة له ، إذ لا ينتصب ، والغدد فى الجسم لا تفرز المنى ، وليس له من الأنوثة سوى الثديين ، ونعومة الجسم .

انه لا يشعر بأى رغبة جنسية ذكرية أو أنثوية . وهو يشعر أنه أنثى ويعيش وفقاً لذلك بما فى ذلك اللباس .

جاءنا إلى المركز الإسلامى شتو تغارت بعد أن ابتعد عنه المعارف والأصدقاء وبعد أن لقى الصدود من البيئة التى كان يعيش فيها مبدياً رغبته فى التعرف إلى الإسلام ، وربما اعتناقه والسؤال الآن :

هل هذا الإنسان فى رأى الشريعة أنثى يستطيع حضور اللقاءات الإسلامية المقتصرة على النساء ، وهل يجوز دخوله على النساء ؟

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

المركز الإسلامى شتو تغارت

قسم العمل والعلاقات باللغة الألمانية

الجـواب :

أولا : الإسلام يدعو المرضى للتداوى ، ويرشدهم إلى علاج ما ألم بأجسادهم من علل ، وما نزل بأبدانهم من سقم ، وقد جاء فى هدى نبى الإسلام محمد عليه الصلاة والسلام ، فيما رواه عنه أسامة بن شريك قال : « جاء أعرابى فقال يا رسول الله أنتداوى قال : نعم فإن الله لم ينزل داء إلا أنزل له شفاء علمه من علمه ، وجهله من جهله »[1] .

وفى لفظ : « قالت الأعراب يا رسول الله انتداوى قال : نعم عباد الله تداووا فإن الله لم يضع داء إلا وضع له شفاء أو دواء إلا داء واحداً قالوا يا رسول الله وما هو ؟ قال : الهرم »[2] .

ثانيا : أجاز الإسلام التداوى بإجراء جراحة بقطع عرق أو استبدال عضو ، جاء ذلك فيما رواه جابر قال :

« بعث رسول الله - ﷺ - إلى أُبىّ بن كعب طبيباً فقطع منه عرقاً ثم كواه »[3] .

وكما جاء فى حديث عرفجة الذى قطع أنفه يوم الكلاب قال :

---

(١) رواه أحمد - نيل الأوطار للشوكانى جـ٨ ص ٢٠٠ .

(٢) رواه ابن ماجه وأبو داود والترمذى وصححه - المرجع السابق نفس الموضع .

(٣) رواه أحمد ومسلم - المرجع السابق جـ٨ ص٢٠٤ .

« أصيب أنفى يوم الكلاب فى الجاهلية فاتخذت أنفاً من ورق ( فضة ) فأنتَن على ، فأمرنى رسول الله ـ ﷺ ـ أن أتخذ أنفاً من ذهب »[4] .

وتخريجا على ما ذكر فإنه يجوز إجراء جراحة لإظهار علامات الأنوثة المطمورة أو علامات الذكورة المغمورة متى انتهى رأى الطبيب الثقة إلى وجود الدواعى الخِلْقية فى الجسد الذى به علة التداوى والتى لا تزول إلا بالجراحة باعتبارها مُظْهرة لما استتر من أعضاء الذكورة أو الأنوثة ، وتصير هذه الجراحة واجبة متى نصح بها وقررها الأطباء الثقاة ، وتكون علاجاً مأذوناً به شرعاً .

**ثالثاً** : لما كان الشخص موضوع السؤال ليس له الآن من الذكورة إلا العضو الذى لا وظيفة له ، والغدد فى الجسم لا تفرز المنى وليس له من الأنوثة سوى الثديين ونعومة الجسد وأنه لا يشعر بأى رغبة جنسية ذكرية أو أنثوية ، وهو يشعر أنه أنثى يعيش وفقاً لذلك بما فى ذلك اللباس ، فإنه والحالة هذه يعتبر خنثى خِلْقياً ، فلا يعتبر ذكراً ولا أنثى ، وإنما أمره مُتوقَّف فيه ، فلا يخلو به الرجال ولا يجالسونه لاحتمال أنوثته ، ولا يجالس النساء ولا يخلو بهن أو بإحداهن لاحتمال ذكورته ، وفى كلا الاحتمالين يُتصور حدوث مفسدة بالمخالطة أو الخلوة .

وإذْ كان ذلك يستمر التعامل مع هذا المخنث المشكل بهذا الحكم إلى حين تمام علاجه ، واستقرار حالته ، باطمئنان لجنة طبية متخصصة لما تنتهى إليه حاله فيتميز بالذكورة أو بالأنوثة ، وحينذاك يلحق بنوعه من غير توقع أو وقوع مفسدة يخشى منها ، والأخذ بهذا هو الأحوط الذى تحرص عليه شريعة الإسلام وتتطلبه رعاية لحق المجتمع .

**رابعاً** : الإنسان المسئول عنه لا يعتبر بحاله الموصوفة فى رأى الشريعة أنثى لأنه ولد وله عضو الذكورة والأنوثة ، ويستطيع هذا الشخص حضور اللقاءات الإسلامية المقتصرة على الرجال ويجلس خلف صفوفهم ، ويستطيع كذلك حضور اللقاءات الإسلامية المقتصرة على النساء ويجلس أمام صفوفهن ، ولا يجوز دخوله على النساء لجواز علاجه بهرمونات الذكورة مرة أخرى وشفائه من أمراضه وتعود إليه الذكورة كما كان الحال سابقاً .

لما كان ذلك :

كان الأحوط لحكم الله التوقف عن مخالطة هذا المخنث المشكل النساء والخلوة بهن أو بإحداهن وكان من الأحوط ـ لحكم الله تعالى كذلك ـ ألا ينفرد به رجل ، وذلك إلى أن يستبين ويستقر حاله بيقين ، أو يقضى الله فيه أمره .

وبالتـــــالى فلا يُرخَّص له بحضور المجالس المقصورة على النساء ولا دخوله عليهن .

وبهذا يُعْلم الجواب إذا كان الحال كما ورد بالسؤال .

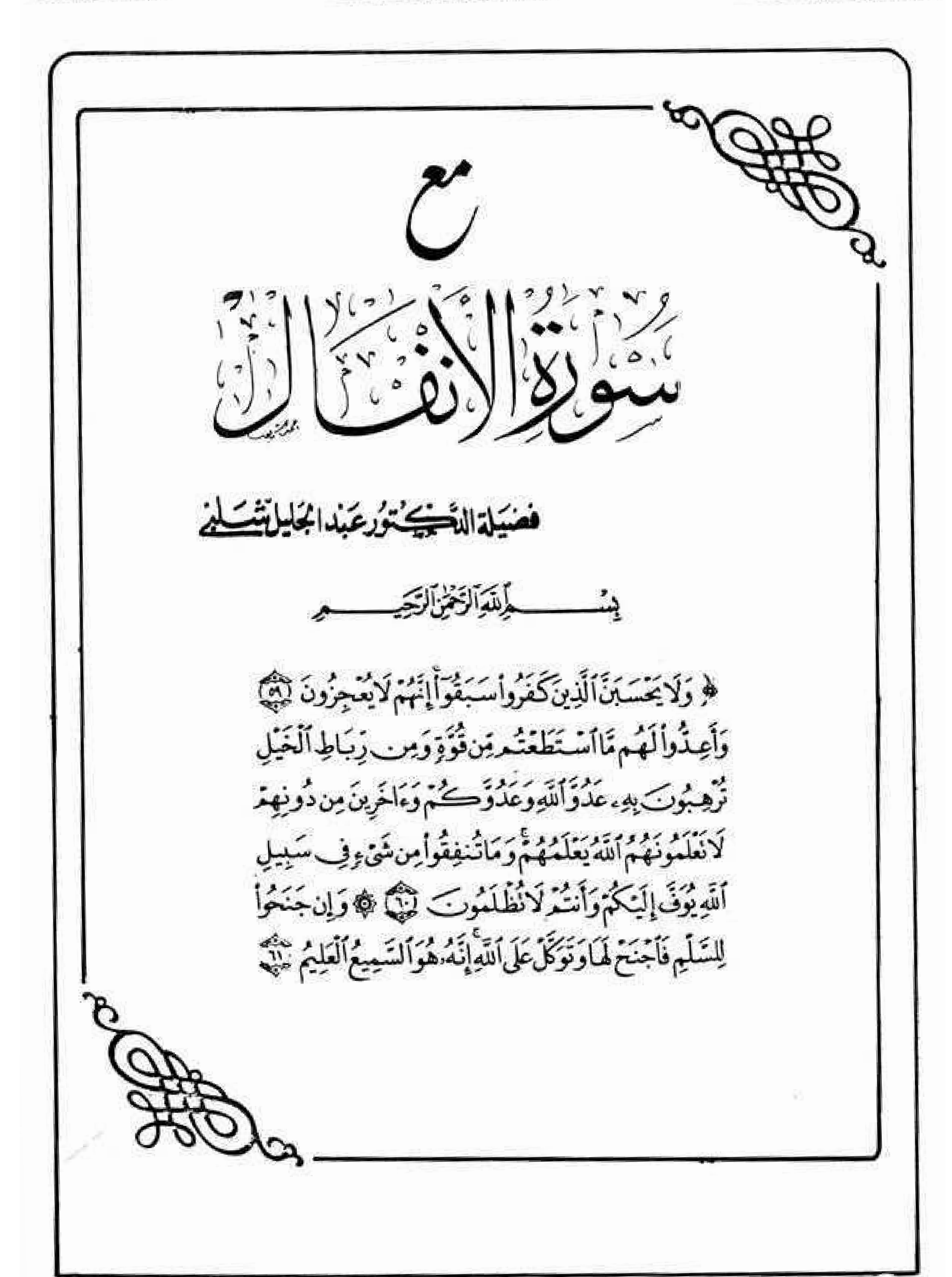
والله سبحانه وتعالى أعلم ..

شيخ الأزهر

جاد الحق على جاد الحق

---

(٤) صحيح الترمذى بشرح ابن العربى المالكى جـ٧ ص٢٦٩ و ٢٧٠ ط أولى المطبعة البهية المصرية بالأزهر سنة ١٣٥٠هـ ـ ١٩٣١م .



# مع سورة الأنفال

فضيلة الدكتور عبد الجليل شلبي

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ۞ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦١﴾

المعنى الذى تدور عليه الآية والذى لا يخلو منه وجه من أوجه القراءة التى قرئت بها ، هو تيئيس الكفار من الإفلات والهرب من العقوبة ، وأن الله لا يعجز عن إدراكهم . وقراءة حفص وجماعة معه « ولا يحسبن » بياء الغيبة . ويحتمل إعرابها وجوها :

منها أن يكون أحد مفعولى « يحسب » محذوفا . أى لا يحسب الذين كفروا أنفسهم قد أفلتوا من العذاب . فالذين كفروا فاعل للفعل يحسب ، ويمكن أن يكون الفاعل هو المحذوف ، أى لا يحسبن أحد ، أو لا يحسب فريق المؤمنين أو الرسول ، أو الحاسب أيا كان ، وعليه يكون الذين كفروا سبقوا مفعولى الفعل ، والآية إذن تشجيع للمؤمنين وتثبيت لهم بما تبثه فى نفوسهم من أن أعداءهم بصدد أن يلقوا العذاب .

وقرأ جمع من القراء : « ولا تحسبن » بتاء المخاطب ، ويكون الخطاب للنبى ﷺ فالآية تسلية له وإعلام بأن أعداءه سينالهم العذاب أو هو خطاب لكل من يتأتى له الخطاب فالآية بهذا راجعة إلى عموم الفاعل . لا يحسب أحد ـ وقرئت أيضا « ولا تحسب » بدون توكيد ، وتحرك الباء بالكسر لالتقاء الحرفين الساكنين ، وتفتح على أنها مؤكدة بنون توكيد خفيفة محذوفة .

وقرئت جملة « إنهم لا يعجزون » بكسر إن على أن الجملة مستأنفة . وبفتح أن ـ على تقدير حرف جر محذوف أى لأنهم لا يعجزون . وقرأ ابن مسعود أنهم سبقوا ـ والمعنى واضح فيها لا ينبغى لهم أن يظنوا أنهم أفلتوا .

ولا نذهب وراء أنواع الإعراب والقراءات ، وهى كلها تتلاقى عند المعنى العام الذى ذكرناه فهم لا يعجزون الله أن ينالهم بعقاب فى الدنيا وفى الآخرة ، أو لا يعجزون المسلمين أن ينتصروا عليهم فى مواقع أخرى ، وفى كلا الوجهين تسلية لرسول الله ﷺ والمؤمنين معه .

وقرىء « أيضاً » لا يعجزونِ ـ بكسر النون أى لا يعجزوننى ، فحذفت إحدى النونين وياء المتكلم تخفيفا ، والكسرة دالة على الياء ، ويبدو التشجيع للمؤمنين ظاهراً أيضاً على هذه القراءة ، لأن الله ـ سبحانه ـ مع المؤمنين ، وهـم لا يعجزونه ـ فلا يعجزون المؤمنين .

وناسب هذا التشجيع أن يؤمر المؤمنون بإعداد آلات الحرب لهم ، فقال تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة .. » أى أعدوا لقتال المشركين أو قتال الذين نبذوا العهد كل ما تستطيعونه من أنواع القوى وآلات الانتصار . وقد انتصر المسلمون يوم بدر ولم يكن لهم استعداد تام لمعركة كبيرة كهذه ، وكان انتصارهم معجزة هيأها الله سبحانه لأول معركـة يخوضهـا المسلمون ، فنبهوا على أن هذا ليس مطرداً ، ولا يحدث فى كل زمان ومكان . وقد فسر ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ القوة بأنـواع الأسلحة ، وقال عكرمة هى الحصون والمعاقل ، وجاء فى خطب رسول الله ﷺ : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » « ألا إن القوة الرمى ، ألا إن القوة الرمى ـ أعادها ثلاثا » .

والآية عامة تشمل كل أنواع القوى . وهى فى كل زمان بحسب تطوره ، وقد كانت الرماية فى عهد الرسالة هى القوة الأولى ، فحث عليها رسول الله ﷺ وقال عمر : علموا أولادكم الرماية وركوب الخيل ، وهناك أحاديث كثيرة تمدح

الرمي وتحث عليه وتأمر بتعلمه . ومنها : « كل شيء من لهو الدنيا باطل . إلا ثلاثة : انتضالك بقوسك ، وتأديبك فرسك ، وملاعبتك أهلك ، فإنها من الحق » . وتأديب الفرس : تدريبها وتعليمها ، وجاء أيضا : « انتضلوا واركبوا ، وأن تنتضلوا أحبُّ إلىّ » .

وفى وقتنا شاع صنع القنابل والصوارخ وظهرت آلات التدمير الشامل ، والأقمار الصناعية ووسائل كشف خفايا الأعداء ، وغيرها من التقنيات الحديثة فى الحروب ، والإسلام يدعو لتعلم كل ذلك . وتشمله كلمة « ما استطعتم من قوة » ورباط الخيل ـ قد يكون بمعنى المرابطة ، أو هو اسم للخيل التى تربط فى سبيل الله وقد قرىء « ومِنْ رُبُطِ الخيل » ـ فهى جمع رباط . وخصصت الخيل من بين أنواع القوى العديدة ، وهى داخلة فيها ، لما لها من أهمية أكبر ، وقد كانت كذلك فى أيام الحرب البدنية التى كانت تعتمد على المواجهة والمبارزة ، ولايزال لها آثار فى استعدادات الحروب وإن كانت الآلات المدمرة قد أصبحت عمدة المحاربين . ولكل زمن آلاته الحربية .

« ترهبون به عدو الله وعدوكم » أى تخيفون الأعداء ، وتملأون قلوبهم خوفاً منكم وفزعاً ، فلا تحدثهم أنفسهم بين حين وحين بالهجوم عليكم « وعَدو الله » . أى أعداؤه وأعداء المسلمين ، قيل هم مشركو مكة . وهذا واضح جداً لأنهم استهانوا بالمسلمين يوم بدر وأبوا أن يرجعوا ، ولو كانوا يعلمون أنَّ لدى المسلمين قوى قاهرة لرهبوهم ، وتحاشوا حربهم ، ثم هم رغم هزيمتهم يوم بدر عادوا يتحرشون بالمسلمين وقد جمعوا لحربهم القبائل يوم الأحزاب ، وهناك أعداء آخرون لا يعلمهم المسلمون . والله ـ سبحانه ـ يعلمهم . وهؤلاء هم اليهود ـ معلنو يهوديتهم ـ أو هم المنافقون . وقيل هم : أهل فارس والروم ، والمسلمون لم يكونوا يعرفونهم .

وأطلقت الآية العلم على المعرفة ، وهذا شائع كثير ، ولذا تعدى الفعل إلى مفعول واحد .

وأعداء الله هم : أعداء دينه ذوو الشرك ، وأعداء المسلمين هم : محاربوهم الذين يتربصون بهم دوائر السوء ، وكان أهل مكة يجمعون الصفتين كلتيهما . وعلى الأخص عقب غزوة بدر ، وفيهم نزل قول الله تعالى : « لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء » .

وأيا ما كان الأمر فإن أعداد العدو التى تخيف العدو وترهبهم ، تحملهم على الإحجام عن غزو المسلمين ، وتقطع أطماعهم فى النيل منهم ، كما أنها ترهب الآخرين ممن قد تحدثهم أنفسهم بغزو المسلمين والعدوان عليهم .

**ونحن معاشر المسلمين نعانى الآن نقص عدة القتال ، ولذا طمع فينا أعداؤنا من هنا ومن هناك ، والمسلمون الآن فى عدد من بقاع الأرض يعتدى عليهم ، بل لقد تفاخر أعداؤنا وتفاحشوا وعملوا ما لم يكن مشركو العرب يعملونه ، ولو كان لنا قوى كالتى لدى الدول الأخرى لرهبنا عدونا : عدو الله وعدو الإسلام .**

ويمكن أن تتضمن الآية هؤلاء الأعداء المعاصرين . فإن المسلمين الذين نزل القرآن فى عهدهم لم يكن لهم علم بهؤلاء ، ولكن الله وحده

يعلمهم . وعلينا أن نعمل جاهدين أو تكون لنا قوة ترهب ، ولكل أجل كتاب ، ولا يأس من روح الله .

ومن هذا يتضح أن الإسلام ليس دين عدوان ، ولا متشوقاً لحرب المسالمين وإنما ينشد القوة ليحمى نفسه ويرد أعداءه . وناسب ذلك الحث على الاستعداد . « وما تنفقوا من شىء فى سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون » .

وهذا حث واضح ، لأن الاستعداد يحتاج إلى إنفاق المال ، وغير المال من الجهد والتفكير وتدبير الحرب .. ولذا قالت الآية : « وما تنفقوا من شىء » . أى شىء قليلًا كان أو كثيراً ، ومن أى نوع من الإنفاق . « يوفَّ إليكم » والموفى لهذا الجزاء هو الله العليم بكل شىء . « وأنتم لا تظلمون » .

لا تظلمون فيما تنالونه من ثواب على ما أنفقتم فجزاؤكم من الله وعدكم به ، ولا أحد أوفى بعهده منه ــ سبحانه ــ وأيضا بهذه العدة ، لا تظلمون من أعدائكم بعدوانهم عليكم ، إذ يرهبون ما لديكم من القوى ، كما أن خوف العدو وتراجعه أو قطع أطماعه من النيل من المسلمين ، مما يبعث الأمن والطمأنينة فى النفوس ، وهذا جزاء أيضا .

والتوفية تعنى الجزاء كاملا غير منقوص ، وقد يزاد عليه ، وهذه التوفية فى الدنيا وفى الآخرة ، وسبيل الله ــ فى هذا المقام ــ هو الجهاد والاستعداد لطوارىء الحروب ، ولكنه يشمل أيضا كل عمل لإنهاض الإسلام ونشر مبادئه فمساعدة المحتاجين ، وبناء المساجد . ورعاية مصالح الأمة فى أى عمل مع الاخلاص فيه وقصد مرضاة الله . كل ذلك « فى سبيل الله » . وأنه مما يذرى بالأمة ، ويشيع فيها الضعف الذى يطمع فيها الأعداء ، أن تكون مرافقها العامة مهملة ، وأن يكثر فى أبنائها المرض ، أو أن يشيع فيها الجهل والتأخر الفكرى . وإذن فكل عمل لإنشاء دور تعليم أو مصحات أو إصلاح طرق ، أو استصلاح أراض للزراعة .. كل ذلك إنفاق فى سبيل الله . وكل إنفاق فى سبيله له ثوابه من رب العالمين .

ومن هذا نرى أن الإسلام ينشد السلام وحقن الدماء . ويحث على العمل لإسعاد الناس واطمئنانهم ، ولذا لا يلجأ إلى الحرب إلا عندما تدعو إليه الطوارىء والظروف ، والظروف متغيرة متطورة دائما ، والاستعداد للحروب وإرهاب الأعداء هو فى حقيقته إقرار للسلم لأنه يُوئِس الأعداء من الانتصار فيكفون عن الحروب .. وقد جاء فى هذا الصدد قوله تعالى : « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم » .

والجنوح الميل إلى الشىء ، يقال جنح له وإليه ، وجنح إلى جانب الطريق وجنح إلى مذهب فلان ، وفريق جنح إلى بنى هاشم بينما جنح فريق آخر إلى بنى أمية ، وكلها بمعنى مال إليه واختاره . والفعل « جنح » مفتوح العين فى الماضى والمضارع ــ كنهض وبرع ــ وجاء أيضا بوزن « قعد » وقرىء : « فاجنُحْ لها » بضم النون .

والآية نزلت فى البيداء قبل غزوة بدر ، وهى تبين مدى ما كان ، والسِّلم هو السلام . وجاء بفتح السين وبكسرها ، ويؤنث فى مقابلة الحرب المؤنثة ــ وجاء فى الشعر :

السلـــم تأخـــذ منها ما رضيت به
والحرب يكفيك من أنفاسها جُرَعُ

فهما معا مؤنثان . وبعض العرب يذكرهما .

يعنى إذا مال خصومك إلى السلام وترك الحرب ، فمل أيضا إلى السلام وفوض أمرك إلى الله تعالى ، ولا تخف كيدهم فإن الله ناصرك بسبب ما أنت عليه من حق .

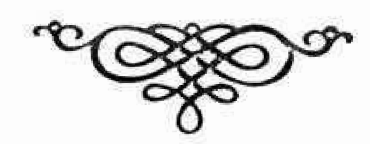
صدرت الآية ب « إن » التى للشك فى حدوث ما يقع بعدها ، فهى توحى بأنهم لن يجنحوا للسلم ، ولم يثبت قط أن مشركى مكة جنحوا للسلم ورغب عنه رسول الله ﷺ وقد أجابهم إليه يوم الحديبية ، ولكنهم ظلوا مصرين على حربه حتى بعد فتح مكة .

وقيل : الآية منسوخة بالآية « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله » وقال مجاهد ناسخها « فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم » . وقيل : أمر الحرب والمسالمة هلى ما يرى الإمام . وقيل أيضاً : إنه لا يهادن الإمام أكثر من عشرة أعوام . وذلك أسوة بما فعل رسول الله ﷺ فى عهد الحديبية .

وقيل : إن الآية نزلت فى شأن بنى قريظة الذين نقضوا العهد . وعلى هذا فهى من الإنباء بالغيب ، لأن سورة الأنفال كلها نزلت فى غزوة بدر .

والأولى أن تكون عامة لأن مشركى العرب لا يقبل منهم إلا الإسلام ، وقد قال الله تعالى : « قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة » .. ثم نسخت بعد أن تقَوَّى المسلمون ، والإسلام يدعو للجهاد ولكنه لا يرى للمسلمين أن يلقوا بأيديهم إلى التهلكة ، ولذا رفض عمر غزو قبرص حين طلبه معاوية ، وقال لعمرو حين غزا مصر : لا أريد أن يكون بينى وبين الجيش ماء ، أريد متى أردت أن أصل إليه اركب راحلتى وأذهب إليه ، أو ما هو بمعنى ذلك .

وذيلت الآية بقوله تعالى : « أنه هو السميع العليم » إلحاقاً وتوضيحاً لجملة « وتوكل على الله » فهو سميع لما يقولونه . عليم بما تكن ضمائرهم .






# الرياء يمحق العبادة

لفضيلة الشيخ / على حامد عبد الرحيم

عن شداد بن أوس : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

من صلّى يرائى فقد أشرك ، ومن صام يرائى فقد أشرك ، ومن تصدق يرائى فقد أشرك ...

... قد سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن الله ـ عز وجل ـ يقول : ﴿ أنا خير قسيم لمن أشرك بى ، من أشرك بى شيئا ؛ فإن حشده ـ عمله قليلة وكثيره ـ لشريكه الذى أشرك به وأنا عنه غنى ﴾ . رواه أحمد ٤/ ١٢٦ ( الميمنية ) .

وعن أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا كان آخر الزمان صارت أمتى ثلاث فرق : فرقة يعبدون الله خالصاً ، وفرقة يعبدون الله رياء ، وفرقة يعبدون الله ليستأكلوا به الناس » .

فإذا جمعهم الله يوم القيامة قال للذى يستأكل الناس : بعزتى وجلالى ما أردت بعبادتى ؟ فيقول : وعزتك وجلالك أستأكل به الناس . قال : لم ينفعك ما جمعت انطلقوا به إلى النار . ثم يقول للذى كان يعبد الله رياء : بعزتى وجلالى ما أردت بعبادتى ؟ قال : بعزتك وجلالك رياء الناس . قال : لم يصعد إلى منه شىء انطلقوا به إلى النار ثم يقول للذى كان يعبده خالصاً : بعزتى وجلالى ما أردت بعبادتى ؟ قال : بعزتك وجلالك أنت أعلم بذلك من أردت به . أردت به ذكرك ووجهك . قال : صدق عبدى انطلقوا به إلى الجنة .

رواه الطبرانى

الإخلاص هو إتقان العبادة والعمل وإحسانهما ، كأن العابد أو العامل يرى ربه وهو يعبده . فإن لم يكن العبد يرى ربه فإن ربه يراه « وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ » . سورة الحديد / ٤

وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ

سورة الملك / ١٣ ، ١٤ .

الإخلاص هو خشية الله ومراقبته فى السر والعلن ، واستواء ما ظهر من عبادة المرء وما بطن . إنه النية الصادقة التى تحوّل العمل الدنيوى إلى عبادة مقبولة .

روى الإمام أحمد أن رسول الله ﷺ قال : من بنى بنيانا فى غير ظلم ولا اعتداء ، أو غرس غرسا فى غير ظلم ولا اعتداء ، كان له أجرا جاريا ما انتفع به أحد من خلق الرحمن ـ تبارك وتعالى .

ومن هنا قال النبى ﷺ « أخلص دينك يكفك العمل القليل » رواه الحاكم .

وإذا امتزج العمل الصالح أو العبادة بخبث النية أو سوء الطوية كان هذا رياء وشركا بالله رب العالمين . والرياء من أخطر الآفات والعلل التى تقذف بصاحبها فى سواء الجحيم . ولقد حذرنا الإسلام فى كتاب ربنا ، ومنهج نبينا ؛ أن من نوى السمعة والصيت بعمله لا يقبله الله ؛ لأن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً وابتغى به وجهه » رواه أبوداود .

يقول النبى ﷺ : فيما رواه الطبرانى : « ما من عبد يقوم فى الدنيا مقام سمعة ورياء إلا سمع الله به على رءوس الخلائق يوم القيامة » .

وإن تمام الفوز بثواب العمل كاملا أن يجعل لله خالصا وخاليا من الرياء والشرك .

أخرج الدارقطنى عن الضحاك بن قيس الفهرى ، أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله ـ تعالى ـ يقول : أنا خير شريك ، فمن أشرك معى شريكا فهو لشريكى ، يا أيها الناس أخلصوا أعمالكم لله ـ تعالى ـ ، فإن الله لا يقبل إلا ما خلص له ، ولا تقولوا : هذا لله وللرحم فإنها للرحم ، وليس لله منها شىء ، ولا تقولوا : هذا لله ولوجوهكم ، فإنها لوجوهكم وليس لله منها شىء » .

والخسارة فادحة لمن يعبدون غير الله ، أو يقدمون العمل الصالح يرجون الثناء من الناس وحسن الذكر ، أو يسخرون الدين نفسه فى التقرب من كبير ، أو الاستحواذ على عرض حقير .

روى الدارقطنى عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : « يجاء يوم القيامة بصحف مُختَّمة فتنصَب بين يدى الله ـ تعالى ـ فيقول الله ـ تعالى ـ للملائكة : ألقُوا هذا واقبلوا هذا ، فتقول الملائكة : وعزتك ما رأينا إلا خيرا ، فيقول الله ـ عز وجل ـ وهو أعلم : إن هذا كان لغيرى ، ولا أقبل اليوم من العمل إلا ما ابتغى به وجهى .

والمرائى ، المتظاهر أشد خطرا وأكثر فتنة من المسيخ الدجال ـ وعلى أهل الإيمان أن يحذروا منه ، وأن يتوجهوا إلى الله مخلصين له الدين .

أخرج ابن ماجه فيما رواه أبو سعيد الخدرى قال : خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتذاكر المسيخ الدجال ، فقال : ألا أخبركم بما هو أخوف

عليكم من المسيخ الدجال ؟ قال : فقلنا : بلى يا رسول الله ، فقال : الشرك الخفى ، أن يقوم الرجل يصلى فيزين صلاته لما يرى من نظر الرجل » أى من نظر رجل آخر إليه - والله أعلم .

قد يصلى الرجل مرائياً .. وهذا قد توعده الله بالويل والخسران والهلاك . قال الله تعالى : ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ۝ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ۝﴾

وفد على عمر بن عبدالعزيز بلال بن بريدة فجعل يصلى ويطيل الصلاة ، فقال عمر - رضى الله عنه - للعلاء : « أترى ذلك تصنعاً » ، فقال العلاء : أنا آتيك بخبره يا أمير المؤمنين . فأتى إلى بلال بين العشائين ، فوجده يصلى ، فقال له : خفف صلاتك فإن لى إليك حاجة فخفف وسلم وقال : ما الحاجة ؟ فقال له العلاء : تعرف محلى من أمير المؤمنين ؛ فإن أنا أشرت بك عليه فى ولاية العراق فما تجعل لى ؟ قال : لك علىّ عمالة سنة - وكان مبلغ عشرين ألف درهم - فسأله العلاء أن يكتب له بذلك شرطا على نفسه فكتب له . فأتى العلاء بالشرط إلى عمر ، فلما قرأه قال : غرنا بالله فكدنا أن نغتر . كنا نظنه ذهبا فلما سبكناه وجدناه خبثا .

وهذا عمر بن الخطاب رضى الله عنه - يرى رجلا - يطأطئ - رقبته وهو يسير ، فيقول : يا صاحب الرقبة ارفع رقبتك ، ليس الخشوع فى الرقاب ، إنما الخشوع فى القلوب .

ورأى أبو أمامة الباهلى - رضى الله عنه - رجلا فى المسجد يبكى فى سجوده ، فقال : أنت أنت ... لو كان هذا فى بيتك !

قد ينفق المرء فى وجوه الخير ، وقد يتصدق على الفقراء والمحتاجين . ولكن قد يداخله حب الرياء والثناء من الناس عليه ، وهذا خطره جسيم . والله - عز وجل - يحذرنا من ذلك فيقول : ﴿

وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ۝ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ۝ ﴾

سورة النساء/ ٣٨ ، ٣٩

﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ۝﴾

سورة البينة

جاء فى صحيح مسلم الذى رواه أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال : إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه ، رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمه فعرفها ، قال : فما علمت فيها ؟ قال : قاتلت فيك حتى استشهدت ، قال : كذبت ، ولكنك قاتلت لأن يقال : جرئ ، فقد قيل . ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار .

ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن ، فأتى به ، فعرفه نعمه فعرفها ، قال : فما عملت فيها ؟ قال : تعلمت العلم وعلمته ، وقرأت فيك القرآن ، قال : كذبت ، ولكنك تعلمت العلم ليقال : عالم ، وقرأت القرآن ليقال : هو قارئ ،

فقد قيل . ثم أمر فسُحب على وجهه حتى ألقى فى النار . ورجل وسَّع الله عليه ، وأعطاه من أصناف المال كله ، فأُتى به فعرفه نعمه فعرفها قال : فما عملت فيها ؟ قال : ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك ؛ قال : كذبت ، ولكنك فعلت ليقال : هو جواد . فقد قيل . ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار .

وقد رأى شداد بن أوس وجه رسول الله ﷺ متغيرا فتألم وقال : بأبى أنت وأمى يا رسول الله ما الذى أرى بوجهك ؟ قال أمر أتخوفه على أمتى من بعدى ، قلت : يا رسول الله وما هو ؟ قال : الشرك والشهوة الخفية ، قلت : يا رسول الله أوتشرك أمتك من بعدك ؟ قال : يا شداد أما إنهم لا يعبدون شمسا ولا قمرا ولا حجرا ولا وثنا ولكنهم يراءون بأعمالهم . قلت : والرياء شرك هو ؟ قال : نعم .

فاحذر أيها المؤمن من الرياء فى كل عمل ؛ فهو العلة وسبب الشقاء ، فالمرائى ملعون ولا نجاح لمن لعنه الله . وها هو رسول الله ﷺ « من تزين بعمل أهل الآخرة وهو لا يريدها ولا يطلبها لعن فى السموات والأرض .

وقال ﷺ لمن سأله قائلا : « ما النجاة غدا يا رسول الله ؟ فقال : ألا تخادع الله ، فقال : وكيف أخادع الله ؟ فقال : أن تعمل بما أمرك الله ورسوله وتريد به غير وجه الله » .

اللهم أرزقنا الإخلاص فى القول والعمل . واهدنا سواء السبيل



# إمام القادة صلى الله عليه وسلم

لواء م ح / محمد جمال الدين محفوظ

**● محمد رسول الله ﷺ ، اصطفاه الله ليبلغ أعظم رسالة ، وجعله تحت حراسته وعنايته ، وخصه بعميم فضله وكرامته ، وجمع له رفيع الخصال حتى استوفى من مكارم الأخلاق كل مكرمة لم ينلها إنسان قبله ولا بعده حتى وصفه الله بقوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾**

**سورة القلم ـ آية : ٤**

● وفى مجال القيادة ، اجتمع فى رسول الله ﷺ من الصفات والقدرات « ما تفرق فى غيره » ، فهو المثل الكامل والقدوة المثلى كما يقول الله تعالى :

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ .

**سورة الأحزاب ـ آية : ٢١**

● وإذا كان القادة العسكريون يتعلمون فنون القيادة والحرب « على يد غيرهم » من القادة والمعلمين فى المعاهد العسكرية ، فإن الرسول ﷺ « لم يأخذ عن غيره » ، وإنما أخذ عن الله ـ جل شأنه ـ حيث قال تعالى :

﴿ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ .

**سورة النساء ـ آية : ١١٣**

فلا عجب إذن أن يظهر عليه الصلاة والسلام فى أمور الحرب والصراع مالا يتسامى إليه القادة الذين تعلموا فنونها ، واتخذوها صناعة .

● ومنذ بدأت الدعوة الإسلامية ، بدأ معها صراع طويل واجه فيه المسلمون أعداءا يريدون القضاء عليهم وصدهم عن سبيل الله ، مستخدمين كل أساليب المقاومة والضغط والحرب ، لكن الرسول القائد ﷺ ـ بسياسته الحكيمة ، وقيادته الرشيدة ـ استطاع بإذن الله أن يحقق « الحسم الاستراتيجى » لصالح الدعوة الإسلامية على نحو تجاوز إحراز النصر على أعدائه ، وبلغ حد « تحويل

اتجاهاتهم » من العداء للإسلام إلى اعتناقه ، وليس ذلك فحسب ، بل إلى رفع راية الجهاد فى سبيل الله .

### شـــهادة التـاريخ :

● وقد شهد التاريخ أنه فى غضون عشر سنوات بعد الهجرة ، استطاع الرسول ﷺ أن ينشىء أمة ، ويقيم دينا ، ويضع تشريعا ، ويربى جيلا ، ويبنى جيشا ، ويؤسس حضارة إسلامية ازدهرت قرونا عديدة ، ويكفيه فضلا من الله عليه وعلى أمته ، أننا لا نجد نبيا من الأنبياء « ترك أمته » على مثل الحال التى ترك سيدنا محمد ﷺ أمته عليها ، فلم يلق صلوات الله وسلامه عليه ربه ، حتى استقرت أمته بشعبها الممتاز ، وحكمها العادل ، وتشريعاتها الكاملة ، وجيشها العظيم المنتصر ، وجزيرتها العربية الخالصة لها .

● ومنذ عهد الخليفة الأول أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، بدأ صراع بين المسلمين وبين أعظم قوتين عالميتين فى ذلك الوقت ، وهما فارس فى الشرق ، والروم ( البيزنطيون ) فى الشمال والغرب ، وقد كانت الأمة الإسلامية قادرة على مواجهة ذلك التحدى الكبير بفضل الله ، فكانت المحصلة النهائية لذلك الصراع الطويل ؛ انتصار المسلمين على كلتا الإمبراطوريتين بكل ما وراءهما من تاريخ حربى طويل وخبرة عميقة بفنون الحرب والقتال ، هذا فضلا عن أن الأمة الإسلامية كانت أمة رائدة للحضارة الإنسانية فى ميادين العلوم الطبيعية والاجتماعية .

### الصـراع فى عهـد النبـوة :

● وقد قاد الرسول ﷺ ثمانى وعشرين غزوة خلال سبع سنين بعد الهجرة ، فقد خرج إلى غزوة ودان ـ وهى أولى الغزوات فى صفر من السنة الثانية للهجرة ـ وكانت غزوة تبوك آخر غزواته فى رجب من السنة التاسعة للهجرة .

● وإلى جانب الغزوات ، بعث ـ عليه الصلاة والسلام ـ أصحابه فى عدد من السرايا يقترب من الخمسين خلال تسع سنوات ، ابتداء من سرية حمزة بن عبد المطلب ـ رضى الله عنه ـ التى بعثها إلى العيص فى رمضان من السنة الأولى للهجرة ، وانتهاء بسرية على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ التى بعثها إلى بلاد مُذْحِج فى اليمن فى رمضان من السنة العاشرة للهجرة .

● ولقد حدد الرسول القائد ﷺ « الهدف الاستراتيجى »[1] منذ بداية الصراع حين قال وهو يدعو ربه فى أولى الغزوات الحاسمة وهى غزوة بدر الكبرى : « اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد فى الأرض »[2] وبتحديد هذا الهدف ربط الرسول ﷺ بين مستقبل الدعوة وأمن المسلمين ، وبين القدرة على الدفاع عنها ، وجعل بناء القدرات الدفاعية « قضية أمن ومصير » .

● وقد أثبت المسلمون بقيادة الرسول ﷺ أنهم قادرون على القيام بكفاءة عالية بأعمال القتال على اختلاف أشكالها مثل عمليات الاستطلاع

---

(١) « الهدف الاستراتيجى » هو الهدف الذى يسبب للعدو ـ أثناء سير الصراع المسلح من الأضرار ما يؤدى إلى إحداث تغيرات حادة فى الموقف العسكرى والسياسى ويؤثر تأثيرا بالغا على تطور الصراع المسلح ككل .

(٢) ابن هشام : السيرة النبوية ـ القسم الأول (جـ ١ ، ٢) ص ٦٢٧ .

والإغارة والدفاع والهجوم[٣] والحصار والمطاردة وغيرها ، فنجاح المسلمين فى هذه العمليات المنوعة شهادة من التاريخ على ما كان يتمتع به جيش الإسلام الأول من كفاءة قتالية عالية ، ودليل ناصع على أصالة مبادىء العسكرية الإسلامية التى تعلمها المسلمون ودربوا عليها على يد الرسول القائد ﷺ قائد المدرسة العسكرية الإسلامية ومعلمها الأول ، إذ ليس من شك فى أن المعارك الحربية هى « المحك » الذى تظهر فيه قيمة النظريات والمبادىء العسكرية ومستوى التدريب والاستعداد القتالى للجيوش .

● ثم إن المسلمين من خلال تلك العمليات « اكتسبوا » خبرات قتالية فى مواجهة القوات غير النظامية كالمشركين واليهود ، والجيوش النظامية كالروم ، وعلى أساس تلك الخبرات أصبحوا مؤهلين عسكريا لمواجهة الفرس والروم بعد عصر النبوة ومنذ عهد الخليفة الأول كما قدمنا .

● والنظرة الشاملة لغزوات الرسول ﷺ خلال سنوات الصراع توضح ما يلى :

فى السنة الأولى للصراع ( وهى السنة الثانية للهجرة ) قاد عليه الصلاة والسلام ثمانى غزوات ، وفى السنة الثانية للصراع ( ٣ هـ ) قاد أربعا ، وفى السنة الثالثة ( ٤ هـ ) قاد ثلاثا ، وفى السنة الرابعة ( ٥ هـ ) قاد أربعا ، وفى السنة الخامسة (٦ هـ) قاد ثلاثا ، وفى السنة السادسة ( ٧ هـ ) قاد اثنتين ، وفى السنة السابعة ( ٨ هـ ) قاد ثلاثا ، وفى السنة الثامنة . للصراع ( ٩ هـ ) قاد غزوة واحدة ، بعبارة أخرى كان عدد الغزوات السنوية خلال فترة الصراع موزعا على التوالى كالآتى : ٨ ـ ٤ ـ ٣ ـ ٤ ـ ٣ ـ ٢ ـ ٣ ـ ١ .

● وبدراسة هذا التوزيع الكمى والزمنى للغزوات يمكن استخلاص ما يلى :

١ ـ أن الرسول ﷺ « لم يتخلف » عن مباشرة قيادة العمليات العسكرية « طوال » فترة الصراع ( من سنة ٢ هـ إلى سنة ٩ هـ ) .

٢ ـ وأنه عليه الصلاة والسلام قاد « أكبر عدد » من العمليات وهو ثمانى غزوات خلال العام الأول للصراع بينما كان عدد العمليات التى قادها فى كل عام بعد ذلك لا يتعدى ثلاث أو أربع عمليات .

● ويستفاد من ذلك أن الرسول ﷺ قد قرر مبدأ هاما من مبادىء القيادة هو أن « إعداد قادة المستقبل » من أسمى مهام القيادة ، وأن قيمة أية قيادة تقاس بمقدار ما صنعت وقدمت لأمتها من رجال صالحين لتولى القيادة وهو ما توضحه فيما يلى :

( ١ ) إن التركيز على قيادة الرسول ﷺ لأكبر عدد من العمليات فى « أولى » سنوات الصراع ( ٨ غزوات ) أمر له دلالته التى لا تغيب عن القائد الخبير بالقيادة وفن الحرب ، فمن حيث إعداد القادة وإعداد المقاتلين فإن

---

(٣) ليس صوابا فهم الهجوم على أنه مرادف للعدوان ، لأن الهجوم فى الفن العسكرى عمل من أعمال القتال تتحرك فيه القوة نحو العدو لضربه ، وتقتضيه الظروف فى العمليات الدفاعية ، وقد اشتملت الغزوات والسرايا على أعمال هجومية فى إطار الاستراتيجية الإسلامية للدفاع عن الدعوة .

هذا التركيز ضرورة حيوية ، لأن أولى سنوات الصراع تعد مرحلة « تدريب أساسى » ، يكونون فيها فى حاجة إلى « الإشراف المباشر والموصول » من القائد المعلم شخصيا ، حيث يقدم لهم المثل والقدوة فى القيادة والتفكير والتخطيط والقتال .

(٢) وقادة الوحدات الفرعية التى يتألف منها الجيش يباشرون القيادة تحت سمعه وبصره ، ويتلقون أوامره وتوجيهاته ، ويرون أسلوبه فى التفكير وتقدير المواقف واتخاذ القرارات والتخطيط للمعركة وإدارتها والتصرف فى مواقعها ، وتلك فرصة طيبة « للتعلم على الطبيعة » واكتساب الخبرة القتالية فى الوقت نفسه .

(٣) ولما كان الرسول القائد ﷺ حريصا على مشورة أصحابه ، فإنهم بذلك يتدربون تدريبا عمليا على أهم « مهارات القيادة » وهى فن التفكير واستخدام العقل والتعبير عن الرأى من خلال مشاركتهم للقائد المعلم فى مرحلة التخطيط للمعارك ، ومن أمثلة ذلك أنه ﷺ استشار أصحابه فى « مبدأ قبول المعركة » فى غزوة بدر ، كما نزل على مشورة « الحباب بن المنذر » فانتقل بالجيش إلى الموقع الذى أشار به لأنه يتحكم فى بئر بدر .

(٤) ثم إن هذا الأسلوب يفيد قادة المستقبل ؛ من حيث إنه يكسبهم القدرة على إصدار القرارات السليمة فى وقتها المناسب مما يعد من أهم خصائص القيادة الناجحة ، ذلك لأن مشاركتهم للقائد فى التخطيط تتيح لهم معرفة عميقة بفكره وأهدافه ، وإحاطة وافية بجوانب الموضوعات والقضايا المتعلقة بالصراع واستراتيجيته ، مما يمكنهم من اتخاذ القرارات فى المواقف التى يواجهونها « دون الحاجة » إلى الرجوع إلى القيادة العليا ، وخاصة فى المواقف المفاجئة أو التى لا تحتمل التأخير .

النتائج الاستراتيجية للغزوات والسرايا :

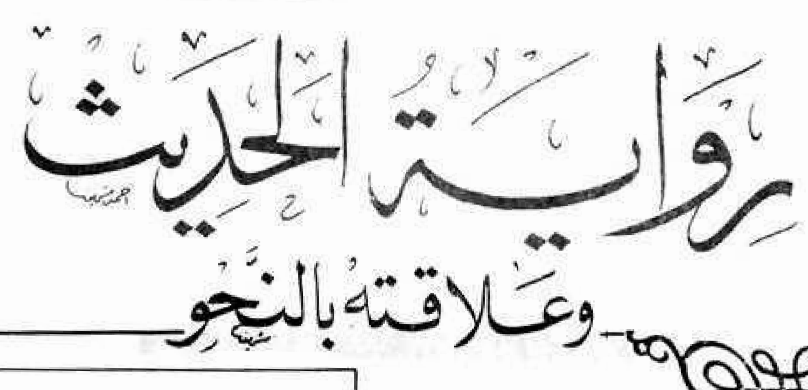
● ولقد تحقق ـ بفضل الله ـ « الهدف الاستراتيجى » الذى حدده الرسول ﷺ وهو يدعو ربه فى بدر كما قدمنا ، وهو « تأمين الدعوة وقيام الدولة الإسلامية وتوحيد شبه الجزيرة العربية لأول مرة فى التاريخ تحت لواء الإسلام » ، وكان من تحقيق هذا الهدف :

ـ أن قريشاً وهى « الخصم الأساسى » أقبلت على الإسلام بعد أن ظلت عشرين عاما تصد عن سبيل الله بأساليب الضغط والإيذاء والحرب .

ـ وكذلك عاد المستضعفون الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ، إلى بلدهم تحت أعلام الإسلام والسلام .

ـ وأتم الرسول ﷺ ـ فى أول يوم لفتح مكة ـ مادعا إليه منذ عشرين عاما ، وحاربته قريش أشد الحرب فيه ، وهو تحطيم الأصنام والقضاء على الوثنية فى البيت الحرام .

ـ ومن ثم توفر للدولة الإسلامية الأمن والاستقرار لكى تؤدى رسالتها السامية لخير البشرية .




د/ جمال عبد العزيز أحمد

يقف الحديث الشريف إلى جانب القرآن الكريم فى كل قضاياه ، ومكانة السنة فى التشريع لا ينكرها إلا من ينكر عقله أو من يُغالط فى الحقائق نفسَه ، فهى الأصل الثانى الذى تُستقَى منه الشريعة ، ولذا فإن حاجة المحدثين إلى النحو لا تقل بحال عن حاجة المفسرين إليه ؛ فإن فيه حصانة الإنسان من اللحن والتحريف ، ومن ثمَّ تكلم كبار المحدثين والمشتغلين بعلوم الحديث حول هذا المطلب ، وأفاضوا فيه ، من ذلك ما يحكيه السيوطى نقلا عن ابن الصلاح ـ رضى الله عنه ـ قال[1] :

« وأما الحديث فقد قال ابن الصلاح « فى علومه » : ينبغى ألا يروى حديثه بقراءة لحَّان ، ثم روى عن أبى داود السبخى قال : سمعت الأصمعى يقول : إن أخوَف ما أخافُ على طالب الحديث ـ إذا لم يعرف النحو ـ أن يدخل فى جملة قول النبى ﷺ : « من كذب علىَّ فليتبوأْ مَقْعَده من النار » ؛ لأنه ﷺ « لم يكن يلحنُ ، فمهما رويت عنه ولحنتَ فيه فقد كذبتَ عليه »[2] .

(*) الكاتب مدرس مساعد بكلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة

(١) المطابع السعيدة ( رسالة دكتوراه بجامعة الأزهر الشريف ـ كلية اللغة العربية تحقيق نبهان ياسين سنة ١٩٧٥ ) ص ٣٧ ، وانظر فى « علوم الحديث لابن الصلاح » شرح وتحقيق نور الدين عتر : ص٢١٨ ، والتقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح للحافظ العراق ص٢٢٨ ، ٣٣٠ .

(٢) الحديث أخرجه البخارى : كتاب العلم ـ باب « إثم من كذب على النبى ـ ﷺ ـ بلفظه ٣٨/١ ، وفى صحيح مسلم بزيادة لفظ متعمدا » : المقدمة ـ باب تغليظ الكذب على رسول الله ـ ﷺ ـ برقم ٣ ، ١٠/١ ، ومعجم الأدباء ٩٠/١ ـ ٩١ والصعقة الغضبية فى الرد على منكرى العربية : ١٣٢ .

قال ابن الصلاح[3] : فحقٌّ على طالب الحديث أن يتعلم من النحو واللغة ما يتخلص به من شيئين : اللحن والتحريف ومعرتهما ، وروينا عن شعبة قال : « من طلب الحديث ولم يُبصِر العربية - أو قال النحو - فمثله مثل رجل عليه بُرْنُسٌ ليس له رأس »[4]، أو كما قال .

وحدَّث التنوخى عن جابر قال : قلت للشَّعْبِىّ : أسمع الحديث بغير إعراب فأعربه ؟ قال : نعم ، لا بأس .

وأخرج البيهقى فى شعب الإيمان عن شعبة قال[5] : « إذا كان المحدِّثُ لا يعرف النحو فهو كالحمار تكون على رأسه مخلاة ليس فيها شعير » .

ويقول الشيخ الأنصارى[6] : فحقٌّ النحوُ واللغة ، أى واجب تعلّمُها على من طلب الحديث بأن يتعلم من كلٍّ منهما ما يتخلص به من شَيْن اللحن وأخويْه ومعرتهما ؛ لأن ذلك مقدمة لحفظ الشريعة ، وهو واجب ، ومقدمة الواجب واجبة ، وقال الشعبى : « النحو فى العلم كالملح فى الطعام لا يستغنى شيء عنه » .

وهذا المعنى الذى نبَّه عليه كبير المحدثين ( ابن الصلاح ) أخذه الحافظ العراقى وشرحه نثرا ونظما : نثرا فى كتابه : « التقييد والإيضاح فى شرح مقدمة ابن الصلاح » ، ونظما فى ألفيته الحديثية الشهيرة المنظومة حول مقدمة ابن الصلاح - قال الحافظ العراقى[7] :

**وليحذر اللحّانَ والمصحِّفا ... على حديثه أن يحرِّفا**

**فيدخلا فى قوله من كذبا ... فحقٌّ النحوُ على مَنْ طلبا**

**والأخذ من أفواههم لا الكتب ... أدْفَعُ للتصحيف فاسمعْ وادأبِ**

ثم شرح العراقى نفسه ألفيته فى الحديث فى كتاب « فتح المغيث » ، وأورد كلام ابن الصلاح فى وصف رواية الحديث وشرط أدائه ، ثم زاد : « وقد روينا عن حماد بن سلمة أنه قال لإنسان : إن لحنتَ فى حديثى فقد كذبت علىّ ؛ فإنى لا ألحنُ ، وقد كان حماد إماما فى ذلك[8] .

وقد نظم السيوطى ألفيةً فى الحديث على شاكلة ألفية العراق - تشرح مقدمة ابن الصلاح - عرض فيها للعلاقة بين النحو ورواية الحديث جاء فيها[9] :

**وسامع الحديث باقتصار ... عن فَهْمِه كَمَثَلِ الحمارِ**

**فليتعرَّفْ ضعفه وصحتَهْ ... وفِقْهَه ونحوَه ولغتَهْ**

ثم عاد فذكر شرط الحديث فيها فقال[10] :

**واحذر من اللحن أو التصحيف ... خوفا من التبديل والتحريف**

---

(3) التقييد والايضاح شرح مقدمة ابن الصلاح : ٢٢٩ .

(4) البُرْنُس : قلنسوة طويلة كان النُّسَّاك يلبسونها فى صدر الإسلام ، أو هى كل ثوب رأسُه منه ، ملتزقٌ به ، دُرَّاعةً كان أو مِمْطرًا أو جُبَّةً ( اللسان برس ٢٧٠ ) .

(5) المطابع السعيدة ٥١٠ .

(6) فتح الباق على ألفية العراق للشيخ الأنصارى: ١٧٤ - ١٧٥ .

(7) ألفية الحديث للعراق ٢٦٤ - ٢٦٥ .

(8) فتح المغيث بشرح ألفية الحديث للعراق ٢٦٤ - ٢٦٥ .

(9) ألفية الحديث للسيوطى : ١٨٩ .

(10) ألفية الحديث للسيوطى ١٦٦ ، والخلاصة فى أصول الحديث للطيبى بتحقيق السامرائى ١١٤ - ١١٧ .

**فالنحوُ واللغاتُ حقُّ مَنْ طلَبْ**
**وخُذ من الأفواه لا من الكتب**
**فى خطــأ ولحنٍ أصْلِ يُرْوَى**
**على الصواب مُعْرَبًا فى الأقوى**

كذلك يذهب ابن فارس إلى أن حامل الحديث يلزمه تحصيل النحو ، ولابد له من الوقوف على دقائقه ، وإلا فسرعان مايزلف إلى اللحن ، وقد حمل على من يقول ـ من المحدِّثين : إننا محدِّثون لانحاة ، ولا شأن لنا بتحصيل علوم غيرنـــا فقال[11] : « وقد كان الناس قديما يتجنَّبون اللحن فيما يكتبونه ويقرءونه اجتنابهم لبعض الذنوب ، وأما الآن فقد تجوزوا حتى رأينا المحدِّث يحدث فيلحن ، والفقيه يؤلف فيلحن . فإذا نبها قالا : ماندرى : ماالإعراب ، وإنما نحن محدثـــون وفقهاء ، فهما يسران بما يُسَاءُ به اللبيب » .

وعندما عرض الإمام النووى ـ رحمه الله تعالى ـ للعلوم التى يفتقر إليها المحدِّث عَدَّ النحو منها ، وسماه العربية قال[12] : « مما يَفْتَقِرُ إليه مِن أنواع العلوم صاحبُ هذه الصناعة ـ يعنى صناعة الحديث ـ معرفة الفقه والأصوليْن والعربية .. ونحو ذلك من الأدوات التى يفتقر إليها » .

كذلك قرر الشوكانى لصاحب الحديث قبل أن يلج هذا العلم : أن يحصل أداته وهى النحو يقول[13] : « إنه ينبغى لطالب العلم ـ علم الحديث ـ بعد أن يقيم لسانه بما يحتاج إليه من النحو أن يقبل على سماع الكتب التى جمع فيها أهل العلم فنون الأحاديث .. » .

وينقل الدكتور عبدالفتاح لاشين حَمْلَ عبدالقاهر الجرجانى على المحدِّثين والفقهاء فى تركهم النحو والزهد فيه فيقول[14] : « أتى عبدالقاهر الجرجانى ـ رحمه الله ـ فوجد عامة المحدِّثين والفقهاء قد زهدوا فى النحو ، وهجروه لَماَّ عَزَّ عليهم الاستفادة منه ، نتيجة ما شابَهُ من فلسفة ، فوجَّه إليهم اللوم والعتاب ، وذهب إلى أن من يصد عن تعليم النحو فهو صادٌّ عن سبيل الله ، وذلك عندما كان يناقش فكرة إعجاز القرآن ، وأنها لاتكون إلا عن طريق النظم ، وليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذى يقتضيه علم النحو ، ويعمل على قوانينه وأصوله » .

ومن الأسباب التى أوجبت الاختلاف بين المسلمين فى آرائهم ـ كما يرى ابن السِّيد البطليوسى ـ السبب العارض من جهة الرواية الحديثية ، فذهب فى ذلك إلى أن الحديث المأثور عن رسول الله ﷺ تعرض له ثمانى علل ، ذكر منها العلة الثالثة وهى : الجهل بالإعراب ، وضرب لذلك أمثلة حية تبين أن الجهل بالإعراب يوقع فى محاذير شرعية قد تصل إلى حد الكفر ، إذا اعتقدها قائلها ، يقول البطليوسى[15] : « العلة الثالثة ، وهى : الجهل بالإعراب ومبانى كلام

---

(11) الصاحبى 56 ، والتراكيب النحوية د . عبدالفتاح لاشين 241 .

(12) نقلا عن قواعد التحديث فى فنون مصطلح الحديث للقاسمى 219 .

(13) أدب الطلب ومنتهى الأرب للشوكانى 118 .

(14) التراكيب النحوية ص4 .

(15) الإنصاف فى التنبيه على الأسباب التى أوجبت الاختلاف بين المسلمين فى آرائهم للبطليوس 113 ـ 114 .

العرب ومجازاتها ، وذلك أن كثيراً من رواة الحديث قوم جُهّال باللسان العربى ، لا يفرقون بين المرفوع والمنصوب والمخفوض ، ولعمرى لو أن العرب وضعت لكل معنى لفظاً يؤدى عنه لا يلتبس بغيره لكان لهم عذر فى ترك تعلم الإعراب ، ولم يكن بهم حاجة إليه فى معرفة الخطأ من الصواب ، ولكن العرب قد تفرق بين المعنيين المتضادين بالحركات فقط ، واللفظ واحد . ألا ترى أن الفاعل والمفعول ليس بينهما أكثر من الرفع والنصب ؟! فربما حدّث المحدِّث بالحديث فرفع لفظة منه ينوى أنها « فاعلة »، وينصب أخرى ينوى بها أنها « مفعولة »، فنقل عنه السامع ذلك الحديث فرفع ما نصب ، ونصب ما رفع جَهْلًا منه بما بين الأمرَيْن ، فانعكس المعنى إلى ضد ما أراده المحدِّث الأول ، ألا ترى أن قوله ﷺ : « لا يُقْتَلُ قرشىٌّ صَبْرًا بعد اليوم »[16] إذا جزمت كان له معنى ، وإذا رفعت فله معنى آخر » .

قال العلماء : « معنى الحديث الإعلام بأن قريشا يُسْلِمون كُلهم ، ولا يرتد أحد منهم كما ارتد غيرهم بعده ﷺ مِمَّنْ حُورِب وقُتل صَبْرًا ، وليس المراد أنهم لا يقتلون ظلما صبرا ، فقد جرى على قريش بعد ذلك ما هو معلوم[17] ، وفى تأويل « مشكل القرآن » لابن قتيبة[18] : فمن رواه جزما أوجب ظاهر الكلام للقرشى ألا يقتل إن ارتدّ ، ولا يقتص منه إنْ قَتَل ، ومن رواه رفعا انصرف التأويل إلى الخبر عن قريش أنه لا يرتد منها أحد عن الإسلام فيستحق القتل » ، أفما ترى الإعراب كيف فرّق بين هذين المعنيين ، إذاً فالمراد أن القرشى لا يعود إلى الكفر فَيُقْتَل على كفره صبرًا وفى إعراب الحديث للعكبرى[19] : « صبـرًا مصدرٌ فى موضع الحال أى لا يقتل مُصَبّرًا أى محبوسًا » ... وفى عقود الزبرجد على مسند أحمد للسيوطى[20] : وقال سليمان بن خلف النحوى فى كتابه : « الدرة الأدبية فى نصرة العربية » : لو رُوِىَ « يُقْتَلْ » خُزَّ ، وأفسد المعنى لاقتضائه أنه لا يُقْتَلُ قرشىٌّ وإن ارتدّ ، ولا إذا قَتَل ، بل رفعًا ، وانصرف التأويل إلى الإخبار أن قريشا لا يرتد أحد منها عن الإسلام ، فيستحق القتل ، نقله ابن الصائغ فى تذكرته » .

ولو أن قارئا قرأ : « هو الأول والآخَر »[21] ففتح الخاء لكان قد كفر وأشرك بالله ، وإذا كسر الخاء آمن ووحّد ، فليس بين الإيمان والكفر غير حركة ، ولذلك قال النبى ﷺ « رحم الله امرأ أصلح من لسانه »[22] . وقال عمر بن الخطاب

---

(16) الحديث أخرجه مسلم : كتاب الجهاد والسير ـ باب « لا يقتل قرشى صبرا بعد الفتح » برقم 88 ( 1409/3 ) ، والدارمى : كتاب الديات ـ باب « لا يقتل قرش صبرا » برقم 2391 ( 119/2 ) ، وأحمد فى المسند 213/4 ، 3 / 412 ، ومشكلة الآثار للطحاوى 227/2 .

(17) انظر هامش صحيح مسلم بتحقيق الأستاذ المرحوم محمد فؤاد عبدالباق 1409/3 .

(18) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة 15 .

(19) إعراب الحديث للعكبرى 171 .

(20) عقود الزبرجد على مسند الإمام أحمد السيوطى 29/2 .

(21) الحديد / 3 .

(22) الحديث ذكره الفتنى فى « تذكرة الموضوعات ص205 ، وكذا ذكره العجلونى فى كشف الخفاء برقم 1075 ( 1/ 400 ) وبرقم 1368 ( 513/1 ) وذكر أنه ضعيف ، لكن معناه صحيح ، ويؤيده الآيات والأحاديث الأخرى التى تحث على ضرورة أن يصلح الإنسان من لسانه ، وأن يجتهد فى تعلم العربية لحفظ الشريعة .

ـ رضى الله عنه : « تعلموا الفرائض واللحن كما تتعلمون القرآن »[٢٣] واللحن فى اللغة النحو .

وكان أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب يُجِلّ أصحاب الحديث ، وكان مع اشتغاله بعلوم العربية لايزال به حنين إلى علوم الدين ، فيروى أبو بكر ابن مجاهد أنه قال له[٢٤] : ياأبا بكر ، اشتغل أصحاب القرآن بالقرآن ففازوا ، واشتغل أهل الفقه بالفقه ففازوا ، واشتغل أصحاب الحديث بالحديث ففازوا ، واشتغلت أنا بزيد وعمرو ، فليت شعرى مايكون حالى فى الآخرة ؟ قال ابن مجاهد : فانصرفت من عنده ، فرأيت تلك الليلة النبىَّ ﷺ فى المنام ، فقال : « أقرىء أبا العباس منى السلام ، وقل له : إنك صاحب العلم المستطيل » قال الروذبارى : أراد أن الكلام به يكمل ، والخطاب به يَجْمُل ، وقال مرة أخرى : أراد أن جميع العلوم مفتقرة إليه ، وكان ثعلب هذا يُلَقَّب بـ « فاروق النحويين » .

تلك هى أقوال المحدِّثين فى شأن طالب الحديث وفى شرط روايته ، فالعجب كل العجب ممن لايعلم من العربية والنحو إلا الإسم ، ثم هو لايقيم الكلم المضبوط بالشكل على السلامة ، وإذا به يتسور أصعب المراقى ؛ فيدّعى الاجتهاد ، ويقيم نفسه حكماً يقضى بالخطأ والصواب على أئمة الإسلام . فما أصدق ماضرب له من المثل حماد ـ رضى الله عنه ـ كمثل الحمار عليه مخلاة لاشعير فيها ..

---

(٢٣) وقال أبو بكر فى إيضاح الوقف والابتداء ص١٦ : وحدّث يزيد بن هارون بهذا الحديث ، فقيل له : مااللحن ؟ فقال : النحو .

(٢٤) مجالس ثعلب ( تحقيق الأستاذ المرحوم عبدالسلام هارون ) ص١٢ ، والتراكيب النحوية د . لاشين ص٤١ ـ ٤٥ ، ومعجم الأدباء ١٣٩/٥ ـ ١٤٠ .




# USURY The Lender's Long Lament

عرض وتعليق لواء م.ح. د/ فوزى محمد طايل

**يقول الله ـ تعالى :**

﴿ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ﴾



**نشرت مجلة « الاقتصادى » « The Economist » الشهيرة ، المتخصصة فى معالجة الموضوعات السياسية والاقتصادية والمالية ، والتى صدرت فى لندن عن المدة : ٢٥ ديسمبر ١٩٩٣ م ـ ٧ يناير ١٩٩٤ م ، تقريرا عن « الربا » ، يقع فى ثلاث صفحات ( ١٠٣ حتى ١٠٥ ) ، ولم تنسب المجلة التقرير إلى كاتب بعينه .**

والتقرير بصفة عامة يتحدث عن « المعاملات الربوية » فى البنوك التجارية ، وموقف المجتمعات الغربية ، ذات الحضارة ( اليهودية/ النصرانية ) ، من هذه المعاملات التى حرّم الله ـ تعالى ـ التعامل بها فى كل شرائعه السماوية ؛ لأنه ـ سبحانه ـ حرم الربا .

وعلى الرغم من أن التقرير تناول بالتفصيل موقف اليهود والنصارى فى المجتمعات الغربية ( رجال الدين منهم والعامة من الناس ) من هذه المعاملات الربوية ، ومدى استباحتهم لواحدة من حرمات الله ، من خلال التحايل من طريقين :

ـ استخدام لفظ « فائدة » interest بدلا من لفظ « ربا » ، للتعمية والتضليل .

ـ تحريم التعامل بالربا من قبل ، أو مع بعض الأشخاص ، وتحليل ذلك لباقى الناس أو معهم ( كما سيأتى تفصيله بعد قليل ) .

أقول على الرغم من هذا ، فلم ينس التقرير التأكيد بكل الوضوح على أن القرآن الكريم كان حاسما فى تحريمه الكامل للربا ( الفائدة ) ، فكان النص ص ١٠٣/١٠٤ كما يلى :

Islamic Societies Trod an easier path. Specific in junctions in the Koran against riba (interest) Were broadly Followed Without Controversy.

يبدأ التقرير بسرد قصة خيالية طريفة فيقول :

عندما أشرف أحد المرابين على الموت أتى بزوجه وبنيه وجعلهم يُقْسمون أمامه بأن يُقَسِّموا ثروته إلى ثلاث أجزاء : أولها لزوجه كى تستطيع الزواج من بعده ، والجزء الثانى لأبنائه وبناته ، أما الجزء الثالث فقد أوصى بأن يضعوه فى حقيبة يعلقونها فى رقبته وتدفن معه .

وبعد أن نفذت العائلة الوصية ، ومضى بعض الوقت ، أرادوا استعادة النقود التى دفنت مع المرابى ، ففتحوا قبره ذات ليلة ، فانتابهم الرعب ، إذ رأوا الشياطين تقوم بحشر النقود ـ وقد احمرت مما أصابها من نار حميت عليها ـ بحشرها فى فم المرابى !

والطريف أن يتضمن التقرير صورة من الخيال ، فى الصفحة التالية ، ص ١٠٤ ، لأناس يعذبون فى نار جهنم ، وبعضهم قد ألقى على ظهره فاغراً فاه ، وهناك من يقوم بصب النقود الملتهبة فى جوفه .. ثم يأتى التعليق تحت الصورة ( Where bankers go)

أى : حيث يذهب أصحاب البنوك.

بعد هذه المقدمة يقول التقرير : إن النظرة لمقرضى النقود فى أوربا لم تعد نظرة لوم وتوجس كتلك التى وردت فى القصة التى كتبها « جاك دى فترى Jacques de Vitry » المنصِّر الفرنسى فى القرن الثالث عشر الميلادى ، وإن كان بعض الناس هناك لايزالون يدينون مقرضى النقود بسبب عملهم الشيطانى هذا . وذلك فى الوقت الذى ينظر فيه أصحاب الثقافات غير الأوربية بعين الريبة لعمل البنوك بوصفه عملا ضد المجتمع anti — social ؛ لاستخدامهــم « سعــر الفائدة » .. ولاعزو « فالربا » لا يعنى سوى إقراض النقود فى مقابل « الفائدة » .

وعلى الرغم من تحريم الديانات ( وصحتها الشرائع ) الثلاث الكبرى فى العالم لهذا الأمر فإن الالتزام بهذا التحريم لم يكن صارما .. وقد انحصرت حجج تحريم الربا عند الاوربيين فى « العصور الوسطى» فى ما يلى :

ـ إن المقرضين يحصلون على شىء ما مقابل لا شىء ، فى حين أن المفروض فى الإنسان أن يساعد جاره دون انتظار المقابل .

ويعقب التقرير قائلا : وقد أتت البنوك الحديثة لتسحق هذا المفهوم فى مهده ، إذ أصبحت المجتمعات الغربية تنظر إلى عملية فرض « الفائدة » على القروض على أنها أمر واجب الاحترام خاصة وأن التضخم الحالى أصبــح يهدد رأس المال بالتآكل ، فجاءت فكرة « الفائدة » لتعوض هذه الآثار ، ويظل للنقـود المقترضة ، أو المودعة بالبنوك نفس قيمتها على الأقل .. كما أن « الفائدة » تكون فى مقابل المخاطر التى يتحملها المقرض بإقراضه ماله .

وتعليقنا على هذا : أن البنوك هى التى حولت التعامل بين الناس من العملات الذهبية والفضية ، والمعدنيـة ( ذات القيمـة ) بشكـل عام ، إلى العملات الورقية ، وبتطور التعامل بهذه العملات الورقية ، أصبحت البنوك المركزية تطبع منها أكثر مما تحتفظ به من احتياطى الذهب ، فحدثت

ظاهرة التضخم inflation . يضاف إلى هذا أن التعامل مع البنوك قد أوجد ظاهرة تسمى « خلق النقود »(*) نتجت عن سلسلة طويلة ومعقدة من عمليات الاقتراض والإيداع ، فأصبح فى مقدرة النظام المصرفى أن يقرض أكثر مما يمتلك حقيقة من نقود ورقية ، بما قيمته من سبعة إلى عشرة أضعاف ، فتفاقمت ظاهرة التضخم هذه وأصبح النظام النقدى العالمى ، بل والنظام الاقتصادى العالمى على شفى جرف هار ..

وصدق الحق تبارك وتعالى اذ يقول :

﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَوٰا وَيُرْبِي الصَّدَقَٰتِ ... ﴾ (البقرة/٢٧٦) .

ويعلق التقرير الذى نحن بصدد العرض له ، بأنه مازال هناك شعور غامض بأن عملية الاقراض « بفائدة » مشوبة بالخطأ ، وهذا الشعور يتزايد تجاه المقرضين الذين لا يزالون يعملون فى « البلاد النامية » ، وعلى هامش مجتمعات البلاد الغنية ، وأن الشعور بتأثيم عملية التعامل « بسعر الفائدة » هو اكثر وضوحا فى المجتمعات الاسلامية .

ويتتبع التقرير عملية الإقراض بربا على مر التاريخ فيقول :

إن المرحلة التاريخية التى كان يتم التعامل فيها بالنقود المعدنية ( الذهب ـ الفضة ـ وغيرها ) ، وكانت هذه النقود مجرد وسائط ومعايير للتعامل ، كانت عملية فرض سعر للفائدة لزيادة النقود أمرا مستهجنا « وغير طبيعى » ؛ لأنها كانت تعد بمثابة دفع للنقود مرتين . وقد ظهر هذا فى كتابات « أرسطو طاليس » فى القرن الثامن قبل الميلاد .

ومع ذلك فإن النظر إلى الربا بوصفه محرما فى النصرانية ، تحريما دينيا ، وقد تأخر كثيرا ، وكان أثره بالتالى ضئيلا ، خاصة وأنه حرم الربا على رجال الكنيسة دون سائر الناس !

ويستشهد المؤرخون فى هذا المجال بتعاليم وكتابات « الهادريانا » « The Hadriana » فى القرن الثامن الميلادى ، والتى تعد بمثابة وثائق هامة أصدرها البابا « ليو الكبير » Pope Leo the Great ، وحرم فيها على « رجال الدين » التعامل بالربا وإلا « احتملوا خزيا » turpe lucrum .

أما اليهود فإنهم يحرمون التعامل بربا فى ما بين اليهود وبعضهم البعض ، ولا يحرمونه عند تعاملهم مع غير اليهود ، مستندين فى ذلك إلى نصوص من نسخ « التوراة » المتداولة ، ومن « التلمود » ... [ ومايعد شرعاً لليهود فهو شرع للنصارى أيضاً ؛ لأن عيسى عليه السلام قد أتى « مصدقا لما بين يديه من التوراة » ، وفى نسخ الأناجيل المتداولة أنه قال : « لن يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الشريعة حتى يتم كل شيء » متّى : ٥ : ١٧ ) .. والمقصود هنا هو شريعة موسى عليه السلام ] .

ويستطرد التقرير قائلا أنه فى الإصحاح الثالث والعشرين من « سفر التثنية » : « لا تقرض أخاك بربا . للأجنبى تقرض بربا ولكن لأخيك لا تقرض بربا لكى يباركك الرب .. » وقد نظر النصارى ( فى العصور الوسطى ) إلى هذا النص على أنه بمثابة « رخصة » لليهود كى يتعاملوا بربا !!

(*) يرجع إلى مقالنا السابق نشره بمجلة الأزهر

إن الامر لايحتاج منا إلى تعليق ؛ فبطلان أحكامهم واضح ، وحجتهم داحضة . فلقد حرم الله ـ تبارك وتعالى ـ الربا فى كل شرائعه ، لكنهم حرّموا ما آتاهم الله ، وكتبوا الكتاب بأيديهم وقالوا هو من عند الله ، وما هو من عند الله :

﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ ( البقرة/٧٩ ) .

ولا أدل على افترائهم من قول الحق سبحانه :

﴿ وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ ( النساء/١٦١ ) .

ويستطرد التقرير قائلا : إن القران قد حرم الربا ( الفائدة ) ، وجعل مناط التفرقة بين « عقد القراض » « والربا » ، تحمل المخاطر وتوزيعها بين معطى المال ومتلقيه ، واقتسام الربح فيما بينهما .. ثم يقول التقرير : إن المسلمين قد اتبعوا هذا المبدأ الإسلامى طويلا ، ولم يعرفوا فكرة « البنوك » إلا حديثا .

ونضيف إلى هذا أن الله ـ تبارك وتعالى ـ أحل البيع وحرم الربا إعلاء لقيمة المجهود البشرى فى العمل وإعمار الأرض ، وتكريما للإنسان ، فلايزيد المال زيادة مشروعة إلا إذا اقترن بسعى الإنسان فى صناعة أو زراعة أو أداء خدمة ، وماذكر البيع تحديدا فى القرآن الكريم إلا إشارة إلى أن مثل هذه الأفعال ( الصناعة والزراعة وغيرها ) لاتكون مفيدة نافعة إلا إذا انتقلت إلى الآخرين من خلال البيع .. لذا كان تسعة أعشار الرزق فى التجارة . .

وبالمقارنة يقول التقرير إن المجمع الكنسى فى باريس قد أوصى بمقاطعة المرابين منـــذ عام ٨٥٠ م ، وفى عام ١١٧٩ م أصدر البابـــا « الكسندر الثالث » إعلانا مفادة أن الربا محرم فى « العهد القديم » ( وهو مايشتمل على نصوص التوراة ورؤى أنبياء بنى اسرائيل ) ، وفى « العهد الجديـد » ( نسخ الأناجيل ، وسفر أعمال الرسل ، والرسائل المتبادلة ، ورؤيا يحيى عليه السلام ) .. وأصدر « البابا » صكا بحرمان المرابين من الدفن كنسيا . وبعد ذلك ببضع سنوات مات البابا « أوربان الثالث » بنص فى إنجيل لوقا ( ٦ : ٣٥ ) لتحريم الربا : « وإن أقرضتم الذين ترجون أن تستردوا منهم فأى فضل لكم » .. ونصه بالانجليزية مخالف بعض الشىء إذ يأتى بصيغة الأمر بالإقراض دون « فائـدة » ولا انتظار مقابل للاقراض :

(Lend Freely, hoping nothing thereby)

وكانت هذه أول مرة يعلن فيها أن المسيح نفسه قد حرم الربا ( على حد تعبير التقرير ) . ومن يومهـا صدرت المؤلفات التى تشبه المرابين بالعناكب والضفادع « والمخلوقات الشيطانية » ، وصور الفنانون فى أوربا المرابى مسحوبا من عنقه بحقيبة نقوده إلى جهنم .

وعلى الرغم من هذا فقد كان التعامل بالربا بمثابة مرض مزمن لصيق بالمجتمعات الغربية فى « العصور الوسطى » . وفى نفس الوقت الذى كان فيـه المرابـون محتقرين ، وكانت كراهية المجتمعات الغربية النصرانية لليهود مرتبطة بتعاطيهم الربا مع امتزاج هذا الفعل بالكثير من الحقد وانعدام الرحمة ، وامتلاء الحياة الثقافية الأوربية

بهذه الصورة التى سجلت على لوحات مرسومة ، واحتوتها كتابات الكتاب ، فى نفس هذا الوقت كان الأوربيون يقبلون عملية الإقراض بربا وأحيانا يرحبون بها فى غموض غريب .. فمثلا عندما قبض على اليهودى بون دافيد دارجوينان Bondavid Draguignan ليحاكم فى مرسيليا عام ١٣١٧ م شهدت ٢٤ شخصية محترمة لصالحه ، وبأن سمعته طيبة !

وقد أثبتت إحدى الدراسات أن معدل « الفائدة » فى ذلك الوقت كان مساويا تقريبا لسعر الفائدة فى أوساط الأعمال فى أمريكا وقت وقوع الكساد العالمى فى الثلاثينيات من هذا القرن ، وكاد يعصف بالاقتصاد العالمى ويثير الفوضى .

ويورد التقرير حقيقة أن اليهود كانوا هم الأشهر فى تعاطيهم للربا ، بيد أنه فى عام ١٢٨٥ م أدين ٣٧ من رجال الكنيسة فى فرنسا بتعاطى الربا ، وقد انتشر هؤلاء بعد ذلك فى كل أوربا ، ومعهم من طردوا من اليهود من فرنسا عام ١٣٠٦ م .

وباتساع التجارة الأوربية ازدادت العمليات الربوية ، وبدأ رجال الدين فى الغرب يحاولون إيجاد المبررات للتعامل « بالفائدة » ، فى الوقت الذى انتشرت فيه أيضا الصيغة الإسلامية لعقود القراض [ أى أن يعطى شخصٌ ما مالا لآخر يتجر فيه ، والربح بينهما مناصفة ، أو حسبما يتفقان ، فإذا خسر تحمل صاحب المال الخسارة ، وتحمل التاجر ضياع جهده ولا يضمن ] .

ويوضح التقرير أن الحكام فى أوربا ( بما فيهم البابوات ) قد تعلموا كيف يستغلون مقرضى الأموال وأن يستخدموهم لتحقيق أهداف معينة من خلال تحكمهم فى تحديد « سعر الفائدة » .

ومن نظام المرابين هذا ، وقبوله اجتماعيا ودينيا فى أوربا ، تطورت الصورة لتخرج لنا « البنوك » التى عرَّفها الاقتصاديون بأنها « مؤسسات مالية للاتجار فى القروض ( بفائدة ) » .

وفى البداية وُجِّهت نفس الانتقادات ، التى كانت توجه للمرابين ، وُجهت إلى البنوك ، واعتبرت بريطانيا ( فى القرن السابع عشر ) أن عملية الاقراض بفائدة عموما تعد خروجا على القانون . وحينما بدأت الدول الأوربية تنشىء البنوك المركزية لاقت بدورها نقدا من « الأصوليين » ( وهو اصطلاح نصرانى أوربى يصف المتمسكين بنصوص الكتاب المقدس ) .

وعندما أصبح الاقتصاد بمثابة ذراع الدولة ، أصبحنا وكأنما الساسة وأصحاب البنوك فى حالة تآمر لامتصاص دماء عامة الشعب :

(now bankers were in Cahoots with Paliticians to bleed the Common People).

وارتبطت البنوك خلال القرن التاسع عشر بفضائح مالية ، وفساد ، وارتفاع معدلات الضرائب فى أوربا عامة ، وكل من بريطانيا وفرنسا خاصة .. واعتبر الامريكيون أن البنوك كانت مسئولة عن الكساد الاقتصادى العالمى فى الثلاثينيات من هذا القرن ، والذى أعقب ظاهرة إفلاس البنوك عام ١٩٢٩ م والتى تسمى Wall Street crash ، نسبة الى « وول ستريت » وهو حى المال والبنوك هناك .

ويشير التقرير ، بأسلوب وكأنه همس ، إلى أن شعورا عالميا مضادا للبنوك بدأ ينمو ، لأن

أصحاب البنوك ، يتآمرون مع اليهود والماسونية العالمية ( حركة الماسونيين الأحرار ) للتحكم المركزى فى العالم . ثم يسترسل قائلا : إن مثل هذا الاتجاه يتصل باتجاه « المعــاداة للساميــة » ، والاتجاهات القومية ، واليمينية غير المتعقلة !!

ذلك ، ويوضح التقرير أن الانتقادات الموجهة للبنوك مستمرة ، وأخطر هذه الانتقـادات أن النظام البنكى لا يرعى الاعتبارات الاجتماعية أو الاخلاقية ، لذا فقد بدأت أنواع خاصة من البنوك تسمــى « بنــوك المجتمــع » (Community banks) ، بدأت فى الظهور لتلافى الانتقـادات التى توجه للبنوك التقليدية ، كما بدأت جمعيات تعاونية لإقراض أعضائها فى الظهـور .. ومنها مانجح ، وتفوق بالتالى على نظام البنوك . وفضلا عن هذا فقد ظهرت جمعيات لإقراض أعضائها قروضا غير ماليــة ، بل قروضا سلعيــة ، وخدمات .. وبذا نكون إزاء مقايضة آجلة تستبعد فيها سعر الفائدة .

ثم يعرج التقرير إلى النظام الاقــتصادى الإسلامى مرة أخرى فيقول : إن وضوح الشريعة الإسلامية فى موقفها من تحريم الربا قد بقى دون أى تحد حتى القرن التاسع عشر حينما بدأ المسلمون ينقلون النظم الغربية ومنها نظام البنوك ، فتعقدت الأمور ، إذ قال لهم رجال المال فى الغرب : إن التقدم الاقتصادى والرواج التجارى لن يكونا ممكنين مالم تتبنَّ البلدان الإسلامية الوسائل المالية الغربية . وبمرور الوقت أخذت معظم الدول الإسلامية ـ ومنها المملكة العربية السعودية ـ بهذا ، فأنشئت فيها البنوك التجارية رغــم اعتراضات علماء الدين .

وفى السنوات الأخيرة نستطيع أن نلمس ثورة مضادة بطيئة ، فنشأت عشرات البنوك الإسلامية من الأردن إلى جنوب أفريقيا . وباتبـاع هذه البنوك للمبادىء الإسلامية حلت الاعتبارات الاجتماعية [ لجمعهـا الزكاة وتوزيعهـا ] محل المنافسة بين هذه البنوك وبعضها البعض .. لذلك لم تعد بعض البنوك الغربية تستخف بفكرة الاقتصاد الإسلامى ؛ بل بدأت تمعن النظر فى تطبيق الفكرة هنا أو هناك .

وحتى نكون معتدلين فى تناول الموضوع ـ ولا زلنا نعرض لنص ما جاء بالتقرير ـ فإن البنوك الإسلامية ليست مبرأة من المشكلات ، فالالتزام الحرفى بتعاليم الدين تجعل عمليات التمويل محدودة ، الأمر الذى يجعل المؤسسات المالية الإسلامية قليلة القدرة على التأثير فى باقى النظم المالية ، الامر الذى يجعل فقهاء المسلمين مضطرين للاجتهاد لتوسيع مدى العمليات البنكية حسبما تسمح به الشريعة .

ويأتى فى خاتمة التقرير :

قد أكون فجاً إذا قلت : إن أصحاب البنوك كانوا مكروهين على مدى قرون طويلة ؛ لأنهم يقومون بأعمال لا تدعو إلى ارتياح الناس ، وأن المرابين الذين يقرضون معدلات عالية من الزيادة الربوية على القروض ( سماهم التقرير : نصابو القروض Loan sharks ) لا يختلفون فى أساس عملهم عن البنوك ، « فإقراض المال » يعنى « البنك » ، وما حدث هو مجرد تغيير اللون ، فالبنوك تحصل على أرباح مقابل لا شىء ، وإلى أن يغيروا صورتهم ويأخذوا بالاعتبارات الاجتماعية فسوف يظلون مكروهين .



لفضيلة الشيخ محمد حافظ سليمان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ **البقرة/١٨٣ .**

**وعن سلمان الفارسى ـ رضى الله عنه ـ قال : خطبنا رسول الله ﷺ فى آخر يوم من شعبان قال : « يا أيها الناس : أظلكم شهر عظيم مبارك . شهر فيه ليلة خير من ألف شهر . شهر جعل الله صيامه فريضة وقيام ليلة تطوعا . من تطوع فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه . وهو شهر الصبر ، والصبر ثوابه الجنة . وشهر المواساة . وشهر يزاد فيه رزق المؤمن ، من فطر فيه صائماً كان مغفرة لذنوبه . وعتق رقبته من النار وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شىء . قالوا يا رسول الله ليس كلنا يجد ما يفطر به الصائم . فقال رسول الله يعطى الله هذا الثواب من فطر صائما على تمرة أو على شربة ماء أو على مذقة لبن . وهو شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار من سقى صائما سقاه الله من حوضه شربة لا يظمأ بعدها حتى يدخل الجنة » .**

**وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : « من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » رواه البخارى .**

## حكمة الصوم وأسراره

فالصوم ركن من أركان الإسلام وهو عبادة إيجابية تسمو بالنفس ، وتقوى الحس وتطهر القلب وتربى الوازع الدينى الذى يعصم من ارتكاب الخطيئات واجتراح السيئات واقتراف الموبقات ، فهو فرض دينى وسلوك اجتماعى وعمل وجدانى وإشراق روحانى ، يدركه الصائمون المخلصون والصائمات ، وفى لياليه

يتجلى الله على عباده بالفيوضات ، وفى نهاره تستضىء أوقاتهم بنور الطاعات ، وبذل الصدقات عطفا على المحتاجين وإحسانا إلى المساكين ، فلا شح يعترى النفس الأبية الطاهرة النقية ، لأن شهر رمضان هو شهر التعبئة الروحية وفيه تتلى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والسيرة المحمدية ، وهو فرصة طيبة للتائبين الصادقين الأوابين القانتين المستغفرين بالأسحار بقلوب سليمة مُنيبة إلى الله الخالق العليم الخبير ، الذى يعلم ما تكسب كل نفس فيحصى الأعمال فى كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها : ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ ( الآيتان ٧ ـ ٨ من سورة الزلزلة ) .

كما أن الصوم يكون دواء وشفاء للأدواء النفسية فهو يبرئها من عللها وآفاتها ، ومن غيها وبغيها ، والله يقول : ﴿وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ ويقول : ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ۝ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ ( من الآية ـ ٣٤ ـ من سورة الحج ) وبالعبادات ينتصر المرء على نفسه فلا يعتريه القلق الذى تتهاوى بسببه النفوس ، فلا تتماسك ولا تقوى على احتمال قسوة الحياة ومواجهة المتاعب والمكاره ولا تصبر على البلاء ولا ترضى بالقضاء ولا تشكر على النعماء ، فقد خدعتها الأهواء ، ولكن المؤمنين يستمدون قوتهم من الخالق القاهر فوق عباده ، الذى شرع لنا دينا يقوم على كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة أما كلمة التوحيد فهى : الباب الذى يدخل منه الناس فى الإسلام ، أما توحيد الكلمة فهو : الرباط الذى يربط بين المسلمين بالأخوة الإسلامية والله يقول : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الآية ـ ١٠ ـ من سورة الحجرات ) .

## رمضان ونزول القرآن

ويقول الله تعالى : ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ ( سورة البقرة ١٨٥ ) . وفى شهر رمضان تتوالى الذكريات وتتزاحم ، ذكريات الانتصارات التى أكرم الله بها المسلمين الصائمين وهى كثيرة حفظها التاريخ ووعاها الزمن ، ومن أهمها ذكريات نزول القرآن وهو كتاب الله الخالد الباقى المحفوظ الذى لا يتبدل ولا يتغير ليظل منهاج المصلحين وطريق المرشدين وسبيل المتقين وهدى للحائرين وقوام أخلاق المعوجين ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ .

( سورة إبراهيم/٢ )

ولقد سعدت به الدنيا فى كل زمان ومكان ، لأنه ﴿يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝﴾ سورة الإسراء

وذلك لأن القرآن أتى على حياة الإنسان ففصلها وبيَّن أطوارها وأحوالها وكشف للإنسان عن حقيقة نشأته الأولى . وأنه خلق من ماء مهين ، ولكن الإنسان الكنود يجحد فضل ربه عليه وآلاءه التى بين يديه ، فينأى بجانبه عن ربه وتنتفخ أوداجه ويمشى فى الأرض مَرَحًا وهو مصعر خده للناس كبرا وغرورا وسخفا وفجورا

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾

( الآيات من ٦ ـ ٨ ـ الانفطار ) .

## منهج حكم ودستور حياة

ولقد جاء القرآن ليكون شِرْعه للناس ومنهاجاً أنزله الله لتنظيم شئون الحياة لكيلا يعيش الإنسان فى متاهات ، ولكى يعرف للحياة قدرها وللأوقات شأنها ، لأن الإنسان لم يخلق عبثاً ولن يترك سدى ، فلم يتركه ربه بغير هدى لأن الله رءوف بالعباد ، فقد أرشدنا إلى الصراط المستقيم والمنهاج القويم ، وقد ترك الناس يفكرون ويقدرون ويتدبرون فى آيات الله فى القرآن وآيات الله فى الأكوان ، ليقول للعقل اسبح كيف شئت ولكن إحذر الغرق ، فلا حجر على العقل ولا إكراه فى الدين ، لأن هذا الدين يحمى الحياة من عبث العابثين ومن طغيان المستبدين وبغى المستكبرين وعدوان المفسدين الجبارين الذين يفسدون فى الأرض ولا يصلحون . ولا ريب أن المعصية سبب كل وبال ونكال وأساس كل شقاء وبلاء وشؤم ولؤم ، فما استقامت حياة ، ولا استقر أمر ، ولا استتب أمن ، إلا بالعدل والإستقامة والعمل الصالح :

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾

( سورة محمد ٢ )

« فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ »

( سورة طه ـ ١٢٣ )

## نماذج من توجيهات القرآن

### ١ ـ مراعاة آداب الإسلام :

يأمرنا ربنا بتأدية الأمانات إلى أهلها :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾

( الآية ٥٨ ـ النساء )

والله يأمرنا أن نكون من المتقين ومع الصادقين :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾

( الآية ١١٩ ـ التوبة )

ويأمرنا الله عز وجل بالعدل والإحسان :

« إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ » .

( الآية ٩٠ من سورة النحل )

والقرآن يبين لنا أن العفو عن المسيء سيتولى جزاءه ربنا :

« فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ » .

( الآية ٤٠ من سورة الشورى )

وعباد الرحمن وصفهم ربنا بالتواضع والاتزان والاعتدال :

« وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۝ » .

( سورة الفرقان ٦٣ )

والقرآن يأمر النساء بالاحتشام :

« يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ » .

( اية ٥٩ الأحزاب )

ويعلمنا الأدب عند زيارة الناس فيقول :

« يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ

حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا » .

( الآية ٢٧ سورة النور )

ويحذر القرآن المسلمين من نشر الشائعات :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾

( آية ١٩ سورة النور )

وللقرآن توجيهات عظيمة وكثيرة ، ولقد ترك فينا سيدنا رسول الله ﷺ القدوة والمنهاج : أما المنهاج فهو القرآن وأما القدوة فهو صاحب الخلق العظيم الذى كان خلقه القرآن :

« لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا »

( الآية ٢٠ من سورة الأحزاب )

وقد قال له ربه :

« وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ » .

( سورة القلم ٣ )

٢ ـ طلب الرزق الحلال

« وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ »

( الآية ١٠ من سورة الأعراف )

« هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ »

( الآية ١٥ من سورة الملك )

ويوصينا ربنا باتباع الطريق السوى فى الإنفاق والاعتدال فى التصرف ، لأن المال أمانة فى يد صاحبه :

« وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا » .

( الآية ٢٩ سورة الإسراء )

« فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ »

( الآية ١٠ من سورة الجمعة )

ولا يخفى أن الإسلام لا يحرم الطيبات من الرزق :

« قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ »

( الآية ٣٢ من سورة الأعراف )

٣ ـ قراءة القرآن وتدبره

وفى شهر الصوم تكون القلوب قانتة والأبصار خاشعة والنفوس تائبة ، حيث يشف الوجدان ويطهر اللسان وتصفو الروح ويكثر البر والإحسان ، والعفو عن المسىء فإن سابه أحد أو شاتمه فليقل إنى صائم ، ومن الخير تلاوة القرآن فى شهر رمضان لأن الحرف بعشر حسنات ، ولا أقول ألم حرف . ولكنها ثلاثة كما تعلمنا ، وذلك تفضل من الله على عباده وأحبابه بينما تتضاعف الحسنات إلى ما شاء الله فى رمضان ، وقراءة القرآن الكريم ـ بصفة عامة ـ تجارة لا تبور ، مصداقا لقوله تعالى :

« إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ

« وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ »

( الآيتان ٢٩ ، ٣٠ من سورة فاطر )

والقرآن الكريم هو الذى نزل به الروح الأمين بلسان عربى مبين على قلب إمام المرسلين المرسل رحمة للعالمين سيدنا محمد ﷺ ولكى ينتفع القارىء والسامع بالقرآن يطالبنا ربنا بحسن التلاوة وبحسن الاستماع والإنصات والتدبر فى آياته البينات للانتفاع بعظاته وتوجيهاته :

« وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ » .

( الأعراف آية ٢٠٤ )

ويقول تعالى :

« أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ » .

( النساء آية ٨٢ )

وليس بعد هذه التوجيهات توجيهات وليس بعد هذه العظات البالغات عظات .

## عالمية رسالة الإسلام

ولقد أنزل الله القرآن لبناء مجتمع إنسانى مثالى عالمى يشمل الأبيض والأسود والأحمر والأصفر فلم يكن لجماعة دون أخرى ؛ لأن الرسول الكريم أرسل رحمة للعالمين : وقد جاء فى هذا الكتاب المبين :

« إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ » .

وبهذا الدستور القرآنى تحققت المساواة والعدالة والحرية والكرامة الآدمية ، وروعيت الحرمات وأديت الأمانات ، وأقيمت مصالح العباد بدفع الأخطار ومنع الفساد ، فلا ظلم ولا استبداد ولا عدوان ولا اضطهاد ، ولكنه الأمن الذى مُنح للمؤمنين من لدن رب العالمين ، الذى يقول فى كتابه المبين :

« ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ » .

( الآية ٨٢ من سورة الأنعام )

## رمضان وليلة القدر

ولقد أنزل الله كتاباً ذا قدر ، على رسول ذى قدر ، ونزل به ملك ذو قدر ، فى ليلة ذات قدر ، من شهر ذى قدر ، أما شهر رمضان فقد تجمل بنزول القرآن وتكمل بليلة القدر ، ولا عجب فإن الله قد فضل بعض الأوقات على بعض ، وبعض الناس على بعض ، وبعض الأماكن على بعض والله يختص برحمته من يشاء ، والأوقات تشرف بشرف ما يحدث فيها من أعمال جليلة وأحداث عظيمة ، وليس ثمة شىء أعظم من نزول القرآن الكـريم .

وقد جاء فى فضل قيام ليلة القدر : « أنها خير من ألف شهر » أى أن العبادة فيها أفضل من عبادة ألف شهر ليس فيها ليلة القدر ، وذكر الإمام مالك فى الموطأ . أنه سمع من يثق به من أهل العلم يقول : « إن رسول الله ﷺ رأى أعمار الناس قبله ، أو ما شاء الله من ذلك . فكأنه تقاصر أعمار أمته ألا يبلغوا من العمل مثل الذى بلغه غيرهم ، فأعطاه الله ليلة القدر ، خيراً من ألف شهر ، يعنى ثلاث وثمانين سنة ، وأربعـة أشهر » ، وهناك شبه إجماع على أنها فى العشر الأواخر من رمضان ، ولذلك كان الرسول ﷺ يحيى هذه الليالى بالعبادة ، وعن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أنها قالت : « كان رسول الله ﷺ إذا

دخل العشر الأواخر من رمضان شد مئزره وأحيا ليلة وأيقظ أهله » ، وشد المئزر كناية عن شدة الاجتهاد والجد فى العبادة ولقد قال الله تبارك وتعالى : « تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ » ( سورة القدر ٤ ، ٥ ) ، أى أن أهل السماء يحتفلون بليلة القدر بالمشاركة مع أهل الأرض ، وهى ليلة سلام حتى مطلع الفجر ، إنها ليلة مباركة كلها خير وبر .

## بين الخاسرين والفائزين

وإن تعجب فعجب أمر المجاهرين بالإفطار فى نهار رمضان بدون عذر شرعى يمنعهـم من الصوم : أولئك هم الذين لا يدركون الخسارة الكبرى بشرودهم من طاعة ربهم فى موسم الغفران والرضوان ( شهر رمضان ) فقد ظلموا أنفسهم بالجهر بالمعصية ، وظلم النفس كظلم الغير على حد سواء . والظلم ظلمات يوم القيامة .

وعلى الصائم أن يكبح جماح الأهواء ليتفرغ لمرضاة ربه قائلا لنفسه ، اعمل لترى الله فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، فمن عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها ، وعلى الصائم أن يكون حليما حكيما ، صبورا رحيما ، قويا سخيا ، عفيفا أبيا ، لا تستثيره أقل الضوائق ، ولا تستفزه أدنى المشكلات ، ولا تقلقه إلا الذنوب والخطيئات .

وعلى الصائم أن يحافظ على تأدية الصلوات ، وأن يؤدى الزكاة ، لأنهما من أركان الدين الإسلامى فهما من أعظم القربات إلى الله رب العالمين ، ولله على المستطيع حج البيت فى العمر مرة ذلكم تخفيف من ربكم ورحمة : أما صيام الجوارح فهو ثمرة لصيام البطون .

« إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا »

( من الآية ٣٦ من سورة الإسراء )

وعلى الصائم التقى أن يتجنب صحبة الأشقياء والأشرار ، وأن يباعد بينه وبين المحرمات وأن يتقى الشبهات وأن ينأى بنفسه عن اللغـو والمهاترات ، وأن يطعم الطعـام بلا ريـاء ولا مفاخرة .

« وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا »

( الآيتان ٨ ، ٩ من سورة الإنسان )

وعلى الصائم ألا يغفل عن صلاة الليل والناس نيام :

« وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا » .

( الآية ٧٩ من سورة الإسراء )

والله تبارك وتعالى يصف المخلصين العابدين من عباده المتقين فيقول :

« تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ » .

( الآيتان ١٦ ، ١٧ من سورة السجدة )

وأخيراً .. فإنه على العاقل أن يغتنم عمره ، لأنه فرصته الوحيدة فى العمل وهو رأس مال الإنسان الحقيقى ، فلا ينبغى أن يضيّعه سدى ، كما أن الوقت المفقود لن يعود ، ووقت رمضان أولى بالاغتنام ، والله المستعان .



**لقد خلق الله الإنسان ، وأمر الملائكة بالسجود له إجلالا لما بثّه الله ــ سبحانه ــ فيه من روح ، وإشعاراً للمخلوق الجديد بأن كل ما فى الكون والحياة مُسَخر له ، ثم كان سجود الملائكة أيضاً امتثالًا لأمر الله الواحد القهار . عصى الشيطان ربه فى السجود ، ودار ما دار من حوار سجله القرآن الكريم ، ثم انتهى الأمر إلى طرد اللعين من الجنة ، فإذا به يتوعد الإنسان بأن يقعد له كل مرصد ، وأنه سيدفع لكل نسل من ذرية آدم شيطانا قرينا له يغويه ، ويعمل على إيقاعه فى حبائل الذنوب والشرك إن استطاع .**

د.م/ كارم السيد غنيم

ورد فى الأثر عن الحسن البصرى : أن الجن ذرية إبليس ــ كما أن الإنس ذرية آدم ــ ومن هذه الذرية وتلك مؤمنون وكافرون ، فمن كان كافرا فهو شيطان ، سواء كان من عالم الجن أم من عالم الإنس ، ومَنْ كان مؤمنا ــ جنا أو إنسا ــ كان وليا لله ، وإنه مع كل واحد من بنى آدم شيطان من الجن ، يجرى منه مجرى الدم .

**★ مداخل الشيطان إلى نفس الإنسان :**

إن أبواب دخول الشيطان إلى النفس الإنسانية كثيرة ، وكُلٌّ بحسب ما فيه من نقاط ضعف ، وعموما ؛ فإنه يمكن القول بأن كل صفة ذميمة أو خصلة رذيلة تُعَدُّ مسلكاً من مسالك الشيطان فى دخوله إلى النفس البشرية ، فمن مداخله[1] :

١ ــ الغضب .

٢ ــ الشهوة .

٣ ــ الحسد .

٤ ــ الحرص الشديد .

فإذا كان الإنسان شديد الحرص على شيء ما أعمته شدة حرصه وأصمته ، لحديث الرسول ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ : ( حبك الشيء يعمى ويصم )[2] .

٥ ــ الشبع : حتى ولو كان من حلال صافٍ ، ففيه ست خصال ذميمة هى :

ذهاب خوف الله من قلب العبد ، ذهاب الرحمة من قلب العبد ( لأنه يظن أنّ كل الناس شَبْعَى مثله ) ، التثاقل عن الطاعة ، عدم تذوق كلام الحكمة وذلك لفساد رقة البصيرة ، عدم

١ ــ إحياء علوم الدين ( أبو حامد الغزالى ) . ط دار إحياء الكتب العربية بمصر ١٩٥٧ م .

٢ ــ رواه أبو داود من حديث أبى الدرداء بإسناد ضعيف .

نفاذ كلام الوعظ أو الحكمة منه إلى قلوب الناس ، ثم تهييج الأمراض لتحرك دواعيها فى البدن .

٦ ـ الإسراف : فى كل شىء من مأكل ومشرب وملبس ومسكن ومتاع صفة ذميمة .

٧ ـ العجلة : وذلك لحديث رسول الله ﷺ : ( العجلة من الشيطان والتأنى من الله تعالى )[٣] ، وأثر عن أحد الصالحين قوله : العجلة من الشيطان إلَّا فى خمسة أمور ، فإن العجلة فيها محمودة لأنها سنّة : إطعام الضيف إذا دخل البيت ، تجهيز ودفن الميت ، قضاء الدين ، تزويج البكر ، والتوبة من الذنب .

٨ ـ البخل وخوف الفقر : وذلك لأنهما يدفعان الإنسان إلى الاكتناز ، والصراع على التملك وإحراز المتاع .

٩ ـ التعصب للمذاهب والأهواء والحقد على الخصوم .

١٠ ـ سوء الظن بالمسلمين : والقاعدة فى الإسلام هى حسن ظن المرء بأخيه إلى أن يثبت عكس ما ظن .

* وسائل وطرق الشيطان فى إضلال الإنسان :

لهذه الوسائل أشكال وألوان منها على سبيل المثال[٤] :

١ ـ يخيل الشيطان للإنسان أشياء ويوعز إليه بأن النفع فيها ، وهى فى الحقيقة عين الهلاك للإنسان ، فإذا استجاب المرء ووقع فيما زيّنه له الشيطان ؛ خرج اللعين ووقف ضاحكاً مستبشرا بما نجح فيه من إغواء ، وكثيرا ما يكون الشيطان نفسه دالًا على صاحبه المسكين فيما وقع فيه من مهالك .

٢ ـ للشيطان قدرة على سحر العقل البشرى ، وهو أمر لا يسْلَم منه إلَّا من شاء الله من العباد ، فكم من باطل حسَّنه وكم من حسن قبحّه ، وضعيف الدين يسير أسيراً فى أيدى الشيطان . ومن هذه الأمور ما يلقيه اللعين على أفراد معينين من خيالات متناقضة وآراء متهافتة ، حتى ينسيه كتاب الله وسنة رسوله ، ويدور وراء صاحبه أول الأمر ( بفاتحة الدخول ) وهى الوسوسة ، فالوسوسة : إيحاء شيطانى يتدخل به الشيطان فى أمور الإيمان والطاعة من طهارة وصلاة وغير ذلك . فإن كان المسلم مجتهدا فى التقرب إلى الله دخل الشيطان إلى نفسه بأنه قد بلغ من الرق درجة تسقط معها التكاليف الشرعية ، فيظن العبد المسكين ذلك ، ويترك التكاليف من أوامر ونواهٍ ، ويَقع فيما يسمى ( الزندقة ) .

٣ ـ قد يظهر اللعين بأشكال شتى ، وقد يسخر أشياء شتى حول الإنسان ليوقعه فى الضلال بما نصب له من شَرَكٍ .

قدمنا هذه الكلمات حتى يعلم الإنسان أهم مداخل الشيطان ، وأهم أشكال إغوائه حتى يمكننا التنبه له ، فنستعمل الوسائل الرادعة له بالوجه الصحيح .

من هذه الوسائل :

أولًا : الاستعاذة :

الاستعاذة هى الاستجارة بقصد رد مكروه سوف يقع أو وقع بالفعل ، والاستعاذة بالله تعالى

---

٣ ـ رواه الترمذى وقال حديث حسن .

٤ ـ إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ( ابن قيم الجوزية ) ط مكتبة السنة المحمدية بمصر ١٩٣٩ م .

هى اللجوء إليه طلبا لمعونته فى دفع المكروه .
وللاستعاذة صيغ كثيرة منها :

١ ـ أقصر صيغة : ورد الأمر بالاستعاذة من الشيطان الرجيم إذا شرع الإنسان فى تلاوة القرآن . أيهما أفضل : ( أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ) أم ( أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ) ؟ .

عن ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ قال : قلت : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ، فقال لى النبى ﷺ : ( يا بن أم عبد : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، هكذا أقرأنى جبريل عن اللوح عن القلم ) ورجحه النووى فى الأذكار[٥] .

٢ ـ الصيغة التى علمها جبريل لرسول الله ﷺ : حينما سئل رسول الله ﷺ عما فعل ليلة أنْ كادته الشياطين حيث تحدرت عليه من الأودية والشعاب ، وفيهم شيطان بيده شعلة يريد أن يحرق بها وجه الرسول ﷺ فهبط جبريل ـ عليه السلام فقال : يا محمد قل : قال : ماذا أقول ؟ قال : قل ( أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق وذرأ وبرأ ومن شر ما ينزل من السماء ، ومن شر ما يعرج فيها ، ومن شر فتن الليل والنهار ، ومن شر كل طارق إلا طارقا بخير .. يا رحمن ) ..

٣ ـ الصيغة التى تعلمها الرسول ﷺ من إبراهيم ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ـ أبى الأنبياء : كان رسول الله ﷺ يعُوذ الحسن والحسين فيقول : ( أعيذكما بكلمات الله التامة ، من كل شيطان وهامة ، ومن كل عين لامة ) ، ثم يقول : هكذا كان إبراهيم ﷺ يعوذ بها إسماعيل وإسحاق .

وتُسنُّ الاستعاذة فى مواضع منها :

١ ـ عند تلاوة القرآن الكريم : امتثالا للنص القرآنى « فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم » ( النحل : ٩٨ ) بقصد طرد الشيطان حال التلاوة حتى يمكن للمسلم أن ينتفع بقراءته فهما وتدبرا ، ثم أيضا بقصد جلب الملائكة فإنها إذا حضرت هربت الشياطين .

٢ ـ قبل القراءة فى الصلاة : خلاصة أقوال العلماء فى ذلك : أنه يجوز للمسلم الاستعاذة قبل القراءة فى الركعة الأولى فقط من كل صلاة ، ويجوز للمسلم أن يتعوذ قبل القراءة فى كل ركعة من ركعات الصلاة ، ويجوز له أن يتركها فى كل الركعات .

٣ ـ قبل النوم : من السنة أن يتعوذ المسلم عند نومه بصيغة أقصرها : « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » ، أو : ( بسم الله ، أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشر عباده ، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون )[٦] ، كان عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضى الله عنهما ـ يعلمها لأولاده ليقولوها قبل النوم .

٤ ـ عند الأرق أثناء النوم .

٥ ـ عند الغضب : روى مسلم عن سليمان ابن صرة أحد الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ أنه حدث أنه غضب رجل فى مجلس رسول الله ﷺ فقال الرسول : ( إنى لأعلم كلمة لو قالها لذهب

---

٥ ـ الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار ( النووى ) ط الحلبى وأولاده بمصر ١٩٥٥ م .

٦ ـ رواه أبو داود والترمذى وقال حديث حسن .

ذا ــ يقصد الغضب ــ عنه : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم )[٧] .

٦ ـ عند مشاغلة الشيطان للمسلم أثناء الصلاة : قيل : إن شيطانا يسمى ( خنزب ) يلاعب المسلم ــ أثناء الصلاة ــ بقصد إفسادها عليه ، فإذا ما أحس المسلم به يتعوذ بالله من الشيطان الرجيم .

٧ ـ حال السفر عند قدوم الليل يتعوذ المسلم بالصيغة المأثورة عن الرسول ﷺ : ( يا أرض ، ربى وربك الله ، أعوذ بالله من شرك ، ومن شر ما خلق فيك ، ومن شر ما يدب عليك ، ومن أسد وأسود ، ومن الحية والعقرب ، ومن ساكن البلد ، ووالد وما ولد )[٨] .

٨ ـ عند نزول المسلم منزلا ما يتعوذ بالصيغة المأثورة عن الرسول ﷺ حيث يقول : (من نزل منزلا ثم قال : أعوذ بكلمات الله التامة من شر ما خلق ، لم يضره شىء حتى يرتحل من منزله ذلك )[٩] .

٩ ـ عند ورود النزغ الشيطانى فى تفكير أو عمل : وذلك بنص القول الإلهى : (وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم) (الأعراف : ٢٠٠) .

١٠ ـ كذلك فالاستعاذة سنّة عند دخول المرحاض : علمنا رسول الله ﷺ أن نقول : ( اللهم إنى أعوذ بك من الخبث والخبائث )[١٠] قيل : إن الخبث هم ذكور الشياطين ، والخبائث هن إناثها .

ثانيا : المعوذات :

المعــوذات قد تكــون ثلاثــة : سورة الإخلاص .. سورة الفلق .. سورة الناس .. وقد تكــون السورتين الأخيرتين فقــط ، حسب الروايات التى وردت مرفوعة إلى رسول الله ﷺ ، ومن هذه الروايات : قال رسول الله ﷺ لعقبــة : ( ألا أخبرك بأفضل ما تعــوذ به المتعوذون ؟ ) قلت : بلى ، قال : ( قل أعوذ برب الفلق ) ، و ( قل أعوذ برب الناس )[١١] .

عن السيدة عائشة ـرضى الله عنهاـ: ( أن النبى ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه نفث ــ أى دفع رذاذاً من فمه ــ فى كفيه بـ: (قل هو الله أحد ، والمعوذتين جميعا ، ثم يمسح بهما وجهه وما بلغت يداه من جسده) .

قالت عائشة : فلما اشتكى ـأى:وجع المرضـ كان يأمرنى أن أفعل ذلك به )[١٢] .

* عقـد الشيطان :

قال رسول الله ﷺ : ( يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد ، يضرب على كل عقدة مكانها ، عليك ليل طويل فارْقُدْ .

أى يكتب على كل عقدة عقدها هذه العبارة ــ فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة ، فإن توضأ انحلت عقدة ، فإن صلى انحلت عُقَدُهُ كلها ، فأصبح نشيطا طيب النفس ، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان )[١٣] .

---

٧ ــ من حديث متفق عليه .

٨ ــ رواه النووى فى سنن أبى داود ، وقال الحاكم صحيح الإسناد .

٩ ــ رواه مسلم ومالك والترمذى وغيرهم عن خولة بنت حكيم .

١٠ ــ متفق عليه .

١١ ــ رواه مسلم والترمذى والنسائى .

١٢ ــ متفق عليه .

١٣ ــ صحيح البخارى .

* **استعاذات مأثورة عن رسول الله ﷺ :**

وردت عن رسول الله ﷺ استعاذات كثيرة تضمنتها كتب الحديث المختلفة ، وكذا كتب أهل السلوك والتربية الروحية ، نذكر منها ما يلى :

اللهم إنى أعوذ بك من البخل ، وأعوذ بك من الجبن ، وأعوذ بك من أن أُرَدَّ إلى أرذل العمر ، وأعوذ بك من فتنة الدنيا ، وأعوذ بك من عذاب القبر(١٤) .

اللهم إنى أعوذ بك من علم لا ينفع ، وقلب لا يخشع ، ودعاء لا يُسمَع ، ونفس لا تشبع ، وأعوذ بك من الجوع ؛ فإنه بئس الضجيع ، ومن الخيانة فإنها بئست البطانة ، ومن الكسل والبخل والهَرَم ومن أن أُردَّ إلى أُرذل العمر ، ومن فتنة الدجال وعذاب القبر ، ومن فتنة المحيا والممات )(١٥) .

اللهم إنى أعوذ بك من شر ما علمت ، ومن شر ما لم أعلم(١٦) .

اللهم إنى أعوذ بك من جهد البلاء ، ودرك الشقاء ، وسوء القضاء ، وشماتة الأعداء(١٧) .

اللهم إنى أعوذ بك من الكفر والدَّيْن والفقر ، وأعوذ بك من عذاب جهنم ، وأعوذ بك من فتنة الدجال(١٨) .

اللهم إنى أعوذ بك من القسوة والغفلة والعَيْلة والذلة والمسكنة ، وأعوذ بك من الكفر والفقر والفسوق والشقاق والنفاق وسوء الأخلاق وضيق الأرزاق والسمعة والرياء ، وأعوذ بك من الصمم والبكم والعمى والجنون والجذام والبرص وسيِّء الأسقام(١٩) .

اللهم إنى أعوذ بك من غلبة الدَّيْن وغلبة العدو ، وشماتة الأعداء(٢٠)

**ثالثاً : قراءة آية الكرسى :**

ولا داعى لذكر آثار وأخبار فى فضلها لضيق المجال هنا ولكن نقول إنها هى الآية رقم ( ٢٥٥ ) فى سورة البقرة وهى : « الله لا إله إلا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما فى السموات وما فى الأرض من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشىء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلى العظيم » .

**رابعـــا : قراءة سورة البقرة :**

ومن جملة ما ورد فى فضلها أن البيت الذى تقرأ فيه سورة البقرة لا تدخله الشياطين .

---

١٤ ــ صحيح البخارى من حديث سعد بن أبى وقاص .

١٥ ــ من حديث رواه مالك من حديث ابن مسعود ، وقال صحيح الإسناد .

١٦ ــ ورد بلفظ ( علمت ) وفى نسخ بلفظ ( عملت ) ، رواه مسلم من حديث عائشة .

١٧ ــ متفق عليه من حديث أبى هريرة .

١٨ ــ رواه ابن حبان ومالك وقال صحيح الإسناد .

١٩ ــ رواه مالك من حديث أنس وقال صحيح على شرط الشيخين .

٢٠ ــ رواه ابن حبان ومالك من حديث عبد الله بن عمر ، وقال صحيح على شرط مسلم .

خامســـا : خواتيم سورة البقرة :

وهما الآيتان ( ٢٨٥ و٢٨٦ ) من السورة .

سادسا : أوائل سورة غافر :

وهى الآيات ١ ، ٢ ، ٣ من السورة الكريمة وهى « حم ، تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم ، غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول لا إله إلا هو إليه المصير »

سابعا : كثرة ذكر الله :

وهذا موضوع كبير متشعب ، ولكن علينا أن تعلم أن الفرق بين من يذكر الله وبين من لم يذكر الله كالفرق بين الحى والميت ؛ فالذاكر قلبه حى طاهر منير ، والآخر قلبة مظلم خاوٍ من الأنوار ، ولذكر الله صيغ كثيرة وردت عن سيدنا رسول الله ﷺ وهو فى جميع الأحوال وجميع الأوقات وجميع الأماكن ( فيما عدا قضاء الحاجة فى المرحاض ) .

ثامناً : إحدى صيغ التوحيد :

قول : ( لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ) مائة مرة متوالية .

تاسعاً : الوضوء والصلاة :

قال رسول الله ﷺ : ( إن الغضب من الشيطان ، وإن الشيطان خلق من النار ، وإنما النار تطفأ بالماء ، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ)[٢١] .

وطبعا إذا توضأ فيحسن به أن يصلى على الأقل ركعتين .

عاشراً : الإمساك عن فضول الكلام والطعام والنظر ومخالطة الناس :

أما فضول النظر : فهو مبدأ الفتنة وبداية الوقوع فى المحظور . وأما فضول الكلام : فلقول الرسول ﷺ : ( طوبى لمن أمسك الفضل من لسانه ، وأنفق الفضل من ماله )[٢٢] .

وأما فضول الطعام : فلقول الرسول ﷺ : ( ما ملأ آدمى وعاء شراً من بطنه ، بحسب ابن آدم أكيلات يقمن صلبه ، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنَفَسِهِ )[٢٣] .

وأما فضول المخالطة ـــ فيما عدا مخالطة تجر نفعا لدين المرء وتقواه ـــ : فهى الإقلال من معاشرة الناس خصوصا غير العاملين بدين الله .



٢١ ـ رواه أبو داود .

٢٢ ـ قال ابن عبد البر حديث حسن ، ورواه البزار من حديث أنس بسند ضعيف .

٢٣ ـ رواه الترمذى وحسنه عن المقداد بن معد يكرب .

# الصيام في الإسلام وفي الملل الأخرى

فضيلة الشيخ سيف النصر عبد العزيز المجلى

**[ صيام رمضان مظهر لوحدة العقيدة بين الأديان ]**

**« رمضان » « وحدة زمانية » تبتدىء بابتداء الشهر وتنتهي بانتهائه و « وحدة دينية » و « وحدة عقائدية » تسري مع كل زمان ومكان . ليتقبلها من شاء من أهل الأرض في أي زمن من الأزمنة وفي أي مكان من الأمكنة . وقد جمع الله كل الأديان في دين واحد هو « الإسلام » وجعله خاتماً للديانات ، وجعل رسوله سيدنا محمد ﷺ خاتماً للمرسلين والأنبياء .**

ونحن حين نطالع « تاريخ الأديان » نجد أن زمان نزول الديانات كان دائماً في « شهر رمضان » وفي هذا دلالة واضحة على التقاء وحدة الزمان مع وحدة العقيدة في الأديان ، وعلى أن « شهر رمضان » قد اختصه الله – سبحانه وتعالى – بوقت بار ، لأفضليته عن سائر الشهور بما تنزل فيه من رسالات الأنبياء وكتب السماء – وعلى أن هذا الزمان مظهر من مظاهر العقيدة ووحدتها بين جميع الرسل وجميع الناس من أتباع كل رسول وكل دين .

ولهذا فرض الله « الصيام » على نبيّ الإسلام سيدنا محمد ﷺ وعلى سائر الأنبياء والرسل من قبله – ليوجه الإنسان إلى وجهة الحق والخير في حياته – فكما أرسل إليه الرسل :

﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾

[ سورة النساء ١٦٥ ]

وكما أنزل عليهم كتبه تهديهم إلى سواء السبيل :

﴿ الٓمٓ ۝١ اللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَٰبَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَىٰةَ وَالْإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ ﴾

[ أول سورة آل عمران ]

بيَّن – سبحانه وتعالى – أن الغاية الحقة من وجود الإنسان في الحياة هي « عبادة الله » سبحانه ، فهو القائل :

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ .

[ الذاريات : ٥٦ ]

وأنه يجب على الإنسان ـ حتى يمكنه الوصول إلى هذه الغاية العظيمة ـ أن يكون على جانب من التقوى ، فالتقوى : حكمة فرض « الصيام » على الإنسان منذ وجد على الأرض حتى الآن .

ولعلنا نرى تفصيلاً لذلك فى تعليل الحكمة من الصيام فى الآية التالية :

**صيامنا وصيام السابقين :**

يقول الله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾

[ سورة البقرة ]

وهذه الآية الكريمة ـ تقرر أن « الصيام » قد كتب على المسلمين ـ كما كتب على الذين من قبلهم فى الأمم الغابرة .

ويقول الله تعالى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ .

[ البقرة : ١٨٥ ]

وهذه الآية الكريمة تقرر ـ أن الشهر المفروض صيامه على المسلمين هو « شهر رمضان » من كل عام ـ وهنا يثور تساؤل .. هل كان الصوم المفروض على من سبقنا من الأمم الغابرة هو صوم « شهر رمضان » أيضا أم غيره .. ؟ وما المقصود بالصيام المفروض على من سبقنا .. ؟ وما نوع هذا الصيام وشكله .. ؟ .. وما وقت معرفة الأمم السابقة به .

**آراء المفسرين والفقهاء**

يرى بعض المفسرين والفقهاء : أن التشبيه يرجع إلى وقت الصوم . وإلى قدر الصوم . وأن الذى فرض علينا وعلى الأمم السابقة من صيام ، كان هو « صيام شهر رمضان » وهؤلاء السابقون هم أهل الكتاب من اليهود والنصارى .. غير أن « اليهود » تركوا هذا الصيام إلى صوم يوم من السنة زعموا أنه اليوم الذى أغرق فيه « فرعون » .

وأما « النصارى » فقد أخذوا بالثقة من أنفسهم ـ فصاموا قبل الثلاثين « يوماً » وصاموا بعد الثلاثين « يوماً » قرناً بعد قرن . حتى بلغ صومهم خمسين « يوماً » فصعب عليهم فى الحر . فنقلوه إلى الفصل الشمسى .

ويرى آخرون ـ أن التشبيه واقع على صفة الصوم الذى فرض على النصارى وحدهم . أو على أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى .

وقد كان هذا الصوم يبدأ من العشاء الآخرة ـ إلى العشاء الأولى من اليوم التالى وكان حرماناً من الأكل والشرب والجماع . فإذا حان الإفطار حُرِّمت هذه الأشياء على من نام .

وقد كان هذا الصوم معروفاً فى شرع النصارى أولا .. وعرف أيضاً بهذه الشاكلة حين فرض على

المسلمين الصوم فى أول الإسلام .. ثم نسخ بقوله تعالى :

﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ .

. [ البقرة : ١٨٧ ]

وورد فى تفسير « المنار » أن التشبيه فى الآية يرجع إلى أصل وجوب الصيام على من تقدم ـ لا فى الوقت والكيفية ـ وإنما فى تشبيه « الفرضية » « بالفرضية » ولا تدخل فيه الكيفية أو الكمية ، بينما لم يرجح الإمام « الطبرى » فى تفسيره هذا الرأى .. وإنما رجح الرأى القائل بأن أهل الكتاب هم الذين فرض عليهم « الصيام » قبلنا . وأن التشبيه واقع على الوقت وهو « شهر رمضان » .

ومن ثم نرى أن الصوم الذى كان مفروضاً على الأمم السابقة سواء كان صيام « شهر رمضان » أو صيام عدد من الأيام ، هو مما يماثل صيام « شهر رمضان » لدى المسلمين .

وهذا هو ما يحدثنا به القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة . ويرويه لنا واقع التاريخ فى مختلف الأزمان ـ وهو واقع يتفق مع حكاية التاريخ له ـ ومن صيام أهل الكتاب أوقاتاً وأزماناً معينة من السنة .

### صوم اليهود والنصارى

جاء فى تفسير « المنار » عن صيام « اليهود » ما يأتى : « وثبت أن موسى صام أربعين يوماً ، وهو يدل على أن الصوم كان معروفاً ومعدوداً من العبادات .. واليهود فى هذه الأيام يصومون أسبوعاً تذكاراً لخراب أورشليم وأخذها . وقد جاء فى الفقرة الأولى من الإصحاح التاسع بسفر نحميا ـ وهو أحد أسفار العهد القديم التاريخية ـ ما يدل على أن اليهود قد صاموا اليوم الرابع والعشرين من الشهر السابع العبرى فالنص فى الفقرة الأولى من الإصحاح التاسع بسفر نحميا يقول : « فى اليوم الرابع والعشرين من الشهر السابع ـ تجتمع بنو إسرائيل مرتدين المسوح ومعفرين جسومهم بالرماد للاحتفال بيوم الصوم » .

وقد ورد فى سفر زكريا ـ ما يفهم منه ـ أن « اليهود » بعد الجلاء إلى « بابل » كانوا يصومون أياماً كثيرة على فترات دورية تخليداً لذكرى حوادث وقعت لهم ، أو فى تاريخهم . وكانوا يسمون كل صيام من أنواع هذا الصوم برقم الشهر العبرى الذى وقعت فيه الحادثة .

وكانت لهم أيضاً ـ أنواع أخرى من الصيام المستحب عندهم يبلغ عددها خمسا وعشرين نوعاً ـ وكانوا يصومون هذه الأيام أو الأنواع ـ إما تخليداً لذكرى وفاة أنبيائهم وعلمائهم كموسى وهارون ـ على نبينا وعليهما أفضل الصلاة والسلام ـ أو لذكرى حوادث أخرى وقعت لهم فى تاريخ حياتهم .

وأما صوم « النصارى » فلم يرد فى أناجيلهم المتداولة بأيديهم نص على فرضيته ـ وأغلب ما

ورد فى أناجيلهم المعروفة لا يعدو ذكر « الصوم » أو مدحه كعبادة فِعْلُها ممدوح عندهم ـ كما يمتدحون ـ النهى عن الرياء ، وإظهار الكآبة .

وقد اشتهر عندهم الصوم المعروف « بالصوم الكبير » وهو قبل عيد « الفصح» وأقدم ما عرفوا من أنواع « الصيام » وهو صيام « موسى » والذى كان يصومه « عيسى » عليهما السلام .

أنواع أخرى من الصيام

وهناك أنواع أخرى من الصيام وضعها رؤساء الكنيسة ـ وهى محل خلاف بين مذاهبهم وطوائفهم المختلفة ، ومنها : « الصوم عن اللحم » والصوم عن السمك والصوم عن اللبن والبيض . وقد كان للأولين منهم صوم مشروع ، كصوم اليهود ، وكيفيته : أن يأكلوا فى اليوم والليلة مرة واحدة لكنهم غيّروه وبدلوه بعد ذلك .

ويروى التاريخ لنا ـ **أنواعاً** أخرى من الصيام ـ تدل على أن « الصيام » كان مشروعاً فى جميع الأديان ، حتى الملل التى لم يعرف لها أصل سماوى كالوثنية .

الصيام عند قدماء المصريين
واليونان والرومان

وقد كان المصريون القدماء ـ وهم وثنيون ـ يعرفون الصوم . وقد أخذه عنهم اليونان ثم الرومان ـ كما كان معروفاً فى ديانات السابقين والبرهميين والبوذيين والمانوية ـ إلى ما هو معروف اليوم من صيام اليهود والمسيحيين .

فقد ذكر « ابن النديم » فى الجزء التاسع من كتابه : « الفهرست » أن شريعة « الحرانيين » المعروفين بالصابئة أو الصابئين .. وهى ديانة قائمة على تقديس الكواكب . تفترض عليهم الصيام ثلاثين يوماً . أولها لثمان مضين من « مارس » وتسعة أخر أولها لتسع بقين من « ديسمبر » وسبعة أخر أولها لسبعة مضين من « فبراير » وهى أعظمها ـ ولهم تنفل من صيامهم . وهو ستة عشر يوماً . وصيام سبعة وعشرين يوماً .

وذكر « ابن النديم » أن الصابئين كانوا يصومون الشهر تكريماً « للمشترى » ـ والعياذ بالله ـ وللأيام السبعة تكريماً للشمس وهى الرب الأعظم فى نحلتهم ـ تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

هذا هو « الصوم » على اختلاف ألوانه وأنواعه فى الديانات والملل الأخرى السابقة على الإسلام .. ومنه يظهر « للصائم » أن الله تعالى قد فرض صيام شهر رمضان على المسلمين كما كُتب على الذين من قبلهم .. فغيروا فى شكل الصيام وفى وقته . وبقى فى الإسلام على نحو ما أمر الله ورسوله .. وسوف يبقى ـ إن شاء الله تعالى ـ كذلك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها لأن شريعة الإسلام هى الشريعة الجامعة ، ورسوله هو الرسول الخاتم .. وكتابه ـ القرآن الكريم ـ هو الذى تكفل الله بحفظه من بين الكتب السماوية جميعاً ، فقال تعالى :

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝ ﴾

[ سورة الحجر ]

أعاد الله على المسلمين الأيام بالخير واليمن والبركات .

# حقوق الزوجة في الإسلام

## (أ) الحقوق المعنوية

**لاشك أن الدارس لوضع الزوجة فى الإسلام سوف يبهره ما كفله ذلك الدين العظيم لها من حقوق لم يستشرف لها النظر فى أكثر المجتمعات حضارة وأغناها مادية إلا فى أواخر القرن التاسع عشر الميلادى ، وهى حقوق ذات شقين : أحدهما مادى والآخر معنوى .. وسوف أستهل الحديث فى هذا الموضوع بالشق المعنوى ؛ لأنه يفوق - من وجهة نظرى، ثم من حيث الأهمية - الشق المادى ؛ ولأنه لا قيمة لهذا الأخير بدون الأول ..**

بقلم م/ عبير محمد عبدالواحد

والشق المعنوى يبدأ من قبل الزواج حيث اشترط الإسلام رضا اختيار الزوجة لزوجها . روى الجماعة كلهم[1] عن أبى هريرة أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال : « لا تنكح الأيم[2] حتى تُستأمر . ولا البكر حتى تُستأذن . قالوا يا رسول الله ، وكيف إذنها ؟ قال : أن تسكت » ورَوَوْا - إلا البخارى - عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال : قال رسول الله - ﷺ - : « الثيب أحق بنفسها من وليها ، والبكر تستأذن فى نفسها وإذنها صماتها » أى سكوتها فلا تكلف التصريح بالرضا لحيائها . ولا يكون سكوت البكر إذناً للأب بتزويجها إلا إذا كانت تعلم ذلك .

فإن كانت لا تعلم فينبغى إعلامها ، وذلك يعنى - حتماً - أنها لا تُكْرَهُ على الزواج بمن لا ترضى ، رَوَى ابن ماجه من حديث عبدالله بن بُرَيدة عن أبيه قال : « جاءت فتاة إلى رسول الله ﷺ فقالت : إن أبى زوجنى من ابن أخيه ؛ ليرفع بى خَسِيسَتَهُ . قال : فجعل - عليه الصلاة والسلام - الأمر إليها ، فقالت : قد أجزت ما صنع بى ، ولكن أردت أن أعلم النساء أنه ليس إلى الآباء من شىء » .

إذن الاختيار ، والسُّبُل المستقيمة المؤدية إليه

---

(١) الجماعة هنا أصحاب الصحاح ، وأحمد - رضى الله عنهم .

(٢) الأيم غير المتزوجة ، بكراً كانت أم ثيباً .

كلاهما حق لها ، وعلى خاطبها أن يبدو على حقيقته صريحاً صادقاً لا يخفى ما تكرهه النساء عادة من الرجال .. روى الديلمى فى مسند الفردوسى عن عائشة ــ رضى الله تعالى عنها ــ عن النبى ــ عليه الصلاة والسلام ــ قال : ( إذا خطب أحدكم المرأة وهو يخضب السواد فليعلمها أنه يخضب ) أى يصبغ شعره .

كذلك فإنه لا يحل لولى المرأة : بكراً ــ أو ثيباً ــ أن يؤخر نكاحها إذا خطبها كفء ذو دين وخلق . قال عليه الصلاة والسلام : « إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير »[3] .

وحسن المعاشرة حق ثابت لها شرعاً ومروءة فهو من الخلق الطيب الذى يدعو إليه الإسلام وحسن المعاشرة يشمل الكثير من الأمور ومن بينها :

( أ ) لطف المعاملة : قال تعالى :

﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾

النساء : ١٩

ويعنى قوله تعالى : ﴿ **عاشروهن بالمعروف** ﴾ أن تطيبوا أقوالكم لهن وتحسنوا أفعالكم وهيئاتكم بحسب قدرتكم ، فكما يحبُّ الرجل من زوجه طاعتها إذا أمر ، وحُسْنَها إذا نظر ، فليكن هو ــ بدوره ــ حسن الهيئة مجيباً لما تبدى من حاجة مشروعة فى حدود طاقته قال تعالى : ﴿ **ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف** ﴾

وسوف نجد فى سنة الرسول ــ عليه الصلاة والسلام ــ تطبيقاً عملياً للقرآن الكريم . فلقد كان ــ ﷺ ــ جميل العشرة ، دائم البِشْر ، يداعب أهله ، ويتلطف بهم ويوسعهم نفقته ، ويضاحك نساءه . وكان إذا صلى العشاء ودخل منزله يَسْمُرُ مع أهله قليلا قبل أن ينام ، يؤانسهم بذلك ــ عليه الصلاة والسلام ــ وكان يقول صلوات الله وسلامه عليه : ( خيركم خيركم لأهله ) رواه ابن حبان فى صحيحه . ويقول : « أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً ، وخياركم خياركم لنسائهم » رواه الترمذى وابن حبان .

ومن حسن المعاشرة عدم إرهاقها بأعمال يستطيع أداءها ، أو بعضها ، وبخاصة فيما هو له فلقد كان عليه الصلاة والسلام يخصف نعله ويرقع ثوبه ويحلب الشاة ويخدم نفسه[4] ــ ﷺ ــ .

ومن حسن المعاشرة تسليتها بما تطيب به نفسها مما أحل الله ــ سبحانه ــ قالت عائشة ــ رضى الله عنها : سمعت أصوات أناس من الحبشة وغيرهم ــ وهم يلعبون فى يوم عاشوراء ــ فقال لى رسول الله ــ ﷺ ــ : أتحبين أن ترى لعبهم ؟ قالت : قلت نعم . فأرسل إليهم فجاءوا ، وقام رسول الله ــ ﷺ ــ بين البابين فوضع كفه على الباب ، ومد يده ، فوضعت ذقنى على يده وجعلوا يلعبون ، وأنظر ، وجعل رسول الله يقول : حسبُك ؟ وأقول : ( اسكت ) مرتين أو ثلاثاً ) . ثم قال يا عائشة ، حسبُك ؟ فقلت : نعم ، فأشار إليهم فانصرفوا . فقال ــ عليه الصلاة والسلام :

(٣) رواه الترمذى .

(٤) راجع مسند أحمد ١٠٦/٦ ، ٢٥٦ ط الميمنية .

( أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وألطفهم بأهله ) .

رواه الترمذى والنسائى واللفظ له . والحاكم . وقال : رواته ثقات على شرط الشيخين البخارى ومسلم .

كذلك من حسن المعاشرة وجوب القناعة بما حَلَّ له الاستمتاع به منها ، وحل الاستمتاع لها منه ، فلا يتعديا ما حَلَّ إلى ما حَرُم ، وإن فيما حَلَّ الكفاية[٥] وزيادة .

والتزين من حسن المعاشرة فلقد أوجب الرسول - ﷺ - على الرجل أن يتجمل لامرأته ويبدو لها فى المنظر الحسن قال عليه الصلاة والسلام : « اغسلوا ثيابكم وخذوا من شعوركم واستاكوا وتزينوا وتنظفوا ، فإن بنى إسرائيل لم يكونوا يفعلون ذلك فزنت نساؤهم »[٦] ، ونهى رسول الله - ﷺ - أن تحلق المرأة رأسها ، كذلك ينبغى أن يكون معلوماً أن المرأة إذا لم تتزين لزوجها صَلِفَتْ عنده[٧] .

وبلغ من شدة ترفق الإسلام بالمرأة أن الرسول عليه الصلاة والسلام أوصى المسافر ، إذا عاد إلى بلده ألا يطرق أهله ليلا ، وأن يبعث إليهم من يبشرهم حتى لا يفاجئهم بمقدمه عليهم . قال عليه السلام : « إذا دخلت ليلا فلا تدخل على أهلك حتى تستحد المغيبة وتمشط الشعثة ، والكيس ، الكيس »[٨] .

أما قوله تعالى ﴿ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾

ففيه حض الأزواج على الصبر على زوجاتهم وتحملهن ، فعسى أن يكون صبرهم فى إمساكهن مع الكراهة ، فيه خير كثير لهم فى الدنيا والآخرة .

وفى الحديث الصحيح « لا يفرك مؤمن مؤمنة إن سخط منها خلقاً رضى منها آخر »[٩] أى : لا ينبغى للزوج أن يكره زوجته بسبب خُلُق ما لا يروقه منها ، ولينظر إلى الجوانب الإيجابية فيها . فلكل إنسان منا حسناته وسيئاته والكمال المطلق لله - عز وجل - ولقد أوضح الرسول - عليه الصلاة والسلام - أمراً غاية فى الأهمية حيث يقول : ( من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذى جاره ، واستوصوا بالنساء خيراً ، فإنهن خلقن من ضلع أعوج ، وإن أعوج شىء فى الضلع أعلاه . فإن ذهبت تقيمه كسرته ، وإن تركته لم يزل أعوج . فاستوصوا بالنساء خيراً ) رواه البخارى فى صحيحه .

ومعنى الحديث أن المرأة بحكم طبيعتها لن تستقيم لك على طريقة ، فإن استمتعت بها استمتعت بها وبها عوج ، وإن ذهبت تقيمها كسرتها ، وكسرها طلاقها .

إن هذا الحديث على العكس ما يتصور البعض لا ينتقص ، ولا يقلل من قيمة المرأة ؛ بل يعين

---

(٥) كثر فى هذه الأيام الشكوى - فى دور الافتاء المختلفة بأكثر من بلد إسلامى - من ممارسة ما لا يحل ، ومثله مما لا مروءة فيه ؛ فلا تجبر عليه المرأة ، كذلك من حق الرجل ألا يستجيب .

(٦) اتحاف السادة المتقين ٦/ ٢٧٥ .

(٧) راجع النسائى ٨/ ١٣٠ ، ١٥٩ . ومعنى صَلِفَتْ : لم تحظ لديه بمنزلة وقد يكرهها .

(٨) صحيح البخارى ٧/ ٥٠ .

(٩) رواه مسلم .

الرجال على فهم طبيعتها وبالتالى يصبحون أقدر على التعامل معها بمرونة وكفاءة أكبر .. فالمرأة تمر بظــروف خاصة من حيض وحمل ونفــاس وإرضاع ، وكل هذه الظروف بلاشك تؤثر بشكل أو بآخر على حالتها النفسية ومزاجها فتجعلها سريعة الانقياد للحس والاستجابة للعاطفة . وعلى سبيل المثال يصاب كثير من النساء بحالة من الكآبة أثناء الحيض ، لاسيما عند بدايته ، وتكون المرأة متقلبة المزاج ، سريعة الانفعال ، قليلة الاحتمال من هذا الظرف ، ومثله كثير ؛ لذا فإن الزوج الحكيم هو ذلك الواعى لضعف المرأة وطبيعتها النفسية المتأثــرة بظروفهــا الخاصة والمختلفة .

ولقد ضرب لنا رسولنا الكريم المثال فى الصبر على الزوجة . فكان من زوجاته من تراجعه فى الكلام أو تغاضبه طيلة النهار ، وهو من هو !! أعظم خلق الله ـ ﷺ .

جاء رجل إلى عمر ـ رضى الله عنه ـ يريد أن يشكو خلق زوجته ، فوقف على بابه ينتظر خروجه ، فسمع امرأة عمر تستطيل عليه وتخاصمه ، وعمر ساكت لا يرد فانصرف الرجل راجعاً ، وقال : ان كان هذا حال عمر مع شدته وصلابته ـ وهو أمير المؤمنين ـ فكيف بحالى ؟ وخرج عمر فرآه مولياً عن بابه فناداه وقال : ما حاجتك أيها الرجل ؟ فقال : يا أمير المؤمنين جئت أشكو إليك سوء خلق امرأتى واستطالتها علىّ . فسمعت زوجتك كذلك فرجعت وقلت : إذا كان هذا حال أمير المؤمنين مع زوجته فكيف حالى ؟ فقال عمر : يا أخى . إنى أحتملها لحقوق لها علىّ : إنها لطباخة لطعامى ، خبازة لخبزى . غسالة لثيابى . مرضعة لولدى . وليس ذلك كله بواجب عليها ، ويسكن بها قلبى عن الحرام . فأنا أحتملها لذلك . فقال الرجل : يا أمير المؤمنين ، وكذلك زوجتى . فقال عمر : فاحتملها يا أخى فإنما هى مدة يسيرة[10] .

**(ب) من الحقوق المعنوية المحافظة على أسرار الزوجة وعدم كشف عيب بها لأحد والمحافظة على ما بين الزوجين من علاقة خاصة .**

يقول ـ عليه الصلاة والسلام ـ : ( إن من شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة الرجل يُفضى إلى المرأة وتُفضى إليه ثم ينشر سرها ) رواه مسلم وأبو داود .

وعن أبى هريرة قال : صلى بنا رسول الله فلما سَلَّمَ أقبل علينا بوجهه فقال : ( مجالسكم . هل منكم الرجل إذا أتى أهله أغلق بابه وأرخى ستره ، ثم يخرج فيُحدِّث فيقول : فعلت بأهلى كذا وفعلت بأهلى كذا ) ؟ فسكتوا ، فأقبل على النساء فقال : « هل منكن من تحدث ؟ » . فجثت فتاة كعاب على إحدى ركبتيها وتطاولت ليراها رسول الله ـ ﷺ ـ ويسمع كلامها فقالت : أى والله ، إنهم ليتحدثون ، وإنهن ليتحدثن ، فقال : « هل تدرون ما مثل من فعل ذلك ؟

إن مثل من فعل ذلك مثل شيطان وشيطانة لقى أحدهما صاحبه بالسكة فقضى حاجته منها والناس ينظرون إليه » رواه أحمد وأبو داود والبزار .

**(جـ) أن يكون معتدل الغيرة حتى لا تسرف به إلى سوء الظن :**

فالغيرة علامة من علامات الإيمان وعلامة من

(١٠) عبدالمتعال محمد الجبرى : المرأة فى التصور الإسلامى ، ص١٦٥ ، ١٦٦ .

علامات الشرف . فينبغى ألا يتساهل فيما له علاقة بحرمة الأسرة . كذلك لا تساهل فيما فيه ميل إلى سوء أو منكر .. قال عليه الصلاة والسلام : ( ثلاثة لا يدخلون الجنة أبداً .. الديوث والرجلة من النساء ، ومدمن الخمر . فقالوا : يا رسول الله ، أما مدمن الخمر فقد عرفناه ، فما الديوث ؟ قال : الذى لا يبالى من دخل على أهله . قلنا فما الرجلة من النساء ؟ قال : التى تُشَبه بالرجال ) .

وفى الصحيحين عن أبى هريرة أن رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ قال : ( إن الله تعالى يغار ، والمؤمن يغار ، وغيرة الله أن يأتى الرجل المؤمن ما حرم الله )[11] .

ولاشك أن الزوجة تشعر بالسعادة والرضا حينما ترى زوجها يغار عليها ، ويحافظ على كرامتها ، وتشعر بالإحباط والإهمال حينما يسلك زوجها سلوكاً مضاداً لذلك ؟ وما نراه حالياً من بعض الأزواج من عدم مبالاة بارتداء زوجته للملابس الكاسية العارية ، أو وضع العطور النفاذة أمام العامة لا يمكن أن نصنّف موقفه فى إطار السلوك السوىّ بأى حال من الأحوال .

إن الغيرة مطلوبة على أن تكون فى أحسن أحوالها ، حتى لا تتحول إلى ريبة فتجسس فسوء ظن ، فإن ذلك يفسد العشرة ويقطع سبل المودة وذلك نقص فى رجولة الحكيم ؛ فينبغى على الرجل أن يشعر زوجته بالثقة وأن يبتعد عما يخدش كرامتها . قال عليه الصلاة والسلام : ( إن من الغيرة غيرة يبغضها الله ـ عز وجل ـ وهى غيرة الرجل على أهله من غير ريبة ) رواه أبو داود والنسائى وابن ماجه .

وقال تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ﴾ الحجرات : ١٢

( د ) **الرعاية الدينية** : وهذه الرعاية من حق الزوجة على زوجها ، فعليه أن يهتم بسلامة دينها وخلقها ويرشدها إلى ما ينبغى أن تتعلمه من أمور دينها ، فتمارسه على خير وجه .. قال تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾ التحريم : ٦

وفى الحديث الشريف : ( كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ) وفيه ( والرجل راع فى أهله ومسئول عن رعيته ) .

البخارى جـ٢ / ٦ ، جـ٣ / ١٩٦ ، جـ٤ / ٦ ، جـ٧ / ٣٤ ، ٤١ .

(هـ) القسمة العادلة بين زوجاته فى حال التعدد : مسكناً وطعاماً وشراباً وكساء :

فلا يفضل واحدة على أخرى .. قال تعالى :

﴿ فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ﴾[12]

ويقول عليه الصلاة والسلام : ( من كانت له امرأتان فمال إلى إحداهما دون الأخرى ـ وفى لفظ « لم يعدل بينهما » ـ جاء يوم القيامة وأحد شقيه مائل ) .

قال تعالى : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ﴾

فالعدل مطلوب ، إذ هو الحق ، ولو كان مع زوجة واحدة .

يتبع .

(١١) البخارى ٧/٤٥ مسلم التوبة ٣٦ ، أحمد ٢/ ٥٤٠ .

(١٢) النساء : ١٢٩ .

# العالم الإسلامى المعاصر

## تعريفه وأهم خصائصه

د / زينب الأشوح *

**بالرجوع إلى الدراسات المتخصصة التى تناولت ( العالم الاسلامى ) ، لوحظ أن غالبية تلك الدراسات لم تتعرض لتعريف العالم محل الدراسة ، مما قد يبعث على التشكك فى نتائج تلك الدراسات طالما أن نقطة البحث الأساسية مجهولة الهوية .**

**فإذا ما دارت دراسة أو مناقشة ما حول جزء أو كل ( العالم الاسلامى ) فلابد من التمهيد أولا بعرض إجابات واضحة عن الأسئلة الآتية :**

ماذا يقصد بالعالم الإسلامى ؟ ، وما أهم معالمه وحدوده ؟ ، وما الخصائص التى تميزه وتجعل له هوية منفصلة عن بقية أجزاء العالم ككل ؟ وعلى اعتبار « الدولة الإسلامية » هى الوحدة الأساسية للعالم محل الدراسة فيجب على أية دراسة متخصصة أن تبدأ : أولا : بتعريف تلك الوحدة بدقة كافية وبناء عليه فسوف تتم محاولة استنباط أهم المعايير التى يمكن استخدامها فى تعريف الدولة الإسلامية ــ كوحدة ــ والعالم الإسلامى ــ ككل ــ منتهين بأفضل تعريف يمكن التوصل إليه لتحديد أهداف الدراسة ، وذلك كما نعرضه فى الأقسام التالية .

**تعريف الدولة الإسلامية :**

بالتوغل فى الدراسات التى تناولت ما يعرف بالدولة الإسلامية نلاحظ أن هناك ثلاثة معايير عادة ما يستخدم أحدها ، أو جميعها لتعريف الدولة الإسلامية ، تلك هى « إسلامية القوانين التى تحكم الدولة » و « إسلام الحاكم » و « اغلبية عددية سكانية مسلمة » أو ما قد يطلق عليه ــ اختصارا ــ « المعيار العددى » .

ومن أمثلة الدراسات التى استخدمت المعيار الأول مجموعة الدراسات التاريخية التى أشارت ــ وتشير ــ إلى تحول العديد من الدول إلى ( بلاد إسلامية ) نتيجة للفتوحات الإسلامية وتطبيق الشريعة والقوانين الإسلامية على سكان تلك البلاد ، ففى موسوعة الدكتور أحمد شلبى للتاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية ــ على سبيل المثال ــ ( ١٩٧٥ ، ص ٥٤ ) أشار المؤلف إلى انتشار الإسلام فى مناطق كانت

---

* الكاتبة : مدرس اقتصاد ــ كلية التجارة جامعة الأزهر (بنات)

المسيحية دينها مثلما حدث فى أسبانيا ، وذلك نتيجة للفتح الإسلامى لتلك المناطق . ومما يدل على أن الدولة تدين ــ ولو شكلا ــ بدين غازيها الذى يطبق قوانين دينه وعقائده عليها ، ما أوضحه د.أحمد شلبى حول الحركة الإسلامية والمسيحية[1] بين القارات حيث ذكر أن الإسلام الذى تركز أساسا فى افريقيا وجزء كبير من آسيا ، قد افتتح أوروبا من طرفيها : الغربى فى العهد الأموى حيث ضم أسبانيا ، واتجه إلى فرنسا ، والشرق حيث أسقط العثمانيون القسطنطينية وبسطوا نفوذهم على دول شرق أوربا وأخذوا ينشرون دينهم » وقد أدى ذلك إلى اتجاه المسيحية لكل من إفريقيا وآسيا كمحاولة ــ كما ادعوا ــ للثأر من اقتحام الإسلام للقارة الأوروبية . ويتضح تطبع الدولة بدين غازيها المنتصر مما نص عليه المؤلف وهو « ولعل الاهتمام بنشر الدين يفسر على أن الدين فى الواقع من أقوى الصلات بين البشر ، وأنه يفوق فى هذا المضمار علائق الدم والجنس والوطنية[2] .

أما عن معيار « دين الحاكم » فقد استخدم فى عديد من الدراسات لتقويم الدولة وتحديد دياناتها الرسمية ، ومن تلك الدراسات الدراسة السابقة حيث يستنبط ذلك المعيار مما نص عليه أحمد شلبى فى كتابه ( ١٩٧٥ ، ص ٤٨ ) .. بالاضافة إلى انتشار الإسلام انتشارا كبيرا بين دول تجعل المسيحية طابعها ؛ لأن حكامها من المسيحيين . وفى دراسة قام بها يسرى الجوهرى ونازيمان درويش (١٩٩٢، ١١ــ١٥)، أشير إلى عديد من الدول التى صارت إسلامية بعد أن اعتنق حكامها الإسلام مثلما كان الحال بالنسبة لإمارة ( بروناى ) التى أصبحت إسلامية بعد إسلام حاكمها « أوانج بتاتار » فى عام ٨٢٨هـ، وكذا انتشار الإسلام فى ( جزيرة سلبيس ) التى انتشر الإسلام فيها على يد ملكها « ابن كوينجالو » الذى أسلم فى القرن الحادى عشر ، ولقب نفسه بعد الإسلام بـ(السلطان علاء الدين ) ، كما أسلم ( ملقا ) عام ٦٧٥ هـ (١٢٧٦م) وانتشر الإسلام فى مملكته ، وامتد فى انتشاره إلى ( سنغافورة ) و ( ماليزيا ) وأدى ذلك إلى قيام أول مملكة إسلامية فى ماليزيا .

وقد لوحظ أن ( المعيار العددى ) هو الأكثر استخداما لتعريف الدولة الإسلامية سواء كان ذلك فى الدراسات الفردية ، أو فى الدوريات والمطبوعات الدولية ( على سبيل المثال : يسرى الجوهرى ونازيمان درويش ، ١٩٩٢ ، ياسين محمد مراد ، ١٩٩٠ ، كتاب الحقائق ، بالانجليزية ، ١٩٩٣ ) .

ومن بين التعريفات الواضحة التى تحدد مفهوم الدولة الإسلامية اخترنا هذين التعريفين المذكورين فى مؤلفى كل من محمود أبو العلا وياسين محمد مراد .

عرف الأول ( ١٩٩١م، ص١٣) الدولة الإسلامية بأنها ( تلك التى يزيد عدد المسلمين فيها على ٥٠٪ من مجموع سكانها) ويتفق هذا مع تعريف ياسين محمد مراد (١٩٩٠م ص٦ ) حيث عرف الدولة الإسلامية بأنها تلك التى يزيد عدد المسلمين فيها على ٥٠٪ من عدد سكانها بصرف

النظر عما إذا كان دستورها قد نص على أن الإسلام هو دين الدولة الرسمى أم لم ينص) .

أما اذا لم يتجاوز عدد المسلمين النسبة المقررة لا تعتبر الدولة إسلامية ، ويعتبر المسلمون المقيمون فيها أقلية دينية حتى إذا كان حجم تلك الأقلية كبيرا كما فى حالة الهند ( ٩١ مليون مسلم ) والصين الشعبية ( ٨٤ مليون مسلم ) والاتحاد السوفييتى ( سابقا حوالى ٥٢ مليون مسلم ) .

والواقع أن المعيار الذى يجب استخدامه لتحديد المقصود بالدولة الإسلامية بشكل دقيق يجب أن يتضمن كلًا من : دين الحاكم والغلبة العددية فى صيغة واحدة كما سنوضح فى حينه .

**تعريف العالم الإسلامى :**

قد يختلط الأمر على البعض فيعتقد أنه طالما تعتبر ( الدولة الإسلامية ) وحدة أو جزءاً من ( العالم الإسلامى ككل ) فإن تعريف الوحدة لن يختلف عن تعريف الكل . غير أن التفكير المنطقى يرفض ذلك الخلط ؛ لأن ذلك معناه تجاهل أعداد كبيرة من المسلمين الذين قد يمثلون قلة — نسبية — فى بلادهم غير الإسلامية إلا أن تلك الأعداد — فى حد ذاتها — تشكل أهمية عددية نسبية كبرى بالمقارنة بأعداد المسلمين المطلقة التى تعيش فى بعض الدول الإسلامية مما يمكن أن يجعل من تلك الأعداد — فى الواقع — دولا إسلامية متخفية تحت أردية غير إسلامية فرضت عليها مؤقتا تحت تهديد أسلحة وقوى غير مشروعة . ومصداقا على ذلك الجمهوريات الإسلامية التى اغتالتها اياد استعمارية شيوعية ، ودأبت على محاولة طمس هويتها الإسلامية الأصيلة ولكن لم يستمر ذلك إلا حينا من الدهر استطاعت بعده تلك الجمهوريات أن تستقل وتعلن تكوينها وشكلها الإسلاميين حيث كانت وظلت وستكون بمشيئة الرحمن .

وبالرجوع إلى بعض الدراسات التى تناولت تعريف ( العالم الإسلامى ) ، نجد أن المعيار العددى أكثر المقاييس المستخدمة فى تعريف وتحديد المقصود بالعالم الإسلامى غير أن كيفية استخدام ذلك المعيار تختلف من دراسة لأخرى .

ففى دراسة أحمد شلبى (١٩٧٥،ص٤٨) استخدم معيار « الأغلبية السكانية المسلمة » لتحديد العالم الإسلامى على مستوى القارة . وقد أوضح — فى هذا الصدد — أن إفريقية هى القارة الوحيدة التى يمكن تسميتها بـ(القارة المسلمة) من بين قارات العالم لأن ١٥٠ مليون نسمة من مجموع سكانها (٢٣٥مليون) مسلمين ، أما الملايين الباقية فيها فتتوزع بين المسيحية واللادينية وعقائد وأفكار أخرى .. ويضيف المؤلف أن الإسلام يوجد أيضا بنسبة كبيرة فى آسيا ، ومع ذلك لم يعتبرها قارة إسلامية مثلما الحال بالنسبة لقارة إفريقيا . هذا بينما يرى ( يسرى الجوهرى وناريمان درويش ) (١٩٩٢،ص١٦) أن الإسلام قد انتشر فى مواضع عديدة من آسيا ، ومن ثم فقد اعتبراها ( بؤرة العالم الإسلامى ) ونعتاها بلقب ( آسيا الإسلامية ) .

ولقد عرف محمود أبو العلا (١٩٩١،ص١٣) العالم الإسلامى بأنه ( الدول

التى يكون سكانها المسلمون ما يزيد على ٥٠٪ من مجموع سكانها ) وأضاف أنه بناء على هذا التعريف ، فإن العالم الإسلامى يشمل عدة مجموعات من الدول المتجاورة على سطح الأرض الممتد من المحيط الأطلسى غربا حتى المحيط الهادى شرقا إلى جانب العديد من الجزر المبعثرة فى ذلك المحيط .

وبمزيد من المنطقية ، تم تصنيف العالم الإسلامى إلى مجموعات كانت ثلاثاً فى دراسة أحمد شلبى (١٩٧٥،ص٤٩) حيث صنف العالم الإسلامى إلى : دول إسلامية ، ودول نصف إسلامية ، ودول أقليات إسلامية . وبرغم وجاهة ذلك النوع من التصنيف إلا أنه لم يوضح على أى أساس تم ذلك التصنيف . غير أن معظم الدراسات المعنية قد صنفت العالم الإسلامى إلى مجموعتين رئيسيتين هما : الدول التى تضم أغلبية سكانية مسلمة ، والأخرى تضم أقليات مسلمة . فعلى سبيل المثال أوضح محمود أبو العلا (١٩٩١،ص١٧) أن هناك اثنتين وأربعين دولة إسلامية ( يُكَوِّنُ سكانها المسلمون ما يزيد عن ٥٠٪ من إجمالى سكانها ) : (٢١) دولة فى آسيا ، و (٢٠) دولة فى إفريقيا ، و (١) دولة فى أوروبا . بينما هناك ست وستون دولة غير إسلامية ، ولكنها تضم أقليات إسلامية بأعداد متفاوتة : (١٧) دولة فى آسيا . و(٢٩) دولة فى إفريقيا ، و(١٠) دول فى أوروبا ، و(٧) دول فى الأمريكتين ، و (٣) دول فى استراليا . وتشير الدراسة إلى أنه وفقا لإحصاء ١٩٨٨ فإن قارة آسيا تضم ٧٠,٥ ٪ من مسلمى العالم ومن ثم تعتبر كما وصفتها الدراسة بيت الإسلام بينما تضم قارة إفريقيا ٢٦ ٪ من إجمالى المسلمين فى العالم ، ويشكل مسلمو باقى القارات ٣,٥ ٪ فقط من إجمالى مسلمى العالم .

وفى تقدير آخر ، ذكر ياسين محمد (١٩٩٠،ص٨) أن المسلمين يشكلون نحو خمس سكان العالم حيث يعيش حوالى الثلثين منهم كأغلبية سكانية داخل ( دول العالم الإسلامى ) والباقى كأقليات فى دول ( غير إسلامية ) .. فإذا كانت الأقليات المسلمة تمثل ثلث المسلمين فى العالم أليس من الحكمة أن يصنفوا — كمجموعة ثانية — فى إطار ما يعرف بالعالم الإسلامى ، وليس فى إطار عالم آخر منفصل ؟

الواقع أن العالم الإسلامى لا يمثل حدودا وفواصل مادية بقدر ما يمثل وحدة فى الدين والعقائد والاتجاهات والمصير ، ذلك ما يجعلنا ننتهى — على ضوء ما سبق — **إلى أن أفضل تعريف للعالم الإسلامى « هو شكل اعتبارى يضم كل فرد مسلم على خريطة العالم الدولية »** .

أما عن الدولة الإسلامية فيقترح أن تعرف بأنها تلك الدولة التى تسكنها أغلبية مسلمة ( ٥٠٪ من إجمالى سكانها أو أكبر نسبة من السكان المسلمين مقارنة بنسب السكان من متبعى الديانات والعقائد الأخرى المختلفة إلى إجمالى السكان ) .

أو تلك الدولة التى ينص دستورها على أن دينها الرسمى هو الإسلام أو التى يدين حاكمها بالدين الإسلامى . والتعريف الأخير للدولة الإسلامية قد تم استنباطه من خلال الاستعراض السابق إلى

جانب تعريف الدولة بوجه عام الذى قدمه عبد الستـــار فتـــح الله سعيـــد (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨، ص٧) حيث ذكر أن الدولة هى « رقعة من الأرض ، يقوم عليها مجتمع ثابت ، تنظمه سلطة ما ، على أساس شريعة معينة » ومن ثم فهو يرى أن تكوين الدولة يقوم على أربعة عناصر هى : الشريعة ، الأمة ، الحكومة ، الأرض .

**أهم الخصائص التى يتميز بها العالم الإسلامى :**

يتضح لنا من الاستعراض السابق أن الدولة الإسلامية تتمتع بحدود معينة تجعلها منفصلة بذاتها عن بقية الدول الأخرى إسلامية كانت أو غير ذلك .

أما العالم الإسلامى فلا حدود له ، حيث يضم كل المناطق والدول الإسلامية المنتشرة فى أماكن متنوعة ومتفرقة من بقاع العالم ككل وذلك بنسب متفاوتة من الكثافة السكانية الإسلامية . وعلى الرغم من عدم وجود فواصل حدودية ومكانية للعالم الإسلامى عن العالم غير الإسلامى ، إلا أن هناك من الخصائص والمعالم ما ينفرد بها العالم الإسلامى بحيث تجعله مختلفا ومميزا ـ فى أية بقعة على الأرض ـ عن غيره من العوالم .. وفى ذلك الجزء سنحاول التعرض بإيجاز للخصائص العامة المميزة للعالم الإسلامى ( بحيث ننتهى إلى تكوين دليل مصغر يمكن استخدامه عنـــد دراسة الجمهوريات الإسلامية الست المنفصلة مؤخرا عن الاتحاد السوفييتى ( سابقا ) فيما بعد .

وذلك على النحو التالى الذى نذكره فى العدد القادم بمشيئة الله ـ تعالى ـ .

---

١ ـ تلفت النظر إلى أن استخدام ( المسيحية ) تجاه حديث لم يعرفه المسلمون ، ولا ذكره القرآن الكريم وانما النص الصحيح هو النصرانية من تعبير الكتاب العزيز عنهم ب « النصارى » .

٢ ـ راجع د/أحمد شلبى ١٩٧٥ ص ٥٤ .

# معالجة مشكلة البطالة

## من منظور الفكر الإسلامي والفكر الوضعي

إعداد
د/ سهير حسن عبد العال (*)

إن التعرف على أسباب مشكلة البطالة يعتبر الأساس لمحاولة وضع سياسة لمواجهتها ، وفى هذا المبحث سنتناول الأسباب التى كانت وراء تفاقم المشكلة فى مصر ، ثم تحليل الأسباب من المنظور الإسلامى .

**أولا : تحليل أسباب مشكلة البطالة فى مصر**

ترجع مشكلة البطالة فى مصر إلى عدة أسباب من أهمها :

١ ـ ضعف التنسيق بين سياسة التعليم وسياسة التوظف : فافتقاد الفرد لمجال العمل الذى يتناسب مع مؤهله يجعله إما أن يبقى متعطلا أو يقبل العمل فى مجالات بعيدة عن تخصصه ، والنتيجة المتوقعة هى انخفاض كفاءته وضياع الموارد التى خصصت لتعليمه ، والعملية التعليمية هنا لم يستفد منها أحد لا الفرد ولا المجتمع .

٢ ـ تزايد أعباء المديونية الخارجية فى مصر وذلك على حساب الأنشطة الاستثمارية بها ، الأمر الذى ترك آثاره السلبية على معدلات زيادة الإنتاج والعمالة ، وخاصة ، المؤهلة لأنها تحتاج إلى مجالات جديدة لن يتسنى توفيرها إلا من خلال إنشاء العديد من المشروعات واستحداث أنشطة منتجة ، والتوسع فى الأنشطة القائمة ، وهذا يتطلب استثمارات ضخمة يعجز الاقتصاد المصرى عن توفيرها ، فى ظل المديونية الخارجية .[1]

٣ ـ عدم فاعلية التدريب المهنى فى توفير العمالة اللازمة لتنفيذ برامج التنمية ، وبالتالى لم يساهم هذا النوع من التدريب فى إحداث مواءمة بين العرض والطلب على القوى العاملة ، ولم يقم بدوره فيما يطلق عليه « التدريب التحويلى » الذى قد يساعد فى تحول العمالة الزائدة من الحاجة إلى عمالة منتجة عن طريق إكسابهم مهارات معينة .

---

* الباحثة مدرسة اقتصاد ـ كلية التجارة ـ جامعة الأزهر ـ فرع البنات

(١) د. منى الطحاوى « تحليل ظاهرة البطالة بين المتعلمين فى مصر » ، مؤتمر قسم الاقتصاد ، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، جامعة القاهرة ١٩٨٩ ، ٥٩٥ .

أضف إلى ذلك : تعدد الهيئات التى تتصدى للتدريب المهنى فى مصر وافتقارها إلى تنسيق الجهود ، أو العمل فى ظل سياسة موحدة ، كما أن التدريب ذاته يعوزه الدقة والأخذ بالأساليب العلمية المتطورة ، كما يفتقر إلى المدربين الأكفاء والآلات المتقدمة .(٢)

٤ ـ اعتماد كثير من المشروعات ـ التى أقيمت خاصة فى فترة السبعينات ـ على أساليب إنتاجية متطورة تتضمن درجة عالية من الآلية ، كما أنها كانت تركز على المواد الخام المستوردة بسبب سهولة الاستيراد فى ذلك الحين ، فإن الارتفاع المتواصل فى أسعار الواردات (سواء بسبب الاتجاهات التضخمية العالمية ، أو تخفيض سعر صرف الجنيه المصرى) كان له أثره السىء على حجم الإنتاج ومستوى العمالة فى تلك المشروعات ، إذ اضطر بعضها الى تخفيض طاقاته الإنتاجية إلى مادون الطاقة القصوى الممكنة . ولجأ عدد منها إلى تصفية أعمالها وإنهاء نشاطها . ومن ثم استغنت تلك المشروعات عن بعض العاملين لديها ، فازدحم سوق العمل بالأيدى العاملة المؤهلة التى تخرجت حديثا . ولم تجد عملا تشغله ، والأيدى العاملة القديمة التى فقدت عملها نتيجة لانكماش النشاط الإنتاجى فى المشروعات التى تعانى من ارتفاع تكاليفها بسبب اعتمادها على الواردات(٣) .

٥ ـ عدم الاستخدام الأفضل للطاقة الإنتاجية المتاحة ، وما يترتب عليه من وجود طاقات عاطلة إلى تفشى البطالة بين العاملين ، وبالتالى تضعف مقدرة الوحدات الانتاجية عن استيعاب عمالة جديدة كان من الممكن خلق فرص عمل لها إذا ما أحسن استغلال ماهو متوفر من موارد دون الحاجة الى توسعات استثمارية جديدة(٤) مثال ذلك الخبرات والموارد الطبيعية .

٦ ـ يرى بعض الكتاب أن الزيادة السريعة فى النمو السكانى ترتب عليها زيادة حجم السكان من (١٠) مليون نسمة فى بداية هذا القرن إلى مايقرب من (٥٦) مليون نسمة فى الوقت الحالى ، مما أدى إلى اختلال بين قوى العرض والطلب لسوق العمل . ويرى البعض الآخر أن زيادة السكان لو أحسن الاعداد لها والتهيئة والتدريب وفتح أفاق العمل لأصبحت قوة فعالة فى إيجاد فرص عمل للآخرين ، فالمسألة ليست زيادة السكان ولكن كيف يمكن الاستفادة من هذه القوة(٥) .

٧ ـ نمط توزيع الاستثمارات حيث اتجهت الاستثمارات إلى القطاعات التوزيعية بدلا من توجيهها الى القطاعات السلعية ، وهى القطاعات التى تستوعب فرص أوسع للتوظف .

ثانيا : نظرة الإسلام إلى مسببات البطالة وعلاجها :

يرى كتاب الاقتصاد الإسلامى أن البطالة تنشأ عن مسببات أخرى بخلاف المسببات السابقة .

(٢) د. عوض مختار هلوده ، «البطالة فى مصر قياسها وأساليب علاجها» ، المؤتمر العلمى السنوى الرابع عشر للاقتصاديين المصريين ، نوفمبر ١٩٨٩ ، ص ٣٦٥ .

(٣) د. منى الطحاوى ، مرجع سبق ذكره ، ص ٥٩٧ .

(٤) د. عوض مختار هلوده ، مرجع سبق ذكره ، ص ٣٦٥ .

(٥) د. حسين حسين شحاته ، «المنهج الاسلامى لمعالجة مشكلة البطالة» ، سلسلة بحوث ودراسات فى الاقتصاد الاسلامى ، بحث غير منشور ، ١٩٩٢ ، ص ٩ .

ولقد تضمنت الشريعة الإسلامية القواعد التى تقضى على هذه المسببات وسوف تعرض الباحثة أهم هذه المسببات ونظرة الإسلام إليها .

(١) الربـــا :

يرى كتاب الاقتصاد الإسلامى أن نظام سعر الفائدة يعوق النمو والتطور وإنشاء المشروعات الاستثمارية التى تستوعب عددا من العاملين ؛ لأن الفائدة تؤدى إلى زيادة التكاليف وهذه تؤدى بدورها إلى زيادة الأسعار - وتسبب قلة الطلب على إنتاج المشروعات ، وبالتالى توقف هذه المشروعات والاستغناء عن العمالة الموجودة بالمشروعات ومن ناحية أخرى إذا كان (سعر الفائدة ( أعلى من (الربحية المتوقعة) فإن هذا يمنع من إنشاء المشروعات ، ويعوق الاستثمار ، ولهذا كان ذلك من بين أسباب تحريم الربا .

فقال الله - تعالى - فى كتابه العزيز : «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗ»(٦)

وقال - تعالى : « فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتۡ لَهُمۡ وَبِصَدِّهِمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرٗا ﴿١٦٠﴾ وَأَخۡذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدۡ نُهُواْ عَنۡهُ وَأَكۡلِهِمۡ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ مِنۡهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا »(٧)

وقوله - تبارك وتعالى

ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ (٨)

وقد شدد الرسول ﷺ على تحريم الربا كما ورد فى حديث عن جابر بن عبدالله قال : «لعن رسول الله ﷺ آكل الربا ومؤكله وكاتبه وشاهديه ، وقال : هم سواء»(٩) أى أن جميع الأطراف المتعاملة مع الربا متساوية فى العقوبة .

وعن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ قال : «لا تبيعوا الذهب بالذهب ، إلا مثلا بمثل ، ولاتشفوا بعضها على بعض ، ولاتبيعوا الورق بالورق إلا مثلا بمثل ، ولاتشفوا بعضها على بعض ، ولاتبيعوا فيها شيئا غائبا بناجز .»(١٠) ويوضح هذا الحديث شروط التبادل فى حالة اتحاد الجنس للبدل ؛ وذلك لتجنب الربا وهذه الشروط هى التساوى فى القدر والمماثلة ولا يجوز الزيادة والتأخير .

كذلك فإن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - قد حذر من الربا ، فعن عبدالله بن عمر : أن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - قال : «لا تبيعوا الورق بالذهب ، أحدهما غائب والآخر ناجز ، فإن استنظرك إلى أن يلج بيته فلا تنظره ، إنى أخاف عليكم الرماء»(١١) والرماء هو الربا .

---

(٦) سورة آل عمران آية : ١٣٠ .

(٧) سورة النساء آية : ١٦٠ ، ١٦١ .

(٨) سورة البقرة آية : ٢٧٥ ، ٢٧٦ .

(٩) الإمام المنذرى ، الترغيب والترهيب من الحديث الشريف ، مكتبة الجمهورية العربية ، الجزء الثالث ، ١٩٧٠ ، ص ٥ .

(١٠) الناجز : الحاضر فى المجلس . موطأ الإمام مالك أبى عبدالله مالك بن أنس الأصبحى عالم المدينة ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٧ ، ص ٢٦٣ .

(١١) الإمام مالك ، المرجع السابق ذكره ، ص ٢٦٣ .

وقد حرم الاسلام الربا لما فيه من أضرار بالغة تشمل الفرد والمجتمع والنظام الاقتصادى كله ، ومن هذه الأضرار أنه من الأسباب الأساسية لمشكلة البطالة ونقص التوظف والتشغيل فى المجتمع لعدة اعتبارات هى :

١ ـ أن الربا يؤثر تأثيرا سلبيا على الاستثمار والانتاج ، ذلك لأن كثيرا من المستثمريــن يحتاجون التمويل اللازم لمشروعاتهم فيلجئون إلى الاقتراض بفائدة ، مما يجعلهم يحجمون عن الاستثمار وإنشاء المشروعات ، فتقل بالتدريج المشروعات الجديدة ، وهذا بدوره يقود الى نقص التشغيل فى المجتمع .

كما أن ارتفاع سعر الفائدة على القروض يضطر المستثمرين الى تأجيل عمليات التطوير والإحلال والتجديد ذات التكلفة العالية ، فيتدنى الإنتاج فى النوعية ويقل فى الكمية ، وينعكس ذلك سلبيا على اقتصاديات المشروع ، وبالتالى على أجور العمال ، وقد يتم الاستغناء عن هؤلاء العمال .

٢ ـ المرابون يشكلون طبقة طفيلية غير منتجة تعيش على كسب الآخرين دون أن تساهم فعليا فى الإنتاج . فالمرابى يضاعف رأسماله ، دون عمل ودون مخاطرة مما يدعوه إلى الكسل وتكدس الأموال فى أيد معينة ، ويحول ذلك دون إفادة المجتمع من عمل بعض أفرادها ، وفى ذلك تعطيل لجزء من القوى العاملة فى المجتمع(*) .

وفى مثل هذا المعنى يقول الامام الرازى «إن الاعتماد على الربا يمنع الناس عن الاشتغال بالمكاسب ، وذلك لأن صاحب الدرهم إذا تمكن بواسطة عقد الربا من تحصيل الدرهم الزائد ـ نقدا كان أو نسيئه ـ خفف عليه اكتساب وجه المعيشة ، فلا يكاد يتحمل مشقة الكسب والتجارة والصناعات الشاقة ، وذلك يفضى إلى انقطاع منافع الخلق ، ومن المعلوم أن مصالح العالم لاتنتظم إلا بالتجارات والحرف والصناعات والعمارات »[١٢]

٣ ـ عند حصول الفرد المحتاج على قرض ليستخدمه فى الانتاج ، فإن المرابى سيمسك أمواله عن الإقراض وقت الحاجة إليها ، حتى تصل أسعار الفائدة عنها إلى أعلى نسبة ممكنة ، وحينئذ يقدمها للمحتاجين إليها دون أن يعنيه ما لذلك من أثر فى تعطيل الحركة الاقتصادية . وإنما كل ما يعنيه هو ضمان استرداد دينه مع أعلى نسبة من الفائدة عند إقراضه . كما أن خطر المرابى لا يقف عند هذا الحد ، وإنما يتجاوزه إلى ما هو أخطر منه بكثير ، ذلك أن المشروع الذى استثمر فيه المقترض قيمة القرض قد يكون من المشروعات التى تؤتى ثمارا عاجلة تساعد على الوفاء بالتزامات القرض فى مواعيدها ، فلايدع المقرض المشروع حتى يؤتى ثماره ، فقد يحجز على المشروع ، ويضطر المقترض إلى تصفية نشاطه وإعلان إفلاسه ، والاستغناء عن العمال الذين يعملون فى المشروع .

٤ ـ إن المقرضين ضمانا لسرعة استرداد أموالهم مع فوائدها ، يعملون على أن تكون قروضهم قصيرة الأجل ، مما يجعل المقترض يحصر

(١٢) تفسير الفخر الرازى ج ٧ ، ص ٤ ، نقلا من يوسف القرضاوى ، الحلال والحرام فى الاسلام ، طبعة مكتبة وهبة ، القاهرة ، ص ٢١٧ .

نشاطه الاقتصادى فى أضيق الحدود ، ويختار من الأنشطة ما يكون أسرع إنتاجا فى مدة قصيرة حتى يمكن الوفاء بالتزاماته الربوية فى مواعيدها بتفادى الآثار المدمرة لنشاطه إذا ما تأخر فى الوفاء بها ، ومن ثم لايتاح للمقترض أن ينهض بمشروع كبير يستدعى إنتاجه وقتا طويلا ، ويحتاج إلى عماله كثيرة ودائمة . هذا بالاضافة إلى أنه فى مثل هذه الأحوال لاتكون لديه المقدرة على تخزين البضائع المنتجة ، إذا أحس بقلة الطلب عليها ، فيضطر إلى تقليلها تفاديا للإفلاس ، مما يترتب عليه الاستغناء عن عدد من العمال ، فتكثر البطالة[13]

### ( ب ) كنز المال وحبسه عن الإستثمار والإنتاج :

إن كنز المال وحبسه عن الاستثمار والإنتاج من أسباب مشكلة البطالة ؛ لذلك نهى الاسلام عن كنز المال وتعطيله عن التداول ، حتى يمكن استثماره فى إقامة المشروعات التى توفر فرص عمل جديدة وتعالج مشكلة البطالة ، وفى هذا الصدد يقول الله ــ عز وجل :«وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ»[14] وقد توعد الله ــ تعالى ــ من يكنز المال ويحبسه عن التداول والانتاج فى قوله تعالى «يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ»[15]

ومعنى الكنز ــ فى أصل اللغة ــ هو : جمع المال وخزنه أو دفنه وهو ما يفهم من الآيتين السابقتين أن الكنز هو حبس المال ، وتعطيله عن أداء رسالته فى الحياة الاقتصادية ، وقد ذهب إلى ذلك بعض الفقهاء ومنهم الإمام الغزالى[16] وهناك تفسير آخر يقول أن المقصود بالكنز : المال الذى لم تدفع زكاته ، مثل تفسير ابن كثير[17] .

وترى الباحثة أن المال المحبوس عن ما خلقه الله له يعتبر مكنوزا .

وقد حث أيضا الرسول ﷺ على الانفاق فى وجوه الخير والتبشير بالخلف من فضل الله ــ تعالى ــ فعن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : قال الله ــ تبارك وتعالى : «يا ابن آدم أنفق ، أنفق عليك . قال : يمين الله ملأى» «وقال ابن نمير ملآن» سحاء ٭ لا يغيضها ٭ شيء الليل والنهار[18] وعن أبى هريرة ــ رضى الله عنه ــ أن رسول الله ﷺ قال « ما من يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان ينزلان فيقول أحدهما : اللهم أعط منفقا خلفا ، ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكا تلفا[19] .

وبهذا تظهر العلاقة القوية بين الاكتناز والنشاط الاقتصادى ، فمنع الاكتناز يؤدى إلى

---

(١٣) د. ابراهيم الطحاوى ، «الاقتصاد الاسلامى ، مذهبا ونظاما دراسة مقارنة» ، الجزء الأول ١٩٧٤ ، ص ٣٢٩ .

(١٤) سورة التوبة آية : ٣٤ .

(١٥) سورة التوبة آية : ٣٥ .

(١٦) يوسف القرضاوى ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٦٩ .

(١٧) إسماعيل بن كثير القرشى الدمشقى ، تفسير القرآن العظيم ، مكتبة التراث الاسلامى ، الجزء الثانى ، ١٤٠٠هـ ــ ١٩٨٠ ص ٣٥٠ .

٭ سحاء : الصب الدائم

٭ لا يغيضها شيء ، لا ينقصها .

(١٨) صحيح مسلم ، مرجع سبق ذكره ص ٣٢ .

(١٩) الإمام الحافظ زكى الدين عبدالعظيم بن عبدالقوى المنذرى : الترغيب والترهيب من الحديث الشريف ، مكتبة الجمهورية العربية ، الجزء الثانى ١٩٧٠ ص ٦٤ .

النشاط الاقتصادى ، وزيادة النشاط الاقتصادى يولد رزقا يساهم فى القضاء أو الحد من مشكلة البطالة[٢٠] .

ويقول إبن خلدون : «اعلم أن الأموال إذا اكتنزت ، وادخرت فى الخزائن لا تنمو ، وإن كانت فى صلاح الرعية وإعطاء حقوقهم ، وكف الأذية عنهم ، نمت وزكت وصلحت به العامة . فليكن كنز خزائنك تفريق الأموال فى عمارة الإسلام وأهله[٢١] .

وهذه دعوة إلى ضرورة استثمار الأموال وعدم حبسها وكنزها عن أداء وظيفتها فى الحياة الاقتصادية ، ذلك ، لأن كنز المال وتعطيله يضر بمصلحة الأفراد والمجتمع ، كما لابد وأن تؤدى الزكاة عن هذا المال ، فالزكاة من أهم الأساليب التى تدفع الناس الى استثمار الأموال فى المشروعات الإنتاجية التى تساهم فى زيادة مستويات التشغيل .

حـ ـ عدم الاستخدام الرشيد للموارد الطبيعية :

لقد خلق الله السموات والأرض ، وقدر فيها أقوات المخلوقات ، وطلب من الإنسان السعى والجد وبذل الجهد ، وفى نفس الوقت طلب من الإنسان أن يستخدم الموارد الطبيعية التى سخرها الله لنا استخداماً رشيداً ، وفيما يفيد البشرية ، ونهانا أن نسرف فى استغلالها ، أو نوجهها توجيهاً لا يقره الإسلام ، والموارد الطبيعية التى سخرها الله لنا لاتحصى ولاتعد[٢٢] ولقد أشار القرآن الكريم الى ذلك فقال الله ـ تعالى : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ۝ وَسَخَّر لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۝ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾[٢٣]

وقال ـ تعالى : «﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾»[٢٤]

وتبين الآيات السابقة أن الكون ملء بنعم الله الكثيرة ، وهذه النعم ملك لله ـ سبحانه وتعالى ـ ويجب أن تسخر لتحقيق غاية الله من خلق الكون ، وخلق المخلوقات وهى تعمير الأرض ، وبذلك يقع على المسلم مسئولية الاستخدام الرشيد لهذه النعم والموارد ، ولايستخدمها فى غير ما أمره الله[٢٥]

ولقد أوضح رسول الله ﷺ فى كثير من الأحاديث الشريفة القواعد الشرعية التى يجب أن نلتزم بها تجاه هذه الموارد الطبيعية من أهمها :[٢٦]

١ ـ إن هذه الموارد ملك لله ـ سبحانه وتعالى ـ وللأفراد حق ملكية الانتفاع ، ويجب علينا عند الانتفاع بها أن نلتزم بشريعة المالك الحقيقى لها وهو الله سبحانه وتعالى .

٢ ـ لا يجوز تعطيل هذه الموارد ، فعن سفيان

---

(٢٠) د. حسين حسين شحاته «مشكلة الجوع والخوف وكيف عالجهما الاسلام» ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع المنصورة ١٩٨٩ ص ٤٠ .

(٢١) ابن خلدون «مقدمة تاريخ ابن خلدون» دار الفكر ٨٠٨ هـ ـ ١٤٠٦ م ص ٣٧٢ .

(٢٢) د. حسين شحاته مرجع سبق ذكره ص ٢٧ .

(٢٣) سورة ابراهيم الآيات ٣٢ : ٣٤ .

(٢٤) سورة طه آية ٦ .

(٢٥) د. حسين شحاته مرجع سبق ذكره ص ٣٠ .

(٢٦) د. حسين شحاته ، مرجع سبق ذكره ص ٣٠ : ٣٢ .

بن سعيد عن يحيى بن سعيد ، أن رجلا كان بينه وبين الماء أرض لرجل فأبى صاحبها أن يدعه يرسل الماء فى أرضه . قال : فقال عمر بن الخطاب – رضى الله عنه : لو لم أجد للماء مسيلا إلا على بطنك لأجريته . وأساس ذلك حديث رسول الله ﷺ : « لا ضرر ولا ضرار »

٣ – لا يجوز الإسراف فى استخدام هذه الموارد حتى لا يؤدى إلى تقليل المنافع منها ، أو أن نستخدمها فى غير ما خصصت له ، فقد روى أن النبى ﷺ مر بسعد وهو يتوضأ فقال : ما هذا السرف ياسعد ؟ فقال : أفى الوضوء سرف ؟ قال : نعم ، وإن كنت على نهر جار فإذا كان الرسول ﷺ قد نهانا عن الإسراف فى الماء الجارى ففى هذا كناية عن وجوب عدم الإسراف فى كل شىء ، وفى الموارد الطبيعية ، ويؤكد ذلك حديث آخر لرسول الله ﷺ : كل ما شئت والبس ما شئت دون سرف أو مخيلة .

٤ – المنفعة العامة لبعض الموارد الطبيعية العامة ، لأنها وجدت بدون أى جهد من الإنسان ، ولايجوز لأحد أن يحتكرها ، ولكن تترك ملكيتها مشاعا للجميع ، ويدل على ذلك حديث رسول الله ﷺ : « الناس شركاء فى ثلاث : الكلأ والماء والنار ويؤكد هذا الحديث على نقطة هامة وهى أنه لا يحق لأحد احتكار هذه الموارد الطبيعية ، ولكن تترك مشاعا ذات منفعة عامة لكل الأجيال .

٥ – وضع الإسلام لنا أولويات لاستغلال هذه الموارد الطبيعية هى :

( أ ) الضروريات : وهى ما تقوم عليه حياة الناس .

(ب) الحاجيات : وهى ما يحتاج إليه الناس لليسر والسعة .

(جـ) التحسينات : وهى ما تتعلق بتحسين حياة الناس .

وهكذا نجد أن الإسلام قد أقر ضرورة استخدام الموارد الطبيعية فى المجتمع ، وتحقيق الاستخدام الرشيد لهذه الموارد فى إعمار الأرض ، ذلك لأن عدم استخدام الموارد أو الاستخدام السيء للموارد وتبديدها ، يعد سببا مباشرا لانخفاض مستوى النشاط الاقتصادى ، وبالتالى انخفاض مستويات التشغيل فى المجتمع .

الخلاصـــــة :

نخلص من هذا المبحث أن مشكلة البطالة فى مصر ترجع الى عدة أسباب أهمها ، سياسة التعليم والتوظف ، وتزايد أعباء المديونية الخارجية ، عدم فاعلية التدريب المهنى فى توفير العمالة اللازمة لتنفيذ برامج التنمية ، استخدام الأساليب الفنية كثيفة رأس المال فى الصناعة ، عدم الاستغلال الأمثل للطاقة الإنتاجية المتاحة ، ومشكلة السكان ، أما أسباب المشكلة من منظور إسلامى فأهم هذه المسببات هى الربا وكنز المال وحبسه عن التداول وعدم الاستخدام الرشيد للموارد الطبيعية .

# الفتاوى

## تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

إعداد الأستاذ/ عبد المنعم فوده

**السيد صاحب الفضيلة/ رئيس لجنة الفتوى بالأزهر الشريف**

**السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد :**

**برجاء التكريم بتوضيح الحكمة من تحريم الفضل فى بيع الذهب بالذهب والفضة بالفضة والقمح بالقمح والشعير بالشعير والتمر بالتمر .**

**كذلك برجاء التكرم بتوضيح الفائدة من هذا البيع إذا اشترط له تساوى الوزن أو الكيل .**

**المهندس/ عادل المعلم**

الجـواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين وبعد :

نفيد أن بيع الذهب بالذهب مثلا بمثل يدا بيد لا شيء فيه ، وكذلك الفضة وباقى الأصناف المذكورة ، أما إذا كان بيع الذهب بالذهب أو الفضة بالفضة متفاضلا فهذا هو المحرم شرعاً لأن الزيادة تعتبر ربا والربا حرام بنص القرآن والسنة وهذه هى العلة والله تعالى أعلم .

**السؤال من السيد الدكتور/السيد السعيد مندور ـ دكرنس ـ دقهلية :**

**ـ قرأت فى مجلة الأزهر فى الرد على سؤال السيدة/ف. م. م الكويت أن « للمسلم أن يتصرف فى ماله كيف يشاء حال حياته مادام صحيح العقل والبدن » .**

**ـ فماذا رأى الدين فى جدى الذى وزع ميراثه كيف شاء كما يلى :**

**ـ الذكور : السعيد ٧ قراريط ، أحمد ٧ قراريط ، محمد ٦ قراريط ، سرور ٢٠ قراط ، ماهر ٢٠ قراط .**

**ـ الاناث : رضا ١٢ قراط ـ خضرة ٥ قراريط ، أم هاشم ٥ قراريط .**

**علما بأنه يقول عند نصيحة أحد الصالحين بالعدل فى الميراث « من حكم فى ماله ما ظلم » .**

**ـ فهل يتفق ذلك مع الرد السابق فى المجلة ؟ أفيدونا أفادكم الله .**

الجـواب :

الميراث الذى يتركه الميت يوزع بعد دفن الميت وقضاء ديونه إن كان عليه ديون فى حياته ، على حسب ما شرع الله عز وجل وهى آيات صريحة فى سورة النساء قوله تعالى :

﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ﴾ ... الخ الآيات الثلاث المتابعة فى السورة .

وليس لنا أن نميز أحد الورثة على بعض وتقسمها على حسب الهوى ، فالله لم يترك الميراث لنا حسب أفكارنا بل حسم المسألة كلها وهى معلومة فى كيف المواريث للذكر مثل حظ الأنثيين .

والأولى الاتباع لا الابتداع أو الاختراع .. وفقك الله .

السؤال من السيد/عبدالواحد محمد جبر ـ عضو النقابة والجمعية العمومية بشركة اسكو ـ سابقا :

ـ ما حكم المرتبات من الشركات الخاسرة والتى تسحب من البنوك على المكشوف بالفائدة المركبة ؟

أفيدونا أفادكم الله ..

الجـواب :

أيها السائل : أنت عامل فى شركة نابعة للدولة ، فمرتبك الذى تتقاضاه حلال ولا شىء فيه .

وكون الشركة خاسرة ليست مسئوليتك كعامل أو موظف تؤدى ما وجب عليك إنما هى مسئولية مدير الشركة والمسئولين عن ادارتها .

وكون الشركة تسحب من البنوك فهذا تصرف يعود عليها ولا شىء عليك .

فأد عملك بإخلاص واجتهد فى الانتاج ، وحاول أنت وزملاؤك فى انقاذ الشركة من الخسارة .

والله يوفق المسئولين عن الشركة إلى ما يحملها على النجاح والمكسب الحلال .

السؤال من السيد/محمد السعيد العزيزى ـ السرور ـ دمياط :

ـ توفى الأب وترك قطعة من الأرض وقبل أن يموت الأب كتب لأولاده قطعة من الأرض للذكور دون الاناث وكان هذا بمعرفة الاناث والرضا به .

ـ فهل يجوز للاناث المراجعة فى هذه القسمة أم لا ؟

أفيدونا أفادكم الله ..

الجـواب :

الميارث كما قسمه الله عز وجل فى صريح القرآن ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ﴾ الخ الآيات .

ولا يجوز تخصيص بعض الذكور ولا بعض الورثة بشىء من المال ففى الحديث « لا وصية لوارث » .

وما فعله المورث قبل موته عمل غير مشروع ولو ثبت برضا البنات فى التنازل عن بعض حقوقهن المشروعة .

لهم الحق فى الرجوع والتحاكم إلى الشريعة الإسلامية فى تقسيم الميراث على حسب ما شرع الله ـ عز وجل ـ ما لم يكن مسجلا بيعاً وشراء .. فهذا لا يمكنهم من الرجوع فيما فعله المورث قبل موته . ويصح لهم الرجوع وتقسيم التركة برضاهم على حسب قوانين الشريعة الإسلامية .




للمستشار/ محمد عزت الطهطاوى

**شخصية إسلامية فذة نذر حياته من أجل أمته الإسلامية فعاش همومها وقضاياها وجند نفسه لحماية مقدسات القدس والدفاع عنها ، وظل حتى النفس الأخير حازماً فى مواقفه ، صلباً فى مطالبه ، عنيداً فى مقاومته .**

**ذلك هو الشيخ الجليل « سعد الدين العلمى » مفتى القدس ورئيس الهيئة العليا لمجلس الأوقاف والشئون والمقدسات الإسلامية ، وقاضى القضاة سابقاً فى الضفة الغربية من إقليم فلسطين العربية المحتلة .**

تاريخ مولده ومكان نشأته وتعليمه :

ولد رحمه الله ـ فى مدينة القدس عاصمة الأرض الفلسطينية عام ١٩١١م فى أسرة تنتمى إلى « عائلة العلمى » إحدى العائلات المقدسية العريقة التى أنجبت العديد من العلماء والأدباء والمفكرين والسياسيين .

وكعادة الأسر الإسلامية مع صغارها تعلم فى صباه القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم ، ودرس بعض العلوم الإسلامية ، ثم دخل مدرسة الفرير فى القدس حيث أتقن اللغتين الإنجليزية والفرنسية

التحاقه بالأزهر الشريف :

حضر الشيخ العلمى إلى مصر ، وفى القاهرة انتظم ضمن طلاب هذا المعهد العريق ، ولما أتم دراسته فيه حصل على الشهادة العالمية

سنة ١٩٣٢م وبعدها عاد إلى « القدس » ليتبوأ فيها المراكز العلمية والدينية اللائقة بعلمه وشخصيته .

### الوظائف التى عمل بها فى فلسطين :

بعد عودته من القاهرة عمل فى الوظائف الآتية :

١ - ألحق بالمسجد الأقصى سنة ١٩٣٢م للقيام بتدريس العلوم الدينية فيه .

٢ - وفى عام ١٩٣٤م نقل إلى مدينة ( حيفا ) حيث عمل مدرساً بدار العلوم الإسلامية بها .

٣ - كُلّف بأعمال القضاء فى المحاكم الشرعية خلال الفترة من ١٩٤٨م إلى سنة ١٩٦٧م فعمل قاضياً بمدينة ( الناصرة ) ثم بمدينة ( رام الله ) ثم ( نابلس ) ثم ( القدس ) .

٤ - وفى عام ١٩٥٣م تم تعيينه مفتياً لمدينة القدس .

٥ - ولما تم تشكيل الهيئة الإسلامية العليا سنة ١٩٦٧م اختير عضواً بها .

٦ - وفى عام ١٩٧٥م انتخب رئيساً لمجلس ( كلية العلوم والتكنولوجيا ) فى « أبو ديس » وفى عام ١٩٨٢م تم تعيينه قائماً بأعمال قاضى القضاة ، ورئيساً لمحكمة الاستئناف الشرعية ورئيساً لمجلس أمناء الأوقاف والشئون والمقدسات الإسلامية .

٧ - كما انتخب رئيساً للهيئة العليا لجامعة القدس ورئيساً للجنة التنفيذية للهيئة الإسلامية العليا خلفاً لسماحة الشيخ « حلمى المحتسب » .

٨ - وفى سنة ١٩٨٣م عين رئيساً للجنة إعمار المسجد الأقصى المبارك فرع القدس .

٩ - كما انتخب وقتئذ عضواً بالمجلس الأعلى للمساجد بمكة المكرمة .

١٠ - ولما تم تشكيل جمعية العلوم والثقافة الإسلامية سنة ١٩٨٤م انتخب رئيساً لها .

١١ - كما انتخب عضواً فى المجلس التأسيسى لرابطة العالم الإسلامى ممثلاً لدولة فلسطين .

### مواقفه الشجاعة بعد حرب سنة ١٩٦٧م فى مواجهة سلطات الاحتلال الإسرائيلى :

لما حلت نكبة حرب يونية سنة ١٩٦٧م وانهزمت الجيوش العربية أمام العدوان الإسرائيلى ، واحتلت الجيوش الإسرائيلية مدينة القدس ضمن ما احتلته من أراض عربية قام الشيخ سعد الدين العلمى بالتصدى لسلطات الاحتلال الإسرائيلى منذ الساعات الأولى للاحتلال ، وقاوم مخططاتها التى تهدف إلى تدمير المسجد الأقصى ، وتهويد المدينة المقدسة ، وذلك باتخاذ الخطوات الآتية :

**أولاً** : سارع إلى دعوة عدد من أبرز شخصيات القدس لحضور اجتماع عقده فى منزله لبحث ما يجب عمله لمواجهة الموقف الجديد ولحماية المقدسات الفلسطينية من عبث جنود الاحتلال الإسرائيلى .

**ثانياً** : لما تكامل عدد المجتمعين وكان فى مقدمة من حضروا الاجتماع الشيخ أنور الخطيب نائب رئيس الهيئة الإسلامية ، ومحافظ القدس وقتئذ وسماحة الشيخ حلمى المحتسب رئيس الهيئة الإسلامية العليا السابق ، والشيخ سعيد صبرى قاضى القدس الشرعى والسيد/ حسن طهبوب مدير الأوقاف العام وقد توجهوا جميعاً مباشرة

سلطات الاحتلال الغاصب وطالبوها بسحب جنودها فوراً من المسجد الأقصى ، ومن مديرية الأوقاف الإسلامية .

ثالثاً : برغم أن الحفريات والأبحاث الأثرية أثبتت أن المسجد الأقصى لم يبن أساساً على أنقاض ( هيكل سليمان ) على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ولم يوجد أى أثر البتة له تحت أنقاض الأقصى لكن الدولة الصهيونية وشعبها أخذت تخطط لنسفه هو ومسجد الصخرة بعد فشلهم فى محاولة إحراقه سنة ١٩٦٩م ، وقد حاول أفراد منهم وبعض جماعاتهم وجمعياتهم على الدوام ، وفى كل الأيام الدخول لأداء عباداتهم فى ساحة المسجد الأقصى فكان الشيخ العلمى يتصدى لهم ويمنعهم إذ وضع مكتبه فى ساحة الأقصى فى كل الأوقات وجَنَّد معه لهذه المهمة (١٥٠) حارساً كلهم على استعداد للتضحية بأنفسهم وأرواحهم فى سبيل عدم السماح لأى يهودى بالدخول إلى ساحة المسجد .

رابعاً : ونتيجة لذلك تعـرض الشيـخ سعد الدين العلمى إلى كثير من الاعتداءات عليه من قبل جنود الجيش الإسرائيلى سواء بالهراوات ، أو قنابل الغازات السامة ، والخانقة ، والمسيلة للدموع وقد حدث أن أصيب بالإغماء فى بعض تلك الاعتداءات من جراء استنشاق هذه الغازات فنقله الفلسطينيون إلى المستشفى عندما كان يتقدم الصفوف يقود المظاهرات احتجاجاً على احتلال اليهود المتطرفين ( نزل ماريو حنا ) بحارة النّصارى بمدينة القدس ، ومنعهم من الدخول وتدنيس المسجد الأقصى .

خامساً : عندما زار « كول » مستشار ألمانيا الغربية فى أوائل الثمانينات الشيخ سعد الدين العلمى فى المسجد الأقصى لم يخجل الصهيونيون من وضع بعض القنابل والمتفجرات خفية داخل ساحة الأقصى بهدف قتل المستشار الألمانى عند انفجارها فيصورون المسلـمين بالإرهابـيين والمعتدين والمتعطشين للدماء وقـد أجمعت الصحف الإسرائيلية على أن تلك المتفجرات التى عثر عليها حراس الأقصى قبل انفجارها نقلت من عنابر الجيش الإسرائيلى .

سادساً : تعرض الشيخ العلمى لسلسلة من التهديدات بالقتل وإنذارات بالتصفية الجسدية من اليهود وخَيَّروه فى آخر إنذار أرسلوه إليه بين أمرين :

( أ ) إما أن يقبل منهم مليون دينار أردنى سراً مقابل السماح لهم بدخول ساحات المسجد الأقصى لأداء صلاتهم فيه .

( ب ) وإذا رفض ذلك العـــرض فسيتم اغتياله .

وعندئذ طالب الشيخ العلمى بعقد مؤتمر شعبى من المواطنين المسلمين فى أرض فلسطين المحتلة ، وفى هذا المؤتمر أعلن بياناً صريحاً واضحاً فقال :

« ليكن معلوماً لإسرائيل وللدنيا كلها أنَّ ملء الأرض ذهباً لا تساوى عند المسلم ذرة من تراب المسجد الأقصى الشريف » .

سابعاً : دبر اليهود تخطيطاً لاغتياله إذ وضعوا قنبلة بمكتبه الكائن بشارع صلاح الدين بمدينة القدس ، وكانت كافية لنسف حى بأكمله ، غير

أن رحمة الله سبقت فقد تم اكتشافها قبل انفجارها ، فعمد اليهود بعد ذلك إلى إحراق بيته وسيارته لكن الشيخ العلمي لم يهن ، ولم يتوان عن إدانة الجرائم الإسرائيلية ، واعتداءات المستوطنين اليهود المتطرفين على المقدسات فى المدينة المقدسة .

### تصديه للحاخام الإرهابى (مائير كاهانا) وعدم السماح له بدخول المسجد الأقصى :

حدث بعد انتخاب الحاخام الإرهابى المتطرف كاهانا فى منتصف الثمانينات عضواً بالكنيست(١) الإسرائيلى أن بعثت الحكومة الإسرائيلية بضابط من قبلها إلى الشيخ العلمى لينقل إليه أن حكومة الاحتلال سمحت لذلك الحاخام بدخول المسجد الأقصى منفرداً فكان رده على الضابط الإسرائيلى « إنَّ هذا لن يحدث أبداً ، ولن يدخل كاهانا المسجد الأقصى إلا على جثتى ، ولن أسمح له ، ولن يسمح له مسلم بالدخول إلى الأقصى » ثم أعلن الإضراب العام باسم الهيئة الإسلامية العليا بالقدس ، وأمام هذا الإصرار من جانب الشيخ العلمى عدلت الحكومة الإسرائيلية عن السماح للحاخام الإرهابى بالدخول إلى المسجد الأقصى .

ويستطرد الشيخ العلمى فيقول : « ولأن الإسرائيليين ليسوا أهلاً لعهد يقطعونه على أنفسهم فقد جمعت المسلمين فى ساحة الأقصى فى اليوم المحدد لدخول ذلك الحاخام وذكرت لهم أنّ الحكومة وعدت بعدم إدخاله ؛ فإذا عادت ورأت أن تدخله لأى سبب من الأسباب فسوف أتقدم بنفسى لأمنعه حتى ولو دفعت حياتى ثمناً لمنعه من الدخول ، وبعد استشهادى لا تضِنُّوا بأرواحكم فى سبيل حفظ ساحات الأقصى من دنس الأعداء الصهاينة » .

ويبدو أن الحكومة الإسرائيلية لمست صدق موقف الشيخ العلمى ورفاقه واستعدادهم للتضحية حماية للمسجد الأقصى ؛ فلم تحاول إثارة موضوع الدخول فيه مرة أخرى ، كما وأن ذلك الحاخام الإرهابى لقى حتفه بعد ذلك إذْ أطلق عليه مجهولون الرصاص خلال أحد الاجتماعات الخطابية التى اعتاد أن يعقدها ضد المسلمين والشعوب العربية فى الولايات المتحدة الأمريكية .

### وفاته وخلو ساحة الجهاد الفلسطينى منه :

وهكذا استمر سماحة الشيخ سعد الدين العلمى متنبهاً ويقظاً لكل المؤامرات والمخططات الإسرائيلية التى كانت تهدف لتدمير المسجد الأقصى ومسجد الصخرة ، وظل منافحاً شديداً عن المقدسات الفلسطينية إسلامية وغير إسلامية حتى وافاه الأجل فى عام ١٩٩٢م عن عمر يناهز الثانية والثمانين .

وبوفاته خسرت ساحة الدفاع الإسلامى مجاهداً عظيماً ؛ لأن منصبه الذى كان يتبوأه له مظهر دينى ومظهر سياسى ويشترط فى شاغله أن يكون واحداً من علماء دين الإسلام ؛

---

(١) الكنيست هو مجلس النواب .


المراجع :

(١) مجلة منار الإسلام العدد السابع رجب سنة ١٤٠٦ هـ ـ مارس سنة ١٩٨٦م .

(٢) مجلة منار الإسلام العدد السابع رجب سنة ١٤٠٨ هـ ـ فبراير سنة ١٩٨٨م .

(٣) مقال بجريدة الأخبار القاهرية خلال سنة ١٩٩٢م بعنوان ملامح شخصية مات مفتى القدس خريج مدرسة القرير والجامع الأزهر الشيخ سعد الدين العلمى .




لصاحب الفضيلة / أبو الوفا المراغي

**تمر الأيام وتتوالى الأعوام وتتابع العصور ، ويظل رمضان دائماً ، وأبداً معلماً بارزاً من معالم الإسلام الخالدة التى تحفز المؤمن إلى مزيد من الخضوع والتبتل والابتهال لله رب العالمين .**

**فرمضان هجرة بالنفس إلى رحاب الله ، وفرار بالمرء من مغريات الحياة المادية إلى رحاب الحياة الروحية ، لأنه عبادة تهذيبية تربى فى المرء معنى الانضباط السلوكى الذى يسمو به إلى مصاف الملائكة المقربين ، وهو فوق هذا وذاك شهر الصيام والقيام . وهو شهر القرآن والفتوحات والقربات ، وشهر حوى ليلة القدر ليلة هى خير من ألف شهر .**

**فأنعم به من شهر ، وأكرم بمن أدى حقه ، وأطاع ربه ، وقرت عينه .**

إعداد وتقديم د. عبد الفتاح حسين الزيات

**قال الكاتب رحمه الله :**

صوم رمضان عبادة غريبة بين العبادات ، فهى على ما بها من صبر وألم ، وحبس وحرمان ، محببة إلى نفوس المؤمنين ، يفرحون بقدومها ، ويحتفلون للقائها ، إلا أنها فرحة مقرونة بحذر ، واحتفال مقرون بجلال ووقار ، خشية ألا يحالفهم التوفيق فيما يليق بها .

يفرح برمضان الكبير والصغير ويوقره ويهابه التقى والفاجر وكم من فاجر تاب بين يدى رمضان

وعزم فيه على العودة إلى الله والإنابة إليه ، فكان مبعث خيره وسعادته ، ومن تقى انتهز فرصته لمضاعفة الثواب فيه ، فأكثر من أعمال البر فسمت نفسه ، وانبسطت بالعطاء يده ، فنال من خيره البائس والمحروم ، والقريب والبعيد ، وفى رمضان يكف المسلم أذاء عن غيره توقيراً لحرمته ، وإجلالًا لمقامه ، ويقبل على تلاوة القرآن ما واتت الفرصة وأمكن الفراغ ، فهو بين صيام النهار وقيام الليل ، والثواب وراء ذلك على قدر النية والإخلاص ، وكل عبادة قدر الله فيها الثواب إلا صوم رمضان ، فقد وكل قدر الثواب فيها إلى نفسه ، وهو الوهاب الكريم الذى لا تنفد خزائنه ولا تغيض بحار فضله .

ورمضان ميزان للإيمان وامتحان للعزائم ، أما المؤمن قوى الإيمان صادق العزم فيقبل على الامتحان فى ثقة واطمئنان ، ويجوزه بنجاح ، ويفوز فيه بثواب الله ورضوانه ، قال العلامة ابن رجب : « وكثير من المؤمنين لو ضرب على أن يفطر فى شهر رمضان لغير عذر لم يفعل ، لعلمه بكراهة الله لفطره فى هذا الشهر ، وهذا من علامات الإيمان أن يكره ما يلائمه من شهواته ، إذا علم أن الله يكرهه ، فتصير لذته فيما يرضى مولاه ، وإن كان مخالفاً لهواه ، ويكون ألمه فيما يكرهه مولاه وإن كان موافقاً لهواه » أما ضعيف الإيمان ذو العزيمة الرخوة والإرادة الخائرة ، فإنه يقبل على رمضان حائراً يقدم رجلًا ويؤخر أخرى ، يتنازعه إيمانه وشيطانه ، وتصطرع فى نفسه شهوته وإرادته ، فهو فى كل يوم من رمضان فى معركة وجهاد ، ولانتصار الصائم فى كل يوم بتمام صيامه فرحة لا يقدرها إلا الصائم ، ولانتصاره بصيام الشهر كله فرحة كاملة ، وفى الحديث « للصائم فرحتان : فرحة عند فطره ، وفرحة عند لقاء ربه » ، ولأن الصوم جهاد وامتحان ومصارعة بين الهوى والإرادة ، يتنافس الصبيان فى صيامه ، ويتواصون على أدائه ، وما أشد فرحة الصبى بصوم يوم من أيامه ، فهو شهادة بانتصاره ، ودلالة على عزمه وإرادته .

وللمشقة فى صيام رمضان جعل الثواب عليه كثيراً ، وأجر العمل فيه مضاعفاً ، فعن سلمان الفارسى – رضى الله عنه – « من تطوع فيه بخصلة من خصال الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه ، ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه » وعن أنس – رضى الله عنه – « سئل النبى ﷺ : أى الصدقة أفضل ؟ قال : صدقة فى رمضان » وعن النبى ﷺ فى الصحيحين « عمرة فى رمضان تعدل بحجة[1] – أو قال حجة – معى » .

والصوم عبادة تهذيبية تكفكف من حيوانية الإنسان ، وترقق من نفسه الشهوانية ، وتجذبه شيئاً فشيئاً إلى الروحانية الخالصة ، وتقربه رويداً رويداً إلى الملأ الأعلى ، ملأ الملائكة المقربين ، فيأنس بهم ، ويلوذ بكنفهم ، وكل يوم ينقضى منه بإخلاص فهو مرحلة إليهم ، حتى إذا كاد ينقضى رمضان تهيأ لمخالطتهم ومؤانستهم . لذلك كان من تمام حكمة الشارع أن يشرع الاعتكاف فى العشر الأواخر من رمضان بالمساجد ، لينقطع بكليته عن

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه وأحمد فى مسنده وابن ماجه فى سننه عن جابر – رضى الله عنه .

الخلق ، ويجمع أمره كله للخالق ، يسعد بمناجاته ، ويتلذذ بقربه ، ويضع بين يديه حاله ، ويتفرغ إليه فى ذلة وإخبات أن يتجاوز عما أسلف ويغفر له ما قدم ، فالمعتكف حبس نفسه على طاعة الله وذكره ، وقطع عن نفسه كل شاغل يشغله عنه ، وعكف بقلبه وقالبه على ربه وما يقربه منه ، فما بقى له هم سوى الله وما يرضيه عنه .

فمعنى الاعتكاف وحقيقته قطع العلائق عن الخلائق ، للاتصال بخدمة الخالق ، وكلما قويت المعرفة بالله والمحبة له والأنس به أورثت صاحبها الانقطاع إلى الله بالكلية .

والصوم عبادة يقبل عليها المؤمن بنفس راضية مطمئنة . واثقة بما فيها من الخير ، وما وعد الله عليها من الثواب ، ويحاول ضعيف الإيمان أن يتعرف فيها وجه المصلحة وسر التشريع ، وقد تكلم علماء الدين والنفس والطب فى ذلك كثيراً ، ويعجبنى فى تلخيص سر التشريع قول ابن رجب الحنبلى « وفى التقرب بترك هذه الشهوات بالصيام فوائد : منها كسر النفس ؛ فإن الشبع والرى ومباشرة النساء تحمل النفس على الأشر والبطر والغفلة ، ومنها تخلى القلب للفكر والذكر ، فإن تناول هذه الشهوات يدنس القلب ويعميه ، ويحول بين العبد وبين الذكر والفكر ويستدعى الغفلة ، وخلو الباطن من الطعام والشراب ، ينور القلب ، ويوجب رقته ، ويزيل قسوته ، ويخليه للذكر والفكر ، ومنها أن الغنى يعرف قدر نعمة الله بإقداره له على ما منعه كثيراً من الفقراء من فضول الطعام والشراب والوقاع ، وفيه امتناعه من ذلك فى وقت مخصوص ، وحصول المشقة له بذلك يتذكر به من منع ذلك على الإطلاق ، فيوجب له ذلك شكر نعمة الله عليه بالغنى ، ويدعوه إلى رحمة أخيه المحتاج ومواساته بما يمكن من ذلك .

ومع كثرة ما يذكره العلماء والأطباء فى سر الصوم ووضوح حكمة تشريعه ، نرى كثيراً من المسلمين يضيقون به ويفرطون فيه بشتى الأعذار ، تبريراً لتفريطهم ، واعتذاراً عن غيتهم ويقولون : إنه عذاب ، وإن صوم رمضان فوق الطاقة ، كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً ، فما امتحن الله عباده بما يخرج عن طاقتهم ، وهو وحده العالم بمصالح عباده ومقدوراتهم ، وقد جعل لغير المطيق رخصة الفطر حتى يطيق ، «وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ »[٢] .

وما رمضان فى الحقيقة إلا ( رجيم ) خاص فى شهر من السنة يدور فى فصولها فيقع أحياناً فى الشتاء لا يكاد يحس الصائم فيه بشىء من القسوة ، ويقع فى القيظ فيحس الصائم بشىء من عناء يخف بتكرار أيامه فيكون ( رجيما ) محتملا كما يحتمل غيره ، وكم من أنواع الرياضات القاسية يحتملها هؤلاء المفرطون لغاية جسمية أو مادية . وبدافع من الدوافع التافهة السخيفة ، كمجاراة أهل التدين الزائف فى تنحيف القوام ، أو الفوز بجائزة ، أو الحصول على شهرة ، ليقال فلان بطل

(٢) البقرة آية ١٨٥ .

فى الجرى أو القفز أو السباحة أو غير ذلك ، وإنهم ليتعرضون لاخطار قد تودى بأرواحهم ، ومع ذلك يقبلون عليها بطيب نفس وفى ثقة واطمئنان ، وإذا قيل لهم صوموا رمضان تثاقلوا وتخاذلوا ، وإذا قيل لهم ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴾(٣).

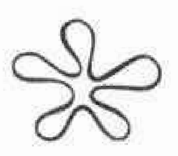
وقد قيل من زمن قريب : إن بعض السيدات أضربن عن الطعام وهددن بمواصلة الصيام حتى يمتن أو تجاب مطالبهن السياسية ، وإذا قيل لهن ولأمثالهن : صمن رمضان ، قلن : إنه عذاب ، وإنه مذهبة للبهاء والجمال ، ولقد صدق الله إذ يقول ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾(٤).

هذا وإن من واجب المسلمين أن ينتهزوا فرصة رغبة الأطفال فى الصيام ، وتهافتهم عليه فيغرسوا فى نفوسهم حبه ، ويشجعوهم على صيامه ، والعادة عون على العبادة ، فإذا شبوا على حبه شابوا عليه وهان عليهم أداؤه ، وكثير من الناس يحرصون على صوم رمضان لأنهم اعتادوا صيامه ، ويهملون فى غيره من عبادات دونه فى الكلفة والمشقة ، وما ذاك إلا لسلطان العادة .

وللصوم آداب لا يتم ثواب الصائم إلا بها ، وقد لخصها جابر – رضى الله عنه – بقوله : « إذا صمت ، فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب والمحارم ، ودع أذى الجار ، وليكن عليك وقار وسكينة يوم صومك ، ولا تجعل يوم صومك ويوم فطرك سواء » .

وما أحسن ما قيل :

إذا لم يكن فى السمع منى تصاون<br>وفى بصرى غض وفى منطقى صمت<br>فحظى إذا من صومى الجوع والظمأ<br>فإن قلت إنى صمت يومى فما صمت



(٣) البقرة آية ١٣ .
(٤) الأنعام آية ١٢٥ .




للأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

## قيل فى الصيـــام

لو فهم الناس الصيام على حقيقته ، وأرادوه على طبيعته ؛ لكان حرب كل مفسدة ، وعدو كل شر وطغيـــان ، ومدعـــاة إلى التراحـــم والتعاطف ؛ لكن الناس ألفوه على غير وضعه ، وتعودوه على غير طبعه ، وفهموه جوعا تمل منه النفس ، وعطشا يتأذى منه الإنسان دون حكمة ولا غاية .

● ● ●

**قيل للأحنف بن قيس : إنك شيخ كبير وإن الصيام يضعفك . فقال : إنى أعده لسفر طويل ، والصبر على طاعة الله أهون من الصبر على عذابه .**

## الاســـتئذان

استأذن رجل من بنى عامر على النبى ﷺ وهو فى بيته فقال : أألج ؟

فقال النبى ﷺ : أخرج إلى هذا فعلمه الاستئذان وقل له يقول : السلام عليكم أأدخل .

وقال النبى ﷺ : الاستئذان ثلاثة ، فإن أذن لك ، وإلا فارجع .

## فضـــل النصيحة

قال سبيع لأهل اليمامة بعد إيقاع خالد بهم : يا بنى حنيفة بعدا لكم كما بعدت عاد وثمود ، والله لقد أنبأتكم بالأمر قبل وقوعه ، كأنى أسمع جرسه وأبصر غبه ، ولكنكم أبيتم النصيحة ، فاجتنيتم الندامة ، وإنى لما رأيتكم تتهمون النصيح ، وتسفهون الحليم ، استشعرت بكم اليأس ، وخفت عليكم البلاء . والله ما منعكم التوبة ، ولا أخذكم على غرة ، ولقد أمهلكم حتى مل الواعظ وهزىء الموعوظ .

## الضحـــك

مر الحسن البصرى بقوم يضحكون فى شهر رمضان فقال : يا قوم إن الله جعل رمضان مضمارا لخلقه يتسابقون فيه إلى رحمته ، فسبق أقوام ففازوا ، وتخلف أقوام فخابوا ؛ فالعجب من الضاحك اللاهى فى اليوم الذى فاز فيه السابقون وخاب فيه المتخلفون . أما والله لو كشف الغطاء لشغل محسنا إحسانه ، ومسيئا إساءته .

## حكـــم منشـورة

● سيئة تسيئك ، خير من حسنة تعجبك .

● وقال لقمان لابنه :

احذر واحدة وهى أهل للحذر ،

قال : وما هى ؟

قال : إياك أن تُرِى الناس أنك تخشى الله وقلبك فاجر .

## قلة الكـــرام

● قالت الحكماء : الكرام في اللئام كالغرة فى الفرس .

● قال السموءل :

تعيرنا أنا قليل عديدنـــا
فقلت لها : إن الكرام قليل

وما ضرنا أنا قليل وجارنا
عزيز وجار الأكثرين ذليل

**وقال دعبل :**

ما أكثر الناس لا بل ما أقلهم
والله يعلـم أنى لم أقــل فنـــدا

إنى لأغلق عينى ثم أفتحهـــا
على كثير ولكــن لا أرى أحدا

## خيـــر الإخـــوان

قال الأحنف بن قيس : خير الإخوان من إن استغنيت عنه لم يزدك إلا فى المودة ، وإن احتجت إليه لم ينقصك منها .

وأنشـــد :

أخوك الذى إن تدعه لملمة يجبك
وإن تغضب إلى السيف يغضب

## اتقـــاء الذم

روى عن الحسين بن على - رضى الله عنهما - أن شاعرا مدحه فأجزل ثوابه ، فلامه بعض أصحابه على ذلك فقال :

أتراني خفت أن يقول : لست ابن فاطمة الزهراء بنت رسول الله ، ولا ابن على بن أبى طالب ؟ ولكنى خفت أن يقول : لست كرسول الله ﷺ ، ولا كعلى - رضى الله عنه - فيُصَدّق ويحمل عنه ، ويبقى مخلدا فى الكتب محفوظا على ألسنة الرواة .

فقال الشاعر : أنت والله يا ابن رسول الله أعلم منى بالمدح والذم .

## من حكم الأحنف

الأحنف بن قيس ، سيد بنى حنيفة الذى قيل فيه : إذا غضب غضب له مائة ألف سيف ، له حكم قيمة منها قوله :

● من لم يصبر على كلمة سمع كلمات .

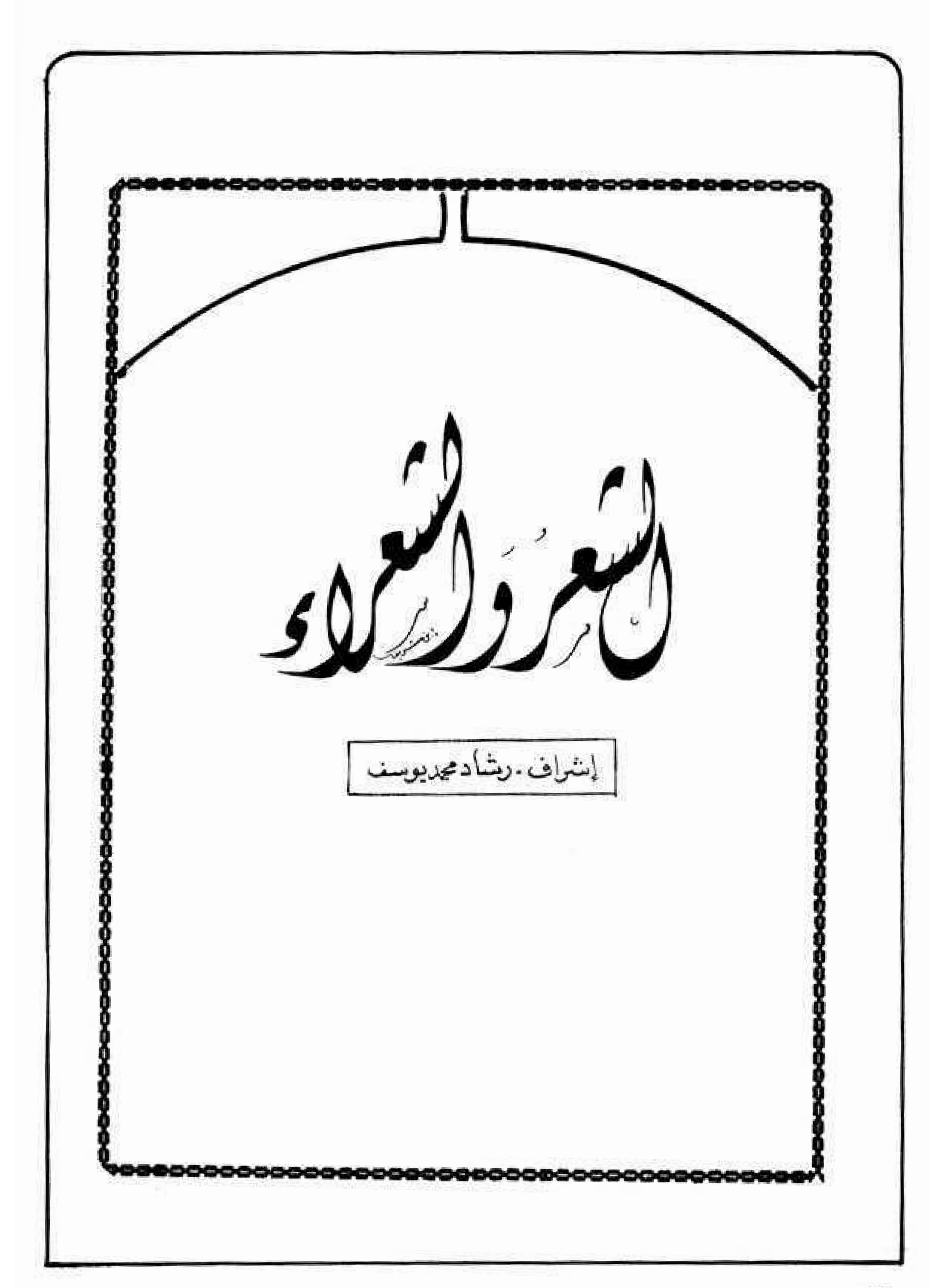
● وقيل له : من السيد ؟ فقال : هو الذى إذا أقبل هابوه ، وإذا أدبر عابوه .

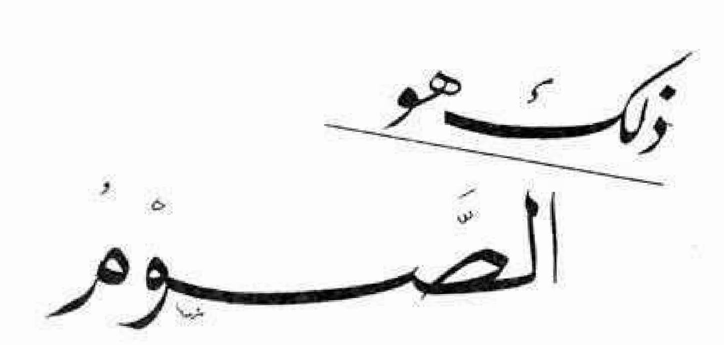
● من تسرع إلى الناس بما يكرهون ، قالوا فيه ما لا يعلمون .

● الكامل من عُدّت هفواته .

## الغوغـــاء

نظر عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - إلى قوم يتبعون رجلا أخذ فى ريبة ، فقال : لا مرحبا بهذه الوجوه التى لا تُرى إلا فى كل شرّ .


الشعر والشعراء
إشراف . رشاد محمد يوسف




الشاعر/ محمد عبد الرحمن صيان الدين

يا عظيم البطن .. حاذِرْ   قد أتى .. شهر الصيام
فُقْتَ فى الإنفاق حدَّ الطَّوْق .. فى صُنْع الطعام
حَسْبك الإسرافُ والتبذير .. شهرا .. كل عام
وتقشَّفْ ـ بعد عيد الفطر ، وامسِكْ بالزمام
يا إلهى !.. ضاع فى الشهوات .. مفهومُ التسامِى !

* * * *

كيف تصفو رُوح مَرْءٍ   نفسُهُ للطُّعْم وَلْهَى
فيقضِّى يومَ صومٍ   فى شُرُودٍ .. يتشهَّى
فكرُهُ عن ذِكْرِ رب الصَّوْم .. ناءٍ .. يتلهَّى !
والذى مِنْ ( فِيهِ ) يُؤذى السمع والإحساس .. أدهَى !

* * * *

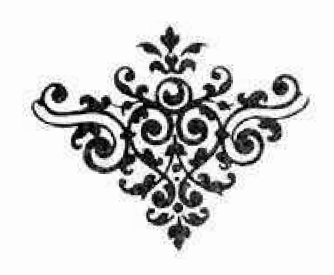
ما الصِّيامُ الحقُّ إلا   مَرْتَعٌ للرُّوح خِصْبُ
فيه أثمارٌ ونهر   ناقعُ الإرْوَاء عذْب
لذة الأرواح فيه   عن طعام الجسم .. تربو
يَطعَمُ الصُّوَّامُ من جُوع   من الرزاق .. قربُ
كيف يظمى أو يُعانى   الجوع .. مَنْ يرعاه رب ؟

* * * *

أيها الراجى ثِمار الصوم أعْط الصوم حقَّه
من خشوع واصطبار والتذاذٍ بالمشقَّه
وانطلاقٍ فى سبيل العيش .. فى رِفْق ورقه
طارحا عن روحك المغلول .. بالشهوات .. رِبْقه
إن فى هذا لِعَبْد الجسم ـ طول العام ـ عِتْقه

* * * *

فى صيام الشهر طبٌّ ليس يدريه طبيبُ
فيه أسرار يعيها صائم حقا .. أريب
فيه غيث من صفاء ترتوى منه القلوب
فيه للأرواح سَبْحٌ دونه الكون الرحيب
صائم فى دِرْع تقوى تنجلى عنه الكروب



# «ابتهال»

شعر: خليل فوّاز

لِغَيْرِكَ لَا تَكِلْنِي يَا إِلَهِي ... وَلَا نَفْسِي، فَإِنَّكَ أَنْتَ جَاهِي
فَمَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ فِي اتِّصَالٍ ... وَمَا بَيْنِي وَبَيْنَ النَّاسِ وَاهِي
لِذِكْرِكَ رَبِّ قَدْ سَهِرَتْ عُيُونِي ... وَبِاسْمِكَ رَبِّ قَدْ نَطَقَتْ شِفَاهِي
وَمَنْ لِي غَيْرُكَ اللَّهُمَّ ذُخْرٌ ؟! ... وَمَنْ عَوْنِي إِذَا دَهَتِ الدَّوَاهِي ؟!

* * * *

قَضَاؤُكَ نَافِذٌ فِي النَّاسِ طُرًّا ... وَحُكْمُكَ آمِرٌ فِي الكَوْنِ نَاهِي
أُبَاهِي بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ قَوْمًا ... أَضَاعُوا العُمْرَ فِي دُنْيَا التَّلَاهِي
يُبَاهُونِي بِمَا مَلَكُوهُ دُنْيَا ... وَلِي أُخْرَى بِجَنَّتِهَا أُبَاهِي
يَقِينِي بِالَّذِي يَهْدِي يَقِينِي ... إِذَا الشَّيْطَانُ زَيَّنَ لِي.. يُدَاهِي
كَلَامُ اللهِ فِي قَلْبِي كِتَابٌ ... وَنُورُ اللهِ فِي عَيْنَيَّ زَاهِي
وَمَا دَانَتْ لِغَيْرِ اللهِ نَفْسِي ... وَلَا جَاشَتْ بِشَكٍّ وَاشْتِبَاهِ

* * * *

وَمَا أَنَا بِالمُقَصِّرِ فِي صَلَاةٍ ... وَلَا أَنَا عِنْدَ ذِكْرِ اللهِ لَاهِي
فَلَا وَجْهٌ كَوَجْهِ اللهِ يُبْقَى ... وَلَا خَيْرٌ يُرَجَّى فِي المَلَاهِي
فَهَبْ لِي يَا إِلَهَ الكَوْنِ عَفْوًا ... عَلَى مَا كَانَ مِنِّي مِنْ سَفَاهِ
تَنَاهَى فِي رِحَابِكَ كُلُّ شَيْءٍ ... فَهَلْ لِمُتَيَّمٍ مِثْلِي تَنَاهِي ؟!
وَهَلْ لِي مِنْكَ يَا ( طَهَ ) بِرُؤْيَا ... سَرَتْ مَا بَيْنَ نَوْمِي وَانْتِبَاهِي ؟!

* * * *

رَسُولَ اللهِ أَنْتَ لَنَا شَفِيعٌ ... وَأَنْتَ لَنَا إِذَا مَا عَنَّ دَاهِي
شَكَوْتُ إِلَيْكَ خِذْلَانِي وَضَعْفِي ... ذِئَابُ الشَّرِّ قَدْ أَكَلَتْ شِيَاهِي
وَضَاعَ العُمْرُ فِي الدُّنْيَا، فَآهِ ... عَلَى مَا ضَاعَ مِنِّي، ثُمَّ آهِ
إِلَهَ الكَوْنِ أَنْتَ بِنَا رَحِيمٌ ... فَأَكْرِمْنِي بِعَفْوِكَ يَا إِلَهِي

* * * *



للشاعر/ السيد الصديق حافظ

رمضـان أقبل قم بنا ياصاح ... هـذا أوانُ تبتُّـلٍ وصـلاح
الكـون معطار بطـيب قدومـه ... روح وريحان ونفـح أقاحـي
« صفو أتيح فخذ لنفسك قسطها ... فالصفـو ليس على المدى بمتـاح[1]

* * * *

الصوم يُعلي من وضيـع غرائـزٍ ... وطبائـع سُودِ الوجـوه قبـاح
والنـفس إن سَفَّتْ وهِيضَ جناحها ... فالصوم معـراج بغير جنـاح

* * * *

كم مؤمـن لم تلهـه الدنيـا فلم ... يستبـدل الأتـراح بالافـراح
قوامُ ليـلٍ نائـمٌ عنـه الكَـرَى ... ونهـارُه الصَّوَّامُ واعٍ صاحٍ
وحليـف شيطـانٍ غويٍ لم يَزلْ ... غبـدًا لبنتِ الكـرْم والأقـداح
فى ليلـهِ زُمَـرُ المعـاصى تنتشى ... ونهارُهُ فى غفلـةٍ وَمُـزاح
« رمضـان » لايثنيـه عن آثامـه ... واهِـى العقيـدةِ فى إهـابِ وقَـاح

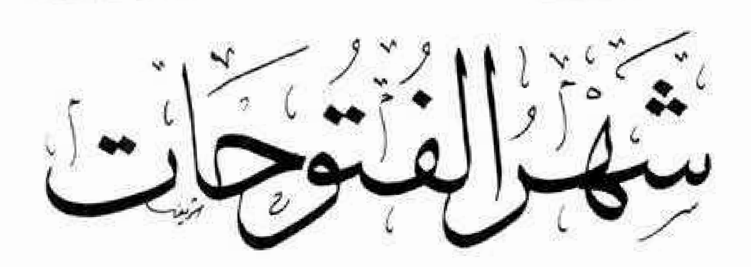
* * * *

رَبَّـاه إنى فى ضـلالٍ حائـر ... عانٍ أنـوءُ بحملـىَ الفـدَّاح
هذى خطـاى على الطريـق ضريـرةٌ ... يكبـو غُدُوِّى باكيـاً ورَوَاحِـى
فامـدد يديك إلـىَّ إنى هالكٌ ... وامنـن علـىَّ بتوبـةٍ وصلاح
واجعـل صيامـى راحـةً لمتاعبـى ... واجعـل قيامـىَ بَلْسَماً لجراحـى

* * * *

---

(١) البيت لأمير الشعراء أحمد شوقى .



للشاعر/ عبد العاطى موسى عبد العاطى

رمضان مرحى ... فاضَ مِلْءِ جوانحى
شوقٌ إليك .. تثيره الأحلامُ
لتصوم عن جُلِّ الحلال جوارحى
والليلُ فيه تهجُّدٌ وقيام
فيك الزكاةُ فضيلةٌ مفروضة
كى لا يُعانى مُعْدم ويُضام
وبِك انتصاراتٌ يَزُفُّ نشيدَها
للمسلمين : البشرُ والإلهام
.. لما أعدَّ المشركون جيوشهم
وتربصوا بالمؤمنين وحاموا
فاقت نُجومَ الليل فى تِعْدادها
وتعجبتْ مِنْ هَوْلها الأرقام
كادوا .. وربُّ العرش بَدَّدَ كيدهم
فعقولهم - عند الصدام - ظلامُ
وقلوبهم مثل الحجارة غِلظةً
غِلٌّ وحقْدٌ جانح وخصام
حتى إذا دقت طبول حروبهم
وتحاورت عند القتال سهام
بعث الإله من السماء جنوده
ليحف جيش المشركين حِمام

ليسـجل التاريـخُ أنصـع صـفحة :
« بـدرٌ » عـلى صـدر الزمـان وسـام
وبفتـح مـكة ـ بَعْـدُ ـ فى شـهر الهدى
هيهـات يعـدل مـا نـروم كـلام
إذ قَـرَّ فى ( أم القـرى ) وربوعهـا
خيـرُ الأنـام يُحفُّـه الإكـرام
إذ جـاء نصْـر اللـه والفتـح الـذى
قـد تـم عبـر جـلاله الإنعـام

فَهَنَـاءُ نصـر أو بلـوغ شـهادة — كُـلٌّ لـه طـى الفـؤاد غـرام
وغـدا العـداةُ أذلَّـة بمهانـة — وإذا الـذى قـد شـيدوه رُكـام

● ● ●

شـهداءَنا الأبـرار مَـرْحى إنكم — فى الخلد جناتٌ لـكم ومُقـام
شـهد المهيمن فى الـكتاب بأنـكم — أحيـاءُ والـرزق الـكريم يُـرام
والصـوم للنفس : الجهـادُ مضـاعف — إن المجاهـد صـابرٌ مقـدام
وهـو انتصـار الـروح فى ملكوتهـا — ما الـزاد ربٌّ يُشـتَهى .. وَطَعـام
الـزَّادُ : زادُ تجَـرُّدٍ وتُضَـرُّع — وقيـامُ ليـل .. والأنـام نيـامُ
من ذاق لذَّتـه بِصـفْوِ تَقَـرُّبٍ — .. فعـلى الوجـود وما حواه سـلام






حَيِّ الشهيد وحَيِّ الملتقى « بدرا » ... كم كان يوما عظيما خلته دهرا
لم يشهد الدهر يوما دونه أولى ... بالخلد منه ولا يوما به أحرى
مُرُّ اللقاء به حُلْوُ المذاقِ ومن ... يطلب رضا ربه يستعذب المُرَّا
إذ واجه الجند- جند الحق- ساحتها ... واستبسلوا فى رحى هيجائها الكبرى
بَرَّوا مطاعين أغراهم على سَفَهٍ ... بَغْى تأبُّد فى أحشائهم كُفْرَا
جاءوا على أهبة ظنوا بأنفسهم ... كلَّ الظنون غرورا جاوز القدرا
لكنما الحقُّ لاتثنيه نازلةٌ ... مهما استبدت ومهما استوثقت عذرا

* * * *

حين استحرت وثار النقع واستعرت ... فيها الظُّبا وتراءت مُلتقًى مرَّا
باع الرجال بها لله أنفسهم ... واستوهبوه بها جناته ذخرا
واستلهموه ثباتا فى نزالهمو ... وجمع شملهمو ، والصمت والصبرا
واستنصر الله خير الرسل خاتمهم ... محمدٌ فرأى فى نومه النصرا
فأرسل الله فيهم جنده مددا ... يستبدل العسر فى لأوائها يُسْرَا
وجند ربك لايحصيهمو بشرٌ ... ولم يكونوا متى هبُّوا سوى بُشْرَى

هاهـم ملائكـةٌ والـروح قد نزلـوا ... من أمـر ربهمـو كى يحدثـوا أمـرا
ناداهـم الله جنـدى : ثبتـوا حزبى ... إلى الكفيـل سأردى خصمهـم ذعـرا
إلى الكفيـــل بنصرٍ لا نظير له ... يضحـى لهم وبهم بين الـورى ذكـرا
وأنـا الكفيـل لهم بالأجـر مدخـراً ... أعظـم بأجـرهمو فى ساحهـا أجـرا!
والوعـد حق وهـذى آيـةُ بهمـو ... أضحت لهم عزةً إذ أشرقت نصرا
كافـيك أن الأُلى هبت جموعهـم ... للنيـل من جمعهـم نيلـوا بها طرا
هذا يئـــن وذى ثكلى مولولــة ... وذا ينـوح وذى من أمرهـا حيرى
لم يشهـدوا قبلـه يومـا أطـاح بهم ... ما بين قتلى وجرحـــى ثمَّ أو أسرى
يوم أحـــاط بهم ذلا ومسكنـــة ... أردى مغاويرهـم فاستسلمـوا قسرا

* * * *

حَىِّ الرجـال به واذكـر بلاءهمو ... عند النـزال بلاءً أثلـج الصدرا
واذكـر شهيـدهمو إذ جال فى ثقـة ... ذا مرة مقبـلا مستـبسلا حرًّا
كالصخر عنـد اللقـاء الحق تصحبـه ... بشرى تحث به يستنطـق الصخـرا
حتـى انجلت وغـدت من يومهـا سرا ... من صنـع خالقنـا تشدو بها جهـرا
أم الملاحـــم لابرتك ملحمــة ... ذكـراك فاحت بنا من نشرهـا عطـرا






إلامَ نبيتُ فى الأوهامِ غرقَى ... ونفقدُ فى لهيب الهول نطقا ؟

يخيِّمُ فى مسالكنا عماءٌ .. ... ويُحكِمُ دوننا الأبواب غلقا

وتحت ظلاله السوداءِ تَعْوى ... مخالبُ توقظ الأضغانَ زُرْقا

لِتنشب فى جبين العزِّ عارًا ... ويمعن فى سطور المجد بصقا

ويذبح عائلًا فإذا تضاغى ... صغارٌ عاث فى الأحشاء شقا

وسيمَ المسلمونَ الخسف حتى ... لقد ذاقوه ألوانًا وطُرْقا

فما من حرمةٍ ترعى لأرضٍ ... ولا عرضٍ ولا ودٍّ فيبقى

ويعبثُ فى مساجدنا شقيٌّ ... ويمنع ذكرَ رب العرش أشقى

فتنفجر القذائف بالمنايا ... لأرواحٍ مع التسبيح ترقى

هم اغتالوا مآذننا وهبوا ... لكبت دعاء رب العرش خنقا

وكم رشقوا بأجفان اليتامى ... شعورًا بالمذلة سوف يبقى

ونحفظ عهدنا معهم وقاموا ... إلى ما عاهدوا نكثًا وخرقا

ليرسخ فى نفوس من استُذِلوا ... بأن السّلم ليس يرد حقّا

فكيف يرفُّ فى قلبٍ وجيبٌ ... ودين الله كاد يضيع زهقا ؟

وأين المقبلون على المنايا ... لدحض الظلم يبتدرون سبقا ؟

ومن حملوا الرءوس على أكفٍّ ... وهم للخلد يحترقون شوقا ؟

---

« التطهير العرقى » مصطلح أطلقه الملحدون على طرد المسلمين من ديارهم فى البوسنة وبورما وكثير من الأصقاع وكأن المسلمين نجس لابد أن يتخلصوا منه .

بنـــى الإسلام إن لكـــم عدوًا تميّـــز صدره غيظًـــا وحنقـــا
فمـن لزمـوا هدى التوحيـد نهجًـا وحبّ نبيهم حقًـــا وصدقـــا
فإن العـــيش ليس لهم بحقٍ لينعـــم ذو الـــدم الأغل وأنقـــى
دم الإلحاد فهـــو يزيـــد طهـــرًا ويسفك ما عدا هذا ويلقـــى!!

• • •

أرى الأحقـــاد تجمـــع مشعـــليها تؤلبُ حقدهـــم غربًـــا وشرقـــا
لكيمـــا تطفـــئَ الأفـــواه نورًا يضىءُ الكـــون أوديـــة وأفقـــا
لعـــل جهودهـــم فى النفـــخ تجدى لتوقـــف من هديـــر النـــور دفقـــا
ونـــور الحق رغـــم الكفـــر يزهـــو ويسرى فى سديم الله طلقـــا

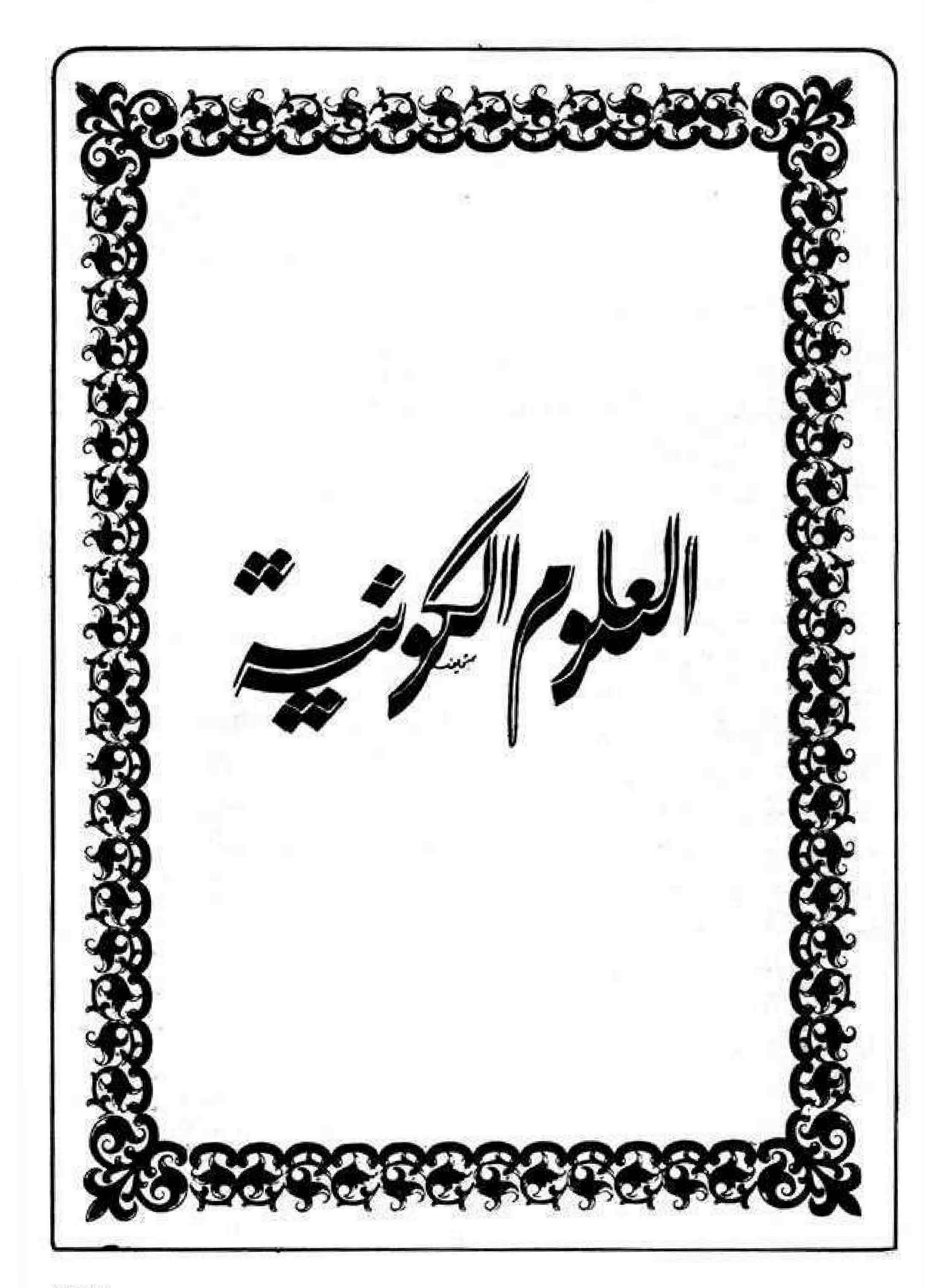
• • •

بنـــى الكفـــار : هدى الله باقٍ يزيـــد ـ برغمكـــم ـ نورًا وحرقـــا
وإن تغشَ العيـــون فكـــم غبـــيّ تمرد قبلكـــم .. لله عقـــا
وفى الحق الـــذى مهمـــا توارى ضيـــاءٌ شق صدر الليـــل شقـــا
ليـــنشر نوره بين الحيـــارى ويـبسط عدلـــه حلمًـــا ورفقـــا

• • •

أعيـدوا الدين يا قومـــى حيـــاةً تشكّـــل عالمًـــا أسمى وأرق
لينطـــق صمت هذا الكـــون يومًـــا : بنـــو الإسلام خير النـــاس عرقـــا




العلوم الكونية

# قراءة إسلامية فى



بقلم

أ.د. أحمد فؤاد باشا(*)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٣ وَفِي خَلۡقِكُمۡ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ۝٤ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزۡقٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ۝٥ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۖ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ۝٦﴾(1)

صدق الله العظيم

هذه الآيات الكريمة قليل من كثير مما جاء فى القرآن الكريم ؛ ليستثير فى الإنسان النظرة المتأملة المستقصية ، ويلفت أصحاب العقول الراجحة وذوى القلوب المؤمنة إلى اتباع المنهج الصحيح فى التعامل مع الكون واستقراء لغته وإشاراته ، باعتباره كتاب معرفة وشاهد صدق على وحدانية الخالق العليم الذى أودع فيه من الآيات ما يدل عليه وينادى بعلمه وحكمته :

ففى كل شىء له آية ... تدل على أنه الواحد

وهذه الصور التى يدعو القرآن الكريم إلى تأملها واستخلاص الحكمة من ورائها تمثل مختلف الظواهر الكونية المنبثة فى الآفاق وفى الأنفس ، باعتبارها موضوع البحث عن الحقيقة ومصدر الثقة واليقين : ومن ثم فإن الله - سبحانه وتعالى - يقدمها لنا على أنها آيات لكى تنفذ ببصيرتنا إلى ما وراء مكوناتها الحسّية ، فليس من المعقول أن تكون وسيلتنا إلى إدراكها مجرد الحواس ؛ لأن الحواس تؤدى بصاحبها إلى إشباع حسه فقط ، ولان المدركات الحسية - أيضا - محصورة فى نطاق محدود وتعجز بطبيعتها عن أن

(*) أستاذ الفيزياء بكلية العلوم جامعة القاهرة

(1) سورة الجاثية : 1 - 6 .

تقدم صورة كاملة لحركة الكون والأشياء . أما العقل فهو الملكة الادراكية التى منحها الله القدرة على التأليف بين نتائج المعرفة التى يحصلها من العلوم المختلفة ، ثم تحليلها واستنباط الحقيقة منها بعد الاستدلال على صحتها بالحجة والبرهان . ولهذا فإن الدعوة إلى تأمل الكون فى القرآن الكريم ليست مقصورة لذاتها ، بل هى فى صميمها دعوة عقلية إلى بناء المعرفة على النظر العميق فى حركة الظواهر الكونية والبحث المستمر فيها ، ومن ثم يكون الذهول عن الكون ودراسته سقوطًا إنسانيًا ذريعًا ، وبابًا إلى الجهل والضلال يضر بالإسلام ورسالته ، ويحجب الصورة الحقيقية للإنسان كما أرادها الله سبحانه وتعالى . فمن لا يستنبط من الكون ناموسه الأكبر وسرَّه الأعظم الذى يدل على خالقه الأوحد فهو حقيق بألا يوصف بالعلم أو الفكر ، ومن لم ير من السماء إلا زرقتها ، ومن الأرض إلا غبرتها فهو مشارك للبهائم فى ذلك وأدنى حالا منها وأشد غفلة[٢] ، مصداقا لقوله تعالى :

﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾[٣] وقوله عز من قائل : ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾[٤]

وإن شئنا مثالًا من واقع الانجازات التى حققها الإنسان من خلال بحثه فى مواد الكون وظواهره ، فلنتأمل نعمة الماء الذى جعله الله – سبحانه وتعالى – أصلًا للحياة وضرورة من ضرورات استمرارها والحفاظ عليها ، ولنتوقف قليلًا عن خاصية واحدة فقط من خصائصه العديدة التى كشف العلم عنها وسمَّاها الباحثون « السعة الحرارية » ، وهى تعنى القدرة على اكتساب الطاقة الحرارية والاحتفاظ بها . ذلك أن الماء يتميز عن باق السوائل بسعة حرارية كبيرة تعمل على إبطاء معدَّل تسخينه أو تبريده . ويقول المشتغلون بالعلم أن هذه الخاصية الفيزيائية المميزة للماء هى التى تجعل مياه المحيطات والبحار تتمتع بثبات عظيم فى درجة حرارتها يساعدها على حماية أحياء كثيرة من تقلبات الجو . ويقولون – أيضاً – أن هذا هو ما يحدث فى جسم الكائن الحى ذاته : فإذا عرفنا أن التفاعلات الكيميائية الحيوية تتم على نحو أمثل فى حدود ضيقة من تغير درجة الحرارة لأدركنا قيمة هذا الثبات الحرارى للأحياء . ثم إن الماء ، بسرعة جريانه وجودة توصيله ، يحمل الحرارة بعيداً عن مصادر تولدها ويعمل على تنظيم توزيعها فى أجزاء الجسم ، وهذا كله يقى الكائنات الحية من كوارث مهلكة تهدد أعضاءها الحساسة . وأخيراً يقولون أن الماء يقوم بهذه الوظائف – أيضا – بالنسبة لكوكب الأرض فى جملته ملطِّفا من قسوة التقلبات العنيفة فى حرارة الهواء واليابسة . أما العلماء الحقيقيون الموصولون بخالق الكون والحياة فإنهم يرون أبعد مما يقدمه العلم

---

(٢) عبدالمنعم خلاف ، العلم والإيمان فى الإسلام ، مجلة الحياة الثقافية ، منشورات وزارة الشئون الإجتماعية ، تونس ١٩٧٦ .
راجع أيضا : عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزوينى .

(٣) سورة الأعراف : ١٧٩ .

(٤) سورة الروم : ٧ .

البشرى المحدود ، ويلجأون إلى التحقق بالرؤية القرآنية المتجاوبة مع فطرة الخلق ، ويهتدون بعين البصيرة إلى مسبب الأسباب الذى منح الماء خواصه الفريدة لصالح الحياة والأحياء ، مصداقا لقوله تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ﴾(٥) .

وعندما نتأمل خاصية « السعة الحرارية » الكبيرة للماء نجد أنها تعنى – أيضاً – حاجته إلى مقدار كبير من الحرارة لكى يتبخر . وهذه نعمة كبرى لكثير من الأحياء عندما يتبخر الماء من فوق جلودها مستنفداً من حرارة أجسامها جزءاً كبيراً فيبردها بالقدر اللازم لثبات حرارتها ، كما أنه يعينها على العيش إذا ارتفعت حرارة الجو من حولها دون أن تتعرض للهلاك . والإنسان وكثير من الثدييات يعتمد على الغدد العَرَقِيَّة فى إخراج الماء اللازم لتبريد أجسامها بالتبخر ، بينما يضطر بعضها إلى أن يلهث كى يتم التبخر من الجهاز التنفسى الأعلى والفم واللسان المتدلى ، على نحو مايحدث مع الكلب – مثلًا – لقلة الغدد العرقية فى جسمه .

وفضلًا عن هذا كله ، نجد الماء يبقى على حالته السائلة فى مدى واسع من درجات الحرارة المعتادة فى جميع أنحاء الأرض بفضل سعته الحرارية الكبيرة ، وبذلك يظل صالحاً للقيام بوظائفه الضرورية فى حياة الأحياء ، ولعل أبلغ مثل يدل على ضرورة الماء للحياة هو مانراه من الصحراء الجرداء بعد هطول الأمطار عليها ، حيث تدب فيها الحياة على الفور ، وتكتسى بالخضرة والزهر من كل لون ، وينشط فيها عديد من أنواع الحيوان ، تحقيقا لمشيئة العليم الخبير القائل فى محكم التنزيل : ﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴾(٦)

وإذا انتقلنا إلى الحديث عن خاصية أخرى للماء تتعلق بكثافته ، نجد الباحثين فى خواص المادة يقررون أن جميع السوائل تزداد كثافتها كلما بردت حتى تتحول إلى الحالة الصلبة أو الجامدة ، والماء فقط هو الذى يشذ عن هذه القاعدة العامة عندما يبرد قُرْبَ درجة التجمد . أى أن كثافته تزداد كلما برد حتى يبلغ أكبر كثافة نوعية له عند درجة ٤ْ م ، ثم لا تلبث أن تقل مع حدوث زيادة فى الحجم عندما يتجمد الماء عند درجة الصفر المئوى . ويُعدّ هذا الاستثناء إعجازاً فى إحكام تدبير الخالق سبحانه وتعالى ، حيث تترتب عليه نتائج هامة للأحياء . ذلك أن الماء إذا تجمد وزاد حجمه فإنه يخفّ ويطفو فوق أسطح البحيرات ونحوها ويكون طبقة عازلة من الجليد تحفظ الماء تحتها من أن تزداد برودته ويتجمد ، فتظل الأحياء فيه حيَّةً سابحة مسبِّحة بقدرة خالقها وواسع حلمه ورحمته . ولو كان الماء قد انصاع للقاعدة العامة التى توصل إليها الباحثون بمنهجهم التجريبى الاستقرائى لكان الثلج أثقل وغاص فى الأعماق ، ولا ستعصى على الإنصهار ثانيا عند دفء الجو ، ومن ثم كانت البحيرات والبحار والأنهار فى المناطق الباردة تزداد تجمداً عاما بعد عام حتى تصبح مناطق جليدية دائمة لا تصلح للحياة ،

---

(٥) سورة الأنبياء : ٣٠ .

(٦) سورة الحج : ٥ .

فضلا عن أنها تكون قد اختصرت جزءا كبيرا من رصيد الأحياء عامة فى ماء الحياة[7] .

ومن يتعمق الأمر يجد أن أسرار الإعجاز فى خلق الماء تكمن فى أسلوب تركيبه وتصميم بنيانه على النحو الذى أراده الله ـ تعالى ـ بحيث يجمع فيه من الخصائص الفريدة ما جعله مؤهلا للقيام بدوره الرائع فى الحياة . فجزىء الماء مؤلف من ذرة أكسجين وذرتىْ هيدروجين ( $H^2O$ ) ، ومع أن الجزىء ككل يعتبر متعادلًا من الناحية الكهربية ، إلا أن نواة ذرة الأكسجين الأكبر حجما تجتذب من الالكترونات السالبة عدداً أكبر مما تجتذبه كل من ذرتىْ الهيدروجين ، ويشكّل هذا الوضع بنيانا هندسيا عليه شحنة سالبة فى جانب وشحنة موجبة فى الجانب المقابل ، أى يكون لجزىء الماء قطبان كهربيّان مختلفان ، ومن ثم يوصف بأنه « قطبى » أو « ذو قطبيْن »[8] ، ويعزى إلى ظاهرة « القطبية » Polarity هذه تفسير العديد من خصائص الماء ، مثل قدرته الفائقة على إذابة عدد كبير من المواد ، مما يؤهله للقيام بوظيفته الكبرى فى الحمل والنقل فى أجسام الكائنات الحية ، ويؤهله أيضا لأداء دور رئيسى فى كل التفاعلات الحيوية ، وفى التخلص من السموم والنفايات . هذا فضلا عما يقوم به الماء فى التربة من إذابة المواد اللازمة لتغذية النبات ، وعمله الدائب فى تشكيل سطح الأرض وتحويل مكوّناتها من حال إلى حال .

ويواصل الباحثون دراستهم الفاحصة لتركيب جزىء الماء فيكتشفون أن شحناته الكهربية تستطيع جذب الشحنات المخالفة فى الجزئيات المجاورة ، حيث تتجاذب أطراف الهيدروجين الموجبة مع أطراف الأكسجين السالبة وترتبط الجزئيات مع بعضها البعض بروابط تحفظ حالة السائل وتماسكه فى درجات الحرارة المعتادة ، وهنا يكتسب الماء خاصية جديدة تجعل قوة تماسك جزئياته أقوى من تماسك أى سائل آخر ، فيما عدا الزئبق ، ولكن الماء يَفْضُل يفضل الزئبق فى أنه ينتشر على الأسطح بسهولة ، فهو يجمع بين التماسك وقابلية الالتصاق ، بعكس الزئبق الذى يمنعه تماسك جزئياته الشديد من الالتصاق بأى سطح .

وتماسك جزئيات الماء مظهر آخر يبدو فيما يعرف بظاهرة الشدّ ( أو التوتر ) السطحى الذى يجعل سطح الماء أشبه بغشاء قوى مرن . فإذا وضعت إبرة من حديد فوق سطح الماء برفق تظل محمولة عليه دون أن تغوص بالرغم من زيادة كثافتها كثيرا عن كثافة الماء . وكثير من صغار الكائنات ، مثل البعوض ، تستطيع أن تمشى فوق سطح الماء أو تتدلّى منه بطريقة مدهشة . وأبسط وسيلة لإيضاح تماسك الماء وتوتره السطحى هى ملاحظة شكل قطرات الماء التى تتساقط من الصنبور تباعا فى تؤدة وبطء على هيئة كرات صغيرة مشدودة إلى بعضها بسلك فضى !!

---

(٧) د . عبدالحافظ حلمى محمد ، العلوم البيولوجية فى خدمة تفسير القرآن الكريم . دراسة قيمة منشورة فى مجلة عالم الفكر التى تصدر عن وزارة الإعلام فى الكويت ، المجلد الثانى عشر ١٩٨٢ .

(٨) يمكن تمثيل جزىء الماء هندسيا فى الفراغ بشكل رباعى تكون ذرتا الهيدروجين فيه غير موزعتيْن توزيعا متماثلا ، حيث ترتبطان كلتاهما بذرة الأكسجين من جهة واحدة . انظر فى ذلك المرجع السابق .

وبفضل تماسك الماء وقابليته للالتصاق يكتسب خاصية إضافية فى غاية الأهمية تجعله يصعد تلقائيا فى الأنابيب الشَّعْرية الدقيقة ضد جاذبية الأرض ، وهو مايعرف « بالخاصية الشعرية » التى يعزى إليها ارتفاع الماء حاملاً الغذاء من أطراف جذور النباتات المتعمقة فى باطن الأرض إلى قممها السامقة فى الفضاء ، والتى قد تبلغ فى مداها نحو أربعمائة متر فى بعض أنواع الأشجار . وهذه الخصائص مجتمعة ، بالإضافة إلى صغر كثافة الماء وضآلة لزوجته ، هى التى تيسِّر حركته بين الخلايا فى النبات والحيوان ، وتساعده على المرور خلال أغْشيتها ، كما أنها تمكن الدم من أن يتم دورته فى الأجسام لضخ القلب له .

فتبارك الله القائل فى كتابه المسطور : ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ﴾ (٩) .

إن التجاوب مع وصايا القرآن الكريم بالنظر الدائم إلى آيات الله فى الكون ؛ للتعرف على أسرار الخلق الإلهى ، يجب أن يتحول فى قلوب المؤمنين إلى طاقة تدفعهم إلى دراسة الكون والإفادة من كل ما سخره الله فيه من كنوز وقوى لخدمة الإنسان . فانطلاق العلم بعيداً عن هدى الله انحراف عن جادة الطريق السليم وفشل فى أداء الرسالة التى خلقنا الله من أجلها . ندعو الله سبحانه وتعالى فى شهر القرآن العظيم أن ييسر للمسلمين فهم دينهم كما ينبغى أن يكون ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .



(٩) سورة لقمان : ١١ .




# المعجزة القرآنية في حساب السرعة الضوئية

## «تعقيب على رد»

**من حق الأستاذ الدكتور صاحب المقال على مجلة الأزهر نشر هذا الرد ، وقد وعدت بذلك ، وإنها لتلفت نظر القارىء الى أن ما جاء من تفسير للأستاذ الكاتب يعتبر اجتهادا شخصيا منه ، وليس هو القول الفصل فى تفسير الآيات .**

**تذكر المجلة ذلك حتى يكون أمام القارىء مجال النظر فيما ورد من تفسيره ، هذا ولعلمنا أن «العِلْمَ» لايعرف الكلمة الأخيرة ... مجلة الأزهر**

بقلم أ. د/
منصور محمد حسب النبى *

نشرت مجلة الأزهر فى عددى ذى الحجة والمحرم ١٤١٤/١٤١٣ هـ مقالين بعنوان «أمر الله لاتحده سرعة الضوء» للدكتور عبدالرحمن السمان، وأشكر المجلة على نشر المقالين وإتاحة الفرصة لى للرد على ماورد بهما من اعتراض على بحثى المنشور فى عددى رمضان وشوال ١٤١٣ هـ بعنوان «المعجزة القرآنية فى حساب السرعة الضوئية» راجيا من الله أن نصل جميعا إلى حقيقة الأمر الإلهى المذكور فى آية السجدة : ٥ وأن يكشف لنا الله علم مالا نعلم وهو ـ سبحانه وتعالى ـ المستعان .

أولا : بدأ الناقد كلمته بعنوان «أمر الله لاتحده سرعة الضوء» ، وهذا العنوان يدل على اختلافه معى فى المراد من الأمر الإلهى فى آية

* أستاذ الطبيعة المتفرغ بكلية البنات جامعة عين شمس ورئيس الجمعية المصرية للإعجاز العلمى للقرآن الكريم والسنة .

السجدة : ٥ .. يقول تعالى : « يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ » ( السجدة : ٥ ) ولقد ورد الأمر هنا معرفا بأداة التعريف « ال » ومن المعروف لغويا أنها تأتى للعهد أو للجنس أو لهما معا . وهى هنا صادقة الدلالة على الوجهين ، فالأمر هنا معهود لنا بدليل وصف سرعة عروجه بمقاييس زمنية من أيامنا وسنينا المعهودة فى الدنيا والتى تخضع جميعا لقياسنا وورود قرينة تبرر ذلك فى عبارة « مما تعدون » فى آخر الآية .

كما أن هذا الحد الأقصى للسرعة الكونية الموصوف هنا ـ والذى وصل إليه قياسنا أخيراً ـ يشمل سرعة كل أمر من نفس الجنس يتحرك بين السماء والأرض ( فى الفراغ ) مقيدا بهذا الحد الأقصى الذى وضعه الله لمثل هذه الأمور الكونية المتعددة المنتشرة فى الكون : كالضوء المرئى وغير المرئى ، وجميع أفراد أسرة الأمواج الكهرومغناطيسية على اختلاف تردداتها وأطوال موجاتها ، مثل : الأمواج الراديوية واللاسلكية والرادار والأشعة تحت الحمراء والفوق بنفسجية وأشعة إكس وجاما ، والتى تتحرك جميعها بسرعة مشتركة هى سرعة الضوء فى الفراغ وقدرها ٢٩٩٧٩٢,٥ كم/ثانية ، كما أن الأمر الكونى المتحرك بهذه السرعة يشمل أمواج الجاذبية ـ التى يلهث العلم الآن لقياسها ـ وتنتشر بين السماء والأرض ، ويشمل أيضا « دقائق النيوترينو » التى لا يعوقها عائق وتخترق الكون كله .

كل هذه الأمور الكونية التى تتحرك بهذا الحد الأقصى للسرعة الكونية تبين أن الأمر فى آية السجدة للعهد والجنس معا[1] ، وهو أمر كونى واحد يشير إلى أصل الكون كله بأرضه وسمائه وما بينهما ، ويمثل الأمر هنا خلقا ثالثا يختلف فى النوع عن السماوات والأرض بدليل عطفه عليهما فى قوله تعالى « ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ » ( السجدة : ٤ ) ، وجاءت هذه الآية متبوعة بتدبير الأمر من السماء إلى الأرض ( فى آية السجدة : ٥ ) مما يدل على أن سياق الآيتين يصف الأمر الكونى « الذى يتنزل دائما بصفة مستمرة بين السماء والأرض ويربط بينهما » بالحركة المستمرة كما ورد فى لفظ يدبر ويعرج فى صيغة المضارع التى تدل على الاستمرارية والدوام منذ بدء الخلق وحتى نهايته ، وبشمولية وعالمية هذا الأمر ودوام نزوله بين كل سماء وأرضها ، كما فى قوله تعالى : « ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا » ( الطلاق : ١٢ ) .

فالأمر هنا أمر كونى يتنزل دائما بين كل سماء وأرضها ، وليس الوحى كما فهم بعض المفسرين ، لأن الوحى ينقطع بتمام نزوله ، ولكن الأمر هنا يتنزل « فعل مضارع » بصفة مستمرة طالما ظل الكون باقيا ومكان تنزله بين كل سماء وأرضها ( فى

(١) نرجو أن يستصحب القارىء أن هذا الشرح للآية اجتهاد من الأستاذ الدكتور صاحب المقال .. فهو نظر يخصه .. مجلة الأزهر .

الفراغ بينهما) ، ويمثل الخلق الثالث بعد السماوات والأرض والذى يبحث عنه العلم الآن ، لأن الفراغ المطلق غير موجود حيث تربط أمواج الجاذبية «المنتشرة فى الفضاء الكونى» بين جميع الأجرام السماوية كأمر كونى له حد أقصى للسرعة الكونية ، وكأمر كونى لا نراه بأعيننا ويمكن قياسه بأجهزتنا الحالية كقوة تدعى «قوة الجذب العام» وسيتم قياسه فى المستقبل بأجهزة متطورة كأمواج غير مرئية تنتشر بسرعة الضوء فى الفراغ «الحد الأقصى» .

وتشير الآية الكريمة إلى هذه القوة أو هذه الأمواج بوصفها «العمد غير المرئية» فى قوله تعالى : « ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ » (الرعد : ٢) ، وهنا ورد ذكر «العمد غير المرئية» وشمولية الجريان وتدبير الأمر الذى وعدنا الله بتفصيله ، فالأمر هنا تفصيل للعمد غير المرئية وعروج هذا الأمر «فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون» تفصيل لسرعته فى حدها الأقصى فى آية «السجدة : ٥» كما يرد وصف الأمر الكونى فى القرآن معرفا بالاضافة بلفظ «أمرنا» ، «أمر الله» ، «أمر ربك» مع قرائن تدل على كونية هذا الأمر الخاضع للمقدار والتحديد كما فى قوله تعالى :

« إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ۝ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِٱلْبَصَرِ » «القمر ٤٩ ، ٥٠» ، وهذه الآية تبدأ ــ كما قال كثير من المفسرون ــ بأن كل شىء فى الوجود بمقدار محدد ، وحالات مقدرة ، وفق سنن كونية ثابتة ومستقرة .

والكون والوجود مظهر لهذا القدر يتجلى فيه ، وأما قوله ــ عز وجل : « وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِٱلْبَصَرِ » فهو مثال واضح للتقدير فى واحدة من هذه الأوامر الإلهية معطوف على ما سبق من خبر التقدير فى كل الخلق ، وفيه الدلالة على كونية الأمر المقدر تقديرا فى تشبيه أمر الله هنا بالنور أى اللمح بالبصر أو الضوء المرئى .

قال الألوسى : «كلمح بالبصر» أى مشبه فى السير والسرعة .

وقال الشوكانى : كلمح بالبصر فى سرعته ، وقال الطبرى : كسرعة اللمح بالبصر .

وكلها فى تقديرى تشبيهات تدور حول سرعة الضوء وبالتالى حدد الله أمره ــ سبحانه ــ هنا بسرعة الضوء .

فكيف ننكر هذا التحديد الإلهى فى هذه الآية ونقول : لاتحده سرعة الضوء ، بينما شبه الله ــ سبحانه وتعالى ــ أمره هنا بالضوء ، كما حدد سرعة هذا الأمر فى آية السجدة بمقدار معين يتبين أنه سرعة الضوء ، وصدق تعالى بقوله : « وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا » (الأحزاب : ٣٨) ، وقوله سبحانه «وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ (الرعد : ٨) ، ولماذا التعجب من وجود حد أقصى لسرعة الأمر الكونى بعد أن اكتشفها العلم ، وذكرها القرآن الكريم قبل اكتشافها بمئات السنين .

وما الداعى إلى القول بـ «إن تحديد سرعة الأمر الإلهى تحت اسم الأمر الكونى بسرعة قصوى إخفـــــاق فى الاجتهاد ، وفساد فى

الغرض» ؟ ، وهل يراد إطلاق الأمور الكونية للعنان لتتحرك بسرعة لا نهائية وتلغى نظرية الكم أو المقدار فى الكون ؟ وهل يُفترض بضبط أن أمر الله لا تحده سرعة الضوء ؟ فما الردُّ فى تشبيه الله لأمره بالضوء «وما أمرنا الا واحدة كلمح بالبصر» و هل نعود إلى القرن السابع عشر لنقول : إن الضوء لا نهائى فى سرعته ؟ وهل «إطلاق القدرة الإلهية» معناه أن الكون لا يخضع للتقدير والمقدار ؟ يبدو أن عنوان الدكتور السمان يتعارض مع النصوص القرانية : «وكان أمر الله قدرا مقدورا» ؟

لقد أخضع الله ـ سبحانه وتعالى ـ مخلوقاته للزمن ، وللحد الأقصى للسرعة الكونية ، ولكنه ـ عز وجل ـ تنزه عن جريان الأزمنة عليه ، ولا يخضع للحركة أو الانتقال أو غيرها لأن الله ليس كمثله شيء ولا تحده حدود .

## ثانيا : الأوامر الإلهية

يذكر القرآن الكريم أنواعا من الأوامر الإلهية ، منها :

### (أ) أمر الكينونة

ولقد ورد هذا الأمر فى القرآن بمعنى الفورى الصادر من الله تعالى فى قوله سبحانه : « إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ » (مريم : ٣٥) ، ومعنى كن فيكون تعبير عن المشيئة الإلهية والارادة والتدبير الالهى الذى لا يستغرق زمنا ولا تحده سرعة كما فى قوله تعالى : « إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ » (يس : ٨٢) ، فالشيء هنا يتكون بأمر فورى يدعى أمر الكينونة مثل قوله تعالى : « قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ » .

سورة الأنبياء

يرى الناقد مستشهدا بهذه الآية : أن أمر الله لا تحده سرعة الضوء وإلا احترق سيدنا إبراهيم قبل أن يصل هذا الأمر .

ويبدو أنه حدث لبس بين «أمر الكينونة» الفورى ، والأمر الكونى المحدد بسرعة لحفظ نظام الكون ، والأول خاص بالمشيئة والإرادة الإلهية التى لا ينطبق عليها حركة أو انتقال ، لأن الله سبحانه وتعالى موجود بعلمه فى كل مكان ، قال تعالى : « وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ » (الزخرف : ٨٤) ، و« إن الله لا يخفى عليه شيء فى الأرض ولا فى السماء» (آل عمران : ٥) ، و« وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ » (يونس : ٦١ .

أمر الكينونة لا يحتاج لزمن ، فإن الله معنا بعلمه فى كل مكان . قال تعالى : « وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ» الحديد ٤ ـ وقال ـ عز من قائل : « وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ » الواقعة ٨٥ .

وأمر الكينونة خلاف الامر الكونى فللأخير قوانين ثابتة فى نطاق المقدار والحسبان الذى حدده خالق الكون .

### (ب) الأمر الكونى :

هو الأمر الخاضع للقانون الإلهى للحد الأقصى للسرعة الكونية الذى يساوى سرعة الضوء فى

(١) هذا توجيه الأستاذ الكاتب .. مجلة الأزهر .

الفضاء ، وهو الموصوف قرآنيا فى صيغة قانون بقوله تعالى : « وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ (الحج : ٤٧) ، حيث اشتمل هذا القانون الإلهى على المساواة بين زمنين مختلفين ،

فدل بذلك على متحركين مختلفين تساويا فى المسافة واختلفا فى سرعة المسير ، أى أن مسافة السير فى يوم كمسافة السير فى الألف عام ، وذلك لاختلاف سرعة الأمر الذى يسير فى يوم عن سرعة الذى يسير فى الألف عام ، ونعد به السنين أى (سرعة القمر) ، والزمن عموما فى هذه الآية (وكذلك آية السجدة (٥) المماثلة لها) ، غير مراد بذاته ، وإنما المراد به التعبير عن المسافة والسير « كما يحدث الآن عندما نقدر المسافات بأسلوب زمنى بالسنين الضوئية بعد أن عرفنا سرعة الضوء » .

وحيث إن القرآن الكريم نزل قبل التقدم العلمى فلابد أن يكون الزمن من جنس زمان المخاطبين ليقيسوا المسافة عليه ، فلا يستقيم أن تعبر عن مجهول بمجهول مثله ، وإذا كنا قد عرفنا سرعة القمر بدقة متناهية فى مداره حول الأرض ؛ فإننا بمساواة المسافة التى يقطعها فى ألف سنة قمرية نستطيع حساب سرعة الأمر الكونى الذى يقطع نفس المسافة فى يوم أرضى واحد طبقا لهذا القانون الإلهى الوارد نصا بالقرآن ، وقوله تعالى :

« عند ربك » ، قال القرطبى : أى فى حكمه وعلمه .

وقال ابن العربى : أى فى ملكه ، والمعنى : أنه جل وعلا ـ قد قضى بهذا القانون فى ملكه وحكم به وقدّر .

قال القاسمى : إن معيار تقدير الأمور الكونية كلها هو المذكور فى آيتى السجدة : ٥ ، والحج : ٤٧ .

وبهذا يتضح أن الحد الأقصى للأمور الكونية خاص بالخلق الثالث الذى يعرج بين السماء والأرض المعهودتين لنا ، بين السماوات والأرض « عند ربك » ، وكما أوضحنا فى آية « الطلاق : ١٢ » فى قوله تعالى « يتنزل الأمر بينهن » ، وهذا الأمر الكونى يشمل الضوء وأمواج الجاذبية وجميع الأمواج « الكهرومغناطيسية » ودقائق « النيوترينو » ، وكل أمر مستقر يلتزم بهذا الحد الإلهى للسرعة القصوى فى عالم الشهادة ، والقرآن الكريم هو السابق فى الإشارة إلى تنوع الطاقات والقوى الكونية فى الأشكال ، وتباينها فى الأحوال تماما من قبل أن يكتشف العلم الذى مازال يلهث وراء هذه الأمور الكونية التى يشير القرآن الكريم إلى تعددها كما فى قوله تعالى :

﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾

هود : ١٢٣

وقوله عز وجل « بَل لِّلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا » (الرعد : ٣١) ، فقد ورد لفظ (الأمر) مفردا معرفاً (بال) للدلالة على أنه الأمر الكونى العام ، وتلحق به ألفاظ تفيد الحصر مثل (كله) و(جميعا) للدلالة

على تنوع هذا الأمر . كما يعبر القرآن الكريم عن ثبات هذا القانون الإلهى الذى نحن بصدده بقوله تعالى : «وكل أمر مستقر» (القمر : ٣) ولقد ذكر الفخر الرازى : مستقر : أى على سنن .

(جـ) الأمر الملائكى :

وهو الأمر الذى تحمله الملائكة كما فى عملية الوحى بالأمور الشرعية ، والملائكة من مخلوقات الله أيضا ، ولابد أن تخضع للتقدير والمقدار لهذا وصف سبحانه سرعتها القصوى بحد آخر مختلف عن الحد الأقصى للسرعة الكونية كما فى قوله تعالى : « تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ » (المعارج : ٤) .

وسوف أعود لهذا الموضوع والمهم هنا عدم الخلط بين أمر الكينونة «الفورى» والأمر الكونى «يوم بألف سنة» والأمر الملائكى «يوم بخمسين ألف سنة» فالأول بيان الإرادة والمشيئة الإلهية التى لا تحتاج ولا تخضع لزمن ، والثانى محدد بسرعة الضوء ويختص بعالم الشهادة والثالث ؛ محدد بسرعة أكبر من سرعة الضوء ، ويختص بعالم الغيب ... والله أعلم .

**ثالثا : المعانى اللغوية والتفاسير السابقة :**

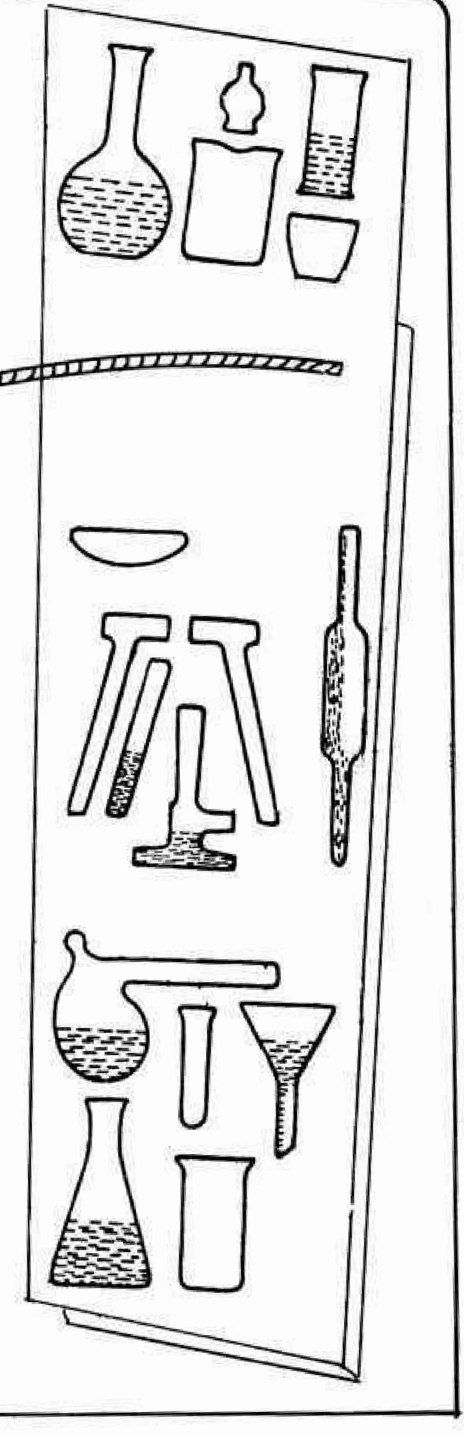
اقتصر الناقد على النقل فى عرضه لآيتى السجدة : ٥ ، والحج ٤٧ ، فيقول سيادته نقلا عن الجامع لأحكام القرآن للقرطبى جـ ١٤ ص ٨٦ : «يدبر الأمر من السماء إلى الأرض» قال ابن عباس - رضى الله عنه : ينزل القضاء والقدر ، وقيل : ينزل الوحى مع جبريل وقيل : يدبر أمر الدنيا أربعة ملائكة ، وقيل : إن العرش موضع التدبير «ثم يعرج إليه» ، قال يحيى بن سلام : هو جبريل يصعد إلى السماء بعد نزول الوحى ، وبهذا وافق الدكتور السمان على تحويل الأمر الكونى فى آية السجدة إلى أمر تحمله الملائكة ، وهذا ما أخالفه وأرفضه بشدة ، لأن الملائكة و«الروح جبريل» على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام لهم حد للسرعة مختلف عن الحد الأقصى للسرعة الكونية .

والأسلم ترك النص الكريم «السجدة : ٥» على ظاهره .

هذا وتأويل عروج الأمر بعروج الملائكة عليهم السلام غير الخاضع لقياسنا صرف لظاهر النص القرآنى دون دليل ، فالملائكة من أمور الغيب فلا يجب أن نتحدث عن وصف أو فعل لهم إلا بنص قاطع الدلالة ولا يوجد فى نص «السجدة : ٥» ما يشير إلى ذلك ، بل أن القرآن قد فصل هذه القضية : فالأمر الكونى فى «السجدة : ٥» والملائكة فى المعارج : ٤ ، ولكل منهما نص قرآنى يميزه ويفصل بينهما فى الحد الأقصى للسرعة .

يتبع بالقسم الأخير



**أحدث جهاز لقياس ضغط العين .**

أنتجت إحدى الشركات البريطانية أحدث جهاز لقياس ضغط العين داخل المقلة بدون لمس العين أو الاقتراب منها ، ويساعد على اكتشاف مرض « الجلوكوما » . ويعتبر هذا الجهاز طفرة فى عالم التشخيص عن بعد .

**مصباح ألكترونى طويل العمر .**

أعلنت احدى الشركات الأمريكية أنها حققت أول إنجاز من نوعه فى عالم المصابيح الكهربائية وهو التوصل إلى تصنيع مصباح كهربائى ألكترونى يعيش أكثر من ١٨ عاماً ، وبدون السلك المعدنى الضعيف ( التنجستين ) قصير العمر
والمصباح الجديد يعمل بالغاز ، وهو مزود بسلك ممغنط يرسل إشارات لاسلكية عالية التردد تؤدى إلى تحول الغاز إلى غاز ( مؤين ) ينبعث منه طاقة ( كهرومغناطيسية ) تصطدم بطبقة فوسفورية طلى بها جدار المصباح الزجاجى من الداخل فينبعث منها الضوء .

---

* باحثة بالمركز القومى للبحوث .

فرن كهربائى للتخلص
من فضلات المنازل .

قامت إحدى الشركات اليابانية للصناعات الكهربائية بتصنيع فرن كهربائى للتخلص من نفايات المنازل دون إحداث أى تلوث للبيئة ، وهو عبارة عن فرن «ميكروويف» يقوم فى البداية بتجفيف النفايات قبل أن يحرقها ثم يختزلها إلى رماد . والفرن مزود بوحدات استشعار وتوجيه لتغيير طاقته لتلائم كل مرحلة من مراحل عملية التخلص من النفايات . وتوجد حجرة احتراق ثانوية . ومادة حافزة على الاحتراق لإكمال عملية حرق أية غازات .

تليفون جديد للصم .

قامت شركة ألمانية بتطوير تليفون كتابى حيث يمكن لمعوق السمع أن يتحدثوا فيه مع الآخرين عن طريق شبكة التليفون العادية . والتليفون الجديد مزود بشاشة ولوحة أزرار ، وتقوم الشاشة التى تحتوى على ٢٢ سطراً بدلا من الشاشة القديمة التى كانت تحتوى على سطر واحد بعرض المحادثة الهاتفية بصورة مكتوبة . وفى التليفون الجديد جهاز خاص يعمل على تخزين عبارات التحية والمجاملة والمعلومات العادية بصورة مبرمجة وذلك لتخفيف نفقات المحادثة .

استخدام هواء الزفير
لتشخيص الأمراض .

ابتكرت شركة أمريكية لإنتاج الأجهزة العلمية فى مجال التحاليل الطبية جهازاً يقوم بالتقاط أنفاس المريض وفحصها لمعرفة المرض المصاب به . ويمر هواء الزفير خلال مجفف ، وهو عبارة عن أنبوبة زجاجية يمكنها احتجازه لإجراء التحاليل عليه وذلك بدلا من عمليات التشخيص الواسعة .

مراقبة النفايات النووية
فى قاع البحار آلياً .

ابتكر خبراء إحدى الشركات الفرنسية جهازاً آلياً حديثاً «روبوت» ، لمراقبة أنفاق النفايات النووية المدفونة فى قاع البحار بعد إنزاله إلى القاع بواسطة مصعد خاص لهذا الغرض . والجهاز الجديد مزود بأجهزة قياس وتحكم وبوصلة وجهاز لقياس الضغط ودرجات الحرارة ، وآخر لاستشعار معدل الإشعاع النووى وقياس مدى التآكل فى الأغلفة الخارجية ، وهو يستطيع العمل داخل الأنفاق فى القاع .

عظام الدجاج لعلاج التهاب المفاصل .

أدت الدراسة الطبية التى قام بها مجموعة من الأطباء بجامعة «هارفارد» الأمريكية إلى نجاح استخدام «بروتين مستخرج من عظام الدجاج لعلاج الآلام والأورام الناتجة عن التهاب المفاصل المزمن . واستمرت الدراسة ثلاثة شهور حيث كان يتم إعطاء ٣٠ مريضاً هذا البروتين مع كوب من عصير البرتقال فى الصباح فكانت النتيجة مشجعة حيث زالت آلام ٢٨ مريضاً منهم بدون أعراض جانبية .

من الفوائد الطبية للطحالب البحرية .

أصبحت الطحالب مؤخراً مادة صناعية هامة لمصانع المستحضرات الطبية ؛ لما تحتويه من

فيتامينات وأملاح معدنية ضرورية للجسم بكميات لا يمكن أن ينافسها أى نبات أو أعشاب طبيعية أو بحرية ، كما تحتوى الطحالب على بعض العناصر الأساسية للجسم كالماغنسيوم والحديد والزنك والفلور والكالسيوم والكبريت والبوتاسيوم والفوسفور والسيلينيوم وفيتامينات أ ، د ، هـ الهامة لبناء الجسم كما أنها غنية بالبروتينات والأحماض الأمينية . وتفيد الطحالب فى تجديد النشاط والحيوية والتئام الجروح ومقاومة البكتريا وإعادة التوازن لفروة الرأس والبشرة وعلاج حب الشباب .

موجات الراديو تتنبأ بالزلازل .

توصل فريق يابانى إلى طريقة جديدة للتنبؤ بالزلازل قبل حدوثها بعشرة ساعات باستخدام موجات الراديو ، حيث أنه عندما تنشق الصخور فى باطن الأرض عن طريق الزلزال فإن الطاقة الكهربائية المتولدة عند تحلل المعادن تؤثر على موجات الراديو وتحدث بها ذبذبات يمكن قياسها .

أشعة الليزر للاتصالات عبر الأقمار الصناعية :

تقوم وكالة الفضاء الأوربية بالتعاون مع وكالة اليابان لتنمية الفضاء بعمل مجموعة بحوث جديدة حول تطوير نظام اتصالات باستخدام أشعة الليزر عبر الأقمار الصناعية التى ترصد الأرض . واستخدام الليزر فى هذا النظام يجعل الإرسال أصغر حجماً لأن أشعة الليزر تسمح بإرسال كمّ كبير من المعلومات ، كما تتميز بالانتظام والثبات فيكون من السهل توجيهها بدقة أكثر من الموجات الضوئية العادية أو موجات الراديو .

اكتشاف أكبر بكتيريا معروفة حتى الآن :

تمكن فريق من العلماء الأمريكيين الاستراليين من اكتشاف أكبر بكتيريا معروفة حتى الآن ، تعيش داخل أجسام الأسماك قرب الساحل الاسترالى ويبلغ طولها حوالى نصف ميلليمتر ، ويمكن رؤيتها بالعين المجردة ، أطلق عليها البكتريا العملاقة لأنها أكبر من البكتريا العادية بمليون مرة ، حيث أن الحجم الطبيعى للبكتريا هو حوالى جزء من الألف من الملليمتر .





في ضوء كتابه صحيح مسلم بشرح النووي

د. محمد عبد القادر هنادي

المبحث الثالث : منهج الإمام النووي في البحث النحوي

سأتناول منهج الإمام النووي في البحث النحوي في ضوء النقاط التالية :

أولا : أصول السماع عند النووي .

ثانيا : توجيه الأحاديث عن طريق بعض الظواهر اللغوية .

ثالثا : أثر التوجيه النحوي في بعض القضايا التفسيرية والحديثية والفقهية .

رابعا : التوجيه النحوي للمشكل في الحديث النبوي .

أولا : أصول السماع عند النووي :

في ضوء تتبع آراء النووي النحوية في كتابه (شرح صحيح مسلم) تبين لي أن (أصول السماع) في البحث النحوي عنده تعود الى الأصول الثلاثة الآتية :

( أ ) القراءات القرآنية .

(ب) الحديث النبوي .

(جـ) كلام العرب .

( أ ) القراءات القرآنية :

● ● ●

جعل النووي القراءات القرآنية أصلا من الأصول التي يحتج بها في القواعد النحوية ، والأمثلة الواردة في كتابه (شرح صحيح مسلم) كثيرة[52] أختار منها الأمثلة التالية :

**إعادة اللفظ :**

روى مسلم عن أبي هريرة أن الرسول ﷺ قال له : «يا أباهريرة ـ وأعطاني نعليه ـ قال : اذهب بنعلي هاتين»

قال النووي : «في هذا الكلام لطيفة ، فانه أعاد لفظة (قال) ، وإنما أعادها لطول الكلام ، وحصول الفصل بقوله : (يا أباهريرة ـ وأعطاني نعليه) ، وهذا حسن ، وهو موجود في كلام العـــرب ، بل جاء ـ أيضا ـ في كلام الله ـ تعالى ـ قال الله ـ تبارك وتعالى : «ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به»[53] ، قوله تعالى (فلما جاءهم) للأول لطول الكلام ، ومثله قوله ـ

(٥٢) انظر ـ على سبيل المثال ـ في صحيح مسلم بشرح النووي ٥٦/٢ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٢٢ ، ١٣٩ ، ٧١/٣ ، ١٣٩ ، ١٤٥/٥ ، ١٢٩/٧ ، ١٣٠ ، ١٦٤/١١ ، ٨٧/١٢ ، ١٤٠/١٥ .

(٥٣) البقرة ٨٩ .

«أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون»[٥٤] ، أعاد (أنكم) لطول الكلام»[٥٥] .

**ثم بين الترتيب الذكرى والفعلى :**

ذكر النووى أن (ثم) تأتى لتفيد الترتيب فى الذكر ، ومنه كما قال : قوله ـ تعالى : «وما أدراك ما العقبة . فك رقبة . أو إطعام فى يوم ذى مسغبة . يتيما ذا مقربة . أو مسكينا ذا متربة . ثم كان من الذين آمنوا»[٥٦] ومعلوم أنه ليس المراد هنا الترتيب فى الفاعل وكما قال تعالى : (قل تعالوا أتل ماحرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا ولاتقتلوا) إلى قوله تعالى : (ثم آتينا موسىٰ الكتاب»[٥٧] وقوله ـ تعالى ـ (ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم»[٥٨] ، ونظائر ذلك كثيرة[٥٩] .

**حذف الفاء من جواب أما :**

أجاز الامام النووى حذف الفاء من جواب [ أما ] ، وجاءت الإشارة إلى ذلك فى قوله[٦٠] ((الفاء فى جواب [ أما ] يلزم إثباتها إلا إذا كان الجواب بالقول ، فإنه يجوز حذفها إذا حذف القول ... ومثل هذا فى القرآن العزيز ، وكلام العرب كثير فمنه فى القرآن قوله ـــ عز وجل : [[ فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم[٦١] ]] ، أى فيقال لهم : أكفرتم ، وقوله ـــ عز وجل : [[ وأما الذين كفروا أفلم تكن آياتى تتلى عليكم[٦٢] ]] .

**تعدى سخر بأحد حرفين :**

ذهب ـــ رحمه الله تعالى ـــ إلى أن الفعل [ سخر ] يتعدى بحرف الجر [ من ] ، واحتج عليه بالقرآن الكريم ، وفى ذلك يقول : (( وقع فى الروايات [ أتسخر بى ] ، وهو صحيح ، يقال : سخرت منه ، وسخرت به ، والأول هو الأفصح ، وبه جاء القرآن[٦٣] )) .

قلت : ومما جاء فى القرآن الكريم على ما ذكر النووى قوله تعالى : [[ قال إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم[٦٤] وقوله ـــ عز وجل : [[ زين للذين كفروا الحياة الدنيا ويسخرون من الذين آمنو ]][٦٥] .

**حذف الياء من المنقوص**

أجاز حذف الياء من الاسم المنقوص ، واستدل عليه بالقرآن الكريم قال ـ رحمه الله ـ وهو يشرح حديث الرسول ﷺ : «لَا يَحِلُّ دمُ امرىء مسلم يشهد (أن لا إله إلا الله ، وأنى رسول الله) إلا بإحدى ثلاث : الثيب الزان ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة» ، «هكذا هو فى النسخ (الزان ـــ من غير ياء بعد النون ـ وهى لغة صحيحة قرىء بها فى السبع كما فى قوله ـ تعالى ـ (الكبير المتعال[٦٦]

(٥٤) المؤمنون ٣٥ .
(٥٥) صحيح مسلم بشرح النووى ١/٢٣٦ .
(٥٦) البلد .
(٥٧) المائدة ١٥١ .
(٥٨) الأعراف ١١ .
(٥٩) صحيح مسلم بشرح النووى ٢/٧٨ .
٦٠ ـ صحيح مسلم بشرح النووى ٢/١٠٤ .
٦١ ـ آل عمران .
٦٢ ـ الجاثية ٣١ .
٦٣ ـ صحيح مسلم بشرح النووى ٣/٤٠ .
٦٤ ـ هود ٣٨ .
٦٥ ـ البقرة : ٢١٢ .
٦٦ ـ الرعد ٩ .

**القراءات الشاذة :**

أما موقفه من القراءات الشاذة فقد رفضها الإمام النووى ، ولم يحتج بها فى المسائل الشرعية ، وفى ذلك يقول : «مذهبنا أن القراءة الشاذة لا يحتج بها ، ولا يكون لها حكم الخبر عن رسول الله ﷺ لأن ناقلها لم ينقلها إلا على أنها قرآن ، والقرآن لا يثبت إلا بالتواتر بالإجماع ، وإذا لم يثبت قرآنا لا يثبت خبرا ، والمسألة مقررة فى أصول الفقه ، وفيها خلاف بيننا وبين أبى حنيفة ـ رحمه الله[٦٧] .

وقال فى موضع آخر : «والقراءة الشاذة لا تثبت قرآنا بالإجماع ، ولا يكون لها حكم الخبر الواحد عندنا وعند محققى الأصوليين[٦٨] .

ولئن كان النووى قد رفض الاحتجاج بالقراءات الشاذة فى المسائل الشرعية إلا أنه أثبتها نحوا ولغة ، وذلك عن طريق توجيهها أو الاستدلال بها فى قاعدة نحوية ، من ذلك أنه تحدث عن قوله ـ تعالى : «ما ودعك ربك وما قلى[٦٩]» فقال : «قوله (ما ودعك) هو بتشديد الدال على القراءات الصحيحة المشهورة التى قرأ بها القرّاء السبعة ، وقرىء فى الشاذ بتخفيفها ، قال أبوعبيد : هو من ودعه يدعه ، معناه : ماتركك[٧٠] .

وتحدث عن قوله تعالى «غير أولى الضرر[٧١]» فقال : «قرىء بنصب الراء ورفعها ، قراءتان مشهورتان فى السبع ، قرأ نافع وابن عامر والكسائى بنصبها ، والباقون برفعها ، وقرىء فى الشاذ (بجرها) ، فمن نصب فعلى الاستثناء ، ومن رفع فوصف للقاعدين ، أو بدل منهم ، ومن جر فوصف للمؤمنين ، أو بدل منهم[٧٢]» .

**(ب) الحديث النبوى :**

**الحديث النبوى أصل من أصول الاحتجاج النحوى عند الإمام النووى ويظهر ذلك فى الأمور التالية :**

**١ ـ احتجاجه بحديث الرسول ﷺ فى إثبات كثير من القواعد النحوية ، وبيان صحتها فى ضوء الحديث النبوى ، وقد تحدثت عن ذلك مفصلا فى (المبحث الأول) .**

**مالك أو مالكا :**

٢ ـ دافع الإمام النووى عن روايات الحديث الشريف ، وأثبت صحتها لغة ونحوا ، ورد أقوال النحاة واللغويين والأمثلة التى ذكرها فى كتابه (شرح صحيح مسلم)[٧٣] كثيرة ، منها ما قاله فى شرح قول ابن عباس ـ رضى الله عنه ـ وهو يحدث عن رحلة الإسراء : « وأُرِىَ ـ أى الرسول ـ عليه السلام ـ مالكا خازن النار) ، «وهو بضم الهمزة ، وكسر الراء ، و(مالكا) بالنصب ، ومعناه : أرى النبى ﷺ مالكا .

وقد ثبت فى صحيح البخارى هذا الحديث (ورأيت مالكا) ، ووقع فى أكثر الأصول (مالك) بالرفع ، وقد يقال هذا لحن لايجوز فى العربية ، ولكن عنه جواب حسن ، وهو أن لفظة (مالك) منصوبة ولكن أسقطت الألف فى الكتابة ، وهذا يفعله المحدثون كثيرا ، فيكتبون سمعت أنس بغير ألف ، ويقرأونه بالنصب ،

---

(٦٧) صحيح مسلم بشرح النووى ١٣٠/٥ .
(٦٨) صحيح مسلم بشرح النووى ٦٨/١٠
(٦٩) الضحى ٣ .
(٧٠) صحيح مسلم بشرح النووى ١٥٧/١٢ (٧١) النساء ٩٥
(٧٢) صحيح مسلم بشرح النووى ٤٣/١٣ .
(٧٣) ينظر مفصلا فى ١٥٩/٦ ، ١١١/٨ ، ١١١/٩ ، ١٢/١١ ، ٦٥/١٢ ـ ١٥٤ ، ٨٩/١٣ ، ٢٢٥/١٣ ، ١٩٦ ، ٤٩/١٤ ، ١٥٥/١٦ ، ٥٥/١٥

وكذلك (مالك) ، كتبوه بغير ألف ، ويقرأونه بالنصب[٧٤]

(إذا) و(إذ) انحدر :

ومن ذلك - أيضا - قوله وهو يشرح حديث الرسول ﷺ : «.. أما موسى فرجل آدم جعد على جمل أحمر مخطوم خبه كأنى أنظر إليه إذا انحدر فى الوادى يُلَبِّى» ، «هكذا هو فى الأصول كلها (إذا انحدر) بالألف بعد الذال وهو صحيح ، وقد حكى القاضى عياض عن بعض العلماء أنه أنكر إثبات الألف ، وغلط راويه ، وغلطه القاضى ، وقال : «هذا جهل من هذا القائل وتعسف وجسارة على التوهم لغير ضرورة ، وعدم فهم بمعانى الكلام ، إذ لافرق بين (إذا) و(إذ) هنا ، لأنه وصف حاله حين انحداره فيما مضى[٧٥] .

الحَوَر بعد الكون :

ومن دفاعه عن روايات الحديث ماقاله فى شرح حديث الرسول ﷺ أنه كان (يتعوذُ من وَعْثاء السفر وكآبة المنظر والحور بعد الكون)[٧٦] هكذا فى معظم النسخ من صحيح مسلم بعد (الكون) بالنون ، بل لايكاد يوجد فى نسخ بلادنا إلا بالنون ، وكذا ضبطه الحفاظ المتفقون فى صحيح مسلم ، قال القاضى : وهكذا رواه الفارسى وغيره من رواة صحيح مسلم ، ورواه البخارى (بعد الكور) بالراء ، والمعروف فى رواية عاصم (بالنون) ، قال القاضى : قال إبراهيم الحربى : يقال : إن عاصما وهم فيه ، وأن صوابه (الكور) بالراء .

قلت - أى النووى - وليس كما قال الحربى ، بل كلاهما روايتان ، وممن ذكر الروايتين جميعا الترمذى فى (جامعه) ، وخلائق من المحدثين ، وذكرهما أبوعبيد وخلائق من أهل اللغة وغريب الحديث ، قال الترمذى بعد أن رواه بالنون ، ويروى بالراء أيضا ، ثم قال : وكلاهما له وجه .

ومعناه : الرجوع من شىء إلى شىء من الشر ، وكذا قال غيره من العلماء بالراء والنون جميعا : الرجوع من الاستقامة أو الزيادة إلى النقص[٧٧]» .

هاء وهاء :

ومن دفاعه رحمه الله عن روايات الحديث ما ذكره فى شرح حديث الرسول ﷺ : «الورِق بالذهب ربا إلا هاء وهاء ، والبُر بالبُر ربا إلا هاء وهاء ...» وقوله ﷺ : (إلا هاء وهاء) فيه لغتان المد والقصر ، والمد أفصح وأشهر ، وأصله (هاك) فأبدلت المدة من الكاف ، ومعناه (خذ هذا) ، ويقول صاحبه (مثله) ، والمدة مفتوحة .

ويقال بالكسر أيضا ، ومن قصره قال : وزنه وزن (خف) ، يقال للواحد : ها ، وللإثنين (هاءَا) كخافا ، وللجميع (هاؤوا) كخافوا ، والمؤنثة (هاك) ، ومنهم من لا يثنى ولا يجمع على هذه اللغة ، ولا بغيرها فى التأنيث ، بل يقول - فى الجميع : (ها) ، قال السيراق : كأنهم جعلوها صوتا كـ (صه) ، ومن ثنى وجمع قال للمؤنثة : (هاك) و(ها) لغتان ، وأكثر أهل اللغة ينكرون (ها) بالقصر ، وغلّط الخطابى وغيره المحدثين فى رواية القصر ، وقال : الصواب : المد

---

(٧٤) صحيح مسلم بشرح النووى ٢/٢٢٧ .

(٧٥) صحيح مسلم بشرح النووى ٢/١٣١ .

(٧٦) صحيح مسلم .

(٧٧) صحيح مسلم بشرح النووى ٩١/١١١ - ١١٢ .

والفتح ، وليست بغلط ، بل هى صحيحة كما ذكرنا ، وإن كانت قليلة[٧٨] .

ومن ردّه على علماء اللغة ودفاعه عن رواية الحديث ما قاله فى شرح حديث الرسول ﷺ : «إنهم لأخير منهم» (هكذا هو فى جميع النسخ (لأخير) ، وهى لغة قليلة تكررت فى الأحاديث ، وأهل العربية ينكرونها ، ويقولون : الصواب (خير) و(شر) ولا يقال (أخير) ولا (أشر) ، ولا يقبل إنكارهم ، فهى لغة قليلة الاستعمال[٧٩] .

وقال ــ فى موضع آخر من كتابه يدافع عن مجيء اسم التفضيل (خير) و(شر) على (أخير) و(أشر) :

«قد جاءت هذه اللفظة بلاشك ، فهى لغة ــ وإن كانت قليلة الاستعمال ــ ولهذا نظائر مما لايكون معروفا عند النحويين ، وجاريا على قواعدهم ، وقد صحت به الأحاديث فلا ينبغى رده إذا ثبت ، بل يقال : هذه لغة قليلة الاستعمال ، ونحو هذا من العبارات .

وسببه : أن النحويين لم يحيطوا إحاطة قطعية بجميع كلام العرب ، ولهذا يمنع بعضهم ما ينقله غيره عن العرب[٨٠] .

**٣ ــ ومن منهجه فى الاحتجاج بالحديث أنه يذكر رواياته ويصححها نحوا أو لغة ، ثم يرجح إحدى الروايات ، والنماذج ــ أيضا ــ فى ذلك كثيرة[٨١] أختار منها ما يأتى :**

**ضبط أنفسها :**

تحدث عن ضبط (أنفسها) فى حديث الرسول ﷺ : «إنّ الله تجاوز لأمتــى ما حدثت به أنفُسَها»[٨٢] فقال : ضبط العلماء (أنفسها) بالنصب والرفع ، وهما ظاهران إلا أن النصب أظهر وأشهر ، قال القاضى عياض (أنفسها) بالنصب ، ويدل عليه قوله (إن أحدنا يحدث نفسه) ، قال : قال الطحاوى وأهل اللغة يقولون (أنفسها) ، يريدون بغير اختيارها كما قال الله ــ تعالى : «ونعلم ماتوسوس به نفسه»[٨٣] .

أهل الثناء والمجد :

ذكر الروايات الواردة فى كلمة (أهل) التى جاء ذكرها فى حديث الرسول ﷺ : (ربنا لك الحمد ملء السموات والأرض وملء ما شئت من شيء بعدُ ، أهلَ الثناء والمجد ...» ، فقال رحمه الله تعالى : «قوله (أهل) منصوب على النداء ، هذا هو المشهور ، وجوز بعضهم رفعه على تقدير (أنت أهل الثناء) والمختار النصب»[٨٤] .

نار جهنم وإناء الفضة :

تحدث عن ضبط كلمة (نار) فى حديث الرسول ﷺ : «الذى يشربُ فى آنية من الفضة إنما يجرجر فى بطنه نار جهنم» ، فقال : «اختلف العلماء فى راء (النار) فى الرواية الأولى فنقلوا فيها النصب والرفع ، وهما مشهوران فى الرواية وفى كتب الشارحين وأهل الغريب واللغة ، والنصب هو الصحيح المشهور الذى جزم به الأزهرى وآخرون من المحققين ، ورجحه الزجــاج والخطابى ، وأما معناه فعلى رواية النصب الفاعل

---

(٧٨) صحيح مسلم بشرح النووى ١٢/١١ .

(٧٩) صحيح مسلم بشرح النووى ٧٦/١٦ .

(٨٠) صحيح مسلم بشرح النووى ١٩٦/١٣ .

(٨١) ينظر مفصلا فى ج ١٨٧/١ ، ٢٣٣ ، ١٥٤/٢ ، ١١١/٣ .

(٨٢) صحيح مسلم بشرح النووى ١٤٧/٢ .

(٨٣) ق ١٦ .

(٨٤) صحيح مسلم بشرح النووى ١٩٤/٤ .

هو الشارب مضمر فى يجرجر ، وعلى رواية الرفع تكون (النار) فاعله ، ومعناه تصوت النار فى بطنه ، والجرجرة هى التصويت»[85]

**فقولوا : وعليكم :**

رجح رواية (وعليكم) مع إثبات الواو ، وذلك عندما شرح حديث الرسول ﷺ : «إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا : وعليكم» فقال ـ رحمه الله : «(وعليكم) بإثبات الواو وحذفها ، وأكثر الروايات بإثباتها .

وعلى هذا فى معناه وجهان : أحدهما : أنه على ظاهره ، فقالوا : عليكم الموت ، فقال (وعليكم) أيضا ، أى نحن وأنتم فيه سواء ، وكلنا نموت .

والثانى أن (الواو) هنا للاستئناف لا للعطف والتشريك ، وتقديره (وعليكم ما تستحقونه من الذم) .

وأما حذف الواو فتقديره : بل عليكم السام ، قال القاضى : اختار بعض العلماء منهم ابن حبيب المالكى : حذف الواو لئلا يقتضى التشريك ، وقال غيره بإثباتها ، كما هو فى أكثر الروايات ، وقال الخطابى : عامة المحدثين يروون هذا الحرف (وعليكم) بالواو ، وكان ابن عيينة يرويه بغير واو ، قال : وهذا هو الصواب ، لأنه إذا حذف الواو صار كلامهم بعينه مردودا عليهم خاصة ، وإذا ثبت الواو اقتضى المشاركة معهم فيما قالوه ، هذا كلام الخطابى .

والصواب أن إثبات الواو وحذفها جائزان كما صحت به الروايات ، وأن الواو أجود كما هو فى أكثر الروايات ، ولا مفسدة فيه»[86] .

**كأنما وتر أهله وماله :**

ومن الأحاديث التى ذكر رواياتها ، ثم رجح إحداها ماقاله فى حديث الرسول ﷺ : «الذى تفوته صلاة العصر كأنما وُتِرَ أهلُهُ ومالُهُ» ، «روى بنصب اللامين ورفعهما ، والنصب هو الصحيح المشهور الذى عليه الجمهور على أنه مفعول ثان ، ومن رفع فعلى مالم يُسَمَّ فاعله ، ومعناه انتزع منه أهله وماله ، وهذا تفسير مالك بن أنس .

وأما على رواية النصب فقال الخطابى وغيره : معناه : نقص هو أهله وماله وسلبه ، فبقى بلا أهل ولا مال»[87] .

**٤ ـ ومن منهجه فى الاحتجاج النحوى بالحديث النبوى أنه دافع عن روايات الحديث ، ورد على من أنكرها** ، من ذلك أنه تحدث عن قول الرسول ﷺ فيما رواه مسلم عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما : «بنى الإسلام على خمسة على أن يوحد الله وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة وصيام رمضان والحج ، فقال رجل : الحج وصيام رمضان قال : لا ، صيام رمضان والحج» ، هكذا سمعته من رسول الله ﷺ»[88] .

قال النووى : قال الشيخ أبوعمرو بن الصلاح ـ رحمه الله تعالى : محافظة ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ على ماسمعه من رسول الله ، ونهيه عن عكسه تصلح حجة لكون الواو تقتضى الترتيب : ، وهو مذهب كثير من الفقهاء الشافعيين ، وشذوذ من النحويين ، ومن قال :

---

(٨٥) صحيح مسلم بشرح النووى ٢٨/١٤ .

(٨٦) صحيح مسلم بشرح النووى ١٤٤/١٤ ـ ١٤٥ .

(٨٧) صحيح مسلم بشرح النووى ١٢٦/٦ .

(٨٨) صحيح مسلم ، كتاب الايمان ، باب أركان الاسلام ودعائمه .

لا تقتضى الترتيب ، وهو المختار ، وقول الجمهور فله أن يقول : لم يكن ذلك لكونها تقتضى الترتيب ، بل لأن فرض صوم رمضان نزل فى السنة الثانية من الهجرة ، ونزلت فريضة الحج سنة ست ، وقيل سنة تسع ، ومن حق الأول أن يقدم فى الذكر على الثانى ، فمحافظة ابن عمر - رضى الله عنهما - لهذا .

وأما رواية تقديم الحج فكأنما وقع ممن كان يرى الرواية بالمعنى ، ويرى أن تأخير الأول أو الأهم فى الذكر شائع فى اللسان ، فتصرف فيه بالتقديم والتأخير ، هذا آخر كلام الشيخ أبى عمرو بن الصلاح وهذا الذى قاله ضعيف من وجهين :

أحدهما : لأن الروايتين قد ثبتا فى الصحيح ، وهما صحيحتان فى المعنى ، لا تنافى بينهما ، فلا يجوز إبطال إحداهما .

الثانى أن فتح باب احتمال التقديم والتأخير فى مثل هذا قدح فى الرواة والروايات ، فإنه لو فتح ذلك لم يبق لنا ثقة بشىء من الروايات إلا القليل ، ولا يخفى بطلان هذا ، ما يترتب عليه من المفاسد ، وتعلق به من يتعلق به ممن فى قلبه مرض»[٨٩] .

حديث (الخبث) :

ومن إنكاره على بعض العلماء الذين ردوا روايات الحديث فى مسألة لغوية حديثه عن كلمة (الخبث) فى قوله ﷺ : «اللهم إنى أعوذ بك من الخبث والخبائث» .

قال - رحمه الله : «وأما (الخبث) فبضم الباء وإسكانها ، وهما وجهان مشهوران فى رواية الحديث ، ونقل القاضى عياض - رحمه الله تعالى - أن أكثر روايات الشيوخ : الإسكان ، وقد قال الإمام سليمان الخطابى - رحمه الله تعالى : (الخبث) بضم الباء ، جماعة (الخبيث) و(الخبائث) جمع (الخبيثة) قال : يريد ذُكْران الشياطين وإناثهم .

قال : وعامة المحدثين يقولون : (الخبْث) بإسكان الباء ، وهو غلط والصواب الضم ، هذا كلام الخطابى ، وهذا الذى غلطهم فيه ليس بغلط ، ولا يصح إنكار جواز الإسكان ، فان الإسكان جائز على سبيل التخفيف ، كما يقال : كتب ورسل وعنق وأُذن ، ونظائره ، فكل هذا وما أشبهه جائز تسكينه بلا خلاف عند أهل العربية ، وهو باب معروف من أبواب التصريف لا يمكن إنكاره»[٩٠] .

وأنصت :

وتحدث عن ضبط كلمة (أنصت) فى حديث الرسول ﷺ : (من توضأ فأحسن الوضوء ثم أتى الجمعة فاستمع وأنصت غفر له مابينه وبين الجمعة وزيادة ثلاثة أيام) ، فقال - رحمه الله : قوله : (ثم أنصت) هكذا هو فى أكثر النسخ المعتمدة ببلادنا ، وكذا نقله القاضى عياض عن الجمهور ، ووقع فى بعض الأصول المعتمدة ببلادنا (انتصت) ، وكذا نقله القاضى عن الباجى ، وآخرون (انتصت) بزيادة تاء مثناة فوق ، قال : وهو وهم ، قلت : ليس هو وهما ، بل هو لغة صحيحة ، قال الأزهرى - فى شرح ألفاظ المختصر : يقال : أنصت ، ونصت ، وانتصت ، ثلاث لغات»[٩١] .

(٨٩) صحيح مسلم بشرح النووى ١/١٧٨ - ١٧٩ .

(٩٠) صحيح مسلم بشرح النووى ٤/٧١ .

(٩١) صحيح مسلم بشرح النووى ٦/١٤٦ .




## ظلم الأزهر

## الفصل الأخير

ألحى الدكتور بالنقد المتعجل على الأزهر ، فقال(١) :

وليسَ من الخير أن يكونَ الأزهر حربًا على الحياة الحديثة ، فإن هذه الحرب لاتُجدى ولاتفيد ، وإنما الخير والواجب أن يكونَ الأزهر ملطفا للحياة الحديثة ، مخففا لأثقالها ، ملائماً بينهما وبين ما يأمر الله به من الخير والمعروف ، مُباعدًا بينها وبين ما ينهى الله عنه من الشر والمنكر ، وذلكَ لايكون إلّا إذا عَرَفَ رجالُ الدين حياة الناس كما يحيونها ، وأتقنُوا العلمَ بأسرارها ومشكلاتها ، وما تجرّ على الناس من شر ، وما تدفعهم إليه من إثم ، وسبيلُ ذلك أن يَتثقفَ الأزهر بالثقافة الحديثة ، كما يتثقف بها غيره من المعاهد ، وأن يَمتازَ بعد هذا بما لا تَمْتَازُ به المعاهد الأخرى من هذه الثقافة الدينية الخالصة بحيث إذا اتّصلَ رجالُه بطبقات الناس لم يُناقضُوهم ولم يُبايِنوهم ، ولم يَجدوا مشقةً فى الوصول إلى قلوبهم ، والانتهاء إلى نفوسهم والتأثير فى هذه النفوس وتلك القلوب .

والشرّ كلّ الشر أنْ يتحدث رجلُ الدين إلى الناس فلا يفهمونَ عنه ؛ لأنه قديمٌ وهم محدثون ، وأن يتحدّثَ الناسُ إلى رجل الدين ، فلا يفهمُ عنهم لأنهم محدثون وهو قديم ، ولا ينبغى أن تُغيّرَ الأزهر لأنّ الناسَ يسمعون لهُ الآنَ وَيفهمون عنه بعض الشيء . فكثرةُ المصريين لاتزالُ متأثرةً بعقلية القرون الوسطى ولكنّ طبيعةَ الحياة

أ.د محمد رجب البيومي

ستُخرجها غدا أوْ بعدَ غدٍ من هذا الطور ، وستصُوغُ الأجيالَ الناشئةَ والأجيالَ المقبلة صيغةً أوربيّةً حديثة ، فلابدّ أن يُجارى الأزهرُ هذا التطّور ليكونَ اتصالُه بالأجيال الناشئة والأجيال المقبلة أجْدَى وأقوَىَ من اتصالهِ بالأجيال الماضية ،

(١) تم نشر الجزء الأول والثانى من هذا البحث فى العددين السابقين من المجلة

والأجيال الحاضرة .

هذا ما قاله الدكتور طه حسين فى كتاب ألفه سنة ١٩٣٨م، بعد أن أُنشئت الكلياتُ بالأزهر ، وبعد أن دُرِسَتِ العلومُ الحديثةُ فى المعاهد الابتدائية والثانوية ، وبَعد أنْ ظهر جيلٌ من الأزهريِّين قد تصدرُوا الصحفَ والمجلات والإذاعة فتكلمُوا فى شئون الأدب والدين والسياسة بما كَان موضعَ التقدير ! لقدْ تحدّثَ عن الأزهر بلسان الشيخ محمد عبده ، حين كانَ طه تلميذًا بالأزهر فى أوائل هذا القرن ، وحديثُ الشيخ محمد عبدهُ حينئذٍ كانَ البذرةَ الجيِّدة التى أنتجت الثمرةَ الطيِّبة .

فإذا شاءَ الدكتور أن يعلمَ لماذا كان الأزهرُ منكمشًا فى أواخر القرن الماضى وأوائل هذا القرن فليعلَم أنّ سياسة « دنلوب » هى التى شاءتْ قطعَ الصِّلة بين الأزهر والمجتمع ، وحرّمتْ على أبْنائِه أن يكونُوا أساتذة للُّغه العربية والدين الإسلامى إلّا إذا اتجهُ نفر قليل منهم إلى دار العلوم ! وهذا ما أفزعَ الأستاذ الإمام فنادَى بالإصلاح ليكونَ الأزهريُّ على مستوى غيره مِنْ خريجى المدارس العالية !

وَالأزهرُ قبلَ محنة الاحتلال الانجليزى كانَ زعيمَ الاستقـلال والحريـة فى مصر ، فشيـوخُ الأزهر هم الذين ترأسُوا المُقاومة الضارية للحملة الفرنسية ، وقد عَرَف المحتّلون ذلك ، فاقتحمُوا الجامع الأزهر وسلَّطوا عليه القذائف ، وقتلوا مِن شيوخه وطلّابه مَن ذهبوا شهداء الحرّية ، وقد قامت الثورة العرابيّة بزعامة أزهريّ ناهض وتأييد شيوخ العلماء الذين أفتوْا بخلع الخديوى ، وقُوبلُوا بعد الثورة بالنّفى والسجن ومنهم مَن لَاقى الموت غيلةً دون أن يعترض أحد !

وفى عهد الاحتلال الإنجليزى كانتْ مظاهرة الأزهـريين فى ١٩٠٩/١/٢٧ أقْوَى مُظاهـرةٍ طُلابيّة اهتزّ لها المعتمد البريطـانى ، وصَادَمهـا البُوليس مُصادمةً أرْدتْ بأرواح الكثير وقد قال سعد زغلول عن هذه المظاهـرة ، « وسرعَـانَ ماتحولتْ هذه المظاهرة الى حركة ذات طابع سياسيّ ، إذ اتجهتْ هذه الإضرابات الى هجومٍ على الخديوى وطَالَبَ ( الأزهريون ) أنْ يكونَ للأزهر السيطرةُ على أوقافه التىّ كان يتلاعب بهَا القصر »[٢].

فهل كانَ الأزهر مقطوعَ الصّلة بالأحداث ، وأشهرُ جريدةٍ وطنيةٍ ذائعةٍ فى مصر إذْ ذَاكَ هى المؤيّد ، ورئيسُ تحريرها أزهريٌّ نابه هو الشيخ على يوسف ، وأبرزُ كتابها جميعاً هو الأديب الأزهرى مصطفى لطفى المنفلوطى ، كما أنّ المجَلة الأدبيّة الوطنية التى كانت تصدرُ حينئذ هى مجلةُ ( البيان ) ورئيسُ تحريرها الأزهرى النابَه الأستاذ عبدالرحمن البرقوقى ! وظلّتِ افتتاحياتُ الجرائد الكبرى كالأهرام والأخبار والمقطم والبلاغ مزدانةً بأقلام الأزهريين مثل الشيخ محمد شاكر والشيخ على سرور الزنكلونى ، والشيخ محمد سليمان غبارة ، والشيخ عبدالباقى سرور نعيم وعباس الجمل ، ولوْ جمعَ الأزهر مقالاتِ هؤلاء وقُورِنَتْ بسواها ، لارتفعتْ هاماتٌ وسقطت ذُيول !

ولن أتحدث عن شرارة الثورة المصرية سنة ١٩١٩ التى انبعثت من الأزهـــر ، ولا عن

(٢) مجلة كلية الآداب بالمنصورة ـ العدد الأول ـ بقلم الدكتور على بركات .

مظاهراتِ الحرية التى قادها أبو العيون ومصطفى القاياتى وعبدربه مفتاح ومحمد عبداللطيف دراز ، ولاعن منبر الأزهر الذى كان موضع اهتمام شركات الأنباء العالمية فلا تَتحّدث عن الثورة إلّا عَنْ طريق مايُقال بالأزهر .

فهل يقول الدكتور طه حسين بعد ذلك إن رجل الدين لايفهم الناس ولايفهمونَ عنه ، مع أن شوقى يقول مخاطباً شباب الأزهر :

**هزّوا المدائن كهفها ورقيمها**
**أنتم لعمرُ الله أعصاب القُرى**

ويقول :

**المعهُد القُدسىّ كان نَديّه**
**قطباً لدائرة البلاد ومحورا**
**وُلدت قضيتها على محرابه**
**وَحَبَتْ به طفلًا وشبت معصرا**
**وتقدمت تزجى الصنوف كأنها**
**جاندرك فى يدها اللواء مظفرا**

ولن يَنسى التاريخ أنّ أول اجتماع لتأييد الثورة المصرية بالاسكندرية كانَ بالمعهد الأزهرى وقد اتصل شيخه الأستاذ عبدالمجيد اللبان بكبار المسئولين ، وأخذ التوقيعات الأكيدة لتأييد زعيم الأمة سعد زغلول ، وجَرى على نهجه شيوخ المعاهد فى الأقاليم بطنطا وأسيوط ودمياط ودسوق .

هذا بعض ما يقال فى الناحية السياسية ، أما الناحية الاجتماعية فوزارة الداخلية تعلم أن الأمن لم يستتب بالصعيد إلا حين عينت لفيفا من وعاظ الأزهر يجوبون البلاد لإصلاح ذات البين واتهز المغفور له الشيخ المراغى هذه السانحة فأنشأ قسم الوعظ والإرشاد بالأزهر سنة ١٩٢٨ ، كما أنشأ تخصص الوعظ فى السنة نفسها ، وقد كنا إلى عهد قريب نرى مأمورى المراكز لا يقيمون حفلات الصلح الناجحة من رؤساء العائلات المتناحرة إلا بمحضر شيوخ الوعظ .

وقد كتب حكمدار العاصمة الانجليزى ( رسل باشا ) تقريره السنوى مثنيا على نشاط الوعاظ فى محاربة المخدرات التى انتشرت انتشارا ذريعا لعهده ، وعجز البوليس عن مقاومتها دون أن يكون الوعاظ سلاحه الأول ، ولا نتحدث عن مرابطة الوعاظ بالجيش المصرى فى أوقات الحرب والسلم معا ، ليقدموا زادا روحيا لا تجده الجندى عند غيرهم . فليت شعرى أيكونون بذلك منقطعى الصلة بالناس ! لايفهمون أحدا ، ولايفهم منهم إنسان ! وأقولها صريحة لالبس فيها ، إذ أعلن أن نفوذ خطباء المساجد من أبناء الأزهر قد عفى على أثر من يكتبون الآن فى الجرائد اليومية ، لأن الشعب قد عرف عن أكثر هؤلاء التذبذب المضطرب ، إذ يؤيدون الحاكم ثم يرجمونه بعد رحيله !

لذلك تمتلىء الصحف بمقالات هؤلاء ، وبعضها افتتاحيات ذات مظهر أخاذ بالصورة والبنط العريض والتنسيق المبالغ ، ثم لا يجد ذلك كله صدى حديث واحد يقوله الإمام الأكبر جاد الحق أو الشيخ الغزالى أو الشيخ الشعراوى ، حيث يتناقله أكثر من عشرين ألف خطيب فى عشرين ألف مسجد ! وأذكر أنى قلت فى قصيدة نشرتها عند الاحتفال الألفى بالأزهر منذ سنوات :

**خطباء المساجد اتخذوا المنبر**
**أقـوى وسائــل الإعـــلام**
**رفعـوا الرايـة الشريفـة لما**
**أسقـطتها صحافـة الأقـزام**
**تخذوا المنبر الحصين عرينـــا**
**جلجلت منه زأرة الضرغام**

أجل ! لقد تحدث الدكتور طه عن أزهره فى عهد الطلب بعد ثلاثين عاما من مغادرته إياه ، وأنا لاأدرى هل نسى هذا التطور الرائع فى النشاط الأزهرى أو تناساه ! إن الدكتور طه يميل إلى الإسهاب الممتد فى الحديث ، فلا يقنعه أن يكتب الفكرة فى جملة أو جملتين ، بل لا بد من البسط الممتد دون تحديد ، وفى هذا البسط تتوالى اتهامات وتتقاذف أوهام لاأصل لها إلا فى خياله المسترسل دون لجام .

## مادية وروحانية

وقد تحمس الدكتور تحمسا زائدا فى الرد على ما يراه الكثير من مادية الغرب المفرطة ، وروحانية الشرق الواضحة فيقول(٣) :

« إنّ مِن المصريين خاصّة والشرقيين عامة قوما يملئون به أفواههم ، ويجرون به أقلامهم ، فلا يلقون فيها إلا سُمّا زُعافا ، من الحق أن الحضارة الأوربية عظيمة الحظّ من الماديّة ، ولكنّ من الكلام الفارغ ، والسخف الذى لا يقف عنده عاقل ، أن يقالَ إنها قليلة الحظ من هذه المعانى السامية التى تغذو الأرواح والقلوب ، من الحقّ أن الحضارة الأوربيّة ماديّةُ المظاهر وقد نجحتْ فى هذه الناحية نجاحاً باهرا ، فوفّقت إلى العلم الحديث ، ثم إلى الفنون التطبيقيّة الحديثة ، ثم إلى هذه المخترعات التى غيّرت وجه الأرض ، وحياةِ الإنسان ، ولكن من أجهل الجهل ، وأخطأ الخطأ أن يُقال إن هذه الحضارة الماديّة قد صدرت عن المادة الخالصة ، إنها بنتيجة العقل ، إنها نتيجة الخيال ، إنها نتيجة الروح الخصب المنتج ، نتيجة الروح الحى الذى يتصل بالعقل فتغذوه ، وينميه ويدفعه إلى التفكير ثم إلى الإنتاج ثم إلى استغلال الإنتاج ، لا نتيجة هذا الروح العاكف على نفسه ، الفارغ لها ، الفانى فيها ، الذى تفسد الأثرة عليه أمره ، فلاينفع ولا ينتفع ؛ ولا يفيد ولا يستفيد » .

وفى مدى أربع صفحات دار الدكتور هذا المدار الغاضب ، والذى رمى بعبارات « أجهل الجهل ، وأخطأ الخطأ ، والكلام الفارغ والسخف الذى لايقف عنده عاقل » ! وهى عباراتٌ أبعد ماتكون عن البحث العلمى ، ولو واجه بها ناقد كلامَ الدكتور لَعَده خُروجاً صريحا عن آداب البحث ، ثم ننظر إلى لباب ماقال الدكتور ، فنجده لايُبدى دليلا واحدا يقنع من يقولون بمادية الغرب ! إنّ الذين يقولون بهذه المادية المؤكدة لايُنكرون التقدم العلمى للغرب ، ولا يجحدُون ماوُفق إليه من اكتشافاتٍ علمية جعلته صاحبَ السبق المطلق فى هذا المجال ، وكلّها وليدةُ العقل الصارم ذى النفع الماديّ الملتمس من شتىّ الوجوه ! .

ولكن أينَ نصيب الروح من هذه الحضارة التى

---

(٣) مستقبل الثقافة فى مصر ص٥٦ .

تشنّ حملات الإبادة لاستعمار الضعاف العزّل فى ربوع افريقيا وآسيا ؟

أين نصيب هذه الروح فى صَبِّ القذائف المدمّرة ، والمدافع الثقيلة على الأبرياء من ساكنى السنغال وجنوب إفريقيا وأوغندة وكينيا ؟

أين نصيب الروح من إبادة من هبوّا يدافعون عن أوطانهم المحتلّة ، وخيرات بلادهم المسلوبة فى الهند والصين واندونيسيا وسيلان وغيرها من الأماكن التى استنزفت خيراتها بالمدافع والدبابات والطائرات ظلماً دون عدل ؟

لقد اشتركت انجلترا وفرنسا وهولندا وإيطاليا وبلجيكا وألمانيا وروسيا فى ترويع الآمنين ، وإزعاج الأبرياء ، لالشيء إلا لتنهب كنوز الأرض من ذهب وبترول وألماس ونحاس وفحم ويورانيوم وما لا يحصى من الكنوز .

كما استخدمت أصحابَ البلاد فى استخراج هذه الكنوز استخدامَ الرقيق الذى لا ينالُ غير ما يمسك الرمق ، كى يستطيع مواصلة الكدح فى استخراج معادن أرضه للدخلاء ، ولولا حاجة أوربا المستعمرة لهؤلاء الأرقاء مامنحتْهم قليلَ الطعام ، وتافه اللباس ، ولسارعتْ إلى إبادتهم كالحشرات الضارة دون أدنى تأنيب من ضمير ، أو هاجس من ملام ! إن إجماع هذه الشعوب الشرهة على امتصاص الضعفاء هذا الامتصاص ، وعلى ابتزاز خيراتهم المغتصبة هذا الابتزاز لدليلٌ لا يقبل النقض على مادية الغرب وجشعه ! وعلى أنّ الروح الإنسانى قد أزهق فى كيانه شرَّ إزهاق !

أما ابتكار آلات التدمير ، وأدوات الحضارة فمنْ وحى العقل وحده ، وهو دليلُ الذّكاء لا دليل السمّو ، وفى اللصوص والأشرار لدينا مَنْ يبرعون باحتيالاتهم العقلية ، وعضلاتهم القوية فى الابتزاز والاغتصاب ، فهل تكون براعتهم هذه دليلَ حضارة روحية كما يريد طه حسين أن يؤكد مسهبا فى غير إيجاز ! لو انّ الدكتور قد اكتفى بالقول بأنّ أوربا قد تقدمتْ فى الكشوف العلمية ، والبحوث التجريبية فى شتى ميادين العلم ما وَجد من يعترض ؟ ولكنه يجعلُ هذا الاكتشاف المادى دليل السمو الروحى ، والبعد بين الاثنين كبعد الأرض من السماء !

لقد وقف الأستاذ سيد قطب[٤] عند هذا الحكم العجيب ، واكتفى فى مجال الرد عليه بأن أحال على مَقال جيّد نشره الأستاذ أحمد أمين فى مجلة الثقافة قال فيه :

« هناك معنى قد يكون أقرب إلى الصواب ، وهو أنّ معنى المادّية تفسيرُ ظواهر العالم على أساس المادّة من غير التفاتٍ إلى عالم آخر روحى وراء هذا العالم ، وبناءُ كل وسائل الحياة ، وكل ظواهر المدينة والحضارة والثقافة على أساس المادة وحدها ، فليس العقل إلا شكلًا من أشكال المادّة الدائمة التغيّر والتنوع ، وليستْ أفعال الإنسان مهما دقّتْ إلا نتيجةً لمواد الجسم ، وليستْ كل الظواهر النفسيّة من فكر وإرادة وعاطفة إلا نتجة للمخ المادىّ من حيث عمله وحجمه وتركيبه .

أما الروحانيةُ فترى أن المادةَ وحدها عاجزة عن أن تشرح كل مايحدث فى العالم ، بل لا يفسرها إلا القول بوجود شيء غير مادىّ ، روحانى ، وراء

---

(٤) مجلّة دار العلوم ــ العدد الرابع س٥/ ابرايل سنة ١٩٣٩ م .

هذا الشيء المادىّ ، فالفكر وظواهر العقل ليست نتيجة المخ المادى ، فالإيمانُ بعالم روحانى بجانب العالم المادى من نفس وإله وعالم آخر هو أوضح خصائص الروحانية ، وهذا النوعُ من النظر هو الذى يسود الشرق ، فهو يؤمن بالإلهام الذى لا يعلّل ، كما يؤمنُ بالمنطق الذى يعلل ، على حين أن النزعة المادية ، لا تؤمن إلّا بسبب ومسببه ، وعلة ومعلول ، ومقدمة ونتيجة » .

وإذا كان الأمر كذلك فللغرب ماديته الصماء وللشرق روحانيته البيضاء !

## اعتدال وتصحيح

لم يكد يمرّ عشرون عاما على صُدور كتاب « مستقبل الثقافة فى مصر » ، حتى جَد من الأحداث ما جعل الدكتور طه حسين يغيُّر رأيه فى كثير مما اتجه إليه من أفكار تتعلّق بأوربا والإسلام والعروبة ، لأن قيامَ الحرب العالمية الثانيـــة وما تمخضتْ عنه من اهتزاز المعانى الخلقية لدى الأوربيّين إذ دَمّروا المدن ونسفوا العمران ، وأزهقوا ملايين الأرواح فى غير هدف غير التقاتل على استعمار الشعوب المستضعفة ثم ما أورثه الترف من تحلّل فى الأخلاق ، وتعفــن فى الضمائر ، وأخذ بالمغريات الهابطة فى أسواق الشهوات .

كلّ ذلك كان له صداه ـ كما أرى ـ فى نفس الدكتور ، فكتب مقالات باكيةً تشكو قسوة الإنسانية فى الغرب ، وشراهَة الأطماع لدى المستعمرين . ثم تخطّى ذلك إلى النظر فى الإسلام وفى العروبة على نحو جديد ، فهذا الذى قد كانَ يُعلن أن أثر الإسلام فى مصر دون أثر الثقافة اليونانية قد سطعت الحقيقة أمام عينه ، فتحدث عن أثر الإسلام فى كلّ بلد أشرق عليه نوره بما ينفى هذا التلفيق المموّه الذّى ظهر للقارىء فى حديثه عن الصلة المتوهمّة بين مصر ودول البحر الأبيض المتوسط .

وقد آن أن ننقل إلى القارىء بعض ما قال الدكتور فى هذا المجال ، ننقله من خطاب رنّان ألقاه فى مؤتمر جهير بمصر ، ونشرته مجلة ( المجلة ) فى عددها الصادر بتــاريخ جمادى الآخر سنـــة ١٣٧٧ هـ الموافق يناير سنة ١٩٥٨ ما بين ص١٠ ، ص١٥ من صفحات هذه المجلة :

يقول الدكتور طه حسين بعـد حديث مستفيض عن أثر الأدب العربى فى إنماء القومية العربيـة عن الدولـة العربيـة التى حملت لواء الإسلام :

« أغرب ما تمتاز به هذه القومية العربية هو أنهّا عندما استقرتْ فى هذه البلاد لم تكتفِ بأن تستقر فى الشام حكومةً متسلطة ، أو فى العراق حكومةً متسلطة ، أو فى بلاد الفرس كذلك ، ولم تكتف بأن تملكَ الأرض ، ولم تكتفِ بإخضاع الناس للسلطان لأنهّا لم تُردْ أن تملك الأرض ، ولم تكن تريد أن تخضع الناس لسيطرة سياسية فحسب ، إنما كانتْ غايتها قبل كل شيء أن تملك القلوب . وتسيطر على الضمائر ، وأن تدخل فى أعماق الوجدان فى البلاد التى تفتحها وتستقر فيها ، بشرط أن يتم ذلك دون إكراه ودون عنف ، فبعد أن غلب المسلمون لم يَفرضوا على بلد من هذه البلاد لغتهم ، ولم يفرضوا عليها دينهم ، لأنّهم اكتفوا منهم بالأصول التى قررها الإسلام ، وهى الإسلام لمن أراد أن يسلم عن رضى ، أو أداء الجزية » .

إذن فقد أسرع الإسلام إلى القلوب والعقول والضمائر والوجدان ، ثم لم يسرع الإسلام وحده فالإسلام إنما هو مشتق قبل كل شيء من القرآن ، ومن حديث النبى ، والقرآن عربى ، والنبى عربى ، والذين يسلمون ويستطيعون أن يتعلموا الإسلام دونَ أن يعرفوا العربية ، لم يكونوا يكتفون بأن يعرفوا قواعد القرآن وأصوله ، وإنما هم فى حاجة إلى أن يؤدوا هذا الفرض الأساسى من فرائض الإسلام ، وهو الصلاة ، وهم فى حاجة إلى أن يعرفوا أصل هذا الإسلام وهو القرآن ، فما أسرع ما انتشرت اللغة العربية بينهم ، وأغرَب من هذا كله أن قرناً وبعض قرن قد مضى بعد الفتح ، وإذا هذه البلاد التى فتحت ، والتى بقى فيها أهلها ، أسلم منهم من أسلم ، وبقى منهم على دينه من بقى ، إذا هذه البلاد أخذت تتعلم اللغة العربية ، وتتقنها ، سواء منهم المسلم وغير المسلم ، وربما كان غير المسلمين أشد حرصا على تعلم اللغة وإتقانها .

الى أن قال الدكتور :

ونظر فى أواخر القرن الثانى فإذا كلّ هذه اللغات ـ لغات ما قبل الفتح ـ قد تَركتْ أماكنها من ألسنة الناس وعقولهم وقلوبهم بهذه اللغة العربية ، فالفرسُ يتكلمون العربيّة ويكتبونها ، ويزاحمون العرب أنفسهم فيزحمونهم ، وإذا الفرسُ هم الذين يضعون كتب النحو العربى وأصوله ، وإذا هم الذين يعنون بجمع اللّغة العربية وتدوينها ، ويشاركون العرب فى هذا كله ، ويغلبونهم عليه أحيانا ، واللّغات السامية التى كان الناس يتكلمُونها فى سوريا ، ويتكلمونها فى الجزيرة ، ويتكلمونها فى العراق ، عادت كلها إلى الأديرة ، وأصبح الناس يتكلّمون اللّغة العربيّة ، واللّغة العربية بطبيعتها أصبحت لغة السياسة ما دام الحكّام عربا ، ولكن اللّغة السياسية هذه التى يتكلمها الناس لم تلبث أن أصبحت لغة للثقافة والعلم أيضا .

وإذن فهناك قومية عربية أنشأها الإسلام ، ولم تكن تأتلف من عنصر عربى خالص ، وإنما كانت تأتلفُ من جميع هذه العناصر التى رأيتُموها ، ومن العناصر التى تسكن كل هذه البلاد ، فأنشأ الإسلام إذن أمّةً جديدة ، وجعل هذه الأمّة عربيّة ، عربيّة اللّغة وعربية التفكير والشعور ، عربيّة الحضارة ، عربيّة العلم والثقافة والأدب .

وتطرق الدكتور إلى حديث اللغة اليونانية فقال عنها وعن غيرها :

« وكانت اللّغة اليونانية قد سادت فى الشرق الذى نسميه الآن الشرق العربى ، وبنوع خاص مصر والشام والجزيرة ، ولكنها لم تستطعْ أن تمحو هذه اللّغات الوطنية ، فظل المصريون يتكلمون لغتهم القبطيّة ، وظل أهل الشام يتكلمون لغتهم السامية الآرامية ، وظل أهل الجزيرة والعراق كذلك ، وكانت اللّغة اللاتينية سائدة فى شمال أفريقية وفى أسبانيا ، ولكنها لم تستطع أن تقهر لغة البربر فى شمال إفريقيّة ، ولا أن تقهر الاسبانيين على أن يتركوا لغتهم الأولى ، ولكن اللّغة العربية جاءت فقهرت اليونانية ، وقهرت معها اللغات الوطنية أيضا ، وقهرت اللاتينيّة فى المغرب ، وقهرت معها اللغات الوطنية أيضا ، وقهرت الفارسية أربعة قرون تقريبا ، كل هذا إن دل على شيء فإنما يدلكم على قوة اللّغة العربية ، وقوة الطبيعة العربية ، وقوة هذا الدين الذى كان هو

العامل أو المؤثر الأول فى انتشار العرب خارج جزيرتهم ، ثم فى تكوين هذه الأمة العربية » .

. هذا قليل من كثير يتجه إلى ابراز أثر اللّغة العربية والإسلام فى إنقاذ معتنقيه ، وهو مما يَدحض رأى ( مستقبل الثقافة ) فى أن اللّغة العربية لاتدلّ على اتجاه مصر ، ولاتحول دون عدّها من دول البحر الأبيض المتوسط ، وإذا كانَ الدكتور قد تكلمَ عن الإسلام بما يوضّح أثره القومى عكس ما اتجه إليه فى مستقبل الثقافة حين قال : « إن السياسة شيء والدين شيء » وأفاضَ فى ذلك بما أشرنا إليه من قبل ، فإنّه فى مقال آخر نشره بعد أكثر من عشرين عاما من ظهور مستقبل الثقافة قد تحدثَ عن أثر الإسلام بما يُعفّى على كل مقال .

وقال طالعت المقال فى حينه منشورا بإحدى الجرائد اليومية وفى هذا المقال مابيّن أثر الإسلام الهام فى ارتقاء المسلمين والعرب ـ ومصر فى مقدمة السعداء به ـ كما يوضّح مكانته القوية فى نشأة القومية العربية التى يعنيها المخلصون ممن يجعلونها مستَقلّة براية هذا الدين الحنيف ، لا الذين يحاولون أن يحاربُوا بها الإسلام لضغائن محرقة تأكل أكبادهم ، وتوشك أن تأتى عليهم ، قال الدكتور طه حسين[5] .

لقد آثرت بالحديث اليوم مقوماً بعينه من مقومات القومية ، مقوماً يجب على كل مثقف أن يتحققه فى نفسه ، وأن يذيعَ العلم به ، ويشعر به فى أعماق القلوب من حوله أيضا ، وهذا المقوم هو الدين ؛ ذلك لأنّ الدين هو أول شيء أوجدَ القومية العربيّة

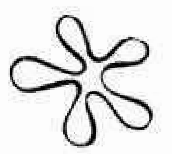
قال تعالى: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَا ﴾

وقال : ﴿ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمۡ وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ .. ﴾ ثم قال :

والإسلام حين أذكره إنما هو الإسلام الذى ألهمه الله إبراهيم عليه السلام ، هو الإسلام الذى أتاح لإبراهيم أن يكون خليل الله ، وأتاح له أن يضحّى بابنه عندما أمره الله بهذا ، ليمتحن إيمانه ويمتحن إسلامه .

« هذا الإسلام الذى ألهمه الله إبراهيم هو بعينه الذى ألهمه الله الأنبياء من ذريته هو أن الدين لله وحده لا شريك له ، ولا ندّ له » .

هذا هو بعض حديث الدكتور عن الدين وأثره فى المجتمع ! فهل يتذكره الذين قرءوا فى مستقبل الثقافة حديثه عن الدين مقارنين ومتأملين .



(٥) الادب والنصوص ط ١٤٠١ هـ ١٩٨١ م صفحات ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ تأليف الأساتذة حسين نصار ، وعز الدين اسماعيل ، ويوسف الحمادى ومحمد الشناوى .

# مسيرة الوحدة الموضوعية

# فى العصر العباسى الأول

د/ أحمد مصطفى حافظ

ظهر فى هذا العصر كوكبة من شعراء العربية الكبار ، من أمثال : المتنبى وأبى العلاء المعرى وأبى تمام والبحترى وأبى نواس وبشار بن برد وأبى العتاهية . بجانب بعض الشعراء المخضرمين الذين نشأوا فى العصر الأموى ، وامتدت بهم الحياة ، حتى شهدوا العصر العباسى الأول ، منهم : بشار بن برد ( ٩٦ هـ ــ ١٦٧ هـ ) وإبراهيم ابن هرمة ( ٧٠ هـ ــ ١٥٠ هـ ) ومروان ابن أبى حفصة ( ١٠٥ هـ ــ ١٨٢ هـ ) وآدم بن عبدالعزيز بن عمر بن عبدالعزيز ( حفيد الخليفة الخامس العادل : عمر بن عبدالعزيز ) وقد توفى آدم عام ١٦٠ هـ ، وأثر عنه بعض الشعر الصوفى ، الذى تأثرت به ( رابعة العدوية ) التى توفيت ١٨٥ هـ ، من ذلك قوله ــ فى حب الذات الإلَهية :

أحـــبك حُبَّيـــــن : لى واحـــــد ... وآخـــــر أنك أهـــــل لذاكا
فأمـــا الـــــذى هو حب الطبـــــاع ... فشىء خُصصت به عن سواكا
وأمـــا الـــــذى هو حب الجمـــــال ... فلست أرى ذاك حتـــــى أراكا
ولست أُمـــنُّ بهذا علـــــيك ... لك المَنُّ .. فى ذا وهـــذا وذاكا

وقد اقتبست رابعة العدوية هذه الأبيات ، معنى وثوبا ، وإن كانت أعمق غرسا وأكثر صفاء ، كما يقول الدكتور مصطفى الشكعة[1] .

وقد جاءت أبيات رابعة ، فى وحدة موضوعية أكثر تلاحماً ورونقاً ، بقولها :

أحـــبك حُبَّيـــــن : حب الهوى ... وحُبًّـــا لأنك أهـــــل لذاكا
فأمـــا الـــــذى هو حب الهوى ... فَشُغْلى بذكـــرك عمَّـــن سواكا
وأمـــا الـــــذى أنت أهـــل له ... فكَشْفك لى الحُجْبَ .. حتى أراكا
فلا الحمـــــد فى ذا ولا ذاك لِى ... ولكـــن لك الحمـــد ، فى ذا وذاكا

★ ★ ★

(١) أنظر كتاب ( الشعر والشعراء فى العصر العباسى ) ص٥٧ الطبعة الثالثة ١٩٧٩ .

وقد حرصنا على عمل مَسْح شامل ، لنماذج ولآلىء شعر الوحدة الموضوعية ، بتسلسل تاريخى ، يبرز صورها وسماتها المختلفة ، وتطوراتها الفنية .. كما حرصنا على انتقاء أبرز هذه النماذج ، وأكثرها دلالة على موضوعنا وبما يساعد على تفنيد مزاعم بعض المستشرقين ومن شايعهم من نقادنا ومثقفينا ، فيما ذهبوا إليه من افتقاد القصيدة العربية للوحدة العضوية ، التى لا ينبو فيها بيت عن موضعه .

وقصائد الوحدة الموضوعية ، فى العصر العباسى من الكثرة بحيث يصعب حصرها ، وخاصة بعد متغيرات العصر ، وما حفل به من نهضة عظيمة فى حقل الترجمة عن الفارسية والهندية واليونانية ، وحياة الرغد والرفاهية التى سادت حقبة خلفاء العصر العباسى الأول ، وواكبها ثراء فنى فى لغة الشعر ، بدا فى روعة التصوير ، والزخارف اللفظية ، والمحسنات البديعية وبخاصة عند الشاعر أبى تمام .

وأصبحت القصيدة ، فى كثير من صورها ، أشبه بزهرة نضيرة ، منسقة الأوراق ، بتحبير الفن الشعرى ، فى نظام دقيق ، وتصفيف أنيق .. ولم يقتصر الأمر على الشعراء المنقطعين لإبداع الشعر وحده ، بل تجاوزه إلى الكتاب الذين قرضوا الشعر أيضاً ، فى النزر القليل ، الذى أثر عنهم ، كالقاضى عبدالعزيز الجرجانى ، صاحب كتاب ( الوساطة بين المتنبى وخصومه ) الذى ينشد قصيدة من أرفع طُرُز الوحدة الموضوعية ، يصف فيها حالته النفسية ، ونوازعه فى حقل العلم والمعرفة ، بقوله :

| | |
|---|---|
| يقولــون لى : فيك انقبــاض ، وإنما | رَأَوْا رجلا ، عن موقف الذل أحجما |
| أرى الناس مَنْ داناهمُ هان عندهــم | ومن أكرمتــه عزةُ النــفس أكرمــا |
| ومــازلت منحــازا بعــرضىَ جانبــا | من الــذم .. أعْتــدُ الصيانــة مَغْنما |

* * *

| | |
|---|---|
| إذا قيل لى : هذا مشربٌ ، قلت قد أرى | ولكــنّ نفسَ الحر تحتمــل الظمـــا |
| ومـــا كل برق لاح لى يستفـــزُّنى | ولا كل أهل الأرض .. أرْضَى .. منْعما |
| ولم أقْض حقَّ العلم ، إن كان كلمــا | بدا طمـــعٌ صيَّرتـــهُ لِىَ مغنما |
| ولم أبتــذل فى خدمة العلم مهجتـــى | لأخدم من لاقيتُ ، لكــنْ لأُخدمــا |

* * *

| | |
|---|---|
| أأشقــى به غَرْسا ، وأجنيــه ذِلــةً | إذنْ .. فاتِّبــاع الجهــل قد كان أحْزما |
| ولــو أن أهــل العلم صانوه .. صانهم | ولــو عَظَّمــوه فى النفوس .. لَعُظِّمــا |
| ولكــنْ أذلُّــوه جهــارا ودنَّســوا | مُحيَّاه بالأطمــاع .. حتــى تجهمــا |

● ● ●

هل يستطيع ( مُغيثُ ) أن يمارى فى وحدة موضوع هذه الأبيات أو ينال من روعتها ..؟!
إذن ، ماذا يقول ـ بشأنها : إذا أراد أن يصرفها عن وحدتها ..؟

ولابن الرومى طاقة فائقة فى دقة الوصف ، وتلاحم السياق فى معظم شعره ، يقول ـ فى وصف مهارة صانع الرقاق :

**ما أنسى لا أنسى خبازا مررت به ... يدحو الرقاقة مثل اللمح بالبصرِ**
**ما بين رؤيتها فى كفه كرة ... وبين رؤيتها قوراء كالقمر**
**.. إلا بمقدار ما تنداح دائرة ... فى لجة الماء .. يُلقى فيه بالحجر**

ولابن الرومى اتجاه جديد فى فن المراثى ، ظهر فى رثائه لمدينة البصرة ، بعد هجوم الزنج عليها ٨٠٠ م[٢] ، فى قسوة وشرساة ، أثناء احتدام الصراع على كراسى الحكم ، فى العصر العباسى الأول .. وأبيات المرثية تتسم بالصور الفنية التى تصف بدقة تامّة ما حدث من غدر وبطش ، بتتابع ووحدة موضوعية متنامية ، بقوله :

**زادَ عن مُقْلتى لذيذَ المنامِ ... شُغْلَهَا عنه بالدموع السِّجام**
**أى نوم من بعد ما حلَّ بالبصـ ... ـرة .. ما حل من أمور عِظام**
**أى نوم من بعدما انتهك الزَّنـ ... ـجُ جهارا .. محارم الإسلام**
**بينا أهلها بأحسن حالٍ ... إذْ رماها عبيدهم باصطلام**
**.. دخلوها كأنهم قِطَع الليـ ... ـل .. إذا راح مدلهم الظلام**
**كم أغَصُّوا من شارب لشراب ... كم أغَصُّوا من طاعم لطعام**
**كم ضنين بنفسه رام مَنْجىً ... فتلقوا جبينه بالحسام**
**كم أخ رأى أخاه صريعا ... تَرِبَ الخدِّ .. بين صَرْعَى كرام**
**كم أب قد رأى عزيز بنيه ... وهو يُعْلى بصارم صمصام**
**كم رضيع هناك قد فطموه ... بشبا السيف قبل حين الفطام**
**كم فتاة مصونة قد سَبَوْها ... بارزا وجهها بغير لثام**
**صبَّحوهم فكابد القوم منهم ... طول يوم .. كأنه ألف عام**

إلى أن يعطينا صورة مؤلمة للنساء : تجعل الدم يغلى فى العروق ، لأنها تذكرنا بما يفعله الصرب بالحرائر المسلمات فى أيامنا هذه فى ( البوسنة والهرسك ) ، تحت سمع العالم ( المتمدن ) الحديث ، حين يستتلى ابن الرومى قائلا :

---

(٢) هى ثورة جمع لها بعض الزنوج الذين لم يَرْضَوْا حكم الإسلام وأغْرَوْا بعضهم بالمشاركة فى الفتنة ، بينما اعتزلها صالحو الزنج ... مجلة الأزهر .

مَن رآهـــن فى المساق سَغيـــا — راميـاتِ الوجـــوهِ .. للأقـــدام
عرِّجـا صاحبـىَّ بالـنصرة الزهـرا — ء ، تعـريج مدنـف ذى سقـام
فاسألاهـــا ـ ولا جوابَ لديها ـ — لسؤال .. ومـــن لها بالكـلام :
ـ أيـن ضوضاء ذلك الخلْـق فيها — أيـن أسْواقهـا ذوات الزحـام ؟
أيـــن فُلكٌ منها وفـــلك إليها — مُنشآت فى البحـــر كالأعـــلام
أين تلك الـقصور والـــدور .. فيها — أيـــن ذاك البنيـــان ذو الإحْكـــام
بُدِّلت تلك بالهوان .. بِذُلٍّ — بعـد طول التبجيـــل والإعْظـــام

★ ★ ★

وبعدما شاع فى العصر العباسى ، من ألوان اللهو والمجون ، التى أسهب أبو نواس فى وصفها والتغنى بها ، بجرأة وبلا مبالاة .. جاء رد الفعل عند أبى العتاهية ، متمثلا فى إنشائه لقصائد رائعة فى الزهد ، والانصراف عن زخارف الدنيا ومباذلها ، إذْ هى ظل زائل ولون حائل ..

ولعل أشهر قصائد أبى العتاهية فى الزهد ، والتذكير بالموت ، والاستعداد لملاقاته ، هى تلك القصيدة التى تشتمل على بيته المشهور الذى يتوجه فيه بالخطاب إلى مسلم بن عمرو الأمر الذى جعل هذا البيت ، بعد ذلك ، مضرب الأمثال ، وتلك هى القصيدة ذات الأبيات المتآلفة المتلاحمة :

نعـى نفسى إلـــىَّ من الليـــالى — تصرفهــــن .. حالا بعـــد حال
فمـا لى لستُ مشغـولا بنـــفسى — وما لى لا أخـاف الموت .. ما لى ؟
لقـــد أيْقـــنت أنى غير باقٍ — ولكنـــى أرانى .. لا أبـــالى
أمـــا لىَ عبرةٌ فى ذكـــر قوم — تفانـــوا ، ربما خطـــروا ببـــالى
كأن مُمـــــرِّضى قد قام يمشى — بنعشى ، بين أربعـــةٍ عِجـــال
وخلفـــى نسوة يـــبكين شجـــوا — كأن قلـــوبهن على مَقـــال[3]
سأقنـــعُ ما بقـــيت بقـــوت يوم — ولا أبْغـــى مُكاثـــرةً بمال
تعـــالى الله يا سَلْـــمَ بْن عمـــرو — أذلَّ الحِـــرْصُ أعنـــاق الرجـــال
هَبِ الدنيـــا تُساق إلـــيك عفـــوا — ألـــيس مصير ذاك إلى زوال
فمـــا ترجـــو .. بشىء ليس يبقـــى — وشيكـــا .. ما تُغيِّـــره الليـــالى
وحـــقك كلُّ ذا يفنـــى سريعـــاً — ولا شىءٌ يدوم مع الليـــالى
خَبَـــرْتُ النـــاسَ قرنـــا بعـــد قرن — فلـــم أر غير ختَّـــال وقـــال
وذُقْت مرارة الأشيـــــاء طرا — فمـــا طعـــم أمَـــرّ من السؤال

---

(3) مَقال : جمع مِقلاة تحت نار موقدة .

ولم أرَ فى الأمـــور أشد وقعـــا ... وأصعب من معـــاداة الرجـــال
ولم أر فى عيـــوب النـــاس عيـــا ... كنـــقص القادريـــن .. على الكمـــال

فأما أبو نُواس فقد انتهى إلى التوبة فى أخريات حياته ، وأقر بذنبه وندمه ، وقال يناجى ربه قبيل وفاته ، بأبيات متشابكة المعانى ، متحدة الغرض :

إلَهـــى لا تعذبنـــى فإنى ... مُقـــر بالـــذى قد كان منـــى
ومـــا لى حيلـــة إلا رجـــائى ... وعفوك إن عفوت وحُسْـــن ظنـــى
فكـــم من زلـــة لى فى البرايـــا ... وأنت علـــىَّ ذو فَضْل ومَـــنِّ
إذا فكـــرتُ فى ندمـــى عليها ... عضضت أنـــاملى ، وقـــرعت سنـــى
يظـــن النـــاس بى خيرا ، وإنى ... لشر النـــاس إن لم تعـــفُ عنـــى
أجـــنّ بزهـــرة الدنيـــا جنونـــا ... وأفنـــى العمـــر فيها بالتمنـــى
وبين يدىَّ مُحتـــبَس طويـــل ... كأنى قد دُعـــيتُ له .. كأنى !
ولـــو أنى صَدَقْت الزهـــد فيها ... قَلَـــبْتُ لأهلهـــا ظهـــر المجن

وكان أبو نواس قد قام بأداء فريضة الحج ، وأمام مشهد الحجيج المتسم بالجلال والأصوات الضارعة بالتلبية والتكبير والتهليل ، وجد أبو نواس نفسه ، ينشد من أعماق فؤاده ، هذه التلبية المتكاثفة الجميلة ، المتساوقة المقاطع والترديدات :

إلهنـــا ما أعـــدلك ... ملـــيك كلِّ من ملك

لبيك .. قد لبيت لك

لبـــيك إن الحمـــد لك ... والمُـــلك ، لا شريك لك
ماخـــاب عبـــد سألك ... أنـــت لـــه .. حيـــث ســـلك

لولاك يا ربِّ هلك

لبيـــك إن الحمـــد لك ... والملـــك لا شـــريك لـــك
كـــل نبـــى وملـــك ... وكـــل من أهَـــلَّ لك
وكـــل عبـــد ســـألك ... ســـبح أو لَبَّـــى .. فلـــك
لبيـــك إن الحمـــد لك ... والملـــك لا شـــريك لـــك
والليـــل لمـــا أن حلـــك ... والســـابحات فى الفلـــك

على مجارى المَنْسَلَكْ

لبـــيك إن الحمـــد لك ... والملـــك لا شـــريك لـــك

اعمــلْ وبــادِرْ أجلـــك — واختِــمْ بخيــرِ عملـــك
لبيــك إنَ الحمـــد لـــك — والملــك لا شــريك لـــك

* * *

وهذا العصر كسابقه لا تقتصر فيه القصائد ذات الوحدة الموضوعية على غرض دون غرض ، بل نراها تتسع لتشمل العديد من الموضوعات المتنوعة ، كقول العباس بن الأحنف يصف حال الفقير بين الناس :

يمشى الفـــقير وكل شىءٍ ضده — والنـاس تُغلـق دونــه أبــوابها
وتــراه مبغـوضاً ، ولـيس بمذنب — ويرى العـداوة .. لا يرى أسبـابها
حتى الكـلاب .. إذا رأت ذا ثروة — خضعتْ لديـه وحـرَّكتْ أذنــابها
وإذا رأت يومــاً فقيراً عابـــراً — نبحت عليه .. وكشَّرتْ أنيـابها !

وقول عمرو بن كلثوم العتابى فى وصف الطبيعة وقت هطول المطر :

أرقت للبرق يخْفَــى ثم يأتِلـــقُ — يخفيــه طورا ويبديــه لنــا الأُفُــقُ
كأنـــه غُرة شهبـــاءُ ، لائحـــة — فى وجهه .. دهماء ما فى جِلْدِها بلَق[4]
أو سلــة للبـيض فى جأواء مظلمــة — وقد تلقَّتْ ظُباها البيض والدرق[5]
والـغيم كالثـوب فى الآفاق منـتشر — من فوقــه طبــق من تحتــه طبـــق
تظنــه مُصْمتــاً لافَتْــق فيـــه ، فإن — سالتْ عواليه قلت : الثوبُ مُنْفتــق
إن معمع الرعد فيه قلت : ينخرق — أو لألأ البرقُ فِيــه .. قُلتَ : يحتـرق
تستك من رعـده أُذْنُ السمـــع كما — تعشى إذا نظرت ، من برقه الحِدَق
فالرعد صَهْصلقٌ ، والريح منخــرق — والبرق مؤتلـــق ، والماء منبعـــق[6]
قد لاح فوق الربـــا نَوْرٌ له أرَجٌ — كأنــه الـــوشىُ والديــاج والسرق
من صفـــرة بينها حمراء قانيـــة — وأصفــر فاقـعٌ أو أبـيض يقق[7]

( الحديث موصول )

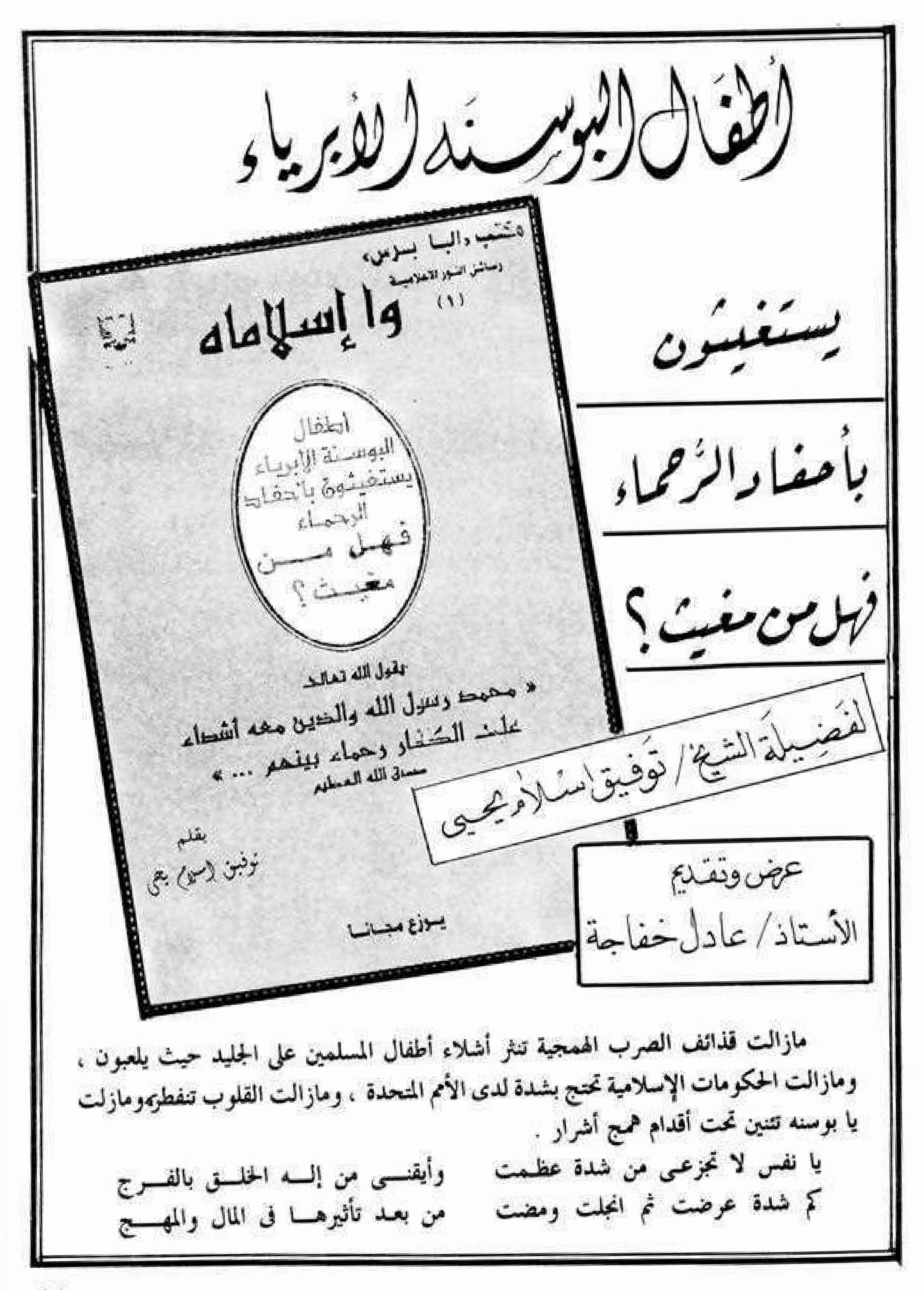
---

(٤) البلق : السواد والبياض .

(٥) الجأواء : يجمع لونها بين السواد والغبرة والحمرة .

(٦) الصهصلق : الصوت الشديد . أو العجوز المرتفعة الصوت بصخب . منبعق : أى انصب بشدة .

(٧) يقق : شديد البياض .



# أطفال البوسنة الأبرياء

## يستغيثون

## بأحفاد الرحماء

## فهل من مغيث ؟

لفضيلة الشيخ / توفيق إسلام يحيى

عرض وتقديم

الأستاذ / عادل خفاجة



مازالت قذائف الصرب الهمجية تنثر أشلاء أطفال المسلمين على الجليد حيث يلعبون ، ومازالت الحكومات الإسلامية تحتج بشدة لدى الأمم المتحدة ، ومازالت القلوب تتفطر، ومازلت يا بوسنه تئنين تحت أقدام همج أشرار .

| | |
|---|---|
| يا نفس لا تجزعى من شدة عظمت | وأيقنى من إله الخلق بالفرج |
| كم شدة عرضت ثم انجلت ومضت | من بعد تأثيرها فى المال والمهج |

تلك الأبيات نلتقطها من ثنايا الكتاب الذى نقدمه للقارىء الكريم ، ويحمل عنوان « وا إسلاماه .. أطفال البوسنه الأبرياء يستغيثون بأحقاد الرحماء فهل من مغيث ؟ » وهى أبيات تحمل فى طياتها مفتاح شخصية المؤلف ، وتحمل عزاءً لما تلقاه البوسنه من بلاء .

يقع الكتاب فى مائة صفحة من القطع الصغير ، صدر عن مكتب « البابرس » بمدينة نصر ـ القاهرة ، فى أكتوبر ١٩٩٣

أما مؤلفه :

فهو فضيلة الشيخ توفيق إسلام يحيى ، ولد قبيل انتهاء الحرب العالمية الأولى بمدينة « جاقووه » إحدى مدن إقليم « كوسوفو » الألبانى بجنوب يوغوسلافيا ـ سابقاً ـ .

قدم إلى مصر ، والتحق بالجامع الأزهر إلى أن حصل على « العالمية » أعلى شهادة فى الأزهر سنة ١٩٤٨ .

لم يستطع العودة إلى بلاده ؛ حيث كانت المقصلة الشيوعية فى انتظاره . حصل على الجنسية المصرية سنة ١٩٥١ ، وعمل مدرساً بمعهد الفيوم ، ثم رقى مفتشاً للعلوم الدينية ، ثم أرسل مبعوثاً للأزهر إلى الجزائر ١٩٧٦ ، فمبعوثاً إلى الصومال ، وعاد إلى منصبه ١٩٧٢ . ثم إلى المدينة المنورة على ساكنها أزكى التحية والسلام

شغل فضيلة المؤلف منصب المستشار العلمى لوزير الأوقاف حتى ١٩٨٢ .

حذر المؤلف المسلمين من خطر الصرب وقد أشار إلى ذلك قبل أن يحدث بوقت كاف ،




خريطة موضح عليها موقع البوسنه والهرسك

ونشرت له مجلة الأزهر تحذيره فى عدد رمضان ١٤٠٩/ابريل ١٩٨٩[1] .

والكتاب الذى بين أيدينا ونقدمه للقارىء العزيز يعد تنبيهاً آخر لتحذير المسلمين مما يحاك لهم ، وإلى ما يراد بالبوسنه على وجه الخصوص .

## أصل البوسنه

بدأ فضيلة الشيخ كتابه بفصل عن « أصل البوسنيين » ، وخلص إلى أنهم من جنس السلاف « الصقالبة » كالصرب والكروات . ثم فند ادعاء الصرب أن أرض البوسنة والهرسك أرضهم ، وخاصة أن هذه الأرض لم تخضع للصرب طوال ثلاثة عشر قرناً من الزمان إلا عشر سنوات .

---

(١) يرجع إلى مقال للمؤلف بعنوان : « ماذا يجرى فى كوسوفو الإسلامية ؟ » مجلة الأزهر ص٩٨٦ .

ثم يُعرِّج على عقيدة البوسنيين قبل الإسلام ، ويوضح أن عقيدتهم التي كانت تعرف بـ « البوجوميل » أى : محب الله - تختلف اختلافاً كبيراً عن المذهبين الأرثوذكسي والكاثوليكي ، وهى أقرب ما تكون إلى مذهب التوحيد ؛ لذلك فهى قريبة الشبه بمبادىء الإسلام ، ويُظن أنها ما تبقى من دين إبراهيم - عليه السلام .

وعن انتشار الإسلام فى البوسنة والهرسك ، يرد المؤلف افتراء المدعين أن الإسلام انتشر بحد السيف ، ويوضح كيف انتشر الإسلام على أيدى التجار الذين فهموا الإسلام على حقيقته ، فلم يجدوا صعوبة فى نشره بين المتعاملين معهم .

ثم يعرض « مشروع شيخ شيوخ علماء البوسنة والهرسك » والذى كان يهدف إلى الربط بين مسلمى البلقان جميعاً ، وكيف حورب هذا المشروع ، حتى أن الصرب ركزوا قصفهم المدفعى على قرية « عربوشا » التى ولد فيها رئيس العلماء « جمال الدين تشاوشويتش » صاحب هذا المشروع .

وعن مظاهر الإسلام فى البوسنه والهرسك وكيف تفتحت براعم الحضارة الإسلامية فيها فى فترة وجيزة .

يقدم فصلا يوضح فيه أن الحضارة فى البوسنة والهرسك أصبحت صورة مصغرة للحضارة الإسلامية فى « الأندلس الشهيدة » ، وحلت محلها .

يأتى بعد ذلك فصل فيه خلاصة فكر المؤلف فى هذا الموضوع وقد عنونه بـ « نكبة المسلمين فى البوسنه والهرسك ليست هى الأولى ولن تكون الأخيرة » .

وفى هذا الفصل يوضح أن النكبات التى مُنِىَ المسلمون بها ، إنما هى البوتقة التى يطهر الله بها عباده ، فتنجلى قلوبهم وتنكشف الغشاوة عن أبصارهم وبصائرهم ، فيعود النور إلى قلوبهم ، ويعودون أكثر قوة ونشاطاً وإيماناً .

يقول فضيلته :

« ... هكذا كان حال المسلمين قبل النكبة الأولى : نكبة المغول « التتار » هذه النكبة الوحشية التى قضت على حضارة الإسلام فى الشرق . واسودت مياه دجلة من حبر مئات الآلاف من المجلدات العلمية فى العلوم المختلفة . هذه النكبة الغاشمة أيقظت المسلمين من سباتهم وقربتهم إلى الله - عز وجل - فاستردوا حيويتهم ونشاطهم ، واستطاعوا فى زمن وجيز أن يعيدوا إلى الحياة الحضارة الإسلامية التى قضى عليها التتار .

وحينما بدأوا ينسون الله - تعالى - من جديد ابتلاهم الله - سبحانه وتعالى - بنكبة أخرى هى : نكبة الراهب « بطرس » الذى أخذ يطوف بأنحاء أوروبا ليثير الأهالى ويستفزهم لاستخلاص البيت المقدس من أيدى المسلمين . تمكن ( بطرس ) من جمع عدد عظيم من الأرقاء والمساجين والأشقياء ، بلغ عددهم كما يذكر التاريخ ثلثمائة ألف ، ساروا متوجهين إلى القدس الشريف من غير نظام ، واقترفوا فى سيرهم فظائع وجرائم حملت المجرمين والبيزنطيين على قتالهم ، وأفنوا منهم عدداً كبيراً وما بقى منهم عبروا

الدردنيل ، لكن السلاجقة سحقوهم سحقاً . ثم تكررت الحروب الصليبية التي قتلت جيوشها في يوم واحد سبعين ألفاً من المسلمين في بيت المقدس . وأسجل هنا للحاقدين على الإسلام وأعداء المسلمين جزءً من « صورة خطاب أرسله رئيس الصليبيين إلى البابا للتهنئة ، يقول فيه : « إذا أردت أن تعلم بما جرى لأعدائنا ، فثق إن في إيوان سليمان ومعبده ، كانت خيلنا تخوض في بحر من دماء الشرقيين إلى ركبتيها » .

استمـــرت هذه الحروب إلى أن أذن الله ـ سبحانه وتعالى ـ بتجلية قلوب المسلمين وصقلها وإعادتها إلى حالتها الأولى .

ويذكر لنا المؤلف بعض هذه النكبات التي منى المسلمون ، بها بداية من :

● نكبة التتار .

حتى نكبة المسلمين في البوسنه والهرسك .

ويخلص المؤلف من سرده للنكبات التي منى المسلمون بها إلى أنهم لما عادوا إلى الله خالقهم ، عادوا أقوى وأشد .

ويستنتج من ذلك أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ لن يترك عباده المؤمنين ، ماداموا مستمسكين بحبله المتين ؛ لذلك يخصص فصلا يحذر فيه أعداء الله وأعداء المسلمين ، ويدعوهم وعلماءهم إلى نبذ كراهيتهم للإسلام والمسلمين ، وأن في ذلك خيراً لهم .

وعمن نصبوا أنفسهم حماة للإنسان وحقوقه ، كتب فضيلته :

« جماعة قيادية في الغرب نصبوا أنفسهم حماة لحقوق الإنسان . إذا قامت دولة من الدول ـ لا صلة لهم بها ـ بمعاقبة بعض مواطنيها لأفعال ارتكبوها واعتبرتها الدولة تهديداً لأمنها وسلامتها واستقرارها ، مع العلم بأنها صاحبة الحق في تحديد مقدار هذا التهديد ، هاج حماة حقوق الإنسان وماجوا ، وطالبوا الدولة بالإفراج عن المعتقلين والمسجونين وإلا عاملوها معاملة خاصة من حيث التعاون والتعايش وتبادل المنافع ؛ للضغط عليها حتى تضطر إلى الخضوع لأوامر هؤلاء الحماة المخادعين .

**هؤلاء الحماة لحقوق الإنسان يرون دماء المسلمين تجرى أنهاراً ؛ نتيجة اعتداء دولة مجاورة عليهم ، فتقتل رجالهم ونساءهم وأطفالهم بأبشع الوسائل ، وتهدم بيوتهم عليهم وهم أحياء ثم يصبون الغاز على أنقاض البيت يموت بالنار من لم يمت منهم بالهدم ، حماة حقوق الإنسان وزعماء الدول الغربيـة يرون هذه المآسى البشعـة فلا يحركون ساكناً . سلوك حماة حقوق الإنسان وزعماء الدول الغربية أمام نكبة المسلمين في البوسنه والهرسك متناقض تماماً مع ادعاءاتهم بضرورة المحافظة على حقوق الإنسان .**

**تبين واضحـاً يا حماة حقـوق الإنسان ويا زعماء الدول أن مصداقيتكم مزيفة ، وأنكم تؤيدون المعتدين على مسلمى البوسنه والهرسك ، مع شهادتكم بأن مسلمى البوسنه من أصل طيب يتعاملون مع جميع الأديان ويتعايشون معهم تعايشاً سلمياً من غير تمييز .**

**ومن الغريب أن هيئة الأمم لا تدافع عن الدولة المعتدى عليها مع اعترافها باستقلالها ، وتفرض حصاراً على المعتدى والمعتدى عليه ، تغمض العين عن خرق المعتدى لقرار الحصار ، وتهدد المعتدى عليه بعدم خرق قرار الحصار....**

**ماذا يا ترى سيكتب التاريخ عن حماة حقوق الإنسان بعد سنين عدداً !؟! »**

ثم نصل مع المؤلف إلى « فصل الفصول » لُبّ الكتاب ، وقد خلع عليه المؤلف من عنوان الكتاب فسماه « أطفال مسلمي البوسنه والهرسك يستغيثون .. فهل من مغيث ؟ هذا نداء من سويداء قلوب أطفال أبرياء إلى أحفاد الذين وصفهم الله ـ تعالى ـ بالرحماء » .

نقتطف منه ما يلي :

« من أفجع المآسى الوحشية التى نكب بها مسلمو البوسنه والهرسك فوق ما هم فيه من فظائع بشعة فقدهم لفلذات أكبادهم .

أكثر من ( ٥٠٠٠٠ ) خمسين ألف طفل مسلم فقدوا فى أثناء مطاردة الصرب لآبائهم ، خلاف مئات الأطفال الذين قتلتهم المليشيات الصربية ، ثم قطعوا رءوسهم ولعبوا بها لعبة الكرة أمام من أبقوه حياً من هؤلاء الأطفال .

أراد الصرب بذلك القضاء على رجال المستقبل ـ أيضاً ـ حتى تسلم لهم « البوسنة والهرسك » بلا منازع .

فور انتشار هذا الخبر فُتحت أبواب الفاتيكان وبقية الكنائس فى أوروبا وأبواب الجمعيات التبشيرية بها ، وبسرعة البرق انطلق من هذه الأبواب قسسها ورهبانها وراهباتها ومعاونوهم كالخيول الجامحة قاصدين ( البوسنه والهرسك ) ، وانتشروا بين عشية أو ضحاها حول حدود ( البوسنه والهرسك ) . وإذا رأوا أمامهم حافلات مليئة بهؤلاء الأطفال مقبلة عليهم يسارعون إليها ، ويمدون أيديهم إلى رجال الصليب الأحمر ينتزعون هذه البراعم المتفتحة البريئة التى لا تعلم من أمر الدنيا شيئاً ، ثم يتعمدون الوقوف أمام الكاميرات لالتقاط صور لهم والأطفال فى أحضانهم متظاهرين بالبشاشة العالية على وجوههم . ولا أحد يعلم إلا الله ـ سبحانه ـ ما يضمرونه فى قلوبهم ، ثم يرجعون مسرعين بهم إلى المصير المجهول . هذا المصير المجهول هو التنصير بدون شك .

نشرت لجنة الإغاثة الإسلامية فى كتابها « قادم من البوسنه الهرسك ص ٢٩ » قصة طفلة عمرها ثمانى سنوات ، تسمى « طيبة » إنها تنصرت ، لكن الله ـ سبحانه ـ أنقذها ، سألها مندوب اللجنة ما الذى جعلك تتنصرين أيها الطفلة ؟ قالت : كان الرجل يأتى إلىَّ يقدم لى الطعام ويقدم لى الحلوى ويعطف علىَّ ، وتوافق إدارة المعسكر على أن أخرج معه لأتنزه . ثم أذهب معه إلى الكنيسة ، ثم أصلى بالكنيسة ، ويريني كيف تكون العاطفة ... وكيف يكون الارتباط ... الخ إلى هنا يكفى النقل .

**أما أحفاد الرحماء الذين تحدث الله ـ تعالى ـ عنهم فى كتابه المبين حيث قال :**

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾(٢) هؤلاء الأحفاد كانوا يتناولون ـ فى قاعات مميزة ـ إلقاء الكلمات ثم ينصرفون باسطين أيديهم كالبسط المذكور فى بيت الشاعر :

وفى بسطها عند الممات إشارة

ألا فاشهدوا إنى خرجت بلا شىء

كيف يخرجون من مجتمعاتهم بلاشىء وهم يمثلون فى المنظمة ستاً وأربعين دولة إسلامية ؟! كانوا يستطيعون أن يتخذوا قراراً فى نصف ساعة

(٢) سورة الفتح الآية ٢٩ .

بجمع أطفال مسلمى « البوسنه والهرسك » الضائعين بواسطة الاتصال بجميع البلاد المحيطة بالمنطقة الملتهبة « البوسنه والهرسك » .

فى الحق أن نكبة البوسنه والهرسك ساهم فيها المسلمون بموقفهم بأكثر مما فعل الصرب والكروات .

نداء يتجدد يومياً من أطفال البوسنة

إن هؤلاء الأطفال الأبرياء الذين لا يزالون فى مصيرهم المجهول ، تجدد قلوبهم البريئة كل يوم نداءاً إثر نداء إلى أحفاد الرحماء الذين ذكرهم الله – سبحانه – فى كتابه الكريم بأن يمدوا لهم أيديهم بأطواق النجاة من العذاب الذى يلازمهم ، والمصير المجهول الذى يحيط بهم . يرجون من أحفاد الرحماء – رضى الله عنهم – إنقاذهم من الهلاك الذى يهددهم ، يرجون منهم أن يعيدوا إليهم ثقتهم بأنفسهم ، واعتزازهم بدين آبائهم ؛ ليكونوا فى المستقبل جنوداً يحمون بدمائهم دينهم ، وعرضهم ، وأرضهم

**هم ينادون كل يوم أحفاد أبى بكر وعمر وعثمان وعلى – رضى الله عنهم – وغيرهم من أبطال الإسلام مستغيثين بهم لإنقاذهم مما هم فيه .**

فهل من مغيث ؟!

وتتوالى فصول الكتاب تسجل بعض الأمثلة الشاهدة على بشاعة ووحشية الصرب ضد مسلمى البوسنه والهرسك وضد أطفالهم الأبرياء .

وفى نهاية الكتاب يقدم بعض جهود الدول الإسلامية لمساعدة البوسنه والهرسك مبرزاً دور مصر والمملكة العربية السعودية .

وبعد ، فالكتاب يعد كلمة عتاب يقولها أحد أبناء « جاقووه » لأحفاد الرحماء أفلا يذكرون قول الله – تعالى – : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ .

ثم أما بعد ، فحمداً لله – تعالى – أن البوسنة مازال أهلها يقولون :

« أحدٌ ، أحد ، فرد صمد » .

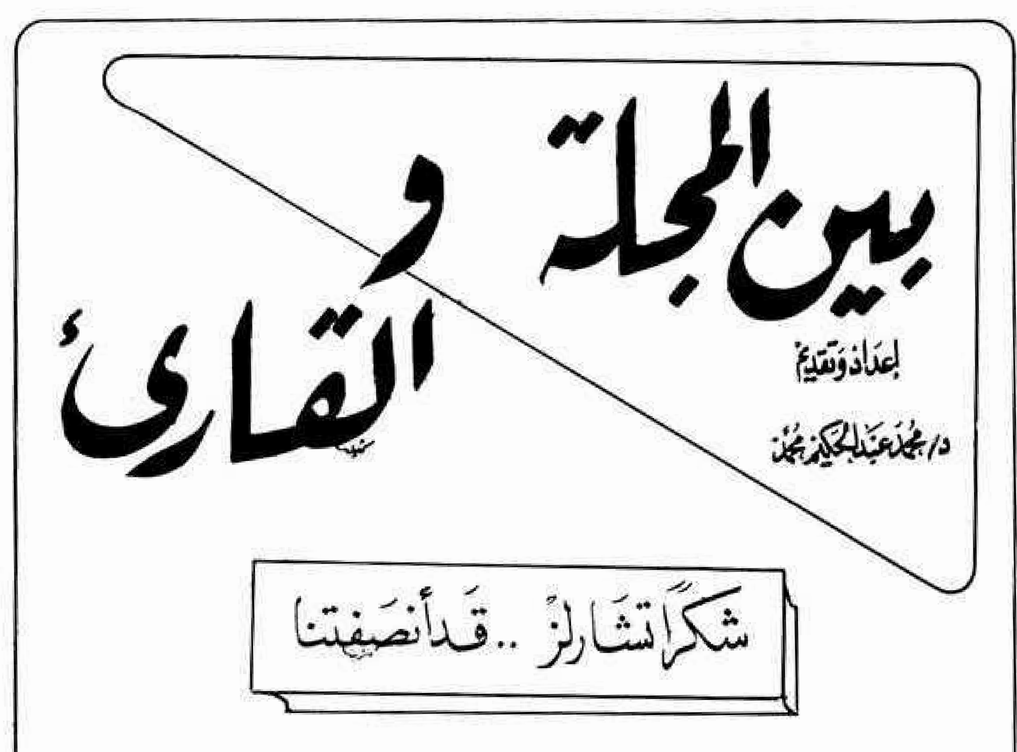
قالت إحدى الطبيبات المسلمات من أهل البوسنه لفضيلة الأستاذ جمال قطب عضو مجلس الشعب المصرى ومبعوث فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر إلى البوسنه : « إن الله لم يحرمنا أئمة يشاركوننا ، فقد تمزقت نياط قلبى منذ أسابيع حينما رأيت إمام مسجد ( يرحمه الله ) قد قطعوه ، وقيل لى : لم يكن بينه وبين النجاة إلا أن يرفع ثلاثة أصابع من أصابع يده ( مشيراً إلى قبوله التثليث ) فامتنع ، وأشار بالسبابة – وحدها – مثبتاً عقيدة التوحيد[٣] .

وأما اليوم وقد عرف الناس ألواناً أخرى من التعذيب تتناسب مع ( علوم ) القرن العشرين ؛ فإننا نقول :

صبراً أهل البوسنه .... فإن موعدكم الجنة .

---

(٣) راجع : الأزهر فى البوسنه والهرسك : للأستاذ جمال قطب هدية مجلة الأزهر لشهر صفر ١٤١٣هـ ص٥٨ ، ٥٩ .




أثارت محاضرة الأمير « تشارلز » ولى عهد بريطانيا عن الإسلام فى جامعة أكسفورد ذات الشهرة العالمية[1] ردود فعل طيبة فى الأوساط الإسلامية ، وذلك لأمرين :

الأول : صدورها من رجل ذى مكانة سياسية واجتماعية رفيعة المستوى فى العالم الغربى .

الثانى : إنصافها لماضى الإسلام وحاضره وانتقادها اللاذع لسياسات الغرب المسيحى تجاه الإسلام والمسلمين .

ومن ثم انطوت المحاضرة على دعوة الغرب كله إلى إعادة النظر فى سياساته مع المسلمين بعيداً عن الحقد والتعصب .

ومن التعقيبات التى وصلتنا حول هذا الموضوع كلمة الأستاذ الكاتب / سامى أنور جاهين ـ من الجيزة بمصر ـ التى يشير فيها إلى أهمية هذه المحاضرة لا سيما لدى العلمانيين فى بلادنا الإسلامية الذين يتخذون موقفاً متشدداً من الإسلام ، ويصرون على إبعاده ـ بشتى الطرق عن ساحة الحياة فى الشرق وليس الغرب . يقول الكاتب :

---

(١) نشرت مجلة الأزهر دراسة عنها فى العدد الماضى بقلم الأستاذ/ محمد عتريس وكيل الوزارة بمجلس الشعب .

سبحان الله ... لم نسمع استنكاراً بهذا الأسلوب لهذه الفظائع أيها الأمير تشارلز من أمرائنا فى عالمنا الإسلامى العريض فى خطبهم الرنانة المليئة بـ ... وحسبنا الله ونعم الوكيل .

يقول الأمير تشارلز : كثير من الناس هنا ينظرون إلى الشريعة الإسلامية على أنها قاسية وبربرية وغير عادلة ، إن صحفنا قبل الجميع تعشق الخوض فى هذه الأحقاد .

إن الحقيقة هى غير هذا ، فهى مختلفة عن هذا التفكير .

فروحانية الشريعة الإسلامية التى ينص عليها القرآن أساسها الرحمة والعدل ، ويجب علينا أن ندرس التطبيق الفعلى لها قبل أن نصدر حكمنا عليها .

سبحان الله ... لم نسمع هذا من أحد سادتنا وكبرائنا فى خطاب أو محاضرة ، بل تنتاب الجميع الحساسية بمجرد ذكر الشريعة الإسلامية .

يقول الأمير تشارلز : يجب أن نكون حذرين عند استعمال كلمة ( الأصوليه ) وأن نفرق كما يفعل المسلمون بين مختلف الفرقاء الذين يمارسون منهاجهم الدينى بكل خشوع وتعبد حقيقى وبين المتعصبين والمتطرفين ... إذ أن التطرف ليس وقفا على الإسلام فحسب[1] ، فهو موجود فى صلب الأديان الأخرى ومنها الدين المسيحى أ.هـ

سبحانك يارب ... ألم يحن الوقت لإنصاف أنفسنا وحمايتها من شر أنفسنا ؟!!. أفلا نتعلم من الحكماء والمنصفين وننزع أيدينا من أيدى السفهاء والمجرمين الذين لا يرغبون فى أدنى منفعة لنا ولأمتنا ؟!!.

ولنستمع لهذه الكلمات علَّها تؤثِّر فينا فنعمل بها ، وإن كان كلام الأمير تشارلز للغرب ، إلا أن الشرق به أولى ، فإنه يقول :

الإسلام يستطيع أن يعلمنا اليوم كيف نفهم وكيف نعيش ... الإسلام فى جوهره يحتفظ بنظرة مدمجة ، ويرفض أن يفصل بين الإنسان والطبيعة ، أو يفصل بين الدين والعلم ، أو بين العقل والمادة ، كما حافظ على وجهة نظر ميتافيزيقية موحدة للإنسان وللعالم الذى يحيط بنا .

ونتمنى شيئا من الخجل ... من الإخلاص لله ... والصدق فى العمل .. واتباع الحق ... فماذا ننتظر بعد أن قال تشارلز !!.

## للأزهر دوره رغم إنكار الجاحدين

**إن من ينكر دور الأزهر وجلال علمائه إنما ينكر ظهور الشمس فى وضح النهار ، وقد كان الأزهر وسيظل ـ بمشيئة الله تعالى ـ محل تقدير المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ، وتلك كلمة كتبها الأستاذ / عزت إبراهيم محمود ـ بحمامات القبة بالقاهرة يُذكِّر بها أصحاب الحملة الظالمة بأن عطاء الأزهر الذى يزيد على الألف عام لا يمكن أن ينال منه لسان كاره أو قلم حقود ، يقول الكاتب :**

(١) لعل الأمير يقصد التطرف عند بعض المسلمين .

قد كان علماء الأزهر – ولا يزالون – ألسنة الشعب المصرى حين تعصف به العواصف ، وتؤذيه أطماع الطامعين ، لقد ضرب الشيخ عبد الله الشرقاوى ، والشيخ سليمان المنصورى والشيخ أحمد الدرديرى ، أروع المثل فى مكافحة المستعمرين منذ إعلان الكفاح ضد نابليون بحملته الفرنسية عام ١٧٨٩ وحملة فريزر الإنجليزية عام ١٨٠٥ ، وعندما فرضوا إرادتهم على السلطان العثمانى فى تعيين محمد على واليا على مصر ... وهكذا يستمر الأزهر فى كفاحه الفكرى والسياسى فى كل مراحل تاريخ مصر الحديث منذ ثورة عرابى عام ١٨٨١ ، وكفاح مصطفى كامل ومحمد فريد ، وثورة سعد زغلول عام ١٩١٩ ، حتى حرب العاشر من رمضان فى السادس من أكتوبر ١٩٧٣ .

أبعد ذلك يكون هناك مجال للافتراء على الأزهر وعلمائه ؟

*

## بأقلام القراء

### مع الإمام على بن أبى طالب

هو أول من أسلم من الصبيان – رضى الله عنه – ، وشهد كل الغزوات إلا غزوة تبوك لأن رسول الله ﷺ خلفه فى أهله ، وكان – رضى الله عنه – غزير العلم ، تزوج من ابنة رسول الله ﷺ السيدة : فاطمة الزهراء رضى الله عنها ، ومناقبة كثيرة وشهد له رسول الله بالجنة .

كان ممن يكتبون الوحى لرسول الله ﷺ ، قتله « ابن ملجم » وكانت وفاته رضى الله عنه فى سنة سبع ، وقيل ثمان وخمسين ، وقيل ثلاث وقيل ثمان وستين .

وكانت مدة خلافته أربع سنوات وتسعة أشهر ويوما واحداً ومدة إقامته بالمدينة أربعة أشهر .

**رمضان إبراهيم الأقرع – خطيب بطنطا**



### الأزهر وصيانة التراث

بعد دخول جوهر الصقلى فاتحا لمصر عام ٣٠٩ هـ / ٩٧٠ م ، وضع أساس الجامع الأزهر وقد استمر العمل فيه سنتين ، وأقيمت أول جمعة فيه فى ٩ من رمضان ٣٦١ هـ .

وفى بادئ الأمر كانت الدراسة مقصورة فيه على العلوم الدينية واللغوية ودرست فيه علوم الفلك والحساب والطب والجغرافيا .

وفى القرن العشرين أدخلت فى مناهجه بعض العلوم الحديثة مثل الرياضة والكيمياء ، وقد مرت قرون طوال على الأزهر وهو يؤدى رسالته السامية فى خدمة الدين واللغة ، إن الأزهر سيظل منهلا للعلم يأوى إليه كل من يريده .

**محمد على البلجيهى – أويش الحجر بالمنصورة**

# من إبداعات القراء



## رمضان هدى ونور

شعر / سَعد الدين محمود

| | |
|---|---|
| تعالَـــوْا إخـــوة الإيمان | إلى الـــرحمن والـــحُبّ |
| إلى الغفـــران والقـــرآن م | والـــرضوان والتَّـــوْبِ |
| تعالـــو للهُـــدى والنـــور م | ننعَـــمْ من رضا الـــرب |
| فشهـــرُ الصوم بالأنـــوار م | يُنهِـــى ظُلْمَـــةَ الـــدَّرْبِ |
| تعالَـــوْا نغتـــرف منـــه | كئـــوسَ الكوثـــرِ العـــذب |
| فبالـــرحمات « أولاهُ » | بخيـــرٍ مَشْرَبُ الـــرَّضْبِ |
| ومـــرضاه لنـــا ذُخْـــرٌ | بـ « وَسَطٍ » من رِضا الـــكَسْبِ |
| « وَأخـــراهُ » لنـــا عِتْـــقٌ | من الـــنيران وَالـــغضبِ |
| تعالـــوا إخـــوة الإسلام | من شرق ومـــن غَرْبِ |
| لنحفـــظ شِرْعَـــة المختـــار م | فى أثـــوابها الـــقُشُبِ |

## من وحي الإسراء والمعراج

وتلك قصيدة جادت بها قريحة الأستاذ / محمد مصطفى الغمرى ... المدير السابق لإدارة شبرا الخيمة التعليمية ، نقتطف بعض أبياتها نظراً لمضى مناسبتها :

| | |
|---|---|
| يَا عُرْبُ عُودُوا للمَحَبَّـةِ وَحْـدَةً | عَوْدَ المَرِيضِ إِلَى أَعَزِّ شِفَـاءِ |
| وابنـو عَلَيْهـا كُلَّ عِزٍّ شامِـخٍ | بالعِلْـمِ والدِّيـنِ بِنَـاءَ ضِيـاءِ |
| وَتَدَبَّروا المِعْرَاجَ فَهْوَ مَنارُكُـمْ | وَتَـزَوَّدُوا مِنْ نِعمـةِ الإسْرَاءِ |

السِّيرَةُ العُظمى تنيرُ نفوسَنَا — بِعَظَائِمِ الخيراتِ وَالأنباءِ
يَا شَهْرُ كَرِّمْ لَيْلَةً قُدْسِيَّةً — فَعُرُوجُهَا مفتاحُ كُلِّ هَنَاءِ
وَتُعِيدُ أَحْمَدَ بالسَّلَامَةِ آمِنًا — لِيُذِيعَ رِحْلَتَهُ عَلَى الأَرْجَاءِ
وَيَسِيرُ بَيْنَ مُصَدِّقٍ وَمُكَذِّبٍ — وَالصِّدْقُ يمحو كَاذِبَ الأهْوَاءِ
وَيُؤَيِّدُ الصِّدِّيقَ رِحلَتَهُ وَقَدْ — قَبِلَ الرِّسَالَةَ مِنْهُ دُونَ وَنَاءِ
مَنْ شَرَّفَتْهُ رِسَالَةٌ مِنْ رَبِّهِ — فَالصِّدْقُ شِيمَتُهُ بِلا إِخْفَاءِ
فِي لَيْلَةِ الإِسْرَاءِ والمِعْرَاجِ — ذِكْرَى عَطَاءٍ فَاقَ كُلَّ سَخَاءِ
ذِكْرَى تَظَلُّ مَدَى الحَيَاةِ مُضِيئَةً — آفاقَنا فِي الخِصْبِ والصَّحْرَاءِ
ستَظَلُّ تُشْبِعُ كُلَّ ضَوْءٍ بَاهِرٍ — فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ عَلَى الأَحْيَاءِ

# أهلاً يا كليل الزمان

**كذلك تلقى الباب من الشاعر / هشام محفوظ أبو عيشة ـ مدرس اللغة العربية بمدرسة بلال الإعدادية للبنات بالشرابية ـ مصر ـ قصيدة يبث فيها أحاسيسه عن شهر رمضان المبارك ، نأخذ منها هذه الأبيات :**

واحةُ الأرواح لاحتْ — فاحمدِ الرحمنَ واشكُرْ
ذاكَ شهرُ الصومِ وافى — عهدَهُ ... فاللهُ أكبرْ
عبقريًّا مِنْ علىٍّ — هَلْ يمْحُو ما تكدَّرْ
فى نُفُوسٍ أتعبتْهَا — غُصَصٌ مِنْ كُلِ عُنْصُرْ
جلَّ أكليلاً وَضيًّا — ساقَهُ المَوْلى وقدَّرْ

● ● ● ● ●

يا أميرَ العامِ أشرقْ — يا علىَّ القدْرِ وانثُرْ
ليلةَ القدْرِ خفِيًّا — من عطاءِ اللهِ نُوءٌ ثَرْ
ليلةٌ فى الخيْرِ فاقتْ — ألفَ شهرٍ علَّ نشكُرْ
سل أخى ما شئتَ فيهِ — ربَّكَ الأعلى وكبِّرْ
وأملإِ الرُّوحَ ضِيَاءً — فى خُشُوعٍ فى تدبُّرْ




● **القارئ / شحاته أحمد أبو بكر من بيا بنى سويف .**

مرحباً وبانتقاداتك ... والحقيقة أن مجلة الأزهر لم تتخذ مجالا واحدا لتحقيق سبل التواصل بين الأقطار الإسلامية ، بل اتخذت مجالات عدة فى سبيل توثيق عرى الأخوة بين أبناء الإسلام فى مختلف أقطارهم أهمها :

١ ـ الاهتمام بالأقلام العربية ونشر نتاجها .

٢ ـ تناول المؤلفات العربية بالعرض والنقد .

٣ ـ التعريف بالأفكار العربية والإسلامية وخدمة قضاياها المصيرية فى حدود المادة المتاحة .

كذلك نشرت كثيرا من الدراسات المقارنة فى موضوعات مختلفة ، لا سيما إذا وجدت المادة الملائمة .

وبعد فإنا نودُّ لو ضربتم لنا الأمثلة على نقدكم من عناوين المقالات المنشورة ، وبعون الله نضع فى خطتنا القادمة تزويد المجلة بالأحاديث والتحقيقات الصحفية ، وهكذا تتسع صدورنا لقرائنا يا أخ شحاته والله المستعان .

● **القارىء/عـادل على على اسماعيـل ـ بقورص ـ منوفية :**

ما يمكن للمجلة أن تنشره عن علم العروض توفرت عليه مؤلفات متخصصة ، مثل كتاب « اللُّباب » المقرر على الصف الأول والثانى الثانوى الأزهرى ، مع تمنياتنا لك بالتوفيق .

● **القارىء/محمد سميح حراز ـ معدية رشيد ـ مطوبس ـ كفر الشيخ :**

المجلة كلها بمادتها التحريرية فى خدمة كل فئات المجتمع ـ شبابا وشيوخا ـ وربما نستطيع فى المرحلة القادمة إعادة طرح موضوع الإدمان بما يستحقه من البحث والاهتمام .

● **القارئ / محمد على محمد سيد ـ من تله محافظة المنيا .**

● **والقارئ / عقال بن موسى المالكى من الطائف بالسعودية .**

● **وكل من يرغب فى الاشتراك الشهرى بمجلة الأزهر .**

سبيلكم هو مراسلة ( إدارة الاشتراكات بمؤسسة الأهرام بشارع الجلاء بالقاهرة ) لتحديد بداية الأعداد المطلوبة ، علماً بأن أسعار الاشتراكات عن سنة كاملة ( ١٢ ) عدد تكون على النحو التالى :

٩ جنيهات داخل جمهورية مصر العربية

٥٠ دولار أمريكى داخل دول اتحاد البريد العربى

٧٥ دولار خارج دول اتحاد البريد العربى

● **القارئ / طلعت مرزوق عبد العزيز سعد ـ أمين اتحاد طلاب المعاهد بالاسكندرية .**

طلب رئيس التحرير العمل على تنفيذ هذا الاقتراح لأهميته ، وشكرا لاهتمامكم .

● **القارئ / على محمد على عطوة ـ بمجمع المصالح بطور سيناء .**

نأسف لعدم استطاعتنا تزويدكم بهذه الأعداد القديمة ، وربما وجدتم بعضها بإدارة توريدات الأزهر بمدينة البعوث بالقاهرة .

● **القارئ / أنس محيى الدين أنس من محافظة قنا .**

نعم ما أحوجنا إلى التمسك بالنور الذى جاءنا من ربنا ـ تبارك وتعالى ـ وكتابه المبين ، فهما طوق النجاة لمن أراد أن يتذكر .

● **القارئ / أيمن سلامة الزميتى بفارسكور ـ دمياط .**

حقا .. إننا نسمع ـ تحت شعار « الفكر الحر » و « حرية الفكر » ـ خلطاً كثيراً ـ ضد الإسلام ـ يزيغ بصائر القارئين والمستمعين ، وهذه هى مهمة علمائنا الكرام الذين لا يألون جهداً فى مواجهة « الفكر المنحرف » والعمل على تنقيته وتصحيحه قبل أن يفعل فعله فى القلوب والعقول .

● **القارئ / سليمان عبدالحميد عبدالله الفقى شيخ معهد قراءات دمنهور بالبحيرة .**

وصلتنا كلمتكم القيمة عن كلمة تحويل القبلة متأخرة عن مناسبتها ، وفى انتظار إبداعاتكم .

● **القارئ / محمد إبراهيم محمد الدمرداش ـ بمجلس مدينة بركة السبع ـ منوفية**

سعدنا بغيرتك على الإسلام ، ونؤكد لك أن المثقفين ببلادنا على وعى تام يجعلهم يفرقون بين الخبيث والطيب .

ومجلة الأزهر كم شاركت بجهدها فى التصدى لمثل هذه الكتب السامة ، وذلك من خلال ما نشرته من ردود العلماء عليها فى ملاحقها ـ المجانية ـ ومقالاتها إلى يومنا هذا ، ومن هذه الكتب ما تربأ مجلة الأزهر بنفسها عن تركيز الضوء عليه حتى لا يكن ذلك « دعاية له » وهى فى الحقيقة ليست على شىء .

● **القارىء/محمد أحمد عبدالدايم .. من تلا ـ المنوفية :**

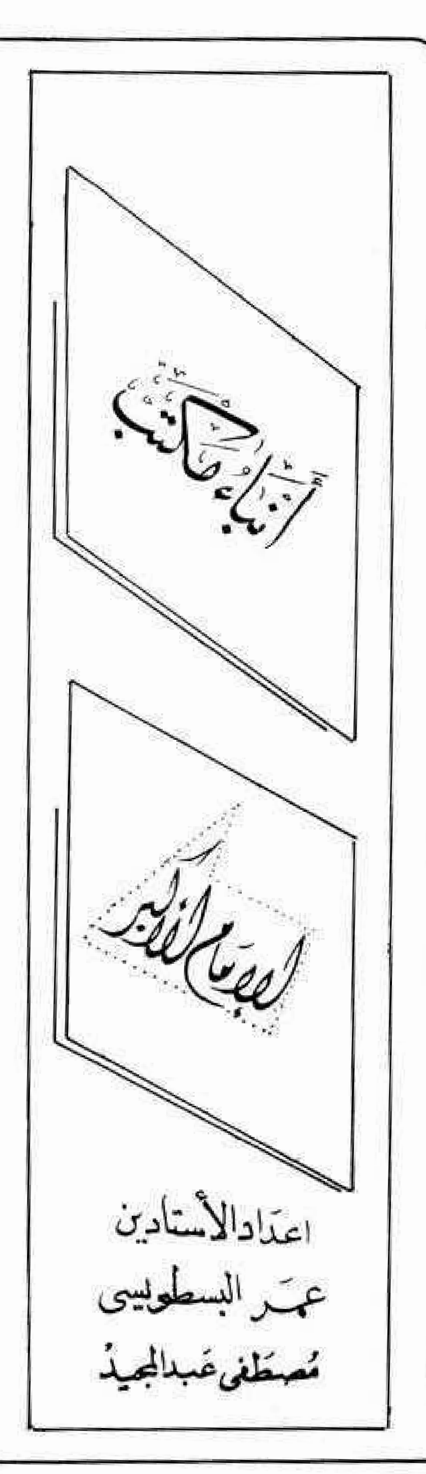
● **القارىء/عبدالحى صبحى سنهابى ـ من أبشواى ـ الفيوم :**

كم كنا نود تزويدكم بهذه الكتب ؛ غير أن إمكانيات المجلة لا تسمح فى الوقت الحالى ، **ويمكنكما ـ أنتما وغيركما من قراء المجلة مراسلة الأخ الفاضل/محمد عاطف محمود ـ صديق مجلة الأزهر ـ على العنوان التالى « ش الميدان ـ الفشن ـ بنى سويف ـ مصر » ، فقد أفادنا ـ شكر الله له ـ بأن لديه مجموعة كبيرة متنوعة من الكتب يرغب فى إهدائها لقراء المجلة .**

● **القارئة/أزهار ابراهيم حسن ـ من المنيا :**

لانشك فى أن حجاب المرأة المسلمة أمر مشروع لصيانتها وحماية الأخلاق بصفة عامة ، ونحن معك فيما تطلبينه ـ فى تعليقك على مقالة حتى لا تكون فتنة ـ من ضرورة ترك المرأة المسلمة وشأنها فى ارتداء الحجاب أو النقاب ، ولتخرس ألسنة الذين فى قلوبهم مرض لأنهم لن يكونوا منصفين بحال ، وليتهم يتعلمون الإنصاف من الأمير تشارلز ولى عهد انجلترا الذى أنصف « حجاب المرأة المسلمة » وهو يتحدث عن شريعة الإسلام فى إحدى محاضراته .

● **وبمشيئة الله ـ تعالى ـ يوالى الباب اهتمامه بعرض الرسائل التى يتلقاها تباعاً .**




## الإمام الأكبر يواصل سلسلة أحاديثه خلال شهر رمضان المعظم

يواصل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر على امتداد ثلاثين حلقة على شاشة القناة الأولى بالتليفزيون عقب صلاة التراويح فى ليالى شهر رمضان المعظم ـــ سلسلة أحاديثه « مع القرآن الكريم فى رمضان » .

## برقية تعزية من فضيلة الإمام الأكبر للرئيس السورى حافظ الأسد

بعث فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر ببرقية تعزية للرئيس السورى حافظ الأسد فى وفاة نجله الرائد/ باسل الأسد الذى توفى إثر حادث أليم .

## مصر تحتفل بذكرى الإسراء والمعراج وليلة النصف من شعبان

احتفلت مصر رسمياً مساء يوم السبت الموافق ٢٦ رجب ١٤١٤ هـ ٨ يناير ١٩٩٤ بذكرى الإسراء والمعراج وذلك عقب صلاة العشاء بمسجد الإمام الحسين بالقاهرة حضر الحفل نائبا عن السيد رئيس الجمهورية فضيلة الدكتور محمد على محجوب وزير الأوقاف ، كما حضره نائباً عن فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر فضيلة الشيخ سيد سعود وكيل الأزهر .

كما حضره لفيف من علماء الأزهر والأوقاف وقيادات الدعوة الإسلامية بمصر .

وقد ألقى فضيلة الشيخ أحمد رضوان كلمة وزارة الأوقاف حيث أكد على أن الإسلام قد جاء ليطهر نفوس البشر من الشر والأحقاد وسفك الدماء كما أكد على أن الحق تبارك وتعالى أراد للبشرية أن ترتبط بالمساجد بوصفها بيوت الله التى تنشر الأمن والأمان والرحمة والسلام فى الأرض .

كما احتفلت مصر بليلة النصف من شعبان وذلك عقب صلاة العشاء يوم الأربعاء الموافق ١٤ شعبان ١٤١٤هـ ٢٦ يناير ١٩٩٤م بمسجد الفتح بميدان رمسيس .

حضره نائباً عن السيد رئيس الجمهورية السيد عمر عبد الآخر محافظ القاهرة كما حضره نائباً عن فضيلة الإمام الأكبر فضيلة الشيخ سيد سعود وكيل الأزهر ، وفضيلة الدكتور محمد على محجوب وزير الأوقاف وراعى الحفل .

وقد ألقى كلمة وزارة الأوقاف فضيلة الدكتور عبد الرشيد سالم وكيل الوزارة الذى أكد على أن الرسول الكريم ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ والأنبياء جميعاً قد بعثوا ليعلموا الناس أسس الحوار بالحق والحسنى مشيراً إلى أن الإسلام قد حاور الكافرين حتى دخلوا فى دين الله أفواجاً ، كما حاور المنافقين فأبطل حججهم .

## نشاط مكثف لعلماء الأزهر والأوقاف خلال شهر رمضان المعظم

عقدت اللجنة العليا للدعوة اجتماعاً برئاسة فضيلة الدكتور/ محمد على محجوب وزير الأوقاف وحضور فضيلة الشيخ/ سيد سعود وكيل الأزهر نائباً عن فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ، كما حضره فضيلة الدكتور/ عبد الفتاح الشيخ رئيس جامعة الأزهر وفضيلة الدكتور/ محمد إبراهيم الفيومى الأمين العام للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

تم خلال الاجتماع بحث خطة تحرك جهاز الدعوة خلال شهر رمضان المعظم تحت رعاية وإشراف فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر .

حيث تقرر أن يبدأ بمشيئة الله تعالى ملتقى الفكر الإسلامى بالسرادق الذى تقيمه رئاسة الجمهورية كل عام بالتعاون مع الأزهر الشريف والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ويشارك فيه نحو مائة عالم ومفكر بالقاء المحاضرات الدينية طوال ليالى الشهر الفضيل .

وقد أعلن فضيلة الشيخ سيد سعود وكيل الأزهر أن فضيلة الإمام الأكبر وفضيلة وزير الأوقاف ولفيف من علماء الأزهر سيجوبون محافظات الجمهورية على رأس قوافل التوعية الدينية خلال الشهر الكريم للمشاركة فى الملتقيات الفكرية والندوات الدينية التى ستعقد بها لشرح تعاليم الدين الحنيف .

وقد أعلن فضيلة الدكتور وزير الأوقاف أنه تم توحيد النشاط الدينى والثقافى خلال شهر رمضان المعظم بالتعاون مع الجمعيات الدينية المعتدلة وهى الجمعية الشرعية وأنصار السنة المحمدية والشبان المسلمين التى سيتحرك علماؤها وتفتح مساجدها لتنفيذ خطة الدعوة خلال الشهر الفضيل .

## مسابقة دولية لحفظ القرآن الكريم تقام بمصر خلال شهر رمضان المعظم

أعلن فضيلة الدكتور محمد على محجوب وزير

الأوقاف بأن الدكتور عاطف صدقى رئيس الوزراء سيفتتح المسابقة الدولية التى تقيمها مصر لأول مرة فى السابع عشر من شهر رمضان هذا العام فى حفظ وتلاوة وتفسير القرآن الكريم .

وأعلن فضيلته أنه سيتم تقييم المتسابقين من خلال لجنة يرأسها فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر وتضم كبار علماء الأزهر والأوقاف .

كما أعلن فضيلته أن الرئيس محمد حسنى مبارك سيقوم بتكريم الفائزين فى تلك المسابقة خلال احتفال مصر العالمى بليلة القدر هذا العام .

## مجلـــة لاتحاد الجامعـــــات العربيـــــة

وافق مجلس جامعة الأزهر على إصدار مجلة لاتحاد الجامعات العربية تقوم بدراسة بحوث الشريعة الإسلامية على مستوى الجامعات العربية والإسلامية خلال العام الجامعى الحالى يكون مقرها جامعة الأزهر .

يتكون مجلس إدارة المجلة من الأساتذة/ د. أحمد عمر هاشم نائب رئيس جامعة الأزهر ، و د./جعفر عبد السلام نائب رئيس جامعة الأزهر ومدير المركز التجارى الإسلامى بالجامعة رئيساً للتحرير .

ويشارك فى أسرة التحرير الأستاذ/ د. محمود العكازى ، و د. على جمعة بجامعة الأزهر ، و د. يوسف قاسم وكيل كلية الحقوق جامعة القاهرة ، و د. عبد المجيد مطلوب أستاذ ورئيس قسم الشريعة بكلية الحقوق جامعة عين شمس ، و د. غازى عبيد مدنى الأستاذ بجامعة الملك عبد العزيز بجدة .

## معهـد للتمـــريض لطالبـــات الأزهـــر

وافق مجلس عمداء كليات فرع جامعة الأزهر للبنات برئاسة الدكتور/ حسين عويضة نائب رئيس الجامعة على إنشاء معهد عالٍ للتمريض يمنح مؤهلاً عالياً « بكالوريوس تمريض.» كما يمنح المعهد درجتى الماجستير والدكتوراه .

يستهدف القرار إمداد مستشفيات جامعة الأزهر ووزارة الصحة وجميع المستشفيات فى مصر والعالم الإسلامى بخريجات المعهد ، بعد أن باتت الحاجة ماسة لإعداد الممرضة الملتزمة بالمظهر والسلوك الإسلامى الرفيع للنهوض بمستوى مهنة التمريض .

## بيت الأزيـــاء الفرنسى شـــانيـــل يعتـــــذر للمســـلمين

أعرب بيت الأزياء الفرنسى « شانيل » عن أسفه للمسلمين عن الخطأ الذى ارتكبه بكتابة بعض الآيات القرآنية على أحد الأزياء خلال عرض لأحدث خطوط الموضة .

وقال بيت الأزياء أن هذا الخطأ غير متعمد لعدم علم مصمم الأزياء « كارل لاجرفيلد » الذى صمم تلك الأزياء بأن الكلمات العربية المستخدمة فى التطريز من القرآن الكريم .

هذا وقد قرر بيت الأزياء إعدام ما لديه من أزياء تحمل هذا التصميم وكـــذلك الصور الفوتوغرافية التى التقطت لها عقب احتجاج علماء الإسلام لهذا الصنيع .




لفضيلة الشيخ /
السيد عبد المقصود عسكر

شاركت الإدارة العامة للدعوة والإعلام الدينى بالأزهر الشريف بكلمة فى المؤتمر السنوى العام المنعقد بمركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامى – بجامعة الأزهر ، وذلك فى الحادى عشر من شعبان ١٤١٤ هـ ، الموافق ٢٣ يناير ١٩٩٤ م – للمشاركة فى تنظيم خطة عمل الدعاه فى شهر رمضان المعظم وفيما يلى نص الكلمة التى شارك بها وألقاها فضيلة الشيخ/ السيد عبدالمقصود عسكر .. مدير عام الدعوة والإعلام الدينى بالأزهر . « المحـرر »

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله محمد بن عبدالله . وعلى آله وصحبه ومن والاه .

فضيلة الأستاذ الدكتور وزير الأوقاف .
فضيلة الأستاذ الكبير وكيل الأزهر الشريف .
فضيلة الأستاذ الدكتور مدير جامعة الأزهر .
أصحاب الفضيلة رجال الدعوة بالأزهر والأوقاف .

السلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته ، وبعد :

فى هذه الأيام العصيبة التى تمر بها الأمة الإسلامية حيث تجمع الأعداء من كل حدب وصوب يبغون القضاء على هذه الأمة ومحو هويتها ويريدون لها أن تنسلخ من دينها وتتجرد من وسائل قوتها وعناصر عزتها .

فى هذه الظروف يتطلع الناس هنا وهناك يبحثون عن المنقذ ويطلبون الخلاص مما هم فيه .

وفى الحق إنه لن يكون هناك قلب أرحمُ بالناس ولا يد أرفقُ بهم . ولا إنسان يحنو عليهم بصدق ويصف لهم الدواء الشافى ويمنحهم العلاج الناجع سوى الدعاة إلى الله السائرين على خطى رسول الله ﷺ .

إن الله تبارك وتعالى أعلن على الدنيا أنه أنزل القرآن على محمد ﷺ ليخرج به الناس من الظلمات إلى النور فقال سبحانه :

﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴾ .

سورة إبراهيم

وقد نجح رسول الله والذين آمنوا معه فى مسعاهم فأضاءوا الدنيا بنور القرآن وهدوا الناس إلى سبيل الخير والفلاح . وقهروا جيوش الظلام . ودمروا عروش الظالمين وأذلوا المستكبرين ونصروا المستضعفين وانتصفوا للمظلومين . وعم العدل

والسلام ربوع الأرض التى رفرفت عليها راية الإسلام .

وها هى جيوش الظلام تتجمع من جديد وفلول الإلحاد تصحو بعد خمود وراحت تشحذ أسلحتها وتصُفُّ جنودها وتحشد عدتها . وتعددت ميادين المواجهة وتنوعت أشكال المؤامرة . والهدف هو الهدف والغاية هى الغاية

﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ .. ﴾ سورة البقرة

والأسلحة المستعملة رهيبة وخطيرة فالإعلام دخل المعركة تحت راية حماية الفن والإبداع . وشعارات الكفر والإلحاد دخلت ساحة المواجهة تحت راية التبصير والتنوير ومحاربة الجمود . ودعاة الفجور والتحلل من الفضائل كشفوا عن وجوههم الكالحة ودخلوا المعركة تحت راية الدفاع عن الحرية . ومحاربة التطرف . وبعض الجهلة والحمقى دخلوا المعركة تحت شعار نصرة الإسلام وحمايته وظهر فى الساحة نوعان من التطرف كلاهما خطر على الأمة . تطرف علمانى وافد جاء يدعو أهله إلى محاصرة الدين فى المعابد والزوايا وعزله عن دوره فى الحياة تمهيداً للقضاء عليه . وتطرف جاهل يذكرنا بقصة الدبة التى قتلت صاحبها وهؤلاء يلحقون الضرر بالإسلام وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً .

ولو كان هؤلاء يريدون نصرة الإسلام وحمايته لالتزموا بهديه فى الدعوة والسلوك .

ولو كان أولئك يريدون التنوير حقا لاستضاءوا بنور الله . وما حاولوا اطفاءه . ولو كانوا يريدون الحرية حقاً لخضعوا لحكم الله وذلوا لعظمته . فمن عبودية الإنسان لله تكون حريته ومن طاعته لمولاه تكون عزته وكرامته ولو كانوا يريدون محاربة التطرف حقاً لوضعوا أيديهم فى أيدى الدعاة إلى الله بدلا من السخرية بهم والتهجم عليهم . لأن الدعاة إلى الله هم أقدر الناس على إرشاد الضال وهداية الحيران وتعليم الجاهل وتأمين الخائف وشفاء المريض .

إن شفاء هذه الأمة من أمراضها فى أيديكم أنتم أيها الدعاة إلى الله وإن علاجها من أدوائها بحوزتكم أنتم أيها الدعاة إلى الله .

ولعل سائلا عن حال هذه الأمة وما أصابها يردد هذا القول ويطرح هذا السؤال .

بأيمانهم نوران ذكر وسنة

فما بالهم فى حالك الظلمات

وفى اعتقادى أن الجواب لا يخفى عليكم فأنتم أولوا النهى وأهل العلم والفضل وأنتم تستطيعون أن تفعلوا الكثير والكثير .

إن جماهير المسلمين ـ برغم ما جرى من تشريه لصورتكم ـ لازالوا على استعداد للاستماع إليكم والاستجابة لدعوتكم التى هى دعوة إلى الحياة .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ .. ﴾ سورة الأنفال

ولكم فى الصحوة الإسلامية الراشدة الواعية رصيد حبذا لو استفدتم به ولكنه لكى ننجح فى دعوتنا ونجمع المؤمنين الصادقين من حولنا . ونرد عدوان العادين على ديننا .. ونصد زحف المتآمرين على أمتنا . فلابد لنا أن نلتزم الصدق فى دعوتنا .

وأن نقول الحق وإن كان مرًّا . وأن لا نخشى فى الله لومة لائم . وأن يرى الناس فينا صورة الإسلام فى سموه وعظمته وجلاله وروعته . أدبا ورحمة وشجاعة وحكمة وإباءًا وصدقا وتواضعا وحلما .

حينئذ سيتقدى الناس بنا ويثقون فينا ويلتفون حولنا . ويومها نستطيع أن نرد كيد الكائدين وأن نوحد الأمة على منهج الوسطية والاعتدال . وعندها سيتوارى الملاحدة والمتحللون ويعود الجهال والغالون إلى الصواب . ويستقيم الجميع على الجادة .

وهذا يعنى أن مهمتكم عظيمة ومسئوليتكم خطيرة ورسالتكم جليلة . وإذا كان غيرنا يقيم المهرجانات ويخترع المناسبات لكى يروج لفكره وفيه السم الزعاف . فإننا لسنا فى حاجة إلى اختراع مناسبات ولا ابتداع مؤتمرات فعندنا الحج مؤتمر عظيم لا يملك غيرنا نظيرا له ليتنا ننتفع به كما ينبغى . وعندنا الجمعة عيد عظيم متكرر حبذا لو أحسنا الاحتفال به . وعندنا رمضان موسم للطاعات والعبادات وفرصة للتصحيح واصلاح العادات ومناسبة للبر والقربات . وقد بلغ من وفرة الخير فيه أن من لم يستطع الحصول على مغفرة الله فيه كان من المحرومين .

وهذه فرصة أتاحها الله لكم أيها الدعاة فاملأوا هذا الشهر بالنشاط الهادف والعمل المثمر . وذكروا الناس بالله فهم فى هذا الشهر الكريم أقرب إلى قبول الدعوة والانتفاع بالموعظة . واعملوا على توثيق صلتهم بالله فتلك هى بداية الطريق إلى نصر الله وتحقيق العزة للمسلمين .

أعانكم الله على أداء مهمتكم وسدد على طريق الحق خطاكم . ووحد صفكم وألف بين قلوبكم وجمعكم على الهدى إنه سميع مجيب .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .






قرر الأزهر الشريف بَدْء ملتقى الفكـــر الإسلامى الذى ينظمه فى أيام شهر رمضان المبارك بالمشاركة مع وزارة الأوقاف . كما تقرر اختيار مساجد السيدة زينب والفتح برمسيس ، وجمال الدين الأفغانى بمصر الجديدة ، والتوفيق بحلوان ، وعين الحياة والخازندارة وأبى العلا بالقاهرة ، ومسجد إسماعيل الإمبابى بالجيزة ، والأحمدى بطنطا ، وأبى العباس المرسى بالاسكندرية ، وسيدى طلحة بكفر الشيخ ، ومسجد العاشر من رمضان لتكون بدائل عن السرادقات التى اعتادت الوزارة اقامتها فى كل عام .

## ماليزيا

وافق مجلس المؤسسة الإسلاميـــة بولايـــة ( كلانْتن ) الماليزية على تدريس مناهج المعاهد الأزهرية فى المعاهد الإسلامية التابعة للمؤسسة وذلك إلى جانب المنهج الرسمى للدولة ، وقد تم تخصيص المبالغ اللازمة لاعادة طبع كتب مقررات تلك المعاهد ، وذلك بموافقة الأزهر الشريف وق تم توزيعها على خمسين ألف طالب وطالبة يدرسون بمعاهد ومدارس المؤسسة الإسلامية المذكورة ، وفى عدد من المدارس الإعدادية والثانوية التى تتبع منهج المؤسسة فى الولايات الماليزية الأخرى .

## تايلاند

أُعتنق الإسلام أكثر من ألفى مواطن ومواطنة فى ولاية ( شانجارى ) وما حولها بشمال ( مملكة تايلاند ) حيث كانوا من قبل بوذيين ونصارى . قال الدكتور « إسماعيل تفاكيا » التايلاندى الأصل وعضو المجلس الأعلى العالمى للمساجد أن أوضاع المسلمين هناك تبشر بالخير ، وأن الذين أشهروا إسلامهم مؤخراً يعزى إسلامهم للعمل الدءوب الذى يبذله المسلمون فى جنوب تايلاند .

هذا وقد تم بناء مسجد للمسلمين الجدد وعدة مصليات لإقامة الشعائر ، وأكد سيادته أن المسلمين متشوقون إلى مزيد من العون والدعم الإسلامى فى مجال إنشاء المساجـــد والمدارس والمراكز الإسلامية بالاضافة إلى وصول الدعاة والمدرسين لهذه المناطق النائية ، وأكد أيضاً أن مساعدتهم على الكسب الحلال والرزق الطيب أمر جوهرى يحفظهم فى مجتمع يغوص حتى أذنيه فيما لا يرضى الله .

## البرازيل

عقد اللقاء الثانى لجهاز الذبح الحلال بالبرازيل واستمر خمسة أيام وذلك فى « سان برناردو » ، بـ « سان باولو » العاصمة ، ونظم اللقاء مركز الدعوة الإسلامية فى أمريكا اللاتينية بصفته الجهة المكلفة بالإشراف على ذبح اللحوم المصدرة إلى العالم الإسلامى .

وكان الهدف توعية العاملين بالجهاز الذى يضم أكثر من ثمانين موظفاً يباشرون عملية الذبح بإشراف مركز الدعوة الإسلامية فى البرازيل ، وهم منتشرون فى مجال الذبح بعدة ولايات برازيلية .

كما هدف اللقاء إلى تعليمهم المسائل الفقهية اللازمة للذبح الحلال وما يتعلق بها من أحكام . وحضر اللقاء عدد من الأساتذة والمحاضرين الذين أجابوا على الأسئلة وعقد اللقاء بنادى السلطان فى حضور أكثر من مائة شخص وبعض ممثلى الشركات المصدرة للحوم توخياً للحلال فى الطعام .

## دكا

عقد ندوة فى « دكا » عاصمة « بنجلاديش » حول إقامة السوق الإسلامية المشتركة . نظمها مركز البحوث الاقتصادية الإسلامى هناك بالتعاون مع البنك الإسلامى للتنمية ، وبنك البركة فى بنجلاديش وذلك لمدة ثلاثة أيام .

وتم فيه بحث التجار المستفادة من إقامة رابطة التعاون الاقتصادى فى جنوب شرق آسيا التى تشارك فى عضويتها أندونيسيا ، وماليزيا ، وبروناى ، وبنجلاديش . وافتتح الندوة وزير مالية بنجلاديش الذى قال : إن السوق الإسلامية المشتركة التى اقترحتها منظمة المؤتمر الإسلامى أمر جوهرى لزيادة التعاون بين البلدان الإسلامية .

هذا وشارك فى الندوة أكثر من ٢٥٠ خبيراً ومحللا وباحثاً من : مصر وماليزيا والسعودية وأوغندا وكندا وباكستان وبنجلاديش .

## الأرجنتين

حفاظاً على الهوية الإسلامية فى الأرجنتين وجذباً للشباب المسلم للعمل فى حقل الدعوة الإسلامية . يقام هناك عدد من المخيمات الإسلامية حيث تلقى فيها بعض المحاضرات الإسلامية الهامة التى تتضمن شرحاً مبسطاً لبعض العلوم والمعارف الإسلامية إلى جانب محاضرات أخرى عن فوائد الحجاب ، ومخاطر الاختلاط ، ويؤكد المحاضرون أن الحجاب ـ زى المرأة المسلمة ـ ينبغى أن يعطى الأهمية التى تتمتع بها أزياء النساء فى بعض الدول الوثنية كالكيمونو اليابانى والسَّارى الهندى إذ يتميز عليها الزى الإسلامى بالحشمة وعدم إبراز المفاتن . ناهيك عن أن الحجاب الإسلامى تشريع سماوى حكيم يجب أن يُفضل على الأزياء الوضعية التى لا تراعى الذوق والخلق والفضيلة ، إذ لا ترتكز على أسس راسخة من العقيدة السليمة والإيمان الصحيح .

paix soit sur lui-lui répondit : "le jour de la Résurrection, tu seras jugé en fonction de la punition que tu leur auras infligée".

Le messager d'Allah-paix soit sur lui-lui demanda : "mais qu'as-tu? n'as-tu point lu le livre d'Allah-Gloire à Lui.

Nous poserons les balances exactes, le Jour de la Résurrection. Nul homme ne sera lésé pour la plus petite chose; serait-elle équivalente au poids d'un grain de moutarde, nous l'apporterions. Nous suffisons à faire les comptes [Sourate les prophètes le sens du verset 47]

L'homme dit : Ô messager d'Allah, il vaut mieux pour moi et pour eux que je les affranchisse. Je te prends à témoin qu'ils sont tous désormais libres".

Hadith rapporté par Ahmad et El Termezei

Dans ce Hadith le messager d'Allah-paix soit sur lui-nous interdit d'insulter nos serviteurs, de bien les traiter et de ne pas les humilier. Il ne faut pas les charger plus qu'ils ne peuvent supporter. Il faut les traiter sur un pied d'égalité avec les autres membres de la famille.

Rawya Ahmad Soltan

# L'EGALITE EN ISLAM

par : Rawya Ahmad Soltan

Selon Wassel Al Ahdab, d'après Al Ma'rour ce dernier dit :

«J'ai rencontré Abou Dzarr à Al Rabzah. Il portait un vêtement et son serviteur portait un vêtement semblable. Comme je l'interrogeais à ce sujet, il expliqua : «une fois, j'ai insulté un homme en le raillant au sujet de sa mère. Alors le prophète-paix soit sur lui-me dit : «Ô Abou Dzarr, tu as tort de le railler au sujet de sa mère. Vos serviteurs sont vos frères qu'Allah a placés à votre service; tu dois les nourrir de ce tu manges et les habiller pareillement à ce que tu portes, ne les charge pas plus qu'ils ne peuvent supporter, sinon tu dois les aider». Hadith rapporté par Al Bokhary, Moslem et El Termizey.

Le Sens du Hadith :-

L'Islam est la religion de la miséricorde, de la justice et de l'égalité. En effet, il n'existe pas de différence dans les droits ni dans les devoirs entre maître et serviteur, entre homme et femme. Tous les êtres humains sont également responsables devant Allah. Le prophète-paix soit sur lui-a affirmé ce principe lorsque quelques uns ont voulu intercéder en faveur d'un homme qui avait volé. Il leur a dit : «Ce qui a causé la perte de ceux qui vous ont précédés-c'est que lorsqu'un noble d'entre eux volait, ils le laissaient, tandis que lorsqu'un faible volait, ils lui infligeaient le châtiment. Il jure par celui qui détient la vie de Mohamad entre ses mains que si Fatma, fille de Mohamad, volait, je lui couperais la main.»

Le Coran conseille aux musulmans d'avoir pitié des faibles et des nécessiteux. Observons la parole divine : «Adorez Allah ! Ne Lui associez rien ! Vous devez user de bonté envers vos parents les proches, les orphelins,les pauvres, le voisin qui est de votre famille et le voisin qui ne l'est pas, le compagnon qui est proche de vous; le voyageur et vos esclaves. Allah n'aime pas celui qui est insolent et plein de gloriole [Sourate les femmes, le sens du verset 36]

Le prophète-paix soit sur lui-nous ordonne de pardonner au serviteur quand il agit mal. Selon Ebn Omar (a.s.l.) "Un homme est venu voir le prophète paix soit sur lui-il lui a dit : «mon serviteur se conduit mal et commet des injustices, dois-je le frapper! Il lui a répondu : pardonnes-lui soixante dix fois par jour».

Hadith rapporté par El Termezei

Selon Aïcha (a.s.e) : "Un homme est venu voir le prophète-paix soit sur lui-et il lui a dit : «J'ai deux serviteurs qui me mentent, me trahissent, me désobéissent; je les insulte et je les frappe, comment dois-je les traiter, Ô messager d'Allah? le prophète-

Dans les deux Sahihs, Abdallah Ebn Omar (A.s.l.) a dit : "Alors que les gens accomplissent la prière de l'aube à Qibâa, quelqu'un arriva et leur dit : "Le Messager d'Allah (paix soit sur lui) a reçu l'ordre de s'orienter vers la Ka'ba faites de même. Or, comme ils avaient le visage tourné vers Al Cham (Jérusalem), ils se tournèrent vers la Ka'ba. Dans un Hadith rapporté par Al Nisaï, d'après Sa'ïd Ebn Al Ma'ali, il est dit que la première prière où les fidèles s'orientèrent vers la Ka'ba fut la prière de midi (Al Dzohr). Les transmetteurs de hadiths et de la Sira (la vie du Prophète Mohammad (paix soit sur lui) ont certifié que l'ordre divin de changer l'orientation de la prière vers le Sanctuaire sacré de la Ka'ba eut lieu au mois de Cha'ban de la deuxième année de l'Hégire.

Parmi les mérites de ce mois béni, on rapporte également que durant la quatorzième nuit de ce mois le prophète (paix soit sur lui) pliait les actes de dévotion les prières et les invocations ce qui prouve le mérite de cette nuit du quatorze Cha'ban.

Dans un Hadith rapporté par Al Tabarani et Ebn Haban d'après Mo'az Ebn Djabal A.s.l.) le Prophète (paix soit sur lui) a dit : "Allah observe toutes Ses créatures durant la nuit de mi-Cha'ban. Il pardonne à toutes Ses créatures sauf aux polytéistes et aux mécréants sceptiques ?

Tous ces hadiths, et bien d'autres encore, vantent le mérite de la nuit de la mi-Cha'ban et invitent les musulmans à s'appliquer à y obéir aux enseignements d'Allah et à jêuner ce jour-là avec l'espoir d'obtenir la miséricorde d'Allah et Son pardon et de gagner Sa grâce. Ainsi ils recevront les bienfaits illimités qu'Allah octroie à celui de Ses serviteurs qui se repentit et se confie à Lui. Car Allah - Gloire à Lui, rétribue sans réserve les soumis, les repentants et les jeûneurs. Le meilleur moyen d'adorer Allah durant cette nuit sainte c'est de prier, de réciter le coran, de faire des invocations avec humilité et dévotion, les meilleurs invocations sont celles que le Coran nous a enseignées.

Dr. Rokeya Mahmoud GABR

# LE CHANGEMENT D'ORIENTATION DE LA KIBLAH ET LE MERITE DU MOIS DE CHA'BAN

par Dr Rokeya Mahmoud Gabr

Le changement d'orientation de la prière vers la Ka'ba (alors qu'auparavant on se dirigeait vers la Mosquée de Jérusalem est un évènement qui confirme le mérite du mois de Cha'ban.

En effet, le Messager d'Allah aimait souvent à jêuner durant ce mois, car c'est un mois particulièrement cher aux musulmans.

Les musulmans du monde entier sont invités à profiter de l'arrivée de ce mois saint pour accomplir des actes de dévotion et pour implorer la miséricorde d'Allah et Son pardon. On sait que tous les musulmans fêtent la veille du jour de la mi - Cha'ban. Dans un hadith rapporté par Al Nissaï, d'après Ossama Ebn Zaïd (qu'Allah soit satisfait de lui) ce dernier dit au prophète (paix soit sur lui): "Ô Messager d'Allah, je ne t'ai jamais vu jêuner autant de jours que ceux que tu jêunes durant le mois de Cha'ban. C'est que répondit le prophète (paix soit sur lui : "C'est un mois que les gens négligent parce qu'il vient entre les mois de Ragab et Ramadan. Or, c'est un mois où les actions des hommes sont présentés à Allah et j'aimerais que mes actions soient exposées devant Allah alors que je suis en état de jêune.

Parmi les évènements grandioses qui ont eu lieu durant ce mois sacré, on peut rappeler le changement d'orientation de la Qiblah vers laquelle les fidèles se dirigent durant la prière (du temple de Jérusalem à la Ka'ba).

On cite dans les deux Sahihs, d'après Al Barrâa Ebn Azeb (qu'Allah soit satisfait de lui) que le Messager d'Allah (paix soit sur lui) avait privé durant seize ou dix sept mois tourné vers le temple de Jérusalem. Or, le prophète (paix soit sur lui) aimait à se trouver vers la Ka'ba. C'est alors qu'Allah révéla les versets suivants :

(Nous te voyons souvent la face tourné vers le ciel; Nous t'orientons vers une Qibla qui te plaira) Sourate "La Vache, les sens du verset 144. Certains insolents c'est-à dire les juifs dirent :" Qu'ont-ils à se détourner de la Qiblah vers laquelle ils se dirigeaient auparavant ? (Dis : l'Orient et l'Occident appartiennent à Allah. Quel que soit le côté vers lequel vous vous tournez, la face d'Allah est là - Allah est présent partout et Il sait) Sourate "La Vache", le sens du verset 115.

Un homme qui avait accompli ce jour - là la prière avec le prophète (paix sur lui) étant sorti après la prière, passa devant un groupe des Ansars, qui accomplissaient la prière d'Al Asr tournés vers le Temple de Jérusalem. Il leur dit et leur jura qu'il avait fait la prière avec le Messager d'Allah (paix soit sur lui) et ce dernier s'était dirigé vers la Ka'ba. Aussitôt les Ansars se tournèrent pour se diriger vers la Ka'ba.

# LES MERITES DE LA NUIT DU DESTIN

La vingt-septième nuit du mois de Ramadan est appelée la nuit du destin. C'est en cette nuit bénie qu'Allah a fait descendre le Coran et l'a placé dans le ciel le plus proche de nous. Ensuite, pendant vingt-trois années que dura la mission du prophète-salut et bénédiction sur lui-le Coran fut révélé au prophète verset par verset. Chaque verset est semblable à une étoile descendue du ciel pour éclairer et guider les croyants.

Allah-gloire à lui : «nous avons fait descendre le Coran dans la nuit du destin. Et que sais-tu de la nuit du destin? La nuit du destin a plus de mérite que mille mois. Celui qui passe la nuit du destin en prières, récitant du Coran et invoquant Allah obtient donc la même rétribution que celui qui aurait adoré Allah pendant mille mois.

Le messager d'Allah-salut et bénédiction sur lui-nous a dit : «celui qui passe la nuit du destin en prières, avec dévotion et espoir de récompense, toutes ses fautes passées lui seront pardonnées.''

Ebn Abbas (qu'Allah soit satisfait de lui-un des compagnons du prophète et qui avait appris le Coran a rapporté durant cette nuit bénie. Allah ordonne à gibril de descendre sur terre avec 70.000 anges du paradis. Ils emportent avec ceux des étendards de lumière qu'ils plantent sur terre en quatre endroits sacrés : sur la Ka'ba, sur le tombeau du prophète-paix soit sur lui-sur la mosquée de Jérusalem et sur le mont Sinaï. Ensuite gibril ordonne aux anges de se disperser sur toute la terre. Ils entrent alors dans chaque mosquée, chaque maison, chaque chambre où se trouve un croyant ou une croyante veillant pour invoquer leur Seigneur. En tous ces lieux les anges apportent aux croyantes et aux croyants les bénédictions d'Allah, et se mettent à prier avec eux et à demander à Allah le pardon.

Ebn Abbas (qu'Allah soit satisfait de lui-un des compagnons du prophète le pardon et le bonheur pour eux. Donc celui qui passe cette nuit à dormirou qui passe son temps à s'amuser (devant la télé, par exemple) ne recevra pas la générosité qu'Allah accorde, cette nuit à ses serviteurs. Un des mérites de cette nuit, c'est que la paix y règne partout si bien que même les chiens n'aboient pas. Le messager d'Allah-salut et bénédiction sur lui-nous a recommandé de dire et de répéter l'invocation suivante au cours de la nuit du destin «Ô Allah ! Tu es Clément ! Tu aimes la clémence : fais-mois grâce».

Hoda Hussein Cha'raoui

# LES MERITES DU MOIS DE RAMADAN ET DE LA NUIT DU DESTIN

par : Hoda Hussein Cha'raoui

Le prophète Mohammad (salut et bénédiction sur lui) a dit. «Le mois de Ramadan est arrivé à vous ! C'est un mois de bénédiction : Allah-Gloire à Lui, vous couvre de Sa protection et fait descendre Sa miséricorde. Il absout les péchés et exauce les invocations. Allah-Gloire à Lui-vous observe pendant que vous rivalisez d'ardeur pour mériter Son approbation et Il vous loue auprès de Ses anges. Présentez à Allah ce qu'il y a de meilleur en vous, car est bien malheureux celui qui n'obtient pas la miséricorde d'Allah — le Glorieux et le Majestueux durant ce mois.»

Donc, durant le mois de Ramadan on doit multiplier les bonnes oeuvres en observant strictement les conditions du jeûnes à la ligne. Si le jeûne nous a été imposé c'est pour que nous pensions à la vie future, au paradis, en nous efforcant d'obtenir la grâce de notre Créateur. Or, on voit des gens qui, dès qu'ils ont terminé leur journée de jeûne, ne pensent qu'à s'amuser. S'ils sont si vite oublieux de leur seigneur, c'est sans doute qu'ils n'ont pas compris pourquoi ils ont jeûné !

Au cours de la nuit, on doit faire des prières surérogatoires, réciter le Coran et invoquer Allah avec toutes les formules d'invocations. C'est en raison de cela que, pendant les nuits du mois de Ramadan, il est recommandé de se rendre à la mosquée pour accomplir en commun les prières appelées «Tarawih». Le prophète (salut et bénédiction sur lui) a dit : "Pour chacune des prosternations accomplies par le serviteur croyant qui prie au cours d'une des nuits du mois de Ramadan, Allah inscrit 1500 bonnes oeuvres «haçanat» et lui réserve au paradis un palais de rubis rouge.» Les prières de Tarawih se font juste après la prière obligatoire de la nuit close (Al'Echa). Les «Tarawih» comportent habituellement huit inclinaisons effectuées par groupes de deux. Après les "Tarawih", on prie le "Chaf' qui est une prière comportant deux inclinaisons et le «witr» qui ne comporte qu'une seule inclinaison. Ensuite on rentre chez soi pour se reposer. Si l'on habite loin de la mosquée, on fait ces prières en famille, ou même tout seul. Le prophète-salut et bénédiction sur lui-a dit : «Celui qui jeûne et qui veille avec dévotion et avec l'espoir d'une rétribution se purifie de ses péchés et redevient aussi pur qu'il l'était le jour où sa mère l'a mis au monde".

Transmitted by Al-Bukhari and Muslim.

The purpose of this condition, according to some well-versed commentators, is to avoid a rash and a hasty procedure on the part of the husband through aversion arising from the wife's impurity. Moreover by fixing a long period of abstinence to give him apportunities to reconsider his decision about the divorce, this, perchance, may make him repent and exercise the right of return before the expiry of the therm 'iddah'.

4. The repudiation must be carefully intended by the divorcer, either husband or judge, before pronouncing it. A man may utter the word of repudiation under the pressure of threat or forcibly, or when he is in a condition of strain that may cause the loss of consciousness during which intention of divorce does not exist. In such cases, and according to some schools of law, in the case of intoxication, repudiation is not regarded applicable. Umar Ibn el-Khattab reported the Prophet as having said :

   'Actions must be judged according to intentions, and for every person is what he intends to achieve.' Transmitted by al-Bukhari and Muslim.

5. The expression of divorce such as 'you are divorced' is either stated by word of mouth or through any action which amounts to the same thing, like writing. The repudiation which is stated by word of mouth is divided into two :
   a. Explicity.   b. Implicity.

   The explicit utterance of divorce is that the word 'divorce' or its derivation is pronounced. Hence 'divorce' is applicable. The implicit word of mouth of divorce is either manifest or equivocal. The manifest expression which is like saying : 'You are free' is considered applicable if the divorcer means divorce by saying that, and the wife understands what he means. The equivocal expression, such as saying 'Go away' is not regarded applicable.

   The expression of divorce, if put into a form of writing, should be meant as a divorce and should be signed by the divorcer himself if he wants it to be applicable.

   Abu Hurairah reported Allah's Messenger as having said :

   'There are three matters which, whether undertaken seriously or in jest, are treated as serious : marriage, divorce and taking back a wife after a divorce which is not final.
   Transmitted by al-Termidhi and Abu Dawud.

*To be continued*

# DIVORCE IN ISLAM
# PART III

By : MUHAMMAD HIGAB

**Conditions of Divorce :**

Islamic Law, protecting the woman's right, intending to prevent a permanent breach, and trying to save married life from destruction and children from vagrancy, has imposed conditions on the exercise of the power of divorce :

1. The Husband, being a Muslim, mature and in full possession of his faculty, should pronounce, when divorce is resorted to, only one repudiation. Although most of the Muslim schools of Law consider the repudiation of the wife three times at one instance as one repudiation only, it is still absolutely prohibited for the husband to do so.

   **According to the Sunnah :**

   "Rukana Ibn Abd Yazid said he divorced his wife Shuhaima three repudiations at one instance, and when the Prophet was informed of that, the man said : 'I swear by Allah that I meant it to be only a single utterance of divorce.'
   Allah's Messenger asked him if it was so, and when he assured him that it was, he restored her to him. Then the man divorced her in the time of Umar, and the third time in the time of Uthman" Transmitted by al-Tirmidhi and others.

   The object of this limitation is to give the couple the opportunity to come to their senses within the wife's 'iddah' (waiting period) and revoke the repudiation. Perhaps the husband has pronounced it in a moment of excitement or strain. No doubt, this corresponds with the text of the Qur'an : 'Divorce may be practised twice.' and after each time the husband is allowed to be reunited with the woman concerned.

2. The second condition is that the repudiation must be pronounced when the wife is in the state of purity in which she had not been approached sexually.
3. The husband must abstain from sexual intercourse with his divorce as soon as the repudiation is pronouonced.

   There is a tradition of accepted authority that throws cosiderable light on the wisdom underlying the last two restrictions :

   "Abdullah Ibn Umar divorced his wife when she was menstruating. When Umar mentioned the matter to the Prophet he became angry and said : 'Let him take her back and retain her till she be pure and again have courses and again gets pure. Then if he thinks it prudent, let him divorce her, but he should do so when she is clean and has not been approached : and this is the period of retirement 'iddah' which Allah has ordered for divorce'.

## b) Additions

Some utterances of the Qur'an have more than one meaning. The translator in such case should not select any of the interpretations and add it in the translated text. Any interpretation he sees relevant shold be disclosed in note or appendix. Such additions affect the communicative meaning as well as being quite disconcerting to a reader interested in consulting several translations. Examples of such additions are found in the following instances :

In verse (7) يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ is rendered by the translators as follows :

Picthall : (It was said unto him) : O Zachariah ! Lo! We bring thee tidings of a son.

Y. Ali : (His prayers was answered) : "O Zakariya ! We give thee good news of a son :

Arberry : O Zachariah, We give thee good tidings of a boy,

Asad : (There upon the angels called out into him) : O Zachariah ! We bring thee the glad tiding of (the birth of) a son).

Khatib : O Zachariah, We give you glad tidings of a boy.

Exegetes differed as to whom called Zachariah; the majority proclaim that is Allah Who called Zacchariah out for he was supplicating and calling upon Him in the preceding and the following verses. In the preceding verses Zachariah prays : "My Lord! Infirm indeed are my bones"; "never yet, my lord, has my prayers unto thee remained unanswered; and "Bestow upon we a kinsman"; and in the following verse, "O my Lord, how shall I have a son." Some commentators, however, claim that it is the angel who called Zachariah out. Asad's addition of the sentence (Thereupon the angles called out unto him) at the beginning of his translation of this verse mismatches the communicative effect intended by the original. Besides, the ambiguity in this verse called be intentional. Asad should have either used a passive sentence as found in Pickthall's and Y. Ali's translations, or he could have literally rendered the verse as Arbery, and Khatib did.

## c) Omissions

From the comparison of the five translations of Surah "Maryam" with the original we do not find any omissions on the part of the translators which might affect the communication of the message of the St.

*To be continued*

have separate shades of meaning that may render one or the other more appropriate and communiucatively effective in a particular context. The verb وهب is mentioned in four instances in Surah '"Maryam", in verses (19, 49, 50, 253), as follows :

– قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾

– فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾

– وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾

– وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾

The translators render the different forms of the verb وهب in all these instances as follows :

| | | (V. 19) | (V. 49) | (V. 50) | (V. 53) |
|---|---|---|---|---|---|
| Pickthall | : | bestow | gave | gave | bestowed |
| Y. Ali | : | announce | bestowed | bestowed | gave |
| Arberry | : | give | gave | gave | gave |
| Asad | : | bestow | bestowed | bestowed | granted |
| Khatib | : | give | conferred | bestowed | vouchsafed |

In verse (19), according to Zamakhshari, and other exegetes Jesus was bestowed as a gift upon Maryam and mankind. She neither expected nor asked for a son. From the different renderings of the verb أهب above mentioned, we find that "bestow" used by Pickthall and Asad, which implies a greater formality of expression than "give," is more appropriate. However "announce" which means to make known or to deliver news, renders a different meaning, and the equivalence of which in Arabic is أعلن not أهب

In verse (49), according to Tabari and other exegetes, Allah conferred upon Abraham, Isaac and Jacob and He made each of them a prophet because they deserved that as a compensation after they had abandoned the idiolators. Hence, "conferred" used by Khatib which, according to Oxford Dictionary implies that the thing given either is deserved, is proper or suitable to the receiver for some other reason or is more appropriate than either "gave" or "bestowed."

In verse (50), according to Tabari and other exegetes, the pronoun in the word وهبنا in :

وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا

here referes to Abraham, Isaac, and Jacob who were made prophets by Allah. He bestowed upon them from His mercy and also were highly praised. Hence, "vouchsafe" which, according to oxford dictionary, means to give or grant in a gracious manner, would have been more appropriate than "gave" or "bestowed" used by the translators.

In verse (53), however, وهبنا in : وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا according to Razi and other exegetes refers to Allah's grant of Aaron in response to Moses supplications to give him a supporter from his family. Hence, "granted" rendered by Asad which, according to Oxford Dictionary, implies that something is given often in response to supplication, is more appropriate than "bestowed," gave or "vouchsafed" rendered by the other translators.

# A comparative study of the English Translations of the Meanings of Surah Maryam.
# PART III A

By Mona Abdel Ghaffar Salem

## COMMUNICATIVE MISMATCHES

In translating a text, the translator attempts to produce in the ultimate receptors a similar response or equivalent effect similar to that of the original receptors. However, in transferring the message of the Qur'an into another language, the translator can not even hope to create the same impression or effect as that made by the original on its hearers or readers. Yet he tries hard to produce a translation taht might give at least the tone and intention as accurately as possible. Mismatch of communicative effect may play a crucial role in not convering the original intent clearly and accurately. So this part on translation quality assessment will deal with communicative mismatches of the five translations as compared with the original. It will be subdivided into lexical mismatches and stylistic mismatches which result in a mismatch of communicative effect. The former will be concerned with those instances of lexical mismatches such as substitutions, additions and omissions which affect the communicative affect of the source text and consequently the quality of the translated text. The latter, however, will deal with the mismatches of rhetorical devices such as ellipsis, metaphor, and "iltifat", all of which cause great problems to the translators who are keen to transmit aptly the semantic as well as the communicative effect, both are very much needed in any translations of the Quran.

## LEXICAL MISMATCHES

In this part, lexical mismatches will be subdivided into a) substitutions, b) additions and c) omissions. Substitutions will be concerned with the lexical itmes that are though semantically corect, yet deviuate in the communicative effect. In those instances of substittuions the translator has selected one word out of different words taht are not substitutable one for the other in any and all contexts. Though these words are not identical in meaning, they do over lap in, at least, certain contexts without significant changes in the conceptual content of the utterance. However, that does not rule art certain communicative differences in the use of one term instead of another. Mismatch of the communicative effect of lexical items could be also due to additions. The translator's addition of certain words or phrases could affect the communicative message of the St. The same is true of omissions, the omission of lexical items from the St. could again affect the communicative aspect of the St.

### a) Substitutions

In Surah "Maryam" the translators interchangeably use the words "below" "give" "grant" "confer" "vouchsafe" "accord" for the verb. وهب These words

# AL AZHAR MAGAZINE

## ENGLISH SECTION

Vol. 66, Part IX
Ramadan, 1414 Hijrah

EDITOR : Dr. TRANDIL HUSSEIN EL RAKHAWY. PHD

## CONTENTS

1. A comparative study of the English translations of the Meanings of Surah Ma'ryam part III A.
   By : Mona Salem Abdel Ghaffar

2. Dirvorce in Islam part III.
   By : Muhammad Higab.

"Nothing would be of greater benefit to Muslims and to Humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

# الفهـــرس


- الافتتاحية ( الأزهر والفحص والنقد ) 
  فضيلة الدكتور/ على أحمد الخطيب ... ١٢٨١
- مع الإمام الأكبر
  الصيام وآثاره ............ ١٢٨٥
  فتوى فى حكم اختلاط الخنثى المشكل . ١٢٨٨
- مع سورة الأنفال
  لفضيلة الدكتور / عبدالجليل شلبى .... ١٢٩١
- الرياء يمحق العبادة
  لفضيلة الشيخ على حامد عبدالرحيم ... ١٢٩٦
- إمام القادة ـ صلى الله عليه وسلم ـ
  للواء أ.ح محمد جمال الدين محفوظ .... ١٣٠٠
- رواية الحديث وعلاقته بالنحو
  للأستاذ / جمال عبد العزيز أحمد ...... ١٣٠٤
- الربا .. الحزن الممتد
  للواء أ. ح.د. فوزى محمد طايل ...... ١٣٠٩
- شهر عظيم وكتاب كريم
  لفضيلة الشيخ محمد حافظ سليمان .... ١٣١٥
- الإنسان والشيطان
  أ.د. كارم السيد غنيم ............... ١٣٢١
- الصيام فى الإسلام
  فضيلة الشيخ سيف النصر عبدالعزيزالمجلى ١٣٢٧
- حقوق الزوجة فى الإسلام
  أ. / عبير محمد عبدالواحد ........... ١٣٣١
- العالم الإسلامى المعاصر
  د. / زينب الأشوح ............ ١٣٣٦
- معالجة مشكلة البطالة
  د. / سهير حسن عبدالعال ........ ١٣٤١
- الفتاوى
  إعداد الأستاذ / عبد المنعم فودة ...... ١٣٤٨
- من أعلام الأزهر «الشيخ سعد الدين العلمى»
  للمستشار محمد عزت الطهطاوى .... ١٣٥٠
- من روائع الماضى بمجلة الأزهر
  بقلم الأستاذ/ عبدالفتاح حسين الزيات ١٣٥٤
- طرائف ومواقف
  للأستاذ / عبدالحفيظ محمد عبدالحليم .. ١٣٥٨
- الشعر والشعراء
  إشراف الأستاذ/ رشاد محمد يوسف!... ١٣٦٠
- قراءة إسلامية فى كتاب الكون
  أ.د. / أحمد فؤاد باشا ............... ١٣٧٢
- المعجزة القرآنية فى حساب السرعة الضوئية
  أ.د / منصور محمد حسب النبى ...... ١٣٧٧
- الجديد فى العلم والتقنية
  إعداد د. / نجوى السيد أحمد ......... ١٣٨٣
- البحث النحوى عند الإمام النووى
  دكتور / محمد عبدالقادر هنادى ...... ١٣٨٦
- مستقبل الثقافة فى مصر
  أ.د. / محمد رجب البيومى ........... ١٣٩٣
- مسيرة الوحدة الموضوعية
  للأستاذ / أحمد مصطفى حافظ ........ ١٤٠١
- أطفال البوسنه الأبرياء
  عرض وتقديم الأستاذ عادل خفاجة ... ١٤٠٧
- بين المجلة والقارئ
  إعداد د. / محمد عبد الحكيم محمد .... ١٤١٣
- أنباء مكتب الإمام الأكبر
  للأستاذين/ عمر البسطويسى
  ومصطفى عبد المجيد ............... ١٤٢٠
- إدارة الإعلام الدينى فى مؤتمر عام
  للشيخ السيد عبدالمقصود عسكر ...... ١٤٢٣
- أنباء العالم الإسلامى
  إعداد الأستاذ / مجدى عبدالحميد بشير ١٤٢٦
- القسم الفرنسى ............... ١٤٣٣
- القسم الإنجليزى ............... ١٤٣٩



# الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ

تصدر عن

مجمع البحوث الإسلامية

في مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير

دكتور / علي أحمد الخطيب

مدير التحرير

علي حامد عبد الرحيم

سكرتير التحرير

عادل رفاعي خفاجة

• المراسلات / باسم مدير التحرير - إدارة الأزهر بالقاهرة

ت ٢٦٣٨٥٩٩ - ٩٠٥٤٧٣

• الاشتراكات / قسم الاشتراكات بالأهرام

شارع الجلاء - القاهرة


بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة العالمين وعلى آله وصحبه وتابعيه بإحسان إلى يوم الدين ..



# العزة بالإسلام ..

## خلاص المسلمين

الله - جل جلاله - « العزيز » ، وهو « رب العزة » ، وهو - وحده جل وعلا - الذى جعل للعزة جناحين : الغلبة والقوة ، فهما الطبيعتان المشكّلتان للعزة ، ولا وجود لها ، ولهما ، إلا مع الإيمان الخالص - قال تعالى : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾(1) ... حصْرٌ تام لا مجال للعزة فى غيرِه .

هى لِلَّهِ - عزَّ وَجَل - لأنه « المؤمن » .. تاج من تيجان أسمائه الحسنى . سبحانه وتعالى .

وهى لرسوله - صلى الله عليه وسلم - فإنه أكمل المؤمنين ، وأوَّلُ المؤمنين . ثم هم التابعون ، قال - تعالى : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ سورة البقرة - ٢٨٥

هكذا . لم تنفصل العزة عن الإيمان ، ولا كانت إلا بالله : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾ سورة فاطر - آية : ١٠

(1) سورة المنافقون : آية ٨

ولا كانت دون غلبة ولا قوة ، فإنهما العزةُ عينها التى جعلها الإيمانُ ترسو على قاعدة صلبة من العدل والحق والتواضع ؛ فصحبها الفلاح الدائم ، قال ـ تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ﴾
( ســورة المؤمنون )

إن عزة المؤمنين عزة وَحْدَةٍ لا شقاق فيها ولا نفاق ... إنها على نقيض عزة الكافرين . قال ـ تعالى :
﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴾ سورة ص ـ آية : ٢

عزة الوحدة ، لا يطلبها من غير الله ـ تعالى ـ إلا ذليل .

ولقد أحب الله للمسلمين أن يكونوا أعِزَّة فأمرهم بممارسة العمل فى مصادر العزة ... وكشف لهم بأوضح وضوح ـ هدف أعدائهم . فقال ـ تعالى ـ فى الأولى :
﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ سورة الأنفال ـ آية : ٦٠

وحذرنا من نقضها فقال ـ عز من قائل : ﴿ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾
سورة الأنفال : ٤٦

وكشف ـ لنا ـ عن هدفهم بقوله ـ سبحانه : ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ﴾ سورة البقرة ـ آية : ٢١٧

إن العدو فى تآمر ضدنا إلى يوم القيامة ، فيجب أن تكون قوتنا صامدة إلى يوم القيامة ؛ إذ الاستمرار نصّ فى الآية الكريمة فى قوله ـ تعالى : « ولا يزالون » وفى ذلك تحذير من خَوَرٍ يُصاب به المسلمون فيكون ثغرة يلجها الأعداء المتربصون دائماً ، فلا ننال منهم سلاماً ، ولا تأخذهم بنا شفقة ولا رحمة ، وفى ذلك يقول ـ عز وجل : ﴿ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ سورة التوبة ـ اية : ٨

ولقد حدثت الثغرة ونزل العدو فتكاً بأطفالنا المسلمين فى ( سوق سرايفو ) بالأمس القريب ، وكرَّ بمذبحة ـ أخرى ـ فى مسلسل مذابحه ـ بفلسطين بالمسجد الإبراهيمى ، وتغمرنا الصحافة الإنجليزية بسيل من احتجاج عنيف ضد هذا « المجنون » الذى قام بهذه العملية فى المسجد الإبراهيمى .

جعلوه ( مجنوناً ) يا قوم حتى من قبل إيقاع الكشف الطبى عليه ...!! وعلى الضحايا العفاء ومتى كان المجنون مجرماً ..؟.. وعند من تكون ديةُ هذه الأرواح ..؟

أعند الأمم المتحدة بشرعيتها الدولية ..؟

أم عند اليهود ؟

أم عند حلف الأطلنطى ..؟

فأما اليهود فهم يودون أن لو كانت الدولة الفلسطينية من إسرائيل كإمارة « موناكو » من فرنسا ، وعبرت ألفاظهم المعسولة عن الرجاء فى اتحاد بالدولة الناشئة .

وأما حلف الأطلنطى ، فمن منا يستطيع أن ينكر ما أذاعه الغرب نفسه عن وظيفة هذا الحلف بعد أن تفتت الاتحاد السوفيتى ، فاستبقاه القوم ؛ لأن الإسلام أشد خطراً عليهم من الشيوعية .. ؟

من منا يستطيع أن ينكر هدف الأطلنطى ؟! وها هو - الآن - يسيطر على الأمور فى « البوسنه » . وكم نخشى أن ينال من البوسنه ما لم ينله الصرب ثم الكروات من بعدهم .

ألا .. فلنطلب إلى الله القدير - العزة :

ألا وحدة دولية إسلامية جامعة ترسو على قاعدتى العدل والإنصاف فتبيد بذور الشقاق ، وتنبت الثقة لتنتهى آلامنا ومرارتها ، ليفرح المؤمنون ويقولوا : وداعا أيها الحزن !!

ألا وحدة ثمَّ مجالدة للعدو دون تباطؤ ... دون تثاقل ... دون إلقاء الواجب على الآخرين منا . وقد حذرنا - تعالى - من ذلك التباطؤ فقال - عز من قائل :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾

**سورة التوبة**

﴿ ... ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَـٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

**سورة التوبة - آية : ٤١**

**والله خير الشاهدين ..!!!**



مع الإمام الأكبر

# جوائز الصوم في يوم عيد الفطر

بقلم فضيلة الإمام الأكبر الشيخ / جاد الحق على جاد الحق
شيخ الأزهـر

هذا يوم عيد الفطر له حرمته وأحكامه فى الإسلام ؛ فقد حرم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ صوم يوم عيد الفطر فهو من خصوصيات المسلمين كما يشير إلى ذلك حديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذى رواه أبو داود والنسائى عن أنس : قال : قدم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما . فقال : ما هذان اليومان ؟ قالوا : كنا نلعب فيهما فى الجاهلية ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

« إن الله قد أبدلكم بهما خيراً منها : يوم الأضحى ، ويوم الفطر » . فهما يوما ذكر وشكر وفرح بنعمة التوفيق للطاعة بدلا من يومى اللعب واللهو والصخب .

فهذان اليومان جائزة من الله لمن اتقاه ، وأدى العبادة التى كلف بها .

ونحن نستقبل اليوم عيد الفطر المبارك .. أقدم فيه التهنئة إلى الأمة الإسلامية فى كل مكان على أرض الله ؛ باعتباره يوما استكملوا قبله فرضا من فرائض الإسلام ؛ فهو يوم البشرى والسرور بفضل الله وتوفيقه بصيام شهر رمضان الذى وصفه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقوله :

« شهر كتب الله عليكم صيامه ، وسننت لكم قيامه ، فمن صامه وقامه إيمانا واحتسابا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » ..

هذا العيد : يوم يستروح فيه المسلمون بعد تمام فريضة الصوم وتعم فيه الفرحة جميع المسلمين ، الصغير ، والكبير ، والغنى ، والفقير ، وهو يوم صدقة الفطر ، ويوم عطف وإحسان .. يخرج فيه الغنى بصدقته ساعيا إلى أخيه الفقير لا يبتغى إلا ثواب الله ورضوانه .

يوم تقرب فيه القرابة ، وتوصل فيه الأرحام ، ويلتقى فيه المسلمون على صفاء القلوب ونقاء الضمائر .

هذا يوم ينبغى لنا أن نجدد فيه الأمل ، ونفتح باب الرجاء فى الله تجاه أحداث الأمة الإسلامية .

إن الرجاء فى الله أن يرفع عن المسلمين ما نزل بهم من كربات ، ويجمع كلمتهم على الإخاء والتناصر ، ويأخذ بأيديهم إلى سبل الأمن والنجاة ، فتشفى قلوبهم من الفرقة التى ضيعتهم وأغرت بهم أعداءهم .

إن المحنة تلد المنحة ، وإن الله ـ تعالى ـ يدعونا فى مثل هذه المواقف إلى الأمل والعمل .. الأمل فى الله مهما عظم الخطب أو كثرت النوائب . لنقرأ قول الله ـ سبحانه ـ :

﴿ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ .. ﴾

آل عمران : ١٣٨ ـ ١٤٠

ذلكم الأمل ..

أما العمل فهو لما ينفع المسلمين فى دينهم ودنياهم ، وجماع ذلك كلمة التقوى وفى قول الله ـ عز شأنه ـ :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ .

الأنفال : ٢٩

لنأخذ من عبادتنا المفروضة الوسيلة إلى الوحدة ، وحدة الهدف ، ووحدة العمل حتى يتحقق فينا وصف القرآن وما طلبه منا ربنا فى قوله ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴾ .

المؤمنون : ٥٢

ولنأخذ من شهر رمضان طهرة لقلوبنا من البغضاء والأحقاد ونعى ما حاق بنا بتفرقنا فقد تخطفتنا الأمم من حولنا ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

ما أحوجنا نحن المسلمين ـ فى هذا العصر ـ إلى أن نفهم أعيادنا فهما صحيحا نستقبلها به حتى تكون أيامنا سعيدة رشيدة عاملة تنبه فى نفوسنا عزائم الأمور ، ولا يكون أكبر همنا فيها تجديد الثياب وتوزيع الفراغ ، إذ العيد هو المعنى الاجتماعى والإنسانى الذى يكون فى يومه لا اليوم نفسه .

العيد فى الإسلام إشعار هذه الأمة بأن فيها القدرة على تغيير الأيام ، لا شعورها بأن الأيام تتغير إيمانا بقول الله سبحانه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ .

الرعد : ١١

وبذا يكون العيد يوما تحرص فيه الأمة على إبراز جمال نظامها الاجتماعى ، فيكون يوم الشعور الواحد لدى نفوس المجتمع ، والكلمة الواحدة فى ألسنة الجميع ، وليس العيد فى الإسلام إلا توجيه الأمة وتعليمها كيف تتسع روح الجوار وتمتد حتى يصير البلد الواحد من بلاد المسلمين وكأنه دار واحدة فيها كل عناصر وسمات الإخاء العملى ، وتستعلن فضيلة الإخلاص ويتبادل الناس الهدايا وإن تباعدت منازلهم وأقدارهم ، والعيد بهذا يكون مناسبة لإظهار الذاتيــة والخصائص الاجتماعية للأمة حتى تكون متميزة بطابعها الشعبى مميزة عن غيرها من الأمم الأخرى ، تأكل وتلبس من عمل يدها معتزة بصناعاتها وبكافة منتجاتها مستبصرة بمستقبلها حفية بكبارها ، رحيمة بصغارها ، تعمل الصفات الإنسانية فى جموعها عمل الحليف لحليفه لا عمل المنابذ لخصمه . فالعيد تخل عن كل حقد وغـل وحفيظة ، وتحل بكل كمال ومودة .

فبالصوم تعالت النفوس فوق الشهوات والشبهات وصبرت وصابرت وثابرت حتى أكملت العدة واستبشرت باستكمال المدة وتلك قاعدة هذا الدين ـ الإسلام ـ ألّا يستسلم المسلم لِلْوَهْم أو الْوَهَن أو الضيق والحزن وإنما يغالب المصاعب إذا واجهته حتى تنقشع عن ساحته ويحل الفرج واليسر .

لقد كان الصوم تدريبا على قوة العزيمة وحزم الإرادة ، وذلك ربح عظيم يعود بالخير الوفير لو أننا استثمرناه فى مستقبل الحياة ، والعيد بهذا صوت القوة يهتف بالأمة أن هذا يوم الأفراح بعيدا عن الأتراح ويوم النصر بعيداً عما كان من القهر .

إن الرجاء فى الله العلى الأعلى أن يرفع عن المسلمين ما نزل بهم من كربات ، ويجمع كلمتهم على الأخوة المتناصرة ويأخذ بأيديهم إلى سبل الأمن والنجاة ، فتشفى قلوبهم من الفرقة التى ضيعتهم وأغرت بهم أعداءهم .

إن على الأمة الإسلامية أن تذكر فى هذا اليوم ـ يوم عيد الفطر ـ تلك الشعوب الإسلامية التى

تكافح لاسترداد حقوقها المسلوبة فتساندها وتمدها بما يعزز قوتها حتى تصل إلى غايتها ، وأن ترعى أولئك الذين طردوا من ديارهم والذين أصابهم القحط ، وليكونوا لهؤلاء وأولئك سندا ومددا بما يقيم الحياة ويعين على النجاة وفاء بحقوق الأخوة .

نعم : ليذكر المسلمون ـ شعوبا وحكومات ـ أولئك الذين أخرجوا من ديارهم وشردوا وعذبوا وأوذوا لا لذنب إلا أن يقولوا ربنا الله وديننا الإسلام : فى البوسنه والهرسك ، فى الهند ، فى بورما ، فى كشمير .

وليضموا صفوفهم ، وليجمعوا أمرهم وكلمتهم ، فإن يد الله مع الجماعة وأن الرماح إذا تفرقت وتخاذلت تكسرت ، وأن العدوان على أرض المسلمين وأهلهم ، واغتصاب نسائهم ، وتشريد أطفالهم ، إنذار من أولئك الذين أقدموا على هذه الأعمال الوحشية ، أنهم ماضون فى هذا الطريق اغتصابا للأرض وللعرض ، وأن على المسلمين أن يصمدوا أمام هذه الهجمة الشرسة ، أن يذكروا أن حماية الدين والنفس والنسل والمال والعقل من ضرورات الإسلام ، وأن ... الدفاع عنها كلا أو بعضا فرض حتم وأن على الأمة الإسلامية أن تقف مع النفس وأن تذكر ذلك المثل « أكلت يوم أكل الثور الأبيض .

**اليوم عيد الفطر :**

به تكون أمة المسلمين قد ودعت شهر رمضان الذى تراءت ثمرات صومه وتوافرت ، الصوم : تهذيب ، وتأديب ، وتدريب ..

فيه يكون الناس شعوراً واحدا ، وحسا واحدا ، وطبيعة واحدة ، ويكمل الصوم بقوة الإرادة وباستجابة لطاعة الله ، فتحول بين البطن وماتبتغى من مادة وسائر الشهوات ، وبهذا يضع الصوم الأمة المسلمة كلها فى حالة نفسية واحدة تلم بأنفس المسلمين جميعاً فى مشارق الأرض ومغاربها ، وتتعلم منه هذه النفوس الرحمة ، والمساواة بين الغنى والفقير ، إذ هذه الرحمة تنشأ عن الألم وهذا بعض الحكم الاجتماعية للصوم حيث يبالغ الصائم أشد المبالغة ، ويحتاط كل الحيطة فى منع الغذاء وشبهه عن البطن . جهد الطاقة وهذه طريقة عملية لتربية الرحمة فى الإنسان ، ومتى تحققت رحمة الغنى للجائع الفقير كان للكلمة الإنسانية الداخلية ( الجوع ) سلطانها النافذ فيبادر الغنى الجائع إلى الاستجابة لمواساة الفقير ، ودفع جوعه الذى أحس به بصومه .

فى الصوم ثمرة الثمرات إذ به تتربى الإرادة وتقوى بهذا الأسلوب العملى ، حيث يتدرب الصائم على أن يكف نفسه باختياره عن شهواته وملذاته الحيوانية مصابراً نفسه مزاولا فى كل ذلك أفضل الطرق لاكتساب الفكرة الثابتة التى ترسخ ولا تتبدل وتلك منزلة اجتماعية سامية تقتل التردد فى الفكر وفى العمل .

والمسلمون حين يودعون شهر رمضان باستقبال عيد الفطر ينبغى أن يتساءلوا مع أنفسهم : هل حالكم يوم تودعونه خير من حالكم يوم استقبلتموه ؟

وهل تشعرون بأنكم قد أديتم هذا الركن من أركان الإسلام فأصبحت نفوسكـم أطهـر وأخلاقكم أكرم وأهواؤكم أرفع ؟ وهل به أصبحتم أشد قربا من الله وتحققت لديكم قوة المراقبة لله ( الوازع الدينى ) الحارس الأمين وهل توثقت صلتكم بالناس وملأت الرحمة قلوبكم وارتديتم الصبر عند الجزع والفزع وطبتم نفسا بالحياة ؟ لعلنا نحن المسلمين الصائمين الصابرين نجيب بالإيجاب .

وهذا ما يدعونا أن نستثمر هذا الذى اعتدناه من خصال الخير فى كافة شهور العام ونجعلها كشهر رمضان فنستمر فى الصوم عن ظاهر الإثم وباطنه ونغل أيدينا عن الأذى ونكف ألسنتنا عن الكذب وقول الزور ، والغيبة ، والنميمة ، والقول فى الدين بغير علم ، والجرأة على الفتوى فيما لا نحسنه ونطهر قلوبنا من الحقد والحسد ، والغل ، وننزه مكاسبنا عن الحرام ، ونبرأ إلى الله من الغش فى الصناعة والتجارة والنصيحة وسائر الأعمال .

لعل صوم رمضان يثمر فينا أن نقتصد فى الإنفاق خارج بيوتنا لنوسع على أنفسنا وأهلينا بقضاء حوائجهم ، ونقتصد كذلك فى الأنس بالمقاهى والنوادى لنوفر كثيرا من الأنس بالأسرة لنُصلح من شأنها ونُهَدِّىء من روعها ونتابع أولادنا .

واذا كان السِّكير قد هجر خمره طوال رمضان صائما طائعا ، فزكا بهذا قلبه وصح بدنه ، وتوافرت أمواله . فلماذا وهذه ثمرة طيبة للصوم لا يواصل العيش على هذا المنهج بعد رمضان . لاسيما وقد تربت إرادته ، وقويت عزيمته حتى انهزم أمامها إدمانه وأفاق مما أنغمس فيه من إثم وحرمات وإتلاف ، وهذا المدخن الذى استمسك ضد التدخين طوال نهار أيام رمضان فاستراح صدره وسكنت أعصابه وقويت شهوته للطعام واستفاد جسده لماذا لا يستثمر هذه الإرادة .. وتلك العزيمة عزيمة الصوم فيلغى عادة التدخين واستهلاك الأموال بالإحراق بالنار ونفخها فى الهواء .

وهذا القوى الذى تعلم الحلم والصبر من الصوم فكان يمر باللغو مر الكرام فيقابل الإساءة بالإحسان والقطيعة بالتواصل فاستقر السلام والأمن فى قلبه وسعدت نفسه بالوئام مع الناس لماذا لا يحرص على هذا الخلق الذى استفاده واعتاده ثلاثين يوما وليلة ، فيسعد نفسه ويسعد به الناس ويكون قدوة حسنة فى العالم .

وهذا التاجر الذى راض نفسه بالصوم فوقف عند حدود الله فى تجارته فأوفى الكيل والميزان ولم يقارف الاحتكار ، ولم يغش بضائعه ، ولم يغل الأسعار ورضى الله عنه بذلك الصنيع الطائع لله ورسوله ﷺ ( أوفو الكيل ولا تخسروا الميزان ) « من غشنا فليس منا » « المحتكر خاطىء » أفلا يستمر فيما أرضى به ربه ، وأن يلزم نفسه ذلك فى كل أوقاته وتصرفاته بعد أن ذاق طعم الحلال وأدرك حلاوة ومذاق الحق .

ونحن المسلمين : نستقبل اليوم عيد الفطر ونودع شهر رمضان ينبغى أن نستديم خيره عبادة وسلوكا وأخلاقا وبرا وعدلا وإحسانا .

إنه شهر رياضة نفسية وجسدية وموسم استشفاء فلنروض أنفسنا على استمرار الثمرات التى اكتسبناها من صوم شهر رمضان ، ولنعتبر بذلك المريض الذى يهرع إلى الطبيب يستنصحه الداء والدواء ، فإذا ما فرض عليه طبيبه نظاما معينا للطعام ، والشراب ، والنوم ، والرياضة التزمه طلبا لشفائه فكيف وقد وصف الله خالقنا دواء لأدوائنا النفسية والجسدية صوم شهر رمضان كيف لا نلتزم هذا الدواء وثمراته .

إن الفرح بالعيد إذا امتزج بثمرات الصوم كانت المباهج وتضاءلت المثالب وكان شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن قد انصرم وبقيت ثماره زادا من التقوى للقلب وللروح وقوة الجسد وشفاء لما فى الصدور ، وعدة من الصبر والجهاد والجلاد ، والعمل المنتج المثمر زادا وعتادا لهذه المهمة .

إن الأمة الإسلامية تواجه الآن العاصفة أو الاعصار والحصار من كل اتجاه وفى عديد من المجالات فعلى الشعوب الإسلامية أن توحد خطتها وتواجه أزمتها بشجاعة جند غزوة الأحزاب دون اندفاع تنثلم به وحدة الصف .

ولقد كان أمرا محمودا هذا التحرك السريع واللقاءات العاجلة بين الزعماء وأنه يكون أمرا محمودا أن يتنادى الزعماء والملوك والرؤساء والأمراء إلى لقاء جماعى فى ظل أية مؤسسة دولية — جامعة الدول العربية — أو — منظمة المؤتمر الإسلامى — لاتخاذ إجراءات التضامن والتعاون دفاعا عن الأرض والعرض ولاحتواء عناصر الإثارة ووقف التهديدات المثارة ، دون إغفالها ، فإن وميض النار ما زال تحت التراب .

ولتتوقف المهاترات فى وسائل الإعلام ، ولتنصرف الأقلام والقنوات إلى الدعوة إلى جمع الكلمة ونبذ الفرقة والأخذ على يد من يدعو إليها ، ولتأخذ الأمة الإسلامية كافة ، شعوبا وحكومات وزعماء حذرها .

ولتصمد ولتواجه التحدى بالحكمة المقرونة بالعدة ، ولتثق الأمة بنفسها وبزعمائها حتى تجتاز هذه المحن المترادفة المتواكبة ، ولتحذر الخلاف فإنه إتلاف للقوة وتمهيد للنكبة

﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ الأنفال : ٤٦

ولقد اوضح القرآن عناصر النصر فخذوا بها ولا يكن أمركم عليكم غمة .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾
آل عمران : ٢٠٠

# فتوى في حكم زواج الدرزي من مسلمة

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله ..

وبعد ....

فقد ورد لمكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر خطاب من السيد/ جهاد يوسف البنى - بدولة الإمارات العربية دبى ص.ب. ٦٩٩٠ كان مما جاء به :

« لى أخت فى سن الزواج ، وتقدم لخطبتها شاب من عائلة محترمة وجيدة ، حسنة السيرة والسلوك والسمعة ، تؤمن بالله ورسوله الكريم عليه الصلاة والسلام ، وهو ابن بلدى وابن منطقتى ، وإنى أعرفه ونعرف أهله جيداً ، فهو مستقيم فى حياته ، فيؤدى الصلاة ويصوم رمضان ، إلا أنه من عائلة درزية مسلمة ، ويشاع عندنا أن الدروز ليسوا مسلمين أو أنهم طائفة من المسلمين ..

لذا أرجو من فضيلتكم توضيح الأمر لنا من جميع نواحيه ، وحتى نكون على دراية بمن نزوج ابنتنا ، ولا أخفى عليك يا فضيلة الشيخ أنه شاب مثال للاستقامة والصدق والعمل .. وقد استمهلت الشاب حتى تفيدنى برأى الإسلام فى هذا الموضوع الهام ..

ودمتم ذخراً للمسلمين وعوناً لمن يريد أن يطلع ويتفقه فى دينه وفى كشف الالتباسات بالحقائق والبراهين ، ولكم جزيل الشكر والامتنان وجزاكم الله كل الخير .

مقدمه جهاد يوسف البنى

الجــــواب :

إنه قد ورد فى الكتب والأخبار من المعلومات ما يفيد أن الدروز هم أتباع أبى محمد الدَّرزى - بفتــح الــدال المشددة - وكانــوا أولاً من الاسماعيلية ، ثم خرجوا عليهم ، ويسكنون سوريا ولبنان .. وتقوم عقيدتهم على تألية الحاكم بأمر الله الفاطمى ، وبرجعته ويتخذون سنة ٤٠٨ هـ مبدأ لتاريخهم الذى أعلن فيه دعاتهم ألوهية الحاكم ، وهم يعتبرون أنفسهم من المسلمين ، وإن كانت مبادئهم الدينية سرية ، لا يصرحون بها ، فنشأت شائعات عن عقائدهم وعباداتهم ، حتى كانت حملة الجيش السورى على جبل الدروز فى أواخر عهد ( الشيشكلى ) فعثر على بعض مخطوطاتهم التى شرحت مذهبهم ، وألف بعض مؤرخى العصر الحديث كتاباً عنهم .. وهم يقولون بالتقية أى : بالتظاهر بموافقة الآخرين ، ويقولون - أيضاً - بتناسخ الأرواح وإنها ثلاث درجات .

الأولى : العقل أو العقَّال - بتشديد القاف المفتوحة - وهم رجال الدين ذوو النفوذ الكبير .

والثانية : الأجاويد المطلعون على تعاليم الدين

والملتزمون بها .

والثالثة : العامة أو الجهال ..

وليس لهم مساجد بل خلوات خاصة لا يدرى ما يجرى فيها ، ولا يصومون إلا ما يقال عن الشيوخ العقل من صيام أيام غير رمضان ، ولا يحجون إلى الكعبة بل إلى خلوة البياضية فى بلدة (حاصبية) التابعة لبيروت ، ويقال : إنهم لا يقرون تعدد الزوجات ، ولا الرجعة فى الطلاق ، ولا يورثون البنات ..

هذا بعض ما تسرب من المعلومات عنهم فى الكتب والأخبار .. ونظراً للسرية التامة ، ولتشددهم فى مبدأ التقية ، فإن حقيقة مذهبهم لا يعرف منها إلا القليل ، لكن كتب عنهم (عصام الجيتاوى) كلاما تفصيلياً نشرته مجلة (المجتمع) التى صدرت بالكويت بتاريخ ١٩٧٨/٤/٢٥م فيرجع إليه .

وقد صدرت عن دار الإفتاء المصرية فتوى فى مثل هذا الموضوع فى ١٥ ديسمبر سنة ١٩٣٤م استندت إلى ما جاء فى باب المرتد بالجزء الرابع من حاشية رد المحتار لابن عابدين على كتاب الدر المختار للحصكفى شرح تنوير الأبصار للعلائى فى الفقه الحنفى ، ونص الفتوى :-

« تنبية : يعلم مماهنا حكم الدروز والتيامنة فإنهم فى البلاد الشامية يظهرون الإسلام والصوم والصلاة مع أنهم يعتقدون تناسخ الأرواح وحل الخمر والزنا ، وأن الألوهية تظهر فى شخص بعد شخص ويجحدون الحشر والصوم والصلاة والحج ، ويقولون : المسمى بها غير المعنى المراد ، ويتكلمون فى جناب نبينا ﷺ كلمات فظيعة ، وللعلامة المحقق عبدالرحمن العماوى فيهم فتوى مطولة ، وذكر فيها أنهم ينتحلون عقائد النصيرية ، والإسماعيلية الذين يلقبون بالقرامطة ، والباطنية الذين ذكرهم صاحب المواقف ، ونقل عن علماء المذاهب الأربعة أنه لا يحل إقرارهم فى ديار الإسلام بجزية ولا غيرها ، ولا تحل مناكحتهم ولا ذبائحهم[1] . أ.هـ .

وقال ابن عابدين - أيضاً - فى رد المحتار فى فصل المحرمات عند قول المصنف وحرم نكاح الوثنية بالإجماع ما نصه :

قلت : وشمل ذلك الدروز ، والنصيرية ، والتيامنة ، فلا تحل مناكحتهم ، ولا تؤكل ذبائحهم ؛ لأنهم ليس لهم كتاب سماوى[2] . أ.هـ .

ومن هذا يعلم أنه إذا كان الرجل المسئول عنه من طائفة الدروز ، وكانت هذه الطائفة حالها كما نقل عن ابن عابدين فلا يجوز مناكحته ، ولا تزويجه ؛ لوضوح الفرق بين ما عليه الدروز من اعتقاد فاسد وما عليه أهل السنة والجماعة .

أما إذا كان قد فارق عقيدة الدروز واعتنق عقيدة أهل السنة واستقام عليها فإنه حينئذ يكون مسلماً ويزوج ويعامل معاملة المسلمين ، وعلى السائل أن يتأكد ويتفحص الأمر حتى يتثبت من واقع حال السائل قبل أن يقدم على مالا يحمد عقباه وبخاصة أن الدروز يقولون بالتقية ويتظاهرون بموافقة الآخرين .

وهذا إذا كان الحال كما ورد بالسؤال ..

والله سبحانه وتعالى أعلم ..

---

(١) ص ٢٦٣ ، ٢٦٤ .

(٢) بيان للناس ج ٢ ، ص ١٧ وابن عابدين حاشية رد المحتار على الدر المختار ج ٣ ص ٤٨ والفتاوى الإسلامية ج ١ ص ٢٠٢ .

# الأزهر الشريف

# والرقابة على المصنفات الفنية

للمستشار/ محمد حلمى إبراهيم

**تعددت الآراء فى الآونة الأخيرة حول مدى اختصاص الأزهر الشريف بالتصدى للأعمال الفنية والمصنفات السمعية أو السمعية البصرية التى تتناول قضايا إسلامية ، أو شأناً من الشئون التى تتعارض مع الإسلام ، ومنع هذه الأعمال من الطبع أو التسجيل أو النشر والتوزيع والتداول .**

كما اختلفت وجهات النظر فى شأن الضوابط التى تحكم اختصاص كل من الأزهر الشريف ووزارة الثقافة فى مجال الرقابة على المصنفات الفنية .

وإزاء ذلك فقد ارتأى فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر عرض هذا الموضوع على الجمعية العمومية لقسمى الفتوى والتشريع بمجلس الدولة لبيان وجه الرأى القانونى فيه ، فى ضوء أحكام القوانين التى تنظم الأزهر الشريف ، وتلك التى أخضعت المصنفات الفنية للرقابة .

وقد تناولت الجمعية العمومية لقسمى الفتوى

والتشريع بمجلس الدولة هذا الموضوع بالبحث بجلستها المعقودة بتاريخ الثانى من فبراير سنة ١٩٩٤م وخلصت من البحث العميق الدقيق ، إلى وضع الضوابط التى تحكم الرقابة على المصنفات الفنية بوزارة الثقافة إذا ما تعلق المصنف بشأن إسلامى ، وقررت مبدأ هاماً مقتضاه التزام جهات الإدارة المختلفة ـ ومن بينها الرقابة على المصنفات الفنية بوزارة الثقافة ـ بالتقدير الذى تتوصل إليه الهيئات المتخصصة بالأزهر الشريف نتيجة ما تقوم به من بحوث ودراسات .
وخلصت الفتوى التى أصدرتها الجمعية العمومية لقسمى الفتوى والتشريع فى هذا الشأن إلى عدد من المبادىء القانونية الهامة التى نوجزها فيما يلى :

١ ـ اختصاص وزارة الثقافة بالرقابة على المصنفات الفنية ـ أساسها ـ أهدافها ـ نطاقها .

٢ ـ الإسلام ومبادئه وقيمه إنما تتخلل النظام العام والآداب فى الدولة ـ وهو ما تتضمنه المصالح العليا لها ـ أساس ذلك .

٣ ـ الأزهر الشريف ـ يتحمل مهمة الحفظ للشريعة الغراء وفهم علومها .. وحمل أمانة الرسالة الإسلامية إلى الشعوب كلها مع إظهار حقيقة الإسلام وأثره ، مصادر ذلك .

٤ ـ فضيلة شيخ الأزهر له مقام الإمام الأكبر ، وله مرتبة الإشراف ، وهو صاحب الرأى فى كل ما يتصل بالشئون الدينية .

٥ ـ الأزهر الشريف وهيئاته المتخصصة هو الجهة صاحبة التقدير الملزم فيما يتعلق بكل شأن إسلامى ، وتلتزم بهذا التقدير جهات الإدارة بالدولة كافة ، وفقاً لصلاحيات وولايات كل منها ، ومن هذه الجهات وزارة الثقافة ـ أساس ذلك ـ نتائجه .

٦ ـ سكوت وزارة الثقافة الذى يستخلص منه صدور قرار ضمنى بموافقة هذه الوزارة على الترخيص بالمصنف الفنى الذى يحتوى شأناً إسلامياً ـ هذا السكوت لا ينتج أى أثر قانونى ، ولا يحتج به إذا لم يتح العلم للأزهر الشريف بالمصنف الفنى ـ أساس ذلك .

٧ ـ للأزهر الشريف دون غيره ولاية إصدار القرار بالترخيص بطباعة المصحف الشريف ونشره وتوزيعه وتداوله وعرضه وتسجيله للتداول وكذلك الأحاديث النبوية ـ أساس ذلك .

٨ ـ بالنسبة إلى غير الشأن الإسلامى فإن لوزارة الثقافة تقدير جوانب ما يتصل بالنظام العام والآداب وما يدخل فى إطار المصلحة العليا للدولة ذات التميز عن الأمور الإسلامية والدينية .
ومن استعراض هذه الفتوى الهامة نخلص إلى المبادىء القانونية الآتية :

المبدأ الأول :

اختصاص وزارة الثقافة بالرقابة على المصنفات الفنية وذلك بقصد حماية النظام العام والآداب

ومصالح الدولة العليا ، وحظر كافة الأعمال المتعلقة بهذه المصنفات من تصدير وتسجيل ونسخ وأداء وعرض وتداول وإذاعة وتوزيع .. الخ . بغير ترخيص يصدر من وزارة الثقافة سواء كان الترخيص صريحاً أو ضمنياً على النحو الوارد بالقانون ٤٣٠ لسنة ٥٥ معدلاً بالقانون رقم ٣٨ لسنة ١٩٩٢م ، وذلك عدا ما يتعلق بطبع المصحف الشريف والأحاديث النبوية الذى ينظمه القانون رقم ١٠٢ لسنة ١٩٨٥م وفى إطار أحكام هذا القانون .

والرقابة المستهدفة بأعمال سلطة الترخيص بالموافقة أو بالرفض إنما تتغيأ حماية النظام العام والآداب ومصالح الدولة العليا ، وركن السبب فى القرار الصادر فى هذا الشأن إنما يدور فى هذا الفلك .

المبدأ الثانى :

الإسلام دين الدولة ، واللغة العربية لغتها الرسمية ، مَبْدَءَان دستوريـــان حرص المشرع الدستورى الوضعى على النص عليهما فى دساتير مصر المتعاقبة منذ انتظمت الجماعة المصرية فى دولة ذات دستور منظم لوجودها كشخص معنوى عام ، وأضاف الدستور الصادر فى عام ١٩٧١م مبدأ ثالثاً مفاده أن « مبادىء الشريعة الإسلامية المصدر الرئيسى للتشريع » . ومن ثم فإن الإسلام ومبادئه وقيمه إنما تتخلل النظام العام والآداب فى الدولة ، وهو كذلك مما تضمنه المصالح العليا للدولة .

المبدأ الثالث :

إن المتتبع لتعاقب المراحل المتتابعة التى مرت بها التشريعات المختلفة المنظمة للأزهر الشريف ، بدءاً من القانون رقم ١٠ لسنة ١٩١١م وحتى القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ ، يتبين له أن التشريع الوضعى الذى بنى الهياكل الحديثة للدولة والمجتمع قد اطردت أعرافه وسياساته التشريعية على أن يوكل إلى الأزهر الشريف ـ فى كل تنظيم له ـ مهمة الحفظ للشريعة الغراء ، وفهم علومها ونشرها وحفظ التراث ونشره ، وحمل أمانة الرسالة الإسلامية إلى الشعوب كلها ، مع إظهار حقيقة الإسلام وأثره .

المبدأ الرابع :

لفضيلة شيخ الأزهر مقام الإمام الأكبر وله مرتبة الإشراف وهو صاحب الرأى فى كل ما يتصل بالشئون الدينية أخذاً من القوانين والنصوص السالفة البيان .

المبدأ الخامس :

الأزهر الشريف هو الهيئة التى ناط بها المشرع الوضعى حفظ الشريعة .. والتراث ونشرهما وحمل أمانة الرسالة الإسلامية إلى كل الشعوب بالتصدى لأداء ـ هذه المهام ، ومجمع البحوث الإسلامية ـ بوصفه هيئة من هيئات الأزهر الشريف ـ هو صاحب ولاية مراجعة المصحف الشريف وله كذلك التصدى لفحص المؤلفات

والمصنفات التى تتعرض للإسلام ، وإبداء الرأى فيها ، وهو ما يجعل هذه الهيئة هى الجهة صاحبة التقدير الملزم فيما يتعلق بالشئون الإسلامية ، وهو التقدير الذى ينبنى على أعماله اتخاذ القرارات الملزمة مما تتخذه جهات الإدارة المختلفة فى الدولة وفقاً للصلاحيات وولايات كل منها ، ومن هذه الجهات وزارة الثقافة فى مجال أعمال رقابتها على المصنفات الفنية وفقاً للقانون رقم ٤٣٠ لسنة ١٩٥٥ وتعديلاته ، ذلك أن سلطة تقدير الشأن الإسلامى الذى يتخلل حماية النظام العام والآداب والمصالح العليا للدولة تدخل فى ولايات الأزهر الشريف وهيئاته وإداراته حسب قانونه ، وبهذا التقدير يقوم ركن السبب المتعلق بالشأن الإسلامى فى القرار الذى تملك وزارة الثقافة إصداره فيما تجريه من رقابة على المصنفات الفنية .

المبدأ السادس :

الدلالة السكوتية التى يستفاد منها صدور القرار الضمنى بالترخيص من جانب وزارة الثقافة فى مجال أعمال شئونها طبقاً للقانون رقم ٤٣٠ لسنة ١٩٥٥م معدلاً بالقانون رقم ٣٨ لسنة ١٩٩٢م ، هذه الدلالة السكوتية إنما تتأتى من فوات المدة المضروبة فى القانون مع توافر العلم بالطلب وإمكان التقدير لمدى الملاءمة ، وغنى عن البيان أن هذه الدلالة الضمنية لا تستفاد إلا عند إباحة العلم لإمكان التقدير للجهة صاحبة الرأى الملزم التى تصدر القرارات بناء على تقديرها (وهى الأزهر الشريف بهيئاته وإداراته المتخصصة وفقاً لقانون تنظيمه ) .

المبدأ السابع :

القانون رقم ١٠٢ لسنة ١٩٨٥م بشأن تنظيم طبع المصحف الشريف والأحاديث النبوية قد خص مجمع البحوث الإسلامية بالإشراف على طبع المصحف الشريف ونشره وتوزيعه وعرضه وتداوله وتسجيله للتداول وكذلك الأحاديث النبوية ، وخص الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية بأى من ذلك كله أو بعضه وفقاً للقواعد والشروط التى يصدر بها قرار من شيخ الأزهر ، وأتاح منح صفة الضبط القضائى للعاملين فى تطبيق هذا القانون ، وفرض عقاباً جنائياً على المخالفين .. وكل ذلك يتيح للأزهر الشريف بهيئة مجمع البحوث الإسلامية وأمينه ، ولاية إصدار القرار بالترخيص فى خصوص أحكام هذا القانون ، وبالنظر للقرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة ، وذلك دون الاكتفاء بالتقرير الذى يستند إليه قرار الترخيص فى غير هذا الأمر من مصنفات سمعية أو سمعية بصرية .

المبدأ الثامن :

بالنسبة إلى غير الشأن الإسلامى مما يشكل جوانب تقدير وتدخل فى إطار المصالح العليا للدولة أو غيرها من جوانب النظام العام ذات التميز عن الأمور الإسلامية والدينية ، فإن وزارة الثقافة تملك بالنسبة إلى هذه الأمور ما تملكه من مكنات التقدير الذى يتشكل به سبب القرار الإدارى .

وفيما يلى نص الفتوى الصادرة من الجمعية العمومية لقسمى الفتوى والتشريع بمجلس الدولة بتاريخ ٢ فبراير سنة ١٩٩٤ م .

# فتوى مجلس الدولة

## بشأن منح تراخيص المصنفات الفنية الإسلامية

## • رأى الأزهر ملزم

## لوزارة الثقافة فى رفض الترخيص

نص فتوى الجمعية ملف رقم ٥٨/١/٦٣ الصادر فى ٢٩ من شعبان ١٤١٤ ١٩٩٤/٢/١٠

حضرة صاحب الفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد

فقد اطلعنا على كتاب فضيلتكم رقم ١١٧١ المؤرخ ١٠ من يوليه سنة ١٩٩٣ بشأن « تحديد اختصاصات كل من الأزهر الشريف ووزارة الثقافة فى التصدى للأعمال الفنية والمصنفات السمعية ، أو السمعية البصرية التى تتناول قضايا إسلامية ، أو تتعارض مع الإسلام ومنعها من الطبع أو التسجيل أو النشر والتوزيع والتداول ، إعمالا للصلاحيات المخولة لكل منهما بمقتضى القوانين واللوائح » .

وقد رأيتم فضيلتكم استطلاع رأى الجمعية العمومية لقسمى الفتوى والتشريع بمجلس الدولة ، فى هذا الأمر ، فى ضوء ما أثير من أحاديث عن مسئولى الرقابة عن المصنفات الفنية ، وفى ضوء ما شملته قوانين الأزهر والرقابة على المصنفات الفنية من أحكام .

ونُنهى إلى فضيلتكم أن الموضوع عرض على الجمعية العمومية لقسمى الفتوى والتشريع بجلسة ٢ من فبراير سنة ١٩٩٤ ، وتبين لها أن الرقابة على المصنفات الفنية ، سمعية ، وسمعية بصرية ، تخضع لأحكام القانون رقم (٣٥٤) لسنة ١٩٥٤ بشأن حماية حق المؤلف ، والقانون رقم ٤٣٠ لسنة ١٩٥٥ بتنظيم الرقابة على الأشرطة السينمائية ، ولوحات الفانوس السحرى ، والأغانى والمسرحيات والمنلوجات والاسطوانات وأشرطة التسجيل الصوتى ، وأن كلا القانونين جرى تعديله بالقانون رقم (٣٨) لسنة ١٩٩٢ .

وبهذا القانون الأخير أضيفت « المادة (٧) مكررا » إلى قانون حماية حق المؤلف ، حظرت على كل صاحب حق فى استغلال المصنفات السمعية والسمعية البصرية ، وعلى من يزاول هذا النشاط إنتاج أى من هذه المصنفات أو نسخه أو تصديره أو طرحه للتداول أو تحويله أو عرضه « إلا بعد الحصول على ترخيص من وزارة الثقافة » وخولت وزارة الثقافة تعيين الجهة المختصة بمنح الترخيص وشروطه وإجراءاته .

وبهذا القانون الأخير أيضا ، عدل العديد من مواد قانون « تنظيم الرقابة على الأشرطة » ..، واستحدث تعبير « المصنفات السمعية والسمعية البصرية » للإشارة إلى كل مايثبت بالوسائل التقنية من أشرطة واسطوانات وغيرها وقررت المادة : (١) معدلة أن « تخضع للرقابة المصنفات ... وذلك بقصد حماية النظام العام والآداب ومصالح الدولة العليا » ..

وحظرت المادة (٢) المعدلة التصدير والتسجيل والنسخ والتحويل والأداء والعرض والإذاعة والتوزيع والتأجير والتداول والبيع والعرض للبيع ، بالنسبة لتلك المصنفات ، وذلك « بغير ترخيص من وزارة الثقافة » ، وأحالت المادة (٤) معدلة إلى اللائحة التنفيذية لبيان الجهة المختصة بإصدار الترخيص وشروطه وغير ذلك . ثم أوجبت أن يصدر قرار البت فى طلب الترخيص خلال شهر أو ثلاثة أشهر حسب أنواع النشاط المشار إليها فى المادة (٢) ، والا اعتبر الترخيص ممنوحا ، كما أوجبت عند الرفض أن يكون الرفض مسببا .

ونظمت المادة (١٢) المعدلة طريق التظلم من قرار رفض الترخيص وتشكيل لجنة بقرار من الوزير يكون رئيسها أحد نواب رئيس مجلس الدولة وأعضاؤها الأربعة الآخرون ممثلى لهيئة الاستعلامات وللمجلس الأعلى للثقافة ولأكاديمية الفنون ولمجلس النقابة التابع لها نوع المصنف محل التظلم .

واستظهرت الجمعية العمومية من كل ذلك ، أن قرار الترخيص إنما يصدر عن وزارة الثقافة ، وهو قرار إيجابى يصدر بالإفصاح الصريح بالترخيص ، أو يصدر بالاستخلاص الضمنى بعدم الممانعةعن الترخيص ، وهو استخلاص يستفاد من الدلالة السكوتية بمضى شهر واحد أو ثلاثة أشهر دون البت فى الطلب ، أو يصدر القرار بالإفصاح الصريح برفض الترخيص ، على أن يكون قرار الرفض مسببا . كما تستظهر الجمعية العمومية أن الرقابة المستهدفة بأعمال سلطة الترخيص بالموافقة أو الرفض ، إنما تبغيا « حماية

النظام العام والآداب ومصالح الدولة العليا » . ومن ثم فان المصلحة التى تشكل ركن الغاية فى القرار الإدارى بالترخيص أو برفضه ، إنما تتمثل فى حماية النظام العام ومصالح الدولة العليا ، وأن ركن السبب فى القرار ذاته يدور فى هذا الفلك الذى عينته ، وأشارت إلى عناصره العامة العبارة الأخيرة من المادة (١) المعدلة من قانون تنظيم الرقابة رقم (٤٣٠) لسنة ١٩٥٥ سالف البيان .

وما دام فضيلة الإمام الأكبر يتسائل عن وجه اعمال هذه الأحكام فيما يتعلق بقضايا الإسلام ، فقد وجب لتحرير هذه المسألة النظر فيما يستوى به القرار الادارى من حيث الغاية المستهدفة والسبب الدافع ، فى إطار ما أشار إليه القانون من حماية للنظام العام والآداب ومصالح الدولة العليا وصلة الإسلام بهذا الوعاء العام للغايات والأسباب المحيطة بالقرار الإدارى المنظور .

ومنذ انتظمت الجماعة المصرية فى دولة ذات دستور منظم لوجودها كشخص معنوى عام وكأبنية وهياكل تنظيمية ، حرصت دساتيرها الوضعية بعامة على النص على أن « الإسلام دين الدولة واللغة العربية لغتها الرسمية » . وتتابع وجود هذا النص فى دساتيرها المتغيرة عبر مراحل التاريخ الدستورى الحديث ، أوردته المادة (١٤٩) من دستور ١٩٢٣ فى عهد النظام الملكى البرلمانى ، وأوردته بنصه المادة ١٣٨ من دستور ١٩٣٠ الذى تخلل العهد ذاته سنين معدودة ، عاد بعدها دستور ٢٣ ، ثم أوردته بنصه المادة (٣) من دستور ١٩٥٦ فى العهد الجمهورى الرئاسى ، كما أوردته بنصه المادة (٥) من دستور ١٩٦٤ فى عهد نظام جمهورى بين البرلمانية والرئاسية ، ثم أوردته المادة (٢) من دستور ١٩٧١ بنصه ، وأضافت إليه عبارة « ومبادىء الشريعة الإسلامية المصدر الرئيسى للتشريع » .

وعبر هذا النص بهذا المفاد مراحل تاريخية كاملة من النظام الملكى إلى النظام الجمهورى ، ومن النظام البرلمانى إلى النظام الرئاسى إلى نظام مشترك ، ومن نظم اجتماعية إلى نظم اجتماعية أخرى ، وأن ثباته بنصه ومعناه ــ رغم كل ذلك ــ إنما يفيد أنه يكشف عن إقرار التشريع الوضعى للدولة الحديثة بأنه نص يقر حقيقة أكثر رسوخا وأدوم بقاء ، وأوغل فى الدلالة عن جوهر « النظام العام والآداب » ، بمالا يتغير بتغير الدساتير ونظم الحكم والنظم الاجتماعية ..

والإسلام دين الغالبية الغالبة من الشعب المصرى ، بحسبان أن الشعب هو الركن الركين للدولة التى ينظمها الدستور ، ومن ثم تقوم خصائصه الثابتة فى الواقع بحسبانها من خصائص الدولة المعترف بها فى القانون ، وقد نص دستور ١٩٧١ فى المادة (٥) على أن ( مبادىء الشريعة الإسلامية هى المصدر الرئيسى للتشريع ) . وبهذا يظهر أن الإسلام ومبادئه وقيمه إنما يتخلل النظام العام والآداب وهو كذلك مما تتضمنه المصالح العليا للدولة ، حسب الصيغة التى أقام بها قانون الرقابة على المصنفات ركن الغاية فى القرار الصادر بشأن الترخيص بأى من هذه المصنفات .

وفى هذا الإطار استعرضت الجمعية العمومية الأحكام المتعلقة بالقوانين الخاصة بالأزهــر الشريف ، ونظرة المشرع الوضعى فى مصر الحديثة ، منذ انتظم هيئات الدولة والمجتمع تقنينات ولوائح ونظم تشريعية ، تصدرها جهات

التشريع ذات الولاية فى إمضاء النظم وحراستها .
استعرضت الجمعية العمومية ماأوردته هذه النظم بشأن الأزهر الشريف ومارسمته له من وظائف وماينيط به من دور من بناء المجتمع المصرى الحديث ، بمراعاة أن الأزهر هيئة تقوم على الحفظ والتدريس والبحث فى علوم دين للغالبية الغالبة ، ومن هذا الدين تستمد عقائد وقيم وأصول احتكام .

وقد صدر أول قانون بشأن تنظيم الجامع الأزهر والمعاهد الدينية العلمية الإسلامية تنظيما شاملا برقم (١٠) لسنة ١٩١١ ، ونص فى المادة (١) على أن « الجامع الأزهر هو المعهد العلمى الإسلامى الأكبر... » وفى المادة (٢) على أن « الغرض من الجامع الأزهر والمعاهد الأخرى هو القيام على حفظ الشريعة الغراء وفهم علومها ونشرها على وجه يفيد الأمة وتخريج علماء يوكل إليهم أمر العالم الدينية ويَلُونَ الوظائف الشرعية فى مصالح الأمة ويرشدونها إلى طرق السعادة » .

ونصت المادة (٤) : « شيخ الجامع الأزهر هو الإمام الأكبر لجميع رجال الدين والرئيس العام للتعليم فيه وفى المعاهد الأخرى ، والمشرف الأعلى على السيرة الشخصية الملائمة لشرف العلم والدين » .. ونص القانون (٤٩) لسنة ١٩٣٠ باعادة تنظيم الأزهر والمعاهد الدينية العلمية الإسلامية ، فى المادة (١) « الجامع الأزهر هو المعهد الدينى العلمى الإسلامى الأكبر .

والغرض منه هو :

(١) القيام على حفظ الشريعة الغراء : أصولها وفروعها ، وعلى تعليم اللغة العربية ، ونشرها على وجه يفيد الأمة ويرشدها إلى طرق السعادة .

(٢) تخريج العلماء ..ونصت المادة (٩) « شيخ الجامع الأزهر هو الإمام الأكبر لجميع رجال الدين والمشرف الأعلى على السيرة الشخصية الملائمة لشرف العلم والدين بالنسبة لأهل العلم... »

ثم صدر القانون (٢٦) لسنة ١٩٣٦ فاحتفظت المادة (١) منه بنص المادة ١ من القانون السابق عليه ، واحتفظت المادة (٦) منه بنص المادة (٩) من القانون السابق أيضا .

وفى عام ١٩٦١ صدر القانون رقم (١٠٣) بشأن إعادة تنظيم الأزهر والهيئات التى يشملها ، ونصت المادة (٢) منه على أن « الأزهر هو الهيئة العلمية الإسلامية الكبرى التى تقوم على حفظ التراث ودراسته وتجليته ونشره ، وتحمل أمانة الرسالة الإسلامية إلى كل الشعوب ، وتعمل على إظهار حقيقة الإسلام وأثره فى تقدم النشر ورقى الحضارة وكفالة الأمم ... »

ونصت المادة (٤) على أن « شيخ الأزهر هو الأمام الأكبر وصاحب الرأى فى كل مايتصل بالشئون الدينية والمشتغلين بالقرآن وعلوم الإسلام ... »

واستظهرت الجمعية العمومية من هذه النصوص فى تتابعها الزمانى أن التشريع الوضعى الذى بنى الهياكل الحديثة للدولة والمجتمع ، قد اطردت أعرافه وسياساته التشريعية على أن يوكل للأزهر الشريف فى كل تنظيم له ، مهمة حفظ الشريعة الغراء ، وفهم علومها ونشرها وحفظ التراث ونشره وحمل أمانة الرسالة الإسلامية إلى الشعوب كلها ، مع اظهار حقيقة الإسلام وأثره ، وان لفضيلة شيخ الأزهر مقام الإمام الأكبر وله

مرتبة الإشراف ، وقد عبر عنه القانون رقم (١٠٣) لسنة ١٩٦١ النافذ حاليا بأنــه : « صاحب الرأى فى كل مايتصل بالشئــون الدينية ...» بتعريف للرأى يفيد فى اللغة القصر ( وان خبر الجملة مقصور على مبتدئها ) أو قد يفيد عدم مماثلة غيره من جنسه له .

ويتبين للجمعية العمومية من مطالعة قانون الأزهر سالف البيان ولائحته التنفيذية الصادرة بقرار رئيس الجمهورية رقم (٢٥٠) لسنة ١٩٧٥ ، أن القانون أنشأ بين هيئات الأزهر « مجمع البحوث الإسلامية بحسبانه الهيئة العليا للبحوث الإسلامية التى تقوم بدراسة وتجديد الثقافة الإسلامية حسبما أوضحت المادتان ١٥ ، ٢٥ من القانون ، ويرأسه شيخ الأزهر طبقا للمادة ١٨ ، وأن اللائحة التنفيذية للقانون أوضحت فى المادة ١٥ واجبات المجمع ومنها « ٧ ـ تتبع ما ينشر عن الإسلام والتراث الإسلامــى من بحوث ودراسات فى الداخل والخارج بما فيها من رأى صحيح أو مواجهتها بالتصحيح والرد » .

كما نصت المادة ٣٨ من اللائحة على أن « إدارة الثقافة والبعوث الإسلامية هى الجهاز الفنى لمجمع البحوث الإسلامية ومديرهـا هو أمين عام المجمع » ...

ونصت المادة (٣٩) على أن من بين إدارات هذه « إدارة البحوث والنشر » التى عقدت لها المادة (٤٠) ولاية مراجعة المصحف الشريف والتصريح بطبعه وتداوله ، وكذلك « (٢) فحص المؤلفات والمصنفات الإسلامية أو التى تتعرض للإسلام ، وإبداء الرأى فيها بنشرها أو تداولها أو عرضها » .

ومن حيث إنه يتبين من ذلك كله ، أن الأزهر هو الهيئة التى ناط بها المشرع الوضعى حفظ الشريعة والتراث ونشرهما ، وحمل أمانة الرسالة الإسلامية إلى كل الشعوب ، بالتصدى لأداء هذه المهام ، وأن شيخه شيخ الأزهر هو صاحب الرأى فيما يتصل بالشئون الدينية ، وأن المجمع بما يتبعه من إدارات ومنها إدارة البحوث والنشر هو من له ولاية مراجعة المصحف الشريف ، ومن له التصدى لفحص المؤلفات والمصنفات التى تتعرض للإسلام وإبداء الرأى فيها . الأمر الذى يجعل هذه الهيئة هى الجهة صاحبة التقدير فيما يتعلق بالشئون الإسلامية ، وهو التقدير الذى ينبنى على أعماله اتخاذ القرارات الملزمة والمنشئة للمراكز القانونية والمعدلة لها مما تتخذه جهات الإدارة فى الدولة بموجب الولايات والصلاحيات التى خولها القانون لأى من هذه الجهات . ومن بينها ما خوله القانون رقم (٣٥٤) لسنة ١٩٥٤ والقانون رقم ٤٣٠ لسنة ١٩٥٥ المعدلان بالقانون رقم (٣٨) لسنة ١٩٩٢ من ولايات ناطها بوزارة الثقافة بشأن الرقابة على المصنفات السمعية والسمعية البصرية .

ومن ثم تكون سلطة تقدير الشأن الإسلامى الذى يتخلل حماية النظام العام والآداب والمصالح العليا للدولة ، تكون سلطة تقدير هذا الشأن من ولايات الأزهر وهيئاته وإداراته حسب قانونه ، وبهذا التقدير يقوم ركن السبب المتعلق بالشأن الإسلامى والمستمد من هذا الشأن ، وذلك فى القرار الإدارى الذى تملكه وزارة الثقافة ، فيما تجريه من رقابة على تلك المصنفات ، وفيما تصدره

إعمالا لهذه الرقابة من قرارات بالترخيص الصريح أو الضمنى ، أو برفض الترخيص بأى من المصنفات السمعية ، والسمعية البصرية ، متى كان الشأن الإسلامى داخلا فى تكوين النظام العام والآداب ومصالح الدولة العليا ومتخللا لها ، ومتى لزم تقدير الشأن الإسلامى فى هذا الأمر .

ومن ثم فإن إبداء الأزهر ــ بواسطة هيئاته ــ رأيه فى تقدير هذا الشأن الإسلامى ، يكون ملزما للجهات التى نيط بها إصدار القرار ، وذلك فيما ينبنى عليه هذا القرار من تقدير لهذا الشأن ، ولما يتخلله بالنسبة للنظام العام والآداب ومايجرى مجراها . ويصدق ذلك على وزارة الثقافة فيما تصدره من قرارات بالترخيص الصريح أو الضمنى أو رفض الترخيص بأى من المصنفات محل طلب الرأى .

وفى اطار هذا الوضع للمسألة ، فإن الجمعية العمومية قد لاحظت ، أن القانون رقم (١٠٢) لسنة ١٩٨٥ بشأن تنظيم طبع المصحف الشريف والأحاديث النبوية قد خص فى المادة (١) مجمع البحوث الإسلامية « دون غيره » بالإشراف على طبع المصحف الشريف ونشره وتوزيعه وعرضه وتداوله وتسجيله للتداول ، وكذا الأحاديث النبوية ، وخص الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية بأى من ذلك كله أو بعضه وفقا للشروط والقواعد التى يصدر بها قرار من شيخ الأزهر ، وأتاح منح صفة الضبط القضائى للعاملين فى تطبيق هذا القانون ، وفرض عقابا جنائيا على المخالفين له ، **وكل ذلك يتيح للأزهر الشريف بهيئة مجمع البحوث وأمينه ولاية إصدار القرار بالترخيص ، فى خصوص أحكام هذا القانون ، وبالنظر للقرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة كلها أو بعضها ، وذلك دون اكتفاء بالتقدير الذى يستند إليه قرار الترخيص فى غير هذا الأمر من مصنفات سمعية أو سمعية بصرية .**

كما لاحظت الجمعية العمومية ، أن القانون رقم (١٠٢) لسنة ١٩٨٥ سالف البيان أحال فى تطبيق أحكامه « لما تقرره اللائحة التنفيذية للقانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ بشأن إعادة تنظيم الأزهر والهيئات التى يشملها » . ومن ثم فإنه فى تطبيق أحكام القانون رقم (١٠٣) لسنة ١٩٨٥ قد صارت أحكام اللائحة التنفيذية الصادرة بقرار رئيس الجمهورية رقم (٢٥٠) لسنة ١٩٧٥ ذات قوة نفاذ تصل إلى مرتبة القانون بموجب الإحالة الصريحة الحاصلة .

وتلاحظ الجمعية العمومية ــ أيضاً ــ أنه إذا كانت المادة (٤) من القانون رقم (٤٣٠) لسنة ١٩٥٥ معدلا بالقانون رقم (٣٨) لسنة ١٩٩٢ ، نصت على أن قرار البت بالترخيص يصدر خلال شهر أو ثلاثة أشهر حسب الأحوال فإذا لم يصدر خلال هذه المدة يعتبر الترخيص ممنوحا ، فإن مفاد ذلك أن ثمة ترخيص يصدر به قرار ضمنى بفوات شهر أو ثلاثة أشهر على الطلب ، وأن الترخيص هنا يستفاد بالدلالة السكوتية من عرض الطلب على جهة إصدار القرار وتقدير ملاءمات البت فيه وانقضاء تلك المدة على العرض . وأن الدلالة السكوتية التى تفيد الموافقة فى هذه الحالة إنما تتأتى من فوات المدة المضروبة مع توافر العلم بالطلب

وإمكان التقدير لمدى الملاءمة . وغنى عن البيان أن هذه الدلالة الضمنية لا تستفاد إلا عند إتاحة العلم لإمكان التقدير للجهة صاحبة الرأى الملزم الذى يصدر القرار بناء على تقديرها ، وذلك حينما يدخل تقديرها فى عناصر السبب الذى يقوم عليه القرار .

وتلاحظ الجمعية العمومية أخيراً أن غير الشأن الإسلامى مما يشكل جوانب تقدير تدخل فى اطار المصالح العليا للدولة أو غيرها من جوانب النظام العام ذات التميز عن الأمور الإسلامية والدينية ، فان وزارة الثقافة تملك بالنسبة لها ما تملكه من مكنات التقدير الذى يتشكل به سبب القرار ويستجمع عناصره .

**لذلك**

**انتهت الجمعية العمومية لقسمى الفتوى والتشريع إلى أن الأزهر الشريف هو وحده صاحب الرأى الملزم لوزارة الثقافة فى تقدير الشأن الإسلامى للترخيص أو رفض الترخيص بالمصنفات السمعية والسمعية البصرية .**

**والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته**

**رئيس الجمعية العمومية لقسمى الفتوى والتشريع**
**المستشار/ طارق عبدالفتاح سليم البشرى**
**النائب الأول لرئيس مجلس الدولة**
**تحريرا فى ١٩٩٤/٢/١٠**



# مع سورة الأنفال

فضيلة الدكتور عبد الجليل شلبي

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾

بينا فى العدد السابق أطرافاً من معانى

﴿ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا ... ﴾

وقد قال بعض المفسرين إنها منسوخة ، وقال آخرون : ليست منسوخة ، واختلاف نظرهم يرجع إلى المتحدث عنهم ، فمن هم القوم الذين تعنيهم الآية :

﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ﴾ ؟

هل هم مشركو مكة أو هم اليهود من بنى قريظة .

وقد ذكرنا أن الآية نزلت فى البيداء قبل غزوة بدر ، ولم يكن غدر بنى قريظة قد بدأ ، ولكن هذا لا يمنع أن يكونوا معنيين بالآية هم أو جماعة اليهود بالمدينة جميعاً ، هذا لأن نفاق اليهود كان بادياً ، ومساءاتهم كانت كثيرة ، وهل كلمة السلم تعنى الصلح وعدم الحرب ، أو هى تعنى الدخول فى الإسلام ؟

هذا سبب تفرق الكلم واختلاف الآراء فى كون الآية نسخت أو لم تنسخ ، فهى إذا أريد بها مشركو مكة ، وأريد بها عدم الحرب ، فهى لا ريب منسوخة ، نسختها الآيات :

﴿ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾ ، و ﴿ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ﴾ ، و ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴾ سورة التوبة

ثم إن النبى أُمِرَ أن يقاتل الناس حتى يشهدوا شهادة الإسلام ، ولا ينتشر الدين بغير جهاد .

وقال عكرمة والحسن البصرى : نسختها آية : ﴿ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾

وهذا واضح إذا أريد بالقوم بنو قريظة ، فهم أهل الكتاب تقبل منهم الجزية ، أما المشركون فمعاملتهم هى الإسلام أو السيف .

وإذا أريد بالسلم ـ كما قال بعض المفسرين ـ الصلح والدخول فى الإسلام فلا نسخ ، بل ولا يحتاج الأمر إلى نص ، فليست الحرب إلا للدخول فى الإسلام ـ ولهذا لا أميل إلى هذا الوجه .

ومعنى : ﴿ وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ﴾

أنهم كانوا يريدون بجنوحهم إلى السلم أن يخدعوك بصلح زائف ، حتى تسنح لهم الفرصة فيأخذوك على غرة ، فلا تجزع لتدبيرهم فإن الله ـ تعالى ـ معك وهو كافيك شرورهم وسوء تدبيرهم ، فحسبك إذن بمعنى كافيك . ـ وحسب تستعمل بمعنى الكفاية التامة ، يقال : أعطى سائله حتى أحْسَبَهُ ، أى : حتى قال له حسبى ، أى : اكتفيت ولا حاجة لى بزيادة ، فهذا وعد من الله ـ لنبيه أن يكفيه ويحميه ، وقد أيده بنصره على المشركين إذ بيتوا الغدر به وقتله فنجاه الله ، وأيده بالمؤمنين الذين أحاطوه وصدعوا بدعوته وحموه .

وهل المؤمنون هم جميع المؤمنين الذين دخلوا فى الإسلام أو هم جماعة الأنصار ، فهم أحبوا المهاجرين وأسكنوهم ديارهم ، وآثروا على أنفسهم وبهم الخصاصة ، ولولا استعداد الأنصار لحماية الرسول ﷺ وإيواء المهاجرين ما كانت الهجرة ، ولولا الهجرة ما انتشر الإسلام .

هذا كلام جيد ! ولكن الأخذ بعموم اللفظ أولى ، ولست أميل إلى الرأى القائل : إن تأييد الله بنصره يعنى وقوف الملائكة بجانب المسلمين فى معركة بدر ، لأن المعركة لما تحدث بعد . ومع ما نميل إليه من أن كلمة المؤمنين تعنى كل من آمن وبذل جهداً لنصر الإسلام ، سواء فى ذلك المهاجرون والأنصار ، مع هذا نورد حجة كل فريق ووجهة نظره .

فالقائلون بأن المعنى بالمؤمنين هم الأنصار يستدلون ببقية الآية وهى جملة :

﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ... ﴾

فالعداء بين طائفتى الأنصار ـ الخزرج والأوس ـ كان مستحكماً ، وقد أفنى من الطائفتين عدداً ، ولو لم يظهر الإسلام ويجمعهم على دين واحد يذكر أن المسلمين إخوة لظلت هذه الحرب مستعرة بينهما ، ولكنهم إذ دخلوا فى الإسلام صاروا طائفة واحدة ، ولم تكن آثار التفرقة غائبة حتى إننا لنجد آثاراً لها يوم السقيفة إذ يقول الحباب بن المنذر للبشير ابن سعد : عققت يا بشير .. أنفست الإمارة على ابن عمك ! يريد سعد بن عبادة ، ويجيب البشير : لا والله ولكني كرهت أن أنازع قوماً حقاً لهم . وبشير خزرجى ، ونجد أسيد بن خضير الأوسى يقول لقومه : « والله لئن وليتها الخزرج عليكم مرة لا زالت لهم عليكم بذلك الفضيلة ، ولا جعلوا لكم معهم فيها نصيباً » .

وإذن فالحزازات والتنافس لا يزال لهما أثر حتى بين أبناء الطائفة الواحدة ، وقد أوشكت نار الفتنة أن تتقد ، ولكن الإسلام يطفئها ، قال أبو عبيدة : يا معاشر الأنصار ، كنتم أول من نصر وآزر فلا تكونوا أول من بدل وغير ، وتنال الكلمة من نفوس القوم ، فيقول البشير : ... ما أردنا إلا رضا ربنا وطاعة نبينا والكدح لأنفسنا ، فما ينبغى لنا أن نستطيل على الناس بذلك ولا أن نبتغى من الدنيا عرضاً !..

فهذه نار لم يطفئها إلا الإسلام ، وقلوب ظلت متنافرة حتى ألف الإسلام بينها بفضل الله ، ولو انفق منفق كل ما فى الأرض من مال ما وصل إلى هذه الألفة ، وهم كما قال بشير ما ابتغوا إلا مرضاة الله وطاعة نبيه ، لا استطالة على الناس ولا نيل منصب ـ فهذا الذى ألف بين قلوبهم ، وما كانت الماديات مهما كثرت تفعل ذلك .

ولكن القائلين بأن المراد بالمؤمنين كل من آمن ونصر لا يعدمون الحجة ، فالعرب قبل مجىء الإسلام لم يكن بعضهم لبعض عدواً كما كان الأمر بين الأوس والخزرج حقاً ، ولكنهم لم يكونوا أصدقاء ، ولا متحابين ، ولا مؤتلفين على غرض واحد ، ولكن الإسلام جمع قلوبهم على التقوى وأشعرهم بأنهم أمة واحدة لا تجمعها العروبة بقدر ما جمعهم الإسلام ، ولم تكن العروبة مفقودة من

قبل !! وما كان فى استطاعة أحد أن يؤلف بين هذه القلوب . ولكن الله العزيز الذى لا يغلب على أمر أراده ، الحكيم فى تصرفاته هو الذى ألف بينهم وجعل الإسلام والاخلاص وعبادة الله وحده هى الرابطة التى شملتهم جميعاً .

ولهذا فانى أوثر هذا الرأى ، ولكل وجهته .

وجاء فى كلام الشيخ رشيد رضا .. وكان المهاجرون فى المرتبة الأولى فى كل شىء ، لسبقهم إلى الإيمان والعلم ، ونصر الله ورسوله فى زمن القلة والشدة والخوف ، واستشهد بما جاء فى سورة الحشر :

﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ ثم أعقب تفسيره بقوله : وهى ــ أى الآية ــ دليل على أن النصر ينال بالأسباب ، وأن ذلك يتوقف على التآلف والاتحاد .

وأقول : وقد فقد المسلمون قوتهم وعدموا النصر ؛ لأنهم فقدوا ألفتهم وخالفوا تعاليم الإسلام ، ولا سبيل لعزتهم إلا أن يأتلفوا وأن يكونوا مسلمين حقاً .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾

هذه الآية تأييـــد لسابـــقتها ، إذ أن الله ــ سبحانه ــ أيد نبيه بنصره ، وبمن اتبعه فهذا كاف فى تأييده ونصره ، والعبارة تحتمل وجهين ، إما أن يكون المعنى يكفيك الله والمؤمنون ، فيكون الإسم الموصول معطوفاً على لفظ الجلالة ، وإما أن يكون التقدير حسبك الله ، وحسب من اتبعك ، أى هو ــ سبحانه ــ كافيك وكافيهم ــ وهذا أولى وأليق بمقام التوحيد ، فان الله هو خالق الناس وكافيهم . ورجح الإمام ابن تيمية هذا الوجه ورأى أنه الصحيح وأبطل الوجه الآخر وإن كان النحويون يرونه أظهر فى الإعراب ، وقال الفراء والزجاج : إن قول الله تعالى ﴿ **ومن اتبعك** ﴾ من : فى موضع نصب على المفعول معه ، فتكون الواو بمعنى « مع » قال الفراء : وليس بكثير من كلامهم أن يقولوا : حسبك وأخاك ، ولكن يقال : حسبك وحسب أخيك وهذا التخريج يعنى يكفيك الله ويكفى من اتبعك ، وبذا قال ــ أيضاً ــ أبو حيان النحوى ، مع أنه من محبى ابن تيمية ومؤيديه ، وهؤلاء النحويون آثروا وجهة النظر البصرية فى الإعراب ، وقال ابن تيمية : ما كان سيبوية يبنى النحو ولا كان معصوماً . بل أخطأ فى كتابه فى ثمانين موضعاً .

هذا وقد بينا ما نميل إليه من أن المراد بالمؤمنين جماعتهم ــ مهاجرين وأنصاراً وغيرهم ــ ولا عبرة بقول القائلين إن الآية نزلت فى شأن عمر وإسلامه ، لأن السورة مدنية نزلت فى شأن غزوة بدر .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ ﴾

التحريض : هو الحث على الشىء ، وقوة الترغيب فيه ، قال الزجاج : هو أن يحث الشخص الآخر على الشى حتى يراه حارضاً ، أى مقارب للهلاك وقال الراغب فى مفرداته : أن الحرض يقال لما أشرف على الهلاك ، والتحريض الحث على الشىء بكثرة التزيين وتسهيل الخطب فيه ، كان من إزالة الحرض ، كما يقال قذّيت الشىء بمعنى أزلت عنه القذى ، ويقال أقذيته أيضاً

والمعنى على أى حال : يا أيها النبى حث المؤمنين على قتال الكفار حثاً بليغاً .

وقرىء : حَرِّص - بالصاد المهملة ، وهو من الحرص على الشيء أى اجعلهم حريصين على شهود القتال .. فالمراد على أى حال متحد فى الجميع .

﴿ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾

جرى المفسرون على أن هذه الآية خبر فى معنى الإنشاء ، فهى أمر بصفة الخبر ، ثم نسخ وخفف ، ولو كان خبراً محضاً ما جاء الاستثناء منه بهذا التخفيف ، وهذا الأمر مقيد بشروط ثلاثة تفهم من سياق الكلام ، وهى الإيمان والصبر والفقه ، فالعشرون الصابرون بتأثير إيمانهم وصبرهم وفقههم يغلبون مائتين من الكفار المجردين من الإيمان والفقه والصبر ، فالمؤمنون إذا واجهوا الحرب يرجون إحدى الحسنيين ، إما النصر على عدوهم وكسبهم غنيمته ، وإما الفوز بالجنة ومرضاة الله - ولهذا هم لا يتخوفون ولا ينكصون ، وأما الكفرة - وأيضاً - اليهود فلا يرجون ثواباً فى الآخرة ، فإن لم يثقوا بالانتصار نكصوا ، وقد قال الله عن اليهود :

﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ ، فهم مما لا يفقهون ، والفقه يراد به معنى خاص عميق ، وقد قال قوم شعيب له : ما نفقه كثيراً مما تقول ، وهو يخاطبهم بلغتهم التى يتكلمون بها ، ولكن فهمهم لا يصل إلى معانى الإيمان ، فهذا هو الفهم المنفى . قال صاحب المنار : « ذكرت هذه المادة فى عشرين موضعاً من القرآن ، تسعة عشر ( موضعاً ) منها تدل على أن به نوعاً خاصاً من دقة الفهم والتعمق فى العلم الذى يترتب عليه الانتفاع به » .

وقال تعالى :
﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ... ﴾ - فلم ينف وجود الحاسة ولكن نفى الانتفاع بها ، فلم يفقهوا بقلوبهم ما تصلح وتتزكى به من التوحيد والتنزه عن خرافات الشرك .

وقد جاء هذا الأمر بلفظ الخبر ليحمل البشارة للمؤمنين الذين أحرزوا هذه الصفات أن يكون لهم النصر على المشركين مهما كثروا ، فالمائة الصابرة تغلب الألف ، والألف نهاية العدد عند العرب ، ويصفون العدد الكاثر بالآف ، ويقولون عن المليون ألف ألف وكلمة المليون دخيلة على العربية وهى لاتينية الأصل .

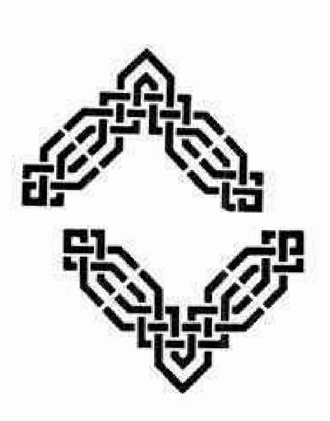
والآية على أى حال تبشر المؤمنين وتوحى إليهم بأنهم يجب أن يكونوا كذلك ، صابرين فاقهين ، وأن يكونوا مميزين على أعدائهم بهذا العلم الذى يضمن لهم الفوق فى كل شىء ، وفى كل جانب من جوانب الحياة .

وقد تحقق نصر المسلمين على مثل هذا العدد الكاثر بحيث كان الواحد من المسلمين مقابل عشرة وأكثر ، وقد انتصروا على الفرس والروم

بهذا الروح الإيمانى ، وقد كان الجيش الذى بعثه ﷺ إلى مؤتة نحو ثلاثة آلاف ، وكان أعداؤهم مائة ألف من الروم ومائة ألف من العرب الموالين لهم من جذام وغيرها ، ثم كانت وقعة اليرموك ووقعة القادسية ، وفى كل منهما ما يزيد على العشرة فى مقابلة الواحد ، والعشرين فى مقابلة الواحد .

والآية قد نسخت الآية بعد قليل بقوله تعالى : ﴿ ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ .. ﴾ جاء عن ابن عباس أنه لما نزلت الآية الأولى التى تمنع فرار المسلم من أقل من عشرة أشخاص شق ذلك على المؤمنين ، فخفف الله عنهم بهذه الآية ، ثم انهم كان فيهم قلة فى الابتداء ولما كثروا نزل هذا التخفيف ، وكلمة (الآن) ، تفيد حين ظهر منكم هذا الضعف ، وكلمة (بإذن الله) للايحاء بوجود التوكل على الله ، واقناع النفس بأنه لا الكثرة ولا حسن الاستعداد مما يستتبع النصر إلا بعون الله سبحانه ، ويوم حنين أعجبت المسلمين كثرتهم فلم تغن عنهم شيئاً ، وضاقت عليهم الأرض بما رحبت .

وجملة ﴿ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ توحى بالحث على الصبر الذى تتحقق المعية من الله ـ تعالى ـ وبها يتحقق النصر حتماً ، فمن كان الله معه لا يغلب .



قبس من أنوار النبوة

# الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا

لفضيلة الشيخ / على حامد عبد الرحيم

قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – :

**« إن العبد إذا قام يصلى أتى بذنوبه كلها فوضعت على رأسه وعاتقيه ، فكلما ركع أو سجد تساقطت عنه » رواه الطبرانى فى الكبير، وأبونعيم فى الحلية، والبيهقى فى السنن عن ابن عمر(*)**

إن الصلاة التى فرضها الله تبارك – وتعالى – على كل بالغ عاقل من المسلمين والمسلمات – إلا فى حالتى حيض المرأة أو نفاسها – لا تسقط عن المسلم والمسلمة ، وتؤدى حضراً أو سفراً فى الأمن والخوف ، فى الصحة والمرض فى السلم والحرب كما قال سبحانه : ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ۝٢٣٨ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ﴾ سورة البقرة .

هذه الصلاة هى إحدى دعائم الإسلام ولا تجوز النيابة فيها ، وهى عمود الدين ، وأول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة ، وهى مفتاح الجنة ، وهى نور وبهاء للعبد يوم لقاء ربه .

## موقف الأنبياء منها

ذكرها الله – عز وجل – فى دعاء إبراهيم الخليل – عليه السلام – ﴿ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ۝٤٠ ﴾ سورة إبراهيم

ومدح بها الذبيح إسماعيل – عليه السلام – فقال – سبحانه : ﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ۝٥٥ ﴾ (سورة مريم) .

وأمر بها موسى عليه السلام : ﴿ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ۝١٣ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ۝١٤ ﴾ سورة طه

وأوحى إليه وإلى أخيه هارون – عليهما السلام : ﴿ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ (سورة يونس : ٨٧)

وحدث بها رسول الله عيسى – عليه السلام : ﴿ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ۝٣٠ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۝٣١ ﴾ سورة مريم

وجاءت فى وصية لقمان الحكيم لأبنه : ﴿ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ۝١٧ ﴾ سورة لقمان

وقد أمر الله بها خاتم رسله محمدا – عليه الصلاة والسلام – فقال : ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ (سورة العنكبوت : ٤٥) .

كما أمره أن يقبل هو وأهله على عبادة الله والصلاة فقال – سبحانه : ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ

(*) صححه الألبانى .

﴿وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ (سورة طه : ١٣٢)

كما جعلها الله ـ عز وجل ـ صفة جوهرية من صفات المؤمنين المفلحين حيث قال :

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝﴾ سورة المؤمنون

وكانت الصلاة قرة عين رسول الله ﷺ وكان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة وقال : أرحنا بها يا بلال .

## من فوائد الصلاة :

### ١ ـ رباط فى سبيل الله

وحث أمته ودعاها إلى ما يقربها من الله ـ عز وجل ـ ويمحو عنها الذنوب والآثام فقال : «ألا أدلكم على مايمحو الله به الخطايا ، ويرفع به الدرجات؟ قالوا: بلى يا رسول الله قال: إسباغ الوضوء على المكاره ـ (أى إتمام غسل الأعضاء فى البرد الشديد) ـ وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط ـ (الرباط : الإقامة فى الثغور لمقاومة الأعداء ، أى أن ثواب انتظار الصلاة يعدل ثواب المرابطة فى سبيل الله)» رواه البخارى ومسلم .

### ٢ ـ ممحاة للخطايا والذنوب

كما مثل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ الصلاة بنهر يغتسل فيه العبد يومياً خمس مرات فيجعله طاهراً فقال : أرايتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هال يبقى من درنه شيء ؟ قالوا : لا يبقى من درنه شيء .

قال : «فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا» رواه البخارى عن أبى هريرة وعن عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ قال : «سمعت رسول الله ﷺ يقول : «ما من امرىء مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم تؤت كبيرة ، وذلك الدهر كله» رواه مسلم والصلاة التى يحظى صاحبها بهذا الفضل العميم هى التى تأخذ حقها من التأمل والخشوع واستحضار عظمة المعبود .

### ٣ ـ عون على التسليم المطلق

وإذا كانت الصلاة مناجاة لله ومخاطبة له ـ سبحانه ـ فهى تشعر العبد بأنه قريب منه ، يسمع دعاءه ، ويلبى نداءه ، ويستجيب له . والمواظبة على آدائها تربى فى المصلى الضمير الحى الذى يبعث على الخير ويحض عليه ، ويمنع من الشر ويحذر منه كما قال ـ تعالى :

﴿إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۝ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ۝ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ۝ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ۝﴾ سورة المعارج

### ٤ ـ دعم للجانب الروحى

ففى مناجاة العبد لربه فى صلاته تغذية للجانب الروحى فيه . وتعبير عن قوة الصلة بخالقه ـ عز وجل ـ كما قال الرسول ـ صلى الله عليه وسلم : «إن الرجل إذا دخل فى صلاته أقبل الله عليه

بوجهه ، فلا ينصرف عنه ، حتى ينقلب – يرجع – أو يحدث حدث سوء » رواه ابن ماجه .

### ٥ – قسمة بين العبد وربه

وحين يقبل العبد على ربه تصفو نفسه وتشف روحه فتسمع كلام الله الذى يقول : « قسمت الصلاة بينى وبين عبدى قسمين ولعبدى ماسأل فإذا قال العبد « الحمد لله رب العالمين ، قال الله – عز وجل : حمدنى عبدى . فإذا قال : « الرحمن الرحيم » قال الله : أثنى على عبدى . فإذا قال : « مالك يوم الدين » ، قال : مجدنى عبدى . فإذا قال : « إياك نعبد وإياك نستعين » قال الله : هذا بينى وبين عبدى ولعبدى ماسأل . فإذا قال : « اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين » قال الله : هذا لعبدى ولعبدى ما سأل » . رواه مسلم .

## شروط قبولها

ومما لاشك فيه أن الصلاة تحقق الخير فى النفس وتطبعها بطابع الخلق الرفيع الذى يمحى الفوارق ، ويزيل الضغائن ، وينمى روح المودة والمساواة بين الناس وينشر الأمن والسلام. هذه هى الصلاة التى تنهى عن الفحشاء والمنكر .

قال تعالى فى الحديث القدسي الذى يرويه النبى صلى الله عليه وسلم : « إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتى ، ولم يستطل على خلقى ، ولم يبت مصرا على معصيتى ، وقطع النهار فى ذكرى ، ورحم المسكين وابن السبيل والأرملة ، ورحم المصاب . ذلك نوره كنور الشمس .. أكلؤه بعزتى .. وأستحفظه ملائكتى ، وأجعل له فى الظلمة نورا ، وفى الجهالة حلما ، ومثله فى خلقى كمثل الفردوس فى الجنة » رواه البزار عن ابن عباس .

هذه هى الصلاة الكاملة التى إذا أداها المسلم والمسلمة تماحت عنهما الذنوب والخطايا وتساقطت كما تتساقط أوراق الشجر فى الخريف .

وهى التى قال فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم : بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة ، رواه أحمد وغيره .

### ٦ – تكون ذخراً ليوم القيامة

وقال – صلى الله عليه وسلم – فيما رواه أحمد – وابن حبان فى صحيحه : « من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة . ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة . وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأُبَىّ بن خلف » .

قال العلماء فى توجيه هذا الحديث : فمن شغله عن الصلاة ماله فهو مع قارون ومن شغله عنها ملكه فهو مع فرعون ، ومن شغله عنها رياسته ووزارته فهو مع هامان ، ومن شغله عنها تجارته فهو مع أبى بن خلف .

فلنكن فى عداد من استجابو لداعى الإيمان . قال تعالى :

﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾

( سورة هود الآية : ١١٤ )

# « وتزودوا فإن خير الزاد التقوى »

بقلم الشيخ :
عبد الحفيظ فرغلى على القرنى

وردت هذه الكلماتُ المضيئةُ فى سياق الحديث عن الحج ، حيث قال الله ـ جل جلاله ـ ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ ﴾ سورة البقرة

لقد وضعت هذه الآية الكريمة أمام الأنظار النيِّرة مبادئ الأدب العالى الذى يجب أن يلتزمه المسلمون فى أثناء مسيرتهم وإ[ياب]ـهم وعودتهم من أداء فريضة العمر ، التى يلتقى فيها الحاج مع جلال الله فى بيته العامر ورحابه الواسع وضيافته البَرَّة الكريمة ، ويعود منها وقد امتلأ وفاضه بالخير ، ووجدانه بالنور ، وقلبه باليقين ، واكتسب مع ذلك المغفرة الواسعة والرحمة السابغة والفضل العميم ، قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « **من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه** »[1] .

ولأهل الذوق حول هذه الآية استشعارات تهدى إلى الخير ، وتطلعات تهدف إلى الكمال ، فهم يأخذون منها ما يُعينهم على السفر إلى الآخرة ، ويهديهم فى طريقهم إلى الله ـ تعالى ـ الذى طلب منهم التقرب إليه ، والتعرف عليه بواسطة ما افترضه عليهم من فرائض ، وأوجبه من شعائر ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ **الذاريات : ٥٦**

﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ .. ﴾ **البينة : ٥**

(١) صحيح البخارى ـ كتاب الحج ـ باب وجوب الحج وفضله جـ ٢ ص ١٦٤ ط دار الشعب .

وقد فسر مجاهد العبادة فى قوله تعالى :

﴿ إلا ليعبدون ﴾ بالمعرفة ، لأن المعرفة هى ثمرة العبادة الحقة المخلصة وهى الهدف الأعلى لها ..

## آداب الحج :

والأدب الأساسى لأداء فريضة العمر هو التجدد لله ، وصدق النية فى القصد ، ويستدعى ذلك أن يكون قلب الحاج طاهرا وماله حلالاً وروحه متعلقة بهدفه ، متشوقة إلى أداء هذه الرحلة الربانية الكريمة . متعلقة إلى إتمامها بقبول تُتَوِّجُهُ المغفرة الشاملة من الله الكريم التواب .

فإذا ما حرر قصده وعزم على القيام بالرحلة تجرد من ملابس الحل ، وأحرم بعد الاغتسال ، وفى ذلك إشارة إلى الطهارة المعنوية التى تستلزم الانخلاع من متعلقات الجسد والمادة والتعلق بمقومات الروح .

ولذلك جاء الأمر بالتخلى عن الرفث والفسوق والجدال ..

والرفث ـ فيما يقوله العلماء من تفسيرات : كلمة جامعة لما يريده الرجل من أهله ، وقيل:هو اللغو فى الكلام .. وهو أنسب ، لأن الإمساك عن اللغو ـ بعامة ـ دليل الخشوع والخضوع ، وعلامة المراقبة لله والتعلق به ، فإنه لا يلغو ـ عادة ـ الأمن نزع قناع الخوف عن قلبه ، وظن أنه فى مأمن من الحساب والعقاب . والذى يغشى ديار السلطان تأخذه الرهبة فلا ينطق إلا بحساب ، ولا يتلفت إلا بحساب ، ولا يتصرف إلا بحساب . هكذا الشأن مع سلاطين الدنيا . فما بالكم بديار سلطان السلاطين ، ورحاب رب العالمين ؟

ولا شك أن هناك علاقة وثيقة بين التأدب فى القول والتقوى التى هى من ألزم لوازم هذه الرحلة المباركة .

والفسوق المنهى عنه فى الآية يقصد به عموم المعصية ، وإذا كان هناك نهى عن الرفث فمن باب أولى يكون النهى عن الفسوق ، وقال بعض العلماء : المقصود به النهى عن إتيان المعاصى فى حال إحرام الحاج بالحج كقتل الصيد ، وقص الظفر وأخذ الشعر وشبه ذلك .

وقيل : الفسوق هو التنابز بالألقاب استناداً إلى قوله ـ تعالى ـ :

﴿ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ﴾ الحجرات : ١١

وقيل : الفسوق هو السباب ، يشير إلى ذلك قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

« سباب المسلم فسوق وقتاله كفر »(٢) .

وأما الجدال فهو المماراة التى تؤدى إلى الاختلاف والتنازع والسباب والشقاق . وترك ما يؤدى إلى الجدال بعموم لفظه أفضل ، حتى إن بعضهم كان ينفر من المساومة فى البيع والشراء لأنها ربما تفضى إلى جدال منهى عنه .

---

(٢) أخرجه الطبرانى عن ابن مسعود وهو فى جمع الجوامع للسيوطى برقم ١٤٥٦٠ جـ ٢ ص ٢٣٢٣ ط مجمع البحوث الإسلامية .

والنهى عن هذه الأشياء عام بالنسبة للمسلم ، سواء كان فى حج أو غيره . إلا أنه ـ سبحانه ـ نبه عليها هنا تحذيرا من الآثار السيئة التى تفسد الحج بسبب وقوعها .

وقد ورد النهى عنها فى الصوم فى حديث النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ حيث يقول : « إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يجهل ، فإنه امرؤ شاتَمَهُ أو قاتله فليقل : أنى صائم . أنى صائم »[3] .

وورد النهى عن المماراة مطلقاً فى قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « أنا زعيم ببيت فى ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقا ، وببيت فى وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحا ، وببيت فى أعلى الجنة لمن حسن خلقه »[4] .

## الإكثار من فعل الخير :

ومن آداب الحج مراقبة الله فى الغدوة والروحة ، والإكثار من فعل الخير ، وقد نبه الله ـ تعالى ـ على أنه مطلع على ما يقدمه الحاج من أعمال الخير ليضاعف ثوابه عليها فقال ـ تعالى ـ .. ﴿ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ﴾ .

وفى هذا التعبير حث على فعل الخير وتحريض على تقديم الصالح من العمل ، فعلم الله بما يقدمه العبد يقتضى حسن المثوبة عليه ، والحسنة بعشر أمثالها ، والله يضاعف لمن يشاء . والحاجُ بتكبده المشاق فى سفرة ، وأداء مناسكه صابرٌ ، و ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ **الزمر : ١٠**

قال القرطبى فى تفسيره معلقا على قوله ـ تعالى ـ ﴿ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ﴾ . هذا شرط وجوابه ، والمعنى أن الله يجازيكم على أعمالكم ، لأن المجازاة إنما تقع من العلم بالشىء . وفى ذلك تحريض على حسن الكلام مكان الفحش ، وعلى البر والتقوى فى الأخلاق مكان الفسوق والجدال .

ويقول النيسابورى فى غرائب القرآن : لم يتعرض لمقابل الخير وإن كان عالما به لنكتة ، وهى : إنى إذا علمت منك الخير ذكرته وشهرته ، وإذا علمت منك ضده أخفيته وسترته ؛ لتعلم أنه إذا كانت رحمتى بك هكذا فى الدنيا فكيف تكون فى العقبى ؟

وفى ذلك ترغيب للمطيعين وإيذان بأنهم من المحسنين الذين هم فى مقام الإحسان ، والإحسان هو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك .

والعبد الصالح إذا علم إطلاع مولاه على سرائره وخفاياه اجتهد فى أداء أوامره واحترز عن نواهيه .

---

(٣) أخرجه مالك والبيهقى عن أبى هريرة . وهو فى جامع الأحاديث للسيوطى برقم ١٧٦٤ جـ١٠ ص ٣٤٢ .

(٤) رواه الذبرانى فى الثلاثة ، وفى مجمع الزوائد جـ ٨ ص ٢٢ عن معاذ وفى جمع الجوامع برقم ٨٥٥٤ جـ ١ ص ٣١٠٤ . والربض : الفناء .

ومن عناية الله بهم حثهم على الخير بعدما نهاهم عن الشر ، ليستعملوا مكان الرفث التفث ، وبدل الفسوق رعاية الحقوق ، ومقام الجدال والشقاق الوفاق مع الرفاق ، تتميما لمكارم الأخلاق ، وتنبيها على شرف النفس وطيب الأعراق .

زاد التقوى :

ولابد لكل مسافر من زاد ، وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ﴾ يشير إلى عناية الإسلام باتخاذ الأسباب . فقد قال العلماء : لقد نزل ذلك فى شأن قوم كانوا يجيئون إلى الحج بغير زاد ، ثم يبقون عالة على الناس . وقال ابن عباس ـ فيما يرويه البخارى ـ : كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون ويقولون : نحن المتوكلون ، فإذا قدموا مكة سألوا الناس . فأنزل الله الآية ..

وإن كان السفر فى الدنيا محتاجاً إلى زاد قوامه القوت ، فإن سفر الآخرة محتاج إلى زاد قوامه التقوى . فالطعام يقيت الجسد ، والتقوى تقيت الروح . وقد صدق الشاعر الذى يقول :

| | |
|---|---|
| إذا أنت لم ترحـل بزاد من التقـى | ولاقيت بعـد الموت من قد تزوّدا |
| ندمت على ألّا تكـون كمثلـه | وأنك لم ترصد كما كان أرصدا |

والتقوى هى مقياس النجاح عند الله ـ قال تعالى ـ ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾
الحجرات : ١٣

وهى جماع الخيرات ـ كما يقول القشيرى فى رسالته ـ وهى الهدف لكل عمل خيِّر ، وهى الوسيلة له أيضاً . وحقيقة الاتقاء التحرز بطاعة الله عن عقوبته ، وتبدأ أولًا باتقاء الشرك ، ثم بعده باتقاء المعاصى والسيئات ، ثم بعد ذلك باتقاء الشبهات ، ثم بعده باتقاء الفضول .

ولأهل الذوق فى الحديث عن التقوى كلام دقيق ، فقد أثر عن أبى على الدقاق فى قوله ـ تعالى ـ ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ﴾ .
آل عمران : ١٠٢ .

معناه : أن يطاع فلا يُعصَى ، ويُذْكَر فلا يُنسَى ، ويُشكر فلا يُكْفَر .

وقال سهل بن عبد الله التسترى ، ت ٢٨٣ هـ : من أراد أن تصح له التقوى فليترك الذنوب كلها .

وقال النصرى باذى ت ٣٦٩ هـ : من لزم التقوى اشتاق إلى الآخرة لأن الله ـ جل وعلا ـ يقول : ﴿ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ الأنعام : ٣٢

أما ذو النون المصرى ت ٢٤٥ فقد قال :

| | |
|---|---|
| فلا عيش إلا مع رجـال قلـوبهم | تحن إلى التقـوى وترتـاح للذكـر |
| سكـون إلى روح اليـقين وطيبـه | كما سكن الطفل الرضيع إلى الحجر |

وروى عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه قوله : سادة الناس فى الدنيا الأسخياء ، وسادتهم فى الآخرة الأتقياء .

واستشهد القرطبى فى تفسيره على جلال التقوى بقول الشاعر :

الموت بحرٌ طامـــــخٌ موجُـــــه ... تذهب فيـــه حيلـــةُ السابـــح

يا نفسُ إنى قائــــلٌ فاسمعـــى ... مقالـــــةً من مُشفـــق ناصح

لا يصحب الإنسانَ فى قبره ... غيـرُ التقـــى والعمـــلِ الصالح

لقد أمعن أهل الذوق فى شرح حقيقة التقوى ، ويكفى أن الله أمر بها العقلاء حيث قال فى ختام تلك الآية الكريمة ﴿وَٱتَّقُونِ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ دلالة على أن العقل السليم يهتدى بالفطرة إلى طريق النجاح والفلاح .

وكان تحصيل التقوى هدفاً لكل مُشمِّر فى اكتساب الخير طامح إلى مقامات أهل الفضل ، وقد وضع الشيخ حسن رضوان وهو من أئمة التصوف فى العصر الحديث المتوفى سنة ١٣١٠ هـ فى كتابه الجامع « روض القلوب المستطاب » المطبوع بمطبعة ديوان عموم الأوقاف المصرية سنة ١٣٢٢ هـ بعض الضوابط لمن يريد تحصيل فضيلة التقوى ، ومعرفة حقيقتها ومراتبها .. فقال فيما نقتطفه من أرجوزته الطويلة فى ذلك :

فحدُّهـــا اتقـــاءُ موجبِ الـــغضبْ ... بتـــرك منهيٍّ وفعـــلِ ما وجب

والشرطُ فيـــه قصدُ الامتثـــالِ ... بفعلـــه ووجهـــهِ ذى الجلالِ

وهـــذه أدنى مراتب التقـــى ... لكـــنْ بها كيْـــدُ العـــدو يُتَّقـــى

* * *

فإن صفت أحوالُهــــــا تنبهتْ ... وعـــن شهـــود ما يضرُّهـــا انتهت

فيتقـــى المريــــدُ خطَّ نفسِهِ ... إذاً دنيـــاى عن شهـــود حسه

وهـــذه الوسطـــى من المراتب ... وذوقهـــا من أعظـــم المطـــالب

* * *

وفـــوق هذا من مراتب التقـــى ... ما منـــه يزداد الوَلِـــى تحقُّقـــاً

وعـــن بيـــان حدِّهِ العبـــارةْ ... ضاقت فلـــم تقبـــل ولا الإشارة

ولا يتـــمُّ السَّيْـــرُ للمسافـــر ... إلا بزادِ فيـــه حفـــظَ الظاهـــر ..

وإنَّ زادَ من أراد الآخرة ... يسيره تقـوى الإلـه الباهـرة

فبنيـةُ الأرواح لا تقـدمُ ... إلا بها وفضلُها معلـومُ

فرُتبـة التقـوى هى الـوصولُ ... إلى مقـامٍ دونـه الـفضول

روض القلوب المستطاب ص ٣٤٤

لقد فهم أهل الذوق من الأمر بالتزام التقوى معانى سنية . تحدثوا عنها فأفاضوا فيها وتحققوا بها .

الحج المبرور :

كما فهم أهل الذوق أيضا من رحلة الحج معانى تذكرهم بالرحلة الكبرى إلى دار الخلود والبقاء ، وعلموا أن مناسك الحج كلها من تجرد وتلبية وطواف وسعى وهدْي رموزٌ وجدانية إلى تلك الرحلة العظيمة التى لا يستعدلها إلا كل من وفقه الله وهداه ، وجعل التقوى شعاره ودثاره .

والتزام التقوى فى الحج هو الذى يحقق الحجة المبرورة التى لا جزاء لها إلا الجنة .

والحج المبرور كما يقول الفقهاء وأهل المعرفة هو الذى لم يُعصَ الله فى أثناء أدائه أو بعده ، ومن علاماته أن يرجع صاحبه منه زاهداً فى الدنيا راغبا فى الآخرة .

ومن علامة الرغبة فى الآخرة الإكثار من الذكر تأدباً بأدب القرآن الكريم ﴿ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ﴾ البقرة : ٢٠٠

ومن الذكر الدعاء ، والدعاء مخ العبادة، وخير الدعاء فى هذه الرحلة هو ماعلمنا الله ـ سبحانه وتعالى ـ إياه: ﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ . البقرة

لأنها دعوة تجمع بين خير الدنيا والآخرة ..

وبهذه الآية كان يدعو النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما يرويه الشيخان ..

وقال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ : إن عند الركن ملكا قائماً منذ خلق الله السماوات والأرض يقول آمين ، فقولوا ﴿ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار﴾

تفسير القرطبى : اللهم اجعلنا ممن لا ينظر فى أى شيء يُنظر إلا إليك ، ولا يرغب فى كل ما يُرغب إلا لأجل ما لديك ـ آمين ـ

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

# المخدرات بين التحريم والتجريم في الشريعة الإسلامية والقانون المصرى

المستشار/ السيد خلف محمد (*)

الإدمان على المخدرات والاتجار فيها آفة خطيرة شغلت بال ولاة الأمور أمداً طويلا ، لما تجره من تدهور فى الصحة العامة والقيم الأخلاقية وتعطيل القوى البشرية عن العمل . ولا يقتصر ضرر المخدرات على من يتعاطاها وحده ولكنه يمتد فى الغالب إلى ذريته وأسرته .

مراحل العلاج القانونية :

ولقد عالج المشرع جرائم المخدرات علاجا رقيقا فى البداية ؛ لأن المشكلة لم تكن على درجة من الخطورة تستأهل قسوة العقاب ، إلا أن الخطر بدأ يستشرى فأصدر المشرع القانون رقم (٣٥١) لسنة ١٩٥٢ ، وألغى ما سبقه من تشريعات ، فلما أعلنت الوحدة السياسية بين مصر وسوريا كان من الضرورى وضع تنظيم موحد فى الإقليمين يهدف إلى مكافحة المخدرات ، وتنظيم استعمالها والاتجار فيها ، فكان القانون رقم (١٨٢) لسنة ١٩٦٠ ، ثم عدل بعد ذلك بالقانونين : (٤٠) لسنة ١٩٦٦ ، (١٦) لسنة ١٩٧٣ ، ولقد تفاقمت مشكلة المخدرات فى السنوات الأخيرة على المستويين الدولى والمحلى تفاقما خطيرا ، حيث اقتحمت ميادينها ـ ترويجا واتجارا وتهريبا ـ قوى عديدة ، كان من أبرزها تلك العصابات الدولية القائمة على شبكات محكمة التنظيم مزودة بإمكانيات هائلة ، مكنتها من إغراق البلاد بأنواع من هذه المخدرات ، أدى انتشارها إلى آثار مدمرة على المستويات الإنسانية والاجتماعية والإقتصادية ، الأمر الذى أوجب تدخل المشرّع لمواجهة هذا الخطر المحدق ، وللمحافظة على قيم وطاقات أفراد الشعب وقدرات وحيوية شبابه من أخطر أشكال الدمار الإنسانى ، فأصدر القانون رقم ١٢٢ لسنة ١٩٨٩ بتعديل بعض أحكام القانون رقم (١٨٢) لسنة ١٩٦٠ .

---

(*) الكاتب نائب رئيس محكمة النقض

إثبات المواد المخدرة تفصيلا :

**ولم يضع المشرع المصرى تعريفا شاملا للمواد المخدرة ، ولكنه بين هذه المواد على سبيل الحصر فى الجداول الستة الملحقة بالقانون ، وفتح الباب لإضافة مايجد من المواد المخدرة وحذف مايخرج عن هذا النطاق . وذلك لأن التقدم العلمى والتكنولوجى قد يؤدى إلى تغيير وجهات النظر فى مادة معينة واعتبارها مخدرة من عدمه ، ولذلك فقد نصت المادة ٣٢ من القانون رقم (١٨٢) لسنة ١٩٦٠ على أنه «للوزير المختص بقرار يصدره أن يعدل فى الجداول الملحقة بهذا القانون بالحذف وبالإضافة أو بتغيير النسب الواردة فيها» .**

وسوف نعرض فى الصفحات التالية لأحكام الشريعة الإسلامية والقانون الجنائى المصرى فى بعض المسائل المتعلقة بالمخدرات ، وعلى وجه التحديد : «الإتجار فى المخدرات ، تعاطى المخدرات ، التواجد فى مكان أعد أو هيىء لتعاطى المخدرات وكان يجرى فيه تعاطيها» .

الشريعة الاسلامية تحرم الإتجار فى المخدرات[1] :

إن المخدرات - بكافة أنواعها وأسمائها - محرمة قطعا بدخولها فى اسم المخدر والمسكر . فهل إنتاجها بكافة وسائله والإتجار فيها وتهريبها والتعامل فيها كذلك يكون محرما ؟

يتضح حكم هذا : إذا علمنا أن الشريعة الإسلامية إذا حرمت شيئا على المسلم حرمت عليه فعل الوسائل المفضية إليه ، وهذه القاعدة مستفادة من نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة :

ففى القرآن تحريم الميتة والدم والخمر والخنزير ، وفى بيع هذه المحرمات يقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه - فيما رواه الجماعة عن جابر - رضى الله عنه[2] «إن الله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام» وحين حرم الله الزنا حرم دواعيه من النظر واللمس والخلوة بالمرأة الأجنبية فى مكان خاص ، لأن كل هذا وسيلة إلى الوقوع فى المحرم ، وهو المخالطة غير المشروعة ، وفى آيات سورة النور الخاصة بالاستئذان قبل دخول بيوت «غير بيوتكم» : الأمر للرجال وللنساء بغض البصر عن النظر لغير المحارم ، وإخفاء زينة النساء وستر أجسادهن ، كل ذلك بُعْداً بالمسلمين عن الوقوع فيما لايحل ، وحماية لحرمة المنزل والمساكن .

**ومن هنا تكون تلك النصوص القرآنية دليلًا صحيحاً مستقيماً على أن تحريم الإسلام لأمر تحريم يكون لجميع وسائله ومع هذا فقد أفصح الرسول ﷺ عن هذا الحكم فى الحديث الذى رواه أبو داود فى سُننه كما رواه غيره عن ابن عباس رضى الله عنهما : أن من حبس العنب أيام القطاف حتى يبيعه ممن يتخذه خمرا فقد يقحم فى النار» وقوله ﷺ المروى عن أربعة من أصحابه منهم أن عمر رضى الله**

---

(١) الفتاوى الإسلامية - دار الإفتاء المصرية - المجلد العاشر ص ٣٥١٣ .

(٢) نيل الأوتار للشوكانى جـ ٥ ص ١٤١ وسبل السلام للصنعانى جـ ٢ ص ٣١٦ .

عنه[٣] : «لعن الله الخمر وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وآكل ثمنها وحاملها والمحمولة إليه» صريح كذلك فى تحريم كل وسيلة مفضية إلى شرب الخمر . ومن هنا تكون كل الوسائل المؤدية إلى ترويج المخدرات محرمة سواء كانت زراعة أو إنتاجا أو تهريبا أواتجارا .

فالتعامل فيها على أى وجه مندرج قطعا فى المحرمات باعتباره وسيلة إلى المحرم ، بل إن الحديثين الشريفين سالفى الذكر نصان قاطعان فى تحريم هذه الوسائل المؤدية إلى إشاعة هذا المنكر بين الناس باعتبار أن إسم الخمر بالمعنى السالف «ما خامر العقل» ، كما فسرها سيدنا عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ شامل للمخدرات بكافة أسمائها وأنواعها ، ولأن فى هذه الوسائل إعانة على المعصية ، والله سبحانه نهى عن التقوى فى المعاصى كقاعدة عامة فى قوله سبحانه[٤]: ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ ﴾ . وفى إنتاج المخدرات والإتجار فيها وتهريبها وزراعة أشجارها ؛ إعانة على تعاطيها ، والرضا بالمعاصى معصية محرمة قطعاً ، لاسيما وأن هذه الوسائل مؤداها ومقصودها تهيئة هذه السموم المخدرة للتناول والانتشار بين الناس ، فهى حرام حرمة المخدرات ذاتها ، لأن الأمور بمقاصدها .

والقانون الجنائى المصرى يجرم الإتجار فى المخدرات :

وقد تضمن نص المادة السابعة من القانون رقم (١٨٢) سنة ١٩٦٠ المعدل أنه : لا يجوز الإتجار فى الجواهر المخدرة إلا بعد الحصول على ترخيص بذلك من الجهة الإدارية المختصة ، وأنه لا يجوز منح ذلك الترخيص لفئة من المحكوم عليهم فى بعض الجرائم التى تدل على أن مرتكبها لا يؤتمن على الإتجار فى الجواهر المخدرة ، ومن بين هؤلاء المحكوم عليه بعقوبة جناية ؛ سواء كانت من جنايات المخدرات أم الاعتداء على الأشخاص أو الأموال أو أية جناية أخرى ، لأن عبارة النص جاءت عامة ومطلقة ، فلا يجوز تخصيصها وتقييدها بنوع معين من الجنايات .

وكذلك المحكوم عليه فى إحدى جنح المخدرات وأيضا المحكوم عليه فى إحدى الجنح المبينة على سبيل الحصر فى البند (جـ) من المادة السابقة من القانون المتقدم وهى : جنح السرقة أو إخفاء أشياء مسروقة أو خيانة أمانة أو نصب أو إعطاء شيك بدون رصيد أو تزوير أو استعمال أوراق مزورة أو شهادة زور أو هتك عرض أو إفساد الأخلاق أو تشرد أو اشتباه ، وكذلك المحكوم عليه لشروع منصوص عليه لإحدى هذه الجرائم .

ويضاف إلى قائمة الممنوعين من الإتجار فى الجواهر المخدرة من سبق فصله تأديبيا من الوظائف العامة لأسباب مخلة بالشرف مالم تنقض ثلاث سنوات من تاريخ الفصل نهائيا ، أما من فصل

---

(٣) رواه أبو داود فى سننه جـ ٢ ص ١٢٨ فى كتاب الأشربة وابن ماجة فى سننه .

(٤) من الآية ٢ من سورة المائدة .

تأديبا لأسباب أخرى غير مخلة بالشرف فليس هناك ما يحول دون حصوله على ترخيص بالإتجار فى الجواهر المخدرة[5].

والجدير بالذكر أن الترخيص بالإتجار فى الجواهر المخدرة ؛ قد وضعت له ضوابط دقيقة بالنسبة للأماكن التى يرخص فيها بالإتجار ، وكذلك بالنسبة للصيدليات التى تقوم بصرفها للمرضى بموجب تذاكر طبية تصدر من الأطباء وحدهم الذين خولهم قانون مزاولة مهنة الطب وصف المواد المخدرة للمرضى ، وإعطائها لهم فى أية صورة للعلاج ، وكما تستعمل المواد المخدرة فى الأغراض العلمية تستعمل أيضا للتخدير قبل العمليات الجراحية ، أو لتخفيف الآلام بعدها ، وللتغلب على الأرق إلى غير ذلك من الحالات المرضية .

وبالنسبة لعقوبة الإتجار فى المواد المخدرة فإن المشرع قد نص فى المادة (٣٤) من القانون ١٨٢ لسنة ١٩٦٠ المعدل بالقانون (١٢٢) لسنة ١٩٨٩ على أنه يعاقب بالإعدام أو الأشغال الشاقة المؤبدة وبغرامة لاتقل عن مائة ألف جنيه ، ولا تجاوز خمسمائة ألف جنيه : —

( أ ) كل من حاز أو أحرز أو اشترى أو باع أو سلّم أو نقل أو قدم للتعاطى جوهرا مخدرا وكان ذلك بقصد الإتجار ، أو أتجر فيه بأية صورة ، وذلك فى غير الأحوال المصرح بها قانونا .

وقد قضت محكمة النقض المصرية فى حكم شهير لها «أنه يكفى لتوافر أركان الجريمة المنصوص عليها فى الفقرة الأولى من المادة (٣٤) من القانون رقم (١٨٢) لسنة ١٩٦٠ المعدل ، مجرد توافر قصد الإتجار فى المواد المخدرة ، ولو لم يتخذ الجانى الإتجار فى هذه المواد حرفة له سواء كان إحراز المخدر أو حيازته لحسابه أو لحساب غيره ممن يتجرون فى المواد المخدرة .

دلالة ذلك أن نص الفقرة الأولى من المادة (٣٤) سالفة البيان بعد أن جرى على عقاب حالات الحيازة أو الإحراز أو الشراء أو البيع أو التسليم أو تقديم المواد المخدرة للتعاطى بقصد الإتجار قد ساوى بينها وبين الاتجار فيها بأية صورة فيتسع مدلولة ليشمل ما غير ذلك من الحالات التى عددتها هذه المادة على سبيل الحصر المحظور على الأشخاص ارتكابها بالنسبة للإتجار فى المواد المخدرة[6] .

**وإذا كان المشرع المصرى قد ضمن القانون ١٨٢ لسنة ١٩٦٠ المعدل بالقانون ١٢٢ لسنة ١٩٨٩ عقوبة الإعدام بالنسبة لجلب الجواهر المخدرة أو الإتجار فيها ، فما حكم الشريعة الإسلامية بالنسبة لإنزال عقوبة الإعدام ؟[7] .**

**عرضت على فضيلة مفتى جمهورية مصر العربية قضية جلب مخدر قبل إصدار الحكم باعدام المتهم وقد أبدى فضيلته الرأى فيها على النحو الآتى :**

---

(٥) راجع . كتابنا «قضاء المخدرات» الطبعة الثالثة ص ٤٠ ومابعدها .

(٦) نقض جنائى — الطعن رقم ١٨٨٨ لسنة ٥٣ ق — جلسة ١٩٨٣/١٠/٢٠ .

(٧) راجع كتابنا «قضاء المخدرات» الطبعة الثالثة صفحة ٨٤ ومابعدها .

إن الشريعة الإسلامية قد جاءت رحمة للناس، واتجهت فى أحكامها إلى إقامة مجتمع فاضل تسوده المحبة والمودة والعدالة والمثل العليا فى الأخلاق والتعامل بين أفراد المجتمع. ومن أجل هذا كانت غايتها الأولى تهذيب الفرد وتربيته ليكون مصدر خير للجماعة، فشرعت العبادات سعيا إلى تحقيق هذه الغاية، وإلى توثيق العلاقات الاجتماعية، كل ذلك لصالح الأمة وخير الجموع والمصلحة التى إبتغاها الإسلام وتضافرت عليها نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة بهدف المحافظة على أمور خمسة يسميها فقهاء الشريعة الاسلامية «الضرورات الخمس» وهى: الدين والنفس والمال والعقل والنسل، والمحافظة على العقل من الضرورات التى حرص الإسلام على تأكيدها فى تشريعه. وحفظ العقل من أن يناله آفة تجعل فاقده مصدر شر وأذى للناس وعبئا على المجتمع، ومن أجل هذا حرم الإسلام الخمر، وعاقب من يشرب الخمور وغيرها مما يتلف العقل ويخرج الإنسان عن إنسانيته. وكما قال الإمام الغزالى: «إن جلب المنفعة ودفع المضرة مقاصد الحق وصلاح الخلق فى تحصيل مقاصدهم، لكنا نعنى بالمصلحة المحافظة على مقصود الشرع، ومقصود الشرع من الخلق خمسة. وهو أن يحفظ عليهم دينهم وأنفسهم وعقولهم ونسلهم وأموالهم فكل مايتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة وكل مايفوت هذه الأصول الخمسة فهو مفسدة ودفعها مصلحة».

وإذا كانت المخدرات كالحشيش والأفيون والكوكايين والهيروين وغيرها من المواد الطبيعية المخدرة، وكذلك المواد المخلقة المخدرة تحدث آثار الخمر فى الجسم والعقل بل أشد، فإن القاعدة الشرعية التى تعتبر من أهم القواعد التشريعية فى الإسلام. هى: دفع المضار وسد ذرائع الفساد.

كذلك أخرج الإمام أحمد فى مسنده ـ وأبو داود ـ فى سننه ـ عن أم سلمة ـ رضى الله عنها ـ قالت: «نهى رسول الله ـ ﷺ ـ عن كل مسكر ومفتر».

والمفتر ـ كما قال العلماء: كل ما يورث الفتور والخور فى أعضاء الجسم، وقد نقل العلماء إجماع فقهاء المذاهب على حرمة تعاطى الحشيش وأمثاله من المخدرات الطبيعية والمخلقة، لأنها جميعا تودى بالعقل وتفسده، وتضر بالجسم والمال وتحط من قدر متعاطيها فى المجتمع.

وقد ذهب بعض الفقهاء إلى وجوب حد متعاطى المخدرات كشارب الخمر تماما، لأنها تفعل فعلها وأكثر منها. بل قال ابن تيمية: «إن فى المخدرات من المفاسد ما ليس فى الخمر، فهى أولى بالتحريم، ومن استحلها وزعم أنها حلال فإنه يستتاب، فإن تاب وإلا قتل مرتدا، لا يصلى عليه ولا يدفن فى مقابر المسلمين».

ونخلص مما تقدم أن المخدرات بكافة أنواعها وأسمائها طبيعية أو مخلقة: مسكرة، وأن كل مسكر من أى مادة حرام، وهذا الحكم مستفاد نصا من القرآن الكريم، ومن سنة رسول الله ـ ﷺ. وبذلك يحرم تعاطيها بأى وجه من وجوه التعاطى: من أكل أو شرب أو شم أو حقن، لأنها مفسدة ودرء المفاسد من المقاصد الضرورية للشريعة الإسلامية حماية للعقل والنفس، ولأن

الشرع الإسلامى اعتنى بالمنهيات ، وفى هذا يقول الرسول ... فإذا أمرتكم بشيء فخذوا منه ما استطعتم . وإذا نهيتكم عن شيء فانتهوا[8].

إذا كان ذلك كذلك تكون كل الوسائل المؤدية إلى ترويج المخدرات محرمة سواء كانت زراعة أو إنتاجا أو تهريبا أو اتجارا . فالتعامل فيها على أى وجه مندرج قطعا فى المحرمات باعتباره وسيلة إلى المحرم .

**ولما كان من مقاصد التشريع الإسلامى ماسماه الفقهاء بالضرورات الخمس ، وقد جرت عبارتهم بأنها : حفظ الدين وحفظ النفس وحفظ النسل ، وحفظ المال ، وحفظ العقل ـــ وقالوا : إنه بالاستقرار وجد أن هذه الضرورات الخمس مراعاة فى كل ملة .**

وفى سبيل حفظ هذه الضرورات شرعت العقوبات . وهى كما جاءت فى استنباط الفقهاء من مصادر الشريعة تتنوع إلى ما يأتى :

أولا : الحدود .

ثانيا : جرائم الجناية على النفس ومادون النفس ومايتبعها من الدية والإرث .

ثالثا : جرائم التعازير .

ولما كان لكل حد عقوبة معينة ، أو عقوبات لامحيص من توقيعها على الجانى ، ففى التعزير مجموعة من العقوبات تبدأ من النصح وتنتهى بالجلد والحبس . وقد تصل للقتل فى الجرائم الخطيرة ، ويترك للقاضى أن يختار من بين هذه المجموعة العقوبة الملائمة للجريمة ولحال المجرم ونفسيته وسوابقه ، ولم تنص الشريعة على كل جرائم التعازير ، ولم تحددها بشكل لا يقبل الزيادة والنقصان ـ كما فعلت فى جرائم الحدود وجرائم القصاص والدية ، وإنما نصت على ماتراه من هذه الجرائم ضارا بصفة دائمة بمصلحة الأفراد والجماعة والنظام العام ، وتركت لأولى الأمر فى الأمة أن يجرّموا مايرون ـ بحسب الظروف ـ أنه ضار بصالح الجماعة أو أمنها أو نظامها . وأن يضعوا قواعد لتنظيم الجماعة وتوجيهها ويعاقبوا على مخالفتها .

## الأصل فى التعزير

والأصل فى الشريعة الاسلامية أن التعزير للتأديب ، وأنه يجوز من التعزير ما أمنت عاقبته غالبا ، فينبغى ألا تكون عقوبة التعزير مهلكة ومن ثم فلا يجوز فى التعزير قتل ، ولا قطع لكن الكثير من الفقهاء أجازوا استثناء من هذه القاعدة العامة أن يعاقب بالقتل تعزيرا إذا اقتضت المصلحة العامة تقرير عقوبة القتل ، أو كان فساد المجرم لايزول إلا بقتله ، كقتل الجاسوس ، والداعية إلى بدعة ، ومعتاد الجرائم الخطيرة .

وإذا كان القتل تعزيرا قد جاء استثناء من القاعدة فإنه لايتوسع فيه ولا يترك أمره للقاضى لكل العقوبات التعزيرية ، بل يجب أن يُعَيِّنْ ولى الأمر الجرائم التى يجوز فيها الحكم بالقتل . وقد اجتهد الفقهاء فى تعيين هذه الجرائم وتحديدها ولم يبيحوا القتل إلا إذا اقتضت الضرورة ذلك . بأن كان المجرم قد تكررت جرائمه ويئس من

(٨) رواه ابن ماجه فى أول سننه .

إصلاحه ، أو كان استئصال المجرم ضروريا لدفع فساده وحماية الجماعة منه .

ويبيح الحنفيون عامة القتل تعزيراً ويسمونه القتل سياسة .

ويرى بعض الحنابلة هذا الرأى وعلى الأخص ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ، ويأخذ بهذا الرأى قليل من المالكية . ولما كان البين من مطالعة أوراق هذه ـ الدعوى ـ كما سطرتها التحقيقات أن المتهم/... قد قام بجلب جواهـــر مخدرة (هيروين) بقصد ترويجها والإتجار فيها فى جمهورية مصر العربية دون ترخيص كتابى من الجهة المختصة حسبما هو ثابت بتحقيقات النيابة وبأقوال الشهود ، وما ادعاه من عدم ملكيته للحقيبة وماتحتويه من مخدرات بعد اعترافه بحيازته لها لا ينهض دليلا على درء التهمة عنه .

ولما كان جلب المخدرات وترويجها والإتجار فيها لم يرد بشأنها عقوبة مقدرة شرعا يستوجب إنزالها على المتهم كحد : شرب الخمر وحد الزنا وحد قطع الطريق ، فإنه لا مناص من إدخالها فى باب التعازير التى قد تصل العقوبة فى بعض الجرائم الخطيرة فيها إلى القتل حسبما يقدره ولى الأمر ويرى أن الخطر الداهم الذى يحيق بالأفراد والجماعـــة من جراء جلب هذه المخدرات وترويجها لايمكن درؤه إلا بالقتل ، لأن درء المفاسد من المقاصد الضرورية للشريعة حماية للعقل والنفس .

ولاشك أن تأثير المخدرات بأنواعها على عقل الإنسان أمر أثبتته البحوث والدراسات ، فتعاطى الهيروين والعقاقير المخدرة يؤدى عند الانقطاع أو الفشل فى الحصول على جرعة إلى الإصابة بتشنجات يعقبها اضطراب عقلى ربما يؤدى إلى الوفاة ، فالمخدر لعنة تصيب الفرد وكارثة تحل بالأسرة ، وخسارة محققة تلحق بالوطن ، لما كان ذلك ، فإذا اطمأن وجدان المحكمة إلى أن المتهم قد قام بجلب المخدر المشار إليه قاصدا ترويجه وتوزيعه بمعرفة أعوان فى جمهورية مصر العربية ، الأمر الذى يترتب عليه إتلاف الأموال والأبدان والعقول ، فإنه حينئذ يجوز أن تنزل به عقوبة التعزير حتى القتل وفقا لما تقتضيه مصلحة الأمة والجماعة .. والله سبحانه وتعالى أعلم .



# العالم الإسلامي المعاصر

## تعريفه وأهم خصائصه

## - ٢ -

د/ زينب الأشوح

**خلاصة لما سبق :**

**اختلف المفكرون فى وضع تعريف دقيق وشامل للعالم الإسلامى ، وذلك لاختلافهم حول العالم والحدود والخصائص التى تميز هذا العالم ، الأمر الذى قد يبعث على شىء من التشكك فى نتائج الدراسات المتعلقة بالعالم الإسلامى . وحسما للخلاف كانت هذه الدراسة لمناقشة الخصائص التى تميز العالم الإسلامى وتحلل المعايير التى تعين على استنباط مفهوم دقيق لعالمنا الإسلامى المعاصر .**

### خصائص العالم الإسلامى

**أولا : الخصائص الديموجرافية :**

بالنظر إلى مصادر الإحصاء المختلفة نجد أن هناك تفاوتاً كبيراً فى تقدير أعداد المسلمين فى العالم . وقد يفسر ذلك باختلاف مفهوم العالم الإسلامى ـ كما اتضح فى الجزء السابق ، كما يمكن أن يرجع ذلك إلى حداثة استقلال الكثير من الدول الإسلامية التى تعانى من القصور فى بياناتها «الديموجرافية» ، أو كما ذكر ياسين محمد مراد ( ص ٧ )[١] : أن بعض الدول ـ خاصة ـ فى العالم الثالث تميل إلى نشر بيانات مضللة لأسباب اقتصادية أو سياسية أو غيرها . كما يتوقع أن تسعى الدول غير الإسلامية إلى الإقلال من الأعداد الحقيقية للمسلمين فى العالم خاصة عن طريق التضليل فى أرقام الأقليات المسلمة ، وذلك كوسيلة للحط من شأن المسلمين ، وإظهارهم فى صورة محدودة ، هذا ومن المنتظر بعد العمليات الوحشية لإبادة المسلمين فى ظل النظام العالمى اللاديني الجديد ـ والتى نجحت إلى حد ما فى بعض المناطق الإسلامية : كالبوسنة والصومال واذربيجان ـ فمن المتوقع ان تتغير خريطة العالم الإسلامى وحجم سكانه من المسلمين وفقا للطرف المنتصر ، وأيضا تبعا لاستمرارية الافواج المتزايدة من الداخلين فى الإسلام خاصة فى الدول اللا إسلامية .

وفى هذا الجزء نعرض أهم ما ورد فى التوصيف الديموجرافى ( المتعلق بالسكان ) للعالم الإسلامى فى الدراسات المتخصصة . ففى هذا الصدد أشار عبدالرحيم عمران ـ خبير الأمم المتحدة ( ص ٥٧ )[٢] : إلى أن إحصاءات ١٩٩٠

(١) ا . د . أحمد شلبى (١٩٧٥) ، موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة .

(٢) ا . د . احمد شلبى ( ١٩٨٣ ) ، موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية ، مطابع سجل العرب ، ١٩٨٣ .

نوضح أن إجمالى المسلمين فى العالم هو ١٢٠٠ مليون نسمة ، منهم ما يربو على ٩٠٠ مليون نسمة يعيشون فى أربع وأربعين دولة مسلمة ( ومن تلك الدول خمس عشرة دولة دستورها الرسمى هو الإسلام ) بينما يعيش الثلاثمائة مليون الباقون فى تجمعات أو أقليات فى دول غير إسلامية ، وتبرز من بينها ثلاثة تجمعات ضخمة تعيش فى الهند ( أكثر من ٩٠ مليون ) والصين ( أكثر من ٨٠ مليون ) والاتحاد السوفييتى السابق ( أكثر من ٥٠ مليون ) .

وفى حديثه عن التغيرات الديموجرافية فى سكان العالم الإسلامى ، يوضح فى (ص٥٨ وما بعدها) أن هناك أربعة نماذج للتغيرات التى حدثت فى سكان العالم الإسلامى ، الأول منها : يصف التغيرات فى الفترة القديمة ، بينما تصف النماذج المتبقية التغيرات فى الفترة الحديثة .

ـ النموذج القديم : ويصف تغير السكان حتى قرابة القرن الثامن عشر ، وهو نموذج الدورات السكانية ، وفيه يتذبذب حجم السكان ارتفاعا وهبوطاً مع الزمن نتيجة لتغيرات متتالية فى معدلات المواليد والوفيات والهجرة ، وتكون النتيجة النهائية عدم تراكم الزيادة السكانية . ومن أمثلة ذلك التغيرات السكانية فى مصر حتى بداية القرن الثامن عشر .

ـ النموذج المتخلف الحدوث : ويفسره المؤلف بأنه ينطوى على انخفاض كبير فى معدلات الوفيات نتيجة التقدم الصحى مع بقاء معدلات الخصوبة على ارتفاعها ، مما يؤدى إلى زيادة سكانية فائقة فى خلال فترة زمنية قصيرة ، ومن أمثلة هذا النموذج : البلاد الإسلامية فى أسيا وافريقيا .

ـ النموذج الانتقالى : ويبدأ بمستويات عالية من الخصوبة والوفيات ثم انخفضت فيه الوفيات بعد الحرب العالمية الثانية ، ثم انخفضت فيه ـ بعد فترة ـ معدلات الخصوبة ، ومن أمثلة أصحاب هذا النموذج : ماليزيا وأندونيسيا وتونس ولبنان .

ـ النموذج شبه الكلاسيكى : حيث تنخفض فيه ـ معا ـ الوفيات والخصوبة . ويرى المؤلف أنه يقارب مايحدث فى اوروبا ، ويذكر أن البلاد الإسلامية المنتمية إلى هذا النموذج هى الولايات الإسلامية فى الاتحاد السوفييتى وفى يوغسلافيا .

أما عن أهم الخصائص الديموجرافية للمرأة فى العالم الإسلامى ، فيتضح من دراسة قامت بها هدى رشاد ( صفحات ١٠١ ـ ١٠٣ )[٣] وترى فيها : أن السن القانونى لزواج الإناث فى معظم الدول الإسلامية يتراوح ما بين ١٥ ـ ١٧ عاما ، أما عن متوسط عمر المرأة عند الزواج فهو ٢٠ عاما فى الريف ، ويرتفع قليلا فى المناطق الحضرية ، وتبلغ معدلات مساهمة المرأة فى الأنشطة الاقتصادية حوالى ١٥٪ فى المتوسط مع ارتفاع المعدل فى تركيا وأندونيسيا وماليزيا ، ولو أن هذا الارتفاع قد يرجع ـ جزئيا ـ إلى اعتبار القيام ببعض الأعمال المنزلية نوعا من المساهمة فى النشاط الاقتصادى ، وبوجه عام فان معدل مساهمة المرأة فى النشاط الاقتصادى فى الدول

---

(٣) أ . د . حسين مؤنس ، أطلس تاريخ الإسلام ، الزهراء للإعلام العربى ، القاهرة .

الإسلامية ينخفض عنه فى الدول غير الإسلامية ، وفى داخل الدول الإسلامية ينخفض المعدل المذكور فى الدول الافريقية والعربية عنه فى الدول الأسيوية .

ثانيا : الخصائص الجغرافية :

يشغل العالم الإسلامى موقعا استراتيجيا ممتازا بين المناطق المختلفة من العالم ، فهو يشغل مساحة تزيد على ٣١ مليون كم٢ ( مايزيد عن مساحة قارتى أوروبا واستراليا معا ) وهو يطل ـ فى معظمه ـ على عدد كبير من المسطحات المائية المفتوحة التى تمثل أهم طرق المواصلات البحرية فى العالم . فيحده غربا المحيط الأطلسى الشمالى ( الذى يمر به أكثر من ٥٢٪ من تجارة العالم ) ، والبحر الأبيض المتوسط على الشمال الغربى ( الذى يعد جزءا رئيسيا من أقصر الطرق الملاحية فى العالم التى تربط الشرق بالغرب ) ، ويحده المحيط الهندى جنوبا ومضيق ملقا شرقا . وبوجه عام فان العالم الإسلامى يتحكم فى أهم المضايق والمداخل التى توصل جميع بلدان العالم بعضها بالبعض كما يكسبه موقعه الاستراتيجى الممتاز أهمية بالغة فى مجال النقل والتجارة الخارجية ، وكذا فهو يتمتع بأهمية كبرى بالنسبة للملاحة الجوية العالمية نتيجة صفاء جوه وخلوه من الغيوم فى معظم شهور العام ، بعكس المناطق الأخرى من العالم التى تتعرض للضباب والعواصف والأعاصير فى غالبية شهور العام ، انظر فى ذلك : ( ياسين محمد مراد ( صفحات ٤ ـ ٦ )[٤] ، ( محمود ابو العلا ص١٣ )[٥] .

ثالثا : أهم الخصائص الأخرى :

وحيث أن العالم الإسلامى ككل لا يمثل المحور الرئيسى للدراسة ، فسوف نحاول أن نعرض بإيجاز شديد أهم الخصائص الأخرى التى تميزه كمدخل لدراسة أكثر تعمقا عن جزئية منه ، والتى تتمثل فى الجمهوريات الإسلامية الست فى آسيا الوسطى . فمن أهم تلك الخصائص ما يلى :

ـ فيما يتعلق بالنواحى الاثنولوجية ( العرقية ) ، تشير إحدى الدراسات ( محمود أبو العلا ، ص ١٦ )[٦] إلى أن الدماء المغولية تنتشر فى كثير من المجموعات العرقية التى تكون ٧١ ٪ من مجموع المسلمين فى العالم . وهناك ست مجموعات اثنولوجية رئيسية هى :

١ ـ المجموعة الأردية الهندية التركية ( وتتركز فى باكستان وأفغانستان وإيران والهند وكشمير ونيبال وسريلانكا وبورما وبوتان ) ويشكل مسلموها ٢٦ ٪ من إجمالى المسلمين .

٢ ـ المجموعة العربية ( تسع دول فى افريقيا وثلاث عشرة دولة فى اسيا ) يشكل مسلموها

---

(٤) د . السيد خالد المطرى (١٩٨٩) ، دراسات فى مدن العالم الإسلامى ، معهد البحوث والدراسات العربية ، دار النهضة العربية ، بيروت .

(٥) د . صلاح عبدالجابر عيسى (١٩٩٠) ، خصائص التركيب الاقتصادى لسكان الدول الإسلامية ، السكان فى العالم الإسلامى ، المؤتمر الإسلامى الدولى ، المركز الدولى الإسلامى للدراسات والبحوث السكانية ، جامعة الأزهر - القاهرة .

(٦) ا . د . عبدالرحيم عمران (١٩٩٠) ، « التوصيف الديموجرافى لسكان العالم الإسلامى حاضرا ومستقبلا » ، السكان فى العالم الإسلامى ، المؤتمر الإسلامى الدولى ، المركز الدولى الإسلامى للدراسات والبحوث السكانية ، جامعة الأزهر ، القاهرة .

١٩ ٪ من إجمالى مسلمى العالم .

٣ ـ المجموعة المغولية التركية ( وتضمهم ألبانيا وبعض دول شبه جزية البلقان وتركيا والاتحاد السوفييتى ووسط أسيا ) ويمثل مسلموها ١٧ ٪ من الجمالى المسلمين .

٤ ـ المجموعة الملايوية المغولية ( وتوجد فى جنوب شرق آسيا من ماليزيا غربا حتى جزر بولونيزيا فى المحيط الهادى ، وفى شبه جزيرة الملايو وسنغافورة وأندونيسيا والفلبين وبعض جزر المحيط الهادى وجزيرة مدغشقر ) ويقدر مسلموها بحوالى ١٦ ٪ من الإجمالى الكلى للمسلمين .

٥ ـ المجموعة الإفريقية ( جنوب الصحراء الكبرى ) ويمثل مسلموها ١٣ ٪ من إجمالى المسلمين .

٦ ـ المجموعة الدرافيدية المغولية ( وتتركز فى البنجلاديش ) ويعد مسلموها بنسةب ٩ ٪ من اجمالى المسلمين فيالعالم .

ومايتبقى من مسلمين فهم يتواجدون فى الدول الاوروبية وفى الاميركتين واستراليا ( شاملة الاقيانوسية ) .

الحجم الإسلامى فى العالم :

وعن حجم الإسلام مع الديانات الأخرى ، يعتبر العالم الإسلامى فى المركز الأول من حيث المساحة التى يشغلها ، بينما يحتل المكانة الثانية من حيث العدد ، حيث تمثل المسيحية ( ٦٦ ٪ ) بينما يمثل المسلمون ( ١٨ ٪ ) من سكان العالم ، يليهم الوثنيون ومعتنقو الديانات غير السماوية كالهندوسية والبوذية (١٣ ٪) أما اليهود فيمثلون ( ٣٪ ) راجع فى ذلك كتاب ( الحقائق ) فى طبعته الإنجليزية ص ٧١٨ ولكن تلك التقديرات تقريبية ، فهى تختلف إلى حد كبير عما ورد فى الدراسات الأخرى ؛ حيث نجد مثلا فى « الموسوعة العالمية » ص٢٢[٨] ، أن معتنقى الإسلام يحتلون المكانة الثالثة (٢٤,٣ ٪) وذلك بعد المسيحيين (٤١,٨ ٪) ، وبعد الهندوسية والبوذية والكنفوشية (٣٣,٣ ٪) ، غير أن الاختلاف فى هذه التقديرات يجعلنا نأخذ بتلك البيانات كدليل توضيحى عام ، وليس كمصادر موثوق بها .

والمذاهب الرئيسية للمسلمين لها قسمين رئيسيين هما المذهب السنى ، ويعتنقه الغالبية العظمى من المسلمين (٩٠ ٪) والمذهب الشيعى ، ولا يزيد معتنقوه عن ١٠ ٪ من المسلمين . غير أن جميع المسلمين تجمعهم عقيدة التوحيد بالله واتباع الفرائض الخمس التى تمثل اركان الإسلام .

التعداد الإسلامى فى المدن :

ـ وتعتبر المدن من الملامح القديمة فى العالم الإسلامى راجع فى ذلك دراسة ( السيد خالد المطرى )[٩] ، ولقد تميز العالم الإسلامى فى العصور الوسطى بحضارة مدنية وكانت القاهرة أعظم مدن العالم ،

---

(٧) د . على جريشة (١٩٩١) ، حاضر العالم الإسلامى ، مكتبة وهبة ، القاهرة .

د. عبدالستار فتح الله سعيد (١٩٨٨) ، الدولة فى ظل الإسلام ، دار التوزيع والنشر الإسلامية ، القاهرة .

(٨) د . هدى رشاد (١٩٩٠) ، « الخصائص الديموجرافية للمرأة فى الدول الإسلامية » ، السكان فى العالم الإسلامى ، المؤتمر الإسلامى الدولى ، المركز الدولى الإسلامى للدراسات والبحوث السكانية ، جامعة الأزهر ، القاهرة .

(٩) د . محمود أبو العلا ( ١٩٩١ ) ، جغرافية العالم الإسلامى واقتصادياته ، مكتبة الفلاح ، الكويت .

ويمكن تصنيف الدول الإسلامية المعاصرة من حيث ظاهرة سكنى المدن إلى أربع مجموعات متميزة هي :

١ ـ مجموعة مرتفعة حضاريا والتي تزيد نسبة سكان المدن فيها عن ٤٠ ٪ وتضم ٢١ دولة الى جانب الجمهوريات الاسلامية السوفييتية ( سابقا ) .

٢ ـ مجموعة تضم الدول متوسطة الارتفاع فى ظاهرة سكنى المدن وتتراوح نسبة سكان المدن وتتراوح نسبة سكان المدن فيها بين ٣٠ ٪ و٤٠ ٪ من جملة سكانها .

٣ ـ المجموعة الثالثة وتضم الدول التى تتراوح نسبة سكان المدن فيها بين ٢٠ ـ ٣٠ ٪ من إجمالى سكانها .

٤ ـ المجموعة الرابعة وتضم الدول المنخفضة حضاريا والتى تبلغ نسبة سكان المدن فيها أقل من ٢٠ ٪ من إجمالى سكانها .

**مستقبل التوسع الإسلامى :**

ـ وعن التوسع الإسلامى ترى دائرة المعارف للأديان ـ ص (١٦٠)[١٠] ـ أن له صورتين :

التوسع فى حدود الدولة الإسلامية أو العالم الإسلامى .

والتوسع فى إعداد معتنقى الدين الإسلامى . سواء تم ذلك فى داخل إطار العالم الإسلامى أو فى الدول غير الإسلامية . وبوجه عام فإن من أهم العوامل والوسائل التى ساعدت على التوسع الإسلامى ـ عدد وحدودا ـ الفتوحات الإسلامية ، وحسن معاملة غير المسلمين واتساع نطاق التبادل التجارى بين المسلمين وغيرهم ، وزواج المسلمين من غير المسلمات .

وفى الوقت الحالى يمكننا إضافة عامل هام يمكن أن يلعب دورا هاما فى تغيير نطاق حدود العالم الإسلامى وهو إنهيار النظام الشيوعى ( الذى صاحبه قيام جمهوريات إسلامية بعد انفصالها عن الدول الشيوعية التى كانت تسيطر عليها ) وانتقال دفة الهيمنة الاقتصادية والقوة العسكرية ـ مؤقتا ـ إلى المعسكر الغربى ( الذى يسعى بكل قوته إلى وقف المد الإسلامى ، وعرقلة الصحوة الإسلامية العالمية ) التى تحاول إعادة الحياة إلى الدولة الإسلامية الى ما كانت عليه فى عهد الخلفاء الراشدين .

**اقتصاد العالم الإسلامى :**

ـ وبتناول الوضع الاقتصادى العام للعالم الإسلامى فى لمحة سريعة ، من خلال بعض الدراسات تقول الدراسات على سبيل المثال مثل : ( على جريشة صفحات ١٧ ، ٢١ و٧٩ ، ٨٠ ) و( حسين مؤنس صفحات ٣٩٣ ، ٣٩٤ )[١١] و( صلاح عبدالجابر صفحات ١٣٤ ، ١٤٨ )[١٢] ترى أن العالم الإسلامى يتمتع

---

(١٠) ا . د . ياسين محمد مراد (١٩٩٠) ، محاضرات فى جغرافية العالم الإسلامى ـ بدون مكان نشر ـ القاهرة .

د. يسرى الجوهرى ، د. ناريمان درويش (١٩٩٢) ، جغرافية العالم الإسلامى ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية .

11 — The world Almanac and book of facts, 1993, New York.

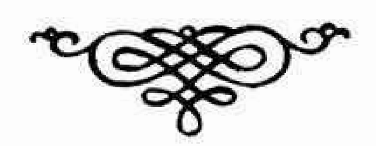
12 — The world book encyclopedia, 1988, Vol. 16, U.S.A.

ـ إلى جانب الموقع الاستراتيجى الممتاز ـ بأراض خصبة واسعة وصحارى شاسعة تجعلها دائما غنية بالموارد غير القابلة للنفاد . فبالنسبة للبترول ـ الذى يمثل المصدر الرئيسى للطاقة ـ تنتج الدول الإسلامية منه ما يوازى ٣٠,٦٪ من جمله الانتاج العالمى ، تليها الولايات المتحدة (٢٩,٦٪) . بينما يبلغ احتياطى البترول فى الدول الإسلامية نحو (٦٩,٣) من جملة الاحتياطى العالمى . وتعد الزراعة من أهم الانشطة ومصادر الدخل للمنطقة المعنية ، ولو أن البعض من دول هذه المنطقة قد أحرز تقدماً ملاحظاً فى مجال الصناعة مثلما تحقق فى ماليزيا وبنجلاديش والنيجر وتشاد ومالى ، حيث بلغ معدل النمو فيها مايزيد عن ١٠ ٪ سنويا . ومع هذا فإن قطاع الخدمات يحتل المرتبة الثانية ـ بعد الزراعة ـ من حيث نموه فى مجموعة الدول الإسلامية .

هذا وتتباين الدول الإسلامية فى درجة البطالة بحيث يمكن تصنيفها إلى مجموعتين رئيسيتين ، ودول تتزايد فيها البطالة ودول تتناقص فيها البطالة . بالنسبة للمجموعة الأولى يمكن تصنيفها إلى ثلاثة مجموعات فرعية : دول تتزايد فيها البطالة بنسبة ٢٠ ٪ سنويا فاكثر ( اندونيسيا والنيجر وتونس ) وهى نسبة مرتفعة بمقارنتها عالميا . ودول تتزايد فيها البطالة بنسبة ١٠ ـ ٢٠ ٪ وهى تتناسب والنسب السائدة فى البلاد النامية ( ومنها مصر والسنغال وساحل العاج ) ، ودول تتزايد فيها البطالة بنسبة أقل من ١٠ ٪ سنويا وهى تقترب من نظيرتها فى الولايات المتحدة الأمريكية ( ومنها سوريا والمغرب وسيراليون ) . أما الدول التى تتناقص فيها البطالة السكانية فهى خمس : ليبيا ( أكبرها فى نسبة التناقص ٢٠ ٪ سنويا ) ونيجيريا والعراق ( حيث تحقق فى الثلاث دول تقدما فى التنمية مما اتاح فرصا اكثر للعمالة ) وماليزيا وباكستان ( اللتان تتميزان بتصدير العمالة الزائدة إلى أسواق العمل الخارجية .

هذا وترتفع نسبة الإعالة ( وهى نسبة نظرية تعنى عدد الأشخاص الذين يعولهم أحد أفراد قوة العمل ) فى معظم الدول الإسلامية عنها فى بقية دول العالم ( ٦٩ ٪ وأحيانا تصل إلى ٧٥ ٪ فى الدول الإسلامية مقابل ٥٤ ٪ فى الدول الأخرى ) .

وتأسيسا على ماتقدم نرى إلى أى مدى يتميز العالم الإسلامى ـ عن غيره ـ بخصائص دينية واجتماعية واقتصادية ثرية بشريا وطبيعيا مما يجعل التكامل الشامل بين أبنائه ضرورة ملحة وممكنة فى نفس الوقت ـ لمجابهة التكتلات العالمية غير الإسلامية ، ولحماية الدول الإسلامية الصغرى والوليدة مثل تلك التى ولدت مؤخرا فى آسيا الوسطى.



# الأزهر والحوار مع المؤسسات الدينية العالمية

إعداد أ. د/ محمود حمدى زقزوق (*)

نقاط البحث :

١ ـ تمهيد : ضرورة الحوار

٢ ـ شروط الحوار

٣ ـ المؤسسات الدينية العالمية

٤ ـ موقف الأزهر من الحوار مع المؤسسات الدينية العالمية

٥ ـ مجالات الحوار

(أ) حوار حول العقائد الدينية

(ب) حوار حول القيم الانسانية فى الأديان

٦ ـ الحوار مع المؤسسة الاستشراقية

## ١ ـ تمهيد : ضرورة الحوار :

لقد أصبحت قضية الحوار فى عالم اليوم قضية ملحة على جميع المستويات . فنحن نعيش فى عصر تشابكت فيه المصالح وتعقدت فيه المشاكل على نحو لم يسبق له مثيل .

وقد أصبح البحث عن حلول لهذه المشاكل عن طريق الحوار أمرا ضروريا . وقد يكون الحوار محليا أو إقليميا أو عالميا حسب طبيعة المشاكل المثارة ، وعلى كافة الأصعدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها من مشكلات .

من هنا يمكن القول بأن الحوار قد أصبح ضرورة من ضرورات العصر للتغلب على المشكلات الواقعية فى عالمنا . والقضايا الدينية تعد جزءا لا يتجزأ من مشكلات عالمنا الواقعية ، بل تعد القضايا الدينية فى كثير من الأحيان بمثابة الخلفية لبقية المشكلات لما للدين من تأثير عميق فى نفوس الناس . هكذا كان الحال فى السابق ، ولا يزال الحال كذلك حتى اليوم رغم ما نراه فى كل مكان من مظاهر علمانية فى الشرق والغرب ، أو تصريحات سياسية تنكر هذه الحقيقة .

والحوار الدينى يعد أيضاً جزءا لا يتجزأ من الحوار بين الحضارات . فالحضارات فى كل مكان فى العالم قامت أساسا على قاعدة من الدين . ويعد

---

(*) الكاتب عميد كلية أصول الدين ـ القاهرة ـ جامعة الأزهر أعد البحث بمناسبة الدورة الرابعة للندوة المصرية المغربية .

موقع الثقافتين المصرية والمغربية من الثقافات العالمية .
القاهرة ١٩ من شعبان ١٤١٤ ـ ٢١ من شعبان ١٤١٤
٣١/١/٩٤ ـ ٢/٢/٩٤ .

الدين حتى اليوم فى نظر كتاب معاصرين فى الغرب أحد المكونات الرئيسية لأى حضارة بالإضافة إلى اللغة والتاريخ والثقافة . ومن هنا يصف الغرب حضارته بأنها حضارة مسيحية كما نصف حضارتنا بأنها حضارة إسلامية . ويُقسِّم عميد معهد الدراسات الاستراتيجية فى جامعة هارفارد[1] حضارة الغرب إلى ما يسميه الحضارة المسيحية الغربية والحضارة السلافية الأرثوذكسية ويجعل الدين أخطر مكونات الحضارة .

ومن هنا فإن الحوار الدينى لايمكن عزله عن ألوان الحوارات الأخرى ، لأنه يتشابك معها بطريقة أو بأخرى تشابكا ظاهرا أو خفيا أردنا أم لم نرد . وقد أكد هذه الحقيقة أحد علماء الأديان المعاصرين المستنيرين فى ألمانيا وهو الأستاذ هانز كونج بقوله : «لن يكون هناك سلام فى العالم بدون أن يكون هناك سلام بين الأديان ، ولن يكون هناك سلام بين الأديان بدون أن يكون هناك حوار بين الأديان[2] .

وإذا كان عالمنا يتجه إلى الحوار على المستويات الأخرى فمن باب أولى ينبغى أن يكون هناك حوار على المستوى الدينى بهدف القضاء على الكثير من مظاهر الصراعات التى تلعب فيها العقيدة الدينية دورا خطيرا . وإذا كنا فى الماضى قد شهدنا حروبا صليبية صريحة يرفع فيها شعار الدين ؛ فنحن نشهد اليوم حروبا مظهرها عرقى أو اقتصادى أو غير ذلك من مسميات ولكن خلفيتها دينية بالدرجة الأولى وإن أنكر البعض ذلك ، و«مشكلة البوسنه والهرسك» أوضح مثال على ما نقول .

## ٢ ـ شروط الحوار :

وقبل أن أدخل فى تفاصيل الموضوع المطروح وهو «الحوار مع المؤسسات الدينية العالمية» أود أن أوضح :

أولا : شروط الحوار بصفة عامة وهو ما ينطبق فى النهاية على الحوار الدينى أيضا .

الحوار كما هو معروف يقتضى أن يكون هناك طرفان كل منهما ند للآخر . فالحوار بين طرف قوى يدرك مدى قوته وطرف ضعيف على وعى بضعفه يجعل الطرف القوى فى وضع يجعله يملى شروطه على الطرف الضعيف الذى لا يكون لديه مجال للمناورة ، ومن هنا لا يكون هناك حوار ، بل يكون بالأحرى إرغاما عن طريق القوة ، وإن كان فى الظاهر يأخذ شكل الحوار .

ثانيا : يقتضى الحوار أيضا أن تكون هناك قضية يتحاور الجانبان بشأنها ، ولابد فى هذه الحالة أن تحدد بدقة عناصر القضية حتى لا يكون الحوار دائرا فى حلقة مفرغـة مثـل حوار «الطرشان» ، كل يتحدث بلغة مختلفة وبمفاهيم مختلفة لا تربط بينها أرضية مشتركة .

ثالثا : يتطلب الأمر أيضا تحديدا واضحا لأهداف الحوار حتى تكون هذه الأهداف دليل المتحاورين لا يحيد عنها طرف من الأطراف . ولا يجوز التقليل من أهمية هذا التحديد الواضح للأهداف ، إذ بدونه ستجد كل طرف يغنى على

---

(١) هو الأستاذ صامويل هانتينجتون . راجع صحيفة الأهرام ـ صفحة الثقافة ١٩/١١/٩٣

(2) Hans Küng projekt weltethos, p. 171, München 1990

«لَيْلاه» ، الأمر الذى يبعد المتحاورين عن إمكان الوصول إلى أى شىء مفيد .

رابعا : يضاف إلى ذلك ضرورة أن يكون هناك مناخ مناسب للحوار ينأى عن الأحكام المسبقة ، والمفاهيم المغلوطة ، ويتحرر من العقد النفسية سواء كان ذلك يتمثل فى عقدة التفوق فى جانب أو مركب النقص فى جانب اخر . فالنعرات الاستعلائية خطرها فى أى حوار لايقل عن خطر الشعور بالدونية .

وهكذا نجد أن أى حوار يمكن أن يكتب له النجاح لايجوز أن تكون غايته العمل على إلغاء الطرف الأخر أو استبعاده أو التقليل من شأنه أو الادعاء باحتكار الحق دون الأخر .

ويمكن القول بأن الحوار الدينى بالمعنى الحقيقى لهذا المفهوم لابد أن ينطلق بالاضافة إلى ما تقدم ـ من الاحترام المتبادل والمساواة التامة بين الطرفين ومن نظرة إنسانية شاملة تقوم على احترام الكرامة الإنسانية ووحدة الجنس البشرى وانتفاء الأنانية والفهم المتبادل بمعنى : التسليم بحق كل طرف فى أن يكون مفهوما من الطرف الأخر دون أى لون من ألوان التشويه أو التزييف[٣] .

### ٣ ـ المؤسسات الدينية العالمية :

يشتمل عنوان هذا البحث ـ كما حددته إدارة المؤتمر ـ على مفهوم المؤسسات الدينية العالمية . فما المقصود بهذه المؤسسات ؟

وهل تتعلق هذه المؤسسات بدين واحد بعينه ، أو بمعنى أخر :

هل يقصد بهذه المؤسسات تلك التى تنتشر فى الغرب بالذات ؟

لاشك أن المؤسسات الدينية العالميـــة فى الغرب ـ وهى مؤسسات مسيحية ـ تتمثل فى الفاتيكان ، أو فى مجلس الكنائس العالمى ، أو فى غير ذلك من مؤسسات دينية محلية فى أوربا وأمريكا لها نشاطات تتعدى حدود بلادها وتصل الى مناطق العالم الأخرى ـ كل هذه المؤسسات تعمل بجد ونشاط دائب لايكل فى توسيع دائرة عملها فى كل مكان فى العالم . ومن هنا تنطلق الدعوة الى الحوار فى عصرنا الحاضر من هذه المؤسسات . وتلك حقيقة واقعة يؤكدها الدكتور وليم سليمان بقوله : «إن مبادرات الحوار بين الأديان حتى الآن تنطلق دائما من الغرب» . ويبدى فى هذا الصدد ملاحظة يقول فيها : «فالمبادرة للحوار مازالت تصدر من الغرب ، وتعقد تحت إشراف منظماته المسيحية ، وتظل أغلبية المسيحيين الحاضرين من الغرب»[٤] أى من المؤسسات الدينية الغربية . وتقوم هذه المؤسسات منفردة أو مجتمعة بإجراء حوارات فى اتجاهات عديدة . فهناك حوارات مسيحية ـ مسيحية ، أو مسيحية ـ يهودية ، وهناك حوارات مسيحية ـ إسلامية ، وهناك حوارات تشمل أصحاب الديانات السماوية الثلاثة بالإضافة إلى البوذية والهندوسية وغيرها من ديانـــات فى الشرق الأقصى .

---

(٣) راجع : الحوار بين الأديان للدكتور وليم سليمان ص ٣٦ وما بعدها ـ القاهرة ١٩٧٦

(٤) المرجع السابق ص ١٣ ، ٦٠

وإذا كانت هذه المؤسسات الدينية العالمية تتمثل أساسا فى العالم الغربى ، فإنه يقابلها على الجانب الإسلامى الأزهر الشريف بما له من رصيد تاريخى ومكانة فى قلوب شعوب العالم الإسلامى قاطبة . ولاتزال للأزهر بوصفه مؤسسة إسلامية عالمية ، هذه المكانة العالية لدى المسلمين فى كل مكان . وكدليل ملموس على ذلك ، أود أن أشير إلى أن « كلية أصول الدين » التى أشرف بعمادتها تضم وحدها بين طلابها ثلاثة آلاف طالب من جميع أنحاء العالم الاسلامى بالإضافة إلى عدة آلاف آخرين من الطلاب والطالبات من كافة البلاد الإسلامية موزعين على كليات الأزهر ومعاهده .

ومن هنا ، فإن الأزهر هو المؤسسة الإسلامية العالمية المؤهلة لإجراء أى حوار مع المؤسسات الدينية العالمية .

وإذا كان الأمر كذلك فما موقف الأزهر من قضية الحوار مع المؤسسات الدينية العالمية ؟

### ٤ - موقـف الأزهـر من الحوار مع المؤسسات الدينية العالمية :

من المعروف أن رسالة الأزهر هى رسالة الإسلام ، وما يقوله الإسلام فى هذا الصدد هو بالضبط موقف الأزهر الذى لن يحيد عنه . ومن هنا يمكن أن يكون السؤال على نحو آخر : ما موقف الإسلام من قضية الحوار مع المؤسسات الدينية العالمية ؟

لقد انطلقت المبادرة إلى الحوار الدينى فى الأساس من الإسلام ، والقرآن الكريم يقول - فى ذلك موجها الخطاب إلى النبى ﷺ - متضمنا المبادرة الى الحوار الدينى :

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾(٥) .

فهذه الدعوة القرآنية دعوة صريحة إلى الحوار الدينى بين طرفين :

الجانب الإسلامى وجانب أهل الكتاب من المسيحيين واليهود .

وهناك قضية يدور الحوار حولها ، وهى القضية المحورية فى الدين أساسا ، وهى قضية الألوهية .

ولا يكتفى القرآن الكريم بمجرد المبادرة ، بل يرسم أيضا أسلوب الحوار . فالحوار سيؤدى إلى مناقشات ومجادلات ، ولكنها ينبغى أن تلتزم بأدب الحوار . ومن هنا يقول القرآن فى ذلك :

﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾(٦) ، كما جعل القرآن الجدال بالحسنى أحد المناهج التى يتحتم على الدعاة إلى الإسلام اتباعها لا مع أهل الكتاب فقط ، بل مع كل الناس :

( ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ )(٧)

ويمتاز موقـف الإسلام فى أى حوار مع المؤسسات الدينية الغربية بميزة كبرى لا تتوفر لغيره من الأديان ، وهى إيمانه بكل ما أُنزل من الديانات السماوية السابقة . وهذه الميزة تجعله متحررا من

(٥) سورة آل عمران ٦٤
(٦) سورة العنكبوت ٤٦
(٧) سورة النحل ١٢٥

العقد والحساسيات والنفور الذى قد يشعر به الآخرون فى مثل هذه الأحوال .

ومن أجل أن يكون هناك حوار مثمر ، وتعاون وثيق بين الجماعات البشرية أيا كانت انتماءاتها – دعا القرآن الكريم إلى ضرورة تعرف كل جانب على الجانب الآخر ، وتفهم مواقفه على قاعدة من المساواة التامة . وهذا ماتعبر عنه الآية الكريمة :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَـٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَـٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ﴾(8) .

وهذه الآية تبرز المعنى الإنسانى العام لطبيعة الإسلام . فنحن نتعرف على الآخر من خلال تعرفنا على أنفسنا ، الأمر الذى يؤكد وحدة الإنسانية ، وهى تلك الوحدة التى مصدرها الله – تعالى – وقد أكد الإسلام على هذه الوحدة تأكيدا لايقبل التأويل حين أعتبر أن الاساءة إلى أى فرد من أفراد الإنسانية يعد إساءة إلى الإنسانية كلها ، وفى المقابل يعد تقديم الخير الى فرد واحد من أفراد الانسانية بمثابة تقديم الخير إلى الإنسانية كلها . وهذا ماعبرت عنه الآية الكريمة :

﴿ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا ﴾(9) .

ومن خلال ماتقدم يتضح لنا أن الاسلام لم يقر فقط مبدأ الحوار بل دعا إليه ، كما وضح الشروط الكفيلة لإنجاح أى حوار على المستوى الدينى الذى هو أعقد أنواع الحوارات على الإطلاق ، لأنه لايمس أمور الحياة الدنيوية العادية التى يمكن التساهل فيها ، ولكنه يمس أمور العقيدة الدينية المترسخة فى النفوس والمتغلغلة فى الأعماق . فهى بطبيعتها أمور حساسة . ومع ذلك لاينبغى أن نتهيب أو نخاف من إجــراء حوار حولها إذا ماتوفرت الشروط الضرورية لذلك .

فإذا لم تفلح محاولات الحوار الدينى فى الوصول إلى نتائج ؛ فليس معنى ذلك أن تكون هنا قطيعة مع الآخرين . فليحتفظ كل بمعتقده « لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ »(10) «ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ »(11) ولكن طريق التعاون والتفاهم والحوار حول مايجمع الإنسانية يظل طريقا مفتوحا . فلنترك مايستحيل الاتفاق فيه ، ولنتجه إلى مايمكن الاجتماع عليه بدءا من التعارف ، وتفهم كل فريق لوجهة نظر الآخر فى احترام متبادل من أجل الالتقاء على مبادىء للتعاون المثمر لما فيه خير الإنسانية .

ومن نافلة القول أن نؤكد على أن موقف الأزهر فى قضية الحوار مع المؤسسات الدينية العالمية هو نفسه هذا الموقف الإسلامى الذى أكده القرآن الكريم . فالازهر كمؤسسة دينية إسلامية عالمية يرحب بالحوار . وقد أقر مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر – والذى أشرف بعضويته – أقر مبدأ الحوار ، غير أن مثل هذا الحوار ينبغى أن يسبقه إعداد جيد ضمانا لإنجاحه . ويشتمل هذا الإعداد على تحديد دقيق لأهداف الحوار ، وللقضايا التى يجرى الحوار بشأنها ، وتهيئة الأجواء المناسبة للحوار بالإضافة الى جعل الحوار محصورا فى دوائر علمية وليس مجالا للدعايات الإعلامية ، وأن يجرى على قدم المساواة .

---

(8) سورة الحجرات : آية ١٣

(9) سورة المائدة : آية ٣٢

(10) سورة الكافرون : آية ٦

(11) سورة آل عمران : آية ٦٤

ولم يكن موقف الأزهر فى هذا الصدد مجرد موقف نظرى ، بل إن الأزهر قد اشترك بالفعل بواسطة علماء يمثلونه فى العديد من الحوارات التى سنشير إليها فيما بعد ، وذلك بعد أن نلقى نظرة على مجالات الحوار الممكنة مع المؤسسات الدينية العالمية الغربية .

**٥ ـ مجالات الحوار مع المؤسسات الدينية العالمية :**

والسؤال المطروح الآن هو : ما القضايا التى يمكن أن تكون مجالا للحوار مع هذه المؤسسات ؟

إن الإجابة عن هذا السؤال يمكن تلخيصها بالإشارة إلى محورين أساسيين يشكلان بصفة رئيسية مجالات الحوار الدينى الممكنة .

أولهما : الحوار حول العقائد التى تشتمل عليها الأديان .

وثانيهما : الحوار حول ما تشتمل عليه الأديان من قيم إنسانية .

**(أ) حوار حول العقائد :**

لقد سبق أن أشرنا إلى أن القرآن الكريم قد طرح أهم قضايا الدين موضوعا للحوار ، ونعنى بذلك قضية وحدة الألوهية . ومع ذلك لم يلجأ إلى أسلوب التخويف أو الإرهاب لفرض وجهة النظر الإسلامية ، بل أكد فى وضوح لا لبس فيه حرية الاعتقاد : « لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ »[12] فاذا لم يقتنع الطرف الآخر بما يلقى إليه من أدلة وبراهين فهذا شأنه ، ولا سبيل لأحد ـ من الناس ـ عليه .

ولا تزال هذه القضية المحورية للدين قضية أساسية فى الحوار الدينى وستظل كذلك إلى أن تقوم الساعة .

ولكن السؤال الملح هنا هو : هل شروط طرح هذه القضية الآن للحوار قائمة ، وهل المناخ مهيأ لذلك ؟

**إن التجارب التى تمت تدل على أنه ليست هناك الآن جدوى من الحوار بين المؤسسات الدينية العالمية حول مثل هذه القضية المحورية فى العقائد الدينية . فكل صاحب معتقد متمسك بمعتقده وما ترسخ فى ذهنه منذ نعومة أظفاره . والمؤسسات الدينية العالمية فى الغرب تعمل جاهدة على فرض وجهة نظرها من منطلق الرغبة فى الهيمنة الدينية على العالم كله .**

ويعرض الدكتور وليم سليمان[13] الأسس التى كانت تقوم عليها النظرة الغربية إلى المذاهب والأديان الأخرى غير الغربية : مسيحية كانت أم إسلامية أم غير ذلك من مذاهب وأديان أخرى ، ويقول : إن هذه النظرة كانت إلى عهد ليس بالبعيد تقوم على الأسس التالية :

أولا : الاستبعاد المتبادل عقائديا واجتماعيا ، وكان التفوق الأوربى العالمى يعطى لهذا الاستبعاد صورا ونشاطات تتجاوز الفكر الى العمل .

وهذا الأساس يوصل إلى الأساس الثانى والذى تمثل فى صورة الارساليات الغربية والاستعمار .

أما الأساس الثالث فكان محاولة تغيير عقيدة الآخر .

---

(١٢) سورة البقرة : آية ٢٥٦

(١٣) الحوار بين الأديان ص ١٤ ومابعدها

وقد بدأ الغرب ـ فى الظاهر على الأقل ـ يعدل من هذه النظرة شيئا فشيئا بعد أن تأكدت المؤسسات الدينية الغربية من عقم هذه السياسة .

وقد استقبلت جامعة الأزهر عام ١٩٦٥م الكاردينال كونج رئيس أساقفة النمسا ، وألقى محاضرة فى ٣١ مارس ١٩٦٥ فى قاعة الشيخ محمد عبده حول «التوحيد فى العالم المعاصر» ودعا إلى أن يلتقى الإسلام والمسيحية على أساس جديد .

والأزهر لا يقف موقفا رافضا للحوار حول العقائد بهدف الوصول إلى كلمة سواء ، ولكن المناخ الحالى فى الغرب غير مهيأ إطلاقا لإجراء حوار مثمر حول هذه القضايا الأساسية للأديان . فوسائل الاعلام الغربية ، ماضية فى خطتها لتشويه صورة الإسلام بشكل لم يسبق له مثيل ، ولم يبق فى قاموس التهم والجرائم تهمة لم تلصقها وسائل الإعلام الغربية بالإسلام . ومثل هذا المناخ لايسمح بإجـــراء حوار فى هذا الصدد مع المؤسسات الدينية الغربية . فالتناقض بين العقائد واضح ، والاختلاف قائم ، والالتقاء على كلمة سواء فيها أمر بعيد الاحتمال ، على الأقل فى الظروف الراهنة .

ولكـن ليس معنى ذلك أن الأبـواب قد سدت ، وأن المنافذ قد أغلقت ، وأننا وصلنا إلى مرحلة اليأس من احتمال إجراء حوار مثمر بين الإسلام وبين المؤسسات الدينية الغربية . فهناك مجال آخر للحوار يمكن أن يصل فيه الطرفان إلى نتائج إيجابية ، وهو مجال الحوار حول ما تشتمل عليه الأديان من قيم إنسانية .

**(ب) حوار حول الـقيم الانسانيـــة فى الأديان :**

وهذا مجال ثرى ، فالأديان كلها أتت من أجل خير الإنسان وصلاحه فى العاجل والآجل ، والقيم الدينية فى كل حضارة كانت هى الأساس للقيم الأخلاقية السامية والمبادىء الإنسانية الرفيعة ، ومن هنا فإن الحوار حول مايجمع أصحاب الأديان من قيم إنسانية مشتركة هو أفضل السبل لتفهم كل جانب للآخر ، والتعاون البناء من أجل خير الإنسان وتقدمه واستقرار الأمن والسلام فى العالم . وعلى هذا النحو يمكن إقرار السلام بين الأديان الذى يعد شرطا لامفر منه لإقرار السلام بين بنى البشر .

ومن هنا لابد أن يكون هدف الحوار هو الوصول إلى شكل من أشكال التعاون المثمر ضد كل شكل من أشكال الإلحاد الذى يهدد كل الأديان ، وفى سبيل الخير العام للبشرية كلها للقضاء على الكثير من أشكال الصراع فى العالم . وهذا من شأنه أن يجعل هدف الحوار هو التعايش السلمى بين الأديان ، وخير الإنسان من حيث هو إنسان حتى يعم السلام العالم كله .

وقد شهد الأزهر العديد من اللقاءات مع بعض ممثلى المؤسسات الدينية العالمية كما اشترك عن طريق ممثليه فى العديد من المؤتمرات التى تتبنى موضوع الحوار فى الغرب . وأود هنا أن أشير الى بعض هذه اللقاءات والمؤتمرات :

لقد اشتركت شخصيا مع الشيخ عبدالمنعم النمر ـ رحمه الله ـ فى الملتقى الدولى من أجل السلام الذى عقد فى روما عام ١٩٨٧م ونظمته «مؤسسة سانت ايجيديو وحضره ممثلون لكل الأديان فى العالم . واستقبل بابا الفاتيكان

المشتركين فى هذا الملتقى ، وكان التأكيد فى هذا الملتقى على قضية السلام العالمى .

ومن جانب آخر قام الدكتور عبدالحليم محمود حينما كان شيخا للأزهر بإجراء حوار مع بعض ممثلى المؤسسات الدينية العالمية ، وتم ذلك فى مكتبه بالأزهر .

وقد اشتركت شخصيا فى عدد من الندوات والمؤتمرات الدولية التى تتبنى الحوار بين الأديان ، وأذكر من بينها :

ـ «ندوة الحوار بين الأديان» التى نظمها معهد الأديان بفرايبورج بألمانيا عام ١٩٨٦ وقدمت آنذاك بحثا حول «المسئولية العالمية من وجهة النظر الإسلامية» . واشترك فى هذه الندوة علماء مسيحيون ومسلمون ويهود .

ـ المؤتمر الذى نظمتـــه «مؤسسة سانت جبريل» فى النمسا عن موضوع : «الإنسان فى المسيحية والاسلام» ـ وقدمت فيه بحثا عن الإنسان فى القرآن الكريم .

ـ الندوة التى عقدت فى «كلية اللاهوت» بجامعة «مونستر» بألمانيا فى نوفمبر ١٩٩٢ حول «العدل والسلام فى المسيحية والإسلام» وقدمت فيه أيضا بحثا عن مفهوم العدل فى الاسلام .

ـ المؤتمر الدولى للحوار الإسلامى المسيحى عن السلام من أجل الإنسانية الذى عقد فى ربيع العام الماضى ١٩٩٣ فى مدينة «فيينا بالنمسا» بمبادرة من وزير خارجيتها ونظمه معهد الأديان «بمؤسسة سانت جبريل» وقدمت فيه بحثا عن مفهوم السلام فى الإسلام . وألقيت فى حفل الافتتاح كلمة شيخ الأزهر التى وجهها الى المؤتمر . وفى هذه الكلمة أكد فضيلته على اعتراف الإسلام بواقع الديانات السماوية السابقة على رسالة الإسلام ، وبالأخوة الإنسانية والزمالة بين الأنبياء والرسل ، فكلهم تتكامل مهامهم نحو تحقيق الإخاء الإنسانى ليسود السلام الأرض كما ناشد فضيلته رجال الأديان بإقرار السلام فيما بينهم ، وطالب بوضع ميثاق إنسانى يوقف العدوان الفكرى والعسكرى بسبب إختلاف الدين .

ـ وفى خريف العام الماضى اشتركت فى مؤتمر نظمته «الأكاديمية الكاثوليكيـة» فى «زيـورخ» بسويسرا بالاشتراك مع «كلية اللاهوت» بجامعة زيورخ والمؤسسات البروتستانتية وقد ألقيت محاضرة حول «المسيح فى القرآن الكريم» فى كلية اللاهوت بناء على طلب هذه الكلية . وألقيت فى المؤتمر المذكـــور محاضرتين إحـــداهما : حول (الإسلام دين السلام) وثانيهما : بعنوان (مدخل لدراسة القرآن الكريم) وذلك بناء على طلب إدارة المؤتمر أيضا .

وفى كل لقـاء من هذه اللقـــاءات كانت المناقشات تتشعب إلى كل القضايا التى تدور فى الساحـة الإسلامية مثـل قضايـا : الأصوليـــة والعلمانية والجهاد والردة ومكانة المرأة وتعدد الزوجات وموقف الإسلام من قضايا حقـوق الإنسان وحرية الرأى وصلة الاسلام بالأديان الأخرى وبالعلم والحضارة والدولـة والسيـاسة والاقتصاد ووضع الأقليات غير الاسلاميـة فى المجتمع الاسلامى وغير ذلك من قضايا تهم الغرب فى الوقت الراهن . بل قد ازداد اهتمام الغرب بها ـ بصورة ملحوظة ـ منذ انهيار ما كان يسمى

بالاتحاد السوفيتي ، والبحث عن عدو بديل يتصوره الكثيرون فى الغرب على أنه الإسلام .

وقد بعث الأزهر ممثلا له فى «مؤتمر برلمان ديانات العالم» الذى عقد فى «شيكاغــو» بالولايات المتحدة الامريكية فى شهر أغسطس من العام الماضى . ووجه شيخ الأزهر كلمة الى المؤتمر المذكور ألقاها نيابة عنه ممثل الأزهر فى المؤتمر .

ومن أهم أهداف هذا المؤتمر العالمى ما يأتى :

● تشجيع روح التوافق والاحتفال بالتنوع الثرى لديانات العالم بكل السماحة والاحترام المتبادل .

● تقويم وتجديد الدور الذى تقوم به ديانات العالم فيما يتعلق بالنمو الروحى الشخصى والتحديات التى يواجهها المجتمع العالمى .

وكان الموضوع الرئيسى لهذا المؤتمر هو «دور الحياة الدينية والروحية فى مجال القضايا الكبرى لعصرنا الحاضر» كالعنــف والفقــر والجوع والعنصرية والبيئة .

وفى كلمة الإمام الأكبر شيخ الأزهر التى وجهها إلى هذا المؤتمر أشار الى أن الإسلام ينسجم تماما مع أهداف المؤتمر والثمرات المرجوة من لقاءات هذا البرلمان العالمى للأديان[١٤] .

وركز فى كلمته على شرح علاقة الاسلام بالأديان والشعوب الأخرى وتوضيح مفهوم السلام فى الاسلام . وفى ختام كلمته قال :

**«لنتذكر جميعا أنه لا يمكن أن يكون هناك سلام واحترام بين الأمم والشعوب والديانات المختلفة فى نفس الوقت الذى يذبح فيه أتباع إحدى الديانات الكبرى بيد أتباع دين آخر ... واذا سارت الأمور على هذا النحو ، فلا معنى لشعار تعايش الأديان . ولا جدوى من المناداة بإرساء مبادىء السلام بين الشعوب والأمم مالم يحترم دين كل أمة من قبل الأمم والشعوب الأخرى» .**

**وبالاضافة إلى هذه اللقاءات الدولية تتوالى زيارة الوفود الممثلة للمؤسسات الدينية الغربية على الأزهر ، وتجرى الحوارات غير الرسمية فى كل لقاء من هذه اللقاءات .**

**وهنا أود أن أبدى ملاحظة هامة من وجهة نظرى الشخصية ، ومن واقع تجربتى فى هذا الصدد . وتتلخص هذه الملاحظة فى أن الحوار مع المؤسسات الدينية الغربية لابد أن يستكمل بحوار مع المؤسسة الاستشراقية الغربية .**

٦ ـ الحوار مع المؤسسة الاستشراقية :

ويعد الحوار مع المؤسسة الاستشراقية الغربية أحد العناصر الهامة للحوار مع المؤسسات الدينية الغربية لسبب هام هو : أن الاستشراق فى الغرب **نشأ أساسا لخدمة أغراض دينية . وقد كان ذلك واضحا عندما صدر قرار مجمع فيينا الكنسى عام ١٣١٢م بإنشاء أقسام للغة العربية فى خمس جامعات أوروبيــة هى جامعـــات : باريس واكسفورد وسلمنكا وبولونيا بالإضافة إلى جامعة المدينة البابوية ، كما أن قرار إنشاء كرسى اللغة العربية فى جامعة كمبردج عام ١٦٣٦ قد نص صراحة على خدمة الهدف الدينى**[١٥] .

---

(١٤) نشرت مجلة الأزهر هذه الكلمة بعدد شعبان ١٤١٤هـ

(١٥) راجع كتابنا : الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى : ص ٣٦ ، ٣٨ ـ دار المنار بالقاهرة ١٩٨٩

وإذا كانت الصبغة اللاهوتية للدراسات الاستشراقية حول الإسلام قد بدأ يحل محلها بالتدريج منذ منتصف القرن التاسع عشر صبغة علمية أكاديمية فإن استمرار الاستشراق فى الاشتغال بالإسلام والعلوم الإسلامية كانت نتيجته أن أصبح لدى الغرب الآن كَمٌّ كبير من الدراسات الاستشراقية حول الإسلام ، لها تأثيرها الكبير فى أوساط المؤسسات الدينية الغربية .

ومن هنا ، فإن الحوار مع المؤسسة الاستشراقية يدعم الحوار مع المؤسسات الدينية الغربية ، ولا يجوز تجاهله لأن الدراسات الاستشراقية تدلى برأيها فى كل خصوصيات الإسلام دينا وحضارة وتاريخا . وتعد هذه الدراسات أهم المكونات لتصورات المؤسسات الدينية الغربية عن الإسلام .

ومن أجل الوصول إلى لون من ألوان الحوار العلمى المفيد مع المؤسسات الاستشراقية فى الغرب تم الإعلان فى صيف العام الماضى فى برلين عن «تأسيس الجمعية العلمية للبحوث الإسلامية» . وتضم الهيئة التأسيسية لها ـ والتى أشرف بعضويتها ـ عددا من علماء الإسلاميات من المستشرقين فى الجامعات الألمانية وعددا من العلماء المسلمين المهتمين بهذا اللون من ألوان التعاون العلمى . وقد إتفق على أن يكون مقر هذه الجمعية مدينة ( برلين ) على أن يكون لها فيما بعد فروع فى أماكن أخرى فى أوربا وأمريكا . وعندما تبدأ هذه الجمعية نشاطها طبقا لما هو مقرر فانها ستكون من غير شك أداة فعالة لدراسة الإسلام ومايتصل به من قضايا عديدة دراسة علمية خالصة ، وستكون سندا حقيقيا لأى حوار بين المؤسسات الدينية الإسلامية والمؤسسات الدينية فى الغرب بما تقدمه من دراسات مشتركة بين علماء الإسلاميات فى الغرب والعلماء المسلمين .



# فضل المسلمين في تقدم علم الخرائط

أ. حسني عبد الحافظ

● توطئة :

لا شك أن المسلمين كان لهم أفضال عظيمة فى تقدم العلوم والفنون والصناعات .. وقد اعترف بأفضالهم غير واحد من مؤرخى الغرب ، أمثال الفرنسى جوستاف لوبون الذى قال بلفظه : « إن اكتشافات العرب فى الطبيعيات ليست أقل أهمية منها فى الرياضيات وعلم الفلك وأن معارف العرب كانت عالية فى الفيزياء النظرية ، ولا سيما البصريات ، وأن العرب اخترعوا من الآلات الميكانيكية ما هو على جانب عظيم من الدقة ، وأنهم اكتشفوا أهم المركبات الكيميائية كالكحول وماء الفضة ، وزيت الزاج ، وأنهم أبدعوا ألزم الأعمال كأصول التقطير ، وأنهم طبقوا الكيمياء على الصيدلة والصناعة ، ولا سيما استخراج المعادن وصنع الفولاذ والدباغة ، وأنهم اخترعوا البارود والأسلحة النارية ، وصنعوا الورق من الأسمال ، وطبقوا البوصلة على الملاحة ، وأدخلوا هذا الاختراع المهم إلى أوربا »[1]

وتقول المؤرخة الألمانية د . زيغريد هونكة : « إن الغرب بقى فى تأخره ثقافيا واقتصاديا طوال الفترة التى عزل فيها نفسه عن الإسلام ، ولم يبدأ ازدهار الغرب ونهضته إلا حين بدأ احتكاكه بالعرب سياسيا وعلميا وتجاريا ، واستيقظ الفكر الأوربى على قدوم العلوم والآداب والفنون العربية من سباته الذى دام قرونا ليصبح أكثر غنى وجمالا وأكثر صحة وسعادة »[2] .

ويقول ول ديورانت : « أما العالم الإسلامى فقد كان له فى العالم المسيحى أثر بالغ مختلف الأنواع ، لقد تلقت أوربا من بلاد الإسلام الطعام ، والشراب ، والعقاقير والأدوية ، والأسلحة ، وشارات الدروع ونقوشها ، والتحف ، والمصنوعات ، والسلع التجارية ، وكثيرا من الصناعات ، والتشريعات والأساليب البحرية .. »[3] .

---

(١) جوستاف لوبون : حضارة العرب ـ ص ٤٨٤ ـ ترجمة عادل زعيتر ـ طبعة عيسى البابى الحلبى ـ القاهرة ١٩٦٩ .

(٢) زيغريد هونكة : أثر الحضارة العربية فى أوربا ـ ترجمة فاروق بيضون وزميله كمال دسوقى ـ ص ٥٤١ ـ دار الآفاق الجديد ـ بيروت ١٤٠١ هـ ( ١٩٨١ م ) .

(٣) ول ديورانت : قصة الحضارة ـ ترجمة محمد بدران ـ الجزء الثانى من المجلد الرابع ـ ص ٣٨٣ ـ الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية ـ القاهرة ١٩٧٤ .

ومن العسير جدا ، أن نحصى الإسهامات العظيمة التى قدمها علماء المسلمين للحضارة الإنسانية فى مثل هذه الصفحات .. وفى هذه العجالة ، سوف نركز حديثنا على صفحة مضيئة من تاريخ العلم ، كتبها أجدادنا العلماء من بحر فضلهم عن علم الخرائط الحديث :

● **خلفية تاريخية :**

فى قديم الزمان احتاج الإنسان إلى ما يعينه على معرفة المسالك والدروب التى يخترقها بحثا عن قوت يومه ، أو الرجوع إلى مسقط رأسه .. فحاول أن يرسم ذلك على الأحجار أو قطع من جلود الحيوانات ، وهذا ثابت من الكشوفات الأثرية فى « جزائر المارشال ، وبلشر » ، ومناطق متفرقة مستوطنة فى المكسيك[٤] .

وتمت أولى المحاولات الجادة لرسم الخرائط فى مصر عام ١٣١٣ ق.م ، إبان عصر الملك سيتى الأول .. فقد عثر « الأثرى الإيطالى دورنيتى » أثناء تنقيباته فى مدينة الأقصر عام ١٨٤٥ ، على خريطة تبين جزءا كبيرا من وادى النيل عند النوبة[٥] .

وفى بلاد الشام قام نفر من البحارة الفينيقيين برسم أول خرائط بحرية صحيحة ، أوضحوا فيها حدود البحر المتوسط ، وكذا البحر الأحمر ، والمحيط الهندى .. كما رسموا خرائط لسواحل غرب القارة الإفريقية مما يدل على أنهم داروا بسفنهم حول القارة السمراء .

وثمة محاولات جادة أخرى قام بها علماء اليونان ومصر البطلمية ، كان أهمها ( الخرائط الإقليمية ) التى رسمها ، « انكسمندر » فى القرن السادس ق.م .. كما رسم « هيكاتيوس » خريطة حاول فيها الجمع لأقاليم المعمورة السبعة التى كانت معروفة حتى سنة ٥٠٠ ق.م ، إلا أن خريطته جاءت مليئة بالأخطاء .. ورسم « بطليموس القلوذى » خريطة كبيرة ضمت أسماء لنحو ( ٥٠٠٠ ) مكان مختلف ، وقد اطلع العالم المسلم « الحسن المراكشى » على هذه الخريطة فوجدها كثيرة الأخطاء ، فصحح منها قرابة ٥٠ اسما .

وفى بلاد الصين تم الكشف عن مجموعة خرائط محلية تعود للقرن الأول الميلادى ، قام بتصميمها فريق من الجغرافيين ، ترأسهم بى هسو .

● **إسهامات عظيمة :**

وفى ظل تعاليم ديننا الحنيف ، الذى يحث على طلب العلم والتفوق فى مختلف فروعه وجدنا من علماء المسلمين مَنْ يذهب إلى الصين وبلاد الهند وبلاد الاغريق ، ليترجم علومها ، آخذاً صالحها ، ومفندا لطالحها ، ومضيفا إبداعاته الفكرية ومشاهداته وتجاربه الحيوية .

وإبداعاتهم فى علم الخرائط كثيرة ومتنوعة بحيث شملت كل أنواع الخرائط المتعارف عليها الآن .. ومن أهم خرائطهم : « خريطة

---

(٤) د . نصر السيد نصر ، وآخر : علم الخرائط والمساحة ـ ص١١ ـ القاهرة ١٩٨٥ م .

(٥) حسنى عبدالحافظ ( الكاتب ) : موجز تاريخ الخرائط ( مجلة الخفجى ـ مايو ١٩٨٦ ـ ص ٣٠ ـ تصدر فى المملكة العربية السعودية .

الخوارزمى » للأرض ومحاولته الناجحة لقياس محيطها على أنها كرة ، وقد اشتهرت هذه الخريطة باسم ( المأمونية ) ، كما رسم خريطة أخرى للنيل يتضح من خلالها أن المسلمين كانوا يعرفون جيدا منابعه ومجراه .

وللبلخى مجموعة كبيرة من الخرائط ضمها كتابه ( صور الأقاليم ) الذى أسماه بعض المؤرخين المعاصرين ( أطلس البلخى ) ، ومن الخرائط التى ضمها .. خريطة لشبه الجزيرة العربية ، وأخرى لمصر وبلاد الشام ، وثالثة لبلاد المغرب ، ورابعة لأواسط آسيا ، وخامسة لأقصى مشرقها .

وكان « الاصطخرى » من أدق رسامى الخرائط الملونة ، إبان العصر الوسيط ، وقد أثنى على خرائطه كل من اطلع عليها من جغرافى العصر الحديث ، فقال أحدهم : « إن الاصطخرى كان أول من رسم الخرائط بالنظام المتعارف عليه حاليا » .

أما الإدريسى فيرجع إليه الفضل فى كونه أول من صنع كرة أرضية ضخمة من الفضة .. حدد فيها أقاليم العالم .. وقد قسم هذه الأقاليم من جهة الطول فجعل كل أقليم مقسما إلى عشرة أقسام متساوية من الغرب إلى الشرق ، كما هو الحال فى الجغرافيا الحديثة التى تقسم العالم بخطوط طول وأخرى عرض ، وقد اشتملت على ( ٢٠٦٤ ) اسما ، منها ( ٣٦٥ ) فى إفريقيا ، و ( ٩٥٩ ) فى آسيا ، و ( ٧٤٠ ) فى أوربا .. ولوّن الإدريسى بحارها ومحيطاتها باللون الأزرق ، بينما ظهرت البحيرات العذبة والأنهار باللون الأخضر ، والبنى للسلاسل الجبلية .. وجاءت فيها مواقع المدن بدوائر ذهبية اللون .. كما رسم الإدريسى أيضا خرائط عديدة ما بين إقليمية ومحلية وبحرية ، حوى كتابه ( نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق ) نحو ( ٧٠ ) خريطة منها .. وعن هذا الكتاب وخرائطه يقول كراتشكوفسكى : « وقد كتب المخطوط بخط مغربى جميل ، وبه خرائط رسمت بطريقة أصيلة جميلة ، وهى فى الواقع أثر رائع جدا لطريقة رسم الخرائط فى القرن الثانى عشر[٦] .

ويقول جوتيه : « ان الإدريسى الجغرافى كان أستاذ الجغرافيا الذى علم أوربا هذا العلم ، لابطليموس ، ودام معلما لها مدة ثلاثة قرون ، ولم يكن لأوربا مصر للعالم إلا ما رسمه الإدريسى »[٧] .

وقد رسم المقدسى خريطة ملونة كبيرة شملت كافة البلاد التى زارها ، وقال هو عن ذلك : « ورسمنا حدودها وخططها وحررنا طرقها المعروفة بالحمرة ، وجعلنا رمالها الذهبية بالصفرة ، وبحارها الصالحة بالخضرة ، وأنهارها بالزرقة ، وجبالها المشهورة بالغبرة ليقرب الوصف إلى الأفهام . » .

أما المسعودى فقد كان أول جغرافى عالمى يقسّم الأرض إلى درجات عرض ، جاعلا الشمال ٩٠ درجة ، والجنوب مثلها ، وبينها خط الاستواء الذى جعله يمر بجزر سرنديب ( سيلان ) .

---

(٦) كراتشكوفسكى : مع المخطوطات العربية ـ ترجمة د . محمد منير مرسى ـ ص ٢٥ ـ دار النهضة العربية ـ القاهرة ١٩٦٩ .

(٧) نقلا عن : د . عبدالعال سالم مكرم : الفكر الإسلامى بين العقل والوحى ـ دار الشروق ـ بيروت ١٤٠٢ هـ ( ١٩٨٢ م ) ـ ص ١١٠ ـ .

● **بيرى رايس .. وخريطته :**

وكان الملاح المسلم محيى الدين بيرى رايس بن الحاج محمد ، قد رسم فى أواخر شهر محرم سنة ٩١٩ هـ ( الموافق ١٧ إبريل سنة ١٥١٣ م ) خريطة عالمية ، ضمت قارات العالم أجمع ، بما فيها المناطق القطبية .. وهى مصممة على قطعة كبيرة عن جلد الغزال ، وفى أسفلها كتب بيرى رايس بعض الملاحظات الهامة .. منها :

● مقياس الرسم .

● إشارة كل لون من الألوان التى شملتها الخريطة ، مع بيان سبب استخدامه له .

● المصادر والمراجع التى استعان بها فى رسم خريطته ، وعن هذه المصادر قال هو بلفظه : « فى هذا القرن ـ أى القرن العاشر الهجرى ـ لا توجد خريطة كهذه فى العالم ، ولقد رَسَمَتْها يَدُ هذا العبد الفقير ، وتمت بحمد الله ، وقد استقيتها من حوالى عشرين مصدراً ، ابتداءً من ( المابا موندى ) المنسوبة للاسكندر ذى القرنين ، إلى ما رسمه البحارة العرب الأفذاذ ، وما رسمه كولومبو للشاطىء الغربى للبحر الغربى .. » .

عن هذه الخريطة يقول المؤرخ تشارلز ليتنز : « إن أسفل تلك الخريطة يظهر بشكل صحيح جزءاً من الخط الساحلى للمنطقة المتجمدة .. وتكشف الخريطة عن سلسلة جبلية ، وعن أنهار تعيش الآن مخبوءة تحت قطع الجليد الضخمة »[٨] .

ويقول مارتن بلسنر : « لم تكن هذه الخريطة خارطة بورتلانية portlano ، أى خريطة موانىء تبين الطرق البحرية بين ميناء وآخر ، ولكنها تقوم على مسافات محسوبة وفقاً لأسس رياضية »[٩] .

وما تزال النسخة الأصلية لخريطة بيرى رايس العالمية موجودة فى متحف ( توب كابى ) ، وقد ظهر أول تحقيق مفصل لها عام ١٩٣١ م ، على يد المستشرق الألمانى بول كاله .

● **لماذا تقدم المسلمون ؟ :**

ثمة مجموعة عوامل كانت سبباً فى التقدم الكبير فى علم الخرائط عند المسلمين إبان العصر الوسيط ، يمكن إيجازها فى النقاط التالية :

● إن القرآن الكريم حوى كثيراً من الآيات التى تؤكد حقائق جغرافية وفلكية ثابتة .. فكان اتجاه علماء المسلمين إليه والنهل منه وتفسير آياته عاملا قويا فى نجاحهم لرسم خرائط على أسس صحيحة .

● الصلاة ، وضرورة تحديد القبلة فى متباين مناطق الدولة الإسلامية الكبرى ، كان يتطلب العناية بالتحديد الصحيح للجهات الأصلية والفرعية ورسمها فى خرائط .

● أدت فريضة الحج وزيارة الأماكن المقدسة ، كما يقول د . السيد الحسينى ، إلى قيام « الرحلات والزيارات بين الدولة الإسلامية ومكة والمدينة المنورة كما ساعد على التقاء الشعوب الإسلامية ، وتطلب ذلك وصف طرق ومسالك الحجاج »[١٠] .

---

(٨) تشالز ليتنز : مصير الأرض ( انجليزى ) ص ١٣١ .

(٩) شافت ويوزورث : تراث الإسلام ـ ترجمة د . حسين مؤنس واحسان صدقى الحمد ـ الجزء الثانى ـ المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ـ الكويت ١٩٨٨ ـ طبعة ثانية ـ ص ٢٧٣ ـ .

(١٠) د . نصر السيد : مرجع سابق ـ ص ٣١ .

● ساهم النشاط التجارى وتبادل السلع بين المدن والقرى داخل الدولة ، فى دراسة طرق المواصلات ، والمعرفة الجيدة للظروف المناخية والبيئية الملائمة لإنتاج المحاصيل المختلفة .

● كان انتشار الدين الإسلامى ، وما تبعه من انتشار للغة العربية ، عاملا مؤثرا فى تنشيط حركة السياحة بين مختلف الأقطار داخل الدولة الإسلامية ، التى امتدت من الصين شرقا حتى المحيط الأطلسى غربا .

● أدى اتساع الدولة الإسلامية ، واحتكاكها بالحضارات المختلفة سواءفى الصين أو اليونان أو غيرها ، كما يؤكد د . نصر السيد ، إلى تقدم المعرفة وبالتالى « تقدم العلوم الجغرافية وما يتصل بها من دراسات خاصة بتمثيل سطح الأرض أو العالم المعروف على الخرائط »[11] .

● ومن العوامل المؤثرة أيضا فى تقدم علم الخرائط عند المسلمين .. توفير الأموال للبحث العلمى ، وتشجيع الخلفاء للعلم والعلماء .. **فعلى سبيل المثال كان الخليفة المأمون قد أنشأ مدرسة كبيرة للغات والترجمة تعد الأولى من نوعها فى العالم ، كما ساهم فى إقامة المراصد الفلكية ، ولم يبخل على البحث العلمى بالأموال وإنما كان يغدق عليه الأموال الكثيرة ، حتى قيل إنه كان يزن مثقال الكتاب ذهبا مكافأة لصاحبه .**

● ضرورة دراسة أحوال السكان فى مختلف بلاد الدولة الإسلامية ، وكيفية الوصول إليهم برا وبحرا .

● **مائدة شـــهية :**

لقد كان علم الخرائط عند المسلمين ، مثل غيره من العلوم ، بمثابة مائدة شهية وضعت أمام الغرب ؛ فنهل منها حين كان يعيش فى ظلمات الجهالة والتخلف ـ فلولا خرائط المسلمين لتأخر ظهور علم ( الكاتوجرافيا ) الحديث لعشرات السنين .

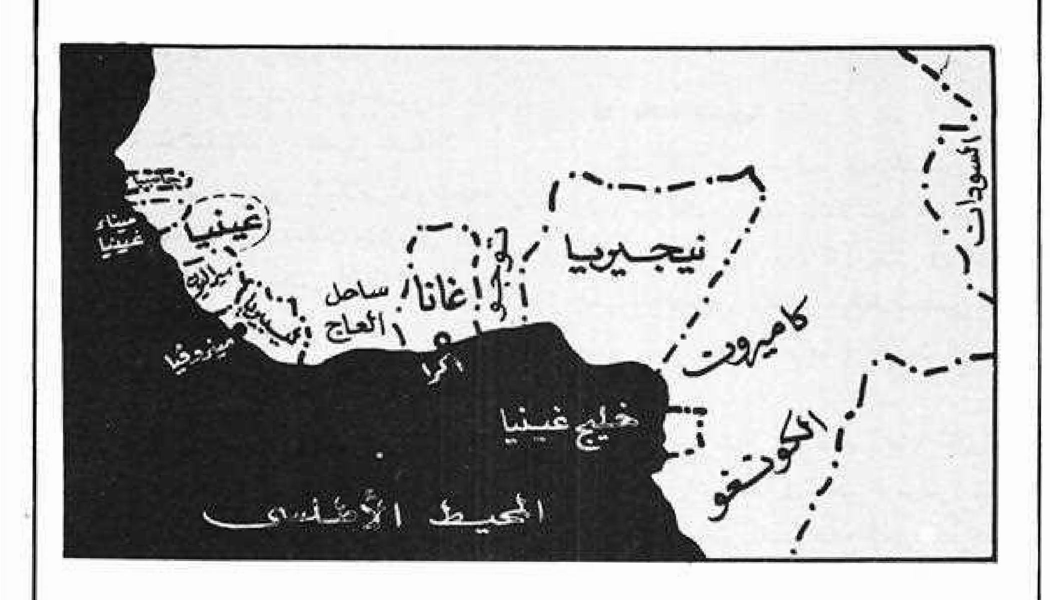
ولنضرب مثالا ، لذلك .. ماذا كان حال خرائط أوربا المسيحية فى العصر الوسيط ؟ .. لقد كانت « الأساطير ذات الطابع الدينى تمثل الملامح الرئيسية فى خرائط العالم الأوربية : mappae mundi دون الاهتمام بمطابقتها للأفكار التى أثبتها العلم ، ويظهر هذا واضحا فى خرائط بزالتر Psalter ( نحو ١٢٠٠ م ) وهيترفـــورد heterford ( ١٢٨٠ م ) ، ومارينو سانوتو marimo sanoto ( ١٣٢١ م ) ، وايست este ( ١٤٥٩ م ) وهى كلها خرائط تبعد عن الواقع كثيرا »[12] .

ولم يجد الجغرافيون فى أوربا ، رغم كل القيود المتزمتة التى فرضتها الكنيسة عليهم ، سوى الاتجاه إلى الشرق والسير فى خطى جيرانهم المسلمون .. وقد ظهرت أولى بوادر هذا التأثير فى خريطة رسمها مارينو سانوتو ، ضمها كتابه ( الأرض المقدسة opus terrae sontae ) ورغم أن هذه

---

(١١) نفس المرجع ـ ص ٣٠ .

(١٢) د . محمد محمود الصياد : أثر العرب والإسلام فى النهضة الأوربية ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ١٩٨٧ ـ ص ٢٩٨ .




الخريطة مقتبسة فى معظمها من خرائط إسلامية ـ كما يؤكد كراتشكو فيسكى ـ إلا أن الهدف منها كان هدفا حقيرا ، فقد كانت تهدف إلى « محاصرة العالم الإسلامى حصارا اقتصاديا بقصد استثاره بحروب صليبية جديدة »[١٣] .

وقد اعترف غير واحد من المستكشفين فى أوربا .. بأن الخرائط الملاحية portolani التى وضعها علماء الإسلام كانت معينا لهم فى نجاح مهماتهم الاستكشافية ، فلولا رسوم « ابن ماجد » ما اكتشف « فاسكو دى جاما » الطرق الملاحية فى المحيط الهندى .. وثبت أن كولومبس استعان بخرائط عربية لبحر الظلمات ( المحيط الأطلسى ) وجزره[١٤] .. كما استعان « لفنجستون » وزملاؤه عند اكتشافه لمنابع نهر النيل ، برسومات عربية[١٥] .

**تلك كانت صفحة مضيئة ، من صفحات تراثنا العلمى الذى أضاء منه الغرب قناديله ، وما أحوج شباب الأمة أن يقتدوا بأجدادنا ويسيروا على دربهم ويطلبوا العلم « ولو فى الصين » ليصيروا فى طليعة الحضارة الإنسانية .**

---

(١٣) نفس المرجع ـ ص ٢٩٩

(١٤) حسنى عبدالحافظ ( الكاتب ) : أمريكا كولومبس لم تكن عذراء ( مجلة الكويت ـ عدد ٧٣ ـ محرم ١٤٠٩ هـ ) ص ٨٤ ـ تصدر فى الكويت .

(١٥) حسنى عبدالحافظ ( الكاتب ) : الأدريسى ويكر ومنابع نهر النيل ( مجلة الفجى ـ شعبان ١٤٠٨ هـ ) ص ٢٠ ـ تصدر فى المملكة العربية السعودية .




إعداد الأستاذ / عبد المنعم فوده

السؤال : من السيد / محمود القطان
نجع الحسين ـ مطاى ـ المنيا

ـ فى مسجد القرية الذى نصلى فيه ، نرى الضفادع تخرج من دورة المياه ، وتقفز فى المسجد فوق الفرش الذى نصلى فوقه . علماً بأن المسجد مفروش بالموكيت وليس بالحصير .

ـ فهل ذلك ينجس المسجد ويمنع الصلاة فيه ؟

أفيدونا أفادكم الله ...

بسم الله الرحمن الرحيم خروج الضفادع من الأماكن النجسة وقفزها فى المسجد ينجس المكان الذى يصله جسمها المبتل بالنجاسة ، فعلى القائمين على شئون المسجد أن يحكموا إغلاقه فى غير أوقات الصلاة ، حتى لا تدخله هذه الضفادع وليضعوا مادة سامة فى المراحيض حتى تقتل هذه الضفادع التى تنجس المسجد وتبطل على الناس صلاتهم .

والله تعالى أعلم

السؤال : من السيد / حامد محمد أحمد عبداللطيق
أولاد نصير ـ نجع الشمندى ـ سوهاج

ـ ما الذى ينجى من عذاب القبر ؟
أفيدونا أفادكم الله ...

بسم الله الرحمن الرحيم الذى ينجى من عذاب القبر : هو فعل كل ما أمر الله عز وجل بفعله ، وترك ما نهى الله عز وجل عنه ، والاحتياط فى البعد عن التميمة والاحتياط فى الاستبراء من البول لما رواه البخارى ومسلم أن النبى صلى الله عليه وسلم مر بحائط من حيطان المدينة ، فسمع صوت إنسانين يعذبان فقال : إنما يعذبان وما يعذبان فى

كبير . أما أحدهما فكان لا يتبرئ من بوله ، وأما الآخر فكان يمشى بالنميمة بين الناس . ثم دعا بجريدة فشقها نصفين ، ووضع فى كل قبر نصفها وقال : يستغفر لهما ما لم تيبسا.

والله أعلم

**السؤال : من السيد / أحمد عبد الحميد أحمد**

**ـ ما حكم السفر إلى الدول الأجنبية غير المسلمة للعمل أو الدراسة أو التدريب ، وهل يعتبر المال الذى يتقاضاه العاملون هناك حلالاً ..؟**

**ـ ما حكم الجوائز التى تقدمها بعض الشركات للفائزين فى المسابقات التى تنظمها وهى عبارة عن : إرسال مجموعة من أغلفة منتجاتها ويتم اختيار الفائزين بالقرعة علماً بأن هذه الجوائز تصل أحياناً إلى مبالغ كبيرة جداً .**

**أفيدونا أفادكم الله ...**

السفر إلى البلاد الأجنبية للعمل أو الدراسة حلال لا إثم فيه ، والأجر الذى يتقاضاه العامل عن عمله حلال إذا كان ما يقوم به من أعمال حلال ، أما إذا كان يعمل عملا محرماً ؛ كتقديم الخمر والخنزير وما شابه ذلك . فعمله حرام وأجره حرام لأن النبى صلى الله عليه وسلم لعن فى الخمر عشرة منهم حاملها والمحمولة إليه .

والجائزة التى تعطيها الشركات لصاحب الحظ حلال وليس فيها إثم لأنه ليس فيها ربا ولا قمار ولا غصب ولا نهب مهما كان المبلغ الذى يحصل عليه الفائز فى المسابقة.

والله تعالى أعلم

**السؤال : مقدم من السيد / ع. مقلد**

**بقريتنا رجل معوق اليدين والرجلين به الأسباب الآتية :**

**١ ـ لا يستطيع إزالة الخبث من المخرجين .**

**٢ ـ لا يستطيع إزالة الحدثين لا بالماء ولا بالتراب .**

**٣ ـ يتناول الطعام بصعوبة بالغة حيث إن اليدين مقلوبتين .**

**٤ ـ لا يقدر على السير إلا بعصا لأن الرجلين مقلوبتين .**

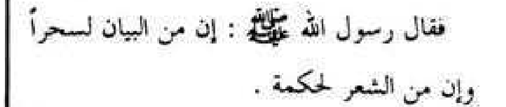
**٥ ـ لا يقدر على أداء الصلاة من ركوع وسجود والسؤال فهل له صلاة ؟**

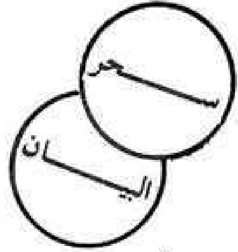
الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبعد فنفيد بأن الصلاة لا تسقط عن أحد لأى عذر ، وصاحب الأعذار هذه يمكن لمن يقوم على إطعامه وإلباسه أن يغسله ويطهره وله الثواب من عند الله على هذا ثم يصلى بقدر استطاعته وبالطريقة التى تتناسب مع إمكانياته الجسدية وبقدر مشقته على الأداء فله الأجر والثواب من عند الله هذا إذا كان الحال كما ذكر فى السؤال.

والله تعالى أعلم

**د. محمود عبد المتجلى خليفة**
**عضو لجنة الفتوى بالأزهر**




عن عبد الله بن عباس قال : وفد إلى رسول الله ﷺ الزبرقان بن بدر وعمرو بن الأهتم .

فقال الزبرقان : يا رسول الله أنا سيد تميم ، والمطاع فيهم ، والمجاب منهم ، آخذلهم بحقهم وأمنعهم عن الظلم وهذا يعلم ذلك منى .

فقال عمرو : أجل يا رسول الله إنه مانع لحوزته ، مطاع فى عشيرته ، شديد العارضة فيهم .

فقال الزبرقان : أما والله يا رسول الله قد علم أكثر مما قال ولكنه حسدنى شرفى .

فقال عمرو : أما لئن قال ما قال ، فوالله ما علمته إلا ضيق العطن ، زمن المروءة ، أحمق الأب ، لئيم الخال ، حديث الغنى . فرأى الكراهة فى وجه رسول الله ﷺ لما اختلف قوله ، فقال : يا رسول الله رضيت عنه ، فقلت أحسن ما علمت ، وغضبت فقلت أقبح ما علمت . وما كذبت فى الأولى ، ولقد صدقت فى الثانية .

فقال رسول الله ﷺ : إن من البيان لسحراً وإن من الشعر لحكمة .

## التنصـــــل والاعتـــذار

قال رسول الله ﷺ : « من أتاه اخوه متنصلاً فلم يقبل من متنصل عذراً ، صادقاً كان أو كاذباً ، لم يرد على الحوض » .

وقال : « المعترف بالذنب كمن لا ذنب له » .

وقال : « الاعتراف يهدم الاقتراف » .

وقال الحسن بن وهب :

ما أحسن العفو من القادر ● لاسيما عن غير ذى ناصر
إن كان لى ذنب ولاذنب لى ● فما له غيرك من غافر
أعوذ بالود الذى بيننا ● أن يفسد الأول بالآخر

## « ثمــــرة الأدب »

لقى هرون الرشيد الكسائى فى بعض طرقه ؛ فوقف عليه وتحفى بسؤاله عن حاله . فقال : أنا بخير يا أمير المؤمنين ، ولو لم أجد من ثمرة الأدب إلا ما وهب الله - تعالى - لى من وقوف أمير المؤمنين لكان ذلك كافياً محتسباً .

## الكفـــــاف

قال على بن أبى طالب أمير المؤمنين : الرزق رزقان : رزق تطلبه ، ورزق يطلبك ، فإن لم تأته أتاك .

وقال حكيم : أقل الدنيا يكفى وأكثرها لا يكفى .

وجاء فى كتاب الهند : لا ينبغى للملتمس أن يلتمس من العيش إلا الكفاف الذى يدفع به الحاجة عن نفسه ، وما سوى ذلك إنما هو زيادة فى تعبه وغمه .

## « العفـــو عنـــد المقـــدرة »

تغيظ عبدالملك بن مروان على رجاء بن حيوة فقال : والله لئن أمكننى الله منه لأفعلن به كذا . وكذا ، فلما صار بين يديه ، قال له رجاء بن حيوة : يا أمير المؤمنين ، قد صنع الله ما أحببت فاصنع ما أحب الله ، فعفا عنه وأمر له بصلة .

## « أدب الصـــغير »

ينبغى للوالد أن لا يسهو عن تأديب ولده ، ويُحسِّن عنده الحسن ، ويقبح عنده القبيح ، ويحثه على المكارم ، وعلى تعلم العلم والأدب ، ويضربه على ذلك قال بعضهم :

لا تسه عن أدب الصغير
وإن شكـــا ألم الـــتعب
ودع الكـــبير وشأنـــه
كبُـــر الكـــبير عن الأدب

## « نصـــيحة »

ينبغى للعاقل إذا أصبح أن ينظر فى المرآة ، فإن رأى وجهه حسنا لم يشنه بقبح ، وإن رآه قبيحاً لم يجمع بين قبحين .

## « الأخـــذ بالثـــأر »

دخل ظريف على قوم يأكلون السمك ، وقال : هذا والله عدوى ، ولى عليه ثأر ، فقد مات أبى غريقاً فأكله السمك .

قالوا : هوّن عليك نحن ننتقم لك فقال : لا بل الابن أحرى يأخذ الثأر .

## « ســبعة قبـــلى »

قال رجل لشريح القاضى : قضيت على بالجور وليد خلنك الله النار ، قال : إذن يدخلها سبعة قبلى :

من ولانى .
ومن علمنى هذا الحكم .
ومن جاء بك مدعياً والشاهدان .
والمزكيان

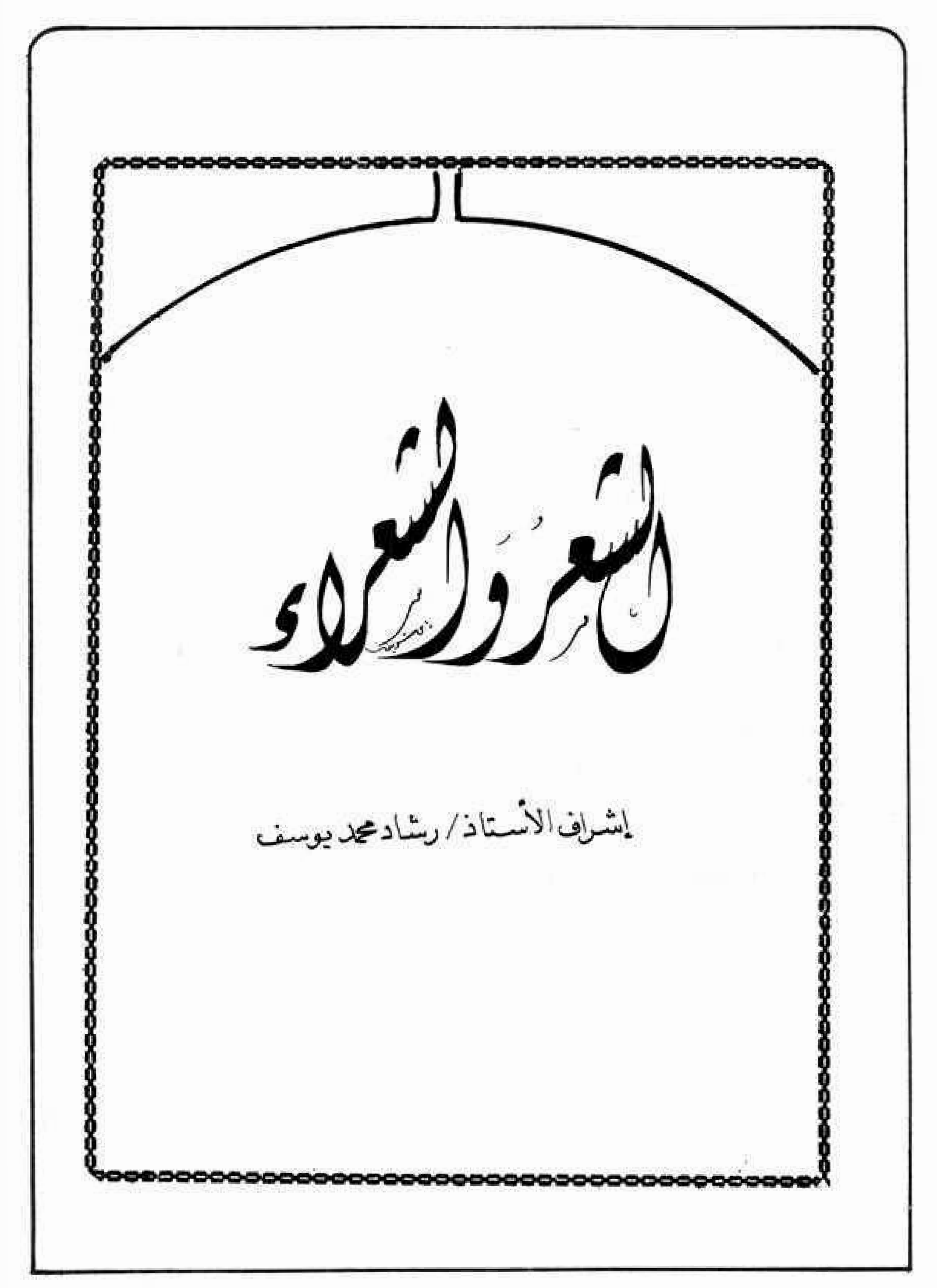
## « هـــكذا أمرنـــا »

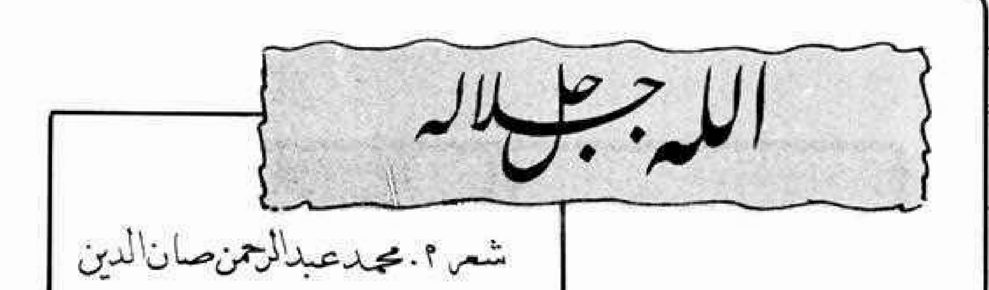
حكى الشعبى قال : ركب زيد بن ثابت ، فدنا منه عبد الله بن عباس ، فأخذ بركابه فقال له : لا تفعل يا ابن رسول الله ﷺ ، فقال : هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا .

فقال زيد : أرنى يدك ، فأخذها وقبلها ، وقال : هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا ﷺ .

## « دعـــاء »

اللهم إنى أعوذ بنور قدسك ، وعظمة طهارتك وبركة جلالك ، من كل آفة وعاهة ، ومن طوارق الليل والنهار إلا طارقاً بطرق بخير .


الشعر والشعراء
إشراف الأستاذ/ رشاد محمد يوسف




شعر د. محمد عبد الرحمن صان الدين

ذلك الكــــون الـــــذى قد | حير العقـــــلَ مَسيـــــرُهْ
---|---
فى نظـــام مُحكَـــم ما | حُطَّ فى الدنيـــا نظيـــرُه
كل شىء فيـــــه دارت | وفـــق قانـــون أمـــوره
أى سلطـــــان قديـــــر | خلـــف أستـــار يديـــره ؟

★ ★ ★

هل جرى فى البحـــــر فُلْك | دون ربـــان يقـــودُهُ ؟[1]
---|---
والسحـــاب الجَهْـــم فى | الآفاق قد ثارت رعـــوده
أى صرح قد علا من | غير بَنّـــاء يشيـــدُه ؟
من ترى قد أبـــدع الإنـــ | ـسان ذا عقـــــل يسوده ؟
إنـــه القيُّـــوم يُلفيـــه | قريبـــا من يريـــــده

★ ★ ★

إنـــه الحق الـــــذى صارت | به الدنيـــا منيـــرَهْ
---|---
إن يكـــن ذاتـــا توارت | عن مدى الـــعين الحسيره
فسناهـــا فى ظهـــــور | ليس يخفـــى عن بصيره
إن فى الإنسان عقـــــلا | ذا أفانيــــــن بهيره[2]
وهـــو خاف الكُنْـــهِ أعيـــا | فطنـــة النـــفس الخبيره[3]

---

المفردات اللغوية

(١) فلك = سفينة .

(٢) بهيرة = بارعة تبعث على الإعجاب .

(٣) الكنه = الحدود والمعالم .

| | |
|---|---|
| ليس للخــــلاق رمـــز | من نجوم أو أهِلّـــــة |
| أو ترى الأبصار فوق الأرض | بل فى الكـــون ظِلّـــة |
| ليس رَبًّـــا أو إلهًـــا | من ترى العينـــان مثلــه |
| كل مَا مِنْ شأنـــه التجـــ | ـسيـد والتشبيـــه نحلـــه[4] |
| إنــــه الموجــــود فردًا | دون أسبـــاب وعلـــه |

* * *

| | |
|---|---|
| ما بدا للـــعين والإحــــ | ـسان فى جِرم وحجــم |
| من نضار أو صخـــور | أو تصاويـــر ورسم[5] |
| ليس ربـــا ، بل نسيـــج | من جهـــالات ووهـــم |
| لا يُوفَّـــى حقّ قدر | الله إلا رَبُّ حِلْـــم[6] |
| وقليـــل من نبـــى الإنـــ | ـسان ذو رشد وعلـــم |

* * *

| | |
|---|---|
| كيــف يخفـــى من تجلَّـــى | مشرقـــا فى كل نفس |
| بهيـــات لم تَغِبْ عن | كل ذى وعـــى وحِسّ |
| سامعـا فيها دبـــيب الفكـــر | فى جهـــر وهمس |
| كل مخلـــوق إليـــه | فى انجـــذاب دون مـــس |
| إنْ رشيـــدا مستـــنيرا | أو ضلـــولا عبـــد شمس |

* * *

| | |
|---|---|
| إنَّ ذات الله نـــــور | قد سرى فى الكائنـــات |
| فى بحار صاخبـــات | وجبـــال راسيـــات |
| فى نجـــوم من لهيـــب | ونجـــوم خامـــدات |
| فى حراك وسكـــون | فى رعـــود قاصفـــات |
| فى الوجـــود الـــرحب نبض | إنـــه روح « الحيـــاة » |

---

(٤) نحله = ادعاء بالباطل .

(٥) نضار = ذهب .

(٦) حلم = عقل رشيد .

أى عقـــل أى فكـــر    يدرك الكُنْــه الجليـــلا [٧]
قطـــرة فى البحـــر لا تد    رى كثيراً أو قليـــلا
عن مدى المحدود بالــــ    ـشطآن مهمـا امْتَـدَّ طُولا [٨]
كيـــف تدرى مطلقـــا من    دونــه أرخـــى السدولا [٩]
كان هذا فى ضيـــاء    العلـم أمـــراً مستحيـــلا

* * *

ما اهتـــدى الإنسان إلا    برسول أو نَبِـــىّ
طالـــع الدنيـــا بوَحْـــى    لا بفكـــر عبقـــرى
صدقـــه من غير زف    فَرَّ فى وعـــى الذكـــى [١٠]
وتـــراه الفطـــرة البـــيضاء    كالصبـــح الجَلِـــىّ
ويحيك الشك والإلحـ    ـاد فى صدر الغـــوِىّ [١١]

* * *

ليـــس للإنســـان إلا    العـــيش فى ظل الخضوع
ينظـــر الآيات فى الآفا    ق تتـــرى فى سطـــوع [١٢]
فيخـــر المرء أرضا    فى سجـــود وركـــوع
من جلال الحق يحيـــا    فى انبهـــار وخشـــوع
يَشْـــهد أن الله فوق    الكـــون والعـــرش الرفيـــع

* * *

أيها الإنســـان أقصِـــرْ    واطْـــرحْ ما قد أغـــرك
والتـــزم فى عيشك المو    قوت فوق الأرض قدرك
فى سبيـــل العـــيش وَجِّـــهْ    يا قصير البـــاع فكـــرك
إن ذات الله أعْـــيَتْ    من قديم الدهـــر غيرك
كل من رام اكتناهـــا    للعلـــىِّ الفـــرد أشرك [١٣]

---

(٧) الكنه = الحدود والحقيقة .
(٨) المحدود بالشطآن هو البحر .
(٩) المراد بالمطلق هو الله تعالى .
(١٠) من غير زف = من غير تزين وتوضيح .
(١١) يحيك = يسرى ويأخذ ، الغوى = الفاسدة .
(١٢) تترى = تتابع وتتوالى .
(١٣) رام = قصد وأراد ، اكتناها = إدراكا .

# الله عز وجل

شعر د. محمد برهام

نعم ، غرامي موصول ، وأعترف / بل تستبد بي الأشواق والشغف

والحب فاضت قلوب المؤمنين به / لسنا على الحب والمحبوب نختلف

بغير ( ندٍّ ) فلم أشرك به أحدا / في قمة الحسن عذرا حين أنعطف

من ذا يرى الحسن في أعلى مراتبه / ولم يكبر ويهتف بين من هتفوا ؟

الله يا حبنا بعض الهوى سرف / إلا هواك ، ففيه يكمن الشرف

والحب بين الورى نأيٌ وعاصفة / وكم شكا منه من ذاقوا ومن سلفوا

لكن حبك قربى جدُّ حانية / وأعدل الحب لا ميل ، ولا جَنَف

والحب بين الورى قد ينتهي بددا / ولا يضيع لديك الشوق واللهف

* * *

وما رأيت الذي أهوى بصورته / وليس يعزب عن بالي وينصرف

وكيف يطمع طرفي في مشاهدة / وإن تجلى على الأطواد ترتجف

لكن أراه معي في كل آونة / وثم ألف دليل حينما أصف

ملء الوجود مرايا طي أنعمه / أطل فيها طويلا حيثما أقف

أقول : يا نفس بل يا كل جارحة / من لمَّ جمعكم ، فالشمل مؤتلف ؟

من سخر المزن يعطينا ويمطرنا / والسنبلات به تنمو وتقتطف ؟

والرزق في الروض من للنحل يَسَّرَهُ / فقدمته إليه الروضة الأنف ؟

من ذا يُزَوِّدُ صداحا بأرغنه / فدونه كل من غنوا ، ومن عزفوا ؟

كون بديع ، وأفلاك به بلغت / حد الكمال متى تسرى وتختلف

الله لا غير ، فاتركني أهيم به / ولينبض القلب يحكي أنه كلف

* * *

شهدت أنك يا الله خالقنا / وموجد الكون ، ما جاءت به الصحف

إني أراك بقلبي وهو يصدقني / لَيتني عرفت طريقي مثل من عرفوا

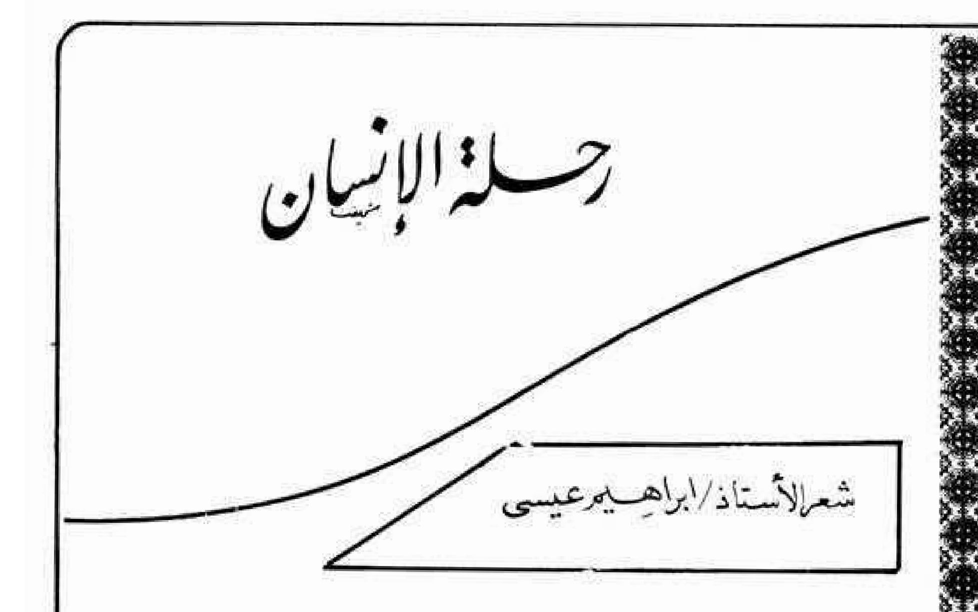
كم اقترفنا ، وضاع الأمر من يدنا / ولم يعد ندم يجدي ولا أسف

ونحن نخشى سطورا من صحائفنا / فارحم عبادك لما تنشر الصحف

نعفُّ عن كل أبواب الورى صلفا / ودون بابك لا كبر ، ولا صلف

ما أجمل النفس أن تصفو لبارئها / تطيعه جهرة ، أو حين تعتكف

تلقى أمانا على طول المدى ، وترى / نورا يضيء حواشيها ، وتنكشف




وطـــال سُراك يا إنسانُ فى غابـــاتِ أيـــامِك
رشيقَ الخطـــو .. لكـــن إنْ كَبـــا الحادى بأحـــلامِك
يَشِيب الدمـــعُ فى جفنـــيْك مرجومًـــا بآلامِك

* * *

وَتـــرْكُضُ فى السمـــاء الشُّهُبُ كالفـــرسانِ فوق الخيْـــلْ
وتُـــرسل ضوءَهـــا الوهَّـــاجَ جَوَّابـــاً صحـــارى الليْـــلْ
تقـــول : تـــام يا إنسانُ والأيـــامُ فيها الويْـــلْ ؟

* * *

وأسأل : ما الـــذى خبَّـــأتِ يا أيـــام للإنسانْ ؟
وأستبكـــى النَّـــدى حتـــى يَضِجَّ الدمـــعُ بالأجفـــانْ
فأسمع تمتماتٍ كالصَّدى الوسْنـــانْ

وتغفِـدُ هدنـــةً حينـــا .. وحينـــاً ريحُهـــا تقسو
ونـــركب فى بحار العمْـــرِ موْجـــا عصْفُــه نحسُ
ويـنــأى المرفـــأ المجهـــولُ عن ركْبـــى .. فلا نرسو

* * *

ويَنْــهَبُ عمرنـــا كرُّ الليـــالى وهْــــىَ لا تهْــدأ
وجــزْتُ وفى يدى قلمـــى يتمتــمُ قائــلاً : إقْــرأْ
أ أسْكُتُــــه وفى ناياتِـــهِ الأشواقُ .. أم أبـــدأْ ؟

* * *

وتـعْصف رغبـــةٌ للخلـــد فوق سفينـــةِ الأيـــامْ
فيهزأ مِخْـــلبُ الأيَّـــامِ لما فرَّق الأرحـــامْ
وطـــاف الموجُ فاستخْـــفتْ على أوتارِهـــا الأنغامْ

* * *

وأسمع شاطــئُ النـــورِ ينادينـــى لكـــى أجتـــازْ
ومـــا حقّـــقتُ من أمـــلٍ .. ولا مجد .. ولا إعجـــازْ
وأبصر كلَّ أحلامـــــى أتتْ تمشى على ( عُكّـــــازْ )

* * *

ولاعَبنـــا زمـــانٌ لم تخِبْ يومـــاً حبائلُـــهُ
سنابـــلُ عمرِنـــا اللاهـــى ستحصُدُهـــا مناجلُـــهُ
وهــــذا الحشْدُ من حولى غدًا تمضِى قوافلُـــهُ

* * *

غدًا تفْنـــى .. ويحيـــا الموتُ جبَّـــارًا وقهَّـــارا
ويطْـــوى الظـــلَّ .. يطْـوى الريــحَ .. يطْـوى البحْـــرَ مَوَّارا
ولـــن يَبْقـــى سوى عمـــلٍ يُحيـــلُ الليـــلَ أنـــوارا

# لله الأمــر !

شعر م. أسامة كامل الخريبي

« تنهيدة مسلم .. من وحى الحملة الإعلامية العلمانية الشيوعية الشرسة على الإسلام تارة بدعوى محاربة التطرف ، وأخرى بدعوى محاربة الإرهاب وأخيراً تحت لافتة قديمة هى التنوير » .

.. سَلَّـمتُ للهِ أحـــزانى وأشجـــانى          وكلَّ ما جالَ فى فكرى ووجـــدانى

فالأمـــــر للهِ فى سر وفى علَـــنٍ ..          والأمـــرُ للهِ فى مُلْكٍ وأكـــــوانِ

يا رب هٰذى جيوشُ الكفر [ قد ] زَحَفَتْ          تُريـــــد بَغْـــدَكَ إيمانى وقـــرآنى

قد جَمَّـعَت شملَهـــا فى محنـةٍ قَذَفَتْ          أهــــل الصلاح إلى أفـــواهِ بُرْكانِ

وكم يوافـــــق فى مُخبْثِ دعـــــايَتها          قَصْفُ المدافـــع فى أركان أوطـــانى

حربٌ ضروسٌ كأن الصَّرْب تدفعهـــا          تعيد ما كان من « حنّا » « وأوربان »[1]

أَوْهُــمْ شخــوصٌ وآلاتٌ يُحركهـــا          خلــف الستـــار يهودىٌّ بخيطـــانِ

دارت بها صحــف فى إثرِهـــا كُتُبٌ          تُرْغـــى وتُزْبـــدُ فى زُورٍ وبُهتـــانِ

تُعيدُ ما قالَه الشيطـــانُ فى « أُحُــد »          وقد تلَبَّسَ فى « نور » و « سَلْمـانِ »

ويزعم الديـــن قيـــداً ظل يحكمنـــا          لابـــد من نَسْفِـــه فى كلِّ ميـــدان

وأنَّ شِرْعَتَكَ السمحـــاءَ قد بَلِيـــتْ          فلا تليـــق بعصرى أو بأوطـــــانى

وقد أتاح له المذيـــاعَ من زعمـــوا          أن التفكـــر والتنويـــر صنـــوان

يا قومنـــا استمعـــوا للهِ ذِكْرُكمـــو          هل قِمةَ الفِكْـــر إنكـــارٌ لقـــرآن ؟

هل التحـــرر من ديـــنٍ يُوَحِّدُنـــا          فى صالـح الناسِ أو فى خير بلدان ؟

هل نَبْذُنا الديـــنَ فى بدءٍ أتى عجبـــاً          حين اقتدينـــا بمرتـــدٍ وعلمـــانى ؟

يا قومنـــا استبقـــوا للحـــق واتخذوا          منـــه الشفـــاءَ لأسقـــامٍ وأدرانِ

يا رب هذى شجـــونى أنت تعلمهـــا          وأنت تعلم ضعـــف العابـــد الفـــانى

فانصر كتابك فالأحـــزاب قد كثرت          وليس عندى سوى نُطْقى وبرهـــانى

وانصر عبـــادَك فالأيـــام حالكـــةٌ          وقـــد ظَمِئنـــا لفجـــرٍ ضاحكٍ حانى

---

1 ـ البابا أوربان الثانى أول من شجع أوربا على بدء الحروب الصليبية على الشرق الإسلامى سنة ١٠٩٥م .

● حنّا دى برين : قائد الحملة الصليبية على مصر سنة ١٢١٨م .

# طفل من البوسنة

للشاعر الجزائري / محمد تامالت

متثاقلاً يمشي الهوينى بائساً　　　يا ليت شعري ما الذي قد احزنه

وجلاً تعانق مُقلتاه وجوه من　　　مروا وتبدو في خطاه .. المسكنه

أترى الصغير أصابه مرض فقد　　　قتل ابتسامته وأصدأ معدنه

أم أن لُعبته قد انكسرت فأحـ　　　ـزنه انكسار دُماه تلك المتقنه

أم تاه بين الناس عن بيت له　　　عن والديه فقام ينشد مسكنه

ما باله ؟ بل ما حكاية حُزنه ؟　　　بل أين تلك البسمة المستحسنه

● ● ●

إني أراه يسير بين حطام دو　　　رٍ أصبحت كالجثةِ المتعفنه

حتى دوي قنابل الأعداء لم　　　يزعجه قط ولم يحرك مُسْكنه

وأظنه ألف البقاء بمعزل　　　عن تلكم الدنيا البغي المنتنه

● ● ●

من ذا الصبي ؟ سألت نفسي برهة ...　　　وأجبت : هذا من يتامى ( البُوسَنَة )

( الصرب ) قد قتلوا أباه ومارسوا　　　في بيته شتى ضروب القرصنه

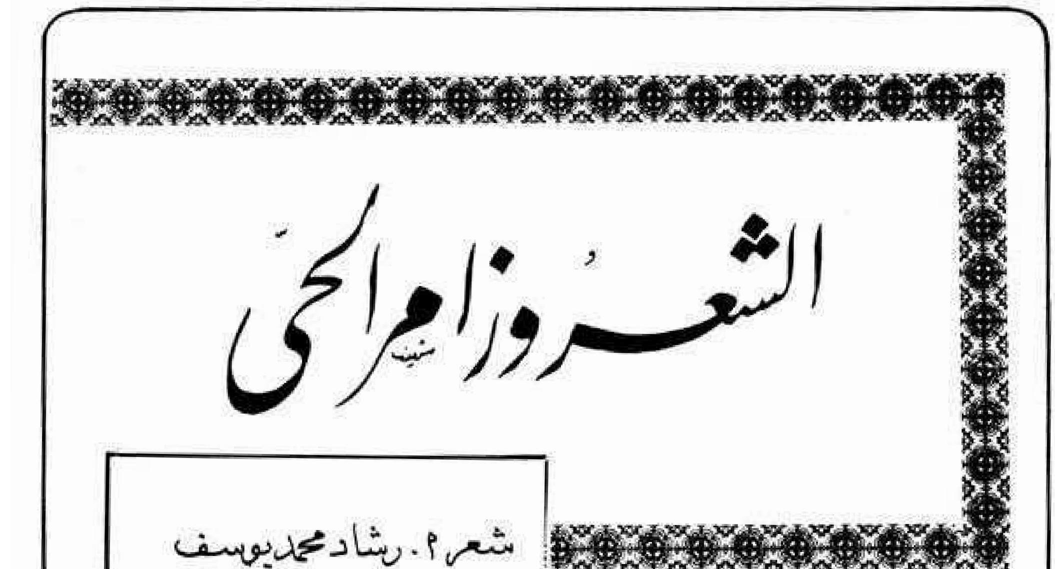
ولشد ما آذاه صوت نعالهم　　　فأراد أن يُودِي بهم لو أمكنه

طردوه واضطروه أن يأوي إلى　　　قبو كريه أو بقايا مدخنه

منعوا الصلاة وحرموا القرآن بل　　　قد صادروا التوحيد فوق المئذنه

بلغت بهم أحقادهم أن يفعلوا　　　في المسلمين مناكراً مستهجنه

والإخوة الجُبناء خانوا عهدهم　　　وتنكروا للسيف .. باعوا الأحصنه !




يا زَامِرَ الحيِّ عفْوًا كَيفَ تُشجيه ... وقد تَعثَّرَ دهرًا فى تمشيه ؟

يا زَامِرَ الحيِّ نَامَ الحيُّ وانطفأتْ ... كلُّ القناديل نامت فى مآقيه

فلست تعرفُ كَمْ لحنٍ تغنيه ... وكَمْ فؤادٍ شجىٍّ بثَّ تشجيه ؟

وكيف تُوقِظُ ليلى فى مضاربها ... وكيف تكشفُ حباً كُنتَ تخفيه

ليلى سَبِيَّةُ رَهْطٍ لا خلاقَ لهم ... وقلبها فى قبورٍ من مآسيه

ليلى أسيرةُ عصرٍ راح يمطرها ... بما تلاقيه .. صعبٌ ما تلاقيه

قد ألبسوها ثياباً غَيْرَ جلدتها ... وجرَّفوا من ثراها خَيْرَ ما فيه

وعكَّروا النيل والشطين فى سَفَهٍ ... فالنيل يسرى جريحا فى تأبيه

ولست أدرى وبى هَمٌّ يؤرقنى ... متى سنصحو على صبح نغنيه ؟

متى نحرر ليلى من تعثرها ... ونُنقِذُ النيل يوماً من عواديه ؟

والغَيْمُ والضَّيْمُ والأجواءُ داكنةٌ ... وفتنةٌ وعقوقٌ فى أقاصيه

ودار ليلى على جمر الهوى رقدت ... ما رَدَّتْ الشَّدْوَ أو قامت تناديه

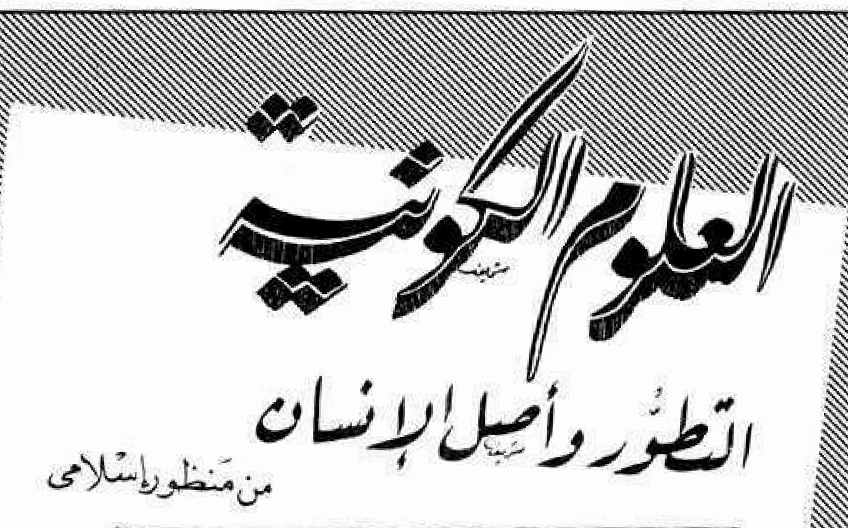
همسُ النخيل لها ما عاد يوقظها ... والبدرُ يرنو وقد غامت لياليه

مَتَى نَذودُ كِراماً عن أصالتنا ... ونحفظ الوَتَر الصافى ونحميه

قالُوا: هوى الشِعْرُ وانهارتْ قواعدهُ    وجَـفَّ كلُ رحيـقٍ من أمانيـه
قالـوا: تَخلَّـفَ عن دنيـا تقدمنـا    ومـا تَحَـرَّرَ من رِقِ يعانيـه
ومَزَّقُـوا عنـه أثوابـاً يتيـه بها    وألـبسوه ثِيابـاً لا تدانيـه
قالـوا: حداءٌ لركبـان وسائمـةٍ    ولـيس يصلـح إلا فى مراعيـه
وانكروا من عُيُونِ الشعر ما علموا    عَبْرَ القـرون ومـا فاضتْ قوافيـه
قالـوا : قصيـدةُ نثرٍ قلْتُ: معـذرة    تنـزه الشعـر عن زَيْـفٍ وتشويـه
فتلك رِيـحٌ من العـدوان يدفعهـا    تعصبٌ أحْمَـقٌ بانت خوافيـه
وغـارةٌ بَعْدَ أخرى كُلَّمـا سكـنتْ    عادتْ تُخـرِّبُ بستـانى وتدميـه
عادتْ بأقنعـة من بعـد أقنعـةٍ    تَصُبُّ فى فكرنـا زَيْفـاً وتُمْليـهِ
الشعـر ديوانـنـا أصداءُ وحدتنـا    قيثـارةُ المجد ماضيـه وتاليـه
الشعـر أنْقَـى دعـاء فى مجامعنـا    ومـا تخلَّـفَ عن فرض يؤديـه
ما جَفَّ فى حلقنا شدوٌ ولا وقـفت    عن الغنـاء طيـورٌ فى مغانيـه
لو قيـل: جرحٌ أصابَ الشعر نسعفـه    نَحْنُو على جرحه الدامـى نداويـه
لو قيـل: أعيتـه أوزانٌ وقافيـةٌ    الشعـرُ فى صِحَّـةٍ لا شىء يعييـه
النهر والنخـل والشطـآن شاعـرة    تسمـو بكـل جمال فى مجاليـه
وشمسنا والضحـى والبـدر قافلـة    من (المواويـل) تشجيها سواقيـه

* * *

يا قائـلين بموت الشعـر معـذرة    فكـم شربتم حيـاة من أياديـه
الشعـر باق برغـم العابـثين به    والعاكـفين على بتـر وتمويـه
الشعر فى مصر يحيـا فى خواطرهـا    ونيلنـا يستقـى منـه ويسقيـه
مصر المعالى ومصر الشعـر خالـدة    تسمو بفـرسانها عن ضيعـة التيـه
أى البحـور إذا شئتم سنـركبها    سنعـتلى كل موج فى أعاليـه
ثوبـوا إلى رشدكم نقـوا مواردكم    وأرجعوا الـفضل إنصافـا لأهليـه
الشعر يصفو هنا تسمو مقـاصده    لوسُلِّـمَ القـوسُ يومـا كفَّ باريـه




# التطور وأصل الإنسان

من منظور إسلامي

ظهرت « نظرية دارون » عن التطور وأصل الأنواع فى القرن التاسع عشر ، وجاء خبرها إلى بلاد المسلمين فى أوائل هذا القرن على لسان مروّجيها من العلمانيين والملحدين وأنصار التغريب الذين قدّموها للناس على أنها نظرية علمية محورها هو نسبة التطور والتنوع - وخلق أنواع جديدة من الأحياء - إلى : عوامل الطبيعة وقواها ، وإلى عامل الصدفة العمياء ، وإلى الصراع بين الكائنات . يخلصون بذلك إلى الزعم بأن الإنسان ليس إلا نوعاً من الحيوانات ، ويبررون الصراع بين البشر - أفراداً وشعوباً - ليكون استحقاق البقاء للأقوى والأدهى .

عرض وتحليل
أ . د . أحمد فؤاد باشا

(*) التطور وأصل الإنسان من منظور إسلامى ، المطبعة العالمية ، القاهرة ١٩٩٢ .

وشاءت إرادة العليم الحكيم أن تستحدث فى العلم تجارب واكتشافات تؤكد أن فى داخل كل خلية حيّة نواة بها شفرة وتعليمات تتحكم فى الصفات والتنوعات والتكاثر والنمو والتكيف مع البئة ، مما يعنى أن كل ما نسبوه إلى الصدفة والطبيعة والآلية ليس إلا أمر الخالق القدير .. ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾[1]، ذلك أن وجود الخالق أزلى أبدى لا أوّل له ، والمخلوق كائن حادث ، ويستحيل عقلا أن يخلق المخلوق نفسه ثم يضع فى داخله قدراته وخطوات إيجاده وحياته ومصيره .. ﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ ﴾ (سورة الأعراف)

**هدف الكاتب :**

والكتاب الذى نعرض له الآن بالتحليل والمناقشة يحاول أن يفك الاشتباك بين العلم والدين فيما يتعلق بنظرية التطور ، حيث يرى المؤلف أن من واجبه كأستاذ للتشريح والأجنة ومتخصص فى علم الأجناس ( الأنثروبولوجيا الطبيعية ) ـ أن يسهم على قدر طاقته فى إزالة بعض الغموض والتناقض بين ما نعرفه من حقائق العلم ، وما نؤمن به من أصول الدين .

**الكتاب :**

يبدأ الكتاب بالحديث عن الخلاف المفتعل بين العلم والدين ، منذ بدأ فى العصور الوسطى ، حيث لم تكن الكنيسة على وفاق مع الفلسفة الإغريقية ، ووصل العداء مداه حين ظهرت النظريات العلمية التى تناولت نشأة الحياة وتطور المخلوقات وعلاقة الإنسان بغيره من الكائنات الحية ، وكان على رأس قائمة أصحاب هذه النظريات «لامارك» و «دارون» و«هكسلى» و«هيبكل». أما فى العالم الإسلامى فإن علاقة العلم بالإيمان جد وثيقة ، وقد جاءت آيات القرآن الكريم لتجعل من العلم أساساً لقيام أمر الدين الإسلامى وازدهار حياة المسلمين وحضارتهم . بل إن هناك آيات قرآنية أشارت صراحة إلى ظواهر كونية تحكمها قوانين ثابتة ، وهذه الآيات الكونية جديرة باهتمام المشتغلين بالعلوم العصرية ، ولو من باب التعرف على ما بها من حقائق معجزة تدل على جلال الخالق ـ سبحانه وتعالى ـ ووحدانيته .

**مردود النظرية ، وتناقضها ومحاولة تفاديه :**

ثم ينتقل المؤلف إلى الحديث عن نظرية التطور والأفكار الرئيسية التى أدت إليها ، موضحاً أن آراء « تشارلز لايل » الجيولوجى قد أوحت إلى دارون بفكرته عن التطور فى عالم الأحياء محاكاة لما يحدث فى طبقات الأرض وتغير الجبال والصخور من شكل إلى شكل بسبب تراكم تغييرات تدريجية مستمرة فى بنيتها على مر العصور . لكن نقل الآراء الخاصة بالمادة الجامدة وتطبيقها كما هى على المادة العضوية الحية نجم عنه كثير من المشكلات ، فالمادة العضوية تختلف عن المادة الجامدة فى امتلاكها رصيداً هائلا من القدرة على التكيف ومواجهة الظروف التى تعرض لها ، ومثال ذلك :

---

(١) سورة يس ـ آية : ٨٣ .

قدرة الكائن الحى على مقاومة الأمراض باستنفار جهاز المناعة لديه ، وقدرة خلايا الجسم على التكاثر لتجديد التالف وتعويض الفاقد منها ـ على عكس الصخور والجبال التى يتم فيها تراكم التغيرات بطريقة ميكانيكية حسابية . **وهذا فإن تطبيق قوانين الجوامد على الكائنات الحية عموماً وعلى الإنسان خصوصاً ليس أمراً سهلاً ولا صائباً .**

لكن نظرية التطور حاولت تفادى هذا التناقض الواضح بإضافة جديدة مؤداها : **أن الكائنات الحية ، بما فيها الإنسان ، تعرضت على مر العصور لتأثير قوة خفية أسماها دارون « الانتجاب الطبيعى » ، تسببت فى تغيير بنيان هذه الكائنات ووظائفها وأدت إلى ظهور أنواع مختلفة وأجناس شتى** . وأعتقد دارون أن الإنسان والقردة العليا قد انحدروا سويا من سلف مشترك منذ زمن بعيد مضى ، وأن هذا الأصل المشترك قد انقرض واندثر فى باطن الأرض ولكن بالإمكان العثور على بقاياه المتحجرة مطمورة بين الصخور ، وهنا يؤكد الكتاب أن دارون لم يقل بأن الإنسان قد تطور من القرد ، أو أن الإنسان أصله قرد ، ولكنه قال : إن للنوعية سلفاً مشتركاً لا يعلم عنه شيئاً ويطالب بالبحث عنه .

وقد أثارت تلك الآراء اعتراضات كثيرة من جانب بعض معاصرى دارون من علماء التاريخ الطبيعى ومن رجال الدين على حد سواء ، فقد وجدوا فيها الكثير من المغالطات العلمية والتضليل الفلسفى ، هذا فضلا عن نقاط الضعف الخطيرة التى ذكرها دارون نفسه وأشار إلى أنها تهدد مصداقية نظريته وتهدمها من الأساس ، بالرغم من استناده إلى أساس من المشاهدة والرصد والمقارنة بين عوالم الكائنات الحية من نبات وحيوان وإنسان .

أما الذين هلّلوا لآراء دارون من الماديين أمثال : ماركس وإنجلز وغيرهما فقد استبشروا خيراً بأنها سوف تكون المعول الذى يهدم قواعد الأديان ؛ لأنها تنكر القدرة الإلهية فى خلق الكائنات وتستبدل بها ما أسموه « قدرة الطبيعة » .

**هل كان دارون ملحداً :**

ومن الطبيعى أن تثير آراء دارون الشكوك فى إيمانه بالله ، ولكن ابنه « فرنسيس دارون » يقول عن أبيه أنه لم يكن ملحداً وإنما كان متردداً فى قبول كثير من المعتقدات الدينية ، فلم يكن يؤمن مثلا بأن للمشيئة الإلهية دخلًا مباشراً فيما يجرى على الأرض من تحول الكائنات وانقراضها وظهور أنواع جديدة . وهذا يعنى أنه ربما كان يؤمن بوجود الله ، ولكنه لم يستوعب صفاته ـ سبحانه وتعالى ـ وأخضع كل شىء لمقاييس الإدراك العقلى والتجريب المعملى وهى وسائل لا ترقى ـ وحدها ـ بصاحبها إلى معرفة الله ـ جل وعلا .

لقد اعتقد دارون فى كتابه « أصل الأنواع » الذى نشره عام ١٨٥٩م متضمناً خلاصة أبحاثه التى انتهت به إلى صياغة نظريته المعروفة بنظرية النشوء والارتقاء أو « نظرية التطور » ـ اعتقد فى « قدرة الطبيعة » على انتقاء الصفات المفيدة للكائن الحى ؛ لأنها تمنحه الصلاحية للبقاء

والتكاثر حفاظاً على بقاء النوع ، أما ما عداها من الصفات الضارة أو غير المفيدة فتهملها وتتجنبها حتى تزول وتنقرض . وباستمرار هذه العمليات الانتقائية على مدى العصور يحدث تغير تدريجي في تشريح الحيوانات ووظائف أعضائها ، وتنشأ أنواع مختلفة عن أصولها . هكذا أعطى دارون الإيحاء بأن للطبيعة عقلاً مفكراً وغايةً تسعى إليها وخطةً للخلق والعمل تقوم على تنفيذها فى الكون من تلقاء ذاتها ، متناسيا ـ ولو من قبيل الاحتمال ـ قدرة الله وحكمته .

**نتائج التهجين مصدر الانتخاب الطبيعى عن دارون :**

ومما يجب ذكره أن فكرة « الانتخاب الطبيعى » التى قال بها دارون استقاها من مشاهداته لنتائج تهجين النباتات والحيوانات ، حيث وجد أنه بإمكان المربى أن يهيئ لقطعان الماشية مثلا ظروفاً خاصة ، كأن يمدها بغذاء متميز ، أو يحيطها بمناخ مختلف عما هو كائن فى بيئتها الطبيعية ، أو يوفر لها التزاوج مع سلالات أقوى وأفضل . وهذا معناه ـ فيما تقتضى به فكرة الانتخاب الطبيعى ـ أن المربى يستطيع تغيير مواصفات الكائنات الحية وتطويرها للحصول على نسل أكثر أو لحم أوفر أو قدرة أكبر على العمل ، أو غير ذلك . ومادام الأمر هكذا ، فماذا يمنع الطبيعة من أن تقوم بمثل ما يقوم به المربى ، ولكن بطريقتها الخاصة التدريجية على مدى العصور لتأتى فى النهاية بتحولات فى صفات الكائنات الحية ، وبهذا تنشأ أنواع الكائنات من بعضها البعض من جراء تدخل الطبيعة بالانتقاء أو الاختيار للعناصر الأصلح فتتبناها.

أى أن ما يفعله المربى وتفعله الطبيعة شىء واحد .

**دارون ينقض نفسه :**

وهنا يوجه دارون طعنة قاضية إلى نظريته دون أن يدرى لأنه جهل ـ أو تجاهل ـ أمرين هامين :

أولهما : أن ما يحدث فى التهجين لا يزيد عن إعادة ترتيب لمواصفات بيولوجية وموازين عضوية وقوانين كونية قائمة بالفعل ، ولم تنشأ إنشاءًا بتأثير الانتخاب الطبيعى .

وثانيهما : أن المربى فى مزرعته لم يخلق أنواعاً جديدة من أنواع سابقة ، وإنما قام بتطوير نفس النوع بزيادة إمكاناته ، أى أن التغيير كان فى (الدرجة والنسبة والكم) وليس فى (النوع)، فالأغنام المهجنة تظل أغناماً ولم تتحول إلى أبقار ، والدجاج المهجن لم يتحول إلى حمام أو يمام .

**« مالتوس » خلف البقاء للأصلح :**

أما فكرة « البقاء للأصلح » لدى دارون فقد كانت صدى لنتائج أبحاث « مالتوس » عن السكان وبقاء بعض الأفراد على حساب البعض الآخر بالرغم من نزوع جميع الكائنات الحية إلى التكاثر السريع ، وإلى تنامى أعدادها بمعدلات هائلة . وهذا يرجع ـ فيما يرى مالتوس ودارون ـ إلى مميزات تشريحية أو (فسيولوجية) أو سلوكية أو ذهنية تتيح لصاحبها التغلب على الصعاب التى تواجهه فيكتب له البقاء . أما من لا يملك مثل تلك الصفات فليس أمامه سوى الموت والانقراض لكى يتيح للأفضل أن يستمتع

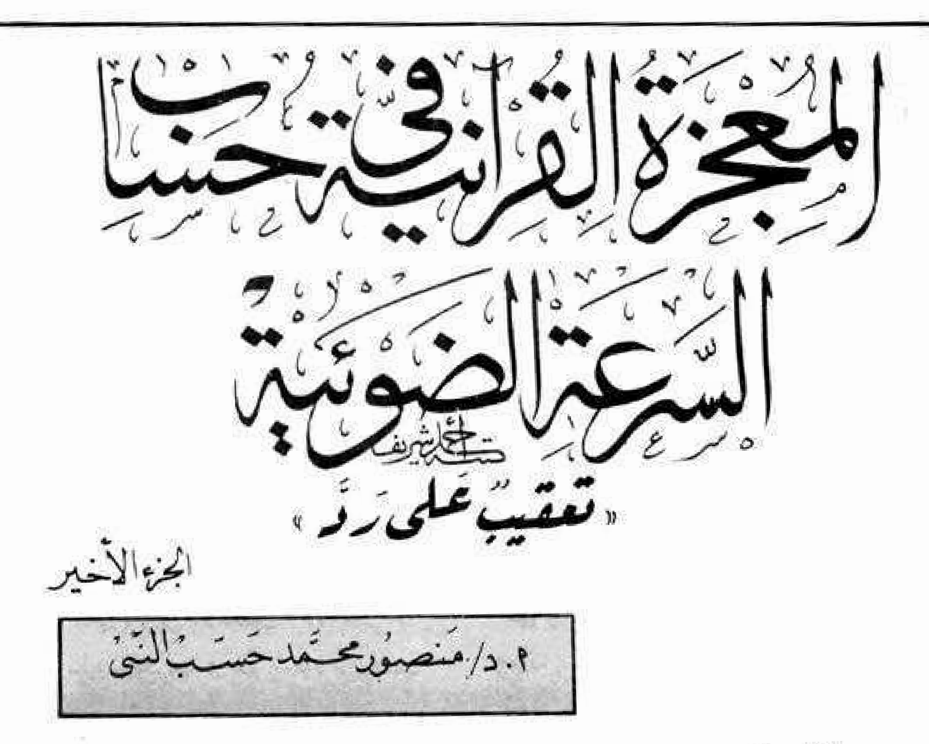
بحيرات الأرض . ويضيف دارون سببا آخر يصفه « بالانتخاب الجنسى » ويعنى عنده أن الذكور الأقوى من الحيوانات تستطيع إغراء الإناث من جنسها وتنتج ذرية قوية من نوعها ، أما الذكور الضعيفة فلا تفلح بمرور الوقت ، ولا يبقى سوى ذرية العناصر الأقوى ، لكن هذا الفرض غير صحيح ولا يوجد فى الواقع ما يدل على صحته ، ذلك أن التزاوج فى الحيوانات يختلف عنه فى الإنسان ، فلقاء الذكر والأنثى عند الحيوان لا تحكمه قوة جسمية أو جاذبية شكلية أو ميول نفسية ، وإنما هو لقاء جنسى يخضع لحاجات بيولوجية بحتة حفاظاً على بقاء النوع . أما اللقاء بين الجنسيْن عند الإنسان فتتدخل فيه إرادة الاختيار وتؤدى العوامل النفسية والاجتماعية دورا كبيراً فى إتمام التزاوج .

### عودة إلى الأصل المشترك وبيان فساده :

وفيما يتعلق بفكرة « الأصل المشترك » ، فقد ذكر دارون بوضوح تام أنه لا يوجد ما يحول دون تصنيف الإنسان كأحد أفراد رتبة الرئيسيات ، وهى من رتب فصيلة الثدييات التى تضم كل ماله ثدى ويرضع صغاره ، ورجح احتمال انحدار الإنسان والقردة العليا ( التى تشمل الغوريلا والشمبانزى والجيبون ) من أصل واحد ربما كان موجودا منذ بضعة ملايين من السنين ثم تشعَّب كل نوع فى طريقه الخاص به حيث ارتقى عقل الإنسان ووصل إلى مستوى الإدراك العالى وبقى صنف القردة فى مرتبة أدنى بإدراك محدود وقدرات متواضعة . ولتأييد هذا الرأى استعرض دارون فى كتابه « أصل الإنسان » الذى نشره عام ١٨٧١ م ـ عددًا من الأسانيد والدلائل كتشابه الخصائص التشريحية ومراحل تكوين الجنين وتقارب المكونات الكيميائية لسوائل الجسم ، وقابلية الإصابة بنفس الأمراض . لكن هذا النوع من الصفات لا يعتد به عند التصنيف فى تحديد الأصل المشترك ، فالإنسان يتصف بالقامة المنتصبة وكبر حجم المخ بالنسبة لحجم الجسم وارتقاء وظائفه الذهنية التى لا يشاركه فيها غيره . وجنين الإنسان يمر بمرحلة تتميز بخياشيم كخياشيم الأسماك البالغة ، ومرحلة أخرى تتصف بذنب كذنب الحيوانات مكون من عشر فقرات عصعصية ، ومرحلة تكون فيها مكونات جهازه البولى بدائية بسيطة كما هو الحال فى بعض الحيوانات الأولية . كما لاحظ العلماء أن جسم الإنسان البالغ يحتفظ ببقايا أعضاء لا يستعملها ولو استئصلت لا يصيبه الضرر ، مثل الزائدة الدودية ، وأن الطيور تحتفظ بجناح كاذب لا يستخدم فى الطيران ، وأن الثعابين تحتفظ ببقايا عظام أطراف ضامرة ، وهكذا . كذلك لاحظ الإنسان يشترك مع كثير من الحيوانات فى الاستعداد للإصابة بنفس الأمراض . فأى هذه المخلوقات إذن يكون أصلًا للإنسان ؟!آ

وهنا يتدخل المؤلف ليقرر أن التشابه الجسمانى بين الإنسان والقردة يفوق كثيراً الاختلاف بينهما ، لكن القول بالأصل المشترك لكلا النوعين مازال فرضا نظريا يحتاج إلى إثبات ولوثبت فإنه لا يدعو إلى الاستهجان والنفور ..!!

ونحن من جانبنا نرى أن المؤلف قد وقع بهذا التقرير فى تناقض صريح .. وسوف نفصل الحديث بشأنه فى العدد القادم ـ إن شاء الله .




المراد بالأمر موضوع التدبير فى « سورة السجدة / : ٥

المراد هو الأمر الكونى وليس المراد الأمر العاجل ( الأمر التكوينى ) ولا الأمر الشرعى التكليفى بمعنى الوحى ؛ لأن قوله تعالى : ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ﴾ تعنى التدبير من الفضاء حولنا : بشمسه وقمره ونجومه ومكوناته المادية والإشعاعية ، ولو كان المقصود تدبير الأمر التشريعى لقيل ( من عند الله ) بدلا من قوله تعالى ( من السماء ) ... كما أن لفظ : ( إلى الأرض ) فى النص الكريم ( السجدة : ٥ ) على ظاهرها تعنى هذه المكونات الأرضية المادية ولو كان المقصود ( الأمر التشريعى الذى تحمله الملائكة ) لقيل : ( إلى الإنسان ) الذى هو محل التكليف الشرعى بدلا من قوله تعالى : ﴿ إلى الأرض ﴾ أى إلى هذه الأرض التى نحيا عليها بما فيها من مادة وطاقة ، وبما ينبعث منها من إشعاعات ، وما يتولد عليها وفيها من نار أصلها شجرة مباركة فى السماء ، كما أن الأمر هنا فى السجدة : ٥ ليس أمراً شرعياً ؛ لأن الأمر الذى دبره الله سبحانه وتعالى من السماء إلى الأرض هو نفسه الذى عرج ؛ لأنَّ ( يعرج ) فعل مضارع والفاعل مستتر عائد على أقرب مذكور وهو الأمر فى ( آية السجدة : ٥ ) بينما ما ينزل به الوحى من الأوامر الشرعية لا تعود بنفسها .. فالنازل غير العارج فى الأمور الشرعية أما فى

---

أستاذ الطبيعة المتفرغ بكلية البنات جامعة عين شمس ، ورئيس الجمعية المصرية للإعجاز العلمى للقرآن الكريم والسنة .

( آية السجدة : ٥ ) فالنازل هو نفسه الذى يعود . كما أن التعبير فى النص الشريف بالفعلين المضارعين : ( يدبر ، ويعرج ) يدل على الدوام والاستمرار ؛ لأن سنة حركة الأمر الكونى فى ( السجدة : ٥ ) دائمة ومستمرة منذ خلق السماوات والأرض إلى نهاية الكون بينما أمور الوحى الشرعية انتهت باكتمال التنزيل وانقطاع الوحى ، وليس الوحى مستمرا ومتواصلا طوال عمر الكون !!

وحيث أن النص الشريف فى السجدة : ٥ فى مقام الدوام والاستمرار وقد مرت على الأرض فترة بعد التكوين تخلو من جنس الإنسان المكلف بالأمور الشرعية بدليل قوله تعالى « هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ( الإنسان : ١ ) قال الزمخشرى : شيئاً غير مذكور ، أى لم يخلق ولم يكلف . فما معنى تنزيل هذه التكاليف الشرعية فى غير وجود من يحملها ؟ ولكن دوام وثبات الأمر فى النص الشريف ( السجده : ٥ ) يدل على كونه من الأمور الكونية المقدرة فى دنيا الوجود والملازمة للكون منذ البداية وحتى النهاية .

وليس الأمر هنا أمراً مجازيا معنويا كالثواب والعقاب ؛ لأنه موصوف بالحركة من السماء إلى الأرض ومن الأرض إلى السماء بعروج محدد بمقدار ثابت فهو شىء كونى يقع تحت القياس مما نعد نحن البشر .

## ما المراد باليوم فى آية السجدة :

ذكر الدكتور السمان المعانى اللغوية المختلفة لليوم من معاجم اللغة وألفاظ القرآن وقد ثبت أن اليوم فى القرآن يأتى بعده معانٍ كالنهار ، إشارة لمرحلة زمنية ، أو اليوم مما نعد نحن البشر ، وبرغم أن الآية ( مما تعدون ) فإذا سيادته يصرف النظر عن المقصود بصريح اللفظ ويتبنى تفسيرات تقول بأنه اليوم ( فى السجدة ) طويل الأمد مقداره ألف سنة وأنه هو يوم القيامة بشدة أهواله بينما أجمع المفسرون على أن اليوم هنا من أيام الدنيا المحدودة فقالوا ـ ومنهم ابن عباس رضى الله عنهما ( فى يوم ) من أيامكم أى من أيام الدنيا ( أبو حيان ـ الطبرى ـ مجموعة التفاسير الزمخشرى ـ أبو حيان ـ الألوسى ـ ابن كثير ـ زاد المسير ـ فتح القدير ) .

فلِمَ ترك حقيقة اللفظ واللجوء إلى مجاز دون قرينة ؟.

ويقول سيادته أنه لا يوجد من المفسرين من أشار إلى آية السجدة على أنها حد لسرعة تدبير الأوامر الإلهية ! وأنا أرد على سيادته من واقع أقوال المفسرين :

ـ عن الضحاك ( فى يوم ) من أيامكم هذه وهو مسيرة ألف ساعة ( الطبرى ) .

ـ عن قتادة : ( فى يوم ) من أيامكم ( كان مقداره ألف سنة مما تعدون ) ( ابن كثير والطبرى ) .

ـ عن ابن عباس : المعنى كان مقداره لو ساره غير ( الأمر ) ألف سنة .. أى أن ( الأمر ) بسرعة سيرة يقطع مسيرة ألف سنة فى يوم من

أيامكم ( الزمخشرى والقرطبى قال وهو اختيار الطبرى ) .

ـ فى يوم كان مقداره لو ساره غير ( الأمر ) ألف سنة ( فتح القدير ) .

ـ وهو يوم من أيامكم لسرعة ( الأمر ) لأنه يقطع مسيرة ألف سنة فى يوم واحد ( الزمخشرى وأبو حيان ) .

ـ عن ابن عباس : ( ألف سنة مما تعدون ) قال : ذلك مقدار المسير ( الطبرى ) .

ـ ( كان مقداره ألف سنة مما تُعدون ) ... قال : فى مسافة ألف سنة مما تعدون ( الرازى ) .

ـ ( فى يوم ) مقـداره مسافـة السير ( العروج ) فى ( ألف سنة ) ( الألوسى ).

وبذلك يتبين فهم معظم المفسرين ـ رحمهم الله تعالى جميعاً ـ للنص الكريم بأنه بيان لسرعة سير الأمر فى السماء ! وهم لم يتخصصوا فى الرياضة مثل الدكتور السمان ! وهل يصح يا دكتور أن تتهمنى بالتحايل فى التعليق الأخير فى ص ٩١ من عدد المحرم ١٤١٤ هـ؟ وأنت تعلم أن سرعة الضوء هى الحد الأقصى للسرعة من واقع النسبية الخاصة لأينشتين كأساس لعلمى الفيزياء والرياضة التطبيقية وبرغم هذا تقول : إن الحد الأقصى للسرعة الكونية غير معروف بينما هذا الحد هو المطلق الوحيد فى الكون والذى لا تتغير قيمته بحركة الراصد أو المصدر وقدرة سرعة الضوء فى الفراغ وقدرها ٢٩٩٧٩٢,٥ كم/ث طبقاً لإجماع القياسات الدولية وعلماء القرن العشرين وأنا لست متحايلا كما تقول ، فهذا الرقم نتج من حساباتى ( لآية السجدة : ٥ ) طبقاً للمعادلة القرآنية المنصوص عليها فى هذه الآية ، وباستخدام النظام النجمى فى حساب الزمن ومراعاة الأفلاك المتداخلة بأسلوب علمى وافق عليه علماء الفلك والفيزياء الحاضرون للمؤتمر التحضيرى فى مكة المكرمة فى ١/ ٥/ ١٤١٠هـ بهيئة الإعجاز العلمى برابطة العالم الإسلامى الذين وافقوا على أن نص آية السجدة يصف سرعة كونية . كما وافق مؤتمر التوجيه الإسلامى للعلوم بالقاهرة فى أكتوبر ٩٢ على قبول البحث للإلقاء والنشر .

وبهذا أرجوا أن أكون قد أوضحت بالدليل الشرعى أن ( آية السجدة : ٥ ) تشير إلى حد أقصى للسرعة فى عالم الشهادة يوافق تماماً سرعة الضوء فى الفراغ ( بين السماء والأرض ) وأن الأمر فى هذه الآية كونى وليس غيبيا ملائكياً أو مجازياً ، وليس أمراً موصوفاً بـ(كن) فيكون متعلقاً بالإرادة الإلهية الفورية التى لا تحتاج إلى زمن لتنفيذها وأن الأمر الإلهى الكونى محدود بسرعة فى عروجه طوال تسخيره منذ نشأة الكون وحتى نهايته طبقا للنص القرآنى فى ( آية السجدة : ٥ ) والله على ما أقول شهيد .

وصدق الحق تبارك وتعالى :

﴿ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾

## رابعاً : سرعة الأمر الكونى :

ـ يقول الدكتور السمان ص ٩٢ فى عدد المحرم ١٤١٤هـ: أنه لا داعى لتسميته سرعة الأمر الكونى فى ( آية السجدة : ٥ ) بالسرعة القصوى ، ولا داعى ـ أيضاً ـ لفرضها أثناء

الحساب من نص الآية بأنها سرعة منتظمة لا تتغير .

ـ والرد على هذا الاعتراض يتلخص فى أننى لم أفرض فروضاً من عندى ولكن نص الآية الكريمة :

﴿ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴾ .

نص شريف يؤكد ما يلى :

١ ـ دوام التدبير والنفاذ والعروج ؛ لأن تكرارها جميعاً إلى يوم القيام يدل عليه « المضارع » وكأنه قيل يجدد هذا الأمر مستمراً ، ولقد أورد الفخر الرازى والشوكانى هذا المعنى . كما أن الفعل « كان » يفيد هنا الأزلية والدوام ؛ لكونه فى موضع قياس تماماً كما فى قوله تعالى : ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا﴾[1] أى . وهو دوما كذلك ... والتعبير القرآنى يفيد الاستمرار والدوام .

فالمعادلة القرآنية ( فى السجدة : ٥ ) ستظل سارية المفعول حتى يقضى الله أمره ، وهذا يدل على تعاملها مع سرعات منتظمة لا تتغير كسرعة الأمر الكونى الذى يتحرك فى يوم بما يعادل مسافة ألف سنة قمرية ( مما نَعُدُّ نحن البشر ) ويؤيد ذلك القانون القرآنى الصريح فى ( آية الحج ٤٧ ) فى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ والتى استخدمت ـ أيضا ـ مقاييس الزمن للتعبير عن السير وقطع المسافات ؛ فكانت المماثلة بين اليوم والألف سنة ... فى مسافة السير وليس فى الزمنين ( لأن اليوم لا يساوى ألف سنة زمنيا ) وبهذا ؛ فإن المماثلة فى المسافة تدل على سرعة عامة وشاملة ومنتظمة ودائمة وثابتة محددة بهذا القانون الإلهى السارى فى ملكه ، فقوله ( عند ربك ) أى : فى تقديره ، وحكمه أى المتحقق فى ملكه تعالى ( فى الكون ) وحيث إن القاعدة القرآنية لن تتغير ، فإن هذا يجعلنا نعلن علاقة جديدة فى نظام الأرض والقمر ونؤكد أنه إذا تغير زمن اليوم فسوف يتغير زمن الشهر القمرى حتى تظل السرعة ثابتة للأمر عند التعامل مع هاتين الآيتين ( السجدة : ٥ ) والحج ٤٧ ) وبهذا فالجواب على اعتراضك يا دكتور هو ثبات القرآن ودوام الأمر والعروج إلى ما شاء الله فى هذا الكون بنفس القانون النازل فى القرآن ، أى مسيرة يوم تعادل مسيرة ألف سنة قمرية دون تغيير فى هذه المعادلة القرآنية ، فسرعة الأمر الكونى منتظمة وثابتة نظراً لخضوع نظام الأرض والقمر لقانون بقاء كمية التحرك .

أما اعتراضك على أن السرعة الناتجة هى الحد الأقصى للسرعة الكونية فهذا موضوع يخصك وحدك يا دكتور السمان ؛ لأننى لم أصل إلى هذا الاستنتاج من فراغ ، فالنتيجة التى حصلت عليها من حساباتى تساوى تماماً الحد الأقصى للسرعة المقاس والمعلن عالمياً بمقدار ٢٩٩٧٩٢,٥ كم/ث ، وهذا دليل أكيد على صحة التفسير

(١) النساء ١٢٦ .

والحساب كما أن التعبير القرآنى يؤكد ذلك :

فقوله تعالى : ﴿ كَانَ مِقْدَارُهُ ﴾ أى : كان مقياسه وَحَدُّه ( المعجم الوسيط ـ تاج العروس ) أى أن سرعته لا تزيد عن هذا الحد ، وإلا فما الداعى فى تحديد ـ الله تعالى ـ لليوم بألف سنة مما تعد نحن البشر ، ودوام هذا المقدار ( فى التعبير بالفعل : كان ) يدل على أننا لن نقيس أو نعد سرعة أكبر من هذا المقدار بينما يمكن أن نقيس سرعات متفاوته وأقل لكن الحد الأقصى هو المقصود بالإشارة فى القرآن ، والذى لا يصح لأى أمر كونى أن يتجاوزه وهذه حقيقة علمية فى القرن العشرين ؛ لأن السرعة فى الكون ( للمادة أو للطاقة ) قد تتفاوت إلا أنها جميعاً لا يمكن أن تتخطى سرعة الضوء فى الفراغ كحد أقصى للسرعة الكونية ومما يؤكد صحة افتراضى أن سرعة الأمر المشار إليه فى ( آية السجدة : ٥ ) تمثل الحد أو المقدار الذى توصل إليه العلم تماماً ، وإلى أقرب كسر عشرى من حسابات الآية الكريمة بالمقدار المعترف به دولياً ٢٩٩٧٩٢,٥ كم/ثانية وإنى أسأل الدكتور السمان : لماذا نتج هذا الرقم المعروف دوليا من الحسابات من جهة ، وصحة التفسير من جهة أخرى ، وتأييد للقانون الأساسى فى النسبية الخاصة الذى ينص على أن سرعة الضوء فى الفراغ هى الحد الأقصى للسرعة الكونية والذى يمثل أساس علم الفيزياء وعلم الرياضة التطبيقية الحديثة ؟؟!

٢ ـ يقول الدكتور السمان فى أول ص ٩٣ عدد المحرم ١٤١٤ : إن استخدام متوسط السرعة المدارية نوع من التقريب للسرعة الحقيقية للقمر التى تختلف من نقطة إلى أخرى على المدار القمرى حول الأرض .

والرد على هذا أننا نعد السنين بسير القمر حول الأرض فى المنازل وهو السير القمرى قد تختلف سرعته قليلا عبر المدار نظراً لإهليجية المدار بدرجة قليلة تكاد تقترب من الدائرة وبرغم هذا ؛ فإن السرعة المتوسطة لقيمتى السرعة القمرية الصغرى عند الأوج والعظمى عند الحضيض فى هذا الإهليج تعطى السرعة المنتظمة التى ضربت لو فى زمن الشهر النجمى القمرى تعطى طول المدار القمرى مقطوعاً فى شهر نجمى قمرى كامل ( فى ٢٧,٣٢١٦٦١ يوما ) وأقول : إن المتوسط هو السرعة المنتظمة بدليل ثبوت زمن الشهر القمرى النجمى الذى لا يتغير مطلقاً من شهر إلى آخر إلا إذا تغير زمن اليوم الأرضى لارتباطهما ، وبهذا ؛ فإن الحساب الذى قمت به لا يصح الاعتراض عليه علمياً طالما أننى أخذت متوسط القيمة التى يحسب على أساسها طول المدار القمرى الثابت فى زمن الدورة دليل على ثبوت المتوسط فما الداعى للاعتراض ؟

٣ ـ يقول سيادته فى آخر ص ٩٣ تحت بند تعليق : إن مدار القمر إهليجى ( بيضاوى ) وهذا صحيح ولكن إذا طبقنا معادلة الإهليج لإيجاد طول المدار فلن تختلف النتيجة عن طول المدار المحسوب على أساس دائرة بنص قطر متوسط ، ويمكن التأكد من ذلك رياضياً طالما أن قيمة الإهليجية eccentricity ضئيلة فى حالة القمر !

٤ ـ يعترض سيادته على أن هناك خطأً فى نتيجة بحثى لوجود تقريب فى العلاقة المستعملة . السرعة المتوسطة =

$$\frac{\text{٢ ط} \times \text{متوسط نصف قطر المدار}}{\text{زمن الشهر النجمى}}$$

وأؤكد له أنه ليس هناك تقريب فى هذه العلاقة لحساب متوسط السرعة المدارية للقمر خلال شهر كامل قمرى نجمى ؛ لأن زمن الدورة الواحدة مضبوط على نجم بعيد ؛ ولأن متوسط نصف قطر المدار مقاس على مدى شهر كامل ، بل سنوات كاملة بواسطة ( شعاع ليزر ) يسقط على سطح القمر وينعكس إلى محطة إرساله على الأرض ليقيس نصف قطر المدار القمرى . وقد تبين من قياسات ( وكالة ناسا الأمريكية ) : أن متوسط السرعة المدارية القمرية ٣٦٨٢,٠٧ كم/ساعة وهى القيمة التى طبقناها فى حسابات بحث المعجزة القرآنية فى حساب السرعة الضوئية ؛ فهل هناك تقريب فى ( نتائج ناسا ) التى وصلت بالإنسان إلى القمر !!

٥ ـ نظراً لأن قيمة السرعة المتوسطـــة ٣٦٨٢,٠٧ يجب تخليصها من تأثير دوران الأرض حول الشمس كشرط أساسى فى نظرية النسبية الخاصة التى تؤكد أن الحد الأقصى للسرعة واحد فى جميع أرجاء الكون بشرط التعامل مع حركة قصورية ( منتظمة ) ولهذا فلابد من استبعاد أثر جذب الشمس على نظام الأرض والقمر المستخدم فى البحث كمقياس لسرعة الأمر الكونى وعلى هذا الأساس تم حساب زاوية الدوران للحركة غير القصورية للنظام المذكور فى شهر قمرى نجمى كامل حتى يتم حساب صافى السرعة المدارية للقمر $\text{ع}_1$ = ع جتاهـ ، وضربها بعد ذلك فى زمن الشهر القمرى النجمى لينتج طول المدار القمرى المقطـــوع فى شهـــر ثم يضرب النـاتـــج فى ( ١٢٠٠٠ ) لينتج المسافة المقطوعة فى هذا المدار فى ألف سنة . وإدخال جيب تمام ( الزاوية هـ ) هو للتخلص من الزيادة فى طول المدار القمرى خلال شهر كامل ؛ لأن طول المدار يجب أن يكون عياريا بعيدا عن تأثير جذب الشمس على قيمته ، خاصة وأن هذا الطول لقياس سرعة الأمر الكونى ، فلابد أن يكون طول المدار خاص فقط بدوران القمر حول الأرض دون تأثير دوران القمر مع الأرض حول الشمس بزاوية ( هـ ) خلال شهر كامل ( أى كما لو كانت الأرض ساكنة أو تجرى فى خط مستقيم بسرعة منتظمة حاملة القمر معها ) ومثل هذه الحسابات شائعة فى ميكانيكا المقذوفات .

٦ ـ يقول سيادته فى آخر ص ٩٣ عدد المحرم ١٤١٤ ناقدا ما تم فى بحثى من اعتبار الزاوية ( هـ ) هى الزاوية التى تدورها الأرض حول مركز الشمس وليس كما يعتقد حول النجم البعيد الثابت فهل من المعقول أن تحسب الزاوية ( هـ ) بصفر باعتبار الدوران حول النجم البعيد كما ذكرت سيادتك بينما نحن فى المجموعة الشمسية حيث تدور الأرض ( وهى تحمل نعها القمر ) حول الشمس وليس حول نجم بعيد !! وكيف تطبق النظام النجمى الذى يقتصر علمياً فقط على ضبط حساب الزمن ، وتريد تطبيقه على حساب الزاوية التى تصنعها الأرض فى شهر قمرى حول الشمس وليس حول النجم .

## خامساً ـ سرعة عروج الملائكة والروح :

يقول سيادته مذكراً لى بقوله تعالى :

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾

سورة الإسراء

وأشكره على ذلك وأؤكد له أننى لم أتعرض لسرعة الملائكة والروح ، ولكن كنت أؤكد أن هذه السرعة لن تقع تحت قياسنا مطلقاً بخلاف سرعة الأمر الكونى ؛ لأن الله عند وصفه لسرعة الملائكة والروح لم يقل : ( مما تعدون ) بل قال تعالى :

﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ المعراج : ٤

ولقد التزمت بهذا النص عند التعرض لسرعة الملائكة والروح ؛ لأرد فقط على الملحدين الذين يدعون أن هناك تناقضا فى مقدار اليوم فى القرآن فى آيتى السجدة والحج من جهة . وآية المعارج من جهة أخرى ولم أسمح لنفسى بالتوغل فى الغيبيات بينما كل حديثك يا دكتور السمان فى المقالين يدور حول الملائكة والعرش واليوم الإلهى الغيبى غير المحدود والأمر الإلهى غير المحدود بينما كل شىء عند الله بمقدار حتى الملائكة أنفسهم كنص الآية الكريمة ( المعارج : ٤ )

وصدق الحق تبارك وتعالى : ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ ( الإسراء : ٨٥ )

وقوله ـ عز من قائل : ﴿ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ ۚ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ الأنعام : ٦٧

وقوله سبحانه ﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ ﴾ يونس : ٣٩

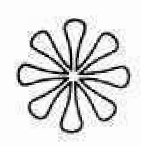
وقوله عز وجل ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَـٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ ( الشعراء : ٦ )

وسبحان الله فالوجود يشهد بالحى الموجود الذى لا يغيب عنه شىء وسبحانه قدر الضوابط والسنن الكونية بحسبان وميزان وصدق الحق تبارك وتعالى :

﴿ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴾ الرعد : ٨ ، ٩

وبعد ؛ فإن لمجلة الأزهر سؤال :

هل لن يكتشف بالتأكيد سرعة كونية أخرى فى الكون مستقبلا بعد سرعة الضوء ؟؟!



وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا

# سر خلف الأسوار

بقلم الأستاذ / منذر محمد عبد الرحمن

**تمهيد :**

**سور طوله خمسة آلاف كيلو متر ، وارتفاعه ثمانية أمتار ، وسمكه سبعة أمتار ، يحيط بسر غامض يحرسه جنود صفر الوجوه مستعدون لبذل الرخيص والغالى فى سبيل عدم تسربه . عشرات القرون ، والسر حبيس هذه الجدران الحجرية حاول خلالها مئات من الشباب الحصول عليه وانتهى المطاف بهم إلى السجن والأشغال الشاقة أو التعذيب حتى الموت .. حتى استطاع راهبان شابان أرسلهما الامبراطور « جوستيان » للتجسس على هذا السر أن يحصلا عليه داخل عصاة من « البامبو » المجوفة والعودة به إلى ( استامبول ) وقد أصبحا شيخين مهدمين .**

**أما السور فهو « سور الصين العظيم » الذى بنى منذ نحو ٢٠٠ سنة قبل الميلاد وأما السر الذى حمله الراهبان فهو طريقة صناعة الحرير ، فقد استطاعا أن يحملا معهما : وزن لا يزيد عن الجرام من بذور التوت وبيض دودة القز ، وهكذا هرب « سر صناعة الحرير » من خلف الأسوار العظيمة رغم كل الاحتياطات .**

الحشرة المدللة :

تغزل العديد من يرقات الحشرات المجنحة « الفراش » لنفسها شرنقة من الخارج مصنوعة من خيوط دقيقة ، لكن حشرة واحدة من هذه الحشرات ـ طولها نحو ٢,٥ سم ، سمينة الجسم ذات لون أبيض ، مشوب بصفرة محببة ـ هى التى استطاعت أن تقنع الإنسان بجودة إنتاجها وجماله . إنها « فراشة الحرير »[1] التى تسمى يرقتها بدودة القز . وبعد أن كشفت للإنسان عن موهبتها تلك وعاشت تحت رعايته عدداً غير محدد

(*) باحث بمعهد بحوث وقاية النباتات .

(١) اسم الحشرة العلمى (Bomlyx Moril) « فراشة الحرير التوتية » .

من القرون فقدت الكثير من قدراتها التى كانت تملكها فى موطنها الأصلى ، حيث كانت تعيش حياة برية على جبال الهيملايا . ففقدت قدرتها على الطيران وأصبحت ضعيفة فى تحمل الحياة البرية فيرقاتها إذا سقطت من فرع شجرة التوت لا تستطيع أبداً أن تتسلق الشجرة وتعود إلى غذائها المحبوب وتظل جائعة حتى الموت . نعم لقد دلل الإنسان هذه الحشرة حتى أصبحت لا تستطيع العيش بدونه لغرض فى نفسه ومن ثم تفرغ لتربيتها لتتفرغ هى لإنتاج الحرير من أجله .

## شراهة ثم صيام تام :

فى أوائل الربيع وقبل أن تورق أشجار التوت مباشرة يبدأ مربى دودة القز فى تفقيس بيض الحشرة الكروى الشكل ، الأصفر اللون ، الذى يسمى « بالبذرة » بوضعه فى الشمس أو فى حجرات سُخِّنت لدرجة حرارة مناسبة ، لا تلبث البيضة أن تفقس دودة ضئيلة الحجم ، لها لون بنى داكن ، ورأس لامع ، ومغطاة بشعيرات طويلة ، تبدأ على التو فى القيام بالعمل الذى تجيده كل الإجادة ، وهو الأكل المفرط ، ومربيها الخبير يعرف ذلك فينقلها إلى أماكن خاصة ، ويزودها بأوراق التوت الطازجة ، فتنقض عليها بشهية هائلة وتأكل بلا انقطاع طيلة حياتها التى تتراوح ما بين ٤٠ و٨٠ يوماً ، فيما عدا الفترات التى تتوقف فيها قليلًا لتنزع عنها الجلد ، الذى يكون قد أصبح ضيقاً لدرجة لا تستطيع بعدها احتماله وهى تفعل هذا أربعة مرات . وبعد أن تتسلخ اليرقة انسلاخها الرابع تواصل الأكل بشراهة بحيث يلاحظ اختفاء قطاعات من الورقة كلما حركت الدودة رأسها لأعلى أو لأسفل الحافة . وكلما تقدمت انتزعت منها قطعاً كبيرة . وفى نهاية تلك الفترة تتوقف عن الأكل إلى الأبد بعد أن تكون قد كبرت ٢٥ مرة عن حجمها الأول وزاد وزنها تسعة آلاف مرة ، واستهلكت أكثر من ٢٠ جراما من أوراق التوت ، وأصبح طولها حوالى ثلاث بوصات، فتبدأ فى الطواف باحثة عن مكان مناسب تستطيع أن تنسج فيه شرنقة لتتحول داخلها إلى عذراء بنية اللون بيضاوية الشكل ، ومهمة المربى أن يوفر لها هذا المكان . عيدان من القطن الجاف ، أو أفرع من التوت تفى بالغرض وتحفز اليرقة على بدأ عملية التحول التى من أجلها تجشم المربى كل هذه المتاعب .

## مومياء داخل الحرير :

شيء مثير أن تشاهد اليرقة الناضجة وهى تغزل شرنقتها أو تابوتها الحريرى ، تلك العملية التى تستغرق مدة ثلاثة أيام تقريبا وتبدأ بأن تفرز اليرقة حريراً سائلًا - من غدتين كبيرتين - يتجمد بمجرد خروجه من خلال شفتها السفلية على هيئة خيط قوى بدرجة كافية لأن تتعلق به إذ حدث وإن سقطت على الفرع . بداية من هذا الخيط تنسج اليرقة شرنقتها ، فتطوح رأسها إلى الأمام ثم إلى الخلف ، ومن اليمين إلى اليسار ، وهى تفرز الحرير بسخاء ، فتشد الخيط تلو الخيط بين الأفرع المحيطة بها . وتتكاثف الخيوط حتى تكون ما يشبه الأسوار حول اليرقة . داخل هذه الأسوار تبنى اليرقة منزلها بأن تحرك رأسها دائرياً فتلف

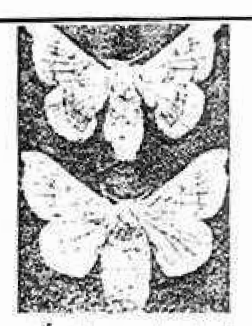
خيوطاً دقيقة حول جسمها حتى تغطى نفسها تماماً بهذه الخيوط وتظل داخلها كمومياء فرعونية غامضة .

**التحول من عذراء إلى فراشة :**

داخل هذه الشرنقة تحدث القدرة الإلهية لليرقة آلاف التحولات والعمليات الكيميائية ، وبعد أسبوعين أو ثلاثة يلاحظ ظهور نقطة بنية على أحد أطراف الشرنقة ، لا تلبث أن تتحول إلى ثقب كبير يخرج من خلاله مخلوق ضعيف له أجنحة منثنية فى تجاعيد صغيرة غير منسقة ، يظل واقفاً على أرجله الست دون حراك لعدة ساعات تأخذ خلالها الأجنحة فى الانبساط والتشكل حتى تظهر أمامنا فراشة الحرير التى نعرفها جيداً . ستبدأ هذه الحشرة إذا كانت أنثى فى وضع البيض بعد التزاوج بيوم واحد ، وستضع خلال حياتها التى قد تطول إلى عشرة أيام أكثر من ٥٠٠ بيضة يخزنها المربون حتى الربيع القادم كالحبوب . وعندما تزدهر أشجار التوت تعود تلك العملية إلى التكرار .

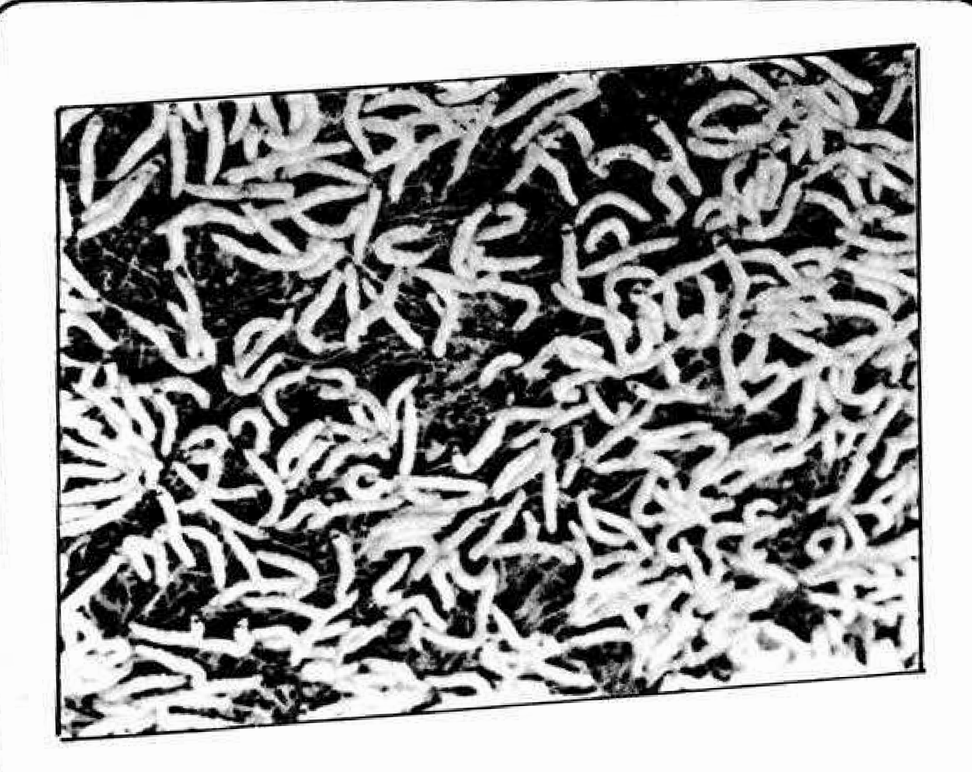
**كثير من القسوة :**

عدد قليل محظوظ من الشرانق هى التى سيتركها مربو دودة القز حتى تتحول إلى فراشات



لكى يحصل على بيضها ، أما معظم الشرانق فلابد أن يعاملها بكثير من القسوة حتى لا تتكون الفراشة وتثقب الشرنقة الحريرة فتفسد الخيوط الثمينة . لا محل للعواطف هنا ، فلابد أن يمرر تيار من بخار الماء الساخن على الشرانق حتى تموت العذارى داخلها ، وأن توضع فى ماء ساخن ليسهل ــ بمساعدة فرشاة صغيرة ــ إزالة الصمغ الذى يلصق الخيوط . وعندما يتم العثور على نهاية الخيط الرئيسى يحل ، ثم تؤخذ عدة خيوط معاً ليعمل منها خيط واحد وتعامل معاملات خاصة لكى تصبح صالحة للنسيج .

ترى أيهما يبذل مجهوداً أكبر .. العامل الذى يحل الشرنقة أم الدودة التى تغزلها حول نفسها ..؟ ستتضح لنا الحقيقة عندما نعلم أن الشرنقة الواحدة تتكون من خيط لا يزيد سمكه على ٢ من الألف من السنتيمتر ، قد يصل طوله إلى كيلومتر بالتمام والكمال ، فإذا علمنا أن كل لفة من الشرنقة طولها حوالى أربعة سنتيمترات ، تبين لنا مقدار المجهود الذى يبذله العامل فى فك شرنقة واحدة ، وإذا علمنا أنه لكى يجمع كيلو جرام واحد من الخيوط يجب عليه أن يحل خيوط عشرة آلاف شرنقة على الأقل ، أى عشرة آلاف كيلومترا من الحرير لوقفنا احتراماً لهذا العامل المجد . أما إذا

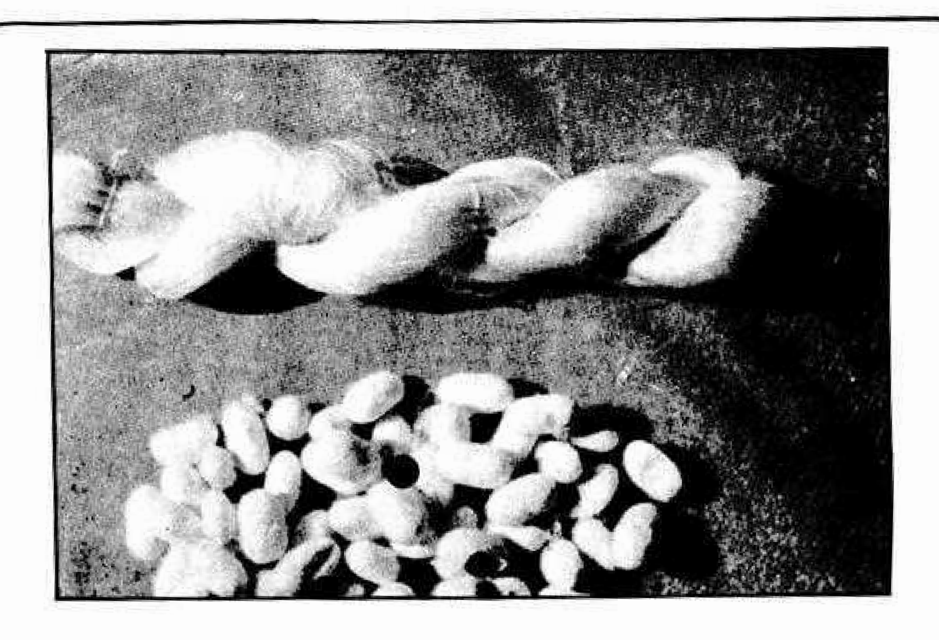


علمنا أن على دودة الحرير أن تطوح رأسها أكثر من ٢٥ ألف مرة حتى تستطيع صنع شرنقتها بسرعة خمسة عشر سنتيمتر من خيط الحرير فى الدقيقة فلابد أننا سنقف خاشعين إمام قدرة الله وبديع صنعه .

حرير حسب الطلب :

دائماً يعشق الإنسان الابتكار والتجديد ، وهاهو قد عكف على تطوير طريقة إنتاج وصنع الحرير ، وسهر العلماء آلاف الليالى حتى استطاعوا أن يطوروا سلالة من دودة القز تعطى خيوطاً من الحرير شديدة اللمعان ، وثانية تنتج ألواناً لا تعكس الضوء ، وثالثة تعطى حريراً مختلفة ألوانه ، ولأن العلماء يعرفون أن إنتاج الحرير لا يتم إلا فى موسم الربيع عندما يتوفر ورق التوت ويتوقف باقى العام ، فقد غابوا فى معاملهم فترة ليخرجوا علينا بحبوب مصنوعة من فول الصويا وأوراق التوت وإضافات مهمة أخرى يستطيع الناس أن يربوا عليها دودة القز طوال العام .

والآن هل يستحق سر الحرير كل هذا العناء من امبراطور الصين الذى خصص آلاف الحراس من أجل متابعة الغرباء وملاحظتهم ، وهل تستحق دودة القز أن تضحى المملكة بخيرة شبابها فى سبيل الحصول على جرام من بيضها ؟ بل هل يستحق

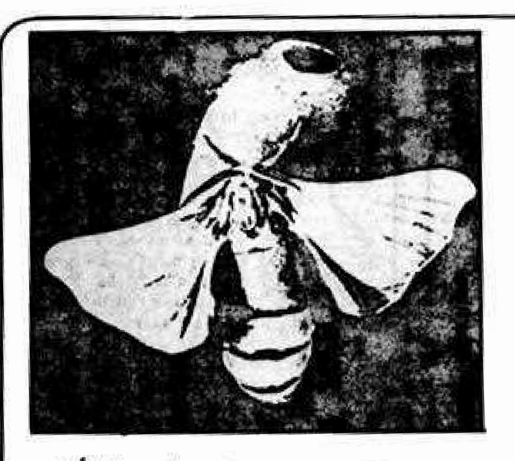


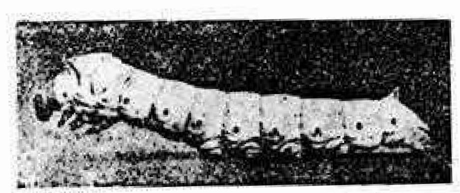
الحرير أن يجتاز التجار العرب من أجله البرارى والبحار فى رحلات محفوفة بالمخاطر والأهوال وأن تنطلق سفنهم الشراعية من موانى البصرة وسيراف وعمان فتجتاز الخليج العربى ، فالمحيط الهندى وتدور حول الهند حتى تصل إلى مدينة « خانقوا » بالصين لكى تعود من نفس الطريق محملة ببالات الحرير الثمين ..؟ وهل كان محمد على يعرف أن العائد الاستثمارى من تربية دودة الحرير تصل نسبته ١ : ٩ أى أن كل جنيه يصرفه المربى فى تربية هذه الدودة يدر عائداً صافياً قدره تسعة جنيهات فى فترة زمنية لا تتجاوز الشهرين ، حتى يدخل تربيتها لأول مرة فى مصر ..؟

ليس عجيباً أن يحرس الصينيون طريقة صناعة الحرير باستماتة فقد كانت تجارته مصدر ثروة هائلة للامبراطور والأمراء وكبار رجال الدولة . أما مربو دودة القز أنفسهم فقد كانوا يعيشون فى فقر مدقع على الرغم من المجهود الخرافى الذى يبذلونه فى تربية تلك الدودة المرفهة ، وليس غريباً أن تحاول الدول الحصول على سر صناعة الحرير بشتى الطرق ، فقد أصبحت تجارة الحرير مصدراً رئيسياً من مصادر الدخل القومى فى عدة دول مثل : ايطاليا وفرنسا واليابان . ولو أضفنا الحاجة الشديدة للحرير الطبيعى فى صناعة الطائرات والهندسة الكهربائية وفى الطب وصناعة الملابس الصحية الناعمة الرائعة الجمال والصناعات الأخرى لعرفنا لماذا ينتج العالم أكثر من ٦٠ مليون طن من الحرير سنوياً .

## الحرير فى القرآن

نعم من حق الجميع أن يغرموا بذلك النسيج الرائع الناعم الذى وعد الله به المؤمنين وجعله





لباس أهل الجنة . كما يقول عز وجل :

﴿ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾

[ الحج : ٢٣ ]

ويقول تبارك وتعالى :

أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ

(٣١) ( سورة الكهف )

ففيها يلبسون نوعين من اللباس : السندس منه وهو رفيع الحرير كالقمصان ونحوها مما يلى أبدانهم ، والاستبرق منه ما فيه بريق ولمعان وهو مما يلى الظاهر كما هو معهود فى اللباس ، وأحسن الألوان الأخضر ، وألين اللباس الحرير ، فجمع الله للمؤمنين بين حسن منظر اللباس وتمتع العين به ، وبين نعومته وارتياح الجسم ليه . وقبل أن ننهى هذا المقال يجب علينا أن نذكر الحديث الشريف الذى يبين لنا أن حرير الحياة الدنيا لا يقارن بأى حال من الأحوال بحرير الآخرة ، ففى الصحيحين عن أنس بن مالك قال : « أهدى أكيدر دومة إلى النبى ﷺ جبة من سندس ، فتعجب الناس من حسنها ، فقال : لمناديل سعد فى الجنة أحسن من هذا » صدق رسول الله ﷺ .

المراجع العربية


١ ـ برنامج إرشادى للنهوض بتربية دودة الحرير التوتية . معهد بحوث الإرشاد الزراعى والتنمية الريفية ، نشرة فنية رقم ١١٨٨/٢٤ .

٢ ـ تفسير ابن كثير .

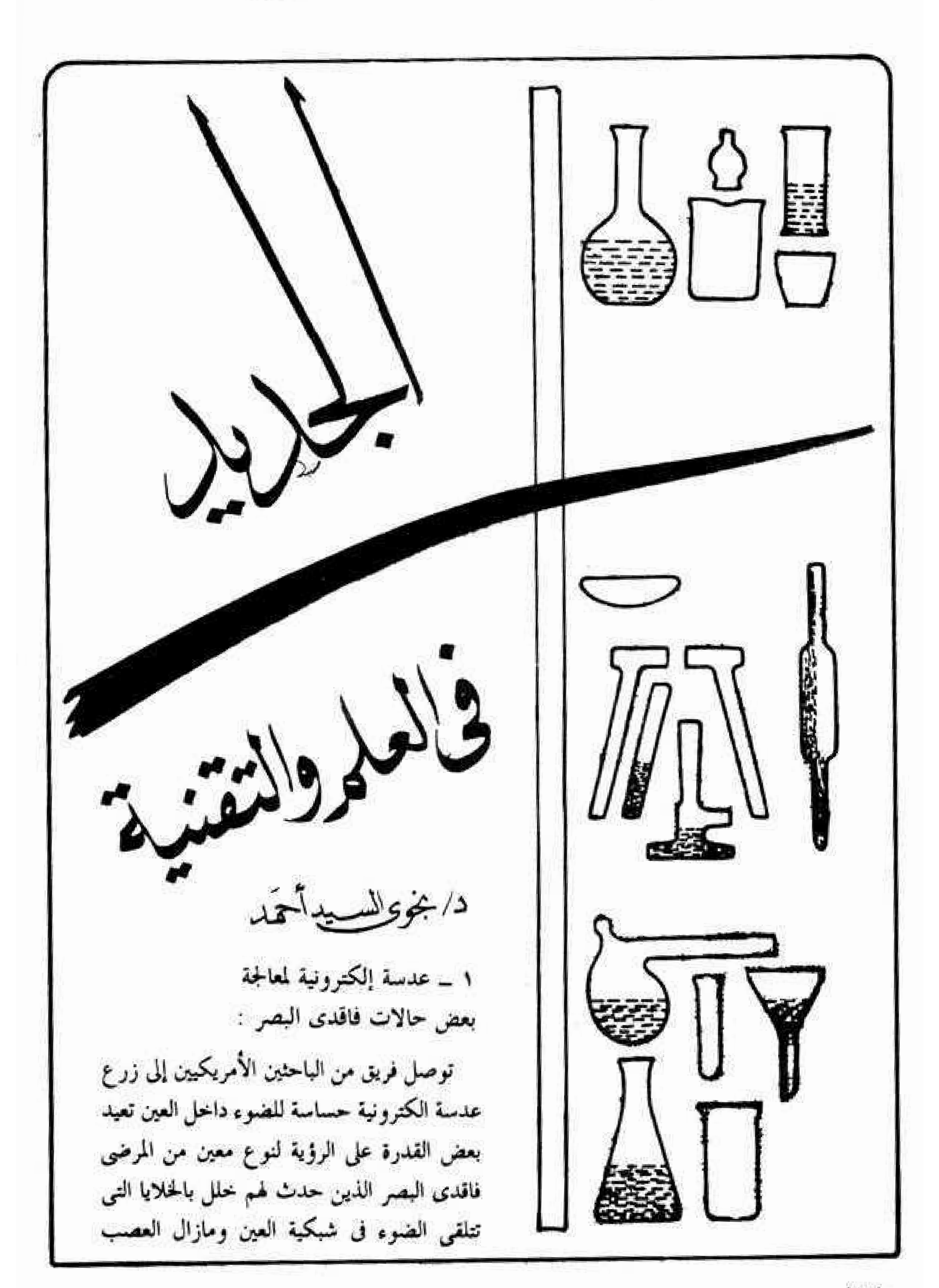
٣ ـ حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح : ابن قيم الجوزية .

٤ ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر : أبى الحسن على بن الحسين بن على المسعودى .


المراجع الأجنبية


1- Animals on apedstal Yuri Dmi Triyev.

2- Destructive & useful Inscets Metcal & Fjint.




# الجديد فى العلم والتقنية

د/ نجوى السيد أحمد

### ١ ـ عدسة إلكترونية لمعالجة بعض حالات فاقدى البصر :

توصل فريق من الباحثين الأمريكيين إلى زرع عدسة الكترونية حساسة للضوء داخل العين تعيد بعض القدرة على الرؤية لنوع معين من المرضى فاقدى البصر الذين حدث لهم خلل بالخلايا التى تتلقى الضوء فى شبكية العين ومازال العصب

خلف الخلايا الضوئية سليماً . وتتلقى العدسة الالكترونية الضوء وتنقله إلى نبضات كهربائية تؤثر فى أعصاب الخلايا الضوئية فى شبكية العين وبذلك يعود للكفيف نوع من القدرة على الرؤية ولكنها لا تقارن برؤية العين الطبيعية حيث تحتوى صورة العين الطبيعية على عشرة أضعاف المعلومات التى تحتويها العدسة الالكترونية الجديدة .

٢ ـ الليزر لعلاج سرطان الثدى :

يقوم مجموعة من الأطباء بإحدى الجامعات الأمريكية بإجراء التجارب على أسلوب جديد لتدمير سرطان الثدى بدون جراحة بواسطة أشعة الليزر والتصوير بالرنين المغناطيسى . ويعتمد هذا الأسلوب على وضع إبرة فى الورم خلال بشرة الجلد باستخدام مخدر موضعى ثم وضع ألياف الليزر خلال الإبرة وتركها فى الورم ، ويتم تنشيط الألياف باستخدام شعاع الليزر بطاقة صغيرة تقضى على الورم فى مكانه داخل الثدى . ومن أجل الدقة والأمان عند العلاج بهذا الأسلوب يقوم الأطباء بالتصوير بالرنين المغناطيسى حيث تستخدم مجالات مغناطيسية وموجات مرئية تمكنهم من رؤية كيفية انتشار الورم حتى لا يترك أى نسيج سرطانى حى .

٣ ـ عزل « الجين » المسبب لمرض الربو :

نجح الأطباء البريطانيون فى عزل « الجينة » المسببة لاختناق التنفس والإصابة بأزمات الربو واكتشاف الوسيلة التى قد تسهم فى القضاء على المرض خلال الأعوام القادمة . ويعتبر هذا الاكتشاف الجديد نقطة تحول جذرية فى أساليب العلاج فى العصر الحديث ويفتح أبواب الأمل أمام المصابين بأزمات الربو للتخلص من معاناتهم .

٤ ـ كمبيوتر متعدد اللغات :

أنتجت إحدى الشركات الصينية كمبيوتر ينطق ثلاث لغات : هى الإنجليزية والفرنسية والصينية ويتولى تعليم النطق الصحيح للكلمة بالإضافة إلى العبارات التى يحتاج الشخص إلى استخدامها فى الحياة اليومية ، كما يمكن استخدامه كحاسب لاجراء العمليات الحسابية المطلوبة .

٥ ـ أضخم تلسكوب لتصوير الأجرام السماوية :

فى الولايات المتحدة الأمريكية تم تركيب أضخم راديو تلسكوب فى العالم يتكون من عشر هوائيات ممتدة على أكثر من ٨٠٠٠ كيلو متر ، ويستطيع التقاط صور دقيقة جدا لأجرام سماوية تنبعث منها موجات اشعاعية على بعد مليارات من السنوات الضوئية عن الأرض وقدرته تفوق ألف مرة دقة أى تلسكوب آخر من نفس النوع .

٦ ـ أحدث جهاز لعلاج مرضى السكر :

توصل العلماء فى الولايات المتحدة الأمريكية إلى ابتكار جهاز جديد لإنتاج الأنسولين سوف يحدث ثورة فى علاج مرضى السكر . ويقوم هذا الجهاز بالتعرف على كمية الأنسولين التى يحتاجها الجسم لمعالجة السكر فى الدم ، ثم يتولى ضخها

عبر الأوعية الدموية . والجهاز عبارة عن اسطوانة من البلاستيك لا يزيد قطرها على قطر الدبوس الصغير وطولها حوالى ٢,٥ سم وتحتوى على خلايا بنكرياس حية وهى تزرع تحت الجلد ولا يستطيع جهاز المناعة فى الجسم التعرف عليها ورفضها حيث إن الغلاف البلاستيكى يقوم بحماية خلايا البنكرياس الحية بداخله .

### ٧ ـ جهاز لقياس أكسجين المخ :

ابتكر أحد العلماء الأمريكيين جهازاً لقياس نسبة أكسجين المخ أطلق عليه اسم « أوكسيميتر » المخ . والجهاز عبارة عن لصقة بصرية توضع على جبين المريض حيث تنطلق منها أشعة تحت حمراء إلى الجمجمة فتخترقها لتصل إلى المخ وتقوم بتحليل المعلومات الواردة لها من المخ وتحديد نسبة الأكسجين به وتظهر النتيجة على شاشة الجهاز .

### ٨ ـ جهاز الكترونى للتحكم فى تشغيل أجهزة التكييف :

أنتجت إحدى الشركات الأوربية للصناعات الالكترونية جهازاً جديداً عبارة عن ترموستات أتوماتيكى للتحكم فى تشغيل أجهزة التكييف حيث يقوم برفع أو خفض درجة حرارة الغرفة عند الدخول أو الخروج منها مما يساعد على ترشيد استهلاك الكهرباء بنسبة ٢٠ ٪ . ويعمل الجهاز من خلال أجهزة استشعار خاصة وبرمجتها بالنسبة لكل غرفة طبقا لعدة عوامل مثل درجة الحرارة والضوء والحركة .

### ٩ ـ أسماك تكوّن دوائر الكترونية :

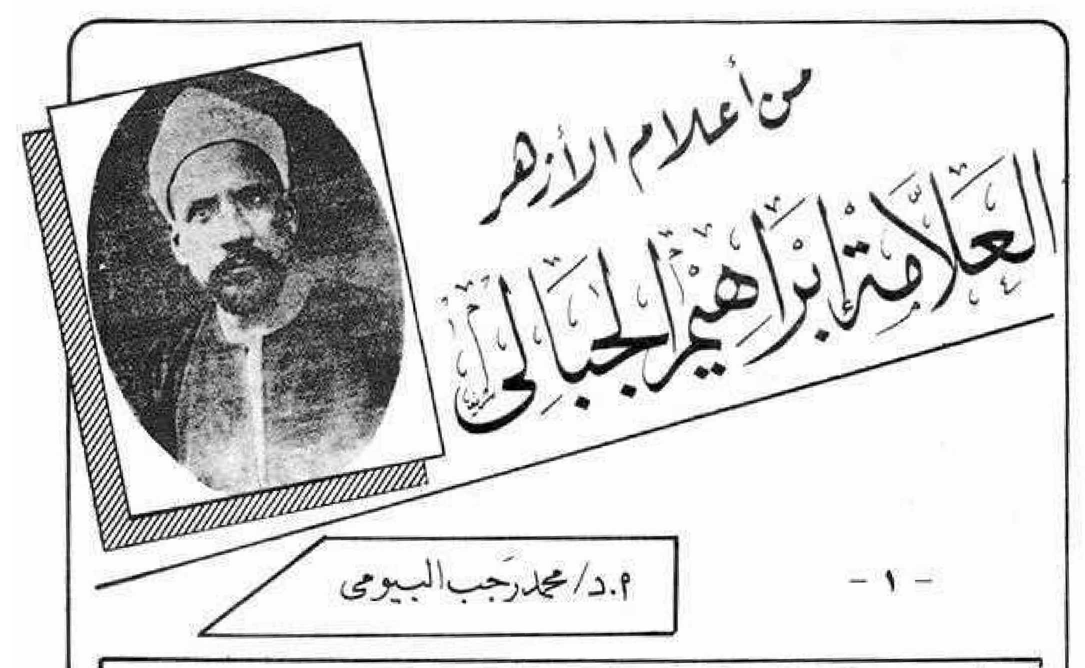
يوجد بعض أنواع من الأسماك يطلق عليها الأسماك الكهربائية تستطيع أن تشكف الأشياء والحيوانات الأخرى كهربائيا ، كما إنها تستطيع الاتصال مع بعضها البعض عن طريق مجالات كهربائية معدلة . وعمل الأعضاء الحسية الكهربائية لهذه الأسماك ، وتوليدها جهوداً ونبضات تيارات كهربائية عالية لدرجة مذهلة ، يشبه عمل الدوائر الالكترونية .

### ١٠ ـ إنتاج نوع جديد من الخشب ضد الحريق :

أنتجت إحدى شركات الأخشاب اليابانية نوعاً جديداً من الخشب يقاوم الحريق ويتكون من : مزيج من مادة بلاستيكية لاحمة ونفايات نشر الخشب ، ويتميز بمقاومته للحرارة وله مظهر الخشب الطبيعى ورخيص الثمن ويستخدم فى تغليف واجهات الجدران الداخلية للمنازل .

### ١١ ـ نباتات الزينة لتنقية جو المنزل :

أثبتت الدراسة التى قام بها علماء وكالة الفضاء الأمريكية على بعض أنواع من نباتات الزينة المنزلية أنها تساهم بدرجة كبيرة فى مقاومة التلوث فى داخل المنزل وتنقية جوه . ومن نباتات الزينة التى أجريت عليها الدراسة النباتات المتسلقة والفيكس وزهور الكاميليا البيضاء .




# من أعلام الأزهر
# العلامة إبراهيم الجبالى

أ. د/ محمد رجب البيومى

- ١ -

**أقول إنه العلّامة ، وما فى ذلك مبالغة ؛ لأنه درس العلوم الشرعية واللسانية دراسة المتخصص الفاحص ، بحيث صار المرجع فيها على اختلاف موادها ، وبحيث يسأله السائل عن إحدى مسائل علم الأُصول أو علم الكلام على دقتها البالغة فيجيب لتوِّهِ إجابة من يظن أنه سُئل عن هذه المسألة من قبل واستوعبها بحثا ودراسة لكثرة ما حصَّل من دقائق العلوم ، والعهد فيمن يتعمقون دراسات الجزئيات العويصة فى هذه العلوم الجافة أنهم يقرّرون ما يعرفونه فى أسلوب جاف خشن ، ولكن الأستاذ الجبالى رزق موهبة البيان المستنير ، إذ ورث عن أستاذه الإمام محمد عبده هذا الشغف البالغ بنصاعة الأسلوب ، ووضوح البيان ، فكان ذلك إحدى ميزاته فيما يكتب ويحاضر ، وصُحفُه الباقية فى تفسير آيات الكتاب ، تشهد بمقدرته الأسلوبية بحيث لا يطالع القارىء غير ما يبهجه فكراً وتعبيرا ، وتلك ميزة لا تجحد .**

إن من أعجب العجب أن يكتب قارىء الى الأستاذ أحمد بهجت خطابا يرجو فيه أن يهتم أولو الأمر بإحياء ذكرى مطرب ، فيطلق اسمه على شارع كُتب عليه اسم «الشيخ ابراهيم الجبالى» لأن الشيخ : مجهول فى نظره ولا يستحسن أن يطلق اسمه على شارع ما وقد سارع الأستاذ أحمد بهجت بنشر هذا الخطاب فيما يكتبه تحت عنوان (صندوق الدنيا) فأزعج كثيرا من القراء وتوالت عليه الرسائل مستنكرة أن يكون الشيخ الجبالى مجهولا غير مشتهر وقد كان من ألمع أعضاء هيئة كبار العلماء بالأزهر ، كما كان عضوا بارزا من أعضاء مجلس الشيوخ المصرى وعميدا لكلية اللغة

العربية التى أطلقت اسمه الكريم على أحد مدرجاتها الكبيرة اعترافا بفضله وتنويها بأثره الميمون فى مجالات متشعبة لا فى مجال واحد ! ثم يجيء من يطلب محو اسمه ليثبت اسما يتضاءل صاحبه وينكمش إذا قرن به ! ولكنها عجائب الدنيا التى لا تنفد !

ولعل لهذا المتعجل المقترح عذره فيما صنع ، فقد نشأ فى عصر تنكر فيه اللاحق للسابق ، وبخاصة إذا كان السابق من أهل العلم المترفع عن الزلفى والمحاباة ! وقد ظلم الشيخ الجبالى نفسه حين لم يجمع آثاره العلمية فى كتب منشورة وقد كانت ملء السمع والبصر على مدى ثلاثين عاما فأكثر تسيل بها أنهار الصحف والمجلات فياضة متدفقة ، وكذلك كان زملاؤه الكبار من أعلام الأزهر مثل : الشيخ محمد شاكر ومحمود أبوالعيون وعلى سرور الزنكلونى وعبدالباقى سرور نعيم ومصطفى القاياتى ومحمد محمد سليمان يرسلون مقالاتهم الدينية والسياسية والاجتماعية متتابعة فى صدور الصحف اليومية فتلاق أعظم القبول من القراء ، ثم يمضى الزمن فلا تجمع فى أجزاء خاصة ، بل تعصف بها ريح النسيان ويجيء الجيل التالى جاهلا تراث أساتذته وآبائه ! ولولا أن مجموعات مجلة الأزهر فى السنوات العشر الأولى قد حفظت بعض آثار الشيخ الجبالى فى أعداد متوالية تشمل شجونا من ألوان التفسير والحديث والسيرة والفتوى والاجتماع وأصول الفقه وشئون الأسرة ! لولا هذه المجموعات الخالدة من مجلدات مجلة الأزهر ما استطاع كاتب مثلى أن يرجع إلى بعض آثار الشيخ ! إذ كيف لى بمراجعة صحف المقطم والأهرام وكوكب الشرق والبلاغ مما غاب مكانه وتعذر الاهتداء إليه بعد مرور نصف قرن أو يزيد !

نشأ الأستاذ الجبالى فى أسرة ماجدة من أسر محافظة البحيرة ، إذ كان والده من كبار الوجهاء بالمدينة ، وكان جدة عالما يشار إليه فى محيطه ، وذا نسب شريف يرتفع به مؤيدا بمكارمه وعلمه واتساع منزلة الرحب للوافدين ، وقد التحق بالأزهر ، فأظهر نبوغا واقتدارا حتى نال العالمية سنة ١٩٠٤ من الدرجة الأولى ، وكان الأستاذ الأكبر محمد مصطفى المراغى زميله فى الامتحان والتخرج فعيّنا معا بالأزهر مدرِّسيْن ولم تمض فترة حتى سافر الشيخ المراغى إلى السودان وانتقل الجبالى الى التدريس بالمعهد الاسكندرى ، وقد أنشيءَ حديثا لإعداد طالب كفء يلتزم بالنظم الحديثة فى التكوين العلمى والخلقى ، وقد أهتم ذوو الأمر به ، إذ رصدت له جوائز مالية يقوم رئيس الوزراء تارة ، ومندوب الخديوى تارة أخرى بتوزيعها على النابغين من الطلاب بحيث صار المعهد الإسكندرى إذ ذاك نموذجا يحتذى تقتضيه المعاهد الأخرى بطنطا والقاهرة ودمياط ودسوق ، وكان شيخ العلماء محمد شاكر يراقب الدروس مراقبة فاحصة ، فوفق لاختيار الشيخ الجبالى مراقبا للمعهد ، وهى الوظيفة التى تلى المشيخة حينئذ ، قبل أن ينحدر مستواها فيما بعد ، فبذل من الاهتمام البالغ بالطلاب ما جعلهم طليعة الناشئة الأزهرية حينئذ ، وكان الشيخ الجبالى يخطب الجمعة أسبوعيا فى مسجد المعهد ، فيأتى بضرب من الوعظ لم يعهد فى عصره ، إذ كان يتحدث عن العلل المعاصرة حديث الطبيب المعالج ، وحين قامت الحرب العالمية الأولى فوجيء

الشيخ بمن يأمره بالامتناع عن الخطبة الأسبوعية ؛ لأنه يذكر الإنجليز بالعدوان ويعلن أن هواه مع الأتراك ، وقد امتنع الشيخ مكرها . حتى إذا انتهت الحرب عاد إلى نشاطه ؛ ليكون مؤيدا للثورة المصرية بزعامة سعد زغلول ، وقد سبقه شيخ المعهد الاسكندرى إذ ذاك فضيلة الأستاذ عبدالمجيد اللبان إلى تعبئة عامة لأبناء الثغر بأمرائه وعظمائه ووجوهه ، كى يقفوا صفا واحدا أمام المستعمر الغاصب ، وأقيم احتفال كبير خطب فيه اللبان والجبالى والشيخ ابراهيم سليمان شاعر الأزهر فى هذه الحقبة ، وترأسه الأمير عمر طوسون ! وذلك تاريخ مشهود ولكن الذين يكتبون تاريخ الثورة المصرية يبحثون عن كل صاحب جهد !! إلّا أن يكون من طراز اللبان والجبالى وابراهيم سليمان ! فهؤلاء يجب أن يطمس عنهم كل حديث ، لأنهم حملة هداية ، وعلماء دين !! مع أن الجامع الأزهر بالقاهرة كان مهد الثورة المشتعلة ، وتلك حقيقة سجلها شوقى فى قوله

المعهد القدسىّ كان نديّة
قطبا لدائرة البلاد ومحورا
وُلدت قضيتُها على محرابه
وحَبَتْ به طِفلًا وشبّتْ معصرا ..

وفى خضم الأحداث انتقل الشيخ إلى القاهرة لرياسة التفتيش بالأزهر والمعاهد الدينية مع القيام بدروس تربوية لطلبة القسم العالى بالأزهر ، وفى هذه الدروس اهتم الشيخ بتكوين رجال الوعظ قبل أن ينشأ هذا القسم رسميا سنة ١٩٢٨ ، إذ جعل من همّة فى التدريس أن يختار آيات الآداب الخلقية ؛ لتكون مادة للارشاد ، فكان يلم إلماما موجزا بما تتطلبه الصنعة النحوية والبيانية ، ليمكف على توضيح اللباب الخالص من مقاصد الذكر الحكيم ، مقتديا فى ذلك بدروس الإمام محمد عبده فى الرواق العباسى حيث كان من طلابها النابهين ، وقد قال الأستاذ محمود الشرقاوى فى حديثه عن هذه الدروس إن نصيب الأدب منها لايقل عن نصيب العلم وإن الطلاب كانوا يسجلونها فى شوق وإعجاب ..

تنقل الأستاذ فى مناصب كثيرة منها مشيخة المعاهد الدينية فى الزقازيق وطنطا وأسيوط ، ومنها التدريس بالقسم العالى بالأزهر ، وفى مرحلة التخصص للطلاب الكبار ، ومنها التفتيش بالمدارس الثانوية بوزارة المعارف ، إذ رأى القائمون على هذه الوزارة أن ينتفعوا بآراء الشيخ فى إعداد المناهج الدينية بالأقسام المختلفة ، فعين مفتشا بالوزارة ، ليلمس أوجه القصور فى عمله الميدانى ، وقد انتهزها فرصة لإذكاء الروح الدينية واشباع الجو العام للمدرسة بالشعور الإسلامى ، إذ كان يحرص على الاجتماع بهيئة التدريس فى مختلف المواد ، مع الاداريين من النظار والوكلاء والمراقبين ، ثم يؤمهم للصلاة بمسجد المدرسة ظهرا أو عصراً وفق زمن الزيارة ، إذ كان اليوم الدراسى كاملًا ، والمدرسة أسرة ذات آباء وأبناء ، فإذا انتهت الصلاة ألقى موعظة هادفة ، وتعرّف إلى المجتمعين ملاطفا محيّيًا ، ثم ودع بمثل ما استُقبل به من الاحتفاء ، وحين عين عضواً بمجلس الشيوخ زامل صديقه الشيخ حسين والى فى الدعوة إلى إرساء القواعد الإسلامية ووجوب حفظ القرآن الكريم أو نصفه على الأقل بالمدارس الثانوية ومافى مستواها ، وبمدارس المعلمين

والمعلمات بنوع خاص ولازالت مضابط المجلس تشهد بما أبدياه من وجوه الإصلاح التعليمى ، وإذا لم يستجب المجلس لبعض ما ارتأياه ، فقد قاما بالتنبيه والايقاظ ولهما جزاؤهما المشكور عند الله .

وقد ذكر الأستاذ الدكتور أحمد إبراهيم الشعراوى أن الأستاذ الجبالى فى أثناء مشيخته للمعهد الثانوى بطنطا كان يطوف على المدرسين بالحجر التعليمية فى شتى المواد من فقه وحديث ونحو وصرف وبلاغة وتوحيد ، وقد لاحظ قصورا واضحا فى دروس النصوص الأدبية من شعر ونثر لدىّ بعض المدرسين ، ففكّر فى معالجة هذا القصور بطريقة لاتغضب الضعيف وتبهج القوى ورأى أن يقوم بعد صلاة العصر من يوم الاثنين أسبوعيا بشرح كتاب الأمالى لأبى على القالى فى ندوة يحضرها أساتذة المعهد ، وكتاب الأمالى يعتمد فى أكثره على الغريب ، لأن أبا على رجل لغة أولًا ، فكان الشيخ يختار نصا شعريا من الأمالى ليقرأه ثم يشرحه موجها إلى مايلزمه من دقائق البيان ونكت النحو فإذا فرغ من هذا التبسيط أخذ يقرأ ماسطره أبو على قراءة المتخصص الهاضم ، وقد ساعد هذا على تكوين جوّ أدبى يعترف بدروس النصوص لتأخذ مكانها جوار مسائل العلوم المختلفة دون إجحاف !

وقد سعدت بلقائه فى كلية اللغة العربية حين كان شيخا لها ، وكنت بين طلابها الكثيرين ، فكنا نراه لايمّل من زيارتنا فى الحجرات المختلفة ليستمع مايقال فى كل مادة تفاجئه ، وكان وجهه يشرق بالنور حين يستمع إلى أستاذ مجيد على حين يتقبض ويغتم حين يجد الدرس دون المستوى المنشود ، ولى معه طرفة ذكرتها فى حديثى عنه بمجلتى المنهل والهلال ، وموجزها أن الشيخ الكبير كان لا يسمح للطالب بالتخلف عن الدراسة إلّا بعذر يقدم إليه شخصيا ، ويراه أهلا للقبول ومن عادته أن يسأل الطالب المتقدم إليه سؤالا علميا بمحضر من الأساتذة الذين يوجدون فى مكتبه ، وقلما يخلو من زائر ، فإذا أجاب الطالب سارع بقبول اعتذاره ، وقد تقدمت إليه ذات صباح راجيا السماح بيوم واحد كى أقابل والدى عند حضوره بباب الحديد ، فأمرنى بالجلوس ، وقال لى : أريد أن تفكر فى إعراب قول الشاعر .

**وكلُّ رفيقى كل رَحل وإن هما**
**تعاطَى القنا قَوْما هُماَ أخـوان**

وكنت على ذكر من البيت وما قيل فيه ، فقلت له : سأجيب ياسيدى عن الإعراب ، ولكن عليك أن تتفضل بالإجابة عن قائله ومناسبته ، ومن أخطأ فى إعرابه من كبار النحاة ! فائتلق وجه الشيخ بالنور ، وقال : أتعرف أن أحد النحوين الكبار قد أخطأ فى إعرابه ؟ قلت : هو ابن هشام فى المغنى ، فضحك وقال : إذن سهل عليك الجواب . ولكنك تسألنى عن القائل والمناسبة ، وأنا لاأدرى من أمرهما شيئا ! لقد جئت بآبدةٍ ! لقد جئت بآبدة ، انطلق يابنى لتقابل أباك مشكورا ، فأنا احتجز المتعلمين لا العلماء !

ولقد لاحظت أن الشيخ الجبالى يبدأ مقالاته كثيرا بآية من كتاب الله تكون مجالا لتشعب الحديث ، سواء كانت المقالة دينية أو اجتماعية أو تربوية ، وهو اتجاه يدل على سيطرة الذكر الحكيم على منافذ شعوره ، ومواضع تفكيره ، وهو لا يتكلف فى الربط والتمهيد ، بل يجىء الأسلوب

سلسا مطردا ، كما يترقرق الماء فى الغدير العذب ، وقد ذكرنى ذلك بموقف ذائع له تناولته بعض الصحف بالنقد على حين تناوله المنصفون بالتأييد ! فقد اختير الأستاذ الجبالى لتمثيل الأزهر فى حفلة تأبينية كبرى ببغداد أقيمت فى ذكرى الأربعين للملك غازى سنة ١٩٣٩ ، وقد جمعت أعلام الأمة العربية من وزراء وساسيين وعلماء وشعراء حيث يمثل كل قائل جهة رسمية أوفدته ليتحدث بلسانها ، وقد وقع اختيار الأزهر عليه ، فافتتح الشيخ الكبير كلمته بقول الله ـ عز وجل ـ :

﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ العنكبوت

وشرع يتحدث عن أطوار الحياة الأربعة فى الرحم والدنيا والقبر والبعث ، لينتهى الى أن عمل الانسان فى الطور الثانى هو مجال تقييمه فى الطورين الثالث والرابع ، وأن على كل سياسى يتقلد زمام الأمر فى موطنه أن يتذكر هذين الطورين بحيث لا يغفل عنهما طرفة عين ، وأنه يرجو أن يكون الراحل الكريم ممن عرفوا ماوراء الحياة الدنيا من ثواب وجزاء ، وأفاض فى هذا المنحى إفاضة مشبعة ، ثم ختم كلمته داعيا للفقيد بحسن المثوبة والجزاء .

وقد قال الأستاذ على الطنطاوى فى تعليقه على الكلمة : إنها أشبه ببحث علمى ، لا برثاء تأبينى ، فأجاب الأستاذ بأن سابقيه من المتكلمين قد كرروا أنفسهم بحيث أصبح مدعاة للسأم ، فرأى أن ينتهز الفرصة ليلقى عظة نافعة ، وقد اضطر إلى ذلك مفاجأة حين استمع إلى من سبقه فرأى أنه تكلم بمثل ما يود أن يقول ، وكان على اللجنة القائمة على الاحتفال أن تحدد نقطة معينة لكل قائل بحيث يختص شريحة من حياة الفقيد بالتحليل لا تتفق مع شريحة قائل آخر ! ومن هنا اتجه الشيخ بالحديث وجهة عامة تأتى بالجديد .

هذا وقد يؤخذ على الشيخ الاستطراد الطويل فى بعض مايعالج من مباحث التفسير ، إذ أن قارىء ماكتبه فى تفسير سورة النور يجده قد تحدث عن هموم العصر الاجتماعية حديثا متشعبا ، إذ أفاض فى مسائل الأسرة ومايتعلق بالطلاق والزواج والحجاب والاستئذان ، وحقوق الزوج مقارنة بحقوق الزوجة إفاضة تصلح أن تكون موضع بحث مستقل ! وكأن الأستاذ الجبالى قد اقتدى بالسيد محمد رشيد رضا صاحب المنار فى هذا الصدد حيث جعل من تفسيره موسوعة اجتماعية تعالج أدواء المجتمع بما يتجه إليه المصلح الغيور من أنصار الذكر الحكيم ، وقد أحسن صاحب المنار باستطراده المسهب ، فجعل يقول فى هوامش التفسير حين يتعرض لمثل هذه السبحات : « يستحسن أن تقرأ هذه الفصول منفردة عن التفسير العام » والحق أن الأوباء الاجتماعية التى تزاحمت فى عهد صاحب المنار وفى عهد الأستاذ الجبالى كانت تحتم على شارح كتاب الله أن يتخذ من تفسيره تكأة لمعالجة هذه الأوصاب ، وأنا شخصيا أهش لهذه الاستطرادات وأقرؤها فى شوق ؛ لأن الفائدة العلمية محققة منها دون نزاع ، ولكن غيرى قد يعدّها تضخما لا مبرر له ، إذ يرى من منهجية التفسير أن يلتزم صاحبه بالنص القرآنى يعيش فى جوه الطّلق دون أن يتعداه إلى غيره من الأجواء ، مهما مسّت الرغبة فى الدعوة إلى الصّلاح والإصلاح .




# كيف ينهض المسلمون ؟!

## لفضيلة الشيخ عبد الحميد محمود المسلوت (*)

من كبا نهض ومن نهض سار ومن سار وصل ولكن كيف ؟ هنا يثور التساؤل . كيف ينهض المسلمون حتى يسيروا فيصلوا ؟

بقوة العقيدة ، ورسوخ الإيمان ، واختيار الدعاة ، وإخلاص الداعين ، والتحلي بالشمائل التى جاءت عن الداعية الأول صلى الله عليه وسلم . والتمسك بكل ما جاء به الإسلام شريعة ومنهاجاً ، فإن أمر هذه الأمة لن يصلح إلا بما صلح به أولها .

فالإيمان القوى يصنع أمة قوية أقوى ألف مرة من القوة التى يصنعها الإنسان فيتباهى بها ويفخر .

الإيمان الذى يسرى فى النفس فيأخذ بها ويسيطر عليها ويجعلها تقف فى وجه غاشم أو ظالم أو معتد ؛ فأحرى بالمسلمين أن يعودوا إلى أصول دينهم حتى ينهضوا من كبوتهم ، فيلحقوا بالركب ويأخذوا بسنن التطور قال الأستاذ :

إعداد وتقديم د. عبد الفتاح حسين الزيات

### كيف ينهض المسلمون !

بم يسترد المسلمون ما سلف من مجدهم الغابر ، ومضى من عزهم التليد ؟ وكيف يسترجعون تلك المكانة السامية التى افتقدوها فى ذروة التاريخ ؟ بم يعودون كما كانوا قادة الدنيا وهداة العالم ، يحملون فى أيمانهم مشاعل العلم والحق والعدل ، لا يضعفون ولا يتخلفون ؟ وكيف تعود هذه الرقعة الإسلامية زاخرة بالقوة المستنيرة المبصرة ، حافلة بالعزائم الفتية ، والهمم القوية التى تتحدى الخطوب ، وتزرى بالمحن ؟

تلك أسئلة تطوف بالفكر ، وتتردد على

(*) المدرس فى كلية اللغة العربية

الذهن ، حين يستسلم المرء لتصوراته وتأملاته ، وتسرح خواطره خلال الأحقاب التاريخية ، تستعرض أمجاد المسلمين ، وتقرأ صحائفهم الناضرة اللامعة ، وهى أمنيات مثيرة ملحة تداعب المرء حين يستبد به التفكير ، ويملكه الأسى ، ويتأمل فيما غشى الأمة من أحداث ، ومر بها من خطوب . على أن العوارض التى تعرض للأمم ، والآفات التى تلحقها ، فتؤخر وثباتها ، وتشل نهضاتها ، وتقلب أوضاعها ، وتنكس تاريخها ، كالعلل التى تعترى الأفراد فتنال من أجسامهم ، وتسلب من قواهم ، وتضعف من عزائمهم ، ثم لا تلبث أن تتلاشى أعراضها ، وتزول آثارها حين يحرص المرء على أن يأخذ بوسائل الطب وأسباب العلاج . كذلك الأمم والشعوب إذا حاول المصلحون أن يصلحوا أوضاعها ، ويعالجوا عيوبها وأمراضها ، ويهيئوا لها أسباب الحياة الكريمة ، ولازمهم الإخلاص فيما التمسوا من طب ، واتجهوا إليه من علاج . فلابد أن تزول أسباب الضعف ، وتنمحى آثار العلل والآفات .

... قد تختلف الأنظار وتتباين الوجهات فيما يلتمس من دواء ، أو يرسم من سبل ، ولكن لابد من الوصول إلى الغاية المنشودة ، والهدف المأمول ، ما دام الناس يأخذون أنفسهم بما اتجهوا إليه من وجهة ، أو ارتبطوا به من سلوك ، وليس هناك أخطر على الأمة وأدعى إلى شيوع الداء واستشراء العلة من أن نبسط الآراء ، ونقترح الوسائل ، ثم لا نأخذ أنفسنا بوضع ، ولا نحملها على سلوك ، وقد حذرنا رب العالمين جل شأنه من هذه الخلائق التى لا تحمل فى طياتها إلا الضعف والانحلال .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣ ﴾

سورة الصف

فإذا أردنا أن نعود إلى القوة الإسلامية الهادية البائنة العادلة ، وإذا أردنا أن نعود إلى سيادتنا الرحيمة القويمة ، فما علينا إلا أن نتحلى بالشمائل التى خلقت هذه القوة ، وأنشأت تلك السيادة ؛ فإن أمر هذه الأمة لا يصلح إلا بما صلح به أولها ، ما علينا إلا أن نتجمل بأخلاق أسلافنا ، ونتذرع بالأسباب والوسائل التى سلكوها إلى أهدافهم وغاياتهم ، والوسائل التى مكنت لهذا الدين ، وهيأت لتلك الأمة ملكها الواسع ومجدها العريض ، هى الوسائل الطبيعية التى شرعها الله لقيام الجماعات ، ونهوض الدعوات ، ونجاح الرسالات ، هى الوسائل التى لا تضل بها الآراء ، ولا تفشل فيها القوى والجهود .

ونحن نعلم من تاريخ ديننا أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه نهض بدعوته ، وقام برسالته بين جماعة استبديهم ظلام العقل ، وتمكنت منهم قسوة القلب ، ولفهم الجهل بأغشية سميكة ، ولم يكن مع الرسول سلاح يحاوب به ، ولا ذخيرة تحمل الناس على الخضوع له ، والإذعان لرسالته ، إلا قوة العقيدة والفناء فى الدعوة . كان يحمل بين جنبيه أنفذ سلاح وأمضى عدة . كان يحمل الإيمان الراسخ الذى لا يهن ، والعزم المصمم الذى لا يتردد ، والسيرة الناصعة التى لم تدنس بريبة ، والسلوك القويم الذى يحمل الناس فى قوة وروعة على الانقياد والتسليم ، ثم لم تلبث بشاشة الإيمان أن خالطت قلوبا شرحها الله للهداية ، ومازجت صدور أضاءها الحق ، وزينتها الطاعة الصادقة ؛

فجاهدت فى الله حق جهادة ، حتى صارت كلمة الله هى العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى ، وما هى إلا فترة وجيزة ولمحة عابرة من حساب الدنيا حتى تلفت التاريخ فى دهشة حائرة يطل على امبراطورية ممتدة الأطراف ، متسعة الرقعة ، زاخرة بالقوة الهادرة والنضج الإنسانى ، أقام دعائمها وأسس بناءها أولئك الذين لم يشهروا بمدنية ، ولم يعرفوا بحضارة ، ولم تقم لهم قبل ذلك دولة منظمة ، ولا سلطان مخيف .

ما الذى جعل هذا الملك يمتد فى فترة أدهشت العقلاء والمفكرين إلى الهند والصين شرقا ، وإلى بلاد الأندلس غربا ، وإلى سيبيريـــا شمالا ، والسودان جنوبا ، ما الذى جمع هذه الأشلاء المبعثرة ، وضم تلك القوى المتناثرة ؟ ما الذى ألف هذه القلوب المتنافرة ، وجمع تلك النفوس المتباغضة المتحاسدة ؟

ما الذى قهر الأعداء وأرغم الخصوم ، وأذل القوى الجبارة التى تتحكم فى العالم وتتنازع سيادته لهذه القوى الفتية النابضة الناهضة ؟

إنه الإيمان وحده ، الإيمان الذى يخالط القلب ، ويمتزج باللحم والدم ، ويسرى فى جميع أنحاء النفس ، فلا يترك فيها مجالا لحد مدمر ، ولا موضعا لغل مهلك ، وطمع دنىء خبيث ، ولا أثرا لشهوة فانية وأثر زائل .

إنه الإيمان الذى تسترخص فى ظلاله المهج والأرواح ، ويضحى من أجلـه بالأمـــوال والأولاد . وبمقدار مايقوى الإيمان فى الصدور ، وتتمكن العقيدة من النفوس ، تعظـم قوة المسلمين ، وتشمخ عزتهم ، ويمتد سلطانهم ، ويرهب الأعداء جانبهم ، فإذا فتر الإيمان ، الإيمان بالله ، الإيمان بقوة الأمة ورسالتها ووضعها فى الحياة ، وتحللت العقيدة التى توحى باقتحام الأهوال ومغالبة الأحداث والانتصار على قوى الأعداء .

إذا استسلم الناس لما يساورهم من الوساوس الخاطئة والأوهام الضالة ، والشك فى رسالتهم فى الحياة ، فلابد أن يتحلل سلطانهم ويتضاءل نفوذهم ، وتسقط هيبتهم من نفوس أعدائهم ، ولقد صدق الرسول الأكرم حين صور هذه الحالة أصدق تصوير بقوله : « يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصاعها . فقال قائل : أمن قلة نحن يا رسول الله ؟ قال : لا بل أنتم يومئذ كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله المهابة من صدور عدوكم ، وليقذفن فى قلوبكم الوهن . قالوا : وما الوهن ؟ قال : حب الدنيا وكراهية الموت » .

إن أعتى عدو للمسلمين ، وأشد خصومهم جبروتا وطغيانا لن يتمكن منهم ولن يستطيع أن يفرق جمعهم ويشتت صفوفهم ووحدتهم ، ويستذلهم أقبح الذلة ، إلا إذا تمكن أولا من قلوبهم ، فملأها بحب الدنيا وشهواتها الآثمة ، ونزواتها الظالمة ، وجعلها تحرص أشد الحرص على السلامة والعافية ، فلا تكلم فى جسم ، ولا تؤذى فى نفس ، ولا توتر فى مال . ومتى دب الحرص والوجل فى الأمم فقد تمكنت منها الاستكانة والرضى بما ينزل من هوان .

ماذا نقول الآن حين ننظر والأسى يملأ نفوسنا إلى هذه الرقعة الإسلامية التى كانت تزخر

بالقوة ، وتنبض بالمجد ، وتتوثب بالسلطان ، فنرى أن أيدى الأعداء قد عبثت بجموعها ، وأطماع المستعمرين قد مزقتها شر ممزق ؟

## كيف ينهض المسلمون

ماذا نقول حين نجد الهداة قد أصابهم العمى ، وشر العمى عمى القلوب ، ونجد العلماء قد ران على قلوبهم الجهل ، فتخلفوا عن الركب وأصبحوا يلتمسون من يحدد لهم الوجهة ويوضح أمامهم الغاية ؟

ماذا نقول حين نرى هذه القوى تكدح وتستخرج كنوز الأرض وطيبات الرزق ؛ ليستمتع بها الأعداء ، ويستأثر بها المستعمرون .؟

لا نقول إلا أن الإيمان قد خبا فى القلوب نوره ، وضعف على الأفئدة تأثيره ، فاستسلم المسلمون لسلطان المخلوق بعد أن هربوا من سلطان الخالق ، وعكفوا على عبادة الظالم بعد أن فروا من عبادة الواحد القهار . ومن تمرد على الله وكله الله إلى الناس .

هذه بلادكم أيها المسلمون قد غدت نهبا للطامعين ؛ ولقمة سائغة للمستعمرين . ما من دولة فيها إلا حاولوا أن يسيطروا على منافذها ومواردها ، وأن يمسخوا فى النفوس إيمانها وعقائدها ، وقد طال إلفنا لما ران علينا من ذل ، وتحكم فينا من ضعف ، مع أن الله تعالى يدعونا دائما إلى مواصلة الجهاد ، ويحثنا على مناهضة الأعداء بقوله : « ولا تهنوا فى ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله مالا يرجون وكان الله عليما حكيما » .

يجب أن يعود المسلمون إلى ربهم ، وإلى الإيمان الذى غاب عن قلوبهم ، وأن يشعر كل مسلم بأنه رقيب على نفسه ، يحاسبها إذا أخطأت ، ويقومها إذا عوجت ، ويهديها إذا ضلت .

وبهذا يتيسر لنا أن ننهض ، ويتهيأ لنا أن نقوى وأن نأخذ وضعنا ونؤدى رسالتنا فى الحياة .



البحث النحوى

عند الإمام النووى

د. محمد عبد القادر هنادى

## الفصل الأخير

ج ـ كلام العرب :

من الأصول النحوية التى اعتمد عليها النووى فى إثبات القاعدة النحوية أو نفيها ؛ ما ورد عن العرب فى شعرهم أو نثرهم ، وقد ذكرت نماذج من ذلك لدى حديثى عن احتجاجة النحوى بالحديث النبوى فى المبحث الثانى ، وأضيف هنا الأمثلة التالية :

ذهب ـ رحمه الله ـ إلى أن ( ثم ) تأتى للترتيب فى الذكر ، وبعد أن احتج على ذلك بآيات من القرآن الكريم قال : « ونظائر ذلك كثيرة ، وأنشدوا فيه » :

قل لمن ساد ثم ساد أبـــوه
ثم قد ساد قبـــل ذلك جده[1]

تحدث عن كلمة ( يمانيه ) التى ورد ذكرها فى حديث الرسول ﷺ « الحكمة يمانية » فقال : « قوله ﷺ ( يمانية ) هو بتخفيف الياء عند جماهير أهل العربية ، لأن الألف المزيدة فيه عوض من ياء النسب المشددة فلا يجمع بينهما ، وقال « ابن السيد » فى كتابه ( الاقتضاب ) حكى المبرد وغيره : أن التشديد لغة ، قال الشيخ : وهذا غريب ، قلت : وقد حكى الجوهرى وصاحب المطالع وغيرهما من العلماء عن سيبويه أنه : حكى عن بعض العرب أنهم يقولون ( اليمانى ) بالياء المشددة ، وأنشد لأمية بن خلف :

(1) صحيح مسلم بشرح النووى ٢ / ٧٨ .

يمانيـــا يظـــل يشب كيرا
وينفـــخ دائمـــا لهب الشواء[٢]

احتج على جواز بناء ( من وراء وراء ) على الضم كما جاء فى حديث الرسول ﷺ على لسان إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ فى حديث الشفاعة الطويل : « إنما كنت خليلا من وراء وراء » ، جاء ذلك فى قوله رحمه الله : « أما ضبط ( وراء وراء ) فالمشهور فيه الفتح بلا تنوين ، ويجوز عند أهل العربية بناؤها على الضم ، قلت : ونقل الجوهرى فى صحاحه عن الأخفش أنه يقال لقيتهُ من وراء وراء مرفوع على الغاية كقولك : من قبل ومن بعد ، وأنشد الأخفش شعرا :

إذا أنا لم أومن عليك ولم يكـــن
لقـــاؤك الا من وراء وراء[٣]

° ° °

**ثانيا : توجيه الأحاديث عن طريق بعض الظواهر اللغوية :**

كان الإمام النووى يوجه أحاديث الرسول ﷺ فى بعض الأحيان عن طريق بعض الظواهر اللغوية كظاهرة العمل على المعنى ، وظاهرة التقدير والتأويل ، وظاهرة التغليب .

فمن الشواهد على العمل على المعنى ما رواه مسلم أن رسول الله ﷺ قال : « ثلاثةٌ لا يكلمهمُ الله ولا ينظرُ اليهم ولهم عذابٌ أليمٌ : المَنَّانُ الذى لا يعطى شيئاً الا مِنَّةً ، والمنفقُ سلعتهُ بالحَلْفِ الفَاجِرِ ، والمُسْبِـلُ إزارَهُ » ، قال النووى : « وقع فى معظم الأصول فى الرواية الثانية عن أبى هريرة « ثلاث لا يكلمهم الله » بحذف الهاء ، وكذا وقع فى بعض الأصول فى الرواية الثانية عن أبى ذر ، وهو صحيح على معنى ( ثلاث أنفس ) ، وجاء الضمير فى يكلمهم مذكرا على المعنى »[٤] .

ومن الحمل على المعنى ما رواه مسلم فى حديث الرسول ﷺ عن البُرَاق : « فركبتهُ حتى أتيتُ بيتَ المقدسِ فربطتهُ بالحَلْقَةِ التى يربطُ به الأنبياءُ » ، قال النووى : « وأما ( الحلقة ) فباسكان اللام على اللغة الفصيحة المشهورة ... وأما قوله ﷺ ( الحلقة التى يربط به ) هكذا هو فى الأصول ( به ) بضمير المذكر أعاده على معنى الحلقة ، وهو الشيء »[٥] .

ومن الحمل على المعنى كذلك ما رواه مسلم أن الرسول ﷺ قال : « فُرِجَ سقفُ بيتى وأنا بمكةَ فنزلَ جبريلُ ﷺ ، فَفَرَجَ صدرى ، ثم غَسَلَهُ من ماءِ زمزمَ ثم جاءَ بِطِسْتٍ من ذهبٍ ممتلىءٍ حكمةً وإيمانا .... » ، قال النووى : « قد قدمنا لغات الطست ، وأنها مؤنثة ، فجاء ( ممتلىء ) على معناها ، وهو الإنـــاء ، و ( أفرغهـــا ) على لفظها »[٦] .

ومن الأمثلة على ظاهرة الحمل على المعنى ما رواه مسلم أن رجلا قال لابن عباس ماهذا الفتيا التى قد تَشَغَّبَتْ بالناسِ ؟ [٧] ، قال النووى :

---

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى ٢ / ٣٣ .
(٣) صحيح مسلم بشرح النووى ٣ / ٧١ .
(٤) صحيح مسلم بشرح النووى ٢ / ١١٨ .
(٥) صحيح مسلم بشرح النووى ٢ / ٢١١ .
(٦) صحيح مسلم بشرح النووى ٢ / ٢١٨ .
(٧) وتمامه : « أن من طاف بالبيت فقد حل ، فقال : سنة نبيكم ﷺ ، و ( تَشَغَّبَتْ ) بمعنى ( انتشرت وفشت ) .

« قوله ( ما هذا الفتيا ) هكذا هو فى معظم النسخ ، هذا الفتيا ، وفى بعضها ( وهذه ) ، وهو الأجود ، ووجه الأول أنه أراد ( بالفتيا ) الإفتاء ، فوصفه مذكرا »[8] .

وأما توجيه بعض الأحاديث عن طريق ظاهرة التقدير والتأويل ، فمن الأمثلة عليها ما رواه مسلم أن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : « إنَّ نساءَ المؤمناتِ كُنَّ يصلينَ الصبحَ مع النبى ﷺ » ، قال النووى : « قولها ( إن نساء المؤمنات ) صورته صورة إضافة الشىء إلى نفسه ، واختلف فى تأويله وتقديره ، فقيل تقديره : نساء الأنفس المؤمنات ، وقيل : نساء الجماعات المؤمنات ، وقيل : إن ( نساء ) هنا بمعنى الفاضلات ، أى فاضلات المؤمنات كما يقال : رجال القوم ، أى فضلاؤهم ومقدموهم »[9] .

ومن الأمثلة على هذه الظاهرة قوله فى شرح حديث الرسول ﷺ : « اليهود غدا والنصارى بعد غد » ، قوله ﷺ : ( اليهود غدا ) أى عيد اليهود غدا ، لأن ظروف الزمان لا تكون أخبارا عن الجثث فيقدر فيه معنى يمكن تقديره ( خبرا )[10] .

ومن توجيه الحديث عن طريق التقدير والتأويل ما قاله الإمام النووى فى شرح حديث الرسول ﷺ لرجل : « إذا أفطرْتَ رمضانَ فَصُمْ يوماً أو يومين » ، قوله : ( إذا أفطرت رمضان ) هكذا هو فى جميع النسخ وهو صحيح أى أفطرت من رمضان ، وحذف لفظة ( من ) فى هذه الرواية ، وهى مرادة كقوله تعالى : ﴿ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ ﴾ أى من قومه »[11] .

ومنها ما رواه مسلم : أن الرسول ﷺ قال يوم حجة الوداع : « أيها الناس السكينة السكينة » ، قال النووى : ( السكينة السكينة ) مرتين منصوبا ، أى الزموا السكينة »[12] .

وأما توجيه الحديث عن طريق ظاهرة التغليب فمن الأمثلة عليه ما رواه مسلم عن عبيد بن جريج أنه قال لعبدالله بن عمر رضى الله عنهما يَاأَبَا عبدالرحمن ! رأَيتُكَ لَا تَمَسُّ من الأركانِ الا اليَمَانِيَيْنِ ، قال النووى : « المراد بالركنين اليمانيين ، الركن اليمانى والركن الذى فيه الحجر الأسود ، ويقال له العراق لكونه إلى جهة العراق ، وقيل للذى قبله ( اليمانى ) لأنه إلى جهة اليمن ويقال لهما ( اليمانيان ) تغليبا لأحد الأسمين ، كما قالوا الأبوان للأب والأم ، والقمران للشمس والقمر ، والعمران لأبى بكر وعمر ـ رضى الله عنهما ـ ونظائرهما مشهورة ، فتارة يغلبون بالفضيلة كالأبوين ، وتارة بالخفة كالعمرين ، وتارة بغير ذلك وقد بسطته فى تهذيب الأسماء واللغات »[13] .

**ثالثا : أثر التوجيه النحوى فى بعض القضايا التفسيرية والحديثية والفقهية :**

لقد كان للتوجيه النحوى عند الإمام النووى أثره الواضح فى بعض القضايا التفسيرية والحديثية والفقهية وغيرها ، فمن ذلك ما قاله فى شرح قوله

---

(٨) صحيح مسلم بشرح النووى ٨ / ٢٢٩ .
(٩) صحيح مسلم بشرح النووى ٥ / ١٤٣ .
(١٠) صحيح مسلم بشرح النووى ٦ / ١٤٢ .
(١١) صحيح مسلم بشرح النووى ٨ / ٥٤ .
(١٢) صحيح مسلم بشرح النووى ٨ / ١٨٦ .
(١٣) صحيح مسلم بشرح النووى ٨ / ٩٤ .

تعالى : ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾[14] « فيه دلالة ظاهرة على أن مذهب أبى هريرة فى الآية أن الضمير فى ( موته ) يعود على عيسى ـ عليه السلام ـ ومعناها : وما من أهل الكتاب يكون فى زمن عيسى ـ عليه السلام ـ إلا من آمن به ، وعلم أنه عبدالله وابن أمته ، وهذا مذهب جماعة من المفسرين ، وذهب كثيرون إلى أن الضمير يعود على الكتابى ومعناها ، وما من أهل الكتاب أحد يحضره الموت إلا آمن عند الموت قبل خروج روحه بعيسى ﷺ وأنه عبدالله وابن أمته ، ولكن لا ينفعه هذا الإيمان لأنه فى حضرة الموت ، وحالة النزع »[15] .

ومن أثر التوجيه النحوى فى بعض المسائل التى لها علاقة بمصطلح الحديث ما قاله فى سند الحديث الذى رواه مسلم : « حدثنا حَمَّادٌ ، حدثنا يحيى بنُ سعيد عن عبدالرحمن الأعرج عن عبدالله بنِ مالكٍ ابنِ بُحَيْنَةَ الأزدِيِّ » ، : « الصواب فى هذا تنوين ( مالك ) ، ويكتب ( ابن بحينه ) بالألف ، لأن عبدالله ( مالك ) أبوه ، و ( بحينة ) أم عبدالله ، فاذا قرىء كما ذكرناه انتظم على الصواب ، ولو قرىء باضافة ( مالك ) إلى ( ابن ) فسد المعنى واقتضى أن يكون ( مالك ) ابنا لبحينة ، وهذا غلط ، وإنما هو زوجها »[16] .

من هذا القبيل أيضا ما رواه مسلم عن ابن شهاب قال : حدثنى عطاءُ بنُ يزيدَ الليثىُّ ثم الجُنْدَعىُّ أن عبدَالله بنَ عَدِىٍّ بنِ الخِيَارِ أخبرَهُ أن المقدادَ بنَ عمرٍو ابنَ الأسودِ الكِنْدِىَّ ... » ، قال النووى : « قوله ( أن المقداد بن عمرو ابن الأسود ) قد يغلط فى ضبطه وقراءاته ، والصواب فيه أن يقرأ ( عمرو ) مجرورا منونا و ( ابن الأسود ) بنصب النون ، يكتب بالألف لأنه صفة للمقداد ، وهو منصوب فينصب ، وليس ( ابن ) ههنا واقعا بين علمين متناسلين ، فلهذا تتعين كتابته بالألف ، ولو قرىء ( ابن الأسود ) بجر ( ابن ) لفسد المعنى ، وصار عمرو بن الأسود ، وذلك غلط صريح »[17] .

ومن الأمثلة على أثر التوجيه النحوى فى بعض القضايا الفقهية ما رواه مسلم أن الرسول ﷺ سأله رجل نجدى عن الإسلام فقال له : « خمس صلوات فى اليوم والليلة ، فقال : هل عَلَىَّ غيرُهُنَّ ، قال : لا ، إلا أن تطوع » قال النووى رحمه الله : قوله : ( الا أن تَطَّوَّعَ ) المشهور فيه ( تطوع ) بتشديد الطاء على ادغام احدى التاءين فى الطاء ، وقال الشيخ أبوعمرو بن الصلاح رحمه الله تعالى : « هو محتمل للتشديد والتخفيف على الحذف ، قال : أصحابنا وغيرهم من العلماء : قوله ﷺ : ( الا أن تطوع ) استثناء منقطع ، ومعناه ( لكن يستحب لك أن تطوع ، وجعله بعض العلماء استثناء متصلا ، واستدلوا به على أن من شرع فى صلاة نفل أو صوم نفل وجب عليه إتمامه ، ومذهبنا أنه يستحب الإتمام ولا يجب »[18] .

ومنها ما رواه مسلم أن الرسول ﷺ قال :

---

(١٤) النساء ١٥٩ .

(١٥) صحيح مسلم بشرح النووى ٢ / ١٩١ ـ ١٩٢ .

(١٦) صحيح مسلم بشرح النووى ٥ / ٩٥ .

(١٧) صحيح مسلم بشرح النووى ٢ / ٩٩ ـ ١٠٢ .

(١٨) صحيح مسلم بشرح النووى ١ / ١٦٦ ـ ١٦٧ .

« إذا نسىَ أحدكُم فليسجدْ سجدَتَيْنِ وهو جالسٌ ، ثم تَحَوَّلَ رسولُ الله ﷺ فسجدَ سجدتين » ، قال النووى : ثم تحول ( ثم هنا ليست لحقيقة الترتيب ) وإنما هى لعطف جملة على جملة ، وليس معناه أن التحول والسجود كانا بعد الكلام ، بل إنما كانا قبله ، ومما يؤيد هذا التأويل أنه قد سبق فى هذا الباب فى أول طرق حديث ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ بهذا الإسناد »[19] .

ومن النماذج فى بيان أثر التوجيه النحوى فى بعض المسائل الفقهية ما رواه مسلم أن الرسول ﷺ سئل عن شحوم الميتة ، فقال : « لا هُو حرامٌ ، قاتلَ الله اليهود ، إن الله عز وجل لَمَّا حرَّمَ عليهم شُحُومَها أَجْمَلُوهُ ، ثم باعوهُ فأكلُوا ثمنَهُ » ، قال النووى : « يقال : أجمل الشحم وجمله : أى أذابه ، وأما قوله ( لا هو حرام ) فمعناه لا تبيعوها ، فإن بيعها حرام ، والضمير فى ( هو ) يعود إلى البيع لا الانتفاع ، هذا هو الصحيح عند الشافعى وأصحابه أنه يجوز الانتفاع بشحم الميتة فى طلى السفن والاستصباح بها ، وغير ذلك مما ليس بأكل ، ولا فى بدن الآدمى ، وبهذا قال أيضا عطاء بن أبى رباح ومحمد بن جرير الطبرى »[20] .

**رابعا : التوجيه النحوى للمشكل فى الحديث النبوى :**

تعرض الإمام النووى رحمه الله لبعض الأحاديث التى فيها مشكل نحوى أو لغوى فحاول رفع هذا الإشكال ، وللدلالة على ذلك اختار الأحاديث التالية :

١ ـ روى مسلم عن عدى بن حاتم أن رجلا خطب عند النبى ﷺ فقال : « من يطع الله ورسولَهُ فقد رَشَدَ ، ومن يعصهما فَقَدْ غَوَى ، فقال رسول الله ﷺ : بئسَ الخطيبُ أَنْتَ ، قل ومَنْ يعصِ الله ورسولَهُ[21] » ، قال الإمام النووى : قال القاضى وجماعة من العلماء : « إنما أنكر لتشريكه فى الضمير المقتضى للتسوية ، وأمره بالعطف تعظيما لله تعالى بتقديم اسمه كما قال ﷺ فى الحديث الآخر : « لا يقل أحدكم ما شاء الله وشاء فلان ، ولكن ليقل ما شاء الله ثم شاء فلان » والصواب أن سبب النهى أن الخطب شأنها البسط والإيضاح واجتناب الإشارات والرموز .

ولهذا ثبت فى الصحيح أن رسول الله ﷺ كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثا لتفهم ، وأما قول الأولين فيضعف بأشياء منها : أن مثل هذا الضمير قد تكرر فى الأحاديث الصحيحة من كلام رسول الله ﷺ كقوله ﷺ : « أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما » ، وغيره من الأحاديث ، وإنما ثنى الضمير منها لأنه ليس خطبة وعظ ، وإنما هو تعليم حكم ، فكلما قلَّ لفظه كان أقرب إلى حفظه ، بخلاف خطبة الوعظ ، فإنه ليس المراد حفظه ، وإنما يراد الاتعاظ بها ، ومما يؤيد هذا ما ثبت فى سنن أبى داود بإسناد صحيح عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : « علمنا رسول الله ﷺ خطبة الحاجة : الحمد لله نستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ،

(١٩) صحيح مسلم بشرح النووى ٥ / ٦٦ ـ ٦٧ .
(٢٠) صحيح مسلم بشرح النووى ١١ / ٦ .
(٢١) صحيح مسلم ، كتاب الجمعة ، باب صلاة الجمعة وخطبتها .

أرسله بالحق بشيرا ونذيرا بين يدى الساعة ، من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فانه لا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئا[٢٢] » .

٢ ــ روى مسلم عن عبدالله بن عمر ــ رضى الله عنهما ــ قال : « قال رسول الله ﷺ لَا تَغْلِبَنَّكُمُ الأعرابُ على اسم صلاتِكم العِشَاء ، فإنها فى كتابِ الله العِشَاءُ ، وإنها تُعْتِمُ بحِلَابِ الإبِلِ » ، قال النووى : « معناه أن الأعراب يسمونها العتمة لكونهم يعتمون بحلاب الإبل ، أى يؤخرونه إلى شدة الظلام ، وانما اسمها فى كتاب الله ( العشاء ) فى قوله تعالى : ﴿وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ﴾[٢٣] فينبغى لكم أن تسموها العشاء .

وقد جاء فى الأحاديث الصحيحة تسميتها بالعتمة ، كحديث « لو يعلمونَ ما فى الصبح والعَتَمةِ لَأَتَوْهُمَا ولو حَبْواً » وغير ذلك ، والجواب عنه من وجهين أحدهما : أنه استعمل لبيان الجواز ، وأن النهى عن العتمة للتنزيه لا للتحريم ، الثانى : يحتمل أنه خوف بالعتمة من لا يعرف العشاء ، فخوطب بما يعرفه ، واستعمل لفظ العتمة لأنه أشهر عند العرب وإنما كانوا يطلقون العشاء على المغرب »[٢٤] .

ولقد رأيت للإمام ابن حجر كلاما نفيسا حول هذا الحديث أنقله كما جاء فى كتابه ( فتح البارى ) لفائدته ، وذلك فى كتاب مواقيت الصلاة باب من كره أن يقال للمغرب عشاء ، وبعد أن ذكر حديث الرسول ﷺ : « لا تغلبنكم الأعراب على اسم صلاتكم المغرب ، قال الأعراب : وتقول هى العشاء ، قال : قال الطيبى : المعنى : لا تتعرضوا لما هو من عادتهم تسمية المغرب بالعشاء ، والعشاء بالعتمة فيغضب منكم الأعراب ، فالنهى على الظاهر للأعراب ، وعلى الحقيقة لهم ، قال التوربشتى : المعنى لا تطلقوا هذا الاسم على ما هو متداول بينهم ، فيغلب مصطلحهم على الاسم الذى شرعته لكم »[٢٥] .

وفى كتاب مواقيت الصلاة ، باب ذكر العشاء والعتمة : وبعد أن أورد حديث الرسول ﷺ الذى ذكره مسلم قال : « اختلف السلف فى ذلك ، فمنهم من كرهه كابن عمر راوى الحديث ، ومنهم من أطلق جوازه ، نقله ابن أبى شيبة عن أبى بكر الصديق وغيره ، ومنهم من جعله خلاف الأولى وهو الراجح ، وكذلك نقله ابن المنذر عن مالك والشافعى واختاره ، ونقل القرطبى عن غيره إنما نهى عن ذلك تنزيها لهذه العبادة الشرعية الدينية عن أن يطلق عليها ما هو اسم لفعلة دنيوية ، وهى الحلبة التى كانوا يحلبونها فى ذلك الوقت ويسمونها العتمة ، وقال الطبرى : العتمة بقية اللبن تضيق بها الناقة بعد هوى من الليل ، فسميت الصلاة بذلك ، لأنهم كانوا يصلونها فى تلك الساعة »[٢٦] .

٣ ــ روى مسلم عن أسامة بن زيد ــ رضى الله عنه ــ قال : قال رسول الله ﷺ : « الطاعون

---

(٢٢) صحيح مسلم بشرح النووى ٦ / ١٥٩ ــ ١٦٠ .
(٢٣) النور ٥٨ .
(٢٤) صحيح مسلم بشرح النووى ٥ / ١٤٣ .
(٢٥) فتح البارى ٢ / ٥٢ .
(٢٦) فتح البارى ٢ / ٥٤ .

رجز أو عذاب ... إذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه ». وقال أبو النضر : لا يخرجكم إلا فرار منه ، قال النووى : « قوله فى رواية أبى النضر ( لا يخرجكم إلا فرار منه ) ، وقع فى بعض النسخ ( فرار ) بالرفع ، وفى بعضها ( فرارا ) بالنصب ، وكلاهما مشكل من حيث العربية والمعنى ، قال القاضى : وهذه الرواية ضعيفة عند أهل العربية ، مفسدة للمعنى ، لأن ظاهرها المنع من الخروج لكل سبب إلا للفرار ، فلا منع منه ، وهذا ضد المراد ، وقال جماعة : إن لفظة ( إلا ) هنا غلط من الراوى ، والصواب حذفها كما هو المعروف فى سائر الروايات ، قال القاضى : وخرَّج بعض محققى العربية لرواية النصب وجها فقال : هو منصوب على الحال ، قال ولفظة ( إلا ) هنا للإيجاب لا للاستثناء ، وتقديره : ( لا تخرجوا إذا لم يكن خروجكم إلا فرارا منه )[27] .

٤ ـ روى مسلم عن حذيفة بن اليمان قال : كنا مع رسول الله ﷺ فقال : « أَحْصُوا لى كم يلفظُ الإسلامَ ؟ قال : فقلْنا يا رسولَ الله أتخافُ علينا ونحنُ ما بين الستمائةِ إلى السبعمائةِ »[28] ، قال النووى : وأما قوله ( ونحن ما بين الستمائة إلى السبعمائة ) فكذا وقع فى مسلم ، وهو مشكل من جهة العربية ، وله وجه وهو أن يكون مائة فى الموضعين منصوبا على التمييز على قول بعض أهل العربية ، وقيل : إن ( مائة ) فى الموضعين مجرورة على أن تكون الألف واللام زائدتين فلا اعتداد بدخولهما »[29] .

٥ ـ روى مسلم أن عائشة دخلت عليها بَرِيْرَةَ فانتهرتها فقالَتْ : لَاهَا الله إذا ، قال النووى : « فى بعض النسخ ( لا هاء الله إذا ) ، هكذا فى النسخ ، وفى روايات المحدثين ( لا هاء الله إذا ) بعد قولها ( هاء ) وبالألف فى ( إذا ) ، قال المازرى وغيره من أهل العربية : هذان لحنان ، وصواب ( لا ها الله ذا ) بالقصر فى ( ها ) وحذف الألف من ( إذا ) ، قالوا : وما سواه فخطأ ، قالوا : ومعناه ذا يمينى ، وكذا قال الخطابى وغيره أن الصواب ( لا ها الله ذا ) بخلاف الألف ، وقال أبوزيد النحوى وغيره : يجوز القصر والمد فى ( ها ) ، وكلهم ينكرون الألف فى ( إذا ) ويقولون صوابه ( ذا ) ، قالوا : وليست الألف من كلام العرب ، قال أبوحاتم السجستانى : جاء فى القسم ( لاهاء الله ) ، قال : والعرب تقوله بالهمزة ، والقياس تركه ، ومعناه : لا والله هذا ما أقسم به ، فأدخل اسم الله تعالى بين ( ها ) و ( إذا )[30] .

## مصـــــادر البحـــث


١ ـ إعراب القرآن :

أبو جعفر النجاشى ، تحقيق د . زهير غازى زاهد ، مطبعة العانى ، بغداد : ١٣٩٧هـ .

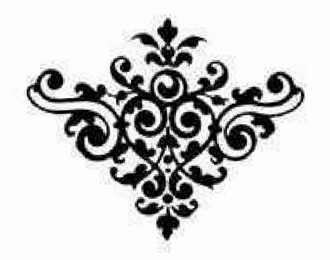

(٢٧) صحيح مسلم بشرح النووى ١٤ / ٢٠٧ ـ ٢٠٨ .

(٢٨) وتمامه : قال إنكم لا تدرون لعلكم أن تبتلوا قال : فابتلينا حتى جعل الرجل منا لا يصلى إلا سرا .

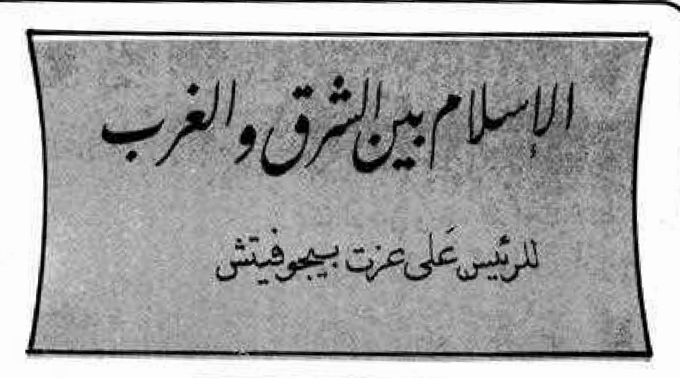
(٢٩) صحيح مسلم بشرح النووى ٢ / ١٧٩ .

(٣٠) صحيح مسلم بشرح النووى ١٠ / ١٤٥ .

٢ ـ البحر المحيط :
أبوحيان ـ الناشر مكتبة ومطبعة النصر الحديثة ـ الرياض .
٣ ـ البيان فى غريب إعراب القرآن :
ابن الأنبارى ، تحقيق د . طه عبدالحميد طه ، دار الكتاب العربى .
٤ ـ حاشية ابن جماعة على شرح الجاربردى :
دار الطباعة العامرة .
٥ ـ الحجة فى القراءات السبع :
ابن خالويه ، تحقيق وشرح د . عبدالعال سالم مكـرم ، دار الشروق ، الطبعـة الثانيـة ، ١٩٧٧ م .
٦ ـ شرح شذور الذهب :
ابن هشام ، المكتبة التجارية ، الطبعة الثامنة ، ١٩٦٠ .
٧ ـ شرح الكافية الشافية :
٨ ـ شرح ابن عقيل : ابن عقيل .
٩ ـ صحيح مسلم بشرح النووى :
النووى ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت .
١٠ ـ طبقات النحويين واللغويين :
ابن قاضى شهبة .
١١ ـ الكتاب:
سيبويه ـ تحقيـق عبـدالسلام هارون ـ (١٩٧٣)م.
١٢ ـ الكشف عن وجوه القراءات السبع :
مكى بن أبى طالب ، تحقيق د . محيى الدين رمضان ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق .
١٣ ـ المساعد على تسهيل الفوائد: ابن عقيل، تحقيق د. محمد كامل بركات، نشر مركز البحث العلمى مكة المكرمة، ١٤٠٠هـ.
١٤ ـ معانى القرآن :
الفراء ، عالم الكتب ، بيروت .
١٥ ـ المغنى :
ابن هشام ، تحقيق وتعليق د . مازن المبارك وزميله ، دار الفكر ، ط٣ / ١٩٧٢ م .
١٦ ـ مفاتح الغيب : الفخر الرازى، المطبعة البهية المصرية، ١٩٢٨م.
١٧ ـ همع الهوامع :
السيوطى ـ دار المعرفة ـ بيروت .






عرض وتقديم الأستاذ/ عادل خفاجة

**الإسلام دين الله الخالد ــ وطوق النجاة لهذا العالم ، بعد أن مزقته « الأيدولوجيات » المعاصرة أكثر مما مزقته الحروب الكبرى .**

**الإسلام الذى أراده الله ــ سبحانه وتعالى ــ سلاماً لهذا العالم ، وأراده للعالمين نوراً يبدد ظلمات الجهل ، وهاديا يصحح شطحات الأفكار .**

**الإسلام الذى غفل عنه أكثر أهل الشرق وعاداه أكثر أهل الغرب ... كيف ينظر إليه الرئيس على عزت بيجوفيتش رئيس البوسنه والهرسك ؟ ... الدولة التى يسحقها الغرب كراهية فى الإسلام !! هذا ما نحاول أن نتعرف عليه من خلال عرضنا لكتابه :**

**« الإسلام بين الشرق والغرب » .**

يقع الكتاب فى طبعته الأولى ( رجب ١٤١٤هـ/ يناير ١٩٩٤م ) فى أربعمائة وإحدى عشرة صفحة من القطع الكبير ، وقام بنشره مجلة النور الكويتية مع مؤسسة « بافاريا » للطبع والنشر ، وتقوم بتوزيعه دار الشروق بالقاهرة .

**مؤلف الكتاب :**

مؤلف الكتاب هو على عزت بيجوفيتش رئيس البوسنه والهرسك .

ــ ولد سنة ١٩٢٥م . من أسرة بوسنوية عريقة بمدينة « كروبا » .

ــ تعلم فى مدارس « سراييفو » ، والتحق بجامعتها ، وحصل على درجات فى القانون والآداب والعلوم .

ــ عمل مستشاراً قانونياً لمدة خمسة وعشرين عاما ، ثم اعتزل وتفرغ للكتابة والبحث .

ــ حُكم عليه سنة ١٩٤٩ بالسجن خمس سنوات مع الأشغال الشاقة لعلاقته بمنظمة « الشبان المسلمين » .

ــ صدر له مؤلف تحت عنوان « الإعلان الإسلامى » ، كان قد بدأ فى نشره على حلقات سنة ١٩٧٠ ، وبسبب هذا الكتاب قُدم للمحاكمة مع أحد عشر من زملائه المثقفين

الإسلاميين ، وحكم عليهم بالسجن أربعة عشر عاماً بتهمة العمل ضد الدولة والدعوة إلى الجهاد المقدس لإقامة دولة إسلامية .

– بعد تفكك الاتحاد اليوغسلافى أنشأ على عزت بيجوفيتش وصحبه « حزب العمل الديمقراطى » وخاض به الانتخابات ، فأصبح رئيساً لجمهورية البوسنة والهرسك اعتباراً من نوفمبر سنة ١٩٩٠ م .

**أما الكتاب فينقسم إلى قسمين :**

القسم الأول : ( مقدمات : نظرات حول الدين ) ويضم ستة فصول ناقش فيها المؤلف القضايا التالية :

الخلق والتطور – الثقافة والحضارة – ظاهرة الفن – الأخلاق – الثقافة والتاريخ – الدراما والطوبيا[1] .

القسم الثانى : ( الإسلام – الوحدة ثنائية القطب ) ويضم خمسة فصول تكلم فيها عن :

الأنبياء ( موسى – وعيسى – ومحمد صلى الله عليهم وسلم أجمعين ) – الإسلام والدين – الطبيعة الإسلامية للقانون – الأفكار والواقع – « الطريق الثالث » خارج الإسلام .

ويختتم الكتاب بكلمة عن التسليم لله .

كتاب « الإسلام بين الشرق والغرب » كتاب متميز ، وأهم ما يميزه سمة التأمل ، وهى سمة لا تفارق أيًا من صفحاته ، وتفرض نفسها على قارئه ، فلابد للقارئ أن يتأمل ويشارك المؤلف فى تأملاته وإلا انفصل عنه إلى درب آخر .

يتبنى المؤلف فكرة « الوحدة ثنائية القطب » التى تضم فى مُرَكَّب جديد القضيتين : ... الروح . والمادة المنفصلين المتصادمين عند الغرب ، وإن كانت هذه الفكرة ليست بالجديدة أو الغريبة عن الإسلام ؛ ولكنها جديدة بالنسبة للعقل الغربى الذى لا يتقبل ولا ترضيه إلا النظرة الأحادية الفاصلة بينهما .

الكتاب ليس كتابا بسيطاً تستوعبة جلسة أو جلستان ، وإنما يدعوك لجلسات متعددة ، وعليك أن تتهيأ للدخول فى عالمه الفلسفى الثرى بأفكاره ؛ فقد حشد المؤلف وجمع فيه العديد من آراء الغربيين فى عدة مجالات : فى الأدب ، فى علم الأحياء ، فى علم النفس ، فى الفنون ... ألخ ، جمع هذا الحشد من الآراء وقدمها بأسلوب متميز آخاذ ، فهو يتأملها ، ويقيّمها ويُصنِّفها ، ثم يقدمها فيما أسماه « بالوحدة الثنائية » وهو يكتب – أستاذاً – فى كل هذا ... أستاذاً مسلماً يسعى إلى ربط تلك العلوم ربطاً وثيقاً بالهدى السماوى الذى جاء به الإسلام .

وقد علق على الكتاب « وود وورث كارلسن » – وهو مفكر أوروبى محايد – قائلا : « إن تحليله للأوضاع الإنسانية مذهل ، وقدرته التحليلية الكاسحة تعطى شعوراً متعاظماً بجمال الإسلام وعالميته » .

ولنبدأ برحلة التأمل مع فيلسوف البوسنة .

فى الفصل الأول : الخلق والتطور :

تناول المؤلف عدداً من آراء علماء الغرب عن نشأة الإنسان ، نذكر منها :

● الإنسان ابن الطبيعة ، ويبقى دائماً جزءاً منها .

● الإنسان هو الحيوان الكامل .

● الإنسان نظام ( System ) كغيره من النظم فى

---

(١) الطوبيا : يريد المثالية على إطلاقها : خيراً أو شراً .

الطبيعة ، ويخضع بدوره لقوانين الطبيعة الحتمية العامة .

● الإنسان نتاج بيئته وعمله ...

والمؤلف لا يرفض هذه الأفكار ـ بخاصة ـ وهو يرد على أوروبيين يحيط بهم المذهب المادى ، ونتائج ما وصلوا إليه من علم حديث ، حتى لو كانت هذه النتائج ـ التى تتغير من وقت لآخر ـ تتسم بكل هذا الجفاف الذى ينزع عن الإنسان أهم ما يميزه عن غيره من الكائنات الأخرى ، ينزع عنه الإنسانية ذاتها .

ويعلق على هذه الأفكار بقوله :

« إن هذه الأفكار تبدو مقنعة ، ولكن الذى لا يبدو فيها أنها ـ فى الوقت نفسه ـ إنكار جذرى للإنسان » .

« لقد أخذ داروين هذا الإنسان اللا شخصى بين يديه ووصف تقلبه خلال عملية « الاختبار الطبيعى » حتى أصبح إنساناً قادراً على الكلام وصناعة الأدوات ، يمشى منتصباً ، ثم يأتى علم البيولوجيا ليستكمل الصورة ، فيرينا أن كل شىء يرجع إلى الأشكال البدائية للحياة ، والتى هى بدورها عملية طبيعية كيميائية ...لعب بالجزيئيات .

أما الحياة والضمير والروح فلا وجود لها ، وبالتالى ليس هناك جوهر إنسانى .

ويتلخص رأى المؤلف فى قوله :

« ليس الإنسان مُفصَّلا على طراز داروين وليس الكوْن مفصَّلاً على طراز نيوتن » .

وحتى لا تكون نتائج الكاتب مجرد آراء شخصية متعسفة يحكمها هوى شخصى ـ فى نظر معارضيه ـ نجده يَشْرَع فى مناقشتهم ، مبتدئاً بالدين ، ومصطلح الدين كما يوضحه المؤلف يشير إلى معنى محدد ، هو المعنى الذى تنسبه أوروبا إلى « الدين » وتفهمه على هذا النحو ، وهو :

أن الدين تجربة فردية خاصة ، لا تذهب أبعد من العلاقة الشخصية بالله ، وهى علاقة تعبر عن نفسها فقط فى عقائد وشعائر يؤديها الفرد . وعليه ، فلا يمكن تصنيف الإسلام كدين بهذا المعنى ، فالإسلام أوسع من هذا التحديد ؛ لأنه يحتوى الحياة كلها .

من هذا المفهوم للدين يقول المؤلف :

● إذا تأملنا لوحات مايكل أنجلو ـ والدراما الإغريقية ـ ... الأغانى الدينية الأفريقية ـ استهلال فاوست فى السماء ـ الصور الجصية اليابانية القديمة لوجدنا أن الصورة التى ترسمها هذه الاعتقادات للإنسان وخوفه الدائم من المجهول وشعوره بالغربة هى صورة تتصادم مع ما تُصَوِّرُهُ هؤلاء العلماء .

إن داروين ومايكل أنجلو يمثلان فكرتين مختلفتين ومتعارضتين عن أصل الإنسان ، ولن ينتصر أحدهما على الآخر ؛ لأن أحدهما مدعم بعدد هائل من الحقائق يستحيل تفنيدها ، بينما الآخر مستقر فى قلوب جميع البشر .

إن علم الحفريات ، وعلم هيئة الإنسان ، وعلم النفس ... إلخ كلها تصف من الإنسان الجانب الخارجى الآلى فقط الذى لا معنى له ، فالإنسان أكثر من مجرد كمية ونوعية المادة التى تكونه ، الإنسان أكثر مما تقوله هذه العلوم مجتمعة .

ثم يتكلم عن « التضحية » وهى نقيض المصلحة فيتخذ منها نقطة تفريق بين الإنسان والحيوان .

يقول : « لقد وُجِدَت ( التضحية ) فى جميع الأديان بلا استثناء ، وظلت غير مبررةٌ بل غامضة .. إنها فى الحقيقة نظام آخر ومن عالم آخر .

قد تأخذ ( التضحية ) فى الديانات البدائية أشكالاً مُرَوِّعة ولكنها مع هذا الوصف تمثل فارقاً ملموساً موجعاً فى مشهده ، وخطّا فاصلا بين العصر الحيوانى المزعوم وبين عصر الإنسان .

فالتضحية إنما تمثل ظهور مبدأ جديد مناقض لمبدأ المصلحة والمنفعة والحاجات .

المصلحة حيوانية ، أما التضحية فهى إنسانية ، المصلحة إحدى المبادئ الأساسية فى السياسة .

أما التضحية فهى إحدى المبادئ الأساسية فى الدين والأخلاق .

★ ★ ★

ثم ينتقل المؤلف إلى تعريف الحياة ، فيسوق عدة تعريفات نقلاً عن علماء الغرب ، جميعها تؤكد أن الحياة شىء يستعصى على التفسير .

ثم يتساءل :

كيف يمكن تفسير التباين الظاهرى التالى : إذا وجدنا فى اكتشاف أثرى حجرين موضوعين فى نظام معين ، أو قُطِعا لغرض ما ، فإننا جميعا نستنتج بالتأكيد أن هذا من عمل إنسان فى الزمان القديم ، فإذا وجدنا بالقرب من الحجر جمجمة بشرية ، فإن بعضاً منا ينسبها إلى الصدفة ، هكذا بدون تدخل عقل أو وعى - أليس فى إنكار الإنسان لله هوى بين ؟!

وتمضى - مع الكاتب - إلى معنى الفلسفة الإنسانية ؛ فيقول :

● **إن المادية تؤكد دائماً على ما هو مشترك بين الإنسان والحيوان أما الدين فيؤكد على ما يفرق بينهما .**

ثم ينتقل المؤلف إلى قيمة أخرى فى الحياة هى الحرية :

فيقول : « قد يتمكن الإنسان آجلا أو عاجلا ، خلال هذا القرن أو بعد مليون سنة من الحضارة المتصلة ، أن ينجح فى تشييد صورة مقلدة من نفسه ، نوع من الإنسان الآلى ، أو مسخ ، هذا المسخ الشبيه بالإنسان ، لن تكون له حرية ، إنه سيعمل فقط ما تمت برمجته عليه وهنا تتجلى عظمة الخلق الإلهى . فالله وحده القادر على أن يخلق مخلوقاً حراً .

إن ما ينسب إلى رجال الفن من فكرة الخلق ليس إلا تشييد ؛ فالفنان لا يخلق ، إنما يقوم بتشييد صورة ، وأنا لا أعرف ماذا يمكن أن تعنى الصورة بدون الله !

ويأتى الفصل الثانى : الثقافة والحضارة :

الحضارة - كما يتصورها المؤلف - هى : داء لا يجب تركه ولا **استئصاله ، بل يجب الوقاية منه بالثقافة ، فعلى عكس حكمة الإسلام فى « كبح الرغبات » فإن الحضارة ترفع ستاراً مضاداً « أطلق رغبات جديدة دائماً وأبداً » « انتج لتربح ، واربح لتبدد » .**

هكذا ؛ فإن الحضارة تعرض دائماً الحاجة على من لا حاجة له ، فهى بذلك تعزز التبادل المادى بين الإنسان والطبيعة .

أما الثقافة فتعنى علاقة الإنسان بالسماء لما تشتمل عليه الثقافة من أخلاق وفلسفة ودين ،

وقد أدى التقدم الحضارى إلى مشكلات خطيرة فى الدول المتقدمة ، وقد جاء فى تقرير الأمين العام للأمم المتحدة أن الدول الأكثر تقدماً لديها مشكلات خطيرة فى مجال الجنوح والسرقة والغش والفساد . ثم يبلور هذا الرأى قائلا :

هذا النقد للحضارة ليس دعوة لرفضها ؛ فالحضارة لا يمكن رفضها حتى لو رغبنا فى ذلك ، إنما الشىء الوحيد الضرورى والممكن هو أن نحطم الأسطورة التى تحيط بها .

**وفى الفصل الثالث ـ ظاهرة الفن :**

فى هذا الفصل يتأمل المؤلف العلم والفن داخل واحدة من ثنائياته فيقول :

« إذا كان الإنسان حقاً مصنوعا على ( طراز داروين ) ، وإذا لم يكن مجال لروحه ولذاته ؛ فإن الفن لا مجال له ، وإن الشعراء وكتاب التراجيديا يضللونا ويكتبون هراء لا معنى له . ثم يذهب إلى القول بأن جوهر الفن كجوهر الحياة مصدرهما واحد .

« إن جوهر الأعمال الفنية غامض غموض المعتقدات القلبية وغموض الحس الداخلى بالحرية ، ولقد باءت بالفشل جميع المحاولات لتعريف جوهر الفن تعريفاً عقلياً ، كما فشلت محاولات تعريف الحياة .

ويرى فى الفن والدين :

أن الفن له علاقة وثيقة بالدين ؛ لارتباط سمو فن المعمار إلى أعلى درجاته فى بناء دور العبادة فى جميع أنحاء العالم : فى الهند ، وفى كمبوديا وفى العالم الإسلامى ، وتكاد تقتصر الأعمال الفنية فى عصر النهضة على الأعمال الدينية ، وليس هذا اتجاهاً جديداً أو مؤقتاً ، إنما هى طبيعة الفن ، فالفن ـ إذا استبعدنا منه الغثاء ـ يصبح شيئاً مقدساً ، وفوق العقل .

**العالم المادى للفن :**

يرى المؤلف أن الفن إذا ارتبط بالمادية أنتج وهماً ؛ لذا نجده حول هذا المعنى يقول :

« فى هذه الأيام تأتى الأشياء من أمريكا ، وتتكوم أشياء حقيرة ، لا قيمة لها ، لكنها تخلق حياة ، حياة وهمية ... فالبيت المصمم على الطراز الأمريكى ، والتفاح الأمريكى ، والعنب الأمريكى ليس فى أحدها شبه بالبيت أو الفاكهة التى كانت تستحوز على أمنيات أجدادنا وأفكارهم ... »

**الفن والنقد :**

والفن فى رأى المؤلف يحتاج إلى المشاهد العادى أو القارىء العادى ؛ لأن هؤلاء ينجحون فى المشاركة فى « تجربته » على عكس المشاهد أو القارىء الناقد الذى يتحول العمل الفنى عنده إلى سلسلة من الوقائع والتعاليم الأخلاقية .

وأن الاختلاف بين الناقد والمشاهد فى تذوقهما للقصيدة أو المسرحية يأتى من الاختلاف الشديد بين الموقفين .

تلك لمحات سريعة قدمتها موجزة عن القسم الأول من هذا الكتاب القيم ، يعكس عقلية رئيس عالِم له حكمة العلم وبرهان القيادة وتاريخه دال على أنه قاوم ... حتى أشد الحكومات بطشاً فى بلاده .

وإلى القسم الثانى من هذا الكتاب فى العدد القادم .

# الوحدة العضوية

# فى العصر العباسى الثانى

للأستاذ/ أحمد مصطفى حافظ

يتميز الشعر الرفيع بمتانة السبك وتلاحم البناء ، وَالْتِئام الخَطْرة مع الخطَرات ، فى إطار ( وحدة موضوعية ) متوافقة .. تجعل كل بيت من أبيات القصيدة فى تسلسل منطقى مع ما قبله ، وارتباط منسجم مع ما بعده من الأبيات ، ومن ثم تصبح القصيدة بين أنامل الشاعر العبقرى معزوفة وجدانية ، متسقة الإيقاع ، ذات ( حضور ) مستمر ، على توالى العصور ، وتطاول الأزمنة .

ونستطيع أن نستدلَّ على ذلك بشاعرية المتنبى ، التى ما زالت قائمة تفتح أبوابها على مصاريعها ، على الرغم من مرور أكثر من ألف عام . على رحيله . ( ٣٠٣ ـ ٣٥٤ هـ ) ، حتى يكاد المتلقِّى يُنصت ـ بين سطورها ـ إلى نبض العصر وتفاعلاته ..

ولعل تناول القصيدة ( المتنبّية ) ككل ، للاستيعاب والتدبُّر ، هو الذى حدا بإبراهيم اليازجى ، إلى رفض تناول القصيدة بيتا بيتا ، دون النظر إلى ما بين لحْمتها وسداها من صلة واضحة ، فى وحدة متكاملة ، لا يتم تمام النظر فيها إلا بالنظر فى جميع أبياتها مجتمعة .. يقول اليازجى : « إن منزلة الأبيات من القصيدة ، كمنزلة الكلمات من البيت ، فكما أنه لا يفهم معنى البيت إلا بعد النظر فى مفرداته وعلاقة بعضها ببعض ، لا تفهم القصيدة إلا بعد النظر فى نسبة الأبيات ، وما بينها من الصلة المعنوية »[1] .

فاليازجى ـ كما يقول الدكتور عبد الواحد علام : « قد نجح إلى حد بعيد فى ذلك التناول الجديد لشعر المتنبى ، واستطاع فى كثير من الأحيان أن يصل إلى الخط الشعورى والنفسى ، الذى يربط القصيدة كلها ... »[2] « على أنه قد نبَّه إلى ضرورة خلوص القصيدة لموضوع واحد ، حيث وقف طويلًا أمام تلك القصائد التى قالها المتنبى فى سيف الدولة ، وجاءت خالصة للمدح ، وليس فيها مقدمات طَلَلَيّة أو غزلية »[3]

ونقدم للمتنبى رائعتين تُبديان مدى تفوقه إذا عمد إلى وحدة موضوعية متينة الأواصر فيما يجيش بوجدانه من مشاعر وأحاسيس تنسج وجداناً عقلياً متين السبك رائع الصياغة.يقول ـ فى صباه ـ مفتخرًا بقضاعة :

قُضاعةُ تعلَمُ أنى ٱلفتَى الّذى ٱدَّخرَتْ لصرُوُفِ الزَمانِ

ومَجْـــدى يَدُلُّ بَنـــى خِنْـــدِفٍ ... على أنَّ كُلَّ كريـــم يَمَـــانِ

أنا ٱبنُ اللقاءِ أنـــا ٱبـــنُ السَّخـــاء ... أنا ٱبنُ الضِراب أنـــا ٱبـــنُ الطِعـــانِ

أنا ٱبنُ الفيـــافى أنـــا ٱبـــنُ القَـــوافى ... أنا ٱبنُ السُرُوج أنـــا ٱبـــنُ الرِعـــانِ

طَويـــلُ النِجـــادِ طَويـــلُ العِمـــادِ ... طَويـــلُ القنـــاةِ طَويـــلُ السِنـــانِ

حَديـــدُ ٱللّحـــاظِ حَديـــدُ ٱلحِفـــاظِ ... حَديـــدُ ٱلـــحُسامِ حَديـــدُ ٱلجَنـــانِ

---

(١) انظر كتابه : ( العَرْف الطيب : فى شرح ديوان أبى الطيب ) ص ٦٧٦ .
وانظر كتاب الدكتور عبد الواحد علام ( قضايا ومواقف فى التراث النقدى ) ط سنة ١٩٧٩ ص ٩٨ .

(٢) ، (٣) المصدر السابق ص ٩٩ .

يُسابِقُ سَيْفِى مَنايا العِبادِ إليهِمْ كأنَّهما فى رِهانِ
يَرَى حَدُّهُ غامضاتِ القُلُوبِ إذا كُنتُ فى هَبْوةٍ لا أرانى
سأجعَلُهُ حَكَمًا فى النفُوسِ ولو نابَ عنهُ لِسانى كفانى

ومن مختارات رثائه يقول فى محمد بن إسحاق التَّنوخى :

إنِّى لأَعْلَمُ واللَّبيبُ خَبيرُ أنَّ الحَياةَ - وإنْ حَرَصتُ - غُرُورُ
ورأيتُ كُلًّا ما يُعلِّلُ نفسَهُ بتعِلَّةٍ وإلى الفَناءِ يَصيرُ
أمُجاوِرَ الدِّيماسِ رَهْنَ قَرارةٍ فيها الضياءُ بِوَجهِهِ والنُّورُ
ما كُنتُ أحسَبُ قبلَ دفنِكَ فى الثرَى أنَّ الكَواكِبَ فى التُّرابِ تَغُورُ
ما كُنتُ آمُلُ قبلَ نعشِكَ أنْ أرى رَضْوَى على أيدى الرِّجالِ تَسيرُ
خَرَجوا بِهِ ولِكُلِّ باكٍ خلفَهُ صَعَقاتُ مُوسَى يومَ دُكَّ الطُّورُ
والشمسُ فى كَبِدِ السَّماءِ مَريضةٌ والأرضُ واجفَةٌ تَكادُ تَمُورُ
وحَفِيفُ أجنحَةِ المَلائِكِ حَولَهُ وعُيُونُ أهلِ اللاذقيَّةِ صُورُ
حَتَّى أتَوْا جَدَثًا كأنَّ ضَريحَهُ فى قَلبِ كُلِّ مُوحِّدٍ محفُورُ
بِمُزَوَّدٍ كَفَنَ البِلَى من مُلكِهِ مُغْفٍ وإثمِدُ عَينِهِ الكافُورُ
فيهِ السَّماحةُ والفَصاحةُ والتُّقَى والبأسُ أجمَعُ والحِجَى والخِيرُ
كَفَلَ الثناءُ لهُ بِرَدِّ حياتِهِ لَمَّا انطَوَى فكأنَّهُ منشورُ

* * *

ولأبى العلاء المعرى قصيدة مشهورة ، فى رثاء الفقيه الحنفى : أبى حمزة ، رفيق صباه ، تُعدُّ من عيون الشعر العربى فى شتى عصوره ، وتبدو الوحدة الموضوعية فيها جليَّة واضحة ، تكاد تصيح ! وقد تُرجمتْ إلى كثير من اللغات الحية ، لروعة الصور التى تتكون منها والأحاسيس الحزينة التى سجلتها ، وتفرُّدها بالإيحاء والتأثير الشديدين ، وما من شاعر فى العربية ، اتفق له الاطلاع عليها ، إلا وقف أمامها مبهورا ، لأنها تجاوزت ( الفقيه الحنفى ) ، إلى الإنسانية جمعاء ، إذْ ينتهى كل أبنائها من الأزل وإلى الأبد - إلى المصير المحتوم : الموت ..

يقول أبو العلاء فى لحظة إلهام نادرة ، وطواعية لغوية مواتية :

غيرُ مُجْدٍ فى مِلَّتى واعتقادى نَوْحُ باكٍ ، ولا ترنم شادِ
وشبيهٌ صوتُ النعىِّ إذا قيس بصوت البشير فى كل نادِ
أبَكَتْ تلكُمُ الحمامةُ أم غَنَّتْ ..على فرع غُصْنها الميادِ

* * *

صاح هذى قبورُنـا تملأ الـرُّحْبَ ... فأيـنَ القبــورُ من عهــد عاد

خفِّفِ الـوطءَ ، ما أظـن أديم الأرْ ... ضِ ، إلا من هذه الأجساد

وقبيــح بنــا ـ وإن قَدُمَ العهْــدُ ... ـ هوانُ الآباء والأجــداد

سِرِ ان اسْطَـعْتَ فى الهواء رويـداً ... لا اختيـالاً على رُفـات العبـاد

رُبَّ لحْــدٍ قد صار لحدا مرارا ... ضاحِكٍ من تزاحــم الأضدادِ

ودفينٍ على بقايـــا دفينٍ ... فى طويــل الأزمــان والآباد

تعَبٌ كلهـا الحيـاةُ فمـا أعْـجبُ ... إلا من راغبٍ فى ازديـــاد

* * *

كُنْتَ خِلَّ الصبـا فلمـا أراد الـ ... ـبَيْـنُ ، وافـقْتَ رأيــه فى المُراد

وخلـعْتَ الشبـابَ غضًا فيـا ... لَيْـتَكَ أبليْتَــه مع الأنــداد

فاذهبـا خير ذاهبيْـــنِ حقيقَيْـــنِ ... بُسقْيـا روائـــح وغــواد

ومَــراثٍ .. لَو أنهن دمــوع ... لمحون السطـــورَ فى الإنشاد

* * *

إن حزنـا فى ساعـة الموت أضعـا ... فُ سرورٍ فى ساعـــة الميــلاد

خُلـقَ النـاس للبقــاء فضلت ... أمـــة يحسبــونهم للنفــاد

إنما يُنقَلُـــونَ من دار أعمـــا ... لٍ إلى دار شقـــوة أو رشاد

ضجعـــة الموت رقـــدةٌ يستـــريحُ ... الجسمُ فيها ، والعيش مثل السهاد

* * *

أَبنــاتِ الهديـــلِ أسْعِـــدْن أو ... عِدْنَ قليـلَ العــزاء بالإسعــاد

آيـــة الله درُّكُـــنَّ فأنتـــنّ ... اللـواتى يُحْسِنَّ حِفْـظَ الــوداد

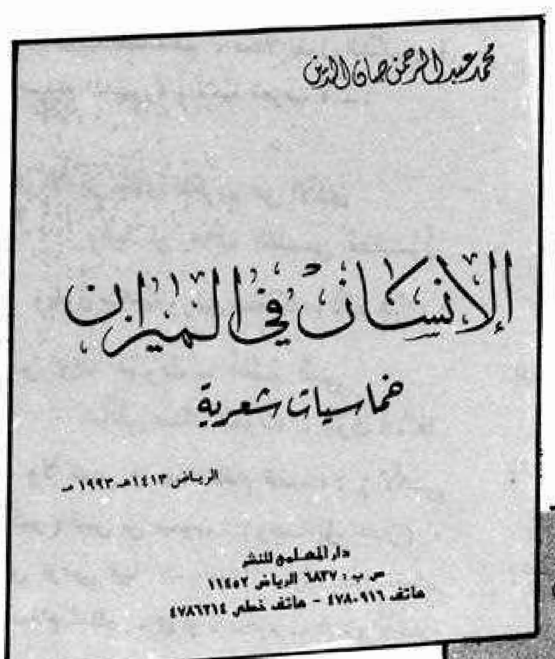
ثم غرِّدْنَ فى المآتم واندُبْـــنَ ... بشجْـوٍ .. مع الغـوانى الخِـراد

وهنا يخجل التحليل والتشريح ، فهذه الأبيات من القوة والتوافق ، بحيث تستقل بنفسها وتُصبح بغير حاجة إلى أى وصف أو تفسير ، فهى ماسة نادرة تظل تبعث إشعاعها عبر العصور ، فلا تُبْلَى جدَّتها ، ولا يخبو بريقها .. وهى ـ ونفائس أخرى من نظائرها ـ خير دليل يُثبت خطل الرأى ، وتعسُّف الحكم على القصيدة العربية ـ بأنها تفتقر إلى الوحدة الموضوعية .

( الحديث موصول )

وقفة مع ديوان

# الإنسان في الميزان




للشاعر / محمد عبد الرحمن صان الدين



**من إحساس الشاعر بأنه يحمل مسئولية كبرى نحو مجتمعه ، تسلّط عليه روح الحكمة ، فتراه قد ارتقى منبره ونصّب من نفسه حاديا لهذا المجتمع ، إن لم يكن للناس أجمعين .**

**ومن خلال القصيدة يرسم معالم مدينته الفاضلة ، ويدعو الناس بأسلوبه ، كي يدخلوا عالمه السحرى الخاص جدا .**

**فهو يحلم ، ويتمنّى .. وعلى الدنيا أن تحقّق أحلامه .**

والشعراء عادة يميلون إلى الحكمة ، وبخاصة بعد إنقضاء مرحلة الشباب ، وولوج مراحل النضج ، التي تتضح فيها الرؤية ، وتنمو على مشارفها نَبْتَةُ الحكمة ، فتغدو شجرة مُورقة يانعة ، تؤتى ثمرها : شعرا مصقولا ، دعّمته التجربة الذاتية الواعية للشاعر .

بقلم الأستاذ / محمد عبد الوهاب

والمتتبّع لسير الشعراء فى الأحقاب المختلفة ، سيرى تلك الحقيقة واضحة جلية ، فإذا نظرنا إلى شعراء الجاهلية ، رأينا ومضات الحكمة تشع فى

ثنايا أبيات قصائدهم ، فمثلا يقول الشَّنْفَرَى فى قصيدته المشهورة « لاميَّة العرب » ـ :

وفى الأرض مَنْأَى للكريم عن الأذى
وفيها لمن خاف القِلَـى مُتَعَـزَّلُ

ويقول صاحبُه ورفيق صَعْلكته (تأبَّطَ شرًّا) :

وإنِّىَ وَإنْ عُمِّرْتُ ـ أعْلَمُ أنَّنى
سَألْقى سِنَانَ المَوْتِ ، يَبْرُقُ أصْلَعا

ولا ننسى فى هذا المقام قصيدة : (الأعشى الكبير) قيس بن ميمون : (وصية إلى بصير) ، التى يوصى فيها ابنه بصيراً ، وقد تمثّل تعاليم الإسلام العظيم ، فى أوان فجره .. فنرى الأعشى يُوصِى ابنه بتقوى الرحمن ، وبالصبر ، وبعدم الشرك بالله ، ويأمره بعبادة الله الواحد ، وينهاه عن المحرَّمات التى حرَّمها الإسلام كأكل الميتة ، ثم يُوصيه بالجار خيراً ، ويأمره بألّا يعتدى على أهله وعشيرته .. فيستهلُّ قصيدتَه بقوله :

وإنَّ تُقَى الرحمنِ لا شيءَ مثلهُ
فصبرًا إذا تَلْقَى السَّحَاقَ المرازِيا
وربّكَ لا تشركْ بِهِ ، إنَّ شِرْكَهُ
يحطُّ من الخيراتِ ، تِلْكَ البَوَاقِيَا

هذا ، وقد حفل ديوان الشعر العربى بما لا يُحْصَى من قصائد الحكمة وشعرائها ، حتى أنه ورد على لسان (المتنبّى) قوله : « أنا وأبو تمّام حكيمان ، والشاعرُ البحترى » وذلك لكثرة ما ورد فى شعرهما من عيون الحكمة .. ولا يفوتنا أن ننسى (أبا العتاهية) و (أبا العلاء المعرّى) وغيرهما من الشعراء العِظَام ، الذين أثْرَوْا الأدبَ العربى بحكمتهم الرافدة .

* * *

هذا ويحضرنى بعض أبيات للإمام العالم الفقيه (الشافعى) رحمه الله ، تبدو فيها الحكمة نيِّرة كالضّحى .. إذ يقول :

إذا رُمْتَ أن تحيا سليما من الأذى
ودينك موفور وعِرْضُكَ صَيِّنُ
فلا ينطِقَنْ مِنْكَ اللسانُ بسَوْأةٍ
فكلُّكَ عَوْراتٌ ، وللناس ألْسُنُ
وعينك إنْ ابدت ، إليكَ معايبًا
فَدَعْها ، وقُلْ : يا عينُ للنّاسِ أعْيُنُ
وعاشِرْ بمعروفٍ ، وسامِحْ مَن اعْتَدَى
وفارِقْ .. ولكن ، بالَّتى هِىَ أحْسَنُ

* * *

وشاعرنا اليـوم ، من كبـار الشعـراء المعاصرين ، الذين نقرأ أشعارهم فى العديد من المجلات الكبرى فى مصر ، وفى الدول العربية ، وبخاصة : المملكة العربية السعودية ، التى طُبع فيها ديوانه : (الإنسان فى الميزان) ، موضوع دراستنا اليوم .

وقد سبق لى أن طالعت واحدا من مؤلفاته بعنوان : (شوارد وسوانح) ، وهو عبارة عن لمحات استخْلِصَتْ من واقع الحياة ، مرّت على وجدان الشاعر فانصبغت بأجمل الألوان ، وتعطَّرت من عبيرِهِ الفوّاح ، وظهرتْ لنا بين دفتى كتابه كجوهرة فريدة يموج فيها الضياء .
أما ديوان : (الإنسان فى الميزان) فهو سِفْرٌ

قيِّمٌ وضع فيه الشاعر خلاصة تجاربه في الحياة على هيئة خماسيّات شِعْرية ، من ( مجزوء . بحر الرَّمَل ) ، جاعلا لكل خماسية ، قافية مختلفة متحريا البساطة وعدم التعقيد ـ ( على حد تعبير دار المُعَلِّمي للنشر ) التي قامت بطبع الديوان .

وقد قسَّم الشاعر ديوانه إلى أقسام وضع لها عناوينها من حيث الرابطة الموضوعية التي تربطها ، وهي على الترتيب : الإنسان والحياة ، لواذع ، بنت حواء ، العرب والإسلام ، الشعر والشعراء ، مصر ، سبحات وابتهالات ، الجمال في فطرة الخالق ، عبر الأحداث ، مناجاة .

ولنبدأ معا أيها القارئ العزيز مطالعة الديوان ، ولننظر في قصيدته الأولى : ( الإنسان مُخَيَّر ) لنجد أن الشاعر وقد أمسك بمنظاره المقرِّب ، كي يرصُدَ سلوكَ الإنسان ، وتصرفاته المختلفة .. يحسُّ بالصدمة ، وذلك لأنه يرى البشر وقد صاروا : ذُؤْبانا ! فيقول :

بعد رصْدِ الناس حيناً
ينتقي منهم حبيبا
فيه أمْنٌ وائتناسٌ
إذ به يلقاه : ذيبا !

ويصف الشاعر الإنسان بعدم الثبات على حال ، وبأنه كالبحر ، في تقلُّبه وعدم استقراره فيقول :

قد رأيتُ البحرَ يبدو
ساجيا رحبَ المجال
فجأةً يطْغى ويعلو
ثائراً ، مثل الجبال
هل على الأرضِ أمانٌ
في حلولٍ ، وارتحال ؟!

.. يبدو الشاعر في أبياته تلك وقد فقد الثقة في البشرِ جميعاً ! ثم نراهُ في نهاية قصيدته هذه ، ينعى حظه العاثر فيقول :

كُلَّما صوَّبْتُ سهمي
نحو صيدٍ عنه ينْبو
وإذا عالجتُ خطْباً
باصطبارٍ ، حَلَّ خطبُ
ذاكَ مِنْ دُنْيايَ حَظِّي
في سِباقِ العَدْوِ يَحْبو

وفي الخماسية الثانية التي تحمل عنوان ( أنت ) نرى الشاعر يتوجَّه بحديثه إلى الإنسان ـ على إطلاقه ـ من وجهة نظر الشاعر ـ واصفاً إيّاه بالتخبّط والحمق فيقول :

أنتَ في الدنيا طليحٌ
تائهٌ بين الضبابِ
بقشورٍ يابساتٍ
يتلهَّى عن لُبابِ
فوق شوكِ الحُمْقِ تَعْدو
لاهثاً خلْفَ السَّرابِ

ثم يقول في التي تليها :

كلُّ شيء في الوجودِ
الرَّحْب يجرى بحسابِ
وفْقَ تقديرٍ حكيمٍ
ليسَ وفقاً للرغابِ

ذلك الإنســــــانُ يأتى
كُلَّ أسْبَـــابِ الخـــرَابِ

ثم يُذكِّرنـــا فى موضع آخــــر ، فى نفس القصيدة ، بقصّة أوّل جريمة بشريّة ، وكيف أنّ غُرابا علَّمَ « قابيل » كيف يدفن جُثّةَ أخيهِ فيقول :

جدُّه قابيــــــلُ قد أرْدَى
شقيقــــــا غِلَّ نفسِ
والـــذى أدهــــى غراب
دلَّــه (عن) حفــــر رَمْسِ

وبعد أن يصفه بأن فيه من طبع السباع المفترسة ، وبأنه يسير حيث يأمره هواه ، ولا يأبه لهدْى السماء ، لركونه إلى الطين الذى هو أصل جسمه ، فيهوى فى هاوية المعاصى والرذائل ، ناسيا النهاية الحتمية ، التى يذكرها الشاعر قائلا :

بَيْــد أنَّ المــــوتَ نصب
الــعين منصـــوب الشراع

* * *

ويعود الشاعر إلى نفسه ، يحادثها ، بعد أن ضاق بأخيه الإنسان ، فيُؤْثر الوحدة فى لياليه ، مُتخيِّرا أطيافَها أصحاباً ورفقاء فيقول :

ضِقْتُ بالإنسان ذَرْعـــــا
والأمـــانى ، والشجـــونْ
وارتضيت العــــيش فى
صمت الليــالى والسكـــون
أرصد الأطيــــاف حولى
سابحاتٍ كالظنــــــون

ثم يعود الشاعر فيسائل نفسه : أليس الشاعر نفسه إنسانا كغيره من بنى الإنسان ؟ لماذا إذن لا يفعل كما يفعل غيره ، فيقول :

هل أنا كالناس ؟؟.. طبعــا
كنت من ماءٍ وطين ؟
لِمْ إذن لا أرتضى عَيْـــــ
ش التجنّــــــــى والمجون

ويسترسل على ذات الوتيرة الحزينة حتّى نهاية الخماسية .. أمّا فى خماسيته التالية فنرى الشاعر وقد توجّه لأخيه الإنسان بنصائحه التى اكتسبها من حكمته ، وحمَّلها بأوزانِه وقوافيه ، فيعيب على الإنسان أن يعادى الدهر ؛ لأن العيب فى الإنسان ذاته ، وليس فى الدهر ، فيقول :

لا تُعَـادِ الدهْـرَ ظُلمـــا
أو يـــادر منك سخـــطُ
ليس عيب الدهـــرِ أنّـــا
فوق شَوْكِ العـــيبِ نخطـــو

ورحم الله ( الإمام الشافعى ) الذى قال مُشْبعا هذا المعنى ذاته :

نعيب زماننـا والعيب فينـــا
ومـا لزماننـــا عيبٌ سوانـــا
ونهجو ذا الزمان بغير ذنب
ولونطق الزمانُ لنا هجانـــا
وديدنُنا التصنّــع والتّـــرَائى
فنحـــن به نُخادِعُ مَنْ يَرانـــا
وليس الذئب يأكل لحم ذئبٍ
ويأكُلُ بعضُنا بعضاً عِيَانا !

ولكى نُعطى النقد حقَّه ، فإننا نرى أنّ شاعرنا الكبير ، قد لوَّن عدساتِ منظارِه الذى يرصد به الإنسان بلون تغلب عليه ظلالُ القتامة ، فالشاعر قد جعل نفسه بمعزل عن إنسان العصر ، ولسان حاله يردد مع أبى القاسم الشابى قوله :

الشقـىّ الشّقـىُّ الـذى كان
فى حساسيّتى ، ورقّـةِ نَفْسِى

فحيثما تلفَّتَ الشاعر ( صان الدين ) ، يجد تجاوزا بشريا ، لا يصمد طويلا أمام المُثُل العليا ، التى تهفو إليها نفسه ، والتى أصبحت كُلًّا لا يتجزأ من قوام شخصيته .

وقد يكون هذا الاتجاه صحيحا ـ إلى حدّ ما ـ بالنسبة لبيئة ما ، ولكنه ليس الكلمة الأخيرة .. فالدنيا لا زالت بخير : يقول ربنا العظيم فى سورة الشرح :

﴿ **فإنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْرًا . إنَّ مع العُسْرِ يُسْرا** ﴾ ، كما جاء فى الحديث الشريف قولُ نبيّنا رسول الله ، صلى الله عليه وسلّم : « أُمّتى كالمطر ، لا يُدْرى أوّله خير ، أم آخره » .. ولا نذهب بعيدا إذا قلنا : إنّنا نرى فى مجتمعنا المعاصر الكثير من العلماء الفضلاء ، والشبّان الأتقياء الصالحين ، يسيل بهم الوادى ، فى كلّ ميدان ومجال ، ومن ثمّ فإنّنا نتساءلُ : أين مكان هؤلاء جميعا فى مخيِّلة الشاعر و ( ميزانه ) ، فقد اقتصر على تصوير الجانب المظلم السيّىء فحسب ، وكُنّا ننتظر منه أن يشحذ يراعه ، لتصوير الجوانب الأخرى المضيئة أيضاً ، جنبا إلى جنب ، مع النواحى القاتمة ، التى برع فى تصويرها بديباجته الرصينة ، التى اكتسبها من طول الدُّربة ـ فى نظم الشعر ـ طوال ما يقرب من نصف قرن من الزمان .

* * *

وفى خماسية ( الإنسان والصبر ) نرى الشاعر يستهلّها استهلالا ، يلعب فيه الحوار دورا بارزا ، فيجرى الشاعر الحوار مع الحمامة ، مُسْتَقْطِرًا من منقارها قطرات الحكمة ، فيقول :

قلتُ للورقـاءِ يومًـا :
خبِّرينـى يا حمامَـه
كان بين الـعُشْ فرخٌ
منك يستـوفى طعامَـه
تدفعيـنَ الشرَّ عنـهُ
بالفـداءِ ، وصرامَـه
.. أين غابَ الفـرخُ عنكِ
اليـوم ؟ قالت مُسْتهامَـه :
.. طار فى الآفاق يحيَـا
حيثما شاءَ الإقامَـه

ثم فى الخماسية الثانية ، من نفس القصيدة ، ( الإنسان والصبر ) يقول :

هكـذا الإنسان حين اشتدّ وَلَّـى مُسْتَقِـلّا
لا يُبالى فى صفاءِ العيشِ أَوْشاجًا وَأَهْـلا

أمّا فى خماسية ( الرأى والقيادة ) فإنّنا نرى الشاعر وقد تنحَّى قليلا عن القتامة ، فنراه فيها يمجّد العلم والعلماء ، ويستنكر الجهل والجهلاء فيقول :

يا ذكـىّ القـلب أبصِرْ
إنّ رأى العلـم حاسم

ثم يقول :

أىَ فُلْكٍ قادَها الجُهَّالُ حتماً سوف تغرق

ويعود شاعرنا إلى نهجه الأول ، مرة أخرى ، فيقول عازفا على عوده الحزين فى خماسية ( الحقد ) :

يا رياح الحقد فى الإنسان كُفّى عن هبوبِ
لا تُحيلى رَقْرَقاتِ الحُبِّ نارًا فى القلوبِ

ثم يختمها بقوله :

خابَ من ألقى زمام النفس فى كفّ الرياح !

* * *

ونأتى إلى المجموعة الثانية فى الديوان والتى وضع لها الشاعر عنوان : ( لواذع ) فنرى أنَّ الشاعر قد بدأها بقصيدة : ( جنوح ) ، وهو لا يقصد جنوح فُلْك أو سفينة ، وإنما يقصد جنوح فكر الإنسان ، فهو يعترض على نظرية النشوء والارتقاء لصاحبها : ( دارون ) ويصفه بأنّه لا يملك يقين العلم .

ويبدو واضحاً من عنوان الـ : ( لواذع ) أنها مجموعة من الزفرات التى يقذف بها الشاعر باتجاه ما يجافى تعاليم الإسلام الحنيف ، من مبادىء هدّامة أو تصرفات مشينة ، فبعد أن هاجم : ( دارون ) و ( ميكيافيللى ) ، نراه يهاجم الدّجالين والمشعوذين فى قصيدة بعنوان ( شعوذة ودجل ) ، ثم يهاجم الأطبّاء والصيادلة ، ورجال العلم !

ونحن معه تماما فى هجومه على ما توصل إليه ( دارون ) وما وصّى به ( ميكيافيللى ) ، ولكننا لسنا معه فى هجومه على العلماء فى العلوم المختلفة ، كالطّب والصيدلة ، وغيرهما من العلوم التى تعود على الإنسانية بالخير والمنفعة ..

* * *

وفى قصيدة الشاعر التى بعنوان ( وخزات ) ، نرى الشاعر ناقدا لمثالب المسلمين ، فأهل الميِّت الفقراء تراهم يقيمون السرادقات الضخمة ، والقبور الفخمة ، بينما ميّتهم .. قد مات جوعا ! وفى مشهد آخر ينتقد الشاعر الكسْبَ الحرام والخيانة والاغتيال ، وعدم الوفاء بالعهود ، والابتزاز والاحتيال ، مؤكّدا ، أنّ الإسلام يُجانب كلَّ تلك الصور الهدّامة والمعايب المخجلة ، ويحاربها بكل قوة ، فهو دين العدل والأمان ، وفيه للإنسان رشاد وسلام واعتدال .

ثم فى الصورة التالية يُبيّنُ الشاعر أنّ المسلمينَ لمّا ساروا بلا وعى بتعاليم دينهم وبهديه ، أذلَّهم أقوامٌ غيرهم ، من أصحاب الديانات الأخرى فيقول :

غير أنَّ المسلمين اليوم قد مالوا ، فضلّوا
فى ظلام الزيـــغ ساروا
فى عثــار حيثُ حلّــوا
يحملـــون الإسم لكـــنْ
ليسَ فيهم مِنــــهُ ظِلُّ

وفى قصيدته : ( أمّة الإسلام ) يُظْهِرُ لنا الشاعر غيرته على دينه ، وبأن العيبَ فى ذات الشخص وليس فى المبدأ ، فيقول :

مُدّع الإسلام إنّ الديـــنَ إيمانٌ وجهـــدُ
فى سبيـــل الكُـــلِّ يَسْعَـــى
مثـــل سعـــى النحـــلِ فَرْدُ

لا يمسُّ الغيــرَ مِنـــهُ
عِنـد ضيـقِ الصدرِ كيْـدُ
.. إنمـــا الإسلام سمح
فى عقـول النــاس رُشْدُ

وقد أثار الشاعر إعجابنا حقا فى قصيدته: (شباب العصر)، حين انتقد رأى بعض الأبناء من الشباب، الذين يقولون بأن على آبائهم أن يتحمَّلوا نزق هؤلاء الشباب، واستهتارهم وعبثهم السَّمج لا لشىء إلا لأنهم - أى الآباء - قد أنجبوهم، فيقول الشاعر موجها حديثه لهؤلاء الأبناء العاقّين:

ما على الآباء للأبنـاءِ بعـد الـرشْدِ حَقُّ
بَلْ عليك البـرّ والتكـريم من قلب يَرِقُّ

* * *

.. ويجدر بنا أن نذكر لشاعر النيل، حافظ إبراهيم، إحدى (لواذعه) لوطنه كلّه، وليس لفئة فيه، حينما تمّ الاتفاق بين إنجلترا وفرنسا سنة ١٩٠٤، على إطلاق يد الإنجليز فى مصر، فى مقابل إطلاق يد الفرنسيين فى مراكش.. فقال يحفز الهمم، بنخوة وإباء، وإن بدا يائساً ومغلوبا على أمره:

حَطَمْتُ اليراع، فلا تعجبى
وعفت البيان، فلا تعتبـى
وكم فيك يا مصر من كاتبٍ
أقـالَ اليراعَ، ولم يكـتبِ
فلا تعذلينى لهذا السكـوت
فقد ضاق بى منك ما ضاق بى

إلى أن يقول:

أيعجبنى منك (يوم الوفاق)
سكوتُ الجمادِ ولعب الصبى
وكم غضب الناس من قبلنا
لسلْبِ الحقوقِ، ولم نُغضَبِ

وقد كان على محمود طه، أكثر إيجابيةً من (حافظ)، حينما خاطب (أخاه) - أيضا - يستحثّه على الجِلاد والفداء، بقوله:

أخى جاوز الظـالمونَ المدى
فحُقَّ الجِهَادُ، وحُقَّ الفِـدى
أنتركهم يسلبـونَ العروبـةَ
مجْـدَ الأُبُوَّةِ، والسُّؤْدَدَا
وليسوا بغير صليل السيوف
يجيبون صوتا لنا، أو صدى
فجَرِّدْ حُسَامَكَ مِنْ غمْـدِهِ
فليسَ لَهُ بَعْـدُ أنْ يُغْمَـدَا

وكان (محمد إقبال) أكثر توفيقا فى صيحته المجلجلة للأمّة الإسلامية، حين قال:

أمّة الصحراء يا شعب الخلود
مَنْ سواكم حلَّ أغلال الورى؟
أىّ داعٍ قبلكم فى ذا الوجود
صاح لا كسرى هنا، أو قيصرا
من سواكم فى حديثٍ أو قديم
أطلعَ القرآنَ صُبْحًا للرشاد
هاتفا فى مسمع الكون العظيم
ليس غير الله ربّـا للعبـاد

* * *

ولنا بعض الملاحظات الأخرى التى عنَّت لنا ونحن نتجوّل بين قصائد الديوان ، والتى نوردها فيما يلى :

أولا : أكثرَ الشاعر من استخدام بعض الألفاظ المهجورة ، المُوغلة فى القدم ، التى أوشكت أن تتلاشى من كتابات المحدثين من الأدباء العرب ، ممّا ألجأ الشاعر إلى استخدام الشروح بكثرة ، وكانت له مندوحة تغنيه عن هذا كلّه وتجعله أقرب إلى قارىء اليوم ، المتصفّح المتعجّل ، وذلك باستخدام ألفاظ أكثر إشراقا ووضوحا ..

ثانيا : نبرة التشاؤم ، التى تشيع فى معظم الخُماسيّات كما قدّمْنا ، ممّا يصدم القارىء ، ويصيبه بالإحباط .

ومهما يكن من أمر ، فإننا مع الراحل الجليل المرحوم الدكتور / محمّد البهى فى قوله بمقال له بعنوان : ( التفكير الفلسفى فى الشعر العربى )[1] « إنّ الشعر لون من ألوان التعبير عن الحياة ، وعن تفاعل الإنسان مع أحداثها وما يجرى فيها من تغييرات من شأنها أن تحرك مشاعر الإنسان ، أو تلفت نظره إليها ... » إلى أن يقول : « فهو ــ أى الشاعر ــ كما يحاول أن يشرح علّة الوجود ، يحاول أن يشرح طبيعة الإنسان فى تكوينه وتفكيره وسلوكه ، وفى غايته فى الحياة ، وإذن ليس التفكير الفلسفى قاصراً على بحث ما وراء الطبيعة ، أو على بحث المقاييس الخلقية وأسلوب التفكير لدى الإنسان ، بل كما يتناول هذه المجالات ، يتناول أيضا الطبيعة والطبائع الحية فى أجناسها العديدة » .

ومن الطبائع الحية : الخير ، والحق ، والجمال ، المتوفّرة فى فطرة ما خلق الخالق ــ سبحانه وتعالى ــ تلك الفطرة التى أوْدعها فى نفوس الكثير ممّن يسيرون على صراطه المستقيم ، أولئك الذين كنّا ننتظر من الشاعر الكبير صان الدين أن يلتفت إليهم ، ويوفيهم حقّهم .. ولو بالإيماء والإشارة .

وإزاء ما تقدم ، فإننا نقول للشاعر محمد صان الدين : هوِّنْ عليك ، فإن ( المتنبّى ) يقول :

ومن البليّة عَذْلُ من لا يرْعوِى
عن جهله ، وخطاب من لا يفهم

ويقول أيضاً :

ليت الحوادث باعتْنى الذى أخذت
منى بِحلْمِى الذى أعطت وتجريبى
فما الحداثة من حلم بما نعـةً
قد يوجد الحلم فى الشبّان والشيبِ

★ ★ ★

وننتقل خطوة أخرى ، نحو التعرّف على خصائص أسلوب الشاعر صان الدين فى ديوانه الجديد ، إذ نلاحظ أنّه ــ على عكس ما كان عليه ديوانه ( أعاصير وأنسام ) ، من شفافية وسلاسة ، نجده فى ديوان اليوم : ( الإنسان فى الميزان ) . يأتى أسلوبه رصينا قويّا ، نتيجة لتوقّد ذهنه ــ ولا أقول وجدانه ــ وحرصه على السيطرة التامة الواعية على

---

(١) انظر مجلة الوعى الإسلامى ــ العدد ١٢٣ ــ الصادر فى ربيع الأول سنة ١٣٩٥ هـ .

أدواته اللغوية والتعبيرية ، إلّا أنه تُفتقد فيه مشاعر الإيحاء الوجدانى المحلّق الذى ينضح بمائية الشعر ورونقه ،... ونضرب بعض الأمثلة لما نعنيه بما يوضح ذلك ، فمثلا نجد ( ميخائيل نعيمة ) فى قصيدته : ( أخى ) ، التى يتعاطف فيها مع قارئه ، فيناديه بعنوان القصيدة : ( أخى ) .. ثم يعمد إلى ذكر مواقف ما بعد الحرب[2] التى جرّنا الغرب المستعمر إلى أتون معاركها ، ولم يكن لنا فيها ناقة ولا جمل ، فيشرع الشاعر فى نجوى قلبية وجدانية متعاطفة ، بعيدة عن الخطابية والمُباشرة ، محدّثا (أخاه) ، وقارئ شعره ، بدون استعلاء أو جهارة فى النُّصْح والتوجيه ، لأنه معه ــ أولا وأخيرا ــ فى زورق واحــد .. بأحــاسيسه ومشاعره ، فيقول بنبرة آسية خلّابة :

أخى ! أن ضجَّ بعد الحرب غربيٌّ بأعمالهْ
وقدَّسَ ذِكْـرَ مَنْ ماتـوا ،
وعظَّـمَ بَطْـــن أبطالِـــهْ
فلا تهزج لمَـــــنْ سادوا
ولا تشمتْ بِمَـــنْ دانـــا

ويرى القارئ معنا ما فى هذه الأبيات من تصوير رائع ، ونقد بارع ، واستخفاف لاذع بِحَمَلَةِ القماقم ، الذين يسيرون فى مواكب الرياء ، وهم ينشدون أهازيج انتصار ( الحلفاء ) ، وهزيمةَ ( المحور ) .. ثم يستمر الشاعر فى رصد ووصف ما أحدثته الحرب من موجات غلاء واسْتِنْزَافٍ للموارد ، لصالح ( الحلفـــاء ) ، وكذلك الغُنْم الذى أحرزوه ، والغُرْم الذى أصابونا به فيقول مُستَتْلِيًا .

أخى إنْ عاد بعد الحرب جندىٌ لأوطانِهْ
وألْقى جسمـــه المنهوك فى أحضان خِلّانِـــهْ
فلا تطلب إذا ما عُدتَ للأوطـــان خِلّانـــا
لأنَ الجوع لم يترك لنا صَحْبــا نُنـــاجيهم
سوى أشبـــــاح موتانـــــــا ....

أىُّ لوعة وأىّ حسرة .. عبَّر عنهما الشاعر ، باحتدام وعفوية وطلاقة ، من واقع المعاناة والصدور عن تجربة شعورية عميقة ، حينما نظر حوله ليشهد آثار الدمار الذى أحدثته غارات أعداء الحلفاء بِمُدُنِنا وقُرانا ، فى حُقولنا ومنازلنا ، بشتّى بلدان الأمة العربية ، وخاصة فى أثناء الحرب العالمية الثانية ، التى ذاق الشاعر ــ كما ذُقْنا معه ــ الأمَرَّيْن لما ألحقته غارات الطائرات من تدمير وتخريب ، فيقول مُستطردا على نفس النسق الحار المُتدفِّق :

أخى ! إنْ عاد يحرث أرضه الفلّاح أو يزرعْ
ويبنى ــ بعد طول الهجر ــ كُوخا هدَّه المِدْفعْ
فقد جفَّتْ سواقينا وهـــدَّ الـــذُّلُّ مأوانـــا
ولم يترك لنا الأعداءُ .. غَرْسًا فى أراضينا
سوى أجيـــــاف موتانـــــــا ...

* * *

وهكذا يستمر الشاعر فى تدفُّقه الشعرىّ الشعورى ، فى رَيْثٍ وَعُمْقٍ ، لينتهى إلى نقد

---

(٢) نعنى الحربين العالميتين : الأولى والثانية ( ١٩١٤ ـ ١٩١٨ ) ( ١٩٣٩ ـ ١٩٤٥ ) م .

الذات : لنفسه ، ولمن يخاطبه فى آن معا ! فيقول بألم حزّاز ، يُصوِّر الواقعَ الأليمَ ، بدون مداهنة أو تمويه :

أخى ! قد تمّ ما لو لم نشأهُ نحنُ .. ما تمَّا
وقد عمَّ البلاءُ .. ولو أردنا نحن ما عمَّا
فلا تندبْ .. فأُذن الغير لا تُصغِى لشكوانا
بل اتبعنى .. لنحفر خندقا بالرفش والمِعْولْ
نوارى فيـــــه موتانـــــــا ...

هذا ـ فى رأيى ـ هو الشعر الحلال حقًا الذى يبهر بأصالته وعمقه ، وليس بنصحه وإرشاده فحسب .

وأخيراً .. كنّا ننتظر من صاحب اللواذع والنقدات ، أن لا يأتى بألفاظ قاموسيَّة كَثُر استعمالها ، وأصبح من المُستحب الإقلاع عنها ، مثل : الليث ، والغيث ، والمُزْن والرضاب ، كما فى قوله :

ألـــــيث ذو ذئير أم هزار
شجىّ اللحنِ رفَّاف رشيقْ
وغيث من رضاب المُزْن عذْب
بِدَفْقٍ من يراعك ، أم رحيقْ

إلى أن يقول :

فكنت الساهر اليقظان يخشى
ويحذر بأسَك (الخِبُّ) النزوق

وأقسم أننى لم أفهم معنى كلمة ( خب ) ، فى هذا البيت ، لأنه خالف عادته ولم يشرح معناها لنا بهامش الصفحة ، وليته استخدم لفظة أَمْلس وأَرَقّ ، كلفظة ( الغرّ ) مثلا ..

هذا ، وإن نقدنا الخالص لا ينفى إقرارنا بشاعرية أستاذنا الشاعر الكبير الأستاذ محمد صان الدين ، وبأصالته وتمكّنه .

والله الموفق






**يتساءل السيد أحمد يونس أحمد ـ بكلية أصول الدين بالقاهرة ـ جامعة الأزهر ـ عن تعليل لظاهرة انتشار الفن الخليع فى مجتمعاتنا الإسلامية ، وعن موقف الإسلام مما تقدمه دور السينما والمسرح من فنون بصفة عامة ؟**

لقد استطاع «تيار التغريب» بمعونة دعاته أن يغزو الفكر الأدبى ، ويؤثر فى توجيهه إلى درجة كادت أن تقطعه عن مساره وحلقاته المتتابعة منذ فجر الإسلام ، فى محاولة للاستعاضة عنه بفكر غربى يرتبط أساسا بالمفاهيم الوافدة من مدارس الغرب ، حتى سمعنا بمن يدعو إلى تخليص الفن من أية قيود دينية أو أخلاقية .

فهى دعوة تغريبية ـ نلمس صداها فى مجتمعاتنا ـ وهى تتعارض مع الفطرة والذوق الإنسانى قبل تعارضها مع الإسلام نفسه ، ومن الخير للمجتمع أن يقوم فنه وأدبه على ضوابط الإسلام الأخلاقية لأن إطلاقه من كل القيود لا يحقق سوى القبح المتمثل فى الكشف والخلاعة والإباحة .

ومن ثم فإن الإسلام مع الفن الذى يفيد الإنسانية ويرقى مشاعرها ويُعلى من مداركها فى إطار لا يخرج به عن منهجه ، والإسلام مع كل فن يناضل من أجل حماية القيم والذوق العام فى مجتمعاتنا ، ومع كل فن يقاوم تيار التغريب ولاينساق وراء دعواته السامة فى الفنون والآداب .

**محرر الباب**

# حد الاعتدال فى الإسلام

**كثر الحديث فى الآونة الأخيرة عن معنى التشدد وما تحمله هذه الكلمة من تداعيات ، وحاول البعض ـ بسوء نية ـ إلصاق هذا الوصف بالإسلام ؛ صادراً فى ذلك عن كره دفين لشريعتنا السمحة ، ومستهدفاً إرضاء جهات لا تكمن للإسلام وأهله إلا كل عداوة ، ومشاركة فى جهد الأزهر ومجلته فى تجلية وجه الشريعة الحقة ، ودفع ما يلصقه أعداء الإسلام به ظلماً وافتراءً ، كتب إلينا هذه الكلمة الأستاذ أحمد محمد فرج العوامى ـ المحامى بالاستئناف العالى ومجلس الدولة ـ لبيان ما اتسمت به شريعة الإسلام الغراء من توسط واعتدال يتفق وفطرة الله التى فطر الناس عليها .**

جاءت شريعة الإسلام بمنهج قويم ـ ليس فيه عوج ـ يتفق والفطرة السوية ويعتدل به ميزان الحياة .. ما تحراه الناس فى معاملاتهم واستمسكوا بهداه .. وصدق الله عز وجل إذ يقول .. فى شأن القرآن الكريم .

﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ ( سورة الاسراء الآية : ٩ ) .

وجاءت السنة النبوية المطهرة شاهدة بإيثار نبى البر ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ـ جانب الاعتدال والتوسط .. دون إفراط أو تفريط .

ويُعدُّ هذا الجانب من جوانب العظمة فى شريعتنا الغراء .. يرى علماء السلف أن : من أشرف العلوم وأنفعها علم الحدود .. ولاسيما حدود المشروع ـ المأمور والمنهى ـ فأعلم الناس أعلمهم بتلك الحدود .. حتى لايدخل فيها ماليس منها .. ولايخرج منها ما هو داخل فيها .

وفى بيان الميزان الذى يزن الناس به الأخلاق بين حديها ـ والمعيار الذى عليه يضطبون سلوكياتهم الظاهرة ونوازعهم الباطنة،يرون باتفاق :

أن ضابط هذا كله العدل .. وهو الأخذ بالوسط وفقاً لما جاء فى كتاب الله عز وجل ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾( سورة البقرة الآية ١٤٣ ) .

وعليه بناء مصالح الدنيا والآخرة .. بل لا تقوم مصلحة البدن إلا به .. فإنه متى خرج بعض أخلاطه عن العدل وجاوزه أو نقص عنه ذهب من صحته وقوته بحسب ذلك .. وكذلك الأفعال الطبيعية-كالنوم والسهر والأكل والشرب والجماع والحركة والرياضة والخلوة والمخالطة وغير ذلك ـ إذا كانت وسطا بين الطرفين المذمومين كانت عدلا ، وإن انحرفت إلى احداهما كانت نقصا وأثمرت نقصاً .

إذن ما يصدق على الأخلاق من وجوب الوقوف عند حد الاعتدال فيها .. ينسحب حتى إلى تركيب البدن ذاته ، وروت السيدة عائشة ـ رضى الله ـ عنها فيما أخرجه الشيخان أن النبى ﷺ دخل عليها وعندها امرأة .. قال من هذه قالت فلانة وأخذت تذكر من صلاتها ، فقال

«مه .. عليكم بما تطيقون فوالله لايمل الله حتى تملوا» وأخرج البخارى أيضاً عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحدٌ إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشىء من الدلجة ..

وغلبه : أى غلبة الدين .. وفى ذات المعنى روى ابن مسعود رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : «هلك المتنطعون» قالها ثلاثا .. رواه مسلم .. والمتنطعـــون هم المتشددون فى غير موضع التشديد .

## معالجة الإسلام للحرب النفسية

**يستطيع الإعلام أن يكون عاملا من عوامل البناء والدفاع عن مقدرات الأمة ؛ لاسيما إذا تعرض المجتمع لحرب نفسية من قبل العدو .**

**وهنا يجد الإعلام نفسه لإقناع جنود العدو بأنهم يدافعون عن قضية باطلة ، ومواجهة أقوال العدو وشائعاته ؛ بغية تحصين الأمة من شرورها ومساعدتها على بلوغ النصر بالصبر والصمود ، حول هذا المعنى كتب إلينا فضيلة الشيخ زكريا أحمد محمد نور .. واعظ الأزهر بأسيوط هذه الكلمة :**

المفروض أنه متى علمنا أن العدو هو مصدر الحرب النفسية فإن ذلك يكفى لإحباطهـا وإبطالها ؛ لأن العدو لايقول إلا ما هو فى صالحه ولا يفعل إلا ماهو ضد لنا ، ومن مصلحة العدو ألا تتماسك هممنا وعزائمنا ؛ فهل يجوز لنا شرعا وعقلا ومنطقا ووطنية ودينا أن نحقق للعدو غرضه ونحن نحاربه ؟! طبعا لا يقول بهذا عاقل ومن هنا وجدنا الإسلام بآدابه يقود أبناءه إلى سحق محاولات الحرب النفسية الباغية والشواهد الآتية تؤيد ذلك : قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١)

وفى جو الهزيمة تتضاعف الآلام النفسيـة لأسباب داخلية كالحزن والتلاوم ، ولأسباب خارجية كشماتة الأعداء وطمعهم فى المهزومين والله سبحانه وتعالى لايريد أن يترك عباده المؤمنين لهذه الآلام تطحنهم وتوهن عزائمهم، وإنما يأخذ المولى بأيديهم ويبين لهم سنته فى كونه برحمة ولطف ، يجدد بذلك عزائمهم ويحيى به نفوسهم ولهذا ينهى الله عز وجل عباده عن الضعف والحزن ويعدهم بأن النصر النهائى للمؤمنين ويذكرهم بأن ما أصابهم اليوم قد أصاب مثله أعداءهم من قبل ؛ وإنما يداول الله الأيام بين الناس والعاقبة دائما للمتقين .

---

(١) سورة آل عمران الآية (١٥٢) .

# بأقلام القراء

## مشكلات الأقلية المسلمة

كان عام ٨٦ هـ / ٧٠٥ م من أشهر أعوام الفتوحات الإسلامية فى المشرق والمغرب ، لكن الصور المأساوية التى تقع للأقليات الإسلامية فى وقتنا الراهن تدعونا لليقظة ، وما أحوج امتنا الإسلامية العريقة إلى إعادة قراءة تاريخنا الإسلامى واستلهام ما تضمنه من جهاد ونضال وتضحيات وانتصارات .

فالمآسى عديدة !!! وها هى البوسنة وكشمير وأزربيجان ، وغيرها تكشف عن حجم الاكتواء بنار الصهيونية والصليبية والهندوسيةو والشيوعية وغيرهم من أعداء الإسلام .. ما أحوج المسلمين وهم يشكلون ـ تقريبا ـ خمس سكان العالم إلى الوحدة الكاملة التى تفهم من قوله تعالى:

﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ المؤمنون/٥٢ ، ويؤمئذ يفرح المؤمنون بنصر الله .

**يحيى السيد النجار ـ دمياط**

## التوازن المطلوب فى المجتمع العالمى

قد يرجع السبب فى انعدام التوازن بالمجتمع العالمى إلى ما يحمله هذا المجتمع فى طياته من تناقضات صارخة بين العقيدة والسلوك ، بين الواجب والواقع ، بين الدين والسياسة ، بين القول والعمل ، بين الآمال والمنجزات ، بين ما شرعه الله وما شرعه الناس ، والتى إن احتملها بعض الناس لايحتملها كلهم ، وإن احتملوها بعض الوقت لا يحتملوها طول الوقت ، وذلك هو تفسير ما نلمسه من السلبيات والتناقضات من حولنا .

ومن ثم يجب تدارك هذا التوازن المفقود بالحق والعدل ، بما يحقق مصلحة الأفراد والجماعات والحكومات ، وصدق الله العظيم إذ يقول :

﴿ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ﴾ ( سورة البقرة )

**محمد أبواليسر عبدالهادى ـ شربين ـ دقهلية**

## أقوال مأثورة

من حكم أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – .

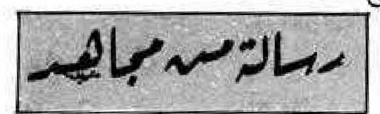
- اقتصاد فى سُنَّة خير من اجتهاد فى بدعة .
- احذر النعمة كحذرك من المعصية .
- إن هذا الأمر لا يصلحه إلا لين فى غير ضعف وشدة فى غير عنف .
- لكل شيء شرف وشرف المعروف تعجيله .
- ما وجد أحد فى نفسه كبراً إلا من مهانة يجدها فى نفسه .
- أعقل الناس أعذرهم للناس .

**هانى جهلان القط على – قنا**

## حدث فى بلدتنا !

**هذه قصة واقعية يسوقها إليك عزيزى القارىء صديق المجلة أسامة أبو حسيبة محمد ، بغية أن نستخلص منها العبرة ، ومضمونها :**

أن مسلما، وجد محفظة بها خمسة آلاف جنيه دون أن يستدل على صاحبها ، فاحتفظ بها عدة أعوام بلغت خمسة عشر عاما ، وعلى الرغم من الظروف القاسية التى ألمت به خلالها ، وأحوجته إلى الاستدانة ، إلا أنه أبى أن يمد يده إليها ، إلى أن دخل عليه يوما عابر سبيل يسأله شيئا يقتات به ، فاستضافه وأكرمه ، وبينما هو يحادثه عن سبب عدم عمله ، إذ قصَّ عليه مايفيد أنه كان تاجراً ميسورا منذ خمسة عشر عاما ، غير أنه ابتلى بفقد رأس ماله كله – وكان حينذاك خمسة آلاف جنيه فى مكان وتاريخ حددهما له ، وهو نفس المكان والتاريخ الذى وجد فيه حافظة النقود ، فقام وأحضرها له ، فأخذها وهو يتعجب من قدرة الله – عز وجل – ولطفه وكرمه ، ويتمتم فى نفسه : « حقاً إن المال الحلال لا يضيع » !!



ومن الشاعر محمد فاروق محمد ... بسوهاج ، قصيدة تحت هذا العنوان ، نجتزىء منها الأبيات التالية :

خذوا روحى ، خذوا قلبى وعقلى ... وخلوا الدين يحيا فى أمان

بنى الإسلام .. إن سفكت دمانا ... وفاض الدمع يشكو ما نعانى

بنى الإسلام إن هدمت ديار ... وصار الحق يزهق بامتهان

فداءُ الدين يا قومى دمانا ... لنسكن بعدة أعْلَى الجنان

# تكريم الله للإنسان

خلق الله سبحانه وتعالى هذا الكون بتدبير محكم وقدرة فائقة تعلو فوق أى قدرة ، فبسط الأرض وجعل الجبال لها رواسخ كى لا يختل توازنها ، وفجر خلالها الأنهار والبحار ، وأحاطها بالمحيطات ورفع فوقها السموات بلا أعمدة ، وزينها بالكواكب والشمس والقمر ، وخلق المخلوقات والكائنات المتعددة من وحوش وطيور وأسماك وحيوانات ، وسخر كل مافى هذا الكون وما فيه من بر وبحر وجو ـ للإنسان الذى كرمه من بين مختلف مخلوقاته ، وأرسل له الرسل مرشدين ومبشرين ومنذرين وأنزل له الكتب السماوية فيها آيات محكمات ، لتضىء له طريق الرشاد والصلاح ، وتزوده بالمعارف والعلوم والأسباب التى يرتقى بها إلى رخائه وسعادته ، ويتهيأ بها بعد كل هذا لعبادته ، فهو القائل فى كتابه الكريم :

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (سورة الذاريات الآية : ٥٦) .

**عماد الدين عبدالمنعم ـ دار طباعة النقد**

## ردود وتعليقات

● **تلاقت أبيات القصيدة المنشورة بعدد رمضان الماضى ص ١٤١٦ ـ فى هذا الباب ـ باسم السيد/ سعد الدين محمود ، مع كثير من أبيات قصيدة الأستاذ الشاعر رشاد محمد يوسف ، المنشورة تحت عنوان «أنوار رمضان» بعدد رمضان سنة ١٤٠٥هـ من مجلة «منبر الإسلام» ، فقد بدا الانتحال واضحاً فى الوزن واللفظ والمعنى ، وهذا مما نأسف له .**

● على كل من يرغب فى الاشتراك الشهرى

● **القارىء السيد عبدالله .. بساحل روض الفرج ـ القاهرة .**

ياأخى العزيز تجويد القرآن الكريم يتلقى شفاهة على يد متخصص ، ولا يتلقى قراءة من كتاب،فلو كان الأمر كذلك لنشرنا ماتريد .

● **القارىء عبداللطيف عبدالجليل فرج من الشماسة مركز رشيد ـ البحيرة .**

اهتمام المجلة بمشكلات الأقليات المسلمة لايخفى على القارىء ، وعسى أن نتمكن من إعداد كتاب وثائقى عن الأقليات الإسلامية فى العالم ، وننشره مع ملاحق المجلة .

● **القارىء خيرى محمد إبراهيم أبوالروس ـ بكلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة .**

عدم الاهتمام بتخريج الأحاديث النبوية يقلل كثيراً من قيمة مايكتب إلينا ، بل ويحول دون نشره .

● **وبمشيئة الله سيوالى الباب اهتمامه بعرض الرسائل التى يتلقاها تباعاً .**

# أنباء مكتب الإمام الأكبر

إعداد الأستاذين عمر بسطويسى
مصطفى عبد المجيد

كتاب جديد لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ
جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الشريف

صدر – بحمد الله وتوفيقه – الجزء الثانى من سلسلة « بحوث وفتاوى إسلامية فى قضايا معاصرة » لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف ويتضمن ردود فضيلته على الأسئلة التى ترد إلى مكتب فضيلته من جهات وهيئات مختلفة داخل مصر وخارجها حول القضايا المعاصرة التى تواجه المسلمين فى مختلف بلاد العالم، والكتاب يقع فى ألف ومائة صفحة ، وهو بحق موسوعة إسلامية شاملة . والكتاب جزء من حصيلة فتاوى فضيلته التى أصدرها منذ ولى فضيلته مشيخة الأزهر الشريف عام ١٩٨٢ وأصدرته الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر الشريف التى ستوالى – بمشيئة الله تعالى – إصدار بقية الفتاوى فى أجزاء متتالية .

المصحف الشريف هدية الأزهر
للمسلمين فى رمضان

بتوجيه من فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر قامت الشئون الفنية لمكتب فضيلته بإهداء مصحف الأزهر الشريف بأحجامه المختلفة ومجموعات من الكتب الدينية القيمة التى يصدرها مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر لكافة الهيئات والمؤسسات والجامعات والمعاهد والمدارس لتثقيف الشباب وتبصيرهم بأمور دينهم على الوجه الصحيح .

كذلك تم إمداد مكتبات المساجد والجمعيات الدينية والأندية الرياضية بالمصاحف والكتب دعماً لرسالة المسجد فى نشر تعاليم الدين الإسلامى الحنيف .

الإمام الأكبر يواصل
سلسلة أحاديثه اليومية خلال
شهر رمضان المعظم

على امتداد ثلاثين حلقة تابع المواطنون على شاشة القناة الأولى بالتليفزيون المصرى عقب صلاة التراويح فى ليالى شهر رمضان المعظم سلسلة أحاديث فضيلة الإمام الأكبر التى تناول فيها الحديث عن مصادر التشريع الإسلامى موضحاً كيف استمدت أصالتها ورسوخها من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة .

أكبر حركة ترقيات فى تاريخ الأزهر الشريف

اعتمد فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الشريف أكبر حركة ترقيات فى تاريخ الأزهر الشريف حيث بلغ عدد درجات المرقين ( ١٤٣٢١ ) درجة وسيتبعها بعون الله تعالى حركة تكميلية فى أول السنة المالية القادمة التى تبدأ فى ١٩٩٤/٧/١م وقد شملت الحركة الأولى التخصصية ، والفقية والمكتبية ، والثانية التخصصية والفنية والمكتبية والحرفية والثالثة الفنية ، والمكتبية والحرفية ، والرابعة المكتبية والعمالية والحرفية والخامسة العمالية والحرفية .

### فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف
### شخصية المهرجان الثقافى العاشر لمحافظة الدقهلية

قررت محافظة الدقهلية اختيار شخصية فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الشريف لمهرجانها الثقافى العاشر الذى تقيمه المحافظة سنويا لتكريم المتفوقين من أبنائها بمراحل التعليم المختلفة .

تقوم المحافظة بإعداد كتيب عن فضيلته يتناول سيرته الذاتية وتاريخه وجهوده فى تدعيم ونشر الدعوة الإسلامية وجهود الأزهر الشريف فى هذا المجال . وسيتم الإعلان عن مسابقة بحثية حول شخصيته بين الطلبة من أبناء المحافظة .

تقوم المحافظة بذلك جريا على عادتها التى مارست العمل بها منذ سنة ١٩٤٠ .

### جبهة علماء الأزهر الشريف
### استأنفت موسمها الثقافى فى شهر رمضان المعظم

استأنفت جبهة علماء الأزهر الشريف موسمها الثقافى بالقاهرة لهذا العام بمحاضرة دينية عنوانها « المقاصد الضرورية للشريعة الإسلامية » ألقاها ا.د. صلاح الدين زيدان عميد كلية الشريعة والقانون بالدقهلية . وعقب عليها ا.د. محمد محمود فرغلى عميد كلية الشريعة والقانون بالقاهرة، ا.د. قاسم الوتيدى عميد كلية الشريعة والقانون بأسيوط ، ا.د. أسامة عبدالعظيم الأستاذ المساعد بكلية الدراسات الإسلامية وعقدت المحاضرة برعاية فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الشريف بالجامع الأزهر الشريف ( الأحد الموافق ١٠ رمضان ١٤١٤هـ - ٢٠ فبراير ١٩٩٤ ) .

### شيخ الأزهر الشريف
### يناشد المنظمات الدولية مناصرة شعب البوسنه والهرسك

ناشد فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر المنظمات الدولية وكافة هيئات الإغاثة أن ترعى حقوق الإنسان فى البوسنه والهرسك، وأن تعمل على دفع العدوان ووقف حرب الإبادة الموجهة إلى المسلمين بوصفه عملا إنسانيا وسعياً إلى الوحدة الإنسانية بدلا من العرقية والاقليمية مشيراً إلى أن على العالم الإسلامى بصفة خاصة أن يقوم بواجب الاخوة الإسلامية مع المسلمين فى البوسنة والهرسك بامدادهم وإغاثتهم بما يحتاجون إليه ودعم موقفهم فى الدفاع عن أرضهم وعرضهم .

وناشد فضيلته العالم بأسره أن يعمل على وقف تلك المذبحة البشعة وأهاب فضيلته بشباب البوسنة والهرسك أن يصمدوا فى وجه الأعداء، وأن يدافعوا عن الوطن وعن العرض حتى يأتى الفرج القريب إن شاء الله « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا » .

كما ناشدهم فضيلته أن يوحدوا صفوفهم ويصبروا على هذه المحنة، وأن يلزموا بأحكام الإسلام حتى يتحق النصر إن شاء الله .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾

﴿ إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ﴾




إعداد الأستاذ / مجدى عبد الحميد بشير

## السلام السراب يذبح فجر منتصف رمضان

وصفت معظم الصحف العربية والأجنبية التى صدرت صباح السبت ١٦ من رمضان بعد يوم واحد من ارتكاب المذبحة الفظيعة التى قام بها المستوطن الإسرائيلى باروخ جولدن اشتاين وراح ضحيتها عشرات المصلين وهم سجود فى مدينة خليل الرحمن فى المسجد الإبراهيمى بالضفة الغربية المحتلة فجر الجمعة .

وقد أكدت صحيفة فاينانشيال تايمز أن المستوطن المتطرف من أتباع مائير كاهانا . وجاء فى افتتاحية التايمز : أن الحاجة إلى تطبيق السلام أكثر إلحاحا وأنه يجب أخذ أمن المواطنين العزل فى الحسبان ، ومن ثم يجب إعداد الرأى العام الإسرائيلى لليوم الذى توهمت فيه الصحيفة أن يغادر معظم المستوطنين معظم المستوطنات . وتعتقد صحيفة أخرى أن أكبر عقبة فى طريق السلام هى المستوطنون اليهود البالغ عددهم مائة وستين ألفاً ، والذين تكتظ بهم الضفة الغربية المحتلة .

### القاهرة

أناب الرئيس حسنى مبارك السيد عمر عبدالآخر محافظ القاهرة لحضور الاحتفال بغزوة بدر الكبرى الذى أقامته وزارة الأوقاف مساء السبت ١٦ رمضان ١٤١٤ هـ بساحة المسجد الحسينى بالقاهرة ، حيث حضر الاحتفال وزير الأوقاف وكبار رجال الدعوة الإسلامية وسفراء الدول الإسلامية المعتمدون ، كما احتفل نادى القصير بالقاهرة بالاشتراك مع نادى الخارجية المصرية للأنشطة الثقافية بذكرى غزوة بدر الكبرى فى الثامنة والنصف من مساء الأحد ١٧ رمضان وهو تاريخ الانتصار الكبير ، وتم الاحتفال فى مقر معهد الدراسات الدبلوماسية بالقاهرة

حيث ألقيت فى الحفل بعض القصائد ألقاها نخبة من الشعراء الإسلاميين تخليداً لهذا اليوم العظيم .

### الأزهر

أقيم الخميس ١٤ رمضان فى مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامى بجامعة الأزهر حفل لتوزيع جوائز المسابقة السنوية الثقافية لمؤسسة ( اقرأ ) الخيرية وحضر الحفل الدكتور عبدالفتاح الشيخ رئيس جامعة الأزهر والشيخ صالح كامل رئيس مؤسسة ( اقرأ ) الخيرية ولفيف من الشخصيات البارزة .

### من أخبار الحج

قررت القنصليات السعودية الثلاث بالقاهرة والإسكندرية والسويس فتح أبوابها اعتباراً من ٢٧ مارس المقبل لمنح تأشيرات الحج للحجاج المصريين هذا العام ، والذين وصل عددهم إلى ستين ألفاً . كما تقرر استقبال جميع جوازات السفر سواء بالقرعة أو السياحة أو الشئون الاجتماعية عن طريق مندوب وزارة الداخلية فقط . هذا وقد حددت وزارة السياحة ضوابط الحج بحيث يكون الحج بكل خطواته وإجراءاته مسئولية كل شركة على حدة . ولا يصرح لأكثر من شركة بالاشتراك فى حصة واحدة .

### حول شخصية المسلم المفترى عليه

أقامت رابطة التربية الحديثة بالقاهرة ندوة دينية مساء الجمعة منتصف رمضان تحدث فيها الدكتور محمد سيد طنطاوى مفتى الجمهورية عن شخصية المسلم فى مواجهة تحديات الحاضر ومتغيرات المستقبل وأدار الحوار الدكتور حامد زهران عميد كلية التربية بجامعة عين شمس . وتأتى الندوة فى إطار تصحيح الصورة التى تحاول مسلسلات التليفزيون تشويهها بشتى الدعاوى والافتراءات الباطلة التى لا تستند إلى علم أو دين .

### السعودية

تنظم وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالسعودية الملتقى الأول للأئمة والخطباء فى الفترة من ١٤ إلى ١٨ شوال القادم .

وقال وزير الشئون الإسلامية السعودى : إن الملتقى سيكون أكبر ملتقى إسلامى للدعوة الإسلامية يتميز بالصبغة العلمية والبحثية التى توفر للمشاركين بحوثاً حول رسالة المسجد فى المجتمع وأثر الخطبة فى تنوير الناس وتوجيههم للتفقه فى الدين والعمل بشرائعه ويشارك فى الملتقى المزمع عدد كبير من العلماء والأئمة والخطباء والشخصيات العلمية .

### الرباط

يُعقد فى الرباط فى ٢٢ من شوال القادم المؤتمر العالمى الخامس لوزراء الشئون الإسلامية والأوقاف بمختلف الدول الإسلامية ، ويشارك فيه وفود من مختلف أنحاء العالم الإسلامى وذلك لبحث العديد من القضايا الإسلامية وتبادل وجهات النظر حول أفضل السبل تحقيقاً للتعاون بين الدول الإسلامية فى الشئون الدينية والثقافية .

Le prophète (salut et bénédiction sur lui) a dit à Abou Bakr : « Tu étais mon compagnon dans la caverne, et tu seras mon compagnon près du bassin (le jour de la résurrection).

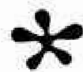
Abou Bakr eut pour enfants : Abdallah, Asmaà, Abdel Rahmâne, Aïcha (épouse du prophète) (salut et bénédiction sur lui), Mohamad et une fille posthume que Aïcha nomma Om-Kolthoum. Malgré sa grande famille, il dépensa toute sa fortune au service de l'Islam. Il racheta les Musulmans qui étaient torturés pour s'être convertis à l'Islam, prépara les expéditions et fit preuve de grands sacrifices pour la cause d'Allah, si bien que plusieurs versets ont été révélés à son sujet et que le prophète (salut et bénédiction sur lui) a dit : "toute personne qui m'a prêté main forte, j'ai pu l'en récompenser à l'exception d'Abou Bakr; il a en envers moi tant de bienfaits, que Seul Allah saura l'en récompenser au Jour du Jugement Dernier, et, en vérité il n'y a pas d'argent qui m'ait été aussi utile, comme l'a été l'argent d'Abou-Bakr.

Abou-Bakr était aussi parmi les compagnons les plus versés dans la science du Coran et le plus pieux à tel point que le Messager d'Allah l'a désigné pour diriger la prière à sa place. On rapporté aussi qu'Abou-Bakr faisait partie des compagnons qui avaient mémorisé la totalité du Coran.

En plus il était un des plus savants dans le domaine de la tradition du Prophète (salut et bénédiction sur lui). Mais si nous n'avons pas beaucoup de Hadiths rapportés par lui, c'est qu'il n'a pas vécu longtemps après le prophète et que les charges de l'état qui lui ont été confiées ne lui ont pas laissé assez de temps pour l'enseignement et la transmission de la tradition. Après la mort du Prophète, toute la communauté était unanime à l'accession d'Abou-Bakr au califat. Nommé prince des croyants, Abou-Bakr expédia une armée pour punir les tribus arabes pour le soutien qu'elles avaient apporté aux Byzantins contre les Musulmans; il dirigea également des guerres contre les apostats et d'autres pour propager le message de l'Islam. Le califat d'Abou Bakr As-Siddiq dura deux ans, trois mois et huit jours. A sa mort, il fut enterré à côté du messager d'Allah (salut et bénédiction sur lui).

Qu'Allah comble de Sa miséricorde le Calife Abou Bakr pour sa sincérité vis-à-vis de la communauté et qu'il soit récompensé pour son bon conseil et pour sa générosité envers les Musulmans.

Hoda Hussein Cha'raoui



# Les mérites des compagnons du prophète (salut et bénédiction sur lui)

par Mme Hoda Hussein Cha'raoui

La place qu'occupent les compagnons du prophète (salut et bénédiction sur lui) dans l'histoire de l'Islam, ainsi que dans la transmission des enseignements du messager d'Allah (salut et bénédiction sur lui) est la plus haute importance. Allah les a élus pour qu'ils soient les gardiens vigilants du dernier message envoyé à l'humanité. Il les a façonné de sorte qu'ils soient dignes de fonder la meilleure communauté que l'humanité ait connue. Le prophète (salut et bénédiction sur lui) a prévenu contre leur attaque ou leur diffamation.

Anas Ebn Malik a raconté que certains compagnons s'étant plaints au prophète (salut et bénédiction sur lui) des insultes et des calomnies dont ils étaient victimes. Le prophète (salut et bénédiction sur lui) s'écria : « que la malédiction d'Allah, des anges et de tous les hommes soit sur celui qui insulte mes compagnons ».

Si l'on cherche aujourd'hui à prendre quelqu'un pour modèle, on doit se conformer au comportement des compagnons du prophète (salut et bénédiction sur lui) Ils étaient les gens les plus pieux de cette communauté, les plus savants, les moins prétentieux et ceux dont la ligne de conduite était la meilleure; enfin ils étaient les plus clairvoyants. C'étaient des gens choisis par Allah pour être les compagnons de Son messager et pour consolider Sa religion. Il nous faut donc reconnaître leur valeur et leur mérite, suivre leur voie, essayer de les imiter et de mieux connaître leur vie.

## Abou Bakr "As-Siddiq"

Le défenseur des assises de l'état. Abou Bakr est né deux ou trois ans après l'année de l'éléphant dans une famille appartenant à la tribu de Qoraîch. Toute la communauté est unanime à reconnaître que l'appellation d'As-Siddiq lui avait été donnée parce qu'il était le premier à accorder foi au message du prophète (salut et bénédiction sur lui), sans jamais avoir douté de lui et sans que sa foi ait jamais fléchi, depuis son adhésion à l'Islam. On rappelle ses prises de positions remarquables; il n'a jamais remis en cause les dires du messager d'Allah (salut et bénédiction sur lui). Ceci fut surtout évident à l'occasion de l'évènement du Voyage Nocturne et de l'Ascension (Al Isrâ et Al Mi'rag).

Abou Bakr fut également le compagnon du prophète dans la caverne. Allah a dit : « Si vous ne secourez pas le prophète, Allah l'a déjà secouru, lorsque les incrédules l'ont expulsé, lui le deuxième des deux, le jour où tous deux se trouvèrent dans la caverne et qu'il dit à son compagnon: "Ne t'afflige pas Allah est avec nous."Sourate IX le sens du verset 40.

la mosquée. Toutefois, l'imam, peut venir en retard pour laisser le temps aux fidèles d'arriver à la mosquée. Aussitôt que l'Imam arrive il doit commencer la prière.

Le fidèle doit-si possible — se rendre à pied à la mosquée et commencer le takbir en sortant de chez lui et jusqu' au commencement de la prière. De même l'imam doit prononcer le takbir jusqu'au moment où il prend sa place sur le mihrâb.

La formule du takbir est la suivante :

"Allahou Akbar (3 fois); il n'y a d'autre divinité qu'Allah. Allahou Akbar (2 fois). Louange à Allah, Allahou Akbar, qu'on Lui rende grâce en tout état de cause. Il n'y a point d'autre divinité qu'Allah, l'Unique. Il a tenu Sa promesse et a assuré la victoire à Son serviteur, et Il a vaincu, lui seul, les factions coalisées.

Il n'y a point d'autre divinité qu'Allah. Nous n'adorons que Lui, fidèles à Sa religion, même si cela déplaît aux mécréants.

Seigneur, accorde Ta bénédiction et Ton salut à Mohammad Prophète d'Allah aussi qu'à sa famille, à ses compagnons, aux musulmans, aux épouses de Mohammad et à ses descendants."

Il est recommandé que celui qui a accompli la prière de la Fête à la mosquée emprunte à son retour un chemin différent de celui de l'aller.

Enfin il est recommandé de distribuer l'amumône aux pauvres et d'échanger les voeux avec les autres musulmans.

Le Sermon de la Fête
(Khotbat Al 'Id)

La Khotba (le sermon) est prononcée — selon la tradition après la Prière de la Fête (Salat Al'Id).

L'imam ne doit point s'assoir après la Prière avant de prononcer le premier sermon.

Il commence le premier sermon en répétant neuf fois "Allahou Akbar", puis il demande que la bénédiction et le salut d'Allah soient accordés à Mohammad (b.s.). Ensuite l'Imam recommande aux fidèles de craindre Allah en toutes leurs actions. L'Imam récite alors un verset du Coran renfermant une idée complète par lui-même et commente les enseignements qu'il renferme.

L'imam peut alors s'asseoir avant de prononcer le second sermon qui est semblable au premier, mais que l'imam doit terminer par des invocations en faveur des musulmans.

Ce sermon obéit aux mêmes conditions de validité que le sermon du vendredi et le choix de l'imam obéit aux mêmes conditions de l'Imamat.

Rappelons enfin que l'on doit s'acquilter de l'aumône de la rupture du jêune (Zakat Al Fitr) avant de faire la Prière de la Fête (Salat Al 'Id).

*Rokeya GABR*

# La prière de la fête (Salat Al'ID)

par Dr. Rokeya Gabr

La prière des deux fêtes, 'Id Al-Fitr et 'Id Al-Adha est une Sunna assurée et il incombe à tout musulman capable de faire la prière à la mosquée, de l'accomplir en assemblée. Cette prière, composée de deux Rak'as a été prescrite à la communauté musulmane en l'an I de l'Hégire.

La prière de la fête s'accomplit dans la mosquée où a lieu la prière du vendredi.

L'heure fixée pour cette prière est marquée par la montée du soleil dans le ciel de la hauteur d'une lance. Celui qui manque à cette prière en commun peut la faire isolément. Il suffit d'un seul fidèle avec l'Imam pour considérer que cette prière est faite en assemblée. La prière de la fête obéit aux mêmes conditions d'obligation et de validité que la prière du vendredi, mais elle ne comporte ni Appel ni Iqama : on y convie les gens en annonçant à haute voix : "As-salat gamma'a (la prière en assemblée). Cette prière n'est ni précédée ni suivie d'aucune prière surérogatoire.

## Comment accomplir Salat Al'Id :

On commence par formuler l'intention d'accomplir la prière de 'Id Al-Fitr.

L'imam préside à la prière et commence par répéter sept fois "Allahou Akbar" sans compter le takbir qui marque le début de la prière) avant de réciter à haute voix les versets coraniques de la première rak'a. Les fidèles répètent également sept fois le takbir après l'Imam.

Au commencement de la deuxième rak'a, l'Imam et les fidèles après lui — répète cinq fois "Allahou Akbar" (sans compter le takbir qu'il prononce en se relevant) tout en levant les bras à la hauteur des épaules, les paumes ouvertes et le pouce touchant le lobe de l'oreille; puis il récite la Fatiha et une sourate et termine sa prière.

Au cas où le fidèle oublie les takbirs avant la récitation coranique, il doit continuer sans avoir besoin de recommencer sa prière. En cas de doute sur le nombre de takbirs, on doit compter à partir du nombre dont on est le plus sûr. Si l'on omet un des gestes, on n'a pas besoin d'accomplir une prosternation de distraction. Il est recommandé de faire confiance à l'imam pour le nombre de takbirs.

Quelques pratiques à observer :

Il est recommandé de multiplier les formules de glorification d'Allah à la veille de la fête, de réciter le coran, de faire des prières et des invocations. Le Prophète (b.s.) a dit : "Quinconque glorifie Allah à la veille des deux fêtes, son coeur continuera à battre le jour où tous les coeurs seront morts."

Il est souhaitable de se laver, de se parfumer (uniquement les hommes) et de porter ses meilleurs vêtements pour se rendre à la mosquée.

Il est préférable de prendre le petit déjeuner avant de se rendre à la mosquée.

Il est recommandé de sortir directement après la prière de l'aube pour se rendre à

Le Prophète (salut et bénédiction sur lui) a dit : "les droits d'un musulman envers son frère musulman sont six. Si tu le rencontres, salue-le, s'il t'appelle réponds-lui, s'il éternue et loue Allah, invoque pour lui la miséricorde d'Allah, s'il tombe malade rends-lui visite; enfin s'il meurt, suis son cortège funéraire." Hadith rapporté par Moslem, Le Messager d'Allah (salut et bénédiction sur lui) a dit également : «le musulman est la personne qui contrôle sa langue et ses mains et le croyant est la personne à qui les autres confient leur famille et leurs biens.»

Examinons la parole divine dans le verset 41 de la sourate «La Romains.»

La corruption est apparue sur terre et sur la mer par suite des actes accomplis par les mains des hommes afin qu'Allah leur fasse goûter une partie de ce qu'ils ont fait. Peut-être reviendront-ils.

En effet, le mal a lieu quand l'être humain désobéit à Allah ou encore quand il opprime les autres; alors ses actions le mènent à un destin périlleux.

Ainsi dans le verset 42 de la sourate "Ibrahim", on trouve :

Ne pense pas qu'Allah soit inattentif aux actions des injustes. Il leur accorde un délai jusqu'au jour où leurs yeux se fixeront d'horreur.

L'appui accordé à autrui c'est le fait de soutenir les autres, de les protéger contre les ennemis et contre ceux qui usurpent leurs droits. Examinons la parole divine dans le verset 71 de la Sourate "L'Immunité" :

Les croyants et les croyantes sont amis les uns des autres. Ils ordonnent ce qui est convenable, ils interdisent ce qui est blâmable; ils s'acquittent de la prière, ils font l'aumône et ils obéissent à Allah et à Son Prophète.

Le prophète (salut et bénédiction sur lui a dit "L'affection, la clémence entre les croyants sont comme les parties d'un corps. Lorsqu'un organe souffre, tous les autres organes souffrent également" Hadith rapporté par Moslem et Ahmad.

Dans un autre Hadith il dit :

"Soutiens ton frère qu'il soit injuste ou juste" on demande alors au prophète (salut et bénédiction sur lui) "Comment le soutenir lorsqu'il est injuste?" Il répondit : "en l'empêchant de commettre une injustice; car cela est un soutien pour lui" Hadith rapporté par Al Bokhary Al Termézei et Ahmad.

L'Islam recommande également la clémence. Le musulman doit dissiper les malheurs des autres, les apaiser les consoler. Le messager d'Allah (salut et bénédiction sur lui) a mentionné cela dans ce Hadith : "Celui qui compâtit aux malheurs de son frère, reçoit la grâce d'Allah".

Rawya Ahmad Soltan

REVUE
AL-AZHAR

Vol. 66 Part X

Shawal, 1414 Higrah — March, 1994

Section Française



# L'Islam est la Religion de la Fraternité

par Mme Rawya Ahmad Soltan

Selon Ebn Omar (qu'Allah soit satisfait de lui), le Messager d'Allah (salut et bénédiction sur lui) à dit :

"Le Musulman est un frère pour le Musulman, il ne l'opprime ni le laisse en proie à l'oppression. Quiconque aide son frère, Allah l'aidera. Celui qui dissipe un des tourments du musulman en ce monde, Allah dissipera pour lui un des tourments du jour de la Résurrection. Celui qui protège un musulman, Allah le protègera le jour de la Résurrection."

Explication du Hadith :

La Fraternité en Islam est fondée sur trois piliers principaux : la justice, l'entr'aide et la miséricorde.

Nous devons respecter les droits d'autrui, préserver son honneur, bien le traiter, le respecter et ne pas le trahir.

clearly addresses an audience which is the same as the absent persons of the first sentence. Zamakshari notices particularly the effect of the "iltifat" shift from the third person to second person between قَالُوا and جِئْتُمْ. He states taht this is more effective in indicating the boldness of the polytheists and calling attention to the weight of their allegations. The translators render the verse as follows :

وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا

Pickthall : And they say : The Beneficent hath taken unto himself a son. Assuredly ye uter a disastrous thing.

Y. Ali : They say : "(God) Most Gracious has begotten a son!" Indeed ye have put forth a thing most monstrous.

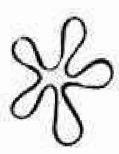
Arberry : And they say, "The All-Merciful has taken unto Himslef a son." You have indeed advanced something hideous !

Asad : As it is, some assert, "The Most Gracious has taken unto Himself a son!" Indeed (by this assertion) you have brought forth something monstrous.

Khatib : And they say, "The Most Benignant has begotten a son." Truly you have done a thing of heinous abomination.

The translators, except Pickthall, inappropriately use quotation marks in the first sentence (verse) thus treating the second verse as an immediate reply to their claim in th first verse, which result in a loss of the communicative effect. Pickthall's translation, however, is closer to the original in that he avoids using quotation marks and hence treats the second verse as more of a comment on their claim without any specific time reference. He seems also to increase the number of persons involved, contrary to Asad's use of "some," hence making the first vers quoted by a narrator, the second a direct speech reply. From the above discussion we find that Pickthall's translation is more communicatively effective than the other renderings.

*To be continued*



meaning of an instance of ellipsis in English without a gloss or footnote. The source text's brevity, succinctness, and something of the rhetorical efficitveness would definitely be lost.

b) Metaphor

The function of metaphor ranges from expressing meaning literally (searle 1979) to a drive towards renewal in language to understanding the less concrete in terms of more concrete, i.e. interms of experiences directly emergent from our physical experience. Metaphors are used to make strong impact, the more appropriate and original the metaphor, the more powerful will be its impact. The metaphor,

إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا

in Surah 'Maryam' is a true representation of the nature and vehemence of feeling which has produced it. The translators render the metaphor وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا as follows :

Pickthall : and my head is shining with grey hair,

Y. Ali : and the hair of my head doth glisten with grey'

Arberry : and my need is all aflame with hoariness.

Asad : and my head glistens withgrey hair.

Khatib : and the head a fire with hoariness.

Arberry and Khatib in transiating the metaphor renders اشْتَعَلَ as "a flame" and "a fire", two dynamic words which might appear to some TL readers exaggerated and deviant. The other translators on the other hand, communicatively render the metaphor using words as "glisten" and "shine" for اشْتَعَلَ , and "grey hair" for شَيْبًا which tore the effect of the metaphor. As far as the communicative effect is concerned, we find that Khatib and Arberyry attempt to produce the same effect on the TL reader as the original, by conveying the underlying thoughts as well as the words of the original. The other translators, however, are more concerned with the message, not the effect, and thus their translations are rather stylistically rentral.

c) "Iltifat"

"Iltifat" consists of the use of differing pronominal terms torefer to the same person in reality. This relatively free changing in Arabic from one pronominal term to another, while still intending the same referent, pose some difficulty to translators of the Quran especially if Arabic is not their native tongue. This feature is used for emphasis or to bring something to the immediate attention of the hearers or readers. In the "Iltifat" in verses (88-89) of Surah "Maryam" وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا we have a shift of attention from third person plural to second person plural, having in it also an implied second person plural audience. While the first sentence of the reported speech refers to persons not present the second

# A Comparative Study of the English Translations of the Meanings of Surah Maryam

## Part IIIB

*By Mona Abdel Ghaffar Salem M.A.*

### THE STYLISTIC MISMATCHES

The earliest unquestionably authentic stylistic evidence is the Quran, which is the sublime model of perfect eloquence and highly elevated language. As a sacred book, revealed by Allah the authority of the Quran is unshakable and its impact can be felt when the whole Arabic language has been brought under the sway of Quranic vocabulary, structures and rhetoric.

Most of the rhetorical devices of the Quran can not be transferred into English yet retaining the same communicative effect. This fact is due to the unique nature of the rhetorical devices used in the Quran, as well as the mismatch between the structures of the SL and TL. The rhetorical devices that will be dealt with in this part are : Ellipsis, Metaphor, and "Iltfiat."

a) Ellipsis

One of the rhetorical devices which is important in the Quran and most likely to cause difficulty to the translators is Ellipsis (ijaz al - hadhf), of which several types appear in the Quran. In the following verse of Surah "Maryam".

(Verse 2) ( ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا )

Five nouns are interlinked by genitive and accusative relations to produce a succinct expression. Such succinctness cannot be mirroved in English, a positional language which requires explicit syntactic relationships indicated through lexical items. The three translations presented below are among the briefest :

Pickthall : A mention of the mercy of the lord unto His servant Zachariah.

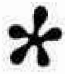
Arberry : Then mention of the lord's mercy unto His servant Zachariah.

Khattib : A mention of your Lord's mercy to His servant Zachariah.

It is noticed that a major difference between English and Arabic is that in certain areas of meaning, English requires more explicit relations between items, i.e. it requires a verb on verb-like words to specify the nature of the utternace. Otherwise, the resulting translation in English is ungrammatical as well as incomprehensible. The power of the elliptical structures, which are among the most effective in the Quran, lies in the deletion of certain grammatical items, leaving the meaning intact. However, translations which attempt a very close formal equivalence with the source text, though brief, are not very accurate in meaning. It is impossible to convey in full the

neers and as scientists. They contribute to our economic well-being as a country, and add to the cultural richness of our nation. Of course, tolerance and understanding must be two-way. For those of us who are not Muslim, that may mean respect for the daily practice of the Islamic faith and a decent care to avoid actions which are likely to cause deep offence. For the Muslims in our society, there is the need to respect the history, culture and way of life of our country, and to balance their vital liberty to be themselves with an appreciation of the importance of integration in our society. Where there are failings of understanding and tolerance, we have a need, on our own doorstep, for greater reconciliation among our own citizens. I hope we shall all learn to demonstrate this as understanding between these communities grows. I can only admire, and applaud, those men and women of so many denominations who work tirelessly, in London, South Wales, the Midlands and elsewhere, to promote good community relations. The Centre for the Study of Islam and Christian-Muslim Relations in Birmingham is one especially notable and successful example. We should be grateful, I believe, for the dedication and example of all those who have devoted themselves to the cause of promoting understanding.

Ladies and getnlemen, if, in the last half hour your eyes have wandered up to the marvellous allegory of Truth descending on the arts and sciences in Sir Robert Streeter's ceiling above you, I am sure you will have noticed Ignorance being violently banished from the arena — just there in front of the organ casing. I feel some sympathy for Ignorance, and hope I may be permitted to vacate this theatre in a somewhat better condition. Before I go, I cannot put to you strongly enough the importance of the issues which I have tried to touch on so imperfectly this morning. These two worlds, the Islamic and the Western, are at something of a crossroads in their relations. We must not let them stand apart. I do not accept the argument that they are on course to clash in a new era of antagonism. I am utterly convinced that our two worlds have much to offer each other. We have much to do together. I am delighted that the dialogue has begun, both in Britain and elswhere. But we shall need to work harder to understand each other, to drain out any poison between us, and to lay the ghost of suspicion and fear. The further down that road we can travel, the better the world that we shall create for our children and for future generations.



grandparents. The world economy funtions as an inter-dependent entity. Problems of society, the quality of life and the environment, are global in their causes and effects, and none of us any longer has the luxury of being able to solve them on our own. The Islamic and Western worlds share problems common to us all : how we adapt to change in our societies, how we help young people who feel alienated from their parents or their society's values, how we deal with Aids, drugs, and the disintegration of the family. Of course, these problems vary in nature and intensity between societies. The problems of our own inner cities are not identical to those of Cairo or Damascus. But the similarity of human experience is considerable. The international trade in hard drugs is one example; the damage we are collectively doing to our environment is another. We have to solve these threats to our communities and our lives together. Simply getting to know each other can achieve wonders. I remember vividly, for instance, taking a group of Muslims and non-Muslims some years ago to see the work of the Marylebone Health Centre in London, of which I am Patron. The enthusiasm and common determination that shared experience generated was immensely heart-warming. Ladies and gentlemen, somehow we have to learn to understand each other, and to educate our children — a new generation, whose attitudes and cultural outlook may be different from ours — so that they understand too. We have to show trust, mutual respect and tolerance, if we are to find the common ground between us and work together to find solutions. The community enterprise approach of my own Trust, and the very successful Volunteers Scheme it has run for some years, show how much can be achieved by a common effort which spans classes, cultures and religions. The Islamic and Western world can no longer afford to stand apart from a common effort to solve their common problems. One excellent example of our two cultures working together in a common cause is the way in which the Kingdom of Saudi Arabia is working with Oxford University to set up a research centre into Schizophrenia for an organization called SANE, of which I am Patron. Nor can we afford to revive the territorial and political confrontations of the past. We have to share experiences, to explain ourselves to each other, to understand and tolerate — and I know how difficult these things are — and build on those positive principles which our two cultures have in common. That trade has to be two-way. Each of us needs to understand the importance of conciliation, of reflection — TADABBUR is the word, I believe — to open our minds and unlock our hearts to each other. I am utterly convinced that the Islamic and the Western worlds have much to learn from each other. Just as the oil engineer in the Gulf may be European, so the heart transplant surgeon in Britain may be Egyptian.

If this need for tolerance and exchange is true internationally, it applies with special force within Britain itself. Britain is a multi-racial and multi-cultural society. I have already mentioned the size of our own Muslim communities who live throughout Britain, both in large towns like Bradford and in tiny communities in places as remote as Stornaway in Western Scotland. These people, ladies and gentlemen, are an asset to Britain. They contribute to all parts of our economy — to industry, the public services, the professions and the private sector. We find them as teachers, as doctors, as engi-

tion which we all too often think of, wrongly, as entirely Western. Islam is part of our past and our present, in all fields of human endeavour. It has helped to create modern Europe. It is part of our own inheritance, not a thing apart.

More than this, Islam can teach us today a way of understanding and living in the world which Christianity itself is the poorer for having lost. At the heart of Islam is its preservation of an integral view of the Universe. Islam — like Buddhism and Hinduism — refuses to separate man and nature, religion and science, mind and matter, and has preserved a metaphysical and unified view of ourselves and the world around us. At the core of Christianity there still lies an integral view of the sanctity of the world, and a clear sense of the trusteeship and responsibility given to us for our natural surroundings. In the words of that marvellous seventeenth century poet and hymn writer, George Herbert :

"A man that looks on glass,
On it may stay his eye;
Or if he pleaseth, through it pass,
And then the heaven espy."

But the West gradually lost this integrated vision of the world with Copernicus and Descartes and the coming of the scientific revolution. A comprehensive philosophy of nature is no longer part of our everyday beliefs. I cannot help feeling that, it we could now only rediscover that earlier, all-embracing approach to the world around us, to see and understand its deeper meaning, we could being to get away from the increasing tendency in the West to live on the surface of our surroundings, where we study our world in order to manipulate and dominate it, turning harmony and beauty into disequilibrium and chaos. It is a sad fact, I believe, that in so many ways the external world we have created in the last few hundred years has come to reflect our own divided and confused inner state. Western civilisation has become increasingly acquisitive and exploitative in defiance of our environmental responsibilities. This crucial sense of oneness and trusteeship of the vital sacramental and spiritual character of the world about us is surely something important we can relearn from Islam. I am quite sure some will instantly accuse me, as they usually do, of living in the past, of refusing to come to terms with reality and modern life. On the contrary, ladies and gentlemen, what I am appealing for is a wider, deeper, more careful understanding of our world: for a metaphysical as well as material dimension to our lives, in order to recover the balance we have abandoned, the absence of which, I believe, will prove disastrous in the long term. If the ways of thought found in Islam and other religions can help us in that search, then there are things for us to learn from this system of belief which I suggest we ignore at our peril.

Islamic and western world must not stand apart :

Ladies and gentlemen, we live today in one world, forged by instant communications, by television, by the exchange of information on a scale undreamed of by our

and the terrible violence of a small minority among them — like the men in Cairo yesterday — which civilized people everywhere must condemn.

**Islam helped create modern europe :**

Chancellor, ladies and gentlemen, there is much misunderstanding in the West about the nature of Islam, there is also much ignorance about the debt our own culture and civilisation owe to the Islamic world. It is a failure which stems, I think, from the straightjacket of history which we have inherited. The mediaeval Islamic world, from Central Asia to the shores of the Atlantic, was a world where scholars and men of learning flourished. But because we have tended to see Islam as the enemy of the West, as an alien culture, society and system of belief, we have tended to ignore or erase its great relevance to tour own history. For example, we have underestimated the importance of 800 years of Islamic society and culture in Spain to the 8th and 15th centuries. The contribution of Muslim Spain to the preservation of classical learning during the Dark Ages, and to the first flowerings of the Renaissance, has long been recognised. But Islamic Spain was much more than a mere larder where hellenistic knowledge was kept for later consumption by the emerging modern Western world. Not only did Muslim Spain gather and preserve the intellectual content of ancient Greek and Roman civilisation, it also interpreted and expanded upon that civilisation, and made a vital contribution of its own in so many fields of human endeavour — in science, astronomy, mathematics, algebra (itself an Arabic word), law, history, medicine, pharmacology, optics, agriculture, architecture, theology, music. Averroes and Avenzoor, like their counterparts Avicenna and Rhazes in the East, contributed to the study and practice of medicine in ways from which Europe benefitted for centuries afterwards.

Islam nurtured and preserved the quest for learning. In the words of the tradition, "the ink of the scholar is more sacred then the blood of the martyr". Cordoba in the 10th century was by far the most civilised city of Europe. We know of lending libraries in Spain at the time King Alfred was making terrible blunders with the culinary arts in this country. It is said that the 400,000 volumes in its ruler's library amounted to more books than all the libraries of the rest of Europe put together. That was made possible because the Muslims world acquired from China the skill of making paper more than four hundred years before the rest of non-Muslim Europe. Many of the traits on which modern Europe itself came to it from Muslim Spain. Diplomacy, free trade, open borders, the techniques of academic research, of anthropology, etiquette, fashion, various types of medicine, hospitals, all came from this great city of cities. Mediaeval Islam was a religion of remarkable tolerance for its time, allowing Jews and Christians the right to practise their inherited beliefs, and setting an example which was not, unfortunately, copied for many centuries in the West. The surprise, ladies and gentlemen, is the extent to which Islam has been a part of Europe for so long, first in Spain, then in the Balkans, and the extent to which it has contributed so much towards the civilisa-

Islamic countries. We cannot judge the position of women in Islam aright if we take the most conservative Islamic states as representative of the whole. For example, the veiling of women is not at all universal across the Islamic world. Indeed, I was intrigued to learn that the custom of wearing the veil owed much to Byzantine and Sassanian traditions, nothing to the Prophet of Islam. Some Muslim women never adopted the veil, others have discarded it, others — particularly the younger generation — have more recently chosen to wear the veil or the headscarf as a personal statement of their Muslim identity. But we should not confuse the modesty of dress prescribed by the Qur'an for men as well as women with the outward forms of secular custom or social status which have their origins elsewhere.

**The West's need to understand Islamic views :**

We in the West need also to understand the Islamic world's view of us. There is nothing to be gained, and much harm to be done, by refusing to comprehend the extent to which many people in the Islamic world genuinely fear our own Western materialism and mass culture as a deadly challenge to their Islamic culture and way of life. Some of us may think the material trappings of Western society which we have exported to the Islamic world television, fast-food, and the electronic gadgets of our everyday lives — are a modernishing, self-evidently good, influence. But we fall into the trap of dreadful arrogance if we confuse "modernity" in other countries with their becoming more like us. The fact is that our form of materialism can be offensive to devout Muslims — and I do not just mean the extremists among them. We must understand that reaction, just as the West's attitude to some of the more rigorous aspects of Islamic life needs to be understood in the Islamic world. This, I believe, would help us understand what we have commonly come to see as the threat of Islamic fundamentalism. We need to be careful to that emotive label. "fundamentalism", and distinguish, as Muslims do, between revivalists, who choose to take the practice of their religion most devoutly, and fanatics or extremists who use this devotion for political ends. Among the many religious, social and political causes of what we might more accurately call the Islamic revival is a powerful feeling of disenchantment, of the realisation that Western technology and material things are insufficient, and that a deeper meaning to life lies elsêwhere in the essence of Islamic beliefe.

At the same time, we must not be tempted to believe that extremism is in some way the hallmark and essence of the Muslim. Extremism is no more the monopoly of Islam than it is the monopoly of other religions. including Christramity. The vast majority of Muslims, though personally pious, are moderate in their politics. Theirs is the "religion of the middle way". The Prophet himself always disliked and feared extremism. Perhaps the fear of Islamic revivalism which coloured the 1980's is now beginning to give way in the West to an understanding of the genuine spiritual forces behind this groundswell. But if we are to understand this important movement, we must learn to distinguish clearly between what the vast majority of Muslims believe

through Europe's rulers. The history of the Balkans under Ottoman rule provided examples of cruelty which sank deep into Western feelings. But the threat has not been one way. With Napoleon's invasion of Egypt in 1798, followed by the invasions and conquests of the 19th century, the pendulum swung, and almost all the Arab world became occupied by the Western powers. With the fall of the Ottoman Empire, Europe's triumph over Islam seemed complete. Those days of conquest are over. But even now our common attitude to Islam suffers because the way we understand it has been hijacked by the extreme and the superficial. To many of us in the West, Islam is seen in terms of the tragic civil war in Lebanon, the killings and bombing perpetrated by extremist groups in the Middle East, and by what is commonly referred to as "Islamic fundamentalism". Our judgement of Islam has been grossly distorted by taking the extremes to be the norm. That, ladies and gentlemen, is a serious mistake. It is like judging the quality of life in Britain by the existence of murder and rape, child abuse and drug addiction. The extremes exist, and they must be dealt with. But when used as a basis to judge a society, they lead to distortion and unfairness.

For example, people in this country frequently argue that the Sharia law of the Islamic world is cruel, barbaric and unjust. Our newspapers, above all love to peddle those unthinking prejudices. The truth is of course different and always more complex. My own understanding is that extremes are rarely practised. The guiding principle and spirit of Islamic law, taken straight from the Qur'an, should be those of equity and compassion. We need to study its actual application before we make judgements. We must distinguish between systems of justice administered with integrity, and systems of justice as we may see them practised which have been deformed for political reasons into something no longer Islamic. We must bear in mind the sharp debate taking place in the Islamic world itself about the extent of the universality or timelessness of Sharia law, and the degree to which the application of that law is continually changing and evolving.

We should also distinguish Islam from the customs of some Islamic states. Another obvious Western prejudice is to judge the position of women in Islamic society by the extreme cases. Yet Islam is not a monolith and the picture is not simple. Remember, if you will, that Islamic countries like Turkey, Egypt and Syria gave women the vote as early as Europe did its women-and much earlier than in Switzerland. In those countries women have long enjoyed equal pay, and the opportunity to play a full working role in their societies. The rights of Muslim women to property and inheritance, to some protection if divorced, and to the conducting of business, were rights prescribed by the Qur'an fourteen hundred years ago, even if they were not everywhere translated into practice. In Britain at least, some of these rights were novel even to my grandmother's generation ! Benazir Bhutto and Begum Khaleda Zia became prime ministers in their own traditional societies when Britain had for the first time ever in its history elected a female prime minister. That, I think, does not necessarily smack of a mediaeval society. Women are not automatically second-class citizens because they live in

misunderstandings between Islam and the West continue. Indeed, they may be gro-our two worlds retain of each other. Conflict, of course, comes about because of the misuse of power and the clash of ideals, not to mention the inflammatory activities of unscrupulous and bigoted leaders. But it also arises, tragically, from an inability to understand, and from the powerful emotions which, out of misunderstanding, lead to distrust and fear. Ladies and gentlemen, we must not slide into a new era of danger and division because governments and peoples, communities and religions, cannot live together in peace in a shrinking world.

It is odd, in many ways, that misunderstandings between Islam and the West should persist. For that which binds our two worlds together is so much more powerful than that which divides us. Muslims, Christians — and Jews — are all "peoples of the Book". Islam and Christianity share a common monotheistic vision; a belief in one divine God, in the transience of our earthly life, in our accountability for our actions, and in the assurance of life to come. We share many key values in common : respect for knowledge, for justice, compassion towards the poor and underprivileged, the importance of family life, respect for parents. "Honour thy father and thy mother" is a Quranic precept too. Our history has been closely bound up together. There, however, is one root of the problem. For much of that history has been one of conflict; fourteen centuries too often marked by mutual hostility. That has given rise to an enduring tradition of fear and distrust, because our two worlds have so often seen that past in contradictory ways. To Western school children, the two hundred years of the Crusades are traditionally seen as a series of heroic, chivalrous exploits in which the kings, knights, princes — and children — of Europe tried to wrest Jerusalem from the wicked Muslim infidel. To Muslims, the Crusades were an episode of great cruelty and terrible plunder, of Western infidel soldiers of fortune and horrific atrocities, perhaps exemplified best by the massacres committed by the Crusaders when, in 1099, they took back Jerusalem, the third holiest city in Islam. For us in the West, 1492 speaks of human endeavour and new horizons, of Columbus and the discovery of the Americas. To Muslims, 1492 is a year of tragedy — the year Granada fell to Ferdinand and Isabella, signifying the end of eight centuries of Muslim civilisation in Europe. The point, I think, is not that one or other picture is more true, or has a monopoly of truth. It is that misunderstandings arise when we fail to appreciate how others look at the world, its history, and our respective roles in it.

### Islam in the West's Eye throughout history :

The corollary of how we in the West see our history has so often been to regard Islam as a threat — in mediaeval times as a military conqueror, and in more modern times as a source of intolerance, extremism and terrorism. One can understand how the taking of Constantinople, when it fell to Sultan Muhammad in 1453, and the close-run defeats of the Turks outside Vienna in 1529 and 1683, should have sent shivers of fear

New hope for joining forces of Islam and the West :

The depressing fact is that, despite the advances in technology and mass communications of the second half of the 20th Century, despite mass travel, the intermingling of races, the ever growing reduction — or so we believe — of the mysteries of our world, wing. As far as the West is concerned, this cannot be because of ignorance. There are one billion Muslims worldwide. Many millions of them live in countries of the Commonwealth. Ten million or more live in the West, and around one million here in Britain. Our own Islamic community has been growing and flourishing for decades. There are nearly 500 mosques in Britain. Popular interest in Islamic culture in Britain is growing fast. Many of you will recall — and I think some of you took part in — the wonderful Festival of Islam which Her Majesty The Queen opened in 1976. Islam is all around us. And yet distrust, even fear, persist. In the post-Cold War world of the 1990's, the prospects for peace should be greater than at any time in this century. In the Middle East, the remarkable and encouraging events of recent weeks have created new hope for an end to an issue which has divided the world and been so dramatic a source of violence and hatred. But the dangers have not disappeared. In the Muslim world, we are seeing the unique way of life of the Marsh Arabs of Southern Iraq, thousands of years old, being systematically devastated and destroyed. I confess that for a whole year I have wanted to find a suitable opportunity to express my despair and outrage at the unmentionable horrors being perpetrated in Southern Iraq. To me, the supreme and tragic irony of what has been happening to the Shia population of Iraq — especially in the ancient city and holy shrine of Kerbala — is that after the western allies took immense care to avoid bombing such holy places (and I remember begging General Schwarzkof when I met him in Riyadh in December 1990 before the actual war began to liberate Kuwait to do his best to protect such shrines during any conflict) it was Saddam Hussein himself, and his terrifying regime, who caused the destruction of some of Islam's holiest sites. And now we have had to witness the deliberate draining of the marshes and the near total destruction of a unique habitat, together with an entire population that has depended upon it since the dawn of human civilization. The international community has been told the draining of the marshes is for agricultural purposes. How many more obscene lies do we have to be told before action is actually taken ? Even at the eleventh hour it is still not too late to prevent a total cataclysm. I pray that this might at least be a cause in which Islam and the West could join forces for the sake of our common humanity.

I have highlighted this particular example because it is so avoidable. Elsewhere, the violence and hatred are more intractable and deep-seated, as we go on seeing every day to our horror in the wretched suffering of peoples across the world — in the former Yugoslavia, in Somalia, Angola, Sudan, in so many of the former Soviet Republics. In Yugoslavia the terrible sufferings of the Bosnian Muslims, alongside that of other communities in that cruel war, help keep alive many of the fears and prejudices which

# SPEECH BY HRH THE PRINCE OF WALES
# "ISLAM AND THE WEST"
# DELIVERED AT THE SHELDONIAN THEATRE. OXFORD ON THE OCCASION OF HIS VISIT TO THE OXFORD CENTRE FOR ISLAMIC STUDIES
# WEDNESDAY 27 OCTOBER 1993 (*)

Ladies and gentlemen, it was suggest to me when I first began to consider the subject of this lecture, that I should take comfort from the Arab proverb, "In every head there is some wisdom". I confess that I have few qualifications as a scholar to justify my presence here, in this theatre, where so many people much more learned than I have preached and generally advanced the sum of human knowledge. I might feel more prepared if I were an offspring of your distinguished University, rather than a product of that "Technical College of the Fens" — though I hope you will bear in mind that a chair of Arabic was established in 17th century Cambridge a full four years before your first chair of Arabic at Oxford. Unlike many of you, I am not an expert on Islam — though I am delighted, for reasons which I hope will become clear, to be a Patron of the Oxford Centre for Islamic Studies. The Centre has the potential to be an important and exciting vehicle for promoting and improving understanding of the Islamic world in Britain, and one which I hope will earn its place alongside other centres of Islamic study in Oxford, like the Oriental Institute and the Middle East Centre, as an institution of which the University, and scholars more widely, will become justly proud.

Given all the reservations I have about venturing into a complex and controversial field, you may well ask why I am here in this marvellous Wren building talking to you on the subject of Islam and the West. The reason is, ladies and gentlemen, that I believe wholeheartedly that the links between these two worlds matter more today than ever before, because the degree of misunderstanding between the Islamic and Western worlds remains dangerously high, and because the need for the two to live and work together in our increasingly interdependent world has never been greater. At the same time I am only too well aware of the minefields which lie across the path of the inexpert traveller who is bent on exploring this difficult route. Some of what I shall say will undoubtedly provoke disagreement, criticism, misunderstanding and knowing my luck probably worse. But perhaps, when all is said and done, it is worth recalling another Arab proverb : "What comes from the lips reaches the ears. What comes from the heart reaches the heart."

* According to the request of our readers we present here the English origine text of H.R.H. the prins of wales.

# AL-AZHAR MAGAZINE

# ENGLISH SECTION


## Vol. 66 Part X

## Shawal, 1414 Higrah — March, 1994

EDITOR : Dr Trandil Hussein El Rakhawy Ph.d.


### Contents


1. Speech by H.R.H. - Prince of Wales.
2. A Comparative study of the English translations of the meanings of Surah Maryam.
   By : Mona Abdel Ghaffar Salem. Part IIIB.


"Nothing would be of greater benefit to Muslims and to Humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

## الفهـــرس


● العزة بالإسلام .. خلاص المسلمين
فضيلة الدكتور/على أحمد الخطيب . ١٤٤١
● مع الإمام الأكبر
جوائز الصوم فى عيد الفطر ........ ١٤٤٤
فتوى فى زواج الدرزى من مسلمة . ١٤٥٠
● الأزهر والرقابة على المصنفات الفنية
للمستشار/محمد حلمى ابراهيم .... ١٤٥٢
● فتوى مجلس الدولة بشأن
منح تراخيص المصنفات الإسلامية . ١٤٥٦
● مع سورة الأنفال
لفضيلة الدكتور /عبدالجليل شلبى ١٤٦٣
● قبس من أنوار النبوة
الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا
لفضيلة الشيخ/على حامد عبدالرحيم ١٤٦٩
● خير الزاد التقوى
للشيخ/عبدالحفيظ فرغلى .......... ١٤٧٢
● المخدرات بين التحريم والتجريم
للمستشار/السيد خلف محمد ..... ١٤٧٨
● العالم الإسلامى المعاصر (٢)
د./زينب الأشوح .............. ١٤٨٥
● الأزهر والحوار الدينى
ا.د./محمود حمدى زقزوق ........ ١٤٩١
● المسلمون وتقدم علم الخرائط
للأستاذ/حسنى عبدالحافظ ....... ١٥٠١
● الفتـــاوى للأستاذ/عبدالمنعم فودة ١٥٠٧
● طرائف ومواقف
للأستاذ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم.. ١٥٠٩
● الشعر والشعراء
إشراف الأستاذ/رشاد يوسف ..... ١٥١١
● التطور وأصل الإنسان
عرض وتحليل ا.د./أحمد فؤاد باشا . ١٥٢٢
● المعجزة القرآنية والسرعة الضوئية
ا.د./منصور محمد حسب النبى ... ١٥٢٧
● سرٌ خلف الأسوار
للأستاذ منذر محمد عبدالرحمن .... ١٥٣٤
● الجديد فى العلم د. نجوى السيد أحمد ١٥٤٠
● من أعلام الأزهر العلامة إبراهيم الجبالى
ا.د./محمد رجب البيومى ........ ١٥٤٣
● من روائع الماضى
للأستاذ /عبدالفتاح الزيات ....... ١٥٤٨
● البحث النحوى عند الإمام النووى
د. محمد عبدالقادر هنادى ........ ١٥٥٢
● الإسلام بين الشرق والغرب
للرئيس على عزت بيجوفيتش
عرض وتقديم الأستاذ/عادل خفاجة ١٥٦٠
● الوحدة العضوية فى العصر العباسى
للأستاذ/أحمد مصطفى حافظ ..... ١٥٦٥
● الإنسان فى الميزان
عرض الأستاذ محمد عبدالوهاب .... ١٥٦٩
● بين المجلة والقارىء
د. محمد عبدالحكيم .............. ١٥٧٩
● أنباء مكتب الإمام الأكبر
للأستاذ عمر بسطويسى .
والأستاذ مصطفى عبدالمجيد ...... ١٥٨٥
● أنباء العالم الإسلامى
إعداد ا. مجدى عبدالحميد بشير ... ١٥٨٧
● القسم الفرنسى ............ ١٥٩٤
● القسم الإنجليزى ........... ١٦٠٧



# الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ

تصدر عن

مجمع البحوث الإسلامية

في مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير

دكتور/ علي أحمد الخطيب

مدير التحرير

علي حامد عبد الرحيم

سكرتير التحرير

عادل رفاعي خفاجة

• المراسلات/ باسم مدير التحرير - إدارة الأزهر بالقاهرة

ت ٩٠٥٤٧٣ - ٢٦٣٨٥٩٩

• الاشتراكات/ قسم الاشتراكات بالأهرام

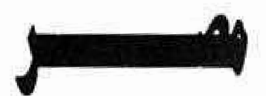
شارع الجلاء - القاهرة



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة العالمين وعلى آله وتابعيه بإحسان إلى يوم الدين .

# حفظ الله . عز وجل



# مصر

مع جند الله - عز وجل - :

---

قَفَلَ رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - بجنده من « غزوة ذات الرِّقاع » فنزلوا شِعْباً « مُنفرَجَ بين جبلين » فقال - عليه الصلاة والسلام : مَنْ رجل يكْلَؤنا « يحرسنا » لَيْلَتَنا هذه ؟

فقام رجلان ، أحدهما مهاجرى ، والآخر أنصارى فقالا : نحن نكلؤك يا رسول الله ! فقال - عليه الصلاة والسلام : فكونوا بفم الشِعْب !

وذهب الرجلان للحراسة بهذا المكان الذى يمكن أن يكون ثغرة ينفذ منها الأعداء إلى عسكر النبى ﷺ فلما استوى الرجلان بالمكان قال الأنصارى لزميله : أتكفينى أوّل الليل وأكفيك آخره ، أم تكفينى آخره وأكفيك أوّله ؟ فقال المهاجرى : بل اكْفِنى أوله ، وأكفيك آخره !

ونام المهاجرى ، وقام الأنصارى يحرس ، ويصلى ، وابتدأ فى تلاوة سورة ، وجاء عدوٌّ ، ورأى هذا الذى يصلى ، فشد عليه بسهم ، فأصابه ، فتحامل الأنصارى ونزع السهم ، فوضعه أمامه وظل فى صلاته ، فرماه بالثانى ، فنزعه وظل يصلى وقد نزف ، فرماه بالثالث فأصابه فركع به وسجد ، ثم قال للمهاجرى : اقْعُدْ ، فقد أُتيتُ ! « أى أصبت » فجلس المهاجرى ، ورأى ما بأخيه من نزف ، وأحس بما فيه من ألم ، فقال : يغفر الله لك ، ألا كنت آذنتنى « أعلمتنى » أول مارماك ؟ فقال الأنصارى :

كنت فى سورة من القرآن قد افتتحتها أصلى بها فكرهت أن أقطعها ، وايم الله لولا أن أضيع ثغراً أمرنى رسول الله ﷺ بحفظه لقطع نفسى قبل أن أقطعها .

ورأى العدوُّ رجلين فلاذ بالفرار[1] .

هذا الرجل من أصحاب رسول الله ﷺ ظل يؤدى واجبه فى حراسة العسكر ونَفَسُهُ يسيل قطرة بعد قطرة دون أن يعتذر لنفسه بإصابته ، ويتخلى عن واجبه فى حراسة الجند ، جند هذا الدين ، فإنه ما كان لهذا الدين من حق فهو ثغرة من ثغور الإسلام فى عنق كل مسلم :

كان أول هذه الأمة هذه النخبة التى اصطفاها الله ـ تعالى ـ لرسوله ﷺ فكانوا أحرص مايكون الحرص على معالم الإسلام وتقديس القرآن والثبات على هذه العقيدة ، وإرساء الكريم من الأخلاق وقمع الشهوات .

رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، لايفترون على الله الكذب ، ولايدّعون ؛ فيتطاولون إلى مالايعرفون ، يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين ، لاتلهيهم الدنيا جاها ـ كانت ـ أم مالا . عزّا ـ كانت ـ أم سلطانا ، خالصين لله مخلصين .

حتى كانت أيامنا :

---

فخلف من بعدهم خلف رمى الغرب بهم الإسلام ، حملوا من ديننا وظهروا للناس بأسمائنا ، ثم سجدوا لغير الله ـ تعالى ـ وسبحوا بغير أسمائه ، وسعوا ـ فى الناس ـ يفتحون النار على عقائد هذا الدين !

---

(١) راجع مسند أحمد ٢٤٤/٣ ، ٣٥٩ .

فلننظر مايريد الغربُ بالإسلام والمسلمين ، ولنركز سطورا عدة عن كتاب : « دَمّروا الإسلام .. أبيدوا أهله » لنرى بنود هذا الغرب .. ثم ننظر - بعدُ - فنعرف : لِمَ فتحت النار ؟ .. وهذه هى الأهداف وهى سبعة :

● إبادة معالم الإسلام من المسلم ، لأن الإسلام مصدر القوة الوحيد فى المسلمين .. ص ٤

● تشكيك المسلم فى دينه ، وغمز نبيه - عليه الصلاة والسلام - .. ص ٥٩

● التلاعب بالقرآن ليبدو صحيحه غير جديد ، وجديده ليس بصحيح .. ص ٥٢

● تدمير أخلاق المسلم وإطلاق شهواته ؛ فإن بقاء المسلمين على أخلاق الإسلام كفيل بتمكينهم من نشر حضارتهم فى العالم بنفس السرعة التى نشروها بها سابقا .. ص ٥٤

● بث العلمانية بمدارس المسلمين لتساعد - فى القضاء - على الروح الإسلامية .
« انظر : تكلى ، زويمر ، جب » ... إن النجاح لتحقيق هذا الهدف إنما يكون نتيجة للنشاط التعليمى والثقافى العلمانى .. ص ٥٦ ، ٥٧ زاد صموئيل زويمر بيانا فيما سماه « الهدم » فقال : نعنى به انتزاع المسلم من دينه ، ولو بدفعه إلى الإلحاد .

● إبقاء الفرقة بين المسلمين وبينهم وبين العرب ؛ ليبقوا بلا قوة ولا تأثير .

● فرض مفهوم الفصل بين الدين والسياسة .. ص ٥٨

ولقد كان لفضيلة الإمام الأكبر جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر حديث مطول فى الرد على هذا الافتراء ، وبخاصة .. الأخير .

وبعد :

فاللهم هذا ما أعطيتَ يَدى ليعلمه المسلمون بإخلاص .. وليعلموا فى ضوء هذه الأهداف - جنود الخَلْف الذين يقاتلون من أجل تحقيقها حتى صاروا يتنادون بأن .. دين الدولة الرسمى - وهو الإسلام عبارة زحفت خلسة إلى « الدستور المصرى » .

الإسلام الذى استقر بمصر بعد تسع سنين فقط من وفاة رسول الله ﷺ « دخل » خلسة .. ؟! كيف .. سبحانك ربى !

أرجو ألا يكون الإسلام « خرج » خلسة من قلوب القائلين . ! كَبُرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا .

ها نحن نراهم فِرَقا ، كل فرقة خصت نفسها بتنفيذ « بند » من هذه الأهداف بداية من إبادة معالم الدين إلى التشكيك فى عقائده إلى السخرية بنصوص القرآن ، واقرأوا ــ إن شئتم ــ قول المفترين : كيف تكون شهادة المثقفة الجامعية على النصف من شهادة « الخادم » و « الخفير » ، ثم انطلقوا ليتابعوا الحملة على من دعا إلى حشمة السيدات فلمز العلماء مع الإشادة بالعلمانية والتسبيح بحمدها فالتمهيد إلى النيل من الإسلام فى الدستور نفسه ... الخ .. الخ

ولِمَ مصرُ بالذات ؟

لأنها مجمع العقد للمسلمين إن انزلقت سهل انفراط العقد كله ، وسهل إقناع كل بلد مسلم أن يحتذى بمصر .. أليست بلد الأزهر وشيخ الإسلام ؟!

والله ــ وحده ــ العليم بما يكون !

هذه مصر ، من أرضها خاطبت موسى كليمك ، لم تخاطبه من أرض غيرها فجعلت من « الطور » الوادى المقدس « طُوىً » فشاركت مصر ــ فى القداسة ــ أرض الكعبة ، وأرضا ضمت أحب الناس إليك « سيدنا رسول الله » ــ صلى الله عليه وسلم ــ وأرضا سرى إليها ــ عليه الصلاة والسلام ــ .

ويارب

هذه مصر التى جعلتها أَمْنَ يوسف ويعقوب ــ على نبينا وعليهما أفضل الصلاة والسلام ــ من قبل أن تقول لموسى : « ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ﴾ » طه ١٣ ويقول موسى : « ﴿وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَارُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾﴾ » طه .

أولئك ــ ربى ــ بعض مَنْ نعلم مِنَ المُصْطَفَيْنَ الأخيار الذين حلوا بمصر وضَرَعُوا إليك بأرضها وحملت إلينا الأخبار وصية خاتم النبيين بأهلها .

اللهم احفظ مصر ، فليس لمصر إلا أنت ..

نعم المولى ونعم النصير

# بيـــان مـــن

# مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف

## بشأن الأصوات النشاز والأقلام الملتوية التي تنكر حق الأزهر في أداء واجبه

الحمد لله ، والصلاة والسلام على محمد رسول الله وسائر الأنبياء والرسل .

« رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ » .

إن مجلس مجمع البحوث الإسلامية « الذى خلف جماعة كبار العلماء » بالأزهر الشريف ، وقد تدارس ما أثارته بعض الأقلام نحو الأزهر الشريف ، لا سيما ما يقوم به من دراسات نحو ما يعرض عليه من مصنفات ليتقدم بهذا البيان إلى الأمة المصرية ، من منطلق التذكرة ، والحرص على توضيح وتأكيد المهمة الموكولة إليه ، وهى – فى صميمها – الدعوة إلى الله وإلى دينه الحنيف بالحكمة والموعظة الحسنة ، كما قال الله – تعالى – : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ آل عمران – ١٠٤ .

وإنه لمما يحسب لأمتنا الماجدة أن التدين كان سمة مركوزة فى نفوس المصريين منذ بداية التاريخ ، وعلى توالى الحقب والقرون ، وما يزال أهل مصر – مع اختلاف مشاربهم ونزعاتهم – على تدين

واضح واعتصام بحبل الله المتين ، وما انفك الأزهر الشريف كعبة قصاد العلم الإسلامى لطلابه ، من مختلف الأصقاع ، ومن أنحاء العالم الإسلامى فى مشارق الأرض ومغاربها ، تحقيقا لما أمر الله به فى كتابه المجيد :

﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ (ســورة التوبة)

وشأن الأزهر الشريف دراسة العلوم الإسلامية ، وتجلية حقائق الدين للناس فى الداخل والخارج ، وتقديمها لهم نقية ، سليمة ، خالية من التعصب المقيت والتطرف البغيض ، لأنه يتحرى الوسطية والاعتدال ، وهذا ما عرف به الأزهر ومؤسساته على امتداد تاريخه ، عن اقتناع بأن هذا الدين يسر ، وأنه لن يشاد الدين أحد الا غلبه ، مما يلقى على الأزهر أمانة حمل رسالة الإسلام إلى كل الشعوب ، والدفاع عنها ، وبيان أثرها فى تقدم البشر ورقى الحضارة .

وهذا قدر الأزهر ، أن يظل الحارس الأمين على القيم الإسلامية وعلى المقومات الثقافية لهذه الأمة ، وقد تأصل هذا لدى الشعب المصرى الذى يفزع إلى الأزهر الشريف فى كل ما يمس عقيدته الإسلامية وشريعته وأخلاقياته وهى المقومات الإسلامية التى قننتها الدساتير المصرية وما تفرع عنها من قوانين ولوائح فى مصر حتى انتهت إلى أن الإسلام دين الدولة ، واللغة العربية لغتها الرسمية ، ومبادىء الشريعة الإسلامية : المصدر الرئيسى للتشريع .

وإذا استقر هذا الأمر ـ وهو مستقر ـ فما ينبغى أن تكون هناك أصوات نشاز ، وأقلام يلتوى بها الفكر ، فتثير الريبة فى اختصاص الأزهر بالتنبيه لما يخالف تعاليم الإسلام ولما يتجاوز حدود ما أنزل الله فى قرآنه ، وسنة رسوله ( صلى الله عليه وسلم ) وأنه صاحب الرأى الأعلى فى ذلك ، وإن هذه الأصوات وتلك الأقلام ليست جديدة على الساحة ، فلقد حاولت من عشرات السنين أن تناصر الفكر الغريب المستورد والفلسفات المادية ، وأن تخاصم الوحى السماوى وتكيد للإسلام . والحمد لله كانت فى كل مرة تئوب بالهزيمة وينقطع صوتها ، لكنها اليوم تطل برأسها مستغلة فتن المتطرفين ، لتنال من الإسلام كله ، بل لتضرب التدين بوجه عام .

والأزهر الشريف كان وما يزال مناهضا لكل تطرف ، حريصا على إظهار الوجه المشرق للإسلام ؛ إحقاقا للحق ، وإبطالا ومحوا للباطل ، وأمرا بالمعروف ونهيا عن المنكر ، كما أراد الله ، بالحكمة والموعظة الحسنة . وإذا كان هناك من يركب موجة التطرف ويجمح به الشطط ، فإن

الراسخين فى العلم هم الذين يقومون عوجة ويعيدونه إلى رشده . أما الضائقون بالإسلام الذين نصبوا أنفسهم وأقلامهم حربا لشرائعه وشعائره فلا قدم لهم فى هذا الميدان ، بل إن هؤلاء هم الذين يزيدون الطين بلّة ؛ إذ يحاربون التطرف بتطرف أنكى وأضل . وقد تبين من مسلكهم أنهم لا يرجون لله وقارا . وظهرت للكافة جراءتهم على ميراث الإسلام ومصادره من القرآن والسنة ظهورا بيّنا ، وغاب عنهم أن التباعد عن دين الله يستوى فيه الانحراف عنه يمينا أو يسارا ، ويستوى فيه الزيادة والنقصان ويستوى فيه المرتابون فى دين الله والجاحدون .

وإن مجمع البحوث الإسلامية – وهو « الهيئة العليا للبحوث الإسلامية » – من واجباته : « بيان الرأى فيما يجدّ من مشكلات مذهبية أو اجتماعية أو اقتصادية » ، و« تتبع ما ينشر عن الإسلام والتراث الإسلامى من بحوث ودراسات فى الداخل والخارج ؛ للانتفاع بما فيها من رأى صحيح ، أو مواجهتها بالتصحيح والرد » ، « وللمجمع – فى سبيل تحقيق أهدافه وفى حدود اختصاصه – أن يصدر توصيات إلى العاملين فى مجال الثقافة الإسلامية ، فى الهيئات العامة والخاصة ، والأفراد » .

وإنه لخير لتلك الأصوات والأقلام التى تنادت ضد مهام الأزهر الشريف أن تشارك فى الدعوة إلى السلوك القويم فى القول والفعل وحسن الأداء ، وأن تعدل عن إثارة الخلف فى المجتمع فى أمر الدين والتدين ، حيث تعرف حرص هذا الشعب على أن يكون لله وليا ، وبالإسلام – عقيدته وشريعته – حفيا .

وإذ كان هذا ، وكان شيخ الأزهر – بنص التشريع – : « هو الإمام الأكبر ، وصاحب الرأى فى كل ما يتصل بالشئون الدينية » ، فإن المجمع من وراء رئيسه الإمام الأكبر شيخ الأزهر : باق معه على حراسة الكتاب والسنة ، يحافظ على حدود الله ، وينبه بالضرورة لمراجعة كل عوج وانحراف مهما كان لونه ومصدره .

﴿ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ . الرعد – ١٧ .

والله من وراء القصد .

ألا هل بلغت ، اللهم فاشهد .

شيخ الأزهر الشريف

ورئيس مجمع البحوث الإسلامية

**جاد الحق على جاد الحق**

# بيان

## المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة بشأن

## منح كتاب «آيات شيطانية» جائزة الأدب الأوربى

يتابع المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة بالدهشة والاستهجان ، توجه حكومة النمسا لمنح جائزتها للأدب الأوربى إلى الكاتب العابث « سلمان رشدى » البريطانى من أصل هندى عن كتابه الساقط « آيات شيطانية » ـ الذى أساء فيه إلى مشاعر المؤمنين فى جميع الأديان ، وتطاول ببذاءة وإسفاف على نبى الإسلام سيدنا محمد ، ومن سبقه من النبيين والمرسلين ـ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ـ وعلى كل ما جاءت به الأديان السماوية من قيم روحية ومبادىء إنسانية .

وبالنظر لحساسية هذا الإجراء المشين والظروف السياسية والأمنية المحيطة به ـ فإن وزارة الثقافة النمساوية ، اقترحت عدم تسليم الجائزة علنا ، فى حين رفض وزير الثقافة النمساوى « رودلف شولتن » تسليم الجائزة سرا ، وأجّل إقامة حفل تسليمها لحين عرض القضية على مجلس الوزراء !!

والمجلس الإسلامى للدعوة والإغاثة ـ يرى فى اختيار لجنة التحكيم لكتاب آيات شيطانية كنموذج للأدب الأوربى المعاصر ـ صدمة تستفز المشاعر ـ وانحيازا واضحا ، وتعصبا بغيضا ، للإلحاديين والمارقين ، وتأييدا وتشجيعا لادعاءاتهم الباطلة ، وأفكارهم الفاسدة ، وزعزعة لجذور الإيمان فى صدور المؤمنين ، كما أنه ـ فى الوقت نفسه ـ حكم ظالم على الأدب الأوربى العالمى المعاصر ، فى معالجاته ـ باللغات الراقية ، والمعانى الرفيعة ، والأفكار المستقيمة ـ أهمَّ القضايا الإنسانية المعاصرة ، ومساهمته بنصيب وافر فى رقى الحضارة وتقدمها .

واستنادا إلى نصوص الدستور النمساوى التى تدين وتجرم التطاول على المعتقدات الدينية ، وتمشيا مع سياسة الحكومة النمساوية التى تعترف رسميا بالإسلام ، وتكفل حرية الاعتقاد لمواطنيها ، واحتراما لمشاعر المسلمين والمؤمنين فى كافة الأديان ، وفى أنحاء العالم ، فإن المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة يناشد حكومة النمسا رفض اقتراح لجنة التحكيم للتبرؤ من مساندتها للانحلال والإلحاد ، ولإبراز روائع الأدب الاوربى فى المجالات الإنسانية السامية .

كما يناشد المنظمات الإسلامية والدينية الأخرى فى العالم ، تقديم التوضيح اللازم والعاجل إلى سفارات النمسا فى بلادها ـ لإبلاغ صوت الإيمان ، وللتنبيه إلى خطأ هذا الاختيار وإلى الخطورة الكامنة فيه ..




جاد الحق علي جاد الحق

شيخ الأزهر

# القرآن فى مجال التربية الأخلاقية

## للإمام الأكبر شيخ الأزهر

« ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين » قد اعتمد فى مجال التربية الأخلاقية لبنى الإنسان على تنشئة الضمير الذى يراقب الله ويبتعد عن المعاصى .

هذا الضمير هو ـ والله أعلم ـ النفس اللوامة التى أقسم بها الله ـ سبحانه وتعالى ـ فى القرآن فقال فى أول سورة القيامة :

« لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿١﴾ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ » .

هذه النفس التى جاء القسم بها من خالقها ، وظيفتها حراسة الإنسان من داخله ، إنها الرقيب الملازم له ، فإذا نجحت فى مهمة الربط والضبط ، فقد أزالت الصراعات من داخل الإنسان ، وهدأت من ثائرة الشهوات والأهواء الجامحة التى ترتاد الإنسان وتقوده فى كثير من الأحيان ، فيسود السلام النفسى وتصبح نفس الإنسان راضية مطمئنة كما وصفها القرآن فى قول الله ـ تعالى ـ فى سورة الفجر : ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾ ﴾

هذا الحارس فى داخل كل إنسان هو ( الوازع الدينى ) الذى أطلق الناس عليه ـ الضمير ـ لأنه يعايش الناس لا يفارقهم ولكنه إذا استيقظ كان الميزان العدل .

هذا الضمير لابد له من مقومات يحيا بها أوده ، ويشتد ؛ ليقف حارسا يقظا فى مواجهة النفس الإنسانية الأمارة بالسوء ، فإذا ما حاولت أن ترتكب الآثام أو تخترق الحرمات وتتجاوز الحدود كان هذا الضمير أو الوازع الدينـى محاصرا لنزواتها ، وعازلا لها عند غوايتها وعن غيها .

هذا الوازع إذا استدمنا إيقاظه داخل كل إنسان حصلنا على جمهرة من الأمة لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، وعندئذ تنمو الأخلاق الحميدة وتتكاثر المآثر المحمودة فى كنف هذا الوازع الدينى أو هذا الضمير الحى المهيمن على ذات نفس الإنسان والحارس لها ، وبهذا

تصبح الأخلاق الرفيعة خلقا أصيلا لا يفارق صاحبه فى سر أو جهر ، فى مَكْره أو مَنشط ، لأن هذا الخلق الأصيل الرفيع لم ينشأ أو يعتمد على قانون وضعه الناس وتفلسفوا ليبرزوه أو يبرروه وانما مصدره رقابة الله رب العالمين الذى يرعاهم ، وهو معهم أينما كانوا ، لا تخفى عليه خافية ، يعلم السر وأخفى ، الله مع الناس فى كل همسة شفة ونبضة عرق ، فهل يفلت أحد من رقابة الله ؟

اللهم لا .

إن الله هو القائل فى سورة الحديد : ( وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير ) والقائل فى سورة المجادلة :

﴿ ... مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾ .

إن الضمير الوازع الموصول بأمر الله رقابته تعنى رقابة الله سبحانه الذى لا تخفى عليه خافية ، والتى يستحيل خداعها أو الاستخفاء منها .

أما رقابة القانون وأخلاق القانون الوضعى فإنه لا حياة لها ، فالقانون يُغش ويخدع ويحتال عليه ، ويستخفى منه وقد قيل يوما : القانون فى اجازة . فهو يمنح إجازة أو إجازات ويهمل فى بعض الأزمان .

إن الضمير الوازع هو الذى يعتمد القرآن عليه فى بناء الأخلاق التى تكون ثمرة عبادة قانتة خاشعة لله الذى خلق فسوى .

وهذه العبادة تنشأ عنها وبها التقوى التى هى هذا الضمير الوازع ، وهذا الذى تفيده وصية الرسول محمد ﷺ فى قوله الشريف : « اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك .. » .

فالوازع الدينى أو الضمير الوازع هو رقابة الله ـ سبحانه ـ وبها تكون التقوى التى تثمر الأخلاق ، كما تثمر العلم وهذا هو قول الله فى سورة البقرة :

« واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شىء عليم » .

وهذه الأخلاق التى تنشأ عن التقوى أخلاق ثابتة تلازم صاحبها فى كل وقت ، فالصدق صدق فى كل لحظة ، وكل حال فى اليسر وفى العسر صدق مع العدو ومع الصديق ، وليس كما تقول الوجودية من أن الأخلاق أمر اعتبارى .

إن الأخلاق القرآنية ثمرة التقوى ، تقوى الله ـ عز وجل ـ وهى أم الفضائل كلها ، والعلم النافع الخير ثمرة من ثمرات التقوى ، وبالتقوى يتلاق ويتكامل الضمير الوازع مع الأخلاق الفاضلة .

وإذا كنا نشعر فى هذا العصر بضعف الأخلاق . فإن مرجع هذا إلى الإخلال الواقع فى مجالات التربية والقصور فى تنشئة الضمير الوازع الذى يعصم من الرذائل ويرتبط بمنهج الله رب العالمين : القرآن .

ولابد لتحقيق حياة هذا الوازع من الارتباط الكامل بالقرآن ، لأن هذا الضمير لا ينشأ عفوا ، وإنما لابد من العبادة العملية يتعلمها النشء فى كل مراحل تكوينه ، فلابد من تعاون وثيق بين البيت المسلم وبين المدرسة والجامعة والمجتمع والدولة ، ولابد من تحويل التربية الدينية المدرسية ـ مع

قصورها – إلى ممارسة عملية ، مع استكمال مقوماتها ، حتى يشب الضمير الوازع ( رقابة الله ) مع كل إنسان ويصحبه فى كل مراحل عمره .

إذا تم هذا كنا قد اتخذنا الوسيلة الصحيحة إلى تربية العقيدة السليمة والأخلاق الرشيدة فى أجيال المسلمين .

وفى مجال التربية الأخلاقية :

فإن القرآن الكريم يعول على القدوة الصالحة ويعتبرها الأساس الأول فى هذا المجال :

إذ الواقع أن الصغير يقتدى بالكبير والابن يقتدى بالأب ، وتقتدى – كذلك البنت بالأم ، والتلميذ بأساتذته ، كما يقتدى الشعب بالعلماء وبالقادة ، والأمة الاسلامية كلها مأمورة بالاقتداء بالرسول محمد ﷺ يقول الله – سبحانه – فى سورة الأحزاب :

« لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة » ولنذكر أن الرسول ﷺ أقام هذا الدين فى نفوس أصحابه بالقدوة الفاضلة فأقتبسوا من أنواره وانجذبوا إلى متابعة أقواله وأفعاله بعد إذ أسرهم جلاله وبهرهم جماله وكماله إذ كان لهم الأسوة الحسنة ، حتى صاروا خلقا آخر أكمل ما تكون الأخلاق العملية ، متانة ورصانة ورواء وبهاء ، كانوا عاملين أكثر منهم قوالين وكانوا يتعففون أن يقولوا ولا يعملوا .

وكلنا نذكر أن أمير المؤمنين عثمان بن عفان – رضى الله عنه – حين ولى الإمارة صعد المنبر ؛ ليخطب الناس ارتج عليه فلم يجد كلاما يقوله ثم فتح الله عليه بعبارات قصار كانت فصل الخطاب إذ قال : أما بعد :

أيها الناس : سيجعل الله بعد عسر يسرا وبعد ضيق فرجا ، وأنتم إلى إمام فعال أحوج منكم إلى إمام قوال .. ثم نزل عن المنبر ، وقدوة العمل هى الأقوى فى التأثير والتعليم .

وقد ذم الله أناسا يقولون مالا يفعلون ففى سورة الصف قول الله تعالى :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ .

وهذا من أسس التربية الخلقية التى ساقها القرآن ، حتى يقتدى الصغار بالكبار والناس بولاة أمورهم وبعلمائهم .

ولقد كان الرسول ﷺ يؤثر فى أصحابه بفعله أكثر مما يؤثر بقوله .

ولقد أثر عنه فى التعليم فى الصلاة قوله : « صلوا كما رأيتمونى أصلى » وفى مناسك الحج : ( خذوا عنى مناسككم ) .

ذلك لأن العمل أثبت وأبقى فى التعليم من القول ، ومن الخطأ التحدث عن الفضائل مع الانغماس فى الرذائل ، ولنستمع إلى قول الله تعالى فى سورة الصف :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣ ﴾

وهذه القدوة العملية والأسوة الحسنة لابد أن تكون فى المظهر والمخبر ، ولابد من التركيز عليها فى كل المجالات : فى البيت وفى المدرسة وفى ديوان العمل ، بل وفى المصانع والمزارع وفى وسائل الإعلام يجب التركيز على الفضائل العملية ؛ لتسرى إلى كل طبقات الشعب .

من الواجب أن تعرض وسائل الإعلام كلها نماذج تمثل القدوة الحسنة فى الكلمة ، فى الصورة فى

القصص إنه إذا تضامن البيت والمدرسة ووسائل الإعلام نحو نشر الأخلاق ، والقدوة الحسنة لإحياء الضمير الوازع ازدهر المجتمع وامتنع عن كل الشرور والآثام واشتهر التعاون على البر والتقوى وانتشر بين الناس .

إن الله سبحانه ضرب لنا المثل للكلمة الطيبة وللكلمة الخبيثة فى سورة ابراهيم قال :

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٥) وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ (٢٦) يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾ .

هذه الانحرافات التى تقلق المجتمع والجرائم الآثمة التى تقع هنا وهناك إنما جاءت وتجيء بسبب الفراغ من التربية الخلقية القرآنية ومن الزاد الذى يتزود به الشباب بل الناشئة عموما وربما الجمهور بوجه أعم ، مما يعرض فى الصحف والمجلات وقنوات (التليفزيون) وموجات الإذاعة من الحرص على تقديم السيىء من العادات والأخلاق والأخطاء فلم لا نعرض على الناس المثل الطيبة وبضدها تتميز الأشياء ؟

لِمَ نعرض على مسارحنا ودور السينما الخيانات الاسرية وأخطاء أصحاب الأعمال والمرتشين ونرددها ونؤكد عليها ، مع أن عرض الوجه الحسن هو الأولى حتى يترسخ فى الذهن ويكون قدوة ، فلم لا نعرض قصص الوفاء والأمانة والصدق والنماذج الصالحة من الحياة المعاصرة ، والمأثورات التاريخية حتى تتلقى الأذهان والبصائر المستقبلة أحسن الأعمال وأجود الأخلاق .

لم نعرض على الناس وسائل السخرية بالآخرين والتنكيت والتبكيت لهم وبهم ، ولا نعرض الوجه الآخر الرحيم بالناس الموقر للآدمية ، المكرم للانسانية .

لم نترك للمفسدين فى الأرض بأقوالهم وأقلامهم ومصنفاتهم أن يروجوا بضاعتهم الفاسدة المفسدة باسم الحرية المغلوبة على أمرها الفارغة من مضمونها .

إن القدوة السيئة مؤثرة ، ربما أكثر من القدوة الحسنة ؛ لأن مغريات الفساد قد تكون أكثر وأسرع .

إنه يجب أن تتواءم سبل نشر الفضائل وإحياء الضمير الوازع فلا نبنى فى جانب بينما جوانب أخرى أسرع فى الهدم وأبلغ أثرا .

إن الحفاظ على تنمية الالتزام بالفضائل يكون فى الخلق وفى الكلم وفى الزى والاحتشام ، وتقوية خلق الحياء فى الشباب وتوقير الكبار .

إن من مهام وسائل الإعلام التضامن مع الاسرة ومع المدرسة فى انماء الالتزام بالقيم والتقاليد والأعراف التى ارتضاها الإسلام وقامت عليها أمة الإسلام منذ أن كانت .

إن من الخير كل الخير لهذه الأمة أن تتوافر القدوة فى كل المجالات فلا تقع العين إلا على كل جميل ولا تسمع إلا الكلم النبيل ، وفى أخلاق القرآن ووسائله فى التربية الخلقية العصمة من

التردى . إن من الخير أن تختفى أو تنزوى تلك المظاهر التى تناهض الأخلاق القرآنية فى المظهر والجوهر وأن يحيا فى النفوس الحياء من كل نقيصة ورذيلة .

إن رسول الله ﷺ كان خلقه القرآن .

ومن أخلاق القرآن أن تمهد للفطرة النقية سبيل التسامى والظهور حتى تزول الرذائل ، والأوضار المقيتة من المجتمعات ولتأخذ الفطرة النقية التى فطر الله الناس عليها موقعها وامتدادها الطبيعى انتفاعا بالقدوة الفاضلة . إن الداء لا يشفى إلا بالدواء والزرع لا يثمر إذا زاحمته الحشائش الضارة فى غذائه وسقائه ، فكذلك النقاء والخلق الفاضل لا يؤتى ثماره والفساد يحيط به ويحيط عمله .

قد يظن بعض الناس أن اخلاقيات القرآن ومبادىء التربية التى شرعها لا تتمثل إلا فى مجموعة من المحظورات والموانع وتهولهم تكاليف هذه الأخلاقيات ويتصورونها قيودا وحواجز بين كل إنسان وما يشتهى ، وتحول وتمنع عن التعبير عن نوازعه وهذا سوء فهم ؛ لأن أخلاقيات القرآن قوة بناء وعوامل ازدهار ونماء بأسلوب عف نظيف .

إن العمل بمنهج القرآن هو الوسيلة الواقعية لبناء الحياة مع واقع أخلاقى ينمى الطاقة الحيوية العاملة فى الانسان وكل صورة أخلاقية تبدو فى صورة قيد على الإنسان فى قول أو فعل ، إنما يكون الوجه الاخر لهذا القيد سموا بالإنسان ونظافة له فى بدنه وثوبه وروحه .

فضبط النفس عن الشهوة المحرمة وتحريم الزنا فى القرآن تبدو قيدا فى الظاهر على الغريزة ، ولكن هذا التحريم للزنا وسيلة لوقاية الإنسان من الأمراض والأضرار التى استعلنت لا سيما فى هذا العصر ، بل جاء القرآن فى أخلاقه محرما لدواعى الانفلات نحو الغريزة الجنسية ، فأمر الرجال بغض البصر عن النساء وأمر النساء بغض النظر عن الرجال ، بل وستر أجسادهن بحيث لا يكون من جانبهن إغراء لغير الأزواج .

ثم الإيثار من الأخلاق القرآنية ، وظاهره أنه تكليف للنفس وكف لها عن التمتع بما تملكت ، ولكن الواقع أنه خلق عال يمثل التغلب على الشح والعبودية للمال ، والبخل والأثرة به . ففى سورة الحشر قول الله تعالى

﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ .

وفى سورة الإنسان فى وصف الأبرار قول الله تعالى : يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا

ذلك خلق الإيثار وليست الأثرة الممقوتة .

وخلق كظم الغيظ حيث يبدو قيدا على النفس يحول بينها وبين الانتقام من الخصم والتنكيل به ، لكنه فى الواقع يمثل القدرة على ضبط النفس ومنع استرسالها فى النزوات وهو خلق يمثل امتلاك النفس والاستعلاء عليها ، وقد امتدح الله هذا الخلق واعتبره من صفات المتقين فى قوله تعالى فى سورة آل عمران :

﴿ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾

ثم ها هو القرآن قد اعتبر الآثام والرذائل أغلالا وقيودا تشد نفس الإنسان فتهبط بها إلى أسفل سافلين. ويعتبر التحرر من قيود تلك الرذائل انتصارا عليها ؛ لأن الأصل فى فطرة الإنسان الاستعداد للخير ، فقد خلقه الله فى أحسن تقويم ، وقد يرتد أسفل سافلين إذا اتبع هواه ، مبتعدا عن منهج الله ، ذلك المنهج الذى يلائم الفطرة السليمة للإنسان ، وهو الذى يسارع بها إلى التحرر مما يطرأ عليها من قيود ويخرج بها كذلك من ربقة الشهوات .

ثم إن هذه المشقة التى يستشعرها المستمسك بأخلاق القرآن فى مجتمع اختلت فيه الموازين ، وانفلت من الاتباع لأخلاق القرآن إلى الابتداع فى السلوكيات والعادات بما يخرج بالمبتدع عن الصراط السوى الذى تربى عليه المجتمع المسلم ، هذه المشقة جهاد واستمساك بالحق .

وهذا أمر واضح ملموس حين تضل الكثرة فتخرج عن شرع الله ومنهجه فى أمر أوجبه القرآن فيشذ عن خلق هذه الكثرة الضالة فرد يظل متشبثا بمنهج الله غير عابىء بما يوجه إليه من نقد أو اتهام بالرجعية ، هذا الفرد فى جهاد وإن أحس بثقل التكاليف التى حوتها الأخلاق القرآنية ؛ لأنه أصبح وحده الذى يمتثل ويمارس على عكس ما لو كان المجتمع كله ممارسا لذات أخلاق القرآن ، فسيكون موضع التقدير ، ولعل المثال التالى يكون أكثر إيضاحا .

فلو أن طالبة فى مدرسة ثانوية أو فى الجامعة التزمت بالزى الساتر لجسدها بحيث لا يرى منها إلا الوجه والكفان ـ كما أمر القرآن فى سورتى الأحزاب والنور ـ وكانت صويحباتها فى المدرسة وفى الجامعة قد كشفن من أجسادهن ما حرم الله فى كتابه فإنها ستكون موضع الغمز واللمز بين هذه الكثرة المبتذلة ، وستحس هى بثقل التبعة فى الالتزام بالأخلاق القرآنية ، هذا الإحساس لأنها وجدت بين فئة منفلتة من الاستمساك بأخلاق القرآن ، ومثلها إذا صبرت وثابرت على إعلاء شأن هذه الأخلاق كانت النموذج المرضى عنه من الله ومن الناس ولم يكن صنيع هذه الفتاة التى صبرت وثابرت على الانفراد بالالتزام بما شرع الله فى القرآن زيا للمرأة إلا مثابرة وبذلا للبعد عن الوقوع فى الآثام ، وهو نوع من المجاهدة التى لابد منها لتحقيق أخلاق القرآن فى الحياة .

هذا : ولو عد مجاهدة الشهوات تقويما للنفس ـ لو عد هذا ـ كبتا لاسترسلت الأنفس فى الرذائل ، ولعجزت عن صنع الفضائل ، كما لو استسلم الطالب لشهوة اللعب واللهو وترك استذكار الدروس ، والانتظام فى الذهاب لاستماع دروسه فى المدرسة لكان الفشل آخر العام حتمى .

إن أخلاقيات القرآن لا تقر الكبت المدمر للنفس ، وإنما عملت على تنظيم الغرائز بالمجاهدة وهى نوع رفيق من التهذيب النفسى الذى يحاول ترويض الشهوات الآثمة والنزوات التى تضر بالفرد وبالمجتمع .

فهذا الرسول محمد ﷺ ينصح الشباب بالزواج متى استطاع بتوافر مؤنته والتزاماته ، فإذا

لم تتوافر هذه الاستطاعة كان البديل الصوم أى ممارسة عبادة فيها نشاط يمتص الطاقة فتهذب الغريزة فضلا عن أن الصوم عبادة يكتسب بها أجرا ويدفع وزرا .

وهكذا فإن كل أنواع الفضائل وسيلتها المجاهدة حتى تصير سجية وعادة ، فالأمانة فضيلة تحتاج في المحافظة على الاتصاف بها وتحققها فى الواقع إلى مجاهدة النفس حتى لا تقع فى الخيانة ، والصوم عبادة تحتاج الى المجاهدة والمصابرة مع المثابرة حتى تتكون الارادة الحازمة .

وهكذا ما اعتاده بعض الناس من مآثم يحتاجون فى الانفلات منها إلى الإرادة التى يهدرون أموالهم فى السجائر وفى المشمومات فى حاجة إلى حزم الإرادة ومجاهدة هذه العادات المتلفة للمال والصحة .

وهكذا يحتاج كل إنسان تقمصته عادات تنأى به عن أخلاق القرآن ، عليه أن يجاهد نفسه حتى تتكون لديه الإرادة الحازمة التى تؤثر فى التغيير .

وصدق الله ـ سبحانه ـ فى قوله فى سورة الرعد :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ .. ﴾

وفى ختام سورة العنكبوت قال سبحانه :

﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ .

وبعـــد :

فقد قرأت لأحد الكتاب قوله :

إن القرآن من الغنى القيمى والغنى التعبيرى ، بحيث كثرت التفاسير حوله وما زال فيه الكثير للرؤية المستقبلية ومقياس العظمة فى العمل احتياج الانسان الى تجديد رؤيته له . الاسلام ميزته أنه أسلوب حياة .. نمط سلوك .. من أبسط الأشياء إلى أعلاها .

نحن مشغولون فى الدين بالشرح والتفسير فى حين أن الموضوع الحقيقى هو امتناع عن الدنايا وارتفاع فى التصرف والسلوك .

ليت المدرسة فى البلاد الإسلامية تعرف كيف تنتفع انتفاعا حقيقيا بالدين فى التربية وهو أسلوب رفيع بعيد عن أسلوب تفريغ الإنسان عقليا ، بحيث تُطمس الحقيقة بعض الوقت ولكنها لا تلبث أن تنكشف .

ليت المدرسة فى بلاد المسلمين تنجح فى تأصيل قيم الإسلام فى نفوس النشْء تأصيلا تغدو معه قلوبهم قادرة على استشفاف المقدس فى الكون أو فى أعمال الإنسان .

لقد أكد الاسلام العمل بما لم يؤكده دينٌ قبله وفى القرآن الكريم آيات شتى تحض على العمل وعلى التأمل والتدبر والتفكير ، فالإسلام هوايته عمل دائب ، وغايته إنجاز وتكوين وإحسان لكل ما فيه . هو التجويد .

التجويد فى القرآن ...

والتجويد فى العمل كما جاء فى الأثر :

« إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه »

هذا ما يجب أن يعرفه أبناؤنا عن الإسلام .

« إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون » .

فتوى

# فى حكم صرف الزكاة أو جزء منها إلى الأجير الخاص وإلى الجمعيات

**ورد إلى مكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر خطاب من خريجى التجارة للأقمشة والاستيراد والتصدير محمد وعبدالجليل وسعد توفيق اليمانى وفيه يبدون رغبتهم فى توزيع مال الزكاة توزيعاً شرعياً سليماً ، ولديهم فائض زكاة ، يريدون توزيعه ، ولكن لظروف المدنية الحديثة ، وما أسفرت عنه من عدم معرفة الناس بعضهم ببعض ولمحدودية عدد الأفراد الذين نثق فى استحقاقهم لزكاة المال ، وخوفاً من المسئولية أمام الله إذا ما أخرجنا هذه المبالغ لجمعيات لاتراعى الله فى توزيع هذه المبالغ .**

لذا نرجو التكرم بإرسال كشف موضح به أسماء مجموعة من الجمعيات وعناوينها التى تثقون ثقة تامة أنه يمكن لها استلام المبالغ وتوزيعها فى المصارف الشرعية على أن نخلى مسئوليتنا أمام الله بمجرد إرسال زكاة المال إلى هذه الجهات .

وما رأى فضيلتكم فى الآتى :

١ ـ هل يمكن توزيع جزء من زكاة المال على العمال العاملين معنا ؟

٢ ـ رأيكم فى جمعية جامع المواساة ؟

٣ ـ جمعية جامع سيدى جابر الخيرية وما أعلنت عنه فى الصحف عن حاجتها إلى زكاة المال لبناء مصنع للأجهزة التعويضية للمعوقين .

٤ ـ رأيكم فيما يقوم به السيد/ مصطفى أمين من توزيع زكاة المال ؟

سيدى :

لم نجد غير فضيلتكم لتحمل هذه الأمانة أمام الله ورسوله ، وفقكم الله لما فيه خير الإسلام والمسلمين .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

### والجـواب

الزكاة من الفروض المقررة فى مال المسلم بشروطها ، وقد دل على وجوبها القرآن فى آيات كثيرة منها قول الله ـ سبحانه ـ فى سورة النور . ( وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ )[1] وقوله فى سورة التوبة :

( فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ )[2] .

وفى السنة: الحديث الذى أخرجه البخارى وغيره .

( بنى الإسلام على خمس ) وجاء فيه : ( وإيتاء الزكاة ) .

وحديث معاذ بن جبل ـ رضى الله عنه ـ الذى أخرجه البخارى ، حين بعثه الرسول ﷺ إلى أهل اليمن وفيه :

(١) من الآية رقم ٥٦ .

(٢) من الآية رقم ١١ .

( وأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة فى أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم ) .

ولقد أجمع المسلمون على فرض الزكاة ، وعلى دفعها إلى مستحقيها الشرعيين ولقد قاتل الخليفة الأول أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ مانعى الزكاة وقال :

( والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال ، والله لو منعونى عناقا كانوا يؤدونها لرسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها )[٣] .

ولقد حدد الله فى القرآن الكريم مصارف الزكاة فى سورة التوبة فى قوله تعالى :[٤]

( إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ )

والاولى اتباع ترتيب مستحقى الزكاة حسبما جاء فى منطوق هذه الآية .

ولقد احتوت ورقة السؤال فى ختامها أسئلة محددة على نحو ماسلف ذكره وكان أولها :

هل يمكن توزيع جزء من زكاة المال على العمال العاملين معنا ؟

والجواب : أن هؤلاء العاملين إذا كانـــوا متفرغين للعمل لدى السادة أصحاب هذا العمل والمال، كانوا من الأجراء الخصوصيين ، وهؤلاء قد اتفق الفقهاء على أنهم ليسوا من مصارف الزكاة المستحقة على أصحاب هذا العمل ، فلايجوز الصرف إليهم بهذا الاعتبار .

وأما عن الجمعيات والجهات المنوه عنها بالسؤال بأرقام ٢ ، ٣ ، ٤ فإنه إذا كانت تلك الجمعيات أو الجهات تتحرى الصرف على الأصناف المذكورة فى آية ( إنما الصدقات ) جاز الصرف إليها وتصير موكلة فى إيصال المبالغ الموجهة إليها من أموال الزكاة عن أصحاب المال والعمل ، ويُشترط أن يتعرف على خططها فى صرف أموال الزكاة والاستيثاق من هذا شأن أصحاب المال .

وأنصح بتوجيه الزكاة أو فائضها ـ كما جاء بالسؤال ـ إلى لجان الزكاة فى المساجد بشرط التثبت من تبعية هذه اللجان إلى بنك ناصر الاجتماعى ، وأنها مسجلة لديه ؛ لأن هذه الجمعيات تخضع للرقابة من هذا البنك وهى قريبة من أوساط مستحقى الزكاة ولديها القدرة على الفحص والتقصى عن أحوال الناس وإيصال الزكاة إليهم دون مَنّ ولا أذى .

والأولى أن تصرف هذه الزكاة فى الحى أو البلد الذى فيه المنشأة صاحبة العمل ( خريجى التجارة للأقمشة والاستيراد والتصدير ) .

ويجوز دفع بعض مال الزكاة للجمعيات التى تقوم على إنشاء مستشفى للفقراء أو مصنع للأجهزة التعويضية بشرط أن يكون الإنتاج لتيسير هذه الأجهزة وتزويد الفقراء بها .

وكل هذا يقتضى أن يطلع أصحاب أموال الزكاة على أنشطة الجمعيات التى أشير إليها فى ختام ورقة السؤال للتثبت من خططها وبرامجها فى توزيع الزكوات .

وبالله التوفيق ..

والله سبحانه وتعالى أعلم ..

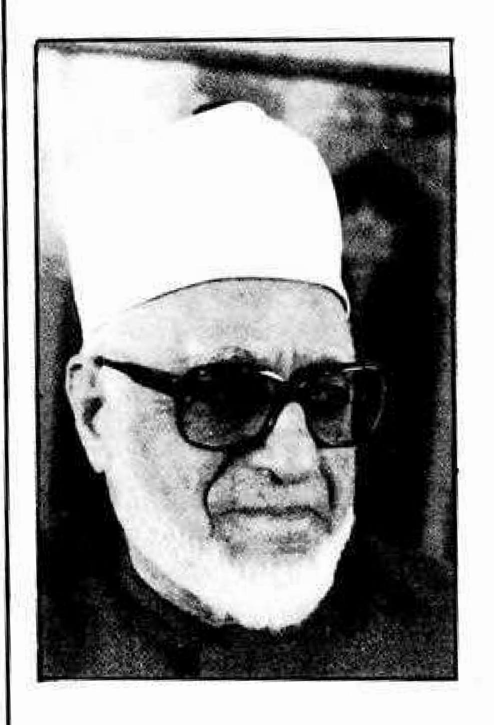
**شيخ الأزهر (جاد الحق على جاد الحق)**

---

(٣) فتح القدير جـ ١ ص ٤٨١ والمغنى لابن قدامة جـ ٢ ص ٥٧٢ ط ثالثة وفتح البارى شرح صحيح البخارى جـ ٣ ص ٢٦٢ المطبعة السلفية ١٣٧١ هـ .

(٤) من الآية رقم ٦٠ .

# شيخ الأزهر يحذر من رفع المقاطعة العربية لإسرائيل



الدوحة ـ حذر فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر من رفع المقاطعة العربية المفروضة على إسرائيل قبل الانسحاب من مدينة القدس المحتلة .

وقال فى حديث لصحيفة « الشرق » القطرية إن الاتجاه لرفع المقاطعة بشكل مباشر أو غير مباشر أمر غير مقبول على الإطلاق .

وأكد بهذا الصدد أن سياسة الإسرائيليين تتسم بالمراوغة والخداع ، وأن تاريخ الإسرائيليين يؤكد أنهم لا يلتزمون بعهد ، ولا يوفون بوعد ، وأن الدعوة لرفع المقاطعة دون الجلاء عن الأراضى المحتلة ـ ومنها القدس والمسجد الأقصى المبارك ـ يتناقض مع ما اتخذه العرب والمسلمون من قرارات وتوصيات للإبقاء على المقاطعة .

وندد فضيلة شيخ الأزهر فى حديثه الذى نقلته وكالة الأنباء القطرية بالممارسات الوحشية التى يرتكبها الصرب بحق المسلمين فى البوسنه ، والهرسك ، ودعا الدول الإسلامية إلى اتخاذ موقف حازم تجاههم .

وأكد على ضرورة تحقيق التضامن الإسلامى لمواجهة التحديات التى تواجه الأمة ، وللحفاظ على حقوقها ومكتسباتها .

# الإمام الأكبر في فتاويه الفقهية

١

للدكتور/ محمد رجب البيومى

بحين رجعت إلى ما أصدر الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر من الفتاوى الدينية ، والأحكام الفقهية ، تعاظمنى أن أجد ـ من الناحية الكمية فقط ـ عدة أجزاء حافلة بمشكلات العصر ، وموضحة سبل الهداية الإسلامية فى ضوء ما سنه التشريع الإسلامى من توجيه ، فقد نشرت دار الافتاء للشيخ الأكبر ثلاثة مجلدات تقع فى ثلاث وتسعين وألف من الصفحات تُسجّل ما أصدره المفتى الجادّ فى الفترة التى تولى بها الإفتاء ، وهى لا تزيد عن ثلاث سنوات وأربعة أشهر كما نشرت الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية مجلدين كبيرين يقعان فى ثلاثين وسبعمائة وألف من الصفحات تحت عنوان (بحوث وفتاوى إسلامية فى قضايا معاصرة) هذا من الناحية (الكميّة) ، ومن يعرف دقة المفتى الأكبر ، وبُعْدَ غَوْصِهِ ، وصبره على الاجتهاد الفقهى المستند إلى القواعد الراسخة فى علم الأصول ، مع بصر بطبيعة العصر وملابسات الحياة ، يعرف قيمة (الكيف) الثمين لهذه المؤلفات الدقيقة ذات الوزن الراجح لدى الدارسين ، وهذا غيرُ ما لم يُجمع بعد ، إذ تتهيأ اللجنة العليا للدعوة الإسلامية لإصدار المجلد الثالث عن قريب .

ومع عدم صلتى المباشرة بالدراسات الفقهية ذات التخصص الدقيق ، فإن اشتغالى بتراجم الأئمة من فقهاء العصر من أمثال : السيد محمد رشيد رضا والشيخ محمد مصطفى المراغى والشيخ عبدالمجيد سليم والشيخ يوسف الدجوى والشيخ محمود شلتوت ، والشيخ محمد أبو زهرة ممن تحدثنا عنهم فى أجزاء كتابى ، (النهضة الإسلامية فى سير أعلامها المعاصرين) هذه الصلة تدفعنى إلى قراءة ما كتبه هؤلاء الأعلام فى ميدان الفتوى ، لذلك كان من الطبيعى أن أتابع ما يصدره الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على الحق متابعة جادة ، لأسعد بما سعدت به من ثمار يانعة فى هذا المضمار ..

## صلتى ببحوث الإمام الأكبر

ومن الحق أن أذكر أنى تابعت بحوث الإمام الأكبر من عهد بعيد ، قبل أن يتولى الإفتاء بعشرين عاماً ، إذ كنت أقرأ ما ينشره فى (مجلة المحاماة) وفى (مجلة دنيا القانون) من بحوث تشريعية دقيقة ، ذات نهج استقلالى بارز ، ولا أنسى فى هذا المجال مقاله المنشور بالسنة الثالثة العدد الثالث سنة ١٩٦١ من مجلة (دنيا القانون) حيث عارض فى قوة مكينة حكما أصدرته محكمة النقض مخالفا لما أصدرته محكمة الاستئناف ، وكان يومئذ قاضيا لمحكمة الأحوال الشخصية بمصر الجديدة فلا صلة له رسميا بما دار بين المحكمتين ، ولكنه رأى فى حكم محكمة النقض ما يخالف التشريع الإسلامى ، فكتب مقاله الدقيق تحت عنوان (نصاب الشهادة فى إثبات المواد الشرعية) (اختلاف محاكم الاستئناف فيه ورأى محكمة النقض) ومناط الخلاف يتحدد فيما رأته محكمة النقض من الاكتفاء بشاهد واحد فى (دعوى التطليق لعدم الإنفاق) مخالفة بذلك ما اتجهت إليه محكمة الاستئناف من عدم الاكتفاء بالشاهد الواحد ، ووجهة نظر محكمة النقض هى أن التطليق للإنفاق ليس له حُكْمٌ فى الفقه الحنفى ، فيتعين الرجوع إلى القانونى الوضعى !

وقد رأى الأستاذ جاد الحق فى حكم النقض بُعدًا عن الصواب ، فتقدم بدراسة أصولية جادة فى بحثه ، تؤكد أن (المصدر الوحيد للحكم هو القول الراجح للمذهب الحنفى) وأنَّ الإجماع منعقدٌ بين كافة المذاهب جميعها ، لا المذهب الحنفى ـ وحده ـ على أنَّ الزواج والطلاق والنسب والرجعة لا يثبت بقول شاهد واحد ، وكان من اللازم على محكمة النقض أن ترجع إلى فقه المذهب الذى تأخذ به المحاكم فى مصر ، إذ ترى أن يكون الشهود رجلين أو رجلا وامرأتين ، أما المحاكم التى تقبل قول شاهد واحد ، وتقضى بمقتضاه فهى متأثرة بقواعد الإثبات فى التقنين المدنى ، والفقه الحنفى هو المصدر الوحيد فى القواعد الموضوعية لإثبات المواد الشرعية المبينة بالمواد ٥ ، ٦ ، ٨ من اللائحة الشرعية . وبعد

بحث فاحص شمل أربع صفحات[1] أنهى الأستاذ بحثه بقوله :

كان الواجب أن يفرق فى التطبيق بين قواعد الإثبات فى المواد الشرعية ، وبين الإثبات فى المواد المدنية ، لأن المشرع لم يوحد بينهما بعد ، وكما لا يجوز إخضاع المواد المدنية لطرق الإثبات فى المواد الجنائية فكذلك يكون خطأ فى التطبيق إخضاع المواد الشرعية لقواعد الإثبات فى المواد المدنية .

هذا التصدى من قاضى محكمة الأحوال الشخصية لحكم المستشارين بمحكمة النقض انتصار للشريعة الإسلامية ـ فوق أنه حمية دينية هو رجولة باسلة فى عصر ألغيت فيه المحاكم الشرعية ، وقام اليساريون بالشغب عليها فى أمهات الصحف ، ولا أكتم القارىء أنى حرصت على متابعة ما يكتب القاضى العادل منذ هذا المقال .. هذه واحدة .

أما الثانية : فقد طلبت منى مجلة ( طبيبك الخاص ) مقالا عن الحكم الفقهى فى ختان البنات ، وكنت من كتاب هذه المجلة ـ حيناً من الزمن ـ ولكنى لست بالفقيه الذى يصدر الرأى فى ثقة مطمئنة ، فرأيت أن أرجع إلى فتاوى ذوى الاختصاص ، وطالعت ما كتبه الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت ، والمفتى الأكبر الشيخ حسنين محمد مخلوف ، ولجنة الفتوى بالأزهر ، وقد انتهوا جميعاً إلى رأى مقارب عبرت عنه لجنة الفتوى[2] بقولها :

« إن الإسلام لم يوجب على أهله الإختتان إيجاباً ، كما هو مذهب الإمامين : أبى حنيفة ومالك ، ولم يجعله شرطاً للإسلام ، فهو فى نظرهما سنة للرجال إن شاءوا أخذوا به تصونا وتطهرا ، وإن شاءوا تركوه .

أما النساء فلم يصل إلى درجة السنة فى مذهب الإمامين السابقين ، ولكن عندهما ( كرامة ) لهن فقط ، لذلك نجد أكثر المسلمين لا يختنون نساءهم ، فالأتراك كافة والمغاربة والإيرانيون والهنود وغيرهم لا يعلمون بهذه العادة فيما يتعلق بنسائهم » .

كما عبر عنه الأستاذ حسنين مخلوف فى فتواه الصادرة من دار الإفتاء بمصر ( شعبان سنة ١٣٦٨ هـ ) حيث قال ـ بعد أن أشار إلى عدة مذاهب :

( فتلخص من ذلك أن أكثر أهل العلم على أن خفاض « ختان » الأنثى ليس واجباً ، وهو قول الحنفية والمالكية والحنابلة ، ومروى عن بعض أصحاب الشافعى ، فلا يوجب تركه الإثم ، وأن ختان الذكر واجب ، وهو شعار المسلمين ومن ملة إبراهيم ـ عليه السلام ـ وهو مذهب الشافعية والحنابلة ومن هذا يعلم أنه لا إثم فى ترك خفاض البنات كما درج عليه كثير من الأمم بالنسبة لهن ) .

ولم يكد مقالى يظهر فى مجلة ( طبيبك الخاص ) حتى كتب إلى الأستاذ الكبير محمد سعيد العامودى رئيس تحرير مجلة رابطة العالم الإسلامى

---

(١) مجلة دنيا القانون صفحات ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ .

(٢) مجلة الأزهر المجلد السابع ص ٣٤٩ .

بمكة ، يعلن أنه قرأ المقال ولم يسترح لقراره النهائى ، ويتمنى أن أرجع إلى فتوى الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق فى هذا المجال .

قلت متعجباً : أيكون للإمام الأكبر ، رأى فى الختان وأغفل عن قراءته ؟!. وسارعت إلى مجموعة دار الإفتاء الخاصة بفتاويه ، فوجدت طلبتى بالمجلد التاسع[٣] ، حيث أجاب فضيلته عن سؤال خاص بالختان ، فبدأ بالحديث عن الفطرة وأن الختان منها ، معددا أقوال العلماء فى معناها ومنتهياً إلى ما استصوبه الإمام النووى من أن معناها (السنة) ، ثم نقل نصا وافيا لابن القيم فى (تحفة المودود) يسرد أقوال العلماء فى الختان من أمثال : الشعبى وربيعة والأوزاعى ومالك والشافعى وأحمد والحسن البصرى وأبى حنيفة ، وعقب على هذه الأقوال بذكر خلاصتها ، وهى اتفاق الفقهاء على أن الختان فى حق الرجال والخفاض فى حق النساء مشروع .

ثم انتقل إلى استدلال الفقهاء على خفاض النساء بحديث أم عطية التى كانت تختن بالمدينة ، وقد قال لها الرسول ـ ﷺ : « لاتنهكى ، فإن ذلك أحظى للزوج ، وأسرى للوجه » وبحديث آخر عن أم حبيبة وقد عرفت بختان الجوارى ينحو منحى الحديث السابق ، وثلث بحديث لأبى هريرة ثم قال الشيخ :

« وهذا التوجيه النبوى إنما هو لضبط ميزان الحس الجنسى عند الفتاة ، فأمر بخفض الجزء الذى يعلو مخرج البول لضبط الاشتهاء ، والإبقاء ، على لذات النساء ، واستمتاعهن مع أزواجهن ، ونهى عن إبادة مصدر هذا الحس واستئصاله وبذلك يكون الاعتدال ، فلم يعدم المرأة مصدر الاستمتاع والاستجابة ، ولم يبقها دون خفض فيدفعها إلى الاستهتار ، وعدم القدرة على التحكم فى نفسها عند الإثارة » ثم انتهى بعد حديث جيد إلى قوله :

« وإذ قد استبان مما تقدم أن ختان البنات المسئول عنه ، من فطرة الإسلام ، وطريقته على الوجه الذى بينه رسول الله ﷺ ، فإنه لا يصح أن يترك توجيهه وتعليمه إلى قول غيره ، ولو كان طبيباً ، لأن الطب علم ، والعلم متطور ، تتحرك نظرته ونظرياته دائماً ، ولذلك نجد أن قول الأطباء فى هذا الأمر مختلف ، فمنهم من يرى ترك ختان النساء ، وآخرون يرون ختانهن ؛ لأن هذا يهذب كثيراً من إثارة الجنس ، لاسيما فى سن المراهقة التى هى أخطر مراحل الفتاة .

هذا ما قاله الأطباء المؤيديون لختان النساء ، وأضافوا : أن الفتاة التى تعرض عن الختان تنشأ من صغرها ، وفى مراهقتها حادة المزاج ، سيئة الطبع ، وهذا أمر يصوره لنا ما صرنا إليه فى عصرنا من تداخل وتزاحم ، بل وتلاحم بين الرجال والنساء فى مجالات الملاحقة والزحام التى لا تخفى على أحد فلو لم تقم الفتاة بالختان لتعرضت لمثيرات عديدة تؤدى بها ـ مع موجبات أخرى تزخر بها حياة العصر وانكماش الضوابط فيه ـ إلى الانحراف والفساد .

هذا لُباب الفتوى ، وهى تحرص على ختان الفتاة ، ولا تهون من شأنه ، وحين وقفت عليها

---

(٣) الفتاوى الإسلامية ـ الجزء التاسع ـ ص ٣١٢٣ .

بعد كتابة مقالى السالف ، رأيت أن أضيف ما قاله الإمام الأكبر إليه ، حين نشرته بالجزء الثانى من كتابى (من منطلق[٤] إسلامى) . وقلت : إنها وجهة نظر أحترمها ، وزدت على ذلك بأن قلت : إذا كان الواقع الاجتماعى لدينا بهذه الصورة الأليمة التى أشار إليها الإمام الأكبر ، فليس الختان ـ وحده ـ هو الذى يصحح هذا الوضع الأليم ، بل التربية الإسلامية التى تنشأ فى البيت والمدرسة ، هى الحاجز الواق قبل كل شىء) .

## منهج الإمام فى فتاواه

ولعل القارىء من خلال هذا العرض المقتضب جدا لفتوى الإمام الأكبر يلاحظ طريقته فى الفتوى .

إذا يقدم النصوص الدالة من الكتاب والسنة .

ثم يعرض ما يعلمه من أقوال الأئمة فى التراث الإسلامى .

وينتهى إلى ترجيح ما يراه بأدلة فقهية من اطلاعه ، وأخرى من مشاهداته فى المجتمع .

وهذا الحرص المتأنى على ذكر الأقوال المختلفة لكبار الفقهاء قد يؤدى إلى الإطالة ، بالنظر إلى الفتاوى الأخرى لبعض النظراء ، ولكنها إطالة يتطلبها المقام ، وتؤدى بالقارىء الدارس إلى الإلمام ، بما يحيط الموضوع من وجهات شتى ؛ فإذا آثر الإمام حكما على غيره كان للدارس من قرائه أن يزن أدلته وزناً محايداً . **لذلك أعد من مميزات الفتوى لدى الإمام الأكبر هذه الإحاطة الشاملة دون نقص ، وهذا الإسهاب الواق دون اكتناز .**

## طريقة الإمام محمد عبده :

وأذكر بهذه المناسبة أن الإمام محمد عبده ـ رضى الله عنه ـ كان يهتدى إلى الرأى الفقهى فى فتواه فى ضوء ما يعلم دون أن يهتم بنصوص الفقهاء ، وقد لاحظ الأستاذ عبدالمجيد سليم هذه الناحية فيما أثر من فتاوى الأستاذ الإمام فقال بصدد ذلك[٥].

« إن الناحية التى تجلت فيها مواهب الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده هى إدراكه الصحيح لمعانى القرآن الكريم . وفهمه الدقيق لأغراضه مع بصر عظيم بأحوال الناس وعبر التاريخ ، وكان ـ رضى الله عنه ـ يعتمد فى فتاواه على إدراك روح الشريعة ، وتبيين أغراضها العامة ، لا على مناقشة المذاهب ، وترجيح أقوال الفقهاء ، ولذلك تأتى فتاواه غالباً مختصرة ؛ وقد تثير خلافاً بين أهل العلم ، ومن أمثلة ذلك أنه : أفتى فتواه المشهورة بجواز لبس (البرنيطة). فقامت من أجلها ضجة هائلة بين العلماء وأهل الأزهر يومئذ ، فلما أردت أن أفتى فى هذا الموضوع انتفعت بموضع العبرة فيه ، فأخرجت فتواى التى تجيز لبس البرنيطة إخراجاً فقهياً مؤيداً بقول العلماء جارياً على طريقتهم فى الاستدلال والترجيح ، وبذلك لم يستطع أحد أن يشغب على هذه الفتوى ، أو يثير فى شأنها جدالًا .

(٤) من منطلق إسلامى جـ ٢ ص ٢٥ للدكتور محمد رجب البيومى .

(٥) مجلة الرسالة ـ العدد ١٤٤٩ ـ ٩ فبراير سنة ١٩٤٢ .

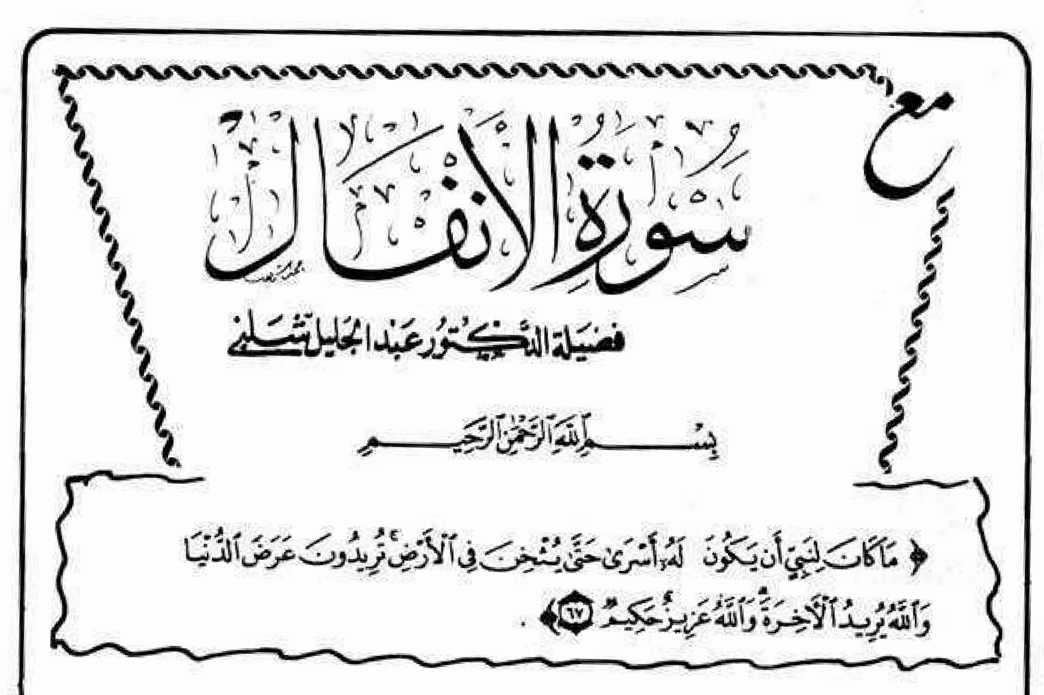
## مراجع الإمام جاد الحق :

والذى يقرأ فتاوى الإمام الأكبر ، ولا يدرى أنه حنفى المذهب ـ لا يشعر إطلاقاً بأنه حنفى ، لأن مراجعه فى الفتوى الواحدة تشمل مذاهب الأئمة جميعاً ، لا أئمة أهل السنة وحدهم من الحنفية والشافعية والمالكية والحنابلة ، بل من جميع أئمة الفقه : ظاهرية وإباضية وزيدية وإمامية ومن لا أحصى ، وقد أدهشنى أن أرى أسماء مؤلفات لم أعهدها من قبل على طول عهدى بقراءة الفهارس المكتبية فى التراث الفقهى ، وأقول : (الفهارس) مقتصراً عليها كيلا أدعى ما ليس لى ، وقد عهدنا فى بعض الكبار بعدا عن الاستشهاد بآراء من دونهم من التلاميذ ، ولكن الإمام الأكبر يشيد بما يراه صحيحاً ويدل عليه ويعده من مراجعه ، وهو تواضع حميد ، يضرب المثل الحى لمن يريد أن يبحث عن الحق حيث وجده ، وألح على تأكيد هذا المعنى ؛ لأنى أعلم من الكبار من يأنف أن يشير إلى من لا يراهم فى مستواه ، وقد حفظنا من قضايا الدراسة الأزهرية قول أساتذتنا : « ليس فى العلم كبير » .

هذا وفى مجال ما صدر من كتب الفتاوى الفقهية رأيت الشيخ الأكبر قد استوعبها استيعاباً فى شتى مذاهبها قديمة ومعاصرة ، ولا أدرى لماذا لم أجد أثراً للاستشهاد بفتاوى السيد محمد رشيد رضا ، وقد صدرت عن لبنان فى خمسة أجزاء كبار بتحقيق الأستاذ صلاح الدين المنجد وزميل له ، والسيد رشيد رضا من الرسوخ والنباهة بحيث لا يجهل مكانه ، والإمام الأكبر يرجع إلى تفسير المنار كثيراً ، ولن يكون المفسر لآيات الأحكام غير فقيه مرموق ! إذ مما يؤكد هذ الاطلاع الشامل لكتب التراث الفقهى المذهبى فى شتى مصادره أن الإمام الأكبر حين يتحدث عن قضية هامة فى فتوى محدودة يستند المستفتى فيها إلى بعض الأحاديث التى تكون موضع نظر ، لا يكتفى بالحكم الفقهى ـ وحده ـ بل يمتد إلى القواعد الأصولية ، ليصل إلى مبتغاه وقد روى الظمأ وشفى الغليل ، ففى السؤال الخاص بظاهرة الصرع ودخول الجن جسد الإنس ، واستناد بعض القائلين إلى خبر الآحاد فى هذه العلاقة المشار إليها بين الجن والإنس فقال المفتى الأكبر ما يردده أصحاب هذه الاتجاهات من أحاديث الآحاد ، ورأى من جوهر الفتوى أن يتحدث بإشباع عن محل العمل والاحتجاج بخبر الآحاد ناقلا عن البزدرى والنووى والغزالى ومشيرا إلى مراجع أخرى للشوكانى والسرخسى والتفتازانى والآمدى وابن حزم لينتهى إلى تأكيد ما تقرر من أن أحاديث الآحاد ليست حجة فى باب الاعتقاد ، لأنها توجب الظن لا العلم القطعى ، فى ظلال فتوى فقهية ، هذا البحث الجاد عن أحاديث الآحاد فى ظلال فتوى فقهية خاصة بالجن يصلح أن يكون بحثا مستقلا إذا استوفى بعض ما اجتزأه الأستاذ الأكبر من النصوص الفقهية لأعلام التشريع ، ولذلك دلالته الباهرة فى وحرصه الأكيد على استيفاء البحث الفقهى ، وإنارة ما قد يلوح فى الأفق من شبهات .

---

(٦) بحوث وفتاوى فقهية للإمام الأكبر جـ (١) ص ٤٨ وما يليها من الصفحات .




قرئت الآية : ما كان للنبى ، والمراد به نبى الإسلام المخاطب بالآية ﷺ أو أى نبى فى قومه ، وإذا أريد أى نبى رجعت الآية إلى معنى التنكير بمعنى أنه لاينبغى ذلك لأى نبى . والأسرى : جمع أسير ، وهو أخيذ الحرب ، الذى يستولى عليه خصومه ويأخذونه لديهم ، والكلمة من الأسر ، وهو الربط والشد بالإسار – والإسار – بكسر الهمزة : هو السير المقدود من الجلد ، يُشد به الشخص أو الشىء ويربط ، وكانوا يربطون الأسير كيلا يهرب ، فهو بمعنى المربوط ، ولكن توسعوا فى الكلمة . وصار اللفظ يطلق على أخيذ الحرب ربط أو لم يربط ، وتقول لمن تمدحه : أنا أسير نعمتك أو أسير فضلك ، بمعنى قيدتنى بما أفضلت علىّ ، فلا أخرج عن مرضاتك . ويجمع – أيضا – على أسارى . وجاء فى القرآن الكريم : « وإن يأتوكم أسارى تفادوهم » وتفتح همزة أسارى وتضم ، وقيل : إنه جمع أسرى فهو جمع الجمع ، ويجمع أسير – أيضا – على أسراء كشهيد وشهداء ، ورحيم ورحماء . والمطرد فيه أنه يجمع على قتلى . كقتيل وقتلى وجريح وجرحى ، قال الزجاج : إنه جمع مختص بذوى العاهات كهذه الأمثلة السابقة ، ولذا لا يأتى فى نحو رحيم وعظيم . وقالوا : إنه على تشبيه فعيل بفعلان . ففعلان يجمع على فَعْلى ، كسكران وسكرى . وظمآن وظمأى ، وقالوا – أيضا – فى كسلان : كسالى وفى سكران سكارى ، وقرىء : وترى الناسَ سكارى وسكرى ويقولون: حيرى وحيارى جمع حيران

والإثخان فى الأرض : يراد به المبالغة فى القتل والإكثار منه كى يقل الأعداء ويذلوا فيقوى المسلمون ويتهيأ لهم النصر . والكلمة من الثخانة ،

وأساسا هى الغلظ والكثافة فى الأجسام ، واستعمل للمبالغة والقتل والجراحة ؛ لأن القتل والجرح المبالغ فيه يمنع من الحركة ، فيصير الجسد لعجزه كالدم الثخين الذى لا يسيل ولا يفارق مكانه ، وقرئت الآية : « حتى يُثَخِّن فى الأرض » للمبالغة ، كتمزق ويمزق . ويَقْتل ويُقَتِّل

وقيل : التقدير ما كان لأصحاب نبى بدليل .. تريدون عرض الدنيا ، وليس برأى جيد وقد سبق .. تريدون ضمير المفرد ـ فى يكون له . وفى يثخن .

شغل حديث القتال والحرب سورة الأنفال كلها ، والآن جاء حديث الأسرى لأن النظر فى شأنهم يكون الفراغ من القتال ، والمعنى ، ما كان من حال نبى من الأنبياء ، ولا من شأنه فى تصرفاته مع الأعداء أو يهتم بأن يكون لديه أسرى منهم وإنما يشغله أمرهم بعد أن يثخنهم قتلا وتتم له الغلبة عليهم . ومن أثخنته الحرب أو الجراح أو أثخنه المرض ، ضعف عن الحركة والمقاومة ، وأحرى بكل محارب أن يثبط عدوه ويشل حركته بكل ما يستطيع ، وقتل العدو مما يبث فى قلوب الباقين .

والآية نزلت فى شأن الأسرى من المشركين الذين وقعوا فى أيدى المسلمين يوم بدر قيل : كانوا سبعين ، وقيل : كانوا أكثر ، وكان فيهم العباس بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ وفيهم عقيل بن أبى طالب أخو على ـ كرم الله وجهه ـ وصهر أو نسيب لعمر بن الخطاب ، واستشار رسول الله ﷺ فيهم أبا بكر ـ رضى الله عنه ـ فقال : قومك وأهلك ، استبقهم ، لعل الله أن يتوب عليهم ، وخذ منهم فدية تقوى بها أصحابك ، وقال عمر ـ رضى الله عنه ـ : كذبوك وأخرجوك ، فقدمهم واضرب أعناقهم ، فإن هؤلاء أئمة الكفر ، وقد أغناك الله عن الفداء ، مكِّن عليا من عقيل ، وحمزة من العباس ، ومَكِّنى من فلان ـ نسيبه ، فاضرب أعناقهم . وقال عبد الله بن رواحة ـ رضى الله عنه ـ : يارسول الله . انظر واديا كثير الحطب فأضرمه عليهم ناراً . فقال العباس وهو يسمع ما يقول : قطعت رحمك[1] ـ ودخل النبى ـ ﷺ ـ ولم يقل شيئا ، فقال أناس : يأخذ بقول أبى بكر ـ ربما لأنه أول من سئل أو لمكانته المعروفة ، وقال أناس : ـ يأخذ بقول عمر ـ فيضرب أعناقهم ؛ لأنهم كثيرا ما آذوا المسلمين ، وقال آخرون : يأخذ بقول ابن رواحة ، ثم خرج رسول الله ﷺ عليهم ، فقال : إن الله لَيُلَيِّن قلوبَ رجالٍ حتى تكون ألين من اللِّبِن ( بكسر الباء وهى قوالب الطين النيء التى لما تجف ) ، وإن الله ـ سبحانه ـ ليشدد قلوب رجال فيه ( أى فى سبيل دعوته ) حتى تكون أشد من الحجارة ، مثلك يا أبا بكر مثل إبراهيم ـ عليه السلام ـ قال : من تبعنى فإنه منى ، ومن عصانى فإنك غفور رحيم ، ومثلك يا أبا بكر مثل عيسى ـ عليه السلام ـ قال : إن تُعَذِّبْهم فإنَّهم عِبادُك وإن تَغْفِرْ لَهم فإنك أنت العَزِيزُ الحَكيم . ومثلك يا عمر كمثل موسى ـ عليه السلام ـ إذ قال : رَبَّنا اطْمِسْ عَلى أَمْوالِهم واشْدُدْ على قُلوبِهم ، فلا

(١) ليس بين العباس وابن أبى رواحة ـ رحم ، فعبد الله أنصارى خزرجى ، وإنما المراد قطعت الصلة بينك وبين أقارب رسول الله ﷺ أو بين القرشيين المسلمين وإخوانهم فى مكة .

يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ، ومثلك يا عمر كمثل نوح إذ قال : « رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا » ثم قال لأصحابه : أنتم عالة فلا يفلتن أحدٌ إلا بفداء أو ضرب عنق ، وكان الأسرى عند عددٍ من الصحابة .

قال عمر - رضى الله عنه - فهوِىَ رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر ، ولم يهو ما قلت ، وأخذ منهم الفداء ، قال سعد بن معاذ الأنصارى : كان أحب إلى أن يضرب أعناقهم - قال عمر : فلما كان الغد جئت ، فإذا رسولُ الله ﷺ وأبو بكر يبكيان ، قلت : يارسول الله أخبرنى من أى شيء تبكى أنت وصاحبك ، فإن وجدت بكاء بكيت ، وإن لم أجد تباكيت لبكائكما ، فقال له رسول الله - عليه الصلاة والسلام -: ابكى على أصحابك فى أخذهم الفداء ، ولقد عرض على عذابهم أدنى من هذه الشجرة - لشجرة كانت قريبة منه .

روى أيضا أنه ﷺ قال : إن شئتم قتلتموهم ، وإن شئتم فاديتموهم ، واستشهد منكم بعدتهم ، فقالوا : بل نأخذ الفداء ، فاستشهدوا بأحد .

وكان فداء الأسير عشرين أوقية ، ولكن فداء العباس كان أربعين أوقية . وقيل : بل كان الفداء مائة أوقية - والأوقية ستة دنانير وأربعون درهما .

وفى أخذ الفداء نزلت الآية : « لَّوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ » .. وقال رسول الله ﷺ : لو نزل عذاب من السماء لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ .

أورد الفخر الرازى اعتراضات الطاعنين فى عصمة الأنبياء تشبثا بما فهموه من هذه الآية . وفند شبهاتهم ، ونوجزها فيما يلى :

قالوا : إن هذا الأسر منهى عنه بصريح هذه الآية ، ومع ذلك حدث ما نهى عنه ، وأجاب عن هذا بأن النهى له غاية وهى الإثخان فى الأرض : « مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ » والإثخان : هو القتل والتخويف الشديد ، وهذا قد حدث يوم بدر . إذ قتلوا كثيراً منهم الملأ من قريش ، وجاء الأسر بعد هذا الإثخان . فالآية تبيح الأسر بعده .

وقالوا أيضا : إن هناك معصية فى مخالفة قول الله تعالى : « فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ » وأجيب عن هذا بأن الأمر كان للصحابة لإجماع المسلمين على أنه ﷺ ما كان مأمورا أن يباشر قتل الكفار بنفسه ، فإذا كان ثم ذنب فهو ذنب الصحابة الذين أقدموا على الأسر ، لا ذنب الرسول ، ونقل إن الصحابة لما هزموا الكفار وقتلوا منهم جمعا عظيما ، وفر من بقى ذهب الصحابة وراءهم وأسروا من أسروا بدون علم الرسول ، ولم يقتل الرسول ﷺ الأسرى ، لأن الأمر مختص بحال الحرب ، وقد رأيناه ﷺ يستشير الصحابة فيما يصنع بشأنهم ، وقال لهم : إن شئتم قتلتموهم . وإن شئتم فاديتموهم .

ورأى أن الأمر أيسر من ذلك ، فالأمر بالضرب فوق الأعناق . وضرب كل بنان لا يعنى استئصال المحاربين ، والمسلمون أطاعوا الأمر وضربوا .

هذا إلى اعتراضات أخرى أجاب عنها وليست ذات بال .

وقد آثرتْ الآية ههنا القتل على الفداء ، وفى

سورة القتال . جاء التخيير ، إذ قال الله تعالى :

« فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا » . ذلك لأن المسلمين يوم بدر كانوا لا يزالون قلة ، وهم يومئذ بحاجة إلى بث الخوف فى نفوس أعدائهم ، فأحرى بهم أن يقتلوهم ويقللوا عددهم . وبعد أن استقرت أقدامهم وثبتت لهم القوة ، ترك لهم الخيار فى المن على الأعداء ، وإطلاق سراحهم أو أخذ الفدية منهم .

ومعنى « تريدون عرض الدنيا » ـ تريد الفداء والمال الذى يفتدى الأسرى به أنفسهم ، وهو عرض لاثبات له .. كما فى الحديث : الدنيا عَرَض حاضر » أى لاثبات لها . والعرض فى الأصل كل شىء يعرض ويذهب ، وهو ـ أيضا ـ اسم لما يقوم بغيره كالألوان ، وهو يقابل الجوهر الثابت الذى يقوم بنفسه ويقوم به غيره . كالأجسام ، والآية سيقت مساق العتاب للصحابة الذين آثروا أخذ الفدية ، والمال لاثبات له ولا بقاء ، والله ـ تعالى ـ يريد لهم ثواب الآخرة الباق ، وقد شرع للناس السبل المؤدية إليه ، من طرق المعاملات السليمة . ومن الجهاد فى سبيل الفكرة الإسلامية ، ودحر الأعداء الذين يكيدون للإسلام ، ولا فائدة فى الحصول على الأموال والأعداء موفورو العدد والقوة .

وليست الإرادة ههنا هى إرادة الخلق والتكوين ـ التى جاءت فى قوله تعالى : « إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ » وإنما بمعنى يحب ويرضى لكم ثواب الآخرة . كما فى قوله تعالى : « يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ » .

« وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ » ـ فهو قوى غالب على أمره ، وهو ذو حكمة بالغة ، يضع الأمور فى مواضعها ، ولذلك يحب للمسلمين أوليائه أن يكونوا أعزة غالبين ، والإسلام واتباع أوامر الله وتعاليمه مما يمنح العزة والغلبة « وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ » وقد كانت العزة والحكمة فى تقديم الإثخان على الفداء .

والإسلام فى قتله المحاربين يعف عن قتل النساء والأطفال والعاجزين أيا كانوا ـ ونجد هذا صريحاً واضحاً فى وصية أبى بكر الصديق لجيش أسامة فى أول معركة للمسلمين بعد رسول ﷺ فقد سار الخليفة مع أسامة يودعه . فلما حان وقت عودته ومكان رجوعه استوقف الجيش ليوصيه ، بعد أن أوصى أسامة أن يتبع وصية رسول الله ﷺ وكان مما جاء فى وصيته للجيش المحارب : « لاتغدروا ، ولا تمثلوا ـ بقتيل أو جريح ، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة ... ، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم فى الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له »

هذه الوصية تبين طرفاً من أخلاق المسلمين ونبلهم فى سلمهم وفى حربهم ، ومع إخوانهم وأعدائهم . ولمن شاء أن يوازن بينهم وبين المتحضرين فى القرن العشرين !!

أرأيت كيف نهى الخليفة الأول عن الغدر . وحكومة الصرب وحكومة إسرائيل لا يبالون أن يغدروا ويخونوا ، أرأيت كيف نهى الخليفة المسلم عن قتل الصغار والنساء والشيوخ المسنين ..!!

هؤلاء ليسوا محاربين فلا تجوز حربهم ، ثم هم عادة عُزّل لا أسلحة لهم ، ولا يستطيعون الكيد للمسلمين ، فلم يقتلون ! إنها النفس الإنسانية التى يحترمها الإسلام ، ثم عسى أن يهديهم الله فيكونوا مسلمين .

الإسلام يحترم النفس الإنسانية ، ﴿مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ﴾ بل فى كل كبد رطبة أجر ، ودخلت امرأة النار فى هرة حبستها حتى ماتت ، فلا هى أطعمتها وسقتها إذ حبستها ، ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض ، وبينا رجل يمشى بطريق اشتد عليه العطش ، فوجد بئراً فشرب منها ثم خرج فإذا كلب يلهث ، يخرج لسانه ليضعه على الأرض الندية عسى إذ يجد ما يطفىء ظمأه، فقال الرجل فى نفسه : لقد بلغ بهذا الكلب من العطش ما بلغ لى ، فنزل البئر فملأ خفه ماء فسقى منه الكلب ، فشكر الله له فغفر له . والإسلام – أيضا – يوصى ألا تحمل الدواب فوق طاقتها . وأن تطعم وتسقى .

هذه تعاليم الإسلام وأسس حضارته منذ أكثر من أربعة عشر قرناً ، وهو قد ظهر بين قوم أميِّين يعيشون فى الصحارى والأرض الجدبة ، ما أتاهم من معلم أو نذير قبل الإسلام ونبى الإسلام !! والآن وبعد تطاول هذه القرون ، نجد الصِّرب بمعاونة الدول المتحضرة من أوروبا وأمريكا ، تقتل الآلاف من المسلمين الذين لم يبدأوها بحرب ، وهى تحصد بآلاتها الحربية المتقدمة الفتاكة كل من تقابله ، الأطفال الصغار والشيوخ الكبار والنساء والعجائز المسنين وتهدم ديارهم وتتلف مزارعهم .. الخ . وقد جاء فى وصية الصديق لجيش أسامة لا يعقروا نخلا ولا يحرقوه ، وألا يقطعوا شجراً مثمراً .. والصِّرب فى البوسنه قد فعلوا كل ذلك .

وأنكى من ذلك وأسوأ أن يقتل المصلون فى الحرم الإبراهيمى : إنهم فى عبادة ، على أقل تقدير مثل أولئك الذين فى الصوامع الذين فرغوا أنفسهم للعبادة .

هذا يعنى أن المسلمين فى نظر اليهود والصربيين . أقل من الحيوانات العجم التى أوصى الإسلام أن ترحم ، وأن تطعم وتسقى !!

لا مبرر إذن ولا مساغ أن يقول مستشرق أو غير مستشرق أن الإسلام كان قاسياً حين قتل أعداءه المحاربين ، أليسوا هم الذين حاربوا المسلمين وحرصوا على قتل نبى الإسلام ؟! ماذا كان ينتظر لو أطلقوا سراح الأسرى وغير الأسرى بلا قصاص ولا فداء ؟ أليس ذلك تشجيعاً لأعدائهم ؟!

اعتبروا يا أهل التقدم الحضارى : حضارتكم ملوثة ، بها أسلحة وآلات دمار شامل ولكن ليس بها رحمة ولا عدالة ولا إنسانية !

الإسلام حول الأميين الجهلة السذج إلى دعاة حضارة وإنسانية ، وأنتم حولتم الإنسان إلى وحش لا هم له إلا أن يلغ فى دماء الأبرياء .

لعنة على حضارتكم الزائفة .

اللهم أحينى مسلماً وأمتنى مسلماً واحشرنى مع المسلمين .

## من سورة البقرة

# لكل أمر باب

للشيخ / أحمد بن محمد طاحون

قال الله تعالى : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ ﴾ سورة البقرة

الأهلةُ : جمعُ الهلال ، والهلالُ أولُ ما يظهرُ لنا من نور القمر إلىٰ ثلاث ليالٍ ، وقيل : هو هلالٌ حتى يُبهرَ بضوئه السماءَ وذلك ليلة سبع ، وإنما جُمع وهو واحدٌ باعتبار تعدُّدِ ظهورِه إذْ هو يظهرُ فى كل شهر ، ويُعبَّرُ بالأهلة عن الشهور ، وبها ترتبطُ مصالحُ الناس .

والمواقيتُ : جمْعُ الميقات وهى معالمُ يُوقِّتُ بها الناسُ مَزارِعَهم ، ومَتاجرَهم ، ومَحالَّ دُيونِهم ، وصومَهم ، وفِطْرَهم ، وعِدَدَ نسائِهم ، وأيامَ حَيْضِهِنَّ ، ومُدَدَ حَمْلِهِنَّ وغيرَ ذٰلك ، ومعالمُ للحجِّ يُعرَفُ بها وقتُه ، وكلُّ ذٰلك مرتبطٌ بالشهور القمرية وبظهوره فى أولِ الشهرِ هلالًا كالخيط الرفيع ، ومَحاقِه واختفائِه آخرَ يومينِ فيه .

وسؤالُهم عن الأهِلَّة : إنما كان عن أحوال الهلالِ ، فهو يبدو دقيقاً فى أولِ الشهرِ ثم يَزيدُ حتى يَستوِى ويستديرَ ، ثم ينتقصُ حتى يعودَ كما كان ، وكذٰلك كان السؤالُ عن محاقِه ، ومخالفتِه للشمس من حيث ظُهورِها علىٰ حالةٍ واحدةٍ بخلافِه .

وقد جاء الجوابُ فى الآية علىٰ غير ما يتوقَّعُ أصحابُ السؤال : إذ كان السؤالُ عن أحوال الهلالِ ، وجاء الجوابُ عن الحكمة فى هٰذه الأحوالِ ، وما فى ذٰلك من المنافع لهم والرحمةِ بالناس

﴿ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ﴾

فبيَّنت وجهَ الحكمةِ فى زيادة القمرِ ونُقصانه ، وهو زوالُ الإشكال فى الآجال ، والمعاملاتِ ، والأيمانِ ، والحجِّ ، والعِدَدِ ، والصومِ ، والفطرِ ، ومُدةِ الحَمْلِ ، والإجاراتِ ، والأكرية إلىٰ غير ذٰلكَ من مصالح العباد ، وقد خُصَّ الحجُّ بالذكر فى الآية للتنبيه علىٰ مزيَّته من حيث أنه يُراعَىٰ فى أدائه وقضائِه الوقتُ المعلوم ، وأنه لا يجوزُ فيه التأخيرُ عن

وقته ، بخلاف سائرِ العباداتِ التى لا يُعتبرُ فى قضائها وقتٌ معيَّن .

والحاصل : أن الهلالَ يبدو دائماً ويَظهرُ علىٰ حسب مصالح الناسِ لقُربه وبُعده من الشمس ، كما هو مبيَّنٌ فى فنّ الهيئة ، ثم إن الشمسَ علىٰ حالة واحدةٍ ، لأنها ضياءٌ للعالم ، وقِوامٌ لمصالح الناس ، والقمرَ يتغيرُ لأن الله علّق به ما يتصلُ بالمواقيت ، وذٰلك يُعرَف بهذه الاختلافات ، وهٰذا ما اقتضتْه الحكمةُ فى نطاق النظامِ الكونىِّ البديع ، المتَّسِقِ غايةَ الاتّساق ، الذى يَسير بقدرة مُدبِّره علىٰ سَنَنٍ لا يَتخلَّف ، وفيه من آيات الرحمةِ بالخلْق ما فيه .

ذَكَر ابنُ كثير عن العَوفىِّ عن ابن عباس قال : سأل الناسُ رسولَ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم عن الأهلّة : فنزلت هٰذه الآية : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ﴾ يعلمون بها حِلَّ دَيْنِهم ، وَعِدَّةَ نسائِهم ، ووقتَ حَجِّهم ، كما جعلها مواقيتَ لصوم المسلمين وإفطارهم .

تلك هى المسألةُ الأولىٰ فى هٰذه الآية ، أمّا المسألةُ الأخرىٰ فهى ما يتعلَّقُ بإتيان البيوتِ من ظهورها ، وقد كانوا يظنّون ذٰلك من أعمال البِرِّ والخير للمُحرِمِ ، وقد اتصل ذِكْرُ هٰذه المسألةِ بِذِكْرِ مواقيتِ الحجِّ لاتفاق وقوعِ المسألتين فى وقتِ السؤالِ عن الأهلّةِ وعن دخول البيوتِ من ظهورها ، وهٰذا وَجهٌ من وُجوهِ الربْطِ بين القضيتين وتواليهما فى آيةٍ واحدة ، وكما وَجَّهَت الآيةُ العبادَ إلىٰ إحسان السؤالِ عن الأمور ، وقَصْدِ التقصّى عن الحِكمة ، وعمّا فيه مصلحتُهم ، وما يعودُ عليهم من المنافع ، فإنها بيَّنت لهم أنّه ليس من الحِكمة فى شىء إتيانُ المُحرِمِ أو غيرِه البيوتَ من ظهورها ، وقصد المَشقّةِ والتشديدِ علىٰ النفس بما لم يَشرَعْه الله . ﴿ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا ﴾ جاء عند البخارى عن البراء قال : كانوا إذا أُحرموا فى الجاهلية أتَوا البيتَ من ظهره فأنزل الله الآية .

والبِرُّ : اسمٌ جامعٌ للخير ، والمقصودُ ما فيه قُرْبَةٌ إلىٰ الله ومن أسباب نزولها ـ أيضاً ـ ما رواه أبو داود عن البراء : كانت الأنصارُ إذا قَدِموا من سفَر لم يدخل الرجلُ مِن قِبَل بابه .

وقال محمد بنُ كعب : كان الرجل إذا اعتكف لم يدخل منزلَه من باب البيت ، وقال عطاء بنُ رباح : كان أهلُ يثربَ إذا رجعوا من عيدهم دخلوا منازلَهم من ظهورها ، ويَرون أن ذٰلك أدنىٰ إلىٰ البِرّ .

ولقد كان الناسُ فى الجاهلية وفى أول الإسلامِ يظنّون أنه لابدَّ فى الإحرام من تغييرِ جميع العادات ، فيغيِّرون عاداتِهم فى الدخول إلىٰ المنازل كما غيَّروها فى اللباس والتطيُّب ، وقالوا : لا ندخلُ بيوتاً من الأبواب حتىٰ ندخلَ بيتَ الله تعالىٰ ، وكان منهم مَن لا يَستظلُّ بسقْفٍ بعد إحرامه ، وهٰذه أشياءُ وضعوها من عند أنفسِهم من غير شرْعٍ ، فعرَّفهم اللهُ تعالىٰ أن هٰذا التشديدَ ليس برًّا ولا قُرْبةً ، وقيل لهم : ليس البِرُّ بتحرُّجكم من دخول البابِ ، لٰكنَّ البِرَّ هو بِرُّ مَن اتّقىٰ ما حرّم الله ؛ ولم يَبتدِعْ فى دينه ما ليس منه .

ثم أكّدت الآيةُ بُطلانَ هٰذه العادةِ وعدمَ اتساقها مع مقاصدِ الشرع ، فأمر ـ سبحانه ـ بدخول

البيوتِ من أبوابها ، فقال : ﴿ وَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ﴾ وبيَّنت الآيةُ أن الإخلاص هو روحُ العمل ، وأن مَناطَ البرِّ فى تقوىٰ الله ومراقبتهِ والقيامِ بما أمر اللهُ به ، واجتناب ما نَهىٰ عنه ، ففى ذٰلك الفلاحُ والفوز :

﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ .

وفى الآية الكريمةِ تربيةٌ عظيمةٌ للنفوس ، وتدريبٌ للعقل ، وإرشادٌ إلىٰ توخّى المقاصدِ الصحيحة ، والقصْدِ إلىٰ الأمور من وجوهها التى لا تُباشَرُ إلَّا منها ، وتحرِّى الأسبابِ المُعِينة علىٰ الوصول إلىٰ الغاية من أقرب طريقٍ ، وبأيسرِ جُهْدٍ ممكن .

وفى سياق هٰذا التوجيهِ لإتيان الأمورِ من مظانِّها وأبوابها يقول أبو عبيدة : الآيةُ ضَرْبُ مثَلٍ ، والمعنىٰ : ليس البرُّ أن تَسألوا الجُهالَ ولٰكِن اتقوا الله واسألوا العلماء ، فهٰذا كما تقول : أتيتُ الأمرَ من بابه .

وقال بعضُهم : ذَكَر اللهُ إتيان البيوتِ من أبوابها مَثلا لِيُشيرَ به إلىٰ أنْ يأتِىَ العبدُ الأمورَ من مَأْتاها الذى نَدبنا اللهُ تعالىٰ إليه .

فالآيةُ خرجَتْ مَخْرَجَ التنبيهِ من الله ـ تعالىٰ ـ على أن يأتِىَ العبادُ البِرَّ من وَجْهه ، وهو الوجْهُ الذى أمر اللهُ تعالىٰ به .

وفى هٰذا ذمٌّ للتعطيل وتركِ القُرباتِ والفرائض ، وتقبيحٌ للابتداع ، ولعدم تحرِّى مقاصدِ الشريعةِ وأوامرِها ، وتبشيعٌ للفِكر المُلتوى المعكوسِ الذى يأتى بما يُخالِفُ الدينَ الحقَّ ، أو يحاولُ إبطالَ الحقِّ وإحقاقَ الباطلِ قَصْدَ التشويشِ والصدِّ عن سبيل الله ، وردِّ الناسِ عن الاستقامة فى العقائدِ أو الأعمالِ أو المسالكِ والتوجُّهاتِ .

فهو مَثلٌ يُضربُ فى كل حالةٍ نحتاجُ فيها إلىٰ التذكيرِ والتوجيهِ والتنبيهِ إلىٰ مباشَرةِ الأمورِ من وجهها المناسبِ ، ووضعِها فى مواضِعِها الصحيحة ، وإلىٰ الإتيانِ بالأعمال علىٰ النحو المناسبِ بلا خَللٍ ولا نُقصانٍ ولا عكسِ المُرادِ سواءٌ فيما يتعلق بالعبادات ، أو المصالح ، وحلِّ المُشكلِ من الأمور ونحوِ ذٰلك .

إنه مَثلٌ يجعلُ الأمرَ المذمومَ أو القصدَ الخبيثَ كأنه قصةٌ ماثلةٌ للعِيان ، نَرىٰ صاحبَها يتركُ بابَ الدار ويتسلقُ الجِدار ، أو يَنقُبُ نَقْبًا فى ظَهْر بيتِه ويدخلُ منه ، فهو فى سفاهةٍ ، وتعَبٍ ، ومَشقةٍ ، يحتارُ أهلُ الحِكمةِ فى أمره ويتعجَّبون منه ، وهو يَزيدُهم تحيُّراً بسوء تدبيره وفسادِ تفكيره .

**سؤال :**

قال صاحب البرهانِ فى علوم القرآن : قد يقال : أىُّ رابطٍ بين أحكامِ الأهلّةِ وحُكمِ إتيان البيوت ؟ والجوابُ من وجوه :

أحدها : كأنه قيل لهم عند سؤالهم عن الحكمة فى تمام الأهلّةِ ونقصانِها : معلومٌ أن كلَّ ما يفعلُه اللهُ فيه حكمةٌ ظاهرةٌ ، ومصلحةٌ لعباده ، فَدعُوا السؤال عنه ، وانظروا فى واحدة تفعلُونها أنتم ، مما ليس من البِرِّ فى شىء وأنتم تحسبونها بِرًّا ، أى إن إتيانَكم البيوتَ من ظُهورها يَخلُو من أى وجْهٍ للحكمة .

والثانى : تنبيهُهم إلىٰ ما كان ينبغى لهم من السؤال عن حالهم هٰذا ، وهو الإتيانُ من ظُهور

البيوت والأخبية ، وتركهم السؤال عن الأهلة وأحوالها ، ونظير هذا الاستطراد فى الزيادة على الجواب قوله ﷺ لما سئل عن المتوضئ بماء البحر فقال : « هو الطهور ماؤه الحل ميتته » وهو استطراد لفائدة . والحديث رواه أبو هريرة وأخرجه ابن ماجه .

ثم قال : أو أنه من قبيل التمثيل لما هم عليه : من تعكيسهم فى سؤالهم ، وأن مثلهم كمثل من يترك بابًا ، ويدخل من ظهر البيت ، فقيل لهم : ليس البر ما أنتم عليه من تعكيس الأسئلة ، ولكن البر من اتقى ذلك ، ثم قال : ﴿ **وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا** ﴾ أى : باشروا الأمور من وجوهها التى يجب أن تباشر عليها ، ولا تعكسوا ، والمراد : أن يصمم القلب على أن جميع أفعال الله حكمة منه ، ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾[1]. فإن فى السؤال اتهاما[2] .

ومثل هذا الجواب سبقه به صاحب الكشاف قائلا فى تفسير المثل : والمعنى : ليس البر وما ينبغى أن تكونوا عليه بأن تعكسوا فى مسائلكم ، ولكن البر بر من اتقى ذلك وتجنبه ، ولم يجسر على مثله ، ثم قال :﴿ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ﴾ . أى : وباشروا الأمور من وجوهها ـ الصحيحة ـ التى يجب أن تباشر عليها ، ولا تعكسوا ، والمراد : وجوب توطين النفوس ، وربط القلوب على أن جميع أفعال الله حكمة وصواب من غير اختلاج شبهة ، ولا اعتراض شك فى ذلك حتى لا يسأل عنه ، لما فى السؤال من الاتهام بمقارفة الشك : ﴿ **لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ** ﴾ .

**ومن الحكم المستفادة :**

ألا ترى : أننا فى كثير من الأحيان ، وإزاء كثير من تصرفاتنا وأفعالنا نحتاج فى مجال الإرشاد ، والتوجيه لتسديد الخطا ، والحث على تصحيح المسلك والعمل إلى التمثيل بقولنا : ﴿ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا ﴾ . أو بقولنا : ﴿ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ﴾ . وللمتدبر فى الآية الكريمة كثير من الحكم والعبر منها : أن ما لم يشرعه الله قربة ، ولا ندب إليه لا يصير قربة بأن يتقرب له به متقرب ، إذ كل ما له نظير فى الفرائض والسنن يجوز أن يكون قربة ، وإن لم يكن فليس ببر ولا قربة .

وتوضيح ذلك نعلمه من قول النبى ﷺ لأنصارى شدد على نفسه بأن نذر أن يقوم ولا يقعد ، ولا يستظل ، ولا يتكلم ، ويصوم فقال : « مروه فليتكلم ، وليستظل ، وليقعد ، وليتم صومه » فأبطل ﷺ ما كان غير قربة مما لا أصل له فى الشرع ، أى ليس من جنس فريضة ، وصحح ما كان قربة مما له نظير فى الفرائض والسنن ، وهو الصوم فأمره بإتمامه .

« والله أعلم »

---

(١) الأنبياء : ٢٣ .

(٢) أى : قد يتهم السائل بمقارفة الشك .

# القرآن فى مجال التربيـــة الأخـــلاقية

بقلم : ا.د. أحمد عمر هاشم*

لقد أمر القرآن الكريم المؤمنين أن يعتصموا بحبل الله جميعا ، فقال جل شأنه :

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (1).

وفى دعوة القرآن الكريم لوحدة الأمة ، توضيح للأساس الذى تنهض عليه هذه الوحدة ، وهو الدين ، والاعتصام به وبكتاب الله ـ تعالى ـ الذى هو سبب النجاة ، ووضح القرآن هذا الأساس محذراً من التفرقة ، لما لها من أخطار محدقة ، وذكر سبحانه وتعالى هذه الأمة بما كان عليه الأوس والخزرج قديما ، حيث استمرت الحروب بينهم مائة وعشرين سنة ، حتى جاء الإسلام ، فأخمدها وجمعهم على الحق ، وألف بينهم ..

وترسيخا لأسس هذه الوحدة كلف الله الأمة بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، انتصارا للدين ، وإقامة لقوته ، ودفعا لآفات الشر والفساد التى قد تثار حول حماه ، أو ترتكب فى الوطن الإسلامى .

*نائب رئيس جامعة الأزهر

(1) سورة آل عمران ( ١٠٣ ) .

وضرب القرآن الكريم المثل بمن قبلنا حين اختلفوا بعد أن جاءتهم البينات فكان لهم الوعيد الشديد .

عن تلك الملامح كلها تحدث القرآن الكريم حديثا شافيا ، فقال جل شأنه :

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠٣) وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٥) ﴾ (٢)

كما وضح الرسول صلوات الله وسلامه عليه أن الاعتصام بدين الله وكتابه مما يرضاه الله تعالى لهذه الأمة ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله يرضى لكم ثلاثا ، ويكره لكم ثلاثا ، فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، وأن تُناصحوا من ولّاه الله أمركم ، ويكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال » (٣) .

وقد وضح رب العزة سبحانه ، في كتابه العزيز أن الدين واحد ، وأن الأمم حين اختلفوا فتقطعوا قطعا ، قال تعالى :

﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ (٥٢) فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (٥٣) فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ (٤) .

وحذر الرسول ﷺ من الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة ، حيث قال ﷺ : « من خرج على الطاعة وفارق الجماعة فمات . مات ميتة جاهلية » (٥) .

كما أعلن عليه الصلاة والسلام براءته ممن يخالف الجماعة ويفرق الصفوف ويضرب هذه الأمة ــ برها وفاجرها ــ ولا يفي لصاحب العهد بعهده فقال صلوات الله وسلامه عليه : « من خرج على أمتي يضرب برها وفاجرها ، لا يتحاشى من مؤمنها ولا يفي بعهد ذي عهدها فليس مني ولست منه »(٦) .

ويوضح القران الكريم نهاية من يشاقق الرسول وينفصل عن سبيل المؤمنين فيقول : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ (٧) .

وفي الحديث يقول الرسول ﷺ فيما رواه الترمذي : « يد الله مع الجماعة ومن شذّ شذّ في النار » .

---

(٢) سورة آل عمران ( ١٠٣ ــ ١٠٥ ) .

(٣) رواه مسلم .

(٤) سورة المؤمنون ( ٥٢ ، ٥٣ ) .

(٥) رواه مسلم

(٦) رواه مسلم .

(٧) سورة النساء ( ١١٥ ) .

والناظر إلى جميع التعاليم الإسلامية يرى أنها تدعو إلى التأليف بين القلوب وجمع الصفوف .

ـ ففى جانب العقيدة نؤمن بالله وحده لا شريك له ، ونتجه جميعا إليه معلنين فى كل صلاة :

﴿ إياك نعبد وإياك نستعين﴾ (٨) .

إنها عقيدة فى التوحيد ـ تجمعنا ولا تفرقنا ـ وفى ظلالها ننضوى تحت راية : « لا إله إلا الله محمد رسول الله » فنؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره ، حلوه مره .

ـ وفى جانب العبادات نقيم الصلاة ونؤدى الزكاة ونصوم رمضان ونحج البيت ان إستطعنا إليه سبيلا ، وفى صلاتنا يزداد الأجر والثواب حين يؤدى الإنسان صلاته فى جماعة فتفضل صلاة الفذ ـ أى الفرد ـ بخمس وعشرين درجة ، وفى روايته للحديث : « بسبع وعشرين درجة » مع أن الصلاة هى الصلاة ، وعدد الركعات لم يزد ولم يتغير ..

وفى صلاة الجمعة اجتماع أسبوعى أكبر ، وفى صلاة العيدين اجتماع على مستوى أكبر وأكبر ..

وفى أداء الزكاة تكافل اجتماعى وتراحم وتواد بين الغنى والفقير وتقريب بين الناس وتوحيد بين المشاعر على الحب والألفة والتعاون .

وفى الصيام غرس لمعانى الوحدة ففى وقت واحد يمسك المسلمون عن المفطرات وفى وقت واحد يفطرون ، وفيه إحساس بالحرمان والجوع ، وحث على البذل والإنفاق وفى الحج اجتماع كبير لأكبر عدد ممكن من مختلف الأقطار الإسلامية والبلاد ، ومن شتى الألوان والأجناس .

ـ وفى جانب الأخلاق يدعو الرسول صلوات الله وسلامه عليه أمته أن تكون يدا واحدة فى المودة والرحمة والعطف فيقول ﷺ : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » . رواه البخارى فى الأدب .

ويُعمّق الإسلام مفهوم الوحدة بأقوى رباط ينبغى ألا ينساه أحد ، ذلك هو رباط العقيدة التى يؤمنون فيها بالله رباً ، فربهم واحد ، وأبوهم ـوهو آدمـ واحد ، إنه رباط وثيق ينتظمون تحت لوائه مهما تباعدت الديار وتناءت الأقطار واختلفت اللغات والألوان ، قال ﷺ: « أيها الناس إن ربكم واحد ، كلكم لآدم وآدم من تراب لا فضل لعربى على عجمى ولالعجمى على عربى ولا أحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى » (١٠) .

ـ وينبغى أن ننبه إلى أن اعداء الأمة قد زرعوا فى طريق وحدتها عقبات منها : العقبات الحسية ، والعوائق المادية ، فقبل أن يخرجوا من بعض البلاد تركوا بعض المواقع لدى الحدود لتظل العلاقات متوترة ، ولم يحسموها ابتغاء زرع الخلافات ، كما نرى بعض العقبات المعنوية والفكرية مثل : تيارات الوجودية والشيوعية والماسونية والقاديانية والبهائية

(٨) الفاتحة ( ٥ ) .

(٩) رواه مسلم .

(١٠) رواه أحمد .

إلى غير ذلك من التيارات المتصارعة التى تعمل على تفتيت وحدة الأمة ..

بل إن بعض المستشرقين درس علوم الإسلام وتصيدّ بعض الخلافات اليسيرة لِيُضخّم بها الخلاف ، وليحدث بها شروخا بين فصائل الشباب المسلم .

وكان على المفكرين الإسلاميين والدعاة والمصلحين أن يشخصوا الداء ، وأن يصفوا الدواء .. وإذا كان تشخيص الداء يتلخص فى هذه التيارات وتبعية البعض لها ، وانبهار الكثيرين من المسلمين بما كتبته أقلام هؤلاء الحاقدين على الإسلام ..

فإننا نرى أن الدواء يسير وواضح ؛ إنه كما أشار إليه رسول الله ﷺ : « تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبدا كتاب الله وسنتى »(11) فكتاب الله تعالى هو سر سعادتنا ووحدتنا وقوتنا إن تمسكنا به واعتصمنا بحبله ، فلقد أدرك أحد زعماء الاستعمار هذه الحقيقة فقال : لا قرار لنا مادام المصحف بأيدى المسلمين ، ومادام الأزهر فى مصر ، والكعبة فى مكة المكرمة ، وما ذلك إلا لأن هذه الوحدة أساسها الذى نبه إليه رب العزة هو « حبل الله المتين » .

﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا﴾ .

ولأن الكعبة بيت الله الحرام ، من دخله كان آمنا ، يتجه إليها المسلمون فى كل صلاة ، ولأن الأزهر الشريف فى مصر قبلة العلم يتجه إليه طلاّب العلم والمعرفة ويبعث بعلمائه إلى كل الأرض ، ورحم الله أمير الشعراء أحمد شوقى حين قال :

**إن الذى جعل العتيق مثابةً**
**جعل الكِنَانِىَّ المبارك كوثرا**

فالتمسك بكتاب الله ـ تعالى ـ هو النجاة وسر النجاح والوحدة والقوة .

وهناك الدواء الوقائى : الذى يجب علينا أن ننبه إليه وهو : اتقاء الفتن وصيانة الفرد والجماعة والأمم والشعوب من الوقوع فى الفتن والانحراف فى تياراتها قال تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾(12)

ـ كما يجب ألا تكون اجتهادات العلماء واختلافاتهم اليسيرة مثار خلاف شديد أو سببا لفرقة الأمة ؛ لأنها رحمة الله بهذه الأمة ، يأخذ أهل كل عصر ومصر ما يناسبهم ما دامت آراء أئمتنا لم تصادم نصا من كتاب الله ولا حديثا من أحاديث رسول الله ﷺ .

وقد أمرنا الله تعالى أن نقيم الدين وألا نتفرق فيه فقال سبحانه :

---

(11) رواه أحمد والدرامى .

(12) سورة الأنفال ( 24 ـ 26 ) .

﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ (١٢)

وإن واجب أمتنا الإسلامية فى هذه المرحلة الحاسمة التى تمر بها ، والتى تعرضت فيها لتحديات من أعدائها باضطهاد الأقليات وبث التيارات المعادية ومحاولة نشر الفرقة فى الصفوف ، إن واجب أمتنا أن تسير فى المسار الواضح الذى رسمه لها رسولها - صلوات الله وسلامه عليه - حين قال :

« المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ثم شبك بين أصابعه » (١٣) .

وواضح أن البنيان الذى يشد بعضه بعضا ، متماسك قوى ، يثبت أمام العواصف ولا تؤثر فيه الهزات ولا التيارات ، لأنه يقوى على ردها ويصون جماعته منها ، وكذلك الحال بالنسبة للأمة الإسلامية فهى بوحدتها وتضامنها ، قوة كبرى لا تقف فى مواجهتها قوة أخرى ؛ لأنها بتأييد الله تعالى لها ، وبفضل اعتصامها بحبل ربها ، وتكاتفها فى سبيل الحق ، تحقق النصر على أعدائها ، وتحقق خيريتها على ظهر الأرض ، وتنشر الأمن والاستقرار والخير والرخاء ، وتقيم مبادىء الحق والعدل ، وتصد تيارات الفساد والإلحاد ، وترد موجات التحلل السافرة .

هنالك ينصرها الله نصرا مؤزرا ، ويمكن لها فى الأرض ، لتقيم شريعة الله تعالى ، مؤكدة صلتها به ، مقوية روابطها بالمجتمع ، مدافعة عن دين ربها ، آمرة بالمعروف ، وناهية عن المنكر ، قال سبحانه :

﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ۝ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ (١٤) .

وقد أعطى أحد الحكماء أبناءه درسا عمليا فى قوة الوحدة ، وفى ضعف التفرق ، فجاء قبل وفاته بقليل ، وقدم لهم حزمة من العصىّ وطالبهم بكسرها حال اجتماعها ، فعجز الأبناء عن كسرها ، ففكَّ الحزمة ، وفرق أعوادها وأعطاهم إياها فكسروها عوداً عوداً ، ثم قال لهم :

كونوا جميعا يا بنى إذا اعترى
كرب ولا تتفرقوا أفرادا
تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسرا
وإذا افترقن تكسرت آحادا

وهكذا حال أمتنا إذا تفرقت ، نال منها أعداؤها دولة دولة ، وإذا تجمعت وتوحدت عجز أعداؤها عن أن ينالوا منها .

فواجب أمتنا أن تتوحد وأن تكون يدا واحدة فى مواجهة التحديات التى تنال منها والتى تحاول تصفية الأقليات الإسلامية وإبادتها .. إنه لا خلاص للأمة من هذه الفتن ، ومن هجوم أعدائها ونيلهم منها إلا بتوحيد صفوفها ، حتى تكون كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ..

---

(١٢) سورة الشورى ( ١٣ ) . (١٣) رواه البخارى . (١٤) سورة الحج ( ٤٠ ، ٤١ ) .

## قبس من أنوار النبوة

# الرسول صلى الله عليه وسلم يتعوذ من عذاب القبر

لفضيلة الشيخ / على حامد عبد الرحيم

**عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أن يهودية دخلت عليها ، فذكرت عذاب القبر فقالت لها : أعاذك الله من عذاب القبر .**

**قالت عائشة : «فسألت رسول الله ﷺ عن عذاب القبر ؟ فقال: نعم ، عذاب القبر حق. قالت : فما رأيت رسول الله ﷺ بعدُ صلى صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر » .**

**( رواه البخارى ومسلم )[1] .**

الموت آية من آيات الله ، وعلامة من العلامات الدالة على قدرة الله ، كالخسوف والكسوف ، والرعد والبرق والرياح والزلازل ، والموت الذريع .

أخرج ابن جرير الطبرى عن : قتادة عن جابر بن زيد « وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا » الإسراء (٥٩) ـ قال : الموت من ذلك » قال العلامة البيضاوى : « وما نرسل بالآيات » المقترحة « إلا تخويفاً » من العذاب المستأصل . فإن لم يخافوا نزل ، أو بغير المقترحة كالمعجزات وآيات القرآن : إلا تخويفاً بعذاب الآخرة .

إن الميت إذا وضع فى قبره ، إنه ليسمع خَفْق نعالهم إذا انصرفوا (أخرجه مسلم والحاكم). إن للميت فى قبره حياة خاصة ، وإدراكاً خاصاً ، فيأنس بعمله الصالح ، ويتوحش من عمله القبيح ، ويفرح بزيارة الأحياء له ، وإنه فى قبره إما فى روضة من رياض الجنة أو فى حفرة من حفر النار . قال تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠) ﴾ سورة آل عمران ١٦٩ ، ١٧٠ ، وفى هذا أعظم تصوير لنعيم القبر .

(١) ذكر ذلك الإمام المنذرى فى الترغيب والترهيب .

أما عذابه فنقرأ عنه فى سورة غافر / ٤٦

﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾

قال السيوطى فى شرح الصدور قال العلماء : عذاب القبر هو عذاب البرزخ أضيف إلى القبر ، لأنه الغالب ، وإلا فكل ميت أراد الله تعذيبه ناله ما أراده الله ، قبر أو لم يقبر ، ولو صلب أو غرق فى البحر أو أكلته الدواب أو حرق حتى صار رماداً ، أو ذرى فى الريح . ومحل العذاب أو النعيم الروح والبدن جميعاً باتفاق أهل السنة .

وقال القرطبى فى مختصر التذكرة ص ٣٧ : « وقد أجمع أهل الكشف على أن الميت يحس بضغطة القبر ، ويحس باختلاف أضلاعه ولو كان فى بطون السباع والطيور ، أو كان قد حرق وذرى فى الريح ؛ فتحس كل ذرة بالألم ولو كانت متفرقة » أ . هـ .

وفى صحيح مسلم من حديث طويل « إن هذه الأمة تبتلى فى قبورها . فلولا ألا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذى أسمع منه . ثم أقبل علينا بوجهه ، فقال : تعوذوا بالله من عذاب القبر » .

ولأحمد فى مسنده عن عائشة – رضى الله عنها – : « إن للقبر ضغطة ، ولو سلم – أو نجا منها أحد – لنجا سعد بن معاذ »(٢) وقد جاء فى شأن سعد بن معاذ – رضى الله عنه – كما روى النسائى : أن النبى ﷺ قال : « لقد تحرك العرش ، وفتحت له أبواب السماء ، وشهده سبعون ألفاً من الملائكة . ولقد ضمه القبر ضمة ثم فرج عنه » – مختصر التذكرة .

وعن أنس بن مالك قال : « توفيت زينب بنت رسول الله ﷺ فخرج بجنازتها ، وخرجنا معه فرأيناه كئيباً حزيناً ، ثم دخل النبى ﷺ قبرها فخرج ملتمع اللون ، فسألناه عن ذلك فقال : إنها كانت امرأة مسقاماً – كثيرة السقم ، أى : المرض – فذكرت شدة الموت وضغطة القبر : ( التقاء جانبيه على جسد الميت إذا عصره ) فدعوت الله لها فخفف عنها » أخرجه ابن أبى الدنيا – ورواه الطبرانى فى الكبير والأوسط وسنده ضعيف .

وقد جاء فى شرح العينى جـ٨ ص٢٠٧ « ثم إن النبى ﷺ إذا استعاذ من عذاب القبر – والحال أنه معصوم مطهر ، مغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر – فينبغى لك يا من لا عصمة لك ولا طهارة لك عن الذنوب : أن تستعيذ بالله من عذاب القبر ، مع امتثال الأوامر ، والاجتناب من المعاصى ، حتى ينجيك الله من النار ، ومن عذاب القبر ، واستعاذته ﷺ إرشاد لأمته ليقتدوا به فيما فعله وفيما أمر به حتى يتخلصوا من شدائد الدنيا الآخرة » .

وعلى العاقل : أن يستعيذ بالله من عذاب القبر . وأن يلجأ إلى الله ، ويعتصم بخالقه وأن يأخذ فى أسباب الوقاية بالوقوف عند حدود الله ، والتمسك بأسباب الطاعات ويلتمس من الله المعونة .

وعن أنس – رضى الله عنه – أن النبى ﷺ قال : فيما رواه البخارى وغيره : « إن العبد إذا وضع فى قبره وتولى عنه أصحابه – وإنه ليسمع

(٢) الروح لابن القيم ص١٣٧ ، شرح العينى على البخارى جـ٨ ص١١٤ ، شرح الاحياء ص٣٩٨ ، شرح السعد ، النهاية .

قرع نعالهم إذا انصرفوا – أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له : ما كنت تقول فى هذا النبى محمد ؟ فأما المؤمن فيقول : أشهد أنه عبدالله ورسوله . فيقال له : انظر إلى مقعدك من النار أبدلك الله به مقعداً فى الجنة ، قال النبى ﷺ : فيراهما جميعا . وأما الكافر أو المنافق فيقول : لا أدرى كنت أقول ما يقول الناس فيه . فيقال : لا دريت ولا تليت – لا علمت ولا نطقت – ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين » أى الإنس والجن .

وعن البراء أن رسول الله ﷺ : ذكر قبض روح المؤمن فقال : ثم تعاد روحه فى جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فى قبره ، فيقولان له : من ربك وما دينك ومن نبيك ؟ فيقول : ربى الله ، ودينى الإسلام ، ونبى محمد ﷺ فينادى مناد من السماء : صدق عبدى فذلك قوله :

﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾

إبراهيم/٢٧ ثم يقول الملكان : عشت سعيداً ، ومت حميداً نَمْ نَوْمة العروس .

وفى رواية الترمذى لا يوقظه إلا أحب أهله حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك .

ولابن ماجه ويقال له : على اليقين كنت ، وعليه تعاد ، وعليه تبعث إن شاء الله – الترغيب والترهيب .

اللهم اجعلنا ممن إذا أُتى فى قبره من قِبَلِ رأسه قالت الصلاة : ما قِبَلى مدخل .

وإذا أتى عن يمينه قال الصيام : ما قبلى مدخل .

وإذا أتى من قبل يساره قالت الزكاة : ما قبلى مدخل .

وإذا أتى من قبل رجليه قالت أفعال الخير من الصدقة والمعروف والمشى إلى المساجد والإحسان إلى الناس : ما قبلى مدخل .

اللهم اجعلنا ممن إذا حضره الموت بُشر برحمة الله ورضوانه وجنته ، فأُحب لقاء الله ، وأحب الله لقاءه . وثبتنا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة .

**بسم الله الرحمن الرحيم**

## تصـــويب

ورد فى الملحق الثانى لمجلة الأزهر ( شوال سنة ١٤١٤ هـ ) ص١٦ أن جميع المعتزلة ينكرون عذاب القبر ، والصواب : ( أنهم جميعا يثبتون عذاب القبر إلا شىء يحكى عن ضرار بن عمرو وكان من المعتزلة ثم التحق بالمجبرة ) . وفى رأيى [ أنه أنكر عذاب القبر بعد أن ترك المعتزلة وأصبح جبرياً ولذا لا يعوَّل على رأيه . ومن هنا فإنه لا خلاف بين الأمة فى ثبوت عذاب القبر ] راجع شرح الأصول الخمسة للقاضى عبدالجبار ص٧٣٠ وما بعدها – الطبعة الأولى سنة ١٩٦٥ م .

**د . نشأت عبدالجواد ضيف**
**أستاذ العقيدة والفلسفة المساعد بجامعة الأزهر**

# المبشرون بالجنة

بقلم الشيخ :
عبدالحفيظ فرغلى على القرنى

بشر الله ـ تعالى ـ المؤمنين جميعاً بالجنة ووصفها لهم ، وجاء ذلك فى آيات كثيرة متعددة منها قوله ـ تعالى : ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝٢٥﴾ [ البقرة : ٢٥ ]

وهذا التبشير بالجنة عام للمؤمنين الذين يعملون الصالحات ، جزاءً لهم بما قدموا من صدق اليقين ، وصالح الأعمال ، ومحاسن الأخلاق ، وكان حقاً على الله إثابة الصالحين ومكافأة الصادقين .

الأحاديث تؤكد ذلك :

وجاءت الأحاديث الشريفة الصحيحة تؤكد هذا الوعد الإلهى السابق ، وتضع أمام أنظار المؤمنين والسابقين إلى الإسلام والمبادرين بالأعمال الصالحة صورة لما ينتظرهم من فضل الله وإحسانه ، وعظيم مثوبته وجزيل عطائه ، فى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين .

وكانت الأحاديث إلى جانب الوعد العام للمؤمنين بالجنة تخص ـ أحياناً ـ بعض الأفراد بهذا الجزء العظيم ، كما ورد فى حق بلال ـ رضى الله عنه ـ فيما يرويه عبدالله بن بريده عن أبيه قال : « أصبح رسول الله ﷺ فدعا بلالاً فقال : يا بلال ، بم سبقتنى إلى الجنة ؟ ما دخلت الجنة قط إلا سمعت خشخشتك أمامى » .. رواه ابن الأثير فى أسد الغابة ـ ترجمة بلال ـ جـ ١ ص ٢٤٥ .

والخشخشة حركة لها صوت .

وكما ورد فى حق نُعَيم بن عبدالله النَّحَّام الذى قال فى حقه النبى ﷺ « دخلت الجنة فسمعت نحمة نُعَيم فيها » .

أسد الغابة حـ ٥ ص ٣٤٦ .

والنحمة : السَّعْلَة ، وهـى النحنحـة الممدودة ، وكان هذا الحديث سبباً فى تلقيب « نعيم بن عبدالله » بالنَّحَّام .

وكما يقـول النبـى ﷺ : « دخلت الجنة فسمعت فيها قراءة . فقلت : من هذا ؟ قالوا : حارثة بن النعمان ، كذلكم البر ، كذلكم البر » .

وأخرجه السيوطى فى الجامع الصغير برقم ٤١٧٨ وفى جمع الجوامع برقم ١٣٩٥١ .

قال السيوطى : وأخرجه النسائى وأحمد والحاكم وغيرهم ..

وخصص الحديث « حارثة بن النعمان » بذلك لبره بأمه ، كما جاء فى بعض روايات الحديث .

ومن الأحاديث التى تبشر بالجنة لفضل عمل خاص غير الذى ذكرناه ، قوله ﷺ « دخلت الجنة فرأيت فيها جنابذ من اللؤلؤ ، ترابها المسك . فقلت : لمن هذا يا جبريل ؟ قال : للمؤمنين والأئمة من أمتك يا محمد » .

أخرجه السيوطى فى الجامع الصغير برقم ٤١٧٩ ورمز له بالصحة . وقال : أخرجه أبو الشيخ فى الأذان عن أنس عن أبى بن كعب .

والجنابذ جمع جُنْبُذَةٍ وهى القبة .

فهذا تبشير بالجنة للمؤذنين والذين يؤُمُّون الناس فى الصلاة ، أو لأئمَّة الهدى العادلين فى أممهم .

ولم يكن التبشير قاصراًعلى الرجال دون النساء . فقد ورد فى حق خديجة أم المؤمنين ــ رضى الله عنها ــ « بشر خديجة ببيت فى الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب » .

أخرجه الترمذى فى كتاب المناقب ، وقال : حديث صحيح ، وهو فى تحفة الأحوذى حـ ١٠ ص ٣٨٧ برقم ٣٩٧٩ .

وأخرجه مسلم فى فضائل الصحابة أيضاً حـ ٧ ص ١٣٢ .

وروى أنس ــ رضى الله عنه ــ عن النبى ﷺ قال : « دخلت الجنة فسمعت فيها خَشَفَة بين يدى ، فقلت : ما هذه الخشفة ؟ فقيل : الرميصاء » .

أخرجه السيوطى فى جمع الجوامع برقم ١٣٩٥٧ ، وقال : هو فى الجامع الصغير من رواية أحمد ومسلم والنسائى ، ورمز له بالصحة .

**من هى الرميصاء*؟**

والرميصاء هى : بنت ملحان بن خالد الأنصارية المعروفة بأم سليم الأنصارية ، وهى أم أنس بن مالك بن النضر ، خادم رسول الله ﷺ خادم رسول الله ﷺ واسمها رُمَيْلة وقيل : رُمَيْثة ، وقيل غير ذلك واشتهرت الرميصاء بكنيتها « أم سُلَيم » وهى زوجة أبى طلحة الأنصارى ــ رضى الله عنه وعنها ــ وتلقب بسيدة الصابرات .

ولعل صبرها هو الذى أورثها هذه المنزلة السنية ، فقد قالوا : إن ولدها مات وزوجها غائب ــ وهذا الولد اسمه أبو عُمَيْر . وكان النبى ﷺ يداعبه قائلا : يا أبا عمير ما فعل النُّغَيْر ؟ والنُّغَيْر كان طائراً يلعب به أبو عمير .

ولما مات هذا الولد سجَّتْهُ « الرميصاء » فى ناحية البيت ، وجاء زوجها أبو طلحة ، فقربت

إليه إفطاره ، وسألها عن الولد فقالت : هو أسكن مما كان فيه .

ثم تصنّعتْ له ، فأصابها .

ولما فرغ قالت له : ألا تعجب لجيرانك ؟

فقال : ما شأنهم ؟

قالت : أُعيروا عارية ، ولما طُلبت منهم جزعوا .

فقال : بئسما صنعوا .

فكاشفته عندئذ بالحقيقة ، وقالت له : لقد كان ابنك عارية عندنا ، فاسترد الله عاريته .

فاسترجع أبو طلحة ، ثم غدا إلى النبي ﷺ فذكر له ذلك ، فقال : « بارك الله لكما فى ليلتكما » .

فجاءت بولد هو : عبدالله بن أبى طلحة ، فأنجب هذا الولد أولاداً كُمَّلا ، قرأ القرآن منهم عشرة ـ الإصابة فى تمييز الصحابة ٨/٣٢٧ .

ولعل مما يذكر لها أيضاً : أنها كانت تحت مالك بن النضر ـ والد أنس ـ قبل أن تسلم ، فلما أسلمت غضب منها ، وهاجر إلى الشام فمات هناك ـ كان ذلك قبل الهجرة ـ .

فلما مات خطبها أبو طلحة ، وكان ذا عقل وشجاعة ، فقالت له : ياأبا طلحة ألست تعلم أن إلهك الذى تعبده . ينبت من الأرض ؟ وكان لم يسلم بعد .

فقال : بلى .

فقالت له : أفلا تستحى أنك تعبد شجرة لا تضر ولا تنفع ؟ وهى تعنى بذلك أن إلهه صنم مصنوع من خشب .

ثم قالت له : أنت رجل عاقل ، ومثلك لا يُرَدُّ ، ولكن إذا أسلمت تزوجتك ، ولا أريد صداقاً غير ذلك ، فأسلم وتزوجته .

وأبو طلحة صحابى جليل غلبت عليه كنيته ، أما اسمه فهو : زيد بن سهل بن الأسود الأنصارى الخزرجى النجّارى .

قال ابن الأثير فى الحديث عنه : إن قصة زواجه من أم سليم كانت قبل هجرة النبى ﷺ إلى المدينة .

ويعنى ذلك أنها كانت من السابقات إلى الإسلام ، الداعيات له . لقد آثرت الإسلام على أعراض الدنيا ، فاكتفت بإسلام زوجها عن المهر ، حتى قال راوى حديثها : ما سمعت بامرأة كانت أكرم مهراً من أم سليم .

وكان أبو طلحة من شجعان الأنصار وفرسانهم ، وشهد العقبة وبدراً ، وفى غزوة أحد أبلى بلاءً حسناً فى الدفاع عن النبى ﷺ كان يقيه بنفسه ، ويرمى بين يديه ، ويتطاول بصدره ليحفظ رسول الله ﷺ من أسهم الأعداء ، ويقول للنبى ﷺ : نحرى دون نحرك ؛ ونفسى دون نفسك ، وكرَّمه النبى ﷺ وأثنى عليه ، وقال : « صوت أبى طلحة فى الجيش خير من مائة رجل » أسد الغابة حـ ٢ ص ٢٨٩ ـ حـ ٦ ص ١٨١

فتبشير النبى ﷺ للرميصاء بالجنة جزاءً لما قدمته من عمل صالح فى مقدمته تبشيرها بالإسلام ودعوتها إليه ، وتحليها بفضائله التى ظهرت فى صبرها الجميل على ولدها ، فى حين نرى جزع

الأمهات الشديد على أولادهن ، وخروجهن على حد الاعتدال فى التصبر والاحتمال هو الأمر الشائع الظاهر .

أحاديث أخرى تبشر بالجنة :

من الأحاديث الواردة فى التبشير بالجنة قوله ﷺ : « دخلت الجنة فاستقبلتنى جارية شابة ، فقلت : لمن أنت ؟ قالت : لزيد بن حارثة » .. أخرجه السيوطى فى الجامع الصغير برقم ٤١٨٣ ورمز له بالحسن ، وفى جمع الجوامع برقم ١٣٩٥٦ عن عبدالله بن بريدة عن أبيه .

وزيد بن حارثة جدير بهذه البشرى ، فهو أول من أسلم من العبيد ، وأطلق عليه النبى ﷺ زيد بن محمد . تبناه ، ونادى فى الحجر فى ملأ قريش أمام أبيه الذى جاء يطلبه ويسترده : اشهدوا يا من حضر أن زيداً ابنى يرثنى وأرثه .

فلما رأى أبوه ذلك طابت نفسه ، وعاد راضياً قرير العين .. وزيد بن حارثة هو الوحيد الذى ذُكر اسمه فى القرآن الكريم من بين الصحابة جميعاً ـ وهذه الآية هى قوله تعالى :

فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا

[ الأحزاب : ٣٧ ]

وبذلك فإن من تلا اسمه يكسب ثلاثين حسنة ، مصداقاً للحديث الشريف الذى يشير إلى أن قارىء القرآن له بالحرف الواحد عشر حسنات ـ من حديث رواه ابن مسعود ، وذكره القرطبى فى مطلع تفسيره جـ ١ ص ٥ .

وظل زيد بن حارثة يقال له زيد بن محمد حتى نزل قوله ـ تعالى :

﴿ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ ﴾

[ الأحزاب : ٥ ]

واستشهد زيد بن حارثة ـ رضى الله عنه ـ فى غزوة مؤتة ، وكان أميراً على الجيش الذى بعثه رسول الله ﷺ لقتال الروم .

ومما قاله ﷺ : « دخلت الجنة فنظرت ، فإذا جعفر يطير مع الملائكة ، وإذا حمزة متكىء على سرير » . وراه الطبرانى والحاكم عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ ورواه السيوطى فى الجامع الصغير ورمز له بالصحة .

ومن حق هذين الشهيدين أن يبشر المسلمون من بعدهما بما وصلا إليه من درجات علا ، بعد أن أبليا فى الله بلاءً حسناً ، وقدما أنفسهما رخيصة فى سبيل الله ، لقد استشهد جعفر فى مؤتة ، وكان أميراً بعد زيد بن حارثة ، وحافظ على اللواء حتى قطع عضداه ، ولم يترك اللواء يسقط ، فمن أجل هذا أبدله الله بذراعيه جناحين يطير بهما فى الجنة .

أما حمزة فقد استشهد فى أحد ، ومثل الكفار به تمثيلاً عنيفاً أثار حفيظة النبى ﷺ فقال : « لئن ظفرت بهم لأمثلن بسبعين منهم » . فنزل قوله تعالى :

وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ

[ النحل ١٢٦ ـ ١٢٧ ]

### تبشيرٌ بالجنة لمن سبق :

لقد وردت أحاديث كثيرة تبشر المؤمنين بالجنة ، وتُذْكر لأصحاب الفضل فضلهم ، وتُطْرى العمل الصالح وأهله أيًّا كان موقعهم .

فلم تنس أحاديث الرسول ﷺ الإشادة بمن سبق من أهل الفضل قبل الإسلام ، فقد روى الرواة أن النبى ﷺ قال فى حق زيد بن نفيل : « دخلت الجنة فرأيت لزيد بن عمرو بن نفيل دوحتين » . أخرجه ابن عساكر من حديث عائشة ـ رضى الله عنها ـ ورواه السيوطى فى الجامع الصغير برقم ٤١٧٦ ورمز له بالحسن .

وزيد بن عمرو بن نفيل ، هو والد « سعيد بن زيد » أحد العشرة المبشرين بالجنة ـ الذين يأتى الحديث عنهم بعد إن شاء الله ـ تعالى .

وكان زيد أحد المتحنفين فى الجاهلية الذين يرفضون عبادة الأصنام .

### فضل العمل الصالح :

ومن الأحاديث التى تزكى الأعمال الصالحة وتبشر أصحابها بالجنة ، قوله ﷺ فيما يرويه أحمد عن عبدالله بن عمرو « دخل رجل الجنة بسماحته قاضياً ومقتضياً » .

وقوله ـ ﷺ ـ: « دخل رجلان الجنة ، صلاتهما وصيامهما وحجهما وجهادهما واصطناعهما للخير واحد ، ويفضل أحدهما على الآخر بحسن خلقه كما بين المشرق والمغرب » رواه السيوطى فى جمع الجوامع برقم ١٣٩٣٤ عن عبدالله بن عمر ـ رضى الله عنهما .

هذه أحاديث متناثرة وغيرها كثير فى التبشير بالجنة للأحياء الصالحين ، أو بالتبشير بمنازل من سبقوا لتسعد قلوب المسلمين من بعدهم وتقر عيونهم على من سبقوهم إلى رحاب الله ، ولينسج من بعدهم على منوالهم ، ويظل الخير موصولاً أوله بآخره ومبتدؤه بمنتهاه .

### العشرة المبشرون بالجنة :

ولكن هناك حديثاً جمع بين عشرة بشرهم النبى ﷺ بالجنة فى حديث واحد . ذكره الرواة وهو :

قَوْلُ رسول الله ﷺ : « أبو بكر فى الجنة ، وعمر فى الجنة ، وعلى فى الجنة ، وعثمان فى الجنة ، وطلحة فى الجنة ، والزبير فى الجنة ، وعبدالرحمن ابن عوف فى الجنة ، وسعد بن أبى وقاص فى الجنة ، وسعيد بن زيد فى الجنة ، وأبو عبيدة عامر ابن الجراح فى الجنة » رواه الترمذى جـ ١٣ ص ١٨٢ .

ولهذا الحديث حديث نرجو أن يوفق الله تعالى إليه فى عدد قادم بمشيئة الله تعالى .

# حرمان المرأة من الميراث إثم خطير

بقلم الأستاذ : رفعت محمد مرسى طاحون

● إن ظاهرة حرمان المرأة من الميراث فى بعض الدول الإسلامية ظاهرة خطيرة جداً .. وتعتبر من السيئات الاجتماعية التى يرفضها الدين .

إن مما يؤسف له أن الكثير من الآباء يفضلون الأبناء على البنات ، بطريق البيع الصورى لممتلكاتهم للأبناء أو لبعضهم ، أو بطريق الوصية بغرض حرمان البنات من الميراث .

وقد نرى بعض الآباء أو الأمهات أو الأخوة قد يلجئون إلى حيل غريبة ووسائل متنوعة لكى يحرموا البنت أو الأخت أو الزوجة من حقها الشرعى مثل :

إرضاء المرأة ببعض المال حتى تُوقِّع على تنازل عن نصيبها . ثم يهملونها . والأدهى أن ترضى بعض الأمهات بذلك فتتفق مع أبنائها الذكور على حرمان بناتها من الميراث . بحجة أن تظل الأرض أو المتجر فى حوزتهم فلا يمتلكها الغرباء ( أى زوج البنت وعشيرته ) . وهم يعلمون أن ابنتهم ترث زوجها المتوفى عنها .

● إن ظاهرة الظلم بين الأولاد بحرمان البنات من الميراث من جهة الأب أو الأم . يُعرض الأسرة إلى الانحلال والتدهور . ويُعرض الأبناء لتبادل العداوة والبغضاء .. ويؤدى إلى قطع صلة الرحم بين أبناء الأسرة الواحدة . فيُوغر صدر الأخ على أخيه . وصدر الأخت على أخيها ، وصدريهما معاً على أبيهما أو أمهما . وبذلك تشتعل نار الحقد والضغينة بين أبناء الرجل الواحد .

وكم سمعنا وقرأنا أخباراً عن جرائم ارتكبت بين الآباء والأبناء أو بين الإخوة والأخوات بسبب هذا التصرف .

● إن واجب الأب نحو أولاده .. إقامة المساواه بينهم والعدل فيهم :

فعن النعمان بن بشير . قال . قال رسول الله

ﷺ : « فاتقوا الله واعدلوا فى أولادكم » متفق عليه .

● وما رواه ابن عباس رضى الله عنهما . عن النبى ﷺ قال : « من كانت له أنثى فلم يئدها . ولم يهنها . ولم يؤثر ولده عليها أدخله الله الجنة » .. رواه أبو داود .

● ثم إن وصية الأب أو الأم بتفضيل بعض الأولاد على بعض من غير سبب معتبر شرعاً : إضرارٌ فى الوصية . نهى عنه رسولنا الكريم ﷺ وحذر منه .

لما رواه أبو إمامة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الله أعطى كل ذى حق حقه فلا وصيـــة لوارث » . رواه أحمد والترمذى وأبو داود .

● وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « إن الرجل ليعمل والمرأة بطاعة الله تعالى ستين سنة . ثم يحضرهما الموت فَيُضاران فى الوصية فتجب لهما النار » . رواه الترمذى وابن ماجه .

● وعن ابن عباس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « الإضرار فى الوصيـــة من الكبائر » . رواه النسائى .

● وليس من حق الإنسان أن يُحابى بعض الأبناء على حساب بعض اتباعاً لهوى نفسه ولذا فقد نهى الإسلام عن إيثار أحد الأبناء بهدية أو عطية .

فقد روى فى الصحيحين : عن النُعمان بن بشير رضى الله عنهما قال : وهبنى أبى هبة : فقالت أمى عمرة بنت رواحة رضى الله عنهما : لا أرضى حتى تُشهِدَ رسول الله ﷺ . فقال : يا رسول الله : إن أم هذا أُعجبها أن أشهدك على الذى وهبتُ لابنها . فقال ﷺ : « يا بشير ألك ولد سوى هذا ؟ قال : نعم . قال : كلهم وهبت له مثل هذا ؟ قال : لا . قال : « فأرجعه » . وفى رواية قال : « اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم » . وفى رواية أخرى : « لا تشهدنى على جور إن لبنيك أن تعدل بينهم » . وفى رواية : فأشهد على هذا غيرى ) . متفق عليه .

● وروى عن النبى ـ ﷺ ـ قال : « سووا بين أولادكم فى العطية ، ولو كنت مؤثراً أحداً لآثرت النساء على الرجال » .

من هنا : يجب على الآباء التسوية بين الأبناء فى الهبة . فإن خص بعضهم بعطية أو بفضل ، فهو إثم ، ووجبت عليه التسوية بأحد أمرين (إما برد ما فضل به البعض ، وإما بإتمام نصيب الآخر ) .

● والسؤال الآن : أى فائدة تعود على الشخص الذى يحرم البنات أو الأخوات من نصيبهم الذى فرضه الله ـ سبحانه وتعالى ـ لهم . مع ما فى ذلك من العذاب الشديد ؟

يقول تعالى :

﴿ ..وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [ النساء : ١٤ ]

ويقول تعالى بعد أن بيَّن الأنصبة :

﴿ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ﴾ [ النساء : ١١ ]

﴿ .. يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴾ [ النساء : ١٧٦ ]

ويقول رسول الله ﷺ : « من قطع ميراثاً فرضه الله سبحانه وتعالى قطع الله ميراثه من الجنة » . أخرجه سعيد بن منصور .

● لقد جاءت شريعة القرآن لتعمل فى كل جيل من أجيال البشرية وفى كل بيئة من بيئاتها . فإن طمع الإنسان فيما لغيره متوقع على مر الأزمنة والدهور .

من أجل هذا حفظ الله الحقوق .. ومن عدله سبحانه أوجب الميراث . وتولى ـ عز وجل ـ قسمته بأنصبة معينة . ليأخذ كل ذى حق حقه من الذكور والإناث على السواء . ولم يترك سبحانه هذا التقسيم لملك مقرب أو لنبى مرسل .

ـ فقال ـ تعالى :

﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾

[ النساء : ٧ ]

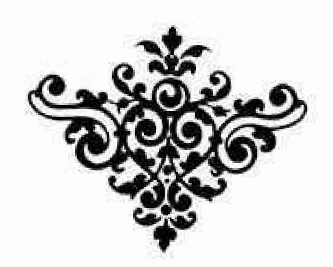
لقد شرع الله الإرث وقرره . حيث أوجب الله توريث ذوى الحقوق من النساء والرجال . وجعل لكل مستحق من الجنسين نصيبه .

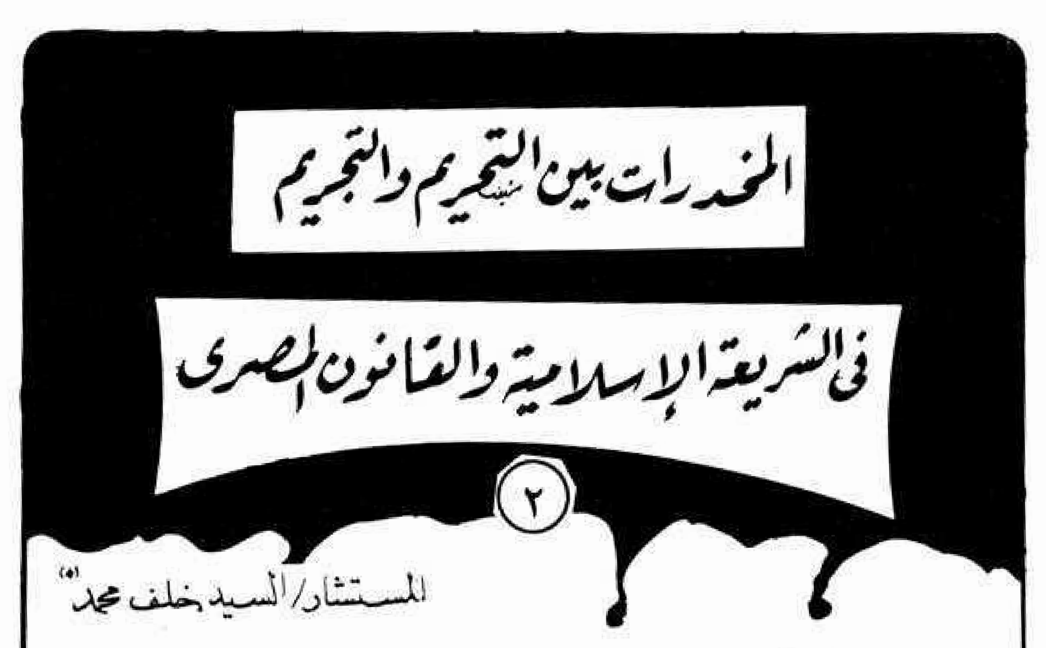
نزلت آيات الميراث لتعالج إلى الأبد موقفاً كان شائكاً فى عرب الجاهلية . حيث كانوا لا يورثون إلا من طعن برمح ، أو ضرب بسيف ، أو زاد عن حريم ، أو اشترك فى حرب ، أما الباقى فلا يدخلون فى الميراث نساءً كانوا أو أطفالاً .

وبهذا المبدأ أعطى الإسلام منذ أربعة عشر قرناً حق النساء والرجال فى الإرث ، ثم فصل الله المواريث وحدد الأنصبة والفروض لكل مستحق من الرجال والنساء . وأرشد إلى مقدار إرثه وشروطه . وبين الله سبحانه الحالات التى يرث فيها الإنسان والحالات التى لا يرث فيها . ومتى يرث كل من الرجال والنساء ( بالفرض والتعصيب ) أو بهما معاً .. ومتى يُحجب كل منهما من الإرث كلياً أو جزئياً . وذلك تأكيداً للعدالة وتحقيقاً للإنصاف . وحكماً من الله الحكيم الرحيم . خاصةً وأن المال مال الله يوجهه حيث يشاء ويورثه من يشاء . وذلك فى سورة النساء فى الآيات ( الحادية عشرة ، والثانية عشرة ، والأخيرة ) .

● وبعد فإن هذه الحقوق دَيْنٌ على الآباء . فليس من حق الإنسان أن يُحابى أحد الأبناء على حساب الآخرين أو يُحابى الأبناء دون البنات اتباعاً لهوى نفسه . فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم .

ويا أيها المشرعون : حافظوا على أمتكم واضربوا على أيدى المفسدين والمخربين ، ممن يبيعون بيعاً صورياً لأحد أولادهم ، لحرمان البنات من نصيبهم والله ـ سبحانه ـ ولى التوفيق .






المستشار/ السيد خلف محمد (*)

**الشريعة الإسلامية تحرم تعاطى المخدرات [١] :**

ذلك أن مدلول لفظ الخمر فى اللغة العربية والشريعة الإسلامية : كل ما خامر العقل وحجبه . كما نقل عن عمر بن الخطاب « رضى الله عنه » فى الحديث المتفق عليه[٢] ، دون نظر إلى المادة التى تتخذ منها ؛ إذ الأحاديث الشريفة الصحيحة الواردة فى الخمر ناطقة بهذا المعنى[٣] ( كل مسكر حرام ) وهكذا فهم أصحاب الرسول ـ رضوان الله عليهم ـ ، وقال عمر هذه المقالة المبينة للمقصود بهذا اللفظ ؛ فى محضر كبار الصحابة دون نكير من أحد منهم ، ومن ثم فإن الإسلام حين حرَّم الخمر وقرر عقوبة شاربها لم ينظر إلى أنها سائل يشرب من مادة معينة ، وإنما نظر إلى الأثر الذى تحدثه فيمن يشربها من زوال العقل الذى يؤدى إلى إفساد إنسانية الشارب وسلبه منحة التكريم التى كرمه الله بها ، بل ويفسد ما بين الشارب ومجتمعه من صلات المحبة والصفاء ، وقد كشف العلم الحديث عن أضرار جسيمة أخرى يحدثها شرب هذه المفسدات ، حيث يقضى على حيوية أعضاء هامة فى الجسم كالمعدة والكبد ، هذا عدا الأضرار الاقتصادية التى تذهب بالأموال سفها وتبذيرا فيما يضر ولا ينفع . هذا فوق امتهان من يشرب الخمر بذهاب الحشمة والوقار واحترام الأهل والأصدقاء ، هذه الأضرار الجسمية والأدبية والاقتصادية التى ظهرت للخمر وعرفها الناس هى : مناط تحريمها .

---

(*) الكاتب رئيس محكمة النقض .

(١) راجع الفتاوى الإسلامية ـ دار الافتاء المصرية ـ المجلد العاشر ص ٣٥١١

(٢) أخرجه مسلم ـ من شرح سبل السلام على متن بلوغ المرام ٤٧ جـ ٤ .

(٣) جـ ٨ ص ١٧٢ نيل الأوطار للشوكانى .

وإذا كانت الشريعة إنما أقامت تحريمها للخمر على دفع المضمار وحفظ المصالح فإنها تحرم كل مادة من شأنها أن تحدث هذه الأضرار أو أشد سواء كانت مشروباً سائلا أو جامداً مأكولا أو مسحوقاً أو مشموماً . ومن هنا لزم ثبوت حكم تحريم الخمر لكل مادة ظهرت أو تظهر تعمل عملها ، يدل لذلك قول الرسول ﷺ [٤] ( كل مسكر حرام ) إذ لم يقصد الرسول بهذا إلا أن يقرر الحكم الشرعي وهو أن كل ما يفعل بالإنسان فعل الخمر يأخذ حكمها فى التحريم والتجريم .

وإذا كانت المخدرات كالحشيش والأفيـــون والكوكايين وغيرها من المواد الطبيعية المخدرة ، وكذلك المواد المخلقة المخدرة تحدث آثار الخمر فى الجسم والعقل بل أشد ، فإنها تكون محرمة بحرفية النصوص المحرمة للخمر وبروجها وبمعناها ، والتى استمدت منها القاعدة الشرعية التى تعتبر من أهم القواعد التشريعية فى الإسلام ، وهى دفع المضار وسد ذرائع الفساد .

ومع هذا : فقد أخرج الإمام أحمد فى مسنده وأبوداود فى سننه [٥] عن أم سلمة رضى الله عنها قالت ( نهى رسول الله ﷺ عن كل مسكر ومفتر ) والمفتر كما قال العلماء كل ما يورث الفتور والخور فى أعضاء الجسم ، وقد نقل العلماء إجماع فقهاء المذاهب على حرمة تعاطى الحشيش وأمثاله من المخدرات الطبيعية والمخلقة ، لأنها جميعاً تودى بالعقل وتفسده وتضر بالجسم والمال ، وتحط من قدر متعاطيها فى المجتمع قال ابن تيمية رحمه الله فى بيان حكم الخمر والمخدرات [٦] والأحاديث فى هذا الباب كثيرة مستفيضة ، جمع رسول الله ﷺ بما أوتيه من جوامع الكلم كل ما غطى العقل وأسكر ولم يفرق بين نوع ونوع ، ولا تأثير لكونه مأكولا أو مشروباً ، على أن الخمر قد يصطبغ بها ( أى يؤتدم ) وهذه الحشيشة قد تداف ( أى تذاب ) فى الماء وتشرب ، وكل ذلك حرام ، وإنما لم يتكلم المتقدمون فى خصوصها لأنه إنما حدث أكلها من قريب فى أواخر المائة السادسة أو قريباً من ذلك ، كما أنه قد حدثت أشربة مسكرة بعد النبى ﷺ وكلها داخلة فى الكلم الجوامع من الكتاب والسنة ) وإذا كان ما أسكر كثيره فقليله حرام ، كذلك فإنه يحرم مطلقاً بإجماع فقهاء المذاهب الإسلامية ما يفتر ويخدر من الأشياء الضارة بالعقل أو غيره من أعضاء الجسد ، وهذا التحريم شامل كل أنواع المخدرات مادام تأثيرها على هذا الوجه القليل منها والكثير . وقد ذهب بعض الفقهاء إلى وجوب حد متعاطى المخدرات كشارب الخمر تماماً ، لأنها تفعل فعلها بل وأكثر منها ، بل قال ابن تيمية [٧] إن فيها ( المخدرات ) من المفاسد ما ليس من الخمر ، فهى أولى

---

(٤) من حديث ابن عمر الذى رواه الجماعة إلا البخارى وابن ماجه من كتاب نيل الأوطار للإمام الشوكانى ص ١٧٢ جـ ٢ .

(٥) سنن أبى داود ص ١٣٠ جـ ٢ .

(٦) فتاوى ابن تيمية جـ ٤ ص ٢٥٧ وكتاب السياسة الشرعية له ص ١٣١ .

(٧) فتاوى ابن تيمية ص ٢٥٧ المجلد الرابع .

بالتحريم ، ومن استحلها وزعم أنها حلال فإنه يستتاب ، فإن تاب وإلا قتل مرتداً ، لا يصلى عليه ولا يدفن فى مقابر المسلمين .

ونخلص مما تقدم : أن المخدرات بكافة أنواعها وأسمائها طبيعية أو مخلقة مسكرة ، وأن كل مسكر من أى مادة حرام ، وهذا الحكم مستفاد نصاً من القرآن الكريم ومن سنة رسول الله ﷺ حسبما تقدم بيانه وبذلك يحرم تعاطيها بأى وجه من وجوه التعاطى من أكل أو شرب أو شم أو حقن لأنها مفسدة ، ودرء المفاسد من المقاصد الضرورية للشريعة حماية للعقل والنفس ، ولأن الشرع الإسلامى اعتنى بالمنهيات . وفى هذا يقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه [8] ( إذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه ) وفى حديث آخر يقول [9] ( لترك ذرة مما نهى الله عنه أفضل من عبادة الثقلين ) ومن هنا قال الفقهاء إنه يجوز ترك الواجب دفعاً للمشقة ، ولا تسامح فى الإقدام على المنهيات خصوصاً الكبائر إلا عند الاضطرار على ما يأتى بيانه .

**ما حكم تعاطى المخدرات للعلاج [10] :**

الإسلام حرم مطعومات ومشروبات صوناً لنفس الإنسان وعقله ، ورفع هذا التحريم فى حالة الضرورة فقال [11] ( ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ ... ) وقال [12] ( ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ) وقال [13] : ( ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ ) ولقد استنبط الفقهاء من هذه الآيات ومن أحاديث رسول الله ﷺ فى الضرورة قواعد يقوى بعضها بعضاً ، فقالوا : الضرر يزال والضرورات تبيح المحظورات ، ومن ثم أجازوا أكل الميتة عند المخمصة وإساغة اللقمة بالخمر والتلفظ بكلمة الكفر عند الإكراه [14] .

قال تعالى :

﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ .

وقالوا أيضا : إن الضرورات تقدر بقدرها وما جاز لعذر بطل بزواله والضرر لا يزال بضرر . وقد اختلف الفقهاء فى جواز التداوى بالمحرم ، والصحيح من آرائهم هو ما يلتقى مع قول الله فى الآيات البينات السالفات ، بملاحظة أن إباحة المحرم للضرورة مقصورة على القدر الذى يزول به الضرر وتعود به الصحة ويتم به العلاج ، وللتثبت من توافر هذه الضوابط المنصوص عليها فى آيات الاضطرار ـ اشترط الفقهاء الذين أباحوا التداوى بالمحرم شرطين ، أحدهما : أن يتعين التداوى بالمحرم بمعرفة طبيب مسلم خبير بمهمة الطب معروف بالصدق والأمانة والتدين ، والآخر ألا يوجد دواء من غير المحرم ليكون التداوى بالمحرم متعيناً ، ولا يكون القصد من تناوله التحايل لتعاطى المحرم ، وألا يتجاوز به قدر الضرورة ،

---

(٨) ، (٩) الأشباه والنظائر لابن نجيم المصرى الحنفى فى القاعدة الخامسة .

(١٠) الفتاوى الإسلامية ـ دار الإفتاء المصرية ـ المجلد العاشر ص ٣٥١٩ .

(١١) من الآية ١٧٣ من سورة البقرة .

(١٢) من الآية ١٤٥ من سورة الأنعام .

(١٣) من الآية ١١٩ من سورة الأنعام .

(١٤) من الآية ١٠٦ من سورة النحل .

وقد أفتى ابن حجر المكى الشافعى [١٥] حين سئل عمن أبتلى بأكل الأفيون والحشيش ونحوهما وصار حاله بحيث إذا لم يتناوله هلك .

أفتى : بأنه إذا علم أنه يهلك قطعاً حل له بل وجب لاضطراره لإبقاء روحه كالميتة للمضطر ، ويجب عليه التدرج فى تقليل الكمية التى يتناولها شيئا فشيئاً حتى يزول اعتياده وهذا – كما تقدم – إذا ثبت بقول الأطباء الثقات – ديناً ومهنة – أن معتاد تعاطى المخدرات يهلك بترك تعاطيها فجأة وكلية .

وترتيباً على هذا : فإذا أثبت أن ضررا ملحقاً محققاً وقوعه بمتعاطى المخدرات سواء كانت طبيعية أو مخلقة إذا انقطع فجأة عن تعاطيها جاز مداواته بإشراف طبيب ثقة متدين حتى يتخلص من اعتياده عليها ، كما أشار العلامة ابن حجر فى فتواه المشار إليها ، لأن ذلك ضرورة ولا إثم فى الضرورات متى روعيت شروطها المتقدمه ، إعمالا لنصوص القرآن الكريم فى آيات الاضطرار ، **هذا : وأنه مع التقدم العلمى فى كيمياء الدواء لم تعد حاجة ملحة للتداوى بالمواد المخدرة المحرمة شرعاً لوجود البديل الكيمائى المباح .**

**والقانون الجنائى المصرى يجرم تعاطى المواد المخدرة :**

ذلك أن القانون رقم ٩٨٢ لسنة ١٩٦٠ المعدل بالقانون رقم ١٣٢ لسنة ١٩٨٩ قد نص فى المادة ٣٧ منه على أنه « يعاقب بالأشغال الشاقة المؤقتة وبغرامة لا تقل عن عشرة آلاف جنيه ولا تجاوز خمسين ألف جنيه كل من حاز أو أحرز أو اشترى أو أنتج أو استخرج أو فصل أو صنع جزءا مخدرا أو زرع نباتا من النباتات الواردة فى الجدول رقم ( ٥ ) أو حازه أو أشتراه وكان ذلك بقصد التعاطى أو الإستعمال الشخصى فى غير الأحوال المصرح بها قانونا ، وللمحكمة أن تأمر فى الحكم الصادر بالإدانة بتنفيذ العقوبات المقتضى بها فى السجون الخاصة التى تنشأ للمحكوم عليهم فى جرائم هذا القانون أو فى الأماكن التى تخصص لهم بالمؤسسات العقابية .

ويجوز للمحكمة عقد الحكم بالعقوبة فى الجرائم المنصوص عليها فى الفقرة الأولى – بدلا من تنفيذ العقوبة – أن تأمر بإيداع من يثبت إدمانه إحدى المصحات التى تنشأ لهذا الغرض بقرار من وزير العدل بالإتفاق مع وزراء الصحة والداخلية والشئون الاجتماعية ، وذلك ليعالج فيها طبيا ونفسيا واجتماعيا ، ولا يجوز أن تقل مدة بقاء المحكوم عليه بالمصحة عن ستة أشهر ولا أن تزيد على ثلاث سنوات أو مدة العقوبة المقضى بها أيهما أقل .

ويكون الإفراج عن المودع بعد شفائه بقرار من اللجنة المختصة بالإشراف على المودعين بالمصحة ، فإذا تبين عدم جدوى الإيداع ، أو انتهت المدة القصوى المقررة له قبل شفاء المحكوم

(١٥) نقل هذا ابن عابدين فى حاشيته رد المحتار جـ ٥ ص ٤٥٦ فى آخر كتاب الحظر والإباحة .

عليه ، أو خالف المودع الواجبات المفروضة عليه لعلاجه ، أو ارتكب أثناء ايداعه أيا من الجرائم المنصوص عليها فى هذا القانون رفعت اللجنة المشار إليها الأمر إلى المحكمة عن طريق النيابة العامة بطلب الحكم بالغاء وقف التنفيذ ، لاستيفاء الغرامة وبقى مدة العقوبة المقيدة للحرية المقضى بها بعد استنزال المدة التى قضاها المحكوم عليه بالمصحة .

ولا يجوز الحكم بالإيداع إذا ارتكب الجانى جناية من الجنايات المنصوص عليها فى الفقرة الأولى من هذه المادة بعد سبق الحكم عليه بالعقوبة أو بتدبير الإيداع المشار إليه ، وفى هذه الحالة تسرى الأحكام المقررة فى المادة السابقة إذا رأت المحكمة وجها لتطبيق المادة ١٧ من قانون العقوبات .

ويبين من نص المادة ٢٧ سالفة البيان لأنه عندما يتحقق قصد التعاطى أو الاستعمال الشخصى للمخدر فان العقوبة تكون الأشغال الشاقة المؤقتة وغرامة لا تقل عن عشرة آلاف جنيه ولا تجاوز خمسين ألف جنيه ، وكانت العقوبة المقررة لهذه الجريمة قبل صدور القانون رقم ١٢٢ لسنة ١٩٨٩ هى السجن وغرامة لا تقل عن خمسمائة جنيه ولا تزيد عن ثلاثة آلاف جنيه ، وذلك يكون المشرع قد شدد العقوبة المقيدة للحرية بجعلها الأشغال الشاقة المؤقتة بدلا من عقوبة السجن ، كما زاد من قيمة الغرامة بزيادة حديها الأدنى والأقصى فبعد أن كان حد الغرامة الأدنى خمسمائة جنيه جعله عشرة آلاف جنيه ، والأقصى جعله خمسين ألف جنيه بدلا من ثلاثة آلاف جنيه .

وإذا ثبت للمحكمة أن المتهم أدمن تعاطى المخدرات فإنه يجوز لها عقد الحكم بالعقوبة السابقة بدلا من تنفيذها أن تأمر بإيداعه إحدى المصحات التى تنشأ لهذا الغرض وذلك ليعالج فيها لأن علاجه أجدى له وللمجتمع من عقابه وقد أخذ المشرع بهذا الإجراء عملا بتوصيات الأمم المتحدة وأسوة بما هو متبع فى بعض البلاد المتمدينة ، وعطفا على مرضى الإدمان على تعاطى المواد المخدرة .

**الشريعة الإسلامية تحرم التواجد فى مكان معد لتعاطى المخدرات وكان يجرى فيه تعاطيها[١٦] :**

كرم الله الإنسان ونأى به عن مواطن الريب والمهانة ، وامتدح عباده الذين تجنبوا مجالس اللهو واللغو فقال سبحانه[١٧] :

﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾ .

وقال[١٨] :

﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ ﴾ .

وقال[١٩] :

---

(١٦) الفتاوى الإسلامية ـ دار الإفتاء المصرية ـ المجلد العاشر ص ٣٥٢١ .

(١٧) من الآية ٣ من سورة المؤمنون .

(١٨) من الآية ٧٢ من سورة الفرقان .

(١٩) من الآية ٥٥ من سورة القصص .

﴿ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾ .

وفى الحديث عن الرسول الأكرم ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ ( **استماع الملاهى معصية والجلوس عليها فسق** ) وروى أبو داود فى سننه عن ابن عمر رضى الله عنه قوله : ( **نهى رسول الله ﷺ عن الجلوس على مائدة يشرب عليها الخمر** ) .. والمستفاد من هذه النصوص أنه يحرم مجالسة مقترفى المعاصى أيا كان نوعها ، لأن فى مجالستهم إهدارا لحرمات الله ، ولأن من يجلس مع العصاة الذين يرتكبون المنكرات يتخلق بأخلاقهم السيئة ، ويعتاد ما يفعلون من مآثم كشرب المسكرات والمخدرات كما يجرى على لسانه ما يتناقلونه من مساقط القول ، ومن أجل البعد بالمسلم عن الدنايا وعن ارتكاب الخطايا كان إرشاد الرسول ﷺ للمسلمين فى اختيار المجالس والجليس فى قوله[20] ( إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكور ، فحامل المسك إما أن يحذيك[21] وإما أن تبتاع منه وأما أن تجد منه ريحاً طيبة ، ونافخ الكور إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة ) رواه البخارى ومسلم فالجليس الصالح يهديك ويرشدك ويدلك على الخير وترى منه المحامد والمحاسن وكله منافع وثمرات . أما الجليس الشرير فقد شبهه الرسول صلوات الله وسلامه عليه بنافخ الكير يضر ويؤذى ويعدى بالأخلاق الرديئة ويجلب السيرة المذمومة ، وهو باعث الفساد والإضلال ومحرك كل فتنة ، وموقد نار العداوة والخصام ، وفى هذا الحديث الشريف دعوة إلى مجالسة الصالحين وأهل الخير والمروءة ومكارم الأخلاق والورع والعلم ، وفيه النهى عن مجالسة أهل الشر والبدع والفجار الذين يجاهرون بارتكاب المنكرات وشرب المسكرات والمخدرات ، لأن القرين ينسب إلى قرينه وجليسه ويرتفع به وينحدر وتهبط كرامته بدناءة من يجالسهم ، ولقد تحدث القرآن الكريم عن قرناء السوء وحذر منهم ومن مجالستهم وأخبر أنهم سوء وندامة فى الدنيا والآخرة قال تعالى :

﴿ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴾ [22]

وإذا كان الجليس يقتدى ويهتدى بجليسه وبمجلسه ، فإن جلوس الإنسان التقى ـ البعيد عن المآثم والشبهات ـ فى مجالس الإفك والشرب وتعاطى المخدرات ؛ يؤذيه ويُرديه فى الدنيا بالمهانة وانتزاع المهابة عند عارفيه من أقاربه وأصدقائه لأن المخدرات كما نقل العلامة ابن حجر المكى[23] فى فتاواه الكبرى فيها مضار دينية ودنيوية ، فهى تورث الفكرة وتعرض البدن لحدوث الأمراض وتورث النسيان وتصدع الرأس وتورث موت الفجاءة واختلال العقل وفساده والسل والاستسقاء وفساد الفكر وإفشاء السر وذهاب

---

(٢٠) من كتاب الترغيب والترهيب ص ٤٩ و ٥٠ جـ ٤ .
(٢١) يحذيك : يعنى يعطيك .
(٢٢) من الآية ٣٨ من سورة النساء .
(٢٣) جـ ٤ ص ٢٣٤ .

الحياء وكثرة المراء وانعدام المروءة وكشف العورة وعدم الغيرة وإتلاف الكسب ومجالسة إبليس وترك الصلاة والوقوع فى المحرمات واحتراق الدم وصفرة الأسنان وتعب الكبد وغشاء العين والكسل والفشل وتعيد العزيز ذليلا والصحيح عليلا إن أكل لا يشبع وإن أعطى لا يقنع .

ومن هنا كان على الإنسان أن ينأى عن مجالس الشرب المحرم خمراً مثلا أو مخدرا مطعومة أو مشروبة أو مشمومة ، فإنها مجالس الفسق والفساد وإضاعة الصحة والمال ، وعاقبتها الندم فى الدنيا والآخرة قال تعالى :

﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾ (٢٤)

بل إن مصاحبة هؤلاء المارقين على الدين الذين يتعاطون هذه المهلكات إثم كبير لأن الله قد غضب عليهم وعلى مجالسهم وفى هذا يقول سبحانه :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾ (٢٥)

وفى مصاحبة هؤلاء ومجالستهم معاداة المولى سبحانه وتحد لأوامره ، فقد نهى عن مودة العصاة (٢٦)

﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ .

وهؤلاء قد استغرقوا فى مجالسهم المحرمة المليئة بالآثام ، فالجلوس معهم مشاركة فيما يرتكبون ، ومودة معهم مع أنهم غير جديرين بهذه المودة لعصيانهم أوامر الله ورسوله واستباحتهم ما حرم الله ورسوله ، أولئك حزب الشيطان من جلس معهم فقد رضى بمنكرهم وأقر فعلهم ، والمؤمن الحق مأمور بإزالة الباطل ما استطاع ، وبالوسيلة المشروعة ، فان لم يستطع فعليه بالابتعاد عن مجالس المنكرات ففى الحديث الشريف فى صحيح مسلم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال (٢٧) : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ( **من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان** ) .

**ففى الحديث النبوى دعوة إلى مكافحة المنكرات ومنها هذه السموم ( المخدرات ) بعد أن بان ضررها وشاع سوء آثارها وكانت عاقبة أمرها خسراً للإنسان والمال على حد سواء ، فمن كان له سلطة إزالة هذه المخدرات والقضاء على أوكارها وتجارها كان لزاماً عليه بتكليف من الله ورسوله أن يجد ويجتهد فى مطاردة هذه الآفة ، ومن لم يكن من أصحاب السلطة فإن**

---

(٢٤) من الآية ٣٦ من سورة الزخرف .

(٢٥) من الآية ١٣ من سورة الممتحنة .

(٢٦) من الآية ٢٢ من المجادلة .

(٢٧) الترغيب والترهيب للمنذرى جـ ٢ ص ٦٢٣ .

عليه واجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فيبين للناس آثارها المدمرة لنفس الإنسان وماله ، ومن الأمر بالمعروف إبلاغ السلطات بأوكار تجارها ومتعاطيها ، فالتستر على الجريمة إثم وجريمة فى حق الأمة وإشاعة للفحشاء فيها ، وجميع الأفراد مطالبون بالأمر بالمعـروف وبالإرشاد عن مرتكبى هذه المنكرات ومروجى المخدرات ، إذ هى النصيحة التى أمر بها الرسول ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ فى الحديث الذى رواه البخارى ومسلم عن تميم الدارى[٢٨] ( الدين النصيحة : قاله ثلاثاً : قلنا لمن يا رسول الله . قال : لله ولرسولـه ولأئمـة المسلمين وعامتهم ) وفى الحديث[٢٩] الـذى رواه النسائى عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ( إن القوم إذا رأوا المنكر فلم يغيروه عمهم الله بعقاب ) .

والنصيحة لأئمة المسلمين أى : الحكام بالإرشاد ومعاونتهم على منع المنكرات والآثام ، لأنهم القادرون على تغييرها بالقوة ، فلا تأخذنا رحمة فى دين الله ، إذ التستر على هذه الآثام إعانة لمروجيها على الاستمرار فى هذه المهمة الخبيثة . والقانون الجنائى المصرى يجرم التواجد فى مكان أعـد لتعاطـى المخدرات وكان يجرى فيـه تعاطيها[٣٠] :

تنص المادة ٣٩ من قانون مكافحة المخدرات رقم ١٨٢ لسنة ١٩٦٠ المعدل بالقانون رقم ١٢٢ لسنة ١٩٨٩ على أنه ، يعاقب بالحبس مدة لا تقل عن سنة وبغرامة لا تقل عن ألف جنيه ولا تجاوز ثلاثة آلاف جنيه كل من ضبط فى مكان أعد أو هيىء لتعاطى الجواهر المخدرة وذلك أثناء تعاطيها مع علمه بذلك .

وتزاد العقوبة بمقدار مثليها إذا كان الجوهر الذى قدم هو الكوكايين أو الهيروين أو أى من المواد الواردة بالقسم الأول.

ولا يسرى حكم هذه المادة على زوج أو أصول أو فروع أو أخوة من أعد أو هيأ المكان المذكور أو على من يقيم فيه .

ويشترط لانطباق هذا النص أن يضبط الجانى فى مكان أعد أو هيىء لتعاطى الجواهر المخدرة وأن يكون تعاطى المخدرات جاريا فيه بالفعل وقت الضبط وأن يقصد المتهم التواجد فيه وأن يعلم أن تعاطى المخدرات جارياً بالفعل .

ونظرا لأن الزوج أو الزوجة أو أصول أو فروع أو إخوة أو من يقيم مع من أعد أو هيأ المكان الذى يجرى فيه تعاطى الجواهر المخدرة قد تضطرهم صلة القربى أو ظروف الإقامة إلى التواجد فيه دون رغبة فى مشاركة الحاضرين إثمهم ، فقد رؤى النص على

---

(٢٨) الترغيب والترهيب للمنذرى جـ ٢ ص ٢٢٨ .

(٢٩) المرجع السابق ص ٢٢٩ .

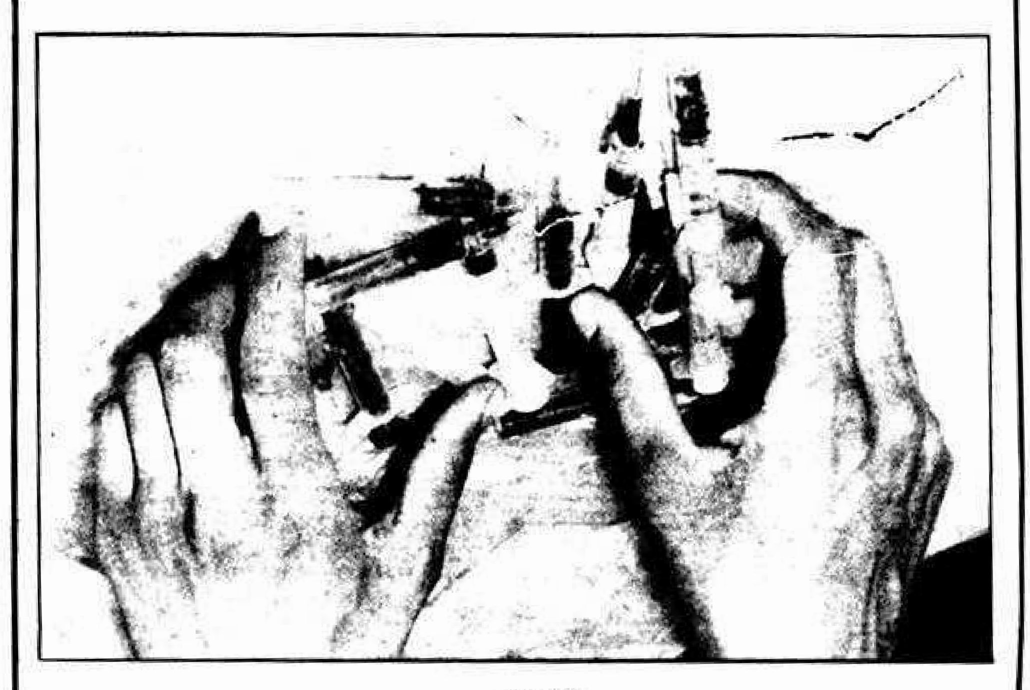
(٣٠) راجع . كتابنا « قضاء المخدرات » الطبعة الثالثة صفحة ١٤٧ .

إعفائهم من حكم هذه المادة ، وقد أضاف المشرع بالقانون رقم ١٢٢ لسنة ١٩٨٩ إلى حالات الإعفاء من يقيم فى المكان الذى أعد أو هيىء لتعاطى الجواهر المخدرة تقديرا لما تلاقيه الكثرة من أزمة فى الاسكان تلجأ البعض منهم إلى الإقامة فى أماكن لا يتوافقون مع شركاء لهم فيها أخلاقيا أو اجتماعيا . وأضاف إلى حالات الإعفاء أيضا إخوة من أعد أو هيأ المكان لتعاطى المواد المخدرة .

وغنى عن البيان أن الإعفاء الوارد فى الفقرة الثالثة من المادة ٣٩ قاصر على الأشخاص المبينين فيها على سبيل الحصر ومن ثم لا يمتد إلى سواهم من أقارب أو أصدقاء من أعد أو هيأ مكانا لتعاطى الجواهر المخدرة وتواجد فيه وضبط أثناء تعاطيها فيه بالفعل ؛ فهؤلاء يحق عليهم المساءلة والعقاب .

والعقوبة المقررة لهذه الجريمة هى الحبس مدة لا تقل عن سنة وغرامة لا تقل عن ألف جنيه ولا تجاوز ثلاثة آلاف جنيه ، فإذا كان الجوهر المخدر الذى يجرى تعاطيه هو الكوكايين أو الهيروين أو أى من المواد الواردة بالقسم الأول من الجدول رقم (١) الملحق بقانون مكافحة المخدرات فتزاد العقوبة بمقدار مثليها .

وبعد أن بينا أحكام الشريعة الإسلامية والقانون المصرى فى المسائل المتقدمة المتعلقة بالمخدرات فاننا ندعو الله العلى القدير أن يبعد أبناء الأمة الإسلامية والعربية عن المخدرات وأن يجنبهم آثارها المدمرة .



[illegible]

# معالجة مشكلة البطالة

# من منظور الفكر الإسلامى والفكر الوضعى

إعداد
د/سهير حسن عبد العال (*)

## ( المبحـــث الأخـــير )

### تقويم سياسات معالجة مشكلة البطالة فى ضوء المنهج الإسلامى

تعتبر مشكلة البطالة الشغل الشاغل للحكومة المصرية لما لها من آثار اجتماعية واقتصادية وسياسية خطيرة ، ولقد شكلت لجان ونظمت مؤتمرات وندوات ووضعت العديد من السياسات التى تتضمن اقتراحات للعلاج ، ولقد حققت هذه السياسات بعض الفوائد بينما أخفقت الأخرى ، ولكن الواقع أن المشكلة تتفاقم ، وهذا يتطلب تقويماً لهذه السياسات من منظور الفكر والتطبيق ، ودراسة جدواها ، وهل هناك بدائل أخرى ؟ كما أن هناك ضرورة مناقشة السياسات الاقتصادية الإسلامية لمعالجة مشكلة البطالة ، وكيف يمكن الاستفادة منها فى علاج مشكلة البطالة فى مصر ؟

وهذه هى المسائل التى أتعرض لها بشىء من التبيان :

### أولا : تقويم سياسات مواجهة مشكلة البطالة فى مصر :

اتبعت مصر سياسات عديدة لمواجهة مشكلة البطالة ومن هذه السياسات ما يلى :ـــ

#### ١ ـــ السياسات السكانية :

حاولت الدولة ـــ عن طريق اتباع سياسة سكانية من أهمها الحملات المختلفة لتنظيم الأسرة ورفع المستوى الصحى للسكان ـــ الحد من

* مدرس اقتصاد ـــ كلية التجارة جامعة الأزهر/فرع البنات *.

معدلات النمو السكانى . إلا أنه على الرغم من هذه الجهود فقد ارتفع معدل نمو السكان من ١٫٠٪ خلال الفترة من ٦٦ ــ ١٩٧٦[1] إلى ٢٫٨٪ خلال الفترة ١٩٨٦ ــ ١٩٩٢ .

**٢ ـ سياسة تشغيل الخريجين :**

أمام تزايد السكان وتزايد القوة العاملة سنويا التزمت الدولة منذ أوائل الستينات بتعيين الخريجيين من الجامعات والمدارس الفنية والمتوسطة . وعلى الرغم من أن هذه السياسة كانت تستهدف استيعاب الزيادة فى القوة العاملة والتخفيف من ظاهرة البطالة ، إلا أنها تسببت فى بعض الآثار السلبية منها :

( أ ) تزايد معدل البطالة المقنعة للعاملين بأجهزة ومؤسسات الدولة ، ومن ثم انخفاض إنتاجهم .

(ب) كذلك أدى تزايد خريجى الجامعة وعجز الدولة عن التوسع فى أنشطتها الاقتصادية بمعدلات مماثلة إلى ظهور البطالة السافرة بين خريجى التعليم العالى والمتوسط . وقد انعكس ما تقدم على اطالة فترات انتظار الخريجين ــ فى منتصف الثمانينات ــ إلى ما بين ٥ و ٦ سنوات[2] .

**٣ ـ كما لجأت الدولة لزيادة طاقتها على :** استيعاب المزيد من العمالة الى تقصير ساعات العمل للأسبوعية فى المشروعات العاملة من ٤٨ ساعة إلى ٤٢ ساعة ، إلا أن هذه السياسة أدت إلى تزايد حجم مشكلة البطالة المقنعة بالجهاز الحكومى[3]

**٤ ـ حجم ونمط تخصيص الاستثمارات بين القطاعات الاقتصادية المختلفة :ــ**

تميزت سياسة تخصيص الاستثمارات بين القطاعات الاقتصادية المختلفة منذ منتصف السبعينات وحتى الآن بتحيز واضح ضد القطاعات السلعية الأساسية ــ وهى القطاعات التى تستوعب عددا كبيرا من العمالة ــ ولصالح القطاعات التوزيعية والخدمية .

ويتضح ذلك بجلاء فى حالة قطاع الزراعة الذى عانى طوال هذه الفترة من انخفاض واضح فى حجم ونسبة الاستثمارات الموجهة إليه حيث بلغ نصيبه ٥٪ من المجموع الكلى للتكوين الرأسمالى الإجمالى خلال الفترة من ٧٤ ــ ١٩٧٩ ، ٨٪ خلال الفترة من ٧٧ ــ ٨١/٨٢ ، ٦٫٦٪ خلال الفترة ٨٢/٨٣ ــ ٨٦/٨٧[4] ٩٪ خلال الفترة ٨٧/٨٨ ــ ٩٠/٩١[5] .

وقد انعكس انخفاض الاستثمارات فى قطاع الزراعة على انخفاض النصيب النسبى لهذا القطاع فى قوة العمل من ٥٧٫٤٪ عام ١٩٦٠ إلى

---

١ ــ البنك المركزى المصرى ، التقرير السنوى ، ٨٧/١٩٨٨ ، ص ١٢٨ .

٢ ــ د. سميحة السيد ، سياسة مواجهة البطالة رؤية من خلال تجارب بعض الدول الأخرى ، مؤتمر قسم الاقتصاد ، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ١٩٨٩ ، ص ١٠٥٦ .

٤ ــ د. ليلى الخواجة ، دراسة تحليلية لظاهرة البطالة السافرة وعلاقتها بهيكل سوق العمل فى مصر ، مؤتمر قسم الاقتصاد ، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، ١٩٨٩ ، ص ٢٠١ .

٥ ــ البنك المركزى ، المجلة الاقتصادية ، المجلد الواحد والثلاثون ، العدد الرابع ، ٩٠/٩١ ، ص ٧٣٤ .

(٣) Karima Korayam : Unemployment and Labour Market Policies in, M.D., Beonor, Unemployment Schooling and Training in Developing Countries, I.L.O., Groomhelm, London 1985, P.77.

٣٣,٦٪ عام ٨٤/٨٣ ثم ٣٥,٦٪ عام ٨٨/٨٧ ، ٣٥٪ عام ٩١/٩٠ .

أما قطاع الصناعة كان نصيبه من إجمالى الاستثمارات ٢٧٪ خلال الخطة الخمسية الأولى ، ٢٢٪ خلال الفترة ٨٣/٨٢ — ٨٧/٨٦ ، ٢٣,٩٪ خلال السنوات ٨٨/٨٧ — ٩١/٩٠[٦] .

ولا يرجع الانخفاض النسبى لنصيب قطاع الزراعة من العمالة إلى نمو القطاعات السلعية الأخرى غير الزراعية وخاصة الصناعة ، فبالنسبة لقطاع الصناعة فإن نصيبه من قوة العمل ٩,٥٪ فى عام ١٩٦٠ ثم ارتفع إلى ١٢,٧٪ عام ٨٤/٨٣ ثم إلى ١٤,٣ فقط عام ٨٨/٨٧ ولا شك أنها نسبة منخفضة ، وخاصة إذا أخذنا فى الاعتبار أن هذا القطاع قد استوعب ٢٣٪ من الاستثمارات القومية خلال الفترة ٨٣/٨٢ — ٨٧/٨٦[٧] .

ولا شك أن هذا التناقض بين النصيب النسبى لقطاع الصناعة فى كل من الاستثمارات والعمالة ، يرجع إلى الاتجاه فى استخدام فنون إنتاجية كثيف رأس المال ، وإلى توجيه جزء كبير من الاستثمارات الصناعية لأعمال الإحلال والتجديد . هذا مع ملاحظة أن نسبة ١٤,٣٪ من قوة العمل تشمل العمالة بالقطاع العام والتى لا يعنى توظيفها خلق فرص عمل منتجة بالفعل[٨] .

ومن ناحية أخرى تمتع قطاع الخدمات وخاصة قطاع النقل والمواصلات وقناة السويس بمعدلات مرتفعة من الاستثمارات ؛ ففى الفترة ٨٣/٨٢ — ٨٧/٨٦ بلغت نسبة الاستثمارات فى هذا القطاع ٢٢,٩٪[٩] ولم يحقق زيادة مماثلة من فرص العمل لا تتعدى حوالى ٥٪ من إجمالى قوة العمل[١٠] وذلك لاعتماد هذا القطاع على أساليب ذات كثافة رأسمالية مرتفعة مما أدى الى محدودية فرص العمل بها .

٥ — سياسة تشجيع القطاع الخاص على ايجاد فرص عمل كافية لاستيعاب الأعداد المتزايدة من الداخلين فى سوق العمل ، فلم تتجاوز فرص العمل التى تقيمها المشروعات التى تمت الموافقة عليها من جانب الهيئة العامة للاستثمار والمناطق الحره ( ٢٢٥ ) ألف فرصة عمل حتى ١٩٩١[١١] .

٦ — **سياسة التسعير** : تميز هيكل الأسعار ( أسعار عناصر الإنتاج وأسعار السلع وأسعار الصرف وأسعار الفائدة ) فى الاقتصاد المصرى بشيوع العديد من الاختلافات ؛ بحيث أصبحت تلك الأسعار لا تعكس القدرة الحقيقية لتلك الموارد . وكان من نتيجة ما تقدم أن ساد الاقتصاد نمط غير رشيد لاستخدام الموارد المحلية المتاحة .. وهو ما أدى إلى سوء استغلال الموارد البشرية وظهور البطالة[١٢] .

---

٦ — المرجع السابق ذكره ، ص ٧٣٤ .

٧ — البنك الأهلى المصرى ، النشرة الاقتصادية ، العدد الأول والثانى ، المجلد الواحد والأربعون ، ١٩٨٨ ، ص ٩٢ .

٨ — د. سميحة السيد فوزى ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٠٦٠ .

٩ — البنك المركزى المصرى ، مرجع سبق ذكره ، ص ٧٣٤ .

١٠ — البنك الأهلى المصرى ، مرجع سبق ذكره ، ص ١١٧ .

١١ — الهيئة العامة للاستثمار ، قطاع البحوث والعمليات .

١٢ — د. سميحة السيد فوزى ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٠٥٨ .

وفيما يلى نعرض بعض الاختلافات فى هيكل الأسعار والتى دفعت إلى تزايد البطالة[١٣] :

( ا ) تحيز الأسعار ضد الفنون الانتاجية كثيفة العمل من خلال تقدير رأس المال بأقل من قيمته فنتيجة لأسعار الصرف المغالى فيها ، ولانخفاض سعر الفائدة النقدى ، مع معدلات التضخم أصبح سعر الفائدة الحقيقى سالبا ، وتحيزت الأسعار النسبية لرأس المال والعمل فى صالح الأول وضد الثانى ، مما دفع بدوره إلى تحيز الإنتاج نحو الفنون الإنتاجية كثيفة رأس المال .

(ب) تحيز هيكل الأسعار ضد القطاع الزراعى نتيجة لانخفاض أسعار السلع الزراعية بالمقارنة مع أسعار السلع الصناعية ، وقد أدى إلى ضعف معدلات نمو الإنتاج الزراعى وضعف قدرته على استيعاب العماله .

(جـ) اختلال هيكل أسعار مدخلات ومخرجات وحدات القطاع العام بما أثر على مستوى أداء هذا القطاع وأضعف قدرته على خلق فرص عمل .

## ثانيا : المنهج الإسلامى لمعالجة مشكلة البطالة :

وضع الإسلام العديد من القواعد لمعالجة مشكلة البطالة ، ونتعرض هنا لأهم هذه القواعد ، وندرس إمكانية الاستفادة منها فى وضع السياسات الاقتصادية فى مصر :ـ

### ١ ـ الزكاة ودورها فى معالجة مشكلة البطالة :

الزكاة ركن من أركان الإسلام الخمسة وفريضة مؤكدة بالقرآن والسنة والإجماع ، وقد جعلها الله شرطا لسلامة العقيدة الإسلامية ، وبالتالى فهى عبادة أو حق تعبدى . وقد وردت الزكاة فى آيات عديدة فى القرآن الكريم والسنة فقال تعالى فى كتابه العزيز « خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا »[١٤] وقال تعالى « إنما الصدقات للفقراء والمساكين »[١٥] كما ذكر الله من صفات المؤمنين أداء الزكاة فى قوله تعالى « وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ »[١٦] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول « ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدى منها حقها . إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمى عليها فى نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره ،كلما بردت أعيدت له فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار »[١٧] .

« وعندما توفى رسول الله ﷺ استخلف أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ وكفر من كفر من العرب فقال عمر ـ رضى الله عنه ـ وكيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ـ ﷺ ـ « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فمن قالها فقد عصم منى ماله ونفسه إلا بحقها وحسابه على الله » فقال : والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، والله لو منعونى عقال بعير كانوا يؤدونها إلى رسول الله ـ ﷺ ـ لقاتلتهم

١٣ ـ المرجع السابق ذكره ، ص ١٠٥٨ .

١٤ ـ سورة التوبة آية ١٠٣ .

١٥ ـ سورة التوبة آية ٦٠ .

١٦ ـ سورة المؤمنون آية ٤ .

• صفحت له صفائح : جمع صفيحة وهى العريضة من حديد .

١٧ ـ صحيح مسلم ، بشرح النووى الجزء ٣ ، ص ١٧ .

على منعها ، فقال عمر - رضى الله عنه - : فوالله ما هو إلا أن قد شرح الله صدر أبى بكر - رضى الله عنه - فعرفت أنه الحق »[١٨] .

وتؤدى الزكاة دورا مهما وأساسيا فى علاج مشكلة البطالة وذلك للاعتبارات الآتية :

١ - إن سياسات معالجة مشكلة البطالة فى الاقتصاد الوضعى تتمثل فى المقام الأول فى ضرورة توفير الاستثمارات اللازمة لإقامة المشروعات والزكاة تعتبر مصدرا أساسيا للتمويل فى الاقتصاد الإسلامى وذلك عن طريق توجيه جزء من حصيلة الزكاة إلى إقامة المشروعات الاستثمارية التى يحتاج إليها الفقراء والمساكين ، وإلى تشغيلهم فيها وتمكينهم إياها ، كما يجوز استخدام جزء منها فى شراء أدوات الإنتاج وتمليكها لصغار العمال الذين يستحقون الزكاة .

وفى هذا المعنى يقول جمهور الشافعية « فإذا كانت عادته الاحتراف أعطى ما يشترى به حرفته ، أو آلات حرفته قلت قيمة ذلك أم كثرت ، ويكون قدره بحيث يحصل له من ربحه ما يفى بكفايته غالبا تقريبا ويختلف ذلك باختلاف الحرف والبلاد والأزمان والأشخاص ، فمن يبيع البقل يعطى خمسة دراهم أو عشرة ، ومن حرفته بيع الجوهر يعطى عشرة آلاف درهم مثلا ، ومن كان خياطاً أو نجارا أو قصابا ، أو غيرهم من أهل الصنائع ؛ أعطى ما يشترى به من الآلات التى تصلح لمثله ، وإذا كان من أهل الضياع ( المزارع ) يعطى ما يشترى به ضيعة أو حصة من ضيعة تكفيه غلتها على الدوام »[١٩] .

وهذا يبرز دور الزكاة كممول رئيسى يمكن أن يسهم بدور رائد فى حل مشكلة البطالة .

٢ - تدفع فريضة الزكاة بالمسلم إلى ضرورة استثمار أمواله فى مشروعات إنتاجية ، حتى يستطيع دفع الزكاة من ربح الاستثمار بدلا من أن يدفعها من رأس المال نفسه . وهذا يفتح مجالا للتشغيل وإيجاد فرص عمل جديدة فلقد فرضت الشريعة الإسلامية الزكاة على المال النامى أو القابل للنماء ، وهذا يحرك صاحبه على استثماره خشية أن تأكله الزكاة ، ولقد أكدت الشريعة الإسلامية على ذلك .

٣ - الزكاة لها أثر واضح فى إعادة توزيع الدخل وتقليل حدة التفاوت فى الدخول وذلك عن طريق :-

أخذ نسبة معينة من صافى الثروة والدخل وتعطى للفقراء المعدمين ، وهو أمر يجعل أموال الأغنياء تنقص بمقدار إضافة هذه النسبة إلى أموال الفقراء فتنتقص من هؤلاء بمقدار ما تزيد من أولئك . وإعادة توزيع الدخل له دور هام فى خلق سوق واسعة شديدة الاستيعاب ؛ ذلك لأن حصول الفئات التى تعجز عن توفير كفايتها لأسباب قهرية - على هذه الكفاية من أموال الأغنياء يعنى ارتفاع الميل الحدى للاستهلاك إلى درجة كبيرة لدى هذه الفئات كالفقراء والمساكين ، بينما لا يؤدى قضاء فريضة الزكاة إلى تخفيض الميل للاستهلاك لدى الأغنياء ، وذلك

١٨ - صحيح البخارى ، الجزء الأول ، دار القلم ، بيروت ، ص ٩٥٤ .

١٩ - المجموع شرح المهذب ج ٦ ، ص ١٩٣ نقلا من أحمد يوسف « أحكام الزكاة وأثرها المالى والاقتصادى » دار الثقافة ١٩٩١ ، ص ١٤٤ .

خاصة بالنسبة للسلع الأساسية والضروريات وكذلك الحاجيات[20] فتكون المحصلة النهائية هى اتساع السوق بطريقة مستمرة وتوجيه الاستثمار إلى إنتاج سلع الفقراء والأغنياء معا .. وهذا من شأنه إيجاد فرص عمل تتزايد تلقائيا بزيادة حصيلة الزكاة .

٤ ـ إن دور الزكاة فى حل مشكلة البطالة لا يتوقف على الإنفاق ـ لمرة واحدة ـ على الاستثمار والإنتاج ، وإنما تطبيقا لنظرية « المضاعف » التى تربط بين الدخل الكلى ومعدل الاستثمار فإنفاق حصيلة الزكاة فى المجتمع ودفع الأموال العاطلة إلى الميدان الاقتصادى والاستثمارات ؛ من شأنه أن يحدث إنماءً متزايداً فى الدخل القومى الكلى وبالتالى فى الاستثمار ، وهذا من شأنه أن يوسع من فرص العمل . وهذا ما يوضحه القرآن الكريم فى قوله تعالى « مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ »[21] .

فالله يضاعف أموال المنفقين فى سبيل الله ، وهى عملية حسابية تظهر أثر « مضاعف » الزكاة . فإخراج واجب الزكاة يترتب عليه زيادات مضاعفة فى مستوى النشاط الاقتصادى بمعدلات تتراوح بين ٢,٥٪ ، ٥٪ ، أو ١٠٪ من قيمة الإخراج الأولى لمقادير الزكاة المقررة على مختلف أنواع الأموال[22] .

٥ ـ كما أجاز الفقهاء كذلك أن تدفع من حصيلة الزكاة لرجال الأعمال الذين ركبتهم الديون ولا يقدرون على الوفاء بها بسبب الكوارث والمصائب والأزمات .. حتى يعودوا مرة أخرى إلى النشاط الاقتصادى ويساهموا فى توظيف العاملين بدلا من تشريد من كانوا يعملون معهم من قبل ، وفى هذا الخصوص يقول رسول الله ﷺ « إن المسألة لا تحل إلا لثلاثة من بينهم : رجل أصابته جائحة اجتاحت ماله فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش » فإذا مساعدة من يوشكون على الإفلاس من مال الزكاة يمنع وقوع الأزمات الاقتصادية وتجنب المجتمع وقوع كارثة البطالة[23] .

**٢ ـ دور تشريع الميراث فى معالجة مشكلة البطالة :**

فلو كانت ملكية الإنسان موقوتة بحياته ، وتنتهى بانتهائها ، ولا تنتقل بوفاته إلى أقرب الناس إليه وأحبهم لديه ، ومن يعدهم جزءا منه ويعد حياته استمرارا لحياتهم ؛ لما وجد عنده الحافز على الاحتفاظ بأمواله والعمل فى تنميتها والاستزادة منها ، ولذا كان انتقال المال بالوراثة إلى الورثة أمرا تفرضه النظم الاقتصادية والاجتماعية[24] .

فلولا تشريع الميراث لما كان هناك الباعث والدافع إلى السعى والعمل ، ولاكتفى الإنسان بما يقيم حياته من المال ، دون أن يكون له تطلع إلى المزيد منه ، وهذا بلا شك مدعاة إلى الكسل

---

٢٠ ـ د. نعمت مشهور ، الزكاة وتمويل التنمية ، ندوة إسهام الفكر الاسلامى فى الاقتصاد المعاصر ، مركز صالح كامل ، جامعة الأزهر ، سبتمبر ١٩٨٨ ، ص ١٦ .

٢١ ـ سورة البقرة ، آية ٢٦١ .

٢٢ ـ د. نعمت مشهور ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٩ .

٢٣ ـ د. حسين حسين شحاته ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٥ .

٢٤ ـ على الخفيف : « الملكية فى الشريعة الإسلامية مع مقارنتها بالقوانين الوضعية » معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٦٨ ، ص ٢٥٦ .

والتراخى ، ومؤد إلى أن تسير عجلة الإنتاج فى المجتمع ببطء مما يترتب عليه تدهور الأمة وتخلفها[٢٥] .

إن الإنسان حريص أشد الحرص على أن يمسك شيئا لأهله من بعده ، ينتفعون به ويعيشون منه ، وهذا دافع على العمل ، حتى إن بعض الدول التى ألغت نظام الميراث بعد أن قضت على نظام الملكية فى حياتها الاقتصادية ؛ اضطرت إلى أن تعيد هذا النظام ، وأن تنتفع به كدافع قوى من دوافع العمل ، وكغذاء معنوى يغذى الناس بمشاعر الإخلاص فى العمل الذى تعود ثمرته إليهم ، وإلى من بعدهم من ذوى قرباهم[٢٦]

وإلى جانب كون الميراث دافع وحافز على العمل ، فإن له آثار اقتصادية أخرى بعيدة المدى ، فهو يؤدى إلى تفتيت الثروة ، ويكفل توزيعها بين الأفراد ، بحيث لا تتركز فى يد فرد واحد ، وإنما يوسع من دائرة الملكية ، ويحول دون أن تتضخم الثروة وتتجمع فى أيدى فئة قليلة ومحدودة من أفراد المجتمع .

**٣ ـ الاهتمام بالجوانب الإيمانية والأخلاقية والفنية للعامل :**

إن الاهتمام بالجوانب الإيمانية والأخلاقية للعامل سوف تجعله يضع نصب عينيه أن العمل عبادة كما فرضه الله علينا ، فسوف يعمل بكل جد حتى ينال ثواب هذه العبادة .

ومن ناحية أخرى : أن وجود مثل هذا العامل سيساهم فى تنمية المجتمع وزيادة الإنتاج والإنتاجية والربحية . وهذا بدوره يمكن المنشأة التى يعمل فيها من استيعاب عدد آخر من العمالة .

وتشمل الجوانب الإيمانية : الإيمان والخوف من الله والرقابة الذاتية وشعور العامل بالمسئولية تجاه عمله فى الدنيا والآخرة فيقول الله تعالى : « وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ »[٢٧] ويقول : «قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ »[٢٨]

أما الجوانب الأخلاقية فتشمل الصدق والأمانة والمسئولية وإحسان العمل ، فيقول الحق ـ تبارك وتعالى : « وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ »[٢٩] ويقول الرسول ـ ﷺ ـ إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه ويحسنه »[٣٠] .

وقـــد حث الإسلام على ضرورة الاهتمام بالنواحى الفنية ورفع كفاءة العامل وزيادة مهارته وفرض على ولى الأمر مسئولية توفير فرص العمل وتهيئة وإعداد وتدريب العاملين وأساس ذلك حديث رسول الله ـ ﷺ ـ أنـــه قال : **ألا كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته** فالأمير الذى على الناس راع وهو مسئول عن رعيته والرجل راع على أهل بيته ، وهو مسئول عنهم والمرأة راعية على بيت بعلها وولده ، وهى مسئولة عنهم ، والعبد راع على مال سيده ، وهو

---

٢٥ ـ سعيد ابو الفتوح بسيونى « الحرية الاقتصادية فى الاسلام وأثرها فى التنمية » دار الوفاء المنصورة ١٩٨٨ ، ص ٢٩٥ .

٢٦ ـ عيسوى أحمد عيسوى ، « أحكام المواريث فى الشريعة الاسلامية » القاهرة ص ١٥ ـ ١٦ .

٢٧ ـ سورة التوبة آية ١٠٥ .

٢٨ ـ سورة التغابن آية ٧ .

٢٩ ـ سورة النحل آية ٩٣ .

٣٠ ـ رواه البخارى .

مسئول عنه ألا فكلكم راع . وكلكم مسئول عن رعيته[٣١] .

إن الاهتمام بالجوانب الإيمانية والأخلاقية والفنية للعامل سيجعله منتجا ومصدر خير لغيره من العاملين ، ومن خلال مسئولية ولى الأمر عن إيجاد فرص العمل وتهيئة وإعداد وتدريب العاملين لا يكون عاطلا فى المجتمع .

**٤ ـ تشجيع هجرة من ضاقت بهم فرص العمل :**

إن الإسلام لا يعترف بالحدود السياسية التى تفصل بين الدول الإسلامية بعضا عن بعض وأساس ذلك قول الله ـ تبارك وتعالى : «إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ»[٣٢] بل إن هذه الرابطة أقوى من رابطة الدم والرابطة الجغرافية ، فالمسلم فى أى مكان هو أخو المسلم ويؤكد الله ـ عز وجل ـ على ذلك فيقول : « إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ »[٣٣] كما أن الأرض جميعها هى أرض الله ، وهى واسعة رحبة لا يتحدد خيرها بمكان واحد ، ولذلك فلا حجة للمستضعفين فى الأرض فى بقائهم فى مسقط رأسهم ولا حجة لمن ضاقت بهم فرص العمل ـ فى موطنه الأصلى أو غيره ـ فى أن يبقى على ما هو فيه من ضيق ، ولذلك حث الإسلام على الهجرة ، وإيثار الكرامة وسعة الرزق على الذل وضيق الحياة بين الأهل والعشيرة[٣٤] ولعل هذا يتأكد من الآية الكريمة « إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا »[٣٥] .

وقد ورد فى تفسير هذه الآية أن ضعف النفس وحرصها وشحها ، يخيل إليها أن وسائل الحياة والرزق مرهونة بأرض ، ومقيدة بظروف ، مرتبطة بملابسات لو فارقتها لم تجد للحياة سبيلا .

وهذا التصور الخاطىء لحقيقة أسباب الرزق والمعيشة ، هو الذى يجعل النفوس تقبل الذل والضيم ، ثم تتعرض لذلك المصير البائس . مصير الذين تتوفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم ، والله يقرر الحقيقة الموعودة لمن يهاجر فى سبيل الله ، إنه سيجد فى أرض الله منطلقا جديدا وسعة ، حيث يقول جل شأنه « وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً »[٣٦] .

وقال ابن عباس : السعة هى الرزق ، ومعناها الانتقال من العيلة إلى الغنى .[٣٧] ويقول الرسول ـ ﷺ ـ « **سافروا تستغنوا** »[٣٨] وعلى هذا فإن الإسلام قد نادى بالسفر والتغرب عن الأوطان لطلب المعيشة من أجل القضاء على البطالة ، والسعى بحثا عن العمل لما فيه خير المسلمين .

---

٣١ ـ صحيح مسلم ، الجزء الثالث ص ١٤٥٩ .

٣٢ ـ سورة الأنبياء آية ٩٢ .

٣٣ ـ سورة الحجرات آية ١٠ .

٣٤ ـ مؤسسة إقرأ الخيرية ، بحوث ودراسات إسلامية ، دار الضياء ، ١٩٩٢ ، ص ٢٥٦ .

٣٥ ـ سورة النساء آية ٩٧ .

٣٦ ـ سورة النساء آية ١٠٠ .

٣٧ ـ القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، الهيئة المصرية العامة للكتاب جزء ٥ ، ص ٣٤٨ .

٣٨ ـ رواه الطبرانى فى الأوسط .

**٥ ـ الالتزام بالقواعد الإسلامية فى توجيه المشروعات الإنتاجية حسب الأولويات الإسلامية :**

إن الالتزام بالقواعد الإسلامية فى توجيه الاستثمارات ـ نحو إشباع جميع الحاجات الأساسية للسكان من مأكل ومشرب وملبس ومسكن هو : الاستثمار فى القطاعات الأساسية ـ يؤدى إلى توسيع فرص العمل والتغلب على مشكلة البطالة .

ويستدل من أحاديث الرسول ـ ﷺ ـ على ضرورة إشباع الحاجات الأساسية للمسلم فعن عثمان بن عفان رضى الله عنه **أن النبى ـ ﷺ ـ قال ليس لابن آدم حق فى سوى هذه الخصال : بيت يكنه وثوب يوارى عورته وجلف الخبز والماء**[٣٩] .

ويرى ابن خلدون ضرورة الاهتمام بالزراعة وإعطائها الأولوية فى الاستثمار فيقول « إن الزراعة هى معاش المستضعفين » استنادا على حديث الرسول ـ ﷺ ـ « **ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له بها صدقة** » ( رواه البخارى عن أنس رضى الله عنه )[٤٠] .

والإسلام يدعو أيضا إلى الاستثمار فى قطاع الصناعة فنجد فى القرآن الكريم آيات تدل على أن الصناعة لها دور حيوى تقوم به فى إعمار الأرض .

ومن هذه الآيات « فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا »[٤١] وفيها إشارة واضحة إلى تعليم صناعة السفن ، وقوله ـ تعالى ـ فى سورة سبأ « وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ »[٤٢] وفى هذه الآية إشارة إلى صناعة الحديد على يد نبى الله داود ـ عليه السلام .

وفى قوله تعالى

« وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ »[٤٣] .

وفيها إشارة إلى صناعة المبانى والصناعات القائمة على الجلود والملابس وصناعة الدروع للحرب .

**٦ ـ إلزام صاحب رأس المال باستثمار ماله وتنميته فى المجالات المشروعة :**

ألزم الإسلام صاحب رأس المال بالعمل على استثمار ماله وتنميته فى المجالات المشروعة إذ أن فى تعطيله إضراراً بمصلحة المجتمع ، وتطبيقا لهذا التكليف نجد أن الفقهاء يشترطون على واضع اليد على الأرض الموات أن يعمل فيها لإحيائها ، وقيدوا

---

٣٩ ـ نقلا من د. عبد الرحمن يسرى ، الأولويات الأساسية فى المنهج الاسلامى للتنمية الاقتصادية والتقدم الاجتماعى ، المركز العالمى لأبحاث الاقتصاد الاسلامى ، جامعة الملك عبدالعزيز ، جدة ١٩٨٢ ، ص ٥٦ .

٤٠ ـ د. عبدالرحمن يسرى ، مساهمة ابن خلدون فى الفكر الاقتصادى ، مجلة كلية التجارة ، جامعة الاسكندرية العدد الثانى السنة ١٥ ، ١٩٧٨ ، ص ٥٩ ـ ٦٠

٤١ ـ سورة المؤمنون آية ٢٧ .

٤٢ ـ سورة سبأ آية ١٠ .

٤٣ ـ سورة النحل آية ٨٠ ، ٨١ .

تلك الحيازة بوجوب العمل[٤٤] وبدونه لا تحقق ملكية واضع اليد على تلك الأرض وذلك أخذا من قول رسول الله — ﷺ — « **ليس لمحتجز حق بعد ثلاث سنين** »[٤٥] .

وقد ظهر تطبيق هذا المبدأ جليا فى عهد عمر ابن الخطاب — رضى الله عنه — فقد روى عن سالم بن عبد الله أن عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — قال وهو على المنبر « من أحيا أرضا ميتة فهى له ، وليس لمحتجز حق بعد ثلاث سنين »[٤٦] وهذا هو العدل الواجب ، أن الأرض لمن أحياها لا لمن احتجزها ثم عجز عن عمارتها[٤٧] .

ويبدو هذا الأمر واضحا فى واقعة بلال بن الحارث المزنى ، فقد أقطعه رسول الله — ﷺ — ما بين البحر والصخر ولم يستطع أن يحيى كل ذلك ، فلما كان زمن عمر بن الخطاب قال له : أنت لا تطيق ما فى يدك ، فقال : أجل فقال : فانظر ما قويت عليه منها فأمسكه ، وما لم تطق فادفعه إلينا نقسمه بين المسلمين ، فقال لا أفعل والله شيئا أقطعنيه رسول الله فقال عمر : والله لتفعلن ، فأخذ منه ما عجز عن عمارته فقسمه بين المسلمين[٤٨] .

وقد حث الإسلام على الإتجار فى أموال اليتامى ، فالرسول — ﷺ — يأمر الأوصياء باستثمار أموال اليتامى حتى لا تأكلها الزكاة فقال رسول الله — ﷺ — « **من ولى يتيما له مال فليتجر له ولا يتركه حتى تأكله صدقة** »[٤٩]

وعن يحيى بن مالك أنه بلغه أن عمر بن الخطاب قال « اتجروا فى أموال اليتامى لا تأكلها الزكاة » وعن مالك أنه بلغه أن عائشة — رضى الله عنها — زوج النبى ﷺ كانت تعطى أموال اليتامى الذين فى حجرها من يتجر لهم فيها[٥٠]

وحكمه إلزام صاحب رأس المال باستثمار أمواله حتى يعود بالنفع على الفرد والمجتمع معا . فمن ناحية الفرد يؤدى إلى زيادة العائد من الاستثمار وبالتالى زيادة دخله ، أما من ناحية المجتمع يولد فرص عمل جديدة أمام العمالة المتعطلة فى المجتمع وهذا أسلوب عظيم لمحاربة البطالة .

## الخلاصـــــة :

يتضح من هذا المبحث أن مصر اتبعت لمواجهة مشكلة البطالة سياسات عدة منها : السياسة السكانية ، وسياسة تشغيل الخريجيين ، وحجم ونمط تخصيص الاستثمارات بين القطاعات الاقتصادية المختلفة ، وسياسة التسعير ، وسياسة تشجيع القطاع الخاص ، ومن ناحية أخرى يتضح أيضا لنا السياسات التى أقرها الإسلام لمعالجة مشكلة البطالة وأهمها : الزكاة والميراث ، وقد تقدم دورهما فى معالجة هذه المشكلة ، فضلا عن الاهتمام

٤٤ — علاء الدين الكاسانى ، « بدائع الصنائع فى ترتيب الشرائع » ج ٦ مطبعة الامام القاهرة ص ١٩٢ .

٤٥ — محمد عبد الله العربى ، « الملكية الخاصة وحدودها فى الاسلام » المؤتمر الأول لمجمع البحوث الاسلامية ١٣٩١ ، ١٩٧١ ، ص ٨٣ .

٤٦ — أبو يوسف الخراج ، تحقيق د. محمد ابراهيم البنا دار الاعتصام ص ٧١ .

٤٧ — الإمام الحجة ابن عبيدة القاسم بن سلامى : الأموال ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ١٩٨٦ ، ص ٣٠٢ .

٤٨ — الخراج : ليحيى بن آدم القرشى ، نقلا من سعيد أبو الفتوح ، مرجع سبق ذكره ، ص ١١٨ .

٤٩ — الترمــذى .

٥٠ — الإمام مالك بن أنس ، الموطأ ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ص ٢٠٢ .

بالجوانب الإيمانية والأخلاقية والفنية للعامل وتشجيع هجرة العمال ، والالتزام بالقواعد الإسلامية فى توجيه المشروعات الإنتاجية حسب الأولويات الإسلامية ، وكذلك إلزام صاحب رأس المال باستثمار ماله وتنميته فى المجالات المشروعة

النتائج العامة للبحث

ناقش هذا البحث تقييم سياسات معالجة مشكلة البطالة فى مصر مع عرض المنهج الإسلامى وسياساته المختلفة فى علاج هذه المشكلة ولقد خلصت الباحثة إلى عدة نتائج من أهمها ما يلى :ـ

١ ـ لقد بذلت جهود فى مصر لمعالجة مشكلة البطالة ووضعت لهذا الأمر مجموعة من السياسات إلا أنها لم تحقق المقاصد المنشودة منها على الوجه المرجو وهذا يتطلب إعادة النظر فيها .

٢ ـ تبين أن السياسات المتبعة حاليا لعلاج مشكلة البطالة فى مصر تختلف إلى حد كبير عن المنهج الاقتصادى الإسلامى وسياساته فى علاج نفس المشكلة وهذا يرجع إلى العديد من الأسباب منها اختلاف طبيعة ونوع البطالة الآن وكذلك اختلاف المنهج والسياسات الإسلامية عن ما هو مطبق بمصر فى هذا المجال .

٣ ـ لقد ركزت الدولة فى علاج مشكلة البطالة على السياسات السكانية ، وأنفق عليها العديد من الأموال ، ولكن الجدوى الاقتصادية لهذه السياسات ضعيفة أو غير مؤثرة وهذا قد يرجع الى مجموعة القيم الإيمانية ( المعتقدات الدينية ) لبعض المصريين أو نشل تنفيذ هذه السياسات ، وهذا يتطلب من الدولة إعادة النظر فى هذه السياسات وتعديل توجهاتها فى ضوء قواعد الشريعة الإسلامية .

٤ ـ إن إعداد العامل وتدريبه يعتبر من سياسات معالجة مشكلة البطالة سواء ظل الاقتصاد الوضعى أو الإسلامى ، ولكن فى منهج الاقتصاد الإسلامى يتم التركيز على الجوانب الإيمانية والأخلاقية والسلوكية بجانب الجوانب الفنية ، بينما يركز المنهج الوضعى على الجوانب الفنية فقط ، ولقد ظهر اتجاه حديث نحو الاهتمام بالجوانب الأخلاقية فى الاقتصاد الوضعى .

٥ ـ يحث المنهج الاقتصادى الإسلامى على توجيه الاستثمارات نحو مشروعات الضروريات والحاجيات ، حيث هى التى تستوعب أكبر عدد من العاملين ، وهناك من الاقتصاديين الوضعيين من يؤيد هذا المنهج ، مثل التركيز على الزراعة والصناعة وتجنب المشروعات التحسينية والترفيهية التى تفيد الطبقة الغنية فقط .

٦ ـ يحث الإسلام المسلمين على الهجرة إلى أماكن العمل واعتبار ذلك نوعا من أنواع السعى لطلب الرزق فى سبيل الله ، وهذا يتطلب من الدولة إعادة النظر فى تبسيط إجراءات الهجرة ولاسيما مع الدول العربية والإسلامية .

٧ ـ لقد أدت سياسة التسعير فى ظل الاقتصاد الوضعى إلى حدوث كثير من الاختلالات التى دفعت إلى تزايد البطالة ، حيث إن تدخل الدولة بدون مبرر فى التسعير أدى إلى خروج كثير من المشروعات من جملة النشاط بسبب الخسارة أما فى الاقتصاد الإسلامى فقد منح الإسلام الحرية الفردية للنشاط الاقتصادى ، ولا يجوز للدولة أن تتدخل فى التسعير إلا إذا تبين أن الأفراد لم يلتزموا بالقيم الإسلامية ، وانحرفوا عن المعايير الإسلامية التى تحكم المعاملات فى ظل سوق إسلامية خالية من

الاحتكار والغش والغرر والجهالة والبيوع غير المشروعة .

٨ ـ وضع الإسلام العديد من الضوابط الشرعية لمعالجة المشكلة ، مثل تحريم النظام الربوى القائم على الفائدة حيث تبين من الدراسة والتحليل أن الفائدة من الأسباب الأساسية لمشكلة البطالة فى المجتمع . كما حرم الإسلام حبس المال بأى صورة من الصور عن الانطلاق نحو الاستثمارات لأنه يعوق إنشاء المشروعات التى تمتص فائض العمالة فى المجتمع ولقد اعتبر فقهاء الاقتصاد الإسلامى أن المال مخلوق له وظيفة هى : التداول وجلب الأرزاق للناس ، ويعتبر تقييده عن أداء هذه الوظيفة إثماً كبيراً .

٩ ـ تساهم الزكاة بدور كبير فى الحث على الاستثمار والإنتاج وإيجاد فرص عمل للأفراد وذلك على النحو التالى :ـ

( ا ) تحويل أموال الزكاة من الأغنياء إلى الفقراء يؤدى إلى زيادة القوة الشرائية وتوفير السيولة للتمويل ، وبالتالى زيادة الرواج ، وما يستتبع ذلك من زيادة المشروعات ـ التى تهم الفقراء والمساكين ـ التى تستوعب عددا كبيرا من العاملين .

(ب) أجاز فقهاء المسلمين تخصيص جزء من حصيلة الزكاة لشراء أدوات الإنتاج للمهن والحرف المختلفة وتمليكها للفقراء والمساكين القادرين على العمل ولكنهم لا يجدون وسائل وأدوات الإنتاج .

(جـ) يمكن أن ندفع جزء من حصيلة الزكاة لرجال الأعمال الذين يواجهون كوارث أو مصائب أو أزمات حتى يعودوا مرة أخرى إلى النشاط الاقتصادى ويساهموا فى توظيف العاملين .

( د ) لا يتوقف أثر الزكاة على الإنفاق مرة واحدة وإنما لعدة مرات وفقا لنظرية المضاعف ، وهذا بدوره يساهم فى التنمية الاجتماعية والاقتصادية وإغناء المجتمع ، وهذا ما حدث فى عهد عمر بن عبد العزيز عندما لم يجدوا من يستحق الزكاة من الفقراء والمساكين .

(هـ) تدفع فريضة الزكاة صاحبها إلى ضرورة استثمار أمواله فى مشروعات إنتاجية حتى يستطيع دفع الزكاة من النماء ، بدلا من أن يدفعها من رأس المال نفسه ، وبذلك فإن الزكاة تحافظ على القوة الإنتاجية لرأس المال .

١٠ ـ يساهم نظام الميراث ـــ فى الإسلام ـــ فى علاج مشكلة البطالة ، فى كونه يحفز على العمل ويبعث على النشاط ، ويؤدى إلى دفع عجلة الإنتاج إلى الأمام فضلا عن أنه يؤدى إلى تفتيت الثروة ويكفل توزيعها بين الناس توزيعا عادلا ويعمل على تذويب الفوارق بين الطبقات .

## التوصيات

فى ضوء ما ورد بهذا البحث من دراسة ، وما أسفر عنها من نتائج يمكن أن نوصى بالعودة إلى الشريعة الإسلامية السمحاء وكتاب الله ـ تعالى ـ لعلاج مشكلة البطالة والتخفيف من حدتها ، فكما رأينا فى ضوء ما تقدم أن هذه المشكلة يمكن أن تعالج بمشروعية الزكاة التى تأخذ من الغنى للفقير ( حقا معلوما ) والحث على العمل والنهى عن كنز المال وحبسه عن الاستثمار والإنتاج وتحرير المشروعات من نظام الربا لأنه من أهم أسباب مشكلة البطالة .

# أزمة الحضارة العالمية والبديل الإسلامى

د. عبدالله نجيب محمد

**ما من فكرة حضارية ارتكزت عليها الثقافة الغربية ، إلا ونجد لها نظيرا من الثقافة الإسلامية ، يسمو عليها ، ويتفوق فى أصوله ومقاصده ، ولقد ادعى الغرب طويلا أن « الديمقراطية » من ابتكاره ومن صميم أفكار ، لم يسبقه إليها شعب من شعوب الأرض ، ولم يمارسها قبله مجتمع من المجتمعات ، وهذا الادعاء مردود عليه ؛ فالواقع يدل على أن مجتمعات كثيرة فى آسيا وإفريقية . قد مارست « الديمقراطية » فى أحلى صورها ، وأرق معانيها .**

وإذا كانت الديمقراطية تعنى فى أصولها ، وحدة القانون بالنسبة للأفراد والمجتمعات ، ومساواة الأفراد والجماعات أمام القانون دون تمييز من أى نوع ، فإن الغرب بعيد كل البعد عن ممارسة الديمقراطية بهذا المفهوم ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى نرى أن الديمقراطية الغربية تقوم على مبدأ استغلال الشعوب فى العالم الثالث ، وتعكس توارثات مصلحية لفئات أو طبقات معينة من الشعب الواحد ، تسمح لبعض الطبقات أن تفرض إرادتها ومصلحتها الخاصة على مصالح الطبقات الأخرى ، وتوجيه الأمور السياسية لصالحها ، ولا ينكر الغربيون أنفسهم هذه

الحقيقة ، وإنما الذى يؤخر ظهور التناقضات بين الطبقات المستقلة وغيرها ، هو استمرار الغرب فى استنزاف واستغلال شعوب العالم الثالث ، وتخصيص جزء من محصلة هذا الاستغلال لصالح الطبقات الفقيرة ، ولو حُرم الغرب من مصادرة الاستغلالية ، فسرعان ما تظهر هذه التناقضات داخل شعوب الغرب نفسه .

إن تطبيق الديمقراطية بهذا المفهوم القائم على الاستغلال ومصالح الطبقات ذات النفوذ ، يحمل مخاطر جسيمة على مستقبل الإنسانية عامة ، ولن تنجو من مخاطره شعوب الغرب نفسها ، تلك التى عجزت عن دفع القيادات ذات الفكر المتسامى القائم على العدل إلى مراكز السلطة والتوجيه ، ومن ثم تتحكم الطبقة الجشعة المستغلة فى مصائر شعوبها ، ومصير الحضارة الإنسانية نفسها . وتوالى صنع طبقات مماثلة فى العالم الثالث ، تتعامل معها على أسلوبها ، فتستغل شعوبها ، وتشاركها السيطرة على مصير العالم .

ولقد كان انهيار الامبراطورية السوفيتية ومعها الماركسية حتمية تاريخية ؛ لأنها من جهة فشلت فى تزويد الإنسان باحتياجاته الروحية والأخلاقية ، ومن جهة ثانية عجزت أيضا عن تحقيق ما أدعته بأنها تعمل على إسعاد الإنسان ماديا ، لأنها :

اعتمدت نظام المركزية فى الإدارة والاقتصاد .

وقتلت الروح التنافسية لدى الناس .

وأغلقت أبواب الحرية والتعبير .

وسدت قنوات المحاسبة والنقد والتقويم .

وكانت نتيجة كل ذلك . تضخم المشكلات الاجتماعية التى أدت إلى انفجار المجتمعات ، وإسقاط النظرية الماركسية .

وانهيار النظرية الرأسمالية أيضا حتمية تاريخية ، فهى وإن برزت الآن على أنها البديل الحضارى للطرح الماركسى والنظام الشيوعى ، وأنها قد أثبتت جدارتها وكفاءتها بدليل استمرارها قائمةشامخة حتى الآن ، إلا أنها بكل تأكيد تحمل بذور سقوطها وانهيارها ، فالغرب وإن اعتنق مبادىء النصرانية بشكلها الأوروبى ، إلا أنه يعانى من مشكلة فراغ روحى متعدد الجوانب والأبعاد ، فقد اعتنق الناس النصرانية بالاسم ، ولكنهم غيروا المادة والمنفعة بالفعل ، وتركزت أهدافهم وحياتهم حولها ومن أجلها ، وكثيرا ما شكت الكنائس ذاتها من الفساد الأخلاق والتدهور الروحى حتى بين أفرادها أنفسهم .

هذا من جهة . ومن جهة ثانية ؛ فإن النظام الرأسمالى الغربى يعتمد سياسة استغلال الآخرين كسياسة ثابتة ، ويتخلى عن العدل كمبدأ للتعامل بين الشعوب ، ويعتمد سياسة الإنتاج الكثيف ، والإسراف فى استخدام الموارد والمنتجات .

وهذه الأسس الأخيرة هى ذات العناصر والعوامل التى أدت إلى ازدهار الحضارة المادية الغربية ، وهى فى نفس الوقت الأسس والعوامل التى ستؤدى إلى انهيار النظرية الرأسمالية ، فمعروف أن لكل شىء حدودا إذا وصل مداه تراجع حتما ، وسوف يأتى الوقت الذى تضيق فيه الأسواق فى وجه السرف فى الإنتاج ، وتقل مصادر الطاقة ، وتنحسر الموارد الطبيعية وتتناقص

يوما بعد يوم ، ويوشك أكثرها على النفاد والنضوب . حتى الماء والهواء ، لم تعد مصادرها متاحة بالقدر الكافى ، وأصابها التلوث والفساد ، وسوف يأتى الوقت الذى تتمكن فيه الشعوب المتغلة من وقف الاستغلال ، وزيادة التحكم فى ثرواتها ، وأسواقها .

إن المجتمع الإنسانى كله الآن يخضع فى كل مكان لتبدل أساسى ويتجه اتجاها محموما نحو الأخذ بمبادىء الرأسمالية والسير فى ركابها وكأن قوة تسوق الناس سوقا لهذا التبدل والجرى إلى النهاية المحتومة ، ويقينا إذا استمر الأمر كذلك ، فستحدث الكارثة وسيقع العالم ضحية لحروب مدمرة .

والمسلمون اليوم وغير المسلمين فى حاجة ماسة إلى نوع من الطمأنينة ، نوع من التهدئة ، ولن يتم ذلك إلا بالرجوع إلى شىء من الاعتبار الروحى فى الحياة بعد أن طغت الشهوات المادية الخاصة على كل صغيرة وكبيرة فى حياتنا اليومية .

**والإسلام من وجهته الروحية والاجتماعية لايزال بالرغم من جميع العقبات التى خلقها تأخر المسلمين . أعظم قوة يمكن لها أن تنهض بالهمم ، وتسمو بالبشر إلى مستوى يليق بالكرامة الإنسانية ، فالإسلام ليس اتجاها عقليا روحيا فحسب ، ولا يسعى للآخرة دون الدنيا ، ولا هو يهتم بها وحدها دون الآخرة . ولكنه دين ينظر إلى الحياة الإنسانية على أنها وحدة متكاملة بكل ما فيها ولا يفرق بين الدين والسياسة أو حتى بين الحرب والعبادة ، وهو يستحسن الزهد المعتدل ، وفى الوقت نفسه يحث على الأخذ من الدنيا بنصيب .**

**والتنمية من وجهة نظر الإسلام تعنى أول ما تعنى تحرير المسلمين من التبعية الثقافية ، والتخلص من شبكة علاقات التبعية والسيطرة الاقتصادية التى تربط المسلمين بالغرب ، والعمل على إقامة نظام وبناء اجتماعى اقتصادى سياسى جديد متوازن ومتطور ، يحمل بذرة اطراده وتقدمه ، ويدخل مجالات العلاقات الدولية بندّية وكفاءة كاملة ، بل بتميز ذاتى إسلاميّ المورد والمصدر وبعبارة مجملة : إعداد المسلمين للنهضة الحضارية الإسلامية الشاملة على طراز جديد ليس غربى المصدر والأساس .**

**ولما كانت طاقات البشر هى فى التحليل النهائى للاقتصاديين أهم الموارد فى أى مجتمع ، لذلك يجب أن تكون تنمية الطاقات البشرية هى محور التنمية الأساسى ، وعلى خلاف كافة آراء الاقتصاديين المحدثين ومخططى التنمية ، يرى الإسلام أن الغنى أو الثراء المادى والرفاهية ، ليست هى غايات الإنسان ، بقدر ما هى الوصول بهذا الإنسان إلى مرحلة من التوازن الدقيق بين حاجاته المادية وحاجاته المعنوية ، والتكافل والاعتدال الكامل والشامل بين الناس ، وفى إطار التسليم المطلق لله ـ سبحانه وتعالى ـ ، والمشاركة الفعلية والايجابية المؤمنة فى تحقيق مصلحة المجتمع ، أى أن المسلم الحقيقى لا يحب الإسراف ، ولا يميل إلى المبالغة ، ولا يعنيه أن يعيش فى فقر باذخ وروحه فى ذات**

**الوقت خاوية ، ولا يسعده أن يجمع أكداسا من المال ، وجاره لا يجد ما يطعم به أولاده ، أو ما يكسوهم به ويحفظ عليهم كرامتهم .**

**الاضطلاع :**

من هذا المنطلق يحرص الإسلام على بناء البشر القادرين على الاضطلاع بمسئوليات المجتمع والمشاركة الشعبية الفاعلة فى كافة الوان النشاط المجتمعى ، عن اقتناع بأنهم يشاركون أيضا فى ثمار هذا النشاط وهو ما يسمى « الاعتماد الجماعى على النفس » فى إطار التعاون بين البلاد الإسلامية مجتمعة .

وجهة نظر :

يبقى بعد ذلك التحدى المستقبلى الأول للوطن الإسلامى فى الوصول إلى شكل كفء من التنظيم الاجتماعى ويجمع الناس حول قيادات حقيقية وعلى عقيدة يتبنونها ، ومن ثم على غايات معروفة ومحددة ، يعمل الجميع من أجلها ، ولا يمكن الوصول إلى هذا الشكل الاجتماعى إلا باعتناق المبادىء الإسلامية فى الحكم والاجتماع ، ولا يكفى بالطبع الاعتناق النظرى بل **الاعتناق العملى القائم على أساس بناء صرح المؤسسات التى تقوم أصلا على أسس الإسلام ومبادئه .** والتى تعمل بهذه الأسس والمبادىء . **وهذه المؤسسات ليست شيئا جديدا مبتكرا فى عالم اليوم وإنما قد سبقنا إليها الأقدمون ، الذين فهموا الإسلام وأدركوا مغزاه ومبناه .**

**وأول هذه المؤسسات . مؤسسة إسلامية عالمية ، يقوم عليها كبار العلماء من كل بلاد الإسلام ، لا يختص بها مجتمع ( دولة ) دون آخر ، وليس لمجتمع فيها حق الاعتراض ( الفيتو ) لأنها مؤسسة تعتمد منطق الحق والعدل ودستور الإسلام ، وهذه المؤسسة يجب أن يعترف لها الجميع بحق الشرعية الكاملة فى كل ما يصدر منها لتحديد علاقات المجمعات الإسلامية بعضها البعض ، والفصل فيما يقع بينها من خلافات ، وتحديد علاقة المسلمين بغيرهم ، عملا بقوله تعالى :**

﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾
سورة الحجرات

أما المؤسسة الثانية فهى مؤسسة خاصة بكل مجتمع على حدة ، يقوم عليها « أهل الحل والعقد » ( المجالس المتخصصة ) الذين يتكفلون بالتخطيط للحكم على أسس من العلم والمعرفة والتجربة والخبرة .

والمؤسسة الثالثة يقوم عليها « الحسبة » ومهمتها المتابعة والمحاسبة والتقويم .

من وجهة نظرى : إذا تمكن المسلمون من إنشاء مثل هذه المؤسسات بحيث تحظى بكامل الشرعية والولاء ، فسوف يتحقق من ورائها خير كثير أهمه جمع الأمة الإسلامية على خطة واحدة منسقة ، وفكر وسلوك لا يختلف عليه الناس . ومن ثم يتحقق الولاء الكامل للحكام الذين يتولون ببيعة شرعية على نظام إسلامى دقيق .

ولعله من الواضح أن من حقائق هذا العصر ، انحسار الاستعمـــار التقليـــدى ، واستبدالـــه بالاستعمار الحضرى وأساليبه فى السيطرة الثقافية والاقتصادية ، ومن حقائقه أيضا تغير شكـل « السلع الاستراتيجية » وازدياد الاعتماد المتبادل بين البلاد والشعُوب ، وظهـور بعـد جديـد للدبلوماسية بين الشمال ( الغرب ) والجنـوب ( دول العالم الثالث ) تبلور تحت عنوان « نظام اقتصادى عالمى جديد » يهدف الغرب منه إلى الإمساك بزمام التجارة الدولية ، والسيطرة على التكنولوجيا والمواد الخام ، واستغلال البحار ، وتَسْيِيس المعونة الدولية ، وعمل آليات للتبعية الاقتصادية ، وعمل أشكال مقنعة من العلاقات تكـرس علاقـات هذه التبعيـة ، وتبقـــى على الاستقلال السياسى صوريا مفرغا من مضمون حقيقى . ويمثل هذه الحقائق هيكل الـواردات والصادرات فى العالم الإسلامى ( حوالى ثلثى جملة التجارة فى العالم الإسلامى مع الغرب ) .

ومما يدعو إلى الأسف أن زيادة العوائد المالية الناجمة عن بيع ( النفط ) فى السنوات الأخيرة قد أدت فى أغلب الأحيان إلى زيادة تبعية الأقطار العربية والإسلامية للدول الغربية بسبب توظيف الجزء الأكبر من الفائض النفطى فى هذه الدول عن طريق إعادة تدويرها فى اقتصاديات تلك الدول ، وأحيانا فى صورة استثمارات قليلة الجدوى .

وليست التبعية « اقتصادية » فحسب ، ولكنها تمتد فى مجالاتها الأخطر إلى التقنية والحضارة ، وتظهر التبعية التقنية فى استيراد السلع الاستهلاكية والخدمات الاستشارية والنمط الاستهلاكى الغربى الذى يجتاح البلدان الإسلامية على تباين توجهاتها الاجتماعية والسياسية .

**ومجمل الرأى** أنه يجب التخلى عن اعتبـار مراكز القوى الاقتصادية هى وحدها صاحبة الـرأى فى تخطيـط حياتنـا ، فالإنسان المسلم لا يسعده أبدا أن يعيش قابعا ذليلا مفرغ الصدر من الإيمان الصادق ولو كان عنده ملء الأرض ذهبا . ولقد أثبتت التجارب أن معالجة المشكلات الاقتصادية على النمط المتبع حاليا أمر لا جدوى منه ، بل لابد من أن تكون هذه المعالجة وثيقة الصلة بتقاليدنا وثقافتنا ، ومن المستحيل إيجاد تنمية حقيقية دون اعتماد للأصالة الوطنية وقيم الحضارة الإسلامية .

كذلك يجب أن يعرف مخططو السياسة الثقافية ، أن الثقافة ليست ترفا ولا أداة للتسلية بقدر ما هى أداة وثيقة الصلة بالنظام الاجتماعى ، يجب أن تعمل من أجله ، وفى الإطار الصحيح الذى يهذب الذوق العام ويسمو به ولا يسايره أو يوجهه وجهة غربية تحت حجة التمدن ومسايرة الحضارة الغربية ، بما فيها أحيانا من إشياء خسيسة زائفة .

وفى النهاية يجب تحقيق توازن دقيق بين العلوم والثقافة وخلق توازن أدق بين الجهود المبذولة للتنمية فى كل المجالات ، والتى تعتمد نظرية الإسلام فى التكامل بين وجوه الحياة .

وبالله التوفيق ..



# علاقة مصر بالجزيرة العربية

أ.د. محمد محمد زيتون(*)

علاقة مصر بالجزيرة العربية قديمة وأزلية ، والجغرافيون والجيولوجيون لهم آراؤهم فى ذلك باتصال أرض مصر الشرقية بأرض الجزيرة العربية الغربية فى القدم قبل حدوث الانشقاق الذى أدى إلى وجود البحر الأحمر فاصلا بينهما ، وسيكون بحثنا عن العلاقة بين مصر والجزيرة العربية خلال ذلك التاريخ القديم المستمر « عن عهد النبوة والشيخين أبى بكر وعمر » .

(أ) فى عهد النبوة :

وقد بدأت العلاقة بمصر عندما وجدنا المسلمين فى المدينة بقيادة النبى ﷺ عقب عقد صلح الحديبية بينهم وبين قريش فى مكة فى نهاية السنة السادسة للهجرة الموافق سنة ٦٢٧م - يبدءون التحرك الإسلامى السلمى لتحقيق عموم الرسالة الإسلامية إلى الناس جميعاً « ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ »(١) « وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ »(٢) « وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا »(٣) فيبدأ أول اتصال بين الجزيرة العربية ومصر فى عهد النبوة .

فقد كتب الرسول ﷺ إلى المقوقس حاكم مصر والاسكندرية كتاباً يقول فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبدالله ورسوله إلى المقوقس عظيم القبط » .

سلام على من اتبع الهدى أما بعد :

فإنى أدعوك بدعاية الإسلام « أسلم تسلم » وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإن عليك إثم أهل القبط ، يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ

---

(*) الكاتب : رئيس قسم التاريخ - جامعة الأزهر .

(١) سورة النحل آية ١٢٥ .

(٢) سورة الأنبياء آية ١٠٧ .

(٣) سورة سبأ آية ٢٨ .

كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ »[٤]

وبعث الرسول ﷺ بالكتاب مع حاطب بن أبي بلتعة فلما قرأ المقوقس الكتاب قال : ما منعه إن كان نبياً أن يدعو على فيسلط على ؟ فقال له حاطب : ما منع عيسى بن مريم أن يدعو على من أبى عليه أن يفعل به ويفعل ؟ فوجم ساعة ثم استعادها . فقال له حاطب : إنه كان قبلك رجل يزعم أنه الرب الأعلى فأخذه الله نكال الآخرة والأولى فانتقم به ثم انتقم منه فاعتبر بغيرك ولا يعتبر غيرك بك .

فقال المقوقس : إن لنا دينا لن ندعه إلا لما هو خير منه . فقال له حاطب : ندعوك إلى دين الإسلام الكافى به الله كل ما سواه . أن هذا النبى دعا الناس فكان أشدهم عليه قريشا ، وأعداهم له اليهود ، وأقربهم منه النصارى . ولعمرى ما بشارة موسى بعيسى إلا كبشارة عيسى بمحمد . وما دعاؤنا إياك إلى القرآن إلا كدعائك أهل التوراة إلى الإنجيل . وكل نبى أدرك قوماً فهم أمته فالحق عليهم أن يطيعوه وأنت من أدركه هذا النبى ولسنا نهاك عن دين المسيح ولكننا نأمرك به .

فقال المقوقس : إنى نظرت فى أمر هذا النبى فوجدته لا يأمر بمزهود فيه ولا ينهى عن مرغوب فيه ، ولم أجده بالساحر الضال ولا الكاهن الكاذب ووجدت معه آية النبوة بإخراج الخبء والإخبار بالنجوى وسأنظر .

وأخذ كتاب النبى ﷺ فجعله فى حق من عاج وختم عليه ودفعه إلى جارية له ثم دعا كاتباً له يكتب بالعربية فكتب : لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط سلام عليك أما بعد :

فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه ، وما تدعو إليه وقد علمت أن نبيا قد بقى وكنت أظن أنه يخرج بالشام وقد أكرمت رسولك ، وبعثت إليك بجاريتين لهما مكان فى القبط عظيم وبكسوة وأهديت إليك بغلة لتركبها والسلام عليك .

والجاريتان مارية وسيرين وقد تسرى الرسول ﷺ بمارية ، وولدت له ابنه إبراهيم الذى توفى وسنه ستة عشر شهراً ، ووهب سيرين لحسان بن ثابت . وقيل : إن المقوقس أرسل أيضاً دابتين : بغلة وحماراً وكانتا أحب دوابه إليه وسمى البغلة ( دلدل ) والحمار ( يعفور ) ويزيد المقريزى فى الهدايا : قباء وألف مثقال ذهباً وعشرين ثوباً من قباطى مصر وخصياً يسمى ( مابور ) ويقال أنه ابن عم مارية وفرساً يقال له ( الكرار ) وقدحاً من زجاج ، وعسلاً من عسل بنها وقد أعجب النبى ﷺ بالعسل فدعى لعسل بنها بالبركة ، وبقيت تلك الثياب حتى كفن فى بعضها ـ صلى الله عليه وسلم [٥] .

وكان لتسرى رسول الله ﷺ من مارية أثر حميد بالنسبة لقريتها « أنصنا »[٦] وذلك بعد أن استولى المسلمون على مصر حيث وضعت الجزية عن قريتها إكراماً لها . حيث كلم الحسن بن على

---

(٤) سورة آل عمران آية ٦٤ .

(٥) ابن عبد الحكم فتوح مصر والمغرب ص ٦٦ ـ ٧٥ . ابن القيم زاد المعاد جـ٣ ص ٦١ ، المقريزى الخطط جـ١ ص ٥١ ـ ٥٣ .

(٦) أنصنا : مدينة قديمة شرق النيل بمركز ملوى .

معاوية بن أبى سفيان ، فى أن يضع الجزية عن جميع قرية «أم إبراهيم» لحرمتها ففعل ووضع الخراج عنهم فلم يكن على أحد منهم خراج ، وكان جميع أهل القرية من أهلها وأقربائها ويذكر ابن عبدالحكم أن رسول الله ﷺ قال : « لو بقى إبراهيم ماتركت قبطياً إلا وضعت عنه الجزية » وقد توفيت مارية فى المحرم سنة خمس عشرة من الهجرة ودفنت بالبقيع وصلى عليها عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه[٧] .

وهكذا نجد أن دعوة الرسول ﷺ لحاكم مصر كانت دعوة سلمية كما أنه يحمّل الحاكم جرم عدم إيمان القبط ، كما أن حامل الكتاب ذكّر المقوقس بما حدث لمن أعرض وأبى عن دعوة الأنبياء عندما أهلك الله فرعون الذى دعاه موسى عليه السلام .

وقد أوصى رسول الله ﷺ المسلمين بقبط مصر خيراً ، وبين مكانة أهل مصر ومنزلتهم وجهودهم فى الحروب والدور العسكرى الذى يمكن أن يقوموا به ، فهم خير الأجناد ، ونعم الأعوان على قتال العدو . فهم عدة وأعوان فى سبيل الله ، بالإضافة إلى أن لهم نسباً وصهراً ، وذلك يبين مكانة مصر بالنسبة للجزيرة العربية ، أما المصاهرة فيوضحها أن رسول الله ﷺ تسرر فيهم أى بمارية ، وأما النسب فهو أن هاجر أم إسماعيل عليه السلام من ( أم العرب ) وهى قرية كانت أمام الفرما من مصر .

والأحاديث كثيرة توضح هذه المعانى بالنسبة لتمجيد مصر وأهلها ، وأهميتها وما لها من مكانة ومنزلة بالنسبة للإسلام والمسلمين مما يؤكد الارتباط الوثيق بين مصر والجزيرة العربية فى تلك المرحلة المبكرة من تاريخ الإسلام .

وأن ما يحدث الآن على الساحة فى مصر ـ من فهم خاطىء ناشىء عن جهل ودون قصد أو عن تعمد لإثارة البلبلة بين سكان مصر سواء بالنسبة لبعض المسلمين أو بعض النصارى ـ يدعونا إلى أن نذكر كل الأحاديث والآثار التى قالها رسول الله ﷺ حتى تظهر الحقيقة جلية واضحة ، ويكف المغالون والمقامرون عن مغالاتهم ومقامراتهم وأن يعيش سكان مصر جميعاً مع اختلاف عقائدهم فى محبة ومودة . يسودهم الأمن والسلام والتعاون .

الحديث الأول : حدثنا مالك بن أنس عن ابن شهاب عن ابن كعب بن مالك ، أن رسول الله ﷺ قال : « إذا افتتحتم مصر فاستوصوا بالقبط خيراً ، فإن لهم ذمة ورحماً »[٨] .

الحديث الثانى : عن عبد الرحمن بن شماسة المهرى قال : سمعت أبا ذر يقول ، قال رسول الله ﷺ : « أنكم ستفتحون أرضاً يذكر فيها القبط فاستوصوا بأهلها خيراً فإن لهم ذمة ورحماً »[٩] .

الحديث الثالث : عن عمرو بن العاص عن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « أن الله عز وجل سيفتح عليكم بعدى مصر فاستوصوا بقبطها خيراً فإن لكم منهم صهراً وذمة »[١٠] .

---

(٧) ابن عبد الحكم فتوح مصر والمغرب ص ٧٥ .
(٨) المرجع السابق .
(٩) المرجع السابق ص ٣ .
(١٠) المرجع السابق ص ٣ .

الحديث الرابع : عن ابن هبيرة أن أبا سالم الجيشانى سفيـــان بن هانى ، أخبره أن بعض أصحاب رسول الله ﷺ أخبر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « إنكم ستكونون أجناداً وأن خير أجنادكم أهل الغرب منكم فاتقوا الله فى القبط لا تأكلوهم أكل الخضر »(١١) .

الحديث الخامس : عن عبد الرحمن بن زياد عن مسلـــم بن يسار أن رسول الله ﷺ قال : « استوصوا بالقبط خيراً فإنكم ستجدونهم نعم الأعوان على قتال عدوكم »(١٢) .

الحديث السادس : عن يزيد بن أبى حبيب أن أبا مسلمة بن عبد الرحمن حدثه أن رسول الله ﷺ أوصى عند وفاته أن تخرج اليهود من جزيرة العرب وقـال : « الله .. الله فى قبـط مصر فإنكـــم ستظهرون ويكونون لكم عدة وأعواناً فى سبيل الله »(١٣) .

الحديث السابع : عن موسى بن أيوب الغافقى عن رجل من الزبد ، أن رسول الله ﷺ مرض فأغمى عليه ثم أفاق فقال : « استوصوا بالأدم(١٤) الجعد » ثم أغمى عليه الثانية ، فقال القوم لو سألنا رسول الله ـ ﷺ ـ : من الأدم الجعد ؟ فأفاق فسألوه فقال : « قبط مصر فإنهم أخوال وأصهار وهـم أعوانكم على عدوكم وأعوانكـــم على دينكم »(١٥) .

الحديث الثامن : عن عمرو بن العاص قال : حدثنى عمر أمير المؤمنين رضى الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « إذا فتح الله عليكم بعدى مصر فاتخذوا فيها جنداً كثيفاً فذلك الجند خير أجناد الأرض » .

قال أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ ولم ذلك يا رسول الله ؟ قال : « إنهم فى رباط إلى يوم القيامة »(١٦) .

وقد قال عمرو بن العاص يوماً فى خطبته : « اعلموا أنكم فى رباط إلى يوم القيامة لمكث الأعداء حولكم ولإشراف قلوبهم إليكم وإلى داركم : معدن الزرع والمال والخير الواسع والبركة النامية » .

ويذكر المقريزى : أن من فضائل مصر أنها تمير أهل الحرمين وتوسع عليهم فساحلها بمدينة القلزم ( السويس ) يحمل منه إلى الحرمين ، ومن جهة الصعيد يحمل إلى الحجاز ، ومن فضائلها أنه ولد بها من الأنبياء موسى وهـارون ويـوشع عليهم السلام كما دخلها من الأنبياء إبراهيم خليل الرحمن ويعقوب ويوسف والأسباط .(١٧) .

كل هذه الأحاديث والآثار تدل على العلاقة الطيبة الحميمة والمكانة السامية التى كان يكنها رسول الله ﷺ لأهل مصر ، وحثه أصحابه على العناية بشئون مصر والاهتمام بها عندما يحقق الله

---

(١١) الخضر : هو الذى يتحين موعد طعام الناس حتى يحضره . المرجع السابق ص ٤ .

(١٢) المرجع السابق ص ٤ .

(١٣) فتوح مصر والمغرب لابن عبد الحكم ص ٤ .

(١٤) الأدمة هى السمرة والآدم من الناس الأسمر . والجعد جمع جعد وهو الرجل ذو الشعر المفلفل .

(١٥) ابن عبد الحكم فتوح مصر والمغرب ص ٤ .

(١٦) راجع فى ذلك : ابن عبد الحكم فتوح مصر والمغرب ص ٢ ـ ٥ الإدارة العامة للثقافة بوزارة التربية والتعليم ، المقريزى الخطط جـ ١ ص ٤٢ ، ٤٦ ومرجع الحديث الثامن : المقريزى خطط جـ ١ ص ٤٢ .

(١٧) المقريزى الخطط جـ ١ ص ٤٦ .

أهم ما بشر رسول الله ﷺ به وأشار إليه بالنسبة لمصر وأهل مصر حتى حين وفاته ؛ فيتخذوا منهم الأجناد الشداد ، ويكون منهم الأعوان الأقوياء المخلصون ويرعون حرمة النسب ، وحق المصاهرة ، وأن تكون معاملتهم لأهل مصر معاملة حسنة طيبة تسودها المودة والمحبة والرأفة والرحمة ، وان ينتفعوا بجندها الذين هم خير جند المغرب ، فهم خير الأعوان على قتال عدوهم ، وهم خير الأعوان على الدين والمحافظة عليه ونشره[18] وصدق رسول الله ﷺ فيما ذكره وأشار إليه فمصر وأهلها وجندها وعلماؤها هم المنارة الفارعة ، والحصن المكين الذى حافظ على الدين الإسلامى ودعوته السمحة نقية من الشوائب ، ولا زالت مصر تعمل على نشر دعوة الإسلام وتبليغها إلى كافة الأرجاء فى أنحاء المعمورة ، والمقريزى يذكر خبراً عن كعب الأخبار تعجبت له وهو يبين مدى ارتباط الأمن والسلام والعمران بين مصر والجزيرة منذ القدم فقد قال : « الجزيرة آمنة من الخراب حتى تخرب أرمينية ، ومصر آمنة من الخراب حتى تخرب الجزيرة »[19] وهو أمر يبين أهمية المحافظة على تقدم وأمن واستقرار كل منهما للآخر .

***

**(ب) فى عهد الراشدين :**

**١ ـ فى عهد أبى بكر الصديق رضى الله عنه :**

يذكر لنا ابن عبد الحكم خبراً عن عهد أبى بكر الصديق يبين صلة مصر بالجزيرة العربية حيث قال : « إن أبابكر بعث حاطبا إلى المقوقس بمصر فمر على ناحية قرى الشرقية فهادنهم وأعطوه فلم يزالوا على ذلك حتى دخلها عمرو بن العاص فقاتلوه . فانتقض ذلك العهد وهى أول هدنة كانت بمصر »[20] .

ولكن كيف تهادن قرى الشرقية حاطبا وهى تابعة لحاكم مصر آنذاك ؟ وهو المقوقس ، ثم يذكر أنهم أعطوه أى ما اتفقوا عليه ، وأنهم استمروا على ذلك حتى دخلها عمرو بن العاص فقاتلوه فانتقض ذلك العهد ، وإذا تحقق حدوث ذلك فإنه يدل على ضعف سلطة المقوقس على تلك المناطق .

وأرى أنه لو كان هناك مهادنة وعطاء لما كان هناك مايدعو إلى القتال ونقض الهدنة عند قدوم عمرو لفتح مصر ، خاصة وأن عَمرا أتى ومعه جيش عندما أتى فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه . كما أنه قد وقع قتال وحصار عند الفرما عندما بدأ فتح مصر .

فكيف يكون هناك مهادنة وعطاء بالنسبة لقرى الشرقية فى عهد أبى بكر الصديق رضى الله عنه ؟!!

وأرى أن هذا الخبر عار من الصحة ولم تحدث علاقة بين مصر والجزيرة فى عهد أبى بكر لانشغال المسلمين بالردة ثم وفاة أبى بكر ، والمسلمون فى معركة اليرموك .

**٢ ـ فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه :**

ولكن عندما تقدم المسلمون فى الشام فى عهد عمر بن الخطاب وتم للمسلمين فتح بيت المقدس أصبح التقدم والسير ميسوراً إلى مصر . ولذلك عندما قدم « عمر بن الخطاب » الجابية عرض عليه « عمرو بن العاص » خطة فتح مصر وقال : إنك إن فتحتها كانت قوة للمسلمين وعوناً لهم وهى أكثر الأرض أموالا ، وأعجزها عن القتال

(١٨) المرجع السابق جـ١ ص٤٨ ـ ٥٠ .

(١٩) المقريزى خطط جـ١ ص٥٥ .

(٢٠) ابن عبد الحكم فتوح ص٧٥ ، ٧٦ .

والحرب ، فتخوف « عمر بن الخطاب » على المسلمين ، وكره ذلك فلم يزل « عمرو » يعظم أمرها ويخبره بحالها ويهون عليه فتحها حتى وافق عمر ، وعقد له على أربعة آلاف رجل كلهم من عكة[٢١] . وفى رواية أن « عمر بن الخطاب » كتب إلى « عمرو بن العاص » بعدما فتح الشام : أن اندب الناس إلى السير معك إلى مصر فمن خف معك فسر به[٢٢] .

وكان الوضع الذى ساد الحياة فى مصر آنذاك من العوامل التى ساعدت المسلمين على فتح مصر سواء من الناحية السياسية التى كان يسودها التغيير والقهر والعداء بين الحاكمين والمحكومين ، أو من الناحية الاقتصادية التى أرهقت السكان بالضرائب الفادحة ولم تبق لهم من نتاج عملهم وجدهم شيئا يواجهون به مطالب الحياة مع عدم الاهتمام بالمشاريع التى تعمل على تقدم الزراعة والصناعة والتجارة ، ثم الوضع الدينى المتدهور الذى أشاع الذعر والخوف عند المصريين وجعل الكثير منهم يتركون ديارهم ويفرون إلى أماكن بعيدة فراراً من الاضطهاد وتخلصاً من العذاب إذا لن يعتنقوا المذهب الذى يدين به الحاكم .

فإذا أضفنا إلى ذلك الدوافع والأهداف التى حملت المسلمين على فتح مصر ظهرت لنا الصورة جلية لا غيوم فيها حيث قدم المسلمون إلى مصر بدافع من العقيدة التى استقرت فى قلوبهم وجعلتهم يخرجون من جزيرتهم ليبشروا بدينهم الذى سوى بين الناس جميعاً ، ونظم لهم العلاقات السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وفرض عليهم عبادات ومثلا أخلاقية ، وطالبهم بتبليغها إلى الناس جميعاً .

ويعزز ذلك أيضاً الصلات التجارية التى تربط بين مصر وجزيرة العرب منذ القدم ، عن طريق البحر الأحمر أو صحراء سيناء مما جعل « استرابون » المؤرخ يذكر عن مدينة ( قفط ) أنها مدينة نصف عربية ، ويذكر المؤرخون المسلمون أن « المغيرة بن شعبة وعثمان بن عفان » زارا مصر للتجارة فى الجاهلية ، كما يذكرون زيارة عمرو بن العاص للاسكندرية[٢٣] .

ثم أن موقع مصر المطل على الحجاز من جهة والمتصل بالشام من جهة أخرى وبشمال أفريقية من جهة ثالثة ، كان دافعاً للمسلمين على فتحها خيفة أن يتخذها الروم سبيلًا لمهاجمة الحجاز نفسه والقضاء على المسلمين فيه ، خاصة وأن جنود الروم الذين هزموا فى المعارك الشامية ، فر الكثير منهم إلى مصر ، ومنهم الأرطبون قائد حامية بيت المقدس الذى لا شك أنه كان يسعى للانقضاض على المسلمين خاصة وقد بدأ الروم يشنون الغارات على شواطىء الشام .

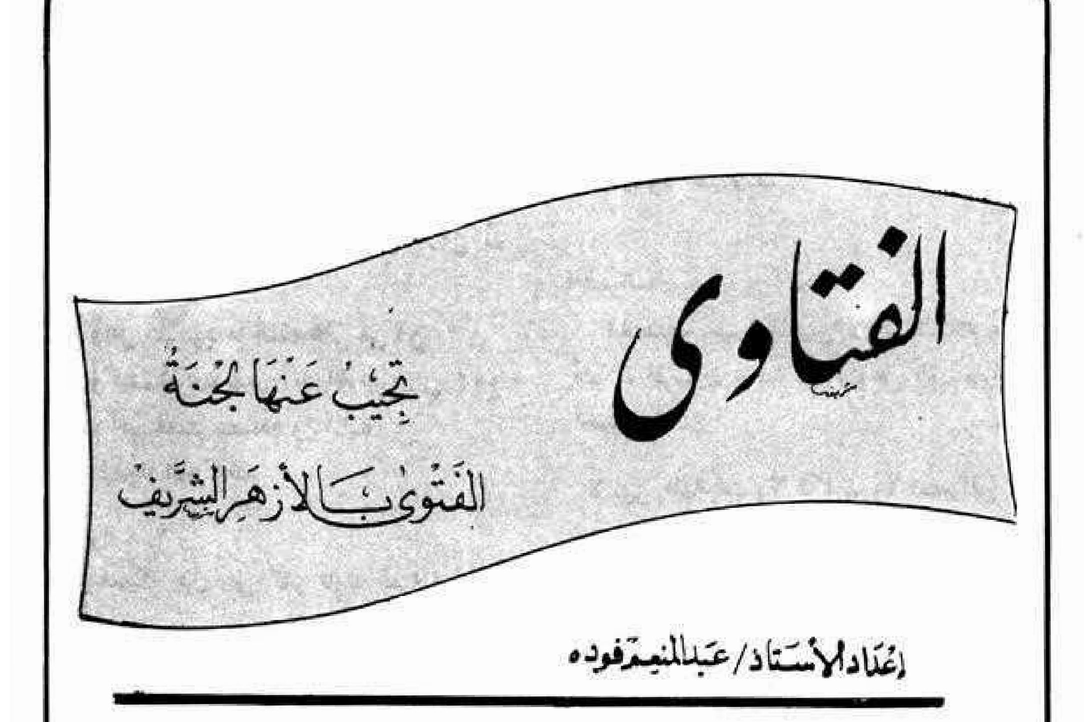
كما أن خيرات مصر التى كانت تعين القسطنطينية حملت المسلمين على فتح مصر لأن استيلاء المسلمين على مصر وحرمان القسطنطينية من خيرات مصر ؛ يعتبر قطعاً للإمداد والتموين عن القسطنطينية ونصراً حربياً للمسلمين من الناحية الاقتصادية . وتمكين الجيش الإسلامى من الحصول على هذه الإمدادات مما يساعده على تحقيق أهدافه ، ويدفعه لبذل أقصى طاقاته فى تحقيق ما يرمى إليه من نشر الرسالة التى خرج من الجزيرة العربية لتبليغها .

---

(٢١) ابن الحكم فتوح ص ٨١ .

(٢٢) ابن عبد الحكم فتوح ص ٨٣ ، البلاذرى فتوح البلدان ص ٢٤٩ ، الطبرى تاريخ الرسل والملوك جـ ٤ ص ١٠٤ .

(٢٣) ابن عبد الحكم فتوح ص ٧٦ ، ٧٧ .




إعداد الأستاذ/ عبد المنعم فوده

السؤال من السيد/محمود راشد :

قامت السيدة : سلطانة حمودى أحمد بوقف جميع أملاكها على جهات الخير ، كمسجد وغيره من جهات الخير ، ولها زوج فقط وقد أوقفتها حال حياتها على نفسها ثم من بعدها على جهات الخير . فهل توافق الشريعة الإسلامية على هذا التصرف من هذه السيدة المذكورة ؟ وإذا كانت الشريعة الغراء لا توافق على هذا الجواب فكيف يكون التصرف وما الحكم ؟

الجـواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد فنفيد بأنه يجوز لهذه السيدة : سلطانة أن توقف جميع أملاكها على نفسها مدة حياتها ثم من بعدها على جهات الخير كالمسجد وغيره ، ولا ينفذ إلا فى الثلث فقط . والثلثان يكونان ميراثاً ، وحيث إنه لا يوجد لها إلا زوج فقط فيكون الثلثان للزوج فرضاً والباقى رداً عملا بمذهب سيدنا عثمان بن عفان فى الرد على أحد الزوجين والله تعالى أعلم .

**السؤال من السيد/م. م. م ـ طالب :**

**ـ علمت عن رسول الله ﷺ أنه قال :**

**« العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر » وهناك أحاديث أخرى تدل على تكفير تارك الصلاة عمداً ، ولكن أبى لا يقيم الصلاة فهل إنفاقه علىّ من أموال حلال أم حرام ؟**

**وهل علىّ رد ما أنفقه علىّ من قبل ؟**

**وكيف أبرىء نفسى أمام الله عز وجل ؟ مع العلم أننى قمت بنصحه وإرشاده .**

**أفيدونا أفادكم الله .**

الجـواب :

الحديث يدل على كفر تارك الصلاة عمداً منكراً لها ، معـرضاً عنها ، وهـو حديث صحيح ، أما إذا تركها تكاسلا فيضرب ويحبس حتى يصلى ، ويكون عاصياً وليس كافراً .

وما ينفقه عليك والدك من المال ليس حراماً إذ كان مصدره من كسب حلال . وإذا عملت أو توظفت ، يجب عليك ردّ الجميل لوالدك بما هو أفضل مما أنفق عليك .

ويجب عليك النصيحة للوالد بأن يؤدى الصلاة وتبين له عاقبة تارك الصلاة . وتتابع النصيحة حتى يصلى وتخوفه من عذاب الله يوم القيامة .

وتداوم النصيحة .. والله أعلم .

**السؤال من السيد/محمود عبدالعزيز عبدالمعبود المنيا ـ مدرسة دلجا الثانوية :**

**ـهل علماء الأزهر غافلون عما يعرض على شاشة التليفزيون من أفلام ماجنة خليعة أم أنهم على علم بذلك ؟**

**وإذا كانوا على علم بذلك فلم السكوت ؟**

**ـ ما حكم الدين فى الصلاة خلف الإمام المبتدع ؟**

**أفيدونا أفادكم الله ..**

الجـواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

لا تليق المهاترات ولا الكذب ولا استعراض أفلام خليعة ، والأولى أن يتركها المسلم ولا ينظر إليها ـ وعلماء الأزهر ليسوا غافلين وإنما هم يقولون للناس فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر .

ـ تجوز الصلاة خلف الإمام المبتدع ( ما لم يرتكب محرمـاً ) لقـول الـرسول ﷺ : « صلوا خلف كل بار وفاجر » ؛ محافظة على وحدة المسلمين وحتى لا يختلفوا فإن كان هناك من هو أولى منه فليتقدم للإمامة ..

**السؤال من الدكتور س. س. م ـ المنصورة دقهلية :**

**١ ـ ما رأى الدين فى جدى الذى قسم ميراثه تبعا لهواه بعيدا جدا عن شريعة الله قائلا « من حكم فى ماله ما ظلم » ولم يصل أولاده ولا إخوته ولا حتى أخته الوحيدة ، علما بأنه حج بيت الله ثلاث مرات ، وسيقوم ـ إن شاء الله ـ بالحج للمرة الرابعة هذا العام مع أن أولاده فى حاجة إلى هذا المال ، ويكفى أن له بنتاً**

تربى أيتاماً . فما رأى الدين فيه وما واجبى نحوه ؟

٢ ـ أنا فى كلية طب المنصورة وكثيراً ما أنام قبل صلاة المغرب وأطلب من العائلة أن أستيقظ من النوم بعد صلاة العشاء فلا أصلى المغرب جماعة ولا حتى فى وقته ولا أصلى العشاء جماعة علما بعلمى بهذا قبل النوم . فهل يجوز ذلك ؟

الجـواب :

الميراث قسمه الله ولم يترك تقسيمه للناس ولا يحل للإنسان تهريب جميع ماله بعيداً عن الورثة .

٢ ـ لا يحل لك ما تفعله من تضييع صلاة المغرب التى تتعمد النوم قبلها وتطلب من أهلك ألا يوقظوك إلا بعد دخول وقت العشاء ، فاتق الله وحافظ على الصلوات فى مواعيدها ؛ لأن الله تعالى يقول : إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا .

السؤال من السيد أ. م. د ـ من شبشير الحصة مركز طنطا محافظة الغربية :

أولا : إقامة مجموعة تقوية للطالبات فى مكان فوق ظهر المسجد ـ مخصص للدراسة ـ وقد تكون بعض الفتيات حائضاً . فما الحكم ؟

ثانيا : ما حكم الإسلام فى كتابة لفظ الجلالة أو بعض الآيات القرآنية بالجبس أو الطوب البارز على حوائط المنازل وعلى الواجهة . وما حكمها إذا كانت على المساجد ؟

ثالثا : ما الواجب علينا كمسلمين تجاه ما يحدث من مذابح جماعية وإبادة للمسلمين فى البوسنة والهرسك . وهل يجب علينا الخروج للجهاد ؟ وإذا كان هذا غير ميسر فماذا نفعل ؟

أفيدونا أفادكم الله .

الجـواب :

جـ١ : لا مانع من إقامة مجموعة لتقوية الطالبات والتدريس لهن حتى يتمكن من مراجعة الدروس والعلم .

وكون المكان فوق المسجد لا مانع من ذلك فإن كانت إحدى الطالبات حائضا جاز لها أن تحضر الدرس مادام فوق المسجد لأن المحرم هو دخول المسجد نفسه وهو ما يقام فيه الصلاة .

جـ٢ : كتابة لفظ الجلالة على المبانى أو المساجد بخط بارز بالجبس أو الجير على المنازل لاشىء فى ذلك بشرط أن لا يكون فيه إهانة أو فى مكان تجلسه مثل من يكتب فى دورة المياه مثلا لأن اسم الله وذكر الله على قلب كل مسلم .

والمقصود الاحترام لكل ما يكتب من أسماء الله أو صفاته .

جـ٣ : مسلمو البوسنه والهرسك .. مستضعفون وفى حاجة إلى مساعدة بالمال والنفس ، ومساعدتهم واجبة على المسلمين جميعا وخاصة الدول الغنية .. وأما الخروج للجهاد بالنفس فإذا كان هناك من يكفى للجهاد فالمساعدة بالمال أو بالسلاح أولى وهم أولى بالدفاع عن أنفسهم .

والله غالب على أمره .

# لله الأمـــر

شعر : أسامة كامل الخريبى

سلـــمت لله أحـــزانى وأشجــــانى — وكـلُّ ما جال فى فكـرى ووجـدانى
فالأمـــــر لله فى سر وفى علـــــن — والأمـــر لله فى ملك وأكـــوان
يارب هذى جيوش الكفر قد زحـفت — تريـد ـ بعـدَك ـ إيمانى وقـرآنى
قد جمعت شملهـــا فى محنــة قذفت — أهـــل الصلاح إلى أفـــواه بركان
وكم يوافـــق فى خبث دعـــــايتها — قصف المدافـــع فى أركان أوطـــانى
أو هم شخـــوص وآلات يحركهــــا — خلـــف الستـــار يهودىٌّ بخيطـــان
دارت بها صحــف فى إثرهـــا كتب — ترغـــى وتزبـــد فى زورٍ وبهتـــان
تعيد ما قالـه الشيطـان فى « أحـد » — وقـد تلـبس فى آيـات « سلمـان »
وقصة الإفك أزكـى نارهـا سَفـَـة — يهذى ويسخـر من وحـى وبرهـــان
ويزعـم الديـن قيـدًا ظل يحكمنـــا — لابـد من نسفـــه فى كل ميـدان
وأنَّ شرعـتك السمحـاء قد بلـيت — فلا تليـــق بِعَصْرِى أو بأزمـــانى

* * * * *

يا قومنـا استمعـــوا ـ لله دركـــمُ — هل قمـة الفكـر إنكـارٌ لقــرآن ؟
هل التحـــرر من ديـــن يوحدنـــا — فى صالح النـاس أو فى خير بلـدان ؟
هل نَبْذُنَـا الدِّيـــن فى بدءِ أتى عجبـا — حين اقتدينـا بمرتـــد وعلمــــانى ؟
هل حرّم الديـــن حق المرءِ فى عمـــل — أو فى ابتكــار وإبــداع وإتقـــان ؟
هل حرم الدين ضرب الفكـــر فى فلك — أو فى جبـال وأشجـــار وشطـــآن ؟
من حرر العقل من جهل ومـــن غبـــن — فى الجاهليـــــــة إلا آى قرآن ؟
من أسجـد النـاس للـرحمن كلهـــمُ — من بعد ما سجدوا دهـرا لأوثـان ؟
من فتـح الــعين للآفاق تقصدهـــا — إلى اليــقين بتفــكير وإمعـــان ؟

* * * * *

لا تظلمـــوا الديـــن فالقـرآن حجتنـــا — يوم القيامـــــة فى حشر وميـــزان
ستعلـــن الآى أن القـــوم قد هلكـــوا — حين استخفـــوا بأحكامـــى وتبيـــانى
يا قومنـــا استبقـــوا للحـــق واتخذوا — منـــه الشفـــاء لأسقـــام وأدران
يارب هذى شجـــونى أنت تعلمهـــا — وأنت تعلـم ضعـف العابـد الفـانى
فانصر كتـابك فالأحـــزاب قد كثروا — وليس عنـدى سوى نطقـى وبرهـانى
وانصر عبـادك فالأيـــام حالكـــةٌ — وقـــد ظمئنـــا لفكــر باسم حانى

# ليالينا

ألا يا ساقىَ الليلِ .. أضعْتَ النورَ والبَسْمَة
وقلبى طائر مُستوحِش للعُشّ .. والرحْمَه
تُدَوِّخُهُ رياح كافراتُ العَصْفِ والظلمَه

* * *

حناناً ساقىَ الليل .. ففى الأكواب أثقالُ
وفوق دروبِكَ الأفعى .. بَدَتْ للتِّيه أطلال
فعانِقْ حانةَ الظلماءِ فالرُّوَّاد ضُلَّالُ

* * *

ليالى التِّيهِ فى حانِ الدجى خرساءُ تنتحِبُ
وفى حانى عناقيدٌ تضىءُ ظلامَ من شربوا
وفى كاساتِها ألَقٌ لشَطِّ النورِ يقتربُ

* * *

ووَحْدَةُ ليلتى حولى .. كقلب العاشِق المهجورْ
ويعصِفُ ثلجُها .. حتى تَشاكى نجمُها المقرورْ
ولكنى بمحرابى . تُقيِّدُنى خيوط النورْ

* * *

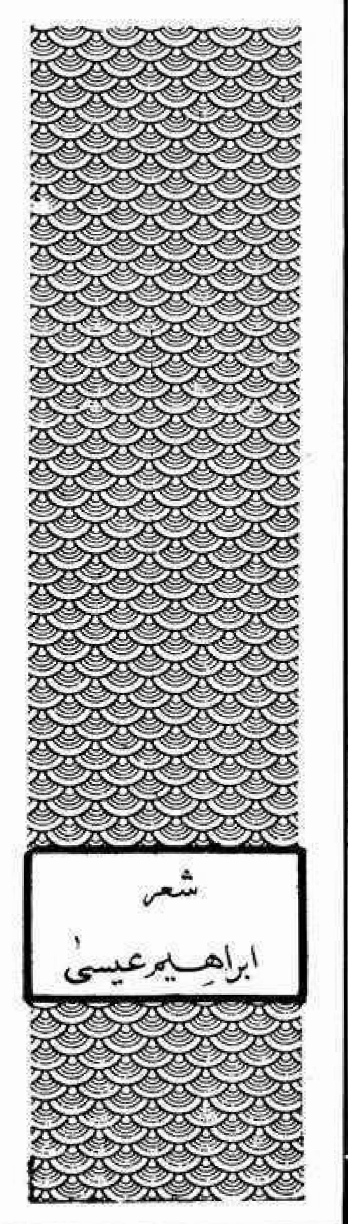
قيودُ النورِ لى عشقٌ .. وأشواقٌ .. وأُمْنِيَّه
وقيدُ العبْدِ بالأشواقِ مَنجاةٌ وحريَّه
وأعْبُد ربَّها حبًّا .. فتسمو بى العبوديَّه

* * *

شراعُ النورِ فى ليلى له فى القلبِ مَرْساةُ
وللتجريدِ والتفريدِ والتوحيدِ آياتُ
وللقرآنِ فى صدرى مصابيحٌ مضيئاتُ

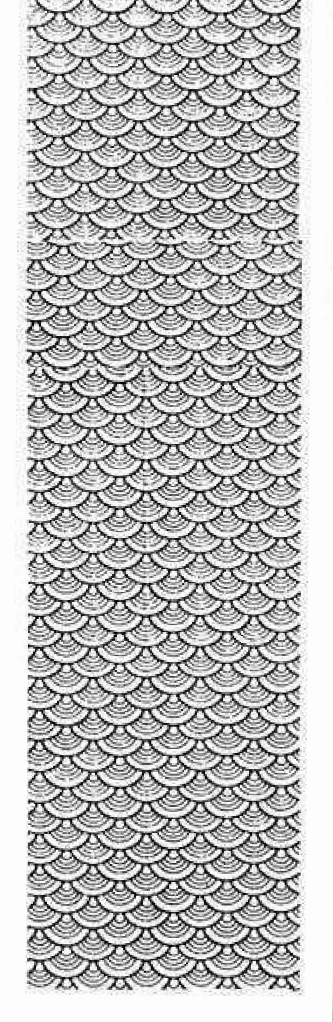
* * *

ولولا اللهُ ما ضاءت على شوقٍ ليالينا
ولولا الله ما فاضت بإيمانٍ سواقينا
وباسْمِ الله تسقينا .. فكبَّرنا مُصلّينا



# الخير يبتلى

شعر : محمد عبد الرحمن صان الدين



مثمر الأشجار يُرمَى .. كل آن بالرجام[1]
وطأت من مرتقاها ... لرشيد أو غلام
والعقيم المُرُّ يبقى .. فى أمانٍ وسلام
صانع المعروف يَلْقى .. كيد أحقاد اللئام
هل نجا المرموق بين الناس من رمى السهام

●●●

لكن الأقدار تحمى .. من أعاصير الغوائل
وترد الفضل أضعافا إلى أهل الفضائل
لا تمس الفأس غصنا ... فيه للأحياء نائل
حينما تجتث دوحا .. ليس منه أى طائل[2]
لا يضيع العرف مهما .. لجَّ فى النكران مائل

●●●

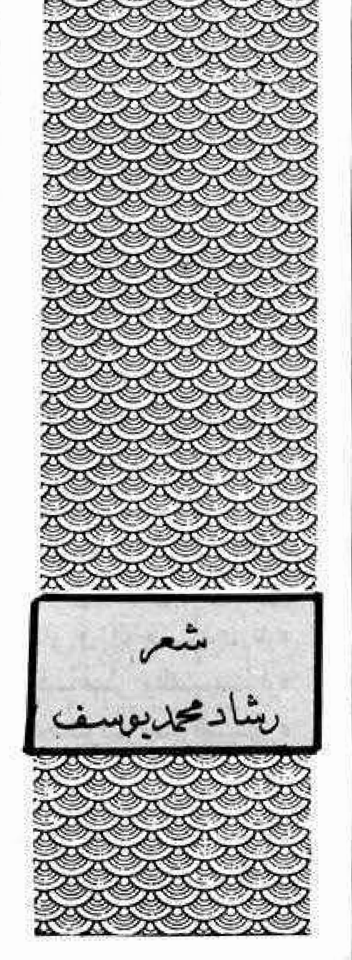
يا أولى النعماء كونوا .. حيث كنتم أهل جود
لا تكفوا عن فعال الخير حتى لكنود[3]
فزفير الزهر عطر .. هكذا طبع الورود
لا تُراعوا إنما الإحسان حرز من حقود
مدية الجزار لا تمشى على نحر الولود

---

المفردات اللغوية :

١ ـ الرجام : الحصى .
٢ ـ دوحا : شجرا عظيما .
٣ ـ الكنود : كافر بالنعمة منكر لها .

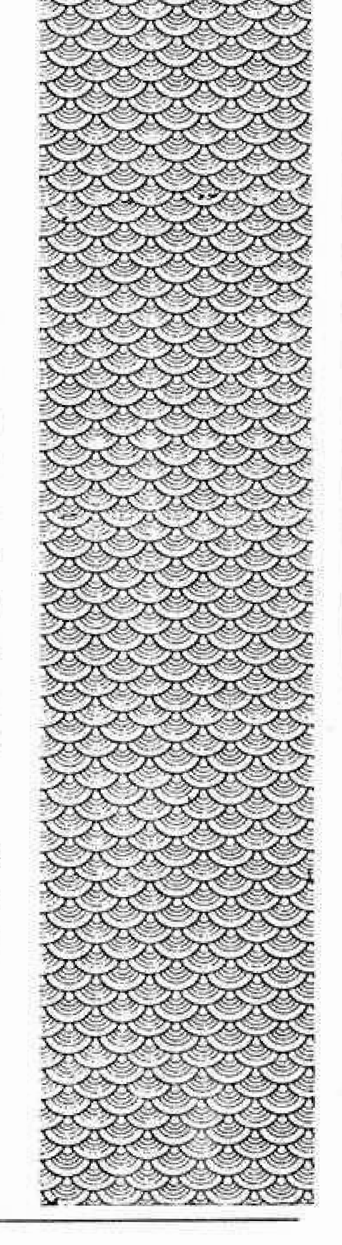
# زيفوا وجه الحضارة




صرخت بأيدينا الحجارة . أترى ستنطفىء الشرارة ؟
أترى سينطفىء النضال ويحمل الإنسان عاره ؟
أترى « أبا عمار » تغريك الوعود أو الإمارة ؟
أحذر أساليب الدهاة فما بها غير الخسارة
لا تركنن إلى اليهود ولست تحتاج الإشارة
تاريخهم متوشح بالقتل والدم والإثارة
قتلوا خيار الأنبياء ودينهم هتكوا إزاره
وتربصوا بالمصلحين وزيفوا وجه الحضارة
وتحول المحراب ـ محراب الصلاة إلى التجارة
والسامرى إمامهم .. والعجل قد عشقوا خواره

• • •

المسجد الأقصى أباحوا قدسه هدموا جداره
جمدت على محرابه الصلوات صامتة العبارة
كم هدنة أو موثق للأمن قد شقوا ستاره
وقرىً بأجمعها أبادتها عصابات الإغارة
فى « دير ياسين » الدم العربى قد خطَّ المساره
فى « كفر قاسم » فى « شاتيلا » واصل الغدر انحداره
بالقتل والمستوطنين وغارة فى إثر غارة
والساجدون القانتون العاكفون على الطهارة



حصد الرصاص .. جموعهم فى البيت .. ما حفظوا جواره
وجرت دمـــاء الصائـــمين .. على المصلى فى غزاره

● ● ●

وطن تملكـــه الـــلصوص . أيسلب الإنسان داره ؟
قتلـــوا كبـــار رجالـــه وبقســـوة فرضوا حصاره
واستبعـــدوا أحـــراره وهـــم الطليعـــة والشراره
ومخيمـــات فى العـــراء وفى البرودة والحـــراره
وبهـــا المواطن لاجـــىء يقتـــات أكياس المراره
أو فى الشتـــات مكبل تدميه أشـــواق الزيـــاره
ذبحـــوا بعينيـــه الأمـــانى علَّـــه ينسى ديـــاره
والروض لم يعرف غنـــاء بعـــد أن قتلـــوا هزاره[1]
خمســـون عاما والجهـــاد نخوض فى عزم غمـــاره
فى كـــل يوم يكـــتب الأبطـــال نصرا عن جـــداره
مافتَّ فى عزمـــاتهم أو فـــارق العـــزم اقتـــداره
واليـــوم نحذو حـــذوهـــم ونعيـــد للأقصى وقـــاره
نحن الصبـــاح بأفقـــه سنلقـــن الدنيـــا قراره
ولنـــا انتفاضتنـــا التى للنصر قد رفـــعت شـــعـــاره
نصلى العـــدو لهيبها والرعـــب أفقـــده الجســـاره

● ● ●

قسما « أبا عمار » لن نلقى على الأرض الحجـــاره
فدم الضحايـــا الأبريـــاء أثـــار فى الوجـــدان ناره
وَأَثَارَنَارَالثَّـــأْرِ فى عمـــق المشاعـــر والقـــراره
وعلى ثـــرى حرم الخليـــل تفجـــرت فينا الشـــراره
وسنستمـــر وتستمـــر لنـــا السيـــادة والصـــداره
لنعيـــد أولى القبلـــتين نعيـــد أضواء المنـــاره
ونعيـــد للـــروض الغنـــاء نعيد للقفـــر النضـــاره
وسيطلـــع الفجـــر الجديد وجيلنـــا يجنـــى ثمـــاره

(١) الهزار : الطائر المغرِّد .




لصاحب الفضيلة الشيخ / على محمد العمارى

لاشك أن الرضا علاج لكثير من الأمراض النفسية التى يصعب على الطب الحديث إيجاد الدواء الناجع لها . والرضا عنصر من عناصر الإيمان الخالص ، يعنى الخضوع والانقياد لما أمر الله به وقضى ، ويجعل الإنسان فى منزلة لا خيار له فيها ولا مفر ، إنه رضا القناعة أو قناعة الرضا فى الإنسان المؤمن .

أما الرضا بالظلم أو الحيف أو الجور فهو نوع من الخنوع والاستسلام نهى الإسلام أن يتصف به أبناؤه فالمؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف .

ومن أجل ذلك يجب أن نفرق بين الرضا بقضائه ـ تعالى ـ والقناعة به ، والرضا بمعنى التسليم للحيف والجور فالأول مطلوب والثانى مرفوض .

قال الأستاذ ـ حفظه الله ـ :

إعداد وتقديم د. عبد الفتاح حسين الزيات

يكاد يكون من المستحيلات أن تجد إنسانا راضيا عن مكانه فى الحياة ؛ ذلك بأنك لا تلقى إنسانا ـ فى المنزل أو فى النادى أو فى الطريق ، أو حتى فى أماكن اللهو واللعب ـ إلا وجدته ساخطا ثائرا يلعن الدنيا ومن فيها ، وما فيها ، ولا يحدثك إلا باكيا حزينا ثم يقص عليك مِنْ فعل الزمن به ، ومن حوادث الأيام التى انتابته ، ما يستنزف من عيناه الدمع ، ويستنزل من قلبك الشفقة ، ثم لا ينسى ـ إن تمادى بينكما الحديث ـ أن يذكرك ما يتمتع به الآخرون من نعيم ، وما يعيشون فيه من رغد وسعادة ، ويكاد يقسم لك بأنه ـ وحده ـ المصاب المبتلى ، ولكن ما درى أن الأمر كما قال الشاعر :

لِكُلٍّ شجونٌ فى الحياة كثيرة
ولكن يوارى عن سِوَاهُ شجونه

وكل امرىء يبكى لبلواه غابطا
فتى مثله باكى الفؤاد حزينه

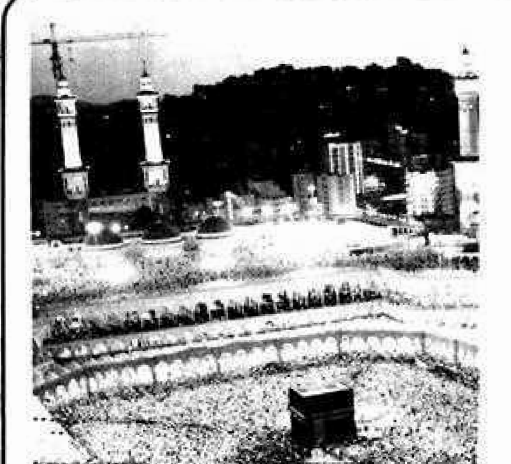
ولم يدر إنسان بآلام غيره
فهم مثل ما يبدو الجوى يكتمونه

وكلٌ ينادى نفسه فى خلائه
بأن جميع الناس تسعد دونه.

والسر فى هذه الشكوى التى لا تنقطع ، وتلك الهموم التى تملأ نفوس الناس ، أن كل إنسان ينظر إلى ما ينقصه من متع الحياة ، ولا ينظر إلى ما عنده ، ولا يرضى بما عنده مهما جل ـ مغضياً عما يفقده ، وتراه كلما وصل إلى غاية تطلع إلى ما فوقها ، وهان عليه ما أدركه وقد عبر عن هذا المعنى رجل جليل القدر ، عظيم الشأن ، هو سيدنا عمر بن عبد العزيز الخليفة الأموى الزاهد فقال : « إن لى نفسا تواقة : تاقت إلى الإمارة فلما نلتها تاقت إلى الخلافة ، فلما نلتها تاقت إلى الجنة » .

والناس : يتطلع أحدهم إلى المال ، فإذا نال منه قسطاً طلب المزيد، فإذا كثر ماله طلب الأكثر ، ولا يزال يطلب ويستزيد ، وهذا معنى قوله ـ ﷺ ـ : « لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى ثالثا » ويتطلع إلى الذرية ويسأل الله أن يهب له من لدنه وليا يرثه ويرث آباءه ، فإذا رزق البنات طلب البنين ، فإذا رزق البنين اهتم بمكانهم وحظهم من الحياة .

وَقُلْ مثل ذلك فى الصحة والجاه والعلم ، فلا يزال فى هم من حظوظ الحياة ثم ينظر إلى الصفحة من جهتها الأخرى ، فإذا فيها حوادث الدهر ونكباته من نقص فى الأموال والأولاد ، وضعف فى الصحة ، وابتلاء فى النفس ، فلا يزال ـ كذلك ـ يشكو ويئن .



وقد أصبح من الأمور البديهية أن أعدى الأعداء هو الهم ، وأن اضطراب الأعصاب وكثيرا من الأمراض إنما يرجع إلى ما يعترى الإنسان من هم وغم وحزن ؛ ولذلك اتجه العلماء وجهة جديدة ، فأخذوا يؤلفون الكتب ، وينشرون المقالات والأبحاث التى تبين للإنسان كيف يتمكن من التغلب على الهموم ، وتيسر له كيف يجعل حياته سعيدة طيبة ، فدعوا ـ أول ما دعوا ـ إلى الرجوع إلى الدين « فإنه لا توجد مشكلة واحدة من مشكلات أولئك الذين بلغوا منتصف العمر لا ترجع فى أساسها إلى فقدهم الإيمان ، وخروجهم على تعاليم الدين ، ويصح القول بأن كل واحد من هؤلاء المرضى ، وقع فريسة المرض لأنه حرم سكينة النفس التى يجلبها الدين ـ أى دين كان ـ » كما يقول « كارل يونج » أعظم الأطباء النفسانيين فى هذا الجيل .

كما تعرض أولئك الباحثون لنصائح كثيرة يستعان بها على مواجهة الحياة ، لو اتبعها أصحاب الأمزجة الحزينة ، والعواطف الثائرة ، لاستراحوا وهدأت عواطفهم .

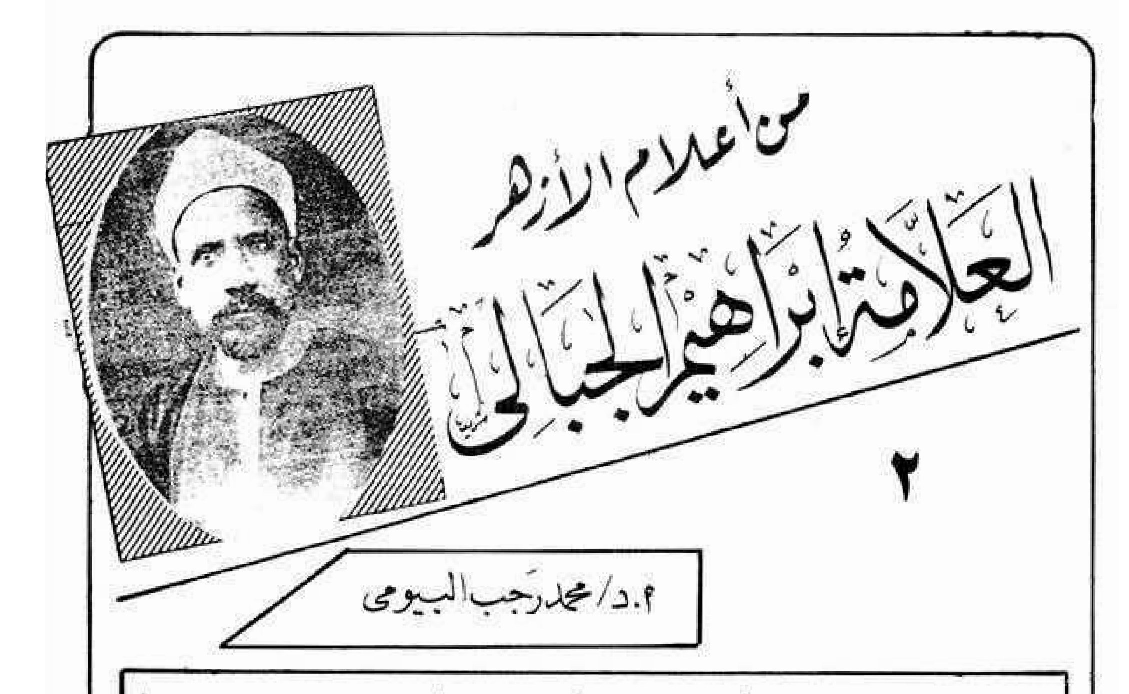
ونحن نجد فى ديننا الإسلامى أنجح علاج لهذه الأمراض ، ذلك هو الرضا ، الرضا بما حصل عليه الإنسان من خيرات ، وما حققه من آمال ، والرضا بما يصيبه من أحداث ، فإن الرضا أكبر داعية إلى هدوء النفس وطمأنينتها وإلى التغلب على آلامها وهمومها ولن يرضى الإنسان - حق الرضا - حتى ينظر إلى الحياة نظرا سليما ، وحتى يملأ نفسه الإيمان الخالص ، فإذا نظر إلى الحياة نظرا سليما رأى أنه أعطى من الخيرات ما يكفل له عيشة هنية راضية ، وإذا ملأ نفسه الإيمان الخالص رأى أن كل الأحداث التى تمر به ، أمور عادية فى الحياة ، ليس هو المختص بها من دون الناس . والفرق بين رجلين أحدهما صاحب مزاج ضاحك مستبشر ، والآخر صاحب مزاج باك حزين هو ما تعبر عنه هذه الكلمة : « يقول المتفائل : إن كأسى ملأى إلى نصفها ، أما المتشائم فيقول : إن كأسى فارغة إلى نصفها » فحظهما من الحياة لم يختلف ، ولكن اختلف نظرهما إليها على أن الإنسان لو نظر إلى من هو دونه — فى شئون الدنيا — كما أمر بذلك ديننا الحنيف — لملأت نفسه السكينة . وهذا أيضا ما نجده فى تعاليم المحدثين ، يقول أحدهم :

كاد القلق يبددنى هباء
لأن قدمى افتقدتا حذاء
حتى رأيت منذ يومين
شخصا بلا قدمين

ولو فكر الإنسان فيما عنده لرأى نفسه مقصرا فى شكر ما أنعم الله به عليه ، ولقد شكا بعض الناس فقره إلى بعض أرباب البصائر ، وأظهر شدة اغتمامه فقال له : أيسُرُّك أنك أعمى ولك عشرة آلاف درهم ؟ قال : لا. قال: أيسرك أنك أخرس ولك عشرة آلاف ؟ قال : لا. قال : أيسرك أنك قطيع اليدين والرجلين ولك عشرون ألفا ؟ قال : لا . فقال : أيسرك أنك مجنون ولك عشرة آلاف ؟ قال : لا. فقال : أما تستحى أن تشكو مولاك وله عندك عروض بخمسين ألفا ؟!

لو فكر الناس تفكيرا سليما ، ولو آمنوا إيمانا خالصا ، لرضوا بنصيبهم من الحياة ، ولو رضى الناس بحظوظهم من الدنيا ، لعاشوا فى سعادة ونعيم ، ولاستغنى العالم عن نصف الأطباء ، ولكن :

كل من لاقيت يشكو شجوه
ليت شعرى هذه الدنيا لمن ؟




**تسجل مجلدات مجلة الأزهر فى عقدها الأول ما كتبه الأستاذ الجبالى فى تفسير كتاب الله حيث نشر بها تفسير سور النور ، والحجرات ، والرعد ، ولقمان مع تفسير آيات متفرقة اختارها الشيخ لمناسبات دعت إلى تفسيرها ، ومن يقرأ ما كتبه الجبالى على مدى السنوات العشر يجده خاضعا لرأى خاص فى التفسير ، إذ يرى السورة الواحدة عقدا ذا حبات متناسقة ترجع إلى معانى متحدة متماسكة ولا يتضح المضمون الدقيق للآية الكريمة دون مراجعة لآيات السورة فى نسقها المطرد ، هذا من ناحية الآيات المتوالية فى السورة الواحدة ، أما من ناحية ترتيب السور فإنها ــ فى رأيه ــ تخضع إلى ارتباط قوى يجب أن تبذل القوى الفكرية للبحث عنه بحيث يدلى كل مفكر مما يتراءى له ، ولله نور يقذف به فى العقول لتشرق فى أحيان كثيرة للبحث السديد مهما تعددت الوجوه واختلفت الأنظار .**

يقول الأستاذ الجبالى فى مقدمة تفسير سورة النور وقد جمعه فى كتاب خاص « تحت عنوان » « شفاء الصدور فى تفسير سورة النور » ما نصه[1] .

ورد إلى مجلة الأزهر سؤال عن تفسير قول الله عز وجل ( ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ... ) الخ الآية الكريمة ، فعهد إلى بالاجابة عنه ، فنظرت وإذا الآية فى سورة النور معقبة لآيات تتعلق بتنظيم

---

١ ـ شفاء الصدور ص (١) مجلة الأزهر المجلد السادس ص ٧٩ سنة ١٣٥٤ هـ .

الحياة المنزلية ، فتصون روابط الأسرة وتحفظ أواصر القرابة وتبين الحقوق والواجبات فى المعاشرة ، والاختلاط بين الجنسين ؛ الرجال والنساء ، وذلك كله دواء شاف وعلاج ناجع لما أصابنا فى هذه الآونة من أمراض فى هيئتنا الاجتماعية حلت روابطنا وفككت عرانا ، فحدا بى ذلك إلى الشروع فى تفسير السورة بتمامها مما يصل بى إلى تفسير الآية الكريمة المسئول عنها .

ويقول الأستاذ فى مقدمة تفسيره سورة الرعد[٢] .

« وجهت إلى من عزيز عظيم رغبته فى التعرض لتفسير قوله جل شأنه « إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ » إذ كان فيها تنبيه للمسلمين على ما كانوا فيه وما آلوا إليه مما يوحى أن يكون معه ذكرى نافعة لهم والذكرى تنفع المؤمنين بل لأنها تحوى من النواميس الاجتماعية ما يفيد كل أمة تزنها بمقدارها ، وتستضىء بنورها فهى على وجازتها كوكب ساطع يشع بالنور .. ولما كانت الآية الكريمة فى أوائل سورة الرعد وقد جمعت هذه السورة من دلائل عظمة الخالق ــ جل وعلا ــ ما يملأ القلوب نورا وإيمانا ، ويثلج الصدور ببرد اليقين ، رأيت أن أعرض لتفسير السورة من أولها مستمدا من الله المعونة والتوفيق » .

لا أقول إن كلام الأستاذ يفهم منه صريحا مجاراة القائلين بالتماسك العضوى بين الآيات ، ولكن أقول وإن تمسكه بتفسير السورة جميعها لسؤال يريد تفسير آية منها يدل على رأيه الخاص فى ارتباط المعانى على نحو من الانحاء فى السورة الواحدة ، وللأستاذ سابقون من المفسرين يرتضون هذا الاتجاه ، ومنهم من سلط عليه الضوء النافذ كالبقاعى فى تفسيره الخاص بمناسبات الآيات والسور ، أما صلة السورة الكريمة بما قبلها فمما اعتقده الأستاذ الجبالى عن اقتناع فهو فى مفتتح سورة[٢] الحجرات يؤكد مناسبتها لسورة الفتح من جهة أن هذه السورة تعرضت إلى صلح الحديبية حين اشترط المشركون أن تمسح البسملة من العهد فقالوا أنهم لا يعرفون ( الرحمن الرحيم ) كما اشترطوا أن يحذف وصف النبى ﷺ بالرسول وقالوا : لو نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك ، فقبل ﷺ ما اشترطه القوم لحكمة يعرفها ، وتذمر المسلمون ؛ لما رأوه من القسوة فى الاشتراط حتى قال بعضهم : أليس قد وعد الله رسوله أن ندخل المسجد الحرام ؟ فقال أبو بكر : أو قال هذا العام ؟ فجاءت السورة التالية مفتتحه بقول الله ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ » وأيضا فقد ختمت سوره الفتح بالتنويه بشان الرسول وعلو درجته والثناء على المؤمنين بذكر مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل فكان جديرا أن يعلم هؤلاء الخيرة الأبرار ما تجب عليهم مع صفوة الرسل ــ عليه الصلاة والسلام ــ من التبجيل والاحترام ، أما منحى الأستاذ فى تفسيره فهو الإلمام بما يختاره من أقوال السابقين مع التعقيب

---

٢ ــ المجلد الخامس من مجلة الأزهر ( نور الاسلام حينئذ ) سنة ١٣٥٣ هـ ص ٨ .

عليه بما يراه ، فى نسق مطرد متماسك فهو لا يسرد هذه الأقوال سردا رقميا جافا ، بل يصوغها ببراعة كاشفة وفى تعبير موفق يظفر بارتياح القارىء له ، وتفهمه إياه بالغا ما بلغ من الادراك علوا أو هبوطا ، ووضوح المعانى لا يتيسر لغير من اتضحت فى فكره الآراء اتضاحا سافرا فهو لا يعانى مشقة فى تسجيلها كدأب من تغيم فى عقولهم بعض المعانى فيسطرونها فى غموض مبهم لا تكتمل جدواه ، وقد قال فى تحديد منهجه[٣] إنه بذل جهد المستطاع حين لخص زبدة ما اختاروه من كلام أئمة التفسير مضيفا إليه ما فتح الله به عليه أثناء تدبره للنص الشريف مما انشرح له صدره وراقه فى نظره متسقا فى أسلوب يناسب الذوق المعاصر ، على أن اتزانه الخلقى وتضلعه العلمى قد وضحا بجلاء فيما يعرضه من الآراء المتقابلة ، إذ يوفى كل وجهته حقهمـــا من الاستدلال والترجيح توفية تامة ، وإن لم يمل إليها ، إذ يرى من الأمانة العلمية أن تبسيط الرأى دون كزازة واقتضاب ؛ ليترك للقــارىء حريــة الاختيار ، ولعل مما أستشهد به فى هذا المجال تفسيره المسهب المبسوط فى قوة وإشباع وإمتاع لقول الله ــ عز وجل :

وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ[٤] فقد تعرض لوجهتى النظر المختلفتين بين السلف والخلف ، إذ ذهب الأولون إلى حقيقة الإشهاد ووقوعه العملى وذهب الآخرون إلى أن الآية تشير إلى ما أودعه الله فى نفوس بنى آدم من الدلائل الناطقة بربوبيته ، حيث يجد العقل من الأدلة الساطعة ما يسوقه إلى الاعتقاد بوحدانية الخالق بما أبدعه من كائنات ، وخلق من أجناس ، وذلك هو المعنى المراد بالشهادة والإقرار وقد اتسع المجال لتقرير الوجهتين المختلفتين فى بضع عشرة صفحة من ذات القطع الكبير ، ثم قال فى ختام تفسيره إن الدلالة على المعنى الأول لا تنفى الإشارة إلى المعنى الثانى ، وقارىء الشرح المدقق يلمس من بعيد ارتياح الشارح لرأى الخلف دون أن يجد انتقاصا ما لرأى السلف ، وتلك براعة فى العرض تروق المنصفين .

أما الإبداع فى عرض الصور البيانية فقد بدأ فى أكمل وجوهه بهذه التفسير المشرق ، ونضرب المثل بما ذكره الأستاذ فى تفسير قول الله ــ عز وجل ــ فى سورة الرعد[٥]

أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾

فقد قال الأستاذ فيما قال من شرح لا نستطيع استقصاءه . فى هذا المجال[٦] .

فى الآية بيان لحال الحق والباطل اللذين انكشف أمرهما وتبين حالهما بما قام عليهما من الأدلة الساطعة والبراهين القاطعة فقد أبرزهما فى

---

٣ ــ مقدمة الصدور ص (٢) .
٤ ــ الأعراف : ١٧٢ ، ١٧٣ .
٥ ــ الرعد : ١٧ .
٦ ــ مجلة الأزهر المجلد السادس ص ٥٩٢ .

صورتين يراهما الناس رؤية متكررة وقد اقترن فى كل منهما أنفع شىء بأتفهه وأغلى شىء بأخسه ، فمن الذى يخفى عليه ما فى الماء من المنافع الجُلىّ وقد احتاج إليه كل شىء واستندت إليه حياة كل حى ؟ والزبد المقترن به يحسب شيئا وما هو بشىء ومن الذى يخفى عليه أن الماء باق يحتفظ به إما فى أوديته وأنهاره وإما فى مسالكه فى ينابيع الأرض تتفجر به العيون فى مواضع الحاجة ، حيث نستفيد منه الفوائد ، ومن ذا الذى يخفى عليه أن الزبد الذى يعلوه ويحاول أن يجتذب العيون لا تكاد تنتبه إليه النفوس ، أو تتجه إليه الأفكار فهو والعدم سواء ، فهل رأيت أن شأن الباطل كشأن الزبد فى محاولته أن يطفو على الماء وهو لا يستحق أن يكون له موطئا ، وهو يحاول مجاراة الماء وهو أحقر من أن يكون له قرينا ، فالحق مع الباطل كالماء مع الزبد فى النفع وعدمه وفى المسايرة دون استحقاق وفى محاولة الاستعلاء وليس له بأهل ، وفى الثبات والزوال وفى تعرضه للأنظار يسترعيها مع اعراضها عنه احتقارا وعدم اهتمام .

ويمتد الحديث فى هذه الألوان الزاهية امتدادا خالبا زاهيا دون أن يتصل له بريق .. وللأستاذ بمجلة الأزهر أيضا ــ شروح متصلة للحديث النبوى الشريف مست إليها الحاجة الاجتماعية ودعت الضرورة الى الارتواء من معينها ، ومسلكه فى شرح الحديث النبوى يجانس مسلكه فى التفسير القرآنى لان السائل من لون الاناء ، ولا نطيل .

هذا وقد كتب الأستاذ كثيرا فى ما لاحظه من العصبية المذهبية التى شغلت فريقا من المسلمين ، فشتتت الكلمة وأثارت الفتن وأوقدت الأحقاد مبينا أثر السياسة فى نشأة هذه الفرق بالنسبة الى علم الكلام وأثر الضيق الفكرى بالنسبة إلى علم الفقه ، وقد اشتغلت الصحف الدينية لعهده بمناقشة قضايا التوسل والاستغاثة وعرف لكل منحى رجاله من الفقهاء المتحمسين فكتب الأستاذ الجبالى فى هذا المجال كتابة من يرى وجهات النظر تتسع لكلا الرأين ، وأن أوجه الخلاف أقل من أن تثير هذه الحرب الكلامية فيصبح القتال فى غير معترك حقيقى ، ثم سافر إلى الحجاز فى رحلة الحج المباركة ليجتمع مع كبار العلماء فى المسجد الحرام ويعرض عليهم وجهة نظه الداعية لرأب الصدع وقد تعهد بأن يتلقى رسائل المتشددين ليجيب عنها برسائل متماثلة ؛ حتى يظهر وجه الحقيقة فيلتقى الجانبان على أمر سواء ، مشترطا أن تكون هذه الرسائل شخصية بحيث لا تطبع على الملأ ، كيلا يتدخل فى النقاش من يتربصون الدوائر كى يشعلوا نار الفتنة لحاجات فى نفوسهم وهم بعد من رجال الدين الذين تفترض فيهم الدعوة الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة مع المجادلة بالتى هى أحسن وهذا ما اشترطه الأستاذ ورعاه ولكن بعض من راسلهم فى صمت ، تحدث بما قال الأستاذ فى ملأ من قومه فوجد من ينشر آراء محرفة ليرد عليها بما يثير الضجة والانفعال فرأى الأستاذ أن يعقب علنا على ما نشر ليكشف النقاب عن افتراءات تنسب اليه تارة ومبالغات فى الاستنباط المغرض تارة أخرى ، وقد أذن الله فهدأت ريح الخلاف ، وصارت المسألة تاريخية أكثر منها فقهية !

أما غرة مواقف الشيخ فهى رحلته إلى الهند

رئيسا للبعثة الأزهرية فى عهد الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى ، حين جاءت الأنباء الى مشيخة الأزهر الشريف متحدثة عن رغبة المنبوذين فى الهند فى اعتناق الاسلام إذ وجدوه دين الحرية والمساواة والإخاء وسينقذهم من هذا السقوط الانسانى الذى جعلهم فى مرتبة منحدرة عن غيرهم من المواطنين فى البلد الواحد وطبيعى أن يشمر الأستاذ الأكبر للأمر بعزيمة لا تهدأ ، فدرس المسألة من جميع وجوهها وأخذ يراسل زعماء الاسلام فى الهند — قبل أن تنشأ دولة الباكستان بعشر سنوات .. كى يعرف الحقيقة بعيدا عن مبالغات الصحف ؛ فجاءته الردود المخلصة من أعلام كبار فى مقدمتهم الشاعر الإسلامى الكبير محمد إقبال والكاتب المفكر الأستاذ خالد بابا ، ثم جاءته رسائل أخرى من كبار الزعماء فى العالم الاسلامى ومن بينها رسالة الزعيم التونسى الشهير الأستاذ عبد العزيز الثعالبى وبعد دراسة هذه الرسائل رأى الأزهر أن يرسل بعثة للاستطلاع يرأسها الأستاذ ابراهيم الجبالى مصاحباً زميليه الكبيرين الأستاذ عبدالوهاب النجار والأستاذ محمد احمد العدوى وما من أحد منهما إلا له مقام جهير فى الدعوة الاسلامية وجهود مخلصة فى توضيح مآثر الاسلام ، وقوبل نبأ البعثة الأزهرية فى شتى ربوع العالم الاسلامى بالابتهاج ؛ حيث خصها ملك البلاد بالتشجيع ورحب الرئيس الجليل مصطفى النحاس رئيس الوزارة بالفكرة وقابل أعضاء البعثة قبل السفر محييا مباركا وأقيمت الاحتفالات تكريما لها فى كل بلد ترسو به الباخرة المتوجهة إلى الهند وقامت البعثة المباركة بجهود مضنية تحدثت عنها فى تقرير مسهب نشر تباعا بمجلة الأزهر فى المجلدين الثامن والتاسع الصادرين فى سنة ١٣٥٦ هـ وسنة ١٣٥٧ هـ وقد جاء فى هذا التقرير ما نصه :

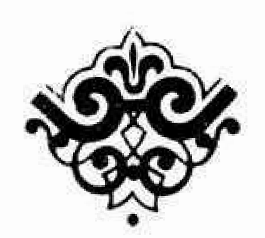
«قد قضت البعثة فى الهند حوالى مائة يوم زارت خلالها خمسين مدرسة وجامعة وتحدثت فى جلسات خاصة مع ثلاثين من رجالات الهند الممتازين ، وألقى أعضاء البعثة اثنتين وثلاثين محاضرة عامة . كما أجابوا عددا من الدعوات الخاصة والعامة . كانت كلها مجالا لتبادل الرأى خلال التبسط فى الحديث ، كما زارت البعثة عشرين مكانا يحفل بالآثار الاسلامية ، ولا يبرر قلة هذا العدد مع كثرة الآثار الإسلامية بالهند إلا أن زيارة الآثار لم تكن داخله فى المهمة التى أوفدت من أجلها البعثة إلى الهند ، وقد أدى أعضاء البعثة صلاة الجمعة فى المساجد العامة اثنتى عشرة مرة فى عشر مساجد فى عشر مدن كبرى مختلفة ، كما حضرت البعثة صلاة العيد مرتين مرة فى بومباى ، والأخرى فى كلكتا » .

وقد دون كل من الأستاذين الجبالى والنجار مذكرات خاصة بالبعثة لم يتح لها أن تنشر ، وتحدثا فى مناسبات كثيرة عمن قابلاه من كبار الشخصيات الاسلامية اللامعة مثل الشاعر الكبير محمد إقبال والقائد الاعظم محمد على جناح زعيم الباكستان فيمابعد ، وكان مما قالاه حديث مؤثر عن شاعر الباكستان إقبال حيث لم يعفه مرضه الأخير عن لقاء البعثة ، وتحدث أكثر من ثلاث ساعات وهو منهك الجسم ، خفيض الصوت

بادى الضعف عن أحوال المسلمين بالهند وما يلاقونه من التعصب المرير فجاء مفاجأة للسامعين أن يذكر إقبال الزعيمين الهندوكين غاندى ونهرو فى طليعة من يثيرون هذا التعصب المنكر مع أن الصحافة العربية تجهل حقيقتهما حين تذيع عنهما شمائل التسامح والرفق ، أو هذا التسامح الذى يتسمان به خاص بابناء طائفتهما وحدها وكأن الحرية التى تتشدق بها أوربا لتكون وقفا على الدول الأوروبية فحسب ! أما المستعمرات المضطهدة فلابد أن تصلى نار العداء ! كما أن الحكام من الانجليز ينادون المسلمين بضراوة ويحرمون عليهم المناصب الرفيعة إذ هم أهل فكر وأصحاب رسالة فلا يخشون غيرهم ! وقد دعا غاندى إلى الوطنية العامة دون تفريق ، فقلنا له : إننا نرحب بالاجتماع لا بالافتراق فقال : على أن يكون الدستور وفقا لرغبات الأكثرية وحدها ، فقال له الزعيم محمد على جناح ، كيف تسوى تحت قانون واحد بين من يعبد البقرة ومن يأكلها ؟ وهاج كتاب الهنادكة متطاولين على المسلمين ، وأقيمت المحاضرات المذكية للعداء ضدهم ، وتعدى القول إلى الفعل الجارح فثارت الفتن وسفكت الدماء وحكومة الانجليز تعمل جاهدة على تأييد الهنادكة إذ ترى النفور التام منها لدى المسلمين ، وتعلم من آرائهم الدينية ما يجعلها عدوا لا صديقا ، وهذا ما تخشى أن يسود بين الكافة !

وعادت البعثة مرفوعة الرأس بما قامت به من جهود !

وفى ختام هذا البحث أُعْلِن أن بعض دور النشر اللبنانية قد نشرت مقالات الشيخ الجبالى فى السنوات الأولى من مجلة الأزهر بمجلد كبير لا يضم مقالات التفسير . بل يشمل ما كتبه خاصا بالتعاليم الاسلامية وموافقاتها للفطرة ، وأنا أرجو أن أجد من يجمع مقالات الأستاذ فى شتى الصحف والمجلات ، لتكون زادا باقيا للقارىء المتطلع ، وأثرا خالدا لمجهود حفيل ..



# طرائف ومواقف

للأستاذ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم

**من وصايا الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأبى ذر ـ رضى الله عنه ـ**

قال : أوصانى خليلى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بسبع :

بحب المساكين وأن أدنو منهم ، وأن أنظر إلى من أسفل منى ، ولا أنظر إلى من هو فوق ، وأن أصل رحمى وإن جفانى ، وأن أكثر من قول: لاحول ولا قوة إلا بالله ، وأن أتكلـــم بمر الحق ، ولا تأخذنى فى الله لومةُ لائم ، وأن لا أسأل الناس شيئا .

**رواه أحمد والطبرانى**

**قيـــل**

- **لو لم يتوعد الله على معصيته ، لكان يجب أن لا يعصى شكراً لنعمه .**
- **لعن الله الآمرين بالمعروف ، التاركين له والناهين عن المنكر العاملين به .**

« الإخوان ثلاثة »

قال حكيم : الإخوان ثلاثة :

أخ يخلص لك وده ، ويبلغ فى فهمك جهده .

وأخ ذو نية يقتصر بك على حسن نيته ، دون رِفدِه ومعونته .

وأخ يجاملك بلسانه ، ويتشاغـــل عنك بشانِه ، ويوسعك من كذبه وأيْمانِه .

**« كلمـات جامعـة »**

من الكلمات الجامعة لسيدنا عبدالله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ قوله : خير الغنى غنى النفس ، وخير الزاد التقوى ، وشر العمى عمى القلب ، وأعظم الخطايا الكذب ، وشر المكاسب الربا ، وشر المأكل مال اليتيم ، ومن يعفُ يَعْفُ الله عنه ، ومن يغفر يغفر الله له .

« يا دنيا .. ما أطيبك »

يروى أن عبدالملك بن مروان لما أحس بالموت قال : ارفعونى على شرف ، فكان ذلك ، فتنسَّم الروح ، ثم قال : يا دنيا ما أطيبك ! إن طويلك لقصير ، وإن كثيرك لحقير ، وإن كنا منك لفى غرور وتمثل بهذين البيتين :

**إن تناقش يكن نقاشك يارب**
**عذابا ،ولا طوق لى بالعذاب**
**أو تجاوز فأنت رب صفوح**
**عن مسيىء ذنوبه كالتراب**

« والله لو تراءيت لى لقتلتك »

فى موقعة « بدر » كان سيدنا أبوبكر ـ رضى الله عنه ـ يقاتل بجانب النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وابن له كان مايزال كافرا يحارب معهم فى صف ضد أبيه ، ثم أسلم الابن بعد ذلك .

فقال الولد لأبيه : يا أبت قد رأيتك يوم « بدر » فعزفت عنك مخافة أن ينالك شىء !! .

فقال أبوبكر ـ رضى الله عنه ـ : والله يابنى لو تراءيت لى يوم « بدر » لقتلتك !!

« اخفض من بصرك »

أكل أعرابى على مائدة الحجاج ، فكان يأكل بسرعة ونَهم .

فقال له الحجاج : يا هذا ، ارفق بنفسك ، فقال الأعرابى : وأنت اخفض من بصرك .

« الخروج عريانا »

قال أبوبكر الزجاج :

قيل لمعروف الكرخى فى علته : أَوْصِ فقال : إذا مت فتصدقوا بقميصى هذا ، فإنى أحب أن أخرج من الدنيا عريانا كما دخلت إليها عريانا .

« قيـــل ... »

الصبر بالله غناء ، والصبر لله بقاء ، والصبر مع الله وفاء ، والصبر عن الله جفاء .

« إن كنت كاذبا جعلك الله صادقا »

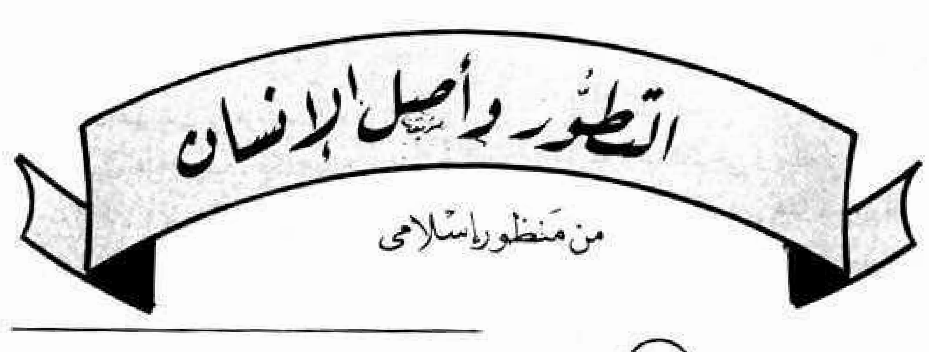
طلب أعرابى من رجل مساعدة ، فتحجج الرجل بالمرض ، فقال له الأعرابى : إن كنت كاذبا جعلك الله صادقا .

« حقـــا »

ما لابن آدم والفخر : أَوَّلُهُ نطفة مذرة وآخِرُهُ جيفة قذرة ، وما بينهما يحمل العذرة .

« دعـــاء »

اللهم حسن أخلاقنا ، وأصلح نياتنا ، وأصلح لنا أعمالنا واسترنا بسترك الجميل ، ولا تفضحنا بين خلقك .






عرض وتحليل : أ.د. أحمد فؤاد باشا

**لازلنا في عرض الكتاب على ماهو عليه من فكر مؤلفه ، ونأمل أن يوفقنا الله ـ تعالى ـ في التعقيب عليه في العدد التالي :**

معنى مقولة « الأصل المشترك » :

يواصل صاحب كتاب « التطور وأصل الإنسان من منظور إسلامي »(*) تفنيد مزاعم دارون فيما يتعلق بمقولة « السلف المشترك للإنسان والقردة » قائلا : « والسؤال الذى يطرح نفسه في هذا المقام هو : « لو ثبتت صحة الافتراض القائل بالأصل المشترك لكل من الإنسان والقردة ، هل هذا يدعو إلى الحطّ من قدر الإنسان والتقليل من شأنه كخليفة لله في الأرض ؟ » ، ثم يجيب : بالطبع لا .. ويسرد من الأسباب ما يرجح احتمال ثبوت صحة هذا الفرض مستقبلا بدعوى أن الإنسان يمتلك نفس الأجهزة والأعضاء التى يمتلكها الحيوان عموما وتقوم بنفس الوظائف البيولوجية مع اختلاف الدرجة . فالإنسان يتغذى كما يتغذى الحيوان ، ويستخدم نفس المواد الغذائية من خضروات وفاكهة ولحوم ، ويخرج الفضلات كما يُخرج الحيوان بواسطة أجهزته البولية والهضمية ، ويتناسل الذكر والأنثى كما يتناسل الحيوان ، وتتم عمليات الإخصاب بنفس الطريقة الشائعة في المملكة الحيوانية ، وغير ذلك مما لا يعد ولا يحصى من أوجه التشابه .

(*) د. محمد فوزى جاب الله : المطبعة العالمية ـ القاهرة ـ ١٩٩٢م .

على أن الأصل المشترك للأحياء عموماً قد قرره القرآن الكريم فى قوله تعالى :

﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ﴾ .
( سورة الأنبياء : ٣٠

وكان التكريم الحقيقى للإنسان أن علّمه الله ـ سبحانه وتعالى ـ البيان ، فقال عز من قائل :

﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴾
( سورة الرحمن : ٣ ، ٤ )

ذلك أن البيان هو سر الأسرار الذى يميز الإنسان عن الحيوان ، وهو محصلة المعرفة والفهم وتداول الأفكار واستخدام اللغة ، ومن طبيعة الأمور أن يحتاج هذا البيان إلى آليات خاصة لتحقيقه ، فهو محتاج إلى لسان وشفتين ومخ ومراكز للسمع والبصر والشم والإحساس ، وغير ذلك من الأجهزة والأعضاء البيولوجية التى لا يخلو حيوان منها ، لكن الحيوانات تفتقد إلى لبيان الذى خص الله به الإنسان وجعل منه مخلوقا عاقلا فصيحا معبرا .

**الخلية الحية لم تنشأ بالانتخاب الطبيعى :**

يوضح الكتاب أن داروين لم يكن غافلا عن نقاط الضعف والغموض فى نظريته التى يعتمد نجاحها اعتماداً كاملًا على إثبات المراحل الوسطية للتطور ، فهو يقول : « إنه إذا استطاع أحد أن يثبت أن أى عضو من الأعضاء مهذّبة التركيب وراقية التكوين قد أمكن أن يستحدث بدون أن يكون للتحول التدريجى للصفات يد فى استحداثه على مدى الأزمان ، فإن مذهبى لا محالة ينهار من أساسه » .

وهنا يقدم الكتاب أمثلة للخلق ظهرت فجأة كاملة التكوين ولم تسبقها صور أدنى منها ، فالخلية الحية ـ ثابتة كانت أو حيوانية ـ لم يسبقها إلى مكوناتها البسيطة من جزيئات عضوية أى مراحل تبدو فيها خطوات التدرج من البسيط إلى المركب ، ذلك أن هذه الجزيئات منفردة لا تستطيع القيام بما تقوم به الخلية من وظائف معقدة ، بل لا يمكن لها أن تتصف بصفة الحياة ، فالخلية بنيان هائل التكوين معقد التركيب على صغر حجمها ؛ لأنها تحتوى على مراكز لإنتاج الطاقة وأخرى لتصنيع البروتين والأنزيمات والهرمونات ، بالإضافة إلى جهاز تحكم داخل النواة وأجهزة اتصال بيولوجى بين النواة و « السيتوبلازم » ، وجدار خارجى عجيب يسمح بانتشار بعض المواد والعناصر بين الخلية وخارجها ولا يسمح للبعض الآخر ، ناهيك عما تتمتع به الخلية من قدرة على الإنقسام والتكاثر لزيادة عددها من أجل البقاء .

فالخلية إذن عالم متكامل وإعجاز لا يقدر عليه بشر ، وهى أدنى صور الكائنات الحية ، فهناك حيوانات ونباتات وحيدة الخلية مثل الأميبا والبكتريا ، وهى أساس بنيان جميع الكائنات الحية ، ومظاهر الاختلاف بين الأنسجة والأعضاء ، بل والكائنات عموما ، إنما تعزى إلى

توعية « البرمجة » الكامنة فى فطرة الخلية والتى تحدد مسار عملها ، حيث أن لكل خلية نظاما خاصا يضمن أداء وظيفتها واستمرار حياتها ، فخلية الدم المتحركة غير خلية العظام الثابتة ، والخلية العضلية غير الخلية العصبية ، وهكذا لكل خلية ما يخصها من شكل ووظيفة وهدف بالرغم من تشابه الأساس التركيبى لجميع الخلايا ، وهو قانون إلهى ثابت فى المادة الحية ، مضمونة التشابه فى الأساس والأصول مع الاختلاف والتنوع فى التفاصيل والوظيفة .

والسؤال الآن : هل كانت نشأة الخلية وتعدد برامجها من فعل « الانتخاب الطبيعى » الذى جاء به دارون ؟ .. والجواب : لا ، لأن الانتخاب الطبيعى كما عرّفه مخترعه كان من نتيجته بقاء الأصلح ، فهل كان هناك صراع وتنافس بين صور الخلايا الأولى من أجل البقاء ؟ .. إن الخلية الحية لم تنشأ إلا من أجل الحياة واستمرارها ، فخلقها كان فى بداية الحياة ولم تكن هناك حاجة إلى صراع من أجل البقاء ، ولم يكن لقوة الانتخاب الطبيعى التى اقترحها دارون أى مبرّر .. إن نشأة الخلية الحية بوظائفها الرائعة المتنوعة هى فى جوهرها نشأة نظام « البرمجة » الذى نعرفه حاليا فى علوم الحاسبات الالكترونية ، فهناك برنامج محدد لكل عملية فسيولوجية فى الخلية ، والخلايا تختلف عن بعضها فى برامجها ، أى أن الخلية العضلية غير الخلية العصبية ، وغير خلية الكبد أو الغدد الصماء .. فكيف لكل تلك البرامج أن تنشأ بالصدفة .. هل رأى أحد سيارة أو طائرة أو حتى لعبة أطفال نشأت بالصدفة من اصطدام مكوناتها الأولية ، أم أن من الضرورى وجود عقل مفكر وأيد ماهرة وراء صناعتها ؟ هل تستطيع الطبيعة بما زعموا لها من قدرة على الانتخاب والانتقاء أن تطور المنتجات الصناعية والماكينات والأدوات"، أم أنها متخصصة فقط فى المادة العضوية والكائنات الحية ؟! هل خلق الذكر والأنثى قد تم بقوة الانتخاب الطبيعى كما يقول الداروينيون والملاحدة ، أم أن هناك قدرة إلهية وراء ذلك ؟

ويخلص الكتاب من مناقشة هذه الجزئية إلى القول بأن تاريخ الكائنات الحية على الأرض يجمع — فى حقيقة الأمر — بين التغير التدريجى فى الصفات والقدرات وبين القفزات غير المسبوقة ، بمعنى أن هناك صفات وقدرات قد ظهرت فجأة كاملة الرقىّ ، وهذه القفزات تخفى هدفا وغاية من ظهورها ، أما إعطاء الطبيعة دوراً عاقلا موجها للأحياء ومسببا لظهور أنواع جديدة وانقراض أنواع قديمة فهذا ضرب من ضروب المزاعم العقلية التى تبين بكل وضوح كيف أن أصحاب النظريات المادية قد ربطوا أنفسهم بالطبيعة فقط وسخروا فكرهم لتفسير ظواهر الكون على أساس مادى وتجاهلوا تماماً كل ما وراء المادة .

حدود العلم والخلط بين المناهج :

إن النظرية البيولوجية فى التطور كانت ثمرة لمشاهدات مستفيضة فى عالم الحياة وجهوداً مضنية لصاحب النظرية فى عرض تلك المشاهدات

بطريقة منطقية قدر الإمكان ، لكن ما ترتب على ذلك من القول بقوة الانتخاب الطبيعي والبقاء للأصلح والسلف المشترك وانتقال الصفات المكتسبة من جيل إلى جيل والانتخاب الجنسي عند الحيوانات ؛ فهذا ما زال ظنا علميا لم تدعمه الدلائل الموثقة ، بل أن بعض هذه الفروض ، مثل انتقال الصفات المكتسبة وراثيا ، قد ثبت عدم صحته بما أجراه « جريجور مندل » من تجارب معملية وميدانية وأوضح بما لا يدع مجالا للشك انتقال الصفات الوراثية عن طريق « جينات » فى الخلايا التناسلية ، كما أن التشابه التشريحي للفروع والأنواع والفصائل لا ينفي بشكل قاطع خروج كل نوع من بداية خاصة ، مثلما أن خروج الفروع من أصل واحد ليس نتيجة محتمة لتشابهها التشريحي .

ولقد وقع الماديون من منظّرى علوم السياسة والاجتماع والاقتصاد فى خطأ فادح عندما خلطوا بين مناهج البحث فى هذه العلوم واتخذوا من آراء دارون فى التطور العضوى أساساً لتفسير مختلف جوانب النشاط الإنسانى ، ودخلت مفاهيم مثل « الصراع من أجل الحياة » و « البقاء للأصلح » و « الانتخاب الطبيعي » فى قواميس محترفى الهيمنة وأصحاب النزعات التعصبية الذين زعموا أن التميز بين الأجناس سنة كونية ومن الطبيعي لكى تستمر الحياة وترقى أن يفسح المجال للأقوياء والأذكياء ليحكموا ويسيطروا ، وأن يقضى فى الوقت نفسه على الكسالى والمتخاذلين والمتخلفين لأن الكون لا يتسع للفريقين معاً .

وهكذا تحولت آراء دارون التى بنيت على مشاهدات فى عالم النبات والحيوان إلى فلسفة كونية تفسر ظواهر اجتماعية سلوكية وتخدم نزعات عرقية ومذهبية ، وهذا تفسير مزيف وتأويل مغلوط وتجريد للعلم من سند الخيرية والتقوى .

التطور عند فلاسفة المسلمين الأوائل :

أوضح الكتاب كيف بدأ فكر التطور كفلسفة عند قدماء اليونان ، ثم انتقل إلى فلاسفة الإسلام توفّقوا بين المعتقدات الإيمانية من جانب وما رسخ فى الأذهان من مبادىء الفلسفة والواقع من جانب آخر ، وخصص المؤلف فصلًا من كتابه لعرض أهم آراء إخوان الصفا وابن مسكويه وابن خلدون فى هذا المجال . فإخوان الصفا يقررون أن الكائنات الحية جميعاً من نبات وحيوان وإنسان قد نشأت من أصل واحد يسمى « الهيولى » ، وهو ناتج من اختلاط العناصر الأربعة : الطين والماء والنار والهواء ، ويؤكدون أن هذا الأصل الواحد للكائنات دليل وبرهان على الخالق الواحد ، وأن هناك تدرجا فى مراتب أجناس المخلوقات من الأدنى ، وهى المعادن ، يليها النبات والحيوان ، ثم الإنسان ، وهو أرقاها جميعاً ، والجميع يتسلسل فى منظومة مترابطة متكاملة يخدم بعضها بعضا بقدرة إلهية ، ولكنهم لم يذكروا شيئا عن تحول تلك الأجناس بعضها من بعض ، واستبعدوا أن تكون الطبيعة هى المحرك الأول والمسئولة عن هذا التغير فى الكائنات ، وإنما ذلك كله من صنع الله سبحانه وتعالى .

وكان ابن مسكويه يؤمن بفكرة التطور فى نظام الكون ، ويعتبر القردة أقرب الحيوانات إلى الإنسان حيث يقـــول عن مراتب القـــردة وأشباهها : « ليس بينها وبينه ( أى الإنسان ) إلا اليسير الذى إذا تجاوزه صار إنسانا ، فإذا بلغه انتصبت قامته ويظهر فيه من قوة التمييز الشىء اليسير » لكن التطور والرقى لم يكن عند ابن مسكويه « بيولوجيا » وعضويا بالدرجة الأولى ، وإنما رقياً روحياً وسمواً وجدانياً وارتقاء فى الوعى والإدراك ، وهذا ما يميزه عن « لامارك » و « دارون » اللذين وصفا التطور بأنه عضوى بحت وبيولوجى خالص .

وتأثر ابن خلدون بآراء من سبقوه ، وخاصة الفارابى والقزوينى وابن مسكويه وابن الطفيل وإخوان الصفا ، وحصر رقىّ الكائنات الحية فى الذات وليس بالتحول من كائن إلى كائن ، فلم يضع نفسه فى تناقض بين معتقداته الإيمانية ومعارفه الفلسفية .

وعندما جاء « دارون » بنظريـــة « أصل الأنواع » فى منتصف القرن التاسع عشر ، وذكر صراحة أن الأنواع كلها ، نباتية وحيوانية ، نشأت من بعضها البعض بفعل قانون الانتخاب الطبيعى والبقاء للأصلح ، حدثت مواجهة مريرة بين رجال العلم ورجال الكنيسة ، ثم انتثلت هذه المواجهة بعد ذلك إلى العالم الإسلامى ، ولم يكن أمراً مقبولاً عند المؤمنين كافة ـ مسلمين وغير مسلمين ـ أن يتفقوا مع دارون فى القول بالتغير المستمر للكائنات من الأدنى إلى الأرقى ، وبأن جميع الأنواع قد نبعت قديما من سلف مشترك ، وبأن الطبيعة كانت هى المهندس الأول وراء هذا التحول والتطور نحو المزيد من الارتقاء والكمال ، ذلك أن الحقيقة فى شئون الخلق قضية غيبية بالدرجة الأولى ، فلا يوجد من شهد خلق نفسه أو خلق غيره ، ولهذا وجب الحذر التام عند اقتحام مثل تلك المجالات العلمية المعقدة حتى لا تكون النتيجة مزيداً من الشكوك والبلبلة . وصدق الله العظيم حيث يقول :

﴿ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾

( سورة الكهف : ٥١ )

# « اكتشاف سرعة أكبر من سرعة الضوء »

## هل سرعة مروق الفوتونات عبر حاجز جهد تفوق سرعة الضوء فى الهواء ؟



ترجمة الدكتور عبدالرحمن أحمد السمان[1]

**تقديم :**

**نشر « جون أندرياس ستوفنج ، وإيفن هيس هوج[2] » الباحثان بقسم الفيزياء بجامعة « تروندهايم ـ النرويج » فى مجلة (عالم الفيزياء)[3] فى العدد ٢٣ إصدار نوفمبر ١٩٩٣ م بحثاً تجريبياً انتهيا فيه إلى أن الفوتونات[4] اخترقت حاجزاً مادياً بسرعة بلغ مقدارها ١,٧ قدر سرعة الضوء فى الهواء .**

وهذه ليست المحاولة الأولى ولن تكون الأخيرة فى البحث الجاد عن وجود كائنات تفوق سرعتها سرعة انتشار الضوء فى الهواء ؛ وليس من العلم النظر إلى بعض النتائج البشرية على أنها ثوابت كونية أبداً وأزلًا ؛ لأن الله تعالى لفت أنظار البشر إلى الثوابت الكونية وهى مجموعات من الكليات الناطقة بعظمة الخالق وجلال من يقول للشيء (كن فيكون) انظر مثلًا إلى خلق السموات والأرض ، وكيف أن السماء مرفوعة بغير عمد مما يألفه البشر فى أبنيتهم

---

(١) مدرس الرياضة التطبيقية بكلية العلوم جامعة الأزهر (متخصص فى ميكانيكا الضوء الكمى) .

(٢) Jon Andereas Stovneng and Eivind Hiis Hauge. *In the Department of Physics, University of* Trondheim, Norway.

(٣) World of Physics مجلة انجليزية يصدرها معهد الفيزياء البريطانى Institute of Physics.

(٤) الفوتونات هى مكونات الضوء وهى جسيمات عديمة الكتلة ولا تحمل شحنة .

﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾

[ الذاريات : ٤٧ ]

﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ﴾

[ الرحمن : ٧ ]

وقد ذكر لفظ(٥) السماء فى القرآن الكريم مائة وعشرين مرة كما ذكر لفظ السموات مائة وتسعين مرة(٥) وفى كل آية من هذه الآيات يلاحـــظ القارىء جانباً من عظمة الله ــ تعالى ــ وانظر إلى حركة القمر حول الأرض واستقرار هذه الحركة واستمرارها بغير تأثير من البشر ، والقمر مع الأرض يدوران حول الشمس التى تجرى بدورها فى فضاء فسيح هو مجرة الطريق اللبنى ، والمجرة بما تضم من ملايين النجوم تسبح فى فضاء أوسع يضم ملايين المجرات السابحة فى كون عظيم والكون كله نشأ بقوله : « كُن » سبحان الله العظيم .

﴿ مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ۝٣ ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئٗا وَهُوَ حَسِيرٞ ۝٤ ﴾

[ الملك : ٣ ــ ٤ ]

هذا جانب عظيم من بديع صنع الله تعالى ؛ فإذا دققنا النظر وبحثنا فى تفاصيل كوكب الأرض مثلًا لوجدنا عجباً فوق عجب ــ فمثلًا ــ حفظ الأرض بالجبال فإنها كالأوتاد بالنسبة للخيمة مع التوازن الدقيق المضبوط بقدرة الله بين الماء واليابس تكويناً وتحوُّلًا وزوالًا ، والانسجام العجيب بين طبقات اليابسة وما تحويه من معادن لا يعرف مقدارها ، وأماكن وجودها إلا اللطيف الخبير .

ويبقى للإنسان الإستخدام والتأمل والتسليم لخالق الكون ومدبره ؛ فلن يفيد البشر كفرهم بالله وانصرافهم عنه مفتونين ببعض مخلوقاته ؛ **وليس من العلم فى شىء إنكارُ علماء هذا القرن أوْ غيْرُهُ ما ورد من آيات بينات فى القرآن الكريم تحت أى ادعاء .**

**وليس من الصواب استمرار لجوء علماء المسلمين إلى غيرهم فى كل ما يقولون ؛ لأن علم المسلم هادف ومفيد لأنـه يتصرف عبـداً لله المهيمن ؛ أما هدف علماء الشرق والغرب من الجاحدين كتاب الله تعالى وسنة رسوله فهو إشباع الرغبات والانفلات من ضوابـط التكاليف الصادرة للبشر من رب الأرض والسماء .**

ومما لاشك فيه أن من يأخذ بأسباب النهوض الدنيوى يتبوأ مكاناً رفيعاً فى الدنيا ، ونأخذ على أنفسنا التراخى والكسل مما تأباه شريعتنا الغراء ونحن بهذا نعطى الآخرين فرصة الطعن فى ديننا والمزايدة علينا . والمؤكد أن إخلاص العمل لله والإصرار على تحقيق الرقى هو درب راقٍ من دروب العبادة التى يباركها رب العالمين فإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضى بما يصنع وصدق رسول الله ﷺ فقد رُوِىَ عن أبى الدرداء ــ رضى الله عنه ــ قال : سمعت رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ

(٥) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم للأستاذ محمد فؤاد عبدالباقى ٣٦٢ ــ ٣٦٦ .

يقول : من سلك طريقا يبتغى فيه علماً سهل الله له طريقا إلى الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاء ، وإن العالم ليستغفر له من فى السموات ومن فى الأرض حتى الحيتان فى الماء ، وفضل العَالِم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ، وإن العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر » صدق رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ رواه أبوداود والترمذى .

علينا إذن أن نتفهم جيداً مجالات البحث العلمى المفيد خصوصاً إن أردنا استقراء القرآن الكريم ورغبنا استنبات آياته لقواعد الفيزياء أو الكيمياء أو علم النبات والحيوان أو الجيولوجيا والطب ، ولا ينبغى أن يكون هدفنا تسجيل سبق القرآن الكريم لعلماء القرن العشرين فى ذكر قوانين وقواعد الفيزياء والكيمياء وغيرها فحسب بل يجب أن نسبق الآخرين علماً وعملًا وإنتاجاً حتى نستغنى عن غيرنا ، ويصبح قرارنا ملك لنا دون مزاحمة من حاقد أو عدو . وعندئذ سوف يلهث العالم كله نحونا طالباً العلم والمعرفة .

وقد اخترت هذا البحث مقدماً ترجمته لقارىء « مجلة الأزهر » للإجابة عن سؤال مجلة الأزهر الغراء فى نهاية المقال المنشور فى عدد شوال ١٤١٤هـ ص١٥٣٣ عن إمكانية وجود كائن يتحرك بسرعة أكبر من سرعة الضوء .

وفيما يلى أعرض للتجربة والنتيجة التى توصل إليها الباحثان ، مع تعليق على بعض المصطلحات الواردة فى وصف التجربة على شكل تذييل .

يقول الباحثان فى مقالهما المنشور بمجلة (عالم الفيزياء) :

قيس الزمن اللازم لاختراق (فوتون) وحيد حاجز جُهْد فظهر للوهلة الأولى ـ أحياناً ـ أن سرعة اختراقه أكبر من سرعة نظير له يجتاز منطقة خاوية ، وبنظرة فاحصة تبين أن هذه السرعة ـ سميت سرعة الإضاءة الفائقة ـ لا تتعارض مع النظرية النسبية[٦]. وخلال العامين الاخيرين أمكن تسجيل قياسات لأزمنة اختراق المجالات الكهرومغناطيسية التقليدية[٧] مُشابِهة لتجربتنا هذه ؛ وآخر هذه التجارب ما قام به الباحثان « افرايم شتاينبرج » و « باول كويات » مع « رايموند كَاوْ » فى معمل « بركلى » فى « كاليفورنيا » بأمريكا حيث قاسا الفرق بين الزمنين بتدقيق فى القياس حتى (فيمتو ثانية)[٨] ونُشرت النتائج فى مجلة « رسائل النقد الفيزيائى »[٩] العدد ٧١ عام ١٩٩٣ صفحة ٧٠٨ .

ومن المعروف أن أى جُسَيْم (كمّى) (الكترون أو فوتون)[١٠] عندما يجتاز منطقة مسموحة[١١] من

(٦) تقوم النظرية النسبية على عدة فروض أحدها ثبوت سرعة انتشار الضوء وذلك اتفاقاً مع نتائج التجارب التى أجريت لقياس سرعة الضوء فى الهواء .

(٧) انتشار الموجات الكهرومغناطيسية التقليدية تحكمه معادلات ماكسويل .

(٨) ١ فيمتو ثانية = $10^{-15}$ ثانية يعنى جزء من ألف مليون جزء من الثانية .

(٩) مجلة أمريكية بعنوان Physical Review Letters (vol. 71 . 1993 P.708)

(١٠) أقرّت ميكانيكا الكم خاصية الازدواجية فالالكترونات والفوتونات يمكن تفسير سلوكها بسلوك جسيمات أو موجات .

(١١) المنطقة المسموحة هى المنطقة التى تقل طاقة الجهد فيها عن الوضع عن الطاقة الكلية للجسيم الساقط عليها هذا من وجهة نظر الميكانيكا التقليدية ؛ لأن قوانين ميكانيكا الكم تسمح باجتياز الأخيرة .

الفراغ فإنه يتميز بعدد موجى ك وسرعة مجموعة ع (ك) ؛ لذا فإنه يقطع مسافة (ف) فى زمن قدره

$$ن = \frac{ف}{ع\ (ك)}$$

(باعتبار السرعة منتظمة) .

أما فى المناطق المحظور ـ تقليدياً ـ عبور هذه الجسيمات فيها فإن العدد الموجى ك هو وكمية الحركة (بَ ك) يكونان عددين تَخَيُّلِيَّيْن[١٢] ؛ لذا فإن حالة الجسيم الكمية (من وجهة نظر ميكانيكا الكم) لن تكون موجة سيارة بل تكون موجة مضمحلة أُسِّيًّا[١٣] داخل هذه المنطقة ؛ وهى موجة سريعة الزوال ؛ من هنا يصبح وضع تعريف للسرعة مثار شك ويبقى السؤال عن كيفية عجز الجسيم عن اختراق المنطقة المحظورة تقليدياً بدون إجابة شافية .

وقد استرعت هذه المسألة انتباه المهتمين بالفيزياء خلال العقد الأخير ؛ واستنفرت توقعاتهم بتصنيع أجهزة الكترونية تقوم على ظاهرة اختراق المناطق المحظورة تقليدياً ؛ كما تمخضت الرؤى المختلفة لظاهرة الاختراق عن تعاريف متباينة لزمن الاختراق فأصبح لدينا زمن « بونكر ـ لاند » وزمن « لارمور » بجانب زمن الإقامة وزمن الطور . ويمكننا التوفيق بينها بالقول الصائب : أن كل واحد منها يلائم موقفاً تجريبياً معيناً . وذلك إلى أن يتمكن النظريون (علماء الفيزياء النظرية والرياضيات التطبيقية) من تقليب الأمر على جميع أوجهه ، ثم الوصول إلى تعريف مستقر تدعمه نتائج التجارب ، وعندئذ تنتقل الدراسة إلى طور آخر .

**وصف التجربة :**

فى تجربة « بركلى » يسقط (شعاع ليزر) فوق بنفسجى[١٤] وهو سيل من الفوتونات ، طاقة كل منها ٢ بَ ت على بلورة من مادة ثنائى هيدريد الفوسفات[١٥] فيتشعب إلى : شعاعين ا ، ب كلاهما سيل من الفوتونات يحمل كل منهما طاقة مقدارها ت ب (نصف مقدار الطاقة الساقطة) . وتحقيقاً لمبدأ ثبوت كمية حركة الفوتونات الساقطة والنافذة ، فإن الشعاعين يصنعان زاويتين متساويتين على جانبى امتداد الشعاع الساقط .

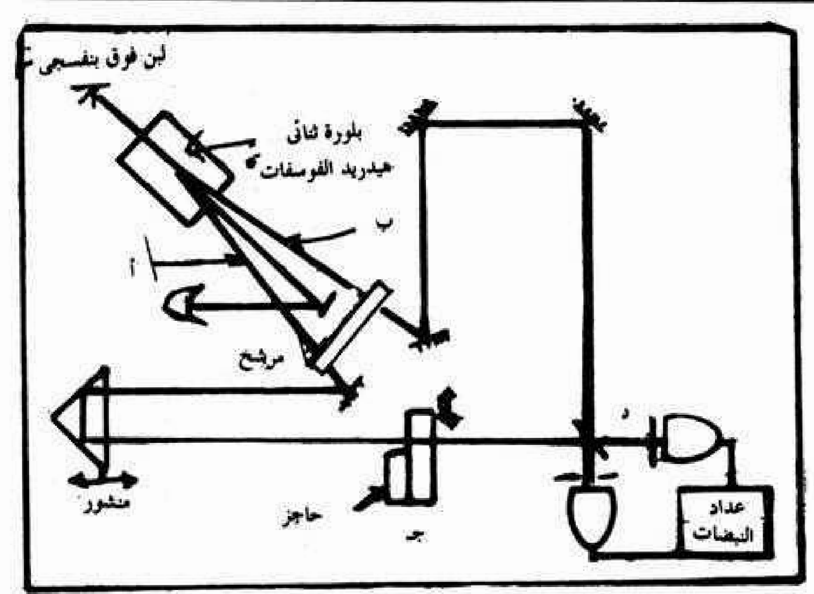
يتم ترشيح الشعاعين ثم يوجه أحدهما (الشعاع ا) بمرآة مائلة نحو منشور ثلاثى يقوم بتغيير اتجاهه فينعكس موازياً للشعاع الساقط على المنشور ، ثم يخترق الحاجز حـ وهو مصنوع من « أكسيد التيتانيوم » ومصهور « السيلكا » على صورة رقائق . ويبلغ سمك الحاجز ١,١ ميكرومتر[١٦] ويمكن زيادة السمك بإضافة حاجز آخر ؛ ينفذ الشعاع من حـ ليسقط على مُقَسِّم (د) . أما الشعاع ب فيتم توجيهه بواسطة ثلاث مرايا ليعبر مسافة أطول خلال الهواء حتى يصل إلى المقسم ء . بالتقاء الشعاعين عند المقسم ونفاذهما منه يستقبلهما كشاف (عداد نبضات) ليحصى عدد النبضات المتلاحقة خلال فترة زمنية محددة ،

(١٢) أيضا استخدمنا المقابلة الآتية : ك ⇔ K ، ع (ك) ⇔ V(K) ، بَ ⇔ ℏ ثابت بلانك مقسوماً على ٢ ط والعدد التخيل هو عدد مركب جزؤه الحقيقى منعدم .

(١٣) الدالة ص (س) = هـ ^-س^ تسمى دالة أسية وهى تتناقص طالما كان س عدداً موجباً ويوصف هذا التناقص بأنه أسى .

(١٤) شعاع الليزر هو سيل متلاحم من الفوتونات لها نفس التردد ت (W) Monochromatic يعنى وحيدة التردد ولها نفس الطور ط Phase ونفس السعة س Amplitude .

(١٥) هى بلورة KDP وهو ذات استقطاب غير خطى تقسم الشعاع الساقط عليها إلى شعاعين لكل منهما نصف تردد الشعاع




شكل (١) لقياس الفارق الزمنى الناشىء عن اختراق اشعاع (آ) لحاجز الجهد حيث يتم إدخال وإخراج حاجز بسمك ١,١ ميكرومتر ( جزء من مليون جزء من المتر ) فى طريق الشعاع . والحاجز مصنوع من رقائق متبادلة من أكسيد التيتانيوم ومصهور السيلكا .

فإذا قطع زوج من « الفوتونات » المترافقة (أحدهما محمول على الشعاع ا والثانى على الشعاع ب) نفس المسافة تقريباً فإنهما يصلان إلى المقسم خلال الزمن المحدد ويقدحان العداد فيزداد معدل القدح (الوميض على الشاشة) :

وعلى أية حال إذا تساوت المسافتان تماماً فإن الشعاعين يصلان إلى المقسم عند ذات اللحظة فيتداخلان تداخلًا هداماً[١٧] فينخفض معدل التلاحق انخفاضاً حاداً (يصل إلى الصفر) . وإذا قطع أحدهما مسافة أطول من رفيقه ـ من خلال التحكم فى وضع المنشور ـ فإن معدل تلاحق الفوتونات يتغير تبعاً لذلك .

وقد قام « شتاينبرج » وزملاؤه بقياس فترة التأخير الناشئة عن اختراق الحاجز وذلك بمقارنة صور التلاحق فى حالتين متباينتين هما :

١ ـ كلا الشعاعين يمر خلال الهواء .

٢ ـ أحدهما يمر خلال الهواء والآخر يخترق حاجزاً مادياً (وقد استخدما حاجزاً يمنع مرور الموجات التى يصل طولها إلى ٧٠٢ نانومتر[١٨]) .

= الساقط .

(١٦) ميكرومتر = ١٠ $^{-6}$ متر يعنى جزء من مليون جزء من المتر

(١٧) التداخل : هو تركيب شعاعين ضوئيين أو أكثر وعند تداخل شعاعين عند نقطة ما (على شاشة مثلاً) . ينتج شعاع أشد إذا كان فرق الطور بينهما منعدما بينما تنعدم شدة الشعاع الناتج إذا كان فرق الطور ١٨٠° عندما يكون الشعاعان لهما نفس السعة .

(١٨) نانومتر = ١٠ $^{-9}$ متر يعنى جزء من ألف مليون جزء من المتر .

وبرَصْدِ مقدار الانخفاض فى زمن التلاحق وَجَدَا أن الفوتونات المارقة خلال الحاجز تقدح العداد مبكّرة عن نظائرها المارة خلال الهواء بفترة زمنية مقدارها ١,٥ فيمتو ثانية .

وليس هذا عجباً ؛ فإن بناء التجربة تقاربى النزعة حيث يتم قياس زمن التأخر بين الفوتونات وقد قطعت مسافات كبيرة جدًا ، بالنسبة لسمك الحاجز . وتقوم حسابات هذه التجربة على تعريف « زمن الطور » للعالم « فيجنـــر » (Wigner) (وهو فترة زمنية ترتبط بالزمن اللازم لاجتياز قمة الموجة الحاملة للفوتون ــ أو مركز الكتلة لحزمة الموجة ــ عرض الحاجز) .

والواقع أن القياسات التى قام بها « شتاينبرج » ورفاقه تتوافق مع الإرهاصات (التنبؤات) التى تمت على دراسة زمن الطور سالف الذكر .

ومن ناحية أخرى فالنتائج مبهرة ؛ إذ كيف تنتقل الفوتونات بسرعة الإضاءة الفائقة[١٩] .

للوهلة الأولى يبدو ذلك مأزقاً ؛ ولكننا إذا تذكرنا أن « الفوتونات » تخضع لمبدأ الشك « لهيزنبرج »[٢٠] .

وأن الفوتونات النافذة ناشئة من جهـــة الموجة ، والجهة تسبق مركز الموجة بما فيه الكفاية ، فلسنا فى حاجة إلى السرعة الفائقة لتفسير نتيجة التجربة ، وبذا ينتهى الإشكال .

وقد سيقت التفاسير النظرية لهذه الرؤية غير المتماثلة وقلّبت على جميع الأوجه .

وعلى كل ؛ فمن الأهمية بمكان مراعاة مواصفات وحدات أجهزة القياس وخصوصاً الترددات الذاتية لها . وهذا يدفعنا لدراسات وقياسات أكثر ، كما نحتاج إلى اعادة تعريف مدى الأعداد الموجية (والأطوال الموجية) برمتها حتى نتمكن من التفريق بين مختلف الآراء حول تعريف زمن الاختراق .

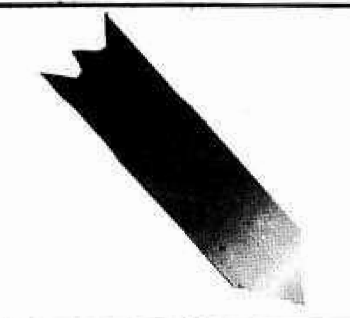
والمأمول مستقبلًا أن تتمخض الاجتهادات الذهنية لمثل ما جاء فى هذا البحث عن رسم صورة أكثر إشراقـاً عنـــد تفسير النتائـــج وتوضيحها .

من هذه التجربة يتضح أن ثبوت سرعة انتشار الضوء خلال الهواء ووقوفهـــا عنـــد العـــدد ٣ × ١٠^١٠ سم/ث تقريباً ليس نهاية المطاف لاجتهاد البشرية من خلال علمائها الجادين ؛ كما أن فكرة محدودية سرعة الأمر الإلهى فى الكون المرئى وعدم تجاوزها سرعة الضوء سالفة الذكر لا مجال للإطمئنان إليها فى تقديرى والله أعلم . ومن المبادىء الأولية فى البحث العلمى ضرورة صواب الفروض وسلامة الخطوات الحسابية حتى يمكن اعتماد صواب النتائج .

---

(١٩) سرعة الإضاءة الفائقة : تطلق على سرعة الفوتونات عندما تتخطى سرعة الضوء فى الهواء

(٢٠) مبدأ الشك : ينص على أن الكميات الفيزيائية المترافقة كمية لا يمكن قياسها آنيا ، فمثلاموضع الالكترون وكمية حركته لا يمكن قياسهما معاً .



فإذا قلنا[٢١] : إن ثمة شيء « ا » يسرى بسرعة ع بحيث يقطع المسافة ف فى يوم أرضى بحيث يكون ف مساوية للمسافة التى يقطعها القمر حول الأرض خلال ألف عام .

فإننا نكتب العلاقة الآتية :

ع × زمن اليوم الأرضى بالساعة = طول مدار القمر ( خلال شهر ) × ( ١٢٠٠٠ شهر ) .

**فإذا قلنا أن مدار القمر هو تقريبا دائرة نصف قطرها = ٣٨٤٢٦٤ كم .**

كان طول المدار = ٢ ط × ٣٨٤٢٦٤ كم

عندئذ السرعة ع تقدر بالكيلومتر/ ساعة .

اذن ع × ٦٥٥,٧١٩٨٦ = ٢ ط × ٣٨٤٢٦٤ × ١٢٠٠٠

ع = (٢٤٠٠٠ × ٣٨٤٢٦٤ × ٢٢) / (٦٥٥,٧١٩٨٦ × ٧) = ٤٤٢٠٢٥٤٢ كم/ساعة

= ١٢٢٧٨٤٨٤,٠ سم/ث = ٠,٠٠١٢٢٧٨٤٨٤ × ١٠$^{١١}$ سم/ث.

والمدار القمرى لايتوقف طوله على نقطة الرصد ، ولكننا لا نعرف طوله إلا ونحن على الأرض الدائرة حول الشمس ، والمؤكد أن مسارة بيضاوى وليس دائرة . كما أن إدخال سرعة دوران القمر حول الأرض وإدخالها فى الحسابات يضيف إلى خطأ التقريب خطأ تقريبياآخر . ويبعد النتيجة أكثر من ذلك عن سرعة الضوء فى الهواء .

وعلى ذلك فإن سرعة سريان الشيء « ا » سواء سميناه أمراً كونيا أو غير ذلك ليست على علاقة بسرعة الضوء .

(٢١) هذه الصياغة هى تدقيق لما ورد فى الدراسة المنشورة فى العدد رجب ١٤١٣هـ ص١٠٨٣ - ص ١٠٨٩ حول ما سمى بالمعجزة القرآنية لحساب السرعة الضوئية . والله تعالى أعلى وأعلم .



# الجديد في العلم والتقنية

إعداد
د/ نجوى السيد أحمد*

● **قطار مغناطيسى فائق السرعة :**

نجح اليابانيون فى صنع أحدث قطار مغناطيسى يسير فوق قضيب مغناطيسى بسرعة تصل إلى مرتين ونصف من سرعة القطار العادى ، والقطار الجديد أقل خطرا وتكلفة ، ويتم تشغيله بزيت جديد له درجة اشتعال عالية ، وقوة الدفع تنتج عن مجموعتين من القوى الكهرومغناطيسية : الأولى توجد على القطار ولا تحتاج لقوة الدفع الكهربى سوى مرة واحدة فقط لتوليد مجال مغناطيسى دائم ، والثانية توجد على القضيب ويغذيها تيار كهربى متغير يقوم بتوليد مجالات مغناطيسية متزامنة مع سرعة القطار .

* باحثة بالمركز القومى للبحوث .

● **زراعة الرخويات في قاع المحيطات آليا :**

ابتكرت اليابان جهازا آليا « روبوت » يقوم بتمهيد أرض المحيط لتربية الرخويات ، و« الروبوت » مصنوع من ألياف البلاستيك المقواة ووزنه يصل إلى حوالى ٧٠ كيلوجراما ، وبمجرد هبوطه إلى قاع المحيط يقوم برش مساحة الأرض المطلوبة بماء الضغط العالى لإزالة الرواسب منها ، ثم يحفرها إلى عمق ٢٠ سنتيمترا ويقوم بزراعتها بالرخويات المطلوبة .

----------

● **الأشعة السينية بالكمبيوتر :**

ابتكر أحد الأطباء فى أمريكا جهازا جديدا يقوم بالتقاط الأشعة السينية وتحويلها إلى صورة رقمية تظهر بشكل مجسم وواضح على شاشة الكمبيوتر لأى شخص يراد فحصه ، كما يمكن أن يستخدم هذا الجهاز للكشف عن الأسلحة والمتفجرات والمعادن فى بعض الأماكن الهامة .

----------

● **انتاج خيوط العنكبوت بواسطة البكتيريا المحولة وراثيا :**

قام أحد علماء الأحياء والتكنولوجيا فى انجلترا بعزل « الجينات » المسئولة عن إفراز الخيوط فى لعنكبوت وزرعها فى أحد أنواع البكتيريا المعروفة باسم « اشريشيا كولاى » ، واستطاعت هذه البكتيريا المحولة وراثيا إفراز البروتينات الخاصة بالخيوط العنكبوتية بكميات كبيرة وسرعة هائلة لما تتسم به من سرعة فى التكاثر . وتتميز الخيوط العنكبوتية البكتيرية بأنها أكثر قوة ومتانة وتصلح لصناعة الأنسجة الطبيعية المقاومة للرصاص والإحتراق بالإضافة إلى رخص سعرها ونعومة ملمسها .

----------

● **الفوائد الصحية لمياه وطين البحر :**

أثبت أحد الأطباء الفرنسيين أن مياه البحر الدافئة المضاف إليها بعض الطحالب البحرية الطازجة والطين المستخرج من قاع البحر لها فوائد صحية لجميع أجزاء الجسم الأساسية كالعظام والعضلات والشرايين والبشرة الجلدية ، حيث أن مياه البحر تحتوى على عناصر معدنية لا توجد فى أى مياه أخرى ، مثل الكالسيوم والبوتاسيوم والمغنسيوم والمواد البيوكيميائية ذات الطبيعة الطحلبية واليود ، وكل هذه العناصر الحيوية تؤثر على الأنسجة الخلوية فتجدد نشاطها وحيويتها التركيبية العظمية والخلوية والعضلية .

----------

● **الليزر لعلاج شرايين القلب :**

طورت شركة أمريكية بكاليفورنيا جهاز ليزر يقوم بإزالة الترسيبات التى تسد الأوعية الدموية وتسبب تصلب الشرايين وتتميز هذه الطريقة بأنها ليس لها مساوىء الطريقة التقليدية التى يتم فيها توسيع الشرايين بواسطة بالونات صغيرة من الهواء المضغوط .

----------

● **نقص عنصر الماغنسيوم يسبب التوتر :**

أثبتت الأبحاث الفرنسية أن نقص عنصر الماغنسيوم هو السبب الرئيسى لحالات التوتر العصبى والإجهاد والأرق ، وتنصح الأبحاث بالإكثار من تناول الأغذية التى تحتوى على هذا العنصر مثل الفواكه والأسماك والبيض وبعض أنواع المياه المعدنية .

● الليمون والبرتقال لتنظيف الأجهـــزة الالكترونية :

قامت مجموعة من الشركات الأمريكيـــة المتـــخصصة فى صناعـــة « الالكترونيـــات » باستخدام محلول تنظيف مستخلص من الليمون أو البرتقال لازالة مادة « الراتنج الصمغية » التى توضع على ألواح الدارات الكهربائية قبل تثبيت المكونات الالكترونية عليها بدلا من استخدامها لغاز « الكلوروفلوروكربون » الذى يؤثر على طبقة الأوزون وذلك لحماية البيئة من التلوث ولتحقيق السيطرة على ثقب الأوزون .

----------

● مكنسة كهربائية بدون صوت :

تحاول إحدى الشركات المنتجة للمكـانس الكهربائية فى اليابان إنتاج مكنسة كهربائية أقل ضجيجا من المكانس التقليدية وذلك باستخدام كاتمات للصوت ، تعمـل على إلغاء الموجـات الصوتية ، فصوت المكنسة عبارة عن موجات هوائية مضغوطة ولكل موجة قمة وقاع ولإلغاء هذه الموجات الصوتية يجب إنتاج موجات مضادة لها قمم وقيعان بحيث تتداخل مع قمم وقيعان الموجات الهوائية فتلغى الموجات الصوتية .

----------

● اكتشاف سبب ارتفاع ضغط الدم :

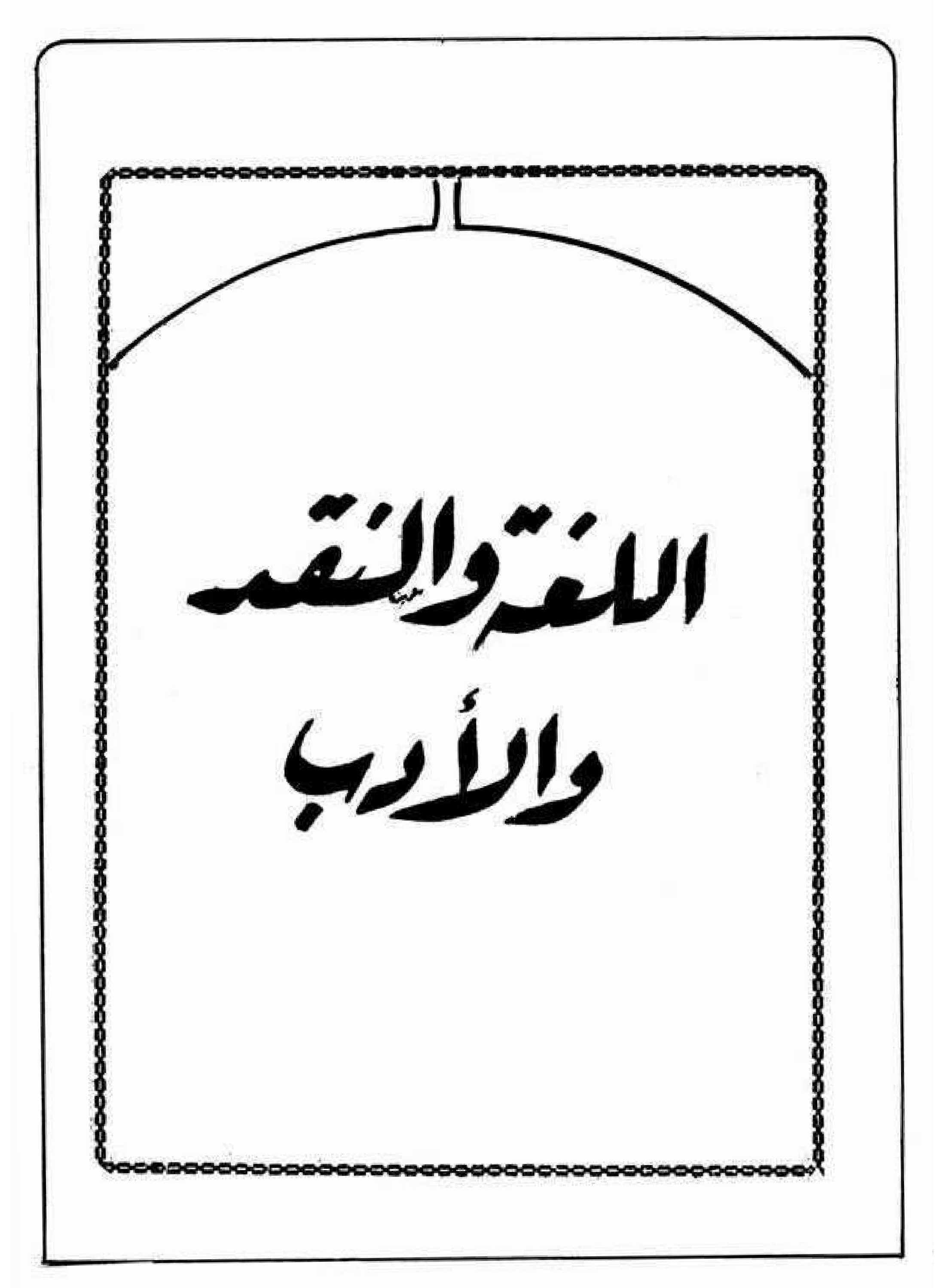
اكتشف علماء جامعة مريلانـد الأمريكيـة « هرمون طبيعى » فى دم الإنسان والحيوان يسبب ارتفاع ضغط الدم . وقد أدى هذا الكشف لمعرفة مبكرة للأشخاص المعرضين للإصابة بضغط الدم المرتفـع المسبب للنوبـات القلبيـة وجلطـة المخ وقصور الكليتين ، وأن هذا الهرمون إذا وجد بمقادير كبيرة فإنه يؤدى لخلل فى التوازن الكيميائى يضيق الأوعية فيندفع الدم بقوة على سطح الجدران مسبباً ارتفاعا فى الضغط .

----------

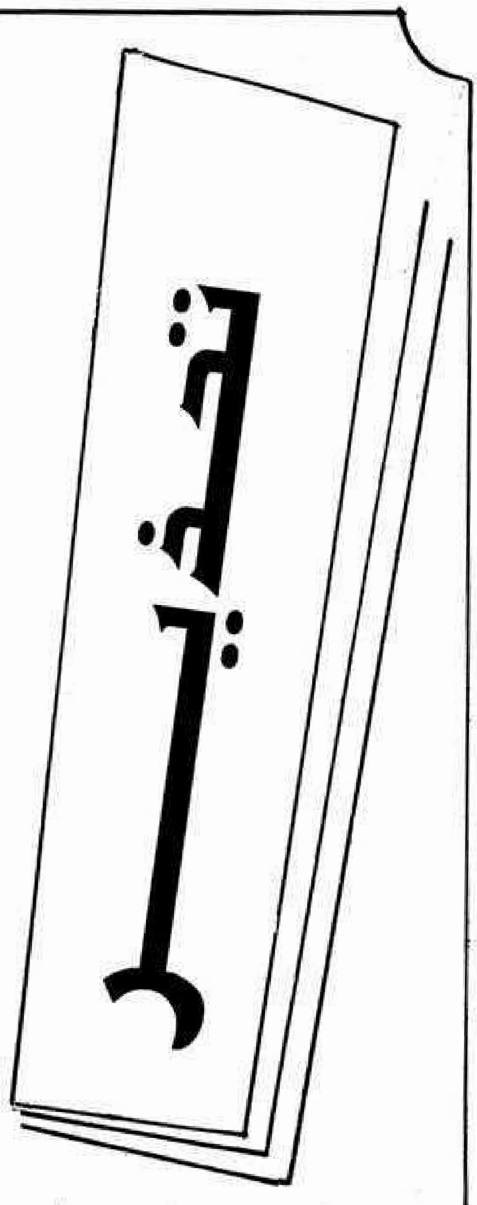


● كمبيوتر باللمس :

اخترعت إحدى الشركات الأمريكية جهازا جديدا يمكنه تحويل أى جهاز كمبيوتر شخصى إلى جهاز يعمل باللـمس ، هو عبـارة عن قاعـدة حساسة تزن حوالى ٤ كيلوجرام ومساحتها ٦٠ سنتيمترا مربعا وسمكها ٨ سنتيمترات ومزودة بوحدة الإستشعار اللازمة للكمبيوتر الذى يعمل باللمس وحتى يتم التوصيل يوضع الكمبيوتر على هذه القاعدة فيتحول إلى كمبيوتر باللمس دون أى عناء .



# اللغة والنقد والأدب




بالاطلاع على « تفسير النسفى » المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل للإمام عبدالله بن أحمد بن محمود النسفى .

قدم له

الشيخ قاسم الشماعى الرفاعى

راجعه وضبطه وأشرف عليه الشيخ إبراهيم محمد رمضان .

المجلد الأول

دار القلم ـ بيروت

الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٩ م

حقوق الطبع والصف والإخراج محفوظة لدار القلم للطباعة والنشر والتوزيع بيروت ـ لبنان ص.ب ٣٨٧٤٠.

وجدنا به أخطاء فى النص القرآنى منها .

التحريف فى قوله تعالى : ﴿ قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ﴾ جاءت فى الطبعة هكذا ﴿ وقل للمؤمنين يغضضن من أبصارهم ﴾ ص ١٠

وسجلت أول سورة البقرة هكذا : ﴿ الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحـــون ( ٥ ) ومما رزقناهم ينفقون ( ٣ ) والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبـــالآخرة هم يوقنون (٤) ص ٢٣ .

وهذا أمر خطير يجب التنبيه إليه ، كما ينبغى التنبيه أيضا إلى طبعة مصرية حديثة لتفسير الطبرى نرجو أن نوضح مافيها من أخطاء قريبا .

الدكتور عبدالحكيم عبداللطيف الصعيدى
الأستاذ بكلية الزراعة جامعة الأزهر

# تفسير النسفي

المسمّى

## بمدارك التنزيل وحقائق التأويل


للإمام عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي

قدّم له الشيخ قاسم الشماعي الرفاعي

رئيس دائرة الشؤون الدينية

في دار الفتوى اللبنانية

راجعه وضبطه وأشرف عليه

الشيخ ابراهيم محمد رمضان


المجلد الأول




دار القلم

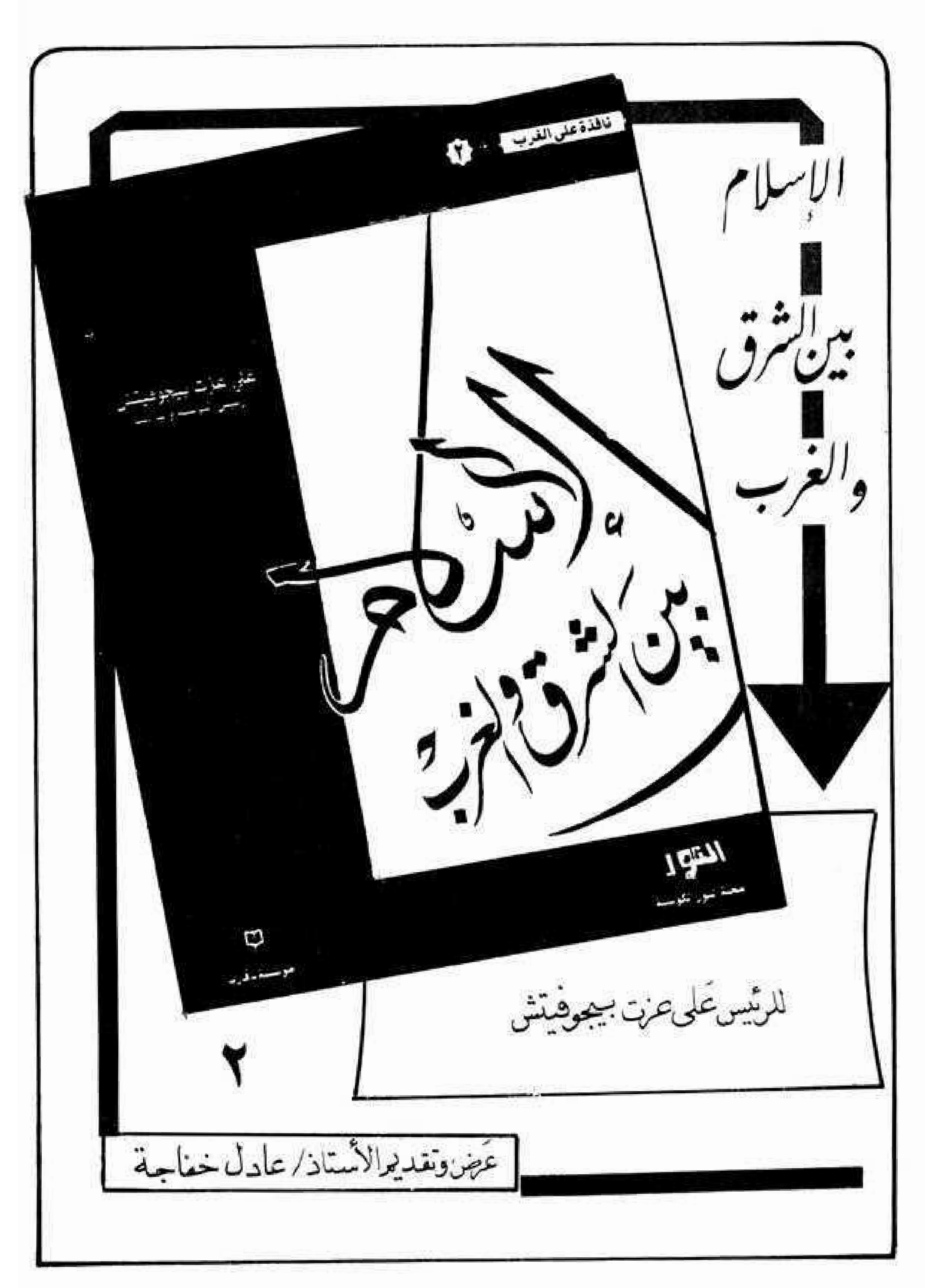
بيروت - لبنان

ص . ب ٣٨٧٤٠٠



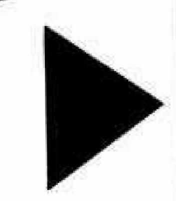

بسم الله الرحمن الرحيم

الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥


الإسلام
بين الشرق
والغرب
للرئيس علي عزت بيجوفيتش
٢
عرض وتقدير الأستاذ/ عادل خفاجة

كم من أشياء فعلناها وكنا لا نريد حقيقة أن نفعلها

وكم من أشياء وددنا أن نفعلها ولكن لم نفعلها أبدا



**خلاصة ما نشر :**

- **الإنسان ليس مفصلًا على طراز « داروين » كما أن الكون ليس مفصلًا على طراز « نيوتن » .**
- **إننا لا نستطيع أن نرفض الحضارة حتى لو رغبنا فى ذلك ، ولكن الشىء الوحيد الضرورى والممكن هو أن نحطم الأسطورة التى تحيط بها .**
- **العلم يسعى إلى اكتشاف القوانين واستخدامها ، أما العمل الفنى فإنه يعكس النظام الكونى دون أن يستفسر عنه .**

ونواصل فى هذا العدد رحلة التأمل مع الرئيس على عزت بيجوفيتش وتأملاته عن الوحدة ثنائية القطب التى يراها تشيع فى كل جزئيات الإسلام وتحكم تصرفات معتنقيه .

وفى هذا العدد نطوف سريعاً على ما بقى من القسم الأول .

### الفصل الرابع : الأخلاق :

فى إطار تلك الثنائيات يقدم لنا المؤلف عدداً من القضايا الأخلاقية مثل :

- **الواجب والمصلحة :**

ويدعونا لتأمل تلك الثنائية أو هاتين القوتين المحركتين للنشاط الإنسانى ، فالواجب دائماً يتجاوز المصلحة ، فمثلًا :

إذا غامر إنسان بحياته فاقتحم منزلًا يحترق ؛ لينقذ طفلًا ، ثم عاد يحمل جثته بين ذراعيه ، فهل نقول إن عمله كان بلا فائدة ؟ إنها الأخلاق التى تمنح القيمة لهذه التضحية عديمة الفائدة .

ويذهب المؤلف إلى أن الأخلاق كظاهرة واقعية فى الحياة الإنسانية لا يمكن تفسيرها تفسيراً عقلياً ، ولعل فى هذا الحجة الأولى والعملية للدين .

ومن تأمله لهاتين الحلقتين : ( الواجب كحلقة فى سلسلة الخلق ) و ( المصلحة كحلقة فى سلسلة التطور ) .

فإنه لا يجد مبرراً لسلوك الإنسان الأخلاقى غير وجود عالم آخر ، وحياة خالدة ، وقبل كل هذا وجود الحقيقة المطلقة ، وجود الله ـ سبحانه وتعالى ـ .

**● النية والعمل :**

هناك عالمان : عالم القلب .. وتنبع منه النية .

وعالم الطبيعة .. وتولد فيه الأعمال .

فالرغبة قد لاتتحقق ، ولكنها حقيقة فى عالم قلوبنا .

والفعل ـ بالصدفة ـ[1] لم يكن مقصوداً ولكنه حدث كاملًا فى العالم الذى نعيش فيه ، برغم أنه لم يحدث فى عالم قلوبنا .

وهنا يثور سؤال : هل نحكم على الأعمال بالنوايا التى انطوت عليها ؟ أم بالنتائج التى ترتبت عليها ؟

الموقف الأول هو رسالة الدين ، أما الموقف الثانى فهو شعار كل « أيديولوجية » أو ثورة . فهناك منطقان أحدهما يعكس إنكار العالم ، والآخر يعكس إنكار الإنسان .

**● التدريب والتنشئة :**

الخير والشر فى باطن الإنسان ، ولاتوجد تدريبات أو قوانين أو تأثيرات خارجية يمكن بها إصلاح الإنسان ، تستطيع أن تدرب جندياً ليكون خشناً ، ماهراً ، قوياً ، ولكنك لاتستطيع أن تدربه ليكون شريفاً ، شجاعاً ، مخلصاً فهذا مجاله التنشئة الصحيحة ، وحتى هذه ـ أيضاً ـ لاتغيره إنما تحفز فيه قوى الخير الكامنة فيه ، عن طريق المثل الصالح والنصيحة والمشاهدة .

**● العلم والعلماء :**

وفى تحليل دقيق يتناول المؤلف فرقاً دقيقاً بين عقل العالم العملى ، وعقله الخالص ، فيقول :

« ليس من الضرورى أن كل ما يقوله العالم ويفكر فيه أو يؤمن به من العلم ؛ فالعلم ليس إلا جانباً واحداً من مدركاته الكلية عن العالم ، وهو نتاج بعض وظائف عقلية قوامها : النقد ، والمقارنة ، والتصنيف . وفى هذا الإطار ، ينبذ العقل كل ما يستلزم تفسيراً « فوق ـ طبيعى » ولا يستبقى إلا ما يستند إلى سلسلة من الأسباب الطبيعية ومسبباتها ، التى يتم إثباتها بالتجربة والملاحظة كلما كان ذلك ممكناً وما يستقر بعد كل هذه التصفية الدقيقة هو العلم . من أجل هذا لا يستقر بين يدى العلم سوى الطبيعة ، وكل ما عدا ذلك يتسرب من أصابعه .. وتلك هى الحدود الطبيعية للعلم .

ويقف العلم عادة عند هذه الحدود . ولكن العالم ـ لأنه إنسان ـ يستمر فى مسيرته . فلم يكن « أوبنهيمر » Oppenheimer يحتاج إلى الفلسفة الهندية عندما كان يصنع القنبلة الذرية ، ولكن لعله احتاج إلى هذه الفلسفة فيما يتعلق

---

(١) أطلق المؤلف الصدفة على ما يقع من الإنسان من فعل غير مقصود ، يقول ص ١٨٠ « فالرغبة قد لا تتحقق ولكنها حقيقية فى عالم قلوبنا ، حقيقة كاملة . ومن جهة أخرى ، يقع الفعل بالصدفة المحضة ، فعلٌ لم يكن مقصودا ولكنه حدث كاملا فى العالم الطبيعى ، ولم يحدث مطلقاً فى العالم ، عالم الحياة الجوّانية » .

باستعمال هذه القنبلة ، ففى مرحلة متأخرة من حياته هجر العلوم الذرية كلية ، وكرس حياته لدراسة الفلسفة الهندية. » .

ومن هنا يظهر الفرق بين عقل العالم العملى ، الذى تسعده نتائج البحث وبين عقله الخالص الذى يلاحظ استخدام الآخرين لما وصل إليه بحثه .

● **الأخلاق والدين :**

من الممكن أن نتصور رجل دين لا أخلاق له ، والعكس ، إن مفتشى التحقيق الذين قاموا بعمليات الاضطهاد الدينى كانوا - أيضا - مخلصين لعقيدتهم الدينية ، ونحن إذ نؤكد هذا لا نغفل عما فى هذا المسلك من تناقض حاد .

فى القرآن الكريم ﴿ ... **الذين آمنوا وعملوا الصالحات** ...﴾ **تكـــررت أكثر من خمسين مرة ، وكأنها تؤكد ضرورة توحيد أمرين : ( الإيمان ، وعمل الصالحات ) .**

**وفى قوله تعالى :** ﴿ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ .

وفى الآية معنى : افعل الخير تصبح مؤمناً ، ليس آمن لتصبح خيراً .

والمؤلف استنتج معنى جميلا ، لكن التقيد بالمعنى المطلوب فى الآية أولى فقد جاء فى تفسير الآية المعنى التالى : لن تنالوا رحمة الله ورضوانه حتى تنفقوا مما تحبون .

● **الأخلاق وما يسمى بالمصلحة المشتركة :**

يرى المؤلف أن الأخلاق ليست مربحة بالمعنى العام للكلمة ، ويتساءل : هل من المفيد أن تكون عادلا أو أن تقول الصدق ؟ ويرى - أيضاً - أن مواقف عديدة يمكن للإنسان أن يتصور فيها الكذب والظلم مفيدان .

ثم يقرر أن الأخلاق لا يمكن أن تخضع لمعايير المنفعة وأن الإنسان المستقيم هو - بحق - الذى يقدم على التضحية ، وإذا واجه الإغراء ثبت على إخلاصه للمبادىء لا للمصلحة ، وينتهى المؤلف إلى القول بأن « الأخلاق ما هى إلا دين آخر ص ٢١٥ » .. وهذا مبالغة من المؤلف لا نقره عليها ، وإن كنا نعلم ما للأخلاق من منزلة لكنها ليست ديناً على أى حال .. وإنما هى - أصلا - نبع من منابع الدين .

**الفصل الخامس :**

**الثقافة والتاريخ :**

وقد تناول المؤلف فى هذا الفصل عدة نقاط هى : الإنسانية الأولى-الفن ، والتاريخ - الأخلاق والفن - الفنان والخبرة .

ولعله من خلال هذا الفصل يود أن يقول :

إن الفن لا يحتاج إلى تاريخ كالعلم ، مستنبطاً ذلك من أن القوة التعبيرية للفن لا تزداد عن طريق التطور مثل العلم ، وذلك أن الفن بطبيعته لا يستمر ولكنه يبدأ دائما من جديد .

إن الفن ابن الثقافة فهو يتجه من الشرق إلى الغرب ومن الجنوب إلى الشمال بعكس مسار العلم .

إن أفريقيا وإن كانت متخلفة من وجهة نظر العلم والتكنولوجيا ، فإنها ليست كذلك فى حقل الفن .

وإذا كانت الحضارة تعنى : كيف نعيش ؟ فالثقافة تعنى : لماذا نعيش ؟

إن فهم الدين والأخلاق والفن لا يأتى من الذكاء والمنطق ، وإنما يأتى من هذا العالم الذى يعيش داخلنا ، فلا يوجد منطق أمام منطق ، وإنما قلب وروح إزاء قلب وروح آخرَيْن .

**الفصل السادس :**

**الدراما والطوبيا(*) :**

وقد تناول المؤلف فى هذا الفصل عدة نقاط هى :

المجتمع المثالى ــ الطوبيا والأخلاق ــ الأتباع والهراطقة ــ المجتمع والجماعة ــ الشخصية والفرد الاجتماعى ــ الطوبيا والأسرة .

ويمكننا أن نلخص ما ورد من أفكار حول هذه النقاط فيما يلى :

● الدراما حدثٌ يقع فى النفس الإنسانية ، أما الطوبيا فحدث يقع فى المجتمع الإنسانى .

● الدراما هى أعلى شكل من أشكال الوجود الممكن فى هذا الكون ، أما الطوبيا فهى حلم ، أو رؤية للجنة على الأرض .

● إذا تمكنت التكنولوجيا من تكوين إنسان صناعى عن طريق الهندسة الوراثية ، هنا سيتم القضاء على الإنسان وتاريخه ويرتفع صرح الطوبيا .

هناك فرق بين المجتمع وبين والجماعة ، فالمجتمع مجموعة من الأفراد تجمعوا على أساس المصلحة ، بينما الجماعة هى مجموعة من الناس اجتمعوا على أساس من الشعور بالانتماء ؛ فالناس فى المجتمع مجهولون ، بينما الناس فى الجماعة إخوة تجمعهم أفكار واحدة وثقافة واحدة .

● إن مطالب الإنسان ( وهى مطالب طبيعية ) ، وذكاء الإنسان ( أو طموحه إلى أن يحقق مطالبه بطريقة عقلانية ) هما اللذان انتجا « الطوبيا » .

● إن مبادىء المجتمع المثالى ليست هى الحرية أو الفردية بل النظام والتماثل .

● لكى يصلح الإنسان لأى « طوبيا » فلابد أن يكون مصمماً حسب نظرية ( داروين ) ، أما الإنسان الحقيقى فلا يصلح للطوبيا .

● وإن القضاء على كل شىء إنسانى ــ خاصة الحرية ــ هو الشرط الأساسى للطوبيا .

وهكذا نجد الأم ــ فى هذا النظام المتماثل « الطوبيا » ــ تلد الإنسان وتربيه ، أما الحضانة فإنها تهىء عضواً فى مجتمع ، تصمم مواطناً يسكن الطوبيا .

هكذا لا نرى أمًا ولا أسرة ، فنحن لن نرى ما لا وُجُودَ لَهُ . فبدلا من تربية أو تنشئة الإنسان ، نجد عملية تكنولوجية ، كأننا بإزاء إنتاج دواجن .

**( الحـديث موصـول )**

---

(*) مصطلح طوبيا : ترجمة لـ Utopia أى : المثالية ، وهى ترتبط فى العقل الغربى بالخيال والمستحيل . ومصطلح طوبيا مستعمل هنا كرؤية لنظام مثالى إنسانى على غرار ما نراه من نظام فى حياة النحل والنمل .... الخ .

# رشفات الحكمة

# فى ديوان (الإنسان فى الميزان)

للشاعر/ محمد عبد الرحمن صان الدين

بقلم : الشاعرة جليلة رضا

أثناء تجوالى بين صفحات هذا الديوان الطريف ، استوقفتنى فيه خماسيات مهمة ذات دلالة كبيرة ، على منهج الشاعر فى نظم الشعر ، وتجربته الشعورية فى تضاعيفه ، إذ يُناجى ( قريضه ) بقوله :

| | |
|---|---|
| يا قريضى لستُ أبغـــــى | منك فى دُنيــــاى مجدا |
| أو أُرجّـــى منك يومـــا | أن تُحيـل النـحس سعـدا |
| .. يا قريضى قد كحلتُ العينَ | طولَ العمـــر سُهْـــدا |
| كى أُحيـل القـول أنغـــا | مًا وأنسامًــا وشهــدًا |

ونحن لسنا مع الشاعر فى أنه ليس يبغى من شعره مجدا فى دنياه ، فكُلُّنا ـ كشعراء ـ ذلك الرجل ، أو ذلك الشاعر ، الذى يضع المجد نُصْب عينيه دائماً ، شاء أو لم يشأ ، فتلك هى نزعة الإنسان كى يُخلَّدَ ـ ما أمكن ـ فى أثر يبقى من بعده ، بعد عمر طويل .. كما أنه ـ فى حياته ـ يسعى ، بوعى أو بغير وعى ، كى يفيد من هذه الموهبة التى تفرَّد بها بين الناس ، بما يعود عليه بنباهة الذكر ، إن فاته : « الأصفر الرنان !! » ؛ وكما يُقال : ذكاء المرء محسوب عليه ، ونَدَرَ مَنْ يجمع بين المال والموهبة ، فى أى مجال ..

وكيف لا يطمع الشاعر فى مجد شعره ، أو مجده بشعره ، وهو يستثنى بعد ذلك قائلا ـ بتفاؤل كبير واستبشار :

يا قريضى كن ضيــــــاء وريـــــاضًا وظـــــلالا

وامْنَــــخ الدنيـــا عبيرا وسلامــــــا ، وجمالا

واسْــرِ فى الأفهـــام والوجـــــــدان سَلْسَالا زُلالا

واجعـــل المنظـــومَ فى ترنيمـــــه سحـــــرا حلالا

هل بعد ذلك ــ إنْ تحقَّق بالفعل ــ مجد .. أى مجد ؟ .. ثم يُخاطب ( النيل ) ــ بعد ذلك فى خماسية أخرى ، واصفا إياه : ( بريق السحاب ) ، وهو تعبير جميل ، يقول :

أيها النيـــل الـــذى قد فاض من ريــــق السحــــاب

( يا ملاك ) الـخِصْب والعمـــــران فى القفـــر اليبـــاب

قد طويت العمــــر تسْـــرى فى وَفـــــاء وانسيــــاب

تمنـــح الـــوادى حيـــاةً فى سهـــــول أو هضاب

لِمْ تركتَ النـــفس فى الإنســـان جَدْبًـــا فى ضبـــاب ؟!

والأبيات تَسْرِى سريان النيل نفسه فى تدفُّقه وجَرَيانه ، بيسر وتلقائية ، وإنْ كان البيت الأخير كاللازمة التى تأبى أن تترك الشاعر وشأنه ، فى يأسه من ( الإنسان ) ، الذى تحيا نفسه فى جُدبٍ وضباب ؛ ونرجو أن يتسع صدره لقولنا له مخلصين : إن الدنيا لا تزال بخير ، بل إننا نرى نسبة الخير تفوق نسبة الشر فى النفوس ، وجُنْد الله هم الغالبون[1] ..

* * *

وإذا ما خلَصْنَا لباب : ( سبحات وابتهالات ) أمْكننا أن نعْرف : ( مفتاح السر ) فى النظرة القاتمة ، التى تُشكِّل منظار الأستاذ ( صان الدين ) للحياة والناس ، ويتبدَّى ذلك فى الخماسيّة التى تصور رحلة حياته ، وما عاناه من ( بعض ) الناس ، وليس ( كل ) الناس كما يجب أن نتصور ، يقول فى هذه الخماسية :

رحلتــــى فى العـــيش غصّتْ بالـــــذى تأبـــــاه نفسى

صُحْبتــــى للنـــاس أدمتْ كل وجـــــدانى وحِسّـــــى

قد قضيْتُ العمـــــر أمشى بين نكـــــران وبــــخس

ولماذا هذا كله .. ؟ يُجيبنا الشاعر مُعلِّلا لفداحة خطبه وتعْسه ، حين يستثْنى قائلا :

ذاك أنّــــى لم أُطَأطــــئ هامتـــى يومـــا لبـــأس

بل ــ بلا فخــــر ــ تسامتْ فوق أُفــــق النّجْــــم ــ رأسى

(١) وفى أحد أبيات هذه الخماسية ورد لفظ ( ملاك ) غير متفق مع معناه اللغوى .

ورأيي ، أنّ من يملك هذا القدر من الجبروت النّفسي ، بحيث يجعله يتسامى – بالرغم من كل شيء – فوق أفق النجم ، هذا الإنسان يُصبح قانعا بودّ ضميره وسُمُوّ هدفه واهتماماته ، بحيث يُصبح ولسان حاله قَوْل القائل :

نفسي من الملإ العُلَى وسجيّتي ... تأبَى عليَّ مذلّةَ الإنسان

ومهما يكن من أمر ، فالإنسان ( الجزيرة ) المنغلق على نفسه ، لم يُخلق بعد ...

فالناس – من بدو وحاضرة ... بعض لبعض وإن لم يشعروا خدم

وكما يقول أبو العلاء :

ولو أني حُبيتُ الخُلْدَ فَرْدًا ... فَلَنْ أرضى بذا الخُلْد انفرادا

بدليل قول الشاعر صان الدين بعد ذلك ، مُسلّما بأن الدنيا فيها ( المحاسن والأضداد ) :

أوْدَعَ الخلّاقُ في الـ ... ـغبراء قُبْحًا وجَمَالا
وأدَبَ الوحْشَ والأنعـ ... ـام فيها والصِّلالا
وأتاح الرِّزْقَ للسـ ... ـاعي حَراماً .. وحَلَالا
والذي يبغي الهُدى يُلْفِيـ ... ـه .. أو يبغي الضلالا
ليست ( الأضداد ) في ... أفلاكها .. أمْرا محالا

ويكفينا قول الشاعر – بعد ذلك – الذي ينظر فيه لمعنى الآية الشريفة :

﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين﴾ البقرة : ٤٥ فيقول : – في ( الصلاة ) – بصفة خاصة :

في الصلاة الحَقّ أُنْسٌ ... وابتهاجٌ واستراحة
إن فيها لِلمُصَلّي بَلْسَـ ... ـمًا يشْفِي جراحَه
إنها – في قفْرة الدنيا ... وجدْبِ العيش .. واحة
طائر الإيمان يحيا ... باسِطًا فيها جَناحه
إنها للنفس معراج ... وروْح ، وسياحه

و ( الشعر ) الرفراف في هذه الأبيات ، أظهر من أن يُنصّ عليه

* * *

وفي باب ، أو فصل : ( الدعوة إلى الله ) ، نظفر بخماسيّة أخرى ، تُظْهر مَدَى يقين الشاعر وبُعْد نفسه عن التشاؤم والإحباط ، لثقته المُطْلقة في عدالة ورحمة الخالق – عزّ وجل – .. بقوله في هذه الخماسية :

إنْ يكُـنْ جسمـي على الغبْـرَا فرُوحــي في السمــاءِ
إن تكَـنْ في النـفْس أنـواءٌ فقلبــي في صـفَــاء
إن يكـن من صحبـة الإنسـان يأسي وانطــوائي
فانبساطــي عنــد ربي حيث وَجَّــهْتُ رجــائي
شـاردٌ في عيشــه مَنْ تــاه عن نبــع الضيـاء

إلى أن يقول في خماسيات : ( الابتهالات ) ، ما ينضح بالتفاؤل الجَمّ والاستبشار إلى أقصى مَدَى :

ما تــزال الأرضُ بالخيْـراتِ والنعْمــىَ تجــودُ
كل يــوم كل فصــل ينفــح الدنيـا جديــد
إنَّ شــمس الله ـ مازالــت ـ إذا وَلَّــتْ ـ تعــود
والوجــود الحــي يجـرى في انتظــام لا يحيــد
ما الــذى يُـؤسى ويُبْكِـي .. أيهـا القلـبُ العميـد ؟

ويزيد هذه المعاني إشراقًا وسُطوعًا ، ما جاء بباب : ( الجمال وفطرة الخلّاق ) من خماسيات .. يقول في إحداها :

غــرَّدَ الطيــرُ يــزُفُّ الزهــرَ في عُــرْسِ الربيــع
حـين تــاه الــروض فــوق الأرض بالحُسْـن البديــع
رُحْــتُ أسعــى في صبــاح باســم باهــى السُّطُـوعْ
أو مســاء حــالم قــد ذاب في ضــوء الشمــوع
طافــتْ الأنسامُ بالوجْنات سَـكْرَى .. في خشــوع

ومن هذا المنطلق تنبعث الروح الشعرية الرَّقْراقة ، كأنها نغمات تهمس بها نفسك أنت ، بل كأن الشاعر نفسه ، يراجع نفسه بنفسه ، فيما بَدَا من إحباط ، لوَّن رؤيته في صفحات الديوان الأولى ، بالنظرة ( الرمادية ) في الخماسيات ، فيقول بعد ذلك ، بطلاقة العَبير وروعة التصوير :

ليت مَنْ يشكــو ســوادَ الليــل ـ مهمومــا كئيبــا
ينظــر الأقمــار فيــه تُؤنس الأفــقَ الرحيبــا
والــنسيم الــرَّخص يسرى هامس الخطْــو رطيبــا
إنما الليــل ، مراح صَمْتــه يُشفــى اللغُوبــا
حبــذا صبــح وليــل يمنحــان العـيش طيبــا

.. هذا هو صان الدين شاعر : ( أعاصير وأنسام ) حقاً ؛ حينما يترك نفسه على سجيَّتها ، وينسى إعمال الفكر ، وعقابيل السَّبْك والرصْف ، فى إطار الحكمة الرصينة ، والعبارة المتينة .. فيُتحفنا ، مرة أخرى ، بمثل قوله :

| | |
|---|---|
| حين يصحــــو بلبــــلٌ فى | الأيْك إبَّـــان الصبـــاحْ |
| يملأ الدنيـــا غنـــاءً | فى ابتهاج ومَـــــراح |
| رِزْقُـــه الموقـــوت : حَبٌّ | فى غُدُوٍّ أوْ رَوَاح |
| ما تأتَّـــــاه بحَرْث | أو سقـــاه .. بالجنـــاح |
| إنما يأتيـــه عفـــوا | طيَّ مَوْج أو ريـــاح |

وقوله :

| | |
|---|---|
| فى بيـــوت النمل أوْ فى | سعْيـــه بين الصخـــورِ |
| فى خلايـــا النحـــل أوْ فى | رَشْفـــه ريـــق الزهـــورِ |
| فى عشاش الـــطير فى الأشـــ | ـجـــار أو نائى الوُكُـــورِ |
| شاهـــدت عينـــاى آيـــاتٍ | من الفـــن القديـــر |
| فازْدَرَتْ نفسى بعلمـــى | وانْجَلَـــى عنـــى غُرُورِى |

ويمضى فى رَفْرَفاته وإبداعاته ، فى لحظات التجلى وبدوات الإلهام ، تتنازع فطرته النقية أحيانًا الرغبة فى تدوين الرُّؤى والذكريات ، بلغة الفيلسوف أولا ، والشاعر ثانيا ، وأحيانا أخرى تنتابه وتستولى عليه تماما التجربة الشعورية الرهيفة ، فتجعله يفيض فيضا ذاتيا رائعا ، لا صَنْعة فيه أو تكلُّف ، فينبض بالصدق وتشيع الحرارة فى أبياته ، فنظفر منه بالشاعر الذى عرفناه ، أولا .. والفيلسوف : ثانيا ، وأخيرا .. وهذا ما يؤيده قوله :

| | |
|---|---|
| كل حى فيـــه طبـــعٌ | كامـــن يَحْيـــا عليـــه |
| إن تَخلى عنـــه حينـــا | عاد ـ مفطـــوراً ـ إليـــه |

وأخيرا ـ وليس آخرا ـ نرجو أن نكون قد وفِّقْنا فى تقديم رَشَفات من رحيق هذا الديوان القيم .

ومهما يكن من أمر ، فإننا نتجاوب بعُمْق مع هذا الديوان الزاخر بالفرائد والكنوز ، وهو عمل ضخم ، لا نظير له فى شعرنا المعاصر ، وخاصة فى طول نَفَس الشاعر ، الذى تجاوز فى هذا الديوان ألْفًا وخمسمائة بيت من الشعر الطريف ، ونُردِّدُ معه بشغف واقتناع ، قوله فى خواتيم الديوان :

لا تَقُـــل للبحـــر أو لِلغَـــيث أمْسِكْ عن عطـــائكْ
لا تقـــل للبُلْبُـــل الصـــدَّاح قَـــلِّـــلْ من غنائـــك
أو لشمـــس الصبـــح .. وَقْتَ الصحـــو .. ظَلِّىْ فى خِبَائِـــكْ !

# الوحدة الموضوعية للقصيدة العربية في العصر الأندلسي

للأستاذ/ أحمد مصطفى حافظ

يحفل هذا العصر بالعديد من الشعراء المُبدعين ، من أمثال : ابن خفاجة وابن هانىء وابن سهل ، وابن زيدون وابن شهيد والمعتمد بن عباد وابن عبد ربه ، والرمادى والأعمى التطلى وابن زمرك ، ولسان الدين الخطيب والمقرى وابن زهر ، وابن دراج القسطلى ، وابن بقاء الرندى وغيرهم .

وكان جَوُّ هذه البلاد : « معتدلا فى جملته ، وفى أكثر جهاتها ، كما أن تربتها خصبة ليس بها جهات قفر ، ولا صحارى ، بل أكثرها حقول [ يانعة ] ورياض باسمة ، وأنهار جارية ، وجبال شامخة ، ومراع واسعة . فهى هَضْبة خضراء ، تتخلّلها الأنهار ، وتجرى فيها المياه .. فكانت – ولا تزال – من أجمل بقاع الأرض وأنضرها ، مما يأخذ بالألباب ، ويسبح فى روعته الخيال ، ويبعث على تذوُّق الجمال ، ومجاراة الطبيعة فى بهائها ونضرتها »(١) .

ومن ثم فقد امتاز الشعر فى هذا العصر بروعة الوصف وبراعة التصوير ، للبيئة الأندلسيَّة الساحرة ، التى يصفها ابن بَجْدتها : ( ابن خفاجة ) بقوله :

| | |
|---|---|
| إن للجنَّـــــة بالأنـــــــدلسِ | مُجْـــتلى مَرْأى ورَيَّـــا نَفَس |
| فسَـنـا صُبْـحتها من شَـنَبِ | ودُجـــى ظُلْـــمتها من لعس |
| فإذا ما هبَّتْ الـــريح صَبَـا | صِحْتُ : وا شوْقى إلى الأندلسِ ! |

ويزيدنا ابن سفر المرينى وصفًا لجوّها وأنهارها ، فى إطار الوحدة الموضوعية – مع ابن خفاجة – بقوله :

(١) انظر كتاب ( المفصل فى تاريخ الأدب العربى ) لأحمد الاسكندرى وآخرين ط ١٩٣٤ ص ١١٢ – ١١٣ .

أنهارها فضة ، والـمِسْك تُربتُهـا والخزُّ رَوْضتُها ، والدُّرُّ حصبـاءُ
وللهـــواء بها لُطْــــف يَرِقُّ به مَنْ لا يرقُّ ، وتبدو منــه أهــواء

وهو هنا يصف ( العامرية ) التى أنشأها المنصور ، المشهور بـ ( ابن عامر ) ، وهى : « نزهة من نزه الدنيا ، فيها الشجر الملتف ، والغُصن المُورِق ، والطير المغرد ، والجدول المصفّق ، والزهر الناضر ، والنرجس الضاحك »[2] .

وهكذا نجد شعراء الأندلس قد قدّموا لنا صوراً جديدة ، ثمّ « تقْطيرها فى أنابيق بَلاغية ، وأوْغلوا فى ذلك ، حتى استخرجوا منها تلك الزخارف الشعرية : ( الأرَبِسْكِيَّة ) ، التى تشبه أن تكون « قصورا حمراء » لفظية[3] .

وحينما أُتيح لأمير الشعراء ( أحمد شوق ) أن يرى الأندلس عن كثب ، بعد نَفْيه إليها ، وإقامته بين ظهْرانيْها ـ ورُبَّ ضارة نافعة ـ تلفَّت ( شوق ) حوله ، ليشهد ـ على الطبيعة ـ مَجْلَى الحُسْن ومَنْبت البهاء فى رياضها ، فلم يملك إلا أن يهتف ، معارضا موشحة « ابن خفاجة » ، قائلا[4] :

مَنْ لنضْوٍ يتـــــزى ألَمَـــــا بَرَّح الشوق به فى الغَــــلَس
حَنَّ للبـــان وناجَـــى العَلَمــــا أين شرقُ الأرض من .. أندلس ؟

* * *

وتظفر ( الوحدة الموضوعية ) بأوفى نصيب من إبداع شعراء ، جعلوا نصب أعينهم اكتمال العناصر فى غرض بعينه ، فى كل قصيدة ينبرى الشاعر فيها للقول فى موضوع محدد ، لا يخرج منه إلى سواه ، ويقتصر على أداء المعنى المقصود فحسب ؛ ومن هؤلاء ، على سبيل المثال :

١ ـ الشاعر أبو الحسن على بن حصن ـ كاتب المعتمد بن عباد ، يصف فرْخا من الحمام ، بقوله[5] :

وما هاجنى إلا ابن ورقاء هاتف على فنــن ، بين الجزيـــرة والنهر
مُفسْتَقُ طَوْقٍ ، لازوَرْدِىُّ كلْكــلٍ مُوَشَّى الطّلى ، أحْوَى القوادم والظهر

---

(٢) انظر كتاب ( معرض الادب والتاريخ الإسلامى ) لمحمد عبدالغنى حسن ط ١٩٤٧ ص ١٦٢ .

(٣) انظر كتاب « الشعر الأندلسى ـ بحث فى تطوره وخصائصه » للمستشرق الأسبانى أميلو غرثية غومس وقد عربه عن الأسبانية الدكتور حسين مؤنس ط ١٩٥٢ ص ٦ . ولفظة ( أرابسك ) Arabesque كلمة افرنجية تجدها فى اللغات الأوربية كلها ـ كما يقول المؤلف ـ ومعناها « عربى الروح » ، ولكنها لا تستعمل إلا فى مواضيع الفن ، ويراد بها الزخرفة الهندسية المتشابكة ، التى تعرفها فى الزخارف الإسلامية .

(٤) انظر قصيدة شوق ( صقر قريش ـ عبدالرحمن الداخل ) ـ موشح أندلسى ـ الشوقيات جـ ٢ ص ٢١٤ .

(٥) انظر كتاب ( نصوص فى الأندلس ) للدكتور عبداللطيف عبدالحليم ط ١٩٨٦/١٩٨٧ ص ٢٧ .

أدارَ على الياقوت أجفانَ لؤلؤ … وصاغ من العِقيان طوْقًا على النحر
حديدُ شَبَا المِنقار ، داج كأنه … شَبَا قلم من فضة مُدَّ فى حبر
توسَّد من فرْع الأَراكِ أريكة … ومال على طَيِّ الجناح مع النحر
ولمَّا رأى دمْعى مُراقًا .. أرابَهُ … بكائِىَ .. فاستولى على الغُصْن النضر
وحَثَّ جناحيْه وصفَّق طائرا … وطار بقلبى ، حيث طار ، ولا أدْرِى

٢ ـ الشاعر أبو جعفر بن عثمان المصحفى يصف ( سفرجلة ) ، بقوله[٦] :

ومصْفرَّة تختال فى ثوب نرجس … وتعبق عن مسك زكى التنفُّس
لها ريح محبوب ، وقسْوة قلبِه … ولون مُحبٍّ حُلَّةَ السُّقْمِ مُكْتس
فَصُفْرتها من صُفْرتى مُستعارَةٌ … وأنفاسُها فى الطِّيب أنفاسُ مُؤْنس
.. فلما اسْتَتَمَّتْ فى القضيب شبابها … وحاكتْ لها الأنواءُ أبْرادَ سُنْدس
مدَدْتُ يدى باللُّطْفِ أبْغى اقتطافَها … لأجْعَلَها رَيْحانتى وسْط مجلس
وكان لها ثوبٌ من الزغب أغْبرٌ … يرفُّ على جسم من التبر أمْلَس
فلما تعرَّتْ فى يدى من لباسها … ولم تبْق إلا فى غُلالةِ نرجس
ذكَرْتُ بها ـ مَنْ لا أبوح بذكرِهِ ـ … فأذْبلها فى الكفِّ : حَرُّ تنفسُ

٣ ـ الشاعر أبو محمد بن صارة الشنتريني ، القائل فى حرفة الوَرَاقة[٧]

أما الوَرَاقةُ فهى أنْكَدُ حرفةٍ … أغْصانُها وثمارها .. الحِرْمانُ
شَبَّهْتُ صاحِبَها كإبْرة خائطٍ … تكسو العُراةَ .. وجِسْمها عُرْيان !

ثم يصف ( النار والكوانين ) بقوله :

لابْنةِ الزَّنْد فى الكوانين جَمْرُ … كالدَّرارِى فى دُجَى الظَّلْماءِ[٨]
خَبِّرونى عنها ، ولا تكذبونى … ألِدَمْها صناعةُ الكيمياء ؟
.. سَبَكَتْ فحمَها صفائحَ تِبْر … رصَّعَتْهَا بالفضة البيضاء
كلما رَفْرَفَ النسيمُ عليها … رقَصتْ فى غُلالةٍ حمراء

٤ ـ الملك الشاعر المعتمد بن عباد ، وقد نُكب فى آخر حياته : فى مملكته ونفسه وأبنائه ، ونُفى إلى « أغمات » فى إفريقيا ، حيث صور فيها آلام النَّفْى ومرارة السجن ، وما آل إليه أمر أبنائه من بعده . وشعره الذى يتسم بوحدة موضوعية بارزة ، يستحق أن نُثْبت منه ما يلى[٩] :

---

(٦) انظر ( الشعر الأندلسى ـ بحث فى تطوره وخصائصه ) ص ٨٩ ـ ٩٠ تعريب الدكتور حسين مؤنس .
(٧ ، ٨ ) المصدر السابق ص ٢٤ .
(٩) المصدر السابق ص ٦٢ .

يقول مخاطباً ( قَيْدَه ) :

قَيْدى أما تعْلَمُنى مُسْلِما
أبَيْتَ أنْ تُشْفِقَ أو ترحما

دمى شراب لك ، واللحم قد
أكلْتَه ، لا تَهْشِم الأعْظُما

يُبْصِرُنى فيك ( أبو هاشم )
فينْثنى القلبُ .. وقد هُشِّما

ارحم طُفَيْلاً طائشا لُبُّهُ
لم يَخْشَ أنْ يأتيك مسترحِما

وارْحم أُخَيَّاتٍ له مثله
جَرَّعْتَهُنَّ السُّمَّ والعلْقما

منهن مَنْ يفهم شيئا ، فقد
خِفْنا عليه ، للبكاء ، العَمَى

والغيْرُ لا يفهم شيئا ، فما
يفْتح إلا للرضاع ـ فَمَا

ويقول فى يوم العيد ، واصفا ما آل إليه أمره وأمر بناته ، بما يمسُّ القلب ويُوجعُه[10] :

فيما مضى كنتُ بالأعيادِ مسرورا
فساءك العيدُ فى ( أغمات ) مأسورا

ترى بناتك فى الأطْمار جائعةً
يغْزِلْنَ للناس ـ ما يمْلِكْن قطْميرا

برزْن نحوك للتسليم .. خاشعةً
أبصارُهُنَّ ، حسيراتٍ مكاسيرا

يطأْن فى الطين ، والأقدامُ حافيةٌ
كأنها لم تَطَأْ : مِسْكا وكافورا

لا خدَّ إلا تشكَّى الجدْب ظاهرُهُ
وليس إلا مع الأنفاس مَمْطُورا

.. أُفطِرْتَ فى العيد ـ لا عادت مساءتُه
فكان فِطْرك للأكْباد تفْطيرا

من بات يغْذُلُهُ مُلْكٌ يُسَرُّ به
فإنما بات بالأحلام مغرورا

* * *

وفى الشعر الأندلسى قصائد طويلة ، تتسم بالوحدة الموضوعية المتناسقة ، كنونية أبى إسحق الألبيرى ، فى الثورة على يهود غرناطة ، وعدد أبياتها ( ٤٧ ) سبعة وأربعون بيتا ، ويستهلها بقوله :

ألا قل لـ ( صهجانة ) أجمعين
بُدُورَ النَّدىَ وأُسْد العرين

وتدور حول نجوى الشاعر لقبيلة صهناجة ـ أبرز مكوِّنات جماعات المجتمع فى غرناطة ، وعتاب أمير غرناطة باديس بن حيوس ، بسبب تسلُّط اليهود على المسلمين ، والغدر بهم ، ومحاولة النَّيْل من عقيدتهم ، والشاعر يحفز الجميع على إدالة نفوذ اليهود وإبطال تأثيرهم السيىء على الحياة والناس ، والمسلمين بصفة خاصة . وقد بلغ من تأثير هذه القصيدة ، أن فجرَّت ثورة عارمة بالفعل ، يصفها المستشرق الأسبانى إميليو غرثية غومس ، بقوله :

---

(١٠) انظر كتاب ( فى الدراسات الأدبية : للعصرين العباسى والأندلسى ) للدكتور على على صبح والدكتور محمد أحمد سلامة ط ١٩٨٨ ص ٢٩٤ .

« لعل الشعر الأندلسى لم يعرف أبدا البساطة عارية ، كما عرفها فى هذه القصيدة ، وفى الوقت نفسه لم ير قصيدةً مثلها ، يلفُها مثل هذا الإعْصار من المشاعر : لقد اجتاحتْ أنغامُها ــ حَيَّةً متوهجة ــ أعماق المدينة ، مع زفير النيران وحشرجة الموتى »[11] .

وكذلك الشأن بالنسبة لنونية ابن زيدون المشهورة ، التى يستهلها بقوله :

**أضْحَى التنائى بديـلا من تدانينـا — ونـاب عن طيب لقْيَانـا تجافينـا**
**بِنْتم وبِنّا ، فما ابتلَّتْ جوانحُنـا — شوقا إليكـم ، ولاجَـفتْ مآقينـا**

وفيها من التلاحم ، والترابط الوجدانى ، ما فيها .

* * *

وأخيرا ــ وليس آخرا ــ تبرز إلى الأذهان نُونِيَّةُ أبى البقاء الرندى ، فى رثاء الأندلس ، التى يستهلها ببَيْتِه الرائع ، ذى الموسيقية الشجية :

لكـــل شىء إذا ما تم نُقصان — فلا يُغـر بطـيب العـيش إنسانُ

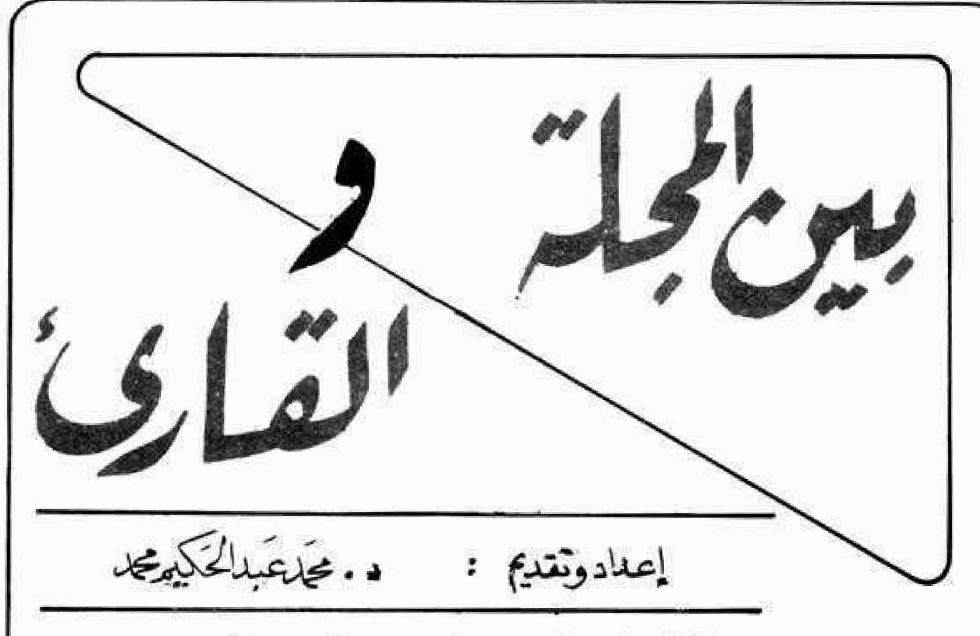
وعدد أبياتها : ( ٤٢ ) اثنان وأربعون بيتا .

وهى أشهر من أن نُثبت نصَّها الكامل ، لنُدلِّل على الوحدة العضوية التى تربط بين أبياتها برباط وثيق .. ونقتصر هنا على إثبات رَأْى حصيفٍ للدكتور جلال صابر حجازى ، فى مجال إثبات الوحدة العضوية لهذه القصيدة ، رغم طولها ، بقوله : « ولا نجد فى قصيدة الرندى تلك : « القفزات » غير المترابطة ، التى توجد فى كثير من قصائد شعرنا العربى ، بل نجدها تمتاز بأنها مُخطَّطة مُمَنْهَجَةَ ، ذات خِطةٍ منطقية دقيقة ، ومنهج مرتب ترتيباً مُحْكماً ، حيث تسلسلت الموضوعات ، التى طرحتها القصيدة ، تسلسلا منطقيا مقنعا ، والتحمت مضامينها وعناصرها ، وأفكارها الرئيسية ، التحاما قوياً متماسكاً ، بلا فجوات أو قفزات ، حتى صارت كأنها سبيكة صُبَّتْ فى قالب واحد »[12] . إلى أن يواصل الحديث بعد ذلك عن التمهيد للقصيدة ، بأبياتها الأولى ، التى تصف لوعة الشاعر وأساه ، بقوله : « فإذا كان صلب القصيدة ، بعد ذلك ، هو الحديث عن زوال مُلْك العرب والمسلمين فى فردوسهم المفقود : ( الأندلس ) ، فإن أهمية التمهيد تبدو مرتبطة ارتباطا وثيقا طبعياً ببنية القصيدة ، وكيانها الفنى ، ارتباط اللون بالزهرة ، والضياء بالشمس ، والرأس بالجسد »[13] .

---

(١١) انظر كتاب ( مع شعراء الأندلس والمتنبى ) لغرثية غومس ترجمة الدكتور الطاهر أحمد مكى الطبعة الثالثة ١٩٨٢ ص ١٠٦ .

(١٢ ، ١٣ ) انظر كتاب ( نصوص ودراسات أندلسية ) ط ١٩٨٨ ص ١٧٤ ــ ١٧٥ .




إعداد وتقديم : د. محمد عبد الحكيم محمد

## تطرف فى الدين أم ضد الدين؟

فى الآونة الأخيرة تتابعت السهام مندفعة ـ تحت ظل مكافحة التطرف ـ إلى صدر الإسلام والمسلمين ، فقد تطورت القضية وأصبحت ذات وجهين :

ـ وجه جليّ معلن ، هو الهجوم على التطرف والتنفير منه .

ـ ووجه آخر خفيّ ، هو تغييب الإسلام والنيل من رموزه .

وهكذا اتخذ العلمانيون من مبدأ « مواجهة التطرف » قاعدة أو قنطرة لتحقيق أهدافهم الخفية ، والتى تكشفت بِسُمِّها الفواح فى كثير من الأفكار المطروحة على الرأى العام ؛ من خلال الإعلام المطبوع والمسموع والمرئى على حد سواء .

فإدعاء بشرية القرآن الكريم كخطوة لعزله عن الوحى ، إلى غمز فى بعض مواقف نبىّ الإسلام سيدنا محمد ـ ﷺ ، إلى تشويه لصورة الخلافة الإسلامية ، والغض من شأن التاريخ الإسلامى ، إلى الطعن فى أئمة المسلمين العظام ـ من القدماء والمحدثين ـ الذين يُرجع إليهم فى علوم الشريعة الإسلامية .

ولعل حظ الأزهر الشريف ـ بشيخه وعلمائه ـ كان أكبر وأوفر من البطش الإعلامى المشبوه ، وما أكثر رسائل الاحتجاج والغضب التى تتلقاها « مجلة الأزهر » كرد فعل طبيعى لهذه التجاوزات وما تضمنته من اجتراءات على الحق والتاريخ .

وقد تلقت المجلة بهذا الشأن رسالة الداعية الإسلامى الشيخ/ معوض عوض ابراهيم ، والتى يقول فيها :

لا بأس على الإسلام من أولئك الذين ينطحون ـ برءوسهم الفارغة ـ قلعته الصامدة فى أداء مهمته ، ذلك أنه يجد المدد والعزاء فى مثل قول الله تعالى :

﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ النساء/١١٤

إن هؤلاء يجدون أنفسهم بين من حذّرهم الله وتوعّدهم بقوله : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾ النساء/١١٥

والمسلمون بعامة وعلماء الأزهر بخاصة يأخذون أنفسهم بمثل قول الله تعالى : **﴿ ادفع بالتى هى أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون ﴾** المؤمنون/٩٦ ، وقوله تعالى ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ البقرة ٨٣ . إن هؤلاء يجهلون مهمة الإنسان فى هذه الحياة وأن الله لم يخلقه عبثا ، ولم يتركه سُدًى ، فأسلموا للشيطان أزِمَّة نفوسهم ، واتبعوا أهواءهم وأعطوا ولاءهم لشياطين الإنس الذين يقول فيهم أبو عبدالرحمن عبدالله بن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنهما ـ « إن شيطان الإنس أشد علىَّ من شيطان الجن ، فإننى إذا استعذت بالله أعاذنى منه ، وشيطان الإنس يَجيئنى فيجرنى إلى المعاصى جَراً » ، إن جريرة الأزهر عند هؤلاء أنه يسلط الأضواء على الذين أرخصوا عقولهم لكل فكر وافد ، وامتهنوا أنفساً كان من الممكن أن تكون كريمة بالمعرفة الهادية والثقافة البانية والنظر الفاحص .

● ● ●

**كما تلقت المجلة كلمة الشيخ/ عبدالعزيز احمد رضوان .. المفتش الأول بوعظ كفر الشيخ ، والتى يفند فيها ما تضمنته أباطيل العلمانيين ضد الإسلام وأهله من إفك وظلم وزور .**

لا يحار المسلم كثيرا فى فهم نفسية أعداء الإسلام القدماء والمحدثين على السواء ، فهى نفس حاقدة ، أمارة بالسوء ، داعية لتأليب خصوم الإسلام عليه ، وتشكيك أبنائه فيه ، وتأجيج نار الحرب ضده ، وزرع بذور الفتنة والخلاف بين أتباعه لكى يزدادوا ضعفاً على ضعف ، و ... الخ .

وقد أشار القرآن الكريم فى مواضع كثيرة من آياته لهذه النفسية العجيبة المزدوجة لأعداء الإسلام فقال تعالى :

﴿ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾(١) **فالقـــوم يغالطون أنفسـهم !!**

والتاريخ يعيد نفسه الآن . ولذلك فنحن كثيرا ما نصادف ( آباء جهل ) و( آباء لهب ) يجادلون فى الحق بعدما تبين ويناطحون الصخر ، ويحاربون الحق الواضح ، ويرمون الشمس فى عليائها بالتراب والأحجار .

فهذا يدعى أن الإسلام انتهى زمنه ، وقد نزل على قوم ذوى بداوة فى زمن محدود ، فهل يصلح لعصر العلم والانطلاق والاختراع وارتياد الآفاق وغير ذلك؟!! ونجيبهم : نعم ، إنه يصلح ، لأنه

---

(١) سورة البقرة من الآية : ١٤٦ .

لا يناقض الفطرة السليمة ، ولا الذوق الرفيع ، ولا العلم ولا الحياة . وهو ليس مرحليا كما تدعون ، ولا إقليميا كما تأفكون . ولقد أجاب القرآن الكريم مشركي قريش على هذه المزاعم فقال :

( وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ۞ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۞ قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ )(٢)

**ثم نحن نحاججكم بشيء فى منتهى البداهة والوضوح فنقول : ائتونا ــ ولو بجزئية يسيرة ــ من أحكامه تخالف الحق والحكمة والعدل ، مع العلم بأن قوانينكم الوضعية تحتاج إلى تعديل من آن لآخر .**

**وهذا فريق ثان يرمى جمهرة المسلمين ، وكل علمائهم ، وكل هيئاتهم العلمية بالغباء . ويقدم لنا تفسيرا من عنده يتلاعب فيه باللغة والمعانى والأحكام . ويمهد لذلك بتحليل الحرام وتحريم الحلال ويقول لنا :**

هذا هو التنوير !!!

وتبعا لهذا الفهم السقيم أباح هؤلاء ( التنويريون ) التهتك والعرى والاختلاط الصاخب المتشنج ، وطالبوا بإبعاد القرآن عن الحياة ، وصاحوا غاضبين إذا رماهم أحد بالزندقة والإلحاد . وأباحت لهم أوضاعهم أن ينشروا هراءهم ويرفضوا نشر الردود على سخافاتهم . ووصل الأمر بهم إلى محاولة فرض حمايتهم بالقوة على معتنقى مذاهبهم الهدامة فى الجامعات .

وثالثة الأثافى ، هى فى ذلك الفريق الثالث الذى ينعق مع أعداء الإسلام .

فيردد مقولاتهم ويقول : إن الإسلام سبب المصائب فى العالم . !! فمن يتمسك به ويحرص على تعاليمه متشدد أصولى ، ومن يدعو إلى تطبيق شريعته ــ سواء كان فردا أو دولة ــ فهو مخرب ، مدمر إرهابى ، الخ .

ونحن نقول لهم : إن الإسلام هو دين الرحمة والمحبة والمودة . وهو للتعمير وليس للتخريب .

إن التخريب والترويع آت من غير أبنائه . ولو حاكمتم بمبادىء الإسلام من خرَّب أو دمَّر أو أشعل حريقا أو أثار فتنة لوجدتم الحكم رادعا .

إن الأحداث الدامية التى تمر بالمسلمين الآن فى كل بلاد العالم ، ومنها ــ على سبيل المثال ــ كشمير وبورما وأفغانستان وطاجيكستان وأذربيجان والبوسنة والهرسك ــ ودور كوسوفو وألبانيا آت ــ وتركيا ولبنان وفلسطين والجزائر ، هى أحداث افتعلتها العلمانية صاحبة الذراع الطويلة فى النيل من الإسلام والمسلمين ، وما يحدث الآن فى السودان والصومال والعراق وليبيا يراد بالعالم الإسلامى كله .

إنها أحداث مصطنعة لينشغل العالم الإسلامى بنفسه وهمومه . ويتفرغ أعداؤه للاقتصاد والعيش الناعم الرغيد .

يراد للعالم الإسلامى أن لا يكتفى غذائيا ، بل يعيش عالة مَدِينًا ذليلا مخفوض الهامة ، كسير الجناح . سُفْلىّ اليد ، فهل نتنبه لتلك الأبعاد ونأخذ الحذر من أعدائنا ؟

(٢) سورة الفرقان : الآيات ٤ ، ٥ ، ٦ .

## أول ندوة علمية عن محو الأمية

عقدت « الهيئة العامة لمحو الأمية وتعليم الكبار » فى الحادى عشر من شهر شوال الماضى ندوة علمية عن « قضية الأمية فى مصر وعلاقتها بالمشكلة السكانية » ، وذلك بالمركز الكشفى بمدينة نصر بالقاهرة ، ناقشت الندوة فى عدة جلسات - على مدى يومين - أكثر من ثلاثين بحثا ، تقدم بها الأكاديميون والمفكرون ، وقد تناولت البحوث - فى مجملها - هذه القضية من خلال محاور ثلاث :

الأول : علاقة الأمية بالمشكلة السكانية

الثانى : واقع الأمية وطرق مكافحتها .

الثالث : دور الاعلام فى حل هذه المشكلة .

أقيمت الندوة تحت رعاية الأستاذ الدكتور/حسين كامل بهاء الدين وزير التعليم وتمخضت عن توصيات عديدة من أهمها :

١ - تبادل الخبرات الميدانية فى ميدان محو الأمية وتعليم الكبار مع مختلف الدول والهيئات والمنظمات الدولية والأقليمية المعنية .

٢ - التنسيق مع مختلف الوزارات والهيئات والمؤسسات العامة والتنظيمات المختلفة فيما يتعلق بمشروعات محو الأمية وتعليم الكبار فى إطار الخطة القومية .

٣ - استحداث شعب لمحو الأمية وتعليم الكبار فى كليات التربية ، والتربية النوعية لإعداد الكوادر المؤهلة اللازمة لتنفيذ خطط الهيئة فى هذا المجال .

٤ - التأهيل التربوى للعاملين فى مجال محو الأمية غير الحاصلين على مؤهل تربوى والاستفادة بهم فى تنفيذ برامج ومشروعات الهيئة .

٥ - وضع سياسة إعلامية ثابتة لمحو الأمية من خلال البرامج الإعلامية المتنوعة « مباشرة وغير مباشرة » وبرامج خدمات ؛ مع تأهيل الكوادر الإعلامية فى اتجاه مختلف القضايا القومية .

٦ - دعم جهود الهيئة بما يوفر قاعدة بيانات إحصائية دقيقة فى مجالات محو الأمية وتعليم الكبار بالتعاون مع جميع الجهات المختصة والمحليات .

٧ - تشجيع ودعم وتنسيق الجهود التطوعية فى مجال نشاط الهيئة .

٨ - التأكيد على مسئولية وزارة التربية والتعليم فيما يتعلق بتحقيق التزامها بالعمل على سد منابع الأمية .

● **رجاء خاص بالسادة الكتاب :**

ترجو مجلة الأزهر من السادة الكُتّاب أن يكتبوا أسماءهم الثلاثية ووظائفهم على المقالات التى يوافون الإدارة بها ، وأن تكون كتابتها على الماكينة أو بخط واضح ، وأن يرسلوا إلينا الأصل فى الحالتين ، ويحتفظوا بصورة منه ، حيث إن المجلة ليست ملزمة برده ، كما نرجو مراعاة حداثة الإنتاج ، وألا يكون قد سبق نشره فى صحيفة أو كتاب ، وكلما كان الإنتاج مسندا إسنادا علميا ، بما فى ذلك تخريج ما ورد به من الأحاديث النبوية وبيان مواقع الآيات القرآنية - كان ذلك أدعى لصلاحية نشره ، والله تعالى من وراء القصد .

## بأقلام القراء

ميثاق النبيين

أخذ الله ـ تعالى ـ ميثاق النبيين أجمعين أن يؤمنوا بسيدنا محمد ـ عليه السلام ـ وينصروه إن أدركوه ، وأمرهم أن يأخذوا بذلك الميثاق على أممهم فلما أقروا بذلك أشهدهم على أنفسهم وعلى أتباعهم ثم قال ـ عز وجل ـ ﴿ وأنا معكم من الشاهدين﴾ أى عليكم وعليهم ، فمن تولى من أمم الأنبياء عن الإيمان به ﷺ بعد أخذ الميثاق فهم الخارجون على الإيمان ، أورد ذلك الإمام القرطبى فى تفسيره لقوله ـ تعالى :

وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٨٢﴾

« العمران ٨١ ، ٨٢ »

**عماد الدين عبدالمنعم** ـ دار طباعة النقد .

### قضية الاتباع

يقول المولى عز وجل فى محكم كتابه وهو أصدق القائلين ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ « سورة ال عمران آية رقم ٣١ » .

وبناء على ذلك فإنه لايمكن لعبد أن يعرف ربه ويصل إليه إلا إذا اقتدى بالنبى ﷺ واتبع ما جاء به ، وترسَّم طريقه فى عبادة الله ومعاملة أمَّته ، فهو الأسوة الحسنة والنبراس المستقيم ، ولايزال العبد يفعل كل هذا لأنه علم ما قاله المولى عز وجل فى محكم كتابه وهو أصدق القائلين « لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا » سورة الأحزاب اية رقم ٢١ » وكذلك لايزال العبد يتبع النبى ﷺ ويصدق فى ذلك حتى يكون على الشاكلة النبوية مصداقا لقوله ـ تعالى ـ فى كتابه العزيز وهو أصدق القائلين : ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ﴾ « سورة الإسراء آية ٨٤ » .

وهكذا يأمرنا الحق تبارك وتعالى بأن نجعل رسول الله ﷺ قدوتنا فى كل ما جاء به من أقوال وأفعال وتقريرات ، بل إنه ـ عز وجل ـ قرن محبتنا له ـ نحن العباد ـ باتباعه ﷺ .

خيرى محمد أبو الروس ـ خطيب بكفر الشيخ

---

● **ردود خاصة باشتراكات المجلة :**

على كل من يرغب فى الاشتراك الشهرى بمجلة الأزهر ، مراسلة « إدارة الاشتراكات بمؤسسة الأهرام بشارع الجلاء بالقاهرة » لتحديد بداية العدد المطلوب ، ومدة الاشتراك ، علماً بأن أسعار الاشتراكات عن سنة كاملة « ١٢ » عدد ، تكون على النحو التالى :

ـ ٩ جنيهات داخل جمهورية مصر العربية .

ـ ٥٠ دولار داخل دول اتحاد البريد العربى .

ـ ٧٥ دولار خارج دول اتحاد البريد العربى .

وهذه قصيدة من إبداعات الشيخ/سراج الدين معزوز من دولة « غينيا بيساو » أوحتها إليه « رسالة الأزهر الشريف » فى نشر العلم عبر تاريخه الممتد :

يا أزهــر النــور أمّ الجامعــات ألا ... ياروضة العلـــم والإيمان من قدم

كنت المنـــارة فى الإسلام من قدم ... واليوم صرت لنـا كالبـدر فى الظلـم

نيـل المعـــارف من شتـــى مشاربها ... ومرتـع لطـلاب العلـم والحكـم

إنَّ الجوامـــع فى الإسلام قاطبـــة ... تقـول : أزهـر فينـا صاحب العلـم

فلا تنازعـــه فى فضلـــه أبـــدا ... ولا تنـــافسه فى المجد والعظــم

مازلت تبـعث من أبطـــال ملتنـــا ... من يظهـر الحق فى البلـدان بالهمـم

مدرسا مرشدا منهم وداعيـــــة ... يدعـو لإصلاح ديــن الله والـقيم

مشايخ الأزهـــر المحبـوب همهـمُ ... أن يدفعـوا شبهات الجهـل والسقـم

فالأزهـر الفــرد لايحصى فوائـــده ... إلا الـــذى برأ الإنسان من عدم

فانعم بقيت لنـا رمـز الفخـار على ... مر الدهـــور تباهـــى كل ذى شمم

---

وهذه قصيدة للشاعر/مصطفى محمود مصطفى .. أوحتها إليه « مذبحة الحرم الإبراهيمى » :

لله أنتم أيها الشهـــــداء ... مأساتكـــــم دوت بها الأصداء

قد غالكـــــم وحش لئيم غادر ... وبكـــم أحـــاط شراذم جبنـــاء

عم الدنـــا غضب عليهم ثائـــر ... والسخـــط قد ضاقت به الأرجـــاء

• • •

أبنـى فلسطين الأبـــاة ، إليكمـو ... منـــى عزاء صادق ، ونـــداء :

لا تفزعـــوا كى لايضعضع عزمكـــم ... محن جسام حولكـــم وبـــلاء

• • •

وتمسكـوا بالوحـــدة الغـــراء ، لا ... تتنازعـــوا فالخلـــف فيـــه عنـــاء

وتفاءلـوا ، فغـدا تعـود حقوقكـــم ... ومـــع التفـــاؤل لا يخيب رجـــاء

## ردود وتعليقات

● **القارىء/أنور السادات فتحي فهمي .. قنا**

● **والقارىء/عدنان عبدالرحمن ـ الطالب بجامعة الأزهر فرع أسيوط .**

الحسرة تملأ قلوبنا على ما يفعله أعداء الاسلام بالمسلمين ، ولكن الباطل مهما انتفش فهو زهوق ، ولن تكون الغلبة له ، ذلك أن سنة الله ـ تعالى ـ فى خلقه أن ينصر الحق وأهله شريطة أن يتمسكوا بحقهم ويلتزموا بتعاليم دينهم .

● **القارىء/سعيد على البرقمانى ـ الطالب بجامعة الأزهر ـ فرع دمنهور .**

نشكرك على تحيتك الرقيقة لإدارة المجلة ويمكنك الاتصال بتوريدات الأزهر « فى مدينة البعوث بالقاهرة » لبحث الأعداد التى تنقصكم من مرتجعات المجلة ، وإن كان ذلك أمراً صعبا لقلة المرتجعات وانعدامها أحيانا .

● **القارىء/د. السيد السعيد مندور .. من دكرنس ـ الدقهلية .**

هذه مشاعر رقيقة نشكر المهنئين عليها شكرا جزيلا ، وهى تعيد إلى أذهاننا زفة الإعلام الغربى عن الجهد الإنسانى الخارق الذى بذله الغرب فى إنقاذ الطفلة المسلمة « إيرما » من جحيم سراييفو ونقلها إلى مستشفى خمس نجوم فى لنـدن لاستخراج الشظايا التى أصابتها ، بينما الآلاف من المسلمات والمسلمين يواجهون أتعس مصير .

وفيما يتعلق بمسلسل « العائلة » فلعلكم قرأتم ردَّ الأزهر فى الملحق الصادر مع العدد الماضى .

● **القارىء/خالد سيد رياض مبروك .. من الواسطى بنى سويف**

لتكن ثقتك فى الله كبيرة ودعاؤنا بأن يرزقك الله حسن التوفيق ويهيىء لك من أمرك رشدا .

● **القارىء/محمود عبدالعزيز محمد يحيى .. المدرس بمعهد رشيد الأزهرى .**

رجاء إرسال نسخة « المصحف » الى المجلة لاتخاذ اللازم بشأنها ، وبإذن الله ـ تعالى ـ سنعيد نشر قصيدة « شوق » عن مكانة الأزهر.

● **القارىء بدوى زكريا الجوهرى ـ بكلية زراعة كفر الشيخ .**

ليس فى وسع المجلة تزويدكم بالكتب المطلوبة ، ويمكنكم الاتصال بمكتب فضيلة الإمام الأكبر مباشرة لبحث مطلبكم .

● **القارىء محمود حامد النابى ـ بكلية العلوم جامعة القاهرة .**

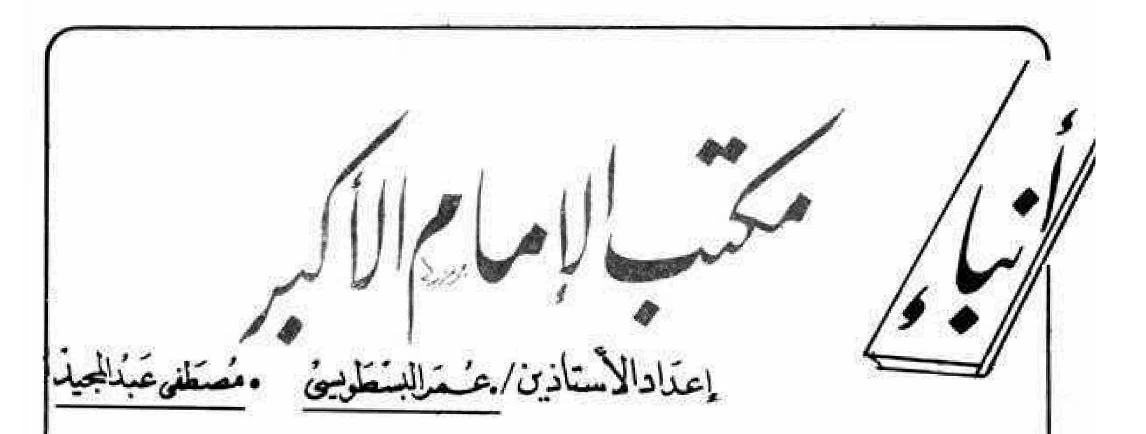
نشكركم على هذا التأييد ، وندعو الله ـ عز وجل ـ أن يجعل مسيرتنا فى خدمة المجلة خالصة لوجهه الكريم ، وأن يجعلها دائما عند حسن ظن قرائها

● **القارىء محمد عباس محمدين من الواسطى ـ أسيوط .**

الاعتماد على مثل هذه الكتب الدينية القديمة لا يخلو من القيمة ، فلم يكن هدف أصحابها تجاريا ، ولكن مما لاشك فيه أن المؤلف الذى يهتم بتخريج الأحاديث النبوية ويبين موقع الآيات القرآنية تكون له الأولوية فى الاهتمام .

● **القارىء مرسى محمد مرسى مجاهد بالزقازيق**

نشكركم على اهتمامكم بمجلتكم « الأزهر » وسوف ترون مبلغ الاهتمام بها يتزايد بمشيئة الله .




إعداد الأستاذين/ عمر البسطويسى • مصطفى عبد المجيد

**فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف**
**يطالب بإظهار مبادىء الإسلام فى جميع البحوث**

● طالب فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق .. شيخ الأزهر الشريف-فى افتتاح الدورة التدريبية التى ينظمها المركز السكانى وكلية طب الأزهر - العلماء والباحثين بإبراز مبادىء الإسلام فى جميع بحوثهم مؤكداً أن الإسلام حث على العلم والتعلم .

**فضيلة شيخ الأزهر الشريف**
**يقول لدعاة العالم الإسلامى**
**مصر والأزهر الشريف سيواصلان العطاء لخدمة العالم الإسلامى**

أكد فضيلة الإمام الأكبر أثناء لقائه بجميع العلماء المشاركين فى الدورة العالمية الرابعة والعشرين للتدريب على الدعوة الإسلامية - أن كل من فى مصر وجميع العاملين بالأزهر الشريف يسعون إلى أن يأتى إلى مصر طلاب العالم ليدرسوا فى الأزهر الشريف ثم يعودوا إلى بلادهم بحقائق الإسلام وشريعته السمحة ؛ لينشروا ذلك ويكونوا خير شهود على عطاء الأزهر ومصر للإسلام والمسلمين فى كل مكان بالعالم وخدمة قضايا الأمة بأسرها .

**شيخ الأزهر الشريف**
**يستقبل وفد جامعة كازاخستان**

استقبل فضيلة الإمام الأكبر وفد جامعة كازاخستان بجمهورية تتارستان الإسلامية برئاسة د. يوسف روزال .

وتناول اللقاء سبل دعم العلاقات بين الأزهر والجامعة وشئون المسلمين هناك .

زار الوفد فرع جامعة الأزهر بالاسكندرية، وبعض المناطق الأثرية .

**شيخ الأزهر الشريف**
**يبحث أحوال المسلمين فى تايلاند**

استقبل فضيلة الإمام الأكبر بمكتبه الشيخ حسن شمس الدين رئيس وفد تايلاند والوفد المرافق له ، واستعرض مع الوفد أحوال المسلمين

ونشاطهم فى تايلاند حيث أقامت لهم الدولة مركزاً إسلامياً كبيراً تكلف نحو ٣٢ مليون دولاراً .

وطالب الوفد بزيادة المنح الدراسية ومعادلة الشهادات الدراسية لطلاب تايلاند بالشهادات الأزهرية ، وأن يمدهم الأزهر بالكتب والمناهج الدراسية ، ووعد فضيلته بتقديم كل عون لبلادهم .

توقيع اتفاقية للتعاون العلمى بين جامعتى الأزهر وقازان

وقعت جامعة الأزهر الشريف اتفاقية للتعاون العلمى والثقافى مع جامعة قازان بجمهورية تتاراستان تشمل المجالات العلمية وبخاصة فى الطب والزراعة والعلوم .

وتقضى بتقديم عشر منح دراسية لطلاب جامعة قازان للدراسة بجامعة الأزهر الشريف وإنشاء مدرسة للغة العربية بالجمهورية .

الرئيس يكرم حفظة القرآن الكريم

شهد الرئيس محمد حسنى مبارك احتفال مصر بليلة القدر وذلك يوم الثلاثاء الموافق ٢٦ رمضان ١٤١٤هـ ـ ٨ مارس ١٩٩٤م بقاعة الاحتفالات بجامعة الأزهر بمدينة نصر .

تضمن الاحتفال تكريم حفظة القرآن الكريم فى المسابقة الدولية التى نظمتها مصر برعاية الرئيس مبارك باشراف فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر خلال النصف الثانى من شهر رمضان المعظم .

شهد الحفل فضيلة الإمام الأكبر والأستاذ الدكتور رئيس مجلس الوزراء وفضيلة الدكتور وزير الأوقاف وعدد كبير من السادة الوزراء ولفيف من علماء الأزهر والأوقاف وقيادات الدعوة الإسلامية بمصر والعالم الإسلامى .

وعقب الحفل تلقى الرئيس مبارك اتصالا هاتفياً من سمو الشيخ زايد أعرب فيه عن تقديره للرئيس مبارك والكلمة التى ألقاها سيادته فى الحفل ، وبحفظة القرآن الكريم حيث أبلغ السيد الرئيس قراره برعاية المسابقة فى العام القادم ـ إن شاء الله .

بيان من الأزهر الشريف
يدين حادث الحرم الابراهيمى

أصدر الأزهر الشريف بياناً أدان فيه حادث الاعتداء الآثم الذى وقع صبيحة يوم الجمعة الموافق ١٠ رمضان ١٤١٤ هـ والذى راح ضحيته عدد كبير من المصلين بساحة الحرم الإبراهيمى .

وقد دعا الأزهر الشريف فى بيانه أئمة المساجد ورجال الدعوة فى مصر كل فى موقعه أن يقيموا صلاة الغائب على أرواح الشهداء .

أكد البيان على أن هذا العمل لا تقره شريعة من الشرائع السماوية ولا القوانين الوضعية أو الأعراف البشرية السوية ـ مشيراً إلى أنه إذا دل على شىء فإنما يدل على الوحشية والتجرد من الإنسانية والانفلات من كل القيم والعاطفة الطيبة التى ترعى عباداً خشعوا لله ساجدين بين يدى الله ـ عز وجل ـ .

# شيخ الأزهـــر يعتب على النمسا لمنحهـــا جائزة لآيات شيطانية

أكد فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر فى تصريح خاص لأخبار الأدب أن الأزهر بكل علمائه ، وهيئاته ، وطلابه يعتب على حكومة النمسا ؛ لمنحها جائزتها للأدب الأوربى للكاتب العابث سلمان رشدى عن كتابه الماجن « آيات شيطانية » . وقال : إن الأزهر كان يأمل فى النمسا أن تراعى ــ وهى دولة لها صداقاتها مع الدول الإسلامية ــ هذه الصداقة ومصالحها مع الدول العربية والإسلامية .. وكان عليها أن تدرك أن هذا الكتاب ومؤلفه يوجهان السهام الكاذبة الغادرة والحاقدة إلى العقيدة الإسلامية وإلى القرآن الكريم . وأن الديانة الإسلامية ديانة عالمية من المفروض أن تحترم من دولة النمسا وهى الدولة المحايدة مما يدعو الأزهر الشريف إلى الأسف الشديد إزاء هذا التصرف .

كما أدان المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة تصرف حكومة النمسا ومنحها هذه الجائزة لمؤلف هذا الكتاب الذى يشوه الإسلام عن عمد ويسىء إلى سمعة المسلمين فى العالم . كما أنه يسىء إلى مشاعر المؤمنين فى جميع الأديان السماوية فى العالم ويتطاول ببذاءة وإسفاف على رسول الله وعلى قيم ومبادىء الإسلام الروحية والإنسانية .

وصرح توفيق الشريف مدير عام المجلس أن تصرف حكومة النمسا يعد تصرفاً مشيناً خاصة فى هذه الظروف والدليل على ذلك أنه تقرر عرض تسليم الجائزة لسلمان رشدى علناً أو سراً على مجلس الوزراء النمساوى . وأضاف أن المجلس يرى فى اختيار لجنة التحكيم لهذا الكتاب كنموذج للأدب الأوربى المعاصر صدمة تستفز المشاعر وخاصة أن نصوص الدستور النمساوى ذاتها تحرم التطاول على الأديان مما يحتم علينا المطالبة برفض منح الجائزة لهذا الكاتب وسرعة تقديم التوضيح فى هذا الشأن بسفارات النمسا بالدول الإسلامية .

# نص بيان الأزهر الشريف حول مسلسل (العائلة)

الأزهر ـ مكتب الإمام الأكبر شيخ الأزهر :

جرى اتصال تليفونى بين السيد الأستاذ/ محمد صفوت الشريف وزير الإعلام وفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ، بخصوص ما أثير حول هذا المسلسل ، وقد أوفد السيد الوزير إلى الأزهر الأستاذ/ ممدوح الليثى ومعه أجزاء من سيناريو هذا المسلسل .

وقد تداولت لجنة البحوث الفقهية بمجمع البحوث الإسلامية ـ فى جلستها يوم الخميس ٢٨ من رمضان سنة ١٤١٤ هـ ، الموافق ١٠ من مارس سنة ١٩٩٤ م ـ هذا الموضوع فى حضوره ، وأوضحت حكم النقاط التى أثارها هذا المسلسل ( عذاب القبر ـ البنوك الإسلامية ـ توقير المساجد وعلمائها ، وغير ذلك ) .

كما اتضح أن أصل هذا المسلسل عرض على الأزهر من جهة رسمية أخرى غير وزارة الإعلام ، وأبديت بعض الملاحظات عليه ، وكان المظنون أن هذه الملاحظات أبلغت إلى جهات التنفيذ ، ومن بينها التليفزيون ، لكن الأستاذ/ ممدوح الليثى أبدى أن ملاحظات الأزهر الشريف لم تصل إلى التليفزيون ، وقد وافق على أن يراعى عند عرض فكر غير صحيح إسلاميا أن يكون الرد عليه مباشرا ، وفى ذات الحلقة .

وأضاف أنه سيخصص حلقة لتصويب كافة الأخطاء التى أثيرت فى جلسة هذه اللجنة ، وغيرها مما قد يستظهر من حلقات هذا المسلسل فى باق الحلقات ، وأن تذاع هذه التصويبات قبل انتهاء شهر رمضان .

# أنباء العالم الإسلامي

إعداد الأستاذ / مجدي عبد الحميد بشير

استراليا

وافق مجلس جامعة « ميلبورن » باستراليا على إنشاء صحيفة متخصصة لرعاية شئون المسلمين بالقارة الاسترالية ، كما قرر المجلس تعيين الدكتور عبدالله سعيد رئيس قسم الدراسات الإسلامية والعربية بالجامعة مشرفا عاما على إصدار تلك الصحيفة ، والجدير بالذكر أن عدد المسلمين فى استراليا تجاوز الربع مليون مسلم .

البرازيل

عُقد فى البرازيل مؤخراً المؤتمر الأول للدعوة الإسلامية وذلك فى مدينة « سان باولو » وشارك فى المؤتمر مليون مسلم من أمريكا اللاتينية وأوربا واستراليا وافريقيا بالإضافة إلى ثلاث جمعيات ومركز إسلامى فى البرازيل حيث تم بحث عدد من قضايا العمل الإسلامى فى تلك البلاد ، وأكد المؤتمرون على الصبغة العالمية والحضارية للدين الحنيف .

الكويت

أصدر وزير الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت قراراً بإنشاء إدارة للإفتاء والبحوث الشرعية وتهدف إلى أن تكون هى المصدر الوطنى المعتمد لإبداء الرأى الشرعى للقضايا العامة والخاصة التى تهم الأفراد والمجتمعات .

ومن أخبار الكويت أيضاً أن اللجنة النسائية بجمعية إحياء التراث الإسلامى بالكويت تقوم بإجراء مسابقة فى البحث العلمى وقد تحدد يوم ٢٨ من ذى الحجة من هذا العام كآخر موعد لتسليم البحوث التى سيتم مناقشتها وإعلان الفائزين بجوائزها فى الثانى عشر من صفر القادم .

الكويت

كما يُعقد فى الكويت مؤتمر عالمى تحت عنوان التعليم وأثره فى التنمية البشرية والاجتماعية والاقتصادية ، ويبدأ المؤتمر يوم السبت ٢٣ من أبريل القادم ، ويشارك فى أعماله نخبة من علماء التربية وخبراء التعليم بالدول الإسلامية والعربية ، ويمثل مصر فى المؤتمر كل من عميدى كلية التربية بجامعتى الأزهر وعين شمس ..

الهند

عُقدت فى الهند مؤخرا ندوة دينية فى مدينة ( حيدر أباد ) نظمها المجلس الإسلامى الهندى حول حقوق الأقليات فى الهند ، ورأس الندوة السيد محمد عبدالرحيم قريش رئيس المجلس الإسلامى الهندى ، هذا وللمجلس المذكور جهود مشكورة فى دحض أباطيل الهندوسية الفاسدة ومقاومة عتاة السيخ .

## الاحتفاظ بالمركز الأول للسنة الخامسة على التوالى

حصلت مدرسة المنار بالقاهرة التابعة لادارة مدينة نصر التعليمية على المركز الأول فى حفظ القرآن الكريم على مستوى الجمهورية وذلك للمرة الخامسة على التوالى ، وكان أول الفائزين من الذكور التلميذ عمرو محمد سليمان ، ومن الإناث : التلميذة دينا عصام الدين .

## تكريم الجالية الإسلامية بالبرازيل

قرر المجلس المحلى لإحدى مدن ولاية سان باولو البرازيلية تخصيص أسبوع من شهر نوفمبر من كل عام لتكريم الجالية الإسلامية هناك ، حيث تقام الحفلات وتُعقد الندوات خلال هذا الأسبوع إلى جانب إلقـاء محاضرات للتعريـف بالإسلام والمسلمين ويأتى القرار تكريماً للدور الإيجابى الذى تقوم به الجالية المسلمة فى البرازيل فى إصلاح المجتمع ونشر القيم والأخلاق الفاضلة التى يدعو إليها الدين الحنيف .

## من أخبار الحج

أعلن وزير الأوقاف ورئيس بعثة الحج الرسمية أن الرئيس حسنى مبارك أعطى توجيهات واضحة بالحفاظ على راحة ومظهر كل حاج مصرى وأن تكون صورة حجاج مصر هى الصورة المثلى لحجاج العالم الإسلامى ، مع ضرورة الالتزام بالقواعد المتفق عليها مع السلطات السعودية ، جاء ذلك فى خلال الاجتماع الأول لكبار مسئولى بعثة الحج الرسمية الذى حضره الشيخ سيد سعود وكيل الأزهر والدكتور حسين رمزى كاظم رئيس الجهاز المركزى للتنظيم والإدارة والسفير أحمد الغمراوى القنصل المصرى العام فى جدة وقيادات وزارات : الداخلية والسياحة والصحة والإعلام والشئون الاجتماعية والنقل البرى ومؤسسة مصر للطيران ؛ وذلك لإعانة ضيوف الرحمن على أداء فريضة الحج ، هذا وتم استئجار مقر موحد لبعثة الحج .

## انتبهوا ..

تقرر الإثنين ٢٨ من مارس أن تبدأ القناة الجديدة باللغة العربية بتليفزيون « هيئة الاذاعة البريطانية » وذلك فى غضون بضعة أشهر من هذا العام ، وسيقتصر البث فى البداية على ست ساعات فى قمة ساعات المشاهدة فى الوطن العربى من الخليج إلى المحيط ، وسيمدد البث إلى ٢٤ أربعة وعشرين ساعة ، وذلك بحلول نهاية العام الحالى والمثير فى الأمر أن البث التليفزيونى الجديد سينحو منحى هيئة الإذاعة البريطانية باللغة العربية فى تقديم البرامج ، والتى تعتمد فى استراتيجيتها العامة على طمس كل ما هو إسلامى ؛ خصوصاً فى مجال الشباب حيث يُقدم للشباب برامج طويلة تهتم بأمور هامشية كالأزياء والموضة والكرة ، كما تعتمد هدم العروض الشعرى للقصيدة العربية . أما فيما يخص المرأة فهى تحاول جاهدة إذابة الحواجز والفروق الفطرية المتعارف عليها بين الرجل والمرأة ، وهو ما يمثل خطراً حقيقياً ينبغى الاحتراز منه .

ponsable de la sécurité de sa communauté ; mais il était aussi chargé de combattre la corruption au sein de la société, de faire prédominer la vertu, de faire en sorte que les vices disparaissent et cela en punissant sévèrement ceux qui violaient la loi.

On rapporte que 'Omar Ebn Al Khattab a dit : "Si un berger, au bord du Tigre ou de l'Euphrate, perdait un mouton, j'aurais peur qu'Allah ne m'en demande des comptes pour ne l'avoir pas gardé". A maintes reprises et en différentes circonstances, on vit le calif Omar pleurer de peur de ne pas s'être acquitté parfaitement de la charge que la communauté lui avait confiée. Sous le califat de 'Omar, les guerres d'expansion (Al Foutouhat) que les armées musulmanes ont engagées ont gagné en trois combats décisifs :

— La bataille d'Al Qâdissiya qui a ouvert aux musulmans les portes de l'Irâq.
— La bataille de Babylone qui a ouvert les portes de l'Egypte et de la Lybie.
— La bataille de Nihawand qui ouvrit devant les musulmans les portes de la Perse.

Si nous essayons de résumer l'oeuvre de 'Omar nous devons noter qu'il fut le premier à avoir marqué par l'Hégire le début du calendrier musulman. Il fut également le premier à réunir les Musulmans pour l'accomplissement des assemblés des prières nocturnes des "Tarawihs" durant le mois de Ramadan. C'est lui qui a veillé à l'agrandissement de la mosquée sacrée de la Ka'ba; il fit consolider ses murailles pour qu'elle ne soit plus inondée. De même, il veilla à l'exécution de travaux semblables au sein de la mosquée du prophète salut et bénédiction sur lui à Médine.

Il a été le premier à former un corps de magistrats indépendants, à affréter des bateaux pour traverser la Mer Rouge et à instaurer un service de semblable à la police pour assurer la sécurité des citoyens. Il a aboli l'esclavage dans toute l'Arabie, a fait frapper une monnaie musulmane et a fait de l'événement du Hadj, une sorte de Congrès annuel où il rencontrait tous ses auxiliaries afin que ces derniers lui rendent compte des affaires des Musulmans et des problèmes régionaux.

Il a organisé l'armée Musulmane et a contribué à former les garnisons. Il a doté le trésor de l'Etat (baït el mal) d'un responsable et d'un système bien structuré. Il a instauré le principe du conseil de la délébération (Al-Choura) qui fut mis en application pour l'élection du calife qui devait lui succéder (Othman Ebn Affan) Omar a été dans l'histoire de l'Islam un modèle légendaire de dévotion. Il donna une structure, une administration au nouvel Etat islamique si bien que ses successeurs craignaient que la conduite de Omar ne porte ombrage à tous les gouverneurs qui en effet allaient lui succéder. En effet il est difficile d'imiter les grands hommes et de leur ressembler et il est même impossible de leur rendre les hommage qu'ils méritent.

Nous implorons Allah de bénir 'Omar Ebn Al Khattab et de le récompenser pour tout le bien qu'il a fait pour la communauté musulmane.

Hoda Hussein Cha'raoui

# “Omar Ebn al Khattab

## Le farouche défenseur de la religion Islamique

Le prophète — salut et bénédiction sur lui — a dit : “Le premier homme qu'Allah saluera le jour de la Résurrection sera “Omar; et il sera le premier à qui Allah tendra la main pour le faire entrer au Paradis”.

La personne de “Omar Ebn Al Khattab occupe une place toute particulière dans la mise en place des structures del'Etat islamique. Car, si le calife Abou Bakr-qu'Allah soit satisfait de lui — a posé les fondations de l'Etat en sauvegardant son intégrité face aux apostats, le calife “Omar”, lui a érigé sur ces fondations la structure de ce qui devait être plus tard l'Etat islamique.

Omar Ebn Al Khattab faisait partie de cette élite de la tribu de Quoraïch qui savait lire et écrire; ce qui lui donna une ouverture d'esprit. Il était réputé pour sa vigueur et sa sévérité mais, c'était aussi un sage qui surprenait par son calme et sa lucidité. Son fils Abdallah a raconté que son père était grand chauve et avait la peau claire. Sa voix était sonore et puissante. Bref, c'était un homme qui inspirait le respect et la crainte.

Guidé par la lumière d'Allah dans toutes ses démarches, il était sans cesse tendu vers l'Eternel. C'est ainsi que les opinions de Omar ont été approuvées par son Seigneur dans le Coran et cela en trois endroits au sujet du port du voile par les femmes, au sujet des captifs mécréants pris dans la bataille de Badr et au sujet de la station d'Ilrahim.

De plus ‘Omar a rapporté cinq cent trente neuf Hadiths du messager d'Allah. Il a insisté pour que l'on apprenne la langue arabe et que l'on codifie les règles de grammaire. Ainsi il a dit : “La pire des écritures est celle qui est difficile à déchiffrer. La pire des façons de lire, est celle de celui qui lit très vite et la meilleur écriture est celle qui est lisible.” ‘Omar éprouvait une passion pour toutes les sciences utiles à l'homme et il recommandait aux Musulmans d'apprendre les sciences de leur époque et d'en tirer profit pour leur bien-être. De son vivant, le prophète-salut et bénédiction sur lui-le nomma (Al Farôuq) désignant par ce terme (cette appellation) l'homme qui sait distinguer le vrai du faux. Il fut également le premier qui a porté le titre de “Amir al mou'minine” ou prince des croyants.

La justice sous son alifat connut son âge d'or, justice vécue et mise en oeuvre pour protéger aussi bien les droits des musulmans que ceux des non-musulmans. Il était res-

# Au nom d'Allah, le Miséricordieux, plein de miséricorde

## La Sourate "Al Fatiha" (d'après Al Montakhab pour l'exégèse du Coran)

par Docteur Rokeya Gabr

C'est une sourate mecquoise qui fut révélée à la Mecque avant l'Hégire. Elle fut nommée "Al Fatiha", (i.e. la Luminaire) car c'est la première des sourates contenues dans le Coran sacré. C'est aussi la première sourate qui fut révélée intégralement. Elle renferme l'ensemble des idées contenues dans le Coran, comme si c'était un résumé d'ensemble qui sera suivi des détails.

Le Coran vise à mettre en évidence l'unicité d'Allah, la promesse et l'annonce de la bonne nouvelle au croyant qui accomplit de bonnes actions, la menace et l'avertissement à l'incroyant et au pécheur, le culte, la voie du bonheur en ce monde et dans celui de l'au-delà, le récit de ceux qui ont obéi et ont donc gagné et les récits de ceux qui ont désobéi et ont donc perdu.

"Al Fatiha" renferme, avec concision et par allusion, tous ces buts... c'est pourquoi elle fut appelée "Om Al Kitab" (ou la Mère du Livre).

1. Elle commence par le nom d'Allah qui seul a droit "à notre adoration, qui est qualifié de toutes les perfections qui est au dessus de tout manque Il détient la Miséricorde et Il octroie les bienfaits des plus grands aux plus petits, des-généraux aux plus particuliers. Il est qualifié de la Miséricorde permanente.
2. Toutes les formes de la plus belle louange, et en toutes circonstances à Allah l'Unique. nous Le louons de toutes les louanges car Il est celui qui a créé toutes les créatures et qui en a la charge.
3. Il est le détenteur et la source de la Miséricorde permanente. Il octroie tous les bienfaits des plus petits aux plus grands.
4. Lui seul détient le jour de la Rétribution et du jugement et c'est le jour de la Résurrection. C'est Lui qui en décide et nul ne partage cette décision, même en apparence.
5. Nous n'adorons que Toi et nous n'implorons assistance qu'auprès de Toi.
6. Nous Te demandons de nous guider vers la voie de la vérité, du bien et du bonheur.
7. C'est la voie de Tes serviteurs que tu as guidés vers la foi en Toi, à qui Tu as octroyé le bienfait d'être bien guidés et satisfaits, et non de la voie de ceux qui ont mérité Ta colère ni de ceux qui se sont égarés du chemin de la vérité et du bien car ils se sont détournés de la foi en Toi et ont refusé Tes enseignements.

Rokeya Gabr

# REVUE AL AZHAR

Vol. 66, Part XI
Zil Keida, 1414 Hijrah

## Section Française

d. She has completed her iddah (waiting period) which usually follows the divorce.

It is clear then that the object of laying down such a rule is to prevent a definite resolution of marriage by appealing to the sense of honur of the people.

**PROTECTION :**

*It is to be remembered that Islam has not neglected the wife's right of dissolution* of the contract, which may be stipulated at the time of marriage to be with the wife instead of with the husband if necessary. The wife may also, by stipulation, reserve to herself the power of dissolving the marriage under certain legitimate circumstances, for example, if the husband marries a second wife. Nevertheless, Islam allows the woman to bring her case before justice if she believes that by marrying another wife her husband has sought to injure her.

In the event of a divorce, Islamic Law is very particular in providing for the protection of the wife's property against the avarice of the husband. If the divorce is due to a cause imputable to the husband, he has to give over to her all her property and pay off the dowry that had been settled upon. If, however, the divorce has been resorted to at the instance of the wife without any justifiable cause, she has simply to abandon her claim to the dowry.

When the waiting period of the divorced woman expires, it is absolutely forbidden for the husband, the guardian or any other person, to prevent the woman from marrying the person whom she likes. It is also against Islam to prevent the couple from returning to each other if the husband still enjoys the right of return, or the right of remarrying her :

> "When you divorce women and they have reached the end of their waiting period, do not prevent them from marrying their husbands if they have come to an honourable agreement. This is enjoined on every one of you who believes in Allah and the Last Day; It is most honourable for you and more chaste. Allah knows, but you do not know." (Sura 2:232).

It was reported that the verse quoted above was revealed in respect of a case in which the guardian prevented his sister from returning to her former husband who asked to marry her again after the expiry of the waiting period. Ma'qil Ibn Yasaar narrated :

> "I married my sister to a man who divorced her one repudiation. But after the expiration of her waiting period he came to remarry her. I refused and told him : despite the fact that I married her to you, furnished your house and was generous to both of you, you divorced her. Consequently, you shall never be permitted to return to her any more, even if she wants to return to you. "Ibn Yasaar went on : 'When the verse (2:232) was revealed, the Prophet sent for me and recited it before me. I surrendered to Allah's will and remarried her to her former husband."

By : Muhammed Higab

## PROBATION :

During the period of probation and as long as divorce is not final, marriage subsists between the parties, and the husband retains his marital authority over his wife. He may have access to her as his wife, but this actually amounts to his exercising the right of return.

It should be born in mind that during Iddah (waiting period), the husband is under legal obligation to lodge his wife in his house, though in a separate room or apartment as the case may be, and maintain her. The law of the Qur'an is quite clear on this point.

> "Prophet (and believers), when you divorce women, divorce them at their appointed time. Compute their waiting period and have fear of Allah, your Lord. Do not expel them from their homes or let them go away unless they commit a proven crime. Such are the bounds set by Allah : he that transgresses Allah's bounds wrongs his own soul. You never know : after that Allah may bring to pass some new events.
>
> When their waiting period is ended, either keep them with kindness or part with them honourably. Call to witness two honest men among you and give testimony before Allah." (65 : 1-2).

If the husband has pronounced one or even two repudiations, and if within the presecribed period he abstains from intercourse with his wife and does not exercise the right of return on the repudiated wife, he loses the power of recantation at the expiration of the term, and complete cessation of the marital rights and duties takes place. If the parties wish to return to each other after the expiry of the waiting period in which not more than two repudiations have been pronounced, a fresh marriage of new contract, dowry and witnesses is necessary for the couple to reunite.

It is obvious that the very spirit of the prescribed traditional form of repudiation is towards the revocation of divorce and the reconciliation between the parties concerned.

If, however, the parties fail to take advantage of the prescribed interim and are determined to break from each other, the husband may pronounce the repudiation for third time and this dissolves the marriage definitely.

The divorced woman, as already pointed out, is forthwith rendered unlawful to him, and he cannot remarry her unles :

a. She married another person by a valid and binding contract.
b. Her marriage to the second husband has been consummated.
c. She is thereafter divorced of his own free will.

(C) Onomatopoeia

Onomatopoeia is one of the main characteristics of Quranic style. The following example will suffice :

| | |
|---|---|
| قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ | Say : "I take refuge with the lord of men, |
| مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ | The king ot men, The God of men, |
| ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ | from the evil of the slincking whisperer |
| ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ | Who whispers in the breasts |
| ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾ | of men of Jinn and men" |

The predominant sound in this Surah is clearly, the hissing or whispering of the sibilant consonant "S", which is particularly appropriate to the image conveyed — that is of "speaking whisperer who whispers in the heart of men". Out of the several translations consulted, Arberry's (quoted above) comes closest to reproducing the effect of the lexical and structural repetitions of the original. However, the sinister whispering or hissing quality of the "S" sound repeated ten time in that short Surah, including five occurrences in the word ٱلنَّاسِ is not matched by the sound evoked by the "M" s or "N" s in "men".

أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ / وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ (19:4,48)

وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (19:32)

| | | | |
|---|---|---|---|
| Pickthall : | unblest | Pickthall : | unblest |
| Y. Ali : | unblest | Y. Ali : | miserable |
| Arberry : | unprosperous | Arbery : | unprosperous |
| Asad : | unanswered | Asad : | bereft of grace |
| Khatib : | unfortunate (ill-fated) | Khatib : | mischievous |

In verses (4) and (48) the word. ( شَقِيًّا ) according to Qurtubi and other exegetes means "unanswered". In verse (32), however, « شَقِيًّا » means someone bereft of goodness.

3. The Phonic Aspect of the Qur'an

One of the most difficult aspects of the Quran that pose great problems to translators is the phonic aspect. Quran means recital, it therefore needs to appeal to the ear as well as to the intellect. The oral nature of the Quran however goes beyond euphony : the significance of the revelation is carried as much by the sound as by its semantic information. Transferring the meaning into other linguistic codes break this strong unity between form and content and produces a version which seems to the natives speaker of the original completely alien to his. We shall there fore, discuss some of the sound effects used in the Quran such as rhythm and stress patterns, rhyme and onomatopoeia to show how this aspect is mainly lost in translation.

a) Rhythmic and stress patterns

The emotive and evocative qualities of the Quranic text are closely associated with their rhythmic and stress patterns. These qualities, as Arberry (1953:27) put it, "disappear almost totally in the skilfullest translation". The following example is taken from a short Sura in which stress, a strong dynamic element giving the verse force and beauty is clearer. The following translation is rendered by Arberry :

فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾
وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾
وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾

As for the orphan, do not oppress
him and as for the beggar,
scold him not; and as for thy lord's blessing, delcare it.
(93:9-11)

It is noticeable in this example that the strong stress falls at more or less equal intervals, thus creating regular rhythmic patterns which cannot be matched in translation.

(b) Repetition of sounds :

Repetition of sounds in rhymes and assorances, and the repetition of words, phrases, refrains and even some ideas which recur through out the book are features of the phonic aspect of the Quran. Example of rhyme in the Quran will be given here with the translation rendered by Arbery who has paid great attention to preserve rhyme or the sound quality in general though he was not quite successful.

وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ﴿٢﴾
فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ﴿٣﴾

By the shorting charges
by the strikers of fire,
by the dawn-raiders
(100:1-3)

# Translation Difficulties and the Translators compared

by : Mona Salem M.A.

**Translation difficulties**

This part studies some of the particular characteristics of the Qur'anic text which renders its translation to be a difficult task.

1. Various Interpretations of the Quran :

Sacred writings such as the Bible and the Quran on which the world's great religions are fourded, and on whose teachings delicate morals and theological issues are based, pose particularly difficult problems of interpretation. Some verses of the Quran bear more than one meaning which is given by the exegesis. Therefore, translators have either to depend on the endeavours of one exegete solely all through, or to be selective. This could give rise to varied renditions which can be quite disconcerting to the English reader interested in consulting several translations which rely on different exegeses. We shall take the following example : (19:24) فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ

Pickthall : Then (one) cried unto her from below her

Y. Ali : But (a voice) cried to her from beneath the (plam-tree) :

Arberry : But the one that was below her called to her.

Asad : Thereupon (a voice) called out to her from beneath that (palm-tree) :

Khatib : Then one below her called to her

Some commentators state that the expression "min/man tahtiha" refers to a voice which could be either Jesus' or Gabriel's, coming from beneath Maryam. Qurtubi (xi-xii 4133) and Zamakhshari (iii, 9) state that the voice calling from beneath Maryam is Gabriel's for Jesus did not speak until later on. Tabari (xiv, 52) on the other hand, proclaims that the pronoun in refers to the palm tree. These different interpretations gave rise to the varied renditions above mentioned.

Hence, when the translations differ flagrantly in meaning this indicates variant interprelations of the original due to either theological or linguistic aspects, but if they differ in marginal, subtle points it may be due to in efficiency of the translation. Indeed, such a plurality of rendering of the same source text does not only prove the difficulty of the translator's task but is also an implicit evidence that each of these translations cannot be the most accurrate representation of the original.

2. Rich Vocabulary :

The Quranic language owes its power not only to structure and sound but also to the rich vocabulary used. The existence of such words in a text creates an air of solemnity and elevates the style abave that of ordinary language. Translators mostly use words which do not have the same effect created by the original.

Note the use of the word رَقِيبًا in the following instances and compare it with the various translations :

When asked to lift the arms' embargo, the U.N. just states
That Moslem buying weapons to defend their homeland would create
More warfare, then they send their envoys to negotiate
And to debate the torn and violated Bosnians' fate.
They fly here, there and everywhere, discuss the destiny
of rictims dying of thirst, hunger, torture, rape and agony.

★ ★ ★ ★

And ne'er before have the aggressors in all history
Been tolerated, may have been encouraged in their tyranny.
Where is the conscience of the world before such vile enormities ?
The crimes committed have surpassed all history's known atrocites,
And have exceeded Vandals', Huns' and Tartars' fierce barbarity.
As in blood thirsty genocide, they slaughter ruthlessly.

★ ★ ★ ★

Hail Sarajevo, hail Mustar, hail every gallant town,
That has defied the fierce and savage siege that you surrounds!
Though all your land has now become a deadly battleground,
Your valour and your fortitude, the whole world do astound.

★ ★ ★ ★

And midst blood, death and fire ablaze, defending your belief,
Armed with the justice of your cause, you stand firm in your faith.
Undaunted you refuse defeat, and with your dying breath,
You swear that you will ne'er give in. 'Tis victory or death.

★ ★ ★ ★

Spite all the horrors and the terrors, it is our belief
That after all these trials and these ordeals will come relief.
And that the day shall come when Bosnia shall its rights regain.
Then its brave nation shall return to its homeland again,
And all the base attempts to stem Islam's strong surging tide
Shall fail, and by its flood be drowned and shall be swept aside.

# AN ELEGY

## ON THE CONSCIENCE OF THE WORLD

*By : Thoraya Mahdi Allam*

Hail Bosnia Hertzegovena, hail martryed Moslem land !
You are the living proof how firm and stead fast Moslems stand
A vile and base conspiracy, against you, has been made
By the so called "Great Powers" who have their own laws betrayed

★★★★

In disillusion unto the United States we say :
Where is the New World Order of which you boast every day ?
Is international legitimacy just reserved
For countries where your interests and benefits are served?

★★★★

Has the proverbial "justice" for which Britain is so famed
Become a public mockery, dishonoured and thus shamed ?
France, champion of equality, fraternity and liberty
Her motto disregards and overlooks Serbian brutality.

★★★★

# AL-AZHAR MAGAZINE

## ENGLISH SECTION

**Vol. 66 Part XI**

**Zil Kei'da, 1414 Higrah — April, 1994**

**EDITOR : Dr Trandil Hussein El Rakhawy Ph.D.**


Contents


1. An Elegy on the conscience of the world.
   By : Thoraya Mahdi Allam.
2. Translation Difficulties
   By : Mona Abdel Ghaffar Salem.
3. Divorce
   By : Muhammad Hijab.


"Nothing would be of greater benefit to Muslims and to Humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

## الفهـــرس


● الافتتاحية : حفظ الله مصر
لفضيلة الدكتور / على أحمد الخطيب ...... ١٦٠٩

● بيان مجمع البحوث الإسلامية
بشأن الأقلام النشاز والأقلام الملتوية ...... ١٦١٣

● بيان المجلس الإسلامى للدعوة والإغاثة
بشأن منح كتاب آيات شيطانية جائزة .... ١٦١٦

● مع الإمام الأكبر
ـ القرآن فى مجال التربية الأخلاقية ........ ١٦١٨
ـ فتوى فى حكم صرف الزكاة إلى الأجير الخاص وإلى الجمعيات .......... ١٦٢٥
ـ تحذير من رفع المقاطعة العربية لإسرائيل . ١٦٢٧

● الإمام الأكبر فى فتاويه الفقهية
للأستاذ الدكتور / محمد رجب البيومى ... ١٦٢٨

● مع سورة الأنفال
لفضيلة الدكتور / عبد الجليل شلبى ...... ١٦٣٤

● من سورة البقرة
للشيخ / أحمد بن محمد طاحون ............ ١٦٣٩

● القرآن والتربية الأخلاقية
للأستاذ الدكتور / أحمد عمر هاشم ....... ١٦٤٣

● الرسول ﷺ يتعوذ من عذاب القبر
لفضيلة الشيخ / على حامد عبدالرحيم ..... ١٦٤٨

● المبشرون بالجنة
للشيخ / عبد الحفيظ فرغلى قرنى ........... ١٦٥١

● حرمان المرأة من الميراث
للأستاذ / رفعت محمد طاحون ............ ١٦٥٦

● المخدرات بين التحريم والتجريم
للمستشار / السيد خلف محمد ............ ١٦٥٩

● معالجة مشكلة البطالة
للدكتورة / سهير حسن عبد العال ....... ١٦٦٨

● أزمة الحضارة العالمية والبديل الإسلامى
للدكتور / عبد الله نجيب محمد ............ ١٦٨٠

● علاقة مصر بالجزيرة العربية
للأستاذ الدكتور / محمد محمد زيتون ..... ١٦٨٥

● الفتاوى
إعداد الأستاذ / عبد المنعم فودة .......... ١٦٩١

● الشعر والشعراء
إشراف الأستاذ / رشاد يوسف .......... ١٦٩٤

● من روائع الماضى
تقديم / عبد الفتاح حسين الزيات ......... ١٦٩٩

● العلامة إبراهيم الجبالى (٢)
للأستاذ الدكتور / محمد رجب البيومى ... ١٧٠٢

● طرائف ومواقف
للأستاذ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم .... ١٧٠٨

● التطور وأصل الإنسان
للأستاذ الدكتور / أحمد فؤاد باشا ........ ١٧١٠

● اكتشاف سرعة أكبر من الضوء
للدكتور / عبد الرحمن أحمد السمان ...... ١٧١٥

● الجديد فى العلم
للدكتورة / نجوى السيد أحمد ............ ١٧٢٢

● طبعة مشوهة من تفسير النسفى ........ ١٦٢٦

● الإسلام بين الشرق والغرب
عرض وتقديم الأستاذ / عادل خفاجة ..... ١٧٢٨

● ديوان «الإنسان فى الميزان» دراسة نقدية
للشاعرة / جليلة رضا .................. ١٧٣٣

● الوحدة الموضوعية للقصيدة العربية
للأستاذ / أحمد مصطفى حافظ ............ ١٧٣٨

● بين المجلة والقارىء
للدكتور / محمد عبد الحكيم محمد ........ ١٧٤٣

● أنباء مكتب الإمام الأكبر
أ. عمر البسطويسى ، أ. مصطفى عبدالمجيد ١٧٥٠

● أنباء العالم الإسلامى
للأستاذ / مجدى عبد الحميد بشير ........ ١٧٥٤

● القسم الفرنسى ......................... ١٧٥٩
● القسم الإنجليزى ........................ ١٧٦٧



# الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ

تصدر عن

مجمع البحوث الإسلامية

في مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير

دكتور / علي أحمد الخطيب

مدير التحرير

علي حامد عبد الرحيم

سكرتير التحرير

عادل فاضل خفاجة

• المراسلات / باسم مدير التحرير - إدارة الأزهر بالقاهرة

ت ٥٩٩٢٦٣٨٥ - ٩٠٥٤٧٣

• الاشتراكات / قسم الاشتراكات بالأهرام

شارع الجلاء - القاهرة


بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة العالمين ، وعلى آله وصحبه وتابعيه بإحسان إلى يوم الدين .

# الإيمان في حماية الله وحده

جاء عن السلف : « ليس الإيمان بالتمنى ولكن ما وَقَرَ في القلب وصدَّقَهُ العمل » وتعنى هذه العبارة الشريفة أن الإيمان عزيز ، وأنه قيمة غالية ليس سبيلها الأماني ، ولا شعارها المراءاة .

هذا الإيمان العزيز إنما يُعطَاهُ المشوق إليه بإخلاصه ، والساعى إليه بأسبابه ، ومن هنا كان العمل الصالح دليلا يدل عليه ، كما هو صيراط يهدى إليه .

كتب عُمر بن عبدالعزيز — رضى الله عنه — إلى عَدِىّ بن عَدىّ — رحمهما الله :

« إن للإيمان فرائض وشرائع وحدودا وسُنَناً ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان » البخارى — كتاب الإيمان .

البخارى — كتاب الإيمان .

وآية الصدق فى الإيمان هى فى التسليم بالقرآن ، والحرص عليه ، والانصياع لهديه ، وحب رسول الله ﷺ وَتَمَثُّل سنته . روى البخارى ــ رضى الله عنه ــ بسنده إلى أنس ــ رضى الله عنه ــ قال : قال النبى ﷺ : لايُؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من والده وولده والناس أجمعين ، وعَنْه أن النبى ﷺ قال :

« ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكرَه أن يعود فى الكفر كما يكره أن يقذف فى النار » .. البخارى ــ كتاب الإيمانْ .

قال عَمّار بن ياسر ــ أحد السابقين الأولين :

« ثلاث من جمعهن فقد جمع الإيمان : الإنصاف من نفسك[1] ، وبذل السلام للعالَم ، والإنفاق من الإقتار[2] وعمار ــ رضى الله عنه ــ لا يقول مثل هذا عن رأى له ، لذا كان هذا الخبر فى حكم المرفوع ، ويصدقه حديث البخارى بْسنده إلى عبدالله بن عمرو : أن رجلا سأل رسول الله ﷺ :

أى الإسلام خير ؟

قال ــ عليه الصلاة والسلام : « تطعم الطعام ، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف » ..

والمؤمن لانفاق فيه ، لذا كان إفشاؤه السلام يعنى إقرارُ أمْرِهِ فى الناس ، لا مجرد التلفظ به ، فقول المؤمن : « السلام عليكم » هو فى قوة الوعد ، وخلف الوعد نفاق .

والمؤمن أمين ، لذا كانت الأمانة من الإيمان . روى الإمام أحمد ــ بسنده ــ إلى أنس بن مالك قال : ما خطبنا نبى الله ﷺ إلا قال :

« لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لاعهد له »[3] ويلفت النظر فى الحديث كثرة تكرار رسول الله ﷺ له ؛ بيانا لقيمة الأمانة والعهد وأثرهما فى الإصلاح بين الناس .

---

(١) وذلك يعنى أن تريد من نفسك لغيرك ماتريد من غيرك لنفسك . أ هـ سندى .

(٢) أى الإحسان والكرم من ذى حاجة ، وذلك نهاية الثقة فى الله . أنظر فتح البارى ٧٧/١

(٣) مسند أحمد ١٣٥/٣

ولقد جَعَلَ هذا الدين الإيمانَ قيداً للغدر والفتك . قال الزبير بن العوام ـ رضى الله عنه ـ قال رسول الله ﷺ : « إنَّ الإيمان قيدُ الفتك ، لايفتك مؤمن » رواه أحمد .

وعلى ذلك ترى الإيمان حبا لله ورسوله ، وإنصافا للناس ونشراً للسلام بينهم ، ورفعا لمعاناة ذى الحاجة ، وأمانة وأمانا ووفاء بالعهد والوعد ، وقيدا للغدر والفتك ، ثم هو تسليم للقرآن ، وتمثُّل للسنة ، إلى تعاهد لبيوت الله ـ جل وعلا ـ فقد قال رسول الله ﷺ : « إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان ؛ فإن الله قال :

« إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ »(٤)

وبعـد :

فهذا شىء من الإيمان نعلم من خلاله شيئا عن المؤمن ، فليحذر امرؤ ـ مهما كان حاله ـ أن يصيب مؤمنا بأذى ، أو يَمَسَّهُ بسوء ، أو يدور بخلده أن ينال منه ؛ فإن المؤمن ـ كما تحدثنا عن الإيمان ـ سِلْمٌ كُلُّه ، لايحمل للناس إلا خيرا ، وهو ـ بطبيعة مايحمل من إيمان ـ لايتوقع من الناس إلا خيراً ، وهو ـ بهذه الطبيعة ـ على فطرة تنْأى به أن يستوثق منهم بحذر ، أو يُكن لهم سوء ظن ، أو يتوقع منهم خيانة ، وما أصدق وصف رسول الله ﷺ له بقوله :

« إن المؤمن غِرٌ كريم » والغِرُّ : هو من ينخدع إذا خُدِعَ ، أى سَهْلٌ خداعُه ، لكن ينبغى ألا ننسى أن الله درعه ، وهو على العكس من الفاجر الذى يقول فيه رسول الله ﷺ :

« وإن الفاجر خَبٌ لئيم » .. ولذا يتركه الله ـ تعالى لنفسه . رواهما أحمد فى حديث واحد .
ويبقى للمؤمن حق فى أعناق الناس ، رهيبٌ .. رهيبٌ جزاء من لم يؤده .. وحسبنا أن نتذكر فى مقام التخلى عنه ما لحق بالمسلمين من بعد سيدنا عثمان بن عفان ـ رضوان الله ـ تعالى ـ عليه .

روى أحمد ـ بسنده ـ إلى أبى أمامة بن سهل بن حنيف عن أبيه عن النبى ﷺ أنه قال : مَنْ أُذِلَّ عنده مؤمن فلم ينصره ، وهو قادر على أن ينصره ، أذله الله ـ عز وجل ـ على رءوس الخلائق يوم القيامة » .



(٤) الآية الواردة فى الحديث من سورة التوبة ـ ١٨ ـ والحديث رواه أحمد

## والذكرى تنفع المؤمنين

وحتى لا ننسى السبب فى ارتفاع الأصوات النشاز . والأقلام الملتوية ، وفتح النار على العقائد الإسلامية .

كتب الإمام الأكبر :

« إنه لمما يحسب لأمتنا الماجدة أن التدين كان سمة مركوزة فى نفوس المصريين منذ بداية التاريخ » .

« .... وما انفك الأزهر الشريف كعبة قصاد العالم الإسلامى لطلابه من مختلف الأصقاع ... تحقيقا لما أمر الله به فى كتابه المجيد » . ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ (ســورة التوبة)

وشأن الأزهر الشريف دراسة العلوم الإسلامية ، وتجلية حقائق الدين للناس فى الداخل والخارج ، وتقديمها لهم نقية ، سليمة ، خالية من التعصب المقيت والتطرف البغيض ، لأنه يتحرى الوسطية والاعتدال ، وهذا ما عرف به الأزهر ومؤسساته على امتداد تاريخه ، عن اقتناع بأن هذا الدين يسر ، وأنه لن يشاد الدين أحد إلا غلبه ، مما يلقى على الأزهر أمانة حمل رسالة الإسلام إلى كل الشعوب ، والدفاع عنها ، وبيان أثرها فى تقدم البشر ورقى الحضارة .

وهذا قدر الأزهر ، أن يظل الحارس الأمين على القيم الإسلامية وعلى المقومات الثقافية لهذه الأمة ، وقد تأصل هذا لدى الشعب المصرى الذى يفزع إلى الأزهر الشريف فى كل ما يمس عقيدته الإسلامية وشريعته وأخلاقياته وهى المقومات الإسلامية التى قننتها الدساتير المصرية وما تفرع عنها من قوانين ولوائح فى مصر حتى انتهت إلى أن الإسلام دين الدولة ، واللغة العربية لغتها الرسمية ، ومبادىء الشريعة الإسلامية : المصدر الرئيسى للتشريع أهـ .

واقرأ — فى افتتاحية ذى القعدة ١٤١٤ هـ الأهداف السبعة للعلمانية :

- إبادة معالم الإسلام من المسلم ، لأن الإسلام مصدر القوة الوحيد فى المسلمين .
- تشكيك المسلم فى دينه ، وغمز نبيه — عليه الصلاة والسلام — ..
- التلاعب بالقرآن ليبدو صحيحه غير جديد ، وجديده ليس بصحيح .
- تدمير أخلاق المسلم وإطلاق شهواته ؛ فإن بقاء المسلمين على أخلاق الإسلام كفيل بتمكينهم من نشر حضارتهم فى العالم بنفس السرعة التى نشروها بها سابقا .
- بث العلمانية بمدارس المسلمين لتساعد — فى القضاء — على الروح الإسلامية .

« انظر : تكلى ، زويمر ، جب » ... إن النجاح لتحقيق هذا الهدف إنما يكون نتيجة للنشاط التعليمى والثقافى العلمانى . زاد صموئيل زويمر بيانا فيما سماه « الهدم » فقال :

نعنى به انتزاع المسلم من دينه ، ولو بدفعه إلى الإلحاد .

- إبقاء الفرقة بين المسلمين وبينهم وبين العرب ؛ ليبقوا بلا قوة ولا تأثير .
- فرض مفهوم الفصل بين الدين والسياسة .




جاد الحق علي جاد الحق

شيخ الأزهر

# الحجاج وفد الله ـ عز وجل

بقلم فضيلة الإمام الأكبر الشيخ :
جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر

نحمدك الله ونستعينك ، ونستهديك الخير والتوفيق فى القول والعمل ، ونصلى ونسلم على رسولك الأمين : محمد خاتم الأنبياء والمرسلين .

وبعد :

فهذه ورقة عمل ، أضعها بين يدى من كتب الله لهم حج بيته الحرام ، وأداء الركن الخامس فى الإسلام ، يسترشدون بها فى تأدية المناسك ؛ فى يسر الإسلام وسماحته ، امتثالا لقول الله سبحانه :

﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ .

أبتغى بها ثواب الله ــ تعالى ــ ورضوانه ، وصالح الدعاء فى مواطن القبول والإجابة من وفد الحجاج والعمار . الذين تفضل الله عليهم فأعطاهم سُؤْلهم :

**رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ، فَإِنَّكَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ . وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ .**

□ □ □

الحج : قصد مكة لأداء عبادة الطواف وسائر المناسك ؛ استجابة لأمر الله وابتغاء مرضاته .

وهو أحد أركان الإسلام الخمسة ، وفرض معلوم من الدين بالضرورة .

قال الله تعالى :

﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ .

( سورة آل عمران ــ ٩٧ ) .

وقال سبحانه :

﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ ﴾ .

( سورة الحج ـ ٢٧ ، ٢٨ ) .

وفى حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه ، فيما رواه البخارى وأحمد والنسائى وابن ماجه ـ قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « **مَنْ حَجَّ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ ، رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ** » .

وروى الطبرانى فى الأوسط عن عبدالله بن جراد ، قال : قال رسول الله ، ﷺ :

« **حُجُّوا فَإِنَّ الْحَجَّ يَغْسِلُ الذُّنُوبَ كَمَا يُغْسِلُ الْمَاءُ الدَّرَنَ** » .

وروى النسائى وابن ماجه وغيرهما من حديث أبى هريرة ، رضى الله عنه ، قال :

قال رسول الله ﷺ : « **الْحُجَّاجُ وَالْعُمَّارُ : وَفْدُ اللهِ : إِنْ دَعَوْهُ أَجَابَهُمْ ، وَإِنِ اسْتَغْفَرُوهُ غَفَرَ لَهُمْ** » .

وفى فضل الإنفاق فى الحج : روى أحمد والبيهقى وغيرهما عن بريدة أن رسول الله ﷺ قال :

« **النَّفَقَةُ فِي الْحَجِّ كَالنَّفَقَةِ فِي سَبِيلِ اللهِ : الدِّرْهَمُ بِسَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ** » .

وهو فرض على كل : مسلمة ومسلم ، بالغ ، عاقل ، مستطيع . ويستحب المبادرة بأداء هذه الفريضة ، متى توافرت الاستطاعة .

## نصائح وتوجيهات

١ ـ على كل مسلمة ومسلم دعاه الله لحج بيته وعمرته : أن يخلص التوبة إلى الله ـ سبحانه ـ ويسأله غفران ذنوبه ؛ ليبدأ عهداً جديداً مع ربه ، ويعقد معه صلحاً لا يحنث فيه .

٢ ـ من علامات الإخلاص : أن يُعدَّ نفقة الحج من أطيب كسبه وحلاله ، فإن الله طيب لا يقبل إلا طيباً . ومن حج من مال غير حلال ولبّى : « **لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ** » .

قال الله سبحانه له ـ كما جاء فى الحديث الشريف ـ :

[ **لَا لَبَّيْكَ وَلَا سَعْدَيْكَ ؛ حَتَّى تَرُدَّ مَا فِي يَدَيْكَ** ] .

٣ ـ ومن مظاهر التوبة وصدق الإخلاص فيها أن يطهر المسلم والمسلمة نفسه ، ويخلص رقبته من المظالم وحقوق الغير ؛ فيرد المظالم إلى أصحابها متى استطاع إلى ذلك سبيلا . ويتوب إلى الله ويستغفره فيما عجز عن ردّه ، وأن يصل أرحامه ويبرَّ والديه ، ويترضى إخوانه وجيرانه .

٤ ـ من الاستطاعة المشروطة لوجوب الحج : القدرة على تحمل أعباء السفر ومشقاته . فلا عليك ـ أيها المسلم ـ إذا قعد بك عجزك الجسدى عن الحج ، فإن الحج مفروض على القادر المستطيع .

٥ ـ حافظ على نظافتك فى الملبس والمأكل والمشرب ، وعلى نظافة الأماكن الشريفة التى تتردد عليها ؛ لأن الإسلام دين النظافة .

ألا ترى أنك لا تدخل الصلاة إلا بعد النظافة بالوضوء أو الاغتسال .

٦ ـ لا تكلف نفسك فوق طاقتها فى المال أو الجهد الجسدى . واحرص على راحة غيرك ، كما تحرص على راحة نفسك . وعامل الناس بما تحب أن يُعاملوك به ، كما جاء فى الحديث الشريف .

٧ ـ قال تعالى :

﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾

وقال :

﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ﴾ .

فلا تعرض نفسك للخطر بالصعود إلى قمم الجبال أو الدأب على السهر ولو فى العبادة ؛ فإن خير الأعمال أدومها وإن قلَّ .

٨ ـ احرص على وجودك فى الحرم أكبر وقت ممكن ؛ والنظر إلى الكعبة ، وقراءة القرآن الكريم ، والطواف حول البيت ؛ كلما وجدت القدرة على ذلك .

٩ ـ عليك أن تخبر أقرب الناس إليك بما لك أو عليك ، وحثّ الأبناء والبنات والأهل والإخوان على تقوى الله ، والتمسك بآداب الدين ، والمحافظة على أداء فرائضه .

ها أنت أيها الحاج : قد هيأت نفسك لبدء الرحلة المباركة ، وقد أعددت ما يلزم لها .

ومن هذا اللازم :

## ملابس الإحرام

( ا ) إزار : وهو ثوب من قماش تلفه على وسطك ، تستر به جسدك ما بين سُرّتك إلى ما تحت رُكبتك .

وخيره : الجديد الأبيض الذى لا يشفّ عن العورة ( بشكير ) .

(ب) رداء : وهو ثوب كذلك تستر به ما فوق سُرّتك إلى كتفيك ، فيما عدا رأسك ووجهك .

وخيره أيضاً : الجديد الأبيض ( بشكير ) .

وأحذر أن تلبس فى مدة الإحرام « فانلة » أو جوربا أو جلبابا أو شيئاً مما اعتدت لبسه من الثياب المفصلة المخيطة ، إلا إذا كنت مضطرا ، فلك أن تلبس ذلك مع الفدية ، فقد قال الله تعالى :

﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ﴾ .

(ج) نعل تلبسه فى رجليك ، يظهر منه الكعب من كل رجل . والمراد بالكعب هنا العظم المرتفع بظاهر القدم .

كل هذا للحاج الرجل .

أما للمرأة الحاجة فتلبس ملابسها المعتادة الساترة لجميع جسدها من شعر رأسها حتى قدميها ، ولا تكشف إلا وجهها .

وعليها ألا تُزحم الرجال ، وأن تكون ملابسها واسعة لا تُبرز تفاصيل الجسد وتلفت النظر . والمستحب الأبيض .

متى تحدد موعد السفر بحمد الله ووسيلته :

فإذا كنت متوجهاً إلى المدينة المنورة ـ أولا ـ فلا تحرم ولا تلبس ملابس الإحرام ، بل تبقى بملابسك العادية إلى أن تتم زيارة الرسول ، ﷺ وآله وصحبه وسلم ، وتنتهى إقامتك بالمدينة .

وعندما تشرع فى التوجه منها إلى ( مكة ) ، فإن عليك أن ( تحرم : بالعمرة فقط ، أو بالحج فقط ، أو بهما معاً ، حسبما تريد ـ من المدينة ذاتها ، أو من ميقاتها ذى الحليفة ) وهو المكان المعروف الآن بآبار « علىّ » قرب المدينة فى الطريق منها إلى ( مكة ) أو من ( رابغ ) .

وإذا كنت ممن يسافرون فى الأفواج المتأخرة الذاهبة من جدة إلى مكة مباشرة ، فلك أن تنوى الحج والعمرة معاً ، وتسمى ( قارناً ) أى جامعاً بينهما . ولك أن تحرم بالعمرة فقط ، أو أن تحرم بالحج فقط .

فإذا ركبت الباخرة واقتربت بك من الميقات وهو ( الجحفة ) قرب ( رابغ ) ؛ بالنسبة للمصريين وأهل الشام ؛ فتهيأ للإحرام بحلق شعرك وقُصّ أظافرك ، ثم اغتسل فى الباخرة استعداداً للإحرام ، وهو غسل للنظافة لا للفريضة ، أو توضأ إن لم يتيسر لك للاغتسال ، وضع على جسدك شيئاً من الرائحة الطيبة المباحة ، والبس ملابس الإحرام الموصوفة آنفاً .

ومتى لبست ثياب الإحرام على هذا الوجه ، أى بعد التطهر بالاغتسال أو الوضوء ، صلّ ركعتين سُنة ، وانْوِ فى قلبك عقب الفراغ من أدائهما ما تريد من العمرة فقط ، أو الحج فقط ، أو هما معاً إذا نويت القران بينهما ، وقل : اللهم إنى نويت ( كذا ) فيسره لى وتقبله منى .

ثم قل : ( **لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ . لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ . إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ . لَا شَرِيكَ لَكَ** ) .

وبهذا القول ـ بعد تلك النية ـ تصير مُحْرِماً بما نويت وقصدت : ( العمرة فقط ، أو الحج فقط ، أو هما معاً ) ؛ لأن هذه التلبية بمثابة تكبيرة الإحرام للدخول فى الصلاة .

ومتى صرت مُحْرِماً على هذا الوجه ، فلا تفعل ـ بل ولا تقترب مما صار محرما عليك بهذا الإحرام ـ وهو :

تغطية الرأس ، وحلق الشعر أو شدّه من أى جزء من الجسد ، ولا تقصّ الأظافر ، ولا تستخدم الطيب والروائح العطرية ، ولا تخالط زوجتك أو تفعل معها دواعى المخالطة كاللمس

والتقبيل ، ولا تلبس أى مَخِيط ، ولا تتعرض لصيد البر الوحشى ، أو لشجر الحرم .

وإذا فعل المحرم واحداً من هذه المحظورات ــ قبل رمى جمرة العقبة فى عاشر ذى الحجة ــ صحَّ حجه وصحت عمرته ، ولكن عليه أن يذبح شاة أو يُطعم ستة مساكين ، أو يصوم ثلاثة أيام . أما الجماع قبل رمى جمرة العقبة ، ( التحلل الأول ) ، فإنه يفسد الحج .

وعلى من فعل ذلك أن يُعيد الحج مرة أخرى فى عام قادم .

ويحرم على المرأة تغطية الوجه واليدين .

ومحظور على المسلمة وعلى المسلم ، المخاصمة والجدال بالباطل مع الرفقة ؛ بقول الله سبحانه : ﴿ فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ﴾ .

وإذا كنت مسافراً بالطائرة ، فاستعد بالإحرام وأنت فى بيتك ، أو فى المطار ، أو فى داخل الطائرة ، والبس ملابس الإحرام إن لم يكن بك عذر مانع من لبسها ، ثم انْوِ ما تريد من عمرة أو حج ، ولبِّ بالعبارة السابقة بعد ارتداء ملابس الإحرام ، أو عند استقرارك فى الطائرة أو عقب تحركها ، وذلك كما تقدم : متى كنت متوجهاً إلى مكة مباشرة من جدة . أما إذا كنت متوجهاً إلى المدينة أولا ، فكن عادياً فى كل شىء .

ومتى أحرمت ونويت ولبيت ــ كما سبق ــ صار محظوراً عليك الوقوع فى شىء من تلك المحظورات .

## ما يباح للمحرم

بعد الإحرام يُباح الاغتسال وتغيير ملابس الإحرام ، واستعمال الصابون للتنظيف ، ولو كانت له رائحة . وللمرأة غسل شعرها ونفضه وامتشاطه ؛ فقد أذن الرسول ﷺ ، لعائشة ــ رضى الله عنها ــ فى ذلك بقوله : « انْقُضِى رَأْسَكِ وَامْتَشِطِى » . ( رواه مسلم ) .

**ويُباح أيضاً : الحجامة وفقء الدمل ، ونزع الضرس ، وقطع العرق وحك الرأس والجسد دون شد الشعر ؛ ويباح النظر فى المرآة والتداوى .**

**أما شم الروائح الطيبة فدائر بين الكراهة والتحريم . ومن ثمّ يُستحب أن يمنع الحاج عن استعمالها قصداً أما ما يحدث من الجلوس أو المرور فى مكان طيب الرائحة فلا كراهة فيه ولا تحريم .**

**ويُباح التظلل بمظلة أو خيمة أو سقف ، والاكتحال والخضاب والحناء للتداوى لا للزينة ، ويُباح قتل الذباب والنمل والقراد ، والغراب والحدأة والفأرة ، والعقرب والكلب العقور ، وكل ما من شأنه الأذى .**

**أما حشرات جسد الآدمى كالبرغوث والقمل ، فللمحرم إلقاؤها وله قتلها ولا شىء عليه . وإن كان إلقاؤها أهون من قتلها .**

وإذا احتلم المحرم أو فكر أو نظر فأنزل ، فلا شيء عليه ، عند الشافعية .

ها أنت ـ أيها الحاج أو المعتمر ـ على مشارف مكة محرماً .

فمتى دخلتها بعون الله وتوفيقه ، اطمئن أولا على أمتعتك فى مكان إقامتك ، ثم اغتسل إن استطعت أو توضأ ، ثم توجّه إلى البيت الحرام لتطوف طواف العمرة إن نويتها ، أو طواف القدوم إن كنت نويت الحج ، وكبر وهلل عند رؤية الكعبة المشرفة ، وقل :

( الْحَمْدُ لله الَّذِى بَلَّغَنِى بَيْتَهُ الْحَرَامَ .

اللَّهُمَّ افْتَحْ لِى أَبْوابَ رَحْمَتِكَ وَمَغْفِرَتِكَ .

اللَّهُمَّ زِدْ بَيْتَكَ هَذا تَشْرِيفًا وَتَعْظِيمًا وَتَكْرِيمًا وَمَهَابَةً ،

وَزِدْ مِنْ شَرَفِهِ وَكَرَمِهِ ـ مِمَّنْ حَجَّهُ أَوِ اعْتَمَرَهُ ـ

تَشْرِيفًا وَتَكْرِيمًا وَتَعْظِيمًا وبِرًّا .

اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ ، وَمِنْكَ السَّلَامُ .

فَحَيِّنَا ـ رَبَّنَا ـ بِالسَّلَامِ ، وَأَدْخِلْنَا دَارَ السَّلَامِ ) .

ثم ادع بما يفتح الله به عليك ، فالدعاء فى هذا المقام مقبول بإذن الله .

وإذا لم تحفظ شيئا من الأدعية المأثورة ، فادع بما شئت وبما يُمليه عليك قلبك ، ولا تشغل نفسك بالقراءة من كتاب غير القرآن ، فهو الذى تقرؤه وتُكثر من تلاوته .

ثم اقصد إلى مكان الطواف ؛ لتبدأه وأنت متطهر ، واستقبل الكعبة المشرفة تُجاه الحجر الأسود ، واجعله على يمينك ، تمر أمامه بكل بدنك ، واستقبله بوجهك وصدرك ، وارفع يديك حين استقباله كما ترفعها فى تكبيرة الإحرام للدخول فى الصلاة ؛ ناويًا الطواف مكبراً مهللاً ـ معلناً شهادة أن : لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله . اللهم إيمانًا بك ، وتصديقاً بكتابك ، ووفاء بعهدك ، واتباعاً لسنة نبيك محمد ﷺ وآله وصحبه وسلم .

ثم اجعل الكعبة على يسارك مبتدئاً من قُبالة الحجر الأسود ، وسِرْ فى المطاف مع الطائفين حتى تتم سبعة أشواط : بادئا بالحجر الأسعد ، ومنتهياً إليه فى كل شوط . ولا تشتغل فى الطواف بغير ذكر الله والاستغفار والدعاء ، وقراءة ما تحفظ من القرآن ، مع الخضوع والتذلل لله . ومن أفضل الدعاء ما جاء فى القرآن الكريم كقوله تعالى :

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ .

ولا ترفع صوتك ، ولا تُؤذ غيرك ، واستشعر الإخلاص ، فالله يقول :

﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ .

## ركعتا الطــواف

فإذا فرغت من أشواط الطواف السبعة ، فتوجّه إلى المكان المعروف بمقام إبراهيم ، وصلّ فيه منفرداً ركعتين خفيفتين ؛ ناويًا بهما سنّة الطواف ، أو صلّهما فى أى مكان فى المسجد إن لم تجد متسعاً فى مقام إبراهيم ، وادع الله بما تشاء ، وما يُفتح به عليك .

ثم توجّه إلى الملتزم ، وهو المكان الذى بين باب الكعبة والحجر الأسود . وإذا استطعت الوصول إليه ، فضع صدرك عليه : مادًّا ذراعيك عليه ، متعلقاً بأستار الكعبة ، واسأل الله من فضله لنفسك ولغيرك ، فإن الدعاء هنا مرجوّ الإجابة إن شاء الله .

## اشرب من ماء زمزم

ثم توجّه إلى صنابير مياه زمزم ، واشرب منها ما استطعت ، فإن ماءها لما شُرب له ؛ كما فى الحديث الشريف .

## السعى بين الصفا والمروة

ثم ارجع بعد شُربك من ماء زمزم ، أو بعد وقوفك بالمُلْتَزم ، واسْعَ بين الصفا والمروة ، بادئًا بما بدأ الله تعالى به فى قوله :

﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ﴾ .

ومتى صعدت إلى الصفا فهلل وكبر ، واستقبل الكعبة المشرفة ، وصلّ على النبىّ المصطفى ، وادع لنفسك ولمن تحب ، ولنا معك ؛ بما يشرح الله به صدرك ، ثم ابدأ أشواط السعى سيراً عاديًا من الصفا إلى المروة ، فى المسار المعدّ لذلك ، مُراعيًا النظام والابتعاد عن الإيذاء . وأسرع قليلا فى سيرك بين الأخضرين ( فى السعى علامة تدل عليهما ) . وهذا الإسراع هو ما يسمى ( هرولة ) وهى خاصة بالرجال دون النساء ، فإذا بلغت المروة ، فقف عليها قليلا مكبراً مهللا مصليًا على النبىّ ﷺ وآله وصحبه وسلم ، جاعلا الكعبة تجاه وجهك ، داعياً الله بما تشاء من خيْرَى الدنيا والآخرة لك ولغيرك .

وبهذا تمّ شوط واحد .

ثم تابع الأشواط السبعة على هذا المنوال مع الخشوع والإخلاص والذكر والاستغفار ، وردد ما ورد عن الرسول ﷺ : « **رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ ، وَاعْفُ عَمَّا تَعْلَمُ ، أَنْتَ الْأَعَزُّ الْأَكْرَمُ . رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَاهْدِنِى السَّبِيلَ الْأَقْوَمَ** » .

وبانتهائك من أشواط السعى السبعة ، تكون قد أتممت العمرة ، التى نويتها حين الإحرام .

وبعدها احلق رأسك بالموسى ، أو قُصّ شعرك كله أو بعضه ، والحلق أفضل للرجال ، وحرام على النساء . وبهذا الحلق أو التقصير للشعر يتحلل المحرم من إحرام العمرة : رجلا كان أو امرأة ، ويحلّ له ما كان محظوراً عليه ، فيلبس ما شاء ويتمتع بكل الحلال الطيب إلى أن يحين وقت الإحرام بالحج حين العزم على الذهاب إلى عرفات ومُنى . ومتى تمتعت على هذا الوجه بالتحلل من إحرام العمرة قبل الإحرام بالحج ، فقد وجب عليك ذبح هَدْى ؛ امتثالا لقول الله تعالى :

﴿ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ .

وهذا الهدى يجوز ذبحه بمكة عقب الانتهاء من التحلل من العمرة ، كما يجوز ذبحه بمنى فى يوم العيد ، أو فى أيام التشريق التالية له ، أو فى مكة بعد عودتك من منى ، ولك أن تأكل منه .

أما من أحرم بالحج فقط ، أو كان محرما قارنا بين الحج والعمرة ؛ فإن عليه ــ حين وصوله إلى مكة محرماً ، وبعد أن يضع متاعه ويطمئن على مكان إقامته ــ أن يطوف بالكعبة طواف القدوم سبعة أشواط ، وله أن يسعى بين الصفا والمروة ، حسبما تقدم ، وله تأجيل السعى إلى ما بعد طواف الإفاضة . ولا يتحلل من إحرامه ؛ بل يظل محرما حتى يؤدى مناسك الحج والعمرة ، ويقف على عرفات ، ثم يبدأ التحلل الأول ثم الأخير بطواف الإفاضة ، وعلى القارن كما ــ على المتمتع هدى .

## إعادة الإحرام للحج

**إذا كنت متمتعاً : ففى اليوم الثامن من شهر ذى الحجة ويسمى : « يوم التَّروِيَةِ » تهيأ للإحرام بالحج على نحو ما سبق بيانه فى الإحرام حين بدء الرحلة ، والبس ملابس الإحرام الموصوفة على الطهارة : غسلا أو وضوءاً ، ثم صلِّ ركعتين بالمسجد الحرام إن استطعت ، وانوِ الحج وقل إن شئت : اللَّهُمَّ إِنِّى أَرَدْتُ الْحَجَّ فَيَسِّرْهُ لِى ، وَتَقَبَّلْهُ مِنِّى . ثم قل : لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ . لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ .**

**إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ . لَا شَرِيكَ لَكَ .**

ومتى قلت ذلك بعد تلك النية ، صرت مُحْرِمًا بالحج ، ورددها كلما استطعت ؛ فى سيرك ووقوفك وجلوسك ، وارفع بها صوتك دون إيذاء لغيرك .. والمرأة تُلبى فى سِرِّها .. وداوم عليها وأنت فى الطريق إلى منى ، وإلى عرفات ، وفى عرفات ، وحين الإفاضة من عرفة إلى المزدلفة ، وفى هذه الأخيرة ، وعند وصولك إلى منى يوم النحر . ولا تقطعها حتى تبدأ فى رمى جمرة العقبة .

## الحج عرفــة

ثم استعد للوقوف بعرفة يوم التاسع من ذى الحجة ، لأن هذا الوقوف هو الركن الأعظم للحج ، كما جاء فى الحديث الشريف « الحج عرفة » . فمن فاته الوقوف فقد فاته الحج .

ويتحقق هذا الوقوف بوجود الحاجّ وحضوره أىّ لحظة ولو مقدار سجدتين ، واقفاً أو جالسًا أو ماشيًا أو راكباً فى أى وقت من بعد ظُهر يوم التاسع إلى فجر يوم العاشر . والأفضل الجمع بين جزء من النهار فى آخره وأول جزء من ليلة العاشر منه ، أى قبيل غروب شمس يوم التاسع إلى ما بعد الغروب بقليل . ويحسن أن تكون على طهارة ، وأفضل الدعاء على عرفة ما جاء فى الحديث الشريف :

**« أَفْضَلُ الدُّعاءِ يَوْمَ عَرَفَةَ ، وَأَفْضَلُ ما قُلْتُ أنا والنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي : لا إلَهَ إلَّا اللهُ وَحْدَهُ ، لَا شَرِيكَ لَهُ . لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » .**

واخشع وتذلل لربك ، نادماً على ذنبك وخطاياك ، راجياً عفوه ، طامعًا فى رحمته ورضوانه ، متمثلا يوم الحشر الأكبر ، فإن عرفة صورة منه ، فقد حُشر فيه الخلق من كل جوانب الأرض حُجّاجًا .

## الصلاة بنمرة

صلّ الظهر والعصر يوم التاسع مقصورتين ( ركعتين ) مجموعتين جمع تقديم ، أى صلهما فى وقت الظهر مع الإمام فى مسجد نمرة إذا استطعت ، ولا تفصل بينهما بنافلة ، وإلا فصلهما حيث كنت فى خيمتك ؛ كلا منهما فى وقتها ، أو جمعًا فى وقت الظهر .

## إلى مزدلفة

وعقب غروب شمس يوم التاسع يتوجه الحجيج إلى مزدلفة ، وعند الوصول إليها يؤدى الحاجّ فرض المغرب وفرض العشاء جمع تأخير فى وقت العشاء . ولك أن تبيت بمزدلفة حتى تُصلّى بها الصبح ، ثم تتوجه إلى منى ، وهذا متوقف على استطاعة المبيت بمزدلفة ، وكلها موقف وهى المشعر الحرام ، وفيها : أكثِر من الذكر والدعاء والاستغفار والطلب من الله ، واجمع من أرضها الحصيات التى سترمى بها جمرة العقبة صباح يوم النحر بمنى ، وهى سبع حصيات كل واحدة منها فى حجم حبة الفول . ولك أن تجمعها من أى مكان غير مزدلفة ، ولك أن تجمع جميع حصيات الرمى فى الأيام الثلاثة . ومجموعها ٤٩ حصاة ، سبعٌ منها لجمرة العقبة يوم النحر وواحد وعشرون للجمرات الثلاث فى ثانى أيام العيد ، ومثلها فى ثالث أيامه .

ومن بقى بمنى إلى رابع أيام العيد ، فعليه رمى الجمرات الثلاث كل واحدة بسبع حصيات ، كما فعل فى اليومين الثانى والثالث .

## الذهاب إلى منى

بعد المبيت وصلاة الفجر فى منى ، أُقصد إلى جمرة العقبة ، وارْمِها بالحصيات السبع ، واحدة بعد الأخرى على التوالى ، وارْمِ بقوة ، وقُلْ :

**بِسْمِ اللهِ وَاللهُ أَكْبَرُ : رَجْمًا لِلشَّيْطَانِ وَحِزْبِهِ .**
**اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ حَجًّا مَبْرُورًا ، وَذَنْبًا مَغْفُورًا .**

**واقطع التلبية التى التزمتها منذ أحرمت .**
**وإياك ورمى هذه الجمرات أو غيرها بالحجارة الكبيرة أو العصى أو الزجاج أو الأحذية ، كما يفعل بعض الناس ؛ لأن كل هذا مخالف للسنة الشريفة .**
**ولك أن تؤجل الرمى لآخر النهار ، ولا حرج عليك .**

## الإنابة فى الرمى

إذا عجز الحاج عن الرمى بنفسه ، لمرض أو لعذر مانع فى وقته ، جاز أن يُوكل غيره فى الرمى عنه ، بعد رمى الوكيل لنفسه .

## التحلل من إحرام الحج

بعد رمى جمرة العقبة هذه ، يحلق الحاج رأسه ، أو يقصر من شعره . وتقصر الحاجَّة من أطراف شعرها ، ولا تحلق .

وبهذا الحلق أو التقصير يحصل التحلل من إحرام الحج ، ويحلّ ما كان محرما ـ عدا الاتصال الجنسى بين الزوجين ، فإن هذا لا يحلّ إلا بعد طواف الإفاضة الذى قال الله فى شأنه :

﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ .

## طواف الإفاضة

بعد رمى جمرة العقبة ، والتحلل بالحلق أو التقصير ، يذهب الحاج إلى مكة للطواف بالكعبة سبعة أشواط ، هى : طواف الفرض ، ويسمى طواف الإفاضة أو طواف الزيارة . وقد سبق بيان أحكام الطواف ، ثم يصلى ركعتين فى مقام إبراهيم ، ويشرب من ماء زمزم ، ويسعى بين الصفا والمروة ، على ما تقدم بيانه ..

## المبيت بمنى ، ورمى باق الجمرات

بعد طواف الإفاضة عُد إلى منى فى نفس اليوم ، وبتْ فيها ليلة الحادى عشر والثانى عشر من ذى الحجة ، ويجوز أن تبقى فى مكة ، ثم تُتم الليلة بمنى ، كما يجوز أن تستمر فى منى وتتم الليل بمكة .
ولك ألا تبيت بمنى ، وإن كره ذلك لغير عذر .

ومن الأعذار عدم تيسر مكان المبيت ؛ ولكن يلزمك إذا لم تبت فى منى : أن تحضر إليها لرمى الجمرات .

## أماكن رمى الجمرات الثلاث ووقته

الصغرى ، وهى القريبة من مسجد الخيف .
ثم الوسطى ، وهى التى تليها وعلى مقربة منها .
ثم العقبة ، وهى الأخيرة .

إرْم هذه الجمرات فى كل من يومى ثانى وثالث أيام العيد : كل واحدة بسبع حصيات ، كما فعلت حين رميت جمرة العقبة فى يوم العيد .

ووقت رمى هذه الجمرات من الزوال إلى الغروب[1] وبعد الغروب أيضاً . ولكن الأفضل عقب الزوال لموافقته فعل الرسول ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ ، متى كان ذلك ميسورا دون حرج .

وقد أجاز الرمى قبل الظهر : عطاء وطاووس ، وغيرهما من الفقهاء .
وأجاز الرافعى ـ من الشافعية ـ رمى هذه الجمرات من الفجر .
وهذا كله موافق لإحدى الروايات عن الإمام أبى حنيفة .
﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ .
و﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ....﴾ .

## حيض المرأة قبل طواف الإفاضة

للمرأة إذا فاجأها الحيض قبل طواف الإفاضة ولم يمكنها التخلف حتى انقطاعه ـ أن تستعمل دواء لوقفه وتغتسل وتطوف ، أو إذا كان الدم لا يستمر نزوله طوال أيام الحيض ، بل ينقطع فى بعض أيام مدته .

عندئذ يكون لها أن تطوف فى أيام الانقطاع ، عملا بأحد قولى الإمام الشافعى القائل : إن النَّقاء فى أيام انقطاع الحيض طُهر .

وهذا القول ـ أيضًا ـ يُوافق مذهب الإمامين : مالك وأحمد .

---

(١) يرى كثير من العلماء من فقهاء الأمة أن الرمى من الفجر إلى الفجر . « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » .

وأجاز بعض فقهاء الحنابلة والشافعية للحائض دخول المسجد للطواف بعد إحكام الشدّ والعَصْب وبعد الغُسْل ، حتى لا يسقط منها ما يؤذى الناس ويُلوّث المسجد ، ولا فدية عليها فى هذه الحال باعتبار حيضها ــ مع ضيق الوقت والاضطرار للسفر ــ من الأعذار الشرعية .

وقد أفتى كل من الإمام ابن تيمية والإمام ابن القيم بصحة طواف الحائض طواف الإفاضة ، إذا اضطرت للسفر مع صُحبتها .

ثم إن النفساء حكمها كالحائض فى هذا الموضع .

## طواف الوداع

اسمه يدل على الغرض منه ؛ لأنه توديع للبيت الحرام ، وهو آخر ما يفعله الحاج قبيل سفره من مكة بعد انتهاء المناسك . وقد اتفق العلماء على أنه مشروع : متى فعله الحاج ، سافر بعده فوراً .

ثم اختلف العلماء فى حكم هذا الطواف : هل هو واجب أو سنة ؟ بالأول قال فقهاء الأحناف والحنابلة ورواية عن الشافعى ، وبالقول الآخر قال مالك وداود وابن المنذر ، وهو أحد قولى الشافعى .

## يستحب تعجيل العودة

فيما رواه الدارقطنى عن عائشة ــ رضى الله عنها ــ أن رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ــ قال

**« إذا قَضَى أحدُكُمْ حَجَّهُ ، فَلْيَتَعَجَّلْ إلَى أهْلِهِ ، فَإِنَّهُ أعْظَمُ لِأَجْرِهِ » .**

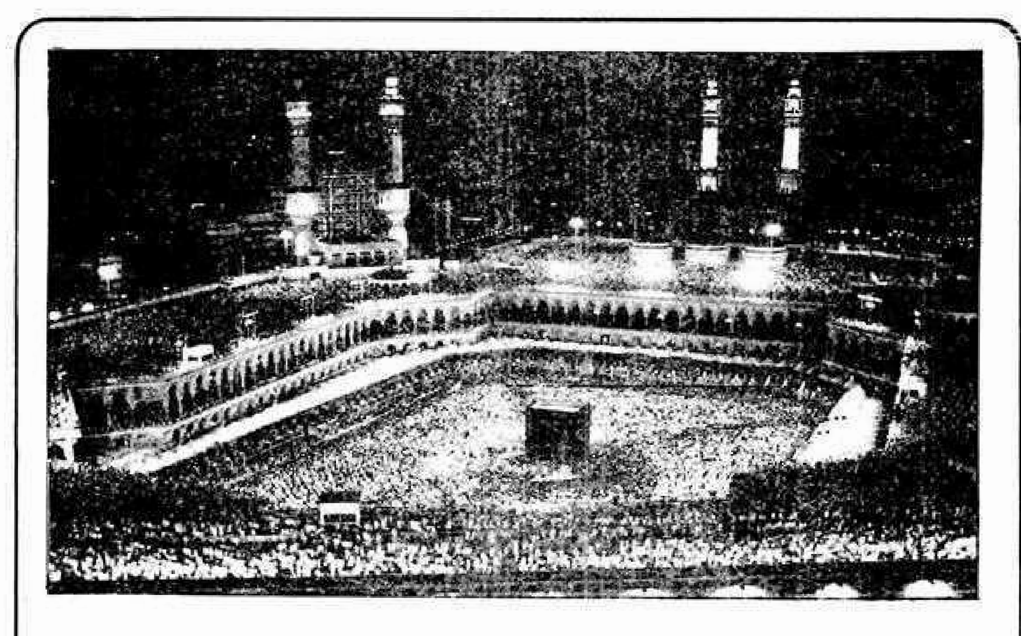
## زيارة المدينة المنورة

إذا لم تكن ــ أيها الحاج ــ قد بدأت هذه الرحلة المباركة بزيارة مسجد الرسول ﷺ بالمدينة المنورة ، فمن السنة وقد فرغت من مناسك الحج أن تقوم بها ، فإنها من أعظم الطاعات وأفضل القربات .

وفى فضلها أحاديث شريفة كثيرة ، ولتقصد من الزيارة الصلاة فى حَرَمِه الآمن تحصيلا للثواب ، فقد ورد فى الحديث الشريف عن صاحب هذا الحَرَم ، صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم :

**« صَلاةٌ فِى مَسْجِدِى خَيرٌ مِنْ ألْفِ صَلاةٍ فِيمَا سِواهُ ؛ إلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ .... » .**

رواه أحمد فى مسنده عن عبدالله بن الزبير .



## خطة هذه الزيارة وآدابها

يُسَنُّ للزائر ـ بعد أن يطمئن على أمتعته ومحل إقامته ـ أن يغتسل ، وأن يلبس أحسن ثيابه ويتطيب . وإذا لم يتيسر الاغتسال اكتفى بالوضوء .

ثم يتوجه إلى الحرم النبوى ، متواضعا فى سكينة ووقار . فإذا دخل من باب المسجد ، قصد إلى الروضة الشريفة ، وهى بين القبر الشريف والمنبر النبوى ، وصلى فيها ركعتين تحية للمسجد ، ويدعو الله مجتهداً فى الدعاء ؛ لأنه فى روضة من رياض الجنة ، وفى مهبط الرحمة ، وموطن الإجابة ، إن شاء الله .

فإذا انتهى الزائر من تحية المسجد والجلوس فى الروضة الشريفة ، توجّه إلى قبر الرسول ، عليه ـ وآله وصحبه ـ الصلاة والسلام ، ووقف قُبالة موضع الرأس الشريف فى أدب واحترام ، ويسلم على الرسول فى صوت خفيض ، ويقول :

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا نَبِيَّ اللهِ

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا خِيرَةَ اللهِ مِنْ خَلْقِهِ .

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا سَيِّدَ الْمُرْسَلِينَ وَإِمَامَ الْمُتَّقِينَ .

أَشْهَدُ أَنَّكَ بَلَّغْتَ الرِّسَالَةَ ، وَأَدَّيْتَ الْأَمَانَةَ

وَنَصَحْتَ الْأُمَّةَ ، وَجَاهَدْتَ فِى اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ !

ثم يصلي الزائر على رسول الله ، ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ ويبلغ إليه سلامنا وسلام من أوصوه .

ثم يترك هذا الموضع إلى اليمين قليلا بما يساوى ذراعاً ( أقل من المتر ) ليجد نفسه واقفاً قبالة رأس الصِّدِّيق : أبى بكر ، رضى الله عنه ، فيسلم عليه بقوله :

**السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللهِ . السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا صاحِبَ رَسُولِ اللهِ فِى الْغارِ . السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِينَهُ فِى الْأَسْرارِ .**

**جَزاكَ اللهُ عَنَّا أَفْضَلَ ما جَزَى إِمامًا عَنْ أُمَّةِ نَبِيِّهِ .**

**ثم يتجاوز مكانه إلى اليمين قدر ذراع ـ أيضًا ـ ، ليجد نفسه واقفًا قُبالة رأس عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ، فيقول :**

**السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُظْهِرَ الْإِسْلَامِ . السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُكَسِّرَ الْأَصْنَامِ ، جزاكَ اللهُ عَنَّا أَفْضَلَ الْجَزَاءِ .**

**وبعد هذا يستقبل الزائر القِبْلة ، ويدعو بما شاء لنفسه ولوالديه وأهله ، ولمن أوصاه بالدعاء ، شاملا جميع المسلمين .**

**وينبغى للزائر ألا يلمس حجرة الرسول ﷺ ، ولا يُقَبِّل الحواجز ولا الحيطان ، ولا يطوف حولها ، لأن هذا مَنهِيٌّ عنه فى أحاديث وفيرة عن الرسول ، عليه الصلاة والسلام .**

**وينبغى للزائر كذلك أن يغتنم مدة وجوده فى المدينة ، فيصلى فى مسجد الرسول ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ الصلوات الخمس ، وعليه أن يُكثر من تلاوة القرآن الكريم فيها ، ومن الدعاء والاستغفار والتسبيح .**

**ومن المستحب زيارة أهل البقيع ، حيث دُفن أصحاب الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ من المهاجرين والأنصار والصالحين ، كما يزور شهداء أُحد ، وقبر سيد الشهداء : الحمزة ـ عم الرسول ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ ، ومسجد قباء : أول مسجد بناه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ .**

**وفى ختام الإقامة بالمدينة ، لا تُفارقها ـ أيها الزائر ـ إلا بعد أن تصلى ركعتين فى مسجد الرسول ﷺ ، وتزور الرسول ﷺ وصاحبيه ، وتسأل الله تيسير العودة لهذه الزيارة وتكرارها .**

# فتوى للإمام الأكبر شيخ الأزهر

## فى حكم :

١ ـ الانضمام من المسلم أو المسلمين إلى الأحزاب العلمانية أو النصرانية ـ مع عدم الإيمان بها .

٢ ـ الإدلاء بأصوات المسلم أو المسلمين فى الانتخابات لصالح هذه الأحزاب .

٣ ـ التحالف مع حزب أو أكثر من ذات الأحزاب وذلك كله قصد المحافظة والدفاع عن حقوق المسلمين .

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله .

وبعد ...

فقد ورد إلى مكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر مكتوب من السيد/اسماعيل أ . كالا ـ نائب رئيس المجلس الإسلامى لجنوب أفريقيا .

جاء به :

ما هو رأى الشريعة فيما يختص بالمشاركة فى الانتخابات القادمة ، وهل تسمح نصوص الشريعة بالمشاركة فى المجالس المتنوعة العلمانية والساسية والديمقراطية ؟

« والجـــواب »

قال الله سبحانه وتعالى فى سورة الممتحنة

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦﴾ عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩﴾﴾

هذه الآيات قد أشارت إلى أن معـــايشة المسلمين لغير المسلمين فى وطن واحد ، والتعاون معهم فى أمور الحياة أمر مباح غير منهى عنه ، وماداموا لم يتعرضوا للمسلمين فى أمر الدين أو الديار ، وكما جاء فى الآية الأخيرة يكون النهى عن بر غير المسلمين وعن مخالطتهم إذا ما قاتلوا المسلمين فى الدين أو أخرجوهم من ديارهم أو عاونوا فى العدوان عليهم فى الدين أو الإخراج من الديار .

ومع هذه الآيات أباح الله فى سورة المائدة ـ فى الآية الخامسة منها ـ مصاهرة أهل الكتاب أى : تزوج الرجل المسلم من المرأة النصرانية واليهودية ، كما أباح تناول طعامهم ، بقيمته ، بطريق الشراء أو الهبة أو الضيافة ، وبالجملة تبادل الطعام معهم فيما

عدا ماحرم على المسلمين حيث قال الله تعالى فى سورة المائدة :

﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٥﴾ ﴾

فقد أباحت هذه الآية للرجل المسلم التزوج من المرأة الكتابية ، أى تكوين أسرة ينشأ فيها أولاد ويترتب عليها صهر ، بافتراض استمرار الزوجة غير المسلمة على دينها .

وفى هذا دلالة واضحة على إباحة التعامل فى سائر أمور الحياة بين المسلم وغير المسلم ، دون إضرار بالإسلام ، ولا بالمسلم فى عقيدته وشريعته .

وتتكامل أحكام هذه الآية مع الآيات المتلوة ــ آنفا ــ من سورة الممتحنة حيث يستفاد منها جميعا : حل التعامل والتعاون ، والتعاهد مع أهل الكتاب فى شئون الحياة العامة ، فالتزوج من نسائهم مباح ، وحل طعامهم مقرر بنص هذه الآية من سورة المائدة ، والتجارة والصناعة وغيرها من أمور الحياة والكسوب المشروعة والمتجددة تجيزه تلك الآيات من سورتى المائدة والممتحنة .

ومع هذا فإن التطبيق العملى لرسول الله محمد ﷺ ــ المتمثل فى عقده حلفا وعهدا ــ بعد الهجرة الى المدينة ــ بين المؤمنين والمسلمين من قريش وبين أهل يثرب ومن تبعهم ، فلحق بهم وجاهد معهم .

وجاء فى البند الثانى : أنهم أمة واحدة من دون الناس وبعد عد القبائل المسلمين من الأنصار فى البنود التالية حتى البند ٢٣ نص فى البند ٢٤ على أن اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين ، وفى البند ٢٥ نص على أن يهود بنى عوف أمة مع المؤمنين لليهود دينهم وللمسلمين دينهم ثم عد باقى قبائل اليهود الداخلة فى هذا العهد ومواليهم ، وجاء فى البند ــ ٣٧ ــ وأن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم ، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة ، وأن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم .

وقد حوت صحيفة العهد ٤٧ بندا وتضمنت أحكاما وعهودا تنظم السلم والجوار والنصرة فيما بين المتعاهدين[(١)]

لما كان ذلك :

وكان التعايش مع غير المسلمين وفى بلادهم يستدعى الحفاظ على حقوق المسلمين ، وكانت النظم السياسية والإدارية متفاوتة ، فهى فى بلد غيرها فى بلد آخر ــ وهى ــ فى جملتها ــ ليست من الأحكام المستمرة أو المستقرة بمعنى أنها قابلة للتغيير ، وتدخل فى نطاق أحكام المعاملات التى لم ترد محاذيرها مفصلة فى القرآن والسنة ، وإنما جاءت مجملة على نحو مانوهت عنه هذه الآيات الكريمة

واذا كانت الأحزاب السياسية قد برزت فى العصر الحالى كوسيلة للتنافس على الوصول إلى الحكم فى أغلب دول العالم ، وكذلك الجمعيات والمؤسسات التعاونية الأخرى ، والنقابات ، كل

(١) ص ١٥ ــ ٢١ من مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الراشدة ط ثانية ١٣٧٦ هـ ١٩٥٦ م لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ، جمعها د/ محمد حميد الله الحيدر أبادى .

ذلك لخدمة أغراض اجتماعية أو فئوية أو سياسية ، وكلها تدور مع المصالح الذاتية والعامة لأعضائها فى نطاق النظام العام للدولة .

ـ إذا كان ذلك ـ فإنه لا حرج على مسلم أو أكثر من الانضمام إلى أى من الأحزاب المعترف بها من الدولة بالرغم من علمانيتها أو نصرانيتها مادامت لا تمس العقيدة الإسلامية ، أو المصالح الأساسية للمسلم وهو ما أشارت إليه الآيات السالفة من سورة الممتحنة ومنها :

﴿ لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ﴾ .

ومن ثم كان من المباح فى الإسلام انضمام المسلم ـ فردا كان أو جماعة ـ إلى أى حزب من الأحزاب السياسية ذات الكيان القانونى فى الدولة التى يقيم المسلم على أرضها وفى نطاق قوانينها قصدا إلى التمكن من ترشيح نفسه فى انتخابات المجالس البلدية أو المجالس النيابية ، ومن المباح ـ كذلك ـ للمسلم وللمسلمين كافة فى أية دولة الإدلاء بأصواتهم فى الانتخابات لصالح حزب دون التحالف معه أو مع التحالف ، للاستعانة بكل ذلك على تحقيق مصالح المسلمين ، وحمايتها ، والدفاع عن الحقوق المشروعة لهم بالذمة والصدق وعلى المسلمين فى جنوب افريقيا ـ وغيرها من الدول ـ أن يسلكوا هذه الطرق المشروعة وفى نطاق قوانين تلك البلاد ؛ ليكون لهم صوت يحمى مصالحهم أو ينضموا إلى حزب أو أكثر حسبما يرون أن يصوتوا فى الانتخابات لحزب أو أكثر مادام ذلك فى صالحهم فى موطنهم بشرط ألا يضر هذا بالإسلام عقيدة وشريعة .

وعلى من يكون من المسلمين عضوا فى المجالس البلدية أو النيابية ألا يصادق على أمر معروض ضد عقيدة الإسلام أو ضد مصالح المسلمين ، فلا يصادق على إباحة أمر محرم فى الإسلام أو يناهض أصول العقيدة الإسلامية .

وليكن نموذجا للمسلم فى استقامته ووفائه بالعقود والعهود كما أمر الله فى القرآن الكريم ، فإن هذا من أسباب النجاح فى هذه المهام .

ولعل هؤلاء المسلمين فى جنوب أفريقيا وغيرها يرعون مستقبل أجيالهم فينشئوا أولادهم على الإسلام بتعلم اللغة العربية وإجادتها قراءة وكتابة ، واقرائهم القرآن وتحفيظهم بعضه وفهمه ، ثم الفرائض والواجبات ، ولا يكون هذا إلا بالحرص على إتخاذ وسيلة من وسائل التعليم حفظا للإسلام دينا لأولادهم وذرياتهم باعتبار هذا من أهم مسئولياتهم .

ثم على المسلمين ـ فى جنوب إفريقيا وغيرها ـ أن يتوافقوا على مايقدمون عليه من الانضمام لحزب أو أكثر أو أمر التصويت كذلك حتى تكون لأصواتهم قوة تحمل الحزب الذى ينضمون إليه على رعاية مصالحهم وأن يمتثلوا قول الله ـ سبحانه ـ فى سورة آل عمران داعيا لوحدة الصف والكلمة :

﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ .. ﴾

وقول الله تعالى فى سورة الأنفال محذرا من النزاع والخلاف ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾

وبهذا يعلم الجواب عما ورد بالسؤال .

والله سبحانه وتعالى أعلم .

# القدس الشريف فى ضمير الأزهر الشريف

## كلمة الأزهر الشريف(*)

## أمام الندوة السنوية لشئون القدس - عمان

### ٢٣ من شوال ١٤١٤ هـ - ٤/٤/١٩٩٤م

السيد رئيس الندوة المحترم ـ السادة الحضور

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

فإننى أنقل لحضراتكم تحيات صاحب الفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ، وتمنياته فى أن تحقق ندوتكم الموقرة هذه الآمال المنشودة منها والتى هى فى الواقع رهن بتحقيق التضامن الإسلامى الإيجابى ، والذى يتطلب من المسلمين كافة :

ـ استدعاء الرصيد الإيمانى الكامن فى نفوسهم .

ـ نبذ الخلافات والترفع عن القضايا الفرعية .

ـ أن يكون المسلمون على قلب رجل واحد حتى تتوحد كلمتهم ويستجمعوا قوتهم .

وإننا لعلى ثقة فى ـ الله سبحانه وتعالى ـ أولاً ثم فى جهود العاملين المخلصين فى أبناء أمتنا الإسلامية أن فجر التضامن الإسلامى قريب بإذن الله إذا خلصت النية وصفت النفوس .

---

(*) ألقى الكلمة باسم الأزهر الأستاذ الدكتور محمد على حلة بجامعة الأزهر .

وليس من شك أن القدس الشريف يشكل المحور الرئيسى للتضامن الإسلامى ، وذلك انطلاقاً من المكانة السامية للقدس فى ضمير المؤمنين كافة . لما لها من قداسة باعتبارها موطناً للأنبياء والرسل وأرضاً للسلام الذى نادت به تعاليم السماء .

سيدى الرئيس :

وبداية فإن الأزهر الشريف بجامعه وجامعته ومؤسساته أعلن بصدق عن ألمه البالغ ورفضه الشديد للمذبحة المروعة التى وقعت فى منتصف شهر رمضان المبارك من هذا العام والتى قام بها أحد المستوطنين الإسرائيليين ضد المسلمين المسالمين والركع السجود فى الحرم الإبراهيمى بمدينة الخليل ، ومن المؤكد أن هذا العمل العدوانى يتعارض كلية مع السلام الذى تنادى به الديانات السماوية الثلاث .

ومن المؤكد أن القدس الشريف مؤهل ليكون رمزاً للسلام والعدالة والتسامح لمعتنقى ديانات التوحيد الثلاث اليهودية والمسيحية والإسلام .

وإذا كانت شهادة ميلاد القدس تؤكد على أنها عربية الأصل فى النشأة والتكوين فإن القدس باتت فى كنف الإسلام أنموذجاً للسلام والتسامح الدينى والتعايش السلمى بين جميع الطوائف فى ظل مبادىء سامية اتسمت بالعدل والرحمة .

والدراسة الموضوعية لتاريخ القدس تشهد على أن التعايش السلمى فى ظل الحكم الإسلامى لم يكن شيئاً طارئاً ، وإنما قام على دعائم ثابتة أرستها تعاليم الإسلام التى أقرت كافة الحقوق الإنسانية والتى كفلت لأهل الكتاب الحرية الكاملة ليس فى ممارسة عقائدهم الدينية فحسب بل وأنشطتهم الاقتصادية والاجتماعية والثقافية .

ولعلنا نؤكد للمجتمع الدولى أنه إيماناً واقتناعاً بروح المبادىء الإسلامية السامية فتح المسلمون أبواب بلادهم أمام اليهود ليدخلوا آمنين ويتنقلوا بين ربوعها سالمين بل وأجازوا لهم الكثير من المهام والأعمال فصار منهم التجار والصيارفة والأطباء والوزراء أيضاً .

وقد اعترف الرحالة اليهودى إسحاق بن يوسف فى صراحة إنه فى القرن الرابع عشر الميلادى ( الثامن الهجرى ) عاش اليهود فى طمأنينة وسعادة فى القدس . وأرجع ذلك إلى عدل الحكومات الإسلامية[1] .

وهذا كاتب بريطانى[2] يؤكد على أنه فى القرون المبكرة كان المسلمون بوجه عام متسامحين مع اليهود وعاشوا معهم بسلام فى الوقت الذى كانت فيه أوربا منغمسة إنغماساً كاملا فى الاضطهاد .

كما حرص المسلمون كل الحرص على المقدسات المسيحية قدر حرصهم على المقدسات الإسلامية فى القدس الشريف ـ بوجه خاص ـ وسائر أنحاء فلسطين بوجه عام ، وذلك إحياء لتاريخ السلف الصالح وعملا بعهد الأمان الذى سطره الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ لبطريرك بيت المقدس سنة ١٥هـ/٦٣٦م ، والذى عرف بالعهدة العمرية .

---

(١) د. نقولا زيادة : رواد الشرق فى العصور الوسطى ، القدس ، ١٩٤٣ ، ص ١١٠ .

(٢) Thubron. Coplin: Jerusalem, London, 1969, p. 227.

وأعتقد أننا لسنا فى حاجة إلى المزيد من التأكيد بأن الإسلام أوصى بأهل الكتاب من المسيحيين واليهود خيراً ، كما أننا لا نرغب فى أن يستغرقنا استعراض أحداث تاريخية باتت معروفة ومتداولة عبر تاريخنا الإسلامى الذى يمتد عبر أربعة عشر قرناً من الزمان .

ولكننا نأمل أن تعالج الأحداث بمنظور الحاضر الذى نعيشه اليوم ..

سيدى الرئيس :

إن الأزهر الشريف إذا كان يؤيد ما يقرره الفلسطينيون أنفسهم من الاستمرار فى التفاوض من أجل السلام ، فإنه يرى أن إصرار إسرائيل على تنفيذ مخططاتها لتهويد القدس أمر غير مقبول عربياً وإسلامياً .

ومن الواضح أن البيانات التى تترى والإجراءات التى تتخذ يوماً بعد يوم من الجانب الإسرائيلى والمتصلة بوضع القدس هى فى الواقع تزوير واضح للتاريخ واستمرار للصراع فى المنطقة .

وفى هذا المقام فإن الأزهر الشريف يندد صراحة بالقرار الصادر من المحكمة العليا فى إسرائيل بتاريخ ٢٣ سبتمبر ١٩٩٣ والذى يعتبر موقع الحرم القدس الشريف خاضعاً للسيادة الإسرائيلية ، مما يترتب عليه تفويض جماعة ما يسمى ( أبناء الهيكل ) السيطرة على هذا الموقع المقدس .

ويؤكد الأزهر الشريف على عدم صلاحية هذه المحكمة فى فرض الوصاية على الأقصى المبارك ، فضلا عما يتضمنه هذا القرار من اعتداء صارخ على الحقوق الدينية والتاريخية والقانونية لعرب فلسطين ، كما أنه يتناقض تناقضاً واضحاً مع المزاعم التى تسوقها السلطات الإسرائيلية من حين لآخر فيما تعلنه من توجهها نحو السلام .

ويعيد الأزهر الشريف ما سبق إعلانه فى شهر رجب عام ١٣٨٨ هـ/سبتمبر عام ١٩٦٨ م[٣] من تأكيد للفتوى الدينية الصادرة من علماء المسلمين وقضاتهم ومفتيهم فى الضفة الغربية بالمملكة الأردنية الهاشمية بتاريخ ١٧ من جمادى الأولى عام ١٣٨٧ هـ/٢٢ من أغسطس ( آب ) عام ١٩٦٧ م والمتضمنة أن المسجد الأقصى المبارك بمعناه الدينى يشمل المسجد الأقصى المبارك والصخرة المشرفة والمساحات المحيطة بها ، وأن العدوان على أى جزء من ذلك يعد انتهاكاً لحرمة المسجد الأقصى واعتداء على قدسيته ، وان الحرم الإبراهيمى فى الخليل مسجد إسلامى مقدس وكل اعتداء على أى جزء منه يعد انتهاكاً لحرمته وقدسيته .

سيدى الرئيس :

إن فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر قد استنكر التصريحات التى أدلى بها الرئيس الأمريكى بيل كلينتون مؤخراً من اعتبار القدس الموحدة عاصمة لاسرائيل ، وعدم

---

(٣) جاء ذلك فى المؤتمر الرابع لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف .

الإشارة إلى القدس على أنها جزء من الأراضى العربية المحتلة .

وقد أعرب فضيلته عن دهشته واستغرابه لمثل هذا التصريح الذى يتزامن مع المساعى المبذولة – حالياً – لاستئناف مباحثات السلام فى شأن الأراضى المحتلة ومنها القدس ، ثم طالب فضيلته أصحاب الشأن من الساسة بأن يكون لهم قول إذا ثبت صدور مثل هذه التصريحات عن الرئيس الأمريكى[٤] .

إن الأزهر الشريف كان ومايزال يؤيد أمام ندوتكم الموقرة عرب فلسطين فى الاستقلال وممارسة الحكم الذاتى ووقف بناء المستوطنات الإسرائيلية فى الأرض المحتلة ، ويدعو الرأى العام العالمى والمنظمات الدولية إلى العمل الإيجابى الجاد من أجل تطبيق القرارات الدولية التى نصت على عودة الأراضى المحتلة إلى أصحابها من عرب فلسطين بما فيها مدينة القدس الشريف موحدة كما كانت لأنها مدينة السلام .

بل ويجب على الجانب الإسرائيلى أن يؤكد رغبته فى السلام وأن تكف الحكومة الإسرائيلية عما تدعيه من حقوق فى القدس الشريف . وأن يوقف عدوانه على العرب والمسلمين فى سائر أنحاء فلسطين .

سيدى الرئيس :

إذا كانت لغة العصر الذى نعيشه والتى ينشدها المجتمع الدولى هى الدعوة إلى السلام ، فإننا نريده سلاماً حقيقياً لا يقوم على فرض العدوان ، ولعل إيصال دعوتنا للسلام هذه إلى المجتمع الدولى يربك كل مخططات إسرائيل ويعزلها عن الرأى العام العالمى الذى يمدها بكل ما تحتاجه والذى يمثل لها شريان حياتها واستمرارها .

ومن المأمول أن يتفهم المجتمع الدولى بأن المسلمين هم دعاة سلام يقوم على العدل والمساواة والأمن والأمان وحقوق الإنسان أينما كان ، وهم يستلهمون فى ذلك المبادىء الإسلامية النبيلة .

ومن المأمول أيضاً ألا يصغى المجتمع الدولى لما تردده بعض أجهزة الإعلام الراغبة فى إظهار المسلمين على غير صورتهم الحقيقية .

وليتذكر المجتمع الدولى أن هذه مدينة مباركة وفيها مقدسات الأديان الثلاثة : اليهودية والمسيحية والإسلام ، ومن ثم : أليس من واجب هذا المجتمع رعاية حرماتها ومقدساتها ورسالات السماء فيها ؟! ثم أليس من واجبه أن يجعل منها خضر البقاع بدلا من أن تمتلىء بالآلام والأوجاع ؟!

إن القدس الشريف ليس قضية سكان وأماكن مقدسة فحسب بل إنه رمز حى لتحقيق السلام الذى نادت به تعاليم السماء .

وفى الختام سيدى الرئيس :

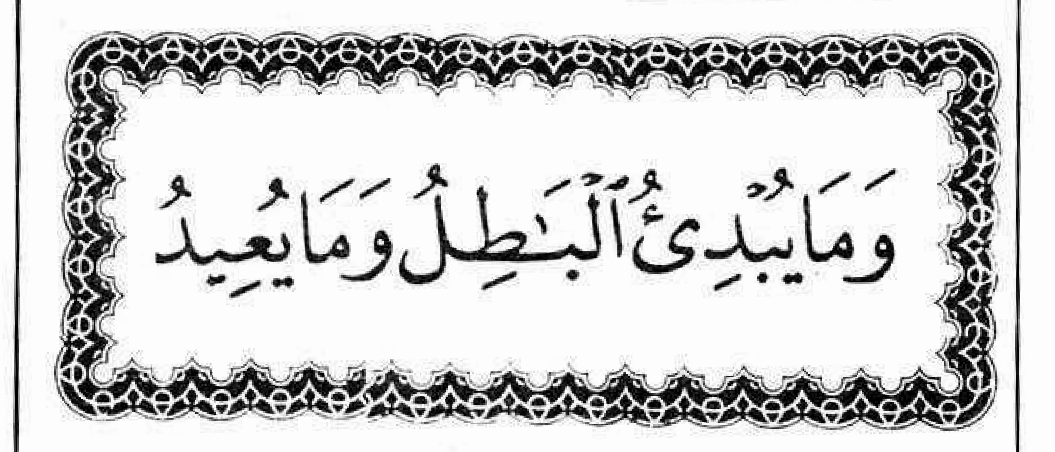
هذا هو أزهركم الشريف ورسالته التى يحملها بكل أمانة ونعاهد الله سبحانه وتعالى ألا نفرط فيها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، إنه نعم المولى ونعم النصير .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

---

(٤) جريدة الوفد : القاهرة ، الخميس ٥ شوال ١٤١٤هـ/١٧ مارس ١٩٩٤م .

# من سورة سبأ




لفضيلة الشيخ أحمد محمد طاحون

إنَّ الباطلَ لا قواعد له ولا أركان ، ولا ثبات له أمام الحجة والبرهان ؛ وهذه الآية القرآنية « وما يبدىء الباطل وما يعيد » بما فيها من إيجاز وإحكام وقوة دلالة على المقصود اكتسبت صفة المَثل السائرِ بعد نزولها وشيوعها . هذا المثل الذى يُضرَبُ فى زُهوق الباطلِ واضمحلالِهِ وانهياره أمام قوةِ الحقِّ وبرهانِه ، والإبداء هو : فعلُ الأمرِ ابتداءً ، تقول : ابْدَأ الشىءَ أى فعلْهُ ابتداءً ، أماَّ الإعادة فَفِعلُه ثانيا ، ولا يخلو الحيُّ عنهما ، فعدمُهما كنايةٌ عن الهلاك بالكُلِّية ، كما يقال : فلان لا يأكل ولا يشربُ ، كنايةٌ عن هلاكه .

وقد جاءت هذه العبارةُ في سياق الكلامِ عن بطلان الشركِ ، ودحْضِ مزاعم الملاحدةِ في إنكارهم النبوةَ ، وإعراضِهم عن البرهان ، وفي جحودِهم البعثَ للحساب والجزاء ، فقد كانوا إذا تُليت عليهم آياتُ القرآن الكريم الواضحاتُ الدلالة على حَقِّيةِ التوحيد ، وبطلان الشرك ، قالوا متهكمين بالنبي الأمين — ﷺ — ﴿ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ ﴾ سبأ/٤٣ أي : يمنعكم ويصرفكم عن عبادة الأصنامِ التي هي ميراثُ الآباءِ والأجداد ، ثم قالوا — عن القرآن العظيم — إنه كذِبٌ في نفسه ، مفترى على الله — عزَّ وجل — من حيث نسبتُه إليه ﴿ وَقَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ﴾ سبأ/٤٣ ثم مثلوه بالسحْر جهْلًا منهم ، وإعراضا عن التدبر : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ سبأ/٤٣ وغرضُهم من ذَلك الجمودُ على ما وَرِثوه من عقائدَ وأباطيل ، وما بيدهم دليلٌ يَشهدُ لهم بصحة ما هم عليه ، فكان الواجبُ أن يبادروا إلى التفهم والتأملِ وطلبِ الحقِّ بدلًا من المبادرة إلىَ الإعراض والإنكار ، ولذا تهكَّم بهم السياقُ وجَهَّلهم فقال : ﴿ وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴾ سبأ/٤٤ أي لم يَستندوا لِما هم فيه من الشرك والضلال إلىَ كتاب سماويٍّ ، ولم يأتِهم به رسولٌ من عند الله ، وإنَّ ما هم فيه محضُ زُورٍ وباطل من اختراع الوهْمِ والهوىَ ، وإن كفارَ قريش — إن كانوا قد غُروا بالقوة والمنَعة — فإنهم لم يبلغُوا عُشْرَ ما أعْطَى الله الأمم السابقة مثلَ عادٍ وثمودَ من النعم وأسبابِ القوة ، وفي هَذا عبرةٌ لمن يَعتبر : ﴿ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُواْ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَكَذَّبُواْ رُسُلِى فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾ ﴾ سورة سبأ

والمِعشارُ : العُشْرُ وهو الجزءُ من العشرة ، وهو مَثَلٌ لضآلة حظِّ قريش إذا قِيس بحظوظ الأممِ لسابقةِ في بِسطة الجسم ، وقوةِ الأبدان ، وكثرةِ الأعوان ، والأموالِ ، فلمَّا كَذبوا الرسلَ دمَّر الله عليهم ، وللكافرين أمثالُها .

ثم أمر الله نبيه محمداً — ﷺ — أن يتممَ الحجةَ علىَ المشركين مُلخِّصا ما ينبغي لهم أن يكونوا عليه فُرادى أو جماعاتٍ من الإخلاص لله — عز وجل — والتفكر في أمر النبوة تفكراً صحيحاً يعتمدُ على الدليل ، ويخضع للبرهان ، لا نازعاً منزعَ الهروبِ من الحق ، وَضرْبِ الأمثال للنبي بالسحر تارةً ، وبالجنون أخرىَ ، جريًا وراء الأهواء ، ولنتدبر قوله — تعالى :

﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ ﴾ سورة سبأ

والوعظُ يتضمنُ الزجرَ يَقترن به تخويف ، والتذكيرُ بالخير فيما يَرِقُّ له القلب ، أي : إنما آمرُكم وأنصحُكم وأُوصيكم بخصْلة واحدةٍ وهي توجيهُ الفكر والاجتهاد نحو الحق ودلائله راجين

وجْهَ الله ــ عز وجل ــ وأن تتفكروا فى أمر نبيِّكم : هل جربتُم عليه كذباً ، أو رأيتم فيه جِنَّة ، أو فى أحواله من فساد ، أو اختلف إلىَ أحدٍ منكم مِمَّن يدعى العلمَ بالسحر ، أو هل تعلَّم الأقاصيصَ وقرأ الكتب ، أو عرفتموه بالطمع فى أموالكم ؟ إنه مَن تعلمونه أرجحُ الناس عقلًا ، وأصدقهُم قولًا ، وأفضلهُم علماً ، وأحسنهُم عملًا ، وأعظمهُم أمانة ، وأجمعهُم للكمالات البشرية ، فاجعلوا تفكيرَكم ــ على أى حال كنتم جماعاتٍ أو فُرادى ــ خالصاً لطلب الحق ، فما محمدٌ إلا رسول يُحذِّركم عقوبةَ الله فى الآخرة ويدعُوكم إلى ما فيه الخيرُ والصلاح .

إن الكلمةَ الواحدةَ التى وَعَظَ بها رسولُ الله ــ ﷺ ــ تقتضى نَفْىَ الشركِ وإثباتَ الإلهِ الواحدِ الذى لا معبودَ بحقٍّ سواه ، وإن القيام لله : يقتضى الإخلاص فى الطاعة طلباً لمرضاته ــ وحْده سبحانه ــ لا للمراء ولا للرياء والتقليد الأعمى .

وقوله : « مَثْنَى وَفُرَادَىٰ » يقتضى أن تكون حالةُ الإنسانِ مع الجماعةِ أو منفرد على أفضل وجهٍ من حيث معرفةُ الحقِّ والتمسكُ به وخلوصُ النيةِ والقصدِ ، فمـع الجماعــةِ المشورةُ الصالحةُ والتعاضدُ علىَ الخير ، وفى حالة الانفرادِ توجيهُ الفكرِ فى آلاء الله وآياتِه وبراهين وحدتهِ وطَرْدِ وساوس الشيطان ، وخواطرِ السوء عن النفس .

إن الرسول ــ ﷺ ــ ليس طالبَ دنيا ، وإنما عملهُ كان خالصاً لوجْه الله :

﴿ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ سبأ/٤٧ والمراد نفى السؤال أصلًا ، فهو لم يسألهم جُعْلًا علىَ تبليغ الرسالةِ ، وهم يعلَمون ذلك ، والله شهيدٌ ورقيبٌ لا يخفَى عليه شئٌ من أعماله ولا مِنْ أعمالهم ، فهو سبحانه يُجازى الجميع .

وإن الله ــ عز وجل ــ يُلقِى الوحْي على مَن يَصطفيه من عباده متلبسا بالحق ، كما أنه سبحانه يقذف الباطل بالحق فيدمغه ويُزيلهُ بالحجة والبرهان :

﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾سبأ/٤٨ .

وإن الحقَّ هو ما جاءكم به الوحْىُ ، ودعاكم إليه رسولُ الله ــ ﷺ ــ وبه يُكشف زيفُ الباطلِ وتُزْهَقُ روحُه ، ويَظْهَرُ عَوارهُ وفسادهُ ، وتذهب ريحه : ﴿ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴾ سبأ/٤٩ أى : مع الحقِّ ودلائله لاقرار للباطل ولا حياة ، بل هو إلى زوال تام لا يجدُ أربابهُ حجةً تَسنده ، ولا دليلا يقيمـه ، قال صاحب روح البيان : فَجُعِلتْ الآية مثلا فى الهلاك بالكلية وروى عن ابن مسعود أنَّ النبـــى ــ ﷺ ــ دخَل مكةَ وحول الكعبة ثلاثمائة وستون صنما ، فجعل يطعنها بعود فى يده ، ويقول : « **جاء الحق وزهق الباطل** » ، قل جاء الحق ومَا يُبدِى الباطل ومَا يُعيد .

لقد كانوا يقولون للرسول ــ عليه السلام :

تركت دين آبائك فضللت ، فقال له ربه : ﴿ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴾ سبأ/٥٠ أى وبالُ الضلالِ على صاحبه لا تحمل نفس وزر نفس أُخرىَ ، وأما الهدايةُ إلىَ الحق فتأتى عن طريق الوحْيِ وبتوفيق الله ــ عز وجل ، أى : إن كل إنسانٍ مسئولٌ عن عمله واختياره وكما قالوا ــ فى المثل : كل شاة معلقة برجلها .

وعند معاينة أهوال القيامة ومخاوفها يندم الكافرون ، ويبادرون إلى التوبة وقبول الإيمان ، وقد مضى زمن التكليف ، فلا ينجيهم إيمانهم حينئذ من عذاب السعير : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ۝ وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّىٰ لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ سبأ/٥١ أى : ولو ترى فزعهم عند البعث لرأيت أمراً فظيعاً ، ولا يُفلِتُ واحد منهم من عقوبة الله إذ يُؤخذون جميعاً من موقف الحسابِ إلى نارَ جهنمَ وبئس المصير .

وهناك يصيحون : ربنا آمنا بما كفرنا به من قبل ، وانىَ لهم قبولُ الإيمان والتوبة ، والآخرة دارُ حساب وجزاءٍ لا دارُ تكليف وعمل ؟

والتناوش هو : التناول السهل ، يقال : تناوش الشيء أى تناوله وحصّل عليه بسهولة : **﴿ وانى لهم التناوش من مكان بعيد ﴾ سبأ/٥٢ فيه استبعاد واستحالة فقد انقطع ما بين الدنيا والآخرة ، فمن أين لهم الحصولُ علىَ الإيمان وقبولُ التوبة من الكفر ، وهذا من أعمال الدنيا وهى دارُ التكليف ، وقد صارت بعيدة عنهم كل البُعد .**

**وقد مُثّل حالُهم فى هذا المشهد الأخروى ، وهم يطلبون بإيمانهم فى هذا الوقت الخلاص من العذاب بحال من يُريد أن يتناول الشيء من طَرف أو مكان بعيد جدا عنه ، فأنى له ذلك ؟**

**إنهم يُبادرون إلى الايمان والتوبة لما رأوا العذاب ، وقد دُعوا إليه فى الدنيا فأبوا ولذا وبختهم الآية على ما كان منهم :** ﴿ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِن قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ سبأ/٥٣ من قبل : أى فى وقت التكليف وقد كانوا فى الدنيا يرجمون بالظن ويتكلمون بالتخمين فى حق الله فينسبون إليه ــ تعالى ــ الشريك والولد ، ويقولون : لا بَعث ولا حساب ولا جزاء ، ويضربون الأمثال للقرآن فيقولون : سحرٌ وشعــرٌ وأساطير الأولين ، وللـــرسول ﷺ فيقولون : ساحرٌ ، وكاهنٌ ، وشاعرٌ وغيرُ ذلك « من مكان بعيد » أى من جهة بعيدة عن أمْرِ مَن تكلَّموا فى شأنه وبعيدة عن الحق والصدق ، وقد مُثّلَ حالُهم فى ذلك بحالِ مَن يَرمى شيئا لا يراه من مكان بعيد لا مجال للظن فى لحوقه ، فكلُّ ما قالوه فى القرآن ، وفى النبى ﷺ بعيد كل البعد عما يليق به .

وقد أكّـد السيـاقُ أن إيمانهم فى الآخرة لم ينفعهم ، ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ﴾

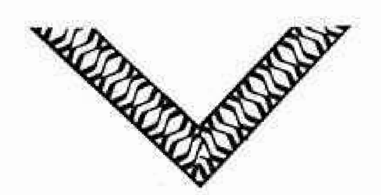
سبأ/٥٤ أى : وبين ما يريدون من نفع الإيمان والنجاة من النار ، وقد ماتوا على الكفر والجحود ﴿ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ﴾ سبأ/٥٤ أى إنها سنةُ الله عز وجل فى الأمم التى كذبت وعاندت مثل عاد وثمود وغيرهما ، لأنهم جميعا كانوا على نمط واحد من الشك فى التوحيد والبعث والجزاء : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴾ سبأ/٥٤ أى فى شك واضح جلى ، فكيف ينفعهم اليقين فى الآخرة وقد فارقوا دار التكليف ؟

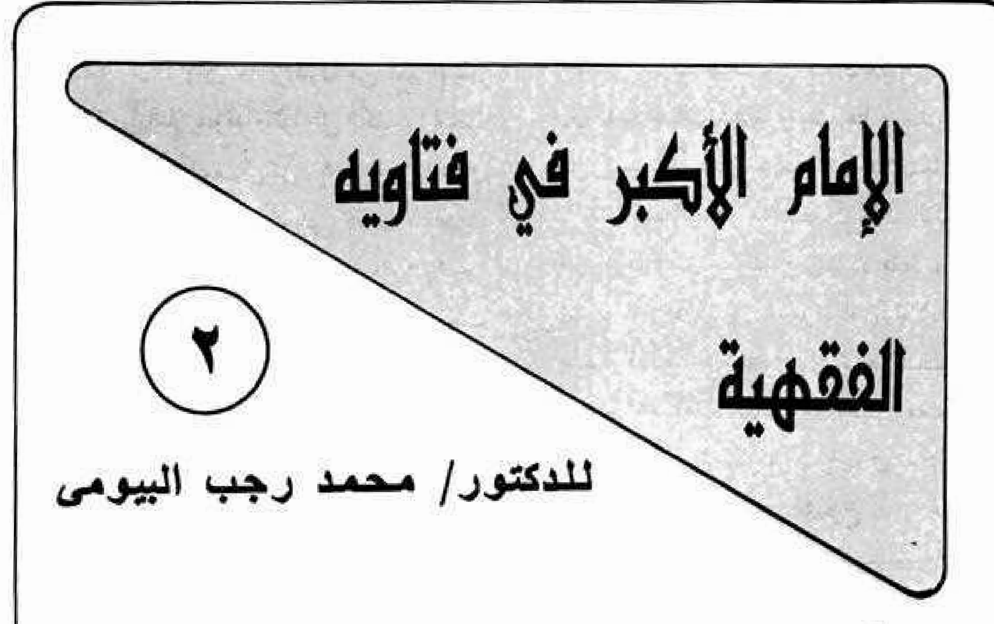
إن العاقل هو من نظر فى الدليل ، وتفكر فى البرهان ، وأذعن للحق ، وصدق الرسل .

والله أعلم ،،،،،،

رؤية لفضيلة أستاذنا الدكتور عفيفى عبد الفتاح رحمه الله ــ فى قوله تعالى ــ قل إنما اعظكم بواحدة ان تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة إن هو إلا نذير لكم بين يدى عذاب شديد وأثبت هنا ما علق بذهنى من كلمات أستاذى رحمه الله وخلاصتها :

أن أسلم التفكير وأحسنه أن يفكر الانسان فى « الأمر » الذى يعرض له بمفرده فقط ، أو مع إنسان آخر ، فيتناول الأمر ، أو يتناولانه بهدوء يشمله فهده الحالة تؤدى الى نتيجة سليمة ، أما التفكير الجماعى فغالبا ما يغيب معه وجه الصواب ، اذ قد يكون الصواب فى تفكير شاب فيستحى من عرضه على الشيوخ .. أو غير ذلك وأذكر أن استاذى ــ رحمه الله ــ بين أن ذلك النمط هو الذى دعا اليه علم النفس وبعد ، فلو أن كل قرشى من كفار مكة ابتعد بعقله عن تأثير زعامة قريش وردد فى نفسه تاريخ محمد ﷺ بينهم لانتهى الى حتمية صدقه وسلامة رسالته رحم الله شيخى وأجزل مثوبته .





# الإمام الأكبر في فتاويه الفقهية

## ٢

للدكتور/ محمد رجب البيومى

**قرأت قديما للدكتور أحمد أمين مقالا بالجزء الثالث من ( فيض الخاطر )[١] تحت عنوان ( مصدر تاريخى مهمل ) عرض فيه إلى تحليل كتاب فقهى تحت عنوان ( الفتاوى الحديثة ) لابن حجر الهيثمى المتوفى ٩٧٤هـ ، وقد قال الكاتب : إن أكثر كتب التاريخ ترتكز على الملوك والرؤساء ، أما الشعب نفسه فلسنا نعرف حالته إلا من ثنايا الكلام ومما يذكر عرضا ، فإذا كان هذا المصدر يعنى بشرح الحالة الاجتماعية للعصر فلاشك أنه يكون مصدرا لا يصح إغفاله ؛ تلك هى كتب الفتاوى فى الفقه وما أكثرها .**

ذكرت هذه المقالة حين طالعت هذه الأيام ما كتبه الإمام الأكبر جاد الحق على جاد الحق فى موسوعة فتاوية الجامعة ؛ إذ أنها لا تقف عند تصوير الحالة الاجتماعية فقط . تلك التى أشار إليها الدكتور أحمد أمين بل تشمل نواحى كثيرة من سياسية واقتصادية وتاريخية وغيرها ، ويزيد فى قيمتها ما ذكره الدكتور أحمد أمين من : أن مؤلف هذه الفتاوى الفقهية « عادة ما يكون من أكبر رجال عصره فقها وعلما ومركزا حتى تتجه إليه الأنظار بحكم مركزه العلمى أو منصبه الرسمى » وهذا ما ينطبق على الإمام الأكبر دون محاباه » .

وسأعرض إلى أمثلة من الفتاوى التى تشير إلى المناحى السالفة ، لترى كيف أرضت هذه الآراء الفقهية رغبات العصر وأنارت الطريق لذويه من ناحية ، وكيف صارت مصدرا تاريخيا يجب أن يرجع إليه من يتحدثون عن الأحوال العامة فى

---

١ ـ فيض الخاطر ج ٣ ص ٩٣ ط سنة ١٩٥٨ م

مصر بل فى أكثر بقاع العالم الاسلامى فى العصر الحديث ، وهكذا كانت فتاوى أئمة الإسلام فى مصر من أمثال « محمد عبده ومحمد بخيت المطيعى وعبد المجيد سليم ومحمود شلتوت » إذ كانوا مصدر إشعاع منير ، وقبلة الأنظار فى العالم الفسيح .

نختار – فى الناحية الاجتماعية – مثالا من فتوى الإمام الأكبر فى الإجهاض ، حيث أجاب عن سؤال سائل طبيب يذكر أن هناك عيوبا وراثية بعضها عيوب خطيرة لا تتلاءم مع الحياة العادية ، وقد أصبح من الممكن الآن اكتشاف هذه العيوب بطرق علمية صحيحة لا يتطرق إليها الشك قبل الولادة وأثناء فترة الحمل ، وهذه العيوب تعالج فى الخارج بالإجهاض ، ويريد السائل أن يعرف ما هو حكم الشرع الإسلامى فى هذه الحالات .

وقد أجاب الإمام الأكبر عن هذا السؤال إجابة مبسوطة شافية وافية ، فبدأ بالتعريف اللغوى لمادة الإجهاض ، وثنى بالتعريف الاصطلاحى عند الفقهاء ، ثم انتقل إلى حكم الإجهاض عند أئمة الفقه فى شتى مذاهبه ، فذكر فقهاء المذهب الحنفى وما اتجهوا اليه من إباحة إسقاط الحمل قبل أربعة أشهر وإن لم يأذن الزوج ، ولم ينس أن يذكر قول بعض فقهاء المذهب أنه يكره وإن لم يتخلق ، لأن الماء بعد وقوعه فى الرحم مآله الى الحياة .

وخلص إلى مذهب مالك فذكر أن فقهاءه يرون عدم الجواز لخروج المنى المتكون فى الرحم ، ولو قبل الأربعين ، وإذا نفخ فيه الروح حرم إجماعا ومعنى هذا أنه : ليس عند المالكية قول بإباحة إخراج الجنين قبل نفخ الروح فيه وبعده بالأولى ، كما نص ابن رشد على أن مالكا استحسن فى اسقاط الجنين الكفارة ولم يوجبها لتردده بين العمد والخطأ ، أما الشافعية فقد اختلف علماء المذهب فى التسبب فى إسقاط الحمل الذى لم تنفخ فيه الروح على قولين ، فقد قيل : لا يثبت له حكم السقط ، وقيل : له حرمته ولا يباح إفسادها ، أما فى حالة نفخ الروح فما بعدها فلا شك فى التحريم ، ولدى الحنابلة أنه يباح للمرأة إلقاء النطفة قبل أربعين يوما بدواء مباح ، وكذلك اتجه فقهاء المذهب الظاهرى فيما نقله الامام عن المحلى لابن حزم ، وفقهاء الزيدية والشيعة الإمامية والأباضية ، وبعد أن عرض هذه الآراء بادر بتلخيصها فى دقة ووضوح .

هذا عن الإجهاض قبل نفخ الروح ، أما بعد النفخ ومضى أربعة أشهر ، فقد ذكر الشيخ الأكبر ما يدل على أن فقهاء المذاهب جميعا يجمعون على أن إسقاط الجنين دون عذر بعد نفخ الروح فيه محظور وتجب فيه عقوبة جنائية ، وذكر فى الهامش أحد عشر مرجعا لأقوال فقهاء هذه المذاهب موقعة بالصفحة والجزء ، ليستطيع المعقب أن يرجع اليها دون عناء ، وهذه دقة تحمد وتستطاب ، وفصل فى القول بما لا يتحمله هذا البحث المركز ثم قال « أما إذا قامت ضرورة تحتم الإجهاض كما إذا كانت المرأة عسرة الولادة ، ورأى الأطباء المختصون أن بقاء الحمل فى بطنها ضار بها ، فعندئذ يجوز الإجهاض بل يجب ، إذا

توقف عليه حياة الأم عملا بقاعدة « ارتكاب توقفت عليه حياة الأم عملا بقاعدة ارتكاب أخف الضررين . وأهون الشرين » وهذا ما ارتاه الشيخ فى حكمه الختامى .

ثم انتقل الإمام الى نقطة أخرى هى الحديث عن حكم الإسلام فى وراثة الأمراض والصفات والطباع فقال إن هذه الوراثة مقطوعة بها . وكشف العلم عنها يؤكد قول الرسول ( تخيروا لنطفكم ) كما يشير إليها ما دار من حوار بين رسول الله ومن ذكر له أن امرأته جاءت بغلام أسود ، فقال له النبى ﷺ هل لك من إبل ، فقال نعم ، قال ما ألوانها قال حُمْر ، قال : فهل فيها من أوْرق قال نعم قال : أنىّ ترى ذلك ؟ فقال : أراه نزعة عرق فقال : فلعل هذا نزعة عرق !

ثم تابع ما يؤكد ثبوت الأثر الوراثى بأقوال للشوكانى فى نيل الأوطار . وللشافعى ولابن حجر الهيثمى ، وغيرهم ليتساءل بعد ذلك : هل يجوز الإجهاض بمعنى إسقاط الجنين اذا اكتشفت عيوبه الخطيرة التى لا تلائم الحياة العادية ؟ ولم يجزم بالجواب قبل أن يعرض فى امتداد رحب آراء الأئمة فى التعقيم وإجماعهم على حرمته إن لم تدع له الضرورة ، أما إذا دعت لوجود مرض عقلى أو جسدى أو نفسى عصى على العلاج ، فيجوز لمن تأكدت حالته المرضية بالطرق العلمية والتجريبية أن يلجأ إلى التطعيم الموقوت لدفع الضرر القائم فعلا المتيقن حدوثه إذا لم يتم التعقيم ، هكذا قرر الامام الأكبر مستندا إلى آراء كبار الفقهاء من أمثال : ابن عابدين فى حاشيته على الدر المختار والبيجرمى فى حاشيته على الخطيب والشبراملى فى نهاية المحتاج ، والرملى نقلا عن الزركشى والقرطبى فى كتابة الجامع لأحكام القرآن ، ويطول القول إذا تتبعنا ما جاء فى الفتوى من مصادر كانت ركيزة الحكم النهائى الذى قرره المفتى الأكبر بإشباع وامتاع .

ولعل القارىء على ذكر مما قلته من قبل عن الاتجاهين المختلفين فى إصدار الفتوى عند الإمام محمد عبده والشيخ عبد المجيد سليم حيث يعتمد الثانى على النصوص الفقهية ويعتمد الاول على الروح العام للتشريع لان ذلك يمثل فى هذه القضية وفى غيرها اتجاهين مختلفين للفقيهين الكبيرين الإمامين « محمود شلتوت وجاد الحق على جاد الحق » حيث تعرض الأول للإجابة عن حكم الإجهاض فحرر المراد [٢] فى صفحات ثلاث بعيدا عن النصوص الفقهية ومنتهيا الى الحكم بالإباحة قبل النفخ والتحريم بعده إلا لضرورة مؤكدة التقاء النظرتين الطبية والشرعية فى سبيل واحد ، ولست اعنى أن الامام الأكبر محمود شلتوت لم يعرف أكثر هذه النصوص فمكانته الفقهية أعرق من أن يحوم حولها حائم ، ولكنى فى مجال الاختيار أوثر الاتجاه المؤكد بالنصوص والنظر الشامل الى المحيط الفسيح فى التراث الفقهى ، لأن فى دراسة الآراء المتماثلة والمتعارضة معا لدى فقهاء الشريعة فى مذاهبهم المختلفة لذة نفسية يدركها أهل النظر

٢ ـ الفتاوى للإمام محمود شلتوت ـ الطبعة الرابعة عشرة ص ٢٨٩ وما بعدها ..

فوق جدواها الراسخة فى الإقناع والالزام .
ومن المسائل الاجتماعية الهامة التى دار حولها الجدل فى الصحف واندفع بعض من يتزيون بأزياء العلماء إلى القول المشتط دون دليل ؛ ما عرف بمسألة تنظيم النسل ، حيث كثر اللجاج فى الصحف وظهرت أسماء تدعى المعرفة بأصول علم الاجتماع وقواعد التربية ومسائل الاقتصاد لتقرر وجوب إصدار قانون يفرض التنظيم ، ولم يشأ الامام الأكبر أن يسكت عن هذا اللغو ؛ فقال فى فتواه الواضحة بعد أن عرض أقوال الأثبات من الفقهاء كدأبه فيما يصدر من تحقيق ، قال : إن هذا الذى قرره الفقهاء من جواز تنظيم النسل بمنع الحمل فترة مؤقتة أخذا من جواز العزل ، إنما أباحوه بشرط موافقة الزوجين فلا ينفرد أحدهما مستبدا بالرأى ، وإذا كان هذا هو الأساس فإن القانون لا يصلح أداة فى هذا الوضع لأن الإرادة لا يتحكم فيها القانون . إذ أن لكل فرد ظروفه التى يقدرها وعليه أن يحسن التقدير

ثم انتقل إلى مسألة التعقيم لمنع الحمل فقال : يحرم التعقيم لأى واحد من الزوجين أو كليهما إذا كان يترتب عليه عدم الصلاحية للانجاب مستقبلا سواء كان التعقيم القاطع للانجاب بدواء أو جراحة إلا إذا كان الزوجان أو أحدهما مصابا بمرض موروث أو ينتقل بالوراثة مضرا بالأمة حيث ينتقل بالعدوى وتصبح ذريتهما مريضة لا يستفاد بها . بل تكون ثقلا على المجتمع سيما بعد أن تقدم العلم وثبت انتقال بعض الأمراض بالوراثة ، فمتى تأكد ذلك جاز تعقيم المريض بل يجب دفعا للضرر .[٣]

ونكتفى فى الفتاوى الاجتماعية بهذين الشاهدين لنلم بما يمثل المنحى السياسى فنقول ان سيطرة بعض ما يسمونه بالعلمانيين على منافذ الصحافة الجهيرة من يومية وأسبوعيه لم تتح الفرصة للإمام الأكبر أن يظهر كل ما يقرره فقد يصدر المقال العلمى أو البحث الفقهى أو الحديث التاريخى لمناسبة دينية فيجد من يبتره بترا ؛ بل من يحاول أن يشوهه تشويها مقصودا لإخفاء ما يراه منافيا لأهوائه ، ومن العجب أن الجرائد التى تملأ ثلاث صحف يومية بأخبار الرياضة ، وصحيفة وصحيفتين لأخبار الفن تضيق بحديث الإمام فتوجزه فى عمود يظهر فى مرأى عمودين لتخدع القارىء ، لذلك لا يعلم الجمهور — أو لا يكاد — يعلم شيئا من آراء الإمام فيما يدور من الأحداث بل يجد المهاجمة الحادة من صحف تدعى أنها تحمل راية ( التنوير ) باطلا دون حق ، لأن التنوير فى صميمه رجوع إلى نور الاسلام الذى قال الله عنه فى كتابه : ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَـٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾ (٤) .

**هذا هو النور الحقيقى ومنه يشتق التنوير فى مفهومه الإيمانى الصريح وماذا بعد الحق إلا الضلال ..**

**ونكتفى بمثالين — فى الاتجاه السياسى — مما**

---

٣ — الفتاوى الإسلامية ( إدارة الإفتاء ) المجلد التاسع ص ٣٠٩٠ ، ٣٠٩١ .

٤ — سورة المائدة

كتبه الفقيه الإمام لا باعتباره مفتيا بل باعتباره فقيها كبيرا يتحدث عن معاضل العصر وموبقاته فقد قال كلمته المصنفة عن التطرف الدينى وأبعاده سياسيا وأمنيا واجتماعيا . فكان العالم المتزن والفقيه الدقيق ذا البصر المحد إلى شتى الزوايا والمنعرجات فقد أرجع سموم التطرف إلى الثقافة الوافدة التى نكتفى بشرها فى ميدان اللغو الزائف . ونجانب خيرها فى دنيا الاكتشاف العلمى والتوثب الصناعى ، فمهد لحديثه بكلمة عن سياسة الغرب فى تعامله مع الشعوب النامية وقال فى صراحة(٥) : لقد نادى الغربيون بحقوق الإنسان وحقوق الفـــرد والحريـــة ووضعوها فى مصطلحات معلنة هى حرية التمتع بالحياة وحرية الملكية وحرية الفكر والاجتماع وحرية القول والعقيدة ، وجرى التصور لدى البعض بأن الغرب مقتنع بهذه الشعارات ولكن الواقع العملى شاهد على أن الغرب يحتفظ لنفسه بحق السيادة والتوعية للشعوب الأخرى فى أفريقيا وآسيا وحرمانهما من حريتهما فى تصريف شئونها ثم قال الإمام الأكبر ما ملخصه : إن مصر قد تعرضت لتيارين مختلفين تيار يدعو إلى التجديد فى كل شىء بحيث تحذو حذو الغرب فى الثقافة والأدب والاجتماع والرأى الدينى أيضا ، وتيار متشبث بقيم المجتمع وتقاليده وآدابه وقد انتصر الاتجاه الأول وبدأ التغيير فى مصر فى كثير من المجالات الثقافية والدينية والاجتماعية فانزوت الشخصية الإسلامية العربية فى الثقافة والتعليم ، وصار للمتغربين اليد الطولى فى التخطيط والتنظيم ثم كانت التغييرات الواسعة فى مجالات الأسرة والتعليم والثقافة والتربية والقضاء والتعليم الدينى : لقد تواكبت هذه العوامل وتشابكت وانتجت شعورا بعدم الرضا المكتوم فى الصدور لدى قطاعات كبيرة من الناس ومما زاد من حدة الأمر أن هذه القطاعات لم تكن لتجد الفرصة للتعبير عن رأيها فيما تراه من المتناقضات وما تريده من إصلاح ، وعلى الجانب الآخر فإن فئات أخرى مُكنت من زمام الإعلام والفن وأخذت تعمل على تغير الفكر الاجتماعى والتقاليد المصرية بما لا يتفق أحيانا مع عقيدة هذا المجتمع ، مما اوقع المواطن فى حيرة بين ما يؤمن به وبين ما يعيشه كرها ، ثم نشبت فى العشرين سنة الأخير ظاهرة التحلل الأخلاق بين الشباب ولم تلتفت اليها — مع ظهورها — الأجهزة المعنية ولم تنهض لمكافحتها إلى أن دون طلقات التطرف .

ثم قال الامام بعد أن حدد تيارين متقابلين تيار الغلو فى الدين ، وتيار التحلل من الدين ومن القيم الأخلاقية ما ملخصه : لابد من مواجهـــة الظاهرتين معا فلابد من كشف المفهوم الصحيح للتدين حتى يكون هذا المفهوم فى صفائه ونقائه مصدر جذب لكلا التيارين ومصححا لمسيرتهما فى الحياة ! لقد استشرى الانحلال بين قطاعات كبيرة من الشباب ، وفقدت الأسرة سيطرتها وانعدم دور المجتمع والمدرسة . وزاد الأمر حد ما تمارسه بعض وسائل الإعلام وما ترسخه من قيم

٥ — التطرف الدينى وأبعاده للإمام الاكبر ( ملحق مجلة الازهر . ص ٨ وما بعدها .

غريبة عن المجتمع لا سيما الأفلام والشرائط التى يُساء اختيارهـا وتقـدم عن طريـق السينما والتليفزيون ، ولم تعُدْ الصحافة كذلك تلتفت إلى أمانة الكلمة ولكن تلتفت إلى الخبيث من المثل ، وقد أفرغت الحرية من مفهومها الصحيح حتى صارت الدعوة إلى الفساد حرية ، وصار الطعن فى الإسلام وصلاحيته حريـة ، ثم صارت المسارعة إلى توزيع الاتهامات على الناس أسبق من نتائج التحقيق التى تقوم بها الجهات المختلفة : هذه الجولة بين آفاق التطرف والارهاب أوضحت أنه لا ينبغى التركيز على ما يسمى بالتطرف الدينى فحسب وإنما يلزم دراسة التطرف الفكرى بوجه عام !

هذا منطق الحق ، صدع به الرجل عن دراسة مطمئنة ، ووعى بما يختلط فى المجتمع من تيارات أظهرها صوتا ما تقذف به الصحف وأدوات الاعلام من جرائم ذات إبادة واستئصال .

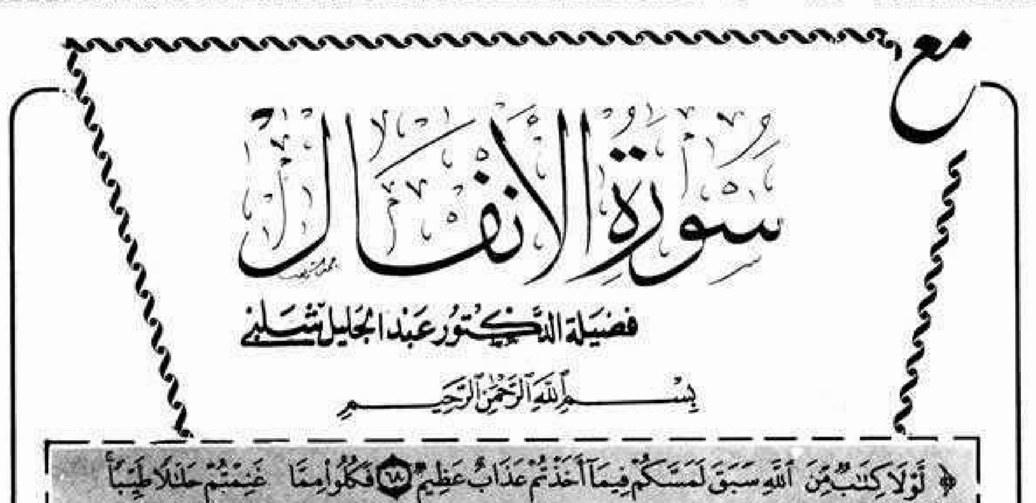
ولم يقصر الإمام نظره السياسى على مصر وحدها بل كان له رأيه المسموع فى أحداث الدول الإسلامية على اختلاف أقطارها وقد كان صوته أجهر المبطلين لمن يدعون إلى تدويل إدارة الحرمين الشريفين فبعد أن مهد بحديث[6] شاف عن قدسية الحرمين الشريفين فى التراث والسنة والفقه الإسلامى تحدث عن سدائن البيت الحرام كما فصلت حديثها كتب التفسير والحديث والسير والتاريخ منتقلا إلى لباب الموضوع وهو ما يشاع عن التدويل فذكر أن فكرة التدويل فكرة حديثه فى مفهوم الفقه القانونى الدولى وهى نظام استثنائى ابتدعته الدول الكبرى وفشل تطبيقه عمليا . وقد اتخذت الجمعية العامة للأمم المتحدة توصية بتدويل منطقة القدس وكان تعقيب فقهاء القانون عليها لأنها لا تستند الى أساس قانونى ، فليس لهذا التنادى بالتدويل — على ضآلة المنادين به — من سبب ولا سند فى الإسلام .

ثم تحدث عن مكانة الحرمين كما تقررت فى كتب المذاهب ، وخص كتب الامامية بالاستشهاد ليرد على من أثاروا الشغب من الإماميين فى المسجد الحرام ، يرد عليهم من كتبهم المعتبرة لديهم وهو اتجاه يقطع عليهم سبيل اللجاج كما هو صريح فى تحريم المسيرات السياسية ذات الشغب فى موسم الحج . إذ لا جدال فى الحج بنص القرآن الكريم .

وفى مجموعة الفتاوى للإمام الأكبر فتاوى سياسية أخرى عن الفريضة الغائبة ، وأحداث الزاوية الحمراء ، ومعاهدة الصلح بين مصر واسرائيل ، وكلها ذات منطق أصولى واضح وذات استشهاد قوى بالنصوص الصريحة لأئمة التشريع فى مختلف المذاهب الفقهية ، مما يؤكد ان إمام المسلمين يعيش فى مواجهة الأحداث بعين الراصد المترقب ، وأنا أعرف جيدا أن كثيرا من آرائه التى دونها فى حقيبتى الإفتاء ومشيخة الأزهر الشريف لم يتح لها الذيوع على النحو المنتظر ، لأن أكثر المسيطرين على أدوات الإعلام يعتنقون ما يخالف الرأى الاسلامى وهى ظلمة نرجو أن يبددها الضياء عن قريب .

---

٦ — قداسة الحرمين الشريفين للإمام الأكبر ( ملحق مجلة الأزهر ) شعبان سنة ١٤٠٨ هـ ص ٣ وما بعدها .




﴿ لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٦٨) فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٦٩) ﴾

ما هذا الكتاب الذى سبق من الله ـ سبحانه وتعالى ـ

يورد المفسرون فى تبيينه أقوالاً متعددة ويطول بنا القول لو ذهبنا نستعرضها وننظر فى كل واحد منها . وقد اختار الشيخ « رشيد رضا » وفاقاً لما ذهب إليه « ابن جرير الطبرى » جواز إرادة كل ما يحتمله اللفظ من المعانى التى جاء ذكرها ، وهو رأى حسن ، والآية لم تدل صراحة على أى رأى ، ويكفى أن نستعرض بعضا منها ، وقد استعرض « الفخر الرازى » أربعة آراء .. أورد على كل منها اعتراضاً ، وبعض اعتراضاته غير وارد ولا يحسن الوقوف لديه ، وأمهات الكتب التفسيرية ارتضت ما اعترض عليه .

ومن اعتراضاته التعسفية « لولا كتاب من الله سبق بحل الغنائم للمسلمين » ثم اعترض عليه بأنه إذا كان الحل واقعاً فلا وجه لنزول العذاب على شىء مباح وإن كان لم يقع كان فعل النبى وأصحابه الذين قبلوا الفدية حراماً .

ورأى آخر ذكره ، هو أن المراد بالكتاب الذى سبق أن الله لا يعذب على شىء إلا بعد النهى عنه ، ولم يسبق نهى عن الغنائم ، ثم تساءل هل وجد دليل عقلى يقتضى الحرمة أم لا ، واعترض على كلتا الحالتين .. والواقع أن الدليل العقلى لا يوجب تحريما ولا يترتب عليه عذاب ، والله تعالى يقول : ﴿ **وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا** ﴾ ولم يشأ « الفخر الرازى » أن يعرض هنا للخلاف المعروف عند المتكلمين من أهل السنة والمعتزلة ، ورأيه هنا ـ كما هو واضح ـ غير جيد .

والقول الثالث أنه قد سبق حكم الله ألا يعذب أحداً ممن شهد بدراً مع النبى ﷺ وقال : إن هذا مشكل أيضا ، لأنه يقتضى رفع التكاليف عن آل بدر ، فيحل لهم المعاصى وكبائر الذنوب . وهو ناظر فى هذا إلى قصة « حاطب » ـ رضى الله عنه ـ ومحاولة إبلاغ مشركى مكة بقدوم النبى ﷺ والمسلمين لفتح مكة ، وقد أراد عمر قتله فقال له رسول الله ﷺ ومايدريك ، لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم ، وهو فهم غير جيد للحديث ،

فهو مجرد تمثيل وتصوير لقبول الله — سبحانه — لهؤلاء المجاهدين البدريين وأن مغفرته شاملة واسعة لهم ، ولا يعنى أصلا إباحة المحرمات لهم ، وقال كثيرون : إنه قول لتشريف هؤلاء القوم وتكريمهم ، ولا يعنى بحال أنه أمر بإباحة المحرمات ، وجاء أن واحداً من البدريين شرب الخمر فحده عمر .

وأورد أيضا أنه يعنى أن الله كتب أنه من أتى ذنباً بجهالة فإنه لا يؤاخذه عليه إذا تاب وأصلح .

وهذا القول ليس بجيد ، فقد سجّل أن أخذهم الفداء من الأسرى كان ذنبا . وكيف يكون ذنباً ولم يأت نهى عنه ؟ ثم كيف يرتكب النبى ذنباً وهو المعصوم — وهو ﷺ إذا اجتهد فأخطأ رده الوحى عن الخطأ قبل الوقوع فيه .

وقيل أيضاً : لولا كتاب من الله سبق فى الأزل بالعفو عن هذه الواقعة ، وهذا ماتوحى به الآية : « كتب ربكم على نفسه الرحمة » والحديث القدسى : « سبقت رحمتى غضبى » وأورد « الفخر الرازى » هنا رأى المعتزلة من أنه : لا عفو عن الكبائر ، ولكن من احترز عنها صارت كبائره صغائر معفواً عنها ، ويكون المعنى حينئذ : لولا كتاب من الله سبق فى أن من احترز عن الكبائر غفرت له .

وهل كان قبول الفدية من كبائر الذنوب وارتكبها رسول الله ﷺ وصحبه ؟ ثم إن هذا حكم لجميع المسلمين ، وأهل بدر لهم ميزتهم على المسلمين الآخرين فهم سبقوا إلى الإسلام ، وانقادوا لأوامر الرسول ، وأقدموا على القتال مع قلة عددهم ونقص عددهم ، فهم مع هذا العمل الجليل اذا صدر منهم ذنب ، أو أفلتت منهم خطأة خليقون أن يسامحوا فيها ، وهذا ماتتجه إليه النفس وتكريمهم فى هذا ظاهر .

وإذ رأينا هذه الأقوال فى معنى الكتاب وما يراد منه ، فأين سبق هذا الكتاب ؟ سبق فى علمه الأزلى ، أو فى أم الكتاب واللوح المحفوظ أو فى القرآن من أن الله لا يعذبهم والرسول بينهم — كما قال تعالى : « وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم » .

وأيا من هذه الأقوال اخترنا ؛ نجد المعنى واضحا فى ظهور رحمة الله — تعالى — وعفوه .

وكما جاء عن ابن عباس ان المسلمين كانوا يومئذ قلة ، وكان أعداؤهم كثرة فكان جديراً بهم أن يُذهبوا أعداءهم ويقللوا عددهم ، فلما كثروا واشتدوا ؛ خيرهم الله بين المن والفداء — فقال سبحانه — ﴿ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً ﴾ سورة محمد — ٤

وقد كان عمر على طبيعته الثائرة لا يمر بأسير إلا ضرب عنقه حتى منعه رسول الله ﷺ فقال سعد بن معاذ الأنصارى : يا رسول ، كان الإثخان فى القتل أحب إلى من استبقاء الرجال ، واستنكر بعض الصحابة رأى أبى بكر فى قبول الفداء ، فقال : أرادوا قتل رسول الله ﷺ وهدم الإسلام ويأمر أبو بكر بالفداء .

ويبدو أن الصحابة يومئذ كانوا فى اضطراب واختلاف آراء ، فبينما نجد عمر يقول : أرى أن تمكننا فنضرب أعناقهم ، فتمكن علياً من عقيل « ابن ابى طالب آخى على » فيضرب عنقه وتمكننى من فلان — لنسيب له — فأضرب عنقه ، وتمكن فلاناً من فلان قرابته ، فإن هؤلاء صناديد الكفر وأئمته ، بينما نرى ذلك ، نجد قائلاً آخر يقول : لو كان فى الأسرى أبو عمر أو أخوه ما أمر بقتلهم . وقد قال عمر : يارسول الله

مالنا وللغنائم نحن قوم نجاهد فى دين الله حتى يعبد الله .

وغدا عمر على رسول الله ﷺ وأبى بكر فاذا هما يبكيان فسألهما عما يبكيهما وقال : إن وجدت مايُبكى بكيت وإلا تباكيت ، فقال رسول الله ﷺ : لو عذبنا فى هذا الأمر ياعمر مانجا غيرك ، قال الله : لاتعودوا تستحلون قبل أن أحل لكم .

وفى رواية أخرى لما نزلت آية ﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ .. ﴾ قال رسول الله ﷺ : لو نزل عذاب من السماء لم ينج إلا سعد ابن معاذ .. وذلك لقوله كان « الإثخان فى القتل أحب إلى من استبقاء الرجال » .

ولا مانع من تكرار هذه المقالة ، ففى رواية أخرى : إن كاد ليمسنا فى خلاف ابن الخطاب عذاب عظم ، ولو نزل العذاب ما أفلت إلا عمر .

ولا مانع من تكرار الحديث فى هذا الموقف وإن الأحاديث التى جاءت فى هذه الموقعة مع اختلاف ألفاظها كلها صحيحة .

وهناك أقوال أخرى ولا أرى داعياً لاستعراض كل ما قيل ، ومنها أن كتاباً من الله سبق بحل الغنائم للمسلمين ، وقبل ذلك كانت تجمع حتى تنزل من السماء فتحرقها ولكن الله ـــ سبحانة أحلها لمحمد ﷺ وأمته خاصة ، ولست استريح لهذا ولكن حل الغنائم من خواص هذه الأمة ، والأمر هنا ليس هو الغنائم ، ولكنه الفداء ، والفداء كان موجوداً فى الجاهلية .

والآية السابقة ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ .. ﴾ واضحة فى أن المسلمين فى أول أمرهم ـ وهم قلة مستضعفون ـ كان لابد لهم من الإثخان فى القتل إرهاباً لعدوهم وتمكينا لأنفسهم ، وذلك خير لهم من عرض الدنيا وهو مال الافتداء .

وبينت الآية التالية أن مخالفتهم سنة الله وأخذهم الفداء من غير إذن من الله لهم فى ذلك ، ومخالفتهم هدى الأنبياء لا يقتضى تحريم الفدية التى أخذوها بل أباحها الله ـــ تعالى ـــ لهم وجعلها كالغنائم والأنفال التى سبق إحلالها فى هذه السورة ـــ فحيث سبق كتاب من الله أنه لا يعذبهم فيما أخذوا فهو حلال لا خبث فيه فليس كالميتة والدم ولحم الخنزير مما هو رجس وخبث فى نفسه ، لا يؤكل إلا عند الضرورة .

وختمت الآيات الثلاث بالأمر بتقوى الله ـ سبحانه وتعالى : ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ فهذا أمر بأخذ الوقاية من عذاب الله وذلك بطاعة فى كل ما أمر به ، والانتهاء عن كل ما نهى عنه ـــ فهو سبحانه يغفر للذين يعملون بجهالة ثم يتوبون من قريب فيسامحهم فيما ارتكبوا وذلك بفضل رحمته لا يصر على عقوبتهم .

والذى يقتضيه المقام أن الإثخان كان أحوط وأضمن نتيجة ، والمسلمون مع إيثارهم أو إيثار جمهورهم الفدية وأخذها لم يضعفوا ولم يقو أعداؤهم عليهم ؛ بل ظل تيار الإسلام يقوى ويشتد وكانت بدر فاتحة انتصارات توالت حتى شمل الإسلام الجزيرة العربية ، ولكنهم خالفوا المنهج الأمثل ، وطاعة النبى ﷺ إلى إراقة الدماء وإزهاق الأرواح ، ومن هؤلاء الأسرى من أسلم بعد وكان له أعمال مفيدة نافعة للإسلام والمسلمين .

# التعريف بشيء مما جاءت به سورة النور

بقلم الأستاذ الدكتور/حسن اليك *

الحمد لله الذى هدانا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله وأصلى وأسلم على خاتم الأنبياء والمرسلين الذى جاء متمما لمكارم الأخلاق وعلى آله وأصحابه من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان الى يوم الدين .

وبعد فإن الشريعة الاسلامية بما اشتملت عليه من عقائد وعبادات وآداب وتشريعات قد بين الله فيها للناس بما نزل إليهم ما يصلح من شأنهم ويقوم معوجهم ويرفع ذكرهم إن هم اهتدوا بهديها ونهلوا من ينابيعها .. فالحق ما كان مرافقا لما أنزل الله والباطل باطل فى الحيدة عن شريعة الله والإعراض عن سنة رسول الله ﷺ .

وإن مما جاء به الاسلام وطبقه الرسول ــ عليه الصلاة والسلام ــ وصحبه الكرام ــ رضى الله تعالى عنهم ــ الآداب والأخلاق الإسلامية ، إذ أن هذه الأخلاق وهذه الآداب قد جاءت متناسقة فى سورة من سور القرآن الكريم ألا وهى « سورة النور » وهى سورة مدنية ، وبالاستقراء والتتبع نجد أنها مستوعبة للكثير من الأدوية الصالحة ، لأن تعالج بها الأسر والمجتمعات .

وبعد الفهم السليم لهذه السورة وقراءة المراجع حول ما كتب عنها ، أخذت أوازن بين ما يقال عن الإسلام وبين ما أعرفه عن حيوية هذا الدين ، فوجدت أن هذه السورة بما اشتملت عليه من وصايا أخلاقية اجتماعية تؤكد لنا أن الإسلام دين حيوى صالح لكل زمان ومكان . ولقد وجدت أن هذه السورة لو طبقت فى العالم الإسلامى اليوم لجعلت من أمته ــ كما جعلت من الصحابة ــ خير أمة أخرجت للناس .

ثم وجدت كذلك من خلال هذه السورة أن الإسلام لم يترك مشكلة صغيرة ولا كبيرة إلا وقد وضع لها الحل الصحيح السليم ، فهو يدخل فى

* الكاتب : أستاذ بجامعة مرمرة ــ كلية الالهيات ــ استنبول .

العلاقة بين الابن وأبيه ، وبين الخادم ومخدومه ، وبين الزوج وزوجته ، وبين الأفراد بعضهم مع بعض وبين الأفراد والمجتمع .

ومن خلال تكرارى لقراءتها عجبت للبدايات التى بدئت بها سورة « النور » :

﴿ سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ﴾ النور ـــ ١ .

فقلت : لماذا هذا التخصيص ؟ ألم يكن القرآن مؤلفا من سورة .. منزلة .. مفروضة .. فيها آيات بينات ؟؟! وأخيرا وجدت الجواب لهذا السؤال :

سورة : ما هو إلا تعظيم لشأنها حتى ينبه القارىء من أول وهلة إلى عظم هذه السورة .

وقوله : أنزلناها ، جملة تحمل الضمير « نا » إشارة الى أن منزل هذه الآيات الحكيم القوى بيده نفوسكم ومقاديركم .

وقوله : فرضناها : أى : أن هذه السورة بما احتوت من آداب وتعليمات ، وأحكام فى الحلال والحرام والأمر والنهى ، ليست بمثابة التوصيات ، حتى تكونوا بخيار من ممارسة مضمونها أو عدم ممارسته حسب مرضاتكم ؛ بل إنها أحكام قاطعة لابد لكم أن تتبعوها وتكيفوا شئون حياتكم الفردية والاجتماعية على حسبها .

يقول الأستاذ المودودى : « فهذه الجمل الثلاث كأنها مقدمة لمرسوم ملكى فيها التنبيه على مدى اهتمام الرب ـ تعالى ـ بما جاء فى سورة النور من الأحكام والآداب » . (١) .

المراد من السورة : إذا رجعنا إلى المراجع الأصلية فى علوم القرآن نجد تعريف السورة كالتالى : « حد السورة قرآن يشتمل على آى ذوات فاتحة وخاتمة وأقلها ثلاث آيات (٢) .

ويمكن تعريفها أيضا بأنها : « طائفة مستقلة من آيات القرآن ذات مطلع ومقطع . (٣) .

والتعريفان متقاربان فى المعنى ولا تعارض بينهما ، ولذا يمكن جمعهما فى تعريف واحد هو : أن السورة عبار عن : طائفة من آيات القرآن الكريم أقلها ثلاث آيات ذوات فاتحة وخاتمة .

سبب التسمية بالنور :

من المعلوم أن كل سورة تخصص بأشهر ماذكر فيها ، ومن هنا خصصت سورة النور بلفظ « النور » أخذا من قوله تعالى :

﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ . (٤) .

وقد ذكر فيها النور متصلا بذات الله كما فى الآية السابقة : وذكر فيها النور بآثاره ومظاهره فى القلوب والأرواح ، ممثلة هذه الآثار فى الآداب والأخلاق التى يقوم عليها بناء هذه السورة وهى

---

١ ـ تفسير سورة النور : ٣١ ـــ ٣٢ .

٢ ـ البرهان فى علوم القرآن للزركشى : ١/٢٦٤ .

٣ ـ مناهل العرفان للزرقانى : ١/٣٥٠ : الاتقان فى علوم القرآن للسيوطى : ١/٥٢ .

٤ ـ النور : ٣٥ .

٥ ـ فى ظلال القرآن : ٤/٢٤٨٥ ـــ ٢٤٨٦ .

آداب وأخلاق نفسية وعائلية واجتماعية تنير القلوب والحياة ، وتربطها بذلك النور الكونى الشامل ..... نور فى الأرواح ، وإشراق فى القلوب ، ويقظة فى الضمائر .

هذا سبب ، وهناك سبب آخر يقول فيه أحد الباحثين بعد أن عرض السبب المذكور آنفا : أن آياتها كشفت ظلاما كثيفا كان قد انعقد فى سماء المسلمين قبل أن تنزل هذه السورة ، وتنزل معها هذه الآيات ، ذلك أن السيدة عائشة ــ رضى الله عنها ــ كانت فى تلك الفترة ، التى سبقت نزول السورة موضع اتهام على ألسنة المشركين والمنافقين ، وقد تأذى رسول الله ﷺ بهذا الحديث المفترى ، كما أوذيت زوج الرسول الصديقة بنت الصديق أم المؤمنين عائشة ــ رضى الله عنها ــ وأوذى المسلمون بسبب هذا الذى حام حول بيت النبوة من غبار تلك التهمة المفتراه .

فلما نزلت الآيات مبرئه الصديقة أم المؤمنين انقشع هذا الظلام وكشف النور السماوى عن طبيعة المنافقين المفترين (٦) .

ويبدو لنا أن لا تنافى بين الرأيين السابقين ما دام الكل يصب فى معين واحد ، ويتجه وجهة واحدة فلئن كان السبب حادثة الافك فإن السورة تضمنت آداباً ونظما تملأ القلوب بالنور ، وتشرق على الحياة بالخير والسعادة ، ولئن كان السبب ما فى السورة من نور حسى ومعنوى ، فإنها مشتملة على النور الذى أظهر الحقيقة فى شأن عائشة ــ رضى الله عنها ــ وفى الحياة الإسلامية .

لا شك أن ترتيب السور فى القرآن الكريم جاء مترابطا متعانقا ، فلا يمكن لأحد مهما بلغ الحكمة أن يقول : هذه السورة أو تلك قد وضعت فى غير موضعها .. فالترتيب جاء وفق ما تقتضيه الحكمة لوجود المناسبات والأدلة التى لا يمكن لغير جاحد أو مكابر إنكارها .

ومن هنا كانت علاقة سورة النور بما قبلها قوية ومتينة ؛ لأمور تعرض لبعضها بما تقتضيه الحاجة ، وأهمها :

( ا ) أنه سبحانه وتعالى قال فى سورة ( المؤمنين ) :

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ .(٧) .

ثم ذكر فى سورة النور جزاء من لم يحفظ فرجه ــ من الزانية والزانى ــ وما اتصل بذلك بشأن القذف وقصة الافك والأمر بغض البصر . (٨) .

(ب) أنه ــ تعالى ــ حين بين فى السورة السابقة أنه لم يخلق الخلق للعبث ، بل للأمر والنهى ، ذكر ــ جل وعلا ــ فى سورة النور بعض الأوامر والنواهى التى كلف بها العباد . (٩) .

---

٦ ــ التفسير القرآنى للقرآن : ١١٩٩/١٨ .
٧ ــ المؤمنون : ٥ .
٨ ــ روح المعانى للالوسى : ٧٤/١٨ .
٩ ــ روح المعانى للالوسى : ٧٤/١٨ .

يقول الامام السيوطى : أقول : وجه اتصالها بسورة ( قد افلح ) أنه لما قال : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴾ (١٠) ذكر فى هذه أحكام من لم يحفظ فرجه من الزانية والزانى ، وما اتصل بذلك فى شأن القذف وقصة الافك والأمر بغض البصر ، وأمر فيها بالنكاح حفظاً للفروج ، وأمر من لم يقدر على النكاح بالاستعفاف ، وحفظ فرجه ، ونهى عن إكراه الفتيات على الزنا ، ولا ارتباط أحسن من هذا الارتباط ولا تناسق أبدع من هذا التنسيق . (١١) .

(جـ) وقد اختتم سبحانه وتعالى السورة السابقة بقوله :

﴿ وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴾ . (١٢)

ومن أسرار هذا الختام للسورة بهذه الآية الكريمة انها جاءت تحمل الرحمة والمغفرة وبين يديها هذه الأحكام وتلك الحدود التى جاءت بها « سورة النور » التى تلى هذه الآية مباشرة ، كأنها تبشر بالرحمة والمغفرة ، أولئك الذين تغلبهم أنفسهم ، وتستعلى عليهم أهواؤهم فيخرجون عن حدود الله ويواقعون الإثم والمنكر . (١٣) .

ومن المسلم به لدى أهل العلم أن القرآن المدنى يتناول ــ بالتفصيل والبيان ــ الأحكام التشريعية ، كما اهتم بشؤون التشريع ، والتوجيه والأخلاق ، أعتناء بالقضايا العامة والخاصة التى من طبيعتها تهذيب الفرد والجماعة ترغيبا وترهيبا .

وقد اشتملت الشريعة الإسلامية على التعاليم العديدة التى تكفل صيانة المجتمع من الانحراف والخفاء . وتعتبر سورة النور مثلا تطبيقيا لروح الشريعة وهدفها ، وخاصة فى مجال الاصلاح الاجتماعى .

فهذه السورة قد احتوت على أحكام عامة منها :(١٤) .

١ ــ ما يتعلق بتنظيم العلاقات بين أفراد الأسرة فى ظلال الإسلام ؛ اذ هى النواة الأولى للمجتمع الأكبر وبصلاحها يصلح هذا المجتمع .

٢ ــ كما أنها تضمنت الآداب الاجتماعية التى ينبغى أن يلتزم بها المؤمنون فى حياتهم العامة ، كالاستئذان ، وغض البصر ، وحفظ الفرج ، وحرمة الاختلاط ، وما يجب على الأسرة والبيت المسلم من العفاف والستر والطهارة والنقاء صيانة للمجتمع وحفاظا عليه من عوامل التمزق والانهيار .

٣ ــ وتكلمت السورة أيضا عن حد القذف صيانة للأعراض من العدوان وحفظا من شيوع الفاحشة فى أعراض الناس كما شرع اللعان بين الزوجين ، وحكمة مشروعية كل منها تطهير المجتمع الاسلامى من الفساد والفوضى واختلاط

١٠ ــ المؤمنون : ٥ .
١١ ــ أسرار ترتيب القرآن للسيوطى : ص ١١٨ ــ ١١٩ .
١٢ ــ المؤمنون : ١١٨ .
١٣ ــ تفسير القرآن للقرآن : ١١٩٦/١٨ . بتصرف .

١٤ ــ تفسير ابن كثير : ٥٨١/٣ باختصار الصابونى تفسير ابو السعود : ١٥٥/٦ .
وقال ابن الجوزى : مدنية كلها باجماعهم . زاد المسير : ٣/٦ .

الأنساب ، والتحلل الخلقى .

٤ ـ وعرضت السورة لحادثة الافك وأبدت شناعتها وقبحها بما استهدفه المنافقون من صاحب الرسالة العظمى ، حيث طعنوه فى عرضه وبيته المصون ، مشنعين على الصديقة بنت الصديق وما كان ليقع مثل ذلك فى بيت النبوة التقى الطاهر ، ولكن الأشرار قد قصدوا بذلك أن يضربوا رسول الله ﷺ فى شرفه بعد أن عجزوا عن ضربه فى رسالته وجنده .

وجاءت هذه الحادثة مفصلة لتشير إلى مجموعة التعاليم ليستفيد منها أولو الألباب .. وجعل هذا درسا للأجيال وعبرة للخلق أن يتطاولوا على بيت النبوة قال ــ تعالى :

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ .(١٥)

وتسير الآيات فى فلك البيان والتوضيح بعقوبة من يحب إشاعة السوء بين المؤمنين وقررت السورة قاعدة أساسية للروابط الاجتماعية فى المجتمع الاسلامى وهى : أن يظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا . فكل فرد من أفراد المجتمع المسلم برىء حتى تثبت إدانته .

ثم تتراوح تلك الآيات فى التحدث عن تلك التهمة الشنيعة فتقرر مبدأ أصيلا يتوخاه أولو النهى هو مبدأ المنطق السليم والعقل الحصيف .

لأن كل إلف يلوذ بألفه .

والطيور على أشكالها تقع .

فالطيب للطيب والخبيث للخبيث . وأن الطيب لا يناسبه إلا الطيب ، والخبيث لا يناسبه إلا الخبيث .

ثم تعقب ذلك ببراءة أم المؤمنين عائشة ــ رضى الله عنها ــ وتبقى تلك البراءة وحيا يتلى ، وقرآنا يتعبد بقراءته ويتقرب به الى الله ــ تعالى .

﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (١٦) .

هذا هو الشرف والفخار الذى كفله الله لأمهات المؤمنين الطاهرات الطيبات على مرأى ومسمع من الزمان .

٥ ـ ثم تتتابع الآيات الكريمة متحدثة عن آداب دخول البيوت كالاستئذان والسلام على أهلها ، وعدم اقتحام البيوت عليهم قبل الإذن بالدخول إليهم ؛ صونا للحرمات وحفظا للعورات .

قال ــ عز من قائل :

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (١٧) .

---

١٥ ــ سورة النور : ١١ .

١٦ ــ سورة النور : ٢٦ .

١٧ ــ سورة النور : ٢٧ .

فقد وضعت السورة إجراءات وقائية لصيانة البيوت من الداخل والخارج ؛ كاستئذان أهل البيت بعضهم على بعض فى الأوقات المعلومة ، ورفع الحرج عنهم فى غير هذه الأوقات وذلك مصداق قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (١٨)

٦ ــ ثم تتبع السورة بيانا لقطع الطريق على الزنا بتحريم الخلوة ، وغض البصر عن الأجنبيات ، وتحريم الاطلاع على العورات حتى لا تكون العين بريد سوء .

وحددت فيها مع هذا السلوك ما يجوز وما لا يجوز بدقة ، وذلك صيانة لكرامة كل من الذكر والأنثى وحفظا للعرض بقول الله تعالى :

﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ (١٩)

٧ ــ ولم تغفل السورة موضوع الزواج فى ظل الإسلام بل عالجته علاجا حكيما . حيث أمر الله فيها بتيسير أسبابه ، إذ هو الطريق السليم للتناسل وعمارة الأرض بذرية صالحة ، إذ لا يصح أن يكون الفقر مانعا من تزويج الأكفاء ، وأن لا يكون غلاء المهور عقبة فى طريق الزواج حتى لا يبقى أحد من أفراد المجتمع الاسلامى بدون زواج ، لأن الغريزة الجنسية إن لم تجد لها مخرجا عن طريق نظيف تمردت وسلكت طريق الفاحشة ، لهذا نرى القرآن الكريم يحث على إنكاح الفتيان والفتيات ، وتسهيل السبل لكل راغب فى التعفف قال : عز من قائل :

﴿ وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٢٠) .

٨ ــ وتضمنت سورة النور حديثا مفصلا عن الله ــ جل جلاله ــ ونوره وبيوته فى الأرض ، وعاقبة عمل المؤمن وعمل الكافر ، مع إبراز آيات الكون من سحاب وليل ونهار . ودابة وطير ، لتكون أساس الإيمان بالله ــ عز وجل ــ ومصدر الدفع لطاعته وطاعة رسوله محمد ﷺ بما جاء به فى سورة النور وفى القرآن الكريم كله والسنة المطهرة معه .

٩ ــ وتختتم السورة بعد ذكر مجموعة من الأحكام الشرعية والآداب الاجتماعية بوجوب احترام الرسول ﷺ وطاعته ، والأدب معه فى حضرته وفى الانصراف عن مجلسه وفى دعائه ﷺ .

والله الموفق

١٨ ــ سورة النور : ٥٨

١٩ ــ سورة النور : ٣٠

٢٠ ــ سورة النور : ٣٢




# الجزاء بين العدل والفضل

لفضيلة الشيخ / على حامد عبد الرحيم

عن ابن عباس — رضى الله عنهما — عن النبى ﷺ فيما يرويه عن ربه — عز وجل — قال : « إن الله كتب الحسنات والسيئات ، ثم بيَّن ذلك ، فمن هَمَّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة ، وإن هم بها فعملها ، كتبها الله عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة ، وإن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة ، وان هم بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة » . رواه الشيخان وغيرهما ، واللفظ لمسلم .

المفردات :

١ — همَّ بحسنة أو سيئة : ترجح عنده جانب عملها .

٢ — الضِّعف : المثل .

شرح الحديث :

إن المؤمن بمقتضى إيمانه ، يستطيع أن يملك رصيدا من الخير لايتاح لغيره ، وإن عقيدته الدافعة إلى العمل لتسمو به فى مدارج الثواب حتى لتصل به إلى الذروة العليا ، وإنها تمنحه من فضل الله مايحيل نواياه الطيبة إلى أعمال يثقل بها ميزانه ، فحسبه أن يتجه بمشاعره إلى عمل الخير فيكتب الله له هذا « الهَم » حسنة كاملة ، وإن فضل الله — سبحانه وتعالى — على عباده ظاهر فى هذا التقدير لنواياهم ، فإن الانفعال بالخير وتحريك بواعث الإيمان به ؛ يجعله فضل الله من صفات المرء وإن لم يخرج الى حيز العمل ، فإن صار عملا كتبه الله عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة بحسب مايكتنفه من إخلاص لوجه الله .

أما إذا أتيحت للمؤمن معصية فكف نفسه عنها خشية من الله ، كان هذا الكف حسنة تضاف إلى سجل حسناته عند الله ؛ فإن ضعف وازع الإيمان فى نفسه فارتكب سيئة كتبت عليه سيئة واحدة .

ولا شك أن رحمة الله بعباده تتجلى وتظهر واضحة فى قاعدة الجزاء فى الإسلام .

والله ــ عز وجل ــ هو الذى خلق الإنسان ويعلم ماركب فيه من ضعف ، فهو باعتبار تكوينه البشرى ؛ منجذب ــ بنوازع الشرِّية ــ إلى الخطيئة ، وتأبى الغرائز الكامنة فيه الا أن تعمل عملهـــا ، وتنطلـــق إلى غايتها ، والإنسان مطالب ــ بما شرعه الله له ــ أن يخالف نوازع الشر ويغالب الدوافع التى تجذبه إلى ما نهاه الله عنه ، فعليه أن يخالف نفسه الأمارة بالسوء ، ويعصى شيطانه ؛ لأنه عدوه اللدود . ويخالف هواه حتى لا يهوى به فى النار . وعليه أن يعمل جاهدا على أن يتسامى الى أفق الفضيلة والخير وأن يصغى لنداء العقل والشرع ، وأن يجتهد فى مجال الخير بقدر ما يستطيع ، فكل محاولة ناجحة لا تضيع سدى ، وإنما يسجلها الله له فى حسناته ثم يضاعفها له . فإن زلت قدمه فأخفق فأساء يكتبها الله عليه واحدة . فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله له حسنة كاملة ، تقديرا لهذا الدافع النفسى الذى أدى إلى الهمّ بها فالثواب على الهم لا على نفس الحسنة ؛ لأنها لم تقع ، فإذا هم بها وعمل يثاب على الهم ثوابا مستقلا ، وعلى العمل ثوابا آخر مضاعفا .

والحسنات فى نظر الإسلام تتفاوت بحسب مواقعها ، فما كان منها بين العبد وربه كالصلاة والذكر والاعتكاف ، تقبله الله وضاعف ثوابها ، أما ما كان متصلا بالمجتمع الإنسانى كالنفقة على الأهل ، وإطعام الجائع ، وكسوة العارى ، وإغاثة الملهوف ، وإكرام اليتيم ، ونشر العلم ، فإن الله يتقبله بقبول حسن ويضاعفه إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة ، الى مالا يعلم قدره إلا الله ــ عز وجل ــ فالعبرة ليست بالكمّ ؛ ولكن بالدافع الطيب ، مما يدل على أن كل عمل يتعدى أثره لغير صاحبه يكون أكثر ثوابا مما لا يتعدى وكما يصور القرآن الكريم النفقة فى سبيل الله حيث يقول :

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٢٦١) سورة البقرة

وعن أبى عمرو جرير بن عبدالله ــ رضى الله عنه ــ قال : كنا فى صدر النهار عند رسول الله ﷺ فجاءه قوم عراة مجتابى النمار ــ أى لابسى الكساء المخطط الذى يسمى مفرده ( نمرة ) قد خرقوها فى رءوسهم . ( والجوب ) القطع ــ أو العباء متقلدى السيوف ، عامتهم من مضر ، بل كلهم من مضر ، فتمعر ــ تغير ــ رسول الله ﷺ لما رأى ما بهم من الفاقة ، فدخل ثم خرج ، فأمر بلالا ، فأذن وأقام ، فصلى ثم خطب ، فقال :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (١)

والآية الأخرى التي في آخر الحشر : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ﴾ تصدق رجل من ديناره ، من درهمه ، من ثوبه ، من صاع بره ، من صاع تمرة ، حتى قال : ولو بشق تمرة . فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها ، بل قد عجزت . ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين — صبرتين — من طعام وثياب حتى رأيت وجه رسول الله ﷺ يتهلل كأنه مذهبة — المراد الصفاء والاستنارة — فقال رسول الله ﷺ : من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزاهم شيء » رواه مسلم — رياض الصالحين .

أما في جانب السيئات : فإن ظاهر الحديث أن الحسنة تكتب بمجرد الترك . لكنه جاء مقيدا في موطن آخر بأن يكون الترك من خشية الله ، ففي الحديث القدسي : إذا أراد عبدى أن يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها ، فإن عملها فاكتبوها له بمثلها ، وإن تركها من أجلي فاكتبوها له حسنة .. رواه البخاري في التوحيد .

ويحتمل أن يكون لكل من ترك السيئة بعد الهمّ بها حسنة غير أن مقدار هذه الحسنة يتفاوت بحسب السبب الذي ينشأ عنه الترك . فمن تركها عجزا أو خوفا من أذى الناس . و افتضاح أمره ، ليس كمن ترك ذلك خوفا من الله ، وإن كان كل ذلك يلطف الله وتقديره . وتدل على ذلك الآية الكريمة ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾ النازعات ٤٠ ، ٤١ .. ومحل إثابة من ترك عجزا أو خوف الناس أن يكون قد ندم وأقلع عن همة ، أما لو ظل على نيته وأصر أو صمم فهو معاقب معاقب على هذه النية القبيحة ، وأنه آثم بذلك إلا أنه يكتب عليه ذلك العزم ؛ سيئة غير السيئة التي عزم عليها ، وقد تضافرت نصوص الشريعة على المؤاخذة على عزم القلب وتصميمه .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ النور ١٩

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ الحجرات ١٢

وإذا كان تعدى حدود الله إثما كبيرا ، فإنه في الشهر الحرام أشد ، وفي البيت الحرام أشد ، وإذا كانت الفواحش من كبائر الإثم فإنها من المحصن أشد ، وبالنسبة للجار أشد . فإن السيئة تتفاوت بحسب الأزمنة والامكنة والأشخاص والأحوال قال تعالى : في شأن المسجد الحرام ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ الحج ٢٥.

وما يقال عن السيئات يقال عن الحسنات . وفضل الله واسع فقد يغفر السيئة لعبده بتوبة يحدثها أو بعمل صالح يتبعها به من صدقه أو استغفار ﴿ إن الحسنات يذهبن السيئات ﴾ وقد جاء في الحديث الصحيح : فجزاؤه مثلها أو أغفر .

وفقنا الله لصالح القول والعمل وهدانا سواء السبيل .

# إياكم...

# ومحدثات الأمور

بقلم : الشيخ محمد زين العابدين العزازى

عن أبى يحيى العرباض بن سارية ( رضى الله عنه ) قال : وعظنا رسول الله - ﷺ - موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون ، فقلنا : يا رسول الله ، كأنها موعظة مُوَدِّع فأوصنا . قال :

« أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة ، وإن تأمَّر عليكم عبد ، وإن من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى . عضوا عليها بالنواجذ ، وأياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل بدعة ضلالة » رواه أبو دواد والترمذى ، وقالا : حديث حسن .

قوله : وعظنا رسول الله ﷺ كان ذلك بعد صلاة الصبح ، وكان ﷺ يقع الوعظ منه أحيانا لا دائما كما فى الصحيحين مخافة سآمتهم ومللهم .

و« الموعظة » هى النصح والتذكير بالعواقب .

و« جلت » منها القلوب ، أى خافت من أجلها .

و« ذرفت » بفتح الراء ، أى سالت منها العيون ، أى دموعها .

ومن هنا ينبغى للعالم أن يعظ أصحابه ويذكرهم بما ينفعهم فى دينهم ودنياهم ، ولا يقتصر معهم على مجرد ذكر الأحكام والحدود فقط ، كذلك ينبغى المبالغة فى الموعظة لترتعش منها الأفئدة ويهتز لها الكيان والوجدان ، وترتعد

منها الفرائض والأبدان ، فيكون أمرها أسرع إلى الإجابة ، ولذا كان ﷺ إذا خطب وذكر الساعة أشتد حديثه ، وعلا صوته ، واحمرت عيناه ، وانتفخت أوداجه . وهذا كما قال جل شأنه : ﴿وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾[1] .

وفى الخبر : إذا اشتبكت الأصوات واختلفت اللغات وأشار الخلق بالأكف إلى رب السموات ، وانهمرت العيون بأبلغ العبرات وأخلصوا التوبة من الموبقات ، وأشتد البكاء . وعلا الصوت بالنداء ، وظهر الحنين وأشتد الأنين ، اطلع الله - جل جلاله - فيقول : ﴿ **يا ملائكتى إنى أشوق إلى دعائهم** ﴾ .

فقلنا : ( يارسول الله كأنها موعظة « مودع » ) وكان ذلك لمزيد مبالغته ﷺ فى تخويفهم وتحذيرهم عما كانوا يألفونه من قبل ، فظنوا أن ذلك لقرب وفاته ومفارقته لهم ، فإن المودع يستقصى غيره فى القول والفعل .

« فأوصنا » أى وصية جامعة كافية لمن تمسك بها ، وفى هذا استدعاء الوصية والموعظة من أهلها واغتنام أوقات الصالحين وأهل الخير والدين قبل وفاتهم ، فإن أعمار الجياد قصار .

( أوصيكم بتقوى الله ) ، جمع فى ذلك كل ما يحتاج إليه الإنسان من أمور الآخرة ، إذ التقوى امتثال الأوامر واجتناب النواهى ، وتكاليف الشرع لا تخرج عن ذلك ، وقد جعل الله سعادة الدنيا فانية ، وسعادة الآخرة باقية ، وإنما تحصل سعادة الآخرة بتقوى الله وهى وصية الله - سبحانه وتعالى - لجميع الأمم كما قال تعالى :

﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ ﴾[2] .

ولعل أهم مراتب التقوى :

١ - التوق من النار ، وذلك يكون بالتزام التقوى ، ولعله المراد بقوله - تعالى - : ﴿ **ألزمهم كلمة التقوى** ﴾[3] .

٢ - التجنب عن كل ما يؤثم من فعل أو ترك حتى الصغائر عند قوم ، وهو المراد بقوله - تعالى - :

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا ﴾[4] .

وعليه يحمل قول عمر بن عبد العزيز : التقوى . ترك ما حرم وأداء ما افترض الله . فما رزق الله بعد ذلك فهو خير إلى خير .

٣ - أن يتنزه عما يشغل سره عن الحق - تعالى - وهذه هى التقوى الحقيقية المطلوبة فى قوله - تعالى - : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ﴾[5] ، وهى أن يطاع فلا يعصى ، وأن يذكر فلا ينسى ، وأن يشكر فلا يكفر . رواه الحاكم فى مستدركه .

وأما قوله ﷺ : « **والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد** » جمع بين السمع والطاعة للتأكيد والاعتناء بهذا المقام ، وإن تأمر عليكم على سبيل الفرض والتقدير ، وذلك ، لأن العبد لا يكون وليا ، ولكن رسول الله ﷺ كان دائما يضرب المثل تقديرا وإن لم يمكن . كقوله ﷺ : « **من بنى لله مسجدا ولو كمفحص قطاة بنى الله له بيتا فى الجنة** » .

(١) سورة النساء آية رقم ٦٣ .
(٢) سورة النساء آية رقم ١٣١ .
(٣) سورة الفتح آية ٢٦ .
(٤) سورة الأعراف آية ٩٦ .
(٥) سورة آل عمران آية ١٠٢ .

**لأنه من غير الممكن أن يكون مفحص قطاة وهو بيت الطائر مسجدا ، ولكن الأمثال يأتى فيها مثل هذا ، ويجوز أن يكون أخبر عن فساد الزمان ؛ هذا ومن المعلوم أن السمع والطاعة إنما هى فى طاعة الله – تعالى – كما دلت عليه الأخبار الكثيرة .**

**( وإنَّ من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا ) وهذا من معجزاته ﷺ إذ كان عالما بما يقع بعده جملة وتفصيلا ، كما صح أنه كشف له عما يكون إلى أن يدخل أهل الجنة والنار منازلهم .**

**وقوله ﷺ : ( فعليكم بسنتى ) ، أى الزموا حينئذ التمسك بسنتى . أى طريقتى القويمة التى أنا عليها من الأحكام الاعتقادية العملية الواجبة والمندوبة .**

**وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، وهم أبو بكر فعمر فعثمان فعلى فالحسن ( رضى الله عنهم ) .**

**( عضوا عليها بالنواجذ ) جمع ناجذ وهو أحد الأضراس الذى يدل نباته من الجانبين على الحلم ولكل إنسان أربع ، وهذا كناية عن شدة التمسك بالسنة .**

**وقوله ﷺ : ( وإياكم ومحدثات الأمور ) ،** يعنى : باعدوا واحذروا الأخذ بالأمور المحدثة فى الدين ، واتباع غير سنن الخلفاء الراشدين ، فإن ذلك بدعة وكل بدعة ضلالة .

البدعة فى اللغة . ما كان مخترعا على غير مثال سابق . وفى الشرع . ما أحدث على خلاف ما أمر الشارع ، ودليله على ذلك ، أن الحق موجود فيما جاء به الشرع ، وليس بعد الحق إلا الضلال ، وما أكثر أهل البدع فى زماننا هذا .

روى الإمام الترمذى مرفوعا ( تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة أو اثنتين وسبعين فرقة ، والنصارى مثل ذلك ، وتفرقت أمتى على ثلاث وسبعين فرقة كلهم فى النار إلا واحدة . قالوا : من هى يارسول الله ؟ قال : ما أنا عليه وأصحابى .

وروى الإمام مالك فى ( الموطأ ) مرسلا . أن رسول الله ﷺ قال : تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة رسوله .

فعلى جميع المسلمين بصحبة أهل السنة والجماعة ، ولزوم طريقتهم والتمسك بها . وإلا تشتت شملهم . ومالوا عن طريق الله – عز وجل – قال – سبحانه وتعالى – : ( ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله )(٦) أى فتميل بكم وتغركم طرق البدع عن طريق الحق .

يقول ابن كثير – فى تفسيره لهذه الآية : أمر الله المؤمنين بالجماعة ونهاهم عن الاختلاف والتفرقة ، وأخبرهم أنه إنما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات فى دين الله .

وقال الإمام أحمد بن حنبل : حدثنا الأسود بن عامر حدثنا أبو بكر هو ابن عباس ، عن عاصم عن أبى وائل عن عبد الله بن مسعود – رضى الله عنه – قال : خط رسول الله ﷺ خطا بيده ثم قال : ( هذا سبيل الله مستقيما ) . وخط عن يمينه وشماله ثم قال : ( هذه السبل ليس منها سبيل

(٦) سورة الأنعام آية ١٥٣ .

إلا عليه شيطان يدعو إليه ) ، ثم قرأ ( وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ) .

روى هذا الحديث بطرق كثيرة نذكر بعضا منها لتمام الفائدة . حدثنا عبدالله بن محمد ـ وهو أبو بكر بن أبى شيبة . أنبأنا أبو خالد الأحمر عن مجاهد عن الشعبى عن جابر قال : ( كنا جلوسا عند النبى ﷺ فخط خطا هكذا أمامه فقال : « هذا سبيل الله ، وخطين عن يمينه وخطين عن شماله وقال : « هذا سبل الشيطان » ثم وضع يده فى الخط الأوسط ثم تلا قوله ـ تعالى ـ ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ . ولكن العمدة على حديث ابن مسعود كما نصَّ عليه ابن كثير فى تفسيره .

وقد روى موقوفا عليه قال ابن جرير حدثنا محمد بن عبدالأعلى حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر أن رجلا قال ـ لابن مسعود : ما الصراط المستقيم ؟ قال : تركنا ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى أدناه وطرفه فى الجنة وعن يمينه جوادٌ[7] وعن يساره جواد ثم رجال يدعون من مر بهم فمن أخذ فى تلك الجواد انتهت إلى النار ، ومن أخذ على الصراط انتهى به إلى الجنة ، ثم قرأ ابن مسعود « ( وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل » )[8] .

وقد روى من حديث ( النواس بن سمعان ) نحوه قال الإمام أحمد : حدثنى بن سوار أبوالعلاء ، حدثنى الليث ـ يعنى ابن سعد ـ عن معاوية بن صالح ، عن النواس بن سمعان عن رسول الله ﷺ قال : « ( ضرب الله مثلا صراطا مستقيما ، وعن جنبى الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة ، وعلى الأبواب ستور فرخاة وعلى السراط داع يقول : يا أيها الناس ادخلوا الصراط المستقيم جميعا ولا تفرقوا ، وداع يدعو من فوق الصراط فاذا أراد الإنسان أن يفتح شيئا من تلك الأبواب قال : ويحك ، لا تفتحه ؛ فإنك إن تفتحه تلجه ، فالصراط : الإسلام ، والسوران : حدود الله ، والأبواب المفتحة : محارم الله ، وذلك الداعى على رأس الصراط : كتاب الله ، الداعى من فوق الصراط : واعظ الله فى قلب كل مسلم ) » رواه الترمذى والنسائى عن على بن حجر .

« ويقول القرطبى » فى تفسيرها « الصراط » هو الإسلام « مستقيما » مستويا لا اعوجاج فيه ، فأمر باتباع طريقه الذى طرقه على لسان نبيه محمد ﷺ وشرعه ، ونهايته الجنة ، وتشعبت منه طرق فمن سلك الجادة نجا ، ومن خرج إلى تلك الطرق أفضت به إلى النار ، وهذه هى المرادة بقوله ـ تعالى : ﴿ **ولا تتبعوا السبل** ﴾ . وهذه تَعُمُّ اليهودية والنصرانية والمجوسية ، وسائر أهل البدع والضلالات ، وأهل الأهـواء والمتشدقين فى الفروع وغير ذلك من أهل التعمق فى الجدل والخوض فى الكلام ، وهذه كلها أبواب عرضة للزلل ، ومظنة لسوء المعتقد ، فالهرب الهرب ، والنجاء النجاء وإنما الخير فى التمسك بالطريق

(٧) الجواد بتشديد الدال الطرق .

(٨) تفسير ابن كثير .

المستقيم ، والسنن القويم ، الذى سلكه السلف الصالح ، فإن فيه المتجر الرابح ، وقد روى أبوداود قال : حدثنا ابن كثير قال : أخبرنا سفيان قال : كتب رجل إلى عمر بن عبدالعزيز يسأله عن ( القدر ) ، فكتب :

أما بعد فانى أوصيك بتقوى الله ، والاقتصاد فى أمره ، واتباع سنة رسوله ﷺ وترك ما أحدثه المحدثون بعد ما جرت به سنته ، وكُفُوا مؤونته . فعليك بلزوم الجماعة ؛ فإنها لك ــ بإذن الله ــ عصمة ، ثم اعلم أنه لم يبتدع الناس بدعة إلا قد مضى قبلها ما هو دليل عليها ، أو عبرة فيها ، فإن السنة إنما سنها من قد علم ما فى خلافها من الخطأ والزلل والحمق والتعمق ، فَارْض لنفسك بما رضى به القوم لأنفسهم ؛ فإنهم على علم وقفوا ، وببصر نافذ كُفُوا ، وإنهم على كشف الأمور كانوا أقوى ، وبفضل ما كانوا فيه أولى ؛ فإن كان الهدى ما أنتم عليه لقد سبقتموهم إليه ، ولئن قلتم : إنما حدث بعدهم ، فما أحدثه إلا من اتبع غير سبيلهم ، ورغب بنفسه عنهم ؛ فإنهم هم السابقون ، وقد تكلموا فيه بما يكفى ، ووصفوا ما يشفى ، فما دونهم من مقصر ، وما فوقهم من مجسر ، وقد قصر قوم دونهم فجفوا ، وطمع عنهم أقوام فغلوا ، وإنهم مع ذلك لعلى هدى مستقيم .

وقال سهل التسترى : لا يحدث أحدكم بدعة حتى يحدث له إبليس عبادة يتعبد بها ، ثم يحدث له بدعة ، فإذا نطق بالبدعة ودعا الناس إليها نزع منه تلك الخدمة .

وقال الأوزاعى : قال إبليس لأوليائه : من أى شىء تأتون بنى آدم ؟ فقالوا : من كل شىء قال : فهل تأتونهم من قبل الاستغفار ؟ قالوا : هيهات ذلك شىء قرن بالتوحيد . قال : لأبثن فيهم شيئا لا يستغفرون الله منه . قال : فبث فيهم الأهواء ، وإنما سمّوا أصحاب الأهواء لأنهم يهوون فى النار .

ونقل القرطبى ما رواه رافع بن خديج ، أنه : سمع رسول الله ﷺ يقول : « يكون فى أمتى قوم يكفرون بالله وبالقرآن وهم لا يشعرون كما كفرت اليهود والنصارى قال : فقلت : جعلت فداك ــ يا رسول الله ــ كيف ذاك ؟ قال : يقرون ببعض ويكفرون ببعض قال قلت : جعلت فداك ــ يا رسول الله ــ وكيف يقولون ؟ قال : يجعلون إبليس عدلا لله فى خلقه وقوته ورزقه ويقولون : الخير من الله والشر لإبليس » قال : فيكفرون بالله ثم يقرأون على ذلك كتاب الله . فيكفرون بالقرآن بعد الإيمان ، قال : فما تلقى أمتى منهم من العداوة والبغضاء والجدال ، أولئك زنادقة هذه الأمة .

ولهؤلاء علامات . منها إهمال الذكر والقرآن والاشتغال بالجدال والغيبة والهذيان .

قال سفيان الثورى : البدعة أحب إلى إبليس من المعصية .

وفى السنن مرفوعا « الله الله فى أصحابى لا تتخذوهم غرضا من بعدى فمن أحبنى فبحبى أحبهم ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم ، ومن

أذاهم فقد أذانى ومن أذانى فقد أذى الله ، ومن أذى الله فيوشك أن يأخذه » .

كما نقل القرطبى عن الشيخ عبدالقادر الجيلانى قوله : فعلى المؤمن اتباع السنة والجماعة ، والسنة : ما سنه رسول الله ﷺ ، والجماعة : ما اتفق عليه أصحابه ـ رضى الله عنهم أجمعين ـ فى خلافة الأئمة الأربعة ، وألا يعامل أهل البدع ولا يدانيهم ولا يسلم عليهم ؛ لأن الإمام أحمد ـ رضى الله عنه ـ قال : من سلم على صاحب بدعة فقد أحبه لقوله ﷺ : ( أفشوا السلام بينكم تحابوا ) ولا يجالسهم ولا يعزيهم ولا يهنيهم فى الأعياد وأوقات السرور ، ولا يصلى عليهم إذا ماتوا ، ولا يترحم عليهم إذا ذكروا بل يباينهم ويعاديهم فى الله ـ عز وجل ـ محتسبا بذلك الثواب الجزيل والأجر الكثير ) .

ومن أعظم السنن طهارة القلوب من الغش والحسد وسائر العيوب ، وهى أعظم العبادات والقربات ، وبها ينال أعظم الدرجات ، فقد روى الترمذى أن رسول الله ﷺ قال ـ لأنس ـ رضى الله عنه : يا بنى إن قدرت أن تصبح وتمسى وليس فى قلبك غش لأحد فافعل .

ثم قال : يا بنى وذلك من سنتى ومن أحب سنتى فقد أحبنى ومن أحبنى كان معى يوم القيامة فى الجنة .

نسأل الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يجعلنا وإياكم من المتمسكين بسنته حتى نكون معه يوم القيامة يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

# العشرة المبشرون بالجنة

بقلم الشيخ :
عبد الحفيظ فرغلى على القرنى

**ضمَّ الحديث الذى ذكرناه سابقاً[1] أسماء عشرة بشرهم النبى ﷺ بالجنة فى حديث واحد .**

**وقد تواتر هذا الحديث الشريف حتى ذكره كثير من الرواة ، وحتى أصبح هؤلاء الأعلام الذين ذكروا فيه معروفين بأنهم مبشرون بالجنة ، وأصبح التعريف بهم من لوازمه ذكر هذا الوصف « أنه أحد العشرة » .**

**فما ذكرت كتب التراجم وبخاصة المعنية بأخبار الصحابة واحداً من هؤلاء العشرة إلا قالت : « وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة » وقد تذكر الأحاديث الواردة فى ذلك .**

وليس يعنى وصفهم بذلك اقتصار التبشير بالجنة عليهم ، فقد سبق وقلنا إن كثيراً غيرهم قد بُشِّر بالجنة ، وما من أحد من أصحاب رسول الله ﷺ الذين رأوه وناصروه وجاهدوا معه ونعموا بصحبته إلا له مزية وفضل ، وإن كانوا يتفاوتون فى ذلك حسب أسبقية الإسلام وسرعة الاستجابة للجهاد المادى والمعنوى . وقوته ، وكثرة الانتفاع بأدب الرسول ﷺ وأخلاقه وفضائله وسننه وهديه .

لم اختص هؤلاء بهذا الوصف ؟

ولعلّنا نتساءل : لم اختص هؤلاء العشرة بهذا الوصف ، وهو وصف ( التبشير بالجنة ) مع أن غيرهم بشروا به ؟

وقد تكون الإجابة على هذا التساؤل : أنهم خُصُّوا به لتكرر وروده عن النبى ﷺ ، ولأنه ضم أسماءهم جميعاً فى حديث واحد .

عن عبد الرحمن بن حُميد عن أبيه أن سعيد بن زيد حَدَّثه فى نفر من أصحابه أن رسول الله ﷺ

(1) الحديث بالجزء الحادى عشر ـ عدد ذى القعدة ١٤١٤ هـ ، ص ١٦٥٥ .

قال : « عشرة فى الجنة ، أبو بكر فى الجنة ، وعمر فى الجنة ، وعلى وعثمان والزبير وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح وسعد بن أبى وقاص . قال : فَعَدَّ هؤلاء التسعة وسكت عن العاشر ، فقال القوم : ننشدك الله ، من العاشر ؟

قال : انشدتمونى بالله ، أبو الأعور فى الجنة .

قال : هو سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل . ـ أسد الغابة حـ ٣ ص ٤٨١ ـ وتحفة الأحوذى ـ أبواب المناقب ـ مناقب عبد الرحمن بن عوف ١٠/٣٥٠ ـ وأبو الأعور كنية سعيد بن زيد .

وأشار سعيد بن زيد ـ رضى الله عنه ـ إلى مناسبة لهذا الحديث ذكرها ابن الأثير . قال : عن عبد الله بن ظالم التميمى ، عن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، قال : أشهد أن عليا من أهل الجنة . قلت : وما ذاك ؟ قال : هو فى التسعة ، ولو شئت أن أسمى العاشر لسميته . قال : اهتز حِراء فقال رسول الله ﷺ : اثبت حراء فانه ليس عليك إلا نبىٌّ أو صديق أو شهيد » قال : ورسول الله ﷺ ، وأبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى ، وطلحة ، والزبير ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد ، وأنا ـ يعنى نفسه . ـ أسد الغابة حـ ٢ ص ٣٨٩ .

قال سعيد بن جبير ـ رحمه الله ـ : كان مقام أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف وسعيد بن زيد ـ كانوا أمام رسول الله ﷺ فى القتال ، ووراءه فى الصلاة .

لقد ظفر هؤلاء العشرة بهذا اللقب مجتمعين فى مكة ، قبل الهجرة ، حيث كانوا كما يشير حديث سعيد بن زيد ـ إلى وجودهم فوق حراء واهتزازه بهم ، ـ وحراء فى مكة ـ فقال النبى ﷺ ما قال .

وهذا تعليل لعدم وجود أحد من الأنصار بين هؤلاء الذين تضمنهم الحديث .

ولكن وردت فى حق الأنصار أحاديث أخرى بشرتهم بالجنة ، وذكرت فضلهم وجهادهم ، وقد زكاهم القرآن الكريم بقوله ـ تعالى ـ ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾ سورة الحشر

وماذا يعنى الفلاح إلا استحقاق الجنة والفوز برضوان الله ؟

### اشتراك العشرة فى نسب الرسول :

ومن الملاحظ أن هؤلاء العشرة الذين تضمنهم الحديث يشتركون مع النبى ﷺ فى سلسلة نسبه .

فأبو بكر يجتمع مع النبى ﷺ فى « مُرَّة » .

فهو أبو بكر عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب .

وعمر يجتمع مع النبى ﷺ فى « كعب » .

فهو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدى بن كعب بن لؤى .

وعثمان يجتمع مع النبى ﷺ فى « عبد مناف » .

فهو عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى .

وعلى هو ابن عم رسول الله ﷺ وأقربهم إليه قرابة يجتمع مع النبى ﷺ فى « عبد المطلب » .

فهو على بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم .

والزبير يجتمع مع النبى ﷺ فى « قُصَى » .

فهو الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب .

وطلحة يجتمع مع النبى ﷺ فى « مُرَّة » .

فهو طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب .

وعبد الرحمن بن عوف يجتمع مع النبى ﷺ فى « كلاب » .

فهو عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة .

وابن الجراح يلتقى مع رسول الله ﷺ فى « فهر » .

فهو أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن كعب بن ضبة بن الحارث بن فهر بن مالك .

وسعد بن أبى وقاص يجتمع مع النبى ﷺ فى « كلاب » .

فهو سعد بن مالك بن أهيب بن عبد مناف بن كعب بن زهرة بن كلاب بن مرة .

وسعيد بن زيد يلتقى بالنبى ﷺ فى « كعب » .

فهو سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدى بن كعب بن لؤى ـ من كتاب الرياض النضرة فى مناقب العشرة . لمحب الدين الطبرى .

والمعروف أن سلسلة نسب النبى ﷺ هى محمد بن عبدالله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بت كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك ... حتى يصل النسب إلى عدنان .

فأقرب العشرة نسباً إليه على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ يلتقى مع النبى ﷺ فى الجد الأول (عبد المطلب) .

ثم عثمان بن عفان يلتقى مع النبى ﷺ فى الجد الثالث (عبد مناف) .

ثم الزبير حيث يلتقى مع النبى ﷺ فى الجد الرابع (قصى) .

ثم سعد بن أبى وقاص وعبد الرحمن بن عوف يلتقيان معه ﷺ فى الجد الخامس (كلاب) .

ثم أبو بكر وطلحة يلتقيان مع النبى ﷺ فى الجد السادس (مرة) .

ثم عمر بن الخطاب وسعيد بن زيد يلتقيان مع النبى ﷺ فى الجد السابع (كعب) .

ثم أبو عبيدة يلتقى مع النبى ﷺ فى الجد العاشر (فهر) .

**القرابة ليست سبباً للتبشير :**

وليست القرابة وحدها وراء تبشير هؤلاء بالجنة فقد حذر النبى ﷺ قرابته أن يعتمدوا على

ذلك وقال لهم : أنا لا أغنى عنكم من الله شيئاً .. وذكرهم بأسمائهم ..

كما أن هناك من هو أكثر قرابة من هؤلاء الذين وردوا فى حديث البشرى ولم يشلمهم الحديث ، مثل حمزة وجعفر – رضى الله عنهما – .

ولكن سابقة الإسلام وراء هذا التبشير قطعاً . والمعروف أن أول من أسلم أبو بكر وعلى ، أبو بكر من الرجال وعلى من الصبيان – وعلى يد أبى بكر أسلم عثمان وأبو عبيدة وعبد الرحمن بن عوف والزبير وسعد وطلحة بن عبيد الله .

وأسلم سعيد بن زيد قبل عمر ، وكان إسلامه هو وزوجته – وهى أخت عمر – سبباً فى إسلام عمر .

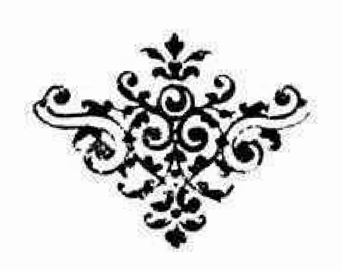
وتأخُرُ إسلام عمر عن هؤلاء يجبره موقفه فى الإسلام بعد أن أسلم ، فقد استعلن بإسلامه وأظهر كلمة الحق ، وكان سبباً فى إظهار قوة المسلمين ، حتى لقب بالفاروق ، لأنه فرق بين الحق والباطل بإسلامه .

**مناقب العشرة :**

ولكل من هؤلاء العشرة مناقب امتازوا بها ، واستحقوا من أجلها أن يشيد النبى ﷺ بهم ويبشرهم بالجنة .

كانت لهم مناقبهم فى حياة الرسول ﷺ وظهرت لهم مناقب بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى ، مما يشهد بأن شهادته لهم كانت من فيض بحر النبوة الزاخر ، ومن إمدادات الغيب الذى تكشف الأيام صدقه ، وتظهر المواقف العملية حقيقته وصحته .

ولعلنا نستطيع بتوفيق الله استعراض هذه المناقب فى حديث آخر إن شاء الله ..



السلام قاعدة العمران وأساس البنيان

# قضية السلام العالمى فى الإسلام

بقلم: فضيلة الشيخ محمد حافظ سليمان[1]

لا يشك مؤمن عاقل ولا منصف عادل فى أن دعوة الإسلام للسلام دعوة عالمية كما أن رسالته عامة للناس أجمعين.

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١) ﴾ (سورة النساء)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١٣) ﴾ سورة الحجرات

يريد الإسلام أن يؤكد فى ضمائر الناس حقيقة هامة وهى أنّ كل الناس من أصل واحد وهو آدم وبمقتضى وحدة هذا الأصل كان الأولى أن تتعارف الفروع وتتعاون على أن يكون الناس إخوة يعيشون فى سلام وأمن واطمئنان لأن الله خلقهم ليتعارفوا ويتآلفوا لا ليتخاصموا ويتنازعوا ويتحاربوا.

وشواهد ذلك فى القرآن الكريم كثيرة، قال ـ تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِى السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٢٠٨) فَإِن زَلَلْتُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

(سورة البقرة/٢٠٨ ـ ٢٠٩).

ويقول ـ سبحانه:

﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

(سورة الأنعام/٥٤).

---

[1] المدير العام للوعظ والدعوة بالأزهر سابقا

﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ .. ﴾

( سورة النمل / ٥٩ ) .

﴿ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

(سورة الصافات / ١٨١ ـ ١٨٢ ) .

﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ ... ﴾

( سورة يونس / ٢٥ ) .

﴿ لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ( سورة الأنعام / ١٢٧ ) .

﴿ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ۚ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ( سورة يونس / ١٠ ) .

﴿ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴿٥﴾ ﴾

سورة القدر

« ومن الأحاديث النبوية »

روى البخارى فى صحيحه من كتاب الإيمان ـ عن عمار بن ياسر ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال : ثلاث مَنْ جَمَعَهُنَّ فقد جمع الإيمان : الإنصاف من النفس ، وبذل السلام للعالم ، والإنفاق من إقتار :

الأخوة الإسلامية :

روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضى الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال : المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده .

( البخارى ومسلم )

الأخوة الإنسانية :

ويقول رسول الله ﷺ فى خطبته يوم الحج الأكبر « فى حجة الوداع » :

« يأيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ، ألا لا فضل لعربى على عجمى ولا لعجمى على عربى ولا لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم : ألا هل بلغت ؟ قالوا بلى يا رسول الله قال : فليبلغ الشاهد منكم الغائب » .

( رواه البيهقى )

« أولئك لهم الأمن »

وما كان اختلاف الألسنة والألوان إلاَّ دليلًا على قدرة الله ومظهراً من آثار رحمته ؛ ولكن التفاضل عند الله تعالى يكون بالتقوى : فلو أن أهل الأرض جميعاً آمنوا واتقوا لفتح الله عليهم بركات من السماء والأرض ، واستقر الأمر واستتب الأمن والسِّلْمْ :

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾

( الأعراف / ٩٩ )

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾

( الأنعام / ٨٢ )

فالأمن محقق للمؤمنين المتقين فى كل وقت وحين . ولكن واقع الحياة اليوم يفرض علينا أن نقول : إن الإنسان فى هذه الحياة تتجاذبه قوتان

تكمنان فى صدره : إحداهما قوة تدفعه إلى الإيثار والإحساس بالغير برقة : وهذا يدعوه إلى المسالمة بينه وبين نفسه أولًا : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴾ ( الشمس/ ٩ ) . وبين الإنسان ووالديـــه . ﴿ **وبالوالدين إحساناً** ﴾ ( الإسراء/ ٢٣ ) . ثم بين الإنسان والأقربين ثم بينه وبين الناس أجمعين ، وذلك ، لأن الإيثار خلق كريم يدفع إلى التراحم والتعاطف بسمو نفس وطهارة قلب ونقاء بصيرة وطهارة سيرة ، ولاريب أن الإيثار يُهوِّن على صاحبه التضحية بالمال لإغاثة الملهوف ومواساة المنكوب والمكروب ، فيسْعِد الآخرين بماله وجاهه وجهده بعمل الخير والبر والبعد عن الشر والضر وليرضى ربه الذى خلقه ورزقه .

**أما القوة الثانية** : فهى الأثرة التى تجعل الإنسان يعيش لذاته وشهواته فيكون أنانياً شحيحاً بخيلًا جباناً فهو يسرف فى حب ذاته وطاعة شيطانه وإرضاء أهوائه ونزواته ؛ وقد يدفعه هذا إلى إشعال حروب وكروب تهلك الحرث والنسل ويكون وقودها الناس ، وكما تكون الأنانية بين الأفراد تكون بين الشعوب والأمم ؛ ولكن هذا الإنسان لم يخلق ليكون كذلك ، ولكنه وجد ليعيش لنفسه ولوالديه وَلِولَدِه وللأقربين وللناس أجمعين ، والله يقـول :

﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَـٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢ إِنَّا هَدَيْنَـٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ ( سورة الإنسان/ ٢ ـ ٣ ) وهذه هى حقيقة الواقع الآن يقررها القرآن الكريم : ولكن رسالات الله الواحدة جاءت كلها لتجعل الإنسان إنساناً فى صورته مَلَكاً فى خلقه وسيرته ومثلًا أعلى فى حكمته ومسالمته لا عن ضعف ولكن عن إيمان بأخوة الإنسان الذى كرمه ربه فقال ـ تعالى :

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ ﴾ ( الإسراء/ ٧٠ )

ولكن من الناس من يأبى إلا أن يكون ظلوماً جهولًا : وويل لمن غلبته نفسه بهواها ، لأنه لم يتغلب عليها بهداها . فهو يسفك الدماء ويهتك الأعراض غير متألم ولامتأثم ، فى غيبة الضمير الدينى وفقدان الحياء الإنسانى ، وانظر إلى ما يعده الإنسان اليوم لأخيه الإنسان من وسائل الانتقام والإجرام ، الأمر الذى تشقى به هذه الحياة ، فهى تسعد بالأمن الدائم العادل لأن سلام المجتمعات يقوم على العدالة بين الناس فلا ظلم ولا جور ولا عدوان ، والإسلام يؤثر السلم على الحرب ، لأن السلم حياة بدليل قول الله :

﴿ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٦١ وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ( الأنفال/ ٦١ ـ ٦٢ ) ، ولقد سالم الإسلام القيم الناس فى ثلاثة عشر عاما فى الفترة المكية التى بلغ فيها الجور أشدَّه ، وقد تحملت الدعوة فى أيامها الأولى من صناديد الكفر أذى كثيراً ، فصبر صاحب الدعوة ـ عليه السلام ـ وأصحابه كثيراً لأن الله أمره بالصبر ولم يؤذن له فى حرب الآثمين المعتدين .

﴿ واتبع ما يوحى إليك واصبر حتى يحكم الله ... ﴾ ( سورة يونس / ١٠٩ ) .

﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ ( الطور / ٤٨ ) ... ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾ ( الروم / ٦٠ ) .

﴿ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾ ( ق / ٣٩ ) . ﴿ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ ( هود / ١١٥ ) .

هذه توجيهات القرآن وهى كثيرة تأمر بالثبات على الأمر ، فكان هو يدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة عملا بقول الله ـ تعالى :

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾

( النحل / ١٢٥ ) . فالله قد جعل السلام تحية للمؤمنين ، وجعله من صفات ليلة القدر ، ونحن نقول فى الصلاة ( فى كل تشهد ) السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، ولا نخرج من الصلاة إلا بكلمة السلام ( يميناً ويساراً ) .

### « السلام وإعداد القوة »

ولابد من إعداد القوة لحماية الملة ورعاية مصالح الأمة وتأمين العقيدة من كيد المعتدين وبغى المستبدين مادام طواغيت البشر لا يفهمون العدل وحق الله وحقوق الإنسان نحو أخيه الإنسان ، وقد جهلوا أن الله قد اختار بنفسه لنفسه السلام اسما من أسمائه الحسنى فهو « الملك القدوس السلام » : وهو القائل :

﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ... ﴾

( سورة الأنفال / ٦٠ ) .

### الرأى لا يفرض بالقوة : والإيمان ما وقر فى القلب وصدقه العمل :

يقول الله عز وجل : رداً على من يزعم أن الإسلام انتشر بالسيف ، ( حقداً وغلا ) من عند أنفسهم : ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ﴾ ( البقرة / ٢٥٦ ) ويقول جل جلاله : ﴿ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾ ( يونس / ٩٩ ) . ولم يكن رسول الله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ ملكاً يفرض سلطانه على البلاد بالسطو على الأوطان بالغلبة والعدوان بسبب المطامع والتوسع الاستعمارى ، ولكنه كان رسولًا نبياً ( شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ) يدعو إلى الله بالمنطق والوضوح ، ويخاطب العقل والروح « وما ينطق عن الهوى » ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ ( المائدة / ٦٧ ) . فقد أرسل كتاباً إلى كسرى فمزقه وأرسل بمن يقتل رسول الله ، أما هرقل فلم يرد وقتل بعض المسلمين بينما ردَّ المقوقس رداً جميلا وأرسل هدية و « مارية القبطية » إلى رسول الله ﷺ وما كان للمسلمين أن يتركوا طواغيت البشر ليفسدوا فى الأرض ويصدوا عن سبيل الله وأن يتقبلوا الظلم والبغى والهوان .

﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ ﴾

سورة البقرة

أىُّ عدل وأية سماحة وأى سلم ومسالمة بعد قول الله تعالى : ﴿ فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴾ ( النساء/ ٩٠ ) والله يقول : ﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ... ﴾ ( الأنعام/ ٥٤ ) .

أما الجهاد فقد شرعه الله لصد العدوان ودفع الأذى وكف البغى ، لأن الظلم من شيم النفوس الباغية المتمردة على الحق وكان رسول الله وأصحابه فى مكة يسالمون مَنْ حولهم فلم يسالموهم ، فماذا يفعلون ، ولم يؤذن لهم بقتالهم يومئذ ؟ فكان لابد من مجابهتهم بالقوة ليرتدعوا وقد أذن الله ـ سبحانه ـ لهم بدفع العدوان ، وأنقذهم بذلك من الاستسلام للعدوان ، قال تعالى : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ ( الحج/ ٣٩ ) .

لقد كان الإسلام حريصاً على السلام العادل بكل وسيلة تقيم هذا السلام ، فأما مَنْ غوى فقد وجب ردعه ، لذا جاء الإسلام بـ « الوازع والرادع » معا وليذكر المسلم إن العفو والسلام لم يكن مذلة وضعفاً واستِسْلاماً ، كلا إن المسالمة البناءة القوية اليقظة الواعية تسير جنباً إلى جنب مع إعداد كل المستطاع من القوة لردع العدوان ، وقد علم الإسلام المسلمين قوة الإرادة والثقة بالله القاهر فوق عباده ، وهو القائل : ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ ( آل عمران/ ١٣٩ ) . وهو القائل : ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ﴾ ( المجادلة/ ٢١ ) ﴿ **وكان علينا نصر المؤمنين** ﴾ ( الروم/ ٤٧ ) .

والله يبشر المسلمين : ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴾ ( غافر/ ٥١ ) . والأمن من نعم الله على الناس

هذا وفى الأمن الأخلاق ـ بدوره ـ توطيد لدعائم الأمن النفسى والاجتماعى وفيه حماية للفضائل والشمائل ، لأن دين الله غنى بمكارم الأخلاق فلم يترك خيراً إلا دعا إليه ولم يترك شراً إلا حذر منه ونهى عنه لكيلا يكون السلوك مشبوها ومشوها ولكيلا يكون صاحبه المنحرف شريرا مذموما مخذولا فاقد الذوق أعمى البصيرة سيىء السيرة ، وبديهى أن الحق لا يصارع الحق. لأن الحق شيء واحد فلا يصارع نفسه ، ولكنه يصارع الأضاليل والأباطيل . ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾ سورة الإسراء

# شعارات خبيثة

بقلم فضيلة الشيخ:

سليمان عبدالحميد الفقى (*)

ما أكثر الذين يشوهون صورة الإسلام بالأباطيل والضلالات باسم التنوير والتجديد ، أو التطور والحداثة أو التطرف والارهاب أو باسم حماية الفن والإبداع أو محاربة الجمود ، إلى غير ذلك من الدعاوى والشعارات البراقة التى تزين بها جيوش الظلام سمومها وتغلف بها فجورها وتحللها من الفضائل .

هكذا تعددت ميادين المواجهة وتنوعت أشكال المؤامرة ، والهدف واضح ومعلوم ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ﴾ .

سورة البقرة - ٢١٧

وما أحوج المستغربين الذين يدعون نصرة الإسلام وحمايته إلى الالتزام ، بهدى الإسلام فى الدعوة والسلوك ، وما أحوج طلاب التنوير الحقيقى إلى الاستفادة بنور الإسلام القائم على الوسطية والاعتدال ، عندئذ تتوحد الأمة وتصفُّ جنودها وتحشد عدتها لمواجهة عدوها الأكبر .

الإسلام دين التوسط والاعتدال واليسر وليس العسر :

﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ البقرة - ١٨٥

والأمة الإسلامية أمة وصفت بالوسطية :

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾

سورة البقرة

والدعوة إلى الإسلام تخضع لمعايير منضبطة وثابتة لا تتبدل ولا تتغير : بينها الله - عز وجل -

---

(*) الكاتب : شيخ معهد القراءات بدمنهور .

فى قوله تعالى :

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ .

**النحل ــ ١٢٥**

وقوله تعالى :

﴿ قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾

يوسف

فالغلو أو التشدد أمر مرفوض شرعاً مهما كانت الأسباب ، لأنه منفر ومسبب للهلاك : والغلو ظاهرة أصيب بها أهل الأديان السابقة فأهلكتم ،)وهؤلاء قال الله ــ عز وجل ــ فى حقهم :

﴿ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ .

**المائدة ــ ٧٧**

فليس فى الإسلام إذن تطرف ولا غلو ولا تشدد ، ولو كان أعداء الإسلام يريدون محاربة التطرف حقا لما وصموا دين الوسطية والاعتدال بالتطرف والجمود ظلما وافتراء ، انما استهدفوا النيل منه من خلال عدة وسائل :

١ ــ تنفير جماهير المسلمين من دينهم كنظام حكم ومنهج حياة بوصفه دين تشدد وعسر وتضييق .

٢ ــ شغل الشباب المسلم بالمسائل الجزئية وتبديد جهوده الفكرية وطاقاته العملية فى الدعوة بحرارة لهذه الفرعيات والمجادلة والمخاصمة عليها ، وإلهاؤه عن القضايا المصيرية .

٣ ــ شغل القوى الإسلامية المتحركة بعضها حتى لا توجه حركتها الصاعدة إلى عدوها المشترك بل تتصارع فيما بينها وتتراشق بالتهم حتى تصل إلى حد التأثيم بل التكفير وبهذا يهدم بعضها بعضا ، ويخربون بيوتهم بأيديهم .

والعدو المتربص يقف متفرجا قرير العين بما يرى ، ولا مانع عند اللزوم أن يتدخل ليجهز على البقية الباقية .

٤ ــ تيئيس الناس من الإسلام ودعاته حتى يستقر فى نفوسهم أنه لا فائدة فى أى عمل إسلامى ما دامت نتيجته ان يضرب من الخارج أو يتآكل من الداخل .

٥ ــ وأولى بالمصلحين الساعين إلى الكمال بلا هدم ولا قتل ولا تخريب أن يقرءوا قول الله ــ عز وجل ــ لصحابة رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بعد غزوة أحد .

﴿ أَوَلَمَّآ أَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَـٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾ ﴾

سورة آل عمران

فيا شبابنا المسلم : كونوا للدعوة جنودا مخلصين داعين على بصيرة ميسرين لا معسرين ولا منفرين ، وأحسنوا الظن بالناس ، وخذوا عن أهل العلم والورع والإخلاص والاعتدال فيفهم المسلمون حقيقة دينهم وأهدافه .

# نعـم ... يا دكتـور زكـــريـا

# هما ثقافتان ... وهما أيضاً وجهتان

الأستاذ الدكتور إبراهيم عوضين(*)

**كلما ذكرت قول شوقي :**

| | |
|---|---|
| خفضنا من عُلُو الحق حتى | توهمنا السيادةَ أن نُسادا |
| ورب حقيقة لا بد منها | خدعنا النَّشْءَ عنها والسوادا |

**ذكرت ما آل إليه ـ في هذا العصر ـ أمر قادة الفكر والثقافة في أمتنا على وجه العموم ، وفي مصر على وجه الخصوص ؛ فقد استطاع المستعمرون الأوروبيون الصليبيون أن يقهرونا من داخلنا بسلاح الفكر والثقافة ، بعد أن يئسوا من قهرنا عسكرياً على مدى أكثر من أربعة قرون .!**

ولقد أعانهم على النجاح في ذلك ؛ بريق ما حققوه من كشوف علمية ، تخلب كل لُبّ ، وتذهل كل عقل ؛ فلقد جعلوا من ذلك وسيلة لإساغة كل ما يصنعون ، حتى لو كان العبث الفكري ، أو الفساد الثقافي .. الأمر الذي دفع واحداً من شوامخ المفتونين بالحياة الأوروبية ، والمتسنمين بيننا قمة الأدب والفكر في العصر الحديث ، إلى أن لا يستحي من الدعوة إلى احتذاء الأوروبيين في كل شيء ، من غير تفكير ولا نظر ؛ فلم يخجل الدكتور « طه حسين » من أن يربط بين تقدمنا الحضاري والتقدم الأوروبي وحده دون غيره ، كي يلزمنا بالحاجة إلى التساوي بالأوروبيين واحتذائهم في كل شيء ؛ بأن نسير سيرتهم « ونسلك طريقهم لنكون لهم أنداداً ، ولنكون لهم شركاء في الحضارة ، خيرها وشرها ، حلوها ومرها ، وما يحبّ منها وما يكره ، وما يحمد منها وما يعاب »(1) .

---

(*) رئيس قسم الأدب والنقد بكلية اللغة العربية بالمنصورة

كما يؤكد على أن يكون ثمن مساواتنا الأوروبيين فى الحضارة الحديثة هو : تنازلنا عن هويتنا الثقافية ، وذوباننا فى ثقافتهم ؛ فيفرض من أجل ذلك : أن يكون سيرنا كسيرتهم فى حياتنا العملية اليومية ، وفى أطفالنا ، وعقائدنا ، ودخائل نفوسنا[٢] .

وعلى الرغم من أن بعض المنافحين عن « طه حسين » حاولوا أن يوجهوا هذه العبارات وجهات مختلفة تبرىء صاحبها من الوقوع فى براثن الخضوع التام المستكين لكل ما هو أوروبى ... تقدم لنا أجهزة الثقافة والإعلام فى مصر كل يوم تلميذاً وفياً لهذه الوجهة ، التى لا ترى خير أمتنا إلا فى إلغاء عقول أبنائها إلغاء تاماً ، وطرح لغتنا وعقيدتنا ومشاعرنا النفسية جانباً ، والانسلاخ الكامل من هويتنا التى تميزنا عن سادتهم الأوروبيين ، أساطين الحضارة الحديثة .!

**ومن هذا ما طالعتنا به صحيفة الأهرام الصادرة فى السابع من شعبان سنة ١٤١٤ هـ التاسع من عشر من يناير سنة ١٩٩٤ م تحت عنوان « الثقافتان » بقلم الدكتور « فؤاد زكريا » ، وفى هذا المقال رأى الدكتور أن يصل إلى مراده بطريقة عكسية ، يقدم فيها الجميل فى هيئة القبيح ، والقبيح فى هيئة الجميل ، والصواب فى هيئة الخطأ ، والخطأ فى هيئة الصواب ؛ وقد بدأ بنفسه ، فقدم لنا من نفسه المفكر العربى الغيور على أمته ووطنه ، الحزين على ما آل إليه حالنا على أيدى طائفة من المزيفين الذين يعملون على تشويه الوجه المشرق للثقافة الأوروبية .**

### العلمانيـــة والإســـلام :

فالدكتور – فى مبتدأ مقاله – مستاء يائس من الإصلاح ؛ لأن من حاورهم من المسلمين يصرون على رفض العلمانية التى يبشر بها ، والتى تدعو إلى الفصل بين الدين والسياسة ، ويرى هؤلاء الرافضين – لرفضهم ذاك – يقفون فى معسكر التطرف والإرهاب الفكرى ، المقابل لمعسكر التنوير والتقدم ؛ فقد شاهد بنفسه – كما يذكر بالنص – « كيف تم بالتدريج تحويل صفة العلمانية التى تطلق على الدعوة إلى الفصل بين الدين والسياسة من صفة محايدة ، لا تدل على أكثر من الوضع القائم بالفعل فى معظم البلاد الإسلامية – وضمنها مصر – طوال القـــرن الأخير على الأقل ، إلى صفة قبيحة مخيفة ، لا ينقص صاحبها سوى قرنين صغيرين على جانبى رأسه كيما يصبح شيطاناً رجيماً » .

ولا أدرى كيف ساغ الدكتور لنفسه أن يستهين بعقول القراء على صفحات جريدة كبيرة كهذه ؟!

وإلا ... فأين هو الحياد الذى تتسم به العلمانية التى تطلق على الدعوة إلى الفصل بين الدين والسياسة ؟!

ماذا يعنى الدعوة إلى الفصل بين الدين والسياسة ؟! وكيف يكون ا اعى إلى ذلك – أو

الدعوة إلى ذلك ــ حيادياً ؟!

إن إطلاق العلمانية على هذا الفصل ــ كما قرر ــ يعنى من أول الأمر أنها لا تعرف شيئاً عن الحياد ؛ لأن المنطق الأرسطى أو العلمى الذى يعتز به الدكتور ، ويعتز به الأوربيون ــ فضلاً عن المنطق الإسلامى ــ لا يسلم بهذا هكذا على إطلاقه ؛ إذ الدين الذى يتعارفه الكثيرون ــ فى الواقع ــ ليس ديناً واحداً ، فهناك الدين الذى يسلط طائفة على طائفة تسليطاً مستغلاً مستبداً ، لأنه يجعل الناس طائفتين ، طائفة رجال الدين ، وطائفة العامة ، فلرجال الدين ــ باسم هذا الدين ــ الحرية المطلقة فى إخضاع العامة ، دون تدخل من أحد ، لأن سلطانهم مستمد من سلطان الله . وهناك الدين الذى يتجاهل النشاط العقلى ، ويعاديه هو ومن يدعون إليه ، وما ينبثق عنه . وهناك الدين الذى يميز معتنقيه عن غيرهم ، أياً كان سلوكهم وخلقهم ... وهناك الدين الذى يرى العقل وسيلة من وسائل المعرفة ، ويرى الناس سواسية لا فضل لواحد على آخر إلا بما يقدمه من خدمة عامة ، وليس هناك فضل بالأصل ولا بالجنس ولا بالعبادة الخاصة ، ويرى العلم أحد مظاهر التدين ، ويقدم ــ هذا وذاك ــ للناس المنهج المستقيم فى التعامل مع الكون والحياة ، طالباً من كل فرد على السواء أن يقدم ما يستطيع ، دون حجر أو تمييز .. الدين الذى لا يقصر العدالة على أفراد بأعيانهم ، ولكن العدالة فى ظله عامة شاملة .!

كيف يا سيادة الدكتور تجعل العلمانية التى تطلق على الدعوة إلى الفصل بين الدين ــ فى عمومه ــ وبين السياسة ... حيادية ؟!

وددت .. لو كنت موضوعياً فى رؤيتك ــ كما تقولون ــ حيادياً فى حكمك ، عقلانياً فى تعبيرك ، فأوضحت أى دين من هذه الأديان تفصل العلمانية بينه وبين السياسة ؛ لأنك بهذا التعميم تناقض نفسك ، أو تسخر من عقول القارئين ؛ فالعلمانية التى تفصل بين الدين الإسلامى وبين السياسة لا يمكن أن تكون متسمة بالحياد ؛ إذ الإسلام يقوم على وحدة الكيان الإنسانى ، ويرى الإنسان مزيجاً من الروح والمادة ، من العاطفة والعقل ... دون فصل بينهما ولا ثنائية ؛ فهو مخلوق من طين نفخ فيه من روح الله الخالق عز وجل !

ومن هنا .. كانت العبادة فى الإسلام شاملة الصلاة ، والصيام ، والحج ، والزكاة ، والعدل فى الحكم ، والجد فى السعى والعمل ، والاتزان فى الإنفاق ، والأمانة فى القول ، والاعتدال فى الطعام والشراب ... إلى آخر كل تلك القائمة الطويلة من السلوكيات التى تشمل الحياة كلها التى لا يتسع المجال لاستقصائها ... فقد تلقينا قول العزيز الحكيم : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (١٣٥) ﴾ ( النساء ) .

وتلقينا قول الحكيم العليم : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ (١) ﴾ ( المائدة ) .

إلى جوار قوله سبحانه وتعالى :

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ ( سورة الإسراء ).

وقوله جل شأنه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ ( ٥٩ النساء ) .

إلى غير ذلك من آيات الكتاب الكريم التى تقرر أن كل أمور الحياة تدخل فى مجال عبادة الله سبحانه وتعالى ، مما لا يتسع لذكره المجال ، فكيف يا دكتور ترى أن العلمانية التى تدعو إلى الفصل بين الإسلام والسياسة محايدة ؟!

**الثقافة المفتوحة .. والثقافة المغلقة :**

ومن تلك المقدمة الضالة .. خلص الدكتور إلى أن هذا الموقف من العلمانية ، الموزع بين من يراها ـ فى موقفها من الدين ـ محايدة ، ومن يراها غير محايدة .. قد أفرز نوعين من الثقافة ـ أو هو إفراز لنوعين من الثقافة ـ لا تكاد تكون هناك صلة بين أحدهما والآخر .

وفى حرصه على الاستمرار فى السخرية من عقل القارىء يجعل الثقافة التى ترفض ـ أو يرفض أصحابها ـ هذا الحكم الضال المزيف ثقافة مغلقة ، والثقافة الأخرى مفتوحة ، بحجة أن أصحاب الثقافة المغلقة يؤمنون بثقافة اكتمل بناؤها الأساسى منذ أمد بعيد ، وأن أصحاب الثقافة المفتوحة يشتركون جميعاً فى الانفتاح على ثقافات العالم .!

وكأن الثقافة التى اكتمل بناؤها الأساسى منذ أمد بعيد آتية من خارج العالم ، أو كأن بناءها اكتمل فى عالم آخر لا صلة له بعالم الإنسان .

بل كأن الثقافة التى ينفتح هؤلاء عليها ثقافة ناشئة ، ليست لها جذور ولا أغوار ، أو كأنها مبتوتة الصلة بالثقافة اليونانية والإغريقية الوثنية .!

إن من يقرأ صدر المقال يدرك أنه مع كاتب يعى المقصود بالثقافة التى لا يمكن بحال من الأحوال إلا أن تكون ضاربة الجذور فى أعماق أصحابها .. تصل حاضرهم بماضيهم ، فى طريقهم إلى مستقبل يعيشون حاضره ، دون أن يفصم جذورهم من أصولها ، وإلا لأسرع إليهم الذبول فالموت ، كما حدث لكثير من الأمم التى بادت ، ولم يبق منها إلا بعض الخطرات التاريخية .

ولكن القارىء حين يصل إلى ذلك الحد من المقال يجد نفسه مع كاتب آخر .!

ولو أن الدكتور التزم الحياد الذى يتشدق به ، لما رأى هذه الثقافة بعين ، وتلك بعين أخرى ، ولما خلط بين الثقافة ـ فى عمومها ـ والحضارة أو التقدم العلمى ... ولكان قرر أن الانفتاح والانغلاق أمران نسبيان ، وأن ثقافة العلمانيين ـ وإن كانت منفتحة على ثقافة الأوروبيين بمادياتهم وسخطهم على الكنيسة ورجالها وفكرهم ـ هى ثقافة مغلقة فى الوقت نفسه بإزاء ثقافة الإسلاميين ؛ حيث لا يكادون معه يعرفون عن حقيقة الإسلام شيئاً ، اللهم إلا ما يريدون أن يلصقوه به ، لينفروا منه الآخرين .!

ولكن ـ لحاجة فى نفس الدكتور ـ أبى إلا أن يحكم على الثقافة الإسلامية ـ وحدها ـ بالانغلاق ، على الرغم من أنها لا ترفض الحكمة

أياً كان مصدرها أو موطنها ، كما لا ترفض المعرفة ولا العلم كذلك .!

**رمتني بدائها وانسلت :**

ثم يعلن الدكتور أنه وصل إلى مرحلة اليأس من التأثير فى أصحاب هذه الثقافة المغلقة ، على الرغم من توسله فى حواره معهم بما اعتاده من احتكام إلى العقل والمنطق .

ونبحث عن هذا العقل وذاك المنطق اللذين يحتكم إليهما ؛ فنجد أنه - قبل أن يقوم بهذا الاحتكام - قد أغلق نفسه على عقل أرسطو ، والمنطق الأوروبى الذى فتن أصحابه بما تحقق فى ميدان الصناعة والبحث فغفلوا عن المكون الآخر للإنسان ، وإن لم يروا فيه إلا العنصر المادى البحت .

فالدكتور لا يبصر جوانب الضعف والقصور فى تصوره ورؤيته هو وأمثاله ، ويأبى إلا أن يلوم من لم يستجيبوا له ، ويسلسلوا لرأيه القياد ، ولو كان رأيه وأصحابه نشازاً بين المعزوفة الإسلامية العامة ، بل ويأبى إلا أن يرى فيهم جموعاً متحجرة منغلقة ، لا تقبل القول إلا من معلمين بأعيانهم لا يرضون بهم بديلاً .. مغضياً نظره عن أصالة رؤيتهم ورأيهم المتوائم مع قيم الفطرة الإنسانية ، وقيم ما ارتضوه - عن يقين - من دين غنى بالفكر والثقافة غِنىً يمتد عبر أكثر من أربعة عشر قرناً ، ويشمل ما يعادل أكثر من نصف الكرة الأرضية .. متوهماً أن تمسك هؤلاء بما يحفظ عليهم هويتهم ، وينبثق عن أصالتهم متفيئاً كل ظل عصرى ، بحيث لم تستطع الزعازع الهوج أن تفصم عراهم من عراه ... على مدى تلك القرون الممتدة .!

ولو أن الدكتور أنصف نفسه ، وأنصف البحث العلمى والحوار العقلى الحقيقى .. لتنبه إلى أن فشله هو وأمثاله ليس راجعاً إلى جمود من يحاورهم ولكنه راجع إلى جموده هو ورفقاؤه ، ووقوفهم عند مرحلة من الفكر والثقافة الأوروبية نبذها الأوربيون أنفسهم ، وجعلوها دبر آذانهم بعد أن تخلصوا بثورتهم من سلطان رجال الكنيسة وهيمنتهم باسم الدين على أمور الحياة - وليست الدولة فحسب - لصالحهم وصالح من يرضون عنه !

ولا أدل على ذلك مما نعلمه جميعا من قيام أحزاب سياسية ذات منزع مسيحى - على اختلاف المذاهب المسيحية - فى مقابل الأحزاب ذات المنزع العلمانى ... بل كيف يغيب عنا وعنكم أصول الدولة التى تواطأ الأوربيون جميعا على إنهاضها - بعد تمكينها من أرض فلسطين - على أساس دينى عنصرى متعصب إلى أبلغ حدود التعصب ؟!

إن ما ترمى به - ياسيادة الدكتور - جموع الإسلاميين من جمود وحرص على إخماد الحس النقدى ليس من الاسلام فى شىء ، وليس منه الاسلاميون فى شىء كما ترى .. ولكن مرضكم أنتم الذين تخفون السم فى العسل ، وتحاولون أن تقهروا الناس على تجرعه قهرا ، فإذا لم تتمكنوا من ذلك ، لجأتم إلى الالتفاف بالتباكى والتحسر على فشلكم ، وكَيْل الألقاب والنعوت المنفرة لتلصقوها بهم ، أملا فى أن تنجح تلك فى صرف بعض الناس عن التوجه الاسلامى !

## الإرهاب الفكرى سلاح العاجز

ومن هنا .. يستشعر الدكتور أن الفرصة أصبحت مواتية للانقضاض بالقوة الجبرية على الإسلاميين ، تعويضا لفشل الحوار الفكرى والمنطقى المزعوم ، فلا يكتفى بتزييف السمات الثقافية للإسلاميين والعلمانيين ، ولكنه يعمد إلى محاولة الحجر على الإسلاميين ، والسعى إلى إغلاق منافذ البيان والتعبير دونهم ، حتى تخلو الساحة للثقافة العلمانية ، حرصا على إنقاذ شباب الأمة من إفساد الإسلاميين وعبثهم بتفكيرهم !

ولا يكتفى الدكتور باستيلائه الفعلى هو والفرقاء العلمانيون على منافذ البيان المكتوب من صحف ومجلات ، وسيطرتهم على ميادين التعبير المنطوق ، من مؤتمرات وندوات .. فيغرى المسئولين الرسميين بتمكينهم — يعنى العلمانيين — التمكين الكامل من أجهزة الاعلام الأخرى ، من إذاعة وتليفزيون ، حتى يتلافوا الخطر المحدق بالأمة من وراء ذيوع الفكر الاسلامى — أو الفكر غير العلمانى — مغلفا إغراءه ذلك بغلاف التنسيق بين الثقافة والإعلام ، لعلمه أن الإعلام قادر على أهم الأدوار فى المعركة التى يخوضها من أجل الحفاظ على البقية الباقية من عقل مصر « هكذا نص عبارته » .

يقول الدكتور هذا سترا لضعف تأثيرهم — كما يصرح بذلك — على الرغم من علمه بأن كل الوسائل الإعلامية مسخرة للصوت العلمانى ، ولا يكاد يتاح منها للصوت الاسلامى إلا مالا يتجاوز القشرة السطحية ، وفى أضيق الحدود !

وهكذا ... نرى أن الدكتور فؤاد زكريا إنما قصد بذلك أن يستل سيف الإرهاب الفكرى من غمده ، مهدداً المتمسكين بالثقافة الأسلامية ، بنعتهم بأشنع النعوت وأقبحها ، متوعدا إياهم بالحجر والاعتقال بعيدا عما قد يكون متاحا لهم من منافذ التعبير المحدودة ، حتى يخنق آراءهم فى صدورهم ، ويحبس أنفاسهم فى حلوقهم ، حماية للأمة — كما يزعم — من جمودهم الفكرى ، وانغلاقهم الثقافى ، وظلام تفكيرهم الذى يهدد التنويريين — من أمثاله — بإفساد مساعيهم فى تنوير المجتمع ، وتذويبه فى المجتمع الأوربى ، كما أعلن ذلك منذ أكثر من نصف قرن رائد التنويريين الدكتور طه حسين !

وهكذا ... تتراءى أنياب الإرهاب الفكرى ، تنفث سمومها الناقعة ، من خلف تلك الستر التعبيرية المنمقة ، التى نسجت من دموع التباكى على الثقافة المنفتحة ، والفكر المتنور ، والمنطق العاقل ، اشمئزازا من الإسلام والثقافة الإسلامية ، وخوفا من آثارها الفعالة على الأمة وعملا على تمكين الثقافة العلمانية !

فلا أملك إلا أن أذكر قول الحق تبارك وتعالى فى وصف مثل هذا الواقع :

﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ سورة الزمر

ولا أستطيع ألا أن أرجو الله تعالى أن يبصرنا ويبصر هؤلاء العلمانيين بالحق ، وأن يهدينا جميعا سواء السبيل .




أ د. محمد محمد زيتون[*]

## كيف تم فتح مصر ؟

وقد سار عمرو بجيشه الذى لم يتجاوز أربعة آلاف جندى إلى ( العريش ) حيث استولى عليها بدون مقاومة لتصدع حصونها وعدم وجود حامية رومانية بها ، ومن العريش توجه عمرو الى ( الفرما )[1] وكانت محصنة وبها حامية رومانية فضرب عليها الحصار شهرا ودار قتال بين المسلمين وبين الحامية انتصر فيه المسلمون واستولوا على الفرما التى تعتبر المدخل الطبيعى لمصر من الشرق ، وتؤمن للمسلمين وصول المدد أو العودة عند الهزيمة ، وقد تم للمسلمين فتحها أول المحرم سنة ١٩هـ — ٦٤٠ م ثم واصل المسلمون السير مارين بمدينة ( مجدل ) ( فالصالحية ) ( فوادى الطليمات ) بقرب ( التل الكبير ) حتى وصلوا إلى ( بلبيس ) وكان بها الأرطبون الفار من بيت المقدس ، فأدار بها القتال شهراً ضد المسلمين انتهى بهزيمته وإستيلاء المسلمين على المدينة .

توجه عمرو بالمسلمين بعد ذلك إلى ( أم دنين ) حيث دار القتال بين المسلمين والبيزنطيين واشتد القتال وأبطأ الفتح فكف عمرو عن القتال وأرسل إلى الخليفة يطلب المدد فأمده الخليفة بأثنى عشر ألفاً من المسلمين على رأسهم الزبير بن العوام وعبادة ابن الصامت ومسلمة بن مخلد والمقداد بن

(*) الكاتب رئيس قسم التاريخ – جامعة الأزهر .

(١) الفرما : مدينة على تهر من الأرض تبعد نحو ميل ونصف ميل من البحر شرق بورسعيد يصب قربها فرع النيل البلوزى وهى قرية الحصون بها كنائس وأديرة . تيلر فتح العرب لمصر ص ١٨١ .

الأسود الذى يعد الواحد منهم بألف رجل[٢] .

وقد تمكن عمرو قبل وصول المدد من الاستيلاء على ( أم دنين ) ثم عبر النيل قاصدا ( الفيوم ) حيث استولى على ( البهنسا ) واستاق ما كان يقابله من الأنعام ، وقبل أن يستولى على الفيوم علم بوصول المدد فعاد أدراجه واستقبل المدد وعسكر به فى هليوبولس ( عين شمس ) .

الاستيلاء على حصن بابليون :

اعتصمت قوات الروم بقيادة تيودور ورئاسة المقوقس فى حصن بابليون ، وقد استدرجهم عمرو إلى القتال خارج الحصن حيث التقى بهم فى ( العباسية ) وقد أعد كمينا لهم فى الجبل شرق العباسية وآخر قريبا من ( أم دنين ) ثم هاجمهم ببقية الجيش وعندما حمى وطيس القتال خرج الكمين فى الجبل فاجتاح مؤخرة جيش الروم وأحدث بها خللاً فمالوا إلى ( أم دنين ) فخرج عليهم الكمين الثانى ، وصاروا بين ثلاثة جيوش إسلامية فأختل نظامهم وحلت بهم الهزيمة وفروا طالبين النجاة ، وعادوا إلى الحصن برا وبعضهم ركبوا السفن ولاذوا بالحصن وقتل منهم عدد كبير فى تلك المعركة .

مهدت هذه المعركة السبيل للمسلـــمين ليحاصروا حصن بابليون ، وكان وقت فيضان النيل فطال الحصار إلى سبعة أشهر لقوة أسوار الحصن وقلة معدات الحصار عند المسلمين .

أيقن الروم بتصميم المسلمين على فتح الحصن فتداولوا فى مفاوضة المسلمين فوافق البعض ورفض البعض الآخر . فخرج المقوقس فى نفر إلى جزيرة الروضة وأرسل إلى عمرو بن العاص يطلب الصلح . فخيرهم عمرو بين الاسلام ، أو الجزية ، أو القتال ، وعاد الرسل فسألهم المقوقس عن المسلمين فقالوا : « رأينا قوما الموت أحب إلى احدهم من الحياة ، والتواضع أحب إليه من الرفعة ، ليس لأحدهم فى الدنيا رغبة ولا نهمة ، إنما جلوسهم على التراب وأكلهم على ركبهم وأميرهم كواحد منهم ، ما يعرف رفيعهم من وضيعهم ، ولا السيد منهم من العبد ، وإذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها منهم أحد يغسلون أطرافهم بالماء ويتخشعون فى صلاتهم . فقال المقوقس : « والذى يتحلف به لو أن هؤلاء استقبلوا الجبال لأزالوها ، وما يقوى على قتال هؤلاء أحد ، لئن لم نغتنم صلحهم اليوم وهم محصورون بهذا النيل لم يجيبونا بعد اليوم إذا أمكـــنتهم الأرض وقـــووا على الخروج من موضعهم[٣] .

ترددت الرسل بين المقوقس وعمرو فى شأن الصلح على دفع الجزية على أن يفرض على جميع من بمصر أعلاها وأسفلها من القبط ديناران عن كل نفس شريفهم ووضيعهم من بلغ الحلم منهم ، ليس على الشيخ الفانى ولا على الصغير الذى لم يبلغ الحلم ، ولا النساء شىء ، وكأن فى الصلح ستة

(٢) الكندى كتاب الولاة وكتاب القضاة ص ٨ .

(٣) ابن عبدالحكم فتوح ص ٩٧ .

شروط لا يخرجون من ديارهم ولا تنزع نساؤهم ولا كفورهم ولا أرضهم ، ولا يزاد عليهم ، ويدفع عنهم موضع الخوف من عدوهم[٤].

وتم الصلح بالنسبة للقبط . أما بالنسبة للروم فمن أراد منهم البقاء كان كالقبط ومن أراد منهم الخروج إلى أرض الروم خرج ، وأرجأ الموافقة بالنسبة للروم إلى أن يوافق امبراطورهم على ذلك ، ولكن هرقل رفض الصلح ، وقلل من شأن المسلمين ولام المقوقس على تصرفه .. واستؤنف القتال الذى انتهى بأن تسلق الزبير بن العوام أسوار الحصن مع بعض المسلمين وعجز الروم عن مقاومته وطلبوا إجراء الصلح معهم فوافق عمرو ، وخرج الروم من الحصن حاملين ما يكفيهم من القوت تاركين أسلحتهم وذخائرهم للمسلمين وتم ذلك فى المحرم سنة ٢٠ ه الموافق أبريل سنة ٦٤١ م بعد أن مات هرقل أمبراطور الروم فى مارس سنة ٦٤١ م .

### فتح الاسكندرية :

بعد الاستيلاء على حصن بابليون توجه الجيش الإسلامى إلى الاسكندرية التى كانت عاصمة مصر آنذاك وذات أهمية كبرى تجارية وحربية ولا يتم فتح مصر الا بالاستيلاء عليها فوصل إليها الجيش الاسلامى بعد أن خاض بعض المعارك فى الطريق مع حاميات الروم ومصالحهم فى ( طرنوط ) ( ونقيوس ) ، ( وسلطيس ) ( والكريون ) .

وعند الاسكندرية دار القتال بين المسلمين والروم المتحصنين فى مدينتهم واستمر الحصار والقتال أربعة أشهر اضطربت خلالها أمور الدولة البيزنطية فأرسلت المقوقس إلى الاسكندرية حيث عقد صلحا مع المسلمين كان من نصوصه :

المهادنة بين الطرفين أحد عشر شهرا ، وأن يحتفظ المسلمون بمركزهم مدة الهدنة ، وألا يباشروا أعمالا حربية ضد الاسكندرية ، وأن يكف جند الروم عن الأعمال العدائية ، وألا يتعرض المسلمون للكنائس بسوء ، وألا يتدخلوا فى شئون المسيحيين ، وان ترحل الحامية التى بها بأمتعتهم وأموالهم من دفع الجزية عن شهر عند رحيلهم ، وبقاء اليهود بالاسكندرية . وألا يعود الرومان أو يحاول جيش رومى استرداد مصر ، وأن يدفع كل من فرضت عليه الجزية دينارين كل سنة ، وأن يكون عند المسلمين مائة وخمسون جنديا روميا وخمسون مدنيا رهينة لتنفيذ هذه المعاهدة وكان ذلك فى سنة عشرين هجرية — نوفمبر سنة ٦٤١ م .

وتم جلاء جنود الروم آخر سنة ٢١ ه الموافق سبتمبر سنة ٦٤٢ م حيث دخلها المسلمون واستطاع المسلمون بعد ذلك بسط سلطانهم على جميع الجهات فى مصر شمالها وجنوبها وصار المصريون بذلك أهل ذمة فى حماية المسلمين .

---

(٤) ابن عبدالحكم فتوح ص ١٢٥ ، ١٢٦ .

**موقف القبط من المسلمين أثناء الفتح :**

تضاربت أقوال المؤرخين بالنسبة لموقف القبط أثناء الفتح بين مثبت لمساعدة القبط للمسلمين وبين ناف لها . وقد يبالغون فى مدى تأثير ذلك بالنسبة لسير الفتح ، وأرى أن القبـط كانـوا محايدين أو سلبيين بالنسبة للمسلمين والروم أى عن مساعـدة أحـدى الطائفـتين ( الـــروم والمسلمين ) على الأخرى ، ولكن عندما كان يبسط المسلمون سلطانهم على قريـة أو مدينـة ويستولون عليها فلا شك أن أهلها بحكم سلطة المسلمين عليهم سينفذون ما يطلب منهم من أمور تساعد المسلمين فى تحركاتهم وسير جيوشهم ، وتنفيذ أغراضهم فى بسط سلطانهم على هذه البلاد ، والأمر كذلك بالنسبـة لمن هم تحت سلطـان الـروم من القبـط أثنـاء فتـــح مصر لا يستطيعون أن يمتنعوا عن تنفيذ ما يطلب إليهم .

**إدارة مصر بعد فتحها :**

وقد اهتم المسلمون بشئون مصر بعد فتحها فعملوا على تنظيم إدارتها وعهد بولايتها إلى قائد فتحها « عمر بن العاص » فهو أول ولاتها حيث أسس الفسطـاط وكانت مصر أول عاصمـــة إسلامية فى افريقيا . وقد اتبع عمرو مع اهل مصر سياسة الرفق المقرون بالحزم فأحصى موارد مصر وثرواتها بدقة وفرض على شعبها الجزية بطريق الصلح كما سبق .

وكانت مصر تتمتع آنذاك بموارد وثـروات عظيمة وكانت تزخر بالسكان وقراها عامرة رغم ما أصابها من عسف الادارة الرومانية ، وكانت قرى مصر أكثر من عشرة آلاف قرية وكان صلح القبط على أن يدفع كل رجل منهم جزية قدرها ديناران[٥] . وقد بلغ من وجبت عليهم الجزيـة السنوية ستة آلاف الف نفس وفى رواية أخرى ثمانية آلاف الف ليس فيهم امراة ولا شيخ ولا صبى فكان الدخل من الجزية اثنى عشر مليونا أو ستة عشر مليون دينار فى العام ولعل فى ذلك مبالغة كبيرة ولكنه يبين لنا جانبا من الدخل الذى يحصل فى الولاية .

ويذكر ابن عبد الحكم أن أهل ( سلطيس ) ( ومصيل ) ( وبلهـيب ) ظاهـروا الـروم على المسلمين فى جمع كان لهم . فلما ظهـر عليهم المسلمون استحلوهم وقالوا : هؤلاء لنا فىء مع الاسكندرية فكتب عمرو بن العاص بذلك إلى عمر بن الخطاب فكتب اليه عمر بن الخطاب بأن تجعل الاسكندرية وهذه القريات الثلاث ذمة للمسلمين على عددهم ولا يجعلون فيئا ولا عبيدا . ففعلوا ذلك[٦] . وهذا يدل على التسامح الكبير الذى سار عليه المسلمون بالنسبة لأهـل مصر وحرصهم على حسن علاقتهم بهم .

وكان عمرو يبعث إلى عمر بن الخطاب بالجزية بعد أن يحجز منها ما كان يحتاج إليه فى إدارة شئون مصر والقيام بالإصلاحات فيها وكانت فريضة مصر لحفر خلجها وإقامة جسورهـا ، وبنـاء

---

(٥) ابن عبدالحكم فتوح ص ١٢٢ ، محمد عبدالله عنان مصر الإسلامية ص ٧٩ .

(٦) ابن عبدالحكم فتوح ص ١٢٣ .

قناطرها ، وقطع جزاؤها مائة وعشرين الفا معهم الطور والساحى والأداة يعتقبون ذلك لا يدعون ذلك شتاء ولا صيفا (٧) .

وقد جرت مكاتبات عمر بن الخطاب وعمربن العاص بالنسبة لخراج مصر وأبطاء وروده إلى الخليفة والنقص الذى حدث فى الجزية بالنسبة لما قبل الفتح أيام المقوقس ، لأن المقوقس جباها قبل عمرو بستة عشر مليون دينار .

فأرسل عمر بن الخطاب إلى عمرو عدة كتب بالنسبة للخراج يقول فى الأخير منها قد عجبت من كثرة كتبى إليك فى ابطائك بالخراج وكتابك إلى ببينات الطرق ، وقد علمت أنى لست أرضى منك الا بالحق البين ولم اقدمك إلى مصر أجعلها لك طعمة ولا لقومك ، ولكنى وجهتك لما رجوت من توفيرك الخراج ، وحسن سياستك فإذا أتاك كتابى هذا فاحمل الخراج فأنما هو فىء للمسلمين وعندى من قد تعلم قوم محصوررون والسلام .

فاجابه عمرو بن العاص « سلام عليك فأنى أحمد اليك الله الذى لا اله الا هو ، أما بعد فقد اتانى كتاب امير المؤمنين يستبطئنى فى الخراج ويزعم أنى اعند على الحق وأنكب عن الطريق ، وأنى والله ما ارغب عن صالح ما تعلم ولكن أهل الأرض استنظرونى إلى أن تدرك غلتهم فنظرت للمسلمين فكان الرفق بهم خيرا من أن يخرق بهم فيصيروا إلى بيع ما لا غنى بهم عنه .

وهذا يبين حرص عمرو بن العاص على عدم الإضرار بأهل مصر وحملهم على فعل ما يلحق بهم العنت والمشقة ويبين سياسة عمرو الحكيمة والمعتدلة المتسامحة مع أهل مصر فى إرجائهم إلى أن يحين وقت الحصاد .

كما نجد عمر بن الخطاب يهتم بشئون مصر ويعمل على تقدمها فيبحث عن الوسائل التى تتبع لاعمار مصر وازدهارها ، كما يسأل عن الأشياء التى قد تؤدى إلى خرابها وضعفها فيكتب إلى عمرو بن العاص ان يسأل المقوقس عن مصر : اين تأتى عمارتها وخرابها فسأله عمرو ، فقال له المقوقس : تأتى عمارتها وخرابها من وجوه خمسة ، أن يستخرج خراجها فى إبان واحد عند فراغ أهلها من زرعهم ، ورفع خراجها فى ابان واحد عند فراغ أهلها من عصر كرومهم ، وتحفر من كل سنة خلجها ، وتسد ترعها وجسورها ، ولا يقبل محل أهلها — أى البغى عليهم من عامل ظالم يلى أمرهم — فإذا فُعِلَ هذا فيها عمرت ، وأن عمل فيها بخلافة خربت » وعرف عمر بن الخطاب من ذلك ما كان يعتذر به عمرو ابن العاص »(٨) .

كما يفهم ان المسلمين ما قصدوا بفتح مصر الاستيلاء على خيراتها وانما ايضا الاهتمام بما يؤدى إلى عمارها وازدهارها وتقدمها .

وقد أبقى عمرو بعض عمال الروم فى وظائفهم ، ومن رحل منهم جعل مكانه عمالا من القبط ولم يمض وقت طويل حتى صار معظم عمال

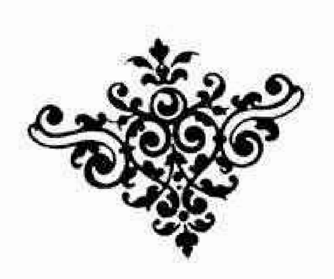
(٧) المرجع السابق ص ٢٠٤ .

(٨) ابن عبدالحكم فتوح ص ٢١٥ ، ٢١٦ .

الدولة من القبط . وكان المسلمون أخف وطأة فى جباية الأموال من الروم . وكان خراج الأرض يتغير بحسب عمار القرى وخرابها وحال الزراعة وكانت لجنة خاصة من عرفاء كل قرية ورؤساء أهلها تجتمع لتقدر ما يجبى من الأموال حسب حالة الزرع وقد خفف ذلك وطأة الضرائب على المصريين ، وكان يحدد فى كل بلد فدادين يخصص ريعها لإصلاح الأبنية العامة وصيانتها كالكنائس والحمامات والمعديات ، وحقق المسلمون المساواة بين الناس فى جباية الضرائب ، لأن الروم كانوا يعفون بعض الأفراد والطوائف الممتازة من الضرائب .

ولم يتح للمسلمين فى أول الأمر أن يملكوا الأرض وكان الرأى أن يبقى العرب على رباطهم لا يشتغلون بالزرع ولا يحلون بالبلاد كأهلها فلما اطمأنوا فى البلاد أبيح الخراج إذا ملكها مسلم من قبطى بل عليه ان يدفع ما كان يدفعه القبطى ، ولذلك كان القبطى إذا دخل فى الإسلام لا يرفع عنه خراج أرضه . ولكن الجزية كانت ترفع عن القبطى إذا أسلم ، إذ بإسلامه ترفع عنه صفة الذمة واختلاف الدين . ولذلك كان مقدار الجزية فى أيام عمرو اثنى عشر ألف دينار ، وفى أيام عبد الله بن أبى السرح أربعة عشر ألف ألف وفى أيام معاوية خمسة آلاف ألف بعد أن أسلم عدد عظيم من القبط ، وفى أيام الرشيد اربعة آلاف ألف ثم ثبتت الجزية على ثلاثة آلاف الف إلى أواخر القرن العاشر

كما قام عمرو بإعادة حفر الخليج الذى كان يصل النيل بالبحر الأحمر عند القلزم ( السويس ) وجرت فيه السفن تحمل الطعام من مصر إلى مكة والمدينة [.] وكان شريانا حيوياً للتجارة والتنقل .



# الإســلام والتأثير الروحى فى الحياة اليومية

لفضيلة الشيخ السيد عبد المقصود عسكر

الحمد لله والصلاة والسلام على جميع رسل الله وعلى خاتمهم سيدنا محمد بن عبد الله وعلى من اقتدى به واهتدى بهداه .

« وبعــد » ..

**أصــل الإنســـان :**

معلوم أن الإنسان مخلوق من جسد وروح . وبينهما تعاون وتكامل . وأصل الجسد من طين هذه الأرض فهو إليها يشتاق وإلى ما خرج منها يشتهى .

أما الروح فهى من الملأ الأعلى أتت وإلى هذا الملأ تشتاق وإلى الاتصال به تهفو يقول الله تعالى :

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾

الإسراء - ٨٥

من الطين والروح خلق الإنسان .

يقول الله تعالى :

﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾

سورة ص

---

(٥) محاضرة أُلقيت على طلبة الدراسات الدينية العليا بجامعة سانت ادوارد الكاثوليكية بمدينة أوستن فى ولاية تكساس الأمريكية . بدعوة من الدكتور روبرت فاستيجى والدكتور إد شيرلى عقب الظهر يوم الأربعاء ٢٨ من رمضان سنة ١٤١٢ هـ .

**مطالب الإنسان** : ولكل عنصر من هذين العنصرين مطالبه وحاجاته التى لابد من إشباعها كى يتحقق للإنسان توازنه النفسى والعاطفى والعقلى ولكى يكون إنساناً سوياً ينفع نفسه وينفع الآخرين .

وإهمال مطالب أحد العنصرين يؤدى لا محالة إلى الخلل والاضطراب فى سلوك الفرد تجاه نفسه وتجاه الجماعة .

**مطالب الروح** : ومطالب الروح تتلخص فى أنها تشتاق إلى عالمها العلوى فهى تعمل على الصعود بالإنسان وتحقيق السمو له والارتقاء به .

وإشباع حاجة الروح ، وغذاؤها يكون بالاتصال المتكرر بالله عن طريق الصلاة فى مواقيتها ، وعن طريق الصيام بشروطه وضوابطه . وعن طريق القيام فى خشوع بين يدى الله فى جوف الليل والناس نيام . وعن طريق الاعتكاف أى : التفرغ للعبادة فى المسجد أحياناً بعيداً عن شواغل الدنيا ، وهذا الاعتكاف ليس له صبغة الدوام فى الإسلام ، إذ لا رهبانية فى الإسلام ، ثم عن طريق بقية العبادات المشروعة .

**مطالب الجسد** : ولما كانت مطالب الروح لا يمكن أن تتحقق إلا بواسطة الجسد كان لابد من إعطاء الجسد حقه فى الطعام والشراب والكساء ، والعلاج من الأمراض والوقاية منها عن طريق الرياضة البدنية وغيرها . كما لابد من المحافظة عليه بالامتناع عن تعاطى ما يضره من أطعمة أو أشربة أو غيرها مما حرمه . وكان لابد من إشباع الغريزة الجنسية عن طريق الزواج المشروع ولا يتم – فى الإسلام – إلا بين رجل وامرأة ، وعلى أن يتم ذلك كله وفق الضوابط والقواعد التى نظمها الإسلام بكل دقة . وذلك من أجل الحفاظ على الجسد فى نفس الوقت لأنه أداة تحقيق السمو الروحى والخلقى إذ بواسطته تؤدى العبادات وتشبع الروح حاجاتها وتلبى أشواقها .

يقول الله تعالى :

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾[٣]

ويقول الرسول ﷺ : « ..وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال : يا أيها الرسل كلوا من الطيبات وأعملوا صالحا إنى بما تعملون عليم . وقال : يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا الله إن كنتم إياه تعبدون »[٤] .

ويقول الرسول – ﷺ – : « تداووا فإن الله

(٣) الأعراف ٣١ : ٣٣ .

(٤) رواه مسلم والترمذى .

لم ينزل داء إلا وقد أنزل له شفاء إلا السام والهرم »[٥] .

ويقول الله تعالى :

﴿ وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾[٦] .

ويقول الرسول ﷺ : « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج . ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء »[٧] .

**العبادات وسائل تربية :**

ومعلوم أن العبادات والشعائر هى الوسائل التى شرعها الإسلام لكى تهذب سلوك الإنسان فى حياته الخاصة والعامة فيتصرف فى كل الأحوال وفق ما يرضى الله عز وجل . ويصبح مهيئاً لتنفيذ كل أوامر الله واجتناب نواهيه .

**فالصلاة مثلا** تعوِّد الإنسان على الانضباط والحرص على المواعيد وتمنعه من ارتكاب المعاصى والمنكرات . يقول الله تعالى :

﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ .. ﴾[٨] .

فهى بهذا المعنى وقاية من المعاصى والذنوب . وهى ـ أيضا ـ علاج تمحو الذنوب وتطهر النفوس من أدرانها .

يقول الرسول ـ ﷺ ـ : « أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شىء ؟ . قالوا لايبقى من درنه شىء . قال فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا »[٩] .

فإذا كانت الصلاة فى جماعة ـ وهو أمر حث عليه الإسلام ـ فإنها تعود الإنسان على النظام وتقضى على الإحساس بالفردية والأنانية وتنمى فى الإنسان روح الانتماء للجماعة والارتباط بها . حتى يصير الفرد مع الجماعة كالعضو من الجسد كما وصف الرسول ﷺ فى قوله : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى »[١٠] .

والصلاة مع ذلك تقوى البدن .

**والصيام** يعود الإنسان على مراقبة الله والخوف منه . ومن خاف الله وراقبه فعل الخير كله وتجنب الشر كله **وصار من المتقين** يقول الله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[١١] .

والمتقون أناس ذوو أخلاق نبيلة وصفات

---

(٥) رواه ابن حبان .
(٦) النور ٣٢ ، ٣٣ .
(٧) رواه مسلم .
(٨) العنكبوت ٤٥
(٩) متفق عليه .
(١٠) متفق عليه .
(١١) البقرة ١٨٣ .

عالية . يقول الله – تعالى – فى وصف المتقين :

﴿ .. الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾(١٢) .

ويقول الرسول ﷺ : « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه »(١٣) .

وجاء فى حديث آخر . قال رسول الله ﷺ : « قال الله عز وجل : كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لى وأنا أجزى به . والصيام جنة فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب ولا يجهل . فإن شاتمه أحد أو قاتله فليقل إنى صائم مرتين .. »(١٤) .

وللصيام فوق ذلك فوائد فى الحفاظ على صحة البدن وسلامته .

**وقيام الليل والاعتكاف والتسبيح** وذكر الله وما يتصل بذلك من شأنها أن تربى فى الإنسان الشعور بأن الله هو الغنى وهو القادر القوى ، وأن كل الخلق فقراء عاجزون محتاجون إلى الله . وبهذا الشعور يصبح المؤمن قانعاً راضياً بما وهبه الله ويصبح صابراً قوياً لا يضعف أمام المغريات يقول الحق ولا يخشى فى الله لومة لائم ولا يذل بين يدى الطغاة والجبابرة لأنه تعود الاعتماد على الله وحده وعدم الخوف من المخلوقين فمن ذاق طعم السجود لله والخضوع بين يديه لم يعد يطيق الخضوع لغير الله . يقول الله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ رَّبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴾(١٥)

ويقول الله سبحانه :

﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾(١٦)

التوازن والاعتدال :

من العرض السابق يتضح أن مطالب الجسد لابد أن تلبى ولا يجوز أن تكبت وتمنع . وأن مطالب الروح لابد وأن تلبى ولا يجوز أن تنسى وتهمل .

وكما أنه لا يجوز الانقطاع للعبادة بحجة الوصول إلى السمو الروحى فكذلك لا يجوز المسارعة فى تحقيق كل مطالب الجسد بلا حدود أو ضوابط ؛

(١٢) آل عمران ١٣٤ ، ١٣٦ .
(١٣) رواه البخارى وغيره .
(١٤) رواه أحمد ومسلم والنسائى .
(١٥) المزمل ١ ، ١٠ .
(١٦) الحجر ٩٧ ، ٩٩ .

لأن الجسد لو أطلق له العنان فلن يقف عند حد وقد يدمر نفسه ويخرب المجتمع .

وهذا ما نراه فى الدول التى اطلقت العنان للشهوات . ومصير هذه الدول محتوم ومؤكد . إنه مصير الأمم التى سبقتها على هذا الدرب بادت واندثرت .

ونفس الشيء يمكن أن يقال فى حال الانقطاع للعبادة ؛ ذلك لأن الاعتكاف ــ مثلا ــ يعتبر بالنسبة للمسلم زداً ودواء والزاد عادة يكون وفق مقادير محددة والدواء كذلك يجب أن يكون وفق مقادير محددة فإذا زاد هذا أو ذاك عن الحد أفسد وأضر وربما قتل .

ونستطيع أن نؤكد ــ بكل الصدق ــ أن الإسلام حقق هذا التوازن والاعتدال بين مطالب الروح ومطالب الجسد .

ونكتفى للتدليل على هذا بذكر هذا الحديث الشريف : « جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبى ﷺ يسألون عن عبادة النبى ﷺ ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها . فقالوا أين نحن من رسول الله ﷺ غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . قال أحدهم : أما أنا فأصوم الدهر ولا أفطر . وقال آخر : أما أنا فأصلى الليل أبداً أما الثالث فقال : أما أنا فلا أقرب النساء أبداً . فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال : « أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ قالوا : نعم . قال : أما والله إنى لأتقاكم لله وأخشاكم له . ولكنى أصوم وأفطر وأصلى وأرقد وأتزوج النساء . فمن رغب عن سنتى فليس منى »[17] .

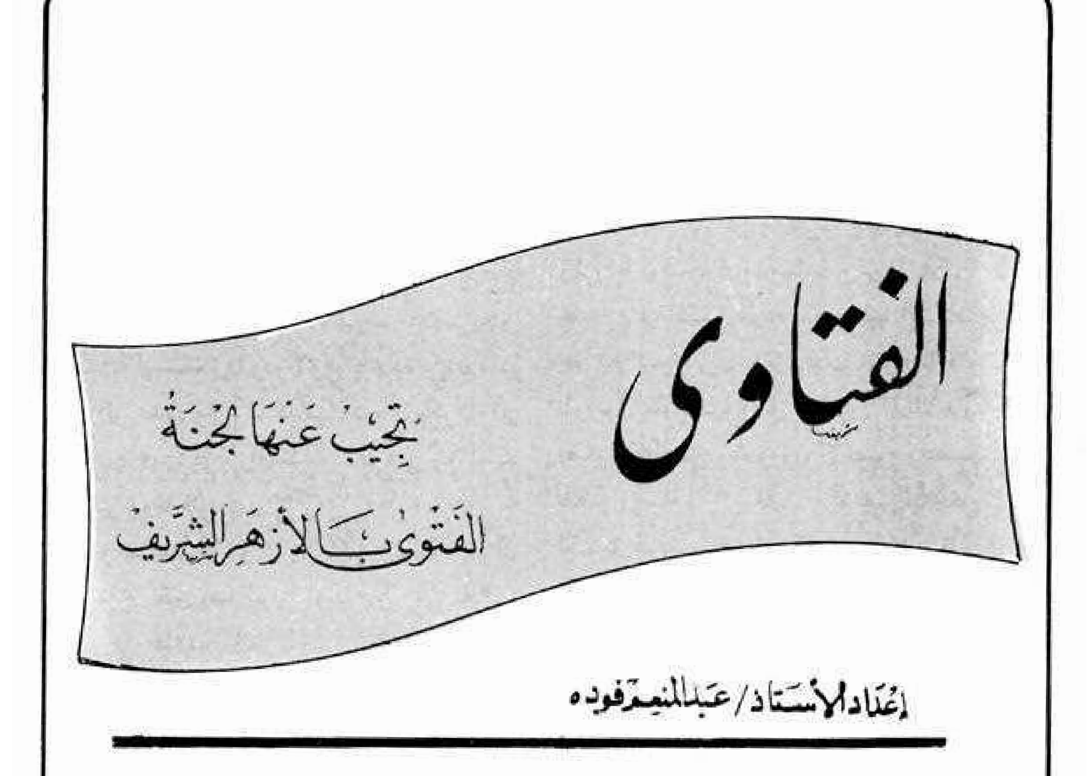
## العادة والعبادة :

ومما يتميز به الإسلام فى هذا الجانب ــ وهو من فضل الله على عباده ــ أن كل النشاط الذى يقوم به المسلم حتى ما يعتبر من الأعمال الدنيوية أو العادية : كالأكل والشرب ومعاشرة الزوجة والزراعة والتجارة والصناعة وغيرها يمكن أن يصبح بالنية الطيبة عبادة يثاب عليها الإنسان من الله تبارك وتعالى . دليل ذلك أن ناسا قالوا : يارسول الله ذهب أهل الدثور[18] بالأجور . يصلون كما نصلى ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضول أموالهم[19] . قال : « أو ليس قد جعل الله لكم ما تصدقون به . إن بكل تسبيحة صدقة وكل تكبيرة صدقة وكل تحميدة صدقة وكل تهليلة صدقة . وأمر بالمعروف صدقة ونهى عن المنكر صدقة وفى بضع أحدكم صدقة »[20] . قالوا : يارسول الله أيأتى أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟ قال : « أرأيتم لو وضعها فى حرام أكان عليه وزر ؟ فكذلك إذا وضعها فى حلال يكون له أجر »[21]

وأيضا قول رسول الله ﷺ : « ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة »[22] .

وبذلك زال التناقض الموهوم بين العمل للدنيا والعمل للآخرة وبين مطالب الروح ومطالب الجسد . سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

(١٧) رواه البخارى .
(١٨) أى الأغنياء .
(١٩) أى ما فاض عن كفايتهم .
(٢٠) أى الجماع .
(٢١) رواه مسلم .
(٢٢) متفق عليه .




إعداد الأستاذ/ عبد المنعم فوده

١ ـ أقوم بصلاة بعض الركعات أو صيام بعض الأيام ، أو عمل أى قربة من القربات خالصة لله ـ تعالى ـ وأهـدى ثوابها الى أصحاب الحقوق علىَّ ممن أسأت إليهم أو نلت منهم ، لاسيما وقد ورد فى أحاديث صحيحة كحديث « أتدرون من المفلس » ما يدل على أن الظالم يؤخذ من حسناته بقدر مظالمه وتعطى للمظلومين ، فإن فنيت حسناته أخذ من سيئاتهم وطرحت عليه ، ثم يطرح فى النار فما حكم الدين فى ذلك ؟

٢ ـ وما حكم الدين فى عمل شىء من هذه الطاعات وإهداء ثوابها الى سيدنا رسول الله ﷺ من باب الشكر على ما قدَّم لنا ؟

الجــواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .. أما بعد فنفيد بأن ما يقوم به من القربات واهداء ثوابها الى أصحاب الحقوق عليه هو عمل طيب وله ثوابه ، غير أن هذا لايغنى عن رد الحقوق الى أربابها مادام مستطيعا لذلك . فإن عجز فعليه أن يتوب الى الله تعالى من هذه المظالم

توبة نصوحا ومايعمله من هذه الأعمال نرجو أن يفيده فى هذا الشأن وعلى الله القبول ، والله الهادى الى سواء السبيل والله تعالى أعلم .

**السؤال من السيـد/م.م.ع من طهطـا سوهاج**

**ما حكم الشرع فى الآتى :**

**توفيت بنت عن أب ، أم ، أخ شقيق ، أخت شقيقة ، أخوات لأب ، وزوجة أب أفيدونا أفادكم الله .**

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير النبيين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد .. للأم السدس لأنها حجبت عن الثلث الى السدس بسبب الجمع من الأخوة قال الله تعالى : « فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ » اما باقى التركة فإنه يكون للأب ولا شىء للاخوة والأخوات الأشقاء أو الأب لحجب الأخوات لأب بالأخ الشقيق ولحجب الأخ والأخت الشقيقين بالأب لأنهما يتقربان الى الميتة بواسطة الأب فلا يرثان مع وجوده وقد قال النبى ﷺ : ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقى فلأولى رجل ذكر وأقرب رجل للميتة هنا هو الأب فلا ميراث للأخوة والأخوات مع وجوده .. أما زوجة الأب فهى أجنبية من الميتة فلا يتصور أن ترث منها شيئا

والله تعالى أعلم

**السـؤال : من السيـد/طلعت مصطفـى عبدالقادر**
**الأقصر ــ الكرنك القديم ــ نجع الحلقطة**

**ما حكم بناء المساجد داخل المقابر ؟**

بسم الله الرحمن الرحيم : المقبرة حبس على من فيها لايجوز التصرف فيها الا بدفن الموتى ولايجوز اتخاذ جزء منها لبناء مسجد وفى بقاع الأرض مايغنى عن بناء المسجد فى المقبرة .

والله تعالى أعلم

**السؤال : من السيد/أ.د./ ر.م ــ مصر**

**أنا انسان مسلـم أحافـظ على صلاتى والحمد لله ، لكن عندى مشكلة وهى أنى عندما أصلى ينفر أحد المصلين من جانبى لأن رائحة فمى كريهه وذلك يحرجنى كثيرا لأن المصلى الذى بجانبى يتقدم أو يتأخر :**

**فهل أصلى فى المنزل أو ما الحل وكذلك ما العلاج لهذا المرض فأنتم أهل علم ودين ؟**

**وما ذا على أن أفعله لتكون رائحة فمى طيبة ، وما العلاج لذلك ؟**

**وجزاكم الله خيرا على الاهتمام بهذا الخطاب .**

**الجـواب**

ليست رائحة الفم الكريهة عذرا للصلاة فى غير المسجد ويمكن أن يصلى السائـل خلـف

الصفوف ، ثم إن رائحة الفم الكريهة لا تصيب الذى يكون بجانبه ـ وعلى أى حال عليه الصلاة فى المسجد بقدر ما يستطيع .

• يمكنك مصارحة طبيب متخصص فى هذا الشأن ـــ مجلة الأزهر .

**السؤال من السيد م. م. س ـ من السويس :**

**رجل ذهب ومعه زوجته لزيارة أخ له فى الله فلم يجده ووجد زوجته فقط . فهل يجوز له الدخول والاقامة عنده يومين مع ان المحرم غائب بحجة أن معه زوجته ؟ أفيدونا أفادكم الله .**

الجـواب :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .

أما بعد : فإن الشريعة الإسلامية اهتمت بشرف المرأة المسلمة أيما اهتمام ، وحرصت كل الحرص على المحافظة على عرضها ، والبعد عن كل ما يشين سمعتها ويمس كرامتها . ولما كان موضوع السؤال أن صاحب الدار غير موجود ولا يوجد إلا زوجته وأن الزائر له أخ فى الله ومعه زوجته ويريد الدخول والاستضافة فى غيبة الزوج ولا تربط الزائر بالزوج أو الزوجة قرابة محرمية ، فإنه والحالة هذه لا يجوز شرعاً أن تسمح الزوجة بالدخول لهذا الرجل وزوجته فى غيبة زوجها .

جاء فى صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال : ( إياكم والدخول على النساء فقال رجل من الأنصار : يا رسول الله أفرأيت الحمو . قال : الحمو الموت ) .

والحمو هو أحد أقارب الزوج أو أقارب الزوجة من غير المحارم .

فإذا كان رسول الله ﷺ حذر من دخول هؤلاء أو أحد منهم فى غيبة الزوج فإنه يكون من باب أولى عدم جواز دخول هذا الأخ فى الله وزوجته دار أخيه فى الله فى غيبته حفظاً وتكريماً للمرأة المسلمة من أن تنال شبهة أو يمس عرضها أحد « فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه » ، و« دع ما يريبك إلى ما لا يريبك » وهكذا تكون الشريعة الإسلامية قد حرصت على صيانة الأسر واستقرارها . والله أعلم .

**السؤال من السيد/ محمود راشد :**

**يدعى بعض المتنفعين بأن السيدة : سلطانة حمودى أوقفت جميع أملاكها حال حياتها على نفسها ، ثم من بعدها تكون لجهات الخير كمسجد وغيره .**

**فهل توافق الشريعة الإسلامية الغراء على مثل هذا التصرف علماً بأن لها زوج فقط ويدعى السيد/ راشد محمد غالب وهو يعتبر الوريث الوحيد فما الحكم ؟**

الجـــــواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد فنفيد بأنه إذا ثبت هذا الادعاء من أن السيدة : سلطانة حمودى أوقفت جميع أملاكها على نفسها مدة حياتها ثم من بعدها لجهات الخير كمسجد وغيره لا ينفذ إلا فى الثلث فقط . والباقى وهو الثلثان يكونان ميراثاً لورثتها الشرعيين . وحيث أنه لم يوجد إلا زوجها السيد/ راشد محمد غالب فانه يستحق الباقى وهو الثلثان فرضاً ورداً عملاً بمذهب سيدنا عثمان بن عفان فى الرد على أحد الزوجين والله تعالى أعلم .

# الشعر والشعراء

يحرره الأستاذ/ رشاد يوسف

# الحج هجرة إلى الله

للشاعر : أحمد فهمي خطاب

الحج .. هجــرةُ مسلــم لله ... وتجــرُّدٌ للمــرءِ منْ دنيــاهْ
يَدعُ الديــارَ وراءَه وعيَالَــهُ ... ومتاعَــه ونعيمَــه وهــواه
ويسير .. وهــو مجرَّدٌ من زِيِّــهِ ... مُتجــرِّدٌ منْ زهــوه وحُــلاه
وبقلبــه زادُ التُّقــى .. وبكفــه ... زادٌ .. يُقدِّمُــه لمنْ يلقــاه

• • •

يسعــى إلى البــيت الحرام مُلبِّيــا ... لنــداءِ ربِّ البــيت حين دعــاه
ليطــوف بالبــيت العتيــق مُسبِّحًــا ... مُستغفــرا ومكبــرًا مولاه
الله أكبر بالفــؤاد هتافــه ... وأجــل ما هتــفت به شفتــاه

• • •

الحج .. مؤتمر يُوحِّــد أُمَّــةً ... لتقــومَ صفًــا واحــدًا لله
عرفــاتُ يجمعهــا .. لتعــرف أنها ... هى أمــةُ الإسلام .. تحت لواه
جاءتْ لتشهــد نفعَهــا فى مَوْقــفٍ ... جمَــع الرَّعيــةَ والرعــاة حماه
عَرفــات يقصده الحجيــج جميعهُــم ... لا حج إلا للــذى يَرْقــاه

• • •

يا سعْــد منْ أدَّى الفــريضةَ راجيًــا ... أنْ يقبــل الرحمــنُ ما أدَّاه
لا يقبــل الرحمــنُ إلا طيِّبًــا ... منْ قاصِدٍ لله دون سواه
يا عزَّ من بالحج أكمــل خمسَــهُ ... وعــن الهدايــة لم تنم عينــاه
وبِذَنْبِــهِ .. يُمسى ويُصبــح هاجــرًا ... لضلالــه .. ومُهاجــرًا لهداه

# حنين إلى البيت العتيق

للشاعر/ رشاد محمد يوسف

يا أرض مكة يا ربوع حراء ... يا مهبط الآيات والأضواء

تيهى على الدنيا بأكرم دعوة ... وأجل مبعوث وخير بناء

وخذى بأسباب الفخار وإنما ... خلق الفخار لهذه الآلاء

الله ضوأها شعاع جلاله ... لتشع فى الإصباح والإمساء

•••

هذى ضيوف الله يسبق خطوها ... شوق المحب بلهفة ورجاء

من كلّ فج قادمين قوافلا ... سدت مدار الأفق والأرجاء

تتشوف الآفاق نشوى لا ترى ... غير النبى بركبه الوضاء

•••

فى كل عام نستجيب لدعوة ... نادى الخليل بها أجل نداء

نسترجع الذكرى لأول مسجد ... لله قام على ثرى البطحاء

بركات رب البيت تملأ ساحه ... والأمن فى الأركان والأنحاء

مذ قام إبراهيم يرفع ركنه ... ويقيم صرح شريعة غراء

ويطهر البيت العتيق مسبحا ... لله فى الفلوات والبيداء

وَمُؤَذِّناً بالحج كل مواكب ... فى الأرض تسكن رقعة الغبراء

يأتين من كل البلاد ضراعة ... ويسبحون الله فى استرضاء

•••

يا أرض مكة يا ربوع حراء ... من لى بهذى المنحة السمحاء

فلكم تمنيت الحياة مليا ... أدعو جوار الكعبة الشماء

وأرى جلال الحق يملأ خاطرى ... فى كل شىء يجتليه الرائى

فى البيت فى الأركان بين مناسـ ... ـك لله فى التطواف فى الإفضاء

فى الذكر فى النور الجلى وفى الرؤى ... فى الصمت فى التسبيح فى الإغضاء

•••

كم ذا أمنى النفس أشعلها الهوى ... والقلب يسعده أجل دعاء

تهفو تعانق بالخواطر ترتجى ... تترقب الآتين بالأنباء

والله أسأل أن يجيب رجاءها ... فهو المؤمل عند كل رجاء

# مائدة الرحمن والفرحتان

للأستاذ الدكتور/ أبو ياسر الوزير

يا كلَّ والــدةٍ بالبــابِ أو ولــدِ ... طال الحصار ، ولم أفتحْ لكم بلــدى

لا تُخطئوا القصْدَ . لا تستسلموا كمدًا ... إلى أقاتــلُ عنكــم يا بَنِــى كَبِــدِى

لا تُتلفوا الهمَّ ؛ إن السَّهْــمَ مشتــركٌ ... وسوف أحملُ عنكــم قِسمــةَ الكمَــدِ

فإنَّ مائــدةَ الــرحمنِ داعيــةٌ ... لكــلِّ ذى كَبِــدٍ حرَّى وذى كَبِــدِ

وإنَّ مَنْ أدهشوا النجــوى شفافيــةٌ ... قد أفرغوهــا من الحاسوبِ والعــددِ

فمنــذُ أن بَسَــطَ الــرحمن نعمتَــه ... وفطــرةُ الله أشواقٌ إلى الأبــد

زادُ السمــواتِ لا تفنــى عجائبُــه ... ولا تزحزحُهــا ريحٌ عن العَمَــد

• • •

أنعمــةُ الشوقِ لى أم مِيتــةُ العــدد ... وآيــةُ الــروح أمْ أقصوصةُ الصَّفَــدِ

هنــا الوظائــفُ أقواهــا كأجوعِهــا ... سبَّابــةُ اليــد أو سبَّابــة الــنَّضَد

إن الملــوك أتــوْا ، والصَّوْمُ مملكــةٌ ... سيَّانِ فى الصومِ إن تفقــدْ ، وإن تجد

فمــن لجنسيَّــة المستضعــفين إذا ... لم يُصروا كلَّ عامٍ توبــةَ الرَّمــد

هل يُطلقــون لحرِّيَّاتهــم سُفُنًــا ... أم يربطــون حُداءَ العيــسِ بالوتــد

أم يسمحــون لنــا بالحُلْــمِ فى أُذُنٍ ... تبــارك الله لم يولــدْ ولم يلــد

ففــارسُ الغــابِ مزهُــوٌّ بزينتِــه ... أغفَــى أسودَ ضحايــاه من اللُّبَــد

ولــو دعــا حيوانــاتِ الدعايــةِ فى ... فجــرِ الــمُصلِّين لم تعثُــرْ على أحــد

لكنَّ أمَّةَ صدقِ الشَّوْقِ ما دُعِــيتْ ... إلى دُعــــاءِ رسول الله تحتشد

فاقْتــاتَ بالصَّــوْمِ مَنْ يختــارُ وِجهتَــه ... نحو السمــواتِ والإبــداعِ والأبــد

يخشوْن لو بيــعَ فى الأسواقِ لم يجدوا ... دنيــا تُدانى سُمُــوَّ الجوعِ والمدد

هل صوَّر الطيــنُ فنًّــا غيرَ آنيــةٍ ... من الريــاحِ كعصفِ الموجِ بالزَّبَــد

ما كان يخفى رسولُ الله مكرمةً ... أو نسلَ مكرمةٍ من رائحٍ لغدِ
والجاهليّةُ تُغرى كلَّ مقتدرٍ ... أن يستبدَّ بما يحظى من الأودِ
لا يعرفُ البيتُ عنوانًا لساكنهِ ... أو يطمئنُّ فطامُ الأمِّ للولدِ

• • •

يا كلَّ مكتئبٍ أو كلَّ مُفْتَقِدٍ ... لِلاندهاشِ بما فى الحسِّ من رَغَدِ
أبو البناتِ يُهادى جُوعهنَّ ندى ... لكى يُجمِّلْن ما يُهدين للصَّمدِ
لأجلِ هذا هَداياهُنَّ عاطرةٌ ... والحُسْنُ يُذهِبُ ما بالحزنِ من كَبدِ
أشواقُ فاطمةَ الزهراءِ حاليةٌ ... من حُبِّ قَوْلِ رسولِ اللهِ والسندِ
تعلَّمتْ من أبيها ـ وهْى تُطلعُنا ... على السرائرِ ـ رحمانيَّةَ الكبدِ
هديَّةٌ فى يدِ الرحمنِ واقعةٌ ... يا لَلْوضوءِ وللقُربى بكلِّ يد !
هلْ تستطيعون ـ يا أطفالُ ـ أن تجدوا ... كالأنبياءِ لبرِّ الأمِّ والولدِ !
مِمَّن فَزِعْتُم : بيوتُ اللهِ قائمةٌ ... بالذِّكرِ والشُّكرِ والآفاقِ والعَمَدِ
فما يُخرِّبُهُ جبّارُ العنادِ بها ... يَعْمرُ ويعْبُرُ على البغضاءِ واللَّددِ
لم يُغلقوا غيرَ أخشابٍ مسنَّدةٍ ... لكنْ مناضدُكم مُلْكٌ من الرغدِ

• • •

يا حُسْنَ بضعةِ أفراحٍ على نُضَدٍ ... تكادُ تأكُلهم من فرحةِ النضدِ
للابتسامةِ فيهم وهْى زاحفةٌ ... على العيونِ استراحاتٌ من الوُسُدِ
تداحُ نظرتُهم ضعفَ ابتسامتِهم ... لرهْنِ يوم غَداءٍ عِنْدَ صَوْمِ غد
يـأيها النَّضُد المحسودُ من فرحٍ ... لمثلِ ذلك يرضى عنكما حسدى
عيْنُ القلوبِ ومعلوماتُها اتَّسعَتْ ... يا ليت عِلْمَك بالآمالِ لم يزد
مازلتَ تُنْقَلُ من قلبٍ إلى شفةٍ ... حتى وصلتَ لعيد السَّادة الجُدُد
يا نافذَ الأمرِ ـ لمَّا فاض بى طربى ... دخلتُ فى ملكوتِ الله ـ خُذْ يدى

# صناعة الكلام

للشاعر: محمد عبد الرحمن صان الدين

تكلم بين ناديه فصيح ... له فى صنعة الأقوال خُبْرُ
وراح يشنّف الأسماع منه ... أحاديث لها وقع ونَبْر
وينشىء من خيال عبقرى ... عوالم أرضها مسك وتِبْرُ
ويُطلِع فوق صَلْدِ الصخر روضا ... له ظل ، وأثمار ، وزهر
ومن سَيْلِ الكلام ، بكل لون ... يفيض بقاحل البيداء نهر
وتشرق فى ظلام الليل شمس ... ويرسخ فوق عاتى الموج قصر
ويلمع فى صدور الغيد عقد ... يؤلفه من الألفاظ دُرُّ

•••

وراح السامع النشوان يهذى ... بما أوحى به نظم ، ونثر
وصدَّق أن أصل الناس قرد ... وأن الغول وحش مستسر
وأن الأرض جِرْم مستقر ... ويحملها على قرنيه ثور
وأيقن بعد صحو من خُمَار ... بأن مشاهد الأقوال شعرٌ
وأن لريشة البلغاء رسما ... على الأنسام ، فتانا يَغُرُّ
فولى وجهه ، ومضى كئيبا ... يُخامِره بكل القول كفر
وبين فؤاده اليقظان جرح ... يؤرقه .. وفى الإحساس جمر
وكم ذهب الكلام برشد واعٍ ... وكم أوْدَى به فى الناس غِرٌّ
وكم يغدو به حرًا رقيقٌ ... ويصبح فى قيود الرِّق حُرُّ
وكم سكرت أحاسيس العذارى ... وبعض القول أنغام ، وخمر

•••

ألا .. فليتَّقِ الجبَّارَ مرءٌ ... لعذب حديثه البراق سحر
فتنقلب الحقائق فى عقول ... ويهتز الرصين المستقر
فإن القول يَهْمِى من شفاه ... كما يهمى من الوطفاء قطر
وإن يك بعضُه حِكَما ، وربا ... فإن الجُلَّ ملهاة ، وهُجر
فيكتبه رقيب أو عتيد ... كما نطق اللسان ، وباح صدر
فكيف لمن أساء القول مَنْجًى ... وأين ـ إذا أحيط به ـ يفر ؟

# رثاء فضيلة الشيخ العالم الفقيه

## فرج محمد غنيم

### أحد علماء الأزهر الشريف

للأستاذ الدكتور/ ربيع محمد مصطفى صادومه *

لا تبشونى قد علمت لدى السحر ... نبأ الفجيعة واختيارات القدر

نبأ الرحيل لزهرة العلماء مَنْ ... هز المنابر صوتُهُ منذ الصغر

فرج غنيم من إذا استنبأته ... فاحت ورود العلم من فمه العطر

هو عبقرى الفقه دون منازع ... حبر البلاغة والفتاوى والسير

نجوى الأئمة بيننا بحديثه ... عذب المقاطع والمصادر والصور

لا يعرف اللحنُ السبيل لنطقه ... وبيانه الصافى البديع المنهمر

لله درك أيها الغواص فى ... بحر العلوم تصيد أصداف الدرر

تستخرج الذهب الدفين بحكمة ... وتزيل عنه ما علاه من الكدر

كسفت عن الدنيا شموسُ عظاته ... لا النجم يغنى عن سناهُ ولا القمر

ونضارة الروض البهيج تجهمت ... لا النهر يحييها ولا ماء المطر

حَظِيَ الثرى إذ ضم بين ترابِهِ ... رجلا نقى الثوب نفاذ البصر

يا قبر كن فرجا على فرج ولا ... تك ضَيِّقًا رفقا بأعلام البشر

كم فرجت فتياه من كرب وكم ... صاغت مواهبه مفاريد الشعر

أرثيك أم أرثى المعارف إنما ... أخشى عليها من ثعابين الحفر

فمتى تجود الوالدات بمثله ؟ ... ومتى غنيم آخرٌ يقفو الأثر ؟

* الأستاذ المساعد بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر

# التطور وأصل الإنسان

## من منظور إسلامي

٣

عرض وتحليل

أ. د. أحمد فؤاد باشا

**عرضنا فى العددين السابقين أهم فصول كتاب « التطور وأصل الإنسان من منظور إسلامى »(*) تلك الفصول التى حاولت تفنيد مزاعم « دارون » فيما يتعلق بالفروض الرئيسية لنظريته البيولوجية فى التطور . والحق ـــ فيما نرى ـــ أن المؤلف قدم كثيرا من الحقائق العلمية والرؤى المنهجية التى تسهم فى كشف نقاط الضعف والغموض فى نظرية « أصل الأنواع » التى جاء بها « دارون » فى منتصف القرن التاسع عشر الميلادى ، ولكن الكتاب ـــ فيما نرى أيضا ـــ ترك الباب مفتوحا فى أماكن كثيرة لمزيد من الشكوك والبلبلة ، وأظهرت بعض تحليلاته ـــ ربما عن غير قصد ـــ أنه يميل الى الأخذ ببعض مقولات نظرية دارون ، والانتصار لها ، ونحن من جانبنا لا ننكر عليه حقه فى الاعتقاد بما يشاء من آراء ونظريات ، لكننا نناقشه فيما نرى أنه تأويل مغلوط لحقائق الأشياء .**

**ويمكن إيجاز أهم ملاحظاتنا فى النقاط التالية :**

**أولا :** يشتمل الكتاب على فقرات مطولة تنعى الحظ السيء لنظرية دارون فى التطور ، وما تعرضت له بعد انتقالها إلى العالم الإسلامى من رفض وارتياب . فقد جاء فى صفحة ٥٨ ما نصه : « لم يكن أمراً مقبولا عند المؤمنين كافة ـــ مسلمين وغير مسلمين ـــ أن يتفقوا مع دارون فى التغير المستمر للكائنات من الأدنى إلى الأرقى ، وأن تكون جميع الأنواع قد نبعت منذ عصور سحيقة من سلف مشترك وأن الطبيعة كانت هى المهندس الأول وراء هذا التحول والتطور نحو المزيد من الارتقاء والكمال ، ومما زاد الطين بلّة أن طريقة عرض دارون وأتباعه كانت فى بعض الأحيان استفزازية لمشاعر المتدينين مما تسبب فى اختلاط الحقائق بالأوهام ورفض النظرية كاملة بما فيها من حق وباطل ، وأصبح دارون عدوًا للدين ، وتحول قوله عن الأصل المشترك لجميع الكائنات بما فيهم القردة والإنسان إلى قرية تقول : ان الإنسان أصله قرد » وبذلك اشتعلت حملة المعارضة والاستنكار من عامة الناس ـ وخاصة ـ من أشباه المتعلمين الذين لا يمارسون التفكير العقلانى ولا يناقشون الحجة ولا يقبلون الجدل العلمى السليم كوسيلة لإظهار الحقائق » .

**ثانيا :** يتباكى الكتاب على ما تعرضت له نظرية التطور من ظلم جعلها كاليتيم الذى يتبناه أى عابر سبيل » ص ٧٨ » فكيف يحدث لها هذا مع أنها ـــ كأىّ نظرية علمية أخرى ـــ « بنيت على

(*) د. محمد فوزى جاب الله المطبعة العالمية القاهرة ١٩٩٢ م

مشاهدات علمية حقيقية لامراء فيها ولكن نتائجها جاءت بعدد من الفروض والآراء الفلسفية التى تعد من قبيل المزاعم التى تحتمل التصديق والتكذيب » « ص ٧٨ » ويحمّل الكتاب تبعة الإساءة إلى نظرية التطور كل من اتخذ منها ستارا لدعم مواقف مذهبية وشعارات ثورية . وضرب المثال على ذلك بما حدث مع « هتلر » زعيم النازية الذى أساء فهم نظرية ومعنى البقاء للأصلح ونادى بتمييز الجنس الأرى على باقى الأجناس . كما ضرب مثالا آخر بسلامة موسى الذى أخذ على نفسه عهدا بمحاربة الغيبيات واقتلاع الأفكار السلفية والتقاليد الموروثة من الشرق العربى بنشر نظرية التطور حتى تأخذ بيّنة العلم مكان عقيدة الايمان « ص ٧٥ ــ ٧٦ » ويشير الكتاب فى تحليله لهذه الجزئية إلى أن نظرية التطور أخذت بجريرة سلامة موسى وأمثاله وأصبح من يتحدث عنها متهما بالكفر والإلحاد والخروج عن الدين فقد جاء فى صفحة ٨٠ ما نصه : « لقد عرض الأستاذ سلامة موسى نظرية التطور بأسلوب واضح وجذاب واستعمل كثيرا من الأمثلة التى تؤيد فكرة الأصل المشترك للكائنات الحية ، ولكنه بالغ فى تلك الأمثلة الى حد ما ، كما اختار ألفاظا منفرة للمشاعر الإنسانية فى بعض المناسبات كتشبيه الإنسان بالخنزير أو الفأر وهذا من شأنه أن يثير القارىء العادى غير المتخصص .. ومن هنا كانت خطورة تناول القضايا العلمية الجادة بدون إحاطة بدقائق الموضوع وخطورة عدم استخدام الأسلوب العلمى الذى يتحرى الدقة ويأتى باللفظ على قدر المعنى وكذلك بالموضوعية التامة » .

وجاء فى صفحة ٨٢ ما نصُّه : « لقد ظلم سلامة موسى نظرية التطور أكثر من مرة : مرة عندما شرحها بطريقة مسطحة انتقائية وضرب بعض الأمثلة المضللة لتأكيد حيوانية الإنسان وبهذا وضعها فى تصادم مع الدين ، ومرة أخرى عندما أقحمها فى معترك الصراع الاجتماعى والسياسى بأن ربطها بالتفسير المادى للتاريخ والمادية الجدلية » .

ونحن من جانبنا نختلف مع المؤلف فى تفسيره لفشل نظرية التطور وعدم انتشارها وذيوعها وإرجاع ذلك إلى تبنّى أصحاب المذاهب الإلحادية والتعصبية لها . فهناك نظريات علمية أخرى تبنّاها هؤلاء أيضا ولكنها ظلت محتفظة بمحتواها المعرفى وقيمتها العلمية ، ولم يتحقق أملهم فى جعلها بمثابة دين اجتماعى أو دستور حياة للمستقبل مثال ذلك نظرية الجاذبية وقوانين الحركة التى وضعها العالم الانجليزى اسحق نيوتن ، واتخذ منها الماديون أساسا لمبدأ « الحتمية » **Determinism** الذى قام عليه مذهبهم الإلحادى ومع تطور العلم سقط مبدأ الحتمية ولم تسقط قوانين نيوتن بعكس الحال مع نظرية دارون التى سقطت فروضها الإلحادية وانفض من حولها العلماء والحكماء على حد سواء .

**ثالثا** : يلتمس الكتاب العذر للذين لم يقتنعوا فيما مضى بمقولة « تحول الأنواع بعضها من بعض » إذ لم يتوفر للإنسان خلال حياته على الأرض أن شاهد تحوّل أى من الكائنات بطريقة طبيعية ، ومن المألوف أن كل جنس ينتج ذرية من نفس جنسه ، وكل ما يحدث من تغير إنما يرجع الى اختلاف فى الحجم والهيئة والوزن بسبب النمو أو الضمور وليس إلى اختلاف فى النوع أو

الفصيلة .. كيف للمرء إذن أن يقتنع بتحول الأنواع بعضها من بعض ؟!

أما الآن فلم يعد هناك عذر لإنكار تحول الأنواع بعد أن وجد المؤلف ضالته فى انجازات العلم الحديث ، حيث ذكر فى صفحة ٥٩ ما نصه : « ولكن التقدم العلمى الهائل فى الهندسة الوراثية قد مكن العلماء من « الجينات » و« الكروموسومات » ، وقدم دليلا على إمكانية التلاعب بالمادة العضوية واستغلال قدراتها الفطرية فى انتاج أنواع جديدة وسلالات ذات مواصفات خاصة .. ثم يقول مستدركا : « وهذا لايعنى خلقا جديدا ولكنه صياغة جديدة » .

ولم يُجْد الاستدراك بطبيعة الحال فى إزالة اللبس والغموض اللذين يغلّفان هذه الفقرة من الكتاب ، ومن حق القارىء أن نعرض له الحقائق واضحة جلية ولا نقدمها له منغمسة فى الشبهات .

**رابعا** : لا يجد الكتاب حرجا فى مشايعة نظرية التطور وتأييد فروضها الى أبعد مدى حتى ولو كان ذلك على حساب الثوابت والمسلمات الايمانية . فهو يعول على العلم مستقبلا فى إثبات الأصل المشترك لكل من الإنسان والقردة ، ويرى أن هذا لو تم لن يدعو إلى الحط من قدر الإنسان والتقليل من شأنه كخليفة لله فى الأرض . ثم يسرد من الأسباب « فى صفحتى ٣٠ و٣١ » ما يرجح توقعه لاحتمال ثبوت صحة هذا الغرض مستقبلا بدعوى أن الإنسان يمتلك نفس الأجهزة والأعضاء التى يمتلكها الحيوان عموما وتقوم بنفس الوظائف البيولوجية مع اختلاف الدرجة . فالإنسان يتغذى كما يتغذى الحيوان ، ويستخدم نفس المواد الغذائية من خضروات وفاكهة ولحوم ، ويخرج الفضلات كما يخرجها الحيوان بواسطة أجهزته البولية والهضمية ويتناسل الذكر والأنثى كما يتناسل الحيوان ، وتتم عملية الاخصاب بنفس الطريقة الشائعة فى المملكة الحيوانية ، وغير ذلك مما لايعد ولايحصى من أوجه التشابه . فلماذا إذن نتصور ــ فيما يزعم المؤلف ــ أن للانسان منشأ مختلفا عن منشأ الحيوان والله ــ سبحانه وتعالى ــ ذكر خلق الإنسان والحيوان من ماء وأيضا من طين .

وهنا يقع المؤلف فى مغالطة واضحة يخلط فيها بين مفهوم الأصل المشترك للأحياء ، وهو الماء كما أخبر به القرآن الكريم ، وبين مفهوم السلف المشترك للأحياء عن طريق تحول الأنواع بالانتقاء الطبيعى الذى قالت به نظرية دارون .

وليس هناك من شك فى أن مثل هذه المغالطات تجعل القارىء العادى غير المتخصص فى حيرة من أمره عندما يقرأ لعالم متخصص فى نظرية التطور وأصل الانسان ، خاصة وأن الموضوع يتم عرضه ــ طبقا لعنوان الكتاب ــ من منظور إسلامى . على أن هذا لايعنى بأى حال من الأحوال أن المؤلف قصد هذه المفارقات قصدا ، فحسن النية متوفر والحمد لله ، والتواصى بالحق مطلب إسلامى ليعلم من يعلم عن بينة . فبقدر مافى مسألة خلق الإنسان من الأسرار والألغاز التى تتطلب البحث ، وبقدر ماوقع عليه العلم فى هذه المسألة من بدائع وروائع ، نجد فى كتاب الحق ــ تبارك وتعالى ــ اهتماما كبيرا وتذكيرا مستمرا بها ، كما نجد حثا للنظر فيها ، وذلك لما تنطوى عليه من آيات للموقنين الناظرين بأبصارهم وبصيرتهم . قال تعالى :

﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ﴾ « سورة العنكبوت ٢٠ » ، وقال عز من قائل :

﴿ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ ﴾ سورة الطارق

والقول الفصل فى خلق الانسان هو ما أخبر به القرآن الكريم فى آيات كثيرة مثل قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾ « سورة النساء : من الآية ١ » ، وقوله سبحانه : ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾ سورة ص

وقوله جل شأنه

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ سورة الروم

وقوله عز من قائل : ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا ﴾ سورة الفرقان ﴿٥٤﴾ ، وقوله ﴿ ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ﴾ « سورة المؤمنون » ، وقوله ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ « سورة الأنبياء ٣٠ » .

وما الطين سوى مزيج من التراب والماء ، أى أن أصل الانسان ومعدنه الأساسى هو من طينة هذه الأرض ومن معدنها ، وقد أثبت العلم أن العناصر التى يتكون منها جسم الإنسان موجودة فى تراب الأرض ، ولا يشترط أن تكون كل مكونات التراب داخلة فى تركيب جسم الإنسان ، وقد أشار القرآن الكريم بإعجاز علمى بليغ إلى خلاصة الطين المنتقاة لخلق الانسان حيث قال : ﴿ من سلالة من طين ﴾

ولكن لما كان هناك بون شاسع بين الانسان والطين أظهرها أن الطين جماد لا حياة فيه والإنسان حى كائن يتمتع بكل مظاهر الحياة ، وجب علينا التصديق بحدوث هذا الخلق بالقدرة الإلهية دون التفكير فى كيفية الخلق ؛ إذ أنه حدث بطريقة لا نفهمها وهى فوق عقولنا . كما يجب ألا نفهم الآيات على ظاهرها ، وأن نتصور أن الله — تعالى علوا كبيرا — قد خلق الإنسان من صلصال على نحو ما نعرفه فى حياتنا العملية من تشكيل للطين على هيئة أوانى مثلا ، إنما هذه الآيات تقريب للأذهان ومثال لما يفهمه الناس بطريق الحس والخيال (*) .

وخلاصة القول أن قضية الخلق من الأمور الغيبية التى استأثر بعلمها الله وحده حيث يقول :

﴿ مَّا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾ « سورة الكهف : ٥١ » ، وبهذا تستقيم النظرية القرآنية لوجود العلة . حيث تنسب خلق الحياة الى الله تعالى ، وليس الى مسميات من قبيل المصادفة أو الانتقاء الطبيعى أو غير ذلك ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ سورة القصص

(*) عبدالمنعم السيد العشرى تفسير الآيات الكونية فى القرآن الكريم الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥ م

## حول سرعة الضوء

# حقيقة علمية لابد من التأكد عليها

بقلم أ. د. منصور محمد حسب النبى(*)

أولاً : زمن اليوم الأرضى :

ورد بالعدد الماضى[1] من مجلة الأزهر مقال تناول فيه كاتبه تعقيباً لبحثى[2] بعنوان « المعجزة القرآنية فى حساب السرعة الضوئية » ذهب فيه إلى صياغة سماها تدقيقاً لحساباتى السابقة عن سرعة الضوء من النص القرآنى لآية السجدة (٥) وبدأ ( داخل برواز مشار إليه فى صفحة ١٧٢١ بسهم واضح ) فى التعويض فى السطر الخامس داخل البرواز عن اليوم الأرضى بمقدار (٦٥٥,٧١٩٨٦) ساعة بدلاً من حقيقته المعروفة للكافة بزمن قدره ٢٤ ساعة فقط ( وعند أولى العلم ٢٣ ساعة ، ٥٦ دقيقة ، ٤,٠٩٠٦ ثانية ) .

وطبقاً لهذا التدقيق حصل على سرعة الضوء !

سرعة الأمر الكونى بمقدار أقل بكثير جداً من فهل هذا التدقيق يتفق والحقيقة العلمية المعروفة

---

(*) أستاذ الفيزياء المتفرغ بجامعة عين شمس .

(١) عدد ذى القعدة من مجلة الأزهر ١٤١٤ هـ ص ١٧٢٠ - ١٧٢١ .

(٢) الذى نشر بالأعداد جمادى الآخرة ورجب وشعبان ١٤١٣هـ .

عن زمن اليوم الأرضى .

هذا علماً بأن المقدار ٦٥٥,٧١٩٨٦ ساعة الذى ذكر فى المقال هو زمن الشهر القمرى النجمى وليس زمن اليوم الأرضى علماً بأن نص آية السجدة (٥) فى قياس زمن عروج الأمر تنص على أن عروج الأمر فى يوم أرضى واحد وليس فى شهر طبقاً لقوله تعالى :

﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ﴾ .

سورة السجدة

**ثانياً : اكتشاف سرعة تفوق سرعة الضوء :**

لست أتفق مع ما جاء بمقال « اكتشاف سرعة أكبر من سرعة الضوء » وما وصل إليه العالمان المذكوران فى حاجة إلى بسط يوضح المراد أكثر وأكثر . وقد جاء على لسان ( د/لانداو ) الحاصل على جائزة نوبل فى كتاب له بعنوان : ما (هى) نظرية النسبية ما ترجمته[٣] .

« **إن الإقرار بأن السرعة لايمكن أن تزيد عن حد معين هو قانون طبيعى ، وأن سرعة الضوء ليست مجرد سرعة انتشار إحدى ظواهر الطبيعة بل إنها تلعب دوراً هاماً كسرعة كونية قصوى ، وأن اكتشاف ثباتها فى جميع المختبرات هو من أهم انتصارات الفكر الإنسانى فى القرن العشرين . وإن هذا المبدأ الأساسى للنسبية ـ أى سرعة الضوء كحد أقصى ـ يكمن فى طبيعة هذا الكون . وإن الظن بأن تقدم التكنولوجيا سيمكننا من بلوغ سرعات تزيد عن سرعة الضوء أمر مضحك تماماً** » .

ويفترض بعض العلماء رياضياً وليس عملياً وجود جسيمات تدعى « تاكيون » Tachyon قد تخرق المألوف وتجتاز سرعة الضوء وعندئذ فكتلتها ( **تخيلية** ) تتصف بالسفر فى الزمن الماضى فلو افترضنا أنها سافرت اليوم تعود القهقرى بالأمس[٤] ، وليس بالمستقبل ولعل هذه الجسيمات بعالم الغيب ، لاعالم الشهادة وقد ألهمنى ذلك أن أقول[٥] .

| | |
|---|---|
| وفتاةٍ جامحة | فى فضاء جانحه |
| بجسيمات ل(تَاكْيُونْ) | طىَّ كون سابحه |
| تسبق الضوء خيالا | غادرتنا سارحة |
| تركتنا اليوم كيما | نراها البارحة !! |
| ليس فى رؤيا مداها | لَاوَلَا فى سانحه |
| لا بمقياس صحيح | أو بدعوى جامحه |
| وإذا متنا تراها | فى غدو .. رائحه |
| حدة الإبصار فينا | سوف تغدو راجحه |

---

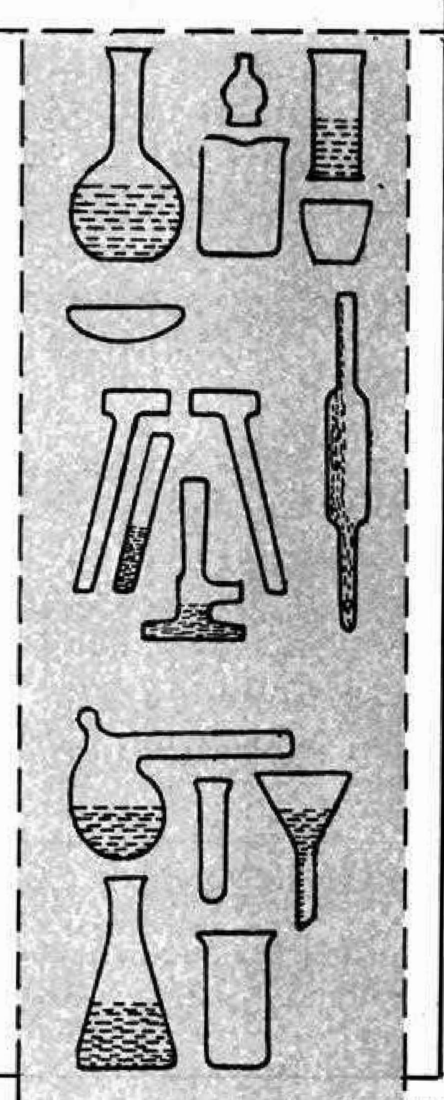
(٣) دار مير للطباعة والنشر ١٩٧٤ صفحة ٤٢ .

(٤) أى أن من يسافر اليوم إلى مكان ما يعود إلى نفس مكان أمس .. وهذا لايكون .

(٥) أوجه شكرى للأستاذ أحمد مصطفى حافظ بقيامه بمراجعة المادة الشعرية .

# الجديد في العلم والتقنية

إعداد
د/ نجوى السيد أحمد *



## دراسة علمية تؤكد أهمية وجبة الإفطار

أكدت إحدى الدراسات العلمية التى أجريت فى أمريكا ـ حديثا ـ على أهمية وجبة الإفطار باعتبارها الوجبة الأساسية التى تمد الجسم بما يلزمه من طاقة فى بداية كل يوم ، كما أنها تؤدى الى تخفيض نسبة الكولسترول فى الدم . فقد أوضحت الدراسة التى أجريت على ٥٠٠ تلميذ ممن لا يتناولون الإفطار أن نسبة الكولسترول فى الدم ترتفع عن المعدل المتوسط وأن الأطعمة ذات النسب العالية من الألياف والتى تستمد عناصرها من حبوب القمح والذرة ولا تحتوى على الدهون فى وجبة الأفطار تؤدى إلى خفض نسبة الكولسترول إلى أدنى مستوياته فى الدم .

(*) باحثة بالمركز القومى للبحوث

## جهاز جديد لعلاج الأزمات القلبية

قامت هيئة طبية دانماركية بتصنيع جهاز متطور لإنعاش القلب ـ أثناء الأزمات القلبية ـ من خلال توجيه الصدمات الكهربائية للمريض حيث يتم وضع الجهاز فوق صدر المريض المصاب بأزمة قلبية ويتولى الطبيب الضغط عليه ثم يجذبه إلى أعلى؛ فينتج عن هذه الحركة تدفق الدم من الجسم إلى القلب ودخول الهواء فى الرئتين .

## أصغر حاسوب على شكل محفظة

تم إنتاج حاسوب صغير للاستخدامات المتنقلة يسمح بنقل المعلومات وتبديل مواضعها من حاسوب الى آخر عبر شبكة رئيسية . وقد صمم هذا الحاسوب على شكل محفظة صغيرة وزود بلوحة مفاتيح إلكترونية ويمكنه الإجابة عن كل اسئلة المستثمر التى تبدأ بحروف ضمن مجموعة الحروف التى يحتويها .

## مضاد حيوى من سمك القرش

اكتشف مجموعة من العلماء الأمريكيين أن سمك القرش يتمتع بدرجة عالية من المناعة ضد الأورام السرطانية والالتهابات بالرغم من أن جهاز المناعة فى سمك القرش يعتبر جهازا بدائيا ضعيفا ويرجع السبب إلى احتواء جسمه على مضاد حيوى قوى وفعال فى كل خلية من خلايا الجسم ، وهذا المضاد الحيوى لا يشبه أى مضادات حيوية معروفة وله فاعلية كبيرة ضد البكتريا والفطريات والطفيليات ويتم ـ حاليا ـ استخلاصه وانتاجه بكميات كافية لإجراء التجارب عليه التى تختبر فاعليته ضد عدد كبير من الأمراض البشرية .

## تقنية جديدة فى عالم الطباعة المكتبية

التقنية الجديدة فى عالم الطباعة المكتبية تعنى طباعة دقيقة وسريعة وبأقل تكلفة ممكنة ، حيث تقوم آلات النسخ الرقمية التى انتجتها بعض الشركات اليابانية المتخصصة فى مجال الطباعة والنسخ المكتبى بتحويل صورة النسخة الأصلية إلى بيانات بواسطة ماسح إلكترونى متطور ، ويقوم معالج خاص بمعالجة هذه البيانات وتحويلها إلى معلومات ترسل إلى رأس الطابعة الحرارى حيث يقوم بإعادة هذه المعلومات إلى شكل النسخة الأصلية وطباعتها بشكل ثقوب دقيقة على « ماستر » خاص يلف آليا على أسطوانة معدنية تحتوى بداخلها على حبر لزج وعند دوران الأسطوانة تتم الطباعة على الورق بسهولة ودقة متناهية .

## تصوير التحركات الأرضية بالأقمار الصناعية

تقوم الأقمار الصناعية ـ حاليا ـ بتصوير التحركات الأرضية من خلال متابعة حركة الفوالق التي تسبب حدوث الزلازل . فقد قامت وكالة الفضاء الأمريكية « ناسا » بتطوير الجهاز الذى يستخدم فى رصد تحركات السحب فى النشرات الجوية لاستخدامه فى انتاج فيلم تصويرى يوضح التحركات الأرضية أثناء حدوث الزلازل وبذلك يمكن متابعة حركة الفوالق الأرضية لمعرفة المزيد عن أسباب حدوث الزلازل .

## بلور صناعي لعلاج ضعف البصر

تمكن طبيب صينى بالمستشفى المركزى فى « شنغهاى » من تطوير أسلوب جديد لعلاج إعتام عدسة العين بواسطة نوع جديد من البلور تم تصنيعه من صمغ التكثيف المائى . فقد أثبتت التجارب أن المصابين باعتام عدسة العين يمكن أن يعود إليهم البصر تدريجيا بعد ثلاثة أيام من زراعة هذا البلور الجديد فى مقلة العين وأن نسبة نجاح العلاج بهذه الطريقة بلغت ٩٠ ٪ .

## جهاز آلى لدراسة أعماق البراكين

توصل بعض العلماء الأمريكيين إلى تصنيع جهاز آلى يمكن أن يصل إلى قلب البراكين وهو عبارة عن مركبة وله ثمانى أرجل تمكنه من النزول إلى حوالى مترين داخل البركان كما تمكنه من إزالة أى عقبات تعترض سبيله ويستطيع ـ أيضا ـ أن يعلق نفسه على حبل خاص به ويحتوى على أجهزة حساسة لدراسة أنواع وتركيزات الغازات داخل البركان قبل أن تنطلق من باطن الأرض وتختلط مع الهواء وسوف يساعد هذا الجهاز فى الاكتشافات التى يقوم بها الإنسان فى الفضاء ومعرفة المزيد عن الكواكب ذات النشاط البركانى .

## نجاح زراعة أذن صناعية داخل الجمجمة

نجح أحد العلماء الاستراليين فى تطوير أذن صناعية تزرع داخل الجمجمة تمكن الصم من فهم الكلام وتعلمه . وهى عبارة عن جهاز استقبال صغير يسمح لمستخدمه بسماع طبقات الأصوات على أوسع نطاق . ويعمل الجهاز عن طريق تنبيه أعصاب السمع مما يسمح للأصم بفهم الكلام الذى يقال أمامه . وقد زرعت الأذن الصناعية لطفلة استرالية فقدت السمع وبعد زراعة الأذن بعامين أصبحت تسمع وتتكلم وتكونت لديها حصيلة لغوية .

## رائحة البرتقال والليمونلعلاج الاكتئاب

أدت الدراسات العلمية الحديثة فى عدد من دول العالم إلى الاستفادة من النباتات ذات الرائحة الذكية لاحتوائها على زيوت طيارة فى علاج بعض الأمراض . فقد قام فريق بحثى فى اليابان بدراسة أثبتت أن رائحة الليمون أو البرتقال علاج فعال للاكتئاب وقد تغلب عشرة من المصابين بالاكتئاب على أعراض المرض بعد علاجهم برائحة البرتقال والليمون فى أقل من ثلاثة شهور كما أن هذه الرائحة أدت إلى تحسين توازن الهرمونات ومناعة الجسم .




للأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

« رحماك ... يا رب »

من كان يملك درهمين تعلمت
شفتاه أنواع الكلام فقالا
وتقدم الاخوان فاستمعوا له
ورأيته بين الورى مختالا
لولا دراهمه التى يزهو بها
لوجدته فى الناس أسوأ حالا
إن الغنى إذا تكلم مخطئاً
قالوا : صدقت وما نطقت محالا
أما الفقير إذا تكلم صادقاً
قالوا كذبت وأبطلوا ما قالا
إن الدراهم فى المواطن كلها
تكسوا الرجال مهابة وجمالا
فهى اللسان لمن أراد فصاحة
وهى السلاح لمن أراد قتالا

« حقاً »

ثوب الرياء يشف عما تحته
فإذا التحفت به فإنك عار

« ندم ... ورجاء »

يا رب إن ذنوبى فى الورى عظمت
وليس لى من عمل فى الحشر ينجينى
وقد أتيتك بالتوحيد يصحبه
حب النبى وهذا القدر يكفينى

« أنت حر لوجه الله »

قال بخيل لغلامه : هات الطعام وأغلق الباب ؛ فقال يا مولاى : ليس هذا بحزم ؛ وإنما أغلق الباب وأقدم الطعام .

فقال له : أنت حر لوجه الله .

« حقيقة »

نظر ابن مطيع ذات يوم إلى داره فأعجبه حسنها ؛ ثم بكى وقال : والله لولا الموت لكنت بك مسروراً ؛ ولولا ما نصير إليه من ضيق القبور لقرت بالدنيا أعيننا ثم بكى .

## « أضحكنى ثلاث .. وأبكانى ثلاث »

رحم الله أبا الدرداء فقد قال :

أضحكنى تأمل الدنيا ، وغافل ليس بمغفول عنه ، وضاحك ملء فيه لا يدرى أرضى عنه ربه أم غضب عليه . وأبكانى : فراق الأحبة ، وخروج الروح من الجسد ، وكلما ذكرت الوقوف بين يدى الله .

## « لا أبكى على دنياكم »

قال سعيد بن أبى سعيد المقبرى :

دخل مروان على أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ فى شكواه الذى مات فيه ، فقال : شفاك الله فقال أبو هريرة : « اللهم إنى أحب لقاءك فأحب لقائى » .

فما بلغ مروان أصحاب القطا حتى مات .

● ● ●

وقال سالم بن بشر بن جحل : إن أبا هريرة بكى فى مرضه ، فقيل له : ما يبكيك ؟ فقال : إنى لا أبكى على دنياكم هذه ، ولكنى أبكى على بُعد سفرى ، وقلة زادى ، وأنى أصبحت فى صعود مهبط على جنة ونار ، ولا أدرى أيهما يؤخذنى .

## « مثله لا يعدم العلة »

حضر أعرابى مأدبة معاوية ومعه ولده ، فرآه يلتقم لقماً شديداً ، فلما كان بالعشى ذهب إليه الأعرابى .

فقال له معاوية : ما فعل ابنك التلقامة ؟ قال : اعتل قال : مثله لا يعدم العلة .

## « نصيحـــة »

لحمل الصخر من قمـم الجبـال
أحب إلـىّ من منـن الرجـال

## « كم فقار ظهرك ؟ »

قال بعض العمـال لأحـد الأعـراب ، ما أحسبك تدرى كم تصلى فى كل يوم وليلة ؟

فقال : أرأيت إن أنبأتك بذلك تجعل لى عليك مسألة .

قال : نعم ، فقال الأعرابى :

إن الصلاة أربـع وأربـع
ثم ثلاث بعدهـن أربـع
ثم صلاة الفجر لا تضيـع

قال : قد صدقت ؛ فسل ، فقال : كم فقار ظهرك ؟ قال : لا أدرى ؛ قال : أفتحكم بين الناس ، وأنت تجهل هذا من نفسك .

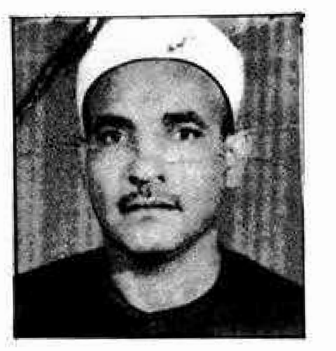
## « عبـدك ببابك »

رئى أعرابى ماسكاً بحلقة باب الكعبة وهو يقول : عبدك ببابك ، ذهبت أيامه ، وبقيت آثامه ، وانقطعت شهواته ، وبقيت تبعاته ، فارض عنه ، فإن لم ترض عنه فاعف عنه ، فقد يعفو المولى عن عبده ، وهو غير راض .

## « دعـــاء »

« اللهم ارزقنا الإخلاص فى القول والعمل وأدخلنا برحمتك فى عبادك الصالحين ، وقنا خزى الدنيا وعذاب الآخرة » .



# الأستاذ الدكتور

# على محمد العمـارى

## مـدَّ الله فى عمـره

**أستاذ عالم أديب مطّلع على مفردات اللغة وغريبها . عالم بمواطن استعمالها متمكن من قواعدها ، جائل فى كل فن من فنونها ، حافظ لغريبها حفظ الباحث المستقصى مع وفور فضله وثبوت قدمه وتفرده عن قرنائه وعلو كعبه .**

**كان همه أن يستعيد الأزهر ماضيه المجيد فوقف يؤازره وقوف الوطنى المخلص والأزهرى المحنك والعاقل البصير ..**

**بقلم فضيلة الشيخ /**
**محمود عبدالرازق عقباوى**

منهجه فى إصلاح الأزهر :

١ ـ ينبغى أن لا يقبل فى الأعوام المقبلة فى المعاهد الأزهرية إلا من يؤدون امتحانا فى حفظ القرآن الكريم كله .

٢ ـ فيما يتعلق بهذه الآلاف المؤلفة التى قبلت فى الأعوام السابقة الأخيرة ينبغى أن نكون جادين ومخلصين لديننا ولأزهرنا فى التدريس لهؤلاء .

٣ ـ أن يَجدّ زملاؤنا وأبناؤنا المدرسون فى الامتحانات النهائية آخر العام بحيث لا ينجح إلا الذين يستحقون النجاح ثم نتعهد الناجحين حتى يصبحوا صالحين لأن يدخلوا جامعة الأزهر ونتعهدهم فيها كذلك بجد وإخلاص وحزم ، وحينئذ نطمئن بعض الاطمئنان إلى أنهم سيكونون جديرين لحمل اسم الأزهر .

وأول ما تجب العناية به هو تحفيظهم القرآن الكريم ، وإن فى المرحلتين الإعدادية والثانوية .

ولا أظن أن طريقة ذلك تعيى القائمين على شئون الأزهر الآن ومع ذلك أعرض هذه الخطة مبتدئا بأول الطريق .

المرحلة الابتدائية وهى أهم المراحل فى هذا الشأن فهى التى يعد فيها النشء للالتحاق بالأزهر ولما كان فيما أرى أنه لابد من حفظ القرآن كله لمن يريد أن يلتحق بالأزهر وجب أن نهيىء كل

الأسباب لهذا ، وهو أمر ممكن ــ ولا شك ــ إذ أن ست سنوات مع السن المبكرة كافية لحفظ القرآن إذا خففت مناهج المواد الأخرى ، فليس من الضرورى أن تكون متفقة كل الاتفاق مع مناهج وزارة التربية والتعليم . وعلى الدولة أن تضع الحوافز الأدبية والمادية لترغيب الناشئة فى التعليم الأزهرى ، وفى حفظ القرآن ، وعليها ــ فى سبيل ذلك ــ أن ترعى ( الكتاتيب ) أو ( مدارس تحفيظ القرآن ) وتقدم لها المعلومات الكافية وتعمل على الإكثار منها ومقتضى ذلك ألا يقبل فى المعاهد الإعدادية من لم يكن حافظا للقرآن الكريم كله .

٤ ــ كذلك ينبغى أن يكون الهدف أولا وأخيرا هو ( الكيف ) لا ( الكم ) فلأن يتخرج فى الأزهر ألف فى كل عام يحفظون القرآن ، وعلى دراية واسعة بالعلوم الإسلامية والعربية خير من أن يتخرج آلاف من هذه الأنماط التى التحقت بالأزهر فى السنوات الأخيرة غير حافظين للقرآن وبعضهم لا يحفظ منه إلا أقل القليل ــ على أنه لا مناص من الأخذ بالوسائل التى تؤدى إلى حفظ هذه المجموعات للكتاب الكريم ، وإن على مراحل .. لكن لا بد من حفظه ولو دخل الطالب الجامعة فى أى من كلياتها .

٥ ــ ومن الظلم البين للتعليم الدينى أن يتخرج هؤلاء وهم على هذا الحال فلا مناص من تحفيظهم القرآن الكريم كله ، ثم إذا تخرج الطالب فى إحدى الكليات الحديثة ورغب فى العمل بالأزهر يُلزم بحفظ القرآن كله ، كذلك يكون حفظ القرآن الكريم شرطا فى الترقية من درجة إلى درجة .

٦ ــ كذلك ينبغى أن نعيد النظر فى نظام التخصص وأبادر فأقول : إنه لا يصح بحال من الأحوال أن يبدأ التخصص فى مرحلة الكلية بل ينبغى أن نبدأ هذا التخصص فى الدراسات العليا مع إعادة النظر فى مناهج الدراسات العليا . بحيث تُبقى ــ مع التخصص على الصبغة العامة للعالم الأزهرى .

٧ ــ بقيت قضية ــ كما يقول أستاذنا ــ قد يظنها كثير من الناس أمرا شكليا وأراها أمرا ضروريا .. تلك مسألة الزى ، إنى أدعو أن يعود الأزهريون إلى زيهم التقليدى ولا سيما المسئولون فى الأزهر والمدرسون ، نعم لم يحدد الإسلام زياً خاصا ولكن العرف من أزمان حدد للأزهرى زيا يعرف به فى كل مكان يحل فيه وهو زى جميل رائع يعطى صاحبه المهابة والوقار والتمييز ، ولا يقال إن بعض طوائف ترتدى هذا الزى فإن ذلك لا ينهض دفاعا عن ترك الأزهرى زيه ، والنظرة العابرة تستطيع أن تفرق بين الأزهرى وغيره ممن يرتدون هذا الزى .

أسأل الله ــ تعالى ــ أن يبقى هذا الأزهر حصنا حصينا للشريعة واللغة العربية وعلى الله قصد السبيل .

هذه آراء مقتضبة من آراء الإصلاح عند الدكتور / على العمارى فى الأزهر الشريف بمجلة منبر الإسلام ( عدد تاريخى خاص بمناسبة العيد

الألفـى للأزهـر الشريـف جمادى الآخرة ١٤٠٣ هـ ، مارس ١٩٨٣ م ) .

### الأزهر كما يراه العمارى

**ومن خلال رؤية متروية ومعايشة أصيلة يحدثنا فضيلة الأستاذ الدكتور على العمارى عن دور الأزهر عبر مسيرته الممتدة قائلا :**

منذ أنشىء الجامع الأزهر فى أوائل النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى ، وهو يحقق الغاية التى أنشىء من أجل تحقيقها : مسجدا للصلاة ، ومعهدا للتعليم .

وقد كان الهدف التعليمى الأول من إنشائه نشر المذهب الشيعى ، والدعوة له ، ولكن مالبث هذا الهدف ان أمحى عندما أفل نجم الدولة الفاطمية ، وحلت محله دراسة مذهب أهل السنة والجماعة .

ومضت مئات السنين على الأزهر ، وهو منارة علم ، ومبعث هداية ، يحفظ العقيدة الصحيحة ، وينشر الشريعة السمحة ، ويدرس علوم اللغة .

ولا يستطيع — إلا مكابر — أن ينكر على الأزهر دوره فى تكوين الشخصية الإسلامية لمصر ، وأثره فى جميع الشعوب الإسلامية الأخرى .

ففى المدن ، وفى القرى ، وفى الكفـور والنجوع ، نجد إمام المسجد ، وقاضى المحكمة ، ومأذون الشرع ، ومفتى العامة ، والعالم الواعظ ، والخطيب المفوه ، نجدهم كلهم من المتخرجين فى الأزهر . كما نجد فى الأقطار الإسلامية الأخرى من تلقوا علومهم فى الأزهر ، ومن تلقى العلوم على هؤلاء الأزهريين ، وقد كانوا فى بلادهم أئمة يقتدى بهم ، ومعالم هداية ، ومصادر إرشاد ، أسهموا بنصيب وافر فى شرح تعاليم الإسلام لأقوامهم ، وفى بناء نهضات أوطانهم .

وكانت حكمة رجال الأزهر عاملا أساسيا فى البعد بالأزهر عن الأخطار السياسية ، فى عصور الظلام ، فبقى الأزهر سالما من جبروت أولئك الحكام ، بل نكاد نقول : أنه لم يسلم من جبروتهم كائن فى مصر إلا الأزهر .

وحين وطئت أقدام المستعمرين الغربيين أرض مصر كان رجال الأزهر فى طليعة المجاهدين ، وفى مقدمة الثائرين ، بل هم الذين كانوا يشعلون نار الثورة على المستعمرين ، ويضحون بكل مرتخص وغال فى سبيل إنقاذ مصر والإسلام من طغيانهم ، ولايزال الأزهر يؤدى دوره التعليمى والوطنى والاجتماعى كاملا بأمانة وصدق .

**سـيرته ونشـاطه العلمى :**

**ولـد** الأستاذ على العمارى عام ١٩١٣ م بقرية بنى عمار من قرى محافظة سوهاج وتعلم فى كتاب القرية ، ثم تخرج من معهد الإسكندرية ، ودخل كلية اللغة العربية وتخرج فيها ١٩٤١ م العالمية مع إجازة التدريس ١٩٤٣ م ، ثم حصل على الدكتوراه فى البلاغة ١٩٦٧ م .

**وظائفـه** : مدرس ، فمدرس أول فعضو فنى فى إدارة المعاهد ، ثم عضو فى تحرير مجلة الأزهر ، فموجه ، فمدرس بالجامعة ( كلية البنات الإسلامية ) فأستاذ بجامعة أم درمان ثم الجامعة الإسلامية بمكة ، فجامعة أم القرى بمكة المكرمة .

**مؤلفـــاته** : تجاوزت العشرين كتابا منها :

١ ـ القرآن والطبائع النفسية ( ترجم للفرنسية عن طريق المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ) .

٢ ـ الإمام فخر الدين الرازى وفيه أثبت فضيلته أن الفخر قد أتم التفسير ولم يكمله أحد غيره فبعض المؤلفين يذكر أنه فسر إلى سورة الأنبياء ثم أتمه تلامذته .

٣ ـ ديوان شعر ( الفجر الضاحك ) نشر وهو فى المرحلة الثانوية .

**وله فى البلاغة :**

٤ ـ توضيح المعانى .

٥ ـ أسرار البيان ـ مقرر رابعة ثانوى . د .

٦ ـ حول إعجاز القرآن .

٧ ـ تيارات منحرفة فى التفكير الدينى المعاصر .

٨ ـ فقهاء بغير فقه .

٩ ـ المؤمن بين الخوف والرجاء .

١٠ ـ مع الرسول ﷺ .

١١ ـ الزكاة ( مترجم إلى الفرنسية ) .

١٢ ـ الزكاة وفلسفتها .

١٣ ـ من حديث القرآن عن الإنسان .

**وله كتب فى مناهج المعاهد الأزهرية :**

١٤ ـ الأدب العربى وتاريخه مع الأستاذ زكى على سويلم للعصرين الأموى والعباسى للصف الثالث الثانوى .

١٥ ـ التاريخ الأدبى للعصرين العثمانى والحديث للصف الرابع .

وله بمجلة الرسالة بحوث « ضافية » ، فكان بينه وبين صهره الأستاذ / كامل شاهين وكذا مع الأستاذ / أمين الخولى معارك بيانية فى الأدب والبلاغة فقد احتدم الجدال واشتد النقاش على صفحاتها ، وكان له باب فى الرسالة بعنوان « الشعر فى السودان » وقت أن كان مبعوث الأزهر فى أم درمان .

أمدَّ مجلة الأزهر منذ قديم بمقالاته المتنوعة وبحوثه المفيدة العديدة مثل : مع البلاغيين فى اللفظ والمعنى ، وشىء من النقد .

وقد اخترت فقرة له بمجلة الأزهر ( عدد ربيع الآخر ١٣٨١ هـ / سبتمبر ١٩٦١ م ) بعنوان ( حيرة الأوهام ) يقول :

« منذ فجر التاريخ والأوهام حائرة وستظل الأوهام بل العقول حائرة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .. وما دام الغيب سرا مجهولا ، فقال أحمد بن يحيى بن اسحق المشهور بابن الراوندى :

سبحان من وضع الأشياء موضعها
وفرق العزَّ والإذلال تفريقا

كم عاقل عاقل أعيت مذاهبه
وجاهل جاهل تلقاه مرزقا

هذا الذى ترك الأوهام حائرة
وصير العالم النحرير زنديقا

وأشار أبو العلاء المعرى إلى هذه القضية بما حمل الناس على رميه بالكفر والإلحاد . والحق أن هذه الظاهرة شغلت بال الكثير من الفلاسفة والحكماء

والشعراء . حتى العوام خبطوا فى شأنها ويقل أن تجد كتابا من كتب الأدب القديمة خلًا من الإشارة إليها ، ويقل أن تجد مجلسا يتعرض لحياة الناس وحظوظهم لم يَخُضْ فيها .

**نظـرة فى مؤلفـاته :**

تآليفه الثمينة لا غنى عنها لطلاب الأزهر وغيرهم وقد شملت جميع نواحى التدريس المتطورة مع الأزهر الحديث وتشتمل على بحوث مستفيضة وآراء طريفة ، وفيها معالجة العلوم بطريقة سهلة وافية ؛ فترى قلمه يجرى مجرى المعلم المتقن الذى لا يخطو خطوة إلا وقد أحكم الأولى ، فلا ترى الاسداد تزجية وحسن إبانة وفضلا على الصناعة وَمتناً فى عنق التأليف ورواجا للكتب والتصنيف وإعانة على الفصاحة واضطلاعا بقدسية العلم وأمانة للبحث واستكناها لهدى الجدل الوئيد .

وما دام الغد حجابا مضروبا والحياة لغزا مبهما فسيظل أصحاب العقول يتهمون عقولهم أو يخاطرون بعقائدهم أو يعتصمون بالإيمان ، أو يقفون حائرين مبهوتين تسمع منهم همهمة لا تبين أو تلمح فى عيونهم أطيافا لا تفصح عن شك أو يقين ، وسر الحيرة أن العقل يريد – دائما – أن يحلل ويعلل ويدلل ويظن أنه يستطيع أن يصل إلى كل سر ، وأن يكشف عن كل مخبأ ، وهو وإن أراد الفضاء وتطلع إلى سكنى الكواكب لا يزال يحبو فى مهده إذا ذكرنا حقائق الكوْن الكبرى ، ولن يزيده كشفه لهذه المجاهل من أسرار الكون إلا إيمانا بالجهل ويقينا لأن بينه وبين المعرفة الكاملة آمادا واسعة وكل يوم يطلع يأتى بجديد يَدُلُّنا على أن البشرية عاشت قرونا طويلة ترسف فى أغلال الجهل ، وعقيدتى أن الغد المجهول سيجيؤنا فى كل مطلع شمس بما يجعلنا نسخر عقولنا ونكل العالم كله لله وحده . وفى الحياة قضايا كثيرة ومشاكل ذوات عدد حيرت الأوهام فى الماضى ولا تزال تحيرها . ومن هذه القضايا ما عبّرت عنه هذه القصة القصيرة :

سأل معاوية بن أبى سفيان جلساءه يوما ما أعجب الأشياء ؟ .

فقال بعضهم : **إكداء العاقل وحظ الجاهل** .

وإذا كان جليس معاوية قد وصف هذه الظاهرة بأنها أعجب الأشياء فإن قوما من الشعراء والمارقين **قد عرضوها** فى معرض كريه ينكره المؤمنون .

وهكذا كان أستاذنا يستمتع بوقته ويشتغل بالأدب والبلاغة واللغويات ( النحو والصرف ) ويقرأ ما طابتْ له القراءة ويكتب ما رغب فى الكتابة ، ويؤلف ما مال إلى التأليف ، فتخرج الحقائق العلمية والأدبية رائعة الجمال شديدة العمق فيها ملاحة النكته وطلاوة الخبر وسلامة النقد ورفاهة الحس ومتعة العين وصقل الذوق .

ولقد تجشم المتاعب وأفنى الليل والصحة والجهد فى القراءة والمقابلة والمطالعة والاستقراء والفرى والتقصى فى سبيل إحقاق الحق فله الثناء على ذلك بما أفاد وأجاد .

جزاه الله خيرا على ما قدم ومدَّ له فى سِنى عمره وأطال فى حبل حياته .. والله أسأل أن يوفقنا لخدمة الدين والعلم إنه سميع مجيب .




**لفضيلة الشيخ رياض هلال**

إعداد وتقديم د. عبد الفتاح حسين الزيات

**شر ما تبتلى به أمة أن يكثر فيها الأدعياء ويفشو المدعون ، ففى هذه الأيام ظهرت خفافيش الظلام والإظلام تحوم حول فكرة الأزهر وحدوده ، وأصبحت لها أوكار ترسل منها هذا الهراء المزعج والطنين المنفر .**

**وجهل هؤلاء أن الأزهر قيمة وقمة . رأى وكلمة . فكرة ، ورسالة يرشد الضال ، ويرد الآبق بالحكمة والموعظة الحسنة . هذه رسالته منذ أن وجد على هذه الأرض لا ينازعه فيها منازع ، أو يزاحمه مزاحم عن إيمان ويقين .**

**نقول هذا للذين يخلطون الأوراق فى هذه الأيام من أصحاب الأقلام (الحرة) ودعاة (التنوير) الذين يريدون شيئاً محدداً ولكنهم لا يجرؤون أن يفصحوا عنه ، ولكنهم للأسف مفضوحون فليتقوا الله وليقولوا قولاً سديداً**

كثر حديث الناس فى هذه الأيام عن الأزهر والأزهريين ، وتناولوه فى كثير من المناسبات بألسن حداد ، وكلمات شداد ، تصوره أمام الناس بصوره المتخلف عن القافلة ، والمنقطع فى الطريق .

ولكنى أحب لهم ألا يظلموا الأزهر ، أو يحكموا عليه حكماً جائراً لا يستهدف الخير . وهؤلاء كان جديراً بهم أن يقتصدوا فى نقدهم ، حتى لا يقال فيهم :

غيرى جنى وأنا المعذب فيكم فكأننى سبابة المتندم

فأما أن يؤخذ البرىء بالمذنب ، والمقيم بالظاعن ، والولى بالمولى ، فتلك سياسة من جار ولم يعدل .

ولست أعرف العلة التى انبعث من أجلها هؤلاء يصيحون ويجأرون بالشكوى من الأزهر ، كأنه اعترض طريقهم ، فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون . أو كأنهم ضاقوا به ، وأحسوا أنه يرصدهم ، ويكشف أمرهم حين تطوع لهم

نفوسهم أن يقتحموا صرح الفضيلة ، ويصلوا إلى ما يريدون .

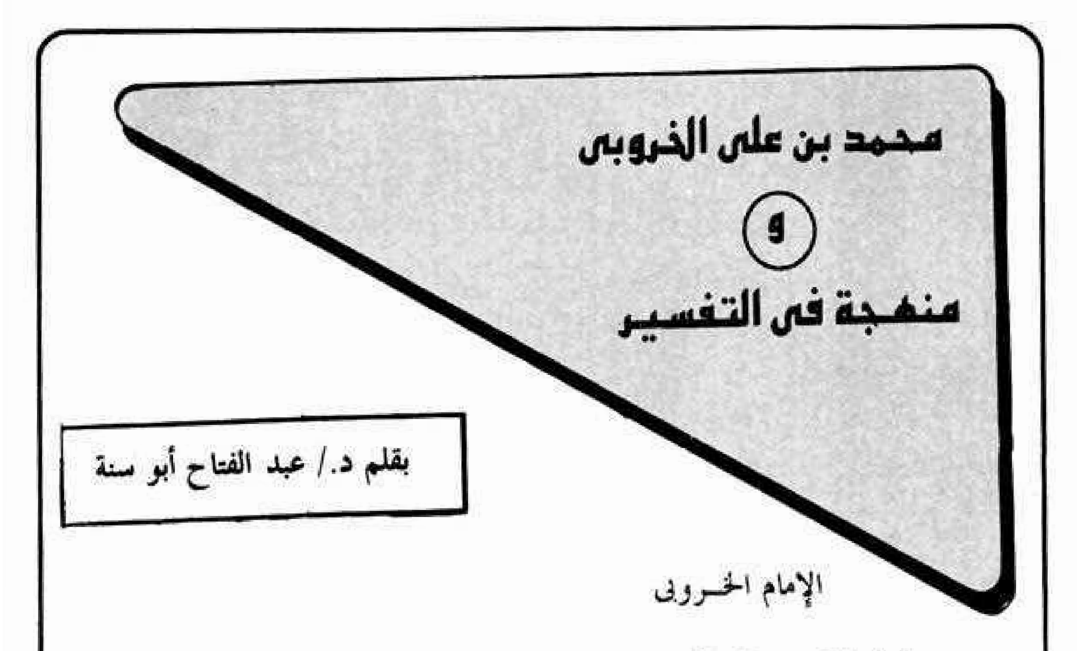
وقد نسى هؤلاء أن العواصف التى تتآمر على الأزهر اصطلحت عليه منذ القدم ، فهى لا تفتأ تناوئه الفينة بعد الفينة ، ولكنها تنحسر عنه دائماً كليلة وكأنها لا شىء . وما أسرع أن يحنى لها الأزهر هامته الفارعة حتى تمر به ، ثم يرفع تلك الهامة شامخاً فى كبر وسخرية .

لست أقول ذلك تعصباً للأزهر ، فقد أكون أقل الأزهريين تعصباً ، ولكنى أقوله ؛ لأنه الحقيقة السافرة التى لا معدى لأى مخلوق عن أن يقولها ويعترف بها . إن الذى يظن أن الأزهر مدرسة يتخرج فيها الموظفون وطلاب الحاجات مخطىء كل الخطأ ؛ لأن الأزهر لو كان كذلك لكانت حجته فى بقائه واهية ، بل معدومة ؛ لأن مصر بحمد الله ، فيها العدد الوفير من المدارس المدنية والدينية ، وتستطيع أن تسد الحاجة للوظائف والموظفين . وكأنى بكثير من الناس يتساءلون فى عجب بالغ : وماذا يكون الأزهر إن لم يكن مدرسة ؟

إن الأزهر فكرة إسلامية يرنو إليه المسلمون من جميع أقطار الأرض ، وتشرئب إليه نفوسهم ، وتظمأ إليه أرواحهم ، يعرف ذلك ويلمسه من أمكنته ظروفه أن يتصل بأى بلد شرقى ، وقد لمست هذا بنفسى الحب وتلك اللهفة فى الحجاز والكويت والعراق ، وقد كنت أحد مبعوثى الأزهر فى الحجاز والكويت ، وكان معنا كثير من رجال وزارة المعارف المصرية ، ومع ذلك فقد كان تطلع الناس إلى مبعوثى الأزهر ، وإلى السؤال عن الأزهر أشد وأقوى من تطلعهم إلى غيرهم ، مما يؤكد أن المعنى الماثل فى أذهان الناس هناك ، الراسخ عندهم عن الأزهر أنه كما قلت فكرة وليس مدرسة ، وتربية خاصة وليس معهداً ، وأحب أن أكون صريحاً أكثر فأقرر أن سياسة التعليم فى مصر التى كان للمستعمر أثره الواضح فيها قد حاولت جاهدة أن تجعل من الأزهر ــ وقد كان معنى كبيراً ملء القلوب والأسماع ــ مدرسة صغيرة ذات برامج ومناهج يتخرج فيها الموظفون دون أن ينعموا بالتربية الإسلامية الاستقلالية التى كان يعدهم لها الأزهر فى القديم ، وقد بلغ المستعمر من ذلك مبلغاً عظيماً أو كاد .

فهل لى أن أدعو الأزهريين من كل قلبى أن يفهموا ما يحيط بهم ، وأن يتعمقوا الأشياء ، ويتدبروا الأمور ، ويتكاشفوا حتى لا يتدافنوا ، وحتى تعود إليهم الثقة بأنفسهم وأزهرهم ، قبل أن يكرهنا الزمن على شىء قد لا نحبه ولا نرضاه . ألا قد بلغت ، اللهم فاشهد .

**رياض هلال**
المدرس فى كلية اللغة العربية




بقلم د./ عبد الفتاح أبو سنة

## الإمام الخـــروبى

**هو الولى النقى ، والعارف التقى ، عالم زمانه ، وفقيه عصره وأوانه ، محمد بن على الخروبى الطرابلسى أو الصفاقسى الجزائرى المالكى ، أبو عبد الله ، عالم الجزائر الكبير ، وإمامها الشهير ، كان من أهل الحديث والفقه والتصوف إلى جانب إمامته فى التفسير بيته بيت علم من لدن أسلافه ، ولد بقرية « قارة قوش » ثم رحل إلى الجزائر حيث أتم تحصيله العلمى ؛ فبرع فى علم الشريعة والتصوف ومعرفة أحوال الدول والممالك ، كما اشتهر بالبلاغة والخطابة والشجاعة الأدبية ؛ حيث كان جريئاً فى الحق ، لا تأخذه فى الله لومة لائم ، شديد النكير على أهل البدع والضلالات ، توفى بالجزائر عام ( ٩٦٣ هـ ـ ١٥٥٦ م ) تاركاً وراءه العديد من المؤلفات[١] .**

مولـــده :

لم تذكر كتب التراجم ، تاريخ مولده بالتحديد ، ولكنها نوهت بأنه قد تربى وهو غلام فى أحضان التصوف بين يدى أبيه وأسرته التى كان من أهم سماتها العلم والدين إلى جانب الثراء الواسع والجاه الدنيوى حيث جمع الله لها بين شرف الدنيا وكرامـــة الآخرة[٢] .

كما تربى تحت أنظار شيخه أحمد رزوق ذلك الصوفى السنى صاحب التجارب المثيرة ، والذى لا يقل شأناً عن أبى حامد الغزالى فى منهجه مع اختلاف فى التفصيلات والظروف[٣] .

---

(١) شجرة النور الزكية .
(٢) تاريخ ليبيا الإسلامى .
(٣) الطريقة الشاذلية وأعلامها .

ولد الخروبى الصغير ، الفقيه الشهير فى بيئة تتمتع بإحساس دينى عميق ، وتوقير للمتدينين والعلماء ، وأهل التصوف ، ولم تكن البلاد تخلو من الزهاد الذين لا تزال أسماؤهم عالقة بالأذهان ، وأضرحتهم مزارات للمؤمنين(٤) .

**رحلته إلى الجزائر :**

التنقل والترحال جزء لا يتجزأ من حياة الصوفى ؛ فهو بالنسبة للمريد يقصد به طلب المعرفة على يد عارف يتولى تربيته حتى يبلغ به مقامات الرجال ، وبالنسبة للمربى يقصد به محاربة الفساد المتغلغل فى جسم الأمة ، وتربية المريدين الصالحين للنهوض بها ، وأهم شىء فى الرحلة هو اختيار المكان الملائم الصالح للدعوة والإرشاد ، وقد انتقل العلامة محمد بن على الخروبى من « مصراتة » بليبيا إلى الجزائر ، وأقام بها ، وكون مدرسة للحديث النبوى والفقه والتصوف ، وكان شيخه رزوق قد مهد له فيها قبل مقدمه إليها حين زار العاصمة وتوجه منها إلى موقع هناك يدعى « تموقر » وهو موقع عند « بنى عبدل » فى أنحاء « بجاية » حيث ألف زروق هناك كتابه « الجامع لجمل من الفوائد والمنافع » بمسجد سيدى يحيى بن محمد العبدلى ، وكانت « بجاية » مركزاً للزروقية ، يدعو فيها الشيخ والمريد محمد بن على الخروبى إلى طريقته حين دخلها عام ( ٨٩٢ هـ ـ ١٤٨٧ م )(٥) .

**مؤلفاته وآثاره العلمية :**

ترك العلامة الخروبى تراثاً طيباً يكشف عن ثقافة واسعة قوامها التفسير والحديث والفقه والتصوف مما جعل له أثراً علمياً أثرى المكتبة الإسلامية ، وله على سبيل المثال لا الحصر :

ـ « رياض الأزهار وكنز الأسرار » كتاب تفسير ذو مجلدات ثمانية/ مخطوط بالهيئة العامة للكتاب تحت رقم ١٩٠١٦ « ميكروفيلم » .

ـ شرح على نظم شيخه أحمد زروق فى أصول الطريقة الشاذلية .

ـ كفاية المريد وحلية العبيد ( تصوف ) .

ـ شرح صلوات ابن مشيش .

ـ الحكم الكبرى ( مخطوط ) .

ـ شرح الحكم الكبرى ( مخطوط ) .

**وفاته رحمه الله تعالى :**

ومع إشراقة شمس معارف العلامة الخروبى على تلاميذه ونشر خيوطها على ربوع الجزائر إذ بها تميل نحو الأصيل استعداداً للرحيل لتؤذن بالمغيب بوفاة نجم الهداية صاحب الترجمة وذلك مطلع عام ( ٩٦٣ هـ ـ ١٥٥٥ م ) ودفن وقبر حيث مات ـ رحمه الله تعالى ـ ولا تسأل عما أصاب الناس ممن تتلمذ له من الألم والدهش لهذا المصاب الجلل والخطب العظيم الذى فجع به الإرشاد الصحيح فإنا لله وإنا إليه راجعون(٦) .

**المنهج :**

قال محمد بن على الخروبى الجزيرى الطرابلسى المتوفى عام ( ٩٦٣ هـ ) رحمه الله تعالى :

---

(٤) راجع نيل الابتهاج لأحمد بابا التنبكتى : ٨٣/القاهرة ١٣٥١ هـ .

(٥) الزروق والزروقية/١٥ دار مكتبة الفكر/ طرابلس/ ليبيا .

(٦) المنهل العذب فى تاريخ طرابلس الغرب/ الزواوى/ بيروت ١٩٨٤ ـ نفحات النسرين والريحان/ تحقيق على مصطفى المصراتى/ بيروت ١٩٦٣ .

أشار عليّ بعض الإخوان أن أضع فى التفسير تأليفاً يحتوى على نكت علمية وحقائق وأسرار صوفية يكون تكملة لما تقدمه من ـ التواليف ـ وكالحاشية لما سبقه من التصانيف ، فاستخرت الله فى ذلك ، وانشرح له الصدر ، وإن لم أكن صالحاً أن أسلك تلك المسالك ، ولما كان من تقدم من الأئمة القدماء ومن بعدهم من الشيوخ العلماء مقاصدهم مختلفة ، وأنحاؤهم وآراؤهم متباينة فى تفاسيرهم ، فمنهم من اشتغل بالكلام على ظاهر القرآن ، واقتصر على علومه الظاهرة كاللغة والنحو والقراءات ، والمعانى والبيان وفقهه وناسخه ومنسوخه وتفصيل أحكامه ، وبيان حلاله وحرامه ، وغير ذلك من العلوم المتعلقة بظاهره كالإمام ابن عطية والزمخشرى وابن العربى وغيرهم ممن يكثر تعدادهم ، ومنهم من تكلم على ما يتعلق بباطنه من الحقائق والأسرار كالسلمى ومن نحا نحوه ؛ فهؤلاء وإن قصدوا الحقائق وعثروا على اللباب لم يسلموا من الملامة ، وأولئك لم يشتغلوا بذلك لكنهم سلكوا مسلك السلامة .

**ونحن قصدنا فى كتابنا هذا أن نجمع فيه بين الطريقين ليكون جامعاً بين الشريعة والحقيقة ، فنأتى من علوم ظاهرة بعلم التفسير إذ هو العلم المراد لذاته ، وباقى العلوم الظاهرة دالة معينة عليه ، ولنأت معه بما أمكن من أسباب النزول للفوائد المتعلقة به ، ومهما دعا الحال إلى التعرض إلى بعض المسائل من نحو ولغة وقراءات وغير ذلك من العلوم الظاهرة فلنتكلم عليها باختصار .**

ويقول ـ رضى الله عنه :

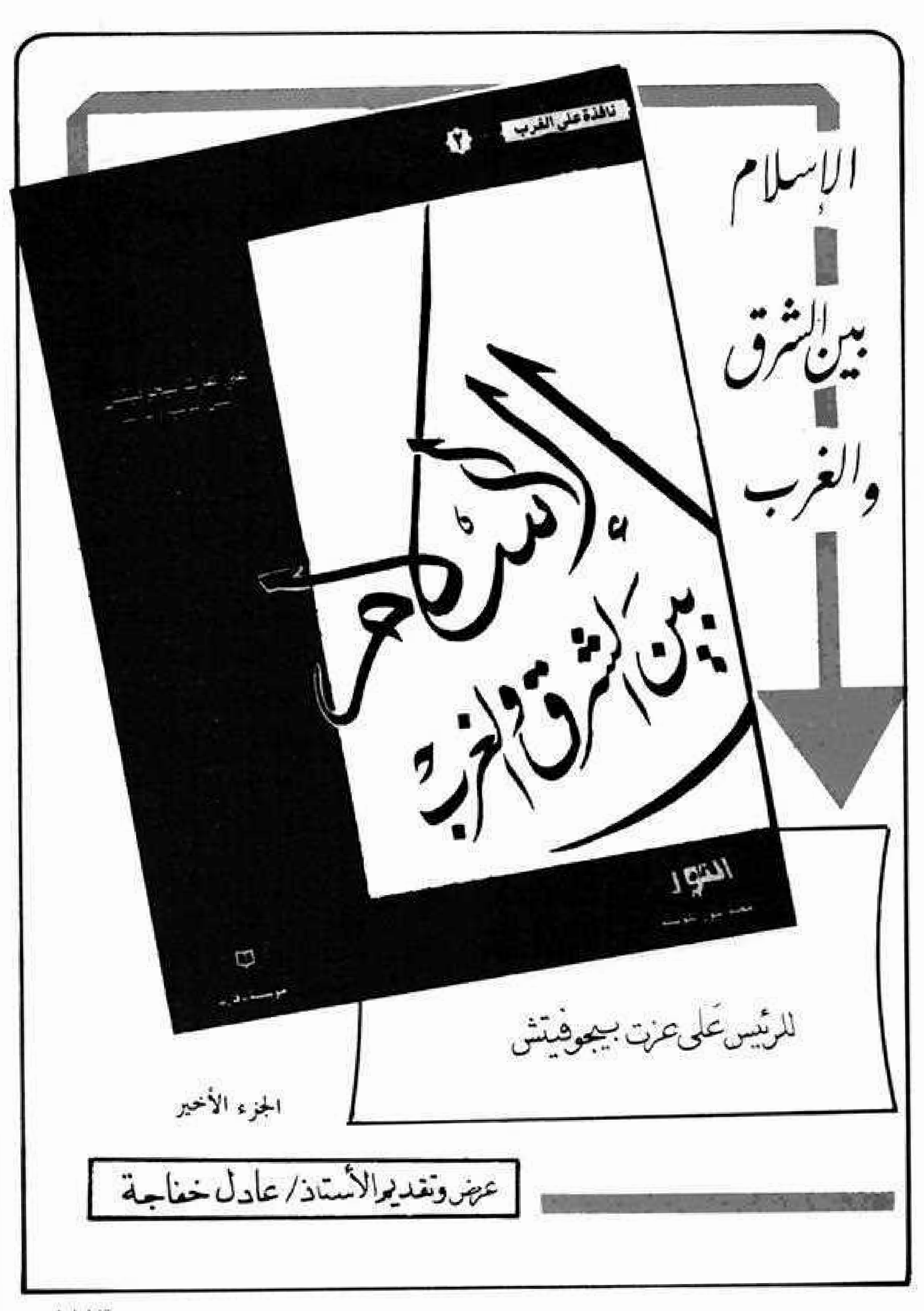
**وأعتمد فى التفسير على كتاب الإمام ابن عطية ـ رحمه الله تعالى ـ وعلى الجواهر الحسان للشيخ « أبى زيد سيدى عبد الرحمن الثعالبى ـ رحمه الله تعالى .**

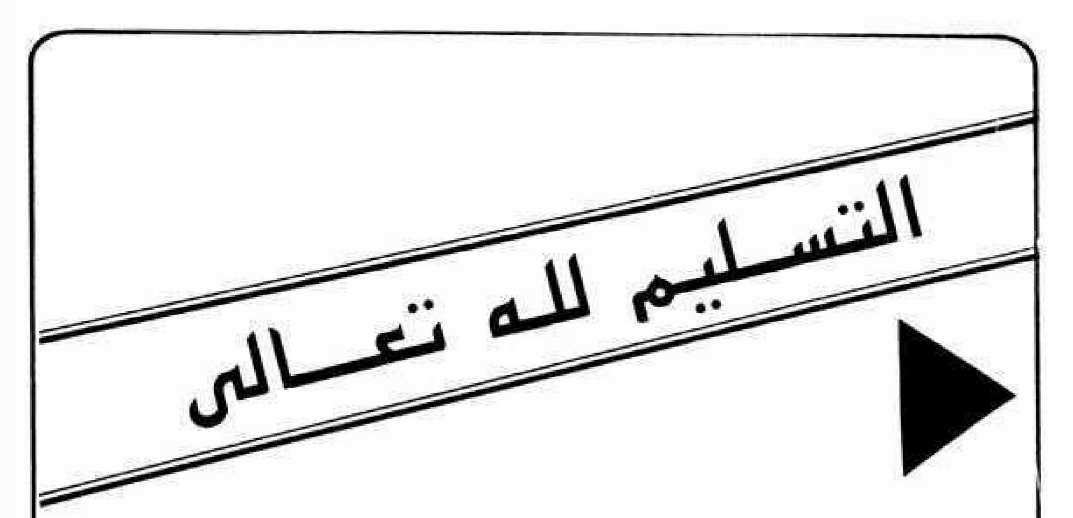
**والقاعدة فى كتابنا هذا أن أجعل حرف « العين المهملة » رمزاً للإمام ابن عطية ، والثاء المثلثة رمزاً للشيخ الثعالبى وإن أتيت بكلام غيرهما فى كل فن أنسبه إلى قائله ، وإن أطلقت الكلام أو أسندت القول إلى ضمير المتكلم فهو لنا هكذا فى الكتاب كله .**

**ثم ينوه العلامة الخروبى باستنباطاته وأفهامه التى أوتيها فى كتاب الله بعد سلوكه طريق القوم قدماً ونهاية ، فكان العلماء من حولـــه يستحسنونها غاية الاستحسان ، وتحل فى قلوبهم بمكان فيقول :**

**ولنأت من علوم باطنة بالحقائق البادية من آياته ، وبالأسرار التى تضمنتها تراكيب جملة وألفاظه مما سبق الغير إليها أو مما لم يعثر عليه أحد غيرى ؛ فإن دلت الآية على تعلق أو تخلق أو تخل أو تحل أنبه على ذلك بلفظ موجز ؛ فكان كتابنا والحمد لله جامعاً بين العلم والعمل وسميته « برياض الأزهار وكنز الأسرار » وأعيذه بالله ـ سبحانه ـ من معترض متعسف ، ومنتقد لا ينصف .**

**والله ـ سبحانـــه ـ أسأل أن ينفـــع به الإسلام ، وأن يجعله سبباً لهداية الخاص والعام بمنه وفضله ، وأن يجعله خالصاً لوجهـــه الكريم ، وأن ينفعنا به يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم آمين .**


الإسلام
بين الشرق
والغرب
نافذة على الغرب
الإسلام بين الشرق والغرب
للرئيس علي عزت بيجوفيتش
الجزء الأخير
عرض وتقديم الأستاذ / عادل خفاجة




كلما توصل الإنسان إلى اكتشاف أو حقيقة علمية ما ـ أدرك أن هناك سلسلة من الاكتشافات والحقائق التى لم يتوصل إليها بعد ، وسيظل الإنسان يلهث وراء كل جديد وسيبقى إلى الأبد يجهل الكثير ويعلم القليل .

قال تعالى : ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ الإسراء .

وأمام هذا ، فالإنسان إما أن يغتر بما حقق واكتشف فيُرديه غروره فى ظلمات الجهل .

وإما أن يرضى ويسلم لله ، فيظفر بسلام متكامل .

ولعل خلاصة هذا الكتاب ، وفكر مؤلفه الرئيس : أن التسليم لله هو المخرج أمام كل هذا الذى نجهله ؛ فالتسليم لله هو الحكمة التى تخفف شعور الإنسان بالألم .

قال تعالى : ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ سورة البقرة

**القسم الثانى :**

**الإسلام ـ الوحدة ثنائية القطب :**

بعد أن قدم المؤلف فى القسم الأول العديد من القضايا الفكرية ومدى إخفاق الفكر الأوروبى فى تناولها لكونه أحادى النظرة ـ يقدم فى هذا القسم ما يسميه ( الوحدة ثنائية القطب ) التى يراها فى الإسلام .

يستهل المؤلف هذا القسم بالتركيز على أن الفهم الكامل لتاريخ الإسلام لا يتم إلا بالفهم الجيد لتاريخ الفترة اليهودية والمسيحية .

لذلك يقدم بعض آراء المفكرين التى تُلقى بعض الضوء على ذلك التاريخ ومنها :

**رأى « ورنر سومبارت » الذى يقول : إن تاريخ اليهودية هو تاريخ التطور التجارى للعالم . وأول ما ظهرت العلوم الذرية كانت معروفة بالعلم اليهودى . ويمكن أن يوصف علم**

**الاقتصاد السياسي بالصفة نفسها . وليس من قبيل المصادفة أن تكون ألمع الأسماء في علوم الطبيعة النووية والاقتصاد السياسي والاشتراكية جميعاً من اليهود .**

إن اليهود لم يسهموا أبداً في الثقافة ، ولكنهم كانوا دائماً يساهمون في الحضارة؟ . ويبدو وكأنهم في هجرة دائمة من حضارة آفلة إلى حضارة وليدة .

إن المادية اليهودية هي التي لفتت العقل الإنساني - خلال التاريخ اليهودي - إلى العالم ، وأثارت الاهتمام بالواقع الخارجي .

. ثم يعرض المؤلف عدة آراء عن الإسلام لعلماء الغرب أمثال : « هيجل » و « شبنجلر » و « مرسيا إليادي » .

وخلص إلى أن النبي محمداً ﷺ يقف في النقطة البؤرية للتوازن التاريخي .

**لعل النظر في الظروف التي أحاطت بظهور الإسلام تساعدنا على فهم الإسلام فهماً أفضل ، باعتباره دعوة للتوحيد بين العقيدة والسياسة .**

- فقد كان لدى العرب تجارة تتسم بالعناء .
- ولم تكن بلاد العرب الصحراوية مثل مدينة « الجليل » الخصبة ، مهد المسيحية ، حيث يستطيع الإنسان أن يعول نفسه بقليل من الجهد .
- لم تكن الكعبة - لدى العرب - مركزاً دينياً فقط ، بل كانت مركزاً تجارياً أيضاً .

هكذا كانت هذه الظروف تشكل عبقرية العرب ، وتعدهم لاستقبال الإسلام الذي

يقول : « وجعلنا النهار معاشاً » النبأ - ١١ .

الإسلام يقرر محاربة الشر ودفع الظلم ، وهو بذلك يضع قواعد سياسية واجتماعية .

يقول الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ۝ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ۝ ﴾

سورة الشورى

الإسلام يحرم الخمر وهو بذلك يسلك مسلك العلم لا مسلك الدين المجرد .

**من هنا يذهب المؤلف إلى أن الذين يشطرون وحدة الإسلام ويتمسكون بجانبه الديني فقط ، اختزلوا الإسلام إلى دين مجرد ، وأهدروا وحدته وخاصيته التي يتفرد بها عن سائر الأديان ؛ فتدهورت لذلك أحوال المسلمين .**

الفصل الثامن : الإسلام والدين :

يندرج تحت هذا العنوان ثلاثة عناوين فرعية يعالج فيها المؤلف القضايا التالية :

ثنائية أعمدة الإسلام الخمسة .

دين يتجه نحو الطبيعة .

الإسلام والحياة .

في الموضوع الأول : يتناول أعمدة الإسلام ويتأملها ، ويبرهن على ظهور ووضوح صفة الثنائية في أركان الإسلام مما يجعله ديناً شاملاً متميزاً عما سواه من الأديان .

الصلاة :

يقول المؤلف :

« إن الصلاة أكمل تصوير لما نطلق عليه

( الوحدة ثنائية القطب )[1] فى الإسلام » ويشكل الوضوء والحركات فى الصلاة الجانب العقلى فيها .

والصلاة فى الإسلام باطلة بدون وضوء ، بينما فى الدين المجرد يمكن أداء الصلاة مع وجود ( القذارة المقدسة ) التى عرفتها بعض نظم الرهبنة فى كل من النصرانية والهندوسية . فالرهبان الذين يتجنبون النظافة يشعرون شعوراً دينياً أصلًا إغفال البدن والاهمال المتعمد لنظافته يقوى العنصر الروحى فى الصلاة . ومن هذا ما ذكره ( برتراند رسل ) Bertrand Russell فى كتابه :

The History of Western Philosophy ( london:n.p.,1946 ) P. 371.

هكذا نلاحظ أن الوضوء لايجعل الصلاة قاصرة على جانبها الروحى المجرد ، وإنما يضيف إليها النظام والصحة معاً . فهى ليست تأملًا صوفياً فحسب بل نشاطاً عملياً أيضاً . خلافاً لما فى الأديان الأخرى التى تعتبر البدن خارج الاعتبار . أما فى الإسلام نجد أن الله « يحب المتطهرين » .

**الزكاة :**

إن التحول من الدين المجرد إلى الإسلام ظاهر بوضوح فى مسألة الزكاة . إن المنطق الإسلامى هو الذى حوَّل الصدقة التطوعية إلى زكاة ملزمة[1] ، والنتيجة النهائية أنه حوَّل الدين المجرد إلى إسلام .

**النطق بالشهادتين :**

إن النطق بالشهادتين الذى يعلن به الشخص اعتناقه للإسلام يؤدى أمام الشهود ؛ لما ينطوى عليه هذا العمل من معنيين :

**الأول** : هو الانضمام إلى جماعة لها جوانبها الاجتماعية والسياسية ، وتتضمن التزامات قانونية وليس فقط التزامات أخلاقية .

**الثانى** : أنْ يلحق إنسان بدين « ما » لا يستلزم وجود شهود وإنما تكفى النية فى هذا الخصوص . أما الالتحاق بدين به عنصر الإعلان فهو ليس ديناً عادياً أو ديناً مجرداً ، إنه الإسلام .

**الصـــوم :**

كما أن الصوم ليس مجرد مسألة شخصية تخص الفرد وحده ، إنما هو التزام اجتماعى ، إن الصيام الإسلامى وحدةٌ تجمع بين التنسك والسعادة بل والمتعة .

فالصوم يمارس فى قصور الملوك وفى أكواخ الفلاحين على السواء .. فى بيت الفيلسوف وفى بيت العامل .. وأعظم ميزة فيه أنه يمارس ممارسة حقيقية .

**الحج :**

ولعل نفس الشىء يظهر بوضوح فى الحج خامس أعمدة الإسلام ، فهل هو شعيرة دينية ؟

---

(١) نحن ملتزمون بعرض فكر المؤلف بناء على أمانة العرض ، وليس يمنع ذلك توجيه النقد لما يستحق النقد من كتابته .. والمجلة ترحب بذلك .. وتعنى الثنائية – عند المؤلف أن كل عمل إسلامى له جانبان : أحدهما مادى والآخر روحى ، أو لأحدهما نفع مادى والثانى نفع روحى .

(١) ذلك ما لا نقر الباحث عليه ، ذلك أن الصدقة التطوعية لا تزال قائمة فى الاسلام بجانب الصدقة الفرض التى أخذت مصطلح ( الزكاة ) وصارت معلوما من أمور الدين الخمسة .

أم معرض تجارى ؟ أم تجمع سياسى ؟ إنه شعيرة دينية تجمع كل هذا فى صيغة إسلامية . ويستطرد المؤلف فى عرض الكثير من الأمثلة التى تميز بها الإسلام .

**دين يتجه نحو الطبيعة :**

تحت هذا العنوان يوضح المؤلف أن الإسلام دين وعلم ، ولكنه لايقدم حقائق علمية جاهزة ، لكنه يتضمن موقفاً جوهرياً ؛ اهتماماً بالعالم الخارجى ، وهو أمر غير مألوف فى الأديان ، فيشير القرآن إلى حقائق كثيرة فى الطبيعة ، ويدعو الإنسان للاستجابة إليها .

يقول الله تعالى :

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾

سورة البقرة

ففى هذه الآية وغيرها كثير لا يظهر أى أثر للصراع مع الطبيعة ، فالإسلام يبرز ما فى المادة من جمال ونبل كما هو الحال بالنسبة للجسم فى موقف الصلاة .

**الإسلام والحياة :**

يؤكد المؤلف إن هذه الثنائية فى الإسلام ليست فلسفة سامية ، وإنما هى نوع من الحياة الإنسانية السامية .

ويقول : إن العقاب ينطوى على فكرة الثنائية أيضاً . فالعقاب وإن كان إجراء قمعياً ، إلا أنه من الممكن أن يكون حافزاً أخلاقياً قوياً ، فإذا كان العقاب ( عادلاً ) كانت له قيمة تعليمية للمذنب ولغيره من الناس ، فالخوف هنا بداية للأخلاق ، كما أن الخوف من الله بداية لحب الله - تعالى - .

**الفصل التاسع : الطبيعة الإسلامية للقانون :**

يعرض المؤلف الطبيعة الإسلامية للقانون من خلال إلقاء الضوء على ( جانبين للقانون : العقاب وحماية المجتمع ) .

بعد أن قدم المؤلف تعريفاً للنظام القانونى ، وساق العديد من الآراء حول حقوق الإنسان ، ومراحل نشوء النظم القانونية الشهيرة فى التاريخ . يقول :

« فى الإسلام نجد نوعاً من ( وحدة الهويّة ) بين القانون والدين ، ونرى غالبية رجال الفكر الدينى فى الإسلام قد ألفوا كتباً فى الفقه وأصوله ، وإنه ليصعب على الأوروبيين أن يميزوا بين القانون وبين الدين فى هذه المؤلفات ، كما أن الإسلام لايعترف بهذا الانفصال . بمعنى أن القانون إنما هو نتاج طبيعى للإسلام » .

وكما يقولون « الفضل ما شهدت به الأعداء » يقدم المؤلف رأياً لأحد مفكرى الغرب ( الفريد كرامر Alfred Kramer ) حيث يقول : « إن العرب ( يقصد المسلمين ) هم الأمة الوحيدة خلال القرون الوسطى الأولى التى استطاعت فى تطويرها للقانون أن تحقق إنجازات باهرة . هذه الإنجازات تقف بعظمتها مباشرة مع الأعمال التى حققها الرومان ، صناع القانون فى العالم » .

**العقاب وحماية المجتمع :**

ناقش المؤلف فى هذا المبحث قضية العقوبة : أهى مبررة أم غير مبررة ؟ وقضية المسئولية ، والمحاكمة ، والهدف من العقوبة ، الحركة الحديثة لحماية المجتمع ..الخ .

**الفصل العاشر : الأفكار والواقعية :**

وفى هذا الفصل قدم ملاحظات تمهيدية عن الدين المجرد والطوبيا يخلص فيها إلى أن الدين المجرد والطوبيا كليهما لايوجدان إلا على مستوى الأفكار فقط ، أما فى الحياة العملية فما نشاهده إنما هو مزيج من عناصر مؤلفة منهما معاً ، وفى بعض الحالات يستحيل التفريق بينهما .

**عيسى والمسيحية :**

ولذلك فهو يرى أن مناقشة إمكانية تطبيق الدين المجرد فى هذه الدنيا أمر محكوم عليه بالإخفاق ، وأن المثل الحاسم فى ذلك هو الإخفاق التاريخى للمسيحية . وأنه لكى نفهم المسيحية وندرك تطورها التاريخى لابد أن نميز بين أمرين مختلفين : حياة عيسى ــ عليه السلام ــ وتاريخ المسيحية ، فمن البداية الأولى كان عيسى ــ عليه السلام ــ فى ناحية والمسيحية فى ناحية أخرى . وتحول هذا الاختلاف بمرور الوقت إلى خلاف بين الإلهى والإنسانى .

**ماركس والماركسية :**

وأما عن الماركسية فيقول : إن الماركسية تتسق مع نفسها نظرياً ، ولكنها لاتتسق مع نفسها بالضرورة فى الممارسة العملية ؟

**الزواج :**

يقدم المؤلف الزواج كنموذج للصراع بين الأفكار والواقع ، ففى حين يتطلب أصحاب الدين المجرد العفة المطلقة ، نجد المادية تسمح بالحرية الجنسية الكاملة . إلا أن كلًا من المذهبين واجهته المشاكل فى التطبيق ، فتحركا فى اتجاه « الزواج » كحل وسط .

من هنا جاء الزواج الإسلامى ، فوحد هذين النوعين من الزواج . فالزواج الإسلامى فيه صفة العقد ؛ لذلك يمكن حله ، فالطلاق مسموح به لأسباب تقتضيه ، والطلاق أبغض الحلال عند الله ، وهذا تفكير دينى وأخلاقى معا .

ومن هنا فالزواج الإسلامى يستهدف الإجابة عن مشكلة جوهرية : كيف يوفق الإنسان بين تطلعاته وأشواقه الروحية وبين حاجاته المادية ؟

**الفصل الحادى عشر :**

**« الطريق الثالث » خارج الإسلام :**

بعد أن قدم المؤلف الطريقين اللتين يسير فيهما الغرب ودلل على عدم صلاحية أى منهما للإنسان ، أشار إلى أن جزءًا من هذا العالم العربى يبحث عن طريق ثالث .. طريق وسط بين هذا وذاك .

يقول المؤلف :

« لقد بنت أوربا أفكارها الأساسية خلال المدرسة البدائية فى العصور الوسطى ، ورغم نضوجها فإن هذه الخبرات الطفولية ماتزال حية فى العقل الأوربى ــ سواء فى الدين أو فى غيره ــ وستظل أوربا تفكر فى إطار الاختيارات

النصرانية : إما مملكة الرب وإما مملكة الأرض .

.. ولكن يوجد جزء من العالم الغربي ـ بسبب موقعة الجغرافى التاريخى ـ بقى متحررا من التأثيرات المباشرة لنصرانية القرون الوسطى ، متحررا من العقد المستعصية لهذا العصر . هذا الجزء من العالم كان دائم البحث عن طريق ثالث ، وقد اهتدى إليه ، .. والدولة التى أعنيها هى إنجلترا وإلى حد ما أيضا العالم الأنجلوسكسونى بصفة عامة » .

ثم يوضح عدم فعالية هذه الطريق الثالثة ويناقش مابها من أفكار وتوجهات ، وينتهى إلى قوله : « جميع هذه الظواهر التى ناقشناها ذات دلالة على توجهاتها . ولكنها ليست إسلامية ولاتؤدى إلى الإسلام ؛ لأنها قسرية متكلفة وليست متسقة مع نفسها وقاصرة .

أما الإسلام ، فإنه يتضمن رفضا واعيا للمُسَلَّمات الدينية والاشتراكية أحادية الجانب ، وينطوى على تسليم إرادى بمبدأ الثنائية . ومهما يكن فإن الأمر مارأيناه من تأرجح وانحرافات وتسويات قهرية ، إنما يمثل انتصارا للحياة والواقع الإنسانى على جميع الأيدولوجيات القاصرة على جانب واحد ، وهذا فى حد ذاته يعد انتصارا للمفهوم الإسلامى .

وبعد ، فالكتاب يعد موسوعة صغيرة ، بما احتواه من أفكار وما حُشِد فيه من آراء لكثير من مفكرى الغرب .

وعلى قدر ما بالكتاب من آراء الغربيين بقدر ما نجد به من ردود وملاحظات وتأملات من المؤلف تتسم بنور الهداية وجلال الإيمان . والكتاب بحق إضافة حقيقية لهذا الرجل إلى المكتبة الإسلامية العربية ، وإن كنا قد تجاوزنا عما جاء بالكتاب وليس من كلام المؤلف إلا أن لنا ملاحظة هى بالقطع لا تضاف إلى المؤلف بل إلى مترجم الكتاب الذى استخدم الاختصار ( ص ) بعد ذكر النبى محمد ﷺ وكم كنا نأمل أن يكتب صيغة الصلاة على النبى كاملة غير مختصرة .

ويُنهى المؤلف كتابه بالتسليم لله ـ سبحانه وتعالى ـ ، فيقدم نظـــرة أخـــيرة هى فى مجملهـا تسـبيح لله وتعظيم واعتـراف بقدرة الله الخالق المدبر لهذا الكون واعتراف بأنه ـ سبحانه وتعالى ـ هو وحده العليم الخبير .

وإنه لمن المناسب أن نقدمها كاملة غير مختصرة . يقول :

« للطبيعة حتمية تحكمها ، ولـــلإنسان قَدَرُه » . والتسليم بهذا القدر هو الفكرة النهائية العليا للإسلام .

فهل القدر موجود .. وأى شكل يتخذ ؟ دعنا ننظر فى حياتنا لنرى ماذا تبقى من خططنا العزيزة على أنفسنا وما بقى من أحلام شبابنا ؟ ألم نأت إلى هذا العالم بلا حول لنا ولا قوة فى ذلك ، ثم واجهنا تركيبتنا الشخصية ، ومنحنا قدرا من الذكاء قل أو كثر ، وملامح جذابة أو منفرة وتركيبة بدنية رياضية أو قزمية ، ونشأنا فى قصر ملك أو كوخ شحاذ ، فى أوقات عصيبة أو زمن سلام ، تحت سلطان طاغية جبار أو أمير نبيل ، وفى ظروف جغرافية وتاريخية لم يتم استشارتنا بشأنها ؟ كم هى محدودة تلك التـــى نسميها إرادتنا .. وكم هو هائل وغير محدود قدرنا !

لقد وضع الإنسان فى هذا العالم وقدر له أن يعتمد فى وجوده على كثير من الحقائق التى لا يملك عليها سلطانا . وتتأثر حياته بعوامل قريبة منه وعوامل أخرى نائية عنه أكثر مما يتخيل . فى أثناء اقتحام الحلفاء لأوروبا سنة ١٩٤٤ م « خلال الحرب العالمية الثانية » حدث للحظات قليلة اضطراب شمل جميع الاتصالات اللاسلكية ،

وكان من الممكن أن يسبب هذا كارثة تقضى على العمليات العسكرية التى كانت قد بدأت تشق طريقها . ولم يعرف أحد سبب هذا الاضطراب إلا بعـد عدة سنـوات ، حيث عزى هذا الاضطراب إلى انفجار حدث فى مجموعة نجمية يطلق عليها مجموعة « أندروميدا » Andromeda ، علما بأن هذه المجموعة تبعد عن كوكبنا عدة ملايين من السنوات الضوئية . ويوجد على الأرض نوع من الزلازل الفاجعة يرجع إلى تغيرات معينة تحدث على سطح الشمس . وكلما نمت معرفتنا عن العالم تزايد إدراكنا بأننا لا يمكن أن نكون أسياد مصائرنا . حتى مع افتراض أعظم تقدم ممكن للعلم ، فإن مقدار ما سيكون تحت سيطرتنا من عوامل لا يساوى شيئا إذا قورن بالكم الهائل من العوامل الخارجة عن هذه السيطرة . إن حجم الإنسان لا يتناسب مع حجم هذا الكون الفسيح ، وعمر الإنسانية كلها ليس وحدة قياس لما يجرى فى هذا الكون من أحداث . وهذا هو سبب ما يعترى الإنسان من شعور دائم بالخطر ، وما ينعكس على نفسيته من حالات التشاؤم والتمرد واليأس واللامبالاة ، أو التسليم لله .

إن الإسلام يجتهد فى تنظيم هذا العالم عن طريق التنشئة والتعليم والقوانين التى شرعها ، وهذا هو مجاله المحدود أما مجاله الرحيب فهو التسليم لله .

إن العدالة الفردية لا يمكن أن تكون كافية فى إطار هذا الوجود المحدود . إننا قد نتبع جميع القواعد والتعاليم الإسلامية والتى من شأنها أن تمنحنا السعادة فى الدارين « الدنيا والآخرة » ، وقد نضيف إلى ذلك اتخاذ جميع الإجراءات الطبية والاجتماعية والأخلاقية ، بسبب التشابك الرهيب للأقدار والرغبات والحوادث ، فإننا سنظل نُصاب فى أجسامنا وفى نفوسنا بكثير من المعاناة . فما الذى يمكن أن يُعزّى أما فقدت ابنها الوحيد ؟! وأى سلوى ممكنة لرجل أصيب فى حادثة فأصبح قعيدا معوقا ؟!

لابد أن نكون على وعى بظروفنا الإنسانية ، فنحن منغمسون فى أوضاع معينة . وقد أستطيع أن أعمل على تغيير هذا الوضع ، ولكن تبقى هناك أوضاع لا تقبل بطبيعتها التغيير . قد تتخذ هذه الأوضاع أشكالا مختلفة وقد تنحجب عنا قوتها الغالبة ، ولكن تبقى أمامنا هذه الحقائق : إننى لامفر من أن أموت ، ولابد أن أعانى ، وأن أناضل ، إننى ضحية الحظ ، إننى أتعثر دون رغبة منى فى مشاعر الذنب . هذه الظروف الأساسية فى حياة الانسان يُطلق عليها « الأوضاع الحدية » من المؤكد أن واجب الإنسان هو أن يبذل جهده لتحسين كل شىء فى هذا العالم بمقدروه أن يُحسِّنه . ومع ذلك ، فسيظل أطفال يموتون بطريقة مأساوية حتى فى أكثر المجتمعات

كالا . والانسان على أحسن الفروض قد يستطيع أن يقلل من كم المعاناة فى هذا العالم . ومع ذلك سيبقى الظلم والألم مستمرين ، ومهما كانا محدودين ، فلن يتوقفا عن أن يكونا سببا للتجديف والانحراف .

التسليم لله أو التمرد ـ إجابتان مختلفتان للسؤال نفسه .

فى التسليم لله يوجد شىء من كل حكمة إنسانية فيما عدا واحدة : تلك هى التفاؤل السطحى ، فإن التسليم هو قصة المصير الإنسانى ولذا ، فإن التشاؤم نافذ إليه ؛ لأن كل مصير هو مصير تراجيدى مأساوى إذا نحن قمنا بتحليله الى أعمق أعماقه .

الاعتراف بالقدر ، استجابة مثيرة للقضية الانسانية الكبيرة التى تنطوى فى جوهرها على المعاناة التى لامردّ لها . إنه اعتراف بالحياة على ماهى عليه ، وقرار واع بالتحمل والصمود والتجمل بالصبر . وفى هذه النقطة يختلف الإسلام اختلافا حادا عن المثالية المصطنعة وعن الفلسفة الأوربية التفاؤلية وحكاياتها الساذجة عن « الأفضل من كل ماهو ممكن فى العالمين » . ذلك لأن التسليم لله هو ضوء يانع يخترق التشاؤم ويتجاوزه .

كنتيجة لاعتراف الإنسان بعجزه وشعوره بالخطر وعدم الأمن يجد ان التسليم لله فى حد ذاته قوة جديدة وطمأنينة جديدة . إن الإيمان بالله والإيمان بعنايته يمنحنا الشعور بالأمن الذى لايمكن تعويضه بأى شىء آخر . ولايعنى التسليم لله سلبية فى موقف الإنسان كما يظن كثير من الناس خاطئين . فى الحقيقة « كل السلالات البطولية كانوا من المؤمنين بالقدر » إن طاعة الله تستبعد طاعة البشر والخضوع لهم . إنها صلة جديدة بين الإنسان وبين الله ، ومـــن ثم بين الإنسان والإنسان .

إنها أيضا حرية يكسبها الإنسان بمواصلة الإيمان بقدره . والكدح والجهاد سمتان إنسانيتان معقولتان ، وفيهما يتحقق الاعتدال والصفاء إذا نحن آمنا بأن النتيجة النهائية ليست بأيدينا ، إنما علينا أن نسعى ونعمل ، أما الباقى فبين يدى الله .

فلكى ندرك حقيقة وضعنا فى هذا العالم يعنى أن نستسلم لله ، وأن نتنفس السلام ، وألا يحملنا الوهم على أن نبدد جهودنا فى الإحاطة بكل شىء والتغلب عليه . علينا أن نتقبل المكان والزمان اللذين أحاطا بميلادنا ، فالزمان والمكان قدر الله وإرادته . إن التسليم لله هو الطريقة الإنسانية الوحيدة للخروج من ظروف الحياة المأساوية التى لاحل لها ولامعنى .. إنه طريق للخروج بدون تمرد ولا قنوط ولا عدمية ولا انتحار . أنه شعور بطولى « لا شعور بطل » ، بل شعور إنسان عادى قام بأداء واجبه وتقبل قدره .

إن الإسلام لم يأخذ اسمه من قوانينه ولا نظامه ولا محرماته ولامن جهود النفس والبدن التى يطالب الإنسان بها ، وإنما من شىء يشمل هذا كله ويسمو عليه : من لحظة فارقة تنقدح فيها شرارة وعى باطنى .. من قوة النفس فى مواجهة محن الزمان .. من التهيؤ لاحتمال كل مايأتى به الوجود .. من حقيقة التسليم لله إنه استسلام لله .. والاسم إسلام !

# ولاية الشرطة فى الإسلام

## دراسة فقهية وتطبيقية

تأليف العميد الدكتور / غمر بن محمد الحميدانى
تعليق الفريق / يحيى بن عبد الله المعلمى

عرفت العميد الدكتور غمر بن محمد الحميدانى منذ كان طالباً بكلية الشرطة ، وقد شهدت حفل تخرج دفعته فسمعت اسمه ينادى عليه عدة مرات فيدعى مرة لأخذ جائزة من الجوائز التى تقدمها الكلية للمتفوقين ثم ينادى اسمه بصفته أول دفعته .

ورأيته بعد الاحتفال فحييته وشددت على يده مهنئاً ومباركاً ومعبراً عن تطلعى إلى مستقبل باهر ينتظره ، آملاً أن يكون أحد رجال الأمن الذين يعتمد عليهم لما يتصف به من استيعاب ، وما يبدو عليه من سمات التدين والوقار .

واتصلت بعد ذلك معرفتى به فى أثناء العمل وفى خارج العمل ، إذ كنا نلتقى فى بعض الزيارات فكنت ، كلما رأيته ازددت اعجاباً بثقافته وحبه للمعرفة وسعيه للمزيد من استقاء العلوم وبخاصة العلوم الشرعية ومزجها بعلوم الشرطة ، ووجدت فيه صورة الضابط الفقيه الذى كنت أتمنى أن يكون جميع رجال الأمن منهم ، وقد عملت على تحقيق ذلك باتصالى بعميد كلية الشريعة وأساتذتها الكرام للتعاون على حض الخريجين على الالتحاق بكلية الشرطة والتنسيق مع الكلية بعقد دورة خاصة فى زمن قصير ( ستة أشهر ) لتخريج ضباط يحملون شهادة كلية الشريعة ، فيمتزج العلم بالعمل والفقه بالتجربة .

والكتاب الذى نتكلم عنه هو رسالته العلمية التى قدمها إلى المعهد العالى للقضاء بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض تكملة لمتطلبات شهادة الدكتوراه فى ( السياسة الشرعية ) ويقع

فى حوالى ٥٩٠ صفحة مشتملاً على فهرس للآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة والآثار الواردة فيه ، وفهرس للأعلام وبيان بأهم المصادر والمراجع التى رجع إليها المؤلف ، وفهرساً بالموضوعات التى تناولها الكتاب .

**وينقسم الكتاب إلى مقدمة وأربعة أبواب :**

**الباب الأول** : نظرة تاريخية للشرطة ، ويشتمل على ثلاثة فصول :

- **الفصل الأول** : وفيه بحثان : الأول عن الشرطة عند بعض الأمم القديمة وبه مطلبان : أحدهما عن الشرطة عند قدماء المصريين ، والآخر عن الشرطة عند الرومان .

والآخر عن الشرطة فى جزيرة العرب وفيه مطلبان : الأول عن الشرطة فى ظل النظام البدوى ، والآخر عن الشرطة فى ظل نظام الحكومة .

- **الفصل الثانى** : الشرطة فى صدر الإسلام ، ويشتمل على تمهيد ، ثم مبحث عن الشرطة فى عهد النبى ﷺ وأعمالها فى العهد النبوى ، وآخر عن الشرطة فى عهد الخلفاء الراشدين – رضى الله عنهم .

- **الفصل الثالث** : عن الشرطة فى بعض العصور الإسلامية : العصر الأموى والعصر العباسى .

**الباب الثانى** : ويشتمل على مقدمة وثلاثة فصول :

- **الفصل الأول** : عن الشرطة وولاية الأمصار .

- **الفصل الثانى** : عن الشرطة وولاية القضاء .

- **الفصل الثالث** : عن الشرطة وولاية الحسبة .

**الباب الثالث** : ويشتمل على شروط رجل الشرطة وآدابه ، وينقسم إلى ثلاثة فصول :

- **الفصل الأول** : عن شروط رجل الشرطة .

- **الفصل الثانى** : عن آداب رجل الشرطة وهو أكبر الفصول فى الكتاب ، ويبين أن من آداب رجل الشرطة . الإخلاص ، ثم حسن الخلق ومنه : التواضع ، والرحمة ، والرفق ، وحسن التعامل والسلوك ، والحلم والأناة ، وصيانة اللسان ، والشجاعة ، وأداء الأمانة ، والطاعة ، والاهتمام بالمظهر ، والحزم .

وفى هذا الفصل أدخل المؤلف الاهتمام بالمظهر ضمن صفات حسن الخلق ، وهو لا يمكن أن يعد منها ؛ مع أنه ضرورى لرجل الأمن كما أنه تحدث عما سماه ( فقه الطاعة ) ، وقد أشار إلى أنه لامكان لما يسمى ( بالطاعة العمياء ) فى الشريعة الإسلامية ، وإنما تأمر الشريعة بالطاعة المبصرة المميزة التى تفرق بين الحلال والحرام ، والمعروف والمنكر ، استناداً إلى الحديث الشريف الذى رواه البخارى وهو : ( لا طاعة فى معصية الله ، إنما الطاعة فى المعروف ) .

وقال المؤلف : إن الطاعة العمياء محرمة وممقوتة فى الإسلام ، وأهاب بالرؤساء أن يتفهموا هذا ولا يغتروا بعلو مكانتهم ، وجلال أمرهم ظناً منهم

أن أمرهم مقدس لا يقبل النقاش أو الأخذ والرد .

وما ذهب إليه حق تؤيده الأدلة الفعلية والعقلية ، ولكن ينبغي أن لا يكون ذريعة إلى التخاذل والتردد فى تنفيذ الأوامر التى يصدرها الرؤساء ، لاسيما إذا كان الآمر معروفاً بالتعقل والرزانة وحسن التصرف والالتزام بالأنظمة المرعية والقواعد الشرعية ، ولم يكن أمره صادراً عن نزوة طيش ، أو جموح غضب .

**الباب الرابع** : ويشتمل على وظائف الشرطة وسلطاتها وفيه فصلان :

- **الفصل الأول** : عن سلطات الشرطة وعن وظائف الشرطة فى منع الجريمة وتقسيمها إلى وظائف رئيسية هى : استتباب الأمن ، ومنع الفساد فى الأرض بمنع وقوع الجريمة وقمعها ، ووظائف فرعية هى : الوظيفة القضائية ، ووظيفة تنفيذ العقوبة .

ويرى المؤلف أن الوظيفة القضائية للشرطة لاتقتصر على دعاوى التهم والجرائم ، وإنما تشتمل الدعاوى المتعلقة بعقود البيع والقرض والرهن والضمان والصداق ودية الخطأ وغيره مما يسمى بالدعاوى المدنية .

وتحدث المؤلف عن وظائف متنوعة للشرطة منها :

قيام صاحب الشرطة بالنيابة عن الوالى فى إقامة الصلاة وتحديد شئون الإقليم ، وإصدار البطاقات الشخصية والجوازات ، وإطفاء الحرائق وأعمال الإنقاذ ، والكشف عن القنابل والمفرقعات وإبطال مفعولها ، ومراقبة بيع المتفجرات ، وتنظيم أعمال المرور فى الطرق وإصدار رخص السائقين والمركبات ، ومراقبة الجواسيس والمنفيين أهل الشر والفساد ، وتحقيق السكينة العامة للمواطنين والإسهام فى المحافظة على الصحة العامة ، وحفظ البصمات وتنظيمها ، وتقديم خدمات الاستعلامات عن مواقع الشرطة والأمن العام ، ومساعدة المتعطلين فى الطرق .

**ومع أهمية الوظائف المتنوعة وتعدد أنواعها وأشكالها فإن حظها من عناية المؤلف كان قليلاً إذ أجملها كلها فى أقل من ثلاث صفحات من كتابه الضخم ، كما أنه لم يتحدث عن الوظيفة الاجتماعية للشرطة .**

- **الفصل الثانى** : من هذا الباب وفيه يتحدث المؤلف عن سلطات الشرطة فى المحافظة على الدين والأفراد والنظام العام والأمن العام ، ولكنه أوجز القول فى ذلك بما لا يزيد على ثمان صفحات .

**وبعد :**

فهذا الكتاب يعد دراسة فقهية كما سماه مؤلفه لجانب كبير من أعمال الشرطة فى العصر الحاضر ، وسجلاً لبعض تاريخ الشرطة فى الإسلام وهو جهد مشكور يستحق ما ناله مؤلفه من تقدير علمى ويستحق أن يكون بين يدى كل مهتم بالأمن والفقه ودور الشرطة فى خدمة المجتمع الإسلامى .

فجزى الله المؤلف خيراً على ما دونه فى كتابه النفيس ونفع به .

والله الموفق .




# من عصر الدويلات الإسلامية إلى مشارف العصر الحديث

بقلم الأستاذ / أحمد مصطفى حافظ

استمرت فترة العصر العباسى لمدة زادت على خمسة قرون من الزمان ، حفلت بالأحداث الجسام ، من تقلبات سياسية ، وتغيرات اجتماعية ، انعكس تأثيرها على الحياة الأدبية ، بصفة خاصة ، عبر القرون الخمسة ، فى شتى أنحاء الأمة العربية .

ويذهب بعض المؤرخين[١] إلى تقسيم العصر العباسى إلى عصور أربعة :

أولها : يبدأ من ظهور الدولة العباسية ، إلى أول عهد خلافة المتوكل ( ١٣٢ هـ - ٢٣٢ هـ ) .

وثانيها : يبدأ من عهد المتوكل ، إلى تولى البويهيين الفُرس حكم البلاد بالسلطة الفعلية ( ٢٣٢ هـ - ٣٣٤ هـ ) .

وثالثها : يبدأ من حكم البويهيين حتى استيلاء السلاجقة الأتراك على بغداد ( ٣٣٤ هـ - ٤٤٧ هـ ) .

---

(١) انظر كتاب ( الأدب العربى فى العصر العباسى الثانى ) للدكتور محمد كامل الفقى ص ٤ .

**ورابعها : يبدأ من قيام دولة السلاجقة إلى سقوط بغداد فى أيدى التتار ( ٤٤٧ هـ ـ ٦٥٦ هـ ) .**

* * *

بينما يذهب باحث آخر[٢] إلى تقسيم العصر العباسى إلى ثلاثة عصور :

أولها : من قيام الدولة العباسية ، إلى استيلاء بنى بويه على بغداد ( ١٣٢ هـ ـ ٣٣٤ هـ ) .

وثانيها : من تولى البويهيين السلطة الفعلية إلى استيلاء السلاجقة على الحكم ( ٣٣٤ هـ ـ ٤٤٧ هـ ) .

وثالثها : من حكم السلاجقة إلى اجتياح التتار لبغداد ( ٤٤٧ هـ ـ ٦٥٦ هـ ) .

* * *

ويذهب باحث ثالث[٣] إلى جعل العصر العباسى عصرين اثنين فقط « تقليلا للأقسام من جهة ، ومن جهة أخرى ؛ لأن المؤثرات التى تعترى الأمم ، وتعطى فى النهاية حصادا متنوع السمات والخصائص ، لابد لها من زمن تستقر فيه بذورها فى أعماق الأمة ، وتتفاعل معها ، لتستوى بعد ذلك على سوقها » .

فيكون العصر الأول عصر نشوء الدولة االعباسية المُوَحَّدة ـ ويُعدُّ العصر الذهبى الذى بلغت فيه اللغة شأوها ، شعراً ونثراً ـ ( من ١٣٢ هـ ـ إلى ٣٣٤ هـ ) .

ويكون العصر الثانى هو عصر الدويلات الكثيرة ، بعد انفراط عقد الخلافة الإسلامية ، والانقسام السياسى الذى أصبح طابعاً عاماً : ( من ٣٣٤ هـ ـ ٦٥٦ هـ ) .

وصفوة القول أن الخلافة العباسية بدأ الضعف يدب فى أوصالها ( ٣٢٣ هـ ـ ٣٥٨ هـ ) فأصبحت فارس فى يد ابن بويه ، والموصل و « ديار بكر » فى أيدى بنى حمدان[٤] ، وسوريا وقسم من جزيرة العرب فى يد القرامطة ، والأندلس فى يد عبدالرحمن الأموى ، وأفريقيا الشمالية فى يد الفاطميين . ولم يبق فى يد الخليفة العباسى ( الراضى بالله ) سوى بغداد وما والاها ..

* * *

---

(٢) انظر كتاب ( الأدب العربى وتاريخه ) للدكتور محمود مصطفى جـ٢ ص ١٤ ـ ١٨ .

(٣) انظر كتاب ( ملامح الحياة الأدبية فى عصر الدويلات الإسلامية ) الذى استوعب هذه التقسيمات : للدكتور جلال صابر حجازى ط ١٤٠٧ هـ ص ٤ .

(٤) تم لسيف الدولة الحمدانى فتح ( حلب ) بمؤازرة أخيه ووطد بها مُلكا كبيرا وسلطانا عظيما . ( انظر كتاب ملامح الحياة الأدبية فى عصر الدويلات الإسلامية ) للدكتور جلال صابر حجازى ط ١٩٨٧ ص ٢١٦ .

وبعد سقوط الدولة العباسية سنة ٦٥٦ هـ على يد التتار ، بدأ ( العصر الإسلامى الوسيط ) ، فى الظهور ، بقيام عصر المماليك ، فالعصر العثمانى ، إلى بداية عصر النهضة الحديثة ، الذى يؤرخونه بالحملة الفرنسية على مصر سنة ١٢١٣ هـ[٥] .

وإنما يعنينا هذا السرد التاريخى الذى لابد منه ، للوقوف على تطور دراستنا عن ( مسيرة الوحدة الموضوعية فى أدبنا العربى ) ، عَبْرَ عصوره المختلفة .

وإن لجأ الشعراء إبان ( العصر الإسلامى الوسيط ) إلى الإفراط فى استخدام المحسنات البديعية فى محاولة منهم للإجادة ، وذاك أمر ـ من قضيتنا : الوحدة الموضوعية ـ على جانب ليس من صميم قضيتنا وإن كانت له أهمية يعلل لها ( العقاد ) باعتبارها ظاهرة بارزة ، بقوله فى تقديمه للجزء الأول من ديوان المازنى :

« تمر على صفحة الزمن عصور خالية ، لا تسمع لها حِسًّا ، ولا تختلج العين من جانبها بقبس ، ويكاد يكون الفلَكُ قد قذف بها من جوفه مَيْتة ، فهى من لَحْدها فى مهد ، ومن مهدها فى لحد » .
إلى أن يقول بُحسْن إدْراكٍ وتبصُّر :

« هذه عصور لا ترى لأحَدِها ملامحَ ينحاز بها عما قبله ، أو ما بعده ؛ وهى عصور الغَفْلة التى تعْقُب إدْبارَ الدول ، تنعدم فيها ملكة الابتكار ، وينشر التقليد رُواقَه على كل مُزاولات الحياة ، فلا ترى عالماً ولا أديباً ولا حاكماً ، ولا تاجراً ولا صانعاً ، إلا وهو : مُقلِّدٌ فى عمله » .

ونعود إلى قضيتنا فنقول :
إن الظلام لم يضرب أطْنابه تماماً على شعراء هذا العصر ، فمنهم من أَبَتْ موهبته إلا أن تبدو ظاهرة متألقة ـ رغم ما يحيط بها من مؤثرات ومثبطات ـ وظفر شعر الوحدة الموضوعية من قرائحهم ونبوغهم بحصاد وفير ..

مثال ذلك قصيدة الوزير جمال الدين يحيى بن مطروح الشهيرة ، التى يصف فيها انتصار الجيش المصرى على الصليبيين ، بعد واقعة ( فارسكور ) التى أُسر فيها ملكهم لويس التاسع مع بعض الأمراء .. يقول ابن مطروح مخاطباً الملك لويس[٦] :

| | |
|---|---|
| قُل للفرنسيس إذا جئْتَه | مقال نُصْح من قَؤول فصيح : |
| آجَرَكَ الله على ما جرى | من قَتْلِ عُبَّاد يسوع المسيح |
| أتَيْتَ مصرَ تبتغى مُلْكها | تحسب أن الزَّمْرَ يا طَبْلُ ريح |
| فساقك الحَيْنُ إلى أدْهم | ضاق به عن ناظريك الفسيح |
| وكل أصحابك أودعتهم | بِحُسْن تدبيرك ـ بَطْنَ الضريح ! |

(٥) انظر مقدمة كتاب ( الكوثر العذب ) للدكتور محمد السعدى فرهود ط ١ ـ ١٩٧٦ (٦) النجوم الزاهرة لأبى المحاسن جـ ٦ ص ٣٧١ .

خمسون ألفاً لا يُرى منهمو ... إلا قتيل أو أسير أو جريح
قل لهم ـ إن أُضمَروا عودةً ... لأخذ ثأرٍ [ أو ] لقصد صحيح :
دار ابن لقمان على حالها ... والقيدُ باقٍ .. والطواشى صبيح !

كما نظفر لدى معاصره ( البهاء زهير ) بقصائد الوحدة الموضوعية ، كتلك التى يقول فيها :

١ ـ على لسان مُؤَذِّن :

ألا يا أيها النا ... ئمُ إنَّ الصُّبْحَ قد أصبح
وهذا الشرق قد أعْـ ... ـلَنَ بالنُّور وقد صرَّح :
أَلَمْ يُوقِظْك مَنْ ذكَّـ ... ـرَ باللهِ ، ومَن سبَّح
فما بال دواعيك ... إلى الخيرات لا تجنح
إذا حرَّكك الذِّكْـ ... ـرُ تثاقَلْتَ ولم تبرح
أضَعْتَ العُمْر خُسْرانا ... فبالله .. متى تربح ؟
لقد أفْلَحَ مَنْ فيهِ ... يقول الله : ( قد أفْلَح[7]

٢ ـ وقوله على لسان صديق بغدادى ـ مُداعباً ـ ( وكان هذا الصديق قد جاء إلى مصر للتجارة ، إلا أنه لم يوفق فى تجارته ونفد جميع ما معه ) :

دخلْتُ مِصْرَ غنياً ... وليس حالى بخافى
عشرون جِمْلَ حريرٍ ... ومثل ذاك نصافى
وجُمْلةٌ من لآل ... وجَوْهرٍ شفَّاف
ولى مماليك خُرَّدٍ ... من المِلاح النظاف
.. فرُحْتُ أبسط كفِّى ... وبالجزيل أُكافى
وصرت أجمع شملى ... بسالف .. وسُلاف
ولا أزال أُوَاخِى ... ولا أزال أُصافى
وصار لى حُرفاء ... كانوا تمام حرافى
وكل يوم خُوانٌ ... من الجِدى والخراف
فبِعْتُ كلَّ ثمين ... معى من الأصناف
أستهلك البيعَ حتى ... طرَّاحتى ولحافى
صرفْتُ ذاك جميعاً ... بمصر قبل الصرافى

(٧) يعنى قوله تعالى فى سورة ( المؤمنون ) : قد أفلح المؤمنون • الذين هم فى صلاتهم خاشعون .

وصـــرتُ فيهـــا فقـــيراً ... من ثروتى وعفـــــافى
وذا خُرُوجـــــــىَ منها : ... ( جَيْعـــانَ ) عُرْيـــانَ حافِـــى !

وكذلك قول أبى الحسين الجزَّار المصرى فى وصف داره الآيلة للسقوط :

ودار خراب بها قد نزلْتُ ... ولكـــن نزلتُ .. إلى السابعـــه[8]
طريـــق من الطُّـــرُقِ مسلوكـــة ... محجتها فى الـــورى شاسعـــه
فلا فرق ما بين أنِّـــى أكـــون ... بها .. أو أكـــون على القارعــــه[9]
تساورهـــا هفـــوات النســيم ... فتُصغـــى بلا أُذن سامعـــه
وأخشى بها أن أُقيم الصلاةَ ... فتسجـــد حيطـــانها الراكعـــه !
إذا ما قرأت ( إذا زُلـــــزلت ) ... خشيت بِأنْ تقـــرأ : ( الواقعـــة )[10] !

* * *

وحينما خيم ظلام العصر العثمانى الكثيف على مصر طوال الفترة من عام ٩٢٣ هـ ـ ١٢١٣ هـ ، ظل الأزهر الشريف ـ وحده ـ مركز الثقافة الإسلامية ، والمنارة العالية المتبقية فى تدريس العلوم الدينية واللغوية ، وأصبح بمثابة الحصن الحصين للغة العربية ـ وخاصة وقد أصبحت اللغة التركية هى لغة البلاد الرسمية ، بعد أن فرضها العثمانيون فرضا على المصريين ..

وشاء الله ـ تعالى ـ أن ينبثق فجر عصر الإحياء الأدبى فى مصر ، بأحد أبناء الأزهر الشريف الثقات ، وهو السيد/حسين المرصفى ( ١٨١٥ ـ ١٨٩٠ م ) الذى حفظ القرآن الكريم ، وتعلم فى الأزهر ، وأحاط بعلومه المختلفة ، وبرع فى علوم اللغة العربية وآدابها ، وعرف ( منطق أرسطو ) وفلسفته من خلال الملخصات التى كانت تدرس حينذاك فى الأزهر . وكان شخصيَّةً متفتحة ، كما كان مرهف الحس شديد الطموح ، فتعلم ـ وهو المكفوف ـ اللغة الفرنسية ، قراءة وكتابة فى مدرسة العميان ، على طريقة « بريل »[11] وقد تتلمذ على كتابه ( الوسيلة الأدبية ) العديد من رُوَّاد النهضة الأدبية فى مصر ، سواء مَنْ أقام هذه النهضة على أساس بعث التراث العربى القديم ، والرجوع إليه ، بدلا من الزخرفة الخاوية ، التى آل إليها الأدب العربى فى عصوره الأخيرة[12] أو من كان يرى أن يقيم الشعر على أسس غربية ويقول البارودى عن أستاذه المرصفى :

---

(٨) لعله يعنى أنه هوى إلى ( سابع أرض ) ! كما يقولون !

(٩) قارعة الطريق ..

(١٠) خزانة الأدب لابن حجة الحموى ص ٢٥١ .

(١١) انظر كتاب ( روضة المدارس ) للأستاذ محمد عبدالغنى حسن والدكتور عبدالعزيز الدسوقى ط الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٥ ص ٣٥٢ .

(١٢) انظر كتاب ( النقد والنقاد المعاصرون ) للدكتور محمد مندور ط دار نهضة مصر للطبع والنشر سنة ١٩٨١ ص ١٠ ـ ١١ .

| | |
|---|---|
| بَلَوْتُ ضروب الناس طرا ، فلم أجد | سوى المرصفيِّ الحَبرْ فى الناس كاملُ |
| همام أرانى الدهـــــر فى طىِّ بُرْدَةٍ | وفقَّهنـى حتـى اتَّقـانى الأماثـــل |

وقد التفت المرصفى فى الجزء الثانى من ( الوسيلة الأدبية )[١٣] ـ قبل العقاد بنصف قرن تقريباً ـ إلى الوحدة الموضوعية فى القصيدة العربية ، بقوله فى معرض الموازنة بين قصيدة لأبى نواس ، وأخرى معارضةٍ لها للبارودى : « انظر ـ هداك الله ـ لأبيات هذه القصيدة ، فأفردها بيتاً بيتاً ، تجد ظروف جواهر أُفردتْ كل جوهرة لنفاستها بظرف ، ثم اجْمَعْها وانظر جمال السياق وحُسْن النسق ، فإنك لا تجد بيتاً يصح أن يقدم أو يُؤخَّر ، ولا بيتين يمكن أن يكون بينهما ثالث ، وأُكِلُك إلى سلامة ذوقك وعُلُوِّ همتك ، إن كنت من أهل الرغبة فى الاستكمال ، لتتبُّع هذه الطريقة المُثلى » .

ويبدو أن البارودى قد أفاد من هذا الكلام ، والتفت ـ بصورة ما ـ إلى ( الوحدة الموضوعية ) حينما قال فى مقدمة ديوانه عن الشعر الجيد : « وخير الكلام ما ائْتلفتْ ألفاظه ، وائتلفت معانيه ، وكان قريب المأخذ ، بعيد المرمى ، بريئاً من وصمة التكلف ، بريئاً من عسرة التعسف ، غنياً عن مراجعة الفكرة » .

ونستطيع أن نعثر على الوحدة الموضوعية فى بعض قصائد البارودى ، مهما تعددت الأغراض فيها ـ حين تَنْساب من ذات نفسه ، لتصور ما مر به من أحداث وتجاريب ومحن ، وخاصة فى قصيدته ( طيف سميرة ) ـ ابنته ـ وقصيدته ( وهو بسرنديب يتشوق إلى مصر ، ويرثى صديقيه : حسين المرصفى ، وعبدالله فكرى ) التى يقول فيها :

| | |
|---|---|
| أيـــن أيـــام لَذَّتى وشبـــابى | أتُراهـا تعـود بعـــد الذهـــاب ؟ |
| ذاك عهـد مضى ، وأبْعَـدُ عنـى : | أن يَرُدَّ الزمـانُ عهـــد التصابى |
| فأديـــرا علـــىَّ ذكـــراه ، إنى | منـــذ فارقْتُـــه شديـــدُ المصاب |
| كل شىء يسلـــوه ذو الـــلُّبِّ إلا | ماضِىَ اللهـو فى زمـان الشبـــاب |
| ليت شعرى ، متى أرى روضة المنْيـ | ـــل ذات النخيـــل والأعنـــاب |
| حيث تجرى السفين مستبقـــات | فوق نهر مثـــل اللـــجين المذاب |
| قد أحـــاطت بشاطئيْـــه قصور | مشرقـات يلُحْـن مثـل القبـــاب |
| مَلْـــعبٌ تسرح النواظـــرُ منـــه | بين أفنـــان جنـــة وشعـــاب |
| كلمـــا شافَـــه النسيـــمُ ثَراهُ | عاد منِـــهُ بنفحـــةٍ كالملاب |
| ذاك مرعـى أُنسِى وملـعب لهـوى | وَجَنـى صبْـوتى ومغنـى صحـابى |
| لست أنساه ما حييتُ ، وحـــاشا | أن ترانى لعهــــده غيـــرُ صابى |

---

(١٣) ص ٤٧٠ .

ليس يرْعَى حقَّ الوداد ، ولا يذ ... كُرُ عهدا .. إلا كريم النصاب
فلئن زال ، فاشتياق إليه ... - مثل قولى - باقٍ على الأحقاب
يا نديميَّ من « سرنديب » كُفَّا ... عن مَلامِى ، وخلِّيانى لما بى
كيف لا أندب الشباب ؛ وقد أصـ ... ـبحت كهلا ، فى محنة واغتراب
أخلَقَ الشيْبُ جدَّتى ، وكسانى ... خلعةً منه رَثَّة الجلباب
ولوَى شَعْر حاجبىَّ على عيـ ... ـنىَّ ، حتى أطَلَّ كالهُدَّابِ
لا أرى الشىءَ حين يسنح إلا ... كخيالٍ ، كأننى فى صباب
وإذا ما دُعيتُ ، جِزْتُ ، كأنى ... أسمع الصوتَ من وراء حجاب
كلما رُمت نهضةً .. أقعدتنى ... وَنْيةٌ لا تُقلُّها أعصابى
لم تدعْ صولةُ الحوادث منى ... غير أشلاءِ همةٍ فى ثياب
فجعتنى بوالدىَّ وأهلى ... ثم أنحتْ تكرُّ فى أترابى
كل يوم يزول عنى حبيبٌ ... يا لقلبى من فُرقة الأحباب !
أين منى ( حسين ) بل أين ( عبد ... الله ) ؟ رب الكمال والآداب
مَضَيَا غير ذُكْرةٍ ، وبقاءُ الذكـ ... ـر فخرٌ يدوم للأعقاب
لم أجد منهما بديلا لنفسى ... غير حُزنى عليهما واكتئابى
قد لعمرى عرفتُ دهرى ، فأنكـ ... ـرتُ أموراً ما كنَّ لى فى حساب
وتجنَّبتُ صُحْبةَ الناس حتى ... كان عونا على التُّقاة اجتنابى
لا أبالى بما يُقال وإنْ كنـ ... ـتُ مليئا بردِّ كلِّ جواب
.. قد كفانى بُعْدِى عن الناس أنى ... فى أمانٍ من غَيْبَة المُغْتاب
فَلْيقُل حاسدى علىَّ كما شا ... ءَ ، فسَمْعِى عن الخنا فى احتجاب
ليس يخفَى علىَّ شىءٌ ، ولكنْ ... أتغابَى ، والحزم إلفُ التغابى
وكفَى بالمشيب وَهْوَ أخو الحز ... مِ دليلا على طريق الصواب
إنما المرء صورةٌ ، سوف تبْلَى ... وانتهاءُ العُمْران بدءُ الخراب[14]

ولا يخفى تآلف أجزاء هذه القصيدة وتسلسل معانيها بتداع حر منساب بريْث ، إذ يأخذ كل معنى فيها بحجز المعنى الذى يُفْضى إليه ، بتدفق أشبه بفيْض موْجات البحر الزاخر ، موجة فى إثْر أخرى ، دون توقف أو تعثر متصل بعضها ببعض بلا فاصل ؛ لامتلاء نَفَس الشاعر بما يقوله ، أو ما لابُدَّ له من قوله ، لينفِّس عما يعتمل فى أعماقه .

(١٤) انظر ( ديوان البارودى ) جـ ١ ص ٤٨ - ٥١ .




إعداد وتقديم : د. محمد عبد الحكيم محمد

## فضل الإخلاص

الإخلاص كلمة تدل فى أصل معناها على التنقية والتصفية والتهذيب ، والإخلاص فى العبادة : جعلها لله وحده خالصة لوجهه ـ تعالى ـ دون سواه ، وترك الغش والخيانة فيها ، والإخلاص فى العمل هو أداؤه متقنا بأمانة وصدق ، مع مراقبة للحق أثناء العمل ، فإن لم يكن العبد يرى ربه فإن ربه يراه . يقول تعالى .

﴿ وأسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور ، ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾ .

وقد تلقت المجلة بهذا الشأن رسالة ـ إيمان عبد الوهاب سالم ـ الطالبة المثالية بمعهد فتيات طنطا .

لقد تحدث القرآن عن الإخلاص حديثاً يوحى بجلاله وجماله وعظيم شأنه ، كما يوحى بأن المتحلى بصفة الإخلاص يكون فى مقام الصدق مع الحق والخلق ، وتصبح شخصيته مكرمة ممجدة ، ويأمر الحق ـ جل وعلا ـ نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأن يتمثل فيه الإخلاص الكامل ؛ ليكون على الدوام المثل الأعلى والقدوة الحسنة لكل عامل مخلص فيقول :

﴿ إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين﴾ . ( الزمر ـ ٢ )

ثم يأمر عباده بعد هذا بأن ينهجوا منهج رسولهم ويسيروا على هديه حتى يكونوا صادقين فى اتباعه فيقول لهم :

**﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم﴾ .**

( آل عمران ـ ٣١ )

وبعد ذلك ينتقل القرآن الكريم من الأمر بالإخلاص والحض عليه إلى عرض صور رائعة من أعمال المخلصين ، فمثلا يحدثنا عن المخلصين فى انفاقهم ومعاونتهم لغيرهم وابتغائهم بذلك وجه ربهم لا للشهرة والسمعة ، فيقول عن عباده الأخيار :

**﴿ ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا ، إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءا ولا شكورا﴾ .**

( سورة الإنسان ـ ٩ )

ويصف ـ سبحانه ـ الصالح من عباده بأنه :

**﴿ الذى يؤتى ماله يتزكى ، وما لأحد عنده من نعمة تجزى ، إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى﴾ .**

( سورة الليل ـ ٢١ )

وفى الصور التى يقدمها القرآن للإخلاص نجد عماد هذا الإخلاص هو ربط الأسباب بموجدها ـ جل جلاله ـ وهو الإيمان بربوبيته ، ووحدانيته وشامل قدرته ومتى صح هذا الإيمان فى قلب المؤمن وعقله ونفسه ؛ فقد صار عليه رقيب لا يغفل ، واستقام طريقه فلا ينحرف ، لأن من راقب ربه خاف ذنبه ومن أيقن بوحدانيته ـ عز وجل ـ صار عزيزا كريما لا يذل ولا يخدع ، وما دام الصدق بوحدانية الله هو عماد الإخلاص فلا عجب إذن أن تأتى فى القرآن سورة جليلة معجزة موجزة تسمى باسم سورة الإخلاص . وهى قوله تعالى :

**﴿ قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا أحد﴾ .**

بأقلام القراء

## كشـــمير ...
## والأقليـــات المسلمـــة

فى كشمير ملحمة جهاد جديدة .. وانتفاضة شعب مسلم فى وجه قوة باغية متجبرة .. إنها وقفة شعب أعزل فى وجه الاستعمار الهندوسى الذى راح يعيث فى أرض كشمير فسادا ، ويهلك الحرث والنسل .

ولكنه الإيمان الذى تنزوى إلى جواره كل الأسلحة . لقد قدم هذا الشعب الضعيف الفقير الآلاف من الشهداء والجرحى وأيضا عشرات الآلاف من السجناء ، ومعظمهم من الشباب والصبية .

لقد أصبح من الأمور المألوفة أن يشاهد الباكستانيون جثث إخوانهم من مسلمى كشمير القتلى الطافية فوق مياه الأنهار ، والقادمة من كشمير ، وما هى فى الحقيقة إلا رسالة يومية ترسلها الهند إلى المسلـمين .. فمـاذا هم فاعلون ؟ .

إن جراح المسلمين متعددة ليس فى كشمير فقط ، إنما لدى كثير من الأقليات الإسلامية ، وعلى المسلمين فى سائر أنحاء الأرض المسارعة إلى نجدة إخوانهم المعرضين للفنـاء ، إن الأمم الإسلامية تؤلف اليوم فى المجتمع الدولى كتلة كبرى لها أهميتها وخطرها وتأثيرها إذا ما نسقت خططها ، ومن ثم عليها أن تتذرع بنفوذها الأدبى والدولى ، وأن تبذل كل ما تستطيع من الوسائل لرفع الاضطهاد والظلم عن هذه الأقليات .

**محمود السباعى عبدالله ــ المثلث بالسويس**

## أنـــــواع النفـــاق

١ ــ نفاق الكفر : وهو أن يظهر الإنسان الإسلام ، ويستبطن الكفر مثل المنافقين الذين كانوا على عهد النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ يعلنـون تمسكهـم بالإسلام وأحكامـه ، وهـم مصرون على الكفر فى باطنهم وقد فضحهم الله تعالى فى قوله سبحانه :

**﴿ إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون﴾ .**

سورة المنافقون ــ آية : ١

٢ ــ نفاق العمل : وهو أن يكـون عمـل الإنسان بخلاف قوله ، كأن يحدث فيكـذب ويعاهد فيغدر ، ويخاصم فيفجر .

٣ ــ نفاق اجتماعى : وهو أن يصف الإنسان شخصا ذا رياسة أو جاه بما ليس فيه ، كأن يمدحه بالكرم وهو بخيل ، أو بالشجاعة وهو جبان ، أو بالصلاح وهو فاسق ، أو بالسماحة وهو لئيم وهذه مداهنة ، وهى مذمومة شرعا وعرفا .

**عماد ميزار عبدالعظيم جابر**
**محافظة الفيوم ــ قرية الأعلام**

## الأزهــــر الشــــريف

وتلك قصيدة من إبداع الشاعر / أحمد عبدالجواد ـ المدرس بمدرس الشواشنة الثانوية ، يبرز فيها دور الأزهر الشريف .

عطـر الأزاهـر فى ربـوع الأزهـر ... حصن العلـوم وذى السراج الأنـور
سحـقت محافلـه ضلالات العـدا ... ورمت بشهب الحق ليـل الكافـر
شهـد الزمـان أئمـة كانـوا له ... تيجـان عـزٍ شامخ ومفاخـر
لم يخضعـوا الحق الجليـل لمطمـع ... كلا ولا باعـوا القـرار لتاجـر
قادوا الشعـوب إلى المعـالى كلهـا ... بالحق والعلـم الجلى الظاهـر
هذا هو الـدور المنـوط بأزهـر ... سكـنت محبتـه فؤاد الشاعـر
والمسلـمين العـارفين بفضلـه ... أبـدا فلا تعبـأ بقـول مكابـر
قومـوا إلى الـدور العـظيم وحققـوا ... آمـال أمتكـم بعلـم باهـر
يعطيكمـو حقَّ الريـادة إنما ... تعطـى الريـادة للعـليم القـادر

## ردود وتعليقات

● القارىء / مجدى محمد السيد عنـان ـ بمدرسة العريش الثانوية بشمال سيناء :

والقارىء / مهندس هشام محمود عبيه ـ رئيس فرع نقابة المهن الزراعية بدمياط :

نرجو أن تتاح لنا ـ مستقبلا ـ فرصة تزويدكم ببعض مطبوعات المجلة مجانا . لأن القدر المطبوع منها ـ حاليا ـ لا يفى بهذا الغرض ، ويمكن الاشتراك فى مجلة الأزهر ـ ولو بنسخة واحدة شهريا بمقر الاشتراكات بمؤسسة الأهرام ـ إلى أن يتسنى لنا إجابة مطلبكم بإذن الله ـ تعالى ـ .

● القارىء / محمد غريب شمس الدين ـ بمعهد رشيد الأزهرى :

نقدر رجاءكم ـ وكثير من القراء ـ فى عودة باب « الإمام والخطيب » ، والحقيقة أننا عزفنا عن نشره حتى لا نتسبب فى تجميد عقل الخطيب وانغلاقه بحفظ خطبة بعينها ، ولأمر آخر له أهمية أولى ، كانت هى السبب عند فتح هذا الباب إذا كان المراد تقديم ( الإسلام ) فى واقعه العلمى الذى يبين أثر الإسلام التطبيقى فى المجتمع المسلم كله ـ أو على حد تعبير طالب أمريكى توجه بهذا

السؤال إلى أحد العلماء المسلمين ، فقال له : ماذا أكسب عندما أصير مسلما .. ؟ .

إن الخطبة ينبغى أن تقدم للمسلمين منهج الإسلام لكى تتميز حياتهم به تقدما ورفعة ، وعلما وبصيرة .

● **القارىء / عصام مزيون ـ نجع مركب ـ ملوى ـ المنيا :**

نرحب بك صديقا دائما وفى انتظار رسائلك واستفساراتك .

● **القارىء / وليد محمد التطاوى ـ الطالب الأزهرى برشيد :**

اقتراحكم بتخصيص بابين ثابتين فى مجلة الأزهر ، أحدهما للسيرة النبويـــة ، والآخر للشخصيات الإسلامية كالصحابة والتابعين ؛ اقتراح له وجاهته وستدرسه إدارة المجلة . كما نضم صوتنا إليكم فى مناشدة القائمين فى الأزهر على إعادة طبع « التفسير الوسيط » ، مرة أخرى ، خدمة لمن لم يحالفهم حظ الحصول عليه .

● **القارىء / السيد السيد على خليل ـ الطالب بجامعة الأزهر ـ فرع الزقازيق :**

يمكنكم الاطلاع على هذه الوثيقة بمكتبة الأزهر أو تكليف من يقوم بتصويرها لكم .

● **وبمشيئة الله ـ تعالى ـ سيوالى الباب اهتمامه بعرض الرسائل التى يتلقاها تباعاً ، ويحيط الباب قراءه الأعزاء علماً بأن مساحة الباب لها دخل مباشر فى اختصار الكلمات المنشورة .**

● **رجاء خاص بالسادة الكتاب :**

**ترجو مجلة الأزهر من السادة الكُتّاب أن يكتبوا أسماءهم الثلاثية ووظائفهم على المقالات التى يوافون الإدارة بها ، وأن تكون كتابتها على الماكينة أو بخط واضح ، وأن يرسلوا إلينا الأصل فى الحالتين ، ويحتفظوا بصورة منه ، حيث إن المجلة ليست ملزمة برده ، كما نرجو مراعاة حداثة الإنتاج ، وألا يكون قد سبق نشره فى صحيفة أو كتاب ، وكلما كان الإنتاج مسندا إسنادا علميا ، بما فى ذلك تخريج ما ورد به من الأحاديث النبوية وبيان مواقع الآيات القرآنية ـ كان ذلك أدعى لصلاحية نشره ، والله تعالى من وراء القصد .**




إعداد الأستاذين / عمر البسطويسى • مصطفى عبد المجيد

## الإمام الأكبر يفتتح المؤتمر الدولى للعمل الإسلامى

افتتح فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر – بمركز صالح كامل بجامعة الأزهر بالقاهرة – المؤتمر الدولى للعمل الإسلامى الذى نظمته رابطة الجامعات الإسلامية بالتعاون مع جامعة الأزهر فى الفترة من ١٦ – ١٨ أبريل ١٩٩٤ .

طالب فضيلة الإمام الأكبر فى كلمته بضرورة التخصص فى العلوم الإسلامية لمن يتصدى للعمل الإسلامى ، والتوقف عن العصبية المذهبية ، والتقريب بين المناهج الدراسية فى الجامعات الإسلامية .

كما أكد فضيلته على ضرورة الكف عن تصدير المذهبية حتى يعلم المسلمون أن مصدر الإسلام هو القرآن والسنة وأن العلوم التى نشأت حولهما إنما تهدف إلى شرحهما ، وناشد فضيلته – فى ختام كلمته – الشعوب الإسلامية وحكامها أن يوحدوا كلمتهم ليكونوا كما وصفهم نبيهم ﷺ كالجسد الواحد .

ناقش المؤتمر على مدى ثلاثة أيام العديد من الأبحاث فى مجالات العمل الإسلامى وركائزه ومعوقاته وترشيده .

### افتتاح أقسام الرعاية المركزة والتعقيم بمستشفى الحسين الجامعى

كذلك افتتح فضيلته وبصحبته الأستاذ الدكتور عاطف صدقى رئيس مجلس الوزراء أقسام

الرعاية المركزة والتعقيم المركزى وتفتيت الحصوات بمستشفى الحسين الجامعى ، بلغت تكاليف الانشاءات ( ١٨ ) مليون جنيه منحة من وزارة التعاون الدولى والموازنة العامة ووزارة الصحة .

أعلن الأستاذ الدكتور رئيس الوزراء أن تقديم المساعدات لتحسين الخدمات الطبية إنما يستهدف توفير العلاج الذى يحتاج إليه أى شخص فى أى وقت .

الإمام الأكبر يعود من سويسرا

عاد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر من سويسرا بعد رحلة علاج ، وكان فضيلته قد غادر القاهرة صباح يوم الأحد السادس من ذى القعدة ١٤١٤هـ الموافق ١٧ ابريل متوجها الى سويسرا لاستكمال علاجه .

وكان الرئيس محمد حسنى مبارك قد أمر بسفر فضيلته لاستكمال علاجه بعد العملية التى أجراها فى ركبته اليمنى فى جمادى الآخرة ــ ديسمبر الماضى بمستشفى مصر للطيران ، يرافق فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد ابراهيم حنفى استاذ ورئيس قسم الطب الطبيعى ، والدكتور رأفت حافظ أستاذ ورئيس قسم العظام بطب الأزهر .

ندعو الله ــ سبحانه وتعالى ــ أن يمن على فضيلته بالشفاء العاجل .

فضيلته يضع حجر الأساس لمعهد أزهرى بحلوان

قام فضيلته يرافقه الدكتور محمد على محجوب وزير الأوقاف بوضع حجر الأساس لمعهد « العوضى » الأزهرى فى حلوان .

بلغت تكاليف إنشاء هذا المعهد ( ٧٠٠ ) ألف جنيه .

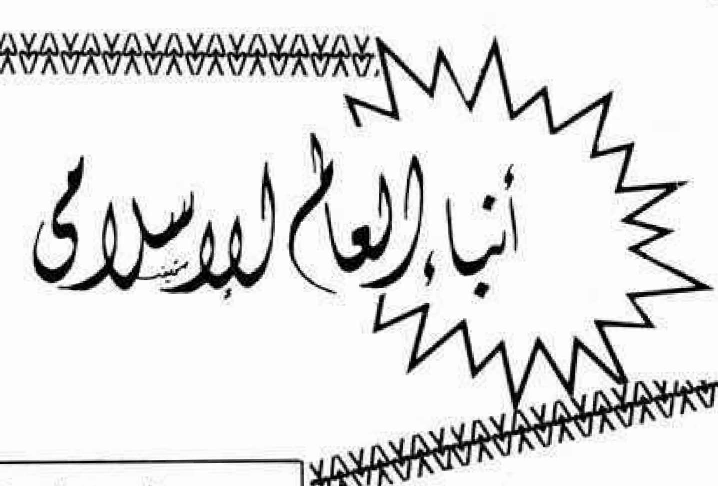
تبدأ الدراسة به فى العام القادم إن شاء الله .

بعثة الحج الأزهرية

أصدر فضيلة الإمام الأكبر القرار رقم ٢١٢ لسنة ١٩٩٤ بشأن بعثة الحج الأزهرية لهذا العام ١٤١٤ هـ ، وذلك للمشاركة فى توعية الحجاج والارشاد الدينى ، والإسهام فى نشاط بعثة الحج الرسمية لهذا العام تضمن القرار اختيار فضيلة الشيخ فؤاد محمد البرعى ــ وكيل الوزارة لشئون التعليم بالإدارة المركزية للمعاهد الأزهرية ــ رئيسا للبعثة . بلغ عدد أعضاء البعثة ثلاثين عضوا وقد تحددت المأمورية اعتبارا من تاريخ السفر لمدة لاتتجاوز ثلاثة أسابيع .

بدء الدورة التدريبية الخامسة والعشرين للدعاة الوافدين من العالم الإسلامى

صدر قرار فضيلة الامام الأكبر رقم ١٧٥ لسنة ١٩٩٤ بالموافقة على إقامة الدورة الخامسة والعشرين لتدريب الدعاة الوافدين من العالم الإسلامى إلى الأزهر الشريف لمدة ثلاثة أشهر تبدأ من ( ٩٤/٥/١ وتنتهى فى ٩٤/٧/٣١ ) ، وتجدر الإشارة إلى أن أعضاء الدورة من دول أوزباكستان ، وزائير ، وأندونيسيا ، وبنجلاديش وموسكو وليبيريا وجنوب أفريقيا ، هذا ويتحمل الأزهر الشريف نفقات الدراسة سفرا وإقامة وإعاشة .




إعداد الأستاذ / مجدى عبد الحميد بشير

### اعتراف حكومة مصر رسميا بالمجلس الاسلامى العالمى للدعوة والاغاثة

اعترفت حكومة جمهورية مصر العربية رسميا بالمجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة .

صدر بذلك القرار الجمهورى رقم ٢٩٣ لسنة ١٩٩٣ م بتاريخ ١٩٩٣/٧/٢٨ ثم عرض على مجلس الشعب فوافق على القرار بتاريخ ١٩٩٤/١/٨ وتم تصديق السيد رئيس الجمهورية على موافقة مجلس الشعب بتاريخ ١٩٩٤/١/١١ .

وقد عرض الموضوع فى اجتماع هيئة الرئاسة العشرين بجدة فى المدة من ٣٠ يناير إلى الأول من فبراير ١٩٩٤ ، وتجرى الأمانة العامة اتصالاتها ــ حاليا ــ مع منظمة الأمم المتحدة للحصول على العضوية للمجلس كمنظمة عالمية دولية .

نتمنى للمجلس التوفيق والسداد فى أداء رسالته .

### قبرص

قامت منظمة العواصم والمدن الإسلامية بتقديم قرض حسن يبلغ نصف مليون دولار لتحسين وحماية منطقة « عرب أحمد » بالمدينة المسوّرة فى « لاكفوشيا » عاصمة القطاع المسلم من جزيرة قبرص . ويستخدم القرض المذكور فى ترميم مبنى تاريخى فى المدينة المسورة . وتُعد منطقة « عرب أحمد » من المناطق القليلة فى المدينة المسوَّرة التى يلاحظ بها شكل الشارع وطابعه التاريخى والنسيج الحضارى والملامح المعمارية والبيئية التى تشكل المساحات والمبانى . ويهدف مشروع الترميم إلى إعادة الحيوية وحماية الجزء التاريخى للمدينة المسوّرة كمنطقة جذب سكانى وسياحى .

المغــرب

أعدت وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالمغرب مشروعاً لبناء ٣٠٠٠ كُتّاب جديد فى جميع أنحاء المملكة ، وذلك تشجيعاً على حفظ القرآن الكريم ، وحَضًّا على قراءته وترتيله وتجويده وتلاوته . كما نظمت مؤسسة التعاون الوطنى هناك مسابقة فى حفظ وتلاوة القرآن الكريم . أجريت بين نزلاء الجمعيات الخيرية ومراكز التربية والتشغيل . ورصدت المؤسسة لحفظة القرآن جوائز سخية .

إصدار هام :

أصدرت «الإيسيسكو» كتاباً توثيقياً عن سياسة الاستيطان الصهيونى فى فلسطين خلال مائة عام وقدّم للكتاب الدكتور عبدالعزيز التويجرى المدير العام للمنظمة المذكورة .

السـعودية

(ميـاه زمـزم)

قررت الخطوط الجوية السعودية منح كل راكب خلال موسم الحج الحالى عبْوة مياه من ماء زمزم . هذا ومن المزمع إدخال مياه زمزم المباركة فى صالات السفر فى أثناء موسم الحج الحالى تلبية لرغبة مختلف الجاليات والمراكز الإسلامية .

مكة المكرمة

أهابت رابطة العالم الإسلامى بالمسلمين والمنظمات الإسلامية أن يتقيدوا بالرسم العثمانى للمصحف الشريف ووجوب التقيد ببقائه على ما هو عليه ليكون حجة خالدة تمنع تسرُّب أى تغيير أو تحريف أو تبديل فى النص القرآنى .

الأردن

يُعقد فى بداية يوليو القادم بالأردن المخيم الكشفى الإسلامى الذى ينظمه مجلس المنظمات والجمعيات الإسلامية بالتعاون مع مكتب رابطة العالم الإسلامى بعمان ، ويشارك فيه (١٧٥) كشافاً من شتى أنحاء العالم الإسلامى حيث يتم تدريبهم على الاعتماد على النـفس والقيـادة السليمة ، وتزويدهم بالمهارات والخبرات فى عدد من المجالات الحيوية ، هذا بالإضافة إلى عقد الندوات الدينية والثقافية .

السـويد

يبدأ فى يونيو المقبل المعسكر الإسلامى لتدريب القيادات الشبابية الأوروبية المسلمة فى جنوب السويد تحت إشراف الرابطة الأوروبية للشباب الإسلامى . يأتى المعسكر فى إطار الأنشطة المتعددة للرابطة فى مجالات الدعوة الإسلامية .

ليبيا

لأول مرة أصدرت اللجنة الشعبية العامة فى الجماهيرية الليبية قراراً بإنشاء مجمع اللغة العربية فى ليبيا . ويتألف مجلس المجمع من عشرين عضواً منهم (١٥) عالماً ليبيا ، و(٥) من علماء العالم العربى .

سـوريا

احتفلت وزارة الأوقاف السورية فى ابريل الماضى بيوم الدعاة حيث كرمت القيادة السورية ٥٠ داعية وإماماً وخطيباً وذلك خلال الاحتفال الذى أقامته الوزارة بالعاصمة السورية دمشق .

"Omar avait l'habitude de faire une tournée pendant la nuit et parfois seul·pour veiller à la sécurité de Médine. Une nuit il entendit une femme qui de l'intérieur de sa maison disait : "cette nuit a trop duré, et elle n'est qu'obscurité, l'insomnie me ronge, car je n'ai pas de compagnon auprès duquel me délasser". Quand Omar entendit cela, il s'en inquiéta et se renseigna sur sa situation : on l'informa que son mari était parti depuis longtemps avec l'armée musulmane. Réoccupé par ce problème, il alla touver sa fille Hafsa, qui était l'une des veuves du prophète et lui demanda de lui dire, sans fausse pudeur, pendant combien de temps une femme pouvait supporter l'absence de son mari. Hafsa lui répondit pudiquement : "Trois ou quatre mois". ALors le calife "Omar prit la décision de rappeler les soldats auprès de leur famille tous les quatre mois.

Une autre nuit il sortit de la ville vers minuit quand il vit un feu. Il s'approcha du feu et il aperçut une femme en compagnie de deux ou trois enfants qui pleuraient. La femme était occupée à faire du feu sous un pot, et disait aux enfants : "ne pleurez pas; dormez jusqu'à ce que la nourriture soit prête, alors vous mangerez. Qu'Allah nous rende justice de "Omar, qui, lui, dort rassasié, alors que moi et mes enfants, nous souffrons de la faim".

En entendant ces paroles, Omar eut les larmes aux yeux. Il salua la femme et se renseigna sur sa situation, puis lui demanda ce qu'il y avait dans le pot. "Rien, dit-elle, que de l'eau, mais j'ai allumé le feu pour apaiser mes petits, pour qu'ils dorment jusqu'à demain matin". Alors "Omar s'éloigna, alla vite à la ville, acheta des provisions, emporta le tout sur ses épaules, se dirigea vers le camp de la femme et déposa la charge devant elle. Il encouragea la femme à faire la pâte et ne reprit le chemin du retour que lorsque la femme et ses enfants eurent mangé.

En matière de politique sociale, à l'égard des non-musulmans le calife Omar octroya aux vieux et aux nécessiteux d'entre eux une pension prélevée dans le Trésor public. Un jour comme Omar passait devant des gens, il vit un vieil homme aveugle qui mendiait; Omar s'approcha de lui, lui tapa sur l'épaule et lui demanda : "De quels gens du Livre fais-tu partie?" Le vieil homme répondit : "Je suis juif". Le calife Omar lui demanda : "qu'est-ce qui t'a poussé à la mendicité"? Le vieil homme répondit : "Je cherche à avoir de quoi payer l'impôt guizya car je suis vieux et dans le besoin." Alors le calife Omar ordonna au trésorier de prendre en charge cet homme ainsi que tous ceux qui pouvaient se trouver dans une situation analogue. Qu'Allah bénisse le calife Omar Ebn Al Khattab et le récompense pour son oeuvre. Il était véritablement un vrai père pour les musulmans.

**Hoda Hussein Charaoui**

# La personnalité de "Omar Ibn Al Khattab

Quelques anecdotes concernant la personnalité de "Omar Ibn Al Khattab".

par Hoda Hussein Charaoui

Nombreux sont ceux qui se trompent sur la personnalité de "Omar" Ebn Al Khattab qu'Allah soit satisfait de lui-et n'ont gardé de lui que l'image d'un homme fort sévère et sans pitié. C'est vrai que Omar était ainsi envers les injustes; cependant l'homme était d'une indulgence remarquable plein de patience et de bonté.

On raconte qu'un aveugle se présenta auprés de "Omar Ebn Al Khattab pour se plaindre du mauvais caractère de son épouse. Devant la porte de celui-ci, il attendait qu'il sort, lorsqu'il entendit la femme de "Omar" crier après son mari, alors que Omar se taisait et ne répondait pas ! Alors l'homme s'en alla en disant : "Si telle est la vie de "Omar", lui qui est connu pour sa rudesse et sa sévérité et qui en plus, est le chef des croyants, alors que dire de mon cas !" à ce moment-là, Omar sortit et apercut l'homme qui s'éloignait de sa porte. Il l'appela et lui demanda ce qu'il voulait. L'ayant informé de sa plainte et de sa surprise du caractère de l'épouse de Omar ce dernier lui dit : "Mon frère, si je la supporte, c'est qu'elle a des droits sur moi : c'est elle qui prépare ma nourriture, qui fait mon pain, qui lave mes vêtements et qui allaite mes enfants... alors qu'elle n'est pas obligée de le faire ! Auprès d'elle mon coeur s'apaise et s'abstient de la fornication, c'est pour toutes ces raisons que je la supporte. L'homme dit alors : "c'est vrai ! c'est la même chose pour ma femme". Omar lui dit : "Alors supporte-la mon frère et la vie n'est qu'un court moment".

De plus, Omar insistait sur le bien qu'il y a à s'amuser avec les siens et à les chérir. Il était un très bon père de famille, plein de compassion envers ses enfants, et s'il était strict envers eux c'est parce qu'il mesurait l'ampleur de la responsabilité qu'il assumait et qu'il estimait que sa famille devait être la première à lui venir en aide, en s'offrant en bon exemple au reste de la communauté.

**me répondra : Tu n'es pas au courant des invocations qu'ils ont introduites après ton départ". "Hadith rapporté par Ebn Magah".**

**Selon "Aïcha" que Allah soit satisfait d'elle), le Messager d'Allah (b.s.) a dit : «Il n'y a pas un jour meilleur que le jour de "Arafa", celui où Allah-qu'Il soit glorifié** et magnifié-affranchira du Feu un plus grand nombre de Ses serviteurs-mâles ou femelles. Il se rapprochera d'eux en se glorifiant d'eux devant les Anges et dira : "Que désirent ceux-là?" Hadith rapporté par Al Nisaï".

## L'invocation du Prophète (b.s.) en faveur de sa communauté, le jour de "Arafa", au cours du sermon fait le jour de la fête du Sacrifice "Id Al Adha"

Selon "Abdallah ebn Kinana ebn "Abbas ebn Mirdas Al Soulamy, son père lui a rapporté d'après le père de ce dernier que le prophète (b.s.) invoqua Allah pour sa communauté la veille du jour de "Arafah, et son invocation fut exaucée par cette réponse : «Je leur ai tous accordé Mon pardon, à l'exception de l'injuste, car Je prends de lui le droit de l'opprime. Le prophète (b.s.) dit alors : "Ô mon Seigneur, si Tu le veux, Tu accordes le Paradis à l'opprimé et Tu pardonnes à l'injuste"? Mais il ne reçut pas de réponse la veille de "Arafa. Le lendemain à l'aube, à Mozdalifa, il réitéra son invocation et elle fut exaucée. Alors le Messager d'Allah se mit à rire ou-suivant une variante-à sourire. Alors "Abou Bakr" et "Omar" lui dirent : "Nous sacrifieront père et mère ! C'est là une heure où tu ne riais pas; qu'est-ce donc qui te fait rire? Qu'Allah te fasse toujours rire ! "Le Prophète leur expliqua : "C'est que l'ennemi d'Allah-qu'Il soit glorifié et magnifié — lorsqu'il apprit que mon Seigneur a exaucé ma prière et a pardonné à ma communauté, prit du sable et se mit à le verser sur sa tête en criant : "Ô malheur ! Ô désespoir ! "C'est sa rage qui m'a fait rire". Hadith rapporté par "Ebn Magah".

C'est ainsi que le prophète annonça à sa communauté qu'Allah, le jour de Arafa" exauce les invocations de ceux qui sont sincères et dont le repentir est vrai.

article par :
Dr. Rokeya Gabr

dieu à implorer, aucun créateur à craindre; il n'y a ni ministre à contacter ni chambellan à soudoyer.

Ô Toi, qui n'exauce les multiples prières qu'avec plus de générosité et de libéralités.

Ô Toi vers qui montent les multiples voix exprimant en divers langues les besoins des humains dont les larmes se mêlent aux invocations qu'ils T'adressent avec insistance.

Ma requête, Ô Seigneur, est d'obtenir l'absolution de mes péchés, Ta grâce et jamais plus Ta colère, d'être guidé sans m'égarer après cela, de posséder une science qui ne sera plus effacée par l'ignorance. Je Te demande, Ô Seigneur, un bon couronnement de ma vie, une préservation de l'Enfer, l'accès au Paradis, une pensée compâtissante de Toi dans les moments difficiles lorsque les habitants de ce monde m'oublieront, que mon corps sera enfoui sous terre, que ceux que j'aime m'auront délaissé et que j'aurai perdu toute attache avec cette vie Ô Majestueux ! Ô Dispensateur par excellence, Ô le plus Miséricordieux des miséricordieux !

Ô Allah, je t'implore de me mettre sur le Droit Chemin, de m'accorder piété, chasteté et richesse.

Ô Allah ! A Toi la louange telle que nous la faisons, et mieux encore.

Ô Allah, je sollicite Ton approbation et le Paradis. Je cherche auprès de Toi un refuge contre Ton courroux et l'Enfer, et contre toute parole ou tout acte qui pourrait m'y conduire.

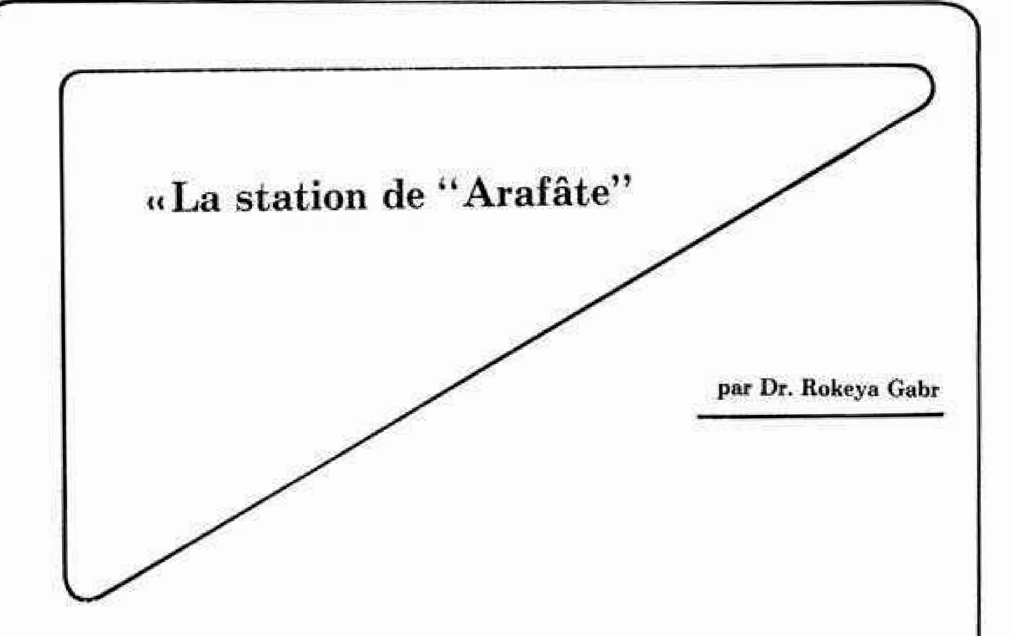
Ô Allah ! Fais que mon Hadj soit bien agréé, que mes fautes soient pardonnées, que mes actions soient vertueuses et agréées.

Ô Allah ! accorde-nous un bienfait dans ce monde, un bienfait dans celui de l'au-delà et préserve-nous du supplice de l'Enfer.

Ô Allah ! fais que mes derniers jours soient les meilleurs que mes dernières actions soient les plus louables, et que le meilleur de mes jours soit celui où je Te rencontrerai".

## Les invocations du Prophète (b.s.) le jour de "Arafâte"

Abdallah ebn Mass'oud (qu'Allah soit satisfait de lui) a rapporté que le Messager d'Allah (b.s.) étant à Arafat sur chamelle a demandé : "Savez-vous quel jour est celui-ci? Quel mois est celui-ci? Quel pays est celui-ci? C'est un pays sacré, un mois sacré et un jour sacré, répondirent-ils-Eh bien, reprit-il, votre fortune et votre sang doivent vous être aussi sacrés que ce mois-ci, dans ce pays-ci, en ce jour-ci. Eh bien ! je vous devancerai au Bassin et je me rejouirai de votre multitude devant les autres communautés, ne me discréditez donc pas. Je sauverai quelques-uns (par mon intercession), mais d'autres y échapperont. Alors je m'écrierai : "Ô mon Seigneur ! Et mes compagnons? et Allah



# «La station de "Arafâte"

par Dr. Rokeya Gabr

Arafah (au singulier) ou "Arafâte" (au pluriel) est la vallée située à 21 kilometres à l'Est de la Mecque. La colline de granit est appelée "Djabal Arafah", connue également sous le nom de "Djabal Al Rahma" (Mont de la Miséricorde).

On accède à cette vallée, située à l'extérieur du "Haram", en venant de "Minâ" et "Mouzdalifa". Le territoire de "Arafate" commence à partir de la mosquée" Namira". Tous les pélerins doivent y stationner le 9 du mois de Dzoul Hiddjah. Ce jour est considéré comme le fondement même du grand pélerinage ou "Id Al Adha". Ce jour-là Allah montre fièrement aux habitants du ciel les humains qui viennent des quatre coins de la terre solliciter Sa grâce. Le prophète (b.s.) a dit : "nul jour ne voit autant d'hommes affranchis de l'Enfer, que celui de "Arafah".

## Les invocations à prononcer le jour de "Arafah

Ces invocations sont récitées après les prières de midi (Al Dzohr) et de l'après-midi (Al Asr) et jusqu'au moment de quitter "Arafate" (peu après le coucher du soleil) :

"Il n'y a point d'autre dieu qu'Allah, l'Unique. Il n'a point d'associé. Toute la souveraineté est à Lui et toutes les louanges Lui sont destinées. C'est Lui qui donne la vie et impose la mort. Il est le Vivant et l'Immortel. Il détient tout le bien entre Ses mains. Il est Omnipotent". Seigneur, nous sommes venus vers Toi et nous avons campé dans Ta cour. Nous avons mis en Toi notre espoir et c'est Toi qui possèdes ce que nous sollicitions. Nous venons implorer Ta générosité, aspirer à Toi miséricorde et exprimer notre effroi de Ton châtiment en nous rendant en pélerinage à Ta Maison Sacrée. Ô Toi qui détiens ce dont les implorateurs ont besoin. Tu connais ce que les silencieux cachent au fond de leur coeur. En dehors de Toi, il n'y a aucun autre seigneur à invoquer, aucun

# REVUE AL AZHAR

Vol. 66, Part XII
Zil Hijah, 1414 Hijrah

## Section Française

He sometimes entitles his work The Glorious Kuran or The Meaning of the Glorions Kuran. In either case, he over emphasis the semantic accuracy and the translation of the lexical meaning of words. Arberry, on the other hand, prefers to entitle his work The Koran Interpreted, conceding with the ancient doctrive that the Qur'an is untranslatable. Khatib, however, choses the title The Bounteous Koran, which is a literal translation of the Arabic title of the Quran.

Regarding the translations rendered by Pickthall, Y. Ali and Asad we find that their emphasis on the semantic accuracy and the translation of the lexical meaning of words has often led them to neglect the contextual meaning of words as well as the communicative value of the original text. Arberry's translation however, derives its merit from the success ont he semantic and more important on the communicative level. Regarding Khatib's translation, we find that in most cases he aptly conveys the meaning and the words and in some instances the communicative effect as well.

As to the rhythmic qualities of the original, none of the translators, save Arberry, attempts to reproduce the literary and communicative effect of the original. Arberry sacrifices the original division of the verses which is not acceptable. Similarly, Y. Ali's division of Surah Maryam" into sections which discord with the original is agains unacceptable.

One of the merits of the translations of Pickthall, Arberry and Khatib is their brevity of expression and abscence of redundancy. For while they avoided adding interpretative sentencess or phrases in the translated text, Y. Ali and Asad frequently use brackets and add explanatory phrases and sentences which affect the flow of the discourse and interrupt the Target language reader.

Regarding the style used in each translation, we find that Asad and Khatib are more reader oriented. They use modern style to suit the reader. Pickthall, however, is rather text oriented; he uses archaic and absolescent language to reflect the antiquity of the source text. Arberry though also uses archaic language, he has avoided the Biblical style favoured oy some of his predecessors.on the other hand, Y. Ali uses in his translation a mixture of styles and registers which affect the communicative effect of the text as a whole.

# Translation Difficulties and the Translators compared

*By Mona Abdel Ghaffar Salem M.A.*

**Concise Expression**

The Arabs regard the language of the Quran as the perfect model of stylistic and literary excellence. The Quranic language is distinct from all other modes of writing and it is easily recognizable. What distinguisres this language is mainly the choice of words and concise expression. The brevity of the Quranic expression is achieved through the utilization of subtle grammatical devices such as intricate syntax and ellipsis. The use of elliptical sturctures in the Quran are among the most effective. Their power lies in the deletion of certain grammatical items, leaving the meaning intact. Most translators have felt the need to supply the terms which the original deletes. This added information is usually presented in italics or between brackets, a method which may disrupt the flow of the discourse, but it is sometimes needed to clarify the meaning. In the following verse, for instance : 19 : 2

ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ

Five nouns are interlinked by genitive and accusative relations to produce a succinct expression. Such succinctress cannot be transferred in English without change in structure. The following are among the briefest literal translations. The lexical items, "unto" or "to" are added to clarify the meaning :

Pickthall : A mention of the mercy of thy lord unto His servant Zachariah.

Arbery : 'Then mention of thy lord's mercy unto His servant Zachariah.

Khatib : A mention of your lord's mercy to his servant Zachariah.

To conclude here, I find it relevant to quote Arberry (1953 : 24) who aptly states that : the rhetoric and rhythm of the Arabic of the Koran are so characteristic, so powerful, so highly emotive, that any version what sover is bound in the nature of things to be but a poor copy of the glittering splendour of the original.

## THE TRANSLATORS COMPARED

To begin with, we find that each translator selected a different title for his translations. Pickthall concentrating on the "meaning" of the Qur'an, enititles his work the Meaning of the Glorious Koran — Sinilar to Pickthall, Asad is also concerned with the "message" of the Quran where he attempts to render an idiomatic explanatory translation of the Quran. He thus entitles his translation The Message of the Quran. Regarding Y. Ali, we find that the title of his translation varies from one edition to another.

# Ancient obligation

The Qur'an states that the Prophet Abraham was commanded to proclaim piigrimage to mankind who, by Allah's will, would respond to the Divine call and make their journeys from every direction to Mecca by various means of transportation. There, they would perform the rites of pilgrimage, practise prayer, feed the poor and pay their vows :

> **"When we prepared for Abraham the site of the Sacred House, we said: Worship none beside me. Keep my house clean for those who circumambulate the Ka'bah, who stand to pray, and who bow and prostrate themselves.**
>
> **Proclaim to mankind the performance of pilgrimage. They will come to you on foot and the backs of the swift camels from every distant place: They will come to avail themselves of many a benefit and to pronounce on the appointed days the name of Allah over the neasts of cattle that he bestowed upon them. Then let the pilgrims spruce themselves, pay their vows and circumambulate the Ancient House.**

After the revelation of the Latest Message of Islam, the rites of pilgrimage which comprised the present rules and regulations, were instituted in the seventh year after Hijrah. When Mecca was opened to Muslims in the following year, Muhammad headed to the Ka'bah and circumambulated it, pointing to the idols and declaring :

"Truth has been fulfilled and falsehood has gone."

As commanded by the Prophet, all the idols that had been placed in the Ka'bah for worship or otherwise have been immediately broken to pieces. Thus the Ka'bah was purified again for the worship of Allah in both prayer and pilgrimage.

Pilgrimage is, therefore, a faithful response to the Divine Call of Allah proclaimed by Abraham, the father of the prophets and by Muhammad the Latest of the Prophets. Peace be upon them.

Pilgrimage is an annual form of congregational worship in which those Muslims who are able to make the trip assemble from all over the world at Mecca, the home of revelation to the Prophet Muhammad, peace be upon him.

It is a public worship expressing the full equality among the Muslims gathering together from all the corners of the world with a common objective — all performing the same actions, all seeking to gain Allah's favours and forgiveness.

At Mecca, and in particular, at Mount Arafat, all pilgrims stand on equal footing, be they poor or rich, rulers or ordinary people, scholars or labourers. There, all of them, wearing similar white, seamless robes and shorn of class distinctions, assemble on one ground which inspires them with a strong sense of unity.

There, their views are unified and their resolution is strengthened to work cooperatively for the fulfilment of the good of all mankind.

On Mount Arafat all distinctions of nationality, dress and languages disappear. All pilgrims look dishevelled to the extent that you cannot distinguish one from the other. It is not a normal life with a normal routine. All nationalities are one, all dresses are one and all languages are one. Their nationality is Islam, their dress is the Ihram their language is Arabic. On "Arafat" all cry in Arabic, fluently or otherwise :

"Labbayka Allahumma labbayk. Labbayka laa Sharika laka labbayk."

# THE OBJECTIVE OF PILGRIMAGE

BY : MOHAMMAD HIGAB

Pilgrimage, as one of the Five fundamental principles of Islam, is an ancient physical and external worship of Allah. The meaning of pilgrimage in Arabic is Hajj i.e. to set out towards a definite objective. In Islamic Law, Hajj means to set out for the Ka'bah, the sacred House in Mecca, and fulfil the pilgrimage rites.

The story of the Ka'bah goes back to the time of Abraham and his son Ismael. Mecca, in which the Ka'bah is situated, is one of the most renowned towns in the world, both in ancient and modern times. Islamic tradition ascribes its foundation to the Prophet Abraham and his son Ismael.

The tradition goes that Abraham placed his baby son, Ismael, together with his mother, Hajar, in the valley where Mecca now lies. It was then an isolated place. He left with them some dates and some water, and although this action was according to Divine instructions, he prayed to Allah that He might give them company and provide for them in that barren land.

By that time, Sarah, Abraham's senior wife, had not begotten any children, but subsequently, she gave birth to Abraham's second son, Isaac.

## The well of Zamzam

Hajar and Ismael lived on dates and water for some days, but when the water was finished, Hajar began to search for water in the surrounding area, climbing up and down the hills of Safa and Marwah. When she failed to find water, she came back. To her surprise she noticed the water springing underneath the feet of her own son. The water sprang from a well that later became known as Zamzam.

## The Sacrifice

From time to time, Abraham travelled and visited his son, Ismael and his mother, Hajar. During one of these visits Abraham dreamt that he was commanded to sacrifice his own son, Ismael. When the dream was repeated, Abraham believed that it was a true command. Abraham, in spite of his parental sentiments, was about to slaughter his son when the revelation came commanding him to offer a sheep instead, The Qur'an refers to the story of Sacrifice in Surah "Al-Safaat" (37) verses (99-113).

Such a sacrifice is a remarkable example of strong faith in Allah. It shows that Allah never deals unjustly with people, but He may put their faith to the test, and he who proves to have a pure faith becomes an object of Allah's mercy and guidance.

The hastening between the hills of Safa and Marwah carried out by Hajar, Ismael's mother, when she was searching for water for her son, and the sacrifice of Ismael that had been ransomed with a noble sacrifice have since become included among the rites of pilgrimage.

So it is permitted in Islam that a Moslem (individual or group) join any of the political parties that enjoy a legal status in the country of his residence and to be able to run as a candidate in municipal or parliamentary assembles. It is permitted to all Moslems in any country to go to the polls, aligned or not to a political party, to help fulfill the interests of Moslems, protect it truely and honestly. Moslems in south Africa — and other countries — are to follow these legal avenues, within the framework of the laws of these lands to have a vote that protects their intersts. They can on the other hand, join one party or another as they will vote so long as that is of interest to their homelands provided this does not harm Islam, its creed and Sharia.

If a Moslem is a member of a municipal or a parliamentary assembly, he should not approve a matter that is against the Islamic creed or against the interests of Moslems. He should not approve a matter that is forbidden in Islam or against the Islamic creed.

He should be a model Moslem in his straightforwardness fulfilling his obligations and committments as Allah has ordered in the holy Quran — this is a reason of success in these tasks.

Hopefully there are Moslems in south Africa and other countries that will nurture their future generations, that they would raise their children on Islam, learn spoken and written Arabic, read, memorize and comprehend parts of the Quran, fulfill their duties and obligations — this can only be realized through attention to education, as a major responsibility.

Moslems — in south Africa — or other countries should reach agreement on joining one or more parties, so that their votes bear their weight in preserving there interests, Following the words of Allah

103. And hold fast,
All together, by the Rope
Which Allah (stretches out
For you), and be not divided
Among yourselves;
And remember with gratitude
Allah's favour on you;
For ye were enemies
And He joined your hearts
In love, so that by His Grace,
Ye became brethren;
And ye were on the brink
Of the Pit of Fire,
And He saved you from it.
Thus doth Allah make
His Signs clear to you:
That ye may be guided.

(١٠٣) وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا
وَلَا تَفَرَّقُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ
إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ
فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا
وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا
حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا
كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ

And following the words of Allah in (*Al Anfāl*)

46. And obey Allah and His
Messenger;
And fall into no disputes,
Lest ye lose heart
And your power depart;
And be patient and persevering:
For Allah is with those
Who patiently persevere.

(٤٦) وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟
فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ
وَٱصْبِرُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ

This proves the permissibility of dealing in other worldly matters between Moslems and non Moslems, without cousing Harm to Islam, or Moslems and Sharia.

The rules referred to in these verses complement with the preceding verses from(*Al Mumtaḥinah* ) which would read as : that it is Halal to deal, cooperate contract with christians and jews in matters of common living — it is Halal to marry their women, eat their food, as indicated in the quranic verses ( *Al Mā'idah* ), to do business, industry and other deals in issues of life. Legal exchanges and renewable profits are permitted by these verses from ( *Al Mumtaḥinah* *Al Mā'idah* )

We add to that the practical implementation of what the prophet did — concluding an alignment and committment — after migrating to medina "Yatherb" between Moslems from "Qoraysh" tribe and the people of Yathreb.

The second article stipulates that they are all "one "Umma" (nation), and after counting Ansari Moslem tribes, up to item 23, He, in item 24, stipulates, that jews share spending with fidels so long as they fight together. Article 25 stipulates that the jews belonging to the tribe of beni ouf constitute an "Umma" with fidels, "Jews have their religion, and Moslems have theirs". Then the accord counted the rest of the jewish tribes, included in the accord together with their dependents. Article 37 stipulates that Moslems and jews, each has his expenses, and that they share victory, over those who fight partners to this accord. They also share advice, help, without indulging into sin.

The accord includes 47 items, that organize rules, committments, support between the contracting parties.

Accordingly :

As living with non Moslems, and in their countries, requires preserving the rights of Moslems, and because political and adminstrative systems vary, being different from one countey to another, and because these systems as a whole are not permament or stable, meaning that they are Liable to Change, so they would be included within the framework of dealings that are not detailed restrictions stated in the holy Quran or sunna but are referred to in a general way as indicated in the verses.

If political parties however have emerged in modern times to compete and attain government in most countries, so are societies and other cooperative institutions, syndicates, that serve social, groups or political ends, all of which reflect the general and private interests of its groups within the framework of the state.

If this is the case, a Moslem or more than one may join any of the recognized parties by the state even if it is secular or christian provided it does not prejudice against the Islamic creed or the basic interests of Moslems, as referred to in surat ( *Al Mumtaḥinah* ) as follows :

| | |
|---|---|
| 8 Allah forbids you not,<br>With regard to those who<br>Fight you not for (your) Faith<br><br>Nor drive you out<br>Of your homes,<br>From dealing kindly and justly<br>With them: For Allah loveth<br>Those who are just. | ﴿٨﴾ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ<br>ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ<br>وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ<br>أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ<br>إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ |

(٩) إنما ينهىكم الله عن
الذين قتلوكم في الدين
وأخرجوكم من ديركم
وظهروا على إخراجكم أن تولوهم
ومن يتولهم فأولئك هم الظلمون

9. Allah only forbids you,
With regard to those who
Fight you for (your) Faith,
And drive you out,
Of your homes, and support
(Others) in driving you out,
From turning to them
(For friendship and protection).
It is such as turn to them
(In these circumstances),
That do wrong.

**These verses have indicated, the permissibility of coliving with non Moslems in one homeland. cooperation, with them is permitted providid they do not attack Moslems in their religious practices or homelands. As in the last verse, the prohibition of extending solace to non Moslems or mixing with them would only occur if they fight Moslems or drive them out of their homelands or help aggression against them.**

**Allah has permitted as in the fifth verse of "Surat Al Maeda" matrimony with christian or jewish women, eating their food (buying — donating — hospitality) and in general exchanging food with them except for those kinds forbidden for Moslems.**

(٥) اليوم أحل لكم الطيبت
وطعام الذين أوتوا الكتب حل لكم
وطعامكم حل لهم
والمحصنت من المؤمنت
والمحصنت من الذين أوتوا الكتب
من قبلكم إذا ءاتيتموهن أجورهن
محصنين غير مسفحين
ولا متخذي أخدان
ومن يكفر بالإيمن فقد حبط عمله
وهو في الآخرة من الخسرين

5. This day are (all) things
Good and pure made lawful
Unto you. The food
Of the People of the Book
Is lawful unto you
And yours is lawful
Unto them.
(Lawful unto you in marriage)
Are (not only) chaste women
Who are believers, but
Chaste women among
The People of the Book,
Revealed before your time—
When ye give them
Their due dowers, and desire
Chastity, not lewdness,

Nor secret intrigues.
If anyone rejects faith,
Fruitless is his work,
And in the Hereafter
He will be in the ranks
Of those who have lost
(All spiritual good).

**This aya has permitted Moslem men to marry christian and jewish women :**

**To have a family, raise children extend kinship, even if the non Moslem women do not change their original religions.**

# SHARIA'S POSITION AS TO PARTICIPATION IN ELECTION IN SOUTH AFRICA

by : His Eminece Grand Imam Jad El Haq Ali Jad El Haq.
Translated by : His excellency Ambassador Nabil Muhammad Badr.

The office of the grand Imam Sheikh Al Azhar has received from Mr. Ismail Kala, deputy of the Islamic conference of south Africa a letter which included :

What is Sharia's position as to : participation in the coming elections? does it permit participation in secular, political, and democratic councils?

**The Answer**

**Verses from the Quran[1]**

5 "Our Lord! Make us not
A (test and) trial
For the Unbelievers,
But forgive us, our Lord!
For Thou are the Exalted
In Might, the Wise."

(٥) ربنا لا تجعلنا فتنة
للذين كفروا واغفر لنا ربنا
إنك أنت العزيز الحكيم

6. There was indeed in them
An excellent example for you
To follow—for those
Whose hope is in Allah
And in the Last Day.
But if any turn away,
Truly Allah is Free of all
Wants, Worthy of all Praise.

(٦) لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة
لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر
ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد

7. It may be that Allah
Will grant love (and friendship)
Between you and those whom
Ye (now) hold as enemies.
For Allah has power
(Over all things); And Allah is
Oft-Forgiving, Most Merciful.

(٧) عسى الله أن يجعل بينكم
وبين الذين عاديتم منهم مودة
والله قدير والله غفور رحيم

8 Allah forbids you not,
With regard to those who
Fight you not for (your) Faith
Nor drive you out
Of your homes,
From dealing kindly and justly
With them: For Allah loveth
Those who are just.

(٨) لا ينهكم الله عن
الذين لم يقتلوكم في الدين
ولم يخرجوكم من ديركم
أن تبروهم وتقسطوا إليهم
إن الله يحب المقسطين

(1) The Meaning of the Holy Qur'an by : A. Yusuf Ali

# AL AZHAR MAGAZINE

## ENGLISH SECTION

Vol. 66 Part XII
Zil Hijah, 1414 Higrah — May 1994

EDITOR : Dr Trandil Hussein El Rakhawy Ph.D.

Contents

1. Sharia's position as to participation in election in South Africa. Translated by : His Excellency Ambassador Nabil Muhammad Badr

2. The objective of pilgrimage by : Muhammad Higab.

Translation Difficulties by : Mona Abdel Ghaffar Salem.

"Nothing would be of greater benefit to Muslims and to Humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

# الفهـــرس السنـوى

# للمجلـد السادس والستين

١٤١٤هـ ١٩٩٤م

« إعـــداد »

الشيخ : أبى القاسم عبد الكريم عبد الموجود

والأستاذ : عبد السلام إبراهيم ناصف

## حـرف الألف


| | | الصفحة |
|---|---|---|
| إبراهيم الدسوقى | ـ الرحمن على العرش استوى ، وآراء العلماء فى المتشابه .. | ٢٨ |
| ( الشيخ ) | | ١٨٩ |
| إبراهيم سليمان عيسى | ـ الأسرار بين الحفظ والإفشاء وموقف الشريعة الإسلامية . | ٣٦٣ |
| ( الدكتور ) | | ٨٥٢ |
| إبراهيم عوضين | ـ نعم يا أستاذ عشماوى .. حتى لا تكون فتنة ............ | ٥٢٣ |
| ( الدكتور ) | ـ حول فوائد البنوك وحكم الدين بعيداً عن التعصب والمراء | ١٠٣٠ |
| | ـ نعم يا دكتور زكريا ................................ | ١٨٣٥ |
| إبراهيم عيسى | ـ الطائر الظمآن ( قصيدة ) ........................ | ١٠٤٩ |
| ( الشاعر ) | ـ ذبيح الشوق ( قصيدة ) ........................ | ١٢٠٢ |
| | ـ ليالينا ( قصيدة ) ............................. | ١٦٩٥ |
| | ـ عاشق بالباب ( قصيدة ) ........................ | ٨٦٨ |
| | ـ رحلة الإنسان ( قصيدة ) ........................ | ١٥١٦ |
| أبو اليسر الوزير | ـ صراع المعادلات .. الجميلات والجمال ( قصيدة ) .... | ٧٠٧ |
| ( الدكتور ) | | |
| أحمد بن محمد طاحون | الله أكبر خير من الدنيا وما فيها .................... | ٢١١ |
| ( الشيخ ) | ـ الحلف لا يكون إلا بالله ........................ | ٨٣٥ |
| | ـ من سورة البقرة .. لكل أمر باب ................... | ١٦٣٩ |
| | ـ ومَا يُبدِى الباطل ومَا يُعيد . ....................... | ١٧٩٥ |
| أحمد الشنوانى | ـ حوار مع فضيلة الإمام الأكبر ...................... | ٤٩٣ |
| ( الأستاذ ) | | |

| | | |
|---|---|---|
| أحمد رجائى عبد الحميد | ـ السقوط المهبلى وسقوط الرحم ........................ | ٢٥٣ |
| ( الدكتور ) | ـ الحمل والولادة ........................................ | ١٠٦٧ |
| | ـ الولادة الطبيعية ..................................... | ١٢١٤ |
| أحمد رجب محمد على | ـ مآذن مصر الإسلامية .............................. | ٩٧ |
| ( الأستاذ ) | | |
| أحمد عبد الله أحمد العبلينى | الخلاف الفقهى بين الأساليب اللغوية والنظائر الأصولية ... | ٣٥٤ |
| ( الشيخ ) | | ٥١٢ |
| | | ٦٥٢ |
| أحمد عمر هاشم | ـ وسطية الإسلام ........................................ | ١٠١٦ |
| ( الدكتور ) | ـ القرآن فى مجال التربية الأخلاقية ...................... | ١٦٤٣ |
| أحمد فهمى خطاب | ـ الحج هجرة إلى الله ................................. | ١٨٥٦ |
| ( الشاعر ) | | |
| أحمد فؤاد باشا | ـ من مآثر المسلمين فى العلوم الهندسية ................. | ٨٤ |
| ( الدكتور ) | ـ الهندسة الوراثية والأخلاق ............................ | ٢٤٨ |
| | | ٣٩٩ |
| | ـ أبو الريحان البيرونى ومآثره فى العلوم الكونية ............ | ٥٦٤ |
| | ـ العلوم الكونية بين الأصالة والمعاصرة ................... | ٧٣٤ |
| | ـ رسائل الإنسان إلى الكوكب الأحمر .................... | ٨٨٧ |
| | ـ العربية لغة العلوم والتقنية .............................. | ١٠٦٢ |
| | ـ الأسس المنهجية لتعريف العلوم الكونية ................ | ١٢١٠ |
| | ـ قراءة إسلامية فى كتاب الكون ......................... | ١٣٧٢ |
| | ـ التطور وأصل الإنسان من منظور إسلامى ............... | ١٥٢٢ |
| | ١٧١٠ ـ ١٨٦٢ | |
| أحمد مصطفى حافظ | ـ مدى تلازم الوحدة الموضوعية مع القصيدة العربية ..... | ١٠٤ |
| ( الأستاذ ) | | ٢٧٣ |
| | ـ القصيدة العربية والوحدة الموضوعية ..................... | ٤٣٣ |
| | | ٥٩٢ |
| | ـ الوحدة الموضوعية للقصيدة العربية فى عصر صدر الإسلام ........................................ | ٧٥٩ |
| | ٩٢١ ـ ١٠٩٢ | |

- مسيرة الوحدة الموضوعية فى العصرين : الأموى والعباسى : الأول والثانى والعصر الأندلسى «أربع مقالات» ١٢٣٩

١٤٠١ - ١٥٦٥ - ١٧٣٨ - ١٧٩٥

أحمد محمود أبو زيد (الأستاذ)
- المؤمن والنخلة ........ ٨٢٤

أحمد محمود مبارك (الشاعر)
- لفحات من نار البوسنه ( قصيدة ) ........ ١٠٥٠

أسامة كامل الخريبى (الأستاذ)
- لله الأمر ( قصيدة ) ........ ١٥١٨
- لله الأمر ( قصيدة ) ........ ١٦٩٤

إسمت غنيم (الدكتورة)
- المرأة فى الغرب الأوربى فى العصور الوسطى ........ ٤٢٩
- نظرة المجتمع الغربى للمرأة ........ ٤٣٢

٥٢٧ - ٦٨٨ - ١٠٧٤

البسيونى قنعان سليمان (الشاعر)
- يا إلهى ( قصيدة ) ........ ٢٣٩

السيد الصديق حافظ (الشاعر)
- حديث مع ديدات ( قصيدة ) ........ ٧١٢
- رمضان ربيع الروح ( قصيدة ) ........ ١٣٦٤

السيد تقى الدين السيد (الدكتور)
النظرة الأدبية فى ضوء القرآن الكريم ........ ١٢٨

السيد خلف محمد (المستشار)
- المخدرات بين التحريم والتجريم فى الشريعة الإسلامية والقانون المصرى ........ ١٤٧٨

١٦٥٩

السيد عبد المقصود عسكر (الشيخ)
- الحل الإسلامى لمواجهة العنف وإقرار السلام ........ ٢١٤
- إدارة الإعلام الدينى فى مؤتمر عام ........ ١٤٢٣
- الإسلام والتأثير الروحى ........ ١٨٤٧

انشراح الشال (الدكتورة)
- مشكلات مسلمى آسيا الصغرى الحل .. فى الأقمار الصناعية ........ ٦٦٤
- صور التقاط برامج التليفزيون عبر الأقمار الصناعية ...... ٧٣٨


## حـرف التاء


تمام مخلوف (الشاعر)
- صرخة معلم ( قصيدة ) ........ ٨٧١

توفيق محمد شاهين (الدكتور) — حروف العربية بين التوزيع التوظيف عند ابن القيم ...... ١١٨


## حـــرف الجيم


جاد الحق على جاد الحق فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

- دروس فى ذكرى الهجرة ............................ ٦
- عيد الأضحى يوم بر وعطاء ووفاء ....................... ١٢
- فتوى فى شأن أطفال النساء المغتصبات فى البوسنه والهرسك ............................ ١٦
- بين فضيلة الإمام الأكبر ورئيس مجلس إدارة دار التحرير . ٢١
- حوار مع الإمام الأكبر حول قضايا الساعة ............ ١٦٤
- فتوى فى جناية قتل ................................ ١٧٢
- فتوى فى ملاحظات سلوكيات فئة تتصدى للدعوة إلى الله ١٧٦
- رسالة الإمام الأكبر إلى السيد رئيس مجلس الشعب ( ما سمى بكتب التنوير لم تعرض على الأزهر ) ............ ١٨٢
- فى ذكرى مولد الرسول ﷺ أمانة الكلمة ومسئوليتها من سمات الإسلام ............... ٣٢٥
- فتوى فى بيان بعض أحكام المضاربة وفى حكم التعامل بالفائدة مع بعض البنوك وحكم التعامل مع البنوك الإسلامية ٣٣٠
- فتوى فى أحكام الذبح فى الإسلام ..................... ٣٣٤
- إقامة المسجد شكر وحسن ذكر ......................... ٤٥٥
- كلمة الإمام الأكبر فى احتفال مصر بذكرى المولد النبوى الشريف ................................ ٤٨٨
- كلمة فضيلة الإمام الأكبر فى مؤتمر العطاء الحضارى للإسلام ................................ ٤٩٢
- فتوى فى حكم زواج الحامل من زنا بمن زنا بها أو غيره ، وحكم الدخول بها ................................ ٥٠٠
- أدب الاختلاف فى الإسلام ............................ ٦٢٨
- فتوى فيما يقدمه غير المسلم لصديقه المسلم بعد وفاته من صلة ، وهل يؤجر على ذلك ؟ ............................ ٦٣٨

| | | |
|---|---|---|
| | ـ رسالة الإمام الأكبر إلى مؤتمر برلمان أديان العالم .......... | ٨٠٨ |
| | ـ كلمة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر فى حفل افتتاح الدورة الثالثة والعشرين لتدريب الأئمة والوعاظ .......... | ٨١٥ |
| | ـ فتوى فى تحويل مقبرة قديمة إلى حديقة .................. | ٨١٧ |
| | ـ فى ذكرى الإسراء والمعراج ..................... | ٩٧٢ |
| | ـ فتوى بشأن العمل بشركات الطيران التى تقدم الخمور .. | ٩٧٥ |
| | ـ احتجاج الإمام الأكبر على فيلم هندى يسىء إلى الإسلام | ٩٧٧ |
| | ـ هدفان من الإسراء والمعراج .................... | ١١٣٢ |
| | ـ ليلة النصف من شعبان ......................... | ١١٣٤ |
| | ـ الصيام وآثاره ................................ | ١٢٨٤ |
| | ـ فتوى فى حكم اختلاط الخنثى المشكل بالرجال والنساء . | ١٢٨٨ |
| | ـ جوائز الصوم فى يوم عيد الفطر .................. | ١٤٤٤ |
| | ـ فتوى فى حكم زواج الدرزى من مسلمة .............. | ١٤٥٠ |
| | ـ القرآن فى مجال التربية الأخلاقية ................ | ١٦١٨ |
| | ـ فتوى فى حكم صرف الزكاة أو جزء منها إلى الأجير الخاص وإلى الجمعيات ........... | ١٦٢٥ |
| | ـ شيخ الأزهر يحذر من رفع المقاطعة العربية لإسرائيل ..... | ١٦٢٧ |
| | ـ الحجاج وفد الله عز وجل ..................... | ١٧٧٤ |
| | ـ القدس الشريف ........... | ١٧٩١ |
| جعفر عبد السلام ( الدكتور ) | ـ تركيا والاتجاه شرقاً .......................... | ٥٣٦ |
| | ـ ألبانيا بين هموم الماضى وتوجهات المستقبل ........... | ١٠٢٢ |
| جليلة رضا ( الشاعرة ) | ـ رشفات الحكمة فى ديوان .. الإنسان فى الميزان ........ | ١٧٣٣ |
| جمال عبد العزيز أحمد ( الأستاذ ) | ـ رواية الحديث وعلاقته بالنحو ................... | ١٣٠٤ |
| جميل أحمد ظفر ( الدكتور ) | ـ النحو القرآنى قواعد وشواهد .................. | ١٢٥ |


## حـرف الحاء


| | | |
|---|---|---|
| حسن بيومى حسن سليمان ( الشيخ ) | ـ أم القرآن والمجتمع ...................... | ٣٣ |

حسن عبد الله القرشى ( الشاعر ) — موكب النور ( قصيدة ) .......... ٤١٩

حسنى عبد الحافظ ( الأستاذ ) — فضل المسلمين فى تقدم علم الخرائط .......... ١٥٠١

حسين أحمد إسماعيل ( الأستاذ ) — جراح المسلمين ( قصيدة ) .......... ٨٦٤


## حـــرف الخاء

خالد محمود إبراهيم سالم ( الشاعر ) — أم الملاحم غزوة بدر الكبرى .......... ١٣٦٧

خليل فواز ( الشاعر ) — ابتهال ( قصيدة ) .......... ١٣٦٣


## حـــرف الراء

**ربيع محمد مصطفى — رثاء فضيلة الشيخ فرج غنيم .......... ١٨٦١**

رجب محمد على فضلون — الشيخ مصطفى الغاياتى من أعلام الأزهر .......... ٣٨٩

رشاد محمد يوسف ( الشاعر )
— على عتبات الغار ( شعر ) .......... ١١٣
— الخداع والحرية ( شعر ) .......... ٢٤١
— مذبحة المآذن ( شعر ) .......... ٤١٢
— مأساة كشمير ( شعر ) .......... ٨٦٣
— لابد يا قدس ( شعر ) .......... ١٠٤٧
— أحزان القبلة الأولى ( شعر ) .......... ١١٩٩
— الشعر وزامر الحى ( شعر ) .......... ١٥٢٠
— زيفوا وجه الحضارة ( شعر ) .......... ١٦٩٧
— حنين إلى البيت العتيق .......... ١٨٥٧

رفعت محمد مرسى طاحون ( الأستاذ ) — حرمان المرأة من الميراث إثم خطير .......... ١٦٥٦


## حـــرف الزاى

زكريا أحمد نور ( الشيخ ) — أنانية الإنسان مع نعم الله .......... ٨٥٦

زكريا حامد ورشل ( الشيخ ) ـ خلفية تاريخية عن الإسلام والمسلمين فى زيمبابوى ...... ٦٦٧

زكى المحاسنى ( الشاعر ) ـ سيرة النبى ﷺ ( قصيدة ) ........................ ٤١٥

زينب الأشوح ( الدكتورة ) ـ العالم الإسلامى المعاصر تعريفة وأهم خصائصه ١٣٣٦
١٤٨٥

زينب عبد العزيز ( الدكتورة ) ـ فليغضب جاك بيرك ............................ ١٩٥

## حـــرف الســين

سراج الدين معزوز ( الشيخ ) قلبى لمصر فدى ( قصيدة ) ............................ ٨٧٢

سليمان عبد الحميد الفقى ( الشيخ ) ـ شعارات خبيثة ................................ ١٨٣٣

سهير حسن عبد العال ( الدكتورة ) ـ معالجة مشكلة البطالة من منظور الفكر الإسلامى والفكر الوضعى ..................................... ١١٦٩
١٣٤١ ـ ١٦٦٨

سيد أحمد محمد خليل ( الدكتور ) ـ أضواء على تاريخ طب المجتمع ........................ ٨٩١

سيف النصر عبد العزيز المجلى ( الشيخ ) ـ الصيام فى الإسلام وفى الملل الأخرى .................. ١٣٢٧

## حـــرف الشــين

شوقى محمود أبو ناجى ( الشاعر ) ـ اعتراف ( قصيدة ) ................................ ١٢٠٤
ـ صرخة ( قصيدة ) ................................ ١٣٦٩

## حـــرف الصــاد

صابر تعلب ( الأستاذ ) ـ نافذة على اللغة العربية ........................... ٤٤٥
ـ أوربا بلا مسلمين أمنية الغرب عام ٢٠٠٠ ............ ٨٤٥

## حـــرف العـين


عائشة التيمورية (الشاعرة)
- سناء الرشد والكرم (قصيدة) ........................ ٤١٢

عادل رفاعى خفاجة (الأستاذ)
- البوسنه والهرسك فى إطار المؤامرة الغربية لمؤلفه د. فوزى محمد طايل (عرض وتقديم) ........... ١٢٤٦
- أطفال البوسنه الأبرياء يستغيثون لمؤلفه الأستاذ توفيق إسلام (عرض وتقديم) ........................ ١٤٠٧
- الإسلام بين الشرق والغرب لمؤلفه الرئيس على عزت بيحوفيتش (عرض وتقديم) ........................ ١٥٦٠
١٧٢٨ - ١٨٨٣

عبد الجليل شلبى (الدكتور)
- مع سورة الأنفال ........................ ٢٤
١٨٤
٣٣٨ - ٥٠٥ - ٦٤٦ - ٨٢٠ - ٩٨٥ - ١١٣٧ - ١٢٩١
١٤٦٣ - ١٦٣٤ - ١٨٠٦

عبد الحفيظ فرغلى القرنى (الأستاذ)
- مولودون فى ظلال الهجرة ........................ ٥٦
- وتزودوا فإن خير الزاد التقوى ........................ ١٤٧٢
- المبشرون بالجنة ........................ ١٦٥١
- العشرة المبشرون بالجنة ........................ ١٨٢٤

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم (الأستاذ)
- طرائف ومواقف ........................ ٨٢
٢٧٠ - ٣٩٢ - ٥٥٦ - ٧٢٦ - ٨٨٥ - ١٠٨١ - ١٢٢٠
١٣٥٨ - ١٥٠٩ - ١٧٠٨ - ١٨٧١

عبد الحكيم الصعيدى (الدكتور)
- الحشرات والحديث عنها فى القرآن الكريم - والسنة النبوية - والعلم الحديث ...... ٥٦٨
٧٤٢ - ٨٩٦
- طبعة مشوهة من تفسير النسفى (تحذير) ............ ١٧٢٦

عبد الحكيم عبد الرءوف (الدكتور)
فضيلة الشيخ محمد حسام الدين بدر الدين من أعلام الأزهر ٧٢٣

عبد الحليم المصرى (الشاعر)
- حكاية والٍ (قصيدة) ........................ ٢٤٥

عبد الرءوف محمد عثمان (الدكتور) ـ الالتزام النحوى والجرس الموسيقى للشعر ............ ٤٣٦

عبد الرحمن السمان (الدكتور) ـ حول مقالى : المعجزة القرآنية فى حساب السرعة الضوئية أمر الله لا تحده سرعة الضوء ........................ ٨٨

ـ اكتشاف سرعة أكبر من سرعة الضوء ............... ١٧١٥

عبدالعاطى موسى عبدالعاطى (الشاعر) ـ آيات وذكرى ( قصيدة ) ....................... ١٠٤٦

ـ شهر الفتوحات ( قصيدة ) ....................... ١٣٦٥

عبد العزيز غنيم (الدكتور) ـ تهنئة ( قصيدة ) ................................ ٧٠٦

ـ تهنئة بشفاء الإمام ( قصيدة ) ...................... ١١٩٧

عبد الغفار الدلاش (الشاعر) ـ فى مولده ﷺ موكب النور ( قصيدة ) ............. ٤١٦

ـ إنه المصرى فى آياته ( قصيدة ) ..................... ٨٦٩

عبد الفتاح أبو سنة (الدكتور) ـ محمد بن على الخروبى ومنهجه فى التفسير ........... ١٨٨٠

عبد الفتاح أحمد الفاوى (الدكتور) ـ عبقرية التراث بين النفى والإثبات ............... ٥٩٦ ، ٧٧٢ ، ١٢٣٥

عبد الفتاح حسين الزيات من روائع الماضى :

ـ الأمانة الثانية لفضيلة الشيخ محب الدين الخطيب ....... ٧٧

ـ خصب العقول وجدبها لفضيلة الشيخ محمد عرفة ....... ٢٦٤

ـ اشاعات السوء لفضيلة الشيخ عبد الرحمن تاج ......... ٣٩٤

ـ مشاكل العالم الإسلامى لفضيلة الشيخ عبدالحميد المسلوت ٥٥٨

ـ لمن يكون تنفيذ الحدود لفضيلة الشيخ أحمد الشرباصى .. ٧٢٨

ـ نظام الإسلام السياسى لفضيلة الشيخ محمود النواوى ... ٨٧٨

ـ موقف الإسلام من التغيرات لفضيلة الشيخ عبد الرحمن تاج .................. ١٠٨٣

ـ يا رب .. للدكتور محمد خليفة ................ ١٢٢٢

ـ رمضان هجرة إلى الله لفضيلة الشيخ أبوالوفا المراغى .... ١٣٥٤

ـ كيف ينهض المسلمون لفضيلة الشيخ عبدالحميد المسلوت ١٥٤٨

ـ لو رضى الناس لفضيلة الشيخ على العمارى ............ ١٦٩٩

ـ الأزهر فكرة إسلامية للشيخ رياض هلال .............. ١٨٧٨

| | | |
|---|---|---|
| عبد الفتاح عمرو شعيب | | |
| ( الدكتور ) | ـ شمس الوجود « محمد » ﷺ ( قصيدة ) .............. | ١١٩٨ |
| عبد الله نجيب محمد | ـ انبعاث الحياة الإسلامية فى جمهورية آسيا الوسطى ...... | ٢١٩ |
| ( الدكتور ) | ـ خزائن المخطوطات بجمهورية أوزبكستان الإسلامية(١) | ٩١٧ |
| | ـ خزائن المخطوطات بجمهورية أوزبكستان الإسلامية(٢) . | ١٢٤٣ |
| | ـ أزمة الحضارة العالمية والبديل الإسلامى .............. | ١٦٨٠ |
| عبد المنعم سليمان مسلم | ـ فى ذكرى المولد النبوى الشريف | |
| ( الشيخ ) | صلاة الله تعالى وصلاة العباد ........................ | ٣٥٩ |
| عبد المنعم فودة | ـ الفتاوى ........................ | ٦٧ |
| | ٢٣٤ ـ ٣٨٧ ـ ٥٥٤ ـ ٧٠٤ ـ ٨٦٠ ـ ١٠٤٣ ـ | |
| | ١١٨٧ ـ ١٣٤٨ ـ ١٥٠٧ ـ ١٦٩١ ـ ١٨٥٢ | |
| عبد الوهاب المرصفى ( الشاعر ) | ـ على براق النور ( قصيدة ) .................. | ١٠٤٨ |
| عبير محمد عبد الواحد | ـ الأدب الأفريقى ( عرض ) ................ | ١٣٣ |
| ( الأستاذة ) | ـ الموارد المالية للمرأة فى الإسلام .............. | ٥٣٢ |
| | ـ حقوق الزوجة فى الإسلام .. الحقوق المعنوية .......... | ١٣٣١ |
| عدنان مردم بك | ـ ذكرى المولد ( قصيدة ) .................. | ٤١٣ |
| ( الشاعر ) | | |
| عزيز أباظة | ـ وحى المدينة المنورة ( قصيدة ) .............. | ٤١٤ |
| ( الشاعر ) | | |
| عطية صقر | ـ صلاة الجماعة بين الوجوب والندب .............. | ٦٤١ |
| ( الشيخ ) | ـ السياحة ما لها وما عليها .............. | ١١٥٧ |
| على أحمد الخطيب | ـ هجرة الأنبياء .................. | ١ |
| ( الدكتور ) | ـ هجرة النبى محمد ـ ﷺ ـ .............. | ١٦١ |
| ( رئيس تحرير المجلة ) | ـ مطلع ربيع .................. | ٣٢١ |
| | ـ هل أعلنت العلمانية الحرب على الإسلام ؟ .............. | ٤٨١ |
| | ـ واحذرهم أن يفتنوك .................. | ٦٢٥ |
| | ـ فاسجدوا لله واعبدوا .................. | ٨٠١ |
| | ـ أشق البلاء .................. | ٩٦٩ |
| | ـ الإسلام والأزهر والثقافة الجنسية .............. | ١١٢٩ |
| | ـ الأزهر والفحص والنقد .............. | ١٢٨١ |

| | | |
|---|---|---|
| | ـ العزة بالإسلام خلاص المسلمين | ١٤٤١ |
| | ـ حفظ الله ـ عز وجل ـ مصر | ١٦٠٩ |
| | ـ الإيمان فى حماية الله وحده | ١٧٦٩ |
| على أحمد السالوس | أثر تغير قيمة النقود فى الحقوق والالتزامات | ٢٢٣ |
| ( الدكتور ) | | ٨٣٩ |
| على الجـارم | محمد رسول الله ( شعر ) | ١١٥ |
| ( الشاعر ) | | |
| على حامد عبد الرحيم | قبس من أنوار النبوة : | |
| ( مدير التحرير ) | ـ أين نحن من القرآن ؟ | ١٩٩ |
| | ـ من أخلاق الرسول ـ ﷺ ـ | ٣٤٨ |
| | ـ نعمة الأمن فى الإسلام | ٥٠٩ |
| | ـ سعادة الدنيا وشقاء الآخرة | ٦٥٠ |
| | ـ الإسلام يجب ما قبله | ٩٩٦ |
| | ـ أحب الأعمال إلى الله أدومها | ١١٤١ |
| | ـ الرياء يمحق العبادة | ١٢٩٦ |
| | ـ الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا | ١٤٦٩ |
| | ـ الرسول ـ ﷺ ـ يتعوذ من عذاب القبر | ١٦٤٨ |
| | ـ الجزاء بين العدل والفضل | ١٨٠٩ |
| على محمد نجيب المطيعى | ـ تبيان وايضاح | ٩٢٥ |
| ( الدكتور ) | | |
| على محمود طه | ـ يوم فلسطين ( قصيدة ) | ٢٤٤ |
| ( الشاعر ) | | |
| عمر البسطويسى | ـ أنباء مكتب الامام الأكبر | ٩٣٤ |
| ( الأستاذ ) | ١١٠٩ ـ ١٢٦٠ ـ ١٤٢٠ ـ ١٥٨٥ ـ ١٧٥٠ | |


## حرف الفـــاء


| | | |
|---|---|---|
| فوزى محمد طايل | ـ الربا .. الحزن الممتد للمقرضين | ١٣٠٩ |
| ( الدكتور ) | | |


## حرف القـــاف


| | | |
|---|---|---|
| قسم التحرير بالمجلة | ـ المرأة فى الغرب الأوربى فى العصور الوسطى | ٤٢٩٠ |
| | ـ دراسة تاريخية موثقة « هيئة كبار العلماء » | ٦٩٢ |

| | | |
|---|---|---|
| | ـ قبل أن يسدل الستار على مأساة البوسنة المسلمة ........ | ٨٤٤ |
| | ـ ماذا يجرى فى كشمير ............................ | ٩٧٨ |
| | ـ تصحيح ................................... | ٩٨٩ |


## حـــرف الكاف


| | | |
|---|---|---|
| كارم السيد غنيم ( الدكتور ) | الإنسان والشيطان ........................... | ١٣٢١ |


## حـــرف الميم


| | | |
|---|---|---|
| ما شاء الله حسن حسنى ( الدكتورة ) | ـ التلوث البيئى فى مصر أسبابه ونتائجه ............................ | ٩٠٤ |
| مجدى عبد الحميد بشير ( الأستاذ ) | ـ أنباء العالم الإسلامى ........................... | ١٤٧ |
| | ٢٩٩ ـ ٤٥٩ ـ ٦٠٩ ـ ٧٨٤ ـ ٩٣٨ ـ ١١١١ ـ ١٢٦٢ ـ ١٤٢٦ ـ ١٥٨٧ ـ ١٧٥٤ ـ ١٩٠٩ | |
| المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة | ـ بيان بشأن منح كتاب آيات شيطانية جائزة الأدب العربى ........................ | ١٦١٦ |
| مجمع البحوث الإسلامية بالأزهـــر | ـ بيان بشأن الأصوات النشاز والأقلام الملتوية التى تنكر حق الأزهر فى أداء واجبه ...................... | ١٦١٣ |
| مجلس الدولة | ـ فتوى بشأن منح تراخيص المصنفات الاسلامية ........ | ١٤٥٦ |
| محمد أحمد الصواف ( الأستاذ ) | ـ مغالطات عن مسلمى تركيا ....................... | ٥٣٩ |
| محمد الأخضر السائحى ( الشاعر ) | ـ حديث إلى هلال المولد ( قصيدة ) ................ | ٤١٨ |
| محمد الأسمر ( الشاعر ) | ـ مملكة العجائب ( قصيدة ) ...................... | ٤٢١ |
| محمد البشير نافع ( الأستاذ ) | ـ صحيح .. صفة صلاة النبى ـ ﷺ ـ من التكبير إلى التسليم .. كأنك تنظر إليها ( عرض وتقديم ) .......................... | ٤٢٣ |
| | ـ نظرة فى تحقيق صحفى نشرته جريدة الأهرام .......... | ٥٠٣ |
| | ـ أضواء على كتاب عقائد وتيارات فكرية معاصرة ( عرض وتقديم ) .......................... | ١٠٩٩ |

| | | |
|---|---|---|
| محمد برهام | ـ الله عز وجل ( قصيدة ) ................................ | ١٥١٥ |
| ( الشاعر ) | | |
| محمد تامالت | ـ طفل من البوسنة ( قصيدة ) .......................... | ١٥١٩ |
| ( الشاعر الجزائرى ) | | |
| محمد جمال الدين محفوظ | ـ زيادة الإنتاج وضبط الاستهلاك فى توجيهات الإسلام ... | ١١٧٦ |
| ( اللواء ) | ـ إمام القادة ـ ﷺ ـ ........................................ | ١٣٠٠ |
| محمد حافظ سليمان | ـ وحدة الرسالات الالهية ـ منزلة الإنسان | |
| ( الشيخ ) | فى القرآن ............................................ | ٤٢ |
| | ـ أعظم نبى وأكرم مولود فى الوجود ـ ﷺ ـ ....... | ٣٤٢ |
| | ـ أولئك هم المؤمنون حقا ................................ | ٨٢٧ |
| | ـ عناية الاسلام بالأطفال والأمهات ......................... | ١١٦٣ |
| | ـ شهر عظيم وكتاب كريم ................................... | ١٣١٥ |
| | ـ السلام العالمى .............................................. | ١٨٢٨ |
| محمد حسنى مبارك | ـ كلمة الرئيس محمد حسنى مبارك فى احتفال مصر | |
| (رئيس الجمهورية ) | بذكرى المولد النبوى الشريف بالاسكندرية ............. | ٤٨٤ |
| | ـ كلمة السيد رئيس الجمهورية فى مؤتمر العطاء الحضارى | |
| | للإسلام ............................................ | ٤٨٩ |
| | ـ نص خطاب الرئيس محمد حسنى مبارك فى المؤتمر | |
| | ال « ٢٧ » لمنظمة اليونسكو بمناسبة تكريمه .............. | ٨٠٣ |
| محمد حلمى ابراهيم | ـ الأزهر الشريف والرقابة على المصنفات الفنية .......... | ١٤٥٢ |
| ( المستشار ) | | |
| محمد رجب البيومى | ـ القرآن صالح لكل زمان ومكان ............................ | ٥١٨ |
| ( الدكتور ) | ـ مستقبل الثقافة فى مصر ................................... | ٦٨٠ |
| | | ١٢٢٦ |
| | | ١٣٩٣ |
| | ـ من علمائنا المعاصرين محمد زاهد الكوثرى ............... | ٨٧٣ |
| | | ١٠٥٦ |
| | ـ من أعلام الأزهر .. إبراهيم الجبالى ........................ | ١٥٤٣ |
| | | ١٧٠٢ |
| | ـ الإمام الأكبر فى فتاويه الفقهية ............................ | ١٦٢٨ |

١٨٠٠

محمد زين العابدين العزازى ـ من الأدب الإسلامى الرفيع .. حق الجار على جاره ..... ٢٣١
( الأستاذ ) ـ قيمة الزهد فى الإسلام ..................... ١٠٣٥
ـ إياكم ومُحدثات الأمور ..................... ١٨١٨
محمد سيد خفاجى ـ أسمى الحب فى الإسلام ..................... ٣٨٤
( الأستاذ )
محمد شامة ـ الحسد فى الأحاديث النبوية ..................... ٢٠٢
( الدكتور ) ٣٧٦
محمد صابر البرديسى ـ ارتباط الهجرة بالجهاد ..................... ٤٩
( الشيخ )
محمد عبد الحكيم محمد ـ بين المجلة والقارىء ..................... ١٤٠
( الدكتور ) ٢٩١ ـ ٤٤٨ ـ ٦٠١ ـ ٧٧٩ ـ ٩٢٨ ـ ١١٠٥ ١٢٥٣
١٩٠٢ ـ ١٤١٣ ـ ١٥٧٩ ـ ١٧٤٣ ـ ١٩٠٢
محمد عبدالرحمن صان الدين ـ تحفة الذكرى العاطرة ( قصيدة ) ..................... ١٠٨
( الشاعر ) ـ العزف على الوتر الأخير ( قصيدة ) ..................... ٨٦٧
أبالموت تذكرنى ( قصيدة ) ..................... ١٢٠٠
ـ ذلك هو الصوم ( قصيدة ) ..................... ١٣٦١
ـ الله جل جلاله ..................... ١٥١٢
ـ وقفة مع ديوان الانسان فى الميزان ..................... ١٥٦٩
ـ الخير يبتلى ( قصيدة ) ..................... ١٦٩٦
ـ صناعة الكلام ..................... ١٨٦٠
محمد عبدالعليم العدوى ـ أثر صلح الحديبية فى الدعوة الإسلامية ..................... ٣٥٠
( الدكتور ) ٦٥٨
محمد عبد الغنى عليان ـ المؤمن بين الخوف والرجاء ..................... ١٠١٢
( الأستاذ )
محمد عبدالقادر هنادى ـ البحث النحوى عند الإمام النووى فى ضوء كتابه
« صحيح مسلم بشرح النووى » ..................... ٥٨٢
( الدكتور ) ٧٥٢ ٩١١
١٥٥٢
١٣٨٦

| | | |
|---|---|---|
| محمد عبد الله آل ناجى | ـ القيادة الإدارية بين منهج الإسلام والنظريات المعاصرة | ٣٦٨ |
| ( الدكتور ) | | ٥٤٣ |
| | | ٨٤٦ |
| | | ١٠٣٨ |
| | | ١١٨١ |
| محمد عبد الوهاب | ـ من أدب الحرمان .. الفقر والفقير | ٧٦٣ |
| ( الأستاذ ) | ـ مع ديوان « على أعتاب الرضا » | ١٠٨٧ |
| | ـ وقفة مع ديوان الإنسان فى الميزان | ١٥٦٩ |
| محمد عزت الطهطاوى | ـ صاحب الهجرات الثلاث الصحابى الجليل الخليفة الراشد | |
| ( المستشار ) | عثمان بن عفان ( رضى الله عنه ) | ٦١ |
| | ـ من أعلام الأزهر : | |
| | الشيخ/عبد الهادى رضوان نجا الابيارى | ٢٦٠ |
| | الإمام الشيخ محمد مصطفى المراغى | |
| | شيخ الأزهر الأسبق | ٧١٥ |
| | الإمام محمد الخضر حسين | |
| | شيخ الأزهر الأسبق | ١١٨٩ |
| | الشيخ/ سعد الدين العلمى | ١٣٥٠ |
| محمد محمد زيتون | ـ القرآن الكريم والبحر | ٩٩٠ |
| ( الدكتور ) | | ١١٤٤ |
| | ـ علاقة مصر بالجزيرة العربية | ١٦٨٥ |
| | | ١٨٤١ |
| محمد عتريس | ـ أحكام العدد وتمييزه من القرآن الكريم | ٢٧٨ |
| ( الأستاذ ) | ـ دراسة موضوعية فى محاضرة عن الإسلام والغرب | ١٠٠٢ |
| محمد محمد مسعود | ـ مع ذكرى الهجرة ( قصيدة ) | ١١١ |
| ( الشاعر ) | | |
| محمد مصطفى الغمرى | ـ عبرة وفاء : | |
| ( الأستاذ ) | على الصديق المرحوم المستشار عبد العزيز هندى | ٧١٣ |
| محمد محمود الماحى | ـ هجرة المصطفى ـ ﷺ ـ ( قصيدة ) | ١١٠ |
| ( الشاعر ) | | |

محمد محمود حسانين ـ تحديات المسلمين فى جنوب أفريقيا .................... ١١٨٥
( الأستاذ )
محمود حسن اسماعيل ـ صلاة الله وسلامه عليه ( قصيدة ) .................... ٤٢٠
( الشاعر )
محمود حمدى زقزوق ـ الأزهر والحوار مع المؤسسات الدينية العالمية .......... ١٤٩١
محمود سامى البارودى ـ الهجرة ( قصيدة ) .............................. ١١٢
( الشاعر )
محمود صالح العدل ـ العلمانية والخلط بين الأوراق .................... ٦٧٧
( الدكتور )
محمود عبدالرازق عقبارى ـ من أعلام الأزهر
( الأستاذ ) ـ الدكتور/أحمد محمد الشعراوى .................... ٥٦٢
ـ الدكتور/على محمد العمارى .................... ١٨٧٣
محمود عبدالمتجلى خليفة ـ تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة .............. ١١٥١
( الدكتور )
محمودْ محمد بكر هلال ـ فى ذكرى الإسراء والمعراج ( قصيدة ) .............. ١٠٤٥
( الشاعر )
مصطفى عبد المجيد ـ أنباء مكتب الإمام الأكبر .............................. ١٤٥
( الأستاذ ) ٢٩٧ ـ ٤٥٧ ـ ٦٠٦ ـ ٧٨٢ ـ ٩٣٤ ـ ١١٠٩ ١٢٦٠
١٤٢٠ ـ ١٥٨٥ ـ ١٧٥٠ ـ ١٩٠٧
معوض عوض ابراهيم ـ خذوا الأولاد بمنهج الإسلام .................... ٢٠٨
( الشيخ ) ـ أسرار وأنوار من آيتى الإسراء والمعراج .................... ٩٩٨
منذر محمد عبد الرحمن ـ وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا
( الأستاذ ) سر خلف الأسوار .................... ١٥٣٤
منصور محمد حسب النبى ـ الحد الأقصى للسرعة الكونية فى عالم سرعة الضوء
( الدكتور ) فى الفراغ والهواء .................... ٤٠٤
ـ المعجزة القرآنية فى حساب السرعة الضوئية .......... ١٣٧٧
١٥٢٧
ـ حقيقة علمية حول سرعة الضوء .................... ١٨٦٦

## حـــرف النـون

نجوى السيد أحمد ( الدكتورة )

- الجديد فى العلم والتقنية ........................ ٩٥
- ٢٥٧ - ٤٠٩ - ٥٧٨ - ٧٤٩ - ٩٠٨ - ١٠٧١ ١٢١٧
١٣٨٣ - ١٥٤٠ - ١٧٢٢ - ١٨٦٦

## حرف اليـــاء

يحيى عبدالله المعلمى ( الفريق )

- النحو القرآنى قواعد وشواهد ........................ ١٢٥
- أبو العتاهية ( قصيدة ) ................................ ١٠٥٢
- ولاية الشرطة فى الإسلام ............................ ١٨٩٢

## هدايا صدرت مع المجلة عام ١٤١٤ هـ

| | عنوان الهدية | المؤلف | شهر الإصدار |
|---|---|---|---|
| ١ | ـ نقض الفريضة الغائبة | فضيلة الإمام الأكبر جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر والشيخ عطية صقر | المحرم |
| ٢ | ـ كتاب الإسلام وأصول الحكم في الميزان | الدكتور محمد رجب البيومى | صفر |
| ٣ | ـ رد هيئة كبار العلماء على كتاب الإسلام وأصول الحكم | هيئة كبار العلماء | ربيع الأول |
| ٤ | ـ قواعد مهمة يحتاج إليها المفسر للإمام جلال الدين السيوطى | إعداد : الدكتور السيد الجميلى | ربيع الآخر |
| ٥ | ـ الغزو الفكرى فى التصور الإسلامى | الدكتور أحمد عبد الرحيم السايح | جمادى الأولى |
| ٦ | ـ المسلمون فى آسيا الصغرى والقوقاز | الأستاذ مصطفى دسوق كسبة ج١ | جمادى الآخرة |
| ٧ | ـ المسلمون فى آسيا الصغرى والقوقاز | الأستاذ مصطفى دسوق كسبة ج٢ | رجب |
| ٨ | ـ المسلمون فى آسيا الصغرى والقوقاز | الأستاذ مصطفى دسوق كسبة ج٣ | شعبان |
| ٩ | ـ البرهان فى توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان ج١ للإمام برهان الدين أبى القاسم الكرمانى | إعداد : د. السيد الجميلى | رمضان |
| ١٠ | ـ البرهان فى توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان ج٢ للإمام برهان الدين ابو القاسم الكرمانى | إعداد : د. السيد الجميلى | شوال |
| ١١ | ـ البرهان فى توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان ج٣ للإمام برهان الدين ابى القاسم الكرمانى | إعداد : د. السيد الجميلى | ذو القعدة |
| ١٢ | ـ البرهان فى توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان ج٤ | إعداد : د. السيد الجميلى | ذو الحجة |

## الفهـــرس

الافتتاحية

**الإيمان فى حماية الله وحده**

د. على أحمد الخطيب ........................ ١٧٦٩

**مع الإمام الأكبر**

ـ الحجاج وفد الله ـ عز وجل ـ .............. ١٧٧٤

ـ فتوى الإمام الأكبر ...................... ١٧٨٨

ـ القدس الشريف ........................ ١٧٩١

ـ من سورة سبأ

للشيخ أحمد بن محمد طاحون ........ ١٧٩٥

**الإمام الأكبر فى فتاويه الفقهية**

للدكتور محمد رجب البيومى ................ ١٨٠٠

**مع سورة الأنفال**

للدكتور عبدالجليل شلبى ................. ١٨٠٦

**التعريف بشىء مما جاءت به سورة النور**

أ. د. حسن إليك ........................ ١٨٠٩

**قبس من أنوار النبوة (الجزاء بين العدل والفضل)**

للشيخ على حامد عبدالرحيم ............... ١٨٠٥

**إياكم ومحدثات الأمور**

للشيخ محمد زين العابدين العزازى ........... ١٨١٨

**العشرة المبشرون بالجنة**

للشيخ عبدالحفيظ فرغلى القرنى ............. ١٨٢٤

**الســلام العالمى**

للشيخ محمد حافظ سليمان ................ ١٨٢٨

**شـعارات خبيثة**

للشيخ سليمان عبدالحميد الفقى ............ ١٨٣٣

**نعم يا دكتور زكريا**

للدكتور إبراهيم عوضين ................... ١٨٣٥

**علاقة مصر بالجزيرة العربية**

للدكتور محمد محمد زيتون ................. ١٨٤١

**الإسلام والتأثير الروحى**

للشيخ السيد عبدالمقصود عسكر ............ ١٨٤٧

**الفتــاوى**

إعداد الأستاذ عبدالمنعم فودة ............... ١٨٥٢

**ـ الحج هجرة إلى الله**

للشاعر : أحمد فهمى حطاب ................ ١٨٥٦

**ـ حنين إلى البيت العتيق**

للشاعر : رشاد محمد يوسف ................ ١٨٥٧

**ـ مائدة الرحمن والفرحتان**

للشاعر : أ. د. أبوياسر الوزير ............. ١٨٥٨

**ـ صناعة الكلام**

للشاعر : محمد عبدالرحمن صان الدين .......... ١٨٦٠

**ـ رثاء فضيلة الشيخ فرج غنيم**

للشاعر : ربيع محمد مصطفى ................ ١٨٦١

**التطور وأصل الإنسان** أ. د. أحمد فؤاد باشا .. ١٨٦٢

**حقيقـة علميـة** أ. د. منصور حسب النبى ..... ١٨٦٦

**الجديد فى العلم والتقنية** د. جوى السيد أحمد ١٨٦٨

**طـرائف ومواقف**

للأستاذ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم .......... ١٨٧١

**من أعلام الأزهر أ. د. العمارى**

للشيخ محمود عبدالرازق عقباوى .............. ١٨٧٣

**من روائع الماضى (الأزهر فكرة إسلامية)**

للأستاذ عبدالفتاح حسين الزيات .............. ١٨٧٨

**محمد بن على الخروبى ومنهجه فى التفسير**

د/ عبدالفتاح أبو ستة ...................... ١٨٨٠

**الإسلام بين الشرق والغرب**

عرض وتقديم الأستاذ عادل خفاجة ............ ١٨٨٣

**ولاية الشرطة فى الإسلام**

تعليق الفريق يحيى المعلمى .................. ١٨٩٢

**الوحدة الموضوعية للقصيدة العربية**

للأستاذ أحمد مصطفى حافظ ................ ١٨٩٥

**بين المجلة والقارىء** د. محمد عبدالحكيم محمد.... ١٩٠٢

**أنباء مكتب الإمام الأكبر**

إعداد عمر البسطويسى ، مصطفى عبدالمجيد .. ١٩٠٧

**أنباء العالم الإسلامى** للأستاذ مجدى عبدالحميد بشير ١٩٠٩

**القسـم الفرنسى** ...................... ١٩١٦

**القسـم الانجليزى** ..................... ١٩٢٥

**الفهرس السنوى العام** ................. ١٩٢٦